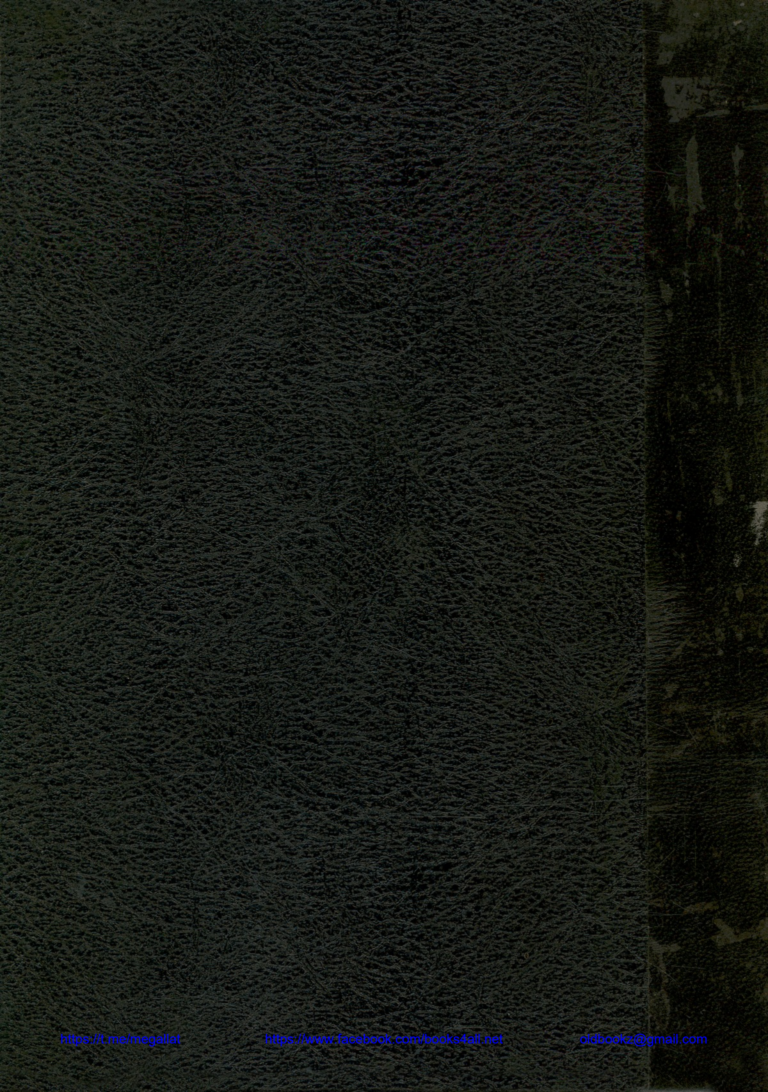


السنة الحادية عشر
يناير ١٩٧٥



طريق المناضلين الى الفكر الثورى المعاصر

● اليسار المصرى يحاور توفيق الحكيم

● التفسير الفلسطينى للتاريخ
ومستقبل البترول العربى

■ الامام الصدر
المطران حداد
المطران خضر
يتحدثون عن : الدين ■ الانسان ■ المجتمع

● قراءة فى الصفحات الأولى
لأخبار اليوم

● الاتحاد السوفيتى : مصريا وعربيا

● شهدى عطية :
حياة وموت مناضل

■ رسالة الى « الطليعة »
من احمد حسين

لويس عوض :
٦٠ عاما فى خدمة الثقافة

ملحق
الأدب
والفن

[« فهرس الطليعة »]



مجلة شهرية

تصدر أول كل شهر

رئيس التحرير :

لطفي الخولي

مدير التحرير :

ابو سيفة يوسف

سكرتير التحرير :

مصطفى سامي

المحررون :

حسين شعلان
خيرى عزيز
د. رفعت السعيد
عبدالمنعم الغزالي
فاروق عبدالقادر
وديع امين

د. محمد الخفيف
شارك في تأسيس الطليعة
وأسرة تحريرها
يناير ١٩٦٥ - مارس ١٩٧٢

الفهرس

العدد الاول — السنة الحادية عشرة — يناير ١٩٧٥

عنوان المراسلات : مبنى مؤسسة الاهرام — شارع الجلاء — القاهرة — تليفون : ٤٤٤٦٤ — ٥٩٠١٠ — ٥٩٥٦٠
الاشتراكات : سنة بالبريد العادى ج.م.ع — دول اتحاد البريد العربى ودول الدار البيضاء ١٢٠ قرشا

كلمة من « الطليعة »

مع هذا العدد ، تودع « الطليعة » عشر سنوات من حياتها ، وتحتفل ببدء عام جديد ، تعتقد بأهميته البالغة .

فعلى المستوى المحلى والعربى . تطرح القضية الوطنية نفسها بشكل لا يحتمل التأجيل ، وتبرز قضية التنمية واتجاهاتها بصورة ملحة . وعلى المستوى العربى تنضج استقطابات وتتوافر أكثر من ذى قبل ظروف موضوعية تدفع الى مزيد من التقارب والتضامن والتكامل الاقتصادى . وعلى المستوى العالمى ، تثير قضية مصير الانفراج الدولى اهتمام الرأى العام العالمى . فالعالم الاشتراكى قد حسم موقفه بأن لا رجوع عن سياسة الانفراج الدولى . والعالم الرأسمالى يعانى مشكلات حادة بلا فكاك . وتعمل بعض القوى فيه على العودة الى الحرب الباردة ، بينما تتربص قوى أخرى فى بعض مواقع أوروبا لدفع الامور نحو فاشية جديدة .

حسم هذه القضايا جميعا ، هو شاغل عام ١٩٧٥

ومثلما تحملت « الطليعة » مسئوليتها فى السنوات العشر السابقة ، فانها تعد بمعالجة قضايا ١٩٧٥ بنفس تحملها للمسئولية الوطنية والاجتماعية

على ان « الطليعة » وهى تحتفل بعيدها العاشر ، فانها تذكر بامتنان وحب ، زملاء شاركوا فى تأسيسها وتفتقد جهودهم اليوم . فقد اختطف الموت الزميل الدكتور محمد الخفيف فى عام ١٩٧٢ ، ويعمل الان الزملاء الدكتور عبد الرازق حسن خبيرا اقتصاديا لدى الامم المتحدة فى اليمن الديمقراطية ، ويعمل الدكتور ابراهيم سعد الدين خبيرا فى التخطيط لدى الامم المتحدة فى الكويت ، ويعمل الاستاذ ميشيل كامل بمركز الدراسات الفلسطينية فى بيروت ... و « الطليعة » تنتظر انتهاء مدة عملهم ليعودوا الى الوطن واليها .. بكل الحب .

عزيزى القارىء ..

كل عام وأنت — معنا — طيب .

وكل عام ومصر — معنا — طيبة .. حرة ومستقلة وديمقراطية ومتقدمة .

« أسرة تحرير الطليعة »

ان [الطليعة] ميدان مفتوح لكل رأى حر ، وفى اعتقادنا ان تفاعل الاراء الحرة على اختلافها هو وحده الذى يستطيع ان يبلور ويستخلص وحدة فكرية أصيلة .

من هذا المفهوم تفتح [الطليعة] صفحاتها لكل رأى لديه كلمة يقولها — مؤمنة بشعار الحرية المجيد الذى اطلقه فولتير فى القرن الثامن عشر [قد اختلف معك فى الرأى ولكنى على استعداد لان ادفع حياتى ثمنا لحقك فى الدفاع عن رأيك] ..

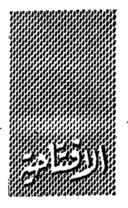
— مقالات «الرأى.. والرأى الاخر» احتلت هذا العدد حوالى ثلث المجلة ، وقد بدأت برسالة الى الطليعة من أحمد حسين — الزعيم السابق لحزب مصر الفتاة — ثم مقال للمهندس محمود القاضى عضو مجلس الشعب عن « الاستجواب ومسئوليته فى تحريك المسئولية الوزارية » ثم تكملة الحوار حول « الماركسية والاستيراد والالحاد » بين د. احمد بدران وفيليب جلاب وفاروق منصور ، ثم يقدم د. مراد وهبة حواره مع الامام الصدر والمطران صراد والمطران خضر حول الدريه والانسان والمجتمع حيث التقى بهم اثناء زيارته لبيروت فى الشهر الماضى ، ويختتم الراى الاخر بتقديم بعض مقالات الاعداد الاولى من « اخبار اليوم » منذ عشرين سنة مساهمة من «الطليعة» فى الاحتفال بعيدها العشرين . « من صفحة ٣٨ الى صفحة ٨١ »

— عن قصة حياة واستشهاد المناضل شهدى عطية الشافعى ، تنشر « الطليعة » ملفا كاملا قدمه عبد المنعم الغزالى الذى شهد جريمة قتله فى ليمان أبى زعبل ويشمل الملف نص الرسالة التى ارسلها شهدى — قبل شهور من اغتياله — من داخل السجون الى الرئيس جمال عبد الناصر عام ١٩٥٩ ، ورسالة زوجته الى رئيس المحكمة بعد موته ، وثلاث مقالات كتبها عام ١٩٤٧ ، ونص حكم القضاء ..

شهدى عطية

« من صفحة ٨٢ الى صفحة ١٠٧ »

— تحت عنوان « الاتحاد السوفيتى .. مصريا وعربيا » نقدم دراسة عن اهداف الاستراتيجية السوفيتية فى الشرق الاوسط ، وتجاه البلاد العربية بشكل خاص . « من صفحة ١١٤ الى صفحة ١٣٤ »



التفســـير الفلســـطيني ..
لتـــاريخ ومســتقبل البترول العــربي

مع انسحاب عام ١٩٧٤ من دائرة الحاضر الحي الى رحاب الماضي ، تنهي الثورة الفلسطينية المعاصرة العام العاشر من عمرها الزمني ، الذي مابرح ممتدا بمستوياته الافقية والعمودية . وهو حدث تاريخي مستمر التأثير . صاحبة - ومايزال - تغيير جذري في شكل ومضمون المواجهة العربية للامبريالية والصهيونية والتخلف والتفكك الاقليمي .

ومع اطلالة عام ١٩٧٥ ، يتأكد أكثر فأكثر ، ان تاريخ ومستقبل حركة التحرر العربية ، يدوران من حول محور ذي وجهين مترابطين : فلسطين والبترول .

وهذا المقال هو مجرد مدخل أو محاولة أولية لوضع « تفسير فلسطيني » لتاريخ ومستقبل البترول العربي في المنطقة .

التفسير الفلسطيني لتاريخ البترول في المنطقة :

① لم تكن الحرب الرابعة ، في الصراع العربي الاسرائيلي ، خلال اكتوبر ١٩٧٣ ، هي المرة الاولى التي تشابكت وتفاعلت فيها القضية الفلسطينية بقضية البترول . حيث تجسد كل منهما - اقليميا وعالميا - في مواجهة الاخر ، كأنهما وجهان لعملة واحدة .

ربما كان التشابك والتفاعل - خلال اكتوبر

١٩٧٣ – من العمق والاتساع والوضوح ، على نحو لم يسبق له مثيل . وذلك منذ شرعت القضية الفلسطينية فى صدامها مع الامبريالية والصهيونية تحتل موقع الازمة المتصاعدة بالخطر والتفجر على خريطة الشرق الاوسط عامة ، وخريطة الوطن العربى خاصة .

(٢) غير انه من المقطوع به ان قضية البترول وصراعاتها سابقة فى التاريخ ، على قضية فلسطين وصراعاتها .

اذا كانت فلسطين ، قد أصبحت قضية ذات طبيعة خاصة ومتفردة منذ مؤتمر « بال » الصهيونى الذى انعقد عام ١٨٩٧ بزعامة هرتزل .. فان البترول، بدا يتبلور كقضية ذات وزن متنام فى حركة الامبريالية العالمية ، منذ انبثاق « الذهب الاسود » لاول مرة فى امريكا من جوف البئر الذى حفره الكولونيل ادوين دريك عام ١٨٥٩ بولاية بنسلفانيا .

بيد ان هذا التفاوت فى تاريخ ميلاد القضيتين ، لا يجب أن يحجب عن ادراكنا – اليوم – ثلاث حقائق أساسية :

■ **الحقيقة الاولى :**

ان المسافة بين تاريخ القضيتين تظل واقعة بكاملها فى اطار عصر السيطرة الكاملة للامبريالية والاستعمار القديم على العالم كله . بما فى ذلك فلسطين التى كانت وقتذاك فى قبضة الاستعمار العثمانى « رجل أوروبا المريض » .

■ **الحقيقة الثانية :**

ان صناعة البترول بحكم نوعيتها الاستراتيجية وترابط عملياتها من تنقيب وحفر وانتاج ونقل وتكرير وتسويق ، اتجهت منذ الوهلة الاولى – فى ظل قوانين السوق الراسمالية – الى اكتساب الطبيعة الاحتكارية .. وهى اليوم ، تمثل اقوى ما عرفه العالم من الاحتكارات وأشدها تركيزا على الاطلاق .. وليس أدل على ذلك من انه على الرغم من زيادة عدد ما يسمى بالشركات الوطنية والمستقلة العاملة اليوم فى حقول البترول ، فان السيطرة على عالم البترول ما برحت فى يد الاحتكار العالمى المؤلف من الشركات الثمانية التقليدية العملاقة :

- اسوستاندرد
- الجلف
- تكساكو
- ستاندر كاليفورنيا
- موبيل
- البترول البريطانية
- شل الهولندية البريطانية
- البترول الفرنسية

وغنى عن البيان أن للولايات المتحدة الامريكية حصة الاسد فى هذا الاحتكار العالمى .

■ **الحقيقة الثالثة :**

انه حتى شروق القرن العشرين ، لم يكن قد عرف او اكتشف شىء من الثروات البترولية الكامنة فى جوف الشرق الاوسط عامة والارض العربية التى تنتمى اليها فلسطين خاصة .
وجاء أول اكتشاف للبترول بالمنطقة عام ١٩٠٨ فى مسجد سليمان بايران وفى جمصه بمصر فى نفس العام .

(٣) لو جاز لنا أن نستعير لغة السينما وحاولنا بطريقة « الفلاش باك » العودة الى رؤية حركة الاحداث التاريخية بما تموج به من صراعات اقتصادية وسياسية واجتماعية . واستخدمنا « كاميرا وعينا الراهن » ، فى الربط الجدلى بين الاحداث ، فانه من الممكن ان يكتمل تحت اعيننا سيناريو لحركة الاحداث ، فلسطينيا وبتروليا ، على وضع يكشف امامنا صورا غريبة كما لو كانت من صنع خيال سوريالى يفوق خيال سلفادوردالى . ولكنها فى النهاية صور واقعية الى ابعد حدود الواقعية . ان مبدأ « الحقيقة اغرب من الخيال » لا يقتصر فقط على عالم الفن والادب وانما يحكم أحيانا عالم الصراع الاقتصادى – السياسى – الاجتماعى . كيف ؟

(٤) **لنبدأ بالصورة الاولى :**

فى عام ١٨٧٠ يقوم كل من الاخوين جون ووليم

دافيسون **روكفلر** بتأسيس شركة ستاندرد اويل للبترول فى الولايات المتحدة الامريكية برأسمال قدره مليون دولار . يرتفع الى ٥ر٣ مليون دولار عام ١٨٧٤ . وبفعل قانون الاحتكار الرأسمالى تتوحد الشركة مع عدد من شركات النقل الكبرى التى يسيطر عليها عدد من الرأسماليين اليهود ، ويرتفع رأسمال الاحتكار الى ٧٠ مليون دولار عام ١٨٨٢ ، ثم الى مائة مليون فى مطلع القــرن العشرين ، بعد أن يكون الاحتكار قد سيطر على ٩٠ فى المائة من صناعة البترول فى أمريكا وحقق ما بين عامى ١٩٠٠ الى ١٩٠٧ أرباحا صافية بلغت ٣٦٧ مليون دولار .

وحركت رائحة البترول الذى كان قد اكتشف فى رومانيا وروسيا القيصرية المتخلفة ، وجزر الهند الصينية ، شهية الرأسمالية الاوروبية ، وكانت ما برحت فى اوج عنفوانها الامبريالى . فأقدمت فى عام ١٨٩٠ على تأسيس شركة رويـــال دوتش برأسمال قدره ١٫٣٠٠٫٠٠٠ فلورين . وتـدخل الشركة الاوروبية فى صراع حاد مع ستاندر أويل ومجموعة روكفلر القوية ، وتكاد تتهاوى ، لولا أن يبـــادر الى دعمها ومساندتهـا رأس المـــــال الاوروبى بزعامة آل روتشيلد من اليهود وشركة شل للنقل التى يمتلكها الرأسمالى اليهـودى ماركوس صموئيل . وتصـــمد الرويال دوتش وتتفرع عنها شركتا البترول البريطانيـــة وبتافيا . **وهكذا ينقسم السوق العالمى البترولى لاول مرة ، بين اقوى مجموعتين ماليتين فى العــالم : آل روكفلر وآل روتشيلد .**

لكن عين الكاميرا لا تتوقف عند هذه الحدود . فمن خلال الاضواء والظلال نلمح فى ذات الصورة **ميلاد الحركة الصهيونية . وتلمع الاضواء فوق عدد من المؤتمرات الصهيونية ، واذا بالنجوم الساطعة فى هذه المؤتمرات هى نفس الوجوه الرأسمالية اليهودية من آل روتشيلد وصموئيل وغيرهم الذين تفوح منهم رائحة البترول . ومن خلال أرباحهم الاسطورية ، يمولون الحـركة الصهيونية ومشروعاتها لبناء وطن قومى لليهود ، بديلا عن الاندماج فى شعوب البلاد التى نشأوا فيها .**

⑤ وتفاجئنا **الصورة الثانية** فى مطلع القرن العشرين . ذئاب البترول الاحتكارية انطلقت فى كل أرجاء الارض تبحث عن آبار جديدة (٥) .

ومنذ عام ١٩٠٤ ، بدا واضحا ان فى جوف الشرق الاوسط كنزا مخبأ . وبالفعل اكتشفت اول آبار بترولية فى ايران ومصر عام ١٩٠٨ (٥) .

وخلال نفس الفترة الزمنية من ١٩٠٤ ـ ١٩٠٨ ، كان آل روتشيلد وغيرهم من ذئاب الصهيونية قد نشطوا منذ أواخر عام ١٩٠٣ فى شراء أراضى العرب فى فلسطين ، بعد الحصول على موافقة سلطان تركيا ، وتسليمها الى رواد الهجرة الصهيونية من اليهود الفنيين الزراعيين . وفى عام ١٩٠٦ تأسس أول « كيبوتز » فى فلسطين من المهاجرين اليهود من روسيا القيصرية . وفى عام ١٩٠٨ تأسست الوكالة اليهودية فى يافا لتنشيط عملية الاستيطان ، تبعها بناء مدينة تل أبيب عام ١٩٠٩ . وكان الكم الغالب من المال المستخدم فى هذا كله يقطر زيتا وبترولا .

⑥ وتتابع الصور ، راصدة المواكبة التاريخية بين حركة الصراع البترولى والصراع الفلسطينى الصهيونى ..

ومنذ بداية العقد الثانى من القرن العشرين ، بدأت الحركة الوطنية العربية تصطدم بالاستعمار العثمانى الذى كان على وشك ان يلفظ انفاسه ، والصراع ينشب بين القوى الاستعمارية التقليدية فى أوروبا على وراثة مستعمراته وخاصة فى الشرق الاوسط . والاحتكارات البترولية قد امتلأت خياشيمها برائحة البترول المنبعثة مــن الارض العربية وخاصة العراق . والحركة الصهيونية ، بدعم من الاستعمار البريطانى ، تشدد من غزوها وتسربها الى فلسطين وتزرع مؤسساتها هنـــا وهناك . وعرب فلسطين يتصدون لها وللاستعمار البريطانى معا ، من خلال حركات جماهيرية عفوية ومنظمة .

وتندلع نيران الحرب العالمية الاولى عـــام ١٩١٤ . وفى مايو ١٩١٦ توقع الاتفاقية الفرنسية البريطانية « سايكس بيكو » لتقسيم الشرق الاوسط . يتبعها فى ٢ نوفمبر ١٩١٧ صدور وعد بلفور البريطانى الى **لورد روتشيلد** بوصفه ممثل

اللجنة الرياسية التابعة للمنظمة الصهيونية الذى يتضمن تعهد بريطانيا بتأييد الحركة الصهيونية فى بناء وطن قومى لليهود بفلسطين . وفى ١٠ ديسمبر ١٩١٧ يقتحم اللنبى على رأس الجيش البريطانى مدينة القدس وما ان يحل خريف عام ١٩١٨ حتى تكون بريطانيا قد احتلت فلسطين بأسرها . واستصدرت من الامير فيصل - فى العراق - موافقة رسمية على وعد بلفور وتنشب حركات شعبية ثورية فى فلسطين ومصر، فى الوقت الذى يكون فيه الاحتكار البترولى على قيد خطوات من كشف الذهب الاسود فى العراق . وتتزايد الهجرة اليهودية بمعدلات كبيرة الى فلسطين . فترتفع نسبة اليهود الى مجمل السكان العرب من ٤ر١ فى المائة فى عام ١٩١٤ الى ١١ فى المائة فى عام ١٩٢٢ .

ويتفجر البترول أخيرا فى العراق بمنطقة خان عام ١٩٢٣ ، ثم فى حقل كركوك الضخم عام ١٩٢٧ . وفى نفس الوقت تصدر عصبة الامم [سبتمبر ١٩٢٣] قرارها بتثبيت شرعية الوصاية البريطانية على فلسطين . وترتفع نسبة اليهود فى فلسطين بدرجة ملحوظة حتى تصل فى عام ١٩٢٩ الى ١٦ فى المائة من مجموع السكان .

⑦ وهكذا تبدأ صور حركة الاحداث فى تسجيل التلازم بين صعود الصهيونية وغزوها لفلسطين تحت حماية الاستعمار البريطانى، وبين الغزو الاحتكارى المسعور للبلدان العربية بحثا وراء أسرار ارضها البترولية والسيطرة عليها .

ويتوالى اكتشاف البترول فى البحرين عام ١٩٣٢ ، وفى السعودية عام ١٩٣٦ ، وفى الكويت عام ١٩٣٨ ، وفى قطر عام ١٩٤٠ .

ويتوالى ، مواكبا لحركة الاحتكارات البترولية على الارض العربية، تدفق اليهود المهاجرين من اوروبا وخاصة المانيا النازية الى فلسطين، وترتفع نسبة السكان اليهود فيما بين عام ١٩٣٠ وعام ١٩٣٥ الى حوالى ٢٨ فى المائة من مجموع السكان .

وفى نفس الوقت الذى كانت فيه آلات الحفر البترولية للاحتكارات الامريكية والبريطانية تنغرس عميقا فى قلب الارض والشعب العربى فى البحرين والسعودية والكويت وقطر، كان الشعب الفلسطينى يقاوم وحده الغزوة الاستعمارية الصهيونيه . وعلى مدى السنوات من ١٩٣٦ الى ١٩٣٩ أشعل ثورته العارمة ضد المستعمرات الصهيونية وأجهزة الاستعمار البريطانى فى محاولة لقطع الطريق على تهويد بلاده واقامة قاعدة أمبريالية فى شكل دولية صهيونية ضد الامة العربية : وحدتها ، تقدمها ، سيطرتها على ثرواتها البترولية .

بيد أن الوعى الشعبى فى البلاد العربية لم يكن قد بلغ درجة وضوح الرؤية للتخطيط الامبريالى، البترولى، الصهيونى . فى حين نشط التحالف الامبريالى الصهيونى مع الرجعية العربية الحاكمة الى تمهيد الاجواء لتنفيذ المخطط . وأمكن بالتالى محاصره الثورة الفلسطينية وخنقها . وبلغ الامر حدا أن فتحت الرجعية المصرية أبواب البلاد - وقتذاك - أمام الحركة الصهيونية لتقيم مراكز تدريب لعصاباتها المسلحة وايواء المهاجرين قبل تصديرهم الى فلسطين . فضلا عن صناديق دعم وصحف تبشير ودعاية . وراح الميجور « ايفانز » بلباسه العسكرى كضابط بالجيش البريطانى، والذى أصبح فيما بعد « أبا ايبان » وزير خارجية اسرائيل ، يمرح فى شوارع ونوادى القاهرة والاسكندرية حرا طليقا ، ويتخذ من مكتبه المطل على النيل فى ثكنات قصر النيل [مكان فندق هيلتون وجامعة الدول العربية اليوم] وكرا للتآمر على فلسطين العربية .

⑧ وخلال أربعينات القرن العشرين تبرز أمامنا صورة ذات دلالة خاصة فى سيناريو حركة الاحداث التاريخية لقضيتى فلسطين والبترول .

الحرب العالمية الثانية مشتعلة الاوار . اكتشافات البترول فى البلاد العربية وخاصة فى منطقة الخليج تتعاظم بدرجات هائلة لم تكن متوقعة . العالم العربى لم يعد مجرد منطقة ذات موقع استراتيجى هام باعتباره مفترق الطرق الى آسيا وأفريقيا وأوروبا، أو سوقا تابعا للسوق الرأسمالى العالمى . وانما منبع لحوالى ٥٠ من المائة من الاحتياطى المعروف عالميا وقتذاك من البترول، هذه السلعة التى تقفزت خلال الحرب على سلم السلع الاستراتيجية الى القمة .

وبالتالى أصبح الشغل الشاغل للامبريالية العالمية بكل فصائلها هو **كيفية الحفاظ بهذا الموقع**

الاستراتيجي السابح على بحيرة البترول ، فـي قبضتها وتأمين سيطرتها الكاملة عليه ، وذلك في وجه العواصف الوطنية التحررية التي بـدأت تتجمع في الافق هنا وهناك في الارض العربية ، ونمو مصالح ذات طابع استقلالي نسـبي لبورجوازيات وطنية محلية وليدة ، والتي لابد وان تلقى عونا وسندا من الاتحاد السوفيتي والعالم الاشتراكي حيث بدأت قواهما تتبلور في الساحة الدولية وتكشف عن قدرات متزايدة .

وانعكس هذا الوضع الجديد بوضوح على القضية الفلسطينية . كانت بريطانيا قد أصدرت قبيل الحرب العالمية الثانية ، في ١٧ مايو ١٩٣٩، كتابها الابيض الذي تعلن فيه أنها أوفت «كدولة وصاية » بالتزامها الخاص بتشجيع اقامة وطن قومي لليهود وانه يجب أن تتهيأ فلسطين بسكانها جميعا للحكم الذاتي ، والعمل على اقامة دولة مستقلة موحدة تحكم حكما مشتركا من العرب واليهود على ان تحدد الهجرة اليهودية بخمسة وسبعين ألف شخص على الاكثر خلال خمس سنوات ، مع الحد من شراء اليهود للاراضي العربية .

وظل هذا هو الخط العام للامبريالية العالمية حتى اندلعت نيران الحرب وكشفت المنطقة العربية عن أسرارها البترولية . فاذا بموجات عاتية من الهجرة اليهودية السرية تتدفق على فلسطين . واذا بترومان رئيس الولايات المتحدة الامريكية يبادر الى اعلان تأييد بلاده لاقامة دولة يهودية بفلسطين . واذا بيفن وزير خارجية بريطانيا يعلن في مجلس العموم - فجأة - فشل الحكومة البريطانية في مواجهة كل من العرب والصهاينة بفلسطين ، ويغسل يديه من كل مسئولية ويقرر عرض القضية الفلسطينية على الجمعية العامة للامم المتحدة . ويتلقف « ترومان » مرة أخرى الكرة فيعلن في مارس ١٩٤٧ انه « لما كانت بريطانيا عاجزة عن القيام بالتزاماتها شرق البحر الابيض المتوسط وفي الشرق الادنى ، فقد قررت الولايات المتحدة القيام بها » .

باختصار أصبحت الامبريالية العالمية التي تزعمتها الولايات المتحدة الامريكية بعد الحرب العالمية الثانية على وفاق تام مع خطط الحركة الصهيونية في اقامة اسرائيل بفلسطين وعلى حساب شعبها لتكون قاعدتها العدوانية الاساسية لحماية مصالحها البترولية المتزايدة في العالم العربي .

وتفاصيل القصة بعد ذلك معروفة .. ولكن ما أن تقوم اسرائيل في ١٥ مايو ١٩٤٨ حتى يكون رئيس الولايات المتحدة الامريكية هو أول من يعترف بها معلنا دون ما خفاء : « ان اسرائيل قامت في منطقة الشرق الاوسط لكي تتصدى لتيار النعرة الوطنية ، فاذا لم تستطع ان تحقق ذلك فلا اقل من ان تجتذبه بعيدا عن مصالح البترول الامريكي في الشرق الاوسط » .

وليس من قبيل الصدف ان يسجل التاريخ ان عام ١٩٤٨ كان في نفس الوقت عام قيام اسرائيل ، عام ارتفاع قيمة الاستثمارات الامريكية في صناعة البترول العربي الى حوالي ٢ بليون دولار تمثل ثلث استثمارات امريكا الخارجية جميعا ، عام تحول الولايات المتحدة الامريكية ، لاول مرة في تاريخها ، الى دولة مستوردة للبترول بعد ان كانت مصدرة له .

⑨ وتهل مرحلة الخمسينات من هذا القرن وترسم حركة الاحداث صورا عديدة متداخلة بعضها مع بعض .

اسرائيل تمضي في عملية استيعاب أكبر قدر ممكن من الوطن الفلسطيني وطرد شعبه الى خيام اللاجئين في الخارج ، ويتدفق عليها من الصهيونية العالمية والامبريالية الاموال والسلاح لبناء قوتها كقاعدة حراسة للمصالح البترولية وعدوان ضد حركة التحرر الوطني العربية . وتتآلف كل من الولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا وفرنسا لتصدر البيان الثلاثي المشهور في ٢٥ مايو ١٩٥٠ الذي يعلن التزام أكبر القوى الاستعمارية بالحفاظ على التوازن العسكري في الشرق الاوسط لصلحة اسرائيل .

وتمضي الاحتكارات البترولية في توسيع اعمالها بأمان نسبي ، واكتشاف منابع جديدة في المنطقة المحايدة عام ١٩٥٣ ، والجزائر عام ١٩٥٦ ، وليبيا وأبو ظبي عام ١٩٥٨ .

ولكن هذه الفترة تحفل أيضا بوقوع مواجهات عنيفة بين قوى التحرر في المنطقة من جانب وقوى

الامبرياليه والاحتكارات البتروليه والرجعية المخليه من جانب آخر . وفي جميع هذه المواجهات كانت اسرائيل دائما حاضرة كقوة مساعدة للامبريالية والاحتكارات ، او محركة للعدوان .

وفى عام ١٩٥١ نجحت الحركة الوطنية الايرانية بزعامه الدكتور محمد مصدق فى الاستيلاء على السلطة وتأميم البترول . ولكنها سرعان ما واجهت عدوانا شرسا أطاح بها ، تدثر بالرجعية الايرانية التى تعاونت مع مخربين اسرائيليين وامريكيين ، ونجحت اسرائيل جزئيا فى اول امتحان لها بالشرق الاوسط .

وفى عام ١٩٥٢ انفجرت ثورة يوليو ١٩٥٢ فى مصر بزعامة جمال عبد الناصر . وكانت دوافع الثورة محلية وعربية معا . فبالاضافة الى الصراع الاجتماعى والسياسى الحاد داخل المجتمع المصرى ، كان هناك ردالفعل الوطنى داخل الجيش المصرى الذى أجبر على الهـزيمة ، اذا صح التعبير ، بفعل الاسلحة الفاسدة وخيانة الملك والطبقة الحاكمة أمام اسرائيل خلال الحرب الاولى فى الصراع . وهو أمر غير من ميزان القوى فى الشرق الاوسط لصالح حركة التحرر لاول مرة منذ الحرب العالمية الثانية . مما أصبح يهـدد موضوعيا المصالح والاختكارات البترولية فى المنطقة .

⑩ وكان من المتوقع أن تدفع اسرائيل الى العدوان فورا . غير أن الولايات المتحدة التى كانت تأمل فى استيعاب الثورة المصرية الوليدة عن طريق الضغط على الاحتلال البريطانى للرحيل عن مصر ، وبالتالى وراثة نفوذه بأسلوب الاستعمار الجديد ، أوقفت استخدام اسرائيل مرحليا .

واعقب ذلك انفجار ثورة التحرير الجزائرية فى نوفمبر ١٩٥٤ ، وما اعقب ذلك من تفاعل بين الثورتين فى مصر والجزائر ضد الاستعمار القديم : بريطانيا وفرنسا معا . غير أن فرنسا سارعت الى استخدام اسرائيل ضد ثورة التحرير الجزائرية على النحو الذى اتبع ضد حركة التحرير الايرانية . وزادت درجة الاستخدام مع اكتشاف البترول بالجزائر عام ١٩٥٦ .

وفى هذا العام نفسه اقدمت مصر على تاميم قناه السويس وكان هذا خطوة خطيره لا سابقة لها ، تقوم بها دولة متحررة صغيرة من العالم الثالث الجديد ضد الاحتكارات العالمية . الامر الذى كان بمثابة الرصاصة الاولى فى جسد مصالح الاحتكارات بالمنطقة وخاصة البترولية منها .

وانقسمت الامبرياليه العالمية فى اسلوب مواجهتها لهذا الحدث الى اتجاهين :

اتجاه تقليدى يمثله الاستعمار البريطانى والاستعمار الفرنسى . يرى مواجهة ذلك بعمل عسكرى عنيف تستخدم فيه اسرائيل لضرب الثورة المصريه والثورة الجزائرية ، ومجمل حركة التحرر العربية قبل أن يستفحل الخطر وتمتد النيران الى كل الوجود الاستعمارى والاحتكارى فى المنطقة . وساندت اسرائيل هذا الاتجاه لانه فى نفس الوقت يحقق مصالحها الذاتية فى التوسع الصهيونى ويحولها - موضوعيا - من مرتبه التابع للامبريالية الى مرتبة الشريك الصغير . باختصار يحولها من مجرد قاعدة فى شكل دولة الى امبريالية صغرى فى المنطقة » .

واتجاه آخر يمثله الاستعمار الجديد ممثلا فى الولايات المتحدة الامريكية التى ترى فى التدخل العسكرى المباشر خطرا قد يشعل المنطقة كلها ، ويدفع بحركة التحرر الوطنى بجميع فصائلها الى التحالف مع الاتحاد السوفيتى والعالم الاشتراكى ، خاصة وأن مصر وسوريا كانتا قد أقدمتا فى عام ١٩٥٥ على عقد صفقات أسلحة مع العالم الاشتراكى لاول مرة . فضلا عن ان الخسائر حتى تلك اللحظة انصبت على الاحتكارات البريطانية والفرنسية وحدها . ولم تمس الحركة بعد أيا من المصالح الامريكية التى أصبحت تتحكم فى ٦٠ فى المائة من موارد البترول العربى . ويبلور هذا الاتجاه موقفا محددا هو أن الامبريالية الامريكية بالعمل على الظهور بمظهر المنقذ لجميع الاطراف ، فى الوقت الذى تقوم فيه بافراغ المنطقة من البريطانيين والفرنسيين والحلول محلهم . وقد تبنى أيزنهاور رئيس الولايات المتحدة - وقتذاك - هذا الاتجاه تحت ضغط مجموعات المصالح البترولية التى كانت تحتل مراكز هامة فى الادارة الامريكية ، وذلك من خلال سبعة من اصحاب الملايين وأقطاب البترول الذين تبنوه وقدموه « حزعيم للشعب الامريكى » منذ عام ١٩٤٦ ، كما يروى جواكيم جوستن فى كتابه « البترول يحكم العالم » ، وهم : يوجين هولمان رئيس شركة « اسو » ووالتر هالونان رئيس « ناشيونال بتروليم كاونسل » وروبرت

اندرسون رئيس شركة « ميدكو نينتت أويل آند جاس اسوسيشن » ، و « دولى سارب » وهو من كبار رجال البترول فى هيوستن بولاية تكساس ، ووليم التون جونز [مستشار الرئيس] وكان رئيسا لشركة « سيتى سيرفيس » ، وليونارد مساكهوكسولم رئيس شركة « كونتيننتال أويل كوربوريشن » وجورج ألن [مستشار الرئيس الخاص] وهو صاحب مشروعات انتاج البترول فى اليمن .

(١١) بيد أن الاستعمار القديم شن ـ بالتواطؤ مع اسرائيل ـ الحرب الثانية فى الصراع العربى الاسرائيلى والتى عرفت باسم حرب السويس دفاعا عن مصالحه متحديا الزعامة الامريكيه . الامر الذى اغضب الولايات المتحدة وأربك حساباتها فى المنطقة .

وازاء المقاومة المصرية التى ساندها الاتحاد السوفيتى ، وغياب المظلة الامريكية عن دول العدوان الثلاثة ، فشلت حرب السويس فى تحقيق أهدافها . **ولكن البترول ترك ـ لاول مرة ـ بصمات واضحة على حركة الاحداث خلال حرب السويس .**

فمن ناحية استخدمت حركة التحرر العربى لاول مرة سلاح البترول بدرجة متواضعة ، فى معركتها ضد الامبرياليه والصهيونية . وذلك عندما أغلقت قناة السويس كشريان اساسى لنقل البترول من الخليج الى اوروبا . وعندما قامت الطبقة العاملة العربيه بنسف خط انابيب البترول الذى يمر عبر سوريا فى عام ١٩٥٦ .

ومن ناحية أخرى خرجت اسرائيل من العدوان بمكسب تكتيكى هام وهو حرية المرور لسفنها المحملة بالبترول الافريقى من خليج العقبة ، الامر الذى ساعدها على تكوين صناعة تكرير وبتروكيماويات فى يافا . وذلك لاغراض الاستهلاك المحلى والتصدير معا ، وبأمل أن يصبح لها فى المستقبل وزن فى تقرير السياسة البترولية فى المنطقة مادامت تتحمل أمام الاحتكارات مسئولية الحارس لمصالحها .

ومنذ ذلك الوقت تفتح وعى قطاعات عريضة من الامة العربية على دور البترول ومركز ثقله فى جميع القضايا المطروحة ، وخاصة قضية فلسطين . واكتسبت حركة التحرر العربية المعاصرة بمختلف فصائلها ، بعدا بتروليا ، فى معاركها المتصلة ضد الامبريالية والصهيونية والرجعية العربية . ووعت باهتمام كلمات الرئيس الامريكى وهو يقدم مشروعه الذى عرف باسم « مشروع ايزنهاور » لوراثة النفوذ البريطانى الفرنسى المنهار فى المنطقة بحجة ملء الفراغ عندما خاطب الكونجرس الامريكى فى يناير ١٩٥٧ قائلا : « ان من الامور التى تؤكد أهمية الشرق الاوسط القصوى ، احتواؤه على ثلثى مصادر البترول المعروفة فى العالم الان ، ان هذه المصادر البترولية لا تقل أهمية عن حلف الاطلنطى . بل ان هذا الحلف يفقد معناه وهدفه اذا فقدنا مصالحنا البترولية فى الشرق الاوسط » .

هكذا بلا مواربة ولا خفاء .. ومن هنا كان طبيعيا ـ أن يتعمق هذا البعد البترولى مع نمو التيارات التقدمية فى حركة التحرر الوطنى العربية التى راحت تربط بين الاستقلال السياسى والاستقلال الاقتصادى والتقدم الاجتماعى لصالح الجماهير الكادحة . وذلك منذ بداية الستينات ، **وتصدرت شعارات « تأميم البترول » و « بترول العرب للعرب » و « تصفية الاحتكارات البترولية » برامج ومواثيق الناصريين والبعثيين والشيوعيين وجميع الحركات القومية التقدمية فى مشرق الوطن العربى ومغربه على السواء .**

(١٢) وفى يناير ١٩٦٥ انطلقت أول رصاصة لفتح . فكانت ميلادا لحركة التحرير الفلسطينية المعاصرة المشحونة بكل الابعاد التى توصلت اليها حركة التحرر العربية العامة حتى ذلك الوقت .

ولم يكن غريبا ، وخيوط قضية فلسطين تتشابك وتتعقد مع قضية البترول ، أن يكون موطن انطلاق الحركة الجديدة هو **منطقة الخليج العربى ، اغنى المناطق العربية بالبترول وبالعناصر الطليعية من الشعب الفلسطينى المشرد ، مثقفين وفنيين وعمالا . من البترول بدأ آل روتشيلد وغيرهم من الاحتكاريين تمويل ودعم الحركة الصهيونية ومشروعها لغزو فلسطين فى أواخر القرن التاسع عشر . ومن البترول أيضا انطلقت حركة الكفاح المسلح المعاصرة ، بعد حوالى ٦٨ عاما لتحرير فلسطين .**

(١٣) وتمضى بنا كاميرا التاريخ لتلتقط من سيناريو حركة الاحداث ، اكثر الصور ظلمة وبشاعة : حرب ١٩٦٧ وما صاحبها من هزيمة مهولة بانتصار اسرائيل العسكرى ، حققت حلمها القديم التى لم تتمكن من تجسيده خلال حرب

السويس، وذلك بتحولها الى امبريالية صغرى فى المنطقة ، ترتفع معها درجتها فى غابة العالم الاستعمارى من مجرد تابع ، واداة لحماية المصالح البترولية الى شريك .

واكتسبت بالفعل طوال ما يقارب ست سنوات مكانة الشريك للامبريالية الامريكية . وراحت من خلال استخدام قبضتها العسكرية هنا وهناك ، وسيطرتها على آبار البترول المصرية فى سيناء ، تتحدث عن « حقوقها البترولية » فى المنطقة .

وفى ظل الهزيمة تنفست الاحتكارات الامريكية البترولية الصعداء ، وواصلت عمليات الاستغلال للثروة العربية على أوسع نطاق ، وكسبت كثيرا من المواقع ضد أقرانها الاوروبيين فى الاحتكار العالمى حتى انها نصبت رئيس شركة شل اويل الامريكية الصغيرة نسبيا ، مديرا اداريا لكل مجموعة شل العالمية فى عام ١٩٦٧ بالذات .

وأمكن لامريكا فى غضون عام ١٩٦٧ وحدها أن تستحلب ١٫٦٠٠ مليون دولار أرباحا من استثماراتها البترولية والبالغ قدرها بليونى دولار . وارتفعت الارباح فى عام ١٩٦٨ الى ٢٤١٨ مليون دولار . وأصبح الدولار الامريكى الذى ينطلق للاستثمار فى البترول العربى يعود اليها ثمانية دولارات بعد ثلاث سنوات . وذلك وفقا لتقرير بنك تشيز مانهاتن الامريكى .

فى أتون هذا الوضع تولد فى العالم العربى اتجاهين رئيسيين من حول البترول :

– **اتجاه وطنى ثورى** يرى ضرورة استخدام البترول كسلاح مباشر فى المعركة ضد أمريكا واسرائيل ، يبدأ من المقاطعة الجماعية حتى التأميم . وبالفعل أقدمت عدد من النظم العربية الوطنية والمتحررة مثل الجزائر والعراق وليبيا على اجراء تأميمات جزئية وكلية .

– **واتجاه وسطى رجعى** يرى ابعاد البترول عن المجال السياسى ويقاوم استخدامه كسلاح تحت أى ظرف من الظروف وذلك بحجة ان أموال البترول لا البترول نفسه هى السلاح الواجب استخدامه . وظل هذا موقفه الذى يتمسك به حتى عشية اندلاع الحرب الرابعة للصراع العربى الاسرائيلى فى اكتوبر ١٩٧٣ .

(١٤) وجاء اكتوبر ١٩٧٣ نتيجة تراكمات اجتماعيه وسياسية أطاق كل ما هو ايجابى فى الشعوب العربية وقواها المسلحة ، والذى كان لنهوض وصمود الثوره الفلسطينية المعاصرة الدور الاساسى فى بلورته .

ورغم ان اكتوبر كانت حربا محدودة ، الا أنها كانت من الناحية العسكرية – السياسية أول فعل عربى – على مستوى الدول – ضد الكيان الصهيونى .

وكانت ايضا ، وهذا هو اخطر أبعاد اكتوبر ، **أول حرب بترولية فى نفس الوقت .**

وليس المجال هنا هى تحليل حرب اكتوبر ومدى ما حققته فى الصراع العربى الاسرائيلى .

لكن المهم ان حركة التحرر العربى التى أخصبتها سنوات المعاناة بعد الهزيمة والوزن القومى الثورى للكفاح الفلسطينى قد اجبرت القوى الوسطية والرجعية فى العالم العربى على استخدام سلاح البترول فى المعركة ضد الامبريالية والصهيونية ، وذلك بدرجات متفاوتة .

غير أن اهمية ما حدث يكمن فى أن الطابع القومى الثورى للقضية الفلسطينية راح ينعكس على قضية البترول العربى .

وليس من شك فى أن الضغط الجماهيرى فى هذا المجال قد تفاعل ايضا مع صعود ذوى لطبقات برجوازية وطنية فى بلاد البترول الخليجية تتناقض مصالحها النامية – فى هذه المرحلة على الاقل – مع الاحتكارات البترولية .

ومن هنا فان المجال السياسى والاجتماعى فى البترول العربى . بمعنى أن حركة تحرير فلسطين – فلسطينيا وعربيا – قاد خطوات الحركة الوطن العربى قد أصبح مهيأ لممارسة تحرير العربية نحو هدف تحرير البترول .

ولقد دفع المقاتل العربى فى سبيل ذلك تضحيات ودما غزيرا كان له أثره على سعر البترول العربى الذى اتاح للدول المنتجة ان تتمرد على الاحتكارات لاول مرة ، وترفع السعر من جانبها بنسبة ٤٠٠ فى المائة (*) .

وتحرير البترول العربي يعني في الحقيقة أمرين مرتبط كل منهما بالاخر :

اولا ـ مواجهة أكثر فاعلية للامبريالية والاحتكارات والصهيونية في معارك مباشرة ممتدة .

ثانيا ـ بناء القوة الذاتية ماديا ومعنويا للوطن العربي والانسان العربي على مستوى شامل وبمعيار حركة التقدم العصرى والانسانى .

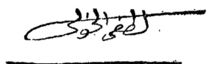
(١٥) واذا كان تحرير فلسطين يمر ـ على ضوء الاستراتيجية العامة لبناء الدولة الديمقراطية العلمانية ـ في مراحل تبدا باقامة السلطة الوطنية المستقلة ، فكذلك تحرير البترول يمر ـ على ضوء الاستراتيجية العامة لبناء الوطن العربى الموحد الديمقراطى المتقدم اجتماعيا وسياسيا ـ في مراحل تبدا بتمهيد الارض لبناء نواة اقتصاد عربى موحد ومستقل .

واذا كان الدم العربى ، فلسطينيا وغير فلسطينى ـ هو المنبع الذى ارتفع بدخول الدول العربية المنتجة للبترول الى أرقام قياسية ، فان باذلى هذا الدم لهم حق معلوم فى هذه الدخول . لا صدقة واحسانا .

أن نسبة الزيادة الاوكتوبرية في سعر البترول يجب ان تقسم الى قسمين : قسم يذهب لانماء البلد البترولى ذاتيا . والقسم الاخر يتكون منه صندوق عربى قومى للانماء العربى العام وفق خطة متشرحة . على أن تجنب منه نسبة معينة ١٠ فى المائه أو ٢٠ فى المائة لدعم السلطة الوطنية الفلسطينية الجديدة . وبهذا تتوفر للفوائض العربية ضمانات حقيقية في نفس الوقت الذى تحقق فيه ايجابيا تقدما عاما للامة العربية . وبناء حضاريا قويا في وجه الكيانات الامبريالية والصهيونية ـ والا تحولت على حد تعبير الرئيس بومدين الى كارثة قومية . اذ تتحول الى سلاح فى يد الاعداء ، أو على الاقل تغدو سلاحا فاسدا في أيدى العرب .

اليوم .. تحرير فلسطين هو بالدقة تحرير الارض العربية وتحرير البترول العربى معا .

وهذا هو عبرة سيناريو حركة الاحداث التاريخية للقضية الفلسطينية ، والقضية البترولية .





اليسار المصرى يحاور توفيق الحكيم

في هذا العدد يبدأ توفيق الحكيم حواره مع اليسار المصرى ، حول تجربة ثورة يوليو .
وترجع اهمية هذه الحلقة من حلقات الحوار التى تقدمها « الطليعة » الى :

❶ ان الاتفاق الحكيم يحدد بشكل قاطع ان دراسة التجربة ليست — ولن تكون — هدفها فى هذه الندوة ان تحاكم الناصرية ، وبالتالى فهى لن تحمل الماء الى طاحونة القوى الرجعية التى تريد استغلال كتاب « عودة الوعى » لاحداث ردة يمينية رجعية .

❷ هو ان رؤية تجربة ثورة يوليو تزداد غنى واتساعا بالمحاولة التى يقدمها فى هذه الحلقة كل من توفيق الحكيم وخالد محيى الدين . انها محاولة رؤية التجربة من الداخل .

❸ ان الاتفاق قد ساد على ان دراسة التجربة واجراء الحوار حولها يستشرف المستقبل قبل كل شىء . صورة مصر المقبلة والمهام التاريخية المطروحة على القوى التقدمية فى البلاد . وهذه الرؤيا هى التى بادر بطرحها — ايضا — توفيق الحكيم .

● ولقد اشترك فى هــذه الندوة من ضيوف « الطليعة » :

— توفيق الحــكيم الكاتب والاديب المعروف

— خالد محيى الدين سكرتير المجلس المصرى للسلام فى مصر

— د . فؤاد مرسى وزير ســـابق

— د . عبدالعظيم انيس استاذ الرياضيات العليا بجامعـــة عين شمس

— د . لطيفة الزيات الاســـتاذة بـكلية آداب جامعة القــاهرة

● واشترك ممثلين للشباب :

— محمــد ســـليمة مستشار جريدة الطلاب

— حمـــد ياسين ممثل الدراســـات العليا بجامعة عين شمس

● واشترك فى الندوة من اسرة تحرير «الطليعة»

— لطفى الخـــولى رئيس تحرير الطليعة

— د . مراد وهبـــة استاذ الفلسفة بجامعة عين شمس

— محمد سيد احمد المحرر بجريدة الاهـــرام

— ابو سيف يوسف المحرر بالطليعـــة

■ لطفى الخولى :

نود فى البداية أن نشكر تفضلكم بقبول دعوة الطليعة لاجراء الحوار مع أستاذنا توفيق الحكيم ، طبعا الشكر يجب أن يسبقه للاستاذ توفيق الحكيم ومرتين : المرة الاولى على اصدار كتاب عودة الوعى الذى فتح الطريق لمثل هذه المناقشات الخصبة ، والثانى انه استجاب لدعوة الطليعة برحابة صدر وأستاذية نقدره عليها كل التقدير . وفى خطابه الى الطليعة استشرف الحكيم آفاق المستقبل بأكثر مما كان الانسان يقدر ويتوقع » وأعنى به اهتمامه بقضية الاشتراكية وقضية اليسار فى مصر ، ذلك الاهتمام العميق الذى بدا فى الرسالة .

وبالتالى فان المناقشة حتى تكون مثمرة فقد كان لابد من أنه تأتى الى هنا كل اتجاهات اليسار فى مصر على قدر الممكن . طبعا مثل هذا اللقاء الاول فى هذا الحوار لا يمثل كل اتجاهات اليسار . ولكننا حريصين على توسيع هذه الجبهة ، ودائرة المتناقشين والمتحاورين حسب ما سنتفق عليه فى حوارنا . وفى اهتمامنا أيضا أن تكون الندوة ممثلة أيضا للاجيال المختلفة فى المجتمع المصرى ، خاصة أجيال الشباب ، وهى غنية وفياضة وكثيرة الاسئلة وتطرح باخلاص قضايا حيوية حول واقع ومستقبل مصر والوطن العربى الخ ..

ان مثل هذا اللقاء يمكن أن يكون مجرد « دردشة » مثقفين تضاف الى الدردشات السابقة الكثيرة . وممكن أن يكون على العكس عمل فكرى وسياسى حقيقى ، من شأنه أن يمهد الطريق لمواصلة السير فى وضوح نحو المستقبل ، وذلك كما قال الاستاذ توفيق الحكيم فى رسالته ، وكذلك من أجل الوقوف ضد الهجمة اليمينية المتخلفة والمشحونة بالجهالة والتى تظن ان المجتمع قد أصبح « سداح مداح » لها وانه لا توجد قوى وطنية تقدمية تستطيع أن تتصدى لها .

ومن هنا تنبع أهمية ان الاستاذ توفيق الحكيم بعد كل ما حدث يحرص على أن يحدد موقعه على أرضية القوى الوطنية والتقدمية واهتمامه بمستقبل قوى التقدم والتحرر . وذلك بعد أن حاولوا أن يتخذوا من كتاب عودة الوعى درعا يحميهم من القوى الاشتراكية والتقدمية عامة وأحيانا أخرى يتخذون منه مدفعا يوجهونه الى صدور التقدم والتحرر فى بلادنا » .

هذه الجلسة هى فى الواقع جلسة استعراض عام للرؤية والمواقف . واقترح أن نستعرض ما يمكن أن يسمى بوثائق هذا الحوار ، والوثائق ثلاثة أنواع :

المجموعة الاولى : هو ما نشر فى **الطليعة** فى العدد الماضى من الرسالتين المتبادلتين ومقال للاستاذ توفيق الحكيم المرفق بالرسالة » .

المجموعة الثانية : هى الورقة التى قدمها الاستاذ **توفيق الحكيم** تحت اسم برنامج للحوار حول مستقبل الاشتراكية فى مصر ووضع اليسار المصرى » .

المجموعة الثالثة : هى الوثيقة التى قامت مجموعة عمل فى **الطليعة** للاعداد لهذا الحوار بتقديمها » .

ومسئول هذه المجموعة هو زميلنا الدكتور **مراد وهبة** . قدمت هذه المجموعة ورقة تحت اسم المدخل الى حوار مع **توفيق الحكيم** » .

وافترض انه من خلال مناقشة كل هذه الاوراق ، ومن المناقشة الاولية مع الاستاذ **الحكيم** ، نحاول أن نترجم هذه الاوراق ، بالمناقشة ، الى جدول أعمال محدد يتم على أساسه الحوار » .

هل ترون أن نقرأ الوثائق أولا لان بعضنا لم يطلع عليها وهى على العموم صغيرة الحجم ، اذا وافقتم نبدأ بها .

[موافقة عامة من جميع المشتركين فى الندوة]

■ **لطفى الخولى :**

اظن المجموعة الاولى كلكم قرأتوها وهى مجموعة الرسائل المتبادلة فى **الطليعة** وليس هناك داع لقراءتها .

واسمحوا لى اذن أن أبدأ بقراءة ورقة الاستاذ **توفيق الحكيم** وهذا نصها : برنامج للحوار حول مستقبل الاشتراكية فى مصر ووضع اليسار المصرى :

« تنفيذا للاتفاق الذى تم بمقتضى الرسالتين

المتبادلتين بيننا أنا **ولطفى الخولى** والمنشورتين فى عدد ديسمبر من مجله الطليعه بشأن الحوار المقترح اجراؤه حول مستقبل الاشتراكيه فى مصر ووضع اليسار المصرى وتطوره فى المستقبل ، رأيت من الضرورى تحديد النقاط التى يجرى فيها الحديث والفحص والتحليل فى هذه النقاط الثلاث الاساسية :

١ ـ الشكل .
٢ ـ المضمون .
٣ ـ التجربة .

١ ـ بالنسبة للشكل :

فمن حيث الشكل فلابد فى البداية من طرح هذا السؤال : ما هو الاطار الذى يتحرك فيه الان اليسار المصرى والاشتراكية المصرية ؟ هل يوجد تجسيد محسوس لهما فى صورة حزب أو جمعية تمهد لحزب كالجمعية الفابية مثلا التى مهدت لحزب العمال ؟

ان اليسار بعد حل تشكيله لم يعد له غير وجود هلامى أو شبحى أو فرضى . وتعذر معرفة من هو اليسار واصبح وجوده عن طريق الاشاعة فيقال همسا أو اشارة بالاصبع هذا يسارى ـ وقد تحتمل هذه الكلمة المهموسة اكثر من معنى ومقصد دون تحديد أو ضبط .

أما الاشتراكى فهو وصف للجميع لان شعار الدولة الرسمى الاشتراكية والمجتمع الاشتراكى ، فكل يمينى رأسمالى رجعى يقول انه اشتراكى . والقضية اذن هى مناقشة هذا الوضع وبحثه وتحليله ومعرفة هل هذا شكل مقبول أو أنه لا يعتبر شكلا ولابد من ايجاد الشكل الذى يصلح اطارا محددا لليسار وللاشتراكية فى المستقبل [وليس الان] أى بعد انتهاء الوطن من معركة المصير . اما الان فلابد من التمهيد لذلك ولابد لليسار المصرى أن تكون له منذ اليوم رؤية واضحة محددة لوجوده فى المستقبل من حيث الشكل والاطار .

٢ ـ بالنسبة للمضمون :

من حيث المضمون فان اليسار المصرى مطالب بتحديد أهدافه أو برامجه . والمناقشة فى ذلك تقتضى :

« هل يجب ان يكون لليسار برنامج اقتصادى واجتماعى وسياسى وثقافى خطط مسبقا للمطالبة بتحقيقه والعمل على مراقبة تنفيذه أو انه لا يستطيع ذلك الا بعد أن يتجسد فى شكل محسوس .

أما الان والى أن يحين وقت تجسيده فما هى المواقف التى ينبغى له أن يقفها تجاه القرارات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية التى تتخذها الدولة وهل يجب أن يقف منها دائما موقف المعارضة ، او أن يفحص مضمون كل قرار ليرى منفعته للطبقة التى يدافع عن حقوقها ، ثم هل اليسار المصرى مرتبط بالمبادىء والمذاهب اليسارية والاشتراكية العامة فقط ويطالب بتطبيقها كما هى ؟ أو أنه يدرس بكل حرية واستقلالية مدى مطابقتها العملية على واقع الحال المصرى ، أى هل يجب ان يكون تابعا أمينا للمذهب العام أو أن تكون له تصرفاته واجتهاداته المستوحاة والنابعة من طبيعة بلاده وحالة وطنه .

« كل هذه قضايا تحتاج من اليسار أن يفحصها ويناقشها ويعمل على تكوين رؤيته الواضحة المحددة كذلك فيها » .

٣ ـ بالنسبة للتجربة فى مصر :

من حيث التجربة ، فان اليسار المصرى والاشتراكية المصرية ـ التجربة فى مصر بعد ثورة ٥٢ بصورة ظاهرة وقبلها بصورة ارهاصات . فلابد من المناقشة الصريحة والفحص الحر للكشف عن مدى الايجابيات والسلبيات فى هذه التجربة مع الاستبعاد المؤقت للمواقف العاطفية أو التكتيكية التى تضخم وتدافع وتتستر . لان اليسار فى هذه المناقشة والحوار وهذا البحث والفحص انما يعمل من موقع المسئولية وهو يضع التجربة فى بوتقة التحليل الموضوعى وليس فى ساحة المحاكمة والاتهام .

« ومسئولية اليسار هنا فى التحليل الموضوعى تجربة تنبع من كونه يضع بذلك دعائم وجوده ونموه وتطوره فى المستقبل . فان الاساس الذى سوف يرتكز عليه هو محصلة هذه التجربة . يجب ـ اذن ـ ان يكون على معرفة تامة وعميقة لمسار التجربة الاشتراكية فى كل طرقها ، واستوائها وانحرافها وتقدمها وتوقفها ، ودراسة كل العوامل التى دخلت فيها ودفعتها الى الامام أو الى الخلف ، حتى اذا نجح هذا النقاش والحوار والبحث ، فانه

سيؤدى حتما الى وضوح الرؤية الكاشفة لمستقبل اليسار المصرى فى شكله ومضمونه وتحديد ملامح الاشتراكية الحقيقية وصيانتها وتأمين سيرها الى الامام ».

■ لطفى الخولى :

اما بالنسبة للورقة التى أعدها باسم **الطليعة** مجموعة العمل التى أشرف عليها الدكتور مراد غنتول :

« ان التجربة الناصرية فى اللحظة الراهنة موضع تقييم من جميع القوى الاجتماعية وعلى تباين مواقعها وفكرياتها . فقد أثار كتاب عودة الوعى بقلم **توفيق الحكيم** جدلا ساخنا ، ترنح بين النقد المرير لما أطلق عليه ردة **توفيق الحكيم** وبين كسر شوكة هذا النقد بدعوى أن **توفيق الحكيم** أحد كبار الملهمين لثورة ٢٣ يوليو ».

« وحسما لهذا الترنح من اجل مصر المتحفزة للسير فى طريق الاشتراكية ، وافق أديبنا على مواصلة الحوار مع أسرة **الطليعة** على أن يكون هذا الحوار بداية لحوار يشمل كل القوى الوطنية والتقدمية فى الوطن ».

« وثمة قضيتان مطروحتان فى هذا الحوار نعنى بهما : مستقبل الاشتراكية فى مصر ، ووضع اليسار المصرى ونموه وتطوره فى المستقبل .

ومن البين - ها هنا - أن الرؤية المستقبلية هى المميز لهاتين القضيتين . وهذه الرؤية لازمة لنقد الحاضر من أجل توجيهه الوجهة المرغوبة ،لازمة كذلك للاستفادة من الماضى حسب ما تقتضيه هذه الرؤية .

« ومعنى ذلك ، أن المستقبل هو نقطة البداية لفهم الحاضر والماضى ».

ويحدد أديبنا الكبير هذا المستقبل بالاشتراكية الحقيقية وهى تدور على محورين :

١ - محور ايجابى هو حماية حقوق الملايين الكادحين والمحرومين لرفع مستوى اقتصاد الشعب .

٢ - ومحور سلبى هو الغاء الشعارات الكلامية .

وفى ضوء هذين المحورين ، يتأمل أديبنا حاضرنا فلا يرى فيه الا اشتراكية هزيلة أثارته ، فسود ما سود من صفحات صدرت بعنوان عودة الوعى . فاذا باليمين التتارى يلتقطها ويروج لما جاء فيها من سلبيات فى التجربة الناصرية ،واذا باليسار يجد نفسه مضطرالمواجهة هذا اليمين المتخلف ، ومضطرا الى التركيز على ايجابيات التجربة فحسب .

وفى تقديرنا انه قد آن الاوان لتقييم العلاقة الجدلية بين ما هو سلبى وما هو ايجابى . وقد أشار أديبنا الى هذه العلاقة الجدلية فى رسالته الى اليسار المصرى المنشورة فى مجلة **روز اليوسف** فى عددها الصادر فى ٢١ - ١٠ - ١٩٧٤ حيث يقول :

وفى اعتقادى أن اليسار يجب أن ينقد السلبيات الكثيرة التى عانينا منها لان هذا واجب ولانهذا لن يخدم اليمين ،وانما سيحرمه من الاستفادة بالموقف التبريرى لليسار . بل ان أديبنا العظيم لم يقف عند حدهذه العلاقة الجدلية بين ما هو سلبى وما هو ايجابى ، بل تجاوزه الى حد طرح العلاقات الجدلية بين ما هو ذاتى وما هو موضوعى ، ونعنى بذلك ، موقع عبد الناصر من قضايا الثورة والديمقراطية . فهو يقول فى نفس الرسالة « اننى بما كتبت لم أكن أتجنى على عبدالناصر كما يقولون . اننى على العكس أحبه وأقدره لكننى أضع اجتهاداته فى موقعها وأعتبر أن مشكلات الديمقراطية والاشتراكية فى بلادنا ماتزال بعد عبد الناصر فى حاجة الى حلول أخرى ثورية وديمقراطية وأديبنا المبدع حين يثير هذه القضايا لا يرى غير اليسار المصرى كفيلا بفهمهاوحلها . وهو من أجل هذه الرؤية يخاف على هذا اليسار ويرغب فى الحفاظ عليه وعلى مستقبله . وهو من أجل هذه الرؤية أيضا يدعو الى توحيد اليسار بمختلف اتجاهاته الشاردة وتكتلاته المتباعدة .

« وهنا يقدم اديبنا ، تقييما لليسار المصرى يغلب عليه طابعا سلبيا . وفى رأيى أن هذا التقييم هو حتما موضع تقدير من اليسار المصرى ، وهو يعتبر توفيق الحكيم واحدا من أهم الطلائع المستنيرة فى سماء هذا الوطن على حد قول الطليعة فى افتتاحيتها فى عدد ديسمبر من هذا العام . ولهذا فان التقييم يدخل بالضرورة فى اطار الحوار الخاص بالتجربة الناصرية . ومن هنا تكمن مشروعية فتح ملف التجربة » .

بعد قراءة هذه الوثائق أعتقد أنه من المفيد ونحن نخطو الخطوة الاولى نحو الحوار أن نسأل أستاذنا الحكيم اذا كان يود أن يقول أو يضيف شيئا الى هذه الوثائق أي يلقى مزيدا من الضوء على ساحة النقاش قبل أن ندخل اليه .

■ **توفيق الحكيم :**

أريد أن أقول انه من المهم فتح الملفات . لماذا ؟ لانه يكون الخطأ فى فتح الملف يعنى اتهام فترة بحالها . واذا كان اتهاما فحتى هذا يبقى شيئا مطلوبا . أيضا ، الاتهام معناه انه فتحت قضية وفيها دفاع وفيها خبراء وفيها تقييم . انما هم قالوا هجوم — هذا الهجوم يفهم منه انه توجد عملية هدم لشخص أو لفترة . فالمسألة هى انه عندما نرجع لما حدث : سواء للكتاب أو غيره تجد أنى بأقول يا ناس نحن نريد أن نفتح ملفا لنصل الى حقيقة . وانا أرجو ان هذا يسفر عن — يعنى — براءة ، أو تخفيف عن مسئوليات شخص أنا أحبه وأعتبر انه كان هناك تلاقى روحى وتلاقى فكرى بيننا ، ولكن لماذا هذا ؟ لان المسألة اذا انقلبت الى ضريح وعبادة شخص فمن هو الذى يستفيد منها ؟ الكهنة والسدنة اللى هم ما تعرفوش عايزين يعملوا من الحكاية دى ايه ويقولوا أيوه ما احنا ماشيين على خط عبد الناصر — ما هو عبد الناصر عمل كذا — ما هو كان رأيه كذا » .

فالقضية هى ان الناصرية كعبادة خطرة على اليسار قبل كل شيء لماذا ؟ هى ليست خطرا على اليمين ، اليمين سوف يكسبها . اليمين قوى جدا ، لان اليمين هو الاصل فى الانسان . الاصل فى الانسان انه يمينى ، واليسار هو الطارىء كيف ؟ — الاصل فى الانسان الاول لما يولد طفل . . يبقى يمينى ، يعنى عايز الاوضاع كما هى ، وبعد ذلك يكبر يلاقى مثلا فيه أوضاع قائمة وقديمة فيقال له جدك كان يعمل كذا ، والمسائل كذا . أما اليسار فهو التغيير الطارىء يريد أن يعمل ما يريده ، يريد أن يغير . فاذا بحثت عن ماضى اليسار ، وفى أى زمن كان ، سنرى أن ماضى اليسار يرجع الى أيام اخناتون ، لان اخناتون جاء فلقى أوضاعا مستقرة فى عبادة آمون ، ولقى الكهنة مسيطرين وقد وضعوا تقاليد معينة ، وان لهم قوة كبيرة لانهم هم الذين كانوا يحكمون من وراء الفرعون . فجاء اخناتون — كيسارى — لان اليسار هنا يعنى الذى يريد تغيير وضع قائم وجامد — الانبياء كانوا كلهم فى عصرهم . يساريين ، أى مجددين . مثلا محمد وعيسى — جاءا للتغيير يعنى تغيير أوضاع استقرت فى المجتمع ويجب اصلاح هذه الاوضاع والافكار والعقائد القديمة بتغييرها بعقائد وأفكار جديدة .

فعملية التفكير بعد استقرار الدين يظهر انها غير مسموح بها ، هى كانت مسموح بها مع الثائر الذى هو النبى . الثائر الاول يسمح لك بالتفكير والمعارضة لانه هو نفسه ثائر ويريد أن يعرف الحقيقة . انما بعد أن عبد ، وبقى مقدسا وأصبح له كهنة وسدنة يغلقون عليه الابواب ويمنعون التفكير والاجتهاد . فان المجتمع يعود الى الركود والتجميد . — فاذن أنا أخاف من التجمد أخاف من الناس الذين فى طبيعتهم التجمد لاسباب طبيعية فيهم أو لفوائد ومصالح . وهؤلاء — مع الاسف فى كل الدنيا لهم أغلبية — اذن هناك ناس خلقوا على الاوضاع التى تجمد . ومن هنا الخوف من تجميد الفكر . اليمين الرجعى يحب اما أن يثبت فى مكانه واما أن يرجعك الى عهود قديمة لا تنطبق على وقتنا الحاضر ويجعلها هى المقياس . . الوراء لا يمكن أن يكون مقياسا الا فى الاشياء الثابتة الخاصة بأساس لا يتغير . يعنى مثلا شعورك بالقوة الكبيرة التى هى الله ، كما جاءت به الاديان . لكن عندما يتدخل الكاهن ورجل الدين ليخطط لمجتمع حاضر بمفهوم قديم ، يقول ان هذا التخطيط الذى صلح للماضى يجب أن ينطبق عليك حاليا ، بلا اجتهاد وبلا تفكير فهذه تبقى عملية تجميد للمجتمع وللانسان البشرى . يبقى أن هذا الانسان لن يقوم له قيام . فى هذه الحالة يقوم اليسار . لكن ماذا تعنى كلمة يسار ؟ كلمة اليسار فى مصر شوهت لانه لا ضابط ، ولا رابط لها حتى صارت تهمه . العملية اذن عملية عدم ضبط للمعانى وتحديد للكلمات ، ولذلك لم أكن احب ان استعمل كلمة يسارى ويمينى لانها بتأخذ معانى انا لا اقدر أن أضبطها . ولذلك أنا كنت أقول أنا لا أعرف هذا الكلام . أنا خذونى بالسلوك والعمل . لكن لا تأخذنى بالاشكال . وعدم ارتباطى بالشكل السياسى فى ثورة ١٩٥٢ سوف أشرحه فى حينه .

■ **لطفى الخولى :**

ماذا اذا طبقت على الواقع خطوط هذه النظرية . . أقصد الواقع المصرى المعاصر .

■ **توفيق الحكيم :**

اليوم فى الواقع المصرى سوف تحصل عبادة لعبد الناصر تمنع من محاسبة أعماله والاعمال

التى حصلت فى عصره والذين يريدون منع المحاسبه اووصمهابهجوم سيفيمون صريحا مقدسا حوله كهنة سيستفيدون منه ، ولن يستفيد منه اليسار أو التقدم البشرى . ارجاعه الى بشر مسئول يعنى أننا سنحاسبه ، اذا حاسبناه فربما كان ذلك فى مصلحته ، وقد تصبح مسئوليته فى الخراب الذى حصل ٢٠ فى المائة ، ويمكن ٣٠ فى المائة يعنى قول ٥٠ فى المائة عبد الناصر ومن هم مسئولون معه .

الخمسون فى المائة الاخرين مسئولية كل الناس : وهم من أول المخابرات ومن مراكز القوى . لان مراكز القوى هذه مراكز كيف تنشأ وتتكون وانا لم أدرسها الا أخيرا ، أصلا أنا فعلا موقفى كان موقف نابع من التاريخ السياسى المصرى فى العشرينات حتى مجىء عبد الناصر . كنت عارف الحكاية . يعنى انظر لها نظرة معينة . وهذه النظرة ان تاريخ مصر السياسى من العشرينات ، لغاية الثلاثينات ، لغاية الخمسينات ، التى هى الثورة المصرية كان ماشى فى طريقة واحدة وهى الاهتمام بالشكل دون المضمون ، دساتير .. يقولك الدستور ، دستور ٢٣ وبعدين ييجى دستور ٢٣، يجيب أغلبيته مثلا شعبية . يقوم يقول **عبد العزيز فهمى** الذى وضع الدستور . هاتوا لنا دستورا معينا ليأتى بالمفكرين ويأتى الوفد يقولك : نريد دستور ٢٣ ، وبعد ذلك ياتى الملك والانجليز ليوقفوا هذا وذاك .ويوقفوا البرلمان، لدرجة أنى كتبت اقول : **البرامج أولا** طيب أين برنامجكم ــ البرامج غير موجودة فالمسألة كلها تدور حول الشكل أى شكل الحكم . لكن اين مضمونه . أين برنامجكم ؟ داخلين الحكم لماذا ؟ وابتدأوا مهاترات فى مسائل كلها مسائل شكلية ، وسابوا البلد وتقدمها لنفسها فان كان بنك قد انشىء فبمجهود رجل خارج الحكم مثل **طلعت حرب** ، واذا كانت هناك نهضات أدبية وفكرية فقد قام بهذا الافراد ، أما الحكومات فكانت مهتمة بالشكل ، وظل هذا الشكل أغلبية وأقلية ، والحزب الفلانى جاء والحزب الفلانى لا يمكن أن يحكم هكذا ، ثلاثون سنة لغاية ثورة ٥٢ . فاذا بثورة ٥٢ تاتى وتعمل العكس . دخلت بمضمون والنجازات بلا شكل ، يعنى جاءت كرد فعل عجيب قوى . لكن أين الشكل ؟ الشكل غير قائم انما هم جماعة جاءوا مخلصين وشباب وطنى ، ودخل ينفذ المضامين ويقولك الشكل لا يهم : طيب ! لكن سأوضح ــ فيما بعد ــ مسئوليتى فى هذا جسيمة . لماذا ؟ لان هذا الكلام ــ بالضبط قلته فى «**شجرة الحكم**» قلت لا ينقذ البلد غير ثورة مباركة ولا أعرف كيف حدث هذا ، كيف حدث ان خطرت لى فكرة ثورة فى عهد ملك يعنى هناك الهامات تاتى ولا أقدر أعلل كيف تأتى ، يعنى أنا غير مصدق كيف قلت هذا التنبؤ بثورة . ولذلك جبت الكتاب تانى طبعة ٣٨ أو ٣٧ الطبعة الاولى لم أجد نسخا منها بقانا الا بعد فترة طويلة يمكن طبعة ٤٢ .لكن فى طبعة ٣٧ أو ٣٨ كيف وفى ذلك الوقت ــ أقول كلمة ثورة مباركة فى عز الملكية ؟ ماذا كنت اريد من الثورة المباركة ؟ ما الذى تعمله ؟ ــ أولا الاحزاب هاجمتها كلها ــ وبهدلت الدنيا رسمت لهم صور « زى الزفت » فاذن دول لا أمل فيهم ولا يمكن أن يعملوا عملا فى الصميم يفيد الشعب باعتباره « مضموننا » . فأنا أدنت الاحزاب ، وقلت أنا لا يهمنى شكل الحكم ، ولا الدساتير ، لان العبرة بالاشخاص المخلصين الذين يستقطبون ما يريده الشعب فعلا .

وفى الكتاب « **تحت شمس الفكر** » حاجات خاصة بمظاهر مثل « يا اخوانا طربوش ايه ــ الغوا الطربوش ! ودخلت فى معركة مع رجعى اسمه **خليل ثابت** رئيس تحرير **المقطم** فى سلسلة مقالات ، فكان يقول لى هذا قومية وذاك يقول كلام لا أعرف نهايته ، وبعد ذلك كتبت مقالات اسمها كادر المقامات ضد الالقاب ، وبعد ذلك تحديد الملكية ، ووضع الفلاح . وفى المقالات التى نشرت شرحت كيف كان برلماننا عبارة عن برلمان ملاك ، والملاك الذين جاءوا هم الذين أعطوا أنفسهم الوصاية على بقية عناصر الشعب . كل هذا كتب ونشر قبل ثورة ١٩٥٢ .

وطبعا « **عودة الروح** » كان فيها مسألة هى نظرية **الكل فى واحد والزعيم المعبود** : مصر فى حاجة الى زعيم معبود يلمها . « الكل فى واحد » ــ هذه رنت فى ذهن عبد الناصر رنينا قويا ، وايضا حكاية الغاء الاحزاب ، واحكم بنفسك وبمفردك ولكن بمضامين . فجاء عبد الناصر ولم يكن يباشر الثورة فى اطار شكلى ، لم يكن يهمه الشكل . ترك الشكل ودخل فى المضمون. كما كنت أتمنى . والا لما كنت تحمست له بهذه القوة . أين كنت عندما الغيت الدساتير ؟ هنا لابد من ذكر آن من قاوم هذا الفكر الذى طرحته (عن الاهتمام بالمضمون دون الشكل) كانوا أولا الاحزاب القديمة . الله ! أين الدستور ؟ اعملوا لنا دستور ! أنا لم يكن يهمنى هذا الكلام انما أنا شتمت الدساتير المفتعلة ، كان هناك اتجاهان : اتجاه الرجعيين واتجاه اليسار .

واليسار فى ذلك الوقت قال : هذه نازية . يعنى تهيأت له أن هذه مسألة خطرة أى عدم وجود شكل ديمقراطى لهذا النظام .

■ خالد محيى الدين :

لكن مصر كانت أيامها ، يعنى الثورة ، لم تكن قد حددت البرنامج الاجتماعى . كان هناك اتجاه الى فتح باب لرؤوس الاموال الاجنبية والرغبة فى التفاهم مع الولايات المتحدة . الاتجاه الثورى لم يكن قد وضح . والسبب الذى حفزنا الى الديموقراطية بالصورة التى أشار اليها الاستاذ **توفيق الحكيم** هو ان الاتجاه كان الى قبول **النقطة الرابعة** ، وهى الاتفاقية التى كانت الحركة الوطنية ضدها قبل ٥٢ . أى ضد فكرة استيراد رؤوس الاموال الاجنبية ، كانت هناك حركة وطنية ضد أى معاهدة تربطنا بالغرب ، وكان الاتجاه السائد هو قبول معاهدة فيها نوع من الرباط واحتلال القاعدة ، ثم الانفتاح على رؤوس الاموال الاجنبية ثم شدة العداء للشيوعية . وانا كرجل يسارى كنت متخوفا من هذه الاتجاهات . فكانت وجهة نظرى ان العلاج لهذا الموقف مع ابدال الحكم المطلق الذى تمارسه مجموعة مثل مجموعتنا ، كان العلاج أن تكون فيه ديموقراطية . وكان الرأى ان الثورة تعمل حزبها . لم يكن مطروحا انهم يتنحون ان الثورة تعمل حزب ، وعندها الشعبية القوية ، فلا يجب أن تخشى الانتخابات . لكن الفكرة التى كانت سائدة وهى فكرة المستبد العادل نظرية المستبد العادل هى كانت موجودة عند على ماهر والاخوان المسلمين كانوا أيضا يدعون الى أن المجتمع الاسلامى ليس فيه أحزاب ثم ان الناس كانت « زهقانة » من الاحزاب .

■ توفيق الحكيم :

هو أنا لما كانت لى كتابات سابقة كان فيها نقد شديد للاهتمام بشكل الحكم دون مضمونه ودون وجود برامج جعلنى لما لقيت رد الفعل العكسى ، وهو مضامين بلا شكل رحبت بها . ثم كنت أشرت أيضا الى أن الدساتير لا تهمنى وانما تهمنى ثورة مباركة تشتغل لمصلحة البلد من أشخاص مخلصين . يعنى لا أريد الشكل . لكن اتضح ان اهمال الشكل أدى الى المساوىء التى تنبهتم اليها . وانا لذلك اتحمل جزءا من المسئولية فيها . وأنا لا أبرر موقفى ، والا أكون رجل ابنى حياتى على تزييف .. أنا عمرى ما عملتها ! فلابد ان الموقف يكون صادقا ، لانى انا لم أكن أطمع فى مناصب لا من هذا ولا من ذاك . كل ما أردته ان أرى حالة البلد لا بشكل نظرى ، ولكن بمضمون فعلى عملى نافع للشعب . كنت أسأل قبل كل شىء : كيف سيحكمون ؟ هؤلاء جاءوا على الفور بانجازات . قالوا لك : عملنا الاصلاح الزراعى ، والنظام والعمل (حتى كلمة النظام ترددت فى كتبى) اذن كنت أنا قابل بالثورة ، بهذا الوضع ، بدون ان أرى ان هذه عيوب أو انحرافات يمكن ان تؤثر فى مجرى الثورة . فكانت النتيجة اننى كنت معها باخلاص ، حتى لقد كتبت مقالة أقول فيها منذ ٣٠ سنة أنتظر هذا الرجل وهو **عبد الناصر** . وكنت مخلصا فى كل هذا لانى كنت اعبر عن آراء لى سابقة قبل الثورة . وكان يمكن أن تكون آراء مفتعلة لو اننى نظرت الى **عبد الناصر** بعد ان جاء ولقيت فى ايده السلطة . لكن هذا لم يحدث . ولو أنه حدث لكنت اعطى لنفسى حرية الفحص انما هذه حاجة مغروسة فى افكارى القديمة بكتاباتى من ٣٠ سنة . فلما يأتى هذا الرجل لينفذها ، فاذن من الطبيعى ان اقول أنا متحمس له . حتى انا فاكر ان **السنهورى** لما جاء وقال لنا الثورة عايزة تعمل الحد الاقصى للملكية الزراعية ٥٠٠ فدان أو ٢٠٠ قلت له لا اجعلوها ٢٠٠ لاننا نريد ثورة بصحيح لا أنصاف حلول . فاذن كنا متحمسين لهذا الاندفاع ، أو على الاقل أنا . أما المعارضون وقتئذ فقد تنبهوا الى ضرورة الشكل . ولذلك أنا اليوم جئت الى هنا وقلت الشكل ، فلانك اذا أنت عملت مضمونا بلا شكل وجاء حاكم فى يده سلطات تكاد تصل به الى العبادة فتكون النتيجة انه يعمل لنفسه شكلا ، أى أنه يشرع على الفور فى البحث عن شكل يستطيع أن يقنن به سلطته العظيمة هذه ، فيجمع المعبود الزعيم السلطة الشعبية الزوحية والسلطة الفعلية المادية وهذه الامور ما كانت لسعد زغلول ، سعد زغلول كان عنده يعنى - كما تقول - السلطة الروحية وهى الزعامة الشعبية التى لا شك فيها . انما لم يكن عنده السلطة الحقيقية . قدامه الملك وهو ضده ، وقدامه جيش الاحتلال الانجليزى . فكان لسعد زغلول عبادة شعبية بلا سلطة حقيقية لان قدامه القوى التى تملك السلطة : جيش وملك . فكان سعد زغلول ساعة يسقط وساعة ينهض . يعنى سعد كان محل نقد من الصحف المعارضة له ، لان العبادة لم تكن تدعمها سلطة - العبادة كانت عبادة شعبية .

لما جه عبد الناصر تمتع بما لم يتمتع به أحد

فى العبادة ، ولا حتى الفراعنة ، كانوا يحكمون بواسطة الكهنة ، والكهنة كانوا قاعدين اتباع آمون يقولون للملك لا اعمل كذا واعمل كذا تعالى نتوجك لكن سلطات عبد الناصر الكاملة بلا حدود لا يمكن ان نقول انها تكررت فى مصر .

■ **لطفى الخولى :**

لكن كانت رغم طابعها الفردي — وهذه سلبية طبعا — ذات طابع وطنى تقدمى وتأييد شعبى .

■ **توفيق الحكيم :**

انا أتصد انها كانت سلطة شعبية وحكومية معا وكنت أحبه لانه جاء كما أردت بمضامين وانجازات لم يتكلم فى الشكل ونظرنا فوجدنا انجازات تتم .. اصلاح زراعى وأشياء كثيرة ومجلس أعلى للفكر . كل ماكان الناس يريدونه .

طيب ! يبقى ماذا حصل ؟ الذى حصل انه لما يبقى الشعب معه ويعبده عبادة لانجازات تمت فعلا ، وبعد ذلك معه السلطة الفعلية فلن يوجد مخلوق واحد يقدر يقول له الزم بيتك كما كانوا يقولون لسعد زغلول ، فهذا نوع من أنواع السلطة التى لم يتمتع بها أحد هو بمفرده لا تشكيل بجانبه . فماذا حدث بعد ذلك ! حدث على الفور ان ظهرت الجماعة التى نسميها مراكز القوى . والتف حوله ناس أخذوا سلطات كبيرة جدا بحجة الدفاع عنه والمحافظة على حياته والمحافظة على نظامه فيأتى لهم مثلا فلان ليقول : آه هذا فلان كان فى نادى ايه وكان قاعد يشتم .. فلان يوضع تحت الحراسة ويأخذون فلوسه وحريته بدون محاكمة . نهايته كل ما وقع من سجن وتعذيب ، يعنى حاجة من الاثنين : يجوز هو كان عنده خبر بكل هذا ولم يكن يريده ، لكن بعض الاحيان تجد بعض ناس يقولون هو أمر بأن هذا لا يصح ، لكن هناك آخرون وجايز يعملون هذا كله من وراء ظهره وهو لا يعرف ، وجائز انهم كانوا يقولون له : لا ! انت تعرض للخطر النظام كله اذا قامت المحكمة بتبرئة فلان .

وقالوا ان تبرئة المحكمة لفلان معناها أن القضاء سلطة أخرى ... والقضاء هو أيضا متعاطف مع القوى الرجعية ... يعنى كلام يفهمونه للزعيم المطلق .. فأصبح هناك قوة أخرى تنشط بدون مسئولية . وفى الناحية الاقتصادية أيضا استولوا على قطاعات لمصالح خاصة وليس لمصلحة الشعب يعنى كل المساوىء التى رأيتموها .

ثم جاءت حرب اليمن . ما هى حكايتها بالضبط ! هل كانت نتيجة معلومات مغلوطة عن حجم العملية ؟ وهل كان الدافع الاول لها كما قيل انها امريكا والصهاينة لاستنزاف جهد مصر واموالها فى حرب بين العربى والعربى بعيدا عن اسرائيل ؟ ماهى الحقيقة هنا ؟ وهل كلفت مصر حقا أربعة آلاف مليون جنيه كان الفلاح المصرى ينتظرها لتحقيق اشتراكيته ورفاهيته ؟ .

احنا عندنا فلاحين وعندنا القرى عاوزة تصليح .. يعنى ٤ آلاف مليون هذا كثير . فهل هذا حقيقى ؟ أو غير حقيقى ؟ كيف نعرف كل هذا ؟ كيف ندرك الحقيقة ؛ لابد اذن من فتح الملفات ...

■ **لطفى الخولى :**

اذا أذنت لى .. فقط من أجل محاولة تنظيم عمل الندوة ، ان لانلتقى اليوم بكل آرائك دفعة واحدة . انك أعطيتنا اليوم ما يمكن أن يكون فرشة مهمة لابعاد آرائك ومواقفك . المطلوب بعد ذلك أن نستخدمها فى ترجمة الاوراق والمناقشات الى جدول عمل نسير عليه فى الجلسات القادمة واقترح فى مجال تمهيد الارضية العامة للحوار أن الاستاذ خالد محيى الدين من موقعه باعتباره أحد مفجرى ثورة ٢٣ يوليو وفى نفس الوقت اختلف فكريا واجتماعيا فى مرحلة من المراحل مع الثورة واستقال من مجلس قيادة الثورة . وذلك من موقع يسارى رغم استمراره فى تأييد الخط الوطنى التقدمى للثورة — أنه يزودنا ايضا بفرشة مختصرة من وجهة نظره بحيث انه بعد هذا ، نتصدى لتحديد جدول الاعمال بوضوح أكثر وبمدى أعمق .

■ **توفيق الحكيم :**

نحن فعلا فى انتظار هذه « الفرشة » . ولكن أحب قبل هذا أقول كلمة فى عودة الوعى لانك انت وضعت الموضوع على هذا الاساس .

نحن نتفق على أن عودة الوعى كان مطالبة بملف يفتح وان هذا الملف يفتح موضوعيا . واننا نعمل كما حصل فى الاتحاد السوفيتى لما رفض عبادة الشخص . لما جاء ستالين وكان قد جمع كل السلطات فى ايده لان قدامه نازية واخطار خارجية فجمع كل السلطات .. كل سلطة تتجمع فى يد فرد عبادة وشعبا وجيشا وكل شىء فهنا يلتف حواليه ناس يخلوه يرتكب هذه الكوارث الدموية .. يعنى ما حصل فى أيام ستالين هو نتيجة تقارير . وبدأت العملية

الدموية من أين تأتى هذه العملية تأتى من ان شخص «ليس هوايته الحكم بالدماء ، لا وانما هو حكم الفرد الذى ليس فيه معارضة هنا تجد ناس يغشونه ويقولون له الحق نظف قوادك وصفوفك .. فالعبادة فى الواقع تخدم ناس بيستفيدون من وراء العبادة .. هات أى حاجة واعمل لها ضريح مقدس . على طول تبص تلاقى طلع واحد شيخ وجاب صندوق نذور وهو الذى اكتسب فى النهاية من صندوق النذور . ويقول لك : « يا أخى ده سره باتع » .. فلابد أن عبادة الفرد تكون بهذا الشكل .. كاهن وضع قطعة حجر وقاعد يقولك القرابين .. ما هى القرابين ؟ تذبح كذا وكذا .. وهو يملأ كرشه ... فحيث توجد عبادة يعنى كهنة يستفيدون ..

■ **لطفى الخولى :**

هل نفهم من ذلك انك تراجعت عن هذا الموقف . أو بتعبير آخر .. تعتبر نفسك مسئولا ...

■ **توفيق الحكيم :**

طبعا أنا مسئول . أنا أدين نفسى لانه ماكان يصح لمفكر حر أن يكتب ويقول ما يشجع على ظهور زعيم معبود . لماذا ؟ .. لان الكاتب الحر كان يجب يتنبه لعبادة الشخص ونتائجه ، انما الذى خلانى أنقاد هو انه أولا من ٣٠ سنة وانا أمام أشكال من الحكم ليس فيها مضامين أبدا .. بمجرد ما جاءت الثورة ببعض المضامين ... ثم أجدها تنفذ كلاما أنا كاتبه فى الورق .. حاجات كانت آمالنا وتتحقق ..

مسألة أنه ستصل هذه الامور الى عبادة الشخص لم يكن فى تخطيطى هكذا . واذا حصل أيضا ما كان لى أن أرفضها لانه لابد أن يثبت ـ بعد ذلك ـ ضرر هذه السلطة المطلقة التى بلا حدود . وقد ثبت بالفعل والواقع هذا الضرر . كما ثبت انه لابد لاى فرد بشر ان يكون قابلا للمحاسبة . هناك من يقول : الناصرية لا أحد يمسسها ؟ مين يدافع عنها ستجد ان الذى يدافع عن الناصرية فى هذه الحالة هم الناس الذين لا علاقة لهم بثورة ولا اشتراكية .. جماعة يستغلون صندوق النذور . واخد بالك ! انما يوم أن تجعله بشرا قابلا للمحاسبة .. وتقول نعم هذه ثورة ملكى ، ملك الشعب وليست ملك **عبد الناصر** فهنا لابد من أن نفتح الملف ونرى كيف اتجهت الثورة فتسأل : لماذا فشلت هذه العملية ؟ طيب ! وماذا حدث فى هذا الموقف بالدقة ؟ ولماذا فعل عبد الناصر هذا . فاذا تمت المحاسبة بدون دفاع عن العيوب وتبرير للخسائر وببحث موضوعى ستجد أن هذا الرجل مسئوليته تضاءلت ربما الى حيز ما كان يمكن أن نتصور درجته ، وان درجات كبيرة من المسئولية قد تقع على آخرين .

فاذن **عودة الوعى** هى كذلك دعوة الى البحث فى درجات المسئوليات .

لقد قلت فى هذا الكتاب انه لابد من كشف الحقائق لنعرف الحكاية ايه ! لابد ! وهنا مهمة الكاتب التى لا يمكن أن يتنازل عنها : وهى معرفة الحقيقة .. لابد أن أعرف الحقيقة .. ولهذا فان **عودة الوعى** اذا ما وضع أمام التحليل المنزه أعتقد أنه سيكون فى مصلحة عبد الناصر .. اذا سبناه للسدنة والكهنة الذين يقولون لك : كفر ! أوعى حد يمس عبد الناصر ! .. كفر ! .. فان التاريخ لن يرحمه أبدا لانه أولا .. لكن هل هذه التهم حصلت ؟ طيب ! لم يناقشه فيها انسان .. طيب ! نناقشه . لكن اجزاء المجتمع الحاضر مختلفة على ذلك الان .

جزء يقول لك .. لا .. لا داعى انا أحب الرجل بعواطفى وأنتم تجرحونه وكلام من هذا القبيل . هذا هو النوع العاطفى وهو جزء أو اتجاه لا خطر منه .

وجزء آخر يقول لك لما يتفتح الملف « حنروح فى داهية » لان مسئوليتنا ستبقى ٨٠ فى المائة وهو ٢٠ فى المائة . لا ! الملف لا يجب ان يفتح .. ولذلك أول ما فتح الملف لقيت نفسى داخل فى الحكاية وبعد ذلك لما ابتدأت أحلل لقيت أن الحكم المطلق ...

■ **لطفى الخولى :**

أود أن أسأل سؤالا خطر ببالى الان ، « عودة الوعى » هو صادر ليس فقط كعمل من أعمال النقد والنقد الذاتى فى مواجهة أحداث الخمسينات وثورة يوليو ، بل أيضا لافكارك ومواقفك فى الثلاثينات قبل الثورة .

■ **توفيق الحكيم :**

بدون شك . هو الانسان لكى يجسم التهمة يقوم يقارن بما قبلها .. يقول لك : ما قبلها كان فيه حرية تعارض الحكم وهذه الحرية كانت تبيح لنا أن نعارض ولو أن المساوىء التى وقعت قبل الثورة فى كتبى أنا كنت بادين الحكام عليها . ولكن لما اجى أشوف الكارثة حصلت من العبادة والكهنة فأجد انه كان ممكن يبرأ منها ، لو كان

حكم فيه معارضة وفيه ديمقراطية سليمة . لان السابقين (على ثورة ٥٢) وان ادوا الى مساوىء للبلد اضعفت بعض تقدمها يمكن قبل الثورة لم يكن فيه كوارث ولكن عرقلة ما لتقدم البلد .

■ د. فؤاد مرسى :

استاذنا توفيق الحكيم قال لنا كلام درر فى الحقيقة . وأنا معروف دايما إن تقييمى متشدد على الناس . فأنا قلت درر فهى درر وكلامك يسجل للتاريخ وليس لنا فقط ..

فى الحقيقة انت وصلت الى نقطة فى غاية الاهمية ، وهى تصنيفك لأولئك الذين يرفضون مناقشة الملف ، وهم فعلا بالتصنيف الذى انت قلته هذا باضافة ناس مستعدين أن يفتحوا الملف .. طيب ! هؤلاء المستعدون لفتح الملف لم تصنفهم لنا ! أنا يهمنى دول قوى ..

■ توفيق الحكيم :

كالعادة فيه تناقضات . ناس مخلصون لمصلحة البلد ، وناس يقولون لك : نفتح الملف لنشنع على عبد الناصر لاسباب انتقامية ، ولاسباب يعنى نفعية لها طريقة أخرى وردة لعل وعسى أن نقول ان عبد الناصر خرب البلد ، يبقى نرجع لما قبل عبد الناصر حتى تتساوى الامور ويصبح المطلوب الغاء فترة بكاملها . ولكن اذا ثبت انها كانت فترة ضرورية فنحن من ناحيتنا نقول أنه لابد من تعديلها ، ولابد من معرفة موقع الخطأ فيها حتى ندعمها . لان اذا قلت كلمة الاشتراكية فقد حدث فعلا تحول اشتراكى . ولكن هذا التحول لماذا لم يأخذ كل قوته ؟ الجواب لانه كان يجب أن يكون فيه اشتراكية قوية وعظيمة جدا . لكن لماذا عملت طبقات جديدة .. وكيف حدث أن هذا النظام يولد طبقات .. فنجد مثلا من يشترى شقة بـ ٢٠ ألف جنيه و ٣٠ الف جنيه ..

■ د . عبد العظيم أنيس :

ملاحظة وحيدة فيما يتعلق بالاقتراح الخاص بأن الاستاذ خالد محيى الدين يعطى « فرشة » حول موضوع الثورة . يمكن الموضوع هام ولا غنى عن تناوله لكن يمكن — من ناحية التوقيت — ملاحظتى هى أنه اذا كنا سنتفق على ما هى القضية المطروحة فى هذا النقاش .. فأنا أتصور انه لو بدأنا بحذف أشياء من جدول أعمالنا كموضوع النقاش ، فيمكن أن نستريح ابتداء .. لا شك أنا متصور أن هذه الجلسة ليس هدفها هو محاكمة كتاب عودة الوعى ، هذا اولا وأيضا القضية الرئيسية المطروحة هنا ليس هدفها هى محاكمة اليسار فى موقفه من عبد الناصر فى خلال الـ ٢٠ سنة الماضية . وبالتالى ، يعنى أنا متصور أيضا من واقع ما طرحه أستاذنا توفيق الحكيم فى خطابه للاستاذ لطفى الخولى ، ومن النقاش الدائر حاليا ، ومن الكلام الذى قاله ، متصور أن القضية مستقبلية أكثر منها قضية متعلقة بالموضوع . لكن هذا لا ينفى طبعا أن الماضى لابد أن يتناول ، وانا غير متصور نظرة مستقبلية دون أن يكون هناك نوع من التقييم للماضى . لكن تقييم الماضى يكون فى اطار هذه المناقشة الاساسية حول مستقبل مصر ومستقبل اليسار فى مصر . على هذا الاساس أقترح — فى الاول — أن يكون هناك نقاش — فى اطار المناقشة — فيما يتعلق بمستقبل مصر . يعنى فيه عدد من النقط الاساسية التى أعتقد أن من المهم أن نتفق فيها ، أو نختلف ، فقط يكون هناك وضوح حول الاتفاق أو الاختلاف فيها ، وذلك فيما يتعلق بقضية مستقبل مصر أو قضية اليسار من ناحية الاطار العام .. أستاذنا توفيق الحكيم .. يعدى حادى مثل كنقطة .. يعنى فى كتاباته — من زمان — كان باستمرار يركز على قضية مصرية مصر .. مصرية مصر هذا معنى اكد كثيرا فى كتابه . أما فى كتاباته المتعلقة فى عودة الروح ، أو الكتابات السياسية العامة أو الفكرية العامة ، أو .. حتى اذا كان أمله باستمرار أن يكون فيه دراما مصرية ، عبر عنها فى أهل الكهف مقابل الدراما اليونانية . مثل هذه القضية — فى جو العشرينات والثلاثينات — قد يكون من المفهوم تماما أن تستوعب أو تستحوذ على ذهن المفكر الحر . لكن الاربعينات والخمسينات والستينات والسبعينات طرحت البعد العربى لمصر بشكل واضح . سواء شئنا أولم نشأ . فهل اذا قبلنا فكرة مصرية مصر بالمعنى القديم يكون مبدأ دخولنا فى مشكلة اليمن كان غلط من أوله الى آخره ؟ .. جائز .. الاستاذ توفيق أثار هذا الموضوع ، بصرف النظر عن التفاصيل .

موضوع فلسطين ، اصلا ممكن أن يكون مطروحا للسؤال عمن ورطنا فى هذه العملية .. فيه نظرية ، لدى عدد من المثقفين المصريين وحتى فى وسط الرأى العام المصرى الان ، بتقول [وانا فى رأيى انها نظرية مخلصة] « واحنا مالنا ومال الكوارث

دى بتاع البلاد العربية . خلونا فى ظروفنا ومشاكل الداخلية » . فهذا محور . يعنى انا اقول ان هذا احد الاطر الاساسية فى المناقشة . وفى تصورنا هل مثل هذه القضيه ينبغى ان يكون فى وضوح حولها قبل ان ندخل فى مشكلة اليمن والمشاكل التى من هذا النوع ؟ من ذلك انا اقترح ان يكون فيه مناقشة لاطار عام لتصور مصر . وما هى المحاور الاساسية سواء اقتصادية او سياسية او عربية او دولية التى يتحرك فيها الواقع المصرى . اذا اتفقنا على هذا او اختلفنا فانه سوف يساعدنا جدا ان نستطيع ان نتصور مستقبل مصر . هذا المستقبل نقطة انا أنظر اليها من الناحية العكسية . ابتدىء أنا بمستقبل مصر ، وبهذه المحاور . ومستقبل اليسار ـ طبعا كجزء من مستقبل مصر ـ وبعد ذلك ارجع [عند توزيع المناقشة] ـ الى الماضى واسمع **خالد محيى الدين** فى تقييمه ، واشياء كثيرة لا شك سنجد فيها نقدا لليسار فيما يتعلق بالتجربة الناصرية . ما هى حدود هذا النقد ؟ ما هى مسئولياته ! نقد الكتاب والمفكرين امثال الاستاذ **توفيق الحكيم** فى هذا الموضوع .. الخ . نقد التجربة نفسها من الناحية الموضوعية بصرف النظر عن الاشخاص .. الخ ده بس اقتراح يعنى .. نقد اليسار نفسه ..»

■ لطفى الخولى :

انا موافق على ما يعرضه الدكتور **عبد العظيم انيس** لكن الحقيقة انا أقصد زيادة على ذلك أمرين .. الامر الاول ان الاستاذ **توفيق الحكيم** عرض فرشة مفيدة جدا لاثراء المناقشة ومحاولة الوصول الى المفاتيح ، أو جدول الاعمال الذى يطلبه الدكتور **عبد العظيم أنيس** من أجل تحديد اطار المناقشة ..

والاستاذ **توفيق الحكيم** عرض هذه المناقشة من واقع انه يعتبر نفسه مسئولا فكريا عن ثورة ٢٣ يوليو أو احد المسئولين الفكريين الاساسيين عن ثورة ٢٣ يوليو . وقد أمن على ذلك الرئيس **جمال عبد الناصر** ـ نفسه ـ عندما قال اكثر من مرة انه تأثر تأثرا كبيرا **بتوفيق الحكيم** ، وبالذات **بعودة الروح** . وهو ما يحاول الان الاستاذ توفيق الحكيم انه يستكشف ابعاد هذا التأثير المتبادل بينه وبين قيادة الثورة . حسنا بعد ان حصلنا على فرشة من موقع مفكر قيادى فى الثلاثينيات وعاصر التجربة حتى الان ـ مد الله فى عمره ـ من المفيد ايضا نتزود فرشة أخرى من رجل شارك فى ثورة ٢٣ يوليو نفسها ، واختلف واتفق معها ، من موقع يسارى واضح ومحدد . وبالتالى يخيل لى ان هذه الفرشة مع فرشة الاستاذ **توفيق الحكيم** ممكن أن تضىء لنا طريقا أكثر وضوحا للوصول الى تحديد النقاط التى أشار اليها الدكتور **عبد العظيم** ، المطلوب هو مجرد فرشة لا تقييم لانه حتى كلام الاستاذ **الحكيم** ليس تقييما وانما هو مجرد فرشة . وبالتالى فرشة الاستاذ خالد ممكن تفيدنا جدا هذا هو الامر الاول .. الامر الثانى .. انه فى الحقيقة نحن على تباين فى افكارنا حول تقييم هذه التجربة .. الخ ، بل أن زوايا رؤيتنا للتجربة تختلف .. خصوصا وانه معنا اليوم مجموعة من زملائنا الشباب ، يهمهم بعد أن اطلعوا على الفرشة التى قدمها الاستاذ الحكيم ، ومن خلال كلامه وليس عن طريق السماع أو القراءة عنه . وهذه نقطة مهمة جدا ، السماع من حق هؤلاء الشباب ايضا الذين نحرص على ان يكون اسهامهم فى هذا الحوار أساسى ، انهم يطلعوا ايضا على فرشة الاستاذ **خالد محيى الدين** .. ثم نعود الى النقطة الذى طرحها الدكتور **عبد العظيم** عن جدول الاعمال .. ما رأيكم .. ؟

■ محمد سيد احمد :

كلمة واحدة انا اقول ان الاستاذ **توفيق الحكيم** اثار بعدين محوريين ، النقطة الاولى يسار يمين ..

■ لطفى الخولى :

ليست هذه هى القضية اطلاقا الاستاذ **توفيق الحكيم** كما لو كان جلس وقال مجموعة كلام انا لا اقيم هذا الان .. ايضا الاستاذ **خالد محيى الدين** يقعد يضع فرشة كلام ، فهذا سيفيد فى البلورة التى يطلبها عبد العظيم وهى أساسية .»

■ توفيق الحكيم :

يعنى اريد ان اقول ان هذا يدخل فى الشكل فى القسم الثالث الخاص بالتجربة ، تجربة الثورة باعتبار انها لم تكن اقتصادية فحسب هى اقتصادية وسياسية وثقافية واجتماعية .

انا اريد أن أدخل المسائل فى اطارات .» فاطار التجربة سيدخل فيه كل هذا الكلام ..» الاطار رقم ١ ، ورقم ٢ هو شكل اليسار فى المستقبل . لان هذا يهمنى ـ انا أيضا ـ لانى

انا لما اقول انا أريد مضمون يحصل أن ضياع الشكل سيؤدى بنا الى هذا ، الى متاهات معينة . واذا قلت شكل بلا مضمون فهذا يعود بنا لما قبل سنة ٥٢ .

■ **لطفي الخولي :**

عاوزين نتفق أرجوكم على حاجتين واحدة من اثنين : أمانأخذ باقتراح **د . عبد العظيم أنيس** انه يغفل الفرشات [الخلفيات] ونعتبر ان فرشة الاستاذ **توفيق الحكيم** كافية فنناقش مباشرة ما هو الاطار ، وما هو جدول الاعمال الذي سنسير عليه في هذا الحوار ، واما أن نأخذ بالاقتراح الثانى الذى تقدمت به وهو انه فى مقابل فرشة الاستاذ **توفيق** تطرح ايضا فرشة مركزة ومختصرة وليست تقييما — من الاستاذ **خالد محيي الدين** ثم نعود الى اقتراح **د . عبد العظيم أنيس** فأنتم تقررون فى هذا المجال ما تشاءون . .

■ **أبو سيف يوسف :**

أفضل المنهج الذى يطرحه **لطفي** لان هذه المسئولية خطيرة جدا وستكون مثارا لمناقشات كثيرة جدا . وحتى نقطع الطريق على اى تأويلات تحاول أن تستفيد من فتح مثل هذا الملف ، فانى أعتقد أن الرؤية الداخلية لما حدث ستكون ثمينة جدا فى تقييم التجربة بكل أبعادها . ولهذا ، أفضل أن نستمر فى النظر الى ثورة ٢٣ يوليو من **الداخل** . وعلى هذا الاساس لو نستمع للاستاذ **خالد محيي الدين** فسيكون هذا مساعد جدا على التقدم .

■ **د . فؤاد مرسي :**

حدث تاريخى أيضا أن بين أعضاء مجلس الثورة قطب يسارى ماركسى ، هذا حدث من المفيد أيضا أن نستنير حول ما جرى للثورة من البداية حتى النهاية برأى هذا القطب الماركسى ، لانه عندئذ نستطيع أن نضع أيدينا على نواح ووقائع لا وجهات نظر قد تكون تعبيرا عن ذهننا نحن وتساعدنا على التقييم . . هذا الحدث التاريخى يجب الا نتركه يفلت منا . . . .

■ **لطفي الخولي :**

طيب : هناك موافقة الآن على أن الاستاذ **خالد محيي الدين** . . . .

■ **خالد محيي الدين :**

هوه فى الحقيقة انا فى غنى عن اتكلم عن التقدير الكبير للاستاذ **توفيق الحكيم** . . اما بالنسبه لكتاب عودة الوعى ففى نظرى لا يوجد أحد فوق المناقشة ، ولا فوق المحاسبة . . انما نقول ان سبب الضجة التى حصلت حول هذا الكتاب أنه فى وقت ظهوره صاحب حملة من اليمين ضد **عبد الناصر** — محاولة شطب التاريخ كله والشىء الغريب انى اكثر واحد اختلف مع **عبد الناصر** . يعنى من ٥٤ سبت مجلس الثورة وهناك أشياء كثيرة جدا ، لكن الموضوع ، موضوع التجربة الوطنية ، وهذه قضية أخرى .

واقرر أن قبولك لتقييم التجربة ، وأن تتحدث مع اليسار ينفى بتاتا فكرة أنك تريد لليمين ان يستفيد من هذا الامر .

الحقيقة فيما يخص التجربة الخاصة بثورة ٢٣ يوليو ، الكلام الذى قاله الاخ **توفيق الحكيم** عن مسئولية **الكل فى واحد والواحد فى الكل** أنه انا — كرجل عاصرت الثورة لما قامت — ان هذا الفكر كان موجودا قبل ثورة ٢٣ يوليو فى أوساط الضباط . وتركيب مجلس الثورة عكس كل الافكار الموجودة فى مصر : الماركسية : يسار ، وسط ودينى عادى ، ويمينى على أساس دينى . . . باختصار كل الاتجاهات التى كانت موجودة فى مصر كانت موجودة فى الثورة ، وهذا كان يمثل — فى الحقيقة — قوة الثورة .

النقطة الثانية ، ان برنامجها الذى كان موجودا ، الشىء الغريب جدا ان البرنامج الذى كان يوزع على الضباط الاحرار لم يكن فيه أى شىء بتاتا عن حكم فردى لانه لم يكن هناك تفكير فيه فى ذلك الوقت . وما أقوله هو انه كان فيه **اقامة جبهة وطنية** . اولا كان فيه هجوم على الاحزاب المتعاونة مع الاستعمار . ولكن كان فيه تصور أنه فى داخل الاحزاب ، أو فى مصر ، فيه أحزاب وطنية أخرى . ولذلك اول نقطة فى برنامج الثورة هى القضاء على الاستعمار الاجنبى واعوانه من الخونة المصريين . والنقطة الثانية : اقامة جبهة وطنية من القوى الوطنية والاحزاب الوطنية [هذا البرنامج اختفى ولم يعثر عليه أحد ، كان فيه نسخة واحدة عندى وطبعا شارك فى كتابته

الماركسيون المصريون وهذه حقيقة تاريخية ايضا وتضمن البرنامج عدالة اجتماعية ، ثم اقامة جيش وطنى قوى يسمح بترقية الجنود الى ضباط [دى نقطه مهمة] كل هذا وارد بس باختصار .. فاذن الثورة وهى قائمة كان عندها فكرة ضروره مساندة القوى الشعبية . وكان فى نظرنا ـ فى ذلك الوقت ـ أن الوفد هو القوة الشعبية ـ هذا تاريخ وسأقول الوقائع ـ لما قامت الثورة أول بيان فيه عودة الدستور .. كانت المناقشة حول كيفية عمل مجلس الوصاية واختلفوا فى مجلس الدولة انه هل يشكل بنص الدستور . لكن الدستور لم يكن فيه نص على عزل الملك .. طبعا حيث انه دستور ملكى لم يكن فيه نص على عزل الملك فيه نص على مرض الملك او وفاته . فاختلف مستشارو مجلس الدولة ـ **وحيد رأفت ضد ٨** ـ **وحيد رأفت** قال لهم ان هذا دستور ملكى لا نص فيه على العزل فلابد من أن نأخذ الوفاة والمرض مثل العزل .

الرأى الثانى قال : لا ـ هذه حالة جديدة اذن نعمل حالة جديدة .. طبعا مستشارو الرأى أحسوا أن من غير الممكن أن مجلس الثورة ، والاتجاه العام ، ممكن يكون عاوز دستور فاذا انت طبقت الدستور باعتبار الوفاة والمرض هو نفسه العزل فلابد من دعوة آخر برلمان ، ليقر الوصاية ، ويحل البرلمان ، بعد ذلك ندخل فى ميكانيزم الانتخابات ، كان عبد الناصر فى ذلك الوقت رأيه كده ؟ لان هذا كان البرنامج الذى ارتبط به . كان رأيه انه موافق على راى **وحيد رأفت** وهدد بالاستقالة وحرج .. وهذه الجلسة لم أكن موجودا فيها انا كنت فى الاسكندرية ..

لما رجعت قال لى انه استقال . قلت له طيب ولماذا رجعت ؟ قال لانى لقيت الموقف فى الجيش منقسم على نفسه ، ولقيت الموقف يفلت واصاف فأنا رضخت [فى اغسطس ٥٢] فكان هو فى هذا الاتجاه لا أريد أن أقول لك انه هوه لم تكن عنده النوازع الى الحكم كانت عنده باستمرار . لكن الحقيقه ان القوى التى كانت موجودة أو التى جاءت حول الثورة مثل مجلس الدولة : **السنهورى وجمعيه** الرواد ، والقوى التى حاصرت الثورة فى الاول [مثلا **جمعية الرواد** ـ جمعية الرواد كان فيها « **أحمد حسين والعمرى وعباس عمار وفؤاد جلال واسماعيل القبانى** ، ـ **وكانت تمثل فكرة الرواد الفكريين لمصر** ـ رواد الفكر ـ هؤلاء كانوا يعتبرون أن حكم الوفد هذا حكم رعاع ليس فيه كفاءات .

وهو التفكير الذى كان موجودا قبل الثورة ـ وهو الكلام المعروف ـ لما أصدر **على ماهر** أول بيان للحكومة ولم يذكر فيه ان هناك انتخابات فى مارس ١٩٥٣ [وكانت الثورة متفقة معه على الانتخابات ، فى مارس] أصدرت الثورة بيانا ضد **على ماهر** لانه لم يذكر الانتخابات واتكلموا كمان على قضية الضرائب المباشرة وغير المباشرة .. فكان لا يزال هناك ـ فى ذلك الوقت ـ تمسك بالبرنامج . لكن جاءت القوى الاخرى المحيطة ، وهى كلها قوى لا تنتسب الى الوفد [هذه قضية تاريخية] كانت من **الحزب الوطنى ومن السعديين ومن الرواد وكان مذهبهم** أن الثورة تقوم بالاصلاحات التى تريدها مصر والتى افتقدتها فى سنوات الحكم السابق نتيجة الصراعات الحزبية .. الخ : أقول كان فعلا هناك أرض ممهدة لهذا الامر اى لان تحكم الثوره وبقوه ، وتمشى فى الطريق ولا تلجأ الى طريق الانتخابات وكان يدعم هذا أن الثورة ليس عندها حزب فاذا انتم عملتم انتخابات فان الوفد هو الذى سيأتى **والسنهورى** قال ذلك فى جلسة فى مجلس الوزراء أيام مناقشة قانون الاصلاح الزراعى « انتوا مستعجلين ليه على الانتخابات فى مارس ما انتوا بتعملوا قانون الاصلاح الزراعى أهه . ده تطبيقه عاوز وقت أيه لزوم الانتخابات بسرعة ؟ انتوا عاوزين الوفد ؟ » .

ثم طلع **السيد صبرى** ، فى ذلك الوقت ! وكتب عن الفقه الثورى والفقه الدستورى (**) كل هذه الامور كانت موجودة طبعا فهذا شجع الاتجاه الفردى لا أريد أن أقول لا يوجد استعداد .. لا ! فيه استعداد . طبعا رجل عسكرى ، موجود فى الحكم ، وممكن انه يعمل شىء فلم لا ؟ وللتاريخ ايضا أقول أن الاتجاه الامريكى كان ضد الحكم الدستورى فى ذلك الوقت . وللتاريخ ايضا لا أريد ان يفهم من كلامى أن **عبد الناصر** كان مع الامريكان .. عبد الناصر اتصل بالامريكان من موقع وطنى . امريكا قوة عالمية لا يقدر ان يتجاهلها والتجربة اثبتت انه اذا اختلفت المصالح الوطنية اختلف معاهم انما هو رجل وطنى تماما لان امريكا كانت قوة كبيرة . والاتحاد السوفيتى والدول الاشتراكية لم تكن ظاهرة بعد فى المجال .. فالامريكان ايضا كانوا يشجعون عدم اعادة الحكم النيابى لان

فى نظرهم الحكم النيابى اذا جاء بالوفد ، .. فالوفد سيكون ضعيفا ، وامام الشعب سيرضخ .. باستمرار مادام هوحكم شعبى. فاذا حدث هذا ستبقى هناك حرية وفى الحرية اليسار يكسب ،وهذه كانت قضية مقاومة الشيوعية فىذلك الوقت فىغمار الحرب الباردةكان الامريكان عندهم هذه القضيةاساسية لذلك كانت الثورة تهدد الامريكان ، اذا لم تساعدونا سنرجع الانتخابات [شوف هذه قضية مهمة [صلاح سالم يقول : اذا مكنش الامريكان جيتعدلوا معانا نرجع الانتخابات . وهم [الامريكان] كانوا خائفين جدا من ان الوفد يرجع هذه حقيقة تاريخية ، لانهم خائفين من فكرة الحياة البرلمانية وحرية النقاش وما يأتيه من تقدم لليسار . وانا فى الحقيقة ، هذه من الحاجات التى نبهتنى كثيرا الى قضية موضوع الديمقراطية . لانه ظهر فى الايام الاولى ان الثورة بدأت تتجه الى قبول الاشياء التى كانت الحركة الوطنية ترفضها [النقطة الرابعة قانون استثمار راس المال الاجنبى احتمل كان هناك قانون قائم للاستثمارات ــ لكن لم يكن ينفذ ــ او ان رأس المال لم يأت ..

فكانت هناك فعلا أرضية تمهد لهذا الامر ، وكانت الطبقة الرأسمالية فى مصر سعيدة جدا فى ذلك الوقت بحكم عبد الناصر يمثلهم اتحاد الصناعات وعبد الرحمن حمادة رئيس مجلس ادارة شركة المحلة كان صديقا لمجلس قيادة الثورة ويقول لهم مجىء الثورة انقذ مصر من الراية الحمراء .. يعنى كان فى نظرهم أن الثورة لازم تقوم باصلاحات متعددة ، تقوم بمنع الشيوعية هذا التفكير الذى كان واردا فى الذهن يعنى فى ذلك الوقت .

فلما حدثت احداث ٥٤ .. كان وجهة نظرنا انه ازاء هذا الموقف الذى فيه السلطة مطلقة ، وبعد حل الاحزاب وهذه الاشياء التى تمت انه فى غياب الديمقراطية ممكن يحدث انحراف للحكم ، لانه لا توجد أية مسائلة فانت سائر تضرب كل القوى واحدة وراء الثانية .وبعد ذلك فان السلطة المطلقة ممكن تقرر أى شىء .

أنا اتكلم كيسارى فى مجلس قيادة الثورة ، وطبعا اليسار فى مصر فى الاول انقسم : فيه جزء أيد الثورة من أول دقيقة باعتبارها انعكاسا وطنيا .. وهناك جزء أعتبرها حركة ديكتاتورية عسكرية فاشية يعنى كان هناك رأيان مختلفان فى هذا الامر .

النقطة التى أريد أن أبرزها انه كان هناك رغبة فى وجود حياة ديمقراطية . أنا باقول وجهة نظرى فى ذلك الوقت . وكان جزء كبير من الحركة الديمقراطية فى مصر ، واليسار المصرى أيضا كان رأيه ذلك . يعنى أنا لم أكن اقول هذا بمفردى .. فكان فيه رأى انه لابد أن يكون هناك حكم برلمانى لانه مادام المجتمع لن يغير نظامه الاجتماعى [مجرد الاصلاح الزراعى هذا ، لايعتبر شيئا كبيرا] ومادامت هناك طبقات ، فان من حقها أن تعبر عن نفسها والا فان طبقة معينة تمسك الحكم . وصحيح ان العهد السابق كان فيه اقطاع ورأسمالية ،ولكن كان فيه شكل ديموقراطى ومادام فيه نظام رأسمالى لابد ان يبقى فيه ديمقراطية والا فان الطبقة الجديدة أو النظام الجديد سيسيطر ، ويحرم الفئات الاخرى . فلهذا السبب كان اتجاهنا فى مارس ٥٤ الى الديمقراطية . لكن الحقيقة ان الرأى العام [المتعلم] كان فعلا ضد عودة الاحزاب . هذه حقيقة واردة وهذا شىء احسسنا به . احنا لما دعونا الى فكرة عودة الدستور ، وعودة الحياة النيابية كان فعلا هناك تيار فى الرأى العام [كان قوى جدا] خائف من فكرة عودة الاحزاب . وبالفعل كانت هناك أرضية سياسية ممهدة لهذا الامر وان عبد الناصر يحكم ويبعد كل القوى المعارضة . فأصبح سلطة كبيرة لكن هذا لم يكن السبب أيضا .. السبب الكبير ــ فى نظرى ــ لهذه السلطة الضخمة جاءت من انجازات عبد الناصر او شعبيته ، وليس لان معه سلطات لان هناك حكام كثيرون جدا عندهم سلطة لكن ليس عندهم مثل هذه القدرة .. فعلا حقق أشياء كانت أحلاما للرجل المصرى العادى .. جلاء الانجليز ــ تأميم قناة السويس .. كان لى ــ مثلا ــ صديق ذو فكر محافظ ، ويكره عبد الناصر جدا . يوم أن أمم عبد الناصر قناة السويس قام احتضن الراديو وقبله وراح يبكى ويقول : دا احنا عشنا طول عمرنا نحلم بهذا . وبعد أن تم تأميم القناة رجع شتم عبد الناصر لان هذه قضية ثانية : الشعور الوطنى يعنى تأميم قناة السويس ثم تمصير البنوك لان هذه قضايا لا ننساها .

الى هنا وكانت الرأسمالية راضية . حتى جاءت تأميمات ٦١،وتحركت القوى الرأسمالية والاقطاعية ضده .. التحرك حدث هنا لكن كانت سلطة عبد الناصر قد تدعمت بحكم انه

كان بطلا وطنيا حقق انجازات عاش الشعب المصرى سنوات يطلبها وحقق للفلاح المصرى فعلا أشياء . لما ننزل القرية نحن أبناء القرية نعرف ماذا تعنى انجازات عبد الناصر انه لا يستطيع مخلوق اليوم أن يطرد فلاحا من الارض [الا **بالطبل البلدى**] وهذا عمل يعد استقرار الفلاح: أولاد الفلاح تعلموا ويدخلون الجامعة ، بنيت مستشفيات ومدارس . كميات المدارس التى بنيت فى الريف هائلة يعنى عندنا فى مركز كفر شكر الذى أنا منه مدرسة ثانوى ، وزراعية ثانوى ، وتجارية ثانوى ، وفيه كل ثلاث قرى مدرسة اعدادية . كل قرية فيها مدرسة وبعدين كل ثلاث أربع قرى فيها وحدة صحية المياه والكهرباء قضايا هامة بالنسبة للرجل الذى فى الريف شىء كبير فهو طبعا حقق انجازات فهذه الانجازات خلقت شعبية كبيرة أصبحت عنده سلطات مطلقة بسبب ضرب القوى الاخرى هو في الحقيقة أيضا — رفض ان ينشىء ميكانيزم خاص له هو كفرد أو كحاكم . اعنى ميكانيزم أو أجهزة سياسية تخدمه .. هل هناك حاكم — فى العالم — يقدر يأخذ قرار من غير ان تجهز له عدة دراسات أو آراء .. الموضوع ده كان يلجأ له عندما يحب ولا يلجأ اليه عندما لا يريد . لم يكن له « نظام » دائم وهذه هى النقطة الاولى فى العيوب .

فالاحداث التى حدثت فى مايو ويونيو ٦٧ سببها الاول أن الدراسات التى عن حالة العدو لم تكن كافية .

لكن الكوارث التى حدثت — فى نظرى أنا جاءت من النقص الكبير فى ميكانيزم اتخاذ القرارات الاساسية ، ومن الاجهزة السياسية التى تعمل مع عبد الناصر ، قبل أن يأخذ القرار . وهذا الامر لم يكن واردا ، أو غير موجود تقريبا ، وهذا الاسلوب تابع لفكرة الحاكم القوى ، فما دام أخذ كل السلطة فمن الصعب جدا أن نقول له : اعمل هذا طالما انه هو صاحب الكلمة . الخطأ الاول عند قيام الثورة جاء من قبول الناس فكرة تفويض مطلق لمجلس الثورة للحكم .

لكن المسألة استمرت فى هذا الطريق بسبب الانتصارات التى حققها عبد الناصر لا بسبب — كما يقول بعض الناس — انه كان يعمل غسيل مخ للناس لان أجهزة الاعلام ما كانت تقدر تعمل غسيل مخ للشعب المصرى بدون الانجازات ، وبدون الانتصارات . يعنى هذا كان عاملا من العوامل التى جعلت ان الناس يؤمنون أن هذا الرجل بطل .

النقطة الثانية .. موضوع الديموقراطية ورفض **عبد الناصر** المطلق ان يأخذ قرارا تحت أية ضغوط . الديموقراطية معناها قبول مشاركة الناس معه على جميع المستويات يعنى كان ممكن يعمل حزب طليعى . وممكن الديموقراطية ان تكون حزبا طليعيا حقيقيا ، أو منابر ، أو أحزاب تقدمية ؛ فى نطاق التحالف . ومن الممكن الربط بين هذه الامور . لكنه كان يرفض الضغط ، حتى من « الحزب الطليعى الذى انشاه لم يكن أحد منا يطمع أن توجد الديموقراطية فى عهد **جمال عبد الناصر** بمعنى الديموقراطية الليبرالية انما الديموقراطية المطلوبة كانت من أجل الاهداف التى وضعها هو وهى : مقاومة التحدى الخارجى والتغيير الداخلى . حتى هذه الامور لم يكن مستعدا لها لان تجربته الشخصية كانت انه لا يحب أن يلتزم مسبقا الا بافكار تجربته ، انها تخليه يصل الى هذه الاشياء بنجاح .

حتى حصلت كارثة ٦٧ وتفجرت العيوب الموجودة . وللاسف الشديد ان كل الهجوم عليه تركز على أنه انهزم لانه اشتراكى . وليس هذا هو السبب .

احنا والحقيقة كنا نؤيده بهدف أن الجانب الايجابى للتجربة يستمر ، ونحاول أن نقلل الجانب السلبى . لكن واضح ان القضية كانت صعبة ، ولذلك يجب أن يكون هدف أساسى من أهداف المناقشة : هو كيف تصبح الحركة الوطنية التقدمية استمرارا لايجابيات المرحلة السابقة وانها تبتعد عن السلبيات . وطبعا كما قال **عبد العظيم انيس** لن نقدر أن نقيم هذا ، فكيف نضع تصورا للمستقبل . لان هناك — فى الحقيقة — عدم وضوح . اذا كان هناك تصور للمستقبل فلابد أن تكون هناك ايديولوجية .

وعبد الناصر لم يكن يحب الالتزام البعيد المدى فى هذه الامور وكان هذا منبع الاخطاء التى وقعت

الامور وكان هذا منبع الاخطاء التى وقعت . واثبت تطور الحوادث أن عدم رغبته فى الالتزام البعيد المدى كان ضارا بالاشتراكية ، وذلك طالما انه لم يضع تصورا للشكل النهائى للمجتمع الذى يريده .

لكن هذا الدرس لا يلغى انه وضع نقطة اساسية جدا — فى رأيى — وهى حتمية الحل الاشتراكى للبلاد النامية . فأوضح أن البلاد النامية — اذا ارادت أن تتطور وتنمو — تقع فى التبعية اذا اتبعت الطريق الرأسمالى . اما اذا اتبعت الطريق اللارأسمالى اى الاشتراكى ، فهذا هو طريق الدفاع عن الاستقلال الوطنى . فمن هنا ومن منطلق وطنى — وهذه حقيقة — تكون التجربة الناصرية هى مرحلة تاريخية ، تقيم على أساس هذا الامر .. دفاع عن الاستقلال الوطنى والتغيير الاجتماعى ضرورى ان يلازم هذا الدفاع ويتعين هنا — اذن — أن تناقش التجربة. فما دام عبد الناصر وضع مثل هذه الاهداف فلا يبقى الا ان تدرس الوسائل لتحقيقها ، وهنا يمكن ان ندرس عيوب التجربة فنقول هى كذا وكذا وكذا وبالتبعية لا يمكن أن يكون كل ما تم فى العهد الماضى سلبيا لا ! هوايجابى لانه اقترابمن أهداف كبيرة .. ولما نتصور أن المجتمع الذى نريده سنجد أن المرحلة السابقة كانت اقترابا كبيرا من هذه الإهداف لكن عطلتها السلبيات المشار اليها . منها مثلا أنه كان يضرب القوى التى تنادى بالاشتراكية وتعادى الامبريالية وتتفق مع هذه الاهداف وابعادها عن السلطة ، ووضعها فى السجون . لكننا ندافع عنه الان لان هذه الاهداف هى اهدافنا ، بصرف النظر عمن يعملها .

■ **توفيق الحكيم :**

يعنى نحن متفقون على لب القضية . وهى أن الاساس الشكلى للثورة لم يكن من الممكن أن يؤدى فى آخر الامر الا الى سيادة السلبيات .

■ **خالد محيى الدين :**

عندما نصل الى التقييم فسنجد ايضا ان فى تفكير الرئيس عبد الناصر — كما هو وارد فى الميثاق — أخطاء هى أيضا أدت الى ثغرات فى التغيير الاجتماعى .

■ **توفيق الحكيم :**

انا تنبهت الى هذا فى الاخر . وانا كنت متحمسا للثورة بانجازاتها ، وأن عبد الناصر هو الرجل الذى انتظرته من ثلاثين سنة . ولم اكن اعرف أن كل هذا يؤدى الى حدوث اثره لكن الشكل السيىء لم يكن قد ظهر اثره فى ذلك الوقت ، فضلا عن أنى كنت غير راض عن نظام الاحزاب . ولذلك تلاقيت مع الثورة .

لكن بعد ذلك اذكر — انه بعد صدور الميثاق — تحدثت الى بعض الاصدقاء لينقلوا كلامى الى **عبد الناصر** وقلت له : اننى الاحظ الان الرجل الذى يبيع بطيخا فى الشارع يمكن عندما تطلع بطيخة « قرعة » يمكن يشتم عبد الناصر . معنى كلامى ان عبد الناصر أصبح يتحمل مسئوليات لا يستطيع ان يتحملها لانه يحكم حكما مباشرا . وقلت لصديق من هؤلاء الاصدقاء لماذا لا تبلغه أن ينظم ضغط الجماهير فيعمل حزبين . والشعب عندما يغضب يصب غضبه على الحزب الموجود فى الحكم ، ويأتى بالحزب الثانى . فمن واقع الميثاق ، الميثاق يحتمل حزبا معتدلا وحزبا متطرفا . وقد قيل لى ان كلامى هذا نقل الى **عبد الناصر** فقال لكن اخشى أن تحدث صراعات فى البلد ويعطلوا البلد وتصبح مشاغل كل حزب أن يحطم الحزب الاخر . وزمان كان التطاحن فى البلد بهذا الشكل .

■ **لطفى الخولى :**

بعض الاضواء قد القيت من الاستاذ **خالد محيى الدين** والاستاذ **توفيق الحكيم** . اصبح عندنا نوع من « الفرشة » والارضية التى ممكن أن نتخيل من خلالها اطارا نلتزم به ، بجدول اعمال لهذه المناقشة التى واضح انها تمتد جلسات وجلسات . واعتقد انه من الممكن ان د . **عبد العظيم أنيس** وكان يهمه هذا الامر ، فاذا كان عنده مشروع او اقتراح — فى هذا الامر — يكون ترجمة ما ناقشناه ، وما عرض علينا والوثائق ، الى جدول أعمال لهذ المناقشة

■ **توفيق الحكيم :**

فلنبحث تقسيم الموضوعات على فترات حتى لا تختلط الامور .. كلامنا اليوم – فى الواقع – يصب فى رقم ٣ الذى هو التجربة الناصرية ولان هذه نشرت فى **عودة الوعى** فانا اقول افتحوا الملفات . فالقلق يجىء من حاجتين :

أولا : الاطار الذى يوضع . لذلك فاننى لا اتكلم الان عما تريده الدولة : اى عن تغيير فى النظام الموجود وفى الاتحاد الاشتراكى كشكل . أنا اتكلم اليوم عن رؤية واضحة لشكل اليسار للمستقبل ولو بعد خمس سنوات . اليسار اليوم هل هو عارف ما هو الشكل الامثل لوضعه فى المستقبل حتى لا نفاجأ يوم بيأس الناس ويتأكدون أن الاتحاد الاشتراكى ليس له فاعلية ، فلما يأتى الوقت الذى تطرح فيه المسئوليات . فماذا نفعل يعنى المسألة شكل الحكم ، وشكل اليسار ما هو . اما اليمين « فسيبك منه » لماذا « لانه طول عمره مستفيد من واقع انه وراه تقاليد هائلة ووراه التجارة بالدين ووراه اخلاقيات مجتمع قديم من الصعب أن تطالبه بأن يغير نفسه . ولذلك انا اليوم اتكلم فى وسط اليسار لان اليمين لا يريد التغيير .. فاليسار هو الذى يقوم بالتغيير . فالسؤال : اليسار هذا هل سيكون فى اطار أو لن يكون هناك اطار ؟

■ **لطفى الخولى :**

هذا سيبحث ، ونحن ملتزمون بهذا ..

■ **توفيق الحكيم :**

لذلك اضيف ان الكلام الذى قلناه اليوم ، هذا يدخل فى الباب الكبير جدا الذى هو الثورة من حيث السياسة ومن حيث وضعها للعرب والعروبة والانتاج الداخلى والاصلاح الزراعى كيف نفذ ، وما الذى حدث فى الريف كل هذا لان اليسار عليه أن يبلور الثورة لانها ستكون المنطلق . لابد أن يعرف اليسار التحول الاشتراكى ماهى سلبياته ، حتى لو كانت ٢٠ فى المائة ، لابد أن يأخذها ويبنى عليها .

■ **لطفى الخولى :**

متفقين المطروح فى النقاش الان هو وضع الاطار العام للمناقشة بما فيه القضية الاساسية .. أين يقف اليسار من الواقع ومن المستقبل فى ضوء تجربة العشرين سنة الماضية وهذا متفق عليه .

■ **توفيق الحكيم :**

طبعا بالنظر الى ظروف المعركة لا نريد أن نعمل اى تخطيطات فى الحاضر لان السلطة تعمل وهى ماشية فى سكتها وتستعد للحرب . ونحن لا نريد ان نلخبط لها نظامها . ولكن حتى لا يفاجىء اليسار غدا بأنه مشتت وانه قاعد كده فى شكل هلامى . فلابد – قبل أن يضع المجتمع الاساس بنفسه بعد الحروب – نقول لا ! هذا هو اليسار قد أصبح واضحا منذ الان ، واننا من خمس سنوات أجتمعنا فى هذه الغرفة وأنا من الجائز الا أكون موجودا بحكم سنى المتقدمة لانه من سنة لسنة عزرائيل واقف لى ولكن يبقى اليسار فاما أن يظل مطاردا أو ينقسم على نفسه . أقول لابد من الان ، لان مسألة عدم الشكل هذه « تعبانى قوى » قوى ». وهذه [مسألة عدم الشكل] مسألة لم تكن متوقعة من ثورة ايجابية عملت انجازات لعدم وضوح شكل سياسى يسمح للشعب ان يشارك ، ويسمح لليسار ان يوجد ، ويسمح للمعارضة أن توجد .

■ **لطفى الخولى :**

المطروح الان للنقاش هو التصور .. كيف تجرى المناقشة من خلال ترجمة كل هذا الكلام الى جدول أعمال يتخيل لى أن الدكتور عبد العظيم عنده كلام .

■ **عبد العظيم أنيس :**

انا اقتراحى ، استكمالا للمناقشة . التى بدأتها أو للتساؤل الذى بدأته ، هو مجرد اقتراح لاطار المناقشة . فان وافقتم عليه ، ممكن نستمر فيه . وهذا الاقتراح قد يبدو غير منطقى فى مناقشات عادية . لكن أعتقد انه سيكون منطقيا ، ومفيدا فى هذه المناقشة بالذات . لان مثل هذه المناقشة الهامة جدا ، والضرورية جدا ، والتى تسجل للتاريخ ، أعتقد ان هناك خوف لازم نحرص أن نحاربه بكل طريقة ، وأنها تتبلور الى مناقشة تفصيلات وجزئيات . وبالتالى القضايا

الاساسية والجذور التى دائما يتكلم عنها الاستاذ **توفيق الحكيم** تضيع فى هذا الموضوع . وعلى هذا الاساس أقترح أن تبدأ المناقشة .

أولا : حول صورة المستقبل . ما هى الملامح الاساسية التى يتصورها الجالسون هنا للمستقبل وذلك فيما يتعلق بمصر . ومرتبط بهذا طبعا موضوع اليسار . وهنا عندى ثلاث محاور فى النقطة الاولى . اعتقد أنها محاور جديرة بالمناقشة .

أ ـ **مستقبل مصر** .. فمن ناحية هناك النظرة الليبرالية العادية ، ومن خلالها نتصور مستقبل مصر ، مجتمعا فيه أحزاب ، فيه نظام ليبرالى بكل ما يعرفه النظام الليبرالى فى بلد مثل بريطانيا أو الهند أو فرنسا .. الخ ونظام رأسمالى فى طابعه العام . وفى مقابل هذا التصور ، هناك النظرة الاشتراكية التى تقوم على أساس حتمية الحل الاشتراكى . وان بلدا مثل مصر ، بلد فقير ونام ، وانه لا مفر من هذا البعد بالنسبة للموضوع .

يرتبط بهذا ، كل مشكلة التنمية الاقتصادية والاجتماعية كبعد . ثم قضية الديموقراطية وشكل الديموقراطية وتصورها وكل ما يرتبط بذلك .

ب ـ **البعد الثانى** ، اعتقد انه متعلق بالبعد العربى ويرتبط بهذا قضية النضال ضد الاستعمار والصهيونية . وقضية شكل المستقبل فيما يتعلق بعلاقات مصر بالعالم العربى : صورتها سواء علاقة دستورية ، اتحادية ، وحدوية ، تضامنية فقط الخ .

ج ـ **البعد الثالث** ، اعتقد هو البعد الدولى الذى أشار اليه الاستاذ **توفيق الحكيم** فى كتاباته فيما يتعلق بمشكلة تصورنا لعلاقة مصر بالعالم كله : الولايات المتحدة ، الاتحاد السوفيتى ، الدول النامية ، المجتمع الاشتراكى .... الخ .

دول ثلاث أبعاد فقط عريضة بأحطها للمناقشة . ويرتبط بهذا موضوع دور اليسار المصرى فى تشكيل هذا المستقبل الذى نتكلم عن ملامحه . اذا تبادلنا الرأى فى هذا التصور ، وضمنا ان فيه حدا ادنى من الاتفاق ، وحددنا نقط الخلاف فى هذا الموضوع كله ، فيمكن من المفيد قوى أن نتكلم بعد كده فى ثانيا .

ثانيا : تقييم الوضع الحالى لمسار الثورة لان هذه النقطة ، نقطه هامة جدا لابراز أهميتها وليس لمجرد أننى أتناقش فيها الان .

أستاذنا **توفيق الحكيم** أشار الى قضية الشكل . الشكل السيسى الذى اعتقد انه كان بلا أهمية فى الماضى ، واكتشف ، فيما بعد ، انه ذو اهمية قصوى ، وان اهمال هذا الشكل ادى الى فكرة الزعيم المعبود . وما ترتب على فكره الزعيم المعبود . من استئثار بالسلطة والدكتاتورية ، واتخاذ قرارات بدون مشورة ، الخ . مما أدى الى الكوارث التى احنا رأيناها . أنا قد اختلف مع الاستاذ **توفيق الحكيم** فى هذه النقطة لا لانى اهمل قضية الشكل تماما ، انما يمكن انا ارى جذور الموضوع هو فعلا قضية قصور فكرى فى القيادة السياسية **لعبد الناصر** والقيادة السياسية للثورة فى فترة الستينات . بمعنى آخر اعتقد وهذا ما سافصله فيما بعد انه بانتهاء الخطة الخمسية الاولى فى أول الستينات ، وانتهاء بقرارات ٦٣ أقول فى رأيى الثورة لم تعد ـ حقيقة ـ قادرة على أن تعطى فى اتجاه الفكر الاشتراكى أكثر مما اعطت وان احد الازمات الاساسية التى ابتدت تتعلق بالنظام فعلا برزت فى سنة ٦٤ ، ٦٥ أى قبل ٦٧ بسنتين . وان المشكلة هى أزمة فكرية كبيرة . وأنها كانت عاجزة عن أن تمضى فى طريق الثورة اكثر من هذا يعنى فى قضية الناحية الداخلية . هذا رأى جائز يثبت ان هذا الرأى صحيح وجائز يثبت أنه غلط . انما أنا أعتقد أن هذه قضية قصور الثورة فكريا ، وتخلفها فى هذه الحدود التى وصلت اليها ولم تكن قادرة على ان تمضى الى أبعد من هذا . وعلى هذا الاساس بدأت الانتكاسات تأخذ وضعها الطبيعى فى هذا الموضوع ممهدة لما قبل ٦٧ وانتهت بكارثة ٦٧ .

هذه نقطة مهمة نناقشها . قضية الشكل والمضمون فى داخل حدود تقييم الوضع الحالى .

■ **توفيق الحكيم** :

مسألة ان قصور التفكير الثورى عن انه يعطى الاشتراكية أكثر .. هل السبب فيه هو اضعاف اليسار فى ذلك الوقت ؟ أنا أعتقد ان الاشتراكية بنت اليسار ، وليس اليسار ابن الاشتراكية . لانه كيف يتم التغيير . الاجابة أولا يتم لمصلحة الناس . ولكى يتمكن اليسار من التغيير فلا بد أن يكون قويا وبتغييراته تولد الاتجاهات الجديدة . ومنها الاشتراكية .

■ عبد العظيم أنيس :

لا اريد أن أقول ان قضية الشكل غير ذات اهمية ، انما ينبغى أن توضع فى مكانها الصحيح . فى الاجابة على سؤال الاستاذ توفيق ، اعتقد ان هناك اسبابا موضوعية وأسبابا ذاتية ، يعنى فيه أسباب سندخل فى تفاصيلها . ومما لا شك فيه أن من بين الاسباب الذاتية ضعف اليسار ، وهذا سيكون واردا فى رأيى انا الشخصى ، وانا اعبر عن رأيى الشخصى فى هذا الموضوع .

فاذا دخلنا الى ثانيا ، فهناك نقط أساسية ينبغى أن تقال فى هذا الموضوع . هل الثورة تشهد تقدما الان فى السنوات الاخيرة ، بعد وفاة عبد الناصر أو تراجعا ، من ناحية الاهداف الاقتصادية ، والاهداف الاجتماعية . من ناحية الالتزامات التى التزمت بها الثورة فى مواثيقها . ميثاق العمل الوطنى ، برنامج العمل الوطنى ، الخ . كل هذه الامور عايزة تناقش بالضبط ليضع الواحد يده على هذا الموضوع . وفى هذه المناقشة للوضع الحالى فى مسار الثورة سيأتى موضوع البعد الداخلى والشعبى ، والقضية السياسية والقضية الاقتصادية ، قضية التنمية ، والبعد الدولى ، والبعد العربى .

ثالثا : تقييم ثورة ٢٣ يوليو ، وأنا أعتقد أن هذا سوف يأخذمكانهبعد ذلك. لان من المنطق ان تطرح قضايا ستظهر حولها خلافات بين المجتمعين . تأصيل هذه الخلافات سيعود الى الماضى . وسيكون من المنطق انه سيؤصل فى حدود ثورة ٢٣ يوليو . وقد يؤصل الى ما قبل ثورة ٢٣ يوليو أيضا .

فى هذه الحالة المناقشة يمكن ــ فى هذا الاتجاه ــ ستكون مفيدة وبناءة ، لانه اذا كان هدف المناقشة اننا نخرج بنتائج ذات قيمة عملية ولا تكون سفسطة مثقفين لمجرد السفسطة فلابد أن يكون فيه تقييم للماضى . أنا لست اطرح فكرة تقييم عبد الناصر حتى ولا تقييم اليسار ، فليست هذه هى القضايا الاساسية ، وان كانت سترد فى داخل النقاش والاطار . وانما هذا تقييم ثورة ٢٣ يوليو بالضبط : حقيقتها ما هى ؟ والعناصر الاساسية لمكوناتها اذا كان رأيكم اننا نناقش أولا وثانيا وثالثا بهذا الترتيب فأعتقد انه سيكون مفيدا إذا كان لكم رأى آخر .

■ لطفى الخولى :

طرح د . عبد العظيم أنيس معروض للمناقشة .

■ محمد سيد أحمد :

انا عايز أطرح بعدا آخر . . كان محور من المحاور يسار ويمين . كان محور ثانى شكل وموضوع . أريد أن أقول ان هناك محورا ثالثا موجودا فى كل هذا الكلام : سأسميه تحت وفوق . هذا مهم جدا . يعنى مثلا لو نأخذ الشكل فى **القسم الاول الشكل** : النظام الذى كان مرتبطا بالشكل هو نظام فوقى ، ولا يتسرب الى أعماق معينة تحت . لما جئنا نتكلم عن المضمون فى النظام ، قلنا أيضا هذا نظام فوقى ، ونظام فوقى لضرب نظام فوقى بدون استعانة بالتحتى . **ولما عبد العظيم أنيس** كان بيقول من لحظة ان الثورة استهلكت امكانياتها بعد ٦٥ لان ازمة « التحت » طرحت ، كان استثمار الامكانيات من تأميم المصالح الاستعمارية وتأميم بعض المصالح الفوقية انتهت فى الخطة الخماسية الاولى . وبعد ذلك كان مطلوب تراكم رأسمالى آخر لا يأتى الا من « تحت » والثورة لا تريد انها تقدم على « تحت » فلم تحدث الخطوة الثالثة وتعثرت فى الازمة دى النقطة الثانية .

النقطة الثالثة : لما احنا نتكلم عن ربط الشكل والموضوع هو فى نهاية الامر مطروح كقضية لم يعد من الممكن ارجاؤها ، لان « التحت » يبرز فى الصورة . خصوصا ونحن داخلون على مرحلة ثالثة : ما قبل ٥٢ ، ومن ٥٢ لغاية اليوم . وأنا أقول ان معركة أكتوبر ٧٣ كانت نقطة تحول . هنا نرتبط بقضية ثانية .

نحن تكلمنا عن مصر الناصرية ، أو مصر العربية ، انا أحب اتكلم عن مصر ازاء اسرائيل . وهذه قضية لا تقل أهمية عن هذه المشكلة . أنا أقول ان المرحلة القادمة هى مرحلة مصر والعربية معا ازاء اسرائيل وهى مرحلة تختلف عن طبيعة المرحلة السابقة . وفى تعبير موجز ، وتعبير رمزى اضع المسألة بالشكل التالى ، وأرجع « لفوق وتحت » .

لقد دخلنا ٣ حروب مع اسرائيل ، ٤٨ ــ وهى أنشأت بالمناسبة ٥٢ ــ لان بفضل ٤٨ حصل ما حصل فى ٥٢ . وبسبب اننا كنا عاجزين نواجه اسرائيل فقد استرددنا كرامتنا بتصليح أمورنا فى الداخل . الثورة المصرية الى ــ حد ما ــ لها بعدازاء اسرائيل . الكرامة المصرية التى يمكن استردادها عن طريق رد الهزيمة ازاء اسرائيل استردت بتعديل داخلى . لكن حرب ٥٦ لم تعالج هذا الموضوع لان الانتصار كان سياسيا . الدم أهدر سنة ٤٨

والدم أهدر ٥٦ ، ولكن الدم لاول مرة لم يهدر فى ٧٣ . طبعا هذه قضية نقاشية الى أى حد هو اهدر او لم يهدر .

ما أريد ان اقوله ان الصورة التى عندنا ان هذا لم يهدر ، وهذا مهم جدا . ان دخول عنصر الدم معناه دخول عنصر من تحت .. الشعب وهذا لا يقبل الردة . فى اول مرة هذا عنصر داخل من تحت فارضا نفسه فرضا . وهذا سيرسم المستقبل . انا آخذ هذا الجانب الرمزى . لكن هذا التعبير الرمزى بالغ الاهمية بالنسبة لكل صورة المستقبل واقول أن المستقبل حيكون لاوة مرة المرحلة التحتية وليس مرحلة فوقية . ولما نتكلم عن مرحلة تحتيه نتكلم عن اليسار بأجلى معانيه . لانه حتى تاريخنا اليسارى ، فى مصر ، اليسار فوقى ايضا . كان يسار له دور الاشعاع الفكرى اكثر من دور التحت الطبقى . لم يكن اليسار يمارس عن طريق التحريك فى الشارع وفى الريف . ولكن آخر مرة دخل الريف كان سنه ١٩ . الريف اختفى بعد ١٩ والريف تجمد عند الاصلاح الزراعى سنة ٥٢ . الريف لم يدخل الصورة . اليوم هناك بعد جديد .

■ **لطفى الخولى :**

هل عندك اضافة للنقاط الاساسية . انت تكلمت عن انه لابد فى المناقشة أن نراعى البعد [مصر ـ اسرائيل] طيب هل هناك حاجة ثانية غير الطرح .

■ **خالد محيى الدين :**

كلام **عبد العظيم أنيس** أنا موافق عليه . لكن موضوع المستقبل لابد ان يترتب ترتيبا منهجيا ـ بالاولوية ـ لان الرأى بالكلام الذى قاله **محمد سيد أحمد** هو داخل فى البعد العربى ، أو فيما يسمى بالاستراتيجيه العربية أو الداخلية . ولذلك ، اذا كنا سنرتب قضية موقف مصر من الانتماء العربى والدولى . فهذا حسب تحديد موقفك الداخلى . ولذلك انا لما سألته هل هذا هو الترتيب . قال لا : هذه هى الموضوعات . وكل الموضوعات التى ذكرها فعلا هى دى الموضوعات . يبقى النقطة الثانية اذا قبلنا المبادىء الثلاثة تناقش الاولويات . هو السؤال : هل نبدأبمناقشة المستقبل ونيجى للحاضر ، فالماضى والا واحنا بنناقش المستقبل حتميا سنناقش الحاضر والماضى .

■ **د. عبد العظيم أنيس :**

لا مفر من هذا

■ **خالد محيى الدين :**

اذا كان الامر كذلك أوافق

■ **لطفى الخولى :**

لكن بدون تركيز .

■ **خالد محيى الدين :**

أنا موافق على ترتيب أولوية المستقبل . نعيد كتابتها .

■ **د . مراد وهبة :**

أنا أختلف قليلا مع **د . عبد العظيم** بحكم التزامى بوجود استاذنا **توفيق الحكيم** . فى تقديرى أن نبدأ بالفعل بصورة المستقبل ، لكنى مستقطب فى الاطار الذى يطرحه فيه الاستاذ **توفيق الحكيم** اذ أن المستقبل عنده هو تصور للاشتراكية الحقيقيه فأنا أقول ـ مبدئيا ـ أن نستقطب فى صوره المستقبل ـ وهو الاشتراكية الحقيقية ـ دون طرح اشتراكية أم ليبرالية . وذلك بحكم أن الجالسين كلهم يسار . واذا اتفقنا على هذا الاستقطاب لصورة المستقبل ـ طبقا لما قاله الاستاذ **توفيق الحكيم** أنه الاشتراكية الحقيقية ،فسنعود الى الوراء ،الى الماضى ، ونقفز على الحاضر ، ونتجه الى الماضى وهو ما أشار اليه د . عبد العظيم خاصا بثورة ٢٣ وهو ما عبرنا عنه بفتح الملف وفى تقديرى فتح الملف يدور حول ثلاثة محاور :

١ ـ العلاقة الجدلية بين الذاتى والموضوعى أى تحديد مسئوليه **عبد الناصر** ، وتحديد القوى الجماهيرية ، وأصحاب المصلحة ، من ناحية مسئوليتهم تجاه تعاظم العامل الذاتى المتمركز فى شخصيه **عبد الناصر** .

٢ ـ المحور الثانى هو : العلاقة بين البناء الفوقى والبناء التحتى ، لانه واضح من الفرشة التى طرحت ان انجازات **عبد الناصر** كانت توحى بعدم الاهتمام بتغيير البناء الفوقى المتمركز فيما يتصل بالقيم والتقاليد والعادات ، أى كل هذه الامور التى الح عليها استاذنا **توفيق الحكيم بقوله** : انجازات يسارية مادية ولكن تقاليد وتراث يمينى لم يحدث تغيير . وهى فى تقديرى قضية فى حاجة الى نقاش .

٣ ـ المحور الثالث : هو العلاقه بين العام والخاص . وأنا لاحظت بأن الاستاذ **توفيق الحكيم** مهتم جدا بالتطبيق . أما مسألة الاشتراكية بمبادىء عامة متبلورة فى

أيديولوجية معينة يبدو لى أن هنا تخوف من جهة أستاذنا من أنه قد تتحول الدعوة الايديولوجية الى مجرد شعارات كلامية . الى أى حد يمكن مستقبلا تحاشى تحول الايديولوجية الى شعارات كلامية .حين نناقش هذه المحاور الثلاث ، ففى تقديرى أن هذا بالضرورة سيعدل من صورة المستقبل فيمكن أن ندخل فيها ما يريده **د . عبد العظيم** ، ثم بعد تعديل صورة المستقبل نعود الى صورة الحاضر حتى يمكن أن نعرف جيدا كيف يمكن تحريكه لان هذه هى القضية التى يحب أن ينتهى منها الاستاذ **توفيق الحكيم** . انه كيف نحرك الحاضر الى المستقبل ؟ اننى لا أستطيع الا من خلال رؤيا مستقبليه داخلة فى علاقة جدلية مع ماضى متمثل فى فترة **عبد الناصر** تحدث انعكاساتها منجديد علىالصورة المستقبلية. هنا يستكمل الاطار الذى فيه يمكن أن نتفق على كيفية تحريك الحاضر تجاه المستقبل .»

■ **لطفى الخولى :**

طيب تحديدا نريد نقاطا محددة .»

■ **د . مراد وهبة :**

أولا : صورة المستقبل هى الاشتراكية الحقيقية كما حددها **الاستاذ توفيق الحكيم** وننتهى منها لا ندخل فى تفصيلات خاصة بـ ليبرالية أم اشتراكيه . لان مثل هذه القضية فى جلستنا هذه تعتبر وهمية ، لان الحاضرين - كما قلت - يسار . فيبقى حوار من جانب واحد الا اذا كنتم ترغبون فى دعوة الليبراليين لكى يمكن أن نقتنع بوجهة نظرهم ! .

- البعد العربى والبعد الدولى ...

■ **توفيق الحكيم :**

اذن لابد سنبدعى الليبراليين فى جلسة من الجلسات واللا ايه ؟

■ **لطفى الخولى :**

د . عبد العظيم لما طرح هذا بيطرح انه على اليسار أن ياخذ موقفا . هذا الموقف ضرورى لتحديده فى مقابل موقف آخر . وبالتالى ، لابد أن يقدم الحجج التى نختار على أساسها الطريق الاشتراكى وذلك لفشل الطريق الليبرالى أو الطريق الرأسمالى فى التنميه . هذا واضح . طبيعى أن الاشتراكية تكون مطروحة فى واقع محدد وفى **ظروف محددة** وطاقات قوى وطنيه محددة .

لكنى أرى - من كلام د . مراد وهبه - واساس : هل هو معترض على السياق الرئيسى الذى اقترحه **عبد العظيم** . عبد العظيم مقترح أننعمل عكس ماهو تقليدى فىالمناقشات على اساس ان هده المناقشة ايضا غير تقليدية . وان فيه حدا ادنى من معرفه افكار بعضنا البعض . ومن خلال الفرشات التى تمت لسنا فى حاجة الى العودة باستمرار ... الخ .. الا فى مجل مناقشة خدمة الرؤية المستقبلية للحاضر . وعلى هذا الاساس هو يبدأ بالمستقبلية على عكس ما هو قائم فى المناقشات التقليدية . هده نقطه .

■ **توفيق الحكيم :**

هذه النقطة لها فائدة لانـه اذا خططت وصورت للمستقبل ثم تكلمت بعد ذلك فى سياق المستقبل عن الماضى والحاضر ، فستكون بهذا غير قاصد أن تمس أحدا . لان الخوف هو انه عندما تتكلم فى الحاضر والماضى ستلقى من يقول لك هذا نقد للماضى . انما لما تتكلم فى اتجاهات صورة للمستقبل يبقى بقى انت رجل تتكلم عن مصر . اذن يصبح كلامك منزها عن أية أغراض .

■ **لطفى الخولى :**

ده صحيح . بجانب هـذا . بالنسبة للمستقبل ليس المطلوب تحديده الى الابد .» وبالتالى ، ما هى المرحلة التى نرى فيها هذا المستقبل. المرحلة التاريخية التىنرىفيها هذا المستقبل .

النقطة الثانية : ان ما أثرته أنت [مراد وهبة] بين الذات والموضوع هو ما آثاره الاستاذ **توفيق الحكيم** حول الشكل والمضمون وما أثاره **محمد سيد أحمد** بين الابنية التحتية والابنية الفوقية فانهذا سيرد - كمنهج - خلال المناقشة ، لكن اى واحد ممكن يستخدم أى منهج يراه لكنها لن توضع كنقطة للمناقشة

■ **د . لطيفة الزيات :**

بالنسبة لجدول الاعمال الذى يقترحه د . عبد العظيم انيس ، أرى أن ثانيا وثالثا يدمجوا فى بعضهم وان مسار الثورة واختلاله .. من

سنة ٦٥ مرتبط ارتباطا كليا بالحاضر . بعد هذا ارى أن هذا المنهج واسع جدا ، بحيث انه غير ممكن أن يؤدى الى نتائج ملموسة فلو عملنا تصالح بين اقتراح د . **عبد العظيم انيس** ومحمد **سيد احمد** ، يعنى لاختلال الثورة من بعد ٦٥ : اختلال مرتبط اساسا بالصراع المصرى الاسرائيلى ، واختلال مرتبط اساسا بالوضع الدولى المتبنى عن نتيجة هذا الصراع ، واختلال مرتبط اساسا بفوقية الاشياء وانعزال الشعب عن هذه الاشياء . ولا يمكن تصور أى صورة للمستقبل الا فى نطاق تجاوز الصراع المصرى الاسرائيلى الذى هو نقطة الانطلاق . يعنى الصراع المصرى ـ الاسرائيلى .

■ **لطفى الخولى :**

دكتورة . نقطة نظام لو سمحت انت بدات تدخلين فى النقاش أولا ما طرحه **محمد سيد احمد** مقولة وما تطرحين أنت مقولة .

■ **د . لطيفة الزيات :**

لا انا اريد ان أوفق بين المنهجين

■ **لطفى الخولى :**

لا . لماذا المصالحة بين المنهجين .

■ **د . لطيفة الزيات :**

هل أنت يمكن تتصور صورة للمستقبل وانا قاعدة فى انفصال عن الحاضر .

■ **لطفى الخولى :**

بس مين قال ان هذا سيحدث

■ **توفيق الحكيم :**

..... : انا رأيى فى موضوع المستقبل لابد تصوره بالنسبة لاستراتيجية مصر العربيـة والدولية يحدث فيه اساسا صراع مصر مع اسرائيل هذا جزء رئيسى

■ **لطيفة الزيات :**

هذه ستكون الاساس ؟ حتى نلم الموضوع .

■ **لطفى الخولى :**

يا دكتوره لطيفة .. فيه أيضا وجهة نظر حتى من ضمن اليسار أن فيه تخطيط من الاستعمار لتغيير قضية الصراع العربى الاسرائيلى عملية ابتزاز كاملة وابتزاز للقوى المصرية و .. و .. الخ . **محمد سيد أحمد** نفسه قال : انه لما بدأنا حسب تصوره فى اصلاحات الوضع الداخلى امكننا احراز بعض الانتصار فى ٧٣ . وبالتالى القضية المحورية ليست الصراع العربى الاسرائيلى . هذه نتيجة . لكن القضية الاساسية الى أين تتجه مصر . فهذه ـ أيضا ـ قضية رئيسية . وبالتالى ، المقولات تحتاج الى مناقشة . فلا نصادر هذه المناقشات . بالعكس هذه حتغنى الموقف .

ومع ذلك فيمكنك أما أن تضعى قضية الصراع العربى الاسرائيلى . النقطة الرئيسية قدامك ثم تبنين عليها كل حاجة . واما ان تضعى قضية التخيل لمصر المستقبل والسياسة الاستراتيجية المصريسة للمستقبل .

■ **د . لطيفة الزيات :**

خلال كم سنة ؟

■ **محمد سيد أحمد :**

فليكن عشرين سنة مثلا .

■ **لطفى الخولى :**

لابد من تحديد .

■ **خالد محيى الدين :**

انت تضعين فى ذهنك وانت تبنين سياسة عربيةوسياسة دولية وتنمية . انهذا الصراع حتمى ، ولو تم اتفاق ، ففى تقديرى ان هذا الصراع لن ينتهى .

■ **محمد سيد أحمد :**

حتى هذا الاتفاق شكل من أشكال الصراع .

■ **لطفى الخولى :**

هل هناك من الاخوان من له رأى آخر فى إطار المناقشة وفى جدول الاعمال .

■ **محمد سليمة :**

احنا قدرنا فعلا نسمع الفرشة لان دى ناحية مهمة جدا وانا اعتبر أن الطليعة ملتزمة وملزمة انها تنشر هذه الفرشة .

■ **لطفى الخولى :**

سننشره بالنص .

■ **محمد سليمة :**

بالنص لانها مهمة جدا بالنسبة لمجموعات الشباب حتى لا تضلل واحنا عارفين أساليبهم . يكفى انهم استغلوا **عوده الوعى** الاستغلال السىء وضربوا بها الاستاذ **توفيق الحكيم** فعلا يعنى ومن هنا فان هذه الفرشة ستعيد للرجل ما كان من **توفيق الحكيم** وما يجب أن يكون .

■ **لطفى الخولى :**

فقط أحب ان أضيف الى جدول الاعمال نقطة رابعة وهو ان كل هذا يعطى تشخيصا للموقف ، سواء برؤيته المستقبلية أو برؤيته الحاضرة . أعتقد انه لابد أن نضيف نقطة رابعة أخرى تتحدد فى سؤال واحد : ما العمل ؟ تصورنا للمستقبل .

■ **د . مراد وهبة :**

أنا كنت ارغب فقط أن يؤجل تفصيل الكلام فى المستقبل ــ كما طرحه د . عبد العظيم الى ما بعد طرح فتح الملف لاننى أخشى أن نستطرد فى المستقبل بحيث انه لا يوجد وقت لفتح الملف .

■ **لطفى الخولى :**

لا .. انت عارف انه يبدو انه غير منطقى فى البداية . لكن فى الحقيقة البدء بالمستقبل هنا بالذات منطقى : لان الجميع لهم تجارب ، ولهم رأى ، وقد عانوا التجربة و .. و .. الخ .. وبالتالى ان الاساس الذى ستبدأ منه أرضية نقاش وتحليل لمسار الثورة ولتجربة العشرين سنة الماضية **ولعبد الناصر** ولدوره و ... و ... الخ .. ان يكون فيه منذ البداية بين المتناقشين تحديد واضح لفهمهم للمستقبل ، بنقط اتفاق ونقط اختلاف محددة . فهذا يعينك فى فهم الواقع ، وفى فهم مسار التجربة ، ولهذا أهميته . أهميته انه منذ البداية وانا واضح تماما فيما اتفق معك ، وما اختلف معك حول المستقبل . وهذا بالتالى ينعكس فى منهاجك فى الرؤية والتحليل للحاضر والماضى .

■ **د . فؤاد مرسى :**

يعنى انت لو سمحت لى اعتقد ان الفرشة التى تقدم بها الاستاذ **توفيق الحكيم** فى هذه الجلسة وكما اكتملت كفرشة بالعرض الذى قدمه الاستاذ **خالد محيى الدين** قد تجاوزت أمرين : الامر الاول محاكمة **عودة الوعى** ككتاب وضعه الاستاذ **الحكيم** واستغل واستفيد منه بدرجات متفاوتة . الامر الثانى الذى تم تجاوزه بمناقشة اليوم هو مجرد فتح الملف . يعنى لسنا نحاكم **عبد الناصر** أيضا ولسنا نحاكم التجربة الماضية ، ولسنا نحاكم اليوم بقدر ما نحن مشغولون بالمستقبل .

■ **لطفى الخولى :**

اذا اتفقنا على هذا الاساس فنرجو أن نستأنف جلستنا الثانية يوم الاثنين القادم الساعة الحادية عشرة .

■ **خالد محيى الدين :**

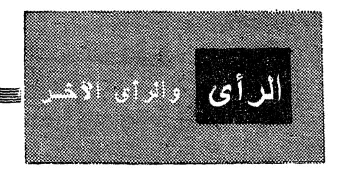
هناك نقطة أريد أن أضيفها على كلام **فؤاد مرسى** الحقيقة ان هذا المنهج يخلينا نتخطى الكلام الذى قاله **توفيق الحكيم** عن : هل الاشتراكيون اتباع مذاهب عامة يفكرون فقطفى التزامهم الخاص دون النظر لوطنهم . هذه المناقشة عليها أن تضع تصورا للمستقبل مصريا عربيا ، وتناقش مشاكلنا ببرنامج يؤكد أن الانسان الاشتراكى قضيته الاساسية هى وطنه ويضع ظروف وطنه قبل كل شىء . وان كان عنده منهج فكرى فهو لخدمة وطنه ببرنامج عملى مراعيا كل الظروف المصرية والعربية .

■ **لطفى الخولى**

اتفقنا . وشكرا .

« **انتهت الجلسة الاولى** »

وتواصل الطليعة نشر الندوة فى العدد القادم



منذ صدور الطليعة — فى يناير سنة ١٩٦٥ — وهى تؤمن بضرورة الحوار بين مختلف المدارس الفكرية والسياسية فى مصر . وتثبت التجربة العملية ، حيوية هذه الحاجة لمجتمعنا .

وتحقيق الهدف من الحوار ، اى بلورة الاتجاهات وتعاملها للتقريب بين المدارس الفكرية والسياسية الوطنية والتقدمية ، يتطلب أول ما يتطلب الموضوعية والجدية ، وذلك ينطبق بالفعل على كثير من الاراء التى ننشرها فى « الرأى .. والرأى الاخر » ، حيث يعرض الاستاذ أحمد حسين وجهة نظره من خلال خطاب مفتوح الى الماركسيين المصريين . وحيث يعرض الدكتور محمود القاضى لقضية الاستجواب البرلمانى وأثره فى تحريك المسئولية الحكومية . ثم فى الحوار الذى اداره الدكتور مراد وهبة مع ثلاثة من كبار رجال الدين فى لبنان والوطن العربى .

على ان البعض الاخر ، من الذين خرجوا على مجتمعنا الراهن من مواقعهم القديمة ، يتصور ان ماضيه يمكن أن يشفع له وجوده الراهن أو فى المستقبل . ولو أن هذا البعض وعى واقع المجتمع المصرى وطموحه ، لادرك ان الاستعانة بماضيه لفرض وجوده ، هو نفسه مصدر رفض المجتمع له . ورغم ان هذا البعض يتحدث عن استحالة « عودة عقارب الساعة الى الوراء » ، وهذا صحيح بكل المعانى ، الا انه يسعى الى العودة بالمجتمع نفسه الى ما قبل ثورة يوليو . لقد دارت حركة الثورة فى مصر منذ يوليو سنة ١٩٥٢ ، ولا سبيل الى الرجوع عنها أو الانتكاس بها . والجهد الذى يطالب به الشعب هو التقدم بالثورة ، لا الانقضاض عليها .. هو تخليص الثورة من سلبياتها ودعم وتطوير ايجابياتها ، لا اتخاذ السلبيات مبررا لهدم الايجابيات

فى هذا الصدد ، يواصل الدكتور أحمد بدران حواره ليرد عليه الاستاذ فيليب جلاب والاستاذ فاروق منصور .

.. وتواصل الطليعة طرح « الرأى .. والرأى الاخر » .. وتعرض فى نهايته لبعض الصفحات القديمة التى يظن البعض انها — كلها أو بعضها — منسية ، ولعلهم يتذكرون .

رسالة الى « الطليعة »

من أحمـــد حســين

بسم الله الرحمن الرحيم

عزيزى الاستاذ لطفى الخولى

أتيح لى أن أطالع العدد الاخير من الطليعة فرضيت كل الرضا عن النهج الذى ترغب فى أن تختطه وهو أن تجعل من الطليعة منبرا حرا تتصاول فيه الاراء ، ورغبة منى فى المساهمة فى هذا الاتجاه أبعث اليك بمقال فيما أحب أن اضعه تحت أنظار اليسار المصرى .

ودمت .

المخلص

أحمد حسين

١٩٧٤/١٢/١٦

« احمد حسين ٦٤ عاما »

● بدأ نضاله ضد الانجليز المحتلين حين اسس حزب مصر الفتاة عام ١٩٣٢ .

● وفى عام ١٩٥٠ تطور الحزب بقيادته الى « حزب مصر الاشتراكى » واعلن برنامجا معاديا للاستعمار والملكية والاقطاع والرأسمالية الكبيرة ، فوقف ضد الاحلاف والقواعد العسكرية . وطالب بتحديد الملكية بـ ٥٠ فدانا وبتأميم رؤوس الأموال الاجنبية ووسائل الانتاج الاساسية ، وبضرورة التوحيد العربى .

● اثناء هذه المرحلة اتفق احمد حسين واختلف مع القوى التقدمية الاخرى خلافات بعضها حاد وعميق ، ولكنه كان دائما من الداعين الى جبهة تجمع كل القوى الداعية للتغيير الجذرى .

● و « الطليعة » اذ تنشر هذه الرسالة التى وجهها احمد حسين ، فانها تحيى اصراره على متابعة النضال الوطنى بالرأى والموقف ، رغم مرض الشلل الذى يعوق حركته . ونحن نختلف مع بعض القضايا التى اثارها ولكن ، لضيق الوقت ولوصول الرسالة متأخرة ، سنؤجل ردنا الى العدد القادم .

عزيزى الاستاذ لطفى الخولى

كم سعدت بمنهج الطليعة الذى أعلنته أخيرا وهو أن تفتح صفحاتها لاى رأى وان خالف وجهة نظرها وها أنا اتشجع لاوجه على صفحاتها رسالة طالما تاقت نفسى لتوجيهها لليسار المصرى ممثلا فى شخص قدماء المحاربين منهم الذين زاملتهم وزاملونى فى السجون والمعتقلات . وليس يعرف [من غير صفوفهم] كم عانوا وكابدوا مثلى ، وان لى من بينهم حتى الان من اعتز باخوته وصداقته . بل وفيهم من يعاوننى على اعداد بعض كتبى ، أما بالنسبة للشباب ، لهذا الجيل الجديد الذى لا أعرفه شخصيا ولا يعرفوننى ، فهم ليسوا الا بعض أبناء مصر الذين اعتبرهم جميعا ابنائى احمل لهم كل حب واعزاز ، مهما تعددت أراؤهم وتباينت فهم جميعا يريدون الخير لمصر وللناس . وهذا هو الرباط الذى يربط كل من ضمته بلادنا .

خط فاصل بين روسيا والمبادىء الماركسية

ويدفعنى حرصى كوالد روحى للشباب أن اعرض على اليسار المصرى بعض اقتراحات [من وجهة نظرى] تزيد فى فاعليتهم وفى قدرتهم على التأثير على سير الحوادث فى مصر .

ولعل أول هذه الاقتراحات على الاطلاق هو عدم الخلط بين الاتحاد السوفيتى كقوة عظمى فى العالم يجب أن نعمل حسابها دائما ، وبين المبادىء الماركسية . ان كثيرين يتصورون أن روسيا كانت صفرا قبل ثورة اكتوبر وأنها أصبحت بعد هذه الثورة مائة ، وليس هذا الا وهم وجهل بتاريخ روسيا ، فان روسيا كانت منذ مطلع القرن التاسع عشر قوة عظمى فحيث

جثت أوروبا كلها تحت أقدام نابليون وحينئذكانت حياته سلسلة انتصارات ، فقد ذاق أول هزيمة له فى روسيا ، بل ان نابليون انتهى تماما بعد حملته فى روسيا . وعندما انعقد مؤتمر فيينا لاعادة تنظيم أوروبا كانت كلمة روسيا هى أول الكلمات وأخطرها شأنا . فليس الا ساذج من يتصور أن روسيا كانت كما مهملا وان الشيوعية هى التى جعلت منها شيئا مذكورا .

فروسيا قديما كالاتحاد السوفيتى حديثا ، كانت قوة عظمى بشعبها الطيب الصبور العامل وبلادها المترامية الاطراف ومواردها التى لا تنضب .

هذه احدى الحقائق التى يجب أن نعرفها عن عالمنا المعاصر الذى نعيش فيه لنضمن سلامتنا ورقينا وتطورنا،وخاصة فى ازمتنا الحالية أوبالاخرى فى محنتنا التى ابتلانا القدر بها ، وأعنى بها دولة اسرائيل المجنونة المهووسة التى تعيش على الحرب وتتغذى بالحرب بل وتتنفس بالحرب حتى اصبح ما تخشى أى دولة فى العالم من وقوعه ، وهو اندلاع نار حرب عالمية ، هو أعز ما تشتهيه اسرائيل . حتى ولو كان معنى حرب جديدة ان يفنى نصف سكان العالم ، وفى مقدمتهم اسرائيل نفسها . ذلك أن شعار القوم هو « على وعلى أعدائى » .

تلك هى محنة اسرائيل التى ابتلينا بها وقد شاءت الظروف أن ترى أمريكا أن مصلحتها لا تتحقق الا بمساندة اسرائيل ودعمها مائة فى المائة ، وليس هنا مجال البحث عن أسباب ذلك . والمهم أن الحقيقة التى باتت مؤكدة أن أمريكا عادت من جديد تسمح لاسرائيل أن تعربد فى المنطقة وان تتحدى العالم كله ولا تتردد أن تسبه وتوجه له الشتائم ممثلا فى هيئة الامم ، وما كانت لتفعل ذلك لولا أن حرضتها الولايات المتحدة نفسها والتى راحت تردد بنفسها مادفعت اسرائيل دفعا لتقوله .

وفى الوقت نفسه عادت اسرائيل تهدد بالحرب وبالقنبلة الذرية ، ومرة أخرى ما كانت لتجرؤ على ذلك الا لان أمريكا تدفعها الى ذلك دفعا حتى لتعلن عمليا عن تضامنها معها ، فترسل بحاملة طائراتها الى الخليج العربى لتتمرن على الحرب ضد العرب الذين سيهبون بطبيعة الحال لنصرة اخوانهم عندما تشعل اسرائيل نار الحرب .

هذا قضاء وقدر ان تكون الولايات المتحدة قد ربطت مصالحها باذلال العرب على يد اسرائيل .

مرحبا بكل من يريد أن ينصفنا

فاذا كان الاتحاد السوفيتى قد اقتنع أخيرا بأن ما يحقق مصلحته هو أن يساند القضية العربية ، فليس عندنا نحن المصريين ، سواء كنا يمينا أو يسارا ، الا أن نقول للاتحاد السوفيتى أهلا وسهلا لكل من يعاوننا على رفع الظلم عنا، أهلا وسهلا بكل من يعاوننا على تحقيق كرامتنا، اهلا وسهلا لكل من يساعدنا على ايقاف عربدة اسرائيل . وقد كان هذا هو ما دفعنى ان أعاون على انجاح زيارة الرفيق بريجنيف فكتبت اشيد بالتعاون بين مصر والاتحاد السوفيتى وأعود بهذا التعاون الى الوراء منذ ايام لينين .

أما عن الماركسية

فالتحدث عن الصداقة مع الاتحاد السوفيتى والتعاون معه فى شتى المجالات السياسية والعسكرية والاقتصادية هو أمر يفرضه واقعنا الوطنى فرضا ما بقيت أمريكا تساند عدونا [وهو ما أثبتت التجربة أن لا فكاك منه] وما بقى الاتحاد السوفيتى على استعداد لمعاونتنا فليس أمامنا الا الترحيب بهذا التعاون والاستزادة منه

على أن هذا لا يعنى بحال أن يتصور البعض أن هذا التعاون يفرض علينا اعتناق الماركسية ذلك أمر فرغ منه الاتحاد السوفيتى منذ أمد بعيد فى علاقاته الدولية ، فحيث تسوء علاقته مع حكومة الصين « الماركسية » فهو يوطد علاقته بالهند الغارقة فى دينها ، سواء كان الهندوكية أو البوذية أو الاسلام . بل ان آخر اجتهادات الاتحاد السوفيتى هو الانفتاح التجارى على الولايات المتحدة الامريكية بالذات .

ومن هنا يجب أن يدرك كل شاب وطنى أن لا تلازم بين الصداقة السوفيتية وبين اعتناق الماركسية .

الماركسية نوع من الفكر الاوروبى

بقى أن الماركسية بعض ثمرات الفكرالاوربى ومحال أن نحجر على شبابنا محاولة التطلع لهذا الفكر والاحاطة به وتصور أنه يحل مشاكل المجتمع ، ان كل محاولة لصد الشباب عن ذلك هى محاولة فاشلة . بل وتؤدى الى عكس المطلوب تماما . يشهد بذلك ما كان يحدث فى روسيا فى مطلع القرن ، فان الاضطهاد للماركسية قد انتهى بثورة اكتوبر ١٩١٧ التى جعلت روسيا كلها ماركسية . بل ولنا من تاريخ

مصر المعاصر فى الاربعينيات ما يقرب لنا هذه الحقيقة فحيث كان اعتناق الماركسية يؤلف جناية عقوبتها الاشغال الشاقة فقد وصل الامر الى حد تأليف حزب شيوعى مصرى . فالفكر لايقاوم بالحديد والنار .

ومن هنا دعوت فى حديث نشر لى فى مجلة « المصور » الى ضرورة أن يقوم فى الاتحاد الاشتراكي منبر متخصص لعرض وجهة النظر الماركسية فى أى شأن من الشئون التى يمكن أن يتصدى لعلاجها .

الملاحظة التى أريد أن أقول بها

وهنا تأتى الملاحظة التى أريد أن أضعها تحت انظار ابنائى الذين يريدون ان يدينوا بالافكار الماركسية .

فاذا شاءوا أن يظلوا فى دائرة النظر والتفكير المحض ، فليس باستطاعة أى انسان أن يحول بينهم وبين ما يريدون . أما اذا أحبوا أن يذهبوا الى أبعد من ذلك فيتفاعلوا مع الجماهير ويؤثروا ويتأثروا بها ، فلا مناص من الاهتمام بهذه الملاحظات التى اسوقها .

حضارة مصر منذ ألوف السنين

فأولا وقبل كل شىء يجب أن يستوعبوا ما تعنيه حقيقة أن مصر أم الحضارة التى علمت الانسانية . انه يخطىء كل الخطأ من يتصور أن هذه مجرد كلمة تقال ولا تعنى شيئا ، كلا بل انها تعنى كل شىء فليس الانسان أى انسان الا ثمرة بيئته تماما كأى ثمرة نبات .

فكون مصر هى أم الحضارة قد جعلها على استعداد أن تستوعب كل جديد فى دنيا العلم والفكر اذا كان لا يتعارض مع تجربتها الخاصة ، وانما يأتى لها بمزيد من النفع . وهكذا توالت عليها مختلف الحضارات ابتداء من اليونانية والرومانية والفارسية والتركية واخيرا الانجليزية فاذا كانت هذه الحضارات المختلفة قد استطاعت أن تلون الحياة فى القشرة السطحية التى تعيش فى المدن حول السلطة الحاكمة ، فان هذه الحضارات ومختلف أنواع الثقافات لم تستطع أن تنفذ الى أبعد من ذلك وظل الفلاح المصرى كما هو منذ الوف السنين ، لا يلقى بالا الا لما اصبح جزءا من تكوينه ، فليس الا ساذج من يتصور أنه سيغير ما استقر الوف السنين باستخدام الماركسية .

وقد تنجح الماركسية فى أى مكان فى العالم ولكنها [فى تصورى] لا يمكن أن تنجح مع الفلاح المصرى الذى تجرى حضارة ألوف من السنين فى دمائه .

ومن هنا كان لا مناص لاى مشتغل بالماركسية ان يعرف خصائص الفلاح المصرى اذا أراده أن يسمع منه

التدين

وأول هذه الخصائص وأقواها والتى تعتبر هى سر بقائه حتى الان ، كأنجح مزارع فى العالم هو تدينه وايمانه العميق بالله وبسائر الامور الغيبية من بعث ونشور وحساب وعقاب وجنة ونار .

وقد يقول لك قائل ، ان هذا هو شأن الفلاحين فى كل زمان ومكان ، ولكن فلاحى الدنيا كلها قد تلقوا هذه التعاليم من خارج بلادهم فليس ما يمنع من الناحية النظرية على الاقل أن يتقبلوا تعاليم جديدة . ولكن التعاليم الدينية أيا كان فحواها نبعت من وجدان الفلاح المصرى وظل يتوارثها ويمارسها الوف السنين . ولعل من يريد أن يفسر نجاح الاسلام فى مصر ، وكيف لم يكد يدخل الى مصر حتى تحولت مصر الى معقل الاسلام فلن يجد تفسير ذلك الا لان المصريين وجدوا فى تعاليمه عين ما يؤمنون به منذ ألوف السنين ، وهو الجنة والنار والبعث والحساب ، حتى الميزان الذى يتحدث عنه القرآن ليس بعيدا عنهم بل هو منقوش على جدران المعابد حيث كانت الكتابة رسوما ورموزا .

احصروا الماركسية فى الامور الاقتصادية

وانا أعلم أن الماركسيين أخيرا قد سلموا بأن الدين لا يقاوم ، فاتفقوا على أن ينحوا كل ما يتعلق بالدين مؤقتا أى أنه نوع من التكتيك ، ومرة أخرى أقول ان استخدام هذا التكتيك اذا نفع فى أى مكان فى الدنيا فهو لن يصلح فى مصر ، حيث الدين ليس جزءا من الحياة بل هو الحياة نفسها . وأى قول وأى حديث لا يبدأ باسم الله فهو مرفوض .

وهذا الذى أقوله هو ما انتهى اليه بعض اخوانى ممن كانوا شيوعيين فى شبابهم . وقد كتبت لاخ منهم أحدثه عن سعادتى وهو يحدثنا فى مقال له عن كيف صلى العيد فى موسكو

فقد رأيت فيه « المصرى العريق » الذى بعد أن يبلغ فى الثقافة والعلم الماركسى الى منتهاه ، فانه يبحث عن المسجد فى موسكو نفسها ليصلى العيد . فليسقط الماركسيون القسم العقائدى من أقوال ماركس باعتبار ذلك ضرورة مرحلية ، ولكن عن اقتناع وايمان وليزيدوا ما استطاعوا من ثقافتهم الدينية ويجعلوها محور سلوكهم . هذا اذا أرادوا أن يجدوا من يسمع لقولهم فضلا عن أن يتأثر بكلامهم .

العنف والطبقية

وثمة خصيصة أخرى للمصريين يجب أن يعرفها كل ماركسى اذا أراد أن يجد مستمعا بين جمهرة الشعب . فهذا الشعب يؤمن بحق كل انسان فى الحياة [لانه متحضر متدين] ولا يسيغ مسائل الطبقية وحكاية تصفية الطبقات بالعنف . انه لا يفهم هذا ، ولا يجب أن يفهمه . ان حياته تقوم على الحب والتآخى ويكره أى تعاليم تقوم على الحقد ، والمجتمع المصرى لم يعرف فى أى يوم من الايام هذه الطبقية التى عرفتها أوروبا فى العصور الوسطى .

الدين والحب والعدل

هذه هى خصائص الشعب المصرى ، عرفتها وأنا أمارس العمل العام . وعرفتها بالاكثر وأنا اكتب موسوعة تاريخ مصر منذ فجر التاريخ ، أحببت أن أضعها تحت انظار أبنائى الماركسيين ، اذا أرادوا أن يكون لهم شأن فى مجريات الامور.

ولست أدعو للدخول فى جدل ومناقشات فأنا اشد الناس عرفانا كيف لا يرى الانسان الكون كله الا من خلال عينيه هو وأفكاره .

فلينتفع برأيى من يريد أن ينتفع وليتجاوزه ويهمله فى سلام من لا يوافق وجهة نظره .

وليبق هنا الحب ، حب مصر والناس ليجمعنا .

أحمد حسين

□ □ □

● الاســـــتجواب

وأهميتــــه فى تحـــريك المســـئولية الوزارية

د. مهندس / محمود القاضى *

لعل من أبرز ما يميز النظام الديموقراطى البرلمانى أنه يقوم على تحقيق التعاون والتوازن بين السلطة التشريعية متمثلة فى البرلمان وبين السلطة التنفيذية متمثلة فى الحكومة .

وأوجه التعاون بين هاتين السلطتين عديدة ومتنوعة . على أن الذى يعنينا ، فى هذا المقال ، هو التوازن بين السلطتين المذكورتين ، والذى يتمثل على الاخص فى الامكانية المتاحة لاى من السلطتين أن تقف فى مواجهة الاخرى بل وأن تتهدد بقاءها اذا ما جاوزت الحدود الواجبة . فمن حق البرلمان أن يطرح الثقة بالحكومة ، كما أن من حق الحكومة أن تطلب حل البرلمان . فسلطة سحب الثقة فى يد السلطة التشريعية تقابل سلطة الحل فى يد السلطة التنفيذية .

ولئن كان سلاحا الاسقاط والحل مقررين فى النظام الديموقراطى البرلمانى ـ الا أن الحقائق العملية والاعتبارات السياسية الواقعية لا تدع ـ فى كثير من الاحيان ـ الفرصة لمباشرة هذين السلاحين مباشرة فعلية .

على أن عدم مباشرة السلاحين المذكورين مباشرة فعلية لا يحول دون قيام كل منهما بدوره المنتج فى احداث الاثر المنشود من ورائه . فالازمة

* د. محمود القاضى عضو مجلس الشعب ورئيس لجنة الشباب بالمجلس .

التى تنشأ بين البرلمان والحكومة لابد وأن تصاحبها متابعة فى الرأى العام ، والذى لا يلبث أن يسجل موقفا محددا ، أو يصل بذلك الى انهاء الازمة قبل أن تجاوز المدى المعقول .

ولقد عرفت النظم الديموقراطية البرلمانية من قديم وسيلتين رئيسيتين تباشر بهما السلطة التشريعية ولايتها الرقابية على أعمال السلطة التنفيذيه ، وهما : السؤال والاستجواب ، على أن ثمة تمايزا محققا بين هاتين الوسيلتين سواء من حيث الهدف او من حيث الاثار . فبينما السؤال يستهدف مجردالاستيضاح عنموضوع معين، فان الاستجواب يستهدف محاسبة الوزارة أو الوزير عن تصرفها معين .

وهذا الاختلاف بين السؤال والاستجواب ، من حيث الهدف ، يستتبع اختلافا بينهما من حيث الاثار . فبينما السؤال لا يرتب بذاتهاثرا خاصافى مجال المسئولية الوزارية ، فان الاستجواب يمكن أن ينتهى الى تحريك هذه المسئولية بطلب سحب الثقة من الوزارة أو من أحد الوزراء ، ومنثم فانه يحاط عدة بضمانات تكفل مباشرته على النحو الذى يتلاءم مع جسامة الاثار التى يمكن انتترتب عليه .

ولقد صدر دستورنا الدائم عن المبادىء الاساسية التى سجلها تاريخ التجارب الدستورية فى النظم الديموقراطية البرلمانية بصدد التوازن بين السلطتين التشريعية والتنفيذية ، والوسائل الخاصة بتحقيق هذا التوازن — وبالذات بالنسبة للسؤال والاستجواب .

فالمادة ٨٦ من الدستور تكفل لمجلس الشعب « الرقابة على اعمال السلطة التنفيذية » والمادة ١٢٦ منه تنصعلى أن الوزراء مسئولون أمام مجلس الشعبعنالسياسة العامةللدولة،وان كل وزير مسئول عنأعمال وزارته ، وتكفل لمجلس الشعب حق « سحب الثقة من أحد نواب رئيس مجلس الوزراء او أحد الوزراء او نوابهم » .

والمادة ١٢٤ من الدستور تجعل من حق كل عضو من أعضاء مجلس الشعب ان يوجه الى رئيس مجلس الوزراء او احد نوابه أو أحد الوزراء او نوابهم اسئلة فى اى موضوع يدخل فى اختصاصهم وتوجب على رئيس مجلس الوزراء أو نوابه او الوزراء أو من ينيبونه الاجابة عن هذه الاسئلة ، ولكنها تجعل من حق العضو سحب السؤال فى أى وقت وتحظر « تحويله فى نفس الجلسة الى استجواب » .

أما المادة ١٢٥ من الدستور فانها تجعل من حق كل عضو من أعضاء مجلس الشعب توجيه استجوابات الى رئيس مجلس الوزراء او نوابه أو الوزراء أو نوابهم « لمحاسبتهم فى الشئون التى تدخل فى اختصاصاتهم » . على أنها لا تجيز المناقشه فى الاستجواب الا بعد سبعة ايام على الاقل من تقديمه ما لم تنشأ حالة من حالات الاستعجال حسب تقدير المجلس وموافقة الحكومة » .

ولا سبيل الى عرض طلب سحب الثقة من رئيس مجلس الوزراء أو من نوابه أو من الوزراء او من نوابهم الابعدتقديماستجواب . ويحتاجطلب سحب الثقه فى عرضه الى توقيع عشر عدد أعضاء المجلس كما يستلزم موافقة أغلبية أعضاء المجلس لاقراره .

ويتشدد الدستور فى الاجراءات الخاصة بطلب سحب الثقة من رئيس مجلس الوزراء الى حد انه قد يقتضى اجراء استفتاء شعبى لينتهى اما الى حل المجلس او اقالة الوزارة [المادة ١٢٧ من الدستور]

اما بالنسبة لطلب سحب الثقة من احد نواب رئيس مجلس الوزراء او احد الوزراء أو نوابهم فان المادة ١٢٨ من الدستور تنص على أنه بمجرد أن يصدر قرار من المجلس بسحب الثقة من أيهم، يحون من الواجب عليه اعتزال منصبه .

والتيسير الملحوظ فى الاجراءات الخاصة بطلب سحب الثقة من نواب رئيس مجلس الوزراء أو الوزراء أو نوابهم — قصد منه الدستور الى ان يمكن مجلس الشعب من ممارسة رقابة فعلية وجدية على هؤلاء حتى تتحقق الاهداف المنشودة من تقدير المسئولية الوزارية أمام المجلس . ولا نزاع فى أن اتاحة الفرصة لمحاسبة الوزراء على هذا النحو الميسر من شأنه أن يحدو بهم الى تجنب الاخطاء التى تعرضهم للمسئولية وسحب الثقة منهم — سيما وأن مسئولية أى وزير بالذات لا تستتبع مسئولية الوزارة ، كما أن ثبوت خطأ من وزير معين يجعل الوزارة فى حذر من أن تسانده أو تتمسك به خشية أن تثير استياء الرأى العام ضدها ،وتجد انالاولى للمصلحةالعامة ولمصلحتها أن يتحمل الوزيرنتائج خطئه .ولئن كانالاستجواب لا يستتبع حتما طرح الثقة، الا أنه لايمكن طرح الثقة برئيس مجلس الوزراء او الوزراء الا بعد تقديم استجواب . وهذا ما يجعل للاستجواب اهميته الدستورية المميزة لانه الوسيلة الوحيدة

التي يمكن بواسطتها سحب الثقة من رئيس مجلس الوزراء أو من الوزراء ».

وقد خصصت اللائحة الداخلية لمجلس الشعب الفصل الثالث من الباب الثامن للاستجوابات ، كما أن الإجراءات التى نظمتها فى شأن الاستجوابات تتفق مع ما لها من آثار ايجابية فى مجال رقابة المجلس على أعمال الحكومة وتظهر أهميتها فى صدد ما تكفله لكل عضو من اعضاء المجلس من حق مطالبة الوزير بتقديم « بيانات متعلقة بالاستجواب المعروض » — المادة ٢٥٩ ، وتعكس مدي الإرتباط الشديد بين الاستجواب وطلب سحب الثقة فيما تنص عليه من أنه « **تسقط الاستجوابات باستقالة الوزير** ».

ومن واجب اعضاء مجلس الشعب أن يباشروا سلطتهم الرقابية على أعمال الوزارة ، وأن يقوموا بتقديم الاستجوابات فى الحالات التى تقتضى تقديمها — اذ أن تقديم هذه الاستجوابات دليل قوى على تمسكنا بأن نمارس ديموقراطيتنا البرلمانية ممارسة صحيحة ووسيلة ايجابية لكفالة قيام السلطة التنفيذية بالرسالة المنوط بها تحت رقابة حيوية من مجلس الشعب الامر الذى يوفر لنظام الحكم اسباب العدل ، والمواطنين حرياتهم وضماناتهم وأمنهم واستقرارهم ».

□ □ □

[١] اما ماركس .. واما الله والوطن

د. أحمد بدران

نشرت مجلة الطليعة فى عدد ديسمبر مقالين ردا على مقالى الذى نشر فى الاخبار فى ١٢ نوفمبر تحت عنوان «عن الاشتراكية الماركسية والاستيراد والالحاد» الاول بعنوان « **من حقك ان تدافع ، لكن من واجبك ان تقرأ** »، اما الثانى فعنوانه « **ماركسيون ولكنهم مسلمون** ».

ويبدو اننى بالنسبة للسادة الماركسيين لم اكن واضحا ، وانا اعذرهم . اننى لم اكتب مثلا لاقول : «المنطق الديالكتيكى يتعثر عند التطبيق . وليس معنى هذا ثبوت صحة المنطق الارسطى وبطلان المنطق الجدلى . فان المنطق الصورى يتعثر فى تطبيقات اخرى لاينفع فيها الا المنطق الجدلى . وهكذا يبدو ان الواقع التجريبى يتحرك فى اطار النظرية ولكنه يعيد تعديلها، وتتبادل الممارسة والتطبيق التأثير والتعديل » .

وأرجوك ايها القارىء الصديق الا تضحك ، والا اتهمت بأنك لاتقرأ ، وانك ضحل الثقافة ، وان التدهور الثقافى الحقيقى — القائم الآن — قد زحف كالمرض على عقلك .

ولما كنت قد كتبت كلاما واضحا ، فان السادة الكتاب من « اخوان ماركس » قد ادعوا أنهم لم يفهموه ، ثم مضوا — كأسلوبهم المعروف — فى تحوير الموضوع وتمييع الحوار ، وادخال القراء فى متاهات جانبية .

اتصل بنا الاستاذ احمد طه عضو مجلس الشعب وابلغنا أن الاستاذ محمود الشافعى أبو وافية طلب أن يفتح حوارا مع الطليعة .

وقد وافقت الطليعة على الفور ، وطلبت أن يعد الأستاذ أبو وافية ورقة تتضمن نقاط الحوار التى يقترحها .

ان السيد الكاتب الاول يرد على بأن الالحاد كتيار فلسفى قد سبق ولادة كارل ماركس ، وان هناك عددا لايحصى من غير الماركسيين وهم ملحدون ، وانا كما هو واضح من مقالى لم اكن ازعم ان الماركسية هى التى ابتدعت الالحاد وانما قلت : ان الالحاد هو احد الاسس الجذرية للفلسفة الماركسية ، كما انى لم أقل أن كل الملحدين ماركسيون ، وانما قلت ان كل من يؤمن بفلسفة ماركس ولينين فلابد له ان يكون ملحدا ، وكون بعض رجال الثورة الفرنسية كانوا ملحدين وان قادة بريطانيا العظمى ، وقادة الولايات المتحدة غير مؤمنين ، فمن الواضح انها اشياء لاتعنينا على الاطلاق ، ولاعلاقة لها بالموضوع ، واما ان راهبا قد اعتنق الشيوعية فهو قد خرج على دينه ، كما ان هناك راهبة قد هجرت الدير وتزوجت ، فهى لن تصبح اذن راهبة ».

ويقول السيد الكاتب شيئا عجيبا وهو: « من حق الماركسى فى أوروبا ان يتخذ الموقف الذى يراه من الدين ، ومن حق الماركسى فى الشرق أن يتخذ موقفا مخالفا للماركسى الغربى » .. ومبلغ علمى أن الدين ، أى دين سماوى ، هو هو سواء فى الشرق او فى الغرب وفى الشمال او الجنوب .

ويقول السيد كاتب المقال ان عبارة: « الدين هو افيون الشعوب .. ان الدين نوع من الخمر الروحية يغرق فيها العبيد للرأسمالية صورتهم الانسانية ، ودعواهم الى حياة انسانية كريمة» قد قالها ماركس — كما ذكر جارودى — وسنه ١٨ عاما وانه لم يكررها بعد ذلك ، وانا اقول ان لينين قد اكدها واضاف اليها فقال : « الدين هو افيون الشعوب . ان هذا المبدأ الماركسى **هو حجر الزاوية فى النظرة الماركسية الى الدين** » [لينين: مجموعة اعماله . المجلد ١٥ صفحة ٣٧١] .

وهل انعش ذاكرة الكاتب بما قاله انجلز عام ١٨٥٦ : « ان كل الاديان ماهى الا صورة خيالية فى اذهان الناس لتلك القوى التى تتحكم فى حياتهم اليومية متخذة صورة قوى فوق الطبيعة . **ان الدين صورة مشوهة خيالية للحقيقة** » .

بل أن الماركسية لاتريد أن تدع الدين علاقة خاصة بين الانسان وربه كما يقول السيد الكاتب ، ذلك ان لينين يقول بالحرف الواحد : « ان الحزب الشيوعى لم يعتبر قط ان الدين مسألة خاصة بالفرد . ان الحزب الشيوعى **يدعو اعضاءه على الدوام ان يحاربوا كل نوع من الاستعباد الروحى بما فى ذلك الدين** » .

ثم اننى أيضا ذكرت تعليمات الحزب الشيوعى الرسمية الى المعلمين ، ان المعلم الذى يؤتمن على تعليم النشء لايمكنه ولايجب ان يكون محايدا فى موقفه من الدين . **ان عليه لا ان يتخلص من الايمان فحسب بل أن يقوم بدور ايجابى فى الدعوة الى عدم الايمان بوجود آله وأن يكون داعية متحمسا الى الالحاد** » .

واستشهدت بما جاء فى « اسس الماركسية اللينينية » وهو « ان الماركسية اللينينية لاتعترف بوجود اى قوى فوق الطبيعية ، **ولا اى خالق** ، انها تحرر الانسانية مرة واحدة ، والى الابد ، من الخرافات والعبودية الروحية . ان الماركسية اللينينية تنظر الى العالم كما هو قائم ، **دون ان تضيف اليه مخترعات الجنة والنار** » .. فما رأى الكاتب فى هذا ؟؟!

ويخلط الكاتب بعد ذلك ، ذلك الخلط المألوف بين الماركسية وموقف الاتحاد السوفيتى من قضايانا ، وهو أمر كنت أود الا يتردى فيه ، لانه اولا يسىء الى الاتحاد السوفيتى ، كما يسىء الى بلاده، ثم لانه يؤكد بعد ذلك تهمة التبعية والعمالة.

وحين يأتى الكاتب الى موضوع « الوطنية والوحى من الخارج » فانه يقول « ان مسألة التضامن المزعوم بين العامل العربى والعامل الاسرائيلى غير مطروحة بسبب شذوذ الظاهرة الاستعمارية الاستيطانية الاسرائيلية » وكفى الله المؤمنين والماركسيين شر القتال !!

لكن ماقول الكاتب الفاضل فى ما يورده امانسيف فى كتابه الرسمى « الفلسفة الماركسية » [موسكو . الطبعة الثالثة ١٩٦٨] وهو بالحرف : « ان الحزب الماركسى وان كان يؤيد كفاح الشعوب المضطهدة من اجل التحرير فانه يحاول ان **يخلص الطبقة العاملة من الوطنية البرجوازية لانها لاتتفق مع النظرة العالمية للبروليتاريا** » .

أما عن المقال الثانى فى نفس المجلة بعنوان : «ماركسيون ولكنهم مسلمون» بعد ان ذكر كاتبه انه : « رئيس قسم التراث بمؤسسه اخبار اليوم » فأمره عجب .. ان الكاتب يبدأ بتعريفات للدين فينقل عن اقوال الاسلاميين انه « وضع آلهى سائق [كذا] لدوى العقول السليمه باختيارهم الى الصلاح فى الحال والفلاح فى المآل » . وعن الدكتور عبد الله دراز انه « وضع **آلهى** يرشد الى الحق فى الاعتقادات والى الخير فى السلوك والمعاملات » . ويعترف بأن « الدين الى جانب كونه **الايمان بالله ورسله وكتبه** » وينقل عن ميشيل مايير « الدين هو جملة العقائد والوصايا التى يجب ان نوجهنا فى سلوكنا **مع الله** ومع الناس وفى حق انفسنا » ، وينقل عن غيرهم ، وكلهم كما نرى يشيرون الى الله ، لكن ما انعمل ايها الاخ ومن تدافع عنهم لايعترفون بآله ولا رسل ولا كتب ؟؟

ثم يأتى بعد ذلك كاتبنا الفاضل بتعريف الاسلام فيقول عن ابن عمر : « بنى الاسلام على خمس ، على ان يوحد الله [كذا] واقام الصلاة ، وايتاء الزكاة ، وصيام رمضان ، والحج» .. ويضيف : « هذه تكاليف محددة لايجوز التزود عليها او التقديم والتأخير فيها» فهل كان الاستاذ رئيس قسم التراث يريد ان يضيف ابن عمر الى تعريف الاسلام « والا يكون ماركسيا » ؟؟!!

ثم يفيض الاستاذ الكاتب الثانى فى القول بأن الاسلام لايعطى اى انسان ان يحكم على الاخرين .. ثم يتهمنى بأننى « اكفر الماركسيين » .

وما اريد ان أؤكده منذ البداية اننى لست الذى كفرهم وانما كفرهم كبيرهم ماركس ونبيهم لينين ومن جاء بعدهم ، اذ جعلوا من اسس المبدأ الماركسى عدم الايمان بالدين ، اى دين ، ولا بالرسل اى رسل ، ولا بجنة او نار !!

ومن هنا قلت انه لايمكن ان تكون ماركسيا وغير ملحد ..

وقد جاء فى مقال الكاتب الثانى «اننا لاتناقش علاقة الماركسية بالالحاد لاننا لاتناقش النظرية الماركسية فنضطر للوقوف عند المادية التاريخية .. «ولكنى ايها الاخ كنت اناقش هذا بالضبط ولاشىء غيره . وقد كنت استطيع ان اعتبر الا حاجة الى نقاشك بعد ذلك ، لولا ما افضت فيه من احاديث شريفة واقوال كريمة ، لايجوز الاستشهاد بها فيما نحن بشأنه ، بل وهددتنى بالنار وكبائر الامور لاننى احكم على مسلمين بالكفر !! اى والله !! الا تقرأ مقالى لترى ان ماقلته هو : « ان هناك تعارضا بين المبدأ الماركسى والاعتراف بالاديان » الاديان جميعا .. الاسلام والمسيحية والموسوية. وان هناك تلازما بين الماركسية والالحاد ، فما علاقة هذا بتكفير المسلمين وما علاقة هذا بكل ما اوردت من آيات كريمة واحاديث شريفة وبحوث فى الفقه الاسلامى ، والادلة الشرعية ، وطرق الاستنباط من النصوص ، والشبهة التى تسقط الحدود ، والاجتهاد بانواعه الثلاثة : البيانى والقياسى والاستعلامى؟

وفى الختام اقول اننى لم ادع الى رجم الماركسيين ولا وضعهم فى السجون . كل ماطلبت منهم ان تكون لديهم الشجاعة الادبية ليتبعوا لاتعاليم الاديان والقيم ، بل ماورد فى خاتمة كتابهم المقدس وهو المانفستو الشيوعى الذى وضعه نبيهم ماركس ورفيقه انجلز « الشيوعيون يستنكرون اخفاء آرائهم واغراضهم ، انهم يعلنون على الملا أن اهدافهم لاتتحقق **الا بقلب كل النظم الاجتماعية القائمة بالقوة** » .

[٢] حـــول مغـــالطات .. أكثر ســـذاجة !

فيليب جلاب

ترددنا كثيرا قبل أن نقرر التعقيب على السيد الطبيب لاكثر من سبب . واول الاســـباب انه يفتقر الى الامانة الواجبـــة لدى من يتصـــدى للامور العامة . فقد بعث الى « الطليعة » فى أوائل شهر نوفمبر الماضى برد على مقال لنا ، وأعدته « الطليعـــة » للنشر فى عـــدد ديسمبر ومعه تعقيب منـــا ، لكن الطليعـــة فوجئت بأن السيد الطبيب نشر نفس الرد فى جريدة الاخبار يوم ١٣ نوفمبر أى قبل ســـبعة عشر يوما من صدور عدد ديسمبر من الطليعة !

ومع ذلك لم تمنع « الطليعة » رد الطبيب من النشر كما لاحظ القراء فى العدد الماضى . ولم يكتف السيد الطبيب بمخالفة ابسط قواعد الذوق فى التعامل مع الصحف ، لكنه ادعى للمسئولين فى الاخبار أن « الطليعة » رفضت نشر رده ، رغم أن ذلك لم يحدث بالقطع .. الا اذا كان سيادته يعتقد أن المجلة الشهرية التى يصـــلها مقاله ، لا بد ان تصدر به عـــددا خاصـــا على الفور ، دون أن تنتظر حتى يحين موعد صدورها أول كل شهر !

والسبب الثانى ، أن السيد الطبيب لم يسمع عن آداب الحوار ولا يمارسها . وقد استخدم فى رده السابق بعض الالفاظ النابية ــ فضلا عن الاكاذيب ــ مما لا يتفق مع سلوك المواطن المهذب ــ فضلا عن المتعلم . وقـــد آثرنا الا نعامله بالمثل فى المرة الماضية ، لكنه من الذين تأخذهم العزة بالاثم كما يبدو فى رده الثانى .

أما السبب الثالث ؟ فان مقالنا فى عدد نوفمبر الماضى عن « **الاشتراكية الماركسية والالحـــاد والاستيراد** » كان حـــوارا أو ردا على **الاســـتاذ محمود أبو وافية** لانه فى موقع مسئول أيا كان خلافنا معه .

لكن لم يخطر لنا على بال ان نختلف أو نتفق مع الســـيد الطبيب . وقد أقحم نفســـه على المناقشة دون أن يتبع أصول المناقشة والحوار . وبدأ رده فى العدد المـــاضى بتـــكذيب من أراد الدفاع عنه كما ذكرنا فى مقالنـــا السابق . ثم بدأ رده فى هذا العدد بأكذوبة جديدة و«صغيرة» اذ بدأ كلامه بأنه نشر مقالا فى جريدة الاخبار بعنوان « عن الاشتراكية الماركسية والاستيراد والالحاد » وأن « الطليعة » ردت عليه بمقالين . ونسى أن هذا العنوان هو عنوان مقالنا الاول . ونسى أن ردنا كان على تعقيبه الذى أرسله الى « الطليعة » ونشر فى الطليعة فعلا .

وهو يعتقد أنه من دواعى فخره أن يكون قد نشر مقالا فى جريدة يومية وأن « الطليعة » ردت عليه بمقالين ..

لا بأس من أن يعتقد ما يشاء ! فحرية الاعتقاد مكفولة فى الدستور ، لكن عليه ألا يعتقد هذه المرة أن لدينا بعد الان وقتا نضيعه ، أو اننـــا ســـنتشبث بالقواعد المعروفة للحـــوار والتى أسقطها من حسابه فى المرتين .

ولهذا ، قررنا آسفين أن نرد عليه .

عنوان مقال السيد الطبيب يبدو مثيرا : «اما ماركس واما الله والوطن » ... أو أنه انذار حاسم !

ويبدو أن السيد الطبيب كان من الذين يؤمنون بنفس الشعار عندما كانت تضاف اليه كلمة « الملك » فى « أيام الامس السعيدة » . والا فما معنى اقحام ماركس فى هذا الشعار ؟

وماذا يمكن ان نتصور موقف الطبيب بالنسبة لامثاله من أتباع آدم سميث ؟ هل ينذرهم أيضا بنفس الطريقة ؟

واذا اعتنق احدهم آراء « نيتشه » فى الفلسفة [وبالمناسبة لقد كان ملحدا] ماذا يكون الموقف ؟.. « اما نيتشه .. واما الله والوطن»؟!!

واذا صح هذا عن الماركسيين هنا ، فمن الذى سيوجه نفس الشعار للبلاد التى تعتنق حكوماتها وأحزابها الماركسية ؟ ربما يظهر شخص مثله ويرفع نفس الشعار فى الصين أو فى الاتحاد السوفيتى أو فى غيرها متهما اياهم بأنهم لا يعملون لصالح وطنهم . وفى هذه الحالة لاينقصنا الا ان نعلم من السيد الطبيب لمصلحة من يعمل الماركسيون السوفيت أو الصينيون أو اليوغوسلاف أو الفيتناميون ؟ أو لمن هم عملاء على وجه التحديد ؟

كان عملاء قيصر روسيا يشنون مثل هذه الحملات الخائبة على الماركسيين الروس . وكان الاتهام الاساسى أنهم عملاء لاعداء المسيحية والحضارة المسيحية الغربية . ولم يكن أحد يصدق ان روسيا القيصرية التى تمثل أكثر النظم الاستبدادية المنحطة هي التى يمكن أن تدعى الدفاع عن مبادىء المسيحية . لكن عملاء القيصر لم يكفوا أبدا عن رفع الشعار .

• • •

... بعد المغالطة الصغيرة فى بداية رد السيد الطبيب يستشعر نوعا من خفة الظل « لدى نفسه » ويقتبس عبارة من مقال فى الفلسفة لاحد أساتذة الفلسفة المرموقين فى مصر كتبه فى « ملحق الفلسفة والعلم » الذى يصدر مع « الطليعة » عن منطق أرسطو والمنطق الجدلى ، ليحاول السيد الطبيب أن يسخر من « السادة الماركسيين » أو كما يسميهم « اخوان ماركس » الذين يكتبون مثل هذا الكلام المعقد ومن ثم لا يفهمون كلام سيادته الواضح المبسط !

ومشكلة هذا الطبيب هى عدم المعرفة ، لكن الجهل لا يعفى من العقوبة على أى حال !

فهو لا يحاول أن يدرك معنى الجملة الفلسفية المتخصصة ، والاسلوب الفلسفى المتخصص . وكل ارباب العلوم والفنون لهم مطبوعاتهم المتخصصة التى لا يبرر الجهل بها أن تسخر منها ورغم أن عبارة استاذ الفلسفة ليست غامضة على الذين حباهم الله حدا أدنى من الرغبة فى المعرفة والثقافة العامة ، الا أنه يراها مثيرة للضحك .. وهو رد فعل غير مستغرب منه على أى حال . فلعله لا يعلم أيضا أن احمد لطفى السيد ترجم بعض كتب الفيلسوف أرسطو منذ حوالى نصف قرن ، ونشره على الخاصة والعامة من القراء . ويومئذ لم يضحك أحد . لانهم لم يكونوا قد وصلوا بعد الى مثل هذه الدرجة من التدهور الثقافى « الذى زحف كالمرض على عقلك » .. وفقا لنص كلمات السيد الطبيب !

ثم يدعى أننا قلنا اننا لم نفهمه رغم أنه كتب كلاما واضحا . والحقيقة أن أحدا لم يزعم هذا الكلام الذى ينسبه لنفسه دون أى مبرر معقول لكننا قلنا ان كلماته ساذجة وقراءته أكثر سذاجة .

وهو يرجو القارىء [امعانا فى خفة الظل !] ألا يضحك .. لكننا نؤكد له أن القارىء سيضحك ولكن لاسباب تختلف تماما عما يتمناه السيد الطبيب !

ثم يبدأ مرحلة « المناقشة بالمغالطة » وهو أسلوب مبتكر لضياع الوقت . يقول سيادته انه لم يزعم « أن الماركسية هىالتى ابتدعت الالحاد» وبالتالى يكون ردى عليه فى العدد الماضى غير ذى موضوع اذن ، علينا أن نثبت له بالدليل القاطع أنه لا يقول الصدق ولا يملك شجاعة التمسك بما قاله ، وأنه عندما يواجه برد يسقط احدى حججه ، يزعم على الفور أنه لم يقلها .

ان الدليل هو نص عباراته فى مقاله فى « الطليعة » عدد نوفمبر . يقول سيادته موجها الاتهام لنا : « ان أول المغالطات » هى قولنا «ان التيار الالحادى ليس اختراعا ماركسيا » أى أن رأى سيادته فى العدد الماضى أن الالحاد اختراع ماركسى أما فى هذا العدد فرأيه أن الالحاد هو مجرد اختراع فقط .. لقد أسقط كلمة واحدة من الجملة وفقد الذاكرة !

ومع ذلك نستمرد على زعمه الجديد الذى يؤكد منه أن « كل من يؤمن بفلسفة ماركس ولينين لابد أن يكون ملحدا » .

ولن نكرر الحجج التى قلناها فى العددين الماضيين ، لانه لا فائدة حتى من التكرار . نقول لسيادته انه ليس هناك مايلزم ماركسيا بأن يكون ملحدا ، حتى لو طالب بعض فلاسفة الماركسية اللينينية بالالحاد . وما يهمنا فى الماركسية هو أنهـا قدمت منهجـا علميا يسـاعد فى تحقيق الاشتراكية التى نؤمن بها ، وفى تغيير المجتمع الى افضل من الناحية الاقتصادية والاجتماعية وعلى أساس قوانين الصراع الطبقى ، ان جوهر الماركسية هو اكتشاف القوانين التى تفسر وتغير المجتمع ، وليس البحث فى مشكلة وجود الله .

ونحن لا يشغلنا أن كثيرا من المـاركسيين الاوروبيين قد يكونوا ملحدين ، فما يعنينا هو أن الدين يلعب فى بلادنا دائما دوره الطبيعى فى صف الفقراء من النـاس ومن أجل الحـق والعدل وتصفية الاستعباد والاستغلال ... الا عندما يستغله أمثال الطبيب فى شعارات جوفاء يغطى بها موقفا سياسيا واجتماعيا لصالح الاقلية المستغلة ضد الاغلبية المستغلة . أو عنـدما يتصور البعض خطرا عاجلا من الاشتراكية على ما يكتنزون من أموال ، يستنزفونهـا من عرق ودماء الناس .

ولان الماركسية ليست دينا فقد أعلن ماركس عبارته الشهيرة : « لست ماركسيا » وذلك لكى لا يظن أحد أن الماركسية مجموعة من القواعد المقدسة التى لا تغيير فيها ولا تطوير . ولقـد أعلن أحد قادة الحـزب الشيوعى السوفيتى [ميكويان] منذ سنوات : « ان الواقع أغنى من النظرية » .

فاذا اختار المـاركسى أن يكون مؤمنـا فلن ينتقص هذا من ماركسيته . كما لم ينتقص احد من ماركسية دكتور جونسون الذى لم يكن يخفى معتقداته السياسية وهو يزاول عمـله كرئيس لاساقفة كانتربرى فى بريطانيا « العظمى » !

وقد تجاهل السيد الطبيب أن قيـادة حزب شيوعى أوروبى كالحزب الايطالى لا تحول دون المؤمنين من أن يصلوا اليها ، و « أمر » سيادته بتكفير أحـد كبـار الثوريين فى أمريكا اللاتينية لانه قسيس ماركسى ، رغم أنه استشهد بـين الثوار وهو مسيحى وقسيس وماركسى ، وبذلك يسط السيد الطبيب سلطته « البابوية » التى « يحرم » بها من يشاء متى شاء من دينه ، سواء كان مسلما أو مسيحيا ! وليس لديه ما يقدمه غير الاقتباس واعادة الاقتباس لاثبات ان ماركس وانجلز ولينين كانوا ملحدين ! هل قال أحد انهم كانوا مؤمنين ؟!

أما ما نقوله له من أن قادة الولايات المتحدة وبريطانيا « العظمى » غير مؤمنين فيقول انهـا « من الواضح أنها لا تعنينا فى شىء » !

الذى يعنيه فقط هو تجريم وتجريح كل من اتخذ موقفا معاديا للرأسمالية العالمية والاستعمار العالمى ... كل من كان عونا لشعبنا ولنضالنا ضد الاستعمار والصهيونية والتخلف .

ومع ذلك يتهمنا السيد الطبيب بأننا نخلط بين الماركسـية وبين موقف الاتحـاد السوفيتى من قضايانا ، ولم يكن يريدنا « أن نتردى » فى هذا الموقف لانه كما يقول : « **أولا** يسىء الى الاتحاد السوفيتى ، كما يسىء الى بلادنا » . ولعـله بهذا السخف أراد فعلا أن يضحك القراء !

لقد انقلب السيد الطبيب فجأة الى مدافع عن الاتحاد السوفيتى وعن بلادنا ! ... أى شجاعة يتحلى بها ؟!

هل أصبحت الاساءة الى الاتحاد السوفيتى أمرا مرذولا ؟ ألم تخصص « مقالتيك » للاساءة الى الاتحاد السوفيتى والى « بلادنا » ؟! عليك أن تطمئن ولا تجزع فلا يزال هناك متسع لامثالك للاساءة للاتحاد السوفيتى و « لبلادنا » ، ولا داعى لان تتراجع بهذا الشكل المهين .

ثم ما هى حكاية الخلط بين الماركسية والاتحاد السوفيتى ؟ ألم يصل الى علم سيادتك أن الاتحاد السوفيتى يتخذ من الماركسية عقيدة سياسية ؟ وهل تعتقد أن مواقف الاتحـاد السوفيتى — سواء قبلناها أو رفضناها — تنبع مـن عقيـدة سياسية غير المـاركسية ؟ أو هـل تظن أن الماركسية « تهمة » لا تليق أن « يوصم » بهـا السوفيت لئلا يعد ذلك تعريضا بهم واساءة الى الصداقة المصرية السوفيتية ؟!

لكنه لم ينس فى آخر عبارته السابقة «دفاعا» عن الاتحاد السوفيتى و « بلادنا » ، أن يتهمنا « بالتبعية والعمالة » ... طبعا « للاتحـاد السوفيتى ولبلادنا » ... أو غالبا هذه المرة عملاء « لبلادنا » فقط ، لكى لا « يتردى » سيادته فى الاساءة الى الاتحاد السوفيتى !

ورغم انه قد يظن انه استخدم اكثر الالفاظ ابتذالا فى قاموسه السياسى ضد الوطنيين من ماركسيين وغير ماركسيين ، الا أننا لا نرى مثله فى « التبعية » لبلادنا أى نوع من الاهانة ، ولا نعرف أن للاتحاد السوفيتى « عملاء » فى بلادنا لكننا نعرف وهو يعرف جيدا من هم عملاء الاستعمار الامريكى وأذنابه بالفعل أو بالقول.. أو « بالمقالات » أحيانا . ! وعندما يتعرض لمسألة العامل العربى والعامل الاسرائيلى ينسى ما شرحناه له حول معنى تضامن العمال فى العالم ضد الرأسماليين الاستعماريين و«عملائهم» ويجتزىء الفقرة التى قلنا فيها أن ما يتعلق باسرائيل غير مطروح بالمرة لان اسرائيل ظاهرة شاذة استعمارية استيطانية ومرفوضة . ويخيل اليه أننا تجنبنا الموضوع .. ؟!

ثم ينسى مرة أخرى بسبب فقدان الذاكرة أنه طالبنا بعدم الاساءة الى الاتحاد السوفيتى ، ويطلب رأينا فى « الجريمة » التى ارتكبها أحد كتاب ومفكرى الحزب الشيوعى السوفيتى الذى قال : « ... ان الحزب الماركسى يحاول أن يخلص الطبقة العاملة من الوطنية البرجوازية» !

لقد تخيل السيد الطبيب أنه ألقمنا حجرا ! فهل يعرف ما معنى عبارة الوطنية البرجوازية فى المفهوم الماركسى ؟ انها تعنى التعصب الوطنى الذى يتجاوز معنى الوطنية الحقة . او التعصب الذى يصل الى درجة العنصرية لدى البعض .

ولعلك تعلم أن هذا النوع من الاقليمية العنصرية يتنافى مع التسامح القومى ويدعو الى العدوان والتوسع على حساب شعوب أخرى [راجع كتابات ماركس وانجلز عن الاستعمار] .

وأخيرا يطالبنا السيد الطبيب ـ وهذا غريب ـ أنه يطالبنا « بالشجاعة الادبية » لا لنتبع « تعاليم الاديان والقيم ، بل ما ورد فى خاتمة كتابهم المقدس وهو المانفستو الشيوعى الذى وضعه نبيهم ماركس ورفيقه انجلز » .

وقد حاولنا أن نفهمه أن الماركسية ليست دينا وليست لها كتب مقدسة لكن دون جدوى . ولم يعد أمامنا سوى أن نعرض عنه . ولسنا مطالبين بأن نثبت أمامه شيئا أو ننفيه . فلا هو بالمرجع فى شئون الدين ولا هو بالمرجع فى شئون الوطنية . ولا يبدو من أسلوبه فى تناول الامور انه يصلح لهذا أو لذاك .

قد يكون كما ذكر فى صدر رسالته الى الطليعة « باطنى أخصائى فى أمراض القلب ومدير معهد السكر » وهذه أمور لا ندعى المعرفة بها .

أما ما يظن أنه أحرجنا به عندما يجتزىء عبارة من البيان الشيوعى لماركس وانجلز ويضع خطا تحتها فى رسالته الى الطليعة ! [وهى قلب كل النظم الاجتماعية القائمة بالقوة] فلعلك لا تعرف أيضا أن هذه العبارة وجهت الى شعوب أوروبا قبل منتصف القرن التاسع عشر عندما كانت النظم الملكية الاقطاعية الفاسدة تستعبد الاوروبيين هناك وتنهب بلادنا وتستذلها هنا . ولقد أثار بعض رجال الكهنوت «المحترفين» من عملاء القصور ، الذين باعوا دينهم من أجل خدمة أمراء الاقطاع ... أثاروا ضجة حول هذه العبارة ، ووضعوا تحتها خطا أيضا واعتبروها عدوانا على الحق الالهى لهؤلاء الملوك والامراء . لكنهم ، وهذه حقيقة لا بد أن تذكر ـ لم يحلموا بأن يقتفى آثارهم بعد أكثر من مائة وخمس وعشرين عاما طبيب مصرى : « باطنى أخصائى أمراض القلب ـ مدير معهد السكر» !!

اننا نعرف مما كتبه الطبيب أن مسألة الدين لا تعنيه فى قليل أو كثير ، ان ما يعنيه أولا واخيرا هو التهجم على الاشتراكية ، سواء الماركسية أو غير الماركسية .

ان الماركسيين المصريين ، كما قلنا ، لايحاربون الدين ولا يعادونه . لكنهم يحاربون الاستعمار بكل صوره ، والصهيونية بكل شرورها ويرفضون استغلال الانسان للانسان ، ويعملون من أجل مجتمع سعيد مستقل تنعم الغالبية فيه بثمار جهدها وعرقها .

والماركسيون المصريون لا يعملون أبدا ضد نظام وطنى كنظام الرئيس السادات الذى يعلن ان هذه هى أهدافه ، وليس هذا من باب الحرج ، أو النفاق . لان الماركسى واليسارى عامة لايعلن غير مايبطن ، ولكنها مجرد محاولة لافساد عمليات التشويش التى يقوم بها امثال السيد الطبيب .

ونحن نعلم أن السيد الطبيب للاسف يحنق علينا ويهاجمنا من أجل هذه الاهداف السياسية لكنه يغلف أهدافه السياسية الخاصة باطار دينى مفتعل .

ومن اجل ذلك فلسنا على استعداد لان نناقش معه مرة أخرى مزاعمه حول موقفنا من الدين . ولو واتته الشجاعة فليعلن رأيه ومواقفه من أهم الاهداف السياسية التى نعمل لاجلها ، ويعمل لأجلها كل الوطنيين .

[٣] المسلم .. من سلم الناسَ منه !

فاروق منصور

لم أجد فيما كتبه الدكتور **بدران** ما يستوجب الرد وسأغض الطرف عما جاء فيه من اتهامات بلا دليل أو كلمات غير طيبة قالها ، وأنزهه كمسلم أن ينزل الى ذلك وينسى أن « الكلمة الطيبة صدقة » . ولكى لا يكون لديه أى شك فى اننى اتجاوز عن اى سباب يوجه لشخص واهبا لله عرضى كما أوصانا **الرسول الكريم** صلى الله عليه وسلم فى حديثه الكريم ، وأحاول ان ادعوه الى كلمة سواء وأن أضع له النقط على الحروف حول ما حاول أن يدعيه أو يفسره وفق هواه :

انى رجل أقول ربى الله

١ — وصفتنى بأنى « ماركسى » وحاولت أن تجعل من كل ماركسى آثما ولست أوافقك على ذلك ولا يوافقك عليه المنطق والعقل ولا يقرك عليه الاسلام ديننا السمح الحنيف .

واعتقد انك تعلم جيدا أننى مسلم ، واننى أمضيت سنوات عمرى أدافع عن الاسلام ، بقدر جهدى وما تمكننى طاقتى . وأحمد الله عما وفقت فيه وألتمس منه أن يتجاوز عن تقصيرى فيما عجزت عنه أو لم أحسنه .

ولاننى مسلم ، كان يجب على أن أعلن ماركسيتى لو كنت كذلك ! فالاسلام يأمرنا بالصدق ، ويجعل الكذب من أكبر الكبائر عند الله . الاسلام يطالبنا بالتحديد والوضوح وأول تجديد فى الحياة أن تحدد وجهات نظرك وتبين مواقفك .

وأنه من حقى أن أقول لك لست انت الذى تحكم على — ليس استهانة بك أستغفر الله — ولكن ايمانى بالله ، وفهمى للاسلام يعطينى هذا الحق فى رفض حكمك ، عندما يجب أن ترجع الامور كلها لله .

لاتتجاهل الحقيقة

٢ — لم أذكر عن نفسى ما جاء فى التعريف بى — وليس فى ذكره ما يضايقك . لانه عملى اولا كما أنه جهدى الذى قدمته وأحاول أن أستمر فى تقديمه بإذن الله وعونه . وفى نشره تقليد تلتزم به كل المجلات التى تحترم نفسها وتحترم القراء فتقوم بالتعريف لكل كاتب عندما يبدأ النشر على صفحاتها لاول مرة تقوم به مع جميع الكتاب على اختلاف مذاهبهم وتباين آرائهم . واظنك — وانت طبيب — قد تعرف ذلك . لانك بالضرورة قد قرأت فى المجلات الطبية المتخصصة فوجدتها تعرف بكتابها فتذكر أن محرر الموضوع متخصص فى فرع معين ويحمل الدبلوم أو الدكتوراه أو البكالوريوس وأنه سبق أن قام

★

بعد صدور عدد ديسمبر من «الطليعة» نبهنا الاستاذ فاروق منصور كاتب المقال أنه قد وقع خطأ مطبعى فى الجزء المستشهد به من الاية رقم ٩٤ من سورة النساء اذ سقطت عفوا كلمة «ألقى» والاية كاملة هى :

« يا أيها الذين آمنوا اذا ضربتم فى سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم فتبينوا ان الله كان بما تعملون خبيرا » .

وكان الاستاذ طلعت خالد وكيل وزارة الاعلام ، قد اتصل بالطليعة ونبه الى نفس الخطأ المطبعى .

بأبحاث اخرى في هذا المجال او ذاك . هـذا عرف متبع وتقليـد علمى محترم لم ازعم فيـه يا سيدى اننى شيخ او امام او دكتور .

هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين

٣ ـ لا ادرى ما العجب فى ان يبدأ الكاتب بتحديد موضـوعه وتحـديد مدلول الـكلمات وتعريف المصطلحات ولماذا لا أعرف الدين ؟ هل ما استشهدت به يتعارض مع القرآن الـكريم والسنة المطهرة ؟ اذا كنت تملك رأيا صالحا فقله لى لكى اتبع ما يجب اتباعه .

٤ ـ سخرت من استشهادى بحديث شريف وموقف **رائع لابن عمر** ـ رضى الله عنهما ـ سامحك الله . ارجوك ان تقرا ما قاله ابن عمر ـ رضى اللـه عنهما ، فى اى كتـاب من كتب الاحاديث وستعلم لو قرأت بروح من يريد ان يتعلم وليس بروح من يريد ان يجادل ايا كانت المجـادلة .

ان **ابن عمر** رضى الله عنهما كان يؤكـد ان هناك امورا يجب التسليم بها ، ولايجوز لكائن من كان ان يتعداها . كان يحدد الاسلام كما جاء على لسان **الرسول** صلى الله عليه وسلم وكان يعلم الرجل أن أحاديث **النبى الكريم** يجب المحافظة عليها واحترامها ، فلا نتزود فيها ولا ننقص منها ، ولا نبدل فى كلماتها ولكن تؤخـذ بنصوصها ، ولا تفسر لارضـاء شـهوات ، أو خدمة ضلال ، أو الدفاع عن باطل ، او ينافق بها . ان **ابن عمر** يؤكد ان الاسلام محدد وواضح وأن نصوص الاحاديث واضحة ومحددة .

لقد حافظ المسلمون على الحديث وأفنى علماء الحديث حياتهم فى جمعه وتبويبه وتحديد رجاله والتمييز بينهم لجـلال علم الحديث واهمية علم الرجال . واذا كنت تعترض على التحـديد فى الامور فاقرأ هذه الكتب : كتب الحديث وكتب الرجال وكتب علم مصطلح الحديث انها ستفيدك وستفيدنى وتفيد كل الناس وستثاب على قراءتك وسيكون لى معك الاجر لان « الدال على الخير كفاعله » .

لقد ذكرت فيما كتبتـه فى العدد المـاضى « يوضح الحـديث ان هنـاك اسسا لا بد من التزامها ، وهناك تكاليف محددة لا يجوز التزود عليها ، أو التقديم والتأخير فيها » فهل يفهم مما كتبته ما تحاول أن تدعيه ؟

ليتكم قرأتم ما قاله ابن عمر

انى انزه **ابن عمر** رضى الله عنهما ـ عما تحاوله انت وغيرك بتنسبه لى بلا حق ـ غفر الله لى ولك .

ابن عمر رضى الله عنهمـا كان متبعـا ، كان معلما ، كان امينا على **الرسول** واحاديثه جنديا يدافع عن الرسالة . كان واحدا من جيل صالح من صحابة رسولنا الـكريم بأيهما اقتدينا اهتدينا .

ان **ابن عمر** رضى الله عنهما كان يتـولى توضيح مفاهيم الاسـلام للناس . وكان النـاس يتبعوا الحق . ويرضيهم قول ابن عمر ويتبعونه ايمانا منهم بأن « الحق أحق أن يتبع » . وان الهداية فى كتاب الله وسنة نبيه . وان الايمان اقرار وعمل .

٥ ـ لم اتهمك ولكنى قلت انك مخطىء لانك تريد لنفسك ان تتحول الى محكمة تفتيش تريد أن تجعل حول نفسك مجمع لاهوتى فى دين لا يقر محاكم التفتيش ولا يعرف المجامع ، ولا يرضى بالكهانة . ولايجعل الناس واسطة بين الله وعباده . ولكن « الايمان ما وقر فى القلب وصدقه العمل » . والاسلام ما حدده الحـديث « بنى الاسلام على خمس » وما جاء يؤكده ما رواه عمر رضى الله عنه عن سؤال **جبريل** عليه السلام **رسولنا الكريم** عن الايمـان وكيف تولى **جبريل** تفسيره .

بلى انه بشر !

٦ ـ تقول أن **ماركس** على ما زعمت كفـر المـاركسيين وما علاقة ذلـك بموضوعى ؟ انا لا أعترف بأن المـاركسية دين ، ولا يمـكن ان اعترف فى اى يوم الا بمفهوم ايمانى كمسـلم « ان الدين عند الله الاسلام » ، « ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه » .

وما علاقة **ماركس** بالايمان والكفر ان ماركس لا يملك ان يكفر مؤمنا او يتجـاوز عن سيئات مسيء . **ماركس** بشر مثلى ومثلك ، يصيب ويخطىء واجره على الله ، وحكمه عند ربه ، هذا ما يجب أن نسلم به كمسلمين .

كيف توافق وأنت مسلم على ان تضع **ماركس** مع **الله** فى مقارنة ؟ كيف تجعل منهما طرف معادلة او مجال اختيار ؟ اذا كنت تؤمن بالله حق فلتنزه خالقك عما تدفعك اليه حدة نقاشك .

انك عندما تصـور الامر على هذه الصورة : « **اما الله واما ماركس** » تنطلق من مفهوم غير اسلامى .

ولكن مادام القضية هى الاسلام يجب أن يكون السؤال لكل انسان — واذا كان ليس من حقنا أن نسأل الناس — هو هل تؤمن بالله وكتبه ورسله أم لا تؤمن ؟ فمن اقر بهذا فهو مسلم كرهت أنت أم رضيت . ومن قام بحقها فهو الكامل الايمان بنصوص كثيرة شريفة لا يهم أن تسلم بها أنت أو لا تسلم .

مسلمون رضيتم أم كرهتم

٧ — ما وجه العجب فى كلامى عندما اقول أننى لا أناقش الماركسية ، نعم لم اناقش الماركسية كنظرية أو منهج أو فلسفة أو نظام اجتماعى . ولكنى حددت الموضوع بالرد على ما جاء من اقوال حول أناس قد أعلنوا ايمانهم بالله سواء اكانوا مسيحيين أو مسلمين ولكنهم يسلكون فى أنظمتهم السياسية والاقتصادية المناهج الماركسية . كنت اتكلم من حكم ايمانهم بعد هذا الاقرار . ما هو الحكم على اناس قد أعلنوا أنهم يؤمنون بالله وكتبه ورسله ولهم افكارهم وأنظمتهم السياسية والاقتصادية ؟ الرد أنهم مسلمون وقد يكونون عند الله افضل منى ومنك .

أما أن تأتى أنت فتجعل من الماركسية دينا وتجعل من **ماركس** الها للمقارنة ، والحكم فأمر آخر لا يوافقك عليه المسلمون ولا يقول ماركسى واحد أن ماركس اله أو أن الماركسية دين .

ولا يجوز لك — وأنت مسلم — أن تقف لتناقش أمور العقيدة بهذا الاسلوب الذى لا يتفق مع الدين ولا مع العلم أى لا يتفق مع الاسلام .

لماذا النقاش ؟

أنت امام واحد من اثنين : اما مؤمن بالله أو غير مؤمن فاذا كان مؤمنا فليس لك محاسبته وان كان غير مؤمن فماذا يجديك نقاشه ؟ ثم ما الحكمة فى أن نكفر انسانا قال ربى الله .

ما الحكمة فى أن نحكم أهواءنا وتغلبنا شهواتنا وصراعنا الدنيوى فنحاول أن ننتصر ولو على حساب الدين ؟ لماذا نتصدى للدفاع عن الدين باغلاق أبواب الايمان أمام من يعلن ايمانه ؟ لماذا تحاول أنت أو غيرك منع الناس من أن يكون لهم ايمانهم بالله وتمسكهم بالكتاب والسنة وهم ربما أكثر من تمسكى وتمسكك ؟ وربما يكونون افضل عند الله من كل الذين يتصدون لهم بالتجريح أو الهجوم .

الدفاع عن الاسلام والتعريف به

٨ — اننى ادافع عن الاسلام كدين وادافع عن التراث الاسلامى كثقافة وسأظل والذى يهمنى من هذا الموضوع كله يوم وجدت أن من الخير الكتابة فيه هو الاسلام. الاسلام قضيتى وسأظل أدافع عنه . وأدفع حياتى ثمن ايمانى الاسلام كما جاء من عند الله . وليس كما يحاول حفنة من الناس تصويره أو تغييره أو تزويره . الاسلام كما جاء فى الكتاب ، والسنة . الاسلام فى مصادره الاساسية الذى لا يعرف لونا دون لون ولا جنسا دون جنس . الاسلام الذى يقر العمل الصالح الشريف قام به اليمينى أو اليسارى الماركسى أو غير الماركسى .

هذا هو الاسلام

الاسلام الذى يطلب أن يكون الايمان سلوكا وليس شعارات ولا دعوات ارهابية . الاسلام الذى يجعل من الحب عبادة ومن الكراهية اثما وليس الاسلام الذى يقر أن الجريمة عملا اسلاميا ، وأن يتقاسم الناس الغنائم ، ويتصارعوا تهافتا ، ويتافتوا باسم الاسلام . انى مؤمن بالاسلام وسأدافع عنه كرسالة منزلة وكدين الله الذى افخر بانتسابى اليه . وكما جاء ليؤكد وحدانية الخالق ووحدة الدين وكرامة الانسان وحقه فى الحياة الحرة الكريمة التى يعيش فيها الناس سواسية كأسنان المشط . ولا ينام فيها انسان شبعانا وجاره جائع . الاسلام الذى يتمثل فى : « ما جاءكم به الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » . الاسلام الذى يصف المسلم بأنه « من سلم الناس من لسانه ويده » . والمؤمن بأنه من « آمنه الناس على حياتهم وأموالهم » هذا هو دينى وتلك هى قضيتى . أما أن يتحول الكهنوت الى ايمان ، وتتحول الجريمة الى عمل اسلامى ، ويتحول التكفير الى أسلوب . أما أن تخلق قضايا جانبية لنناقش فيها ونتصارع حولها فليس من الدين . انه لا يرضى الله ، ولا يخدم الانسان ، ولا ينفع الوطن ، والاسلام يتمثل فى مراعاة صالح الناس وكل ما أفاد الناس فثمة شرع الله . والله يتقبل ايماننا ويتجاوز عن مسيئنا ويهبنا جميعا على اختلاف الواننا وعقائدنا العمل الصالح وخدمة وطننا .

الامام الصدر
المطران حداد
المطران خضر

يتحدثون عن : الدين . الانسان . المجتمع

د. مراد وهبة

قضية العرب فى هذا العصر هى قضية الاصالة والمعاصرة . نعنى بالاصالة التراث ، ونقصد بالمعاصرة قضية العصر ، وهى قضية ثلاثية الابعاد ، اذ هى تنطوى على بعد علمى وتكنولوجى وايديولوجى .

وقضية العرب تقوم على ما يبدو أنه تناقض بين تراث دينى الطابع وبين عصر علمى الطابع .

ورفع هذا التناقض أمر لازم ومطلوب

ومسئولية القوى الدينية فى رفع هذا التناقض ضرورية وحتمية .

والسؤال عندئذ :

أين موقع القوى الدينية ؟

وكان هذا السؤال يدور فى ذهنى وأنا ألقى محاضرة عن « البترول والتحدى الحضارى » فى بيروت فى ١٢ ـ ١١ ـ ١٩٧٤ بدعوة من دار الفن والادب . اذ فى تقديرى أن التحدى الحضارى يكمن فى رفع التناقض بين الاصالة والمعاصرة . وفى اطار هذا الرفع يتحدد دور البترول العربى كقوة اقتصادية وسياسية متفجرة أثر حرب اكتوبر .

وجاءتنى الاجابة عن السؤال المطروح من حوار أجريته مع ثلاث شخصيات دينية مرموقة :

ـ الامام موسى الصدر

ـ والمطران جريجوار حداد

ـ والمطران جورج خضر

الامام الصدر

التقيت بالامام موسى الصدر ـ رئيس المجلس الاسلامى الشيعى الاعلى ـ وكانت تكسو وجهه مسحة من الغبطة لم تكتمل قسماتها . الغبطة مردودة الى ما جاء فى خطاب ياسر عرفات فى الامم المتحدة عن محنة جنوب لبنان حيث يقول :

« اذا فتح سجل الارهاب الصهيونى على جنوب لبنان ، وهو الارهاب الذى ما زال مستمرا ، فسوف تقشعر الابدان من هول ما يرتكب من أعمال القرصنة والقصف والعدوان » .

أما عدم اكتمال غبطة الامام الصدر فمردود الى الغارة الوحشية التى قامت بها اسرائيل على النبطية فى جنوب لبنان قبل لقائى معه بساعات قليلة .

ومن ثم كان جنوب لبنان نقطة البداية فى الحوار . وطلبت منه استفسارا عن تصوره لاهمية جنوب لبنان الاستراتيجية .

وركز الامام على بعدين :

بعد جغرافى وبعد فلسطينى .

من حيث البعد الجغرافى يمثل جنوب لبنان احدى الركائز الاربع فى استتمام ما ينادى به

الاسرائيليون من حدود آمنة . أما الركائز الثلاث الاخرى فهى سيناء والجولان ونهر الاردن ، وهذه فى قبضة اسرائيل .

ثم ان جنوب لبنان منطقة خصبة وأثرية :

خصبة بفضل نهر الليطانى الذى يحتوى على مليار متر مكعب من الماء .

وأثرية بسبب ما تنطوى عليه من آثار لحضارات قديمة هى الفينيقية والرومانية والبيزنطية .

ومن حيث البعد الفلسطينى فان جنوب لبنان موقع ملائم للعمل الفدائى ، اذ قد اسهم فى احياء القضية الفلسطينية بالرغم من تخلف السلطة اللبنانية عن الاهتمام بتدعيم القوى الدفاعية لهذا الموقع منذ عام ١٩٤٨ حتى الآن .

وعند هذه العبارة استأذنته مقاطعا :

- اذن ثمة مغامرة اذا ما ظل الحال على هذا الوضع فى جنوب لبنان .

- المغامرة قائمة بالفعل ، ولكنها مطلوبة لرفع الاحساس بالمذلة والضعة .

- وماذا يكون الحال لو نتج عن هذه المغامرة احتلال اسرائيل للجنوب .

- هذا فرض محال .

- لماذا ؟

- لاعتبارات دولية ، من بينها بروز الدور الايجابى للاتحاد السوفيتى فى المنطقة العربية .

- ولكن هذا الدور الايجابى يقف عند حد عدم التدخل المباشر .

- ليس هذا الحد مقصورا على السوفيت ، وانما هو أيضا ينسحب على الدول العربية .

- اذن ينبغى التفكير فى تغيير البنية اللبنانية ، فهل هذا التغيير فى الامكان ؟ .

- ليس ممكنا الا باتفاق جميع الطوائف الدينية ، ذلك ان لبنان يقوم على مبدأ التعايش السلمى بين الطوائف الدينية ، ولهذا فليس فى الامكان احداث أى تغيير الا باتفاق تجمع عليه هذه الطوائف بلا استثناء .

- وما هو أساس هذا الاتفاق فى تصورك ؟

- أساس هذا الاتفاق ينبغى ان يقوم على تغيير الفكر الدينى التقليدى الذى يدور على الاتجاه الى الغيب والى الله ليس الا .

- وما هى ابعاد هذا التغيير المطلوب ؟

- بعدان لا ينفصلان :

بعد يتجه الى الله .

وبعد يتجه الى الانسان .

ومعنى ذلك انه ليس ثمة ايمان بالله بمعزل عن الاهتمام بقضية الانسان ، لان أى تنكر لقضية الانسان يخرج الانسان من الايمان .

- وما هى قضية الانسان ؟

- تحقيق العدالة ، ورفع مستوى المعيشة ، وتوفير الفرص لجميع المواطنين .

- وماذا عن تغيير المناخ السياسى لمواكبة هذا الفكر الدينى الصحيح ؟ .

- تغيير هذا المناخ أمر لازم ومطلوب ، لان المناخ الراهن مشبع بالتلاعب والاستغلال والمساومات ، الامر الذى يمنع أصحاب الكفاءات من ابراز مواهبهم . ووسيلتنا الى هذا التغيير فضح الفئات المتحكمة الطاغية ، وكشف فشلهم فى تحقيق ابسط متطلبات الحكم . ونحن بالفعل قد أدينا واجبا وطنيا وانسانيا فى هذا المضمار ، وهيئنا المناخ اللازم للمساومات السياسية والايديولوجية التى تتسق والبنية اللبنانية .

وهنا طلبت استفسارا عن مدى علاقة الامام موسى الصدر بالقوى الوطنية التقدمية على اختلاف مواقعها ، وكان جواب الامام فى حسم :

- مبدئيا ، اننى أرفض أى تصنيف للمواطنين على أساس الاتجاهات السياسية والفكرية ، بل العكس هو الصحيح . فحين يجد الإنسان نفسه

فى مجتمع لا يرضى طموحه فليس أمامه الا أحد أمرين :

اما أن يمتنع عن التغيير فيخنع ويستسلم

واما أن يندفع الى التغيير فيختار احدى صيغ التغيير

واذا افترضنا أن صيغ التغيير ، فى جملتها او فى جزء منها ، ليست صحيحة فان هذا لا يعنى رفض التعاون طالما ان الحركة شريفة ، والنية طيبة .

وتأسيسا على هذا المبدأ فاننى - رغم كونى مؤمنا مسلما ملتزما - لا أرفض بل أتعاون مع جميع القوى التى تسعى عن طيب نية الى تغيير المجتمع وخلق بديل أفضل .

- وهل ثمة صيغة فكرية لهذا التعاون ؟

- الصيغة الفكرية ممكنة ولكنها حتى الان مجملة وليست مفصلة . ومع ذلك يمكن تحديدها سلبا بأنها مناقضة للفكر الدينى التقليدى الذى يؤمن بممثل لله على الارض هو مصدر الحقوق والواجبات . ويمكن تحديدها ايجابا بأنه الفكر الدينى الصحيح الذى يؤمن بأن الانسان خلق من تراب (أى أنه موجود أرضى) وأن الله قد نفخ فيه من روحه (أى وضع له فى التصميم الاولى بعدا سماويا يمنحه الطموح النهائى والامل الدائم الذى يفجر طاقاته الكامنة .

ومن شأن هذا الفكر الدينى الصحيح أن يتلاقى مع الفكر العلمانى الذى يبدأ بالانسان الارضى ويتحرك فى اتجاه رأس الهرم من حيث السلطات والحقوق . وقد تحقق هذا التلاقى بشكل جدى فى منطقتنا حيث أن الحساسيات والصور المغلوطة ، التى كانت تتحكم فى القوى الدينية والقوى العلمانية ، كانت مانعا من اجراء الحوار بينهما . ولكنى أعتقد أن الاحداث الاخيرة فى العالم العربى وما لازمها من محن وفضح للاستعمار والصهيونية قد ازالت الكثير من هذه الحساسيات ، وصححت الكثير من الصورة المغلوطة .

- ألا ترى أن هذا التلاقى يثير قضية فصل الدين عن الدولة فما الرأى ؟

- الرأى عندى أن مفهوم الربط بين الدين والدولة - عبر التاريخ - كان أداة فى خدمة الطغاة والظالمين الذين كانوا أبعد الناس عن الفكر الدينى الصحيح ، وكان من شأنه أن حدثت ردود فعل عنيفة دعت الى الفصل الحاسم بين الدين والدولة الى الحد الذى تحول فيه رجل الدين الى مجرد رمز ، وتحول فيه الدين الى مجرد طقس . واننى أعتقد أن هذه الردود كان لها الفضل فى ابعاد الظالمين الذين كانوا يحكمون باسم الله . ومع ذلك فهذه الردود ذاتها قد أفقدت البشرية ثروة كبرى . ولهذا أرى من الضرورى البحث عن صيغة جديدة للعلاقة بين الدين والدولة . وفى تصورى أن كشف الغطاء عن الصورة الحقيقية للدين كفيل بابراز صيغة مقبولة .

- وماذا عن وجهة نظرك فى الحوار الدائر اليوم بين الاديان فى الغرب ومدى علاقته بابراز الصورة الحقيقية للدين ؟

- ان انطباعى عن الحوار بين الاديان ، كما هو دائر فى الغرب ، يرتد الى مؤتمر بحمدون الذى انعقد حوالى عام ١٩٤٧ أو ١٩٤٨ ، والذى كان بشرف على اعداده قادة الغرب . وكانت الغاية من هذا الحوار اذابة الجليد بين العرب من مسلمين ومسيحيين وبين اسرائيل بصفتها الممثلة لليهود فى العالم . وقد رفض قادة المسلمين والمسيحيين تحقيق هذه الغاية وامتنعوا عن حضور المؤتمر . واذكر أن الشيخ محمد حسين كتب رسالة عنوانها مقتبس من اسم المؤتمر « المثل العليا فى الاسلام لا فى بحمدون » ذكر فيها أن الحوار الاسلامى والمسيحى مع اليهود كان قائما منذ قديم الزمان . أما الحوار مع الصهيونية فهو مثل الحوار مع الاستعمار أمر مرفوض ، لانه حوار لا يستند الى قوى متكافئة ، وانما الى قوى ظالمة وقوى مظلومة . وهذا استسلام للظلم أو انظلام ، والمتظلم احد الظالمين .

ومع ذلك فانا لا أرفض حوار اليوم الدائر بين الاديان ، وانما أنظر اليه بتحفظ . وهذا التحفظ لا يعنى السلبية ، وانما يعنى احتمال وجود نيات طيبة .

ثم انى منفتح على حوار آخر مع القوى العلمانية ، وهو حوار جديد فى منطقتنا .

- وما هى الارضية المشتركة فى الحوار مع القوى العلمانية ؟

تواصل « الطليعة » ابتداء من العدد القادم نشر ملفاتها عن البلدان العربية ، والاشتراكية ، من واقع الدراسات الميدانية التى قامت بها بعثاتها فى هذه البلدان .

وكانت قد بدأت خلال العام الماضى نشر باكورة ملفاتها عن البلاد العربية ، بملفها « العراق من الداخل » . وتبدأ فى الاعداد القادمة نشر باكورة ملفاتها عن البلاد الاشتراكية ، بنشر ملفها عن كوريا الديموقراطية .. من الداخل » . الذى يتناول بالدراسة مختلف جوانب حياة جمهورية كوريا الديموقراطية الشعبية ، سواء الاقتصادية ، او الاجتماعية ، او السياسية منها ، واهم المشكلات التى تواجهها فى الوقت الراهن ، وسبيل حلها ، وافاق تطورها الاقتصادى الراهن والمقبل .

أجاب الامام موسى الصدر فى حسم وبلا تردد ؟
سعادة الانسان

ثم استطرد قائلا :

ان هذا الحوار مكفول له التقدم السريع ، اذ قد سبقه عمل متجسد فى الواقع الحى فرض نفسه على الحوار . أنظر الى حرب رمضان التى أطلق عليها فى الاوساط الدينية حرب بدر الجديدة ناتسمت بطابع القداسة .. ان هذه الحرب قد اعتمدت السلاح الوارد من الاتحاد السوفيتى زعيم العالم العلمانى .

أليس هذا هو قمة الحوار ؟

وعند هذه العبارة انتهى الحوار مع الامام موسى الصدر رئيس المجلس الاسلامى الشيعى الاعلى ، وواحد من أكبر زعماء لبنان الروحيين والمناضلين من أجل تحرير الانسان العربى على التخصيص ، والانسان على الاطلاق .

المطران حداد

ويقف الى جانبه فى هذا النضال المطران جريجوار حداد رئيس مطرانية الروم الكاثوليك ببيروت .

التقيت به فى المطرانية بعد غيبة عنها دامت ما يقرب من شهرين بسبب آرائه ومواقفه الدينية .

استفسرت فى بداية الحوار عن رأيه فيما كتبته عنه فى مجلة « الطليعة » فى شهر أكتوبر الماضى ، وكان جوابه والابتسامة تسرى فى قسمات وجهه :

« موافق على كل كلمة جاءت فيما كتبت »

وكنت قد استعنت بمجلة « آفاق » للتعرف على آرائه . « وآفاق » مجلة صدرت فى بيروت فى بداية عام ١٩٧٤ . وجاء فى بداية الافتتاحية بعنوان « لماذا آفاق ؟ » :

« آفاق مجلة ملتزمة ، والتزامها هو الانسان » .

ولكن من هو هذا الانسان ؟

جواب « آفاق » هو هذه العبارة :

« اذا كان الله فى داخل الانسان ، فالايمان بالله يتجسد فى الايمان بالانسان » .

وجاء فى خاتمة الافتتاحية أن « الحوار يعنى حتما أن القضية ، كل قضية لم ينته فهمها نهائيا بعد ، بل بالعكس كلما ازداد الانسان فهما لها ثبينت له فيها أبعاد جديدة وآفاق جديدة » .

وبداية الافتتاحية ونهايتها تعنى أن وحدة الفكر تنطوى على تعدده . ووحدة الفكر فى « آفاق » سالبة ، اذ هى تنطوى على رفض الواقع السياسى ، ورفض الواقع الدينى . وفى تعدده موجب ، اذ هو يطرح عدة بدائل لهذا الواقع المرفوض .

وبدأ المطران جريجوار حداد الحوار باحصاء بدائل الواقع الدينى المرفوض :

بديل يذهب الى رفض العقيدة المسيحية كمؤسسة ، أى كشىء موضوعى متحجر .

وبديل يدعو الى العودة الى الاصول الاولى للمسيحية .

وبديل ثالث ينادى بنقد جذرى للدين ، لا يكتفى بالمطالبة بالاصلاحات السطحية وحتى العميقة فى الكنيسة ، بل يتجاوزها الى المطالبة باعادة النظر فى الكنيسة ذاتها والتساؤل حول « أن تكون أو لا تكون » .

ثم يستطرد المطران حداد قائلا :

وأنا واحد من الذين ينادون بالبديل الثالث .

— وماهى ركائز هذا النقد الجذرى للدين ؟

— ركيزتان :

١ — المسيح هو المطلق ، القيمة المطلقة ، والمقياس المطلق . « هو الاول والاخر » .

٢ — الانسان هو المطلق ، القيمة المطلقة ، والمقياس المطلق . « هو الثانى كالاول » .

— أليس القول بمطلقين تناقضا فى الحدود باعتبار أن المطلق بحكم طبيعته واحد بالضرورة ؟

— اذا فهمنا القول بمطلقين على أنه ينطوى على ازدواجية فهذا فهم مرفوض . أما أنا فأفهم هذا القول بمعنى اندماج الانسان فى الله ، أى بمعنى تداخل المطلقين مع ملاحظة أن مطلقية الانسان أقل من مطلقية الله . ولتقريب هذا الفهم أذكرك بقول اثناسيوس المأثور « صار الاله انسانا ليصير الانسان الها » . فهذا القول ، حرفيا ، يوحى بالكفر والالحاد ، ورمزيا ، يعنى المشاركة ، مشاركة الانسان فى الالوهية ، ويعنى ان الانسان كائن متطور وغايته من التطور أن يصبح الها . ومن هذه الزاوية يمكن القول بأن المسيح والانسان معا ، متلازمين ، هما المقياسان المتكاملان المتفاعلان للوصول الى الحقيقة المتكاملة . وكل ما سواهما يقاس بالنسبة اليهما .

— وماذا يترتب على هذا التصور من نتيجة ؟

— فك الاشتباك بين المطلق والنسبى حتى يظل المطلق محتفظا بمطلقيته .

— وعمليا كيف تجسد هذه النتيجة ؟

— أطالب بتغيير جذرى . فمثلا أطالب بتغيير اللغة المتداولة فى الكنيسة الان . فلغة القرن الثانى عشر ، مثلا ، لا يمكن ان تسهم فى فهم الايمان المسيحى . والتمسك بها يعزل المسيح عن

الكنيسة وعن الانسان ، والتمسك بها كذلك يكسبها قيمة مطلقة ، والقيمة المطلقة هى للمسيح وليس للغة . اذن تغيير اللغة يصبح ضرورة حتمية للمحافظة على رسالة الكنيسة .

— هل افهم من ذلك أن ثمة دوافع اجتماعية وراء هذا النقد الجذرى للدين ؟

— اذا كان ذلك كذلك فهذه ديماجوجية . ليس لدى من دافع سوى ايمانى . ففى اثناء دراستى فى كلية اللاهوت للاباء اليسوعيين عام ١٩٤٨ كنت اقرأ ما يصلنى سرا من كتابات جيرار دى شاردان » . وكانت تصلنى مكتوبة بالالة الكاتبة لانها كانت ممنوعة من النشر . وتاثرت بهذه الكتابات الى الحد الذى فيه اكتشفت أن الايمان الحقيقى لا يمكن ان يكون افيونا للشعوب ، بل قوة دافعة لتغيير المجتمع وتحرير الانسان ، وليس اداة لامتصاص النقمة عند الشعوب ، أو اداة لمحاربة اى عقيدة سياسية سواء كانت اشتراكية علمية أو غيرها من عقائد .

— واذا كان أساس دعوتك الى النقد الجذرى للدين هو الايمان فهل من الممكن ان يكون من ثماره تيار سياسى معين ؟

وكان جواب المطران حداد فى وداعة مصحوبة بابتسامة :

ويخلق الله ما لا تعلمون ، وانا لا أعلم . ومع ذلك فقد بحثت عن صيغة أخرى للسؤال :

— ما رأيك فى العنف ؟

— قد يطور البنية الاجتماعية ، ولكنه لا يطور الذهنية الانسانية . وافضل منه اللاعنف ، وقد مارسه غاندى فى الشرق ، ومارتن لوثر كنج فى أمريكا الشمالية .

— ولكنهما قتلا بأيدى القوى الرجعية . اضف اليهما الليندى .

— فليكن . فاعتقادى ان كل وضع ظالم تنفيه وسيلة لاعنفية . ولكنى من موقعى لا ادين من يدعو الى العنف ، اذ من موقعه يمكن تبرير مسلكه حيث ليس لديه بديل آخر .

— اذن أنت منفتح على البدائل .

— منفتح على كل فكر .. الفكر الاسلامى والفكر البوذى والفكر الماركسى .. منفتح على كل فكر برىء من الاحتكار

— وفى تقديرك لاى فكر ستكون الغلبة ؟

— للفكر الاكثر فاعلية .

واستكملت عبارته فقلت :

الاكثر فاعلية فى ازاحة كل من يقف عائقا أمام التطور .

أما هو فقد استوقفنى قائلا :

— كل « ما » يقف عائقا ، وليس كل « من » يقف عائقا ، لانه ينبغى الحفاظ على الانسان مهما يكن موقفه أو موقعه . فالثقة بالانسان مطلوبة ولازمة .

المطران خضر

والتقيت بعد ذلك بالمطران جورج خضر من الروم الارثوذكس ، ودار حديثى معه على حوار الاديان فى القرن العشرين ، فبادرنى قائلا :

ثمة حواران دائران :

أحدهما الحوار اليهودى المسيحى .

والثانى الحوار المسيحى الاسلامى .

الحوار الاول لازم لمعرفة كيفية توفيق اليهود بين اعتقادهم انهم شعب الله المختار وبين الدعوة السائدة اليوم الى أن يكون العالم كله أسرة واحدة . ومع ذلك فهذا الحوار لا يخلو من صعوبات وتعقيدات . ذلك أن معظم اليهود فى العالم قد اعتنقوا الصهيونية ، وبالتالى فالحوار تواكبه مواقف سياسية مسبقة ، الامر الذى دفع اللاهوتيون الارثوذكس الى مقاطعة الحوار ، وبالذات بعد يونيو ١٩٦٧ .

أما الحوار الثانى فهو أقل صعوبة من الحوار الاول بشرط أن يتخلى الغرب عن الفكر الاستعمارى .

— معنى ذلك أن حوار الاديان لا يمكن ان يخلو من مضمون اجتماعى .

— بالقطع لا ، لان النبرة الاجتماعية ليست عصرية فهى واردة عند أنبياء العهد القديم ، وواردة كذلك فى المسيحية ، فى رسالة يعقوب ، وعند آباء الكنيسة مثل يوحنا ذهبى الفم الذى رفض ، فى صرخةمدوية ، قدسية الملكية الفردية ، ودعا الى الملكية العامة . وكذلك مثل باسيليوس الكبيرالماثور عنه قوله « اذا قلت انك صاحب أرض لمجرد انك أول المستأثرين بها فانت تشبه الداخل الى المسرح حين يعلن أن المقاعد كلها ملكه لمجرد انه أول الداخلين » .

— ولكن هذه وتلك لغة ماركسية ، فهل من حق رجل الدين استخدامها ؟

— المصطلحات الماركسية جزء أساسى فى تحليل المجتمع . ومع ذلك فهذه القضية ثانوية ، اذ ليس هاجسنا ان نلتقى مع الماركسية ، وانما هاجسنا أن نخدم الانسان ونلتقى بعد ذلك مع من نلتقى . ومع ذلك فأنا أدعو الماركسية الى الانفتاح على الابعاد الانسانية التى لها نوع من الاستقلالية فى الحياة مثل الحب والمرض والموت والجمال . وأدعو كذلك المؤمنين الى الوقوف ضد القوى الدينية الرجعية التى تتميز بتصنيم المطلقات . فثمة صنم قدسية المال ، وصنم التقسيم المطلق بين المرأة والرجل .

وعند هذا الحد انتهى الحوار مع شخصيات تؤمن بالانسان وبالتقدم .

قراءة فى الصفحات الأولى لـ أخبار اليوم

٣٠ مايو



حكمة اليوم

إنى خصمك فى الرأى، ولكنى لا أتردد فى أن أبذل آخر نسمة من حياتى، وآخر قطرة من دمى، دفاعاً عن حقك فى إبداء رأيك

فولتير

كانت الحرب العالمية الثانية توشك أن تنتهى ..

ويوشك مع انتهائها أن ينفجر البخار المحتبس — منذ أمد طويل — فى صدر مصر .

وكانت مصر تحمل فى أحشائها انتفاضة وطنية عامة توشك أن تنفجر ، وبدت بوادرها ظاهرة للعيان ، ومعها كانت أيضـــا تتبلور بوادر حـــركة اجتماعية تصوغ شعاراتها من نسيج وطنى وطبقى معا . وتحدد أعداء مصر بالثالوث : الاحتلال — السراى — كبار الاقطاعيين والراسماليين .

وهكذا كانت مصر تتململ فى وجدانها ارهاصات انتفاضة ثورية معادية ليس للاحتلال فقط وانمـــا لـــكل القوى الاجتماعيةالتى تقف فى خدمته وتهيىء له أسباب البقاء كى تستظل بحمايته مكتفية لنفســـها بالفتات المتبقى على مائدته .

وبينما كانت الحرب توشك أن تنتهى تحدد مهام الرجعية فى مجابهتها للمد الوطنى والثورى بواجبات أساسية ثلاث :

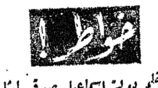
● محاولة صرف الانظار عن الاحتلال البريطانى وفى نفس الوقت فتح أبواب مصر واسعة أمام الزحف الامريكى القادم .

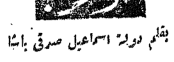


خواطر !

بقلم دولة اسماعيل صدقي باشا

سألوني : ماذا لفت نظرى ،
أكثر من كل شيء فى هذه الايام
من الاحداث السياسية ؟
قلت : أكثر ما لفت نظرى أنى
قرأت جميع الخطب التى قيلت
يوم ١٣ نوفمبر ، وهو اليوم الذى
بدأ فيه السعى للاستقلال . .
ووجدت فى الخطب اشياء كثيرة
ماعدا شيئا واحدا ... وهو أين
نحن من الاستقلال !





يحكى انه فى القرن التاسع عشر كان أحد سفراء فرنسا لدى بلاط امبراطور الروسيا ، لاحظ أثناء تردده الكثير على ... وبقيت الحراسة أكثر من مائة عام الى أن تبين الامر لدى ملاحظة السفير، وأبطلت الحراسة التى تناوب عليها الاف من الجند

● محاولة زيادة رصيد السراى ، والطبقات الرجعية وأحزاب الاقلية .

● ما يترتب على ذلك من تركيز الهجوم على حزب الوفد وكان — اذ ذاك — حزب الاغلبية الساحقة ، والتجمع الوطنى الذى كان هدفا مستمرا لمؤامرات ولهجمات الانجليز والسراى وأحزاب الاقلية .

كان ذلك منذ ثلاثين عاما ، وتأتى الذكرى فى هذا العام ليستقبلها البعض مهللين ناسين الاطار التاريخى، والمواقف ، وحقيقة هذه المواقف ، متصورين أن شعب مصر ضعيف الذاكرة ..

وفى أية محاولة للتقييم الموضوعى للدور الذى لعبته أخبار اليوم فى ذلك الحين ، لا نملك غير أن نقدم نماذج متكاملة من الاسلوب والمواقف تجاه « السراى » كمحور أساسى لمعسكر أعداء الشعب و «الوفد» كمحور أساسى للقوى الوطنية المصرية فى ذلك الحين ..

ولعل هذه القراءة للثلاثة عشر عددا الاولى « من أخبار اليوم» كافية بذاتها للدلالة على جوهر مواقفها بل على المنهج والتاريخ أيضا .. وما من شك فى أن أية قراءة لاية اعداد أخرى سوف نقدم المزيد والمزيد ..



لماذا ساءت العلاقات بين القصر والوفد؟
آداب السلوك أمام الملوك

مصطفى أمين

فى الاسبوع الاخير من شهر يوليو ١٩٤٢ كتبت مقالا فى مجلة « الاثنين » أحيى فيه حضرة صاحب الجلالة الملك بمناسبة ذكرى توليه سلطته الدستورية ، وكان المقال عاديا ، وصفت فيه شعورى نحو مليك البلاد ، وهو شعور كل مصرى .

وكان طبيعيا أن يجيز الرقيب المقال ، فليس فيه انتقاد للوزارة ، وليس فيه مديح لخصم من خصوم الوزارة ، وليس فيه مهاجمة لنائب وفدى ، وليس فيه شكوى من التموين أو مطالبة بالجلاء .. وهذه كلها كانت ممنوعات لا تجيز الرقابة نشرها بأمر صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا الحاكم العسكرى !

ولكنى دهشت عندما طلب رقيب المجلة عرض المقال على مدير الرقابة ، وعندما حمل الاستاذ الشافعى البنا رقيب المجلات الاسبوعية ، مقالى الى رفعة الحاكم العسكرى ليعرضه عليه ؟

وهالنى بعد ذلك أن علمت أن رفعته أمر بأن يعرض عليه شخصيا ، كل ما اكتبه عن جلالة الملك !

وفى اليوم التالى حضر الاستاذ الشافعى البنا يحمل المقال ويقول ان رفعة النحاس باشا أمضى الليل كله ، فى حذف وتعديل المقال ، ورأيت المقال ، فاذا بأغلبه محذوب بخط صاحب المقام الرفيع !

وحذف رفعة الحاكم العسكرى قولى «ان لى أن أرى ملكا حرا يحب الاحرار ويكره الطغيان ، ملكا شابا يشعر بـاحساسنا ، ويتألم لآلامنا » !!

وحذف رفعة الحاكم العسكرى قولى « ان الملك فتح قصره لكل الاحـزاب ولكل الزعماء » فليس للملك حزب لان مصر كلها حزبه ، وليس له رجال لان المصريين كلهم رجاله !

وحذف رفعة الحاكم العسكرى كل كلمة فيها اشادة للملك ، أو أضاف اليها ـ وحكومة جلالته ـ فاذا قلت مثلا ، ان الملك أظهر شجاعة فى حادث العلمين ، أضاف النحاس باشا بخط يده ـ ان الملك وحكومة جلالته أظهرا شجاعة فى حادث العلميـن ، .. وهكذا كل كلمة ثناء ، أصر رفعة الحاكم العسكرى أن يكون له نصيب « بالنصف » فى المدح والثناء !

وحذف الحاكم العسكرى ان الملك فاروق « ملك دستورى لا يرضى بالدستور بديلا ، وان الدستور لم يعطل فى عهده يوما واحدا » .

أوامر الرئيس

لم أصدق أن صاحب المقام الرفيـع مصطفى النحاس باشا تبلغ به الجرأة ، ويبلغ به الاسـتهتار ـ ولا أقـول كلمـة أخرى . فيحذف بيده التحية الموجهة الى ملك البلاد ، قلت للاستاذ شافعى البنا انى فى دهشة وفى عجب ، فسكت ثم قال هذه أوامر رفعة الرئيس ! وان الرئيس قال لى أن أبلغك أنه هو الذى حذف بنفسه هـذه العبارات ، لانه وجدها لا تتفق مع مقام جلالته .

وقلت ولماذا يحذف النحاس باشا ـ أن الملك يكره الطغيان ـ ان الملك جـورج الخامس ملك انجلترا قال فى رسالته لشعبه انه يكره الطغيان .. وليس المقصـود بالطغيان طغيان النحاس باشا !

فسكت ولم يرد .

قلت له وكيف تحذفون والملك يفتح قصره لجميع الزعماء والاحزاب » فقال : ان رفعة

٢٠ مليما

حكمة اليوم

للناس في الحرية آراء خاطئة... فهم يزعمون ان الحرية ان يفعل المرء ما يريده. لكن الحرية الحقيقية هي ان تزول كل القيود التي تمنع المرء من تأدية واجبه

روبرتسون



٥ ـ لماذا ساءت العلاقات بين القصر والوفد؟

جستابو.. على الملك!

٥ دقائق مع نشأت باشا

الرئيس فهم من هذا أن أبواب القصر مفتوحة للمعارضين ايضا .

قلت طبعا ان القصر مفتوح للمعارضين والمؤيدين .. اليس المعارضون مصريون ؟ أتريدون أن تحرموهم من جنسيتهم المصرية ، لانهميعارضون الوزارة .. أريد أن أقول أن الملك فاروق ملك الجميع !

فسكت الاستاذ الرقيب ، وأبدى أسفه بهز رأسه .

قلت : ولماذا يحذف النحاس باشا « ان الملك دستورى ، وان الدستور لم يعطل فى عهد الملك فاروق » .

فقال الاستاذ الشافعى : ان النحاس باشا يقول ان معنى هذا أن حكم محمد محمود وعلى ماهر وحسن صبرى وحسين سرى ، كان حكما دستوريا .. قلت نعم كان حكما دستوريا .. ولم تكن الرقابة فى عهدهم كما هى الان ، ولم تكن الجرائم ترتكب نهارا كما هو الحال و ... و ... الخ .

فقال الأستاذ الشافعى : ان النحاس باشا يقول انه كان مبعدا عن الحكم وقتئذ ، وبناء عليه فليس هذا حكما دستوريا !

قلت ما شاء الله ، هناك حكم دستورى ، مادام مصطفى النحاس رئيس وزارة فاذا خرج من الحكم فلا دستور هناك !

وكان الاستاذ الشافعى محرجا ، وكان الحق يقال غير راض عن هذه السياسة التى تسير فيها الوزارة ، وكان يوافقنى انها ستودى بهم جميعا الى الهلاك ..

وعندئذ قلت له : اننى سأنشر المقال كما كتبته ، ولن أحدث التعديلات التى طلبها النحاس باشا ، وليكن ما يكون !

وكتبت الى رئيس ديوان جلالة الملك ، وأرفقت المقال المحذوف .

وعجب القصر ، وأوفد سعادة الفريق محمد حيدر باشا ياور جلالة الملك الى معالى صبرى أبو علم باشا سكرتير الوفد ، والمسئول عن الصحافة وقتئذ ليسأله عن الحكاية ..

واذا بصبرى باشا يعترف بأن النحاس باشا هو الذى حذف المقال ، ويقول ان النحاس باشا لا يوافق على القول بأن الدستور لم يعطل فى عهد الملك فاروق يوما

واحدا .. لانه يعتبر المدة التى كان رفعته فيها خارج الحكم فترة غير دستورية !

وأفهم حيدر باشا بلهجته العسكرية صبرى باشا . ان هذا التصرف غير لائق . وانه سيكون له نتائج خطيرة ، وارتعد صبرى باشا ووعد بنشر المقال كما هو !

وبدأت الجريدة تستعد للطبع ... واذا بمكتب الحاكم العسكرى يتصل تليفونيا بالجريدة ويطلب حذف الفقرة الخاصة بالملك الدستورى ، فأبيت حذفها ، واذا البوليس يحيط بالمطبعة ويمنع دوران ماكينة المطبعة ! واذا بمندوب النحاس باشا يصر على حذف الجملة الخاصة بالملك الدستورى المحب للدستور !

ماذا حدث ؟ الذى حدث أن النحاس باشا اتصل ، وبعد ان تأكد ان الحالة الدولية تستلزم بقاءه رئيس وزارة ، استأسد من جديد ، واصر على حذف الجملة !

لعلك تعجب لهذا التصرف ؟ لعلك تدهش لوزير الملك الذى يحذف بيده تحية الملك ! ولكن قد تزداد دهشتك اذا علمت ان النحاس باشا كان يعتبر كل من يمتدح الملك انما يشتم النحاس باشا ، وكل من يحيى الملك انما يقذف فى حق الرئيس الجليل ، بل كان رفعته يريد أن يحتكر لنفسه كل مديح وكل تحية ، وكل بيت من الشعر !

وتبع هذا أن اتصل بى اغلب اصحاب المعالى الوزراء ، واحدا واحدا يقول لى أن النحاس باشا قرر اعتقالى بسبب هذا المقال ، ولكنهم نصحوه أن لا يفعل . لان الناس ستقول انى اعتقلت لانى مدحت الملك فاروق !

واتصل بى الاستاذ أحمد الوكيل كذلك ، وأبلغنى انه هو وحده الذى أقنع النحاس باشا بعدم اعتقالى !

مدح الملك مخالف للدستور

بل أكثر من هذا ..

كان الاستاذ محمود سليمان غنام وزير التجارة .... (كلمة غير واضحة) فى مجلة آخر ساعة بامضاء و . ت ، وقد تعجب لاختياره هذا الامضاء المستعار ، ولكن لتعرف عقلية معاليه ، فأعرف أن السبب هو أن الواو والتاء هى أول حرف من « وزير التجارة » !

وذات يوم كتب مقالا يقول فيه : ان مدح الملك مخالف للدستور . وانه لا يجوز أن تقول الملك وطنى ، أو أنه صالح ، أو أنه المصرى الاول ، وان كل مديح فى الملك هو اعتداء على الدستور ! والمقال مكتوب باسلوب الاستاذ غنام ، واسلوبه مثل شخصه ، ليس فيه أناقة وليس فيه ذوق سليم !

وألح الاستاذ غنام على مجلة ــ آخر ساعة ــ لتنشر المقال ، وأعطت الجريدة المقال للرقيب راجية حذفه ، وقالت له ان كاتبه هو معالى وزير التجارة ! وحمل الرقيب المقال الى معالى فؤاد سراج الدين باشا وزير الداخلية وكان المفهوم أن معاليه سيحذف المقال و « يكفى على الخبر ماجور » ولكن معاليه شاء أن « يطربقها » على رأس زميله العزيز ، فأرسل المقال الى القصر الملكى مع الاستاذ الشافعى البنا وكيل المطبوعات !

حتى يعرف القصر ماذا يكتب زميله فى الوزارة ، عن ملك البلاد الشرعى من « الجليطة » وقلة الذوق !

هذا بعض ما كان يفعله الوزراء غير الشرعيين نحو ملك البلاد الشرعى !

والعجيب ان كل واحد منهم كان أمام النحاس باشا يؤيده فى سياسته ، حتى اذا خرج قال لنا انه غير موافق على هذه السياسة .

كان أمين عثمان باشا يقول لنا هذا .

وكان يقول فؤاد سراج الدين باشا

وكان يقسم عليه الاستاذ عبد الحميد عبد الحق .

وكان يثبته المرحوم الدكتور عبد الواحد الوكيل .

وكان كل وزير ينتحى بك جانبا ، ويؤكد لك انه مخالف للنحاس باشا فى تصرفاته .. ولكن النحاس باشا اليوم ينكر انه سمع من واحد من هؤلاء غير المدح والثناء والتأييد .

وفى الاسبوع القادم ستقرأ كيف أن النحاس باشا كان يطالب الوزراء بأن يرفضوا دعوات الملك لهم لتناول الغذاء !

اخبار اليوم ــ العدد ٤/ص ١، ١٩٤٤/١٢/٢.

لماذا ساءت العلاقات بين القصر والوفد؟

أزمة القصاصين

مصطفى امين

فى يوم الاثنين ١٥ نوفمبر سنة ١٩٤٣، خفق قلب مصر وقلب البلاد العربية جميعا. فقد عرف الناس أنه فى الساعة الرابعة بعد ظهر ذلك اليوم، اصطدمت سيارة حضرة صاحب الجلالة الملك بسيارة نقل كبيرة فى طريق الاسماعيلية قرب القصاصين ..

وهلعت مصر للحادث .. واذا بنا جميعا نسير بلا وعى الى القصاصين .. واذكر اننى ركبت سيارتى ومعى حضرة صاحب الدوله حسين سرى باشا وصاحب العزة حسين سعيد بك خال جلالة الملكة، ولم نتبادل فى أثناء الطريق كلمة واحدة، فقد كان كل واحد منا يخشى أن يتكلم، وأن يتكهن، وكل منا يبكى ويحاول أن يخفى عن الاخر دموعه.

رئيس الوزراء

وما كاد معالى فؤاد سراج الدين باشا وزير الداخلية ومحمود غزالى بك مدير الامن العام يعلمان بالحادث حتى سافرا الى القصاصين ..

وكان المنتظر أن يسرع رئيس الوزراء الى القصاصين، ليكون الى جانب مليكه .. ولكن حضرة صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا، لم يسافر فورا، بل لم ينس أنه زعيم الامة والرئيس الجليل، واذا كان كل رئيس وزارة آخر من واجبه أن يسرع الى القصاصين هالعا، ليطمئن على صحة مليك البلاد، الا أن رفعته رجل غير عادى، ولهذا بدأ يفكر أولا كيف يسافر الى القصاصين؟

هل يسافر بسيارة عادية كما سافر الامراء والكبراء؟ غير معقول!

ولهذا أمر رفعة الرئيس باعداد قطار خاص يسافر به الى القصاصين!

وقبل أن يسافر اتصل تليفونيا بصاحب المقام الرفيع أحمد محمد حسنين باشا رئيس الديوان الملكى يقول له انه تأخر فى الحضور لانهم كانوا يعدون له قطارا خاصا!

ثم بعد ذلك يستأذن من جلالة الملك فى الحضور!

سبحان الله! رئيس الوزراء يعلم أن جلالة الملك مصاب فى حادث .. وينتظر من الساعة الرابعة بعد الظهر الى حوالى الساعة الحادية عشرة مساء! ثم بعد ذلك يستأذن هل يحضر أو لا يحضر؟

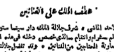
وذهب حسنين باشا وتشرف بمقابلة جلالة الملك وعرض عليه استئذان النحاس باشا، وكان الرد هو الرد الطبيعى، وهو أن جلالة الملك يبلغه الشكر السامى، وأن جلالته سيعود فى اليوم التالى الى القاهرة، ولذلك لا تكون ثمة ضرورة ليتعب رفعته نفسه بالحضور ليلا الى القصاصين!

لو كنت أنا وأنت مكان صاحب المقام الرفيع لهرعنا الى جانب فراش الملك، ولتركنا كل شىء لنطمئن على الملك الشاب، الذى يعتبر المصريون حياته حياة لهم .. ولكن الرئيس الجليل لا ينتقل من مكان الى مكان الا بزفة، والا بقطار خاص .. والا بعد أن يسأل هل هناك داع للحضور أم لا! ثم بعد ذلك يوفد وزير الداخلية نائبا عنه فى الاستفسار عن صحة الملك العظيم!

لو كنت أنا وأنت نرأس الوزارة لفعلنا هذا، وهو أبسط ما تمليه الكياسة وما يمليه

الأسبوع فى صور





عطف الملك على الفنانين

فى يوم الاحد الماضى ، شرف جلالة الملك دار سينما ستوديو مصر ، لمشاهدة فيلم غرام وانتقام الذى خصص دخله فى هذه الليلة لمساعدة صندوق معاونة المحتاجين من الفنانين ، وقد تفضل جلالته فأنعم برتبة البكوية على الاستاذ يوسف وهبى وتبرع بخمسمائة جنيه لصندوق النقابة .



فى مأدبة رئيس الوزراء للسفير

فى يوم الثلاثاء الماضى ، حفل قصر الزعفران بعدد كبير من أقطاب المصريين والبريطانيين ملبين دعوة دولة احمد ماهر باشا رئيس الوزراء لمأدبة الغداء التى أقامها للسفير البريطانى وترى فى الصورة سعادة المحتفى به ودولة الداعى ومعالى مكرم عبيد باشا وزير المالية

صاحب المصرى فى نيويورك

الاستاذ محمود ابو الفتح صاحب جريدة « المصرى » فى حجرته بفندق والدورف أستوريا بنيويورك يطالع نسخة من جريدته ، ويزور الاستاذ ابو الفتح امريكا للاجتماع بخبراء الصحف الامريكيين تمهيدا لمشروعاته الصحفية ولافتتاح مكتب لجريدته فى نيويورك

الذوق السليم ، ولكن صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا كان رئيسا جليلا ٠٠ والرئيس الجليل ليس بشرا مثلى ومثلك من عباد الله المتواضعين ؟!

قارن بين حضرة صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا ، وبين حضرة صاحب المقام الرفيع أحمد حسنين باشا !

فان حسنين باشا أسرع الى القصاصين بملابسه العادية ٠ وأمضى ليلته بملابسه الى جوار غرفة الملك ، وبقى الى جانب جلالته ٢٢ يوما لم يغادر مكانه الا مرتين ٠٠ مرة ليجتمع فى القاهرة بتشرشل وروزفلت ٠٠ ومرة ليجتمع فى القاهرة بالماريشال شانج كاى تشيك ٠٠ وفى كلا الحالين بأمر جلالة الملك ٠

ولا نظن أن أعمال الدولة التى كان الرئيس الجليل يشغل بها نفسه هى التى منعته من هذا الواجب ! فاننا اذا قلبنا صفحات الصحف يوم ١٧ نوفمبر لوجدنا أن كل ما فعله النحاس باشا فى يوم ١٦ نوفمبر أنه أوفد الاستاذ ميشيل ساويرس لاستقبال السفير البريطانى عند وصوله ، وانه أرسل برقية تعزية الى أحد الموظفين ، وانه استقبل وفدا من اسرة المرحوم محمد مصطفى بك يشكره على تعزيته فى الفقيد ٠٠٠

وزير الداخلية

ولم يتشرف فؤاد سراج الدين باشا وزير الداخلية بمقابلة جلالة الملك ، لانه كان قد وصل القصاصين فى الساعة الحادية عشرة مساء ٠٠ وكان الدكتور على ابراهيم باشا والدكتور روسى والدكتور لودن والدكتور عباس كامل الكفراوى باشا والدكتور أحمد النقيب باشا والدكتور كامل حسنين بك والدكتور فؤاد رشيد بك قد منعوا زيارة الملك ٠

وكان جلالته متعبا ، فأوفد جلالته رفعة حسنين باشا الى وزير الداخلية يشكره على الحضور ، ويشكر النحاس باشا على ايفاده معاليه ٠٠

فى اليوم التالى

وفى صباح يوم الثلاثاء ١٦ نوفمبر علم صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا أن حضرة صاحب الجلالة الملك لا يعود الى القاهرة ، وقد رأى جلالته أن يبقى فى القصاصين الى أن يتم الشفاء .

وذهب بعض أصحاب المعالى الوزراء الى رفعته يقولون له أن الرأى العام فى عجب كيف أن رئيس الوزراء لا يسرع الى القصاصين عقب الحادث مباشرة ..

وأخيرا .. وفى الساعة الرابعة بعد ظهر اليوم التالى - أى بعد ٢٤ ساعة من الحادث - أمر مقامه الرفيع باعداد قطار خاص الى القصاصين ..

وصل حضرة صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا الى القصاصين بعد الغروب ، فاستقبله كبار رجال القصر مرحبين شاكرين ..

ثم جلس رفعته فى الاستراحة وتلفت ذات اليمين وذات اليسار ثم تساءل :

- هل أتشرف بمقابلة جلالة الملك ؟

فقيل لرفعته أن جلالة الملك متعب وان الاطباء نصحوا جلالته بأن لا يقابل أحدا ..

ولكن صاحب المقام الرفيع اصر على أن يتشرف بالمقابلة الملكية وهو يقول :

- ازاى ؟ أنا رئيس الوزراء ؟ أنا لازم أقابل جلالة الملك ..

وذهب أحد كبار رجال القصر الى الممرضة وطلب منها أن تبلغ جلالة الملك رسالة رئيس وزرائه .

وجاء الرد بأن حضرة صاحب الجلالة الملك شاكر لرفعة النحاس باشا قدومه الى القصاصين وانه متعب وأن الاطباء يرون أن لا يقابل أحدا .

ولكن النحاس باشا لم ينصرف ، بل بقى يسير جيئة وذهابا أمام كبار رجال القصر وكبار الزائرين وهو يقول :

- لابد أن أتشرف بمقابلة جلالة الملك ..

قيل لرفعته :

- ان سعادة يوسف ذو الفقار باشا والد جلالة الملكة وأشقاء جلالتها حضروا معها الى القصاصين ، فلم يقابلوا جلالة الملك ..

ولكن رفعة النحاس باشا لم يقتنع !

قيل لرفعته أن صاحبة العصمة أم المصريين ولها عند جلالة الملك مكانة خاصة حضرت الى القصاصين اليوم ولم تتشرف بمقابلة جلالـه الملك لانه كان متعبا !

ولكن النحاس باشا لا تهمه أم المصريين ! أن جلالة الملك آمر بأن يكون ترتيبها فى التشريفات بعد الاميرات والنبيلات مباشرة تكريما لها ولزوجها الزعيم الخالد سعد زغلول ! ولكن خليفة سعد أمر بحذف اسمها من صحف الوفد !

فمن تكون أم المصريين الى جانب الرئيس الجليل ؟ قيل لرفعته أن صاحب المقام الرفيع شريف صبرى باشا خال جلالة الملك قدم اليوم الى القصاصين ولم يتشرف أيضا بالمقابلة نزولا على أمر الاطباء !

وقيل لرفعته أن أحمد ماهر باشا ومكرم باشا والنقراشى باشا وهيكل باشا وحلمى عيسى باشا وحافظ رمضان باشا وهم زعماء المعارضة حضروا الى القصاصين فى نفس اليوم ، ولم يستطيعوا التشرف بالمقابلة لان الملك كان متعبا !

ولكن صاحب المقام الرفيع لم يقبل هذا عذرا !

قيل لرفعته :

- وفضيلة الاستاذ الاكبر شيخ الجامع الازهر لم يتشرف بالمقابلة وقد جاء الى هنا فى الصباح ، وكان جلالة الملك يود أن يراه ولكنه كان متعبا ، فلم يتشرف بالمقابلة نزولا على أمر الاطباء .

ولكن صاحب المقام الرفيع النحاس باشا كان يقبل كل هذا لو كان رئيس وزارة عادى ، لا رئيس وزارة تولت الحكم يوم ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ وكان يقبله رفعته فى سنة ١٩٢٨ وفى سنة ١٩٣٠ من المغفور له الملك فؤاد لانه تولى الحكم فى تلك الايام بصفته زعيم الامة حقا ، وكان يقبله فى سنة ١٩٣٦ من الملك فاروق ... أما بعد ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ وبعد أن داس صاحب المقام الرفيع بقدمه على كل دستور وكل استقلال ، وكل تقليد ، وكل ماض وطنى مجيد .. بعد أن داس على كل هذا لم يعد الرجل الذى يقبل عذرا من أحد ! انه أصبح يظن أنه كل شىء فى الدولة ، وأكبر من أى شىء فى الدولة ، انه الدستور ، انه الحكم النيابى ، انه معاهدة الشرف والاستقلال ! انه الامة ! انه الحلفاء جميعا فى شخص واحد ! واذا

صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا ينسى نفسه ، وينسى الناس الجالسين معه ، وينسى ما عرف عنه من لطف وظرف ، واذا برفعته يقول :

ـ أنا لا أنتقل من هنا قبل أن أتشرف بمقابلة جلالة الملك !

قيل لرفعته ، تفضل على الرحب والسعة .. ومكث رفعته دقائق ولم يطق صبرا وقال : لابد أن أتشرف بمقابلة جلالة الملك .

قيل لرفعته ان الاطباء لم يوافقوا على أن يستقبل جلالة الملك فى حالته الصحية هذه أحدا ..

فصاح رفعته :

ـ احضروا لى طبيبا يقول لى هذا الكلام !

ولما كان رفعته ضيفا ، ولما كان رجال القصر عرفوا بالادب الكامل .. لولا ذلك لارشدوا مقامه الرفيع الى الباب .. فاحضروا لرفعته ستة أطباء ـ وهم كل الاطباء المعالجين ـ يقولون له ان المليك متعب ولا يمكن أن يقابله !

واذا برفعته يصيح امام الزائرين :

ـ أنا عاوز أوريكم انى جاى هنا علشان ابيت .. هاتوا الشنطة !

وذهب أحد السعاة وأحضر حقيبة صاحب المقام الرفيع ، وراح رفعته يفتحها ويخرج منها بيجاما حريرية وبانتوفللى .. وروب دى شامبر ، ويعرضها على كبار الزائرين كدليل على أن مقامه الرفيع يريد المبيت فى القصاصين !

وقد كان موقفا مضحكا ومبكيا فى وقت واحد ! رئيس وزراء يحمل فى يده بيجاما وبانتوفللى ويعرضهما على كبار الزائرين ليصدقوا ان مقامه الرفيع يريد المبيت فى القصاصين !

وكان موقفا مبكيا .. أن يأتى رئيس وزراء بعد ٢٤ ساعة من اصابة المليك ، ثم يصر على ان يتشرف بمقابلة جلالته فى وقت متأخر ، وبالرغم من اعتراض الاطباء ، وعلى الرغم من أن رجالا كبارا مثله لم يتشرفوا بمقابلة جلالة الملك ! .. ولكن صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا اعتقد فى وقت من الاوقات أنه يستطيع أن يتشرف بمقابلة جلالة الملك فى فراش مرضه بالقوة ! كما تولى رياسة الوزارة بالقوة ؟

ولسوء حظ مقامه الرفيع أن الذين أعانوه على دخول الوزارة لم يعينوه بنفس الطريقة على الدخول فى غرفة الملك وهو فى مرضه .

واضطر صاحب المقام الرفيع فى النهاية الى أن ينصرف من المستشفى وهو يقول لكبار رجال القصر :

ـ لن انحرك من هنا الا لما اشوف جلالة الملك ...

فى اليوم التالى

وأمضى حضرة المقام الرفيع الليل فى القطار الخاص الواقف الى جانب المستشفى . وفى الصباح توجه من جديد الى المستشفى وطلب التشرف بمقابلة جلالة الملك ..

فقيل لرفعته ان الاطباء أعطوا جلالة الملك « حقنة مخدرة » لان جلالته كان متعبا فى اليوم الماضى ولم ينم ، وأن جلالته يستريح الان وقيل لرفعته ايضا ان احدا لا يستطيع التشرف بمقابلة جلالة الملك اليوم ، وانه حضر الى القصاصين اليوم صاحب السمو الامير محمد على حسن ، وصاحب السمو الامير محمد عبد المنعم ، وصاحب السمو الامير اسماعيل داود ، وصاحبة السمو الاميرة شيوه كار وصاحب المقام الرفيع شريف صبرى باشا خال جلالة الملك ، وان أحدا منهم لم يتشرف بمقابلة جلالة الملك نزولا على رغبة الاطباء ...

واذا بصاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا يثور أمام كبار رجال القصر ويصر على أن يتشرف بمقابلة الملك على الرغم من الاطباء ! .

وكان صاحب المقام الرفيع أحمد حسنين باشا جالسا يسمع صياح رئيس الوزارة غير الشرعى ، وهو هادىء هدوءه العجيب الغريب لم يفتح فمه بكلمه ، ولم يقل له عيب يا صاحب المقام الرفيع ، ولم يقل له احترم مشيئة الاطباء .. بل بقى مقامه الرفيع ساكنا ينصت بذهول الى كلام رئيس الوزراء الذى كان يتكلم بغير حساب !

وتولى سعادة الفريق محمد حيدر باشا ياور جلالة الملك ومدير مصلحة السجون ترويض رفعة النحاس باشا .

وتكلم حيدر باشا بلهجته العسكرية مع النحاس باشا كلاما مقنعا فى الصميم .. واذا بالنحاس باشا يصيح :

اشمعنى مصطفى أمين يتشرف بمقابلة جلالة الملك وأنا لا أتشرف بالمقابلة ؟

فقال الفريق حيدر باشا :

ـ الذى أعامه أن مصطفى أمين لم يتشرف يا باشا بمقابلة جلالة الملك ..

ولكن النحاس باشا صاح :

ـ أبدا .. ابدا .. مصطفى أمين قابل جلالة الملك ..

فقال له حيدر باشا بهدوء .

ـ لا يا باشا .. مصطفى امين كما أعلم لم يتشرف بمقابلة جلالة الملك ..

فصاح النحاس باشا :

ـ شىء ظريف .. شى عجيب ! شىء مدهش . الله . الله . الله ! مصطفى أمين يقابل الملك ومصطفى النحاس ما يقابلوش !!
شىء ظريف ! شىء عجيب !

فقيل لمقامه الرفيع ان مصطفى أمين لم يقابل جلالة الملك ..

فصاح النحاس باشا : أنا عندى معلومات انه قابل الملك ! معلومات خصوصية !

فقال كبار رجال القصر أن الذى يعلمونه هو أن مصطفى أمين لم يتشرف بمقابلة جلالة الملك ، ولم يحضر الى القصاصين الا يوم الحادث ..

فصاح النحاس باشا :

ـ ولكن مصطفى أمين كتب فى الاهرام يقول ان طول الحجرة التى ينام فيها الملك متران فى ثلاثة أمتار . فمعنى ذلك انه دخل الغرفة .. ومعنى ذلك أنه تشرف بالمقابلة مفيش كلام !

قيل لرفعة النحاس باشا :

ـ يا باشا مصطفى أمين صحفى . ويستطيع أن يعرف من المرضة أو من الطبيب ، أو من الذين تشرفوا بمقابلة جلالة الملك . أن مساحة الغرفة متران فى ثلاثة أمتار ! وها هو رفعتك قد عرفت أن مساحة الغرفة متران فى ثلاثة أمتار فهل معنى هذا أنك دخلت الغرفة !

وهنا هدأ رفعة النحاس باشا وظن الجميع أن الاسد الهائج قد تم ترويضه واذا به يصيح :

ـ ده مش كلام ! مصطفى أمين يتشرف بالمقابلة الملكية ، ومصطفى النحاس لا يتشرف !!

وأخذوا يقسمون أن مصطفى أمين لم يتشرف بالمقابلة ، وأن من الممكن أن يكتب الانسان ان مساحة باريس كذا مترا دون ان يزور باريس ، وعندئذفقط اقتنع صاحب المقام الرفيع وعاد الى القطار الخاص واستقله عائدا الى العاصمة !

هل تشرفت بالمقابلة ؟..

واليوم وقد انتهى الحادث ، استطيع أن أقول اننى لم أتشرف بمقابلة حضرة صاحب الجلالة الملك ، وان كل ما هناك انى أديت واجبى كصحفى ، واننى انتهزت فرصة نقل الملك الى غرفة الاشعة فسألت المرضة عن غرفة الملك وعن تفاصيل نظامها ، ونشرتها فى الجريدة ، ولم يكن يدور بخلدى أن صاحب المقام الرفيع سيتخذ من مساحة الغرفة دليلا على تشرفى بمقابلة جلالة الملك !

وقد كان النحاس باشا يعتبرنى منذ اليوم الاول الذى جاء فيه الحكم خصما لرفعته . ولقد كان هذا يشرفنى كثيرا ، ولم أخفه عن مقامه الرفيع ، بل قلت له ذلك مواجهة ، فانى أحد الذين سعوا للنحاس كى يتولى الحكم ولكن بالطريق الشرعى الدستورى وكنت أقابل رفعته قبل أن يتولى الحكم كثيرا . وكنت أخالف محمد محمود وعلى ماهر وحسين سرى واحمد ماهر لانه كان من رأيى أن يتولى النحاس باشا رياسة وزارة قومية تجمع الجميع صفا واحدا ، ولكن كنت أريد أن يتم هذا بارادة الامة ، لا أن يتم بانذار أو بضغط ، أو بيوم ٤ فبراير .



(الغت الوزارة الحالية نزع ملكية مائة فدان كانت مخصصة لمنشئات النحاس باشا فى قنا)
ابن البلد لكرم باشا ـ طيب وحاتنزعوا الثلاثمائة الف جنيه من النحاس باشا امتى ؟

ولعلني لا أذيع سرا اذا قلت ان القصر كان يرى أن يتولى النحاس باشا رياسة وزارة قومية .

فلما حدث يوم ٤ فبراير حدث معه طلاق وطني بيني وبين هيئة سياسية قبلت هذا « الفعل الوطني الفاضح » وارتضته أساسا لحكمها !

ولم أكن أخفي على رفعة النحاس باشا رأيي هذا ، بل كنت أهاجم رفعته وهو حاكم عسكري ورئيس وزارة ، أهاجمه علنا ، وكنت أدون رأيي كتابة ، وادفع به الى الرقيب فيشطبه ، وكنت حريصا على أن يقرأ رفعة النحاس باشا صورة مما أكتب . وكان النحاس باشا والحق يقال حريصا هو الاخر على أن يقرأ ما يشطبه الرقيب !

واذكر أن معالي صبري أبو علم باشا استدعاني ذات يوم في مكتبه بوزارة العدل وقال ان النحاس باشا قرأ ما يشطبه الرقيب عنه ، واني قلت في مقال مشطوب أن مقامه الرفيع مجنون !

قلت لصبري باشا : اني لم أقل ان رفعته مجنون ، وانما كتبت أن رفعته محتاج لاشعة في رأسه ...

ولو كنت واثقا من أن رفعته غير متمتع بقواه العقلية لما حاسبته على يوم ٤ فبراير ..

ولعل هذا الخلاف هو السر في هياج النحاس باشا عندما قرأ أن مساحة غرفة الملك هي متران في ثلاثة أمتار !

وفي يوم ٢٠ نوفمبر أمكن حضرة صاحب الجلالة الملك ، بفضل تحسن صحته ، أن يستقبل الزائرين ...

وكان من المنتظر أن لا يسمح جلالته للنحاس باشا بالتشرف بالمقابلة بعد هذا الذي حدث في القصاصين .

لكن الملك ليس انسانا عاديا كما يتصور الإنسان ، ان قلبه الكبير ، ونفسه العالية ، وخلقه الكريم أنبل من نفوس البشر العاديين !

فما كاد يشعر جلالته بتحسن صحته حتى استدعى صاحب المقام الرفيع النحاس باشا للمقابلة ...

وفرح النحاس باشا بهذا ، ونسي كل ما قاله . واذا به يصحب معه صاحبة العصمة السيدة حرمه ونجيب الهلالي باشا وامين عثمان باشا .. وصحبهم جميعا معه في قطار خاص للقصاصين . وطلب من الوزيرين ان يأخذا معهما الردنجوت !

تماما كما تدعو صديقا لك الى مأدبة فيأتي معه بولديه الصغيرين ، وباثنين من الجيران !

وقيل لرفعته أن الذي سيتشرف بالمقابلة الملكية هو رفعته فقط ...

وتشرف مقامه الرفيع بالمقابلة الملكية ، وشمله جلالته بعطفه الكريم . وعهد اليه أن يبلغ شكره السامي لحرمه المصون ولجميع أصحاب المعالي الوزراء .. وخرج رفعة النحاس باشا شاكرا داعيا ..

وفي يوم ٢٢ نوفمبر دعي للتشرف بالمقابلة الدكتور أحمد ماهر باشا ومكرم عبيد باشا وهيكل باشا وحافظ رمضان باشا وحلمي عيسى باشا وهم الزعماء الذين حضروا الى القصاصين يوم حضور النحاس باشا ولم يتشرفوا بالمقابلة ، وتشرف كذلك فضيلة الأستاذ الاكبر شيخ الجامع الازهر .

واذا بصاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا يهيج للمرة الخامسة والخمسين !

كيف يتشرف أحمد ماهر باشا ومكرم باشا و .. و .. بالمقابلة الملكية .

— هؤلاء رؤساء أحزاب !

— ولكنهم خصوم الحكومة ،

— وكنت رفعتك خصما لحكومة سري باشا وكنت تتشرف بمقابلة جلالة الملك مرة ومرتين وثلاث مرات !

ويتدخل الوزراء ويروضون صاحب المقام الرفيع فيهدأ مقامه الرفيع !

وفي الاسبوع القادم سنتحدث عن أزمة عودة جلالة الملك من حادث القصاصين .

أخبار اليوم — العدد ٨/ ص ١
١٩٤٤/١٢/٣٠

قرار مجلس الوزراء

مصطفى أمين

ونعود الى القصاصين ...

فقد رأى بعض الوزراء أن مجلس الوزراء قصر فى واجبه نحو مليك البلاد ...

ففى يوم ٢٥ نوفمبر سنة ١٩٤٣ نشرت جريدة الاهرام : قال صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا لمندوب الاهرام أن مجلس الوزراء قرر فى جلسة أمس أن يرفع الى مقام حضرة صاحب الجلالة الملك فروض التهانى على نجاة جلالته من حادث السيارة ، مع أخلص عبارات الدعاء الى الله سبحانه وتعالى لجلالته بكامل الشفاء .

وقال رفعته : انه سيسافر بمشيئة الله اليوم « الخميس » الى القصاصين ، لكى يرفع الى مقام جلالته هذه التهنئة باسم مجلس الوزراء » ...

ياسلام !

مجلس الوزراء يستغرق أسبوعا من يوم الحادث الى يوم ٢٤ نوفمبر حتى يصدر هذا القرار !

لو كانت ترقية موظف من أنسباء رئيس الوزراء ، ترقية استثنائية لصدر القرار فى سبع دقائق لا سبعة أيام ! ولو كانت المسألة منح أحد أقارب رئيس الوزراء أبونيه مجانيا على جميع الخطوط لتم فى ثوان .. ولكنها تهنئة الملك بنجاته من حادث السيارة ، فلابد أن تستغرق سبعة أيام ... لان المسألة خطيرة وصعبة ودستورية ، وفى حاجة الى البحث والدرس ، والاتصال بسفراء الدول والوزراء المفوضين وعصبة الامم قبل اصدار هذا القرار الخطير !

وفى يوم الخميس ٢٥ نوفمبر تشرف صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا بمقابلة حضرة صاحب الجلالة الملك فى القصاصين ، ورفع اليه قرار مجلس الوزراء ، فتقبله الملك بالشكر ، وطلب الى رئيس وزرائه ابلاغ شكره الى زملائه الوزراء .

كل هذا ..

ان الذين كانوا يعرفون هذا كانوا يعجبون بعظمة هذا الملك العظيم ، هذا الملك الذى صبر فى سبيل بلاده ، والذى تحمل فى سبيل وطنه .

كان الملك دائما عاليا فى مكانه وفى مكانته ، ويقول المقربون الى جلالته أنه لم يغضب يوما ، ولم يتأثر يوما ، ولم تستطع كل هذه الصغائر أن تغير الاتجاه السوى الذى يسير فيه .. كان الملك دائما يشعر أنه فوق الاحزاب .

بل أكثر من هذا ، لم يمنع هذا الملك من أن يشجع النحاس باشا على كل عمل صالح ، ويؤيده فى كل عمل يرى أنه يفيد مصر والمصريين .

وكان الملك يفرق بين أعمال الوزير « الصغيرة » وبين ما يفعله فى سبيل مصر ، فكان الوزير المسىء يتلقى دائما التشجيع والتأييد فى كل عمل مفيد ..

وكانت كل هذه الصغائر كالاتربة فى طريق مصر نحو الاستقلال .. والذى يريد أن يسير فى طريق المجد لا تهمه ذرات التراب !

ولو أن الحلفاء سألوا مصر يوما ماذا فعلت من أجل الحلفاء ... فان فى يدها أكبر دليل بأن جلالة المصرى الاول تحمل فى سبيل قضية الحلفاء كل شىء ، ذلك كل صعب فى سبيل النصر لقضية الجميع ...

ان موقف الملك العظيم كان موقفا عاليا ، وكان هذا الموقف يدهش الاجانب ويدهش كبار المصريين ، فاذا عرفوا الملك عن قرب ، وعرفوا وطنيته وحبه لبلاده واستعداده لان يضحى من أجلها كل شىء ، اذا عرفوا كل هذا لم يدهشوا ولم يعجبوا لموقف الملك العظيم .

أخبار اليوم — العدد ٩/ ص ١ و ص ٧ ١٩٤٥/١/٦

لماذا ساءت العلاقات بين القصر والوفد؟

مصـــدر السلطات

مصطفى أمين

فى يوم ٢٩ يوليو سنة ١٩٣٧ وقف حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الاول ، أمام شيوخ الامة ونوابها ، يقسم اليمين على احترام الدستور

كان صوته قويا ، رائعا ، وكانت نبراته متزنة واضحة ، وكان يضغط على حروف كلمة الدستور ليزيدها توكيدا ، كان الملك يقسم بقلبه ولسانه ووجدانه معا . وكانت الدنيا كلها تشخص اليه ، وكانت نبضات القلوب تدق سراعا ، كنا نرتجف ونحن نسمع قسم الملك الشاب .

ودخل الملك بعد تتويجه الى غرفة اجتمع فيها ببعض رجاله ، فوجدهم ساهمين ، فقرأ فى وجوههم تساؤلهم ، كيف يستطيع هذا الشاب الصغير السن ، ان يقود السفينة فى بحر ملىء بالصخور والانواء . وشعر الملك بحاسته القوية أنهم يشفقون عليه من المستقبل المجهول .. وابتسم الملك ، وربت على اكتاف رجاله قائلا : انى أعرف فيم تفكرون ، وكل ما أقوله لكم : اننى معتمد على الله ، واننى سأؤدى واجبى وسأطالب بحقوق شعبى قبل ان اطالب بحقوقى ، وانى سأحب رعاياى ، وسأجتهد فى ان احتفظ بحبهم لانى اعرف ان الملك الذى يحبه الشعب ، هو الملك السعيد .

ثم سكت لحظة وقال : بعد ان أقسمت اليمين أمام البرلمان ، اقسمت يمينا أخرى بينى وبين الله بأن أقدم دائما حياتى وعرشى فداء لبلادى ، وسأحترم الدستور ، لانى أؤمن بأن الحكم للشعب وأنا لا أطمع فى أن أحكم بنفسى ، بل ستكون مهمتى ان اكفل لشعبى عدالة وحرية واخاء ومساواة .. وعندئذ زال وجوم رجال الملك ، واشرقت وجوههم ، فان الشاب الذى كانوا يعرفونه اصبح رجلا .. بل اصبح ملكا . بل اصبح بطلا !

وتقدم رائده احمد حسنين باشا وقبل يده وهو يقول : لقد كنت واثقا دائما انك ستكون ملكا عظيما ، وترقرقت عينا الملك ، وقال الكلمة التى يرددها دائما : مادام الله معى ، والشعب معى فالنصر لى ..

وحكم الملك فاروق بعد أن اقسم اليمين على احترام الدستور . فلم يحترم مواده فقط بل احترم روحه ، ففى عهد فاروق لم يعطل الدستور يوما واحدا ، ولن يعطل يوما واحدا ، بل ان فاروق كان دائما نصير الضعفاء يأخذ بأيديهم ، وصديق الاحرار يفك قيودهم ، وكان دائما يؤمن بالشعب ، وبارادته ، ولم يقل يوما ما « انى اريد كذا » بل كان دائما يقول « شعبى يريد كذا » .

والذين عرفوا الملك عن قرب يقولون : انه يؤمن بحكم الشعب ، ويرى فى الدستور سياجا يحمى الشعب والعرش ، ويعتقد ان الدستور المحترم حقيقة هو الكتاب الوطنى المقدس الذى يهدى كل ضال ، ويرشد كل سائر فى غير الطريق القويم . ولم يفكر الملك فاروق يوما فى ان يحكم مصر بغير الدستور ، فهو يمتزج بالشعب ، ويريد ان يكون صوته من صوت الشعب ، وارادته مستمدة من الشعب ، وهكذا كان الدستور فى جانب الملك دائما ، لانه كتاب لا يؤمن به الا كل رجل يحب الحرية لنفسه وللناس ، ويحب العدالة لنفسه وللناس ، ويجعل مصلحته الثانية ومصلحة الوطن هى المصلحة الاولى .

أخبار اليوم ـ العدد ١٠ ـ ص ٥
١٣ / ١ / ١٩٤٥م

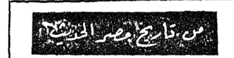


طلب المؤتمر النسائى من المجمع اللغوى الغاء المثنى المؤنث ونون النسوة . وأن يتبع فى معاملة المؤنث فى الافعال معاملة المفرد المذكر !!
والمفهوم أن المجمع اللغوى لايوافق على هذا الطلب



(اجتمع مؤتمر الشرق لمقاومة الجراد فى الاسبوع الماضى)
ام البلد — اذا كنتم عاوزين تقضوا على الجراد [illegible] ايديكم يد واحدة !





الحد الفاصل بين الذل والحرية وبين التبعية والسيادة القومية

فتح الجندى الباسل محمد على الكبير فى تاريخ مصر عصرا كان الحد الفاصل بين الذل والحرية ، وبين التبعية والسيادة والقومية ، وبين الظلام والنور ، واعقبه خديو مصر العظيم اسماعيل فجعل مصر قطعة من اوربا ، ورعى العهد لاخلد جد جلالة المغفور له الملك فؤاد الاول فكتب لمصر تاريخا يؤهلها لاستعادة مجدها العظيم ، وورث هذا العرش العريق الفاروق المليك المجيد فأشعلها نهضة جعلت مصر قبلة الشرق العربى وموضع الرجاء فيه .

ان الجيل الجديد لاجوع ما يكون لمشاهدة هذه الصور من تاريخ مصر الحديث ، ليرى كيف جاهدت الاسرة العلوية فى سبيل مصر وتحريرها ورقيها ونهضتها التى اصبحت حديث العالم .

اخبار اليوم - العدد ١٢ - ص ٧
٢٧ / ١ / ١٩٤٥.

تعقيب

احتلت قضية « العلاقات بين القصر والوفد » ، الاهتمام السياسى الغالب ، من صفحات الاعداد الثلاثة عشر الاولى من « أخبار اليوم » . فضلا عن انها شغلت مساحة ملحوظة . من حيث الحجم ، من هذه الصفحات جميعا ، وتؤكد هذه الحقيقة الوثائقية ، أحد الاهداف الرئيسية لصدور « أخبار اليوم » واهمها : الدفاع عن القصر ضد الوفد .

فاذا وضعنا فى الاعتبار ، أن صدور « أخبار اليوم » ارتبط بفترة من أدق تاريخ مصر ، فان ذلك يضيف بعدا جديدا لاهداف ومهام صدور « أخبار اليوم » .

ففى أواخر عام ١٩٤٤ وأوائل عام ١٩٤٥ ، كانت الحرب العالمية الثانية على وشك أن تنتهى فى اتجاه هزيمة النازية والفاشية وانتصار الحلفاء . وكانت الحركة الوطنية المصرية — شأن غيرها فى المستعمرات — ترقب باهتمام مصير تطورات أحداث الحرب على ضوء شاغلها الاساسى : المطالبة باستقلال مصر . وقد انعكس ذلك بوضوح على صفحات الصحف المصرية الوطنية . الا أن صفحات الاعداد الثلاثة عشر الاولى من « أخبار اليوم » ، جاءت خلوا من هذا الشاغل الوطنى الذى كان مثار اهتمام رجل الشارع فى مصر .

وسعت « أخبار اليوم » — على هذا النحو — الى اثارة قضية « العلاقة بين القصر والوفد » ، لتصرف الانظار شأنها دائما ، عما ينبغى الاهتمام به : القضية الوطنية .

وقراءة هذه الاعداد ، تفيد بوضوح لا يقبل الشك ، أنها كرست نفسها للزعم بالدور الزائد والوطنى للسراى وللنظام الملكى . وبديهى أن القول بأن ذلك كان طابع الصحافة المصرية وقتها ، قول مغالط ، لانه يغفل حقيقة أن صحفا أخرى وطنية كانت تعارض سياسة الملك فاروق وتطالب باستقلال مصر كاشفة عن تقاعس الملك عن تلبية متطلبات آمال البلاد فى الاستقلال . من هنا فان حديث الاستاذ مصطفى أمين عن وطنية فاروق ، ومحاولته الزعم بأن ذلك هو شعور كل مصرى ، زعم باطل وغير حقيقى وبعيد كل البعد عن معرفة شعور رجل الشارع وقتها . بل ان زعمه هذا ، اذا قارناه بكتابات الاقلام الوطنية فى صحف أخرى وقتها ، ليس الا محاولة « لتجميل » الوجه السياسى الحقيقى للملك والقصر . وبالتالى كان هدما وتخريبا لجهود الحركة الوطنية .

بل ذهب نقد الاستاذ مصطفى أمين الى حد وضع مسألة الولاء للملك ، كمقياس للوطنية . فهو يشكك فى الوفد لمجرد أن مصطفى النحاس لم يهرع — كما هو وآخرين من بطانة فاروق — الى جوار فراش الملك ليذرف الدموع حنوا على « المليك » فى حادث القصاصين المعروف بأن كان واحدا من الفضائح الخلقيه العديدة للملك . وراح الاستاذ مصطفى أمين نفسه — ولكن بعد أن سقط الملك بقيام ثورة يوليو — يحدثنا عن هذه الفضائح الخلقية وحوادثها فى كتاب كامل بعنوان « ليالى فاروق » أصدره فى الشهور الاولى من قيام ثورة يوليو . ترى هل تكشف هذه الواقعة عن منهج « أخبار اليوم » فى مساندة كل سلطة فى الحكم حتى تسقط لتهاجمها بعد ذلك وبنفس أسلوبها فى الدعاية لها والدفاع عنها بكل الطرق حتى لو تعلق الامر بفضيحة خلقية كحادثة القصاصين ؟

ومن الغريب أن « أخبار اليوم » تتحدث عن « جوع » الجيل الجديد للتعرف على تاريخ مصر « ليرى كيف جاهدت الاسرة العلوية فى سبيل مصر وتحريرها ورقيها ونهضتها التى أصبحت حديث العالم » كما جاء فى العدد ١٢ — ص ٧ — الصادر فى ٢٧ — ١ — ١٩٤٥ [! هذا التاريخ الذى جعلت فيه « أخبار اليوم » من فاروق « الصانع الاول » ، و « الفدائى الاول » كما كتبت بعد ذلك . وما تبقى بعد ذلك من الكتابات كان « أفدح » ! ■

« الطليعة »

بيـــان
حـول مجلة الـكاتب المصريـة

جاءنا من السيد الاستاذ وزير الثقافة البيـــان التالى :

أرجو ان اوضح الحقيقة فى النقاط التالية :

١ ـ أعلنت بوضوح لرئيس تحرير مجله الكاتب الاستاذ احمد عباس صالح انى اريد ان تبقى المجله كما هى برئيس تحريرها ومحرريها ، والا ينحى اى من أعضاء مجلس تحريرها المنشورة اسماؤهم فى صدر المجلة حتى عدد اغسطس وهم الاستاذ كمـــال رفعت ، د . محمـــد انيس ، د . شكرى عياد ، وان تعبر عن اتجاه اليسار الوطنى فى حدود مواثيق الثورة ابتداء من الميثاق الوطنى حتى ورقة اكتوبر ، وانه ما دامت المجلة تصدرها وزاره الثقافة فانا لا أستطيع أن أعفى نفسى من تحمل مسئوليتها ومسئوليه التـزامها بالخط الوطنى امام الشعب وأمام رئيس الدولة وأمام مجلس الوزراء .

وانى ـ ممارسة لمسئوليتى ـ سأدعم مجلس اد ر ـ لمجلة [دون المساس باحد العاملين فيها] ببعض العناصر . وجرت مناقشة بينى وبين الاستاذ احمد عباس صالح انتهت الى الاتفاق على ان يشكل مجلس التحرير من الاعضاء الموجودة اسماؤهم على صدر المجله وهم كما اسلفت الاستاذ كمال رفعت ود . محمد انيس و د . شكرى عياد مضافا اليهم الاساتذة : يوسف ادريس ، وصلاح عبد الصبور ، وسعد الدين وهبه ، وادوارد الخراط الذى سيشرف على الملحق الادبى ، وان يكون الاستاذ عبد العزيز صادق [نائب رئيس تحرير مجلة الادب الافريقى الاسيوى] مديرا للتحرير .

طلب الاستاذ أحمد عباس صالح أن يعرض هذا الاتفاق على الاستاذ كمال رفعت باعتباره عضوا بمجلس التحرير لموافقته . وفى نفس الجلسة اتصلت بالاستاذ كمال رفعت وتحدثنا معه تليفونيا وعرضت عليه الاضافات المقترحة فوافق عليها .

٢ ـ بعد بضعه أيام ـ على الرغم مما اتفقنا عليه ـ وصل الى خطاب من الاستاذ أحمد عباس صالح يخبرنى فيه ان مجلس التحرير اجتمع وقرر ابقاء الوضع كما هو عليه وأضاف « ثلاثة اسماء أخرى وهم : الاساتذه لطفى واكد ، ورجاء النقاش ، وصلاح عيسى . مع أن أسماء هؤلاء الاساتذه لم تكن موجوده من قبل فى صدر المجلة ولم تذكر اسماؤهم فى اثناء المناقشة الاولى التى دارت بينى وبين الاستاذ احمد عباس صالح والتى كانت قـد انتهت بموافقته على الاسماء التى اقترحتها .

٣ ـ بعد بضعه ايام اخرى تلقيت مكالمة تليفونية من الاستاذ كمال رفعت عن رغبته فى لقائى ومعه د . محمد أنيس ، فرحبت بلقائهما وتم اللقاء فى مكتبى بحضور الاستاذ احمد عباس صالح .

ودارت مناقشة حول تشكيل مجلس التحرير وفى نهايه المناقشه اكدت انى ملتزم بكل ما اتفقنا عليه اولا وعلى ان تستمر المجلة معبرة عن اتجاه اليسار الوطنى الملتزم بمواثيق الثورة ابتداء من الميثاق الوطنى حتى ورقة اكتوبر ، والذى ارى ـ من وجهة نظرى ـ ان المجلة لم تلتزم به .

وهذا نموذج لما يقر رئيس التحرير ـ الاستاذ احمد عباس صالح نشره ـ وأنا أرى فيه انحرافا عن الخط الوطنى وانحرافا عن مواثيق الثورة ابتداء من الميثاق الوطنى حتى ورقه اكتوبر ، واليك هذا النموذج :

فى مقال عن مستقبل الديمقراطية فى مصر للاستاذ صلاح عيسى [عدد ١٦٢ سبتمبر صفحة ١١ فقرة ٣] يذكر صاحب المقال ان انتصار ٦

السيد صلاح عبد الصبور رئيس تحرير مجلة الكاتب ..
بعـد التحيـة ...
فوجئت بان مجلة الكاتب نشرت فى عددها الصـادر فى اول ديسمبر ١٩٧٤ البحث المقدم منى الى الندوة الثانية للنفط التى انعقدت فى بغداد فى نوفمبر ١٩٧٤ . وقد جرى النشر دون استئذانى .
وقد كان من الضرورى فى مثل هذه الحالة ان اسأل ما اذا كنت سأسمح بالنشر أو لن اسمح به .
ارجو التكرم بنشر رسالتى هذه فى عددكم القادم وذلك عملا بحرية الصحافة والنشر .
١٩ ديسمبر ١٩٧٤ وتفضلوا بقبول احترامى
ابراهيم سعد الدين

أكتوبر اعتمد أسلوب حلّ القضية فى أطار الجبهة الامبريالية وبمساعدتها . وهذا نص الفقرة :

« منذ عدوان ١٩٦٧ والرؤى تتنوع تجـاه حل قضية الاحتلال الاسرائيلى ، الى أن استقطبت فى تيارين رئيسيين :

اعتمد أولهما أسلوب حل القضية فى اطار الجبهة الامبريالية وبمساعدتها حتى لو أدى هذا الى بعض التنازلات التى يقول بأنها غير جوهرية أو مبدئية وكان هذا يعنى لديه تفصيليا استغلال التناقضات الثانوية فى الجبهة الامبريالية والضغط على هذه الجبهة ككل بالجبهة المعادية لها فى الصراع العالمى . وحـل مـا كان يعتبـره « مشاجرات » فى المنطقة العربية ، وقد اعتمدت وجهـة النظر تلـك قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ كاستراتيجية لها وفى العمل العسكرى اعتمدت أسلوب الحرب المفاجئة والمحدودة يقوم بها الجيش النظامى وحده وحققت اجتهادها ذلك بانتصار أكتوبر ١٩٧٣ ».

وعلى الطرف المناقض رأى آخرون .. الخ .

وحتى هذه اللحظة فان هذين الاجتهادين لا يزالان مطروحين فى الساحة المصرية والعربية يعبر كل واحد منهما عن رؤى شرائح اجتماعية محددة ، وقد اخذ أولهما الذى اعتمد رسميا منذ ١٠ يونيو سنة ١٩٦٧ ــ الفرصة لتجريب نفسه ، بينما ما زال الاتجاه الاخر يصر على سلامة منهجه وأسلوبه وان كان بعيدا عن ساحة التـأثير الفعلى » .

وانا أرى أن هذه محاولة لتدمير كل ما بذله الشعب المصرى والجيش المصرى من أجل تحقيق انتصار استعدنا به كرامتنا ، وأكدنا به قدرتنا وعبرنا به الهزيمة واليأس .

كما أرى أن هذه الانتصارات الباهرة لم تعتمد أسلوب حل القضية فى اطار الجبهة الامبريالية وبمساعدتها وانما هى تحقيق لاصالة شعب وقدرة جيش وشجاعة قائد . وان عبور أكتوبر الذى ضحينا فيه بدماء شهدائنا الابرار ورفعنا به راسنا أمام العالم كله لا يمكن أن يحاول أحد اعتباره اعتمادا لأسلوب حل القضية فى اطار الجبهة الامبريالية وبمساعدتها .

ان محاولة تشويه انتصار ٦ أكتوبر هو تشويه لوجه مصر ولوجه العرب وانكار لكل ما قام به أبناؤنا الامجاد نتيجة لايمانهم بربهم ووطنهم وبقيمهم الخالدة .

واذا كنت كمواطن اعد هذا الاتجاه انحرافا عن الخط الوطنى ، فانى ــ كوزير تصدر المجلة عن وزارته ــ أعد نفسى مسئولا عن نشر هذا الانحراف وان من حقى أن أضع الضمانات لعدم تكراره . وان رئيس تحرير مجلة الكاتب ــ بنشره لهذا الانحراف ــ لا يشكل ضمانا لعدم التكرار وان من حقى أن أضع أى عنصر يمكن أن ينبهه الى الانحراف قبل وقوعه حتى يمكن مناقشة صاحبه فيه .

ولعلى لا أجاوز بهذا حقا لرئيس أى مؤسسة صحفية عندما يمارس مسئوليته فى تعيين مدير للتحرير لاحدى المجلات التى تصدرها المؤسسة التى يعمل رئيسا لها .

ولعلنى أكتفى بعرض هذه الحقائق المجردة التى ترسم للموقف صورة امينة دقيقة ، مكررا فى النهاية اننى لم اغلق مجلة الكاتب واننى لا أفرض أحدا ولا أنحى أحدا بل انهض بمسئوليه وأمارس حقا طبيعيا ومألوفا ، ولم أصل الى قرار بشأن

مجلة الكاتب الا بعد المناقشة والحوار والاتفاق المشترك بيني وبين رئيس تحريرها الذي أصر على ان يقدم استقالته مكتوبة في أربع صفحات جاوز بها حدوده وشاركه في امضائها أسماء لم يرد لها ذكر في مجلس تحرير المجلة المنشور في صدر المجلة خلال السنوات السابقة والتي حاول فرضها في صدر العدد الاخير .

وأخيرا فانني لن أصفي منبرا للاتجاه اليساري الوطني الملتزم بموثيق الثورة ولا أعادي اي اتجاه وطني ديمقراطي بل أحرص كل الحرص على حماية حرية الحوار واشاعة المناخ الديمقراطي السليم .

وانني آمل أن يكون هادينا الوحيد في عملنا هو حبنا لمصر ، والتزامنا بشرف المسئولية في الدفاع عن ثقافتنا التي نريدها جميعا ٪ مزدهرة وفياضة بالحيوية ، وعلى أن نحرص ـ مع التنوع الطبيعي بحرية الحوار على الوحدة الاساسية في مواجهة العدو الصهيوني واعباء بناء الوطن ».

يوسف السباعي

رد على وزيـــر الثقـــــافة

مـــن أســـرة تحـــرير الكاتـــب

لم يأت البيان الذي وزعه وزير الثقافة في ندوة المجلات الادبية ببيروت حول أزمة « الكاتب » بجديد . فهو بنصه البيان الذي سبق ان نشره بجريدة «الجمهورية» القاهرية بتاريخ ١٩٧٤/٩/٢٢ وسبق لاسرة «الكاتب» أن ردت عليه بمقالين لكل من **د. محمد أنيس وصلاح عيسى** بتاريخ ١٩٧٤/٩/٢٤ ، لكن الظروف الآن تفرض علينا أن نعيد نشر كل الحقائق المجردة حول معركة « الكاتب » خاصة وان الوزير طلب اعادة نشره بالطليعة لكى تكون امام كل من يدلى فيها برأى ، أو يجتهد في موضوعها في صفنا أو في صف خصومنا :

١ ـ بدأت مشكلة « الكاتب »منذ زمن طويل قبل انفجارها ، وهناك تحقيق رسمي أجرته هيئة الكاتب حول خروج ثلاثة أعداد من المطابع الىالمخازن مباشرة ، دونتسليمها لشركة التوزيع أو عرضها للبيع ، وقد ذكرت أسرة التحرير في استقالتها المسببة الىالوزير ادانتها « لهذا العمل المشين الذي لا يقيم وزنا للجهد البشري ولا للمال في سبيل منع المجلة من التداول وبطريقة سرية » .

٢ ـ هناك وثائق تثبت ان قرار السيد رئيس الجمهورية برفع الرقابة عن الصحف واعتبار رؤساء التحرير مسئولين عن النشر لم يطبق على « الكاتب » اذ أجبرت لعدة شهور على الخضوع للرقابة ، التي رفضت مقالات نشرت بعد ذلك فلم ير فيها احد من المسئولين خروجا عن اى قانون .

٣ ـ في عدد ابريل ١٩٧٤ كتب أحمد عباس صالح في افتتاحية المجلة يقول « ان تدهورا ثقافيا حقيقيا يزحف كالمرض على عقل هذه الامة تحت شعار كراهية السلبيات القديمة متهما العلم والجد والاشتراكية بأنها المسئولة عن هذه السلبيات .. هذا العبث يجب أن يكف فجزء من خسائر هذه الامة راجع الى أن أول ضحايا هذه السلبيات كانت الجدية والثقافة والاشتراكية » . كما تضمن مقال آخر بالعدد اشارة تنقد السياسة الثقافية للوزير . وتطوع الاستاذ ابراهيم الورداني ـ وهو من أصدقاء الوزيرالمقربين ـ للكتابة على صفحاتالجمهورية [٧٤/٤/٤] مهاجما الكاتب مستعديا عليها السلطات ، وقد حيته مجلة « الثقافة الاسبوعية » لموقفه هذا [١٩٧٤/٤/١٩] .

٤ ـ ثم تحرك صديق آخر مقرب للوزير هو الاستاذ صالح جودت عضو مجلسادارة هيئة الكتاب فهاجم المجلة في اجتماع عقد في بداية شهر ابريل ١٩٧٤، وزعم انها خرجت عن « الخط القومي » ، وقال ان الدولة تخسر لترويج فكر غير قومي ، وانتهت المناقشة بتشكيل لجنة لفحص عشرة اعداد من المجلة للتأكد من عدم خروجها عن الخط القومي ، وبرفع اسم هيئة الكتاب كهيئة مصدرة عن غلاف المجلة . وبصرف النظر عن ان لجنة كهذه بدعة في بلد يكرر قادته ليل نهار أن حرية الرأى مكفولة ، فان المجلة لم تمثل في اللجنة التى شكلت من احد رجال الدين وأحد المحاسبين وأحد موظفي الهيئة ، وهي على كل الاحوال لم تقدم أى تقرير حتى هذه اللحظة . [راجع مقال صالح جودت في المصور ٧٤/١٠/٤]

٥ — أثارت هيئة تحرير الكاتب مسألة خضوعها للرقابة خلافا لامر السيد الرئيس فى اجتماع علنى عقد فى نقابة الصحفيين أمام الدكتور احمد كمال أبو المجد وزير الاعلام ، الذى أبدى دهشته لذلك ، وان كان قد تحفظ بأن الامر يخص وزارة غير وزارته .

٦ — فى أواخر يونيو ١٩٧٤ كتب رئيس تحرير الكاتب الى الاستاذ طلعت خالد وكيل وزارة الاعلام لشئون الرقابة يطلب تنفيذ قرار رئيس الدولة برفع الرقابة والغائها عن الكاتب . وقد استجاب لذلك وصدر عدد يوليو متضمنا حوالى ١٠٠ صفحة من ثورة ٢٣ يوليو ، وتضمن عدد سبتمبر حوالى ١٠٠ صفحة عن الزعيم الراحل جمال عبد الناصر مع مواد أخرى .

٧ — تكثفت مشاكل الكاتب مع وزارة الثقافة بعد صدور عدد يوليو ، خاصة أن العدد تضمن اعلانا عن أن المجلة ستصدر بين صفحاتها ملحقا ادبيا وفنيا ، كان من بين أهداف اصداره كما ذكر الاعلان منه « نقد موضوعى للسياسات الثقافية » ، الامر الذى يشكل نوعا من الحساسية للوزير ، كما أن العدد تضمن فى بعض مواده نقدا لكتابات وآراء عدد من أصدقائه المقربين مثل صالح جودت وعبد العزيز الدسوقى وابراهيم الوردانى .

٨ — بعد أن مارست المجلة حقها الشرعى والقانونى فى رفض مخالفة وزارتى الاعلام والثقافة لقرار الرئيس برفع الرقابة بدأت تتعرض لمحاولات النسف من الداخل ، فزعمت الوزارة أولا أنها تخسر ، وصرح رئيس هيئة الكتاب بأنه تلقى تعليمات من الوزير بالكف عن تمويلها اعتبارا من عدد اكتوبر ، وعندما أثير الموضوع فى الصحف عدل الوزير عن رأيه وبدأ يعلن أنه سيعيد تشكيل مجلس التحرير .

ولقد كان ضروريا أن يفعل الوزير ذلك فضلا عن أن القول بأن المجلة تخسر غير صحيح ، فان أسرة الكاتب نبهت لانه مع الافتراض جدلا بصحة هذا فان مجلات « الثقافة » و «الثقافة الاسبوعية» و«الجديد» تخسر هى الاخرى — وأرقام التوزيع معروفة ، ولا توزيع هذه المجلات مجتمعة الى مستوى توزيع الكاتب منفردة — فاذا كانت كل المجلات تخسر ، فلماذا يأتى التوفير فى الميزانية عن طريق تصفية المنبر اليسارى الوحيد الذى يصدر عن الهيئة . ولماذا تقبل الوزارة الخسارة المتحققة عن نشر ٩ منابر يمينية ومحافظة [٤ أعداد شهريا من الثقافة الاسبوعية — عدد من الثقافة الشهرية — عددان من الجديد — مختارات الجديد — مطبوعات الجديد] .. أليس مجرد التفكير فى هذا دليل على انتماء وزارة الثقافة الحقيقى ؟!

٩ — ان الخلاف بين أسرة التحرير وبين السيد الوزير قد انحصر بعد ذلك فى مطلبين هامين :

الاول : رغبته فى اعادة تشكيل مجلس تحرير المجلة بحيث يضم اليه عددا من وكلاء الوزارة وأصدقائه الشخصيين . ويشطب منه بعض الذين رأى رئيس التحرير أن جهدهم يفيد المجلة .

الثانى : أن يعين أحد أصدقائه مديرا للتحرير يراجع كل حرف قبل ان ينشر ، ولتبليغ الوزير بمضمون اى مقال قد لا يعجب الوزير حتى يتمكن سيادته من اصدار أوامره الى المطابع بمنع نشره .

فى النقطة الاولى كان موقف رئيس التحرير وأسرة المجلة واضحا ، فهو لم يرفض العديد من الاسماء التى رشحها الوزير ، وهى صلاح عبد الصبور وسعد الدين وهبه وهما وكيلين لوزارة الثقافة ، وادوار الخراط وهو صديق شخصى للوزير وأحد معاونيه فى منظمة التضامن الاسيوى ، غير أنه تحفظ بضرورة الرجوع الى زملائه ، كما أن الاستاذ كمال رفعت وافق على اقتراحات الوزير وتحفظ أيضا بأنه سيعود الى زملائه . واتفق الثلاثة على لقاء لابلاغ الوزير رأيهم النهائى ولكنه لم يلتزم بالموعد . وهنا وجه أحمد عباس صالح رئيس التحرير خطابا الى الوزير يبلغه فيه التمسك بمجلس التحرير كما هو ، وكان ذلك بتكليف من مجلس التحرير بعد مناقشة اقتراحات الوزير .

ولقد كانت ملاحظة أسرة الكاتب بعد ذلك — رئيس تحريرها وسكرتارية التحرير وبعض كتابها ومجلس التحرير بمجمل أعضائه — أن الاسماء التى رشحها الوزير هى لمسئولين تنفيذيين فى الوزارة ، الامر الذى قد يحرج المجلة اذا ما أرادت نقد بعض ما يشرفون عليه من مؤسسات كما أن اصرار الوزير والحاحه فى أن يكون ادوارد الخراط مسئولا عن الملحق الادبى للمجلة أمر يحرجه ويحرج المجلة .

وحاول رئيس التحرير أن يوازن المجلس لكى يكون ديمقراطيا كما ينبغى فاقترح أن يضم الى المجلس فوق من اقترحهم الوزير ثلاثة من الذين ينشطون فى المجلة منذ وقت ويعطونها جهدهم وهم لطفى واكد ورجاء

النقاش وصلاح عيسى ؟ وقد اعترض الوزير على الثلاثة ، ولم يبد سببا بالنسبة للاول ، وقال عن الثانى انه لا « يستلطفه » ، أما الثالث فرفضه لانه « شيوعى » ولانه ينقد وزارة الثقافة فيما يكتبه على صفحات الجمهورية . ولم يوافق الا على د. يوسف ادريس الذى لم يقترحه على عكس ما ورد فى بيانه . كما اعترض رئيس التحرير على طلب الوزير بطرد أحمد القصير وحسنين كروم سكرتيرا التحرير وتعيين بديلين لهما حددهما بالاسم ، كان أحدهما على شلش .

فى النقطة الثانية : اصر الوزير على ان يكون الاستاذ عبد العزيز صادق مديرا للتحرير ، مهمته أن يقرأ أصول المقالات ويكون رأيه مساويا لرأى رئيس التحرير ، هذا بالطبع غير المهام الاخرى التى يمكن أن يقوم بها صديق شخصى للوزير عين فى مكان يضم قوما يظن الوزير أنهم غير راضين عن سياسته . ومع اعتراض رئيس التحرير ، قبل امام تعنت الوزير أن يكون عبد العزيز صادق عضوا بمجلس التحرير ورفض — ورفض المجلس بحسم — أن يخضع لرقابة الاستاذ صادق .

ومن الواضح أن رغبة الوزير كانت تحويل مجلس التحرير الى مجلس لوكلاء الوزارة ولاصدقائه الشخصيين ، وهو أمر يفقد المجلة استقلاليتها وحريتها . وخاصة أنها تختلف معه فى سياسته كوزير للثقافة .

١٠ — طوال هذه الفترة تعرضت الكاتب لمضايقات شتى من هيئة الكتاب ووزارة الثقافة ، فخفض عدد صفحاتها الى ١٣٢ صفحة بحجة أزمة الورق التى لم تخفض صفحات الثقافة أو الجديد ، وتواضع الاعلان عن صدورها الى مرة واحدة [عمودين × ١٠ سم] ، فى حين كان يعلن عن الثقافة مرتين فى ثلاثة أضعاف هذه المساحة ، وعن الجديد عده مرات فى الصحف وفى الاذاعة والتليفزيون ، وتواضعت مكافآت التحرير فى الكاتب بحيث لم تكن تزد — بعد المرتبات الثابتة — عن ١٤٠ جنيها للعدد ، وكانت معظم مكافآت الابحاث والمقالات التى تنشر بها لا تزيد عن ثمانية جنيهات للبحث .

١١ — وقعت كل هذه الحوادث قبل صدور عدد سبتمبر ١٩٧٤ الذى يستشهد الوزير بمقالة صلاح عيسى به للدلالة على مايتصوره خروج على مواثيق الثورة ، وقد تواكبت مع ما تعرض له الوزير من نقد — حتى من بعض الاقلام اليمينية — بسبب سياسته ، وهو ما يؤكد أن نية الوزير فى أن تصبح منبرا محكوما برجاله ويسير وفق مواثيقه هو لا مواثيق الدولة كانت مبيته .. وانه كان ينقم عليها انها لم تتحول الى منبر يدعو لسياساته ولاعماله الادبية كما هو الحال فى «الجديد» و « الثقافة » .

١٢ — فى الايام العشرة الاولى من سبتمبر صعد الوزير الموقف . واصدر تعليمات أبلغها كمال السلوسى مدير مطابع الهيئة كتابة الى سكرتير التحرير التنفيذى سعد عبد الوهاب نصها : [**بناء على تعليمات السيد الدكتور رئيس مجلس الادارة يجب التأكد من توقيع سيادته على جميع أصول مجلة الكاتب التى ترد من ادارة المجلة مع عدم استلام أية أصول بدون توقيع**] ، وهكذا فرض الوزير رقابة وكيل الوزارة على المجلة خلافا لقرار رئيس الجمهورية برفع الرقابة على الصحف .

١٣ — فى آخر جولة من المباحثات وبعد أن توقفت أسرة الكاتب عن تقديم أية أصول للمطابع بهذه الشروط غير القانونية ، قبلت أن تضم الى مجلس تحريرها كل الذين طلبهم الوزير ، وأعلن صلاح عيسى انسحابه من مجلس التحرير بناء على طلب الوزير — رغم معارضة زملائه — وتنازل الوزير عن طلبه باخراج رجاء النقاش ولطفى واكد « مجاملة » كما قال . لكن المجلس اختلف مع الوزير حول دور عبد العزيز صادق ، اذ أصر على أن يعينه مديرا للتحرير وأن تكون مهمته — فوق توضيب المجلة — مراقبة كل ما ينشر فيها ، ولما قيل له أن للمجلة مشرفان فنيان يعملان بها منذ سنوات طويلة — هما الفنان حسن سليمان وسعد عبد العزيز — أعلن انه سيرفتهما فورا . أما من حيث رقابته على المجلة فقد اعترف الوزير فى بيانه أنه عينه فى وظيفة « منبه للانحراف » !

١٤ — ويلاحظ أن مطالبة الوزير بتعيين عبد العزيز صادق « منبها للانحراف » قد حدثت فى شهر أغسطس ١٩٧٤ وقبل وقوع ما يعتبره أنحرافا بالفعل .

١٥ — طلبت الكاتب فرصة لمناقشة عروض الوزير الجديدة ، لكنه أصدر فى نفس اليوم قرارا ابلغه الى جريدة الاهرام ونشرته صباح ١٩٧٤/٩/١٢ يتضمن تشكيل المجلس من : كمال رفعت ود. محمد أنيس وصلاح عبد الصبور وسعد الدين وهبه وادوارد الخراط [مشرفا على الملحق الادبى] ويوسف ادريس ، وتعيين عبد العزيز صادق مديرا للتحرير مع بقاء أحمد عباس صالح رئيسا للتحرير . وابعاد احمد القصير وحسنين كروم عن سكرتارية التحرير ، كما استبعد القرار كل

من رجاء النقاش ولطفى واكد اللذين وافق الوزير عليهما ، وكان معنى هـذا أن الوزير يصر على فرض كل شروطه ، واهمها أن يكون مجلس التحـرير مجلسـا لوكـلاء الوزارة وأصدقائه الشخصيين ، وأن يسيطروا على اتجاه المجلة ويصادروا حقها فى نقد سياسته فى الوزارة ..

١٦ ـ وتمسكا من أسرة التحرير بالحقوق الديمقراطية التى يكفلها الدستور والقـانون لكل المصريين ، ومنها حرية الرأى والعقيدة ، وتمسكا منها بأن يـكون قرار السيد رئيس الجمهورية برفع الرقابة على الصحف مطبقا عمليا ، فقد كان طبيعيا أن « تتنحى عن العمل بهذه الشروط » وبذلك رفضت شروط الوزير التى استهدفت كبت حريتها ، والقضاء على استقلاليتها . والخطاب مؤرخ فى ١٣/٩/١٩٧٤ ..

١٧ ـ لم يثر موضوع الخروج عن مواثيق الثورة الا بعد أن ظن بعض مستشارى الوزير أن هناك ثغرة يمـكن استغلالها فى مقـال « مستقبل الديمقراطية فى مصر » لصـلاح عيسى ، وفى هذه النقطة نوضح ما يلى :

● انه فى كل المناقشات التى دارت حول الموضوع تأكيد بأن المقال ككل مقالات «الكاتب» يعبر عن وجهة نظر صاحبه وأن بعض ماورد فيه من أفكار قد رد عليها ـ بشكل غير مباشر ـ فى مقـالات أخرى فى نفس العـدد وأن الحرية تفترض تعدد الآراء والاجتهادات .

● أن الوزير يقول فى بيانه أن الفقرة التى ابتسرها من سياقها هى « نموذج » لما يراه « انحراف عن الخط الوطنى » ومعنى هذا أن هنـاك نماذج أخرى ، لـكنه على وفرة ما أدلى به من بيانات أو أحاديث لم يقدم أى نموذج آخر . كما أنه من غير المنطقى أن تؤخذ فقرة واحدة من مقال واحد من اعداد مجلة قارب عمرها على ١٥ عاما للتدليل على خروجها عن مواثيق الثورة !!

● أن الوزير يضع قاعدة خطيرة ، فهـو يعتبر نفسه الامين على مواثيق الثـورة ، ويعين نفسه مفسرا للنصوص ، وهو مايمكنه من اساءة استغلال سلطته كما يريد متسترا بوثائق الثـورة بدلا من أن تـكون هذه الوثائق مفتاحا للحوار الديمقراطى تتحول فى يده الى فزاعات للتخويف ، وقد قيل الكثير جدا من الاراء فى الفـترة التى نشر فيهـا المقـال وبالمناسبة التى كتب بسـببها وهى تطـوير الاتحاد الاشتراكى ، ممـا لا يمكن اعتبـاره منسجما مع وثائق الثورة .. ولا يزال يقال ..

● ان القاعدة العامة التى تحكم الوزير والكاتب فيما هـو مناسب أو غير منـاسـب بالنسبة لما ينشر ، هى القانون العام ، ولن تكون لدينا صحافة حرة حقيقة طالما ان كل مسئول يستطيع أن يخيفنا بوثائق الثورة ، وهناك قانون المطبوعات المعمول به وينبغى أن يكون هو الفيصل الوحيد لما ينشر أو لا ينشر !

● اننا لم نسمع أن الوزير غضب لما ينشر فى المجلة التى كان يرأس تحريرها أو فى مجلة الجـديد من مقالات يمكن ببساطة أن نثبت أنها ضد مواثيق الثورة ، لكننا لا نريد أن نسـتعمل أساليب مكارثية فى الحـوار الديمقراطى .

● ان كاتب المقال طالب الوزير علنا بتقديمه للنيابة العامة اذا كان حقا واثقا من أن المقال يتضمن هجوما على حرب اكتوبر ، لكن الوزير لم يفعل ووجه الى كاتب المقال ألفاظا يعاقب عليها القانون ، وقد قام كاتب المقال من جانبه بتقديم بلاغ الى النيابة العامة ، تضمن أن الوزير قد نشر فى « الاهرام » والجمهورية فى ٢٢ سبتمبر ١٩٧٤ مقالين وصـف فيهما أفكاره بأنها ـ تشكل من وجهة نظره «انحرافا عن الخط الوطنى » وأنها أفكار « تمثل خيانة لمصر ولارواح الشهداء » وهو ما يعتبر سبا وقذفا فى حقه ، وطالب باتخاذ اللازم ضد كل من الاساتذة « يوسف السباعى بصفته كاتب المقـالين والاستاذان مصطفى بهجت بدوى وأحمد بهـاء الدين رئيسـا تحـرير كل من الجمهورية والاهرام لنشرهما هذين المقالين . وقد أحالت نيابة الأزبكية البلاغ الى الشرطة حيث دونت أقوال صلاح عيسى ، وقيد المحضر برقم [٤٧٨٨ ادارى ـ الأزبكية] ، ويتخـذ المحامى عن صلاح عيسى اجراءات رفع جنحة تعويض ضد وزير الثقافة لقذفه فى حقه .

● موضوع المقال اذن أصـبح الان أمام القضاء الذى سيفصل فيما اذا كان ما كتب « خيانة » أم أن الوزير ابتكر هذه اللعبة كلها ليغطى على اجراءاته غير الديمقراطية . وما يلفت النظر أن الوزير لم يرد على أى اتهـام حقيقى وجهته اليه أسرة الكاتب ، وأصر فى كل ما أذاع على الحديث عن موضوع هـو الان بين يدى القضاء فى دولة تحترم سيادة القانون لكن سيادة الوزير لا يفعل ذلك !

١٨ ـ لقد قبلنا كل شروط الوزير المعقولة ـ مع قسوتها كلها ـ وملكنا المرونة الكافية لادراك نواياه ، ووقفنا عند نقطة كان لا بد أن يتفرق عندها المتصاحبون تلك هى « الحد

الادنى » من شروطنا . ان الصحبة بين الكاتب والوزارة لا يمكن أن تكون صحبة بلا شروط من جانبنا . ولا يمكن أن يقر أى منصف أن يفرض علينا الوزير كل شيء ولا يبقى أمامنا الا الاذعان ، وفى كل صحبة أو تحالف هناك شيء اسمه « الحد الادنى » اذا فرطنا فيه أصبحنا شيئا آخر .. ولقد كان هذا الحد الادنى كما عبرنا عنه فى مقابلة مع الوزير عندما أمر فى أواخر أغسطس بمنع طبع الملحق الادبى للكاتب ، وقد حضر هذه المقابلة د. محمد أنيس وأحمد القصير وصلاح عيسى ، وعبروا عن أن وجهة نظر أسرة الكاتب هى :

أولا : ان تظل الوزارة محايدة بين مدارس الادب والفكر والا تنتمى الى تيار على حساب آخر ، أو تعطى ممثليه أكثر مما تعطى الاخرين ، فنحن لم نطلب اغلاق مجلة « الثقافة » ولكننا طلبنا ان نتساوى بها فى عدد الصفحات وفرص الاعلان والميزانية ، خاصة ان اليمين يصدر تسعة منابر كل شهر بينما تتواضع فرص اليسار الى منبر واحد محاصر .

ثانيا : أننا مجلة يسارية وينبغى ان تظل كذلك وأن أى تعديل فى مجلس التحرير ينفى هذه الصفة عنها مرفوض .

ثالثا : أن صدورنا عن وزارة الثقافة لا يعنى اننا منبر مخصص للدعاية لسياسات الوزير ولا يلزمنا بالصمت على ما يجرى على جبهة الثقافة ، وأن حقنا فى نقد هذا كله يكفله لنا القانون والدستور وسنمارسه .

وما زالت هذه النقاط تمثل الحد الادنى من مطالبنا وهى المقياس الذى نقيس به مدى اخلاص وزارة الثقافة لما ترفعه من شعارات ديمقراطية ، فكيف كان حقنا فى نقد سياسة الوزارة يصبح مكفولا والرقيب العام على المجلة هو صديق الوزير الصدوق والمشرف على الملحق الادبى هو صديق الوزير الصدوق .. ونصف مجلس التحرير من وكلاء الوزارة

١٩ — ان الحجة البيروقراطية التى أوردها السيد الوزير بانه يمارس حقه فى تعيين مدير للتحرير كما يمارسه رئيس مجلس ادارة اى دار صحفية ، تقوم على قياس خاطىء ، فرئيس مجلس ادارة اى دار صحفية ليس سلطة تنفيذية ، وهو عندما يعين مديرا لتحرير صحيفة تصدر من داره فان هذا ينطلق من منطلقات أخرى تماما ، ليس من بينها حماية سياساته من النقد ، ولو طبقنا هذا القياس وأصبح الوزراء يعينون رؤساء التحرير الذين لا ينقدونهم لاصبحت الصحافة منظمة للدفاع عن الحكومة واهدرت كل الحقوق الديمقراطية .

٢٠ — أن تصرفات الوزير بعد انسحابنا قد شكلت موقفا لاديمقراطيا واضحا ، فقد شن حملة مكثفة ضدنا تمثلت فى الاحاديث والكتابات التى نشرها المدافعون عنه والتى بلغت أكثر من اربعين نصا منشورا بشكل شرعى ، فضلا عن المنشورات السرية التى كانت تنشرها وتوزعها جبهة حلفاء السيد الوزير من محررى جريدة الجمهورية،فى حين أن ما كتب دفاعا عن الكاتب لم يتعد خمس نصوص لا أكثر . واستخدم الوزير نفوذه فى وزارة الاعلام فامتنعت كل الصحف — ماعدا الطليعة — عن نشر أى تصحيح من أسرة التحرير .

٢١ — أن الذين تصدوا للدفاع عن اجراءات الوزير من الذين تخصصوا فى كتابات ليست من بينها مسائل الثقافة الرفيعة ، ولم يؤيد الوزير فى اجراءاته من الادباء المعروفين أو النقاد سوى اثنين أو ثلاثة ، وكل الذين دافعوا عنه تربطهم به علاقات شخصية وثيقة .

٢٢ — ومراجعة كل النصوص التى نشرت تؤكد أن هناك تعميما وزع على هذه «الشلة» يتضمن أفكارا واحدة ، ذلك أن واحدا منهم لم يقرأ النصوص الاصلية التى يرد عليها ، ولم يرد على النقاط التى أثارتها أسرة الكاتب فى استقالتها .

٢٣ — وكان طبيعيا أن تتحالف مجموعة الوزير مع مجموعات أخرى تتقوى بها ، فعندما تساءل طلاب ندوة ناصر عن اجراءات الوزير ضد « الكاتب » ، خرج الاستاذ موسى صبرى بمقال فى الاخبار يهاجم فيه الكاتب ، ويعتبرها وطلاب الندوة جبهة واضحة تعمل لحساب ليبيا ، ويعتبر نفسه والاخوين على ومصطفى أمين والاستاذ يوسف السباعى فى جبهة واحدة ضد هذه الجبهة . ودشن هذا التحالف بتعليمات صدرت لصحف أخبار اليوم بالدفاع عن وزير الثقافة .

٢٤ — أن الحملة التى شنت ضد أسرة الكاتب قد افتقدت للمنطق بشكل يدعو للرثاء فهى قد بنيت على أن أسرة تحريرها عميلة للاتحاد السوفيتى ، وبينما كان الوزير — بحكم منصبه كسكرتير عام لمنظمة التضامن — يمدح الاتحاد السوفيتى ويشبب به ، كان المدافعون عن اجراءاته يحيونه لانه طرد عملاء السوفيت من وزارة الثقافة . وبينما يؤكد الوزير أنه ليس ضد اليسار ، كان اصدقاؤه الذين دافعوا عنه حيوه لانه صفى

اليسار . وهو ما انذرت به بالفعل مجلة الثقافة — وكان الوزير يراس تحريرها — عندما نبهت أسرة الكاتب الى المصير المحتوم الذى ينتظرهم فى عدد سبتمبر ١٩٧٤ .

٢٥ — وبنفس هذا الاختلال فى المنطق نشرت هيئة الدعاية فى أنصار الوزير عشرات المقالات تتهمنا فيها بالعمالة للعراق وليبيا ، ولانه لامنطق هناك ، فليس مهما أن اتهامنا بالعمالة لليبيا وبالماركسية فى آن واحد غير جائز ، وموقف ليبيا من الماركسية معروف . وبينما يقول الوزير أن المجلة توزع ٥٠٠٠ نسخة فى العراق تخسر فيهم ٤٥٠ جنيها فى العدد ، ويأخذ علينا ذلك ، فانه بعد أن تركنا له المجلة مازال محتفظا بالاشتراك ومازال يخسر فيه ، ومازالت العراق متمسكة باشتراكاتها فى الكاتب ..

٢٦ — أن كل ما نشرته قوات الدفاع عن السيد الوزير قد تضمن استعداء واضحا للسلطات ونوعا من المكارثيه النادرة المثال، ومحاولة مجهدة ومضحكة لتأويل الكلمات ، وربط يدعو للرثاء بين كل نقد للوزير وبين أسرة الكاتب ، فنحن لم نتهم فقط بأننا ضد الحكومة ولكن اتهمنا ايضا بأننا الذين اثرنا سعاد حسنى وحسن الامام وغيرهم ليرفضوا جوائز السينما ويحتجون عليها . وهو مايؤكد طبيعة المنهج الذى تعالج به المسائل لدى هؤلاء السادة .

٢٧ — وفى كل ما كتبوه تتكرر الفاظ تصفنا بأننا « غرباء » و « خونة » و « عملاء » وان الماركسية — التى ظنوا لجهلهم بأنهاتجمع كل من يكتب فى الكاتب — لا يمكن أن تجتمع مع المصرية ، وغيرها من الاراء التى لا يمكن أن تخفى دلالة المعركة التى خاضوها ضدنا ولا هدفها الحقيقى .

٢٨ — تلك كلها ملامح من الاسلوب الديمقراطى الذى اتبع معنا ، وهناك وقائع تؤكد أن الوزارة كانت تضطهدنا وتنقم علينا اننا يسار يريد ان يحقظ لنفسه حرية التعبير ، فبعد أن تركنا المجلة للوزارة انتعشت مخصصاتها من الاعلانات فأصبحت تعلن عن نفسها فى الاعداد الاسبوعية من الصحف الثلاث ، وارتفعت مكافآت التحرير فيها فوصلت الى ٢٠ جنيها للمقال ، وكفت الوزارة من الشكوى من خسارتها ، فلم تعد تشير الى أرقام توزيعها ، وبلغ البذخ معها مداه فأصبح عدد صفحاتها ١٩٦ وغلاف بالالوان الطبيعية ؟ وقد طلبنا نصف هذه المطالب قبل ذلك فلم يستجب لنا أحدا .

٢٩ — أن قول الوزير بأنه لن يصفى منبرا يساريا يكذبه واقع الحال ، الذى انتهى بالفعل بمقاطعة كل الكتاب اليساريين لمجلة « الكاتب » بعد أن اجبرت أسرة تحريرها بشروط متعسفة على الرحيل ، أليس من شروط الديمقراطية أن مجلة ما لكى تمثل تيارا ما ، لابد أن تكون حائزة لرضاه ؟ . ثم كيف تكون يسارية وهى تأخذ موقفا صامتا من قضايا السياسة الثقافية فى بلادنا ؟ . والى متى يظل حق اليمين مكفولا فى الهجوم على اليسار ويلزم اليسار بأن يكون مهذبا يكتب فى السياسة الخارجية أو فى سينما العالم الثالث فقط ، أما شئون الثقافة والفكر فى بلده فهى ليست من شأنه . وكيف تكون الكاتب منبرا مستقلا وهى تحت رئاسة وكيل وزارة الثقافة ، وكل منابر الثقافة تحت قيادة أصدقاء للوزير أو وكلاء للوزارة ؟! .

٣٠ — أن لعبة سرقة المقالات التى برعت فيها « الكاتب الاميرية » ، ستنتهى يوما ما ، فقد سرقت فى عدد أكتوبر ١٩٧٤ أبحاثا لكل من الاساتذة طارق البشرى وسمير كرم ووليم سليمان ونشرتها على غير رغبة أصحابها ، واكملت مادتها بمواد من بعض الندوات التى تعقد فى اطار منظمة التضامن الاسيوى ، وفعلت نفس الشىء فى عددها الاخير اذ نشرت أبحاثا ومقالات للدكتور فؤاد مرسى والدكتور ابراهيم سعد الدين سرقتها من أعمال ندوة بغداد للنفط ، وقد كتب الدكتور فؤاد مرسى الى صلاح عبد الصبور خطابا هذا نصه « **فجأنى كما فجأ غيرى أن تنشروا الدراسة التى قدمتها لندوة بغداد عن المشاركة كأسلوب من أساليب الاستعمار الجديد بغير ان من أذن لكم بنشرها أو اعلم حتى بنية النشر منكم مما يخرق تقليدا ديمقراطيا عريقا استقر فيما بيننا ولا تدعو حاجة للعدول عنه . ولهذا ترونني أتمسك بحقى فى منع نشر القسم الثانى من دراستى فى عددكم المقبل على النحو الذى أنبأتم به قراءكم ، الذين ظلمتهم بذلك للاسف خطوة خاطئة من جانبكم** » كما احتج د. ابراهيم سعد الدين على هذا الاجراء .

٣١ — تجاهل الشاعر صلاح عبد الصبور فى افتتاحيته لعدد ديسمبر من الكاتب الاميرية كل الحقائق السابقة . وصور الموضوع على انه شغب من جانبنا . لكنه فى نفس المقال ذكر أن مسئوليته عن مجلات وزارة الثقافة هى مسئولية « نظرية » ، ولا ندرى ما المبرر

الذى يجعل السيد الوكيل والسيد الوزير ؟ يقبلان مسئولية نظرية على مجلات الجديد والثقافة وتوابعهما ، ويصران على أن تكون مسئوليتهما عن الكاتب غير نظرية ! . ولماذا أصروا على أن يقرأوا كل ما نكتب ورفعوا فى وجوهنا وثائق الدولة التى تهان وتهاجم فى مجلات الوزارة الاخرى دون أن يغضبوا ولماذا لم يذكروا للكاتب دفاعها عن الرئيس الراحل عبد الناصر وعن ثورة ٢٣ يوليو وعن انجازات الرئيس السادات ودفاعها عن العلاقات المصرية السوفيتية !!

٣٢ — أن الوزير قد لجأ فى كل المباحثات التى أعقبت انسحابنا الى أسلوب يكسب به الوقت حتى يرتب أوراقه ، ولكنه كان سرعان مايعدل عن أى اقتراح يتقدم به .

٣٣ — بعد أن نشرت الاستقالة فى الصحف ردا على بيان الوزير المليء بالمعلومات الخاطئة . وبعد ان بدأت أسرة تحرير الكاتب تأخذ فرصتها فى الرد عليه ، وبينما هى تتخذ الاجراءات القانونية لشهر جمعية ثقافية باسم « الكاتب العربى » ، أرسل الوزير يعرض استعداده للتنازل عن رخص «الكاتب» للجمعية لتصدرها فتكون مسئولة عنها قانونا لانه لا يستطيع قبول ما ينشر فيها ، وأبدى استعدادا لان تعين وزارة الثقافة من ميزانيتها الجمعية — كما تعين كل الجمعيات الثقافية — بمبلغ يعينها على اصدار المجلة ، وقال أنه سيوقف الحملات الاعلامية التى يشنها أصدقاؤه فى الصحف ومجلاته الناطقة باسم الهيئة ، وطلب جوا طيبا للتفاهم بأن توقف أسرة الكاتب ردودها على ما نشره أصدقاؤه .. ورغبة من أسرة الكاتب فى اتاحة الفرصة له لتصحيح الاجراء الذى اتخذه ، توقفت عن الرد . الا أن الوزير خلال تلك الفترة استطاع أن يصل — من خلال نفوذه فى وزارة الاعلام وصداقاته بدور الصحف — الى يقين بأن صحيفة مصرية واحدة لن تنشر كلمة واحدة لاسرة الكاتب .. وببساطة تراجع عن عرضه بعد أن تسلم طلبا بالتنازل عن رخصة المجلة ، وشن حملة مكثفة ضد أسرة الكاتب ، بينما امتنعت كل الصحف اليومية والمجلات الاسبوعية والشهرية — باستثناء الطليعة — عن نشر كلمة واحدة لنا حتى ما كان يتضمن مساسا بأشخاصنا أو سمعتنا .. وأغرق موضوع الكاتب فى طوفان من الاكاذيب والاساليب المكارثيه واستعداء السلطات ومن أقلام لا علاقة لها بالفكر أو الثقافة . وهكذا أهدر الوزير كل الحقوق الديمقراطية وأثبت أن الوزير يملك قدرة على أن يتكلم وليس من حقنا حتى أن ندافع عن موقفنا .

٣٤ — كانت آخر أعمال الوزير ، تلك التى حدثت فى ندوة المجلات الادبية فى بيروت فى بداية شهر ديسمبر ، أن وسط الاستاذ عبد الرحمن الشرقاوى لدى الاستاذ لطفى الخولى للنقاش حول موضوع الكاتب ، ولما اعلن لطفى الخولى أنه غير مفوض للحوار مع الوزير حول الموضوع ، طلب الاجتماع به لتبليغه رسالة لاسرة الكاتب ، وقد عقد الاجتماع بالفعل وحضره الوزير ولطفى الخولى وعبد الرحمن الشرقاوى والكاتب اللبنانى كريم مروة ، وفيه أعلن الوزير استعداده لعودة مجلس تحرير الكاتب بأجمعه الى العمل [وهو المجلس الذى كان يراه غير قانونى] ، وقال أن المشكلة هى أنه لايستطيع أن يتخلى عن صلاح عبد الصبور الذى سانده فى المعركة .. وأنه لا يمانع أن يعود مجلس التحرير للعمل مع صلاح عبد الصبور . على أن ينضم أحمد عباس صالح الى المجلس . وتصور لطفى الخولى أن اقناع صلاح عبد الصبور بالتخلى عن منصبه ليست مشكلة ، ولكنه أصر على البقاء به عندما فاتحه الاستاذ الشرقاوى فى ذلك . ومن الواضح أن تلك مناورة قصد منها اجهاض أية محاولة لاثارة المشكلة التى كان الوزير قد استعد لها بأخذ البيان المنشور هنا معه ، وأخذ صلاح عبد الصبور ، ومعه اعداد من الكاتب التى صدرت بعد انسحابنا مدللا على تقدميتها !! والبيان كما ذكرنا مليء بالمغالطات التى شرحناها فيما سبق .

٣٥ — ان الوضع الراهن لمشكلة الكاتب لم يتغير من وجهة نظرنا .. فليس بيننا وبين الوزير أية ضغائن شخصية ونحن نرى أنه قد صفى منبرا للفكر اليسارى واستبدله بمنبر كشفت الايام عن طبيعته وسوف تكشف عن طبيعته . ونرى أن ديمقراطية الثقافة فى مصر قد انتهكت وتنتهك ، والحد الادنى من مطالبنا ما زال هو نفسه كما شرحناه فى البند رقم ١٨ من هذا البيان .

٣٦ — اننا اذا كنا نقبل النقاش الديمقراطى حول المعركة ، فنحن نرى أن هروب السيد الوزير من الرد على كل الوقائع السابقة واصراره على التلويح بفقرة فى مقال أصبحت الان أمام القضاء ، هو اقرار بصحة كل ما ذكرناه .

« أسرة تحرير الكاتب »

شهدى عطية
حياة وموت مناضل

تنشر « الطليعة » الوثائق الرئيسية فى قضية المناضل شهدى عطية الشافعى ، الذى اعطى حياته لمصر ولكل الشعب .

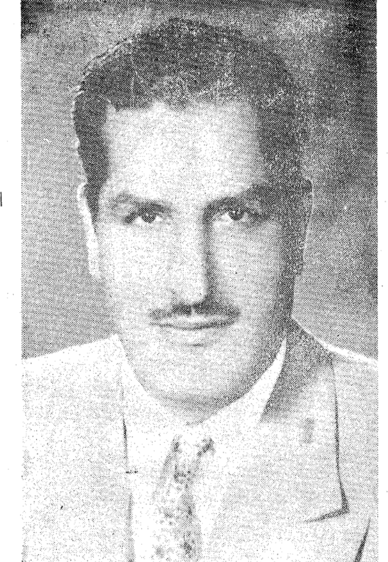
لقد كانت قضية شهدى واحدة من قضايا النضال من أجل الوحدة الوطنية ، وحدة كل قوى التقدم والديمقراطية ، المعادية للامبريالية والصهيونية والرجعية ، ولدعم المسار الوطنى الديمقراطى لثورة ٢٣ يوليو .

وهى قضية النضال ضد اسلوب التعذيب الذى نرفضه ، ونرفض استخدامه ضد اى انسان ، وضد اى اتجاه . هى قضية من قضايا النضال من أجل حقوق الانسان وسيادة القانون ، وسلطة المؤسسات الدستورية والديمقراطية والشعبية . وفى الوقت نفسه نرفض أن نعمى أبصارنا فنجعل من قضية التعذيب الحائط الذى تبكى عليه ، وتنوح القوى التى تحاول ادانة كل التاريخ الايجابى لثورة ٢٣ يوليو .

لقد كان النضال من أجل الوحدة الوطنية والديمقراطية لجماهير الشعب ومن أجل سيادة القانون ودولة المؤسسات ، نضالا ضاريا ضد مخططات الامبريالية وجيوب الرجعية والقوى المضادة للثورة والتى طالما دقت الاسافين لتفرق الصف الوطنى الديمقراطى التقدمى . لقد كان نضالا قاسيا له مناضلوه وضحاياه وشهداؤه ، وكان واحدا من هؤلاء : شهدى عطية الشافعى .. الذى عاش ومات مناضلا من أجل مصر المستقلة الوطنية الديمقراطية .. مصر الاشتراكية .

« الطليعة »





١ ــ **شهدى عطية الشافعى** : رائد من رواد حركة التحرر الوطنى المصرية ، بآفاقها الاشتراكية منذ الاربعينات . فبعد عودته أثناء الحرب العالمية الثانية من انجلترا ، وبعد أن حصل على درجة الماجستير فى الادب الانجليزى ، شارك فى تاسيس دار الابحاث العلمية ، وهى الدار التى قدمت لمصر عددا كبيرا من المثقفين والعلماء الوطنيين والمناضلين من أجل تحرير وطنهم وشعبهم من الاستعمار والاستغلال الاقطاعى والرأسمالى .

٢ ــ **وفى عام ١٩٤٥** : صاغ شهدى ومعه زملاء له آخرون برنامجا للحركة الوطنية ، صدر فى كتيب بعنوان : « **أهدافنا الوطنية** » . وفى هذه الفترة قام شهدى بترجمات للعديد من كتب الفكر الاشتراكى العلمى ، منها الاشتراكية العلمية والخيالية ــ لانجلز ــ وقام بدوربارز وطليعى فى نشر الفكر الاشتراكى والمساهمة فى قيادة الشباب الثورى للمساهمة فى الحركة الوطنية الجماهيرية التى أخذت فى التصاعد عقب الحرب العالمية الثانية ضد الاحتلال البريطانى ،

فقاد مجموعة من الشباب الاشتراكي ، كان لها دور بارز في تأسيس اللجنة التحضيرية للجنة الوطنية للطلبة في صيف عام ١٩٤٥ .

وكان من بين هذه المجموعة **جمال غالي** ، **وسعد زهران** ، **وجمال شلبي** ، **وعبد المنعم الغزالي** ، **ومحمد الجندي** ، **وفاطمة زكي** ، **ولطيفة الزيات** .. ثم كان له دوره القيادي في التحضير لقيام اللجنة الوطنية للطلبة والعمال ، والتي قادت يوم ٢١ فبراير عام ١٩٤٦ ، يوم النضال الكبير ضد الاحتلال البريطاني .

٣ — وعندما شن « **اسماعيل صدقي باشا** » ، صاحب مشروع صدقي — بيفن حملته الصليبية ضد الحركة الوطنية ، كان شهدي ممن صدر الامر باعتقاله ، ولكنه تمكن من الاختفاء لمدة ثلاثة شهور .

٤ — وعندما عاد الى الحياة العلنية ، قاد العمل من أجل بناء جريدة جماهيرية للاشتراكية ، تكون منبرا للعمال والفلاحين ، فصدرت جريدة الجماهير عام ١٩٤٧ والتى كان يرأس تحريرها محمود النبوى ، وكان المسئول الفعلي عنها هو شهدى . وعرفت الجماهير حينئذ مقالات الشهيد العنيفة ضد الاستعمار وعملائه [وثائق ٧ ، ٨ ، ٩] .

٥ — واعتقل شهدي في آخر عام ١٩٤٨ وقدم الى المحاكمة ، فصدر الحكم ضده بالاشغال الشاقة سبع سنوات . لقد كان شهدى واحدا من الذين ناضلوا بصلابة ضد الملكية ، ونظامها الاقطاعي العميل والتابع للاستعمار ، وعندما طالبه والده بأن يقدم التماسا الى الملك ، قال له السجن أحب الى من حياة الجبناء . وخرج من السجن فى عام ١٩٥٥ ، وكانت ثورة ٢٣ يوليو تخوض معركة عنيفة ضد الاحلاف العسكرية ، وضد حلف بغداد ، فصدر له كتابه « أمريكا والشرق الاوسط » .

وتبين شهدى ، خط التطور الرئيسي لثورة ٢٣ يوليو ، باعتبارها وطنية معادية للاستعمار ، تستهدف قيادتها المتمثلة في جمال عبد الناصر ، تحرير الوطن من كل سيطرة استعمارية ، فحدد موقفه — الذى ظل ثابتا عليه حتى لحظة استشهاده — من ثورة ٢٣ يوليو . وهكذا ركز نضاله على جبهتين .. **الاولى** : ضرورة وحدة كل القوى الوطنية والتقدمية .. **والثانية** : وحدة كل فصائل الاشتراكية العلمية ، حيث كان الانقسام يمزق صفوف الماركسيين .

٦ — وفي عام ١٩٥٦ ، وبعد تأميم قناة السويس ، شارك شهدى فى الكتابة فى جريدة المساء بمقالات وأبحاث ودراسات . وخلال العدوان الثلاثى ، انخرط فى المقاومة الشعبية . وفي هذه الفترة افتتح مكتب مصر للترجمة والنشر ، ونشر كتابه « **تاريخ الحركة الوطنية** » ، ونشر روايته « **حارة ام الحسيني** » على حلقات فى جريدة المساء .

٧ — وفي عام ١٩٥٨ — وبعد شهور من قيام الوحدة المصرية — السورية ، وقيام الثورة العراقية ، وسقوط حلف بغداد — تمكنت القوى الاستعمارية والرجعية من أن تحدث الفرقة فى الصف الوطنى الديمقراطي وابتداء من عام ١٩٥٩ ، شهدت المنطقة صراعا داخليا عنيفا داخل صفوف القوى الوطنية ، وشنت أعنف حملة ضد الشيوعيين المصريين ، وكانوا قد انقسموا في يوليو عام ١٩٥٨ ، بعد اتحادهم فى فبراير عام ١٩٥٨ .

٨ — ودخل شهدى السجن مع المئات من المثقفين والعمال والفلاحين فى أول يناير عام ١٩٥٩ . ولم يفقد شهدى الرؤية الموضوعية لواقع الحركة الوطنية المصرية والعربية ، وان ثورة ٢٣ يوليو بقيادة **الرئيس جمال عبد الناصر** ، ثورة وطنية معادية للاستعمار ، تتطور نحو آفاق الثورة الوطنية الديمقراطية ، وخاصة بعد تمصيرها للاقتصاد المصرى ، اثر المواجهة مع الامبريالية العالمية عقب تأميم قناة السويس ، واقامة الوحدة المصرية — السورية . وفي اللحظة التى تسلم فيها شهدى وزملاؤه قرار الاتهام ، والذى بمقتضاه يقدمون الى محكمة أمن دولة عليا ، لم يفقد — باعتباره المتهم الاول — الرؤية الموضوعية ، وضرورة الاستمرار فى المطالبة باعادة الوحدة الى الصف الوطنى والعربى ، فكتب من داخل السجن رسالة وجهها الى **الرئيس جمال عبد الناصر** ، اكد فيها شهدى ان حملة العداء للشيوعية لم



زملاء للشهيد مع اسرته بعد الافراج عنهم

تكن الا من تدبير القــوى الاســـتعمارية والرجعية ، لاضعاف جبهة التحرر الوطنى العربى [الوثيقة رقم [٢] .

وعندما مثـل أمام محـكمة أمن الدولة العليا فى الاسكندرية ، القى شــهدى كلمة افتتاحية فى جلســة الثلاثاء ٨ مارس عام ١٩٦٠ ، جاء فيها :

« **واجب كل وطنى أن يؤيد هذا الحكم . هـذا واجب كل وطنى مخلص . والتـأييد صادر لا عن مطمع ولا عن خـوف . ولم أطلب أبدا ثمنا لهذا التأييد وقمت بالواجب من كل أعمـاقى كمواطن مخلص شريف . ولا عن رهبة ولا عن خوف ، وسبق اعتقالى والحكم على بالاشغال الشاقة . وجاء لى والدى وقـال ممكن الســعى الى تخفيف الحـكم ، فقلت له الســجن أحب الى من أعمال الجبناء . فتأييدى للحكم صـادر من قلب خالص وسأستمر فى تأييده حتى ولو قدر الحـكم على ، وكل نظـام فيه عيوب ونواقص ، والكمال من صفة الله وحده** » .

وقال فى نفس الكلمة :

« **هل أحـاكم لمجرد اعتنـاق المبـادىء الشيوعية كوصف الادعاء ، وحتى لو ثبت للمحكمة بأنى أؤيد النظام وانى لا أســعى لقلبه .. هل أحاكم اليوم لمجرد هذا المبدأ ؟ .. مستحيل لان مفيش دولة تحاكم من أجل المبدأ ، والرئيس جمـال عبد النـاصر قال لا يمكن أن تكون محـاكمة لمجرد اعتنـاق مبدأ** » .

وقال للمحكمة : « **والنيـابة مثلا كانت تسألنى : صحيح انت بتأيد الحكومة اليوم انمـا بكره حتعمل ايه ؟ .. وحكاية بكره شـاغلة الاذهان . وقالوا ان كل الثورات الشيوعية قامت على القوة .. أقـول : لم تقم ثورة ضد حكم وطنى ، وكل ثورة قامت ضد حكم رجعى خائن ، وعمر الثورة ما كانت ضـد حكم وطنى** » .. وقال : « **والمهم الا يلجأ الحزب الشيوعى الى القوة فى ظـل حكم وطنى ، والخلاف لا يمكن أن يخرج عن الوحدة الوطنية** » .. ثم قال : « **ان المسئول عن هذه الازمة هو الاستعمار والصهيونية .. والخلافات البسيطة استغلها الاستعمار والقوى الرجعيـة لتكيل للجمهورية العربية المتحـدة لاثارة الشـكوك والمهاجمـات ، والجمهورية العربية ستنتصر برغم الشكوك وسيصفو الجو ضد الاستعمار والصهيونية والعدو الداخلى والسحب القائمة لابد أن تنقشع ، وتشرق الشمس من جديد** » . [ص ٢٣٤ وما بعدها من محاضر جلسات المحاكمة] .

٩ ــ ورغم هذه الرؤية الوطنية الواضحةوهي رؤية اتسمت بموضــوعية تحلى بها المناضلون الذين كانوا يعانون تعذيبا وحشيافي سجون عديدة : أوردى ليمان ابو زعبل معتقل العزب بالفيوم ، سجن الواحات ،سـجن القلعة ، حيث ســالت دماؤهم واصــابتهم عاهات وأمراض ، واستشهدعدد من خيرة المناضلين مثل **د . فريد حداد ورشدى خليل : ومتولى الديب وسيد أمين** .كما كان قد اختفى المناضل **محمد عثمان** بعد القبض عليه وتعذيبه .

١٠ ــ لقـد كانت رؤيتهم الموضـوعية ــ ورغم كل خلاف داخلى بين صـفوفهم ــ ان ثورة وطنية معادية للاستعمار وعملائهيقودها جمال عبد الناصر ، وان حماية هذه الثورة والاستمرار بها ، والتحول بها الىالبعد الديمقراطى ولصــالح الجمـاهير الشعبية الكادحة ، انما تتحقق بالوحـدةالوطنية ، وحدة كل فصائل الثورة المصرية ، وبتحقيق المزيد منالحرية لجماهير الشعب ،هذا فى نفس الوقت الذى كانت تعمل فيه قوى الرجعية ضد اى تطور وطنى ديمقراطىللثورة يحقق وحدة كل فصـائلها بما يعنى الاضرار بمصالحها ووجودها . وانه لتعطيلمثل هذا التطور لابد من اثارة الإنقســام والخلافــات بين قــوى الثورة الوطنيــةالديمقراطية ، ســواء على نطــاق حركة التحرر المصرية أو حركة التحرر العربية ،وتغذية هذه الانقســامات والخلافات تحت مظلة الشعار الرجعى التتارى : « مكافحةالشيوعية » .

١١ ــ وانتهت محاكمة شهدى وزملاؤه ،ومن قبل كانت قد انتهت محاكمة قضـية أخرى ، كان على رأســها د . فؤاد مرسىوزمــلاؤه ، وقد رحلــوا الى اوردى ليمـان ابو زعبل ، حيث يلقى مئات من الشيوعيينوالوطنيين الديمقــراطيين المعتقلين دون محاكمة ، تعـذيبا متواصــلا منذ أكثر منسبعة شهور .

١٢ ــ وليلة الخامس عشر من يونيو عام١٩٦٠ ، نقل شــهدى وزملاؤه الى اوردى ليمان ابو زعبل ، واعد لهم استقبال خاصبــدأ مع فجر يوم ١٥ يونيو عــام ١٩٦٠ ، تحت اشراف اللواء اسماعيل همت والعقيدالحلوانى والعقيد عشوب ، والرائد صلاح طه والرائد حسن منير والضباط عبد اللطيفرشدى ، ويونس مرعى ، ومرجان اسحاق وعبد الفتاح هندى ، وكمال رشاد والصولاحمد مطاوع . كما أشرف على التعـذيب الطبيبين د . أحمـد كمــال أبو العــلا ،و د . البير فهمى ، وعــدد كبـير من قوة الاوردى وحراسه .

١٣ ــ وكانت كل ادوات التعذيب معدة.. العصى والكرابيج والحبال وقناة مملوءة بالمياه لاغراق المعتقلين فيها ، و « عروسة »الجــلد .. وبـدأت عمليـة ضرب مركزة ومخططة .. ومن بين صفوف المعتقلين اخذشهدى وحده ليركز الضرب عليه .. وخلال عملية من عمليات الجلد استشهد شــهدىداخل الاوردى . وعندما سقط شهدى كان شــهيد الجميع ، فقد افتدى بحيــاته كلزملائه الذين عاشوا شهورا طويلة خلف جدران هذا السجن الرهيب ، يتلقون الواناعديدة من التعذيب .

١٤ ــ ولم تكن دماء شهدى قد جفت بعد.. وعلمت زوجته بالخبر بعد ساعات من استشهاده، فكتبتلتوها برقية الىالرئيسعبد الناصر ، وكان فى زيارة ليوغوسلافيا ، ووجــه الصــحفيون ســؤالا الى الرئيسعبد الناصر فى مؤتمر صـحفى عقد خلال زيــارته عن استشـــهاد شــهدى عطيةالشافعى نتيجة التعذيب الذى لقيه ويلقاه المئات من الشــيوعيين المصريين داخــلالسجون . ومن بريونى ، أصــدر الرئيس عبد الناصر أمره بالتحقيق ، وبدأت النيــابةتحقيقها . وكشفت النيابة المحاولة الزائفة للمسئولين عن المعتقل لاخفــاء الحقيقة ،وسجلت النيابة الحقيقة كاملة .. الحقيقة التى كشفت عن وحشية التعذيب الذى لقيهشــهدى وزملاؤه وكل معتقــل كان خلف جدران هذا المعتقل .. [**الوصف التفصيلىلعملية التعذيب ، من الفقرة ٧ الى الفقرة ٢٠ من مذكرة الدفاع الى المحكمة**] .

١٥ ــ وفى يوليو عــام ١٩٦٠ ، كتبتزوجـــة الشـــهيد رســالة الــى رئيس محكمة امن الدولة العليا التى حوكم امامهاشهدى وزملاؤه ، تطلب منه التحقيق مـع المسئولين عن جريمة قتل زوجها [**الوثيقــةرقم** [١] .

١٦ ـ وبعد الحادث جاء الرائد حسن منير ومعه زوجته وابنته الى زوجة شهدى ـ وقال لها الموت مكتوب على كل انسان، والاستاذ شهدى مات كما يموت كل الناس وانه معرض للايذاء بسبب التحقيق فى هـذه القضية ـ وان الداخلية تريد ان تدفع لابنة شهدى اربعة آلاف جنيه ولها الفاز من الجهات . فقـالت لـه زوجة شهدى ـ أن دم زوجى لا يمكن أن تأتى انت أو غيرك لتدفع ثمنه . انه ضحى من اجل الوطن والشعب ، وان الجرم الذى اقترفتموه يجب أن تعاقبوا عليه .

١٧ ـ وفى فبراير عام ١٩٦٨ ، اقامت زوجة الشهيد ، وبصفتها وصية على ابنتها **حنـان** ، دعوى تطلب فيها التعويض عما لحقهـا وابنتهـا من ضرر . وتولى اقامة الدعوى والدفاع أمام القضاء **المحامى أحمد الخواجه** ، ونقيب المحامين حينذاك [**الوثيقة رقم ٣**] .

١٨ ـ وطلب الدفاع ـ ضم تحقيقات النيابة منذ أول جلسـة نظرت فيها القضية بتاريخ ١٩٦٨/٢/٢٩ ، واستمر تأجيل نظر القضية حتى قدمت صورة خطية غير كاملة لتحقيقات النيابة بجلسـة ١٩٧٤/١/١٠ ، ازاء اصرار المحـكمة على ضرورة ضـم التحقيقات التى أجرتها النيابة العامة . وقد اتضح للمحكمة بعد ضم التحقيقات من كتاب مدير منطقة أبى زعبل الى مدير مصـلحة السجون « رقم ٢٥٠ سرى » ، أن الصورة المقدمة كانت لدى مصـلحة السـجون من ١٩٦٠/١٠/١٢ ، ومع ذلك لم تقدمها الا بعد ست سـنوات من رفع الدعـوى ، محاولة منها فى اخفاء معالم تلك الجريمة . [**الفقـرات ١ ، ٦ من مذكرة الدفـاع** [ـ **الوثيقه رقم** [٣] .

١٩ ـ ولا شك أن توفر ظروف جديدة للقضاء فى ظل سيادة القـانون ، ساعدت على ظهور تحقيقات النيابة ، والتى كشفت عن الجريمـة البشـعة .. [**الفقرة ٢٢ والفقرة ٢٤ من مذكرة الدفـاع ـ الوثيقة رقم ٣**] .

وفى ٢٨ فبراير عام ١٩٧٤ ، أصـدرت المحكمة حكمها التمهيدى ، والذى فيه حددت جلسـة للتحقيق فى ١٩٧٤/٥/١٦ ، وفى جلسة ٦ يونيو ١٩٧٤ ، اسـتمعت المحكمة الى شـهود حضروا الواقعـة وعذبوا مع الشهيد وهم : **عبد المنعم الغزالى الجبيلى وعبد العـزيز محمود الصـباغ ، وعادل محمود حسين ، و د . سـعد الدين أحمد بهجت ..**

٢٠ ـ وفى ٢٨ نوفمبر الماضى ، وبعد ان اسـتمعت المحكمة الى مرافعة الدفاع عن زوجة الشـهيد وابنتها حنـان ، ومرافعة الخصوم ، أصدرت حكمها ، الذى جاء فيه :

« وحيث انه فيمـا يتعلق بموضـوع الدعوى ، فقـد ثبت فى يقين المحـكمة ان رجال الشرطة و حرس ليمان أبو زعبل تابعى المدعى عليه الثانى بصفته ، قد تجردوا من القيم الانسـانية والاخلاقية حسبما ذكر شهود المدعيـة ، الذين تطمئن الى اقوالهم المحـكمة ، نظرا لمركزهم الثقـافى ، مما لا يتطرق معه الشك فى صـدق أقوالهم ، واعتدوا بالضرب المبرح على مورث المدعية عن نفسها وبصفتها ، واتخذوا معه صنوف العـذاب التى لا يقرها شرع أو قانـون ، ولا يحـكمها دين أو خلق ، وتجـردوا من آدميتهم فى الانتقـام من هـذا المخلوق الضعيف الذى ساقه القدر الى قلوب غلاظ تجردت من معانى الخلق وقيم الانسـانية وانقلبوا وحوشا آدمية انتهزت فرصة وقوع فريستها الضـعيفة بين أيديهم مجردا من الحول والقوة ، وارتكبوا معه من صـنوف العـذاب وألوان التعـذيب ما تقشعر منه النفس ويشيب من هوله البدن ، حتى سقط ذلك المخلوق الضـعيف صريع هـذا الظلم والقسوة بين هـذه الايدى الاثمة ، لا لذنب جناه الا جريمة رأى لم يفصـل فى ارتكابه لها بعد » .. [الوثيقة رقم ٤] .

وهكذا ، كتب القضاء المصرى بحكمه فى هذه القضية صفحة من صفحات سـيادة القانون ، وانتصر لنضـال الانسان المصرى من أجل حريته ، حرية فكره وحرية جسده من أى اضطهاد أو ارهاب أو قسر ، وادان العناصر والاجهزة التى فى ظل ظروف غياب الديمقراطية تنتهك كل حرمة وقدسـية ، مستهينة بكل قيم العدالة والانسانية ، ظانة

انهـا فى ظـلّ غيبة الحركة الجمـاهيرية والديمقراطية يمكنها ان ترتكب البشع من الجرائم دون ان يكشف الغطاء عن جرمها .

٢١ ـ ومن المهم ان نسجل هنا ان نشر وثائق قضية الشهيد شهدى عطية الشافعى اليوم ـ وهى قضيـة حركت مبـكرا منذ فبراير عام ١٩٦٨ ، ليس هدفه التشـهير بالنظام الوطنى لثورة ٢٣ يوليو المعـادى للامبريالية والصـهيونية ، انما الهدف منه هو التنبيه الى ان قـوى الرجعية والظلام والمعششة فى مراكز هامة فى السلطة، لايمكن ان تكون هى التى تتولى مسئولية الدفاع عن الثورة وحمايتها ـ فهى بحجرها على حرية الانسان وعدوانهـا على حرية فكره وحقه الطبيعى فى التعبير عن رأيه ـ انما تخلى الميدان من كل القوى الثورية والتى تشكل الحماية الحقيقية للثورة ، وحرية حركتهـا هى الضمان الرئيسى لان تكون الثورة معبرة عن الشعب الكادح ، ومسـتمرة .. ان وجود مثل هذه القوى والعناصر الارهابية والكارهة لاى حرية للانسان ، يمثل دائما الوجود المضاد للثورة ، وهى رصيد رئيسى لاى انتكاسة بالمكتسبات والمنجزات التقدمية التى تحققت خلال الاعـوام الماضيـة التى بـدأت بليلة ٢٣ يوليو عـام ١٩٥٢ ، وهى الحماية لكل فساد وانتهازية ونمو طفيلى .

٢٢ ـ هذا .. وان تقديمنا لاوراق قضية شهدى عطية الشافعى ، لا يشـكل ، ولا يجب الا يشـكل رؤية لقيـادة الرئيس عبد الناصر لحركة الثورة المصرية ، من خلال حوادث التعـذيب والارهـاب .. فرؤيتنا الموضوعية والثورية لهذه القيـادة تجعلنا نسجل المعارك التى خاضـها وقادها فى مجـال الاصـلاح الزراعى ، ومحـاربة الاستعمار القديم والحديث ، هزيمة حلف بغـداد ، والعـدوان الثلاثى الامبريالى الصهيونى ، وتمصير الاقتصـاد المصرى ، واجراءات الثورة الاجتماعية فى عام ١٩٦١ واقامة التحالف والوحدة بين حركة التحرر الوطنى العربية وحركة الثورة العالمية ضد الاستعمار والرأسـمالية ، واقامة اسس ودعائم الصـداقة المبدئية مع المعسـكر الاشتراكى والاتحاد السوفيتى .

ان ادانة تعذيب الانسـان المناضل من اجل فكره ، ومن أجـل حقه فى التعبير عن نفسـه ، هى رفض بشرى فى القـرن العشرين لحيوانية سادة المجتمع العبودى ، ولقهـر ملوك وأمراء واقطاعيو العصـور الوسطى ، الظلمة ، ودموية غزوات النهب والسـلب والاسـتغلال الاسـتعمارية للرأسمالية ، والتى فاقت كل تصور فى ظل النازية والفاشية .

وانه ـ رغم هـذه النقطة السوداء فى مسار ثورة ٢٣ يوليو ـ فانها لا يمكن ان تطمس البناء الوطنى والتقدمى الذى شادته هذه الثورة ، وانما هى تحفـز كل القوى الوطنية على ادانة العنـاصر التى مارست التعذيب باعتبارها عناصر مضادة لثورة ٢٣ يوليو نفسـها ، واصـحاب المصـالح الاسـتغلالية القديمـة من اقطـاعيين ورأسماليين واستعماريين ، وكذلك اصحاب المصالح الجدد من انتهازيين وبيروقراطيين ورأسـماليين طفيليين ، الذين يريـدون الانقضاض على ثورة ٢٣ يوليو ، بتصويرهم ان هذه النقطة السوداء هى ثورة ٢٣ يوليو والاثنين وعشرين عاما الماضية ، وهم فى ذلك ليسوا مخطئين فقط ، ولكنهم يقصدون الارتداد بمصر الى الوراء ، حيث كانت كل القدرات الاقتصادية والسـياسية والاجتماعية نقطة سوداء . ان هذه النقطة السوداء يجب أن تزول لانها قيد على حرية حركة جمـاهير شـعبنا الكادح ، بعماله وفلاحيه ، وعلى اسـتمرار الثـورة المصرية التى قادهـا عبد الناصر الى آفاق أرحب واكثر تقدما ، من أجـل دعم حـرية الوطن اقتصـاديا وسـياسيا وعسـكريا ، ومن أجل تعميق الثورة الاجتماعية ، لتأخذ الثورة مسـارها الوطنى الديمقراطى ولتستشرف الاشتراكية

٢٣ ـ ان العناصر المسئولة عن تعذيب وارهاب العنـاصر التقدمية والديمقراطية والوطنية قد تأكد من خلال كل أحداث قضية شهدى ، انها هى التى كانت تفجر دائمـا الصراعـات وتفتعلها داخـل قوى الثورة المصرية ، وتنفث روح العداء والصدام بينها وتسعى دائما بما تدبر وتدبج من تقـارير سرية الى تضليل رؤية القيادة لفكر وحركة

ونشــاط العناصر الاشـــتراكية والوطنية والديمقراطية . وهـــذه العنـــاصر والقوى ما زالت تحتفظ بمراكزهـــا ، وهى مراكز تساعد على اســتمرارها فى القيــام بهذا الدور الذى يخرب وحدة الصــف الوطنى والديمقراطى والتقدمى .

وأكثر من ذلك ، فان العنــــاصر التى مارست الارهاب بكل صوره مازالت تتولى مسئوليات داخل الدولة ، بل من بينها على سبيل المثال من تولى مسئولية تربية أجيــال من رجال الامن ، فالرائد [فى ذلك الحين] حسن منير ، تولى عملا هاما فى معهد امناء الشرطة ، وتحقيق النيابة العامة قد كشف دوره فى التعذيب والارهاب ، وفى محاولته التى بذلها لتزييف الوقائع . والرائد صلاح طــــه ما زال يتولى الاشراف على الشئون العامة بمصلحة السجون . ومازال غيرهم فى مواقعهم . وان نقابة الاطباء يجب وأن تحاسب الاطباء من اعضائها الذين ارتضوا الاشراف على التعذيب أمثال الطبيبين احمد كمال ابو العلا والبير فهمى .

ان هـــذه العنـــاصر يجب ان تنحى عن مراكزها ، حمــاية لمســار ثورة ٢٣ يوليو التقدمى ، ولمبدأ سيادة القانون ، ولأى بناء ديمقراطى يقام للتعبير عن مصالح الشعب الكادح ، العمال والفلاحون .

٢٤ ــ وفى نفس الوقت فانه يجب ونحن نطالب بمحاسبة العناصر المسئولة عـــن التعذيب ان نسجل مواقف العـــديد مـــن المواطنين الذين ساهموا على كشف الجريمة فى وقتها الجندى الذى نقل خبر الوفاة الى رفاق شهدى داخل السجن والى عائلته خارج السجن ، وجندى الحراسة الـــذى قال لشقيقة زوجة الشــهيد لاتصـــدقوهم انهم قتلوه ، والطبيب الشرعى الذى رفض الخضوع للتهديد ورفض التصريح بالدفن لان هناك جريمة .

٢٥ ــ لقـــد استشهد شـــهدى عطية الشافعى ــ وكل الشهداء د . فريد حداد ، ورشدى خليل ، ومتولى الديب وسيد أمين ، ومحمد عثمان ــ لانهم كانوا يرون أن الدعم الحقيقى لمسار ثورة ٢٣ يوليو ، انما يكون ويتحقق بمزيد من الديمقراطية لجمـــاهير الشعب الكادح ، العمال والفلاحين والمثقفين الديمقراطيين والثوريين ، ومزيد من الحرية والوجود الحقيقى للحركة المنظمـــة الواعية لهذه الجماهير .

عبد المنعم الغزالى



رســالة حرم شــهدى عطيــة الى رئيس محكمة أمن الدولة العليا *

القاهرة فى ١٩٦٠/٧/١

السيد الرئيس

بقلب مفعم باليأس والخوف أتقدم اليك ، ايها الســـيد الرئيس ، لانى أنشد العدالة . والعدالة عندك وليست عند أحد غيرك ، وهذا هو اعتقادى فانت افضل من غيرك فى فهم ما انوى قـــوله .

قتل زوجى بطريقة وحشية ودنيئة وخالية من أية قيمـــة انسانية . وانت اعلم منى بتفاصيل هـــذا القتـــل . وعلى الرغم من مأساة قتله فانها اقوى دليل على صحة ما كان ينادى به أثناء محاكمته . فزوجى لم يقتل لانه عنصر خطير ، او مهدد لوطنه ، او عدو للنظام واهدافه . انه قتـــل وهو يدافع عن النظام وعن قائد هذا النظام ، بكل ما اوتى من قوة عقلية واخلاقية وروحية ، فى الست سنوات الاخيرة . وليس فى امكان أحد أن يرتكب هذا الجرم ســـوى أعداء النظام بهدف التلويث والتشويه .

فقد قبض على زوجى منذ عام ونصف وسبب له هـــذا القبض صدمة عظمى ، ومع ذلك فقد تحمل هذا الظلم فى صبر ولقــة ، لانه كان على يقين ، فى ظل هـــذا النظام

* الرسالة مترجمـــة عن الاصيـــل الانجليزى .



حرم الشهيد

الثوري الذي كان يناضل من أجله ، من اثبات براءته ، وتأكيد وطنيته ، واقرار مساهمته في تدعيم الوطن والثورة.

كان زوجي مناضـــلا في أحلك أوقات الملكية والاقطاع والاحتلال ، اذ أدى دوره في شجاعة وبلا تقتير . وفي عهد الثورة ، كان مشاركا في النضـــال من أجل تدعيم مكاسب الامة ومنجزاتها . كان زوجي على ايمان عميق ، وكان صاحب مبادىء راسخة . كان قلبـــه مفعما بالمحبـــة وبعاطفة جياشة . عاش من أجل بلده ومن أجل بني وطنه ليس على مستوى المشاهدة وانما على مستوى النضـــال الفعـــال .

ولست في حاجة الى التدليل على عمق ايمانه بثورة ٢٣ يوليو ، وعلى مساندته لقائد هذه الثورة . وأنا لا أسطر هذه الكلمات للدفاع عنه ، وانما للتعبير عن حقيقة أفكاره . فهو لم يتردد لحظة واحدة أو يتخلف عن المؤازرة والحمية . فقد كان مستعدا لاية تضـــحية مطلوبة ، بل كان مستعدا لبذل حياته ذاتها في غبطة وابتهـــاج .

لقد عاملني البعض على اني أجنبية ، منزوعة من حق الدفاع عن مبادىء زوجي الوطنية . ولكني ولدت وتربيت في مصر ، وكذلك كان أمر أبي وأمي . تربينا جميعا ، منذ طفولتنا ، على حب مصر وشعب مصر ، وعلى حب النضال العظيم لهذا الشعب من أجل الحـــرية . وقد كنت دائما معجبة بزوجي بسبب ايمانه بهذه المبادىء وما كنت أفكر في الزواج منه أو انجاب طفلة منه لو كان على خلاف ذلك .

وذات يوم دق جرس الهاتف واذا بصوت يدعوني الى الذهاب لاستلام جثـــة زوجي . ولم تستغرق هذه المكالمة سوى بضع ثوان حتى أعلم أن هذا الزوج الجبار والمثقف والمملوء ايمانا وأملا قد فارق الدنيا بلا رجعة . وفي لمح البصر انتهت حياتنا ، وتلاشت أحلامنا ، وتبخرت أمالنا .

كان في امكاني أن اتحمل موت زوجي لو انه مات ميتة طبيعية ، فكلنا ، في نهاية الامر ، الى فناء . وكان في امكاني ان أتحمل لو انه سقط في المعركة من أجل مبادئه لانه كان يعد نفســـه لمثل هذا السقوط . بل انـــه ما كان يأسف لو انه مات ميتة الابطال وهو يدافع عن وطنه وعن شعبه . أما أن يقتل فهذا ما لا يمكن أن أقبله أو أتحمله . لقد عذبوه عن عمد حتى فارق الحياة بأســـلوب وحشي ، فارقها وهو يعاني أقسى انواع الالام التي يمكن أن يتحملها انسان ، أقصد انه فارق الحياة بأيدي نظـــام كان يؤمن به ويدافع عنه ، وأقصد كذلك انه فارق الحياة في الوقت الذي كان يرغب فيه في تحقيق الغاية من وجوده ، وانجاز ما كان يقصد من نضاله الطويل والمرير .

قتـــل زوجي بلا رحمة في ظل النظـــام الاشـــتراكي الديمقراطي الذي يقف في صف العدالة والحرية . قتـــل ، ليس في عهد الملك أو في ظل الاحتلال البريطاني ، ولكن في عهـــد الثورة .

وأنا لا اتهم الثورة ، ولا أحملها مسئولية هذا الجرم . فأنا الان أرملة وابنتي أصبحت يتيمة لا حول لها ولا قوة ، ومع ذلك فثقتي في النظام لا تسمح لي بالاستسلام . وأنـــا على يقين أن زوجي لم يتخل عن ايمانه الحي والعميق وهو يلفظ النفس الاخير .

وأيا كان الامر ، فأنـــا أعتقد أن هـــذا الجرم هو بقعة سوداء في تاريخ الثورة ، وانه ضد مبادئها التي تناضل من أجلهـــا . وأعتقد كذلك أن دم زوجي سيظل ملطخا أيدي الثورة حتى يقبض على القتلة ويتم محاكمتهم .

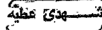
لست في شـــك من أن زوجي قد قتل عن عمد ، وليس بالصدفة . والمجرمون الذين خططوا لقتلـــه كانوا يهدفون الى سحق مواطن مخلص . وأغلب الظن انهم في طريقهم الى سحق باقي العناصر الاخرى المخلصـــة التي ستنزع القناع عن الاعداء الحقيقيين والخونة .

كان زوجي رائدا لتيار تقدمي يدعم النظـــام ويقويه . والايدي التي قتلتـــه هي الايدي السوداء التي تكره أي تقدم للنظام . ولكن ما يفوق تصوري أن يكون في مستطاع هذه العناصر المخربة ارتكاب مثل هذه الجرائم والآثام في ظل نظام ثوري . وما يفوق تصوري كذلك أن يكون في امكان هذه العناصر تزييف التقارير الطبية وتخويف الاطباء حتى يتم دفن زوجي بأقصى سرعة ، ويعلن بعد ذلك انه قد مات ميتة طبيعية . ان هذه العناصر على دراية بأن أحدا لن يعترض طريقها . وتأسيسا على هـــذه الدراية فليس ثمة حد ازاء تعطشهم لسفك دماء الوطنيين .

وما حدث هز كياني كله ، ولكنه ما هز ايماني في بلدي وفي قائدي . بل واني ســـأواصل المشـــاركة في العمـــل البطولي الهادف الى حـــرية الشعوب العربية . وسأعتبر دم زوجي والالام المبرحة التي كان يعانيها حتى الموت هو الثمن الذي ينبغي دفعه من أجل نزع القنـــاع عن أعداء الثورة ومن أجل سحقهم . وسأشـــعر بتعويض روحي عن مأساتي في اللحظة التي أستطيع فيها أن أخبر ابنتي أن دم والدها لم يذهب سدى ، وأن استشـــهاده قد طهر الامة من أعدى أعدائها .

روكساني بتريدس

حرم شهدي عطيـــة الشافعي



مذكرة من شهدى عطية الى الرئيس جمال عبد الناصر من داخل السجن

السيد الرئيس جمال عبد الناصر

انى أشعر يا سيادة الرئيس بقوة قاهرة تدفعنى دفعا الى الكتابة اليكم ، مهما تعرضت فى سبيل ذلك للمخاطر — نعم .. انى اعرف انى مقدم لمحكمة أمن الدولة كالمتهم الاول فى قضية شيوعية [ولو ان جلستها لم تحدد بعد] .. ونعم انى أدرك أن الفصل فى أمرى انما يجب أن يترك لهذه المحكمة . ولكنى أشعر أن قضية الوطن اكبر من كل شىء ، وان محاكمتى ليست مجرد محاكمة لفرد بتهمة يعاقب عليها قانون العقوبات .. انما هى أخطر من ذلك بكثير .. انها قضية مبدأ وقضية جزء من أبناء هذا الوطن ، هم من أخلص المؤيدين لزعامتكم الوطنية ولسياستكم التحررية ، وللاسس الاجتماعية والاقتصادية التى شيدتموها بموجب هذه السياسة ، ومع هذا فهم يوضعون اليوم موضع المحاكمة بموجب هذه السياسة ، ومع هذا فهم يوضعون اليوم موضع المحاكمة والاتهام ! ويا له من اتهام ! اتهام بقلب نظام حكم وطنى هم من اشد الناس حرصا عليه ، ومن أكثر الناس استعدادا لبذل دمهم دفاعا عنه .

والواقع ، أن القضية ليست قضية الشيوعية ، ولا المبادىء الشيوعية ولا حتى التنظيمات الشيوعية ، فقد كانت هذه موجودة كلها .. أو مفروض وجودها على الاقل فى السنوات الثلاث ما بين ١٩٥٦ — ١٩٥٩ ، وهى مع هذا لم تكن تتعرض لمثل هذا الهجوم على نطاق واسع ، ولمثل هذه المحاكمات . وقد قرأت قرار الاتهام بامعان ، فلم أجد اشارة واحدة ، ولو من بعيد ، تدل على انه نمى الى علم المباحث أن تغيرا مفاجئا قد تم فى خط الشيوعيين المصريين ، كأن قرروا مثلا التحول من التأييد الى الهجوم ، أو دعوا بشكل مباشر أو غير مباشر ، خفى أو ظاهرى الى قلب نظام الحكم القائم ! مجرد الدعوة الى مظاهرة أو لاى تحرك من التحركات ، أو حتى مجرد اثارة الخواطر .

وقد كان هذا تعبيرا ولا شك عن خلاف فى أوجه النظر بالنسبة للقضايا التى تشغل بال القومية العربية . قضية الوحدة السياسية وما يتصل بها .

وكان طبيعيا أن يحدث هذا الخلاف ، فأجزاء الوطن العربى مختلفة فى درجة تطورها الاقتصادى والسياسى والاجتماعى والفكرى . ومن ثم لم يكن شاذا قط أن تتعدد أوجه النظر وأن ينشأ الخلاف ، كما ينشأ بين أفراد الاسرة الواحدة . ولكن الامر الذى كان شاذا حقا هو ان يتحول هذا الخلاف الى خصومة وعداء بين حكومتين عربيتين حديثتين مستقلتين وان ينقسم القوى العربية الوطنية انقساما مشبعا بالعداوة والخصومة وروح الانتقام .

وما كان هذا ليحدث قط لو ان قوى رجعية لم تنتهز فرصة الخلافات ، لتضرم فيها النار ولتضخم فيها ولتهول من أمرها ، حتى يتحقق الانقسام فى الصف العربى والصف الوطنى — وقد كان الاستعمار واتباع الاستعمار وذيوله فى بلاد العرب على رأس هذه القوى الرجعية . فان من كان يتتبع وكالات الانباء الغربية والصحف الغربية الاستعمارية ، والصحف التركية والاسرائيلية وغيرها ، كان يهوله الكذب والتهويل والتحريف .. الشيوعيون قد أصبحوا هم حكام العراق .. الشيوعيون العراقيون والسوريون قد اجتمعوا على فصل سوريا عن مصر وضمها للعراق .. المفاضلة بين نظامى الحكم فى العراق والجمهورية العربية المتحدة ، أيهما أكثر ديموقراطية والمفاضلة بين الرجلين جمال وقاسم وأيهما أكثر معقولية بالنسبة للاستعمار ..

دعايات مسمومة كانت تنصب كلها على شىء واحد هو توسيع هوة الخلاف بين الجمهوريتين ، تحطيم كل مسعى لحل مشاكلهما سلميا ، تحطيم كل خطوة لتحقيق التضامن والاتحاد بينهما ، لان الاستعمار والصهيونية ، كانا يدركان جيدا — أن تمام التضامن والاتحاد بين الجمهوريتين انما هو انذار بالتصفية

النهائية الكاملة للنفوذ الاستعماري في الوطن العربي وانما هو ايذان بالقضاء التام على كل اتباع الاستعمار وافكاره في الشرق العربي .

ولكن الاستعمار والصهيونية واذنابهما ، لم يكن ليكتفوا بالتفرقة والانقسام بين الجمهوريتين ، انما ارادوا ان يشعلوها ضراما في الشرق العربي كله ، بأن تنقسم الصفوف الوطنية بين شيوعيين وقوميين ، يتطاحنون معا - ويضرب بعضهم بعضا ، حتى تتاح الثغرة للاستعمار والصهيونية فيضربا ضربتهما ، وحتى يشتد ساعد اتباع الاستعمار في داخل الشرق العربي وتزداد سطوتهم تحت ستار مكافحة الشيوعية ، وحتى لو ارتفعت أصوات هؤلاء الاذناب تزعم أن الخطر الاستعماري قد زال او اوشك ان يزول وان القضية الرئيسية هي لمن تكون السلطة ، ثم وعلى اى غرار يكون شكل الحكومة ، أتكون ديمقراطية شيوعية أم ديمقراطية وطنية ، لا شرقية ولا غربية !!

وقد كان الاستعمار وعملاء الاستعمار على إلمام كامل بالحقائق ، كانوا يعرفون جيدا أن الشيوعيين العراقيين لم يكونوا بالقوة التى يستطيعون بهسا الاستيلاء على الحكم حتى لو فرض وأرادوا ذلك ، وكانوا يعرفون جيدا أن الشيوعيين في الاقليم المصري من اشد انصار الحكم الوطني اخلاصا ، واكثرهم دعوة للشعب للالتفاف حول زعامة عبد الناصر ، لا للجمهورية وحدها ، وانما للشرق العربي بأسره . وكانوا يعرفون أن الشيوعيين حملة لواء الجبهـــة الوطنية المتحدة التى تضم العمال والفلاحين والمثقفين والرأسماليين الوطنيين وصغار الملاك من أجل دفع الوطن الى الامام ، ومن أجل معركة البناء وهـذا الامر كان يغيظهم أشد الغيظ ، ويؤلمهم أشد الايلام ، وعلى هـــذا كان الاستعمار وعملاؤه يدركون ان الشيوعيين المصريين أبعد ما يكونوا عن التفكير حتى مجرد التفكير - في قلب نظام الحكم او الاستيلاء على السلطة .

ولكن الاستعمار وعملاءه كانوا يريدون باشعال نار الخلافات باثارة البغضاء والتشكك ، أن تتسع الحملة على الشيوعية ، فتخرج من نطاق العـــرب الى الشيوعية في كل مكان ، فتعزل الجمهورية العربية المتحدة عن المعسكر الاشتراكي وعن عونه الادبي والمادي والسياسي والاقتصادي . فلا يبقى لها الا احد امرين - اما أن يخر الحكم الوطني - وحاشا لله ان يفعل ذلك - راكعا امام الاستعمار ، واما ان يشتد بأس هؤلاء الاتباع فيقوضون الحكم الوطني ، حين يتم انعزاله داخليا ودوليا ..

تلك كانت خطة الاستعمار وعملائه ولكن لم تكن هذه هي القوة الرجعية الوحيدة .. كان هناك الاقطاع على النطاق العربي ، وبقايا الاقطاع في النطـــاق الداخلي ، كان هناك بقايا الباشوات الذين انزلت بهم الضربات تسلو الضربات . وكانت هنـــاك الارستقراطية الجديدة التى ارتفـع دخلها من ٧٠ الى ٧٠٠ جنيه في الشهر الواحد والتى اخـــذتم تهددون - في خطابكم الرائع بالمؤتمر التعاوني في نوفمبر ١٩٥٨ - ان لم يرتدع افرادها ويفكروا في مصلحة الوطن !

هذه القوى الرجعيـــة كلها كان من مصـــلحتها يا سيادة الرئيس - أن تشعل نار الخلافات ، وان تنفخ في الحزازات لتحولها لهيبا . نعم . فقد كانت هذه القوى الرجعية تدرك أن سياسة الجمهوريتين العربيتين المتحررتين ، لم تكن موجهة ضد الاستعمار فحسب ، انما هي أيضا موجهة ضد الاقطاع ، وضد الاحتكار وضد سيطرة رأس المال على الحكم ، وان اتحاد هاتين الجمهوريتين ايذان بتحقيق هـــذه السياسة كاملة ، اى ايذان بضرب الاقطاع سنـد الاستعمار على النطاق العربي . وانذار بتصفية بقايا الاقطاع في الجمهوريتين ، وناقوس الخطـــر بالنسبة للاحتكار وكل اتجاه احتكاري ، مما يهـدد مصالحهم ونفوذهم في الصميم ، ومن ثم وزعـــوا انفسهم على النطاق العربي ، ما بين متظاهر بتفضيل قاسم ، ومتظاهر بايثار جمال ! وكل يعمل على اشعال نار الخلاف ، واضافة الجديد من الوقود . كل يوغر صدر هذه القوى الوطنية على تلك ، ويعمل على الامعان في تقسيم الصفوف . وكان ان اصطلحت هذه القوى الرجعية كلها ، ان توجه ضربتها الرئيسية للشيوعية والشيوعيين وخاصة في الاقليم الجنوبي ، أولا حتى تتخلص من قوة من أشد القوى حرصـــا على تنفيذ سياسة عبد الناصر التحررية نصا وروحا - وهى السياسة التى تعادى مصالحهم - وثانيا حتى تحول أنظار الحكم الوطني والزعيم عبد الناصر عن الضربات التى كان يكيلها لها او التى كان يعتزم كيلها لها ، من حد للارباح ، وتخفيض لتكاليف المعيشة ، ومزيد من اخضاع القطاع الخاص للقطاع العام ، وتطهير الشركات والقطاع الحكومي من الجشـــعين والمبذرين والمرتشين ، ومن المضى في التوســع في تطبيق الاصلاح الزراعي ، وثالثا حتى يتاح لها في غمرة الحملة ضد الشيوعية ، أن تقـــوى نفوذها الاقتصادي والسياسي ، وان تضعف وتخرب التشريعات والتدبيرات التى اتخذت ضدها في السنين الاخيرة ، وان يشتد بأسها حتى تستطيع يوما ان تقول " لا " لاى تشريعات جديدة موجهة ضدها ، او ان تحيلها حبرا على ورق بمجرد صدورها ، بل ان يبلغ بهـا اشتداد البأس الى درجة اما ان تسيطر تماما على الحكم الوطني او تهدمه من أساسه لتكون لهـــا السيطرة من جديد ، حتى ولو على حساب استقلال هذه الامة ، وكرامتها وحريتها ، حتى ولو أسلمت البلاد للسيطرة الاستعمارية والصهيونية .

هكذا كانت خطة الرجعية على النطاق العربي وفي النطاق الداخلي ، وقد تلاقت هذه الخطة تماما مع خطة الاستعمار والصهيونية

يا سيادة الرئيس :
انى عندما أتوجه الى سيادتكم بهذا الخطاب ، فانما أخاطبكم من الاعماق وبكل اخلاص وامانة .
ها هي ٩ شهور قد مضت على بدء هذه الحملة ضد الشيوعية . فلنر حصيلتها على النطاق العربي :

هل أزالت الجفوة بين الجمهورية العربية المتحـــدة والعراق ؟ هل قضت على أوجه الخلاف بينهما ؟ هل مهدت السبيل لتحقيق الوحدة أو الاتحـــاد أو حتى التضامن بينهمـــا ؟ والتضامن والاتحاد بين هاتين الجمهوريتين المتحررتين المستقلتين بالذات ، هـــو اليوم فعلا عماد التضامن العربى بأسره ، وركنـــه الركين وحصنه الحصين ؟

ثم ، الا ترى النظام الملكى فى الاردن هو الذى توطدت أركانه ، والنظام الملكى فى السعودية — الذى سبق أن تآمر على حياتكم الغالية — هو الذى ثبتت أوصاله ، وأن أبا رقيبة لا زال ماضيا فى غيه ؟

ثم لنر حصيلة هذه الحملة فى نطاق الجمهورية العربية المتحدة ! ألم يفز رجال حزب الشـــعب فى انتخابات الاتحاد القومى فى الاقليم الشمالى ، وكلنا نعلم من هو حزب الشعب • ألم يكن أقوى عميل فى سوريا لحلف بغداد ولنورى السعيد وللوحدة مـــع العراق الملكية ؟

ألم تفز هنا فلول الاحزاب المنحلة ومن رجـــال العائلات الاقطاعية فى انتخابات الاتحاد القومى فى الاقليم الجنوبى ، وكلنا يعلم أنهم فى جوهرهم معادون للحكم الوطنى لانه قـــد حرمهم من كثير من نفوذهم السياسى والاقتصادى •

ثم •• ألا نجد المعارضة تشتد لقراركم الرائع الذى صدر بتحديد أرباح الشركات أوائل عام ١٩٥٩ ، وقانون التأمين الاجتماعى •• بل الا نرى التخريب من كـــل مكان بالنسبة لقراراتكم الموفقة الاخيرة بتخفيض تكاليف المعيشة ؟

ولنسأل يا سيادة الرئيس حتى بالنسبة للصحافة . من أكثر الجرائد اليوم توزيعا ؟ أليست أخبار اليوم التى تجتذب اليوم كثيرا من الصحفيين ، والتى كانت أيام الملك أشد الصحف ملكية ، وأيام مشروع صدقى — بيفن أشد الناس مناداة بتوقيعه ، وأيام المعركة المسلحة فى القنال أواخر ١٩٥١ أشد الصحف تشكيكا فى فائدة المعركة ، الا ترى يا سيادة الرئيس موقفها المائع الباهت من أمريكا وتصريحاتها الاخيرة بالنسبة لمشروع الجزائر ، وبالنسبة للملاحة فى القنال •

يا سيادة الرئيس :

ثم ماذا كان موقفنا نحن رغم اعتقالنا ، رغم كل ما لاقيناه من عنف وارهاق ؟ ألم تكن هذه محنـــة ما أقساها محنة ؟ ومع هذا لم تزحزحنا قيد أنملة عن الثقة بوطنيتك ، وعن الثقة فيك كزعيم هذا الشرق العربى •• ان سياستنا ومبادئنا هى هى لم تتغير التفاف الشعب حولك وحول حكمك الوطنى ، تحالف كافة الطبقات الوطنية من أجل تنفيذ برنامجك البنائى تكاتف هذه القوى كلها فى داخل الاتحاد القـــومى وتحويله فعلا الى تنظيم فعال للشعب كله •

تأكيد وحدة مصر وسوريا التى هى الحصن الحصين للعرب كافة • وادانة كل حركة انفصالية او اضعاف لهذه الوحدة بأى شكل من الاشكال وحل مشاكلهـــا على أسس من شأنها تدعيم الوحدة لا اضعافها •

ازالة الشقاق والجفوة بين الجمهوريتين ، وتناسى الاحقاد فى سرعة وحسم ، وتمهيد الجو للتضامن بين الشقيقتين ، كخطوة لتحقيق الاتحاد بينهما مما يمهد بدوره للوحدة الشاملة العربية ، ونحن ننتظر من الدولة الاكبر وهى الجمهورية العربية المتحدة ، ومن الزعيم الاكبر وهو جمال عبد الناصر ، أن يكونا هما الارحب صدرا وهما الساعيان لازالة هذه الجفوة ، فالشقيقة الكبرى هى التى ينتظر منها الصبر والحكمة وازالة مخاوف الشقيقة الصغرى ، وليس فى هذا ما يغض من كرامتنا ولا عزتنا ، وانما فى هذا ما يؤكد زعامتكم وقيادة الجمهورية العربية المتحدة باعتبارها الاقوى مالا وجيشا وموارد وفيرة •

تأكيد العلاقات الودية مع المعسكر الاشتراكى ، فكما أنه ثبت أنه الصديق فى المحنة الماضية ، فقد استمر فى صداقته فى هذه المحنة القاسية ، فلم يتأخر عن الوقوف بصلابة ضد مؤامرات الاستعمار والصهيونية ، بتجميع الصف العربى كله ، والصف الوطنى جميعه ، واعداد ما نستطيع من قوة اقتصادية وقوة عسكرية لمواجهة اى عدوان أو ضغط •

هذه هى سياستنا ، وهذا هو تطبيق مبادئنا وهى تنطبق تماما مع سياستكم الوطنية التحررية ، لاننا لسنا اليوم ولا فى السنين العشر القادمة بصـــدد تطبيق الاشتراكية ، وانما نحن اليوم بصدد استكمال ما بدأته ثورة ٢٣ يوليو ، تحرير الوطن العربى من الاستعمار ، وتحرير اقتصادنا من مخلفات الاستعمار وارساء قواعد اقتصادنا من مخلفـــات الاستعمار وارساء قواعد الديمقراطية فى اطار التحالف الوطنى لكافة القوات الوطنية •

يا سيادة الرئيس :

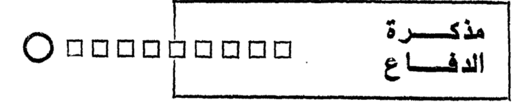
ألم يحن الوقت والاستعمار يتلمز مرة أخرى لنـــا ولقنالنا بحجة كفالة حرية المرور للسفن الصهيونية والاستعمار ماض فى غيه بالنسبة لشقيقتنا الجزائر ، والاستعمار ماض فى استخدام ضغطه الاقتصادى أن يلتئم الصف الوطنى والصف العربى فى سرعة وحسم وأن تزال الجفوة بين العراق والجمهورية العربيـــة المتحدة فى قوة وشجاعة ، وانكم تستطيعون هذا ، بل أنتم وحدكم تستطيعون هذا ، بوقف محاكمنا ، ووقف هذه الحملة بالافراج عنا ، حتى تشعر كافة القوى الديمقراطية وجميع القوى التقدمية (حتى غير الشيوعية) بشروق الشمس وتبدد السحب القاتمة التى حجبت نورها طوال هذه الشهور التسع •

وهل لى يا سيادة الرئيس أن أطمع فى أن تبعث بمندوب نطمئن اليه من قبلكم أستطيع أن أفضى اليه بمكنون قلبى . يا للشكر الذى لا استطيع ان اسطره هنا فى خطاب لا ادرى فى أى يد قد يقع •

وتفضلوا سيادتكم بقبول أخلص تحياتى وأصدق تمنياتى •

سبتمبر ١٩٥٩

شهدى عطية الشافعى



محكمة جنوب القاهرة الابتدائية
الدائرة الرابعة المدنية

مذكرة

بدفاع :
السيدة / راوية شهدى بتريدتس عن نفسها وبصفتها مدعية
ضـــد :
السيد / مدير مصلحة السجون والسيد / وزير الداخلية مدعى عليهما
فى القضية رقم ٤١٦٥ لسنة ١٩٧١
المحجوزة للحكم بجلسة ١٩٧٤/٢/١٤ •

١ ـ منذ أن نظرت هــذه القضية فى أول جلسة فى ١٩٦٨/٢/٢٩ وهى تؤجل لضم التحقيقات التى كان يمتنع المدعى عليهما عن تقديمها الى أن تم تقديم صورة خطية غير كاملة منها بجلسة ١٩٧٤/١/١٠ وأن اصرار المحكمة الموقرة على ذلك انضح من المرفق رقم ١٤٩ منها وهو كتاب مدير منطقة أبى زعبل الى مدير مصلحة السجون رقم ٢٥٠ سرى أن تلك الصورة المقدمة كانت لدى المدعى عليها الاولى من ١٩٦٠/١٠/١٢ ومع ذلك لم تقدمها الا بعد ست سنوات من رفع الدعوى محاولة منها فى اخفاء معالم تلك الجريمة المسئولة عنها •

٢ ـ وبالرغم من النقص الواضح فى تلك الصورة المقدمة وتقديمها على ذلك النحو غير المرتب الذى اختلطت فيــه محاضر التحقيقات ببعضها ، فان ذلك لم يمنع من استخلاص حقيقة تلك الجريمة البشعة التى ارتكبت فى حق الشهيد شهدى عطيه الشافعى ، زوج المدعية ووالد ابنتها المشمولة بوصايتها وهى جريمة الضرب الذى أفضى الى الموت ، من زبانية المدعى عليهما من ضباط وجنــود معتقل الاوردى بحضور كبار المسئولين بالمصلحة • فى صباح يوم الاربعاء الموافق ١٩٦٠/٦/١٥ •

٣ ـ وسنحاول الاشارة الى تلك الوقائع من خلال هذه الاوراق حسب أرقامها المسلسلة المدونة باللون الاحمر أعلا كل منها ، وان كان تسلسل هذه الارقام لا يتفق وتسلسل محاضر التحقيق •

٤ ـ وقد حاول المسئولون عن معتقل الاوردى اخفــاء معالم الجريمة بعد وقوعها عندما ظهر من تشريح جثة الشهيد أن سبب الوفاة هو هبوط فى القلب بعد اصابات رضيــة عديدة منتشرة بجميع الجسم وصدمة عصبية ، فافتعل مأمور المعتقل الرائد حسن محمود منير محضرا بتاريخ ١٩٦٠/٦/١٧ [المرفقات من ١٤٢ ـ ١٤٤] استمع فيه الى أقوال بعض الزبانية وهم النقيب عبد اللطيف رشدى والصول أحمد مطاوع والعريف عبد الحليم سعد والممرض أمين حسين قنــديل والسجان عابد محمد محمد عابد والنقيب يونس مرعى ، ليصوروا الواقعة على انها قضاء وقدرا وان الشهيد حضر الى المعتقل فى صباح يوم ١٩٦٠/٦/١٥ فى حالة انهــاك وأن المأمور أدخلــه المستشفى وصرف له الادوية والحقن اللازمة وتحسنت صحته بعض الشيء الا أنها ساءت فى صباح اليوم التالى ، وأنه طلب مقابلة المأمور ولما مثل امامه سقط فجأة وتدحرج على السلم المكون من ســبع درجات فادخل المستشفى وفحصه الطبيب واسعفه ولكن القدر كان أسرع •

٥ ـ ولما شرعت نيابة الخانكة فى التحقيق [مرفق ١٣٧] فى اليوم التالى وهو ١٩٦٠/٦/١٨ أصر هؤلاء الجناة على اقوالهم فى ذلك المحضر المفتعل الذى حرره مأمور المعتقل بل انهم امعانا فى اخفاء الحقيقة يقرر أحدهم وهو الصول أحمد مطاوع أن الشهيد حضر الى المعتقل بمفرده ولم يكن معه معتقلون آخرون [مرفق ١٢٨] •

٦ ـ وعند اعادة سؤال مأمور المعتقل [مرفق ١٢٧] يزل لسانه عند سؤاله عن الذى أحضر الشهيد فيقرر أنه أحضره واحد من فرقة الامن بالقاهرة برتبة مقدم وده قائد القوة وكانت قوة كبيرة علشان كان فيــه مساجين كتير ، فيتنبه السيد وكيل النيابة ويسأله هل معنى ذلك أن هذا المسجون حضر مع المساجين الاخرين ؟ فيستدرك المأمور ويجيب ••• فى اليوم ده وصلنا عدد كبير وفيه جماعــة وصلوا قبل المسجون ده وجماعة حضروا بعــده وكانت جبناهم نفس القوة المكونة من سبعة ضباط والعربيات وصلت ووقفت بعيد عن الاوردى وكانت بتجيب المساجين مجموعة مجموعة ، وهذا المسجون حضر لوحده •

٧ ـ ويقرر السيد وكيل النيابة الانتقال الى ســجن الاوردى لسؤال زملاء الشهيد الذين حضروا معــه من الاسكندرية يوم ١٩٦٠/٦/١٥ فيدخــل العنبر رقم / ٢ [ظهر المرفق ١٢٥] ويثبت فى محضره تلك الجرائم البشعة التى وقعت من هؤلاء الوحوش الذين تجردوا من كل القيم الادمية ، اذ تبين أن زملاء الشهيد الذين حضروا معه من

سجن الحضرة بالاسكندرية الى معتقل الاوردى بليمان أبى زعبل فى صباح الاربعاء ١٥/٦/١٩٦٠ وعددهم [٣٩] معتقلا بخلاف الشهيد كلهم بهم اصابات جسيمة بأعلى الظهـــر ومؤخرة الذراعين من الخلف والاليتين والقدم والراس وغير ذلك واجمعوا على أنهم سمعوا أسماء **الضباط مرجان ويونس مرعى وعبد اللطيف رشدى وحسن منير** الذين يتولون الضرب والصول والضابط الذى له شارب كما حضر الضرب واشرف عليه **اللواء اسماعيل همت والعقيد الحلوانى والرائد صلاح طه** واشترك فى الاعتداء عليهم عساكر كثيرة بناء على الامر الصادر من الضباط [ظهر المرفق ١٢٤] •

٨ ــ وقامت قيامة النيابة ، وحضر **رئيس النيابة الاستاذ عز الدين سراج** ووزع التحقيق بين السيد وكيل نيـــابة الخانكة والسادة الاساتذة **عمر لطفى وأحمد الالفى وجلال عبد العظيم وزكى الدمرداش** •

٩ ــ واستمعت النيـــابة الى أقوال هؤلاء المعتقلين فجاءت كلها متطابقة فمثلا قرر السيد / **محمد نور الدين سليمان جاسر ، سكرتير مكتب النشر والثقافة** : مرفق رقم ١٢٠ ما يلى :

« وصلنا هنا يوم الاربع الصبح بدرى مـــع زملائى وبعدين قعدونا على الارض لمدة أكثر من ساعة وطول الوقت بيضربونا والضباط كانوا بيضربوا فى الوقت ده ، وبعدين جرونا ثلاثة ثلاثة وكنت وشهدى اللى توفى والثالث مش متذكره وبعدين جرونا مسافة حوالى ألف متر وأنا كانت شيلتى تقيلة كيس وبطانية ، ومكنتش قـادر اجرى ، وكان الضرب شغال واحنا بنجرى وبعـــدين وقعت منى البطانية رجعونى أجيبها فدخت ووقعت حوالى ست مرات وبعدين وصلت البوابة وقلعونى الملابس وحلقوا شـعرى وكتبوا اسمى وكله ده بالضرب **وشفت شهدى قدامى دايخ وحطينه فى حفرة فيها ميه وعسكرى يملا ويدلق عليـه ، وبعدين جرونى من رجلى ودخلونى من الباب واستلمتنى فرقة ثانية بقيادة يوزباشى عبد اللطيف رشدى وبعـــدين الضابط نفسه هو اللى كان بيضرب مع العساكر ودخت ووقعت وقلت له أنا عيان بالقلب والصدر وهو بيضرب ويقول قول أنا مره ، فشالونى ورمونى فى العنبر وجت لى الصدمة العصبية والدكتور شافنى وحولنى هنا وهوه اسمه كمال** •

١٠ ــ وتتوالى الاسئلة والاجابات ، ثم يتسأله السيد / وكيل النيابة :

س / هل كان شهدى معك بالسيارة

ج / ايــــوه

س / ما الحالة التى كان عليها ؟

ج / كانت صحته جيدة جدا •

س / من الذى شاهدته بالاعتداء عليه ؟

ج / بزه واحنا بنجرى مخـــدتش بالى مين اللى بيضربه ، لانى أنا كنت عيان وشفته لما داخ وحطينه فى الميه وجوه شفت الضابط عبد اللطيف هو اللى ضربه بنفس الكيفية والواحد عريان ملط وينام على وشه والضرب على الظهر من الضابط والعساكر اللى معه •

س / ما الذى حدث لشهدى بعد الاعتداء عليه ؟

ج / معرفش وأنا رحت المستشفى وبعدين مشفتوش خالص •

س / الم يكن يشكو من أى مرض ؟

ج / لا

س / ألم تسمع أنه تدحرج على التسلم أمام مكتب المأمور ؟

ج / لا

س / هل وقع اعتداء على شهدى اثناء جلوتسكم قبل الجرى ؟



حسن منير قائد أوردى ليمانى أبو زعبل
أشرف على التعذيب

ج / **ايوه كان واحد راكب حصان وجه قاله انت هنا يا شهدى ونزل فيه ضرب ومعرفشى اسمه** ••• واعرف شكله ولو عرض على ضباط وقوة السجن أقدر أطلع اللى كانوا بيضربوا فيه ، وفيه فرقتين للتحية فرقة داخله وواحدة خارجه واعتقد انهم كلهم اشتركوا فى ضربنا •

١١ ــ وناخذ مثلا آخر من أقوال **الاستاذ سعد الدين محمد عبد المتعال** مدير دار النشر [مرفق رقم ١١٧] الذى قال ما يلى : ــ

وصلنا الصبح بدرى بوم الاربع ونزلنا من العربيـــة وقعدونا ورصونا واحنا قاعدين وخلونا بصين فى الارض وبقوا يضربونا على ظهرنا بالعصى الغليظة وسمعت مبارك بيقول للضابط اللى بيضربه يا مرجان واســتمر الضرب وفضلنا فترة طويلة واستمروا يجرونا ثلاثة ثلاثة وورا حصان وعليه ضابط وعساكر بتضرب بالعصى وكل شوية الثلاثة يوصلوا للاوردى ويتم ضربهم بالاوردى أمام الباب وداخل الباب وانا كان معايا شهدى ونور سليمان وجـه علينا الدور فى الجرى **واحد ضابط أنا مشفتوش قال فين شهدى ــ فقال أنا يافندم وضربه وهو اللى راكب الحصان** وبعدين اتنين ونا بجرى والضرب وبعد ما وصلنا قرب الباب كان فيه الضابط يونس مرعى ضربنى بالشومة أنا والاثنين اللى معايا وبعدما خلعت جرونى على الارض ودخلونى عند الضابط اللى هو اسمه **عبد اللطيف** رشدى وضربنى علقه بمعرفته ودخلونى العنبر •

س / هل عرفت الضباط الذين اشتركوا فى الاعتداء •

ج / عرفت منهم الضابط مرجان وعبد اللطيف ودول اللى متأكد منهم وكان فيه ضباط بيضربوا مقدرتش اعرفهم

س / هل كان هناك ضباط كبار من الداخلية حاضرين ؟

ج / أنا ما شفتهمش انما سمعت أنه كان موجود سعادة اللواء همت ، انما أنا شخصيا معرفوش •

س / من الذى اعتدى على شهدى وهو بالصف ؟

ج / الضابط مرجان والضابط اللى راكب الحصان •

س / ما سبب السؤال منه بالذات وضربه ؟

ج / معرفشى •

س / من الذى ضربه بعد ذلك ؟

ج / هـــوه كان ورايا ولازم اللى ضربونى ضربوه وسمعت وأنا بيسحبونى داخل الباب ان هو بيزعق أنا فى عرض جمال عبد الناصر »

س / هل شاهدته بعد الاعتداء ؟
ج / لا مدخلش معايا ومعرفنى ودوه فين
س / ألم يكن يشتكى بأى مرض ؟
ج / لا وهو كانت صحته كويسه جدا وعملاق .
س / هل سمعت انه سقط على السلم بتاع المأمور ؟
ج / لا
س / هل عرفت سبب وفاته ؟
ج / طبعا من الضرب ودى حاجة مش عايزه شك .

١٢ ـ ويلى تلك الاقوال اقوال الاستاذ **ابراهيم عبد الحليم مدير دار الفكر وعضو جمعية الادباء التى ورد بيهـا** نفس الاقوال واضاف اليها ما يلى :

« اللى حصل قضينا أربع شهور فى المحاكمة وكنـا جميعا نؤيد الرئيس جمال عبد الناصر تأييد كامل وبالذات شهدى عطيه الشافعى الذى كان المتهم الاول فى هـذه القضية وقد ألقى شهدى ٤ كلمات أمام المحكمة فى هذا المعنى وبعدين انتهت المحاكمة وصدر أمر بترحيلنا الى ابى زعبل يوم الاربعاء الصبح بدرى وكنت مع شهدى فى نفس العربة وكان فى أحسن صحة ونزلونا ورصونا فى الارض ووشنا فى الارض واحنا قاعدين واشـتغلت عمليـة الضرب والشبعة وشفت الاصابات الجسيمة بيننا وبعـد فترة طويلة قعدوا يجرونا ثلاثة نحو الاوردى وخلفنا الضابط مرجان وضابط بشنب راكب حصان ممكن أعرفه وعساكر كانوا يقوموا بالضرب وبعدين عندما نوصل عند مكتب الاسماء واثناءها الضرب وخلع الملابس بالضرب والحلاقة بالضرب وكان فى الحته دى الضابط مرعى وبعـدين جـرونى على ظهرى وأنا عريان على الارض لغاية داخل الباب وبعدين تولى الضابط عبد اللطيف رشدى عملية الاجهاز الاخيرة كل واحد على وشـه والعساكر بتضرب بالعصى وضربنى على صدرى بالحذاء وبعدين رحت العنبر وتولى الصول بمعرفته ضربى وجـاب لنا دكتـور اسـمه **كمال رفض يشـوف الاصابات وقال على الاصابات الظاهرة فى الوش انهـا دمامل وما اداناش علاج** » .

١٣ ـ **ونترك شهادة المعتقلين من زملاء الشهيد جانبا ونقرأ شهادة شاهد من موظفى المعتقل وهو منصور محمد احمد هندى الكاتب باوردى ابو زعبل اذ ورد فى اقواله** [مرفق ١٤] ما يلى : ـ

س / هل تعرف المعتقل شهدى عطيه ؟
ج / أيوه شفته
س / هل لاحظت عليه شيئا أثناء كتابة اسمه وخلع ملابسه أمامك ؟
ج / أيوه كان تعبان وكان مضروب وظاهرة الاصابات على ظهره كله .
س / هل اثار الاعتداء على غيره من المعتقلين ؟
ج / أيوه كلهم كانوا مضروبين .
س / هل كان الاعتداء على شهدى عطيه أشد ؟
ج / كلهم كانوا مضروبين وأنا شفته وهـو مضروب وكان تعبان معرفشى اذا كانوا ضربوه أكثر أو أقل
س / الا تعلم من الذى اعتدى عليه ؟
ج / مشفتش
س / هل لاحظت أن ملابس شهدى عطيه كانت مبتله ؟
ج / أيـــوه
س / وهل عرفت سبب ذلك
ج / لا علشان كنت جوه مشفتش حاجة
س / كيف كان يتم دخول كل معتقل من باب الاوردى ؟
ج / بعضهم كان يدخل ماشى وبعضهم كانوا يوقعوه فى الارض ويسحبوه من رجله الى الداخل
س / من الذى كان يفعل ذلك .
ج / عساكر قوة الاوردى وأنا مش متذكرهم
س / هل كان يتم ذلك فى حضور الضباط
ج / أيوه أمامهم وكانوا موجودين
س / الم تلاحظ أحد يضرب شهدى عطيه قبل دخوله ويأمر من دخل المستشفى ؟
ج / مشفتش الكلام ده
س / وهل كان دخول شـهدى عطيه على قدميه أم مسحوبا بأعلى ظهره ؟
ج / مسحوبا على ظهره عند دخوله الى الداخل

١٤ ـ ونستعرض أقوال بعض المعتقلين الاخرين من غير زملاء الشهيد فنقرأ اقوال **المعتقل صبحى رياض صليب** الموظف بوزارة المواصلات [مرفق ٦٤] فنجده يشـهد بالاتى : ـ

« اللى أعـرفه انى انا كنت فى عنبر/٢ ونقلت فى عنبر/٤ المجاور للبوابة يوم ١٩٦٠/٦/١٥ حضر معتقلين جدد وكان الضرب شغال فيهم وكان الضابط عبـد اللطيف رشدى عند البوابة من الداخل بالقرب من العنبر اللى أنا فيه وبيقول لكل واحد زعق اسمك ايه وضرب شـديد بعصايا **وسمعت اسم شهدى عطيه من ضمن اللى دخلوا وانسألوا عن اسمه والضابط ده قال له زعق وسمعت ضرب بشدة وبعد شويه سمعت صوت المأمور حسن منير يقول للضابط عبد اللطيف رشدى اقلبه يا عبد اللطيف على بطنه ولازم ده ينضرب ربع ساعة تانى وبعدها سكت صوت الضرب وسمعت بعد كده بيقولوا نادوا أمين التومرجى وده اللى سمعته** » .

س / هل شاهدت بنفسك وقائع التعدى ؟
ج / وهل عرفت من الذى اعتدى على شهدى عطيه ؟
ج / لا وسمعت المأمور بكلف الضابط عبـد اللطيف رشدى ويقول له اقلبه على ظهره واضربه ربع ساعة تانى
س / هل تعرف صوت الضابط عبد اللطيف رشـدى والنقيب حسن منير
ج / اعرفهم كويس خالص وأميزهم بوضوح وبقى لى هنا ثمانية شهور .
س / الم تستطع تمييز احد آخر خلاف من ذكرت
ج / لا صوت الاثنين دول الضابط عبد اللطيف رشدى والمأمور حسن منير وكانوا قريبين مننا .

١٥ ـ ويلى ذلك أقوال المعتقل **عبد العزيز محمد يوسف الصباغ** الذى قرر ما يلى : ـ

« أنا بالملاحظة الطبية من ثلاثة شهور وفى يوم حضور المعتقلين دول سمعنا وهما بيقولوا أسماءهم وسمعنا صوت ضرب وسمعت شهدى وهو عالى يقول اسمه ويقول شهدى عطيه الشافعى واللى كان بيسأله عن الاسم مع عمليـة الضرب اليوزباشى عبد اللطيف رشدى بصوت عالى جدا وكان يطلب منه باستمرار أن يرفع صوته **وسمعت صوت المأمور حسن منير بيقول اضربوه الولد ده ربع ساعة وكان الصوت الظاهر والضرب وعبد اللطيف رشـدى وصوت المأمور وبعد كده بشوية سمعنا صوت شىء يسقط على الارض كجسم انسان بالقرب من باب الملاحظة وكان الضرب مستمر فيه وصراخ بصوت ضعيف وبعدين ابتعـد الصراخ للناحية البحرية وسمعت صوت المأمور يقول لو وقع الولد ده تانى مرة افتح له قرنه وما اعرفشى كان بيوجـه الـكلام ده لمين وأمر بالضرب وميزت فيها صوت عبد اللطيف رشدى والمأمور والصول مطاوع وبعد حكاية شهدى وضربه بحوالى عشر دقائق سمعت سكوت تام وتانى يوم عرفنا انه مات** .

١٦ ـ وبعد أن انتهت أقوال هـذا الشاهد استمعت النيابة الى أقوال المعتقل **عبد الحميد محمد هريدى** الموظف بمكتبة السلام بالاسكندرية [مرفق ٦٣] الذى شهد بما يلى : ـ

« أنا كنت فى الملاحظة وهو المبنى بالقرب من البــاب العمومى للاوردى وفى صـــبـاح يوم ١٥/٦/١٩٦٠ حضر مجموعة جدد للمعتقل وسمعنا أثناء دخولهم ضرب نازل عليهم والضابط عبد اللطيف رشدى يسألهم عن أسمهم ويضربهم ولما وصل الى شهدى سأله من اسمه فقال انا شهدى ثم أعاد سؤاله فكرر ذكر اسمه فعرفت ان اسمه شهدى وأمره بأن يركز على ركبته ثم انهال على شـهدى بالضرب ولا أعرف من الذى ضربه وبعدين سأله انت شيوعى فلم يرد عليه فقال افرزوه ، وضربوه وبعدين سمعت عبد اللطيف رشدى بيقول فوقوه ومشوه وفعلا مشوه وسمعت صوت بيقول شمال يمين لم اتبين صاحب هذا الصوت ولان هذا تم أمام باب الملاحظة فنظرت من نظارة باب الملاحظة فشاهدت شهدى عطيه عاريا تماما من الملابس وعندما مر أمام الباب بخطوة سقط على الارض وذهب اليه عبد اللطيف رشدى وقال انت بتقع وقال اعطينى كتفه وكان فى يـد عبد اللطيف رشدى عصايا جريد وسميكة نسبيا ونزل عليه ضرب حوالى خمس ست ضربات على كتفه من الخلف فقام شهدى بصعوبة ومشى وبعدين سمعت عبد اللطيف رشدى بيقول لواحد لا اعرفه ان وقع افتح قرنه واختفى الصوت وتانى يوم عرفنا انه مات » .

١٧ ـــ ونستعرض أقوال الدكتور عبـد العظيم أنيس الاستاذ بكلية العلوم والصحفى المعروف والذى كان معتقلا فى ذلك الوقت [مرفق ٦٧] فنراه يشهد بما يلى : ـــ

فى يوم ١٣/٦/١٩٦٠ بدأ الاستعداد لاستقبال مسجونيـن جدد واخلى عنبر رقم /٢ وعلمنا ان فيه ناس جدد سيحضروا واحنا بجوار عنبر رقم /٢ وفى الصباح المبكر يوم١٥/٦/١٩٦٠ خرجنا بطابور التمام ولاحظنا حضور القائمقام الحلوانى مـع السيد مأمور الاوردى وشخص بملابس مدنية وبعد انتهاء طابور التمام انهال علينا الضرب وفهمنا ان هذابداية الاستعداد لاستقبال مسجونين جدد وبعد ذلك طلب منا احد السجانه ان نقف داخل العنبر ووجوهنا للحائط فى سكوت تام ، وفعلا كان الاوردى كله فى هدؤ تام وبعد حوالى نصف ساعة بدأنا نسمع صوت ضرب داخل الاوردى واصوات صريخ واستغاثة وصوت جهورى هو صوت النقيب عبد اللطيف رشدى وهـو يطلب من كل واحد من المسجونين الجدد ان يرفع صوته بشدة وهو يذكر اسمه ويسأله ان يقول ان كان شيوعى وبهـذا استطعت ان اميز اسماء كثيرة من المسجونين الجدد والسابق تواجدى معهم فى معتقل القلعة مثل صوت السيد عبد الوهاب ندا وهو يصرخ ومبارك عبده فضل واخرين وقد كان الضرب شديدا بالنسبة لهؤلاء ثم سمعت صوت عبد اللطيف رشـدى وهو يقول بأعلى صوته شهدى ايه ففهمت انه يـطلب مـن شهدى عطية الشافعى ان يذكر اسمه بالكامل ولم اسـمع اجابة شهدى على هذا السؤال بوضوح وكنت اعلم انه المتهم الاول فى هذه القضية الثانية بالاسكندرية واستطعت ايضـا ان اميز الصاغ حسن منير وهو يصرخ لشهدى ان يذكر اسمه بالكامل ويقول بالضبط الولد ده اضربـوه وكان يحضر كلّ مسجون يبدأ بالضرب عليه من جديد وكان يتولى ذلك الصول وبعض السجانه واستطعت تمييز صوت الصول لانه كان يطلب من كل فرد يقول انا امراة ويشتم فى الشيوعيين واحب ان اذكر ان معى فى عنبر رقم /١ معتقل اسمه عبد الحميد فريدى كان فى الملاحظة الطبية فى ذلك الوقت وذكر لى انه سمع وشاهد من خلال النظارة تفاصـيل اكثر عن حـادث شهدى .

س / هلْ شاهدت بنفسك اى واقعة من وقائع التعدى يوم ١٥/٦/١٩٦٠ على المعتقلين الجدَد ؟

جـ / انا بالنسبة للمعتقلين الذين حضروا يوم١٥/٦/١٩٦٠ فانه فبعد ان وصلنا من الطابور واثناء وجودى فى عنبر /١ استطعت ان اشاهد من النظارة ضرب عنيف واقع على كل من محمود المانسترلى وكان يركز على قدميه وهو يضرب وكان احد الذين حضروا من الواحات الى الاوردى يوم١٤/٦/١٩٦٠ واستقبلوا نفس الاستقبال الذى استقبل به المعتقلون الاخرون وهذا ماتم ايضا بالنسبة لنا عندما وصـلنا الاوردى يـوم ١٧/١١/١٩٥٩ .

١٨ ـــ وتأتى بعد اقوال الدكتور عبد العظيم انيس اقوال الدكتور اسماعيل صبرى وزير التخطيط الحالى والذى كان معتقلا فى ذلك الوقت فنجده يشهد بما يلى [مرفق ٦٩] .

عرفنا ان فيه دفعة جديدة من المعتقلين ستأتى علشان عنبر /٢ اخلى وشفنا عند خروجنا لاستلام الغذاء كمية من جريـد النخيل وده يوم الثلاثاء ١٤/٦/١٩٦٠ . وكانت هذه العصى موضوعة امام المخزن شمال الداخل من باب الاوردى وهـذا الجريد معروف لدينا اكثر باستعماله فى ضربنا بعد ان قل استعمال الشوم اثر مقتل المرحوم الدكتور فريد حداد الذى قتل فى هذا السجن الاوردى عند استقباله فى اواخر نوفمبر سنة ١٩٥٩ بحضور شاهدى عيان وما زالا معتقلين بالأوردى هما الاستاذ عبد الله الزغبى المحامى والمهندس سعد الطويل وكانا واقفين عند حضوره وعلمنا من وجود الجريد ان فيه حفلة استقبال فى اليوم التالى وفعلا صباح يوم ١٥/٦/١٩٦٠ فتحت العنابر مبكرا قبل الموعد المعتاد وخرجنا لطابور التمام وكان حاضر الصاغ حسن منير مأمور الاوردى وبصحبته القائمقام الحلوانى مدير سجن الاسكندرية وشخص اخر يرتدى ملابس مدنية واعدنا للعنابر بسرعة وكانت الساعة [٧] صباحا تقريبا وعرفنا من هذا التبكير ومن الاسـتعدادات السـابقة اننا سنخرج للجبل بعد حفلة الاستقبال وان السيد اللواء اسماعيل همت الذى حضر اليوم للاشراف على الاستقبال سيمر علينـا بالجبل وبعد قليل بدأنا نسمع اصوات صريخ وكنا فى ذلـك الوقت داخل العنابر وصوت اليوزباشى عبد اللطيف رشـدى وصوت الصاغ حسن منير وفهمنا من موضوع الصوت ان اليوزباشى عبد اللطيف رشدى ينتظر الداخلين من داخل باب الاوردى عند غرفة الملاحظة على يمين الداخل وسمعناه جيدا وهو يصيح لكل داخل ارفع صوتك اسمك ايه زعق قول انا

امراة وعديد آخر من الشتائم وكان الصوت متقطعا بشكل يفهم من ان هذه الكلمات يتخللها ضربات يوجهها بنفسه للمعتقلين وكان واضحا كذلك ان المعتقلين يدخلون كل ثلاثة دفعة وعند انتهاء ضربهم كنا نسمع صفارة ثم تدخل دفعة جديدة وفهمنا ايضا ان الضرب كان يقع عليهم وهم عرايا تماما لانى سـمعنا السجانه فى عنبر /٢ يقولون لكل واحد اثناء دخوله العنبر البس بسرعة وكنا نسمع احيانا صوت الصاغ حسن منير وهو يتبع بعض المعتقلين حتى وصولهم العنبر /٢ يأمر بالضرب بقوله [اديله تانى] أو لسه الولد ده عايز ياخد فوق دماغه وفجأة بعد دخول حوالى ثلثى المعتقلين حسب تقديرنا سمعنا صوت اليوزباشى عبد اللطيف رشدى وهو يصرخ ويزعق وصوت اخر يجيب بكلمة واحدة شهدى ثم رد اليوزباشى رشدى يعنى على يا ابنى واستمر الضرب ثم خفتت الاصوات كلها وحضر عندئذ الى الباب عندنا احد السجانه وامرنا بالوقوف ووشنا للحائط ومرت فترة لم نسمع فيها الا اصوات متباعدة بعضها ينادى فين امين وهو الشاويش التومرجى والاخر مين الحقنه يا امين ولم اميز اصحاب هذه الاصوات الاخيرة وبعد مدة اخرى استؤنفت دخول دفعات جديدة ولاحظنـا ان معـدل الضرب اصبح اخف ثم انتهت حفلة الاستقبال ودهشت لانه لم يحدث اى مرور على العنابر بل تركنا واقفين ووشنا للحائط ولم نخرج للجبل فزاد احساسنا بان شيئا غير عادى قد وقع فى الاوردى فحاولنا الاتصال بزملائنا فى عنبر /٢ وعلمنا منهم ان شهدى لم يدخل العنبر وان اربعة اخرين سحبوا من العنبر لخطورة اصابتهم واتصلنا ببعضنا بالاشارة عبر

الشبابيك ايضا وعرفنا من زملاء فى هذا العنبر انهم سمعوا بالتفصيل أكثر حادث استشهاد شهدى عطية ثم عرفنا بعد ذلك من زميل لنا بالعنبر هو عبد الحميد عريدى كان موجودا بغرفة الملاحظة فى ذلك اليوم انه سمع كل ماحدث وشاهد حادث الاعتداء على المرحوم شهدى عطية وهو يطلب من النيابة سماع اقواله وفى اليوم التالى وجدنا جثة شهدى فى الزانزانه الاخيرة على الشمال التى لصق على بابها بهذه المناسبة يافطة مكتوب عليها مستشفى مع انها فى الاصل زنزانة تاديب وعرفنا من زميلنا بالعنبر ..

١٩ — ونكتفى بهذا القدر من أقوال الشهود سواء كانو من زملاء الشهيد أو من موظفى المعتقل أو من المعتقلين الاخرين وقد تابدت هذه الاقوال من باقى الشهود وهم كثيرون وأكدت المعاينات والمواجهات والتجارب التى اجرتها النيابة صدق هذه الاقوال وان الشهيد وزملائه المعتقلين حضروا من معتقل الاسكندرية الى معتقل الاوردى فى الساعة السادسة من صباح يوم الاربعاء ١٩٦٠/٦/١٥ فى اتم صحة وفى حراسة المقدم حنفى عبد الرحمن مفتش فرق امن القاهرة الذى شهد بذلك [ظهر المرفق ٤٣] وكما تدل على ذلك مذكرة طبيب سجن الاسكندرية [مرفق ٤] وانهم انزلوا من العربات التى نقلتهم فى نقطة بعيدة عن باب المعتقل وجلسوا القرفصاء فى صفوف ووجوههم نحو الارض ، لمدة ساعة تقريبا فى انتظار تشريف كبار المشاهدين وبدأت عملية الضرب من الضباط والعساكر بقيادة النقيب مرجان اسحق ثم بدا استعراض الجرى امام اللواء اسماعيل همت وكيل مصلحة السجون والعقيد محمد عبد الغنى الحلوانى مدير سجن الاسكندريه والرائد محمد صلاح طه مدير الشئون العامة بمصلحة السجون الذين تصدروا المنصة لمشاهدة العرض وكان المعتقلون يجرون فى جماعات كل جماعة من ثلاثة افراد محملين باكياس حاجاتهم ويلاحقهم الجنود بالضرب مع الضابطين النقيب كمال رشاد والملازم أول عبد الفتاح [ذو الشارب المبروم] ومن يتعثر يزداد ضربه وان الرائد صلاح طه امر باحضار الشهيد ليضرب بشدة امام كبار المشاهدين بوصفه المتهم الاول حتى يغمى عليه فوضعوه فى الترعة لافاقته ثم اخذوه امام كاتب السجن ليقيد اسمه ثم الى الحلاق ليحلق شعره مع استمرار الضرب وخلعوا ملابسه واصبح عاريا تماما وسحبوه من قدميه وظهره للارض والبطانيه والبرش على صدره ليدخل من باب المعتقل فيلقاه الرائد حسن منير مأمور المعتقل والنقيب عبد اللطيف والصول احمد مطاوع فى نهايه المطاف ويتهال الضرب عليه بامر مأمور المعتقل لمدة ربع ساعة اخرى وبواسطة النقيب عبد اللطيف رشدى حتى ينهار فيطالبوه بالوقوف والسير والا فتحوا له قرنه على حد تعبير الرائد حسن منير حتى يسقط فاقد النطق فيطلبون التومرجى امين قنديل الرفيب ليعطى له سفنه ولكنه كان قد مات من الضرب ويفشل طبيب المعتقل الدكتور البير امين فهمى فى اسعافه بعد ان وجده فى الفضاء بين العنابر [ظهر المرفق ٣] ويزعم ان سبب حالته جلطه دموية بالقلب تسببت فى صدمة وهبوط دورى ويحاول اسعافه حتى الساعة الثالثة [مرفق رقم ٣٠] مع انه دخل المعتقل فى حوالى الثامنة صباحا ، ويستعين بالطبيب الاخر الدكتور أحمد كمال ابو العلا بعد نقله الى الزنزانة التى وضعوا عليها لافتة باسم المستشفى [مرفق ١٢٩] ولا يحاول الاطمئنان عليه بعد ذلك اليوم [المرفق السابق] لعدم الحاجة الى ذلك بعد ان كان الشهيد قد مات فعلا من ذلك الضرب .

٢٠ — وهكذا يتضح حقيقة الحادث وانه جناية ضرب افضى الى الموت بتلك الطريقة الوحشية التى ارتكبها ضباط وجنود المدعى عليهما .

٢١ — وعندما تولى النيابة التحقيق يحاول المتهمون التاثير على الشهود لاخفاء الحقيقة ثم يأتى المتهمون امام النيابة وبعد افتضاح امرهم ينصرفون بعد ذلك التعذيب وان جميع الضباط والجنود اشتركوا فيه ويقررون ان الضرب حدث لان المعتقلين رفضوا دخول المعتقل وهتفوا ضد الحكومة ورئيس الدولة وانشدوا النشيد الشيوعى وانهم تعدوا على مأمور المعتقل بثنى ذراعه ولاكمال الصورة وضع مأمور المعتقل يده فى الجبس بعد ان بدأت النيابة فى التحقيق بعد ثلاثة أيام من وقوع الحادث ويكذب الشهود تلك الاقوال بل ويقرر اللواء اسماعيل همت بان المعتقلين لم يصدر منهم اى هياج وانه لم يسمع بالتعدى على المأمور وينكر الجنود ان المعتقلين انشدوا النشيد الشيوعى ولا تجد النيابة الا تقرير الاتهام لـ ٢٢ من هؤلاء الجناة وترسل الاوراق الى نيابة امن الدولة .

٢٢ — وتقيد الجريمة بنيابة الخانكة بالقضية رقم ٢٥٦٦ لسنة ٦٠ وبرقم ٦٠/٧٣٩ كلى وبرقم ٣٧٦ لسنة ٦٠ حصر تحقيق امن الدولة العليا وفى ١٩٦٢/٢/٢٦ ترسل الى نيابة استئناف القاهرة برقم ١٠ — ٣/١ وتقيد برقم [٦٢/٢٢ لعرضها على الاستاذ برهان العبد حسب التأشيرة الثابتة على كتاب مصلحة السجون الى السيد النائب العام برقم ٥٠٠٨ فى ١٩٦٢/٨/٩ ملف برقم ٤٨/١/٢٢ [مرفق ٢٥٤] وللاسف الشديد فلم يتم التصرف فيها حتى الان وتركت كما مات الشهيد ويظل هؤلاء الجناة يرتقون .. ولا يابهون لاى شىء وربما وصلوا الى اعلا المناصب وكانهم لم يرتكبوا ثمة جريمه .

٢٣ — وقد تاثر الرئيس الراحل من ذلك الحادث وواسى اسرة الشهيد حسبما هو مستفاد من المرفق رقم ١٦١ ومع ذلك فلم تتحرك الدعوى العموميه حتى وقتنا هذا .

٢٤ — ومن كل ماتقدم وهو قليل من كثير يبين بشاعه الجرم الفاحش الذى صدر من الضباط والجنود التابعين للمدعى عليهما فى حق الشهيد المجنى عليه الذى وصل الى المعتقل الاوردى صباح يوم الاربعاء ١٩٦٠/٦/١٥ وهو فى أكمل صحة ليتلقى من هؤلاء الجنود ذلك الضرب المبرح والوحشى الثابت فى حقهم من هذه التحقيقات فأدى ذلك الى موته على ذلك النحو الذى اثبته تقرير الطبيب الشرعى .

٢٥ — فالثابت الذى لاشك فيه ان الشهيد دخل الى ذلك المعتقل فى صباح يوم ١٩٦٠/٦/١٥ . فضرب من هؤلاء الجناه وخرج من ذلك المعتقل فى صباح اليوم التالى ميتا الامر الذى يثبت بما لايدع مجالا للشك خطأ هؤلاء الجناة على ذلك النحو الثابت من هذه التحقيقات التى قدم المدعى عليهما صورتها والتى تكشف عن ان نيابة الخانكه انتهت الى تقرير اتهام ٢٢ من هؤلاء الجناة الضباط والجنود بتهمه ضرب الشهيد ضربا افضى الى موته .

٢٦ — ومن المسلم به ان كل خطأ سبب ضررا للغير يلزم من ارتكبه بالتعويض [م ١٦٣] مدنى وانه اذا صدر الخطأ من التابع فيكون المتبوع مسئولا عن الضرر الذى تم بمعرفه تابعه بعمله غير المشروع متى كان واقعا فى حالة تادية وظيفته أو بسببها [م ١٧٤/مدنى] .

٢٧ — والثابت الذى لاشك فيه ان خطأ هؤلاء الجناة التابعين للمدعى عليهما وقع منهم اثناء تاديتهم لوظيفتهم فى ذلك المعتقل وبسبب تلك الوظيفة ومن ثم تسأل المدعى عليهما بالتعويض عن الضرر الذى لحق بالمدعيه وابنتها من جراء ذلك الخطأ الذى وقع من هؤلاء التابعين طبقا لنص المادة ١/١٧٤ مدنى المتقدم ذكرها .

٢٨ — ومما لاجدال فيه ان هذا الضرر المادى والادبى طبقا لحكم المادتين ٢٢١ و ٢٢٢ مدنى طبقا لما تقرره المادة ١٧٠ من القانون المدنى التى تنص على مايلى :

يقدر القاضي مدى التعويض عن الضرر الذى لحق المضرور طبقا لاحكام المادتين ٢٢١ و ٢٢٢ مراعيا فى ذلك الظروف الملابسه ..

٢٩ — وما من شك انه بموت الشهيد على ذلك النحو البشع فقدت المدعيه وابنتها المشمولة بوصايتها عائلهما الذى كان يوفر لهما اسباب العيش الكريم والحنان الغامر والسعادة الكاملة فضلا عما الم بهما من الم لن ينسى مدى الحياة كلما تصورا تلك الميته الشنيعة التى تعرض لها الشهيد على ايدى هؤلاء الوحوش الذين تجردوا من كل المعانى الانسانية والقيم الخلقية .

٣٠ — ولقد كان الشهيد من خير من أنجبتهم هذه البلاد علما ووطنيه وكان مربيا فاضلا تخرج من على يديه الكثيرون من ابناء هذا الجيل ممن تلقوا العلم والوطنية على يديه وتكشف لنا شهادة الشهود فى تلك التحقيقات المقدمة على مدى ما كان يتمتع به الشهيد من حب وتقدير من جميع زملائه .

٣١ — لقد حصل الشهيد على ليسانس الاداب ودبلوم المعلمين واشتغل بالتدريس ولكنه لم يكتف بذلك بل تقدم فى مسابقة للغة الانجليزية فكان أول الناجحين وحصل على درجة الماجستير فى الاداب الانجليزى وكان يحضر للدكتوراه فى الفلسفة لولا ان الميته عاجلته على ايدى هؤلاء الطغاة .

٣٢ — ولقد شغل وظيفة مدرس أول اللغة الانجليزية بمدرسة التجارة ثم تدرج فى منصب بوزارة التربية والتعليم حتى وصل الى وظيفة مفتش أول اللغة الانجليزية ويعد من اوائل المصريين الذين اشتغلوا فى هذا المنصب حتى اتهم فى القضية التى اعتقل بشأنها .

٣٣ — ومن الغريب ان تلك القضيه كانت منظورة أمام محكمة امن الدولة العليا بالاسكندرية وكان الشهيد محبوسا على ذمة هذه القضية بسجن الاسكندرية وكانت تلك القضيه مؤجلة لجلسة ١٩٦٠/١٠/٢٢ حسبما هو ثابت من ملحوظة النيابة بظهر ١ مرفقرقم ١٣١ ومؤدى ذلك انه كان سيحضرأمامالمحكمة بالاسكندرية فىتلك الجلسة وبالتالى فلم تكن هناك ثمة حاجة لنقله الى معتقل الاوردى فى ١٩٦٠/٦/١٥ ولكن الامر كان مبيتا لتلك المأساة التى اراد الاستمتاع بها كبار ضباط المدعى عليهما على ذلك النحو الثابت من تلك التحقيقات والتىانتهت بمقتل الشهيد على ذلك النحو الذى كشف عنه تلك الاوراق .

٣٤ — ولم يرضى الشهيد بطلب العلم لنفسه بل كان ينفع بعلمه الاخرين لا فى مجال التعليم فحسب بل بنشر العديد من المؤلفات التى من بينها كتابه عن امريكا والشرق الاوسط وكتابه تاريخ الحركة الوطنية وكتابه عن اهدافنا الوطنية الى غير ذلك العديد من التراجم والسير .

٣٥ — وفضلا عن هذا وذاك فقد افتتح مكتبا للترجمة والنشر باسم مصر للترجمة والنشر حتى لايقتصر الامر على نشر مؤلفاته فحسب بل يتيح الفرصة للغير لنشر مؤلفاتهم .

٣٦ — ومن المسلم به ان الدولة فى القضايا السياسيةخصم شريف فهى وان كانت تتحفظ على بعض الاشخاص او تقدمهم للمحاكمة فى بعض القضايا السياسية بناء على تقارير امثال هؤلاء الزبانية فانها مع ذلك وباعتبارها دولة تخدم القانون تؤمن بان المتهم برىء حتى تثبت ادانته . ومن ثم فلا يمكن ان يتصور باى حال من الاحوال ان الاعتقال كان يقصد به تعذيب للمعتقلين على ذلك النحو الذى انتهى اليه تفكير هؤلاء الجناة الذين تجردوا من الانسانية وظنوا انهم بذلك يرضون الحكام .

٣٧ — وليس ادل على ذلك ان الدولة ردت اعتبار هؤلاء المعتقلين وقد راينا انهم وصلوا الى مناصب كبيرة بل ان بعضهم وصل الى منصب الوزير .

٣٨ — ولم يكن من المستبعد ان تنصف الدولة هذا الشهيد لو كانت الحياة قد كتبت له لاسيما وانه كان المتهم الاول فى تلك القضية رغم وطنيته وحبه لبلده فترد له اعتباره وتسند له منصبا من المناصب الكبيرة ان لم يسند له منصب الوزير .

٣٩ — لقد كانت الشيوعية هى التهمة التى يسندها دائما المستعمرون واذنابهم الى الوطنيين المخلصين ليتخلصوا منهم بعد ان كشف هؤلاء الوطنيون اساليب الاستعمار وحذروا ابناء وطنهم منها وقد اشرنا الى ان الشهيد كان قد الف كتابا عن امريكا والشرق الاوسط كشف فيه عن اساليب الامبريالية الامريكية .

٤٠ — وماكان الشهيد الا وطنيا مخلصا لبلده درس التاريخ والفلسفه والف فيهما وفهم اساليب الاستعمار وحذر ابناء وطنه منها وبالرغم مما تعرض له من الوان التعذيب فلم يفقد ايمانه فى بلده أو فى المسئولين عنه وكلماته التى القاها اثناء محاكمته خير شاهد على ذلك .

٤١ — ومثل هذا الشهيد الذى كان نشاطه لايقف عند حد كان يجنى من ورائه الكثير من المال الذى يوفر به الحياة السعيدة لزوجته وابنته الوحيدة فى مسكنهما بالزمالك فى أرقى احياء القاهرة ولاشك ان خسارتهما فيه لاتعوض ولا يمكن لاى تعويض مهما بلغ قدره ان يعوضهما عن تلك الرفاهية والسعادة التى كان يجهد الشهيد فى تحقيقها لهما .

٤٢ — ومن المؤلم على النفس ان يتعرض الشهيد لذلك التعذيب الوحشى الذى اودى بحياته والذى تقشعر له البدن كلما تصور ذلك الموقف الذى مر به الشهيد الامر الذى لم يسبق له مثيل فى اى صورة من صور التاريخ وهو امر يبعث على الالم الذى لا يوصف كلما مر بالخاطر لاسيما خاطر الزوجة أو الابنة بالنسبة لذلك الرجل الذى كان بارا بوطنه وأسرته فكان جزاؤه التعذيب والتنكيل والموت بايدى تلك العصبة الطاغية والوحوش الادمية التى تعودت على سفك الدماء دون وازع من ضمير أو ذرة من انسانية تردها الى عقولها أو تلين قلوبها التى تجردت من كل معانى الرحمة والشفقة .

٤٣ — وما من شك ان بشاعة الحادث والجرم الذى ارتكب فى حق الشهيد ولا حول له ولا قوة وما ترتب عليه من ضرر مادى وادبى فى حق المدعية وابنتها لن تجبرهما اى تعويض مهما بلغت قيمته لانه لن يحيى لهما الشهيد الذى حرما منه والذى كان نعم الزوج ونعم الاب ونعم الرجل الوطنى المخلص ومن ثم فاذا قصرنا التعويض على ذلك المبلغ المطالب به فما ذلك الا لكى نجد بعض الشىء من تلك الاضرار التى لايمكن تعويضها ولذلك فنحن على يقين من ان المحكمة الموقرة ستقضى لنا بذلك التعويض البسيط كنوع من رد الاعتبار الواجب لذلك الشهيد الذى ضحى بحياته من أجل مصر وعظمة مصر .

لذلك

نصمم على الطلبات ..

وكيل المدعية
المحامى
أحمد الخواجه



باسم الشعب
محكمة جنوب القاهرة الابتدائية
الدائرة الرابعة

بالجلسة المدنية المنعقدة علنا بسراى المحكمة فى يوم الخميس الموافق ١٩٧٤/١١/٢٨ برئاسة السيد الاستاذ عبد الرحمن حسن قطايا رئيس المحكمة وعضوية الاستاذين سلامة شساهين وشريف عبد الرحيم غنيم القاضيين وبحضور السيد / محمد عبد الهادى أمين السر .

صدر الحكم الاتى :

فى القضية المرفوعة من :

السيدة راوية شهدى بتريدس عن نفسها وبصفتها وصية على ابنتها القاصر حنان شهدى عطيه عبد الله الشافعى ، ومقيمة بالقاهرة وموطنها المختار مكتب الاستاذ أحمد الخواجه المحامى بالقاهرة ، بشارع شريف باشا رقم ٢٦.

ضـــد :

١ ــ السيد مدير مصلحة السجون

٢ ــ السيد وزير الداخلية

الواردة بالجدول العمومى تحت رقم ٥٢٦/ ١٩٦٨ كلى القاهرة والمقيدة أخيرا برقم ٤١٦٥/ ١٩٧١ كلى جنوب القاهرة .

المحكمة :

بعد سماع المرافعة الشفوية والاطلاع على الاوراق والمداولة قانونا .

حيث أن الوقائع سبق للمحكمة بهيئة أخرى أن فصلتها فى الحكم الصادر قبل الفصل فى الموضوع بتاريخ ١٩٧٤/٢/٢٨ وموجزها أن المدعية عن نفسها وبصفتها وصية على ابنتها القاصر حنان شهدى عطيه عبد الله عقدت الخصومة بصحيفة أودعت قلم كتاب هذه المحكمة بتاريخ ١٩٦٨/٢/٣ وأعلنت للمدعى عليهما بتاريخ ١٩٦٨/٢/٥ طلبت فيها الحكم بالزام المدعى عليهما بصفتهما متضامنين بأن يدفعا لها مبلغ ٢٠٠٠٠ر.. جنيه والمصروفات واتعاب المحاماة بحكم مشمول بالنفاذ المعجل ، وقالت شرحا لدعواها أنه بتاريخ ١٩٦٠/٦/١٥ توفى المرحوم زوجها شهدى عطيه الشافعى نتيجة جريمة ضرب أفضى الى موته قام بها مأمور وحراس ليمان أبى زعبل ادارة المدعى عليهما حيث كان معتقلا على ذمة اتهامه فى تضية شيوعية ــ وقد ثبتت هذه الوقائع من تحقيقات أجرتها وزارة الداخلية والنيابة العامة ــ وقد قررت أن ابنتها حنان المشمولة بوصايتها انها تقاضت تعويضا من وزارة الداخلية أمام النيابة الحسبية وهو أمر لم يحدث . ولما كان ما قارفه تابعى المدعى عليهما بصفتهما يشكل جريمة تنطبق عليها المادة ٢٣٦ من قانون العقوبات الامر الذى حق لها أن تلجأ الى القضاء المدنى للمطالبة بتعويض جابر لما أصابها وابنتها من ضرر نتيجة فقد عائلها الامر الذى أقامت معه الدعوى طالبة سماع المدعى عليهما بصفتهما الحكم عليهما بالطلبات السابقة.

حيث أن المحكمة بعد أن استمعت الى دفاع الطرفين وقضت بحكمها السالف الاشارة اليه ــ وللاسباب التى ساقها الى التقرير بأن المرحوم شهدى عطيه الشافعى مورث المدعية توفى بتاريخ ١٩٦٠/٦/١٦ بليمان أوردى أبو زعبل ابان اعتقاله على ذمة اتهامه باحدى قضايا الشيوعية نتيجة اعتداء رجال الشرطة التابعين للمدعى عليهما عليه بالضرب ــ الا أن الشخص الذى أدى اعتداءه الى وفاة المورث لم يتحدد مما لا يمتنع معه قانونا اقامة الدعوى على المتبوع باعتباره مسئولا مسئولية مفترضة عن خطأ تابعه وقضت باحالة الدعوى الى التحقيق لاثبات خطأ التابع حتى تقوم مسئولية المتبوع قانونا عن خطأ تابعه ــ وذلك لاثبات ونفى ان أحد تابعى المدعى عليهما أخطأ فى اعتدائه على مورث المدعية بأن اعتدى عليه بالضرب بغير مسوغ مشروع حتى أدى الضرب الى وفاته وأنه أصابها من جراء ذلك ضرر تقدر قيمته [٢٠٠٠٠ جنيه] ولينفى المدعى عليهما ذلك بذات الطرق .

وحيث أنه نفاذا لحكم التحقيق أشهدت المدعية

شهودا قرر اولهمـا عبد المنعم غزالى الجبيلى المحرر بمجلة الطليعة قرر أنه كان معتقلا مـع مورث المدعية بليمان أبو زعبل ابان الحـادث حيث ترحل معه من الاسكندرية الى ليمان أبو زعبل بعد نظر قضيتهم أمام محكمة الاسكندرية واذ دخل الى الليمان استقبله نفر من الضباط والصف ـــ منهم الضابط عبد اللطيف رشـدى ومرجان وحسن منير والصول مطاوع وعـدد كبير من الحراس حيث أوسعوهم ضربا بالكراسى والعصى والكرابيج والاحذية ـــ ثم انفردوا بمورث المدعية المرحوم شهدى عطيه عبد الله ـــ وأمروه بالمرور على صفين من الحراس ـــ صف على ظهور الخيول وصف يقف أرضا حيث كان يمر عليهم ويتسلموه ضربا بالكرابيج ثم اصطحبوه الى مكان « العروسة » وأمروه بخلع ملابسـه وقاموا بالاعتداء عليـه بالضرب على ظهره ثم قلبوه على الوجـه الاخر وأوسـعوه ضربا ثم سحلوه أرضا وكان عارى الجسد ـــ واثر ذلك أمروهم بالدخول للعنابر حيث حضر احد الحراس واخبرهم مـع من معـه من زملائه أن زميلهم شهدى قد لفظ أنفاسه الاخيرة واضاف الشاهد ان المتوفى كان فى صحة جيدة ابان ترحيله معهم من الاسـكندرية وان وفاته نشـأت عن ضرب وتعذيب حراس الليمـان عليـه ـ ذلك التعذيب الذى فاق كل انسانية ـــ كما قرر أن المورث كان يعمل مفتشا أولا للغة الانجليزية ـــ بعد أن تخرج من جامعة كمبريدج بانجلترا ،وكان صاحب ومدير دار مصر للترجمة والنشر وكان يعمـل كاتبا بجريدة المسـاء ـــ وكان ذلك يدر عليه دخلا شهريا لا يقل عن [٢٨٠ جنيه] .

واذ سئل الشاهد الثانى للمدعية عبد العزيز محمد يوسف الصباغ الذى يعمل موظفا بشركة الجمهورية للادوية وذكر أنه كان معتقلا بالليمان وقت الاعتداء على مورث المدعية وحدث أن كان موضوعا تحت المراقبة الطبية بسبب كسر فى يده نتيجة الاعتداء عليه وكان قد نزل الى الليمان بسبب اتهامه فى قضية شيوعية أخرى قبل نزول شهدى بحوالى ثمانية اشهر ويوم الحادث سمع صراخا وعويلا وسمع أصوات الضابطين حسن منير وعبد اللطيف رشدى والصـول مطـاوع يستعلمون من المرحوم شهدى عن اسمه ثم يأمر أحدهم الحراس بالاعتداء عليه بالضرب كما سمع استغاثة المورث ثم سكت الى الابد حيث عـلم بعد ذلك بوفاته ـــ وأضاف الشاهد أنه يعلم أن المورث كان صحفيا ولـكنه لا يعلم شـيئا عن مؤهلاته كما قرر أنه تأكـد له أن وفاة المورث كانت نتيجة للاعتداء عليه بالضرب .

وحيث أنه بسؤال الشاهد الثالث للمدعيـة سعد الدين أحمد بهجت الذى يعمل صيدليا قرر أنه ترحل مع مورث المدعية المرحوم شهدى من الاسكندرية الى سجن ليمان أبو زعبل وبقـوا خارج السجن حوالى ثلاث ساعات حيث استدعى الحراس المرحوم شهدى بمفرده لانه كان المتهم الاول فى القضية وكان بصحة جيدة وقتذاك كما أضاف أن المورث اعتـدى عليـه من الحراس بالضرب المبرح هو وبعض المعتقلين ممن كانت لهم الصدارة فى الاتهام فى قضية الشيوعية ، وكان ذلك على مسمع ومرأى منه ، كما ذكر أنه بعد ابلاغ النيـابة بالحادث وتوليهـا التحقيق استدعاه الضابط يونس مرعى وطلب اليه أن يدلى بأقوال مؤداها أن المرحوم شهدى كان مقيدا معه بقيد حديدى واحد وأنه كان يشكو من مرض قلبه واثر نزوله من السيارة سقط فاقد النطق فرفض ذلك فهدده بأن مصيره سيكون مصـير المرحوم شهدى فأنهى ذلك الى مـدير السجن الضابط زغلول شلبى الذى طمأنه على مصيره ـــ وأضاف الشاهد أنه عقب حضور وكيل النيابة على أثر موت مورث المدعية وسماع أقواله ـــ طلب اليه الضابط يونس مرعى عقب خروج وكيل النيابة بعد معاينته الاصابات سريعـا أن يقرر بالتحقيق أن وفاة شهدى نتيجة حدوث اضراب واضطرابات بالسجن واعتداء من المتهمين على ادارة السجن ولكنه رفض واضاف أنه سمع أحد التومرجية بالسـجن يذكر للضـابط أنه أعطى لشهدى حقنة كورامين ولكن لا فائدة فقد كان ميتا ـــ واكد أن الاعتداء على المرحوم شـهدى من حراس السجن هو الذى أدى الى وفاته .

وحيث أنه بسؤال الشـاهد الرابع للمدعية عادل محمود حسين المعلق السـياسى بجريدة الاخبار قرر أنه ترحل مع المرحوم شـهدى من الاسكندرية عقب نظر القضية التى كانوا متهمين فيها ، فوصلوا السجن الساعة السادسة صباحا حيث تسلم حراس السـجن المرحوم شـهدى وأوسعوه ضربا بالكرابيج والعصى والشوم ـــ وكانوا يعتدون عليه بعد خلع ملابسه حيث أدى الضرب الى وفاته وأضاف أن من الذين تناوبوا الاعتداء عليه هم الضابط عبد اللطيف رشـدى وحسين مرجان والصول مطاوع كما قـرر ان المرحوم شهدى كان بصحة جيدة ولم يكن يشكو الما وكان مفتشا للغة الانجليزية وله مكتب للنشر

وكان يكسب مبلغا لا يقل عن [٢٨٠ جنيها] شهريا ».

وحيث أن الحكومة لم تشهد احدا نفاذا لحكم التحقيق حيث طلب الطرفان حجز الدعوى للحكم مع التصريح بتبادل المذكرات حيث قررت المحكمة بذلك ، وتقدم الحاضر عن المدعية بمذكرة شارحا دفاعه صمم فيها على طلباته وعرج على أقوال شهود الواقعة التى نشأت عنها وفاة المورث قائلا أن الاعتداء ثابت من أقوال الشهود الذين لا يرقى الى شهادتهم أى شك فضلا عن أن المبلغ المطالب به غير مبالغ فيه نتيجة مركز المورث الاجتماعى وماضيه السياسى ووطنيته التى لايرقى اليها أى شك وما الم بالمدعية وابنتها من ضرر كبير نتيجة لفقده ، فضلا عن الضرر الادبى بحرمانها وابنتها من عطف الابوة وحنانها وانتهى الحاضر عن المدعية الى التصميم على طلب القضاء له بالتعويض المطالب به .

وحيث أن الحاضر عن الحكومة تقدم بمذكرة شارحة لدفاعه دفع فيها الدعوى بعدم قبولها بالنسبة لمدير مصلحة السجون قائلا انه لا يمثل المصلحة وانما المصلحة ممثلة فى السيد وزير الداخلية بصفته فقط — كما دفع بطلب وقف الدعوى المدنية حتى ينتهى الفصل فى الدعوى الجنائية اعمالا لحكم المادة ٢٦٥ من قانون الاجراءات الجنائية التى تقضى بوقف الدعوى المدنية حتى يحكم نهائيا فى الدعوى الجنائية المقامة قبل رفعها أو أثناء السير فيها واسترسل الحاضر عن الحكومة فى شرح أسس هذا الدفع القانونية وما استقر عليه القضاء بشأن ذلك منتهيا الى أن الفعل المنسوب الى تابعى المدعى عليه الثانى بصفته جريمة تحقق فيها النيابة العامة ولما تتصرف فيها بعد — فيجب وقف الدعوى حتى ينتهى الحكم فى الدعوى الجنائية .

وحيث أن الحاضر عن الحكومة دفع الدعوى أيضا بسقوط الدعوى بالتقادم اعمالا لنص المادة ١٧٢ من القانون المدنى اذ أن وفاة المرحوم مورث المدعية حسبما وضح من أوراق — تحقيق الواقعة بسجن أبو زعبل كانت بتاريخ ١٩٦٠/٦/١٥ وقد انقضى على ذلك اكثر من ثلاث سنوات على تاريخ اقامة هذه الدعوى — فضلا عن أن دعوى التعويض قد انقضت أيضا بسقوط الدعوى الجنائية حتى اقامة الدعوى اعمالا للفقرة الثانية من المادة ١٧٢ من القانون المدنى — واضاف الحاضر عن الحكومة أنه من حيث موضوع الدعوى فقد ثبت من التحقيقات التى أجرتها النيابة العامة وسلطات السجن أن وفاة مورث المدعية حدثت من جراء سقوطه من أعلى سلم السجن حال دخوله — كما أن المدعية لم تورد عناصر الضرر الذى أصابها من جراء وفاة المورث — فضلا عن أنها لم تثبت أن المورث كان يعولها وقت وفاته — وبذلك يكون مبلغ التعويض المطالب به مبالغا فيه وقصد منه الاثراء وانتهى الى التصميم على الدفوع وفى الموضوع طلب رفض الدعوى ».

وحيث أنه بعد مراجعة الاوراق ودفاع الطرفين تتطرق المحكمة للرد على الدفوع المبداة من الحاضر عن الحكومة ، وفيما يتعلق بالدفع المبدى بعدم قبول الدعوى بالنسبة للمدعى عليه الاول السيد مدير مصلحة السجون فهو على أساس اذ أن الممثل القانونى لليمان أبى زعبل هو السيد وزير الداخلية التابع له مصلحة السجون وبذلك يكون اختصام السيد مدير مصلحة السجون للحكم عليه بطلبات المدعية على غير أساس ويتعين الحكم بعدم قبول الدعوى بالنسبة له لرفعها على غير ذى صفة .

وحيث أنه فيما يتعلق بطلب الحاضر عن الحكومة وقف الدعوى حتى ينتهى الفصل فى الدعوى الجنائية التى تباشر فيها النيابة التحقيق فالثابت من ملف التحقيقات الخاص بواقعة وفاة مورث المدعية المنضم للاوراق أن النيابة لم تتصرف بعد فى هذه التحقيقات اذ قيدت التحقيقات برقم ٣٧٦ سنة ١٩٦٠ حصر تحقيق أمن الدولة ، وأشر بعرضها على السيد النائب العام الذى لم يتصرف فى الدعوى الجنائية حتى الان — واذ كان ذلك وكان من الثابت أن الفقه مستقر حسبما تنص على ذلك المادة ٢٦٥ من قانون الاجراءات الجنائية أنه يشترط لوقف الدعوى المدنية التى ترفع الى المحاكم المدنية بسبب رفع الدعوى الجنائية عن جريمة اسندت لمن ارتكب الفعل الضار — ان تكون الدعوى الجنائية قد رفعت قبل اقامة الدعوى المدنية أو أثناء السير فيها — أى أن تكون الدعوى الجنائية مرفوعة أمام المحكمة الجنائية قبل اختيار الطريق المدنى ويتحقق رفع الدعوى الجنائية بتقديمها الى قضاء الحكم سواء عن طريق التكليف بالحضور أو بقرار الاحالة « يراجع فى هذا الشأن مؤلف أصول قانون الاجراءات الجنائية الدكتور أحمد فتحى سرور طبعة ١٩٦٩ ص ٣١٣ بند ١٩٠ » والدكتور محمود مصطفى ص ١٨٢

ورؤوف عبيد ص١٩٨ والدكتور حسن المرصفاوى ص ٢٣٥ — ذلك لان وقف الدعوى المدنية يقتضى أن تكون الدعوى الجنائية قد رفعت أو حركت بالفعل ، بتكليف بالحضور أو بقرار احالة — لا أن تكون هناك فرصة للمدعى المدنى لرفعها — هذا بالاضافة الى ان الحكمة التى توقاها الشارع من تقرير قاعدة وقف الدعوى المدنية حتى يقضى فى الدعوى الجنائية نهائيا — هى أن يكون الحكم الجنائى سابقا على الحكم المدنى — ليتقيد الاخير بالاول — فاذا رفعت الدعوى المدنية أمام المحاكم المدنية وفصل فيها نهائيا قبل رفع الدعـوى الجنائية فلا يتقيد الحكم المدنى بالحكم الجنائى « يراجع الوسيط الدكتور السنهورى الجزء الاول ص ١٠٧٤ بند ٦٣٣ » ويراجع فى هذا الشأن رسالة الاثبات للمرحوم أحمد نشأت طبعة ١٩٧٢ ص ٣٥١ بند ٧٠٢ ومابعدها بند ٧٠٢ والهامش.

وحيث أنه متى كان ذلـك وكانت الدعـوى الجنائية موضوع الفعل الضار الذى تسبب الى تابعى المدعى عليه الثانى بصفته — لما تنتهى بعد ولما ترفع الدعوى الجنائية بها بعد — حتى اليوم — ووقف تحقيق النيابة عنها حسبما وضح من التحقيقات المنضمة على عرضهـا على السيد النائب العام — انتفت بذلك حكمة وقف هـذه الدعوى المدنية حتى يفصل فى الدعوى الجنائية التى لم تتحرك ولم ترفع بعد على مرتكبى الفعل الضار اذ بصدور هذا الحكم فى هذه الدعوى — انتفى موجب الوقف لعدم قيام تعارض بينه وبين الحكم الجنائى — الذى سيصدر بعد ذلك — واذا ما عن للنيابة العـامة أن تقيم الدعـوى الجنائية — حسبما سلف شرحه — وبذلك يكون الدفع بطلب وقف هذه الدعوى ليس له أساس ويتعين الحكم برفضه .

وحيث أنه فيما يتعلق بالدفع المبدى بسقوط حق المدعية فى اقامة هذه الدعوى بالتقادم اعمالا لنص المادة ١٧٢ — القانون المدنى — لمضى أكثر من ثلاث سنوات على وقوع الفعل الضار « وفاة مورثها » فى ١٩٦١/٦/١٥ وحتى اقامتها هذه الدعـوى فى ١٩٦٨/٢/٣ فهو بدوره على غير أساس اذ من الثابت قانونا اذا كان اسـاس الفعل الضار جريمة يجرى تحقيقها والمحـاكمة عنها فان المدة اللازمة لسقوط الحق فى المطالبة بتعويض عنها عملا بنص المادة ١٧٢ من القانون المدنى تقف طوال المدة التى تدوم فيها المحاكمة الجنائية ولا يعود التقادم الى السريان الا منذ صدور الحكم النهائى فى الدعوى « يراجع حكم النقض الصادر بتـاريخ ١٩٧٢/٤/٤ والمنشور فى مجموعة النقض المدنية السنة ٢٣ ص ٦٣٦ ذلك لان قوام هذا السقوط وعلته هو تنـازل المضرور عن المطالبة بحقـه ولا يفترض هـذا التنازل بل يجب أن يقوم علم المضرور حقيقيـا بالفعل الضار ومرتكبه ولا يتأتى ذلك الا بعـد انتهاء التحقيقات الجنائية والفصل فى الدعوى بحكم يحدد ذلك صراحة « يراجع حكم النقض الصادر بتاريخ ١٩٦٨/٤/٢ والمنشور فى مجموعة النقض المدنى السـنة ١٩ ص ٧١٩ » — ومتى كان ذلك كذلك وكانت تحقيقات النيابة العامة بشأن الفعل الضار المنسوب الى تابع السيد المدعى عليه بصفته لما تنته بعد بمحاكمة جنائية ولما يصدر فيه بعد قرار بانتهائه كان ذلك سببا موقفا لمدة التقادم اللازم لسقوط حق المدعية فى اقامة هذه الدعوى عملا بالمادة ١٧٢ من القانون المـدنى وكان الدفـع على غير أساس خليقـا بالرفض .

وحيث أنه فيما يتعلق بموضوع الدعوى — فقد ثبت فى يقين المحكمة أن رجـال الشرطة وحرس ليمان أبو زعبل تابعى المدعى عليه الثانى بصـفته — قد تجـردوا من القيم الانسـانية والاخلاقية حسبما ذكر شهود المدعية الذين تطمئن الى أقوالهم المحكمة نظرا لمركزهم الثقافى — مما لا يتطرق معه الشـك فى صـدق أقوالهم — واعتدوا بالضرب المبرح على مورث المدعية عن نفسها وبصفتها — واتخذوا معه صنوف العذاب التى لا يقرها شرع أو قانون ولا يحكمها دين أو خلق وتجردوا من آدميتهم فى الانتقام من هـذا المخلوق الضعيف الذى ساقه القدر الى قلوب غلاظ تجردت من معانى الخلق وقيم الانسانية وانقلبوا وحوشـا آدمية انتهزت فرصـة وقوع فريستها الضعيفة بين أيديهم مجردا من الحول والقوة وارتكبوا معه من صنوف العذاب وألوان التعذيب ما تقشعر منه النفس ويشيب من هوله البدن — حتى سقط ذلك المخلوق الضعيف صريع هذا الظلم والقسوة — بين هذه الايدى الاثمة — لا لذنب جناه الا جريمة رأى لما يفصل فى ارتكابه لها بعد واذا كان ذلك وكان الثابت من أقوال شهود المدعية الذين لا يرقى اليهم الشك والذين تطمئن اليهم المحكمة أن مرتكبى هـذا الفعـل الضار الذى وصل الى حد الجريمة البشـعة والذى كان سببا فى وفاة مورث المدعية حـدث من رجال وحراس سجن ليمان أبو زعبل التابعة للمدعى عليه الثانى بصفته حقت مسئوليته عن فعلهم عملا بالمـادة ١٦٣ و ١٧٤ من القـانون المدنى بوصفهم تابعين له ، نتيجة لمـا يجب أن

يتحمله من ضمان سوء اختياره لهم عندما عهد اليهم بالعمل عنده وتقصيره في مراقبتهم عند قيامهم بأعمال وظيفتهم ، ولا ينفي قيام هذه المسئولية أن تكون موزعة على أكثر من شخص واحد ما داموا يؤدون عملا مشتركا ـ بل يكفي لقيام هذه المسئولية أن تكون هناك علاقة سببية بين ذلك الخطأ ووظيفة التابع يستوى فى ذلك أن يكون خطأ التابع قد أمر به المتبوع أو لم يأمر به ـ علم به أو لم يعلم ـ مادام التابع ما كان يستطيع ارتكاب هذا الخطأ لولا الوظيفة . وعلاقة التبعية مسألة موضوعية تستخلصها محكمة الموضوع بغير معقب ما دامت تقيمها على عناصر تنتجها « يراجع حكم النقض الصادر في ١٩٦٢/١٠/١٥ مجموعة احكام النقض الجنائية السنة ١٣ ص ٦٢٥ بند ١٥٦ » .

وحيث أنه فيما يتعلق بالضرر الذى أصاب المدعية عن نفسها وبصفتها فان المحكمة مستهدية فى ذلك بمركز المورث ـ من أنه كان على ثقافة عالية ومفتشا للغة الانجليزية ومديرا لدار نشر يقوم بترجمة الثقافات الأجنبية للاهتداء بها وكان يعمل بالصحافة حسبما ذكر شهود المدعية الذين تطمئن اليهم المحكمة وكان يتكسب مبلغا يقارب الى [٢٨٠ جنيها] شهريا فانه ولا شك حاق بالمدعية عن نفسها وبصفتها ضرر مادى محقق يتمثل فى حرمانها من عائلها هى وابنتها القاصرة وانقطاع مورد رزقها الى الابد بعد أن كانت تتطلع الى الحياة بنظرة ملؤها التفاؤل والامل فأصبحت تقاسى شظف العيش بعد أن أصبحت بلا عائل يعولها أو موئل تعتاش منه ـ لا سيما ولم يثبت أن ثمة تعويض صرف لها لتعويضها ماديا عما حاق بها من جراء فقد عائلها هى وابنتها نتيجة لفعل تابعى المدعى عليه الثانى بصفته ـ هذا بالاضافة الى الضرر الادبى الذى حاق بها وابنتها من جراء حرمانهما من أبوة حانية كانت الموئل والملاذ فأصبحتا تقاسيا الحياة بلا عطف أو حنان ـ واذ كان ذلك فالمحكمة مستهدية فى تقدير مبلغ التعويض بأحكام المواد ١٧٠ و ٢٢١ و ٢٢٢ من القانون المدنى ترى مناسبة تقدير مبلغ اثنى عشر ألفا من الجنيهات كتعويض جابر لجميع الاضرار التى حاقت بالمدعية عن نفسها وبصفتها وصية على ابنتها القاصر وهو ما يتعين القضاء لها به على المدعى عليه الثانى بصفته « يراجع حكم النقض الصادر فى ١٩٧٢/٤/٨ والمنشور فى مجموعة النقض المدنية السنة ٢٣ ص ٦٧ » .

وحيث أنه عن المصروفات فيتعين الزام المدعى عليه الثانى بصفته بالمصروفات المناسبة عملا بالمادتين ١٨٤ و ١٨٦ من قانون المرافعات شاملة مقابل أتعاب المحاماة .

وحيث أنه فيما يتعلق بالنفاذ فلا ترى المحكمة موجبا له الامر الذى يتعين معه رفض هذا الطلب .

لذلك :

حكمت المحكمة :

أولا ـ عدم قبول الدعوى لرفعها على غير ذى صفة بالنسبة للمدعى عليه الاول .

ثانيا ـ الزام المدعى عليه الثانى بصفته بأن يدفع للمدعية عن نفسها وبصفتها وصية على ابنتها القاصرة حنان شهدى عطيه عبد الله الشافعى اثنى عشر ألفا من الجنيهات والمصروفات المدنية المناسبة ومبلغ عشرين جنيها أتعابا للمحاماة ورفضت ماعدا ذلك من الطلبات .

أمين السر	رئيس المحكمة
امضاء	امضاء

نمـــاذج
مـــن
مقالات الشـــهيد فى سنة ١٩٤٧ *
المنشـــورة فى مجـلة الجمــاهير

● اننـــا لانـــريد أى اســـتعمار انجليزيا كان أم أمريـكيا *

الارتماء فى أحضان سيد جديد ... الاستعمار الامريكى هذا هـو الاتجـاه الخطير الذى ينهجه بـعض الساسـة المصريين، فرئيس مكتب الدعاية فى مجلس الوزراء المصرى .. أمريكى والمستشار الرئيسى للوفد المصرى المسافر الى مجلس الامن امريكى ! ووزارة الدفاع المصرية ترفع مذكرة ، تقترح انتداب بعثـة عسكرية من كبار الامريكيين لاعادة تنظيم الجيش المصرى !

والاحاديث تدور عن استقدام خبراء اقتصاديين امريكيين .

والدعاية لامريكا على قدم وسـاق ، يقوم بها بعض الساسـة المصريين فى أمريكا تارة وفى مصر تارة اخرى .

فعزام باشا يصرح : « توجـد فى الشرق العربى امكانيات كبيرة للتوسع وفيه أموال كثيرة لـكم .. وقال « وان مصر من الوجهة العملية تعتبر نقطة ارتكاز للنفوذ الامريكى فى الشرق الاوسط ! .

وهنـا فى مصر يقوم احمد حسـين بدعايته السافرة لامريكا وها هى الاخبار تترى .. ان المسألة السكرى للنقراشى فى أمريكا هى عقد قرض أمريكى . . اما القضية الوطنية فقد بذل فيها دولته جهـده !

● ● ●

وأمريكا ولا شك ترحب بهذه الحفنة من الساسة المصريين ، وتخصص لـهم صفحات كاملة فى جرائدهـا السكبرى لا دفاعا عن القضية المصرية ولا حرصا على استقلال مصر ــ وانما لان أمريكا ـ كما تصرح دوائر هويتهـول الرسمية معتزمة « ان تحل محل بريطانيا العظمى فى الدفاع عن قناة السويس اذا ايـد مجلس الامن مصر فى مطلبها بالجـلاء الناجز للجنود البريطانيين » .

ان أمريكا تواجه العالم فى سـفور فاجـر ..

انهـا تريد تحقيق حلم هتلر القديم، سيادة العالم وتحويل شعوبه عبيـدا لحفنة من الاحتكاريين الامريكيين .

● ● ●

هذه كلها نذر شريرة لاتجاه خطير .

فستتاح لمصر فى مجلـس الامن أن تكسب مكاسب وسيتاح لمصر فى مجلس الامن ان تضغط على الاستعمار الانجليزى بفضل القوى الديمقراطية العـالمية بفضل يقظة الرأى العام المصرى .

ولـكننا لا نريد أن نكسب هـذه المكاسب ليخسرها وادى النيل ، وليخسرها

---

[*] أعـد هـذه المقـالات د . رفعت السعيد .

[*] الجماهير ــ العدد السـابع عشر ــ ٢٨ يوليو سنة ١٩٤٧ [افتتاحية]

الشعب المصرى ؟ ولذهب الغستم الى مستعمر جديد .. المستعمر الامريكى .

• • •

فليحذر الشعب المصرى وليحذر اشد الحذر من هذه الحفنة من الساسة المصريين الذين يتظاهرون بالبطولة الوطنية ضد المستعمر القديم ويرتمون فى أحضان السيد الجديد .

ان الشعب المصرى يريد الاستقلال الكامل والتخلص التام من الاستعمار .

ان الشعب المصرى لا يريد أن يستبدل استعمارا باستعمار ، ولا أن يضيف استعمارا الى استعمار .

شهدى عطية الشافعى

أيهـــا الشـــعب ..

عـبر عـن سـخطك على الاسـتعمار *

.. خمسة وستون عاما من احتلال بغيض ، عبث فيه الانجليز بحرياتنا ، وامتصوا دماءنا واذاقونا الجوع والعرى والويل والحرمان .

.. خمسة وستون عاما اعتدت فيها انجلترا على سيادتنا ، وسيرت سياستنا الخارجية واستخدمت مواردنا الاقتصادية وفق مصالحها الاستعمارية على حساب الملايين من المصريين والسودانيين .

.. خمسة وستون عاما من احتلال غادر اثر عدوان أثيم ، كم أطلقت فيه قوات الاحتلال النيران على الالاف التى هتفت «ليسقط الانجليز ، ولتحيا الحرية والاستقلال فى ثورة ١٩١٩ ، وفى ثورة ١٩٣٥ وفى يوم الجلاء ، يوم ٢١ فبراير سنة ١٩٤٦ .

ومع هذا يجرؤ كادوجان فى مجلس الامن أن يتفكه ويتندر .. أن المساواة فى السيادة متحققة بين مصر وبريطانيا مادام ممثل مصر جالسا على مائدة مجلس الامن يناقش بكامل حريته المستر كادوجان !!

يا للسخف الهزيل !!

بل تبلغ به الصفاقة الاستعمارية أن يصرح بأن القوات البريطانية موجودة بموجب معاهدة سنة ١٩٣٦ عن رضى مصر ومحض ارادتها ؟

اذن فيم هذه الالاف التى هبت تنادى بالجلاء — وفيم هذه الالاف التى احتجت واضربت وتظاهرت وخضبت أرض مصر بالدماء .

ألم يكن هتافها المدوى ، ودماؤها الذكية الطاهرة الدليل القاطع على أن الشعب المصرى كاره لكم ، ساخط على بقائكم ثائر على تعسفكم واستعبادكم واستعماركم .

وتمتد الصفاقة الاستعمارية فتقلب كل وضع وتتحدى مبادىء الامم المتحدة .. فتقول ان هذه القوات باقية الى عام ١٩٥٦ برغم مجلس الامن .. وبرغم سخط الشعب !!

بل تبلغ الوقاحة الاستعمارية أقصاها عندما يزعم كادوجان أنه اذا حدث ما من شأنه أن يهدد السلم الدولى وأمنه : فلن يكون سببه الا أن مصر تعتزم اتخاذ اجراءات تهدد السلم والأمن الدوليين !!

مصر تهدد السلم والامن ؟ !

.. انجلترا التى استخدمت بوارجها ونفوذها وضغطها أكثر من مرة لتحول دون تنفيذ تشريع أو قانون مصرى لاترتاح اليه لا تهدد الامن !

انجلترا التى تستخدم مصر مركزا لمؤامراتها على السلم فى الشرق الاوسط فتسعى لتجميع هذا الشرق فى كتلة تحت سيطرتها ، لا تعكر السلم !

.. انجلترا التى تريد أن تفرض تحالفا عسكريا فى مشروع صدقى — بيفن ، وتستخدم موارد مصر ورجالها فى حروب استعمارية جديدة تعد لها هى وأمريكا — انجلترا هذه لا تهدد ببقائها فى وادى النيل السلام والامن الدوليين !

.. وانما مصر الحريصة على حريتها واستقلالها هى التى تهدد الامن اذا ما غضبت على الاحتلال الاثم — واذا ما طالبت بالجلاء الكامل .

مصر هذه تهدد السلم ! وانجلترا هى الذئب البرىء المسكين !!

أيها الشعب :

لتعبر عن غضبك وسخطك ، على المستعمرين ولتظهر مقتك للاستعمار البغيض .

أيها الكتاب والصحفيون :

لتنبذوا المهاترات ولتشعلوها نارا مقدسة ضد الاستعمار والمستعمرين ، ولتلهبوا صدور الشعب ضد العابثين بحرياته وأقواته واستقلاله .

أيتها الحكومة :

لتفسحى الحريات ، ولتطلقى الاجتماعات ، حتى يستطيع الشعب أن يتنفس فيعبر عن سخطه وألمه وغضبه — فهذه هى اللغة الوحيدة التى يحترمها الاستعمار .

شهدى عطية الشافعى

[*] الجماهير — العدد التاسع عشر — ١١ اغسطس سنة ١٩٤٧ — [الافتتاحية]

 الشعب يئن من الغلاء

وأقلية تتمتع «بالنايلون والباكار» *

« ده الغلا بقى فظيع .. » والحالة زى الزفت » ... قالها وبطنه تكاد تنفجر من كثرة ما حشيت من الوان دسمة من طعام .. وانطلق وهو يجفف عرقه الغزير .

تصور البدلة الجديدة دى .. تكلفت ثمانية وأربعون جنيها ! ومصاريف البيت كانت تتكلف فى زمن الحرب ٨٠ جنيها أصبحت تكلفنى ١٢٠ جنيها ! ده بقت حالة زفت .. ايراد الواحد مائتين جنيه فى الشهر ، والواحد مش عارف يعمل ايه !

• • •

هذا هو الحديث الذى سمعته فى أحد مجالس الكبراء ووالله لقد كدت انفجر غيظا ولم أملك الا أن أصيح أنت صاحب المائتين .. تشكو الغلاء !! اذن فما بالك بالالاف من الموظفين فى الدرجة السابعة والثامنة وما دونها من عمال المياومة ومن الخدمة السائرة ؟ ؟ ماذا يصنعون بمرتبات تافهة ، تتراوح بين ثلاثة جنيهاتوعشرة ؟ ماذا يلبسون؟ فى أى الحوارى يسكنون ؟ كيف يتعلم أولادهم ؟ ... وماذا يصنع مليون عامل مصرى ازاء هذا الغلاء الفاحشواصحاب المصانع يصرون على تخفيض أجورهم ، وطرد الالاف منهم ؟ ماذا يصنع عامل وزوجته وخمسة أطفال بعشرة أو خمسة عشر قرشا فى اليوم ؟ خمسة عشر قرشا ! والله لا تكفى علف يوم واحد لجاموسة واحدة من جاموسك أيها السيد الكبير ؟

• • •

..... بل قل ماذا يصنع أربعة ملايين عائلة منالفلاحين المصريينلايتجاوز ايراد الغالبية لعائلاتهم عن جنيه واحد فى العام [جنيه واحد] ماذا يلبسونمنه؟ كيف يداوون الانكلستوما والبلهارسيا والسل المصابين بها ؟ كيف يشترون حتى الذرة التى منها يقتاتون ؟؟

• • •

أتدرى أيها السيد الضخم الكبير سر ما يعانيه الشعب من حرمان ؟ !

— لان الجشعين من أصحاب الشركات يصرون على زيادة الارباححتى ولو هلك العمال .

— لان النهمين من أصحاب الاراضى يصرون على زيادة الايجارات ولو هلك الفلاحون ؟

.... لان اصحاب الاموال المكدسة يرفضون أن يقرضوا الا بفوائد ربوية فاحشة متحدين كبار التجار يأبون الا انتزاع كل قانون !! لان المتخمين من الارباح الضخمة ولو من دماء المستهلكين

لان كبار رجالالدولة يوزعون الدرجات والعلاوات والمرتبات فيكون للكبار نصيب الاسد ولصغار الموظفين الكادحين قروشا وملاليم !!

.... لان القابضين على زمام الامور فى مصر قد رضوا بتسوية الديون الاسترلينية وهى نكبةعلى اقتصاد مصر، تحرمها من شرالسلع الواردة من الخارج، وما تريده من آلات لانشاء مصانع جديدة توفر عملا للعاطلين ، وتنتج بعض حاجات البلاد .

... لان العمال والفلاحين وصغار الموظفين محرومون من التجمع فى حرية وتنظم صفوفهم كما يرغبون للدفاع عن صفوفهم .

هذا هو السر أيها السيد الكبير .

أيها العمال :

ان من حقكم المطالبة بزيادة الاجور؟ والتامين ضد البطالة فطالبوا بها . فاذا لم تكن لكم نقابات تقوم بهذا الكفاح فكونوا نقابات ، وان كانت لكم نقابات ضعيفة أو خائنة فطهروا لتحل محلها أخرى قوية تمثلكم خير تمثيل ..

أيها المواطنون :

ان من حقكم أن تنصفوا وأن تضاعف مرتباتكم لتواجه هذا الغلاء — فان يكن لكم رابطات ضعيفة أو متخاذلة فغيروها ..

أيها الفلاحون :

ان منحقكم المطالبة بتخفيضالايجارات وبخفيض الديون وفوائدها .

يا سكان الاحياء فى المدن والاقاليم :

انمنواجبكم محاربة التجار الجشعين فكونوا جماعات تعاونية تشرفون عليها اشرافا صحيحا ، وتستطيع أن تضع حدا لجشع الجشعين .

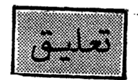
أيتها الجماهير المصرية المحرومة :

من حقكم أن تطالبوا بفك الاغلال التى تقيد اقتصادنا وتحول دون استيراد ما نحتاجه من سلع ومن حقكم أنتطالبوا بفرض يد من حديد على ارتفاع الاسعار والسوق السوداء .

من حقكم أن تجاب هذه المطالب والا فلا حق لاية حكومة أن تبقى لحظة واحدة فى الحكم اذا لم تستطع أنتوفر لجماهير الشعب الغذاء والكساء ، وأن تضع حدا حاسما للغلاء .

شهدى عطية الشافعى

* الجماهير — العدد ١٨ — ٤ اغسطس سنة ١٩٤٧ .





لكى لا يندم أحد على الحياة

١ ـ ربما كانت اثارة قضية التعذيب الذي تعرض له حتى الموت شهيدنا المناضل شهدى عطية الشافعى مناسبة هامة ، لوقفة يحسن ـ أن نستخلص منها العبر والدروس . ومن هنا فلن تكون اثارة هذه القضية ـ على صفحات هذه المجلة ـ وسيلة للغرور أو التباهى بالبطولات . فليس للناس التقدميين أن يفعلوا ذلك . لان كل من ضحى بحياته منهم يحمل كتابه بيمينه ، ولسوف ينصفه حتما تاريخ النضال الوطنى والاجتماعى فى مصر . ولسوف ينصف حتما شهدى ولويس اسحق ومحمد عثمان وفريد حداد ورشدى خليل ومتولى الديب وسيد أمين .

٢ ـ واذا كنا لا نصادر على حق أى فرد أو جماعة فى اثارة أى قضية تمس الحريات العامة والفردية ... فان الملاحظ ـ مع ذلك ـ أن قضية التعذيب الذى وقع على مجموعات مختلفة الاتجاهات والمذاهب ، وفى فترات معينة ، من مسيرة ثورة يوليو ، طرحتها أول ما طرحتها ـ فى الفترة الاخيرة ـ أوساط يمينية معروفة بعدائها الثابت لثورة يوليو . ولم يكن الخطأ ـ من جانبها ـ انها طرحت القضية ، ولكنها طرحتها لتخدم أهدافا يمكن أن نسميها بأهداف « حزبية » ضيقة . ولما كانت البلاد لا تزال فى حالة حرب مع العدو الصهيوني الامبريالى ، وتحتاج ـ بالتالي ـ أكثر من أى وقت الى صيانة الوحدة الوطنية ، فان طرح أى موضوع يتعلق بالماضي والحاضر يجب أن يخدم هذا الهدف ، ويتعين أن يتم فى اطاره . والدليل على أن هذه الاوساط لم تكن تقصد من اثارة قصة التعذيب وجه « الديموقراطية » و « الحرية » و « حقوق الانسان » ، انها تقبلت فى فترة الحكم الملكى الاستعمارى ظواهر التعذيب الجماعى والفردى كظواهر « طبيعية » لا تستلفت النظر . وكل من عاصر فترة الحكم الملكى الاقطاعى الاستعمارى يعلم ـ مثلا ـ أن كثيرا من الاقطاعيين كانت لهم فى داخل أملاكهم « سجون » خاصة ، غير سجون الدولة . وفيها كان يحبس الفلاحون ويجلدون ويهانون . ولكن ، علينا أن نذكرهم ـ بالتحديد ـ بأن القضاء المصرى قد أدان ـ مثلا ـ حكومة المرحوم اسماعيل صدقى فى جرائم تعذيب . لكن اسماعيل صدقى قدمته أخبار اليوم فى الاربعينات باعتباره بطل الوطنية ، ونجمها اللامع ، ولم يخطر ببالها ـ أو هى لم تـرد ـ أن تقلب ملف حكومات الاقلية فى مصر .

فلنؤكد ـ اذن ـ مرة أخرى على أننا فى ظروف حرب التحرير لابد وأن يكون الحرص على الوحدة الوطنية هو منطلقنا . وليس يجدى أن تثار اليوم قضية من القضايا على طريقة « بق اسفين » فـى « الناصرية » . فهذا المنهج لا يخدم الوحدة الوطنية ، لان قطاعات ضخمة من الوطنيين يتمسكون بحزم بثورة يوليو ، وينتمون اليها . ووفقا

لتصريحات عديدة ادلى بها الرئيس أنورالسادات نفسه ، فى أكثر من مناسبة ، فان هذا النظام القائم استمرار لثورة يوليو التىقادها عبد الناصر · لكن الرئيس السادات الذى أكد على هذا الانتماء هو الذى أكد فىالوقت نفسه ، فى ورقة أكتوبر ، على منهج مواجهة تجربة يوليو : التمسك بايجـابياتهاوتجاوز (أى التغلب على سلبياتها) ، وذلك من منطلق أن التجربة ايجابية بشكل عام ،وفى المحصلة الاخيرة ·

٣ ــ وما دامت قضية التعذيبقد طرحت ،فلنحاول أن نتعرض لها لنستخلص الدروس اللازمة ، تلك الدروس التى تفيد ــ فى آنواحد ــ تعـزيز الديموقراطية ، وفى تعزيز الوحـدة الوطنيـة المعـادية للامبرياليـة والصهيونية والاستعمار الجديد ·

فهذه القضية يمكن أن يكون لها أكثر منمدخل أو طريقة للمعالجة · وعلى سبيل المثال يمكن أن يكون مدخلها :

ا ــ ما يفرضـه منطق العصر والسلوك المتحضر ،

ب ــ أو المبـادىء المسجلة فى وثيقـة حقوق الانسان ،

جـ ــ أو المنهج الصحيح الذى يجب أنيسود فى تصفية التناقضات والخلافات بين القوى الوطنية والتقدمية ·

فاذا اخذنا بالمدخلين ا و ب ، فسوف نجدــ فى هذه الحالة ــ اننا ــ عموما ــ أمام ثلاث مجموعات سياسية قد تعرض أفرادمنها لعمليات تعذيب مختلفة : مجمـوعة الماركسيين والشيوعيين، ومجموعات منالبمين السياسى (بما فيهـم الاخـوان المسلمون) ومجموعات من داخل النظـامنفسه · وبمنطق المدخلين الاولين ا و ب ، فان هذه المجموعات الثلاثة كلها تقف علىقدم المساواة ، وبدون أى تمييز ــ كبشر ــ لتؤكد حقها الانسانى فى رفض كل وسيلةعنيفة مادية أو معنوية تعرضت لهـا · فاختلاف الموقف السياسى لا يغير من حقيقةأن التعذيب ضد الفرد والمواطن مناف الى اقصى حد لمبادىء السلوك المتحضر ، ولابسطحقوق الانسان · وان هذا الامر يجب أن يشجب ويدان ، وبكل صراحة ·

فاذا كان مدخلنا الى هذه القضية هو(جـ) ، أى اختيـار المناهج التى تحكم تصفية الخلافات داخل القوى الوطنية · فانأساليب التعذيب أو الضغوط المادية والمعنوية ــ بوجه عام ــ ليسـت مرفوضـةفحسب بين القوى الوطنية والتقدمية ، بل انها لتضر ، الى أقصى حد ، بـالوحدةالوطنية ، اذ هى تدفع التناقضات الثانوية بينها الى مستوى التناقض الرئيسى ، وتفتحــ من ثم ــ ثغرة تنفذ منها قوى الرجعية والاستعمار الجديد ·

لكن هذه النقطة الاخيرة ، تقودنا الىالنقطة التالية :

٤ ــ هنا نسأل : كيف يمكن أن تقععمليات تعذيب فى ظل نظام وطنى ثورى كنظام يوليو ·

من السهل أن نقدم اجابة عامة ــ فنقولان المجتمع الذى ظهرت فيه الثورة ، لم يعرف حياة سياسية صحية ، ولم تتكون فيهتقاليـد ثابتـة للممارسـات الديموقراطيـة العميقة ، وان قيم المجتمع شبه الاقطاعىوشبه المستعمر ، وهى قيم امتهان حقوق الفرد وكرامة الانسان ، استمرت قائمة ،بكيفية أو بأخرى ·

لكن ، هذه الاجابة العامة على صحتها لاتضع أيدينا على قضايا ملموسة · ولابد من معرفة العناصر الموضوعية التى ولـدتالتعذيب فى ظل نظام يوليو · وهذه العناصر هى ــ بشكل عام :

ا ــ السـلطة غير المحـدودة للحاكم :والقضية هنا هو أن الحاكم الفرد قد لا يكون مسئولا بشخصه عن عمليات التعذيب · وقديستنكرها اذا أخذ رأيه فى تنفيذها · لكن

تجارب التاريخ القديم والمعاصر تعلمنا أن حكم الفرد المطلق لـه « آليـات » أو « ميكانزمات » خاصة . فالحكم المطلق يعتمد على :

- الشلل وذلك على حساب المؤسسات ، وأحيانا الكفاءات .
- الاجهزة وذلك على حساب حركة الجماهير الواعية والمنظمة .
- الاجراء الاستثنائى على حساب المشروعية وسيادة القانون .
- القمع على حساب الاقناع وتنوير الرأى العام .

وكلما ازداد الاعتماد على الاجهزة كلما اكتسبت هذه الاجهزة « استقلالا ذاتيا » عن الحاكم حتى انه كثيرا ما يحدث أن تنفذ مايلقى اليها من توجيهات بالاسلوب الذى تختاره وتحدده هى .

ب ـ **استمرار جهاز الدولة القديم** ، فى الفترة التى تلت اجراءات يوليو الثورية عام ٦١ ، **كان جمال عبد الناصر** دائم الشكوى مما كان يسميه بخطر «البيروقراطية». والواقع ان ثورة يوليو واجهت منذ مولدها هذا التناقض . وهى أنها تريد أن تبنى مجتمعا جديدا وتحقق اهدافا سياسية واقتصادية واجتماعية معتمدة على جهاز السلطة الموروث من النظام السابق . وهذا الامر لم يحدث فى أى ثورة . وترتب على هذا أن غالبية العناصر المنتشرة فى أجهزة الدولة ـ على اختلافها ـ كانت تعتنق سلم القيم الذى يقول أن « الشعوب يجب أن تؤخذ بالشدة لاباللين » . وظل جهاز الدولة منفصلا عن الشعب .

جـ ـ **التناقضات داخل قيادة ثورة يوليو** : لم يعد سرا أن قيادة ثورة يوليو لم تكن موحدة الفكر والارادة . فبينما كان **جمال عبد الناصر** يمثل ـ داخل هذه القيادة ـ الاتجاه الذى يصر على تأمين الاستقلال السياسى والاقتصادى ، وبالتالى ، على مواصلة التنمية وعلى اجراء تغييرات اقتصادية عميقة لمصلحة الجماهير الشعبية، كان السيد **زكريا محيى الدين** مثلا كما كان المرحوم المشير **عبد الحكيم عامر** ، فى جانب تجميد الثورة الاجتماعية ، والانكماش فى التنمية والعودة الى الطريق الرأسمالى . وبالنظر الى أن **جمال عبد الناصر** لم يكن يعتمد على حركة جماهيرية منظمة ، وعلى حزب سياسى مناضل ، فقد ترتب على ذلك ان دعمت القيادات المعارضة له مراكزها فى الاماكن التى احتلتها من جهاز السلطة وراحت تصوغها هو صورتها ووفق فلسفتها وهذا دعم الاجهزة الخاصة فى مواجهة المشروعية .

د ـ **الدور الغوغائى لقوى اليمين الرجعى** : عندما يصطدم نظام وطنى بانقسام من القوى الوطنية والتقدمية ، تنطلق ـ كقاعدة ـ قوى اليمين الرجعى والاستعمار . وهذا ما حدث فى عام ١٩٥٩ . فقد سمح هذا الانقسام لقوى اليمين الرجعى بأن تشن حملة غوغائية ضد الماركسيين المصريين فتنسب اليهم اعمالا ومواقف لم تحدث موجهة ضد العقيدة الدينية وجمهرة المؤمنين . ثم لا تتورع ـ كذبا ـ عن أن تصفهم بأنهم « اعداء الاسرة ودعاة الاباحية الجنسية واعداء الوطن والوحدة العربية » وفى ظل هذه الحملات المسمومة يتم غسيل مخ للرأى العام ، ويتواجد بالضرورة افراد سذج أو رجعيون داخل الاجهزة مستعدون لتنفيذ أى أمر أو لارتكاب أى عمل انتقامى أعمى ضد المعتقلين والمسجونين .

على ان ذكر هذه العوامل التى أفرخت فى ظلها عمليات التعذيب يفسر ولا يبرر . ويؤصل القضية ولا يرفع المسئولية . ويظل جمال عبد الناصر يتحمل مسئوليته ، فى هذا، وهو قادر على تحملها تماما كما حمل مسئولية الانجازات الوطنية والاجتماعية التى قادها .

٦ ـ ذلك أن جمال عبد الناصر يظل ـ بعدذلك ـ قضية تاريخية ووطنية ،ان عولجت فبكل الموضوعية ومتطلبات العلم التاريخى. وعند هذه النقطة تندرج قضية التعذيب فى مكانها من سلبيات التجربة . ويظل اطار التجربة الوطنية والثورية بعد ٥٢ هو اطار انجازات هائلة لها كل الابعاد المحليـة والعربية والدولية : استقلال مصر السياسى وتصفية الاحتلال . وضع أسس متينـة للاستقلال الاقتصادى . تصـفية الاقطـاع والرأسمالية الكبيرة العميلة . طرح قضية حتمية الحل الاشتراكى وما قدمه فيها من اجتهادات فكرية وما حاوله من تطبيقات . الانحياز الى الشعب العامل فـى الفكر والموقف . التوجه الى الامة العربية لتأخذ مصر مكانها فى أسرة الشعوب العربية . ومساندةنضالها الوطنى التحريرى بلا تردد . النضـال المجيد والتاريخى ضد الاستعمار الجديد وضد محاولات الولايات المتحـدة ملء فراغ الامبراطوريـات القديمة فـى المنطقة . باندونج ، وحركة عدم الانحياز . التضامن والتحالف مع البلدان الاشتراكية، وفى مقدمتها الاتحاد السوفيتى على أساس مبدأى من النضال المشترك ضد الامبريالية والصهيونية والسلم العالمى. فهذا هو الموقف فى مجمله ، وبمحصلته الايجابية النهائية ، هو الذى أثار جنـون الاستعمار الجـديد والصهيونية اللذين لم يضعا السلاح ضده



حنان شهدى فى الخامسة من عمرها

(أى ضد مصر) مرة واحدة . وكل معركةفرضت على **عبد الناصر** كانت محصلتها النهائية هى محصلة التفاعل بين ما هـو ايجابى وما هو سلبى . وعندما أجل **عبد النـــاصر** قضـية تنظيـم الشـعب بالديموقراطية ، بعد أن بدا عام ٦١ أصعب المعارك اطلاقا وأشقها وهى معركة التحول الاجتماعى ، تمكن الاستعمار منه فى معارك يونيو ١٩٦٧ . هنا توضع قضية التعذيب فى اطار ما كان يجب أن يفعله **عبد الناصر** ولم يفعله ، وهو الامر الذى ادى الى عثرات وانتكاسات فى مسيرة الثورة .

وتبقى بعد ذلك حقيقة أن **عبد الناصر** بماحقق من انجازات وطنية واجتماعية ، عربية ودولية قد أصبح ـ بعد رحيله ـ حلقة من حلقات تاريخنا الوطنى . ولما كانت هذه الانجازات قد تمت استجابة لمتطلبات الوضع الثورى الذى عاشته مصر ، ولانه ما كان من الممكن أن تتحقق بدون اصرار الشعب الذى عبر عنها قبل ١٩٥٢ ، وبدون تضحيات ووعى الشعب بعد ١٩٥٢ ، فان قضيـة التعذيب يجب ان تطرح وتدرس بما يمكن من صيانة المكاسب التى تحققت ، وتخطى السلبيات التى وقعت . وهذا هو منهـج الحفاظ على الوحدة الوطنية .

٧ ـ غير أن هذا المنهج الذى ندعو الى الاخذ به كان مثار انتقادات وتعليقـات استفزازية من جانب اليمين الرجعى .

فريق منه ادعى أنه لا يستطيع أن يفهم أو « يهضم » موقف الماركسـيين مـن قضـية التعذيب ، وتساءل هل هم « مرضى » حتى يستعذبوا ما صب عليهم من عذاب .

وفريق آخر ادعى الشهامة (بعد فوات الاوان) واعلن أنه ضد التعذيب حتى ولو وقع على الماركسيين المصريين ثم أضاف هذا الفريق انه سيقف هذا الموقف رغم أنه **لا يعرف** « كيف يمكن أن يكون الانسان مصريا وماركسيا » .

وردا على الفريق الاول نقول : انه فى التعامل مع القوى الوطنية المعادية للاستعمار والصهيونية والرجعية يطبق الماركسيون مبدأ «**الوحدة والصراع**» . وهذا المبدأ ليس لغزا ولا بدعة ، انه يعنى النضال المشترك ضد العدو المشترك وحل التناقضات بين القوى المعادية للاستعمار بالاسلوب السلمى وبتغليب عوامل الالتقاء على عوامل الفرقة . وننقد سلبيات الحليف . ثم نضيف ، ان هذا المبدأ ليس « بدعة ماركسية » ، ولا يدعو الى الاستغراب . بل هو صياغة علمية للعلاقات الحية بين البشر بما فيها من تشابك وتعقد ، وليس من المتعذر أن يكتشفه ناس غير ماركسيين .. وان الشاعر الذى قال :

بلادى وان جارت على عزيزة
وأهلى وان ضنوا على كرام

هذا الشاعر ، يعبر بشكل من الاشكال عن صياغة لقانون الوحدة والصراع .

ثم نرد على الفريق الثانى فنقول : انكم عندما تعودون الى النغمة البالية والكئيبة ، والمستعارة من الترسانة الفكرية للاستعمار ، لتجرموا تيارا بأكمله ، محاولين – رغم فشلكم فى الماضى – أن تخرجوه من الصف الوطنى ، فانكم بهذا تعودون ، مرة أخرى ، لاشاعة هذا المناخ الفكرى المظلم الذى يفرخ فيه كل عمل من أعمال التعدى على حريات الافراد والمواطنين . ونحن نعلم أنه كان لكم دائما دور مرموق فى هذا . وها أنتم تعودون مرة أخرى ! وان كان هذا لا ينفى حقيقتين :

الاولى : انكم تنافقون عندما تدعون انكم ضد التعذيب بما فى ذلك تعذيب الماركسيين ، لانكم تحرضون عليهم بكل أنواع التحريض والافتراء

والثانية : انكم تنسون انه ما أن تنطلق الاساليب المنافية لحقوق الانسان والمواطن حتى تصل اليكم ، ولا مفر !

واذا كان فتح ملف تعذيب المناضل **شهدى عطية** مناسبة لتكريم ذكراه ، فلتكن أيضا مناسبة لاستخلاص الدروس اللازمة ، وفى هذا ليكن المستقبل رائدنا من أجل احترام حقيقى لحقوق الانسان والمواطن ومن أجل انتصار المشروعية وسيادة القانون .

٨ – هنا لابد وأن نسجل أن كل تقدم تشريعى فى هذا الاتجاه هو عمل ايجابى يستحق أن ينوه به وأن يساند . ومن ثم فان بعض التشريعات التى أصدرها **مجلس الشعب** سنة ١٩٧١ تدخل فى هذا الاطار : نخص بالذكر قانون حماية الحريات الذى نص على تأثيم العدوان على حرمة الحياة الخاصة للمواطن ، وعلى حماية الحريات لا فى مواجهة سلطات الامن وحدها ، بل فى مواجهة النيابة . ونص على الغاء الحبس المطلق الذى كانت تمارسه النيابة العامة فى حالات متعددة فأصبح الحبس الاحتياطى محدود المدة . ونص على أن جرائم العدوان على الحريات مما لا تسقط الدعوى الجنائية ولا المدنية عنه بالتقادم . كما ألغى قانون تدابير أمن الدولة الذى كان يجيز القبض على أى شخص أو اعتقاله لمجرد أنه كان من بين فئات معينة ، مثل أن يكون قد سبق اعتقاله . وكان هذا القانون يسرى حتى فى غير حالة الطوارىء .

فمثل هذه التشريعات تدخل فى الرصيد الايجابى لنظام الرئيس **أنور السادات** .

٩ – وان ما هو مطلوب هو أن تتعزز ، الان ، وبكيفية مضطردة ، ضمانات متزايدة لحماية حقوق المواطن وحرياته . ان القانون الجيد ضمانة هامة . ولكن يبقى تنفيذ اى قانون مشروطا فى النهاية بضمانات (شروط) سياسية واجتماعية فى الاساس . وفى اعتقادنا أن فى مقدمة هذه الضمانات :

أ – تعزيز الوحدة الوطنية لتحرير الارض على أساس مبدأ المساواة فى التضحية بين

جميع الطبقات . فالتمسك بهذا المبدأ أساس حل التناقضات بين القوى الوطنية بالطرق السلمية .

ب ـ التنمية الاقتصادية المستقلة ، التي تستند في الاساس الى القوة الذاتية للشعب ، والى التخطيط القومي الشامل ، والدور القيادي للقطاع العام ، والتصنيع الثقيل ، والتوزيع العادل للدخل القومي .

فمثل هذه التنمية تعزز حرية الإفراد والجماعات ، وتحميها ، لانها ترفع بكيفية مستمرة المستوى المادي (الكرامة) والثقافي (الوعي) للشعب .

جـ ـ حل مشاكل التحالف بين الطبقات الشعبية والوطنية بما يكفل لكل طبقة اجتماعية أن تنظم نفسها على المستويات السياسية والاقتصادية ، وأن تعبر عن مصالحها من خلال منابرها وصحافتها الحرة . وأن تقيم التحالف فيما بينها على أساس الالتزام بالاهداف القومية والاجتماعية التقدمية وحل التناقضات فيما بينها بالطرق السلمية .

د ـ تعزيز الصحافة بالحريات والضمانات التي تفرض عليها ـ كواجب مستمر ـ خلق رأي عام مستنير ديموقراطي وعصري .

ومثل هذه الضمانات هي التي تعزز المشروعية ، وتجعلها قانونا عاما للحياة الاجتماعية ، وهي التي تجعل من سيادة القانون علاقة ثابتة تعزز الديموقراطية .

١٠ ـ تبقى بعد ذلك كله كلمة اخيرة :

فاذا كان ملف التعذيب قد فتح بما طرحته الصحافة على الرأي العام ، وبالاحكام التي أصدرها القضاء ، فان لنا مطالب محددة نتوجه بها :

أ ـ الى الاتحاد الاشتراكي ليدرس هذه القصة برمتها دراسة شاملة وموضوعية ، ثم ليقدم توصياته الى مؤسسات الدولة الى مجلس الشعب والى الحكومة .

ب ـ والى الحكومة لتشكل لجنة تتولى صرف تعويضات لاسر جميع الذين فقدوا حياتهم في السجون والمعتقلات . فهذا الاجراء فضلا عن عدالته ، يرفع عن هذه الاسر عبء الدخول في اجراءات قانونية قد تمتد سنوات وسنوات .

جـ ـ والى السيد نائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية ليبعد على الفور عن جهاز الشرطة كل العناصر التي اشتركت في عمل من أعمال التعذيب وذلك أيا كانت المواقف والانتماءات السياسية لضحايا التعذيب .

أبو سيف يوسف

الاتحاد السوفيتي :

مصريا
وعربيا

أن توجد علاقة بين الاتحاد السوفيتي وبين بلدان حركة التحرر الوطني ، فهذه هي احدى المعطيات الواقعية والعلمية لعصرنا الراهن ، عصر تصفية الاستعمار وتراجع الامبريالية وانتصار الاشتراكية .

واذا كان وجود علاقات بين هذا البلد الاشتراكي وبين بلدان حركة التحرر الوطني هو أمر يمليه الحس الواقعي السليم في السياسة والدبلوماسية ، فانه – كما قلنا – احدى المعطيات العلمية ، بمعنى ان أي تحليل عقلاني متجرد للصراعات الرئيسية في عالمنا ، ولتوازن القوى على الصعيد الدولي ، لابد وأن يصل الى ضرورة وحتمية أن توجد هذه العلاقات وأن تتوطد لمصلحة الطرفين : بلدان التحرر الوطني والاتحاد السوفيتي .

هذه الحتمية وتلك الضرورة لا يلغيهما اختلاف الانتماءات الايديولوجية والعقائدية بين بلدان حركة التحرر الوطني وبين الاتحاد السوفيتي . بل ان هذه الضرورة تظل قائمة على الرغم من وجود هذه الاختلافات .

ولعل هذا ما يثبته تاريخ العلاقات المصرية – السوفيتية . فقد مرت هذه العلاقة بعدد من المراحل :

ففي المرحلة التي سبقت اقامة علاقات دبلوماسية مع الاتحاد السوفيتي ، ارتفعت أصوات الرأسمالية الوطنية في مواجهة الاستعمار الانجليزي ، تطالب بانشاء علاقات دبلوماسية مع الدولة السوفيتية . وكان هذا من منطلق الدفاع عن مصالح الزراع الذين فرضت عليهم السلطة الاستعمارية ان يبيعوا محصول القطن الى البلاد الاستعمارية بالشروط التي تحددها هذه البلاد .



وفي المرحلة التي بـدأت مع اعـادة العلاقـات الدبلوماسية أثنـاء الحرب العـالمية الثانية ، ظلت المصالح الاقتصادية الوطنية دافعا الى اقامة هـذه العلاقات ، وازداد هذا الدافع عمقا واتسـاعا تحت تاثير نمو الحركة الوطنية المصرية نموا جبارا وضعهافي صدام مصيرى مع سلطات الاحتلال . هنـا نظر الى الاتحاد السـوفيتى فى مصر كحليف محتمـل وموضوعى للحركة الوطنية .

وفي المرحلة الجديدة التى بدأت بنضال ثورة يوليومن أجل الاستقلال السـياسى والاقتصادى ، أقيمت العلاقة مع الاتحاد السوفيتى باعتبـاره حليفا مؤكداوثابتا فى المعركة ضد الاسـتعمار والصهيونية وفى المعركة من أجل التنمية .

فالتطور الحتمى لنضالات مصر ولمواقف الاتحـاد السـوفيتى هو الذى جعل من العلاقة بين البـلدين ضرورة موضوعية . ولا أدل على ذلك من انها نمت وتطورت وتوطدت . رغم كل ما صادفها من صعوبات وهـذه هى النقطة التى أكد عليهـا الرئيس أنـور السادات فى حديثه الى وفد الشباب السوفيتى .

على ضوء هذا ، تظل قضية الحفاظ على علاقات سليمة ، متكافئة وبنـاءة بين البلدين من القضـايا الحيوية والاستراتيجية .

وعلى ضوء هـذه النظرة ، تقـدم الطليعة ملفها « الاتحاد السوفيتى : مصريا وعربيا » .

● فى هذا الملف تعرض الطليعة العناصر العلمية والايجابية التى تشـكل جوهر العلاقة بين البلدين ، وتفند كل الحجج التى يروج لها خصوم الصـداقة بين البلدين ، بنشاط محموم ، وجهد لايعرف الكلل .

« الطليـــعة »

عن الاستراتيجية السوفيتية

تجاه الشرق الأوسط

خالد محيى الدين

نود فى البداية أن نتفق على أن الهدف الاساسى لاية استراتيجية لدولة ما هو تحقيق المصالح البعيدة المدى لهذه الدولة ، والتى تتفق بطبيعة الحال مع ايديولوجيتها ومنطلقاتها الفكرية والاقتصادية والسياسية . ومن ثم فان هناك ترابطا على المدى البعيد بين المصالح المطلوب تحقيقها ، وبين المنطلقات الفكرية لاية دولة من الدول .

ويمكن القول بأن دولة مثل الاتحاد السوفيتى تنطلق مصالحها البعيدة المدى من منطلقين اساسيين :

١ ـ المثل والقيم والمعتقدات الفكرية التى يدين بها كدولة تؤمن بأن نظامها الاجتماعى هو النظام الافضل وانه الخليق بأن يحل مشكلات الانسانية ويضع البشرية على الطريق الصحيح للعدالة والتقدم ، وتؤمن بأن نظامها ومعتقداتها تكسب وباستمرار مزيدا من التأييد من جانب جماهير الشعوب المختلفة .

٢ ـ المتطلبات والقضايا اليومية التى تواجه الاتحاد السوفيتى كدولة متشعبة العلاقات والمصالح والالتزامات . وهى قضايا ذات طبيعة عملية وسياسية تحكمها علاقات القوى العالمية والصراعات الدولية ، وما يسمى بمتطلبات الجغرافيا السياسية ، وكذلك تحكمها ايضا التطورات المختلفة والمرحلية فى عديد من البلدان .

ويرتبط ذلك كله ـ بشكل أو بآخر ـ بظروف الانفراج الدولى ، وكل ذلك مرتهن بالعمل على تجنب نشوب حرب عالمية ثالثة وباشتراط أن يتم كله فى اطار الشرعية الدولية والالتزام بالقانون الدولى .

ويضاف الى هذين المنطلقين ان الاتحاد السوفيتى قوة عظمى ، وان كانت عقيدتها ومبادئها يجعلان من تطبيقاتها فى السياسة العملية امرا مختلفا تماما عن تطبيقات الولايات المتحدة وغيرها من الدول الغربية ، ومن هنا فان وضع الاتحاد السوفيتى كقوة عظمى ومسئول عن أمن البلاد الاشتراكية وكثير من بلدان العالم الثالث وحركات التحرر الوطنى يلقى عليه التزامات واسعة يتعين عليه أن يضعها فى الحسبان عند اتخاذ أى قرار فى نطاق سعيه لتجنب قيام حرب عالمية ثالثة .

ومن هنا فان هذا الوضع يفرض على الاتحاد السوفينى أن يتبنى استراتيجية سياسية شاملة تغطى الكرة الارضية بأسرها وأن يرسم فى اطار هذه الاستراتيجية توازنات وأولويات مختلفة حسب الظروف الموضوعية لكل حالة . ويفرض عليه ذلك أيضا أن يمتلك قوات عسكرية كبيرة قادرة على الحركة وحفظ التوازن فى كل ركن من أركان العالم ، وهذه الضرورات العسكرية قد تفرض عليه شأنها شأن أى ظرف موضوعى آخر محاولة تحسين علاقاته مع هذا النظام أو ذاك .

فاذا ما انتقلنا الى الشرق الاوسط باعتباره

جزئية فى هذه الاستراتيجية العامة .. نجد أن السياسة السوفيتيةتحكمها نفس القواعد العامة :

● السعى لتحقيق انتصار بناء الاشتراكية والشيوعية فى نطاق صيانة السلام والتعايش السلمى بين الدول ذات الانظمة الاجتماعية المختلفة .

● ويستتبع ذلك العمل لتصفية الامبريالية والاستعمار والاستعمار الجديد ، ومساندة الدول المستقلة حديثا وحركات التحرر الوطنى سياسيا واقتصاديا .

وفى منطقة الشرق الاوسط تضاف عدة عوامل جديدة هى :

● قضية الصهيونية وعداء هذه العقيدة لفكرة انتصار الاشتراكية فى العالم . وتناقضها المبدئى مع فكرة الاممية وما تثيره هذه القضية من مشكلات داخلية فى الاتحاد السوفيتى وفى عدد من البلدان الاشتراكية الاخرى .

وفيما يتعلق بخصوصية المنطقة العربية نجد أن هذه المنطقة قد أثبتت حيوية مستمرة فى النضال ضد الامبريالية وأن حركة التحرر الوطنى العربية قد حققت منجزات كبيرة مثل :

١ ـ تصفية القواعد العسكرية والاحلاف العسكرية فى البلاد العربية .

٢ ـ تصفية الكثير من المصالح الاقتصادية الاجنبية فى عدد من البلدان العربية [تأميم قناة السويس والبنوك الاجنبية وشركات التأمين فى مصر ـ تأميمات البترول فى العراق والجزائر الخ] .

٣ ـ احداث تغييرات اجتماعية واقتصادية عميقة فى مصر والجزائر والعراق وسوريا واليمن الجنوبية . وأيا كان تقييمنا لعمق وفعالية هذه التغييرات فانها تتميز بغير شك بوضع متميز داخل اطار العالم الثالث سواء من حيث الكم أو الكيف . ويضاف الى ذلك أن حركة التحرر الوطنى العربية قد حققت فى اطار التوازنات العالمية منجزات كبيرة ولابد لذلك من أن يكتسب للبلاد العربية ولقضية الشرق الاوسط وضعا خاصا فى الاستراتيجية السوفيتية . خاصة وان اية ضربة توجه للبلدان العربية التقدمية تؤثر بشكل مباشر على نضال شعوب آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية وتعزز مواقع الاستعمار الامر الذى يؤثر بدوره فى الاستراتيجية العامة للاتحاد السوفيتى .

ولهذا فان الموقف السوفيتى تجاه قضية الشرق الاوسط كان يتميز سواء فى مجال السعى للتسوية السلمية ، أو تدعيم القدرة الدفاعية ، بالحرص الشديد على ضمان سلامة هذه الدول وتمكينها من تحقيق اهدافها .

وتأكيدا لذلك نقتبس فقرة من بيان الاحزاب الشيوعية والعمالية المنعقد بموسكو من ٥ ـ ٧ يونيو ١٩٦٩ :

« ان حركة التحرر العربية تلعب دورا بارزا فى المعركة ضد الامبريالية العالمية . وهى تؤثر تأثيرا ايجابيا على الحركة ضد الامبريالية والاستعمار الجديد فى الشرق الاوسط وافريقيا برمتها . ويعتبر العدوان الاسرائيلى جزءا من الصراع العام بين قوى الحرية والاشتراكية فى جميع انحاء العالم من ناحية ، وبين الامبريالية العالمية من ناحية أخرى .

ونمو الحركة فى سبيل التحرر الوطنى ومن أجل التقدم الاجتماعى للشعوب فى هذه المنطقة ذات الاهمية الاستراتيجية والغنية بالبترول يثير كراهية عنيفة بين الامبرياليين ، واحتكارات البترول التى تحيك شبكة من الدسائس والمؤامرات ضد هذه الحركة ، وتلجأ الى الحروب والاعمال العدوانية ولاحباط هذه الاعمال ولايقاع الهزيمة بهذه المؤامرات وصيانة جميع المكاسب فان تعميق التغييرات الاجتماعية والاقتصادية والجبهات الوطنية التقدمية والحريات الديمقراطية للجماهير ونشاط القوى الوطنية .. بين اشياء أخرى له أهمية عظمى » [١] .

يضاف الى ذلك طبيعة الموقع الجغرافى للمنطقة الشرق الاوسط وقربه من الحدود الجنوبية للاتحاد السوفيتى بما يمس أمنه بشكل مباشر .

أما فيما يتعلق بخصوصية العلاقة بين الاتحاد السوفيتى والحركة الاشتراكية العالمية عموما من جانب ، وبين الصهيونية العالمية من جانب آخر فاننا

(١) وثائق المؤتمر الدولى للاحزاب الشيوعية والعمالية بموسكو من ٥ـ٧ يونيو ١٩٦٩ ـ طبعة القاهرة ص ٨٨ ـ ٨٩

نلاحظ ان الصهيونية بما تحويه من فكر شوفينى عنصرى تتناقض مع الاممية البروليتارية التى تلتزم بها النظريه الماركسية . ولعل هذا هو الذى يفسر صدامات لينين المستمرة مع جماعة البوند [العمال اليهود] وادانته لمنطلقاتهم ، ولعله يفسر أيضا رفض الكومنترن [الدولية الشيوعية] لفكرة وجود حركة صهيونية يسارية يمكنها الانتماء اليه . ولعله - اذا ما اتينا للحاضر - يفسر لنا الهجمات المستمرة والمتبادلة بين الماركسية والصهيونية ولعله يفسر التآمر الصهيونى على الثوره الاشتراكية فى تشيكوسلوفاكيا ولعله أخيرا يفسر الحملات الصهيونية المغرضة ضد الاتحاد السوفيتى والخاصة بهجرة اليهود السوفييت .

وربما كان كافيا فى هذا الصدد أن نشير الى ما كتبه والتر لاكور وهو كاتب ذو نزعة صهيونية قائلا : « ان الموقف السوفيتى تجاه اسرائيل يزداد ترديا مع كل تحسن فى العلاقات السوفيتية العربية . لكن ذلك ليس كافيا لتفسير الموقف السوفيتى ضد اسرائيل ، فهناك عنصر هام يتمثل فى تواجد المشكلة اليهودية داخل الاتحاد السوفيتى ، ولقد كان الموقف السوفيتى والشيوعى التقليدى تجاه الصهيونية سلبيا تماما منذ ما قبل تأسيس الدولة اليهودية . وحتى الحزب الشيوعى فى فلسطين كان يعارض الهجرة اليهودية لفلسطين وفكرة اقامة وطن قومى لليهود » [٢] .

كذلك يتعين علينا أن نضع فى الاعتبار ما خلقه قيام دولة اسرائيلية تدين بالنزعة الصهيونية من مشكلات سوفيتية داخلية تتعلق باحياء النوازع العنصرية الشوفينية لدى قطاعات من اليهود السوفييت .

ولندع الحديث هنا أيضا لوالتر لاكور الذى يقول « ان مجرد تأسيس دولة اسرائيل قد ارضى نوازع عنصرية فى نفوس بعض اليهود السوفييت ، وحتى غير المؤمنين منهم ، والغرباء عن التقاليد اليهودية ، ولقد كان وصول السفير الاسرائيلى للعاصمة السوفيتية مثارا لمظاهرة غير مسبوقة ، وقد اثار ذلك هواجس القيادة السوفيتية ، ولم تمض سوى شهور قليلة حتى بدأت حملة عنيفة ضد الصهيونية » [٣] .

ولعلنا جميعا نلاحظ أن دعاوى الهجرة اليهودية بين الاتحاد السوفيتى قد نمت وتضاعفت فى ظل انتصار اسرائيل فى يونيو ١٩٦٧ . فقد بدت اسرائيل فى نظر الكثيرين من يهود العالم وكانها المرفأ الأمين والمزدهر .

وليس من شك فى أن اهتمام الاتحاد السوفيتى بازالة آثار عدوان ١٩٦٧ ، كان يستهدف - بالاضافة الى مساندة الحق والعدل فى المنطقة ، والى جانب مساندة حركة التحرر الوطنى العربية [وهى حركة مواتية بالضروره للاهداف الاستراتيجية للاتحاد السوفيتى] والى جانب ضرورة تصفية العدوان وحرمان مرتكبه من ثماره [تعزيزا للشرعية الدولية والقانون الدولى وتحذيرا لكل من يفكر فى عدوان جديد] .. أقول كان يستهدف بالاضافه الى ذلك اثبات فشل الصهيونية كفكرة وكمنطلق وليس من شك فى أن محاولة الاثبات هذه موجهة للكافة بما فيها تلك القطاعات من اليهود السوفييت الذين تأثروا بدرجة او باخرى بالدعايات الصهيونية وبالانتصار الاسرائيلى فى ١٩٦٧ .

نخلص من ذلك الى ان الاستراتيجية السوفيتية ترتبط مصالحها واهدافها ومنطلقاتها - وعلى المدى القريب والبعيد معا - بانتصار وتطوير حركة التحرر الوطنى العربية ومساندتها فى معركتها من اجل تثبيت الاستقلال وبناء مجتمعات متحررة وذات نهج تقدمى ، وترتبط ايضا وبنفس القدر بضرورة ازالة آثار العدوان الاسرائيلى فى يونيو ١٩٦٧ ، وضمان حقوق الشعب العربى الفلسطينى بما فيها حقه المشروع فى تقرير مصيره على أرضه ..

ومن المهم أن نلاحظ أن الاتحاد السوفيتى قد باشر عملية تنفيذ هذه الخطة الجزئية فى اطار متوازن ومتسق مع استراتيجيته العامة .

واتسمت مواقفه بالالتزام بالشرعية الدولية التى وجدت تطبيقها العملى فى هذا المجال حول محاور :

● ادانة العدوان واحتلال آراضى الغير .

---

[٢] Walter Laqueur — The Struggle for the Middle East, The Soviet Union and the Middle East, p. 61.

[٣] Ibid — p. 62.

● تنفيذ قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ .

● مساندة الدول العربية المعتدى عليها وتعزيز قدراتها العسكرية والقتالية ووضعها فى الموضع الذى يمكنها من استعادة حقوقها المغتصبة .

ومع تطور الاحداث ونضج الراى العام العالمى وبروز العمل الفلسطينى ، ومع انتصارات اكتوبر ١٩٧٣ تطورت المنطلقات السوفيتية لتسعى الى :

● تسوية شاملة للموقف تتضمن كفالة حقوق الشعب العربى الفلسطينى ، وحقه فى اقامة دولته الوطنية وسلطته الوطنية ، والتأكيد على اعتبار منظمة التحرير الفلسطينية هى الممثل الشرعى الوحيد للشعب الفلسطينى .

●استثمار انتصارات اكتوبر ١٩٧٣ فى كفالة تسوية شاملة ومستقرة من خلال مؤتمر جنيف الذى يضم مختلف الاطراف بما فيها الطرف الفلسطينى .

وهكذا يمكننا أن نلحظ الموقف المبدئى المستمر والمتوازن والمتطور معا الى جانب حركة التحرر الوطنى العربية ولصالح أهدافها ومتطلباتها .

ولقد يكون مفيدا أن نشير الى أن الالتزام السوفيتى تجاه أية قضية أو ازمة سياسية هو التزام يتعين عليه ان يكون متوازنا بمعنى انه يضع فى اعتباره متطلبات العمل والعلاقات الدولية عموما وعلى نطاق كوكبنا كله .

ولقد ظن البعض أن ثمة التزامات سوفيتية اخرى – مثل الالتزام بسياسة تخفيف أو تهدئة حدة التوتر الدولى وتعزيز التعايش السلمى – قد تؤثر على الموقف السوفيتى تجاه أزمة الشرق الاوسط لكن التجارب العملية قد أثبتت العكس تماما . فلقد كانت العلاقات السوفيتية – الامريكية الطيبة خلال معارك اكتوبر سلاحا فى يد صديقنا [الاتحاد السوفيتى] يضغط به على صديق عدونا [الولايات المتحدة] .. ولكم كان هذا السلاح مفيدا فى اللحظات الضرورية والحرجة ..

وختاما ، فان النجاح الحقيقى لحركة التحرر الوطنى العربية فى معركتها ضد اسرائيل وضد المصالح الاستعمارية ، ومن أجل التقدم والازدهار يكون فى قدرتها على أن تتعرف على خطوط الصراع العالمى وعلى أن تميز وبشكل واضح تماما وثابت ومستمر تماما مع أى الخطوط تنسجم مصالحها وأهدافها واستراتيجيتها .

○

الاتحاد السوفيتى وحركة التحرر الوطنى العربية

د. رفعت السعيد

[ارجع الى الاصل .. تعرف الحقيقة !]
« مثل عربى قديم »

.. وبعيدا وحتى ما قبل ثورة اكتوبر بكثير تمتد علاقة وثيقة ، ذلك ان الاتحاد السوفيتى ليس دولة عادية ، بل هو – فى الاساس – امتداد تاريخى لكل نضالات ومنطلقات الفكر الماركسى ، واهتماماته بحركة التحرر فى الشرق .

وربما كانت البداية لهذا الاهتمام المبكر تتمثل فى خطاب لفريدريك انجلز حرره فى ١١ – ١٢ – ١٨٨٢ أى فى أعقاب هزيمة الثورة العرابية مباشرة وجاء فيه « ان جلادستون يقرر انه يمكنه وببساطة ان يستولى على مصر ، ان مصر مازالت غير خاضعة تماما للسيطرة البريطانية . وحتى لو خضعت فان بريطانيا لن تستطيع الابقاء على هذا الوضع . يرى جلادستون – مثلا – ان استيلاء روسيا على ارمينيا هو تحرير لدولة مسيحية من نير السيطرة الاسلامية – لكن ذلك كله مجرد رياء وزيف ومحض اختلاق » والسؤال هو هل يوفق جلادستون فى تآمره هذا .

سوف نرى قريبا » [١] .. وقبل هذا الوقت بقليل ، وخلال اشتعال احداث الثورة العرابية نفسها وحينما كان البعض فى اوربا يصور الاعتداء البريطانى على مصر كمعركة بين دولة مسيحية متقدمة وبين جموع مسلمة متخلفة تريد اعادة تجارة الرقيق ، كتب انجلز فى ٩ اغسطس ١٨٨٢ محذرا من « محاولات النظر الى المسألة المصرية من زاوية عاطفية » [٢] .

كذلك فان لينين قد اهتم هو أيضا ، وفى وقت مبكر ، الى درجة ملفتة للنظر ، بحركة التحرر الوطنى العربية ، وبالمسألة المصرية على وجه الخصوص ، وفى الخواطر والمذكرات التى جمعها لينين خلال اعداد لمسودات كتاب « الاستعمار أعلى مراحل الراسمالية » نجد الكثير من الالتفات الى مصر والى مشاكلها والى معركتها ضد الاحتلال البريطانى .

وتحت عنوان حول السياسة الاستعمارية فى أيامنا يقول لينين « وعلى سبيل المثال نجد أن بريطانيا تجعل من مصر – أكثر فأكثر – دولة منتجة للقطن وحده . وفى ١٩٠٤ كانت الرقعة المنزرعة قطنا ٠,٦ مليون هكتار من أصل ٢,٣ مليون هكتار . انها تضع العراقيل امام تطور الصناعة . فمثلا تواجه المصنعين اللذين تأسسا فى عام ١٩٠١ فى مصر صعوبات وعقبات ضرائبية فى وجه محاولتهما لتصنيع القطن . وتلك هى السياسة المعاصرة التى تتبع فى المستعمرات . وهى تتمثل فى تشجيع زراعة المواد الخام وتعويق نمو الصناعات . ان السياسة الاستعمارية تصبح أكثر بشاعة ، كلما كان الشعب أكثر تخلفا » [٣] .

ويصل اهتمام لينين بالمسألة المصرية الى حد تتبعه للدراسات المصرية عن الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية ، وهو يدرس ويلخص ويعد ملاحظات ذكية على كتاب يوسف نحاس عن الوضع الاقتصادى والاجتماعى للفلاح المصرى والذى صدر فى باريس عام ١٩٠١ .. ويدون لينين الملاحظات التالية على الكتاب « عمل مدرسى – مجرد تلخيص لبعض المراجع – عرض ملخص للغاية للفقر المدقع للفلاحين الذين يعيشون فى اكواخ من الطين بدون اثاث ومع دوابهم – يكدحون من الصباح حتى المساء – قهر وجهل كما فى روسيا – **وجهة النظر** : تقليدية تماما – ليبرالية – قريبة من وجهة نظر الشعبيين الروس فى اعوام ١٨٨٠ – ١٩٠٠ – **ملاحظة** : بريطانيا تخنق الصناعة » [٤] .

وتمضى الاحداث لتنسج مزيدا من العلاقات حيث تفد الى الاسكندرية مجموعة من بحارة « المدرعة بوتومكين » البلاشفة الذين شاركوا فى أحداث ثورة ١٩٠٥ ، حيث يؤسسون خلية تابعة للحزب الاشتراكى الديمقراطى الروسى « البلشفيك » ويصدرون مجلة باللغة الروسية اسمها « مارياك » أى البحار ، ويشتركون فى مظاهرات العمال المصريين العاطلين حاملين راية حمراء تحمل اسم حزبهم . وتقرر السلطات ابعادهم بناء على طلب القنصل الروسى فتلتهب شوارع الاسكندرية والقاهرة دفاعا عنهم وعن حقهم فى اللجوء السياسى [٥] .

وهناك ، أيضا الثورى الروسى تيودور روزنشتين الذى حضر الى مصر بناء على تعاقد مع محمد فريد ليرأس تحرير مجلة الحزب الوطنى الناطقة بالانجليزية والذى انتهز فرصة اقامته بمصر ليؤلف واحدا من اهم المراجع الاساسية عن تاريخ مصر فى هذه الفترة هو Ruin of Egypt – دمار مصر » [٦] وثمة معلومات كثيرة متناثرة عن روزنشتين وعن علاقاته الوثيقة بلينين قبل الثورة عندما كانا معا فى لندن ، وبعد الثورة عندما عمل فى سكرتيريته بموسكو ، ثم سفيرا للاتحاد السوفيتى فى طهران [٧] .

وتأتى ثورة اكتوبر وفى ايامها الاولى يوجه لينين نداءه الى شعوب الشرق :

[١] نقلا عن : ف.ا.لينين . الاعمال الكاملة . الجزء التاسع والثلاثون – كراسات عن الامبريالية – الطبعة الروسية الرابعة – عام ١٩٦٠ – ص ٦٥٣

[٢] المرجع السابق – ص ٦٥٣

[٣] المرجع السابق – ص ٧٨

[٤] المرجع السابق ص ٥١٦

[٥] لمزيد من التفاصيل راجع الاهرام .. المؤيد .. يناير ، فبراير ١٩٠٧

[٦] صدرت الترجمة العربية الاولى لهذا الكتاب عام ١٩٢٧ تحت عنوان « تاريخ مصر قبل الاحتلال وبعده » ترجمة على شكرى .

[٧] المرجع السابق . صفحة « ب » من مقدمة المترجم .

« ايها المسلمون فى الشرق ، ايها الفرس والاتراك والعرب والهنود .

يامن كانت حياتكم وامـوالكم وحرياتكم واوطانكم طوال قرون عديدة سلعة فى يد طغاة اوربا مصاصى الدماء .. أنتم يا من يهددكم القراصنة الاستعماريون الذين اعلنوا الحرب لاقتسام اوطانكم ، اليكم جميعا نتوجه قائلين ان المعاهدات السرية المتعلقة بضم القسطنطينية التى عقدها القيصر المخلوع وصادقت عليها حكومة **كيرنسكى** البائدة قد مزقتها اليوم والغتها حكومة الجمهورية الروسية الاشـتراكية . ان مجلس قوميسييرى الشعب يعلن أنه يرفض ضم أراضى الغير وان القسطنطينية يجب أن تبقى فى أيدى المسلمين .

ايها الرفاق .. أيها الاخوان : اننا نسير نحو سلام ديمقراطى شريف ، نسير نحوه بعزيمة قوية وقدم ثابتة ، ان راياتنا تحمل فى طياتها التحرر لجميع الشعوب المقهورة فى العالم » [٨] .

واستجابة لهذا النداء وجه **محمد فريد** برقيته الشهيرة الى **لينين** والتى جاء فيها « تتشرف لجنة الحزب الوطنى بأن تعرب عن شكرها الادبى لحكومتكم الديمقراطية بمعنى الكلمة بمناسبة تصريحها بأسمى واغلى ما يمكن أن تصبوا اليه الانسانية من المبادىء المتعلقة بالحرية والمساواة . ان هذه المبادىء التى صرحتم بها ، وانتم مجردون عن الهوى والغرض ، قد انعشت النفوس واحيت فى الامم المستعبدة ميت الامال فى حياه جديدة تملؤها السعادة والرفاهية . حياة قائمة على تحريرها من اغلال واصحاب رؤوس الاموال » [٩]

والحقيقة ان الاستراتيجية العامة لموقف الاتحاد السوفيتى تجاه حركة التحرر الوطنى لشعوب الشرق عامة ، والبلدان الاسلامية والعربية خاصة ، يمكن استيضاحها وفهم منطلقاتها الاساسية والثابتة من خلال الدراسة المتأنية للوثائق — البالغة الاهمية — للمؤتمر الاول لشعوب الشرق الذى عقد فى باكو ١ — ٨ سبتمبر ١٩٢١ والذى حضره ١٨٩١ مندوبا بينهم ثلاثة من العرب يقال ان احدهم كان **الامير شكيب ارسلان** [٩] .

وفى هذا المؤتمر حدد المندوبون السوفييت فى خطاباتهم ومساهماتهم فى النقاش الكثير من المنطلقات الاساسية التى حكمت الى حد بعيد سياسة الاتحاد السوفيتى تجاه حركة التحرير الوطنى فى الشرق .

ويمكن القول بأن **المنطلق الاول** والاساسى هو أن تحرير المستعمرات بالشرق ومساندة حركه التحرر الوطنى فيها هى نقطة أساسية وثابتة فى جدول أعمال الاتحاد السوفيتى ، وكل الاممية البروليتارية . ذلك ان النجاح فى تحقيق هذا الواجب هو شرط أساسى للنجاح فى المعركة العالمية ضد المعسكر الرأسمالى .. وفى هذا الصدد يقول **زينوفييف** الذى راس جلسات المؤتمر فى كلمته الافتتاحية « اننا نريد الانعتاق من سيطرة راس المال الذى يحكم قبضته على العالم أجمع . واننا لعلى ثقة تامة بأن القضاء نهائيا على استغلال الانسان للانسان لا يكون الا اذا اشعلنا الحريق الثورى ليس فى أوربا وأمريكا فحسب وانما فى العالم اجمع ايضا . والا اذا لبى نداءنا ذلك الجزء من البشرية الذى يقطن آسيا وافريقيا » [١٠] .

وحول نفس المنطلق يتحدث الى المؤتمر **بافلوفتش** مقرر لجنة المسألة الوطنية والمستعمرات فيقول فى تقريره « ان المهمة الاساسية الملقاة على عاتق الاممية الثالثة ، اى على عاتق شيوعيي العالم أجمعين هى نشر هذه الحقيقة البسيطة : مادام الجنسان الاسود والاصفر يعانيان الاضطهاد ، وما دام المرتزقة الاوربيون يذبحون الاتراك والايرانيين والعرب والمصريين وغيرهم . فالعامل الاوربى سيبقى عبدا للرأسمالى عاجزا عن الانعتاق من قيوده ولهذا السبب بالذات تدعو الاممية الثالثة العمال الاوروبيين للنضال من اجل تحرر الشرق » [١١] .

أما المنطلق الثانى فهو التوجه الى كل القوى الوطنية المناهضة للاستعمار والى جميع الكادحين المناهضين للاستغلال ايا كانت مواقفهم السياسية والاجتماعية .. وحول هذا المنطلق يتحدث رئيس المؤتمر قائلا بصراحة ووضوح تامين « أيها الرفاق .. ان هذا المؤتمر ينعقد كما تعلمون بناء

---

[٨] البرافدا — ١٩١٧/١٢/٥

[٩] صبرى ابو المجد — مقال الحركة الوطنية المصرية بقيادة محمد فريد — المصور — ١٩٦٩/١١/١٤

[٩] فواز طرابلسى — مقدمة لترجمته لوثائق المؤتمر — دار الطليعة بيروت — حزيران ١٩٧٢ — ص ٧

[١٠] L'internationale Communiste et la libération de l'Orient — Editions de l'internationale Communiste — Petrograd 1921.

وقد ترجمه فواز طرابلسى الى العربية بعنوان « الاممية الشيوعية وتحرير الشرق — المؤتمر الاول لشعوب الشرق باكو ١ — ٨ أيلول ١٩٢١ — دار الطليعة بيروت . ص ٢٤ .

[١١] المرجع السابق « محضر الجلسة الخامسة » ص ٤٠ .

على دعوة الاممية الشيوعية ، وهى منظمة حزبية . ولهذا نجد بيننا اليوم بالاضافة الى الشيوعيين مئات المندوبين الذين لا ينتمون الى الحزب الشيوعى والذين يعتبرون انفسهم من المستقلين ، وربما وجدت مجموعات تنتمى الى احزاب اخرى .. لم نسألكم الى اى حزب تنتمون . سألناكم فقط هل أنت عامل ؟ هل أنت من الجماهير الكادحة ؟ هل تريد وضع حد للحرب الاهلية وتنظيم النضال ضد المضطهدين ؟ هذا يكفى ، لسنا بحاجة لاى شيء آخر ، ولسنا نطالب بأية شهادة حسن سلوك سياسية » [١٢] .

لكن الوحده المنشودة لا تستهدف فقط توحيد الكادحين — على أساس طبقى — وانما تستهدف فى الاساس توحيد حركتين عامتين شاملتين : الحركة الاشتراكية العالمية ، وحركة التحرر الوطنى العالمية .

« توجد فى عالمنا حركتان .. نريد لهاتين الحركتين ان يزداد اقتراب الواحده منهما من الاخرى ، وان تتخلص الثانية [حركة التحرر الوطنى] من العقد والحساسيات القومية ، نريد ان ينصهر الاتجاهان فى اتجاه واحد يطيح جبروته بكل العراقيل ويطهر الارض من امراضها المزمنة » .. ثم يمضى التقرير ربما ليقدم اجابات شافية على تساؤلات طرحت ولا تزال تطرح من البعض حول موقف الاتحاد السوفيتى من بعض الانظمة الوطنية ، ولعل هذه الاجابات توضح كم كانت الرؤية السوفيتية حول هذا الامر واضحة وحاسمة معا ومنذ وقت مبكر جدا ... « .. لهذا اقول لكم اننا نؤيد بدأب المجموعات التى لم تنضم الينا بعد ، أو حتى المجموعات التى تناصبنا العداء وذلك هو الحال مثلا بالنسبة لتركيا حيث الحكومة السوفيتية تؤيد كمال باشا . ولسنا متناسين ان الحركة التى يقودها هذا الاخير ليست حركة شيوعية بل ان هذا ما ندركه تمام الادراك .. ولنكرر ان سياسة الحكومة الشعبية التركية ليست سياستنا ، ليست سياسة الاممية الشيوعية ، وعلى الرغم من ذلك فاننا نعلن استعدادنا لدعم كل نضال ثورى ضد الحكومة البريطانية . ان الكفة الراجحة الان فى تركيا لا زالت كفة الاغنياء ، لكن زمنا سيأتى ينقلب فيه كل شيء » [١٣]

ويمتد وضوح الرؤيه لدى المجتمعين فى باكو — وفى هذا الوقت المبكر — ليصل الى فهم الدين الاسلامى فهما صحيحا وواضحا ، والتفرقه بين الدين . وبين المتاجرين به . وفى هذا الصدد يقول **ساتنشكو** مقرر لجنه الشئون الزراعية فى المؤتمر « ايها الرفاق : لا تخشوا المساس باملاك رجال الدين. فهؤلاء الذين استحوذوا على املاك شاسعه ، وراحوا يستغلون جهد الفلاحين بابشع ما يكون الاستغلال لن يتورعوا عن القول بأن هذه الثروات انما هى ملك الله . وانها بالتالى مقدسة يدنسها كل من يمسها ، هذا يارفاق مجرد كذب ورياء . ان القران الكريم يقر بأن الارض لا يمكن ان يملكها الا الذى يعمل فيها ، ان رجال الدين الذين استحوذوا على الارض كما فعلوا فى ايران كانوا اول من خرق قاعدة اساسية من قواعد الدين الاسلامى ، انهم ليسوا حماة هذا الدين ، وانما هم غاصبوه ، بل انهم يخفون خلف الكتاب المقدس والعمامة البيضاء حياة الاستغلال والبطالة التى يحيون . ايها الرفاق لننزع عنهم هذا القناع الجليل ولنصادر اراضيهم ونوزعها على طبقة الفلاحين الكادحين » [١٤]

ولعل هذا الموقف الصحيح يكفى لتفسير موقف عالم دينى كبير ذو شهرة عالية فى العالم الاسلامى مثل **رشيد رضا** صاحب « المنار » والذى كتب يقول « البلشفية هى مجرد مرادف للاشتراكية . والاشتراكية تعنى تحرير العمال من نير الحكومات الراسمالية والاستغلالية .. وعلى المسلمين ان يؤملوا خيرا فى انتصار البلشفية طالما انهم هم ايضا كادحون يعانون من نفس النير ، واذا ما انتصرت الاشتراكية فان عذابات الانسانية سوف يوضع لها حد ، ان الشيوعية لا تتناقض مع الشريعة الاسلامية ، بينما تتناقض افعال الحكومات الاوربية مع شريعة الاسلام » [١٥]

والحقيقة ان كلمات واضحة وصريحة كهذه عندما تأتى من واحد من أشهر علماء الدين الاسلامى فى العصر الحديث فانها لا تعكس فقط تقدمية هذا المفكر وصحة تقديراته وصدق

[١٢] المرجع السابق — ص ٤٠
[١٣] نفسه — ص ٥١
[١٤] نفسه — ص ١٩٢
[١٥] اورد هذا النص كلا من :
— ALBERT Hourani — Arabic Thought in Liberal Age — 1798 — 1939 — p. 304.
— M.S. Agwani — Communism in the Arab East p. 162.
نقلا عن المنار — المجلد الحادى والثلاثون [١٩٣١ — ١٩٣٢] ص ٧١٩

منطلقاته ، لكنها ايضا تعكس ـ وبالضرورة ـ مدى قدرة الاتحاد السوفيتى والاممية البروليتارية عموما على التوجه توجها صحيحا لشعوب الشرق وجماهير المسلمين عموما .

وفيما يتعلق بالقضايا الخاصة المميزة لمسار حركة التحرر الوطنى العربية ، فاننا نلمس ايضا وبوضوح تام مواقف صحيحة ومبدئية تستحق التقدير والاشادة .

ففيما يتعلق بالقضية الفلسطينية مثلا نقرا النص التالى فى بيان المؤتمر الاول لشعوب الشرق وهو يعبر عن وعى مبكر بحقيقه وابعاد المشكله .. « ما الذى تعدمه انجلترا لفلسطين ارضاء لحفنه من الراسماليين اليهود والانجليز ؟ طردت العرب من اراضيهم ومنحتها للمستوطنين اليهود ولكى تؤمن فى الوقت ذاته متنفسا لتذمر العرب حرضتهم على المستعمرات اليهودية التى انشاتها هى بيديها ، زارعة بذلك الخلاف والتذمر والبغضاء بين جميع الاطراف » [١٦] .

اما عن قضية الوحده العربية فان نصوصا كثيرة وواضحة ومبكره يمكنها ان تقدم لنا نموذجا للفهم العميق والتأييد التام من جانب الاتحاد السوفيتى والقوى اليسارية عموما . وفى بيان اصدرته العصبة المناهضة للامبريالية فى عام ١٩٢٩ نقرا الكلمات التالية « ان احداث فلسطين الاخيرة قد أكدت حقيقة ان مسالة القومية العربية تمثل اليوم واحدة من أكثر القضايا اهمية فى سياسة عالم اليوم ، فالعرب يملكون كل الحق فى القضاء على تقسيم بلدانهم وفى تكوين دولة موحدة قويه وحرة تماما . دولة عربية عظمى يتحدد شكلها ومستقبلها ليس وفقا لارادة قوى الامبرياليين الاجانب وانما وفقا لارادة ومصالح الجماهير العربية الكادحة من الفلاحين والعمال والبدو .. عاش نضال الشعب العربى ـ تسقط الامبريالية ويسقط انقسام البلدان العربية ـ عاشت الدولة العربية الفيدرالية الموحدة الحره » [١٧] .

... وهكذا فان صفحات التاريخ زاخرة ، وكلما قلبنا وجدنا الجديد والمزيد وكلها تؤكد التفهم الكامل والمسانده الحقيقية من جانب الاتحاد السوفيتى والاممية البروليتارية لحركة التحرر الوطنى العربية ، وتؤكد مبدئية هذه المواقف واستمراريتها .. وهى برغم كونها صفحات من التاريخ الا انها تنجح بغير شك فى اعطاء صورة أكثر عمقا وعلمية للحاضر والمستقبل ، ولنعد الى ما بدأنا به .. ارجع الى الاصل ... تعرف الحقيقة .

O

نواب العشرينات والثلاثينات يطالبون باقامة علاقات مع الاتحاد السوفيتى

فؤاد المرسى خاطر *

اذا كانت العلاقات الدبلوماسية قد قامت لاول مرة بين مصر والاتحاد السوفيتى فى ٢٦ أغسطس عام ١٩٤٣ ، فان الفترة السابقة على هذا التاريخ لم تكن تخلو من علاقات بين البلدين ، وان كانت كلها على الصعيد التجارى ، وكانت بشكل أو آخر امتدادا لعلاقات تجارية تقليدية بين مصر الملكية وروسيا القيصرية ، تقلص حجمها بعد قيام الثورة الاشتراكية فى روسيا . واستمر على ذلك مدة طويلة .

غير أن هذا يجعلنا لا نهمل حقيقة هامة وجدت

[١٦] IGOR SPECTOR — Soviet Union and the Mouslim World — 1917 — 1958, p. 288.

[١٧] International Press Correspondence — English Edition Vol. 9. No. 64. pp. 1371 — 1 Date: 15 — 11 — 1929.

* ماجستير فى التاريخ الحديث .

فى هذه الفترة السابقة على قيام العلاقات الدبلوماسية بين البلدين .

لقد وجدت فى مصر رغبة ملحة لاقامة علاقات اقتصادية ، بل ودبلوماسية مع الاتحاد السوفيتى منذ اواخر العشرينات ، وظلت مستمرة ، بل وتتصاعد حتى اواخر الثلاثينات . وقد عبرت عن هذه الرغبة بطبيعة الحال التنظيمات الشيوعية ، وظهرت فى البرامج والصحف الخاصة بها .

ولكننا سنعرض هنا لمجال آخر ظهرت فيه هذه الرغبة ، وهو **البرلمان المصرى** . وبالرجوع الى مناقشات مجلس النواب ومجلس الشيوخ ، نرى أن تلك الرغبة قد تمثلت - بوضوح - فى العديد من الاسئلة ، قدمها اعضاء فى سنوات مختلفة . بل لقد وصل الامر الى تقديم استجواب فى عام ١٩٢٩ فى مجلس الشيوخ .

وكانت أسئلة النواب تركز على العمل على فتح السوق السوفيتية - وهى كبيرة - أمام القطن المصرى بالذات ، حتى يمكن تصريف الجانب الاكبر منه ، والذى كثيرا ماكان يتعرض لازمات بيع بسبب الاحتكار البريطانى لسوقه . كما كان القطن المصرى يواجه منافسة من القطن الامريكى .

وسوف نعرض هنا مثالين اثنين فقط لهذه المناقشات : الاول فى أواخر العشرينات ، والثانى فى أواخر الثلاثينات ، وان كانت الفترة بين هذا وذاك قد ظهرت فيها المطالبة باقامة العلاقات بين البلدين وبشكل ملح .

فى عام ١٩٢٧ شكت السفارة السوفيتية فى لندن الى المفوضية المصرية هناك من مصاعب شديدة يواجهها السوفيت فى سبيل الحصول على القطن المصرى من جانب السلطات المصرية .

وعندما نشر الخبر تلقفه اكثر من عضو من أعضاء مجلس النواب ، ووجهوا الاسئلة الى وزير الخارجية مطالبين بتوضيح الاسباب التى بنت عليها الحكومة هذه المعاملة ، وتساءلوا عما تكون عليه سياسة الحكومة ازاء الاتحاد السوفيتى فيما يختص بمستقبل العلاقات التجارية والاقتصادية مع « هذا البلد الكبير خاصة انه كان يحصل على ما يقرب من سبع المحصول المصرى من القطن » . وقالوا : انه اذا لم يكن فى النية اقامة علاقات سياسية فى المدى القريب ، فلاأقل من اقامة صلات تجارية ، وهى لن يكون لها تأثير على نظام الحكم القائم فى البلاد .

وأجاب وزير الخارجية ، فاعترف بالواقعة . وبعد أن عرض لتفصيلات شكوى السوفيت ، أخبر المجلس أن الموضوع خاص بوزارتى المالية والداخلية ، وأن وزارة الخارجية حولته لهاتين الوزارتين لبحثه وابداء الرأى فيه (٤) .

وقام العضو « **أحمد الصاوى** » وتحدث فارجع سبب الشكوى المذكورة الى عدم عودة العلاقات الاقتصادية بين البلدين . وسأل وزير المالية : « هل لا يرى معالى الوزير أن منع الحكومة الروسية من شراء القطن المصرى معناه مساعدة عوامل نزول ثمن القطن لمنع المنافسة التجارية فى وقت تسعى فيه الامة والحكومة لتحسين السعر حبا فى فك الازمة الاقتصادية التى أصابت البلاد فى بحر هذين العامين ؟ » .

وطالب العضو بعودة العلاقات الاقتصادية مع الاتحاد السوفيتى أسوة بما قامت به معظم الدول ومنها انجلترا ذاتها - خصوصا أن مصر فى حاجة الى الحاصلات الروسية كالقمح والاخشاب وغيرهما .

ورد وزير المالية ، فوضح أن السوق الروسية كانت تستوعب قبل الحرب العالمية الاولى ما لا يقل عن ٨ فى المائة من مجموع المصدر من القطن المصرى ، ولكن هذه النسبة أصبحت نحو ٥ر. فى المائة .

ويبدو أن الامر قد شد عددا آخر من النواب ، فطالبوا بتحويل السؤال الى استجواب . لكن عند الاقتراع لم ينل طلب التحويل على الاغلبية اللازمة . وأجلت الاجابة لجلسة أخرى .

وسواء ، فى اجابة الحكومة على هذا السؤال أو الاسئلة التى وجهت اليها من أعضاء فى المجلس ، فيما بعد ، كانت الحكومة ترد بشكل واحد تقريبا فى كل مرة « سندرس الامر ونرى اذا كان فى صالح مصر . ولن نغفل ايجاد الوسائل والقوات التى تضمن مقاومة المبادىء الشيوعية » .

ذلك أن الحكومات كانت دائما متخوفة من الشيوعية ، وتعتقد أن اقامة علاقات مع الاتحاد السوفيتى يمثل فرصا للاتصال بين السوفيت والمصريين مما يساعد على انتشار الشيوعية فى البلاد .

على اية حال فان هذه المطالبة تستمر وتظهر فى دورات أخرى من دورات البرلمان خاصة عندما يتعثر تصدير القطن وينخفض ثمنه .

ويلاحظ أنه مع أواخر الثلاثينات ، تشتد المطالبة باقامة علاقات بين مصر والاتحاد السوفيتى . وهى هنا لا تكتفى باقامة علاقات اقتصادية ، ولكنها تقرن ذلك بعلاقات دبلوماسية . وفى تلك الفترة تبنى « **محمود سليمان غنام** » هذا المطلب .

وعلى امتداد سنتى ١٩٣٨ ، ١٩٣٩ - وهذا

يتضح لكل من تتبع أسئلته ومناقشاته فى مجلس النواب ، نجده يحاول احراج الحكومة ليصل الى ما يريد بعد أن ظهر عدم حسمها للامر ، وعدم الوضوح فى اجاباتها على النواب بصدده . فهو يوضح للحكومه انه اذا كانت مصر قد تبعت انجلترا فى قطع العلاقات مع حكومة السوفيت منذ قيام الثورة فى روسيا ، فان انجلترا وغيرها من الدول كثير ، قد اعترفت بالاتحاد السوفيتى ، واقامت معه علاقات سياسية واقتصادية ، كما اصبح الاتحاد السوفيتى عضوا فى عصبة الامم منذ عام ١٩٣٤ . ثم تساءل : « هل بعد كل ذلك تستمر الحكومة فى قطع العلاقات مع هذه الدولة ؟ » . وأكد ان اقامة العلاقات السياسية والتجارية مع حكومة السوفيت « يفتح لمصر سوقا جديدا لقطنها يسهل للفلاح تصريف اقطانه بأثمان معتدلة ، وذلك بعد أن أخذت بريطانيا العظمى تهدد مصر بغلق سوقها فى وجه القطن المصرى » .

وكانت هذه الرغبة التى ظهرت فى البرلمان المصرى ، يواكبها مطالبات مماثلة فى العديد من الصحف المصرية . حتى أن الحكومة تحركت فى عام ١٩٣٨ ، فأجرت محادثات مع مسئولين سوفيت . فلما ظهر من هذه المحادثات أن رغبة الجانب المصرى تتركز فى اقامة علاقات اقتصادية دون الدبلوماسية ، رفض الجانب السوفيتى ذلك ، وربط قيام علاقات اقتصادية بين البلدين باعتراف مصر اعترافا كاملا بالنظام السوفيتى .

وقد كان ، ففى عام ١٩٣٩ وفى ٢١ أغسطس ، اتخذت الحكومه المصرية ــ وكانت برئاسة على ماهر ــ قرارا باقامة العلاقات الدبلوماسية مع الاتحاد السوفيتى ، غير أن القرار لم يوضع موضع التنفيذ . وكان ذلك ــ فى تقديرى ــ أساسا لانه بعد يوم واحد عقد الاتحاد السوفيتى ميثاق عدم الاعتداء الشهير مع المانيا النازية فى ذلك الوقت . وكان ذلك بطبيعة الحال أمرا اغضب بريطانيا وبينها وبين مصر معاهده « صداقة وتحالف » موقعة منذ عام ١٩٣٦ . ولا شك أن الحكومة المصرية قد وعت أبعاد الموقف آنذاك ، فلو أقدمت على وضع قرارها موضع التنفيذ فى تلك الظروف لووجهت بمعارضة وتدخل من البريطانيين الذين اعتبروا ميثاق عدم الاعتداء السوفيتى الالمانى موجها ضدهم .

ومما يؤيد هذا الرأى وبالرجوع الى الوثائق البريطانية والمصرية ــ أن الحكومة البريطانية عندما تغير الموقف وتعرض الاتحاد السوفيتى للهجوم الالمانى فى يونيو ١٩٤١ ، ودخل الاتحاد السوفيتى فى تحالف مع بريطانيا وحلفائها اهتمت الحكومة البريطانية كثيرا بأن تمنح الحكومة المصرية تسهيلات للسفن السوفيتية وتعاملها كسفن حليفة . وكانت السلطات المصرية تفرض قيودا مشددة على هذه السفن فى الموانى المصرية .

على اية حال فقد استمر الموقف فيما يتعلق باقامة علاقات دبلوماسية مع السوفيت مجمدا حتى عام ١٩٤٣ ، وهو العام الذى قامت فى النصف الاول منه المباحثات بين الحكومتين المصرية والسوفيتية . وتروى الوثائق البريطانية والمصرية تفاصيلها وخباياها ــ حتى انتهى الامر باتخاذ قرار اقامة العلاقات الدبلوماسية بين البلدين واعتباره نافذا من ٢٦ اغسطس ١٩٤٣ .

هذا وقد دفعت مطالب الاعضاء فى البرلمان المصرى ، الى جانب مطالب أخرى ، الحكومة الى البحث الجدى فى اقامة علاقات **مع موسكو** . ولا شك أن أهداف النواب الذين تحدثوا مطالبين بهذه العلاقات كانت أهدافا وطنية . فقد عرفوا أن مصلحة مصر الاقتصادية تقتضى فتح السوق السوفيتى للقطن المصرى ، المحصول الرئيسى للبلاد ، وأن هذا يساعد على ضرب التلاعب الاستعمارى البريطانى بمقدرات الاقتصاد المصرى . وما كان يسببه ــ ذلك ــ من خسارة لمنتجى القطن فى مصر . وكانوا أساسا أصحاب المصلحة الحقيقية فى تحسن أسعاره ، وفتح الاسواق الكبرى أمامه ، والسوق السوفيتية من أكبرها .

ولا يستطيع أحد أن يقول أن أولئك النواب كانوا شيوعيين لانهم كانوا ينتمون بالفعل الى أصحاب الملكيات الزراعية الكبيرة ، او من المنتمين الى الطبقة الوسطى ، ويمارسون اعمالا حرة .

ومع قيام الحرب العالمية الثانية ، وابتداء من عام ١٩٤٢ وضح أنه سيكون للاتحاد السوفيتى دور هام فى السياسة الدولية ، فأضيف الى العامل الاقتصادى العامل السياسى على المستوى العالمى .

ومن هنا فقد كانت مصلحة مصر الاقتصادية ثم السياسية ، تقتضى اقامة العلاقات مع الاتحاد السوفيتى ، وقد رأى ذلك نواب العشرينات والثلاثينات ، كما رآه آخرون بوضوح .

فالوعى بضرورة الانفتاح فى العلاقات مع الاتحاد السوفيتى قديما قد أحس به أصحاب « المصلحة الحقيقية » فى مصر دائما .

الاتحـــاد الســـوفيتي ..

هــل هــو دولة « اســـتعمارية » ؟

خيرى عزيز

ان المؤامرات المستمرة التي استهدفت دومـا تحطيم العلاقات المصرية السوفييتية ، كانت ــ ولا تزال ــ تهدف فى الاساس الى حرمان بلادنا من ظرف تاريخى موات حاسم توفر لها ، بعد نجاح ثورة أكتوبر الروسية سنة ١٩١٧ ،وظهور المعسكر الاشتراكي كقوة عالية ضخمة ، أعني به حرمانها من مساندة ودعم الاتحاد السوفيتي سياسيا واقتصاديا وعسكريا ، حتى تسقط فريسة سهلة فى يد الاستعمار الجديد وعملائه المحليين .

ذلك أن افتقاد مصر لحليف دولى **فعال** ، على مستوى القوه الاعظم ، كان هو دائما الصخرة التى تحطمت عليها كل محاولات مصر الاستقلالية ، ومن أجل بناء نهضتها الحديثة ، طوال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، والنصف الاول من القرن العشرين .

فعلى هذه الصخرة تحطمت محاولة **على بك الكبير** للاستقلال بمصر عن الدولة العثمانية برغم محاولته الاتصال **بروسيا القيصرية** لاستخدامها ضد الباب العالى ، والتىلم تسفر عن شىءجدى، وتحطمت أيضا محاولة **محمد على الكبير** بعد أن وصلت جيوشه **المصرية** قربعاصمة الامبراطورية العثمانية نفسها ، وبلغت أساطيله المصرية شواطىء اليونان حيث تجمعت ضده الاساطيل الاوربية فى « **نفارين** » ، ورد على أعقابه وحوصر ، وضربت محاولته بنصوص معاهدة لندن سنة ١٨٤٠ ، وعلى نفس الصخرة أيضا تحطمت **الثـورة العرابية** ١٨٨٢ فى**معركة باسـلة غير** متكافئة بين جيش محلى صغير ، وجيـوش الامبراطورية البريطانية التى لم تكن الشمس تغرب عن اراضيها ، وعليها أيضا صفيت **ثورة ١٩١٩** الوطنية ، واستمرت مصر فى حظيرة السيطرة الاستعمارية .

فلما عمدت بريطانيا وفرنسا الاستعماريتين ، واسرائيل الصهيونية ، الى تكرار نموذج العدوان الاستعمارى ، فى النصف الثانى من القرن العشرين ، لسحق محاولة « **جمال عبد الناصر** » الجديدة فى خريف ١٩٥٦ باءت محاولتهم بفشل ذريع ، لان عنصرا جديدا دخل بالفعل مجال السياسة المصرية هو **مد حبال التعاون بين مصر والاتحاد السوفيتى** وبلدان المعسكر الاشتراكى . وقد لعب الاتحاد السوفيتى كصديق وظهير لمصر دوره المشهود فى حرب ١٩٥٦ ، **بانذاره الشهير** الذى هدد فيه بضرب لندن وباريس بالصواريخ ، واعلانه أنه اذا استمر العدوان فانه «**سوف يسمح للمتطوعين السوفييت بالرحيل الى مصر ، حاملين السلاح ليساعدوا الشعب المصرى على خوض نضاله التحريرى** » . الامر الذى لعب أكبر الادوار فى ردع العدوان ووقفه .

فلما تكررت المحاولة الاستعمارية مرة أخرى فى يونيو ١٩٦٧ ، وجه الاتحاد السوفيتى ــ الذى فوجىء بنتيجة القتال ــ انذارا هاما و « غير

شهير» للاسف ، بألا يعبر جندى اسرائيل قناة السويس صوب القاهرة ، التى احتلها الشعب المصرى فى ٩ و ١٠ يونيو لسد طريق المؤامرة ، ومرة أخرى أيضا أعيد بفضل الاتحاد السوفيتى ، بناء جيش مصرى قوى ، وامكن بفضل التعاون المصرى - السوفيتى كسر المحاولة الامبريالية الثانية ، لتحطيم بنيان مصر المستقل .

وما نريد ابرازه هنا فى الحقيقة فهو **الطابع الاستراتيجى** للعلاقات المصرية - السوفيتية ، وقيمتها المحورية بالنسبة لصراع بلادنا والبلاد العربية الشقيقة ضد قوى الاستعمار الجديد ، لانه اذا كانت نصال المحاولات الاستعمارية الجديدة لسحق استقلال مصر الوليد ، قد تحطمت ، وتتحطم دوما على درع التعاون العسكرى - السياسى - الاقتصادى المصرى - السوفيتى ، لهذا لم يكن من الصدفة ابدا ، ان القوى الاستعمارية والرجعية ، اعتبرت ضرب العلاقات المصرية السوفييتية ، والعربية السوفيتية ، **حجر الزاوية فى هجومها الاستراتيجى** الذى يستهدف اعادة مصر والشرق العربى الى حظيرة سيطرة الاستعمار الجديد .

واذ حددت هذه القوى **اتجاه ضربتها الرئيسية نحو فصم العلاقات المصرية - السوفيتية ، فانها** عمدت فى هذا المجال ، وبشكل محموم الى استخدام كافة اسلحة التضليل السياسى والتشكيك لزرع بذور الشك وعدم الثقة فى سياسة الاتحاد السوفيتى ازاء مصر والشرق العربى ، وعندما قدم الاتحاد السوفيتى مساعدات عسكرية وسياسية واقتصادية ، تؤكد حقيقة موقفه كحليف وظهير لبلدنا والبلاد العربية فى كفاحها ضد الامبريالية ، أخذت القوى الرجعية والعميلة للاستعمار - مستغلة حساسية شعبنا المفرطة تجاه أى سيطرة استعمارية - تحذره من مغبة الوقوع فى براثن **الاستعمار « الاخطر والاشد والانكى » للاتحاد السوفيتى .**

والواقع أننا نود فى البداية أن نفرق بين الخلاف والتباين الموضوعى فى وجهات النظر الذى نشأ وينشأ - من وقت لاخر - بين بعض فصائل الحركة الوطنية العربية ، وبين الاتحاد السوفيتى ، وهو خلاف يعكس تباينا طبيعيا فى زاوية الرؤية للامور ، بين نظام يستلهم الماركسية اللينينية اساسا لسياسته وله فوق كل ذلك التزاماته العالمية ، وانظمة تتولى البورجوازية الوطنية قيادة تحالفها الوطنى ، نود أن نفرق بين هذا ، والخلاف الذى ينشأ داخل اطار الصداقة والتعاون ومعاداة الاستعمار ، وبين حملات التضليل والافتراء والتشكيك التى تخطط لها دوائر الاستعمار الجديد ، وتنفذها ، بحمية خاصة ، الدوائر الرجعية والبورجوازية المتطلعة الى عمالتها » .

كما نود أن نوضح أولا وقبل كل شىء أيضا ، أن **هدفنا هنا ليس هو الدفاع عن الاتحاد السوفيتى** ، فهو غنى عن دفاعنا ، بمواقفه العملية امام أعين الشعوب ، وبصحفه ، واذاعاته ، ومجلاته ، ووسائل اعلامه التى تغطى ربوع العالم ، وانما هدفنا هنا فهو **الدفاع عن مصلحة استراتيجية لشعبنا وأمتنا فى علاقة دولية حاسمة بالنسبة لمصيرها** ، الهدف هو تبيان حقيقة ، ودفع فرية ، « **دفاعا عن أنفسنا ، وليس دفاعا عن السوفييت** » على حد التعبير المفضل لاشقائنا الفلسطينيين .

فهل حقيقة ، يبتغى الاتحاد السوفيتى فى سياسته ازاء بلادنا اهدافا استعمارية ؟ وهل سياسة الاتحاد السوفيتى الخارجية ، سياسة استعمارية اخطر وأشد وأنكى من الاستعمار الغربى التقليدى ، قديمه وجديده ؟ حسبما تشير الدوائر الاستعمارية والرجعية المحلية ؟

ان هذا التساؤل ، يطرح على البحث ، طابع العلاقات المصرية السوفيتية ، والعربية السوفيتية ، والقصد من ورائها » .

يحلو للرجعيين ولعناصر اليمين المتخلف أن يرددوا دوما عبارتهم الشهيرة الدارجة أن « **الاتحاد السوفيتى لا يساعدنا - كما يقولون - من أجل سواد عيوننا» » فهل ادعى أحد** يوما ما ان الاتحاد السوفيتى يقدم مساعداته لاحد غراما بسود العيون ؟ الامر المؤكد ان للاتحاد السوفيتى مصالح موضوعية ، وأهداف من وراء مساعداته لبلادنا ، والبلاد العربية التقدمية الاخرى ، ولكن أية مصالح موضوعية هذه وأية أهداف ؟

ان هذه المصالح والاهداف تتمثل بصفة جوهرية - وهذا أمر لم يعد يحتاج الى مزيد ايضاح - فى مساعدة شعبنا وشعوب الامة العربية على ضرب الاستعمار فى هذه المنطقة من العالم ، وتصفيته بكل أشكاله القديمة والحديثة ، السياسية والاقتصادية والعسكرية وفى ذلك مصلحة كبرى للاتحاد السوفيتى ، لانه الخصم الرئيسى للاستعمار والامبريالية .

وقد أعلن ليونيد بريجنيف فى خطابه أمام المؤتمر العالمى للاحزاب الشيوعية والعمالية فى موسكو ١٩٦٩ ، تلك الحقيقة ذات المغزى حين

قال : « أن **الامبريالية كانت ولاتزال هي الخصم الرئيسي للحركة الشيوعية** » كما كانت أول عبارة نطق بها بريجنيف في نفس هذا المؤتمر هي : « **أن المسأله الرئيسية في جدول أعمال مؤتمرنا هي مهمات النضال ضد الامبريالية في المرحلة الراهنة** » .

ولذا فان تصفية النفوذ الامبريالي ، وخاصة الامريكي من الشرق الاوسط ، الذى تحصل منه الاحتكارات الامريكية على مليارات الدولارات كل عام من فائض الارباح البترولية ، سوف يكون ضربة كبرى لاستعمار الولايات المتحدة الاقتصادى الجديد . كما سيكون كذلك ضربة لنفوذها السياسي والاستراتيجي والمعنوى ، يحرمها من مصدر أساسي من مصادر استغلالها في البلاد النامية ، بحيث يؤثر في مدى طال أم قصر على قوتها ونفوذها وهيبتها العامة ، كقائدة للامبريالية العالمية ، بمعنى انه اذا نجح الاتحاد السوفيتي في مساعدة الشعوب العربية على تحقيق أهدافها التحررية الذاتية العادلة ، فانه يكون قد نجح في الوقت نفسه ، في تحقيق أهدافه هو بالذات ، يكون قد نجح في **اضعاف أشد وأخطر خصومه بأسا ، ذلك الخصم المدجج بالسلاح التقليدى والنووى** والذى يقف على رأس الامبريالية العالمية والذى يعتبر عدوه الحقيقي رقم ١ ، برغم كل محاولات « التهدئة » بين الجانبين اتقاء لاى صدام نووى .

كذلك يبتغى الاتحاد السوفيتي من الناحية الاستراتيجية ، ولقرب منطقة الشرق العربي جغرافيا من حدوده وأراضيه ، **أن يحول بأى شكل من الاشكال ، دون وقوعها مرة أخرى ، في براثن السيطرة الاستعمارية** التي سوف تحولها الى نقاط وثوب عدوانية موجهة ضد أمنه وسلامته ، والى مساحة استراتيجية شاسعة لتطويق أراضيه من الجنوب .

وفوق كل ذلك ، يريد الاتحاد السوفيتي كذلك ، لقرب هذه المنطقة جغرافيا واستراتيجيا من حدوده وأراضيه ، **تحويلها الى منطقة صداقة وود له** ، يمكن أن تكون احتياطيا استراتيجيا له في حالة نشوب صراع عالمي واسع النطاق ، وذلك طبقا لسياسة الاتحاد السوفيتي التي تقوم على **انشاء أحزمة صداقة محيطة بالاتحاد السوفيتي** ، سواء في شبه القاره الهندية أو في الشرق الاوسط العربي ، أو في غيرها من مناطق العالم ، وذلك كرد من الدولة الاشتراكية السوفيتية ، على السياسة الامبريالية البالية القائمة على احاطة الاتحاد السوفيتي بسلسلة من القواعد والاحلاف العسكرية العدوانية » .

أما فيما يتعلق بالجانب الاقتصادى ، فتوجه دوائر اليمين المتخلف ، والدوائر الرجعية عامة تهمة « الاستعمار الاقتصادى الاخطر » الى ممارسات الاتحاد السوفيتي الاقتصادية في المجال العالمي ، وخاصة ازاء دول العالم الثالث . فهل تشكل سياسة الاتحاد السوفيتي الاقتصادية الخارجية نوعا من الاستعمار الاقتصادى للشعوب والبلدان الاخرى حقا وخاصة لشعوب العالم الثالث ؟

هناك معياران أساسيان ، بالمقياس العلمي ، للحكم على الطابع « الاستعمارى » لسياسة دولة من الدول تجاه العالم الثالث بصفه خاصه : **أولهما** : موقفها من الهياكل الزراعية المتخلفة في البلدان التابعة والنامية . **ثانيهما** : فرض ظاهرة الاقتصاد غير المتوازن على هذه البلدان ، والعمل على ضمان استمرارها .

فبالنسبة للجانب الاول نجد أن هدفا أساسيا من الاهداف الاقتصادية للسياسة الاستعمارية يتمثل في **الابقاء على البلدان التابعة والنامية كمزارع لمصانع أوربا الغربية وأمريكا الشمالية** ، الابقاء عليها في حدود الاقتصاد الزراعي « كأرياف للعالم » ، والحيلولة بأى شكل دون تصنيعها بل وخنق نموها الصناعي ان نشأ ، كي تظل دوما قواعد لانتاج وتصدير المواد الخام وسوقا لتصريف المنتجات الصناعية .

وبالنسبة للجانب الثاني نجد أن الدول الاستعمارية عملت في أغلب الاحيان على تشويه اقتصاد البلدان المستعمرة والنامية ، والاخلال بتوازنها الاقتصادى ، عن طريق **فرض الاعتماد على انتاج محصول واحد أو اثنين على الاكثر** ، على اقتصاد هذه البلدان ، مما أسفر عن نتائج مأساوية بالنسبة لتلك الشعوب أدى الى افتقارها المستمر بسبب اقتصاد الاعتماد على سبيل المثال على الكاكاو في **غانا** ، والفول في **جامبيا** ، والثوم في **زنجبار** ، والالياف في **تانزانيا** ، والمطاط في **الملايو** ، والشاى في **سيلان** ، والموز في **جامايكا** ، والمطاط والقصدير في **اندونيسيا** ، والقطن في **مصر** ، والبن في **كولومبيا** ، والقصدير في **بوليفيا** ، والنحاس في **شيلي** ، والموز في **هندوراس** ، والبترول في **فنزويلا** . فهل يمكن لاحد

أن يجد بلدا واحدا فى العالم . عمد الاتحاد السوفيتى الى فرض سياسة المحصول الواحد عليه ، والاخلال بتوازنه الاقتصادى على هذا النحو ؟

ان أحدا لن يجد مثل هذا البلد لان الاتحاد السوفيتى لم يعمد قط الى اتباع مثل هذه السياسات تجاه البلدان النامية وبلدان العالم الثالث التى أقام معها علاقاته الاقتصادية . بل لقد ساهم بوضوح ، فى مساعدتها على كسر هذا الطوق الاقتصادى الخانق ، والانطلاق الى آفاق التصنيع الحديث . **لقد كان الاتحاد السوفيتى هو الدوله العظمى الوحيده فى العالم التى ساهمت فى أكبر عمليات التصنيع وأوسعها انتشارا فى العالم الثالث حيث اقام مئات من المصانع الكبرى والمتوسطه فى مختلف ارجاء هذا العالم ووضع أسس الصناعه الثقيلة فى عدد من اهم بلدانه . ان الاكثر انصافا وعدلا أن يقال : ان الاتحاد السوفيتى يزرع الصناعة والتقدم الصناعى فى أرياف العالم الثالث ، فيسا لها من مهمة « استعمارية » حقا !**

أما فيما يتعلق بالدول الاشتراكية الاوربية والاسيوية على حد سواء ، فانها لا تعانى قط من مثل هذه الظواهر ، ولم يفرض عليها الاتحاد السوفيتى الذى تقيم معه أضخم علاقاتها الاقتصادية ، سياسة اعتماد على محصول واحد أو اثنين ، بل لقد اصبحت جميعا ، وبفضل معونة الاتحاد السوفيتى ، **قواعد راسخة للصناعه الثقيلة الى جانب الزراعة العصرية المتقدمة** . وقد انتجت البلدان الاشتراكية التى تمثل ٣٣ فى المائة من سكان العالم . و ٢٦ فى المائة من مساحته ٤٠ فى المائة من مجمل الانتاج الصناعى فى العالم عام ١٩٧٣ . وفى نفس العام زاد الدخل القومى فيها بنسبة ٤٧٠ فى المائة عما كان عليه سنة ١٩٥٠ ، فى حين لم يزد فى البلدان الرأسمالية **المتقدمة** سوى بنسبة ١٨٠ فى المائة فقط فى نفس الفترة . فهل يمكن بعد كل ذلك ، اعتبار كل تلك العلاقات الاقتصادية من جانب الاتحاد السوفيتى ، تجاه كافة البلدان الاشتراكية والنامية ، « **استعمارا** اقتصاديا » بوجه من الوجوه ؟

أما فيما يتعلق ببلادنا فاننا نود أن نؤكد على حقيقة انه اذا كان المبدأ الاساسى فى أى استعمار قديم أو حديث هو تصفية الاستقلال السياسى الحقيقى للبلدان المستعمرة والتابعة ، أو تفريغه من مضمونه . فالامر الملاحظ على نحو بالغ الوضوح هنا ، **هو أن المرحلة التى شهدت أشد توثق للعلاقات المصرية ــ السوفيتية ، هى نفسها التى شهدت أكمل وامجد معالم الاستقلال الوطنى لهذا البلد** . وليس هناك أدنى شك لاى دارس منصف لتطور العلاقات المصريه السوفيتية فى أنه فى أوج توثق العلاقات مع الاتحاد السوفيتى ، وتقديمه لكل صنوف المساعدة العسكرية والسياسية والاقتصادية لبلادنا ، **كان القرار دوما على هذه الارض ، قرارا مصريا أولا وأخيرا .** ولذا ، ينبغى أن نؤكد هنا تلك الحقيقة دون التواء أو مواربة وهى **أن الاتحاد السوفيتى احترم دوما استقلال بلادنا السياسى وحريتها المطلقة التامة فى اتخاذ قراراتها .**

ومع ذلك فان القوى الاستعمارية والرجعية فى دأبها المحموم لنشر أضاليلها وأكاذيبها ، عملت دوما على تزييف الحقائق فى مجال التعاون المصرى ــ السوفيتى ، وعلى تشويه الوقائع ــ وهو ما يبلغ القمة فى اللاأخلاقية ــ بتصوير هذه الوقائع بعكس مضمونها والمبتغى منها عن طريق تصوير المساعدة السوفيتية مثلا على انها « وجود » استعمارى ، و « تسلل » استعمارى .

فعندما وافق الاتحاد السوفيتى ــ وهذا مثل واحد على ذلك ــ بناء على الحاح الرئيس **جمال عبد الناصر** أثناء حرب الاستنزاف فى يناير ١٩٧٠ ، على الاسراع بارسال أطقم صواريخ سوفيتية للمشاركة فى الدفاع عن العمق المصرى الذى بدأت اسرائيل ضربه ، وحتى يتم تدريب الاطقم المصرية ، عندما وافق الاتحاد السوفيتى على ذلك ــ تقديرا لمكانة مصر ودور زعامتها ــ برغم معارضته أصلا لخروج أى وحدات سوفيتية خارج أراضيه ، وعندما قام بالفعل بارسال ضباط وجنود سوفيت لمؤازرة مصر فى دفاعها ضد العدوان انذاك ، بدأ تصوير هذا التعاون والتضامن النبيل فى صورة تسلل استعمارى حثيث ، خلف الشعار المغرض الذى اطلقته الدوائر الاستعمارية والرجعية المحلية واسمته « **بالوجود** السوفيتى » فى مصر .

وهكذا تحول القبول بمعونة دولة صغيرة صديقة عزلاء ، ضد عدوان بربرى غاشم « وجودا استعماريا » . والذى جاء ليشارك شعبا صديقا فى دفاع عادل عن النفس ، ويقدم حياته فدية لاخرين يبعدون عن بلاده آلاف الكيلو مترات، قد تحول فى أعين الرأسماليين والمرابين ، والطفيليين

ومصاصى دماء الشعوب الى « مستعمر » ووسيلة فى يد استعمار أخطر وأشد وأنكى ، فى الوقت الذى كانت فيه أرض مصر هى الارض الوحيدة خارج نطاق المعسكر الاشتراكى ، التى سفك عليها الدم السوفيتى .

واذا كان هؤلاء المستشارين والخبراء العسكريين ، يمثلون — فى عرف الاستعماريين والرجعيين — استعمارا أشد وأنكى وأخطر فاننا لنتساءل حقا أى استعمار جبار هذا الذى يخرج طواعية والتزاما هكذا ، بمجرد قرار لرئيس جمهوريتنا بانهاء مهمة هؤلاء المستشارين ؟ وهو القرار الذى اتخذه الرئيس أنور السادات فى صيف ١٩٧٢ ؟

ولحسن الحظ فان سخرية الاقدار وحدها ، هى التى جعلت من هذا القرار ، اكبر عملية فضح لفرية وأكذوبة « الاستعمار السوفيتى » لان الاتحاد السوفيتى — وأمام أعين كل مصرى وعربى — بادر فورا بالاستجابة للقرار المصرى ، وأصدر أوامره بعودة المستشارين حتى قبل الموعد المصرى المقرر . على أن عملية الفضح هذه لن تكون الاخيرة من نوعها ، لان المستقبل يحمل فى طياته دوما ، تضييق دائرة التضليل السياسى للشعوب .

واذا كانت أسطورة «الاستعمار السوفيتى» قد انتهت هنا هكذا خير نهاية ذات دلالة ، وبعمليات وداع وتوديع لاصدقائنا ، أعرب فيها المصريون عن امتنانهم لمن مدوا اليهم يد المساعدة بالعدة والعتاد والعلم والخبرة ، توجت مؤخرا بمنح وسام « **النجمة العسكرية** » من الدرجة الاولى ، للجنرال السوفيتى **بيتر سيماخودسكى** كبير هؤلاء المستشارين تقديرا لخدماته لبلادنا وشعبنا ، فاننا نود أن نتساءل حقا عن الرصيد المشين لهذا الاستعمار الاخطر والاشد فى باقى أرجاء وطننا العربى ، اذ كان هناك أصل وواقع لمثل هذا الرصيد المشين ؟

لحسن الحظ أيضا ، أن الحقيقة محفوظة دوما فى سجلات التاريخ ، وفى قلب دور المحفوظات والوثائق ، ولا يسع أحد انكارها أو محوها . فحتى قبل اندلاع ثورات العرب الوطنية المعاصرة بدءا بثورة يوليو ١٩٥٢ ، كان للاتحاد السوفيتى موقفه المبدئى الثابت من قضايا العرب المصيرية .

فلقد أيد الاتحاد السوفيتى **سوريا ولبنان** فى مجلس الامن سنة ١٩٤٦ ، مطالبا بانسحاب القوات البريطانيه والفرنسيه من أراضى هاتين الدولتين ، كما عمل ضد محاولات **القوى الامبرياليه** لاقامه مناطق نفوذ فى **المستعمرة** الايطالية السابقة « **ليبيا** » ، **ويرجع اعتراف** الجمعية العامه للامم المتحدة باستقلال ليبيا ، الى حد كبير ، الى دفاع **الاتحاد السوفيتى** عن حق الشعب الليبى فى تقرير المصير ، وبالنسبة **للمغرب وتونس** ، قامت الحكومة السوفيتية فى الامم المتحدة أيضا بالدفاع عن مصالح الشعب المغربى والشعب التونسى ، وساعد التأييد السوفيتى الفعال ، تونس على تحقيق انسحاب القوات الفرنسية من **بنزرت** ، وقام ممثلو الاتحاد السوفيتى باصرار بتأييد القضية العادلة للشعب **الجزائرى** فى الامم المتحدة وبتأييد حربه العادلة من أجل التحرر الوطنى ، بل وتقديم المساعدات له ، كذلك تبنت الحكومة السوفيتيه فى مجلس الامن عام ١٩٤٧ ، مطلب **الحكومة المصرية بجلاء** القوات البريطانية عن **مصر والسودان** . وعندما قامت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ فى مصر ، رحب بها الشعب السوفيتى ، وأيدت الحكومة السوفيتية مصر بحزم فى تأميمها لشركة قناة السويس ، ووقف الاتحاد السوفيتى مع مصر موقفه المعروف خلال عدوان ١٩٥٦ ، وسنوات الحصار الاقتصادى . وعندما أحدق خطر التدخل الامريكى العسكرى **بسوريا** بعد تشكيل حكومة التجمع القومى فى خريف ١٩٥٧ ، اعلن الاتحاد السوفيتى أنه لن يسمح بوقوع عدوان على سوريا ، وعندما تفجرت ثورة ١٤ تموز **العراقية** ، كان موقف الاتحاد السوفيتى سندا لها وظهيرا ، فردع الخطة الامبريالية **للزحف الى بغداد** » ، كذلك قدم الاتحاد السوفيتى مساعداته أيضا للثورة **اليمنية** عن طريق مصر ، وساند ثورة **عدن وجنوب اليمن** ، وآزر **جمهورية اليمن الديموقراطية الشعبية** منذ تأسيسها . كما أيد وساند بقوه ثورة **السودان** ١٩٦٨ ، والثورة **الليبية** فى صراعها مع الاحتكارات الامبريالية سنة ١٩٦٩ . ووقف مع حقوق الشعب العربى **الفلسطينى** فى كل محفل دولى ومجال ، وكان من أكبر القوى التى دفعت بقضية فلسطين لدخول منبر الامم المتحدة ، ومدت يد العون والمساعدة المادية للشعب الفلسطينى فى كفاحه . وكل هذه المواقف جميعا على سبيل المثال لا الحصر .

فاين هو « الاستعمار » حقا فى كل تلك المواقف ؟ . ان الاتحاد السوفيتى لم يحصل فى كل

هذه البلدان ، على قاعدة عسكرية واحدة ، أو ينهب مادة خام لبلد عربى بثمن بخس ، واذا كان **البترول** هو أهم ثروة مادية عربية ، فان احدا فى العالم العربى لم يشر ولو الى قرينة واحدة تنبىء بأطماع سوفيتية فى البترول العربى ، لان الاتحاد السوفيتى فى غنى حقا عن البترول العربى ، بعد أن أصبح الان ، الدولة الاولى المنتجة للبترول فى العالم . ان الاتحاد السوفيتى فى الحقيقة لم يقف مع قضايا العرب العادلة طمعا فى مغنم استعمارى استغلالى نهم ، طمعا فى بن اليمن مثلا ، أو كروم الجزائر ، أو زيتون تونس ، أو نفط العراق ، أو مواشى السودان ، ولم يقف قط مع حق الشعب الفلسطينى طمعا فى أمل مقبل فى موالح يافا وبيارات الخليل ويالة من أمل بخس ، فخيراته الطبيعية والمعدنية البكر ، تمثل على حد رأى الامريكيين « كنوزا من الثروة » تفوق أى قدرة حالية على استثمارها ، كما وأن الاقتصاد السوفيتى مخطط بحيث لا يعتمد ولا يحتاج قط الى أى نهب طفيلى لاقتصاديات وموارد الشعوب الاخرى ، وانما وقف الاتحاد السوفيتى ، ويقف دائما مع الشعوب العربية فى كفاحها ، لسبب أساسى واحد ، كما قلنا ، هو أن **له مصلحة موضوعية فى نضال العرب ضد الامبريالية ، وتصفيتها من بلادهم ، باعتبارها عدوه الرئيسى الخطر المدجج .**

وانما الكلام الذى ينبغى أن يقال انصافا للعدل والحق فعلا بهذا الصدد ، فهو أن العالم العربى ، ممثلا فى دوله الوطنية المعاديه للامبريالية ، وفيما يخص علاقاته بالاتحاد السوفيتى ، **يأخذ من الاتحاد السوفيتى ، بالمعنى المادى المباشر ، أكثر مما يعطى** ، او على اقل تقدير اخذ اكثر مما اعطى وهذا هو الوضع الحقيقى للامور ــ دون ادعاء أو نفاق ــ بدليل أن الاتحاد السوفيتى لايزال دولة دائنه بهذا الصدد وليست مدينة .

على أن سياسة المساندة والدعم والتضامن هذه ليست استثناء قط ، فى خط السياسه الخارجية السوفيتية . فلقد أنفق الاتحاد السوفيتى المليارات فى صورة مختلف أنواع المساعدات للثورة الفيتنامية فى الشمال والجنوب مثلا ، لكنه لم يفعل ذلك قط أملا فى القفز على رأس جسر فى الهند الصينية ، أو طمعا فى منطقة نفوذ استعمارية جديدة هناك ، وانما فعله تحقيقا لاستراتيجيته فى تصفية النفوذ الامبريالى من آسيا ، واضعاف مواقع الامبريالية عامة .

والامر الملفت للنظر حقا أنه على الرغم من أن هانوى كانت تغص بالمئات من المستشارين العسكريين السوفيت ، فان احدا فى هذه العاصمة الثورية الكبيرة ، لم يشر من قريب أو بعيد الى خطر ما يسمى « بالوجود السوفيتى » أو غيره هناك ، وكانت صحف فيتنام الثورة أنبل من أن تلطخ كبريائها الوطنى والثورى ، بتعليقات « مراهقة » مغرضة من هذا القبيل . كذلك فاذا كان الاتحاد السوفيتى قد أيد الثورة الكوبية بالفعل فانه لم يفعل ذلك بهدف «استعمار» كوبا او نهب سكرها وثرواتها بابخس الاثمان ، وانما لانها قطعت ذراعا من اذرع الامبريالية الامريكية ، والامر المعروف لكل ذى عينين فى هذا العالم ، هو أن الاتحاد السوفيتى ، رغبة منه فى مساندة كوبا فى وجه الحصار الاقتصادى الامريكى ، **يشترى سكرها بسعر أعلى من السعر العالمى** . فياله من « استعمار معطاء » حقا !

لكن القوى الاستعمارية والرجعية وعناصر اليمين المتخلف ، لا تكف عن حربها المحمومة ، فهى اذا ووجهت بكل هذه الحقائق الاقتصادية التى لا يرقى اليها الشك ، والتى لا سبيل الى نكرانها ، فانها تنتقل الى قرية جديدة لتشيع أن الغرض من وراء كل تلك المساعدات الاقتصادية العسكرية ، هدف واحد ، هو **التغلغل الايديولوجى والسيطرة الايديولوجية** ، فهل حقا يقدم الاتحاد السوفيتى مساعداته بشروط ، التسلل الايديولوجى ؟

لن نجيب على ذلك انطلاقا من واقع رفض القيادات الوطنية العربية ، الخضوع فى تعاملها لاية شروط اجنبية ، فهذا أمر معروف ومقرر . وانما يأخذنا العجب حقا ، ونتساءل : ما الذى تريده القوى الرجعية وقوى اليمين المتخلف فى بلادنا اكثر من أن مصر التى نالت ــ على المستوى العربى ــ أكبر قدر من المساعدات السوفيتية العسكرية والاقتصادية ، لن يجدوا فيها حتى المبرر التقليدى الكاذب الذى تستغله الدوائر الرجعية عادة لتلفيق الاتهامات للاتحاد السوفيتى « بالتغلغل الايديولوجى » الا وهو وجود حزب ماركسى محلى ، علما بأن مصر هى الاستثناء الوحيد أيضا فى هذا الصدد بين كافة الدول العربية الوطنية ، وفى الوقت الذى انتشرت فيه هذه الاحزاب فى كل بقاع العالم ، بما فيها الدول الاستعمارية نفسها ، حيث تصدر صحفها

ومجلاتها ووسائل اعلامها واسعة الانتشار بشكل علني ورسمي ، وعلما بأن وجود مثل هذه الاحزاب في بلدان العالم ، لا يمثل بأى حال تغلغلا أيديولوجيا أجنبيا ، وانما يمثل حقيقة وطنية نابعة من رحم مجتمعات هذه البلدان ، ومن واقع كفاح طبقاتها الكادحة ومثقفيها التقدميين ، يؤكد ذلك في العالم العربي أن نشوء الاحزاب الماركسية العربية ، سبق بعشرات السنين ، نشوء العلاقات العربية ـ السوفيتية ، ويؤكده أيضا أنه لم يثبت قط فى تاريخ منطقتنا العربية ، سياسيا أو قانونيا ، وجود أى تدخل من جانب الاتحاد السوفيتي فى شئوننا الداخلية . أو أى علاقة تآمرية أو غير مشروعة تربطه بقوة محلية أيا كانت .

انه لامر غريب حقا وابتزاز مكشوف ، فى الوقت الذى نجد فيه ، حتى لجزيرة رينيون الصغيرة حزبها الشيوعي ، ولجزر المارتينيك وغيرها فى أقصى اصقاع الارض ، وفى الوقت الذى نجد فيه لتونس العربية ، حزبها أيضا ، وللبنان الصغير حزبه وحتى للمغرب ، ومع ذلك يعلو الحديث هنا فى مصر عن « التغلغل » ليصبح هديرا ، فى الوقت الذى لا يتوفر فيه حتى المبرر المصطنع الزائف لمثل هذا الاتهام .

اننا لن نستطرد فى تحليل الاغراض المشئومة لذلك التشكيك فى الطبيعة المنزهة للمساعدات السوفيتية ، وذلك . الابتزاز للقوى الوطنية والديموقراطية فى هذا البلد ، وتلك المكارثية التى تريد استئصال فكر اليسار من كل عقل مصرى وعربى ، وكأنه يمكن قتل الافكار بمرسوم . لن نستطرد فى ذلك وانما نعود لنؤكد مرة أخرى هنا أن الاتحاد السوفيتي قدم دوما مساعداته لبلادنا من منطلق دعم النضال ضد الامبريالية ، وفى سبيل الاهداف المشتركة التى تجمعه وحركة التحرر الوطنى العربية ، لا فى سبيل التمكين لسيطرة الاحزاب الشيوعية المحلية ، فهذه المهمة ليست مهمة الدولة السوفيتية بأى حال من الاحوال والاتحاد السوفيتي بتجاربه التاريخيه الكبرى أعظم من يدرك ان الثورة **لا تصدر ولاتفرض** قسرا ، كذلك فان الاحزاب الشيوعية لا تصل الى السلطة قط عن طريق مساعدات دولة أعظم أو غيرها ، فكل هذه العوامل لن تجدى سبيلا ، وانما وصلت هذه الاحزاب الى السلطة فى كل مكان وصلت اليها فيه سواء فى روسيا أو الصين أو كوبا مثلا بقدر ما جسدت الامال الثورية للملايين المظلومة المضطهدة ، وبقدر ما جذبتها الى صفوف كفاحها ، وهى مهمة ثورية تحتاج لاجيال من النضال والصبر والتضحيات والوعى . والاتحاد السوفيتي بالذات ، اول من يدرك ذلك حق أدراكه .

فاذا انتقلنا الى المستوى العربى العام ، لنتحدث منه بلغة الواقع والحقيقة التى لا يسع احد انكارها ، فاننا نود ان نتساءل حقا : الم تكن هذه الدول العربية التى تلقت الالاف وليس المئات من الدبابات السوفيتية ، فضلا عن الطائرات والصواريخ والمدافع ، ومختلف انواع الاسلحة الحديثة التى لم تزود بها دول حلف وارسو ، والتى تلقت بالاضافة الى ذلك اكبر مساعدة سوفيتية فى مجال التصنيع ، فى صورة مئات المصانع المنتشرة على اتساع رقعة العالم العربى ، ألم تكن هذه الدول هى نفسها التى ضرب فيها الرقم القياسى فى العالم فى اعدام سكرتيرى الاحزاب الشيوعية ، حيث أعدم فى غضون فترة لا تزيد عن عشر سنوات ، اربعة من سكرتيرى هذه الاحزاب . **سلام عادل** فى العراق ، **وفرج الله الحلو** فى سوريا ، **وعبد الخالق محجوب** فى السودان ، ومن قبلهم العنصر القيادى البارز فى مصر **شهدى عطية** ؟ وبالطبع ، فلقد شجب الاتحاد السوفيتي ويشجب دوما أى اضطهاد لقوى اليسار من واقع التزامه بمبدأ التضامن الاممى مع الشعوب والحركات المناضلة ،ولقد استنكر بشدة دوما اعدام قادة الاحزاب الماركسية ومناضليها ، وشبابها ، ولكن الا يكفى استمرار المساعدات السوفيتية الحاسمة وتضامن الاتحاد السوفيتي المستمر معنا فى كفاحنا بعد ذلك دليلا على **أن نضالنا ضد الامبريالية هو الفيصل الوحيد فى تلقى أى دعم عسكرى واقتصادى وسياسى من هذا البلد الصديق** ؟ افلا يكفى كل ذلك دليلا على نزاهة ومبدئية سياسته تجاهنا ؟ ومما الذى يريده الرجعيون من الاتحاد السوفيتى حقا ، ليثبت للعرب نزاهته واخلاصه ، ومواقفه المبدئية ، وخلو سياسته من التآمر على مقدراتهم الداخلية ؟ .

ان الوطنيين الحقيقيين فى مصر وفى العالم العربى ، هم الذين يدافعون عن التعاون المصرى ـ السوفيتى،وعن تطوير وتقدم العلاقات مع الاتحاد السوفيتى ، فلقد ظل هذا البلد دوما ـ خاصة فى احلك اللحظات ـ سندا مخلصا للشعوب العربية ،ولم يتراجع فى أى وقت عن دعم النضال العربى ضد الامبريالية ، ولم يترك الامة العربية عزلاء فى وجه الاستعمار العالمى الطامع .

مفـــاتيح عصـــرية
للمصطلحات الصهيونية

حققت « الطليعـة » لقرائها سبقا هاما عنـدماقدمت لهـم فى الاعـداد الماضـية مجمـوعة من المصطلحات الصهيونية مع تجربة عصرية ومصريةلهـا .

وفى هذا العدد تقدم الطليعة الحلقة الاخيرة منهذه المصطلحات .. ذلك أنه سوف تصدر فى آخر شـهر ينـاير كتاب بعنوان موسـوعة المفاهيـموالمصطلحات الصهيونية : رؤية نقدية . من تاليف واشراف د . عبد الوهـاب المسـيرى [بمركـزالدراسات السياسية والاستراتيجية بالاهرام] .

الاستعمار الصـهيونى - بعض سماته الخاصـة

على الرغم من ان الاستعمار الصهيونى هو امتداد للامبريالية الغربية فى قلب الوطن العربى فانه مع هذا امتداد له سـمـاته الخاصة وقوانينه الفرعية التى تتحكم فيه وتصبغه بلون خاص ، وفيما يلى بعض هذه السـمـات الخاصة :

١ أسـتعمار عميـل

نشـأ الاستعمار الصـهيونى أثنـاء فترة « التكالب على أفريقيا » ومحاولة تقسيم آسـيا وأفريقيا من قبل الدول الصـناعية المتقدمة فى نهاية الثمانينيات فى القرن المـاضى . وفى تلك الآونة بدأت تركيا أو « رجل أوروبا المريض » فى الاحتضار مما جعل الدول الغربية تقف فى حالة تأهب لسد «الفراغ»الذى سينجم عنوفاته. فى هذا الجو ظهرت الصهيونية، وهى كتنظيم وعقيدة لم يكن عندها لا جيش ولا شعب ولا وسـائل ضغط من أى نوع وانما كان عندها « برنامج » لاعادة توطين اليهود فى فلسـطين ، وفى قلب الامبراطورية العثمانية فى الطريق الموصل بين آسيا وأفريقيا فى بقعة تطل على قناة السويس وعلى الطريق الى الهند . ولتحـويل البرنامج الصهيونى الى حقيقة واقعة ، كان لابد وأن تتبناه وترعاه أى قوة امبريالية لتفرضه فرضـا على فلسطين . وقد وجد الصهاينة ضالتهم المنشودة فى نهاية الامر فى الامبريالية الانجليزية ، فبعد قيام الحرب العالمية الاولى وسقوط الامبراطورية

العثمانية وقيام الثورة العربية سارع الانجليز بمنح الصهاينة وعد **بلفور** ليسهلوا مهمة الاستعمار الصهيونى الاستيطانى فى فلسطين حتى لا تقع فلسطين تحت النفوذ الفرنسى وحتى يمكن التحكم فى الطريق الى الهند عن طريق الدولة الصهيونية العميلة . ولا يزال الاستعمار الصهيونى حتى الان استعمارا عميلا يخضع لقوة امبريالية غربية يستمد منها القوة والعون ، وتخضع ديناميته لديناميتها وترتبط سياسته بسياستها .

(٢) استعمار استيطانى

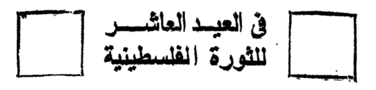
لا يأخذ الاستعمار الصهيونى شكل جيش يقهر البلد المتخلفة ويحتلها ليستغل امكانياتها الاقتصادية والبشرية لصالح البلد الاوروبى الغازى ، وانما هو يأخذ شكل نقل مستوطنين أوروبيين من بلادهم الى البلد الجديد ليعيشوا فيه ويجعلوه وطنا لهم ، كما هو الحال مع المستوطنين الفرنسيين فى الجزائر والمستوطنين البيض فى روديسيا وجنوب أفريقيا .

(٣) استعمار احلالى

يسعى الاستعماريون الاستيطانيون الى استثمار ثروات البلاد التى يستوطنونها بما فى ذلك قوة العمل للسكان المحليين ، ولذلك فهم عادة ما يحولون السكان الاصليين الى طبقة بروليتارية فى مجتمع « رأسمالى جديد » . أما الصهيونية فلم تكن طامعة فى موارد الارض الفلسطينية فحسب بل كانت تريد **الارض** ذاتها بعد تفريغها من سكانها لانشاء دولة « قومية » جديدة . ولهذا كان لابد من أن يكون لهذه « الامة الجديدة » طبقاتها الخاصة بها ، بما فى ذلك طبقاتها العاملة ، أى أن البرنامج الصهيونى كان يقتضى ويتطلب احلال قوم محل العرب ، وليس مجرد استغلال هؤلاء العرب . ولقد كان الفلاح الفلسطينى يطرد من أرضه ليتحول الى لاجىء ، على عكس الفلاح الافريقى فى جنوب أفريقيا الذى كان يطرد من أرضه ثم يستوعب كبروليتارى فى النظام الاقتصادى الجديد .

(٤) استعمار له دينامية عمياء

يفتقد الاستعمار الصهيونى الاستيطانى الاحلالى الى اى دينامية محددة مستقلة بسبب جذوره التاريخية ، فهو أولا — كما بينا — استعمار عميل غير مستقل ، وهو ثانيا استعمار استيطانى احلالى زرع زرعا فى منطقة تلفظه بكل قوة وعنف مما يضطره الى اللجوء للقوة الامبريالية الغربية ، الامر الذى يزيده افتقادا للاتجاه . ومما يعقد الامور أن مساعدات **الاقليات اليهودية** تساهم فى عزل البناء الاستعمارى الصهيونى عن الواقع التاريخى المحيط به مما يزيده شذوذا ، لان « الاتجاه التاريخى » أمر ينبع من بناء المجتمع التحتى الاقتصادى الاجتماعى المحدد . وتظهر الدينامية التوسعية العمياء — التى تتحكم فيها اعتبارات مثالية وتتشابك فيها الاعتبارات السياسية والاقتصادية والخلقية — فى مشكلة الحدود . فالدولة الصهيونية لم تعرف حدودها قط لا فى أيام الحركة الصهيونية ولا فى أيامنا هذه ، بل نجد لكل مفكر وزعيم صهيونى فى اسرائيل او خارجها خطة او خطتين للسلام ملحقا بهما عدة خرائط تبين الحدود المقترحة . وقد وصف احد المفكرين الصهاينة حدود الدولة الصهيونية فى المستقبل بجلد الابل الذى يتقلص أو يتمدد وفقا لجوع الحيوان أو شهيته ، وقد **قرر بن جوريون** أن الذى يحدد شهية «الحيوان» هو **الجيش الاسرائيلى** ولذلك اقترح بعد اعلان قيام الدولة الصهيونية الا تعلن الحدود لان هذه مسألة تترك للجيش الاسرائيلى ليقررها . ولكن الامبريالية هى التى تتحكم فى اسرائيل ككل وتحدد اتجاهها وتوظف حركتها فى خدمتها ، وعلى اسرائيل أن تنفذ المخطط الامبريالى سواء كانت واعيه بهذا أم غير واعية ، وسواء كانت راضية أم كارهة ، فهى لا حياة لها بدون الدعم الامبريالى .



مراحل التسوية ومستقبل فلسطين

عادل حسين

ان الهجمات اليومية المسلحة ضد المواقع الاسرائيلية ، والعدوان المتكرر على تجمعات ومراكز الفلسطينيين فى لبنان ــ قبل اكتوبر وبعده ــ هما شهادة متجددة بأن الثورة الفلسطينية هى الجبهة التى لم تتوقف يوما عن اطلاق النار .. منذ اول يناير ١٩٦٥ ، اى منذ عشر سنوات ، وابطال الثورة يواصلون النضال احيانا كان النضال يتصاعد ، واحيانا كان يهبط ، ولكنه ابدا لم يتوقف . وقد قال ياسر عرفات يوما ان قرار البدء بعمليات عسكرية بعد كارثة ١٩٦٧ [وهو القرار الذى شارك فى اتخاذه وفى تنفيذه] كان صعبا ، ولكن القرار ببدء العمليات فى اول يناير ١٩٦٥ [والذى شارك ايضا ياسر عرفات فى اتخاذه وفى تنفيذه] كان يحتاج الى شجاعة اكبر .. ولا شك ان هذا صحيح .

واذا كان من حق الثورة الفلسطينية ان تنظر ــ فى عيدها العاشر ــ الى حصاد سنواتها السابقة باعتزاز ، فان ما يواجهها فى السنوات القادمة لا يترك مجالا كبيرا لتبادل التحايا والتهانى .. يكفى ان نلتقط الانفاس ونتذكر الخبرات استعدادا للغد .

لقد مرت المسيرة فى اربعة مراحل متميزة : مرحلة يناير ١٩٦٥/يونيو ١٩٦٧ ــ مرحلة يونيو ١٩٦٧/سبتمبر ١٩٧٠ ــ مرحلة ١٩٧١/ اكتوبر ١٩٧٣ ــ مرحلة حرب اكتوبر وما بعدها .

● وفى المرحلة الاولى بدات العمليات السياسية بأسلحة صدئة وعبوات بدائية ، وكانت القيمة السياسية لهذه العمليات اكبر من قيمتها العسكرية ، فهى لم تكن مجرد تخطيط وتنفيذ ناجح لعمليات فدائية ، ولكنها كانت تمثل هذا تعبيرا عن تصور سياسى معين : فقد قدرت « فتح » ان الدول العربية منشغلة فى معاركها الجانبية ، وانها لاتستعد لجولة قريبة مع اسرائيل ، ولذا كان من واجب الطلائع الفلسطينية ان تبادر الى التحرك المستقل باسم الشعب صاحب القضية . وكانت « فتح » ترى ان تحركها سيؤدى الى بلورة الشخصية الفلسطينية التى كادت ان تنسى ، وكانت ترى ان تحركها سيؤدى الى اعادة القضية الى بؤرة الاهتمام العربى ، والى مسرح الاحداث العالمية . ولكن الاتهامات كيلت يومها لهذا التحرك الفلسطينى ، وقيل انه سعى « مشبوه » « لتوريط » الدول العربية فى معركة مع اسرائيل لم نستكمل استعدادنا لها بعد ، وكان طبيعيا ان يترجم الاتهام الى

مطاردة ومحاربة ، وكان كل هذا متوقعا ، ولذا كان القرار بالغ الصعوبة — كما قال ياسر عرفات — فالقتال بعد يونيو كان ضد اسرائيل ، ولكن القتال في عام ١٩٦٥ كان ضد اسرائيل ، وضد ما يشبه الاجماع من الدول العربية .

وبوسعنا الان — وبعد مرور عشر سنوات — ان نقرر ان التصور السياسي لـ « فتح » لم يكن يعني « التوريط » ، ولكن يمكن ان نقول انه كان دفعا لمعارك الدول العربية نحو الاتجاه الصحيح ، ونحو الاستعداد الجاد امام الخطر الاسرائيلي ، ولو قدرت الدول العربية هذه المخاطر تقديرا صحيحا منذ ١٩٦٥ او قبل هذا ، لامكن بالقطع تفادي كارثة يونيو ١٩٦٧ .

قد يقال ان حركة فتح لم تكن متكاملة الوضوح في اهدافها الاستراتيجية ، ولم تكن تعرف المراحل والتكتيك ، ولم تلق بالا لطبيعة التناقضات والصراعات في الساحة العربية ، وكان السلاح هو اسلوبها الوحيد المعلن . ولكن كافة هذه الانتقادات يضعفها ان نسترجع صورة الموقف في تلك المرحلة ، فحركة فتح والشعب الفلسطيني كله لم يكن صاحب وزن مؤثر في احداث المنطقة ، ولو دخلت فتح في صراعات تلك الفترة كانت ستبتلع في هذا المحور او ذاك ، ثم ان الاوضاع العجيبة في تلك المرحلة كان ممكنا ان تضع مصر بكل ثقلها ضد التحرك الفلسطيني ، وكان ممكنا ان تتلقى «فتح» دعما من بعض الدول المحافظة . والمنطق الثوري كان يقتضي الاستفادة من اي امكانيات متاحة دون الدخول في تحديدات او محالفات قد تعوق اكثر مما تفيد . وبالنسبة للاهداف الاستراتيجية والمرحلية واساليب النضال كان النقص في كل هذه الامور لا يشكل في هذه المرحلة عيبا خطيرا . فالهدف الاساسي كان اثبات الذات بعد التيه الطويل ، ودفع الاخرين شيئا فشيئا الى المساندة والدعم ، وهذا يكفي .

● في المرحلة الثانية [يونيو ١٩٦٧ / يوليو ١٩٧٠] اختلفت المعطيات السياسية التي تحكم العمل . واصبح استمرار النضال يتطلب تصورا سياسيا اكثر تحديدا ويستوعب المعطيات الجديدة . وكانت المعطيات الجديدة كالتالي :

١ — اكثر من مليون فلسطيني اضيفوا الى قبضة اسرائيل ، وهذا الوضع اضاف واجبات لدعم الصمود ، وهو من ناحية اخرى قدم امكانيات كبيرة في مقاومة العدو .

٢ — الشعوب العربية ترفض الهزيمة وتصر على جولة عسكرية جديدة .

٣ — مصر وسوريا اصبحتا طرفا مباشرا الى جانب الفلسطينيين في القتال ضد اسرائيل [وهذا اهم المعطيات الجديدة واعقدها] فهو ايجابي كبير للجهد الفلسطيني ، ولكنه في نفس الوقت وضع حدودا لابد من مراعاتها . فنحن الان نواجه نتائج عدوان ١٩٦٧ ونتائج عدوان ١٩٤٨ ، فهل ندمج القضيتين معا او نقبل بنوع من المراحل في مواجهة المخططات الصهيونية ؟ لم يعد هذا السؤال ترفا يمكن تجاوزه كما كان الحال في المرحلة السابقة ، ولكنه اصبح ضرورة تحكم آفاق العمل السياسي والعسكري . ثم ان دخول مصر وسوريا كأطراف مباشرة في القتال اصبح يفرض تنسيقا وتعاونا ، واذا كانت لمصر حسابات محلية ودولية ، فلابد ان توضع هذه الحسابات — بواقعية — داخل التصور السياسي الفلسطيني . قد يعني هذا ان الاشتراك العضوي لمصر وسوريا حدد من حرية العمل الفلسطيني ، وهذا صحيح بمعنى انه حدد من حرية الفلسطينيين في اطلاق الشعارات ، ولكنه اتاح بالقطع امكانية اكبر لممارسة النضال من اجل اثبات الوجود الفلسطيني .

هذه المعطيات الثلاث الجديدة لم تدركها الثورة الفلسطينية ادراكا كاملا . لقد خرجت المقاومة من بين انقاض هزيمة يونيو تعبيرا عن ارادة الجماهير العربية كلها في مواصلة القتال ، اعادت الامل لدى كثيرين اصابهم اليأس ، وهذا فضل لا يمكن ان ينسى واستطاعت الثورة ان تصيب العدو في معركة الكرامة بأول هزيمة كبيرة في تلاحم مباشر بعد يونيو ١٩٦٧ ، وبفضل هذه البطولات والتضحيات تمكنت الثورة من مواجهة المؤامرات ، ومن انتزاع الاعتراف الواسع بالوجود الفلسطيني ، وتمكنت من اقامة قاعدة امينة في شرق الاردن ، ادت الى احكام النضال المسلح وتصعيده .

لقد كانت هذه الانجازات نتيجة ادراك وممارسة الثورة لبعض امكانيات الوضع الجديد . ولكن عدم الاستخدام الكامل لحجم هذه الامكانيات وعدم الادراك الكامل — من ناحية اخرى — لحدود هذه الامكانيات ، ادى الى هزيمة سبتمبر ١٩٧٠ . لقد اثبتت نتائج حرب يونيو ١٩٦٧ وما بعدها ، صحة التصورات السياسية للقيادة الفلسطينية . فقد ثبتت اهمية تبلور ارادة فلسطينية مستقلة ، وثبتت قدرات النضال الفلسطيني .. وثبت ان الدول العربية لم تكن تستعد استعدادا جادا لملاقاة اسرائيل . ولكن يبدو ان هذا النجاح في صحة التصور السياسي ، وما تبعه من بطولات وانجازات عسكرية ، ادى الى تراخ في مراجعة المفاهيم السابقة على ضوء المعطيات الجديدة .. صحيح ان الثورة

حددت — فى هذه الفترة — هدفها الاستراتيجى البعيد على نحو واضح فى شـعار الدولة الفلسطينية الديموقراطية التى تجمع المسلمين والمسيحيين واليهود بلا تفرقة او تعصب ، وصحيح ان منظمات المقاومة وعلى راسها « فتح » تولت قيادة منظمة التحرير طريقا لتوحيد القوى وللشرعية وللاتصالات السياسية . ولكن ظل العمل المسلح هو الاسلوب الوحيد الذى تعترف به الثورة وتمارسه ، ولم ينعكس هذا فى التحرك السياسى الخارجى فقط ، وانما ايضا فى معالجة المشاكل اليومية والاجتماعية والسياسية لجماهير شرق الاردن ، وايضا فى متابعة اشكال النضال غير العسكرى فى المناطق المحتلة . ويرتبط بهذا العجز فى فهم الجديد ، التخلف فى ادراك حدود امكانيات التحرك المصرى وفى حسابات العلاقات الدولية ، وبالتحديد عجزت قيادة الثورة فى مواجهة قضية المراحل ، بل لقد عجزت عن مجرد مناقشة هذه القضية رغم الحاحها ، واوقعها هذا فى تعارض حاد مع القاهرة سهل مهمة ضربها . ومن الانصاف ان نذكر هنا اثر بعض التدخلات العربية غير المسئولة واحتضانها للاتجاهات المغامرة فى الصف الفلسطينى ، ولكن هذا القدر يخفف من مسئولية القيادة ولا ينفيها .

لقد انتهت هذه المرحلة بمذبحة « أيلول » الشهيرة ، والتى كانت مقدمة لانهاء الوجود العلنى المنظم لقوات الثورة الفلسطينية فى شرق الاردن .

● بدأت المرحلة الثالثة [١٩٧١ / أكتوبر ١٩٧٣] بعد نجاح المؤامرة فى الاردن ، بعد استشهاد الالاف من الجماهير الفلسطينية ، وبينهم مجموعات كبيرة من خيرة الكوادر العسكرية والسياسية . لقد كان انجاز الثورة لما أسماه ياسر عرفات «بالزحف الطويل» لقوات الثورة [تشبها بالزحف الطويل فى الثورة الصينية] نجاحا هاما فى تلك المرحلة ، فكما حدث فى الثورة الصينية ، استطاعت الثورة الفلسطينية انقاذ مقاتليها من بين براثن الهجمات الشرسة ، وانسحبت الى مواقع جديدة ، تلعق جراحها وتعيد تنظيم صفوفها . ومع هذا الانجاز الهام كانت هناك مراجعة سياسية للمواقف ، ومحاولة لاستيعاب الدروس وظهرت نتائج هذا فى أسلوب العمل داخل لبنان وفى التنسيق مع القوى التقدمية هناك. وظهرت النتائج أيضا فى تركيز اهتمام أكبر بنضال وتنظيمات المناطق المحتلة . وقد أعلن فى هذه المرحلة مشروع المملكة المتحدة ، استفادة من ضربة أيلول ، واستفادة من جو القتامة الذى أشاعه الموقف الطويل لاطلاق النار على الجبهات العربية ، وقد نجحت قوى الثورة فى محاصرة المشروع ، وبدعم عربى واسع . ولكن كان النجاح الاكبر فى هذه المرحلة هو استمرار اطلاق النار رغم كل الظروف المثبطة ، ورغم « استفراد » اسرائيل بقوى الثورة ، وردها بعنف على كل عملية .

● نأتى الان الى المرحلة الحالية والتى بدأت بعد حرب اكتوبر . لقد بدأت الحرب وفق تنسيق بين القيادات المصرية والسورية والفلسطينية . وفى العمليات العسكرية معروف أن المقاومة الفلسطينية خلف الخطوط ، وضد منشآت العدو كانت بمثابة جبهة ثالثة لا زالت تقاتل بشرف وبسالة حتى الان . وقد بدت فى هذه المرحلة قيمة المراجعة السياسية ، وجدية الاستفادة من خبرات التجربة .

١ — فقد تاكدت وحدة الجماهير الفلسطينية — خارج الارض المحتلة وداخلها — حول منظمة التحرير . وتأكدت قيادة المنظمة لكافة أساليب النضال العسكرى وغير العسكرى ضد العدو . ومع الدور المتزايد لقواعد المقاومة المسلحة داخل الارض المحتلة انخرطت فى صفوف المقاومة قوى كان متصورا أنها بعيدة أو محايدة ، والرمز العظيم الذى يمثله المطران كابوتشى هو مؤشر الى مدى العمق الذى بلغته جذور الثورة .

٢ — أمكن توحيد الجماهير والطلائع الفلسطينية حول المضمون العام لفكرة المراحل فى مسيرة النضال .

٣ — كان هناك حرص على موالاة التنسيق مع القاهرة . والتنسيق لا يعنى اتفاق حول كل النقاط والتحركات ، ولكنه يعنى حرصا على التوصل الى تصور متشابه للاهداف القريبة ، وحرصا على معالجة التناقضات بأسلوب لايغلب التناقضات الثانوية على التناقض الرئيسى قبل العدو .

٤ — استطاعت منظمة التحرير أن تحصل على اعتراف عربى اجماعى بأنها الممثل الشرعى الوحيد للشعب الفلسطينى، ثم انتزعت الاعتراف العالمى فى الامم المتحدة ، ومن خلال الاتصالات المباشرة .

٥ — أصبح مسلما به بأن للنضال الثورى أساليب مختلفة ، وحين يقول ياسر عرفات « اننا حين نتكلم من على هذا المنبر الدولى فان ذلك تعبير فى حد ذاته عن ايماننا بالنضال السياسى والديبلوماسى مكملا ومعززا لنضالنا المسلح ، وتعبيرا عن تقديرنا للدور الذى يمكن

للامم المتحدة أن تقوم به في حل المشاكل العالمية» حين يعلن ياسر عرفات هـذا فانه يؤكد قمـة النضج التي وصلت اليها قيادة الثورة .

• • •

هذا عما تحقق في المسيرة الشاقة ، فماذا عن الغد ؟ ان بحثا يدور حول «الحكومة المؤقتة» ويبدو أن هذه المسألة لا خلاف عليها من حيث المبدأ ويبقى التفصيل والتوقيت ، ولكن مايستحق البحث الاعمق هو ما يطلق عليه الان « الحقوق المشروعة » . الحد الاقصى لهذه الحقوق سهل، ولكن ماهو الحد الادنى الذى يمكن أن يقبل فى هذه المرحلة ؟ ليس مطلوبا ــ بطبيعة الحال ــ أن تكشف القيادة عن أوراقها ، ولـكن مطلوب أن تكون هناك أوراق . ويتفرع عن هذا بحث حول طبيعة العـلاقة بين الدولة الفلسـطينية المقترحة وبين اسرائيل من ناحية ، ثم بينها وبين الاردن من ناحية أخرى. . ان العلاقة بين الدولة الفلسطينية وبين اسرائيل لا يمكن أن تنفصل عن تصور للموقف العربى العام تجاه اسرائيل فى المستقبل ــ فى حالة الوصول الى تسوية دولية ــ ويمكن أن نقول من الان أن الصراع العربى الاسرائيلى لن يتجمد بعد أى تسوية ، ولـكن ستحتل الاساليب الاقتصادية والسياسية المكان الاول ، وفى كل هـذا التصور سـتمثل الدولة الفلسطينية دورا هاما ومتميزا ، فما هو هذا الدور وما هى حدوده ؟ ان هذه الاسئلة وغيرها أصبحت فى جدول الاعمال ، ونوع الاجابة يحدد الكثير بالنسبة لمسـتقبل النضال الفلسـطينى والعـربى ، ولا يغنى عن ضرورة البحـث أن نتوقع تجدد القتال ، ولا يعفى الثورة من مشقة الاجابة أنها تواصل عملها العسكرى ، فمفروض ان نستعد لكل الاحتمالات ، ونخطط للسلام، كما نخطط للحرب ، وفى الحالتين سنكون ممارسين للثورة .

بقيت حقيقتان نود أن نوضحهما أمام الجماهير المصرية ، تتعلق بالموقف الفلسطينى :

● **الحقيقة الاولى** : انه يبدو احيانا ان فى الموقف الفلسطينى بعضا من التوتر الحاد . وقد أشرت الى هذا فى المرحلة الثانية عن الحـديث عن التجاهل لقضية المراحل التى تبدو لنا فى مصر كاحدى البديهيات . وينبغى أن يكون مفهوما أن السبب فى هذا التوتر الفلسطينى لا يرجع الى مجرد ضيق فى الافق ، فالقـادة الفلسطينيون الذين حنكتهم المحن وصهرهم طول النضال هم من أكفأ السياسيين العرب ، والمسألة هى أن المحن والتجارب علمتهم الحذر . وحين نتحدث عن المراحل ، فان هذا التعبير يتركز على القضية الفلسطينية فى المقام الاول ، فعند أى تسـوية سياسية مقبولة ، ستحصل مصر على كل أرضها وستحصل سوريا على كل أرضها ؟ وسيحصل الفلسطينيون على بعض اراضيهم ، وتحت تهديد مباشر من قلعة ستظل عسكرية عدوانية . ولذا فقبل أن نلوم الفلسطينيين على توترهم وتوجسهم ينبغى أن تسعى الاطراف الاخرى أولا للمصارحة منعا لاى شك او سوء فهم ، فمن حق الجماهير الفلسطينية أن تطمئن الى أن الدول العربية لن تقبل شروطا وأوضاعا تضعف قـدرة النضـال الفلسطينى فى المراحل القادمة .

● **الحقيقة الثانية** : تتعلق بالاردن ، فأحيانا يتصور البعض منا أنه اذا كانت اقامة دولة فلسطينية فى الضفة الغربية وقطاع غزة يعوق التسوية ، فلماذا لا نقبل بضم هذه الاراضى الى المملكة الاردنية ، وهذا حل أفضل على أى حال من بقائها فى قبضة اسرائيل ؟ ووضع القضية على هذا النحو خطأ . لان المقارنة ليست بين حكم المملكة الاردنية وبين حكم اسرائيل ، المسألة هى المطالبة بالوضع الطبيعى للامور وهو ان يحكم الفلسطينيون ما يتحرر من أرضهم . واذا كانت اسرائيل تعتبر قيام دولة فلسطينية عائقا أساسيا فى وجه أى تسوية ، فان هذا يجعلنا أكثر ادراكا لاهمية هذه النقطة ولخطورة التنازل فيها . ان اسرائيل تدرك أن الشعب الفلسطينى بحيويته وعناده وثوريته يمكن أن يلعب دورا رئيسيا ضد مخططاتهـا لاختراق المنطقـــة فى أى صراع اقتصادى وسياسى .. أو عسكرى مقبل ، وهى تسعى الى خلق مصـلحة مشتركة مع الحـكم الاردنى ضد الدور الفلسطينى المستقل ، فعودة الحكم الاردنى الى الضفة الغربية وامتداده الى قطاع غزة ــ رغم أنف الجماهير الفلسطينية ، سيجعله مضطرا الى اللجـوء الى القمـع ، وسيلتقى فى هذا ــ موضوعيا ــ مع المصالح الاسرائيلية . واذا كانت الدولة الفلسطينية يمكن ان تكون بدورها وموقعها رأس رمح فى الصراع، فانها أيضا يمكن أن تكون ــ فى شكل الاردن كما تتخيله اسرائيل ــ صماما للامن ، ومعبرا للتبادل الاقتصادى والتجارى مع العالم العربى، أكثر مما كانت الجسور المفتوحة بين الضفتين منذ ١٩٦٧ .

وقد يقال الان أن الامر حسم فى مؤتمر الرباط وبموافقة الملك حسين ، ولكن اخذا بالحسـابات الموضوعية للمصالح ، واستفادة من تجـارب ومحن السنوات السابقة ينبغى أن نقرن فرحنا بنتـائج مؤتمر الرباط ، بترقب يقظ لمنـاورات المستقبل .

• • •

ان الطريق طويل .. طويل .. وتحيـة من الاعماق لرفاق السلاح الفلسطينيين فى عيـد ثورتهم العاشر .

تجارب اشتراكية :

يوغسلافيا :
معالم على الطريق

أبو سيف يوسف

عندما زرت يوغسلافيا ؟ كان برنامج الزيارة الذى اعدته لى دائرة الاعلام الاتحادية يتضمن — فيما يتضمن — زيارة لجمهوريتين من جمهوريات الاتحاد اليوغسلافى الست ؟ وهما جمهوريتا مقدونيا وسلوفينيا . وعندما سألت لماذا مقدونيا وسلوفينيا بالذات؟ كان الجواب ان الجمهورية الاولى تمثل — اقل الجمهوريات تطورا . والاخرى اكثرها تقدما .

وليس من شك فى ان الزائر ليوغسلافيا يستطيع من خلال زيارته لهاتين الجمهوريتين ان يحس بملامح التجربة اليوغسلافية مجسمة : الانجازات والنجاحات التى تحققت والمشاكل التى يبحث لها عن حلول .

ومن هنا سنحاول ان يكون مدخلنا الى التجربة اليوغسلافية هو التعرف على بعض ملامح تطور جمهوريتى مقدونيا وسلوفينيا ، والتطور العام ليوغسلافيا ، ثم نرصد بعد ذلك اهم سمات التجربة والمشاكل التى تواجهها فى مقال قادم اكثر تفصيلا .

■ فى مقدونيا : (ابتداء من القرن السادس والسابع الميلادى بدأ الشعب المقدونى تاريخه فى هذا الجزء من شبه القارة البلقانية. وذلك عندما استقرت فيه القبائل السلافية .

ومنذ ذلك التاريخ ، وباستثناء فترات قصيرة للغاية ، تعرضت مقدونيا لاعمال غزو واحتلال من بيزنطه ، ومن الاتراك العثمانيين ، ومن الحكام البلغار والصرب واليونانيين ، ثم أخيرا من قوات هتلر فى الحرب العالمية الثانية . وكانت المحصلة النهائية ان مقدونيا ظلت حتى عام ١٩٣٩ من أكثر — ان لم تكن أكثر — مناطق يوغسلافيا تخلفا فى جميع المجالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية . يكفى ان نشير هنا الى انه :

● فى عام ١٩٤٥ فقط — وليس قبله — نشر أول كتاب لمبادىء قراءة اللغة المقدونية . وكانت الامية متفشية (٦٠ فى المائة) ولم يكن فيها من مؤسسات التعليم العالى غير كلية واحدة بها ٢٠ طالبا هى كلية الاداب والفلسفة .

● وكانت الزراعة تمثل النشاط الاقتصادى الرئيسى ، بوسائل بدائية وادوات متخلفة .

● وكانت لها كل سمات البلاد المتخلفة من الناحية الصحية : فالامراض المتوطنة وفى مقدمتها الملاريا والتيفوس تفتك بالسكان . اما وفيات الاطفال كانت هى أيضا مرتفعة للغاية .

بعد تحرير يوغسلافيا ، ظفر الشعب المقدونى بحقه فى تقرير المصير وفى اقامة دولته الوطنية المستقلة والاشتراكية والداخله فى الاتحاد اليوغسلافى . وتقدم لنا السبعينات صورة جديدة تماما لمقدونيا ، لجمهورية يسكنها ١٫٦٤٧٫٣٠٨ نسمة ، ٦٩٫٥ فى المائة منهم من المقدونيين و١٧٫٢ من الالبانيين . و٦٫٦ فى المائة من الاتراك و٢٫٧ فى المائة من الصرب ، و١٫٥ فى المائة من النجر ومرة من الغلاسيين .

● وقد اصبح فيها الان ٩ كليات تضم ٣٠ ألف طالب . ويتخرج منهم كل عام ٢٠٠٠ ، ولا يدخل فى هذا الاحصاء ١٢٠٧١ من طلاب المدارس العالية والعليا والكليات . تكفى الاشارة هنا الى ان فيها ١٤٠١ مدرسة ابتدائية تضم ٢٦٠٫٠٣٣ تلميذا و١٠٧٩٤ من المدرسين .

لكن البناء الاشتراكى لا يعنى الثورة التعليمية فحسب ، بل الثورة الثقافية . هكذا هبط عدد الاميين فى مقدونيا الى أقل من ٨ فى المائة . وتصدر فيها صحيفتان يوميتان . ونحو ٢٠ صحيفة أسبوعية . وأكثر من ٥٠ صحيفة ومجلة نصف شهرية ودورية . هذا غير صحف للاطفال والنساء ولافراد القوميتين الالبانية والتركية صحف

خاصة تصدر بلغاتهم القومية . وتجرى ترجمة أعمال هامة من عيون الادب العالمى الى اللغة المقدونية . كما ان الادب المقدونى يشق طريقه نحو آفاق دولية تزداد اتساعا ».

وفى مقدونيا ثمانية مسارح ، ويضم المسرح الشعبى المقدونى فى العاصمة (سكوبليه) ثلاث فرق للدراماوالاوبرا والباليه . وهناك مسرح خاصبالدراما . ومسرح يسمى بمسرح القوميات تقدم فيه الفرق الالبانية والتركية حفلاتها .

● وماذا عن الصحة ؟

يتخرج من جامعة سكوبليه كل عام ١٢٥ طبيبا و٧٠ من اطباء الاسنان . ونجحت الجمهورية فى القضاء نهائيا على الملاريا والتيفوس ». وتحقق نجاح كبير فى مقاومة السل وانخفضت وفيات الاطفال وفى عام ١٩٧٤ اصبح هناك طبيب واحد لكل ٨٥٠ من السكان ». وتقدم الدولة خدماتها الطبية عن طريق عدد كبير من السيارات المتجولة (فى الريف والمناطق الجبلية) ومكاتب الصحة والمراكز المتخصصة والمستشفيات ودور الاستجمام ». ويتم التأمين الصحى على جميع الاطفال مجانا حتى سن الخامسة عشر ، وبعد ذلك يتولى التأمين الصحى للابوين سداد نفقات العلاج ».

● وفى مجال بناء الاقتصاد الوطنى للجمهورية وقعت أيضا تحولات كبيرة . فهناك مؤسسة للكيماويات تضم ١٧ مصنعا . وتنتج الخيوط الصناعية والجلود الصناعية والمنظفات . ومؤسسة لصهر الرصاص والزنك . ومصانع قطع غيار السيارات وتجميع السيارات بأنواعها . ومجمع للتعدين الاليكترونى . وتزدهر صناعة الدخان والاجهزة الكهربائية والخشب والورق والاحذية . ويجرى الان الانتهاء من مصنع الحديد والصلب الذى يقدر ان ينتج مليون طن سنويا ».

وتزدهر فى الجمهورية زراعة التبغ كما يزرع الارز والقطن وبنجر السكر ». وتعتبر تربية المواشى أكثر فروع الزراع تطورا [مليونان من رؤوس الاغنام] .

وفى مناقشة فى دائرة التخطيط التابعة للجمهورية تبين ان الحد الادنى للاجور (فى عام ١٩٧٤) هو ١٦٠٠ دينار فى الشهر والحد الاعلى ٧٠٠٠ دينار (الدولار الامريكى يساوى ١٧ دينارا) كما تبين انهم حريصون على الا تزيد النسبة بين أدنى مرتب واعلاه عن ١ — ٤ . وبالطبع تتوقف زيادة الاجر على نشاط المؤسسة وكفاءتها وعلى نوع التعليم الذى تلقاه العامل ».. الخ .

■ سلوفينيا

هذه الجمهورية يبلغ عدد سكانها ١٫٧٢٧٫١٣٧ نسبة ٩٤ فى المائة منهم ينتمون الى القومية السلوفينية ، والباقون من الكروات والصرب والمجر والايطاليين . (وهذه الاقليات لها الحق الدستورى فى استخدام لغاتها القومية فى التعليم والثقافة) . وفى هذه الجمهورية :

● لا وجود للامية . والى جانب الاعداد الهائلة من المدارس الابتدائية هناك مدرس لتخريج مؤهلين للعمل فى القطاع الاقتصادى ، ومدارس هندسية ومهنية وثانوية ، ومدارس للفنون ، وكليات ومدارس عالية [٣ أكاديميات للفنون تضم ١٧٦٧٢ طالبا ، وفى الجمهورية ١١٥ منظمة متخصصة فى الابحاث العلمية أغلبها متخصص فى النواحى التكنولوجية . وعندما زرتمعهد

● وتصدر فى سلوفينيا ٣ صحف يومية و١١ صحيفة أسبوعية و٨ مجلات ومؤسسات للنشر تقدم حوالى ١٢٠٠ كتاب ونشرة فى السنة . وفيها ٤ مسارح محترفة ، ومسرح تجريبى ، و١٣ مسرحا للهواة و٣ مسارح للشبيبة . وفرقتان للاوبرا .

واثناء زيارتى لمعهد التخطيط القومى التابع لجمهورية سلوفينيا سألت الدكتور اندريه بريشكى المستشار بالمعهد عن الاسباب التى ساعدت سلوفينيا على أن تكون أكثر الجمهوريات اليوغسلافية تطورا . فقال ان هذا راجع لعدة أسباب فى مقدمتها :

١ — التطور التاريخى لسلوفينيا فقد كان جزء منها داخلا فى نطاق الامبراطوريةالنمساوية الهنغارية ». وهذه الدولة كانت أكثر تقدما — من الناحية الصناعية — من الامبراطورية العثمانية التى احتلت المناطق الشرقية ليوغسلافيا

٢ — تقاليد العمل الماهر فى المنطقة وهى التى مكنتها من أن تحقق انتاجية أعلى فى العمل .

٣ — ان اجتماع هذين العاملين ساعد على حدوثتراكم رأسمالى أكبر ، وجذباستثمارات أكبر ، الامر الذى دفع النمو الصناعى دفعات كبيرة الى الامام .

لكن هذا لم يكن كل شىء . فعندما قامتجمهوريةسلوفينيا كاحدىالجمهوريات الاشتراكية الداخلة فى الاتحاد اليوغوسلافى قفزت الصناعة قفزات كبيرة لتصبح أكبر أفرع الاقتصاد القومى تطورا ». ومن بين الصناعات المختلفة والمتعددة تعتبر صناعة التعدين اقوى فروع الصناعة . ومن هذه الفروع أيضا : صناعة الخشب والصناعات الاليكترونيةوالكيمائية والغذائية . وبدأت سلوفينيا فى بناء أكبر محطة نوويةلتوليد الكهرباء . ويقدر أساتذة معهد التخطيط انه لابد من العناية بتطوير الطاقة النووية حتى تتمكن سلوفينيا من التغلب على أزمة الطاقة ». وفى تقديرهم انه لابد وان يصلوا الى حلول توفر لهم الطاقة وذلك قبل ان يأتى عام ١٩٨٠ .

وهذا التطور العالى فى قطاع الصناعة مضافا اليه الازدهار الكبير لصناعة السياحة ، وتكثيف الزراعة ، هو الذى يفسر لماذا يرتفعمتوسط الدخل الشخصى للفرد فى سلوفينيا الى ١٥٠٠ دولار فى السنة ، فى مقابل ٨٠٠ دولار تمثل متوسط الدخل للفرد على نطاق يوغسلافيا كلها .

فاذا نظرنا ، بعد ذلك ، الى الاسباب التى نقلت يوغسلافيا — ابتداء من ١٩٤٥ — من بلد لا يختلف عن أى بلد من البلدان المتخلفة فى آسيا وأفريقيا الى بلد ذى صناعة وزراعة وثقافة متقدمة ، فان هذه الاسباب لن تكون شيئا آخر غير النظام الاجتماعى الذى اختارته شعوب يوغسلافيا وتمسكت به وقاتلت من أجله ، ونعنى به النظام الذى نقل ملكية وسائل الانتاج الرئيسية وموارد الثروة الطبيعية الى ملكية الشعب « الملكية الاجتماعية » ثم استخدام هذه الوسائل استخداما عقلانيا يخطط الانتاج والتوزيع . ويبنى نظاما للتعليم والبحث العلمى يوفر الكوادر العلمية والفنية التى تتطلبها ادارة الاقتصاد القومى فى مختلف فروعه . وكل هذا أمكن تحقيقه — فى الاساس — من خلال الاستراتيجية الصائبة لحرب التحرير الوطنية . وهى استراتيجية وضعها الحزب الشيوعى اليوغسلافى وحدد فيها انه يخوض كطليعة للطبقة العاملة حربا ضد الفاشية لا تنفصل فيها الاهداف الوطنية عن الاهداف الطبقية .

وبعد النصر ، فى الحرب ، عزز الحزب الدور القيادى للطبقة العاملة ، واقام الحلف العريض الذى يضم الفلاحين وجميع قوى الشعب العامل ».

وحتى اذا نظرنا الى محصلة الصراعات الداخلية والدولية المعقدةالتى اكتنفت يوغسلافيا ، والى محاولات اضعاف الحزب وتصفية دوره القيادى ، والى ان قوى الرأسمالية الدولية راهنت فى وقت من الاوقات على جذب يوغسلافيا الى معسكرها مستغلة — فى ذلك — الخلافات بينها وبين بعض البلدان الاشتراكية ، فقد ظلت القيادة السياسية التى يمثلها الرفيق تيتو ، تتمسك — فى جميع المراحل — بطريق التطور الاشتراكى ، وبدور الطبقة العاملة القيادى ، وبالدور الطليعى للحزب (ثم فيما بعد رابطة الشيوعيين [ثم فيمابعد رابطة الشيوعيين اليوغسلاف وباهمية الدراسة المستمرة الخلاقة للنظرية الماركسية اللينينية ». (وكل

هذه القضايا قد أعاد التأكيد عليها — مؤخرا — المؤتمر العاشر لرابطة الشيوعيين اليوغسلاف من مايو ١٩٧٤) وان محصلة هذا كله : هى ان صورة يوغسلافيا كبلد اشتراكى تؤكد على :

— ان وسائل الانتاج الاجتماعية تنتج أكثر من ٨٢ فى المائة من مجموع الانتاج الاجتماعى . ويعمل فيها أكثر من ٤ر٣٠٠ر٠٠٠ شخص أى نصف السكان القادرين على العمل .

— وان مايزيد عن ٦٠ فى المائة من العاملين هم من حملة الشهادات المتوسطة والعالية والعليا أو من ذوى التأهيل المهنى .

— وان الاسراع بالتصنيع هو الطريق الوحيد لانتشال البلاد من التخلف الاقتصادى . فقد ترتب على ذلك : زيادة العمالة ورفع مستوى المعيشة . وبلغت صادرات يوغسلافيا من المنتجات الصناعية ٨٥ فى المائة من اجمالى الصادرات فى عام ١٩٧٢ .

— وان القطاع الاجتماعى (العام) فى الزراعة على الرغم من انه يملك ١٥ فى المائة من المساحات الصالحة للزراعة الا انه ينتج — مع ذلك — نصف فائض السوق من المنتجات الزراعية . واذا اضيف الى هذا القطاع ، القطاع التعاونى ، فان القطاعين معا ينتجان ٧٥ فى المائة من فائض السوق من المنتجات الزراعية .

— وان ثلث عدد الاسر يسكن فى المساكن التى بنيت خلال العشرين سنة الماضية .

— وان اسرة من كل خمسة اسر تملك سيارة .

— وان الكهرباء دخلت فى ٨٠ فى المائة من منازل الريف .

— وأن التأمين الصحى يشمل جميع السكان تقريبا .

وارتفع متوسط عمر الفرد من ٤٨ قبل الحرب الى ٦٧ عام ١٩٧٠

— وان عدد الطلاب اليوم فى كوسوفو [اقليم ذو حكم ذاتى عدد سكانه ١٢٤٦٩٣ر نسمة) يزيد من عددهم فى يوغسلافيا باسرها عام ١٩٣٩

— وان هناك ١٥٠ الف من رجال العلم والباحثين .

— لكن هذه الانجازات وغيرها ، ماراى المسئولين اليوغسلاف فيها ؟

ان أكثر من مسئول قال لى : اننا لسكثرة مانتحدث عن مشكلات التجربة وأوجه القصور فيها — فان كثيرين يتصورون ان كل ماعندنا مشاكل وصعوبات فقط — ثم يضيفون : ولكن هذا لا يمثل الحقيقة .

وبالفعل ، فان هذا لايمثل الحقيقة . لان الاشتراكيين فى العالم اذا اختلفوا — وهم يختلفون — حول عدد من اتجاهات التطبيق الاشتراكى فى يوغسلافيا الا انهم ينطلقون — جميعا — من نقطة أساسية هى ان يوغسلافيا اشتراكية، وان الطبقة العاملة اليوغسلافية والشعب العامل ماضون فى بناء مجتمع اشتراكى ومتقدم .

وهنا نأتى الى مجموعة القضايا النظرية والعملية التى تطرحها التجربة اليوغسلافية .

ومانقوله ابتداءا من هنا هو ان محور النظرية والتطبيق فى يوغسلافيا يدور حول بناء وتطوير تجربة « التسيير الذاتى » الاشتراكى ، باعتبارها الصورة التى تتجسد فيها « الملكية الاجتماعية » لوسائل الانتاج .

وهكذا يصبح التسيير الذاتى بدوره — وعندما يوضع فى التطبيق — المنطلق النظرى والعملى لكثير من اتجاهات ومبادىء السياسة الداخلية والخارجية .

● ان عدم الانحياز كما يقولون فى يوغسلافيا هو امتداد لنظرية التسيير الذاتى .

● ونظرية الدفاع الشعبى العام ليست منفصلة عن التسيير الذاتى ، بل هى نبت طبيعى لها .

● ودور الطليعة العاملة وضرورة ان يضم حزب رابطة الشيوعيين اغلبية عمالية ، ان هذا أيضا يرتبط بنظرية وتطبيق التسيير الذاتى ارتباطا عضويا .

● ودعم العلاقات بين الشعوب والقوميات اليوغسلافية ليس بعيدا ولا يمكن أن يكون عن انجاح تجربة التسيير الذاتى . لكن التسيير الذاتى ، بقدر ماهو منطلق الى الاجتهادات النظرية وللتطبيق العملى ، وانما يطرح فى طريقه طائفة من المشاكل من المتناقضات الجديدة ، التى تتطلب بدورها البحث عن حلول .

ولقد أتيح للطليعة ان تجرى مناقشات صريحة حول آفاق التجربة وانجازاتها ومشكلاتها . وجرت هذه المناقشات مع عدد من الشخصيات السياسية والاجتماعية . ولسوف نبدأ فى هذا العدد بنشر نص الحديث الذى اجرته الطليعة مع الرفيق ستان دولانس سكرتير المكتب التنفيذى التابع لهيئة الرئاسة فى رابطة الشيوعيين اليوغسلاف .

□□ ستان دولانس يتحدث عن :

(١) التسيير الذاتى
(٢) الاستثمارات الاجنبية فى يوغسلافيا
(٣) بلدان عدم الانحياز وهجوم الاستعمار الجديد

■ **الطليعة** : سؤالنا الاول هو عن الفرضيات أو المسلمات النظرية والايديولوجية للتسيير الذاتى . ما هى التناقضات الاجتماعية التى تكشفت — حتى الان — عبر التجربة ، والى أى مدى يمكن ان نقول ان المؤتمر العاشر لرابطة الشيوعيين اليوغسلاف كان علامة على الطريق فى اتجاه التطور المقبل للتسيير الذاتى ؟

■ **دولانس** : عندما اخترنا التسيير الذاتى الاشتراكى ليكون علاقة الانتاج السائدة فى مجتمعنا ، كنا نستند فى ذلك الى احدى الفرضيات النظرية الجوهرية عند **ماركس وانجلز** ، هذه الفرضية التى تحدد أن الطبقة العاملة هى التى يجب أن تحرر نفسها بنفسها . وبفضل **لينين** — أيضا — أصبح خلق مجتمع جديد من المجتمعات

عملية تأخذ فيها الطبقة العاملة ، وبين أيديها ، كل شئون المجتمع والحكم • ولكى تضع الطبقة العاملة ، حدا للقهر الاجتماعى والقومى وللصدامات الطبقية، وحتى تحرر نفسها كطبقة ، وتحرر معها المجتمع كله ، يتعين عليها أن تصير القوة القائدة فى المجتمع لتقيم نظاما من المشاركة الحرة بين المنتجين •

ان هذه الفرضيات قد أكدتها تجارب كومونة باريس ، كما أكدتها أيضا تجارب ثورة أكتوبر ، وجميع الثورات الاشتراكية فى القرن العشرين ، والحركات الجماهيرية للطبقة العاملة • فلقد حدث أنه فى ظل ظروف مختلفة ، ومن خلال أساليب خاصة (ونوعية) عبر الشعب العامل عن رغبته المشروعة فى أن يأخذ بين يديه الانتاج المادى والحكم السياسى •

وفى ظروف يوغسلافيا ، فان أهداف وخصائص حربنا التحريرية الوطنية ، وثورتنا الاشتراكية ، قد كشفت عن الاتجاه الاساسى فى عالمنا المعاصر : الاتجاه الى التحرر ، والى المساواة بين الامم وبين القوميات ، والى تقويض أى دولة تقوم على القهر ، والى خلق أجهزة للسلطة الشعبية ، وتنظيم الحركة السياسية للجماهير لتكون قاعدة لهذه السلطة ، والى تنمية مبادرات الشعب العامل ومسئوليته الاجتماعية ، والى غير ذلك من الامور • ومن ثم ، فان توجهنا الى تنمية مجتمع اشتراكى ، يسير ذاتيا، هومؤسس على المسلمات العلمية والنظرية للماركسية ، وهى المسلمات التى اكدتها — ولا تزال تؤكد عليها بوضوح وجلاء — فى عالمنا المعاصر النظرية الثورية للطبقة العاملة .

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، فان توجهنا الى تنمية مجتمع اشتراكى يقوم على التسيير الذاتى انما هو تعبير عن التجربة المحددة لكفاحنا من أجل مجتمع جديد ، وذلك وفقا للنوعية السائدة فى بلادنا •

وبعبارة أخرى ، فان التسيير الذاتى الاشتراكى الذى انبثق من المعارك التى خاضتها القوى التقدمية فى صفوف الشعوب والقوميات اليوغسلافية ، كان هو الوسيلة التى سيطرت بها الطبقة العاملة على تجديد الانتاج الاجتماعى ، وبفضلها أصبحت العلاقات الشخصية انسانية ، وبها تم حفز الملكات الخلاقة للانسان العامل حتى ليصح القول بأن التسيير الاشتراكى يمكن أن يوصف بأنه مساهمة فى بناء النظرية الماركسية وللممارسات الاجتماعية السياسية الاشتراكية فى القرن العشرين •

غنى عن القول ، أننا نبنى علاقاتنا الاشتراكية فى ظروف لم تنم ، فيها القوى الانتاجية نموا كافيا ، ظروف فيها فروق كبيرة فى مستويات النمو المادية

ستان دولانس

- سكرتير المكتب التنفيذى لهيئة رئاسة رابطة الشيوعيين اليوغسلاف منذ ١٩٧٢ ، واعيد انتخابه فى المؤتمر العاشر لرابطة الشيوعيين عام ١٩٧٤
- ولد عام ١٩٢٥ .
- شغل عددا من المناصب فى الجيش وفى جامعة لوبليانا عاصمة جمهورية سلوفينيا ، احدى جمهوريات الاتحاد اليوغسلافى •
- فى ابريل ١٩٧٣ ، زار مصر على راس الوفد الذى حمل رسالة من الرئيس تيتو الى الرئيس السادات ،واجرى مناقشات مع الاتحاد الاشتراكى العربى •

بين المناطق ، ثم ما يترتب على ذلك من فروق فى اهتمامات كل منطقة منها ، كما أن فيها بقايا التخلف الثقافى ... الخ •

وفى الوقت نفسه ، فانه يتعين علينا ، ونحن نبنى علاقات التسيير الذاتى ، وننمى الملكية الاجتماعية ، أن نحارب ، باستمرار ، المقاومة التى تتولد من هذه الاتجاهات التى تحاول أن تحل محل الملكية الاجتماعية — أشكالا من ملكية الفئات أو ملكية الدولة • ذلك أن خصومنا يستغلون التناقضات التى أشرنا اليها من قبل ، وينضمون الى البقايا والعناصر التى تنتمى الى علاقات الملكية القديمة فى المجتمع • وكانت نتيجة ذلك ، هى أنه فى مجتمعاتنا المتعددة القوميات ، تظهر هذه الاتجاهات من حين الى آخر — متخفية فى رداء القومية ، سواء اتخذت نمطا توحيديا أو انفصاليا • ولقد خاضت رابطة الشيوعيين معركة لم تخمد ضمن هذه الاتجاهات ، وضد التيارات الايديولوجية والسياسية المتولدة منها •

ولما كان التسيير الذاتى هو أحد منجزاتنا الاساسية وجزءا من حياة شعبنا العامل ، فقد ازداد قوة على قوة ، واطلق مبادرات العمل ، وابداع الانسان العامل ، الامر الذى ضاعف امكانيات وقوى التقدم الاجتماعى والمادى

ان قرارات المؤتمر العاشر لرابطة الشيوعيين اليوغسلاف ، ومعها الدستور الجديد انما تمثل

بمعنى من المعانى ، النسيج الذى تتألف منه ممارساتنا الاشتراكية وفكرنا السياسى والنظرى • وفى الوقت نفسه فأنها تشكل برنامجا محددا وشاملا للمرحلة الراهنة ، من مراحل تطور مجتمعنا ، وهى مرشد القوى الواعية والمنظمة ، فى المجتمع • الى مواصله تطوير تلك العوامل الموجودة فى انظمة التسيير الذاتى الاشتراكى والانظمة الاجتماعية السياسية وفى العلاقات بين الامم والقوميات ، وهى العوامل التى سوف تدعم ، اكثر فأكثر ، تأثير الشعب العامل على القرارات المتعلقة بشروط ونتائج عمله كما ستدعم ، مجددا ، الديموقراطية الاشتراكية ، وتوطد المساواة والوحدة بين شعوبنا وقومياتنا •

■ **الطليعة :** ان من يطالع مواد الدستور الجديد • يتكون لديه انطباع مؤداه ان الدور القادى لرابطة الشيوعيين اليوغسلاف لايذهب الى أبعد من ضمان التوجيه الايديولوجى العام • فكيف يمكن - فىرايكم - انيؤمن الحزبالتطور الاشتراكى المتصل للمجتمع من خلال نشساطه النظرى والعملى ؟

● **دولانس :** المكانة التى تتمتع بها رابطة الشيوعيين اليوغسلاف تستند الى الاقتناع العام بأن رابطة الشيوعيين اليوغسلاف قد تعرفت وتصدت للمشكلات الاساسية ، وللصعوبات التى ظهرت ، فى كل مرحلة من مراحل تطورنا • وفى الوقت نفسه ، نجحت رابطة الشيوعيين فى تحسين الشروط الفكرية السياسية ، وفى تنظيم القوى اللازمة لمواجهة تلك المشكلات ، وفى التغلب على الصعوبات ، وفى تقوية المسئولية الاجتماعية وحكم الشعب لنفسه حكما حقيقيا • ولقد تحقق هذا كله ، ليس بالاهتمام بالتوجيه الايديولوجى العام فحسب ، ولكن ايضا من خلال نضال سياسى فى مختلف الاوساط الاجتماعية ، جنبا الى جنب مع الشعب •

وهكذا أكدت ، رابطة الشيوعيين ذاتها سواء باعتبارها قوة توجيه ايديولوجية اوباعتبارهاالحشد المناضلين السياسيين تنظيما من أجل الاشتراكية والتسيير الذاتى ، ومن أجل المساواة والوحدة بين شعوبنا وقومياتنا • وما كان بمقدور رابطة الشيوعيين أن تضطلع بهذا الدور لو لم تنجح فى تنمية النقد الخلاق ، والمبادرة الاشتراكية فى صفوف الطبقة العاملة وفى صفوف الشعب العامل •

■ **الطليعة :** نحن مقتنعون بثباتبأنيوغسلافيا بلد اشتراكى . ومن المعروف ان يوغوسلافياقد اختارت طريقها الخاص الى الاشتراكية • ولكن خصوصية التجربة اليوغسلافية كانت ولا تزال عرضة لتأويلات متحاملة . وعلى سبيل المثال، نقرأ فى بعض المجلات ان تفرد الطريق اليوغسلافى راجع الى ان يوغسلافيا نجحت فى اقامة توازن بين الانتماء الاقتصادى الى المعسكر الراسمالى وبين الانتماء الايديولوجى الى المعسكر الاشتراكى • فما هى - فى رأيكم - الاجابة الصحيحة على مثل هذه المغالطات ؟

■■ **دولانس :** ان اصدقاءنا العديدين فى جميع أنحاء العالم ، قد دللوا باستمرار على اهتمامهم المنزه بعملية بناء الاشتراكية فى يوغسلافيا على أساس التسيير الذاتى وعلى أساس عدم الانحياز فى سياستها الخارجية • وان الصعوبات التى قابلناها ، على هذاالطريق ، كانت - باستمرار - موضع فهم وتفسير سليمين •

وعلى الرغم من ذلك ، فان الدوائر الامبريالية والمتسلطة حاولت دائما ان تؤول توجهيوغسلافيا الى التسيير الذاتى وعدم الانحياز ، حتى ان كل ما يجرى فى مجتمعنا من عمل او تغيير هامفىالفكر او السياسة - بما فى ذلك التعديلات اليومية العابرة كانت مبررا لهم « ليقيموا » ، المرة بعد المرة ، موقفنا بين الشرق وبين الغرب • ومن هنا ، يصلون الى اكتشافهم القائل بأن يوغسلافيا تنتمى الى المعسكر الرأسمالى من الناحية الاقتصادية ، وتنتمى الى المعسكر الاشتراكى من الناحية الايديولوجيه . وبزعم اصحاب هذه الاختراعات انهم لا يفهمون حقيقة أن تطور التسيير الذاتى ليوغسلافيا وسياستها غير المنحازة تنفيان من الناحية الجوهرية هذه الطريقة فى التفكير ، وان التسيير الذاتى وعدم الانحياز لا يمكن أن تركب على نموذج الكتل فى العلاقات الدولية • فمثل هذا الهراء والرجم بالظنون انما هى محاولات لا تضر بيوغسلافيا فحسب ، بل القصد منها النيل من مكانة ونفوذ سياسة عدم الانحياز ، هذه السياسة التى يتأكد مجددا انها أحد السبل الى تجاوز الانقسام الى كتل ، وطريق الى الاستقلال والتطور الذاتى للبلاد والشعوب ، وطريق الى السلم والى دعم التعاون الدولى على أساس من المساواة • وأعتقد ان أفضل رد على هذه الاستفزازات والاكاذيب المقصودة انما تقدمه لنا النجاحاتالتى حققتها يوغسلافيا فى تطورها المادى والاجتماعى ، والتدعيم القوى والمتزايد لسياسة عدم الانحياز فى عالم اليوم ، هذه السياسة التى قدمت اليها يوغسلافيا ، ايضا ، مساهمتها ، أما سياستنا فى عدم الانحياز فتنبثق - بشكل طبيعى - من نظامنا فى التسيير الذاتى الاشتراكى ، هذا النظام الذى

تمتد جذوره الى طبيعة اهداف حربنا الوطنية التحريرية . ولقد تمكنا دائما من ان نقاوم الضغوط الموجهة الى سياستنا السلمية والنشطة غير المنحازة ، وكان هذا بفضل استقلالنا الفكرى وبفضل استعدادنا للدفاع عن استقلالنا واشتراكيتنا القائمة على التسيير الذاتى . ولطالما اشار الرفيق تيتو الى أنه لا ينبغى أن يعلل احد نفسه بالامال الكاذبة فى أن يوغسلافيا يمكن أن تصبح شيئا آخر غير ما هى عليه لان يوغسلافيا المستقلة والاشتراكية على أساس التسيير الذاتى ، وغير المنحازة ، وكما هى معروفة للعالم التقدمى بأسره ، انما تخدم — على أفضل وجه — مصالح السلم ، والتعاون الدولى الديموقراطى القائم على قدم المساواة ، وعلى دعم القوى الاشتراكية والتقدمية فى العالم . ولسوف تواصل يوغسلافيا مسيرتها على هذا الطريق .

■ **الطليعة** : فى عام ١٩٧٦ سمحت يوغسلافيا بقيام مشروعات مشتركة معراس المال الاجنبى ، ماهى :

ا — الاسباب الرئيسية التى دعت الى اتخاذ هذه الخطوة .

ب — ماهى النتائج الفعلية التى ترتبت على الاستثمارات الاجنبية [من حيث تأثيرها على البناء الاشتراكى فى مجموعة] ؟

جـ — ماهى الاحتياطات القانونية التى اتخذتها يوغسلافيا لحماية الهياكل الرئيسية فى المجتمع ، فى المجالين الاقتصادى والاجتماعى ؟

■■ **دولانس** : ا — فى عام ١٩٦٧ تم ادخال شكل جديد من اشكال التعاون بين منظمات العمل فى بلادناوبين شركات الاعمال الاجنبية ، وتم ذلك على اساس الجمع بين الموارد وبين الاستثمارات الاجنبية المباشرة وبين منظمات العمل المحلية ، وعلى اساس المشاركة فى المخاطرة وفى الارباح فى المشروعات المشتركة .

وكانت دواعى هذا العمل أن نضمن انتقالا أكثر فعالية للاساليب الفنية الحديثة وللتكنولوجيا الى اقتصادنا ، وان نكثف التعاون العلمى والتكنيكى ، الذى لا يمكن أن يتحقق بتطبيق الاساليب الكلاسيكية فى التعاون ، وهى الاساليب التى قامت على أساس شراء براءات الاختراع . وقد تم اتخاذ هذه الخطوة ايضا بسبب حاجتنا الى تشجيع التعاون بين الصناعة المحلية والانشطة الاقتصادية الاخرى وبين اقتصاد البلدان الاجنبية ، ولزيادة الصادرات ولتوسيع الاسواق المحلية والاجنبية ، بما يساعد على تسويق منتجاتنا ، ولكى نحصل على وسائل اضافية لبناء المصانع الحديثة ، ولندخل عندنا معايير كفاءة العمل الاجتماعى كما هى مطبقة فى اقتصاد البلدان المتطورة فى العالم .. الخ .

ولقد بدأ ادخال هذه الاشكال من التعاون مع الاصلاح الاقتصادى ، الذى حقق انتقالا حازما من اساليب الانتاج الواسعة [الافقية] ، الى أساليب الانتاج المكثفة تم هذا وفقا لسياستنا التى استهدفت تطوير التعاون تطويرا شاملا مع جميع بلاد العالم على أساس المنافع المتبادلة ومبادىء المساواة .

ب — وفى عام ١٩٦٧ تم توقيع ١٠٨ اتفاقية لتوظيف رأس المال الاجنبى فى الاقتصاد اليوغسلافى .. ولا يزال عدد هذه الاتفاقيات يتزايد باضطراد ، ومعظمها وقع مع شركات فى بلدان غرب اوربا . وغالبية العقود الموقعة هى فى مجال هندسة المعادن ، والهندسة الكهربائية ، والكيماويات والمعادن غير الحديدية .. الخ .

وعلى اساس هذه الاتفاقيات بلغ مجموع الاستثمارات ١٣٫٨ بليون دينار [اى ما يقرب من ٨٦٠ مليون دولار] ، قدمت منها منظمات العمل المشارك فى بلادنا ٨١ فى المائة بينما ساهمت الشركات الاجنبية ب ١٩ فى المائة وهذا يبين أن استثمارات الشركات الاجنبية فى منظمات العمل عندنا ليست ضخمة ، على الرغم من ان توقعاتنا كانت اكبر . ولهذا اسبابه . فكان لابد وأن تنقضى فسحة من الوقت ، حتى تبدأ الشركات الاجنبية فى الاهتمام بهذا النوع من التعاون وحتى فى فهمه وقبوله . واليوم ، قد تخطينا هذه المرحلة الى حد كبير ، وتتوجه بلادنا الى تطوير وتحسين هذا الشكل من اشكال التعاون مع البلدان الاجنبية ، لكى ننفذ — بقدر ما نستطيع — الاهداف التى حددناها لانفسنا فى هذا الصدد .

جـ — وان منظمات العمل المشارك هى التى تنفذ ، بالاحرى ، هذا التعاون وليست الدولة . ويتم تجميع الموارد بين الشركاء المحليين والاجانب على اساس عقود ، وهذا التعاون — هو كقاعدة عامة — من النوع الطويل الاجل . واستثمارات الشركات الاجنبية يسمح بها فى مجال الانتاج وانشطة البحث العلمى ، ولكن هذا النوع من التعاون غير مسموح به فى الانشطة الاخرى مثل [البنوك ، والتأمين ، والنقل ، وتجارة التجزئة ، والخدمات الطبية ، والتعليم .. الخ] ، وذلك فيما عدا الحالات الاستثنائية التى يتحتم أن يقرها —

بشكل خاص — المجلس التنفيذى الاتحادى. ولايمكن ان تزيد الاستثمارات الاجنبية بحال من الاحوال عن ٤٩ فى المائة فى المشروع وبعبارة اخرى يجب ان يكون للمشروع الوطنى النصيب الاكبر .

وعند تنفيذ مثل هذا التعاون بين منظمات عملنا وبين شركاتنا من رجال الاعمال الاجانب ، يجوز ان ينشأ بالمقابل مجلس ادارة يشرف على تحقيق اهداف المشروع ، وتصدر قراراته على اساس الاجماع الكامل . ومن الواضح ، ان مجلس الادارة هذا ، لا يستطيع تحت أى ظرف من الظروف ان يتحدى دور أجهزة التسيير الذاتى ، او التسيير الذاتى نفسه ، فى منظمات العمل المشارك التى تتم فيها الاستثمارات ».

وتقدم للمستثمرين الاجانب ضمانات يسندها القانون . فموارده المستثمرة فى منظمات العمل الوطنى لا تؤمم ، الامر الذى يعنى أن موارد المستثمر الاجنبية مضمونة . ويستهلك المستثمر الاجنبي استثماره فى نصيبه من الارباح أو فى أى شكل آخر .

وللمستثمر الاجنبى الحق — ايضا — فى المشاركة فى الارباح المحققة التى يكسبها المشروع المشترك ويحدد العقد طريقة المشاركة . وهى مرتبطة بفترة بقاء المشروع ، ومعنى ذلك انه لا يمكن ان تكون دائمة .

ويحق للطرف الاجنبى ، فى المشروع، أن يحول الوسائل المحققة من المشروع المشترك ،وكذلك له الحق أن يحول أية موارد يكون قد أعاد توظيفها فى الانتاج المحلى . وتخضع عقود استثمارات الشركات الاجنبية الموظفة فى منظمات العمل المحلى لموافقة ومراقبة هيئة حكومية .

وهكذا ، فان التدابير التى تضعها ، لا تسمح فحسب بل وتخلق الشروط الكفيلة بتطوير هذا النمط من أنماط التعاون على أساس المساواة والمنفعة المتبادلة ، ولكنها تضمن وبكل وضوح — أيضا — الحماية لنظام التسيير الذاتى الاشتراكى .

■ **الطليعة** : فى المرحلة الراهنة ، ربما لا نخطىء اذا اكدنا أن المستعمرين الجدد يشنون هجوما قويا ضد بلدان عدم الانحياز خصوصا ، وضد بلدان العالم الثالث عموما . وواقع الامر أن الشعوب فى منطقة الشرق الاوسط تتعرض لمثل هذا الهجوم .

أ — كيف تقيمون [فى يوغسلافيا] خطر هذا الهجوم ؟

ب — كيف تقف البلدان غير المنحازة فى وجه هذا الهجوم ؟

ج — ما هو الحد الادنى من برنامج العمل المشترك الذى يمكن أن تتبناه البلدان غير المنحازة لمجابهة هذا التهديد ؟

■■ **دولانس** : اتفق مع تقديراتكم ». والواقع ان سؤالكم يتضمن جانبا كبيرا من الاجابة .. فواقع الامر أن قوى الامبريالية والمستعمرين الجدد يمارسون ضغوطا ، ويستخدمون القوة، ويشنون هجمات ، وينظمون اعمالا تستهدف حرية واستقلال البلدان غير المنحازة والبلدان النامية بوجه عام ».

وليس هناك شك فى الخطر الناشىء من مثل هذه الانشطة . ولكنى اسارع ، فأضيف ، أنه يمكن الحد من هذا الخطر ان لم يكن القضاء عليه ، من خلال الاعمال والانشطة المشتركة . وهو الامر الذى امكن التدليل عليه فى حالات كثيرة ».

ولقد وضع مؤتمر الجزائر للبلدان غير المنحازة برنامجا للتدابير المشتركة ، وللانشطة المقبلة بين البلدان غير المنحازة . ودللت هذه البلدان على عزمها على الاسراع — بجهودها الخاصة بعمليات التنمية السياسية والثقافية ، من خلال تطوير التعاون الثنائى ومتعدد الاطراف — فيما بينها — فى جميع المجالات السياسية والعسكرية والثقافية وغيرها. كما دللت على عزمها على دعم متطلبات أمنها ودفاعها، وأن تعيد تقوية التضامن والاسناد والمساعدة المتبادلة عند وقوع أى تهديد يمس استقلالها وسلامة اراضيها . كما طالبت البلدان غير المنحازة بحزم باجراء تغيير فى العلاقات الدولية غير المتكافئة والقائمة على الامتيازات ، وعلى التمييز والاستغلال .

ويمكن القول ، بأن الاعمال المشتركة للدول غير المنحازة فى الامم المتحدة ، وفى المنظمات الدولية الاخرى ، وكذلك التعاون المتبادل على أساس قرارات مؤتمر الجزائر ، هذه كلها قد تمخضت عن نتائج هامة . وفى رأينا ، أن الموقف الراهن الذى تشيرون اليه ، يتطلب التزاما أعمق من جانب البلدان غير المنحازة، بأعمال ملموسة، ومزيد من التضامن .

ان القوى الامبريالية وغيرها من القوى الرجعية — بعد أن لمست الاخطار التى تحيط بامتيازاتها ومطامعها ، تحاول أن تعترض المبادرات المتحدة للبلدان غير المنحازة ». وهذه القوى تهدد استقلالها بالضغط والعدوان ، وهى تحاول أن تقوض تصميم هذه الدول على النضال من أجل الانعتاق الوطنى الكامل ، والتطور الحر ».

وان مثل شيلى ليبين بوضوح كيف أن هـذه القوى ، ومعها راس المال الدولى ، والشركات المتعدده الجنسية ، تسعى جاهدة الى اسـقاط الحكومات الشرعية التقدمية ، والى اقامة نظم تخدم مصالحها الخاصة .

وقد أظهرت أزمة قبرص ان هناك محـاولة لتصفية استقلال جمهورية قبرص،التى هى شريك نشط فى انشطة البلدان غير المنحازة ».

وان مصدر الصراع فى الشرق الاوسط، الناجم عن السياسة الاسرائيلية العدوانية والتوسعية، قد ضاعف الخطر على السلم والامن ، ليس فى هذا الجزء من العالم فحسب ، ولكن فى أماكن أخرى بعيدة . وكما تعلمون ، فقد ساندت يوغسلافيا ، باستمرار ، النضال التحريرى العادل الذى تشنه البلدان والامم العربية ».ونحن مقتنعون بأن السلم والامن الدائمين فى الشرق الاوسـط يمكن أن يقوما ـ فقطـ على أساس انسحاب اسرائيل من جميع الاراضى المحتلة، وتحقيق الحقوق المشروعة لشعب فلسطين العربى، بما فى ذلك حقه فى اقامة دولته الخاصة ».

وكل هذا، يقودنا الى هذه النتيجة: وهى أن البلدان غير المنحازة وغيرها من البلدان النامية يتوجب عليها أن تضاعف الجهد لتدعيم أمنها وأن تقوم بأنشطة مشتركة، وأن تؤمن فيما بينهـا تضامنا واسنادا حقيقيين ومتبادلين . واكثر من هذا ، عليها أن تعمل بحزم متعاونة مع القوى الاخرى التقدمية والمحبة للسلام، من أجل احباط جميع المحاولات الموجهة ضد حريتها واستقلالها وسلامة أراضيها وضد تطورها المتسق . وعليها أن تتعاون من اجل احداث تغيير جذرى فـى العلاقات الاقتصادية الدولية ، ومن أجل الاسراع بمعدلات التنمية ، ومن أجل السلم والامن فى العالم ».

ولقد برهن سياق الاحداث على انه يجب أن نواصل باصرار وثبات النضال من اجل وضـع قرارات مؤتمر الجزائر موضع التطبيق ، وان نعمل على تنفيذها بكيفية مستمرة على اساس الاجماع، وطبقا للمواقف الجديدة والمشاكل الراهنـة والطويلة الاجل التى تواجه البلدان غير المنحازة وتواجه العالم المعاصر ».

وهكذا ، تستطيع البلدان غير المنحازة أن تواجه بفاعلية كل القوى والاتجاهات التى تعارض التطورات الايجابية فى العلاقات الدولية ، كما تعارض التحولات الاجتماعية التقدمية . وأعتقد انه ليس بمقدورنا ، فى اللحظة الراهنـة ، أن نتحدث عن أى برنامج أدنى أوأقصى ، وانما يتعين أن ينصرف حديثنا الى النشاط المتصل للبلدان غير المنحازة ، هذا النشاط الذى يجب الا ينصب على القضايا الدولية الكبرى ، وانما يتعلق أيضـا بالصعوبات والضغوط والاعتداءات التى توجه ضد بعض البلدان غير المنحازة والبلـدان النامية ». ■

مصر تفقد جنديا باسلا



المشير أحمد اسماعيل على

فقدت مصر والعالم العربي ، قائدا عسكريا وطنيا بارزا ، المشير احمد اسماعيل على نائب رئيس الوزراء ووزير الحربية وقائد عام القوات المسلحة .

وأمام هذا الحد الفاصل الكبير الذى يمثله الموت ، تبرز قيمة الرجال ، أكثر جلاء ووضوحا وصفاء ، عن أى وقت مضى .

فقد تولى المشير أحمد اسماعيل قيادة قواتنا المسلحة فى فترة كان غرور العدو قد بلغ فيها منتهاه ، وكانت القوى الرجعية المتآمرة ، تبث سمومها حتى داخل قواتنا المسلحة أملا فى تحطيم الروح المعنوية للمقاتل المصرى ، وافقاده الثقة فى نفسه وفى سلاحه ، وفى سياسة بلاده ، وقيادته وفى أصدقاء بلاده كذلك .

هنا كانت أولى مآثر هذا الجندى الذى كان — بكل المعنى — مثالا للعسكرى الوطنى المنزه عن الاطماع السياسية المغرضة ، المترس نفسه لمهامه العسكرية الكبرى من أجل معركة التحرير .

لقد انصبت أولى جهوده منذ أن تولى قيادة قواتنا المسلحة فى ٢٧ أكتوبر ١٩٧٢ ، على اعادة ثقة المقاتل بنفسه وبسلاحه ، « القوات المسلحة مليئة بالرجال والابطال ولديها السلاح » [١] وهو أيضا الذى أكد ذلك المبدأ القتالى المعنوى الهام وهو أن السلاح بالرجل ، وليس الرجل بالسلاح .

لقد كان القائد الوطنى الذى ركز على تهيئة الجيش معنويا للقتال التحريرى من منطلق النضال الوطنى المعادى للامبريالية ، وعلى أساس دعم الثقة فى سياسة البلاد ، وفى توضيح حدود الاصدقاء ، وحدود الاعداء .

لقد كانت المأثرة الكبرى الثانية للرجل هى انخراطه فى الاعداد العلمى الدقيق والجسور ، والتنفيذ الناجح والمظفر لخطة عبور قناة السويس فى أكتوبر ١٩٧٣ . وتحطيم خط بارليف ، الذى كان بمثابة أول نصر استراتيجى عربى منذ قيام دولة اسرائيل ١٩٤٨ .

ولقد كان احمد اسماعيل ، بالاضافة الى سمة القائد العسكرى فى شخصه — يتسم بالروح الانسانية ، روح الاخوة والابوة الواعية لضباطه وجنوده .

واذا كان قد حقق — كقائد عام للقوات المسلحة النصر الكبير فى أكتوبر ١٩٧٣ ، فانه هو ايضا الذى نبه مرارا قبل ان توافيه المنية الى ذلك الدرس القتالى الهام :

« الغرور هو العدو الاول للمقاتل المنتصر » .

وهكذا يسهم الرجل ببصيرته ايضا فى تشكيل اليقظة الراهنة والمقبلة ، والمطلوبة بعد انجاز اكتوبر .

ان ذكرى احمد اسماعيل القائد العسكرى الوطنى ستظل حية ماثلة دوما فى وجدان شعبه لانه الدرس البليغ المستقى دوما من تجارب التاريخ ، هو ان الشعوب لا تنسى قط الابناء المخلصين الذين ادوا رسالتهم باخلاص وامانة مكتب لهم الظفر والنجاح .

تحية خالصة لذكرى جندى باسل وراحل عزيز ، وخالص عزاء الطليعة لاسرته وبلاده ، وشعبه وقيادته ، وجيشه .

---

[١] الفقرات التى نوردها هنا من اول خطاب للمشير احمد اسماعيل بعد توليه وزارة الحربية فى ٢٧ اكتوبر ١٩٧٢ .



● جمهورية مصر العربية ●

الخطة الانتقالية .. أولوياتها ومتغيراتها

حظيت الخطة الانتقالية التى قدمها الدكتور اسماعيل صبرى عبد الله وزير التخطيط ، باهتمام كبير بسبب ضخامة الاستثمارات التى ضمنتها ، واشتد الجدل حول قدرة الاقتصاد المصرى على النهوض بها • وقد تركز البيان الذى القاه الوزير فى مجلس الشعب ، شرحا للخطة فى النقاط التالية :

● اولويات الخطة الانتقالية :

تحددت أولويات الخطة الانتقالية فى ضوء طبيعتها ذاتها • فهى تغطى امدا زمنيا لا يكفى لتنفيذ مشروعات كبيرة ولا يتسع لاجراء تغيير كبير فى هيكل الاقتصاد القومى • وانما يسمح بتحسين أوضاعه لشكل ملموس ينتج الطريق امام انطلاقة كبرى • ومن ثم تحددت الاولويات على النحو التالى : (١) تعمير منطقة القناة • (٢) استكمال اكبر عدد ممكن من المشروعات الجارى تنفيذها [٣] تشغيل الوحدات الانتاجية بكامل طاقتها بالاحلال والتجديد وازالة الاختناقات وتوفير المستلزمات • وقد استدعى هذا عدم البدء فى مشروعات جديدة لا تظهر اثارها الا بعد سنوات الا استثناء وحيث يكون المشروع حيويا •

● أهم متغيرات الخطة :

□ الاستثمارات : ١١٨٢٫٩ مليون جنيه ، وهو اكبر هدف استثمارى فى تاريخ البلاد ، يزيد عن ضعف المستهدف فى ٧٤ • وتنبع ضرورته من انه لا حل لمشاكل التنمية الا بمزيد من التنمية • وهذا الحجم يعالج عددا من المشكلات الكبيرة ويمهد لانطلاقة تنموية •

يقوم القطاع العام باستثمار الجزء الاعظم (١٠٠٠ مليون جنيه] والخاص (٩٨٫٢ مليون) وراس المال العربى والاجنبى (٨٤٫٧ مليون) • ويبلغ حجم المكون الاجنبى فى الاستثمار المستهدف ٤٦٨ مليون جنيه بنسبة ٣٩٫٥ فى المائة من اجمالى الاستثمارات • وأبرزت الخطة انه من « الملاحظ هذا العام ، زيادة اقبال القطاعات على التعامل على بلاد العملات الحرة ، حتى بلغت نسبة العملات الحرة فى المكون الاجنبى نقدا اوتسهيلات ٨٧٫٣ فى المائة . وهذا ما دعا الحكومة الى المبادرة باعادة التفاوض فى شان القروض المتاحة من بلاد الاتفاقيات بقصد توجيهها نحو المشروعات التى يحتاجها الاقتصاد القومى والتى تتميز تلك البلاد بتفوق فى انتاج معداتها » •

كما اوضحت الخطة انه لم يكن ممكنا فى اطار خطة قصيرة الامد وفى ضوء اولوياتها السابقة ادخال تغيير بارز فى هيكل الاستثمار ، اى نسب توزيعه بين القطاعات • لذا خص القطاعات السلعية (زراعة رى صرف ، صناعة تعدين ، بترول كهرباء ومقاولات) ٤١٫٣ فى المائة ، وخص التوزيع (نقل ومواصلات وتخزين وتجارة ومال) ٣٥٫١ فى المائة وخص الخدمات ٢٣٫٦ فى المائة •

□ الانتاج والناتج المحلى : يزيد الانتاج القومى مقدرا بالاسعار الجارية من ٧٠٣٠ مليون فى ٧٤ الى ٧٩١٥٫٦ مليون فى ٧٥ بنسبة ١٢٫٦ ، وباسعار ٧٣ بنحو ٩٫٥ فى المائة تسهم القطاعات السلعية بنحو ٧٠٫٢ فى المائة بمعدل نحو ١٤٫٨ فى المائة وهو معدل مرتفع عنه فى القطاعات الاخرى •

ويسهم القطاع العام بنسبة ٥٣ فى المائة والخاص بنسبة ٤٧ فى المائة • اما الناتج المحلى فيرتفع بالاسعار الجارية من ٣٦١٩٫٦ مليون الى ٤٠٠٨٫٥ مليون بنسبة ١٠٫٧ ٪ وباسعار ١٩٧٣ بنسبة ٩٫٢ ٪ وقد تحققت هذه النسب المرتفعة بفضل التركيز على إستكمال المشروعات

● ج · م · ع	● فلسطين	● رومانيا	● اليابان
اهتمام ايطالي بتحسين العلاقات مع العالم العربي	توطيد التحالف المبدئي مع الاتحاد السوفيتي	اهداف طموحة يطرحها المؤتمر الـ ١١ للحزب الشيوعي	« ووترجيت » طوكيو: المعجزة اليابانية تصاب بسكتة قلبية

واستغلال الطاقات العاطلة ، مما يمكن الاقتصاد القومي ان يجني في ٧٥ ليس فقط عائدات استثماراتها ، وانما ايضا عائدات الاستثمارات السابقة .

☐ **العمالة والاجور :** يتيح الاستثمار المستهدف ٥ر٣٥٢ الف مرصة عمل . ومن المقدر ان تزيد قوة العمل في الاقتصاد المصري في ٧٥ بحوالي ٢٦٩ الف فرد ، ومعنى هذا ان الفرصة المتاحة ستستوعب هذه الزيادة مضافا اليها ٥ر٨٤ الف فرد من رصيد البطالة الكافة .

يقدر اجمالي الاجور في ٧٥ بنحو ١ر١٩١٩ مليون جنيه مقابل ١ر١٧٢٣ في ٧٤ بزيادة ٥ر١١ في المائة . وتبلغ نسبة اجمالي الاجور الى الناتج المحلي الاجمالي ٩ر٤٧ في المائة . يبلغ عدد العاملين بالدولة والقطاع العام اكثر من ٣ ملايين ، وبذا ترتفع نسبتهم الى اجمالي العاملين من ١ر٣١ في المائة الى ٢ر٣٢ في المائة اما اجورهم فتبلغ ٧ر٦٣ في المائة من اجمالي الاجور في الاقتصاد القومي . وسيرتفع متوسط الاجر من ٥ر١٧١ جنيه في ٧٤ الى ٧ر١٨٥ في ٧٥ بزيادة ٣ر٨ في المائة ، في حين ستزيد الانتاجية بنسبة ١ر٧ في المائة فقط لكن ارتفاع متوسط الاجر عن متوسط الانتاجية ليس ظاهرة عامة في كل القطاعات ، بل تتركز في الزراعة والخدمات ، في حين تنعكس الآية في الصناعة .

☐ **التعامل الخارجي :** يقدر العجز في ميزان مدفوعات ٧٥ بحوالي ٣ر١٣٤٤ مليون مقابل ٧١٥ مليون في ١٩٧٤ . وترجع الخطة هذا الى : (١) زيادة الاسعار العالمية اساسا (٢) بطء نمو الصادرات وتقول ان الحكومة وافقت على هذا العجز المخطط في ضوء اعتبارين :

الاول ، انه لا بديل للعجز في ميزان المدفوعات الا وقف التنمية او حرمان الشعب من بعض ضروريات الحياة او الامرين معا .

والثاني ، ان ما عقدته الحكومة من اتفاقيات مع المنظمات الدولية والدول العربية والاجنبية يسمح بتغطية هذا العجز بتحويلات خارجية لكن الخطة عادت لتؤكد ان هذا الوضع لايمكن ان يستمر عدة سنوات ، لانه لابد في المدى المتوسط من توجيه كل الموارد الخارجية للتنمية فهي التي تزيد الانتاج ومن ثم وسائل سداد هذه الاموال .

☐ **الاستهلاك والادخار :** يزيد الاستهلاك النهائي من السلع والخدمات من ٣٨٨١ مليون جنيه في ٧٤ الى ٤٠٨٢ مليون في ٧٥ بنسبة ٢ر٥ ، ويزيد الاستهلاك العائلي بنسبة ٩ر٥ في المائة ليبلغ ٢٩٠٥ مليون جنيه وهذه النسبة اقل من الزيادة في الانتاج المحلي (٩ر١٠ في المائة) ولكنها اكثر من زيادة السكان (٣ر٢ في المائة) مما يضمن ارتفاع متوسط استهلاك الفرد .

ومن المقدر ان تزيد المدخرات المحلية من ٥ر٢٤٧ مليون في ٧٤ الى ٣٣٦ في ٧٥ بنسبة ٩ر٤٧ في المائة وتزيد فوائض القطاع العام بنسبة ٤٢ في المائة والضرائب والرسوم السلعية بنسبة ٤٦ في المائة . لكن المدخرات تظل دون حاجة تمويل التنمية فهي لاتزيد عن ٣ر٨ في المائة من الناتج المحلي . في حين ان الاستثمار يمثل ٢٧ في المائة من الناتج المحلي الاجمالي .

وفيما يتعلق باجمالي استثمارات الزراعة والري والصرف ، فانه يبلغ في خطة ٧٥ ، ٣ر٩٣ مليون جنيه بزيادة قدرها ٥ر١٢ في المائة عن ٧٤ . اما الصناعة فيخصها ٤ر٢٢٧ مليون مقابل ٥ر١٤٨ مليون في ٧٤ بزيادة قدرها ١ر٥٣ في المائة ، يسهم القطاع الخاص بمبلغ ١ر٢١ مليون في مقابل ٥ر٣ مليون في ٧٤ . ويؤدي الاستثمار الى زيادة الناتج الصناعي بنسبة ٣ر١٣ في المائة بالاسعار الجارية و ٣ر٩ في المائة بالاسعار الثابتة .

● التعاون العربي والدولي :

أكدت الخطة ان سياسة الانفتاح يجب ان تكون في خدمة مصالح الجماهير العريضة وليس في خدمة فئة تريد الاثراء من اقصر سبيل دون ان تضيف الى القدرة الانتاجية شيئا . ولضمان هذا تتم في اطار خطة التنمية القومية . وحتى وقت اعداد الخطة ، وافقت هيئة الاستثمار على مشروعات رأس مالها ٣ر١٠٤ مليون جنيه . اما مشروعات المناطق الحرة ، فليست جزءا من الخطة .

اما تقرير لجنة الرد الذي قدمه الدكتور احمد ابو اسماعيل ، فقد ركز على النقاط الاتية :

● ان القطاعات التي حظيت باقل نسبة من اجمالي الاستثمارات العينية هي الزراعة والري والصرف والكهرباء والخدمات التعليمية والبحثية والصحية ، فقد حصلت جميعا على ١ر٩ في المائة من مجموعة الاستثمارات وهي تساوي

مجمعة فى اهميتها النسبية مع قطاع الاسكان الذى نال ١٤ر١ فى المائة . ونقل عن قطاع الصناعة الذى يبلغ ١٩ر٧ فى المائة .

● ان نصيب الزراعة لا يعدو ٤ر٣ فى المائة . ان خطة العام المقبل يجب الا تأخذ بفلسفة التخطيط الاشتراكى التى اتبعتها بعض الدول الاشتراكية فى اوائل عهدها بالتخطيط واننا يجب أن نأخذ درسا من الدول التى سبقتنا فى التخطيط والتصنيع . لقد صادفت الكثير من الدول الاشتراكية صعوبات كبيرة فى أولى سنوات التخطيط نتيجة للقيام باستثمارات كبيرة فى الصناعة الثقيلة واستثمارات محدودة فى الزراعة . اننا لابد ان نؤكد ان الصناعة الثقيلة هى محور البنيان الاقتصادى للدولة . ولكن يجب ان نعطى فى نفس الوقت العناية الكاملة لتنمية الزراعة والصناعة الخفيفة ، اى انه يجب تنمية الزراعة والصناعة فى نفس الوقت .

● ان استثمارات الزراعة فى ٧٥ ليس فيها اضافة لمشروعات جديدة الا بنحو ٣ر٥ مليون جنيه . ولو ان وزارة الزراعة شجعت عددا من المزارعين فى جميع انحاء الجمهورية على التوسع فى هذا الانتاج لقلت التكاليف الراسمالية الباهظة التى تتحملها الدولة ولاستفاد افراد الزراعة من الدخل المتولد فى هذا النشاط كما يستفيد المستهلكون . وهكذا نجد ان اكثر قيمة للاستثمار فى النشاط الزراعى فى التوسع الراسى لا يفيد منه الزراع ، اذ يتم بعيدا عن مصالحهم وفى حدود ضيقة بالنسبة للمستهلكين وبتكلفة راسمالية باهظة .

● خص وزارة الكهرباء ٢٧ر٥ مليون مقابل ٢٢ مليونا فى ٧٤ . والرقم الجديد يذهب الى اشياء مرتبط عليها فى السنوات السابقة ومن ثم لا يبقى شىء للتجديد . ولعل أوضح مثال هو كهربة الريف التى أدرج لها ١٠ر٨ مليون تذهب كلها سدادا للأجور وثمنا لمهمات تم الارتباط عليها من قبل . ويعنى هذا تجميد كهربة الريف فى ١٩٧٥ . ان اجمالى ما نفذ هو اضاءة ٩٠٠ قرية فى حين ان اجمالى القرى وتوابعها يبلغ ١٠ آلاف وفى حين بلغت قيمة موجودات مخازن المشروع فى نهاية ٧٤ ، نحو ١٨ مليونا ، فان خطة ٧٥ ستضيف اليها مهمات قيمتها ٥ ملايين لتبلغ ٢٣ مليونا تبقى عاطلة .

● خصص ٣ فى المائة من اجمالى الاستثمارات العينية للتعليم والبحوث والصحة ، الامر الذى يعنى قصورا فى تخصيص الحد الضرورى من الموارد لتنمية الخدمات الجوهرية التى طال حرمانها بسبب تميز الانتاج السلعى والضغط الاقتصادى خلال سنوات الاعداد للحرب . ولعل ضآلة استثمارات التعليم ترجع الى المفهوم المتداول عن أن التعليم خدمة ، ومن ثم فالاجدى الاهتمام بالنشاط الانتاجى اولا حيث تقدم استثمارات هذا النشاط عائدا من ورائها .

● الصحة بلغت استثماراتها ١١ر٣ مليون . خص الوحدات الريفية منها نحو ٥٨٠ ألف جنيه ، مقابل ١ر٤ مليون فى ١٩٧٤ ، الامر الذى يمنع اى انشاءات جديدة ، ويقتصر على الاستكمالات .

● ان نظرة هادئة لميادين الاستثمار فى الخطة والى توزيع الاستثمارات بين مختلف المحافظات وبين الريف والحضر تبين أنها اهملت الريف بصفة خاصة ، أن الخطة لم توزع الاستثمارات بين الريف والحضر ، التوزيع الذى يمكن من تغيير البيئة الريفية ورفع مستواها ولو الى حد ضئيل . لقد خص القاهرة والاسكندرية نحو ٣٧ر٣ فى المائة من الاستثمارات ومنطقة القناة نحو ١٨ر٧ فى المائة ، وخص باقى مدن وريف مصر ٤٤ فى المائة وخص ثلاث محافظات منه ١٦ فى المائة . اذا استبعدنا حصته فيكون الباقى ٢٧ر٨ فى المائة قد خص المدن والقرى فى ١٧ محافظة . أى أن ما خص ١٧ محافظة يعادل ما خص القاهرة وحدها ونصيب الـ ١٧ محافظة وزع على عواصمها وعلى ٩ آلاف قريه . ومن ثم فان الريف لم ينله فى خطة ٧٥ الا اقل القليل . فى حين ان صافى العبء الاجمالى الذى تحمله الفلاح من ضرائب واعانات لا يقل عن ٤٠٠ مليون جنيه .

● فى حين تؤكد الخطة ان التمويل سيتم من مدخرات محلية واجنبية حقيقية مما يترتب عليه عدم ارتفاع الاسعار ، تعود لتؤكد ارتفاع الاسعار ، وتفترض الخطة قدرة أوعية الادخار القائمة على تعبئة كل قرش وهذا غير ممكن ، ويبين وجود مبالغة فى تقدير حجم الادخار المحلى ، ومن ثم فان تنفيذ الاستثمارات الواردة فى الخطة لابد وان يعتمد على التوسع فى اصدار النقود . وبمقارنة رقم الادخار المحلى فى الموازنة نجده اقل مما هو وارد بالخطة . ان وقف الاتجاه الصعودى للاسعار واختفاء السلع وشكوى الجماهير من ذلك تؤكد ضرورة مراجعة رقم الادخار المحلى فى الموازنة والخطة والوصول الى رقم واقعى يتفق عليه بحيث يمكن فعلا عدم الاعتماد على التوسع فى اصدار النقود لتمويل الخطة وبذلك يمكن تمويل مشروعات الخطة من مدخرات حقيقية مما يترتب عليه عدم ارتفاع الاسعار .

ولو نظرنا لنسب الزيادة فى الاسعار فى ضوء الخطة نجد انها ٨ فى المائة فى القطاعات السلعية و ٣ فى المائة فى التوزيع وصفر فى الخدمات باجمالى عام قدره ٥ر٥ فى المائة ، فى حين أن شواهد الاحوال توضح ان الزيادة أكبر من ذلك بكثير .

● وفى العلاقة مع الخارج تبين الخطة اننا سنمول عجزا يصل الى نحو ١١٠٠ مليون جنيه بالاقتراض من الخارج . وليس هناك عيب أو خطأ فى تمويل الخطة بالاقتراض من الخارج بل أن القدرة على هذا الاقتراض الكبير لمشروعات كبيرة تطبيق سليم لسياسة الانفتاح لكن جمود الصادرات ، لن يمكن من سداد فوائد واقساط القروض الانتاجية قصيرة الاجل التى سنقترضها لتشغيل الطاقات العاطلة . ومعنى ذلك ان الطاقات العاطلة التى سيتم تشغيلها فى ٧٤ نتيجة للاقتراض ، ستتوقف فى العام التالى وتصبح طاقة عاطلة مرة أخرى لانه لن يكن هناك من يقرض بدون انتظار سداد قرضه وفوائده .

● الملاحظ فى مشروعات الخطة بوجه عام ان الكثير من مشروعاتها يتعلق بالتعمير والاسكان والمرافق وهذه انشطة لن يترتب عليها صادرات . ولكن الخطة تمول جانبا كبيرا من هذه الاستثمارات بقروض وان هذا يضعف مركزنا الاقتصادى . ذلك أنه لا يمكن سداد مثل هذه القروض الا اذا امكن زيادة الصادرات من مشروعات أخرى زيادة ضخمة تكفى لسداد قروض المشروعات جميعا . وكان واجبا على المخطط للمحافظة على سلامة الاقتصاد فى علاقاته الخارجية ان يعتمد فى تمويل مشروعات الاسكان والتعمير والمرافق على المعونات ، كما فعلت كثير من الدول التى مرت بها حرب .

هذه هى الملامح العامة لرد لجنة الخطة والموازنة بمجلس الشعب على الخطة الانتقالية المقدمة من الحكومة . يرى المراقبون أن حوارا هاما سوف يدور بين الحكومة وبين المجلس عندما يبدأ مجلس الشعب مناقشته للخطة وللرد عليها ■

اهتمام ايطالى بتحسين العلاقات مع العالم العربى

قام الرئيس « جيوفانى ليونى » رئيس جمهورية ايطاليا بزيارة لجمهورية مصر العربية فى ١٩٧٤/١٢/٩ ، استغرقت يومين ، أجرى خلالهما مباحثات هامة مع الرئيس أنور السادات ، تناولت أزمة الشرق الاوسط ، وبحث التعاون بين البلدين فى المجالات المختلفة .

وقد أكدت المباحثات التى جرت بين الرئيسين السادات وليونى ، موقف ايطاليا من أزمة الشرق الاوسط . على أساس انسحاب القوات الاسرائيلية من الاراضى التى احتلت نتيجة حرب يونيو ١٩٦٧ ، والاعتراف بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى وايجاد تسوية سلمية عادلة ودائمة لمشكلة الشرق الاوسط ، وذلك فى اطار المبادىء التى ينص عليها القرار رقم ٢٤٢ لمجلس الامن فى نوفمبر ١٩٦٧

كذلك تم الاتفاق بين الرئيسين السادات وجيوفانى ليونى على تشكيل لجنة مشتركة للتعاون بين البلدين فى المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية والفنية .

وقد أثنى الرئيس السادات على موقف ايطاليا من الشعب المصرى ، وخاصة بعد عدوان اسرائيل على مصر والبلاد العربية عام ١٩٦٧ ، واستمرار التعاون الوثيق بين البلدين فى الوقت الذى أحجمت فيه دولا كثيرة عن التعاون مع مصر

وتعكس زيارة الرئيس الايطالى لمصر ، الادراك المتزايد داخل المجموعة الاوربية ، وبخاصة فى دولة مثل فرنسا وايطاليا لخطورة استمرار الوضع الحالى فى الشرق الاوسط الناجم عن سياسة اسرائيل التوسعية ورفضها الانسحاب من الاراضى العربية التى احتلتها فى عدوان يونيو ١٩٦٧، وتجاهل الحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى ، ومن ثم تأثير أزمة الشرق الاوسط على المصالح الاقتصادية الاوربية ، والتى تتمثل فى استمرار اغلاق قناة السويس واستخدام العرب لسلاح البترول لاسترداد حقوقهم المشروعة ، مما يحول دون اقامة علاقات طبيعية للتعاون بين أوربا والعالم العربى .

ومن هنا تعكس زيارة الرئيس الايطالى لمصر ، السياسة الايطالية الحالية ، التى تسعى الى تحسين العلاقات مع العالم العربى ، بما يخدم المصالح المشتركة للبلدين ، وتوفير الامن والسلام فى حوض البحر الابيض المتوسط

أول اجتماع لهيئة رئاسة منظمة التضامن الأفروآسيوى

فى ٨ ــ ٩ ديسمبر الماضى عقد فى قاعة اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى العربى أول اجتماع للهيئة الرئاسية لمنظمة تضامن شعوب آسيا وأفريقيا ، والتى انتخب أعضاؤها فى اجتماع المجلس الحادى عشر للمنظمة .

وقد تضمن جدول أعمال الهيئة عديدا من النقاط من بينها :

ــ المهام الراهنة لمنظمة تضامن الشعوب الافريقية الاسيوية تجاه الوضع الحالى فى انجولا وغينيا بيساو وجزر الرأس الاخضر وموزمبيق وأفريقيا الجنوبية ، على ضوء التطورات الاخيرة ..

ــ تأييد نضال الشعوب العربية ضد الصهيونية والامبريالية ومن أجل التنمية والتقدم ومن أجل تحرير الاراضى التى احتلها المعتدون الاسرائيليون واسترداد الحقوق القومية للشعب الفلسطينى .

ــ الوضع فى قبرص .

ــ العمل على التنفيذ الفورى والكامل لاتفاقية باريس

شريط الاخبار

□ أكد البيان الذى اصدره المكتب السياسى للجنة المركزية لحزب «أخيل» الشيوعى القبرصى : ان عودة الرئيس القبرصى مكاريوس يعد انتصارا للقوى الديمقراطية فى قبرص ، وان القضية القبرصية يجب أن تحل بالطرق السلمية، وانه لابد من وضع دستور لقبرص يشترك فيه ممثلون عن الطائفتين اليونانية والتركية .

وقال البيان : ان قبرص يجب أن تبقى ضمن مجموعة دول عدم الانحياز ، وان تتوفر لها الضمانات الدولية لحماية الشعب القبرصى يونانيين واتراك

□ اتهمت النشرة الاعلامية التى يصدرها اتحاد الضباط فى الارجنتين وكالة المخابرات المركزية الامريكية ، بانها تزاول حاليا فى الارجنتين نفس الدور الذى قامت به من قبل فى شيلى ضد حكومة الرئيس الراحل سلفادور اللندى .

وقالت النشرة : ان المخطط الامريكى يهدف الى الاطاحة بالنظام الدستورى فى البلاد ، الذى يؤيده معظم الشعب الارجنتينى .

□ طالب كمال جنبلاط رئيس الحزب التقدمى الاشتراكى الحكومة اللبنانية بعدم السماح لجورج جودلى السفير الامريكى فى لبنان بالعودة الى البلاد ، وترحيل جميع موظفى السفارة الامريكية [٤٠٠ شخص] عن لبنان .

وقال جنبلاط : ان هؤلاء الموظفين جعلوا من السفارة الامريكية فى بيروت مركزا للتجسس على لبنان والبلاد العربية ، وانهم يكتبون التقارير ويرسلونها الى اسرائيل مباشرة .

والمعروف أن السفير الامريكى كان

حول فيتنام وتأييد النضال العادل لشعوب فيتنام وكمبوديا ولاوس ومن اجل التحرر والاستقلال واعادة البناء .

— الانفراج الدولى والمشاكل الاجتماعية والاقتصادية للشعوب الافريقية الاسيوية النامية .

— المسائل التنظيمية ويدخل فى اطارها برنامج العمل لعام ١٩٧٥ ومشروع معهد المعلومات والابحاث والمؤتمر السادس لتضامن الشعوب الافريقية الاسيوية .

وفى الجلسة الافتتاحية تليت رسالة الرئيس أنور السادات التى رحب فيها بانعقاد الهيئة الرئاسية فى مصر ، معقل النضال من اجل الحرية ، والتى شهدت منذ نحو ستة عشر عاما مولد منظمة تضامن الشعوب الافريقية الاسيوية ، وآزرت عملها ، وساندتها فى اداء رسالتها ، وأعرب عن تأييد شعب مصر لكل الشعوب المناضلة من أجل التحرر الوطنى والتقدم الاجتماعى ، وأكد أهمية توثيق العلاقات بين قوى التحرر فى أفريقيا وآسيا والبلاد الاشتراكية ، وأهمية تضامن القوى المناهضة للامبريالية والاستعمار والعنصرية .

ثم ألقى الدكتور رفعت المحجوب كلمة الاتحاد الاشتراكى العربى ، فاستعرض التطورات الهائلة التى طرأت على ساحة القارتين منذ مولد المنظمة وأثنى على دورها فى هذه التطورات ، وبخاصة دورها فى مساندة كفاح الشعوب العربية العادل ضد الامبريالية والصهيونية وأكد أن من أبرز أسباب نجاح المنظمة فى اداء رسالتها عمق التضامن بينها وبين الدول الاشتراكية وجميع القوى التقدمية فى العالم .

وأعقبه السيد يوسف السباعى فوجه التحية الى تلك النخبة الممتازة من كبار المناضلين والمكافحين الذين تتشكل منهم الهيئة الرئاسية ، ويثرون المسيرة النضالية لشعوب القارتين . وقال ان تاريخ المنظمة يرتبط أوثق الارتباط بكفاح شعوب آسيا وأفريقيا من أجل التحرر الوطنى والاستقلال الاقتصادى والتغيير الاجتماعى . وأشار الى الانتصارات التى حققتها شعوب المستعمرات البرتغالية ، والانتصار العربى المجيد فى أكتوبر .

وابرز السيد السباعى المرحلة الجديدة التى دخلتها حركة المقاومة الفلسطينية ، والتى تجلت فى الاعتراف الدولى الواسع بالطابع الوطنى العادل لنضال الشعب الفلسطينى من أجل حقوقه القومية ، وفى اعتراف كل الدول العربية والمجتمع الدولى بمنظمة تحرير فلسطين بوصفها الممثل الشرعى الوحيد للشعب الفلسطينى وأشار الى جهود المنظمة فى مساندة حركات التحرر الوطنى فى كل مكان ، ومقاومة المخططات العدوانية الامبريالية . وأثنى على المساعدة التى تقدمها القوى الديمقراطية والتقدمية ، وفى مقدمتها المعسكر الاشتراكى لكفاح الشعوب العربية والافريقية الاسيوية . كما أشاد بالاسهام الكبير للجان التضامن بالبلاد الاشتراكية التى استضافت عددا كبيرا من الندوات التى عقدتها المنظمة . وأكد أن العامل الرئيسى فى انتصاراتنا انما هو وحدة جميع الذين يناضلون من أجل السلام والاستقلال والتقدم الاجتماعى .

ثم تلا السيد السباعى تقرير السكرتارية الدائمة للمنظمة ، الذى يعدد الانشطة المختلفة للمنظمة ، ويتضمن عددا كبيرا من الموضوعات الرئيسية ، وبخاصة أفريقيا والشرق الاوسط والخليج العربى « وأزمة الطاقة » وأحداث قبرص والوضع العام فى آسيا . وقد أشار التقرير الى الندوات والمؤتمرات المختلفة التى أسهمت المنظمة فى اعدادها ، أو شاركت فيها ، وبخاصة « ندوة سمرقند حول السلام والامن فى آسيا » و « الندوة العلمية الدولية » فى بالاتون بالمجر ، و « المؤتمر العالمى للسكان » ، و « ندوة بغداد العالمية الثانية ، النفط والمواد الاولية » .

واستعرض التقرير أيضا نشاط قسم المرأة فى الفترة من ١٩٧٤ — ١٩٧٥ ، والندوات والاجتماعات التى عقدت لمناقشة قضاياها ، والتى شارك فيها قسم المرأة بالسكرتارية الدائمة ، وكذلك الجهود المبذولة للاشتراك فى الاحتفال بالعام العالمى للمرأة [١٩٧٥] ، التى ستجرى على مدار العام .

وعقب سلسلة من جلسات العمل عقد الاجتماع الختامى للهيئة الرئاسية والذى اصدر عددا من الوثائق الهامة من بينها البيان العام ، وقد استهل هذا البيان بتحية التطور الايجابى فى عمل المنظمة ، والذى يتمثل فى انعقاد هيئتها الرئاسية لاول مرة ، ويعرب عن يقينه بأن هذا الجهاز القيادى الجديد سوف يواصل مسيرته نحو تعميق النضال المعادى للامبريالية الذى تخوضه المنظمة وشعوب آسيا وأفريقيا .

شريط الاخبار

قد غادر لبنان فى أواخر شهر نوفمبر الماضى ، عقب الازمة الدبلوماسية التى نشأت بين البلدين ، بسبب التصرف المشين للسلطات الامريكية ، بتفتيش حقائب الرئيس سليمان فرنجية والوفد المرافق له فى مطار نيويورك ، عند سفره لحضور جلسات الدورة الحالية للجمعية العامة للامم المتحدة .

☐ بعثت المعتقلات الفلسطينيات فى سجون الاحتلال الاسرائيلى ، ببرقيات الى السكرتير العام للامم المتحدة ومنظمة الصليب الاحمر الدولى ، والهيئات والجمعيات النسائية الدولية ، يطالبن فيها بالتدخل لوقف اعمال التعذيب والجرائم التى ترتكب ضدهن فى سجون الاحتلال على أيدى الجلادين الصهاينة . وضرورة زيارتهن للاطلاع على حقيقة أوضاعهن داخل السجون الاسرائيلية .

☐ ذكرت الانباء الواردة من شيلى ، أن الحكومة العسكرية قررت طرد أكثر من ٣٠ الف شخص من العاملين فى مؤسسات الدولة والقطاع العام ، فى بداية العام الجديد ، وذلك من أجل تخفيض المصروفات الحكومية ، ومواجهة التضخم والعجز الكبير فى الميزانية .

والمعروف أن عدد العاطلين فى شيلى قد بلغ ٥٠٠ الف متعطل حتى شهر يوليو الماضى ، وذلك منذ الانقلاب العسكرى الذى أطاح بحكومة الوحدة الشعبية التى كان يرأسها سلفادور الليندى فى سبتمبر ١٩٧٣

☐ أعلن الفارو كوينهال الامين العام الحزب الشيوعى البرتغالى ، أن تطبيق الديمقراطية فى البرتغال تكتنفه الصعاب والتعقيدات ، نتيجة الازمات الاقتصادية التى ورثتها البلاد من النظام الفاشى

وقد حيا البيان الانتصارات الباهرة التى حققها كفاح شعب غينيا بيساو بتأسيس جمهوريته المستقلة ذات السيادة ، وشعب موزامبيق باقامة الحكومة المؤقتة فى موزامبيق وشعب أنجولا الذى تبدأ الجبهة الشعبية لتحرير انجولا باسمه مفاوضات التحرير ، وقال البيان أن هذه الانتصارات تأتى نتيجة لكفاح خاضت غماره هذه الشعوب ببسالة خارقة ، ونتيجة للتطور الديمقراطى فى البرتغال .

وأيد البيان كفاح شعوب جنوب أفريقيا وناميبيا وزيمبابوى ضد سياسة التفرقة العنصرية الاجرامية وطالب بأوسع حملة عالمية للتضامن مع هذه الشعوب .

كذلك ادانت الهيئة الرئاسية فى بيانها السياسة الاستفزازية المستمرة القائمة على التوسع والعدوان التى تنتهجها اسرائيل بتأييد من قوى الامبريالية وأكدت أهمية الحفاظ على النتائج الايجابية لمؤتمر الرباط فى نطاق التضامن الذى جاء نتيجة لانتصارات حرب أكتوبر الحربرية التى حطمت أسطورة التفوق الاسرائيلى العنصرى . وأكد البيان ان تضامن شعوب افريقيا وآسيا مع الكفاح التحررى العربى والدعم الكبير الذى قدمته البلاد الاشتراكية والاتحاد السوفيتى الصديق قد أسهما بدور كبير فى الانتصارات التى حققها هذا الكفاح .. وأكدت الهيئة الرئاسية تضامنها مع الكفاح التحررى الوطنى العربى من أجل انسحاب القوات الاسرائيلية انسحابا كاملا من كل الاراضى المغتصبة فى حرب ١٩٦٧ ، واعادة الحقوق القومية لشعب فلسطين وخاصة حق تقرير مصيره على ارض وطنه واعربت عن تحيتها ، لوحدة الكفاح العربى الذى اتضح فى رفض كل الحلول الفردية والجزئية .

○

• فلسطين •

توطيد التحالف المبدئى مع الاتحاد السوفيتى

« ... ولا يجب أن ننسى ولو لحظة واحدة أن دخولنا الى الساحة العالمية من خلال هذا التحالف المبدئى الوطيد مع الثورة الاشتراكية وطليعتها الاتحاد السوفيتى قد رافقه نضال ثورى دؤوب لتحديد هوية تقدمية واضحة للثورة الفلسطينية وتحديد تحالفاتها بشكل عملى ، ورسم سياسة ثورية مبدئية على كافة المستويات لحماية هذا التحالف من مغامرة وجنون القوى المعادية لشعبنا ..

والثورة وهى تدرك ضخامة التحديات التى تواجهها ، الا انها على ثقة تامة أن نضال شعبنا المدعوم من الاصدقاء الاشتراكيين وطليعتهم الاتحاد السوفيتى كفيل بتحقيق هذه الاهداف الوطنية لشعبنا ، تحية فلسطينية الى الاتحاد السوفيتى صديق الشعب الفلسطينى وثورته المسلحة ، وصديق الامة العربية المناضلة » .

كانت هذه الكلمات جزءا من افتتاحية مجلة « فلسطين الثورة » الصحيفة المركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية [١ ديسمبر ١٩٧٤] وكان عنوان الافتتاحية « تحية فلسطينية الى الاصدقاء السوفييت » .

والحقيقة أن العلاقات السوفيتية-الفلسطينية قد شهدت فى المرحلة الاخيرة تعززا وتوثقا يتسق مع التطور المنطقى للامور . فقد استخدم الاتحاد السوفيتى كل ثقله السياسى والمادى فى دعم الثورة الفلسطينية سواء على صعيد الامم المتحدة أو على صعيد المساعدات المادية لمجابهة

■ شريط الاخبــار ■

السابق . وأن الجماعات الرجعية مازال تواصل أعمالها التخريبية فى البرتغال .

وأكد كوينهال : ان الحزب الشيوعى البرتغالى سيدخل الانتخابات القادمة لتعزيز وحدة القوى الديمقراطية ، وتدعيم الوحدة بين الشعب والقوات المسلحة من اجل بناء البرتغال الجديدة الديمقراطية .

□ أعلن مدير هيئة الادارة والميزانية فى الولايات المتحدة ، ان معدل زيادة التضخم فى أمريكا يبلغ حاليا ١٢ فى المائة سنويا ، وأن الكساد الاقتصادى فى أمريكا سيستمر على ما هو عليه

□ دعا حزب الاتحاد الاشتراكى للقوات الشعبية المغربى، الى تكوين جبهة وطنية ، تضم جميع الاحزاب والقوى الوطنية والتقدمية فى المغرب ، وتكون مهمتها العمل على تجديد الاوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية .

وقال الناطق باسم التنظيم : انه لا يجب أن يقتصر تشكيل الجبهة على القيادات ، أو اصدار البيانات المشتركة فحسب ، بل أن يتم تشكيل الجبهة على أسس واضحة ومن أجل أهداف محددة .

□ ذكرت وكالة الانباء الفلسطينية « وفا » نقلا عن اذاعة لراديو العدو الاسرائيلى بتاريخ ١٩٧٤/١٢/٧ ، أن عدد المستوطنين اليهود الذين غادروا اسرائيل منذ عام ١٩٤٨ حتى الآن ، قد بلغ أكثر من ٢٠٠ الف شخص . وأن هناك ايضا عدة آلاف من المكلفين بمهمات حكومية ومن ممثلى الشركات واعضاء الوفود الرسمية وموظفو الحكومة لم يعودوا من الخارج بعد سفرهم . وتدرس وزارة التعبئة الاسرائيلية حاليا ، معرفة السبل والتسهيلات التى يمكن اتخاذها من أجل عودة هؤلاء المستوطنين .

الاعتداءات الاسرائيلية ، أو دعم الكفاح الفلسطيني المسلح ضد المعتدين الصهيونيين .

وقد كانت زيارة ياسر عرفات والوفد الفلسطيني الممثل لمنظمة التحرير الفلسطينية الى موسكو مؤخرا تتويجا لتعزز هذه العلاقات وتوثقها . وقد اجتمع الرفيق **اليكسي كوسيجين** بالوفد الفلسطيني لمدة ثلاث ساعات، وأعرب بهم خلال الاجتماع عن ارتياح الاتحاد السوفيتي الكبير بالاعتراف الدولي المتزايد بمنظمة التحرير الفلسطينية ، وأكد من جديد تضامن الاتحاد السوفيتي الثابت مع نضال شعب فلسطين العربي للحصول على حقوقه الوطنية وكيانه كدولة . وأعرب **ياسر عرفات باسم الشعب الفلسطيني عن الامتنان العظيم** والعميق للاتحاد السوفيتي من أجل الدعم الثابت والمتعدد الاشكال الذي يقدمه الى الشعب الفلسطيني .

وفي أعقاب الزيارة أعلنت وكالة « وفا » الفلسطينية للانباء أنها قد علمت « أن الاخ ياسر عرفات قد أجرى اجتماعات سياسية على مستوى كبير من الاهمية ، وأن محادثات سياسية وعسكرية هامة تمت مع القيادات العسكرية السوفيتية كذلك أعرب المحرر السياسي لوكالة الانباء الفلسطينية « وفا » عن اعتقاده « بأن زيارة أبو عمار لموسكو توفر أفضل الظروف وأعظم القوى ليتمكن شعبنا من بناء كيانه الوطني المستقل » .

ومن ناحية أخرى أكدت « **فلسطين الثورة** » على أهمية هذه الزيارة بشكل خاص قائلة « بوصول قائد الثورة **ياسر عرفات** الى موسكو تكون قضية النضال الوطني الفلسطيني قد ربطت نفسها بشكل أمتن في **دائرة التقدم العالمية ، التي تشكل موسكو قيادتها الرئيسية وقطبها الفاعل في مواجهة معسكر الاعداء** » [فلسطين الثـــورة ١ كانون أول — ديسمبر — ١٩٧٤] .

واذا كانت الثورة الفلسطينية قد نجحت بصورة كبيرة في تعزيز روابطها بالاتحاد السوفيتي ودول المعسكر الاشتراكي الامر الذي يكفل لها عديدا من الضمانات والمساعدات فانها قد نجحت على الصعيد العالمي كذلك في أن تحقق نجاحات باهرة أخرى لعل أبرزها هي تلك النجاحات التي تحققت في **الامم المتحدة** وفي منظمة **اليونسكو** التابعة للامم المتحدة ، فقد اتخذ مؤتمر اليونسكو الذي عقد في باريس سلسلة من القرارات الثقافية والسياسية التي تمثل ادانة مالية واضحة لسياسة التوسع والاحتلال الاسرائيلية .. لقد قررت اليونسكو ابعاد اسرائيل من أي نشاط اقليمي تابع للمنظمة ، كذلك طالبت مديرها العام بعدم تقديم أي مساعدات لاسرائيل الى أن تحترم احتراما دقيقا كافة اجراءات منظمة اليونسكو ، وقررت أيضا قطع معونات اليونسكو المالية لاسرائيل .

وقد أثارت هذه القرارات ثائرة أصدقاء اسرائيل الذين انهالوا على منظمة اليونسكو وهي أكثر منظمات الامم المتحدة «اعتدالا» و « حيادا » بالهجوم وبقرارات قطع المعونة المالية عنها ، فقد قررت أمريكا قطع معونتها [١٦ مليون دولار] عن اليونسكو .. وبهذا فان العزلة المتزايدة لاسرائيل عن المجتمع الدولي لا يتبعها سوى عزلة مسانديها وخاصة أمريكا .

واذا كان النطاق العالمي قد شهد تطورا هائلا

وتجاهات ملموسة للقضية الفلسطينية فان « الداخل » قد شهد تصعيدا لا مثيل للنضال ضد قوات الاحتلال .. وقد تمثل هذا النضال في الانتفاضة الجماهيرية التي اجتاحت الضفة الغربية المحتلة طوال أكثر من عشرة أيام ، وقد جابهت سلطات الاحتلال الاسرائيلي هذه الانتفاضة الشعبية الجبارة التي عبرت عن حيوية الشعب الفلسطيني وتمسكه برفض الاحتـــلال ورفض مخططاته واصراره على الالتفاف حول جبهته الوطنية المتحدة وحول منظمة التحرير الفلسطينية ، جابهت بأشد أنواع العسف والارهاب ، وفي مدن البيرة ورام الله ونابلس تعرض السكان لهجمات وحشية من قوات الاحتلال ولغرامات قاسية ولصنوف أخرى جديدة من الارهاب من بينها الحصار واعاقة المعاملات التجارية .. الخ .

ومع تصاعد الانتفاضة الشـــعبية تصاعدت أيضا العمليات العسكرية الفلسطينية التي تصاعدت ليس فقط من حيث العدد والنوعية والتسديد المحكم وانما أيضا من حيث وصولها الى القلب من جبهة العدو .. وتنتشر العمليات في حيفا — الخليل — تل أبيب — اللد — ايلات .

ولم تجد اسرائيل من وسيلة للرد سوى الاعتداء على لبنان ســـواء بالمدفعية على قرى ومدن الجنـــوب ، أو بالطائرات على مخيمات اللاجئين .. وهنا أيضا يبرز المغزى الحقيقي للصداقة السوفيتية الفلسطينية ، فان صواريخ سام تبرز ربما لاول مرة لتعلن حمايتها لسماء المنطقة وتعلن « وفـــا » اسقاط طائرتين للعدو ..

ولعل أبرز تطورات القضية الفلسطينية تتبلور في تعزز التآخي الفلسطيني — اللبناني والذي تمثل في اصرار الرئيس اللبناني **فرنجيه** على القاء كلمته الهامة من فوق منبر الامم المتحدة باسم الحكومات العـــربية جميعا معلنا مرحلة جديدة من هذا التآخي ، متحديا بذلك ضغوطا أمريكية محسوسة حاولت منعه من السفر الى نيويورك بحجة الحفاظ على حياد لبنان .

وعلى أية حال فان تطورات عديدة ، قد تضافرت لتغير من الصورة في لبنان ، وبدلا من ان تســـتخدم الاعتداءات الاسرائيلية كسبيل لعزل الفلسطينيين عن اللبنانيين فقد أصبحت هذه الاعتداءات سبيلا لمزيد من التلاحم بينهما .

.. وتواصل الثورة الفلسطينية انتصاراتها في مواجهة حمى صهيونية شرسة ، وتحاول أن توجه سفينة حركتها بعيدا عن أية أنواء عربية فيتخذ المجلس المركزي قرارا بايقاف الحملات الاعلامية ضد الاردن ؛ فاتحـــا بذلك الطريق — دون عقبات — أمام عقد الاجتماع الرباعي المصري — السوري — الاردني — الفلسطيني .

وفي الجزائر تعقد جبهة المشاركة اجتماعها ..

وبهذا تتلاحم جهود عربية حكومية وشعبية من أجل تحقيق أفضل استثمار ممكن لنجاحات الثورة الفلسطينية وضمان صيانة هذه الضمانات .

لكن منطق الثورة الفلسطينية يؤكد أن العدو لا يبتلع الهزائم بسهولة ، ومن هنا فانهم يحذرون من خطر حرب خامسة لكي يحاول العدو بها أن يسوي حسابات كثيرة .

وباختصار فان الانتصارات يجب أن تكون سبيلا لمزيد من الحذر والاستعداد والتلاحم .

● رومانيا ●

أهداف طموحة يطرحها المؤتمر الـ١١ للحزب الشيوعى

حظى البرنامج الذى طرحه الحزب الشيوعى الرومانى فى مؤتمره الحادى عشر الذى بدأه فى ٢٥ نوفمبر الماضى واستغرق ٤ ايام ، باهتمام وتركيز كبيرين فى العالم أجمع . ففى الغرب أفاضت الصحف الغربية والمحللين السياسيين ، فى تفسير دوافعه ومراميه . واهتمت بابراز ان البرنامج ركز طويلا على أهمية التعاون مع البلاد الاشتراكية والاتحاد السوفيتى أساسا ، اقتصاديا وعسكريا وعلميا ، وارجعت ذلك أن رومانيا مضطرة لهذا بسبب الأزمة الاقتصادية والانكماش فى الغرب ومن ثم تناقص فرص وصولها الى سوقه والتعاون معه بطريقة مجزية ، وبالتالى لا يبقى أمامها سوى السوق الاشتراكى. لكن الامر الواضح أن كل التعليقات الغربية تنطلق من موقف عدم التعاطف مع الاتجاهات الرومانية الاخيرة ، فمع أن وثائق المؤتمر قد أكدت انه لا يمكن أن « يقوم مركز واحد بالتنسيق بين الحركة الشيوعية الدولية » و « أن رومانيا ستبذل كل جهدها لبقوم « طراز جديد من العلاقات داخل الحركة الشيوعية الدولية » ، فانهم فى الغرب قد روجوا لفكرة أن رومانيا تساوم الاتحاد السوفيتى وتهادنه . بل وهاجموا الاهداف التى طرحها المؤتمر ، وقالوا انها طموحة بدرجة تؤكد أن القبضة الحديدية للنظام ستزداد ضمانا لتنفيذها ، وأن الانفاق على الاستهلاك الخاص والعام يتناقص توفيرا لمستلزماتها.

أما المعسكر الاشتراكى فقد أشاد كثيرا بالمؤتمر الرومانى ، وأرسل الاتحاد السوفيتى وفدا على مستوى عال ، بقيادة **كيريلنكو** عضو المكتب السياسى ، نظمت له الحكومة الرومانية برنامجا حافلا بالزيارات استقبل فيه بحفاوة وترحاب بالغين .

وفى العالم الثالث ، شاركت وفود حركات التحرر الوطنى والاجتماعى فى المؤتمر . ومن مصر اشترك وفد الاتحاد الاشتراكى برئاسة الدكتور **حافظ غانم** الامين الاول للجنة المركزية. والواقع أن تقرير شاوشيسكو للمؤتمر ، أفرد مكانة بارزة لقضية الشرق الاوسط ، أكد فيها : ان الخطر ما يزال قائما ، وأن الحرب محتملة الوقوع، والطريق الوحيد الى تلافى ذلك هو انسحاب اسرائيل من كل الاراضى المحتلة ، والاعتراف بالحقوق القومية المشروعة لشعب فلسطين ، خاصة فيما يتعلق باقامة الدولة المستقلة .

والجدير بالذكر أن حزب العمل الاسرائيلى قد رفض الاشتراك فى المؤتمر رغم دعوته ، لتحفظاته على موقف الحكومة الرومانية من مشكلة الشرق الاوسط . وقد حضر المؤتمر ١٣٦ وفدا من ١٠٢ بلدا . أما عدد المندوبين فهو ٢٤٥٠ مندوبا ناقشوا نشاط الحزب منذ مؤتمره العاشر ، ومشروع برنامج الحزب وتوجيهات الخطة الخمسية ١٩٨٠/٧٦ ، والاتجاهات الرئيسية للتطور حتى عام ١٩٩٠ ، وتعديل اللائحة وانتخاب الهيئات القيادية. وفى هذا قرر المؤتمر الغاء مجلس الرئاسة فى الحزب ، وتكوين مكتب دائم من سكرتيرى الحزب وعدد من الوزراء لتدعيم العلاقة بين الحزب والحكومة .

وقد أبرز تقرير شاوشيسكو ، التغير فى ميزان القوى الدولية لصالح الاشتراكية والسلام والتقدم الاجتماعى ، وركز على تدعيم التعاون مع البلاد الاشتراكية ودول العالم الثالث ، والاهمية الخاصة للتعاون الاوروبى .

ولاقامة المجتمع الاشتراكى المتطور من مختلف الوجوه، حدد المؤتمر أهدافا يتعين تحقيقها لضمان :

● النمو المتعاظم فى قوى الانتاج على أساس مكتسبات الثورة التكنيكية العلمية ، بما يكفل زيادة مستمرة فى انتاج الخيرات المادية وتلبية الاحتياجات الاستهلاكية بصورة متزايدة .

● التخطيط الادارى والاقتصادى لاراضى البلاد ، وتوزيع قوى الانتاج بما يكفل التطوير المناسب لجميع مناطقها ورفع المستوى الحضارى المادى للشعب كله .

● التنمية المتناسقة والموازية لجميع فروع الاقتصاد ، وضمان علاقة سليمة بين الصناعة والزراعة .

● التطوير المستمر واعطاء الاولوية للصناعة الاشتراكية وتوجيهها نحو الفروع الاصلية والثانوية ذات التكنيك العالية .

● التطوير الكثيف للزراعة ـ الفرع الاساسى للاقتصاد الوطنى ـ بالميكنة والكيمياء والتكنيك الزراعى الحديث والاصلاح .

● تحقيق التطور الاقتصادى والاجتماعى على أساس خطة قومية واحدة .

● رفع انتاجية العمل الاجتماعى على أساس الميكنة واستخدام الاتوميشن فى عملية الانتاج ، كعامل جوهرى فى التطور العام .

● التنمية المستمرة للكفاءة الاقتصادية وتخفيض التكاليف وتحسين الجودة ورفع المستوى التكنيكى .

● تطوير التعليم وربطه بالانتاج والنشاط الثقافى والروحى .

● تنمية العلم وفقا لمتطلبات التقدم المادى والاجتماعى وتطوير البحث العلمى التطبيقى والتعاون العلمى والتكنيكى مع البلاد الاخرى .

● ضمان علاقة مواتية بين صندوق الاستهلاك وصندوق الانماء لتنمية الاقتصاد بأسره بمعدلات عالية . مع الزيادة المستمرة للرفاهية المادية والروحية للشعب . وتحقيق توافق أكثر اكتمالا بين قوى الانتاج وعلاقات الانتاج . والتحسين المستمر لعلاقات الانتاج وتطوير العمل الواعى لتسوية التناقضات .

● توسيع وتحسين النشاط السياسى والايديولوجى والتربوى لتكوين انسان جديد . انتهاج وتطبيق المبادىء الاشتراكية المرتبطة بالعمل والتعويض عنه على نحو أفضل .

● منح اهتمام متزايد لتدعيم الاسرة ، ورفع نسبة المواليد ، ورعاية وتربية الاطفال .

● العمل على تعجيل عملية القضاء على الفروق الجوهرية بين العمل الجسمانى والعمل الفكرى ، تصفية الفروق الجوهرية بين العمل فى الزراعة والعمل فى الصناعة بشكل أقوى .

● تطوير الديمقراطية الاشتراكية . وتوسيع وتحسين الاطار التنظيمى للاشتراك النشيط الفعال للشغيلة فى قيادة المجتمع ، وفى وضع وتطبيق السياسة الداخلية والخارجية للحزب والدولة .

● تحقيق التساوى بين مستوى تطور رومانيا ومستوى تطور البلاد الاشتراكية المتطورة والبلدان الصناعية المتطورة حتى عام ١٩٩٠ .

● توسيع وتنويع المبادلات والتعاون الاقتصادى مع البلدان الاشتراكية ومع البلدان النامية ، ومع سائر بلدان العالم بصرف النظر عن نظمها الاجتماعية .
● التنمية المتزايدة للدخل القومى على أساس تطوير الانتاج العادى ورفع الفاعلية الاقتصادية وتدعيم تسعير العملة الوطنية وقوتها الشرائية فى الداخل والخارج .
والجدير بالذكر ان شاوشيسكو ، طلب اسقاط الاقتراح الذى طرح بانتخابه رئيسا مدى الحياة .

O

● فرنسا ●

لقاء « رامبوييه » لا يقل أهمية عن « فلاديفوستك »

شملت المباحثات التى بدأت فى ٤ ديسمبر الماضى بين ليونيد بريجنيف سكرتير عام الحزب الشيوعى السوفيتى — والرئيس الفرنسى فاليرى جيسكار ديستان .. الشئون التجارية والسياسية معا حيث تباحث الزعيمان حول مؤتمر جنيف [٣٥ دولة] كمؤتمر عام لاوربا ... وقد صرح سكرتير عام الحزب الشيوعى السوفيتى فى مؤتمر صحفى فى باريس بأن محادثات رامبوييه لا تقل أهمية عن مباحثات فلاديفوستك السابقة عليها بينه وبين الرئيس الامريكى جيرالد فورد .

وقد أعرب بريجنيف خلال زيارته عن اعتقاده بأن العالم ما زال يواجه مواقف خطيرة خاصة فى الشرق الاوسط . وأشار الى رغبة بلاده فى حل المشكلة على اسس سلمية .. وقد أضاف زاميلتين المتحدث السوفيتى الرسمى بأن احتمالات حرب خامسة قائمة فى الشرق الاوسط .

وقد شملت مباحثات بريجنيف — ديستان بالاضافة الى مشكلة الشرق الاوسط . عدة مشاكل أخرى ورد تفصيل لها فى البيان المشترك من الزيارة الصادر فى ٧ ديسمبر أكدت فيه الدولتان على أهمية قيام سلام دائم وعادل فى الشرق الاوسط .. وقد جاء فى هـذا البيان بخصوص الشرق الاوسط :

لاحظ الجانبان التقدم الذى تم احرازه بالنسبة الى وضع حقوق شعب فلسطين ووضعها موضع الاعتبار .. وهما متفقان على أن هذه الحقوق يجب ضمانها على أساس تنفيذ قرارات الامم المتحدة المتعلقة بالموضوع .. هـذا مع الاحترام الواجب لحق جميع الدول فى المنطقة فى الوجود الآمن المستقل .. هذا ولا يمكن اقرار تسوية عادلة ودائمة بدون انسحاب القوات الاسرائيلية من كل الاراضى العربية التى احتلت عام ١٩٦٧ .. على أن يستأنف مؤتمر جنيف عمله فى أقرب وقت مناسب .

أما المشاكل الاخرى التى تم بحثها فأهمها :
أ — مشكلة قبرص .. التى اتفق الطرفان على أن حلها يتم عن طريق المفاوضات وعلى أساس الاحترام الكامل لاستقلال وسيادة جمهورية قبرص .. وطالبا بالانسحاب السريع للقوات الاجنبية من الاراضى القبرصية ورعاية اللاجئين القبارصة .
ب — مشكلة فيتنام .. وجنوب شرق آسيا .. التى دعيا بشأنها الى ضرورة الالتزام باتفاقية باريس وتأييد خطوات السلام والوحدة الوطنية فى لاوس .. بالاضافة الى مساندة الطرفان للشعب الكمبودى فى مطالبه بالاستقلال وتنديده بالتدخل الاجنبى .

وقد كان من أهم نتائج هذه الزيارة أن وقع ليونيدبريجنيف فى ٦ ديسمبر اتفاقية من ثمانية مواد للتعاون الاقتصادى .. سيسرى مفعولها لمدة ٥ سنوات من ٧٥ — ١٩٧٩ .. كما وقع وزيرى التجارة الخارجية للبلدين بروتوكول البرنامج العشرى لتعميق التعاون الاقتصادى والصناعى .

ووفقا للاتفاقات السابق ذكرها .. سيقوم الاتحاد السوفيتى بمد فرنسا بـ ٢٥٠٠ مليون متر مكعب من الغاز .
وقد صاحب توقيع الاتفاقات .. لقاء بريجنيف مع جورج مارشيه سكرتير عام الحزب الشيوعى الفرنسى أيضا .
وقد اشتملت اتفاقية التعاون الاقتصادى .. على رغبة كلا الطرفين فى دعم التعاون على أساس المساواة والثقة المتبادلة .. وطالبا بسرعة تنفيذ برنامج تعميق التعاون لفترة عشر سنوات .. ذلك البرنامج المعقود فى ١٠ يوليو ١٩٧٣ .. هذا وقد أكدا على أهمية الفروع الاقتصادية أولا ثم تأتى المبادرات الفردية والجماعية للنهوض بالاعمال الاخرى .. وجدير بالذكر انه سيتعامل الطرفان من منطق الدولة الاولى بالرعاية .. وسيجتمع فيما بعد ممثلى البلدين ليواصلا الاجتماعات التى بدأت فى ١٠ يوليو ١٩٧٣ ، من أجل تحقيق الصيغ الملائمة للتعاون بين البلدين .

O

● اليابان ●

« ووترجيت » طوكيو
المعجزة اليابانية تصاب بسكتة قلبية

وأخيرا ، ألقت الرأسمالية والاحتكارات اليابانية بكاكوى تاناكا الرئيس السابق للحكومة اليابانية فى سلة المهملات السياسية . وفى الوقت المناسب ، أسفرت هذه الشخصية السياسية عن « ووترجيت » يابانية أيضا . فبعد أن وصفته الصحافة اليابانية عندما تولى منصبه منذ ٢٨ شهرا ، بأنه « معجزة عقلية » و « رجل أعمال لامع » ، أصبحت تعلنه الان « بالضباب الاسود » وهو فى اليابان رمز الفساد والرشوة واستغلال السلطة السياسية لاغراض شخصية .
صحيح أن تاناكا اعترف بأن تصرفاته وان كانت لاتشكل خروجا على القانون ، الا أنها يمكن أن تعتبر برغم ذلك « غير أخلاقية » ، لانه كان يشترى أراضى واسعة

ومهملة ثم يبيعها الى الدولة بأسعار خيالية ويعقد الصفقات المالية المشبوهة بأسماء مستعارة ، ويحول الى خزينته الخاصة الاموال الواردة الى صندوق حزبه «**الحر الديمقراطى** » ، ولكن مثل هذه التصرفات تعتبر تقليدا ثابتا أو شبه ثابت فى حياة أى مليونير يابانى حاكم مثل تاناكا ، فما هو السبب فى فتح ملف « ووترجيت » اليابان فى هذا التوقيت بالذات ؟ .

المؤكد أن ٢٨ شهرا لا تستطيع أن تحدث انقلابا فى الحياة البشرية على هذا النحو من « المعجزة » الى « العفن » ، ولذا فان التحول « الاخلاقى » فى شخصية تاناكا خلال هذه الشهور ، لا يصلح مقياسا كافيا للحكم على أسباب الاطاحة به .

الواقع أن استبدال تاناكا ، **بتاكيوميكى** يرجع الى التكتيك التقليدى الذى تلجأ اليه الطبقات الرأسمالية والاحتكارية الحاكمة عندما تشتد أزماتها ، وذلك باللجوء الى استبدال الوجوه القديمة بوجوه جديدة دون تغيير جوهرى وذلك هو السبب الاساسى فى الاطاحة بتاناكا وتولى ميكى .

فنفقات المعيشة فى اليابان ترتفع بمعدل لم يسبق له مثيل ، وأزمة الطاقة حادة جدا ، كما اجتاح البلاد تضخم مالى أثر تأثيرا سيئا على نشاطها الاقتصادى ، وبينما كانت اليابان تحقق معدل نمو اقتصادى يتراوح مابين ٩ و ١٠ سنويا فى المائة خلال العشرين عاما الاخيرة ، فانها لن تحقق هذا العام أية زيادة فى اجمالى الناتج القومى . الامر الذى أصاب « **المعجزة اليابانية** » « بسكتة قلبية » هذا العام .

كذلك فشلت حكومة تاناكا فى كبح ارتفاع الاسعار ، وبينما سجلت احتكارات تكرير البترول زيادة قدرها ٦٢ ٪ فى الارباح ، كانت الارباح الحقيقية للشعب العامل فى يناير ١٩٧٤ تقل بنسبة ٤٫١ ٪ وفى فبراير بنسبة ٥٫٩ ٪ عما كانت عليه فى الشهرين المماثلين من سنة ١٩٧٣ ، كما ارتفع عدد المتعطلين الى ٧٤٠ الف شخص وهو أعلى رقم منذ عشر سنوات . وتدل التقديرات الخاصة بعام ١٩٧٤ على أنه سيصل الى ٩٠٠ الف ، كما لم يتمكن ايجاد حلول للمشكلات المتعلقة بالضمان الاجتماعى وأزمة الاسكان الحادة ، والتلوث .

وقد انعكست الازمة الاقتصادية مع اشتداد حدة الصراع الاجتماعي والطبقى ، حيث اشترك ٦٫٥ مليون شخص فى الاضرابات العامة فى ١١ ابريل الماضى . وزادت الصعوبات الاقتصادية ، وعدم الاستقرار السياسى من شدة الانقسامات داخل الحزب الحاكم بين مجموعة **تاناكا وأوهيرا** [وزير المالية] ، **وبين مجموعة تاكيوميكى** نائب رئيس الوزراء الذى قاد المعارضة داخل الحزب ، يؤيده **تاكيو فوكودا** وزير المالية السابق ، خاصة بعد أن أدت سياسة تاناكا الى فقدان الحزب لثمانية **مقاعد** فى مجلس الشيوخ فى انتخابات يوليو ١٩٧٤ ، مما أدى الى فقدانه للاغلبية البرلمانية ، الامر الذى دفع الدوائر المحافظة ذات النفوذ فى الحزب الى قرار « التضحية » بتاناكا ، وتحميله مسئولية كل فشل النظام .

وفى الوقت المناسب أيضا تدخل « **المايسترو** » الامريكى ، لرسم السياسة اليابانية المقبلة ، بعد أن تبين أن تاناكا أضحى « جوادا خاسرا » ، ففى الوقت الذى كان يجرى فيه الرئيس الامريكى « **جيرالد فورد** » محادثاته الرسمية مع تاناكا ، ويتبادل الاحاديث الودية مع الامبراطور « **هيرو هيتو** » اثناء زيارته لليابان ، كان « **هنرى كيسنجر** » وزير خارجيته يعقد اجتماعات « موازية » مع **ايزاكوساتو** رئيس الحكومة اليابانية السابقة ، حضرها **أوهيرا** وزير المالية ، **وناكاسونى** وزير التجارة الخارجية بهدف « طبخ » حكومة يابانية جديدة ، وهكذا ظهرت الى الوجود الحكومة الجديدة برئاسة تاكيو ميكى ، لتستبدل وجها مستهلكا بوجه نضر فى حديقة الرأسمال الاحتكارى اليابانى .

وهكذا تظل هناك على الدوام ، وبحكم ميكانيزم العمل الاقتصادى والسياسى فى كل مجتمع رأسمالى احتكارى ، « ووترجيت » احتياطية ، تستخدم فى الوقت المناسب لتغطية الاخفاق والفشل ، كلما أظهر النظام الرأسمالى الاحتكارى عجزه الاقتصادى والسياسى .

■ رسالة اليونان ■

بدء « الحوار الساخن »
بعد « شهر عسل » قصير

اثينا : من حسن فؤاد

فى قطار الليل الذى ينطلق فى الساعة الثامنة من مساء كل يوم من اثينا متجها الى صوفيا .. كان أكثر من ٩٠ فى المائة من ركابه من الضباط والجنود اليونانيين ، ولم يكونوا متجهين الى مناطق الحدود اليونانية البلغارية كما يبدو لاول وهلة ، وانما كانت العربات التى يستقلونها تنفصل من القطار عند قرية «**ستريمون**» اليونانية القريبة جدا من حدود بلغاريا ، وتتجه شرقا الى « الجبهة » اليونانية التركية ، والى الجزر اليونانية الواقعة فى بحر ايجه حيث الحشود الحقيقية التى تتجمع منذ أزمة الخلاف بين الدولتين حول التنقيب عن البترول فى قاع بحر ايجة ، والتى زاد معدل تجمعها بعد الغزو التركى لقبرص الذى بدأ يوم ٢٠ يوليو الماضى .

وجاء مكان جلوسى فى القطار بجانب ضابط شاب متقاعد بالجيش اليونانى ، كنت أنا متجها

الى صوفيا ، وكان هو متجها الى قريته الواقعة بالقرب من مدينة « سالونيكا » على الشـــاطىء الشرقى لليونان . وقال لى ذلك الضابط الشاب المتقاعد أنه كان « فى الخدمة » عنـدما وقعت أحداث قبرص، حيث كان فى ذلك الوقتواحدا من الضباط الذين يعملون فى الحامية اليونانية المتواجدة فى قبرص حسب ما تقضى به اتفاقيات لندن وزيوريخ . [كانت توجد أيضا فى قبرص حامية تركية بالاضافة الى القاعدتين البريطانيتين فى «**اكروتيرى**» و «**ديكيليا**» حيث أن هذه الدول الثلاث هى الضامنة لاستقلال قبرص حسب الاتفاقيات المذكورة] ، وشرح لى الضابط الشاب أحداثمعارك الالتحام التى اشتركفيها ضد قوات الغزو التركى والتى اصيب خلالها برصاصة فى ظهره ، اضطر بعدها الى اجراءجراحة خطيرة فى مستشفى بأثينا لاستئصال احدى كليتيه ،كما ذكر أن زوجته الامريكية أصيبت أيضا وهى جالسة فى مسكنها فى فاماجوستا باصابات فى ســاقيها ما زالت تعانى منها حتى الان . واغمض الضابط عينيه وكأنه يستعيد أحداث الماضى القريب وتصورت أنه سيتحدث عن المذابح التى ارتكبتها قـــوات الغـــزو التـــركية ضـــد القبارصـة اليونانيين [الحرس الوطنى القبرصى اليـــونانى ارتكب أيضا مذابح مماثلة ضد القبارصة الاتراك منذ بداية الانقلاب العسكرى ضد الرئيس مكاريوس] ... ولكنه بدلا من ذلك راح يتحدث عن« جنون» الحكومة العسكرية التى كانت قائمة فى أثينا والتى دبرت لانقلاب ١٥ يوليو وأعطت بذلك ذريعة للتدخل العسكرى التركى فى قبرص الذى باركته حكومة الولايات المتحدة ووكالــة المخابرات المركزية الامريكية».

وكان غريبا أن أسمع هذا الكلام من رجل عسكرى يونانى حارب فى ظل الدكتاتورية العسكرية ،وعاش فى الولايات المتحدة لمدة عشر سنوات.. وكنت قد سمعت مثل هذا الكلام مرارا من جانب المدنيين اليونانيين ، حيث الحنق العام على « حكومة الكولونيلات » أكثر عنفا من الحنق على الاتراك ...

ففى قلب اثيناكنت قدشهدت قبل ذلك بعدة أيام المظاهرة الكبرى التىنظمها طلبة «**كلية الهندسة**» فى الذكرى السنوية الاولى لانتفاضتهم المعروفة ضد الدكتاتورية العسكرية فى اليونان التى قتل فيها ٤٥ طالبا واصيب المئات بطلقات الرشاشـات والدبابات يوم ١٦ نوفمبر ١٩٧٣ [اختار **قسطنطين كارامانليس** نفس هذا اليوم من عام ١٩٧٤ لاجراء الانتخابات العامة] ، وفى هذه المظاهرة التى اشترك فيها نحو مليون مواطن يونانى من كافة طوائف الشعب وليسمن الطلبة وحدهم .. كان الهتاف المشترك هو « لا . لا .لن تنتكس الديموقراطية فى اليونان مرة اخرى » ، واتجهت المظاهرة فى النهاية الى مبنى السفارة الامريكية فى اثينا ، حيث ارتفع شعار «أخرجوا من بلادنا أيها العسكريون الامريكيون ، أخرجوا من بلادنا يارجال وكالة المخابرات المركزية » .

وفى الجلسة التى عقدها البرلمان اليونانى يوم ١٣ ديسمبر الماضى قبل الاقتراع بالثقة على وزارة كارامانليس ، وقعت مشـــادة عاصفة بين **كارامانليس** وبين **أندرياس باباندريو** زعيم حزب الحركة الاشتراكية بسبب ما جاء فى البيــان السياسى للحكومة الـــذى قراه كارامانليس فى البرلمان وقال فيه «ان اليونان تنتمى الى الغرب»، حيث أعلن بـــاباندريو من فـــوق منصة البرلمان : « اسمحوا لى ان اقول لا ، ان اليونان تنتمى الى اليـــونانيين » . وعندما قاطعه كارامانليس محاولا التوضيح : « اننى لم اقل ان اليونان تنتمى الى الغربيين وانما قلت انها تنتمى الى الغرب » .. رد عليه باباندريو قائلا :«ان اليونان تنتمى الى الجانب الذى ترى فيه مصلحتها الوطنية » .

مثل هذا الحوار الساخن له دلالةخاصة ، فهو بمثابة **مؤشر الى أن شهر العسل الذى أمضاه كارامانليس فى الحكم منذ عودته من باريس فى أواخر يوليو الماضى قد انتهى** : وأن عليه منذ تلك اللحظة أن يضع فى حسابه العناصر التقدمية ، التى كان يجمع بينه وبينها فى الماضى الكفاح المشترك ضدالدكتاتورية العسكرية ، أماالان وبعد سقوطالحكم العسكرى وعودة الديموقراطية، فقد ظهرت بجلاءالاتجاهات السياسية المختلفةولم يعد من السهل تمعها مرة أخـــرى. واذا كان كارامانليس قد حصل على أغلبية كبيرة فـــى الانتخابات الاخيرة [٢١٩ مقعدا فى البرلمان من ٣٠٠ مقعــــد] .. فـــان العنـــاصر التقدمية [الاشتراكيون والشيوعيون] حصلت على نسبة تزيد على ٨٠ فى المائة فى انتخابات اتحادات الجامعات التى جرت قبل أسبوع واحد من الانتخابات العامة . وهذه النسبةالاخيرة تمثل جيل الشباب من الناخبين الجدد الذين بلغواسن الانتخاب خلال السنوات العشر الماضية التـى حرمت خلالها البلاد من أى انتخابات حرة، وجرت خلالها عمليات قمع دموية لاى فكر تقدمى أو يسارى .

وقد كان هناك عاملان ساعدا كارامانليس فى الحصول على هذه الاغلبية البرلمانية الكبيرة :

■ نظام التمثيل النسبى المدعم المطبق فى اليونان . الذى يعطى للاحزاب الكبيرة مقاعد اكثر على حساب الاحزاب الصغيرة . فقد حصل حزب كارامانليس الذى اطلق عليه «حركة الديموقراطية الجديدة » على نسبة ٢٦ر٥٤ فى المائة من مجموع الاصوات ، وهى نسبة اقل كثيرا من نسبة عدد المقاعد التى حصل عليها فى البرلمان ، لان هناك اكثر من اربعين من الاحزاب الصغيرة دخلت الانتخابات ولم تحصل على أية مقاعد ، وانما اخذت منها المقاعد التى كان ينبغى أن تحصل عليها واعطيت الى الاحزاب الكبيرة بفضل نظام التمثيل النسبى المدعم .

■ ان المزارعين الذين يشكلون نسبة كبيرة من الشعب اليونانى قد صوتوا فى غالبيتهم لصالح حزب كارامانليس من أجل شخص كارامانليس [الذى شاءت له الظروف أن يعود الى بلاده عودة الابطال بعد ١١ سنة قضاها بمحض اختياره فى باريس] . وليس على أساس البرنامج السياسى لهذا الحزب . أما بعد أن القى كارامانليس البيان السياسى لحكومته أمام البرلمان ، فقد احتدم الجدل وارتفعت درجة حرارة النقاش حتى أن رجلا مثل «**جورج مافروس**» الذى يتزعم حزب «**اتحاد الوسط**» قال خلال المناقشات البرلمانية الاخيرة : « **يتعين على اليونان أن تعمل من أجل السلام والتعاون فى شبه جزيرة البلقان [التى تضم أيضا بلغاريا ويوجوسلافيا] ، حيث أنه ثبت أن عملية الاستقطاب التى ينطوى عليها نظام الاحلاف ليست فى صالح اليونان وانما صالح اليونان هو الانفراج الدولى وتخفيف حدة التوتر الدولى** » .

وقد اشترك فى هذه المناقشات ايضا ممثل الحزب الشيوعى اليونانى النائب « **هاريلاوس فلوراكيس** » الذى اشار الى انه للمرة الاولى بعد سنين طويلة من عدم الشرعية المفروضة من قبل السلطة والاضطهاد القاسى .. فان حزبه أصبح ممثلا تحت قبة البرلمان ومشتركا بطريقة مشروعة فى المجالات الاجتماعية والسياسية ، ولكنه اشار الى أن آلاف اليونانيين [الشيوعيين] لم يتمكنوا بعد من استعادة الجنسية التى حرمتهم منها عهود الطغيان الماضية وأنه لم يسمح لهم بالعودة الى وطنهم وما زالوا يعيشون فى الخارج [معظمهم فى المجر وعدد من دول اوربا الشرقية الاخرى] .

أما تفكير رجل الشارع فى اليونان فانه يتسلسل على النحو التالى : مع التسليم بالحماقة الجنونية التى ارتكبتها الحكومة العسكرية السابقة بتدبيرها محاولة الانقلاب ضد الرئيس مكاريوس .. فقد كانت الولايات المتحدة تستطيع وقف الغزو التركى لقبرص ، ولكنها لم تفعل **لانها تعتبر قواعدها العسكرية فى تركيا [اكثر من ٤٠ قاعدة] أهم من قواعدها فى اليونان [سبع قواعد]** .

والبعض يذهبون الى القول بأن تركيا وافقت على منع مزارعيها من زراعة الافيون [الذى يهرب معظمه الى امريكا . وقد كانت هذه المشكلة محل خلاف بين الدولتين لفترة طويلة] اذا اطلقت الولايات المتحدة يد تركيا فى غزو قبرص . ويكاد يكون هناك اتفاق عام على أن وكالة المخابرات المركزية الامريكية ظلت تساند نظام القمع العسكرى الذى حكم اليونان أكثر من سبع سنوات ، وانها هى التى دفعت حكومة الكولونيلات الى التآمر على قلب الرئيس مكاريوس على أمل أن يأتى خلف له يتبع سياسة ممالئة لحلف الاطلنطى بدلا من سياسة عدم الانحياز التى كان يتمسك بها مكاريوس . وعندما فشلت المؤامرة مالت الولايات المتحدة واجهزة مخابراتها الى جانب تركيا ، وبالتالى فهى تتحمل مسئولية الذلة التى تواجهها اليونان والالام التى يعانيها القبارصة اليونانيون حيث تقول الاحصاءات اليونانية ان ٢٠٠ الف منهم قد تركوا بيوتهم وتحولوا الى لاجئين .

وقد قال لى مسئول يونانى : « كان بوسع الولايات المتحدة ان توقف الغزو التركى بوسائل شتى منها مثلا توجيه تحذير شديد اللهجة الى حكومة أنقرة أو تحريك مدمرات الاسطول السادس الراسية فى المياه اليونانية بحيث تشكل حائلا بين تركيا وقبرص ، ولكنها لم تفعل شيئا من ذلك » .

وعندما عاد « **اندرياس باباندريو** » الى اثينا قادما من منفاه قال فى أول خطاب عام له : « **أن الولايات المتحدة خططت لاغتصاب قبرص وتقسيمها وانزال المذلة باليونان ، ولهذا يجب كسر قيود الاستعمار الامريكى** » .

ولم اجد يونانيا واحدا يتكلم عن قبرص دون أن يقرنها بكلمة « الخيانة » ، وهو يقصد المعنى المزدوج للخيانة : خيانة الحكومة العسكرية لتعهدات اليونان بعدم التدخل فى الشئون الداخلية لقبرص ، وخيانة الولايات المتحدة « لحليفتها » اليونان .

وأخيرا وبعد مناقشات طويلة وتحت ضغط الرأى العام اليونانى اعلن كارامانليس أن جميع القواعد العسكرية الاجنبية ستوضع تحت

السيطرة الوطنية لليونان وأن تلك القواعد الاجنبية التى لا تساهم فى الدفاع القومى لليونان سوف تغلق ..

وقد جاء هذا الاجراء بعد أن أعلن زعيم المعارضة فى البرلمان: «لم يعد مفهوما كيف تعزل مساحات من اراضى بلادنا خلف الاسوار ولايسمح حتى لوزير الدفاع بالدخول اليها» .

ورغم أن اليونان كانت قد سحبت قواتها المسلحة من القيادة العسكرية لحلف الاطلنطى منذ شهر اغسطس الماضى ، فانها لا تزال من الناحية السياسية عضوا فى الحلف ، وقد حضر وزير خارجيتها الاجتماع الوزارى للحلف الذى عقد فى منتصف شهر ديسمبر الماضى فى بروكسل ، واجتمع مع وزير خارجية تركيا كما قام هنرى كيسنجر وزير الخارجية الامريكى بمحاولات للوساطة بين الدولتين ولكنها لم تحقق تقدما ملموسا . وليس من المتوقع حدوث تقارب بين الدولتين فى المستقبل القريب نظرا لان العلاقات بينهما تصطدم دائما بصخرة صلبة هى مشكلة قبرص التى لا يبدو فى الامكان الوصول الى حل سريع لها .

■ فان الاحساس العام بالاذلال بين الشعب اليونانى يجعل من الصعب على حكومة كرامانليس — رغم الاغلبية الكبيرة التى تتمتع بها فى البرلمان — تقديم اى تنازلات تتمثل فى تقسيم قبرص ، أو فى اقرار مشروعية التقسيم القائم بحكم الامر الواقع ، أو التوصل الى اى نوع من التسوية تؤدى فى المستقبل الى التقسيم . ومن جهة اخرى فان مثل هذه التنازلات قد تؤدى الى استثارة القوات المسلحة اليونانية التى مازالت حتى الان تضم « كوادر » تربت فى كنف الحكم العسكرى ، تتحين الفرص لاتهام الحكومة «المدنية» بأنها « باعت » قضية قبرص ، لكى تتخذ من ذلك ذريعة للانقضاض على الحكم مرة أخرى بانقلاب عسكرى جديد .

ومثل هذا الانقلاب هو ما يريد كرامانليس تجنبه بكافة الوسائل ، ولذلك فهو يشجع العناصر التقدمية — التى كانت اكثر طوائف الشعب معاناة من الدكتاتورية العسكرية — على التظاهر ورفع شعارات الديموقراطية عالية ، لتعزيز التيار العام المعادى للحكم العسكرى ، ولاقناع « الكوادر » العسكرية بأن محاولة عودتها الى السلطة ستقابل بمقاومة شعبية شاملة . ولكن هذه العناصر التقدمية ذاتها تطالب باصلاحات جذرية ابعد مدى مما يفكر فيه كرامانليس ، وهو بحكم خلفيته السياسية لن يستجيب بسهولة لهذه المطالب ، بل ربما أدى الامر فى النهاية الى صدام بينه وبين العناصر التقدمية تجعله يعيد القيود السياسية التى كان قد فرضها على « اليسار » خلال رئاسته السابقة للحكومة فى بداية الستينات .

وهنا يكمن الاختبار الحقيقى للديموقراطية فى اليونان . وهذا الاختبار الذى كان كرامانليس يدرك أنه سيواجهه يوما ما هو الذى دعاه الى التعجيل باجراء الانتخابات العامة لكى يضمن لنفسه — وهو فى أوج شعبيته — الاغلبية البرلمانية الكبيرة التى حصل عليها .

■ وعلى الجانب الاخر فان الشعور العام فى حيث « الوجود العسكرى» التركى فى قبرص ، والاحساس بالتفوق العسكرى على اليونان من حيث « الوجود العسكرى التركى » فى قبرص ، والميزة الاستراتيجية للقرب الجغرافى بين قبرص والشواطىء التركية [بالمقارنة بالمسافة الطويلة بين قبرص والشواطىء اليونانية] ، فضلا عن أن القوات المسلحة التركية تزيد على ضعف القوات المسلحة اليونانية . واذا اضفنا الى ذلك أن تركيا ما تزال بلا حكومة مستقرة وأن القوات المسلحة هى التى تمسك بالسلطة الحقيقية هناك من وراء الستار ، وتستطيع اسقاط أية حكومة شرعية بمجرد اصدار انذار لها [كما حدث فى ١٢ ابريل ١٩٧١] فاننا ندرك مدى تشبث الجانب التركى «بالامر الواقع » الذى فرضه على قبرص من حيث اقتطاع الجزء الشمالى من الجزيرة الذى يمثل ٤٠ فى المائة من مساحتها ويضم ٦٠ فى المائة من ثرواتها الطبيعية ، كما يضم الميناء الوحيد العميق بالجزيرة وهو ميناء فاما جوستا — الذى يستوعب ٨٣ فى المائة من حركة التجارة فى قبرص .

ولا تزال اليونان تحشد قواتها على الجبهة التركية ، وهى تعلم مقدما انها لن تستطيع احراز انتصار سهل فى حالة نشوب حرب على هذه الجبهة . ولكن الامر المؤكد ان الجناح الشرقى لحلف الاطلنطى — الذى ظلت آمال العسكريين الغربيين معلقة عليه لفترة تزيد على ربع قرن — اصبح الآن جناحا مهيضا .



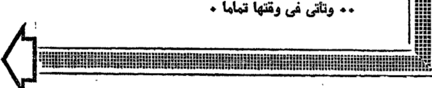
اليسار المصرى والقضية الفلسطينية

تقدم « الطليعة » فى هذا العدد مجموعة جديدة من وثائق اليسار المصرى والقضية الفلسطينية ، ولسنا بحاجة الى القول بأهمية هذه الوثائق ، ولا الى أن نشرها يأتى فى وقته تماما ، حيث تصل القضية الفلسطينية الى قمة السطح من الفكر والممارسة العربية ، ومن هنا يكون فتح الدفاتر القديمة ليس مجرد محاولة لتسوية حسابات ، وانما تصبح فى الاساس سبيلا لاستخلاص الدروس .

ولقد حاول البعض منذ فترة أن يلوح بالتنديد بموقف اليسار المصرى تاريخيا من القضية الفلسطينية ، فكان رد اليسار هو هذه المحاولة التى قام بها د. رفعت السعيد لتجميع وتقديم وتقييم موقف اليسار المصرى من هذه القضية القومية الهامة .

وما ان بدأ نشر هذه الوثائق حتى تهرب هذا البعض من أى نقاش جاد لمواقف اليسار تجاه هذا الموضوع ، ذلك انهم قد اعتادوا النقاش فى جو من الغيوم والتجهيل والكلمات المطاطة غير المحددة ، أما الوثائق .. التى تقدم الحقيقة دامغة ، صريحة ، متكاملة ، لا تحتمل أى تأويل فهذا مالا يقدر عليه هذا البعض .

ونواصل النشر وضعا للحقيقة فى نصابها الصحيح ، واستكمالا لخدمة تقدمها « الطليعة » لقرائها ، وهى تعتقد أنها خدمة هامة .. وتأتى فى وقتها تماما .



كلمة تاريخية عن مشكلة فلسطين

عبد الرحمن الناصر

عن دار الابحاث العلمية *

تمضي عشرات السنين وفلسطين الشهيدة تعاني وتقاسي ذل واضطهاد الاستعمار والصهيونية .. استعمار بغيض ، وصهيونية آثمة .. غرضهما استنزاف دماء الشعب الفلسطيني وكبت وخفض مستوى معيشته واذلاله، كل هذا لصالح حفنة قليلة من اصحاب المال والبنوك ..

ان الشعب الفلسطيني قد خرج من كبت استعمار تركي ليقع في براثن استعمار بريطاني اشد وانكى ..

لقد كانت فلسطين جزءا من التركة العثمانية ، وكان شعبها الابي لا ينفك من القيام بالثورات مطالبا بحريته واستقلاله ، وقد استغل فرصة ضعف الاستعمار التركي وقيام الحرب العظمى ليهب خائضا غمار القتال ضد هذا الكبت الاستعماري الجاثم على أنفاسه المعرقل لتقدمه ، ونموه ، السالب لجميع حقوقه وحرياته .

لقد هب الشعب الفلسطيني والتجأ الى أعداء الاستعمار التركي من بريطانيين وفرنسيين فقدم لهم يد المعونة في حربهم أملا في أن يجد منهم العون في نكبته والمنقذ له من الآمه واستغل هؤلاء الاستعماريون هذه الفرصة وقدموا الوعود والعهود للعرب وراحوا يمنونهم بالحرية والاستقلال .

فنرى أنه بينما كان الاستعمار الانجليزي ممثلا في السير هنري ماك ماهون المندوب السامي في مصر يعقد اتفاقا مع الشريف حسين شريف مكة خاصا باعتراف بريطانيا باستقلال الدول العربية بل اعلانها عدم عقد أي صلح الا اذا كانت حرية الشعب العربي واستقلاله من السيادة التركية شرطا حيويا فيه . في نفس هذا الوقت كانت هناك اتفاقية أخرى سرية تعقد بين الاستعمارين البريطاني والفرنسي تعرف باسم اتفاقية سايكس بيكو سنة ١٩١٦ لتقسيم البلاد العربية بينهما !! فلسطين والعراق من نصيب بريطانيا ، وسوريا ولبنان من نصيب فرنسا .

وهكذا ينثر الاستعمار وعوده باليمين ليسلبها ثانية بالشمال ، غير عابىء بمصالح الشعوب وغير مكترث بقوتها في تحطيمه ان آجلا وان عاجلا بل الادهى والامر من ذلك أن يرضخ الاستعمار لضغط الصهيونيين والى حاجته الى تأييدهم المالي ، فيعلن المستر بلفور تصريحه المشئوم سنة ١٩١٧ الذي جاء فيه : « ان حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف الى تأسيس وطن قومي في فلسطين للشعب اليهودي واستخدام كافة التسهيلات لتحقيق هذا الهدف » .

وهكذا دق الاستعمار أول اسفين له في قضية الشعب الفلسطيني ... هذا الاسفين الذي لا زال يعتمد عليه الى الان في تثبيت أقدامه في فلسطين هذا الاسفين هو « الصهيونية البغيضة » سلاح الاستعمار القذر .

ولكن الاستعمار رجل شريف ، لايحب أن يخرق القوانين الدولية . بل يرى مراعاتها في جميع اعماله العدوانية

> السيد رئيس تحرير مجلة الطليعة :
>
> بعد التحية :
>
> شرفتني مجلة الطليعة في عدد نوفمبر ١٩٧٤ بنشر الكلمة التي كنت قد اعددتها عام ١٩٤٥ عن «فلسطين ومناورات الاستعمار». ولكن هناك معلومة اود اضافتها وهي : ان عددا من الجمعيات الثقافية كانت قد اتفقت على عقد تلك الندوة في مقر دار الابحاث ، وأعلنت عنها . ولكن الحكومة أصدرت قرارا بمنع الندوة ، وعندئذ قررنا تجميع الكلمات التي كانت ستلقى في كتيب أصدرته « دار القرن العشرين » تحت عنوان « دفاع عن فلسطين » .
>
> ولذلك ، فالحقيقة أن ذلك البحث لم يلق،وعلى كل،فيبين الحادث نفسه بوضوح اين كانت الحكومة المصرية حينئذ من قضية فلسطين ، واين كنا نحن ....
>
> وتقبلوا تحياتي وتقديري .
>
> **أحمد صادق سعد**

لذلك تجده قد ألف عصبة الامم ، بل قل « عصابة الامم » تحت قيادته يستعملها لتحقيق أغراضه وتنفيذ مآربه تحت ستار القانون الدولي .

فتسلمه هذه العصابة صك استعمار فلسطيني تحت اسم « انتداب من قبل عصبة الامم » لرفع مستوى الشعب الفلسطيني .. !

نعم ... لقد رفعه ... وكيف لم يرفعه والاحصاءات الحكومية تثبت أن ٥٢ ٪ من السكان يعيشون بمعدل ٤ أشخاص في الغرفة الواحدة و ٣٥٪ من السكان في حالة ضنك شديد حيث يسكن أكثر من أربع أشخاص في الغرفة الواحدة بينما في انجلترا نسبة الذين يعيشون بمعدل ٤ أشخاص في الغرفة الواحدة هي نصف في المائة . بل لا زال العامل والفلاح يئنان من استغلالين : استغلال الاستعمار والصهيونية واستغلال صاحب الارض . وصاحب المصنع ... كيف لم يرفع الاستعمار فلسطين الى مصاف الامم الراقية وهو يستعمل سلاح الصهيونية لاثارة الفتن الطائفية والدعاية الخبيثة العنصرية .. بل لقد قوى الاستعمار الحركات الفاشية التي وجدت مرتعا خصبا لنموها ، ووجدت البذرة الصالحة لدعايتها للتفرقة بين العرب واليهود باسم الدين ، وتبذر الارهاب والفزع في طول البلاد وعرضها ... كل هذا ليبقى الاستعمار مسيطرا على البلاد مثبتا أقدامه فيها ، مستغلا شعبها أبشع استغلال .

ولكن العرب واليهود قد بدأ كفاحهما من زمن ، بل اشتد كفاحهما منذ انهزام الفاشية في أوربا ، وصمما اما نيل الحرية والاستقلال ، واما الفناء في سبيلهما .

ولن يستطيع الاستعمار البقاء في فلسطين الا اذا أفنى شعبها من بكرة أبيه ..

ان فلسطين ــ والشعوب العربية من ورائها تشد أزرها ــ قد صممت تصميما نهائيا على التخلص من الاستعمار والاستغلال والصهيونية،وسيستمر كفاح الشعب الفلسطيني كفاحا مريرا حتى يقضي على كافة أنواع الاستغلال والاستعباد قضاء مبرما لا رجعة فيه.

* كانت دار الابحاث العلمية احدى الواجهات العلنية لمنظمة « الشرارة »(ايسكرا) وقد اهتمت هذه الدار بتنظيم ندوة لدراسة القضية الفلسطينية من مختلف جوانبها ، وقد دعى الى هذه الندوة ممثلو مختلف التجمعات اليسارية والماركسية في ذلك الحين .



ملحق الأدب والفن

- تعليقات حول أزمة الثقافة المصرية
- صرخة الواقعية الجديدة
- شهادة مخرج مسرحي راحل

في هـذا العـدد :

لويس عوض : ستون عاما في خدمة المسرح

- **تعليقات حول أزمة الثقافة المصرية**
- **الادب والفن في شهر :**

— الالتزام وصدق التعبير في معرض عز الدين نجيب
— صرخة الواقعية الجديدة
— شهادة مخرج مسرحي راحل
— حوار حول السينما السرية
والسينما الأفريقيـــة
— دفاع عن الحقيقة .. لا عن صلاح عبد الصبور



لويس عوض

ستون عاما فى خدمة الثقافة

فى يناير من هذا العام يكمل الدكتورلويس عوض ستين عاما .

بدأت رحلة حياته فى المنيا ذات يوم فى يناير ١٩١٥ ، وبعد اتمام دراسته فى المنيا الثانوية وكلية الاداب سافر الى كامبردج حيث حصل على الدكتوراه فى أدب اللغة الانجليزية [وكان موضوع بحثه : اسطورة بروميثيوس فى الادبين الانجليزى والفرنسى] . ومنذ عودته من كمبردج فى ١٩٤٠ وهو « معلم » بالمعنى الواسع للكلمة : محاضرا فى الجامعة ، وكاتبا يتصدى لمناقشة قضايا الثقافة والادب ، ومترجما للكلاسيكيات والادب الحديث ، وناشرا ظلا وارفا على الحياة الثقافية والفكرية خلال الاربعينيات والخمسينيات وما تلاها .

ورغم ان لويس عوض قد ابعد عن الجامعة منذ عشرين عاما الا ان اهتمامه بقضايا الجامعة والتعليم لم ينقطع ، بل ظل موصولا ، وظلت كتاباته تترى حتى بلغت أعماله أكثر من أربعين كتابا بين مؤلف ومترجم ، وشملت دائرة اهتمامه مدى واسعا : من الادب الكلاسيكى الى الادب المصرى والعالمى المعاصرين . ومن تاريخ الفكر المصرى الى قضايا التراث العربى ، ومن شئون الجامعة الى قضايا التعليم .. الخ .

ولم يقتصر لويس عوض على الكتابة النقدية والفكرية والترجمة ، بل جرب الابداع أيضا ، فكتب الشعر والرواية والمسرحية ، وحاول السيرة الذاتية .

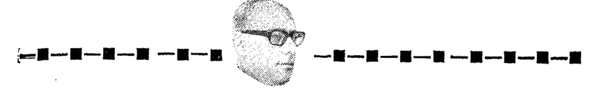
وفى كل ما كتب لويس عوض كان مدافعا عن الحرية ، « ويمكننا أن نقول على وجه العموم انه كان — فى المجتمع — اصلاحيا راديكاليا ، وفى الفكر مثاليا موضوعيا ، وفى السياسة ديموقراطيا ثوريا ، وفى الفن والادب رومانسيا ثوريا » .

وفى كل ما كتب لويس عوض كان عاشقا لمصر ، يراها فكرة دائمة متجددة عبر كل مراحل تاريخها ، جوهرها يضمن لها الدوام والتجدد والبقاء .

وفى كل ما كتب لويس عوض كان حليفا للتقدم ، حاملا لواء التنوير والحرية ، مبشرا بالجديد والاصيل .

وفيما يلى تقدم « الطليعة » هوامش صغيرة على متنه الكبير ، تحية له ، وتقديرا لعطائه .

« الطليعة »



لويس عوض :

الفكر الديمقراطي والأدبي :
بروميثيوس مصريا

د. عبد المنعم تليمة

ربما كان لويس عوض آخر [فحول] الفكر البورجوازي المصري . ولقد نشط هذا الفكر منذ الاربعينات الباكرة ، وكان الموقف الثقافي في مصر قد انتهى الى تمثيل نموذجي لازمة البورجوازية المصرية كان الاساس التاريخي الاجتماعي لمصر- علاقات شبه اقطاعية شبه رأسمالية- يفضي الى ان يعجز فكر البورجوازية الليبرالي ، ومنهجها العقلاني — على الرغم من تمثيلهما للاتجاه العام في الفكر المصري الحديث — عن القضاء على الصور الثقافية والمناهج الفكرية التقليدية الموروثة عن العلاقات الاقطاعية . بل ان ازمة البورجوازية المصرية قد جعلت — في ظل تعقد الصراع الوطني والطبقي — فكرها الليبرالي ومنهجها العقلاني ، ينتهيان الى اشكال صورية بدأت تفقد هذه الطبقة — ثقافيا — طاقاتها المتقدمة ، فانجرف مثقفوها الى واحد من ملجأين : لجأ فريق منهم الى الاتجاهات اللاعقلانية الغربية المعادية للعلم والتقدم . ولجأ فريق آخر الى التراث يواري منه القيم المتقدمة ، ويبرز الجوانب التي انتجتها عصور الخمول الفكري ، ويشيع المفاهيم الغيبية والقدرية المتخلفة . في هذا الوضع الثقافي كان المثقفون الوطنيون بين سبيلين : سبيل التشبث بالجانب الثوري من تراث البوجوازية المصرية ، وهو الجانب الذي اصله الرواد الاصلاحيون والراديكاليون منذ اول النهضة ، مع الاعتداد بالملابسات الاجتماعية الجديدة . وسبيل البديل التاريخي للبورجوازية ، وهو الطبقة العاملة المصرية ، التي اخذت في النضج واخذت طلائعها المثقفة والمناضلة في البروز والتأثير ، مع الاعتداد بدور هذه الطبقة العاملة في انجاز مهام ثورة مصر البورجوازية الوطنية . وكان لويس عوض من اصحاب السبيل الاول . حاول ان يقيل طبقته من عثرتها ، وان يجد لها مخرجا ، واستحال عليه — فكريا — أن يجد اداة منهجية ناجحة في علم الكلام الجديد الذي اصله الاحيائيون في اول النهضة ولا في طريق الارسطية والديكارتية الذي اصله التجديديون بين الحربين ، انما وجد الاداة المنهجية في المثالية الموضوعية الهيجلية . أخذ لويس عوض — في التاريخ والمجتمع والفكر والفن — بارقى تطور منهجي للفكر المثالي البرجوازي ، وبما لابس هذا التطور من ثورة راديكالية كبرى بثته في الانظمة البورجوازية مضايق اجتماعية واقتصادية اصلاحية ، ووجهت الفكر السياسي البورجوازي الثوري وجهة الحريات الديمقراطية [النسبية] و [التقريب] بين الطبقات في فرص الحياة وفق برنامج اجتماعي واضح . منهج لويس عوض اذن مثالي ، وليس علميا ، ولذا فانه عندما تململ امام صور قهر البورجوازية المصرية للجماهير وامام تعقد المسألة الوطنية ، لم يتوجه الا الى مثال بورجوازي ، وان يكن [جدريا] ليقوض به مثالا بورجوازيا اخذ في الافول . لقد طمح هذا المفكر المصري — اجتماعيا — الى اقامة دعائم مجتمع بورجوازي [تقدمي] ينهض على [عقد اجتماعي] بين الطبقات ، وعلى اقتصاد مخطط ، وعلى [مصالحة] بين البورجوازية والطبقة العاملة ، فاقترب بهذا من [الامكانيين] الفرنسيين في القرن الماضي الذين رأوا للطبقة العاملة ان تناضل من اجل [الممكن] . وطمح لويس عوض — فكريا — الى تأسيس النشاط على العقل ، وأكد عظمة الانسان وصدر من نظرة تفاؤلية تقدمية ، ووقف ضد المفاهيم والتصورات التقليدية واللاهوتية واللاعقلية والغيبية . وطمح — سياسيا — الى ليبرالية [جديدة] تنهى [صورية] الديمقراطية في الليبرالية التقليدية ، و [تخف] فيها اشكال القهر السياسي والاجتماعي ، ووقف ضد حلف الاوليجاركية الاقطاعية والراسمالية الكومبرادورية ، كما وقف ضد الحكم المطلق . وطمح — فنيا وادبيا — الى حس اخلاقي بطولي ، يكتشف في الانسان وعيه بالحياة ، وفرحته بها ، وجهاده الدائب في سبيل تفتح امكاناته وفك قيوده . ولقد صاغ لويس عوض هذه الطموحات في كتاباته الفكرية والابداعية والنقدية ، فكان — في المجتمع — اصلاحيا راديكاليا ، وكان — في الفكر — مثاليا موضوعيا ، وكان — في السياسة — ديمقراطيا ثوريا ، وكان — في الفن والادب — رومانسيا ثوريا . ان دور لويس عوض في ثقافتنا الوطنية انما يتحدد بانه في ازمة البورجوازية المصرية ، اجتماعيا وثقافيا ، وفي آخر مراحلها تاريخيا ، قد تشبث بالجانب التقدمي من فكرها ، وحاول مواصلة امجد ما انجزه مفكروها الديمقراطيون ، فكان واحدا من ابرز معلمي هذه الطبقة ، وربما كان آخرهم على الاطلاق .

النار المقدسة

المبدأ الاساسي — في فكر لويس عوض — وهو : الحرية. ونضال المجتمعات في سبيل هذا المبدأ انما يتحدد بتاريخ [الفكر] في هذه المجتمعات وأرقى صورة للفكر تجسد الحرية انما تتبدى في الفن . وعلى الرغم من ان لويس عوض قد تأثر ، بجانب المنهج الهيجلي ، بالماديات الكلاسيكية وبالمادية التاريخية — خاصة في كتاباته في الاربعينات — الا انه اقترب في نظرته التاريخية للحرية من الجانب [الصوفي] في تراث هيجل وعامة المثاليين ، فجعل الفكرة المطلقة موجهة للخبرة الاجتماعية ،



وكاد يقف بالنضال الديمقراطى للشعوب عند المحتوى البرجوازى للحرية . أى انه كاد يعزل الحرية – على الرغم مما يتضمنه فكره من اثار منهجية مادية – عن التطور التاريخى للطبقات الاجتماعية او كاد يقف بمفهوم الحرية عند التراث البورجوازى المتقدم ، ولم يتجاوز ذلك الى أرقى مستويات الحرية التى يحققها المجتمع اللاطبقى . لقد ادى هذا النظر بمفكرنا المصرى الكبير الى ان يكون مفكرا بورجوازيا [نموذجيا] . ولذلك اصبح محور كتاباته الثورات الغربيةالبورجوازية والثورة المصرية البورجوازية . واذاكان هيجل قد انتهى الى ان الدولة الالمانية [الروسية] البورجوازية هى التعبير الكامل عن [الروح المطلق] كما انها منتهى التطور التاريخى الانسانى ، فان مفكرنا المصرى الهيجلى كاد ينتهى – فى بحثه عنمخرج فكرى للبورجوازية المصرية – الى تصور مثالى للحرية والديمقراطية ينتهى الى التفاؤل باصـلاح الكيان البورجوازى المصرى ، ولا يلمح مابعد الثورة الوطنية البورجوازية المصرية من آفاق .

القوة المطلقة خطيئة

عاش لويس عوض طويلا فى مناخ الثورات البورجوازية الاوربية والامريكية، فىعصور فتوتهاالاولى ونضجهاوصعودها، وحلل اسسها المادية وصور تعبيرها السياسى والفكرى والفنى ، واخذ بديمقراطياتهاوحرياتها السياسيةومناهجها الاجتماعية ، واستلهم بخاصة الجوانب الاصلاحية والراديكالية فى ثقافاتها ، وظل الى حد بعيد يلتزم قيمها ومثلها العليا . اول ماشده فى هذه الثورات هو نضال تلك البورجوازيات – فى مراحلها الاولى – ديمقراطيا وانتزاعها لمواثيق محورها الاول الحريات الشخصية والعامة : شدت عينيه بقوة مواثيقالثورة الانجليزية ، منذ الميثاق الاعظم [الماجناكرتا] سنة ١٢١٦ م ، الى [الثورة البيوريتانية] التى ايدتها [الثورة المجيدة] او الثورة غير الدامية سنة ١٦٨٨ م وانتزعت للشعب الانجليزى [قانون الحقوق الذى اصل مسئولية البرلمان وانهى الحق الالهى فى الحكم المطلق ، وانتهاء بـ [قانون الاصلاح العظيم] سنة ١٨٣٢ م الذى حصل به ابناء البورجوازية الانجليزية على حق الانتخاب . وشد عينيه ميثاق الثورة الوطنية الديمقراطية الامريكية سنة ١٧٧٦ م وهى الثورة التى خلصت المستعمرات الامريكية من الاستعمار الانجليزى . وشد عينيه ميثاق حقوق الانسان الذى اعلنته الثورة البورجوازية الفرنسية سنة ١٧٨٩ م . اكمل العصور – لديه – هو عصر الثورة البورجوازية فى مرحلة صعودها ، اى القرن الثامن عشر والثلث الاول من القرن التاسع عشر ، عصر هيجل [١٨٣١ م] ذروة الفكر المثالى البورجوازى التقدمى ، وعصر الديمقراطية الثورية فى السياسة ،وعصر الرومانسية الثورية فى الفن . وحاول لويس عوض – متوسلا بالتاريخية الهيجلية وباثار من المادية التاريخية – ان يرد هذه الثورات الى اساسها المادى ، فتنبه الى ان هذا الاساس انما يرجع الى تحول جديد فى اقتصاديات العالم وبدء استنباط وسائل جديدة للانتاج ، اى الى التحول من اقتصاديات الزراعة الى اقتصاديات الصناعة ، ونهوض البورجوازية ونظامها علىانقاض الاقطاعية ونظامها . كذلك تنبه الى صورة التعبير السياسى لهذا التحول ، وهو التعبير الذى مثلتهتلك المواثيق الفقهيةوالدستورية التى اصلت الفكرة الديمقراطية ، وذهبت الى ان الحكومات لاتحكم الشعوب بحق مقدس يأتيها من السماء وانما بتوكيل من افراد الامة مصدر السلطات والمرجع الاخير فى كل شىء ، وكفلت التصويت العام وقننت لحقوق الانسان .

«كانت هذه اذن رسالة العقاد الجديدة بعد ان ودع كفاحه فى سبيل الديموقراطية الليبرالية عام ١٩٣٦ : ان يشنها حرباً عوانا على كل المذاهب التى تهدر حرية الانسان او تذيب الفرد فىالجماعة ايا كانت بطائنها الفكرية ، مثالية كانة ام مادية ، دينية كانت أم دنيوية . ولكى يفعل ذلك انضوى تحت الجناح الجامد من قوى الوسط المحافظ فى المجتمعالمصرى يقاتل تحت لوائه لانقاذ الفرد من طوفان الجماعة .. » .

« دراسات عربية وغربية ، ١٩٦٥ ، ص ٣٢ » .

وسعى لويس عوض – وهذا صلب عمله – الى بيان صورة التعبير الفنى عن تلك الثورات البورجوازية ، مأخذ بتاريخية الظاهرة الفنية ، وتبنى نتيجة هذه التاريخية القائلة بأن الرومانسية هى التعبير الفنى عن البورجوازية ، وبأن ماهو ثورى فى نظام هذه الطبقة وقيمها ومثلها الاعلى ، انما يجد صورة التعبير عنه فى الرومانسية الثورية التى تعتد بالوجود الاصيل للفردية ، وتخلق النماذج الانسانيةالتى تثبت مكانالانسان، وتبرز حضوره فى وجه قوانين القهر : « ... التيار الاصلى فى الحركة الرومانسية هو روح الفردية لا اكثر ولا اقل . أن فصل الحركة الرومانسية عن سياقها التاريخى خطأ عظيم يتورط فيه بعض المؤرخين والنقاد . وهو خطأ لانه يركز اهتمامنا على المظاهر الجزئية فى الحركة دون طبيعتها العامة . الحركة الرومانسية ليست حركة قوطية . الحركة الرومانسية ليست حركة قوطية . الحركة الطبيعة . الحركة الرومانسية ليستحركة عاصفة واندفاع . الحركة الرومانسية ليست حركة يونانية . الحركة الرومانسية ليست حركة جمهورية . الحركة الرومانسية هى التعبير الادبى عن الحركة البورجوازية . والرومانسية هى روح الفردية . كل ماعدا ذلك تفاصيل لاعلاقة لها بالجوهر ... » . ويصدر لويس عوض عن ان الفن اقوى صورة لتجسيد الروح المطلق ، وان الحرية ارقى غايات تطور هذا الروح ، وان الحس الاخلاقى البطولى انبل غايات الفن . ويجد لويس عوض فى الشاعر الانجليزى [شيلى] رفيقا حميما ، وخارقة من خوارق الفن والاخلاق والديمقراطية والحرية . كلاهما الشاعر الانجليزى والمفكر المصرى – رومانسى ملتهب ، يجمع طعام الخيال من كهوف غريبة . وكلاهما جمهورى النزعة ينجلى فيه الروح الديمقراطى ، ويحدوه نزوع رفيع الى الحرية . وكلاهما يعتد بالفن اداة منادوات التعبير الفلسفى والاصلاح الاجتماعى والتثقيف الخلقى . وكلاهما كاهن فى معبد الانسان ، يحمل على كتفيه اوزار البشر ، ويحمل بين جوانحه شهوة لاصلاح العالم . وكلاهما قد وجد فى [بروميثيوس] نموذجا كاملا للثورة والتضحية والفداء فى سبيل الحرية ، نلقى منهما حفاوة مجيدة . كتب شيلى عمله الشعرى الكبير [بروميثيوس طليقا] ،



وكتب لويس عوض دراسته الاكاديمية [اسطورة بروميثيوس فى الادبين الانجليزى والفرنسى] ، ونقل لويس عوض مسرحية شيلى الى العربية مقدما لها بدراسة مطولة كانت من اعمق كتاباته فى الاربعينات .

كان بروميثيوس القديم — فى الاسطورة اليونانية وفى مسرحية ايسخولوس — [مغلولا] ، كان الها ثار على طغيان جوبتر الذى نصب نفسه حاكما مطلقا واخضع سائر الالهة لسلطانه وانزل بالبشر الضربات متلاحقات . وكان بروميثيوس صديقا للبشر يظاهرهم على طغيان جوبتر ، ولقد سرق لهم النار المقدسة ، نار المعرفة ، وامدهم بالعلم الكثير ، فكان جزاؤه ان صلبه جوبتر على شفا هاوية سحيقة بجبل القوقاز ، واطلق عليه النسور تنهش جلده ، وكلما طلع الصباح كساه جلدا جديدا لتطعم به النسور ، وتعذبت عناصر الطبيعة لعذابه كما سبحت يوم مولده . رأى شيلى فى [بروميثيوس] اماما للثائرين على الطغيان ورمزا فذا للحرية ، وعندما اطلقه فانما قد هدف الى تحرير الانسان الحديث من اغلاله ، والكشف عن ان جوهر وجوده فى الحرية . لقد كشفت الربات الحجاب عن عينى بروميثيوس ، فاستعرض صور التاريخ ومشاهد الحياة ، ورأى الشعب يناضل فى سبيل الحرية والاخاء والمساواة ايام الباستيل ، ورأى صور القهر المهددة لمبادىء الحرية البرومثية التى استشهد فيها كثيرون ممن مستهم النار المقدسة . لقد تقوضت دولة الحكم المطلق ، وتهدمت دولة جوبتر الغاشمة ، وانطلق بروميثيوس رمزا للحرية . ان القوة المطلقة خطيئة ، هذا هو مغزى ثورة بروميثيوس ، وموقف شيلى . كيف يفسر المفكر المصرى لويس عوض هذا الموقف وذلك المغزى ؟ ان تفسيره لايخرج عن المنهج الروحى الهيجلى ، فيكاد هذا التفسير يدور حول الصراع من اجل الحرية ، كقيمة مطلقة ، بين الخير المطلق والشر المطلق : الخير هو القوة الكبرى فى هذا الوجود . ولقد اخطأ بروميثيوس حين غلبه الم واعمته ثورته يوم شده جوبتر على شفا الصخرة العالية ، فلعن كبير الالهة لعنة جبارة كادت ان تتحطم لها الاكوان ، ولقد ندم على ذلك [بعد ان صقل الالم نفسه واصاب الحكمة من شقائه] . ان بروميثيوس لن يقهر جوبتر بالحقد والغطرسة ، فهو لن يستطيع ان يجاريه فيهما . انما يقهره اذا استطاع ان يكون اقرب منه الى فكرة الخير . فما من سلاح على الارض وفى السماء لايملكه جوبتر الا سلاح الخير ، والخير سلاح بتار ، بل الخير هو السلاح الوحيد الذى نستطيع ان نرد به قوة الشر . ان اخص صفات الاله المستبد الحقد والانتقام . فاذا كان لبروميثيوس ان يقهر جوبتر فليتعلم الحب ، وليتسع قلبه للغفران . ان ثورة بروميثيوس — فى هذا التفسير — ثورة سياسية : سياسية فى اهدافها فقط ، وليست سياسية فى وسائلها . هى ثورة اخلاقية فى وسائلها . بل هى اقرب الى العصيان المدنى منها الى الثورة . هى اقرب الى التاكتيك الغاندى منها الى التاكتيك الماركسى . هى اشبه بالمقاومة السلبية منها بحرب ابراهام لنكولن لتحرير العبيد . ان مغزى هذا العمل انما يتأسس على اخلاقية مثالية غالية ، توجه البشر للانتصاب فى وجه صور القهر ، لكنها لاتنظر الى هذه الصور نظرا تاريخيا اجتماعيا ، نظرا طبقيا ، لذلك فان القوة المطلقة [خطيئة] ، وليست نتيجة لملابسات تاريخية اجتماعية يمكن معرفتها وتحديدها علميا . كذلك يتأسس تفسير لويس عوض على هذه الاخلاقية المثالية ، فيرى الصراع من اجل الحرية بين قوتين مطلقتين ، الخير والشر ، تكادان تعملوان على تلك الملابسات . من الطبيعى اذن ان تكون الثورة سياسية فى اهدافها ، [اخلاقية] فى وسائلها . ومن الطبيعى ان يتفق مع الخير المطلق — القوة الكبرى فى هذا الوجود ، والسلاح الوحيد الذى نستطيع ان نرد به قوة الشر — ان تكون هذه الثورة [غير دامية] . ان اقصى مايمكن ان يصل اليه الجهد البورجوازى المتقدم هو ان يحل مثالا بورجوازيا محل مثال بورجوازى آخر ، ان يحمى الكيان البورجوازى من التصدع بدعائم بورجوازية ، وان يجعل من هذا الكيان نهاية التاريخ ، فاذا لمح امكانية كيان بديل ، اخذه الجزع كل ماخذ ، وخشى ان تتهدم قوائم المجتمع البشرى وجوانبه .

العقد الاجتماعى المصرى

الحقيقة الاساسية فى جهد لويس عوض كله ، هو الانشغال الدائب بالتاريخ الثقافى لمصر الحديثة ، فى كافة المجالات الثقافية فكرية وفنية وادبية . وهو يؤرخ لثقافة ثورة مصر الوطنية البورجوازية فى القرنين التاسع عشر والعشرين من زاوية النضال الوطنى المصرى ضد المستعمرين ، ومن زاوية النضال الديمقراطى الجماهيرى ضد الطغيان والحكم المطلق . وهو فى هذا التاريخ والتقويم يحقق بأجلى الصور فكرته التاريخية العامة ، ومذهبه فى التاريخ للجماعات البشرية . انه يرى للجماعة روحا دائما وجوهرا عاما ، يتبدى فى عناصر الواقع وحقائقه الانسانية ووجوه نشاطه الروحية والعملية . وليس هذا بعيدا عن [الفكرة] الهيجلية او [الروح] المطلق الذى يتبدى فى مراحل تطورية ، هى المراحل التاريخية للانسانية . ان لويس عوض وهو يؤرخ للبناء الثقافى فى مصر الحديثة يصدر من ان لمصر [روحا] وجوهرا دائمين سرمديين منذ فجر التاريخ البشرى ، وان هذا الجوهر يحفظ على مصر دوامها واستمرارها عقلا للعالم وضميرا له . ان مصر فكرة دائمة متجددة عبر كل مراحل تاريخها المتعين ، وجوهرها يضمن لها الدوام والتجدد والبقاء ، مهما يكن شأن عوادى الزمن وصروفه . يخدم هذه النظرة الوجدانية الصوفية نهج مثالى يرى ان الكشف عن ذلك الجوهر لايمكن ان يكون خالصا نقيا على ايدى المؤرخين والعلماء والفلاسفة ، انما يستطيع هذا الكشف الفنانون والشعراء . واذا كان بروميثيوس قد خلقه المأثور الاوربى القديم وجعله رمزا للثورة على الطغيان ، واستلهمه الفنان الاوربى البورجوازى فى العصر الحديث ليجعله مناضلا فى سبيل حرية الانسان ، فان [العنقاء] رمز فى المأثور المصرى الفرعونى للبعث بعد الموت ، والنشور بعد الحياة ، للتجدد والاستمرار والبقاء ، ولقد استلهمه الكاتب المصرى البورجوازى فى العصر الحديث ليجعله معبرا عن دوام مصر الخالدة ، وبقاء جوهرها واستمرارها . يستلهم لويس عوض فى كتاباته ، بصورة غير مباشرة ، — حتى لو استبعدنا روايته التى تحمل اسم [العنقاء] — هذا الرمز المصرى القديم : لقد اتصل هذا الطائر — العنقاء — ببعض الديانات المصرية القديمة ، وكسته الاساطير ريشا قرمزيا لامعا متوهجا توهج الذهب والشمس ، وجعلت لصيحته نغمة جليلة متفردة ، واعطته عمرا



متطاولا يبلغ المئين من السنين ، فاذا هلك ، بحرق نفسه ، بعث من جديد ، من رماده ، فى كامل القوة والشباب والجمال والبهاء . هذا الطائر - العنقاء - واحد فى كل زمن ، يحرق نفسه هرما لينبعث من رماده شابا ، وهكذا . هذه [العقيدة] الفرعونية فى الخلود تنسجم و [عقيدة] لويس عوض فى [مصر الفكرة] الخالدة ، وتتسلل الى تشخيصه لدور مصر فى التاريخ ، والى تاريخه وتقويمه للبناء الثقافى فى مصر الحديثة . ان فى منهج كاتبنا الكبير آثارا مادية وعلمية وهو ينبه فى بعض تاريخه وتقويمه لبنائنا الثقافى الحديث الى انه سيصدر من الوجوه السياسية والسوسيولوجية الاساسية من حياتنا الثقافية والفكرية ، والى الاكتفاء بمناقشة الفن والادب من حيث علاقتهما بالمجتمع والى الاعتداد بروح العصر وبروح المكان . ولكن على الرغم من هذا التنبيه فان البناء الثقافى لمصر الحديثة لديه يكاد يكون بناء [فكريا] خالصا ، وليس انعكاسا لعلاقات اجتماعية محددة. لذلك تبدو الانتقالات الاساسية فى هذا البناء الثقافى كأنها من صنع الاعلام الاحاد من المفكرين والكتاب والشعراء ، او تبدو كأنها انتقالات فكرية توجهها حركة الروح المصرى المتجدد .

غير ان نزوع لويس عوض الديمقراطى الثورى ، وانحيازه الى [الجماهير] المصرية ، قد وجهاه - فى رصده لتطور مصر الحديثة وتاريخه وتقويمه لثقافتها - الى تفسير الفكر المصرى الحديث من جهة الكفاح الدستورى والنضال الديمقراطى المصرى فى القرنين التاسع عشر والعشرين . بل انه ليتجه الى تحديد مراحل التطور المصرى بالمواثيق الدستورية والفقهية والسياسية التى انتزعتها الجماهير المصرية ، والتى صاغها الفكر الوطنى : عند لويس عوض ان اول تحرك جماهيرى مصرى نحو الديمقراطية كان بين سنتى ١٧٩٥ م ، و ١٨٠٥ م . فى سنة ١٧٩٥ م بلغت مقاومة الشعب المصرى للوالى العثمانى والمماليك حدا وقف بالبلاد على حافة الثورة ، وافضت هذه المقاومة الى استخلاص زعماء البلاد [حجة] مكتوبة وقعها الوالى العثمانى وزعيما المماليك مراد بك وابراهيم بك ، وكانت هذه الحجة نواة اول دستور استخلصته مصر من حكامها فى العصر الحديث ، كانت اول ميثاق عرفته مصر يحدد قواعد الحكم ومسئولية الحاكم امام المحكوم ، رغم انه سرعان ما اصبح حبرا على ورق . وفى اكتوبر سنة ١٧٩٨ م ، انشأ نابليون [الديوان العام] الذى كان اول برلمان مصرى ، او اول تجربة عرفتها مصر فى الحكم النيابى . اما فى سنة ١٨٠٥ م ، فقد اشتدت اليقظة الجماهيرية الى حد قيام جماهير الشعب المصرى بتحدى الباب العالى وعزل الباشا العثمانى ، وتعيين محمد على واليا على مصر ، بعد ان كان عزل الولاة الاتراك عملا سياسيا لايشارك فيه الا الاتراك . ويقوم لويس عوض هذا التحرك الجماهيرى الاول نحو الديمقراطية ، بأن حجة ١٧٩٥ م كانت عهدا وميثاقا ولكنها لم تتجاوز فى فاعليتها الارتباط الادبى من قبل الحاكم ان يجرى بالعدل بين الناس . وكان [فرمان الشروط] البونابرتى نواة اول دستور عرفته البلاد ، ولكنه كان منحة من بونابرت كما كان خاليا من اية ضمانات لتقييد سلطة الحاكم . اما نصر سنة ١٨٠٥ م ، فقد كان نواة الدستور المصرى بكامل معانيه الفقهية والديمقراطية ، وكان بداية كفاح طويل مرير بين الشعب وحكامه عبر قرن ونصف قرن من الزمان ، اتسع مداه باطراد وازدادت ابعاده عمقا عاما بعد عام . وبين ميثاق ١٧٩٥ م ، وميثاق مايو ١٩٦٢ ، يجعل لويس عوض التطور المصرى هو تطور ما يسميه [الفكرة الثورية المصرية] وتحديدها لديه : ان الفكرة الثورية المصرية لم تكن فى يوم من الايام فكرة ميتافيزيقية غيبية، بل كانت دائما فكرة محسوسة عملية واقعية ، الى درجة الاتزان وزمنية اى علمانية الى حد بعيد . ولم تكن فى اى وقت مرتبطة بعقيدة صوفية فى حق الهى من نوع او من آخر ، او برؤى وهمية لمدينة فاضلة ، والما كانت باستمرار تجابه المسائل مجابهة مباشرة وتسمى الاشياء باسمائها . وفوق هذا وذاك كانت الفكرة الثورية المصرية عظيمة الاعتدال والبراجماتية [التجريبية] ، لا يخالطها من الفكر النظرى الا القليل ، كما كانت على وجه القطع لا يشوبها تطرف او وحشية تذكر . وفى جميع الاحوال كانت الفكرة الثورية المصرية تتجلى فى مبداين : اولهما هو مصر ذات سيادة . وثانيهما هو اقامة دولة علمانية [محمد على - احمد عرابى - سعد زغلول - جمال عبد الناصر] . وفى جميع الاحوال كانت فكرة الثورة المضادة تتجلى فى صورة السيادة الاجنبية والاحياء الثيوقراطى للحق الالهى . ومن الظواهر المظيمة ان التيار الرئيسى فى الثورات المصرية كان فى جميع الاحوال تيارا عمليا معتدلا منتظما اكثرية السكان فى مجراه ، ومظهرا لقوته الحقيقية من خلال الارادة الجماعية، بينما كان مبدأ الثورة المضادة يظهر دائما قوته من خلال اعمال العنف المجنونة والاغتيالات الفردية والمعتقدات الانتحارية اللاعقلانية . ويربط لويس عوض بين هذا الاساس وصورة التعبير الفكرى عنه ، فيرى أن الحركات الثقافية والفكرية المصرية ، بغض النظر عن لونها او مداها، كانت دائما تتجه منذ اواخر القرن الثامن عشر الى اتخاذ مجريين : الاول وهو الاكبر ، هو التيار العلمانى وهو تيار وطنى ومعتدل سواء فى وجهه المحافظ او فى وجهه الراديكالى . والثانى وهو الاصغر هو التيار الثيوقراطى ، وهو تيار متطرف وارهابى . وتعاصر هذين التيارين - عنده - يعطى للتاريخ المصرى فكرة الاستمرار .

> « وانى لاعلم ان لويس عوض قد عاهد الثلوج الغزيرة المنثورة على حديقة مدسمر فى خلوة مشهودة بين اشجار الدردار عند الشلال بكامبروج الا بحط كلمة واحدة الا باللغة المصرية ، وقد بر بعهده فى العام الاول بعد عودته فكتب شيئا بالمصرية سماه « مذكرات طالب بعثة » ، ولكنه استسلم بعد ذلك وخان العهد. فلتغفر له الثلوج الطاهرة التى لم تدنسها حتى اقدام البشر .. »
>
> « مقدمة بلوتولاند ، ١٩٤٧ ، ص ١٣ » .

ان هذا التحليل يفصح عن روح راديكالى ونزوع ديمقراطى اصيل لكنه يجعل التاريخ المصرى الحديث صادرا عن [مبهم] يسميه المفكر الكبير [الفكرة الثورية المصرية] . وليس يجدى فى ازالة هذا الابهام ان يشير الى قوى الثورة وقوى الثورة المضادة ، ولا ان يشير الى تيارين اساسيين فى الفكر ، لان هذه القوى



عنده تتوازن ، كما ان هذين التيارين يتوازيان ، منذ فجر القرن التاسع عشر حتى الآن ، دون اعتداد بمراحل هذا التاريخ وطبيعة قوى الثورة وقوى الثورة المضادة فى كل مراحله ، وطبيعة تيارات الفكر فيها . ولا يزيل هذا الابهام كذلك ان يشير الى مراحل هذا التاريخ ، فتخرج عنده كأنها ثورات لها مهام مختلفة . انه يحدد هذه المراحل بثلاث : [ثورة] ١٨٨٢ وقد نهجت طريق تمصير الجيش والادارة . و [ثورة] ١٩١٩ وقد نهجت طريق الديمقراطية الليبرالية . و [ثورة] ١٩٥٢ ، وقد نهجت طريق الاشتراكية . وليس الامر على هذا النحو تاريخيا ، ذلك أن مصر — منذ بدء نهضتها فى أول القرن الماضى حتى الان — تعيش ثورة واحدة هى الثورة الوطنية البورجوازية ، و [١٨٨٢ — ١٩١٩ — ١٩٥٢ م] حلقات ، أو مراحل لهذه الثورة الواحدة التى من مهامها الديمقراطية الليبرالية والتمصير والتحرير . **وعلى الرغم من أن لهذه الثورة الواحدة حقائقها الموضوعية العامة فان مهامها تتخذ فى كل مرحلة من مراحلها صورا متغايرة ، كما أن قوى الثورة وقوى الثورة المضادة واتجاهات الفكر انما تتحدد فى كل مرحلة فى ضوء الصراع الوطنى والصراع الطبقى أما الثورة الاشتراكية ، فثورة أخرى تماما ، لها شروطها التاريخية وقواها الاجتماعية وتتم عند تحقيق الدور القيادى للطبقة العاملة .**

ان هذه الخبرة فى تراثنا الوطنى القريب تجعل الحلقة الاساسية فى جهد المثقفين الوطنيين والديمقراطيين والثوريين هى النضال من أجل الحريات التى محورها حق التعبير لكافة الاتجاهات والمدارس العلمية والفكرية والفنية ، وحق التنظيم لكل القوى والطبقات الاجتماعية . ان الموقف اليوم يتطلب أن تشارك هذه الاتجاهات والقوى، سياسيا وفكريا ، فى ادارة الصراع الوطنى والاجتماعى ، وانما تتم مهام ثورة مصر الوطنية البورجوازية بأعرض جبهة وطنية ديمقراطية ، فى السياسة وفى الثقافة. وليس شك أن لويس عوض — وهو المفكر الديمقراطى الكبير — يقف فى الصف الاول بين المناضلين من أجل هذه الغاية .

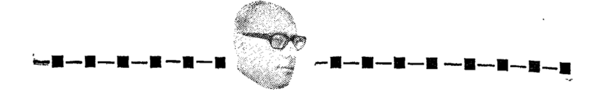
• • •

هذا نهج لويس عوض وسبيله : سبيل مصر الناهضة ضد أسباب التخلف والقهر.

وما وقفنا عنده فى هذه الصفحات انما هو جانب محدود من جهد الرجل وأثره وآثاره ، ذلك لان جوانبه الاخرى تتنوع فى صور فكرية ونقدية وابداعية ، لايمكن ان يتسع لدرسها هذا المقام . وقد نختلف مع الاستاذ الكبير فى نهجه وسبيله ، لكن الذى لا خلاف عليه انه واحد من المعلمين الرواد للشعب المصرى فى العصر الحديث . وقد يتخذ هو سبيل البورجوازية الديمقراطى ، وقد نتخذ سبيل الطبقة العاملة الثورى ، لكنه فى صفوفنا — جمهرة المثقفين الوطنيين — قد حمل متقدما لواء التنوير والحرية ، وبشر ولا يزال بالجديد والاصيل ، وتغنى ولا يزال بوطنه العظيم . وقد لا نقر فلسفته الاجتماعية ، لكنه قد اجتهد لتحرير الاذهان والعقول من كل مقولة غيبية، فلم ينظر الى تاريخ المجتمع وحركته باعتبارهما مفروضين من قوى متعالية مفارقة له ، وناضل فى سبيل علاقة راشدة بين الفرد والجماعة ، وبين الحاكم والمحكوم . ومهما يكن من أمر هذه الاختلافات ، فان مؤرخ ثقافة مصر المعاصرة لا يمكن الا أن يقف وقفة طويلة عند الدور البارز لهذا الرائد : فلا يزال دوره فى أروقة الجامعة ، وفى دراساته الاكاديمية ظاهرا مؤثرا ، على الرغم من ابعاده عن الجامعة منذ عشرين سنة . لقد التزم — فى الجامعة وبعد خروجه منها — بمنهجية ضابطة فى تفسير النشاط الادبى وفى دراسته ، فخلص درس التاريخ الادبى من تراكم المعلومات التى لا يسندها موقف نظرى ، وخلص التراث الفكرى والفنى من كل نظرة تقديسية تسلبه الحياة والتأثير ، وعقد الاواصر بين الاداب بدراساته المقارنة الرائدة ، كما عقد الاواصر بين الادب والفنون ، وأكد وحدة المعرفة البشرية. وجاهد فى تخليص النقد الادبى من آثار صغار الرومانسيين وغلاة الوضعيين ، تتصدى — نظريا — للمفاهيم التى ترى فى الادب ثمرة ذاتية أوحت بها قوى غير مرئية ، والتى تراه ثمرة تنفيس شخصى عن ذات قائله ، والتى تراه ثمرة حذق لغوى ومهارة لفظية ، والتى تراه خلقا على غير مثال من حياة صاحبه الفنان وحياة مجتمعه . وفى هذا الميدان ذاته — النقد الادبى — بدت تطبيقات لويس عوض مهمومة بالتفتيش عن عناصر الاصالة والذاتية والغنائية ، بجانب تفتيشها عن الدلالة الاخلاقية والاجتماعية، كما بدت هذه التطبيقات ساعية للكشف فى الاعمال الفنية والادبية عن البواعث والآثار ورافضة أن تكون [النصوص] الفنية أدلة ووثائق جامدة أو أن تكون مجرد [شواهد] . كذلك فان مؤرخ الثقافة المصرية المعاصرة لا يمكن الا ان يقف وقفة طويلة عند دور لويس عوض فى الترجمة والتوجيه الثقافى العام ، حيث يحتل المحل الارفع بين كتاب المقال الثقافى فى بلادنا ، كما لايمكن لمؤرخ الفن المصرى المعاصر الا أن يقف وقفة طويلة عند ابداعاته فى المسرحية والشعر والرواية . ان بلادنا تتهيأ لمعارك كبرى فى الديمقراطية والتفكير والتحرير . ولويس عوض فارس من فرسان هذه المعارك . ويشق على النفس أن تلتفت الابصار بحثا عن صوته النبيل فتجده يحمل حقيبة دفاتره ليلقى دروسه فى بعض الجامعات الغربية . ليس مفهوما ولا معقولا — مهما تكن الامور — ألا يعمل هذا المعلم الكبير بين تلاميذه ، والا يتصدر العمل الثقافى والفكرى فى بلادنا. اننا نعرف همومه وأشواقه الرفيعة ، فليأت نقاسمه الهموم ، ولتحمل الايدى متآزرة راية الوطن . عد أيها الصديق الجليل . [١] .

---

[١] عدت فى هذه الصفحات — غير الاتصال العام بفكر لويس عوض وآثاره — الى طائفة من كتبه هى : ترجمة [برومسثيوس طليقا] لشيلى النهضة المصرية ١٩٤٧ م و [دراسات فى أدبنا الحديث] دار المعرفة ١٩٦١ م . و [الاشتراكية والادب ومقالات أخرى] بيروت ١٩٦٣م . و [الثورة والادب] دار الكاتب العربى ١٩٦٧م . و [تاريخ الفكر المصرى الحديث] فى جزءين دار الهلال ١٩٦٩م .



(لويس عوض :

الابـــــــداع الأدبى :

ثورات مجهضــة .. وأبطال مهزومون

فاروق عبد القادر

يقول الدكتور لويس عوض فى تقديم روايته الوحيدة « العنقاء ، او تاريخ حسن مفتاح » مـــبررا تأخير نشرها عشرين سنة كاملة (وسنختبر صدق هذا الزعم فيما بعد) « انى بقدر اطمئنانى الى عملى كمعلم وناقد ، كنت اخجل دائما من عملى كفنان ، ولولا ان الخلق الفنى ياتينى عادة فى الازمات الروحية ، مرة كل عشر سنوات أو نحوها فى صورة انفجارات لا قبل لى بكبتها لخنقت هذا الجانب الابداعى فى شخصيتى خنقــا تاما . ويبدو أن للخلق الفنى عندى ــ وربما عند آخرين غيرى ــ وظيفة حيوية سيكو ــ ثرابية ، وانه من الوسائل التى تتوسل بها النفس للمحافظة على توازنها ومقـــاومة الانهيـــار » (ص ٤٢ ــ ٤٣) .

ويقول فى تقديم مجموعته الشعرية الوحيدة « بلوتو لاند وقصائد آخرى ! « قال لويس عوض الشعر وهو ليس بشاعر ، وهو يعد بالا يكرر هذه الغلطة ولو نفى فى بلاد الخيال ، ولو أنه أراد الان ان يقرض الشعر لما استطاع ، فقد انقطع عنه الوحى منذ ان عاد الى مصر فى الخامسة والعشرين » (ص ٢٤) .

لكن لويس عوض وعد وأخلف وعده ، فنشر شعرا فى مجلتى « حوار » ــ هل تذكرونها ؟ ــ و « اصــوات » ــ مجلة للادب العربى كانت تصدرها جامعة لندن ويرأس تحريرها صديقه دنيس جونسون ديفيز ــ وفى بعض صفحات هذا العدد شىء من شعره كذلك ، ولم ينف لويس عوض الى بلاد الخيال .. بل آثر الرحيل الى بلاد اخرى !

ومهما يكن من رأى لويس عوض فى ابداعه الفنى ، وسواء كان يؤدى عنده وظيفة سيكوثرابية أو وظيفة أخرى ، فلا شك فى أن له عملين يستحقان ان نلقى عليهما نظرة لا تقف عند كل التفاصيل فيهما ، بل تتلمس ملامحهما العامة ، ودلالتهــا على فكر لويس عوض وتكوينه النفسى . هذان العملان هما حســب أهميتها « العنقاء » أو تاريخ حسن مفتاح » (دار الطليعة ، بيــروت ، ١٩٦٦) « الراهب » (دار أيزيس ، القاهرة ، ١٩٦١)

■ ■ ■

تفجؤك العنقاء بمقدمة تدير الرأس : خمسين صفحة من القطع الكبير ، يعرض فيها لويس عوض ملامح الفترة التى يذكر انه كتب فيها روايته (٤٦ ــ ١٩٤٧) فى مصر والعالم ، ويثبت ــ بصراحة نادرة وللمرة الاولى فى تاريخه كله ــ تحفظاته على النظرية الماركسية كفلسفة ومنهج ، بعض هذه التحفظات يكفى كى ينسف النظرية من اساسها : فــدورة الجدل الهيجلى ــ الماركسى بحاجة الى مراجعة على ضوء المنطق الصورى ــ الارسطاليسى (أما ما هى هذه المراجعة وكيف تكون فلا يقول لنا شيئا) وأسبقية المادة على الفكر لا تقل تبسيطا للأمور عن اسبقية الفكر على المادة ، والجبرية ــ مادية كانت أو تاريخية ــ تتعارض مع المعارف الفيزيقية ، والاسراف فى ابراز دور الاقتصاد فى حركة التاريخ كفيل بأن يعود بنا الى مادية ميكانيكية ، ونظرية صراع الطبقات او صراع الاضداد كفيلة بأن تنشر على الحياة رداء ماساويا قانيا ، ورؤية مـــاركسى للانسانيـــة الشيوعية لا تختلف عن رؤية يوحنــا اللاهوتى او فرجيل أو غيرهما من المدن الفاضلة ، واخيـــرا .. فــديكتاتورية الطبقــة العـــاملة ــ كأى ديكتاتوريـــة اخرى ــ مرفوضة شكلا وموضوعا .

بعض هذا يكفى . وبعد التحفظات جميعا يقول لويس عوض : « تقول : وماذا بقى فى الماركسية بعد هذا .. أقول : الكثير ، وما هــذا الكثير الذى يبقى بعد أن شملت تحفظاته كل جوانب النظرية فلسفة ومنهجا فلست ادرى !

بعد النظرية يأتى دور التنظيمات . وهذه التنظيمات العديدة التى وجدها لويس عوض بعد عودته من كامبردج فى ١٩٤٠ يموج بها وجه الحياة الثقافية المصرية هى عنده تنظيمات لليهود عليها سيطرة كبيرة بحكم تمويلهم لها ، افرادها متناحرون ، بين الستالينية والتروتسكية هم متناحرون ، والستالينيون فيما بينهم متناحرون ، لا يدرى علــى أى شىء

يتناحرون ، وهم معزولون عن جماهير الشعب ، يلغون لغوا ويلغطون لغطا لا يعرفون معناه ، يعرفون عن « سانكي فنزتي .. اكثر مما يعرفون عن عمال شبرا الخيمة تستشرى بين أفرادهم الانتهازية والانحرافات الخطيرة .. مما قضى - أو برر القضاء - على مستقبل هذه التنظيمات لجيل كامل على الاقل . (١) .

وفي المقدمة أيضا يحدثنا لويس عوض عن تطوره الفكرى منذ أن كان متحمسا شديد الحماس للديموقراطية الليبرالية حتى عام ١٩٢٩ حين بدأ يتشكك فى هذا النظام (أى وهو فى الرابعة عشرة !) ثم اهتداؤه - بعد تطواف طويل - الى نوع من الفكر السياسى « اجتمعت فيه الحرية والعدالة الاجتماعية » ، يسمى هذا المركب بالفلسفة الاشتراكية الديموقراطية حينا ، وباشتراكية القرن العشرين حينا آخر وترتاح اليه نفسه فيدرسه لطلابه فى الجامعة .

وقبل أن يخلى لويس عوض بيننا وبين روايته لا ينسى ان يسوق الينا آراء للاستاذ توفيق الحكيم والدكتور حسين فوزى وجونسون ديفيز ، وهم جميعا يحبذون روايته ويكيلون لها المديح ، ويعتذر عن تعاطفه مع بطله ، فهذا التعاطف ليس الا « شيئا من أوليات الفن ، وليجمل ارتفاعه وسقوطه يدعوان الى الاسى ، فالاسى مستحيل بغير التعاطف » .

هذا بعض ما يقوله لويس عوض .. فماذا يقول حسن مفتاح .. سكرتير الحزب الشيوعى المصرى ؟

تبدأ الرواية بانتحار صديقه منقريوس الذى كان حبيبا اليه قريبا من نفسه ، بهذا تزوره روحه قبل انقضاء أربعين يوما على انتحاره ، وتطلب اليه أن يقتل صديقا لهما لشدة شبهه به . حتى تستطيع الروح ان تتقمص الجسد ويعود منقريوس الى الحياة . لكن حسن مفتاح ليس قاتلا - حتى الان على الاقل - وهو يرفض أن يقتل بريئا حتى لو حبست روح صديقه فى شجرة الجميز ألف سنة ، ويعرف حسن مفتاح شيئا عن الارواح لم يكن يعرفه .

حتى هنا يكون المؤلف قد كشف لنا جوانب من شخصية حسن مفتاح وقدم الينا بعض نماذج ممن حوله ، خاصة هؤلاء أعضاء اللجنة المركزية ، وكلهم قد عقد حسن مفتاح (أو عقدت الماركسية ؟) حياته ، وهذه بعض النماذج : نعيم الذى كان أهوج مضطربا ، يجد التعبير عن سخطه القوى فى المثول صباح كل جمعة مع فريق من الشعراء والرسامين المتمردين الى الهرم الاكبر ليبولوا عليه جماعة ، وبعد أن عرف حسن مفتاح استبدل تمرينه الاسبوعى بتمرين يومى رهيب « يصنع الرجال المصغرين من الصلصال ، ويشنق كل صباح رجلا حتى يروض نفسه على القسوة حين يأتى اليوم الموعود » ، وعنايات التى تهوى رفيقا كان معهم ثم ثبت انه يعمل لحساب البوليس السياسى فخنقت قلبها وبصقت عليه استجابة لاوامر اللجنة المركزية ، وسعدية التى كتمت هواها لزميلها بطرس قلادة لاختلافهما فى الدين ولانه لا يؤمن بالمادية الديالكتيكية او يؤمن بها نظريا ولا يطبقها عمليا بدليل انه لا يشهر اسلامه ويتزوج منها ، أما بطرس فيرى نفسه - من الناحية الاخرى - أمينا على تقاليد المسيحية . وعليه - رغم ماركسيته - أن ينقلها الى الجيل التالى عليه كما انتقلت اليه !

كل هذا واكثر منه قد فعله حسن مفتاح . لقد ملأ القاهرة بالاشباح .. « ملأ مقاهيها ونواديها بفتيان لا حديث لهم الا اضرابات العمال ، وغلمان يتشاحنون على ماهية التكتيك وماهية الاستراتيجية بدلا من ان يتشاحنوا على بنات الجيران ، وشبان يتخاصمون فى الثورة العالمية والثورة الاجتماعية بدل ان يتخاصموا فى لقمة العيش » .

ويسافر حسن مفتاح الى الاسكندرية هربا من روح صديقه المنتحر وذكرياتها ، والتماسا شاملا للاستجمام ومواصلة العمل ، وهناك يحدث له حادث تافه : نزل البحر مع جماعة فى زورق فينقلب بهم ويغرقون جميعا ، وتبحث روح حسن مفتاح عن شبيه له تقتله وتحل جسده كى تعود الى الحياة - كالعنقاء - من جديد . ولم لا ؟ « ان التناسخ سنة الوجود ورأس التطور » ثم هو يحتقر الشعب ويزرى عليه ، وحين يقتل واحدا منه ليحل بجسده فهو يرفعه من مستواه الوضيع الى مستوى رفيع ، شأنه فى ذلك شأن الحيوان والنبات حين يحولها الجسم الى فلسفة ولوحات وسيمفونيات !

وحسن مفتاح لن يحار كثيرا ، فابن عمه سيد قنديل يشبهه لحد التطابق وهو لا يزال فلاحا خشنا قذرا يسعى وراء المحراث فى احدى قرى المنيا ، الى

---

[١] قد لايكون من شانى ان اناقش الدكتور لويس عوض فى صحة معلوماته التاريخية - كلها او بعضها - ، فلست مؤرخا للحركة الشيوعية المصرية وتنظيماتها ، لكن المامه بهذا التاريخ - الذى لم يكتب بعد على نحو كامل مترابط الحلقات - قد تكشف عن أن الدكتور يخلط خلطا واضحا بين الجماعات والمنظمات ، وأنه يعمم حيث لا يجب التعميم ، ويصدر أحكاما نهائية وقاطعة نتيجة معرفته بعدد من المثقفين المعزولين عن حركة المجتمع وكفاحه الحقيقى . فالدكتور - على سبيل المثال - يذكر منظمة « الحركة الديموقراطية للتحرر الوطنى - حدتو » بين المنظمات التى كانت قائمة فى مصر حين رجوعه من كامبردج سنة ١٩٤٠ ، فى حين أن هذه المنظمة لم توجد الا بعد هذا التاريخ بسبع سنوات كاملة ، نتيجة الوحدة بين منظمتين قائمتين ، كذلك يذكر أن معظم هذه التجمعات او كلها قد انبعث من « اتحاد أنصار السلام » الذى كان قائما فى ١٩٣٧ ، وهذا ليس صحيحا ، فالذى انبثق عن هذا الاتحاد مجموعة لم يذكرها هى « مجموعة الدراسات » ، والتى اصدرت فيما بعد مجلتى « الفجر الجديد » و « الضمير » ، كذلك فيما يتعلق بالصراع بين الستالينين والتروتسكيين ، فالحقيقه انه كان صراعا بين مجمل الحركة الشيوعية من جانب ، وحفنة ضئيلة من التروتسكيين كانت تؤيد المحور فى حربه ضد الاتحاد السوفيتى من الجانب الاخر ..

وفيما يتعلق بسيطرة اليهود والتمويل ، فيبدو أن الدكتور لويس يردد دعاوى بغير تمحيص ، ومراجعة صحف هذه المنابر كانت تشير فى أحيان كثيرة الى الظروف الاقتصادية السيئة التى كانت تحيط بها ، والتى كانت تلجئها الى طلب تبرعات قرائها كى تستطيع اصدار الاعداد التالية .

الجنوب نظير الروح ، وهناك عند الجرف تقتل روح مفتاح سيد قنديل وبعود مفتاح الى الحياة يواصل عشقه لمونا ربيع ، سليلة الارستقراطية التى « تعدل شعرة واحدة من رأسها كل عمال العالم » ويواصل الاعداد للثورة الشاملة ٠

ويتعاون الشيوعيون مع الوفديين بعد أن يوحدوا صفوفهم ، ويجد حسنى مفتاح ان ما يملكون من مال وسلاح يكفى لاشعال الثورة ، ويعد كل شيء ٠ ويستخدم كل الاساليب حتى يفرض قراره على اللجنة المركزية ، ويتم تحديد الموعد ، ويروح حسن مفتاح يحلم بانطلاق الثورة .

وقبل الموعد المحدد بيومين اثنين يأتيه عزرائيل ليسترد منه جسد سيد قنديل ، ولا تجدى معه مساومة أو نقاش ، فيواعده مفتاح على اللقاء فى وادى الخفافيش الحمر بعد مغرب شمس اليوم التالى ، ويودع مفتاح مونا ربيع ويبوح لها بسره ، ويلتقيان للمرة الاولى ، والاخيرة ، لقاء تشاركهما فيه « الروح القدس » ، وفى الموعد المضروب يشنق حسن مفتاح نفسه فى حمام بيته ، وتجهض الثورة ، يموت حسن مفتاح ، وتبقى مونا ربيع كالارض بعد أن أخصبت .

يقول لويس عوض ان الزعيم يجب أن يتوحد بالشعب ، ولن يتم هذا التوحد الا ان قتل الزعيم الشعب وحل بجسده ، ويقول كذلك أن من قتل يقتل ، ذلك هو الناموس ، وحسن مفتاح حين قتل سيد قنديل نحت الجرف فقد لف حبل المشنقة حول عنقه ، وهذه هى ادانته للعنف ، كما يقول فى مقدمة روايته ٠

لكن هذا ما لا تقوله الرواية نفسها !

فحسن مفتاح يفكر فى العنف قبل ان يقتل واكتفى بنص واحد ، حين زارته روح منقريوس كان مفتاح يفكر على النحو التالى : ان مفتاح يفهم الحقد كيف يكون اهوج جبارا ، وهو يفهم الانتقام كيف يكون مدمرا كالصواعق ، مهلكا كمياه الطوفان ، هو يفهم ان يقتل رجل رجلا ، بل ان يقتل رجل ألف رجل اذا حقق ذلك خيرا عاما ، ولسوف يقتل بيده (الباشوات) حين يأتى اليوم العظيم ٠ نعم ٠ سيشنقهم بيده واحدا واحدا لو أمكن ذلك ، فى ميدان العتبة الخضراء واحد ، وفى ميدان باب الحديد واحد ، وفى ميدان الاسماعيلية واحد وفى ميدان الجيزة واحد ، كل فى مكان جريمته ٠٠ ولسوف يجد حسن مفتاح لذة فى شنقهم » ٠ (ص ١٥٧) ٠

وهذا يعنى أن حسن مفتاح منذ البداية لا يفكر الا فى العنف ، وانه يرى الدماء حوله قبل أن يقتل سيد قنديل أو تمتد اليه يده ، ولكن ٠٠ كان لابد أن « يخطىء » البطل كى تصبح هزيمته من داخله ، لا من خارجه ، ليجهض هو الثورة ولا بجهضها صدقى باشا ــ على حد تعبير لويس عوض ، وما دام حسن مفتاح لا يحمل « الخطيئة الاولى » بقدر كاف ، فلابد من دم طازج ، لابد أن يقتل بيديه بريئا كى تكتمل الدائرة ويتحقق الناموس ، ويصبح بطل لويس عوض « ملعونا ، منبوذا ، تطارده اللعنة ، ان القوى الخفية تطاردنى يا مونا ، انا رجل ملعون ومن الخير أن أتنحى ، لعل ظلى الملعون ينقشع عنكم ، لعل السماء تعفيكم من القصاص » (ص ٤٢٩) ٠

هكذا يتقدم حسن مفتاح فاديا ومخلصا ، مازجا بين رمزى المشنقة والصليب : « ان المشنقة لا تزال مفتاح الحياة ، أما الصليب فقد انقرض ، صليب اسبارتكوس قد انقرض » ، ورأت مونا ربيع بعض القطرات تلمع على جبينه . وسالت على لحيته من خده قطرة

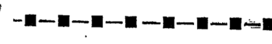
> « كنت اقول للنقاد المصريين والعرب : ربما كنتم تغالون فى أمر « مجلة » « حوار » ، أن كل ما أراه . فيها هو ما أراه فى المنظمة العالمية لحرية الثقافة ، وهو انها منبر ثقافى تجمع حوله اليسار المعادى للماركسية ، واكثرهم من الماركسيين الذين ثاروا على الماركسية ، ستيفن سبندر واغناتزيو سيلونى وآرثر كيسلر .. الخ ، كلهم كانوا شيوعيين وكلهم ثاروا على الشيوعية . ان هذه احدث الاساليب العلمية فى مقاومة الشيوعية : ان يخاطب المثقفون التقدميين ضد الشيوعية على اسس ثقافية تقدمية ؛ وهذا امر مشروع فى حرب العقائد الدائرة رحاها اليوم فى العالم . »
>
> « الثورة والادب ــ ١٩٦٧ ــ ص ٤٣٠ ــ ٤٣٢ »

وتملكها الجزع لكنها ذهبت تستوضحه قائلة : « لست أفهم كيف تكون المشنقة مفتاح الحياة » أجاب حسن مفتاح : « وكيف يكون الصليب مفتاح الحياة كما يقول المسيحيون ؟ » قالت : « هذه نظرية الفداء فى المسيحية » أجاب : « وهذه نظرية الفداء فى الشيوعية » قالت : « المسيحى يقول : لولا صلب المخلص لما دخل المسيحيون الجنة » ٠ أجاب : « وانا أقول : لولا شنق المخلص لما دخل الشيوعيون الجنة » ٠ (ص ٣٢٤) ٠

ونحن نقرأ أيضا : « وسكت حسن مفتاح ورسم علامة المشنقة فرسمت مونا ربيع علامة المشنقة ، وبعد أن فرغ حسن مفتاح من حديثه رفع بصره الى مونا ربيع فوجدها شاخصة اليه ووجدها تبكى ٠٠ وكان العرق ينهمر على جبينه بلا انقطاع ، ويبلل خديه ولحيته ، وكان وجهه شاحبا شحوبا مخيفا ، وكان يلهث كأنه يحمل مشنقته طول الوقت ويصعد بها الى طريق العذاب ، ورأت مونا ربيع قطرات من الدم تلطخ فمه ولكنه لم يسعل قط ، وحول شعره الناعم الجميل أبصرت غضونا أليمة كأنما حفرها اكليل خفى من الشوك ٠٠ ونهض حسن مفتاح قائلا : « الوداع يا مونا ٠٠ الوداع يا أحبائى » ٠٠ فامسكت مونا ربيع بتلابيبه وصاحت به : « لا تتركنى يا معلم ٠٠ لا تتركنى يا معلم » ٠٠ وانصرفت مونا ربيع الى قدمى حسن مفتاح وخلعت نعليه وغسلت قدميه بالبراندى ٠٠ ونامت الى جواره واطفأت النور ٠٠ وكان حسن مفتاح مغمض العينين وكانت مونا ربيع مغمضة العينين فلم يريا الروح القدس حين دخل من النافذة مع الهواء ، لكنهما كانا متعانقين » ٠ (ص ٤٣٦ ــ ٤٣٧) ٠

حسن مفتاح ليس فاديا ومخلصا فقط ، لكنه معذب أيضا بأساطير الفراعنة واليونان ، لا يكف عن مناجاة « خيمى » الرحيمة والدعاء لها ، وحين يركب المعدية لتنتقل به بين ضفتى النيل فى المنيا يرى فى النوتى ملامح من شارون ربان الآلهة ، ناقل الارواح عبر أشيرون نهر الاحزان ، والاعشاب على الشاطىء هى الارواح الملعونة ، وأبقار الزورق والمسافرون والدجاج ليسوا أبقارا ولا مسافرين ولا دجاجا لكنهم أرواح فى طريقهم الى الحساب فى دولة بلوتو .

ورؤيا حسن مفتاح بعد أن قتل سيد قنديل ، والقطار يصعد به أرض مصر من



الجنوب الى الشمال ، وهى من اهم صفحات الرواية دلالة على رؤيتها للواقع الاجتماعى (الفصل الخامس من ص ١٨٥ الى ٢٣٦) تركزها وتكشفها سطور من عمل آخر كتبه لويس عوض فى نفس التاريخ هو مقدمة بلوتو لاند • اقرا هذا الفصل ثم اقرا : « نحن نعيش فى مجتمع اسن ، احدث شيء فيه تم منذ أربعة الاف سنة ، العفن فى عقولنا وفى حواسنا وفى كتبنا وعلى الجدران ، وخلاصنا لن يكون الا بالثورة الدائمة » • (بلوتو لاند • ص ١١) •

ان هذه كلمات لويس عوض وليست كلمات حسن مفتاح !

ورؤيا حسن مفتاح تدور فى جوهرها حول شيئين : المصحات والمشانق ، المصحات ، الاف المصحات للاجيال الجديدة ، والمشانق ، الاف المشانق للجيل القديم .. مرة اخرى .. فلنقرا من مقدمة بلوتولاند : « ولو أن لويس عوض اراد الشعر الان لما استطاع ، اجهز عليه كارل ماركس ، ولم يعد يرى من الوان الحياة الكثيرة وألوان الموت الكثيرة الا لونا واحدا ، غدت أمامه الحشائش حمراء والسماوات حمراء والرمال والمياه واجساد النساء وأحاديث الرجال والفكر المجرد كلها غدت أمامه حمراء بلون الدماء ، حتى الاصوات والروائح والطعوم غدت حوله حمراء كأنما شب فى الكون حريق هائل ، وهو راض بان يعيش فى هذا الحريق ، فمن رأى السلاسل تمزق أجساد العبيد لم يفكر الا فى الحرية الحمراء •• » (بلوتولاند ، ص ٢٥) •

مرة أخرى : ان هذه كلمات لويس عوض وليست كلمات حسن مفتاح •

يتطابق الوجهان كاليد والقفاز وتبقى ملامح مثقف مصرى فى اربعينيات هذا القرن ، معزول ومترفع ، يحتقر الجماهير ويؤمن ايمانا لا يتزعزع بدور الفرد الممتاز : « فى كل ساعة تسقط غشاوة ، لسوف ترين خدام الشعب يتحاسدون فى خدمة الشعب ، لسوف ترين خدام الشعب يتباغضون ويتناحرون ويذبح بعضهم بعضا ، وفى المخادع تكثر الدسائس ، وعلى المنابر تكال التهم بغير حساب ، وفى السرائر لن يجول الا خاطر واحد : « اما عنقه واما عنقى » ، كل هذا لان حسن مفتاح قد توارى ، فحسن مفتاح وحده يعرف كيف يضع كلا فى مكانه » (ص ٤٣٤) ، يكشف عن معتقداته وآرائه ، يداه نظيفتان من غبار الممارسة ، ورأسه يموج بافكار شتى ، وهو كلما أدار عينيه حوله اصطدمنا بالعفن والتخلف والقذارة ، ولا سبيل لتغيير هذا كله الا بالعنف ، العنف الاهوج الذى يندفع كطوفان هادر لا يبالى ، يجتاح السدود : ويغرق كل شيء كى تتخلق العنقاء من الرماد ، لا العنف الثورى الذى ينظم الجماهير ويحشدها ضد قاهريها ، لكن هذا المثقف فى لا يرى فلاح مصر فى واقعه اليومى لكنه يرى فلاح مصر فى واقعه اليومى لكنه يراه فلاحا من عالم المثل ، لكن هذا المثقف يحمل خطيئته بين جنبيه ، ولا يستطيع الخروج على ناموس الكون ، لكن هذا المثقف ـ ما دام كل شيء يجرى بعيدا فى عالم المثل والارواح والاشباح ـ يقيم التناقض بين الزعيم والشعب ، بين الجسد والروح ، بين العدل والحق

انما لهذا كله تجهض الثورة من داخل لا من خارج ، يجهضها حسن مفتاح لا صدقى باشا •

هذه صورة الثورة عند صاحب « العنقاء » مقضى عليها بالفشل ، لان القائمين بها جميعا وبلا تمييز يحملون بذور انهيارهم ويسير كل منهم يحمل صليبه ـ مشنقته على ظهره •

هل أجبنا على السؤال المعلق : لماذا رفض لويس عوض نشر روايته قبل ٦٦ ؟ الملكية قد زالت قبل أربعة عشر عاما ، وحكاية خنق الفنان المبدع لا داعى لان تنطبق على هذا العمل ما دامت لم تنطبق على اعمال أخرى ، الا توحى ظروف ما بعد ١٩٦٤ باجابة ما ؟

أجبنا على سؤال ونطرح آخر : اية علاقة بين هذه الثورة التى يضطرب بها خيال حسن مفتاح ، المعلق بنسبه بين الارض والسماء ، الممزق بين صحوه وسكره ، وثورات أخرى هبت بها رياح الشرق والغرب ؟

(●)

ولننظر الآن الى ثائر آخر : الراهب اباتوفر الذى تحالف مع دومتيوس دوميتانوس ، أو آخيل ، كما اسماه الرومان المتمصرون ، فى تمرده على امبراطور روما سنة ٢٩٦ ميلادية • وجد لويس عوض جذور بطله فى كتاب « السنكسار » ، كتاب الكنيسة المصرية لشهدائها فى كل عصور الاضطهاد ، لكنه رجع الى الفترة التاريخية وحاول أن يصوغ من كل عناصرها بطلا جديدالعله لايشترك مع الراهب المصرى المعروف فى كتاب الشهداء الا فى الاسم فقط ، فهذا الاخير كان بسيطا ، آثر أن يفر بدينه الى الصحراء هربا به من العذاب والفتنة ، وصاغ بسطاء المؤمنين من حوله أسطورة شهادة رائعة : حين ذاب فى خالقه كان حتما أن يضيىء جسده ويحترق فى الروح •

ابانوفر لويس عوض شيء آخر : مزيج محير من الحب والحرب ، الزهد والرغبة ، الدهاء والبساطة ، الحكمة والخسة ، حاول ان يرتفع بهلقمامة ابطال التراجيديا العظام فتنقت بين يديه ، وبقيت لنا منه مشاهد يصعب أن تقيم بطلا ترتفع قامته فوق صغار الناس ، يتكلم كثيرا عن حب مصر ولا يعرفها :

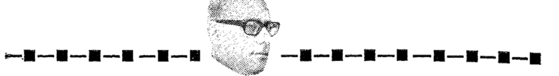
ابا نوفر : نعم يا مارتا •• الحب اعمى ، الحب أصم ، الحب ابكم ، الحب لا يفهم ولا يعى الا نفسه (يصرخ) • هكذا حبى لمصر ، انه اعمى واصم وابكم لا يعى ولا يفهم الا نفسه ••

يقول ابانوفر هذا تعليقا على فرار فيلا مينه ، الوصيفة المصرية ، مع زوجها الضابط الرومانى الذى اعتنق المسيحية ، وحين جاء أسطول الامبراطور دقيانوس هربا اليه ، فقبض على فيلامينا وأصر ابانوفر على أن تحاكم •

أبا نوفر هذا الذى يحب مصر حبالا يفهم ولا يعى الا نفسه ، وباسمه يرى فيلا مينه خائنة ، يقع فى حب الراقصة مارتا ويساومها على اطلاق سراح فيلامينه ان رضيت مارتا بفراشه ، ويسقط ابا نوفر سقطة خسيسة ، ليست هى « الهاماريتا » أو سقطة الابطال :

أبا نوفر (مستعطفا) : لا تتركينى ، ان تخليت عنى انتهت حياتى ، أنت امرأة مجربة ، عرفت الحياة ، عرفت رجالا كثيرين ، أنا لم أعرف امرأة واحدة ، هل تفهمينى ؟ رأيت الف امرأة ولم احفل بواحدة ، حتى رأيتك ترقصين فى قصر اخيل ، عطرك أيقظ فى نفسى شيئا مدمرا •• مدمرا كالايمان •• الخ •

ان سقطة أبانوفر خسيسة لانها تعنى الخيانة مرتين : خيانة الكنيسة حين اشتهى جسد مارتا ، وخيانة ثورته حين ساومها على اطلاق سراح فيلامينة التى يعتبرها خائنة ، ولهذا لا نتعاطف مع سقطته ولانرثى له ، ولا يبلغ ابانوفر قامة بطل التراجيديا •



هذا من ناحية ، ومن الناحية الاخرى فان ثورة ابانوفر ثورة ناقصة : لقد عجز أبا نوفر - أو عجز خالقه - عن ادراك المعنى الحقيقى لثورات المصريين ، فشارك ابانوفر ، وقاد المصريين ، فى تمرد يقوم به دومتيوس دومتيانوس والى الاسكندرية ضد امبراطور روما ، انه ليس ثورة مصر التى تنتفض فى جسدها كله ، فى قفط وطيبة وأبو صير ، والتى نسمع عنها الاخبار المنتصرة ، لكنه تمرد الاسكندرية « الهيلينة » ورغبة واليها فى الاستقلال عن الامبراطور ، ولن يجدى ابانوفر التول بأن أخيل أو دومتيانوس سيحكم باسم الامبراطور قسطنطين أو أمه هيلانة التى تذكر احدى الرويات أنها مصرية ، فليست هذه - فى نهاية الامر - هى ثورة المصريين الساعين الى التحرر والعدل .

وليست العلاقة بين أبانوفر ومارتا علاقة « مصر الثورة » « بمصر الفكرة » على نحو ما يشير غالى شكرى (انظر : الامير الحائر بين الارض والسماء ، مجلة « ادب » ، ربيع ١٩٦٢ ، ص ١٢٠) ، فعند غالى أن أبانوفر هو مصر الثورة الذى يفتدى مصر الفكرة بنفسه بعد أن يلقى فيها وديعته ، لكن ما تقوله المسرحية مختلف عن هذا التفسير .

فحين تقع مارتا فى الاسر يتقدم آبانوفر لافتدائها بنفسه ، وبعد أن يطلق سراح مارتايسارع أبانوفر الى الانتحار . ان أبانوفر يشتهى مارتا كما أشرنا من قبل ، وفى الفصل الاول - وقبل أن يعترف أبانوفر للراهب اريوس ، ثم لمارتابعشقه يرى أبانوفر رؤيا :

بانوفر : أرى حمامة سوداء ، قادمة من المشرق ، من معبد الشمس ، ظمآنة ، رفرفت على وجه المياه ، سقطت فى البركة المقدسة ، خرجت منها بيضاء ناصعة ، كثلوج الجبال ، كالروح القدس ، حطت على مذبح الرب لا تبرحه ، تغنى أنا القربان ، أنا القربان ..

أمريكان : أنه يهذى ..

أخيل : ماذا تقول يا أبانوفر ؟

أبانوفر : لا شىء يا سيدى .. لا شىء ..

مارتا (كالمسحورة كأنها تفهم ما يقول) : آمين .. آمين .. » .

وبعد ذلك رأت مارتا حلما :

مارتا : خرجت الى حديقة القصر لاستريح ، وهناك رقدت تحت شجرة التين وأغفيت ، وفى نومى رأيت العذراء فى رداء أخضر .. لماذا تعلموننا الخطأ ؟

أبانوفر : فى رداء أخضر ؟

مارتا : نعم . لم تكن فى رداء أزرق كما تقولون ، كانت فى رداء أخضر ، وكان فى جبينها هلال ، عليه ثلاثة نجوم .. » .

لقد رأت مارتا مصر تومىء اليها وتقول لها ان الاوان لم يفت ، وأن هناك أملا لا يزال . واذا أضفها الى هذا كله ما يقوله أبانوفر من ان مارتا « هى روح الاسكندرية وابانوفر جسدها » ، وأنه يعطى الامبارطور الجسد من أجل أن يسترد الروح ، رأينا علاقة تشبه فى جوهرها علاقة حسن مفتاح بمونا ربيع ، علاقة تقوم على افتراض تناقض بين الجسد والروح ، بين السماء والارض ، فابا نوخر هو الجسد الذى يمكن أن يستسلم أو يهزم أو يموت ، ومارتا هى الروح التى لا تحدها قيود الزمان أو المكان والتى تظل دائما حية منطلقة بغير حدود .

هذا التناقض يحمل معنى التصور المثالى والميتافيزيقى . فجسد مصر هو روحها ، وروح مصر هى جسدها كذلك .. « ان مصر الارض والفلاحين والقمح والعمل الانسانى الذى حول الصحراء والمستنقعات الى مزارع وقرى ، وكذلك فان مصر الفكر الانسانى الفاعل الذى اكتشف الزراعة واللغة والفخار والنار ، والذى صاغ الهندسة والفلك والطب والرياضة والشعر ، ان مصر المصريين الذين يعملون بأيديهم وعقولهم هى الجسد والروح معا ، وربما جاءت فكرة فصل الروح التى لا تسلم الى العدو عن الجسد الذى يجوز تسليمه من احساس بالخجل أو الكبرياء والجريمة ، ولكننا نقول أنه ليس عارا أن نقرر ما يقرره التاريخ - التاريخ الذى لم يصل الى نهايته بعد والذى ما يزال الناس يصنعونه بصراعهم ضد الطبيعة وضد صنوف النهر الاجتماعى والسياسى - ليس عارا أن نقرر ما يقرره التاريخ من أن مصر قد هزمت فى بعض المعارك ، وأن هذه الهزائم كانت ساحقة أتاحت للغزاة أن يستولوا على جسدها وروحها وأن يعبثوا بهما معا ، العار هو أن يستسلم المصريون لهذا العبث ، والعار هو ان يظن المصريون أن عبث الغزاة اليونان افضل من عبث الغزاة الرومان أو الاتراك .. » (انظر : سامى خشبة ، ابانوفر : بطولة النزوع المثالى والتراجيديا الضائعة ، مجلة المسرح والسينما ، أغسطس ١٩٦٨) .

وقاد هذا التصور المثالى أبانوفر ، والمؤلف كذلك ، الى افتراض أن هزيمة حلف أخيل - ابانوفر هو هزيمة لثورة المصريين ، فابانوفر لم يلق بالا حين قيل أمامه ان مصر لن يحررها سوى المصريين ، سوى فلاحيها ، أما غوغاء » الاسكندرية - بحد تعبير المؤلف - فما أسهل صرف تمردهم واحتوائه .

ولان أبانوفر فرد ممتاز - مثله مثل حسن مفتاح - فان الهزيمة تاتى فى مقابل ان أخيل لم ينفذ خطته التقليدية - فى الدفاع عن المدينة ، تماما مثل بنوءة حسن مفتاح بتناحر خدام الشعب ان اختفى هو من اللجنة المركزية .

ويمتد التشابه بينهما لملامح أخرى : فكلاهما يحمل خطيئة . لا تدفع بنا للتعاطف أو الاسى ، قتل مفتاح رجلا وخان أبانوفر الثورة والكنيسة ، ولهذا يمضى كلاهما نحو مصيره الحتمى : السقوط والانهيار الروحى والجسدى جميعا

تلك ملامح البطلين الثائرين عند لويس عوض ، سواء كانوا يعدون لثورة ١٩٤٦ ويشاركون فى « قيادة » ثورة ٢٩٦ م ! .

وهذا رايه فى ثورة الانسان ، يقوله وراء قناع الفن ..

ترى .. هل تصدق لويس عوض حين يقول ان الابداع الفنى يقوم عنده بوظيفة سيكو - ثرابية .. قد يكون هذا صحيحا بالنسبة له كفرد ، لكن له . - بالنسبة لقرائه - دلالات سياسية وفكرية لا تخطئها العين . ■



لويس عوض :

نبـــــوءة للمســــــتقبل

[من حديث خاص « للطليعة » فى ٨ ـ ٩ ـ ١٩٧٤]

الذى أراه الان أن حركة الفــكر المصرى منذ هزيمة ١٩٦٧ تتسم بظاهرة غريبة ومتناقضة : هذا التناقض يبدو فى ازدهــار الاحياء السلفى من جهــة وازدهار الانفتاح نحو العالم الخارجى من جهة اخرى . هذا ليس قاصرا على الفكر وحده،لكننانجدتعبيرا عنه فىسلوك المجتمع اقتصاديا واجتماعيا ... الخ، والغريب فى الامـر أن دعاة السلفية الفكرية هم فى نفس الوقت دعاة الانفتاح الاقتصادى . واعتقد أن هذا يشــكل الازمة الحقيقيــة فى المجتمــع المصرى بمعناها الحضارى ، فمن غير المعقول أن نجد انسانا يريد أن ياخذ ويعطى مع الخارج ، لا ســيما غرب أوربا وأمريكا ، وهو فى نفس الوقت يركل جميــع القيم الانسانية والاجتمــاعية والاخلاقية التى تتميز بها الحضارة فى غرب أوربا وأمريكا . هذه الحضــارة قائمــة على دعائم اصطلح المؤرخــون والمفكرون منذ حركة الرينيسانس على تلخيصها فى عبــارتين : الديموقراطية الســياسية والاجتماعية من ناحيــة ، والهيومانيزم من الناحية الاخرى. والدعوة السلفية دعوة تقوم على اغلاق النوافذ والنظر الى تراث السلف على أنه مكتف بذاته ، وكاف لاعادة تشكيل الحيــاة فى القرن العشرين على غرار نمطهــا الاول فى العصور الخــالية ، وهذا مما لا يستقيم بتاتا مع فكرة حرية التجارة و « دعه يعمل .. دعه يمر » ، اننا لا ننكر أنه فى السنة الاخيرة ظهرت بوادر ازدهار فلسفة « دعه يفــكر .. دعه يعبر » ، ولكن للاسف أن ازدهار هذه الفلسفة قد اقترن بتشتيت كافة المفكرين أو المثقفين التقدميين فى أرجاء العــالم العــربى واســـتيلاء المثقفين السلفيين على كافة منابر التعبير .

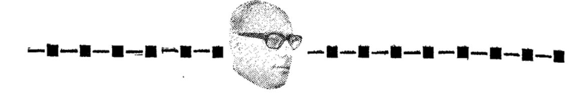
كذلك استجدت فى السنوات الاخيره ظاهرة لا أعرف منشأها لــكنها ظاهرة محزنة ، هذه الظاهرة هى كثرة الكلام عن العمل على تشكيل الحياة والفــكر والثقافة على أرض مصر حتى سنة ٢٠٠٠ وهذا يعنى أن الجيل الحالى يريد منذ الان أن يفرض وصايته على الاجيــال القادمة ، ويفــترض انه أدرى منهــا بمشاكلها التى لاتزال فى ضمير الغيب، وبحلول هذه المشــاكل . كل هــذا فى الوقت الذى نجد فيه أن المجتمع خلال فترة هذه الدعوة لم يتخلق بعد ، ولم يعرف مشاكله الذاتية بعد ، ولم يهتد الى الحــلول الايجابية لهده المشــاكل بالتالى . خذ مثلا قضــية فتــح باب الحوار حول التنظيم السياسى فى مصر، ان فتح باب الحــوار يوحى بأن هناك احساسا بقصور التنظيم القائم للاتحاد الاشتراكى نظريا وعمليا ، واننا نبحث عن حل للاشكال القائم ، وفى الوقت نفسهنجد بعض المسئولين بعد أن يدعوا الناس لتبــادل الحوار بحرية يخرجون عليهــم بتصريحات قائلة انه لا عــودة لنظام الاحزاب ، ومعنى هذا اقفال باب الحوار الذى دعوا الى فتحه ، وهذا ان دل على شيء فهو يدل على أن هناك شرائح قوية فى المجتمع المصرى تحس المشكلة ، لكنها مبلبلة بشأن حلولها ، فهى مثلا تريد الحرية وتخشى الحرية ، تريد تعــدد الاصوات وتخشى تعــدد الاصوات ، وهكذا .. فاذا كانت هذه هى صورة المجتمع الان أى انه لايزال يدور فى مرحلة الاختمار .. فكيف يجوز للمسئولين فيه أن يتكلموا عن تصورهم لمجتمع سنة ٢٠٠٠ ؟

وبالنسبة لى كمفكر . فاننى لا آتى بجديد اذا قلت لك انى ملتزم سياسيا واجتماعيا بالاشتراكيه الديموقراطية ، وفلسفيا بالهيومانيزم أو المذهب الانسانى الذى يقوم محوره على أن الانسان قيمة فى ذاته ، وأنه قادر على وضع قوانينه بنفسه وعلى صياغة مصيره بنفسه ، ومجمل ما يسميه فلاسفة الاجتمــاع بنظرية الحق الطبيعى فى مواجهة الحق الالهى . ، هذا الاتجاه معروف عنى ، وكل الاضافات الثقافية فى العالم العربى طوال ٤٠ سنة عملت على تعميق هذا الاتجاه الذى أخرج مصر من حلــكات العصور الوسطى ابتداء من ١٨٠٠ الى نور القرن التاسع عشر ثم العشرين ، بفضل بسالة رواد الفكر فى مصر من الشــيخ حسن العطــــار والجبــــرتى والطهطاوى حتى منــــدور وزكى نجيب محمود ... الخ .

واحب أن أقول للسلفية المصرية انها عبثا ما تحــاول ، لان « غيــرها كان أشطر » ، وقد عرفت مصر فترات من الردة بعدمحمدعلىالى العصورالوسطى، وبعد اسماعيل وعرابى ، لكنها فشلت لان أســــس العلمـــــانية المصرية والديموقراطية المصرية راســخة ، ولا أتجاوز الدقة ان قلت انها أكثر رسوخا منها فى كثير من البلاد الاوربية الصغيرة

نحن أمة تنتمى الى البحر المتوسط ، ونحن جزء لا يتجزأ من حوضالحضارات، بل نحن حجــر الــزاوية فى حــوض الحضارات ، وبالتالى هم واهمون اذا تصوروا أن مصر يمكن أن تبتلع فىظلام العصور الوسطى مرة اخرى .

تلك نبوءتى للمستقبل .



لويس عوض :

قصـــــائـد لم تنشـــــر

بدأت فى نظم هذه القصيدة فى اواخر ١٩٦٧ او اوائل ١٩٦٨ بعـد ان نزلت كارثة ١٩٦٧ . ولم اتمها لسببين : احدهمـا احساسى بان علقم الهزيمة قد تجاوز كل كلام ، وثانيهما كان احساسى بان تشخيص اسباب الهزيمة سيفتح جراحا كان من مصلحة الوطن ان تندمل. واخيرا فمن منا ، نحن الذين عاصرنا الانهيار الكبير ، يحق له ان يحاكم غيره ؟ لسوف ندعى جميعا، نحن شـهود ١٩٦٧ ، كمتهمن فى محكمة الاجيال القـادمة . والسعيد السعيد منا من يحكم التاريخ ببراءته .

لويس عوض

المطهـــــــر

« وان قلتم : لا نسكن هذه الارض
ولم تسمعوا لصوت الرب قائلين :
لا بل الى ارض مصر نذهب ،
حيث لا نرى حربا ولا نسمع صوت بوق ولا نجوع
للخبز وهناك نسكن .
فاسمعوا الآن كلمة الرب يا بقية يهوذا :
هكذا قال رب الجنود اله اسرائيل :
ان كنتم تجعلون وجوهكم للدخول الى مصر
وتمضون لتتغربوا هناك ،
فسيحدث أن السيف الذى منه تجزعون
يدرككم هناك فى مصر فتموتون فيها .
ويكون ان كل من جعلوا وجوههم للدخول الى
مصر ليتغربوا ،
يموتون بالسيف والجوع والوباء ،
ولا يبقى منهم باق ولا ينجو منهم ناج
من الشر الذى اجلبه انا عليهم .
لانه هكذا قال رب الجنود ، اله اسرائيل :
كما انسكب غضبى وغيظى على سكان أورشليم
كذلك ينسكب غضبى وغيظى عليكم عند دخولكم
الى مصر :
ولا ترون بعد هذا المكان »

« ارميا » اصحاح ٤٢

ارميـــــــا

بماذا أشبهك يا ابنة أورشليم ؟
بماذا اقارنك فاعزيك أيتها العذراء بنت صهيون ؟
لان سحقك عظيم كالبحر؟ فمن ذا الذى يشفيك ؟
أنبياؤك رأوا لك كذبا وباطلا ،
ولم يعلنوا اثمك ليردوا سبيك ،
بل رأوا لك وحيا كاذبا وطوائح .
كل عابرى الطريق يصفقون عليك بالايدى
يصفرون وينغضون رؤوسهم على بنت أورشليم
قائلين :
أهذه هى المدينة التى يقولون انها كمال الجمال
وبهجة كل الارض ؟

« المراثى » اصحاح ٢





الشـــــــاعر

بكى نايى وارغولى ومزمارى وقيثارى
وقلبى دق كالمجنون فى عودى واوتارى
ودفى هاج ايقاعى على غابى واشعارى
يحاكى رقصة المذبوح يدمى تحت جزار :
فيا ايزيس ، يا عذراء ، يا مولاة ابكارى .
فراش العرس مخضوب بنصل الفسق والعار ؟
وثوب العرس مهتوك ، وملقى دون زنار ،
بلا بعل ولا عشق ولا افراح فى دارى
فواثاراه يا قومى ، ويا عارى ويا عارى .

ارميـــــــا

« كيف جلست وحدها المدينة الغفيرة الجموع ؟
كيف صارت كأرملة ، العظيمة فى الامم ؟
السيدة فى البلدان صارت تحت الجزيه
تبكى فى الليل بكاء ودموعها على خديها ،
وليس لها من معز من كل محبيها .
كل أصحابها غدروا بها ، صاروا أعداء لها ...
فاز أعداؤها لان الرب قد اذلها لكثرة ذنوبها .
ذهب أبناؤها الى السبى قدام العدو ،
وقد زال عن بنت صهيون كل بهائها :
صار رؤساؤها كأيائل لا تجد المرعى
فهم يسيرون بلا حول امام الطارد ....
رآها الاعداء فضحكوا على هلاكها ،
لقد أخطأت أورشليم خطيئة ومن أجل ذلك صارت نجسة .
كل من اكرموها يحتقرونها ، لانهم رأوا عورتها ،
وهى أيضا تتنهد وتنزوى الى الوراء ، نجاستها فى أذيالها
لم تذكر آخرتها ، فقد انحطت انحطاطا عجيبا .
وليس لها من معز .
انظر يا رب الى مذلتى لان العدو قد تعظم . »
« **المراثى** » **اصحاح ١**

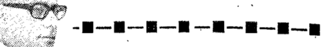
الشـــــــاعر

ويا سيدة الفيروز فى سيناء والطور ،
ونبع الكوثر الاعلى جرى من ضرع هاتور ؟
ففى محرابك استلقى كليم الله فى النور ،
صريع الوجد فى الراووق يستملى من الحور ؟
وينفخ فى رياح الارض أمر الحق بالصور .
بتول انت يا هاتور قبل الدهر والنور ،
فاين الطفل يا هاتور يجلو ليل ديجورى ؟
فناحت ربتى الثكلى ، وأنت مثل مصدور :
خراب هيكل الفيروز ! عصف بيت هاتور !

داود



على انهار بابل هناك جلسنا ،
بكينا أيضا عندما تذكرنا صهيون .
على الصفصاف فى وسطها علقنا اعوادنا

لانه هناك سألنا من سبونا
ومعذبونا سألونا فرحا قائلين !!
رنموا لنا من ترنيمات صهيون .
كيف نرنم ترنيمة الرب فى أرض غريبة ؟
وليلتصق لسانى بحلقى ان لم اذكرك ،
ان لم افضل أورشليم على أعظم فرحى
اذكر يا رب يوم اورشليم لبنى أدوم
القائلين : هدوا . هدوا . حتى الى أساسها »
يا بنت بابل المخربة
طوبى لمن يجزيك بما جزيتنا
طوبى لمن يمسك اطفالك ويضرب بهم الصخرة .

« المزامير » ١٣٧

الشـــــاعر

تلاقت فى قناة الهم والآلام اشجانى
وبث القلزم الصافى لبحر الروم احزانى
جلسنا نجدل الذكرى على شطئان غدرانى
ولما ان بكى التمساح دمع العين ابكانى
بحيراتى ككأس المر فى حلقى ووجدانى :
ويا سيناء ، ان انساك فى اغفاء نعسان ،
ليمح الله آثارى واخبارى وادياني
وما فى القلب منقوش بأمر الله ديانى :
طريدا صرت فى الآفاق وشمى عار أوطانى !

ارميـــــا

« اسمعوا يا جميع الشعوب ، وانظروا الىحزنى
عذاراى وشبانى ذهبوا الى السبى .
ناديت من احبونى ، لكنهم خدعونى .
كهنتى وشيوخى فى المدينة ماتوا
لانهم طلبوا لانفسهم زادا ليردوا أنفسهم . »

« المراثى » اصحاح ١

الشـــــاعر

حواة الفكر قد ملأوا شعاب الارض والماء !!
فداع قال للجهال : هيا نحو ابهائى ..
كتاب الله دستورى وهذا السيف طغرائى
احز به رقاب الناس احبابى واعدائى :
انا العمران والحسنان ، انسابى لزهرائى ،
وسيف الله فى غمدى وامر الله املائى .
انا المهدى والملكوت آت طوع ايمائى :
خذوا الملكوت يا فقراء : عبوا فيض نعمائى
وبيت المال لى وحدى ، وبيت الملك ابهائى .

ارميـــــا

من أجل خطايا انبيائها وآثام كهنتها
السافكين فى وسطها دم الصديقين
تاهوا كالعميان فى الشوارع وتلطخوا بالدماء
حتى لم يستطع أحد أن يمس ملابسهم :
ينادون اليهم قائلين : حيدوا ، حيدوا ، ولا تمسوا
اما نحن فقد كلت عيوننا من النظر الى عوننا
الباطل .
فى برجنا انتظرنا أمة لا تخلص ......
آباؤنا أخطأوا وهم ليسوا بموجودين
ونحن نحمل آثامهم ،
عبيد حكموا علينا ، وليس من يخلصنا من ايديهم
انت يا رب تجلس الى الابد
على كرسيك من حقبة الى حقبة .
لماذا تنسانا الى الابد وتتركنا طوال الايام .
أرددنا يا رب اليك فنرتد .
جدد أيامنا كالقديم .
هل رفضتنا كل الرفض ؟
هل غضبت علينا . ؟ »

« المراثى » اصحاح ٤ و ٥

الشـــــاعر

يمين انت : لا تجلس بمائدة ولا خان ،
وقبل الثورة الكبرى لبست القرمز القانى ؟
وجاء الوقت للاسمال فارتق ثوبك الثانى .
يسار انت : هذا خنجرى فى صدرك العانى .
معاذ الله لا تظلم : انا فى الحق وسطانى .
اذن فالتهمة اختلفت ، وانت السلب تخشانى ؟
وهذا غير ثورى ، وهذا غير انسانى .
اذن خذنى كمصرى على لونى كأقرانى ؟
ولا هذا بميسور ، فقد صرنا لعريان .

ارميـــــا

« ها زوبعة الرب . غيظ يخرج ونؤ هائج .
على رؤوس الاشرار يثور

لا يرتد غضب الرب حتى يجرى ويقيم مقاصد قلبه .
فى آخر الايام تفهمون فهما .
لم أرسل الانبياء بل هم جروا .
لم أتكلم معهم بل هم تنبأوا ..
قد سمعت ما قالته الانبياء الذين تنبأوا باسمى بالكذب
قائلين : حلمت ، حلمت ....
هأنذا على الانبياء الذين يتنبأون بأحلام كاذبة يقول الرب
الذين يقصونها ويضلون شعبى بأكاذيبهم ومفاخراتهم
وانا لم أرسلهم ولا أمرتهم .
فلم يفيدوا هذا الشعب فائدة يقول الرب »

« ارميا » اصحاح ٢٣

الشـــــاعر

وصاح داع : لا ملكوت الا ملك آبائى
والا الدولة الكبرى وحاضرة كفيحائى !
تحوم فى مدار الشمس ساطعة بلألاء
فهيا نفتح الدنيا بسيف العرب وضاء
الا استيقظ من الاحلام وانظر حال ابنائى !
اجاب : اصمت ، فانى ناقش الاحلام فى الماء !
ابيع التاج للشحاذ يمشى مشى خيلاء .
كنوز الارض افتحها لذى عوز وبأساء .
اقم للمجد دكانا تصب اضعاف نعمائى .

ارميـــــا

كيف اكدر الذهب وتغير الابريز الجيد
انهالت حجارة القدس فى رأس كل شارع .
بنو صهيون الكرماء الموزونون بالذهب النقى
كيف حسبوا أباريق خزف صنعتها يدا فخارى .
بنات آوى ايضا اخرجت أثداءها وارضعت اجراءها !
اما بنات شعبى فجافية كالنعام فى البرية .
لصق لسان الراضع بحلقه من العطش .
الاطفال يسألون خبزا وليس من يكسرة لهم .

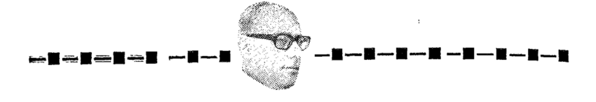
الذين كانوا يأكلون الاطعمة الفاخرة قد هلكوا فى الشوارع .
الذين كانوا يتربون على القرمز احتضنوا المزابل
وقد صار عقاب بنت شعبى اعظم من قصاص خطيئة سدوم ..

« المراثى » اصحاح ٤

الشـــــاعر



وداع قال : فردوسى هنا فى الارض لا السدم
وهذا الكون دهرى ولم يحدث من العدم
تحول كمه كيفا فكان الفكر فى القدم
به الانسان مولى الارض فك الغل عن قدمى
وفردوسى كمائدة بلا ساق ولا خدم
ولا أرباب تستولى على حقى من اللقم
ومجتمعى بلا طبقات تحكى صورة الهرم
سواسية كأسنان بلا عيب ولا هتم
به الحرية المثلى زوال الجوع والنهم .



لويس عوض :

قائمة بأعماله الكاملة

● الأعمال المنشورة :

«The Theory and Practice of Poetic Diction»
M Litt dissertation, Cambridge University, 1943.

٢ – فن الشعر لهوراس ، الناشر : مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٤٥ .

٣ – بروميثيوس طليقا للشاعر شيلى الناشر : مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٤٦ .

٤ – صورة دوريان جراى لأوسكار وايلد الناشر : دار الكاتب المصرى ، القاهرة ، ١٩٤٦ .

٥ – شبح كانترفيل لأوسكار وايلد ، الناشر : دار الكاتب المصرى ، القاهرة ١٩٤٦ .

٦ – بلوتولاند وقصائد اخرى « من شعر الخاصة » ، الناشر : مطبعة الكرنك ، القاهرة ، ١٩٤٧ .

٧ – فى الادب الانجليزى الحديث ، الناشر : مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٠ .

«Studies in Literature», Anglo-Egyptian-shop, Cairo, 1954.

٩ – خاب سعى العشاق لشكسبير ، الناشر : دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٠ .

١٠ – دراسات فى ادبنا الحديث ، الناشر : دار المعرفة ، القاهرة ١٩٦١

١١ – الراهب ، مسرحية تاريخية ، الناشر : دار ايزيس ، القاهرة ١٩٦١

١٢ – دراسات فى النظم والمذاهب الناشر : المكتب التجارى ، بيروت ، ١٩٦٢ .

١٣ – المؤثرات الاجنبية فى الادب العربى الحديث » ، الجزء الاول « قضية المرأة » ، الناشر : معهد الدراسات العربية العالية ، القاهرة ، ١٩٦٢ .

١٤ – المؤثرات الاجنبية فى الادب العربى الحديث ، الجزء الثانى « الفكر السياسى والاجتماعى » الناشر : معهد الدراسات العربية العالية ، القاهرة ١٩٦٣ .

١٥ – الاشتراكية والادب ، الناشر : دار الاداب ، بيروت ، ١٩٦٣ .

١٦ – الجامعة والمجتمع الجديد ، الناشر : الدار القومية ، القاهرة ١٩٦٤

١٧ – دراسات فى النقد والادب ، الناشر : المكتب التجارى ، بيروت ، ١٩٦٤ .

«The Theme of Prometheus in English and French Literature», Ph.D. dissertation, Princeton University, 1958. Publisher : Ministry of Culture, Cairo, 1963.

١٩ – المسرح العالمى ، الناشر : دار المعارف ، القاهرة ١٩٦٤ .

٢٠ – البحث عن شكسبير ، الناشر : دار الهلال ، القاهرة ، ١٩٦٥ .

٢١ – نصوص النقد الادبى عند اليونان ، الناشر : دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٥ .

٢٢ – مذكرات طالب بعثة ، الناشر : دار روز اليوسف ، سلسلة الكتاب الذهبى ، القاهرة ، ١٩٦٥ .

٢٣ – دراسات عربية وغربية ، الناشر : دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٥ .

٢٤ – على هامش الغفران ، الناشر : دار الهلال ، القاهرة ، ١٩٦٦ .

٢٥ – المنقساه ، او تاريخ حسن مفتاح ، الناشر : دار الطليعة بيروت ١٩٦٦ .

٢٦ – اجاممنون لاسخيلوس ، الناشر : دار الكاتب العربى ، القاهرة ١٩٦٦ .

٢٧ – المحاورات الجديدة او دليل الرجل الذكى الى الرجعية والتقدمية وغيرهما من المذاهب الفكرية ، الناشر : دار روز اليوسف ، القاهرة ١٩٦٧ .

٢٨ – الثورة والادب ، الناشر : دار الكاتب العربى ، القاهرة ١٩٦٧ .

٢٩ – انطونيوس وكليوباترا لشكسبير الناشر : دار الكاتب العربى ، القاهرة ١٩٦٧ .

٣٠ – هاملا ، القرابين لاسخيلوس ، الناشر : دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٨ .

٣١ – اسطورة أوريست والملاحم العربية ، الناشر : دار الكاتب العربى القاهرة ، ١٩٦٨ .

٣٢ – الصافحات لاسخيلوس ، الناشر : دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٩ .

٣٣ – تاريخ الفكر المصرى الحديث « جزءان » الناشر : دار الهلال ، القاهرة ، ١٩٦٩ .

٣٤ – الجنون والفنون فى اوربا ٦٩ ، الناشر : دار الهلال ، القاهرة ، ١٩٧٠ .

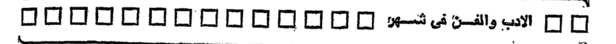
٣٥ – دراسات أوربية ، الناشر : دار الهلال ، ١٩٧٠ .

٣٦ – الحرية ونقد الحرية ، الناشر : دار الكاتب العربى ، القاهرة ، ١٩٧١

● تحت الطبع :

٣٧ – مقدمة فى فقه اللغة العربية ، الناشر : مؤسسة الدراسات العربية ، بيروت .

٣٨ – تاريخ الفكر المصرى الحديث « الجزء الثالث » ، من عصر اسماعيل الى ثورة ١٩١٩ . الناشر : مكتبة الانجلو المصرية .





الالتزام .. وصدق التعبير

فى معـــرض

عز الدين نجيب

الفنان الذى اخذ على عاتقه مهمة الالتزام بقضايا مجتمعه ، المشارك فى حركة نضاله الدائبة ، المهموم بكل كيانه بمشكلات عصره ، انما تنتظره باستمرار معادلة صعبة : اذ كيف تكون اعماله الفنية ذاتها تعبيرا محسوسا عن هذا الالتزام ، دون أن يسقط ـ فى نفس الوقت ، وكما يحدث عادة ـ فى فجاجة التعبير ، وفى سطحية الدعاية الجوفاء • كيف يستخدم اعماله الفنية كوسيلة ، لتجسيد التزامه بمجتمعه وعصره ، دون أن تتحول هذه الاعمال الفنية الى مجرد «تسجيل» لاحداث وقتية ، سريعة ، عابرة • كيف يستطيع الفنان الملتزم « بموقف » اجتماعى وانسانى معين ، أن يعبر عن الابعاد المتكاملة لموقفه هذا : كيف يستطيع أن يعطينا الاحساس العميق بامتداد موقفه فى صميم الواقع التاريخى بأسره ، فى صميم الوجود الانسانى كله ، كيف يستطيع الفنان أن يجعلنا نشعر بأن الحدث الاجتماعى المباشر أو الظرف العارض الذى دفعه لابداع عمله الفنى ، هو جزء لا يتجزأ من مصير عالم بأسره •

هذه المشكلة الملحة ، هى المشكلة الاساسية التى تطرحها باستمرار أعمال الفنان التشكيلى عز الدين نجيب • وفى معرضه الاخير الذى أقامه فى الشهر الماضى فى المركز الثقافى السوفيتى بالقاهرة ، محاولة الاجابة على هذا السؤال الملح ، محاولة حل هذه المعادلة الصعبة •

واللافت للنظر حقا فى هذا المعرض هو النضج الفنى الملموس والواضح ، هو السيطرة الحقيقية على ادوات الفنان التشكيلية ، هو الرسوخ الاكيد لموهبة اصيلة عمقها الصقل الفنى ـ عمقها الاطلاع الفكرى الواسع ، والدراسة النئية المدؤوبة ــ فازداد اشعاعها وعطاؤها التشكيلى • هذا النضج الفنى ذاته ؟ هو وسيلة الفنان هنا للتعبير عن سائر القضايا ذات الطابع الاجتماعى والانسانى ، التى نراها تقلق باستمرار ضمير الفنان وتشحذ وعيه فى نفس الوقت وحتى اليوم نحن لا نستطيع أن ننسى ذلك الاثر العميق الذى خلفته هزيمة الخامس من يونيو على كيان الفنان لقد استفزت الهزيمة وعى الفنان وحفزته للتعبير الفنى ، فكانت هنا بمثابة الشحنة القوية الهائلة وراء اعمال فنية لا تحصى ، تحولت الى موضوعات معرض بأسره ، إقامه الفنان منذ خمسة أعوام • ونحن حتى اليوم لا نستطيع أن ننسى ذلك الطفل البرىء المشدوه ، الذى وقف مذهولا ينظر أمامه الى لا شىء ، وراء قضبان حديدية قاسية صماء ، لا نستطيع أن ننسى ذلك الانطباع الموحش الذى يعطيه سقوط جسد نبيل عريق ، جسد ملكة فرعونية هوت متكسرة على الارض ، لكن فى جلال وكبرياء لا نستطيع أن ننسى صور الشهداء الذين صلبوا أحياء ، ولا صور الضائعات اللائى باغتتهن الهزيمة اللعينة ، ولا ذلك الانتظـــــار المحفوف بالخوف وبالترقب ، ولا تلك الابتسامة الواهنة التى تصافح ثغور الشخوص بالرغم من كل شىء •

طابع رمزى

لن يفوتنا هنا ، اذن ، ملاحظة تلك الرغبة الواضحة فى استخدام مجموعة من الرموز البسيطة التى تمكن الفنان من التعبير عن حدث مباشر ، هو حدث الخامس من يونيو • لقد كانت هذه الرموز البسيطة وسيلة الفنان فى تجسيد موقفه من ذلك الحدث • وقد استطاع من خلال هذه الرموز أو هذه الاستعارات أن يلمس الابعاد الانسانية الدفينة الممتدة لهذا الحدث المباشر • لقد استطاع الفنان تجاوز كل ما يمكن أن يفرضه هذا الحدث الدامى الاليم ، من نزعة « مباشرة » فى التعبير ، ذلك لان كل ما قدمه من موضوعات للتعبير عن هذا الحدث المباشر ، كان نابعا حقا ، من الاعماق الداخلية للفنان ، ولم يكن شيئا مفروضا عليه من الخارج • ان موقف فناننا هنا شديد الشبه بموقف « بيكاسو » حينما أراد ان يعبر عن مأساة « جورنيكا » ، تلك القرية الاسبانية الامنة التى دكتها قنابل الفاشية فى الحرب العالمية الثانية لقد كانت كل الرموز والاستعارات والشخوص ، وكذلك معظم الوسائل والاساليب التشكيلية التى تناولها بيكاسو فى لوحته العظيمة ، موجودة فى اعماله السابقة ، ماثلة فى منهجه التشكيلى وفى رؤيته الانسانية من قبل ، لم يفتعل بيكاسو ، اذن ، أسلوبا فنيا جديدا ، يجعله مناسبا للتعبير عن هذا الحدث المباشر ، وذلك لسبب واضح وبسيط أيضا ، وهو ان هذا التمزيق الذى أصاب جورنيكا ، كان فى نفس الوقت التمزيق الذى اعترى كيان الفنان بأسره • أى لم يكن حدثا تاريخيا يمكن عزله عن احساس الفنان ، وعن مواقفه الانسانية الراسخة ، البسيطة الواضحة فى نفس الوقت • هذه المواقف الراسخة التى استطاع أن يبلورها الفنان هنا على كل من المستويين : مستوى موقفه الواضح من قضايا مجتمعه ومن هموم عصره من ناحية ، ومستوى منهجه التشكيلى العميق وأسلوبه الفنى الاصيل من ناحية أخرى •

ما الذى يعيق عز الدين نجيب ، اذن ، بعد أن طوينا صفحة الهزيمة الشوهاء ، وبعد ما حققناه من انتصار عميق للحياة فى السادس من أكتوبر ، من أن ينطلق فى حماس ، من ان يشدو ويغنى بملء الفضاء كله ؟ لقد راح ذلك المغنى الشاب يصدح فى كثير من لوحات هذا المعرض الاخير ، لقد راح يغنى مرتفع الجبهة ، شامخ الوجه فى اعتداد وأمل ، محتضنا آلته الموسيقية ، آلة العود بكل شوق وحب ، راح يغنى نغما سيالا متدفقا ، وبجواره دائما فتاة سمراء متألقة صبوحة

الوجه ، تغزل ثوبا فى رفق ، تقدمه لمغنيها الشاب ، أو تحتضن طيرا من الورق • بجوار هذا المغنى أيضا نلمح عامل البناء الكادح الذى هزه النغم فراح ينصت اليه فى شغف آسر •

نحن هنا ، اذن ، أمام فنان شديد التفاعل مع احداث مجتمعه • ايقاع مشاعره ورؤيته هو ايقاع المتغيرات المستمرة التى تعترى حياة قومه وشعبه • وكانه هو ذلك « الترمومتر » الدقيق ، البالغ الحساسية الذى أشار اليه بيكاسو هذا الترمومتر الدقيق الذى مهمته التقاط المتغيرات الدائمة التى تعترى درجة حرارة جسم الواقع ، جسم المجتمع المحيط • وما « الحرية » هنا – ذلك الموضوع الذى عبر عنه فناننا فى احدى لوحاته – سوى هذا الجسد النبيل الاصيل الذى رأيناه منذ أعوام مضت وقد سقط مهزوما منكسرا ، نراه الان وقد استقام شامخا من جديد ، متحديا هذا السور الحديدى بحرابه الحادة المسننة ، مستدفئا بحرارة تلك الشمس الطوبية اللون ، التى كثيرا مانراها فى أعمال عز الدين نجيب .

ويحاول الفنان فى كثير من أعماله تجسيد تلك الصلة الوثيقة التى تربط بين ماضى مصر العريق ، وحاضرها الملىء بالامال الممتدة العريضة •• حاضر الكادحين • يحاول الفنان تجسيد هذه الصلة التى لا تنقطع أبدا فى بلد ينهض من جديد نهضة عميقة شاملة • ففى لوحة من أنضج لوحات الفنان فى هـذا المعرض ، سواء من ناحية دلالة الموضوع أو من نـاحية عمـق التشكيـل ، عنوانها « ثلاثية الاحجار » ، يصور عز الدين نجيب ذلك الماضى العريق من خلال هذا الوجه الجميل ، بتقاطيعه المصرية الاصيلة ، لاميرة من اميـرات مصر القديمة ، نرى ذلك الوجه كقطعة نحتية مغروزة فى رمال ممتدة الى ما لا نهاية • وبجوار هذه القطعة النحتية ، قطعتان من النحت الحجرى البارز ، منقوش على أحدهما رؤوس مجموعة متعاقبة مـن الجنود ، وعلى القطعة الاخرى مجموعة من الفلاحين يعملون بفئوسـهم فى الحقل • ان هذا الحاضر الذى تمثله هنا مجموعة الجنود والفلاحين الكادحين ، انما هو حاضر يصافح ذلك المـاضى العريق ، الذى رأيناه مجسدا فى هذه الاميرة المصرية القديمة ، وهى ترنو الى هذا الحاضر وتحييه بابتسامة هادئة ، صـبوحة دائمـة لا تفتـر ، كابتسامة « الموناليزا » •



المخاض

رؤية كولية

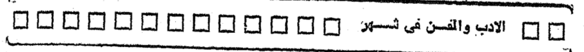
وفى مجموعة كاملة من أعمال الفنان فى هذا المعرض نستطيع أن نلمس أيضا مدى عمق رؤيته الانسانية ، مـدى امتدادها الرحيب لتشمل ابعاد الحياة باسرها • نرى ذلك فى مجموعة كاملة من اللوحات أسماها الفنان بمجموعة « دورة الحياة » : وهى ، فى الواقع تعـد تنويمات على لحن واحد متصل ، هو لحن الشجر . وفى هذه المرة أيضا ، يتناول عز الدين نجيب بعض الرموز البسيطة التى تساعده فى تجسيد رؤياه التشكيلية وموقفه الانسانى • فالشجر باستمرار – فى كل عقائد الانسان وأساطيره وميثولوجيته – يمطى الايحاء بالنمـــاء والخصب وتطور الحياة ، وتجـددها المستمر اللانهائى . ان الشجر يقاوم على الدوام كل عوامل الجدب والقحط الماثل فى الكون • لكنه يخضع مثله مثل كل ما هو موجود فى الكون ، لقانون التطور ، لقانون الازدهار والفناء ، قانون الحياة والموت الدائم المتصل • وحينما يختار عز الدين نجيب أشجاره ، فانه يختـار باستمرار **شجرة الصبار** لتعبر تعبيرا مكثفا عن أبعاد هذه الرؤية الكونية • انها الشجرة الوحيدة التى تظل تقاوم وحدها كل مظاهر الجدب والفناء المحيط بها فى صحراء الحياة • اننا نرى هذه الشجرة فى أعمال الفنان ، وقد استقامت متحدية كل ما يمكن أن يحطمها ويفنيها ، متحدية خط الافق الهامد الموحش فى اصرار على فرض الوجود ، متحفزة بفروعها الممتدة فى كل الانحاء ، وبشوكها الحاد المتقزز الذى تحمى به كيانها من أخطار الطبيمة التى تحيق بها من كل جانب •

وفى داخل جذوع أشجار عز الدين نجيب ، وفى قلبها ، نستطيع ان نلمح باستمرار أجسادا بشرية متكورة منكمشة على ذاتها ، وكأنها الجنين فى رحم أمه ينتظر لحظة الميلاد . وهى ،كما ترى ، صور بالغة الشاعرية ، هذه الصور التى تجسد لنا ذلك التزاوج الغريب ، المثير ، بين الكائنات الحية .. بين الاشجار وبين بنى الانسان • وفى احدى لوحات الفنان الاخيرة ، تصل بنا هذه الرؤية الشاعرية الرمزية الى قمة تعبيرها وتألقها الفنى • انهـــا لوحة « **الفــارس المجهول** » : واللوحة تصور لنا مجموعة كبيرة من اشجار الصــبار الضخمة وقد تناثرت جميعها حول فتاة عارية ذات شمر أحمر استلقت بجانب النهر • وعلى البمد نلمح حصانا واقفا بين الاشجار ، يتطلع فى ترقب ، وفى باطن هذه الاشجار وفى اعماقها استقامت نفس الاجساد البشرية العارية المتكورة ، التى نراها باستمرار ترقد فى رحم الاشجار •

فهل يا ترى تحمل واحدة منها ذلك الفارس المجهول ؟

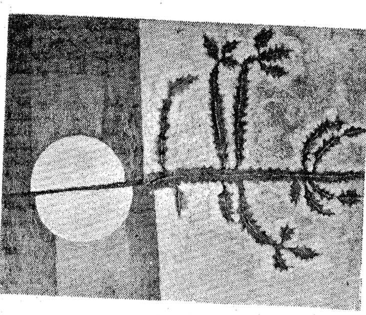
العنصر الديناميكى ، والمعمار التشكيلى

هذه النزعة التعبيرية التى نلمسها واضحة فى كل أعمال الفنان ، كيف تتبلور ؟ كيف تتجسد تشكيليا ؟ كيف تاخذ ملامحها الفنية المميزة ؟ ربما كان



ابرز ما يميز الاسلوب التشكيلى للفنان عز الدين نجيب هو طابعه البنائى البسيط الصريح الواضح هو ميله المستمر الى تشكيل رؤياه التعبيرية عن طريق ذلك الحس المعمارى الطاغى الذى لا تخطئه العين أبدا • ولذلك فان اهتمام الفنان كله موجه الى عملية تبسيط المرئيات الى أقصى درجة ممكنة ، موجه الى عملية « تسطيح » الاشكال ، واختزال كل التفاصيل والابقاء فحسب على الجانب الجوهرى من هذه الاشكال • ولكى يستطيع الفنان تحقيق عملية التسطيح هذه ، فلابد ان يتجه ، **أول ما يتجه** ، الى الغاء الظلال • ومن ثم الغاء المنظور الفوتوغرافى أو المنظور الهوائى ، أى الغاء العمق الذى يتجسد — فى اللوحات الواقعية التقليدية — عن طريق الايحاء بالابعاد المتعاقبة فى التكوين ، حتى تصل الاشكال داخل اللوحة فى امتداد أبعادها — فى امتداد وضوح ملامحها — الى نقطة تلاشى المرئيات وزوالها نهائيا • لقد ألغى الفنان من أعماله ذلك المنظور الفوتوغرافى كلية ، لانه لا يبغى هنا أن يعطينا « منظرا » طبيعيا لواقع يتغير أو يتبدل ، آليا ، فى كل لحظة • ان الفنان هنا يبغى خلق « أسطورة » دائمة تعبر عن مدى الصراع المستمر بين الطبيعة الخام ، والوجود الانسانى • انه يبغى هنا خلق « تركيبة » جديدة ، أو « بنية » جديدة تعبر عن رؤيا الانسان الممتدة اللانهائية ، تعبر عن أحلامه وعن رغباته وحاجاته الخاصة الى تغيير الطبيعة وتحويلها باستمرار • **لذلك فالخطوط والالوان والمساحات هنا لا نراها تحاكى الواقع الطبيعى أو تنسخه ،** لكن تعيد خلقه من جديد ، بما يتلاءم **وينسجم مع هذه الرؤية التركيبية الجديدة •**

هناك حس ديناميكى واضح فى أعمال الفنان ، فى خطوطه وألوانه والمساحات التصويرية للوحاته ، كيف يبدو ويتجسد ؟ انه يبدو باستمرار نتيجة لتقابل عناصر متضادة ، ينشأ من تقابلها نوع من الصراع ومن التوتر. فى بعض الاحيان تتبلور هذه العناصر المتضادة فى ذلك التقابل الصريح والواضح والحاد بين مظهر « التجسيم » مع مظهر « التسطيح » • فمثلا ، فى لوحة « ثلاثية **الاحجار** » ينشأ العنصر الديناميكى هنا نتيجة لتفاعل الاشكال ذات الطابع التجسيمى التى تقابل المساحات المسطحة الواضحة الخالية من كل ملامح تجسيمية • ان تمثال الاميرة المصرية القديمة ، وكذلك قطعتى النحت البارز التى **بدت كل منهما هنا أشبه بالميدالية** المستديرة الضخمة ، يتمتعان بقدر ملحوظ من التجسيم والتكوير ، **وان كان هذا** التجسيم هنا أقرب الى تجسيم النحت البارز منه الى التجسيم الثلاثى الابعاد ، التجسيم الذى ينشأ من استخدام المنظور الفوتوغرافى • هذه القطع النحتية الثلاثة انما تقوم هنا على أرضية كاملة التسطيح ، خالية من كل أثر للظلال • وتنقسم هذه الارضية المسطحة بكل وضوح وجلاء الى مصلحتين ، احداهما شريط سماوى هادىء ماثل فى أعلى التكوين ، أما الجزء الباقى من هذه الارضية ، فهو عبارة عن مساحة ممتدة كبيرة من اللون الابيض المشرب بدرجات لونية فاتحة جدا من اللون البنى •



شجرة الصبار

وفى كثير من الاحيان يبدو هذا العنصر الديناميكى نتيجة لتقابل وتصارع اتجاهين متضادين : خطوط التكوين التى تسير فى الاتجاه الافقى فى تقابلها وصراعها مع الخطوط التى تسير فى الاتجاه الرأسى • ان خطوط الاتجاه الافقى توحى باستمرار بالاحساس بنوع من الهدوء أو الهمود أو الموت أيضا ، لانها الخطوط التى استسلمت نهائيا للجاذبية الارضية • بينما الخطوط الرأسية أو العمودية هى الخطوط التى استطاعت أن تقاوم ، ثم تنجح فى فرض اتجاهها على هذه الجاذبية الارضية التى تميل باستمرار الى جذب الاجسام ناحيتها • **ان الصراع بين هذين الاتجاهين هو الصراع ، اذن ، بين الحياة والموت .** هذا النوع من الصراع ومن الديناميكية نلمس تجسيده الواضح المتكامل فى كل لوحات المجموعة التى يطلق عليها الفنان اسم « **دورة الحياة** » • فهناك الفناء الابدى لكل الاجسام التى استلقت على المستوى الافقى • يقابل هذا الفناء ، رغبة الحياة فى استكمال دورة التطور ، وفى مقاومة الموت ، ويتمثل ذلك فى الاجسام التى استطاعت أن تنهض على المستوى العمودى ، أو الراسى الصريح . أما الاجسام التى توحى أكثر من غيرها بالديناميكية والحركة الصاخبة والتوتر العنيف ، فهى الاجسام التى تظهر باستمرار فى حالة مقاومة دائمة ، هى الاجسام التى لم تنجح الجاذبية الارضية فى جذبها اليها نهائيا ، كما أنها — فى نفس الوقت — هى الاجسام التى لم تنجح فى فرض اتجاهها على هذه الجاذبية الارضية ، حتى تستطيع أن تنهض على المستوى الرأسى الصريح • ان الاجسام التى توحى باستمرار بالتوتر الديناميكى البالغ ، هى الاجسام التى تبدو قائمة على المستوى القطرى ، مستوى التذبذب والتردد والتأرجح اللانهائى •

لقد استطاع الفنان من خلال هذا المفهوم الديناميكى للخطوط والمساحات التصويرية ، أن يعطينا عالما حيا متألقا ، نابضا بصراع الحياة الدائم المستمر الذى لا يتوقف أبدا .

محمد شفيق

صـــرخة

الواقعيـــة الجـديدة

عام ذهب .. عام فقير بل وفقير جدا فى السينما واغلب الظن ان احدا لن يتذكر من افلامه شيئا .

وعام يجىء عام نحتفل فيه بحدثين هامين فى تاريخ الفن السابع :

اولهما ميلاد هذا الفن .. فن القرن العشرين على ارض فرنسا منذ ثمانين عاما وبالتحديد يوم الخامس والعشرين من ديسمبر لعام ١٨٩٥ .

والثانى ميلاد الواقعية الجديدة على ارض ايطاليا بفضل « روما مدينة مفتوحة » رائعة « روبرتو روسيلليني » التى اخرجها الى الناس فور انتهاء ليل الفاشية وبالتحديد خلال عام ١٩٤٥

ويخيل الى ان المجال ليس مجال كتابة عن السينما فى عيد ميلادها الثمانين ، ففى الوقت متسع لان الاحتفال بها لن يكون قبل عشرة شهور او يزيد .

ولذا اكتفى الان بنظرة طائرة على الواقعية الجديدة بمناسبة عيد ميلادها الثلاثين .

من المعروف ان « **فيتوريودى سيكا** » الذى اختفى بالوفاة تقريبا من نهاية العام الماضى انه احد رواد ثلاثة لعبوا دورا هاما فى الخروج بالواقعيةالجديدة الى عالم الاطياف ، وانه انفرد دون الرائدين الاخرين « **روسيلليني ولوتشينو فيسكونتى** » باخراج افلام تجارية ليس لها صلة بالواقعية من قريب او بعيد .

وفى محاولة من المخرج الراحل لتبرير ردته هذه صرح انه اخرج عديدا من الافلام التجارية لالشىء سوىمساعدة المنتج « **كارلو بونتى** » على الكسب .. وان هذه الافلام — ورغم ما حققته من نجاح جماهيرى — تفتقد اهم شىء فى العمل السينمائى .. وهو الروح الفنية .

ثم اعترف قائلا وقلبه يقطر مرارة « هذه الافلام .. ما كان يحق لى ان اخرجها » « ص ٩ من كتاب — السينما والايديولوجى والشباك للناقد — كاراجا نوف .. الطبعة الانجليزية » .



دى سيكا

ويبدو ان المخرج الكبير كان يتوهم ان باستطاعته ان ينجح فى توفير قدر من المال يعينه — قبل الرحيل الاخير — على امتطاء جواد الواقعية من جديد .. وعلى اخراج افلام من نوع روائعه الاولى « **سارقو الدراجات** » و « **ماسحو الاحذية** » و « **امبرتود** » .

وانا لا اعرف هل كان « فيتوريودى سيكا » مخلصا صادقا فى وهمه هذا .. غافلا عن حقيقة موقفه السلبى ؟

ومهما يكن من امر فالذى لاريب فيه ان الاعوام مرت مرا سريعا ولم يستطع رائد الواقعية الراحل ان يخرج من المازق الذى زج بنفسه فيه حين ارتضى ان يعقد صفقة مع اصحاب المال والاعمال علىحساب فن الواقعيةالجديدة وما يقوم عليه من مبادىء .

لقد تركت الصفقة بصمتها نهائيا على افلامه التى تدهور مستواها الفنى لانها اصبحت اسيرة شباكالسينما التجارية .

وهذه محنة قاسية ما فى ذلك شك .. محنة امتحن بها فى افلامه .. ولم يكن له ان يخلص منها الا بالموت !!

وبعد فما هى هذه الواقعية الجديدة التى حاول مخرجنا الراحل ما وسعته الحيلة ان يعود اليها ، ولم يجد الى ذلك سبيلا ؟

كثيرا ما تختلف اراء النقاد وتتعارض اقوالهم ولكن اراءهم لم تختلفواقوالهم لم تتعارض ، مثلما اختلفت وتعارضت فى شان ظاهرة الواقعية الجديدة .

فكل واحد منهم برأى .. وكل واحد منهم بقول .. ولكنها آراء وأقوال يتسق بعضها مع بعض فى نهاية الامر .

فالواقعية الجديدة عند « **ريمون بورد** »و« **اندريه بويسى** » هى « **سينما اجتماعية مرت بتجربة جماهيرية** » فى قول ، وهى « **سينما الشجاعة** » فىقول آخر .

وعند « **جورج سادول** » هى « **سينما المعاصرة** » .

ولجان بول سارتر — وهو من الادباء القلائل الذين اتصلت الاواصر بينهم وبين السينما ، ويعتبر من نقادها الشوامخ — راى مخالف فهو يعتبرها **ثمرة توفيق تم بين الواقعية النقدية وبين الرقابة** « الواقعية الجديدة الايطالية من دوسيه السينما — السينمائيون جزء اول » .

اما « **اندريه بازين** » فالواقعية جديدة ليس لها عنده وجود قائم بذاته . وهو فى رسالته « دفاعا عن وسيلليني » التي بعث بها الى « جيدو ريسناركو » رئيس تحرير مجلة السينما الجديدة » يقول « **ان ماله جود هو فريق من المخرجين الواقعيين لجدد ، وان المتتبع لاعمالهم يستطيع ن يرى فى وضوح ان من بينهم من ىو مادى فى تفكيره او مسيحى او نيوعى او غير ذلك من انواع التفكير كل واحد منهم يلتمس طريقه فى اتجاه لواقعية الجديدة بطريقته الخاصة** .

« **ففيسكونتى** » واقعى جديد فى « **الارض تهتز** » وهو فيلم يدعو الى الثورة الاجتماعية .

وروسيلليني واقعى جديد هو الاخر ى « **زهور القديس فرنسيس** » مع انه فيلم يصور واقعا روحيا خالصا

ص ١٥٨ من الجزء الرابع من كتاب « ماهى السينما ـ الطبعة الفرنسية »

ويرى « **جيدو اريستاركو** » ان الواقعية الجديدة ان هى فى حقيقة الحال الا واقعية تنطبق على واقع جديد هو واقع ايطاليا ساعة التحرير .. وهذا الواقع الحال هو الذى هيأ للواقعية الجديدة فرصة الظهور .. وهو الذى اعطاها باعتبارها شاهدا على العصر مغزاها بل واسلوبها الجمالى فى غالب الاحيان .

وقد يكون من الخير ان تلاحظ قبل ان نتحدث عن ماهية الواقعية الجديدة ، أن ظروف العالم كانت ملائمة كل الملاءمة لظهورها ، فكل شيء كان يؤذن بانتصار الحياة ، ويدفع الى الايمان بالانسان وبمستقبله المشرق .

وفى ايطاليا بالذات ، وبعد عشرين عاما من حكم الفاشية اذا بكل شيء من حول السينمائيين ينهار . فنظام الحكم ينقسم على نفسه ويعزل الملك موسوليني الذى يختطفه الالمان .. وتتكون لايطاليا حكومتان : حكومة ملكية فى الجنوب تلقى السلاح وتركع متلقية شروط المنتصر .. وحكومة جمهورية فاشية فى الشمال ترفع السلاح فى وجه الشعب وتركع متلقية شروط المحتل النازى .

ومع اقتراب قوات الحلفاء من روما اخليت مدينة السينما فى ضواحى العاصمة من كل ما كانت تحتويه من معدات وافلام جرى نقلها على عجل الى فينيسيا .. وهذا الاجراء من جانب السلطة الفاشية كان بمثابة حكم بالاعدام على السينما القديمة ، تلك السينما التى اصطلح على تسميتها « **سينما التليفون الابيض** » ، وايذان بميلاد



روسيلليني

السينما الجديدة التى اطلق عليها فيما بعد « الواقعية الجديدة » .

وفى يونية عام ١٩٤٤ حررت «**روما**» من الاحتلال الهتلرى ورغم ذلك فقد ظلت الحرب مستمرة حتى ربيع عام ١٩٤٥ واستمرت جيوش الحلفاء فى تقدمها نحو شمال ايطاليا حيث كان موسوليني يترأس حكومته الصورية .. وخلال شهر ابريل القى الانصار القبض عليه .. وبعد محاكمة شعبية سريعة اعدم هو وعشيقته رميا بالرصاص .

وبموت الطاغية تحطمت اغلال الفاشية وولد مجتمع جديد اخذت تسرى فى جسمه مبادىء العدالة والاخاء والديموقراطية سريان الزيت فى الزيتونة كما يقال .

ولم اكن لاقف عند هذه الاحداث لاطويلا ولا قصيرا لولا انها لعبت دورا حاسما فى اخراج رائعة «**روسيلليني**» « **روما** » الشعب .. « **روما** » نضال الشيوعيين مع رجال الدين من اجل الاستقلال والديموقراطية « **روما** » المدينة المفتوحة التى خرجت من احيائها الفقيرة ـ احياء صانعى الحياة ـ افلام الواقعية الجديدة ... اى هذا النوع من الافلام الذى حرصت الفاشية على سد الطريق امامه من خلال رقابة متعسفة متحكمة ظلت تعمل لغير صالح الشعب طوال عهد الفاشية الاسود .

فالسينما عند موسوليني وجلاديه كان مرسوما لها ان تعرض الحياة لاكما هى فى الواقع .. وانما كما يراد للجماهير ان تراها او تتوهمها .. ومن هنا غلبة افلام التلفون الابيض على السينما الايطالية .

واننى ليحضرنى هنا وانا احاول وصف حال السينما الايطالية خلال فترة تدهورها ابان حكم الفاشية بعض ملاحظات ونصائح ضمنها المخرج المصرى الراحل « **احمد بدرخان** » مؤلفا تعليميا له عن « السينما » كتبه خلال عام ١٩٣٦ .

فما علينا الا أن نقف لحظة عند هذه الملاحظات والنصائح لنتصور ماذا صنعت الفاشية بالسينما فى ايطاليا .. وماذا تصنع العناصر الطفيلية بالسينما فى مصر .. وكيف تحولت بهما فى البلدين من اداة تحرير الى اداة تخدير .

يقول المخرج المصرى فى احدى ملاحظاته :

« ان السيناريو الذى تدور أحداثه فى أوساط بسيطة كأوساط العمال والفلاحين نجاحه محدود لان السينما قبل كل شيء مبنية على المناظر » هذه واحدة .. وفى ملاحظة أخرى يقول :

«ان الطبقة المتوسطة من الشعب ـ وهى السواء الاعظم من رواد السينما ـ لا تحب أن ترى العالم الذى تعيش فيه بل على العكس تطمح الى رؤية الاوساط التى تجهلها وتقرأ عنها فى الروايات » .

ويمضى المخرج فيقدم النصيحة الاتية :

« اليك بعض الاماكن التى تليق أن تظهر فى شريط سينمائى : المسرح ـ الموزيك هول ـ ادارة جريدة ـ فندق كبير ـ البورصة ـ المصيف ـ سباق الخيل ـ نوادى القمار » .

واكتفى بما تقدم من ملاحظات ونصائح حتى لا تطول بنا الوقفة عند السينما فى بلادنا وفى ايطاليا قبل خروج الواقعية الجديدة من « **روما** » روسيلليني .

وانتقل مرة ثانية الى هذا الفيلم الذى تحول بالسينما الايطالية بل قل السينما العالمية من حال الى حال .

وها هنا أورد نقلا عن كتاب «**السينما الأيطالية**» لصاحبه « **بيير لبروهون** » [ص ١٠٠ من الطبعة الفرنسية] قولا « **لروبرتو روسيلليني** » يحكى فيه كيف صنع فيلمه :

« خلال عام ١٩٤٤ » وبعد الحرب مباشرة تحول كل شيء فى ايطاليا ـ بما فى ذلك السينما ـ الى حطام ، واختفى جميع المنتجين أو كادوا .. حقا كانت هناك بعض محاولات ولكنها لم تكن طموحة .. وهكذا توفر لنا نصيب كبير من الحرية .. فغياب الصناعة المنظمة كان فى صالح المشروعات الاقل تطلبا للروتين .. وكل مبادرة كانت مقبولة .

وفى هذه الظروف والملابسات بدأت فى اخراج « **روما مدينة مفتوحة** » الذى

كنت قد كتبت السيناريو الخاص به مع بعض الاصدقاء وقت أن كانت البلاد مازال محتلة بالالمان .

وقد اخرجت الفيلم بأقل القليل من المال الذى كنت أنجح فى العثور على بعضه من حين لاخر .

وعلى كل فما وفرته من مال كان يكفى بالكاد لدفع ثمن الفيلم الخام، وبالنظر الى ضيق ذات اليد لم افكر فى ارسال اللقطات الى المعامل لاظهارها .. ولم نستطع مشاهدة النتاج اليومى فى أى عرض سابق على انتهاء مرحلة التصوير .. وبعد ذلك بقليل ، وبفضل مبلغ زهيد من المال حصلت عليه ولفت الفيلم ثم عرضته على نفر من رجال السينما والنقاد والاصدقاء وكانت خيبة أمل غالبيتهم الغالبة فى الفيلم كبيرة .

وفى شهر سبتمبر ١٩٤٥ عرض فيلم « روما مدينة مفتوحة » فى مهرجان صغير بايطاليا ، وعلى جمهور كان يسبح بعضه وهو يصفر .. ونستطيع أن نقول أن النقد بصراحة وبالاجماع كان فى غير صالح الفيلم » .

وكان التفاوت بين استقبال النقاد للفيلم وبين استقبال الجمهور كبيرا بل **ولا نظير له فى تاريخ السينما ، آية** ذلك تصدر الفيلم لقائمة الافلام التى حققت أعلى ايرادات خلال موسم ١٩٤٥/١٩٤٦ .

وبعد عرض فيلم «روما مدينة مفتوحة» فى نيويورك بنجاح تحمست له باريس وانفتحت أبواب العالم للسينما الايطالية تستقبلها .. وتهيأت لها الظروف لان تثب بمنهج واسلوب رائعة روسيلليني وثبات كوثبات الجبابرة .. فكان أن اخرج روسيلليني « السلام » وأخرج « فيتوريو دى سيكا » أفلامه الثلاثة التى خلدته واخرج «الدوفرجانو» « الشمس تشرق ثانية » واخرج «البرتو لا توادا » « اللص » واخرج « لويجى زامبا » « العيش فى سلام » واخرج « جسيبى دى سانتس » « المطاردة الوحشية » واخرج «لوتشينوفيسكونتى» « الارض تهتز » وغير ذلك كثير .

واحسب اننا لو حللنا أفلام الواقعية الجديدة هذه وبالذات « روما مدينة مفتوحة » تحليلا عميقا لتأكدت لنا حقيقة قديمة دائما ما تغيب عنا لان هناك من يعملون على اخفائها سعيا الى افساد الفن باهواء المصالح .

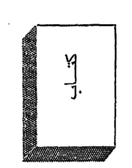
هذه الحقيقة تخلص فى أن فقر الوسائل ومصاعب التنفيذ لا تضر العمل الفنى وانما تحمل له النفع كل النفع .

فاضطرار روسيلليني — بالنظر لعدم وجود استديو — الى التصوير فى الشارع .. وفى البيوت .. والصور الرمادية الشاحبة نتيجة غياب آلالات الالكترونية .. وخشونة القطع لحدوثه على الطبيعة وبطريقة ارتجالية .. كل ذلك اضفى على الواقع الذى أعيد بناؤه فى الفيلم مظهر صدق ليس له ما يماثله على طول تاريخ السينما منذ البارجة بوتمكين ، وما تبعها من أفلام المدرسة السوفيتية فى النصف الثانى من العشرينات .

وهكذا قدر لجوانب الضعف فى رائعة روسيلليني ان تتحول الى خصائص فريدة جعلت منه صرخة ألم وثورة .. ألم شعب حياته كلها بؤس ويأس .. وثورة شعب على هذا البؤس والياس.

وانى لازعم ها هنا أن الصرخة سمعت وان سماعها هو الذى جعل من فيلم « روما مدينة مفتوحة » حدثا هاما فى تاريخ السينما ، وجعل من صانعه رائدا أولا للواقعية الجديدة ، بل قل أبا لها .

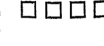
مصطفى درويش



شهادة مخرج مسرحى راحل

فتوح نشاطى :

خمسون عاما فى خدمة المسرح



« هذه هى صحيفة حياتى خلال الخمسين عاما التى أمضيتها فى خدمة المسرح المصرى أنشرها أمام عرشك الاقدس وقد تعمدت أن أغفل فيها ذكرا ما تعرضت له من آلام وجحود وغيبة واحقاد ، على أنك تعرف كل هذا ، كما تعلم خافية الصدور وقد رددت على الشر بالخير ، وعلى الاساءة بالتسامح ، كما أوصيت عبادك المتقين فى كتبك المقدسة ... »

فى عام ١٩٧٣ اصدر المخرج الراحل فتوح نشاطى الجزء الاول من كتابه « خمسون عاما فى خدمة المسرح » الذى استعرض فيه قصة حياته حتى عام ١٩٤٨ ، وفى الجزء الثانى من كتابه هذا ، الذى صدر منذ اسابيع يستأنف الفنان بنفس الصدق والموضوعية والطرافة رحلة الذكريات مع كفاحه الفنى الذى دام اكثر من نصف قرن ، حفلت بالعمل الدائب الخلاق المستمر : مخرجا وممثلا ومترجما ومقتبسا واستاذا لاجيال الفنانين من خريجى معهد الفنون المسرحية،

ويتناول الجزء الثانى من كتابه «خمسون عاما فى خدمة المسرح» الفترة التى تقع بين عامى ١٩٤٨ — ١٩٧٣ ، بما تنطوى عليه الحياة الفنية من صفحات مشرقة وصفحات قاتمة ، ونجوم لمعوا فى سمائها ، ومعوقات كانت تعرقل مسارها .

ان كفاح الفنان يتمثل على نحو خاص فى تلك السلسلة الطويلة من الاعمال التى اخرجها والتى اقتبسها . انه يقدم لنا اهم اعماله الواحد تلو الاخر، ويرفق بكل مسرحية شهادة ميلادها ، ويروى بأمانه الظروف التى احاطت بظهور المعرض ، من معاناه المخرج نفسه فى ابراز الكلمة المكتوبة ، معاناته من الروتين الادارى ومن استخفاف البعض باخلاقيات وتقاليد العمل . لكن هـذه المعاناة لاتلبث ان تتحول الى بهجة أمام نجاح العرض واحتفاء النقد به . لهذا حرص فتوح على تخصيص معظم صفحات كتابه لردود فعل عروضه فى الصحف ، من خلال طائفة المقالات التى تناولتها بالنقد ، وهى بلا شك مادة وثائقية قيمة ومسلية ، يجد فيها الباحث حشدا من الاراء والتعليقات ووجهات النظر فى النص والاخـراج والتمثيل والديكور ، التى لاتخلو فى احيان كثيرة من الموضوعية والصدق ، وكم كان فتوح رحب الصدر ومحايدا ، عندما اورد مقالات تنتقد من اسلوبه فى اخراج بعض المسرحيات : كما جاء فى نقد مسرحية مصرع كليوباترا . « لم يضف المخرج فتوح نشاطى جديدا ، وكان اسـلوبه تقليديا وكانه ينفذ النص بحذافيره » .

وهو بهذا المنهج يقدم لنا اهم المسرحيات التى اخرجها منذ عام ١٩٤٨ حتى ١٩٧١ وهى : اللعب بالنار ، العائد من فلسطين شجرة الدر ، الغيره ، ابن الحسب والنسب ، أم رتيبة ، الست هدى ، غروب الاندلس ، سر شهرزاد ، السر الهائل ، مفاجآت الطلاق ، مضـحك الخليفة ، المزيفون ، زواج الحلاق ، صفقة مع الشيطان ، شهرزاد ، الصفقة سلطان الظلام ، بيت من زجاج ، ابن عز الموت ياخذ اجازة ، مصرع كليوباترا ، صنف الحريم ، السلطان الحائر ، بيت برنارد آلبا ، تاجر البندقية ، شمس النهار السلك المقطوع ، هدية العمر ، سر الحاكم وأمن الله .

والكثير من تلك العروض نجح على المستوى الفنى والمستوى الجماهيرى ، وقام بعضها بنسبة مرتفعة من المتفرجين



فتوح نشاطى

بلغت ٣٥٠ متفرجا فى المتوسط او يزيد للحفل الواحد مثل : أم رتيبة ، سلك مقطوع ، الغيرة ، ابن عز ، زواج الحلاق ، الصفقة ، قهوة الملوك ، بيت من زجاج ، سر الحاكم .

وفى مواضع متفرقة من الكتاب ، امسك فتوح — الذى وهب نصف عمره للمسرح القومى منذ انشائه ، وعايش مادار فى كواليسه واروقته ولجانه — امسـك ميزان العـدل يزن به المحن والمواصف العاتية التى كانت تعصف بالمسرح من حين لاخر ، وتعرقل انطلاقه وتحـول بينه وبين بلوغ أهـدافه : الصراعات الجادة بين الممثلين والمديرين، صراع الاجيال بين الممثلين المخضرمين والشبان ، على اثر ضم الدفعات الاولى من خريجى معهد الفنـون المسرحية ، للمسرح القومى .

ويقول فتوح ان الفـرقة — المسرح القومى — ظلت سنوات طويلة نهبا للنزوات الشخصية ، ممزقة بين مطالب الممثلين المادية وغير المادية وبين ادارتها الفاشلة، حيث تعاقب عليها منذ الاربعينات حتى عام ١٩٥٦ ، عدد من المديرين غير الاكفاء ، فكان احدهم يدير الفرقة من مكتبه بوزارة الشئون الاجتماعية ، وآخر يحل على المسرح كزائر الليل كل مساء ليتفقد احوال القوم ، وثالث اخذ يفرض مليودراماته الصاخبة التى اشتهر بها فى العشرينات ، ورابع لم يمكث فى منصبه سوى شهر ونصف ثم استقال قبل ان تجرفه مشكلات الفرقة . وخامس وهو المرحوم جورج ابيض ، وكان فنانا اكثر منه رجل ادارة ، فترك مقاليد الامور بين يدى الشطار واعضاء مجلس الادارة ، فتكالبت عليه المشكلات وغلبت عليه عصبيته وحدة مزاجه فاصطدم ببعض ممثلى الفرقة ، واحس آخر الامر انه سيفقد عطف الجميع ومحبتهم له ، فقدم استقالته فى ٤ يونية ١٩٥٣ .

ولم يسلم استاذ جيل الشباب فى ذلك الوقت ، الاستاذ زكى طليمات ، من تمرد تلاميذه عليه ، بعد ان جمع شملهم فى فرقة المسرح الحديث التى كونها فى عام ١٩٥٠ ، فراحوا يكيلون له الاتهامات ان بالحق او بالباطل لدى المسئولين ، ولم يتورع احدهم عن تقديم مفكـرته الخاصة — كما ذكرت احدى الصحف — كدليل لما احتوت من امور شخصية على عدم صلاحيته لادارة الفرقة ! واضطر طليمات ازاء هذه المضايقات للاستقالة فى يونيه ١٩٥٢ .

ولم يكن فتوح فى يوم ما مديرا لاحدى الفرق ، ولا كان يتطلع قط لشغل هذا المنصب ، لان الفنان فى رأيه يجدر به ان يتفرغ لفنه حتى لاتجرفه مشاكل الادارة ويفقد قيمته كفنان ، لهذا كان يرى انه من الحكمة ان يسند منصب الادارة لرجل مثقف حازم ، او فنان متقاعد . وهى وجهة نظر ربما اثبتت التجارب صدقها ، لان المنصب قد يغرى الفنان بأن يخص نفسه بالمسرحية الجيدة وبأدوار البطولة ، ويقول فتوح : كل هذا حدث فى السنوات الاخيرة بصفة خاصة ، وقد اصبح للاخراج والتمثيل مثاب ضخم يتراوح بين ٢٥٠ و٤٠٠ جنيه.

وقد وصل الامر بالمديرين الشبان انهم يتبادلون الادوار واخراج الروايات .

كان فتوح يرى أن النظام يتحقق اولا بارساء تقاليد للبيت المسرحى يحترمها الجميع ويقدسونها ، ويكون دور المدير فيها حماية هذه التقاليد من اى عدوان ، لهذا فهو يأخذ على المسئول عن المسرح فى عام ١٩٦٩ موقفه المنحاز من مكتب المسرح القومى ، وتجاهله لقرار المكتب برفض استضافة فنانين من الخارج للعمل باحدى المسرحيات ، مما اضطر مدير المسرح الى الاستقالة ، واسـتقالة اعضاء المكتب الفنى تضامنا معه .

ان لمحات الوفاء تطل علينا عبر صفحات « خمسون عاما فى خدمة المسرح » ، وفاء الفنان الانسان لمن انتقلوا من رجال المسرح الذين عاصرهم : خليل مطران ، نجيب الريحانى ، سليمان نجيب ، جورج ابيض ، احمد علام ... انه يوفيهم حقهم من التقدير ويقدم صورة تحليلية لفنهم ، يمزج فيها بين ذكريات الماضى ، وبين ملامح التفوق فى ادائهم ويحدثنا فى مقاله عن ابيض عن اوجه الشبة بين أدائه التراجيدى واداء عملاق التراجيديا الفرنسى مونيه سوللى .

وعندما ينتهى فتوح من تقديم اوبريت هدية العمر « ١٩٦٦ » يتوقف عن الاخراج برغما ، فقد التى سمى الظل وهولايزال قادرا على العمل ، ولم يخرج للمسرح القومى بعد عام ١٩٦٥ سوى مسرحية سر الحاكم « ١٩٧١ » ويقول انه عاد الى المسرح بعد الانتهاء من تقديم هذه الاوبريت للمسرح الغنائى ، وانتظم فى حضور جلسات لجنة القراءة والمكتب الفنى ، لكنه احس بأن هناك شيئا ماقد تبدلّ فى بيته المسرحى : « ولاول مرة شعرت بالغربة وشيئا فشيئا بدات المس من كثب عمل الشللية فى المسرح وهى تنسج خيوطها سرا وعلنا ... » وكان عزاؤه الوحيد ترجمة مذكراته ويومياته التى كتبها اثناء بعثته الى فرنسا « ١٩٣٧ ــ ١٩٣٩ » ، ثم تدوين كتاب « خمسون عاما فى خدمة المسرح » الذى ظهر فى جزاين .

ان كتاب مخرجنا الراحل ، الذى بعد أخصب وأصدق المؤلفات التى كتبها الفنانون المصريون عن حياتهم الفنية ، يثير تساؤلا هاما هو ، متى يعاد كتابة تاريخ الفرق المسرحية بدقة وموضوعية ؟

ان كتاب « خمسون عاما فى خدمة المسرح » يعتبر اضافة ثمينة لتاريخ مسرحنا القومى ، تتطلب اضافات اخرى من البحوث الموضوعية النقدية حتى تكتمل صورته على صفحة المسرح المصرى الحديث . ☐

عرض : سمير عوض

☐☐☐

دفـــاع عـن الحقيقـــة . .

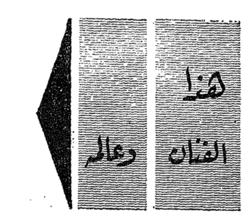
لا عـن صـــلاح عبد الصـــبور

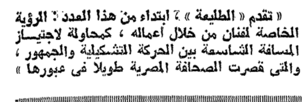


مع الاحترام الشديد لرغبة الشعراء الشباب **محمد يوسف** ، **ومحمد محمــد الشهاوى** ، **وحسن النجار** ، فى عدم نشر قصائدهم فى مجلة الكاتب برئاسة تحرير الاستاذ صلاح عبد الصبور ، وهو ما اعربوا عنه بوضـــــوح فى رسالتهم المفتوحة اليه ، التى نشرت فى العدد الماضى «**بالكاتب**» ضيف الطليعة الا اننى لا اقرهم مطلقا على ما ذهبوا اليه من ان الاستاذ صلاح عبد الصبور « **حارب وحاصر فى كل تاريخه** » **ومواقعه كل ما يزدهر فى مصر ويتفتح** » ، فليس صلاح عبد الصبور هو الذى حارب كل ما يزدهر فى مصر ويتفتح ، وانما كان دوما جزءا لايتجزأ من حركة الشعراء والكتاب الوطنيين التقدميين الســاعين الى وطن اكثر تقدما وانسانية وعدالة . ولقد احتمل صلاح عبد الصبور وعانى دوما ــ كانسان وكشاعر ــ على ايدى نفس القوى التى عانى منها كل الكتاب الوطنيين التقــدميين ، ومن الاجحـاف والتزيد تصوير شاعر كبير لايملك سوى قوة كلماته ، وحتى مكانته الادبية والادارية ، بكل قوة البطش هذه ، التى راح ضحيتها « كل ما يزدهر ويتفتح فى بلد بأسره » .

لست بصدد مناقشة قضية « الكاتب » من جديد ، فقد تلت كتابة ، وحوارا ، وصراعا ، وبحثا ، وانما بصدد الاسلوب الذى تصل اليه فى هذا البلد ، المنازعات فى الحياة الادبية ، لان احدا يستطيع ان يقول مايشاء لكنه لن ينطق بالصدق والحقيقة اذا زعم مع هؤلاء الشعراء الشباب ، بأن صــلاح عبد الصــبور « اكذوبة شعرية » لان هذا الشاعر الكبير ، لم يكن « اكذوبة » فى يوم من الايام ، وانما جســد بأشعاره نبض وعواطف واشواق جيل بأكمله ، ولم يكف ــ حتى اليوم ــ عن العطاء ، يمكن لاى انسان ان يختلف معه حول موقف او آخر ، لكنـه لاينبغى قط ان ينسى ــ امانة وصدقا ــ تلك الحقيقة الموضوعية البسيطة ، وهى ان صلاح عبد الصبور كان دوما أحد شعرائنا القوميين الكبار الذين حاولوا بقوة كلماتهم ، ان يعبروا عن امل والم وتطلع واشواق ، الانسان فى هذا البلد الى حلم فردى اكثر اشراقا والى وطن اقل الما وتعاسة وبؤسا ، واكثر ازدهارا وانسانية وسعادة .

خيرى عزيز





« تقدم « الطليعة » ، ابتداء من هذا العدد : الرؤية الخاصة لفنان من خلال أعماله ، كمحاولة لاجتياز المسافة الشاسعة بين الحركة التشكيلية والجمهور ، والتى قصرت الصحافة المصرية طويلا فى عبورها »

جـــورج البهجـــورى

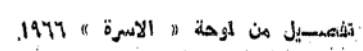
جورج البهجورى [٤١ سنة] .. القاهرة الحارة .. القاهرة الرصيف .. الانسان .. الحزن .. الكدح .. الاطفال الكهول .. العيون .. العيون .. الدفء .. الاسى .. المشاركة .. الاسرة .. الفول صباحا على العربة .. الكناسون .. المكوجية .. صبية الورش .. طقوس الخبز والاحزان .. النيل .. مصر ..

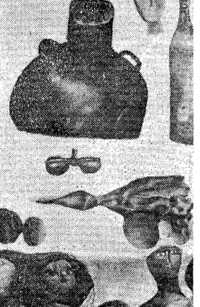
لا تخطىء العين فى أعمال جورج البهجورى المؤثرات القومية فى التراث الفنى المصرى .. من التصوير المصرى القديم ، الى تصوير مدرسة الفيوم ، الى التصوير القبطى ، الى الابداع الشعبى ، الى تجارب محمود سعيد وراغب عياد والجزار والتلمسانى المعاصرة .. ومع ذلك لم يعط ظهره لمنجزات المدارس الغربية القديمة والحديثة ، خاصة التعبيرية والتكعيبية .. والبهجورى بهذا يحتل مكانة بين رواد الواقعية المصرية الجديدة .



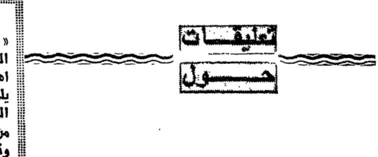


تفصيل من لوحة « الاسرة » ١٩٦٦.





الفطور اليومى — ١٩٧٣



تعليقات حول

اثارت ندوة « الطليعة » حول «ازمة الثقافة المصرية » اهتماما واسعا ، وفيما يلي ننشر بعض التعليقات التي جاءتنا من اصدقاء «الطليعة» وقرائها :

أزمة الثقافة المصرية

جذور واضحة للفكر المثالي

لم يكن التشخيص المطروح كمقدمة للحوار بوجوهه العشرة ، والذى انبثقت منه الاسئلة الرئيسية تحت عنوان« ازمة الثقافة المصرية » ، شاملا لما يمكن ان يطلق عليه « ازمة الثقافة المصرية » وانما كان رصدا لبعض المظاهر الراجعة الى القصور الشديد فى أجهزة الثقافة وادواتها تلك التى تملكها وتوجهها السلطة فى المجتمع توجيها يعكس ـ بالضرورة ـ طبيعتها وانتماءها .

وهذا الرصد العام لهذه الظواهر . كان من الممكن أن يندرج تحت عنوان آخر . وليكن مثلا « أزمة أجهزة الثقافة المصرية » ، وليس أزمة الثقافة، على اعتبار أن الاخير ، أكثر شمولا .

وحتى مع اختيار عنوان « أزمة أجهزة الثقافة المصرية » فاننى أعتقد انه لم يكن يعطى ، تلخيصا وافيا لمسار الحوار فى الندوة ، وأنه هو الاخر يبدو فضفاضا عليها .

لقد تعامل الجميع مع مصطلح الثقافة، بتناول جزئى له . على اعتبار أن المقصود به هو ما اصطلح على تسميته [الثقافة الفنية] ، لا الثقافة الجماهيرية بمفهومها الشامل . [تلك التى يندرج تحتها كل شيء ، من الابداع الادبى والفكرى عامة حتى أذواق الجماهير وآرائهم وعاداتهم الاجتماعية] .

(●)

ترتيبا على ذلك الخلط فى اختيار نقطة البداية الصحيحة للحوار وتحديد مساره ، أن شاع ذلك ، على امتداد حركته ونموه .

لعل ذلك يبدو أكثر وضوحا ، فى الخلط العام بين مستويين للازمة ـ متداخلين ، ومستقلين ومتبادلين للتأثير:

اولهما : واقع الحياة الفكرية والابداعية والاخلاقية والذوقية للجماهير، ـ وجميعها بعض أركان الثقافة العامة للمجتمع ـ التى تعبر عن طموحاته وصراعاته والتناقضات التى تحكم حركته الاجتماعية فى تلك اللحظة التاريخية من حياته . [على اعتبار ان هذه الظروف ، وضعت ـ وتضع ـ طابعا جوهريا على الثقافة الوطنية] .

ثانيهما : مدى مقدرة اجهزة الثقافة على استيعاب هذا الواقع الفكرى والابداعى ، وعكسه من جهة ، ومدى مقدرتها على دفعه والتأثير عليه، ايجابيا أو سلبيا من جهة اخرى .

ثم فى النهاية ، حدود الجدل والتأثير بين هذين المستويين ، الذى يعطى الثقافة الاجتماعية السائدة ، صياغتها النهائية وملامحها العامة ، فى تلك اللحظة التاريخية على وجه التحديد .

(●)

ان افتقاد نقطة صحيحة للبداية ، لم يمهد للاقتراب المباشر من وجه الأزمة ، فى خطوط مستقيمة ، فقد بدا أن التشخيص الاولى للظاهرة ، يأخذ شكل الخطوط المتقاطعة .

(●)

وعلى جانب آخر ، ربما ادى ذلك الى أن يصبح الحوار متخما بتعميمات نظرية، قد لا يكون - بعضها - ثمرة كاملة النضج ، للاحتكاك ، والدراسة ، والممارسة .

وعموما ، فان التعميمات النظرية تكون مفيدة ، بقدر كونها تلخيصا وافيا لموقف ، لكنها خسارة بقدر بقائها عند الحدود الخارجية لهذا الموقف .

ولست اريد - هنا - أن أبدأ فى مناقشة صحة هذه التعميمات أو عدم صحتها ، فان القضايا الخلافية التى قد تتفرع عنها عديدة ، ومنتشرة على اتساع الخريطة الفكرية فى مجتمعنا ، الا أنها فى مجملها قد لا تخلو من جذور مثالية فى الفكر .

وعلى سبيل المثال ، فان القول بأن انقلابات العالم الثالث تتميز بالحياد الطبقى ، يبدو من قبيل تفسير الفكر بالفكر .

ان الظروف التاريخية ، لكل حركة تاريخية لاتوجد خارج الممارسة الاجتماعية لها ، وانما هى نتيجة تلك الممارسة على وجه التحديد .

أيضا ، فان القول بأن سيطرة مسئولين ذوى فكر معين على وزارة الثقافة ، هو سبب النكسة ، قد يعكس حقيقة جزئية صحيحة للموقف ، لكنها نابعة من نظرة وحيدة الجانب .

والحديث عن وجود جذور مثالية فى بعض أجزاء الحوار ، يقودنى الى مواقع فيه ، تبدو فيها رائحة هذه الجذور أكثر انتشارا :

● ان القول - مثلا - بوجود ثقافة واحدة قبل يوليو ، يماثل القول بوجود ثقافة واحدة بعده ، وكلاهما لا يبدو متسقا مع المنهج العلمى الذى لا تجد الظاهرة تشخيصها الكامل وتفسيرها الا فى أحضانه .

فاذا كانت الثورة - كما يقول تليمة - ثورتان ، برجوازية ، واشتراكية - وان كان هذا لا يمنع من امكانية تداخلهما وتشابكهما الى أبعد حد فى ظروف تاريخية معينة - فان الثقافة أيضا ثقافتان ، لا ثقافة واحدة ، ثقافة برجوازية ، وثقافة اشتراكية - وهذا أيضا لا يمنع من امكانية تداخلهما وتشابكهما .

ان الظاهرة النابعة من قلب العملية الاجتماعية ، تتواجد ومعها نفيها - أو نقيضها - فى نفس الوقت ، فتواجد الثقافة البرجوازية وسيادتها . لا يعنى عدم تواجد الثقافة الاشتراكية ، بل ان تواجد الثقافة البرجوازية دليل على تواجد الثقافة الاشتراكية ، بالرغم من عدم سيادتها ، أو اختفاء بذورها فى أحشاء النظام .

وعلى سبيل المثال ، فان الثقافة السائدة فى المجتمع قبل يوليو ، وهى الثقافة المعبرة عن النظام الاجتماعى الذى كان سائدا فى شكل التحالف بين الاستعمار ورأس المال والاقطاع ، والتى كانت تسعى الى تثبيت جذور هذا النظام الاجتماعى ، ومنحه الاستقرار ، واكبتها وتواجدت معها فى نفس الوقت ، بذور ثقافة أخرى مناقضة لها تماما ، تسعى الى هز جذور هذا النظام ، معبرة عن القوى الاجتماعية الصاعدة الجديدة .

حقيقة انها كانت ضعيفة ، وغير منتشرة ، ومعزولة ، وغير متجانسة ، وانها كانت فى اتجاهاتها العامة انفعالا دائما وخصبا بانجاز المدنية المعاصرة ، أكثر من كونها خطا ناميا مطردا يرسمه العقل الوطنى ، لكن بذورها كانت تضرب وتنمو بشدة فى أحشاء هذا المجتمع .

[] ان ذلك الاتجاه التنويرى الذى أخذ فى النمو منذ بداية اختلاج الثورة الوطنية الديمقراطية ، على مشارف هذا القرن، قد يعد تأكيدا على ذلك [] .

على أنه فى كل مرحلة تاريخية من مراحل تطور المجتمع - اى مجتمع - فان لكل طبقة فيه ، ثقافتها التى تواكب حركة هذه الطبقة نموا ووعيا ، ومهما يكن الخلط بين هذه الثقافات ، ووجود طابع عام للثقافة الاجتماعية فى النهاية ، فان هذا لا ينفى تمايزها فى الواقع ، كما أن سيادة ثقافة طبقة واحدة - هى التى تسود اجتماعيا - لا يتنافى مع وجود ثقافة الطبقات الاخرى الى جوارها، بل يؤكد هذا الوجود .

● .. وفى اجابة [] السيد ياسين [] على سؤاله « لماذا لم تتم ثورة ثقافية بعد يوليو » والتى حددها بقوله : « ان السبب كامن فى الصيغة التى اختارتها ثورة يوليو لنفسها ، والتى تقوم على التوازن . دون الصراع . أو على تأميم الصراع الاجتماعى » موقف يستحق التأمل ..

ان هذه الاجابة تبدو للوهلة الاولى، كما لو كانت قد بعثت للحياة لتوها من بعض كتابات الكتاب البورجوازيين ، الذين قدموا اجتهادات مثالية ، فى اطار يوليو وعنها .

ان ثورة يوليو لم تؤمم الصراع الطبقى، ولم تتم صيغتها على التوازن الطبقى فى اى مرحلة من مراحلها - وان كان هذا ليس محور حوارنا - ، علاوة على أن فكرة التوازن الطبقى أو تأميم الصراع الاجتماعى ، تنبع من تصور مثالى ، يفسر الاشكال الخارجية للحركة الاجتماعية ، بالاشكال الخارجية للحركة الاجتماعية ذاتها .

ان الصراع الطبقى لم يتوقف على الجبهة الاجتماعية ، على امتداد مسيرة يوليو - وعلينا أن نفرق بين محاولة طمس او تمييع الصراع الاجتماعى وبين تأميمه - كما أن الصراع الطبقى على جبهة الثقافة ، لم يتوقف أيضا ، على امتداد هذه المسيرة . - على الرغم من أن الطبيعة الطبقية للثقافة تظهر فى اشكال أكثر تنوعا منها فى السياسة .

ان اى قوى اجتماعية ، فى مجال

السياسة أو الفكر ، هي — بالضرورة — قوى منحازة .

● .. هناك نقطة خلافية أخرى بين [د. تليمه] وبين [عباس صالح] حول التفرقة بين مرحلتى ، الثورة الوطنية ، والتحول الاشتراكى .

* [د. تليمه] يميز بين المرحلتين، وفى ضوء هذا التمييز ، يحدد مهام العمل على الجبهة الثقافية .

* [عباس صالح] يصفهما بأنهما « عمليتان تتمان معا ، ولا يمكن تأجيل أحدهما حتى تتحقق الاخرى » .
والموقف الاخير . يحمل فى داخله ، تناقضا واضحا .

ان التمييز بين المرحلتين فى الفكر — بغرض تحديد تكتيكات ومهام العمل — لايتناقض مع ازدواجيتهما ، وتداخلهما، وامكانية نمو الحركة ، فى اتجاههما معا.

كما أن ازدواجية المرحلتين وتداخلهما لا يتناقض ، مع امكانية التمييز بينهما ، أو تمايزهما فى الفكر ، كما فى الواقع .

ان التمايز ، ليس عكس التداخل أو التزاوج فى مجال الحركة — سياسيا أو اجتماعيا أو فكريا — لكنه تحديدا — أحد وجوهه .

(●)

يبقى بعد ذلك ، للحوار أو الندوة ، فضل اطلاق ومضات فكرية مبهجة وخصبة :

* .. قد أرى ذلك — مثلا — فى التقاط [لطفى الخولى] للتناقض الاولى الداخلى ، للازمة الراهنة ، ذلك التناقض بين الكيان القائم الان للثقافة فى مصر ، وبين حركة الثقافة ذاتها .

ان هذا الكيان — على حد تعبيره — قد ضاق من حركة الثقافة ، ولهذا فان قوى الذين نحاول جاهدة أن تجعل من نفسها ، الاتجاه الواحد والوحيد ، متخذة أشكالا مختلفة ، عاملة — بقوة القانون الادارى والسيطرة من فوق — على واد تيار الابداع الحقيقى .

* .. وقد أرى ذلك — أيضا — فى الربط الذى قام به [د. تليمه] بين شكلين وطبيعتين للحركة ، فى مجال السياسة ، وفى مجال الثقافة .

ان الانجازات المطلوب تحقيقها على كلا الجبهتين ، متداخلة ، ومتشابكة ، الى أبعد حد .

ان تشكيل جبهة وطنية ديمقراطية بين كل القوى الاجتماعية والطبقات الوطنية للمشاركة فى ادارة وتوجيه العمل على جبهة السياسة ، يقود الى تشكيل الجبهة الوطنية على جبهة الثقافة، وتشكيل الاخيرة ، وتميز قواها ، وتأكيد وجودها ، يمهد الطريق ، أمام الاولى لكى تصبح حقيقة قائمة .

وما أكثر هذه الومضات الفكرية الجادة التى فجرتها الندوة والتى تحتاج الى دراسة وتأصيل وترشيد من أجل تغيير ذلك الطابع الذى وضعته أشكال الحياة الاجتماعية ، ونمط الانتاج الاجتماعى ، على الثقافة الوطنية فى مجتمعنا .

وما أكثر الحاجة ، الى الاشتباك المنظم ، مع هذا الطابع غير الوطنى، الذى يحاول أن يخفى الوجه الحقيقى لثقافتنا الوطنية ، ففى الثقافة — كما فى الحرب — يظل الهجوم دائما ، هو أفضل الطرق للدفاع ..
وما أنبل القضايا التى ندافع عنها ، وما أشرفها .

احمد عز الدين

الأزمــة فى علاقتهــا بالواقــع

> [اميل الى الراى الذى يقول بضرورةمناقشة هذه الازمة فى ضوء مجمل حركة المجتمع ... وهنا يجب التفرقةبين نوعين من الثقافة هما الثقافةالرسمية التى تصل عبر قنوات وزارة الثقافةومؤسساتها ،والثقافة الاخرى،التى يرفضها هذه القنوات وتضيق عنها بل وتعاديهاوتعمل على محاربتها بشتى الوسائل كما هو معبر عنه فى الطرح الذى تدمته ورقة الحوار .]

● واذا اعتبرنا الثقافة فى أكثر تعريفاتها عمومية هى الزاد المعنوى للشخصية المصرية — والعامل الاساسى الذى يسهم فى تشكيل وتكوين هذه الشخصية وتحديد آمالها وطموحاتها والتعبير عنها . فان الثقافة الرسمية تعمل بدأب وصبر وبلا مواربة على تشكيل الشخصية المصرية على النحو الذى يناسب رؤية وتطلعات الطبقة المسيطرة فعليا على مقدرات البلاد ، ومن بينها الثقافة .

وهى بالتالى أى الثقافة انعكاس للبناء الفوقى [الطبقة السائدة] ومن هنا يتضح رأيها على تسييد اتجاه واحد يخدم مصالحها فى مواجهة بناءتحتى أصبح مخالفا بل ومتناقضا مع هذا البناء الفوقى — ومن هنا ليس فى المسألة أزمة بالشكل الذى تطرحه الندوة ويحاول الاجابة عليها السادة المناقشون ففى اعتقادى ان المشكلة ليست مشكلة وزارة الثقافة بأنشطتها المختلفة والمتخلفة بقدر

ماهى مشكلة التناقض بين البناءين الفوقى والتحتى للمجتمع ككل •

ومن هنا كيف يمكننا أن نطالب وزارة الثقافة [القائمة على التعبير عن مصالح الطبقة السائدة وحمايتها والدعاية لها] كيف نطالبها بأن تتحول الى مؤسسة جماهيرية حقيقية تدافع عن مصالح الجماهير وتتبنى آمالهم وتعبر عنهم بمجرد ادخال بعض العناصر التقدمية اليهـا وقيادتها لهـا [وهـذا هو منتهى ما قد تسمح به الطبقة السائدة والمسيطرة فى فترة من الفترات لضرورات خارجة عن ارادتها محاولة منها لاحتواء حركة الجماهير والاستمرار فى تضليلها] •

المسألة فى رأيى لا تناقش على هذا النحو الذى تم فى الندوة ..

يقول البعض ان هذه الفترة فترة براجوازية وأن على البرجوازية أن تكمل مهامها التاريخية وانه بناء على ذلك يتعين على كافة القوى الوطنية والتقدمية أن تقف وراءها وتساندها لانجاز مهامها الوطنية فيما يتعلق بتحرير السوق والتنمية بالاضافة الى صراعها مع العدو الصهيونى

ومن هنا ينطلقون ليقولوا ان البرجوازية وبشكل طبيعى سوف تسمح بالديمقراطية التى هى ملمح من أهم ملامحها تاريخيا. ولكن هذه النقطة فى الواقع المصرى على ما أعتقد غير صحيحة .. فالبرجوازية المصرية فى مجموعها يناسبها تماما أكثر من أى شكل آخر ، هذا الشكل الذى أوجدته ودأبت على ترسيخه وهو ما تسميه « بالتحالف » وما يمكن التعبير عنه بشكل علمى بتأميم الصراع الطبقى مخفية وجهها الحقيقى خلف شعارات براقة ومضللة لتظل هى الوحيدة المسيطرة على مقدرات البلاد ، المتصرفة فى شئونها.

اننى أتفق مع القائلين بأن الفترة الحالية فترة وطنية تتحالف فيها كافة القوى الوطنية بما فيها البرجوازية الوطنية من أجل انجاز مهام وطنية ولكن ليس معنى هذا أن تنفرد البرجوازية بكل شىء .. بل ان حركة الواقع تفرض أشكالا من النضال ضد تسلط هذه البرجوازية وضيق أفقها ومحاولاتها الدءوبة للاستئثار بكل المكاسب واغفال الجماهير اغفالا تاما •

وفى رأيى أن هناك عدة مهام منوطة بالحركة الثقافية وبالذات بجناحها التقدمى ويمكن تلخيص هذه المهام فى :

١ ـ عدم الاسهام بل ومقاطعة كافة الاجهزة الثقافية القائمة والمسيطرة •

٢ ـ النضال الدءوب والمستمر الى أقصى مدى من أجل انتزاع حقها فى الوجود وفى التعبير الحر عن نفسها بدون أى ارتباط سوى بجماهيرها وذلك من خلال تكريس كافة جهودها لانتزاع منابرها المستقلة تماما وتجمعاتها التى تعبر عنها بمختلف أجنحتها الوطنية والتقدمية •

وفى هذا المجال لابد من طرح ومناقشة قضية المنابر المستقلة عن كافة الاجهزة السياسية والتنفيذية وكذلك طرح ومناقشة قضية غاية فى الاهمية وهى قضية اتحادات الكتاب والفنانين المستقلة والديمقراطية •

وفى اعتقادى أن هذا هو الطرح الصحيح لمشكلة أو أزمة الثقافة فى مصر فى علاقتها مع الواقع المصرى فى المرحلة الراهنة •

بشير الديك

مواجهة القديم

ندوة « أزمة الثقافة فى مصر » والتى عقدتها « الطليعة » .. ندوة لها اهميتها القصوى لما للموضوع من ارتباط وثيق بحياة جماهير شعبنا ومستقبله •

وعندما تقوم « الطليعة » بتوجيه الدعوة لعدد من مفكرينا وأدبائنا ، فيعتذر البعض عن المشاركة ويضع البعض الاخر شروطا « لا يمكن تلبيتها » يحق لنا أن نتساءل هل هو هزل أم جد من هؤلاء المفكرين والادباء ؟!

ان موضوعا خطيرا مثل هذا ويتصل بحياة النـاس ليلفت الانظار حقا فمتى يتحرك المفكرون والادباء اذا لم يتحركوا الان ويناقشوا أزمة الثقافة هذه ولا أعرف لماذا لم تقل لنا الطليعة من هم هؤلاء الذين اعتذروا وهؤلاء الذين وضعوا الشروط ... أن هذا مهم جدا حتى نتعرف على هذه النوعيات من الادباء والمفكرين وحتى تحدد اتجاهاتهم وأفكارهم .. فلقد أثبتت كثير من المناقشات التى جرت فى الاونة الاخيرة ان كثيرا من الافكار التى كانت « مقنعة » كشفت عن نفسها وأزاحت هذا القناع وهذا بدون شك مفيد جدا للحركة الثقافية ويجعلنى

اقول مزيدا من هذه الندوات والمناقشات الديموقراطية وان الحوار المستمرضرورى ونافع بشرط ان تشترك مختلف التيارات فى هذا النقاش واننى اقول قد اتضح أن التيار المتخلف الرجعى والذى يحاول احياء قيم قد سقطت وداس عليها شعبنا العظيم .. اقول ان هـذا التيـار يخاف الحوار الديموقراطى ويهرب منه لانه فى هذا الجو من المناقشات يجد نفسه مضطرا لتحديد المواقف وازاحة الاقنعة ، واننى هنا لاضرب مثلا بالدكتور رشاد رشـدى الذى انجذب اخيرا لهذا الحوار فكتب يحدد موقفه فوجدناه يمينيا خالصا ومخلصا ، برغم انه بدأ مقالته بهذه العبارة « اننى لا أنتمى لاالى اليمين ولا الى اليسار » .

اقول ذلك لانه لابد من مواجهة للقديم فى مصر .. لا مفر من مواجهة الفكر « القديم » فى بلادنا . وانى أختلف هنا مع الاستاذ أحمد عباس صـالح عندما قال « اننا نلاحظ الان » كثيرا من القوى الاجتماعية — نرى انها قوى متخلفة ومعادية للاشتراكية — تتحرك لضرب ثورة يوليو نفسها والانعكاس بانجازاتها الاجتماعية والثقافية » .

ليس الان فقط يا أستاذ أحمد صالح. ربما تكون نشطت او زاد نشاطها .. ولـكن هى هذه القوى ومن سنوات طويلة كانت تعمل وفى صمت وفى صبر وفى النواحى الثقافية .. فى الاجهزة وغير الاجهزة .. وتستطيع ان تقـول « هى الان » تجنى أو تحاول جنى نشاطها القديم والان فقط .. وما محاولة تصفية « الكاتب » ببعيد .. ان اعداء الثقافة الوطنية الديموقراطيـة كانوا وما زالوا يحاولون تشويه وتزييف كل شىء وهم فى ذلك يشنون حملات ضارية المقصود منها تجهيل وتضليل الناس .. ولا أريد هنا أن اتحدث عن نسبة الامية فى مصر. بل لنر ماذا يحدث فى المسرح اليوم .. لقد أوصلوا المسرح الى الافلاس التـام وكذلك السينما بل زادوا على ذلك انهم يحرموننا الان من « الانفتاح » على سينما العالم ... ونظرة الى دور النشر وبماذا تقذف كل يوم فى سوق الكتب ؟ انهم يريدون منا أن نذهب لنرى فى المسرح والسينما تاريخ « عوالم » مصر ونسمع الالفاظ الجنسية المكشوفة ونذهب لننام.

وانى هنا أتقدم بكل تواضع هـذه الاقتراحات :

اولا : العمل بدون هوادة من اجل تكوين اتحاد الكتاب والادباء الديموقراطى لحماية ثقافتنا الوطنية ومن أجل ثقافة افضل تخدم الانسان .

ثانيا : العمل على الارتباط بجميع الكتاب والادباء العرب والعالم التقدميين.

ثالثـا : الدعوة لمزيـد من الندوات والمؤتمرات التى تناقش أزمة الثقـافة يحضرها اغلبية الادباء بـدون اعتـذار او شروط !

رابعـا : تكوين دور النشر المستقلة والمسرحية التقدمية لعرض المسرحيات العالمية وهذه التى تؤلف من كتابنـا المصريين ولا ترى النـور على مسارح الدولة .

السيد شعراوى
الاسكندرية



- مساء الاربعاء ١٢/٤ ، وأثناء انعقاد نـدوة المجلات الثقافيـة ببيروت ، دعى أعضاء النـدوة لحضور عرض مسرحية « **الرفيق سحيان** » من تأليف **جلال خورى**. وأثناء العرض طـوق البوليس اللبنانى مـكان العـرض وتدخل لايقافه بحجة عدم وجود تصريح رقابى ، وصرف المدعوين . وفى اليوم التالى أثيرت القضية فى اجتماع الندوة ، وتحدث **سهيل ادريس** الامين العام لاتحاد كتاب لبنان وعضو النـدوة ، وكذلك **لطفى الخولى** وآخرون .

وقد انتهت المناقشة بأن اصدرت الندوة برقية احتجاج وقع عليها كل من **يوسف السباعى** باعتباره أمين عام المنظمة، وسهيل ادريس من أعضاء الندوة ، وفى نفس الوقت ناقش الرئيس اللبنـانى **سليمان فرنجية** الموضوع وأمر برفـع الحظـر عن المسرحية ، واعيدت مساء الجمعة ١٢/٦ .

● تكونت فى القاهرة دارنشر يشرف عليها **كمال رفعت ولطفى واكد** ، لنشر الاعمال ذات الطابع القومى والتقدمى .

تبدأ الدار نشاطها باصـدار كتاب **لمحمد عودة** بعنوان «**الوعى المفقود**» ، كذلك فقد تعاقدت على اصدار أعمال للاساتذة **كـامل زهيرى ومحمد عمـارة وطـارق البشرى** وغيرهم .

● فى العـدد القـادم :

يحى حــقى : سـبعون عامـا

الفهرس التحليلى لعــــام ١٩٧٤

(أ)

(خ)

(غ)

(م)

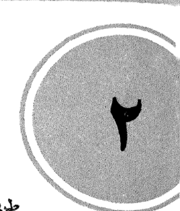
أعد الفهرس : عز الدين شوكت
قسم المعلومات جريدة الاهرام

الثمن ١٠ قروش



السنة الحادية عشرة
فبراير ١٩٧٥

الطليعة



طريق المناضلين إلى الفكر الثوري المعاصر

الفهـــرس

العـــدد الثـانى ــ الســـنة الحـادية عشرة ــ فبراير ١٩٧٥



مجـــلة شـــهرية

تصـــدر أول كل شـــهر

رئيس التحـــرير :

لطفى الخـــولى

مدير التحـرير :

ابو سيف يوســف

سكرتير التحرير :

مصطفى ســامى

المحـــررون :

حسين شــعلان
خيرى عـــزيز
د. رفعت السعيد
عبد المنعم الغزالى
فاروق عبـد القادر
وديـع أمـــين

[■]

د. محمـد الخفيف
شـارك فى تاسيس الطليعـة
واسرة تحريرها
يناير ١٩٦٥ ــ مارس ١٩٧٢



تهدف الطليعة من « الرأى .. والرأى الاخر » أن يعكس نبضات التيارات الفكرية والاجتماعية الملتزمة باطار التحالف الوطنى لقوى الشعب العامل ولهذا يلقى كل مقال وكل رسالة تصلها حول مختلف القضايا التى تشغل اهتمام المجتمع المصرى والعربى عناية وافرة من مجلس تحرير الطليعة .

ان [الطليعة] ميدان مفتوح لكل رأى حر وفى اعتقادنا أن تفاعل الاراء الحرة على اختلافها هو وحده الذى يستطيع أن يبلور ويستخلص وحدة فكرية أصيلة .

من هذا المفهوم تفتح [الطليعة] صفحاتها لكل رأى لديه كلمة يقولها — مؤمنة بشعار الحرية المجيد الذى أطلقه فولتير فى القرن الثامن عشر [قد اختلف معك فى الرأى ولكنى على استعداد لان أدفع حياتى ثمنا لحقك فى الدفاع عن رايك] ..

وتؤمن الطليعة بأن كل الكتابات التى تصلها « للرأى .. والرأى الاخر » ، لا توفر فحسب فرص ادارة الحوار الجدى والضرورى ، بل وتطرح أمام الطليعة الكثير من الافكار والاقتراحات والموضوعات والقضايا التى تعتقد الطليعة باهمية ممارستها ومعالجتها كجزء من مسئوليتها .

من هنا فان عدم نشر مقال او رسالة تصلنا مسألة تتعلق فقط باعتبارات المساحة ، ولهذا نسعى الى اختيار ما يمكن ان نسميه نماذج للافكار المتباينة الصالحة للنشر كنصوص .

وتأمل الطليعة مساهمة قرائها فى الكتابة « للرأى .. والرأى الاخر » فى حدود صفحة فولسكاب واحدة ، حتى يمكن نشر كل ما يصلها من آراء ، على قدر الامكان .

« أسرة تحرير الطليعة »



الحـــرب الخامســة والجبهـــة الرابعــة

مع بداية عام ١٩٧٥ ، صـار لبنـان ، بالفعل وبردود الفعل الدموية ، بلدا من بلدان المواجهة مع اسرائيل .

من قبل ، وبالدقة منذ حـادث العدوان الاسرائيلى على مطـار بيروت فى عـام ١٩٦٨ ، ظل لبنـان يتعرض لاعتداءات متكررة ، متفاوتة الدرجـات ، من جانب جهاز الحرب الاسرائيلى . ولكنها بقيت ، دائما ، فى اطـار محدود اسـتراتيجيا ، لا تغامر بفتح جبهة عسكرية مع لبنان . وذلك حتى لا يتحول من « وضعه التاريخى الخـاص » فى الصراع ، تحولا كيفيـا . فينتقل من « **دولة — هـدنة** » الى « **دولة — مواجهة** » .

وكانت حسابات اسرائيل فى هذا المجال محكومة بعدد من العوامل ، هى نفسـها اهـداف تكتيكية للتخطيط الاسرائيلى الذى كان يقوده الثلاثى « **جولدا مائير — موشى ديـان — اسرائيل جاليلى** » ، وهو الثلاثى الذى أفرزه الانتصـار الاسرائيلى عـام ١٩٦٧ ، والذى رسم سياسته على اساس استمرار سـيادة التفوق العسـكرى — السياسى لاسرائيل فى المنطقة حتى نهاية القرن الحالى على الاقل . وذلك بما يحولها من « **دولة عميلة** » للامبرياليـة الامريكية الى « **دولة — شريـكة** » . أو على حـد التعبير الذى أضـيف أخـيرا الى مفردات اللغة السياسية « **امبريالية صغرى** » .

وكان هذا الثلاثي يستبعد امكانية قيام العرب بشن حرب جديدة قبل عام ١٩٨٠ على اي حال . كما ان اسرائيل لم تكن راغبة فى شن حرب جديدة من أجل مزيد من الارض والتوسع الى حدود اكبر ، قبل ان توطد اقدامها وتستوعب وتهضم الوجبة الضخمة التى حصلت عليها فى عام ١٩٦٧، ولكن الثلاثي كان يرى ، فى نفس الوقت ، ان ما يساعد على سرعة الهضم وتهيئة الظروف الملائمة « لوجبة » الثمانينات القادمة ، هو استعراض للقوة الاسرائيلية الباطشة من وقت لاخر ، بقصد الارهاب العام من ناحية ، وتعديل طوبغرافية ارض « الوجبة المستقبلة » فى جنوب لبنان أيضا من ناحية اخرى ، وتثبيت مراكز الثلاثي فى السلطة داخل اسرائيل وتجاه الامبريالية الكبرى معا ، من ناحية ثالثة .

فى هذا الضوء يمكن رصد هذه العوامل — الاهداف على النحو التالى :

● **أولا** : العمل على استمرار مناخ الارهاب العام فى المنطقة ، وخاصة بعد ان برزت الثورة الفلسطينية كقوة ثورية جديدة صاعدة فى الصراع ، اثر معركة الكرامة فى مارس سنة ١٩٦٨ ، واندلاع حرب الاستنزاف على الجبهة المصرية فى عام ١٩٦٩ . وذلك فى محاولة لاجهاض اى نمو محتمل لكل من الثورة الفلسطينية وحرب الاستنزاف ، بما يجسد ويعمق من نهوض للقدرة العربية على المواجهة من جديد ، بعد كبوتها الكبيرة فى حرب سنة ١٩٦٧ . ذلك انه على الرغم من أن الهزيمة التى نزلت بالعرب كانت باطشة وكاسحة ، الا انها لم تصبهم بالضربة القاضية .

● **ثانيا** : التخطيط كان يجرى منذ معركة الكرامة ، لمحاصرة الثورة الفلسطينية فى الاردن وتصفيتها نهائيا . ولكنه كان يأخذ فى اعتباره الامكانية الواقعية لانتقال الثورة وقواعدها ، اذا حدث وافلتت من المذابح ، الى الارض اللبنانية . ومن هنا كان العدوان الاسرائيلي على لبنان فى ذلك الوقت يستهدف التحذير من فتح الباب أمام هجرة الثورة الثانية ، بعد هجرتها الاولى من أرض الخليج الى الاردن .

ثم بعد أن نجحت الثورة فى الافلات من المذبحة وهجرتها الناجحة فعلا الى لبنان ، اتخذت الاعتداءات الاسرائيلية على لبنان هدفا آخر ، هو محاولة « اردنة لبنان » ودفعه الى تكرار مذابح الاردن .

● **ثالثا** : بعد حرب سنة ١٩٦٧ ، كانت اسرائيل قد مدت رقعة استعمارها الاستيطانى نحو كل من مصر ، وسوريا ، وفلسطين — الاردن . . اى بالنسبة لجميع الدول العربية من حولها ، فيما عدا لبنان . ولان لبنان لم يشارك فى حرب سنة ١٩٦٧ وظل متمسكا بالهدنة ، فان الاحتلال الاسرائيلي لم يمتد ، فى نفس الوقت ، الى التهام ما يعتبره ضروريا وحيويا له ، استراتيجيا واقتصاديا ، وهو جنوب لبنان . ! مؤجلا ذلك الى فرصة مواتية . واتجهت القيادة الثلاثية الاسرائيلية — من خلال العدوان المحسوب — الى جس النبض حول امكانية اقتناص الجنوب . لم تكن هناك قوة لبنانية عسكرية كافية يمكن أن تحول دون ذلك ، أو على الاقل تلزم اسرائيل بدفع ثمن فوق طاقتها أن تتحمله . ولكن اسرائيل ظلت تصطدم بنوع من العقبات الدبلوماسية التى لا تستطيع الاستهانة بها تماما ، وخاصة تعهد فرنسا الديجولية بحماية استقلال وسلامة الاراضى اللبنانية . وعندما تغيرت الظروف بعد

ديجول وبدا وهن العقبات الدبلوماسية ،كانت الثورة الفلسطينية قد تمركزت بلبنان وأصبحت — موضوعيا — على الرغم من تعلل العدوان الاسرائيلي بها ، قوة حامية ، موضوعيا ، للبنان . لان دفاعها عن لبنان ،كان دفاعا — فى نفس الوقت — عن وجودها وحياتها . ومن هنا كان واضحا تماما لدى كل من الثورة الفلسطينية واسرائيل ، ان مصير جنوب لبنان ، ثمنه فادح الى اقصى حد . وبقيت مشكلة اسرائيل فى هذا الصدد هى كيفية التهام الجنوب دون ثمن باهظ .

استمرت المعادلة اللبنانية — الفلسطينية — الاسرائيلية على هذا النحو ، حتى كانت حرب اكتوبر سنة ١٩٧٣ ومضاعفاتها البعيدة المدى ، والتى غيرت ، لاول مرة ، من ميزان القوى فى المنطقة لغير صالح الكيان الصهيونى ، وهبطت اسرائيل مرة اخرى ، من مرتبة « **الامبريالية الصغرى** » الى مرتبة « **الدولة — العميلة** » . وسقط الثلاثى القيادى فى المؤسسة العسكرية — السياسية الحاكمة فى اسرائيل . وذلك من خلال « انقلاب صامت » دبرته أمريكا ،دفعت خلاله برجلها المفضل « **رابين** » الى السلطة . وذلك فى ظروف لا تنحسر خلالها ، موجة انتصارات سنة ١٩٦٧ فحسب ، بل تعصف بالكيان الصهيونى كله تمزقات سياسية واجتماعية ، تصل الى درجة وضع الفكرة والمشروع الصهيونيين ،برمتهما ، موضع التساؤل المتزايد الاتساع والعمق ، مع ما يصاحب ذلك من فقدان الثقة والاتزان فى الحركة .

وفى نفس الوقت فان محراث اكتوبر ،حرث ضمن حرثه للواقع العربى كله ، المجتمع اللبنانى نفسه . فعلى الرغم من أن لبنان ظل متمسكا رسميا بموقف الهدنة ، فان ساحة القتال الاكتوبرى امتدت اليه ،ورياح البترول وعدم الاستقرار شملته ايضا ، كجزء لا يتجزأ من المنطقة . وبدا واضحا أكثر فاكثر لدى مختلف القطاعات الاجتماعية فيه ، ان مصير ومستقبل لبنان غير منفصل عن هذه الظاهرة العربية الجديدة ، الآخذة فى التبلور ، منذ حرب اكتوبر . وهى الظاهرة التى تؤكد ، عدم وجود مهرب لاحد فى هذه المنطقة من الصراع العربى — الاسرائيلى ، وان حل جميع القضايا ، حتى اصغرها شأنا ، داخل الحدود الاقليمية لكل بلد عربى ، لابد وان يمر عبر فلسطين .

ففى فلسطين ، الحركة والقضية ،تجسدت فى هذه المرحلة التاريخية كل قضايا التحرر والتنمية والبترول ورفع مستوى المعيشة والاستقرار وكرامة وحياة أصغر مواطن عربى فى أصغر قرية عربية نائية .

ولقد وعت اسرائيل ايضا هذه الظاهرة ،وجن جنونها . وفى مأزقها الخاص الراهن الذى تريد الافلات منه بأى ثمن وفى اسرع وقت ، اقدمت على محاولة تصدير مشاكلها ومتاعبها الاكتوبرية الى لبنان بالذات ،مستهدفة من ذلك أمرين أساسيين :

■ **الاول** : محاولة ايقاف المد الفلسطينى الثورى بانتصاراته العسكرية والسياسية ، محليا ودوليا .

■ **الثاني** : محـاولة القيـادة الجديدة الاسرائيلية التي خلفت القيـادة الثلاثية ، اعادة زرع الثقـة في المجتمع الاسرائيلي تجاه مؤسسته العسكرية السـياسية في وضعها الراهن ، وانها ما تزال تملك قدرات على الضرب والعدوان .

ومن هنـا ، ارتكبت اسرائيل ، احـد اخطائها القاتلة . ذلك أن عدوانها المكثف والمتوالي في الفـترة الاخـيرة على جنوب لبنان ، كان هو العامل الكيمائي الذي انضج عملية التفـاعل الجـارية داخـل المجتمع اللبنـاني لحسم تحوله من مجتمع مراقب ومهادن الى مجتمع مواجهة ومشاركة .

وقـد تبلور هذا في تصـاعد تصدي الجيش اللبناني لقوات العدوان الاسرائيلية بشكل ايجابي . وفي قيام تنسيق عسكري ــ سياسي جدي بين الثورة الفلسـطينية والكيان اللبناني . وفي الاتجـاه نحو تنفيذ نوع من التجنيد الاجبـاري لاول مرة منذ استقلال لبنان ، وفي زيادة فاعلية الجيش وتسليحه بالمعدات الحديثة .

باختصـار ، صرنا أمام جبهة **رابعـة** جـديدة في الصراع مع اسرائيل ، وذلك بجـانب الجبهة **الاولى** في مصر ، والجبهة **الثانية** في سوريا ، والجبهة الفلسـطينية **الثالثة** .

ماذا يعني هذا كله ؟

انـه يعني **اول** مـا يعني ، ان الصراع العربي ــ الاسرائيلي هو بحـكم طبيعته لا يمكن الا ان يكون صراعا عاما شـاملا للكل العربي .. لا يفيد معـه ابتعـاد أو تهـادن .

وهو يعني **ثانيا** ، ان الثورة الفلسطينية بقدرتها الدينـاميكية الواعية ، تلقح ، كل ما يبدو على السـطح سـاكنا وهادئا ، بالحركة الايجابية .

وهو يعني **ثالثا** ، ان الحرب الخامسـة في الصراع قد اندلعت بالفعل ، على نحو جنيني ، في الجبهة الرابعة اللبنانية ، عند « كفر شوبا » .

أمام هذا الوضع الجديد ، لا مهرب لاحد في الوطن العربي عن مواجهة مسئولياته ، خاصة وان لبنان لم يسـتكمل بعد قدراته العسكرية بالصورة الكافية .

وهنا يثار اكثر من سؤال ؟

هـل في قـدرة الشراكة اللبنـانية ــ الفلسطينية في الجبهة الرابعة ، أن تتحمل الخسائر في الصدام اليومي مع العدوان الاسرائيلي ، على أسـاس استنزاف قواه شيئا فشيئا ؟

وهل هذا الاستنزاف ، ممكن عمليا ، بدون مساعدة ودعم منظم من الدول العربية ، سلاحا وقوى بشرية واقتصادية ؟

وهل يمكن ان يتطور هذا الدعم العربي عند نقطة معينة ، الى فتح جزئى او كلى للجبهتين الاولى والثانية ؟

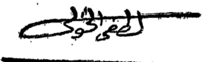
ان ثمن التردد او البطء فى الوصول الى اجابات واقعية على هذه التساؤلات ، لن يتحمله المواطن اللبنانى وحده مع المواطن الفلسطينى ، وانما سيتحمله جميعا ، بما فى ذلك مواطن البترول العربى .

ولهذا فان القضية اكثر خطورة واكثر الحاحا من المعالجة بالاسلوب التقليدى لاجتماعات تقليدية وبيانات مرصوفة بالعبارات الانشائية الحماسية المستخرجة بعناية من القواميس السياسية المحنطة .

مثلا : لماذا لا تتوجه ، فورا ، وبدعوة من الحكومة اللبنانية ، قوات جزائرية ومغربية باسلحتها الى الجبهة الرابعة فى جنوب لبنان ؟

ومثلا : لماذا لا تضع الدول البترولية ، تحت تصرف لبنان فورا ، المبالغ اللازمة للتسليح الجهيث والكافي ؟

ومثلا : لماذا تظل الحركة العربية ، فى الصدام على الجبهة الرابعة ، ذات طابع دفاعي فقط ؟ .. لماذا لا تتحول الى الهجوم النسبى ؟ .. الم نستخلص ، بعد ، دروس العبر من تجارب حرب سنة ١٩٦٧ ، وحرب سنة ١٩٧٣ ؟!



التنميــــة الاقتصادية آفاقها الجديدة بعد أكتوبر

هناك ٤ مقالات هامة فى دراســة هذا العدد ، كتب اثنتين منها د . فؤاد مرسى ، وكتب الثــالثه والرابعــة د . عبد الرازق حسن .

وتكون المقالات الاربع كلا واحدا موضوعه « قضيه التنميه المستقلة » ، وهى المعركة التى تخوضــها مصر على النطــاق المحلى وتخوضها الشعوب العربية على النطــاق العربى ضد قوى الاستعمار الجديد . وهذه المعارك تطرح مجددا قضية الاستثمارات العربية والاجنبية فى مصر .

ولــكن ما هو الجــديد فى موضــوع الاستثمارات الاجنبية ؟ .. وما هو الفرق بين أسلوبين أو سياســتين طبقتهما الدول الراسمالية بازاء البلدان المتخلفة ؟ .. أى بين الاسلوب الذى ســاد منذ نهاية القرن التاسع عشر ، وبين الاســلوب الذى بدا الاستعمار الجديد يطبقه ، خصــوصا منذ الســتينات ، ويروج له كبــار المنظــرين الاقتصاديين فى البلدان الامبريالية .

هنا بالضرورة ، تطرح أيضــا قضــية الاستثمارات العربية ، ما طبيعتها ، وما هى اتجــاهاتها الحقيقية ؟ .. وهــل يمكن أن تلعب دورا مؤثرا فى مصر ؟ .. ومــا هو دورها فى أوربا ؟

على جميع هذه الاسئلة يجيب د . فؤاد مرسى فى مقــاله الاول ، ثم يعــالج ، فى المقال الثانى ، القضية « على الطبيعة » فى مصر بالذات ، ويحلل الصــعوبات التى تواجه قضية التنمية الاقتصادية ، ويبحث فى مجالات الاستثمار ثم يقيم التســهيلات الممنوحة لرأس المال الاجنبى . فاذا كانت هناك محــاذير ، فما هى الحلول المقترحة لتستفيد مصر من الاستثمــارات العربية والاجنبية التى يمكن ان تجذبها .

بعد هذا ، يطرح د . عبد الرازق حسن القضــية على صعيدها العربى والقومى ، فيسأل : أين تكمن ــ بالدقة ــ المشــكلة الاقتصادية فى الوطن العربى ؟

مصريا
وعربيا

ولماذا تتراخى عملية التكامل ؟ .. وهنايناقش د . عبد الرازق حسن الحجج التى تقدم لتبرير صعوبة أو استحالة عملية التكامل ، ولكنه يحللها ويفندها ، فلا التشابه فى الانماط الاقتصادية بين البلادالعربية ، ولا ضعف الموارد والامكانيات يمكن أن تعتبر حججا أصيلة أو صحيحة .

ثم ينتقل بعد ذلك ليعالج قضية تراكم الارصدة النقدية واستغلالها بين الدول العربية وبين دول الغرب المتقدمة اقتصاديا .. وفى هذا يقدم أرقاما ووقائع ، ثم يحلل الصعوبات التى يثيرها الاحتفاظ بهذه الارصدة فى البنوك العربية ، أو أنفاقها فى شراء عقارات أو شركات .

وفى مقاله الثانى ، يقدم د. عبدالرازق حسن الخطوط العامة لاستخدام الإستثمارات فى الوطن العربى . وهنايتحدث الكاتب عن ثلاثة وجوه للاستثمار :

١ ـ الاستثمارات التى توظف فى البلدان صاحبة الاموال على اعتبار ان البلدان المنتجه للبترول لها الحق الاول فى استخدام فوائدها البترولية . فما هى الخطوات التى تؤدى الى الاستثمار الامثل ؟ .

٢ ـ الاستثمارات التى توظف فى نطاق العالم العربى ككل . وهنا يؤكد الكاتب على ضرورة ان توجه الاموال الى الاستثمار على نطاق العالم العربى ـ وبالذات ـ فى المشاريع التى تمس هذا العالم فى مجموعه .. ويرى الكاتب ان هذا أمر يدخل فى حيز الامكان الى حد بعيد ، كما انه يتطلب خطة طويلة الامد .

٣ ـ الاستثمارات التى تستخدم فى بلدان عربية محددة .. وهنا يفرق الكاتب بين بلدان عربية تتبع نظام الاقتصاد الحر وبين بلدان تسير على طريق التنمية اللارأسمالية .. كيف توجه الاستثمارات فى البلدان الاخيرة الى خدمة قضية التنمية ؟ .. وما هى الضمانات التى يتطلبها الاقتصاد المخطط ، هذا ما يعالجه د. عبد الرازق حسن فى المقال الرابع والاخير .

التنمية الاقتصادية والاستثمارات الأجنبية

د. فؤاد مرسى

① الأوضاع الجديدة في سوق المال العالمية

لا نزاع في بلادنا حول ضرورة التنمية الاقتصادية . فهناك اجماع تقريبا على ضرورة القيام بمحاولة شاملة للتغلب على التخلف الاقتصادى والاجتماعى الموروث من عهد الرجعية القديمة والتبعية للراسمالية الاجنبية . من أجل هذا لا يرى الوطنيون فى التنمية الاقتصادية مجرد زيادة فى الثروة القومية أو ارتفاع فى الدخل القومى ، بل معارك متصلة لتوطيد الاستقلال الوطنى ، وذلك ببناء وتوطيد دعائم اقتصاد قومى متعدد النشاط ، حديث الهيكل ، سريع النمو ، متحرر بالضرورة من السيطرة الاستعمارية والتخلف الاقطاعى والاستغلال الراسمالى الكبير ، وموضوع بالضرورة بالتالى فى خدمة الطبقات الوطنية جميعا وفى مقدمتها العمال والفلاحون .

ولا نزاع فى بلادنا ايضا حول ضرورة الموارد الاجنبية للتنمية الاقتصادية . فهناك اجماع تقريبا على أن الموارد المحلية تقصر عن المهام التي تفرضها مطامح التنمية الاقتصادية الملحة . هناك فى الواقع حاجة الى التمويل الخارجي ، وهناك حاجة الى الحصول على منجزات العلم والتكنولوجيا التى تمتلكها البلدان المتقدمة .

من هنا تثور بطريقة مشروعة قضية الاستثمارات الاجنبية التى شغلت بلادنا زمنا طويلا ، ومازالت تعتبر فى مقدمة القضايا التي تشغلنا . ولقد اختلف الرأى فيها ، وهذا طبيعي . فكل منا ينظر اليها بمقياس المصالح التي يدافع عنها . كما صدر قانون الاستثمار الاجنبى ، فى

محاولة لجذب رأس المال والخبرة التكنولوجية من الخارج . ودخلنا من ثم ، فى تجربة تكتسب اهمية كبيرة للغاية ».

ومن أجل ان نضع كل هذا التطور فى اطاره الصحيح ، فان المناقشة الموضوعية مطلوبة الى أقصى حد • هناك من يرى ان رأس المال الاجنبى لن يأتى مهما نفعل ، لانه لا يمكن أن يقدم على تنمية اقتصادية حقيقية لبلادنا ، وهى كما رأينا معركة وطنية معادية بحكم تعريفها لرأس المال الاجنبى • وهناك من يعول التعويل كله على رأس المال الاجنبى الذى ينتظر الاشارة ، ويتوقع من ثم ان تكون لديه عصا سحرية تحول مصر من حال الى حال

والمناقشة الموضوعية وحدها ، المناقشة العلمية الصارمة وحدها ، كفيلة بوضع أيدينا على الحقيقة التى يمكن أن تنير الطريق لنا جميعا • ولذلك سوف يكون من المفيد أن نطلع فى البداية على الاوضاع الحالية فى السوق المالية العالمية • لنكشف عن الاتجاهات التى تحكم الاستثمارات الاجنبية فى البلدان النامية • وبعدها يمكن أن نتعرض بالتحليل الدقيق ـ ولو بسرعة ـ لقانون الاستثمار الاجنبى ، بهدف الكشف عن أفكاره الاساسية فى التطبيق •

الصورة التقليدية للاستثمارات الاجنبية

الصورة المألوفة والمعروفة للاستثمارات الاجنبية هى صورة تصدير رأس المال من بلد رأسمالى متقدم الى بلد متخلف ، حيث يستثمر فى مشروعات استخراج او انتاج خامات معدنية أو زراعية ، توضع فى خدمتها بعض المرافق الاخرى الضرورية لاستخراجها او انتاجها كالبنوك والطرق والمواصلات ، على أن يتم تصدير الخامات الى البلد الرأسمالى المتقدم حيث يعاد تشكيلها بالصناعة الى منتجات تبلغ قيمتها أضعاف قيمة الخامات • وعندئذ يترك للبلد المتخلف ان يشترى من الخارج بدخله الضئيل من بيع خاماته قليلا من المنتجات الصناعية •

وعندما سادت هذه الصورة منذ نهاية القرن الماضى أحدثت تطويرا كيفيا فى الرأسمالية المتقدمة ، اذ أصبحت امبريالية وذلك بفضل السيطرة الاستعمارية التى مارستها على البلدان المتخلفة التى غدت بالتالى مستعمرات او اشباه مستعمرات • من هنا كان تصدير رأس المال هو البذرة التى نمت منها السيطرة الاستعمارية على البلد المتخلف • حيث يبنى رأس المال لنفسه قطاعا داخليا أجنبيا ، منعزلا عن الاقتصاد القومى المتخلف ، ومستندا فى سيطرته الاستعمارية الى سطوته العسكرية والسياسية ، والى قوة ونفوذ الرجعية التقليدية التى تصون وتحمى أوضاع التخلف السائدة •

ومنذ نهاية الحرب العالمية الاولى ، فان هذه السلسلة الاستعمارية التى أحاطت بالعالم كله ، قد تلقت الضربات والهزائم فى كثير من حلقاتها ، حتى لقد دخلت الامبريالية فيما بعد الحرب العالمية الثانية مرحلة التصفية الشاملة لسيطرتها الاستعمارية فى المستعمرات • ومع اضطرار الامبريالية الى التراجع ، بدأت تظهر اساليب الاستعمار الجديد ، وهى الاساليب التى تحرص على استمرار الاستغلال الاستعمارى والتبعية الاقتصادية للمستعمرات القديمة التى حصلت بنضالها الوطنى على الاستقلال السياسى • وغدت المعركة ضد الامبريالية تجرى فى ساحات الاستقلال الاقتصادى الذى صار يعنى بناء اقتصاد وطنى متحرر حديث من خلال القيام بالتنمية الاقتصادية • وأصبح من حقائق العصر المعروفة أن السيطرة الاستعمارية تتناقض بالتالى مع التنمية الاقتصادية تناقضا جوهريا ، وبالذات مع محاولات التصنيع ».

هنا تقدمت نظريات الاقتصاديين الغربيين ، وبخاصة روستو وجالبريث ، من أجل كبت عملية التنمية الاقتصادية ـ تارة بالحديث ، عن حتمية التطور على مراحل بعينها لا يمكن للبلد المتخلف أن يتخطاها وتارة بالحديث عن خرافة التقدم من خلال التصنيع ، فلقد تكون الاوضاع المتخلفة هى التقدم بعينه !

غير أن صمود البلدان المستقلة فى معارك التنمية الاقتصادية ، والمساعدات الجدية التى تلقتها بهدف التصنيع من البلدان الاشتراكية وبخاصة الاتحاد السوفيتى ، قد أوجدا وضعا واقعيا معينا بحيث لم يعد فى الوسع اعتراض الدول الاستعمارية صراحة والى ما لا نهاية على تصنيع البلدان النامية ، او الامتناع الكامل عن

المشاركة فى عملية التصنيع الجارية فعلا . فلم يكن من الممكن تحقيق التنمية بتطوير الزراعة أو بتطوير صناعات الاستخراج فقط ، ومع ذلك فليست التنمية الاقتصادية هى مجرد القيام بأى تصنيع . وانما ينبغى أن يهتم فى عملية التصنيع بتطوير الصناعة التحويلية والقيام بتنمية شاملة متعددة الجوانب من أجل انتاج وسائل الانتاج بما فيها الالات وكذلك من أجل انتاج الطاقة .

الاستثمارات الاجنبية فيما بعد حرب السويس

وفيما بعد حرب السويس التى كشفت عن سمات العصر الجديد ، عصر التحرر الوطنى والانتقال الى الاشتراكية ، كان على الامبريالية أن تغير من أساليبها ، فغدت أشد ذكاء وأكثر تعقيدا والتواء . وبعد الاقتصار على تطوير ميادين الاستخراج والتعدين ، عمدت الامبريالية الى أسلوب المعونة الاقتصادية ، المالية والفنية ، لمساعدة البلدان النامية .

أ ــ ظهرت مثلا قروض فائض الحاصلات الزراعية الامريكية . فقد تجمع لدى الولايات المتحدة فائض من الحاصلات الزراعية كان عليها ــ بمعايير الرأسمالية السائدة ــ أن تتخلص منه بتدميره أو برميه فى البحار ، حتى لا ينزل بأسعار الحاصلات الامريكية . فلجأت من ثم الى بيع هذا الفائض للبلدان النامية مقابل الدفع بالعملة المحلية . ولقد استخدمت امريكا واردات الحاصلات الزراعية فيما بعد لاغراضها السياسية ، محاولة بذلك شل ارادة البلدان المستقلة ومنعها من مواصلة تحررها الوطنى .

ب ــ اتجهت رءوس الاموال الاجنبية ــ التى تراخى تدفقها على البلدان النامية ــ كيما تستثمر مثلا فى فروع صناعية لا تحتاج الى معدات معقدة أو لاستثمارات باهظة التكاليف ، أو لا تحتاج الى كثير من العمال المؤهلين فنيا ــ وذلك مثل الصناعات الغذائية وصناعات النسيج والملابس والتريكو والخيوط الصناعية وصناعات مواد البناء . وبدا عندئذ ان الهدف الاول من وراء مثل هذه الصناعات هو السعى لاثراء الاحتكارات الاجنبية لا تمويل التنمية الاقتصادية من خلال الاستثمارات الاجنبية . وطبقا لاحصاء أمريكى عن الفترة بين عامى ١٩٤٦ و ١٩٥٩ ربحت الولايات المتحدة ٢٫٥ دولار عن كل دولار مستثمر فى البلدان النامية . كما أن الارباح التى حققتها الاستثمارات الاجنبية كانت تصدر الى الخارج ، وبالتالى فلم تكن تلعب دورا فى عملية اعادة الانتاج فى البلدان النامية .

ولقد دلت التجارب على أنه كثيرا ما تأتى الاستثمارات الاجنبية فتكون تكلفتها مضاعفة . ففى العراق مثلا تكلف انشاء مصنع الاسمنت فى السليمانية ثلاثة اضعاف تكلفته الاصلية ، لان الشركة المتعهدة وهى شركة المانية غربية ، عمدت الى بناء كل مبانيه والاسوار والطرق بالطوب الاحمر والاسمنت والمواد الاخرى التى نقلت خصيصا له من المانيا الغربية . كما اقيمت محطات الديزل الكهربائية فى مصنعى السليمانية وحمام على بقوة مبالغ فيها هى ٥ آلاف كيلووات مع أن الحد الاقصى من الحاجة اليها هو ٣ الاف كيلووات فقط . بل كان من الممكن الحصول على الطاقة الكهربائية من شركات الطاقة القائمة محليا . بيد أن المغالاة فى تكاليف المشروع كثيرا ما تخفى فى العادة خطرا أكبر هو خطر العمولات المتبادلة . ومن ثم تصبح المغالاة فى التكاليف اسلوبا فى التعامل لانها تشكل مصلحة مشتركة فيما بين الخارج والداخل .

ولقد أقبل راس المال الاجنبى علينا فى يوم من الايام من المانيا الغربية ، لكنه لم يلبث أن أحجم بعد أن خلف لنا تجربة سيئة كتجربة الحديد والصلب التى قامت بها شركة ديماج التى تولت توريد معدات قديمة لصناعة ثقيلة متطورة ، ولولا التضحيات التى تحمل بها الاقتصاد القومى سنة بعد سنة ، ولولا الجهود المضنية التى بذلها العاملون فيه ، لكان قد أفلس قبل أن يتم تصحيح قاعدته جذريا بمجمع الحديد والصلب . ولقد أنجزت ايضا مشروعات ناجحة ، لكن الذكريات السيئة فى هذا الصدد كانت بحيث غطت على كثير من الذكريات الطيبة .

الصورة الحالية للاستثمارات الاجنبية

بدأت فى الستينات بلاد نامية كثيرة ، كانت قد تحررت من قبضة الاستعمار واختارت طريق

التنمية المستقل ، تذهب بعيدا الى حـد اختيـار الاشتراكية هدفا اخيرا لها . عندئذ ، ومنـذ منتصف الستينات ، فـى عصر الاشـتراكية والثورات الوطنية ، وتحت ضغط النضال الشاق لاختيار طريق التطور ، بدأت الامبريالية العالمية تغير أساليبها مرة أخرى • وتحولت من المحافظة على التخلف الاقتصادى للمستعمرات السابقة الى تدعيم وضع داخلى للرأسمالية المحلية كضمان اجتماعي للاحتفاظ بالمستعمرات السابقة فى اطار الاقتصاد الرأسمالى العالمى • وبالفعل فانه فى سبيل تعزيز وضع هذه الرأسمالية المحلية ، تقدم الرأسمالية العالمية على عمليات لم تكن تجرى فى الماضى ، لانها تنطوى على قدر معين من التعاون لاقامة الصناعات والسماح بانتقال الخبـرة التكنولوجية الى البلدان النامية •

ولا يمكن القول ببساطة بأن الاسـتثمارات الاجنبية عندئذ لا تستطيع موضوعيا أن تقدم مساهمة معينة فى تنمية البلدان النـاميـة • فالعمليات التى تشارك فيها تساعد بلا شك على نمو العمالة وتطوير الموارد الطبيعية ونقـل التكنولوجيا المتقدمة ورأس المال أيضا ، مما قد يساعد على زيادة الصادرات وتحسين الموارد المالية للدولة • وفى حالات معينة فانها تساعد أيضا على انهاء العزلة الاقتصادية وتحطيـم العناصر القديمة الراكدة فى العلاقات الاجتماعية لاساليب تشغيل وادارة الاقتصاد القومى • ولقد تساعد أخيرا على ظهور واكتمال الطبيعة المتعددة للهيكل الاقتصادى وبالتالى على بلورة وتطور الاوضاع الطبقية •

لكنها دائما وابدا تنظر الى نفسها بوصفها رأس مال اقرض مقدما من اجل الاستغلال اللاحـق للموارد الطبيعية الغنية وللعمل الوفير الرخيص فى البلدان النامية • ومن ثم تتجه بالضرورة للتدخل فى الشئون الداخلية وفى خطط التنمية القومية ، ولمساندة الاوضاع الرجعية القـديمة والجديدة ، ولقهر الطبقة العاملة والحـركات الديمقراطية ، وفى النهاية لفرض النمـاذج الرأسمالية للتطور • وكل هذا ماثل ، على سبيل المثال ، فى تجربة انقلاب شيلى التى شارك فيها احتكار اناكوندا للنحاس والشركة الدوليـة للتليفونات والتلغرافات ، وهما ليسا من أكبـر الاحتكارات الامريكية •

ان الاستثمارات الاجنبية التـى تقـدمها الرأسمالية العالمية فى السبعينات تشارك بلا شك فى تنويع الصناعة المحلية ، غير أن ذلك يتم بشكل ناقص وبثمن باهظ •

ان التصنيع يتم عندئذ بشكل نـاقص • فالرأسمالية العالمية انما تريد فى الواقع أن تتخلى عن بعض الصناعات الثانوية غير الديناميكية ، اما لانها بسيطة تكنولوجيا ، واما لانها تحتاج الى ايد عاملة وفيرة ، واما لانها صناعات تلوث البيئة ٤ فلقد ثبت مثلا أن تكلفة القضاء على التلوث أعلى من تكلفة استيراد منتجات تلك الصناعات الملوثة للبيئة . من هنا تقبل الرأسمالية العالمية ان تنقل الى البلدان النامية صناعات مثل صـناعة السيارات ، صناعة قطع الغيار ، صناعة أجزاء الالات ، وصـــناعات التجميع وبعض الصناعات البتروكيماوية ، بالاضافة الى صناعات المنسوجات والملابس والصناعات الجلدية والغذائية .

وفى هذه الحدود يوجد مجال لتوافق المصالح بين الرأسمالية العالمية والبلدان النـاميـة • ان الرأسمالية العالمية تصدر بعض مشاكل صناعتها الى البلدان النامية ، بينما تقوم بتصوير هذا على أنه معونة مالية وفنية من أجل تصنيع البلدان النامية • وهو ما تفعله حاليا مع البلدان العربية بالذات ، حين تعرض عليها صناعات فى قطاعين هما قطاع الصناعات التى تهدد بتلويث البيئة مثل الصناعات البتروكيماوية وفى مراحلها الدنيا ، وقطاع الصناعات الكثيفة العمالة مثل تجميـع السيارات وقطع الغيـار وأجـزاء الاجهـزة الالكترونية ــ وذلك مقابل تأمين احتياجات البلدان الرأسمالية من البترول العربى •

ب ــ فى الوقت نفسه ، فأن هذا التصنيع الناقص يتم بثمن باهظ ، وهذا الثمن هو تشجيع معـــالم التطور الرأسمالى داخل البلد النامى • ان تشجيع التطور الرأسمالى يحدث عندئذ فى الاقتصـــاد النامي عمليات تركز وتمركز للثروات ، مصحوبة بعمليات تمايز اجتماعى واسعة النطاق فيما بين الطبقات • ولهذا يتقبل الاستعمار الجديد على تصنيع بعض البلدان النامية عن طريق المشاركة . حتى مع القطاع العام الذى يلعب دور رأسمالية الدولة ، فى خدمة عملية أكبر هى التطوير أو التحويل الرأسمالى للمجتمع •

ان نتائج الاستثمارات الاجنبية لا تقاس بالتالى بحساب الارباح والخسائر فقط ، لاى من الطرفين

فيها • وانما تحسب بتأثيرها على التنظيم الاجتماعي كله ، وتأثيرها المحتمل على الاصلاحات الداخلية ، وتأثيرها على العناصر التقدمية فى الاقتصاد القومى ، وهي العناصر التي يمكن ان تلغى فى هدوء بواسطة قوى الملكية الخاصة الرأسمالية •

الاستثمارات الاجنبية لاهداف سياسية

والان ، بعد حرب أكتوبر وانفجار أزمة الطاقة ، يطرح السؤال من جديد : **هل يقبل رأس المال الاجنبي على الاستثمار فى مشروعات التعمير والتنمية الاقتصادية ؟** ولسنا وحدنا الذين نطرح السؤال ، بل الدوائر الاستعمارية تطرحه قبلنا • وفى عدد ٤ مارس ١٩٧٤ حاولت مجلة « نيوزويك » الامريكية ان تضع اجابة على السؤال ، عندما أرادت أن تحدد لقرائها أهداف واشنطن من وراء اهتمامها بتعمير ضفتى القناة • كتبت تقول أن هناك هدفين هما (طرد النفوذ السوفيتى الذى بدأ بالسد العالى ، وذلك بقيام رأس المال الامريكى بدور هام فى اعادة تعمير ضفتى القناة . كما ان قيام منطقة مزدهرة على جانبى القناة سيلعب دورا حاسما فى استقرار الوضع فى الشرق الاوسط) • ومضت تشرح هذا الهدف الثانى بقولها (ان تعمير وازدهار هذه المدن على ضفتى قناة السويس من شأنه اعطاء اسرائيل من الامن والطمأنينة أكثر من وجود جيشها على القناة • ان هذه المدن قد تحول الهدنة المسلحة الى سلام دائم) •

هكذا صارت الاعتبارات السياسية تلعب دورا خطيرا فى تصدير رأس المال الاجنبى الذى لم يعد مرتبطا دائما ومباشرة بالسعى لاستخلاص الحد الاقصى من الارباح • والواقع أن الاهداف الاقتصادية والسياسية والعسكرية والايديولوجية التى ترمى الدوائر الاستعمارية لتحقيقها فى البلدان النامية قد غدت متشابكة فيما بينها الى حد بعيد • وهنا تستخدم المساعدات والاستثمارات الاجنبية أداة للضغط السياسى على الحكومات والشعوب • والى جانب السعى المتصل لعزل مصر عن الاتحاد السوفيتى ، وفصلها عن حركة التحرر الوطنى العربية ، وتأمين التوسع الاسرائيلى ، فان الهدف الرئيسى للدوائر الاستعمارية فى حالتنا هو الحيلولة دون تطوير مصر تطويرا مستقلا يمكن أن يتجه بها نحو الطريق الاشتراكى ، ومن هنا السعى المحموم للابقاء على مصر فى اطار النظام الرأسمالى •

وعندئذ يتركز الهجوم على القطاع العام • واذا كانت بعض الدوائر الاستعمارية ترى ضرورة تصفية القطاع العام جسدية ، فان الدوائر الاشد ذكاء لا تتوقف طويلا عند هذه التصفية المادية التى تبدو مستحيلة أو شبه مستحيلة • بل ترغب فيما هو أبعد وأخطر شأنا وهو تصفية الدور القيادى للقطاع العام •

فى فبراير ١٩٦٣ وضع **دافيد روكفلر** تقريرا للرئيس الامريكى عن (برنامج الولايات المتحدة لامريكا اللاتينية) • ولقد طالب فيه بتقديم المساعدات لامريكا اللاتينية ، بشرط أن توفر بلادها الظروف المواتية للاستثمارات الامريكية ، والتى حددها بأنها (توفير الظروف المواتية لنشاط رأس المال الخاص) • ومن ثم أدان بشدة أى محاولة للتأميم ، لتأميم رأس المال الخاص المحلى وليس فقط لتأميم رأس المال الاجنبى •

كان هذا فيما مضى ، أما اليوم فان التركيز كله يتجه نحو القبول بوجود القطاع العام ، بشرط الغاء دوره القيادى ، ويصبح هذا الهدف جزءا لا يتجزأ من عملية تشجيع معالم التطور الرأسمالى فى البلد النامى •

الطبيعة الخاصة للاستثمارات العربية

من بين الاستثمارات الاجنبية تحتل الاستثمارات العربية مكانة خاصة ، وليس فقط لكونها أموالا عربية يمكن أن تساعد بلادنا عربية ، وليس فقط لان ارقامها المذهلة قد تحققت بفضل حرب أكتوبر التى كشفت عن عمق أزمة الطاقة فى العالم ، وانما كذلك لان المستثمر العربى مستثمر من نوع خاص ، لا تحركه فى الغالب أهداف المستثمر فى أوربا الغربية والولايات المتحدة عندما يتجه الى البلدان النامية •

فالمستثمر العربى مستثمر من نوع معين ، يريد أن يضمن دخلا دائما له من وراء ثروته الوحيدة وهى البترول ، هذه الثروة الناضبة بعد حين • فالدخل سواء كان هو الربح أو الفائدة هو الذى يجذب المستثمر العربى بغض النظر عن مصدر هذا الدخل ، تنمية أو غير تنمية ، صناعة أو تجارة • ومن ثم فهو أقرب الى المضارب منه الى المستثمر الحقيقى أو رجل الاعمال •

ان كثرة عدد البنوك فى بلد كالكويت لا يضارعها الا كثرة عدد شركات الاستثمار • وما

شركات الاستثمار فى الحقيقة سوى بنوك أعمال ، تجمع الاموال كى توظفها فى كل ما يدر دخلا مجزيا - حتى ولو جمعتها واودعتها بدورها فى بنوك أوربا التى تدفع الان أسعار فائدة خيالية ٠

لذلك فان متوسط أرباح الشركات الكويتية فى عام ١٩٧٢ مثلا كان ١٤ فى المائة ٠ وكانت أعلى الشركات ربحا هى شركات التأمين ثم البنوك ثم شركات الاستثمار ، تليها شركات الخـــدمات ، وأخيرا تأتى الشركات الصناعية ٠ **لماذا ؟** لان كل هذه الشركات والبنوك انما تجمع الاموال كى تعيد توظيفها فى الخارج ٠ حالة واحدة يمكن أن تجذب المستثمر العربى جاذبية خاصة ، وتلك هـــى **الاستثمار فى مجال العقارات** ٠ فهذا استثمار واضح ملموس محسوس ، وهو استثمار دائم ، وقيمته دائما فى ارتفاع مضطرد ٠ لهذا يمثل فى هذه المرحلة جزءا كبيرا من اهتمامات شركات الاستثمار ٠ يشترون جزيرة فى أمريكا ، وأحياء كاملة فى بيروت ، وجزءا من شارع الشانزليزيه فى باريس ٠

فكيف تنعكس هذه الصورة على مصر ؟ فى صحف الكويت اعلانات كبيرة عن (فرص استثمار فى مشاريع تجارية وصناعية فى مصر فى مجالات الاراضى والبناء ، شقق مفروشة أو خـــالية ، عقارات ، مصانع ، مقاولات ، تشغيل ســــيارة أجرة) ٠ وكل هذا فى اعلان واحد ٠ وهو أمر طبيعى ٠ فطالما بقيت المبادرة للاستثمار الفردى ، فذلك أقصى ما تبلغه من مدى : **تنمية دخل الفرد لا تنمية الاقتصاد القومى لبلد عربى شقيق** ٠

من أجل هذا ، وفى ظل الاوضاع الراهنة ، فانه لا يمكن لمصر أن تصبح سوقا مالية هامة لاجتذاب رأس المال العربى ٠ لا يمكن أن تتحول القاهرة الى بيروت أخرى ٠ فلقد قامت مكانة بيروت المالية عند العرب على أساس تلقى أموال العرب لاعادة توظيفها فى أسواق أوربا الغربية وأمريكا ٠ كانت بيروت سوقا وسيطا ، محطة مالية . وليس هذا ما تريده مصر التى تتطلع الى تنمية اقتصادها القومى الذى انهكته الحروب .

ولقد باعت بيروت عدة أحياء فيها لرأس المال العربى ٠ فأية تنمية اقتصادية تحققت للاقتصاد اللبنانى ؟ كل ما حدث هو ارتفاع فى أسعار الاراضى ، ارتفاع كبير فى أسعار مواد البناء ، ارتفاع فى تكاليف المساكن الفاخرة ، وارتفاع فى ايجاراتها ؛ وهو ما انعكس حتى الان علـــى ايجارات جميع المساكن فى لبنان ، فاخرة وغير فاخرة على الاطلاق ٠ وفى غمار المضاربة الكبيرة على العقارات ، والارتفاع السريع والقياسى فى أسعارها ، أثرت قلة من اللبنانيين وناءت الاغلبية تحت وطأة الغلاء والتضخم ٠

والان ، عرف المستثمرون العرب طريق أوربا وأمريكا بلا وسيط ، وأصبحت بيروت تعانى ٠ ان لبنان يفقد مكانته كوسيط مالى ، لكنه يزدهر كوسيط تجارى ٠ فلبنان ينمى صادراته مــن الزراعة سنويا ، وعندما ينجح لبنان فى توسيع الصادرات الصناعية ، لتبلغ قيمة الصادرات ٤٥٦ مليون ليرة فى عام ١٩٧٣ ، وهو ما يقترب من ربع قيمة صادرات مصر ، فان علينا ان نعلم ان اكثر السلع المصدرة مؤلفة بصورة اساسية من مواد مستوردة انخفض ثمنها نسبيا بارتفاع ســعر الليرة ٠ واستطاع لبنان بذلك أن يحقق من ورائها مكانته الهامة كوسيط تجارى ٠ أما لبنان كوسيط مالى ، فهو يفقد سوقه ليس فقط لحساب أسواق المال فى أوربا ، وانما لحساب ســوق الكويت أيضا ٠

بل بلغ الامر ببعض المستثمرين العرب ، وقد ملوا العملات الاجنبية ، أن تحولوا الى العملات المحلية وبخاصة الدينار الكويتى ، وكانت النتيجة هى زيادة فى العرض [illegible] وارتفاعا فى أسعار الاراضى وتضخما محليا ٠

من ناحية أخرى ، فان لدينا حتى الان فكرة خاطئة عن الراسمالى العربى . اننا نتصور دائما فى صورة الراسمالى الفردى الذى يريد ان يوظف أمواله أفضل توظيف ٠ وننسى بذلك أن بالبلاد العربية صاحبة الفوائض المالية **قطاعا عاما** له وزنه المتزايد . ننسى الدعـــوة المتعاظمـــة لتأميم البترول العربى ٠ ففى الكويت مثلا قطاع عام هام فى البترول وفى البتروكيماويات وفى السماد وفى الاسمنت وفى البنوك ، وفى الكويت صــندوق التنمية الكويتى ، وفيه أيضا أكبر شركتيــن للاستثمار تملك الحكومة فى احداهما ٥٠ فى المائة من رأسمالها ومن الثانية ٨٠ فى المائة ٠ وبصفة عامة ، فان الدولة فى الكويت تملك٣٢ فى المائة من مجموع أسهم الشركات العاملة ٠

ونحن ننسى أيضا ما هو أهم وأبعد أثرا ، وهو انه مع الزيادة الهائلة فى الاموال العائدة من البترول ، ومع غيبة خطط او برامج كافية للتنمية الاقتصادية معدة مقدما ، ومع عجز كل بلد من بلاد البترول على حدة عن استيعاب فوائض العائدات ، فان أغلب هذه الفوائض المتراكمة سنة بعد أخرى

سيكون مملوكا للدولة لا للافراد · ومن ثم فان المستثمر العربى المحتمل الذى سيكون علينا أن نتعامل معه فى المستقبل القريب هو الدولة العربية وليس الفرد العربى · ان ذلك يجب أن يدفع بجدية نحو تخطيط التنمية الاقتصادية أولا فى كل بلد عربى على حدة ، ثم القيام بالتنسيق فيما بين هذه الخطط الموضوعة بأمل القيام بعملية تنمية اقتصادية تكون مخططة لكنها مشتركة فيما بين البلاد العربية ·

والى أن يتم ذلك ، فلسوف تظل الاستثمارات العربية محكومة بالميل الى المضاربة · وعندئذ فان وجهتها ستكون الى السوق المالية العالمية وليس الى اى بلد عربى ·

الاموال العربية فى خدمة الرأسمالية العالمية

لهذا ، وفى غيبة خطط محلية للتنمية الاقتصادية ، وفى غيبة خطة على المستوى القومى لتنمية عربية مشتركة ، تبحث الاموال العربية فى أيدى أصحابها عن الربح فى السوق المالية العالمية · يساعد على هذا الاتجاه عدم وجود أى رقابة على الصرف ، وضيق فرص الاستثمار المتاحة محليا ·

فالكويت بحكم ارتباطاته البريطانية التقليدية ، ومع ضمان سعر صرف الاسترلينى ، ينظر باهتمام الى سوق لندن · أما العربية السعودية فتتجه الى البنوك الامريكية · بيد أن الجزء من عائداتها الذى تتلقاه بالاسترلينى فتحتفظ به فى لندن · وفى الوقت الحالى ، تعكف البلدان العربية المنتجة للبترول على تجميع خبرتها فى الاستثمار وتختار العملات الاجنبية التى تستثمر فيها وأى المراكز المالية تستخدم · وغالبا ما تلجأ الى السوق المختارة بغير وساطة البنوك السويسرية كما كان الامر فى الماضى ، حين كانت البنوك السويسرية تلعب دور أمناء الاستثمار وتستثمر بدورها المبالغ المودعة لديها فى كافة أنحاء العالم ·

فالمستثمرون العرب يفضلون التركيز على الودائع قصيرة الاجل ، مما لا يرضى رجال البنوك لسرعة حركتها · كما يركزون على العملات الاوربية والسندات الاوربية ، ولا يفضلون الاستثمار فى الاوراق المالية على نطاق واسع ، خوفا من هزات الاسواق المالية الكبرى · ولقد ذهبت بعض الاموال العربية لشراء الاراضى وتنمية الملكيات العقارية · واهتم بعض العرب بالسندات الفرنسية المقومة بالذهب · وعندما يشترون الذهب فانهم يتعاملون غالبا مع البنوك السويسرية .

فى الوقت ذاته ، تتدفق الاموال العربية فى كل لحظة على السوق المالية العالمية من خلال البنوك المفتوحة فى البلدان العربية · فالبنوك الاجنبية تمتلك فروعا فى معظم البلدان العربية المنتجة للبترول ، وفى لبنان · وهى تقوم بتجميع الودائع وتوجيهها نحو الدول الاوربية والامريكية ، تمهيدا لاعادة بعضها الى المنطقة العربية فى صورة قروض وتسهيلات ائتمانية بالغة التكلفة ·

ان السوق المالية العالمية تتغذى يوميا بسيل لا ينقطع من أموال البلدان العربيةالمنتجةللبترول · وفيمايلى أمثلةلاهمما يجرى فى هذا الصدد ·

أولا — ساهمت الدول العربية المنتجة للبترول فى توفير السيولة الدولية ودعم موازين المدفوعات للدول الرأسمالية الكبرى وفى مقدمتها أمريكا · ولقد قدمت للبنك الدولى للانشاء والتعمير دفعات متوالية من الاموال لمواصلة مهمته فى اقراض البلدان النامية ، ومنها مصر ! كما أبدت استعدادها لتزويد صندوق النقد الدولى بمبلغ ٢٤٠٠ مليون دولار · ووافقت السعودية على تقديم ١٠٠٠ مليوندولار سنويا لامريكافى صورةسندات على الخزانة الامريكية ، وقدمت قروضا ومساعدات بالغة الاهمية لفرنسا وانجلترا واليابان · وقد اعلن مسئول فى أحد البنوك الامريكية الرئيسية أن المستثمرين والممولين العرب قد منحوا خلال شهور قليلة ماضية قروضا مباشرة لبعض المقترضين الافراد من الامريكيين وصلت الى ٤٠٠ مليون دولار ·

ثانيا — ساهمت الدول العربية المنتجة للبترول فى أن تحقق شركات البترول العالمية ، وبخاصة الشركات الامريكية ، أرباحا مذهلة نتيجة لارتفاع أسعار البترول وضآلة الزيادة فى تكاليف انتاج النفط العربى الخام · ان تكلفة انتاج برميل البترول تبلغ فى دول الخليج ١٢ سنتا ، وفى ليبيا ٤٥ سنتا ، وفى الجزائر ٧٥ سنتا ، بينما تبلغ فى الولايات المتحدة ١,٠٨ دولارا · وفى مقابل ذلك بلغت أرباح احدى وعشرين شركة بترول أمريكية

١٠ آلاف مليون دولار ، وهو مبلغ يمثل ضعف ما حققته صناعة السيارات الامريكية، مع أن عام ١٩٧٣ كان أفضل عام بالنسبة لمبيعات السيارات · كما يعادل هذا المبلغ عشرة أضعاف ما حققته صناعة الصلب الامريكية العالمية الصيت · فاذا علمنا أن أرباح شركات البترول الامريكية فى عام ١٩٧٢ كانت ٥٫٨ الف مليون دولار ، تبينا انه بفضل بترول العرب حققت هذه الشركات زيادة فى الارباح الصافية لا تقل عن ٤ آلاف مليون دولار فى عام واحد ! ·

ثالثا ـ بعد الاستثمارات العربية المتناثرة فى الاراضى والمبانى والاوراق المالية والحكومية ، وبعد الاحتفاظ بودائع ضخمة فى البنوك فى الاسواق المالية الكبرى ، نشرت صحيفة (وول ستريت) الامريكية فى بداية شهر مارس الماضى تقريرا مطولا يكشف عن أن عددا من المؤسسات المالية والمصرفية العربية بدأت سياسة ثابتة لاستثمار أموالها فى البلدان الرأسمالية وبخاصة فى الولايات المتحدة · وقدرت الصحيفة أن يصل الدخل العربى من البترول خلال العام الحالى وحده الى ما بين ٨٥ ألف مليون دولار و١١٠ ألف مليون دولار · وقدرت كذلك أن يستثمر منها فى الاسواق المالية العالمية مالايقل عن ٤٠ الف مليون دولار ·

وبعد أن كانت الدول العربية تستثمر أموالها فى شراء سندات حكومية ، أو تودعها فى البنوك وتحصل من ورائها على فوائدها ، تتجه حاليا الى تغيير سياستها التقليدية فى الاستثمار · فالمؤسسات المالية العربية تنوع الان استثماراتها ، وهى بالفعل تدخل الى ميدان الاعمال مباشرة ·

● انها تقوم بشراء العقارات والاراضى والفنادق والمبانى السكنية والتجارية ، فى الولايات المتحدة وأنجلترا وفرنسا وسويسرا ، وحتى فى أيرلندا ·

● وتبدى بعض المؤسسات المالية العربية اهتماما متزايدا بشراء حصص فى رؤوس أموال البنوك والشركات فى الولايات المتحدة وأوربا ·

● وتقوم مؤسسات مالية عربية أخرى بمفاوضات للمساهمة فى مشروعات مشتركة فى الولايات المتحدة وغيرها ، وخاصة فيما يتعلق بصناعات البترول والبتروكيماويات ·

وأوردت صحيفة (وول ستريت) أمثلة عديدة لما عرضته ، فابرزت مثلا ان شركة الاستثمارات الكويتية قد اشترت جزيرة كيوا الامريكية ، وتقع بالقرب من مدينة شاوستون بولاية جنوب كارولينا ، ولقد دفعت فيها ١٧٫٤ مليون دولار ، وتنوى أن تنفق ١٠٠ مليون دولار لاقامة مشروعات سياحية بالجزيرة · وتقوم الشركة الكويتية نفسها بالاشتراك مع شركة أمريكية بانشاء مجمع هيلتون فى مدينة اتلانتا بولاية جورجيا ، وهو مشروع سياحى ضخم يكلف ٧٩ مليون دولار · وللشركة نفسها استثمارات مماثلة فى أوربا عن طريق الشركة العربية العالمية للاستثمار ومركزها لوكسمبورج ، وهى المؤسس للمؤسسة المالية العربية فى بيروت للتمويل والمقاولات · كما تشارك أيضا فى تأسيس شركتين للملاحة البحرية ، احداهما تعمل فيما بين قبرص وأمريكا ، وتعمل الاخرى فيما بين بريطانيا وأيرلندا ·

وأبرزت الصحيفة الامريكية أخيرا أن ليبيا أنشأت بنكا للاستثمار فى الارجنتين ، وأن كلا من أبو ظبى والسعودية تتفاوضان لانشاء مصفاة كبيرة للبترول فى بورتوريكو بالاشتراك مع شركة أمريكية ·

الخلاصة

ان الدراسة الموضوعية للاوضاع فى السوق المالية العالمية كفيلة بأن تكشف لنا عن الاتجاهات الاساسية التى تعنينا عند معالجة موضوع الاستثمارات الاجنبية · فلقد خرجنا منها بالنتائج التالية :

أولا ـ لدى الدول الرأسمالية الكبرى استعداد لتصدير بعض الصناعات الدنيا الى البلدان النامية ، وهى الصناعات البسيطة تكنولوجيا ، والكثيفة العمالة بمشاكلها الاجتماعية ، والملوثة للبيئة · وهى على استعداد لتقديم هذا القدر من التصنيع فى اطار معونة مالية وفنية فى مقابل ثمن اقتصادى هو تأمين تدفق المواد الخام الاستراتيجية اليها وفى مقدمتها البترول ، وثمن سياسى هو توطيد معالم التطور الرأسمالى فى البلدان النامية ·

ثانيا ـ لدى البلدان العربية المنتجة للبترول أموال ضخمة صالحة للاستثمار ، لكنها بحكم

طبيعتها المضاربة تتجه فى الوقت الحالى للاستثمار فى السوق المالية العالمية بحثا عن توظيف مجز أو استثمار حقيقى • ومثل هذه الاستثمارات العكسية تعتمد فى حركتها على آليات التعامل فى السوق الرأسمالية العالمية ، وهى آليات يعكسها فى الأساس قانون العرض والطلب فى اطار الاقتصاد الرأسمالى • ومن ثم فهى موضوعة بالضرورة فى خدمة الرأسمالية العالمية •

ثالثا ــ من كل هذا يبرز التناقض صارخا بين طبيعة الاموال المطروحة فى السوق الرأسمالية العالمية وبين طبيعة التنمية الاقتصادية التى تحتاج طبعا الى أموال اضافية من الخارج على أن توضع فى خدمة عملية التحرر الاقتصادى من الرأسمالية العالمية • فالتحرر الاقتصادى هو الذى يميز فى النهاية بين تنمية اقتصادية حقيقية وتنمية اقتصادية غير حقيقية . وفى الوقت نفسه فان القاعدة الذهبية الدائمة التى تحكم كل مستثمر أجنبى مازالت هى أن يحقق فى مصر ربحا أعلى مما يحقق لو استثمر أمواله فى خارج مصر • فهذا الربح الاعلى هو فى النهاية هدف الاستثمارات الاجنبية ، وليس فعل الخير ولا نشر الفضيلة ».

٢ الاستثمارات فى مصر : المشاكل والحلول

فيما بعد هزيمة العدوان الثلاثى فى حرب السويس ، شقت مصر طريق التنمية الاقتصادية المستقلة لبناء اقتصاد وطنى حديث ، يقوم على الصناعة ، ويكسر طوق التبعية المحكم للرأسمالية العالمية . وبالفعل استطاعت مصر أن تسير خطوات حاسمة فى طريق التحرر الاقتصادى ، وأن ظلت فى اطار السوق الرأسمالية العالمية . ولقد جاء الاختيار الاشتراكى لطريق التطور اشارة هامة الى ضرورة الخروج أيضا ، فى نهاية الامر ، من السوق الرأسمالية العالمية نفسها . وكان التمويل الاساسى فى ارساء القاعدة المادية للتحول الى الاشتراكية هو على قيام قطاع عام قوى قادر على قيادة عملية التحول ، وعلى نظام تعاونى يستطيع أن يضع حدا للتفتت الذرى للزراعة المصرية ولمشاكل صغار الفلاحين وللتخلف الطويل الامد للريف المصرى .

بيد أن قضية التنمية الاقتصادية لم تلبث أن اصطدمت منذ نهاية الخطة الخمسية الاولى برفض عام لاسلوب التنمية المخططة ، ولاهداف التحويل الاقتصادى والاجتماعى المعلنة . وبتدبير من الدوائر الامبريالية العالمية ، جرت المحاولات لاعادة مصر الى حظيرة التبعية الاستعمارية من جديد ، واضافت الهزيمة العسكرية أسبابا جديدة الى اسباب تعثر التنمية الاقتصادية . واضطرت الثورة منذئذ لتقديم بعض التنازلات لقطاعات معينة من الرأسمالية الوطنية ، فى صورة رفع مستمر لاسعار بعض الحاصلات الزراعية الرئيسية ، واباحة الاستيراد بدون تحويل عملة ، ووقف الانتقال التدريجى لقطاعى تجارة الجملة والمقاولات الى القطاع العام . ولقد اتيح لهذه القطاعات من الرأسمالية الوطنية ان تنمو فيما بعد نموا كبيرا ، وتكونت اقسام واسعة من الراسمالية الكبيرة ذات طبيعة مضاربة أو بيروقراطية أو طفيلية ، شرعت تعيد النظر فى المقومات الاساسية للاقتصاد المصرى من أجل فرض سيطرتها الكاملة على المجتمع بأسره .

من هنا توجد التنمية الاقتصادية فى مأزق خطير ، يعبر عن نفسه فى النهاية فى صورة هبوط معدلات الاستثمار . وبدلا من أن لا تقل نسبة الاستثمار عن ٢٠٪ فى المائة من الدخل القومى

السنوى ، بلغت نسبة الاستثمارات فى السنوات الاخيرة ١٠ فى المائة ، ١١ فى المائة . وكان السبب المباشر لذلك ، بالاضافة الى اعتمادات المعركة ، هو عجز المدخرات المحلية ، لا بسبب عجز قطاع الاعمال العام ، ولكن بسبب عدم نمو المدخرات الخاصة التى هبطت الى ٨ فى المائة فقط من الدخل القومى ومن ثم كانت الحاجة تشتد سنة بعــد أخرى الى تدفق مالى من الخارج .

وفى عام ١٩٧١ جرت أول محاولة لاستدعاء رأس المال الاجنبى .. فصدر القانون رقم ٦٥ للمال العربى والاجنبى . لكن ظروف المعركة لم تتح له فرصة التطبيق . وقبل حرب أكتوبر بقليل ، طرحت القضية من جديد تحت اسم الانفتاح . بيد ان حرب اكتوبر هى التى أتاحت لهذه الدعوة بالفعل فرصة التحقيق .

فالقضاء على اسطورة الجيش الاسرائيلى الذى لا يقهر بفضل فدائية ورقى الجندى المصرى ، وانفجار ازمة الطاقة فى الغـرب نتيجة لحسن استخدام سلاح البترول العربى ، قد جعــلا للرأسمالية العالمية مصلحة فى الاندفاع بأسلوب جديد نحو المنطقة العربية ، بهدف الاستفادة من مكانة مصر بين العرب ، لضمان استمرار تدفق البترول الى السوق الرأسمالية العالمية .

هكذا ، بفضل حرب أكتوبر ، لاحت بارقة تشير الى امكانية حل مشكلة تمويل التنمية الاقتصادية ، وهى المشكلة التى ازدادت تعقيدا باضافة أعباء التعمير اليها . والمعروف أن التعمير هو عملية اعادة البناء بعد الحرب . ومع أن الحرب لم تنته بعد ، فلقد وضعت قضية تعمير منطقة القنــاة موضع التنفيذ . وعلى أى حال ، فالمهم هنا هو أن قضية التعمير فى مصر لا يمكن أن تطرح على النحو الذى طرحت به فى بلاد أخرى ، رأسمالية او اشتراكية . ففى مصر لا يمكن للتعمير أن يطرح الا كجزء لا يتجزأ من القضية الاكبر وهى قضية التنمية الاقتصادية ، التى كانت قبل حرب أكتوبر وما زالت بعدها هى القضية الرئيسية الملحة فى بلادنا . ولا يمكن أن نفصل بحال بين القضيتين ، والا سلكت كل من القضيتين مسارا منفصــلا ومتناقضا ، واتخذت لنفسها حلولا مســتقلة ومتعارضة ، تكون نتيجتها فى النهاية الحاق أبلغ الضرر بالقضيتين كلتيهما .

وجاءت ورقة اكتوبر فدشنت مرحلة الانفتاح ، وهيأت المناخ لصدور قانون جديد لــلاستثمار الاجنبى فى شهر يونيه الماضى . ولقد قام مجلس الشعب فيما بعد بعمل ديمقراطى سليم عندما نشر أخيرا مجموعة الاعمال التحضيرية للقــانون ، فوضع بين أيدينا وثيقة من مناقشــات لجــانه واعضائه ، لا شك انها تلقى ضوءا شديدا على هذا القانون الذى يعتبر اخطر ما أصــدره مجلس الشعب من قوانين .

مجالات الاستثمار الاجنبى

فطبقا للقانون الجديد أصبحت جميع المجالات مفتوحة أمام الاستثمار الاجنبى : التصنيع الخفيف والثقيل ، التعدين ، الطاقة ، السياحة ، النقل بما فيه النقــل الداخلــى ، استصلاح الاراضى واستزراعها ، تنمية الانتاج الحيوانى والثـروة المائية ، الاسكان فــوق المتوسط والادارى ، مشروعات الامتداد العمرانى ، شركات الاستثمار ، بنوك الاستثمار وبنوك الاعمال ، شركات اعادة التأمين بالعملات الحرة ، البنوك التجــارية بالمشاركة مع رأسمال محلى مملوك لمصريين لا تقل نسبته عن ٥١ فى المائة . ثم يضيف القانون الى المجالات السابقة عبارة [وغيرها من المجالات] ، بحيث يصبح التعداد السابق تعدادا على سبيل المثال لا الحصر . ولهذا فان جميع مجالات النشاط الاقتصادى مفتوحة أمام راس المال الاجنبى .

من هنا ، أصاب القانون بالتعديل عددا من المقومات الاساسية لاقتصادنا .

● فقد فتحت مجالات التصنيع والتعدين أمام رأس المال الاجنبى . والميثاق يوجب [أن تكون الصناعات الثقيلــة والمتــوسطة والصــناعات التعدينية فى غالبيتها داخلة فى اطار الملكية العامة للشــعب . واذا كان من الممكن أن يسمح بالملكية الخاصة فى هذا المجال فان هذه الملكية الخاصة يجب أن تكون تحت سيطرة القطاع العام المملوك للشعب وفى ظله] .

● فتحت مجالات البنوك واعادة التأمين أمام رأس المال الاجنبى ، وكان الميثاق يوجب [أن تكون المصارف فى اطار الملكية العامة ، فان المال وظيفة وطنية لا تترك للمضاربة او المقامرة ، كذلك فان شركات التأمين لابد أن تكون فى اطار الملكية العامة

صيانة لجزء كبير من المدخرات الوطنية وضمانا لحسن توجيهها والحفاظ عليها] .

● فتح مجال الاستيراد امام مشروعات الاستثمار الاجنبي . فالقانون يسمح لها بأن تستورد دون ترخيص بذاتها او عن طريق الغير ما تحتاج اليه اقامتها ثم تشغيلها من مستلزمات انتاج ومواد وآلات ومعدات وقطع غيار ووسائل نقل ». وكان الميثاق يوجب [ان تكون التجارة الخارجية تحت الاشراف الكامل للشعب . وفي هذا المجال فان تجارة الاستيراد يجب ان تكون كلها في اطار القطاع العام] ».

ولقد تدفقت بالفعل مئات المشروعات على البلاد ». وحتى منتصف فبراير ١٩٧٤ ، كانت هيئة استثمار المال الاجنبي قد تلقت عروضا بالاستثمار تمثل ٢٢٣ مشروعا تبلغ رءوس اموالها ١٧٣,٥ مليون جنيه ». لكنها بعد المناقشة لم تقبل منها سوى ٥٦ مشروعا برأسمال يبلغ ١٣٥ مليون جنيه ». ومرة اخرى ، فقد كانت في المجالات الثلاثة المألوفة : مشروعات سياحية برأسمال ٥٤,٥ مليون جنيه ، ومشروعات بلاستيك برأسمال ٤٣ مليون جنيه ، ومشروعات اسكان برأسمال ٣٨ مليون جنيه ، فهل كانت السياحة والبلاستيك والاسكان هي المجالات التي تتحرق شوقا اليها تنمية الاقتصاد المصري ؟ ولحسن الحظ فلم ينفذ شيء منها ». وفي منتصف مايو ١٩٧٤ ، قبلت الهيئة ١٤ مشروعا للاستثمار الاجنبي لم تكن افضل بكثير عما سبقها »، فالى جانب بعض الصناعات الاستهلاكية الصغيرة [الاحذية ، الاثاث] كانت توجد مشروعات السياحة [من الفنادق الى حوض سباحة على النيل] ، وبجانبها جميعا مشروعات الاسكان المألوفة ». وفيما بعد صدور القانون ، شهدت البلاد نوعا من الغزو الخارجي : كثير من المشروعات المشبوهة والمشروعات الوهمية والمشروعات الاستغلالية الصارخة ، وقليل من المشروعات الجادة ». محاولات كثيرة لبيع وتسويق الالات الراكدة والتكنولوجيا التي صارت متخلفة ، وعروض قليلة لمشروعات مشتركة نافعة في الصناعة والاسكان والسياحة ، وافقت عليها الهيئة وبلغت قيمتها ١٠٠ مليون جنيه فقط . واعتمدت عليها الخطة الانتقالية حتى نهاية عام ١٩٧٥ ، من جملة استثمارات مطلوبة تبلغ ١٩٨٠ مليون جنيه .

ضمانات وامتيازات الاستثمار الاجنبي

والواقع أن المشروعات الاجنبية لم تعد تعوزها الضمانات والامتيازات كيما تتدفق ، فلقد اغدق عليها القانون حماية تجعل منها اقتصادا قائما بذاته داخل اقتصادنا القومي ، متميزا ليس فقط عن القطاع العام بل وعن القطاع الخاص نفسه ».

١ – لا يجوز تأميم المشروعات الاجنبية أو مصادرتها أو فرض الحراسة على أموالها .

٢ – تعتبر المشروعات الاجنبية من شركات القطاع الخاص أيا كانت الطبيعة القانونية للاموال المساهمة فيها ».

٣ – لا تسرى عليها تشريعات ولوائح وتنظيمات القطاع العام والعاملين فيه ، ولا تخضع لنظام انتخاب ممثلي العمال في مجال الادارة ولا لنظام توزيع الارباح على العاملين .

٤ – بالاضافة الى اباحة الاستيراد ، يكون للمشروع الاجنبي حق فتح حسابات بالنقد الاجنبي ، يستخدمها دون اذن أو ترخيص خاص ، لدفع قيمة وارداته السلعية والاستثمارية والمصروفات غير المنظورة وسداد أقساط القروض الخارجية وفوائدها ولاداء غير ذلك من المصروفات اللازمة للمشروع ».

٥ – تعفى المشروعات الاجنبية من الضريبة على الارباح التجارية والصناعية وملحقاتها ، وتعفى الاسهم من الدمغة ومن الضريبة على ايرادات القيم المنقولة وملحقاتها لمدة خمس سنوات ، يمكن أن ترفع الى ثماني سنوات ».

٦ – يجوز اعفاء الالات والمعدات ووسائل النقل اللازمة للمشروع الاجنبي من الضرائب والرسوم الجمركية وغيرها من الضرائب والرسوم ».

٧ – تعفى من الضريبة العامة على الايراد كافة الارباح الموزعة بواسطة المشروع الاجنبي بحد أقصى ٥ في المائة من قيمة حصة الممول ».

٨ - تعفى الفوائد المستحقة على القروض الخارجية التى يعقدها المشروع الاجنبى من جميع الضرائب والرسوم .

٩ - لا تخضع مبانى الاسكان الادارى وفوق المتوسط التى يقيمها الاستثمار الاجنبى لنظام تحديد القيمة الايجارية .

١٠ - يسمح للخبراء الاجانب العاملين فى المشروع الاجنبى بتحويل حصة من الاجور والمرتبات والمكافآت لا تتجاوز ٥٠ فى المائة من مجموع ما يتقاضونه .

١١ - للمشروع الاجنبى اعادة تصدير رأس المال المستثمر بعد مضى خمس سنوات من استثماره ، وله تحويل عنده بالكامل الى الخارج فى حالات معينة ، وتحويل ارباحه فى حدود صادراته فى حالات أخرى .

وهكذا يتضح كيف أن نظام الاستثمار الاجنبى سوف يشكل بمشروعاته اقتصادا قائما بذاته داخل الاقتصاد القومى . وبغض النظر عن تخلى الدولة فى القانون عن بعض حقوق سيادتها على المشروعات الاجنبية ، وبخاصة نتيجة لاعفائه من كافة قوانين مرحلة التحول الاشتراكى من حيث الملكية والنشاط والادارة والعمالة والارباح والاستيراد والنقد الاجنبى ، فان هناك ملحوظتين على جانب كبير من الاهمية تقفزان أمام عيوننا ، وهما :

أولا - ان رأس المال الاجنبى الذى بدأ يتجه طبقا لمصالحه .هو نفسه نحو القبول بتصنيع معين للبلدان النامية ، انما يأتى بغرض الربح والربح الاعلى ، مما يمكن أن يعرض الاقتصاد القومى لهزات الاقتصاد الراسمالى عالميا ومحليا . فالرأسمالية العالمية هى التى تتحكم فى أسعار المواد الاولية ، واحتكارها شبه مطلق فى تحديد أسعار المنتجات الصناعية من آلات انتاجية وسلع وسيطة واستهلاكية . وفى الوقت نفسه ، يبدو الخطر واضحا من تحول المشروعات الاجنبية الى وسيلة لتسريب موارد البلدان النامية الى الخارج ، بعبارة أخرى وسيلة لاستنزاف الفائض الاقتصادى الذى يعقد عليه الامل فى استمرار التنمية الاقتصادية وتحسين مستوى معيشة المواطنين .

واخيرا يبدو الخطر من احتمال تحول القطاع الاجنبى داخل الاقتصاد القومى الى قائد قطاع ، لابحجمه ولكن بنوعيته ونفوذه . ومن ثم يسعى لتكون له كلمته فى السياسة الاقتصادية والمالية للدولة . وبذلك يتخطى حدود حجمه الذاتى .

ثانيا - ان الحماية التى يتمتع بها القطاع الاجنبى سيتمتع بها رأس المال المحلى الذى يستطيع ان يلعب نفس الدور ، أو الذى يستطيع أن يشارك رأس المال الاجنبى . فمن التمييز الصارخ فعلا أن يقتصر التمتع بكل الضمانات والامتيازات على المستثمر الاجنبى ويحرم منها المستثمر المصرى المماثل . ومن ثم سوف تتميز عن القطاع الخاص تلك الفئات المحلية القادرة على مشاركة رأس المال الاجنبى أو مجاراته . ومن هنا أهمية تلك الكلمة الصائبة **للدكتور محمود القاضى** فى اللجنة التحضيرية للقانون : [كنا فى فترة سابقة نجعل دور القطاع الخاص فى الاعمال محدودا . بينما نوسع دور القطاع العام . أما الان فانا اخشى على القطاعين العام والخاص من منافسة المشروعات المستثمرة] .

أشكال الاستثمار الاجنبى

فى ندوة عقدتها جمعية الاقتصاد السياسى والتشريع والاحصاء فى شهر يونيو ١٩٧٤ ، جاء فى أقوال السيد **مصطفى كامل مراد** عضو مجلس الشعب أن [وزير التعاون الاقتصادى فى المانيا الغربية قال لى : لانستطيع أن نأتى الا بالمشاركة مع القطاع الخاص المصرى . رأس المال لا يأتى بمفرده وانما يأتى مع نشاط قطاع خاص فى مصر] .

وبالفعل صدر قانون الاستثمار الاجنبى وهو ينص على أن توظيف المال المستثمر انما يتم فى صورة مشاركة مع رأس المال المصرى العام ، أو الخاص . فلقد صارت المشاركة هى مطلب الرأسمالية العالمية عندما تستثمر أموالها فى البلدان النامية الهامة ، وذلك كيما تفيد من الوضع الممتاز الذى تتمتع به الرأسمالية المحلية . وهذه الرأسمالية المحلية بدورها تتخذ من مقدم رأس

المال الاجنبى وتمتعه بامتيازات وضمانات هامة فرصة للتمتع بالمزيد من النفوذ ، **أولا** باسم المساواة بين الرأسمالية المحلية والرأسمالية الاجنبية ، **وثانيا** بحكم المشاركة فى المشروعات الاجنبية التى يمكن أن تكون بدورها قطاعا قياديا بحكم نوعيته ونفوذه . وهو ما أشار اليه فى الندوة المذكورة السيد **حسن زكى** رئيس بنك القاهرة ، حين أدلى بملحوظة بالغة الاهمية . قال : [لا نستطيع أن نتجاهل أن البنك الاجنبى له أغراض سياسية . يدخل السوق ويعطى السلف لناس قد لا يستحقون السلف . يفعل ذلك ليربط نفسه بناس أو شخصيات لها مفاتيح فى الدولة] . من هنا يبدو خطر أن تتم التنمية الاقتصادية المنتظرة ــ ولو فى حدود الاستثمارات الاجنبية ــ لحساب فئة خاصة من فئات المجتمع هى فئة الرأسماليين والمدبرين والاعوان ، لتشكل رأسمالية كبيرة وثيقة الصلة بالرأسمالية الاجنبية .

وعلى سبيل المثال ، فباسم تشجيع الاستثمار الاجنبى ، سارعت هذه الراسمالية المحلية بالمطالبة بجملة من الطلبات تشكل مناخا معينا ، طالبت بانشاء شركات مساهمة سريعة العائد يشترك فيها القطاع العام ، أو تكون كلها من القطاع الخاص ، وبيع الاوراق المالية والاسهم لبعض شركات القطاع العام الناجحة لتحريك بورصة الاوراق المالية ، واباحة الاستيراد تماما للقطاع الخاص ، والغاء الرقابة على النقد الاجنبى ، ومنح القطاع الخاص نفس مزايا القطاع العام . ومن أجل تهيئة المناخ المطلوب للاستثمار الاجنبى ، تمت بالفعل تصفية الحراسات وصدر قانون التوكيلات الاجنبية الذى يبيح اعادة الوكالات التجارية الى القطاع الخاص .

وبالفعل أصبح من حق القطاع الخاص حرية استيراد مستلزمات الانتاج ، واعداد حملات الاعلان لترويج صادراته ، والاحتفاظ بحصيلة صادراته بالنقد الاجنبى ، وله حرية استخدامها . بيد أن حرية الاستيراد هذه لم تجلب آلات ولا مواد خام فى الاساس ، وانما جلبت سلعا وأدوات استهلاكية وغذائية وترفيهية ، بحيث اصبحت فى بعض الاحيان تهدد بوقف نشاط عدد من وحدات القطاع العام [مثل الالياف الصناعية] وتهدد صغار المنتجين والحرفيين الذين لا يجدون خاماتهم ومعداتهم الا فى السوق السوداء ، وتهدد جمهرة المواطنين الذين يشهدون الارتفاع السريع والمضطرد لاسعار كل شىء .

ومهما تكن خطورة المشاركة ، فهى أهون فى النهاية من انفراد المشروع الاجنبى وحده بالاستثمار . ومع ذلك فالقانون يجيز فى الواقع انفراد المستثمر الاجنبى فى جميع الاحوال . فهو يجيز انفراد رأس المال الاجنبى فى مجالات بنوك الاستثمار وبنوك الاعمال متى كانت مشروعات تابعة لمؤسسات مركزها الرئيسى بالخارج ، وهو ما سيتم بالفعل . ثم يجيز القانون الانفراد أيضا فى كافة المجالات الاخرى ، بقرار من الهيئة يصدر بأغلبية ثلثى أعضاء مجلس ادارتها . وبذلك تنفرد الهيئة فى الواقع بسلطة تقديرية خطيرة الشأن .

اعادة النظر فى مبدأ التخطيط

من كل ما سبق ، يتضح أن قطاع الاستثمارات الاجنبية ، بأجانبه ومصرييه ، سوف يكون قطاعا رأسماليا لا يخضع لتخطيط الدولة . ولقد أعلن ذلك بصراحة ممثل الحكومة فى مناقشات اللجنة التحضيرية **الدكتور شريف لطفى** ، قائلا انه [لو ربطنا الاستثمار بمشروعات مدرجة فى الخطة فلن يتحقق الهدف من قانون الاستثمار] ، ولذلك يكفى فى رأيه أن يقال بأن يتم الاستثمار الاجنبى [فى اطار الخطة] . ومن هنا رفضت كل محاولة للربط بين قانون الاستثمار وقانون الخطة العامة للدولة . ومعنى ذلك انه لا يوجد فى الواقع ما يربط بين المشروعات الاجنبية والخطة العامة للدولة . يؤكد هذا المعنى أنه لا توجد بالفعل خطة عامة بمشروعات محددة ، وأن مشروعات القطاع الخاص لا توجد بالخطة أصلا ، وبحكم القانون يعتبر الاستثمار الاجنبى من القطاع الخاص .

اذن فهناك قطاع جديد لا يخضع للتخطيط بالمرة . ومعروف أن التخطيط نظام للتحكم فى اتجاهات نمو الاقتصاد القومى . واذن فلا تحكم فى اتجاهات نمو القطاع الاجنبى . واذن فهناك تخلى عن مبدأ التخطيط بالنسبة له . ومن ثم يفتح المجال أمام قوى السوق لكى تحكم علاقاته الاقتصادية . وعندما تصبح مدينة بور سعيد بأكملها ، على سبيل المثال ، منطقة حرة ، لا شأن لها بخطة الدولة ، فما هى علاقة اقتصاد بور سعيد باقتصاد مصر ؟ وعندما تعمل البورصة ، وهى

أرقى اشكال السوق الحرة ، فى القـاهرة والاسكندرية ، للاوراق الماليه وللبضاعه وبخصة القطن وللعملة الاجنبية ؛ فان المسالة لا تصبح مجرد قطاع أجنبى لا يخضع للتخطيط ، وانما هى عدوى السوق تمتد الى جميع اجزاء الاقتصاد المصرى ، حتى القطاع العام نفسه ، المتروك ليواجه منافسة مشروعات لا تحكمها خطة الدولة ولا تفيدها التزاماتها ، والذى سوف يتحول التخطيط بالنسبة له الى مجرد توجيهات غير ملزمة . والخلاصة نفسها ينتهى اليها ويليام سايمون وزير الخزانة الامريكى الذى اعلن عقب زيارته لمصر أنه تاكد من [استمرار الاتجاه فى مصر للتحول من اقتصاد التخطيط المركزى الى اقتصاد السوق] .

ومن هنا يخشى أن تصبح السمة الاساسية للتطور الاقتصادى هى اطلاق العنان لقوى السوق وقوانين السـوق ، وسـيادة قـوانين التطـور الراسمالى من قانون العرض والطلب وقـانون الربح الاقصى الى قانون التركز وقانون التمركز الى قانون النمو غير المحدود لرأس المال . ومن ثم يطلق العنان بالذات لسيادة السوق السوداء ، وتنفلت قبضة الحكومة على الغلاء ، وينتشر نمط استهلاك طفيلى شديد الوطأة على الحيـاة الاجتماعية .

اعادة النظر فى الدور القيادى للقطاع العام

ومع اعادة النظر فى مبدأ التخطيط كأسلوب لتوجيه وتحقيق النمو المتوازن للاقتصاد القومى ، تتم اعادة النظر فى الدور القيادى للقطاع العام . لقد بذلت محاولات عديدة لتصفية القطاع العام تصفية جسدية أى تصفية وجود القطاع العام ، بالادماج والبيع والغاء التأميم الكامل للقطاعات الاستراتيجية فى الاقتصاد القومى . و فى النهاية ، وبعد أن فشلت محاولات التصفية الجسـدية الكاملة ، ترك القطـاع العام ليواجـه المنافسـة الرهيبة من جانب القطاع الاجنبى الجديد .

لماذا فشلت محاولات تصفية وجـود القطـاع العام ؟ لان القطاع العام صار حقيقة أساسية من حقائق الاقتصاد الوطنى ، ولانه ليس من السهل أبدا الغاء القطاع العام . أولا - لانه يمثل مكسبا وطنيا أحرز فى النضال ضد مراكز السيطرة الاقتصادية الاجنبية ، ولقد تقرر فى لهيب المعارك الوطنية ابتداء من حرب التحرير عام ١٩٥٦ ، ومن ثم فمن الطبيعى أن تتعلق به قوى وطنية عديدة ، من بينها الرأسمالية الوطنية نفسها . ثانيا - لانه يمثل مكسبا اجتماعيا هاما ، اذ قام القطاع العام منذ البداية على مبدا التأميم قبل أن يقوم على مبدا الانشاء والتأسيس . واستمر يتطـور على اساس التـأميم ، على حسـاب الاحتكارات والمصالح الاسـتعمارية والراسمالية الكبيرة . ومن ثم فمن الطبيعى أن تتعلق به القوى العاملة العريضة ومن بينها المثقفون ، وترى فيه املا للتطور نحو الاشتراكية .

لهـذا لا يبقى الا القطـاع العـام - على أن يبقى عاجزا . وذلك بأن يضعف دوره القيادى داخل الاقتصاد القومى ، هذا الدور الذى يتمثل فى السيطرة على الصناعات الاساسية والتجـارة الخارجية وتجارة الجملة وكل البنوك وشركات التأمين . فاذا ما فقد القطاع العام سيطـرته القيادية فى توجيه التنمية الاقتصادية ، أصبحت القيادة لراس المال الخاص . لكنها عندئذ تكون لرأس المال الخاص بالاسم ، بينما تنتقل القيادة الفعلية الى ايدى رأس المال الاجنبى .

ماذا نعنى بالدور القيادى للقطاع العام ؟ اننا نعنى به مجموعة من المبادىء المتكاملة وهى :

أولا - التحكم فى المفاتيح الاساسية للاقتصاد القومى ، فى مصادر التمويل وفى الصناعة وفى التجارة الخارجية وتجارة الجملة ، تلك المفاتيح التى تستطيع التأثير بدورها على كافة قطاعات الاقتصاد القومى تأثيرا مباشرا وفعالا .

ثانيا - وجود خطة مركزية قومية ، تشمل جميع قطاعات الاقتصاد القومى ، وتجعل قرارات القطاع العام هى القرارات التى تقود وتوجه وترشد نحو النمو المتوازن للاقتصاد القومى بأسره .

ثالثا - توجيه العلاقات الانتاجية على اختلافها فى الاقتصاد القومى نحو الحد من الاستغلال الراسمالى وتقريب الفوارق بين الطبقات .

ولذلك من الممكن أن يفقد القطاع العام دوره القيادى فى أكثر من حالة :

أولا - بأن يدخل رأس المال الخاص ، المحلي أو الاجنبى ، ليشارك الدولة فى ملكية القطاع العام

القائم حاليا . فالقطاع العام الذى يتكون مثلا من شركات مختلطة يصبح عندئذ قطاعا راسماليا ،او فى أحسن تقدير قطاعا لراسمالية الدولة . لكن الجديد هنا عندئذ هو فى اقرار مبدأ عودة رأس المال الخاص الى الشركات العامة التى قامت فى الاساس على التأميم . الجديد كذلك هو فى مبدا اعتبار اى شركة عامة يدخلها الاستثمار الاجنبى من شركات القطاع الخاص . ومن ثم فهى طريقة سهلة جدا لالغاء القطاع العام .

ثانيا ـ بأن يسمح لراس المال الخاص ، المحلى والاجنبى ، بالنمو المطلق بلا قيود . وعندئذ يغرق القطاع العام فى بحر من النمو الراسمالى ، بحيث يتحول بالفعل الى جزيرة ملحقة وتابعة لراس المال الخاص ، يقوم بدلا منه بالاستثمارات التى لا يقبل عليها الرأسماليون ، اما لضخامة الاستثمارات المطلوبة لها او لبطء توليدها للارباح أو لضآلة عائدها فى النهاية . لكنها مع ذلك ضرورية للنمو الرأسمالى الواسع ، ومن ثم فلا بأس من وجودها فى القطاع العام . ولقد يتولى هذا القطاع عندئذ مهمة اجراء التجارب بدلا من رأس المال ، يقتحم المخاطر التى لابد منها ، ويتحمل الخسائر المحتملة ، الى ان ينجح المشروع فيستولى عليه رأس المال الخاص . فكأن المطلوب من القطاع العام هو أن يوضع فى النهاية فى خدمة رأس المال .

ومثل هذا الوضع وارد تماما اذا علمنا انه طبقا لآخر تقارير متابعة الخطة فان انتاج القطاع انما يمثل ٥٤٫٥ فى المائة فقط من قيمة الانتاج الكلى ، بينما يمثل القطاع الخاص ٤٥٫٥ فى المائة منها . فالمسافة قريبة بين القطاعين .

فاذا اضفنا لذلك التخلى عن مبدا التخطيط بالنسبة للقطاع الاجنبى ، والنمو الرأسمالى الذى تشهده البلاد حاليا ، والمتوقع أن يزيد فى المستقبل ، فان الدور القيادى للقطاع العام يصبح فى خطر . ان الخطر يتهدد بالفعل دور القطاع العام كقطاع قائد ، اى كقطاع غالب يقود التنمية الاقتصادية فى طريق لا رأسمالى يمكن ان يفضى مستقبلا الى الاشتراكية .

اعادة النظر فى الطريق اللارأسمالى

من هنا ، فلابد أن يطرح السؤال الذى يفرض نفسه عن ماهية طريق التطور الذى نسلكه ، فمنذ اجراءات يوليو ١٩٦١ التى وجدت صيغتها النظرية فى الميثاق الوطنى ، اصبح الاتجاه المعلن لبلادنا هو الاتجاه فى طريق التطور اللاراسمالى . وهو الطريق الذى اطلق عليه احيانا اسم الطريق الاشتراكى . ومن شان الطريق اللاراسمالى ان يقطع الرطيق بالفعل على التطور الرأسمالى غير المحدود أى ان يوقف عمليه تركز وتمركز رأس المال، هى اساس التطور الرأسمالى فى كل مكان ،بعبارة اخرى فان الاتجاه فى طريق التطور اللاراسمالى كان يعنى وقف النمو الرأسمالى ، بحيث لا يستطيع رأس المال أن يتطور باستمرار وبحرية . بالطبع لا يلغى الطريق اللاراسمالى علاقات الانتاج الرأسمالية بل تبقى ، تبقى الملكية الرأسمالية ، وتبقى الرأسمالية الوطنية . لكنها تتخذ طابعا انتقاليا ، وتتطور تبعا لذلك فى الطريق اللارأسمالى ، بحيث لا تكون عقبة أو حائلا دون التحولات الاجتماعية الجذرية .

وهكذا بينما يجرى التطور فى الطريق الرأسمالى بشكل عفوى أى طبقا لقوانين الرأسمالية ، فانه فى الطريق اللاراسمالى يحتاج التطوير الى الاختيار الواعى والقيادة العلمية التى تعمل للتوفيق بين مصالح التنمية الاقتصادية ومصالح الجماهير الشعبية . وبغير ذلك فلا مفر من أن تنمو عناصر الرأسمالية وعناصر رأسمالية الدولة .

ان الطريق اللاراسمالى يفترض فى الواقع شرطين جوهريين : احدهما سياسى والاخر اقتصادى . اما السياسى فهو السلطة لتحالف من بعض اقسام الرأسمالية الوطنية والفلاحين وصغار المنتجين والطبقة العاملة بقيادة البورجوازية الصغيرة غالبا . واما الاقتصادى فهو عدم السماح بحرية النمو الرأسمالى ، بل التضييق على الراسمالية ، والتحسين المضطرد لاحوال معيشة الجماهير المنتجه . وتصبح المهمة الكاملة للطريق اللاراسمالى هى باختصار ارساء القاعدة المادية للانتقال الى الاشتراكية . ومن ثم تصبح القاعدة المادية لهذا التطور اللاراسمالى هى وجود وتدعيم القطاع العام واقامة قطاع تعاونى انتاجى .

وعندما تطرح مسألة الاستثمارات الاجنبية فى حسابات الدوائر الاستعمارية ، فيجب أن نعلم بصراحة ان فى مقدمة مراميهم ازالة القاعدة المادية للتطور اللارأسمالى ، ووقف أى اتجاه نحو الطريق اللارأسمالى ، واستعادة مصر فى إطار

النظام الرأسمالى . ولا شك ان هناك اعتبارات تغرى بنا تلك الدوائر الاستعمارية . فى مقدمتها هذه الحقيقة التى لا جدال حولها وهى حاجة التعمير والتنمية الاقتصادية الى أموال طائلة . والواقع أنه بدلا من أن تفرض البلاد على نفسها بكامل طبقاتها مستوى من التضحيات تعيد به البناء والتعمير مثلما فعلت شعوب كثيرة قبلنا ، تبدو الطبقات المالكة بالذات وهى التى تبشر بمجتمع الرخاء فى الغد القريب غير راغبة فى التحمل بالتضحية المطلوبة . وليس لذلك من معنى سوى تحميل الجماهير الكادحة نفسها بمزيد من الاعباء وعندئذ يصبح الاعتمـــاد على الاستثمـــار الاجنبى مخرجا سعيدا للجميع .

لكن هذا المخرج ينطوى - ان لم يتدارك - على مخاطر جسيمة سوف تلحق يوما بعد يـوم بالاستقلال الوطنى والتنمية الاقتصادية والتقدم الاجتماعى والتطور الديمقراطى للبلاد .

لقد تساءل عدد كبير من اعضاء مجلس الشعب داخل اللجنة التحضيرية لقانون الاستثمار عن معنى القانون ، وهل يعنى الانتقال من اقتصاد موجه الى اقتصاد غير موجه ، هل يعنى الانتقال الى الاقتصاد الحر انتقالا كاملا . وعلى الرغم من الرد الحاسم للسيد مصطفى كامل مراد وهو [لابد من تغيير النظام الاقتصادى] ، فمازال التساؤل قائما مطروحا فى كل مصر .

الخلاصـــة

ليست المسألة اذن أن تأتى الاستثمارات الاجنبية أو لا تأتى . فهى يجب أن تأتى . لكن المسألة هى كيف تأتى ؟ وفى أى المجالات تأتى ؟ وفى اطار أى اتجاه ينطور تنمى . تلك هى المسألة الجوهرية .

لكن هذا لابد من تنظيم دقيق يحيط بقبول الاستثمارات الاجنبية . ومن أجـل أن يكون الاستثمار الاجنبى لصالح بلادنا ، لابد أن ينطلق التنظيم من المبادىء التالية :

أولا - عدم المساس باتجاه التطـور الذى ارتضته البلاد ، وهو الاتجاه فى طريق التطور اللارأسمالى .

ثانيا - عدم المساس بالقطاع العام ولا بدوره على رأس الاقتصاد القومى فى قيادة التنمية الاقتصادية .

ثالثا - عدم المساس بمبدأ التخطيط الذى يجب أن يشمل بلا استثناء جميع القطاعات التى يتكون منها الاقتصاد القومى .

رابعا - الاعتماد أولا على النفس فى محاولة لاستنفاد كافة مصادر زيادة المدخرات والموارد المحلية ، واعادة توزيع الاعباء الداخليـة بحسب توزيع الثروة والدخول .

يقابل هذه المبادىء تنظيم لقبول الاستثمار الاجنبى يتضمن الاتجاهات التالية :

١ - تحديد المشروعات الجديدة للتنميـة الاقتصادية التى تتطلب عونا ماليا من الخارج ، على أن يتم التحديد مقدما فى خطة شاملة للتنمية الاقتصادية .

٢ - تفضيل القروض الخارجيـة على استيراد رأس المال ، حتى تظل الدولة حرة فى استخدامها وحتى تظل ملكية المشروعات للدولة .

٣ - قبول رأس المال الاجنبى بالمشاركة مع الدولة فقط فى كل من المشروعات الصناعية الجديدة التى تتطلب أموالا ضخمة وخبرة تكنولوجية عالية لا تتوفر محليا ، أو التى يكون من شأنها تنمية الصادرات أو احلال الواردات بصورة جذرية ، وفى المشروعات السياحية الكبرى .

٤ - القيام بالمشروعات المشتركة مع رأس المال العربى ، العام أو الخاص ، فى الصـناعة أو النقل ، مثلما تم بالفعل بصورة سليمة فـى مشروعات صناعية مشـتركة مع العراق ، وفى مشروعات أنابيب البترول المصرية والاسـمدة والاسمنت والسكر مع الكويت والسعودية . ان المستثمرين العرب على استعداد لان يقحموا اموالهم لمشروعات جاهزة ملموسة ناجحة مادامت قد أعدتها الدولة اعدادا مدروسا فى خطة للتنمية الاقتصادية وهيأت لها أسباب النجـاح الاقتصادى والفنى والادارى .

وكل هذا التحديد انما يعنى فى النهاية ضرورة تعديل قانون الاستثمار الاجنبى ، قبل أن ندفع ثمنا غاليا فى مقابل أمل .. مجرد أمل فى المساعدة فى انجاز تنمية اقتصادية مشكوك فيها .

رأس المال من أجل الانسان العربى

د٠ عبد الرازق حسن

١ التنميـــة العربيـــة الشـــاملة ضرورة واجبـــة

يثور الجدل حول التكامل العربى او الوحدة العربية منذ انشاء الجامعة العربية ١٩٤٥ ٠ غير أن الخطوات الاقتصادية التى قطعتها البلـــدان العربية المختلفة تبين الاتجاه الى التباعد بدلا من التقارب ٠ ويبدو أن الاختلافات السيـــاسية والاجتماعية كانت عوامل هامة فى زيادة ارباك التعامل ، أو لعل هذه الاختلافات قد اتخذت ذريعة لتعميـــق الاختـــلاف . اذ من الغريب أن يلمس الانسان أن التعامل الاقتصادى بين البلـــدان العربية ، وبين الدول المعروفة بعدائها للعـــرب ووحدتهم ، لم يتناقص ، وانه وان لم يتزايد فى بعض البلدان ، فانه يسير على الاقل على وتيرة ثابتة ، وذلك بالرغم من الصراع السياسى الذى كان ينشب من وقت الى آخر بين البلدان العربية وتلك الدول ٠ ولعل أقرب مثل لذلك هو الصراع الاخير ضد الصهيونية وحلفائها ، وما ترتب عليه من قطع البترول عن بعض الدول ، ثم اعادته الى طبيعته بعد رفع الاسعار ، وابقاء الجزء الاكبر مـن الاحتياطيات النقدية المترتبة على ذلك فى البلدان التى ما زالت هى مصدر الدعم ، بل والبقـاء لاسرائيل ٠

وقد يبرر البعض نقص التعامل ــ أو لنكون أكثر دقة فتور التعامل ــ الاقتصادي بين البلدان العربية هو لتشابه فى اقتصاديات تلك البلدان ، وما يعنيه البعض بالتنافس ، بينما أن هناك قدرا أكبر من

التكامل بين البلدان العربية والدول المتقدمة اقتصاديا ، كنتيجة طبيعية لان البلدان العربية تعتمد أساسا على تصدير المواد الخام ، واستيراد المواد المصنعة . غير أن هذا الوضع التاريخى أو المرحلى ، الذى يقوم على أساس التبـاين الاقتصادى بين مجموعات الدول ، يظل فى وضعه ما لم نقم باتخاذ السياسات التى تؤدى الى تغييره بشكل مادى . ولا يمكن أن ننكر قيـام بعض صعوبات تعترض التنفيذ ، غير أن هذه الصعوبات كثيرا ما تبدو كبيرة اذا نظرنا الى كل دولة عربية ككيان اقتصادى مستقل ، اما اذا اخذنا مجموعة الدول العربية ، كوحدة ، فان جزءا كبيرا من المشاكل يصبح غير ذى موضوع · وما يظل قائما يصبح من الممكن التغلب عليه ·

ومع ذلك فان القول بتشابه الاقتصـاديات العربية ، وبالتالى الادعاء بتنافسها ، كسند لرفض [illegible] الوحدة ا[illegible] [illegible] العربيه قول مردود ، لان الدول العربية ما زالت فى مراحلها الاولى للتصنيع ومشروعاتها صغيرة نسبيا ، وحتى الدول المتقدمة صناعيا فى نطاق المجموعة العربية ، لا تعتبر مشروعاتها الكبيرة أكثر من متوسطة الحجـم بالمقاييس العالمية · وليس منها ما يغطى احتياجات المنطقة · وذلك بالرغم من انخفاض حجم الطلب الحالى كنتيجة طبيعية لانخفاض متوسط الدخل والانفاق · ومع ذلك فان أمامنا أمثلة واضحة لفاعلية التكتلات الاقتصادية والتعاون حتى بين الدول المتنافسة · فهناك مجموعة الدول الصناعية الرأسمالية فى غرب أوربا ، ومجموعة دول أمريكا اللاتينية ، التى وجدت فى اتخاذها سياسة اقتصادية متساندة — ان لم تكن موحدة — دعمت من مراكزها النسبية بشكل عام ، وهناك مثل الدول المنتجة للبترول نفسها ، التى عملت على توحيد سياستها البترولية وضمنت بذلك أسعارا أفضل مما كانت تحصل عليه فى مرحلة تفككها ، وها نحن أولاء نلمس محاولة مضادة لتجميـع الدول الصناعية حتى يمكنها ممارسة الضغط الجماعى ، وتنسيق توزيع الاحتياطيات البترولية ، اذا حدث ما يؤدى الى خفض معدل الانسياب ، ويتم هذا مع التنافس العميق الجذور بين الدول الصناعية تلك ، والحروب التى سادت بينها لفترات طويلة منذ الثورة الصناعية حتى وقت قريب · وقد خبت النعرات الوطنية الضيقة الافق بين تلك الشعوب المتعددة اللغات والاجناس ، ليحل محلها التعاون لتحقيق هدف مشـترك · فـالقول بـالوحدة الاقتصادية العربية ، أو على الاقل التنسيـق الاقتصادى العام بين الدول العربية ليست بدعا ، وهى تشغل بقعة متماسكة فى مركز استراتيجى متوسطفى العالم،وقدخضعتلظروفمادية،متشابهة فىتاريخها الطويل، وتجمعها لغة واحدة ولا أغالى اذا قلتأهدافا واحدة ايضا ، تتلخص فىالاستقلال الاقتصادى والسياسى والتنميـة الاقتصـادية والاجتماعية ·

وحتى لا تغرقنا متاهة التعميم ، لنحدد الظروف والامكانيات المادية للمرحلة القادمة للتكامـل العربى ، أو التنسيق الاقتصادى ، بهدف تحقيق قدر أكبر من التكامل الذى يمكن عن طريقه تحقيق الاهداف العامة فى الاستقلال والتنمية ، ومواجهة الضغوط الاقتصادية والسياسية التى لا مفر من التعرض لها نتيجة الوضع العربى المادى بشكل عام ·

وحتى تكون الصورة واضحة عند منـاقشة موضوع الموارد العربية والتكامل الاقتصادى ، علينا أن نعطى صورة للاطار العام الذى يعيش فيه المجتمع العربى ، والتيارات السائدة فيه وتلك التى تحيط به ، فتؤثر فيه أو تتأثر به ، لان عدم ادراك هذا الوضع يعنى أننا نهيم فى فراغ ، أو نسعى الى مثاليات لا تعبر الا عن أمانى أو مصالح فئة أو مجموعة ما ·

المشكلة الاقتصادية العربية والحـــاجة الى التنميـــة

ينعكس مظهر المشكلة الاقتصادية فى العالم العربى بشكل عام فى انخفاض نصيب الفرد فى الانتاج ، وانخفاض دخله بالتالى ، بما يترتب عليه تدنى مستوى المعيشة ، وارتفاع معدلات البطالة المستترة والظاهرة العرضية والدائمة ، وضعف التغذية ، والارتفاع النسبى فى معدل الوفيات ، وانخفاض متوسط العجز وما يعنى ذلك كله من اهدار لقدر كبير من الطاقة البشرية ، التى كان يمكن أن تكون ذات فاعلية اكبر ، لتطوير أسلوب الحياة ، والتقدم فى سلم الحضارة ، لو أحسن استغلال الموارد العربية وتوزيعها ·

ويقدر نصيب الفرد العربى فى الناتج القومى فى المتوسط عام ١٩٧١ ، بحوالى ٢٥٠ دولارا فى العام ، أى أقل من عشر نصيب زميله فى الدول الصناعية المتقدمة ، ومع ذلك هناك تفاوت ضخم فى متوسط بين كل دولة عربية وأخرى ، وبين فئات كل مجتمع على حدة ، فينخفض الدخل فى المتوسط الى حوالى ١٠٠ دولار فى العام فى اليمن ، ويصل الى اكثر من ٤٠٠٠ دولار فى الكويت ، وذلك قبل الارتفاع الكبير فى الاسعار فى السنة الاخيرة

الذى انخفضت نتيجة له القوة الشرائية للدول العربية التى تعتمد على احتياجاتها من الخارج ، وارتفعت على العكس من ذلك القوة الشرائية للدول المتيسرة الحال منها ، والتى تقوم بالتصدير . فبينما يزداد العجز فى موازين مدفوعات الاولى يتضاعف الفائض فى الثانية • وفى داخل الدول العربية واذا استبعدنا الحالات الشاذة لبعض البلدان نجد أن التفاوت فى الدخول يصل الى ١ الى ٥٠ مع الاعتدال فى التقدير •

ولا يرجع انخفاض الناتج القومى فى البلدان العربية فى المتوسط الى فقر تلك البلدان ، وانما يرجع فى الاساس الى اختلال التوازن فى توزيع الموارد ، وتشتتها فى شكل يكاد يحيط بكل منها سياج من صنع الاوضاع القائمة ، الموروثة أو المفتعلة ، ولا تجمعها وحدة منظمة ، أو تربطها خطة عامة • وحتى تكون الصورة أكثر وضوحا ، يمكن أن نذكر بعض الحقائق : عدد سكان العالم العربى فى ١٩٧٣ يصل الى حوالى ١٤٠ مليون نسمة ، يشكلون ٣٫٦ فى المائة من مجموع سكان العالم ، ويعيشون فى مساحة تقدر بعشر مساحة المعمورة . وتترابط الدول العربية فى وحدة متصلة من الارض ، فى بقعة تتميز بمركزها الاستراتيجى المتوسط بين الشرق والغرب ، بين العالمين القديم منه والجديد • وتطل اجزاء كبيرة منها على المياه الدافئة . ولا تفصل بينهما حواجز أو عوائق جغرافية ، أو حضارية (وان تباينت مستويات المعيشة) ، بل يضمها تاريخ مشترك ، ولغة واحدة ، وهدف لا نغالى اذا قلنا أنه واحدة .

وتتوفر فى العالم العربى الامكانيات المادية ، ولا تعوزه الطاقات البشرية ، وهى التى يمكن عن طريق تفاعلها تحقيق التنمية واحراز التقدم • وليس هناك من بأس فى أن نورد بعض هذه الامكانيات التى لا اشك فى اننا ندركها جميعا ، وذلك للتذكرة والتأكيد ، . بل أن ما يعوزنا هو السياسة الموحدة ، وارادة التنظيم ، التى يسندها تفهم عام للحاضر ، وشكل المستقبل ، والثقة فى أن نمو العالم العربى ككل هو الضمان الوحيد ، ليس لنهضته فحسب ، وانما لانه ايضا ، بسبب التباين الذى نلمسه بين الدول العربية ، والفردية فى اتخاذ القرارات الاقتصادية ، تؤدى الى اضعافها بشكل عام ، مهما كانت القرارات السياسية التى تتخذ ذلك لان القرار السياسى السليم هو الذى ينعكس عن ادراك اقتصادى •

فاذا رجعنا الى الخامات المعدنية ، نجد مثلا أن خام الحديد يتوفر فى دول المغرب العربى ومصر ، والزنك والقصدير فى الدول الاولى ، والفوسفات فى المغرب والصحراء المغربية والاردن ومصر ، والمنجنيز والطلق فى مصر ، والكبريت فى العراق ، والبترول فى السعودية ودول الخليج العربى والجزائر وليبيا والعراق ومصر وسوريا ، والغاز الطبيعى فى الجزائر والكويت ، وتكثر الاسماك فى شواطىء البلدان المطلة على الخليج العربى والمحيط الهندى ، وتغزر الثروة الحيوانية فى السودان والصومال ، ومن الحاصلات الزراعية نجد القطن طويل التيلة يزرع بكميات وافرة فى مصر والسودان واليمن ، كما تزرع فى محاصيل المناطق الحارة والمعتدلة فى مختلف أجزاء الوطن العربى (يمتد من خط الاستواء الى خط عرض ٣٧٫٥ شمالا) • من أرز وقصب السكر ، الى الخضر والفاكهة ، الى الحبوب والبذور الزيتية بمختلف أنواعها •

وبالرغم من أن بعض هذه الموارد يستغل الاستغلال الامثل فى بعض المناطق كمصر كنتيجة للضغط السكانى وتوفر الكفايات الفنية فيها ، فاننا نجد أن بعضها الاخر يستغل بطريقة استنفادية خطيرة يخشى من أثرها فى المدى الطويل • وذلك نتيجة لتحكم الشركات الاحتكارية فيها كالبترول فى السعودية ودول الخليج • بينما نجد أن بعض الموارد الاخرى لا تستغل الا بالقدر الضئيل ولا ينعكس أثرها على مستوى الحياة الا بشكل باهت ، كالثروة الحيوانية فى السودان والصومال وذلك نتيجة لضعف المواصلات •

ويمكن أن نلمس تفاوتا واضحا فى التركز السكانى ، وضيق المساحة المنزرعة فى بعض المناطق ، وخفة السكان وانتشارهم فى ساحات شاسعة غير مستغلة فى مناطق أخرى •

والمحصلة النهائية لهذا الوضع ، هو ما نلمسه من وجود تباين فى علاقة الدول العربية بعضها بالبعض ، وفى علاقاتها بالعالم الخارجى ، فنجد مثلا أن صادرات الدول العربية بينها وبين بعضها لا تتعدى ٥ فى المائة فى سنتى ٧٠ ــ ١٩٧١ [اقل من نصف فى المائة فى الجزائر وليبيا وتصل الى ٧٫٥ فى المائة فى الاردن) مقابل ٧٠ فى المائة مع الدول المتقدمة اقتصاديا ، ١٧ فى المائة مع الدول النامية ، ٨ فى المائة مع مجموعة الدول الاشتراكية • وبلغت نسبة وارداتها من بعضها فى هاتين السنتين ٧ فى المائة (أقل من نصف فى المائة للمغرب ، ٣٠ فى المائة لليمن الديموقراطية) مقابل ٦٧ فى المائة مع الدول المتقدمة اقتصاديا ، ١٣ فى المائة مع الدول النامية ، ومثلها مع الدول الاشتراكية •

ويبدو من دراسة الميزان التجارى للدول العربية مع الخارج أنه حقق فائضا يقدر فى مجموعه بحوالى ٨ مليار دولار فى ١٩٧٣ مقابل حوالى ٢ مليار دولار فى ١٩٦٦ . الا أن الوضع الاقتصادى العام فى الدول العربية لا يمكن القول بأنه تحسن بدرجة ملموسة ، لان الزيادة فى ميـزان دول الفائض كانت تتحول فى الغالب الى استثمارات لتنشيط الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية فى الدول المتقدمة اقتصاديا ، بينما كان على الدول التى تواجه عجزا ، وهى فى الغالب التى تعمل جاهدة لتحقيق قدر ما من التنمية ، أن تغطى هذا العجز بتسهيلات ائتمانية وقروض من الدول المتقدمة اقتصاديا ، ذات فائدة اعلى من تلك التى تحصل عليها الدول ذات الفائض . ويثور الجدل حول انخفاض معدل التنمية فى الدول العربية ، والذى يتراوح بين أقل من ١ فى المائة و ٦ فى المائة سنويا . وينسب ذلك فى الاساس الى قلـة الاستثمارات فى الوقت الذى تشير فيه احصاءات صندوق النقد الدولى الى أن الاحتياطيات النقدية لعشر دول عربية فقط بلغت فى يونيو ١٩٧٤ ٥٣ر١٥ مليـون وحـدة من حقـوق السـحب الخاصة (١٥٩ر١٨ مليون دولار) مقابل ٢٦٥ر٤ مليون وحدة ح.س.خ. فى ديسـمبر ١٩٧٠ . كما تشير تلك الاحصاءات أيضا الى أن قيمة مساهمة الدول العربية فى صندوق النقد الدولى بلغت فى ٣١ أغسطس ٨٨٠ر١ مليون وحدة من ح . س . خ . بينما لم تتعد مسحوباتها من الصندوق فى مجموعها مبلغ ٢٠٤ مليون وحدة .

فالمشكلة الاقتصادية للعالم العربى اذن لا تكمن فى فقره فى الموارد أو الامكانيات ، بقدر ما هى فى سوء توزيع هذه الموارد والامكانيات من ناحية ، وعدم وجود خطة عامة لحسن استغلالها من ناحية أخرى .

تراكم الارصدة النقـدية واستغلالها بين الدول العربية وتلك المتقـدمة اقتصـاديا

تكررت مطـالب الاقتصاديين العرب لسنوات طويلة بضرورة وجود خطة عامة للتنمية العربية ، للقضاء على التعارض الاقتصادى الذى كان يخشى من نتائجه مع الوقت . ولضمان وجود قدر أكبر من الاستقرار الاقتصادى ، والارتفاع بمستويات المعيشة . غير أن هذه المطالب كانت تنقد بأنها غير عملية ، أو أن الهـدف منهـا هو امتصاص الفوائض المتراكمة لدى بعض البلدان العربية ، والتى كانت تجد طريقها الى البنوك الاجنبية فى شكل حسابات جارية ، أو ودائع قصيرة الاجل .

حتى اذا كانت الازمات النقدية التى حاقت بالعالم الغربى منذ أواخر ١٩٦٧ ، واخذت قيمة العملات الكبرى كالدولار والاسترلينى والفرنك الفـرنسى والليرة الايطالية تتدهور ، قامت الضجة فـى الاوساط المالية ، وبالاخص فى الولايات المتحدة تتهم الدول العربية ذات الاستثمارات المالية فيها ، بأنها هى المتسببة فى التيارات التى تعصف بقيمة العملات نتيجة سيولتها ، وتحركها وراء الفائدة العالية من سوق الى أخرى . وتجاهلت هذه الاتهامات العنصر الاساسى لتدهور قيمة العملات وهو التضخم . وأن الحركات الكبيرة للاموال السائلة ليست الا نتيجة مباشرة لتذبذب قيمة النقد ، هذا فضلا عن أن حرية التحويل هى من العناصر الاساسية التى ركزت عليها الولايات المتحدة لسياسة النقد العالمية بعد الحرب العالمية الثانية ، بالرغم مما كان فى تلك السياسة من خطورة على البلدان التى كانت تعيد تعمير ما خربته الحرب ، والبلـدان النـامية ، حـديثة الاستقلال . ودبجت المقالات ونشطت اجتماعات رجال المال مؤيدة لوجهة النظر الامريكية والتى حددت الحل فى ضرورة تجميد الأموال حيث هى ، وعدم السماح بتحرك ما يمكن تحريكه منها الا حسب الحاجة المالية والاقتصادية للدولة المودعة . وتقدم البعض باقتراحات أن تشارك هذه الاموال فى مشروعات تنمية مختلفة فى الدول التى توجد فيها ، وهو ما يعنى باختصار تجميد هذه الاموال ، وخضوعها لسيطرة الدول الكبـرى . وكانت بريطانيا قد عملت فى منتصف ١٩٦٨ على فرض نفوذها على بعض الدول المودعة لـديها - بعد تدهور سعر الاسترلينى فى أواخر ١٩٦٧ - لتقبل تجميد حساباتها بالاسترلينى مع ضمان الاحتفاظ بالقيمة التبادلية مع الدولار (حينما عرضت احدى الدول أن يكون هذا الضمان ، بـالقياس الى الذهب ، رفض عرضهـا) ، وكان يعنى انخفاض قيمة الدولار بعد ذلك وتعويم الاسـترلينى ، انخفاض القيمة الحقيقية لتلك الودائع المضمونة . وزادت الضجة بشكل أضخم حينما رفع سعر البترول ، وأخذت أرصدة الدول المنتجة لـه تتضخم ، فتوالت اجتماعات كبار المسئولين فى الدول الغربية لتحديد طريقة توزيع هذه الاموال المتزايدة ، قبل أن تجد طريقهـــا الى مجـــالات لا يرضاها القائمون على سياسة واقتصاديات تلك الدول .

وتشير الصحف الى عرض دكتور كيسنجر وزير خارجية الولايات المتحـدة لمشروع يقضى بانشاء بنك فى شكل بنك للتسويات يستقبل حوالى

٢٥ مليون دولار سنويا ، من الاموال العربية فى البنوك الامريكية والاوربية ليعاد توزيعها بين الدول المتقدمة صناعيا التى تواجه عجزا فى موازين مدفوعاتها ، ويتم الاشراف عليه عن طريق حكومات تلك الدول ، كما تشير الى اقتراح آخر لوزير مالية بريطانيا يتلخص فى تكوين رصيد سنوى قدره ٣٠ مليون دولار من فوائض الاموال العربية ليشرف على توزيع التسهيلات منه صندوق النقد الدولى . وفى نفس الوقت نلاحظ أن الحملة لا تتوقف ضد الدول العربية المنتجة للبترول ، وتحملها مسئولية المشاكل المالية العالمية ، ومشاكل الغلاء ، بل ومشاكل المجاعات التى تجتاح بعض أجزاء العالم النامى .

وفى بحثها عن مجالات الاستثمار كان تركيز الدول العربية المنتجة للبترول ذات الفائض الكبير على الدول الغربية ، من شراء الاراضى والعقارات ، الى أسهم بعض الشركات ، مما كان له ردود فعل فى تلك الدول بشكل يدعو الى كثير من الحذر . فبمناسبة شراء أبو ظبى لـ ٤٤ فى المائة من أسهم احدى شركات البناء فى لندن بمبلغ ٣٦ مليون جنيه استرلينى ، وعرض مكتب الاستثمار الكويتى لشراء صفقة من أسهم شركة « سانت مارتنز العقارية » بمبلغ ١٠٧ مليون جنيه ، ثارت بعض الصحف الانجليزية ، وأبدى بعضها خوفا من أن تتجه الاموال العربية الى التحكم فى سوق المال وفى بعض الشركات . وذكرت احدى الصحف أن حصيلة الكويت مثلا تقدر فى ١٩٧٤ بما يتراوح بين ٢٥٠٠ ، ٢٧٥٠ مليون جنيه استرلينى . وهو أكثر من ضعف قيمة أسهم الشركات العقارية فى لندن ، والذى قدر على حسب أسعار ٦-٩-٧٤ بحوالى ١٠٠٠ مليون جنيه .

والملاحظ أن عرض شراء من احدى الدول العربية يؤدى الى ارتفاع كبير فى أسعار الصفقة موضع العرض ، كما أشير مثلا الى أن صفقة أسهم الشركة العقارية السابقة التنويه اليها ، ارتفعت عند العرض من ٨٦ مليون جنيه الى أكثر من ١٠٠ مليون جنيه . وتشير احدى الصحف الانجليزية الى أنه نتيجة قيام اشاعة شراء احدى الدول العربية لاسهم شركة « أ . ب . م . » المحاسبة الالكترونية ، كان هذا كفيلا برفع أسعار أسهمها من ٧٥ر٦ دولار الى ٧٥ر١٨٦ دولار فى سوق نيويورك . ومن الطريف أن أحد العروض التى قدمت لاحدى الدول العربية هو المساهمة فى تمويل استخراج البترول من بحر الشمال ، كما عرض من قبل على تلك الدولة المساهمة فى تمويل اقامة مشروعات تكرير للبترول وبتروكيماويات فى الولايات المتحدة ، وليس فى أى دولة عربية . وقد تفتق ذهن أصحاب الاموال فى البحث عن وسيلة جديدة لامتصاص ما يمكن امتصاصه من الاموال العربية ، وذلك عن طريق صفقات ضخمة من الاسلحة والطائرات ، فى الوقت الذى تؤكد فيه أنها تريد السلام فى الشرق الاوسط ، وأنها ستحول دون أى عمل يؤدى الى ضرب اسرائيل .

وليس هذا مجال سرد أخبار مختلف الصفقات والتعليق عليها ، وما يهمنا أن نشير اليه هنا أنه لا الاحتفاظ بالاموال العربية فى شكل أرصدة نقدية مقبول فى الدول الغربية ، ولا الدخول فى صفقات لشراء عقارات أو أسهم بعض الشركات يلقى الترحيب ، بالرغم من تأكيد بعض المعلقين الماليين الى أن وجود الاموال العربية فى الدول الغربية هو عنصر هام للاستقرار المالى ، لان تحولها الى قوة شرائية يمكن أن يصيب اقتصاد تلك الدول بالدمار . حقيقة أن هناك مشروعات للاستثمار فى الدول العربية والنامية ، وبنوك وصناديق قد تكونت للتخفيف من أثر ارتفاع أسعار البترول الاخيرة ، ولضمان استمرار التضامن بين دول العالم الثالث ، وأنه قد قدمت معونات وقروض فعلا من الدول العربية البترولية فى هذا المجال ، غير أن ما قدم حتى الان لا يتناسب ، سواء مع ما تتحمله تلك الدول من أعباء نتيجة ارتفاع أسعار البترول ، أو بالموازنة مع ما يجد طريقة للاستثمار فى الدول المتقدمة صناعيا ، الامر الذى دعا بعض المعلقين الى القول أن الدول البترولية تقوم بشكل لا ارادى باعادة توزيع الموارد لصالح الدول المتقدمة على حساب تلك الدول النامية . وتقدر الاعباء الاضافية على أساس ارتفاع أسعار البترول بحوالى ٢٥ر٧ دولار للبرميل مثلا ، وبمعدل استهلاك ١٩٧٢ ، بالنسبة للدول العربية المستوردة للبترول بحوالى ٣٢٢ مليون دولار . وفى نفس الوقت تقدر الاعباء الاضافية على الدول الافريقية والاسيوية النامية بحوالى ٤٣٠٠ مليون دولار وذلك فى عام ١٩٧٤ . ويقدر مستر سيمون وزير مالية الولايات المتحدة أن فائض الاموال المنتجة للبترول (من ٧٥ فى المائة الى ٨٠ فى المائة منها عربى) فى المدة من يناير - أغسطس ٧٤ بمبلغ ٢٥-٢٨ مليار دولار ، اتجه ٣ مليارات منها الى سوق الاسترلينى ، ٧ مليارات الى الولايات المتحدة ، ومن ١٠ - ١٣ مليارا فى شكل ودائع فى البنوك الاوربية . هذا ويقدر قيمة الفائض الذى سيتحقق للدول العربية البترولية خلال عام ١٩٧٤ بما يتراوح بين ٥٠ ، ٦٠ مليار دولار ، لا يتصور أن تتمكن أسواق تلك الدول من استيعابها مهما كانت درجة التنمية المطلوبة .

٣ مجالات للاستثمارات العربية

ان استمرار تراكم الاموال البترولية العربية فى بنوك الغرب ، او استثمار قدر طيب منها فى مشروعات فى الدول الغربية سيثير متاعب لاحد لها للدول العربية . وعليها ان تدرس موقفها ، من وجهة مصالح أجيالها الحاضرة والمستقبلة وضمان الاستقرار لهم ، الذى يتم بشكل منعزل عن الدول العربية ، التى تعتبر بمثابة الدرع لها ، ومصدر القوة الذى ترتكز عليه .

ويمكن أن نحدد مجالات الاستثمار للاموال العربية فى الاتى :

١ ــ استثمارات فى البلدان صاحبة الاموال أصلا .
٢ ــ استثمارات فى نطاق العالم العربى .
٣ــ استثمارات فى بلدان عربية محدودة .

استثمارات فى البلدان صاحبة الاموال

ليس هناك مجال للجدل فى أن البلدان البترولية لها الحق الاول فى استثمار عوائدها البترولية فيها ، وذلك باعتبار أن البترول سلعة استنفادية ، وبعد أن ينضب يصبح مركز السكان حرجا لو لم يعد لهم البديل منذ الان . ولعل اول مجال للاستثمار يخطر بالذهن فى هذه البلدان هو استعادة السيطرة الكاملة على الاستثمارات الاجنبية فيها ، وبمعنى آخر تأميم تلك الاستثمارات ، والاستفادة بالخبرات الاجنبية كخبرات ليس الا . وهذا الامر يعطى الدول البترولية حرية اكبر فى تكييف أوضاعها ، وتنظيم الاستخراج واستمرار البحث والتنقيب . وقد لا يوافق البعض على هذه الفكرة على أساس أن التبادل والتعاون الدولى أفضل من الانغلاق الذى قد يؤدى اليه التأميم ، وتقدم أمثلة لذلك الدول الغربية نفسها ، التى تستثمر أموالها فى الخارج ، وفى بعضها البعض دون حرج . غير أن الامر ليس كذلك بالنسبة لحالتنا هذه ، التى يمكن أن نلمس كيف يثير لنا الاستعمار الاجنبى الكثير من المشاكل ، والتعقيدات السياسية والاجتماعية .

ويحضرنا فى هذا المجال دور شركة نفط العراق فى اثارة الكثير من المتاعب للحكومة . وحتى لا يكون البترول فى تكريره ونقله مجال احتكار للشركات الاجنبية التى يمكن أن تسبب متاعب للدول المنتجة ليس هناك مفر من أن نقيم معامل التكرير ، وتبنى الناقلات ، ولو انه بالنسبة للاخيرة قد يكون من الافضل لو كانت هناك شركات مشتركة بين الدول البترولية لضمان اكبر قدر من كفاية التشغيل .

واذا كان البترول سينفد بعد مدة طالت أو قصرت ، فمن الجدير بالاهتمام الاسراع فى الدراسات الخاصة بتحلية مياه البحر ، لاسيما بالنسبة للمناطق الواسعة التى يحول نقص الماء بينها وبين الزراعة ، وذلك حتى يمكنها أن تغطى ولو الحد الادنى من احتياجاتها الغذائية . وما قد يبدو فى لحظة ما انه غير اقتصادى ، قد يكون حيويا فى لحظة أخرى . وقد اشارت احدى الدول العربية فى معرض المناقشة حول الاستفادة بالاموال العربية فى الخارج ، انه يهمها أن يقابل التنازل عن جزء منها ، الحصول على الامكانيات العالمية الفنية الصناعية . واذا كانت الصناعة متطورة فان الحصول على الخبرة وحدها لا يكفى ، وانما ضرورة اقامة المنشئات العالمية التى تعمل على دراسة الاحتياجات العربية واستنباط الاساليب اللازمة لتطوير أحوال المجتمع بشكل عام .

وقد يتصور البعض أنه يمكن استثمار جميع الاموال العربية فى البلاد التى نبعت منها ، غير أن اعادة صب هذه الاموال بالقدر الذى تتكون به يؤدى الى حالةتضخم رهيبة فى تلك البلدان . واذا لاحظنا أن الكثير من الدول البترولية صغيرة المساحة ، قليلة السكان ، فان ذلك يجعل طاقتها على الامتصاص أو قدرتها على الاستيعاب ضعيفة نسبيا . ومع ذلك فان تركز الاموال والاستثمارات فى الدول البترولية وحدها يجعلها فى شبه عزلة ، ومعرضة للضغوط الكثيرة ، لانها اذا قامت بالانتاج عليها أن تعمل على التصريف ، ومالم تكن الاسواق مفتوحة أو قادرة على الاستيعاب الكامل فان المنتجات ستلقى البوار . وينعكس ذلك فى

النهاية على المشروعات التى تصبح عبئا أكثر منها مصدرا للنماء والرخاء .

استثمارات على نطاق العالم العربى

يفرض النمو المتوازن وجود خطة عامة ، تحدد الاحتياجات وتطورها ، وتهيء الاستثمارات اللازمة لذلك . واذا كان تركيز الاستثمارات فى البلدان التى يتكون فيها الفائض ليس بالامر الهين ، ان لم يكن شبه المستحيل ، فان توجيه الاموال للاستثمار على نطاق العالم العربى ، وفى المشاريع التى تمس هذا العالم فى مجموعه امر يمكن الى حد كبير ان يتطلب خطة طويلة الامد. فالملاحظ أن الدول العربية على كبر عدد سكانها ، واتساع رقعتها ، واطلالها على المحيطات والبحار الهامة لا يوجد بها من الاساطيل التجارية الا القليل . فلم تزد حمولة هذه الاساطيل فى ١٩٧٢ على ١٢٢٠ الف طن او حوالى ٤٥ر فى المائة من حمولة اساطيل العالم ، وتقل حمولة الاساطيل التجارية فى تلك السنة لكل من مصر والعراق ولبنان والغرب والسودان مجتمعة عن حمولة السفن الاسرائيلية وحدها ، وباضافة السفن الكويتية نجد أن مجموع الاساطيل العربية يقل عن عشر حمولة أساطيل اليونان .

والملاحظ ان البلدان العربية لم تغير الاسلوب الذى كان سائدا فيها قبل استقلالها ، اذ يتركز اهتمام كل منها على تعبيد مايمكنه من الطرق الداخلية بغض النظر عن الطرق التى يمكن أن تربط العالم العربى ببعضه البعض واذا وجدت خطوط حديدية فهى متباعدة ، مما يجعل أثرها محليا محدودا ، ولا يمكن للعالم العربى أن يتقدم الا اذا ربط بشبكة من الطرق والسكك الحديدية . ولعلنا نكون قد استفدنا من درس حرب يونيو ١٩٦٧ الذى ادى اغلاق قناة السويس الى كثير من المتاعب لاغلب الدول العربية ، هذا مع العلم بأن شق الطرق وانشاء السكك الحديدية لا يحتاج الى خبرة متميزة ، وان تطلب تكاليف عالية . وقد يتساءل الانسان هل وجود البترول فى عدد من الدول العربية كان يعنى اقامة معامل التكرير ، والبتروكيماويات فيها وحدها ، وفى رأينا ان ذلك ليس بالامر الممكن من ناحية ، وان كان ممكنا فانه غير مستحب من ناحية اخرى . فهو غير ممكن حيث يتضخم حجم الانتاج ويتزايد ، وذلك لما قد يؤدى اليه ذلك من مصاعب فنية وعملية ، وهذا غير مستحب لانه يركز المشروعات فى مناطق قليلة مما يجعل الاغراء بالسيطرة عليها كبيرا ، فضلا عما يثيره هذا التركز من تناقض مع الدول العربية الفقيرة . وقد يكون من المستحب مثلا أن يقام أكثر من معمل للتكرير فى المناطق العربيه ، لان ذلك يساعد على الترابط من ناحيه ، ويخفف من مشاكل البلدان التى تستورد كل حاجتها من البترول من ناحية اخرى وذلك فضلا عن الفائدة الاستراتيجية ، ويمكن مثلا ان يدعم معمل التكرير فى عدن . ويقام معمل فى بربرة أو مقديشو ، وثان فى الحديدة أو سطيف ، وثالث فى بورسودان ، وهكذا ، اما بالنسبة للبتروكيماويات فهذه تتطلب دراسة دقيقه ويمكن اقامة مجمعات فى مراكز محددة لتترابط مع المراكز الحالية . لتكون لدينا شبكة متماسكة من مشروعات البتروكيماويات ، يتفرع منها صناعات يمكن أن تمتد الى البلدان العربيه القريبة من تلك المراكز .

وازاء التهديدات التى وجهت للعالم العربى اخيرا بالنسبة للمواد الغذائية للضغط عليه سياسيا أو لتخفيض أسعار البترول ، يتطلب الامر دراسة امكانيات التوسع والاستثمار فى المواد الغذائية ، زراعية او حيوانية او سمكية . فهناك مجالات واسعة للزراعة فى السودان والصومال ومنطقة الهلال الخصيب ، وكل ماتفتقر اليه هى التمويل والمواصلات ، وهناك امكانيات ضخمه للاستفادة من الثروة الحيوانية ومنتجاتها فى السودان والصومال ، وكذلك الثروة السمكية فى منطقة الخليج وجنوب الجزيره العربيه والصومال وقد يرتبط بالتنمية الغذائية انشاء مصانع الاسمدة والمبيدات ، والاهتمام بدراسات التربه والافات ، واستنباط البذور والسلالات المحسنة ، وهذا يمكن ان يحدث بدرجة اعلى من الكفاية لو تم على نطاق العالم العربى ، بدلا منه على نطاق كل دولة على حدة .

وقد يدعونا ذلك كله الى التفكير فى انشاء جامعة للدراسات العربية بمختلف تخصصاتها وفروعها . وفى ظروف العالم العربى ، الذى يواجه بضغوط من مختلف الاتجاهات للسيطرة عليه أو ابتزازه ، لا مفر من اقامة صناعة حربيه متطورة ، حتى لا يظل العالم العربى فى اتخاذ سياساته ، تحت رحمة الدول الموردة للسلاح ، وهناك خطوات قد بدأت تتخذ فى هذا السبيل .

وفى مجال الطاقة ، لا يمكن البقاء وانتظار نفاد البترول أو نقصه بدرجة كبيرة ، لان معنى ذلك اضعاف أجهزة الانتاج وعودتها الى سيطرة الدول المتقدمة مرة أخرى ، والمجالان الاساسيان لنا هما الاهتمام بالابحاث النورية ، وكذلك توليد الطاقة من اشعة الشمس .

استثمارات فى بلدان عربية محددة

حينما أثير موضوع الفوائض المالية العربية ، تقدمت بعض الدول العربية بعروض للاستثمار فيها ، واشتد الجدل فى داخل هذه البلدان عن طبيعة هذا الاستثمار ، لاسيما وقد عاشت هذه الدول فترات عصيبة حينما كان رأس المال الاجنبى والخاص يرتع فيها ، ولم يقدم الا القليل ، وتسبب فى مشاكل اجتماعية كثيرة . ومما زاد من حدة المناقشات ماذكر من أن بعض الممولين العرب يفضلون شراء أنصبة الدولة فى مشروعات معينة ، مما اعتبر بمثابة ردة فى المسيرة الاجتماعية ، تؤدى الى اضعاف القطاع العام وتصفيته . ولهذا فانه لا يمكن تجاهل التركيب الاجتماعى فى دولة ماعند التفكير فى الاستثمار فيها .

واذا كان الاستثمار سهلا ميسرا فى بلدان توافق اوضاعها الاجتماعيــة عــلى الحــرية الاقتصادية والملكية الخاصة دون حدود ، فان هذا الاستثمار فى بلدان تعمل على التنمية بالاسلوب اللارأسمالى يصبح غير مناسب ، وبالتالى لا مفر من أن يكون فى اطار الخطة المقبولة اجتماعيا فى البلد . وقــد يكون ابسط السبل بالنسبة للبلدان النامية حصــول اصــحاب الامــوال البلد على سندات ذات فائدة معروفة ، ولاجل محــدده ، ويمكن أن يخصص لها قطاع للاستثمار على أن يكون هذا القطاع مما يدر عائدا يمكن تحويل مورده الى الخارج ، وفى هذا المجال يجب تجنب تملك الارض الزراعية ، او اقامة المساكن العالية او تلك اللازمة لاصحاب الدخل المحدود ، كما يحظر الدخول فى مشروعات الصناعات الصغيرة حتى لا يقوم الاحتكاك مع الطبقة العاملة بشكل مباشر مما يثير مشـاكل لا داعى لها .

واذا كانت تلك البلدان تفرض نوعا من الرقابة على النقد لضمان التنمية ، وعدم تهريب الاموال ، فان دخول الاموال اليها يجب أن يلتزم بتلك القيود ، حتى لا تستخدم الحاجة الى الاستثمار كوسيلة لتهريب الاموال وهو مالمسناه فى مصر حينما فرض التأميم على بعض المشروعــات الاجنبية ، ثم تبين ان ملكية أصولها قد تحولت الى بعض الاخوة العرب دون أن يرتبط بذلك تحويل نقدى فعلى الى البلد . وحدث نفس الشىء حينما اتخذت بعض البلدان اجراءات ثورية فاسرع بعض الملاك المحليين الى تحـــويل ملكياتهم الى بعض الاخوة العرب مقابل الحصول على نسبة قليلة من قيمتها الحقيقية بعملات فى الخارج . ليس هناك من يرفض الاستثمار الذى يساعد على التنمية ، على الا يتسبب فى أحداث تناقضات اجتماعية أو سياسية ، وبالتالى فان الامر يحتاج الى دراسة اعمق ، ووضـــــوح فى التخطيط . وســتأخذ التحفظات فى التلاشى والقيود فى الزوال ، حينما تتقارب الاهداف الاجتماعية العربية ، وهو مايجب أن يكون همنا الاول العمل له .

ضمانات الاستثمار فى العالم العربى

قبل ان نتكلم عن الضمانات الواجب توفيرها لاخواننا العرب أصحاب الموارد البترولية ، علينا أن نبحث أولا عن الضمانات التى يتحصلون عليها حاليا من استثماراتهم فى العالم الغربى . يهتم اغلب المستثمرين فى دول الاقتصاد الحر ، بما يتمتعون به من حرية التحويل ، وارتفاع أسعار الفائدة الذى يحصلون عليه ، وضمان عدم الاستيلاء على أموالهم عن طريق المصادرة أو التأميم . غير ان هذه الامور جميعا تعتمد ابتــداء على ثبات الاوضاع العامة فى تلك الدول ، وثبات العلاقة بين دول أصحاب الاموال والدول المستثمر فيها .

ونحن لو رجعنا الى الواقع المتطور ، فاننا نلاحظ مثلا ان اسعار العملات التى يحتفظ بهـا كودائع تتغير كنتيجة للظروف الاقتصادية لتلك البلدان ، فحدوث عجز كبير ومستمر فى ميزان المدفوعات وارتفاع حدة التضخم ، تؤدى فــى النهاية الى خفض فى قيمة العملة . وحتى لو لم يحدث خفض فى قيمة العملة فان التضخم يعنى اضعاف القوة الشرائية لقيمة الودائع .

ولو رجعنا الى التغير الذى أصاب العملات المختلفة . نجد أن قيمة الاسترلينى مثلا حتى ٢٠ سبتمبر ١٩٣١ كانت ٤٫٨٧ دولار ، ثم انخفضت قيمته بالتدريج فى السنوات ٣١ ، ٤٩ ، ٦٧ ، ٦٨ . وأصبحت قيمته لا تتعدى الان ٢٫٣٢ دولار . وحينما تعهدت الحكومة البريطانية لاصحاب الاحتياطيات بالاسترلينى أن تحتفظ لهم بسعر ثابت الى الدولار لو قبلوا استمرار ابقاء احتياطياتهم فيه فى منتصف ١٩٦٨ ، نجد أنها قد اضطرت اخيرا الى الغاء هذا الضمان .

واذا رجعنا الى الفرنك الفرنسى مثلا ، نجد أن سعره عند نهاية الحرب العالمية الثانية وحتى ٢٥ ديسمبر ١٩٤٢ بلغ ما يعادل ٤٢٫٣٠ فرنك [قديم] للدولار ، ثم اخذ سعر الفرنك يتدهور منذ ذلك

التاريخ الى ان وصل الى ٤٩٣٫٧١ فرنك [قديم] للدولار فى أواخر ديسمبر ١٩٥٨ ، ويصل السعر الان الى حوالى ٤٫٨٢ فرنك جديد [حوالى ٤٨٢ فرنك قديم] .

اما الدولار نفسه وكان أثبت العملات حتى وقت قريب بالنسبة للذهب ، فبينما تراوح سعر الاوقية من الذهب فى السنوات ١٩٤٠ ، ١٩٥٩ بين ٣٢٫٧ دولار الى ٣٥٫٦ دولار ، وصل الرقم الان الى حوالى ١٩٠ دولارا للاوقية .

ويعنى انخفاض قيمة العملات ، أو تدهور قوتها الشرائية انخفاض قيمة الودائع الموجودة بها ، وكذلك الاستثمارات فى شكل سندات . أضف الى ذلك أنه لو رجعنا الى الاوضاع المصرفية العالمية فى الاشهر الاخيرة ، نجد انها فى مركز حرج نتيجة التغيرات الكبيره فى أسعار الفائدة ، وأسعار العملات ، الامر الذى أدى الى انهيار بعض البنوك فى المانيا ، وسويسرا ، وتكبد البنوك فى الولايات المتحدة وبريطانيا واليابان بخسائر فادحة .

وحينما وجد اصحاب الاموال مصلحة لهم فى الاتجاه نحو العملات المتينة كالمارك الالمانى ، والين اليابانى ، والفرنك السويسرى لم تقابل بالترحيب ، ووضعت قيود على دخولها ، وعمدت سويسرا أكثر من مرة الى الغاء الفائدة التى تمنح على الودائع الاجنبية الواردة اليها . وهذه الدول لا تشجع الاندفاع نحو أسواقها المالية ، حتى لا يؤدى ذلك الى تضخم لا تتحمله اوضاعها ، او يتنافى مع سياستها الاقتصادية .

اما عن ضمان الحركة ، فيمكن أن نعود بالذاكرة الى مافعلته بريطانيا بعد الحرب العالمية الثانية حينما جمدت الارصدة الاسترلينية التى تكونت نتيجة اتفاقها الحربى ، ولم تفرج عنها الا بشكل مجزأ لم يخدم الهدف العام من اعادة التنمية ، وقد مرت الهند ومصر بهذه التجربة القاسية . وجمدت الارصدة المصرية ، مرة اخرى ، فى بريطانيا وفرنسا ،حينما لجأت مصر الى تأميم قناة السويس ، وهددت الولايات المتحدة - كما ذكرنا - بتجميد الارصدة الكبيرة لديها بعد خفض قيمة الدولار اخيرًا فى فبراير ١٩٧٣ وذلك بدعوى أن حرية حركة الارصدة هى السبب فى القلقلة الاقتصادية ولم تأخذ بهذا الاجراء الا بشكل مخفف لمواجهتها بمشكلة ايقاف ضخ البترول وارتفاع سعره كما ذكرنا بعد حرب أكتوبر .

اما عن الضمانات ضد التأميم ، فهذه مسألة وان تكن مستبعدة الحدوث فى الدول الغربية فى الوقت الحاضر . غير أنها ليست بعيدة الاحتمال ، فبرنامج حكومة العمال فى بريطانيا مثلا يشير الى تاميم اراضى البناء ، وبعض الصناعات ، وشركات أحواض السفن الخ ... ولا نشك فى ان نظم الدول الغربية تفرض التعويض وفقا لاسعار السوق عند التأميم ، وهو ما أتبعته بريطانيا وفرنسا بعد الحرب العالمية الثانية . غير أن المهم هو ليس دفع التعويض بعملة البلد فحسب ، وانما القدرة على تحويله الى عملات حرة اخرى ، وهو امر لا يمكن ضمانه ، وبالذات اذا كانت المبالغ المطلوب تحويلها تثير الارتباك فى ميزان المدفوعات . واذا سمح بأستخدام قيمتها فى الشراء من السوق ، فعلى أصحاب الاموال أن يواجهوا ما تضعه الاجهزة المختلفة من اولويات فى الطلب ، ونوعيات السلع المطلوبة . وقد استخدمت بريطانيا هذا الاسلوب لاضعاف اثر مسحوبات الاسترلينى فيها بعد الحرب العالمية الثانية واتجهت الولايات المتحدة نفسها الى وضع قيود على تصدير بعض السلع للدول التى اعتبرت حكوماتها غير صديقة . وليس هناك ما يستبعد أن تعامل الدول العربية بهذه المعاملة اذا وجد المسئولون فى الغرب ان هذه هى الوسيلة الفعالة لشل حركة الاموال المتراكمة فيها ، دون أن تواجه بموقف مضاد لا يمكنها مقابلته .

نخرج من ذلك انه ليست هناك ضمانات مؤكدة للاستثمارات العربية فى الخارج . ولا يمكن لاصحاب الاموال ان يطلبوا ضمانات معينة ، يمكن أن تعتبر ماسة بالاقتصاد القومى . وكما رأينا تثير بعض الاستثمارات فى سوق الاوراق المالية ، أو فى شراء العقارات فى الدول الغربية موجة من عدم الرضا . واذا كانت الولايات المتحدة قد أصدرت قدرا خاصا من سندات الدولة لامتصاص قدر من أموال احدى الدول العربية ، والاشارة فى الجرائد المالية الى ان هذه السندات ليست للتداول فى السوق ، فان ذلك يعنى الشىء الكثير .

واذا كان الوضع كذلك ، فعلى أصحاب الاموال العرب الا يطلبوا المستحيل من الدول العربية التى تدعو لان تستثمر أموالها فيها . ولا نعتقد أن هناك دولة عربية يهمها الاضرار بدولة عربية أو غير عربية فى المجال الاقتصادى - واذا كانت قد تمت تأميمات ومصادرات فى بعض البلدان كمصر وسوريا والعراق والجزائر واليمن الديمقراطية مثلا ، فان هذه الاجراءات كانت قد أعقبت

اجراءات ثورية ، وكانت لمواجهـة حالة غيـر طبيعية ، تولدت نتيجة الحرية الاقتصادية ، وتحكم الاستعمار فى تلك البلدان ، ونمو طبقة مستغلة كانت عنصرا معوقا للنمو الاقتصادى . واذكر أنه عند المفاوضات الخاصة بتعـويضات المشروعـات الاجنبية المؤممة فى مصر ، اثير موضوع مصدر الاموال موضع الاجراءات ، وهى لم تدخل الى البلاد بالوسائل الطبيعية ، ولم تظهر فى حسابات البنوك باعتبارها حولت عن طريقهما .

وقد اعدت الجامعة العربية اتفاقية المؤسسة العربية لضمان الاستثمار العربى فى ١٩٧٢ ، وأعتقد أن هذه الاتفاقية تقدم ما يمكن أن يضمن مطالب المستثمرين . ومع ذلك فيمكننا أن نرسم الخطوط العريضة للضمانات . ولعل أول ما يهتم به المستثمر امكانه استرداد ماله ، بنفس العملة التى دخل بها ، غير منقوصة ، وهذا الامر ليس فيه جدال . غير أن علينا أن نفرق بين ما يدخل الى البلد فى شكل قروض وهذه لا تثير مشكلة ، وبين ما يدخل فى شـكل اسـتثمارات . ويشـترط لاعادة التحويل أن تكون قد استثمرت فـى مشروعات متفق عليها مسبقا ، أو داخلة ، ضمن خطة معينة ، ويكون التحويل مناسـبا للقيمـة الحقيقية للاصل القائم ، بمعنى الا يطلب اعادة تحويل مبلغ مقابل قيمة مشروع قد استهلك أو ثبت فشله . وما يمكن تحويله فى هذه الحالة هو قيمة التصفية ، ولضمان عدم التلاعب يشترط فـى المشروعات التى تعتمد على مال مستورد ان تكون فى شكل شركة مساهمة حتى يسهل مراقبتها عن طريق قوانين شركات المساهمة ، ومعنى ذلك أن الاموال التى تدخل عن غير طريق الجهات المنظمة لاستخدام رأس المال الاجنبى لا يكون لها الحق فى التمتع بضمان استرداد القيمة ، الا اذا كانت قوانين البلد لا تعارض فى ذلك .

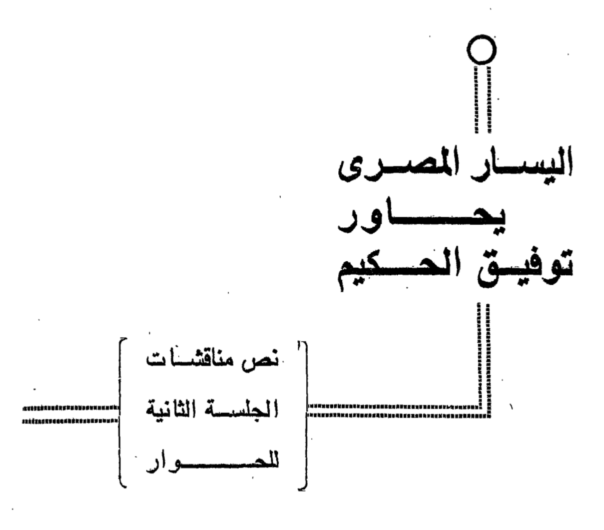
وقد يتساءل البعض عـن الموقف فى حـالة التأميم ، وهى حالة علينا أن نقبلها ، اذ لا يمكن وضع قيود على سلطة أى دولة ، لانها حينما تتصرف فانها تتصرف بوحى من الصالح العام ، وما دامت تؤمم ملكية شخص بالذات ، فانما تؤمم مرفقا ما فليس هناك حرج عليها . وينادى البعض بضرورة ان يكون التعويض عادلا وكلمة العدالة هنا تتطلب تحديدا أكبر ، فهل يقصد بالعدالة القيمة الحالية للاصل ، ام القيمة التبادلية ، ام القيمة التقديرية على اساس الربح الذى كان يمكن أن يديره المشروع ؟ أم التعويض هو الذى يمكن تقديره على أساس ربحية أو انتاجية رأس المال المستثمر ؟ ولسنا هنا فى مجال مناقشة كل وسيلة على حدة .

ولعل المنطقى أن يكون التعويض فى مثل هذه الاحوال على أساس الربحية الحقيقية للمشروع ، الناشئة من كفاية التشغيل ، وليس القيمة السوقية المترتبة على التطور الاجتماعى كحالات ارتفاع اسعار الاراضى والعقارات بشكل تلقائى نتيجة لظروف التنمية ، وضيق الرقعة الزراعية أو تحديد مناطق البناء وكيفيته الخ ..

وبالنسبة للمبالغ التى قد ترد للبلد سواء عن طريق الاقتراض المباشر للحكومة او للمؤسسات وشركات القطاع ، والشركات الخاصة التى توافق عليها جهة التخطيط مثلا ، فانه يمكن الاخذ بنظام ضمان قيمتها بضمان السعر الموجود به فى الاسواق العالمية . هذا طبعا مع الموافقة على ضمان سـداد قيمة الفوائد عنـد اسـتحقاقها هى والاصل، عند انتهاء المدة بالعملات التى يتم بها القرض . اما اذا تم الاقراض أو الاكتتاب فى داخل البلد ، او وصلت الاموال بوسيلة غير تلك المتفق عليها اساسا فى مثل هذه الاموال ، فان الفوائد والاصول تدفع بالعملة المحلية او بالاجنبية تبعا للاموال ، وتكون خاضعة للنظام الذى كان يسرى على هذه المبالغ قبل اقراضها .

ويثير البعض أحيانا مشكلة التضخم واثرها فى خفض القوة الشرائية للعملات ، غير أن هذه المشكلة ليست من صنع أحد بالذات ، ولا توجد حكومة ترغب فى حدوث تضخم فيها ، لما يؤدى اليه ذلك من متاعب ومشاكل كثيرة ، وبالتالى لا توجد دولة فى العالم نجد فيها جهازا يؤمن ضد مخـاطر ارتفاع الاسعار . وكل ما يمكن ضمانه كما سبق أن قلنا هو ضمان علاقة نسبية بين العملة المحلية والعملة التى ترد بها الاموال من الخارج . ولعل صندوق النقد الدولى يتفق على نظام العملـة الدولية التى تمثل مجموعة من العملات . وحينما يتم ذلك يمكن أن يكون ذلك هو أساس التعامل فى حركات الاموال بين الحكومات وليس بين الافراد .

ومهما يكن من شىء فان الضمان الاساسى الذى علينا أن نصر عليه هو وجود نوع من التوازن فى التنمية ، وفى توزيع الموارد بين البلدان العربية ، حتى يمكن لهذه البلدان ان تكون وحدة صلبة ازاء المؤامرات الخارجية ، لان تفككها نتيجة تبـاين مصالح المتخمين والجائعين يؤدى الى تهـديد الاسس التى يقوم عليها مجتمع الاولين . وحينما تضطرب الامور ، يصبح ضمان البقـاء هو اعلى ضمان ، لان الانسان الحى هو الذى يخلق الثروة ويضمن الاستمرار ، والتطور والنمو . والثروة فى النهاية عنصر مساعد على الحركة ، وليست هى العنصر الاصيل فيها .



تواصل « الطليعة » نشر الحوار الذى تنظمه بين اليسار المصرى بمختلف مدارسه واتجاهاته وبين توفيق الحكيم .

وكانت الطليعة فى العدد الماضى [يناير ١٩٧٥] قد نشرت جلسة الحوار الاولى والتى تضمنت أساسا عرض الرؤية العامة للثورة لكل من توفيق الحكيم وخالد محيى الدين . الاول من موقعه كمفكر كان له تاثيره الواضح على قيادة ٢٣ يوليو وخاصة جمال عبد الناصر قبل وبعد الثورة . والثانى من موقعه كمشارك فى تفجير فى الثورة من منطلق يسارى ، كان له خلال مسار الثورة مواقف نقدية استقال بسببها من مجلس قيادة الثورة ولكنه ظل دائما على تأييده ومساندته لها فى خطها وأهدافها العامة .

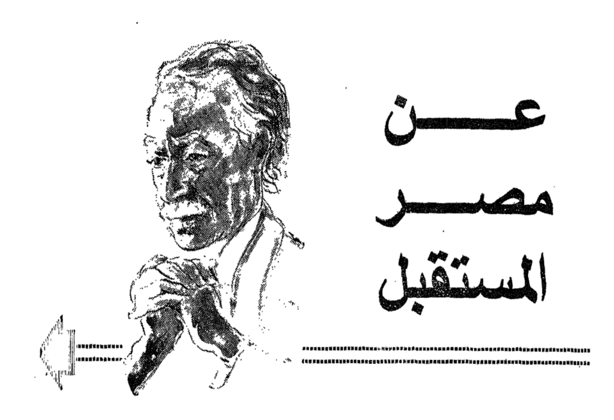
وانتهت جلسة الحوار الاولى الى الاتفاق بين المشاركين فى الحوار على تنظيم النقاش وفقا لجدول أعمال من أربع نقاط :

١ - مدخل بالخطوط العامة لرؤية مستقبل مصر بابعاده المحلية والعربية والدولية .

٢ - تقييم لايجابيات وسلبيات التجربة كما قادها الرئيس الراحل جمال عبد الناصر .

٣ - مسار التجربة منذ وفاة عبد الناصر وتولى الرئيس السادات لمسئولياته الدستورية

٤ - العودة الى تحديد الرؤية المستقبلة لمصر من خلال سؤال : ما العمل .



ووقائع جلسة الحوار التى ننشرها فى هذا العدد تتناول مناقشة النقطة الاولى من جدول الاعمال . وهو النقاش الذى سيطر أيضا على مناقشات الجلسة الثالثة التى نعتزم نشرها فى العدد القادم .

وهذا يعنى ان الحوار يجرى أساسا من خلال استعراضه لظروف وصراعات مصر قبل وبعد الثورة ، ومن خلال فتحه الملف التجربة ، لحساب المستقبل لا لحساب الماضى . ومن اجل التقدم بالتجربة الى مواقع وآفاق اكثر تقدما فى الاقتصاد والسياسة .. فى التحولات الاجتماعية .. وفى ممارسة الديمقراطية وحرية التعبير لجميع قوى الشعب الوطنية والتقدمية .

وقد شارك فى جلسة الحوار الثانية كل من :

- توفيق الحكيم
- خالد محيى الدين
- د. فؤاد مرسى
- د. عبد العظيم أنيس
- د. مراد وهبه
- د. لطيفة الزيات
- محمد سيد احمد
- محمد سليمة
مستشار جريدة الطلاب
- ابو سيف يوسف
- لطفى الخولى

واعتذر حمدى ياسين ممثل لقاء ناصر الفكرى بجامعة عين شمس بسبب مرضه .

■ **لطفى الخولى :**

هذه هى الجلسة الثانية للحوار. فى الجلسة الاولى اتيح لنا ان نتعرف على رؤية الاطار العام للتجربة لدى كل من الاستاذ توفيق الحكيم والاستاذ خالد محيى الدين، وذلك من خلال موقعيهما وتجاربهما المختلفة مع ثورة يوليو وقيادتها الوطنية. واستطعنا فى نهاية هذه الجلسة الاولى أن نتفق على جدول اعمال محدد للحوار. واستقر الرأى بيننا على أن نبدأ - على خلاف المعتاد - بتصور كل منا لمستقبل المجتمع المصرى بعد تجربة يوليو وحرب اكتوبر. وذلك بهدف الوصول الى مناهج التفكير التى على أساسها نناقش تجربة يوليو ومسارها الايجابى والسلبى. أو كما يقول استاذنا الحكيم نفتح الملفات. والمفيد فى البدء بالمستقبل ثم الرجوع الى الماضى والحاضر ثم العودة من جديد الى المستقبل للاجابة على سؤال : ما العمل .. أقول المفيد فى هذا أننا سنتمكن من أن نحدد نقاط الاتفاق ونقاط الاختلاف فيما بيننا وأسبابها الموضوعية. وبالتالى ننقذ المناقشة من الوقوع فى مهاوى الدردشة، واعتقد ان هذا هو مطلبنا جميعا.

وقبل أن ندخل فى الموضوع .. الاخ محمد سليمة كان قد طلب أن يتحدث فى ختام الجلسة الماضية، لكن الوقت لم يسمح ولذلك ادعوه أن يدلى بما عنده قبل أن نلتزم بجدول الاعمال.

■ **محمد سليمة :**

اولا : انا شاكر لدعوة الاستاذ لطفى الخولى، وهذا يمكن يكون اول تمثيل للشباب وكانت فرصة الحقيقة لنا لنلتقى بالعناصر المفكرة فى البلد وخاصة استاذنا توفيق الحكيم. وأنا أقول ذلك لان ما دار حول استاذنا توفيق الحكيم ويمكن كانت جريدة الطلاب أول من بادر لمناقشة توفيق الحكيم، والحقيقة السبب المباشر فى هذا كان - كتاب عودة الوعى. كتاب عودة الوعى وما صادفه من ظروف معينة، اذ هو ينشر أول ما ينشر فى بيروت، وتقوم بعض العناصر الرجعية فى مصر والوطن العربى تستغل الكتاب وتظهر ما به من انطباعات سلبية فحسب، وتبرزها بشكل لم يكن واردا فى حسبان استاذنا توفيق الحكيم. وهو أول من ناصر فعلا الثورة وأول من وقف الى جوار الزعيم جمال عبد الناصر. وهذا ثابت من خلال كتاباته ولا نأتى عنها بجديد، واريد ان أقول نفس الشىء بالنسبة لدور الشباب وتصدى الشباب فعلا للمجموعات الرجعية.

الشباب كان له دور ممتاز جدا خاصة فى البدايات من أول ابريل سنة ١٩٧٤ حتى الان - من أول المؤتمر العاشر لطلاب الجمهورية، كان تصديه واعيا وشجاعا فى ظرف لم تكن قد تبلورت فيه بعد حرية الرأى وحرية الصحافة - فالحقيقة من خلال هذا المؤتمر بدأ الاتحاد العام لطلاب مصر الدور المنوط به فعلا فى التصدى للمجموعات الرجعية العائدة والتى حاولت انها تقتنص فرصتها وتنشب اظافرها فعلا فى مكتسبات ثورة ٢٣ يوليو. الاتحاد وجريدة الطلاب والشباب بدأوا عملية التصدى فى اللقاءات المتعددة وفى الندوات المتعددة وفى حضور الرئيس أنور السادات المسئول الاول عن ثورة يوليو اليوم. كان هناك أيضا تجربة ناجحة جدا واعنى بها لقاء ناصر الفكرى الرابع وما صاحبه من انفتاح كبير على القاعدة الجماهيرية لدرجة ان الجماهير استوعبت التجربة الطلابية والشبابية التى كانت متمثلة فى قيادة عين شمس. فكانت فرصة ان الجماهير تكشف النوايا السيئة التى دخلت بها بعض المجموعات الرجعية العائدة - هذا تحليل موجز لما صاحب دور الشباب والطلاب فى هذه الفترة وذلك بقصد أن نضع التجربة الطلابية والشبابية الناصرية الموجودة حاليا فى مصر والتى تتصدى للمجموعات الرجعية فى دور التكوين وذلك عندما نتحدث عن المستقبل. اذا كان دور استاذنا توفيق الحكيم وما صاحب كتاب عودة الوعى من بعض الشبهات أستغلته هذه المجموعات وخاصة فى جريدتها اخبار اليوم والاخبار. والتشنيعات التى ظهرت وكانت واضحة، ولابد لنا كشباب أن لا نغفل ابدا التجربة الحية وريادة استاذنا الحكيم للادب فى مصر - مهما كان من الاحداث التى حدثت فى خلال هذه الفترة، وهذا لا ينفى ان لنا بعض التحفظات على ما جاء فى كتاب عودة الوعى، الا أننا مع تقديرنا واحترامنا للرأى ولاستاذنا توفيق الحكيم، فاننا أول ناس ننادى فعلا بفتح الملف لهذه التجربة سواء للتجربة الناصرية او تجربة ثورة ٢٣ يوليو. نحن لا نخاف من فتح الملف، بالعكس نحن ننادى بفتح الملف، نحن على ثقة من أن التجربة ممتازة والتجربة واعية، فيها بعض السلبيات نعم لكن طبعا هى تجربة لابد من استمرارها.

■ **لطفى الخولى :**

حسنا .. هل لنا بعد ذلك أن نبدأ بالمناقشة على أساس جدول الاعمال. النقطة الاولى

ماذا عن المستقبل ؟ ماذا يا أستاذ توفيق ؟ .. المستقبل ؟

■ **توفيق الحكيم :**

فى الواقع أنا دائما أحب ان ابحث عن جذور مواقفى وتفكيرى ، حتى لا أكون رهنا بنوازع فجائية او تلقائية او دافع مناسبات .. ذلك أن هذه النوازع والدوافع فى الحقيقة تكون أحيانا سطحية وموجهة لاعتبارات معينة . ومن هنا فانى دائما أرجع الى الخطالرئيسى فى تجربتى فى الحياة أو فى مواقفى ، لان هذا هو الاصح . فعندما أردت أخيرا أن احلل مواقفى ، وجدت خطا معينا وهو انه فى الثلاثين سنة السابقة على ثورة ١٩٥٢ كان لى موقف معين وهو أنى تنبهت الى أن الديمقراطية انحرفت وأصبحت ديمقراطية مزيفة لعوامل كثيرة ، وهى أنها لم تكن فى بيئة حرة ، ولكن بيئة تسيطر عليها السلطات ، أو على الاقل سلطتين كبيرتين وهما الاحتلال الانجليزى والسراى . وكان فيه ثلاث قوى موجودة فى البلد ، وهى الاحتلال الانجليزى والسراى والشعب ، الشعب ممثل فى القيادة الثورية ، قيادة ١٩١٩ ، لانه قبل ذلك كان الموقف الشعبى موقف غير واضح ، كان يوجد مفكرون ومثقفون ثوريون مثل الحزب الوطنى ، أو قبل ذلك مثل الحركة العرابية . أين الشعب فى ذلك ؟ كان الشعب غير مركز فى اطار .. يعنى مصطفى كامل كان يخطب ونحن بقلوبنا معه ، ولكن ما هو الاطار الذى نستطيع أن نقول ان الشعب كان معه فيه ؟ هل الفلاح فى الريف كان يشعر بمصطفى كامل أو يتصل بفكر ؟ هل العامل كذلك اذا كان وجد فى ذلك الوقت ؟ أعتقد أن من كان يفهم خطب مصطفى كامل هم طبقة المثقفين والطربشين أو المعممين حتى — يعنى المثقفين عموما وفى اطار الايقاظ الوطنى العاطفى وليس بعد فى اطار ثورة فعلية . ولن ثورة ١٩١٩ كانت غير ذلك لانها بلورت قوة شعبية فعلية من فلاحين وعاملين ومثقفين ونساء طلعوا بالبراقع . فاذن كانت حركة شعبية مركزة ، ومركزة ضد عدو موجود بيننا وهو الاحتلال الانجليزى المركز فى القاهرة نفسها ، فى ثكنات قصر النيل أمامنا . وفى الوقت نفسه كانت سلطة الاحتلال هذه تتدخل فى شئوننا باعتبار انها هى السلطة القوية التى تملى ارادتها على الشعب . فلما جاءت ثورة ١٩١٩ جاءت لتطالب بحق اصبح ايضا محسوسا عالميا ، وهو ان الحرب العالمية الاولى وضعت لنفسها هدفا انسانيا . قالت انها تحارب للحرية ، وجاء ويلسون الامريكانى ، وكان أصله أستاذ فى جامعة ، بالمبادىء التى نعرفها عن حق الشعوب فى تقرير المصير . فتمسكنا بهذا وقلنا نحن أجدى وأولى بتقرير المصير ، والشعب قام ، ولذلك كانت ثورة شعبية . بعد ذلك اعتبر زعماء الثورة مجرد ثائرين لانه ليس لهم اطار معين ولا شكل معين — ثائرين ضد الانجليز . ولذلك الانجليز عند المفاوضة قالوا احنا نتفاوض مع رئيس حكومة مصرية ولكن لا نتفاوض مع رئيس الشعب أو ما تسمونه أنتم برئيس الشعب ، وهو فى الحقيقة رئيس عصابة ثورية ، هو رئيس الثورة ، ولم تجر العادة أن تحدث مفاوضات بين حكومة رسمية وبين زعيم ثورة ، هذا تحدى للسلطات الانجليزية فرفضوا فى الاول انهم يفاوضوا سعد زغلول باعتباره رئيس ثورة . قبل ذلك — والغريب ان هذا يحدث مع جميع الثائرين .. يسمون فى الاول باسم عصاة أو ارهابيين ، كما يحدث الان مع منظمة التحرير الفلسطينية وياسر عرفات . لماذا عصاة ؟ لان عرابى والناس الذين قاموا معه كانوا يسمون العصاة ، لا ثورة عرابية ، بل «العصاة» فقط . وكان يأتى من الباب العالى ، السلطان يعنى ، أوامر باعتبارهم عصاة على سلطته لانهم قاموا بدون أمره بثورة ضد الخديوى الذى كان هو الوالى رسميا المعين بواسطة السلطان ، فأصبح هؤلاء يسمون العصاة ، زى ما يقال اليوم مثلا عن اليساريين كانوا فى ذلك الوقت ، كان لى جد أشترك قليلا أو ربما لم يشترك وانما كان من الموالين للثورة العرابية ففصل من عمله وكنت أسمع دائما فى ذلك الوقت انه كان يعتبر من العصاة ، فسألت جدتى ، العصاة يعنى ايه ؟ قالت بيقولوا عنهم العصاة ، وبعدين سموها ثورة عرابى . اذن فى الأول كان الثوريون عصاة ، والثورى من العصاة ، زى ما يقال اليوم مثلا عن اليساريين انهم كذا وكذا وكذا .. أنا فاكر كلام جدتى حتى الان ...

■ **لطفى الخولى :**

يظهر ان جدتك كانت أستاذتك الاولى ؟

■ **توفيق الحكيم :**

أظن هذا . ولو انها كانت مسكينة لا تقرأ ولا تكتب ولا تدرك شيئا يعنى ، انما كل اللى تدركه

ان زوجها كان من العصاة ، من العصاة يعنى ايه ؟ يعنى العرابيين . فاذن كلمة الثائر أو الوطنى ضد السلطات كان له صفة العاصى .

■ **لطفى الخولى :**

ترى ماذا كان موقفها من العاصى هذا ، جدك .. زوجها ؟

■ **توفيق الحكيم :**

طبعا زوجها . والحقيقة أنها لم تكن مدركة تماما لما يحدث . ولكنها كانت معه باعتباره زوجها . فاذن نحن من نسل العصاه . يعنى أنا منضم بطبيعتى وبدون أن أدرى . لانها وراثة ، ان الوراثة عندى ان احنا كنا من العصاه . ودائما الثورات الوطنية أو الاجتماعية أصحابها بالنسبة للسلطات خارجين عن القانون ، يعنى عصاة . وفى الواقع يثبت التاريخ بعد ذلك انهم كما كانوا فى نظر أنفسهم من المصلحين ، أو الوطنيين ، وان كانوا فى نظر السلطات من العصاة . استمرت المسألة لغاية سنة ١٩١٩ ، واعتبر سعد زغلول الذى قام بالمطالبة الشعبية بالاستقلال زعيم ثورة . لم يكن يوصف بالعصاة وانما من الثائرين . وهذه الثورة وان منحت سعد زغلول زعامة الامة ، لكن رسميا لا يحق له أن يعتبر أمام السلطات الحق أن يتكلم على مائدة مفاوضات ، يتكلم بأسم مــن ؟ باسم ثــورة ؟ الثــورة غير معترف بها أمام القوة ، والا اذا كان الثورة يعترف بها أمام القوة ، يبقى مافيش تناقض . بعد ذلك حدث تصريح ٢٨ فبراير أى الاستقلال . لا . هو المناداة باستقلال مصر من طرف واحد تحت ضــغوط الثورة . الانجليز وجدوا أنهم مضطرين لتهدئة الثورة وذلك بأن يعطوا مصر من طرف واحد وبدون مقابل الحكم الذاتى . والسلطان أعطوه لقب ملك ، وبعدما كان الذى يمثل مصر فى الخارج هى السفارة البريطانية أصبح بعد تصريح ٢٨ فبراير فيه سـفارات مسـتقلة تمثـل مصر ، وانفصلت السفارة المصرية عن السفارة البـريطانية . وأصبح لنا الحق فى دستور نيابى يعطــى الشعب حق أنه يمثل فى برلمان . وهكذا صار لنا دستور ١٩٢٣ وبرلمان .. وأصبح للثورة شكل . أريد أن أشير الى الشكل الذى تحددت فيه الثورة لان مسألة الشكل مهمة جدا لما نتكلم بعد ذلك . فبمجرد ما دخلنا فى شكل برلمانى ، طبعا الاغلبية جت الحكم ، أى سعد زغلول .. وبدأنا نعيش فى نظام شكلى ديمقراطى ملكى ..

يعنى نظـام مصر أصـبح هـو الملكيـة الديمقراطية . طيب .. عملت ايه الملكية الديمقراطية . طبعا رحبنا بهذا . ومشينا فى طريق الشكل الملكى الديمقراطى . شكل الامة هـذا فى الظاهر ، ولكن خارج هذا الشكل فيه حراب . هذه الحراب هى أسنة الرمـاح البريطانية لانه فيه احتلال . يعنى انت نظام ملكى ديمقراطى محاصر من الخارج بدون ما تشعر بقوة الاحتلال البريطانى . ولذلك الثورة فى ذلك الوقت ، لا أقول انحرفت ، انما كل شىء محاصر مادام فيه سلطةعليا هى سلطة احتلال أجنبى أو قوة عليا فى العالم تملك خمس قارات .. بريطانيا . وبريطانيا فى ذلك الوقت امبراطورية عظيمة .

المهم .. شيئا فشيئا شعرنا أن المســألة وصلت الى برلمان .. وانفجرت الخلافات على الكراسى فى البرلمان . هذه لعبة الشكل لمجرد الشكل . والمضمون هنا أصبح فى الخلفية التى لا يشعر بها الشعب . ولكن بنشعر بلعبــه برلمانية ولعبة شكلية . ولست أدرى كيف حصل انقسام فى قوة الوفد التى كانت تمثل الشعب . تفتتت الى أحزاب أخرى أقلية . وأنا أقدر وأحب وأعز عبد العزيز فهمى لقيمته الفكرية العظيمة ولوطنيته أيضا ، ربما أيضا لبعض العلاقات التى تمت فيما بعد بينى وبينه لما دخلت المجمع اللغوى لانه كان عضوا فيه ، وكنت دائما اقدره . ولكن لا أنسى أبدا . وانى هنــا احلل الاشياء بموضوعية ويجب أن أنحى العواطف والصداقات جانبا ــ أن عبد العزيز فهمىبمواقفه كان منالاسباب التى ساعدت مع الاسف الشديد فى تدمير الوحدة الوطنية التى تمثلت فى الوفد .. لماذا ؟ لانه كان أول من خرج على سعد زغلول وانضم اليه نـاس آخرين ، وتفتتت الوحدة الوطنية المصرية مع الاسف . وهو الشىء الذى لم يحدث للوطنية الهندية التى كانت تتلمذت علينا . لان غاندى كان قد اندهش كيف نجح سعد زغلول فى ضم صفوف الامة كلها بعناصرها المختلفة ، فى حين أنه أخفق . يعنى سعد زغلول نجح ، أو الشعب المصرى على الاقل أو الوطنية المصرية نجحت فى جعل الاقباط والمسلمين اندمجوا فى وطنية مصرية واحدة فى الوقت الذى كانت انجلترا تسعى لتفريق المسيحيين عن المسلمين . وكانت تريد أنتسلل بهذا الىالتفريق بدعوى حقحماية الاقليات . ومن قبل كانت تريد تقسيم القطر المصرى . فتجعل للاقباط دولة عـاصمتها أسيوط . كما فعلت بعد ذلك ونجحت فـى باكستان وجعلت الباكستان منفصلة عن الهند .

غاندى كان يريد وحدة تجمع بين الهندوس والمسلمين كما حصل بين المسلمين والاقباط فى مصر . وكتب لسعد زغلول وقال له فعلت هذا ازاى ؟ ده انت حقيقة قائد لهذه الوطنية المتكتلة المتجانسة المتحدة . لكن حدث بعد ذلك عبد العزيز فهمى وأنا آسف ان ادينه وأرجو ان التاريخ يحلل لنا هذا الموضوع أكثر . انما الذى أعرفه عن موقف عبد العزيز فهمى لانه كان عاطفى جدا ، انه كان يعتقد أن سعد زغلول رجل مستبد برأيه . ومهما حدث فكنت أريد أن عبد العزيز فهمى يصبر على كل ما يراه من مساوىء لسعد زغلول فى سبيل انه لا يحدث هذا التفتيت فى الوطنية المصرية ، لانه ارتكبنا نحن الغلطة التى لم يرتكبها حزب المؤتمر الهندى ، حزب المؤتمر الهندى ظل متمسكا للان ، وتماسكه للان سمح له بأنه يتطور .

■ **لطفى الخولى :**

لم يعد حزب المؤتمر الهندى متماسكا الان كما تعرف . والانقسامات فى الاحزاب لها أسباب اجتماعية وسياسية ، وليست عاطفية .. على العموم أعتقد أن انقسامات الاحزاب شىء والوحدة الوطنية فى معركة شىء آخر . والان فى الهند هناك ائتلاف بين قسم من حزب المؤتمر وأحزاب أخرى .

■ **توفيق الحكيم :**

ولكن حزب المؤتمر قعد فترة طويلة ، الى أن جاءت الظروف الاجتماعية،واضطرت ان يتكون فيه حزب اشتراكى .

■ **لطفى الخولى :**

عظيم .. هل لى ان اقول لاستاذنا الحكيم ان المقدمة الواسعة والمتشعبة آن لها ان تمسك بالنقطة الاولى من جدول الاعمال : رؤيتك للمستقبل ؟

■ **توفيق الحكيم :**

هذا كله يهم المستقبل ، لماذا ؟ لان انا اريد أن أقول ما هو شكل الامة المصرية . نحن دخلنا فى الشكل الذى جعل ان من أول ما مارسنا الديمقراطية ، تفتتت الامة الى احزاب اقلية وأكثرية ، ولعبت فى هذا السلطات المحتلة والسلطات التى هيه بقى من وراء البلد ، التى هيه سواء سلطة الانجليز أو سلطة الدولة فى الداخل اللى كانت تمثلها السراى . ويظهر أيضا ان الدستور . الذى كان أحسن الدساتير عندنا ، يعنى دستور ١٩٢٣ أو غيره ، لا أعرف لاى سبب أهمل فقرة كان سيكون لها تأثير كبير فى تاريخ مصر وهى الحد من سلطة الملك . أنه لا يكون له حق اسقاط الوزارات . وأن يكون اسقاط الوزارات ليس فى يد الملك بل فى يد الشعب أو الهيئة الممثلة للشعب فى البرلمان .»

■ **لطفى الخولى :**

لا يوجد نص فى دستور ١٩٢٣ بهذا المعنى .» ولم يكن يمكن ، بحكم علاقات القوى فى ظروف اصدار الدستور ، أن يقنن هذا النص .»

■ **توفيق الحكيم :**

هذا هو الخطأ . منح الملك حق اسقاط الوزارات واقالتها .» وله سلطة حل البرلمان وحصل الملك على سلطة استطاع أن يلعب بها فى التاريخ المصرى كله ، البرلمان الذى لا يعجبه يسقطه . واذا قام الشعب بمطالب معينة والبرلمان أيدها ، يروح يحل البرلمان ، لو كان الملك جرد من سلطة اقالة البرلمان كان تغير الوضع الى تقوية لسلطة الشعب .

■ **د . عبد العظيم أنيس :**

هذه هى النقطة . النقطة الجوهرية ، القضية قضية علاقة قوى حددت طبيعة النظام ونصوص الدستور .

■ **توفيق الحكيم :**

ماهو أنا أريد أن أقول انه هذا كان خطأ .» وهذا الخطأ أدى الى التلاعب بالدستور والتلاعب بسلطة الشعب فى ذلك الوقت . ووضع سلطة قوية جدا فى يد الملك ..

■ **لطفى الخولى :**

حسنا . . وما تأثير هذا كله اذن على المستقبل ؟

■ **توفيق الحكيم :**

ماهو بقول لك ان التأثير على المستقبل انه جعل الديمقراطية التى هى فى ظاهرها مكسب حصلنا عليه ، اذا بها انحرفت وأصبحت ضررا على الشعب . أنا عايز أقول لك . ماذا كان موقفى من الثلاثين سنة ، من واقع ما كتبته ، كنت دائما أنا أقول ان هذه الديمقراطية مزيفة .

■ **لطفي الخولي :**

لو أذنت لى يا أستاذ توفيق ، هذا كله مجاله فى الجزء الثانى من جدول الاعمال الذى اتفقنا عليه . وهو الجزء الخاص بمسار التجربة . أو ربما فى الجزء الثالث الخاص بتجربة العشرين سنة وخلفيتها ، لكن النقطة المطروحة للنقاش الان هى تصورك لشكل رءوس موضوعات للمستقبل .. أليس كذلك ؟

■ **توفيق الحكيم :**

لابد من الكلام في الشكل ، وأنا أتكلم فى الشكل لانى أريد أن أحدد ما يعيب حركتنا الوطنية من أولها للان ؟ ، وهو انه حصل تزييف فى الاشكال التى نسميها ديمقراطية واذا بها ديمقراطية مزيفة .

■ **لطفي الخولي :**

اذن أنطلق من هذا

■ **توفيق الحكيم :**

أنا لازم احدد كل شيء من واقع موقفى القديم . لانى لا أستطيع أن آتى اليوم وأفرض نفسى عليكم وأقول لكم أنا أصبحت يساريا . أبدا .. ولا يمكن أن أقول هذا ولا اغير موقفى لانسان ابدا أو لاى هيئة ، أنا أرفض تقييد حركة فكرى بشعار أو مذهب أو لافتة من اليفط واللافتات . انا حر فى نظرتى واختيارى لما يصلح لتقدمنا وتقدم الجنس البشرى .. وحاسبونى فقط على هذا الموقف النابع من طبيعتى ومن جذور التمرد والعصيان عندى على كل تجمد . كما يجب أن تحاسبونى على الماضى الذى يؤدى الى المستقبل ، والا لما تيجى تقول لى عودة الوعى ؟ أقول لك لماذا عودة الوعى انكتب . وأنا لى موقف واحد ، هذا الموقف الواحد هو ان تقرأ ما كتبته فى شجرة الحكم وفى غيرها تجد نقدا للحالة الحزبية والسياسية فى مصر . كان كل واحد يقول لك ديمقراطية . أنا قلت إن هذه ديمقراطية مزيفة ونحن ننتظر الديمقراطية الحقيقية . وفى كتاب شجره الحكم ، فى سنة ٤٢ أو ٤٧ . على العموم قبل الثورة ، قلت ننتظر تغيير كل هذا لانه لا يمكن أن نظل فى اطار شكل ديمقراطى مزيف . قلت لا . وقلت أيضا نحن ننتظر ثورة مباركة .. بهذا الاسم .. تطيح بهذه الانظمة المزيفة وتأتى بنظام يقوم .. حتى لم أقل نظام .. لانى شبعت من الانظمة والدساتير .. تأتى بناس مخلصين يستطيعون أن ينهضوا بالامة ويحققوا آمالها ويكونوا مخلصين حقيقة بصرف النظر عن الشكل . وكانت النتيجة ان جاءت ثورة ١٩٥٢ . ودخلت فى مضمون بلا شكل . فأنا رحبت جدا وكنت فعلا فى غاية السعادة لانها قامت بانجازات كنا بنطلب بها مثل تحديد الملكية ، وكل اللى حصل .. كلها كانت انجازات . ولم تكن على أساس شكل .

بعد ذلك وجدنا ان المسألة أدت الى أن الشكل نفسه لم يكن محددا . وبعضهم سماها الدكتاتورية البوليسية ، وبعضهم سماها الدكتاتورية العسكرية .. انما أنا لم أكن التفت الى هذا . وبعد ذلك استمرت الى أن وجدنا انه انقلبت الى نوع من الحكم المطلق فى يد فرد . حوله مجموعة من الافراد المتسلطين نبتوا مثل شجرة الموز . دائما بتنبت أشجار جنبها . نبتت قوى أخرى خفية هى التى تسيطر على البلد بدون أن يحاسبها أحد . لان المحاسب هو الشخص الذى أمامنا . وهو صاحب السلطة المطلقة . نحن بنحاسبه هو . ولكن بالنسبة له لم نكن نعرف هل كان يدرى ببعض المساوىء أم لا .

هذه هى مسألة فتح الملفات ، والى أى مدى كان مسئول . وهذه المسئولية عندما نفتح الملفات والوثائق ربما وجدنا مسئولية بسيطه . انما نحن على كل حال نسائله هو ونفتح ملفه ووثائقه ويبرز لنا لان هو الحاكم المطلق المسئول عن مصير الشعب ، لانه لم يكن هناك هيئات منظمة ، يعنى لو كان فيه أحزاب مسئولة ، كنا نقول طيب فيه هيئات ، تشكيلات نحاسبها . لكن لم يكن هناك الا شخص واحد مسئول . فالى أى حد كان مسئولا ؟ لا ندرى بعد . أنما كل ما نستطيع أن نقوله بالقياس الى التاريخ ان الحاكم المطلق بتنبت رغم أنفه ، قوى تتسلم فى الخفاء سلطات جسيمة جدا . وتلعب أدوارا خطيرة جدا سواء بدون علمه أو سواء بعلمه . وهو لا يقدر أن يقاومها لانها تكون شبه حارسة على وجوده وتشعره بأنها هى المسئولة عن وجوده وعن أمنه وتفعل ما تشاء . وهو ربما لا يصله من هذا الا اخبارا ملفقة أيضا عن سلطانها ، أو يعنى اشاعات لا يستطيع أن يتحكم فيها . وحتى لو عرف كل شيء فانه لن يستطيع تغيير ذلك بسهولة لان الحاكم الفرد يصبح أسير حراسه الامناء على حياته ونظامه ، ويعجز عن التخلص من تأثيرهم عليه . المهم ان هذا هو الذى أشعرنا بعد ذلك ان هذا الشكل ايضا غير ملائم وخطر . يعنى فى البداية

أنا رحبت شخصيا بأى نظام . وكنت أرحب بهذا النظام الذى ليس فيه خصومات حزبية وقلت عظيم جدا أن جاءت ثورة شباب مخلص بدأت بالانجازات . وبعد ذلك وجدنا ان الشكل أصبح قيدا . يعنى أنا الان أطالب بالشكل ولكن عنى ألا يطغى على المضمون . فهل عندما نتكلم على المستقبل كما نريده ، وبرنامجه ، نبحث فى الشكل اذن ، لان احنا عرفنا أشكال الحكم فى مصر ، فلابد أن نتكلم فى كيف يكون مستقبل الاطار الموجود فى حكم البلد . أما المضمون فنحن واثقون من أن أى حكام مخلصين سيكون لهم مضمون مخلص ، وهذا المضمون المخلص هو حرية الشعب وضمان عدالته وحقوقه خصوصا عندما نجد انفسنا فى نظام يقبل نوعا من الرأسمالية . ونسميها رأسمالية وطنية أو غير وطنية . ولكن سواء أردنا أو لم نرد لاسباب اقتصادية أن ندخل رءوس اموال أجنبية أو عربية أو مصرية ونقبل هذا لعدم وجود شكل معين مجدد . وعندئذ سنواجه بشىء غريب جدا ، وهو انه اذا حدث ان رءوس الاموال هذه جاءت بوفرة فى الانتاج وجاءت بشىء من الثروة فعند ذلك يقوم سؤال ، فى أى جيب دخلت هذه الثروة التى انتجها التفتح الواسع لرءوس الاموال ؟ اذا ثبت أن رءوس الاموال كانت قد اسفرت عن ارباح طائلة .. أما اذا كانت رءوس أموال لم تأت بربح فمصيرها مصير أى مشروع اخفق ، ونرجع الى حالة ما اذا نجحت رءوس الاموال فى انها تكتسب ارباحا كبيرة ، هنا من الذى سيحاسب ؟ دخلنا فى الشكل وفى الضمان للكادحين الذين سينتجون هذه الارباح ، لان الارباح لا تنبت بنفسها . ولكن بواسطة عمل ، وهذا العمل من الذى يقوم به ؟ عمال ، واقصد بالعمال هنا العمال اليدويين والذهنيين ، يعنى كل من يعتمد الانتاج على ذهنه وعلى يده ، الاثنين واحد . ما هى الارباح والفوائد التى تعود على المنتج بيده أو بذهنه وينتج فيها هذه الثروة . هنا رجعنا للنظرية الماركسية التى تقول بأن العامل لابد أن يكون له — ان لم يكن على الاقل مثل ماركس — النصيب الاول ، فعلى الاقل يكون له النصيب الاكبر ، حتى ولو ٦٠ أو ٧٠ فى المائة . يعنى تقسيم الارباح لسنا فى صدده الان ، ولكن لانه متعلق باطار الدولة ، انما لابد أن تكون فيه هيئة تستطيع أن تحدد ذلك .

■ لطفي الخولي :

عظيم بدأنا ندخل الى الرؤيا المستقبلية .

■ توفيق الحكيم :

لابد أن اتتبع جذور تفكيرى والا أكون أنا رجل حاشر نفسى فى موضوع ما ليش فيه .

نحن الان فى قلب المستقبل وهو أننا مقبلون على وضع اقتصادى بالدرجة الاولى . لان مصر الان فى حالة فقر وأزمة اقتصادية ونريد أن نرم نفسنا . طيب الرم ده له أسباب كثيرة ، ولابد تكون موضوع مناقشة .. كيف ؟ من آراء مختلفة . ولكن الاراء المختلفة هذه غير واضحة لان ليس هناك من يمثلها غير الدولة ، الدولة تقول لنا ان الطريقة الوحيدة هو فتح البلد لرءوس أموال تتدفق اليها لاجل مصانعنا الواقفة تشتغل . حيث أن موارد البلد نفسها استنزفت أو غير كافية . فما المانع ان نفتح أنفسنا ؟ الدليل على ذلك ان أيضا نفس البلاد الاشتراكية تقوم الان بمثل هذا يعنى نفس الاتحاد السوفيتى بعد خمسين سنة اذا استمر بموارده وحدها يجد أن عنده كنوز لم تستغل ، عنده سيبيريا بحالها . يقال انه نايم على ثروات اذا استغلت سيكون أغنى دولة فى العالم ، ونحن ايضا كدولة اشتراكية سنفعل نفس الشىء . اشتراكية يعنى ايه ؟ يعنى توزيع الثروات لايكون متكدس فى يد واحدة وهى اليد التى تملك الثروة الضخمة فيظهر فيه ثروات كبيرة جدا هى اللى يتعمل للناس المستوى الضخم من الثروة ، ايه بيعملوا ايه دول ؟ ما تعرفش . أما الناس الذين عرقوا واشتغلوا فهؤلاء مستواهم لا يزيد الا بالقطارة لانه لا يمكن العمل اليدوى أو العقلى فى ذاته ان يعطى ربحا كبيرا بغير خلق وانتاج كالسمسرة . فاذن فيه مشكلة قائمة اليوم وقائمة دائما وهى ناس لديهم ثروات هائلة . وهذه الثروات قلما يأتى بها العمل الانتاجى .

■ لطفي الخولي :

الاشتراكيون فى هذا المقام يتحدثون عن طبيعة العلاقات الاجتماعية السائدة وفائض القيمة الخ ..

■ توفيق الحكيم :

هذه هى المسألة . يعنى من أين تأتى الثروة ؟ اذا جاءت الثروة من عقلك عظيم جدا . هذا شىء يسرنا . ان العقل يساوى ثروة . انما اذا وجدت ان الثروة فى الغالب لا تأتى من العقل ولكن تأتى من ما يمكن أن تسميه الرجل الرأسمالى ، أى أن المال يأتى بالمال وهو قاعد يحرك الاموال ويأخذ ويلم . انما كون انه

يحرك عقله فيأخذ شيء . ده عظيم . نحن نريد أن نصل الى هذا . فاذن يعنى آنا نهار ما آخذ فلوسى واستثمرها فى تاكسيات تقول انا بقيت رأسمالى . اذا كان مثلا عندى فلوس واستغلتها . فى قولة شركة اسطوانات أو دار نشر واطبع أو اعرض مسرحيتك « القضية » مثلا أعطيك فيها ولو ٥٠٠ جنيه . اعطيك زى ما انت عايز ، لكن حا آخد من وراك اضعاف اضعاف ، يعنى اذا كنت انا اجيبك أنت وكم أديب وبعدين أفتح دار نشر أو دار اسطوانات مثلا . وبعدين أجمع انا مجهودكم وآخد نتيجة مجهودكم كده أو مجلة وآخذ مجهودكم أجعله فى رصيدى وأديكم اجركم على حسب ما أنا أحب أديكم يعنى . يبقى فيه جزء من هذا الغنى اللى عندى من عرقكم انتم — يعنى مالوش أبدا مقابل الا انى أخذته من مجهودكم . واديتكم ثمنه ، انما الثمن اللى أقرره أنا علشان يبقى لى فائض القيمة . خلاص بقيت أنا رأسمالى مائة فى المائة .

■ لطفى الخولى :

يعنى حتى فى مجال الفكر والفن أنت ترى خطر الرأسمالية وتحذر منه .

■ توفيق الحكيم :

ضرورى .. هو انت حيلتك غير قلمك اللى بتكتب به بيجيب لك المورد ، اذا أنا استغليتك فى أى عمل . هذا العمل يجيب لى الف جنيه . أديك منهم ٥٠٠ وانا آخذ ٥٠٠ حنقول ليه الـ ٥٠٠ دول جم لك منين بقه يا سى توفيق ؟ من فائض القيمة جايز أنا اعلل هذا ، أما أكون عايز اتفلسف ، وأقول طيب ماهو انت من غيرى كيف كنت حتأخذ الـ ٥٠٠ ؟ وانت تقول لى طيب وانت واخد الـ ٥٠٠ بتوعى ليه أو جبتهم منين ؟ اقول لك من شطارتى بقى ، ضحكت عليك ، مش كده ؟

أسمع فى عملية كهذه لابد من الرجوع الى النظرة الماركسية من هذه الناحية . واخد بالك دى مسألة ثابتة انسانيا — يعنى مثلا الذى لا يؤمن بها أو ماكانش متنبه لها حيبص يلاقى نفسه فى المستقبل حاجة من الاثنين ، يا مستغل يا مستغل .. يا منتج بمجهود الآخرين ، يا منتج بنفسه .

■ لطفى الخولى :

يعنى انت توافق على النظام الاقتصادى والعلاقات الاجتماعية كما تراه الماركسية ؟

■ توفيق الحكيم :

أنا بأخذ الشيء الثابت فيها وماشى مع الحياة فى كل زمان ومكان .

■ لطفى الخولى :

فى نقطة الاستغلال ؟

■ توفيق الحكيم :

هذه النقطة اساسية . لماذا ؟ لانه من غير ما تكون ماركسى ماتقدرش تنكرها . وانا مش عايز احط لافتات أو التقيد بمذاهب ، ولكنى اقرر حقائق فقط .

■ لطفى الخولى :

يعنى مثلا نظرية فائض القيمة انت موافق عليها

■ توفيق الحكيم :

من الصعب عدم الموافقة على هذه الحقائق ، بس النقطة بقى هى هل نظام بلد اشتراكى يتيح لك انك تقبل وجود الرأسمالى على شرط أن يعطيك الربح ، يعنى يشاركك فى الربح أو تشاركه فى ربحه الى الحد الذى يجعل انه هو يحقق ربحا معقولا . صحيح فائض القيمة . ولكن فائض قيمة بسيط بالنسبة اليها يعطيه للعمل . هذه مسألة اعتقد أنها متصلة بظروف البيئة . فيه ظروف بلد تنقلها من نظام الى نظام فجأة يقوم جايز ترفض الرأسمالى أصلا وهذه تتطلب تاريخا نضاليا أكبر ووعيا أكبر ، ولكن اذا بلد استقر فيها النظام الاستغلالى أو نظام الغنى الذى يأتى عن طريق الطبقة الرأسمالية يبقى فى هذه الحالة لا تستطيع بحكم قصر مدة نضالك الاجتماعى والثورى ، تقلبها اشتراكية على طول ، تعمل ايه ؟ يبقى فيه نظام داخلى وسط او انتقالى ، لازم يأخذ شكل . وهذا الشكل يستطيع أن يضغط على الطبقة التى تملك ولا تعطى كفاية للعمل . وهذا مثل النظام المتبع فى أوروبا الغربية . انها لم تكن لتقدر على القفز من نظام رأسمالى ١٠٠ فى المائة الى نظام اشتراكى مثلا ، ماركسى ، البروليتاريا فيه هى كل شيء ؟ هذه عملية لم تستطع بحكم تركيبها الاجتماعى انها تقفز منها فكانت النتيجة أن قامت فيها قوى العمل وكتلت نفسها فى نقابات ، ثم فى أحزاب وأصبحت هى اليسار الذى صار له قوة ضاغطة ، تستطيع أن تأخذ من الرأسمالية أكثر

ما يمكن . وبعد ذلك تبلورت فى حزب العمال مثلا فى انجلترا وفى مجموعة الاحزاب المتكتلة التى نراها فى فرنسا أخيرا مع ميتران وكاد يأخذ السلطة ، اذن ما الذى جعله بهذه القوة ؟ قوة العمل تريد أن تأخذ حقوقها من فرنسا الغنية اليوم . هذا الغنى أفقر العمال والكادحين [بظهور التضخم المالى .] وهم على وعى كبير لحقوقهم ، حقوق الطبقة الكادحة . بدأت تقوى هذه الطبقة وتتساءل طيب الغنى لمن ؟ وما هو نصيبى من الغنى ؟ نحن الذين ننتج كل هذا الغنى . هذه الشركات العظيمة المهندسين والعمال فيها ، هم الذين أوجدوا الثروة أين نصيبنا ؟ ونمت قوة الحزب الشيوعى الفرنساوى والحزب الراديكالى والاشتراكى . كل هذه الاحزاب تكتلت برياسة ميتران بالشكل الكاسح ده لانه شايفين الغنى فى فرنسا رايح لجانب واحد . وابتدت المشكلة هنا ، يعنى العامل اليدوى أو الذهنى سيأخذ نصيبه ازاى ؟

■ **لطفى الخولى :**

فى مجال ما تفضلت به .. ومع العلم بأنه غير دقيق علميا أن بلدا تحاكى بلدا آخر فى مسارها وتجربتها . ولكن كيف تتصور أنت مصر — فى ضوء كل ما قلته — وذلك فى حدود ١٠ سنوات ٢٠ سنة قادمة . بمعنى هل فى تصورك ستكون أقرب فى النظام الاقتصادى والاجتماعى .. أو بالاصح تريد أنت أن تكون أقرب الى النظام الخاص بأى بلد فى العالم المتطور . مثل فرنسا .. بريطانيا .. السويد .. أمريكا .. الاتحاد السوفيتى .. كوبا .. الصين .. فرنسا .. بريطانيا . مع التشديد ، على انه من استحيل نقل تجربة بلد معين فى ظروف معينة الى بلد آخر وظروف أخرى مغايرة .

■ **توفيق الحكيم :**

أقول لك .. اذا كنت تريد أن تسير بالنظام الطبيعى لابد أن تبدأ بأن يكون عندك من يمثل الطبقة الكادحة .. الطبقة الرأسمالية أو المستغلة لا يمكن أن تقول انها محتاجة الى تجمع لان الذى يجمعها هو الربح والقرش . لكن الطبقة المحتاجة فعلا الى تجمع حقيقى الطبقة الكادحة .. بتاعة اين نصيبى من الربح ؟ هذه محتاجة لتكتل . هذا التكتل سيكون فيه من ؟ ليس من يسمونه بالعصاة . لان كلمة العصاة والثائرين راحت اليوم . وبقى اسمهم اليسار . ولكن اليسار الان غير معترف به .. طيب تسيب أمرك لمين الان .. من الذى يدافع عننا .. دا احنا نفسنا الدولة بتاكل حقوقنا . انت ككاتب بتعرف تاخد حقك اليوم فى الاذاعة او التليفزيون ؟ لما يقولو لك هات مسرحية القضية ويعملوها بتاخد حقوقها .. بيروحوا يبيعوها فى الدول العربية ومن الذى يقبض ؟ الدولة . الدولة رأسمالى وانت مستغل .. ليس لنا شكل .. روايات المؤلفين بيبيعوها للدول العربية ، باعوا لى روايات بـ ٢٠ الف جنيه وأنا لم آخذ منها الا ٣٠٠ أو ٤٠٠ جنيه .. لو كان هذا الرأسمالى الذى يستغلنى فى الخارج . وكان فيه هيئة بتدافع عنى اسمها اليسار وفيه حزبين ثلاثة يسار انا كنت أبقى يسارى .. مجلة الابزرفاتير وضعت استفتاء عن برامج الانتخابات الرياسية . ميتران عمل برنامجه فى مقابل برنامج جيسكار ديستان . طبعا جيسكار ديستان كرجل اقتصادى رأسمالى كل مهمته رفع مستوى اقتصاد فرنسا . ففرنسا تمثل عنده مين الذى ينتج الثروة .. رجال الصناعة .. رجال البنوك والاموال . ميتران بقى جاء يقول له : لا . انت تدافع عن الثروة رجال الصناعة والبنوك . انما أنا بقى اللى حادافع عنهم هم أولا : أرباب المعاشات — قلت وانا اقرأ المجلة أيوه انا من أرباب المعاشات — وبعدين محدودى الدخل أهو انا من محدودى الدخل — لقيت نفسى انه لا يمكن ادخل عند ديستان ده لانه ليس لى مصالح معه . انما ميتران حيدافع عن مصالحى لكن لما آجى فى مصر واقول عاوز واحد يدافع ضد النهب اللى بيتعمل . دول بيبيعوا عمل بـ ٢٠ الف جنيه ، وبعدين أقول لهم يا ناس ازاى ما تجوش تقولوا لى .. بتاخدوا فلوسى من ورايا . شاركونى فى الربح .. فاذن مين حيعمل لى الكلام ده قلنا هيئة أدباء .. جمعية الادباء .. طلعت لا شىء . مع انهم انتخبونى رئيسا فخريا لها !!! نهايته هى مصالح فى مقابل مصالح .

■ **لطفى الخولى :**

طيب هل أنت تطمح فى المستقبل الى تكوين قوة شعبية منظمة على غرار القوة القائمة الان فى فرنسا من تحالف الاشتراكيين والشيوعيين وكل القوى اليسارية فى فرنسا من حول برنامج محدد للدفاع عن مصالح الطبقات الشعبية الكادحة سواء بالفكر أو بالعمل ؟

■ **توفيق الحكيم :**

انا الاول قبل ماتحدد لى الاسماء التى هى ترعب الناس دى ـ كانت قللى اسم نحسنه شوية، شوية ، وهو اليسار . كلمة اليسار دى تدخل فيها ـ تحالف اليسار ـ لانك متى قلت شيوعيين .. يا خبر اسود ملحدين ! .. والشيوعية حوربت فى مصر ابتداء من العشرينات أيام ما الانجليز كانوا مسيطرين .. من أيام الشيخ بخيت . بعض رجال الدين راحوا يقولوا الشيوعية الحاد وطبعا وراها رءوس الاموال الاجنبية وحط عليها الجهل وعدم الوعى .. المهم الكلمة لوثت . فأصبح اليوم من الصعب ان احنا نستطيع آن نتحدث هذا الحديث .. انما اذا قلت اليسار وبعد ذلك اليسار ، قدرت انك تجمعه فى شكل معترف به . أولا لازم يكون معترف به من الدولة مثل فرنسا ومثل انجلترا .. يسار له جناح يستطيع انه يدخل الانتخابات مثل الوفد والاحرار زمان . اليوم تقول لليسار تكتلوا فى انتخاب أشخاص معينين ملتزمين بالدفاع عن مصالح الكادحين .

■ **محمد سيد احمد :**

ولو رفض هذا ؟

■ **توفيق الحكيم :**

لو رفض هذا ؟ يرفض لماذا ؟

■ **د . لطيفة الزيات :**

سيادتك تأمل بنظام ليبرالى يتيح لجميع الطبقات أن يكون لها أحزابها الممثلة فيها . وفى المستقبل تستطيع القوى اليسارية من جميع الاحزاب أن تكون كتلة للدفاع عن حقوق محدودى الدخل والطبقات العاملة ؟ هل ترى هذا ممكن ؟

■ **توفيق الحكيم :**

هذا هو النظام الذى نستطيع ان نقول انه عملى الان . لانه اذا أردت أن تقفز الى نظام أسرع أو شمولى أو أقرب الى الفاعلية ، فهذا يجب ان يبنى طبيعيا ، والطريق الطبيعى ان نطالب بحرية الاحزاب . وان يكون هناك حزب له برنامجه . وحتى اذا لم يقل أنه يسارى فأنت تعرف من جريدته وبرنامجه وتركيبه واندفاعه للدفاع عن القضايا المعنية انه يسارى . وبعد ذلك يشكل نفسه ويستطيع بالتكتيكات الخاصة به أنه يوسع نطاقه .. وهذه هى الليبرالية .. أى كل الاحزاب .. هذا النظام هو ممكن كما تقول الدكتورة لطيفة .

الشىء الثانى ، ونحن لابد أن نستعرض كل امكانات الظروف الاخرى . قد يقول قائل ولماذا لا نفعل مثل ما فعلته الصين الشعبية .. الصين الشعبية عمرها من عمر ثورتنا .. ثورة ٥٢ .. ومع ذلك فانها قد توصلت الى صنع قنابل ذرية وقدرت تحل اشكال عدد السكان ، وتحل اشكالات كثيرة . وقدرت تقفز على مشكلة المجاعة .. عملت انجازات لا يمكن الا انك تقدر هذا وتحلله . لدرجة أنه أنا بدأت أفكر فى كل هذا .. أنا لا يهمنى الاشكال ولا يهمنى المذاهب . أنا يهمنى قبل كل شىء تحليل النجاح فى هدف معين .. لماذا نجحت الصين الشعبية .. ؟ هل هى نظام مثل نظام الاتحاد السوفيتى ؟ لما بحثت الحكاية بينى وبين نفسى وجدت ،طلعت بحاجة لا أعرف هل هى حقيقية أم لا ؟ الاتحاد السوفيتى هو ثورة البيض .. أقصد ثورة أوربية . يعنى الثورة الاشتراكية التى تصلح بنجاح فى بلاد الحضارة .. لماذا؟ لانها جت لقت حضارة قائمة . هذه هى شيوعية أوربا . لكن الصين هذه هى شيوعية البلاد التى مثلنا . النامية الفقيرة .. فاذن الفرق هو الحضارة . لينين رجل متحضر . أى جزء من حضارة أوروبا .

أريد ان أقول أن النظام الطبيعى هو فقط الممكن . وما قالته الدكتورة لطيفة من أن الوصول الى الاعتراف بشكل لليسار عن الطريق الليبرالى ، هو الطبيعى الممكن فى ظروفنا .

أما الطريق الاخر الاسرع ، فهذا شاذ جدا . لان ما حصل فى الصين يحتاج لشىء قلما يحدث وهو ما اسميه بالنبوة ، او ما يشبه ذلك . وكذلك ما حصل فى فيتنام .. ماذا أعنى بالنبوة ؟ زعيم يكون شبه نبى . بمعنى أن ينزل الى الطريق ويأكل فى الاسواق كما يقال .. ويعمل مع الثائرين لا ينعزل فى قصور ولا مكاتب . وبعد ذلك يؤمن به شعبه ويصبح قطعة منه ويقود كل شىء وراءه .. وهذا مخالف للطريقة المعتادة فى أوربا . وهو انه ينبت الزعيم من الحزب . ينبت من تنظيم معين يستطيع انه يقود فى اطار مبادىء الحزب وبس . فى النبوة .. لا .. هى عملية يدخل فيها اعتبار ان الزعيم هنا هو فى أول الصفوف . يعنى يحفر بنفسه الاسس وهو معك يأكل ويكدح معك ويعيش معك . ويكون قدوة . فتجد

الشعب كله قام معه .. فاذا كنت تراه متواضعا الى الدرجة اللى فيها يكفيه كما يقال عن ماوتسى تونج .. يكفيه ٥ دولار مرتب . يعنى هذه حاجة بسيطة جدا وساكن فى حجرتين اسطبل وبعد ذلك تجده مع كل مشروع ، مشروع يحتاج الى عمل يدوى هو معه فى العمل اليدوى وهو أيضا مع العمل الذهنى .

■ **لطفى الخولى :**

أراك تعود من جديد الى نظريتك فى الثلاثين : نظرية الكل فى واحد . مع أنك فى جلسة الحوار الماضية نقدت هذه النظرية ونقدت ذاتك بشأنها .

■ **توفيق الحكيم :**

الذى حدث هو ان نظرية الكل فى واحد هذه اتخذت مراسم الحكومة البيروقراطية .. حكومة بيروقراطية ليست هى النبوة . النبوة فى الزعامة الشعبية المندمجة فى افقر طبقات الشعب شىء آخر .

■ **د . لطيفة الزيات :**

تفسير النجاحات التى حدثت فى الصين ليست فى وجود شخص واحد ، وانما فى وجود الحزب والقواعد الشعبية ، وفى وجود تاريخ نضالى لهذا الشخص الواحد . وهذا التاريخ هو الذى بلغ به هذه المرتبة .

■ **توفيق الحكيم :**

ولذلك أنا استبعده عندنا ! لان المسألة هنا تدخل فى باب لا نقدر أن نتحكم فيه .. كيف نتحكم فى ايجاد شخص له الصفات التى يستطيع بها انه ينقل شعبه فى ٢٥ سنة بهذه القوة الساحرة . وهى ساحرة ليه ، لانه ساكن معهم ويأكل أكلهم .. يعنى الواقع انه ليس له منصب أو مركز خاص .. هذه عملية لا نقدر أن نكررها .

■ **د. عبد العظيم أنيس :**

عاوز أنبه سيادتك الى ان هوشى منه أو ماوتسى تونج نشأوا من خلال احزاب محددة . لم ينبتوا من الهواء .. نشأوا فى داخل أحزاب كأفراد ووصلوا الى الزعامة من خلال هذه الاحزاب . بمعنى أن هؤلاء شبه الانبياء كانوا ثمرة حزب قام فى البداية .

■ **توفيق الحكيم :**

معلهش ماهو ده لما نخش فى كيف ظهروا لانه مش معقول يكونوا جايين كده من ورا سيدنا الحسين يذقونهم ويقولوا تعالى ياشعب !

■ **لطفى الخولى :**

هل لى ان انبه انه على الرغم من اهمية هذا الموضوع فانه يخرج بنا عن الاطار الذى اتفقنا عليه للمناقشة .

■ **توفيق الحكيم :**

معلهش .. هى لا بدان تكون زى ما بتقول انهم نبتوا ازاى .. انما انا بأقول مش كل حزب لا ينتج مثل هذه الزعامة والا كان كل حزب يطلع لنا شبه انبياء . ولكن هنا من غير شك لابد من تنظيم من نوع خاص ايضا ، وكما تقول لما نبحث تاريخ ماوتسى تونج طلع منين وهوشى منه طلع منين تجد ان فيه تنظيمات وفيه مبادىء التزموا بها وظلوا عليها . بدليل انهم كانوا مع ستالين واستنكروا الهجوم على ستالين ، لانهم رأوا فيه الرجل الذى وقف بصلابة فى وجه النازية وصان أول دولة اشتراكية ، وقالوا انه لا يجب ان ندينه . الادانة دى يعنى اذن هم لهم الجانب النظرى

■ **لطفى الخولى :**

الا ترى ياأستاذ توفيق أن هذا موضوع فرعى ؟

■ **توفيق الحكيم :**

اه ده موضوع تانى . انه فرعى فعلا . انما ما هو الظاهر فى هذه الثورات ؟ ليس هو الشخص .. اى شخص . انما هو الشخص الذى يكتفى بالزهد وانكار الذات .. وهذا الزهد يجعل ان جميع من معه ومن بعده مثله ، كما قال الاستاذ خالد محيى الدين ان القدوة بتعمل عمل كبير جدا . يعنى هى نفسها ثورة .. ثورة على النفس اولا . وبعد ما تكون ثورة على النفس يعنى يكبح جماح ذاته . رغم أنه كان يستطيع بمجرد ما بقى زعيم انه يسكن فى قصر ويأكل عسلا .. وعنده كل شىء .. كبح هذا الجماح وقال لا .. انا لازم أكون قدوة . لما يقول هذا يقول الشعب كله معه من أول الوزير .. وكيل الوزارة .. المدير العام .. يعنى كل السلسلة اياها فى البيروقراطية . بهذا نجد الدولة اشتعلت ثورة حتى على نفسها ..

وتجد كل مشكلة حلت .. لا فيه بضاعة مستوردة ولا مش عارف عايز يأكل جبنة منين ولا يأكل ايه .. ولا يركب ايه .. يعنى البلد كلها بقيت عبارة عن ثورة تبنى بأظافرها هذا البناء وهذه العملية لا اعرف اذا كان هناك من يقدر ان يعملها ام لا .. ولذلك انا استبعدها .

انتم لا شك تتذكرون انه بعد قيام ثورة يوليو اتجه الوزراء الى أن يسلكوا مسلكا بسيطا ، مثل الناس العاديين ، وتذكرون مثلا أن الشيخ الباقورى تأخر فى عمله فنام فى الجامع .. وكان الضباط يأكلون طعمية فى عملهم فاستبشرنا خيرا .. والضباط فى الاول بقوا يركبوا عربيات جيب ويجروا بها .. قلنا هذا عظيم ولكن بعد ذلك تغيرت الامور

■ لطفى الخولى :

يااستاذ توفيق يعنى اذا عدنا الى تصورك الاساسى للمستقبل ، وهو ان اليسار من الممكن ان يتجمع فى كيان : سواء فى حزب او حركة أو .. او .. الخ من خلال مرحلة ليبرالية يمر بها المجتمع كما تتصورها . فكيف يكون فى تصورك برنامج هذا اليسار .

■ توفيق الحكيم :

لا اريد الا أن ادخل فى المضمون ، فنحن لا نزال نناقش الشكل . الدكتورة لطيفة تقول أن طريق الديموقراطية الليبرالية يمكن أن يكون هو الطريق الصحيح على أساس انه يسمح بقيام تنظيم لليسار ، أو نوع من الوجود لليسار .

أول شيء يجب أن يضعه اليسار هو أن يتحرك من الواقع أن يعرف الناس أين توجد مصالحهم .. وعلى اليسار أن يتجنب الانطلاق من نظريات وايديولوجيات ،نقطة البدءليست ان يعرف الرجل العادى أن اليسار ينتسب الى ماركس . ولكن نقطة البدء أن يعرف الناس أن اليسار هو الذى يدافع عن مصالحه المحددة . ومن ثم فيما بعد اذا اكتشف الناس ان اليسار ينتسب الى ماركس أو الى هذا المفكر أو ذاك ، فان هذا سيكون افضل .. وهذا الامر لا ينطبق على الناس العاديين وحدهم بل ينطبق على وعليك . فمثلا اذا كانت الدولة تأخذ منى عملا ادبيا ثم تبيعه بعشرين الف جنيه ولا تعطينى الا مبلغا ضئيلا ففى هذه الحالة سأبحث عمن يدافع عن مصالحى فى مواجهة رأسمالية الدولة . فاذن لابد من البحث فى الطريق التى توصلنا وامامنا الان طريقان :

الطريق الاول : هو طريق الديمقراطية الليبرالية وهنا ، ما علينا الا أن نطالب بديموقراطية لا يمكن رفضها . وفى ظل هذه الديموقراطية الليبرالية يستطيع اليسار أن يجمع نفسه فى حزب وجرائد .

الطريق الثانى : هو طريق نظرية تأتى من خلال زعيم شعبى حقيقى ، اى من خلال شخصية من نوع لينين أو هوشى منه أو ماوتسى تونج . ولكن هذا الطريق غير مضمون . لانه قد يظهر هذا الشخص الممتاز صاحب النظرية الشعبية ! وقد لايظهر .

هذان هما الطريقان الموصلان للشكل .

هل انا مع الطريق الاول ، طريق الديمقراطية الليبرالية . الواقع انى لم اكون رأيا محددا بعد . انا اضع أسئلة .

وهنا اسأل هل لدى احد من الموجودين طريق آخر غير طريق الديمقراطية الليبرالية . ان الشكل لا يزال مطروحا للمناقشة .

■ لطفى الخولى :

بعد كلام الاستاذ توفيق الحكيم اقترح أن يحدد كل منا تصوره للمستقبل فى حدود عشرة دقائق .

■ د. لطيفة الزيات :

مجرد استدراك صغير . عندما تكلمت عن الديمقراطية الليبرالية ـ لم اكن اعبر عن رأيى الشخصى ، لاننى لا اعلق املا كبيرا على الليبرالية . فقط كنت أحاول أن الخص تصور الاستاذ توفيق الحكيم عند النقطة التى توقف عندها .

■ لطفى الخولى :

والان نبدأ فى تقديم تصور للمستقبل .

■ خالد محيى الدين :

عندما نتصور مستقبل مصر ، فان مصر لا يمكن أن تضع لنفسها تصورا للمستقبل معزولا عن مستقبل البلاد العربية .

واذا جاز لنا أن نضع هدفا استراتيجيا ـ بعيدا ـ وهو بناء مجتمع عربى متطور صناعيا

وزراعيا وثقافيا فهذا يفرض على مصر - بحكم وضعها فى العالم العربى - أن تلعب دورا قياديا .

بعد هذا علينا - ايضا - أن نتخيل مصر دولة متطورة صناعيا وزراعيا وثقافيا وتلعب دورا قياديا فى تطوير المجتمع العربى نفسه . لكن شكل العلاقة بين مصر وبين العالم العربى أنا لا أستطيع ان أحدده سلفا : هل هو إتحاد دويلات . . اتحاد متكامل . . دولة واحدة . . الخ . . واكتفى بالقول انه مجتمع عربى متكامل تلعب فيه مصر دورا قياديا .

السياسة الخارجية والعربية : معادية للامبريالية والصهيونية لانهما العدو الرئيسى المعادى للتكامل والتوحيد العربى والتقدم هذا الوضع . . يفرض على مصر أنها تلعب الدور الرئيسى فى مقاومة الخطر الاسرائيلى الصهيونى لانه هو الخطر الذى يهدد مستقبل البلاد العربية . ومستقبل مصر أن تلعب هذا الدور . فمن ناحية : هذا الامر يفرض عليها ان تلعب الدور الرئيسى فى تجميع القوى العربية التقدمية والوطنية وما يسمى بالدول التقدمية ، ثم بعد ذلك الدول غير التقدمية فى مواجهة الخطر على حركة التحرر العربى .

وهذا يفرض عليها نوعا من العلاقة الجيدة مع القوى المعادية للامبريالية وفى مقدمتها الاتحاد السوفيتى والبلاد الاشتراكية الاخرى . لكن مصر لا تستطيع أن تلعب هذا الدور الا من وضع يحدد اتجاه التنمية الداخلى ، الا من خلال تنمية يلعب فيها القطاع العام ، أو القطاع الاشتراكى الدور الرئيسى . لانه اذا سرنا على ما يسمى بطريق التطور الرأسمالى ، فسوف ننهزم نهائيا امام الرأسمالية العالمية ، لان الرأسمالية المصرية ستظل ضعيفة وصغيره أمام الرأسمالية العالمية . وأضيف أنه اذا ما اتجهنا الى الطريق الرأسمالى ، فمعنى ذلك اننا نأخذ طريقا طويلا جدا حينما نترك طريق التراكم الرأسمالى يسير الى مداه . لاننا بحكم كوننا دولة نامية تعانى من كثير من أوجه التخلف ليس امامنا الا ان نسير فى طريق التطور الاشتراكى لقد فشلت الرأسمالية المصرية والاجنبية من قبل فى تطوير الاقتصاد المصرى . نقطة البداية - استمرار تأميم البنوك التجارية

هذا الوضع يفرض على نوع السلطة ، فى مصر ، أن تكون سلطة ديموقراطية تقدمية ، لا اريد ان اقول اشتراكية ، لان المرحلة الاشتراكية الكاملة يمكن تتطلب العشرين سنة القادمة .

ولقد كان من بين العيوب الرئيسية فى التجربة الماضية انه تمت تأميمات وحدثت تغييرات ، ولكن طبيعة السلطة لم تتغير أو شكل الحكم لم يتغير . والمؤسسات السياسية التى يفترض أنها تخدم هذا الامر ظلت على حالها ولم تتطور جديا . .

ومعنى كلامنا عن نوع السلطة - هنا - أنها يجب أن تصبح معبرة عن القوى الاجتماعية التى لها مصلحة فى هذا الاتجاه - وفى مقدمتها العمال والفلاحون والمثقفون الثوريون .

وأنا لست من أنصار الديموقراطية الليبرالية لان الليبرالية تفترض أن أسمح بقيام أحزاب رأسمالية وتسمح بعودة الرأسمالية وعودة الملكية .

فاذا قيل أن الوضع الراهن يقيد الليبرالية (كما أنه يضع قيودا على اليسار) فليس من مهمتى - مع ذلك - أن أسعى الى تطوير الرأسمالية أو أعطى الرأسمالية حقوقا أكبر . واذا كنا نسعى بهدف ان نبنى ديموقراطية اشتراكية فان هدفى المباشر أن تكون ديموقراطية تقدمية ، تلعب كل القوى الشعبية اى العمال والفلاحين ، الدور الرئيسى فيها .

لكن ما هو الشكل الذى يفرض وضعه هنا ؟ أنا قابل مبدأ التحالف الوطنى . ولكنه يجب أن يقوم على اساس أحزاب ، تمثل المصالح المختلفة للقوى التى لها مصلحة فى التغيير ، وتنضم فى جبهة موحدة فى نطاق التحالف الوطنى وعلى أساس البرنامج الموحد . .

وهذا هو الذى يعطى نوعا من الضمان لكى يعكس التغيير فى شكل الدولة والمؤسسات السياسية،هذاهو التغييربالفعل، فلا تكون هناك طبقة واحدةمعبرة عنحقوق باقىالطبقات .وفى هذا النطاق يسمح بنوع من الخلاف ونوع من الاتفاق على القضايا الكبيرة . ولكن لابد من تغيير فى نوع السلطة . وهذا الذى يضمن استمرار التغيير .

هذا الوضع يفرضه ، أيضا ، الوضع فى العالم العربى . لانه اذا سأل انسان : وماذا سنصنع فى المجتمع العربى ، فان الجواب سيكون هو أن ٧٠ أو ٧٥ فى المائة من الاموال العربية مملوكة للدول العربية وليست مملوكة للافراد .

■ **لطفى الخولى :**

كل البترول كما أعتقد قطاع عام . . أليس كذلك .

■ **خالد محيى الدين :**

كل البترول قطاع عام . اذن فالاتجاه التقدمى الذى يقوم فى مصر لابد وأن ينعكس على البلاد العربية بشكل تقدمى وذلك بصرف النظر عما يحدث الان من اتجاه فى الغرب والولايات المتحدة الى أن تأخذ هذه الاموال . فنحن سنفرض هذا الوضع ، بموقف مصر وموقف الدول التقدمية العربية ـ الخطوة الثانية تعاون مصر مع الدول التقدمية العربية فى كل المجالات . وبدون حدوث هذا فان مستقبل التعاون العربى سيبقى صعبا جدا ، هذا هو التصور للخطوط الرئيسية للمستقبل .

■ **توفيق الحكيم :**

سؤال : هل تقدر أن تقول ـ مثلا ـ ان هذا هو النظام المتبع فى الجزائر الان ؟ وهى تجربة يمكن أنها توضع فى الاعتبار .

■ **خالد محيى الدين :**

لا أريد فى الواقع أن اضرب أمثلة بأى نظام .

■ **لطفى الخولى :**

نحن الان نتحدث عن مستقبل مصر

■ **توفيق الحكيم :**

الديمقراطية التقدمية لا تنطبق على الجزائر

■ **خالد محيى الدين :**

لا .. الديمقراطية فى الجزائر فيها عيوب وفيها نفس المشكلة الخاصة ، اذ أن جبهة التحرير الجزائرية وهى النظام الشمولى تحتكر العمل السياسى فى يد مجموعة من الناس .. يعنى بصراحة الكلام المكتوب على الورق فى الاتحاد الاشتراكى عظيم . ولكن لا يطبق .. ففى التطبيق هم لا يريدونها أن تكون حزبا لكنه هو حزب ،وحزب لمجموعة معينة أو مجموعات تتعاقب ،واحدة تمسك القيادة وتحرم الباقى وهكذا .. فانا أقول انه يجب أن يكون لنا نظام خاص . وحتى بدون مذاهب ، فان مصر اذا أرادت ان تتطور ، وتطور العالم العربى ، فليس أمامها ـ اذا كانت تريد ان تجعل من هذا المجتمع العربى والمصرى واقعا متطورا ـ الا أن تتبع الطريق اللاراسمالى نحو الاشتراكية ، هذا اذا أرادت أن تحافظ على استقلالها . ان هذا يفرض عليها سرعة التنمية وسرعة القضاء على التخلف بسرعة . لابد أن الدولة تظل تلعب دورا رئيسيا .

هذا هو التصور العام لمصر اذا أرادت ان تواجه الخطر الاسرائيلى والخطر الامبريالى .

■ **محمد سيد أحمد :**

رأيى انه عندما نكون صورة المستقبل سنجد أنفسنا أمام عدد من المعطيات الموضوعية التى تقيد تصورى الخاص كما أرغبه . لكن من الصعب انى أقدم تصورا ممكن التنفيذ من خلال واقع معين ومعضلات معينة اواجهها الان .

النقطة الاولى : لماذا أقول ان عندى معضلات تواجهنى حاليا لا عندما اقول مرحلة ثالثة فاننى اقصد عددا من الامور : فالمرحلة الاولى كان اسمها مرحلة حرية سياسية وثبت فى نهاية الامر ان هذه الحرية السياسية كانت حرية شكل . المرحلة الثانية باسم المضمون كانت حرية اجتماعية وفى نهاية الامر كانت الحرية الاجتماعية بالتفويض ولم تكن ايضا فى نهاية الامر حرية اجتماعية حقيقية . نحن اذن بصدد مشكلة كيف نمزج فى المرحلة الجديدة بين الحرية السياسية والحرية الاجتماعية . وهذه مشكلة من المشكلات التى تواجهنا فى المستقبل .

المشكلة الثانية : انه فى الفترة السابقة كان من الممكن تأميم الصراع الاجتماعى أو نوع من التنظيم الذى يعبر عن تنوع معين . هذا غير ممكن فى الفترة الحالية . يكفى ان نقول انه بسبب التحديات الاقتصادية هناك انفتاح الى اليمين ، ولكن هذا سيقابله انفتاح على اليسار لان هناك قوى اجتماعية الى اليسار لن تقبل هذا الانفتاح على اليمين . اذن فالتوسيع فى الجبهة الاجتماعية فى مصر ، وفى ضوء ذلك التأميم للصراع الاجتماعى مستحيل .. وهذه مشكلة أو معضلة ثانية تواجهنا فى المستقبل ..

أنا أقول ان التعدد شىء لابد منه ، وان الوضع الامثل لمواجهة هذا التعدد فى المستقبل هو وضع الاحزاب ، وبناء الجبهة الوطنية من خلال الصراع السياسى وليس بالاسلوب الادارى أو الفوقانى ضد قوى اليمين . معنى هذا ان المعركة حاليا تنتقل جوهريا الى تحت . وكل القوى لازم تشارك لتحت ، لان تأميم الصراع ـ فى الفترة الماضية ـ كان ممكنا فى ملابسات تاريخية معينة . لم تعد ممكنة ، ولن يكون ممكنا فى المرحلة القادمة وهذه هى القسمات التى تميز المرحلة القادمة عن المرحلة السابقة .

من ضمن الاعتبارات التى كانت داخلة أيضا

فى مسألة تأميم الصراع الاجتماعى ان كان هناك طابع معين للصراع العربى الاسرائيلى ، وهذا الطابع انتهى أيضا بعد حرب اكتوبر . يعنى أن الصراع كان قبل اكتوبر متسما بطابع الحرب الباردة ولكن بعد اكتوبر أصبح يتسم باستقطاب مطلق .، اقول سوف نتحدث عن السلام ، فمن الصعب ان تتكلم عنكتم وقمع كل الاشكال الاخرى للصراع باسم الصراع مع اسرائيل .، فمن جميع الوجوه أوجه التعدد تتأكد . وهذه الصورة التى نحن مقدمون عليها تطرح علينا هذا السؤال ما هى حدود ابعاد هذا التعدد ؟ وهذا يرتبط بقضية الطريق الرأسمالى

نحن اذن نتحرك بين تصورين متطرفين : النظام الليبرالى المطلق من جانب ، والثورة الثقافية او التجربة الصينية أو النبوة او ما نسميه ، من الجانب الثانى .، الحقيقة اننا هنا ، نريد أن ننظر نظرة نقدية للعمليتين دول .

فبالنسبة لليبرالية ، ليس صحيحا أن الليبرالية تكون حليفا لليسار فى كل الظروف ، من الممكن أن الرأسمال الاجنبى ينشط قوى يمينية معينة ، ويخلق لها ظروفا أكثر مواتاة من اليسار .،

النقطة الثانية : ان كثيرا من الاختناقات التى نواجهها زى التكاثر السكانى ، يعنى مجموعة مشاكل تواجهنا فى المرحلة القادمة ، قد تنبت الارضية التى تخلق الموقف الثانى المتطرف الذى أشرنا اليه .

يعنى هى ليست مشكلة شخص ، هى مشكلة أن هناك معضلات موضوعية قد تفرض هذا ، وقد تخلق الشخص .،

فالمشكلة هى أن الفوقى أمامنا الان شكلان : أما الشكل الليبرالى واما الشكل الثانى .

ان دور اليسار حاليا ، ليس هو أن ينعزل كمجموعة صغيرة تنشط لوحدها قوى اليسار عليها أن تعبىء كل القوى ، وتكون القادرة على انها تتسع ، وتجد الحوار المقبول مع ما يمكن أن نسميه اليسار المتطرف ، ومع ما يمكن أن نسميه تحت عنوان عام الناصرية .. والمفروض أن يقوم اليسار الناضج بهذه العملية .. هذا هو التصور للطريق غير الرأسمالى الذى يمكن أتصوره فى المرحلة القادمة ، ومع ذلك هذا الطريق صعب لماذا ؟ وفيه أيضا معضلات تعترضه .. ومن ضمن المعضلات المهمة – مثلا – أن البعد العربى ظهرت فيه ثروة ليست من انتاج بشر . هذه الثروة حليف للرأسمالية موضوعيا ، وحليف للنظام الرأسمالى العالمى موضوعيا ، وسوف يؤثر هذا على مجرى التطورات السياسية بمعنى أن هذه الثروة ستكون العنصر الساحب والضاغط فى اتجاه الليبرالية . وفى اتجاه اليمينية أردنا أو لم نرد فهذه مشكلة من المشاكل التى تواجهنا .

هناك أيضا منعطفات المواجهة مع اسرائيل التى تختلف نوعيا عن المواجهة فى الفترة السابقة وهذا أيضا عنصر قد يكون – الى حد ما – من العناصر الساحبة لليمين .

وبالنسبة للانفراج الدولى نفسه كان شيئا من المواقف التى كنا نقفها – فى الماضى – متأثرا بالاستقطاب الدولى وفى الاستقطاب الدولى لم تكن فيه حرية حركة . اليوم الامبريالية العالمية تعود بطرق أكثر خبثا ليست مفضوحة كما كان الامر فى الماضى .

وفى ظل جميع هذه الاشياء كلها فهناك أيضا الانفتاح فى كل الاتجاهات من الجميع بما فى ذلك الدول الاشتراكية فهذا أيضا عنصر مؤكد لهذا المسار البسيط فى هذه الفترة . ما الضمان .. الضمان هنا هو القوة الذاتية لليسار .

اذن لايمكن اطلاقا لليسار أن يكون فى صيغته السابقة ، أن يكون جزءا من جسم ، ولابد من أن يكون منبرا مستقلا ، وقد أصبح هذا ضرورة لا مفر منها ، والا لا يسار .. لا يسار بدون منبر مستقل .

أنا قلت أن المجتمع الرأسمالى سيمر بمنعطفات وخصائص تختلف نوعيا عن فرض النظام الرأسمالى من أعلى كما كان فى المرحلة السابقة .

■ **أبو سيف يوسف :**

الزميل محمد سيد أحمد ربما طرح من المشاكل والقضايا أكثر مما طرح تصوره عن المستقبل . سأتجنب طرح هذه القضايا أو المشاكل لانها فعلا تدخل فى نقطة مقبلة هى : ما العمل ؟ أو تفصيل الرؤية للمستقبل ..

ان أى تصور للمستقبل يجب أن يكون مطروحا فى اطار محدد من الظروف العامة جدا المحيطة بمصر عالميا وعربيا . وبدون الدخول فى تفصيلات فان اطار الصورة التى تطرح فيها صورة المستقبل تشتمل على أربعة حدود أو أبعاد :

البعد الاول : هو اننا نعيش الان فى عصر انتصرت فيه الاشتراكية [ليس فقط انتصرت ولكن لاتزال توطد أو تدعم انتصاراتها أكثر) ، وما الانفراج الدولى الا أحد ثمرات هذا الانتصار ..

البعد الثانى : أن حركة التحرر الوطنى ـ بعد نجاحها نجاحا كبيرا ومضطردا ـ فى تصفية الاستعمار (الكولونيالية) تواجه الان ، أكثر من ذى قبل قضية اختيار طريق التطور الاجتماعى . أى الطرق تسلك ؟ وهنا سنجد أن العدو الرئيسى لها هو الاستعمار الجديد .

البعد الثالث : هو الذى نوضح فيه رؤيتنا للمستقبل ،وهى أن الامبريالية ـ على الرغم من كل الهزائم التى اصابتها ـ لا تزال قائمة ، ولاتزال فى مقدورها أن توجه ضربات قوية وتخريبية للحركات الوطنية والثورية ، ولاتزال قادرة على التعاون مع قوى الرجعية المحلية ، على أن تكيف أساليبها مع حقائق العصر ».

ومن هنا ، فنحن فى مصر والوطن العربى مواجهون الان بأخطر أساليب الامبريالية : اسلوب الاستعمار الجديد ».

البعد الرابع : هو أن العامل العربى ، أو حركة الشعوب العربية فى نضالها الوطنى التحريرى وفى نضالها الاجتماعى ، قد أصبح يؤثر على حياة مصر وعلى اتجاهات تطورها فى الداخل » هذا العامل العربى لم يعد من الممكن عزله أو تحييده أو التقليل من فاعليته . ظهر هذا بوضوح بعد حرب ٦٧ ، ثم تأكد بأدلة وبراهين ايجابية بعد حرب اكتوبر ١٩٧٣ ». وهذا العامل يتجسد فى الاساس فى تصاعد النضال والتضامن العربى فى وجه الاستعمار والصهيونية » وهذا النضال والتضامن يستقطب فى :

١ ـ تصميم الشعوب العربية على السيطرة على مواردها وثرواتها القومية ».

٢ ـ السعى لاكتشاف أشكال وأساليب للتعاون والتكامل الاقتصادى ».

٣ ـ فى هذا كله تمثل القضية الفلسطينية بالنسبة للشعوب العربية العامل الذى يبلور اتجاهات حركة التحرر الوطنى العربية ».

فى نطاق هذه النقاط او الابعاد الاربعة أحاول أن أتصور المستقبل بالنسبة لمصر ».

أتصور فى المستقبل البعيد نسبيا انه سيكون فى بلادنا مجتمع اشتراكى » ولكن هذا المجتمع الاشتراكى ، كما أشار الى ذلك الاستاذ خالد محيى الدين » لا يمكن أن يقام بضربة واحدة ، أو بقفزة واحدة ، وانما نحتاج الى عمل يمهد له » أى الى مرحلة انتقالية كاملة لها سماتها وخصائصها » وفى هذه المرحلة الانتقالية تقوم دولة ديموقراطية وطنية وعصرية :

ديموقراطية ، بمعنى أن السلطة فيها تكون فى أيدى الطبقات الشعبية أساسا العمال والفلاحين والمثقفين والجنود ، وهذه الاقسام من الرأسمالية التى لا يتعارض نشاطها مع التحول الاجتماعى ، وهذه الطبقات هى صاحبة المصلحة ، فعلا ، فى التطور وفى التقدم وفى العدالة الاجتماعية .. وفى هذه السلطة يتأكد ويتزايد الدور القيادى للطبقه العاملة ».

دولة وطنية ، بمعنى أنها تكون مستقلة سياسيا واقتصاديا وتزدهر فيها ثقافة وطنية وقومية تقدمية . وهذا معناه ـ كما أشار الاستاذ خالد ـ أن تكون بالضرورة نشطة فى مقاومة الامبريالية والاستعمار الجديد والصهيونية ، متعاونة مع الاتحاد السوفيتى والبلدان الاشتراكية ودول عدم الانحياز .

دولة عصرية .. وهنا تحت عنوان العصرية تتحدد مسائل أساسية .. عصرية بمعنى انها لابد أن تحسم اختيارها للطريق الاشتراكى ، فالاشتراكية هى قضية العصر .. ثم انها لابد أن تستفيد ـ أو تواكب ـ الثورة العلمية والتكنولوجية الجارية الان » .

وعندما نقول عصرية ، فلابد أن تكون أهدافها انسانية مرتبطة بالتطور الثورى العام للبشرية فى هذا العصر ، ومن هنا يكون كفاحها من أجل السلام العالمى ، وضد الفاشية والعنصرية قضية أساسية ».

على هذا الاساس ، اذا عدنا الى ضمانات قيام واستمرار هذه الدولة الديموقراطية الوطنية فسوف نرى ـ وأنا هنا أتفق مع الزميل محمد سيد أحمد ـ أولا أن القوة الذاتية للشعب وللبلد يجب أن تكون هى أساس التطور ، بمعنى أن اية مساعدات خارجية أو أى رؤوس أموال خارجية أو أى قروض ومعونات ستظل ـ باستمرار ـ مسألة ثانوية ، ومساعدة ، فى مقابل تنمية القوى الانتاجية الداخلية فى جميع المجالات ».

وعندما نقول دولة ديموقراطية » ، فهذا يعنى أن الانتاج يخطط تخطيطا دقيقا ، والتوزيع يخطط أيضا تخطيطا دقيقا ، لمصلحة الطبقات المنتجة ».

مثل هذا المجتمع لابد أن يتجه الى القضاء على الفقر فى الريف باصلاحات زراعية عميقة وشاملة ، والى القضاء على الامية والامراض المتوطنة مثل البلهارسيا والانكلستوما أو سوء التغذية . ومثل هذا المجتمع يسمح بوجود ما نسميه رأسمالية وطنية ، ولكن يجب أن يتوطد وينمو ويتسع فيه من اشكال .. الملكية العامة والملكية التعاونية لبناء صناعة ثقيلة وزراعة حديثة متطورة . أما القطاع الخاص فيجب أن تحدد مجالات نشاطه بدقة لمصلحة

وتطور التنمية الشاملة وتحت قيادة واشراف الدولة الديموقراطية بالاضافة الى الجانب الاجتماعى لديموقراطية ،فهناك قضية أساسية فى هذه الدولة أو هذا المجتمع الذى نتصوره ، وهى قضية الحريات الديموقراطية . قضية الحريات الديموقراطية ليست قضية الليبرالية اطلاقا . . لان الليبرالية جوهرها ومضمونها الاساسى هو تنمية المشروع الخاص . فمن هنا ، تظل الديمقراطية فى النظم الليبرالية ديموقراطية من يملكون فى مواجهة من لا يملكون - وبالتحديد فالليبراليه لا تنفصل عن تنمية النظام الرأسمالى وتطويره .

وعلى هذا الاساس فنحن ننظر للديموقراطية هنا من زاوية ما يمكن عمله ، لكى تقوم فعلا الجماهير الشعبية بالدفاع عن مصالحها وبمشاركة متزايدة فى ادارة شئون البلاد . . فمن هنا الديموقراطية فى هذا المجتمع الانتقالى تفترض بالضرورة أن السلطة اساسا فى يد الطبقات المتحالفة الشعبية . . تفترض أيضا توسيع الحريات العامة لصالح هذه الطبقات . . تفترض وجود تنظيمات سياسية ونقابية واجتماعية حقيقية وحرة . تفترض أيضا الدفاع الحازم والتمسك بالمشروعيه وبسيادة القانون . وعندما نتحدث عن الشكل السياسى الذى يجمع هذه القوى يمكن أن يكون محل اجتهادات تضع التقاليد القومية والخبرات الماضية ، وتجربة ثورة يوليو ومكتسباتها فى الاعتبار . ولكن لا بد من وجود اشكال اختيارية ، تتحد فى داخلها جميع الطبقات الشعبية فى أحزاب سياسية ديموقراطية ومنظمات نقابية وثقافية الخ . .

فهذه - بشكل عام - الخطوط العريضة جدا لتصور مرحلة انتقالية تضمن وتؤمن - فيما بعد - بناء المجتمع الاشتراكى .

■ **لطفى الخولى :**

الدكتور مراد وهبه .

■ **د . مراد وهبه :**

فى تصورى للمستقبل من حيث الشكل والمضمون ، فى تقديرى ان هناك مسالة كان أثارها الاستاذ توفيق الحكيم فى حديثه وهى انه معجب جدا بشخصيات تعتبر حاضرة مثل هوشى منه ولينين .

■ **لطفى الخولى :**

هل قال لينين ؟

■ **توفيق الحكيم :**

لينين باعتباره مثلهم ولكن هو أوربى . وعندما نأخذ فى الاعتبار الاسس التى يرتكز عليها الاتحاد السوفيتى ستجد انها ركيزة حضارة أوربية متينة .

■ **د . مراد وهبة :**

وهذا يوحى بمعنى جديد ، وهو ان تصورنا للمستقبل هو حقيقة استلهام من حاضر العالم المتقدم . فباعتبارنا متخلفين ، يعتبر حاضر العالم المتقدم هو مستقبل العالم المتخلف . فحاضر العالم المتقدم يتميز بانه - فى حده الادنى - علمانى سواء فى المعسكر الرأسمالى أو المعسكر الاشتراكى . ولكن فى حده الافقى . يختلف فيكون اشتراكيا أو راسماليا . فاذن ، محكوم على العالم العربى - اذا اراد ان تكون صورته المستقبلية مواكبة لحاضر العالم المتقدم - ان يكون الحد الادنى عنده العلمانية ، ثم بعد ذلك يختار اما علمانية اشتراكية ، أو علمانية رأسمالية ، وأنا متفق مع الاخوة السابقين على ان هناك حتمية فى أن نختار الاشتراكية فتصبح اشتراكية علمانية .

هذا كتصور عام من ناحية المضمون للمستقبل .

أما من حيث الشكل . ففى تقديرى اننا لا نستطيع أن نقفز على الاتحاد الاشتراكى . هو محكوم عليه بالتطور . فى داخل الاتحاد الاشتراكى لابد أن نكون - مستقبلا - قيادة للعمال والفلاحين واذا تحقق ذلك ، ففى تقديرى انه لابد ان يتم تصفية لليمين فى داخل الاتحاد الاشتراكى ، بحيث انه يصبح محكوما على الاتحاد الاشتراكى أن يحسم كل المناقشات التى دارت حوله . أى انه لابد أن يأخذ شكل حزب طليعى تمارس من داخله ثورة ثقافية . . لانه فى تقديرى ان هذه الثورة الثقافية غير متوفرة الان لانشغال اليسار بالتناحر مع اليمين ، وبالذات اليمين التتارى ، لان قضية اليسار مع اليمين المتحضر أبسط من قضيته مع اليمين التتارى المتصدر الان بعض وسائل الاعلام والثقافة . . فاذن ، انا اتصور مستقبلا - وليس حاضرا - ثورة ثقافية تقوم على شقين :

تحرير العقل المميز لعصر التنوير ، ولكن يلازم تحرير العقل دعوة الى التزام العقل ، أى العقل الذى يلتزم قضايا المجتمع التى ستواجهنا مستقبلا .

ولكن كيف يمكن ممارسة تحرير العقل والتزام العقل معا . ان العالم المتقدم مارسها على مرحلتين أو على مستويين .. مستوى تحرير العقل فى عصر التنوير ثم بعد ذلك مرحلة التزام العقل فى الثورة الاجتماعيه كما حدث فى الاتحاد السوفيتى .

■ **توفيق الحكيم :**

انا احب اقول ان توضيح د . مراد جميل جدا . الذى قاله الدكتور مراد وهو انه قامت مرحلة التنوير على دفعتين فى اوربا نحن الان مطالبون اما بأن نجتاز منهم مرحلة واما ان نتبع نفس النظام ، بمعنى اننا نسعى الى الناحيتين معا .. بمعنى اذا كنتم انتم موافقون علىمرحلة الليبرالية فلندخلها . لكن ما الذى سنستفيده من الليبرالية وما الذى سنخسره ؟

الليبرالية بالمعنى الاقتصادى طبعا كما قلتم انها تكون معوقة بعض الشيء من الناحية الاشتراكية ، لكن الليبرالية لها معنى آخر وهى الليبرالية الفكرية وهذه الليبرالية الفكرية هى التى اعتمدعليهااحرار المفكرينفىاوربا لتحطيم العهد الذى هو التعصب الدينى والخرافات واستبداد الكنيسة لان الليبرالية هى التىحطمت استبداد الكنيسة وقالتللكنيسة انت ممنوعة من التعليم لان التعليم اصبحمدنيا واذا كنت تريدين التعليم فاذهبى الى افريقيا .. وبذلك فتحت عندنا مدارس جزويت .. الخ وصدروا الينا هذا التعليم الدينى .

فنحن ارتددنا الى الوراء فى الواقع من بعد العشرينات والثلاثينات اذا نظرنا اليوم الى ما يحدث فسوف نجد ان بعض الناس يحاولون ان يجرونا الى رجعية دينية خرافية لا تتفق مع جوهر الدين ، لانها تستبعد تماما دور الارادة الانسانية ، ودور التعليم والتفكير والتدريب وتحاول ان تلغى العقل الانسانى تماما .

ان ما يحدث اليوم من هذه القوى المتخلفة التى تتستر باسم الدين لتلغى تماما دور العقل يذكرنى بالمقالات التى كتبتها عام ١٩٣٩ ووجهتها الى فضيلة شيخ الازهر وقتئذ .

لقد قلت له انك تتدخل فى حرية الفكر . فكيف تفعل ذلك ؟ وزير المعارف فى ذلك الوقت قال لى : كيف تغضب شيخ الازهر .. وطلبت فى مجلس الشيوخ ليسألونى . ومجلس الوزراء اجتمع . ووزير المعارف قال : ان لم تعتذر عن اهانتك للازهر وتدخله فى شئون الفكر فانا لست مسئولا عما سيحدث لك . فقلت له : أنا أرفض الاعتذار وهذا خطر عليك انت لان تدخل الازهر كمؤسسة دينية فى شئون الفكر لا يصح .

■ **لطفى الخولى :**

من كان وزير المعارف وقتذاك ؟

■ **توفيق الحكيم :**

ربما كان هيكل باشا وربما لا أتذكر من كان وزير للمعارف عام ١٩٣٩ .

ثم جاء شيخ الازهر الشيخ المراغى وكان واسع الافق يعتذر بنفسه ، وقال انه لم يتدخل فى شئون الفكر أبدا . وسألونى فى الصحف قلت : نعم المسألةانه حصلتسابقه مثل هذه عندما تدخل الازهر فى كتاب « جان دارك لبرنارد شو » المقرر فى الجامعة فى كلية الاداب قسم الانجليزى فقيل ان فى هذه المسرحية ما يمس العقيدة ومنع الكتاب . وأظن ان هذا كان فى عهد طه حسين ، وكيف لم يستطع أن يرفض طلب الازهر بمنع هذا الكتاب . فى ذلك الوقت قلت طالما انكم قبلتم ان الازهر يتدخل فى كتب الجامعة ، وان الجامعة تسمع كلام الازهر فى الغاء كتاب للغة الانجليزية ، ولم يكن كتابا دينيا ، فمن حق الازهر أن يسيطر على « الحياة العقلية » كلها اذن ، واذا كان من كتب الدين . خلاصةالقول اننا نحتاج اليوم الىثورة علمانية ، والى اعادة العقل ، سيطرة العقل ، اعادة الطريقة العلمية لا الطريقة الخرافية . فمن الذى سيتولى اليوم هذه المعركة ؟ اذا عهدت الى اليسار بهذه المهمة سيقال الملحدين ، فاذن هل نعيد الليبرالية لتساعدنا فى المعركة ضد هذه الخرافية الثقافية . ان الليبراليين فى البلد غير يساريين .

■ **د . لطيفة الزيات :**

لم يعد ليبراليون فى البلد

■ **توفيق الحكيم :**

اذن فهذه مصيبة واذن فلابد من هذه المعركة معركة العلمانية فى التفكير والمنهج العلمى ، لان هذا هو الذى سوف يمهد طريق الاشتراكية لان الاشتراكية مبنيـــة على العلـــم لا الخرافة . انظروا ــ كمثال ــ لمهرجان الملابس الذى لا أول له ولا آخر فى الجامعة . سيقولون لنا أن هذا لبس كذا وهذا زى اسلامى .. الخ لكن نسأل هلكان هناك زىاسلامىحتى فى ايام النبى . حدث فى وقت المعركة ان النبى لبس « للامة » التى كان يلبسها الروم فلما

مثل النبى فى ذلك قال لهم ما معناه ان هذا ما تتطلبه المعركه . مثال آخر جاء اليه سليمان الفارسى وقال له اننا فى فارس عندما نحارب جيشا اكبر فاننا نحفر الخنادق . النبى دعا الى عمل خندق مثل الفرس وكانت اقعة الخندق . فعل هذا رغم ان الفرس كانوا يعبدون النار . ونلاحظ ان النبى اشترك بنفسه فى حفر الخندق . وعندما ضرب الفاس طلع الشرار من ضربة الفأس ، فقال ما معناه اننى ارى من هذا الشرر ، ارى قصور كسرى تتهاوى . وظل يثير حماس المسلمين فاستطاعوا ان يتغلبوا لانه عمل معهم يدا بيد .

مجمل القول – كانت هذه هى الثورة الاسلامية تقبل الجديد النافع مهما يكن مصدره . وكان الدين ثورة ، ولم يكن قد تحول الى كهنوت . والنبى كان ثائرا ، وعندما قالوا له نحن نعيش على دين اجدادنا قال لهم فكروا . وكانت الثورة فكرية ايضا لانه اراد ايضا أن يخرجهم من تفكير متجمد الى تفكير حر ، فيقول لهم فكروا بعقلكم لقد اوتيتم العقل فهل الاصنام تستطيع ان تعمل لكم خيرا او شرا واثبت لهم هذا الى ان استطاع ان يقنع مجموعة من العقلاء وعمل الثورة لتكون عقلية ودينية . لكننا نرى اليوم فى بعض الاوساط تحجرا يتخفى وراء مزاعم دينية ، هناك من لايزال ينكر أن الانسان قد صعد الى القمر ، ويزعمون ان هذا مخالف للقرآن الكريم . المسألة انهم تجمدوا بقوا زى قريش قبل النبى .

اذن فالمسلم الحقيقى أو الرجل المتدين الحقيقى عليه ان يأخذ الانبياء كمثل ثورى . لان هؤلاء كانوا ثائرين على أوضاع متجمدة ، وقاموا لتغيير الحياة فى البيئة الاجتماعيه التى فيها ظلم الاغنياء الفقراء . فالمتدينون الحقيقيون عليهم ان يأخذوا المثل وبعد ذلك يطبقوه على واقع اليوم . ان بعض الجماعات الدينية حاولت من سنوات ان تعيدنا الى مجتمع عمر ابن الخطاب باعتبار ان هذا كان مجتمعا مثاليا . لكن عمر بن الخطاب كان فى مجتمع صغير ، فكان يمشى بين الناس ويتعرف على مشاكل هذا وذاك . لكن عندما نرى ان المجتمع اليوم قد كبر وتعقدت مشاكله ، فان هذا يتطلب نظاما جديدا . فالواجب اذن هو تقليد عمر بن الخطاب فى سعة تفكيره وقوة ارادته وحسن تجديده اى فى صفاته الانسانية العليا وليس فى تصرفاته الصالحة لمجتمعه هو فى زمانه ومكانه . ان عمر بن الخطاب كان صاحب ثورة عقلية ونحن ايضا نريد اذن ثورة عقلية اخرى . هذه الثورة الاخرى كان الامل ان تقوم بها الليبراليين . فاتضح ان الدكتورة لطيفة تشكك فى وجودهم على اعتبار انهم اصبحوا متخلفين عقليا . اذن الليبرالية ليست موجودة وهى لن تعيد العقلانية ..

لطفى الخولى :

لا ! هناك ليبراليون . لكن ما هو مدى امكانياتهم ؟ هذه مسألة اخرى

توفيق الحكيم :

انا تارك لكم المسألة .. انكم أمام معركتين ، المعركة التى تؤدى الى انتصار وسيادة العقلانية . والطريقة العلمية اللى بتقول عليها اننا نريد العقلانية تسود وبعد ذلك يسهل ان ننتقل على الاشتراكية العلمية . وهذا يفسر لماذا لم يكن من الممكن أن يأتى ماركس قبل عصر التنوير قبل فولتير . كان لابد أن يأتى فولتير وروسو لينصروا العقل ويضربوا الخرافة . فجاء ماركس ليجد عصرا علمانيا مستعدا لقبول النظرية العلمية المادية ، بعد تمهيد واسع وكامل ، لكننا اليوم نجد الناس خائفين ليس من التيارية الاقتصادية بل من التيارية الثقافية أو العلمية . مع ان الدين جوهره ثورة على التخلف العقلى والمجتمعات المتخلفة . ومن ثم ظهر الانبياء ليطوروا الانسانية .

اذن نحن نريد للعقلية العلمية أن تسود كما كان الامر فى القرن التاسع عشر . فى القرن التاسع عشر كله كان تغيير العقلية العلمية التى مهدت للقرن العشرين ، فانت الان كما يقول الدكتور مراد ، تعتبر ما هو مستقبل هناك حاضر عندنا ، يعنى الحقيقة توقيت ساعتنا غير توقيت ساعتهم .. يمكن فيه تخلف قرنين . مثل ما تكون راكب طيارة يقوم يقول لك أخر ساعتك ساعتين أو قدمها ساعتين . الواقع نحن نؤخر ساعتنا الى القرن التاسع عشر .

لطفى الخولى :

الحقيقة انه لا يمكن تصور مستقبل مصر كجزيرة منعزلة او كوكب معلق فى الفراغ . وانما هى جزء لا يتجزأ من الوطن العربى وجزء حضارى واستراتيجى من العالم ككل . أريد أن أقول بتعبير آخر انه فى استشراف مستقبل مصر ، لا مفر من أن نستشرف فى نفس الوقت الحركة المستقبلية للعالم عامة وللوطن العربى بصفة خاصة .

الى أين يتجه أو يتحرك العالم ؟

من الواضح اننا نقف اليوم على عتبة الربع الاخير من القرن العشرين ، وقد خلفنا وراءنا

فترة ثلاثة ارباعه الاولى التى شهدت حربين عالميتين ومحاولتين لبناء نظام دولى وأول ثورة اشتراكية فى التاريخ الانسانى . والصراع الضارى بين قوى التحرر الوطنى وبين الامبريالية والاستعمار القديم بالجديد . وهو الصراع الذى اسفر عن تفجر ثورات عظيمة فى افريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية كان من بينها ثورة يوليو ١٩٥٢ والتى احتلت — وماتزال — موقعا متميزا من هذا الصراع ومن مجموعة ما أصبح يطلق عليه اسم العالم الثالث . كذلك شهدت فترة الثلاثة ارباع القرن صعود الولايات المتحدة كأكبر قوة عسكرية واقتصادية منفرده وكقيادة للامبريالية العالمية ، واكتشاف وتطوير الطاقة النووية وخاصة فى المجال العسكرى المدمر وما صاحب ذلك من ثورة فى العلم والتكنولوجيا . وانتكاسات فى حركة التحرر الوطنى مثل غانا والكونجو فى افريقيا وبوليفيا وشيلى فى أمريكا اللاتينية .

كما شهدت زرع اسرائيل فى قلب الوطن العربى كقاعدة عسكرية عنصرية عدوانية ضد حركة التحرر العربى واندلاع الحروب معها وما صاحبها من هزيمة ١٩٦٧ المروعة . وعلى اعتاب الربع الاخير من القرن العشرين ، ظهرت القوة العربية الحديثة العسكرية والبترولية فى حرب اكتوبر ١٩٧٣ وما بعدها .

ربما يكون من الصعب ، فى هذه الندوة وضع خريطة تفصيلية لاتجاهات الحركة العالمية فى الثلاثة ارباع القرن . ولكن يمكن أن نقول انه مع بداية الربع الاخير من القرن نستطيع أن نضع العين على أمرين جوهريين فى حركة العالم نحو المستقبل .

الأمر الاول ، فى اعتقادى ، هو ان العالم اصبح يحكمه اتجاهان رئيسيان : الاتجاه الرأسمالى والاتجاه الاشتراكى . واذا تتبعنا الخط البيانى لتاريخ الحركة فى العالم سنجد أن الاتجاه الاشتراكى فى صعود ويكسب مواقع جديدة باستمرار على حساب الاتجاه الرأسمالى الاخذ فى الانحسار .

الامر الثانى : وهو ما اشار اليه بعض الزملاء ، وأظنه محمد سيد أحمد من انه أمام الوضع الراهن الذى يحكمه الصراع بين الاتجاهين الرأسمالى والاشتراكى وتزايد مخاطر أن تؤدى المواجهة العنيفة بين الاتجاهين الى خطر انفجار حرب نووية لاول مرة فى التاريخ تودى بالجميع .. بكل الانسان وحضاراته أيا كان فان العالم بدأ يدخل نوعا من الانفراج الدولى والتعايش السلمى بين الانظمة المختلفة . ومن شأن هذا أن يجمد صراعات معينة وينفجر ويؤجج صراعات أخرى .. يجمد الصراعات التى يمكن أن تودى بالبشرية كلها الى الفناء ولكنه لا ينفى استمرار الصراعات السياسية والايديولوجية والاقتصادية من اجل مزيد من التحرر الانسانى واحترام استقلال الكيانات الوطنية .

وبالتالى نحن ندخل .. مصر مع العالم كله .. الربع الاخير من القرن العشرين الى مرحلة تقدم وازدهار للانسان وللوطن المستقل فى العالم ككل .

هل هذا هو كل شىء ؟ لا . هناك عدة نقاط أخرى يجب ان نضعها فى الاعتبار عند الحديث على المستقبل .

فمثلا .. **النقطة الاولى** .. من الواضح اننا نشهد منذ السنوات الاخيرة بدايات ازمه حادة للنظام الراسمالى العالمى .. التضخم .. نظام النقد الدولى .. مشاكل الطاقة .. قد تكون هذه احدى الازمات الدورية للراسمالية ولكنها هذه المرة تاتى فى ظروف تغير فى ميزان القوى العالمى لغير صالح الراسماليه . ولست اريد ان اغالى فى الاثار المحتملة لهذه الازمه الجديدة ، ولكن أعتقد ان الربع قرن الاخير الذى نبداه اليوم سوف يشهد بداية افول المركز القيادى للولايات المتحدة الامريكية فى العالم الراسمالى . نستطيع ان نلمس ذلك من التمزقات السياسية والاجتماعية فى داخل المجتمع الامريكى والتى اتخذت أشكالا مختلفة ابرزها فضيحة ووترجيت . . الصراعات المتزايدة بينها وبين حلفائها الاوربيين والاسيويين وخاصة اليابان الخ .. طبعا الولايات المتحدة تقاوم ولها قدرات فى ذلك لا يجب الاستهانة بها ، لكن اتجاه الريح العالمى ليس فى صالحها .

نقطة ثانية .. الملاحظ أن ثورة العلم والتكنولوجيا لا تاخذ فقط أبعادا واسعة وجديدة فى مختلف المجالات . بل ان معدلات تقدمها سريعة بشكل لم يسبق له مثيل . والربع قرن الاخير سوف يجنى ثمارا هائلة .. وربما وسائل انتاج جديدة .. من خلال هذه الثورة .

نقطة ثالثة : ان ما اصبح يسمى العالم الثالث وصل على مشارف الربع الاخير من القرن وقد تميز بسمتين رئيسيتين فيما اعتقد :

السمة الاولى هو خط صعود العالم الثالث الذى بدأ منذ الخمسينات وبلغ أوجه فى الستينات راح ينتكس هنا وهناك فى السبعينات نتيجة عدم حسمه لقضايا التطور الداخلى من ناحية وعلاقاته مع كل من العالم الاشتراكى والعالم الرأسمالى من ناحية . ويبدو أنه من

خلال تجارب الانقلابات والحركات الانفصالية والحروب العدوانية على بعض بلاده ومشاكل التخلف الاخذة فى التفاقم قد بلورت مرة أخرى . أو هى فى طريقها الى بلورة نوع من وحدة المصالح الجديدة ، تكون قاعدة لتحرك جماعى جديد . وهذا واضح بدرجات متفاوتة من الوعى بهذه الحقيقة ، ويشهد على ذلك تحركات الرئيس الجزائرى هوارى بومدين فى هذا المجال .

هذا عن السمة الاولى . **السمة الثانية** فى رأيى هى انه ظهر فى داخل العالم الثالث ما أصبح يمكن تسميته **بالعالم الثالث البترولى** .. الدول المنتجة للبترول . فى بعض التسميات الغربية يقولون « **العالم الرابع** » .

والواضح ان هذا العالم الثالث البترولى ، لايزال يعانى التخلف اساسا . كما أن القوة الغالبة فيه هى قوى عربية . وبالتالى فانه لاول مره يتشكل وضع جديد عالميا وعربيا على السواء . فلاول مرة تتصل خيوط احدى الازمات الخانقة لعالم الراسمالى واقصد أزمة الطاقة بأيد عربية مباشرة وتنتمى الى العالم الثالث . ولاول مرة ايضا يتكثف لدى العرب ، وبالتالى لدى العالم الثالث ، رؤوس الاموال اللازمة للتنمية الوطنية دون ما حاجة الى الخارج . بل انها المؤثرة فى نظام النقد الدولى المعاصر والذى ظلت الدول الراسمالية الكبرى مسيطرة عليه حتى اليوم .

من هذه الناحية هناك موقف جديد ومعطيات جديدة .

ماذا يواجه العرب ، ومن بينهم مصر طبعا فى مستقبلهم ؟

هناك تحديان رئيسيان ، التعامل معهما ، أو بالاصح طريقة التعامل معهما ولصالح من يجرى هذا التعامل ، يتوقف شكل المستقبل ومضمونه ، سواء على المستوى العربى او المستوى المحلى المصرى .

التحدى الاول ، هو التحدى الاسرائيلى بأبعاده العنصرية الصهيونية وأبعاده الامبريالية والاستعمارية بما فى ذلك الاستعمار الجديد . وأعتقد أنه اليوم بعد حرب ١٩٦٧ وحرب ١٩٧٣ واقتحام الثورة الفلسطينية حلبة الصراع كقوة رئيسية وفعالة وقادرة على العطاء الثورى كما أثبتت التجارب خلال السنوات العشر الماضية ، فان مواجهة هذا التحدى تفرض ـ فى ظروفها الحالية والمستقبلية ـ نوعية جديدة من النضال أكثر جذرية وشمولا .. لم تعد المسألة مجردتحرير جزء من تراب محتل أو تصفية استعمار استيطانى ، وانما أصبحت القضية وخاصة بعد حرب اكتوبر التى على الرغم من محدوديتها كشفت عن القدرات العظيمة المادية والبشرية التى تملكها الامة العربية مجتمعه .. أقول أصبحت القضية هى تحرير الارض والوطن وتحرير الموارد والطاقات القومية من الاحتكار والاستغلال وتوظيف هذا كله فى خدمة الجماهير الشعبية صانعة اكتوبر بتضحياتها الضخمة . ومن هنا أصبح هذا « التحرير الشامل » هو قضية مصر .. قضية فلسطين .. قضية العرب جميعا .

التحدى الثانى ، هو التخلف الاقتصادى والحضارى على مدى العالم العربى كله وان تفاوتت درجاته بين بلد وآخر . ولقد ثبت من التجارب الماضية حتى الان انه يمكن البدء فى تحدى التخلف اقليميا فى كل بلد على حدة . ولكن استمرار هذا التحدى على نحو جذرى فعال وبمعدل سرعة العصر وبتكثيف مؤثر يحدث نقلة حضارية كبيرة وممكنة ، لايمكن ان يتاتى الا من خلال خطه قومية شاملة تجند فيها على نحو واقعى وعلمى كل الامكانيات المادية والبشرية .. مثلا الطاقات الفنية فى مصر .. راس المال فى السعودية والخليج .. امكانيات الجزائر وليبيا والعراق الفنية والمالية الخ .. وبدون هذا العمل القومي الجاد ليس هناك مستقبل لاى تنمية اقليمية ضيقة فى حدود كل بلد على حدة .. والا اختنق هذا كله فى داخل اسواق ضيقة واهية وضعيفة .

ومن هنا لم يعد ممكنا تجاهل البعد الوحدوى فى كل بلد عربى مهما كان نظامه السياسى والاجتماعى . ونحن نبدأ مسيرة المستقبل من واقع لا ننكره وهو أن هناك اختلافات وتناقضات بين النظم العربية الراهنة سياسيا واجتماعيا . وبالتالى فلابد من صياغة جديدة يمكن من خلالها التعايش بين هذه الانظمة على اساس تحقيق ولو الحد الادنى من السوق العربية المشتركة والتكامل اقتصاديا واجتماعيا وبالتالى عصريا ، دون أن يجمد ذلك الصراعات بدرجاتها المتفاوتة فيما بين هذه النظم من أجل مزيد من التقدم والرفاهية والحرية الانسانية لمواطنيها . وليس هناك من بديل لامكانية التوصل الى مثل هذه الصياغة الا بتحديد المصالح القومية المشتركة لكل البلدان العربية مهما اختلفت نظمها . هذا من ناحية . ومن ناحية اخرى أن تمارس هذه الصياغة من خلال وحدة عمل تضم كل البلاد والقوى الوطنية والتقدمية من حول برنامج مشترك .

وفي هذا المجال يمكن رؤية دور مصر ومستقبلها باعتبار انها اكبر البلاد العربية نسبيا ، واكثفها من ناحية الوزن السكانى والاطارات الفنية .واكثرها تطورا فى التحليل النهائى اقتصاديا وثقافيا . فانها مطالبة من جديد وبالحاح أن تمارس ثقلها الواقعى التاريخى بصورة أكثر فاعلية وتقدما .. وأن تجعل من مجتمعها الديمقراطى المعادى للاستغلال المتطور قدوة ذات وزن حضارى .

ومن هنا أيضا تأتى أهمية الثورة العلمانية والعقلانية التى تحدث عنها استاذنا الحكيم وزميلنا الدكتور مراد وهبة .

ومصر فى تقدمها نحو المستقبل ، لا نبدأ من الصفر أو من فراغ وانما من حوالى قرن كامل تقريبا من الثورات والتحولات الكبيرة كان آخرها ثورة يوليو ١٩٥٢ . هذا القرن من التجارب الفادحة الثمن كفيل اليوم - من خلال رؤية عقلانية مستقبلية - أن يوضح لنا الفرق بين ديموقراطية زائفة كالتى تحدث عنها الاستاذ الحكيم قبل ١٩٥٢ وبين ديمقراطية انتهكت هنا وهناك فى التطبيق خلال ثورة ١٩٥٢ وبين ديمقراطية حقيقية لجميع القوى العاملة والمنتجة ذهنيا ويدويا فى البلاد .

بمعنى ان مصر المستقبل لاتكرر الماضى ولا تكرر ثورة ١٩٥٢ ، وانما هى تستلهم تاريخها وتراثها ، وتواصل من ايجابيات ثورة ١٩٥٢ فى التحرر السياسى والاقتصادى والتحولات الاجتماعية التقدمية والقطاع العام الخ ... تواصل التقدم من أجل تمهيد الارضيه ، ماديا ومعنويا ، من أجل الانتقال الى الاشتراكية . بمعنى أن علينا أن نحترم الواقع الحى ونقول اننا لسنا بلدا اشتراكيا بعد .. مازال الطريق طويلا ، وهو بالدقة قضية المستقبل .

ان التجمد عند انجازات ١٩٥٢ ، وقفل باب الاجتهاد عن مزيد من التقدم هو التجمد . بل هو الموت ومخاصمة المستقبل . كما أن الغاء ايجابيات التجربة هو الغاء لقدرات قائمة بالفعل وخطوات أنجزت .

والآن ماذا نعنى بالمستقبل زمنيا ؟ القريب فى تقديرى هو العشر سنوات القادمة ، والبعيد نسبيا هو الخمسة والعشرين سنة الباقية من عمر القرن العشرين .. وهى بالدقة فرصتنا الذهبية ؟! الاولى والاخيرة فى هذا العصر للتقدم الحقيقى والنقلة الحضارية من البداوة والجهالة واليمين المتخلف والوسط المتأرجح بلا هوية الى عصر العالم الكونى لا الارضى وعصر الاشتراكية وعصر الانسان سيد مصيره .

واقول ذلك لان المقدر من عمر البترول الاستراتيجى كطاقة أساسا هو فى نهاية القرن على أكثر تقدير .

فى حدود المستقبل القريب ماذا علينا ان نحدده فى مصر . اشيء محددة وأساسيه .

اولا : الالتزام الجاد والعلمى بقضية الاختيار الاشتراكى للتطور والانتماء المصرى مع الامه العربيه والتحالف مع كل قوى التحرر والتقدم والاشتراكية فى العالم .

ثانيا : بناء تحالف حقيقى لا شكلى ، تحتى لا علوى فحسب ، ديمقراطى لا استبدادى بين جميع القوى الوطنيه والتقدمية فى المجتمع التى تلتزم بقضية الاختيار . وتنبثق عنه أحزاب فى شكل جبهة تمثل بحق الطبقات المتحالفة واتجاهاتها السياسيه دون قهر .

ثالثا : يجب ان ينعكس هذا على طبيعة السلطه واجهزة الحكم المختلفة بحيث ينتفى الطابع الفردى او سيطرة طبقة ذات امتيازات على مجموع التحالف أو الجبهة .

رابعا : فتح النوافذ وساحات الجامعات والمعاهد والصحافة وكل وسائل الاعلام والمسرح والسينما الخ لحرية البحث والتعبير والحوار دون ما قيود . وجذب كل الشعب الى دائرة الضوء والمعرفة والممارسة الحية لحياة الانسان من خلال خطة مكثفة لمحو الامية .

خامسا : قطع الطريق على كل نمو لبورجوازية طفيليه واجتثاثها من جذورها .

سادسا : سيادة قيم الانسان وعمله وابداعه على كل قيمة اخرى . ان مصر غنية ومتجددة الغنى بثروتها البشرية الفنية . حسب احصاءات ١٩٧٤ مصر تلد كل عام الفين طبيب ثلاثة آلاف مهندس .. ستة آلاف مدرس .. هذه ثروة ضخمة يجب ان تصان وتكرم وتهيأ لها الاجواء للعمل والانتاج والمشاركة الحقيقية فى اتخاذ القرارات والحصول على عرق جبينها دون استغلال .. كما يحدث مع أستاذنا الحكيم - كما قال لنا عن العشرين ألف جنيه بتوعه اللى ...

■ توفيق الحكيم :

يا ريت بتوعى . يا سيدى أنا قابل يخدوهم ، بس بدونى جزء منها .

■ لطفى الخولى :

هناك نقطة اخرى أثيرت وخاصة من أستاذنا الحكيم عن الليبرالية ومستقبلها فى مصر .

الحقيقة المسألة ليست بسيطة بحيث نقول بحسم لا او نعم ودمتم . واذا كنت أفكر بصوت مسموع فالحقيقة أننى لست واصلا فى هذه القضيه الى موقف محدد بعد . وذلك من ناحية الموقف الذى يجب اتخاذه من الليبرالية .

هل فى بلادنا ليبرالية حقا ؟ هذا سؤال .. ان البورجوازية المصرية اليوم - فى اعتقادى - منقسمة الى قسمين اساسيين : **قسم** متخلف متحجر على قيم اقرب ما تكون الى الفكر والعلاقات الاقطاعية وبالتالى فهو خارج اطار التاريخ ويقف حجر عثرة فى سبيل التقدم . ولكن هناك **قسم آخر** مستنير بدرجات متفاوتة . وبالذات فى مجال التكنقراط . فى اعتقادى ان هذا القسم مازال له دور وسيكون له فى المستقبل دور بناء يلعبه . **ولكن كيف** ؟ ان البورجوازيه المستنيرة او الليبراليه ، كما يسميها أستاذنا الحكيم ، عليها أن تفهم انها تعيش الربع الاخير من القرن العشرين فى المجتمع المصرى العربى لا فى اواخر القرن الـ ١٩ أو اوائل القرن العشرين فى مجتمع فرنسى او المانى او ايطالى او حتى امريكى . بمعنى ان التطور الليبرالى من خلال نظام راسمالى فى واقعنا وعصرنا لم يعد ممكنا . لقد افلست الليبرالية فى بلاد اوربا وأمريكا . بل ان النظم الرأسمالية التقليدية لم تعد قادره على الاستمرار على النحو الذى كانت عليه من قبل . لقد تغير العالم . البلاد الراسمالية مثلا بدأت تأخذ بقدر معين من التخطيط . وكان التخطيط فى الاقتصاد هو نوع من الكفر الرأسمالى . ان فكرة العودة الى **آدم سميث**، أو حتى الى كينز ، لم تعد ممكنة . بل تخطاها الاوربيون والامريكان انفسهم . ولا يمكن ان نكون ملكيين فى مصر أكثر من الملك نفسه . فضلا عن أن الليبرالية الرأسمالية التقليدية تعنى التفريط عمليا فى الاستقلال الوطنى والسيادة القومية .

ويبدو لى ان الليبراليين فى بلادنا لابد وأن يجرى معهم الحوار البناء من أجل الوصول الى أن الطريق الاشتراكى هو فى نفس الوقت الطريق الديمقراطى . وأن نثبت ذلك عمليا . وطبعا الطريق الاشتراكى هو تطبيقنا للمبادىء الاشتراكية العلمية على واقعنا وظروفنا الخاصة ، وليس استيراد تجارب اخرى سواء كانت سوفيتية او صينية او خلافه ، فالتجارب لا تستورد . هذا ضد الاشتراكية نفسها .

باختصار وحتى لا أطيل أكثر مما أطلت وأستغل ادارتى للحوار ، أقول ملخصا : اذا أخذنا المستقبل القريب ، وهو العشر سنوات القادمة فنحن لابد من ان نصفى من مجتمعنا كل القوى والافكار الخرافية الرجعية كقوى اجتماعية وليس كبشر . وأن نرد للعقل اعتباره . ونرد للقوى صانعة الحياة اعتبارها وقدرتها على انها تكون العامل الفعل المقرر فى المجتمع . وبالتالى لابد من تجميعها فى الاطار أو فى الشكل الذى ترغبه . جبهه . تحالف حزب . وذلك من خلال برنامج يكون مضمونه قائما على أساس توفير ديمقراطية لكافة القوى الوطنية والتقدمية ولا تستأثر به طبقة واحدة أو فئة اجتماعية واحدة ذات امتيازات فى المستقبل البعيد على مدى الخمسة وعشرين عاما لابد ان نكون قد بنينا الاسس المادية والثقافية والاجتماعية لاقامة المجتمع الاشتراكى . وأعتقد ، ان القرن الواحد والعشرين لابد وأن يكون عصر بداية الانتصار الشامل للاشتراكية شاء الرجعيون أم لم يشاءوا .

■ **توفيق الحكيم :**

أنا اريد ان اعلق على ما جرى من حوار اليوم . كان فعلا بمثابة أضواء كاشفة على القضايا التى تثار بشأن مصر بالنسبة للمستقبل . ومن ضمن القضايا ، قضيه صغيرة ربما لا بحثها الان ولكنى اريد أن اضع تحت النظر ما يمكن أن نتعرض له بشأنها . وهى مسألة اسرائيل والدول العربية . مسألة اسرائيل هذه فيها وجهين متناقضين :

كيف ؟

أولا : القوى العربيه غير الاشتراكية ولا غيره . وهى دول البترول وعاملة ضغط على اوربا لدرجة جعلتها تميل الى صفنا . فضلا عن ضعفها فى نواحى أخرى . هذه القوى مشاركة لنا فعلا ضد اسرائيل - كويس كده. طبعا هذه قوة لديها البترول وما أدراك ما هو البترول فى عالم اليوم .

القوة الثانية قوة اليسار . اذا كان قويا فأين تكمن قوته ؟ انت تذكر لما سارتر زارنا فى مصر طبعا انا لم أحضر الاجتماعات الموسعة . انما لما كنا قاعدين مع بعض نتعشى ناقشته فى قضية حكاية اسرائيل قام قال كلام انا لم التفت اليه فى ذلك الوقت .. انما اليوم يجب ان يبحث . قال لك حلها فى اليسار . قلت له كيف ؟ قال لى : من الذى يقوم بالحروب فى اسرائيل ضدكم ؟ المتعصبين الدينيين ، الاحزاب الدينية المرتكزة على دين والامبرياليين العسكريين والمتخلفين . اما اليسار فهذا ممكن التفاهم معه لانه مجرد من النعرة العنصرية والتعصب الدينى . طبعا الصهيونية .. عنصرية متخلفة

لايقبلها العصر الحديث . وفى الوقت نفسه الصهاينة معتمدين على الامبريالية الامريكية ، يأخذوا السلاح ويحاربوا ناس معتدين . لابتوع مستقبل ولا تفاهم . ولكن اليسار هو الذى يمكن أن نتفاهم معه ضد العدوان والصهيونية لانه مجرد من : الامبريالية العدوانية والعسكرية ومن التعصب الدينى .

اليوم ، وانا افكر فى هذه الحكاية وجدتها صحيحة الى حد كبير . والحقيقة ان العرب لو وضعوا المسألة على اساس انسانى ومتقدم سنجد المسألة ستسير فى الاتجاه الذى ينادى به منظمة التحرير وياسر عرفات اليوم : انه الغاء الدولة العسكرية الامبريالية ومجىء الدولة الديمقراطية والتعايش . الا أن برنامج منظمة التحرير اليوم لا يفهم الا من جهه اليسار الاسرائيلى . فاذا كان اليسار الاسرائيلى يفهم هذا . واذا قوينا اليسار الاسرائيلى : فان التفاهم سيكون أقل صعوبة من التفاهم مع الامبريالية .

نحن اذن قدام قوتين متناقضتين — قوتين نحتاج اليهما ، ومتناقضتين . اقصد اليسار وتقويته . وهو لن يقوى فى اسرائيل ضد الصهاينة الامبرياليين والمتعصبين الا بقوته فى مصر . فاذن اليسار له مهمة كبيرة فى الحرب ضد اسرائيل العدوانية . كما أن قوة البترول انت محتاج اليها . وهى القوة العربية ، الغير يسارية فى معظمها . اذن هناك قوى متناقضه كيف اذن نتوصل الى دفع أو ترويض القوتين فى اتجاه واحد ؟ ان بعض القوى العربية قد تفهم انك تقف ضدها اذا أنت شجعت وقويت اليسار . وفى الوقت نفسه انت تريد أن تقوى اليسار لان معنى تقويته اضعاف اليمين العسكرى والدينى والامبريالى داخل اسرائيل .

■ **خالد محيى الدين :**

أود أن اضيف نقطتين فى موضوع البترول والعلمانية :

النقطة الاولى : صحيح ان جزءا كبيرا من البترول فى أيدى قوى ليست مستقبلية لكن هناك ايضا قوة ممكن تعتبرها مستقبلية . ولذلك أقول ان نقطة الانطلاق فى مصر فى العلاقات العربية انها تبدأ مع ما يسمى بالدول التقدمية العربية — يعنى فيه عندنا العراق وفيه الجزائر وفيه ليبيا بصرف النظر عن موقف ليبيا الفكرى . ولكن هى فى اتجاهها العام فى معاداة للامبريالية ، وبصرف النظر عن الاتجاهات الفكرية لدى العقيد القذافى ، فانهم هناك فى ليبيا يتجهون الى القيام بعملية بناء ، ويرصدون لهذا أموال البترول بحيث لا تتبدد هباء كما يحدث فى مجتمعات أخرى . بالاضافة الى أن الخط العام هناك معاد للامبريالية وخط عربى .

أبدأ الاول بالتعاون مع هذه البلدان التى يمكن أن نعمل معها عملا ما .

واحب أن اقرر شيئا آخر — كما قال الاستاذ توفيق الحكيم . وهى أن حاجتنا الى المال العربى مؤكدة لان الايرادات العامة لا تكفى حتى اذا ادخلنا فى الاعتبار فوائض القطاع العام لان هناك فى الناحية المقابلة متطلبات التعمير وهى أمور ضاغطة تدفع الحكومة الى التوجه الى المال العربى . معنى ذلك ان هناك ضغوطا حقيقية وواقعيه على الحكومة لكى تسلك هذا الطريق . لسنا ضد الانفتاح ولكن الانفتاح الذى يخدم تطور القطاع الاشتراكى فى الاقتصاد العربى .

النقطة الثانية : عند الكلام عن معركة التنوير يجب أن نكون حريصين حتى لا يؤول هذا الكلام فيقال اننا معادين لقضية الدين . صحيح أن كل ما يوضع هذه الايام تحت شعار الدين لا يقصد به وجه الدين . وانما هناك نشاط سياسى يحاول ان يستخدم الدين ويرفع شعارات : **الحكم للاسلام ... الخ .** ثم اضيف الى انه يجب الا نثير الظنون حول معركة التنوير فيتوهم الناس ان اليسار يريد أن يزحزح الناس عن ايمانها ويجب أن نفرق بين الايمان الواضح المتنور الذى يعيش فى الربع الاخير من القرن العشرين ، وبين الافكار التى نراها فى حادث الفنية العسكرية .

■ **توفيق الحكيم :**

على كل فالتنوير فى رأيى يشمل التنوير الدينى . لا يقتصر فقط على الاتجاه نحو العلمانية وفى أوروبا الغربية احزاب كبيرة للاشتراكية المسيحية لم تهمل الدين . وهذه نقطة تحتاج الى دراسة .

■ **لطفى الخولى :**

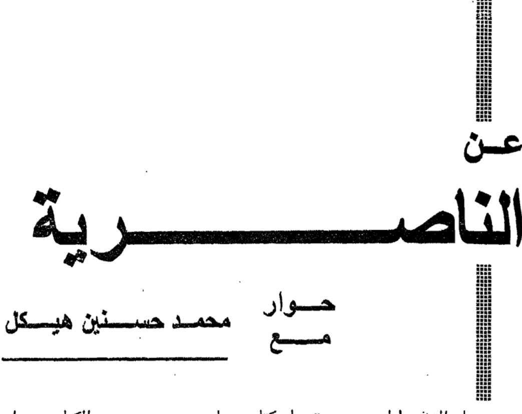
لابد من ملاحظة ان الاشتراكية المسيحية فى ايطاليا ضد تدخل الفاتيكان ورجال الدين فى السياسة .

■ **توفيق الحكيم :**

الاشتراكية الاسلامية تبدأ من العودة الى التنوير الدينى وليس فى العودة الى الوراء .

■ **لطفى الخولى :**

بهذا تنتهى الجلسة الثانية للحوار .
وشكرا .

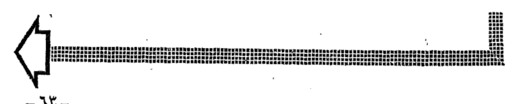


يصدر عن دار القضايا ببيروت ، قريبا ، كتاب سياسى من نوع جديد . الكتاب بعنوان « بصراحة عن عبد الناصر » ، وهو عبارة عن حوار شامل أجراه الصحفى اللبنانى المعروف فؤاد مطر مع محمد حسنين هيكل .

من خلال الحوار الذى ادير بموضوعية وذكاء على مدى عشرين ساعة ، قام هيكل من خلال معايشته الذاتية والموضوعية لتجربة ثورة يوليو وجمال عبدالناصر ، بتقديم رؤياه التحليلية وشهادته التاريخية لثمانية عشر عاما من حياة الناصرية وعبد الناصر .

والكتاب من عشرة فصول تتناول ليلة الثورة ، مراحل تأسيس التنظيم ودور محمد نجيب ، الازمة مع الاخوان والشيوعيين ، الصراع مع الامريكان ، وصفقة السلاح الروسى ، علامات استفهام فى ١٨ سنة ، الوحدة والانفصال والبعث واليمن ، هزيمة ١٩٦٧ : قبل وبعد ، الحرمان والممتلكات ومراحل التوتر ، رحلة العذاب مع المرض ، عن الناصرية : الماضى والحاضر والمستقبل .

وتنشر « الطليعة » فى هذا العدد الفصل العاشر من الكتاب وهو : عن الناصرية : الماضى والحاضر والمستقبل .



□ **فؤاد مطر :**

لو القينا نظرة على الواقع السياسي في مصر ؟ لوجدنا ان لليمين قادته ؟ ولليسار قادته ، في حين لا نعرف من هم قادة الناصرية .

ولنفترض ان التطورات فرضت ترك كل فريق يمارس نشاطه وشعائره ، فمن هي القيادات التي ستقود الفريق الناصري ؟

□ **محمد حسنين هيكل :**

انني اختلف معك في هذا التقدير .. أين هو اليمين ؟ .. هل هو تلك الشراذم غير المنظمة التي يرتفع صوتها عاليا ؟ .. أم هو هذه البورجوازية الناشئة ؟

اذا كان هذا هو المقصود فمن الصعب اعتبار ان ذلك هو اليمين . واذا جئنا نبحث عن قيادات لهؤلاء ، فاننا لا نعثر على هذه القيادات . هناك بقايا من كانوا في مصر قبل الثورة وعادوا في ظروف ما بعد المعركة . وهؤلاء ينطبق عليهم تعبير قيل عن اشخاص في الثورة الفرنسية عادوا بعد نابليون ، وهو : عادوا من دون ان ينسوا شيئا أو يتعلموا شيئا .

هذا بالنسبة الى اليمين ، أما بالنسبة الى اليسار ، فالامر مختلف ، ان اليسار موجود في الاحزاب الشيوعية التي حلت نفسها . ويمكن ان تكون هناك عناصر في تلك الاحزاب تعيد التفكير والتقييم في ضوء الظروف المستجدة ، لكنني أرى أن الظروف اختلفت ، لان تركيب الواقع المصري اختلف .

قبل الثورة كان هنالك ١٢٠ الف عامل منضمين الى نقابات ، بصرف النظر عن طبيعة تلك النقابات ، لان هنالك نحو ثلاثة ملايين عامل نقابي ، بالتقسيم القديم يمكن ان نقول ان أشخاصا معينين هم قادة العمال ، وان أشخاصا معينين هم قادة اليمين أو قادة اليسار . أما بمفهوم ما بعد الثورة ، فان تركيبة الواقع المصري اختلفت ، وذلك بفعل الناصرية .

وعندما القي نظرة على الواقع الاجتماعي في مصر الان ، أرى ان التيار الاساسي في الجماهير المصرية هو تيار ناصري ، وان الثلاثة ملايين عامل هم نتاج التجربة الناصرية ، ونصف المليون شاب الذين تضمهم الجامعات المصرية هم نتاج التجربة الناصرية . وهؤلاء قرأوا الميثاق ونموا في الوقت الذي كانت مصر تقود فيه حركة ثورة وطنية . هؤلاء انتماؤهم الحقيقي انتماء ناصري ، وحركتهم تسير في الاتجاه الايجابي من الناصرية ، اتجاه التحرر والتحول الاشتراكي وسيطرة الشعب على موارده وديمقراطية قوى الشعب العاملة .

تتساءل : من هم قادة الناصرية ؟ .. ان القيادة السياسية الحالية ، قيادة ناصرية ، والرئيس **أنور السادات** الذي ورث التجربة هو المسئول عنها . وفي ١٥ مايو [آيار] سنة ١٩٧١ ، أسقط **الرئيس السادات** ما لحق بالناصرية من شوائب . وهو عندما توجه الى مجلس الامة وقال انه آت ببرنامج ٣٠ مارس ، كان يعبر عن تمسكه بالتجربة الناصرية . وعندما تمسك بالميثاق الذي يمثل الوثيقة الاساسية للثورة ، فانه كان يتمسك بالتجربة الناصرية .

من هي قيادات الناصرية ؟ .. انها قيادات ستظهر في المستقبل ومن وسط التجربة .

وعندما نتأمل فى القوى الاجتماعية المصرية المتمسكة بالمبادىء الاساسية للناصرية ، نفترض ان هذه القوى ستفرز قيادات ، ونفترض ان القوى ستفرز قياداتها من خلال التحدى للناصرية من جانب بعض القوى العاجزة والوافدة والتافهة والمتراجعة ، والقيادات التى ستفرزها القوى الناصرية ستكون من نوع جديد .

□ فؤاد مطر :

اذا شئنا ان نعرف الناصرية فكيف نعرفها ؟

□ محمد حسنين هيكل :

الناصرية هى نقل مصر الى الكيان والطموح والوجود العربى كجزء لا يتجزأ منه ، ثم نقل الكيان العربى والطموح العربى الى العصر الحديث ، بمعنى ان مصر والعالم العربى ، هذا الكيان الجديد الذى ساهم جمال عبد الناصر فى بلورته ، أصبح مؤثرا فى حركة الثورة الوطنية . والناصرية هى الدفاع عن الحرية والحرب على الاستعمار ، وهى تحول المجتمعات العربية من مجتمعات تقليدية متخلفة الى مجتمعات تلحق بالعصر ، سواء فيما يتعلق بقوة المجتمع الانتاجية أو بقيمة الفرد والانسان فى هذا المجتمع . والناصرية هى العمل للحاق بالتكنولوجيا والانفتاح على العالم ، وهى حركة القومية العربية ، وحركة التصنيع ، وحركة الاشتراكية ، وحركة التأثير فى العالم والتحول فى أفريقيا .

□ فؤاد مطر :

لكن التجربة الناصرية حفلت بحالات قسر كثيرة .. هل كان ذلك طبيعيا ؟

ثم لماذا اعتمد عبد الناصر على التنظيم الطليعى ولم يعتمد على الرأى العام ؟

□ محمد حسنين هيكل :

الاعتقالات والتجاوزات التى حدثت ــ مع اعترافى الكامل عليها ــ تأتى على هامش التجربة .

ومن الطبيعى بالنسبة الى تجربة سياسية واجتماعية مثل التجربة الناصرية ان تحدث حالات قسر . وهذا القسر حدث فى كل تجربة تاريخية شرقية أو غربية . والقسر الذى حدث فى التجربة الناصرية اقل من القسر الذى حدث فى تجارب عربية أخرى أو غير عربية .

وأنا اختلف معك بالنسبة الى مسألة التنظيم الطليعى . ان جمال عبد الناصر ، اعتمد على الرأى العام أكثر مما اعتمد على التنظيم الطليعى أو أى تنظيم . وهو عندما فكر بعد حرب سنة ١٩٦٧ فى التنظيم الطليعى ، فبهدف ان يتولى هذا التنظيم ادارة حركة التناقضات داخل التحالف على أمل تذويب الفوارق بين طبقات التحالف .

وأؤكد ان عبد الناصر لم يعتمد على التنظيم الطليعى ، وان التنظيم لم يكن قوة مؤثرة ، بدليل انه نفخ عليه فى ١٥ مايو [آيار] سنة ١٩٧١ فطار ولم يبق منه شىء . ان عبد الناصر كان يهمه الرأى العام ويعتمد عليه داخل بلده وخارجه .

□ فؤاد مطر :

ما السر فى أن الناصرية ، كانت ومازال قوية خارج مصر وضعيفة داخل مصر ؟

□ **محمد حسنين هيكل :**

بالنسبة الى هـذه المسـألة ، اختلف أيضا معك . ان الناصرية كانت كامنة وغير ظاهرة فى مصر ، لان عبد الناصركان يحمى وجودها ويغطيه . وبعد رحيل عبد الناصر ، وبالتحديد بعد ٦ اكتوبر [تشرين الاول] سنة ١٩٧٣ ، حدثت محاولات للعودة الى الوراء . فمن الذىتصدى لهذه المحاولات ؟

ان الذين تصدوا لها هم الناصريون منشبان وطلاب جامعات وعمال وفلاحين .

ثم هل ان الذين ساروا فى جنازةعبد الناصر ساروا بفعل التأثر والحزن على رجل غاب ؟ .. هل ان تلك المسيرةالتى ضمت خمسة ملايين كان هدفها التعبير عن الحزن العميق ؟

رأيى الشخصى انها لم تكن حالة تأثر انما كانت تعبيرا عن الرفض لاى صراع بين القوى ، وتمسكا بالاستمرارية .

ثم لنأخذ أيضا ــ مثلا ــ جماعة ١٤مايو [آيار] سنة ١٩٧١ ، كانت فى أيدى أفراد هذه الجماعة كل القوى الاساسيةفى أجهزة الدولة ، وكان **الرئيس السادات** وحده . وكان تكتيك هؤلاء عندما استقالوا ليلة ١٣ مايو [آيار] ان الشارع سيتحرك ليفرضهم من جديد على **الرئيس السادات** وبأوضاع أقوى وشروط أفضل . ولقد بقى الموقف معلقا طوال ذلك الليل فى انتظار ان تحسم الجماهير الموقف والصراع . ولقد حسمتها لمصلحة **الرئيس السادات** .. الجماهير هى التى نصرت **أنور السادات** ،لانها ضد محاولات اللعببالسلطة . وكانت الجماهير واضحة أيضا فى حرصها على الاستمرارية ورفضهالاى صراع بين القوى .

اما أن تكون الناصرية تبدو وكأنهاغائبة فى مصر ، أو ان هنالك محاولات للتشكيك فيها ، فى حين انها مندفعةخارج مصر .. فهذا يعود الى ظروف معينة .. فى مصر قد تكون الناصريةأصابت بعض القوى اصابات مباشرة ، وهذه القوى تتمثل فى أصحاب المصانعوالطامحين الى ان يصبحوا أصحاب مصانع ، وفى كبار ملاك الارض ،والطامحين الى ان يصبحوا اقطاعيين ، بالاضافة الى بعض القوى السياسية التىرفضت التأقلم مع التجربة . قد تكون الناصرية بالفعل أصابت هذه القوى فىمصر ، أما فى خارج مصر ، فان التجربة كانت بريقا وحلما ولا ضحايا لها . وعدموجود عبد الناصر خارج مصر جعل الناصرية تبدو غير معطاة تستقطبالجماهير يوما بعد يوم ، من دون ان تقف فى وجهها قوى معادية .

الناصرية فى مصر موجودة كحكم ..خارج مصر موجودة كحلم .. الحكم له من يتصدى له ، أما الحلم فمن يستطيع التصدى له . والناصرية فى مصر ، لانها موجودة كحكم ، أصابت بعض القوى فىمصالحها ، أما خارج مصر ، فان احدا لم يصب لان الحلم لا يصاب .

□ **فؤاد مطر :**

متى فى تصورك ينصف **عبد الناصر** ومتى تحدد السلبيات والايجابيات فى مرحلة التجربة الناصرية ؟

□ **محمد حسنين هيكل :**

شخصيا أرى ان **عبد الناصر** ينصفيوما بعد يوم . والاحظ ان الحملات على سلبيات التجربة الناصرية تسقط يوما بعديوم ويزداد بروز الايجابيات .

والانصاف الحقيقى **لعبد الناصر** سيكون بعد انتهاء محنة سنة ١٩٦٧ ، لان هذه المحنة غطت انجازات كثيرة حققهاعبد الناصر .

لقد غاب **عبد الناصر** عن المسرح ؟ وهناك احتلال ؟ ثم تجاوزت بعض العناصر استعمال السلطة باسمه ، فكان من السهل الخلط بين ما هو ايجابى وما هو سلبى فى التجربة . لكن الذين استعملوا اسم **عبد الناصر** انتهوا . وكفاح الشعب المصرى يصحح ما تركته هزيمة سنة ١٩٦٧ من آثار على صفحة التجربة . والكفاح سيستمر لأن الصراع مستمر ، وسيظل مستمرا وتتخلله غارات .. وعندما تنتهى آثار محنة سنة ١٩٦٧ ، تصبح الرؤيا أكثر وضوحا وتظهر ايجابيات التجربة الناصرية . وعندها ينصف **عبد الناصر** ، وتتأكد أهمية التجربة التى احدثت تغييرا فى مصر والوطن العربى وأفريقيا .

□ فؤاد مطر :

بمقدار ما كان **عبد الناصر** يبدو عملاقا وقويا فى حياته وتبدو معه مصر بوزن قوى ومؤثر فى الحياة العربية والحياة الدولية ، فان نظامه بدا لمجرد وفاته على درجة كبيرة من التفكك والانقسام .

هل يأتى ذلك نتيجة خلل فى التوازن بين قوة الذات الناصرية وضعف النظام الناصرى ؟

□ محمد حسنين هيكل :

الذى حدث فى يومى ٩ و ١٠ يونيو [حزيران] سنة ١٩٦٧ ؟ كان تثبيتا للناصرية ، وتأكيد ان عبد الناصر هو التعبير عن تلك القوة البشرية الضخمة التى خرجت من دون تدبير ترفض التنحى وتتمسك بعبد الناصر المهزوم ، وبين هذه الفترة ويوم الوفاة عاش النظام المصرى وسط حرب نفسية عنيفة جدا . وحدث نوع من التمزق العربى نشأ عن قبول **عبد الناصر** مشروع روجرز ، وفجأة يختفى **عبد الناصر** بينما الحرب العنيفة جدا ضد نظامه ما تزال قائمة ، والتمزق العربى ما يزال قائما . ولم يكن احد يتوقع مثل هذا الامر . والقيادات لم تكن جاهزة لمواجهة ما حدث بشكل صاعق .

وعلى رغم ذلك فان النظام الناصرى هو الذى صنع اكتوبر سنة ١٩٧٣ . واذا كان بعض المحسوبين على **عبد الناصر** أقدموا على حركة غير مسئولة فى ١٥ مايو سنة ١٩٧١ ، فان هؤلاء لم يستطيعوا هدم شىء فى النظام الناصرى .

ان النظام الناصرى هو الذى صنع اكتوبر سنة ١٩٧٣ ، هذه حقيقة لا جدال فيها . وكل الشوائب التى جاءت بعد العبور تتعلق بالتجربة لم تساهم فى العبور ، انها شوائب سلبية جاءت بعد العبور لتنهش فى النظام الناصرى الذى قاده **أنور السادات** بعد وفاة عبد الناصر وحقق فى أكتوبر ما حققه ، أيا كانت قيمة ما تحقق ، والقيمة كبيرة بلا جدال .

اذن ، ان النظام الناصرى ظل متمسكا على رغم ظروف سيئة واجهته الى أن صنع اكتوبر . وبعد اكتوبر حصلت هجمة على الناصرية ، وعندما بلغت الهجمة ذروتها فى سبتمبر [أيلول] سنة ١٩٧٤ ، لم أكن فى مصر .. كنت فى الخارج ، وبلغنى أن قوى كبيرة جدا وقفت تتصدى دفاعا عن الناصرية وعبد الناصر والمنجزات الايجابية لعبد الناصر .

ما معنى هذا ؟

معناه فى رأيى ان النظام الناصرى قوى وغير منهار ، بدليل انه واصل بقوته الذاتية وبامتداده الطبيعى **بأنور السادات** السير الى ان حقق ٦ أكتوبر . وبعد ٦ أكتوبر حدثت تشويشات وجاء البعض للتعلق بالتجربة ، وهم من الذين لم يشاركوا فى معركة اكتوبر .. جاءوا فى آخر النهار متأخرين جدا .

وهذه العناصر عندما بدأت تهاجم النظام الناصرى حدثث التصدى لها من داخل مصر على رغم انه بدا لوهلة من الوهلات ان بعض عناصر السلطة تشجع هذا الهجوم . وهذا يعنى ان النظام الناصرى قوى وليس منهاويا .

□ **فؤاد مطر :**

نحن الان فى ٢٧ آب [أغسطس] سنة ١٩٧٤ ، ومنذ وفاة **جمال عبد الناصر** يوم ٢٨ أيلول [سبتمبر] سنة ١٩٧٠ حتى يومنا هذا حدثت تطورات مهمة على صعيد الكلام والمواقف تتعلق **بعبد الناصر** والناصرية . حتى ان هنالك تصورا يصل الى درجة الاقتناع بأن التراب يهال على **عبد الناصر** والناصرية ، بحيث يجب ان تكون فترة الحكم الطويلة مجرد ارث وليس استمرارا كما اتفق على ذلك .

ما الذى بقى من **جمال عبد الناصر** ، وهل ترك وصية سياسية معينة مودعة الخزانة المقفلة ، وهل هذه الوصية تنفذ ؟

وهل ما يكتب فى صحافة مصر عن **عبد الناصر** والناصرية بطريقة أو باخرى هو أمر عفوى .

وتبعا لذلك هل أنت مطمئن الى ان الناصرية مستمرة فى مصر ؟

□ **محمد حسنين هيكل :**

أعود الى الخصوم الذين يقومون بعملية التجريح لاقول ان مثل هذا الرجل يمكن مهاجمة أفكاره ولكن من العيب التجريح به . **فجمال عبد الناصر** عاش لامته العربية ومات من أجلها .. أحسن وأخطأ مثل أى زعيم أو قائد تاريخى .

ان **عبد الناصر** اوجد قيمة لخصومه ، حتى الذين اختلف معهم عقائديا وفكريا فى العالم العربى أصبحت لهم قيمة . ان العالم العربى وضع على خريطة العالم الحديث أيام **عبد الناصر** .. من كان متنبها للموارد العربية ؟ ومن كان يفكر بتأميم الموارد العربية ؟ ومن كان قادرا على التصدى للاستعمار ؟ .. ومن كان فى قدرته مواجهة تحديات الدول الكبرى ؟

انه عندما يقال الان أرض العرب للعرب ، وبترول العرب للعرب ، وموارد العرب للعرب ، يجب ان نتذكر وان يتذكر الاخرون ان أول تأميم عربى هز الدنيا كلها كان تأميم قناة السويس . وان أول حركة انتصار للثورة العربية كانت الانتصار فى السويس ، بعد تأميم القناة وبانتصار السويس حدثت متغيرات فى بقاع كثيرة من العالم .. فى افريقيا حدثت متغيرات كثيرة .. وفى آسيا أيضا .. وهذا مجد لا يملكه **جمال عبد الناصر** انما تملكه الامة العربية ، لان **عبد الناصر** فى النهاية من نتاج هذه الامة . ان **جمال عبد الناصر** لم يصنع الامة العربية ، لكن الامة العربية هى التى صنعته . وكذلك ان **عبد الناصر** نتيجة طبيعية لمصر وليست مصر نتيجة طبيعية له .

تسألنى ماذا بقى **من جمال عبد الناصر** ؟
اقول ان الذى بقى من **عبد الناصر** هو الناصرية .

ان **جمال عبد الناصر** له أخطاؤه . ومن يقول ان لا أخطاء **لعبد الناصر** يكون متجنيا على الانسانية . **عبد الناصر** له أخطاء سياسية كبيرة أو صغيرة ، ولكن عندما يحاسب رجل تاريخى مثل **عبد الناصر** لا يحاسب على الاخطاء انما على التحولات التى حدثت فى عهده ، وتحقيق الافكار المتلائمة مع هذه التحولات .

ما هى هذه التحولات ؟

لقد طرح عبد الناصر بقوة فى العصر الحديث امكان تحقيق الوحدة العربية .. وطرح امكان سيطرة العرب على ثرواتهم .. وطرح الاشتراكية .. وطرح الحرب ضد الاستعمار .. طرح مسألة كون العالم العربى جزءا من الثورة الوطنية .. طرح قضية التصنيع الثقيل ، وقضية الارض والفلاح ، وقضية ديمقراطية الغالبية التى هى العمال والفلاحون .

طرح عبد الناصر كل هذا وبدأ يطبق . كانت تجربة التطبيق ناجحة فى مجالات كثيرة .

اننى أرى وجه عبد الناصر فى أماكن كثيرة ، أراه فى الطريق الصحراوى من القاهرة الى الاسكندرية وعلى ناصيتى الطريق أتطلع الى أسلاك الكهرباء فأرى وجه عبد الناصر .. أتطلع فى الارض الجديدة فأرى وجهه ، أتطلع فى السد العالى فأرى الوجه أيضا .

أرى وجه عبد الناصر أيضا فى كل مصنع وفى كل قرية وصلتها الكهرباء . أراه فى قوة العمل النقابى ، فعندما قامت الثورة كان فى مصر ربع مليون عامل . الان فى مصر ثلاثة ملايين عامل منتظمون فى نقابات واتحادات .

لقد جاء عبد الناصر الى الحكم والعالم العربى عبارة عن دول مستعمرة أو شبه مستعمرة .. وذهب والعالم العربى كله مستقل فى مقابل جزء من مصر محتل .. وفى مقابل هذا الجزء المتمثل فى سيناء والجزء الاخر المتمثل فى الجولان ، وفى مقابل احتلال الضفة الغربية فى الاردن ، تحررت مصر كلها وتحرر السودان والجزائر وتونس والمغرب وليبيا واليمن والاردن والعراق وامارات الخليج .. تحررت هذه الدول وأصبحت تتحكم بثرواتها .

لم يكن أحدا يتكلم عن التخطيط . بعد عبد الناصر اصبح التخطيط مطلبا ضروريا فى قضية التحول الاجتماعى التى بدأها عبد الناصر .

لقد حدثت تجاوزات خلال حكم عبد الناصر ، وأنا كتبت وعبد الناصر ما يزال حيا انه حدث تجاوز فى استعمال السلطة فى الداخل ، وحدث أيضا تجاوز استعمال القوة فى الخارج . وما زلت حتى الان على قناعتى هذه بالنسبة الى التجاوزين . كذلك كتبت وعبد الناصر ما يزال حيا : « حان الوقت لكى ننتقل من ديمقراطية بالموافقة الى ديمقراطية بالمشاركة » . وكتبت أيضا انه اذا لم يكن النظام قادرا على صنع التغيير المطلوب ، فيصبح المطلوب هو تغيير النظام . وفى أيام عبد الناصر كتبت انتقد القطاع العام محذرا من أن يكبله القطاع الحكومى القديم بقيود الروتين ويفقده حيويته . وفى عامى ١٩٦٤ ــ ١٩٦٥ ، كتبت كثيرا عن مراكز القوى وسيادة القانون والمجتمع المفتوح و « زوار الفجر » .. ونشر فى « الاهرام » نقد للتجربة بأقلام توفيق الحكيم ونجيب محفوظ وحسين فوزى ولويس عوض ولطفى الخولى .. وأنا لا اشير الى ذلك تباهيا وانما قصدى اننا كنا نكتب أيام عبد الناصر عن التجربة ونناقشها من موقع الحفاظ على التجربة وليس من موقع الاساءة اليها والسعى لتقويضها .

وهنالك أمر يغيب عن أذهان البعض . لقد قرر عبد الناصر القيام بعملية التحول الاجتماعى . وتبعا لذلك عمد الى نقل الملكية الاجنبية فى مصر الى الملكية الوطنية هل ياترى كان يجب ان يلجأ الى الاقناع لتحقيق ذلك ؟ هل انه بالاقناع كان يستطيع تمصير شركات التأمين وتجارة القطن وتجارة الصادر والوارد وجزء كبير من قطاع التصنيع ؟

وهل كان يستطيع بالاقناع تحقيق الاصلاح الزراعى وتحديد الملكية ؟ وهل كان فى الامكان أن يطلب من فرد يملك مائة الف فدان ان يحتفظ بمائة فدان ويوزع الفدادين الاخرى على الفلاحين ؟

من الطبيعى انه لم يكن يستطيع ذلك ، ولذا كان يصعب تفادى عنصر القسر فى سبيل احداث الثورة الاجتماعية . لقد استعملت القوة وسلطة الدولة من اجل الثورة الاجتماعية . ولم يكن من السهل تحقيق ذلك بالمناقشة والاقناع . ان اى باشا أو اقطاعى لن يتنازل عن شبر واحد من الوف الفدادين التى يملكها اذا كانت المسألة مسألة مناقشة واقناع .

وبسبب اللجوء الى القوة واستعمال سلطة الدولة من أجل تحقيق الثورة الاجتماعية حدثت أخطاء . ومن الطبيعى أن تحدث هذه الاخطاء . ولا بأس من مناقشة هذه الاخطاء .

وانا شخصيا أرحب بهذه المناقشة ، بل لابد من فتح كشف حساب علنى ، انما من دون غرض ولا هوى ولا تجريح .

صحيح انه حدث تجاوز فى استعمال السلطة فى الداخل . هذا الامر من المنطقى مناقشته انما بموضوعية وأخلاق .

وصحيح انه حدث تجاوز فى استعمال القوة فى الخارج . هذا الامر من المنطقى أيضا مناقشته انما بموضوعية وأخلاق مع الاخذ بالظروف التاريخية

لا بأس من المناقشة ومن المحاسبة ولكن بمنطق المواجهة الكاملة مع الاستعمار ومع مراعاة كون حركة الثورة العربية لم تبدأ الاعتداء على أحد . الذى حدث انها هى التى كانت مستهدفة .

حتى الذين يأخذون على **جمال عبد الناصر** حرصه على تصدير الثورة الى الخارج على حد تعبيرهم تغيب عن بالهم بعض الامور الاساسية . أن هنالك نوعين من التصدير : التصدير بالمثل . بالنموذج . والتصدير بالدفع . بالقنبلة .

من الجائز أن الظروف فى اليمن لم تكن جاهزة موضوعيا لقيام الثورة . ومن الجائز أن مصر عندما تدخلت كان تدخلها بأكثر مما تحتاج اليه الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية فى اليمن . يعنى انه بدلا من مواكبة التفاعلات الثورية حدث نوع من الاستعجال لاحداث هذه التفاعلات أو أن بعض هذه التفاعلات افتعل . جائز . ويمكن المحاسبة على هذا كله انما بمنطق المواجهة الشاملة مع الاستعمار على جبهة عريضة من المحيط الى الخليج .

صحيح أن **عبد الناصر** بقوته وهيبته فرض آراءه فى البداية بحيث أن قضايا كثيرة لم تناقش بالقدر الكافى ، لكن ذلك لا يعنى التجريح به . ولا بأس من المناقشة . وهذا ما يشير اليه **الرئيس السادات** .

ان **الرئيس السادات** يردد فى استمراره انه مسئول عن كل تصرفات الماضى لانه كان مشاركا ويناقش . **والرئيس السادات** هو المسئول عن الناصرية وليس احد آخر . لقد أعلن منذ البداية أنه جاء على طريق **عبد الناصر وهو** المسئول عن التجربة . ونحن لو أخذنا ورقة اكتوبر نجده يتكلم فيها عن تحالف قوى الشعب العامل . اما اذا كان هنالك البعض الذى يحاول شد التجربة فهذا طبيعى . ان فى العالم العربى قوى اجتماعية وسياسية معينة تحاول ضرب التجربة وتجسم الاخطاء والسلبيات بهذا الغرض . ومن هنا المناقشة الموضوعية ضرورية . ففى مثل هذه المناقشة تحدد الاخطاء والسلبيات على أن تقاس الاخطاء بنسبة الحسنات والسلبيات بنسبة الايجابيات . وبعد المناقشة نسقط ما هو سلبى وخطأ ونعمق ما هو ايجابى . وبذلك تكمل التجربة مسيرتها .

وبالنسبة الى ما يكتب فى الصحافة المصرية عن عبد الناصر والناصرية ، أرجو اعفائى من الجواب . اننى لا أريد الدخول فى الذى يكتب فى مصر عن هذا الموضوع

انما يكفينى ما يؤكده **الرئيس السادات** عن الناصرية كلما تكلم .

نعود الى سؤالك ماذا بقى من عبد الناصر . بقى من **عبد الناصر** فكر وانجازات وأخطاء . وتعالوا نناقش ونحاسب .

أما مسألة الوصية السياسية فلا أعتقد أن عبد الناصر ترك وصية ، ربما لانه لم يكن يتصور أن القدر سيكون سريعا بالشكل الذى حدث وتنتهى حياته وهو فى الثالثة والخمسين .

وهو عندما عين السيد **أنور السادات** نائبا أول له كان بسبب معلومات وصلته ومفادها أن هنالك مؤامرة لاغتياله فى الرباط خلال مشاركته فى مؤتمر القمة العربى الخامس [كانون الاول — ديسمبر — ١٩٦٩] . والذى حدث أن **الرئيس عبد الناصر** استدعى السادات عند الفجر وأقسم **السادات** اليمين . وبعد ذلك سافر **عبد الناصر** الى الرباط . ونحن فى الطائرة روى لى الظروف والمعلومات التى وصلته عن مؤامرة لاغتياله .

لا أعتقد أن **عبد الناصر** ترك وصية . وصيته موجودة فى ممارساته . موجودة فى الميثاق . موجودة فى أقواله . موجودة فى أعماله . موجودة فى محاضر اجتماعات مجلس الوزراء . موجودة فى محاضر اجتماعات اللجنة التنفيذية العليا . موجودة فى محاضر المؤتمرات الدولية .

ليس هناك وصية سياسية على ما أعتقد . أما الخزانة المقفل عليها ففيها بعض محاضر اجتماعات الضباط الاحرار وبعض محاضر اجتماعات مجلس قيادة الثورة وبعض الاوراق الخاصة . وفيها رسائل كتبها **عبد الناصر** لزوجته عندما كان ضابطا يحارب فى فلسطين . وفيها أيضا رسائل وصلته من زوجته ردا على رسائله .

أعود الى مسألة الناصرية . اننى مطمئن الى أن ما هو ايجابى فى الناصرية له قواعد فى مصر . والرئيس **أنور السادات** هو المسئول عن هذه القواعد .

والجميع يذكرون ان **الرئيس السادات** عندما ذهب فى اليوم الاول من الولاية الى مجلس الامة ، وكان ذلك يوم ٧ اكتوبر [تشرين الاول] ١٩٧٠ قال : « لقد جئت اليكم على طريق **جمال عبد الناصر** . اننى أعتبر ترشيحكم لى توجيها بالسير على طريق **عبد الناصر** . واذا أيدت جماهير شعبنا رأيها فى الاستفتاء العام بـ « نعم » فاننى سوف أعتبر ذلك أمرا بالسير على طريق **جمال عبد الناصر** الذى أعلن أمامكم بشرف اننى سأواصل السير فيه على أية حال ومن أى موقع . اننى جئت الى هذا المجلس بوثيقة واحدة هى بيان ٣٠ مارس أودعها اياه وأمشى قائلا لكم : هذا برنامجه وهو برنامجى أيضا لانه ارادة الشعب » .

ومرة اخرى ان **جمال عبد الناصر** لم يخترع جديدا . لقد جاء تعبيرا عن احتياجات الامة العربية وعن احتياجات التطور فى مصر فى مرحلة معينة . والتطور مستمر .

وفى عملية التطور تحدث اضافات وتعديلات . ويحدث تصحيح . وبذلك تكمل المسيرة .

نقد
سياسة الحكومة

عادل حسين

المصارحة أصبحت ضرورة ، ولابد من وقفة تحدد مواقع الاقدام واتجاه المسار .. وأول المصارحة أن هناك قسما من الناس يريد أن يفلت من المشاكل الموضوعية التى تواجه شعبنا . هذا القسم لا يود أن يشارك فى التضحيات المفروضة ، ويريد أن يثرى ويعيش فى بذخ ، ولتذهب ملايين الكادحين الى الجحيم . هذا القسم ـ وهو ينادى كثيرا بالديمقراطية والليبرالية ـ يطالب بتكميم الافواه ويتحدث عن « الخطر الشيوعى » و « الالحاد » كلما تحدث البسطاء عن مصاعب الحياة .. وهناك قسم آخر يطالب بتحمل التضحيات التى تفرضها معارك التحرر الوطنى والتنمية ، بشرط أن توزع التضحيات بعدالة بين كل الطبقات ، وأن يتحمل القادرون من عبء التضحيات أكثر من أصحاب الدخول المحدودة . « والمصرى العادى مستعد لان يحتمل ويصبر حتى على الجوع ، اذا اقتنع بأن ذلك هو حال مصر كلها .. واذا حدث العكس ، فلابد ـ كما يقول سيد مرعى رئيس مجلس الشعب ـ أن التمس له بعض العذر فى انفعالاته » [١] .

والان هل تنحاز الحكومة الى القسم الاول أو الى القسم الثانى ؟ يبدو أن فكر الحكومة وما ينشأ عنه من سياسات ينحو الى اتجاه ثالث . فهى تبدو كما لو كانت ترضى كلا من الفريقين . فالدكتور عبد العزيز حجازى يصرح بأن اقتصادنا مختلط ، وهو يعرف الاقتصاد المختلط بأن جزءا منه مخطط ، وجزءا منه حر (٢) . ونحن نفهم أن يقال أن جزءا من اقتصادنا قطاع عام وجزءا آخر قطاع خاص ، فهذه حقيقة ، ولكن مفروض أننا نهدف مع هذا الى سيطرة الشعب على وسائل الانتاج الرئيسية [فى القطاعين العام والخاص) ومفروض أن يخضع القطاعان للتخطيط الشامل ، بفضل الدور القيادى للقطاع العام فى هذه الخطة . أما أن يقال أن

---

[١] حدث المهندس سيد مرعى الىفهمى هويدى ـ الاهرام ١٧ يناير١٩٧٥

[٢] د. عبد العزيز حجـــازى : مناقشات مجلس الشعب لبيان رئيسمجلس الوزراء عن برنامج الحكومة ـ مضبطة جلسة ١٠ ديسمبر ١٩٧٤ .

جزءا من اقتصادنا سيخضع للتخطيط والجزء الاخر سيكون حرا ، فهذا ما نعتبره محاولة لارضاء كل الاطراف ، وهى محاولة غير واقعية . وقد كان ممكنا ألا نفسر التعبير الذى استحدثه د . حجازى على هذا النحو ، لولا أن السياسة العامة للحكومة تؤكد هذا الفهم . فهى تعلن لاصحاب الدخول العالية انها لن تفرض ضرائب جديدة ، وأنها بالتالى لن تمس امتيازاتهم بل سيزيدون منها . وهى تعلن - فى نفس الوقت - للجماهير العاملة انها ستحافظ على مكتسباتها ومستواها المعيشى وقد ترتفع به . وليت هذه السياسة كانت ممكنة ، فقد أوصلتنا تجاربنا السابقة الى أنها سياسة مستحيلة فى بلد محدود الموارد ويواجه مصاعب التنمية ، فما بالنا ونحن الان نواجه مصاعب التنمية ومصاعب الحرب فى وقت واحد ؟ ان مواردنا لا تتسع لتمويل التزامات الدفاع الوطنى ، ولتمويل الاستثمارات الضرورية ، ولتثبيت - ولا نقول رفع - مستوى المعيشة للجماهير العاملة ، ثم أيضا لتوفير البذخ للبعض . ان بذخ أصحاب الدخول العالية هو تبديد لموارد نادرة ، وهو لا يمكن أن يستمر ويزيد الا على حساب الحد الادنى الضرورى للتنمية ، أو على حساب المستوى المعيشى البالغ الانخفاض للشعب . هذه نتيجة حتمية لا تغيرها أى « شطارة » أو جهود يبذلها الفنيون والمخططون ، فالمسألة ليست أرقاما تكتب على الورق ، ولكنها موازنة موضوعية بين كم محدد من الموارد العينية وبين كم محدد مقابل من الاستخدامات العينية . والنتائج العملية لسياسة الحكومة تؤكد هذا ، فأمام الموارد المحدودة وأمام تبديد أصحاب الدخول العالية لجزء من الفائض الاقتصادى ، تباطأت معدلات التنمية ، وفشلت كل الجهود التى بذلتها الحكومة لمنع التدهور الواضح فى مستوى معيشة الجماهير .

انخفاض مستوى المعيشة

ولنقترب الان من الصورة أكثر لكى نتبين هذه النتيجة . لقد قدمت الميزانية العامة ٦٤٢ مليون جنيه لخفض وتثبيت تكاليف المعيشة . وهذا المبلغ عبء شديد على ميزانية لا تزيد مواردها السيادية عن ٩٩٠ مليون جنيه . **ومن الانصاف أن نقول أن هذا المبلغ الحقيقى الذى قدمته الحكومة لضبط الاسعار يزيد عن هذا كثيرا** . فالمبلغ المرصود لدعم سعر السكر - والذى يدخل فى رقم الـ ٦٤٢ مليون جنيه ينصب على كميات السكر المستوردة ، ولكن هناك دعم آخر مستتر تقدمه الدولة ويتمثل فى تثبيت سعر السكر المنتج محليا عند مستوى يقل كثيرا عن السعر العالمى . وما ينطبق على السكر المنتج محليا ينطبق على عديد من السلع الاخرى . كذلك يمثل استمرار وتزايد انفاق الدولة على الخدمات المجانية دخلا غير منظور للطبقات الكادحة .

كل هذا عظيم ، ويمثل جهد رئيس الوزراء فى الدفاع عن هذه المكتسبات فى وجه الهجمات اليمينية موقفا جديرا بالاشادة ، ولكن للاسف ثبت - حسب تجربة الاعوام الماضية - أن هذه الجهود وحدها لا تكفى ، فتصاعدت موجة الغلاء ، ومعروف أن هذه الموجة ليست مستوردة بكاملها من الخارج . وضمن الاسباب المحلية عجز الموارد الحقيقية فى الخزانة العامة عن مواجهة الالتزامات ، وقد نتج عن هذا أن زاد الاصدار النقدى من ٤٥٠ مليون جنيه فى عام ١٩٦٩ الى ٨٢٠ مليون جنيه فى منتصف عام ١٩٧٤ . وهذه الزيادة الهائلة التى تصل الى ٨٢ فى المائة لا تعكس طبعا زيادة حقيقية مماثلة فى الناتج القومى ، ولكنها مؤشر لاعباء التمويل التضخمى الذى لجأت اليه الحكومة ، والذى أسهم بنصيب كبير فى ارتفاع الاسعار .

على أى حال . ما حدث فعلا هو أن الرقم القياسى العام لنفقات المعيشة (وهو الرقم الذى يصور مدى تغير نفقات المعيشة من فترة لاخرى نتيجة التغير فى مستويات الاسعار التى يدفعها المستهلكون لشراء مجموعة احتياجاتهم من السلع والخدمات من أسواق ومتاجر التجزئة) . هذا الرقم القياسى العام لنفقات المعيشة (٣) زاد فى المدن - حتى ابريل ١٩٧٤ - ورغم كل جهود الدولة لضبط الاسعار بنسبة ٣٦ فى المائة عن الرقم القياسى العام لعام ٦٦ - ١٩٦٧ ، ولا داعى للحديث عن أن الرقم المقابل فى دول أخرى قد زاد بمعدل أعلى خلال نفس الفترة ، ففى هذه الدول سلم متحرك للاجور ، تزداد الاسعار فيضغط العمال فترتفع الاجور . السؤال المحدد فى مصر

[٣] نشرات جهاز التعبئة العامة والاحصاء عن الارقام القياسية لاسعار المستهلكين .

هو : هل زاد متوسط الاجر للمشتغل خلال هذه السنوات بنفس هذه النسبة ؟ الا أن ما يهمنا هنا بشكل خاص هو الاشارة الى أن زيادة الاسعار ارتفعت بشكل حاد خلال العامين الاخيرين ، وآخر أرقام حول الرقم القياسي العام تدل على أنه ارتفع من شهر يناير ١٩٧٣ الى شهر يناير ١٩٧٤ بمقدار ١ر٧في المائة . ورغم أنأرقام١٩٧٤ الكاملة لم تنشر بعد ، ولكن الرقم القياسي العام زاد فى ابريل ١٩٧٤ عن يناير ١٩٧٤ بحوالى ٤ فى المائة . وبشكل عام نستطيع ان نفترض على ضوء مشاهداتنا ومعاناتنا اليومية أن معدل ارتفاع الاسعار كان فى عام ١٩٧٤ معادلا على الاقل لمعدل الارتفاع فى عام ١٩٧٣ ، أى نستطيع ان نتصور ان الرقم القياسي العام قد زاد خلال عامى ١٩٧٣ و ١٩٧٤ بنسبة ١٥ فى المائة على الاقل .

ولكى تتضح الصورة أكثر نقول أنه اذا كانت الزيادة فى الرقم القياسى العام خلال المدة من فبراير ١٩٧٣ الى فبراير ١٩٧٤ تساوى ٨ر٤ فى المائة ، فان الرقم القياسى لقسم الطعام والشراب بالذات (وهو يمثل أكثر من ٥٠ فى المائة من استهلاك الاسرة المصرية) قد زاد فى نفس الفترة بنسبة أعلى من الرقم العام . كانت الزيادة ٩ر١٢ فى المائة ، أما الحبوب والنشويات [التى تمثل بدورها نسبة كبيرة من استهلاك الطعام للطبقات الكادحة] فقد زاد رقمها القياسى ١ر١٩ فى المائة ، وحتى الخضر التى لا تستورد بالنقد الاجنبى ولم يقل المعروض منها زاد رقمها القياسى ٨ر١٨ فى المائة بسبب محتكرى تجارة الجملة الذين حققوا أرباحا خرافية ، والذين صفيت من أجلهم الشركة المصرية لتسويق الخضر والتى كانت تمثل محاولة يتيمة للقطاع العام للتدخل فى هذا المجال من أجل ضبط الاسعار لصالح المستهلك . وطبعا لا تنسى أن تضرب كل معدلات الزيادة السابقة فى ٢ كى تحصل على نسبة الزيادة حتى يناير ١٩٧٥ .

وبعيدا عن الارقام القياسية ينبغى أن نتذكر ممارساتنا اليومية مع الاسعار ، مثلا أسعار الاحذية والملابس ، وحتى الخبز الذى تتكلف الدولة ٢٤١ مليون جنيه من أجل تثبيت وزنه وسعره ، تجمع كل التقارير على أن أصحاب المخابز قد انقصوا وزنه حوالى ١٣ جراماً ، وانكمش قطره الى ١٥ سم بدلا من ٢٠ سم ، ويقول العاملون فى هذه المخابز أنهم يؤمرون بتقطيع جوال الدقيق الى ٦٨ ألف رغيف بدلا من ٥١ ألفا كما تقضى التعليمات (٤)

لقد انخفضت ، اذن ، الاجور الحقيقية خلال العامين الاخيرين بشكل محسوس ، وانخفض بالتالى المستوى الحقيقى لمعيشة العاملين بأجر . **ولا مانع من تحمل بعض هذا الخفض ضريبة للتحرر والبناء ولكن بشرط أن يكون هذا « هو حال مصر كلها »** . أما أن تزداد الاغلبية فقرا ، ويزداد البعض ثراء ، فهذا غير مقبول . خاصة وان بعضا من هذه الدخول العالية يمكن أن يقلل من حاجة الدولة للجوء الى التمويل التضخمى ، ويقلل بالتالى من عبء المصاعب الاقتصادية .

ومع كل .. فوسط اختناقات وأزمات الارز والسكر والشاى والمسلى والكبريت والكراريس كان وزير الاقتصاد والتجارة الخارجية يصرح بأنه لابد من الاتجاه الى اقامة المشاريع المشتركة [أى مع رأس المال الاجنبى) لاقامة محال سوبر ماركت . وما دامت السلع [الكمالية] المهربة تغمر الارصفة ومادام الناس يشترون فلماذا لا تتوافر فى قلب القاهرة محال تجارية تبيع هذه البضائع كى نوفر على المصرى هذا العناء (٥) .. ترى حول أى مصرى وعن أى عناء يتجه اهتمام الوزير ؟ انه يتحدث عن البقلاوة والناس تتحدث عن الخبز !

وقس على نفس المنوال ما يحدث فى المواصلات . لن نتحدث عن مشاكل المواصلات عند أهلنا خارج القاهرة كان الله فى عونهم ، ولكن سنقصر الحديث عن القاهرة ، وقد تكفى المشاهدة هنا عن الحديث . ومع ذلك لا مانع من اضافة بعض الحقائق . فنسبة الاعطال بعربات هيئة النقل العام وصلت بين ٥٠ فى المائة و٨٣ فى المائة من التشغيل اليومى ، وفى الترام زادت النسبة الى ٤٠ فى المائة ، وكان طبيعيا أن يترتب على هذا - فوق الزحام المميت - عدم انتظام فى الخطوط يؤثر على انتظام الانتاج . والحكومة تجاهد للابقاء على التعريفة المخفضة ، اسهاما منها فى خفض نفقات المعيشة ، ولكن الزمام يفلت فالاتوبيسات الموحدة كان مفروضا ألا تزيد نسبتها عن ٧ فى المائة فاذا

---

[٤] تحقيقات الاهرام - صبرى سويلم - ٢٥ اغسطس ١٩٧٤ .
[٥] حديث فتحى المتبولى الى سعيد سنبل - أخبار اليوم - ٢١ ديسمبر ١٩٧٤ .

بها ترتفع الى ٢٧ فى المائة (٦) ، وبالتالى ارتفعت نفقات المعيشة فى بند المواصلات بالنسبة للشعب.

ولكن بينما تزداد المعاناة للسواد الاعظم من هذا التدهور المتواصل فى المواصلات العامة وبالذات منذ زادت أعباء الدولة بعد عام ١٩٦٧ نجد ان عدد سيارات الركوب الخاصة المستوردة قد تزايد باضطراد منذ ذلك العام ، بفضل التيسيرات التى تقدمها الدولة للمقتدرين . كان عدد سيارات الركوب المستوردة ١٠٢٣ فى [١٩٦٧] ارتفع الى ٣٥٣٨ سيارة [١٩٦٨] ثم الى ٥٩٤٤ سيارة [١٩٦٩] والى ٩٤٨٩ سيارة [١٩٧٠] والى ١٥ر١٩٦ سيارة [١٩٧١] ، وحينئذ فرضت بعض القيود أثناء وزارة د. عزيز صدقى فانخفض الرقم الى ٣٩٩٨ سيارة [١٩٧٢] ، ولكنه زاد مرة أخرى الى ٧٤٤٨ فى [١٩٧٣] [٧] وقدمت الدولة تيسيرات جديدة فى ابريل ١٩٧٤ ، واذا كانت أرقام هذا العام لم تعلن بعد ، فلا شك أنه حدثت قفزة فى أرقام الاستيراد نتيجة هذه التيسيرات ، خاصة وان التيسيرات تضمنت مجالا واسعا للتحايل ، فتستورد عربات للاستخدام كتاكسى بتعريفة جمركية بالغة الانخفاض ، ثم تستخدم كسيارات خاصة .

هذا عن الغذاء والمواصلات ، فماذا عن الاسكان ؟ لن نذكر بأن ١٤٠ ألف أسرة فى القاهرة تعيش كل أربعة منها (أى كل اربعة أسر) فى غرفة واحدة (مع التجاوز فى تسميتها غرفة) ولن نذكر بأن ١٠٠ ألف يسكنون فى الجبانات ، فالمهم هو أسلوب التصدى لعلاج هذه المشكلة الصعبة والتى زادت صعوباتها مع مشاكل الحرب ونقص الاعتمادات . هنا لم يكن ممكنا ارضاء كل الاطراف ، مجرد المحاولة لم تكن ممكنة . وبالتالى كان الانحياز العملى لاصحاب الدخول العالية . فلو فرضنا أن عدد الوحدات السكنية المضافة فى الاسكان الاقتصادى كان ١٠٠ وحدة عام ٦٦ ــ ١٩٦٧ ، فان العدد المضاف عام ٧١ ــ ١٩٧٢ انخفض الى ٦٩ وحدة . وقد امتدت الأزمة الى فئات واسعة من الطبقة الوسطى ، فاذا كان عدد الوحدات الجديدة من الاسكان الاقتصادى ١٠٠ وحدة فى عام ٦٦ ــ ١٩٦٧ فقد انخفض هذا العدد الى ٨٨ ، اما الاسكان فوق المتوسط فهو وحده الذى زاد رقمه القياسى من ١٠٠ الى ١٦٩ خلال نفس الفترة [٨] .

ومع ذلك ينبغى أن نوضح أن كل هذه الارقام معيبة جدا ولا تصلح لاستخلاص الدلالات الكاملة ، فهى تقتصر على المقارنة بين عدد الوحدات . ومن المعروف أن تكلفة الوحدة السكنية من الاسكان فوق المتوسط (والتى تتألف من فيلات أو شقق فاخرة ذات حجرات عديدة وواسعة) تساوى أضعاف أضعاف تكلفة الوحدة السكنية من الاسكان الاقتصادى ، وبالتالى نستطيع أن نتصور كيف تصبح المقارنة بشعة اذا قارنا الزيادة الكبيرة فى حجم المستثمر فى الاسكان فوق المتوسط مع النقص الكبير فى حجم الاستثمار فى الاسكان الاقتصادى .

نصل الان الى الخدمات التعليمية والصحية : هنا أيضا تبذل الحكومة جهدا واضحا لتدبير الاعتمادات اللازمة لاستمرار هذه الخدمات المجانية . ولكن لابد من التسليم بأن هناك تدهورا متزايدا فى أداء هذه الخدمات ، سواء بسبب نقص الموارد اللازمة للتوسع والصيانة والتحسين ، أو بسبب سوء التخطيط والادارة . والحكومة مطالبة ، وبالذات فى مجال التعليم بمواجهة هذين السببين ، ولكن يبدو أن البعض قد استراح الى حل يبدو أنه أسهل ، وهو تحسين الخدمة فى بعض المواقع لابناء الفئات التى تستطيع أن تدفع .

والعجيب فى هذا الشأن هو ان **د . عبد العزيز حجازى** أعلن أن المدارس الخاصة والعلاج الخاص لا يسميان طبقية ، وانهما فى الواقع دعم للاشتراكية لان أبناء الطبقة القادرة حين يلتحقون بالمدارس الخاصة ذات المصاريف يخلون الاماكن لابناء الطبقة الفقيرة ، بالاضافة الى أن صاحب الدخل المرتفع يقتطع جزءا من دخله لتعليم ابنه ، وينطبق نفس المنطق ــ كما يقول **د . حجازى** ــ على قطاع الصحة [٩] .. وفى الحقيقة هذا حديث

---

[٦] تحقيقات الاهرام ــ ٥ ديسمبر ١٩٧٤ .
[٧] النشرات السنوية للتجـــارة الخارجية للاعوام من ١٩٦٧ الى ١٩٧٣ ــ جهاز التعبئة والاحصاء .
[٨] الـكتاب السنوى للاحصاءات العامة ــ الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء ص ١٧٨ .
[٩] د. عبد العزيز حجـــازى : مناقشات مجلس الشعب لبيان رئيس مجلس الوزراء ــ مضبطة جلسة ١١ ديسمبر ١٩٧٤ .

لا يمكن أن يقبل ، فبعيدا عن مسألة عزل أبناء الاغنياء فى مدارس ومستشفيات خاصة وما يترتب على هذا اجتماعيا ونفسيا من ترسيخ الاحساس بالانتماءات الطبقية المختلفة بين أبناء الجيل الواحد ، اذا تجاوزنا هذا المعنى الخطير ، فان رئيس الوزراء يعلم أن مستوى الخدمة الذى يقدم للعامة مجانا يختلف اختلافا كبيرا عن مستوى الخدمة المدفوعة التى تقدم لابناء الخاصة ، وهذا يهدر تماما مبدأ تكافؤ الفرص ·· لقد كنا نتصور أن بقاء مدارس الخاصة هو وضع مؤقت وانتقالى ، فاذا بحديث رئيس الوزراء يكرسه كوضع دائم وباسم الاشتراكية ! بل ان الامر يزداد سوءا حين نتذكر أنه حتى فى مجال التعليم المجانى بدأ نظام المصاريف يتسلل بطرق غير رسمية ، وأقصد بالذات الدروس الخاصة التى أصبح تحمل عبئها ضرورة بعد تدهور الخدمة التعليمية فى المدارس والتى لا يتمكن من سدادها كل الابناء · والامر الخطير أن وباء الدروس الخاصة استشرى فى الجامعات أيضا مخلا بالتقاليد وبتكافؤ الفرص ، ومخلا بمجانية التعليم فيها [بالاضافة للكتب) **وقد أوصت الرقابة الادارية فى تقرير أخير لها بأن تقنن وتنظم هذه الدروس الخاصة فى الجامعة على أساس أنها أمر واقع لا يمكن مقاومته · ولو وصل اليأس بنا الى هذا الحد فاننا قد نسمع قريبا عن ضرورة تقنين الرشوة وتنظيمها على أساس أنها نسبة محددة تدفع للموظف وأنها أيضا أمر واقع لا يمكن مقاومته !**

أن جهود الطبقة المقتدرة لا تتوقف عن محاولة الاستحواذ على مكاسب متزايدة ، ولاتتوقف عن محاولة الاستئثار بخدمات ممتازة واستثنائية على حساب الكثرة ، ويكفى أن نشير الى المحاولات المميتة لدخول الجامعات عن غير طريق مكتب التنسيق والتى زادت جدا فى السنوات الاخيرة · ان ١٠ آلاف طالب مصرى من أبناء المقتدرين ، لم يحصلوا على مجموع ويلتحقون بجامعة بيروت أو جامعة القاهرة فرع الخرطوم كى يحولوا فى العام التالى الى الجامعات المصرية ، انهم يتسللون من النافذة بعد أن فشلوا فى الدخول المشروع من باب تكافؤ الفرص ·

واذا كنا نتفق مع مدير جامعة بيروت العربية (**د · محمد حلمى الخولى**) على أن هذا الامر غير مقبول فان الطبقة المقتدرة ترى أيضا نفس الشىء ، ولكن بمعنى آخر ، وهو أن تفتح جامعة أهلية بمصروفات فى قلب مصر · هذا الموضوع يناقش حاليا فى وزارة التعليم العالى وفى المجلس الاعلى للجامعات ، وقد أوصى به المجلس القومى للتعليم · وطبعا يقال أن هذه الجامعة ذات الاداء الرفيع ستكون لابناء الدول العربية الوافدين ، ولكن هذا مجرد مدخل ، فسيظهر طبعا بعد فترة من يقول كيف نحرم أبناءنا من هذه الخدمة الممتازة ؟ واذا كانت الطبقات القادرة شقت طريقها بأموالها كى تدخل جامعتى بيروت والقاهرة فرع الخرطوم ، فهل ستعجز أو تتردد عن اقتحام جامعة أهلية فى قلب مصر ؟! واذا حدث وتكامل قطاع خاص فى التعليم من أدنى المراحل الى أعلاها يقدم خدمة تعليمية أفضل وتقتصر على الطلبة أصحاب السيارات ، وأبناء الذوات هل سيصر **د · عبد العزيز حجازى** أن هذا لا يعتبر طبقية ؟!

ضرورة اعــادة توزيع الدخــل

على ضوء العرض السابق يتضح أن سياسة الحكومة التى بدأت بانها سترضى كل الاطراف ، يمكن أن تنتهى فى التطبيق الى ارضاء طرف واحد على حساب الاغلبية الساحقة من جماهير الشعب · ولم يكن ممكنا أن يحدث غير هذا ، مهما حسنت النوايا ، لان الموارد محدودة ·

ان خريطة توزيع الدخول فى مصر أصبحت توجب مراجعة السياسة العامة مراجعة شجاعة · لقد ذكر **لطفى الخولى** أن بعض التقديرات التى لم تتأكد بعد تقول أن أكبر رأسمال فردى منظور فى مصر وصل حتى يونيو ١٩٦٧ الى ٣٢٠ الف جنيه ، ومنذ هذا التاريخ حتى أواخر عام ١٩٧٣ بلغ عدد حالات رأس المال الفردى المنظور الذى تجاوز المليون جنيه ١٨٦ حالة [١٠] ، ولكن يقال أن بعض التقديرات الاخرى تعتقد أن عدد المليونيرات فى مصر أكثر من هذا كثيرا · ومن ناحية اخرى نقل محمود المراغى ارقاما عن دراسة أجراها معهد التخطيط القومى ، وأعلنت هذه الارقام أن ٢٠٠٠ أسرة يبلغ مجموع دخلها السنوى (حسب حصر عام ١٩٧٢) حوالى ٧٧ مليون جنيه ، وأن ١٠٠٫٠٠٠ أسرة يبلغ مجموع دخلها السنوى ٤٥٫٤ مليونا [١١] . وقد احتد

[١٠] لطفى الخولى : افتتــاحية الطليعة ــ ابريل ١٩٧٤ .
[١١] محمود المراغى : روزاليوسف ٢٨ اكتوبر ١٩٧٤ ·

د. حجازى لدى سماعه بهـذه الارقام [حسب رواية مجلة صوت الجامعة] وقال هذا كلام هراء وكذوبة . ونحن لا نعتقد أن الكلام هراء طالما أنه منقول عن جهة رسمية علمية ، قد يقال أنه غير دقيق ، بمعنى أنه متحفظ لان أصحاب الدخول العالية يبتعدون بها عن دائـرة الاضـواء والمحاسبات الرسمية . ومع ذلك فلم لا تنشر الوزارة رسميا ما لديها من تقديرات حتى نتمكن من متابعة نتائج جهدنا فى اذابة الفوارق بين الطبقات؟ ان كافة الدول لا تستحى من نشر مثل هذه البيانات .

وفى الحقيقه فان ما يعنينا ـ فى المقام الاول ـ هو أن نقدر ـ على ضوء الارقام ـ الحجم الفعلى للموارد التى حبست عن التنمية وعن مسئوليات التخفيف من أعباء المعيشة ، حتى تتقرر سياسة جديدة على ضوء هذا ، سياسة عادلة وواقعية فى مواجهة المشاكل المباشرة (أعباء المعيشة) وفى مواجهة المشاكل الابعد مدى (مشـاكل التنمية) .

لقد سبق أن تساءل رئيس الوزراء : أين هى الدخول الكبيرة ؟ بعض الوسطاء مثلا .. اننا نطاردهم عن طريق الضرائب [١٢] . وفى تصريح آخر اعلن د . حجازى أن الطبقة الوحيدة التى نبحث عنها ونضربها بشدة هى هؤلاء الخارجون على المجتمع ، الذين يحاولون أن يكونوا ثروات ، هؤلاء هم الذين نبحث عنهم ، وعلينا أن نطور تشريعاتنا حتى يحدث نوع من التوازن الطبقى بين كل الفئات [١٣] .

ويدهشنا فى الحقيقة أن تبحث الحكومة وتفتش عن الخارجين على المجتمع ، طول هذا الوقت ، دون أن تعثر على مجرم كبير واحد ، رغم أن الرائحة النتنة للثراء غير المشروع تفوح من كل مكان ، ورغم أن تقارير الاجهزة الرقابية تفيض بعشرات الاتهامات الجاهزة . كذلك هل يعتقد رئيس الوزراء أن الضرائب كفيلة فعلا باسترداد حق المجتمع ، رغم أن الجزء الاكبر من معاملات المليونيرات الجدد يتم فى سوق سرية ؟

ان بعض المؤشرات ذو دلالة خطيرة ، فعدد قضايا الاختلاسات فى المال العام بلغ ٦٧٢ قضية فى عام ١٩٧٢ (حسب بيانات ادارة مكافحة جرائم الاختلاسات وحماية المال العام) وهذه عينة منها : قضية اختلاس مصنع البلور والزجاج بشبرا الخيمة ٧٠٠ ألف جنيه ـ قضية اختلاس الشركة المصرية للاخشاب بشبرا الخيمة ٣٦٠ ألـف جنيه ـ اختلاس مجلس مدينة شبرا الخيمة ٣٠٠ ألف جنيه ـ شركة أتوبيس غرب الدلتا ٢٢٦ الف جنيه .. وحين تصل الارقام الى هذه الجسامة ، وحين نتذكر أن الجزء الاكبر من القضايا لم يضبط بعد ، أو لن يضبط قط .. وأن كل هذا فى بند الاختلاسات ، وهو غير الرشوة والعمولات وما أشبه ، ادركنا أن الامر خطير فعلا . ولكن كل هذا فى مجال الجرائم المباشرة والمحددة ، وهى ليست المصدر الوحيد للاثراء غير المشروع ، والامر لا يمكن أن يواجه بأجهزة الرقابة وحـدها أو بالمحاكمات . فكما أن الوقاية تاتى قبل العلاج ، فكذلك لابد من تعديلات فى العلاقات الاقتصادية ، ولابد من تعديلات ادارية وتنظيمية حتى نغلق أبواب الخزائن المفتوحة للمال العام ، وحتى نحد من الارباح الطفيلية الجشعة ، كذلك لابد من مناخ عام من القيم والقدوة يقدمه المسئولون ، واذا تحقق كل هذا سيقل عمل الاجهزة الرقابية والمحاكم كثيرا .

تطـوير النظم وسـلوك المسئولين

ولـكن التعـديلات المطلـوبة فى العـلاقات الاقتصادية وفى النظم الادارية يعنى خروجا عن فكرة النظام المختلط ذى الجناح المخطط والجناح الحر ، يعنى تحديدا أدق لمجالات النشاط الخاص ، واخضاع هذا النشاط لقواعد ومتابعة واضحة ، **والا كيف ستتمكن الدولة من ضبط الاسعار اذا كان القطاع الخاص يتحكم فى الموقع الاستراتيجى لتجارة الجملة** ؟ ان القطاع الخاص يفتعل كثيرا من الاختناقات ويشيع السوق السوداء ، ويجنى من وراء هذا أرباحا خرافية . واذا كانت الدولة قد قدمت أخيرا اعفاءات جمركية لاكثر من ٣٠ سلعة غذائية وانتاجية ، فكيف تضمن فى ظـل الوضع الحالى للتجارة الداخلية الا تعود الفائدة من وراء هذا الى تجار الجملـة وليس الى المستهلك ؟ وما يقال عن تجارة الجملة يقال عن المقاولات ، فهل هذا المجال من المجالات المناسبة للتوسع غير المحدود للقطاع الخاص ؟ وسوف

[١٢] حديث د. عبد العزيز حجازى الى محمـود المراغى ـ روز اليوسف٢ ديسمبر ١٩٧٤ .
[١٣] د. عبد العزيز حجـازى : مناقشات مجلس الشعب ـ جلسة ١١ديسمبر ١٩٧٤ .

نعود الى هذه النقطة ، ولكن يكفى هنا أن أشير الى مطالبة **محمود أبو وافية** باعادة النظر فى العلاقة بين شركات المقاولات وأصحاب الدخول الطفيلية والسماسرة الذين يريدون أن يثروا دون مجهود أو تعب [١٤] . ويضاف الى هذا أيضا قرار كقرار تنظيم أعمال الوكالة التجارية وممارسة تمثيل الوكالات الاجنبية فى مصر [وهذا المجال كان مقصورا على شركات القطاع العام) ان هذا القرار الخطير يخلق فئة طفيلية ترتبط مصالحها تماما مع مصالح الاحتكارات الامبريالية ، وتجنى من وراء هذا ارباحا كبيرة يعلم الله فيم سيكون انفاقها · والطريف أن المشرع يدرك مخاطر هذه الوكالات ولذا حرم المشاركة فيها على العاملين فى الحكومة والهيئات العامة ومؤسسات شركات القطاع العام (الا بعد سنتين على الاقل من ترك الخدمة) وقرر ألا يشارك فى أعمال هذه الوكالات من كان قريبا من الدرجة الاولى لاحد هؤلاء العاملين أو من كان عضوا فى مجلس الشعب أو متفرغا سياسيا · **اذا كان القرار له هذه المحاذير فلماذا صدر ؟ ! ثم هل يتوقع أحد أن يكون الحظر المنصوص عليه ساريا فعلا . ألن تحدث علاقات واتصالات من الباطن بين المشتغلين فى الوكالات وبين بعض العاملين فى هذه المراكز الحساسة ؟**

ان تعديل حدود العلاقات الاقتصادية بين القطاع العام وبين القطاع الخاص هو تعديل تفرضه الحاجة الى احكام التخطيط ، تخطيط التنمية وتخطيط الاسعار ، وهو تعديل تفرضه الحاجة الى الحد من استنزاف المال العام ، والحد من الاثراء غير الطبيعى وسط المصاعب الاقتصادية الحالية . وعبثا أن نتصور امكان احكام النظم الادارية التى يتسرب من أبوابها حاليا المال العام ، طالما أن العلاقات الاقتصادية بين القطاع العام والقطاع الخاص باقية بلا تعديل · ان احكام النظم الادارية ليس مشكلة فنية ، فالجوانب الفنية من الموضوع قتلت بحثا وصدرت من اجلها مئات التوصيات . المشكلة هى أن هناك شبكة من العلاقات الاقتصادية بين بعض المسئولين فى الاجهزة التنفيذية وفى القطاع العام وبين المتعاملين معهم فى القطاع الخاص ، هذه الشبكة تحمى أبناءها ، وتتضافر ضد أى محاولة لاحكام النظم .. ان احكام النظم الادارية هو بهذا المعنى معركة اجتماعية سياسية ضد فئات المنتفعين ، وليس جهدا فنيا بحتا · وواضح أن خوض مثل هذه المعركة كجزء من المعركة الاشمل لتحديد العلاقات الاقتصادية بين القطاعين العام والخاص ، لا يمكن أن تكون معركة سهلة ، وهى لن ترضى كل أطراف « التحالف » الوطنى ، فطبقة قليلة العدد قوية بمالها ونفوذها واتصالاتها ستعترض ، **ولنتذكر أن قانون من أين لك هذا قد صدر معيبا عام ١٩٦٨ ، بسبب وزن هذه الطبقة . وتعطل تنفيذه طوال هذه السنوات أيضا بسبب وزن هذه الطبقة** · انها معركة صعبة ، ولكنها ضرورية وتؤيدها كل القوى صاحبة المصلحة الحقيقية فى التحالف الوطنى · ولابد من مشاركة هذه القوى عبر المؤسسات السياسية فى هذه المعركة اذا أردنا لها أن تنجح .

ننتقل الان الى النقطة الثانية فى موضوع الوقاية قبل العلاج ، أقصد احياء القيم التى اهتزت والقدوة المطلوبة من القيادات السياسية والتنفيذية · لقد جاء فى بيان الحكومة أمام مجلس الشعب أنه « اذا طالبنا الشعب بالتقشف فيجب أن نطالب الحكومة أيضا بالتقشف وضغط الانفاق العام » **ولكن يبدو لنا أن توصيات الجهاز المركزى للمحاسبات فى هذا الشأن لا زالت غير منفذة ، فالاسراف فى السيارات والحفلات ·· الخ لازال قائما ، ونفس الشىء بالنسبة للكميات الهائلة من المطبوعات التى لا تقرأ والتى أشار اليها الجهاز ، كذلك التوسع فى المكافآت التشجيعية والاجور الاضافية دون مبرر من الانتاج ، وكذلك انعدام الرقابة على أعمال الصيانة الخارجية ، وضعف الرقابة على عمليات شراء قطع الغيار واستخدامها والاسراف فى الديكور والتشطيب ·· الخ** ·

ولكن أهم من هذا ، ماهى قصة الـ ٧٠٠ موظف بدرجة وزير ، ونائب وزير بمخصصاتهم · ان الحكومة لم ترد – فى مجلس الشعب – على هذه الواقعة مما يجعلنا نفترض صحتها ، فكيف يمكن ان نعقل مثل هذا الرقم ؟ ثم ان أغلبهم لا يشغل بالقطع مسئوليات تتناسب مع مستوى الاجر والمخصصات التى يحصل عليها · ان خفض مايتقاضاه هؤلاء الـ ٧٠٠ لن يحل مشاكل الجماهير والتنمية ، ولكنه قدوة فى احترام المال العام ، وفى ضرورة ربط الاجر بالعمل · كذلك كان وزير المالية

---

[١٤] محمود ابو وافية : مناقشات مجلس الشعب – جلسة ١١ ديسمبر ١٩٧٤ .

قد أعلن أمام مجلس الشعب عام ١٩٧٢ أن الحكومة حظرت شراء سيارات ركوب جديدة فى القطاع العام والحكومة كاجراء من اجراءات التقشف . ولكن هذا القرار يبدو أنه الغى أو تجاهله المسئولون نخلافا لما نشاهده نقرأ أيضا فى الصحف عن طلب بعض السادة لشراء عربات بيجو — موضة العصر — كما يقول فتحى بيومى فى مجلس الشعب [١٥] — أى أنهم لا يكتفون بعربات نصر فقط، بل ويطالبون استيراد السيارات عن طريق القطاع الخاص أيضا وليس عن طريق شركات استيراد القطاع العام .

لقد أوضح وزير المالية عام ١٩٧٢ أن عدد سيارات الحكومة والقطاع العام كان ٨٢١١ سيارة صغيرة و ٢٣١١ سيارة متوسطة و ٣٩٩٥ سيارة كبيرة ، وقد بلغت نفقات تشغيل هذه السيارات سنويا الى ٢٠ مليون جنيه ، ورغم أن هذا الرقم لا يشمل السيارات الحكومية فى مختلف الجهات ، ولكن ترى كم وصل الرقم الان ؟ وهل تتخذ الدولة اجراءات مشددة لضمان استخدام هذه السيارات فى مجال العمل الرسمى فقط ؟ وهل صحيح بالمناسبة ماقاله السعدى عبد الحميد السعدى من أنه لاحظ تخصيص ٤ سيارات لكل وزير وسيارتين لكل محافظ ؟ اننى أتفق معه فى أنه ينبغى أن يكتفى بتخصيص سيارة واحدة لكل من الوزير والمحافظ . ثم هل صحيح أن عمارة خاصة تقام لـ ٢٤ وزيرا فى المعمورة وانها تتكلف ١٠٠ الف جنيه . ويستورد جزء أساسى من احتياجاتها من الخارج ، بالنقد الاجنبى [١٦] ؟ هذه الاسئلة المفتوحة خطيرة ، واخطر منها انها لم تكذب ، ولم تعالج بأى شكل .

واخيرا هناك مسألة أشير اليها فى مناقشات مجلس الشعب . فهل يليق بوزير — مثلا — أن يشرف على انشطة اقتصادية فى نطاق وزارته وسلطاته ، رغم ان يحتفظ بعلاقاته مع الشركة التى يسهم فى ملكيتها ، والتى تعمل فى نفس المجال ؟ الا يثير هذا شبهات أن ينحاز الوزير الى شركته فى مواجهة الشركات المنافسة ؟ والا يثير هذا كثيرا من التعليق والنقد الشديد فى اى دولة ؟ ان القدوة فى احترام المال العام ، والابتعاد عن مواطن الشبهات ، قضية اساسية .

مفروض أن ننتقل بعد هذا الى معالجة الانفتاح الاقتصادى وخطة ١٩٧٥ ، أو خطة العبور ولكن هذا يستحق عرضا متكاملا فى حلقة تالية .

ولكن ينبغى أن نؤكد فى ختام هذه الحلقة ان نقدنا لسياسة الحكومة ، وان بدا حادا ، فانه لا يعنى الاقلال من تقديرنا لمواقف وزارة د. عبد العزيز حجازى فى الدفاع عن مكتسبات الشعب وفى دفاعها عن القطاع العام ، وفى محاولتها لوضع ضوابط على مفاهيم الانفتاح ولكنه يعنى بالقطع تحذيرا من أنصاف الحلول ودعوة الى اجراءات حاسمة .. لقد فقدت الوزارة تأييد قسم أساسى من اليمين المصرى الذى لا يقبل اقل من التصفية الكاملة لكل ايجابيات تحققت خلال أعوام الثورة ، بقى أن تكسب الوزارة جماهير الشعب .

---

[١٥] فتحى بيومى : مناقشات مجلس الشعب — جلسة ١١ ديسمبر ١٩٧٤ .
[١٦] د. محمود القاضى : مناقشات مجلس الشعب — جلسة ٢٦ نوفمبر ١٩٧٤ .



فى هذا العدد تلمس « الطليعة » أكثر من مشكلة ،وتضرب فى أكثر من موقع . . كتابها وقراؤها يسهمون فى تقديم هذا الباب بصورة تعبر عن المشـــكلات الحقيقيـــة لمصر ، وكيفيـــة المجابهة الصريحـــة والشجاعة لهـــا . .

لطفى الخولى يواصل كتابته عن « البيوميون » **ورفعت السعيد** يوجه حديثا نقديا لمجلس أمناء الاتحاد الاشتراكى ، **وفيليب جلاب** يكتب عن « الســاقطون دون ضــجيج » ، وردا على **أحمد ابو الفتــح** يكتب **خيرى عزيز** «حول سيطرة الشيوعيين على الصحافة» وتعقيبا على رسالة **أحمد حسين** الى الطليعة والتى نشرت فى العدد السابق يكتب قارىء هو **د. محمد رضا محرم** ويكتب أيضا **أبو سيف يوسف** . .

وتستضيف «الطليعة» على صفحات الرأى والرى الاخر ابراهيم يونس من دار اخبار اليوم يحدثنا عن « **عبد الناصر** والاحزاب المعارضة »

[١] هؤلاء « البيوميون * » وألاعيبهم العجيبة

لطفى الخولى

تقدم الكاتب بهذا المقال ، بوصفه عضوا بمجلس تحرير « الاهرام » لنشره فى اليوم المحدد له أسبوعيا بالصحيفة . غير أن « الاهرام » اعتذر عن نشره .

وقد وافق مجلس تحرير « الطليعة » على نشره فى هذا العدد ضمن اطار « الرأى .. والرأى الاخر » .

ليس البيوميون ، فى واقعنا ، هم فقط الذين برعوا فى الاستفادة من أزمة المساكن لتكويم الثروات الفاحشة . وذلك ببناء تلك العمارات الكرتونية الجميلة الطلاء ، حتى اذا ما سكن الناس اليها بعد عذاب امتص كل عافيتهم ، تهاوت فوق رؤوسهم ..

« البيوميون » ، ظاهرة اجتماعية ـ سياسية . تصطدم بها فى مواقع عديدة من مجتمعنا . وتشكل عناصرها نوعا من « الطابور الخامس » الذى يعمد ، بأساليب شيطانية ، الى استغلال الازمات التى لا مفر من أن يعانى منها ، مجتمعا كمجتمعنا ، يتصدى فى وقت واحد لانجاز مهمات التحرر الوطنى والتنمية الوطنية المستقلة لاقتصاد متخلف ومنهك .

حول هذه الازمات ، يتحلق البيوميون كالجراثيم ، مستغلين تضحيات الطبقات الشعبية وعرق جبين القوى العاملة . وهكذا فان « العمارات الكرتونية » ليست لعبة البيوميين الوحيدة للاثراء الطفيلى ، دون ما جهد انتاجى . وانما هم يملكون ألاعيب عجيبة فى التجارة بالسوق السوداء والتموين والمواصلات والتوكيلات التجارية والاستيراد والتصدير الخ .. تدر عليهم فى زمن قياسى ثروات خيالية .

[*] نسبة الى المقاول « حسن البيومى » صاحب عمارة الدقى الشهيرة التى انهارت فى ديسمبر ١٩٧٤ ، بعد حوالى ثلاث سنوات من بنائها . وهى واحدة من جملة عمارات بنيت بنفس الطريقة وجنى صاحبها من وراء الاتجار بها ارباحا طائلة وصدر قرار بازالة خمس منها .

وعندما يصل « البيوميون » بثرواتهم الى مستوى من التراكم المؤثر ، فانهم يسعون بمعونة البيروقراطيين ـ وهذا طبيعي ـ الى فرض سيطرتهم على مسار الحركة السياسية والاجتماعية فى البلاد . وذلك بهدف اعادة تشكيل المجتمع على مقاسهم ، بما يخدم مصالحهم ويحقق لهم مزيدا من الثراء والاستغلال والقوة ، تأمينا لمراكزهم وتدعيما لنفوذهم غير المشروع ».

ولكنهم ـ وهذا ايضا طبيعي ـ يواجهون بمقاومة عاتية من مجموع القوى الوطنية والتقدمية فى البلاد . وهى القوى التى اجتمعت اراداتها ، من خلال وعيها بمصالحها المشتركة فى ضوء التجارب الفادحة الثمن ، على السير بالمجتمع نحو وحدة ديمقراطية مقاتلة للقضاء على استغلال الانسان للانسان وعلى الاحتلال الاسرائيلي والهيمنة الامبريالية . وترجمة مبادىء الحرية السياسية والاجتماعية وسيادة القانون ترجمة واقعية عصرية ، مضمونة بمؤسسات ذات وزن شعبى واساليب ديمقراطية .

والبيوميون ، يدركون ، انهم غير قادرين على خوض معركة شاملة مع جميع هذه القوى فى وقت واحد . ولذلك فانهم يحاولون خوض المعركة بالتقسيط المريح . وفقا لتكتيك تفتيت وحدة القوى الوطنية والتقدمية وعزلها بعضها عن بعض ، من خلال افتعال حوادث صدامية وفبركة اتهامات زائفة ، الامر الذى يولد مناخا غير صحى ، تنعدم فيه الرؤية الواضحة ويختلط فيه الحابل بالنابل دون تمييز . وتفتقد المعايير الموضوعية للحكم على طبيعة الاحداث وتحليل اتجاهاتها .

من هنا ، يركز « البيوميون » ومديرو دعاياتهم ، هجومهم ، اول ما يركزون فى البداية على قوى اليسار بمختلف فصائلها واتجاهاتها فى المجتمع . لماذا ؟ لاكثر من سبب :

فاليسار ، هو اكثر القوى الوطنية والتقدمية وعيا بخطورة الظاهرة البيومية الطفيلية فى المجتمع . واشدها التزاما فى العمل على كشفها وتعريتها ومصارعتها . ولا تقبل ، تحت كل الظروف ، اى تهادن معها ، او انخداع بالاعيبها العجيبة وشعاراتها التمويهية . فضلا عن ان القضاء على اليسار ، يعنى قتل روح التقدم العصرى والاجتماعى فى جسد التحالف الوطنى . واجهاض عملية التخصيب اللازمة للحركة الفاعلة والمنتجة للجديد من رحم القديم ، مع المحافظة على الاصالة والتراث الايجابى من التشويه والتزييف ».

و « البيوميون » الطفيليون ، ليسوا ابناء اليوم فى مجتمعنا . وانما هم ابناء شرعيون لهزيمة ١٩٦٧ . وبقدر ما شقى الناس بالهزيمة وقاوموها ، بقدر ما كان « البيوميون » سعداء راضين بها .

والثابت أنهم احتفلوا احتفالا باهرا بالهزيمة . أقاموا الولائم وقرعوا كؤوس الشمبانيا فى الوطن والمهجر على السواء . فقد كانت الهزيمة فرصتهم الذهبية لمعاودة نشاطهم الطفيلى وشرعوا يتسللون بألاعيبهم العجيبة الى مواقع عديدة فى الكيانات السياسية والاقتصادية بالمجتمع . وعلى الرغم من تحذير القوى الوطنية والتقدمية من خطر البيوميين وتحالفهم مع البيروقراطية .. الا ان اجراءات السلطة الوطنية كانت دوما اضعف من أن تحاصرهم وتسد عليهم الطريق . ولعل هذا يجسد احدى السلبيات الرئيسية فى تجربة ثورة يوليو ». وهكذا انطلقوا يعبثون ويفسدون ويستأسدون . وقفز بعضهم ـ خلال سنوات قليلة ـ الى مراتب المليونيرات ، فى مجتمع ما برح متوسط دخل المواطن فيه لا يزيد عن ستين جنيها سنويا

وفى الوقت الذى كانوا فيه يبنون ويتاجرون فى العمارات الكرتونية ويضاربون بأقوات الشعب ويحاولون احتلاب القطاع العام وتصفيته ، ويدعون الى حل استسلامى مع الصهيونية والامريكان .. كانت القوى الوطنية والتقدمية تبذل اقصى الجهد والتضحيات فى الحياة المدنية وخاصة القطاع العام وفى الحياة العسكرية والقوات المسلحة مع أبناء العمال والفلاحين والطبقة

المتوسطة من الجنود والضباط ، حتى أمكنها أن تتيح للرئيس السادات أن يمارس مسئولياته ويتخذ ـ فى ثقة ـ قرار العبور العظيم فى اكتوبر ١٩٧٣ وذلك بعد أن ظلوا يشككون ـ كما هو ثابت تاريخيا ـ فى قدرة الشعب والجندى المصرى وسلاحه على اقتحام خط بارليف .

ولكن ، لان حرب اكتوبر ، على الرغم من كل انجازاتها العسكرية والسياسية لم تستطع ـ بعد ـ أن تحقق النصر الكامل على العدو .. أو تنهى الظروف الصعبة والمعقدة التى لا يزال يعانى منها المجتمع ، فان فرص « البيوميين » للاثراء غير المشروع وللحركة المعادية لمصالح الشعب ، ظلت مفتوحة ونامية بل وبلغت فى بعض الاحيان قدرا من القوة ، تصور معه البيوميون أنه قد آن لهم أن يمدوا أيديهم ليقطفوا الثمار اليانعة .

والثمار ، فى مفهوم البيوميين ومديرى دعاياتهم اليوم ، هى رؤوس القوى اليسارية . واخذوا يجربون اسلحتهم واحدا بعد آخر .

استخدموا أول ما استخدموا ، سلاح الدين . غير أنه لم يجد . ذلك أن جماهير الشعب المتدينة بالحق لا بالباطل ، رأت فيمن يقف مع حقها فى الحياة دون استغلال ، مؤمنا حتى ولو لم يحسن اظهار تدينه وتقواه . فى حين أن من يؤجر لها السكن بخلو رجل أو يبيعها له بأضعاف أضعاف تكلفته أو من يسرق طعامها وشرابها ويتاجر به فى السوق السوداء .. رأته معاديا للدين الحق حتى ولو شيد مسجدا ذرا للرماد فى العيون . أو حج الى بيت الله بأموال مختلسة من عرق الشعب !

لقد كانت ـ وما تزال ـ معركة اليسار الحقيقية هى جنبا الى جنب مع عباد الله ضد المستغلين فى الارض . لا مع السماء . فليس فى السماء مستغلون . والسماء ، لا شك تبارك كل من يقف مع الفقر الكادح ضد الغنى الجشع .

وبعد أن أصبح « اليمين المتخلف » هو الاتهام المعلق برقاب « البيوميين » ومديرى دعاياتهم ، يثقل خطواتهم ويفضح مراميهم . عمدوا الى سلاح التجــريد والتمييــع للمــواقف والحــدود . وراحوا فى محــاولة لنفى الاتهــام ـ شكليــا ـ يخلطــون المستغلين بالمستغلين والمنتجيــن بالطفيليين .. ويقــولون : ما هــذه التفــرقة المصطنعة . كلنا بشر ، أولاد آدم وحواء .. لا يمين ولا يسار .. نحن جميعا مصريون فقط .

سبحان الله ! ما هذا التواضع ! وهل يستوى البيومى وضحيته المدفونة تحت أنقاض عمارته ؟ ! كأن « مصر » صارت عالما مجردا من عــوالم اللامعقول يتساوى فيها الجانى بالمجنى عليــه والناهب بالمنهوب . كأنها مسخ شائه متحجر ، لا تسرى عليه قوانين التطور الانسانى التى تسحب الى ظلمة الغروب اليمين المتخلف وتــدفع الى الشروق اليسار المتقدم ، فى حركة دائمة التجدد .

ومرة أخرى ، منيت بالفشل حملــة البيــوميين ومديرى دعاياتهم من أجل تسطيح المواقف وطمس الفروق الاجتماعية بينها . وأفاقوا من غفلتهم وأحلام يقظتهم فاذا هم محاصرون شــعبيا ، ومجردون من كل اردية التضليل .

وفى محاولة يائسة للفكاك من الحصار ، اقدموا على لعبتهم التقليدية الخطرة : التخريب تصاحبه صرخاتهم الهستيرية تطالب بدم اليسار . مرة بدعوى أنه متطرف غير مسئول . ومرة أخرى بدعوى أنه مستورد . ومرة ثالثة بدعوى أنه عميل . وذلك على أساس أنه اذا طاشت رصاصة أو اثنتان ، أصابت الثالثة .

حتى الان ، هم فاشلون فى لعبتهم الخطرة . فالواقع الحى يصفعهم بعنف . لم يقبض على يسارى واحد متلبسا بالتخريب . وفى الوقت نفسه جهر اليسار كله بعدائه وشجبه للبيــوميين وللتخريب من ناحية ، وأكد ـ من ناحية أخرى على ضرورة تدعيم الحكم الوطنى من خلال وحدة ديمقراطية مقاتلة ، تضم كل القوى الوطنيــة والتقدمية بلا استثناء .

واذا كان ليس من حقنا أن نستبق التحقيقات القضائية ، ونتهم ـ قانونيا ـ البيوميين ومديرى دعاياتهم بأحداث التخريب ، الا أنه يحق لنا ذلك سياسيا ، على ضوء التجارب الوطنية والعالمية معا .

وبالتالى اذا كان لابد من محاكمة أحد بتهمة التخريب ووضعه فى قفص الاتهام أمام الشعب ، فليس هناك غير البيوميين .

الا هل بلغنا بمكمن الخطر .. اللهم فاشهد . !

[٢] أمنـاء الاتحـاد الاشـتراكى ..

واليسار

تعليقا على البيان الصادر عن مجلس أمناء الاتحاد الاشتراكى حول الاحداث الاخيرة يكتب د. رفعت السعيد لا لينقد — فقط — البيان ، وانما ليوجه النقد الى مسلك الاتحاد الاشتراكى — بشكل عام — تجاه حركة الجماهير وتجاه قوى التحالف .

د. رفعت السعيد

... وبالمناسبة فان « **اليسار** » — اذا لم يكن البعض يعلم — ليس تهمة تساق ، فلم نعد بعد فى عصور الجاهلية التى يعتبر فيها الانتماء الفكرى جريمة ، وليس لليسار من نقيض أو عدو سوى اليمين الرجعى الذى ساق مصر كلها قديما الى أحضان الاحتلال والتخلف والرأسمالية والاستغلال البشع ، ولم يزل يحاول اليوم أن يفعل ذلك .

... وبالمناسبة ايضا فان « **اليسار** » لا يخفى نفسه ، ولا انتماءه ، بل لعله من الشـجاعة والوضـوح ، ولعل مواقفه ومنطلقاته وآراءه من الصحة والجماهيرية بحيث تدفع الكثيرين من أعدائه ومن الادعياء الى محاولة اقتسام شعاراته ومواقفه ..

.. و « الاشتراكية » كفكر وكمنطلق يسار ، والميثاق .. يسـار ، ومحاربة الاستغلال والسرقات ، والاثراء غير المشروع ، والطفيلية ، وسوء توزيع الثروة ... يسار ..

... وسكت مجلس أمناء الاتحاد « الاشتراكى ! » دهرا ثم اتهم اليسار.. تقع احداث التخريب وهو ساكت ، يستقبلها ساكتا وتمضى وهو لم يزل بغير حراك ، وتمضى أيام تكلم فيها كل من « هب ودب » ، وعلا صـوت اليمين الى مداه ، بل واقصى مداه مطالبا بالقتل فى الشوارع مفجرا بذلك حقدا طبقيا لم تشهد له مصر مثيلا من قبل ، ومعبرا بذلك عـن عـداء أصـيل لصـيغة التحالف ، كل ذلك ومجلس أمناء الاتحاد الاشتراكى ساكت .. أيضا ، ثم نطق ، فلم يفتح الله عليه الا باتهام اليسار « المتطرف » باحداث التخريب ..

ولنا على بيان « **الامناء** » ملاحظات ثلاث يتلوها سؤال ...

● وأولى هذه الملاحظات هـو أنه جاء متأخرا ، فالمفترض فى أى تنظيم سياسى شعبى أنه قناة توصل امانى الجماهير قبل أن تصبح مطالب ، وتحول المطالب الجماهيرية الى شعارات ، والشعارات تتجسد لتصبح سـياسة للسلطة ، لكن « اتحادنا » نائم فى العسل . المجتمع يعانى وهو نائم ، وكثير من امنائه مشغولون لا ادرى بماذا .. الغلاء ، المشـكلات الاقتصادية ، السوق السوداء ، مطالب العمال ، ازمة المواصلات ، أزمة الاسـكان ، اختناقات الانتاج ، سوء الفهم وسوء القصد الذى يبذره اليمين بذرا ، كل ذلك لا يعنيهم ، فما الذى يعنيهم اذن ؟ .. لست أدرى ..

ولست اسوق بذلك قولا جزافيا ، والا فليحدثنا مجلس الامناء عما فعل تجاه ذلك كله قبل الاحداث ، وفى محاولة لامتصاصـــها قبل ان تقع . هل احس ؟ هل سمع ؟ هل نبه ؟ هل اقترح حلا ؟ هل قال للجماهير « لا » .. هل قال لها « نعم » هل قال لها اى شيء ؟ هل تقدم للحكومة براى او بمطلب او باقتراح لتلافى ماحدث لأهل توجه لكوادره وجماهيره بتوجيه او بارشاد ! لست احاسب احدا ، لكننى فقط اريد ان اعرف ، وعندما انفجرت حوادث « التخريب » — وهى بالمناسبة مدانة ادانة تامة من اليسار — الم يكن من المفترض فى قيادات الاتحاد الاشتراكى ان يحشدوا جماهيرهم وان يقفوا بها ضد « المخربين » ، ألم يكن واجبهم ان ينزلوا الى الشارع بدلا من الاستمتاع المستمر بدفء المكاتب الوثيرة ..

●● وثانى هذه الملاحظات هى .. أن أمناء الاتحاد الاشتراكى ، يتعين عليهم — من موقع مسئوليتهم — تجاه تنظيمهم وتجاه الوطن وتجاه النظام ان يميزوا وبعين فاحصة بين العدو والصـــديق .. من هو العـــدو الان ، هل اليســار هو عدو الاتحاد « الاشتراكى » . أم هو اليمين المتخلف بكل ما يعنيه من رأسمالية واستغلال ونهب وتفجير للحقد الطبقى .

هل وقع فى يقين مجلس « الامناء » ان اليسار « متطرفا » كان ام غير متطرف هو المسئول عن التخريب . وكيف وقع هذا فى يقينه . وهل يكفى لاثبات تهمة « التخريب » على انسان أنه طالب مثلا بتحسين احوال المعيشة وهى يجب ان تتحسن بالفعل ! ؟ او طالب بوضع قواعد ضد التسيب المتفشى والثراء الفاحش على حساب الجماهير الفقيرة ؟ هل هذه جريمة ؟ وهل يتعين بالضرورة اتهام « مرتكبها » بأنه مخرب . اذا كان الامر كذلك فىنظر البعض من رجال اليمين ، فهـــل هـــو كذلك فى نظـــر « أمناء » الاتحـــاد الاشتراكى .

اليس من واجب أى مناضل اشتراكىأن يرفع شـــعارات كهـــذه ، وأن يتمسك بها . بل اليس من واجب الاتحادالاشتراكى ان يتلقف هذه الشعارات وان يبلورها وبشكل صحى وعبر القنوات المتاحة وان يتبناها هو. اليس هذا واجبه ؟

لكن الاتحاد نام عن تتبع مشكلات الجماهير ، وتركها مهملة ، ولم يستمع للمطالبين بها ، تاركا الشارع لغوغائية اليمين واستغلاله البشع بـــل وابتزازه ... سكت عن ذلك كله ، ولم يفلح فى ان يلتقط الخيط لأسلوب العمل السياسى بين الجماهير . وأغلق أبوابه ونوافذه تاركا اياها ، فاذا ما وقعت الواقعة تركها أيضا ، وسكت ، ثم سكت ثم خرج متهما فئة من المفترض انها اقرب اليه ، والى منهاجه ، والى التزامه ، والى مواثيقه من غيرها ..

لقد بحث الاتحاد عن مشجب يعلق عليه خطأ هو صانعه الاول بتجاهله لحركة الجماهير ونهجه اسلوبا اداريا صرفا فى معالجة مشاكلها .. ولم يجرؤ على اتهام المجرم الاول والوحيد « اليمين المتخلف » . فعلق الاتهام فى عنق « اليسار » .

●●● وثالث هذه الملاحظات هى أن الكثيرين من اليساريين الان بين يدى النيابة — ولسنا نملك التعليق على ذلك — لكن النيابة تحقق بحثا عن الفاعل أو الفاعلين ، وتطل صحف اليمين محاولة ارهاب الجميع بما فيهم المحققين أنفسهم والتأثير عليهم تأثيرا مباشرا معلنة أن اليسار هو المسئول عن كل جريمة وقعت ، وهذا فعل بغض النظر عن عدم أخلاقيته غير قانونى ايضا ، فالامر محل تحقيق ، والتحقيقسريع وغير متباطىء — او هـــذا مـــا

تامله — فلم التعجل فى الاتهام ؟ ولصالح من ؟ وضد من ؟ وبهدف التأثير على من ؟ ».

وان فعل اليمين المتخلف ذلك فهو أمر قد تفهم بواعثه ، فما بالنا وأمناء الاتحاد الاشتراكى يفعلونه »

وهكذا أوجه سؤالى الأخير ».. **ألم يشعر أمناء الاتحاد الاشتراكى وفيهم قانونيون جهابذة . أن القاء التهمة — والتأكيد على ذلك — على أناس همين يدى المحقق اقول ألم يشعروا انهم يظلمون بذلك المتهمين والمحققين ، والحقيقة ذاتها ؟**

ما جدوى احالة الامر للمحقق اذا كانت أعلى سلطة شعبية تستبق التحقيق وتسوق التهم .. وماذا يكون موقف « الامناء » اذا اثبت التحقيق أن اليسار « متطرفا » أو غير متطرف لم يشترك فى التخريب ؟

تلك هى ملاحظاتى ..وهذا هو سؤالى .. فهل من جواب ؟ ».

□ □ □

ردا على مقال احمد ابو الفتح فى جريدة الاخبار يكتب فيليب جلاب الصحفى بالاخبار عن «الساقطون دون ضجيج . ويكتب خيرى عزيز مقدما رؤية موضوعية لطبيعة وحجم دور الشيوعيين فى الصحافة ويكشف النقاب عن نوعية الديمقراطية التى ينادى بها احمد ابو الفتح ».

■ رد على أحمد أبو الفتح ■

[١] الســـاقطون دون ضـــجيج

فيليب جلاب

لم يسمع احد اى دوى لسقوط بعض الصحف والصحفيين اخيرا .. لانهم من « معتادى السقوط » كأنهم قد دربوا على السقوط من أعين الناس « بالمظلات » ».. او انهم [كخصمائرهم] كرات من المطاط ».. تسقط دون ضجيج ولا تصاب بأى خدش !

والسادة الذين نعنيهم معروفون تماما ». فهم « أقوى » فرقة للطبل الاجوف عرفتها صحافتنا ».

وهم أقلية تريد أن تكون « ساحقة » ضد أغلبية يريدون لها أن تظل « مسحوقة » ».. !

وهم يعزفون أو يكتبون لحنا واحدا لا يتغير ». وتسعة اعشار ما يكتبون يتكون من مفردات ذات بريق وهى : الحرية والديموقراطية والعدل وكرامة المواطن وسيادة القانون وغيرها ».

لكن هذه المفردات تتحول فى أيديهم وبين اقلامهم الى بلاغات كاذبة ضد أبسط مبادىء الحرية والديموقراطية والعدل وسيادة القانون وحرية المواطن ».

وهم يتصايحون دائما بأن مصدر حقدهم الوحيد على ثورة ٢٣ يوليو هو موقف الثورة من الحريات ومن سيادة القانون ». وان « حرمان » الصحافة المصرية من جهودهم لبضعة سنوات [والاسباب معروفة] هو الذى مهد الطريق للقضاء على الحريات وسيادة الظلم والظلام على ربوع مصر ». ولذلك فقد عقدوا العزم على الا يتهاونوا امام أى خرق للقانون سواء اصاب اصدقاءهم ، أو خصومهم .. ومهما كانت النتائج !

»... هذه اذن توبة عن تاريخ طويل مثقل بالذنوب التى ارتكبوها ضد أبسط مبادىء الديموقراطية منذ عهد فاروق ؟

وجاء الامتحان الاخير عندما اصدرت النيابة أمرا بالقبض على مجموعات من اليساريين بتهمة اقامة تنظيم ، أو تنظيمات سياسية خارج الاتحاد الاشتراكى . فماذا كان موقف القيادات التنفيذية والتشريعية فى بلادنا وماذا كان موقف فرسان أو « اخوان الحرية » فى بعض صحفنا ؟

كانت المشكلة التى أثارت « لبسا » لدى الرأى العام أن القبض على اليساريين تم فى أعقاب مظاهرة للعمال اندس فيها بعض المخربين من اللصوص والمتشردين ومن عبى شاكلتهم . وبسبب توقيت عمليات القبض بدا للبعض ان هناك نوعا من الارتباط بين اليساريين والعمال من ناحية وبين حوادث التخريب من ناحية أخرى .

لكن بيان الحكومة كان متحفظا فلم يربط بين العمال واليساريين وبين التخريب .

ثم ادلى المهندس سـيد مرعى رئيس مجلس الشعب بحديث الى الزميل **فهمى هويدى** بالاهرام أعلن فيه بوضوح أن ما يفهمه من سيادة القانون هو الا نجرم أحدا تحت التحقيق وقبل أن يقول القضاء كلمته .

فماذا كان موقف « أخوان الحرية » الذين أعادوا للصحافة « أمجادها » دفاعا عن « الحريات » وحدا من « طغيان الاجهزة التنفيذية » ؟

بدأ « اخوان الحرية » حملة من البلاغات الكاذبة ضد المقبوض عليهم . وعندما عجزوا عن العثور على دليل واحد لاتهام اليساريين بالتخريب أصروا على تلفيق وقائع لم يعرفها أحد ولم تصل اليها أجهزة المباحث أو النيابة العامة . لقد قالوا للحكومة ولرئيس مجلس الشعب « لا » .. وهذه « شجاعة » بالتأكيد !! لكنها ليست شجاعة الصحفى المدافع عن الحرية والحقيقة .. انما « شجاعة » « المخبر » غير الامين الذى يغلى بالحقد والمرارة ضد أبسط حقوق المواطن فى أن يكون بريئا طالما لم يصدر حكم قضائى بادانته . ذلك ان اقل مخبرى الشرطة شأنا يفترض فيه اداء عمله بأمانة . يفترض ان ينقل الحقيقة الى رؤسائه والا فقد جهاز الشرطة أهم أركانه . وحتى اذا أخطأ جهاز الشرطة ، لاى سبب ، فان النيابة العامة قد تصحح الخطأ وتحفظ الاتهام . فاذا لم تكن الصورة واضحة أمام النيابة فان الحكم للقضاء وهو المرجع الاخير .

وقد كانت [ولا تزال] الصحف الحرة ، والصحفيون الاحرار ، فى كل مكان ، عونا للمجتمع وللقضاء على اظهار الحقائق . لكن بعض الصحف التى نعنيها تقوم بمهمة أخرى هى طمس الحقائق عن عمد ، وتلفيق التهم فى غرف مغلقة ونشرها على أوسع نطاق .. ثم ضرب أهم مبادىء الحرية وأبسطها دون وازع من مبادىء الشرف عامة ومن تقاليد الصحافة الحرة بشكل خاص .

ويتم هـذا كله وسط سيل من الالفاظ المحمومة عن ثورة ٢٣ يوليو التى « أهدرت » حرية الوطن والمواطن والتى خلطت بين أجهزة الشرطة والنيابة والقضاء .. فساد الظلم والظلام !

واذا كان الخلط بين الاجهزة يتم على حساب حرية وكرامة المواطن واهدار اهم نصوص الدستور والقانون .. فماذا يكون الامر عندما تجتمع فى « صحفى » أو « صحيفة » سلطات التحرى والاتهام والحكم ؟ وماذا يحدث اذا كان هذا الصحفى يستبيح لنفسه هذه السلطات وهو يعلم ــ علم اليقين ــ ان ما ينشره على الناس ضد الناس مناف تماما للحقيقة وان اليساريين المقبوض عليهم لم يشهدوا أو يعرفوا شيئا عن المظاهرات أو التخريب الا بعد اذاعتها شأن غالبية المواطنين ؟

لكن لم تمض سوى أيام محدودة حتى أسفر « أخوان الحرية » عن موقفهم كاملا . لقد خيل اليهم أن ما حدث يمكن استغلاله وتزييفه لكى يؤدى الى انقلاب كامل ضد القوى الوطنية والتقدمية أى كل قوى التحالف التى تستند اليها القيادة الوطنية ، من أجل أهم اهداف مصر فى المرحلة الحالية ، وهى تحرير الاراضى المحتلة من سيطرة الصهيونية التى يساندها الاستعمار ، وتحقيق أكبر معدل للتنمية الاقتصادية الاجتماعية لصالح الغالبية العظمى من جماهير شعبنا .

لقد اسفر احد الذين ارتدو اقنعة الحرية [او الليبرالية] عن وجهه الحقيقى ببرنامج سياسى شامل نشرته أحـدى هذه الصحف ، لكن نسى سيادته ان برنامجه السياسى الشامل سبق أن استمع اليه البعض ولا يزال مسجلا فى مصر بنصه تقريبا ، عندما كان يذيع مثل هـذه البيانات من محطة اذاعة سرية تمولها أجهزة المخابرات بالولايات المتحدة الامريكية كما أعلن **عبد الناصر** يومئذ باسم « اذاعة مصر الحرة » . وكانت هذه البيانات هى احدى المحاولات العديدة لضرب ثورة مصر وما أنجزته ضد قوى الاستعمار والامبريالية والصهيونية .

كانوا يقولون يومها أن **عبد الناصر** وقيادة الثورة يتجهون بمصر الى الشيوعية ؟ لماذا ؟ لان الثورة أممت الشركات والمصالح الاجنبية وفرضت سيطرة مصر على اقتصادها وثرواتها . واليوم وخلال شهر يناير ١٩٧٣ يقول الاستاذ **أحمد أبو الفتح** من فندق شيراتون فى القاهرة وليس من محطة اذاعة « مصر الحرة » « أن مصر كانت تتجه سياسيا واقتصاديا الى نظام شيوعى كامل » ..

وقد سبق ان ردد مثل هذا الكلام فى كتاب له أيضا عن **عبد الناصر** ، عندما ذكر أن ثورة ٢٣ يوليو قضت باصدارها لقانون الاصلاح الزراعى على « النخبة » أو « الصفوة » التى تعبت مصر فى

تكوينها منذ عصر **محمد علي** حتى الان .. ! وهو يعني بالصفوة طبعا اولئك السادة الذين حكموا مصر من أبناء البيوتات .. والذين ورثوا الارض عن أبائهم وعن أجدادهم عن « ولي النعم » الذي استولى على كل الارض ليوزعها بعد ذلك هو وأبناؤه وأحفاده من الخديويين على خدمه واتباعه .. !

... انها الشيوعية طبعا ، اذا حاولت الثورة تصحيح خريطة الثورة في مصر ، واذا انشأت القطاع العام وسيطرت على مصادر الانتاج التي نهبها الاجانب وعملاؤهم .. !!

وهو يقترح علينا « الاشتراكية » السويدية ! لماذا؟ ربما لان « الاشتراكية » في السويد ليست ضد الدين ، فمن اسباب نفوره من الشيوعية ـ كما يقول ـ هو موقفها من الدين ؟! والحقيقة أن أحدا في السويد لم يزعم أبدا أن السويد بلد اشتراكي حتى عندما يحكمه الحزب الاشتراكي السويدي انها بلد رأسمالي كامل بكل ماتعنيه كلمة الرأسمالية وبما يرتبط بهذه المجتمعات المتطورة أحيانا من خدمات اجتماعية وتأمينات ضد البطالة .... الخ .

لكن اثنين او ثلاثة في مصر يصرون على ان السويد دولة اشتراكية . وليس هناك أي مانع من أن يرى العالم كله رأيا ويرى ثلاثة من المصريين رأيا آخر ... !!

أما مبادىء الاحزاب الاشتراكية الديموقراطية في اوربا حتى من الناحية النظرية [وليست الناحية العمليـــة فقط] فهي لا تختلف عن المبـــادىء الرأسمالية الا من حيث التفاصيل .. وهذه قضية معروفة لكل الاوربيين ولاي مثقف من غير الاوربيين .

لكن الغريب أن موقف السويد والمجتمع السويدي « الاشتراكي » من الدين لم ينفر الاستاذ **أبو الفتح** كما نفره موقف الشيوعية من الدين !

ولسنا في حاجة على الاطلاق لمناقشة « تمسك » السويد بالدين وبممـارســة شعـائره « ليلا ونهارا » .. لانها من الامور التي يعرفها الخاص والعام .

ولعل كل مؤمن بدين سواء كان ماركسيا او غير ماركسي ، يربأ بالدين ان يمـــارس على الطريقة « الاشتراكية » السويدية !

ففي المجتمع السويدي كما يعرف الجميع يختفي الفرق نهائيا بين الحب والدعارة او بين الزوج والعشيق ويتحول الجنس الى تجارة يـومية ورسمية !

ثم ينتهي بطل الحريات . **أبو الفتح** . الى بلاغ كاذب ضد كل اليساريين في مصر

لاحظ الفرق بين ماسبق أن كتبه **أبو الفتح** عندما وصل الى مصر للمرة الاولى منذ ثمانية شهور حيث طالب بالحـــرية « للجميع » بمـــا فيهم الشيوعيين ، وبين ماكتبه هذه الايام على صورة بلاغ « يتهم » فيه الشيوعيين بـأنهم وقفـوا ضد « حرية » الاحزاب وتعددها عند مناقشة ورقة تطوير الاتحاد الاشتراكي !!

وهو يقدم تفسيرا « مبتكرا » لم يسبقه اليه احد (كما أن احدا أيضا لن يلحقه في هـذا الاتجاه !) ... اذ يقول ان سبب موقف الشيوعيين ضد اقامة أحزاب في مصر الان هو ان قيام الشيوعية يشترط انعدام الحريات السياسية أي انعدام كل معارضة للمبادىء الشيوعية وقيام أكثر من حزب يفتح الباب لقيام هذه المعارضة !!

... ماذا يمكن أن يقال للاستاذ **أبو الفتح** ردا على ابتكاراته السياسية ؟ هل نقول ان الغالبية العظمى من البـــلاد التي تولت فيها الاحـــزاب أنه يعرف ذلك بالتأكيد .. لكن ربما كان يعتقد وهـــو يكتب مقاله او بيانه ، ان القـــراء قـد لا يعرفون . !

ورغم أنه ليس من عادتنا أن نكتب ماقد يبدو انه استعداء للسلطات ضد أحد ، ولسنا من مشاركي الاستاذ **أبو الفتح** في هذا الاسلوب ، الا أنه من الصعب الا نذكر ان موقف الرئيس السادات والقيادة السياسية هو أن قيام أحزاب في هذه الفترة مسألة ضارة سياسيا ، ومن هنا فاما أن الاستاذ أبو الفتح يرى ان قيادة مصر لا تزال شيوعية كما كانت عندما كان سيادته احد المذيعين من صوت « مصر الحرة » او انه نوع من « لفت النظر » لمصر .. فاما ان تحل الاتحـــاد الاشتراكي والقطاع العام وتسمح ـ كما قال في مقال سابق ـ لمن يريد أن يملك أي مساحة من الارض ، او اي عـــدد من المصـــانع ان يفعل وفقا « لطاقته » .. أو سيكون الخط السياسي والدعائي « لاخوان الحرية » في المرحلة القادمة هو أن مصر لا تزال تتمسك بالطريق المؤدي الى الشيوعية .. وعليها أن تتحمل النتائج ؟!

والمعتقد أن الرد المصري على هذا « الانذار » لن يخرج عن الاسلوب الذي تعودت قيادة ثورة ٢٣ يوليو ان ترد به ، سواء كان **عبد النـاصر** ، أو **السادات** على رأس هذه القيادة .. وسواء جاء الانذار والاستاذ أبو الفتـح فـي الاذاعة السرية « لمصر الحرة » أو في جناحه بفندق شيراتون بالقاهرة !

ويمضي الاستاذ **أبو الفتح** في بيـانه ، او فـي بلاغه ، ضد اليسار عموما وليس مجرد فئة منه كالشيوعيين فيسأل عن نسبة الصحف التي يسيطر عليها « الشيوعيون » في مصر اما بشكل سافر أو

تحت اسم « اليسار » الى الصحف التى يسيطر عليها باقى أعضاء الاتحاد الاشتراكى !

وهو يردد هذا السؤال او الاتهام نقلا عن مصدر أو صحيفة تصدر فى بيروت ولا تعبر عن أى موقف أو مصدر عربى . اذ قالت هذه الصحيفة ، منذ شهور ، أن غالبية المؤسسات الصحفية يسيطر عليها الشيوعيون « كالاهرام » و « الجمهورية » و« روز اليوسف » ..

وعلى الرغم من أن أجهزة الامن المصرية تعلم تماما أن الشيوعيين « لا يسيطرون » على أى صحيفة من هذه الصحف .. الا أن معلومات أو مصادر أبو الفتح تؤكد ذلك ! ..

[لاحظ ان ابو الفتح ينشر بياناته عندما يشاء وبالحجم الذى يشاء فى صحيفة تؤكد أنها أوسع الصحف المصرية انتشارا !]

ثم يؤكد **أبو الفتح** : أن الشيوعيين يمارسون نشاطا وحقوقا لا تتناسب مع عددهم ونسبة تمثيلهم بأى حال . والمرء لا يستطيع الا ان يتخيل أن **أبو الفتح** يكتب مقاله وأمامه قوائم من أجهزة غير محددة الهوية عن أسماء الصحفيين المصريين وعن معتقداتهم السياسية مع موجز عن نشاطهم وتحركاتهم خلال الشهور الماضية على الاقل !

ورغم أنه من الصعب فى رأينا أن نحدد بدقة وجود شيوعيين دون أن يكون هناك حزب شيوعى . الا أن **أحمد أبو الفتح** وكل من يمثلهم أو يمثلونه تعودوا الخلط المتعمد بين الشيوعية كهدف بعيد لدى الشيوعيين أو لدى الاحزاب الشيوعية نفسها وبين ذوى التفكير أو المنهج الماركسى وكل مدارس واجتهادات اليسار عموما .

وكل الذين يخالفون **أبو الفتح** الراى ، ويتخذون موقفا محددا فى القضايا الوطنية ضد الاستعمار والامبريالية والصهيونية ، أو يحدون من طموح سيادته فى أن يمتلك ما يشاء من الارض والمصانع فهم يساريون شيوعيون .. !

ولهذا كان **عبد الناصر** فى رأيه شيوعيا ، يفتح الطريق الى سيطرة الشيوعية على مصر !!

ولهذا فان **السادات** الذى يتمسك بأهداف الثورة ضد الصهيونية والامبريالية ومن أجل التنمية لصالح الغالبية من أبناء شعبنا ومن خلال صيغة تحالف قوى الشعب العامل سيكون شيوعيا فى رأيهم .

... وبحكم المهنة ... يبدأ المخبر ببلاغ ضد المواطن العادى وينتهى بما يشبه البلاغ ضد النظام السياسى الوطنى كله وهى نهاية طبيعية ومحتومة للذين لا يفرقون بين عمل ومهنة وتقاليد الصحفى وبين عمل مخبرى الشرطة .. وغير الامناء منهم على وجه التحديد !

وهذا هو المضمون الحقيقى لكل ما تشدقوا به وطبلوا له من « ليبرالية » ، يزعمون انهم يأخذونها عن الغرب ، لكنها نوع « خصوصى » من «الليبرالية» لم يعرفها غرب او شرق . ولن تعرفه مصر !

■ وهذا رد آخر على أحمد أبو الفتح ■

[٢] حول سيطرة الشيوعيين على الصحافة

خيرى عزيز

من المؤسف حقا ان يتحول الاستاذ « احمد ابو الفتح » « الداعية الغيور » للحرية السياسية والذى عاد اليها من أوربا رافعا راية الحريات والديموقراطية ، الى داعية قمع فى بلاده ، ضد اليسار المصرى ، ومن أسماهم بالشيوعيين ..

ففى مقاله بعنوان : « **الحق المر : مصر فى مطحنة الصراع الداخلى والخارجى** » الذى نشر بأخبار اليوم فى ١٨ ــ ١ ــ ١٩٧٥ لا يجد احمد أبو الفتح عقبة كأداء فى سبيل تحرر وتقدم هذا البلد وفى سبيل تطبيق سياسة الانفتاح كما يراها هو ،

اى اعادة جزء أساسى من « **التجارة بكل فروعها الى القطاع الخاص ، وكذلك الاستيراد والتصدير والجزء الاكبر من الصناعة** » ، وفى سبيل تطبيق ما أسماه « ببرنامج السادات » ـ ولا نعرف من الذى خوله التحدث باسم الرئيس السادات وابتداع برنامج له ـ لا يجد احمد أبو الفتح عقبة ضارة معوقة فى هذا البلد بأسره و « مطحنة » تطحن شعب مصر داخليا بمطرقتها ، سوى اليسار ، ومن اسماهم بالشيوعيين فى الصحافة .

وان المرء ليعجب حقا من أمر الاستاذ **احمد ابو الفتح** ومن يفكرون مثله لان هذا الرجل الذى قضى سنوات طوال فى أوربا الغربية ، والذى يقدم نفسه كداعية للديموقراطية والحريات السياسية من الطراز الغربى ، **لا يلتزم داخل بلاده ، ولو أدنى التزام ، بما يقول أنه يدعو اليه** .

ففى حين يدعو « **نظريا** » وبحماس الى الديموقراطية من الطراز الغربى ، وهى ديموقراطية تمارس فيها الاحزاب الماركسية نشاطها علنا ، من خلال اتحاداتها النقابية ، والشبابية ، والنسائية ، والعمالية ، والمهنية ، وصحفها ، ومجلاتها ، ووسائل اعلامها ، الى جانب أحزاب اليمين والوسط ، فى حين يدعو نظريا الى ذلك ، **نجده من الناحية العمليه ، وفى بلاده ، وعند التطبيق يتنكر لذلك عند أول اختبار** ، لانه يضيق ذرعا أشد الضيق لا بمجرد وجود حزب ماركسى فى بلاده ، فمثل هذا الحزب غير موجود أصلا ، ولا حتى بوجود صحيفة يوميه ماركسية كبرى ، فمثل هذه الصحيفة غير موجودة كذلك ، وانما يضيق الاستاذ **احمد ابو الفتح** ذرعا أشد الضيق ، بمجرد وجود عدد من كتاب اليسار وسط البناء الضخم للصحافة المصرية . فيالها من ديموقراطية أصيلة تلك التى يبشر بها المجتمع المصرى .

فبعد ان يلقى بقنبلته المدوية : « ان الشيوعية تسيطر على الغالبية العظمى من الصحافه اليومية والاسبوعية والشهرية » ،و « ان هذا أمر على جانب كبير من الخطورة » ، وبعد ان يعلن اكتشافه الباهر ويركز كل جهوده لاثبات **ان هؤلاء الشيوعيين هم العقبة الداخلية الوحيدة** فى سبيل سياسة الانفتاح ، وفى سبيل ما اسماه ببرنامج السادات ، يطالب **احمد ابو الفتح** المسئولين مقدما بأن « يحطموا كل ما يعترض سبيل هذه السياسة » .

هكذا تسفر دعاوى « الديموقراطية » « بوضوح عن نواياها فى « التحطيم » والسحق عند أول منعطف للحوار السياسى » فالمطلب « الديموقراطى » لاحمد ابو الفتح ، والقصد من ورائه هنا ، واضحان كل الوضوح ، ولا يحتاجان الى مزيد شرح أو تفسير . لكننا نود ان نتوقف قليلا لنناقش الاستاذ احمد ابو الفتح فى حقيقة الاحكام التى توصل اليها .

انك ـ لحسن الحظ ـ يااستاذ ابو الفتح ـ لا تتحدث عن مجتمع أخر لا نعرفه ، وانما تتحدث عن مجتمع نعيش فيه ونعاصره ، وعن صحافة نحياها ، ويقرأها شعبنا مع مطلع كل يوم .

ونحن نقر معك تماما بأن هناك عددا من كتاب اليسار والماركسيين فى الصحف المصرية فعلا ، كتعبير عن تواجد كل القوى الوطنية فى الساحة . فهناك مثلا **لطفى الخولى ومحمد سيد احمد** فى الاهرام اليومى ، ثم اسرة تحرير الطليعة ومدير تحريرها **ابو سيف يوسف، وهناك صلاح حافظ ، وحسن فؤاد ، وفتحى خليل** فى روز اليوسف [وهم لا يكتبون فى أى صحيفة يومية] ، وهناك **عادل حسين وفيليب جلاب** فى الاخبار [وهما ممنوعان عمليا من الكتابة فى ظل « ديموقراطية » على ومصطفى أمين] ، وهناك **فتحى عبد الفتاح ، وعدلى برسوم ومصطفى كمال** فى الجمهورية ..

كما نقر أيضا بان « الطليعة » ـ بعد انفراط عقد « الكاتب » وتشريد كتابها فكريا ـ تستقطب التعبير ـ الى حد كبير ـ عن فكر اليسار ، ولكن هل يعنى وجود تلك المجلة الوحيدة تقريبا ،ووجود هؤلاء الكتاب الذين لا يتجاوز عددهم عدد اصابع اليدين : « ان الشيوعية تسيطر على الغالبية العظمى من الصحافة اليومية والاسبوعية والشهرية فى البلاد » كما تزعم ؟

اننا نود ان نناقش قضية الصحافة المصرية هذه المرة على نحو محدد ، وبتفصيل نوعا ، وبالاسماء، حتى يمكن تبين حقيقة تلك السيطرة الشيوعية التى يشير اليها الاستاذ احمد ابو الفتح ، وغيره ، وحتى لا يلقى أحد الكلام على عواهنه .

من حق الاستاذ احمد ابو الفتح أن يكون عدوا لدودا لليسار وللكتاب اليساريين كما يشاء ، وكما أسفر عن أنيابه ومن حقه حتى أن يطالب بقمعهم واضطهادهم اذا شاء ايضا ، واذا كان هذا هو جل ايمانه السياسى ، ولكن ليس من حقه قط ، حين يتصدى للقضايا العامة ، أن يلوى عنق الحقيقة ويكسره ، وأن **يجعل من الباطل حقا** . واننا لنطالبه **بأن يقدم ولو اسما واحدا لرئيس أو مدير**

تحرير ماركسى مصرى لاحدى الصحف اليومية الكبرى .

اننا لا نطالب بذلك ، ولا نقوله ، تنصلا من الماركسية ، بأى حال ، ولا اطراحا لراياتها عن الناس ، وانما نقوله اقرارا للواقع والحقيقه .

واننا لنتساءل حقا : اليست كبرى الصحف المصرية اليوميه ماثله امام اعيننا كل يوم ؟ او لا تكفى بما تحويه من مواد ، للحكم على طبيعة القوى التى تدير مقدراتها ؟ وهل سنضطر فعلا أمام مزاعم الارهاب والابتزاز ، **واستعداء القيادة الوطنية على اليسار** ، وعلى أقلية من الصحفيين ، ان نذكر انســانا ايا كان فى بلادنا ، بمن هم القــادة الحقيقيون للصحف اليومية والمجلات الاسبوعية والشهريه فى هذا البلد ؟ يبدو اننا سنحتاج الى مثل ذلك بكل اسف .

ان أحمد ابو الفتح يقول أولا أن **الشيوعية تسيطر على الغالبيه العظمى من الصحــافة اليوميه** » الا ان الواقع يؤكد بكل وضوح -- وفيما عدا ما اشرنا اليه سلفا -- **انه لا يوجد ماركسى واحد بين رؤساء أو مديرى تحرير كبــريات الصحف اليوميه فى مصر حاليا** واذا كانت هناك حقيقة أخرى غير تلك ، لا نعلمها ، فمن الافضل للاستاذ ابو الفتح أن يدلنا عليها حتى نستدل فعلا على صواب أحكامه . واننا لنسأله بكل صراحة : **هل الدكتور محمد عبد القادر حاتم ، واحمد بهاء الدين ، وعلى حمــدى الجمــــال** الذين يقودون الاهرام ، شيوعيون ؟ وهل **على أمين ومصطفى أمين** اللذان يقودان الاخبار واخبار اليوم شيوعيان هما أيضا : اننا لا نصــدق انفسنا . ام يــا ترى الشيوعيون الحقيقيون هم **جلال الدين الحمامصى ، وحسين فهمى ، ومحمد زكى عبد القادر ، ومحمد التابعى ، واحمد الصاوى محمد** ، وهم رؤساء ومديرى تحرير الاخبار ؟ أم ان الكادر الشيوعى المستتر حقا فى الاخبار هو السيد **موسى صبرى** ، ولا أحد يعلم ، أو ربما يكون فى الجمهورية والمساء ، هو الضابط الحر الوطنى ، **مصطفى بهجت بدوى** ، وذلك حتى تجد ادعاءات احمد ابو الفتح ، ولو حجة مدعمة قوية تؤيدها وتسندها .

ان أحدا من هؤلاء جميعا ، الذين **يقبضون على ناصية الصحافة المصرية** ، ليس شيــوعيا او ماركسيا ، ولن نحتاج كذلك الى مزيد تأكيد أن هؤلاء جميعا أيضا ، هم **أصحاب القول الفصل** ، والذين يتحكمون كلية فيما ينشر او لا ينشر فى الصحف اليومية الرئيسية بهذا البلد ، فمن أين أتى ابو الفتح بأحكامه ؟ لا نعرف من الواقع والحقيقة على ذلك ، جوابا .

ثم أنه لا يكتفى بذلك ، بل يقول ثانيا : « **ان الشيوعيين يسيطرون على الغالبية العظمى من الصحف الاسبوعية والشهرية** » أيضا . وقبل أن نسأله عن حقيقة وواقع هذا الزعم ، نــود أن نستفسر منه حقا : هل **محمد عبد الجــواد ، ومحمود الهوارى** وهما رئيس ونائب رئيس مجلس اداره **وكالة انباء الشرق الاوسط** ، وهى المؤسسة المركزيه للانباء فى هذا البلد ، شيوعيان فى نظره ؟ أم أن الشيوعى حقا هو **السيد بدير** رئيس مجلس ادارة هيئة المسرح ، أو **سعد مكاوى** من بعده ، أو الدكتور **السيد محمود الشنيطى** رئيس مجلس ادارة الهيئة العامة للكتاب ، أو ا . **ابــراهيم حمروش** رئيس مجلس ادارة دار الشعب الخ .. اننا لا نجد ماركسيا واحدا بين كل هؤلاء ، فأين هى تلك السيطرة المزعومة والانفراد بالنفوذ ؟

فاذا انتقلنا الى المجلات الاسبوعية والشهرية التى يدعى أحمد أبو الفتح أن الشيــوعيين يسيطرون أيضا على غالبيتها هى أيضا ، فاننا نود ان نتساءل كذلك : هل **انيس منصــــور** الذى يتولى رئاسه تحرير مجله « **اخر ساعة** » شيوعى مصرى **مستتر** ونحن لا ندرى ، ام أن الشيوعيين حقا هما **فكرى اباظه وصالح جودت** اللذان يتوليان رئاسة تحرير مجلة « **المصور** » ، أم أن الشيوعيين هم مديرا تحرير هذه المجلة ، **فوميل لبيب ، وصبرى ابو المجد** ، الارجح اذن أن يكون الكادر الماركسى المستتر فى « المصور » هو « **ابراهيم البعثى** » حقا لما له من « ميول عقائدية واضحة » ، وهل يمكن أن نطلق نفس الصفة الشيوعية أيضا على **كمال النجمى** رئيس تحرير مجلة « **الكواكب** » حتى يجد أبو الفتح مصداقا لمزاعمه ، وهل يمكن أن نطلقها مرة أخرى على **صالح جودت** رئيس تحــرير مجلة « **الهلال** » وعلى الدكتور **بطرس بطرس غالى** رئيس تحرير مجلة « **السياسة الدوليه** » وعلــى الدكتور **لطفى عبد العظيم** مدير تحرير « **الاهرام الاقتصادى** » وعلى **أمينة السعيد** رئيسة تحرير مجلة « **حواء** » وهل يمكن أن نطلقها ايضا على **سعيد عثمان** رئيس تحــرير مجلـــه « **الاذاعة والتليفزيون** » ، وعلى **عبد العزيز الدسوقى** رئيس تحرير مجلة « **الثقافة الاسبوعية** »والشهرية وعلى **يوسف جوهر** رئيس تحرير مجلــة « **السينما والمسرح** » ، والدكتور **محمد فؤاد ابراهيم** مدير ادارة الاهرام ، ورئيس اللجنة العلمية الاستشارية لمجلة « **المعرفة** » ، والاستاذ **عبد المنعم الصاوى** رئيس تحرير مجلة « **رسالة افريقيا** » ، والدكتور **جمــــال العطيفى** رئيس تحــرير مجلة « **مصر المعاصرة** » ، **وبدوى ابراهيم حمودة** رئيس تحرير

مجلة « **العلوم الادارية** » ، والدكتور **أحمد عزت عبد الكريم** رئيس تحرير « **المجلة التاريخية المصرية** » ، وصلاح هدايت رئيس مجلس ادارة مجلة « **عصر العلوم** » ، و « **صلاح جلال** » المشرف على تحريرها . والدكتور **أحمد محمد خليفة** رئيس تحرير « **المجلة الاجتماعية القومية** » و « **المجلة الجنائية القومية** » ، والدكتور **عبد الحليم منتصر** رئيس تحرير مجلة « **رسالة العلم** » . هل يمكن ان « نمركس » كل هؤلاء كي نثبت أكذوبة ، وهل يجهل أحد من مثقفي هذا البلد حقا ، الاتجاهات السياسية والفكرية لكل هؤلاء القادة للصحافة الإسبوعية والشهرية في البلاد ، ليأتي الاستاذ أبو الفتح ليفرض عليهم قسرا ، وعلى المجلات التي يتولونها ، هوية لا تتفق مع حقيقتهم في شيء . الامر المؤكد هنا أنه كان يتحدث بالتأكيد عن صحافة بلد آخر .

انه لدرس ثمين حقا ينبغي أن يتدبره كل الوطنيين والتقدميين جيدا ، عندما يرون « **الديمقراطيين** » **في أوربا** ، **يتحولون الى** « **مكارثيين** » **في بلادهم هكذا** .

ان الطريق الذي يدعو أحمد أبو الفتح القيادة الوطنية و « المسئولين » الى اتباعه ، وهو بوضوح ، طريق ضرب واقصاء اليسار من الساحه انما هو طريق تدمير الوحدة الوطنية لهذا البلد ، وعزل القياده الوطنية عن الشعب ، وافساح الطريق أمام مؤامرات الاستعمار الامريكي الجديد الذي يستهدف ارجاع هذه المنطقة الى حظيرة سيطرته ونفوذه . انها لعبة امبريالية معروفة اعتمدت دوما على التهويل من خطر اليسار ، وايهام القادة الوطنيين بأن الخطر عليهم يأتي من اليسار لا من اليمين والاستعمار .

لكن طريق ضرب اليسار قد جرب في المنطقة العربية والعالم الثالث من قبل ، الا انه لم يحقق لاصحابه ـ والتاريخ على ذلك شاهد ـ سوى العثرات والهزائم والفشل والنكسات ، اما طريق الوحدة مع اليسار والصداقة مع الشعب ، فكان دوما طريق الظفر والتقدم والنجاح لكل قيادة وطنية عظيمة . وذلك هو الفرق الحاسم بين **سوكارنو** الذي سمح للقوى اليمينية بالنمو والسيطرة فانتهت الى الانقلاب عليه واسقاطه ، وبين **سيهانوك** الذي تحالف فور الانقلاب العميل لأمريكا ، مع اليسار الثوري في الهند الصينية ، فحقق النصر تلو النصر حتى اقتربت قواته من العاصمة أخيرا .

انه لامر مؤسف حقا ، ان الذين نصبوا انفسهم اعظم نقاد للقمع والارهاب في الفترة الماضية ، يصبحون هم انفسهم ، أكبر دعاة القمع والارهاب في ذروة الراهن .

بيد ان ثالثة الاثافي حقا هي تلك التي يقول بها احمد ابو الفتح عندما يدعى أن مصر ـ قبل تولى الرئيس السادات ـ « **كانت تتجه سياسيا واقتصاديا الى نظام شيوعي كامل** » . اي نظام شيوعي هذا ؟ ومن أين خرجت بهذا الاستنتاج ؟ اننا لا نعيش في مصر قطعا حتى يستطيع انسان ان يطلق هذا الزعم . وليس من شك قط ان المليونيرات الجدد الذين طفوا الان على سطح الحياة الاقتصادية ، سيكونون أول المعترضين في اعماقهم ، على استنتاجك هذا لانهم يعرفون تمام المعرفه ، ما هو النظام الشيوعي الكامل .

فمن المعروف تماما ان الانظمة الشيوعية تعمد بصفة عامة الى تحريم الملكية الخاصه التي تقوم على استغلال الاخرين . وتعتبر الملكيه المستغلة بوجه عام هي ما يزيد عن الاستخدام والاحتياجات الشخصية . وهي تسمح للانسان بوجه عام بملكية المسكن والحديقه الصغيرة ، والسيارة ، والفيلا الريفيه ، والزورق البخاري الى آخر هذه الاشياء التي لا يستغل انسان فيها انسانا آخر ، لكنها تمنع تماما اي ملكية خاصة لوسائل الانتاج ، المصانع والاراضي والعقارات والعمارات .

لذا نقول أنها قوانين في عقل احمد ابو الفتح فقط وتخيلاته تلك التي تصور بها ان الملكية الخاصة ضربت في مصر من أجل اقامة نظام شيوعي كامل في تلك الفترة ، لان أحدا قبل تولى الرئيس السادات لم يحرم على الراسماليين المصريين الجدد أن يمتلكوا ما يشاءون من عقارات وعمارات [السيدة السكندرية التي تملك وحدها ١٢ عمارة مجرد نموذج] أحدا لم يحرم عليهم أن يمتلكوا الاراضي ، والمصانع [باستثناء الكبرى الاقل ربحا التي يتحملها القطاع العام] وأن يمتلكوا المعامل والحدائق والسيارات [راسمالي واحد استورد أخيرا ٢٠٠ سيارة بيجو] . هذا في الوقت الذي لا يستطيع فيه اي شخص آخر في الاتحاد السوفيتي مثلا مهما علا ، أن يملك عمارة ، أو اثنين ، أو ثلاثة ، يستغل بها الشعب الروسي لتدفع كل اسرة حوالى ثلث دخلها لقمة سائغة للملاك

العقار . ان نظام تأجير الشقق السكنيه بألف جنيه شهريا . ونظام بيع الشقق ، مفروشة او غير مفروشة ، بـ ٣٠ و٤٠ الف جنيه يااستاذ أبو الفتح غير معروف قط فى أى نظام ماركسى فى أوربا وآسيا .

وثمة حقيقة مؤكدة أخرى هى أن كل هؤلاء الرسماليين الجدد الذين ظهروا على السطح الان ، لم يبدأوا مسيرتهم الاستغلالية من ١٥ مايو يا استاذ أبو الفتح . ومن الظلم اطلاق مثل هذا التصور . فهم لم يبرزوا حتما قبل مايو وانما كانوا الاستمرار الطبيعى لنمو القطاع الخاص الرأسمالى . والرأسمال التجارى بصفة خاصة ، وكانوا امتدادا طبيعيا تماما للنظام الاقتصادى المصرى قبل ١٥ مايو .

والاصح ان يقال تفسيرا لبعض التطورات الاخيرة انه كان ولا يزال هناك خطر التحول من شكل ونظام رأسمالية الدولة ، الى الشكل والنظام الرأسمالى التقليدى . خاصة بعد أن شن الرأسماليون والمليونيرات الجدد حملاتهم المسعورة لتصفية القطاع العام ، وفك قطاع الدوله ، وهو ما تصدى له الوطنيون والتقدميون ، وعارضته القيادة الوطنية .

كذلك نحب أن نطمئن الاستاذ أبو الفتح تماما من ناحية أخرى ، فاذا كان صحيحا ان النظام المصرى قد أخذ بعض الاشكال السياسيه القائمة فى المعسكر الاشتراكى ، كتجربة الحزب الواحد وغيرها ، الا أنها لم تعبر قط هنا عن نفس المضامين والاهداف . ذلك أن أحمد أبو الفتح لا يمكن أن يجنح به الخيال بعيدا ليزعم ان الاتحاد الاشتراكى كان فى يوم من الايام قبل او بعد ١٥ مايو ، حزب البروليتاريا المصرية ، كما لا يستطيع ان يزعم ايضا أن مجلس الشعب الذى يضم عددا كبيرا من ممثلى أعيان المدن والريف ، مجلس سوفييتى ماركسى لينينى كذلك ؟

اى تجرؤ على الحقيقة ، واى قلب للوقائع ، وأى تصوير للامور بعكس حقائقها ، يمكن أن يصل اليه الانسان على هذا النحو ؟ .

كنا نتصور لو كان أحمد أبو الفتح مخلص النصح للقيادة الوطنية فى هذا البلد ، أن ينبه ويحذر من خطورة التفاوت الطبقى الذى أضحى ماموساوصارخا فى الفترة الاخيرة ، باعتباره لغما كامنا تحت السطح الظاهر للمجتمع المصرى . كنا نتصوره لو أخلص النصح لهذه القيادة حقا ، ان يطالب بقص اجنحة الصقور الرأسمالية الجديدة المحلقة ، تجنبا لاعراض الصراع الطبقى الحاد ، وآلامه ، وويلاته ، لكنه سلك بدل أسف ، السبيل المضاد . وهو يطالب علنا بتحطيم كل القوى التى تقف فى سبيل رأسمالييه ومليونيراته الجدد ، ويتغافل عامدا او غير عامد - عن مظاهر الصراع الحاد التى بدت أخيرا ، لسبب وحيد أنه فى خضم الفوضى الاجتماعية الضاربه ، وأعمال العنف فى الشوارع التى يدعو اليها على أمين ، يمكن للديماجوجية وللتعمية والتضليل أن يستشروا فى هذا المجتمع الوادع ، ويمكن للمخابرات الامريكية أن تعمل بعد طول غياب .

ثم يقول أحمد أبو الفتح بعد ذلك وهذا هو الغريب حقا «ان الحرية السياسية وتعدد الاحزاب أشد ما يخشاه اليسار » ، فى حين أعلن مختلف ممثلى اليسار فى مصر فى مختلف الصحف والمجلات والمناقشات العلنية الاخيرة لورقة التطوير تأييدهم للديموقراطية واعادة الحريات ، وتأييدهم لفكرة تعدد المنابر كخطوة لأقامة حياة حزبية متعددة . فمن اين أتى أحمد أبو الفتح بهذا الحكم المسبق الذى لا يوجد سوى فى ذهنه وحده ؟

ان اليسار المصرى لم يضق ذرعا قط ولا يضيق ذرعا أبدا بالحرية لسبب وحيد ، أنه دوما أول صفوف الضحايا عند بداية كل قمع سياسى . فكيف يبغى امرء لنفسه وللاخرين الاضطهاد والقمع ؟ وبأى منطق يستقيم مثل هذا الادعاء ؟ ليس اليسار هو الذى يخشى الحرية ويضيق بها ذرعا فى الحقيقة ، انما انت الذى ضقت ذرعا بالحرية واليسار عند أول حوار « ديموقراطى » فوجهت للقيادة نداء « القمع » .

ثم انك تقول أن الحرية السياسية وتعدد الاحزاب تقضى قضاء مبرما على فكر اليسار وعلى كل أمل لديه ؟ فمن أين اتيت بهذه المقولة حقا ؟ ان اليسار فى العالم ، لم ينجح وينتصر ، الا حينما كانت هناك حريات وتعدد أحزاب ، وتثقيف سياسى للجماهير الواسعة ، بل لقد نجح اليسار وانتصر ايضا برغم كل ارهاب الرأسمالية ، وسفح الحريات ، والتضييق على النضال السياسى . واذا كان تعدد الاحزاب يقضى على كل امل لليسار كما يزعم ابو الفتح لماذا يزداد الحزبان الشيوعيان فى ايطاليا وفرنسا ، قوة ونموا ومنعة وسط نظام تعدد الاحزاب ؟ وكيف أحرز اليسار الفرنسى قفزة هامة الى الامام فى انتخابات الرئاسة الاخيرة ، فاكتسب ٣ ملايين صوتا جديدا خلال ١٤ شهرا فقط منذ آخر انتخابات نيابية ؟

ان أحمد ابو الفتح يقول أى شيء يتراءى له .

■ رد على رسالة أحمد حسين ■

في العدد الماضي نشرت الطليعة رسالة تلقتها من الاستاذ احمد حسين .. وفيما يلي رد على هذه الرسالة من محمد رضا محرم المدرس بكلية الهندسة ــ جامعة الازهر ورد آخر من أبو سيف يوسف .

[١] أؤيـدك أيهـا الفـارس المخضرم

د. محمـد رضا محرم *

كاتب هذا التعليق بدأ ادراكه الواعي بوطنه تاريخا ونضالا ابان العدوان الثلاثي الذي تآمرت فيه ضد مصر القوى الصهيونية والامبريالية بقصد اجهاض الامال المصرية في الاستقلالين الاقتصادي والسياسي ، وحيث ان هذا الوعي بدأ يدخل طور النضوج بعد سنوات أربعة من قيام ثورة يوليو فانه لم يكن من حظ الكاتب ان يتابع الاستاذ احمد حسين فارسا في ميدان السياسة العامة ، وبالتالي فانه لم يعرفه الا مناضلا واشتراكيا رائدا يحمل اخلاص المواطن وفروسية المناضل الحق ، وذلك من خلال قراءاته في التاريخ المصري ... واخيرا عاد الاستاذ احمد حسين يتكلم ويوجه ويعطي خبرته في موضوعية ديموقراطية وفي مباشرة لا يقدر عليها الا فارس مخضرم .

في العدد الماضي من **الطليعة** دعا الاستاذ **احمد حسين** شيوخ الماركسيين وشبابهم الى مراجعة مواقفهم في قضيتين اساسيتين **أولاهما** الموقف الماركسي من الدين ، **وثانيتهما** الرؤية الماركسية للصراع الطبقي . ويأمل كاتب التعليق أن يتسع صدر مجلة الطليعة ــ كعهدنا بها ــ لرأي سوف يبديه في القضيتين السابقتين ، بالاضافة الى **قضية جديدة** يختلف فيها مع الماركسيين العرب وهي المنظور الماركسي لقضايا القومية والوحدة .

وقبل ان يعرض الكاتب دعوته للماركسيين المصريين للاتفاق مع القوى التقدمية الاخرى بشأن القضايا الثلاثة المذكورة فانه يود ان يؤكد الحقائق التالية :

١ ــ أنه يشهد للمثقفين المصريين الماركسيين ــ رغم اختلافه معهم ــ بدورهم العظيم في تأصيل موضوعية التفكير ومعاصرة الثقافة وجماهيرية التصور السياسي في مصر ، ولعلها مناسبة يؤكد فيها تصوره بانه لا تتوفر الخدمة الحقة لدراسات تنشر في مصر الا في مجلة الطليعة ، والى حد ما في مجلة الكاتب قبل أن يهاجمها تتار الثقافة وقبل ان يغزوها الجهلاء غير المفكرين .

٢ ــ انه يقف في اصرار وموضوعية في جانب الدين ، والدين الاسلامي بالذات ، وهو في تصوره دين سياسي ثوري ، والثورية فيه تتجلى في انحيازه الى جانب الكادحين ، وهذا الانحياز ــ أي انحياز الدين ــ في رأي الكاتب هو قمة النضوج السياسي وغاية العدل الحق .

وفيما يلي عرض للقضايا الثلاثة موضوع التعليق .

أولا : الموقف الماركسي وقضية الدين

بداية يؤكد الكاتب انه ليس جميع الماركسيين ملاحدة ، بل ويغلب على ظنه ان الغالبية منهم ، خاصة في الوطن العربي والدول الاسلامية عموما ، ابجابيو التدين . وهو فوق ذاك مقتنع ان غوغائيي الثقافة في مصر حين يرفعون

* مدرس بكلية الهندسة جامعة الازهر

شعارات التفكير فى وجه الماركسيين العـــــرب لا ينطلقون من رؤية للواقع بقدر ما يصدرون عن جهل فاضح وببغاوية غبية منقولة عن الغـــرب الامبريالى .

وموضوع تسييس الدين ، أو تديين السياسة، خاصة فى الدول المسلمة ، موضوع يجب ان يتفق فيه الماركسيون مع القوى التقدمية على المستوى الاستراتيجى ، فالاتفاق التكتيكى فى هذا الشأن غير موضوعى من جهة ، وغير وارد بالنســـبة للمجتمع المصرى من ناحية أخرى . وهنا يجب ان ننبه الى ان الشعار الذى يرفعـــه بعض الماركسيين بدعوى تنزيه الدين عن النزول الى ارض الواقـــــع المتغيرة دواما ليس مواجهـــة صريحة للامر او قبول بالدين بقدر ما هو التفاف تكتيكى حذر حول قضية شائكة يعجز هذا البعض عن مواجهتها .

أما عن ضرورة الاتفاق الاستراتيجي فى هذا الموضوع فانها تنبنى على الامور التالية :

١ ــ الشعب المصرى ــ وكما اشار الاستاذ احمد حسين فى مقاله ــ شعب متدين بطبيعته، وارثه التاريخى الدينى عميق التأثير فيه للغاية ، وهو قد عرف التدين والتوحيـــد قبل معرفتـــه بالاديان السماوية الثلاثة ، وقد أكد تحضره المبكر دور التدين فى سلوكه وممارساته وشاهدنا على ذلك الاثار الفرعونية الدينية المنطلق ، واكده فى العصور المتأخرة الادوار الثورية التى لعبتهـــا الهيئات والمؤسسات الدينية وعلى رأسها الأزهر الشريف ، وشاهدنا على ذلك ايضا بقاء الكثير من العادات المصرية القديمة ذات الطابع الدينى والتى لايزال المصريون جميعـــا مســيحيين ومسلمين يمارسونها ومنها على سبيل المثـــال احياء ذكرى الاربعين للموتى .

٢ ــ الدين الاسلامى الذى تدين به اغلبيـــة الشعب المصرى ، هو بغير شك دين ســـياسى لانه دين حياة يومية ، وهو يسعى دواما لتحقيق العدل فى الارض قبـــل ان يمنى المسلم بثـــواب الاخرة . حقيقـــة ان القـــرآن الكريم والوثائق الاسلامية الاساسية الممثلة فى الحديث والسنة لا تقدم برامج مفصلة لحـــل جميع المشـــــاكل الاقتصادية والاجتماعية للمجتمعـــات ، وهـــو ما تقتضيه طبيعة دين ســـماوى يفترض فيـــه صلاحيته لجميع الازمنة والامكنة ، ولكن هـــذا لا يمنع وجود مؤشرات ازلية يمكن ان يستهدى بها المجتمع تحقيقا للعدل الاجتماعى والســـعادة الاقتصادية .

٣ ــ حقيقة ان الافكار والعادات السلوكية والثقافات وفقا لتصور الماركسى الذى تمثل البناء الفوقى للمجتمع والمعبر عن البنية الاقتصـــادية التحتية له ، ولكن هذا التصور لا ينطبق على الدين لعدة اسباب منها ان الدين فى حقيقته سماوى المصدر ولم تنتجه قريحة البشر الإحيـــاء الذين يغيرون المجتمع من طور اقتصادى الى طـــور اقتصادى آخر ، ومنها ايضا ان الدين الاسلامى بالذات قد عاصر مجتمعات عدة مختلفة فى بنيانها التحتى ولكنه فرض نفسه فى كل هذه المجتمعات . ولا ينفى هذا أن السلطة فى الكثير من هـــذه المجتمعات قد استطاعت أن تقحم بعض التفسيرات المتخلفة او المغرضة للدين الاسلامى فى الابنيـــة الفوقية ، ولكن هذا كله لا يمس جوهـــر الدين ولا يعيبه وان كان يعيب فقط بعض الذين تحدثوا باسم الدين الاسلامى الذى لا كهنوتية فيه .

هذا ونود ان نشير الى ان بعـــض الزعامات الماركسية وعلى رأسها **انجلز ولينين** قد اكدت أن العامل الاقتصادى وحده ليس محرك التاريخ ، وهو ما يعنى امكانية اعتبار الدين السماوى ــ من وجهة نظر الماركسيين ــ مستقلا الى درجة كبيرة عن البنيان الاقتصادى دون ان يعتبر ذلك هدما واضحا للنظرية الماركسية فى اســـتقراء التاريخ ، ومن المؤكد أن القبـــول بهذا ســـوف يقطع الطريق على المعادين للفكر العلمى التقدمى والذين يحـــاولون فى اصرار تضخيم أمر جانبى فى النظرية الماركسية ــ كما يعتقد الكاتب ــ بقصـــــد خلق تناقض رئيسى بين الاشـــتراكيين التقدميين وبين الجماهير الشعبية المتدينة .

٤ ــ خبرة المجتمعات العربية ، ومجتمعـــات الشرق عموما ، بالاديان تختلف اختلافا بينــــا عن خبرة الغرب . وعلى سبيل المثال فان مهازل صكوك الغفران وتعصب الكنيسة الغربيـــة ضد العلم والتقدم لم تعرفه الكنيسة الشرقية . اما عن الدين الاسلامى الذى يقرر مباشرة العلاقة بين العبد وبين ربه ويرفض رجل الدين واسطة بينهما فان مثل هذه الانحرافات المتصلة لم ترتبط به الا فى فترات الاضمحلال الحضارى والثقافى فى آن واحد . وهنا نستطيع ان نقرر ان التمرد على الدين ــ كما اقر الاستاذ احمـــد حسين ــ خبرة غربية خالصة نخطىء خطأ فادحا لو نقلناها عنهم .

وبناء على ما تقدم يتبين ان الاتفاق الاستراتيجى فى موضوع الدين ضرورة يمليها عدم ورود التخلى عن الدين او الاتفاق التكتيكى بشـــأنه من جانب التقدميين المتدينين ، ويبررها لدى الماركسيين ــ الى جانب كونهم مسلمين اساســـا ــ ان مثـــل هذا الاتفاق لا يمثل صدعا رئيسيا فى البنيـــان النظرى الماركسى التكاملى الرؤية .

ويود الكاتب ان ينوه هنا بان مجلة الكاتب ، قبل صدور الاعداد التترية ، قد أدركت هـذه الحقيقة وقدمت دراسات تقدمية فى الدين والسياسة تولاها الاستاذ احمد عباس صالح والدكتور محمد احمد خلف الله ... كما ان الكتابات الدينية التى ظهرت فى العددين الاخيرين من الطليعة يجب ان تستمر وذلك بعد تخليصها من مهاترات الجهلاء .

ثانيا : الموقف من قضايا القومية والوحدة

الكراس الذى قدمه الحزب الشيوعى المصرى الى اعضائه فى عام ١٩٥٨ بعنوان « **مفهوم القومية العربية** » يمثل اتجاها صحيحا وصائبا كان من الواجب ان يستمر فيه الماركسيون المصريون فيما يتعلق بشئون الوحدة العربية ، ولكن يبدو انهم لم يستطيعوا وضع تصورهم الاممى للوحدة — والذى يعتبر ان الرابطة الطبقية ، فى مواجهة الرابطة القومية عند القوميين ، هى الوسيلة الناجعة للتوحيد بين افراد الجماعات لتكوين الامم على اعتبار ان الخلية الاساسية للمجتمعات البشرية فى نظرهم هى الطبقة وليست الامة كما يقول المنظور القومى البحت — فى وضعه الصحيح . وقد يكون هذا ما دفعهم فيما بعد الى العودة لتركيز على الفروق الاقتصادية والخصائص الاقليمية للكيانات العربية الجزئية والوقوف موقفا سلبيا الى حد ما من الممارسات العملية فى محاولات توحيد الاوطان العربية . وقد يكون المنطلق الامى ايضا هو الذى يدفع بعضهم لتصوير الصراع العربى الاسرائيلى تصويرا ساذجا باعتباره لعبة البرجوازية على الجانبين وعلى حساب البروليتاريا فى كل منهما وعلى اعتبار غياب البعد القومى فى الصراع غيابا مطلقا .

حقيقة ان المصاعب بل والفشل الذى واجهه التجارب الوحدوية فى العقدين الاخيرين قد قرب بين وجهتى النظر الماركسية المتشددة والقومية المثالية ، ولكن لا يزال يتأكد فى كتابات الماركسيين أن موقفهم من هذا الامر موقف تكتيكى يمكن أن يتراوح بين الموافقة على وحدة الامة العربية وبين معارضتها فى أوقات متقاربة وهذا موقف مقلق للقوميين العرب ، وبناء عليه فانه لابد من اتفاق مرحلى — ولنسميه شبه استرتيجى — للدعوة والعمل لتوحيد الاقطار العربية ، وبعد اجتماع الجماعات العربية فى امة واحدة ، وهو أمر قد يستغرق عدة أجيال ، وبالوسائل المتعددة التى يقترحها وينفذها الطرفان يمكن البحث مرة اخرى فى شأن الهدف الاستراتيجى النهائى الذى يتصوره الماركسيون وحدة أممية ، وتتصوره فئات اخرى وحدة اسلامية ، ويرى الكاتب — من وجهة نظره — ان كلا منهما هدف استراتيجى خيالى بعيد التحقيق مما يدعونا الى ضرورة عدم الاختصام بشأنه على أن نتركه قضية للاجيال القادمة اذا ما دعت ضرورات موضوعية الى التفكير فيه .

ويؤكد الكاتب ان مناقشة مثل هذا الاتفاق واقراره سوف يوسع القنوات والمجارى التى يصب فيها الفكر الماركسى ، وسوف يؤدى الى تحرك الماركسيين ، وهم قلة مهما حاول البعض تضخيمهم ، خلال كتلة جماهيرية تقدمية فى غاية الضخامة سوف يمكنها أن تتوصل الى وان تفرض الحلول الموضوعية العلمية لمشاكل المجتمع او المجتمعات العربية .

ثالثا : الموقف من قضايا الصراع الطبقى

دعا الاستاذ احمد حسين فى مقاله الماركسيين الى نبذ ممارسة الصراع الطبقى عن طريق العنف ، والحقيقة أن كاتب التعليق يتحفظ فى هذا الامر ويشك فى امكانية تحقيق نفع جدى من وراء مثل هذا الاتفاق ، ومرجع التحفظ ليس موافقة الكاتب للماركسيين المتشددين على ضرورة انتهاج العنف الطبقى والحقد الاقتصادى وسيلة للتغيير ، ولكن الرفض يرجع الى تصوره بان الصراع الطبقى حقيقة حياتية واقعية وليس قضية فكرية يمكن ضبطها بوضع معايير وقيود على الممارسات الفكرية ، فقد لا يفكر الماركسيون — وغير الماركسيين ايضا — فى الصراع الطبقى ولكن هذا لن يمنع حدوث تصادمات بين الطبقات او الفئات المختلفة حين تتأزم الامور ، ويتعطل التفاهم ، وتبالغ احدى الفئات فى استغلال واستنزاف الفئات الاخرى . والدليل على ذلك جميع الانتفاضات الطبقية التى ظهرت فى عصور التاريخ المختلفة وقبل ان يوجد ماركس وقبل ان يصاغ الفكر الماركسى فى نظرية محددة ، ومن هذه المصادمات على سبيل المثال الثورة الشعبية التى وقعت فى مصر الفرعونية فى نهاية حكم الدولة القديمة ، ومنها ايضا حركات القرامطة والزنج فى العصر العباسى . فاذا أضفنا الى ذلك تصور الكاتب ان محاولات تأميم الصراع لا ترضى عنها الطبقات المستغلة رغم أنها تحميها من غضبة الجماهير الكادحة لادركنا صعوبة الاتفاق فى هذا الشأن ، وليس أدل على ذلك من الهجوم الحاقد الذى مارسته قوى اليمين المتخلف على التجربة الناصرية فى تأميم الصراع الطبقى بدعوى انحياز

عبد الناصر ـــ ممثلة فيه سلطة الدولة ـــ لفئات العمال والفلاحين . وفى الحقيقة فان انحيـــاز عبد الناصر فى الستينيات وقبل حرب يونيـــو الشريرة لا ينكر ، ولكن كيف كان باستطاعته ان يقيم التوازن بين الذين يملكون ويستغلون وبين المستغلين الفقراء اذا لم يزحزح السلطة جهـــة اليسار ليدعم موقف الفئات الاخيرة صاحبـــة المصلحة الحقيقية فى المجتمع المصرى ؟ . ولعله من المفيد ان نذكر هنا بما طلعت علينا به **اخبـــار اليوم** فى عددها الرابع من يناير ١٩٧٥ ، وهى تدعو الى حرب اهلية يتجاوز فيها الجميـــع سلطة الدولة وصلاحيات المؤسسات اذ قالت تعليقـــا على المواقف غير المسئولة لبعض الافراد الذين اعتدوا على بعض الممتلكات العامة والخاصـــة وتبض عليهم بأمر من النيابة لينظر القضاء فى أمرهم « وفى رأى الكثيرين ان هـــذه المعـــارك لا تحارب بالشرطة وحدها ، وانما يجب ان ينزل الشعب الى الشـارع ويقاوم اى محاولة للفوضويين للتخريب » .. وهكذا تدعو اخبار اليوم لمواجهـــة الخطأ بالخطيئة ، وتعطى نموذجا لكيفية تصرف او تفكير بعض الفئات فى اطار الصراع المؤمم .

وفى وضـــوح اكبر يمكن القـــول ان تحييـــد المناقشات الفكرية لجميع القوى العقـــائدية لن يجمد التناقضات القائمة بين الفئات المختلفة ولن يلغيها ، ولذلك فان امرا كهذا لا يبحث على المستوى النظرى الفكرى بقدر ما يجرى بحثه على المستوى الحياتى اليومى لتحديد أين تقف سلطة الدولة فى حالة الرغبة فى تأميم الصراع . وانه من غير المنطقى ان يتفق المثقفون على أمور ليس لهم ولاية عليها وهى فى حقيقتهـــا تخص رجل الشـــارع وهـــو المؤثر فيهـــا والضابط لهـــا ـــ ان اراد ـــ فى آن واحد .

وفى النهاية فان كاتب التعليق يأمل ان تتولى مجلة الطليعة تجميع الاراء للخروج بموقف محدد للماركسيين فى هذه الامور الثـــلاثة ، على ان تتولى فى محاولة لاحقة تدارسها مع الفصـــائل التقدمية الاخرى للاتفاق او التوفيق بينهم جميعا .

القاهرة فى ١٩٧٥/١/٤ .

[٢] ليـــكن الحـــوار على أرض الواقـــع

أبو سيف يوسف

ربما كان لزاما علينا ـــ قبل ان نناقش الافكار والقضايا الرئيسية التى تضمنتها رسالة الاستاذ **احمد حسين** الى الطليعة ـــ ان نشيد بالاسلوب والروح اللذين حكما كتابة هذه الرسالة :

● فالاستاذ **احمد حسين** قد استهل رســـالته بتثمين موقف « الطليعة » التى تنشر من الاراء ما يخالف الرأى نتبناه ونؤمن به .

● وهو يحرص على ان يوجه الى « الطليعة » **رسالة** ، لا عريضة اتهام ، او مجموعة من السباب والمهاترات ، كما فعل ويفعل البعض .

● وهو ـــ فى الوقت نفسه ـــ يؤكد تقديره لكفاح جيل قديم باكمله من اليساريين ، صبروا وصابروا فى سبيل مبـــادئهم على الرغم من كل العنف الذى لاقوه (*) .

● وهو ينطلق فى توجيه رسالته الى الماركسيين القدامى منهم والمجددين وذلك من موقع الحرص على « ان تزيد فاعليتهم وقدرتهم على التأثير على سير الحوادث فى مصر » .

لهذا كله تثمن « الطليعة » بدورها الاسلوب البناء الذى حكم رسالة الاستاذ **احمد حسين** ، وهو الاسلوب الذى يســـتبعد ـــ ابتـــداء ـــ رفع التناقضات والخلافات بين الوطنيين والمناضلين الى مستوى التناقضات والخلافات الرئيســـية والعدائية .

ثم ندخـــل الى الموضـــوع ، فنقسم الرد على الرسالة الى قسمين : نعالج فى احدهما :

١ ـــ نقاط الاتفاق والالتقاء .

٢ ـــ ونعالج فى الاخر بعض نقاط الاختلاف .

فى نقـــاط الاتفـــاق والالتقـــاء

١ ـــ لا يمـــكن الا ان نتفق تمام الاتفـــاق مع ما ذهب اليه الاستاذ **احمد حسين** من ان هناك

خطرا داهما تمثله اسرائيل بمؤسستها العسكرية القائدة التى تندفع فى جنون الحرب الى الحد الذى قد يتهدد سلام البشرية بأسرها .

٢ — ونتفق مع تقييمه الصحيح لطبيعة العلاقة بين الولايات المتحدة الامريكية وبين اسرائيل . وذلك ، من حيث ان الولايات المتحدة تساند اسرائيل مساندة هائلة ، لان الاخيرة ، تدافع عن المصالح الامريكية . ونتفق ايضا ، على ان الولايات المتحدة هى المسئولة عن عربدة اسرائيل فى المنطقة ، وعن التهديدات التى تهدد بها ، بما فى ذلك التلويح باستخدام السلاح الذرى . كما ان الولايات المتحدة الامريكية تذهب فى هذه المساندة الى حد ارسال حاملة الطائرات الامريكية الى الخليج العربى « **لتتمرن على الحرب ضد العرب** » وذلك على حد تعبير الاستاذ **احمد حسين** .

ولقد ختم الاستاذ **احمد حسين** كلامه فى هذه النقطة بقوله :

« **هذا قضاء وقدر ان تكون الولايات المتحدة قد ربطت مصالحها باذلال العرب على ايدى اسرائيل** » .

ونحب ان نعلق على هذه العبارة قائلين :

ان الاستاذ **احمد حسين** يعرف الكثير عن الدوافع التى تحرك السياسة الامريكية فى الاتجاه الذى ذكره . واذا كان قد آثر الا يخوض فيها تفصيلا ، مكتفيا بعبارة « هذا قضاء وقدر » . فاننا نعلم — مع ذلك — انه حريص فى الوقت نفسه على الا يستنتج القارىء من هذه العبارة اننا بازاء « قضاء معين » « وقدر معين » غامضين وغير محددين . فلابد اذن ان نشرح ، ونواصل الشرح — بلا ملل — وبالاستناد الى وقائع الحياة اليومية ، وحقائق السياسة الدولية ، حتى يستقر فى وجدان الناس ، ان المشكلة بين الشعوب العربية وبين الولايات المتحدة الامريكية ليست مجرد سوء الفهم من قبل حكام الولايات المتحدة ، او جهلهم « بمصالحهم الحقيقية » ، أو مجرد « سيطرة الصهيونية الخبيثة » على المركز العصبية فى تلك البلاد . وانما تواجه الشعوب العربية استراتيجية لاتزال ثابتة حتى وان اختلفت اساليب التعبير عنها ، تبعا لاختلاف الظروف والملابسات الطارئة . واذا قلنا انها استراتيجية ثابتة لا تتغير ، فلانها نابعة من طبيعة النظام الامبريالى [الراسمالى] نفسه . فهذا النظام اذ يحركه فى الاساس دافع الربح ، فان تراكم الارباح الهائلة يؤدى بدوره الى تركيز رأس المال ، فاذا تم هذا التركيز ، اندفع النظام الراسمالى الى التوسع . ويكفى ان نضع هنا كلمة **البترول** لتعطينا كل العناصر الثابتة فى استراتيجية الولايات المتحدة . ذلك ان الدولارات التى تربحها شركات البترول [من ٤ آلاف مليون الى خمسة الاف] سنويا ، تتركز فى ايدى هذه المؤسسات الدولية العملاقة ، لتجعل منها قوى ضاغطة داخل الولايات المتحدة تستطيع ان تملى على الاوساط الحاكمة الامريكية السياسات التى تضمن الحفاظ على المصالح البترولية وتوسيعها وحمايتها : أولا وقبل كل شيء فى مواجهة شعوب المنطقة . هذه الشعوب التى ، اذ تنهض لحياة جديدة ، تسعى بالضرورة ، الى استرداد ثرواتها المنهوبة .

وان هذه الاستراتيجية ، قد طبقت ولا تزال تطبق ، بثبات ، فى منطقة الشرق الاوسط ، وان استخدمت فى تطبيقها اساليب واشكال متنوعة : فيها الترغيب والترهيب ، فيها الاغراء بالمعونات ونمط الحياة الامريكى ، وفيها المواقف العدائية التى تتدرج من الابتزاز السياسى ، الى الحصار والضغوط الاقتصادية ، الى تدبير الانقلابات الداخلية ، الى استخدام القوة المسلحة او التهديد باستخدامها .

واذا كانت تطورات الصراع ضد الدولة الصهيونية — فى ظل الظروف الدولية الراهنة — تطالب دول المواجهة بالمرونة فى الحركة ، وبالجمع بين الوسائل السياسية والدبلوماسية وبين الوسائل العسكرية ، وبالتركيز على جانب من هذه الوسائل فى وقت ، وعلى جانب آخر فى وقت آخر ، مع ما يفرضه هذا من اقامة علاقات سياسية واقتصادية مع الولايات المتحدة ، فان هذا كله ينبغى الا يحجب حقيقة ان طبيعة السياسة الخارجية الامريكية ، بل ولاى بلد ، انما تتحدد — فى النهاية — بجوهرها الاجتماعى ، او بسياستها الداخلية . والمعروف ان الولايات المتحدة الامريكية هى اقوى البلاد الراسمالية ، واشدها بأسا ، فاذا عرفنا هذا ، امكننا — فى الوقت نفسه — ان نحسم اكثر من قضية حيوية ، فى مقدمتها معرفة العدو الاستراتيجى والحلفاء الثابتون والمؤقتون على الصعيد العالمى . وامكن ان نصل الى معرفتهم — لا من خلال مواقف عاطفية ، ولا من مجرد ارتباطات او تقارب فكرى « ايديولوجى » وذلك وفقا لحسابات صارمة وموضوعية .

والى هذه النقطة سنعود فى مكان آخر ، بعد حين .

حول روافد الفكر الماركسى

ثم ننتقل الى القسم الثانى من الرد ، ويتضمن الاراء الخلافية .

وبادىء ذى بدء ، نتفق مع الاستاذ **احمد حسين** على ان **الماركسية فكر أوربى** . وهى

كذلك ـ فى الواقع ـ بحكم المولد والنشأة والنمو. الا ان السؤال الذى ينبغى ان يطرح هو : تحت اى باب من ابواب الفكر الادبى توضع الماركسية، والى اى تياراته تنتمى ؟

والجواب : انها تنتمى قطعــا الى التيـــار الثورى التقدمى والعلمى فى الفـــكر الاوربى الحديث .

وحتى نتفادى الاسهاب فى تاريخ الفكر الماركسى ـ فليس هذا مكانه ـ يمكننا ان نقول ان كارل ماركس [١٨١٣ ـ ١٨٨٣] قد عـــاش فى فترة ثورية عاصفة عمت اوروبا كلها . فلقد شهد فى شبابه الاثار المدمرة « للحلف المقـــدس » الذى كونته روسيا والنمسا وبروسيا، هذا الحلف الذى، ما ان انزل الهزيمـــة بنابليون ، حتى التفت الى تدعيم اسس الحـــكم المطلق ، فاطلق عنـــان الردة ضد كل المؤسســـات والافكار التقـــدمية والثورية التى زرعتها الثـــورة الفرنســـية فى اوروبا ، والتى خلفها جيـــل باكمله من كبـــار الفلاسفة والمفكرين والاقتصاديين والادباء ومن الساسة الثوريين .

غير ان الهجمة الرجعية على تراث الثـــورة الفرنسية . قد اثارت فى المانيا ـ وفى اوروبا كلها ـ ردود فعل قوية للغاية . وتمثل رد الفعل فى المانيا الواقعة تحت حكم الرجعية البروسية فى انكماش النشاط السياسى . لكن هذا الانكماش قابله تسرب التعبير الثورى الى ميادين الفلسفة والادب . هنا ظهر الفيلســـوف الالمـــانى **هيجل** [١٧٧٠ ـ ١٨٣١] الذى يعتبر ابنـــا بارا لعصر التنوير الفرنسى ، ثم داعيـــة بالضرورة للمذهب العقلى، وداعيا الى تمكين العقل من تغيير الواقع الاجتماعى واخضاعه. ولقد احتل هيجل بفلسفته مكان الذروة فى الفلسفة الاوروبية حتى قيل فى ذلك « ان تاريخ الفلسفة منذ وفاته يمكن ان يعد سلسلة من الخروج عليه وعلى اتبـــاعه » [1] .

والواقع انه اذا تركنا ـ مؤقتا ـ جانب المذهب فى فلسفة هيجل [وهو الجانب المحافظ] فقـــد انكب هيجل على دراسة تاريخ وواقع المجتمـــع والدولة فى المانيا . ووصـــل فى دراســـته الى اكتشافات ستظل حية على الدوام فى تاريخ الفكر الانسانى . ومن ذلك ما لاحظه ـ مثلا ـ من ان الانسان فى ذلك المجتمع الممـــزق ، والذى هـــو ميدان للقتال بين المصالح الخاصة ، انما هو انسان مفقود ، ومغترب ، وجانح ، بل ومسلوب الرجولة.

وتوصل **هيجل** الى ذلك من خلال رؤية فلسفية تقدمية تنظر الى العالم ككائن عضـــوى متكامل وحى . ثم شرع يدرس الفكر والمادة ، الطبيعـــة والمجتمع ، الانظمة السياسية والقانونية مستخدما المنهج الديالكتيكى الذى يمثل بالنسبة لفلسفته جوهر ابداعها الثورى الحقيقى والحى .

وهذا الجانب الحى من هذه الفلسفة هو الذى تمسك به جيل الشباب الالمان من اتباع **هيجـــل** لانهم كانوا قد نذروا انفسهم لاحداث تغييرات فى المجتمع . وكان **ماركس** احد هؤلاء الشـــباب . ولسوف يشرع ماركس فيما بعد فى تخليص هذا المنهج من كل رواسب الفكر الميتافيزيقى ويقيمه واقفا على رجليه . ولكن سوف تظل فلسفة هيجل أحد المصادر الرئيسية المكونة للماركسية . ولذلك لم يكن غريبا ان يلاحظ **ف . انجلز** شريك ماركس فى وضع اسس الاشتراكية العلمية :

« انه لو لم تكن الفلسفة الالمانية قد وجـــدت، من قبل ، وبصورة خاصة فلسفة هيجل ، لمـــا وجدت الاشتراكية العلمية الالمانية » .

لكن فلسفة هيجل لم تكن المنبـــع الوحيـــد للماركسية ، فقد كان ماركس يعيش ايضـــا فى ذلك المناخ الاوروبى الذى كان قـــد انتج ـ فى ذلك الوقت ـ أرقى ثمرات العلم والفكر ممثلة فى :

ـ الاقتصاد السياسى الإنجليزى .
ـ الاشتراكية الفرنسية .

أما عن الاقتصاد السياسى الانجليزى ، فمـــن المعـــلوم انه كان قـــد بلغ النضـــج على ايدى الاقتصاديين الكلاسيكيين، وعلى رأسهم آدم سميث وريكاردو . ومن اعمالهم استخلص **ماركس** الفكرة المحورية عن الدور الحاسم **للعمل** . ومنذ هذه اللحظة لن يصبح الاقتصاد السياسى مجـــرد علم يكتفى بتسجيل حركة الاســـعار ، والتغييرات الطارئة على ظروف السوق والاليات التى تتحكم فيه ، والاكتفاء بملاحظة الاشياء « من الظاهر » ومن خلال علاقاتها السطحية . لكن علم الاقتصاد السياسى سوف يصبـــح ـ عند **ماركس** ـ علم اكتشاف العلاقات الانسانية التى هى مصـــدر تكوين الظواهر والمنتجات والاشياء . وسيبرهن على أن التحولات الاقتصادية : العمل ، التبادل ، البضاعة ، القيمة ، النقد ، الســـوق ، الربح ، الاجر ... الخ هى مقولات تاريخية ، أى تنتمى الى نمط انتاجى معين فى عصر تاريخى معين . وعن طريق دراسة هذه المقولات التى تنطوى على تناقضات فيما بينها ، تدفع بهـــا الى صيرورة لاتتوقف ، سيدرس **ماركس** تاريخ المجتمع البشرى منذ المجتمع العبودى ليصل الى أن اسلوب الانتاج

(١) الموسوعة الفلسفية المختصرة : ترجمت تحت اشراف زكى نجيب محمود

الرأسمالي — هو نفسه — اسلوب مؤقت ونسبي، وان النظام الرأسمالي لابد وان يخلى السبيل للنظام الاشتراكي . وعندما توصل **ماركس** الى هذه النتيجة كان في الواقع قد توصل اليها من خلال تطبيق منهجه العلمي في دراسة التاريخ الانساني والمعروف باسم المادية التاريخية . مثبتا ان مجيء المجتمع الاشتراكي ليس مجرد حلم ، وانما هو تنبؤ علمي ، واكتشاف للقوانين الاجتماعية التي تحكم مجيئة .

وفيما يتعلق **بالمصدر الثالث** من مصادر الماركسية وهو « الاشتراكية الفرنسية » فان ماركس قد أكد انه استفاد فائدة كبرى من مذاهب الاشتراكيين الخياليين الذين نقدوا ، بعمق وقسوة ، مساوىء المجتمع الرأسمالي . ولكنه لاحظ عجزهم عن تحديد دور كل طبقة من طبقات المجتمع الرأسمالية ، وعجزهم عن فهم المضمون الاشتراكي لمقولات مثل « الشعب » و « العدالة » و « الحق » وخلطها بالمفاهيم الديموقراطية الليبرالية المقابلة . وبالنسبة لوسائل تحقيق الاشتراكية لاحظ ماركس انهم يدعون الى اصلاحات جزئية ، ويكتفون بالسعي الى اقناع أولي الامر بقوة الحجة — هنا — وعلى أرضية من الممارسة الثورية ، ودراسة لتاريخ صراع الطبقات في فرنسا — استطاع ماركس أن يكتشف الدور التاريخي للطبقة العاملة . وشرع يربط حركة هذه الطبقة برؤية علمية للعالم .

ولكن لماذا نتعرض هنا للمصادر الرئيسية الثلاثة للماركسية ؟ الجواب : لكي ندلل على ان الماركسية ولدت وريثة للعلم الاوروبي وللفكر الثوري والتقدمي . ولا مفر لمصر ، ام الحضارات ، والتي تسعى الى ان تأخذ من الحضارة المعاصرة ما يؤمن لها طريق التقدم المستقل من ان تتعرف على اسس علمية سليمة على كل العناصر الحية والتقدمية ، لا في الماركسية كما ولدت في المانيا فحسب ، ولا في الماركسية كما طورها واضاف اليها لينين ، وكما طبقت في الاتحاد السوفيتي فحسب ، بل على كل الاضافات التي جاءت اليها في اوروبا وآسيا وامريكا اللاتينية . بل وكل المساهمات التي اضافتها اليها قوى التقدم في داخل الولايات المتحدة الامريكية .

وهذا الامر لا يتصل من قريب او بعيد باستيراد او بنقل تجارب اشتراكية أخرى او انظمة ، وثورات اخرى ، لان النظرية وحدها — اي نظرية علمية — تظل عاقرا حتى تخصبها الاصالة الوطنية ، والنضال العملي على ارض الواقع فتلد التطبيق الصحيح . وهو لن يكون صحيحا الا اذا اخذ بعين الاعتبار التاريخ ، والخصائص القومية ، والعناصر الحية من التراث ، وغير ذلك من الشروط الموضوعية .

وعلينا بعد ذلك كله ان نتأمل في بعض تجاربنا الوطنية . فمن المعروف أن رواد النهضة الفكرية الحديثة في بلادنا ابتداء من الشيخ **حسن العطار ورفاعة رافع الطهطاوي** مرورا بقادة الفكر الاجتماعي والاقتصادي من امثال **قاسم امين وطلعت حرب** الى قيادات الحركة الوطنية المصرية ممثلة في **مصطفى كامل ومحمد فريد وسعد زغلول** .. الخ . هؤلاء كلهم ، وغيرهم من كبار علمائنا ومفكرينا وقادتنا قد تسلحوا في نضالهم ضد التخلف وضد الاستعمار بالفكر الفلسفي والسياسي والاجتماعي والاقتصادي الذي جسدته الثورة الفرنسية بمؤسساتها ، وبفكر غيرها من الثورات الاوروبية التي قامت ضد الاقطاع . ان هذه الثورات — كما هو معلوم — قادتها الطبقات البورجوازية [الرأسمالية] ضد الاقطاع ، ثم تخلت عنها بعد ان استقر لها الامر ، ثم انقلبت عليها بعد ان نمت الرأسمالية الى امبريالية . مع ذلك ، فان الانفتاح على الفكر البورجوازي الاوروبي ونشره في مصر لم يثر اطلاقا هذا الهلع على حضارة مصر وقوميتها وتقاليدها .. الخ . فكيف نتصور اذن ان تتهدد حضارة مصر تيارات الفكر الثوري والاشتراكي تلك التي تشكل قوة الصدام الرئيسية ضد الامبريالية والاستعمار والعنصرية طاعون هذا العصر وآفاته التي تتهدد كل انجازات الحضارة الحديثة ؟

المعركة المفتعلة :

واذا كان من الثابت ان مؤسس الماركسية : **ماركس وانجلز ولينين** قد حرصوا اشد الحرص على ربط الماركسية ربطا وثيقا بحركة العلم الطبيعي وتابعوا بعمق اكتشافات هذا العلم ، فان هذه الحقيقة تؤكد مرة اخرى ان الماركسية هي في الاساس منهج علمي ومرشد لدراسة العالم والمجتمع .

ومن هنا لا يكون هناك مجال لاعتبار الماركسية عقيدة من العقائد او دينا من الاديان . ولم يكن من قبيل الصدفة أن **ماركس** نفسه ، كان يقول عن نفسه ، انه ليس « ماركسيا » اي ليس صاحب « طريقة » او ملة من الملل . وليس من قبيل الصدفة ان يأتي **لينين** [وهو الذي اضاف اضافات اساسية الى الماركسية] ليخوض حربا ضروسا ضد كل من حاول من قادة الاحزاب الاشتراكية الديموقراطية [في الفترة من ١٨٧٢ — ١٩٠٤] ان يحرف الماركسية ويحولها الى نوع من العقيدة . وفي هذا اشار **لينين** — باستمرار — الى ان الماركسية تتطلب دائما ، بحكم جوهرها بالذات ، حسبان الحساب للحياة الفعلية ، للوقائع

الفعلية ،كما عارض — بحزم — تحويل الماركسية الى نظام من الصيغ والموضوعات المتحجـــرة ، المفصولة عن الحياة . واكد على ضرورة تطوير الماركسية تطويرا خلاقا وفقا للوضع التـــاريخى الجديد. وحث على عدم التشبث بنظرية الامس، بل معرفة تطوير وتطبيق الماركسية فى الظروف الملموسة ، وايجاد الحلول الصحيحة فى اى وضع مهما كان معقدا .

وكل من اطلع على كتابات الرواد من الماركسيين، يجد باستمرار انهم يؤكدون على حقيقـــــة ان الماركسية «**ليست عقيدة وانما هى مرشد للعمل**» . والواقع ، انه من التنــاقض البين ان تتحـــول الماركسية التى تؤكد على **مبدأ نسبية المعرفة** الى نوع من العقيدة الثابتة . انها — عندئذ — تفقـــد طابعها العلمى : فهى لن تصبح نظرية علمية [لانها وقفت وتجمدت عند مرحلة معينة من تطور العلوم] ولن تصبح ايضا عقيدة أيا كان نوعها ، [لانهـــا ، بعد ان سلمت بنسبية المعرفة ، تكون قد حكمت على نفسها بانها لا تصلح كعقيدة] .

وعندما نصل الى هذه النقطة نسأل :

فما هو اذن الشيء الرئيسى فى الماركسية .

يجيب على ذلك **لينين** بقوله :

« ان الرئيسى عند **ماركس** هو انه اوضح دور الطبقة العاملة التاريخى العالمى بوصفها بانيـــة المجتمع الاشتراكى » .

فهل نتفق مع ماركس فيما يذهب اليه هنـــا حول دور الطبقة العاملة ام نختلف ؟ من المؤكد ان هناك من يختلف معه وهناك من يتفق .ولكن هل اذا اتفق انسان او مجموعة من الناس على هذا الامر يترتب على اتفاقهم ان يهجروا بالضرورة عقائدهم الدينية ؟ من الواضح ان مثل هـــذه القضية غير واردة بالضرورة — على الاقل — فى مجال الممارسة العملية لقضايا التحول الاجتماعى. وهذا ما دلت عليه الحياة نفسها :

— فلقد كان **لينين** يقبل القسس فى الحـــزب الشيوعى .

— وفى ايطاليــا يصـــوت ملايين من المؤمنين الكاثوليك للحزب الشيوعى فى الانتخابات ، ومن بينهم عدد كبير من اعضاء الحزب .

— وفى اواخر الخمسينات لاحظ سفير امريكا فى الهند ان نصف المثقفين فى العـــالم لابد وان يكونوا قد درسوا الماركسية او اطلعوا عليهـــا . ونضيف انه من المستبعد ان يكون هذا النصف قد تخلى بالكامل عن عقائده الدينية او الفلسفية.

— وفى امريكا اللاتينية تجذب الحركة الثورية عشرات من رجال الدين الكاثوليك الى صفوفها دون ان يتخلوا عن عقيدتهم الدينية . وفى شيلى بالذات انفصل الجناح اليســـارى للحـــزب الديموقراطى المسيحى ، وانضم الى كتلة الجبهة الشعبية وكون حزبا منفصلا واعلن انه يؤسس نضاله على الايدلوجية الماركسية اللينينية .

وعند هذه النقطـــة نقول : اننـــا مقتنعون بان الاستاذ **احمد حسين** عنـــدما يثير قضية الدين والماركسية انما يصدر فى ذلك عن اخلاص تام وتعلق لاحد له بعقيدته الدينية ، **وعن حرص على وحدة كل** الوطنيين وكل قوى اليسار . ولكن لابد وان ندعوه الى ان يتأمل معنا واقعة ان اوساطا معينة فى الخارج تحاول ان تثير داخل المجتمع المصرى — وفى هذه الظـــروف بالذات — صراعات مفتعلة بين القوى الوطنية مستخدمة الدين ومتسترة وراءه. ان هذه الاوساط الاجنبية المعنية تحرض تحريضا شديدا ضد المـــاركسيين المصريين ، وذلك تحت شعار محاربة « الالحـــــاد المـــاركسى » . لكن الوطنيين المخلصين يعلمون ان الماركسيين المصريين لم يسبق لهم ان تحدوا المشاعر الدينية لشعبنا على اى وجه من الوجـــوه ، ولم يكن نشـــــاطهم — فى يوم من الايام — مركزا لاشهار الحرب على الاديان .

اذن يبقى هذا السؤال : فمن هم اصحـــاب المصلحة فى اختـــلاق هـــذه المعركة . انهم فى النهاية لن يكونوا غير اعداء الوحدة الوطنيـــة ، وغير اعداء الاشتراكية . وابسط دليل على ذلك اننا نعرف جميعا ان الفلسفات الوجودية فيهـــا تيـــارات الحـــادية . ونعلم ان كتـــب الفلسفة الوجودية كانت تنشر وتروج فى مصر . ومع ذلك لم نسمع ان تلك الاوساط المعنية نادت بالويل والثبور وعظائم الامور ، ودعت الى الجهاد ضد الوجوديين . فاذا نهضت الان لتفتعل حملة هوجاء ضد الماركسيين ، بدعوى مقـــاومة « الالحـــاد الماركسى » . فسوف نقول لهم : انه لما كانت هذه الدعاية الالحادية غير موجودة فلم تطلقون صيحة الحرب والقتال ؟

لكن قليلا من التأمل ، يرينا ان الامبرياليـــــة الامريكية والقوى الرجعية التى تدور فى فلكها قد بدأت هذه « الحرب الدينية المزعومة » منـــذ ان قررت مصر ان تسلك طريق التقدم الاجتماعى والاشـــتراكية . وان هذا الهجـــوم لم يتـــوقف قط ، وانه ظهر واشتد — بصور مختلفة — فى ايام الرئيس الراحل **جمال عبد الناصر** . وهـــذا ما دعا « الطليعة » الى ان توجه الى المؤتمـــر القومى العام للاتحاد الاشتراكى ما اســـمته « **بدوسيه مفتوح الى المؤتمر القـــومى** » . وفى القسم الثالث من الدوسيه نقـــرأ فى الفصـــل الخاص **بالقيم الدينية والروحية** . [ونرجـــو ان نستأذن الاستاذ احمـــد حسين ان نورد هـــــذا الاقتباس المطول] :

« **ان قضية تدعيم القيم الروحيـــة والخلقيـــة تطرح بالضرورة على المؤتمر ان يحسم المشـــكلة**

التي تفتعل افتعالا لخلق حاجـز بين الدين وبين الاشتراكية . وحتى تحبط كافة المحـاولات التي تبذل لوضع الجمهرة الغفيرة من المتـدينين بين اختيارين مزعومين : الدين او الاشتراكية . مثل هذه المحـاولة المفتعلة التي تضر في رأينـا ابلغ الضرر ، بمصـالح جمهـور المؤمنين ومصـالح الثورة الاشتراكية على حد سواء .

ونقطة البدء ، هي ان نحـدد بحسم الاهداف والارض المشتركة للاديان وللنظام الاشتراكي .

والواقع ان الاديان والاشتراكية يهـدفان الى اقامة عالم من الاخوة الانسانية تتأكد وتتعزز فيه صفة الانسان كانسان ، ويصبح فيه الانسـان أرقى المخلوقات وأجدرها بالتكريم والاهتمام .

« وتتفق الاديان مع الاشتراكية في ان لكل منها موقف نضالي محدد يرفض الخضـوع والاذعان للظواهر والانظمة الاجتماعية التي حكم عليهـا التاريخ بالزوال ـ فالاسلام والاديان عمـوما في نشاتها الاولى تحـركات ثورية قاومت احتـكار الاقوات ، وعارضت الرق ، ورفضت التمييز بين الناس على أساس اللون والجنس والطبقـة ، وأدانت وحرمت الربا باعتباره كسبا « لم يبـذل فيه جهد ، وقدست العمل الشريف . واقامتعلى اساس هذا كله نظاما من العلاقات والقـواعد الاخلاقية .

« ومنهنا لانخالالدين الا متفقا معالاشتراكية، عندما تنظموتقود الصراعضد الاستعمار العالمي، وضد احتكاراته وضـد نظـرياته في التفـرقة العنصرية ، وحروبه ومخططـاته ضـد البلدان النامية ، وضـد محـاولاته لتسـخير العلم والتكنولوجيا لمحق الحياة من على وجه الارض.

« فالموقف العملي ، والنضال المباشر ، من أجل صيانة السلم ، واستخدام العلم لمصلحة تقـدم البشر ورفاهيتهم ، والكفاح ضد الفقر والتفرقـة العنصرية ، وقبل كل شيء ضـد الاسـتعمار والراسمالية .. هـذا النضال ، هـو الموقف المشترك الذي ينبغي ان يلتزم به المتدين المخلص، والانسان الاشتراكي سواء بسواء . وهنا يتضح انه لا تناقض بين ان يكون الانسان متدينا وبين ان يكون اشتراكيا في آن واحد . وليس هناك اي تناقض بين الدين وبين الاشتراكية عندما يدعوان الى ان يتحمل الانسان مسئوليات وواجبـات اجتماعية واخلاقية محددة ، في هـذا العـالم الأرضي بالذات . وقديما اوضح بعـض المفكرين الاسلاميين انه لما كان الانسان متدينا بالطبعفان القيم الاخلاقية لا توجد الا في المجتمع ، ولا يمكن ان يوجد سلوك اخلاقي خارج المجتمع .

« الا انه لا يخفى اى قوى دولية واجتماعية معينة ، حاولت ، وتحاول ان تستغل الدينورجال الدين لتبقى هذا البلد او ذاك في فلك التبعيـة والاستعمار ، ولتبقى الطبقات الكادحة فيبراثن الطبقة الاقطاعية والراسماليـة . وقـد برهن التاريخ على ان المتدينين الثوريين قد رفضوا هذا الموقف . وعلى العكس ، وجدوا في تعـاليم الدين ما يحفزهم على ان يستندوا الى العاطفـة الدينية التي تستحوذ على الجماهير ليعملوا على ايقاظ شعوبهم من سباتها ، ثم على حشدها ضد الغزاة والمستعمرين . وكان هذا بالدقة تاريخ الاسلام في فجر الحركة الوطنية التي ولدت في القرن التاسع عشر . فبينما سعى الاستعمار عن طريق الارساليات الدينية الى تخدير الشـعوب قامت العناصر الثورية في البلدان العربية ،تحت لواء الدين ، بدور وطني تحريري ضد الاستعمار (الافغاني فيالشرق العربي ، وحركة العلمـاء بزعامة بن باديس في الجزائر .. الخ) وكانت لمواقفهم آثار بعيدة المدى في ايقـاظ الشـعور الوطني والحفاظ على اللغة والتراث القومي » .

« فالقضية التي يجب ان تحسمها القيـادات المستنيرة في الاتحاد الاشتراكي هي انه اذا كان الاسلام قوة دافعة للتحـرر الوطني في فجـر الثورات الوطنية ، فانه لابد وان يكون ايضاقوة دافعةومناصرة للتحرر الاجتماعي فيعصر انتصار الاشتراكية . وهذه الاجابة يجب ان تجد طريقها الى الدروس الدينيـة التي تلقى في دور العلم ، بحيث ينتهي عزل التعاليم الدينية عن المشكلات السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، بل وعـن مشكلات الحياة اليومية التي نحياها » .

هذابعض ماكتبته هيئة تحرير الطليعة عـام ١٩٦٨ في الدراسة المقدمة على صفحاتها الى المؤتمر القومي للاتحـاد الاشتراكي .

ومن هنا فنحن ندعو الاستاذ **احمد حسين** الى ان يشاركنا البحث عن هؤلاء الذين يحاولون ان يفتعلوا معركة متسترين ومسـتخدمين الاديان والعقائد .

ثم نعقب على تساؤله عما اذا كان الماركسيون المصريون « ينحون كل ما يتعلق بالدين كنوع من التاكتيك » بعد ان « سلموا بان الدين لا يقاوم ». فنقول بالاضافة الى كلام **الطليعـة** « عـن القيم الدينية والروحية :

● ان الماركسيين المصريين يؤكدون بشـكل مطلق على حرية الاعتقاد وممارسـة الطقـوس الدينية .

● ان الماركسيين المصريين يؤمنون ان غالبية المتدينين في مصر وهم جمهرة الشـعب المصرى وكتلاته ، الغالبة ليسوا مجرد رفاق طريق لهمفي النضـال من اجـل الحـرية والديموقراطية والاشتراكية . بل هي قوى استراتيجية في هذا النضال .

قضية العنف والطبقية

يذكر الاستاذ **احمد حسين** فى رسالته ان « هناك خصوصية اخرى للمصريين ، يجب ان يعرفها كلماركسى ،اذا اراد ان يجد مستمعان بين جمهرة الشعب . فهذا الشعب يؤمن بحق كل انسان فى الحياة [لانه منحضر متدين] ولايسيغ مسائل الطبقية وحكاية تصفية الطبقات بالعنف، ان حياته تقوم على الحب والتآخى وتكره أى تعاليم تقوم على الحقد .. » .

والذى نحب انؤكدعليه هوانالماركسية لايمكن ان تكون مجموعة من التعاليم تقوم على الحقد. هى رؤية علمية ، كما اسلفنا . وهى اذ تعلى من شأن الفكر ودوره فى احداث التغيير الاجتماعى ترى ان الفكر يصبح قوة مؤثرة وفعالة عندما تتبناه الجماهير . وفى هذه الحالة نحن لسنا بصدد خلق احقاد بل بصدد خلق الوعى الثورى بشروط الحياة الاجتماعية . وهذا الوعى ينمو ويتكون فى الممارسات اليومية تحت تأثير الفكر الاشتراكى وذلك فى ظروف محددة تاريخيا . ولابد وان تستند دعاية الاشتراكيين الى تحليل دقيق وموضوعى وبعيد عن الانفعال للطبقات الاجتماعية ،ولدورها ولحركتها ،ولعلاقات القوى فيما بينها .

فليست القضية عند الماركسيين هى تسعير الانفعالات والاحقاد لان هذا — فضلا عن انه يؤدى دائما الى طريق مسدود ، فان المبدأ فى الماركسية يظل — علىالدوام — هوالحرص على ان تتعلم الجماهير من خبرتها العملية .ومنخلال هذه الخبرة ترفض هذا الشعار او ذاك ،وترفض هذه السياسة او تلك . والامثلة الحية لا تدخل تحت حصر . ففى الثلاثينياتدعا الحزبالشيوعى فى فيتنام الى اعتبار الاقطاعيين المعادين للاستعمار الفرنسى جزءا من الجبهة الوطنية، فادخلوهم فيها وابقوا على ممتلكاتهم ولم يصادروا غير ممتلكات المتعاونين مع الاعداء .

واما عن قضية العنف ،فان الكلام قد يطول حولها . ولكن المنطلقات الماركسية فى هذا معروفة . وهى ان الماركسيين يدعون ويفضلون التحول السلمى للاشتراكية . فان الحرب الاهلية تكلف الجماهير الشعبية آلاما مبرحة وتشيع الفوضى وتدمر قدرا كبيرا من الثروات وادوات الانتاج التى يحتاج اليها النظام الثورى الجديد ليثبت اقدامه . ومع ذلك فالمسألة ليست مسألة نظرية مجردة . ويمكن ان نراجع تاريخ الثورات الاشتراكية من روسيا القيصرية الى الصين الى بلاد شرق اوروبا ، الى اليونان الى شيلى لنرى بوضوح ان الماركسيين لميكونواهم البادئين والبادرين بالعنف . بلكانت القوى الرجعية المستندة الى قوى أجنبية وجيوش استعمارية . واذا كان الماركسيون فى تلك البلاد قد اضطروا احيانا للرد بالعنف فلم يكن الهدف تصفية الطبقات بالعنف ، اى التصفية البدنية لافراد هذه الطبقات ، بل استخدام جهاز الدولة لتصفية العلاقات الاجتماعية المتخلفة . ولكن ربما يسر الاستاذ **احمد حسين** ان يشار فى هذا المقام الى برامج بعض الاحزاب الماركسية [الشيوعية والعمالية] فى اوروبا فهنا سوف نجد ان تهديد الديموقراطية البرلمانية فى تلك البلاد انما يأتى — بالاساس — من اقصى اليمين الاجتماعى، بينما نرى ان الاحزاب الشيوعية فى ايطاليا وفرنسا ليست بعيدة عن ان تأتى الى الحكم عن طريق الانتخابات العامة .

أما فيما يتعلق « بالطبقية » التى يشير اليها الاستاذ احمد حسين فان هناك عددا من النقاط :

١ — يعترف **ماركس** نفسه بان الفضل فى اكتشاف وجود الطبقات فى المجتمع ، وفى اكتشاف صراعها فيما بينها لا يعود اليه بحال من الاحوال . وانما قام بهذا مؤرخون بورجوازيون فى فرنسا قبل ان يولد **ماركس** بحقبة طويلة . فالطبقات الاجتماعية والصراع الطبقى ليست اختراعا ماركسيا .

٢ — انالماركسيين لايطرحون قضية الطبقات لمجرد اثارة الاحقاد ضدها . لكنهم يطرحونها فى اطار تاريخى محدد ومن منظور اجتماعى محدد . فاذا كان هدفهم بناء مجتمع اشتراكى يقوم على العلم والتكنولوجيا ، ويحقق تكافؤ الفرص لكل انسان ، ويؤمن وفرة حقيقية فى الانتاج، فأنهممن هذاالمنظور — مثلا — يعالجون قضيةالطبقة الاقطاعية ،اى من زاوية انها تكوين اجتماعى متخلف لا نؤدى سيطرته على المجتمعالا الى تكريس التخلف والجهل والمرض . وهكذا.. وفى مصر — مثلا — يطالب الماركسيون مع غيرهم من اليساريين بتصفية الانشطةالرأسمالية الطفيلية . وفى الوقت نفسه يطالبون بتقديم مساعدات للرأسمالية الوطنية المنتجة ، لعلمهم بانها تستطيع خلال مرحلة تاريخية باكملها ان تساعد — تحت قيادة قطاع عام قوى ، وتخطيط مركزى — على زيادة الانتاج .

الاتحاد السوفيتى طبيعة العلاقة

تضمنت رسالة الاستاذ **احمد حسين** عددا من النقاط عن الاتحاد السوفيتى يحدد فيها ، ما يجب ان تكون عليه العلاقة بين مصر وبين الاتحاد

الســوفيتى ، ثم ما يترتب على ذلك من مواقف يقترح على الماركسيين المصريين ان يأخذوا بها .

١ — « اول هذه الاقتراحات على الاطلاق ، هوعدم الخلط بين الاتحاد السوفيتى، كقوةعظمى فى العالم يجب ان نعمل حسابها دائمـا ، وبين المبادىء الماركسية » . ثم يضيف :

« من هنا يجب ان يدرك كل شاب وطنى ان لا تلازم بين الصداقة السوفيتية وبين اعتنـاق الماركسية » .

٢ — « اذا كان الاتحاد السوفيتى قد اقتنـع اخيرا بان ما يحقق مصلحته هـو ان يسـانـد القضية العربية ، فليس عندنا نحن المصريين الا ان نقول للاتحاد السوفيتى اهلا وسـهلا بكل من يعاوننا .. الخ » .

٣ — يذكر الاستاذ احمد حسين « ان كثيرين يتصورون انروسيا كانت صفرا قبلثورة اكتوبر، وانها اصبحت بعد هذه الثورة مائة » ثم يضيف : « فليس الاسـاذج من يتصور ان روسيا كانت كما مهملا وان الشيوعية هى التى جعلت منها شيئا مذكورا » .

ثم نناقش **النقطة الاولى** ، وترانا نتفـق على الفور مع الاستاذ **احمد حسين** عندما يقـول انه يجبعدم الخلط بينالاتحاد السوفيتى — كقـوة عظمى — فى العالم وبين المبادىء الماركسـية . وانه لاتلازم بين الصداقةالسوفيتية وبين اعتناق المبادىء الماركسية . ان كل هذا صحيح :

١ — لان العـلاقات بين الدول ذات النـظم المختلفـة فى عصرنا هذا تفرضهـا ضرورات موضوعية ، ولا تؤسس — ولا يمكن ان تؤسس على مجرد التقارب أو الوحدة فى الايديولوجية.

٢ — لان المبادىء الماركسية ليست احتكارا للاتحاد السوفيتى ، بل انها لم تكن روسية بحكم النشأة ، وان كانت قيادات الحـزب الشيوعى السياسية قد أضافت اليها وطورتها وطبقتها على الظروف النوعية الخاصة التى كانت سائدة فى روسيا عند قيام ثورة اكتوبر .

٣ — لان النظام السوفيتى الوليد ، قد تمسك بحزم بالمبدأ اللينينى القائل بعدم تصدير الثورة ، وبامكان قيام الثورة الاشـتراكية وتوطيـدها ، ونجاحها فى بلد واحد ، وبذلك استبعد الحـزب الشيوعى فى الاتحاد السوفيتى كل الاتجـاهات المغامرة التى كانت تزعم ان الثورة الاشتراكيـة الوليـدة لا تسـتطيع ان تعيش الا اذا واكبتها ثورات بروليتارية اخرى فى الخارج .

٤— لان هذا المبدأ ثبتت سلامته بكيفيةمطلقة. فبعد انتصار الشعوب السوفيتية على جيـوش ١٦ دولة اجنبية حاولت ان تعيد النظام القـديم ، عجزت الـدول الامبريالية ان تجدمبررا تقنع به الرأى العام فى بلادها لتشن الحرب ضد الاتحاد السوفيتى بزعم انه يصدر الثورة الى الخارج .

٥ — لان السياسة الخارجية للاتحادالسوفيتى تقوم ، منذ ثورة اكتوبر ، على مبادىء ثابتـة ومستمدة من طبيعة النظام الاشتراكى السائد . فمن المعروف — كحقيقة علمية — ان السياسة الخارجية لبلد من البلاد هى امتـداد لسياسته الداخلية . ومن هنـا حكمت علاقة الاتحـاد السوفيتى بالدول الاخرى — بمافى ذلك بلادنا — علاقات خارجية تقوم على التعايش السلمى ، والنضال ضد خطر الحرب النووية العالميـة ، ومساندة قضايا التحـرر الوطنى ، والسـعى الى اقامة علاقات دولية متكافئة بينجميع الدول، على اساس المساواة والمنفعة المتبادلة ، وعدم التدخل فى الشئون الداخلية .

اذن ، فى علاقة مصر بالاتحـاد السوفيتى ، لم يكن هناك تلازم بين الصداقة السوفيتية وبين اعتناق الماركسية. ولقدسبق **للطليعة** انوضحت هذه القضية بمزيد من التفصيل ، اكثر من مرة. وهنا ارجو ان احيل الاستاذ **احمـد حسين** الى عدد اكتوبر ١٩٧٣ من **الطليعة** ، فقد جاء فىمقال لكاتب هذه السطور تحت عنوان « **حـوار مـع ورقة المتغيرات** » [وكانت **الطليعـة** قـد بدأت تناقشورقةالحوار التىطرحها الاتحاد الاشتراكى فى عددى سبتمبر واكتوبر ، ما يلى :

ان « القضية ، برمتها ، فيما يتعلق بالاساس الذى تستند اليه العلاقات المصرية السوفيتيـة يعود كما كان : قضية سعى مصر فى وجهالقوى الامبريالية والاستعمار الجديد لبنـاء مجتمـع صناعى ، زراعى ، عصرى ومتقدم » .

وفى موضع آخر ، يذكر المقال نفسه ان :

« **من المتفق عليـه ان قـادة النظـام جمال عبد الناصر وانور السادات لم ينطلقا فى بنـاء وتحديد العلاقة مع الاتحاد السوفيتى منمنطلقات يسارية [او ماركسية على وجـه التحـديد] بل حكمت مواقفهما منطلقات وطنية مستنيرة قومية وتقدمية** » .

وربما اضفنا ، ان ما يجعـل من الصـداقة المصرية السوفيتية اساسا ثابتا فىالاستراتيجية المصرية هو ان كلا البلدين يلتقى مع الاخر حول مبادىء ثابتة فى مقدمتها النضال ضد الامبريالية والاستعمار والاستعمار الجديد والصهيونيـة والتفرقة العنصرية ، ومن اجل السلم العالمى ، ثم العمل فى الداخل من أجل التقدم الاجتماعى، على اساس من التنمية المستقلة ورفع المستوى المادى والثقافى للشعب . والى بعض هذا اشار الرئيس **انور السادات** عندما استقبلوفد قيادات الشباب الســوفيتى :

« وكما قلت فى مناسبات سابقة ، فان ظهور الكتلة الاشتراكية ، بعد الحرب العالمية الثانية، كان له اكبر الاثر فى حركات التحرر فى العالم الثالث » [الاهرام ١٨/١٢/٧٤] .

ولقد شقت هذه المبادىء طريقها الى التطبيق الفعلى فى الحياة .

والامثلة هنا كثيرة للغاية . نكتفى بالاشارة الى وقوف الاتحاد السوفيتى الى جانب مصر قبل حرب السويس فى تصميمها على كسر السلاح . وتصديه — بالانذار — للعدوان الثلاثى عام ٥٦ ، ثم وقوفه الى جانب شعب مصر فى جهده البطولى لبناء وطنه اقتصاديا . وفى هذا المجال بالذات تقدم الاتحاد السوفيتى مساعداته لبناء عدد من الصناعات الثقيلة والهندسية وتوفير مصادر الطاقة . ولم يكن من الصدفة ان يقوم السد العالى ومجمع الحديد والصلب ومشروع الالومنيوم والترسانة البحرية بمعزل عن دول الغرب الصناعية ، رغم ان مصر لم تقصر فى التوجه الى هذه الدول بطلب المعونة من اجل تصنيع البلاد . وربما نكتفى فى هذا الصدد بالاحالة الى خطاب **الرئيس السادات** عام ١٩٧١ عندما عقد المقارنة بين موقف امريكا وبين موقف الاتحاد السوفيتى من مصر ، فأوضح ان امريكا لم تقدم لنا مصنعا واحدا يمكن ان يكون له وزنه فى بناء اقتصاد وطنى مستقل . وعلى العكس من ذلك كان موقف الاتحاد السوفيتى ، الذى لم يقتصر تعاونه معنا على المجالات العسكرية ، بل لقد تعاون اكثر فى مجال صناعات حيوية ورئيسية، فى بناء عشرات المصانع وفى تقديم الخبرة الفنية. ثم انه لكل هذا ، ولغيره لم يكن من قبيل الصدفة ان تصبح الصداقة مع الاتحاد السوفيتى احد الابعاد الاستراتيجية الثلاثة لتحرير الارض ، الامر الذى ذكره **الرئيس السادات** فى يوليو ١٩٧٣ ، عندما حدد ان مصر تتحرك الى تحرير الارض على ثلاث محاور :

١ — القوة الذاتية المصرية .
٢ — الامكانات والدعم العربى .
٣ — الدعم السوفيتى .

وربما كان من المفيد ان نختم هذه النقطة بالاشارة الى انه حتى فى البلدان التى تحكمها احزاب ماركسية ، وماركسية لينينية ، والتى تربطها احلاف عسكرية مع الاتحاد السوفيتى ، لم يكن واردا فى تلك البلاد نقل شكل الدولة السوفيتية وتنظيمها الاقتصادى . وفى هذا يذكر الزعيم الالمانى الراحل **فالتر اولبرشت** ان الحزب الشيوعى الالمانى اعلن :

« **فى ندائه الذى اصدره فى شهر مايو ١٩٤٥ ، بانه لا ينوى نقل النظام السوفيتى أو تطبيقه فى المانيا** [٢] »

ثم ننتقل الى **النقطة الثانية** فى حديث الاستاذ **أحمد حسين** عن الاتحاد السوفييتى ، وملخصها انه اذا كان الاتحاد السوفييتى **قد اقتنع أخيرا بأن ما يحقق مصلحته هو أن يساند القضية العربية ، فليس عندنا نحن المصريين الا أن نقول له أهلا وسهلا بكل من يعاوننا** .

والحقيقة ان موقف الاتحاد السوفييتى من القضية العربية ليس مجرد قضية اقتناع لاحق ، لانه اذا وضعنا المسألة على مستوى « الاقتناع » فاننا بذلك نعيد طرحها على المستوى الايديولوجى .. ولكن لا بأس أن نفعل ، لان هذا يؤصل طبيعة العلاقة ، ويحدد أبعادها . وهنا نجد ان ما يقتنع به الاتحاد السوفييتى انطلاقا من أيديولوجيته الماركسية اللينينية ، ومن نظامه الاشتراكى هو :

١ — ان الامبريالية تظل على الدوام القوة الرئيسية التى تعادى النظام الاشتراكى ، ومن ثم فلا مهاودة فى مقاومتها . والتعايش السلمى لا يعنى بحال التراجع فى معارضة المخططات الامبريالية والتصدى لاحباطها بالتاكتيكات ، وأشكال الصراع وأساليبه التى تتفق مع علاقات القوى السائدة فى هذا الظرف أو ذاك .

٢ — ان مصدرا هاما من مصادر القوة التى يتمتع بها الاتحاد السوفييتى والبلاد الاشتراكية على الصعيد الدولى ، هو تحالفها الموضوعى ، وتعاونها مع بلدان حركة التحرر الوطنى ، ومع كل القوى المعادية للامبريالية ، فهذا احد الاركان الاساسية فى النظرية الماركسية اللينينية التى تعتبر ان الحركة الوطنية المعادية للامبريالية هى جزء لا يتجزأ من حركة الثورة العالمية التى تضم الثورة الاشتراكية وحركة الطبقة العاملة فى البلدان الرأسمالية . وترتب النظرية على هذا واجبات قبل الدولة السوفيتية نحو بلدان حركة التحرر الوطنى ، وتملى عليها ان تقدم لها التأييد والمساعدات المادية فى نضالها ضد الاستعمار العالمى ، ومن أجل القضاء على التخلف . وترى النظرية التى يعتنقها الاتحاد السوفييتى فى هذا المجال — وهذا ما أكدته وقائع الحياة — ان الاتحاد السوفييتى **اذ يساعد حركة التحرر الوطنى انما يساعد نفسه ، ويدعم مواقعه ضد**

[٢] فالتراولبرشت : حول قضايا البناء الاشتراكى فى جمهورية المانيا الديمقراطية .

العدو الرئيسى : الامبريالية العالمية . فهنا أيضا يلتقى الموقف المبدئى مع المصلحة العملية .

ولما كان من المعروف ان علاقات الاتحاد السوفيتى الاقتصادية بالبلدان النامية تختلف عن علاقات تلك البلاد بالبلدان الرأسمالية المتطورة ، فلا توجد للاتحاد السوفييتى احتكارات تنهب الثروات القومية والمواد الاولية او رؤوس اموال تستغل قوة العمل فى المصانع والمؤسسات [لان هذا مما يتعارض مع طبيعة النظام الداخلى للاتاد السوفيتى وهو النظام الاشتراكى] .. نقول أن هذا يعنى أن العلاقات بين مصر وبين مختلف الدول يجب ان تستند ، لا الى الاراء المسبقة ، ولا الاوهام الشائعة ، وانما الى حسابات دقيقة تدخل ، فى الاعتبار ، المعرفة المجردة بطبيعة النظام الداخلى لكل دولة نتعاون معها ، وعندئذ نستطيع ان نقول : ان هذه الدولة صديق مؤكد ، وتلك حليف محتمل ، وثالثة يمكن أن تحيد ، ورابعة لابد وان تقف فى صف الاعداء ، على الجانب الاخر من الخندق .

الاتحاد السوفيتى وروسيا القيصرية

يذكر **الاستاذ احمد حسين** ، انه من الخطأ القول بأن روسيا كانت صفرا قبل ثورة أكتوبر ، وانها أصبحت مائة بعد هذه الثورة .. ويدلل على ذلك بأن روسيا هى التى هزمت نابليون بعد أن ركعت أوربا أمامه . ونتفق مع الاستاذ أحمد حسين على انه من الخطأ — فى منهج التفكير ابتداء — ان يقال عند المقارنة بين عهدين مرا على بلد من البلاد ان العهد السابق كان صفرا ، وان اللاحق كان مائة ، لان السؤال هو صفر فى ماذا ؟ .. ومائة فى ماذا ؟ .. وتاريخ الشعوب والدول أعقد من ان يرد الى نسبة مئوية عند المقارنة بين ماض وبين حاضر .

لكن القضية الاساسية التى يبدو ان عليها خلافا ، هى تقييم أثر ثورة أكتوبر على دور ومكانة الاتحاد السوفييتى ، لاننا فى الواقع بازاء وضعين بينهما اختلاف نوعى تام .

وفيما يلى بعض الامثلة :

— قبل ثورة أكتوبر كانت هناك دولة هى روسيا القيصرية ، تحكمها طبقة اقطاعية عسكرية وبعد ثورة أكتوبر ، هناك دولة هى اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية ، السلطة فيها للطبقة العاملة . فى الدولة الاولى كانت الوظائف مقصورة على أبناء القومية الروسية ، ولم يكن مسموحا لابناء أية قومية من القوميات التى تربو على المائة بأن يستخدموا لغتهم الام . وبعد ثورة أكتوبر ، نشأت جمهوريات قومية بعثت لغتها وثقافتها وكونت جمهورياتها القومية الداخلة فى الاتحاد .

— وقبل ثورة أكتوبر ، كانت روسيا القيصرية عضوا فى عائلة الدول الامبريالية الكبرى ، لكنها كانت « القريب الفقير » والمهان فى هذه العائلة . كانت أكثرها تخلفا من الناحية الاقتصادية ، وأقلها تطورا فى الناحية الصناعية ، بل كانت شبه مستعمرة اذا وضعنا فى الاعتبار ان الصناعات التى قامت فيها كانت لرؤوس الاموال الاجنبية الغربية . وبعد ثورة أكتوبر ، نشأت أوضاع نوعية جديدة مكنت الاتحاد السوفيتى من أن يصبح — بمقاييس القوة الاقتصادية — الدولة الثانية بعد أمريكا . وقد قطع هذا الشوط فى أكثر من نصف قرن بقليل ، بينما وصلت امريكا الى ما وصلت اليه فى حوالى ٢٠٠ عام . ومع ذلك ، يضع الاتحاد السوفيتى — كهدف — اللحاق بأمريكا والتفوق عليها فى السنوات القليلة القادمة [١٩٨٠] .

— قبل ثورة أكتوبر ، كانت روسيا القيصرية بلد المجاعات والاوبئة التى تفتك بالفلاحين ، والامية المتفشية ، وبعد ثورة أكتوبر اختفت المجاعات الى الابد ، وقضى على الاوبئة وصفيت الامية ، ونهض البحث العلمى فيها نهوضا جبارا حتى انه يوجد فى الاتحاد السوفييتى من العلماء والباحثين ربع عددهم فى العالم تقريبا .

— قبل ثورة أكتوبر ، كانت روسيا القيصرية تتعاون مع الدول الامبريالية الاخرى على تقسيم الدول الصغيرة فى أوربا وآسيا ، وتعقد معها المعاهدات السرية ، وتفرض الامتيازات على البلدان المتخلفة . وبعد ثورة أكتوبر ، صفى النظام الامبريالى الرأسمالى فى سدس الكرة الارضية ، وقامت دولة تنتهج سياسة خارجية تعارض بالكامل السياسة القديمة ، وتعمل على مقاومة الامبريالية والتحالف مع حركات التحرر فى البلدان التابعة والمستعمرة .

ويمكننا ان نمضى الى ما لا نهاية فى سرد الوقائع التى تدلل على ان الخلاف بين روسيا القيصرية وبين الاتحاد السوفييتى خلاف كيفى من جميع الوجوه ، وعلى كل مستوى من المستويات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية .

أما استشهاد الاستاذ أحمد حسين فى التدليل على قوة روسيا القيصرية بالهزيمة التى أنزلتها **بنابليون** ، وبدورها المؤثر فى **مؤتمر فيينا** ، فيمكن

ان نقول ان هذا لا يصلح دليلا على الاطلاق ، لان أمامنا الامثلة التاريخية التالية :

— ان مصر هزمت انجلترا — سيدة البحار — فى رشيد ، ولم تكن مصر اذ ذاك دولة عظمى بأى مقياس .

— ان اثيوبيا هزمت ايطاليا — وهى دولة اوربية امبريالية — فى عام ١٨٨٧ ، ثم هزمتها مرة اخرى هزيمة منكرة عام ١٨٩٦ .

— ان قبائل البانتو والعرب الذين استوطنوا اوغندا وتنجانيقا تحالفوا فى عام ١٨٨٨ ضد الغزو الالمانى لبلادهم ، واستطاعوا ، تحت قيادة القائد العربى **بوشيرى** ، ان يطردوا الالمان المستعمرين عدة شهور . وكانت ألمانيا فى عنفوان القوة الاستعمارية والعسكرية .

واذا كان الاستاذ احمد حسين يدعو الى ان نتعامل مع روسيا باعتبارها قوة عظمى ، يجب ان نحسب لها حسابا — ونحن نوافقه على هذا — فان الامثلة التى ذكرناها تحتم ان نلجأ الى منهج آخر فى دراسة الدول التى نتعامل معها . لكن ، لن يكون هذا المنهج هو منهج المقارنات العامة والشكلية بين عهد تاريخى معين وبين عهد آخر . وفى حالة الاتحاد السوفييتى يجب ان تكون نقطة الانطلاق ثورة أكتوبر الاشتراكية . ولعله من المهم هنا أن نقول ان أكبر الدول الامبريالية وهى الولايات المتحدة ، تعالج هذه القضية بمنهجين :

— منهج هدفه تصدير الدعايات المضادة للاتحاد السوفييتى . وهنا تستخدم كل أساليب الحرب النفسية التى تقوم على تحوير الحقائق واجتزائها ... الخ .

— ومنهج آخر ، لا تستطيع ان تستغنى عنه الدوائر الحاكمة ، وهو الدراسة الجادة لما يجرى فى الاتحاد السوفييتى . ولهذا لا نستغرب ان تكون هناك فى أمريكا مراكز بحث وخبراء فى دراسة الماركسية اللينينية ، بل ان تتم ترجمات كاملة لما يصدر فى الاتحاد السوفييتى من دراسات فى مجالات الفلسفة والاجتماع وعلم النفس ... الخ .

ونعتقد — لمصلحة مصر — ان الروح العلمية تتطلب ان نأخذ بمنهج الدراسة الموضوعية والجادة .

فلنتنافس فى حب مصر

وأخيرا ، فانى أستأذن الاستاذ **أحمد حسين** ، فى أن يكون ختام هذا المقال الى الجميع الى كل مصرى مخلص لوطنه ، بار بأمته وشعبه .. سنقول :

لتكن المنافسة بين ابناء مصر على حب مصر ورقيها .

ونعتقد ان هذا الحب ليس مجرد موقف عاطفى .. فسيكون أضعف الايمان اذا وقف حب الوطن عند حدود العاطفة والشعور ، ولم يتحول الى طاقة عمل حقيقية ، والى موقف عقلانى يستطيع — على ارضية من الاحلام المشروعة — ان يرسم صورة طموحة وواقعية لما يجب ان تكون عليه مصر فى السنوات القادمة ، وللمهام المطروحة على قواها الوطنية والتقدمية .

وعلى سبيل المثال ، فان صورة الفلاح المصرى [ومصر فى الحقيقة هبة الفلاح الذى انتزع أرضها من براثن المستنقعات والصحراء] ، هذه الصورة ، لا يمكن ان تظل معلما من المعالم السياحية ، أو مصدر حنين رومانسى غامض لا يبعد الفلاح وقضاياه عن أطر الزمان والمكان ..

ذلك ان الوفاء لحضارة مصر ، والمحافظة عليها وبعثها ، لا يمكن ان تنسجم مع بقاء الريف المصرى مرتعا للفقر والتخلف والامية والامراض . ان هذه الحضارة يجب ان تكون — على الدوام — محل دراسة متعمقة ومستمرة ، اذا أردنا لها ان تكون أحد المكونات الضرورية لاى تقدم أو نهضة حديثة . لكن حضارة الماضى انما يتم الدفاع عنها بجدارة ، وتتألق بحق ، فقط عندما نخوض معارك المستقبل . هنا نضع بكل الحاح وتصميم قضية لحاق بلادنا بالثورة العلمية والتكنولوجية ، وليس متصورا ان تفعل بلادنا هذا الا فى اطار بناء دولة مستقلة ، ديموقراطية ومتقدمة — وبالتحديد — الا فى اطار الاشتراكية ، فهى التى ستؤمن لمصر تقدما سريعا فى مجالات العلم والتكنيك .

وعندما تتمكن بلادنا من ان تطور بمعدلات سريعة الصناعات الالكترونية ، والالات الحاسبة الاوتوماتيكية ، وتطوع الطاقة الذرية والشمسية وتصنع المحركات الصاروخية ، وتصنع آلات للتعليم الذاتى والترجمة ، وعندما تستغل بلادنا مياه البحر ، وتزرع الصحراء ، وتستغل الفضاء وتكون من رواد القمر ، وتقضى على الامية والامراض المتوطنة وتحل مشاكل سوء التغذية ... عندما تفعل مصر الاشتراكية هذا كله ، ستتألق حضارتها كما لم تتألق من قبل ، وتتأكد شخصيتها القومية والانسانية كما لم يحدث من قبل .. وسوف يبعث فلاحها وعاملها ومثقفها عمالقة كما لم يبعثوا من قبل .

ابراهيم يونس المحرر بالاخبار يكتب للطليعة عن عبد الناصر والاحزاب والمعارضة ، مقدما وجهة نظره الخاصة فى هذا الموضوع

عبد الناصر والأحزاب المعارضة

ابراهيم يونس

قال الرئيس الراحل **جمال عبد الناصر** فى احدى اجتماعات الامانة العامة للاتحاد الاشتراكى فى بداية تكوينه ، وبعد تجارب التنظيمات السابقة الفاشلة والسيد **حسين الشافعى** — أمين الاتحاد فى ذلك الوقت — يعرض عليه ما وصل اليه التنظيم ، من ان عدد اعضائه اصبح ٦ ملايين تقريبا ، قال الرئيس : ما معناه — أريد حزبا سياسيا وليس تجميعا عدديا .. اريد تنظيما له فاعلية ، وشكلا من مناضلين . .من المناضلين بتوع زمان الذين كانوا يضحون من أجل معتقداتهم وأفكارهم ..

وقد سبق نشر هذا المحضر فى احدى المجلات التقدمية فى منتصف الستينات .

وكانت هذه رؤية الرئيس **عبد الناصر** ، بعد عدة تجارب فاشلة فى التنظيمات الهلامية السابقة .. انه لا يريد مجرد عدد كبير يفقد التنظيم فاعليته . .ولكنه يريد تنظيما محكما له فاعليته من مناضلين .. وسماه فى ذلك الوقت حزبا اشتراكيا .. لقد كان ذلك حلما من احلام عبد الناصر كما ورد فى كلامه ولكنه لم يتحقق..

وقد حال دون تحقيقه المعارك الكبرى التى خاضها واهمها معركة ١٩٦٧ ، وما تبعها من هزيمة حصرت كل تفكير القائد فى ذلك الوقت فى اعادة بناء القوات المسلحة اداة التحرير لتنقذ شرف الامة وشرف الثورة ..

ولم يكن بالطبع بين صفوف الاجهزة التى تعمل معه من يريد تشكيل حزب له ايدولوجية ،ويضم بين صفوفه مناضلين ، يمكن ان يقولوا رأيهم بصراحة حتى التنظيم الطليعى الذى كان يمكن ان يكون نواة حزب منظم متماسك ، والذى ضم اليه — فى بداية تكوينه — عناصر وطنية معروفة ، بنضالها وتاريخها الوطنى ، وكذلك منظمات الشباب ، الا ان الضربات المتتالية لم تتجاوزهم من هذه الاجهزة فضلا عن الهزات المستمرة مثل ما حدث للدكتور ابراهيم سعد الدين مدير المعهد الاشتراكى ولطفى الخولى رئيس تحرير الطليعة وغيرهم من قادة تنظيمات الثورة وبعض الكتاب والشعراء وكلهم من المؤيدين لخط الثورة والمناضلين من اجل الاشتراكية ، حتى ان جريدة النهار اللبنانية نشرت فى ذلك الوقت بالمانشيتات العريضة — القبض على زعماء الاتحاد الاشتراكى .

لم يكن المطلوب اذن وجود حزب او تنظيم متماسك من اصحاب الرأى ، لان ذلك يمكن ان يؤدى الى كشف تلك الاجهزة والوقوف فى مواجهتها .. ناهيك عن فصل الصحفيين بالجملة سواء فى الجمهورية او بالاخبار كما حدث عام ١٩٦٥ .. فاصبحت الذيلية والتبعية هى ضمان الوجود فى هذه التنظيمات .. لان معظم العناصر

الوطنية صاحبــة الماضى اخــرجت من هـــذه التنظيمات او ابعدت عنها ، او ابتعدت ـ مـن نفسها ـ خـوفا من تسلط الاجهــزة صاحبــة القدرة على تحويل الاشتراكيين الى رجعيين ..

وحــلم المعارضــة

بقيت مشكلة الرأى الاخــــر .. او الرأى المخالف للرأى الرسمىاو لرأى الدولةوقيادتها..

وكثيرا ما كان يحلم الرئيس **عبد الناصر** بوجود نوع من المعارضة داخل النظام حتى يستطيع ان يكشف اخطاء السلطة وقال ذلك لكثير من القادة العرب الذى يثق فيهم ، ومن بينهم **كمال جنبلاط** الذى اعلن ذلك بنفسه .. بل اعلن فى أولدورة لمجلس الامة بعد النكسة ـ والالم يمزقه ممــا جرى ـ ان الناس متصورة انى استطيع انافعل المعجزات وان ما اقوله ينفذ فورا .. ان هناك ظروفا وتعقيدات وتوازنات داخل السلطة تحول دون تنفيذ اشياء كثيرة ..

لقد كانتالاجهزة التىاستشرت بشكلسرطانى تحــول دون تنفيذ كثير من احــــلام الرئيـــس عبد الناصر باساليبها المختلفة .. حتى الميثـــاق نفسه لم ينج منهم ، وكذلك بيان ٣٠ مارس . لقد حاولوا قتلهما ومنع تنفيذهما ..

مثل القيادة الجماعية وحرية الرأى وحـرية الفكر وحرية الكلمة .. لقد شوهوا المبـــادىء العظيمــة واخترعوا مؤامرات وهميـــة ليوقفوا تنفيذ الميثاق وبيان ٣٠ مارس .

كان الرئيس **عبد الناصر** يريد حــزبا . وكان يريد معارضة وان لم يحـــدد شكلها .. ولكنهم حالوا وحالت المعارك الكبرى دون تحقيقها ..

منــبر لجميــع الافكار

وكان الكثير مـــن المخلصين يريدون الاتحـــاد الاشتراكى منذ بداية تكوينه منبرا تتنفس فيــــه كل الافكار والاتجاهات حتى المخالفـــة .. وفى النور وليس فى الظلام .. وحتى لا يفكر احــد فى الاعمال السرية .. وقد حاول ذلك **كمـــال رفعت** وهو امين للدعـــوة والفــكر فى منتصف الستينات وفتح قاعة الشعب بالاتحادالاشتراكى، لكى تكون منبرا حرا لكل المصريين من اصحاب الرأى .. ونجحت التجربة واقبل عليها الالوفمن القاهرة والاقاليم يناقشون ويتبادلون **الرأى فى** جو من الحريةثميخرج الجميعبعدذلكبفكر موحد غالبا ما يكون هو فكر الثورة .. ولكن .... ولكن جاءت الجماهير مرة فوجدت القاعة مغلقة بالضبة والمفتاح والاجتماعات ممنوعة بأمر **على صبرى** امين الاتحاد الاشتراكى فى ذلك الوقت..

الديمقراطية عريقة فى مصر

ان الممارسة الديمقراطية والحياة الحزبيــة عريقة فى مصر مصاحبة للحركة الوطنية .. ولم تكن كلها شرا . بل كان فيها الكثير من الخير رغم محاولات الاستعمار المستمرة لافسادها ..

وقد ولدت الاحزاب الكبرى المؤثرة فى تاريخ مصر ونمت من خلال معارك وتضحيـات كمـــا اسلفنا وليست من الصالونات او الغرف المكيفة كما حدث فى لجنة الاستماع .. او اطارا جميلا للصــورة كما ارادها بعض المترفين الاثرياء من القشرة الفوقية للمجتمع .. ان الاحزاب فرضت نفسها ولم تستأذن ولم تصدر بقرار او بقانون.. ولو احس شعبنا العظيم انهفىحاجة الىالاحزاب هذه الايام لفرضها فرضا .

الاحــزاب والثــورة

بقى ، ان بعض هذه الاحزاب القديمة مهــد للثورة بنضاله وتعاون معها .. وعندما عجزت تنظيمات الثورة على القيام بواجبها قال الرئيس **عبد الناصر** اريد حزبا اشتراكيا مناضلا .. كما قال فى مناسبة اخرى **لجنبلاط** اريد معارضـــة تنبه لاخطاء السلطة ، وذلك بعد ان عجــــزت بالطبع التنظيمات القائمة على استيعاب طاقات الامة .. طاقة ٣٠ مليونا فىذلك الوقتواصبحت مصر اكبر بلاد العرب تنعم بفراغ سياسى ليس له مثيــل ..

ليســت جريمــة

ليست الدعوة الى تشكيل الاحزاب جريمة.. والاحزاب امل من آمال الامة التى تريد انتمارس حقها الديمقراطى فى الرقابة على اجهزة الدولة، وحقها السياسى فى التعبير عن نفسها بشـــكل منظم لحماية منجزاتها .. ولكن المشكلة كيف.. ومتىتنشأ الاحزاب السياسية وفىاىظروف..؟؟

ان الاحــزاب السياســية الكبرى والمؤثرة فى بلادها تنشأ كما قلنا من خــلال ظــروف موضوعية ، من خلال معارك كبرى وتضحيات وممارسات .. وتقدير التضحيات والتماسك بين اعضائها ووضوح فكرتها وظروف مجتمعها تعيش هذه الاحزاب والاحزاب لا تنشأ بقرار من السلطة .. وان حدثت فانها تموت فورا مثـل حـزب الشعب الذى الفه صـدقى باشا وسقط معــه واحزاب اخرى عربية كثيرة لها نفس الظروف..

والذين طرحوا فكرة الاحــزاب فى مصر لم يبحثوا ولم يقدموا كيف تشكل هذه الاحزاب .. بل ان الفكرة ليست واضحة تماما فى اذهانهم.. ومعظمهم كان بعيدا عن الاحزاب اثناء وجودها باستثناء الكاتب ابراهيم البعثى والمحاميان على الرجال وعبـد الفتاح حسن .. وبعـض الذين طرحوا الفكرة كانوا يريدون الهدم اكثر مما يريدون البناء .. او طرحوها بهدف الانتقام .. معظم الذين يروجون للفكرة لم ولن ينضمــوا الى اى احزاب فى حالة تكوينها .. لانهم لا يبغون تقييد انفسهم بأى التزام .. والحزبية مهما قيل فيها التزام .. اى التزام ..

فالذين ساهموا فى هدم الاحزاب قديمــــا وأثاروا الغبار طوال حياتهم على حـــزب ثورة ١٩١٩ .. حزب الاغلبية الشعبية لصالح الملك والاستعمار لا يمكن للشعب ان يصدقهم اليــوم وهم يروجون لعودة الاحزاب الذين كانوا أول من حمل المعول لهدمها ..

ولكنها موجة . .ارادوا ان يركبوها .. كما ركبوا كل موجة قبل ذلك .. وكما ركبوا موجة حل الاحزاب بالتحديد وبرروها وفلســفوها فى بداية الثورة ..

فضلا عن ارتباط هذه الموجــة برغبــة بعض رؤوس الاموال الاجنبية الواحــدة فى نوع من الحماية لها والضمان فى شكل منابر سياســية يفضل ان تكون احزابا او صحفا كبرى على الاقل وهذا ما يردد خارج بلادنا ..

كيف تنشــأ الاحــزاب ؟

فكيف تنشأ الاحزاب وفى مثل ظروفنا هذه..؟؟ اتصور ان الحزب فكرة يلتف حولها جماهير المؤمنين بها .. **وقد كنت حزبيا فى حزب طليعى ساهم فى التمهيد للثورة بكشف جـرائم القصر والاســتعمار والرجعية .. ومازلت أؤمن بدور الاحزاب الوطنية والتقدمية فى تدعيم المسـيرة الاشتراكية ..**

وأرى انه لابد من منابر تعبر الافكار فيها عن نفسها ، وتنمو وينمو معهـا اقتناع فئــات من الجماهير بها .. وعندما تصبح هـــذه الافكار تيارات لها جماهيرها يمكن ان تفصح عن نفسها وتفرض وجودها كاحزاب لها فكر ولها جماهير..

وهذه مسألة تحتاج الى وقت ، والى معاناة، والى تصارع افكار واساليب .. وقـد تستمر اعواما تتبلور هذه الافكار والاساليب ، وتعلن عن نفسها فى تنظيمات محددة ..

ويمكن ان نقول ان فكرة تعـــدد المنـابر والتيارات فى الاتحاد الاشتراكى يمكن ان يستفاد بها فى هذا الشأن حتى تنضج وتصبـح مؤهلة لاعلان نفسها كأحزاب ..

ولكن اى احزاب يمكن ان تنمو فى مصر..؟؟ هذا هو جوهر القضية التى يشفق علينا منهـا الكثير من الاخــوة العــرب .. هل نعود الى الخلف .. ؟؟ ام نواصل مسيرتنا للامام للتقدم..؟؟

لا اتصور ان هناك قوة يمكن ان تعيدنا الى الوراء فى مصر .. ولا خوف على الاشتراكية بعد ان اصبحت فى يد العمال والفلاحين وابنـائهم الضباط والجنود الذين عبروا الهزيمة والمستحيل واخوتهم المثقفين وابنائهم الطلاب الثوريين ..

لا توجد قوة تستطيع ان تعيد الارض للاقطاع بعد ان أصبحت فى يد الفــلاح .. لا توجد قوة تستطيع ان تعيد المصــانع للراسماليين بعد ان اصبحت فى يد العمال .. وقد لخص هذه القضية العامل انور الشماع عضو مجلس الشعب واحد قيادات الحركة العمالية وهو يدق بقبضة يده على المائدة فى لجنة الاستماع ، معلنا بأعلى صــوته راى ملايين العمال ، ثم يقول : « احنا بتوع المكن والانتاج » .

والحركة الفلاحية بتنظيماتها التعاونية فى مصر قوية والحمد لله . والحركة العمالية بتنظيماتها النقابية قوية والحمد لله .. وقد اعلنتا رأيهما فى شجاعة .. والحركة الطلابية وهى قوى اساسية من قوى الشباب قوية والحمــد لله ، وكل هؤلاء من اخــوة المثقفين وصــغار الموظفين والضباط والجنود ، يشكلون القوى الاساسية لهذه الامة .

فلا خوف على المنجزات الاشتراكية والتقدمية .. لا خوف على مكتسبات الثورة .. لا خوف من بعض الاصوات .. حتى لو كانت عالية ، لانها لا تمثل واقعـا موجودا .. لا خـوف من مفكرى الصالونات الذين أيدوا ضرب الحزبيـة ويريدون اليـوم ان يركبوا موجة اعادتها .. الشـعب يعرفهم ويعرف مواقفهم .. ويوما ما سيحاسبهم على مواقفهم المتناقضة ..

واذا وجـد الخـوف من هـذه الاصـوات ، فالاشتراكية أضعف من أن تعيش فى مصر .. وهى ليست كذلك والحمد لله .

فلا خوف على الاشتراكية من الدعوة الى قيام الاحزاب .. فالتيارات التى سـتوجد من خلال المنابر ستكون فى نطاق الاشتراكية وداخل حدود فلسفة الثورة والميثاق وبقية المواثيق التقدمية .. وخير للاشتراكية أن تنمو فى ظل الديمقراطية والحرية فى مصر ، ليستطيع الشـعب ان يحمى مسيرتها ، من ان تعيش فى الظلام ، حتى ينقض عليها مغامر فى أى رداء يحاول البطش بها .

بالحـرية والديمقراطية سـتحمى الجمـاهير مكاسبها ومنجزاتها ، وستبنى وطنا عظيما خربت الحرب جـزءا منه .. وكمـا كانت مصر قلعة الاشتراكية فى العالم العربى ، ستظل وستكون منارة الحرية وقاعدة الاشتراكية والنضال العربى للوحدة العربية على أسس ديمقراطية ..

بقيت كلمة حول ارتبـاط الدعوة الى الاحزاب بالانتقاص من حقوق العمال والفلاحين .

لقـد طرحت قضـية الديمقراطيـة فى مصر وعودة الاحزاب فى ازمة مارس عام ١٩٥٤ بعد خلاف حدث بين أقطاب الثورة .

وارتفعت أصـوات تطالب بعودة الثوار الى ثكناتهم والغـاء قانون الاصـلاح الزراعى وأى مكاسب شعبية ..

وكان اجتماع نقابة المحامين ابرز تجسيد لذلك حيث قام محام يطالب بتقديم اعضاء مجلس الثورة الى محكمة الثورة ، ومحام آخر يطالب بالغـاء الاصلاح الزراعى .

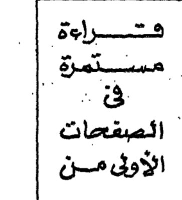
ونزل العمال الى الشارع يحمون الثورة .. وتراجعت الثورة فى قـرارات ١٨ مارس و٢٤ مارس الديمقراطية .

وتأخرت قضية الديمقراطية عشرين عاما .

وما حـدث فى لجنـة الاسـتماع من بعض المثقفين ، من تعرضهم لحقوق العمال والفلاحين والكلمات الطائشة التى أثيرت ضد هذه الحقوق مثل ضرورة بحث حكاية الـ ٥٠ ٪ ، وكلمة هل يقود الاعمى البصير وغيرهما ، مما حرض العمال على الوقوف بصـلابة خلف مكتسـباتهم ورفض قضية الاحزاب ومطالبتهم بالتحـالف أو الصراع الطبقى ، بما أوقف هذه الموجة من بعض المثقفين ركاب الموجات .. لقد أشعرنى هذا الموقف بأن بعض مثقفى مصر لم يستفيدوا من الدرس .. مما جـرى فى أزمة مارس منـذ عشرين عاما .. عشرون عاما لم يطوروا أساليبهم .. لقد اخذوا على العمال والفلاحين جدتهم فى التعبير ونسوا انهم هم الذين بـدأوا بالهجـوم رغم ثقـافتهم ورفاهيتهم وأدبهم وذوقهم .. لم يمنعهم كل ذلك من ان يقـولوا هـل يقود الاعمى البصـير .. ويقصدون بالاعمى جماهير العمال والفلاحين .

لقد أضاع هؤلاء المثقفون قضـية الدعوة الى تشكيل الاحزاب ، لانهم اركبوها دعوة اخرى هى الانتقاص من حقوق العمـال والفلاحين .. وهل يمكن ان تقوم أحزاب بغير عمال أو فلاحين .

كانت سـقطة لهؤلاء المثقفين المنعـزلين عن الشعب ، وعن جماهيره .. فسقطت دعوتهم بعد ان كشفوا عن نواياهم بأن الدعوة الى تشـكيل الاحزاب كما طرحوها كانت حقا يراد به باطل .. هو الاعتداء على العمال والفلاحين ومكاسبهما .





... ويأتى عام ١٩٤٦ بأحداثه المثيرة .

مصر تتفجر ثورية ، وتنتفض حقدا ضد السراى ، والاحتلال وصنائعه ، وضد تسلل السيد الامريكى الجديد .

يأتى عام ١٩٤٦ ليجد الوطنيين والثوريين المصريين وقد انتظموا جميعا فى صفوف المعارضة ضد اعداء ثلاثة ...

- الحكم الملكى .

- الاحتلال وصنائعه من الخونة الذين يحاولون ان يكبلوا مصر بمعاهدة تخون المصالح الاساسية للوطن .

- الاستعمار الامريكى الزاحف ...

فماذا كانت تفعل « أخبار اليوم » فى ذلك الحين ؟

مرة أخرى .. لن نلجأ الى التخمين .. أو الى مجرد الاقتباسات وانما بنصوص كاملة ، ذات طابع وثائقى . من «فمهم ندينهم» .. وهم لا يزالون يركعون سجودا للملك الطاغية ويدعون مصر كلها للركوع معهم ..

وهم يروجون فى هستيرية واضحة للسيد الامريكى الجديد ويخلقون منه محورا لدعاياتهم .

.. وهم يقفون وحدهم من اجماع مصر كلها .. مصر كلها ترفض معاهدة صدقى - بيفن .. وهم وحدهم يؤيدونها .

٢٠ مليما



حكمة اليوم

للناس في الحرية آراء خاطئة .. فهم يزعمون ان الحرية ان يفعل المرء ما يريده . لكن الحرية الحقيقية هي ان تزول كل القيود التي تمنع المرء من تأدية واجبه

روبرتسون

• — لماذا ساءت العلاقات بين القصر والوفد ؟

جسابو .. على الملك !

لم يكشف حضرة صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا الحاكم العسكري ، ورئيس الوزراء غير الشرعي ، بعض كلمات التحقيقات ... البلاد الشرعي ، من الصحف ولم يكتف باعتبار كل محب للملك كارها للنحاس باشا ، وكل صديق للقصر عدوا للنحاس باشا ، وكان ...

هي من تصرفات صبري أبو علم باشا ، وغيره من خصوم سراج الدين باشا ، الذين كانوا يكرهون ... وجحدوه صلته الوثيقة ... بالرئيس الجليل ، حتى اصبح الوزراء الوفديون يحاولون ... تخلصا من مكرم الكبير ليحل مكانه مكرم الصغير !

ولكن الذي لا يعلمه الناس ان فؤاد باشا شخصيا ابلغ القصر انه بصفته وزير الداخلية المختص لا يوافق على تعيين صبري أبو علم باشا أميرا للحج ! !

وهكذا كان صبري باشا يظن ان القصر هو الذي رفض تعيينه ..

وعارض في ادخاله الوزارة ، ولم يدخل الا تحت الحاح الرأي العام !

وما كاد يتولى عبد الحميد عبد الحق وزارة الشئون الاجتماعية ويخرج مكرم عبيد باشا من الوزارة حتى ... وقال لي انه اعتزم الاستقالة من منصبه ، وان الأمل لا يطاق ..

فنصحناه ان يبقى ، وان يحاول اصلاح ما فسد ... وما كاد ينجح في وزارة الشئون حتى شاءت العصا السحرية ان ينقل الى وزارة الاوقاف ! والسر في ذلك ان العش كره ان يرى وزيرا ناجحا ، وزاد الكره عند ما التف حوله العمال ...

وذات يوم أصدر رفعة الحاكم العسكري قرارا ، بأن لا تنشر تصريحات لعبد الحميد عبد الحق ، وسمع عبد الحميد بذلك فصبر واحتج وقال انه سيستقيل ...

٥ دقائق مع نشأت باشا

قال لنا سعادة حسن نشأت باشا سفير مصر السابق في لندن :

١ — انا مشتغل الآن بالصناعة والاقتصاد ، وان ابتعد عن الاشتغال بالسياسة انما ابعث لذلك مصلحة البلاد ، لأني اؤمن ...

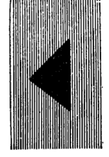
وبينما اضواء « المجد الباهرة » تسلط على الملك الطاغية والاستعمار الامريكي وصنائع الاحتلال الذين صاغوا معه وخضوعا له معاهدة حاولوا عبثا ان يكبلوا بها مصر .. بينما المديح يزجي بغير حساب على كل عدو للشعب ، فانهم يهاجمون الوطنيين والثوريين ويعرضون بهم . ولعل هذا طبيعي تماما .. فهو الوجه الاخر لنفس العملة .

● ونقدم مثالا واحدا من هذه الهجمات .. ضد الشباب الوطني الذي اختار لنفسه طريق النضال ضد الاحتلال وضد صنائعه .. كيف هاجموه ..؟ كيف ادانوه مسبقا .. ؟ كيف ملأوا صفحات جريدتهم تهويلا .. وتشنيعا .. وهجوما على اناس لم يزالوا بين يدى النيابة .. تماما كما يفعلون اليوم ..

والمفاجأة الكبرى هي ضد من وجهت هذه الهجمة الشرسة .. ؟ ضد من بالذات .. ؟

والسؤال هو .. هل التاريخ يعيد نفسه .. ام ان ما نقدمه وما سنقدمه من وثائق ليست سوى مجرد أدلة .. وقرائن في جريمة اكتشفتها أجهزة الامن بعد تسع سنوات من عام ١٩٤٦ .

ولنقلب معا .. صفحات من تاريخ لا يحتاج لأي تعليق .



مغزى انتصار الجمهوريين
أمريكا لا تؤيد الصهيونية بعد الآن

نيويورك — لمراسل « أخبار اليوم » الخاص :

بدأت امريكا تستأنف حياتها العادية عقب الانقلاب السياسى الكبير الذى جاءت به أول معركة انتخابية دارت هنا فى فترة مابعد الحرب .

فقد هزم الحزب الديمقراطى — حزب الرئيس ترومان — امام الجمهوريين ، وفقد السيطرة على مجلس النواب والشيوخ ، وأسفرت الانتخابات عن استنكار عام لسياسة الرئيس ترومان الداخلية ، كما بينت ان الجمهوريين سيتغلبون على الرئيس ترومان ، أو أى مرشح آخر من الحزب الديمقراطى فى انتخابات الرياسة القادمة فى عام ١٩٤٨ .

والان ماهو مغزى انتصار الجمهوريين ؟ وماهى النتائج التى ستترتب عليه بالنسبة الى مصر والى سائر بلاد العالم . ! على الرغم من أن انتصار الجمهوريين يمثل فى الواقع انتصار القوى « المحافظة » الا أنه يجب أن نذكر أن المعركة الانتخابية الاخيرة قد دارت حول خطوط السياسة الداخلية لا السياسة الدولية .

ولهذا لم تكن سياسة امريكا الخارجية وموقفها من هيئة الامم المتحدة ومعارضتها للتوسع والاستعمار محل اخذ ورد بين الفريقين اللذين خاضا غمار المعركة ...

وعلى المصريين وأبناء بلاد الشرق الاوسط الاخرى الذين جزعوا بعض الشىء نتيجة للانباء القائلة بأن امريكا تؤيد رسميا هجرة عدد كبير من اليهود الى فلسطين أن يطمئنوا الى أن تلك الخطوة لن تتخذ قطعاً بغض النظر عن نتيجة الانتخابات الاخيرة فقد كان الغرض من تلك التصريحات المؤيدة للصهيونية هو مجرد ارضاء اولئك الناخبين الذين يناصرونها، ويتفق الجميع هنا على أنه لا يوجد امريكى واحد مسئول يستطيع ان يقدم على اية خطوة قد تسىء الى الصداقة القائمة بين امريكا والدول العربية .... وخاصة ان معركة الانتخابات قد انتهت الان .

اخبار اليوم ٩ — ١١ — ١٩٤٦ — العدد ١٠٥

الصحف الأمريكية تنصح مصر بعدم الالتجاء إلى مجلس الأمن

واشنطون ــ لمراسل « أخبار اليوم » الخاص :

نشرت جميع الصحف الامريكية تفاصيل الاتفاق الذى تم بين صدقى باشا والمستر بيفن ، وقالت ان مصر تقف اليوم حائرة بين طريقين : توقيع الاتفاق وما فيه من التزامات، وبين الالتجاء الى مجلس الامن ».

وقالت هذه الصحف أن الدوائر المطلعة في واشنطون تعتقد ان الاتفاق الجديد هو نجاح لمصر . وأن الالتجاء الى مجلس الامن للحصول على شروط أفضل هو مضيعة لوقت مصر ، ومضاعفة لمتاعبها وآلامها، وأن الذى سيربح فى معركة هيئة الامم المتحدة هى بريطانيا لا مصر .

فان باب هيئة الامم المتحدة مفتوح على مصراعيه للامم الكبرى ، أما الامم الصغرى فلا تستطيع الدخول الا من سلم الخدم .

انه خير لمصر أن تواجه بيفن وحده من أن تواجه بيفن هذا وقد اختفى وراء هيئة الامم المتحدة يحركها كما يشاء ».

[أخبار اليوم ٢٣/١١/١٩٤٦ ــ العدد ١٥٧]



(يتحدث النعاسيون الآن عن الدستور والحريات العامة)

المسيح الذى صلبوه . . ثم بكوه !

جلالـة الفـاروق
يرسم بيده
خريطة مصر والسودان

اعتاد جلالة الفاروق فى سنى حداثته ان يهدى الى جلالة والده العظيم هدية فى يوم عيد ميلاده .

وفى سنة ١٩٣٥ خطر لجلالة الفاروق ان تكون هديته لجـلالة والده خريطـة مصر والسودان تحت التاج المصرى .

وقبل ان يحل موعد عيد الملك الراحل الكبير بفترة كافية من الزمان عكف جلالة الفاروق على صنع هذه الخريطة من الجبس المجسم



ولشد ما كانت دهشة بعض المحيطين بالفاروق لما رأوه يتوسع فى الخريطة بحيث تشمل السودان .

وأدرك جلالته مايدور فى أذهانهم فقال لهم « لقد ربينا على ذلك ... مصر مع السودان والسودان مع مصر » .

وفى يوم عيد مولد جلاله والده رفعها اليه مشـفوعة بتهنئـة ، واغتبط جـلالة الملك فؤاد بالهدية اغتباطا عظيما ، واحتفظ بها فى جناحه الخاص بقصر القبة ، معتزا بشعور ولى عهده .

ومرت الايام ، وسافر الفـاروق الى انجلترا ، ولم يلبث جلالة الملك فؤاد ان انتقل الى جوار ربه ، فعاد الفاروق الى مصر ، ولما دخل الجناح الخاص بالفقيد العظيم فى قصر القبة وجد لوحة تلك الخريطة فى طليعة مخلفات جلالته .

وفى السنة الماضية أهدى جلالة الفاروق هذه الخريطة الى الجمعية الجغرافية الملكية لتحتفظ بها كتذكار تاريخى .

ولم يذع يومئذ شيء عن هذه الهدية ، وعن قيمتها المعنوية والتاريخية مع أنها ذات شأن جليل ومغزى عظيم وقد قال جلالته ،وهو يأمر بارسالها الى الجمعية الجغرافية : « انى ارجو ان يوفقنى الله الى تحقيق ما تمثله هذه الخريطة .. تلك كانت أمنية جدنا محمد على الكبير وتلك كانت أمنية أحفاده من بعده .. وعلى هذا ربينا » .

[أخبار اليوم ١٩٤٦/١١/١٦ — العدد ١٠٦]

المعاهدة .. وتنابلة السلطان

الدكتور سعيد عبده

فى مصر طائفة من الناس يحلو لهم ان يناموا على الجسور كالتنابلة فاذا رأوا فلاحا يزرع ويلهث من التعب ويغتسل بالعرق والتراب اخذوا يسخرون منه ، ويرجمونه بالحجر ، وقد يقضون عليه ، فاذا نبت الزرع واينع قطفوا ثمره بلا حياء وأكلوه بشهية دون

مصرع أمين عثمان باشا

لندن ـ لمراسل «اخبار اليوم» :

قابل الرأى العام الانجليزى مصرع أمين عثمان باشا بالاسف والاستنكار ومامن شىء ينكره الرجل الانجليزى ويأباه مثل استخدام العنف والالتجاء الى الجريمة ، بسبب الخصومة السياسية ، وقد كانت هذه الجرائم السياسية معروفة فى انجلترا منذ ثلاثمائة سنة أى قبل أن يبلغ الشعب درجة النضوج السياسى ، اما الان فان الخصومة السياسية لا يصح أن تتحول الى عداوة شخصية ، بل يجب أن تظل محصورة فى نطاق البرلمان ، والصحافة .

ومما جعل اغتيال أمين باشا عثمان صدمة مفاجئة اليمة ، أنه وقع بعد قليل من زيارته للندن فى حفلة مشروع العلمين ، حيثكان باديا ما له من المكانة فى الاوساط الانجليزية الكبرى .

اخبار اليوم ـ ١٢ ـ ١ ـ ١٩٤٦ ـ
العدد ٦٢

علم الفلاح الشهيد . ان مهزلة من مهازل هذه الطائفة يمثل فصلها الاول على مسرح السياسة المصرية هذه الايام . لقد كنا نحلم بجلاء الانجليز عن أرضنا منذ ٦٤ عاما وفى الواحد والعشرين عاما الاخيرة كان كل يوم يشل قطعة من نصفنا الاسفل فى السودان، وكل ليلة تجتث منه بعضه ، ولا نملك لهذه الاشلاء الممزقة من جسدنا غير الدمع والانين .

وفى سبيل الجلاء وفى سبيل السودان أكلنا الحصرم وشربنا الدم وقربنا القرابين ادناها المال واغلاها الروح .

وجاء صدقى باشا فى فراش المرض والشيخوخة ، فاستطاع أن يحقق لنا الحلم ـ كله أو جله ـ وهو لا يدرى ان كان يموت دونه او يعيش حتى يراه .. جاءنا بمعاهدة تكفل لنا الجلاء وتعيد الينا وحدة الوادى تحت تاج الفاروق ، وتضم الاشلاء المبتورة الى الجسد المصدوع .وجاء صدقى باشا بكل هذا فوقفت طائفة التنابلة على حافة الحقل ـ ومنهم من كان يرقص فى الشوارع فرحا بمعاهدة سنة ١٩٣٦ ـ وقفوا يقصفونه بالحجارة ، ويحاربونه بفلسفة النصوص ، ويطالبون من مصر أن ترفض ما أتى به صدقى باشا وترفع شكواها الى هيئة الامم المتحدة أى أن تطلق عصفورا بيدها لتمسك عشرة عصافير وهمية على شجرة مجلس الامن .

يقول التنابلة من يضمن لنا جلاء الانجليز عن أرضنا فى الموعد الذى قررته المعاهدة للجلاء ؟

يقولون ان مجلس الدفاع المشترك ـ المجلس الاستشارى المؤلف من انجليز ومصريين ـ ستكون الكلمة فيه حتما للانجليز فأما عن الجلاء فان مجلس الامن الذى اصبح فى رأيهم منبر الحرية بين وم وليلة سيكون الضامن لتنفيذ ما يعقد بين اعضائه بعضهم

وبعض من معاهدات . واذا لم ينصفنا مجلس الامن فى عصفور واحد ، فهو أحـرى الا ينصـفنا اليوم فى مسالة عشرة عصافير ..

وأما عن مجلس الدفاع فالويل لنا من هذه القطرات التى لا تزال تسرى فى عروقنا من دماء العبيد .

ان مركب النقص يـلاحق هؤلاء التنابلة فيوهمهم ان المصريين جميعا مثلهم يجلسون مع الانجليز كما جلسوا هم يوما من الانجليز خشبا مسندة ، ودمى تتحرك اذا حـركها صاحبها ، وتنطق بما يوحى اليها ، وتبكى او تبتسم كلما أرادها على البكاء او الابتسام .

لماذا لا نحاول ان نداوى هذا المركب فى نفوسنا ونكون رجالا ونشعر بشعور الرجال ؟

ان السائل ليسأل هؤلاء التنابلة : هبونا رفضنا هذا الجلاء المعروض ، ولجأنا الى مجلس الامن فأخطأنا التوفيق فيه فماذا نحن فاعلون !

هنالك ينتفخون انتفـاخ الديوك الرومية ويقولون : يكون أمامنا الجهاد !

لقـد رأيت يوم الاثنين المـاضى انقـاض عربة ترام تحترق أمام كلية الطب ، ويتصاعد منها دخان أسود والسنة طويلة من اللهب البنفسجى ، ومع ان منظرها كان رائعا جدا ، وفاتنا جدا ، وجميلا جدا . فان تسعة اعشار الجمهور ، الذى مر من هذا الطريق ، والذى اضطره الحريق ان يعود الى البيت مشيا على الاقدام كانوا ينظرون الى هذا المنظر البهيج بعيون تفيض بالغضب والنقمة على هذا النوع الغريب من أنواع الجهاد .

دعونا نتحرر من نير الاحتلال بأى ثمن ونستنشق نسيم الحرية بعيدا عن الاقفاص .. نحن نعزو كل ما ذقناه من الشقاء والجهل والمرض والجوع والفسـاد الخلقى طـوال الستين عاما الماضية الى الاحتلال وفى يدنا الان ان نتخلص منه ونكون سادة انفسنا، ونعلم جهالنـا ، ونغنى فقـراءنا ، ونداوى مرضانا دون حسيب ولا رقيب ، واذا اضعنا هذه الفرصـة لان الذبيحة ينقصـها الكبد والطحال ، فقد تذهب الذبيحة كلها، وقد نتعرض للموت من الجوع ، وهى صفقة لا يرضاها لنفسه الا سفيه .

اخبار اليوم ــ ٢٣ ــ ١١ ــ ١٩٤٦ ــ العدد ١٠٧]

أمــين عثــمان

بقلم : علـى أمـين

صاحب هذه الصورة ـ وهو موظف فى الحكومة ـ اقسم بشرفه أن يقتلك ، احترس منه فى كل مكان ؟ ..

كان ذلك فى نهاية ١٩٤٣ وكان معالى أمين عثمان باشا ممسكا بهذه الورقة وبصورة شاب وسيم لما استدعانى الى مكتبه ـ وكنت مديرا لمكتبه ـ واطلعنى على الانذار الذى تلقاه من ادارة الامن العام ، بأن هناك مؤامرة بين عدد من الشبان ، وانهم أقسموا على قتل عدد من أصحاب المعالى الوزراء ، واختاروا لكل وزير شابا معينا .. وأن هذا الضابط بالذات هو الذى اقسم على قتل أمين عثمان !

كان أمين باشا ممسكا بصورة الشـاب ، وقد ظهر على وجهه الاحتقان ، وبدا عليه الاضطراب .

وقال لى وهو يطلعنى على صورة الشاب

ـ تصور أن هذا الشاب الصغير قرر ان يقتلنى ، انا لا أعرفه وهو لا يعرفنى ... لعله لم يقابلنى قبل الان ولم أتحدث اليه ومع ذلك أقسم أن يقتلنى .. ماذا فعلت ؟

ثم أشعل سيجارة وقال وهو لايزال ممسكا بالصورة :

ـ لقد اختاروا لكل وزير شابا يقتله .. وهذا هو الشاب الذى كنت قرعته .. أو كان هو من قرعتى !

فقلت له : لعلها مؤامرة ملفقة : ربما أراد أحدهم أن يشى بجماعة من الموظفين الشبان ، فادعى عليهم التآمر ، ونسب اليهم الرغبة فى قتلك .. اذ ليس من المعقول أن شابا يريد أن يقتل وزيرا يقسم بشرفه على ذلك علنا !

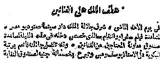
(وقد أثبت التحقيق فيما بعد اننى كنت على حق فى تصويرى للحادث) .

فقال أمين باشا :

ـ ظننت فى أول الامر أن الحكاية ملفقة وأعطيت الصورة للسكرتيرة لتحفظها ، ولكنى علمت من بعض المسئولين أن هناك مؤامرة

الأسبوع في صور





عطف الملك على الفنانين

في يوم الأحد الماضي ، شرف جلالة الملك دار سينما ستوديو مصر ، لمشاهدة فيلم ... خصص دخله في هذه الليلة لمساعدة صندوق معاونة المحتاجين من الفنانين ، وقد تفضل جلالته فأنعم برتبة البكوية على الاستاذ يوسف وهبي وتبرع بخمسمائة جنيه لصندوق النقابة .



في مأدبة رئيس الوزراء للسفير

في يوم الثلاثاء الماضي ، حفل قصر الزعفران بعدد كبير من أقطاب المصريين والبريطانيين ملبين دعوة دولة أحمد ماهر باشا رئيس الوزراء لمأدبة الغداء التي أقامها للسفير البريطاني وترى في الصورة سعادة [illegible] يليه دولة [illegible] ومعالي مكرم عبيد باشا وزير المالية



صاحب المصري في نيويورك

الأستاذ محمود أبو الفتح صاحب جريدة « المصري » في حجرته بفندق والدورف أستوريا بنيويورك يطالع نسخة من جريدته ، ويزور الأستاذ أبو الفتح أمريكا للاجتماع بخبراء الصحافة الامريكيين تمهيدا لمشروعاته الصحفية ولافتتاح مكتب لجريدته في نيويورك

حقيقية لقتلنا جميعا .. وعند ذلك فقط وجدت نفسي أفكر في الموت .. قبل الان كنت لا أهتم بالموت ، كنت أحسبه رحلة بسيطة بين الحياة والفناء !

كنت أخشى من الموت على أصدقائي وأحبائي ، ولكني لم أخشه مطلقا على نفسي ، أما الان فقد بدأت أكره الموت ، وأحب الحياة .

لو كان بيني وبين هذا الشاب صلة ، لرجوته أن يمهلني خمسة أعوام أخرى ، حتى تكبر ابنتي ، وأحقق آمالي .

قلت له : أنا أعتقد أن كثيرين لا يقرونك على رأيك السياسي ، ولكن لا يمكن ان يصل الامر الى حد القتل .

فقال : انني لا أصدق ما يقوله بعض الذين حولي من انى معبود الجماهير ، فانا أعرف أن الرأى العام لا يحبني ، ولكني لا أهتم بذلك ، وهذا هو الخلاف الوحيد الذي ينشأ بيني وبين النحاس باشا ، فهو يقول ان الرأى العام هو الذي يعود به الى الحكم ، وأنا أقول ان الرأى العام المصرى يكتفي بالتصفيق له عندما يتولى الحكم .

قلت له : ان الرأى العام قوة لا يستهان بها ، قد تكون قوة غير ايجابية ولكنها قوة لا يجوز تجاهلها ، لقد درستك وأنت تكسب الافراد ، فلماذا لا تحاول كسب الجماعات ؟ فأجاب :

– ان ارضاء الجماعات فن من الفنون ! انه يحتاج الى دراسة ومران وصبر .. وانني صبور مع الافراد ، ولكن أفقد صبرى مع الجماعات .

والواقع أن أمين باشا كان صبورا جدا مع الافراد ، ولكنه كان يفقد صبره اذا أحس أن كرامته قد مست .

ولقد حدث أن انعقدت اللجنة الاستشارية للشئون المالية في مكتبي ، وكان بين أعضائها محمود شكرى باشا والابراشي باشا وعبود باشا وبعض أصحاب الملايين .

واقبل أمين باشا فوقف الجميع لتحيته ، ماعدا المستر باكستر الخبير المالي البريطاني الذي كان جالسا على حرف المائدة واكتفى بأن رفع اصبعه الى رأسه وظل في مكانه !

وامتقع وجه أمين باشا واستدعاني الى جواره وأمرني بطرد الخبير المالي من الاجتماع !

ولما روى لي الحادثة رجوته ارجاء هذا الاجراء الى ما بعد الجلسة ولكنه أصر وقال ان هذا التصرف اهانة وانه يجب أن يفهم

المستر باكستر انه موظف مرؤوس لـوزير المالية .

وتدخل احد وكلاء الوزارات ، واقنعنا أمين باشا بعدم اثارة الحادث فى أثناء وجود الإعضاء .

واعتـذر المسـتر باكستر علـى ما حدث ، وانتهى الحادث بسلام . ولكن حدث بعد ذلك أن انتقد الخبير الانجليزى فى مذكرة سياسة وزير المالية ، فغضب أمين باشا ، وطلب منى أن اعد ردا شـديد اللهجة على الخبير ، فأعددت ردا حاولت فيه أن أفند اعتراضاته ، ولكن أمين عثمان قال : هذا رد ضعيف ، اننى اريد خطاب توبيخ لا خطاب غرام !

وكتب أمين باشا بخط يده خطابا شديد اللهجة ، أفهم فيه الخبير صراحة بأنه تعدى واجبات منصبه ، وان المطلوب منه هو بحث المسائل التى يحيلها عليه الوزير ، لا نقد اعمال الوزير المسئول .

ولم يكتف بذلك بل أمر باعداد مذكرة الى مجلس الوزراء بالغاء منصب الخبيـر البريطانى !

وتدخل اللورد كيلرن ، ولم ينته الحادث الا بعد أن اعتذر الخبير أمام عدد مـن المسئولين .

وكان رحمه الله يغضب لكرامة موظفيه كما يغضب لكرامته تماما ، وحدث أن أهان حمدى سيف النصر باشا - وزير الدفاع اذ ذاك - أحد صغار موظفى وزارة المالية ، فأمر أمين باشا الا يدخل وزير الدفاع وزارة المالية .. ولما حضر الى مكتبه منعه سكرتير أمين باشا من دخول مكتب زميله الوزير .

وأمر أمين باشا باعادة جميع طلبات حمدى باشا اليه مشفوعة بخطاب شديد اللهجة .

وحدث أن سب أحد الوزراء سكرتير أمين باشا لانه رفض ان يوصلـه تليفونيا بوزير المالية .. ولما اشتكى السكرتير لوزير المالية ، لامه لانه لم يشتم الوزير ، وعاقب امين باشا زميله الوزير بعدم محادثته تليفونيا اسبوعا كاملا ، لانه اهان أحد موظفى مكتبه ..

وكـان رحمه اللـه يعطف على المظلومين والمضطهدين وكان يقول لى :

- اننى جربت الظلم والاضطهاد فى بدء اشتغالى بالحكومة ولذلك لا أريد ان أرد عن بابى موظفا مضطهدا ! . وكان يدفع مـن جيبـه - عن طريقى - عشرات الجنيهـات شهريا ، وكان رحمه الله يوهم المحتاجين أن هذه المبالغ تدفع من خزانة وزارة المالية حتى لا يجرح شعورهم !

وحدث أن قرر لاحد زملائه فى المدرسة مرتبا قدره عشرة جنيهات ، وأوهمه انه وظفه فى الحكومة ، وكان أمين باشا يدفع المبلغ من جيبه الخاص .

وجاءنى الرجل ذات يوم يشكو ويحتج ؟

لماذا ؟

لاننى اصرف له عشرة جنيهات فقط ؟

وماذا تريد ؟

اعانة غلاء ؟

وتمالكت نفسى من الضحك ، وقلت له ان اعانة الغلاء لا تصرف الا بعد مرور ستة أشهر من بدء الخدمة ، واسعفنى قرار مجلس الوزراء فى هذا الشأن !

ثم حدث أن جاءنى بعد ذلك يطلب تطبيق قواعد الانصاف عليه !

ولما رويت الحادث لامين باشا ضحك وقال :

- لا مانع من تطبيق قواعد الانصاف ! احسبها وأنا ادفع الفرق .

وفى يوم السبت الماضى مات أمين عثمان صريع جريمة أنكرها خصومه ومحبوه ، وقد شيعه الى مرقده الاخير الذين خالفوه فى الرأى ، والذين ناصروه . فان امين عثمان السياسى كان موضع خلاف ، أما أمين عثمان الصديق فلم يختلف عليه أحد ..

[اخبـــار اليوم ١٢ - ١ - ١٩٤٦ - العدد ٦٢]

فاروق .. يحب العاملين

كريم ثابت بك

من العيوب التي ورثها هذا الجيل من الاجيال السابقة ، لا فى مصر وحدها بل فى الشرق كله ، ان الرؤساء وأصحاب المناصب الكبيرة يحاولون فى معظم الاحيان ، ان لم يكن دائما ، أن يعزوا الى أنفسهم فخر كل عمل يذكر ، وأن يقصوا مساعديهم ومرءوسيهم الذين كدوا وعملوا بدلا من أن يظهروهم وينوهوا بجهودهم .

فهذا المرض النفسى يحاربه جلالة الفاروق فى كل مناسبة ليرشد الرؤساء الى ما عليهم نحو معاونيهم ومساعديهم ، وليحيى جهود المعاونين والمساعدين تشجيعا لهم وتعزيزا لروح النشاط والاجتهاد بين زملائهم وأقرانهم .

ومن ذلك ما لاحظه الذين تشرفوا بمرافقة جلالته فى زيارته لمصلحة التليفون ــ فقد كان اذا أروه جهازا « مصرته » المصلحة سأل عن الموظف الذى اشتغل وتعب الى أن نجح فى « تمصيره » فينادونه ويقدمونه لجلالته فيصافحه ويرغب اليه فى أن يبسط له تفاصيل الجهاز .

وكان اذا قالوا له « ان هذا نظام وضعه احد موظفى المصلحة » سأل عن اسم هذا الموظف وطلب أن يراه ليسمع منه شرح العمل الذى عمله ، لا لان الرئيس لا يستطيع شرح هذا العمل بل لان جلالته يريد ان يبث هذه الروح ، روح الاعتراف لكل ذى مجهود .. بمجهوده .

وتجلى ذلك بأجلى مظاهره عند افتتاح جلالته لمعمل المصل واللقاح الكبير الذى انشأته وزارة الصحة فى « العجوزة » فجاء أكبر معمل من نوعه فى الشرق كله . فان جميع الذين تتبعوا سير العمل فى انشاء هذا المعمل يعلمون ما كان للدكتور على توفيق شوشة باشا وكيل الصحة والمدير العام الاسبق لمعامل الصحة من أثر عظيم فى تحقيق هذا المشروع واخراجه الى حيز الوجود ، ولم يكن ذلك مجهولا من جلالته فلما عرض عليه برنامج الزيارة أمر بأن يكون الدكتور شوشة باشا هو الذى يخطب بين يديه عند تشريفه سرادق الاحتفال ، فكانت لفتة لم يخف مغزاها على الذين عرفوا بها .

ولما طاف جلالته بارجاء المستشفى لم يترك للدكتور شوشة باشا ان يشرح له عمل كل قسم من أقسام المستشفى بل كان جلالته يسأل عن ذلك الطبيب المشرف على كل قسم ، فلما انتهت الزيارة تفضل جلالته فأمضى الدفتر الذى أعد تخليدا لذكراها والتفت الى الدكتور شوشة وأعرب له عن سروره العظيم بكل ما رأى . ثم دخل جلالته قاعة المكتبة فى المستشفى حيث كان مقررا أن تقدم المرطبات . وكان كبار الحاضرين قد اجتمعوا فى هذه القاعة وفى مقدمتهم ممثلو الدول الاجنبية ، فالتفت جلالته الى الدكتور شوشة وقال له « مبروك ياباشا » .

ولا أذيع سرا اذا قلت أن الاطباء الحاضرين كانوا يتوقعون هذا الانعام فلما أمضى جلالة الملك دفتر الزيارة وهنأ الدكتور شوشة باشا بعمله بدون أن يقول له شيئا ظنوا أن لا انعام هناك ثم فوجئوا به فى قاعة المكتبة فادركوا عندئذ أن جلالته أراد أن يجىء التقدير على مسمع من وزراء الدول وكبار الحاضرين .

وعلم جلالته بعد انصرافه أن والد الدكتور شوشة باشا كان موجودا فى الاحتفال فقال : لو عرفت ذلك لكنت طلبته وصافحته .

وهكذا يريد جلالته أن يكون توزيع التقدير بين العاملين ، فينال الرؤساء ما يستحقونه وينال المساعدون والمرءوسين فى الوقت نفسه ما هم جديرون به .

ومما يذكره الذين شهدوا زيارة جلالته للمعرض الدائم الذى انشأته وزارة التجارة والصناعة للصناعات المصرية الحديثة ان جلالته شاهد فى القسم الخاص بوزارة الزراعة رسوما أعجبته فسأل عن الموظف الذى رسمها فقيل انه غير موجود فسأل عن

اسمه فلم يعرف أحد من الحاضرين الاسم » فأمر جلالته بأن يبحثوا له عن هذا الاسم وأن يرسلوه اليه في القصر .

ولما وصل جلالته الى معروضات الاهلين فهم رجال وزارة التجارة انه يريد أن يترك للعارضين أن يتولوا بأنفسهم وصف معروضاتهم ، وكان جلالته يشمل العصاميين منهم بعطف خاص ويهنئهم بمجهودهم تهنئة حارة ».

وأتيح للذين رافقوا جلالته في جولته أن يروا بعض مظاهر ما اشتهر به من قوة الملاحظة ومضاء الذاكرة ». ومن ذلك أنهم علقوا عند مدخل المعرض خارطة تبين المراكز الصناعية في مصر ، وما كاد جلالته يلمحها حتى قال : « ان هذه الخارطة ناقصة » فهناك مراكز صناعية غير مبينة فيها .

والقى بعضهم نظرة على تاريخ الخارطة فاذا بها قد صنعت للمعرض الصناعى الزراعى السابق ! ولم يكن أحد يتوقع أن يكتشف جلالته هذه الغلطة ، ثم ابتسم جلالته وقال : « ان الخارطة خالية من كل اشارة الى المصانع الجديدة التى انشئت فى شبرا ».

ويعرف جلالته أسماء الصناع المافرين واحدا واحدا . ويعرف كثيرين منهم معرفة شخصية ، وليس أحب اليه من أن يشيد بمهارتهم وكفاءتهم .

ولا أعتقد أن فى مصر « داعية » للعامل المصرى أعظم من الملك فاروق . وكثيرا ما يطلع جلالته زائريه واخصائيه على مصنوعات دقيقة ناجحة وهو يقول لهم معتزا — لقد صنع هذا كله بأيد مصرية !

وجاءت الاستراحة التى بناها جلالته فى سفح الاهرام آية فى جمال البناء والزخرفة والاثاث . ولما دخلها جلالة الملك عبد العزيز آل سعود والامراء أنجاله لم يتمالكوا عن الاعراب عن اعجابهم الشديد بها فكان أول ما قاله لهم جلالته : ان كل شىء ترونه هنا صنعته يد مصرية !

وكانت جميع الهدايا التى أهداها جلالته للملك عبد العزيز من صنع صناع مصريين فجاءت شاهدا ناطقا بكفاءتهم ومهارتهم وكان الفاروق أول الفخورين بذلك .

أخبار اليوم ١٩٤٦/٢/٩ — العدد ٦٦

الموقف السياسى

حق الفقير

توجه جلالة الملك الى رياسة مجلس الوزراء يوم الاحد الماضى ، فجأة ، وعلى غير انتظار .. ورأس « المجلس الاعلى لمحاربة الجهل والمرض والفقر » ولما رحب به دولة رئيس الحكومة ، قال له جلالته : « لقد جئت اليوم لاطالب بحق الفقير فى حمايته من المرض والجوع .... »

وليست هذه أول مرة يطالب فيها الملك « بحق الفقير » ففى وزارة دولة حسين سرى باشا قصد جلالته الى رياسة مجلس الوزراء ، وكان المجلس منعقدا فطلب من الوزراء أن يتركوا المسائل المدرجة فى جدول الاعمال ويبحثوا معه فى توفير الغذاء والكساء للمرضى والفقراء ، وقال جلالته : انكان الفقير فى حاجة الى واسطة فأنا واسطته ، وان كان فى حاجة الى محام فأنا محاميه .

وقد قرن الفاروق هذا المثل السامى ، بالعمل السامى ، فأمضى عيد ميلاده فى أعالى الصعيد ، بين ضحايا الملاريا ، كان يقدم اليهم الطعام والدواء واللباس بيده ، ويحدثهم ، ويجلس اليهم ، ويستمع لشكواهم ، ويزيل أسباب الشكوى .

واليوم يقرن الفاروق عطفه على الفقير بالاصلاحات الاجتماعية التى نفذها فى مزارعه ، ويدعو الملاك الى الاقتداء به فى مزارعهم .

هذه العاطفة الإنسانية العظيمة ، هى سر تعلق الشعب بمليكه الانسانى العظيم .

أخبار اليوم ١٩٤٦/٤/٦ — العدد ٧٤



«بيفن» و «صدقى» و «الأمريكان» .. وقضايا أخرى

يستطيع كل من يقرأ « أخبار اليوم » ـ التى نشرنا نص أهم مقالاتها ـ فى هذه الفترة (من أواخر ١٩٤٥ حتى آخر أبريل ١٩٤٦) ، ان يلمس بوضوح موقفها من قضايا ثلاث بارزة : القضية الوطنية ـ قضية السراى والحركة الشعبية ـ قضية الاستعمار الامريكى .

وبادىء ذى بدء ، يهمنا أن نرصد هنا ـ قبل الدخول فى معالجة « أخبار اليوم » للقضايا الثلاث ـ حقيقة هامة تتضح على الفور ومباشرة لكل من يقرأ بنفسه اعداد « اخبار اليوم » فى هذه الفترة . تلك هى حقيقة أن الصحيفة من حيث الشكل (التوضيب) لا تختلف كثيرا عن شكلها اليوم . نضيف الى ذلك أن « لغتها » لا تختلف أيضا عن لغتها اليوم فى تناول الموضوعات والقضايا . وتلك مسألة سيلاحظها القارىء بوضوح حتى من خلال قراءته للصفحات التى نقدمها اليوم ، حين تتحدث عن خصومها . وذلك يعنى ان الزعم بتطور الصحيفة وانها تنتقل بالصحافة المصرية من « الثورة الاولى » الى « ثورة ثانية » .. الخ ، زعم لا أساس له . بل العكس هو الصحيح اليوم . انها متمسكة بالماضى شكلا ولغة وأسلوبا . وهى بذلك تنتمى الى المجتمع القديم الذى انهار . وليتهم يدركون ان مجتمع الماضى لن يعود .
بعد هذه الملاحظة ـ الشكلية ـ ندخل الى الموضوع :

أولا ـ القضية الوطنية

بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ، كانت الحكومة القابضة على الحكم اذ ذاك ، هى حكومة السعديين والدستوريين ، حكومة الاحتكار والاقطاع ، وعلى رأسها السراى.
وكانت الحركة الوطنية المصرية تغلى مطالبة بجلاء بريطانيا عن كل أراضى وادى النيل . وانتظر الشعب ان تصنع الحكومة شيئا ولكنها لم تصنع وازداد سخط الرأى العام وبدأ يطالب بعرض قضية مصر على مجلس الامن واخراجها من نطاق العلاقة الثنائية بين بريطانيا ومصر .
وفى مواجهة مطالب الحركة الوطنية ، كانت خطة ممثلى الاحتكار والاقطاع والرجعية المصرية ، تقوم على أساس التفاوض مع بريطانيا بعيدا عن المجتمع الدولى واجراء بعض تسويات . ولما فشلت المفاوضات على ايدى النقراشى ، استقدمت السراى اسماعيل صدقى ، رئيس اتحاد الصناعات ، ليرأس الحكومة ، ويصل مع بريطانيا الى ما سمى وقتها بمعاهدة « صدقى ـ بيفن » التى تقضى بالجلاء عن بعض المدن فقط ، واقامة تحالف بريطانى مصرى . هذه المعاهدة التى رأت فيها « أخبار اليوم » ـ كما فى مقالها بعنوان المعاهدة .. وتنابلة السلطان ـ رأت فيها « الحلم » المصرى .. وانها « تكفل لنا الجلاء وتعيد الينا وحدة الوادى تحت تاج الفاروق » . وتعيب « أخبار اليوم » رفض الذين عارضوا صدقى « ووقفوا يقصفونه بالحجارة ويحاربونه بفلسفة النصوص » .
ومعروف أن الشعب المصرى قد رفض المعاهدة وأفشلها وأسقط معها حكومة صدقى . واذا كان هذا دليلا أكيدا يوضح أين تقف « أخبار اليوم » من الشعب المصرى وارادته ، فان قراءة هذه الفترة أيضا فى صفحاتها تبين خلوها التام من نبض ما يجرى فى أعماق مصر وفى صدور الوطنيين من ابنائها . فعند وقوع « مذبحة كوبرى عباس » التى استشهد فيها خيرة من شباب مصر ، لا نجد لاخبار اليوم أى موقف ضد المذبحة . بل انها تردد كلمات « الدهماء » و « المندسين » .. الخ دون ان تدين الجريمة ضد الشعب . بل تفعل العكس باستخدام مثل هذه الكلمات .

وتقف أخبار اليوم موقفا واضحا برفض مطلب الحركة الوطنية من عرض قضية مصر على مجلس الامن · فتهاجم هذا المطلب مباشرة ـ مرة ـ وعلى لسان الصحافة الامريكية بشكل غير مباشر مرة أخرى · ونجدها فى موقفها هذا ، تتطابق مع موقف الصحف الامريكية . ومعروف هنا ان امريكا كانت تعارض مطلب عرض القضية على مجلس الامن خوفا من مناصرة الاتحاد السوفيتى وبولندا للقضية المصرية فى المجلس ، واثر ذلك على مخططها نحو المنطقة ·

وترى « أخبار اليوم » ان من يعارض اتجاهها تسرى فى عروقه « دماء العبيد » و « دمى تتحرك اذا حركها صاحبها وتنطق بما يوحى اليها » الخ ·· ودائما ترى « أخبار اليوم » أن الاختلاف معها يستند الى وحى من الخارج · وهى بذلك تنكر وطنية الشعب المصرى وتسب وطنيته وتنسبها لاخرين خارج الحدود ·

وما هو منطق « أخبار اليوم » لاستقلال مصر ؟ انه شبيه بمنطق التجارة حين تقول « واذا أضعنا هذه الفرصة (أى المعاهدة) لان الذبيحة ينقصها الكبد والطحال ، فقد تذهب الذبيحة كلها » · انه منطق لا يحتاج الى أى تعليق لانه يدين نفسه بنفسه والنصوص نصوصهم والارشيف ملىء ·

لقد كان مشروع معاهدة صدقى ـ بيفن ، التى كرست « أخبار اليوم » للدفاع عنه وتمريره ، كان اكثر الصيغ التى توصلت اليها الرجعية المصرية ملاءمة لمصالحها السياسية والاقتصادية · وكان فشل المشروع ـ تحت ضغط الحركة الوطنية ورفضها ـ حكما مبكرا بالفشل على أصحاب هذه الاتجاهات ومؤيديها وموقفهم من الامال الوطنية للشعب المصرى ·

واستغلت « أخبار اليوم » عملية مقتل « الصديق » أمين عثمان ـ كما سماه الاستاذ على أمين فى مقاله ـ فرصة للتشهير بكثير من الوطنيين الذين لعبوا دورا بارزا فى الحركة الوطنية المصرية · وأمين عثمان هو أحد اعضاء وفد المفاوضات وقتها ومن أبرز أقطاب الرجعية المصرية ، ربما كان الاغتيال كأسلوب فى العمل الوطنى ، يلقى تحفظات كثيرة دائما تصل الى حد الرفض . لكن القضاء المصرى فرق بين تحفظاته على الاسلوب وبين وطنية الوطنيين · بينما كتبت عنهم « أخبار اليوم » لتقول ما قالته تحت صورهم التى نشرتها وزيلتها بصفات لا نود مجرد اعادة نشرها · دائما « أخبار اليوم » وكلما كان الشارع المصرى يتفجر وطنية ضد الاستعمار ، تقف فى خندق آخر غير خنادق الشعب · بل على الجانب الاخر من المتاريس ·

قضية الرأى والحركة الشعبية

خرجت مصر بعد الحرب الثانية ، تعانى وضعا متناقضا غريبا · فبينما ازدادت القلة المالكة ثراء ، ازدادت الاغلبية الشعبية فقرا . فنتيجة لانقطاع الواردات بسبب الحرب ، نشأت صناعات جديدة ، وتوطدت صناعات كادت ان تفلس قبيل الحرب · فارتفعت الارباح الموزعة فى الشركات المساهمة فى مصر من ٥ر٧ مليون جنيه فى ١٩٤٢ الى نحو ٢٠ مليون جنيه عام ١٩٤٦ ذهبت أغلبها الى جيوب كبار الرأسماليين من أجانب ومصريين · كما ارتفعت ايجارات الاراضى الزراعيه من ٣٥ مليون جنيه عام ١٩٣٩ الى ٩٠ مليون جنيه عام ١٩٤٥ ذهب معظمها الى جيوب الاقطاعيين ·

وعلى الجانب الاخر ، كان متوسط اجر العامل الزراعى فى العام لا يزيد عن ١٤ جنيها وفق احصائيات ١٩٥٠ . ولو راعينا رتفاع تكاليف المعيشه بذاك الأجر الحقيقى لا يتجاوز ٣ جنيهات فى العام · وذا متوسط الاجر السنوى لعمال المدن وفق احصائيات ١٩٤٢ لا يزيد عن ٣٥ جنيها اى ٨ جنيهات آجر حقيقى فى العام الواحد · فاذا عرفنا ان مصلحة الاحصاء قد قدرت فى عام ١٩٤٣ أن ما يلزم لعامل بزوجته وأربعة أولاد لا يقل عن ٤٣٩ قرشا فى الشهر طعاما وكساء ، طبقا للاسعار الرسمية لا اسعار السوق السوداء التى كانت منتشرة وقتها ، نقول ان ذلك يوضح ان الاغلبية الدنيا للفئات الشعبية كانت تعيش دون الحد الادنى للكفاف بمقدار النصف تقريبا · ولا شك ان حالة العمال الزراعيين كانت أسوأ من عمال المدن ·

من هذا الواقع الاقتصادى ، نستطيع أن ندرك طبيعة المرحلة الجديدة للحركة الوطنية المصرية . اذ أنها لم تكن موجهة ضد الاستعمار فقط ، وانما موجهة ضد الاحتكار والاقطاع والسراى معا .

من هنا كان دور « أخبار اليوم » فى العمل على « تجميل » النظام والتحدث عن حب الملك للعاملين . وكرس كاتب الموقف السياسى (المقال السياسى المعبر عن رأى اخبار اليوم وكان يكتبه الاستاذ مصطفى امين وما زال يكتبه حتى اليوم) . كرس قلمه فى خدمة هذا الهدف . ومن أمثلة ما كتبه (ونشرناه فى هذا العدد) « حق الفقير » يزعم فيه أن « الفاروق » كان يطالب بحق الفقير ويقوم باصلاحات اجتماعية فى مزارعه و « يدعو الملاك الى الاقتداء فى مزارعهم » .

الى هذا الحد كانوا يذهبون ويتحدثون عن « سر تعلق الشعب بمليكه الانسانى العظيم » .

التنفيث .. وبيع الاحلام التى لا تتحقق ، كانت دائما بضاعتهم من أجل انقاذ النظام الذى كان يتصدع أمام تنامى الوعى الوطنى والاجتماعى فى مصر وقتها .

قضية الاستعمار الامريكى

خرجت الولايات المتحدة بعد الحرب الثانية ، أقوى دولة فى المعسكر الرأسمالى وزعيمته . وراحت تتلمس طريقها لان ترث مناطق نفوذ الاستعمار القديم . وكان الاعداد لدور أمريكا المرتقب ، يتطلب تمهيدا دعائيا . ولا يكاد أى عدد من « أخبار اليوم » وقتها ، يخلو من أخبار وتعليقات وقصص ومقالات عن أمريكا . بل خصصت « أخبار اليوم » ركنا شبه ثابت لعرض أقوال الصحف الامريكية بانتظام ، ورأى هذه الصحف فى مجريات السياسة فى مصر .

وبينما كانت بريطانيا قد رسمت خطتها فى ١٩٤٦ على أن تجعل قاعدتها العسكرية الرئيسية ، فى فلسطين وشرق الاردن اذا اضطرت الى الجلاء عن مصر ، اتجهت أمريكا الى تبنى الصهيونية لتكون فلسطين قاعدتها فى الشرق العربى . فضعف أمل بريطانيا فى البقاء فى فلسطين وزاد تمسكها بقاعدتها العسكرية فى مصر وأيدتها أمريكا .

فى هذا الوقت ـ وفى هذا الاطار ـ كتبت « أخبار اليوم » تطمئن الرأى العام الى أن نتائج الانتخابات الامريكية التى أدت الى فوز الجمهوريين ، وانها لن تؤدى الى احداث تغيير فى سياسة أمريكا الخارجية .

وما هى هذه السياسة الامريكية الخارجية ؟

تقول أخبار اليوم « لم تكن سياسة أمريكا الخارجية وموقفها من هيئة الامم المتحدة ومعارضتها للتوسع والاستعمار محل أخذ ورد بين الفريقين اللذين خاضا غمار المعركة .. » .

هكذا .. وفى سفور : أمريكا ضد التوسع وضد الاستعمار .

وبينما تتفاقم مخاوف الحركة الوطنية العربية من تطورات قضية فلسطين ، تخرج « أخبار اليوم » لتقول :

« وعلى المصريين وأبناء بلاد الشرق الاوسط الاخرى الذين جزعوا بعض الشىء نتيجة للانباء القائلة بأن أمريكا تؤيد رسميا هجرة عدد كبير من اليهود الى فلسطين ، أن يطمئنوا الى أن تلك الخطوة لن تتخذ قطعا .. » الى أن تقول « .. ويتفق الجميع على أنه لا يوجد أمريكى واحد مسئول يستطيع أن يقدم على أية خطوة قد تسىء الى الصداقة القائمة بين أمريكا والدول العربية .. » .

ترى هل لا تزال « أخبار اليوم » عند نفس الرأى ؟

وهل كان شعبنا يرى نفس الرأى ؟ لا .. فقد كانت الحركة الوطنية المصرية وقتها تهتف وتعمل على اسقاط الاستعمار : بريطانيا كان أم أمريكيا .

.. والارشيف ملىء بالملفات التى لم تفتح بعد .

« الطليعة »



فبــراير
١٩٧٥

● جمهورية مصر العربية ●

عـدم جـــواز الجمـــع بين منصـــبي المدعى العــام الاشـــتراكي ووزير العدل

قدم د. جمال العطيفى الى مجلس الشعب تقرير اللجنة التشريعية بشأن منصب المدعى العام الاشتراكى ومسئوليته وتقاريره ، تناولت فيه ثلاث مسائل : الاولى تتعلق بمنصب **المدعى العام الاشتراكى ومدى امكانية الجمع بين هذا المنصب واى منصب وزارى آخر** ، والثانية تتعلق بكيفية مساءلة **المدعى العام الاشتراكى**، والثالثة تتعلق بما أثير من نقاط دستورية وقانونية **حول تقرير المدعى الاشتراكى عن تلوث مياه القاهرة** .

وقد توصلت اللجنة التشريعية فيما يتعلق **بالمسألة الاولى** الى أنه لايوجد فى النصوص الدستورية أو القانونية المعمول بها مايحظر صراحة الجمع بين منصب وزير العدل ومهام المدعى العام الاشتراكى ، كما لم يرد بتلك النصوص ما يبيح صراحة ذلك الجمع ، ومن ثم يصبح الامر تقديريا للمشرع وفقا لمقتضيات المصلحة العامة . كذلك فان الدولة قد التزمت بمبدأ الفصل بين المنصبين منذ اول تعيين للمدعى العام فى يونيو عام ١٩٧١ ، حتى صدور القرار الجمهورى رقم ٦١٣ لسنة ١٩٧٤ فى ابريل سنة ١٩٧٤ باسناد مهام **المدعى العام الاشتراكى الى الدكتور « مصطفى أبو زيد فهمى » بعد تعيينه وزيرا للعدل**. كما توصلت اللجنة أيضا الى ان **الدولة لم تتبن مبدأ الجمع بين المنصبين** ، اذ انها باصدارها قرارا مستقلا باسناد مهام المدعى العام الاشتراكى الى الدكتور مصطفى أبو زيد فهمى ، بعد أن عين وزيرا للعدل فى ابريل سنة ١٩٧٤ ، وبعد ان أعيد تعيينه فى أكتوبر سنة ١٩٧٤ ، تكون قد أفصحت عن ارادتها فى عدم الجمع وتبنى مبدأ الاسناد المؤقت .

وقد توصلت اللجنة فى النهاية ، وفيما يتعلق بالمسألة الاولى الى **أن الصورة التى يمكن أن يؤدى بها المدعى العام الاشتراكى وظيفته الرقابية بما يحقق غايات الدستور** ، تستوجب ان يتضمن القانون الخاص بنظام المدعى العام **الاشتراكى ، النص على عدم جواز الجمع بين المنصبين وان يعجل بصدور هذا القانون** .

أما فيما يتعلق بالمسألة الثانية وهى **كيفية مساءلة المدعى العام الاشتراكى** ، فقد خلصت اللجنة التشريعيه الى أن المدعى العام الاشتراكى بوضعه الحالى ليس جهازا تابعا لمجلس الشعب ، انما هو جهاز معاون لرئيس الجمهورية ، ومسئول امامه ، ومع ذلك فالمدعى العام الاشتراكى — وفقا لنص المادة ١٧٩ من الدستور — يخضع لرقابة مجلس الشعب كذلك أشارت اللجنة الى ان التصور من الناحية النظرية ان الرقابة على أعمال المدعى العام الاشتراكى قد تأخذ احدى الصور الاربع التالية : **رقابة التعيين والعزل** ، ورقابة **الغاء وتعديل القرارات** ، ورقابة اصدار الاوامر والتوجيهات ، ورقابة المتابعة .

وأوضحت اللجنة انه ليس من حق المجلس — وفقا للنصوص القانونية القائمة — ممارسة أى من الصورتين الاوليين للرقابة . اذ أن تعيين المدعى العام الاشتراكى وعزله يكون بقرار من رئيس الجمهورية ، كما أن النصوص القائمة لا تسمح بتعديل او الغاء قرار يصدره المدعى العام الاشتراكى . وطالبت اللجنة — متى رؤى تعديل هذا الوضع — بأن يتضمن مشروع القانون المزمع اصداره تحديدا لكيفية ووسائل ، واجراءات تعديل ، أو الغاء قرارات المدعى العام الاشتراكى . واشـــارت الى ان مجلس الشعب قد مارس فعلا الصورة الثالثة من صور الرقابة [اصـــدار الاوامر والتوجيهـــات] وتمثـل ذلـك فيمـا أصـدره المجلس من توصيات تتضمن تكليفا للمدعى العام الاشتراكى بمهام خاصة ، بغرض اجراء تحقيقات معينة ، وقد قام بها فعلا ، وتقدم بتقاريره بشأنها الى المجلس .

وترى اللجنة التشريعية بمجلس الشعب ان ممارسة ذلك النوع من الرقابة صحيح من الناحية القانونية باعتباره تطبيقا سليما لنص المادة ١٧٩ من الدســتور دون الحاجة الى انتظار صدور القانون الخاص بالمدعى العام الاشتراكى . كما ترى ان من حق مجلس الشعب ، ممارسة الصورة

• ليبيا •	• لبنان •	• الاتحاد السوفيتي •	• فيتنام •
حوار نظرى مع الرئيس القذافى	حماية الجنوب مسئولية عربية مشتركة	موسكو ترفض المعاهدة التجارية	سايجون « ثيو » تتحطم ، والثوار يقتربون

الرابعة والاخيرة، وكذلكمن صور الرقابة [رقابةالمتابعة] وتتضمن الاستفسار والاستعجال والاستيضاح ،اذ أن ذلك النوع من الرقابةهو أبسط صورها ولا تتطلبممارسته كذلك انتظار صدور القانون الخاص بالمدعى العام الاشتراكى .

أما فيما يتعلقبالمسألة الثالثةالخاصةبالنقاط الدستورية والقانونية المتعلقة بتقرير المدعى العام الاشتراكى عن تلوث مياه القاهرة . فقد خلصت اللجنة التشريعية بمجلس الشعب ، فى ضوء الاوضاعالقانونية القائمة، الى ضرورة التمييز بين نوعين من التحقيقات يتم اجراؤهما بمعرفة المدعى العام الاشتراكى أو معاونيه . النوع الاولويتمثل فى التحقيقات ذاتالطبيعة القضائية وهى تلكالتىيمارسها طبقا لقانونتنظيم فرضالحراسة وتامين سلامة الشعبرقم ٣٤ لسنة ١٩٧١. والنوعالثانى ويتمثل فى التحقيقات ذات الطبيعةالادارية والسياسية وهى تلك التى تتعلقبما يدخل فى اختصاص المدعى العام الاشتراكى وفقا لنص المادة ١٧٩ من الدستور ، او تلك التى يقوم بها المدعى العام الاشتراكى بناء على طلب مؤسسات الدولة المختلفة ، أو بناء على تكليف من مجلسالشعب، كما اشارتاللجنة فى الختام الى انه لمجلس الشعب ، حق طلب أوراق النوع الثانى من التحقيقات التى يقوم بها المدعى العام الاشتراكى [التحقيقات الادارية والسياسية] للاطلاع عليها .

الخطة بين المعارضين والمؤيدين

أقر مجلس الشعب الخطة والموازنة الجديدة لعام ١٩٧٥ ،والتىبلغت ٦١٣٩ مليون جنيه - بعد ان استجابت الحكومة لعدد من الملاحظات التى ابداها اعضاء المجلس خلال مناقشتهم للخطة .

وأعلن الدكتور اسماعيل صبرى عبد الله وزير التخطيط تعقيبا على تقرير لجنة الخطة والموازنة بمجلس الشعب - ومناقشات اعضاء المجلس - القرارات التى اتخذتها الحكومة على ضوء المناقشات :

● قيام اللجنة الوزارية للانتاج بالانتهاء من دراستها الشاملة لاسعار الحاصلات الزراعية الرئيسية ليتمكن مجلس الوزراء من تحديد السياسة الجديدة للاسعار قبل نهاية يناير - بحيث تحقق الاسعار الجديدة دخلا حقيقيا للفلاح يتناسب مع جهده .

● قررت الحكومة تشغيل اجهزة الصرف الفعلى باقصى طاقة ممكنة ووعدت الحكومة بتدبير الاعتمادات الاضافية اللازمة للصرف المغطى .

● قررت الحكومة مضاعفة المساحة التى ينفذ فيها مشروع تحسين التربة واعتمدت مليون جنيه اضافى .

● دبرت الحكومة فى الموازنة النقدية الاعتمادات اللازمة لتوفير كل السماد المطلوب وفى مواعيده المناسبة .

● قررت الحكومة اعتماد ٢ مليون جنيه كمبلغ اضافى لكهربة الريف وهى يكفى لتوصيل التيار الكهربائى الى ١٠٠ قرية بالاضافة الى ١٥٠ قرية الموجودة اصلا بالخطة .

● قررت الحكومة اعتماد ٢ ملايين جنيه للتنمية المحلية وتتحدد اوجه الانفاق مع المحافظين والاجهزة الشعبية .

● وعلى ضوء هذه القرارات فقد زادت الموازنة اربعة عشر مليونا من الجنيهات .

● أكد وزير التخطيط على ان الحكومة قدمت تسهيلات للقطاع الخاص فالاستثمارات المقررة له قفزت من ٣٠ مليون جنيه عام ٧٤ الى ١٠٠ مليون عام ١٩٧٥ - ورفعت الحكومة حدالتعامل مع مقاولى القطاع الخاص من١٠٠الف جنيه الى ٥٠٠ الف جنيه - وانشأت السوق الموازية -

وقدمت للمجلس قانون الالتزام بالنقل ليساهم القطاع الخاص فى نقل الركاب وان النية تتجه لاعادة البنك الصناعى للوجود ليقوم بدور بنك الاعمال فى تشجيع المشروعات الصناعية الخاصة ومساعدتها فى التمويل - كما تجرى دراسة لزيادة سعر الفائدة على المدخرات المحلية .

واعلن الدكتور عبدى النشار وزير المالية بان الحكومة سوف تسعى وراء اصحاب الدخول الطفيلية بالضرائب التى تحقق العدالة الاجتماعية - مؤكدا على ان الذين يحصلون على دخل اكثر من الف جنيه يبلغ عددهم ٥٠٠ الف شخص من بين ٣٦ مليون مواطن كما أكد على أن الحكومة توشك على الانتهاء من توصيف الوظائف وسوف يلى ذلك ربط الاجر بالانتاج .

وفى مستهل المناقشة ثار جدل عنيف حول اسلوب

مناقشة مشروع الخطة والموازنة المقدم من الحكومة ــ على ضوء ما سبق من اقرار **مجلس الشعب** لبيان الحكومة الذى تضمن الاهداف الاساسية للخطة وهى التعمير وتشغيل الطاقات المعطلة والاحلال والتجديد ثم بعض المشروعات الحيوية الهامة .

وكان اتجاه المتحدثين من اعضاء المجلس واضحا فى رفض حصر المناقشة فى اطار هذه النقاط الدكتور محمود القاضى ومصطفى كامل مراد واحمد فؤاد عبدالعزيز ومصطفى كمال ابو ريه وانتهت المناقشة الى تأكيد حق المجلس فى ان يحدد اولويات اخرى ، او يعدل الاولويات المقدمه ــ او حتى العدول عن الخطة كلية :

ولم يكن الوصول بالمناقشة الى اقرار الخطة أمرا سهلا ولا ميسورا ــ بل تم الوصول الى ذلك عبر مناقشات مثيرة وحادة بين بعض الاعضاء ووزيرى التخطيط والمالية اللذين مثلا الحكومة خلال المناقشة ، وايضا بين بعض الاعضاء وبين مقرر لجنة الخطة **د . احمد ابو اسماعيل.**

ويمكن القول انه كانت هناك ثلاثة اتجاهات واضحة فى المناقشات التى دارت حول الخطة والموازنة لعام ١٩٧٥ المقدمة من الحكومة [١] .

١ ــ اتجاه معارض معارضة جذرية للخطة ، كما قدمتها الحكومة وطالب باعادة الخطة الى اللجنة ، وتقدم خطة مضادة وكان الاستاذ مصطفى كامل مراد صاحب وجهة نظر كاملة فى هذا الاتجاه

٢ ــ اتجاه لجنة الخطة والموازنة بالمجلس ــ وهو اتجاه طالب بضرورة تحقيق شروط معينة قبل اقرار الخطة. الدكتور احمد ابو اسماعيل واحمد فؤاد عبد العزيز ونصر عبد الغفور واحمد منصور مساعد ومحمود القاضى وصفوت محبى الدين وعبد الحميد المراكبى .

٣ ــ اتجاه ابدى موافقته على الخطة بشكل عام ــ ولكن طالب بادخال تعديلات جزئية على الاستثمارات المقررة لبعض القطاعات او اثار مشاكل خاصة ببعض المقررة لبعض القطاعات او اثار مشاكل خاصة ببعض فئات العاملين: مصطفى كمال ابورية وكامل الشناوى وعبدالله الرفاعى وسعد بشير حسن وابو الفضل سرور سبدعمار زنانى وعبد المنصف حزين وصلاح توفيق ومحمود محمد داود ومصطفى غباشى واحمد شوقى الهوارى وعبدالغفور جمعة .

إتجاه المعارض للخطة

ارتكز هذا الاتجاه فى معارضته الجذرية للخطة والدعوة الى تقديم خطة مضادة الى العناصر التالية :

● ان خفض استثمارات الخطة من ١٥٠٠ مليون الى ١٠٠٠ مليون جنيه اى بنسبة ٣٠٪ ــ لم يتم بالغاء مشروعات كاملة وانما بتوزيع الخفض على مختلف المشروعات بنفس النسبة ــ الامر الذى يؤدى الى ان هذه المشروعات لا تنتج السلع المتوقع انتاجها للتوازن مع كمية الاجور المتاحة للانفاق ــ مما يجعلها تتحول الى انفاق استثمارى يؤدى الى تضخم .

● الاستثمارات التى حذفت بالذات فى مجال الزراعة والرى والنقل والمرافق العامة ــ ومن ثم لابد من مراجعة كل هذه الاستثمارات ، خاصة الاستثمارات المتعلقة بالمرافق الاساسية التى ترتكز عليها مشروعات التنمية .

● حقيقة الاستثمار الفعلى عام ٧٤ هو ٧٢٨ مليون جنيه ليس ٤٥٥ مليونا بسبب ما استجد من اعتمادات اضافية ــ ومن هنا فان زيادة الاستثمارات من ٧٢٨ الى ١١٨٠ مليونا اى حوالى ٣٦٪ لا تمثل زيادة حقيقية من استثمارات عام ٧٤ ــ اذا نظرنا الى ارتفاع الاجور وتكاليف التشغيل والاستثمار الجارى الذى زاد وزيادة الخامات وزيادة التشييد بنسبة لا تقل عن ٥٠ الى ٦٠٪ .

وهذه الزيادة الظاهرية ما هى الا زيادة سعرية ــ وبذلك فان الخطة لا تبدو طموحة ولكنها لا تفى بالاهداف المطلوبة .

● الحكومة لم تعط القطاع الخاص حقه من الاستثمار الذى يتناسب مع ما يحققه من الناتج القومى وقدره ٤٧٪ بينما خصص له ١٠٠ مليون جنيه اى ما يقل عن ٩٪ من حجم الاستثمارات .

● المطالبة برفع سعر الفائدة على الودائع بطريقة تغرى القطاع الخاص لكى يودع امواله فى البنوك ــ وضرورة اعفاء هذه الفوائد من الضرائب .

● يجب ضم الاستثمارات العربية الى السوق الموازيه حتى تتحول مصر الى سوق لرأس المال ــ ومعنى ذلك ان يكون فى بنوكنا ودائع عربية مودعة لاجال طويلة ــ ويجب ان نترك السوق حرة لتحديد السعر بالنسبة للاستثمارات وسعر التحويل بالنسبة للارباح بمعنى ان تتحول السوق الموازنة فى مصر الى سوق كامبيو ــ للنقد الاجنبى بمعنى ان يتم عرض وشراء العملات الاجنبية امام الجنيه المصرى فيتحدد السعر .

● الالحاح على صدور اللائحة التنفيذية لقانون استثمار رأس المال العربى والاجنبى .

● السماح بفتح حسابات فى بنوكنا المحلية للمصريين المقيمين باصحاب العملات الاجنبية دون السؤال عن مصدر هذه العملات .

● ضرورة تطوير البنوك التجارية لتكون بنوك اعمال اى تدرس المشروعات الاقتصادية وتشرع فى انشائها وتطرح اسهمها بعد ذلك ليستطيع كل من يملك ١٠٠ جنيه او ٢٠٠ جنيه ان يشترى بها اسهما . وذلك لجذب اصحاب المدخرات الصغيرة .

● الحصول من الاخوة العرب على دولار او دولارين عن كل طن بترول او بنسبة ١ أو ٢٪ من ارباح البترول لمصر على اساس ان مصر تدافع عن قضية عربية وليست قضية مصرية .

● طلب فترة سماح ــ خمس سنوات على الاقل ــ من الدول الدائنة لنا ــ حتى يمكننا ــ ان نستخدم الـ ٢٠٠ مليون المخصصة لسداد الديون سنويا فى استيراد مستلزمات الانتاج الزراعى والصناعى .

● ضرورة رفع الاجور بنسبة لا تقل عن ٢٠ ــ ٣٠٪

● يجب ان تحرر جميع الشركات من القيود واللوائح وعدم قصر ذلك على اربعين شركة فقط .

● حاجة الخطة بجهاز ادارى قوى لتنفيذها ــ حيث يوجد الان ٤٥ مؤسسة وهيئة عامة تقتطع اكثر من ١٠٠ مليون جنيه لحساب الجهاز الادارى للمؤسسات والهيئات فى شكل اجور وانفاق جار وكان يمكن ان يوجه للاستثمارات .

ويتعين انشاء اربع او خمس مؤسسات فقط تشرف على وحدات اقتصادية متكاملة ومختلطة الانشطة .

اما لجنة الخطة والموازنة فقد تقدمت للمجلس ببعض التوصيات التى تجعل الخطة مقبولة منها :

[١] انظر موجز الخطة فى الطليعة عدد يناير ١٩٧٥ ــ ص ١٤٨ .

● وجوب اعادة ترتيب الاوليات كشرط اول .

● اضافة استثمارات معينة لبعض القطاعات، ١٠ ملايين لكهربة الريف ـ ٢٠ مليونا للزراعة والرى ، ٥ ، ٥ لتعليم العالى ـ ٥ ملايين للتعليم العادى والجامعى ـ ٣ ملايين للصحة ـ ١٥ مليونا للنقل البحرى ـ وتبلغ هذه الاعتمادات ٦٠ مليونا من الاستثمارات .

● عدم قبول الخطة من ناحية عدم امكانياتها فى القدرة على السداد ورأت اللجنة انه لكى تكون مثل هذه الخطة مقبولة فهناك شرطان آخران ـ اولهما ان مشروعات التعمير يجب ان تتوافر لها من المعونات ما يكفيها ـ حيث يجب ان توجه القروض لمشروعات التنمية .

والثانى هو ان تتضمن لهذه الخطة من الصادرات ما يكفى لدفع الفوائد واقساط الديون .

تمويل الخطة

فى هذه القضية بالذات بدا واضحا اتجاهان متباينان ـ اولهما ـ وقد تبنته لجنة الخطة واغلب المتحدثين ـ الخ الحاحا شديدا على تبنيه الدول العربية وفى مقدمتها الدول المنتجة للبترول على ضرورة تقديم العون لمصر ، وحدد البعض هذا العون ووصل به الى تحديد دولار او اثنين على كل طن بترول او ١ الى ٢٪ من ارباح البترول لمصر ، على اساس ان جيش مصر يحمى العرب باجمعهم ولا يحمى مصر فقط . واقترن ذلك بالدعوة الى تشجيع المدخرات برفع سعر الفائدة واضافة الاستثمارات العربية للسوق الموازية . ورفع سعر الحاصلات الزراعية .

اما الاتجاه الثانى وعبر عنه احمد طه فقد دعا لضرورة زيادة الاستثمار فى مجال الصناعة الثقيلة ، وضرورة اتخاذ الاجراءات تجاه الدخول الطفيلية الموجودة فى المجتمع التى يمثل اصحابها خطر حقيقى على التطور الاقتصادى والاجتماعى وكذلك ضرورة اعادة النظر فى ضريبة الحدائق ورسوم الجمارك ورفع سعر الكميات ـ على اساس ضرورة ان تكون تعبئة الموارد الداخلية هى الاساس قبل الانجاه الى القروض والمعونات الاجنبية وكذلك ايضا اشتراك المواطنين جميعا فى تحمل الاعباء المطلوبة .

الموافقة العامة على الخطة

وعبر عدد غير قليل من المتحدثين خلال مناقشة المجلس لمشروع الخطة والموازنة عن تقديرهم للجهد الذى بذل فى اعداد الخطة ـ وابدوا موافقتهم على الاتجاه العام للخطة مع بعض الانتقادات الجزئية واقتراحات عديدة لزيادة هذا الفرع او ذلك من الاستثمارات .

مشكلات القرية

وقد حظيت مشكلات القرية المصرية [جودة الارض ـ المحاصيل واسعارها ـ كهربة الريف ـ الماء العذب ـ الطرق المرصوفة والمواصلات] باكبر قدر من الاهتمام .

● انتقد الاعضاء ان الاستثمارات المخصصة للقطاع الزراعى فى الخطة لا تجاوز ٣٫٤٪ فى الوقت الذى تمثل فيه المنتجات الزراعية ٦٠٪ من صادراتنا .

● عدم وجود سياسة سعرية ثابتة والالحاح على رفع سعر المحاصيل الزراعية وبشكل خاص القطن والقصب والارز .

● ضرورة تنفيذ السجل العينى الذى سيترتب على تنفيذه استقرار الملكية الزراعية .

● خلو بيان وزير التخطيط وتقرير لجنة الخطة والموازنة من اية اشارة الى مياه الشرب النقية الواجب توفيرها للفلاح .

● لم يتفق ممثلو الريف على موضوع مثلما اتفقوا على قضيتين :

١ ـ موضوع الصرف المغطى الذى سيزيد الانتاج الزراعى بنسبة ٢٥٪ .

٢ ـ قضية كهربة الريف ـ حيث تمت انارة ٩٠٠ قرية فقط من عشرة الاف قرية وعزبة على مستوى الجمهورية ـ خلال الخمسة سنوات التى كانت مقررة لانهاء المشروع ـ وحتى بعد مد المدة لعشرة سنوات فان ما تم انجازه فى نصف المدة لا يكاد يصل الى ١٠٪ .

● مازال عدد ضخم من عمال الزراعة وبشكل خاص الذين يعملون فى الجمعيات التعاونية فى الريف يحصلون على اجر شهرى لا يزيد عن اربعة جنيهات ونصف .

وخلال مناقشة المشكلات التى تعيشها القرية ويعانى منها الفلاح دعت اصوات قليلة الى رفع القيمة الايجارية الى عشرة امثال الضريبة ، على اساس ان الفلاح المستأجر يحقق دخلا اكبر من المالك .

وكذلك التعويض بالسد العالى على اساس ان الارض التى كانت سليمة ارتفعت فيها المياه الجوفية فاضعفت انتاجيتها وان الرشح قد زاد فى بعض الاراضى بسبب نقص الطمى الذى كان يسد المسام ـ كما زادت المياه الجوفية .

كما برزت الدعوة لتوزيع الارض التى تمتلكها وتقوم بزراعتها مؤسسة الاستزراع وتنمية الاراضى ـ على اساس ان الفلاح اقدر على تحقيق محصول اكبر .

والى جانب مشكلات القرية كان للموظفين نصيب وافر من اهتمام المتحدثين فى المناقشة ـ حيث بدا واضحا اتجاه المجلس لمعارضة الاسس التى قدمتها الحكومة فى مشروع

■ شريط الاخبار ■

■ أعلن رجال الدين فى جمهورية تشيكوسلوفاكيا الاشتراكية عن احتجاجهم واستنكارهم لاعمال العدوان التى ترتكبها سلطات الاحتلال الاسرائيلية ضد الشعب العربى ، وانتهاك الحقوق الانسانية والدينية فى الاراضى العربية المحتلة .

جاء ذلك فى رسالة بعث بها مطران براغ وسائر تشيكوسلوفاكيا ورئيس مجمع الكنائس فى تشيكوسلوفاكيا الى كورت فالدهايم الامين العام للأمم المتحدة .

كذلك تضمنت الرسالة استنكار الحكم بالسجن ضد المطران هيلاريون كابوتشى بسبب موقفه الوطنى ، والمطالبة بالافراج عنه فورا ، وتنفيذ قرارات الامم المتحدة بانسحاب اسرائيل من الاراضى العربية المحتلة ، وضمان حقوق شعب فلسطين فى تقرير مصيره بنفسه وفوق ارضه .

■ أعلن اتحاد النقابات فى أثيوبيا فى بيان له ترحيب النقابات بالبرنامج التقدمى للحكومة .

وقال البيان : أن طريق التطور اللارأسمالى الذى أقرته الحكومة هو فى مصلحة العمال والجماهير الكادحة ، كما سيؤدى الى حل القضايا والمشاكل

الاصلاح الوظيفى . وقد قدمت الحكومة مشروعين بقوانين فى نهاية المناقشة احيلا للجنة المختصة لدراستهما .

المال العام والتسيب والانحراف

كان هناك اجماع بين المتحدثين على اختلاف اتجاهاتهم على ضرورة اتخاذ الاجراءات الفعالة لحماية المال العام ومقاومة مظاهر التسيب والانحراف .

وكان هناك اصرار على ضرورة اتخاذ قرار واضح يصحح الاوضاع بالنسبة لمخصصات كبار الموظفين من كافة المستويات حيث يوجد وزراء سابقون ورؤساء مجالس ادارات تم اقصاؤهم ولا يعملون شيئا وما زالوا يتمتعون بكافة امتيازاتهم — كما ان هناك الكثير من مظاهر استغلال النفوذ والامتيازات لكبار الموظفين فى جهاز الدولة هذه الامتيازات التى تجعلهم لا يشعرون بمشاكل الجماهير .

وكان هناك تركيز خاص على قطاع التشييد والمقاولات كنموذج مجسد لاستنزاف موارد الدولة وامكانياتها دون حق .

وارجع الاعضاء ارتفاع التكلفة بنسبة ٣٠٠٪ خلال سنة الى وجود ثغرة فى عمليات التشييد بين شركات المقاولات والقائمين بتنفيذ هذه العمليات — والى اسناد المقاولات الى الشركات الكبرى التى تقوم بدورها ببيعها من الباطن لمقاولى القطاع الخاص والتى بدورها تعهد الى جهات اصغر باتمامها .

ويرى المراقبون ان المناقشات المستفيضة التى دارت فى المجلس حول الخطة الموازنة [وان كانت قد حددت — بوضوح الاتجاهات التى تعارض الخطة وتلك التى تؤيدها، فانها سوف تحكم حتما كل مناقشة مقبلة سوف تدور حول عدد من القضايا الاساسية التى ستتقدم الى المجلس مثل قضايا التموين والتعليم وغيرهما من السياسات الداخلية والخارجية ، حتى ليمكن القول باننا نشهد ظاهرة من الاستقطاب سريع فى المواقف السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، لا يبعد ان تجد انعكاسا لها داخل الاتحاد الاشتراكى العربى ، وذلك اذا ما تمت اعادة تشكيله على اساس الاعتراف بحق تكوين المنابر فى داخله .

O

● ليبيا ●

حوار نظرى مع الرئيس القذافى

فى محاولة لتحديد ملامح « الكتاب الاخضر » وهو الكتاب الذى يقول الرئيس القذافى أنه سوف يسهم به فى « اقرار نظرية كاملة للعمل الثورى العربى » أجرى الرئيس معمر القذافى حوارا نظريا مع جريدة « السفير » حدد فيه ملامح فكره .. وحاول أن يقدم صياغات دقيقة وتعريفات محددة للعديد من القضايا التى يتعرض لها الفكر العربى بشكل عام .. فتحدث عن « الاشتراكية » و « الملكية » و « الفقر والغنى » و « الاستغلال » و « الثورة » و « السلطة » ... الخ ..

ولعله من المفيد أن نحاول هنا وبايجاز شديد أن نقدم بعضا من ملامح الفكر النظرى **للرئيس القذافى** . فمن **الاشتراكية** يقول « أن لفظ الاشتراكية يعنى فى اللغة المشاركة والاشتراك ، اذن الاشتراكية هى مذهب أو طريق

أو اسلوب أو نظام مشاركة ، فاذا سلمنا بهذا فان الاشتراكية لا تعنى الملكية الفردية ، ولا تعنى ملكية الطبقة الواحدة بالاضافة الى أنها لاتعنى أيضا تفرد الحكومة بالملكية عن طريق الاحتكار الذى أخذ يختبىء الآن تحت اسم مستحدث هو القطاع العام .

وعن **القطاع العام** « القطاع العام لا يعتبر اشتراكية ؟ انه احتكار حكومى بكل معنى الكلمة ، ووضع العامل فى القطاع العام مثل وضعه فى القطاع الخاص ، واذا كانت له مزايا من ربح أو مشاركة فى الربح أو اى شىء من هذا القبيل فيمكن فرض ذلك على القطاع الخاص بقوة القانون ، غير أن العامل فى كل — الحالتين يعمل لدى جهة تملك رأس المال » .

ويمضى العقيد ليقدم تعريفه للاشتراكية « الاشتراكية هى توزيع الملكية توزيعا أفقيا لكى يمتلك كل فرد حاجاته الضرورية التى تمكنه من أن يعيش حرا » .

ويحاول الصحفى الذى يجرى الحوار أن يلمح الى أن مثل هذه العبارة قد تتفق مع الماركسية ورد العقيد « لا ، ليست شيوعية ، الشيوعية هى الان قطاع عام ، ممتلكات الناس أممت وأصبحت تدار من قبل الحكومة ، والناس أصبحوا عمالا لديها » ثم يمضى قائلا « لو اننى أخذت ممتلكات الناس فقد امتلكتها وأصبحت حاكمهم ، والحزب فى الدولة الشيوعية ليس كل الناس ، الحزب طليعة ،

■ شريط الاخبار ■

السياسية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية فى آثيوبيا .

وجاء فى البيان : ان النقابات ترحب بالوعود الخاصة بفرض الرقابة الحكومية على المؤسسات الاقتصادية الحيوية ، وبتوزيع الاراضى بطريقة عادلة . وتشجيع التعاونيات فى الزراعة .. وعلى هذا الاساس يؤيد اتحاد النقابات اجراء الحكومة بتأميم البنوك والمؤسسات المالية وشركات التأمين . كما يتعهد الاتحاد ببذل كافة الجهود من أجل تنفيذ هذا البرنامج التقدمى :

■ أعلن شيمون بيريز وزير الدفاع الاسرائيلى فى الكنيست بان عدد المعتقلين بصفة ادارية والذين يبلغون حوالى ٥٠ شخصا . هم فلسطينيون شيوعيون مشتبه فى ارتكابهم جرائم قتل واعتداء وتحريض على سلطات الاحتلال الاسرائيلية .

وقد اعترف بيريز ذلك أثناء الاستجواب بناء على الطلب الذى تقدم به حزب « راكاح » الشيوعى بشان احتجاز السلطات العسكرية الاسرائيلية لاكثر من ٥٠ شخصا من المواطنين العرب فى الضفة الغربية وقطاع غزة بصفة ادارية .

والجماعة التى انضمت اليه سلبت ممتلكات الناس وشغلتهم كعمال ، وأقامت الدولة العمالية » .

لكن الصحفى الذى يجرى الحوار يطلب مزيدا من الايضاح

« ويشير العقيد القذافى بيديه الى مساحة من المكتب قائلا « هذه قاعدة المجتمع المسافة من أ الى ب ، اذا كان المجتمع رأسماليا حيث حرية الملكية لانهاية لها سوف تسحب الملكية من المستوى الافقى وتتكدس فى يد الطبقة الرأسمالية المستغلة لتصبح عامودية أى من أ الى أ

.. كذلك الشيوعية صادرت الملكية من الرأسمالية ثم حرمتها فى المجتمع كله ووضعتها بيد الحكومة ، فأصبح الوضع عموديا من جديد . أصبحت من ب الى ب وليس من أ الى ب . » .

— والحل ؟

« أن تعود الملكية أفقية . أن يتمكن كل فرد من أن تكون له ملكيته الخاصة وبتعبير آخر أن يتمكن كل فرد من الحصول على حاجاته ومن تملكها بنفسه لكى يحس بأنه حر ، لكى يكون سعيدا . » .

— والطريق ؟

« نحدد الحاجات الضرورية .. وما دامت لى حاجة فلا بد أن أسعى اليها .. مثلا المسكن لابد أن يسكن الانسان فى مسكن يملكه بنفسه » .

— كيف ؟

.. « لا يعطى له هبة ، لابد أن يملكه بجهده .. يمكن أن أجد حاجتى فى بناء مسكن من أربع حجرات مع المرافق الضرورية ؟ ويجد الآخر حاجته فى بناء قصر .. وما دام المسكن والقصر كلاهما للسكن الشخصى وليس للاستثمار فملكيتهما مباحة » .

ولكن كيف ؟ والى أى مدى سيباح للغنى أن يحوز ثروة تمكنه من بناء قصر ؟

.. « أنت تعمل كاتبا ، وأنا فلاح . لكل مجال عمله ، أنت تربح عن طريق الكتابة [س] من الثروة وأنا أربح [س — ٥] فى هذه الحالة حصل كل منا على نصيبه من ثروة المجتمع بناء على الجهد الذى بذله وبناء على وضعه فى المجتمع . فالجهد لا يقاس بعدد الساعات وحدها » .

— والحدود ؟

— « ليس هناك تحديد » .

— نظريا على الاقل ..

.. « لا نظريا ولا عمليا ، لا يمكن أن يكون هناك توريد كما تتصورون ، ليس هناك ما يسمى الحد الاعلى للملكية فهذا خطأ » .

— ودور الدولة ؟

.. « السلطة لا يمكن أن تكون طرفا فى الملكية كى لا تكون طرفا فى النزاع » .

ويمضى الحوار .. الصحفى يسأل بالحاح محاولا أكبر قدر ممكن من الفهم ، والعقيد .. يجيب على كثير من الاسئلة بتساؤلات فالافكار لما تختمر بعد، وهى لم تزل لم تكتمل بحيث يمكن لها أن تصدر فى النهاية بين دفتى « الكتاب الاخضر » الذى يستهدف العقيد القذافى باصداره الى « اقرار نظرية كاملة للعمل الثورى العربى » .

○

• لبنـــان •

حماية الجنوب مسئولية عربية مشتركة

يعتبر المراقبون زيارة الرئيس السورى **حافظ الاسد** للبنان ومحادثاته مع الرئيس اللبنانى **سليمان فرنجية** فى السابع من شهر يناير الماضى، من الاحداث العربية الهامة منذ حرب اكتوبر ، اذ تكتسب هذه الزيارة اهمية خاصة فى هذه المرحلة ، التى تتضاعف فيها احتمالات حرب خامسة بين العرب وبين اسرائيل . وفى وقت تواصل فيه اسرائيل تصعيد العدوان على جنوب لبنان ، كما تلقى فيه الولايات المتحدة بكل ثقلها السياسى والعسكرى الى جانب اسرائيل .

ولقد كان الهدف الاساسى من زيارة الرئيس **حافظ الاسد** للبنان ، هو بحث الموقف فى جنوب لبنان ، بعد ان اظهرت الاعتداءات الاسرائيلية المتكررة على جنوب لبنان ، ان وضع الجنوب يشكل نقطة ضعف خطيرة فى الجبهات العربية حول اسرائيل .

■ شريط الاخبار ■

واتهم بيريز المعتقلين بانهم اعضاء فى جبهة المقاومة الشعبية الفلسطينية ، التى تمثل الفرع العسكرى للحزب الشيوعى فى الضفة الغربية ، الذين قاموا خلال حرب اكتوبر ١٩٧٣ بما أسماه العديد من الاعتداءات ومحاولات التخريب واعلن انه قد عثر مع عدد منهم على أسلحة ومتفجرات ومنشورات .

وقد كذب « مايرفلنر » النائب عن حزب راكاح الشيوعى مزاعم بيريز وقال ان هؤلاء المعتقلين اودعوا السجن بسبب آرائهم السياسية .

■ صرح الدكتور بيريرا زعيم حزب لانكساما ساماجا ووزير المالية فى حكومة السيدة سيريمافو بندرانيكة فى سرى لانكا بان وكالة المخابرات المركزية الامريكية والامبريالية الامريكية تعملان على تكرار مأساة شيلى فى سرى لانكا .

واضاف : ان القضاء على الرأسمالية فى سرى لانكا شىء أساسى للقضاء على مؤامرات وكالة المخابرات المركزية الامريكية والامبريالية الامريكية فى البلاد .

وعلى الرغم من انه لم يذكر شيء عــــن دار فى اجتماعات الجانبين السورى واللبنانى ، الا ان المصادر اللبنانية تؤكد ، ان الجانبين قد بحثا ما يحتاجه جيش لبنان من الاسلحة الحديثة المتطورة ، كما بحثا ايضــا مسألة التنسيق العسكرى بين سوريا ولبنان فى المرحلة القادمة للدفاع عن جنوب لبنان .

ويعكس « **البيان المشترك** » من زيارة الرئيس السورى للبنان الى حد كبير نتائج هذه الزيارة ففيه اكد الرئيسان على اهمية تعزيز التضامن العربى ، وحشد الطاقات العربية فى معركة التحرير ، والاشادة بما حققه التضامن فى حرب اكتـــوبر التحريرية » كذلك اعلن الرئيس حافظ الاسد عن « مساندة سوريا للبنان بطاقاتهـــا العسكرية والسياسية والاقتصادية واستعدادها لتلبيــة كل ما يطلبه لبنان وذلك لتمكينه من الصمود والتصدى للعدوان والحفاظ على سيادته وسلامة اراضيه ، وذلك انطلاقا من وحدة المصير امام العدو المشترك » .

وتعد مشكلة الاعتداءات الاسرائيلية المتكررة على جنوب لبنان ، والتى امتدت الى بيروت ، من القضايا الملحة التى تشغل اهتمام الرأى العام العربى جميعا فى الوقت الحالى ، وتتطلب من جميع الدول العربية العمل سريعا على حلها . اذ المعروف انه طبقــا لقـرارات مجـلس الدفاع العربى المشترك ، ومؤتمر القمة العربى فى الرباط فان الدول العربية « ملتزمة بتقديم المساعدات العسكرية والمالية للبنان الذى يقف فى خط المواجهة مع اسرائيل » .

ويعتقد المراقبون ان عدم احتلال اسرائيل لجنـوب لبنان حتى الان ، يعود بلا شك الى عوامل ثلاثة : وهى وجود سوريا القوية بجوار لبنان ، وصمود لبنان حتى الان ، ووجود الفلسطينيين فى جنوب لبنان ، وتقـوية التضامن الكفاحى بين المقاومة الفلسطينية واهالى الجنوب فى مقاومة الاعتداءات الاسرائيلية ـــ كذلك فان تدعيم جنوب لبنان عسكريا ، هو فى نفس الوقت حماية ودعم لحدود سوريا . خاصـة وان المعلومات المتـوفرة لدى سوريا ولبنان فى الوقت الحاضر عن خطـــة اسرائيل القادمة ، تفيد بان اسرائيل تعد لاجتياح جنوب لبنـــان واختراق حدود سوريا ، وتطويق الجيش السـورى من الخلف ، وتوجيه ضربة مؤثرة للاقتصاد السورى .

هذا ويثير الوضع المأساوى لجنوب لبنان ، ووجوده تحت رحمة الاعتداءات الاسرائيلية بشكل يومى يتمثل فى حوادث القتل وخطف الاهالى وتدمير القرى والمنـازل يثير السخط والغضب فى اوساط الجماهير والاحـزاب والشخصيات الوطنية والتقدمية ، على تقاعس السلطة فى لبنان التى تشجع اسرائيل على الاعتداء . وتطالب الجماهير بتحصين الجنوب ، وتعزيز قدرات الجيش للدفاع عن البلاد ، والاستعانة بقوات عربية ، باعتبار ان قضية جنوب لبنان لا تخص لبنان وحـده ، بل هى قضيـة عربيـة .

ويقدر الخبراء العسكريون حاجة لبنان بعشرات الالوف من القوات المجهزة بالاسلحة المتطورة ، وهو ما تفرضه خطة ومتطلبات الدفاع القوى عن لبنــان ، الامر الذى يفتقر اليه لبنان حاليا . اذ ان الجيش اللبنـانى الحالى لايتعدى العشرين الفا ، وجميعهم من المتطوعين ؛ كما ان مشروع قانون خدمة العلم [التجنيد الاجبـارى] الذى يطالب به الشباب وسائر الاحزاب الوطنية والتقدمية فى لبنان ، ما يزال قابعا ضمن المشاريع الاخرى المؤجلة فى مكاتب مجلس النواب . هذا فى الوقت الذى يرفض فيه لبنان تواجد قوات عربية داخل اراضيه .

وازاء هذا الوضع المتدهور فى الجنوب ، وتحت ضغط الرأى العام فى لبنان ، لم تجد الحكومة مفرا من الاتصال بالبلدان العربية لطلب المساعدات العسكرية لتدعيم قدرته الدفاعية ، ومده بأنواع معينة من السلاح وبشكل سريع لانقاذ الجنوب . وذلك الى ان تتعاون الدول العربيــة بعد ذلك فى تسليح الجيش اللبنانى .

وقد طلبت الحكومة اللبنانية فى العشرين من يناير الماضى من الجامعة العربية عقد اجتماع فوق العادة لمجلس الدفاع العربى لبحث الاعتداءات الاسرائيلية على جنـوب لبنان ، كما اعلن من قبل عن قبول لبنان التعاون فى اطار خطة دفاعية عربية مشتركة .

وفى هذا الصدد تؤكد المصادر الرسمية اللبنانية ، ان نتائج زيارة الرئيس السورى حافظ الاسد قد حققت النتائج المرجوة ، الامر الذى شجع لبنان على طلب المساعدات من الدول العربية الاخرى ، ويقال ان هناك عروضــا تلقاها لبنان حتى الان لتعزيز وسائله الدفاعية من الكويت وليبيــا .

هذا ويتعرض لبنان فى الوقت الحاضر لضغط شديد من جانب الولايات المتحدة واسرائيل ، لكى يتخلى عن دوره فى تعزيز التضامن العربى ، هذا فضلا عن وجود اتجـاه انعزالى رجعى قوى داخل لبنان ، يطالب بعدم التورط فى الصراع العربى الاسرائيلى ، وذلك تحت شـعارات «الوضع الخاص للبنان» ، والاعتماد على الضمـانات الدولية ، وبخاصة من جانب الولايات المتحـدة لحماية استقلال لبنان ، كما يرفض اصحاب هذا الاتجاه شراء الاسلحة لتجهيز الجيش بوسائل الدفاع اللازمة ، وحتى لا يتحول لبنان الى دولة مواجهة ويجر عليه غضب وانتقام اسرائيل ، والمطالبة بالتريث فى انتظار الحل السلمى .

والشىء الواضح هو ان اصحاب هذا الاتجاه يتجاهلون اطماع اسرائيل القديمة فى جنوب لبنان ، حيث توجد منابع **نهر الليطانى** ، التى تعد أمرا حيويا بالنسبة لوجـود اسرائيل ، وباعتباره جزءا اساسيا من استراتيجية المخطط الصهيونى الامبريالى فى تحقيق خريطة اسرائيل الكبرى على حساب الاراضى العربية .

لكن التذرع بحجة الوضع الخاص للبنـان وحيـاده التقليدى ، والاعتماد على الضمانات الدولية وبخاصـة الولايات المتحدة ، لم يمنع اسرائيل من شن عدوانهـا المستمر على لبنان وتهديد استقلاله الوطنى منذ عـام ١٩٦٧ ، وذلك فى الوقت الذى كانت تقف فيه الولايات المتحدة وراء اسرائيل وتمدها بالسلاح وتحمى عدوانهـا على لبنان ، وتدافع عنه امام المنظمات الدولية .

واصحاب هذا الاتجاه داخل لبنان يكشفون عن انفسهم

وحقيقة اهدافهم ، وذلك عندما يقولون « ان الوجود الفلسطيني في جنوب لبنان هو مصدر العدوان الاسرائيلي المستمر على لبنان .

وليس غريبا ان ينشط اصحاب هذا الاتجاه الانعزالي الرجعي داخل لبنان في هذه الظروف ، وهم الذين يشعرون بالقلق الشديد من تزايد فاعلية دور سنسال في القضايا العربية منذ حرب اكتوبر ١٩٧٣ ، وفي تعزيز التضامن العربي المشترك مع الدول العربية الشقيقة في معركة المصير ، ووقوفه بوضوح الى جانب القضية الفلسطينية ، وتحمله المسئولية في سبيل هذا الموقف .

وقد اعلن الرئيس اللبناني **سليمان فرنجية** ردا على اصحاب هذه السياسة الانعزالية الرجعية : « نحن في لبنان نتعرض لاعتداءات اسرائيلية على وطننا وارضنا وابنائنا العزل . وحيال هذا الواقع المؤلم والمرير لم يعد بامكاننا السكوت ، والاستمرار في دور النعامة ، فنحن جزء من القضية شئنا أم أبينا ، وعلينا ان نواجه قدرنا بشجاعة او ان لا نترك الظروف تفرض علينا اوضاعا لا نكون مستعدين لها . ان للبنان دورا في هذه المواجهة التي فرضت عليه ، وعليه ان يتحمل اعباءه ويدفع ضريبته . واذا كنا بلدا ضعيفا ، فالمسئولية العربية نادرة على ان تتحمل معنا اعباء الدفاع عن الوطن الصغير في البداية انتظرنا انتهاء مساعى السلام للوصول الى حل شامل للقضية على امل ان ينهى هذا الحل المأساة التي نعيشها يوميا من جراء اعتداءات اسرائيل . هناك من يدعونا الان الى المزيد من التريث ، وعدم التورط في خطة تسليح تدفعنا الى مواجهة هجوم اسرائيلي كبير . ولو ان احدا يضمن لنا ان الحل السلمي سيأتي بعد شهر ، او حتى بعد سنة ، فقد كان في الامكان ان نأخذ بوجهة نظر الداعين الى التريث . ولكن لا يجوز ان نبقى منتظرين الى ما لا نهاية ، تتلقى كل يوم الضربات الاسرائيلية ، التي تنعكس على اوضاعنا الداخلية بسبب عدم توفر المقاومة المطلوبة . هناك من يقول بأن الوجود الفلسطيني هو سبب الاعتداءات الاسرائيلية . **انني أريد ان أسلم جدلا بأن الدافع للاعتداء على لبنان هو هذا السبب وحده ، فهل تريدون مني ان اضرب الفلسطينيين واخرجهم من لبنان كما تطالب اسرائيل ؟ هل تريدون مني ان أحقق مطالب اسرائيل ؟** » . وقد وصفت مجلة **«الحوادث»** اللبنانية حديث الرئيس **سليمان فرنجيه** ، بأنه أخطر كلام قاله رئيس جمهورية لبنانية من قبل .

وكان **ياسر عرفات** رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية ، قد اعلن في حديث صحفى : « **اننا نذكر هنا وبكل اعتزاز ، الموقف اللبناني خلال هذا العام ، ورجوعا الى الوراء موقف لبنان خلال حرب تشرين ، كان موقفا قوميا ووطنيا . لقد وضع لبنان بكل امكاناته في المعركة ، ومنه قامت قوى كثيرة من الثورة الفلسطينية بواجبها خلال هذه الحرب ، ولا يزال شعبنا الصابر في الجنوب اللبناني يدفع كل يوم وكل ساعة ، تضحيات جساما من رزقه المحدود ودمائه الطاهرة في مواجهة بطش وجبروت واعتداءات عجلة الحرب الاسرائيلية الامريكية الجنسية والمصدر ، والمعفاة من الثمن . ان موقف شعبنا اللبناني سيظل يذكره شعبنا عندما نعود الى ارضه بعد تحريرها ، سيذكر هذا الاحتضان الدافىء الحنون للثورة وللشعب وللثوار** » .

○

• الوطن العربي •

التصريحات لاتكفى لمواجهة تهديد أمريكا باحتلال منابع البترول

وضع الرئيس الامريكي **فورد** الامور في نصابها الصحيح ، في الحديث الخاص الذي ادلى به في ١٣ يناير الماضي لمجلة « **تايم** » الامريكية ، واعلن فيه انه لا يستبعد استخدام القوة في الشرق الاوسط ، اذا ما تعرض العالم الغربي او الصناعي للاختناق . وقال انه يوافق **هنري كيسنجر** في تصريحاته الاخيرة لمجلة « **بيزنس ويك** » التي الح فيها الى احتمال التدخل العسكري الامريكي في حالة اختناق الاقتصاد الغربي بسبب ازمة البترول . واضاف الرئيس فورد « ان الاختناق العالمي هو مفتاح فهم التصريح ، واذا قرأت رده [كيسنجر] على سؤال افتراضي جدا لوجدت انه لم يقل ان القوة ستستخدم لتغيير الاسعار ، وانما قال انه لا يستبعد استخدام القوة اذا اختنق العالم الحر او العالم الصناعي ، وانني اعيد تأكيد تأييدي لهذا الموقف » .

والرئيس الامريكي صادق تماما . فالولايات المتحدة لن تدخل لخفض اسعار البترول ، فشركاتها النفطية هي المستفيد الاساسي من رفع السعر . وقد اعلن الرئيس الفرنسي **ديستان** عقب لقائه بالرئيس عقب لقائه بالرئيس فورد ان الولايات المتحدة لم تكن ابدا مهتمة بتخفيض **اسعار البترول** . اما الاختناق الموجب للاحتلال . فيتلخص في امور ثلاثة : اولها استخدام العرب بترولهم في انهاك اسرائيل بطريقة فعالة حقا ، او استغلال العرب لبترولهم لمصلحتهم هم فقط ، بمعنى استبعادهم للشركات

الاجنبية عموما من استغلال هـذه الثروة ، ومن ثم فان حرمان الاحتكارات الامريكية من هذه الارباح الهائلة هو الخنق بعينه ، اما الاختناق الثالث فهو تحول العـرب بفوائض بترولهم النقدية [بقدر ما ستجمع لهم منها قربا ٨٠٠ مليار دولار] الى قوة اقتصـادية مستقلة لهـا خطرها . اما رفع الاسعار بل وفرض الحظر فهو لا يعنى امريكا فى شىء ، لانها تكسب منه .

والواقع ان الاعداد للعمل العسكرى الامريكى ، كان قد بدأ منذ فترة طويلة .. وقد كشفت عنـه مجلة تايم الامريكية فى تحقيق نشرته منذ نحو عام ، قالت فيـه ان القوات الامريكية تتدرب على حرب الصحراء التى تشبه احوالها الاوضاع القائمة فى البلاد العربية ، والمحـرا حينذاك الى ان ليبيا قد تكون هى المقصودة . ولم ينورع الادميرال جون وينل ممثل الولايات المتحدة لدى اللجنـة العسكرية لحلف الاطلنطى عن ان يعلن فى اجتماعها ، ان الحكومات الغربية قد تنظر الى القوة العسكرية كضمان ضد حدوث حظر بترولى جديد . وصاح فى باقى الاعضاء قائلا « ان غرض الولايات المتحـدة ، هو ضمان عـدم انهيار بلادكم الى الحضيض . واعتقد ان حلفاء امريكا من دول اوروبا لابد ان يتفقوا معى على ذلك » . وسـارع جوزيف لانز سـكرتير حلف الاطلنطى ، وكان من قبـل وزيرا لخارجية هولندا ، فاعلن ان اى دولة اوروبية او غربية او حتى الاتحاد السوفيتى يمكن ان يفكر فى استخدام القوة اذا واجهت حالة الاختناق . لكن الاتحاد السوفيتى شجب هذه التهـديدات باسـتخدام القوة . وهاجمت البرافدا فى ١٤ يناير — فى اليوم التالى لتصريحات فورد — التهديد بالحرب لارهاب الدول العربية المنتجة للنفط ، وادانت دبلوماسية المدفع التى تستخدم ضد الدول العربية .

وقد اكد شليزنجر وزير الدفاع الامريكى اكثر من مرة ، احتمال حدوث تدخل امريكى فى مناطق البترول فى الشرق الاوسط ، وقال ان هذا ممكن عسكريا عند الضرورة . كما كان اجتماع خبراء الطاقة الامريكيين قد انتهى فى مؤتمرهم الذى عقدوه فى كامبدافيد بالتوصيـة باللجـوء الى « الاختيار الاقل تكلفة » وهو احتلال منـابع البترول فى الشرق الاوسط .

وفى مواجهة محاولة الاسـتيلاء بالعنف على ثروات الاخرين ، الذى تخطط له الولايات المتحدة حامية ملكية الملكية الخاصة وحرية التعامل فى العالم ، حدث رد فعل كبير — وان اقتصر حتى الان على التصريحات :

☐ ففى الامم المتحدة : ادان فالدهايم استخدام القوة وقال انه ليس ردا على ازمة الطاقة ، وان الحل هـو التعاون لا المواجهة .

☐ وعلى مستوى الرؤساء : اكد الرئيس السادات ما سبق ان اعلنه الرئيس الجزائرى بومدين من ان البلاد العربية يمكن ان تدمر بسهولة جميع المنشآت البترولية فى حالة حدوث تدخل . وان حل المشاكل يتحقق عن طـريق الحوار . وكان الرئيـس بومدين قـد اعلن ان الولايات المتحدة تتصرف ضد اتجاه التاريخ . وان احتلال كيلومترا واحدا من البلاد العربية يعنى احتـلال الوطن العـربى كله . وقال انه يمكن بعناصر قليلة للغاية ان ندمر منشآت البترول فى العالم العربى ، على ان تتحمل الولايات المتحدة مسئولية هذه الكارثة العالمية . بل ان الشاه اعلن انه اذا استمرت سياسة التهديدات الموجهة للدول المنتجـة للنفط ، فاننا سنتخذ الاجراءات اللازمة لمواجهة هـذه التهديدات . واضاف ان الدول المنتجة للنفط على استعداد لمناقشة تخفيض اسـعاره اذا خفضت اسعار السلع الاخـرى .

☐ وعلى المستوى العربى : استنكر « محمود رياض » امين الجامعة العربية هذه التهديدات واعلن رفض محاولات العودة بالعالم الى سياسة التهديد والسيطرة . ودعـا

كيسـنجر ينـهى خلافـاته العـائلية مع « العمـة جولـدا »

وسقط القناع عن الرجل ..

وبرغم أن أحدا لم يصدق ادعاءات كيسنجر بالحياد أو الوساطة أو حتى عدم الانحياز التام الى اسرائيل ، فان وقتا طويلا لم يمض على بدء كيسنجر لمهمته فى الشرق الاوسط حتى سـقط القناع تماما .

وفى حفل استقبال أقيم مؤخرا فى نيويورك لجولدا مائير ارتمى كيسنجر فى أحضانها أمام الجميع قائلا بصوت عال انها « عمتى » ولقد نختلف من حين لآخر لكنها دوما خلافات عائلية » .

ولم يكن أحد بحاجـة الى تصريح عائلى كهذا كى يعرف حقيقة كيسنجر وحقيقـة الدور الـذى قام به . فان كيسنجر بنفسه قد أصدر مؤخرا أيضا سلسلة من التهديدات باستخدام القوة العسكرية باحتلال آبار البترول العربية وأعرب عن رفضه الكامل لنتائج مؤتمر الرباط ، ثم عاد رئيسه فورد ليؤكـد التهديدات الامريكية المنـافية لابسـط قواعد القـانون الدولى ضـد الدول العربية المنتجة للبترول ، وينتهى المطاف بتصريح لفورد يقول فيــه دون موارية « هنـاك عـلاقة قوية — فى الوقت الحاضر — بين مصالح امننا القومى ومصالح أمن اسرائيل .

ويسقط القناع ، ليس عن كيسنجر وحده وانما عن الدور الامريكى كله . وتبقى الامبريالية الامريكية كمـا كانت وكماستظل دوما عدوة للعرب ولقضيتهم .. تمـاما كأية بدعـة أمريكية .. سريعا ما نلمع ، لكنها ايضا سريعـا ما تنطفىء .

الدول العربية ان تأخذ هذه التهديدات مأخذ الجد ، وتتخذ الإجراءات الوقائية . واضاف ان هذا التهديد يتناقض مع ميثاق الامم المتحدة ، ومع الخطوات الايجابية التى اتخذت فى سبيل الحل .

واعلن « **كمال ابو المجد** » وزير الاعلام فى مصر ان تصريحات **كيسنجر** مقلقة وبجعل مهمته فى الشرق الاوسط صعبة . وقال انهما غير ضرورية . وهى غير مقبولة ولا تخدم قضية العلاقات العربية الامريكية او قضية السلام فى الشرق الاوسط .

ورفض « **العتيقى** » وزير النفط الكويتى التهديدات الامريكية ، وقال ان هذه التهديدات ستحول العالم كله الى ميدان قتال . واعلن « **احمد خليفة السويدى** » وزير خارجية دولة الامارات ، ان بلاده ستنسف آبار البترول اذا نفذت الولايات المتحدة تهديداتها .

وقال « **عبد العزيز حسين** » وزير الدولة الكوينى ان العرب اعتادوا مثل هذه التصريحات التى تستهدف تقييد حرية الدول المنتجة .

لكن المسالة خطيرة فعلا ، فهذه التصريحات صادرة من رئيس اكبر واقوى دولة رأسمالية فى العالم ، دولة اعتادت ان تفعل ما بدا لها عنفا واغتصابا ، خاصة وان الاموال التى باع بها العرب كل بترولهم طوال السنين الماضية وحتى الان مودعة فى بنوكها . ومن ثم كان دعوة منظمة العمل العربية فى مكانها تماما ، هذه الدعوة التى طالبت « **بوضع خطة عربية علمية وموضوعية لمواجهة اى احتمال لمحاولة غزو دول البترول بالشرق الاوسط** » ويجب الا يقف الامر عند حد الرد الذى اعلنه الرئيس **بومدين** بشأن استطاعة العرب تفجير البترول وذلك حقيقى خاصة فى ظل تأكيد **درو ميدلتون** المحرر العسكرى « **لنيويورك تايمز** » من ان الخطط العسكرية للتدخل ، تتضمن استخدام احدث وسائل التكنولوجيا فى اطفاء الحرائق فى آبار البترول واعادة تشغيلها . وفى ظل تأكيد صحيفة « **لوموند** » فى ٩ يناير من ان الحرب بين امريكا والدول الصناعية ، والدول المنتجة للنفط قد بدأت بالفعل ، رغم ان التصريحات الدبلوماسية تنفى هذا .

● أثيوبيا ●

● ● الخـــــروج

تعتقد الاوساط الوطنية الافريقية ، ان تطورات اواخر ديسمبر الماضى ، كانت بمثابة اعلان من « هوية » القوى الرئيسية المحركة للنظام الاثيوبى الجديد ، بعد مضى ١١ شهرا من الاحداث التى اكتنفها الغموض فى بعض الاحيان . وسقطت بذلك ، كل محاولات وكالات الانباء الغربية لتصوير النظام الجديد فى صورة من لا يعرف ماذا يريد بالضبط وان تحركاته مجرد ردود افعال يومية لمتطلبات طارئة ومفاجئة .

ففى اواخر ديسمبر ، اعلن المجلس العسكرى عن برنامجه السياسى ، الذى يتبنى الاشتراكية تحت شعار « **اثيوبيا اولا** » . ويفسر البرنامج الشعار قائلا « اثيوبيا اولا يعنى الاشتراكية فى اثيوبيا . والاشتراكية تعنى المساواة وحق الانسان فى تقرير مصيره وحق العمل والكسب » . وبذلك تقرر ملكية الدولة للبنوك وشركات التأمين وعدد من المؤسسات الاقتصادية الهامة . وفى الريف سيتم اصلاح زراعى يجرى تنظيمه على اساس نظام المزارع التعاونية المسيرة ذاتيا . وفى الاراضى الزراعية التى تملكها الحكومة [٢٥٪] تقرر ادخال نظام المزارع الجماعية . اما فى مجال العمل السياسى فقد تقرر الاخذ بنظام الحزب الواحد .

ويلاحظ المراقبون ان هذا البرنامج السياسى ، قد وفر للنظام الاثيوبى الجديد دعامتين هامتين : **اولا** : هدف وفلسفة للنظام يبرر بها وجوده كأساس يتجاوز بكثير مجرد القوة العسكرية . ويضمن بذلك تأييد ومساندة قطاعات واسعة من المثقفين والطلبة والعمال والفلاحين . ثانيا : الانتماء للقوى التقدمية فى افريقيا والعالم ، والذى يؤدى بالتالى الى فك الحصار الذى فرضه الغموض الذى احاط بتطورات احداث سابقة .

ويربط المراقبون بين هذا الفهم ، وبين حدثين آخرين ، فى الداخل ، قرار الانتقال بالثورة الى الريف حيث تم تنظيم حملة يشارك فيها ٦٠ الف طالب لشرح اهداف الثورة للفلاحين ومساعدتهم على محو الامية والارشاد الصحى . وبالنسبة للخارج ، بدأ النظام فى ارسال وفود له لاجراء محادثات مع الدول الافريقية وغيرها من الدول .

ويؤكد بعض المراقبين ان التطورات الاثيوبية الاخيرة ، تفيد بان النظام الجديد قد افلت تماما من ايدى « المحاولات الامريكية » التى سعت من خلال عناصر لها كانت ممثلة داخل المجلس العسكرى الى حصار حركة النظام الجديد فى مجرد ايجاد بديل ثابت « مقبول » للامبراطور العجوز . ومن الجدير بالذكر ان وزارة الخارجية الامريكية ، كانت قد قررت خلال الشهور القليلة السابقة على اعلان البرنامج ، تجميد المساعدات الامريكية لاثيوبيا [٢٢ مليون دولار سنويا] وذلك « حتى تنجلى الامور وتتضح حقيقة الاوضاع » . وكانت البنوك السويسرية قد رفضت صرف اموال الامبراطور هيلاسلاسى بمقتضى الرسالة التى وقعها وطلب فيها هذا ، وذلك بحجة ان الرسالة قد وقعت تحت ضغط .

وترى الاوساط الافريقية التقدمية ، ان جزءا هاما من مستقبل النظام فى اثيوبيا ، مرتبط بالطريقة التى ستتناول بها مشكلة اريتريا التى تجرى فيها الحرب منذ ١٢ عاما . وتفيد تقارير المطلعين من اديس ابابا ، ان النظام الجديد يرغب فى معالجة المشكلة وحلها باسلوب يماثل اسلوب البرتغال فى معالجة قضية المستعمرات . فضلا عما تكلفه الحرب [ثلث ميزانية اثيوبيا] التى تحتاجها البلاد لما تعانيه من مشاكل المجاعة والتخلف ،

فان طموح واهداف البرنامج السياسي للنظام الجديد ، لا يتفق مع استمرار الحرب .

ومن الملاحظ ان مشكلة اريتريا تكتنفها في الوقت الراهن بعض التعقيدات . لعل اهمها انقسام الحركة الوطنية الاريترية نفسها وارتباطات تيار فيها ببعض قوى خارجية تأمل في تطويق اتجاه التطورات الاخيرة واستمرار نزيف الحرب لانهاك قوة النظام الجديد . يضيف الى ذلك ، قيام هذا التيار باجراء حوار مفاجيء مع تيار الانفصال الذي يتوده الامبر مينغاشا سيوم في مقاطعة التيكرية . وقد ادى ذلك الى احداث توتر احاط بمحاولة النظام الجديد في اجراء مفاوضات — عن طريق ميخائيل ايمرو وزير الاعلام — مع ممثلين لزعماء من اريتريا .

ويرى المراقبون الافريقيون التقدميون أن الاتجاه رأسا الى التفاوض مع الحركة الوطنية الاريترية ، من أجل الاتفاق على تقرير المصير ، هو الطريق المختصر الوحيد الى معالجة الموقف .

O

● العالم الغربي ●

رفع سعر الذهب لسرقة دول البترول

وافق صندوق النقد الدولي على الغاء السعر الرسمي للذهب وهو ٤٢٫٢٢ دولار للاوقية الواحدة من الذهب . ويعد هذا القرار من باب اقرار الامر الواقع ، فمنذ أن اتفق الرئيسان فورد وديستان في اجتماعهما في المارتنيك على اعادة تقييم احتياطيات البنوك المركزية من الذهب بسعر السوق ، سارعت فرنسا باعادة تقدير ذهبها على أساس ١٦٠ دولارا للاوقية ، مما رفع قيمة احتياطيها منه من ١٩٫٦ مليار فرنك الى ٧٥٫٦ مليار بزيادة ٥٦ مليارا دفعة واحدة .

وهذا الاجراء يعني الى حد كبير الدور الرئيسي الذي كان الذهب يقوم به في نظام النقد الدولي ، ويسمح للدول الاعضاء بالصندوق بتقييم أرصدتها الذهبية بأسعار السوق والمعروف أن الدول الاعضاء ملزمة بالاحتفاظ بالارصدة الذهبية مجمدة في البنوك المركزية ومقومة بالسعر الرسمي

والواقع أن هذا الاجراء يكفل للدول الرأسمالية المتقدمة ضرب عدة عصافير بحجر واحد ، من ذلك :

☐ انه يحرر جزءا من أرصدتها الذهبية التي تلتزم بالاحتفاظ بها مجمدة في البنوك المركزية كجزء من غطاء عملاتها ومعاملاتها . الامر الذي يمكنها من طرحه للبيع في السوق . ففي حالة فرنسا تضاعفت القيمة النقدية

بيان مشترك بين الاتحاد الدولي لنقابات العمال العرب والاتحاد العالمي للنقابات

امام الازمة الاقتصادية الطاحنة التي تواجه العالم الرأسمالي ، وكمحاولة يائسة للخروج من هذه الازمة بالقاء عبئها ومسبباتها على الجماهير العاملة وعلى الدول المنتجة للمواد الخام ، وخاصة البترولية منها ، فان الدول الامبريالية وفي مقدمتها الولايات المتحدة الامريكية تصدر التهديد تلو التهديد ضد بلدان العالم الثالث وضد الجماهير العاملة في البلدان الرأسمالية .

ووصلت هذه التهديدات الوقحة بما اعلنه هنري كسنجر وزير خارجية الولايات المتحدة اخيرا ، من انهم سيلجأون لاحتلال مصادر النفط عسكريا حتى يضمنون تدفقه على بلدان العالم الرأسمالي . ان كيسنجر ومن يمثلهم من دوائر المال والشركات الاحتكارية متعددة الجنسيات ، يودون ان يوقفوا عجلة سير التاريخ والتسديد من نصيبهم من ثروات الشعوب حتى يضمنوا تدفق سيل الارباح الخيالية التي كانوا وظلوا حتى الان في اجزاء متعددة من العالم يجنونها من استغلال واستثمار خيرات هذه الشعوب .

ولكن عالم اليوم ، ليس عالم التقسيم الاستعماري [الكولونيالي] ، ولا هو عالم نهضة الرأسمالية والامبريالية . انه عالم نهوض وتطور المعسكر الاشتراكي ، عالم اتساع وصلابة عود حركة

لذهبها نحو اربعة مرات ، ولو ارادت الاحتفاظ بذهب قيمته تعادل بالاسعار الجديدة قيمة الرصيد السابق المقوم بالاسعار القديمة ، لكان عليها أن تحتفظ بربع الكمية القديمة وأن تبيع ثلاثة أرباع الكمية المتاحة لديها .

☐ **مبادلة قدر أقل من الذهب — بالاسعار الجديدة — مقابل نفس القدر من واردات العالم الثالث ، خاصة النفط** فبعد أزمة الدولار وتدهور القيمة الشرائية لارصدة الدول النفطية [خسرت احدى دوله ما يعادل ٥٠٠ مليون دولار فى التخفيض الاول ، و١٣٨ مليون فى التخفيض الثانى] ولجأت معظم هذه الدول الى شراء الذهب على اعتبار أن قيمته أكثر ثباتا من الدولار ، بل وطالب عدد منها بالسداد بالذهب — طبعا بالسعر الرسمى . ورفع سعر الذهب **يمكن الدول المتقدمة من تخفيض كميات الذهب التى تقدمها وفاء لثمن نفس الكمية من النفط بمقدار الثلاثة أرباع .** وتبدى أهمية هذا القرار اذا أدركنا أن الدول الصناعية كان عليها أن تقدم فى ١٩٧٤ مبلغا يتراوح بين ١٠٠ و١٥٠ مليار دولار ثمنا للبترول حسب تقدير الفاينانشال تايمز و١٠٠ مليار دولار حسب تقدير مجلة بتروليوم ايكونومست وهذا المبلغ الاخير يزيد ٧٠ مليار دولار عما دفعته فى ١٩٧٣ . وفى سداد هذا المبلغ [١٠٠ مليار دولار] فان أقصى ما يمكن أن تصدره هذه الدول من سلع ومعدات تبلغ قيمته ٤٠ مليار دولار ، كذلك تدفع نقدا أجنبيا قيمته ٣٠ مليار أما الباقى وهو ٣٠ مليار فتسدده ذهبا . واذا حسبنا الاوقية بمبلغ ١٣٠ دولار، فان وزن الذهب المطلوب لسداد هذا المبلغ هو ٧١٣٠ طن ذهب [مجموع ماتملكه الدول الصناعية منه هو ٢٦٢٥٠٠ طن] .

☐ تخفيف حدة التخلص من الدولار نسبيا وتفضيل الذهب عليه . وفى هذا كانت الولايات المتحدة قد أوقفت فى ١٩٧١ التزام بنوكها المركزية باستبدال الدولارات بالذهب بالسعر الرسمى . وفى ديسمبر الماضى صدر قانون فى الولايات المتحدة ، يسمح لاول مرة منذ ٤١ عاما بالتعامل فى الذهب فى الاسواق العالمية . وبمجرد صدور هذا القرار حدث هبوط حاد فى سعر الذهب فى الاسواق العالمية . ففى لندن وزيورخ انخفض سعر الاوقية من ١٧٥ دولارا الى ١٦٥ ، وفى باقى الاسواق انخفض الى ١٨٧ دولارا بعد أن تجاوز ٢٠٠ دولار. كما أعلن « وليام سايمون » وزير الخزانة ، وطرح ٢ مليون أوقية للبيع رغبة فى وقف التكالب على تداول الذهب وتفضيله على الدولار ، ولكى تستبعد الذهب من الناحية العملية من النظام النقدى .

والمعروف أن قيمة الذهب وارتفاع سعره ينبع فى الاساس من استخدامه كنقد ، سواء كعملة مباشرة أو احتياطى وغطاء . فهو باعتباره مقياسا ومستودعا للقيم يحتل المكانة التى أصبحت له . لان استخداماته فى الصناعة أو فى الزينة ثانوية تماما . ولو استبعد الذهب من المعاملات النقدية لانخفضت قيمته ، تماما كما حدث للفضة

والواقع أن المضاربة على أسعار الذهب ما كانت بمثابة مضاربة على تخفيض قيمة الدولار . ففى البدء كان أصحاب الارصدة يفضلون الدولار لكن مع عجز ميزان المدفوعات الامريكى وخفض قيمة الدولار ، بدأ التحول نحو الذهب بصورة ملحوظة خاصة منذ أوائل الستينات . ورفع سعر الذهب يتيح للولايات المتحدة وقف التكالب عليه ، كما يمكنها نسبيا من تصحيح ميزان المدفوعات وتعزيز سعر الدولار .

لكن اتفاق دول الغرب على رفع سعر احتياطاتها من الذهب بهدف نهب دول البترول ودول العالم الثالث عموما، لا يلغى فى رأى المراقبين حقيقتين :

التحرر الوطنى العالمية ، عالم اشتداد الصراع الطبقى فى البلدان الراسمالية ، عالم الجبهة العالمية الموحدة ضد الامبريالية والاستعمار الجديد والاحتكار الراسمالى .

اننا ، باسم الاتحاد الدولى لنقابات العمال العرب والاتحاد العالمى للنقابات ، ندعو جماهير العمال فى العالم اجمع ان يأخذوا التهديدات الامريكية مأخذ الجد لان الامبريالية فى صراعها للابقاء على مواقعها قد تلجأ لاعمال انتحارية — اننا ندعو لليقظة والمزيد من اليقظة ، والى القيام بتحركات ضد دعاوى الامبريالية .

اننا ندعو الى رص صفوف مجموع حركتنا العمالية العالمية . ان ملايين العمال الذين يعتبرون الضحايا الاساسيين للاحتكارات والحكومات الراسمالية لقادرون اذا ما اتحدت صفوفهم على رد التهديدات الامبريالية ، على لجم اى عدوان وعلى تحويل سلاح التهديد الى الذين يلوحون به . ان كل اشكال التنسيق بين اطراف الحركة النضالية المطلوبة الان اكثر من أى وقت مضى .

ان عمال البلدان العربية الذين ناضلوا لسنوات طويلة ضد الاستعمار ، ومن اجل استرداد ثرواتهم الطبيعية والتصرف فيها بحرية ، وعمال العالم الذين يساندونهم ويتضامنون معهم ، سيقفون معا سدا منيعا امام اى تهديد او تشهير وذلك بفرض سياسة التفاوض والتعاون لحل المشاكل الاقتصادية والسياسية .

اننا ندعوا كل قوى التقدم والسلم فى العالم ان تتحد فى وجه تهديدات الامبريالية ، وان تدافع متحدة عن مكتسبات الشعوب وحقها الكامل فى التصرف بحرية فى ثروات بلادها .

عبد اللطيف بلطية
الامين العام للاتحاد الدولى لنقابات العمال العرب

بييرجونسوس
الامين العام للاتحاد العالمى للنقابات

□ تفاقم التناقضات بين هذه الدول فيما يتعلق بمجالات النقد والتمويل والتبادل . فمثلا تريد دول أوربا التسعة أن يتم — فى اطار صندوق النقد الدولى — انشاء صندوق خاص لاستثمار فوائض دول البترول ، بينما يطالب كيسنجر بانشاء صندوق آخر [٢٥ مليار دولار] تساهم فيه كل الدول ، وذلك لتمويل الدول التى تعانى عجزا .

□ أنه يستحيل كما قالت « لوموند » ادارة الشئون المالية والنقدية للعالم بدون اشتراك دول العالم الثالث ، خاصـــة دول النفط . وبالفعل فقد أعلنت كل من **ايران والعراق والجزائر** ، رفع سعر الـــذهب . وأعلن وزير مالية الجزائر أن هذا القرار لابد من اتخاذه فى اجتماع دولى ، تشترك فيه الدول الاشتراكية ودول العالم الثالث وقال ان الدول النفطية ، ستسحب رفض بيع سلعها مقابل نقود قيمتها الفعلية مشكوك فيها ، وأن البلاد الغربيـــة المدنية ليست هى التى ستحدد شروط التبادل . وأضاف ان مؤتمر القمة لدول الاوبك سيبحث هذه القضية .

لذلك كله وكثير غيره ، يحتاج العالم الى مقياس آخر للقيم ، يقيسها بدقة من ناحية ويمنع التلاعب فى مـــدى تعبيرها عن القيم الحقيقيه من ناحيه أخرى ..

○

● الاتحـــــــاد السوفيتى ●

موســـكو تـرفض المعــاهدة التجــارية

بعد أن رفض الكونجـرس جميع التحذيرات

فى مساء يوم ١٤ يناير الماضى اعلن « **هنرى كيسنجر** » وزير الخارجيـــة الامريكى فى مؤتمـــر صحفى عقـــده فى واشـــنطن ، ان الاتحاد الســـوفيتى قـــد ابلغ الحكومة الامريكية رفض تنفيذ الاتفاقية التجارية التى وقعها الرئيس السابق « **ريتشارد نيكسون** » فى موسكو فى نهاية مايو ١٩٧٢ .

ورغم ان المراقبين فى واشنطن اعتبروا هـــذا الرفض « اكبر نكسة مرت بها سياسة الانفراج » .. فـــان وكالة تاس السوفيتية قالت منذ ايام : « أن الاتحاد السوفيتى سيظل يحرص حرصا شديدا على الوفاق ، والعـــلاقات التجارية الطيبة مع الولايات المتحـــدة مع استمراره فى رفض المساومة على أى شأن من شئونه الداخلية .

ذلك لان الكونجرس الامـــريكى — تحت تأثير الضغوط الصهيونية — عمد الى الربط بين اقرار الاتفاقية التجـــارية وبين التدخل فى الشئون الداخلية للاتحـــاد السوفيتى ، حيث اشترط لتنفيذ الاتفاقية فتح باب الهجرة امام اليهود السوفيت الى اسرائيل وغيرها من الدول الاخرى .

فبعد عامين ونصف من المجادلات والمساجلات داخـــل مجلسى الكونجرس الامريكى حول هذه الاتفاقية ، دخلت العلاقات بين الدولتين الى مرحلة تراكم الثلوج مع حلول يوم ٢١ ديسمبر الماضى الذى يوافق بدء فصـــل الشـــتاء جغرافيا ، حيث اختار الكونجرس ذلك اليوم لكى يبعث فيه الى الرئيس الامريكى **جيرالد فورد** بـــ « **قانون التجارة الخارجية** » فى صيغته النهائية لكى يوقع عليه . وكانت هذه « الصيغة النهائية للقانون » تضع الاتحاد الســـوفيتى أمام الاختيار بين احد امرين :

■ **اما ان يفتح باب الهجرة امام اليهود السوفيت .**

■ واما ان يفقد « التنازلات » الامريكية التى تضمنتها الاتفاقية التجارية المبرمة بين قطبى الدولتين .

وكانت هذه الاتفاقية تهدف الى تعزيز الانفراج الدولى وتدعيم السلام العالمى عن طريق زيادة العلاقات التجارية بين الولايات المتحدة من جانب ، والاتحاد السوفيتى وسائر الدول الاشتراكية من جانب آخر ، حيث كان يعطى لرئيس الجمهورية الامريكى الحق فى خفض الحواجز الجمركيـــة المفروضة على السلع القادمة من هذه الدول ، وتقـــديم القروض اليها عن طريق بنك الاســـــتيراد والتصـــدير الامريكى .

ورغم التحذيرات العديدة الى الكونجرس بالا يربط بين هذه الاتفاقية وبين مسألة هجرة اليهود السوفيت .. فانه لم يستجب اليها .. وقد صدرت هذه التحذيرات من داخل الولايات المتحدة ذاتها بالاضافة الى التحذيرات الصادرة من الخارج ، ففى اول اغسطس من العام الماضى حذر السناتور « **وليام فولبرايت** » — الذى ظل يشغل منصب رئيس لجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشيوخ لمدة ١٦ سنة — من ان مغالاة الاوساط الامريكيـــة المتطـــرفة فى المطالبة بالضغط على الاتحاد السوفيتى لاباحة هجـــرة اليهود السوفيت ، قد يؤدى الى القضاء على سياســـة الانفراج . ودعا فولبرايت زملاءه فى الكونجرس الى عدم الاستجابة لمطالب هؤلاء المتطرفين .

كذلك فقد عبرت بعض الصحف الامريكية وأوســـــاط الرأى العام الامريكى عن قلقها من ان مناورات اعـــداء الانفراج الدولى داخل الكونجرس تضر بالمصالح القومية للولايات المتحدة ذاتها فقد كتبت صحيفـــة « **جـــورنال أوف كوميرس** » افتتاحيـــة قالت فيهـــا : « ان محـــــاولات السناتور جاكسون وزملائه التدخل فى الشئون الداخلية للاتحاد السوفيتى سيترتب عليها ان يسحب الاتحـــــاد السوفيتى طلباته من الولايات المتحدة ويحولها الى دول الغرب الاخـــرى ، الامر الذى يضر بالمصـــالح التجارية الامريكية . وان الاتحاد الســـوفيتى — كأية دولة كبرى اخرى — لا يمكن ان يسمح لاتفاقاته التجارية بان تخضع لشروط التدخل فى شئونه الداخلية .

وعشية ارسال قانون التجارة الخارجية من الكونجرس الى البيت الابيض نقلت وكالة يونيتدبريس الامريكية تصريحا لمسئول سوفيتى فى واشنطن قال فيه : ان هذا القانون « تدخل فى الشئون الداخلية للاتحاد السوفيتى» ، ذلك لانه يربط بين هجرة اليهود السوفيت — التى يراد لها ان تصل الى ٤٠ الف مهاجر سنويا — وبين تقديم تسهيلات « معاملة الدولة الاولى بالرعاية » .

وفى اليوم التالى لارسال القانون الى البيت الابيض تجاهلت الصحف السوفيتية هذا الشرط الذى يتضمنه القانون فى حين صدر بيان رسمى من الحكومة السوفيتية ينفى تقديم اية تنازلات الى واشنطن بأن يكون هناك توسع تدريجى فى هجرة اليهود السوفيت . كذلك ذكرت وكالة تاس « ان القيادة فى الاتحاد السوفيتى ترفض تماما اية محاولات ايا كان مصدرها للتدخل فى الشئون الداخلية التى تعتبر من صميم اختصاص الدولة وليست من اختصاص اى شخص آخر ومن ثم تعتبرها أمرا غير مقبول » .

وكانت الوكالة قد اشارت من قبل الى ان كل من الحكومتين الامريكية والسوفيتية تتعهد — طبقا للاتفاقية التجارية — بأن تمنح الحكومة الاخرى معاملة الدولى الاولى بالرعاية دون اى شروط ، وان عدم وفاء اى من الجانبين بالتزاماته فى هذا الشأن يؤثر على التزامات الجانب الآخر ، وبالتالى فان الشروط الامريكية التى وضعها الكونجرس من شأنها ان تؤثر على التزامات موسكو ازاء الاتفاقية .

من هنا فانها لم تكن مفاجأة ان يرفض الاتحاد السوفيتى تنفيذ الاتفاقية التجارية بسبب القيود التى فرضها الكونجرس من حيث اشتراط فتح الهجرة أمام اليهود السوفيت . وبسبب رفض الكونجرس الاصغاء الى جميع التحذيرات الصادرة اليه من الداخل ومن الخارج .

○

• فيتنام •

سايجون «ثيو» تتحلل ، والثوار يقتربون

تدفع حكومة نيوين فان التابعة للامريكيين فى فيتنام الجنوبية ، نفسها أكثر فاكثر الى مازق مزدوج ، سياسى — عسكرى . ذلك أن عملها المستمر على خرق اتفاقات باريس ، وشن اعتداءاتها على المناطق المحررة التابعة للحكومة الثورية المؤقتة ، يؤدى دائما الى ردود فعل من جانب الثوار ، تتمثل فى ضرب القوات المعتدية على المناطق المحررة ، فى مناطق انطلاق هذه القوات نفسها .

وردا على هذا الاسلوب العدوانى ، استطاع الثوار أخيرا أن يوجهوا أكبر ضربة عسكرية تلقتها حكومة سايجون منذ توقيع اتفاق باريس سنة ١٩٧٣ فقد استولوا على مقاطعة فوك لونج بأكملها بما فيها عاصمتها فوك بين ، (٧٥ ميلا شمالى سايجون) بعد هجوم بالدبابات والمدفعية الثقيلة ، وبعد هذا الاستيلاء الكامل على مقاطعة بأسرها فى هجوم متواصل ، العملية الثانية من نوعها فى تاريخ الحرب الفيتنامية ، فى حين تعتبر فوك بين اكبر مدينة استولى عليها الثوار لا بعد اتفاق باريس فحسب ، وانما قبل هذا الاتفاق بعام كامل ايضا . وقد سقطت خلال معركتها ايضا ، فى أيدى الثوار ، القيادة العسكرية الاقليمية لقوات حكومة فيتنام الجنوبية .

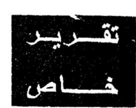
وازاء هذه النكسة العسكرية الخطيرة التى منيت بها حكومة ثيو ، بدأ الاسطول الامريكى السابع يكثف نشاطه أمام سواحل فيتنام ، وينقل كميات ضخمة من الذخائر من الولايات المتحدة ، وتايلاند ، واليابان الى فيتنام ، كما تقوم طائرات الاستطلاع الامريكية بتوجيه قوات حكومة سايجون فى هجومها على المناطق المحررة ، وخاصة منطقة لوك نينه ، كذلك أعلن الامريكيون حالة التأهب بين قوات مشاة البحرية الامريكية فى أوكيناوا ، وفى نفس الوقت تقوم حكومة الرئيس فورد بالضغط على الكونجرس لتقديم مزيد من المساعدات العسكرية لحكومة ثيو لتسير قدما فى الحرب وتنتهك نصوص اتفاقات باريس ، فى حين أرسلت حاملة طائراتها « انتر برايز » أمام مياه فيتنام الديموقراطية ، وترسل طائرات استطلاعها لاعمال التجسس فوق أراضيها ايضا .

لكن من الواضح ان حكومة الولايات المتحدة بتشجيعها حكومة ثيو على المزيد من الاعتداءات ، وشن العدوان ، تساهم مساهمة متزايدة فى دفعها الى الازمة عن طريق المزيد من الهزائم العسكرية التى سوف تلحق بها فى ميدان القتال حسبما أوضحت التطورات الاخيرة .

وتحدث هزائم حكومة ثيو العسكرية ، اثرا مزدوجا ، فضلا عن انها تنال من قوة الجيش العميل بحكم الخسائر المتوالية التى منى بها [١٥ الف قتيل و٥٧ الف جريح خلال ١٩٧٤ حسب الاحصاءات الرسمية نفسها) . فانها تؤثر تأثيرا مضاعفا على القوة السياسية الثالثة فى فيتنام الجنوبية .

وتنظر هذه القوة بمثابة تجمع للمعارضة ضد نظام ثيو ، وهى تتألف من عناصر ربما تفاوضت مع هذا النظام فى الماضى لكنها تحولت الى معارضة نتيجة السياسة الحمقاء التى يواصل اتباعها وتعكيره صفو السلام فى الوقت الذى يحن شعب الجنوب فيه الى وقف القتال .وقد شهدت الفترة الاخيرة تصاعد نفوذ القوة الثالثة ، التى أصبحت تضم وزراء سابقين وجنرالات سابقين ، وعناصر فعالة فى البرلمان ، وصحفيين ، ومثقفين وفنانين . وقد انعكس هذا التصاعد فى قيام المظاهرات المضادة لثيو بشكل متواصل فى كل مدن فيتنام الجنوبية منذ بداية هذا العام وحتى كتابة هذا التقرير .

وهكذا يزداد تحلل حكم عملاء الولايات المتحدة فى سايجون تحت تاثير عدوانهم نفسه ، فى الوقت الذى يزداد فيه اقتراب الثوار من سايجون ، ويزداد فيه بروز احتمال ضرورة تشكيل حكومة ائتلافية تحل محل حكومة ثيو التى استقطبت العداء الجماهيرى لها بشكل لم يسبق له مثيل .



مصر .. من الآن وحتى سنة ٢٠٠٠

صلاح جلال

لقد كان وضع المؤتمر تحت رعاية الرئيس محمد انور السادات ، وانابته الدكتور اسماعيل غانم – وزير التعليم العالى والبحث العلمى فى القاء كلمة الرئيس وافتتاح المؤتمر ومشاركة كبار المسئولين فى الدولة فى جلسات واجتماعات ومناقشات المؤتمر ، أكبر الاثر فى نجاح المؤتمر ، وكانت الاتجاهات الرئيسية فى المؤتمر التى ظهرت من خلال الكلمات والمناقشات والجلسات العامة والمتخصصة تتركز فى تشجيع وانشاء روابط للعلماء المصريين فى جميع أنحاء العالم وبصفة خاصة للدول الاوروبية وأمريكا وكندا والدول العربية ، ووجود مركز فى مصر تكون مهمته القيام بتسجيل الاتصالات وتنفيذها يستقر عليه الرأى ، بين العلميين الموجودين بالخارج والمقيمين داخل الوطن ، ووضع البرامج التنفيذية للمشروعات وخطط البحوث والتعاون ، وقيام هيئة متابعة بهذا المركز استمرارا للاتصالات ، وتنظيم مواعيد دورية للاجتماعات والمؤتمرات المشتركة التى تعقد فى مصر ، مرة كل عام على الاقل لمتابعة ماتم ووضع خطط مستقبلية ، وظهرت الحاجة الى اقامة مؤتمرات علمية نوعية متخصصة تتناول أوليات مشروعات التنمية والمشاكل المختلفة يشترك فيها علماء مصر فى الداخل والخارج ، واصدار دليل للعلميين المصريين فى جميع انحاء العالم بتخصصاتهم ومؤهلاتهم وامكانيات التعاون معهم وتجديده سنويا ، واستكمال دليل العلماء المصريين بالداخل على احدث النظم الوثائقية ليصبح سهل التداول والاستفادة منه ، والاهتمام باختيار سبل التعاون المناسبة للتعاون مع العلميين المصريين بالخارج ، سواء بالعودة الى الوطن ، او الحضور لفترات زمنية مختلفة ، او بالبحوث المشتركة من داخل الوطن وخارجه والمشاركة فى مشروعات التنمية والدراسات . والاعتماد على خلق التكنولوجيا محليا وعدم الاعتماد على استيراد الالات والمصانع ، وتنفيذ المشروعات المستوردة من الخارج ، والاهتمام ببحوث المواءمة لتناسب ظروفنا وامكانياتنا والبيئة الاجتماعية والتركيب السكانى والخبرات المتاحة . وتفضيل الخبرات المصرية العالية عند الحاجة الى خبراء أجانب ماداموا على المستوى المطلوب ، واستشارة العلماء المصريين فى الخارج فى نوعيات الخبراء الاجانب القادمين من الدول التى يعيشون فيها . وتوحيد الجهات التى تتعامل مع العلميين فى الخارج فى جهة واحدة ، وتركيز المسئوليات منعا للتكرار وتوفيرا للوقت ، وتأكدا من خلال المناقشات ان تخطيط مستقبل مصر سنة ٢٠٠٠ لا يتحقق الا باعتبار مصر جزءا اساسيا ورئيسيا من الوطن العربى ، والقارة الافريقية والعالم الثالث . مع التركيز على البحوث التطبيقية والتطويرية المباشرة المتصلة بخطط التنمية ، مع عدم اهمال البحوث الاساسية وخاصة الموجهة . وتحديد دقيق لقدرات جهات البحوث بالجامعات ، لاختيار مشروعات البحوث الملائمة بالقدر الذى تستطيع به امكانياتها أن تؤدى الى نتائج ملموسة وسريعة نظرا لدور الجامعات الكبير فى تخريج اعداد كبيرة مع ضرورة تقييم العلميين المصريين فى الخارج والداخل حسب تخصصاتهم ومجالات عملهم ، والاوقات المتاحة لهم للتعاون ، والاستفادة من هيئة الاستشارات العلمية والتكنولوجية للتنمية فى جميع نواحى الانشطة والخبرات للمشروعات المختلفة ، لتجميع الخبرات والاستفادة منها ، وربط العلماء بمشروعات التنمية القائمة فى الداخل والخارج ، والاستفادة من الهيئات القائمة والاهتمام بالنشر والتوثيق العلمى ، واتاحة الامكانيات للعلماء المصريين فى الداخل لحضور المؤتمرات والاشتراك فى الابحاث ، فى الدول الاخرى والزيارات العلمية ، والاعتماد على الاجهزة العلمية والبحث العلمى – فى دارسة خطط ومشروعات التنمية ، واتاحة الفرصة لها للدراسة العلمية المتكاملة على أسس سليمة لا تتأثر ، بالعوامل قبل الارتباط بشأنها واثناء مناقشة سياسة ومستقبل التعليم » وضحت الحاجة الى نظام التعليم الخاص باعداد العلميين المتخصصين المتكاملين حسب احتياجات التطور العلمى المناسب لظروفنا ومشروعات التنمية فى مصر ، والاهتمام بتخريج الفنيين والمساعدين الفنيين ومساعدى المعامل ومتخصصى المعامل وواضعى البرامج والتوثيق العلمى والحاسبات الالكترونية مع الاهتمام بتعليم اللغات الاجنبية باعتبارها مدخلا للاستفادة من التكنولوجيا العالمية . وان تكون المؤتمرات العلمية القادمة متخصصة ، وتشمل الموضوعات الرئيسية والاساسية ، وخاصة مشروعات الطاقة ، وبصفة خاصة البترول ، وتصنيعه ، والاهتمام بتكنولوجيا الكيماويات البترولية وازالة ملوحة ماء البحر » وبالنسبة للطاقة الذرية ضرورة التركيز على ابحاث تصنيع عناصر الوقود الذرى ، ووضع برنامج نووى كامل ، وتحديد دوائر الوقود الداخلة فيه ، والمناسبة للظروف والامكانيات المصرية والعربية ، والاستفادة من المفاعلات البسيطة للمناطق النائية والصحراوية ، والاهتمام بمجالات البحث العلمى فى الموضوعات الحديثة فى الطبيعة والكيمياء ومنها التحكم الالى والحاسبات الالكترونية وبحوث العمليات . والالكترونيات والبصريات الالكترونية والليزر والاشعة تحت الحمراء . وظهر اتجاه هام وواضح فى المؤتمر يطالب بانشاء مؤسسة للصناعات الحربية تجمع العلماء المصريين دفاعا عن السلام والتركيز على مشروعات التكامل الزراعى والصناعى والخامات الطبيعية والزراعية فى العالم العربى . وبحوث السكان والدراسات اللازمة لها .. ووضع الخطط المناسبة لتنظيم الاسرة على أسس علمية . والبحوث الاجتماعية المتعلقة بهذه الموضوعات "

كذلك اشير الى ضرورة الاهتمام بدراسة ثروات البحار المحيطة بالوطن العربى والاستفادة من بحوث الفضاء فى

التطبيقات العملية والثروات المعدنية والحساب الزراعى والتخطيط والمسح الجيولوجى والاهتمام ببحوث الزراعة والتغذية فى العالم العربى وأفريقيا كل ذلك لتحقيق احتياجات الانسان المصرى ثورة مصر الحقيقية وتوفير احتياجاته من تعليم ورعاية طبية وغذاء وكساء ومواصلات ومسكن ومروبح فكرى وثقافى ، والتركيز على بحوث **الاسكان ومواد البناء الرصفية والمحلية والمتوفرة فى مصر** وبحوث الادارة الحديثة والتخطيط ، وبحوث التنمية الاجتماعية والتنظيم الاجتماعى والتأمينات واتخاذ العلوم الاجتماعية وسيطا بين العلم والتكنولوجيا فى عمليات التنمية والتركيز على الرعاية الطبية وأبحاث القضاء على الامراض الوراثية والمتوطنة والاهتمام بالوقاية واعتبار مشروع القضاء على البلهارسيا مشروعا قوميا يشترك فيه علماء الداخل والخارج • والقضاء على الحشرات لخسائرها الاقتصادية، وتبين خلال الدراسات والمناقشات عدم الاهتمام الكافى ببحوث الزراعة الحديثة ، واقتصاديات استخدام المياه وتطوير نظام الرى والاستعمالات الحديثة للاسمدة • ودراسة الظواهر المتغيرة نتيجة لمشروع السد العالى •

ودراسة اتساع الرقعة الزراعية والمؤثرات عليها ووسائل زيادتها وحماية الشواطىء من التآكل ، وتطبيق مشروعات التكامل الزراعى مع الدول العربية للاكتفاء الذاتى من الحبوب والبحث فى ايجاد تغذية للحيوان حتى لا يشارك الانسان وينافسه على الرقعة الزراعية وانتاجها ، ورسم الخطط العملية الواقعية ، للاستفادة من كهرباء الريف تحقيق الاهداف المرجوة فى التصنيع الزراعى وكمصدر لطاقة وللانارة مع تخطيط الشبكة الملائمة فى وقت سريع •

ونموذج واحد يوضح اهتمام المؤتمر بموضوع تكامل العالم العربى يظهر من خلال البحث الذى قدمه :

الدكتور احمد محمد توفيق الفيل استاذ الاقتصاد الزراعى المساعد قسم الاقتصاد الزراعى بكلية الزراعة بجامعة الاسكندرية •

والدكتور عصام أبو الوفا مدرس الاقتصاد الزراعى **والدكتور على يوسف خليفة مدرس الاقتصاد الزراعى**

وتضمن تحليلا لهيكل التجارة الدولية الزراعية للدول العربية ودورها فى تحقيق التكامل الاقتصادى التجارى الزاعى العربى ، تبين منه أن أهم ملامح اقتصاديات الدول العربية ، اعتمادها شبه الكامل على تصدير المواد الخام غير المصنعة ، وهذه سمة من سمات الدول النامية وفى ظل عدم وجود سياسة اقتصادية عربية متناسقة تستهدف تحقيق التكامل الاقتصادى التجارى الزراعى العربى ، يسود التنافس بين هذه الدول فيما يتعلق بصادراتها من السلع الخام الزراعية ، وما يترتب على ذلك من أضرار اقتصادية واجتماعية تحيق بمختلف هذه الدول العربية •

وقد تبين من هذا البحث ان البلاد العربية وفقا لبيانات الفترة ١٩٦٥ ـ١٩٦٩ دول مصدرة فيما يتعلق بالاسماك الطازجة والمصنعة والخضر والفاكهة والاغذية المحفوظة والشروبات والجلود الخام والمدبوغة وبذور الزيت والالياف المصنعة والاسمدة الخام • وبذلك يمكن للدول العربية ان تقوم بالتبادل التجارى فيما بينها بالنسبة لهذه المجموعة من السلع وتستطيع من ذلك تغطية الاحتياجات الاستيرادية للسوق العربية القومية لكل دولة من هذه السلع بل ويزيد عنها قدرا يمكنها ان تقوم بتصديره الى الدول الاخرى غير العربية • ويمكن من خلال هذا التبادل التجارى فى هذه السلع تحقيق التكامل الاقتصادى والتجارى الزراعى العربى •

كما تبين ايضا ان البلاد العربية مستوردة صافية بالنسبة للحيوانات الحية واللحوم الطازجة والمصنعة والمنتجات اللبنية والبيض والحبوب •• ومستخرجاتها والسكر والعسل والقهوة والشاى والدخان والزيوت النباتية والحيوانات ومنتجات الغابات والاسمدة المصنعة والمبيدات الحشرية والالات ، الزراعية • ويقدر المتوسط السنوى لقيم هذه السلع فى الفترة ٦٥ ـ١٩٦٦ بقرابة ٦١١ مليون دولار سنويا ، وبذلك يتبين مدى ضخامة مقدار قيم الواردات السلعية الغذائية للدول العربية التى تمول من حصيلة الصادرات السلعية الزراعية وهذا يعتبر من أهم معوقات التنمية الاقتصادية فى الدول العربية •

واذا ما اتجهت الدول العربية نحو تحقيق التكامل الاقتصادى الزراعى وغير الزراعى بينها ، فانها يمكن ان تعمل على توجيه مواردها الارضية والبشرية الوفيرة بما يحقق الجدارة التكنولوجية وبالتالى الجدارة الاقتصادية فى الانتاج الزراعى لها جميعا ، وينعكس ذلك فى زيادة الطاقة الانتاجية الزراعية التى يمكنها الوفاء بمقتضيات الطاقة الاستهلاكية القومية من السلع الزراعية فى الدول العربية • وبالتالى يمكن ان تتحول الدول العربية من مستوردة ضافية الى دول مستكفية ذاتيا أو حتى دول مصدرة صافية بالنسبة للسلع الزراعية التى تعتبر مستوردة صافية لها فى الوقت الحاضر ، فالتكامل التجارى ، مرهون بالتكامل الاقتصادى فى مختلف مجالات الانتاج الزراعى وغير الزراعى فى الدول العربية •

وان يلتقى ابناء لمصر من أماكن مختلفة من العالم ، وهدفهم خدمة مصر خلال العلم والتكنولوجيا التى يعملون فىميادينها مجرد بداية تستحق الالتفات ، التقىالقادمون من الولايات المتحدة وكندا وسويسرا مع أساتذتهم وزملائهم داخل مصر ، ومع المسئولين فى مصر ، رئيس الجمهورية ، ورئيس الوزراء ، ورئيس مجلس الشعب ، وأمين عام الاتحاد الاشتراكى ، والوزراء ، وكثيرون فى مواقع مسئولة وبدأ الحوار بعد التعرف ، وبدأت سلسلة تفاعلات داخل المجتمع المصرى العلمى ، والعملى ويلتقى ابناء مصر من داخلها مع الابناء القادمين من خارجها والذين عاش بعضهم ١٨ عاما متوالية لم يعد فيها الى مصر وكان يسمع عن مشاكلها من الصحف والمجلات والاذاعات ومن روايات القادمين والزائرين • وفى مطلع السنة الجديدة التى تبدأ فيها مصر عاما جديدا من العمل ومواجهة التحديات ، تصبح المسئولية اضخم واكبر فى مواجهة العلماء الذين تقع على عاتقهم مسئولية التنفيذ فى مواقع العمل المختلفة من وزارات وقطاع عام ، بمصانعه ومنشآته، ويصبح السؤال العاجل : هل يمكن التخطيط لمصر من الان وحتى عام ٢٠٠٠ ؟

اذا كانوا جميعا قد اتفقوا فى كلماتهم ومناقشاتهم على انالثروة الحقيقية لمصر هىفىشعبها وفىأبنائها وليس فى الرقعة الزراعية امتدادا رأسيا أو أفقيا ، ولا فى المصانع اتساعا وارتفاعا، ولافى الثروات المعدنية والبترول،ولكن الانسان المصرى سواء داخل مصر وخارجها هو الثروة ، وهو الوصفة السحرية التى ستخرجنا من ظلمات المشاكل وتعقيدات الحياة وصعوبات المعيشة •

الانسان المصرى بعد التجميع ثم الحصر والتصنيف ثم التعبئة وتحديد مسئوليات العمل وتوزيعها ، ثم فى التنفيذ ، والحساب ثوابا وعقابا •

وكان الاهتمام بالطاقة فى المؤتمر بارزا باعتبارها عصب الحياة ، وعنصر التنمية الاول ، ولمواجهة التحديات حولها

من الان وحتى لا تفاجئنا الاحداث ، وكان من الظواهر الهامة فى المؤتمر ان اكثر موضوعات البحوث التى قدمها المصريون المقيمون فى الخارج كانت هى موضوعات عملهم الدائم والمستمر هناك بمعنى أنهم لم يعدوها خصيصا للمؤتمر ، ولان اسمه حتى عام ٢٠٠٠ لانهم كانوا يفكرون ويعملون باستمرار وهم هناك عن المستقبل وعن مصر وعن مشاركتهم فى هذا ، وعندما ظهرت معالم المؤتمر الاخير فى القاهرة ، حضروا بأبحاثهم وعلى نفقتهم ويدافع من شعورهم الى بلادهم للمشاركة بالرأى ، والجهد .

وكان من ابرز اجتماعات المؤتمر ما خصص **لتكنولوجيا الحسابات (العقول) الالكترونية ومستقبلها فى مصر** ، باعتبارها أحدث وأخطر وأهم منجزات الثورة العلمية لخدمة قضايا التنمية فى أى مكان من العالم ، والدول الاكثر تخلفا أولى بالطبع ، وبالتأكيد ، من الدول الاكثر تقدما وتشبعا بالعقول الالكترونية . وتبين ان لمصر ثروة كبيرة من علمائها داخل الوطن وخارجه فى هذا المجال الحساس والحيوى مما يدفع الى الاطمئنان الى المستقبل .

وكان للتعليم اهتمام كبير باعتباره الاساس فى رفع كفاءة الانسان المصرى ، وتزويده بالسلاح اللازم لمواجهة تحديات التنمية فى العالم المتغير ، والمعتمد على التكنولوجيا .

وعن التنمية الاجتماعية والتنظيم الاجتماعى اجتماعات شارك فيها المتخصصون من المصريين من الداخل والخارج عن مصير الانسان المصرى فى ظل نظم التطور الصناعى والزراعى ونوعية الحياة فى مصر عام ٢٠٠٠ ودور العلوم الاجتماعية وسيطا بين العلم والتكنولوجيا فى عمليات التنمية .

ولان البشر الذين هم ثروة مصر الحقيقية يعتمدون أساسا على الزراعة مصدرا للكسب وللرزق ، والغذاء والكساء معا ، فان الغذاء والزراعة كان لهما اهتمام اساسى ورئيسى فى المؤتمر . وشاركت مجموعات عمل وبحث من أبناء مصر فى فتح باب الحوار العلمى والمناقشة الواقعية لتصور مستقبل الزراعة والانتاج الزراعى فى مصر فى السنوات القادمة .

وكان **للصناعة** دورها الرئيسى ، وخصوصا وان عددا من علمائنا المصريين فى الخارج تخصصوا فى صناعات وتكنولوجيا النسيج ، باعتباره صناعة مصر الرئيسية الوثيقة بالقطن ، هيكل اقتصادنا .

وكان من أهم ما نوقش فى الجلسات العلمية موضوعى **البيئة ونوعية الحياة والطاقة** .

واتضح انه لابد أن يتم تكوين فرق علميــة مشتركة لموضوعات محددة يعمل بها المصريون فى الداخــل والخارج ، وان يشمل هذا النشاط المصريين المقيمين فى الدول العربية والافريقية ، وليس فقط من الدول الاوروبية والامريكية .

وان يكون هذا الحشد والتجميع المصرى بداية لتجميع عربى ولابد من تنظيم البيت من الداخل اولا ، وان يلتقى المصريون وهم الاكثر عددا ، والاقدم علما ، والاوسع انتشارا فى العالم بالنسبة للمجال العلمى ، وان يوضع فى الحساب ، ان هذا كله سيكون فى خدمة الوطن العربى ، والقارة الافريقية ودول العالم الثالث ، والانسانية كلها بنفس الترتيب .

وقد صدر عن المؤتمر بيان باسم العلماء المشتركين فيه من داخل الوطن وخارجه جاء فيه : ان الهدف الرئيسى الذى تكونت من أجله جمعيات العلميين المصريين بالولايات المتحدة الامريكية وكندا وسويسرا وجمعيــة اصــدقاء العلميين المصريين بالخارج داخل الوطن ، هو تجنيد هذه الطاقات لخدمة المجتمع المصرى ، والاسهام فى عمليات التخطيط والمشاركة فى الجهود التى تبذل من أجل تحقيق اهداف التنمية الاقتصادية والاجتماعية ، لتحقيق هذا الهدف كان من الضرورى ان يتم اللقاء بين العلميين المصريين بالخارج ، وزملائهم المسئولين بداخل الوطن حتى يضعوا معا تصورا لمصر المستقبل . ومن هنا كان لمؤتمر « مصر من الان وحتى عام ٢٠٠٠ » اهداف محددة هى :

١ - التعرف عن قرب على مشاكل واولويات التنمية وتحصيل المعلومات اللازمة للمساهمة فى دراستها .

٢ - توثيق الروابط بين العلميين المصريين بالوطن مع زملائهم المقيمين بالخارج وبحث الطرق اللازمة لتنظيم هذا الاتصال .

٣ - تقديم دراسات وبحوث فى المجالات التالية ، **المشكلة السكانية بابعادها المختلفة ، التنمية الاقتصادية والصناعية - الغذاء والزراعة - الحسابات الالكترونية - الصحة والعلوم الطبية - الطاقة والبيئة - التعليم والبحث العلمى - التنمية والتنظيم الاجتماعى والادارة ، ومناقشة هذه البحوث فى ضوء الواقع القائم والتطورات الحديثة العلمية والتكنولوجية .**

٤ - تنظيم وتصعيد عمل العلميين المصريين المقيمين بالخارج .

ولتقييم جهودنا بأسلوب علمى **نرى اننا لم نصل بعد الى تصور محدد لمصر عام ٢٠٠٠** الا أن تبادل الاراء والمشاركة فى مناقشة مشاكل التنمية مع العلميين المقيمين بمصر والمسئولين ، قد أوضح ضرورة بذل جهود دائبة فى هذا المجال . كما ادى الى تفهم أوضح للعلميين المقيمين بالخارج ، للمشاكل والتحديات التى تواجه الوطــن ، واهمية توجيه الاقتراحات لحل مشاكل محددة .

ولكى تكون الاستفادة من العلميين بالخارج مجدية فاننا نوصى بالاتى :

١ - عقد مؤتمر فى القاهرة كل عامين تبحث فيه مواضيع محددة وبتركيز أكثر وتكون مرتبطة بجهود التنمية ، على أن يسبق هذه المؤتمرات اعداد مبكر حتى يتسنى للجميع المساهمة الفعالة وحتى تصل مستوى البحوث الى الدرجة المطلوبة وان تقدم الحلول والمشاريع المدروسة والموجهة بصورة مباشرة لمشاكل التنمية .

٢ - بحث الطرق المختلفة للاستمرار والاتصال المنظم حتى يكون العلميين بالخارج أداة فعالة للاستفادة من التقدم العلمى والتكنولوجى وتطويره حتى يلائم البيئة والاهداف المصرية والعربية .

٣ - تزويد العلميين بالخارج بالخطوط الرئيسية لخطة التنمية ، حتى يمكن على ضوئها القيام بدراسات فعالة تخدم هذه الخطة .

٤ - توجيه الشركات الاجنبية والهيئات الدولية الى تفضيل الاستعانة بالعلميين المصريين فى مصر أو الخارج فى المشاريع التى تقوم بها فى مصر .

٥ - التوسع فى الاستعانة بالاكفاء من العلميين المصريين بالخارج كأساتذة زائرين بالجامعة ، كأعضاء زائرين فى المجالس القومية ، واكاديمية العلوم .

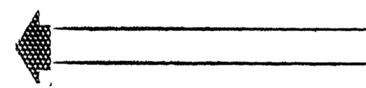
٦ - تشجيع العلميين المصريين فى الدول المختلفة التى توجد بها تجمعات منهم على تكوين روابط وجمعيات علمية مماثلة .



اليســـــار المصـــــرى
والقضـــــية الفلســـطينية

تواصل «الطليعة» فى هذا العدد نشر وثائق « اليسار المصرى والقضـية الفلسطينية » .. ولقد كان نشر هذه الوثائق بمثابة رد على التحدى الـذى تصاعد من البعض مؤخرا باثارة مواقف اليسار تجاه هذه القضية القومية الهـــامة ..

ولما لم يكن الامر يسمح بالاجتزاء ، فقد اخذت الطليعة على عاتقها تقـديم مجموعة متكاملة من الوثائق التى توضح بما لايدع مجالا لاى شك حقيقة الموقف الذى اتخذه اليسار .. وذلك ضمن دراسة متكاملة عن هذا الموضوع يعدها د. رفعت الســـعيد ..



○ ما هى الصهيونية ؟ *

لطيفة الزيات

عن رابطة فتيات الجامعة والمعاهد * *

الصهيونية كلمة تذكر فيذكر معهما الاستعمار والرجعية فالصهيونية هى حليفة الجشع والاستعمار وعميلة الاحتكار والاستبداد .

والصهيونية كلمة طالما اختلطت على الكثيرين منا فخلطوا بينها وبين اليهودية وحسبوا ان الصهيونية اسم لمسميين ودلالة على شبيهين . ولا عجب فى هذا فقد أراد الاستعمار هذا الخلط فكان. ولكن هل الصهيونية هى حقا اليهودية ؟ وهل نشأت الصهيونية مع نشأة اليهودية ؟

لقد عرف العالم اليهود أجيالا وقرونا ونال اليهود من العذاب ألوانا وصنوفا وقاسى اليهود من الحرمان أنواعا وضروبا . ولم تنشأ الصهيونية ، ولم تعرف الا فى أواخر القرن التاسع عشر ، نمت فى ظروف خاصة وبفعل قوى خاصة نفخت فيها فكانت الصهيونية وكان الوطن اليهودى .

فى أواخر القرن التاسع عشر يتحول النظام الرأسمالى من قوة ناهضة متقدمة الى قوة احتكارية رجعية . ففى أواخر هذا القرن تتدهور الرأسمالية وتشيخ وتروح تتخبط فى بحر من الطغيان والكبت والاستبداد وهى تتشبث فى جنون بذلك النظام الرجعى المتعسف ، ذلك النظام الذى حكمت عليه متناقضاته بالفناء .

وتتنبه الهيئات الحاكمة فاذا بالشعب من حولها ساخط ثائر فتخشى أن يهتدى الى الداء وأن يتلمس الدواء ، تخشى أن يدرك أن النظام الاستعمارى الاحتكارى هو داؤه وان النظام الديموقراطى الحق هو دواؤه .. تخشى كل هذا فتلعب لعبتها القذرة لتحرف كفاح الجماهير عن طريقه الصحيح ، ولتوجه الجماهير الى علل تافهة تخلقها خلقا ضاربة على الوتر الحساس مثيرة النعرة الدينية مرة والوطنية أخرى والجنسية ثالثة ، عازفة على تلك النغمات التى لا تفيد الا الطبقات الاحتكارية والقوى الرجعية. وقد وجدت الطبقة الاحتكارية فى اليهود كبش الفداء والهدف الصالح الذى توجه اليه سخط الجماهير . ولقد قالها هتلر : « ان اليهود نعمة من السماء أرسلت الى فلو لم يكن اليهود لما استطعت اليوم أن أقوم بدورى فى المانيا ولما حزت مثل هذا النجاح، وباليهود سألعب دورى فى أوروبا يوما ما » ونجحت القوى الرجعية الاستعمارية فى لعبتها القذرة ، وبدأت فى أواخر القرن التاسع عشر فى أوروبا ــ موطن المدنية ــ مذابح اليهود وسالت دماء اليهود تصرخ فى وجوه مسيليها . سنفنى ولكن ستعى الشعوب يوما ، وستقضى ولكن ستكشف الجموع عن الاعيبكم حتما وسقطت الرقاب تحكى قصة المستبدين الدجالين الذين استحلوا دماء اليهود ليتشبثوا بنظام كتب عليه الفناء .

اما يهود العالم فقد كان خطبهم جلل، دهاهم مادهاهم فترك جماهيرهم مشتتة مضطهدة معذبة يسهل تضليلها والتغرير بها وفعلا ظهر عملاء الاستعمار امثال هرتزل ووايزمان أولئك الذين كانوا يرتعون فى أحضان تشمبرلن والسلطان عبد الحميد وقيصر روسيا ظهر أولئك الخونة ليظلموا اليهود المعذبين ويصرفوهم عن علة دائهم وأساس بلائهم الا وهو النظام الاحتكارى الاستعمارى الظالم يصرفونهم عن دواء هذا الداء عن الهدف الحقيقى الذى يجب أن يرنو اليه الا وهو تدعيم الديمقراطية التى لا تعرف لونا ولا جنسا ولا دينا . الديموقراطية التى تكفل لهم الحرية والمساواة والكرامة . يصرفون اليهود عن الكفاح الحقيقى الى أحلام زائفة ، وآمال باطلة الى انشاء دولة يهودية فى فلسطين ، فلسطين بلد الميعاد وهكذا ظهرت فكرة الصهيونية وليس من الغريب ولا من المستغرب أن يرحب بها مستر تشمبرلن وزير المستعمرات الانجليزى وأن يصدر وعد بلفور يعلن أن بريطانيا تؤيد كل التأييد قيام وطن يهودى فى فلسطين . فقد ارتاع الاستعمار البريطانى من تلك القوى التحريرية النامية فى الشرق العربى ، ورأى الصهيونية فرصته السانحة لتوجيه كفاح العرب عن وجهته الصحيحة ضد الاستعمار والاستغلال الى كفاح عنصرى بغيض يفنى فيه العرب ويفنى فيه اليهود ويرتوى الاستعمار بدماء العرب واليهود فينمو ويزدهر ويتشبث بفلسطين بدعوى أنه حامى حمى الاقليات وأنه ناشر لواء السلام فى ارض الميعاد .

وسرعان ما يكشف الاستعمار عن وجهه الغطاء وسرعان ما تنهال رؤوس الاموال البريطانية على فلسطين تنشب مخالبها فى اقتصادها الوطنى فتستنزف دماء أهلها وراح الاستعمار يعمل من وراء الصهيونية يقاسمها جشعها واستغلالها واستعبادها للشعب الفلسطينى حتى بلغت نسبة رؤوس الاموال البريطانية فى فلسطين ٨٨ فى المائة من مجموع رؤوس الاموال فيها.

وتم الارتباط بين الاستعمار البريطانى والصهيونية حين بدأت النازية فى المانيا وحين بدأت المذابح اليهودية على نطاق لم يعرفه العالم من قبل وهنا بدأت الهجرة المنظمة تحت اشراف الاستعمار البريطانى وتم تحويل فلسطين الى قلعة استعمارية بريطانية ومركز استراتيجى خطير يهدد الشرق العربى بأجمعه .

وقد أنزل الاستعمار البريطانى وعميله اضرارا فادحة فقد أذل العرب فى ديارهم وطرد فلاحيهم من الاراضى واستغل عمالهم أسوأ استغلال وأحل لهم الجوع والدمار وحول كفاحهم للخلاص من ربقة الذل والاستعباد الى كفاح عنصرى بغيض .

أما اليهود فقد حشروا حشرا فى فلسطين وبلغ عدد العاطلين منهم ٣٠ الف عامل ويعمل الكادحون منهم تحت ظروف من العمل القاسية شديدة القسوة . ارتضوا كل هذا فى سبيل الوطن اليهودى المنشود ، فى سبيل الحلم الذى لن يتحقق ، فى سبيل الخيال المضلل . بينما يغنى كبارهم

* قدمت هذه الدراسة والدراسات التالية فى الندوة التى نظمتها دار الابحاث العلمية حول القضية الفلسطينية .

* * رابطة فتيات الجامعة والمعاهد واحدة من المنابر الديمقراطية التى اسهم اليسار المصرى فى تأسيسها .

ويغتنمون • بينما يحول الرأسماليون اليهود عرق العمال ذهبا ويلغون القمة على اكتاف العمال واليهود •

فالاستعمار البريطاني يستخدم الصهيونية لينمو على حساب العرب واليهود ثم يلقى بالفتات الى قلة من كبار صهيوني اليهود قلة تتمرغ تحت تدميه وترتمي في احضانه وتصلي في محرابه •

ولكن العرب يقظون لا يخدعون فالمحن والخطوب لا تمر بالشعوب مر الكرام وانما تتعلم منها الشعوب عبرا وعبرا وتتخلص منها بعظات وعظات فقد آمن العرب واليهود اخيرا أن النظام الاستعماري والاحتكاري يجر في أذياله الطغيان والاستبداد وأن الديمقراطية وحدها هي الكفيلة بتحقيق الحرية والكرامة والمساواة •

وبدأ الوعي يدب في الجموع بجمع من شتيتها ويضم صفوفها ويقوى من عضدها لتضرب الاستعمار وعميلته الصهيونية الضربة القاضية وقامت المظاهرات من العرب واليهود تعلن أن شعب فلسطين يريد ان يحرر فلسطين من ربقة الاستعمار ونير الصهيونية • والاستغلال، وان شعب فلسطين يريد احرارا هنئة في الحياة الحرة الكريمة ، وأن شعب فلسطين يريد تحقيق الديمقراطية •

قام احرار الفلسطينيين توصتهم الحتة في وجه الاستعمار ، قاموا رجالهم ونساؤهم ومدت المرأة الفلسطينية يدها الى الرجل تعاهده على الكفاح ، وستمضى المرأة الفلسطينية في كفاحها حتما ، فالمرأة الفلسطينية تعرف أن لا كرامة لها ووطنها مستعمر مستغل وأن لا حياة ووطنها ذليل مستعبد وانها لترنو في ايمان الى اليوم الذى تتحقق فيه لفلسطين الحرية والديموقراطية •

○ لهذا نحن نناضل مع فلسطين

سعيد خيال

عن لجنة نشر الثقافة الجديدة *

لماذا نناضل في سبيل القضية الفلسطينية ؟

ما هي الاسباب التي تدفعنا للوقوف مع الشعب الفلسطيني الباسل في كفاحه للتخلص من الاستعمار والصهيونية وبناء دولة وطنية ديموقراطية في فلسطين ؟

تنادي الاوساط الرجعية التي يحتلها ويسكنها الاستعمار البريطاني ، بان اساس كفاحنا في فلسطين هو الدين المشترك ، والعروبة المشتركة كأصل عرقي نتوارث عناصره في دمنا فيجمعنا نحن والفلسطينيين في واحد ، ويميزنا من غيرنا من شعوب الارض وذلك بصرف النظر من تعاقب الاجيال وتقلب الاوضاع • هذان عند المستعمر وشيعته هما المحركان الحقيقيان لوقوفنا جنبا لجنب مع شعب فلسطين المناضل اما ما عداهما فباطل وقبض الريح •

يريد الاستعمار بذلك ان يصم كفاحنا التحريري بالتعصب الديني والعنصري ، لتسخط علينا الدنيا ، فننعزل من وجهة الحرية العالمية وينفرد هو بنا ليضربنا بوحشيته المعروفة ويبرر ضرباته بأنها عمل انساني نبيل •

ويريد الاستعمار ايضا أن يحول القضية الفلسطينية من قضية وطنية تحريرية هو المجرم الاول فيها ، الى قضية دينية عنصرية ، مركزه فيها مركز الحكم المحايد • وبذلك يلقى تبعة نكبتها على الاقليات الدينية والاجنبية لينصرف اليها النضال وتقع الفتنة ، ويبقى المستعمر آمنا ثابت القدم في فلسطين •

أما الاوساط الرجعية فلها — فضلا عن فتات المستعمر — مصالح أخرى • انها تحاول الباس جميع تضاباتا ثوب الدين والعنصرية ، واخضاع كافة مشاكلنا لمعاييرها المصطنعة الزائفة ، بغية ستر جرائمها عن اعين الجماهير الكادحة • وسد منافذ الحرية في وجوههم • وبذلك يسهل عليها تضليلهم وتحويل ضرباتهم بعيدا عن رؤوسها المظلمة •

اننا نحن لا نهتم ببيان هذه الحقائق هنا لانها فقط حقائق يحاولون طمسها وانما لانها مرتبطة بالاعيب استعمارية ورجعية ينبغى كشفها • ولكن ليس هذا فقط ، بل اننا نحن نهتم بتبديدها لاننا نود ان يعلم الجميع ، ان الحنين الغامض والانفعالات العاطفية المتقلبة والنظريات الرجعية الكاذبة الباطلة ، ليست هي الاساس الذى نقيم عليه نضالنا التحريرى في أى وجه من وجوهه بل اننا نؤسسه ونقيمه على حقائق راسخة ، لتضمن هي بذاتها استمراره ونماظمه، فيكون نضالا خليقا بشعبنا ، نضالا بطوليا عارما لا يهين أو يحطم الاعداء، وسيحطم كافة الاعداء •

ان شعب فلسطين يناضل ليفوز بحقه المطلق في تقرير مصيره حرا ديموقراطيا ، انه يناضل لتخليص فلسطين من الاستعمار البريطاني ، ولتطهيرها من الصهيونية ، ونحن نتفق معه ، في نضاله هذا لاننا اعداء للاستعمار والصهيونية ولاننا وطنيون احرارا ، نحترم حق الشعوب في تقرير مصيرها ، ونبذل ما وسعنا البذل لتوفير هذا الحق وتأمينه ، يقينا منا أن الحرية وحدة لا تتجزأ ، وأن انتهاكها في اى مكان هو اضعاف للجبهة الشعبية الساعية لعالم افضل وتقوية لاعداء التقدم ومستغلي الشعوب الا يقف شعبنا في طليعة هذه الجبهة .. الا يلقى ما تلقاه من هؤلاء الاعداء ؟

ان فلسطين تقع على حدودنا العامرة ولذلك يشكل الاستعمار البريطاني الجاثم فيها خطرا ماحقا على حركتنا التحريرية ، الم يصرح الاستعماريون بأن مركزهم في فلسطين يجعلهم على بعد ساعتين فقط من القاهرة ؟ وبذلك يبقى سيفهم معلقا فوق رقابنا حتى بعد جلائهم عن ارضنا • ويتمكنون من التسلط علينا والتحكم في شئوننا الداخلية والخارجية •

لهذا نحن نناضل لكى نحرر فلسطين فيتم لنا التحرر •

---

[*] كانت لجنة نشر الثقافة الجديدة احد التجمعات الماركسية في بداية الاربعينات وقد لعبت دورا اساسيا في تأسيسها كلا من سعيد خيال ومصطفى كامل منيب •

ان فلسطين العزيزة هي التي تصل بين وادي النيل وبقية البلاد الشقيقة ، فطرق المواصلات تمر جميعها عبر فلسطين • ويستطيع الاستعمار البريطاني الكامن فيها أن يقطع علينا الطريق ، وبذلك يتعذر علينا أن نتبادل المساعدات عند الحاجة ، كما يتعذر علينا تبادل التجارة ، وفي هذا اضعاف كبير لنا ولهم • الا يؤدي هذا الى شل الجامعة العربية ؟ اليس هذا سيفا استعماريا معلقا فوق رؤوسنا ؟ نعم ونريد أن نحطمه • ولهذا نناضل مع شعب فلسطين •

ان فلسطين موقع استراتيجي يشرف على شرق البحر الابيض ويتحكم في قنال السويس• ألم يصرح الاستعماريون ان مركزهم في فلسطين يجعلهم على بعد ساعة واحدة من القنال ؟ وبذلك يكون الاستعمار البريطاني النازل بها في مركز يساعده على محاصرتنا لاسيما

وهو متحكم في غرب البحر الابيض ، وفي شماله وجنوبه على العموم • ان الحلقة الاستعمارية المضروبة حولنا تكاد أن تخنق أنفاسنا • فلنناضل مع فلسطين الابية لتحطيم عقدة هذه الحلقة •

ان الاستعمارية البريطانية لتكذب كذبا مفضوحا حين تعلن انها آمنة مطمئنة من شعوب البلاد العربية ، وانها انما تحتفظ بجيوشها المحتلة فيها بقصد حماية هذه الشعوب من خطر محتمل من الخارج • كذبت بريطانيا ،

انها تخشى أول ما تخشى شعوب الشرق الاوسط على العموم ، وشعبي وادي النيل على وجه الخصوص ، لان هذه الشعوب لم تهادن الاستعمار ولم تسكت عنه • انها تناضل لاستقلالها وتحررها من نيره • وتحررها معناه ضياع مصالح بريطانيا الاستعمارية القائمة على استغلال هذه الشعوب وحكمها بالحديد والنار •

وان مصر لتقف في طليعة شعوب الشرق الاوسط في النضال ضد بريطانيا الاستعمارية وذلك بحكم المرحلة التي بلغتها من التطور وبحكم عدد شعبها ونمو الطبقة العاملة وتعمق وعيها نعم أيها الاخوان ، فالتناقض بيننا وبين الاستعمار يظهر حادا فاصلا لا سبيل اليوم الى تخفيفه أو المصالحة فيه • وهذا ما يشعر به الاستعمار ويحسب له ألف حساب • ولذلك فهو متشبث ببقائه في فلسطين ، ليركز مدافعه هناك ويصوب فوهاتها الى قلوبنا •

ولهذا فنحن نخوض مع فلسطين في معركة واحدة ضد عدو مشترك •

أيها الوطنيون • ليس الاستعمار البريطاني هو وحده عدو فلسطين وعدونا • ان الصهيونية لتنشب أظافرها في قلب فلسطين العزيزة • واذا كان الشعب الفلسطيني الباسل يرمي بثقل نضاله فوق رأس الاستعمار البريطاني باعتباره أصل الداء ، الا انه لا يهادن الصهيونية بل يقاومها بغير هوادة • ونحن نقف مع الشعب الفلسطيني في محاربته للصهيونية المجرمة فما أسباب ذلك ؟

ان الصهيونية حركة راسمالية عدوانية تساعد الاستعمار البريطاني وتعتمد عليه في نهبها لفلسطين • انها تسعى لاخراج أهلها من ديارهم وديار آبائهم واجدادهم الاولين • ثم انها تسعى لفرض دولتها الراسمالية الارهابية على فلسطين وجيرانها من بلاد العرب • ولذلك يحاربها الفلسطينيون وتحاربها الشعوب العربية ونحاربها نحن معهم دفاعا مشروعا عنا وعنهم ، وعداوة منا للراسمالية العدوانية •

ان الصهيونية في احدى مظاهرها حركة دينية عنصرية متعصبة • فهي تساعد على بذر بذور التعصب الديني والعنصري بين افراد شعبنا • وتساعد على قيام الحركات الفاشية عندنا • فتتيح للاستعمار وشيعته فرصة اثارة الفتنة بيننا ، وتحويل انظار الجماهير من أعدائهم الحقيقيين ، وصرفهم عن التفكير في الاوضاع المرة التي يواجهونها ويحيون فيها •

ولذلك يهمنا اقتلاع الصهيونية من جذورها ولهذا نحن نناضل مع شعب فلسطين •

وان الصهيونية بما لها من نفوذ في العالم تعمل دائما على اثارة العداوة ضدنا وعرقلة مصالحنا المشروعة • انها تشترك مع الاستعمار البريطاني في حبك المؤامرات لنا وانها لتحثه على البقاء في مصر وتقوم له بدور الطابور الخامس وثمة أمر آخر ، لقد سعت خائبة لمنع مؤتمر سان فرانسيسكو ، الذي سبق نشأة هيئة الامم المتحدة من الاعتراف بميثاق الجامعة العربية •

وان الصهيونية خطر كبير على اقتصادنا الوطني • انها كحركة استعمارية راسمالية ، تتمتع بسلطان الاستعمار البريطاني وامتيازاته • وتعتصر موارد فلسطين وقواها ، في مركز يساعدها على احراج كياننا الاقتصادي وتخريب صناعتنا الوطنية والهبوط بمستوى معيشة شعبنا الكادح • ولهذا نحن نعاديها ونكافحها •

ثم ان الصهيونية كحركة دولية تقوم على تفريق الطبقة العاملة واضعاف كفاحها التحريري ضد قوى الظلام ولقد رأينا كيف أن وحدة الطبقة العاملة العالمية وكفاحها المجيد يساعدنا مساعدة جدية في نضالنا الديموقراطي • الم يقف اتحاد النقابات العالمي في صف عمالنا المناضلين في سبيل اسعاد شعبنا وتحرره ؟

الاستعمار البريطاني وشريكته الصهيونية هما العدوان الاصيلان لفلسطين ولقد رأيتم ايها الاخوان انهما هما ألد أعدائنا ، وان قضية فلسطين هي قضيتنا ، قضية استقلالنا وسيادتنا قضية خبزنا وحريتنا • واذا كان نضالنا الوطني يهدف الى تحقيق استقلالنا التام ، فان نضالنا في سبيل فلسطين حرة هو سياج هذا الاستقلال واذا كان نضالنا الديموقراطي يهدف الى رفعة شعبنا وسعادته ، فان نضالنا في سبيل القضية الفلسطينية هو لكفالة هذه الرفعة وتأمين تلك السعادة •

اننا نرى أن احدى وسائل النضال الفعالة هو أن نعرض قضيتنا على مجلس الامن ، فهناك ملتقى انصار الحرية واعداء الاستعمار ، وهناك نكشف الحيل ونبطل الالاعيب ».

وان الجبهة العربية العليا التي تضم خيرة الوطنيين الفلسطينيين وتمثل مصالح فلسطين وشعبها أصدق تمثيل ، لترى مثل هذا الراي أيضا بالنسبة للقضية الفلسطينية فلنضغط ضغطا هائلا حتى يتم عرض القضيتين على مجلس الامن ، ولنرفض في حزم موقف المتفرج الذي يراد لنا أن نقفه من مناورات المفاوضات التي تقوم على مهادنة الاستعمار ومشاركته •

اننا ندرك حقا أن عبء نضالنا ضخم وان تبعاتنا التاريخية جسيمة • واننا لنؤمن بقوة شعبنا ونؤمن كذلك بحقنا المطلق في الاستقلال والديموقراطية »

ثم اننا لسنا وحدنا ... أن في العالم قوى شعبية تحريرية تتعاظم يوما بعد يوم ، وتدك صروح الاستعمار والرجعية في كل مكان ، وعلى رأس هذه القوى يقف مارد جبار هو الاتحاد السوفيتي نصير الشعوب ، الذي كان لقوته الفضل الاول في ابادة القلعة المحورية والذي ناضل ويناضل في معارك السلم كما في معارك الحرب لتبديد قوى الظلام ، وتأمين حق كل شعب في أن يقرر مصيره بنفسه •

اننا أقوياء بشعبنا ، اقوياء بصلابة ارادتنا وتبصرها وأقوياء بحلفائنا • فلنضرب الاستعمار وشيعته ضربة الواثق الجريء ، ولنرتفع بفضل نضالنا الى ذروة البطولة ولنتقدم لنصنع تاريخنا بأيدينا • سنقول له كن وسيكون :

الموت للاستعمار الموت للصهيونية

عاشت فلسطين المناضلة ، وعاش تضامننا معها في النضال ».



ملحق الأدب والفن

● يحيى حقى : مبدعا وناقدا

● جوائز الدولة : تناول نقدى

في هذا العـــدد :

يحيى حقى ..
مبدعا وناقدا

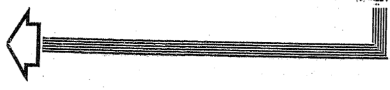


في ١٩٢٥ .. نشر يحيى حقى أولى قصصه القصيرة ، وفي ١٩٧٤ نشر سيرته الذاتية ، وبين هذين التاريخين لم يتوقف يحيى حقى عن الابداع ، ولعله الوحيد بين أبناء جيله الذى تطور مع القصة القصيرة بحيث يمكن أن نجد في ابداعه تأريخا لهذا الفن ..

والى جانب ابداعه فى القصة والرواية ، فان ليحيى حقى مساهمات فى النقد والترجمة لا يمكن اغفالها ..

وفى يناير من هذا العام أكمل يحيى حقى سبعين عاما ، ولعل فى احتفال الحياة الادبية والثقافية بهذا الحدث ـ من مختلف الاتجاهات ـ أن يكون اعترافا بفضل كاتب من الرواد .

وفيما يلى تقدم « الطليعة » قراءة فى أعماله الابداعية والنقدية ، باقة من أزهار حديقته ، ونفحة من عطره ، قبسا من ضوئه ، يرد اليه .



عاشـق مصـر
وصـــديق الفقــراء

فاروق عبد القـادر

يتقـدم الاستاذ يحيى حقى للسـادة النقاد باقتراح بسيط : لمـاذا لايتشبهون بعمال المصانع ، ويضربون عن العمـل ـ وهم جلوس اكراما لخاطرهم ـ تاركين « بخيتا لبخيته » ، مخلين بين العمـل الفنى وجمهوره .. لنرى كيف يكون اللقـــاء ؟

مبعث هذا الاقتراح أن النقد ـ عند يحيى حقى ـ قد أسرف على نفسـه اسرافا شديدا ، كثرت به المصطلحات حتى أصبح لا يتعامل بغيرها ، واختلط استقلاله بانعـزاله .. فمشى الكثيرون حفاة لانهم لم يجدوا أحـذية على قـد أقدامهم ، وكثر اللقطاء بين الاعمـــال والكتاب لانهم لم يعرفوا لانفسهم آباء ينتسبون اليهم !

بعبارة أخرى : أصبح النقد همهمة لا تفصح وتمتمة لا تبين ، شىء كطقوس الكهانة يقوم به اناس شاءوا أن يحشروا أنفسهم ـ ضيوفا ثقالا ساعة غداء ـ بين العمل الفنى وجمهور متلقيه .

ويحيى حقى ناقد ، له منهج واضح حدد « خطواته » وملامحه ، وحدثنا عنه اكثر من مرة ـ راجع مقدمة « عـطر الاحباب » ومقدمـة «عنتر وجولييت » وفصول « خطـوات فى النقـد » و « أنشـــودة البسـاطة » ـ ، وفى بعض صفحات هذا العدد قراءة لأفكاره النقدية . كل أملى الا اكون فى النهاية واحدا من هؤلاء الذين نقدم اليوم باقتراحه أو من أولئك الذين حددهم كى يضعهم فى زمبيل واحد يلقى به الى البحر على طول ، منهم ـ والعيـاذ بالله ـ : الثرثار والمتعالم والحنشاص فى الهايفه والهياص فى غير زفة ! .

واننى أفهم تماما ضيق يحيى حـقى بالحديث عن «قنديل أم هاشم » كأنـه لم يكتب غيرها ، وهو يعـترف لنا ـ فى سيرته الذاتية وفى حواره مع بعض من حاوروه ـ بهذا الضـيق ، ويفسر اهتمام الناس بهذه القصة والاقبـال عليها بأنها « خرجت من قلبى مباشرة كالرصاصة» وربما لهذا السبب استقرت فى قلوب القراء بنفس الطريقة [السيرة الذاتية ، ص ٤٤] ، لكننى اعتقد أن هذا التفسير وحده لا يكفى ، فنحن نواجه ظاهرة فريدة : قصة بهذا الحيز المحدود من الصفحات ـ حوالى خمسين صفحة من القطع الصغير ـ تحظى بكل هـذه الشهرة والاهتمام حتى تصبح علما على مؤلفها ومرادفة لاسمه : ان ذكر يحيى حقى ذكرت القنديل .. والعكس صـحيح .

أعتقـد أن التفسير ـ الـذى يكمل تفسير المؤلف ويضيف اليه ـ أن هـذه القطعة من فن القص قد نجحت فى أن تجسد ـ أكثر من غيرها ـ هذا الهم الطاغى الذى عرفه جيل المؤلف والجيل التالى عليه ، ولعله لا يزال حتى الان قضية مطروحة ، عن اللقاء بين الشرق والغرب : كيف يكون . واسماعيل يتجاوز ـ من هــذه الناحية ـ بطل « **عصفور من الشرق** » و « **أديـب** » و « **الحى اللاتينى** » وغيرهم ، ويجسـد ـ على نحو أكثر صدقا ومن ثم أكثر اقناعا ـ هذا اللقاء وكيف يكون ، واسماعيل حين اختار أن يرجـع ليداوى عينى مريضته بزيت القنديل كان اكثر وعيا وتقدما من كثيرين من ابطال جيـله : أخذ عن الغرب جوهر نقده ومزجـه مزجا بايمانه : « كم من عملية شاقة نجحت على يديه بوسائل لو رآها طبيب



اوربا لشيق عجبا ، استمسك من علمه بروحــه وأساسـه ، وترك المبالغة فى الالات والوســائل ، أعتمــد على الله ، ثم على علمـه ويديــه تبارك الله فى علمه ويديه » [القنديل ، ص ٥٧] ، وكان هذا الاخصاب الرائع الذى تمثل فى عودة النور لعينى فاطمة ، وفى الابناء الكثيرين الذين أنسلها أياهم ، وفى حب الناس واعزازهم له فى هــذا الحى الفقير الــذى اختــار أن يداوى برضاه . وهل تريد رضى عن النفس أكثر من هذا الذى آب اليه فى أواخر عمره : «فلما احتبست ضحكاته فى حلقه اجتمعت فى عينيه ، فليس هناك عيون أقــوى على التعبير من عيون المصدورين ، يكاد يقفز منها اليك شيطان لعوب ، كلها حب وغم ، وفيها خبث وطيبة ، وتســامح واعزاز ، وكأنها تقول لك قبل كل شيء :

— ليس كل ما فى الوجود انا وانت ، هناك جمــال وأسرار ومتعة وبهــاء ، السعيد من احسها ، فعلك بها ، عليك» [ص ٥٨] .

قد ظفر اسماعيل بحب الناس واستطاع أن يشفيهم ، وما هذا الاطمئنان والجذل الا لانه نجح فى أن يكون منصلا ومنفصلا فى آن : قطرة تعود الى النبع وتمتزج بمياهه ، ذرة تلتحم بالكون وتخضــع لايقاعه ، ذاتا مفردة تلوذ بالمجمــوع تعطيه ويعطيها . لم يأته هذا كله عفوا او دون عناء ، لكنه كابد حتى وقف على هاوية الجنون وحدق فى أعماقها ، ولاح له المهرب حيث خايل عينيه حلم الحياة — منبت الجذور — فى ريف انجلترا ، وحين أفلح فى أن يقتلع مارى من نفســه — يوحى الينا الفنان الهامس بأن اسماعيل عاش حتى أخريات أيامه يتعشق النساء — دخل الايمان الى الارض الخراب ، فأخصبت ، وامتلأت روحه بنشوة العمل والدفء .

هذا من ناحية ، ومن الناحية الاخرى فاننا نظلم القنديل لو رأينا فيها مجــرد قصة واقعية تصور محنة طبيب عــرف ثقافة الغرب وحضارته ثم رجع يضطرب فى واقع متخلف . اننا نستطيع أن نرى فيها مصر كلها وهى تطرح السؤال : ماذا تفعل بتراثها وبحضارة الغــرب ، وكيف السبيل الى المواءمة بينهما بحيث تأخذ من كل أفضل ما فيه . ويحيى حقى يحدثنا فى « سيرته الذاتية » — ويفصل الحديث فى « دمعة فابتسامة » — عن متابعته لتلك « التجربة الخطيرة التى قام بها مصطفى كمال حين حول دولة شرقية اسلامية الى دولة علمانية حديثة ينفصل فيها الدين عن الدولة ، وقد قرأت عن مصطفى كمال كثيرا ، والتقت به أكثر من مرة .. » ، ويبلور موقفه من هذه التجربة على نحو مباشر : «كنت أشعر دائما أن فى داخلى شيئا صلبا لايذوب بسهولة فى تيار حضارة الغرب . عندى حضارة ان لم تتق فهى تماثل حضارة [روما] ، وعندى دين هــو نظام متكامل فيه الفناء .. » [السيرة ص ٤١ — ٤٢] .

وقنديل أم هاشم هى التعبير الفنى عن رأى يحيى حقى فى القضية المطروحة وعلى المستوى الرمزى فاننا نستطيع أن نقرأها دون تعسف أو محاولة لى اعناق النصوص : يمكننا أن نرى فى اسماعيل » روح مصر الناهضة المتوثبة ، وفاطمة النبوية هى مصر التقليدية المستندة على اساس صلب من تاريخ وتراث كبيرين ، ومارى هى أوربا الحديثة الفخورة بعلمها المادى ، دون ايمان او اكتراث كبير بالانسان ، ومقــام الست هو الايمان ، والقنديل شكل الايمان ، ومعنى الحكاية على هــذا المستوى أن مصر ترفض الروح الجديدة اذا أريد بهــا أن تفرض عليهــا فرضا ميكانيكيا من الخارج ، ولــكنها تقبلهــا اذا ما جاءت اليها تواقة خلاقة ، تحترم التراث والاسلوب ، وتسعى الى الاندماج دون التسلــط .

« لهــذا لم تستجب عينا مصر «فاطمة النبوية » للروح المتغطرسة [اسماعيل الثائر المتعنت] بل تفاقم خطبها واصيبت بالعمى ، فلما تنازلت الروح الجــديدة من غرورها أمكن للعلم المسلح بالايمان [معنى الايمان هنــا الايمــان بالشعب وتاريخه وتراثه .. الخ] أن يحــقق المعجزة ويعيد لمصر نور عينيها ، وامكن لمصر أن تتزوج الروح الجديدة وتتفاعل معها . » [د. على الراعى : دراسات فى الرواية المصرية ، ص ١٦٦ — ١٦٧] .

لعله يصبح من التزيد بعد ذلك — أو من « الحنشنشة فى الهايفة » ، على حد تعبير يحيى حقى — أن نطرح السؤال :

هل انتصر اسماعيل أم انهزم ؟ هل هــذا هو السبيل أم أن هناك سـبيلا سواه ؟ . ان اسماعيل لم يزعم المزاعم ثم نكص عن تحقيقها ، هو من البــداية لا يلعب دور الثائر ، لكنه فرد متمرد ، يبحث عن امنه الخاص أولا ثم عن وسيلة ينفع بهــا الناس ثانيا ، وهو من البداية كذلك عاطف على الفقــراء والخطاة ، يراهم فى اضطرابهم فى الميدان الفسيح ، وفى تساقط نفوسهم عبراتهم متعلقون بأستار الضريح يطلبون الامن والهداية فيندى قلبه حبا وعطفا [راجع موقفه من الخاطئة السمراء ودلالته] ، لهذا كان صادقا متسقا مع نفسه كل الاتساق حين اختار سبيله ، بحيث يصبح أى سبيل آخر بعيدا عن تكوينــه النفسى والفكرى جميعا .

« قنديل أم هاشم » على المســتوى الفنى قطعة محكمــة من فن القص ، لا كلمة واحدة زائدة ، ولا تعبير مــن خارجها ، سرعة فى الحركة نحو المهم [حياة اسماعيل الروحية] ، ولمسات قليلة تصل مباشرة لداخل الشخصــية دون تلكؤ حول مظاهر خارجية الا أن تــكون لها دلالة ، واخضاع كل مظاهر الواقع الخارجى للحركة الداخلية بحيث تصبح نابعة عنهــا معبرة عن صميمها [راجع رؤية اسماعيل لحركة الميدان فى مواقف ثلاثة : قبل سفره ، ص ١٠ وما بعدها ، واثناء تأجج ثورته النفسة بعد عودته ، ص ٤٣ وما بعدها ، ثم بعد أن آب الى هدوئه وعرف طريقه ، ص ٥٢ وما بعدها] .

وهى على المستوى الرمزى رؤية ونبوءة لهــذا أصابت من النجاح والشــهرة ما أصابت .

[●]

لكننى أعترف بأن « صــــعيديات » يحيى حقى اقرب الى قلبى ..

هنا تعبير فنى وانسانى عذب عــن هذه المنطقة من أرضنا التى أهملت زمنا طويلا ، تعبير عن ناسها وتقاليدهــا وحيوانها وبنائها ، يقدمه لنا قلب محب مشارك متفهم ، يرى كل شيء فلا يقنع الا أن وصل منه لاعماقه ، لاتقف عينه عند السطح وان أغراها ، لكنها تغوص فتحسن الغوص ، وتضــم — فى كل واحــد — الطبيعة والانسان والحيوان.

هنا .. حيث «الليل فى ظلمة العمى ، تلخ به الكون مرغما ، هبط على الفضاء حملا ثقيلا ، احاط بالارض كالقيد ، فطى الحقول كالكفن ، ولف القرى كالضماد ، وانحــدر — ولا حــد لاتساعه — الى الشقوق فاحتواها ، ثم تلفت يبحث عن مداخل النفوس التى يعلم انها تستقبله وتتشربه ، فاحتلها يتمطى فيها .. » [دماء وطين ، ص ٤٦ — ٤٧] ، حيث البيوت كلها واطئة متراصة « التزام متلاحمة متلاصقة كأنها قبيلة متوحشة ،

على رؤوسها شعر الهمج ، فى تساول هشة من حطب القطن وبوص الذرة ، وصلت الى أذنيه صرخات متعالية ، بعضها للانسان وبعضها للحيوان ، لا فرق بينهما .. حدة الصارخ فيهما واحدة ، ومناد المنتهز سواء [نفسها ، ص ٣٠] ، وحيث القهوة الفقيرة على الجسر ، وسطها مصباح تحيطه حلقة كثيفة من ناموس كالتراب ، وعلى دكة خشبية جلس الشاعر بيده ربابة ينشد « ولف الكون سكون شامل ، وكانت السماء فى ظلامها كأنها جناح وطواط حط على العالم ، له بين الحين والاخر رعشة خفيفة هى بسبب هزة هذه النجوم القليلة التى ترتجف ثم تثبت . ولم يستطع المصباح بأزيزه ولا المنشد بربابته أن يبدد بعض ما فى السكون من حزن جاثم .. هل الليل جثة النهار فيكون هذا الحزن أنشودة الموت .. أم العالم فى اسى لانه يشعر انه يفنى شيئا فشيئا ؟ » [نفسها ، ص ٩٧ — ٩٨] .

فوق هذه الارض ، وداخل هذه البيوت يعيش رجال ونساء ، ظاهرهم الخشونة والغلظة ، وباطنهم يترقرق بانسانية عذبة ، فيهم الطيب وفيهم الخبيث « الغويط » الذى يحس بأنه يعيش فى عالم معاد ، لا يملك ازاءه سوى شعور الريبة والاستخفاف .. « وشىء من الرضا المغتصب وطاعة كلها تمثيل كاذب .. هذا الشعور هو قوام مجاوبتهم لكل تدخل فى أمورهم ، من يقدر سوء حظهم لان كل المحاولات تأتى من أجنبى عنهم — حكومة أو موظفا — لا يفهمهم ، يعيش فى واد وهم فى واد ، ان لم يكن غرضه ملء جيوبه اقتصر فى تدخله على التافه الغث السخيف وترك ما هو لديهم قرين الحياة ومستلزماتها .. » [**أم العواجز** ، ص ١٤٠] ، ان عملوا تفجرت من أجسادهم المشوقة وأيديهم الخشنة وظهورهم المحنية طاقة هائلة على الصبر والاحتمال : الصبر على قسوة الطبيعة واحتمال الشروط الانسانية التى يعيشون فى ظلها ، وان خلصوا لشىء من الفراغ والسمر فهى المواويل الحمر التى تتغنى بالفراق واللوعة ومزاته وناعسة وبنات عبدالله ، والقدر الذى لا مفر منه ولا فكاك .. و « الملتقى يا حببى بين أيادى الله » .

عاش بينهم يحيى حقى فأحبهم — أكاد أكون واثقا أنهم أحبوه — ، راقبهم فى مسعيهم اليومى الدؤوب ، على شفتيه ابتسامة مشاركة عطوف ، ليس متعاليا ولا منعزلا — وان كان من صفوة الموظفين المؤهلين للتعالى والانعزال — ، مشارك فى طعامهم وسمرهم ، محاور لهم ساع الى فهمهم . **ان هذه الفترة من حياة يحيى حقى [١٩٢٧ — ١٩٢٩] التى عمل فيها معاونا للادارة فى مدينة منفلوط لتجد تسجيلها فى أعماله على مستويين مختلفين لكنهما متداخلان : الاول هو التسجيل الواقعى المباشر لذكريات الكاتب وآرائه فى « خليها على الله » ، والثانى هو التعبير الفنى الخالص فى هذه القصص « الصعيديات »** .

أقول ان المستويين متداخلان لانك ستجد البذور الواقعية لبعض هذه القصص فى ذكريات الكاتب وآرائه ، وأشير بوجه خاص الى أن قصة « البوسطجى » — وربما كانت أفضل هذه القصص وواحدة من أفضل قصص الكاتب على الاطلاق — انما ترجع أصولها لبعض فصول هذه الذكريات : عن فصل بعنوان « تشريح الجثة » [خليها على الله ، ص ١٦٩] أخذ الكاتب فكرته الاساسية : الفتاة التى تخطىء مع خطيبها وتحول ظروف عابرة دون اتمام الزواج فيكون مصيرها القتل على يد الاب ، وعن فصل ثان « بيت الباشمهندس » [نفسه ، ص ١٨٣] أخذ كثيرا من وصف حياة عباس « البوسطجى » ، بالاضافة لمعلومات متناثرة حول حياة الموظفين فى مدن الصعيد الصغيرة . كذلك الامر بالنسبة لقصة أخرى من هذه « الصعيديات » أعنى قصة « حصير الجامع » [مجموعة ام العواجز] التى ترجع بنص بعض اجزائها لواحد من هذه الفصول [انظر : « حقن الفروج » ، خليها على الله ، ص ١٤٨] ، ويمتد هذا التداخل ليشمل بعض مشاهد وشخصيات روايته « صح النوم » [واشير الى مشهد الحانة وصاحبها بوجه خاص] .

● يكفينى أن تخرج هذه المذكرات كانها نجوى تدور بينى وبين نفسى ملتزما فيها الصدق والصراحة والنفع ، مهتما بالعبرة لا بالتفاصيل .. وعزائى اننى استقبل وأشيع كل خطوة بابتسامة ، ولو كانت الذكرى ممضة والكلام عنيفا ، فالابتسام وحده هو الذى يجعل طلب الصفح جميلا ، وبذل الصفح اجمل ، ويقلب الماضى المر حلوا والحاضر الثقيل هينا والمستقبل الملثم آمنا . ان كانت الابتسامة تنقلب احيانا الى سخرية فلا بأس ، فمن نفسى وقبل أى انسان آخر قد سخرت ، أسير فى هذه المذكرات كما سرت فى حياتى : افرد الشراع واقول لزورقى والبحر المخوف أمامى : « خليها على الله ، ١٩٥٩ ، ص ٤ »

كانت هذه الفترة معينا لاعمال الكاتب الفنية فيما بعد ، **ولعل أوضح شىء فى هذه « الصعيديات » هو اهتمام الكاتب بوصف قوة الغريزة الجنسية وتوثبها للانطلاق وتحقيق الارتواء — رغم ما يتبع هذا الارتواء من دمار — ، ثم تلك الخيوط التى تتحكم فى مصائر البشر ، وتحوكها تقاليد راسخة كالقدر .** انظر الى هذين المشهدين من قصتين مختلفتين : الاول عن اللقاء بين الراعى الغفل والغجرية المجربة فى « قصة فى سجن » : « ما ان بادلها الرجل ضمتها حتى انطلقت من مكمنها رغبة قوية طالما كبتت ، فكانت فى انفكاكها هوجاء ، لكنها حريصة على نفسها ألا تفنى سريعا ، فهى تضغط على حدتها وتغطى عنفها بستار من الاتئاد واتزان الخطوة ، وجعلت كل همها أن تعطى للرجل ما لم ينله من قبل ، وأن تأخذ منه أكبر ما تستطيع ، وكانت — وغمه على فمها — تلمح فى نظرتها رغم الظلام صورة الانتصار ، ولو كان للغريزة جسد وأشرفت عليهما لهزت رأسها رضا وافتخارا ، ولدافعت عن نفسها بأنها لم تكن لترضى من أغلب الناس بالعبارة المحتشمة المتسربلة فى الحياء والخفر الا لانها تنقل لافراد قلائل منهم ، وفى أوقات متفرقة ، كامل قوتها ، فيهبونها أرواحهم ويدعونها أن تحل بهم من غير شريك » [دماء وطين ، ص ٩٣] .

المشهد الثانى من القصة التالية فى المجموعة نفسها « أبو فودة » عن اللقاء بين جاسر — الذى قضى فى السجن خمسة عشر عاما — ونرجس المرأة « البحراوية » اللعوب ، صاحبة التجارب مع الرجال : « استند على الجدار ، وشعر بشىء يجذبه للارض ، تنفسه سريع وعيناه مشتعلتان ، استيقظ فيه وحش طال رقاده ، فلما هم يقوم لم تسعفه قوائمه ، هو هائج تجمعت قوته فجأة ، ولكن لا يزال فى دوخة اليقظة ... »

القت الماء على وجهه نشهق ، ورفع راسه ، فاذا ببصره يقع على عينين كلهما خضوع واستسلام ، ربما سحرها ما رأته من القوة تنفجر وتصرع رجلا ، وربما كان ما رأته فى حالة جاسر من رغبة صادقة ملحة من أجلها هى .. ولكن لا هذا ولا ذاك .. ان هو الا قدر محتوم يهبط على الخلائق ، فى حواشيه حوادث تسمى مرة مصادفات ومرة موجبات ، وما هى الا نغمة من نغمات السكون فى دورانه . ليس للانسان فيها الا ما للثقب فى صفير الناى ... وسترهما ظلام الغرفة» [دماء وطين ، ص ١١٧ — ١١٨] .

ان هذا القدر المحتوم يهبط على الخلائق هو ما ينسج الخيوط فى الخفـــاء فى « البوسطجى » ، وقد تستطيع القول بأن فى هذه الخيوط اعتمادا كبيرا على المصادفة [هى التى تجعل خليل ينقل من القاهرة للاسكندرية ثم يرجع للقاهرة مرة اخرى ، وهى التى تجعل البوسطجى لا يخطىء الا فى ختم الخطاب الذى يحوى خبر انتقاله ، وهى التى تجعل ام احمد — المرأة التى تصل الخطابات باسمها — تموت فى هذا الوقت بالذات] ، قد تستطيع أن تقول هذا ، ولكن لابد لهذا القدر أن يعاقب المخطىء ، قد يتأخر العقاب قليلا أو كثيرا لكنه حتما سيجىء : عليوة الراعى حين يستسلم للغجرية يفقد شرفه وقطيعه ويتعرض للضرب والمهانة ثم السجن ، حيث يحكى حكايته ويتغنى بمواويل العشق وينوى البحث عن الغجرية بمجرد اطلاق سراحه ، وجاسر — بعد أن يرتب لمقتل قريبــــه ويعيش مــــع « البحراوية » فى « لذة لا يعرفها معظم الناس » تنفجر شحنة الديناميت فى وجهه فيفقد بصره وينتهى الى التسول .

نحن أمام تفسيرين مترابطين : أن يحيى حقى كاتب أخلاقى ، ولانه فنـــان صادق فهو يبتعد عن الوعظ والتبشير ، لكنه يسوق الاحداث فى قصصه بحيث تحقق « المغزى الاخلاقى » الذى يهدف اليه : الدمار — الجسدى والروحى — لهؤلاء الذين يستسلمون لاسر الغريزة وقوتها القاهرة ، ولا يعملون الارادة فى قهرها وتطويعها بحيث يقودونها ولا تقودهم يؤكد هذا التفسير ما يذكره الكاتب فى سيرته الذاتية : « الاعلاء من شأن الارادة وجعلها أساسا لجميع الفضائل ، فالعالم فى نظرى معركة كبيرة ، والسلاح الاول الذى يستخدمه الانسان فى خوضها هو الارادة ... وما أكثر ما وصفت شخصية رجل طيب ولكنه ضعيف ، فتكون النتيجة الحتمية أنه يجزر جزرا [السيرة الذاتية ص ٥٠] .

التفسير الثانى هو أن لحظة اللقـــاء الجنسى — فى هذه القصص — انما هى لحظة التحرر من شروط الواقع القاسى ، ومحاولة امتلاك العالم والسيطرة عليه . ولان هذه الشروط أقسى من أن يدمرها فرد واحد ، فستظل راسخة ويرتد الدمار الى الذات . قد يصدق هذا التفسير اذا ألقينا نظرة الى « الخاطئين » فى هذه القصص : عليوة راع فقير ، لا يملك شيئا ، يكدح حياته كلها من أجل أن يضمن — فقط — ما يبقيه على قيد الحياة ، وهو لم يغو احدا ولا سعى لاغتصاب أحد ، فالغجرية مجربة ومدربة ، كذلك نرجس فى القصة التالية : تخون زوجها يوم السوق من كل أسبوع ، وتتردد على الموظفين العزاب بانتظام ، و « تضع الثوب الذى يروقها فى قعر قفتها ، تحت البيض وربطة الكتاكيت » ، فى حين أن جاسر — الذى قضى خمسة عشر عاما دون أن يعرف امرأة — أمده لقاؤه الجنسى بنرجس بنشاط جديد فخرج فى الصباح التـــالى يبحث عن عمله القديم .

كل هذا من ناحية ، ومن الناحية الفنية الخالصة ، فلعل « البوسطجى » أن تكون افضل هذه القصص جميعا ، توفر لها نوع من النقاء والاقتصاد ، ودرجة من القدرة على الصياغة الشاعرية — تصل فى بعض مشاهد وصف الطبيعة لروح الشعر الخالص [راجع الوصف السابق لليل الصعيد ، وستجد مثله صفحات أخرى] — وبراعة فى تحليل مشاعر جميلة والمعلم سلامة ؛ وقدرة فائقة على الغوص فى مشاعر عباس — البوسطجى — وتتبع خلجاته الدقيقة وتراكم ازمته حتى الانهيار .

من المدهش أن كثيرين لم يلتفتوا لهذه القصة الرائعة حتى امتدت اليها يد السينما !

كذلك ستجد فى « حكاية فى سجن » وصفا شائقا للطريق الذى يقطعه الراعى بأغنامه ، ووقوفا عند القطيع نفسه فى حركته وثغائه ، يقرب اليك تلك الصفحات الرائعة التى كتبها يحيى حقى عن أصدقائه الحمير [خليها على الله ، من ص ٩١ الى ١١٩] ، والتى تشى — أكثر من اى شىء آخر — بفيض انسانيته الــذى يفيض على كل ما حوله من عناصر الطبيعة ومخلوقاتها ، وستجد فى « أبو فودة » وصفا لجانب آخر من حياة الصعيد ، فيه خشونة هذا الجيل الذى يعمل الحجارون معاولهم وديناميتهم فى قلبه ، خشونة العلاقات القائمة بينهم ، وفى جو القصة كلها يرف طير الموت الفاجع أو التشويه المدمر بصيب الواحد منهم ان غفل لحظة أو زلت قدمه .

وربما كانت أضعف هذه القصص عندى هى «ازازة ريحة» [مجموعة أم العواجز] لا أدرى لماذا أحسست أن الجزء الاول منها — الذى يتابع مشاعر البطل وهو منقول من طنطا الى القاهرة ، ومغامراته النسائية التى سعت اليه ولم يسع اليها — رغم أنه يمهد تمهيدا جيدا للخبرة الاساسية فى القصة ، لا أدرى لماذا أحسست انه طال أكثر مما يجب ، وأنه يكاد أن يستقل بنفسه قصة أخرى متكاملة ويحيى حقى نفسه هو الذى علمنا أن أفضل القصص القصيرة هى ما كانت ذات مقدمة طويلة محذوفة . [أنظر : مقدمة « عنتر وجولييت » وتطبيق هــذه الفكرة فى قصة « فى المبادة » ومقدمتها الطويلة المحذوفة فى لوحة « عـــذاب الانتظار » فى المجموعة نفسها .

ويبقى أن هذه «الصعيديات» تتكامل فيما بينها ، وتقدم نوعا من التعبير عن واقع الحياة فى صعيد مصر فى ثلاثينيات هذا القرن ، كما تقدم قراءتها — جنبا لجنب ذكريات الكاتب عن الواقع نفسه — مادة غنية لملاحظة ابداع الكاتب وهو ينطلق ليعيد صياغة هذا الواقع صياغة فنية خالصة .

●

وتتخذ قصص يحيى حقى — بعد ذلك — من المدينة اطارا ومادة لها ، فتقف حينا عند تصوير جانب من احيائها الشعبية بما فيه ومن فيه [قصص مثل «السلحفاة تطير » فى « قنديل أم هاشم » ، « أم العواجز » ، « احتجاج » ، « تنوعت الاسباب » ، « ذكريات » فى « أم العواجز » « السرير النحاس » فى « عنتر وجولييت » **وتقف حينا عند أحياء الطبقة الوسطى** [قصص مثل « كنا ثلاثـــة أيتام » ، و « كن .. كان » فى « قنديل ام هاشم » ومعظم قصص مجموعته الاخيرة « عنتر وجولييت » ، **وهى فى أحيان ثالثة تتجاوز الواقع بكل تفاصيله وتقدم قطعا من القص الرمزى الخالص** [كما فى « القديس لا سحار » فى « قنــديل أم هاشم » ، و « مرآة بغير زجاج » و « صورة » ، و « الشاعر بصـــير » فى مجموعـــة « أم العواجز » ؟

ولن يتسع لنا المقام لنقف بالتفصيل عند كل من هذه القصص ، **لكننا نلاحظ في المجموعة الاولى منها عشق الكاتب لهؤلاء الذين يعيشون في أحياء المدينة الشعبية ، وولعه بتقاليدهم وتفاصيل حياتهم وحديثهم ، وهو يصورهم في فيض من الكلف والمحبة ، حتى نزواتهم ومختلف صور ضعفهم لا تجد منه غير الاشفاق والفهم** ، أنظر لهذه الصورة التي يرسمها لخـــادم انقضي عمرها دون أن تحس انقضاءه : « ومر الوقت يجرى والشغل لا ينقطع ، واغمضت بمبة عينيها وفتحتهما فاذا الفتاة الصغيرة امــرأة في سن الاربعين ، مقطوعة النفس ، لا تهمد من الصباح للمساء ، أمات التعب تفكيرها وحرمها النمو الروحى ، فهى جســـم صحيح وروح اعلها الكساح ، وبمبة رغم سنها لا تزال طفلة ، تضحك للتافه من الامور ضحكتها الخافتة التي تغمض لها عينيها ، ثم تنسى ، وتجرى على العيال في السلم ، تضربهم ويضربونها ، وتبرز لهم لسانها ، وتأخذ من حلواهم وتقضم منها وتعيدها اليهم ، حتى النقود لا تعرف حسابها » ، وتفهم المليم أكثر من فهمها للقرش .. الخ .. [« احتجاج » — مجموعة أم العواجز ، ص ٣٥ — ٣٦] أليس من حقها — بعد ذلك — أن تغضب وتبدى احتجاجا — سرعان ما تنساه وتتراجع عنه وتنشغل بلحظتها — حين ترى الاسرة التي قضت عمرها في خدمة افرادها تهم بتزويج الرجل الذى تعلقت به — راجع ما سبق أن ذكرناه عن غلبة الجنس — ونبحث له عن عروس كأنها غير موجودة على الاطلاق ؟ . ستجد في هذه القصة كذلك معـــرفة من الكاتب بالعلاقات القائمة بين أفراد الاسرة — وفي كثير من قصص يحيى حقى سيطرة محببة للام — ودورة الحياة كل يوم في بيت يضج بالحياة .. حتى اذا جن الليل هبط على البيت الذى أقفل أبوابه سر من اسرار الوجود .. « سر غريب ، حسابه مئات الالوف والمـــلايين ، لا بالاحاد والعشرات ، لا يقود حتى يبين ، بل يسوقه ويظـــل مجهولا ، لا يتريث ، لا يلتفت للوراء ، لا تتقزز نفسه وقدماه لا تطئان الا على اشلاء ، لا يستفيق لهذا السر الا من عاشر النحل واطل اليه في ابان نشاطه وزحامه القاتل داخل الخلية» [ص ٣١] .

هذه الحياة — بتويعاتها المختلفة — هى ما نراه في قصة أخرى من آخـــر مجموعة للكاتب هى « السرير النحاسى » [مجموعة عنتر وجولييت] التفت يحيى حقى الى استمرار تقاليد هذه البيئة خلال الخط الاموى ، من الام لابنتها ، هن حارسات التقاليد القائمات عليها ، ويلخص السرير النحاس حياة الابنة — منذ هى عروس حتى أنجبت أبناءها جميعـــا ، وتهيأ السرير بنبل وكبرياء ليتلقى جسد الام المحتضرة ، ولعل الابنة أن تعيد — في مستقبل أيامها — ما فعلته الام . **هم ملح الارض وسادتها ، يصنعون حياة ويعيشونها مقبلين على حلوها مشفقين من مرها ، يضع الكاتب على شفاههم الفرحة لابسط الاشياء ، ولكن لا تحسب حياتهم فرحا كلها ، فما أسرع ما تدهمهم الالام : آلام تخبطهم في واقع محبط ، يحرمهم تحقيق رغباتهم الانسانية البسيطة** : يندفع تاجر مخلفات الحرب الى الادمان ، وحين يفقد ابنه الوحيد يندفع الى هذيان يحاول به ان ينتزع ابنه من قبضة الموت ، هذا الرجل البسيط في دكانه الممتلىء بالمخلفات أنى له أن يعرف أنه جزء من لعبة تشمل ساحتها العالم كلـــه ؟ [ذكريات — مجموعة أم العواجز] ، ويترصد الاقارب الجشون للارملة الوحيدة البخيلة الضحوك ويمزقون جثتها بسكين غادر ، جريمـــة مجانية لانهم لا يعثرون على المال الـــذى ارتكبوا جريمتهم من أجـــله [تنوعت الاسباب — المجموعة نفسها] ، وينتهى الامر بأبى خليل الى ينقطع رزقه القليل ، فيترك عمله لعمل آخر ، لكن المنافسة سرعان ما تقصيه حتى يقتمد لنفسه مكانا بين مجاذيب السيدة [أم العواجز ، المجموعة] .

يحيى حقى — في هذه القصص بالذات — صديق الفقراء والضائعين والمسحوقين والمجاذيب والدراويش ، كل تلك الثمار التي وقعت من شجرة الحياة فتعطنت لها في قلبه أعز مكان .

وفي المجموعة الثانية من القصص تقف العين اللماحة ، الراصدة لادق الفلجات والتفاصيل ، عند التناقضات والمفارقات القائمة نتيجة الاوضاع الطبقية والاجتماعية تجسدها أروع تجسيد تلك الدهشة تصيب فرغلى — صبى المكوجى الصغير — حين جرؤ يوما واستجاب لنزوته في تخطى الحواجز — ولو تسللا ولمرة واحدة — فكان جزاؤه عضة كلب وشيئا من الحنان الزائف ، صدق الصبى هذا الحنان فجاءت دهشته تأكيدا لزيفه : « نزل فرغلى السلم على مهل ، مطأطىء الرأس ، كسير الخاطر ، يتعثر في خجله ، وحين هبط الى الطريق رفع نظره الى الشقة ، وسار وهو يقول لنفسه :

— ايه يا اخـــويا الناس دول .. ما يحنوش على الواحـــد الا اذا الكلب عضه ! » [السلم اللولبى — مجموعة عنتر وجولييت) .

هذا التناقض نفسه ما يبدو في الفرق الواضح بين الحياة التي يعيشها عنتر — كلب الست كوكب — وجولييت — كلبة اجـــلال هانم . لم تسو الفروق الطبقية بينما ، لكن ساوت بينهما — لمرة واحدة — العربة التي تجمع الكلاب الضـــالة ، اقامت اجلال هانم الدنيا ولم تقعـــدها حتى عادت لها جولييت ، اما الست كوكب فوقفت حائرة ممزقة بين حبها لعنتر ولهفتها لانقاذه وخلو يدها : « تلفتت حولها .. خلت الشوارع من المارة ، الا أشباحا هدها الاعيـــاء والملل . رفعت وجههـــا للسماء فرأت الليل يطبق على الارض .. اغرورقت عيناها فأخرجت منديلها ووقفت تمسح دموعها » [عنتر وجولييت — المجموعة] .

يتخذ النقاط المفارقات والتناقضـــات اشكالا أخرى في بقية هذه المجموعة : التناقض بين الفرح البادى والحزن المستتر [سوسو ، مجموعة عنتر وجولييت] ، بين أن تأتى صـــائدا وتروح فريســـة [كنا ثلاثة أيتام — قنديل أم هاشم] ،

● **ودار بعينيه في الميدان . وتريثت نظـــرته على الجمـــوع فاحتملنها ، وابتدأ يبتسم لبعض النكات والضحكات التى تصـــل الى سمعه ، فتذكره هى والنداءات التى يسمعها بايام صباه .. مايظن ان هناك شعبا كالمصريين حافظ على طابعه وميزته ، رغم تقلب الحوادث وتغير الحاكمين . ابن البلد يمر امامه كانه خارج من صفحات الجبرتى ، اطمأنت نفس اسماعيل وهو يشعر أن تحت أقدامه أرضا صلبة . ليس أمامه جموع من أشخاص فرادى ، بل شعب يربطه رباط واحد : هو نوع من الايمان ، ثمرة مصاحبة الزمان ، والنضج الطويل على ناره ، وعندئذ بدأت تنطق له الوجوه من جديد بمعان لم يكن يراها من قبل .**

قنديل ام هاشم ، ١٩٥٤ ، ص ٥٣ .



النبوة بالفرح والسعادة والتحقق بالغم والاكتئاب [الودع — عنتر وجولييت] ، المظهر الخلاب والحقيقة العارية فى ضوء النهار [وراء الستار — أم العواجز] ، كذب الدعاية وضآلة موضوعها [مولد بلا حمص — عنتر وجولييت] ، القعود على شاطىء الحياة حيث الامن الزائف والركود ، والانغماس فى قلب حركتها الدائبة رغم السخط والتشكى [السلحفاة تطير — قنديل أم هاشم] .

ادراك التناقض والالتفات للمفارقة أهم مصادر الدعابة فى قصص يحيى حقى . ان هذا الكاتب — وهو يعترف لنا أنه اولع حينابقراءة فرويدوالتحليل النفسى وعنه أخذ الاهتمام بتصوير الدافع الجنسى من حيث هو دافع الحياة — يبدو أنه يعرف تماما « ميكانيزمات » تكوين الفكاهة وعلاقتها باللاشعور ، بل ان بعض قصصه تبدو أحيانا كما لو كانت نكاتة خالصة من حيث بنائها ، ومن حيث الاهتمام بنهايتها التى تدفعك دفعا للابتسام وقد أدركت المفاجأة الكامنة ، والتى يفلح الكاتب دائما فى سوق الاحداث لتحقيقها ، كما لو كان — على حد اعترافه — يخفى بين يديه أوراقا لا يظهرها الا فى الوقت المناسب ، [أنظر بوجه خاص قصص : افلاس خاطبة ، قصة فى عرضحال ، عنترب افندى ، صحوة فىمجموعة أم العواجز ، الديك الرومى ، مولد بلا حمص ، الودع فى مجموعة عنتر وجولييت] .

ولعل هذا الاهتمام بالتحليل النفسى هو ما قاد خطى الكاتب نحو هذه القصص الرمزية الخالصة [لاحظ أن الرمز يعانق الواقع تماما فى بعض أعماله مثل قنديل ام هاشم وكن .. كان فى المجموعة نفسها] ، وأهم هذه القصص فى رأيى هى « مرآة بغير زجاج » [مجموعة أم العواجز] ، انها تعنى ببساطة العلاقة التى تقوم بين الانا من ناحية والشبية — النقيض من الناحية الاخرى . لا يمكن أن أكون هنا وهناك فى نفس الان ، ومادام هناك آخر يشبهنى — من حيث الشكل — ويناقضنى — بمعنى انه يفعل تماما كل ما اتوق الى فعله واقف دون فعله — فلابد من أن يلتهم أحد الجانبين الاخر التهاما . ان راوى القصة يصف نفسه على هذا النحو : « لم لا أقول أن روحى ضلت طريقها الى وسلكت سبيلها الى جسده فأصبح يعيش وله روحان ، وأنا أعيش مفقود الروح ، وأذن فهذه هى العين التى أجدهاتترصدنى وتلاحقنى منذ وعيت ، لقد وضح الان سر هذا المجهول الذى كان يجذبنى اليه ،

وأنا لا أدرى الى أين أسير ، هذا سر ما أشعر به ، وهذا تفسير ضعف يدى عن الامساك . وعجز روحى عن اليقظة » [ص ٢٢] ، أما شبيهه ونقيضه فهو يصفه بأنه « رجل يأكل أكل اثنين ويشرب من الخمر شرب ثلاثة ، وأين منه دون جوان ؟ له كل يوم خليلة أو خليل .. لا يهمه من أى اناء شرب .. لا ينام الا غرارا ولا يكف عن الضحك والحركة والغناء والمزاح .. انه لا يعيش حياته وحدها بل يضيف اليها هامشا طويلا قد يساويها طولا وعرضا ..الخ » [ص ٢٥] .

لهذا كان لابد لاحد النقيضين أن يلتهم الاخر ، وسنحت الفرصة للاول . هذا ما يوحى به الينا الكاتب الهامس ، وهذا ما يفرضه منطق القصة ذاتها .

تنفرد بين قصص يحيى حقى قصة واحدة لا تجد لها تسبيها هى « بينى وبينك » [قنديل أم هاشم] ، وهو يقول لنا انها كانت نتيجة تجربة عاطفية أو « لوثة عاطفية منبرة » على حد تعبيره . ما أمنع أن تقرأها لترى كيف يغلب على الكاتب فيض انسانيته رغم احساسه بأنه مهجور ومنبوذ ممن أقام لها فى قلبه معبدا ومقاما ! .

[●]

وفى ١٩٥٥ كتب يحيى حقى روايته «صح النوم » ..

ويبدو أن هذه الرواية لم تصل لايدى الكثيرين ، ويبدو كذلك أن الكاتب قد طبعها على نفقته فى نسخ قليلة ، فكادت تضيع بين أعماله الاكثر منها شهرة وبريقا ، رغم أنه يحدثنا — فى سيرته — أنها أحب هذه الاعمال جميعا الى قلبه !

« صح النوم » .. هذه العبارة بين السخرية والاشفاق هى ما يقوله المؤلف لاهل « قريتنا » بعد ان عاد «الاستاذ» من سفره ، وتولى أمور الحكم فيها ، وبعد ان أنشئت بها محطة للسكك الحديدية أصبح يقف عليها القطار . ولم التنكر ؟ .. والكاتب يقسم روايتهقسمين مستقلين يسمى الاول « الامس » والثانى « اليوم » والفارق بين الاثنين هو مرور القطار ومجىء الاستاذ . لنقل اذن انه قطار « الثورة » .. ولننظر الى قريتنا كيف كانت وكيف يرى المؤلف أنها أصبحت حين نشر روايته فى ١٩٥٥ .

اختار يحيى حقى أن يعرض لنا فى البداية صورة للاسباب التى أدتبالقطار الا يقف بالقرية ، ثم انتقل بعد ذلك يعرض علينا نماذج لهؤلاء الذينيعيشون فيها ، ويلتقون كل ليلة فى الخان ، هكذا عرفنا صاحب الخان ، وقصاب القرية ، والقزم ، وزوج العرجاء ، والفتى الفنان . بعدها تريث الكاتب يعرض علينا مبررات هذا الاختيار ، ويقدم الينا بقية أهل القرية : « اقتصرت على وصف بعض رواد الخان ، وتركت بقيتهم خشية الاطالة ، لانهم هم الذين وجدت فى حياتهم عبرة ، هم الشواذ ، مقدر عليهم — وهذا دورهم المقسوم لهم فى دنيانا — أن تتركز فيهم حدة المتاعب والمشاكل الموزعة — حتى تبدد أثرها — بين العامة ، فهمخير من ينطق بما هناك ، وهم ايضا — وهذا عدل تحت قناع من الظلم — أول من يتلقى الصدمة اذا أصيب كيان المجتمع بهزة ، كالنتوءالبارزة فىالجذع ، عنوان سر الشجرة ، ومكمن الحياة لفروع جديدة ، أول ما يسقط اذا أريد تهذيب هذا الجذع .

« أما بقية أهل القرية فهم ملح الارض ، يكسبون رزقهم بشق الانفس ، يكابدون كالحيوان من مطلع الشمس الى مغربها عملا مرهقا تنجزه الالات فى بلاد أخرى بأيسر جهد ونفقة فى وقت قليل ، وليتهم بعد ذلك فازوا بما يقيم أودهم او يستر عريهم ، وهم مع ذلك تائهون ، حاروا فى فهم القدر وتعليل أسباب الخلل وطال تساؤلهم متى تنتهى المظالم وتنعدل الامور ويستقيم المعوج ويعم السلام ؟ — وهم مع ذلك صابرون ، اصبح مطلبهم الاوحد أن يتركوا لانفسهم، لبساتينهم وعيالهم ، لدوابهم وشتائهم ، لايمانهم وخرافاتهم ، كل جديد فى الحياة .

● أحب الزهور البرية الرقيقة ، زرار سقط من قميص لعصفور الكناريا ، فاذا تأملتها وجدتها صورة مصغرة فى السر من عمل جاسوس عائد بنجاح من الجنة . كم جمعت منها أول سيرى فى الخلاء عائما على وجهى ، كم ضممت منها بين أصابعى ، وفى وهمى أننى لن أتخلى عنها .. فاذا عدت للدار كانت يدى خالية ، ليس لها فى مسرحنا مكان ، ولا حتى اناء ، فسيح هذا المسرح ولكنه أضيق لها من شق الارض الذى خرجت منه .. محروم من حق الحياة من قنع وما طلب الا أقل نصيب ..

« ناس فى الظل ، ١٩٧١ ، ص ٤ »

عندهم ضئيل اذا قيس الى قديمهم ، وان أمنع الدروع هو الذى يلبسه من لا يبالى اذا قالوا : « انما الاعمال بالنيات » عنوا بها « انما الاعمال بخواتيمها » ، واذا لم تر وجوههم مبتسمة اغلب الوقت فلانهم يضحكون فى سرهم من الخطيب والبهلوان والواعظ والمهرج .. خليها على الله ! » [ص ٧٣ — ٧٤] .

هذا أنت ترى وجه يحيى حقى بغير قناع ، وهذا فهمه للفلاح المصرى الـذى عايشـه زمنا وعرفه عن كثب . امـا النمـاذج التى يقف عنـدها مليا فلكل تفرده : صاحب الحان اختار هذه المهنة أو اختارته لانه يريد أن يرى الناس على حقيقتهم دون أقنعة ، والقصاب القادر على أن يحب فى صمت ويصفح فى صمت كذلك ، والتزم سلالة ما تبقى من أسرة قديمة لم يعد له سوى ثمالة جاه وأرض وزوج يبتزها ، وزوج العرجاء عاشـق الحرية والبطالة ، يعيش من كد امرأته وقد أصيب بعقدة لازمته منذ رأى زميلا له تقتله الشرطة — دون ذنب — فى مظاهرة سياسية ، والفتى الفنان يكره عمل أبيه — فهو تاجر — تمتلىء نفسه بالالحان فيقصد رواد الحان ليسمعوه ، فهم جمهوره .. وان كان لا يشرب الخمر . ومن وراء هؤلاء واعظ القرية فى ثيـاب خضر حمر كريش الديك لا هم له الا تملق كل من بيده الامر ، وسائق العربة ذات الحصان المفرد .

طيب . جاء الاستاذ اذن بعد أن درس كل شىء فأطال الدراسة ، ودعا أهـل القرية يعلنهم بخطته : أصل الفساد هو ما قر فى أنفس أهل القرية من شعور الضعة والهوان ، وهو سيعمل جاهدا على بث شـعور العـزة والكرامة فى القلوب ، وأول المظالم هـو ما يعانيه الفلاح ، سيحدد الايجار بمبلغ معقول ويقنع الحكومة بأن تبيع الارض للفلاحين لقاء ثمن زهيد يدفع على أقساط طويلة ، وآخر المظالم هو حرمان القرية من السكة الحديدية وسيعمل على رغمه ، « ثم ينبغى اغلاق الحان لانه بؤرة فساد .. وينبغى أن يعمل كل عاطل ، وأن يسدد كل مدين دينه ، وأن يتوب كـل زوج فاسق وكل ولد عاق وأن يصان شرف كل رجل ولو رغم أنفه » [ص ٨٦] .

وغاب الراوى عن القرية زمنا ثم عاد فماذا وجد ؟

أنشىء مبنى المحطـة وأمامه ميدان فسيح ، وكان أول من التقى به عامل النظافة الذى عينه المجلس القروى الجديد ، لا هم له الا التأفف والشكوى لكثرة العمل وقلة الاجر ، ثم التقى أيضـا بجندى المطافىء الذى تأفف أيضا وشكى ، أما صاحب العربة — بعد أن أصبح بـلا عمل — فقد اختار التسول ، وحين أغلقت الحان لم يجد صاحبها وظيفة شـاغرة سوى وظيفة التربى فعمل بها . ومـن الناحية الاخرى فقد وجد القـزم وقـد انصرف الى عمله بجد واهتمام وكف عن ابتزاز زوجه ، ووجد زوج العرجاء قد تخلى عن كسله وبطالته وأصبح موظفا نشيطا ، أما القصاب فقد وجد خلاصـه فى الانصراف الى العبادة ، واختار الفتى الفنان ان يتخلى عن أحلامه ويقتنع بتجارة أبيه وبأن يصبح أبا يناغى طفله .

هذا ما وجده بعد غياب . ثم التقى بالاستاذ ودار بينهما حديث طويل .. قال له الاستاذ فى النهـاية : « اننى اعرف بقية قولك لاننى قرأت مذكراتك ، ستذكرنى — وهل أنا غافل ؟ — بالتسامح والانتباه لحقوق الفرد كانسان حى قبل ان يكون حجرا مسخرا فى بناء المجتمع ، والتفريق بين ايمانك بأن رأيك صواب وبين ايمانك بأنه كل الصواب ، وان الاخلاص وصواب الراى توأمان ولكنهما توأمان غير ملتصقين » [ص ١٢١ — ١٢٢] .

لا حاجة بنا للثرثرة فيما هو واضح ، حين جاء قطـار الثورة ارتفع بالبعض وهبط بالبعض الاخر .. لكنه — وهذا ما يقوله الراوى فى ١٩٥٥ — قد ايقظ الناس من نومهم ، ورفع من فوق قلوبهم عبئا ثقيلا .. « لا أزعم أن القرية أصبحت تعيش فى رغد وسلام ، بل يكفى أن الناس جميعا أصبحوا يدركون أن هـذا عهد جديد ، له مقاييس واحكام ، لا يغتفر فيها النهب ، ولا ينجو المذنب بغير عقاب وحبل الفساد غير ممدود .. ولكن وقع اليقظة على بعض النفوس يجىء احيانا كوقع المفاجأة ، وليس أشق على نفس الذى ألف الاستعباد من ان توهب له الحرية فجأة .. ولما فرغ الفلاح من شكايته الاولى أعقبها بأخرى وقال :

— متى ننعم بالرخاء الموعود ؟ متى آكل مثل الحكام لحما كل يوم لا مرة كل أسبوعين ؟

فأجبته وأنا أهم بالقيام : — هـذه مسألة فى يدك ، والدنيا أمامك ، حين تحسن زرع الارض ، فيجود محصولها ، وتحسن زرع الخضر والفاكهة ، وتربية الدواجن ، والنحل ، وتحسن نسـج الصوف ، فلست كان سؤالك اذن : متى أنعم مثلهم ؟ » [ص ١٠٧ وما بعدها]

هذا ما قـال الراوى فى ١٩٥٥ . ترى ماذا يقول فى ١٩٧٥ ؟

« صح النوم » جـوهرة صقيلة ، قطعة فنية رائقة التعبير ، رائعة اللفظ والعبارة والصورة ، أستجمع فيها يحيى حقى كل قدراته وولعه بالاناقة والدقة ، فجاءت شهادة لا يمكن نقضها على عظمته ككاتب متفرد ، وعلى صدق كل ما نادى به — قبل كتابتها وبعدها — من ضرورة التخلص من السـجع اللفظى والترهل الفكرى على السواء ، ان كل شخصية فيها تصلح مادة رواية كاملة عند هواة الثرثرة والاطناب ، اقرأ مونولوج صاحب الحان فى القسم الثانى ، أو اقرأ حديث الفتى الفنان فى القسم الاول ، وسترى كيف يمكن للغة أن ترق وتصفو ، وكيف يمكنها أن تختصر وتوجز .. دون افتعال أو اخلال .

أسفى لشىء واحد : هو أن يحيى حقى لم يقدم لها مثيلا !

[●]

كلما قرأت يحيى حقى دار بذهنى هذا السؤال : لماذا يتركنا هذا الكاتب العظيم دون أن نرتوى ؟ ●

● أجوس بعدك خلال القاهرة ، فأعود من احيائها الاوربية بقلب فانركليل . وطعم بين المر والحلو ، كفقير يرتد عن زيارة ابنه الغنى العاق ، وان عز على قلب أبيه ، يضيع منى شبحك فى الاوبـرا وجروبى ، وبين شبرد والكونتيننتال فاذا قادتنى قدماى الى سيدنا الحسـين ومررت تحت البوابات الهـرمة ووقفت أمام الجوامـع العتيقة هصر الشوق قلبى هصرا .. فأنت عندى هذا التاريخ .

واذا ما فاض بى الحنين اليك ابكر الى قصر النيل مترقبا جموع الفلاحات قادمات من الريف ، على رءوسهن سلل الخضر ، ثيابهن سود على أرجلهن الطين ، معتدلات القوام ، فى وجوههن المجهدة عيون صابرة ، لا ينقطع تدافعهن ، ولا ثرثرتهن .. عندئذ ألقاك ..

فأنت عندى هذا الوطن .

بينى وبينك القنديل ، ص١٣٣ .



أى واحد من هؤلاء .. هو يحيى حقى ؟

سامى خشبة

تشهد تاريخ الادب والفن ، أمثلة عديدة لنقاد تحولوا الى مبدعين، أو مارسوا الابداع على سبيل التجربة أو اثبات الذات ، أو لان لغة الابداع وبنائه وأسلوبه كانت فى تقديرهم اكثر صلاحية للتعبير عن موقف معين أو فكرة أو تجربة بعينها . وشهد هذا التاريخ أيضا كتابا مبدعين ، مارسوا النقد احيانا وبطريقة عرضية ، حينما وجدوا انهم خير من يستطيع أن يقدم اعمالهم هم الابداعية ويفسر أصولها النظرية ، او وجدوا انهم خير من يقيم اعمال ابناء جيلهم ، أو يتصدوا لاعمال الاجيال السابقة بالنقد واعادة التقييم وتصفية الحساب ، أو يعبروا عن اتجاهاتهم الخاصة . وبوسعنا هنا ان نتذكر ما فعله نقاد ومبدعون ، من نوع اوجست شليجل وفيكتور هيجو وديماس الابن وميترلينك وجوركى ولوناتشارسكى واليوت وشوبريخت .

فى كل هذه الحالات دون استثناء ، كان الناقد المجرب للابداع ، أو المبدع المندفع الى النقد ، يحاول اساسا ان يقدم تصورا جديدا للفن ، يؤمن انه التصور المعبر اصدق تعبير عن العصر أو اللحظة الحضارية التى يعيشها مجتمعه أو عالمه . كان الناقد فى هذه الحالة ، يحاول ان يقدم نموذجا ابداعيا يتجسد فيه المثل الاعلى الذى يدعو اليه ويتخذه مقياسا لتقييم اعمال الكتاب المبدعين . وكان الكاتب المبدع يندفع الى التنظير النقدى غالبا حينما يكتشف انه لا يجد فى النقد أو الفكر الجمالى الشائع المعاصر له القيم النظرية الجمالية والفكرية المعبرة من مثله الاعلى الذى يصوغ اعماله الابداعية على غراره وسعيا الى تجسيده واقراره .

كانت ممارسة الناقد للابداع ، او ممارسة المبدع للنقد تعبيرا عن لحظة أو حالة أو احتياج ذاتى وموضوعى . ومن النادر ان حاول احدهما ان يكون فى وقت واحد ، كاتبا مبدعا ، وكاتبا لمقالات فى النقد التطبيقى . ويحيى حقى واحد من نماذج هذه الحالة النادرة . بل انه يمثل حالة خاصة بينهم .

ولست ازعم — وأنا ابدأ كتابة هذا المقال — اننى حصلت على صور متكاملة الخطوط ليحيى حقى الناقد والباحث عن منهج فى النقد الادبى والفنى . بل ولست ازعم اننى عثرت — فى كتبه النقدية الخمس وبعض مقدماته ومقالاته ومحاضراته على يحيى حقى « واحدا » : ناقدا تطبيقيا ، ومؤرخا للادب المصرى ، وناقدا لحياتنا الثقافية ، وداعيا الى تغيير بعض جوانبها ، ومنظرا فى النقد وباحثا عن اصوله الاولى واهدافه الشاملة . ازعم اننى قابلت اكثر من يحيى حقى واحد ، قابلتهم متجاورين احيانا — دون علاقة تربط احدهم بالاخر ، متناقضين احيانا — علاقتهم علاقة تضاد وتضارب ، متصاعدين احيانا — يقف احدهم فوق سابقه ، فى صوره متغيرة له — متطورة أو متأخرة .

أيكون هذا من خصوبة المفكر ، أم من تقلب الفنان ، ام من اضطراب العصر ، ام من غليان مجتمع لم يستقر على مسار ثقافى واضح منذ بدأت حركته الحديثة قبل مائة وثمانين عاما ، عاش منها يحيى حقى — أطال الله بقاءه — قرابة النصف؟

وسوف نحاول فى السطور القادمة ، ان نتعرف على الصورة المتراكبة المتناقضة المتقاطعة الخطوط التى ازعم انها الصورة التى تكونها كتابات يحيى حقى النقدية ، ثم سنحاول التعرف على شىء من مصادرها النظرية المحتملة ، والتى لم يصرح بها أبدا ، ولكن سيكون علينا ان نكتشف مكان يحيى حقى من جيل النقاد المصريين الذى نشأ فى وسطه — أو على أطرافه

فى الحقيقة — ومكانه من النقد المصرى بأجياله .التى عاصرها وكتب عن أعمال كثيرين من الكتاب المبدعين ممن ينتمون الى كل منها .

●●●

فى احدث ما كتبه يحيى حقى[١] يقرر انه قد يرضى ان نغفل عن جميع قصصه وكتاباته ، ولكنه سيحزن أشد الحزن ان نحن لم نلتفت الى محاضرة ألقاها عام ١٩٥٩ ، يدعو فيها الى التجديداللغوى، واقامة هذا التجديد على« التحديد » أو « الحتمية » و « العمق » بما يعنى الكتابة بأسلوب علمى لا يخلو من الجمال ، ولكن لا يستغنى فيه عن لفظ ولا يزيد لفظا ، ولا يحل فيه لفظ محل لفظ [٢] . ولم تكن هذه هى المرة الاولى ولا الاخيرة التى يوجه فيها يحيى حقى هذه الدعوة [التى سنبحث عن مصادرها واساسها الفكرى فيما بعد] وقد تعامل على اساس افكارها العامة مع اكثر من عمل ادبى قام بنقده — ضمن زوايا تعامله ، لاخرى مع هذه الاعمال فى نقده التطبيقى ، بل اننا نجد البذور الاولى لهذه الأفكار منذ أول ما نعرف له من مقالات نقدية [٣] .

ولكننا سنجده فى مرة سابقة ، قريبة الزمن ، يقرر انه : « لا يهمنى فى هذا البحث من مقررات الاتجاه الحديث فى النقد كما اوردتها لك الا قوله فى الدلالة الاجتماعية ، فأنت قد رايت انها عنده دلالة نسبية ، مشروطة بشروط المنطق المستقل الخاص الذى اعتنقته القصة . ولكنى احب — وفق مزاجى — أن أتجاوز هذا الحد الضيق وانتقل بالدلالة من النسبى الى المطلق ، واتخذ من القصة شهادة على ملامح الوضع الاجتماعى الذى انبثقت منه القصه — اما كانت قيمتها الفنيه »[٤]

وهذا معناه الواضح ، اننا بازاء يحيى حقى « ناقدا » آخر ، لا يتذكر انه يهتم بالاسلوب العلمى ولا باختيار اللفظ حتى لايمكن ، استبداله و حذفه او اضافة لفظ زائد . حقا انه قرر فى الصفحة السابقة من المقال المذكور فى نفس الكتاب ، قرر أنه لا يهمه الا الدقة فى التعبير ، سواء كتب الكاتبون بالعامية أو بالفصحى . ولكن شتان بين « الدقة فى التعبير » تذكر عرضا ، ولا نص عليها باعتبارها من شروط الرغبة فى أن يكون مجال النقد متسعا من اجل ان يطابق احتياجاتنا » [٥] .

ان الامر « المسلم به » فى هذا النص القديم المكتوب عام ١٩٥٩ ، هو الامر الذى يصبح اساسيا ويتصدر المقام فى النص الاحدث المذكور آنفا والمكتوب فى عام ٦٨ أو ٦٩

ولكننا سنكتشف يحيى حقى « ثالثا » عندما يكتب عن نجيب محفوظ مثلا . [٦] لن يتحدث هنا عن اهمية التعبير العلمى الجمالى ، ولن يتحدث عن الدلاله الاجتماعية ، الا كما لو كانت عيبا يصح التجاوز عنه ، بسبب التفصيل فى الوصف والاهتمام بالوصف الذى هو من صفات الناشئين الشائعة ، لانهم يحسبون ان الامانة الفنية مصاحبة للأمانة الاخلاقية [٧] رغم ان اهتمام نجيب بالتفاصيل وليد الامانة ايضا ، ولكنها امانة من نوع مختلف . انها عنصر ملتحم أشد الالتحام ببقية عناصر النمط الاستاتيكى [٨] . فالزاوية التى سيختارها يحيى حقى « الثالث » لتقييم نجيب محفوظ هى المقابلة بين الاستاتيكية والديناميكية [!!] .

والاستاتيكيه معناها ان الاديب لايعبر من خلال معركة خوضها ، وستظهر الاستاتيكية فى صورة الاستوائية والازدواجية [!!] . وستظل هى المنهج الثابت لمؤلفات نجيب محفوظ حتى « اللص والكلاب » فيصبح ديناميكيا ، أى يشرع فى التعبير من خلال خوض لمعركة ما مع الكمال الفنى وقهر المادة المستعصية [٩] ولا ندرى لماذا لايكون فى « الثلاثية » التى يراها يحيى حقى قمة نضج المرحلة « الاستاتيكية »، صراعا مع الكمال الفنى والمادة المستعصية؟ .. ويرى يحيى حقى « الثالث » ان التعبير بالفصحى فى « الثلاثية » كان عيبا لان الالفاظ ظلت « قاموسية » وانها لم تستوعب فى « تجربة » ، لكن التعبير بالفصحى يصبح عظيما فى « اللص والكلاب » لان الالفاظ تندمج فى التجربة وتنفض تراب المعاجم والقواميس [١٠] اى انها فقدت دقتها العلمية وحتميتها .

ومع رباعيات صلاح جاهين سنلتقى بيحيى حقى رابعا [١١] . لانذكر هنا — مع ان الحديث عن الشعر — للالفاظ وانتقائها والصراع مع المادة المستعصية .. سيتحدث يحيى حقى عن بناء الرباعية، دون أن يذكر شيئا عن التعبير الفنى ، ولا عن الالفاظ وحتميتها وتحديدها ولاحتى من شاعريتها . بل ان الزاوية الاساسية التى يقف عندها يحيى حقى « الرابع » ازاء « الرباعيات » هى « التفلسف بالشعر » [١٢] فاذا تحدث عن اللغة لفت الانظار الى مهارة صلاح جاهين فى استخدام العامية مهارة تهدد اللغة الفصحى [١٣] . اى أن المهارة فى استخدام اللغة اصبحت عيبا فى حد ذاتها،

---

[١] مقدمة الطبعة الجديدة لاعمال يحيى حقى الكاملة ، قنديل ام هاشم ، تجربتى فى الادب والحياة .
[٢] خطوات فى النقد من ص ٢٠٢ الى ٢٧٦
[٣] انظر خطوات فى النقد ، مقالات يحيى حقى عن : سخريه النساى ، المستحيل ، الوسادة الخالية ، غصن الزيتون ، عودة الروح ، وانظر مقالته عن رباعيات صلاح جاهين ، . . عطر الاحباب ».
[٤] عطر الاحباب ص ٣٤ . ويلاحظ انه كتب هذا المقال قبل نشره فى الكتاب بعدة اعوام .
[٥] المصدر السابق ص ٣٥
[٦] نفس المصدر بين ص ٨٤ و ١٠٩
[٧] عطر الاحباب ص ٨٩
[٨] نفس المصدر ص ٩٠
[٩] نفس المصدر ص ١١٦
[١٠] المصدر نفسه ص ١٢١ ، ١٢٢
[١١] المصدر نفسه من ص ٤٨ الى ٨٢
[١٢] نفس المصدر ص ٨١ ، بل يقول ص ٧٨ « ليست المسالة فى الرباعيات بأى لغة كتبت ، بل ماذا قال صاحبها » .
[١٣] المصدر نفسه ص ٨٠ ، ٨١



ونستطيع الحصول على صورة ليحيى حقى « خامسة » عند كتابته عن توفيق الحكيم [١٤] . بل ربما كان هذا هو يحيى حقى الاول أو والثانى . فقد كتب هذا المقال عن « عودة الروح » و « اهل الكهف » سويا عام ١٩٣٢ . فقال ان «عودة الروح» قصة «نافعة» لانهـــا خالية من النزعة الصوفية أو ان نزعتها الصوفية غير ضارة ، رغم عدم تصويرها للثورة الا بصورة باهتة . الخ [١٥] . ولكنا نتوقف عند قوله انه لا اهميـــة لارتفاع مستوى الاسلوب الذى كان المازنى يطالب به ، فيكفى انه اسلوب سهل ، غير معقد ، صادق ، ينقل الحـــديث بروحه [١٦] ويسخر يحيى حقى بالمازنى لانه لا يهتم بالفكرة وانما بالاسلوب . وكان يحيى حقى يتحدث فى هذا المقـــال بلسان الشبان [١٧] .

وقال عن « أهل الكهف » انها مسرحية غير نافعة لانها تمزج فـكرة صوفية بفكرة اينشتاين العلمية عن الزمان [!] بينما مصر الان فى ميـــدان قتـــال مادى [١٨] فكان يحيى حقى — فى حديثه من رواية ، الحكيم ومسرحيته ، عام ١٩٢٤ ، كان ناقدا باحثا عن النفع المباشر للفن والادب فى معـــركة الوطن الذى يصدر عنه العمل الفنى . وكان ناقدا باحثا عن نفع العمل الادبى للوسيط الفنى الذى كتب لاجله العمل ، حينما تحدث من علاقة « أهل الكهف » بالتمثيل ، وأنها كتبت للقراءة فقط وهذا ينم عن ان المسرحية : « نعبير عن فردية الادب فى مصر . » [١٩] .

ولكنه كان بعد عشرة أعوام [١٩٤٤] يتحدث بطريقة مختلفه وبمقياس مغاير كل المغايرة عن مسرحية أخرى هى «العباسة» لعزيز أباظة [٢٠] لم يتحدث هنا عن فائدة المسرحية أو عدم فائدتها ، ولم يفحص دقة المؤلف مع التاريخ أو المنطق مثلما فعـل مـــع « أهل الكهف » ، واكتفى بالحديث الفنى عن الشخصيات واستخدام « الحكم » وعن الحوار وعـــدم عبقرية الشعر — رغم وصـــفه المؤلف بالكريم والفاضل والنبيل خمس مرات . ولكنه — مرة أخرى — بعد عشر سنوات ثالثة [أى فى عام ١٩٥٤] لم يصف عزيز أباظة بهذه الصفات ولامرة واحدة حينما كان يكتب عن مسرحيته « شـــهريار » [٢١] التى لم يبحث عن فائدتها ، وان كان تحدث عن علاقة الشاعر بالاساطير وارتباطه بضمير الامة لانه يأخـــذ من ألف ليلة ، ورغم وقوفه عند نزعة عزيز اباظة الصـــوفية فاله لم ير ان مصر لا تحتاج الى التصوف ،مثلما قال عن «اهل الكهف » ، ولم يفحص دقتها مع التاريخ ولا مع أصل الاسطورة كما فعل أيضا مع « اهل الكهف » .

أعتقد أنه لا نهاية للصور التى سيتبدى بها يحيى حقى « الناقد » الا بانتهـــاء مقالاته النقدية التى يكاد يتخذ فى كل منها المنهج الذى يتلاءم مع « موقفه » من العمل المنقود ، أو الذى يبرر به هذا الموقف المطلوب اثباته ، بل لعلنى اكون مبالغا فى استخدام كلمة « المنهج » هنا لانه لا يستخدم أبدا « منهجا » بعينــه استخداما كاملا حتى يمكنك أن تصف مقالا بعينه بأنه من المنهج « كذا » . وليس هذا كما يقال هو المنهج «التأثرى» ونحن بصدد شيء آخر غير تعريف هذا المنهج ، ولكن يكفينا القول بأن للمنهج التأثرى ، الذى نتحدث عنه يحيى حقى مرات باعتباره « منهجه » ، أصوله النظرية والاجتماعية المحددة التى يدرسها طلبة أقسام النقد فى المعاهد الفنية . وقد يعتمد يحيى حقى — غالبا على ذوقه الشخصى ، والذوق لايعتد به على ماقال كانط ، وقد يتجسد هذا الذوق الشخصى فى مقدار ما يعجبه هذا أو لايعجبه ذاك ، واعتمادا على أحكام من نوع أن الشعب المصرى يعجبه هذا أو لايروق له ذاك [٢٢] واعتمادا أحيانا — حتى — على التعجب من تقلب رأيه هو وتغير مقاييسه واعجابه بما كان يرفضه ورفض لما كان يعجبه وقد حاول يحيى حقى أكثر من مرة

---

[١٤] خطوات فى النقد ص١٠٢و١٧٢ونلاحظ أن هذا المقال اعيد نشره فى كتاب « فجر القصة المصرية » ولكن حـــذف منه يحيى حقى الفقرات التى كانت تنطوى على انطباعه الشخصى عن الحكيم ، رغم قوله فى البداية [فجر القصة ص١٢٣] انه سينشره كاملا ليطلعنا على صورة من نقد ذلك العهد .

[١٥] نفس المصدر ص ١٠٤

[١٦] المصدر السابق ص ٩٤

[١٧] خطوات فى النقد ص ٩٩ .

[١٨] المصدر السابق ص ٩٧ والحق ان يحيى حقى أصدر فى صفحتين متتاليتين حكمين متناقضين على « اهل الكهف » وتحمس لهما بقدر متساو من الحرارة . قال انها كتبت للقراءة فقط ، ولذلك فانها ادب فردى . صرخة فى واد وهباء يتناثر .. الخ » فى ص ٩٧ ، ثم عاد فقال انها من المسرحيات التى عنـــاها ارسطاطاليس بقوله ان قوة التراجيديا فيها يمكن الشعور بها بمجرد القراءة فى ص ٩٩ ومن المفهوم « الان » ان ارسطو لم يكن يتحدث عن مسرحيات كتبت فقط للقراءة ، كما انه لم يتحـــدث عن التراجيديا باعتبارها فرديا .

[١٩] نفس المصدر ص ١٠٨

[٢٠] المصدر ذاته ص ١٥٩

[٢١] أنظر ايضا مقالة عن شهريار ص ١٦٥

[٢٢] انظر مقاله عن شهريار ص ١٦١ وعن نجيب الريحانى فى نفس المصدر ص ١٣٢

[٢٣] الحق أن يحيى حقى لم يحاول ان يحدد مايعنيه بمصطلح « القصة » فهو يستخدم نفس المصطلح للاشارة الى قصص قصيرة وطويلة وروايات ومسرحيات . ويستمر هذا الخلط حتى مراحل متاخرة ، بعد ان تتاح الفرصة للتعرف على نظرية الانواع الادبية . ويمكن الحصول على نماذج كثيرة لهذا الخلط فى كتاب « خطوات فى النقد » « فجر القصة المصرية »

أن يؤرخ لـ « نشأة القصة المصرية »[٢٤] حاول ذلك للمرة الاولى فى مقاله ٢٤ عن مجموعة «سخرية الناى » لمحمود طاهر لاشين عام٢٧ ،فكان تاريخهتقديما عاما للمحاولة النقدية التى قامت على التذوق والبحث عن معقولية الحكاية والمواقف ولكن هذا التاريخ العام الاولى المبكر ، يحمل أكثر عناصر زاوية الرؤيه التى سينظر منها يحيى حقى بعد ذلك الى تاريخ القصـــــة المصريه فى ثلاث محاولات تالية [٢٥] ونحن نجدالكثيرمن الصعوبة فى اعتبار أى من هذه المحاولات تأريخا بالمعنى العلمى والمتكامل للتأريخ حتى لفجر هذه القصه [٢٦] .

فمثلما رأينا فى النقد التطبيقى ليحيى حتى من افتقاد لمنهج نقدى — جمالى وفكرى — موحد ، أو متطور ، كذلك سنكتشف غياب أى محاولة لايجاد منهج لتأريخ الادب . قد نشير بعض عناصر المحاولات الاربعة لتأريخ نشأة « القصة » المصرية عنـد يحيى حقى الى العـوامل الاجتماعية والسياسية التى نشأت هذه القصة فى اطارها العام . وقد يذكر بعضها مرة ثم ينساها ويستعيض عنها بغيرها . وقد يتجاهل هذه العوامل الى حد بعيد مرة أخرى ويركز على اتجاهات فئة المتعلمين أبناء نظام التعليم الجديد . الصحافة ودورها مثلا يذكران باهتمام فى المقال الاول [٢٧] عن محمودلاشين ومجمـــوعته الاولى .ولكن لا ذكر على الاطـلاق لهذه الصحف ولامـدى تأثير الاتجاهات السائدة فيها على نوع الادب بوجه عام والقصة المنشورة فيها بشكل خاص . ولكن الصحافة ودورها سينسيان كلية فى مقال « ذكريات عابرة » الذى يبرز فيه دور صحيفة « الفجر » لاحمد خيرى سعيد [٢٨]، وحدها ، دون تحديد لاتجاهها ودورها السياسيين [فهى بالطبع لم تكن صحيفة للقصة القصيرة وحدها] وانعكاس ذلك على المجموعة التى ستكون هى «المدرسة الحديثة» فى القصة والتى ستنشأ القصة المصرية على يديها فى رأى يحيى حقى . وبدلا من ذلك سنجد وصفا لصاحب الصحيفة وعبوسه ومشيته وعصاه !!!] وذكريات عن أناس فى دمنهور والاسكندرية لا نعرف من المقال بالتحديد ماعلاقتهم بالقصة ولماذا جاء ذكرهم ؟ .

ولكن هذا المقال يحتوى على فكرة ذات دلالة هامة ، تحاول أن تقدم تقسيما تحكميا لكتاب القصة والرواية المصريين الاوائل . ويصـــعب علينـا أن ندرج مصطلحات هذا التقسيم فى مصطلح التقييم النقدى ، ورغم هذا فمنها تنبعث الدلالة الهامة للفكرة نفسها . أن محمد حسين هيــكل برواية « زينب » هـو زعـيم « العقليين » ومحمود تيمـور هو زعيم « القلبيين » الذين تكتب عليهم الهزيمة، والحكيم وحده يجمع بين العقل والقلب . مسرحياته عقلية ورواياته قلبية ، ويتمنى يحيى حقى لو يجمع الحكيم بين الاثنين فى قصة واحدة يكتب لها الخلود [٢٩]

لقد اعتبر يحيى حقى نفســـه من مدرسة « القلبيين » ، وقال ان هذه المدرســة لم تكن تنظر من « فوق الى تحت » شأن هيكل والعقليين ، وانما « من تحت الى فوق ... كنا كالمحمومين لاينفس عنا الا ان نهذى ... لانريد أن نقلد أدباء الغرب ، بل كنا نريد أن نعيش فى جوهم عندنا ، فى بلادنا ، وسـط أهلنا ، مع شعبنا ، مع الفقراء والمساكين أول الامر ، لانهم أقرب الى قلوبنا من غيرهم .. [٣٠] .

ان يحيى حقى فى هـذه العبـارة العاطفية غير المحددة المعانى بصورة علمية ؛ وتستخدم فيها الالفاظ دون تحديد ولاتعميق،والتىيطرحفيها — بقصد لايخفى على من لايتعامل بعدم قاموسية الالفاظ — بصورة مباشرة ، نفس القضية التى اثارتها بشكل ما روايته « قنديل أم هاشم » وهى فى تصورنا واحدة من أخطر — ان لم تكن أخطر قضايا تطور العقل المصرى الحديث : قضية علاقتنا بالحضارة الاوروبية الرأسمالية ، حضارة العلم والمنهج والديموقراطية الليبرالية والصناعة والتراكم الرأسمالى والتقسيم الطبقى والتفرقة العنصرية والاستعمار والحروب العالميـة ، الى جانب الفن والفلسفة منهجين مؤرخين مستوعبين لكل هموم ومشاكل الانسان المادية والمعنوية من كل الاتجاهات. ولكنه يطرح هذه القضية على هذا النحـو غير المبالى بأكثر من نقل الحماس واثارة التعاطف . وقد يكون زعمه عن القلبيين صحيحا او لا يكون بل قد نختلف معه حول اعتباره لنفسه واحدا منهم . المهم عندنا الان ، أن هذا الموقف الذى ينسبه اليهم كمجموعة كان موقفا لمجموعة فضلت السلامة والانعزال وراء جدران علاقاتها الخاصة وتصوراتها التى لم تحاول ان تحولها الى موقف فكرى معلن ، الى موقف عملى كان سيجر المجموعة حتما الى حلبة الصراع الاجتماعى والسياسى والوطنى والفكرى بداهة ، فى مصر ، لم «ينافح» القلبيون عن هذا الموقف « فكريا » ربما لانهم لم يســـتطيعوا بحـــكم ظروفهم الشخصية المتعلقة بنوع ومستوى تعليمهم وبارتبـاطاتهم الطائفيــة — كان أكثرهم متمصرين أومن اصول « عثمانية » — ولذلك لم يبرز منهم المفكر صاحب التعليم المنهجى ، وصاحب الرؤية الاجتماعيـة

---

[٢٤] خطوات فى النقد ص ٨ — ١٩

[٢٦] هى : «أ» ذكريات وآراء عابرة المصدر السابق ص ١٩٠ «ب» فجـر القصة المصرية ، مسلسلة المكتبة الثقافية ، العدد ٦ (وزارة الثقافة والارشاد القومى) «ج» سخرية الناس، بقلم محمود طاهر لاشين ، فى كتـاب « عطر الاحباب ص ١٢١ .

[٢٧] ان كتاب فجر القصة المصرية ، مثلا ، لا يدرس رواية « عذراء دنشواى » لمحمود طاهر حقى ، عم يحيى حقى ، الذى عاد فافرد له مقالا خاصا ممتعا فى كتاب « عطر الاحباب » ص ١٤٥ ، وسنعرض لذلك بعد قليل .

[٢٨] خطوات فى النقد ص ١٤

[٢٩] نفس المصدر ١٩٣

[٣٠] نفس المصدر ص ٩٧ — ٩٩

[٣١] خطوات فى النقد ص ١٩٧



والفكرية والسياسية ، الذى يستطيع أن يقدم مساهمته الفكرية النقدية الشاملة التى يعبر فيها عن هذا الرأى : « لانريد أن نقلد أدباء الغرب ، بل أن نعيش فى جوهم عندنا ، فى بلادنا .. مع شعبنا ، مع الفقراء والمساكين » . لم يكن منهم هذا المفكر مثلما كان من « العقليين » لطفى السيد [٣١] ثم طه حسين، رغم أنهم كانوا يستطيعون أن ينسبوا أنفسهم لفكر محمد عبده — على سبيل المثال وأن يطوروه . ولكننا نظن أن يحيى حقى الذى كتب هذا الكلام عام ١٩٥٧ عن ذكرياته فى أوائل العشرينات ، كان يتحدث عن أفكاره هو العامة فى نهاية الخمسينات ، ولم يكن حقا يذكر ما كان يدور فى أذهان الاسرة التيمورية [مثلا] عن الفقراء والمساكين .

اعتذر من هذا الاستطراد ، الذى استفدنا منه شيئا من تحديد موقع يحيى حقى من التيار السائد فى « الثقافة الحديثة » المصرية ، باعتباره الوحيد من أبناء مدرسته فى جيله ، الذى حاول أن يقدم تصورا عن جانب من تلك المرحلة من مراحل تاريخنا الثقافى الحديث ، مهما كان من ذاتية هذا التصور . ويؤدى بنا هذا بالضرورة الى البحث عن « منهجه » المترفى ، فى الكتيب الوحيد الذى كرسه بشكل كامل للتأريخ لـ « فجر القصة المصرية » .

فى هذا الكتيب ، الذى لن نسمع فيه من الصحافة ودورها فى نشأة القصة ، ولا عن تقسيم الكتاب الاوائل الى « عقليين » و « قلبيين » ، يلجأ يحيى حقى الى مهارة القصاص الفنان وقدرته على « استحضار » الجو الموحى عن طريق لمساته التى يرسم بها صورة شخصية كل كاتب أو أديب ، وصورة اللحظة التاريخية التى يريد القصاص الفنان أن يستخدمها اطارا لكل شخصية من الزاوية التى يراها أكثر تعبيرا عن الشخصية مصطفى كامل ، بطل الوطنية المصرية فى عصرها « الرومانسى » وطموحها لا يزيد عن الاحتماء بحجة أن مصر ملك سلطان الاستانة الخليفة . وفرسان الكلمة المصرية ، هم أحمد خيرى سعيد وطاهر لاشين ، ومحمد ومحمود تيمور، وعيسى عبيد ، ثم توفيق الحكيم ، وقبلهم جميعا محمد حسين هيكل . ولكن هؤلاء لم يشرعوا فى الكتابة الا بعد وفاة مصطفى كامل بسبعة أو ثمانية أعوام على الاقل ، بينما هناك واحد فقط ، هو الذى كتب ونشر روايته فى أثناء حياة الزعيم واستمدها من أكبر معاركه ، وهو محمود طاهر حقى صاحب « عذراء دنشواى » التى قال منها يحيى حقى فيما بعد انها الرواية التى أتاحت لهيكل فرصة أن يكتب «زينب» ومهدت له سبيل الكتابة من الريف المصرى . فلماذا لم يذكرها يحيى حقى وهو يكتب « فجر القصة المصرية » ، ووضع مكانها « حديث عيسى بن هشام » للمويلحى ، باعتبارها « قنطرة » الجمع بين « الشكل فى الماضى وبين موضوع اليوم [٣٢] اغلب ظنى ان الدافع وراء اهمال يحيى حقى لرواية «عمه» هو ان محمود طاهر حقى كان لابد أن يدرج بروايته رائدا للعقليين ، الذين رفضهم يحيى حقى أو رآهم مجرد « مقلدين » لادباء الغرب ، ولا يعيشون مع أهلهم ولا مع الفقراء والمساكين . وكان على يحيى حقى فى هذه الحالة أن يضع عمه العزيز فى سلة « خصومه » الذين رأوا ان معركة تطوير الفن ، وغرس بذور الفن القصصى ، لا تنفصل عن معارك التحرر الوطنى ، والاستقلال عن تركيا وانجلترا فى وقت واحد ، والديموقراطية ، وتحرير المرأة ، وانشاء الجامعة ، ومراجعة تاريخ الادب العربى ونقده وكشف تراثه ، مع محاولة الدمج بين « الثقافتين » .. الخ .. الخ .

ولهذا فان يحيى حقى ، رغم اشارته الى أهمية قدوم أول مطبعة «روتاتيف» لجريدة المؤيد ، ورغم اهتمامه بقاسم أمين وتحرير المرأة ، فانه لا يمدنا بشىء عن حقيقة الجو الثقافى الذى نشأت فيه « القصة » المصرية ، ويتجاهل أوائل « القصص » الحقيقية [ومن بينها عذراء دنشواى] . ان الجو الذى تفجرت فيه قضايا مصر للمصريين ، والاستقلال التام ، والدستور ، والبرلمان ، والتعليم ، والجو الذى تفجرت فيه قضايا الموقف من الانتماء القومى ، والخلافة ، والذى تفجر فيه الخلاف بين المتعلمين الافندية ، وبين علماء الازهر ، وتم الانفصال بين العلم الحديث وعلوم التراث ، وانقطع الاول عن تلقيح العقلية الازهرية بمناهج البحث العلمية الحديثة ... هذا الجو لا نجد فيه شيئا فى الكتيب . وفى تقديرنا ان اهمال هذا الجو — رغم حرص المؤلف على توليد الانطباع بأنه يقدم الخلفية التاريخية والعلمية لنشأة القصة المصرية وبأنه لا يهمل ذكر أسماء لطفى السيد وطه حسين ومدرستهما — أقول ان اهمال هذا الجو ، مع توليد هذا الانطباع ، مقترنا باغفال «عذراء دنشواى» وغيرها من المحاولات القصصية السابقة عليها ، لم يكن مصادفة . فى المقابل ، سنجد طغيانا للملامح الشخصية ، وأحيانا للتاريخ الاسرى والملامح الخارجية للكتاب وآبائهم بل وعماتهم ، فاننا سنعرف طرفا من تاريخ أحمد تيمور باشا وعائشة التيمورية ، دراسة الاول لعلم النحو وعزلة الثانية وقصائدها [!!] وهما لم يكتبا قصة ، كما أننا لا نلمس من ذكرهما علاقة بقصص محمد ومحمود تيمور .

هذا التجهيل العام لملامح العصر ، مع التركيز على الجوانب الشخصية وحدها — ومن بينها الاشارة الى انتشار قراءة

---

[٣١] قد يكون من المناسب ان نشير هنا اشارة عابرة ، تذكرنا بها اشارة عابرة ليحيى حقى عن احمد لطفى السيد فى « فجر القصة المصرية » ص ٣٦ اذ قال يحيى حقى عن لطفى السيد انه « كان يخاصم مصطفى كامل ويجهر بضرورة اقامة حدود مصر ورفض التبرع للجيش التركى » ان يحيى حقى ، وجده المباشر نازح من تركيا ، لا يستطيع أن يقاوم اعجابا خفيا بذوى الاصل التركى من المصريين . نرى هذا بوضوح فى تلمسه اسباب الثناء على اعمالهم فى حياء جميل . ولكن هذا «الهاجس» المسيطر يدفعه احيانا الى التحسر على خلافة آل عثمان بحجة الهجوم على اليهود ويسلمه هذا الى التجنى على الديمقراطية ، وعلى علمانية الدولة ، الامر الذى يدفع الى التامل فى حقيقة تقديره وفهمه لـ « وطنية » مصطفى كامل ، ولكن الهام لنا ، هو اندفاعه بناء على ذلك الى بحث موضوعات بعيدة على الاهتمامات المباشرة التى كرس لها حياته العقلية والفنية . راجع مثلا عطر الاحباب ص ١١ — ١٢ .

[٣٢] عطر الاحباب — ص ٨ ، ٩ .

الاداب الفرنسية والانجليزية ثم الروسية وتاثير ذلك على بعض الكتاب — قديوحى بشيء من ملامح « المنهج التأثرى » . ولكن هذا « المنهج » ، باعتباره «منهجا» وليس باعتباره « تأثريا » ، يطالب باكتشاف العلاقات بين الظواهرالتاريخية الاجتماعية والثقافية ، وبين الظواهر الشخصية التراثية والمباشرة .. أما يحيى حقى ، فاننا لا نرى عنده حرصا على استكمال الصورة الحقيقيةللعصرالتاريخى بالوقوف عند « أهم » علاماتها ، وتبرير ذلك الوقوف [من ذلك اعطاعنا يوم وفاة مصطفى كامل علامة بداية لكل شيء، والاكتفاء لتبرير ذلك بكلمة من قاسم أمين من انه اليوم الثانى الذى خفق فيه قلب مصر !!] كما لا نرى عنده الحرص على اعطاء الصورة الحقيقية لشخصية الكاتب ، ما ورثه وما اكتسبه ومأأبدعه .. دع عنك ذكر اكتشاف العلاقات بين ذلك كله ، لكى يصبح المنهج ، منهجا !.

لاشك أن يحيى حقىقد اهتم بأن يكون « ناقدا » بقدر — ان لم يكن بأكثر — مما اهتم بأن يظل كاتبا مبدعا . وفىالسنوات العشر الاخيرة ، لم ينشر يحيى حقىقصة واحدة ، بينما نشر المئات من المقالات ، بين يوميات ومذكرات رحلات وتأملات عامة وصورشخصية ،ومقالاتنقدية[٣٣]

ولكن يحيى حقى ، تأكيدا لاهتمامه بمساهمته النقدية ، أراد ايضا أن يكون صاحب تصور جمالى نظرى للفن بوجه عام ، وللادب ، ولادب القصة القصيرة بوجه خاص . ونحن لا نعتقد أن محاضرته

« حاجتنا الى أسلوب جديد » هىماتحتوى تجسيد هذه الرغبة ، رغم ما يوصينا به يحيى حقى فى ترجمته الذاتية لسيرة حياته . انما تحتويها بشكل أكثر شمولا ونقاء وتعميما وارتباطا بانعملية الابداعية والتعبيرية ، المقالات الاولى من كتابى : « عطر الاحباب » ، «أنشودة البساطة»، خاصة وأن هذه المقالات تحتوى الافكار الاساسية الواردة فى المحاضرة المذكورة، وتضعها فى سياق نظرى أكثر شمولا لتجربة الابداع الفنى والادبى .

وقد لا يكون للتأملات العامه والنصائح التى أسداها يحيى حقى للكتاب الشبان فى القسم الاول من الكتاب المذكور قيمه كبيرة فى تحديد تصوره النظرى الجمالى من « الفن » بشكل عام ، وعن «الادب» خاصة ، الا من حيث محاولتها المزج بين افكار أساسية مستمدة من النظريه الواقعية الاشتراكية فى تاريخ الادب والفن ، وبين أفكار أخرى مستمدة من التأثريين الفرنسيين فى القرن الماضى ، وبين بعض المقولات العامه نستمد أحيانا من نقادوضعيين مننوع ايفور ريتشاردز، وتستمد أحيانا أخرى من الفكر الوضعى نفسه . وعلينا أن نلاحظ أن مقالات هذا الجزء ، قد كتبت فى الثلث الاوسط من الستينات،بعد أن اتيح ليحيىحقى الوقت لتنظيم ثقافته النظرية.سنلمس أثرالنظريه الواقعية الاشتراكية ، فى صياغة يحيى حقى لفكرته من ضرورة النظر الى كل مذهب فنى باعتباره « تطورا » للمذاهب القديمة .. فقد اعتقدت هذه النظرية ، أن « الواقعية الاشتراكية » ينبغى أن تكون وارثة لافضل ما حققته جميعالمذاهب والمدارس الفنية السابقة عليها والمعاصرة لها . ولكن يحيى حقى يتولى تسطيحهذا المعنى النظرى الذى أقيم على دراسات جمالية وتاريخية عديدة متشعبه ، ويحوله الى « حكمة » تقول : « ان كل جديد مبتكر لا يخلو من عناصر موروثة » [٣٤] فلا نعود نعرف كيف ينشأ الجديد المبتكر، ولا هى العناصر الموروثة التى ستوجد فيه ، ولا كيفية هذا التواجد ، ولاأنكانت ستوجد بدافع من وعى المجددين المبتكرين واختيارهم أم بسبب عدم وعيهم وظهورهم كمجرد انتاج ـــى لحركة التاريخ الثقافى العام .

وسنلمس تأثر يحيى حقى بأشياءمتفرقة من التأثريين الفرنسيين ، وخاصة من سانت بيف ، فى حديثه عن الفرق بين التكوين الذاتي والتكوين الفنى للكاتب ، أى بين ما يمارسه فى حياته وما يعبر عنه فى فنه ، وأن النقد لا يسعى اساسا الى الكشف عن التكوين الذاتى بل عن التكوين الفنى [٣٥] .وفى هذهالمقالات يتلاشى الىحدما، تأثير النظرية الوضعية على تصورات يحيىحقى عن الفنوالجمال والابداع ، والنقد . وسنراه يقلل من أهمية الاسلوب ويركز أكثر على الفكرة ، وسيهمل الى حد كبير التأكيد على اهمية اللفظ والتعبير .

ولكن هذا التأثير سيزداد وضوحا فى مقالات « أنشودة البساطة » التى كتبت فى أواخر الستينات وأوائل السبعينات. هنا سيكون التركيز على التعبير الذى ينبغى أن يكون « على قد الموضوع ، وليس علىقدالجمهور [٣٦] والجمهورالذى ينبغى » « توصيل » المعنى اليه ، يتكون من كبار الكتاب، ثمهن قوم الكاتب [٣٧] والابداع موهبة فطرية ، واللغة هىالتى نتدافع ونتولد من تدافعها الصور.والفن عدو للفيزيولوجيا [٣٨] ، والشعورقائم قبل الوعى ، لأن الشعور هو المطبخحيث يتم الاعداد ، والوعى هوالعمل والكتابة.

اى واحد من هؤلاء هو يحيى حقى « الناقد » ؟ . اعتقد يقينا أن الصورة التى ينبغى لنا ان نتوقف عندها والتى ستظلواحدة منأكثر ملامح ثقافتناالحديثه سطوعا ، هى صورة يحيى حقى كاتب القصة والرواية المبدع.ولعلنى لن أكون متعسفا ، بعد السطور السابقة ، اذا قلت ان كتابات يحيى حقى النقدية ، كانت فى غالبها ، تنفيسا عن طاقة عقلية ووجدانية وتعبيرا عن رغبته فى اقامة حوار مباشر بين المبدع وبين العالمالذى يحيط به ، وهو حوار قد يكتفى به الكاتب المبدع أحيانا . وقد يظلم نفسه ، ويقلل من ابداعه وما يمتعنا به منه ، اذا هو لم يكتف بلغة الابداع ، حين لا يكون مالكا لمل ما امتلكه المبدعون الذين مارسوا النقد لكى يفبروا به وجه عالمهم الثقافى والفنى ، ولكى يشيدوا به بناء جديدا يوسع من آفاق الابداع والجمال .

---

[٣٣] راجع ببليوجرافيا عنكتابات يحيى حقى اعداد يوسف الشارونى . مجلة الثقافة عدد [٦] . ص ٦٨ .
[٣٤] عطر الاحباب ص ١٤ الى ١٨
[٣٥] نفس المصدر ص١٠٤ ، ١٠٥
[٣٦] انشودة البساطة ص ٨ ، ٩
[٣٧] المصدر نفسه ص ٨ ، ١٠
[٣٨] المصدر نفسه ص ١٩ ، ٢٠.

جوائز الدولة :
تناول نقدى

هؤلاء الحائزون على جوائز الدولة التقديرية والتشجيعية، ما الحجم الحقيقى لابداعهم ؟.. فيما يلى تقدم « الطليعة » تناولا نقديا لهذا الانتاج ، علها تجيب على السؤال : هل يستحقون التكريم .. ولماذا ؟..

● عبد الرحمن الشرقاوى

تراث الفن المتجدد

عندما يدرس الناقد عملا فنيا ، فانه يجعل من علاقة الموقف بتشكيله فى هذا العمل الفنى مهمة له . وقد يحاول الناقد — بحسب ادواته وقدراته — أن يضع هذا العمل الفنى موضعه من مجمل نتاج الفنان ، ان كان متصلا بهذا النتاج اتصالا حميما . وعندما يقوم الناقد دور الفنان — فى مجمل نتاجه — فانه يجعل من علاقة نتاج الفنان بتاريخ الفن الذى أنتج فيه ، مهمة له . ولكن من الفنانين من يتجاوز دوره [تاريخ فن] بعينه ، الى [تاريخ الفن] فى تراث جماعته عامة . ينشط هؤلاء الفنانون فى مراحل الانتقالات الاجتماعية الكبرى التى تواكبها نهضات فنية شاملة فيعون أن هذه الانتقالات ليست بدايات جديدة لتاريخ الجماعة ، وانما هى استمرار لهذا التاريخ فى ظل علاقات جديدة ، ويعون أن هذه النهضات الفنية ليست قطعا لتاريخ الجماعة الابداعى ، وانما هى بناء لهذا التاريخ من داخله ، مستلهمين فى هذا البناء وعى الحاجات الروحية والجمالية الجديدة لجماعتهم ، ووعى علاقاتها الاجتماعية الراهنة .

فى هذه النهضات الفنية الشاملة تتعدد ادوار [الرواد] من الفنانين ، وقد تتعدد الادوار جميعا تبدأ من اعادة بناء [التاريخ الفنى] للجماعة بتجديده داخليا ، وتنتهى بصياغة حاجات الجماعة وعلاقاتها الجديده . ان قانون هذه النهضات الفنية أن الجديد فى الفن لاينفى القديم ولا يجبه ، وانما الجديد هو القديم مجددا فى ظروف جديدة . من هؤلاء الفنانين فى الادب العربى الحديث ، عبد الرحمن الشرقاوى [١٩٢٠ —] الذى نهض بأدوار فى معظم الانواع الادبية ، والذى برز وقد تحدد اساس النهضة الادبية العربية فى أمرين ، تجديد الشعر العربى ، وتأصيل الانواع الادبية الجديدة [أدب المسرحية — القصة القصيرة — الرواية] . فكان له دور [عام] فى تاريخ الادب العربى الحديث فى التجديد والتأصيل على السواء . ولقد وعى هذا الفنان قانون النهضة الادبية الذى يرى أن تاريخ فن الادب هو تواصل التراث الادبى واعادة بنائه فى ظروف جديدة ، فجاء نتاجه تجديدا للاصيل [الشعر] لا يقطعه عن تقاليده الفنية الاساسية ، وتأصيلا للجديد [أدب المسرحية — القصة القصيرة — الرواية] يغرسه — واعيا بعناصر صالحة فى المأثور العربى والشعبى — فى بناء الادب العربى . ومهمة ناقد الادب ودراسة تحديد دور عبد الرحمن الشرقاوى فى تاريخ نوع أدبى بعينه ، ومهمة مؤرخ الادب تحديد دوره فى الادب العربى الحديث عامة ، أما أنا فحسبى هنا أن أشير الى تخطيط لدرس هذا الدور العام بصورة أولية .

التراث الفنى قضية معاصرة

بدت ، فى الادب العربى الحديث ، ظواهر لم تمثل أيا من اتجاهاته الاساسية ولم تساعد — من ثم — على بناء تاريخه هذه الظواهر ثلاث : أولها أن مجموعة من الكتاب نهجت نهج كتاب الغرب وحذت حذوهم ، فى تفسير العالم وتمثله ، وثانيها أن مجموعة أخرى حاكت الادب العربى القديم واحتذت مثله وتقاليده . وثالثها أن مجموعة أخيرة حاكت [الواقع] محاكاة آلية وتمثلته من ظاهر حركته . كانت الظاهرة الأولى تغريبا نابيا مجافيا لحقائق الاذواق العربية وتاريخها ، وكانت الثانية تقليدا لقسيرا

بجعل حاضر الجماعة ومستقبلها وراءها، وكانت الحالة أدب مناسبات عارضة يسقط من يد الزمن بمضى مناسبته . أما الحركة الاساسية فى الادب العربى الحديث فقد كانت استجابة لباعث ضخم معبر من ناحية عن المكونات الموضوعية للمجتمع [الصراع الطبقى] ، ومعبر من ناحية ثانية عن تحدى المستعمر الغربى [الصراع الوطنى] . فى هذه الحركة الاساسية أصبح الموروث الادبى نابضا بالحياة وجزءا من تاريخ الجماعة متطورا بتطورها ، مستجيبا لوحى حاجاتها وعلاقاتها الجديدة . وتحرر الواقع من المثول الجامد فأصبح ينتظم الماضى والمستقبل اصبح يستدعى الماضى ، ويستحضر المستقبل . لقد وجد الكتاب الوطنيون هذه الحركة بحيث تتجاوز تقليد القديم الى استلهام قيمه ونماذجه المتواصلة جاعلين الادب عاكسا لتواصل الجماعة وموازيا رمزيا لحركتها التاريخية ووجه الكتاب الوطنيون هذه الحركة بحيث تتجاوز محاكاة الاداب الغربية مفسرين هذه المحاكاة بمواقف الغربة والتغريب والاغتراب التى أثمرتها عصور القهر الاستعمارى الرجعى . وبرز من هؤلاء الكتاب من صحح مفهوم التراث فسطعت عناصره الديمقراطية والعامية والشعبية، وبدأت تتجلى فيه طرائق الحساسية فى ادراكها الجمالى لعالمها ، كما برز من هؤلاء الكتاب من عاش تراث الجماعة متحركا به فى حقائق واقعها الراهن فكانت كتاباته قطعا فى بناء التاريخ الروحى والفنى لهذا الشعب . **وعبدالرحمن الشرقاوى واحد من بناة هذه الحركة وأعمدتها . فلقد انحاز هذا الفنان الى الطبقات المصرية المنتجة ـ جماهير الفلاحين والعمال ـ ونشط فنيا تحت راياتها وصاغ ـ فى جل انتاجه ـ حركتها ووعى هذه الحركة ـ جماليا ـ حسب نظريتها الاجتماعية وفلسفتها .** فى جل انتاج هذا الفنان ـ كما سنرى ـ تتواصل مصر فى منحنى ثروتها ويتواصل التراث المصرى كاشفا عن الشخصية المصرية فى جوانبها المناضلة والشعبية المتقدمة . فى هذا الانتاج تبدو الجماهير المصرية ـ تاريخا اجتماعيا ـ ساعية الى نفى القهر الطبقى والوطنى ، ويبدو تراث هذه الجماهير ـ تاريخا فنيا ـ اداة لنفى القهر الروحى والثقافى والفنى . فى هذا الانتاج تبدو حركة الجدل الصحيحة بين الموقف الاجتماعى وتشكيله الجمالى ، وان تحليلا بنائيا لهذا الانتاج ليفصح ـ فيما أظن ـ عن جدل بين الظاهرة الاستعمارية من ناحية والظاهرة الوطنية والقومية من ناحية ثانية ، وعن جدل بين ظاهرة القهر الطبقى



عبد الرحمن الشرقاوى

والوطنى من ناحية وظاهرة الثورة من ناحية ثانية ، وعن جدل بين ظاهرة التراث من ناحية وظاهرة التجديد من ناحية ثانية ، وعن جدل بين الفن من ناحية والعلاقات الاجتماعية من ناحية ثانية .

ومعلوم فى تاريخنا القريب أن كل رائد من رواد الادب قد صاغ ـ الى جانب انتاجه الفنى ـ موقفا فكريا من التراث ، وأن هذه المواقف الفكرية كانت ذات طوابع طبقية واضحة ، فعلى الرغم من وحدة التاريخ الثقافى القومى فى مجمله ، فان كل طبقة تفسر هذا التاريخ وفق حاجاتها وفلسفتها ومثلها العليا . ولقد وجدت هذه المواقف الفكرية فى شخصية محمد ابن عبد الله عليه السلام موضوعا خصبا لتفسير التراث واعادة تجديده وبنائه . وصاغ عبد الرحمن الشرقاوى موقفه الفكرى فى كتابه [**محمد رسول الحرية**] . وتوسل الشرقاوى فى تفسيره بالمنهج العلمى الثورى ، فبدت ثورة الاسلام الاجتماعية فى طابعها الشعبى، والقومى ، والانسانى ، وبدا الرسول الكريم محررا عظيما للمستغلين ، ونافيا لقوانين القهر الروحى والاجتماعى . ان انحياز الكاتب الى الجماهير المنتجة ، جعله ينهج النهج الجذرى فى تفسير تاريخها وجعله يبرز العوامل الموضوعية الفاعلة فى قطعة هامة من هذا التاريخ وهى مرحلة الثورة الاجتماعية الاسلامية. لقد جعله هذا المنهج يخلص تاريخ الجماعة من كل نظر متخلف يعتمد الخوارق والعشوائية فى التاريخ ولا يعتد بالقانون الاجتماعى والفعل البشرى . لقد بدا نبى الاسلام عليه السلام ـ فى هذا الكتاب ـ بشرا سويا يقود الجماعة الى علاقات أكثر تقدما وتتعلق به أحلام السالكين الى طريق للانسان أكثر انسانية . وعبدالرحمن الشرقاوى فنان فى المقام الاول لكننا وقفنا ـ مسرعين ـ عند موقفه [الفكرى] هذا من التراث لان هذا الموقف ـ شأن المواقف الفكرية التى صاغها أدباؤنا ـ انما يفصح عن سبيل فى تفسير التراث ليس بعيدا عن سبيل صاحبه عندما ينتج فنا يصبح تراث الجماعة فيه متجددا بتطور حركتها فى التاريخ .

الفن المتطور

الشعر هو الفن العربى الاول . ويبدو تاريخ الشعر العربى الحديث فى محاولات تجديده ، وتستند هذه المحاولات ـ فى أصالتها ومبررات وجودها ـ الى تواصلها بتقاليد الفن الشعرى الموروث فى ظل علاقات الواقع الجديد وحقائقه . ولقد كان آخر هذه المحاولات التجديدية ، وأبعدها أثرا ، الحركة الشعرية المعاصرة ، أو ما يسمى : حركة الشعر الحر .

لم تكن هذه الحركة خروجا على تقاليد الشعر العربى ، وانما كانت تطويرا لهذه التقاليد لتستوعب موقفا فكريا وجماليا واجتماعيا جديدا . ان حياة المجتمع العربى المعاصر قد تغيرت بصورة عميقة ، كما تغير التاريخ الثقافى والتراث الفنى لهذا المجتمع . لهذا كانت هذه الحركة الشعرية جهدا موضوعيا ينتقل ببلاغة الشعر العربى وجمالياته وخصائص التعبير اللغوى وطبيعة الايقاع فيه الى مناخ هذه التغيرات ، لادراكها جماليا ، وصياغتها شعريا . **وعبدالرحمن الشرقاوى واحد من الشعراء المعاصرين الذين حملوا عبء هذه الحركة التجديدية .** ويضع شعر الشرقاوى بين يدى مؤرخ الادب مادة فنية صالحة تفصح عن أن مضمون الحياة يوجه حركة الفن ، وعن أن الموقف الفكرى والاجتماعى للفنان خير مفسر لنتاجه الفنى ان وعى هذا الشاعر بحركة الجماهير وقوانينها التاريخية الاجتماعية ، جعله يعى الجوهرى فى تراث هذه الجماهير وجعل فنه يواصل هذا الجوهرى ملبيا الحاجات الروحية الناشئة ومستجيبا لحقائق الواقع الجديد . ان الراصد الادبى سيقع فى ديوان عبد الرحمن الشرقاوى ـ [من أب مصرى وقصائد أخرى] ـ على الموقف الفكرى الاجتماعى الذى يحدد المضمون الشعرى ويفسر التشكيل الجمالى . يجد هذا الراصد أن موقع الشاعر فى معسكر الجماهير ، وموقفه الثورى من قضاياها ، يجعلان وجوه التجديد فى شعره صائغة لحاجات لا تقطع الجماعة عن تاريخها ولا تقطع تراث الفن عن سياقه . فى هذه الحالة لا يكون التجديد تجريبا شكليا خاليا من المغزى التاريخى ، وانما يكون استمرارا للاصيل فى حياة الجماعة وتاريخها العام، وتاريخها الفنى فى آن واحد . ان هذا الفهم لتجديد التراث الشعرى قد وصل الى درجة من نضج طيبة فى نتاج بعض شعرائنا ، بحيث تشعبت قضايا التشكيل الجمالى المتصلة ببنية القصيدة لتشمل

الرمز وعلاقته بالوحده من ناحية وعلاقته بالحقيقة من ناحية ثانية وعلاقته بالبعد الاسطورى فىحضارتنا ومأثورنا الشعبى منناحية ثالثة ، ولتشمل طرائق التعبير اللغوى فى الشعر ومستوياتها الرمزية .. الخ . وكل هذا التشعب الذمىب فى حركة الشعر العربى المعاصر ، ابداعا ونقدا ، انما هوثمره لذلك الموقفالصحيح من حركة الجماعة فىالتاريخ ومنتاريخها الثقافى والروحى والفنى وهو الموقفالذى كان عبد الرحمن الشرقاوى — ولايزال — من أوائل الناهضين به .

وفى النهضة الفنية الشاملة لا ينفصل تجديد الاصيل عن تأصيل الجديد . والاصيل فى الادب العربى — كما سلف — هو الشعر ، والجديد هو أدب المسرحية والقصة القصيرة والروايه . والشعراء الدين جددوا الشعر العربى ، هم انفسهم الذين أصلوا المسرح الشعرى ، بل ان بعضهم — كعبد الرحمن الشرقاوى — قد شارك بنتاجه فى تأصيل الانواع النثرية القصصية والروائية ..لم يعرف الموروث الشعرى العربى المسرح الشعرى، وانما جرب الكتابة فيه الاحيائيون والمجددون الرومانسيون ، وكانت تجاربهم — على قيمتها التاريخية — متخمة بالغنائيـة وبخفوت الحركة الدرامية . ولقد انتقلت الحركة الشعرية المعاصرة — حركةالشعر الحر — بالمسرح الشعرى العربى انتقالة هائلة ، جعلت منه نوعا فنيا مستقرا فى ادبنا وانضجت مقوماته الجمالية عموما. ويحدد انتاج عبد الرحمن الشرقاوى فى المسرح الشعرى — [**ماساة جميلة**] و[**الفتى مهران**] و [**ثار الله : الحسين ثائرا وشهيدا**] و [**وطنى عكا**] و و [**النسر الاحمر**] — دوره البارز فى تأصيل هذا النوع الادبى ، كما يحـدد ارتبـاط هـذا الدور بموقفه الفـكرى والاجتماعىبجهده الموضوعى فىالصياغة الجمالية : فىالموقف الفكرى والاجتماعى نجـد هـذا الانتــاج المسرحى الشعرى يبث عمقا تاريخيا فى القضايا المعاصرة . الجماعة فى هـذا الانتاج لا تفنى ، انما تتواصل عبر صراعاتمع غيرها من الجماعات ، وصراعات بين قواها الاجتماعية المتناقضة . فى هـذه الصراعات تبعث أبدا فى قلوب الجماهير قيمها ويحيا أبطالهـا التاريخيون بـين صفوفها . ان هذا الموقف — بيقين علمى ونشكل جمالى — يضىء تاريخ الجماعة متجها به الى لحظتها الراهنة ، فتتجلى مصارع الابطال والمقاومين ، كى تنتصر المثل العليا وقيم الخير والسلام والحرية. أما الجهد الموضوعى فى الصياغةالجمالية لهذا المسرحالشعرى ، فيبدو فىاستغلاله الطيب لجماليات الشعر الحر وتوظيف هذه الجماليات فى تحريك الفعل واثاره الوتر ، بحيث تكون الماهية الشاعريه فى خدمة الماهية الدرامية . ويبدو هدا الجهد الموضوعى فى السعى نحو وعى عناصر الدراما وظواهرها وتقاليدها فى الفعل الانسانى للشعب ، بايمـان أن الصراع جوهر كل حياة ، وأن الحركة صفة كل حى . فاذا لم يكن فى تاريخنا القديم تراث أدبى مسرحى فان فى هذا التاريخ [امكانات] دراميه فى كثير من صور التعبير العربى عامة وفى صور التعبير الشعبى منه خاصة . واذا بدا بعض هذه الامكانات فى مسرح عبدالرحمن الشرقاوى الشعرى ، فان ذلك يتيح لهذا المسرح — فى التنفيذ — طاقات كبيرة فى استغلال جوانب الحركة والاشارة والاداء والايقاع فى الممارسات الشـعبية التى يصطنعها الشعب فى طقوسه ومحافله وأفراحه وأعياده .

الفن المستحدث

القصة والرواية نوعان أدبيان حديثان فى كل الاداب العالمية ، لم تستقر لهما تقاليد كما استقرت — نسبيا — للشعر تقاليد وصيغت نظريات . لذلك فانالفن القصصى والروائى — فى أدب من الاداب — أقرب الانواع الادبية الى النهوض علىعناصر الحكىوالقص والروايةوالسرد فى الموروثات الفنية والشعبية فى هذا الادب . لكن فريقا من كتاب هذا الفـن فى ادبنا الحديث كانوا ادنى الىاحتذاء الكتاب الغربيين منهم الى هذه المصادر الموروثة فى ثقافتنا الوطنية والقومية . والحق أن هذا الامر يتعلق — كما سلف — بموقف الكاتب من جماعته ومن تراثها . وقد عرضنا لعـلاقة موقـف الشرقاوى بتجديده للفن الشعرى ، فلنلتمس الخط العام لعلاقة هذا الموقف بتأصيله للفـن الروائى . جهد عبد الرحمن الشرقاوى الروائى — [**الارض**] و [**قلوبخالية**] و [**الشوارع الخلفية**] و [**الفلاح**]— ينصرف فى معظمه الى عالم القريةالمصرية يقدم الفنانهذا العالم فىوحدة المجموعة البشرية ، وفى وحدة تاريخها ومغزاه ، فى واقـع محـدد ، فى شرط تاريخى اجتماعى بعينه . لذا تحرر هذا العالم من الرؤى البصرية للاحياء والاشياء ، وتخلص من التسجيلية . انه عالم يضم الارض والبشر والتاريخ فىوحدة جوهرية تمتزج فيها الاحلام والمواقف وتتحـدد الكائنات بالبشر، وتستمد القيممضامينها من جدل صنـع الحيـاة وتقـدمها : جدل الخير والشر بالمعنى الانثروبولوجى وبالمعنى الدينى والصوفى ، وبالمعـنى التاريخى بين الاستغلال والثورة . أن الوحدة جوهر الواقع ، وان التقدم قانون تاريخى . ليس من نواميس هذا العالم الواقع فىتناثره وتبدده وجزئيته الظاهرة، وانما تبدى الاشياء والكائنات والنماذج البشرية فى هـذا العالم فى عـلاقات جوهرية اساسية،غيرمرئيه، لكنهمدركه بالحدس والتشكيل الجمالى . وأهم ما فى هذا العالم هو الانسان . والشرقاوى لا يصف البشر ، وانما هو يعيش فى صفوفهم ، وغالبا ما يكون — فى بناء الروايه — هو [الراوى] لتجربتهم . انه يحبهم بدفء صوفى غامر ، وهو فى نفس الوقت يعى قضيتهم وتناقضات واقعهم وعيا موضوعيا . الانسان فى هذا العالم حقيقه تنظم الرغبة والشهوة والارادة والفعل ، لكن الغبطة انما تحدد مرة لظروف بعينها ، وقد يبدو الانسان حقيقة بيولوجية وانثروبولوجيه تمور فيها الحسيات والرغبات وتعمل فى سلوكه الخرافه والاسطورة ، لكنه محكوم فى النهاية بكونه مجموع علاقات اجتماعيه فى واقع محدد.الحقيقة الفكريةوالجماليه البارزة فى هذا العالم أن الفعل ارادة بشريه ، وأن الفعل جماعى ، وهو انعـكاس للوعى الطبقى . ان حـريه الجماعة تنجه — بحصيله خبرتها ووجودها التاريخى — الىنفى قوانين القهرالاقطاعى والرأسمالى والاستعمارى ، وليسرتشبثها بالارض مطلبا اقتصاديا فحسب ، بل نزوعا الى حريتها السياسيه ورفضـا للتحكم والقهر السياسيين . ان هـذا الموقف من الجماعة ووعيها ينسحب على تشكيل حركتها جماليا ، فيبدو حياتها فى كل تراثها الروحى والشعبى : يبـدو التشكيل الجمالى فى مناخ السير والملاحم والحواديت والنوادر وحـكايات الشطار ويستمد مما لايزالحيا فى الموالدوساحات الاسواق . ان الجماعة تقدم [بطلها] مستلهمة فى بنائه نماذج تاريخها مـن الابطال والمقاومين والفرسـان . ليس عبد الهـادى — فى [الارض] — وعبد العظيم — فى [الفلاح] — [نمطين] عاديين ، بل هما أقـرب الى أن يكونا بطلين شعبيين يجسدان فى ملامحهما كل ما استقر فى وعى الشعب من ملامح ابطاله وقادة المقاومة فى مأثوره . وفى هذا العالم الروائى يفوح من [المرأة] عطر يستحضر سحر الحواديت القـديمة واجواء الف ليلة وليلة .

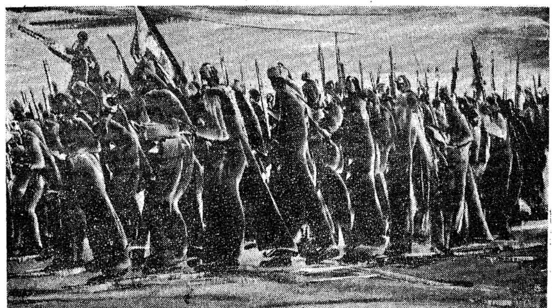
ان مهمة النقد التطبيقى أن يكشف عن القيم الفكرية والاجتماعية والجمالية فى كل عمل من هـذه الاعمال الشـعريه والمسرحية والروائية لعبدالرحمن الشرقاوى

د. عبد المنعم تليمه

صلاح طاهر

فن موضوعى وأسلوب تجريدى







يقول المثال الفرنسى العظيم أوجست رودان « ان الفن هو فرحة الذكاء البشرى حين ينفذ بأبصاره الى أعماق الكون لكى يعيد خلقه مرسلا عليه أضواء من الشعور » .

هذه الكلمات القليلة تشير الى ان العمل الفنى لابد ان يتخطى الواقع وان تمرح مواطف الفنان وافكاره بلا حدود داخل هذا الواقع او خارجه ، حاضره .. او مستقبله ، والعمل الفنى بهذه الصورة من التحرر عمل ايجابى ثورى لا يعرف طريقه الى السلبية تماما كما يقول فيلسوف الجمال « بايير » « لو كان للفن مذهب فلسفى لما كان هناك شىء آخر سوى فلسفة النجاح ، فالعمل الفنى عمل ايجابى ولا مكان للسلبية فيه لان الفنان لا يعرف التأمل السلبى » .

ان الفن هو الفعل الانسانى الذى يستقل عن خالقه ليصبح اكثر منه خلودا ، وفى داخل كل فنان اصيل ثورة وصراع ، وحينما تتخلق هذه الثورة فى اللوحات والتماثيل تتحول الى شعلة من قبس الفن ، وتسمى هذه الشعلة دائما باسم الفنان .. وتصبح عملا فنيا هو ذات الفنان ، بل ان العمل الفنى نفسه يقف نابضا بانسانية صاحبه الذى هو ذاهب لا محالة الى الموت ، فهو ابقى منه ، هو المسود الذى تحرر فاصبح سيدا .

[●]

وحينما فاز الفنان **صلاح طاهر** بجائزة الدولة التشجيعية للتصوير عام ١٩٦٠ كان تقرير لجنة الفحص فى المجلس الاعلى للفنون والاداب يكشف عن ان اللجنة الموقرة لم تفهم بل ولم تصل الى ادنى درجة من درجات التذوق البسيط لاعمال الفنان بل ولم يخل التقرير من خطأ هجائى تكرر مرتين !

والواقع ان تقرير لجنة الفحص فى تاريخ الحركة الفنية المصرية يدل على تخلف المسئولين وهم فى مكانة الاشراف والحكم على العمل الفنى .. ولعلى لا أبالغ اذا قلت ان اللجنة اعطته الجائزة لانها لم تفهم شيئا من اعماله ونص التقرير دليل قاطع !

لهذا يبرز شىء هام هو ضرورة القيام بدراسات نقدية جادة وموضوعية لعلم الجمال وتاريخ الفن وعلاقته بالحياة فى مصر فى العصور المختلفة لوضع كل فنان فى مكانه وسط زملائه لتستعين به اللجان المختلفة فى اصدار القرارات فى موضوعية .

وقرار اللجان هو اصدار احكم على العمل الفنى والحكم هو نفسه علم القاضى وثقافته وفكره بعدا عن الهوى وقربا من الحقيقة .

أعود لاقول : بعد ما يقرب من ١٤ عاما حصل صلاح طاهر على جائزة الدولة التقديرية فى الفنون .

ولد صلاح طاهر فى ١٢ مايو سنة ١٩١١ بالعباسية بالقاهرة ، وتخرج فى كلية الفنون الجميلة « مدرسة الفنون الجميلة العليا » فى ذلك الحين فى الدفعة التاسعة والعشرين . واستمر فى الانتاج الاكاديمى كتعاليم اساتذته **احمد صبرى ومحمد حسن وراغب عياد ويوسف كامل** وكانت موضوعات لوحاته تتناول الحياة والطبيعة فى الريف الى جانب «الصور الشخصية » . وكانت لوحاته عبارة عن اشخاص تتحرك على مسرح اللوحة حاملة معها جرثومة الصرامة والنظام الاستاتيكى وجرثومة التمرد ولم تكن تخلو لوحاته ايضا من حركة باطنة «ديناميكية» ولكنها كانت فى حاجة الى عملية جراحية لاخراجها الى حيز الوجود .

وكان من الطبيعى لفنان متمرس بالاسلوب الاكاديمى الايتناول عمالكتبية من خبرة فى مقابل الجنوح وراء بريق غامض يخرج احيانا من ثنايا فرشاته فنفىء هذه الشعلة التى بقيت ٢٢ عاما بعد تخرجه من مدرسة الفنون . اى فى عام ١٩٥٦ .

ويعتبر هذا العام بالنسبة لصلاح طاهر نقطة التحول الرئيسية فى تاريخه الفنى ان لم تكن نقطة تحول فى حياة الفنانين التشكيليين الذين عاصروه ، بل وفى حياة المصريين عامة : ففى نفس العام كان العدوان الثلاثى على مصر نتيجة الاصرار على بناء السد العالى وتأميم قناة السويس وكلنا يعلم هذه الظروف الوطنية الثورية التى عمت الوجدان المصرى بشكل عام ليس فقط بعد العدوان ولكن قبله بكثير كذلك .

فى المناخ الحيوى الذى صاحب هذه الفترة سافر صلاح طاهر الى اوروبا ، وبقى فيها حوالى أربعة اشهر وتعرف على الحركات الفنية فى فرنسا وايطاليا وانجلترا ، ثم سافر الى الولايات المتحدة حيث تعرف على الاعمال الحديثة لهارتونج وجاكسون بولوك التجريبية وادهشته حركة الحياة هناك ثلاثة شهور لوحات تموج بعالم من الالوان والخطوط فى غنائية مبهرة وحين عاد الى مصر بدأت الشخوص فى لوحاته تنفض منها بحركة سريعة متتابعة — تنفض منها غبار التفاصيل الاكاديمية بتقاليدها الجامدة تاركة حيوية حركية .

بدأ اذن صلاح طاهر فى خطوات منتظمة مرتبة باحثا عن جوهر الاشكال بمنطق الخلق الحر تاركا ذلك التأثير السطحى الذى ينعكس على العين البسيطة للمتلقى لذلك جاء تعمق الفنان صوفى النزعة فى نظرته لعالم الالوان — باحثا عن الجوهر فى عالم الاشكال وازداد تحررا نزالت عنه قيود الصفة السريعة الى افق الانفعال اللونى — **ولقد حاول صلاح طاهر البعد عن الموضوع وعن الفورم ولكن عقلانيته ابقت على ما استفاده اثناء دراسته الاكاديمية فبقيت عنده عناصر التكوين كالاتزان والترابط والوحدة .**

ورويدا رويدا تحول الصراع لصالح الشعلة الثائرة فى نفس الفنان نجرنها رؤيته للنسق الفنى فى الخارج . وتحول وجه الصراع فى لوحاته الى صراع بين الفورم الذى يحاول ان يزهو بوجوده وبين اللون الذى ينازعه البقاء .

انه صراع بين اليد الفنانة «التكنيك» وبين الفكرة ، بين الانفعالات والشحنات العاطفية وبين صرامة العقل .

غير ان الشىء الوحيد الذى استطاع ان يحمى صلاح طاهر من التردد بين هذه المناقضات هو ميله الشديد لتغليب حكم العقل على العواطف والانفعالات فكان لابد وان يحتفظ بالموضوع . وبذلك تحقق لشخصيته الفنية هذا التفرد .

شهدت السنوات التالية نعام ٥٦ حركة فنية دعوبة وقوية دعامتها الحقيقة فى افراد قليلين لكنهم كانوا ثائرين ، هم فى الحقيقة بقايا جماعات ذات فى زمن مبكر قبل واثناء الحرب العالمية الثانية واخرها كانت جماعة نحو المجهول . ولقد تميز كل فرد فى هذه الجماعات باسلوب مستقل فاستقر **كامل التلمسانى** على المدرسة السيريالية « الفروبدية » **ورمسيس يونان** فى التجريد الغنائى [اللبريكى] ، وفضل **فؤاد كامل** التجريد الانفعالى الحر واتجه **عبدالهادى الجزار** الى الطراز السيريالى الذى استوحاه من جو الشعوذة والسحر فى الاحياء الشعبية . كما استقر **سمير رافع** على الاسلوب التعبيرى . واستمد

اشكاله من الشخصيات التى عاصرها فى الاحياء الشعبية . لقد كانت هذه الجماعة تسير كشعلة من النار بما لديهم من هذا التفتح الرومانتيكى على الحياة والفن وما تكنه شخصياتهم من شحنات فنية ضخمة .

وعلى الرغم من التوافق الفكرى بين هذه المجموعة من ناحية وبين صلاح طاهر من ناحية اخرى فى رفض القديم والبحث عن التجديد الاصيل الا ان الفنان لم يشترك معهم فى اى من هذه الجماعات .

قلت ان هذه الروح الرومانتيكية دفعت كلا منهم للاحساس باهميته كانسان وبوجوده كفنان من خلال تفرده وتميزه ، ولم يكن ممكنا ان يكون واحدا منهم صورة من الاخر .

ولكن سرعان ماتوارت هذه المجموعات فى منطقة الظل فأصبح كل منهم يعبر عن نفسه وفقدوا هذه الروح الجماعية الرائعة التى كان من الممكن ان تخلق وجودا فنيا رائعا ليس فى مصر فقط ولكن فى عدد كبير من الدول العربية ايضا .

وسادت الروح الفردية فكان من الطبيعى ان يبحث كل فنان عن التميز والامتياز الى الحد الذى وصلت اليه الفنون التشكيلية الان من هذا الانغلاق العجيب لدرجة ان كل فنان اصبح يعمل من اجل ذاته ومن اجل اثبات وجوده .

والحقيقة انه لم يحدث الانعزال الكامل فى تاريخ الفن والفنانين ، الا فى ظروف محددة وهى شعور الفنان بانه يعمل فى جو من الديكتاتورية فينغلق على نفسه بحثا عن حريته بين لوحاته والوانه وهى عالمه الذى يستطيع ان يتنفس فيه كانعكاس طبيعى لموقف من الواقع .

وجد صلاح طاهر عالما رحبا حينما قرأ عن علم الفلك وبهرته العوالم البحرية وحركة العقل الانسانى والنشاط الحيوى للخلية الانسانية . وكان من الطبيعى ان يميل اكثر الى عالم الجمال المثالى مكوناته التأمل والنظر الى دقائق الاشياء وضخامة حركة الكون . فجاءت نظرته صوفية فبعد عن الالتزام بالنواحى الاجتماعية والقضايا الخاصة بالمكان .. انفصل عن هذا الواقع المحدود الى الواقع اللامحدود وعبر عن ذلك بوسائله المحدودة .. فرشاته والوانه ولوحاته .

يقول الناقد الروسى **فلاديمير** ونروف فى مقال له عن المنهج فى الواقعية » .

« ان الواقعية هى منهج فى التفكير وليست اسلوبا ، وكلما تعددت الاساليب الفنية كان هذا يعنى ثراء الواقعية » .

وحقيقة ان حصر الواقعية فى اسلوب معين تبدو من خلاله اشكال العمال والفلاحين تحديد قد يوصلنا فى النهاية الى نتائج مثالية وعالم تجريدى بعيدا عن الواقع ، ينقلنا الى عالم مثالى من العمال والفلاحين الاصحاء الاقوياء والفلاحات المشوقات القامة . حقيقة ان هذا التصور فى جانب الحق والخير ولكن هذه الاعمال تفقد اهم عناصرها الفنية وهو عنصر الصدق . ويصبح العمل الفنى فى هذه الحالة تنفيذا يخلو من الصدق لفكرة مسبقة . وارتباط الفنان بنمط معين سوف يؤدى حتما الى التضحية بالفن لصالح الموضوع الاجتماعى مهما كان سموه ورفعته .

والحقيقة ان العمل الفنى دليل على مصر وشاهد مملوء بالانسانية ايا كان الاسلوب ، فمن خلاله يستطيع الناقد ان ينفذ الى واقع ما وزمن ما . دون خداع وفى صحبة الصدق وهناك حقيقة اخرى انه لا يوجد ذلك الفنان الذى يسىء الى اخيه الانسان كما يثبت لنا تاريخ الفن فى العالم . اليس الفن هو ذلك الساحر العجيب الذى يرجه انى المدم قاضية ؟ فهو مع الحياة دائما .

ولقد وضع صلاح طاهر كلمته دون قصد منه بين زملائه ومعاصريه من الفنانين ورفع اسم مصر فى جوجنهايم فى عام ١٩٥٩ . وهى جائزة عالمية واثرى الحياة الفنية فى مصر بانتاجه وغرب فرشاته فى عالم بعيد ليأتى بهذا الجميل من عالم الممكنات على حد قول عالم الجمال سانتيانا .

قدم صلاح طاهر الى الحركة التشكيلية المصرية هذه المزاوجة بين وجود الفورم والتناول التجريدى وهى ليست بالمسألة اليسيرة وقدم على لوحاته صراعا بين الالوان والحركة ، **انه فنان موضوعى يعمل باسلوب تجريدى ولعل المتلقى اذا اصغى جيدا الى همسات لوحاته الخفية فانه بلا شك سوف يجد دائما هذه الاصداء البعيدة « لطرحة » الفلاحة المصرية وقلاع المراكب وترانيم الكنائس واستدارة القباب ودندنة الارابيسك الاسلامى فجمع بينهم فى صوفية المحب لايقاع وطنه . واستقلت هذه القطع من الحب فاصبحت اكثر خلودا منه واصبحت سلما لاجيال جديدة تبنى فى صرح الفن العظيم .**

مكرم حنين

● « عفت سكون النار » :
الرؤية ذات البعد الواحد

● عـــام :

قد لا بعد التنقيب بين مفردات هذه المجموعة من القصائد ، وفى خلفيتها ، رحلة وجدانية ممتعة ، او رياضة ذهنية مجهدة على السواء . ذلك لان الرؤية الشعرية داخل هذه المجموعة تتميز بكونها ذات بعد واحد .

أن جميع قصائدها ، تعانى — على نحو او آخر — من الرغبة فى الدلالة [العامة] ، عن هموم واشجان ، ورغبات مبهمة . وغاية فى [العمومية] ايضـا .

لكننى ، أحسب ان هذا البعد الواحد للرؤية داخل المجموعة ، يصنع لنفسه ، ثلاث مستويات رئيسية ، متجانسة ، يتنقل بينها بمفرداته تنقلا بطيئا ،رتيبا، وان كان محسوسا .وقد يبدو ان الوقوف على هذه المستويات الثلاث ، والانتقال منها الى التأكيد على تواجد هذا البعد الواحد للرؤية فى المجموعة — تجنبا للوقوع فى مصيدة العمومية ايضا فى تناولها — اكثر جـدوى ، من الوقوف الخارجى ، عند حدود رؤيتها الكلية .

المســـتوى الاول
[عمومية الاغتراب]

فى [عفت سكون النار] معاناة شاملة وعميقة . تنبع من احساس جياش بالاغتراب .

وهذا الاغتراب ، يحمل مذاقا فريدا وخاصـــا . انـه ليـس اغترابا [رومانسيا] مرده الى انسحاق الذات المنفردة ، تحتشروط واقعكبير يسحقها، بينما تشعر فى مواجهته بحجمها المتناهى فى الصغر ، او بعدم قدرتها على تجاوز شروطه، أو التأثير فيه — وهوبذلكليس حاضرا فى اشيائها ومفرداتها ، حضورا متوترا ، قلقا ، فهو هادىء ومستكين وخانع —

كمـا انه — ايضا — ليساغترابا [مبتا فيزيقيا] ، ينبع من غربةروحية تمزق جسور صاحبها مع الواقع المنغرس فيه ، وتبقى على ذاته كبيرة ، وممتزة وواضحة المعالم . انه اغـتراب بلا ابعاد واضحة ، ولاملامح محـددة . اغتراب مطلق ، وشامل ، ومعزول ، وعام . فصاحبه ليسفقط لايتميز الواقع من حوله ، بل هو — ايضـالايجد ذاته فيـه :

[ابحث عن نفسى فردى انت بعضنفسى]

وحين يفسر — هو — اغترابه ،يفسره — ايضا — بما هو عام، يفسره بطبيعة العصر كله . او بخذلان العصرله :

[الى متى يخذلنى عصرى]

أن الشاعر ليس مغتربا عن مدينـة او قرية او قبيلة ، او فكرة ، بعينها ، بل هو مغترب اغترابا عاما عن العصر ، لذلك فـان معـاناة الغـــــربـة ، او المدينة ، او القبلة ، ومواجعهـا لاتجد لهامتسعا داخل معاناته ،ومواجعه.

أن أزمته لاتأتى من الانفتاحعلى العالم الخارجى ، الذى يحمل همومه واشجانه بينما تغزوه رياحه وسمومه ، بلتأتى من الانغلاق الكامل على الذات .

وعلى الرغم من ان الشاعر عاف هذا الاغتراب — كما عاف سكون النار — الا انه يحمل كسلا وجدانيا مزمنا فى مواجهته .

ان اكثر مايستطيع طموحه الوجدانى أن يصل اليه ، ان يتوهم خطى تعبر أمام بابه المغلق :

[وقع خطى ، تمهلى باخطى
وجربى آن تتفى عنـدى]

وبدلا من أن ينتفض ليفتح لها بابه ، فانه ينتظر ، ويأمل فىبلادة غريبة ، ان يطرق هذا العابر — المجهولالوجهوالهوية — على بابه :

[فاطرق على الباب يا عابرا
بالباب انى هاهنـا وحدى]

أن الجدران قد شاهت فى ناظره ، وهو يحن الى افق فسيح المدى لكنه يريد من الاحجار التى تسد أمامهمنافذ الرؤية ان تسقط وحدها :

[حننت للافق فسـيح المدى

أبنها الاحجار فارنـدى]

.. ان اغترابه لايملك حسا رومانسيا يلون جوانب الواقع من حوله ، كماانه لايحمل وجها نقديا ، يأتى من انفتاحه على عالم معتل ، بل هو اغتراب عام مطلق لاملامح له ، علته فى ذاته .

ولانه كذلك ، فانه يمتلك ذلك الكبل الوجدانى المزمن ، الذى ينتهى به الى أن يعلق خلاصه على مشجب الزمن :

[يا شـقيقى نفذ السهم فلا
تنكأ الجـرح ودعه للزمان]!

المستوى الثانى :
عمومية الانثى

تشكل الانثى — محبوبة او معشوقة او مشتهاه — الحجم الاكبر فى اشعار المجموعة . لكنه ، على قدر كوننانستطيع انتميز فيها — على امتداد القصائد — شفة ، او ثديا ، او ساقا ، اوجيدا متناثرا هنا . او بارزا هناك ، فاننا لانستطيع ان نميز فيها — مهما تفرسنا — اية ملامح خاصة ، او محددة. انها انثى عامة ايضا — بكلابعاد الكلمة — وهو يخلع هذه العمومية الانثوية . على اسـلوب مخاطبته لها ، انه يخاطبها — [حـواء] ، [ياحسـناء] ، [معشوقتى] ، فهى اى امرأة فى اى زمان او مكان .

قد تكون رافلة فى غلالة وردية على سرير ناعم ، او مستلقية داخل خيمة

معلقة ؟ على مستطيل من وبر الماعز ؟ او متشرنقة فى ضباب الفجر داخل كوخ بعيد ، وقد يكون ذلك فى العصر الجاهلى أو العباسى ، أو الاموى ، أو تحت رايات المماليك .! لكننا — فى كل الاحوال — لا نميز بها غير الخطوط الخارجية العامة لانوثتها التقليدية ، فهى غير مشاركة ، وهى عالم خاص لاينتقل اليه فساد العالم الخارجى ، لكنه فاسد بذاته ، وهى بذلك ليست شرطا لتجاوز الواقع ، بل قد تكون مجرد محطة سريعة للراحة العابرة من العناء المتصل .

على انه — لهذا السبب ولغيره — مأزوم فى حبه لها ، مصادر منها ، ومضطهد على يديها ، وتأزمه أو اضطهاده يأخذ — أيضا — شكلا عاما لا يبرر الا باختلال تركيبها — هى — كجنس فى مواجهة ذكورته المغرورة :

[انثى تردد منذ ماخلقت
حواء هيت هيت للذكر]

وهو مظلوم وذليل فى علاقته بها :

أغرك منى رضاى
بالظلم واحطراد التساهل
وان ذل العزام يوما
عددته فى الفضائل

لكن حبه لها — فى النهاية — أو رغبته فيها ، كأنثى ، عامة ، مطلقة ، هى رغبة عجوز وعاجزة ، فى نفس الوقت ، لايخفبها رفضه لها :

وأبيت ثغرا سره
أنى اشتهيت وماحويت

وأبيت عجزا طالما
سوغته حتى انهيت

من عمومية رؤية الشاعر ، يأتى حصاره الخاص ، ومن موقع الانثى العام عنده ، يأتى تأزمه الخاص بها ، ونأتى عدم قدرته على تجاوز خطوطها الخارجية الى عمق هذه الخطوط فى داخلها ، ولذلك يبقى على أحسن الاحوال ، يتلامس مع بعض اعضائها الخارجية ، أو صفاتها المبهمة لديه ، تلامسا مأزوما ، وعاجزا ، وممتلا .

المستوى الثالث :
[عمومية الانفعال]

يبدو انفعال الشاعر المستمر فى بعض الاحيان ، كما لو كان جذ[illegible] ميتة ، لاتستطيع ان تحمل فوقها أفرعا أو ورقا ، ويبدو — فى بعض الاحيان الاخرى — كما لو كان أفرعا أو ورقا يابسا ، لاسببين له جذور .

ان حزنه المنفحل عام ، وغائم ، وغير مسبب ، — يقول — :

انى تنأيت غريب الاسى ..
ويقول :

زهدت فى الناس وهذا أنا
تزهدنى الوحشة فى زهدى

وهذا الاسى الغريب ، يعطى فى النهاية ، غضبا ورقيا ، يحترق ويتحول الى رماد .

كما ان انفعاله بالفرح — وتفاؤله البارد خصوصا فى نهاية قصائده — يعطى فرحا كحوليا — سرعان ما يتطاير ، عندما يلامس العالم الخارجى :

تحامل أيها الظمآن واصبر
فقد يأتيك بعد العسر يسرا

● تشكيل البعد الواحد :

من بين هذه المستويات الثلاث — عمومية الاغتراب ، عمومية الانثى ، عمومية الانفعال — يتشكل البعد الواحد ، الذى يميز رؤية الشاعر فى النهاية .

وهى رؤية نائى مغرقة فى العمومية ، تبدأ جذورها من الذات ، وتنتهى ثمارها داخل الذات المغلقة أيضا .

انها غير منتمية ، لاتملك ترابا وطنيا تقف عليه ، ولا علما وطنيا تسند رأسها تحته ، ولا نشيدا وطنيا ترتب ملامحها فيه . فهى خارج الزمان والمكان .

وبنفس القدر الذى تتشكل به ، تلك الرؤية العمومية ذات البعد الواحد ، تتشكل أيضا ذات الشاعر ، حيث تبدو كبيرة ومنضخمة ، لكنها عامة ، وبلا ملامح محددة . وعندما يتحرك فيل هائل داخل غابة رحبة ، فانه يحتل جزءا صغيرا فى الصورة الشاملة لها ، لكنه حين يقف — هذا الفيل الهائل — فى غرفة صغيرة ، فانها تصير مجرد غلاف له .

● الرؤية والادوات الفنية .. :

ترى ماهى العلاقة بين هذه الرؤية ذات البعد الواحد ، وبين الادوات الفنية التى تعبر عنها ؟

فى البداية ، فان القول بأن تجربة الشاعر الوجدانية ، فى حجم قدرته على التعبير عنها — وهذا يجعله لا يعانى من ارتباك فنى واضح — يبدو قولا صادقا .

ان الشكل التقليدى للقصيدة ، يبدو مناسبا ، ومتسقا مع التجربة ، بل ان التجربة — أحيانا — لاتستطيع ان تملأ اطارها الخارجى .

أيضا ، فان الشاعر لا يحاول على استخدام أدوات فنية أنضج من تجربته ، فهو لايرى من الالوان الا لونا واحدا ، هو اللون الرمادى ، بل هو لايراه ، ولا يستخدمه الا بكثافة واحدة .

وماحاجته مع هذه الرؤية — ذات البعد الواحد — الى استخدام مفردات تعطى حسا لونيا هنا أو هناك . ان مفرداته الشعرية تظل قائمة بذاتها ، داخل القصيدة ، كأنها أطلال قديمة ، غارقة فى الظلمة من بعيد .

وبنفس القدر ، فهو ليس محتاجا الى استخدام الرمز أو الصورة الشعرية ، أو خصائص الشعر القصصى ، كما هى موجودة فى قصائد الفرزدق أو جرير أو غيرهما على سبيل المثال — حيث تفنى شخصية الشاعر ويصبح مرآة لحياة الجماعة — ، اذا كانت ذاته المتضخمة تضع العالم غلافا لها .

وما حاجة أبياتها أو مفرداتها — بعد ذلك — لان ترى الشمس ، أو لان تنزل الى البحر ، أو ان تسلقى على رصيف الشارع ، أو رمل الصحراء ، أو ان تزحم المارة وتلمس نبض الحياة المتدفق فيهم ، أو ان تعانى همومهم وتعكس أشواقهم وطموحاتهم ..

ما حاجتها لان تكون حية ونابضة ، وهى مولودة داخل جدران منغلقة على ذاتها ، ان مفرداتها لا يمكن الا ان تكون ، منطفئة ، وخامدة ، وعالمها بلا نبض .

ماحاجتها الى ذلك كله ، اذا كانت خلفية القصيدة الموسيقية — وهى رصينة وصحيحة بلا شك — هى القصيدة ذاتها .

ان القصيدة تولد كاملة ، وتموت كاملة أيضا ، كما تموت الجياد الشائخة — على يد صاحبها — عندما تعجز — عجزا واضحا — عن جر العربة المتهدمة !! .

احمد عز الدين

● مع الروايتين الفائزتين ..

الاسوار العالية
عباس الاسوانى

تعتبر رواية « الاسوار العالية » التى فازت بالجائزة التشجيعية عام ١٩٧٤ – منتمية بحكم التكتيك الذى استخدمه المؤلف ، وطبيعة العلاقات بين شخصياتها الى الرواية التقليدية التى ظهرت فى بدايات ظهور فن الرواية فى القرن السادس عشر ، وذلك من حيث اعتمادها اسلوب السرد المتسلسل لبطل أو مجموعة من الابطال ، وتصوير شخصياتهم • وربما يتلخص مضمونها فى التعبير عن موقف فلسفى من الحياة من خلال تصوير وتسلسل الاحداث فيما يمكن ان نسميه كما يقول الدكتور « لويس عوض » فى مقدمة ترجمة كتاب « نحو رواية جديدة » لالان مدروب جرييه باطار التسلسل الزمنى •

ولقد اتخذ المؤلف حياة بطله الشخصية موضوعا لروايته ، وان بدا من حيث انتهى كحبكة فنية كثيرا ما تستخدم فى السينما • كما انه لم يستمد مادة فنية من ذات البطل أو مجموعة الابطال ، أو من الموضوع العام للرواية كما تتبع المدرسة الحديثة فى الرواية ، وانما من نسيج العلاقات الدرامية التى تقوم بين شخوص الرواية ، وان كان هذا النوع من الاعمال كثيرا ما يقترب من الاعمال البوليسية او المسلسلات التليفزيونية والاذاعية التى تقوم اساسا على الموقف الذى يصنعه المؤلف وكيفية الخروج منه بخلق حالة توتر وتشويق عند المستمع او المشاهد •

وتبدأ الرواية بالقبض على البطل فى بيت أحدى بنات الليل التى يتعرف عليها فى أحد الملاهى ، بعد ان ينكشف لها أمره فتشى به ، لانه تتستر غريمه « زهران » رمز الشر فى مجموع علاقات الرواية ، ويبدأ المؤلف من الجزء الثانى فى سرد روايته على لسان البطل بأسلوب تقريرى يحكى خلاله عن نشأته وظروفه الاجتماعية التى جعلته لا يكمل تعليمه بالحقوق ويعمل بوظيفة بسيطة بدار الكتب على ان تظهر اهتماماته بكتابة المسرح الذى يحبه • يتعرف البطل على زميل له فى العمل يهوى التمثيل « زهران » يظل طوال الرواية يمثل الحائط المرتفع أمام البطل ، فهو ابن اسرة غنية يغضب عليه أبوه بسبب التمثيل ، لذلك يلتحق بالعمل بدار الكتب كى يعيش مستقلا عن أسرته • وسرعان مايلتقيان على طريق حبهما للفن المسرحى ، فيعلن البطل عن موهبته فى التاليف المسرحى ويقدم له مسرحية يقوم « زهران » باخراجها ، ويساهمان معا فى تكاليف عرضها على أحد المسارح المتواضعة ، فيدخلان معا عالم الفن والمسرح • وبذلك يسقط البطل احد الاسوار العالية التى تقف حائلا أمامه ، فيعلن عن موهبته للجميع بعدما كانت جزءا من اشيائه الخاصة ، بذلك الحائط او السور المرتفع لا يسقط الا بواسطة « زهران » الذى يظل طوال العمل مثل سور مرتفع جدا لا يمكنه أن يتخطاه بسهولة • وينقذ القدر زهران بحادث موت أبيه الذى تتغير بعده أحواله تغيرا كليا ، فيترك الوظيفة ، ويتفرغ لمشروعاته الفنية • وسرعان ما يتضح للبطل بعد جديد في شخصية زهران يتمثل فى حبه لذاته ونرجسيته التى تجعله ينفض يده من رفاق الطريق فيلفظهم معتمدا بواسطة أمواله على الابطال المشهورين من نجوم المسرح •

ويداخل هذه القصة يسرد المؤلف قصة أخرى على لسان الراوية ايضا ترتبط بحياته الخاصة التى تبدأ بالزواج من ابنة رئيسه التى يظهر المؤلف انها على خلق وجمال غير عادى ، ويتم الزواج برغم عدم امتلاكه أموالا تساعده على انجاز المشروع ، فيقع عبء الزواج جميعه على أهل عروسه • وان كان هذا الزواج الذى سرد المؤلف الكثيرعن تفاصيل اتمامه غير مبرر منطقيا حيث لا يمكن أن يتم زواج بمثل هذه الطريقة ، فقد يرضى البطل المأزوم لتعثره فى طريقه الفنى بالزواج – لكن كيف ترضى به اسرة زوجته ذات الوضع المميز طبقيا برغم عدم وجود حب بين العروسين ؟

يمارس البطل الراوية حياته بشكل عادى بينما يتالق نجم صاحبه « زهران » فى عالم المسرح ، وسرعان ما يعاوده الحنين الى الفن بعدما سقط أمامه حائط الزواج من ابنة مديره الحسناء ، فيبدأ كتابته للمسرح ، وينجح فى عرض عمل له بواسطة احد أصحاب المسارح من الذين يتخذون مواقف مبدئية من « زهران » واسلوبه فى السيطرة على الحركة المسرحية ، وتنجح المسرحية برغم هجوم النقاد عليها وعلى مؤلفها بايعاز من « زهران » الذى صوره المؤلف كاقطاعى كبير استطاع ان يسيطر على الحركة الفنية • ويستطيع « زهران » فى النهاية فرض شروطه على البطل بشرائه للمسرح الذى يعرض اعماله بعدما يموت صاحبه • وتضيق أمام البطل السبل فى بادىء الامر ، لكن « زهران » السور المرتفع أمام الجميع يتحول بلا مبررات تجاه البطل ويطلب اعماله كى يقوم بعرضها • وتبدأ مرحلة جديدة فى حياة البطل « المؤلف » – فيعمل « زهران » على اذاعة أعماله والاعلان عنها مع مدح النقاد لها – وفى خضم هذا ينسى البطل عيوب زهران وتصرفاته القديمة ، وتتغير أحواله فيترك الوظيفة ويتضاعف دخله ، وسرعان ما يرتبط بعالم الشهرة والمجد والنفوذ من خلال علاقته الحميمة بزهران ، وذلك كان يرضى غرور المؤلف

البطل الذى تروى الرواية على لسانه لكنه وفجأة وعلى غير انتظار يكتشف ان سور « زهران » اعلى مما كان يظنه — وانه ليس سوى وحش يريد أن يلتهمه — عندما ينزع اسمه من الاعلانات واضعا اسمه هو • ويقرر البطل بعد تفكير ان يتصدى لذلك العبث معتمدا على موهبته فقط فى الكشف عن حقيقة زهران أمام الناس جميعا — وهناك أمام بيت زهران يلمح البطل زوجته التى يحبها خارجة ، فيرتفع أمام عينيه سور زهران عاليا جدا ويشعر بنفسه يتحطم أمام صلابته ، ويدرك كيف استطاع زهران استدراجه منذ البداية والارتفاع به عاليا لتحطيمه مرة واحدة • وتنتحر زوجته عندما يفاجئها بمعرفته فتطلب منه الطلاق من أجل الارتباط « بزهران » الذى وعدها بالارتباط لكنه لا يفي بوعده لها — فلا يبقى أمامها بعد ذلك الا ان تتخلص من حياتها — يذهب البطل بعد ذلك الى زهران ويقتله ، وكأنه يقتل الشر الذى يلوث عالمه •

واذا كان المؤلف كان قد اتخذ اسلوب السرد التقريرى — فانه قد وقع فى عدد من المواقف عيوب تعتبر من اهم عيوب الرواية — فزواج البطل من ابنة مديره لا يرتبط بموضوع الرواية الرئيسى ولا بنسيجها الدرامى — الى جانب اظهار البطل « الرواية » فى اطار الشخص الطيب المثالى الذى يواجه الشر دائما من زملائه أو حتى فى طريقة اختيار رئيسه له زوجا لابنته • فتصوير المؤلف لشخصية البطل كنمط محدد — بعذر ان يوجد فى الواقع — تقع عليه جميع التبعات تصوير بعيد عن الموضوعية •

وعندما يشك البطل فى ما وراء الزواج ينجح المؤلف فى تهيئة القارىء لتقبل موقف جديد تبرره الظروف والملابسات الخاصة باتمام الزواج — لكن المؤلف ينتهى بالموقف الى لا شىء ، وقد تكررت مثل هذه المفاجآت كثيرا ، وعندما اتضح موقف الخيانة من جانب الزوجة صورها المؤلف على أنها واقعة تحت تأثير قدر لايرحم وهو حبها لزهران الذى تسرب الى دمائها منذ مدة طويلة • وهذه مجرد نماذج للمواقف المفتعلة وغير المبررة والتى ترهل بها العمل • ومثل تلك المواقف تكون عبئا على العمل الفنى والادبى ، وان كانت من أساسيات العمل فى التمثيلية الاذاعية والتليفزيونية لجذب انتباه المشاهد والمستمع •

ولان المؤلف اتخذ اطار الحكى التقليدى فأنه ترك نفسه يقع فى اسر الفاصيل وتفاصيل **التفاصيل — فلابد ان يكون لون السيارة احمر ولابد ان يتبع البطل الجثمان مع المشيعين حتى مقابر الامام — الى جانب ان زجاجة الكونياك من جروبى وبثلاثين قرش •• الخ كما يحفل العمل بالكثير من المقولات التى توضع فى مصاف الحكم والامثال مثل « اننا لا نعرف ابدا ما يخبئه لنا الغد » ومثل « انها تشرب من نفس الكأس الان » ومثل « فى العلاقة بين الرجل والمرأة لابد من آكل ومأكول » •**

والرواية تمثل قصة كتبت للسينما خصيصا ، وكان يمكنها ان تحتوى مضمونا اشمل باهمال الكثير من التفاصيل مع ارتباطها بالواقع المحيط بها زمانيا ومكانيا — وذلك من اهم خصائص الاعمال التى لا تحفل الا بالحكاية ، كسمة تسم الرواية فى بداية عهدها ، ولقد لعب المؤلف كثيرا على موضوع الخير والشر فكان « زهران » نمط الشر المطلق • والبطل وزوجته التى انتحرت وحياته الخاصة هما اللذان يتلقيان ضربات الشر ولم يبد البطل اية مقاومة طوال العمل سوى مقال النقد الذى كتبه مهاجما مسرحية « زهران » وفى النهاية قتله لزهران — الا أن ذلك القتل ايضا غير مبرر لان البطل كان قد ربط نفسه بزهران وباع له ذاته يوم رضى أن يرتبط بنجمه الساطع رغم معرفته لاساليبه التى كان يرفضها فى البداية •

وان كان المؤلف قد حل مشكلة بطله بان جعله يقتل « زهران » الشر ، فان الاسوار لاتزال عالية ، ولن تمحوها مثالية الخير المطلقة . ولكن يمكن أن يمحوها الصراع المستمر الذى تقوم به القوى الخيرة ضد الشريرة على أرض الواقع بتفاصيله الاجتماعية وظروفه الخاصة التى لم تلتفت اليها الرواية التى كتبها مؤلفها مستهدفا ان تجذب المتفرج العادى للسينما المصرية فى بحثه الدائم عن التسلية •

[■]

فساد الامكنة — «صبرى موسى»

الرواية الثانية الفائزة بالجائزة التشجيعية ، هى عمل فنى ذو طعم خاص — كتبها مؤلفها بعد معايشته لمسرح أحداثها ، وكما رويت له بالصحراء الشرقية فى احدى مناطق **البحث عن المعادن التى وطاها كثير من المغامرين الاجانب والمصريين سعيا وراء الثروة والجاه •**

وهى تنتمى للرواية التسجيلية الوصفية اكثر من انتمائها لادب الرحلات الذى استهوى المؤلف من قبل • والبطل فى الرواية ليس الاشخاص أو الاحداث ، وانما البطل هو المكان الذى نجح المؤلف لحد كبير فى نقله بخصائصه البيئية والنفسية ، فكان المكان هو الخلفية التى يتحرك عليها الابطال متفاعلين معها ومؤثرين فيها ومتأثرين بها ، وان فاق درجة تأثير المكان فى الاشخاص على تأثير الاشخاص فى المكان ،

وهذه هى اهم صفة تتميز بها رواية « فساد الامكنة » خاصة شخصية « نيكولا » البطل الرئيسى الغريب عن تلك البقاع • وقد اوضح المؤلف تأثير البيئة على « نيكولا » وتفاعله معها طوال الرواية ، وبذلك شارك « نيكولا » القوقازى الاصل البيئة الخاصة فى البطولة وتقاسمها معها باعتبار أنها البطل الرئيسى فى العمل •

فبدا « نيكولا » مبهورا منذ البداية بدقائق وتفاصيل ذلك العالم الذى بدأ يتعامل مع لغته الخاصة ومفرداته شديدة الخصوصية ، ثم انتهى فى النهاية أسيرا لتلك العبقرية الفذة التى سيطرت على روحه منبعثة من ذلك المكان المختار من الصحراء الشرقية لمصر ، فكانت الظلمة تغشى عينيه عندما تختفى الشمس فى الغرب ، ويزحف اللون الرمادى كثيفا على أصفر الصحراء وأحمرها وأخضرها فيكسوها جميعا ، ويتحول الحر اللافح الى نسيم لافح ، ثم الى برد لافح ، وتتحول الجبال الى أشباح خرافية ووهمية تتحرك أمام العينين المتحضرتين لنيكولا فى ذلك المد اللانهائى — فتتعذر عليه الرؤية وهو البطل المسلح بالمعرفة القادم من الشمال « أوربا » مقتحما ذلك الجبل الضخم محطما كبرياءه نافذا الى صميمه ومحتواه •• الخ •

يتخذ المؤلف من جو الصحراء بظروفه شديدة الخصوصية مادة لفنه ، فقد استطاع أن ينقل للقارىء الروائح الخاصة التى تنتشر فى المكان من خلال وصفه الدقيق الذى صور به عمله بلغة عالية الشفافية والشاعرية — فلم يكن غريبا بالتالى ان تتحدد ملامح تلك الشخصية الروائية « البطل » المتنقل عبر الامصار باحثا عن مستقر لروحه الهائمة بعد أن ترك بلاده فى القوقاز وزوجته الفاتنة « اليا الكبرى » ، وابنته « اليا الصغرى » فى ايطاليا — ويذوى مستقره ذلك المكان الذى استهواه فأحبه ثم عشقه ، وبدأ يحلم بتعميره وتشييد مدينة عامرة فيه — بجوار حبه الاخير « جبل

الدرهيب الضخم ، فالجميع يأتي ويرحل – جاءوا كثيرا ورحلوا كثيرا– ودائما كانوا قادرين على ان يأخذوا ارواحهم « نيكولا » وحده مع الدرهيب فهو حبه الكبير بعد ما توحد معه فى جزء هام من ملحمة حياته · ويكون عمل « نيكولا » الاساسى فى البحث عن الذهب والمعادن مشاركة بينه وبين « الحاج بهاء » رجل الاعمال المصرى و « الباشا » أو الخواجة « أنطون » من بعده – الذى لا يرى فى المكان الا مصدرا للذهب الذى يبحث عنه ، بينما « الحاج بهاء » يرى فى وجود المعادن تطويرا لابناء جلدته وعشيرته من سكان المنطقة ، فكان يجمع الشباب كى يعملوا مع « نيكولا » ، حتى يتعلموا اسرار العمل من الاجانب ، فهم الوارثون لتلك الجبال الغنية بالثروات مما يعمل فى النهاية على تطوير حياتهم وانتشالهم من التخلف والفقر ·

ولا يتم انتماء وتوحد « نيكولا » مع الجو الخاص بالمنطقة نهائيا الا بعد ان ينقذه « عيسى » او « ايسا » الفتى البدوى الذى نبت كغيره من الاعشاب المنتشرة هناك ، والذى كان يتآلف بينها بداخل هذا العالم الصامت المترامى المعبق بالخطر فى كل وقت – فانقذه عيسى عندما تاه باحثا عن السبيكة المفقودة ، فقد جرى وراء سراب الاشباح فى الصحراء حتى حاصره العطش ، واسقط فى يده واختلت قواه ، واغمى عليه وأصبح قاب قوسين او ادنى من الموت ، وهو الذى كما يقول المؤلف «سرق المعرفةمن بحر التجوال» · عند هذا وصل « ايسا » فانقذه من الموت بتقطير الماء فى فمه حتى تلين عضلاته ، فى الوقت الذى كاد الباشا ينتقم منهم جميعا مع سكان المنطقة بواسطة الهجانة التى استقدمها عندما عرف نبأ فقد السبيكة التى مول العمل من امواله حتى يحصل عليها فى النهاية ·

وكان احساس « ايسا » مع رفاقه من سكان المنطقة بالعظمة لا يفوقه حد – الاحساس البدوى بالسيطرة على جبلهم ومنطقتهم التى وطأها الاجانب والمغامرون من كل مكان فى العالم · عند ذلك أخذوا السبيكة وانسلوا نحو المغارة التى تحوى صخرة جدهم الاكبر – توقف « عيسى » فى ذلك الصباح المبكر واخرج من صدره سبيكة الذهب فأقامها على الصخرة ، ووقفوا جميعا حولها وكأنهم يشهدون جدهم « كوكا لوانكا » على ما فعلوه مؤكدين له ان أحفاده ما زالوا يملكون السلطان على الصحراء وجبالها – كأحد الطقوس الاسطورية التى يتبعها سكان المنطقة عندما تحاصرهم الهموم – فكانو يذهبون الى تلك الصخرة فى قمة الجبل ويظهرون الولاء للجد الكبير · وينجو « عيسى » من الموت بعدما يمر على مستطيل النار مفتوح الذراعين عدة مرات وقد تقبل تطبيق قانون المنطقة على نفسه فاثبت براءته من السرقة التى اتهم بها – كان لذلك اثره الكبير على نفس « نيكولا » فانتابه احساس بالعرفان والتضاؤل امام تلك الطباع المستمدة من جو البيئة الرحب ، فعيسى الذى تقبل المرور على النار كان أصفى نفسا واقوى عزيمة وأصلب عودا يعبر أمامه أكبر تعبير عن تلك العبقرية التى تلمسها واحسها فى هذه البيئة الصحراوية التى بدأ يتعامل مع جوهرها ويفهمها مما زاد من ارتباطه بالمكان ·

ومن خلال لغة صافية بالمكان · يصور المؤلف كيف يدرك « نيكولا » بحسه الترابط بين الموجودات من حوله فى تناسقها العام ، والقرابة الخفية بين الكائنات فى حركتها الدائمة – الشمس المسلطة على مسرق الجبل ، والجبل الرابض تحت الشمس بجذوره الصخرية العتيقة – الارض الرملية والارض الصخرية فى البقعة المحيطة بفوهة البئر – بل البئر ذاتها · فكان امام عين نيكولا كل ما على الارض ممتدا فيها وخارجا منها وعائدا اليها لا محالة – كل ما على الارض دائم التحول والتبدل والتغير ·

ذلك الجو الخاص الذى استنشقه « نيكولا » وفهم مفرداته جعله يتشبث بحياته الجديدة أمام رغبة زوجته الفاتنة اليا التى استخدمت جميع أسلحتها حتى تعيده ثانية فلم تفلح – بل ان ابنته « اليا الصغرى » مكثت معه فى تلك الامكنة التى لم تكن تفسد بسهولة ·

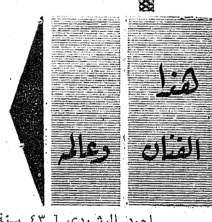
واذا كان المؤلف يبغى من عمله امتاع القارىء بتصويره الفنى الرائع لذلك الجو الغريب والجديد فى الرواية والقصة ، وهو بيئة الصحراء باخلاقياتها البدوية ، وظروفها الحضارية الصعبة والجافة ، وبلغتها الخاصة ومفرداتها شديدة الخصوصية – فقد نجح لحد كبير فى وصفه الدقيق الرائع ومزجه بين الواقع الحقيقى المتمثل فى الموجودات والطبيعة والاساطير والعادات التى تنتشر فى تلك الامكنة – من خلال لغة شفافة صوفية تتناسب مع الصفاء النفسى والاطمئنان الروحى الذى تشعه الصحراء · وليس غريبا ان تنتشر فى صحراء مصر الاديرة التى تغص بالرهبان فى بحثهم الدائم عن المطلق ، فالجو العام للصحراء وما يبعثه من احاسيس نقية صورة الرواية بدقة وشفافية ·

ويريد « صبرى موسى » فى النهاية ان يقول ان تلك الامكنة بخصوصيتها لا يمكن ان تفسد من داخلها – « فنيكولا » الغريب لم يعمل على افسادها لانه بدأ يفهمها ويحل رموزها من خلال تعامله اليومى مع « عيسى » أو ابنه « ابشر » الذى كان يحمل ملامح أبيه وذكاءه الفطرى · والفساد لم يأت الا من الباشوات والملك وحاشيته عندما وصلوا تلك المنطقة بمباذلهم ·

والجزء الخاص بالملك وحضوره الى تلك المنطقة ، وتصوير المؤلف لما حدث سواء كان قد حدث فى الواقع فعلا ام هو من خيال المؤلف يعتبر خارجا عن العمل ولم يضف اليه شيئا – بل انه كان زائدا وبه كثير من التفصيلات التى كان يجب على المؤلف ان ينأى بنفسه عن سردها لارتباطها فى عمله بالمكان – ولانها حشو لا يضيف للعمل قيمة معينة · ولقد بالغ المؤلف كثيرا فى تصويره الفعل الجنسى بين عبدربه والمخلوق المائى القتيل الذى صاده من البحر ، وذلك جعل المؤلف يسرد كثيرا من التفاصيل مثل قوله ان الملك كان محاطا بباشا وثلاث بيكوات مشكوك فى اصلهم ، وخواجة أكيد – ومجموعة من رجال الارض والمال يملكون تقريبا ربع الاقتصاد المصرى ، وذلك جعل العمل يفيض بكثير من الزوائد ·

وبرغم هذه الزوائد فالرواية نجحت لحد كبير فى تصوير العبقرية الفذة لذلك المكان الذى اختاره « صبرى موسى » مسرحا لاحداث عمله « فساد الامكنة » من خلال الوصف الحسى والالوان المختلفة والكلمات الشاعرة الشفافة – فكان تأثير المكان بخصائصه وروائحه على الاشخاص واضحا طوال العمل سواء على « نيكولا » او على ابنته التى قتلها فى النهاية عندما فسد المكان بفعل الغرباء الوافدين اليه من اجل المتعة والفرجة · ■

شمس الدين موسى



أحمــــــد الرشـــــيدى

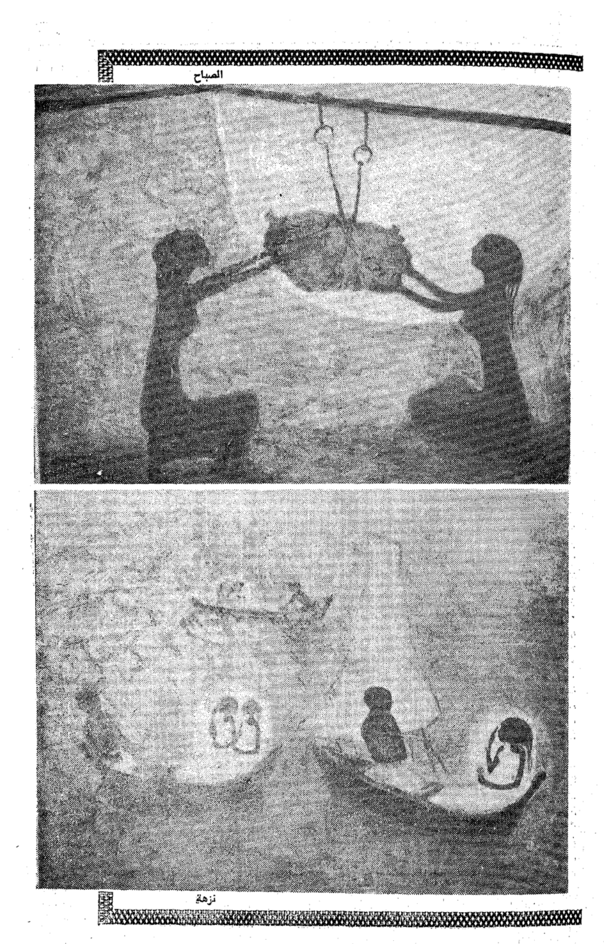
احمد الرشيدى [٤٣ سنة] القاهرة النوبة القديمة ... الاحياء الشعبية بعاداتها ... صيادو رشيد .. الفلاحات وقربة اللبن ... المراة ... الحياة اليومية ... النيل ... الشمس ... حب الحياة ... دفء الالوان ... الشفافية ...

تلك هى المفردات التشكيلية للمصور احمد الرشيدى التى تكون عالمه الخاص ... فى ابداعه الفنى الذى يتأثر بالتصوير الفرعونى بشكل عام فى انسيابية الخطوط ... الحركة الساكنة نسب العنصر البشرى وتحليلاته ... اسلوبه من حيث تصوير ملامح الوجه .. لجسم الانسان ... التسطيح والبعد عن المنظور الفوتوغرافى .. دفء الالوان .. استخدام اللون البنى ... اختياره لموضوعات الحياة اليومية فى الاحياء الشعبية والريف وتسجيلها بحس مصرى أصيل ليعبر بها عن العادات الشعبية المصرية والواقع المصرى ...

احمد الرشيدى من الفنانين الواقعيين الذين اثبتوا وجودهم فى الحركة التشكيلية المصرية المعاصرة .

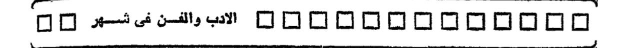

لحة


فى المرآه



الصباح

نزهة



أبناء الصمت

أغنية رقيقة في وداع الشهداء

من الامور الطيبة أن يبدأ عرض « أبناء الصمت » بعد موجة أفلام اكتوبر الهزيلة ، ذلك أن هذا الفيلم الرقيق كان سيتعرض لاحد احتمالين : اما أن يضيع الاهتمام به وسط استجابة النقاد لاستفزاز الافلام التى نالت ما تستحقه من رفض ، واما أن ينال تقديرا أكبر مما يستحقه ، خاصة وانه كان سيوضع فى المقارنة مع أفلام تبلغ فى تهافتها حد اظهاره ، كما لو كان عملا كبيرا ونادرا .

فى البداية ، بعد الخروج من دار العرض ، لن يستطيع المرء أن يحدد وجهة نظره فى الفيلم بوضوح ، ذلك ان المتفرج يشعر أن هذا الفيلم الشاب ، الرقيق ، الشريف ، ينقصه شىء من الوعى ، وينقصه « شىء » من الفن أيضا .. « شىء » يجعلك تشعر أن متعة المشاهدة ليست كاملة ، وانك كدت تعايش عملا مصريا كبيرا ، على مستوى أكتوبر ، لكن هذا الشىء الناقص يقف حائلا دون هذه المعايشة .

يحدد الفيلم منذ اللقطات الاولى موقفا مبدئيا صحيحا من حرب أكتوبر ، فقبل وأثناء نزول القوات نشاهد تدمير المدرعة « ايلات » ثم ضرب معامل تكرير البترول فى السويس .. ومع ارتفاع ألسنة اللهب فى الفضاء تنتقل الكاميرا بين وجوه الجنود الغاضبة .. والفيلم بهذه البداية ، وبالمشاهد التى تليها والتى تقدم معاناة الجنود فى مرحلة « ضبط النفس » انما يعبر عن احدى حقائق حرب أكتوبر ، فهى هنا ليست حادثة مفاجئة « بنت لحظتها » ، ولكنها قمة نضال طويل وصعب ، بدأ منذ سنوات .

ويحدد « أبناء الصمت » أبطاله أو ابطال أكتوبر تحديدا اجتماعيا واضحا ، هم شباب مصر القادم من أعماق الصعيد ومن حوارى مدن القناة ، العمال والفلاحين والجنود وابناء الطبقات المتوسطة التى استطاعت بجهدها واصرارها الصلب أن تصل بأبنائها الى أعلى مراحل التعليم . وينبه الفيلم الى القطاعات التى عاشت ونعيش حياة طفيلية مرفهة ، تسرق الوطن مرتين : مرة عندما لم تدفع شيئا فى سبيل الحرب ، ومرة عندما تسارع بسرقة ثمار النصر .

يقدم الفيلم حياة وكفاح وآمال ومصير سبعة جنود داخل أحد الخنادق المواجهة للعدو كنماذج « لابناء الصمت » ، ويقدم فى المقابل رئيس تحرير احدى الصحف وممثلة ورقيبا على الصحف ومجموعة « كومبارس » ترقص فى الهرم كنماذج للقطاعات التى لم تدفع ثمن الهزيمة وتتهيأ لسرقة النصر . واذا كان الفيلم قد نجح فى انتقاء نماذج الجنود التى عقد لها لواء البطولة فانه لم يستطع أن يحقق نفس القدر من النجاح فى انتقائه لممثلى القطاعات المقابلة ، ذلك أن «رئيس التحرير» و «الممثلة» و «الرقيب» و «الكومبارس» الراقص فى الهرم لا تحدد بوضوح سمات الطبقة التى يقصدها الفيلم .

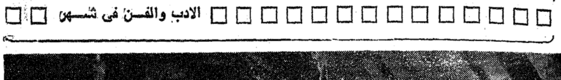
يوفق « أبناء الصمت » فى تحديد الابعاد الاجتماعية للجنود بشكل عام ، الا أنه لم يستطع ان يرسم لكل شخصية من شخصيات الجنود سمات ذاتية خاصة بها : فملامح الجندى « سيد زيان » مثلا هى نفس الملامح التى طالعنا بها مرارا فى تمثيليات « المعلم رضا » التليفزيونية والتى تتكون من خليط هزيل من الطيبة والبلاهة والتظرف والحكمة ، مع ميل لتهشيم حروف الكلام . وهى شخصية لها جمهورها برغم غلظتها وافتعالها وبالتالى فان كلماتها تكتسب أهمية خاصة الشىء الذى لم ينتبه له كاتب الحوار فيما يبدو ، ذلك أنه يجعله يردد على طول الفيلم ، بايمان شديد ، وبشكل ملح ، كلمات « القدر » و « المكتوب » و « المصير » ، الامر الذى تظهر معه الارادة البشرية عنصرا هزيلا ومحدود القيمة .

كذلك لا نجد فى شخصية الجندى « حمدى أحمد » الا الملامح الصعيدية العامة ، الرجولة والقوة والانفعال دون أن يحاول السيناريو أن يقيم لها بناء داخليا خاصا .

أما شخصية الجندى « نور الشريف » فانها تعد احدى عوامل تسطيح الفيلم على المستويين ، الفنى والفكرى ، ذلك أن تمثيل « نور الشريف » المسطح قد قلل من جاذبيتها وزاد ابعادها الباهتة ضعفا وهزالا . ويحاول الفيلم أن يبرز المغزى السياسى للحرب على لسانه ، فيجعله يردد « جيل يخطىء وجيل يدفع الثمن » ! وهى العبارة التى تعاود خطيبته الصحفية عدة مرات بعد استشهاده ، الشىء الذى يثبت انها احدى أفكار الفيلم ، وهى فكرة تحجب كافة الابعاد السياسية والتاريخية والدولية بيننا وبين الاعداء حيث تبدو مسألة الحرب كما لو كانت نتيجة خطأ ما ارتكبه احد الاجيال السابقة !

واذا كانت الملاحظة القائلة بعدم تمتع **شخصيات الفيلم ببناء ذاتي يميز كلامنها** عن الاخرى تنطبق على معظم الابطال بنسب متفاوتة ، فان شخصية « رئيس التحرير » هى الوحيدة التى تمتعت ببناء درامى محكم ، فضلا عن تكوين نفسى بالغ الخصوصية . وهى الشخصية التى أضفى عليها أداء « محمود مرسى » المتفهم مزيدا من الغنى والتأثير ، لذلك فانها تعد من ايجابيات الفيلم بحق .

ان هذه الشخصية الدرامية ، المتعددة





لقطة من فيلم ابناء الصمت .. الوجه الجديد احمد زكى يجلس فى احد المواقع مع نور الشريف .

الجوانب ، بدأت حياتها صلبة ومناضلة ومناهضة للقوى المستغلة ، ولكنها مع الايام والهزائم والارهاب تحولت الى شخصية منهارة ومستسلمة وعاجزة ، وهى مدركة للمشوار التعس الطويل الذى انتهى بصاحبها مقيدا على أحد كراسى رئاسة التحرير ، يرثى نفسه ويعانى عبء المرض والعجز والادانة .. وهو يدرك أيضا أنه كان فى الماضى يملك الصحة ولكنه عاش عاجزا فى قبضة الفقر ، وهو الان يملك المال ولكنه يعيش عاجزا فى قبضة المرض .. ولاشك انه اذا كانت بقية شخصيات الفيلم قد حظيت بشىء من اهتمام السيناريو ببنائها الداخلى على هذا النحو الدرامى البديع لكان أبناء الصمت واحدا من الافلام الكبيرة عن جدارة . وقد منحت هذه الشخصية بجوانبها المتعددة ثراء وغنى وخصوصية لكافة العلاقات التى تربط صاحبها ببقية الابطال ، ذلك انها تجعل مشاعره تجاه الاخرين ، ليست من النوع المسطح البسيط « ـ حب ـ كره ـ اعجاب ـ ضيق ـ سرور » ولكن تجعلها من النوع المركب والمعمق ، فمشاعره نحو عشيقته الممثلة مثلا تجمع بين الرغبة والكره والاحساس بالعجز والاحتقار ، بينما يشعر تجاه الصحفية الشابة ، التى تذكره بصلابته القديمة ، بمزيج من الحب والانزعاج والاحترام والعجز .. ولعل « محمود مرسى » من أقدر ممثلينا على أداء مثل هذه الانفعالات المتضاربة باتزان يوازى بينها جميعا ولا يجعل احدها يتغلب على الاخر .

وفى مشاهد الاحباط الجنسى التى تدور بين « رئيس التحرير » والممثلة يرتفع الفيلم بلغته السينمائية الى مستوى رفيع ، فالكاميرا تقوم بتصوير بدنه من الخلف ممددا وخامدا فوق الممثلة كما لو كان جثمانا فاقد الروح . وبعد محاولاته الخائبة يهرب مع الموسيقى مبتعدا عن جسدها ، وبينما تغرقه الاضاءة بلون بنفسجى قاتم يرتسم على الوجه المتصبب عرقا كل معانى العجز والانهيار والضيق والفشل ، ليس تجاه الجنس فحسب ، بل تجاه حياته كلها .

ويستشهد فى « أبناء الصمت » أكثر من نصف جنود الخندق ، والفيلم يثبت بهذا أن نصر أكتوبر لم يكن سهلا ، ولكنه نصر صعب ان صح التعبير ، دفع ثمنه كاملا من دم ولحم وأحلام آلاف المصريين ومع فداحة الثمن المدفوع فى النصر ، وعلى الرغم من أن « أبناء الصمت » يقدم اللحظات الاخيرة فى حياة العديد من المحاربين ، فان المتفرج لا يشعر بوطأة الموت ، ذلك أن الفيلم يودع الشهداء بطريقة تليق بالابطال .. فقبل أن يلقى الجندى « أحمد زكى » مصرعه أثناء اختراق خطوط العدو ، ينجح فى القاء قنبلة على مجموعة من جنود الاعداء ، وعندما يسقط فوق رمال سيناء ويسند جبينه على حباتها الناعمة التى تلتصق ببشرته ، تظل عيناه الواسعتان مفتوحتين كما لو كان يريد أن يشاهد باصرار مسار المعركة ونتائجها .

وفى مشهد النهاية البديع ينجح الجندى « سيد راضى » فى غرس علم مصر فوق احدى تبات سيناء ، وعندما يتهاوى بفعل رصاصات العدو ، تظهر كفه المضرجة بالدماء فى لقطة كبيرة وهى تتجه باصرار ناحية الشرق قابضة حفنة من رمال مخضبة باللون الاحمر القانى . ان الفيلم بهذه المشاهد يعطى للمتفرج احساسا بانه يشاهد أغنية رقيقة للشهداء .. وكان من الممكن أن يكون مشهد استشهاد الجندى « محمد صبحى » فريدا وبالغ التأثير ، ولكن استجابة المخرج والمونتير لاغراء تكراره أفقده الكثير من سحره وجلاله .. ان الجندى هنا لا يسقط قتيلا ، ولكنه

يتهاوى على رمال سيناء بالحركة البطيئة كما لو كان الفيلم يودعه وداعا شاعريا أخاذا . لكن رأس الجندى تظهر مرة أخرى لنهاوى من جديد ! ثم نظهر كفه التى بالغ المكياج فى حروقها لتنسحب من الكادر بعد أن كادت تفسد المشهد الجميل .

ويحقق المخرج مستوى طيبا فى اخراجه لمشاهد القتال بوجه عام ، خاصة فى مشهدى ضرب مدينة السويس والعبور ، ففى مشهد ضرب مدينة السويس تتداخل المؤثرات الصوتية لانفجارات القنابل ودوى المدافع مع الاصوات البشرية المستغيثة مع الموسيقى التصويرية المضطربة المذعورة لتكمل الاحساس بعذاب المدينة الغارقة فى ظلال الليل الكثيف الذى لا يبدده الا بريق الانفجارات .. وفى مشهد العبور تكاد الكاميرا ان تصطدم بأجسام الجنود المندفعة فتنقل لك احساسا دقيقا بقسوة وكثافة الكيان البشرى المندفع لتحرير الارض ، وعندما يتسلق الجنود الساتر الترابى الناعم على صفة القناة ينقل لك المصور الذى يغوص بالكاميرا فى التراب احساسا بعناء الجنود وصعوبة التسلق وتوتر التسابق مع الزمن .

لكن المخرج يهبط بمستوى الفيلم مرتين مرة فى المشاهد التى تدور داخل الخندق حيث بدو حركة الممثلين مضطربة وارتجاليه غير مدروسة ، تفتقر الحرارة ويشوبها الكثير من البلادة والافتعال . ومرة أخرى فى الثلث الاخير من الفيلم .. وهو يعد أضعف الاجزاء عموما ، ذلك أنه يتم من خلال مجموعة « فلاش باك » لا يكمل بعضها بعضا ولا تضيف جديدا ، فضلا عن اعتماد هذا الجزء الى حد كبير على شخصية الصحفية التى قامت بادائها « ميرفت أمين » بامكانياتها التعبيرية المتواضعة وطاقتها الفنية المحدودة وانفعالاتها الخارجية فزادت الامر هبوطا على هبوط .

بمعايير السينما الجادة ، التى يفخر مخرجوها بأنهم يساعدون الانسان على فهم العالم وتغييره ، يستطيع « محمد راضى » الان ، والان فقط ، أن يضع اسمه ضمن قائمتها ، ذلك أن فيلمه « أبناء الصمت » الذى كتبه « مجيد طوبيا » ، أحد فرسان السينما الجادة ، يجيء بعد فيلمين أو ثلاثة أو اربعة أفلام، عليه أن ينساهم ، وعلينا أن نتجاهلهم ، وان نعتبر معه أن « ابناء الصمت » هو فيلمه الاول ، ويكفى أنه فيلم يصمد للمناقشة ، وتحقق عناصره الفنية من موسيقى وتصوير ومونتاج ومؤثرات صوتية توفيقا ونجاحا باكثر المقاييس النقدية جدية .

كمال رمزى

○

حوار السينما السرية حول والسينما الأفريقية



يعمل « لايل بيرسون » ناقدا سينمائيا بمجلة « فيلم كوارترلى » الامريكية منذ عدة أعوام . وقد نشر عدة دراسات حول السينما فى شمال افريقيا وفى جنوب الصحراء الكبرى عدا جنوب افريقيا العنصرية . كما نشر عدة مقالات فى دوريات امريكية اخرى حول « السينما السرية الامريكية » .

ومنذ ست سنوات وبيرسون يتنقل بين باريس ودول الشمال الافريقى لدراسة سينما هذه البلدان على الطبيعة وقد حصل بيرسون على درجة الماجستير فى الشكسبيريات السينمائية وينوى ان تكون سينما العالم الثالث هى موضوع رسالته للدكتوراه . وقد صنع بيرسون ما يزيد عن ثلاثة عشر فيلما قصيرا عرض بعضها فى مهرجان كان الاخير .

□ **هل نبدأ بالحديث عن افلامك القصيرة قبل أن نتناول موضوعنا الرئيسى ؟**

○○○ كان فيلمى الاول هجائية بالوثائق لسان فرانسيسكو وهو ما لم يسمح بعرضه اطلاقا كفيلمى الثانى وكان موضوعه عن « الحشيش » أما الثالث فكان تجربة جمالية بحتة وهو بعنوان « **الحاجة الى البريق** » وقد شاهدته فى مركز الصور المرئية بالقاهرة . وفى فيلمى الرابع « **سر الاله كوتيزوكوتال** » [وهو اله مكسيكى كان يعبده الهنود قبل قدوم كولومبوس] عالجت مع صديق لى موضوعا يروى تاريخ المكسيك [بالتصوير صورة صورة] وكان هذا أول نجاح حقيقى لى ثم عدت الى موضوع الحشيش فى فيلمى الخامس « **الوهج** » الذى لاقى نجاحا طيبا ايضا .

وفى فيلمى السادس « **محكمة الرعب** » قدمت هجائية لعالم الوسترن باعادة توليف بعض لقطات من هذه الافلام مع اضافة موسيقى لبيتهوفن . بعد ذلك بدأت ثلاثية فيلمية فى أسبانيا وباريس والجزائر [التى لم أصور فيها حتى الان سوى

طلبة واحدة] وهى ثلاثية تتناول جوانب ثرية من الحضارة الاسلامية . على أن أفلامى لا تقل فى توقيت كل منها عن عشرين دقيقة .

□ لنبدأ الحديث عن السينما السرية

●●● تعود جذور حركة السينما السرية ربما الى **جورج ميليس** بأكثر مما تعود الى « **لوى لوميير** » ثم تمر عبر الافلام السحرية الغريبة فى عالم **جان كوكتو** . وحينما كانت السينما السريه ماتزال تسمى « سينما تجريبية » كانت « **مايا دارين** » وهى مخرجة كانت تدرس طقوس الفودو الافريقية قد بدأت تخرج أول افلامها ، بينما أمسك بالخيط **كنيث أنجر** الذى فسر العلاقة بين الرؤى السحرية وبين الجنس . كان هذا فى أواخر الخمسينات . ولكن الامر تطور بعد ذلك الى اتجاه استهدف تنوير السينما ولكن على أسس جمالية بحتة.

لقد حاولت فى جوهرها تحطيم العلاقات غير الضرورية بين الانسان والواقع فهى ترفض فكرة الحدوتة وتسعى الى خلق نوع من الشعر فى الفيلم . كما أن ثمة سببا آخر فى ظهورها وهو ينبع من تساؤل حول توقيت الفيلم : لماذا يتعين على الفيلم أن يحتفظ بطول لا يقل من ساعة ونصف الساعة ـ هذا ما لم يكن لارضاء الجمهور وحسب ـ لقد ارتبطت الافلام القصيرة منذ العشرينات بذلك العرض الاول الذى يسبق العرض الكبير التالى أى كنوع من التسلية بينما الجمهور مايزال يأخذ مقاعده فى الظلام ـ اى فى الوقت الذى لا يمكن أن يحدث فيه شىء يثير الانتباه على الشاشة . وهكذا سعت هذه السينما الى احداث نظره جديده الى الاهمية المعطاة لتوقيت قصير لفيلم من الافلام فصنعت أفلاما متفاوتة الطول ولعلى أذكر هنا فيلما هاما شد الانتباه وهو « **انا اتغير ولذا فانا كما انا** » [شيلبى كيدى وآن سفرسون] وهو يستغرق دقيقة واحدة ، هذا بينما امتد توقيت افلام آندى وارهول المعروفه الى اثنى عشر ساعة أو أكثر وهى جميعا أفلام صادمة واليفة معا . وتحرص السينما السرية على أن تصور كلها تقريبا بأفلام ١٦ مم بكاميرا بولكس فى العادة مع اضافة شريط الصوت فيما بعد وهكذا فهى لا تلجأ الى التسجيل المتزامن للحواس مسهمة بهذا فى الابتعاد عن شكل الحدوتة . وهى افلام تستخدم الكولاج أو الرسوم المتحركة أو تكنيك المبالغة او التشويه أو العناوين المصاحبة . [وأذكر هنا ستان براكيج الذى ملأ آخر افلامه بالعناوين] [بكمية تصل الى اربع بكرات] لخلق احساس ملحمى بالعالم وهو فيلم « انبستان كلبستان » [١٩٦٤] .

□ لقد نشر براكيج اخيرا كتابا له بعنوان « السينما المسئولة » وبه ارشادات عن الكيفية التى يمكن بها للسينمائى ان يصوغ افكاره بالسينما ..

●●● نعم ان براكيج واحد من أهم منظرى هذه السينما . وأعتقد انه ترك تأثيرا كبيرا على . وقد عرضت له أفلام ضمن برنامج من اربعة أيام نظم خصيصا للسينما السرية فى مهرجان كان ١٩٧٤ . مع أحد أفلامى وهو « **نيروداكيل** » [١٩٦٨] [حيوان خرافى] وقد ضمنته لقطة من فيلم تليفزيونى قديم تقول « من قتل هوليود ! » ولقد أردت بهذا ان اوحى أن نيروداكيل فى فيلمى الكولاج ـ ذات الخمس عشرة دقيقة ـ هو الذى حطمها هذا ما لم يكن الفيلم نفسه هو الذى فعل هذا !!

□ وهذا بالتأكيد هو ما اشك فيه .. ولكن دعنى اقاطعك .. انا لا افهم ما تقوله عن الثورة على أسس جمالية بحتة . ان المضمون السياسى يفرض نفسه رغما عنك بشكل أو بآخر . ان حركة السينما السرية باكملها تفقد بهذا التفسير أولى امكانيات التعاطف الواسع معها . ان هوليود ليست رؤية جمالية فحسب انها أيضا نظام انتاجى ورأسمالى ونفوذ سياسى بالتالى .

●●● حسنا .. منذ أن اكتشف السينمائيون الشبان ـ وكنت من بينهم ـ مدى احكام القبضة الحديدية لهوليود على الانتاج والتوزيع تأكد لنا ما تقوله ومن ثم فان فيلمى القصير هذا يحمل مضمونا سياسيا .. بيد أنه لا توجد أية موضوعات سياسية مباشرة . بصفة عامة فى هذه السينما . فقد سعت منذ البداية فى تحطيم العلاقات الانتاجية والاعراف السائدة فى النظام الهوليودى المحكم ولكن على أسس جمالية أكثر منها سياسية . ولعل هناك تناولا سينمائيا لموضوع له صلة بالسياسة ولكنه يتم بطريق غير مباشر . ولكن الامر يختلف فى سينما فرنسا السريه مثلا ، ان التناول السياسى هناك واضح تماما وهو أحد أهداف حركتها هناك . غير اننى أود أن أشير الى أن هناك مجموعات انشقت عن السينما السريه ترى فى الافلام وسيلة للتعبير السياسى المباشر وهى توزع من خلال تعاونيات أخرى مثل « نيوزريل » [وهى شركة تخصصت فى توزيع الافلام السياسية للمستقلين من الشباب الامريكى] « وسينما القارات الثلاث » وهى تقوم بتوزيع أفلام مخرجى العالم الثالث داخل الولايات المتحدة السياسية ايضا .

□ لابد أن التوزيع يحتل قائمة المشاكل التى تواجهها السينما السرية اليوم .

●●● تماما تماما ان للشركات الامريكيه الكبرى تأثيرا شبكيا هائلا داخل وخارج الولايات المتحدة . وهى تتحكم فى السوق الخارجية أساسا عن طريق كارتل احتكارى يتمثل فى « الرابطة الامريكية لتصدير الافلام » وبالطبع فان هذا الكارتل مازال الى اليوم يرفض اى سينما غير هوليودية ويفكر السينمائيون الشبان فى حل مشكلة التوزيع . بعيدا عن الجهود الفردية . غير أنه من حسن الحظ أن أنظمة نوادى السينما المستقلة والجامعية فى الولايات المتحدة تسمح بالتوزيع والتبادل الواسع الانتشار مما يجعل من اليسير ماديا ـ على شركات التوزيع « السرية » المستقلة [مثل كانيون سينما فى كاليفورنيا والشركة التعاونية لصانعى الافلام فى نيويورك] أن تقوم بعملها حيث تشارك هذه الافلام مع صانعيها وأحيانا بنسبة ٢ : ١ . حيث يؤجر الفيلم بمبلغ مائة دولار فى الدقيقة وهكذا فانه يمكن للفيلم ان يغطى نفقاته الى ما تم توزيعه فى خلال عشرين عرضا . هذا علاوة على الاسهام الذى تقوم به المهرجانات العالمية ـ أدبيا ـ تجاه سينما ينفر منها جمهور مخدر بعالم هوليودى وهمى .

□ ماذا كان رد فعل الرقابة تجاه افلام السينما السرية بصفة عامة ؟

●●● اسهمت السينما السرية فى تخفيف دور الرقابة فى الولايات المتحدة بعد اعادة التفكير فى واجباتها . لقد عرض فيلم جنسى لجان جينيه وهو « أغنية الحب » [١٩٦٥ ـ ١٥ ق] كفيلم اختبارى فى سان فرانسيسكو وفى مجمع بركلى المحافظ نوعا ومن المدهش أن هذا الفيلم معروف جيدا فى امريكا « التعاونيات » بنسبة النصف فى عوائد ـ وهى تيرودا كينل غريب الاطوار ـ أكثر من فرنسا حيث منع عرضه تماما . ويهمنى ايضا أن أوضح أن ثمة محتوى سياسيا يعلن عن نفسه بقدر معقول من الوعى .

ان للسينما السرية وعيها السياسى الخاص بها فهى لا يمكن أن تصنف فى اليمين أو فى اليسار ولكنها استطلت « المؤسسة » من عالمها لكى تجد « قاعدتها » الخاصة فى الانفاق الرافضة . ومن ثم فانه لا يمكنك أن نخرج بمفهوم سياسى محدد من مجموعة متباينة تتفق على الحد الادنى من القواعد ـ أو اللاقواعد ـ الفنية .

□ اذكر لى فيلما مصريا واحدا رأيته وتعتبره سرى المفهوم

●●● اكتشفت واحدا من اهـم الافلام القصيرة التى رأيتها فى سينما العالم الثالث . وهو فيلم « **كاوبوى** » لسـامى السـلامونى . أعرف فيلمين سربين امريكيين حـاولا تحطيم نموذج الوسترن ، غير أن فيلم السلامونى هو الوحد من بين الثلاثة الذى يشير الى مفهوم سياسى خارج شكل الوسـترن ولعله الوحيد الملون أيضا — وياله من لون اثيرى ! ولعلك تعلم أن هذا الفيلم قد منع عرضه فى مهرجان قرطاج الاخر كفيلم مضاد لامريكا ! ولكن هذا يسير فى خط متواز مع ما نفعله نحن مخرجى الافلام المستقلين فى أمريكا وايضـــا مع بعض مخرجى أمريكا الجنوبية من امثال جوبير روشا [البرازيل] وروى جرا [البرازيلى الجنسـية الموزمبيقى الاصـل] .

□ بالمفهوم الواسع للسينما السرية اى باعتبارها جبهة رافضة للقيمالتجارية والويٰبودية على جميع المستويات . هل لك أن تشير الى أفلام أفريقية يمكن أن تأخذ موقعا متقدما فى هذه الجبهة ؟

●●● يصور معظم الســينمائيين الافـــريقيين أفـلامهم بمقـاس ١٦ مم « كالسينمائيين السريين » وفى مهرجان قرطاج الاخير كانت الافلام الثلاثة الفائزة مصورة بسوبر ١٦ مم ثم كبرت الى ٣٥مم وكل هذه الافلام قدمت صورة تختلف عن صورة البطل الوسترن الذى يقهر كـل العقبات فى عجمة واحدة . وحلت محلها بطولات عادية يومية قد يقوم بها شـاب تائه فى مدينة كبيرة كما رأينا فى الفيلم السنغالى الممتاز « جيجيدين » لمحمـد تراورى .

□ ولكن « جى انييل » فى مقال هام له عن السينما الافريقية نشر عام ١٩٧٠ يذكر انه يمكن تمييز خمسة مواضـيع فى الانتاج السـينمائى الافريقى : وهى المنفى — العودة الى البلد — الصراع بين التقاليد والتقدم — تحرر المرأة — عدم الاعتراف بالسـلطات الجـديدة . امازالت هذه الموضوعات تحتل اهميـة رئيسـية .

●●● نعم هناك موضوع الصراع بين التقاليد والتقدم . انه يتضح تماما فى الافـلام الافريقية الى جـانب شيمة النضال الممتزج بحس تاريخى والناظر الى الواقع المعاصر بعين ثائرة . ولعله يجـدر بى أن أشـير الى أعمال ثلاثه مخرجين أعتقد أنهم — خارج الجزائر — يمثلون طليعه السينما الافريقية .

هناك أولا المخرج السنغالى « بابكر سامب » الذى أخرج فيلم « كودو » وهو يحكى قصة فتاة تفقد عقلها بعد فشلها فى نقب شفتيها فى احد الاحتفالات . وبفشل الطرق النفسية الحديثة فى اعادة الفتاة كودو الى قواها العقلية بينما تنجح الطرق التقليـدية ويبقى الســؤال : الى أى مـــدى سوف تظل عاقلة ؟ وعلى حد قول سامبا « فى كل مرة كان يحاول احدنا أن يستخلص ثقافة خاصة بنا وفى كل مرة كان يفشل . ان لنـا قدما فى العصور الوسطى بينما راسنا يحيا فى العالم المعاصر . ان محاولة التصالح مع العالم المعاصر دون أن نأخذ فى الاعتبار تأثير الماضى خطأ فاحش .. بقدر ما تكون العودة الى هذا القديم والوقوف عنده عملا مجدبا تماما . وقد حاولت فى فيلمى أن أؤكد أنه من الضرورى أن يستوعب المرء دقائق فنه جيدا لكى يمكن أن يحقق قدرا من التوافق مـــع العالم المعاصر .

أما المخرج السنغالى عثمان سيمبين الذى تلقى دراســته السينمائية تحت اشراف مارك دونسكوى فيقدم فى آخر أفلامه « ايميتاى » [الاله الغاضب] صورة تؤكد فشل التلاقى مع الفرنسيين والمشكلة أن « اميتاى » يصف ويعانى أيضا من هذا التلاقى . وفى « ايميتاى » — الذى تدور احداثه بقرب نهاية الحرب العالمية الثانية — يحاول الجيش الفرنسى استحثاث المواطنين السنغاليين منشعب الديولا فى الجنوب لمقاومة الالمان غيـر أن المواطنين لا يشعرون باهتمام كبير نحو « حرب الرجل الابيض هــذه » . ويصدر الامر الفرنسى بمصادرة أرز القرية الذى تقوم نسوتها باخفائه . بينما يهاجم الكهنة المحليون — الذين يعملون بمشورة الهتهم المحتجبة خلف أقنعة مصـبوغة بالاحمر القانى — الضباط الفرنسيين . وبفشل الهجوم وتكون نتيجته أن يتساءل الكهان حول جدوى عبادتهم لالهتهم بينما يضطر السنغاليون الذين جندوا عنوة بين صفوف الجيش الفرنسى الى اطلاق النار على نسوة القرية [وفى هذا الجزءتتدخل الرقابة وكان المفروض فى الاصل أن نرى الجنودوهم يطلقون النار ثم نستعرض جثث النسوة الغارقة فى الدماء ، غير أن هذا قد « ترك لخيالك » كما أخبرنى القنصل السنغالى فى تونس . اننا نرى الجنود يطلقون النار بينما نظل الشاشة وينتهى الفيلم] انه فيلم يختلف عن كافة الطرق الغربية فى سرد الحكايةالسينمائية وهـذا ينطبق بحق على طـريقته فى التصوير — لقطات طويلة تسود أغلب الوقتكما انه لايحاول أن ينزع شخصياته من بيئتها المحيطة لكنه يحاول أن يجعل من البيئة عنصرا مترابطا من عنـاصر الحكاية . ولا يمكنك أن تجـد لقطات استرجاعية كبيرة أو قطع سريع ولكن **كل شىء يقودك بوضوح تام كما لو كان** طول الحدث هو نفسه مزيد من الشرح غير المتزايد لافكار سيمبين التى تقف خلف الحكاية كلها .

وهناك محمد هوند الموريتانى مخرج « هؤلاء السود .. جيرانكم » وهو فيلم يطول كثيرا عن متوسط طول الافـلام الروائية ويطـرح هوند جانبا كافـــة المعايير الجمالية تقريبا ويصـــبغ رؤيه العامة بصبغة سياسية واضحة غير أن بناءه ليس قويا بما فيه الكفاية ويبدو الحل الذى يقدمه لمشكلة من العالمالثالث حلا وهميا .. ان الهجرة ليست اجابة شافية على مشكلات الدول المتخلفة ان الهجوم على الحكومة الفرنسية لا يعدو أن يكون هجوما على نصف المشكلة بينما يبقى النصف الاخر قائما فى الوطن نفسه الذى أعتقد أن هندو كان يود لو خاطبه بصورة أكثر مباشره وربما حالت دون ذلك أسباب سـياسية . الا أن فيلمه « الشمس أو » الذى عرض بأسـبوع النقاد فى مهرجان كان ١٩٧٠ يعتبر فى رأيى أعظم فيلم أفريقى تم انتاجه حتى اليوم .. اسمع الى هوندو يقول عنه : ان فيلمى عبارة عن تقيؤ . لقد أردت ان القظ كل ما يجيش فى صدرى . لم يشغل بالى اذا كان الفيلم سـيعجب أحدا أم لا ، أو ما اذا كانت الرقابة ستقص منه شيئا .. كنتلاآبالىاطلاقا. حتى لو اعتقدت أن « الشمس أو » سيظل فى العلب تحت سريرى لكنت — أيضا — أخرجته . كنت فى حاجة الى أن أصيح بتلك الحقائق .

تقدأ هوندو كل شىء .. حالةالافريقيين فى فرنسا — الميول البورجوازية لطبقة العمـال ونقاباتهم — التفرقة العنصرية [اما بطريقة مباشرة أو غير مباشرة] هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى الرف الغبى لكبير مـن الطبقات البورجوازية الافريقية الجديدة .

ويقول هوندو : لقد وضعناالسياسيين على الرف .. سنضع ديمقراطية جديدة ونعطى الكلمة للشعب . ونعطى الكلمة للشـــعب ..

— اعتقد ان الوقت مبكر للحديث عما شاهدته من الافلام المصرية فى سينمائيك الجزائر أو فى باريس ..

●●● تماما .. تماما فان الامر يسـتلزم معايشـــة من الداخل للواقع المصرى .. ولسوف يتحقق ذلك .

حوار : الفاروق عبد العزيز



الثمن ١٠ قروش

السنة الحادية عشرة
مـــارس ١٩٧٥

الطليعة

طريق المناضلين الى الفكر الثوري المعاصر

مصـــريون .. لكـن عـــرب وتقـدميون

مؤتمر جنيف : بين سباق التتابع وسباق الحواجز

«لا» للجامعة الخاصة .. «نعم» لتكافؤ الفرص

زكي نجيب محمود : الوضعية المنطقية في الأدب والفن

وثيقة : الجلسة السرية لمجلس الشيوخ عن حرب ١٩٤٨



مجـــلة شـــهرية
تصـــدر أول كل شـــهر

رئيس التحـــرير :
لطفي الخـــولي

مدير التحـرير :
ابو سيف يوسـف

سكرتير التحرير :
مصطفى سـامى

المحـــررون :
حسـين شـعلان
خـيرى عــزيز
د. رفعت السعيد
عبد المنعم الغزالى
فاروق عبـد القادر
وديـع أمـين

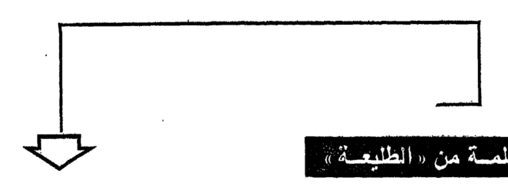
[■]

د. محمـد الخفيف
شـارك فى تاسيس الطليعـة
واسرة تحريرها
ينـاير ١٩٦٥ ـ مارس ١٩٧٢

الفهرس

العدد الثالث ـ السنة الحادية عشرة ـ مارس ١٩٧٥

ص



عندما تطرح مواد « الراى .. والراى الاخـر » للمناقشة ، فى كل عدد ، تقفز حرارة اجتماع مجلس تحرير «الطليعة» الى درجة عالية فيطول الوقت .. ويتبرم سكرتير الاجتماع .

ومن أمثلة الاجتماعات الساخنة ، ما دار حول الرد على مقالات الاستاذ احمد ابو الفتح . يرى لطفى الخـولى ان ابو الفتح كاتب ليبرالى يقبل الحـوار المفتوح مع أفكاره ويسلم بحق الاخرين فى الاختلاف معه . ومعظم اعضاء مجلس التحرير يرى انه قد كشف عن وجه محافظ يعيش بعقليـة الخمسينات ويرفض من الناحية العملية حق الرأى المخالف له فى التعبير عن نفسه . وتحديد هذا أو ذاك ، يحدد طابع واطار الرد على كتاباته وافكاره .

ان [الطليعة] ميدان مفتوح لكل راى حر، وفى اعتقادنا أن تفاعل الاراء الحرة على اختلافها هو وحده الذى يستطيع أن يبلور ويستخلص وحدة فكرية اصيلة .

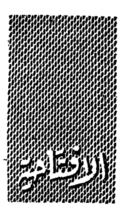
من هـذا المفهوم تفتح [الطليعـة] صفحاتها لكل راى لديه كلمة يقولها — مؤمنة بشعار الحرية المجيد الذى اطلقه فولتير فى القرن الثامن عشر [قد اختلف معك فى الراى ولكنى على استعداد لان ادفع حيـاتى ثمنا لحقك فى الدفاع عن رأيك] ..

ويظن لطفى الخولى أن كرسى رئاسة التحرير ، يعطيه صوتا اضافيا عند التصويت على نتيجـة النقاش . ثم يكتشف أن « الكرسى » لم يحمه من رأى اغلبية مجلس التحرير . فيسجل اعتراضه ويلتزم برأى الاغلبية عند نشر مواد « الراى .. والرأى الاخر » . الذى لا خلاف عليه هو التزام كل راى .. وراى آخـر ، بالموضوعية والجـدية والاحساس بالمسئولية الوطنية .

ويهدأ الجدل امام مواد أخرى ، ليعود فيرتفع حرارته عند تحديد الشكل الاخير للعدد : ما هى المقالات التى لها أسبقية النشر لارتباطها بالاحداث الجارية محليا وعربيا ودوليا، وما هى المادة التى ستؤجل ؟

.. ثم يهدأ الاجتماع . فقد حمل الجميع اوراقهم وانفضـوا .

« أسرة تحرير الطليعة »



مصريــــون ..
لكن عــرب وتقدميــــون

تذكر اليمين المتخلف « فجـأة » مصريته وراح يتغزل فيها بأعذب الالحان .

طرب البعض ، الطرب السياسي مألوف فى بلادنا ، وقالوا : فـأل طيب . عـاد الجماعة الى الحق ، والعودة الى الحق ، على أية حال ، فضيلة .

بيد انهم سرعان ما اكتشفوا سذاجتهم ، حين راوا هذا اليمين يندفع ، بضيق أفقه التقليدى ، تحت راية المصرية فى معركته الشرســة ضـد كل القوى الوطنية والتقدمية ، مجسدا حدود « مصر » بحدود مصالحه الطبقية ، وصـفقاته فى الاثراء غير المشروع ، وجهالته المعادية لتقدم العصر ، وحرياته التى تصادر حريات الشعب . كأن « مصر » من ممتلكاته الخاصة التى ورثها عن آبائه وأجداده « العظام » ابتداء من « الخديو » توفيق ، حتى المرحوم « المليونير العصامى » عبود باشا .

ليس فقط « القطاع العام » الذى بناه الشـعب بعرقه ونضـاله وتضـحياته ، ما يسعى اليمين المتخلف لتخريبه والسـيطرة عليه . بل « مصر » ذاتهـا ، يريد أن يحولها الى قطاع خاص !

وفى اطار سياسة « **الوطن ، قطاع خاص** » ، خرج علينا اليمين المتخلف بفلسفته الجديدة « مصر فقط » .

والقضية هى ، فى هذا الـ « فقط » .

ماذا تعنى ؟

الواقع أن اليمين المتخلف ، الذى يتـكون من تحـالف الرأسـمالية الطفيليـة والبيروقراطية وأغنياء الريف ، قد منى بفشـل نسـبى فى المعارك التى شـنها فى السنوات الاخيرة ، مستغلا سلبيات التجربة والمنـاخ الديمقراطى ، ضـد القطاع العام ، والحقوق المكتسـبة للعمال والفلاحين ، وتحـالف القوى الوطنية والتقدمية

بمنابعها الاجتماعية والفكرية المختلفة ، وعروبة مصر ، وصداقتها الاستراتيجية لحركة التحرر العالمي والانسانية التقدمية ، بما في ذلك الاتحاد السوفيتي .

ولم تنجح « مؤامرته » التخريبية التي حاول أن ينسجها على منوال « حريق القاهرة عام ١٩٥٢ » ، في الفاتح من عام ١٩٧٥ ، بهدف دفع السلطة الوطنية الى شن مذبحة عامة لليسار ، بعد الصاق تهمة التخريب به .

● ● ●

وهكذا طوال أربع سنوات ، ظل اليمين بقضه وقضيضه ، يتخبط من خلال تصرفاته الهوجاء التي تحكمها رؤية قصيرة النظر ، ودوافع اجتماعية شرهة لا مشروعة . غير قادر على أن يعيد سيطرته الكاملة على مجرى الحياة في مصر ، اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا ، أو يلجم ، ان لم يصف ، حركة الجماهير الشعبية نحو مزيد من التقدم . وذلك على الرغم من شعاراته البراقة عن الديمقراطية والحرية والايمان .

وكان في هذا ضحية ذهنيته الغبية ، التي صورت له أن ما وقع بمصر من تغيير ، خلال الثمانية عشر عاما [من عام ١٩٥٢ الى عام ١٩٧٠] ، ليس وليد تفاعل النضال الشعبي مع الضرورات الاقتصادية والاجتماعية مع حركة التاريخ ، وانما من صنع فرد واحد ، هو جمال عبد الناصر ، ناصبه العداء عن حقد . وانه ما دام عبد الناصر قد فارق الحياة ، فان التغيير يجب أن يلحقه . وتعود « ريمة الى عادتها القديمة » . وينفتح الطريق فسيحا أمام حركته من جديد .

وبدأ اليمين المتخلف مسيرته الجديدة . والحق ان البداية كانت في عشية هزيمة سنة ١٩٦٧ ، التي تيمها كهزيمة لشخص عبد الناصر والتغيير معا . ولكنه اصطدم بقوى الشعب ، ودخل في صراعات عاتية .

وفوجىء اليمين المتخلف ، بنفسه ضعيفا ، عاريا بحقيقته الدميمة ، محاصرا محليا وعربيا وعالميا . متلبسا بجرائمه البيومية في العمارات الكرتونية التي تنهار على رؤوس ساكنيها ، وفي عمليات التهريب وصفقات الاستيراد والتصدير المشبوهة ، وفي جزعه من الرأى الاخر ومصادرته وخنقه ، بدعوى أن حرية الصحافة لا تعنى حرية فضح أسراره .

ورأى « دهاقنة اليمين وفلاسفته وكتابه » ، بعد تحليلهم لحصيلة معارك السنوات الاربع الماضية ، ان الفشل يرجع اساسا الى أن « حركة اليمين » جرت على نحو تلقائي مندفع . لم يحسب بدقة وزن القوى الوطنية والتقدمية في الساحة وحجم وتأثير اليسار داخلها ، فضلا عن انها لم تسترشد « بفلسفة سياسية » تستطيع من خلال « تنميقها بشعارات وطنية المظهر ، طبقية المحتوى » ان تجذب الى صفوفها قوى جماهيرية ما برح وعيها « خاما » لم يربط بعد بين التحرر الوطني وبين التغيير الاجتماعي . وبذلك تتحول قوى اليمين المتخلف من « **كم** » صغير محدود ، الى « **كم** » كبير نسبيا ، ثم الى « **كيف** » من خلال حركة منظمة .

هل اليمين المتخلف ، كم صغير ومحدود اليوم في مجتمعنا ؟

اليمين المتخلف ، هو تلك الشريحة الثلاثية الملامح [رأسمالية طفيلية ، بيروقراطية ، ريفية] ، التي تراكم لديها — من خلال الاستغلال وعمليات النهب والسمسرة والمضاربة في العقارات والسوق السوداء — رأسمال كبير تعدى الحدود المسموح بها في الميثاق الوطني ، واصبح يتطلع الى الاستثمار العلني بقوة القانون ودون قيود .

واذا حاولنا أن نحدد حجم هذا اليمين المتخلف في مجتمع اليوم ، لوجدنا أمامنا نوعين من الارقام :

اول هذه الارقام مصدرها وزارة التخطيط .. ففى احصـائية شهيرة صدرت فى عام ١٩٧٠ ، تبين ان ١٠ ٪ من المصريين [أى حوالى ٣ ملايين نسـمة] يتحـدد نصيبهم من الاستهلاك القومى العام بنسبة ٤٥ ٪ ، وتتميز داخل هذه الشريحة فئة صغيرة لا تتعـدى ٥ر٢ ٪ [أى حوالى ٣٠٠ر٠٠٠ نسـمة] ، يبلغ نصـيبهم من الاستهلاك القومى العام ٢٣ ٪ .

اما ثانى هذه الارقام فمصدرها جهاز تخطيط الاسـعار ، الذى كشـف من خلال احصاء حديث أصدره عام ١٩٧٤ ، أن فى المجتمع المصرى اليوم حوالى ٢٠٠٠ عائلة [حوالى عشرة آلاف نسـمة ، بواقع ٥ أفراد لكل عائلة] ، يبلغ دخلها السـنوى اكثر من ٧٧ مليون جنيه ، أى بواقع يتجاوز ٣٢ الف جنيه سنويا لكل أسرة . وذلك مقابل عشرات الآلاف من الاسر التى لا يزيد دخلها السنوى عن مائة جنيه !

من واقع هذه الاحصائيات الرسمية ، نسـتدل على أن اليمين المتخلف آخـذ فى النمو رأسماليا من ناحيـة ، وفى التركز عدديا من ناحيـة أخرى . وذلك منذ عام ١٩٦٧ . ثرواته وأنصبته فى الدخل القومى تتضاعف ، فى حين ان حجمه البشرى يتقلص من ثلاثة ملايين الى ثلثمائة الف ، واخيرا الى عشرة آلاف مواطن .

وهذه ظاهرة طبيعية ، فالقوى الرأسمالية فى معركتها ضـد القوى الشـعبية العاملة ؛ تتنافس مع بعضها البعض فى نفس الوقت ، بعنف وقسوة ، وفقا لقانون السمك الكبير يبتلع السمك الصغير ، حتى يسيطر على البحر سيطرة كاملة .

ومن هنا يجد « اليمين المتخلف » نفسه فى مأزق يضيق عليه الخناق دوما ، ليس فقط بحكم مواجهته للقوى الشعبية ، بل — أيضا — بحكم قوانين حيـاته نفسها . اقلية صغيرة تأكل بعضها بعضا ، معزولة تجاه اغلبية ساحقة ومتنامية : كما ونوعا ووعيا . تنطح رأسها « برعونة عمياء » فى صخرة المستحيل . تحارب معركة فات أوانها التاريخى .

• • •

لم يعد ممكنا ، فى الربع الاخير من القرن العشرين ، خـداع الجمـاهير ، التى طحنها الفقر والاستبداد وتمكنت من انتزاع بعض حقوقها بتضـحيات كبيرة ، بحيل الرأسمالية التى تبيع أملا لماسح احذية فى أن يصبح مليونيرا فى غمضة عين بصـفقة تسوقها اليه ضربة حظ ، قد تكون فى غمزة عين حسناء وقعت فى غرامه ، أو ورقة يانصيب ، أو مضاربة فى بورصة أو ناد للقمار ، كما تروى الافلام الامريكية والافكار المجنطة لبعض الاقلام المصرية المعاصرة .

ولم يعد ممكنا ، بعد أن حصل الفلاحون والعمال على بعض حقوقهم السياسية والاجتماعية [نسبة الخمسين فى المائة فى المجالس التشريعية ، الوزن الغالب فى الجمعيات التعاونية ، الحد الادنى من الاجور ، ضـمانات ضـد الفصـل والمرض والشيخوخة] ، أن يقتنعوا بأنهم تنكبوا الطريق وضلوا فى الاختيـار بين « جحيم » ثورة ٢٣ يوليو و « جنة » الاقطاعيين والرأسماليين قبل عام ١٩٥٢ . وان عليهم ، بحرية وديمقراطية ، ان يعودوا الى جنة النظـام الملكى ، ولـكن دون ملك ، فلن يصر السادة عليه من أجـل خاطرهم ، لانهم ديمقراطيون لا يفرضـون رأيهم على الشـعب .

ولم يعد ممكنا أن يقتنع الشعب المؤمن بأن الدين الحق ، يحلل الرأسـمالية ويجرم الاشتراكية والعدل الاجتماعى . وان « البيومى » الذى اثرى ثراء فاحشا من بنـاء العمارات الكرتونية والمضاربة بمساكن واقوات وحياة الناس ، تقى ورع مآله الجنة ونعم القرار ، لانه حج الى مكة وبنى مسـجدا ويحسن الى بعض الفقراء . وان « شهدى عطية » ، الذى ناضل وسـجن وشرد ومات فى سـبيل ان يعيش الناس

أحرارا متساوين كأسنان المشط ، دون استغلال ، كافر زنديق مآله الجحيم وبئس القرار ، لانه ماركسى ضد الاتجار بالدين وكافح من اجل حقوق الفقراء .

ولم يعد ممكنا أن تقبل الجماهير ان تبيت وبطونها خاوية مع ضمان حق الثرثرة غير المجدية التى لا تغير شيئا من واقع حياتها باسم الديمقراطية والحرية . وان الطريق الوحيد للديمقراطية هو الرأسمالية . وان الاشتراكية تؤدى الى مهاوى الدكتاتورية وانتهاك انسانية الانسان . وكأنه قانون ابدى : الحرية زوجة شرعية للجوع والاستغلال ، والدكتاتورية عشيقة للشبع وضمان الرزق دون استغلال .

لم يعد ممكنا ، ان تجب اخطاء عبد الناصر مهما نفخ فيها ، ايجابيات عبد الناصر . وما تمثله قيادته لثورة ٢٣ يوليو من تغيير نحو الافضل فى حياة الشعب المصرى . أو أن تسلخ المرحلة الراهنة من التاريخ المعاصر عن مسار حركة التحرر الوطنى فى مصر والعالم العربى ، وتعزلها وتحولها الى قوة مضادة .

● ● ●

باختصار ، كل الطرق ، حاولها اليمين المتخلف ، وانتهى الى الاصطدام بحائط الجماهير .

كل الوصفات البلدية ، والوصفات الاجنبية ، وخاصة الامريكية ، جربها اليمين المتخلف ، لكنها خابت .

اذن ما العمل ؟

لم يبق أمامه — فى المدى المنظور — الا سلاح واحد : المصرية .

كيف ؟

من دراسة الكتابات المعاصرة لفلاسفة ومفكرى اليمين المتخلف ، يمكن أن نحدد ملامح فلسفتهم السياسية وخلفياتها على النحو التالى :

● اذا كان من المتعذر تجنب المواجهة بين المصالح الاجتماعية — السياسية المتصارعة . ومن غير المستطاع — كما دلت التجربة — ايقاع الهزيمة بالقوى الوطنية التقدمية فى هذا الصراع ، **بشكل هجومى** فى الوقت الحاضر ، فان التكتيك المناسب ، يصبح هو الالتجاء الى **موقع دفاعى** يرفعون عليه لافتة « مصر فقط » . ينطلقون منه ، بين آن وآخر ، بأسلوب حرب العصابات ، بالضرب والتخريب هنا وهناك فى بناء وحدة القوى الوطنية والتقدمية . فاذا ما قوبلوا بالمثل بدا « الامر » — هكذا يظنون — وكأنه هجوم على مصر ذاتها .

● واليمين المتخلف ، يحاول فى هذا المجال استغلال اكثر من عامل ، استغلالا بشعا ولااخلاقيا .

اولا : العامل الوطنى العام ، والذى يتجسد فى الرابطة العضوية العميقة بين المصرى ومصره . وهى الرابطة التى تجعل المواطن المصرى يقدم على أغلى التضحيات من أجل حرية الوطن وضمان استقراره بالارض . وذلك منذ أن عرف التاريخ مصر والمصريين .

ثانيا : العامل الوطنى الخاص والذى يكمن فيما يعانيه المواطن المصرى من احتلال قائم لجزء من وطنه من جانب اسرائيل ، وحشده لكل طاقاته المادية والمعنوية من اجل طرد الاحتلال وتحرير الارض . وذلك باعتبار ان ذلك يشكل القضية الاولى فى حياته اليوم .

ثالثا : عامل التعبئة الذى يلجأ اليه النظام الوطنى لحشد كل مصر ضد الاحتلال الاسرائيلى .

■ **ويستهدف اليمين المتخلف من ذلك عدة أهداف :**

أولا : الظهور بمظهر وطنى ، يخفى عوراته السياسية والاجتماعية ، ويدس سمة الاستغلالى فى العسل الوطنى .

ثانيا : الايحاء بأنه مترفع عن مطالب الدنيا واحتياجات الحيــاة الاجتماعية ، من أجل تحرير مصر من الاحتلال .

ثالثا : الطعن فى وطنية القوى التقدمية ، واليسارية منها بشــكل خاص ، على أساس انها لا تفصل بين تحرير الوطن من الاحتلال وتحرير المواطن من الاستغلال .

رابعا : خلط الاوضـاع بديماجوجية ، يبدو فيه « الوطن » مقابلا « للاشتراكية » ، و « مصر » بديلا عن « اليسار والتحرر الاجتماعى » .

خامسا : تغذية المشاعر الانفصالية والانكماشية فى مصر ، وقطع شرايين اتصالها الوحدوى والمصيرى مع الوطن العربى . ودفع مصر الى التقوقع بدعوى ان ارتباطها بحركة التحرر العربى والقضية الفلسطينية ، حملها أعباء وتضـحيات فاق قدراتها وهبط بها الى حضيض العوز والحــاجة ، فى حين أثرى الاخرون وتقـدموا على حســابها .

• • •

يعتقد اليمين المتخلف ، انه يستطيع ، بهذه الفلسفة الســياسية ، أن يقفز على الواقع ويتحصن فى مواقع جديدة ذات طابع دفاعى — هجومى . وذلك فى معركته ضد حركة التحرير الوطنى بأبعادها العربية — الفلسطينية ، وضــد حركة التحرر الاقتصادى بأبعادها الاجتماعية التقدمية .

والحق انه ينطلق فى هذا ، لا عن عقلانيــة ، وانما عن غريزة الدفاع عن النفس سياسيا واجتماعيا ، بأسلوب بدائى وفلسفة ثبت افلاســها تاريخيا . ليس فقط فى بلاد العالم الثالث ، بل وفى البلاد الرأسمالية العريقة ذاتها .

ان يكون المواطن فى مصر ، يمينيــا او وســطيا محافظا ، او يســاريا ، لا ينفى مصريته .

والخلط « اليمينى » اليوم بين المصرية والموقف الفكرى الاجتماعى ، هو مثل ذلك الخلط الاستعمارى « بالامس » بين المصرية ونوعية العقيدة الدينية .

وكما واجهت القوى الوطنية والتقدمية « الخلط الاســتعمارى » بموقف موضوعى ثورى هو : **الدين لله والوطن للجميع** ، فانها تواجه « الخلط اليمينى » اليوم بموقف موضوعى ثورى آخر : **مجتمع تقدمى ومصر عربية** .

وما دام هناك تمايز اجتماعى وتفاوت فى الدخول بين المصريين ، فان من حق كل قوة اجتماعية ، وخاصة الاكثر استغلالا وعوزا وحاجة الى تغيير الواقع الراهن الى واقع أفضل ، ان تدافع عن مصالحها وأفكارها ومستقبل حياتها . وليس فى هــذا انتقاص لوطنيتها ومصريتها ، بل لعل العكس هو الصحيح تمــاما . فالقضــاء على الاستغلال ودفع عجلة التنمية الشاملة ورفع المســتوى المعيشى والثقافى للجماهير الشعبية ، هو الوطنية الحقيقية . اذ يدعم من قدرات مصر وينمى طاقاتها ويسعد أهلها ويقوى من ضرباتها للامبريالية والصهيونية .

واذا كان اليسار يرفض الاتجار بالوطنية وعرض « مصريته » فى الســوق ، فان من صالح اليمين المتخلف ان يجنب نفسه مخاطر الادعاء باحتكار الوطنية والمصرية . ذلك ان التــاريخ القديم والحديث ، يكشــف عن ان مصر قامت على وادى النيل ،

بسواعد وعرق ودماء الكادحين من أبنائها ، وكانت كل أعباء وتضحيات تحريرها من الغزو الاستعمارى من نصيب القوى الوطنيــة والتقدمية وحـــدهم ، فى حين جنى اليمين وحده ــ تقريبا ــ كل الثمرات .

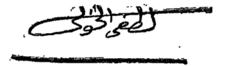
ولو اخذنا حرب أكتوبر عام ١٩٧٣ مثالا ، فان الدماء التى سالت من أجل العبور ، ليس فيها قطرة واحدة من دم يمينى متخلف . بل كلها لمقــاتلين من أبنــاء الفلاحين والعمال والبرجوازية الوطنية . وعندما يأتى ، اليوم ، اليمين المتخلف ليسبح بسفينته الاستغلالية على بحر هذه الدماء ، فى محاولة للعبور الى الثراء الفاحش والطفيلى ، فانه يتنكر أول ما يتنكر لمصر المقاتلة .

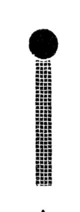
واليمين المتخلف ، لا يستحى من أن يتهم اليسار اليوم بالعروبة . وتناسى حملته الهستيرية بالامس ضد اليسار بأنه ضـــد العروبة ومعــادى للوحــدة العربية . ما الذى حدث ؟

ان اليمين ، بالامس ، كان يعتقد ان العروبة والوحدة العربية تمهدان له طريق النمو وتوسيع نطاق استغلاله من سوق مصرية محدودة الى ســوق عربية أرحب وأوسع . ولكن عندما اصــطدم بتفــاعل حركة التحرر العربى مع وزن وثقل حركة التحرر المصرى فى اتجاه تقدمى واحد ، ارتد الى قوقعته ، ســاعيا أن يفلت بمصر من دائرة حركة التحرر . وهو فى هذا يطعن فى الصميم « حياة مصر ومستقبلها » . ذلك ان مصر العربية ، مصر الفلســطينية ، مصر اليمنية ، مصر الجزائرية ، مصر السورية .. هى مصر الجماهيرية التقدمية القادرة على تخطى التخلف وتوفير حياة الانسان لكادحيها دون ما استغلال .

والواقع ان اليمين بفلسفته السياسية المعاصرة ، لا يكشف عن افلاسه وحسب ، وانما يطرح على الرغم منه أمام الجماهير ، قضية الخيــار بين مصر الالفى عائلة ومصر الملايين من العمــال والفــلاحين والمثقفين والجنود .. بين مصر الصـــغيرة الضعيفة الانكماشية ، ومصر العربية القوية المنفتحة على وطنها .

فى مواجهة هذا الخيار نقول ، نحن اليســار ، من مواقعنا الوطنيــة التقدمية ، مصريون : نعم .. لكن عرب وتقدميون ، ولو كره اليمين المتخلف الذى يســبح عبثا ضد التيار فى بحر التاريخ الانســانى .





اجـــابـــات
على رســـالة الرئيــس
الى مجلس الشعب
ومجلــس الوزراء

الرسالة التى وجهها الرئيس أنور السادات فى ٤ فبراير الى مجلس الشعب ومجلس الوزراء كانت ـ فى الواقـــع ـ تحــذيرا من خطـــورة التوترات الاجتماعية التى تنشــأ عن زيادة الثراء من جانب ، وتفاقم المتاعب الاقتصادية من جانب آخر ، من جانب الجماهير الشعبية .

واذا كانت الدوائر الرجعيـــة قـــد تجـــاهلت ـ موضوعيا ـ مضـــمون هـــذه الرســـالة ، فان « الطليعة » ، من جانبها ، تحاول ان تقدم فى هـــذا الصدد دراسة حول الافكار الرئيسية التى تتضمنها الرسالة .. وهذه الدراسة تشتمل على قسمين :

[١] قسم نظرى : يحلل الاســـباب الجـــوهرية للمتاعب الاقتصادية التى تواجهها الجماهير ، ويضع النقط فوق الحروف عندما يحدد ان بداية الحل تكمن فى اتخاذ اجراءات جذرية ضد انشـــطة الراســـمال الكبير الطفيلى من أجل وقف تاثير هذه الانشطة على الحياة الاقتصادية للبلاد .

وهـــذا القســـم كتبه الدكتور فـــؤاد مرسى تحت عنوان : « المهمة : مواجهة البروز الرأسمالى الكبير »

[٢] قسم عملى : ينصب على القسم الثانى من الرسالة ، وهو الخاص بالسياسة الضرائبية . وفى هذا القسم يقدم عادل حســـين اقتراحـــات محددة لتطوير الســـياسة الضرائبية خطوة الى الامـــام فى اتجاه العدالة الاجتماعية .



المهمة :

مواجهة البروز الرأسمالى الكبير

د. فؤاد مرسى

أعتقد أن رسالة الرئيس السادات التى وجهها الى كل من مجلس الشعب والحكومة جديرة باهتمام أكبر مما نالته حتى الان من التنظيمات السياسية وأجهزة الاعلام . ومع أن هذه الرسالة لم تدع لنفسها ما ليس من حقها ، فلقد أسرعت المحاولات من كل جانب للحد من أهميتها . قيل مثلا ان الرسالة ليست وثيقة نظرية ، وليست توجيها ملزما لدولة المؤسسات ، ولكنها مجرد ملامح واتجاهات وآراء وخطوط عريضة يناقشها مجلس الشعب والحكومة لاتخاذ اجراءات متعقلة بحيث لا تؤثر على انطلاق المجتمع ولا تثير حقدا بين طبقة وأخرى . والواقع أن الرسالة دعوة لوضع [التشريعات] التى تكفل [فى حدود القانون] تأمين بل تحقيق : السلام الاجتماعى] . هكذا تعلن الرسالة بوضوح .

فانطلاقا من واقع المشكلات الداخلية الطاحنة التى تعانى منها الطبقات الشعبية الكادحة وبخاصة الطبقة العاملة ، بينما [مظاهر البذخ تدلبذاتها علىأنهناك ثروات تنمو بغير جهد] ، تحاول الرسالة تأمين بل تحقيق السلام الاجتماعى ، اعتمادا على أسس أهمها :

أولا ــ تحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية بهدف ضمان الاستقلال الاقتصادى والتحسين المضطرد لمستوى معيشة الشعب .

ثانيا ــ الحرص على الاستقلال الاقتصادى ورفض التبعية الاقتصادية لاى دولة أو مجموعة من الدول .

ثالثا ــ السعى لصالح التقدم الاقتصادى لجماهير الشعب ورفض أن يكون الجهد لاثراء فئة محدودة على حساب الاغلبية الساحقة .

وهى أسس تتفق جميع القوى الوطنية على أهميتها وسلامتها وضرورتها الملحة . ومن ثم تطالب الرسالة [بتغييرات] تتحقق من خلال سبيلين محددين هما :

أولا ــ اعادة النظر فى النظام الضريبى لتصبح الضريبة [هى الاداة الرئيسية السليمة لتحقيق الاهداف الاجتماعية من تذويب للفوارق بين الطبقات ومن توفير لمتطلبات الحياة الكريمة لاوسع جماهير الشعب] .

ثانيا ــ اتخاذ مجموعة من الاجراءات المتنوعة ترمى لابراز [التكافل الاجتماعى والمساواة فى التضحيات] ، مثل تطوير نظام الزكاة ليكون مصدرا لتمويل ذاتى للقرية تنفق من حصيلته فى شئون القرية ، ومثل التأمين الاجبارى على المبانى السكنية لتوجيه جزء من حصيلته لتمويل الاسكان المتوسط ، ومثل تحديد أسعار بيع الشقق ، ومثل زيادة موارد بنك ناصر الاجتماعى لمد التأمينات

الى فئات محرومة منها ، ومثل مساهمة المقاولين ومتعهدى التوريد مع الحكومة والقطاع العام فى هذا التأمين ، ومثل سرعة تطبيق قانون الكسب غير المشروع ، ومثل تعديل نظام المحاكمات التأديبية ، ومثل عدم التردد فى توزيع أى سلعة ضرورية بالبطاقة .

ولا يمكن لاى وطنى أن يعترض على مطلب عريض ، مثل تحقيق العداله الاجتماعية ، ولا على اعادة النظر فى النظام الضريبى ليصبح اكثر فعالية ، ولا على الاجراءات المتنوعة التى يمكن أن تعالج جوانب معينة اجتماعية أو مالية أو اقتصادية من مشاكلنا المتفاقمة . ولقد كان يمكن تجنب كثير من المشكلات الراهنة لو كان قد طبق فى البلاد منذ البداية نظام سليم **لاقتصاد الحرب** يكفل عدالة توزيع الاعباء بين الطبقات على أساس المساواة أمام التضحيات ، ولا يسمح منذ البداية لاى فئة ان تستغل ظروف الحرب لتثرى على حساب آلام الاغلبية الساحقة من المواطنين . ولكن الامور سارت منذ البداية على غير هذا النهج ، وتطورت الاوضاع فيما بعد بحيث أصبحت تستدعى - بلا ابطاء - اتخاذ اجراءات جذرية [لتذويب الفوارق بين الطبقات وتوفير متطلبات الحياة الكريمة لاوسع جماهير الشعب] ، وعلى الرغم من كل أهمية الرسالة التى وجهها **الرئيس السادات** فلم تعد الضريبة تكفى لتصحيح الاوضاع .

فمشكلة المشاكل فى مصر لا تنحصر فى أن هناك غلاء فاحشا أو فسادا مستشريا ، أو أن مستوى معيشة الجماهير الشعبية يتدهور بسرعة نحو الجوع ، أو أن دخولا طائلة تتدفق بلا جهد على فئة محدودة بينما البلاد كلها تعانى من استمرار مقتضيات الحرب ومطالب التعمير . فهذه فى الحقيقة اعراض وآثار ونتائج للمشكلة . ان مشكلة المشاكل هى أن هناك وضعا اجتماعيا معينا صار يولد كل يوم وكل ساعة بل وكل دقيقة هذه الاوضاع التى نشكو منها . ولم يعد يجدى أن نواجه اعراضه وآثاره ونتائجه من غير أن نتصدى له هو نفسه . وهذا الوضع الاجتماعى يتمثل فى أن هناك طبقة عليا جديدة قد نمت وصار لها وجودها المحسوس ، بل صارت لها تطلعاتها لفرض سيادتها على المجتمع بأسره . وتلك هى المشكلة الام فى بلادنا - لانها تقف مباشرة ضد أسس العمل الوطنى التى حرصت عليها الرسالة وهى : التنمية الاقتصادية والاستقلال الاقتصادى والتقدم الاجتماعى .

هنـاك رأسمالية كبـيرة جديدة

ومن الانصاف ان نقول ان هذه المشكلة ليست بنت اليوم ، وانما لها تاريخ يرجع فى النهاية الى الوقت الذى اتخذت فيه الثورة اجراءات يولية ١٩٦١ وما بعدها . ففى ذلك الوقت نجحت الثورة فى توجيه ضربة قاصمة للسيطرة الطبقية للرأسمالية ، وذلك بتصفية أهم مراكز الرأسمالية الكبيرة فى الصناعة والتجارة ، وكانت الملكية الكبيرة الاقطاعية قد صفيت من قبل فى الزراعة . ولذلك عندما أعلن الميثاق حتمية الحل الاشتراكى واختار الطريق الاشتراكى لتطوير البلاد ، كان ذلك تعبيرا عن واقع اجتماعى معين أزيلت منه الطبقة العليا وهى الرأسمالية الكبيرة من مراكزها الاقتصادية وجردت من كل نفوذ سياسى . وبالطبع فتح الطريق أمام بقية الطبقات الاجتماعية وبالذات أمام الرأسمالية الوطنية ، وهى طبقة تضم الرأسمالية المتوسطة والاجزاء العليا من البورجوازية الصغيرة . وسميت عندئذ بالرأسمالية المستغلة بمعنى ألا تنمو الى الحد الذى تصبح معه رأسمالية كبيرة ، والا صارت مستغلة ، ووجب عندئذ تصفيتها شأن الموقف من أى رأسمالية كبيرة . لقد كان هناك ادراك لحقيقة أن الطريق الى الاشتراكية يجب أن يمر بمراحل انتقالية عديدة ، وان جوهر هذه المراحل هو تصفية التخلف الكامن فى اقتصاد المستعمرات وبناء اقتصاد وطنى حديث يصلح قاعدة مادية للانتقال الى الاشتراكية . من أجل ذلك كان لابد من التصفية المضطردة للاستغلال الرأسمالى فى المجتمع . وكان المفهوم عندئذ أن يتم ذلك بالحد المستمر من النمو الرأسمالى ، والا حدث بروز رأسمالى يهدد عملية التحول الاجتماعى كلها .

وبالفعل كان من جراء اجراءات يولية ١٩٦١ وما بعدها أن تباطأت جدا عملية التراكم الرأسمالى فى مصر . صحيح أن أجزاء طفيلية ومضاربة قد بقيت الى جانب القطاع العام ، متركزة فى قطاع المقاولات وقطاع تجارة الجملة . وصحيح أن قيادات من القطاع العام والدولة قد نجحت فى تكوين ثروات لها مستغلة فى ذلك سلطتها الوظيفية وأوضاعها البيروقراطية ، ولقد شكلت ما سمى بعد ذلك بالطبقة الجديدة . غير أنها كانت جميعا أوضاعا شاذة فى بيئة تلفظها وتلاحقها وتصر فى مواجهتها على مواصلة التحول الاجتماعى .

ثم أخذت الامور تتغير . انتهت الخطة الخمسية الاولى وعجزت الثورة عن بدء الخطة الخمسية الثانية . وبدأ الهجوم على أسلوب التنمية المخططة الشاملة . واصطحب ذلك بالهجوم على القطاع العام وتزيين طريق التطور الرأسمالى والاقتصاد الحر والنشاط الخاص . ثم حلت الهزيمة العسكرية فاعتبرها دعاة الرأسمالية ابلغ تعبير عن هزيمة الطريق الاشتراكى نفسه . وبالفعل اتسعت الحملة ، فقد انضمت لها أجزاء واسعة من الرأسمالية الوطنية التى كانت تتلمس من قبل سبل النمو الرأسمالى غير المحدود .

والواقع أنه منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ـ ونشاط الرأسمالية الوطنية ينمو باستمرار ، وبخاصة فيما بعد قيام ثورة يوليو . لقد تغيرت المواقع الاقتصادية للرأسمالية الوطنية ، واتسعت دائرة نشاط رأس المال الوطنى . وبتصفية مراكز الاستعمار فى الاقتصاد ، ثم بتوجيه الضربات القاصمة بعد ذلك للرأسمالية الكبيرة القديمة ، أصبحت الرأسمالية الوطنية قوة حاسمة فى الاقتصاد ، واستعانت من أجل تعزيز مواقعها بقطاع الدولة ، كما نما الدور السياسى الذى تمارسه . وكل هذا طبيعى . فما لم توضع سياسة واعية للحد باستمرار من النمو الرأسمالى ، فلابد ان تنمو الرأسمالية . ستنمو الرأسمالية حتى من أبسط أشكال الوجود الرأسمالى ، وهو شكل الانتاج الصغير . انها عملية لا تتوقف أبدا .

ولا شك أن نمو الرأسمالية الوطنية مطلوب ومفيد ، طالما كان ذلك يجرى طبقا لخطة التنمية الاقتصادية الشاملة وتحقيقا لاهداف المجتمع كله . ولقد نمت الرأسمالية الوطنية بالفعل ، ونجحت فى بناء صناعات تكميلية مساعدة لبث احتياجات حقيقية فى الاقتصاد القومى . غير أن تنشيط التطور الرأسمالى بلا رقابة الخطة ، لابد أن يحدث فى مجرى الاقتصاد القومى عمليتى تركز وتمركز للثروة ، مصحوبتين بعملية تمايز اجتماعى . ومن ثم تتجمع لدى الرأسمالية المحلية ثروات كبيرة تضعها فى مركز متميز يجعلها تعيد النظر فى

نص رسالة الرئيس

نعيد نشر نص رسالة الرئيس أنور السادات التى وجهها الى مجلس الشعب ومجلس الوزراء فى ١٩٧٥/٢/٤ :

لقد عودتكم ـ حتى فى اصعب الساعات ـ على مواجهة التحديات التى امامنا بصدق وصراحة ، وان نستبين طريقنا عن طريق المناقشة والحوار حتى نصل الى بلورة واضحة وحكيمة لمهام كل مرحلة نمر بها ، ونتمكن بذلك من ان نصل الى وحدة فى الفكر والهدف تكفل لنا تحديد سياستنا على اساس من الفهم المشترك .

مضينا فى هذا السبيل فى فترة « ما قبل العبور » مواجهين عوامل اليأس والصعوبات والمرارة واستجاب شعبنا وجيشنا البطل لكل هذه التحديات مؤكدا ثقته بقدرته وايمانه بهدفه وحقق العبور العظيم . واثبت الشعب انه قادر بالعمل والتنظيم والتخطيط والايمان على تخطى اكبر العقبات واثبت كذلك انه قادر ـ بقواه الذاتية ـ على الخلق والابداع والعطاء .

ونقلنا العبور الى مرحلة جديدة هى « مرحلة التحرير والتعمير والتنمية »، وتناولت ورقة اكتوبر بالتحليل التحديات الجديدة التى نواجهها فى ضوء المتغيرات الدولية والتى جعلت من التنمية بالنسبة لنا قضية حياة أو موت، وطرحت سياسة الانفتاح الاقتصادى كسياسة شاملة ، تعبىء مواردنا الذاتية وتوفر لها الانطلاق والحركة وتجلب لها ما يكملها ويضاعف من فاعليتها من تمويل وخبرة خارجية مدركين ان عبء التنمية يقع اولا وقبل كل شىء على عاتقنا نحن ـ وان نجاحنا يكمن فى قدرتنا على تحرير وتطوير او تعبئة الطاقات الانسانية المصرية حتى نكسر اغلال التخلف ـ ونعبر بالعمل الشاق المثابر الى الانطلاق الاقتصادى والاجتماعى لبناء مجتمع الكفاية والعدل .

والآن وقد بدت معالم سياستنا ، ووضحت أبعاد التحديات التى نقابلها، أرى ان أؤكد وبوضوح الاسس التى يقوم عليها عملنا الوطنى ، وهى :

■ ■ أولا : ان هدفنا الواضح منذ ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ هو تحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية التى تضمن استقلالنا الاقتصادى وتحقق لجماهير شعبنا العريضة التحسن المطرد فى مستوى المعيشة ، وهذا هو هدف ثابت.

■ ■ ثانيا : اننا نحرص على الاستقلال الاقتصادى ونرفض التبعية الاقتصادية لاى دولة أو مجموعة من الدول .

■ ■ ثالثا : اننا نسعى لصالح التقدم الاقتصادى لجماهير شعبنا ونرفض ان يكون جهدنا لاثراء فئة محدودة على حساب الاغلبية الساحقة .

■ ■ رابعا : اننا نبحث مشاكلنا فى ضوء العلم الحديث ونقدم حلولا نابعة من دراسة واقعنا المصرى وملائمة للتطبيق العلمى تحت ظروفنا وبما يكفل مصالح الجماهير عامة .

■ ■ خامسا : اننا نعنى بسياسة الانفتاح دعم القطاع العام وتنشيطه وتحريره من قيود البيروقراطية ورفع كفايته الانتاجية ، وننظر الى القطاع الخاص على انه احد المكونات الاساسية لاقتصادنا .. علينا ان ننشطه ونشجعه ونوجهه نحو تنفيذ اهداف الخطة والتنمية ونرى للقطاع التعاونى دورا رئيسيا فى الزراعة يحتاج الى دعم وتنشيط، كما ان علينا ان نحرص حرصا كبيرا على تشجيع الحرفيين الذين يمثلون قاعدة جماهيرية كبيرة ويمثلون ثروة قومية . وذلك بالعمل على تطوير انتاجهم وازالة

علاقاتها بالطبقات المالكة القديمة، وعلاقاتها برأس المال الاحتكارى الاجنبى .

وفيما بعد الهزيمة العسكرية ، جرت تنازلات لقطاعات معينة من الرأسمالية الوطنية فى صورة رفع مستمر لاسعار بعض الحاصلات الزراعية الرئيسية ، واباحة الاستيراد بدون تحويل عملة ، ووقف الانتقال التدريجى لقطاعى تجارة الجملة والمقاولات الى القطاع العام . ومع توسيع القاعدة الانتاجية ، وزيادة وزن القطاع الرأسمالى ، جرى تمايز طبقى جديد ، وظهرت فئات وقوى متميزة داخل الرأسمالية نفسها . لقد تكونت أقسام واسعة ذات طبيعة تجارية أو مضاربة أو بيروقراطية ، وهى أقسام غدت تشكل رأسمالية كبيرة جديدة ، متميزة عن الرأسمالية الوطنية التى ما زالت تضم الرأسمالية المتوسطة أساسا . ولقد شرعت هذه الرأسمالية الكبيرة من ثم تعيد النظر فى المقومات الاساسية للاقتصاد القومى ، وراحت تتطلع الى العون من جانب الرأسمالية العالمية من أجل تعزيز مكانتها المحلية وفرض سيطرتها الكاملة على المجتمع المصرى بأكمله .»

هكذا تبلورت فى قمة المجتمع — من جديد — فئات وأقسام عليا تشكل رأسمالية كبيرة، ذات كيان طبقى مستقل عن الرأسمالية الوطنية ، وذات اتجاهات مختلفة عنها ، وفى أحيان كثيرة متعارضة معها .

ان هذه الرأسمالية الكبيرة الجديدة تضم الان الفئات والاقسام العليا من الرأسمالية المحلية . ويساهم فى تشكيلها عنصران اجتماعيان جوهريان هما :

أولا — فئات تجارية ربوية وتجارية صناعية ، من التجار والمولين والمقاولين والوكلاء ، فى مجالات التصدير والاستيراد ، فى تجارة الجملة ونصف الجملة ، فى الصفقات العقارية ، فى المقاولات والتوريدات . وكثيرا ما يغلب الطابع الطفيلى على هذه الفئات العليا ، نتيجة لاشتغالها

العقبات التى يعانون منها فى سبيل اسهامهم فى التنمية القومية .

■■ سادسا : ان الموارد الخارجية للتمويل يجب ان تستهدف زيادة الانتاج القومى حسب الاولويات التى وضعتها الخطة . فهو وسيلة لمساعدة الطاقة المصرية فى الوصول الى اهدافها — اننا نرفض ان نفتح ابوابنا لاعمال المضاربة والصفقات العابرة التى لا يستفيد منها غير فئة قليلة وتحقق كسبا سريعا قد لا تصحبه زيادة فى الانتاج .

■■ سابعا : اننا نقيم اشتراكية على اساس الكفاية والعدل والكفاية تتحقق بكفاية الانتاج والعدل يتحقق بحسن توزيع الدخل القومى بين قوى التحالف الوطنى .

والان .. وقد تم ارساء المجتمع الجديد بعد اعلان وثيقة اكتوبر واصبحت مصر تتمتع بنظام سياسى واقتصادى واجتماعى صقلته التجارب ومنحته استقرارا وقدرة على مواجهة الاحداث وتفهم حقائق العصر فانه لابد من وضع الضوابط القانونية التى يعرف المواطن من خلالها حقوقه وواجباته بوضوح لكى يمارسها فى طمأنينة تمكنه من الانطلاق فى سبيل التنمية .

ولعلكم تذكرون اننى قلت فى بيانى الذى القيته أمام مجلس الشعب بمناسبة افتتاح دور انعقاده الحالى ، ان الاستقرار السياسى هو الشرط الاول والجوهرى لاجتياز المرحلة الصعبة التى نواجهها وان الاستقرار الاقتصادى لا ينفصل عن الاستقرار السياسى اذ لا يمكن ان يعيش الانسان اذا كان قلقا على رزقه ، قلقا على مستقبله قلقا على امكانياته المادية أو ما يتاح له من سلع وخدمات .

ولهذا فقد عدت وسجلت أمام مجلس الشعب فى هذا البيان . المهام الست التى سجلتها فى خطاب تكليف رئيس الوزراء ، وكان من بين هذه المهام اننى طالبت بأن توضع سياسة الانفتاح كاملة موضع التطبيق دون القيود التى تعرقل حركتها ، وان يؤدى المواطن للدولة حقها ، فيقترن توفير الحافز باقرار الواجب المترتب عليه .

ولعلكم تذكرون أيضا اننى طالبت بالعمل على تاكيد الطهارة الثورية شرطا لتحمل المسئولية ومزاولة اى نشاط حتى لا يكون هناك انحراف او استغلال غير مشروع ، وبأن تختفى مظاهر البذخ التى تدل بذاتها على ان هناك ثروات تنمو بغير جهد ولا تسهم فى التنمية .

لقد ازلنا السدود والحواجز من أمام امكانيات الافراد الخلاقة وبددنا المخاوف التى كانت تساور الاستثمارات الخاصة من ناحية التأميم أو الحراسة، وعلينا ان نمضى فى هذا المناخ الجديد فى دفع عجلة الانتاج والتنمية وفى ارساء عدالة التوزيع ، ولقد رأيت تحقيقا لهذه الاهداف وحرصا على سلامة التنفيذ والتطبيق ومنعا لاى آثار جانبية لاى انحراف أو اعوجاج وتامينا للسلام الاجتماعى ، ان نعمل على ارساء الوسائل القانونية القادرة على تحقيق هذه الاهداف بحيث يحوى النظام القدرة على التصحيح الذاتى من خلال القانون

ولهذا فقد رأيت أن اطرح عليكم بعض تغيرات هامة اعتقد ان الواجب يقتضى تناولها بالدرس والتقنين .

اننى اعتقد ان النظام الضرائبى يحتاج الى نظرة جديدة لتصبح الضريبة هى الاداة الرئيسية السليمة لتحقيق اهدافنا الاجتماعية من تذويب للفوارق بين الطبقات ومن توفير متطلبات الحياة الكريمة لاوسع جماهير شعبنا ، وفى سبيل ذلك ارى ان النظام الضرائبى يجب ان يحقق السياسات الاتية :

■ ان تكون الضريبة وسيلة لتوزيع الاعباء العادلة توزيعا عادلا بين المواطنين وليست مجرد وسيلة للحصول على موارد للدولة بحيث تاخذ السياسة الضريبية فى اعتبارها ظروف المواطن

بالمضاربات وأعمال الوساطة والسمسرة والتهريب والسوق السوداء، وبخاصة في تعاملها مع القطاع العام والدولة.

ثانيا – فئات بيروقراطية في قيادات القطاع العام والدولة، من المتعلمين الذين يحصلون على دخول عالية بفضل وظائفهم في مواقع السلطة، مما يتيح لهم امكانية تجميع ثروات كبيرة تعتبر رأسمال بيروقراطي، أي غير مرتبط بشكل مباشر بظروف الانتاج المادي، ومصادره هي المرتبات والبدلات والمكافآت ثم الدخول غير الرسمية من العمولات وكافة مظاهر الفساد والانحراف والانحلال في مواقع السلطة. وفيما بعد يمكن أن يتحول رأس المال البيروقراطي هذا الى رأسمال تجاري وصناعي.

ومن ثم توجد امكانية موضوعية لنشأة **رأسمالية بيروقراطية** تتحد مع **رأس المال الكبير الطفيلي**، كما توجد امكانية لاتحادهما معا مع العناصر من **الطبقات المالكة القديمة** ليشكلوا جميعا جبهة متحدة اجتماعية واقتصادية وسياسية، تدافع عن امتيازاتها الطبقية بالدفاع عن مبدأ الاقتصاد الحر وتبني الطريق الرأسمالي للتطور والتحالف مع رأس المال الاجنبي. وتلعب لعبتها الاساسية بالضغط المستمر على الرأسمالية الوطنية كيما تنحاز اليها. والواقع ان هذه الفئات العليا من الرأسمالية لا تعادي جماهير العاملين فحسب، بل تعادي أيضا الفئات الاخرى من رجال الاعمال في القطاعين العام والخاص مثلما تعادي جميع القوى الوطنية والديمقراطية في البلاد. وهذا تأكيد آخر لاختلاف هذه الرأسمالية الكبيرة عن الرأسمالية الوطنية سواء من حيث الطبيعة الطبقية أو من حيث الاتجاهات الفكرية والعملية (*).

الرأسمالية الكبيرة تستدعي الاستعمار الجديد

ومن أجل التأمين الكامل والنهائي لامتيازاتها الطبقية، تلجأ الرأسمالية الكبيرة الى التحالف مع رأس المال الاجنبي، أي مع الرأسمالية العالمية. وهذا هو المصدر الموضوعي لخطر ضياع الاستقلال الاقتصادي واعادة السيطرة الاجنبية،

كلها وان تمتد الى دخله كله والا يفلت ايراد من الضريبة وتسد في وجه الممول وسائل التحايل عن طريق توزيع عناصر الثروة والدخل على افراد الاسرة الواحدة.

ولنقدر في ذلك ان كل زيادة في الدخل تزيد من قدرة صاحبها على البذل والعطاء، وان عبء الضريبة لابد وان يتناسب مع مستوى الدخل الذي يتحقق تأكيدا لمبدأ العدالة الضريبية.

■ ان تكون الضريبة وسيلة للحد من تضخم الثروات بما يضمن عدالة في توزيع الدخل القومي. واداة لتقريب الفوارق بين الطبقات الامر الذي يتطلب ضرورة التفكير في تقرير ضريبة على الارباح الرأسمالية التي تحقق من زيادة قيمة بعض الاموال دون اي جهد مبذول. فهذه الزيادة اضافة غير مكتسبة بل انها نتيجة لمتغيرات الظروف وحدها، ومن ثم فيجب ان يكون للدولة حق فيها، ولتكن هذه الضريبة ضريبة للتضامن الاجتماعي مقابل ما تضفيه هذه الثروة على صاحبها من مزايا اجتماعية ولقاء تأمين الدولة لما يتبقى له منها، وكفالة حقه في التمتع بها.

■ ان تكون الضريبة وسيلة للحد من مظاهر البذخ والاندفاع نحو الاستهلاك الترفي، وحافزا على الاستثمار المنتج، ان الانفاق في مثل هذه الحالات يمكن ان يكون وعاء للضريبة، بان تزاد الرسوم والضرائب غير المباشرة على السلع الكمالية والخدمات الترفيهية وان تخفض او تلغى على السلع الضرورية حتى لايتحول عبئها الى غير القادرين.

■ ان بوضع نظام محكم لتحصيل الضرائب وضمان عدم التهرب من ادائها بما يؤدي الى رفع الطاقة الضريبية لما تجبيه الدولة. فقد جعل دستورنا من اداء الضرائب والتكاليف العامة واجبا قوميا، والاخلال بهذا الواجب يرتفع الى مرتبة الخيانة الوطنية التي يجب ان يقابلها التشريع باشد العقاب.

ان التهرب من الضريبة يهدد حساب الموارد المتوقعة ويؤثر على تنفيذ خطة التنمية، فضلا عن انه يولد دخولا تندفع بطبيعتها الى الاستهلاك ومظاهر الترف وتخلق بذلك مشاكل اقتصادية واجتماعية.

واذا كانت السياسة الضريبية التي اطلب من المجلس والحكومة ان يعيدا النظر فيها وفق الاهداف والاسس التي بينتها، قد تكون وسيلة لتحقيق السلام الاجتماعي والعدالة في توزيع الاعباء، فان هناك حلولا اخرى يجب التفكير فيها.

فقد لاحظت اهتمام مجلس الشعب في الرد على بيان الحكومة من ايجاد تمويل ذاتي للضريبة ينفق من حصيلته في شئون القرية نفسها، ويغذى من حصيلة مساهمة اهل القرية، وهو اقتراح يمكنكم المضي في دراسته ووضعه في اطاره الصحيح، وفق احكام الشريعة الاسلامية التي جعلت الزكاة فرضا يحقق التكافل والتضامن الاجتماعي.

وفي هذا الاطار ايضا القائم على التضامن الاجتماعي يمكن التفكير في تشريع قانون للتامين الاجباري على المباني السكنية التي تزيد قيمتها على حد معين وتوجيه جزء من حصيلة هذا التامين للاكتتاب في سندات الاسكان التي تزمع الحكومة باصدار لتمويل الاسكان المتوسط، كما يمكن ان يتناول التشريع كيفية تحديد اسعار بيع الشقق عن طريق لجان تقدير الايجارات أو باية وسيلة اخرى تحول دون المضاربة فيها.

كما يجب في هذا الاطار ايضا أن نعمل على زيادة موارد بنك ناصر الاجتماعي ليتوسع في تقديم نوع من التأمين أو المعونة للفئة التي مازالت محرومة في مجتمعنا من مظلة التأمينات الاجتماعية، ومن هذا فانه يمكن للتشريع ان ينظم طريقة مساهمة المقاولين ومتعهدي التوريد الذين يتعاملون مع

لان التحالف بين الرأسمالية الكبيرة المحلية وبين الرأسمالية العالمية يشكل بالدقة جوهر الاستعمار الجديد .

فالاستعمار الجديد هو محاولة من النظام الرأسمالى العالمى للابقاء على الرأسمالية كنظام عالمى ، سواء بتأكيد معالم بقاء البلدان النامية فى اطار السوق الرأسمالية العالمية ، أو بتشجيع معالم التطور الرأسمالى داخل البلدان النامية نفسها . فالواقع أنه على الرغم من التحرر السياسى للبلدان النامية ، فان معركة التحرر الاقتصادى ما زالت تجرى فى ظروف جديدة بالغة الدقة ، فالاستغلال الاقتصادى الذى كان يتم ويجرى فى الماضى من قبل البلدان الامبريالية للبلدان النامية ما زال قائما بعد ، بل يتم توسيع نطاقه أحيانا . وما زالت الامبريالية تتمتع بكثير من الوسائل للتأثير على اقتصاديات البلدان النامية ، مستغلة فى ذلك نظام العلاقات الاقتصادية الدولية التى تكونت فى الماضى . ان مهمة فرض الجزية الاستعمارية واستخلاصها لم تعد موكلة بأيدى قوات الاحتلال العسكرى ولا بأجهزة ونظم القهر السياسى ، وانما صارت موكلة بأيدى القوانين التلقائية للاقتصاد الرأسمالى العالمى . ومن ثم يكفى لتأكيد طابع التبعية الاقتصادية وجود هيكل اقتصادى صناعى ومالى وتجارى يهىء ظروف التبعية للامبريالية العالمية . من هنا حرص الرأسمالية العالمية على تطوير ، بل وأحيانا زرع العلاقات الرأسمالية فى البلدان النامية ، وتأكيد معالم النمو الرأسمالى والحرص على وجود رأسمالية كبيرة فيها .

ومن هنا أيضا حرص الرأسمالية الكبيرة المحلية على استدعاء الاستعمار الجديد . ولهذا تركز هذه الرأسمالية الكبيرة على ضرورة فتح أبواب الاقتصاد المصرى أمام الرأسمالية العالمية . ولدى هذه الرأسمالية العالمية الآن استعداد موضوعى لتصدير بعض الصناعات الدنيا الى البلدان النامية ، وهى الصناعات البسيطة تكنولوجيا ، والصناعات الكثيفة العمالة بمشاكلها الاجتماعية الملتهبة والصناعات الملوثة للبيئة .

الحكومة والقطاع العام فى المساهمة فى هذا النوع من التأمين .

لقد لاحظت اهتمام مجلسكم باتخاذ الاجراءات التى تكفل معالجة الثغرات التى كشف عنها التطبيق فى قانون الكسب غير المشروع ، وانى ارى ان تبدأ فورا اللجان المختصة بوزارة العدل فى فحص اقرارات الذمة المالية لكل القيادات التنفيذية والتشريعية والسياسية وان توفر لها الحكومة ما تحتاج اليه من خبرات فنية بحيث تنتهى من هذه المهمة خلال العام الحالى . اننى اعرف تماما ان نسبة الانحراف فى القيادات محدودة ، ولكن سمعة البلاد فى الداخل والخارج تقتضى سرعة تطبيق قانون الكسب غيرالمشروع لتحديد القلة المنحرفة ومجازاتها وفقا للقانون . وبهذا ندعم الثقةفى اقتصادنا ونرفع عن القيادات ـ لاسيما فى مواقع الانتاج ـ عقدة الخوف من اتخاذ القرارات خشية الاتهام بالانحراف .

كذلك لقد تابعت ما دار بمجلس الشعب من اهتمام بتعديل نظام المحاكمات التاديبية على نحو يضمن سرعة البت فى اجراءات التاديب فى حالات التقصير أو الاهمال اوالانحراف حتى لا يظل الجزاء التاديبى معلقا على اجراءات الفصل فى الدعوى الجنائية وبهذا تسير اجراءات العقاب جنبا الى جنب مع التوسع فى نظام الحوافز وتحقيق المرونة فى تطبيقه .

وكلها اقتراحاتيجب أن تاخذ طريقها التشريعى الذى رسمه الدستور .

ان مجتمعنا وهو يتقدم عبر الصعاب الجمة لابد ان يصادف بعض الظواهر غير الصحية . ولكن علينا ان نتيقظ دائما لتلكالظواهر ونسعىلاستئصالها اولا باول وذلك عن طريق تدعيم نظامنا بالوسائل القادرة على التصحيح فى اطار القانون والعدالة .

ان شعبنا قادر على مواجهة المرحلة الصعبة التى نمر بها وهى : « مرحلة التحرير والتنمية » على أساسالمساواة فى التضحيات . وتقع على الحكومة المسئولية الاولى فى توفير السلع الضرورية للاستهلاك الشعبى فى حدود الامكانيات المتاحة . وليكن معروفا تماما انه ليس متاحا لنا أن نغرق الاسواق من السلع . وفى هذا الشأن يجب عدم التردد فى توزيع اى سلعة ضرورية بالبطاقات لضمان عدالةالتوزيع فى حدود الكميات المتاحة .

اننى اطلب من الحكومة ان تتقدم بالتشريعات المطلوبة لتحقيق الإجراءات الضرورية لتأمين مسارنا ، كما اطلب من مجلس الشعب والتنظيم السياسى واجهزة الاعلام والمنظماتالشعبيةالقيام بدورها لتحقيق الهدف الوطنى فى هذه المرحلة .

ان طريقنا سوى لا التواء فيه ولا انحراف عنه ، طريق قوى الشعب العامل الذى يمارس حقوقه وواجباته التى كفلها الدستور . اننا نسعى باستمرار علىاستكمال دولةالمؤسسات وتطوير نشاطها لتكون دعامة صالحة لممارسة الديمقراطية وتعددالاتجاهات . ونحن نطور الاتحاد الاشتراكى العربى ليكون ميدانا للاجتهاد فى الراىوالتعبير عن مشاكل مختلف قوى التحالف .

ان الشعب الذى تغلب على الهزيمة وتخطى فى طريقه للنصر كافة العقبات لقادر على مواجهة المرحلة الحالية والاستجابة لتحدياتها بثقة وايمان بل وبنفس الحكمة والشجاعة التى واجهنا بها العدوان .

ان طريقنا واضح واسلوبنا واضح وعلينا انننطلق الى تحقيق اهدافنا فى معركة التحرير والتنمية ما دمنا قادرين على العملمعا بايجابية وصمود وتماسك وسوف يكون النصر حليفنا باذن الله .

وهى على استعداد لتقديم هذا القدر من التصنيع فى اطار معونة مالية وفنية لها ثمنها المزدوج . لها ثمنها الاقتصادى وهو تأمين تدفق المواد الخام الاستراتيجية اليها وفى مقدمتها البترول . ولها ثمنها السياسى وهو توطيد معالم التطور الرأسمالى فى البلدان النامية . وعندئذ تتخذ العلاقة صورة المشاركة بين رأس المال الاجنبى ورأس المال المحلى ، بحيث تتم التنمية المطلوبة لحساب فئة خاصة هى الرأسمالية الكبيرة المحلية والرأسمالية العالمية . ومن ثم تضغط الرأسماليتان من أجل اعادة النظر فى أسلوب التخطيط وفى الدور القيادى للقطاع العام تمهيدا لاعادة النظر فى الطريق الاشتراكى كله .

وفى سبيل استعادة مصر فى اطار النظام الرأسمالى ، يمكن الحاق أبلغ الضرر بكل قضايا التنمية الاقتصادية والاجتماعية والاستقلال الاقتصادى والتقدم الاجتماعى وحتى بالتطور الديمقراطى . ان رأس المال الاجنبى يشكل عندئذ بمشروعاته مع الرأسمالية الكبيرة اقتصادا قائما بذاته داخل الاقتصاد القومى ، يتمتع باعفائه من كافة قوانين مرحلة التحول الاشتراكى ، ويمكنه أن يتحول الى قطاع قائد لا بحجمه ولكن بنوعيته ونفوذه ، لكنه يمكن أن يستنزف الفائض الاقتصادى للبلاد ويكون وسيلة لتسريب مواردنا الى الخارج ، ومن ثم يصبح أداة لتكريس التبعية الاقتصادية ازاء الخارج ، فى الوقت الذى يمكن الرأسمالية الكبيرة من تحقيق ثروات هائلة تعمق الفوارق بين الطبقات ومظاهر التفاوت الاجتماعى ، ويفتح السبيل أمام اعادة النظر فى الهيكل السياسى نفسه .

من هنا التركيز على قضية الانفتاح الاقتصادى . وهى قضية تؤكد الخلاف الجوهرى بين الرأسمالية الكبيرة والرأسمالية الوطنية . فبينما ترى الرأسمالية الكبيرة فى الانفتاح بابا لاستعادة مصر فى اطار الرأسمالية محليا وعالميا ، ترى فيه الرأسمالية الوطنية محاولة لمواجهة أزمة تمويل التنمية الاقتصادية وذلك بجذب رأس المال الاجنبى والعربى مع الحفاظ على الاستقلال الاقتصادى . انهما اتجاهان كامنان داخل صفوف الرأسمالية المحلية يجب التمييز وعدم الخلط بينهما بأى حال .

من هنا نرحب بالتحديد الجديد الذى جاءت به رسالة **الرئيس السادات** فى موضوع الانفتاح الاقتصادى . فلقد عرفت الرسالة سياسة الانفتاح بأنها [سياسة شاملة تعبىء مواردنا الذاتية وتوفر لها الانطلاق والحركة وتجلب لها ما يكملها ويضاعف من فاعليتها من تمويل وخبرة خارجية ، مدركين أن عبء التنمية يقع اولا وقبل كل شىء على عاتقنا نحن] . ومن ثم يصبح التمويل الخارجى مجرد اضافة الى مواردنا الذاتية . وحددت الرسالة مهمة هذه الاضافة الخارجية بأنها [زيادة الانتاج القومى حسب الاولويات التى وضعتها الخطه] . وهو تحديد بالغ الاهمية . ومن الضرورى بالتالى أن تترتب على هذا التحديد الجديد كله نتيجتان هامتان : **الاولى** ، أن يكون تمويل استثمارات الخطة الاقتصادية بالاعتماد أولا وقبل كل شىء على مواردنا الذاتية ، لا أن تكون الموارد الخارجية هى الاساس فى التمويل . ومن ثم فان المهمة الاولى يجب أن تكون هى البحث عن الموارد الذاتية ، وكيفية تعبئتها ، ليس فقط بالضريبة ، وانما بكافة الوسائل الفعالة للتعبئة . **والثانية ، أن لا تمول الموارد الخارجية** سوى مشروعات انتاجية واردة فى الخطة ، ومطروحة لمساهمة أجنبية فيها . وعندئذ يحسن أن يكون شريكها هو القطاع العام .

الرأسمالية الكبيرة تفاقم مشاكلنا

لكن الرأسمالية الكبيرة ، وهى **رأسمالية طفيلية** ، تعرف الانفتاح بأنه حرية النشاط الرأسمالى وحرية الاستغلال الرأسمالى وحرية الاندماج بين راس المال المحلى وراس المال العالمى . ومن ثم تضيق بكل ما بقى من أشكال التنظيم والتوجيه والتخطيط ، وتعتبرها قيودا على حرياتها المزعومة . وهى لا تقف موقف المتفرج مما يجرى ، بل تدفع الامور دفعا كيما تفرض نمط وجودها وأسلوب حياتها ونظام قيمها على المجتمع ، تمهيدا لفرض سيطرتها الاقتصادية والسياسية عليه . وهكذا تفاقم من مشاكلنا . ان قدرا كبيرا من مشاكلنا يرجع الى الدور الذى تلعبه هذه الرأسمالية الطفيلية فى حياتنا الاقتصادية والاجتماعية .

اولا – فمشكلة السوق السوداء ، مشكلة **استفحال الغلاء** ، ترجع فى قدر كبير منها الى موقف الرأسمالية الكبيرة الطفيلية ، وبالذات الى عمليات التهريب وسلسلة الوساطة فى التوزيع ، ثم الى اباحة الاستيراد للقطاع الخاص والالغاء التدريجى لاحتكار الدولة للتجارة الخارجية ، ومن ثم عادت السوق المصرية مفتوحة على السوق الرأسمالية العالمية تفضل أن تصدر اليها بدلا من السوق الاشتراكية ، وتفضل أن تستورد منها ، فتستورد منها التضخم والغلاء راسا الى الداخل . ونحن نعلم أن معدلات التضخم فى عام ١٩٧٤ قد ارتفعت بمعدلات قياسية فى كل البلدان

الرأسمالية الكبرى : بمعدل ٢ر١٢ فى المائة فى امريكا ، ٩ر١٤ فى المائة فى فرنسا ، ١ر١٩ فى المائة فى بريطانيا ، ٢ر٢٥ فى المائة فى ايطاليا ، ٢٦ر٥ فى المائة فى اليابان . وهذه المعدلات تتضاعف عند الاستيراد ، فأسعار سلع مثل القمح والسكر والصلب والخشب ومواد البناء والكيماويات والاجهزة الكهربائية قد تضاعفت مثلا من عام ١٩٧٢ الى عام ١٩٧٣ ، ولقد واصلت ارتفاعها خلال العام الماضى . وتعكس أسعار الاستيراد التى تدفعها استمرار الضغوط التضخمية فى البلدان الراسمالية وما يتبعها من استمرار ارتفاع أسعار السلع الصناعية . ولقد زادت من هذا الارتفاع أيضا الزيادات التى حدثت فى أسعار البترول وبعض السلع الاخرى مثل الحبوب والاسمدة . ثم يضاف الى ذلك كله بالنسبة لنا ، ان الطعام يشترى بالقروض القصيرة الخارجية التى تصل اعباؤها الى ١٩ فى المائة ، وتظل واجبة السداد خلال ١٢ شهرا على الاكثر . وكل هذا يفترض اننا نستورد من خلال نظام الدولة للتجارة الخارجية وبأجهزتها ، مستخدمين الحصص النقدية المخصصة للاستيراد . اما اذا تم الاستيراد عن طريق القطاع الخاص فان الامر يزداد تفاقما . فاذا حسبنا أسعار السلع نفسها عندما تستورد على حساب السوق الموازية تبين لنا كيف تزيد الاسعار منذ البداية عند شباك البنك بنحو ٦٠ فى المائة ، ثم تتوالى الزيادات حسب سلسلة الوساطات والعملاء والعمولات وشدة حاجة السوق والمشترين . والسوق الموازية هى فى النهاية سوق رسمية تلجأ اليها الراسمالية الطفيلية،فكيف يكون الحال عندما تلجأ الى السوق غير الرسمية للاستيراد ؟

ثانيا ـ ومشكلة **الفساد والانحراف** ترجع هى الاخرى فى قدر كبير فيها الى الدور الذى تلعبه الرأسمالية الكبيرة الطفيلية فى حياة المجتمع . فالفساد والانحراف ليسا مشكلة اخلاقية ، بل هما وضع اجتماعى له مضمونه الاقتصادى الصريح . انهما وضع طبقى فى الاساس ناشىء عن مجموعة القيم الاجتماعية التى تفرضها الطبقة العليا السائدة ، وهى الان هذه الرأسمالية الطفيلية ، ان الفساد ينشأ دائما من أغراء الملكية الخاصة . لكنه يستشرى عندما يكون هو بالذات أسلوب وجود وحياة وتطور الطبقة العليا . فالرأسمالية الطفيلية بوجودها غير المشروع ، بنشاطها ونموها واسلوب انجاز اعمالها وضخامة أرباحها وسهولة الحصول عليها واسلوب ونمط استهلاكها وارتباطاتها الداخلية بالدولة والقطاع العام وعلاقاتها برأس المال الاحتكارى الاجنبى ، هذه الرأسمالية لايمكن الا ان تنشر وتكرس الفساد والانحراف فى كل مكان . فالسمسرة والوساطة والمضاربة تصبح فى المثل الاعلى للنشاط الاقتصادى ، وتصبح العمولات هى الصورة المثلى للدخل . وعندما تختل القيم الاجتماعية أمام الاجيال وعندما تصبح قيمة رأس المال فوق كل قيمة بما فيها قيمة العمل ، وعندما تصبح الملكية الخاصة موضع التمجيد الاجتماعى ، وعندما تستطيع النقود أن تشترى كل شىء ، وعندما تتسع الهوة وتتعمق بين الطبقات ، يصبح الفساد والانحراف أسلوبا اجتماعيا سائدا ، ويتسرب حتى الى صفوف الطبقات الشعبية نفسها . فالجميع تستولى عليه عندئذ التطلعات الى الحياة الحلوة السهلة .

وتساعد على استشراء الفساد ظروف معينة : **أولها** ، غيبة الرقابة الشعبية من قبل الجماهير المنظمة فى تنظيماتها النقابية والسياسية ، فميزة الديمقراطية هنا انها حتى اذا حدث الفساد أو الانحراف فانه سرعان ما يكتشف ويقاوم . ويمكن عندئذ الحد منه . **وثانيها** ، غيبة سلطة الدولة ، أو عدم الاحساس بوجود سلطة عليا فى المجتمع، تحول دون بعثرة المال العام . وتنزل العقاب الرادع بالعابثين ، عند اكتشاف السرقة او الاختلاس أو الرشوة ، وتضع حدا للتواطؤ المالى بين أجهزة الدولة والقطاع العام وبين الرأسمالية الطفيلية .

وطالما كانت الرأسمالية الطفيلية هى التى تحدد لنا القدوة وتضرب المثل ، فان الكسب غير المشروع يصبح هو الكسب المشروع . وتستحيل عندئذ مطاردة الكسب غير المشروع من غير مطاردة الرأسمالية الطفيلية هى نفسها . فهى المصدر الرئيسى لافساد الحياة الاجتماعية بأسرها .

الضريبة وحدها لا تكفى

لكل هذا تصبح المسألة الملحة هى تحديد الموقف تحدد رسالة **الرئيس السادات** أن المطلوب هو من هذه الرأسمالية الكبيرة الطفيلية ، وعندما تحدد رسالة **الرئيس السادات** ان المطلوب هو تأمين بل تحقيق السلام الاجتماعى ، وعندما تلح على هدف تذويب الفوارق بين الطبقات ، فهى انما تحدد الحجم الحقيقى للمشكلة الاجتماعية . فالمطلوب فعلا هو اجراءات قادرة على تحقيق السلام الاجتماعى ، حتى ينطلق المجتمع الى

تحقيق اهدافه فى التنمية الاقتصادية والاستقلال الاقتصادى والتقدم الاجتماعى .

ولا نعتقد ان الضريبة وحدها تكفى لتحقيق المطلوب . ان الرسالة تحدد بوضوح ان الضريبة يجب أن تكون وسيلة لتوزيع الاعباء العامة توزيعا عادلا بين المواطنين ووسيلة للحد من تضخم الثروات بما يضمن عدالة فى توزيع الدخل القومى ، ووسيلة للحد من مظاهر البذخ والاندفاع نحو الاستهلاك الترفى وحافزا على الاستثمار المنتج . وكلها أمور واجبة ومفيدة . وقد تنجح عملية تصحيح النظام الضريبى فى الحصول على موارد جديدة . وقد تستخدم هذه الموارد فى التخفيف من حدة التفاوت الاجتماعى . لكن يظل مصدر الداء قائما ، نعالج معالمه واثاره ونتائجه فحسب . وفى سبتمبر ١٩٥٢ واجهت الثورة الوليدة مشكلة مماثلة ، عندما رأى مجلس الثورة معالجة التفاوت الاجتماعى بالاصلاح الزراعى ، ورأت الحكومة عندئذ الاكتفاء بالضريبة . وحسمت الثورة الموقف باصدار قانون الاصلاح الزراعى .

والواقع أن **نظامنا الضريبى متخلف** ، ليس فقط عن احتياجات بلد نام فرضت عليه أعباء أربعة حروب خلال ربع قرن ، وانما حتى عن المعترف به فى أى بلد رأسمالى . وفيما يلى جوانب من هذا التخلف الصارخ :

أولا ــ ان نظامنا الضريبى لا يعبىء فى أحسن الفروض سوى ٤٥ فى المائة فقط من الفائض الاقتصادى ، أى أقل من نصفه . وتبقى بالضرورة مشكلة البحث عن كيفية تعبئة النصف الباقى . وليست الضريبة أنجح الوسائل دائما فى تعبئة المدخرات . ان عبء الضرائب المصرية منسوبا الى الانتاج القومى يتراوح بين ١٢ فى المائة و ١٤ فى المائة بينما يصل هذا العبء فى اسرائيل مثلا قبل حرب أكتوبر الى ٣٥ فى المائة ، ولقد زاد بعدها . والواقع انه بعد الاصلاح الزراعى ، ونشأة وتطور القطاع العام واتساع دائرة التأمينات الاجتماعية ، اتجه التمويل بالضريبة الى الانخفاض . ومن هنا استفحال مشكلة التمويل باستمرار . وتتمثل مشكلة التمويل فى قصور معدل الادخار (الاختيارى والاجبارى) عن تمويل الاستثمارات . ان تحقيق معدل نمو سنوى يبلغ ٧ فى المائة كان يتطلب فى الخطة الخمسية الاولى معدل ادخار يبلغ ٢٠ فى المائة . ومع ذلك فقد بلغ بالفعل نحو ١٣ فى المائة ، بينما بلغت معدلات الاستثمار نحو ١٧ فى المائة بعجز بلغ ٤ فى المائة ، ارتفع فى السنة التالية للخطة الى ٦ر٦ فى المائة . وقد تم تمويل هذ العجز بالاعتماد على الموارد الخارجية التى بلغت نحو ثلث اجمالى المدخرات المحلية ، فكشف ذلك عن نمو فى الاستثمارات لم تقابله رغبة مناظرة لدى الطبقات المالكة فى تمويل هذه الزيادة فى الاستثمار . كان هذا فى الخطة الخمسية الاولى ، واليوم عندما وضعت الخطة الانتقالية ، اعتمدت نسبة استثمارات تبلغ ٢٧ فى المائة من اجمالى الناتج المحلى ، بينما تدهورت المدخرات الى نسبة ٨ر٣ فى المائة فقط . ومن ثم اعتمدت الخطة على الموارد الخارجية فى حدود ١١٠٠ مليون جنيه ، تمثل نحو ثلاثة أمثال المدخرات المحلية . وكان القطاع العام يقدم حتى وقت قريب ٩٠ فى المائة من المدخرات المستثمرة . وعندما تستفحل مشكلة التمويل الى هذا الحد تصبح التنمية الاقتصادية وحتى مشكلة الغذاء نفسها تحت رحمة الموارد الخارجية . وعندما تتعثر هذه الموارد الخارجية نفسها يكون الاعتماد بالضرورة على التمويل المصرفى لسد الفجوة الادخارية .

ثانيا ــ ان النظام الضريبى ينحاز انحيازا تاما لصالح **الضرائب غير المباشرة التى زادت أهميتها** . فعلى الرغم من زيادة معدلات كثير من الضرائب وادخال الضريبة العامة على الايراد ، فمازالت الضرائب غير المباشرة من ضرائب ورسوم سلعية ودفعات واتاوات تشكل مع فروق الاسعار قرابة الجانب الاساسى (اكثر من ٥٠ فى المائة) من الايرادات الجارية للحكومة ونحو ٦٥ فى المائة من جملة ايرادات السيادة . وهى نسبة تجعل تمويل الخدمات يقع على كاهل أصحاب الدخول الوسطى والدنيا ، الذين تمس هذه الضرائب دخولهم الحقيقية فى الصميم . يقابل ذلك أن الضرائب على الدخل والثروة ضئيلة ، حصيلتها أقل من حصيلة فروق الاسعار وحدها ، وهى لا تشكل الا نسبة ضئيلة من الناتج القومى تتراوح بين ٣ فى المائة و ٤ فى المائة . وهى نسبة لم تتغير كثيرا منذ عام ١٩٣٩ . هذا بينما استطاعت دخول كثيرة أن تنأى عن الضريبة ، مثل الدخل من الاستغلال الزراعى ، بينما تهربت دخول أخرى بالكامل مثل أرباح البضائع المهربة وأعمال المقاولات وخاصة مقاولى الباطن وبناء العقارات وشراء الارض الفضاء واعادة بيعها ، وتأجير الشقق المفروشة . وأصبح المواطنون العاملون فى الدولة والقطاع العام وصغار المنتجين والتجار هم وحدهم الذين يتحملون الجزء الاكبر من العبء الضريبى . فاذا أضيفت التأمينات الاجتماعية ،

تبينا أن العمل هو المصدر الاساسى لتمويل الدولة بالدخرات الاجبارية . وتدل البيانات على أن ٨٦ الف مواطن فقط هم الذين تنطبق عليهم ضريبة الدخل العام ، ومع ذلك فان نصفهم من العاملين فى الدولة والقطاع العام . كما تشير البيانات نفسها الى ان ٣٥ فى المائة من مجموع المولين متهربون من الضرائب .

ثالثا ـ ان النظام الضريبي يحابى **ملاك الاراضى ورأسمالية الريف** . فحصيلة الضرائب فى الريف ، من ضريبة أطيان وضريبة أمن وضريبة دفاع لا تمثل سوى ٥ر٤ فى المائة من حجم الفائض الزراعى كله . وبينما تخلف القطاع الزراعى عن تحقيق معدلات النمو التى وضعتها له الخطط المختلفة ، مما أدى الى زيادة الاعتماد على الواردات حتى لتغطية الطلب على المواد الغذائية ، اتجهت حصيلة ضريبة الاطيان والمبانى للانخفاض وهبطت نسبتها الى جملة الضرائب والرسوم من ٩ر٩ فى المائة فى بداية الثورة الى ٥ر٥ فى المائة بعد الخطة الخمسية الاولى ، وهبطت نسبتها الى جملة ايرادات الدولة من ٩ر٦ فى المائة الى ٥ر٣ فى المائة . يضاف الى ذلك اعفاء الاستغلال الزراعى أى الانتاج الرأسمالى فى الريف من كل ضريبة تماثل ما يفرض على الاستغلال التجارى او الاستغلال الصناعى . وبينما يتجه الاستغلال الزراعى الرأسمالى فى جزء هام منه الى انتاج الخضر والفاكهة ، وهى تحقق أرباحا مضاعفة عن الحاصلات التقليدية ، نجد التركيب المحصولى ينقص من مساحات الارز والقمح ويزيد من مساحات الخضر والفاكهة .

ان دعوة رسالة **الرئيس السادات** لعدم افلات أى ايراد من الضريبة ، وامتداد الضريبة الى جميع دخل المواطن ، وفرضها على أرباح الثروة ، وزيادتها على السلع الكمالية والخدمات الترفيهية ، دعوة فى موضعها تماما . بل يجب أن تستمر العملية الخاصة بتطوير النظام الضريبى لتشمل ما يلى : فرض ضريبة على الربح الزراعى ، فرض ضريبة على اجمالى الثروة ولو كضريبة مؤقتة ، والوصول فى النهاية الى ضريبة موحدة على مجموع دخول المواطن أيا تكن مصادرها تحل محل الضرائب النوعية الحالية .

وكل هذا مقبول اذا كان كل المطلوب هو البحث عن موارد جديدة لتحقيق العدالة الاجتماعية ، بمعنى معالجة التفاوت الاجتماعى عن طريق الضريبة . لكننا أمام وضع آخر يتمثل فى الواقع فى وجود الرأسمالية الطفيلية على قمة الهرم الاجتماعى . وهذا يزيد الامور تعقيدا .

فمن جانب ، من الصعب ان لم يكن من المستحيل التوصل الى الدخول الطفيلية ، لفرض الضريبة عليها . كيف يمكن أن ترصد عمليات السمسرة والوساطات ؟ وكيف يمكن أن نصل الى العمولات ؟ كيف نتوصل الى الارباح الفعلية للتصدير والاستيراد ؟ كيف نصل الى أرباح البضائع المهربة ؟ كيف نصل الى أرباح متعهدى التوريد والمقاولين ؟ كيف نصل الى الارباح الحقيقية للمشروعات المشتركة مع رأس المال الاجنبى ، خاصة اذا كانت تمارس نشاطا فى الخارج ؟ كيف يمكن أن نصل الى عمولات وأرباح التوكيلات الاجنبية ؟ ان هذه كلها دخول خفية لن تصل اليها الضريبة . وحتى لو وصلت اليها ، فلن تكون حصيلتها فى النهاية الا ضئيلة لا تساوى الجهد الذى بذل من أجل ملاحقتها . وعلى العكس من ملاحقة هذه الدخول الطفيلية ، فان الممكن فعلا هو ملاحقة النشاط الطفيلى نفسه .

ومن جانب آخر ، فانه حتى لو توصلنا الى الدخول الطفيلية بالكامل ، وامكن فرض الضريبة الكاملة عليها ، فلن يتخلص المجتمع من وطأة وجود الرأسمالية الكبيرة الطفيلية . فهذا الوجود نفسه هو الذى يهدد مسيرة التنمية الاقتصادية والاستقلال الاقتصادى والتقدم الاجتماعى ، بل وكل احتمالات التطور الديمقراطى . وهو فى النهاية الذى يفاقم المشاكل الداخلية ، ويفسد الحياة الاجتماعية كلها . ومن ثم فليس يكفى أن يتخذ الاجراء الضريبى لمنع هذا كله ، بل لابد من اجراء اجتماعى ، هو تصفية النشاط الطفيلى بوصفه نشاطا معاديا لكل اهداف المجتمع . ومن الغريب أن يكون هذا الاجراء الاجتماعى هو الكفيل بتقديم موارد مالية هامة يعجز عن تعبئتها الاجراء الضريبى . وبمثل هذا الاجراء الاجتماعى يمكن أن يعاود المجتمع مسيرته من جديد فى الطريق الاشتراكى .

لانطالب « بالمساواة المطلقة »
بل « بالمساواة فى الأعباء »

عادل حسين

أعتقد أن الرسالة التى وجهها الرئيس السادات الى مجلس الشعب ومجلس الوزراء ، هى وثيقة من أجل تصحيح الاتجاه . وقد استبعدت الرسالة أسلوب التأميم والحراسة وطالبت بارساء وسائل قانونية قادرة على تحقيق اهداف السياسة العامة . هذه الوسائل هى : الضرائب والتأمينات وأوضح الرئيس السادات « ان التهرب من الضريبة يهدد حساب الموارد المتوقعة ويؤثر على تنفيذ خطة التنمية ، فضلا عن أنه يولد دخولا تندفع بطبيعتها الى الاستهلاك ومظاهر الترف ، وتخلق بذلك مشاكل اقتصادية واجتماعية .. ان شعبنا قادر على مواجهة المرحلة الصعبة التى نمر بها وهى « مرحلة التحرير والتنمية » على أساس المساواة فى التضحيات » .

ولا شك أن الجماهير الكادحة ، والقوى التقدمية تؤيد الاتجاه العام للرسالة ، وقد اعلن المهندس سيد مرعى « أن الرسالة ليست توجيها ملزما وانما تعطى خطوطا عريضة لتوجيه سياسة يناقشها المجلس والحكومة » .. ثم أكد د . حجازى نفس المعنى وقال « ان الموضوعات مطروحة كلها للمناقشة ولم يؤخذ فيها قرار قط » .. وهذا تقليد ديمقراطى يؤكد حق الجماهير والمؤسسات السياسية فى مناقشة كل القرارات قبل صدورها .. ولكن ما يثير القلق هو أن كافة أجهزة الاعلام تجاهلت تماما هذه الرسالة ، وامتنعت عن مناقشتها أو حتى ذكرها رغم مرور أسبوعين على نشرها [حتى كتابة هذا المقال] . ويثير القلق أيضا أن الاجهزة السياسية والتنفيذية ترددت فى تنفيذ بعض النقاط الواردة فى الرسالة ، رغم انها لا تحتمل ولا تحتاج أى تأجيل او مناقشة ، فقد قال الرئيس « انى أرى أن تبدأ فورا اللجان المختصة بوزارة العدل فى فحص اقرارات الذمة المالية لكل القيادات التنفيذية والتشريعية والسياسية ، وان توفر لها الحكومة ما تحتاج اليه من خبرات فنية بحيث تنتهى من هذه المهمة خلال العام الحالى » .

فلماذا لم يبدأ فورا تنفيذ هذا الرأى ، على الاقل بالنسبة لقيادات الصف الاول ؟ ان التنفيذ الفورى لهذا الرأى هو أمر ذو أهمية سياسية قصوى ، وهو فى نفس الوقت لا يحتاج انتظار المناقشة التفصيلية لتطوير القانون .

الا أن ما يثير القلق أكثر هو الدفاع غير المقنع الذى قدمه د . عبد العزيز حجازى فى أول مواجهة لمناقشة الرسالة . فهو يخشى أن تنشر الصحف مانشيتات حول اجراءات ضريبية جديدة ، فالرسالة ـ كما يقول ـ لا تثير ضرائب جديدة ، وانما تهدف لتصحيح الاوضاع الضريبية . وهذا الكلام تراجع واضح أمام الهجوم اليمينى المتوقع ، انه تراجع صريح عن مضمون ونص الرسالة ، ورغم هذا فان رئيس الوزراء فى نفس هذه المناسبة قال « ان بعض الدخول متسربة لا تخضع لضرائب

وحتى فى خضوعها بالنسبة المفروضة عليها قليلة . فى الارض العقارية لا تفرق بين الارض العادية أو الحدائق » .. فبماذا نسمى فرض ضريبة اضافية على الحدائق ؟ هل هو مجرد تصحيح ؟ واذا استخدمنا كلمة تصحيح بدلا من كلمة ضرائب جديدة سنخدع من ؟ لن نخدع طبعا أصحاب الحدائق الذين يعرفون جيدا أنه لا فارق بين الكلمتين .. وهم سيعارضون بالتالى أى محاولة تمس دخولهم سواء تحت اسم ضرائب جديدة او بعبارة تصحيح النظام الضرائبى . ان الجماهير الشعبية التى نحتاج الى تأييدها فى فرض مثل هذه الضريبة هى التى سنفقدها نتيجة هذا اللبس والابهام فى التصريحات ، بل قد تثور الجماهير ضد الحكومة على تصور أنها تراجعت عن الاتجاه نحو تحقيق المساواة فى التضحيات .

كما قلت كان دفاع الدكتور رئيس الوزراء غير مقنع ، وكان مستعدا للتراجع من قبل ان يبدأ الهجوم ، وفى جلسة اخيرة لمجلس الشعب (بعد اسبوعين من نشر رسالة السادات) كرس د . **حمدى النشار** وزير المالية تراجع الحكومة ، واعلن بشكل قاطع أن الحكومة لن تزيد الضرائب وليس لديها أى فكرة لرفعها ولكنها ستعمل على تحصيل الضرائب المستحقة !![1] اذا كانت الحكومة قد وصلت فعلا الى هذا الرأى القاطع اذن ماذا بقى من الرسالة ؟! أو ليس هذا مثيرا لاشد القلق ؟

وينبغى أن أسجل أيضا على الدكتور حجازى انفعاله كلما جاء ذكر المنحرفين . نحن لا نختلف معه فى أن غالبية الشعب ليست منحرفة ، ولكن لابد أن يسلم معنا بأن نسبة الانحراف والتسيب تتزايد بمعدلات سريعة ، والا فان علينا أن نكذب عيوننا .. « ولسنا طبولا » كما يقول رئيس الوزراء لاننا نقول هذا الكلام . كذلك لم يكن مناسبا ان يستشهد د . حجازى فى مجال الحديث عن الطهارة الثورية بالاية الكريمة التى تقول « وجعلنا بعضكم فوق بعض درجات » .. فمن طالب بالمساواة المطلقة ؟ ان الحديث يدور ورسالة السادات تتحدث عن « أن تكون الضريبة وسيلة لتوزيع الاعباء العادلة توزيعا عادلا بين المواطنين » .. وعن « أن تكون الضريبة وسيلة للحد من تضخم الثروات بما يضمن عدالة فى توزيع الدخل القومى » .. وهذه هى القضية التى تحتاج الى الشرح والايضاح ، وليس مناسبا فى مجال الشرح هنا ان يقال أن « العطاء هو عطاء الله » كما قال د . حجازى .

ان جماهير شعبنا والقوى التقدمية مطالبة بتشديد نضالها ضد محاولات تمييع أو تجاهل ما جاء فى رسالة السادات ، ومن الواجب أن تقدم فى هذا المجال اقتراحات جادة .. والتصور والمقترحات التى نعرضها فى الصفحات التالية هى مجرد عرض وتلخيص للدراسة التى تقدم بها د . عبد الهادى النجار عام ١٩٧٤ [٢] وبأقل تدخل أو اضافة من جانبنا ، ذلك أن بعض التحفظات التفصيلية لا تلغى أن هذه الدراسة ينبغى ان تكون الاساس عند أى بحث جاد للاتجاهات المطلوبة للسياسة الضرائبية .

ويبدأ الاطار الذى يقدمه د . النجار بتعريفه للمقصود بتعبير الفائض الاقتصادى المستخدم فى هذه الدراسة ، فهو كمية من الناتج الصافى تزيد على ما يعد — وفقا للظروف الفنية والاجتماعية للانتاج — استهلاكا ضروريا للمنتجين المباشرين . وقد قام د . النجار بحساب تقديرى لحجم الفائض الاقتصادى فى قطاعى الزراعة والصناعة على ضوء البيانات المتاحة ، ووصل الى أن هذا الفائض كان ١١٠٠ مليون جنيه [١٩٦٩] ، و ١١٨٠ مليون جنيه [١٩٧٠] و ١٢٥٠ مليون جنيه [١٩٧١] و ١٣٥٠ مليون جنيه [١٩٧٢] . ان مفهوم الفائض الاقتصادى يعنى من ناحية العدالة التوزيعية للدخل القومى تواجد دخول تكفى بالكاد لاستهلاك محدود لبعض الطبقات الاجتماعية ، ودخول أخرى تزيد عن هذا الاستهلاك المحدود لدى طبقات أخرى ، ومن هذه الزيادة تتوافر امكانية الادخار والاستثمار . اذ انه يتعين عدم المساس بالنوع الاول من الدخول ، ومن العدالة أن تصيب الضريبة أساسا الدخول التى يكمن فيها الفائض دون الدخول التى تكفى بالكاد لاستهلاك محدود . ويعنى هذا أن يرتكز قياس الطاقة الضريبية على حجم الفائض الاقتصادى ، أى أن الطاقة الضريبية المطلوب الوصول اليها هى تلك الطاقة التى يمكن أن تتحقق معها اكبر حصيلة ضريبية ممكنة من الدخول التى تحتوى على الفائض الاقتصادى .

---

(١) الاهرام والاخبار — ١٨ فبراير ١٩٧٥

(٢) عبد الهادى النجار : الفائض الاقتصادى الفعلى ودور الضريبة فى تعبئته بالاقتصاد المصرى — رسالة دكتوراه مقدمة الى كلية الحقوق بجامعة الاسكندرية — ١٩٧٤

على ضوء هذا نستطيع تقييم النظام الضريبي الحالي ، ومدى قدرته على تعبئة الفائض الاقتصادي الممكن من أجل استخدامات التنمية . ويحتل هذ التقييم أهمية خاصة ما دامت السياسة العامة تستبعد سياسة التأميم كوسيلة تنظيمية مباشرة لسيطرة المجتمع على الفائض ، لقد تزايدت أهمية الضرائب كوسيلة هامة من وسائل السياسة المالية لتعبئة الفائض الاقتصادي .

ووفقا للتقديرات السابقة حول حجم الفائض الاقتصادي في قطاعي الزراعة والصناعة ، فان نسبة الحصيلة الضريبية الى هذا الفائض كانت ٤٢ في المائة [٦٨ – ١٩٦٩] و ٤٦ في المائة [٦٩ – ١٩٧٠] و ٤٧ في المائة [٧٠ – ١٩٧١] و ٤٣ في المائة [٧١ – ١٩٧٢] واذا تعقبنا دور الضريبة بالنسبة للدخول المختلفة التي تكون الفائض الاقتصادي سنصل الى الصورة التالية :

١ – الضريبة على دخول الملكية العقارية :

وحصيلتها ضعيفة رغم ان الضرائب الاضافية بها [ضريبة الدفاع وضريبة الامن القومي] تمثل حوالي ٥٠ في المائة من اجمالي هذه الحصيلة . ولان الضرائب الاضافية على الاطيان يتحمل بها الحائز مستغل الارض فانها قد تصيب دخول بعض الحائزين التي تحتوي على جزء من الفائض ، كما قد تصيب دخول البعض الاخر الذي تعتبر هذه الدخول بالنسبة له ضرورية لانتاج الفائض [أي ضرورية لحياتهم وقدرتهم على مواصلة الانتاج ، ومن ثم فان امكانية تعبئة فائض الدخول الاولى تقتضي اعادة النظر في أسلوب فرض هذه الضريبة .

٢ – الضريبة على دخول ملكية رؤوس الاموال المنقولة :

وتتميز نسبيا بغزارة حصيلتها خاصة وأنه يتم تحصيلها من المنبع ومن ثم تضيق معها فرصة التهرب . ومع ذلك ونظرا لتقلص حجم حصيلة ضريبة فوائد الديون وغيابها كلية بالنسبة لفوائد الديون بالريف ، فان هذه الضريبة بالتالي لم تصب معظم الفائض الاقتصادي في هذا الشق ، ويتعين اعادة النظر بشأنها خاصة بالنسبة لاسعارها التي تطبق على دخول مصدرها ملكية رؤوس الاموال المنقولة وليس العمل الذي ينتهي بنهاية العامل .

٣ – الضريبة على ملكية أهم وسائل الانتاج في الصناعة والتجارة :

ووعاء الضريبة هنا لم يوجه أساسا الى الدخول العليا بأسعار ضريبية يمكن أن تعبىء الفائض منها ، وانما على العكس سوى في عنصر التضحية بين أصحاب النشاط المحدود والحرف البسيطة من ناحية ، والوحدات الانتاجية الكبيرة التي يقوم نشاطها على راس المال،واستخدام العمل الاجير من ناحية أخرى ، ونظرا لان هذه الوحدات الاخيرة هي التي تحتكم أساسا على جزء كبير من الفائض الاقتصادي ، فان ذلك يعني تعبئة جزء فقط من الفائض الذي تحتكم عليه هذه الوحدات من خلال أحكام هذه الضريبة .

٤ – الضريبة على الدخول الناتجة من العمل :

أ – الضريبة على المرتبات ، وما في حكمها والاجور والمكافآت : وحصيلة هذه الضريبة تنمو باضطراد وفرصة التهرب محدودة ، لانها تجبى بطريق الحجز من المنبع . والواقع أنه وان كانت المرتبات وما في حكمها والاجور والمكافآت تعتبر من العناصر الضرورية لانتاج الفائض ، فان جانبا من بعض هذه المرتبات والاجور وما في حكمها لا يعتبر ضروريا لذلك ، ومن ثم يحتوي على جزء من الفائض حيث يتواجد أساسا مع المرتبات والاجور العليا ، ويتعين بالتالي أن تصيبه الضريبة ، ولن يتأتى ذلك بافلات بعض هذه الدخول منها كما هو الحال بالنسبة لبدل التمثيل .

ب – الضريبة على أرباح المهن غير التجارية : وهذه – على عكس ضريبة الاجور والمرتبات – تصعب الرقابة عليها ، ويسهل التهرب منها ، وقد أدى هذا الى تواضع حصيلة الضريبة على الارباح غير التجارية في الوقت الذي يكمن جزء من الفائض في هذه الارباح بصورة ملموسة .

٥ – الضريبة العامة على الدخل :

ويلاحظ هنا ان الحصيلة تتقلص بشكل ملفت للنظر . كانت الحصيلة ٨ر٢ مليون جنيه [٦٨ – ١٩٦٩] و٣ ملايين جنيه [٦٩ – ١٩٧٠] و١ر٢ مليون جنيه [٧١–١٩٧٢] ويحدث هذا التناقص جنبا الى جنب مع المشاهدات والمؤشرات حول تزايد عدد أصحاب الدخول العالية ، ورغم أن التصاعد في شرائح هذه الضريبة مفروض أن يحدد سقفا

للدخول لا يتجاوز ٥٠٠ جنيه شهريا ، فان آلافا يتحركون حولنا بدخول تتجاوز هذا الرقم بكثير !.

اننا نطالب هنا مع د . ميلاد حنا « هندسة عين شمس» [٣] بالاستفادة بتجربة السويد . فالقانون السويدى لا يفرق بين الجائع الذى يسرق ليأكل وبين الثرى الذى « يسرق » الخزانة بالتهرب من الضرائب ، ولذلك فان القانون صارم فى عقاب المتهرب ، وتصل العقوبة الى السجن . كذلك مهدت حكومة السويد الى النشر السنوى لاقرارات جميع المولين الذين يزيد دخلهم عن حد معين ، ولو حدث هذا عندنا لساعدت جماهير الشعب – كما حدث فى السويد – على كشف عديد من المتلاعبين والمتهربين ، بل ان مجرد معرفة المولين بأن اقراراتهم ستعلن ستجعل البعض على الاقل يخجل من منظر ضبطه متلبسا بالتهرب أمام أعين الجميع .

ننتقل الان الى الدخول التى لم يصبها أصلا النظام الضرائبى !!

ان العدالة الضريبية تتطلب ! أن تفرض الضرائب على جميع الاشخاص القادرين على المساهمة فى الاعباء العامة دون اعفاء بعض الدخول او الطوائف ، فضريبة الاطيان الزراعية ضريبة مفروضة على ملكية الاطيان ، ولكن دخل أو أرباح الاستغلال الزراعى نفسه معفاة من الخضوع للضريبة الا اذا اتخذ هذا النشاط شكل الشركات المساهمة . وضريبتا الدفاع والامن القومى اللتان فرضتا كضريبتين على أرباح الاستغلال الزراعى لا تقتطع حصيلتهما فى المتوسط اكثر من ٢ر٥ فى المائة من حجم الفائض الزراعى حسب تقديرات د . عبد الهادى النجار لحجم هذا الفائض . ويرد د . النجار على حجة أن دخل الاستغلال الزراعى يتعرض لاستقطاع آخر من خلال سياسة الاسعار ! فينقل عن خبراء وزارة الزراعة أن سياسة الاثمان عموما فى هذا القطاع لم تعبىء أكثر من ٣٥ مليون جنيه فى المتوسط سنويا وحتى عام ١٩٧٢ . وأن أثمان الاسمدة المستوردة اعتبارا من اول عام ١٩٧٣ اصبحت تفوق اثمان الاسمدة المنتجة محليا بكثير ، ومن ثم لن تكون هناك امكانية لاستخدام سياسة الاسعار فى هذا النطاق كما كان الحال فى السابق . وبالاضافة الى هذا فان الدولة تلجأ كثيرا الى التنازل عن كل أو بعض تكاليف الائتمان فى القطاع الزراعى ، ويخلص من هذا انه بالرغم من الاستثمارات التى تقوم بها الدولة فى هذا القطاع فانه لم يؤد الدور الواجب عليه فى تمويل الاستثمارات المطلوبة . ان ضم حصيلة الضريبة الاصلية على دخول ملكية الاراضى الى حصيلة الضريبتين الاضافيتين على الاستغلال الزراعى قدم ٢٣ مليون جنيه [٦٨–١٩٦٩] و٢٦ مليون جنيه [٦٩–١٩٧٠] و٢٦ مليون جنيه [٧٠–١٩٧١] و٢٧ مليون جنيه [٧١–١٩٧٢] . وتعنى هذه الارقام أن حصيلة الضرائب الاصلية والاضافية مثلت فى المتوسط ٤ر٥ فى المائة فقط من حجم الفائض الزراعى المقدر ، وهى نسبة تعكس الدور المحدود لهذا القطاع فى تمويل أعباء الاقتصاد القومى ! وهى تعنى أن الدخول المرتفعة فى الريف لا تصيبها الضريبة الا فى حدود ضيقة ! وللحقيقة فان تعبئة الجزء الاكبر من الفائض فى القطاع الزراعى يتم أساسا من جانب صغار الفلاحين ! ومن خلال السياسات المختلفة المطبقة فى هذا القطاع ، والتى تترك الفلاح الصغير مدينا فى نهاية السنة الزراعية .. اى لا تدع له حتى ما يقابل عمله . ان هناك فرصة تغيير موقف القطاع الزراعى من قضية الفائض والمدخرات فى مجتمعنا ! وليست القضية عدالة ضريبية بين الدخول فحسب ، وانما هى قضية توفير التراكم المطلوب للاقتصاد القومى .

الا أن هناك الان دخولا أخرى عالية ! لا يصيبها النظام الضرائبى . وقد أشارت رسالة الرئيس السادات الى « ضرورة التفكير فى تقدير ضريبة على الارباح الراسمالية التى تتحقق من زيادة قيمة بعض الاموال دون اى جهد مبذول . فهذه الزيادة اضافة غير مكتسبة بل انها نتيجة لمتغيرات الظروف وحدها ، ومن ثم فيجب أن يكون للدولة حق فيها ! ولتكن هذه الضريبة ضريبة للتضامن الاجتماعى مقابل ما تضفيه هذه الثروة على صاحبها من مزايا اجتماعية ، ولقاء تأمين الدولة لما يتبقى له منها ! وكفالة حقه فى التمتع بها » ويرى د . عبد الهادى النجار انه ينبغى ان تفرض ضريبة على الثروات العاطلة التى لا تغل ايرادا بشكل عام ، وهو يرى أن فرض هذه الضريبة على الارض الفضاء والاراضى البور سيكون حافزا على سرعة استغلالها .

[٣] د . ميلاد حنا : التهرب من الضرائب والعدل الاجتماعى – الاخبار – ١٦ فبراير ١٩٧٥ .

وبالنسبة للتصريحات التى تتوالى حاليا حول فرض الضرائب على ما يسمى بالدخول الطفيلية ، ومنهم أصحاب جراجات السيارات وتجار الشنطة والسوق السوداء وكذلك أصحاب الحصص الخام فى كافه المواد الذين يتاجرون فيها قبل تصنيعها ، ويثرون من ذلك ثراء فاحشا ، وأيضا المقاولون ومقاولو الباطن . بالنسبة لهذه الفئات فانها تخضع من الناحية الشكلية للضرائب النوعية المختلفة . وتجار المخدرات أيضا يخضعون . ولكن كيف تحصر دخول أصحاب الاعمال السرية وتربط عليها الضرائب ؟ احسب ان **حسنى الشابورى** « عضو مجلس الشعب » كان مصيبا تماما حين قال ردا على وعد الحكومة بانها ستزيد الضرائب على أصحاب الدخول الطفيلية « ان الدخول الطفيلية تعنى فى قواميس اللغة «**السرقات**»: فكأننا نشجع السارق على الاستمرار فى السرقة ثم نفرض عليه ضريبة ، وهذا يحتوى على مضمون فى غاية الخطورة . المطلوب هو تجريم التلاعب بقوت الشعب والأموال العامة ومتابعة مقترفى هذه الجرائم بالاعدام رميا بالرصاص .. لا يجب أن نكتفى بفرض ضرائب على أموال المنحرفين ، بل نجردهم منها حتى يرتدع كل من تسول له نفسه التلاعب أو الاختلاس » . [٤] هذا هو القول الصحيح ، فهذه الاعمال تمثل فى غالبها جرائم اقتصادية ، وليس نشاطا اقتصاديا . ويجب أن نبدأ بأحكام التنظيم الاقتصادى حتى لا يسمح باستمرار مثل هذه الجرائم التى تستبيح المال العام . بعد هذا يأتى العقاب للمخالف ، ثم اخيرا تأتى الضرائب لتسترد حق الدولة المهرب فى نطاق ما يتبقى فى هذا المجال من نشاط مشروع . ان تدخل الدولة الحازم ، وبكل الاساليب ، ضد نهب هذه الانشطة هو أمر ذو أولوية خاصة ، فنحن لا نتصور أى زيادة فى الضرائب المفروضة على اغنياء الريف أو أصحاب المشروعات لا تجه فى الدين قبل الهجوم على هذه الانشطة الطفيلية ، فراسماليو الزراعة والصناعة يضيفون جهدا الى الناتج القومى ، ولذا فان استعمال الضرائب للحد من دخول وأرباح هذه الفئات لا يكون مشروعا الا اذا كانت الاجراءات جزءا من سياسة عامة جادة تبدأ بالطفيليين .

أخيرا ننتقل الى الضرائب غير المباشرة والضرائب الطفيلية :

وتبلغ حصة هذه الضرائب الى جمله الايرادات السياديه حوالى ٧٠ فى المائة فى المتوسط ، وهى نسبه كبيرة ، ويمكن أن تخفض هذه النسبه اذا تمت تعبئة معظم الفائض الاقتصادى فى أوجه النشاط المختلفة فى الاقتصاد القومى . والضرائب غير المباشرة تتألف من الضرائب والرسوم السلعية — ضرائب الدمغة — فروق الاسعار — ايرادات سيادية متنوعة .

وبالنسبة للضرائب والرسوم السلعية التى تمثل ما يقرب من ثلثى حصيله الضرائب غير المباشره ، سنجد ان حصيلة الوارد على السجاير والدخان والتمباك تزيد على ٥٠ فى المائة من حصيلة الضريبة الجمركيه ، وما ينطبق على السجاير ينطبق على عدد من السلع الشعبية الاخرى ، ويعنى هذا ان الوزن النسبى للسلع الضرورية التى تخضع لهذه الضرائب والرسوم وزن كبير ، تتحمله طبقات لا تملك الفائض .

أما دور فروق الاسعار فى عملية التمويل ، فان الحساب الختامى لميزانية ٦٩ — ١٩٧٠ يكشف ان مجموعة السلع التموينية الاستهلاكية التى تشمل [الشاى — السكر — السجاير — الاقمشة بأنواعها المختلفة — الاحذية البلاستونيل — الادوية — الكيروسين — الزيت الحر — الصابون — المسلى الصناعى — الادخنة] هذه السلع هى اهم السلع اسهاما فى حصيلة فروق الاسعار حيث درت ٨٦٫٦ مليون جنيه — أى ما يوازى ٨٠ فى المائة من الحصيلة .

وقد أسهمت السلع الوسيطة فى ذلك العام « وتتضمن الاسمدة — المصابيح الكهربائية — خشب الفورمايكا — الكسب — السولار والديزل » بما قيمته ١٦٫٨ مليون جنيه اى ١٦ فى المائة من اجمالى الحصيلة .

وتضم مجموعة السلع المعمرة « الثلاجات الكهربائية — أجهزة تكييف الهواء — التليفزيون — السخانات — الغسالات — سيارات الركوب — اطارات الكاوتشوك ... الخ » وتساهم هذه

---

(٤) حسنى الشابورى فى مناقشة بيان رئيس الوزراء عن برنامج الحكومة — جلسة ١١ ديسمبر ١٩٧٥ .

المجموعة بما قيمته ٤٫٢ مليون جنيه بنسبة ٤ فى المائة من اجمالى حصيلة فروق الاسعار .

ويتضح من هذا العرض ان العبء الاكبر لفروق الاسعار تحملته فى ذلك العام مجموعة السلع الضرورية ـ ممثلة اساسا فى السلع التموينية ـ وهى السلع التى تعتبر لازمة لاستهلاك القوى العاملة التى تنتج الفائض ، فى الوقت الذى لم تسهم فيه السلع المعمرة كأجهزة التكييف وسيارات الركوب بأكثر من ٤ فى المائة من هذه الحصيلة ، وهى السلع التى يتضمن دخل مشتريها جانبا من الفائض الاقتصادى ، ان تفاصيل مكونات كل مجموعة قد تكون اختلفت فى عام ١٩٧٤ عن ميزانية ٦٩ ـ ١٩٧٠ التى استشهدنا بأرقامها ، ولكن اعتقد ان المضمون الاساسى لهذه النسب لم يتغير .. ان فروق الاسعار ـ شأن الضرائب غير المباشرة عموما ـ لا تصيب اساسا الا ذوى الدخول المحدودة ، ومن ثم لا تعبىء الا جزءا يسيرا من الفائض الاقتصادى .

ونفس الامر فيما يتعلق بالضرائب والرسوم الطفيلية . هذه الضريبة تبدو بريئة ومتواضعة القيمه ولكن حصيلتها الكبيرة تعكس ثقلها الحقيقى على الدخول المحدوده والمثقلة اصلا بالضرائب الاخرى مباشرة أو غير مباشرة .

ضريبة التمغة ـ مثلا ـ بلغت حصيلتها عام ٦٩ ـ ١٩٧٠ حوالى ٣٢ مليون جنيه وكان هذا الرقم يزيد عن الرقم المقابل فى العام السابق ٤ ملايين جنيه . اما حصيلة ورق التمغة « عرض الحال » والاوراق الرسمية المتموغة كالشهادات ونماذج وزارة الداخلية فكانت قيمة مبيعاتها السنوية حوالى ١٠ ملايين من الجنيهات . وقد أطلق د . النجار على جانب من هذه الحصيلة تعبير « الضرائب الطفيلية » وهى بعض انواع رسم التمغة التى تفرض على انساع الورق ، وخاصة بالنسبة للعرائض والطلبات التى تقدم للسلطات الادارية .. وحصيلة هذه الانواع بلغت ١٠ ملايين جنيه فى عام ٦٩ ـ ١٩٧٠ .

ولا شك ان معظم مقدمى هذه الطلبات والعرائض من ذوى الدخل المحدود .

● ونلخص الان كل العرض السابق لواقع ونتائج سياستنا الضريبية : لقد تبنينا فى هذا العرض وجهة نظر د . عبد الهادى النجار حول أن انسب معيار لقياس الطاقة الضريبية يتمثل فى نسبة الحصيلة الضريبية الى الفائض الاقتصادى . وعند تطبيق ذلك بالنسبة للنظام الضريبى المصرى ، تبين أن حصيلة الضرائب المباشرة وغير المباشرة لم تعبىء من فائض قطاعى الزراعة والصناعة وحدهما سوى ٤٥ فى المائة فى المتوسط . وقدثبت ايضا ان حصيلة الضرائب المباشرة وحدها لم تعبىء من هذا الفائض سوى نسبة متوسطة قدرها ١٤ فى المائة فقط ، مع أن الاصل فى هذه الضرائب انها تصيب الدخول التى يكمن فيها الفائض . وقد رأينا كذلك أن نسبة الضرائب غير المباشرة تمثل حوالى ٧٠٪ فى المائة من جملة الايرادات السيادية . وباختصار فان الضرائب المباشرة لا تصيب الدخول التى يكمن فيها الفائض الا بنسبة محدودة جدا ، كما أن النظام الضريبى يعتمد أساسا على الضرائب غير المباشرة التى يتحمل اصحاب الدخول المنخفضة النصيب الاكبر منها .

ان اصلاح هذا الوضع ضرورة ملحة . واذا كان ممكنا للجماهير الكادحة ان تؤجل مطالبتها بتخفيف اعبائها الضريبية بشكل جذرى ـ بسبب المصاعب الاقتصادية الحالية ، فان هذا مشروط بأن تكون هناك « مساواة فى التضحيات » . ولابد من تطوير النظام الاقتصادى والسلاح الضريبى بحيث نضمن استفادة الشعب من الفائض الاقتصادى الذى يتولد من النشاط الانتاجى فى بلدنا على نحو اكفأ . ان هذا المطلب ضرورى لتعبئة مواردنا من أجل التنمية ، وضرورى لتحقيق العدالة .

فى هذه الدراسةيناقش د. جمال حمدان فى مختلف الجوانب،التى تحيط بمؤتمر جنيف ، واستراتيجية العدو تجاهه ، وكذلك الموقف العربى بهذا الصدد ، مقدما تحليلا — من وجهة نظره — للمواقف والملابسات التي تحيط بهذا المؤتمر .

وتتسم كتابات الدكتور جمال حمدان أستاذ الجغرافيا السياسية السابق بكلية الاداب بجامعة القاهرة ، ومؤلف كتب « شخصية مصر .. دراسة فى عبقرية المكان » ، و « استراتيجية الاستعمار والتحرير » و « اليهود انثروبولوجيا » ، و « ٦ اكتوبر واثره فى الاستراتيجية العالمية » ، بالعمق والشمول . ويمكن لبعض كتاباته أن تثير خلافا حول هذه النقطة أو تلك ، الا أنها تلقى التقدير الواسع ككتابات تتسم بالمسئولية والجدية الواجبة .

مؤتمـر جنيـف

بين سـباق التتـابع وسـباق الحـواجـز

د. جمال حمدان

لم يعد هناك أدنى شك أننا نمر الان بمرحلةفاصلة ومنعطف حاسم على طريق المعركة السياسية التى بدأت اثر المعركةالعسكريةفي أكتوبر واستمرتكنتيجة وامتداد لها . ونعترف أننا جميعا فيالوطن العربى قد درجنا، ربما الىحد الاسراف على أن نصف أو نصنف كل خطوة جديدة فى حركة الصراع على أنها « مرحلة مصيرية » أو « علامة طريق » أو « تحول تاريخي » الى آخر تلك الكليشيهات الشائعة ، التى كادت لفرط تكرارها وتنميطها ان تفقد الكثير من قيمتها ومعناها ، او مبناها . غير ان الامر اليوم بعد الرباط مختلف تماما ، ومهما بالغنا فنحن أبعد ما نكون عن خطر التردى فى ترديد الشعارات ، أو المغالاة فى التشخيص .

فقمة الرباط ، تلك الاختزالة التاريخية الباهرة رغم كل شيء ، قد حسمت بقوة مرحلة طالت من الغموض والتميع المقلق ووضعت الصراع واطرافه جميعا فى مواجهة قاطعة مع المستقبل . فالمؤتمر ، أساسا ، فرض على الجميع تحديد مواقفهم وكشف أوراقهم واعلان النوايا الحقيقية بلا تلاعب أو تهرب . أو هو كما عبر الرئيس بحق قد الزم الجميع ، وأولهم اسرائيل ، بمراجعة واعادة تقييم حساباتهم . وهو أيضا وبخاصة « وقفة موضوعية » مع صديق العدو الذى تقدم الينا فى مسوح صديق .

من ثم باتت المرحلة الراهنة وهى **مفترق طرق محدد بصرامة بين الحرب والسلم ، بل نكاد نقول منتصف الطريق وهمزة الوصل بين الحرب الرابعة والحرب الخامسة** . فلقد حدد مؤتمر الرباط فيما نرى بداية المرحلة التى سيتقرر فيها بصورة حاسمة ونهائية مصير حرب أكتوبر بكل ايجابياتها وسلبياتهاونتائجهاواحتمالاتها . وباختصار شديد، ومع التجاوز عن استباق المقدمات والنتائج ، فان قمة الرباط ان تكن قد أصبحت هى بوابة مؤتمر جنيف ، فقد أصبح مؤتمر جنيف بدوره هو بوابة الحرب الخامسة .

وفى هذا السياق المصيرى بات من الضرورى والمفيد أن نلقى نظرة شاملة على « سيناريو »

العمل السياسي منذ ما بعد أكتوبر وفي اتجاه مؤتمر جنيف . ليس بالضبط ككشف حساب جامع ومنصل ، ولكن ككشاف طريق وكتقدير موقف ، وأكثر منه كاطلالة من عل على التطورات والاحتمالات المقبلة . فبمثل هذه النظرة التلسكوبية الشاملة وحدها يمكننا ان نحصل على « هوروسكوب » للمستقبل نستشرف به آفاق المجهول ، من الشرق الاوسط الى جنيف ، وبالعكس ، ومن مائدة المفاوضات الى ميدان القتال ، وبالعكس أيضا ، بل بالعكس أكثر ...

سباقان متضادان

والطريق الى جنيف – تقول أبسط مبادىء المنطق الصراعي منذ توقف العمل العسكري في اكتوبر – لم يكن قط ليكون طريقا قصيرا ولا مباشرا ، لا سهلا ولا مضمونا . ان لم يجعله العدو الاسرائيلي حقلا كثيفا عميقا من الالغام المزروعة تنتهي بقنبلة موقوتة ، فسيجعل منه على الاقل اطول خط ممكن بين ابعد نقطتين متصورتين على الاطلاق . هذا كله ان لم يقطع الطريق على التحرك الى المؤتمر أصلا بغارة انتقامية غادرة من غارات قطاع الطرق التى احترفها وأدمنها طويلا ودعاها رياء أو تورية « بالحرب الوقائية » .

لهذا كله بدا التحرك الى المؤتمر منذ أول لحظة سباقا رهيبا ومضنيا مع الزمن وضد عامل الوقت : العدو يريد أن يعوقه ، يؤخره ، يؤجله الى اقصى حد ممكن ، قبل ان يحاول ان يخربه من الداخل أو يفجره من الخارج ، ونحن العرب نسعى الى أن يعقد في موعده الانسب بلا ابطاء أو تسويف . ولهذا لا نعدو الحقيقة في شيء اذا صورنا الرحلة الى المؤتمر نوعا من « سباق التتابع » بالنسبة للعرب ، ومن « سباق الحواجز » بالنسبة للعدو . سباق تتابع ، لان امامنا ثمة مجموعة من المراحل يتعين علينا ان نعد لكل واحدة منها اعدادا دقيقا وحذرا حتى نجتازها بنجاح ، فتسلمنا الى المرحلة التى تتلوها ، وهكذا حتى باب المؤتمر ومائدته . وسباق حواجز ، لان العدو الاسرائيلي كان حتما ، كما حدث بالفعل ، أن يتفنن في اقامة السدود والعراقيل ، وخلق المشكلات والعقبات الشكلية والموضوعية ، قبل المؤتمر واثناءه ، لتعطيله أو اجهاضه .

سباق التتابع

مجمل السباق العربي يمكن أن نحصر شروط نجاحه أساسا في عبارة واحدة : **استراتيجية عربية موحدة ، استراتيجية منسقة متجانسة يقدم فيها العرب في المؤتمر ، لا بضع جبهات مخلخلة أو متنافرة ؟ بل جبهة واحدة صلبة خالية من التناقضات أو الشقوق أو الشقاق ، بحيث تكون غير منفذة لالاعيب العدو أو أسافينه .** فبغير الحد الادنى على الاقل من هذه الوحدة الشرطية كان من المستحيل أن يتقدم العرب الى المؤتمر ، ولتحولت مسيرتهم نحوه من سباق تتابع الى سباق آخر للحواجز ، ولقدموا بذلك للعدو أعظم فرصة ليفك حصار السلام الذى يأخذ بخناقه ويكاد يخنقه ، بل ولحاربوا له – متبرعين ! – معركته السياسية كما لم يحدث من قبل ودون أن يطلق هو قذيفة واحدة .

لقد كان التضامن العربي الفعال شرط المعركة السياسية ، تماما مثلما كان شرط المعركة العسكرية في أكتوبر . وبالمقابل ، فلقد كان الخلاف العربي وحده هو كل مناط أمل العدو في كسب المعركة السياسية ، تماما كما كان في المعركة العسكرية . وكما صرح الرئيس السادات ، فقد كان على العرب أن يدخلوا مؤتمر جنيف جبهة واحدة وبوجهة نظر واحدة « **حتى لا يخسروا هناك ما كسبوه في الحرب** » . وهذا وذاك يفسر ايضا مقولة الرئيس ، الواقعية جدا ، من أن الاعداد للمؤتمر لم يكن ليقل خطرا وضرورة ، وصعوبة أيضا ، عن الاعداد لمعركة السادس من أكتوبر ، وأن المعركة السياسية في جنيف لن تكون أقل شراسة وضراوة من معركة الميدان في اكتوبر ، وأننا « **ما لم نعد لمؤتمر جنيف بأحسن مما أعددنا ليوم ٦ أكتوبر فاننا سنخسر ما حققناه** » .

ويمكن القول ان التضامن العربي ، تنسيقه وتوثيقه وتصفية التناقضات منه ، كان هو محور قمة الرباط ، ووظيفتها الاساسية . وليس من شك أن المؤتمر قد نجح في ذلك نجاحا فاق كل توقعات الاصدقاء ، فضلا عن الاعداء ، فكان كما قال السادات « **نقطة تحول في تاريخ الامه العربية** » حيث « **دعم كل النتائج الايجابية التى اسفرت عنها حرب اكتوبر** » ، أو كما قال **ياسر عرفات « كان أهم مؤتمرات القمة بالنسبة للقضية العربية بشكل عام وقضية فلسطين بشكل خاص** » .

أما تحديدا ، فتلك الاستراتيجية العربية الموحدة تتحلل في عواملها الاولية الى ثلاثة عناصر جوهرية : **وحدة الموقف الفلسطيني أولا ، وحدة الموقف الفلسطيني – الاردني ثانيا ، ثم وحدة الموقف العربي الشامل أخيرا** .

وحدة الموقف الفلسطيني

فأما وحدة الموقف الفلسطيني فضرورة بديهية لا تتحمل الجدل ولا تحتمله ، فهي وحدة قاعدية

أولية . ولم يكن منطقيا أن تجتمع كلمة العرب ؟ وكلمة الفلسطينيين شتى وفصائل المقاومة متشرذمة قواها متعارضة خططها . ولقد اصبحت هذه الوحدة الان أوجب وألزم منها فى اى وقت مضى،ليس فقطلان الفلسطينيين هم اصحاب القضية النواة والام وراس الحربة فى الصراع القومى بأسره ، ولا لان متغيرات أكتوبر قد نقلت بؤرة الصراع وأعادتها من مشكلة الاراضى العربية المحتلة بعد ١٩٦٧ الى صميم الوطن الفلسطينى السليب نفسه ، ولكن ايضا لان النجاحات السياسية التى حققها عرب اكتوبر فى المجتمع الدولى وفى الامم المتحدة من اعترافات وتمثيل قد خلقت بروزا سياسيا فلسطينيا حقيقيا وأعادت تاكيد الكيان والوجود والشخصية الفلسطينية على مستوى السياسة الدولية ، ثم أخيرا وليس آخرا لان احتمالات ومحاولات اقامة السلطه الوطنية على الارض الفلسطينية ، واقامة حكومة المنفى الفلسطينية وشيكا أصبحت تضع الفلسطينيين أمام تحد عظيم ومسئولية جادة وبناءة - تصدى ومسئولية الدولة السيادية القائمة بالقوة أو بالفعل .

واذا كانت الوحدة الفلسطينية المطلقة هدفا صعبا أو غير واقعى لاسباب تاريخية معقدة تتعلق بتعدد نشأة فصائلها أصولا وأوطانا وارتباطات وكذلك ايديولوجيات ، وربما أيضا سياسات واهدافا ، فان الممكن والضرورى هو الحد الادنى العملى من هذه الوحدة . ولقد كان شق الصف الفلسطينى وتمزيق فصائله والايقاع بينها ثم ايقاع التضارب داخلها ، ولم يزل ، هو من أبجديات السياسة الصهيونية المقررة . ورغم ان منظمة التحرير الفلسطينية بقيادة فتح تضم السواد الاعظم من قوى الثورة الفعالة وذات الثقل ، وتكاد تحقق ذلك الحد أو تقترب منه ، فقد شهدت المرحلة الحرجة الاخيرة ابتعادا عنه مرتين :

الابتعاده الاولى فى الصيف الماضى حين اعلنت الجبهة الديموقراطية الشعبية انسحابها من اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير « وليس من المنظمة نفسها » اثر محادثات الاسكندرية ، وذلك بسبب ما سمته « الاتجاهات الراهنة لقيادة المنظمة » ورفضا منها لاشتراك المنظمة فى مؤتمر جنيف . وقد قيل وقتئذ ان هناك مجموعتين أخريين ، هما الجبهة الشعبية « القيادة العامة » وجبهة التحرير العربية ، تزمعان الانسحاب كذلك . غير أن هذا لحسن الحظ لم يحدث . والمفهوم أن انسحاب الجبهة الديموقراطية الشعبية نبع من سوء فهم مؤسف لحقائق الموقف . فالاشتراك فى مؤتمر جنيف لم يعد يعنى قط القبول تلقائيا بقرار ٢٤٢ ؟ وذلك لان متغيرات أكتوبر قد تجاوزته تماما كأمر واقع ، أو هى كما وضعها الزعيم **ياسر عرفات** قد حققت « **قفزة فلسطينية** »فوقه . وفى كل الاحوال ، فان المنظمة لن تدخل المؤتمر الا بشروطها هى وبضماناتها . وهناك الان محاولات جادة لاحتواء هذا الانشقاق ، كما ان المأمول عودة الجبهة الى اللجنة الام .

أما الابتعادة الثانية فكانت بعد قمة الرباط ، حيث أعلنت أربع مجموعات من فصائل المقاومة « رفضها لقرارات مؤتمر القمة فى الرباط الخاصة بالصلح مع الحكومة الاردنية » . وهذه المنظمات هى الجبهة الديموقراطية الشعبية ، جبهة التحرير العربية ، جبهة النضال الشعبى الفلسطينى ، والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين « القيادة العامة » . ومن أسف أن هذا الاختلاف قد أعطى مادة ومبررا لمعلق مثل **رنو دى بورجريف** ليقول ساخرا أو شامتا « **لقد انتهت الحرب بين ياسر عرفات والملك حسين ، لتبدأ بين الفلسطينيين انفسهم** » !

وواضح أن هذا الخلاف وذاك هو الخلاف بين انصار مبدأ « **كل شىء او لا شىء** » وبين انصار مبدأ « **شىء من اجل كل شىء** » . وفى ظل التوازنات الدوليه الراهنة وامكانيات القدرة العربيه ، يبدو المبدأ الاول لا نقول متطرفا ولكن مثاليا طوباويا ، ومن ثم غير واقعى لا يفضى الى شىء ، فهو يضحى بالحاضر فى سبيل مستقبل غير منظور ، بل ويهدر الممكن فى سبيل هدف مستحيل بكل المقاييس القائمة . اما المبدأ الثانى فليس تفريطا ولا مناقصة بالتأكيد ، ولكنه منطق المراحل واستراتيجية الحل الطويل الامد والصراع الممتد .

وسواء عد هذا الاختلاف فى الرؤيه وزاوية الافتراب اختلافا استراتيجيا وتكتيكيا ، فان الحقيقة التى لا ينبغى ان نتجاهلها ، مجاملة او مكابرة ، هى انه قد ينطوى على جرثومة نزاع خطر بين الاشقاء الفلسطينيين لا يمكن التنبؤ بمداه وعواقبه ، كما لا يمكن السماح به عربيا . انه لا مجال بالطبع لاى حديث عن صراعات دموية أو تصفية جسديه ، فضلا عن حرب اهلية ، كما يتمنى الاعداء . ولا بديل عن الحوار والاقتناع صيغة لوحدة الفلسطينية ، ولابد من الحل الديموقراطى حكما بين الاغلبية والاقلية . ان العمل الوطنى الفلسطينى منذ بدا فى ١٩٦٥ لم يكن ابدا أحوج الى عنصر الوحدة الحرجة مما هو الان . والتطورات الجزرية ، وأكثر منها القادمة ، تحتم

على الجميع أن يضع ولاءه المطلق لفلسطين ؟ وأن يضع فلسطين فوق الجميع ، حتى تفرض فلسطين نفسها على الجميع .

وحدة الموقف الفلسطيني ـ الاردني

من بين ثلاثية الاستراتيجية العربيه الموحدة ، التي تتتابع كالمتوالية العضوية وتترابط كحلقات السلسلة ، لم يكن هناك ادنى شك ان اخطر هذه الحلقات ، هي اضعفها ، واضعفها هي أوسطها ، ونعنى بها وحدة الموقف الفلسطيني ـ الاردني . فتلك كانت بالتحديد زاوية الارتكاز المحوريه في كل استراتيجية السياسة العربية ، بينما كان التناقض الفلسطيني ـ الاردني بالمقابل اسوا واخطر التناقضات العربية ، بل الرئيسى فيها ، والثغرة الحرجة والمكشوفة التى يراهن عليها العدو بكل اوراقه ويلعب عليها بكل مناوراته ومؤامراته لكى ينفذ منها ويخرب الموقف العربى برمته . لقد كان هذا التناقض بلا مبالغة ، بمثابة القنبلة الزمنية التى تهدد بنسف العمل العربى من الداخل وبأن تنقل الصراع من بين العرب واسرائيل الى العرب فيما بينهم . وهنا بالدقة نفهم القيمة التاريخية لقمة الرباط : لقد انتزعت فتيل التفجير من العمل العربى الموحد بأسره ووضعت مكانه صمام امن معقول . ان حل التناقض الفلسطيني ـ الاردني قد يكون بالفعل أعظم انجازات الرباط « المعلنة منها على الاقل » .

ولقد مر هذا التناقض بمراحل عديدة مفعمة ، وأحيانا مفجعة ، ألقت مرارا بظلالها الكثيفة على العلاقات العربية عموما . والحق أن هذا التناقض كامن ـ علميا ـ في صميم كيان الاردن ونسيجه الجيوبوليتيكى كدولة منذ خلقه بحدوده الجغرافية الراهنة ، وقديم قدم النكبة والتقسيم « وضم » الضفة الغربية . ومنذ ولدت المقاومة سنة ١٩٦٥ ، كان حتما أن يبرز هذا التناقض الى المقدمة بشكل تصادمى ودموى ، بلغ قمته في مذابح سبتمبر ١٩٧٠ ، التى لم تكن حربا أهلية بقدر ما كانت حربا ابادية أو كانتهما بالقدر نفسه . وكان أحد المعانى المؤسفة لهذا الصراع ، بل أبشعها فى الحقيقة ، هو أن التناقض الفلسطيني ـ الاردني كاد أن يكون على نفس مستوى التناقض الفلسطيني ـ الاسرائيلى ، وهو وضع غير متصور على الاطلاق عربيا وقوميا .

ومنذ انتصار أكتوبر وتواتر محاولات التسوية او التصفية السرية والاتصالات الخفية مع العدو ، أصبحت القضية الجسيمة هى : **لمن الضفة الغربية** : للفلسطينيين أم للاردن ـ ولا نضيف : أم لاسرائيل ؟ وعربيا ؟ تحول سؤال « لمن الضفة الغربية ؟ » الى سؤال « **من الممثل الشرعى والوحيد للفلسطينيين** ؟ » ، وكان جوهر المشكلة هو كلمتى « الشرعى » و « الوحيد » . ولذلك أصبح هذا السؤال المصرى المسلط على رؤوس العرب هو محور محاولات التنسيق الديبلوماسى العربية ، واوشك أكثر من مره أن يسمم جو الوفاق العربى الذى خلقته روح أكتوبر . وعرض مصر بالذات لحملات ظالمة من أكثر من جهة ، كما عرض علاقاتها الاستراتيجية والمصيرية مع الفلسطينيين بخاصة لمحاولات ما سمى « **فك الارتباط** » وكذلك لردود فعل متعجلة ولكنها غير دقيقة . وقد أعطت هذه التوترات ، ولا نقول الازمة ، فرصة لمزايدات قوى الرفض واتهاماتها غير المسئولة بأن مصر قد « **غيرت موقفها** » ، وأنها « **تخلت عن الفلسطينيين** » ، « **باعت القضية** » ، و « **باعت المقاومة للاردن** » ، **الى آخر هذه الادعاءات التى ثبت زيفها أو افتراؤها بعد قليل** .

أما الموقف الفلسطيني فكان واضحا وحاسما منذ البداية ، تحدد فى **أن منظمة التحرير هى الممثل الشرعى والوحيد للشعب الفلسطيني** أينما كان ، فى الضفتين ، فى القطاع ، وفى أى أرض عربية ، فى الخارج .. الخ ، كما ان له وحده الحق فى اقامة السلطة الوطنية على ايما أرض فلسطينية يرغم العدو على التخلى عنها والانسحاب منها سواء بالعمل السياسى أو العسكرى . وقد تبنى مؤتمر قمة الجزائر هذا الموقف الذى لا بد منه كشرط وضمان لابراز الكيان والوجود الفلسطينى دوليا والذى يعد طمس معالمه بل وواده ، ودفنه الى الابد محور الاستراتيجية العظمى للعدو .

غير ان الاردن اعلن رفضه للقرار ، مدعيا ان هذا يخلق ثنائية فى الولاء « **قضية ولاء مزدوج أخرى** ! » داخل الدولة بين القطاع الاكبر من مواطنيها ، على الاقل بين أولئك الفلسطينيين المقيمين منهم فى الضفة الشرقية . وقد حاولت الديبلوماسية العربية ، حرصا منها على استعادة الاردن الى الصف العربى وأملا فى احياء الجبهة الشرقية ، والتوصل الى حل توفيقى ، فكان بيان الاسكندرية الذى اعترف فيه الاردن بالمنظمة ممثلا شرعيا، ولكن ليس وحيدا ، للفلسطينيين على أساس ان المقاومة تمثل كل الفلسطينيين فى الضفة الغربية والقطاع وفى اى مكان آخر بالعالم العربى أو خارجه لكن باستثناء الفلسطينيين رعايا الاردن والعاملين فى حكومته .

غير ان البيان أثار ردود فعل فلسطينية عنيفة ، فقد اعتبرت المنظمة هذه الاتفاقية نكوصا عن مقررات الجزائر ، كما اعتبرت أن معنى هذا ببساطة وصراحة « **تقسيم الفلسطينيين** » بعد أن تم من قبل « **تقسيم فلسطين** » . وهكذا عاد توضيح القاهره فأعاد تأكيد مقررات قمة الجزائر ، الا أنه أثار بدوره ردود فعل أردنية مضادة ، اذ عاد الاردن يصر على موقفه ، مؤكدا أنه هو وحده المؤهل والمقبول دوليا لمعالجة التسوية السياسية التي تقودها امريكا ، وملوحا في الوقت نفسه بالتخلي عن التزاماته العربية تجاه الضفة الغربية .

ولم يمكن حل هذه العقدة الصماء والمشحونة الا أخيرا **بصيغة الرباط** ، التي اعترف فيها الاردن بالمنظمة ممثلا شرعيا ووحيدا للفلسطينيين ، وبحق الفلسطينيين في اقامة دولتهم المستقلة على أى أرض فلسطينية تنتزع من العدو ، وأن أى أرض فلسطينية يتم تحريرها بأى وسيلة تعود الى صاحبها الشرعي الفلسطيني ، مع ارجاء بحث موضوع مصير الفلسطينيين في الضفه الشرقية الى حين تتحرر الارض الفلسطينية . وبهذا أعاد المؤتمر اقامة القضية على قدميها بعد أن ظلت طويلا واقفة على رأسها ، اذ لم يكن من المتصور أن يعترف العالم بالشعب الفلسطيني وبكيانه ووجوده ولا يعترف الاردن ، لا ولا أن يطالب العرب بجلاء اسرائيل عن الارض الفلسطينية المحتلة ولا يفعل الاردن . **ويمكن للمراقب السياسي أن يترجم هذا الاعتراف من جانب الاردن على الفور بانه يعتبر بداية أول تغيير فعلي في الخريطة السياسية للعالم العربي ، مثلما كان نصر أكتوبر أول تغيير بالقوة في الخريطة السياسية للشرق الاوسط ، هذا عدا أنه قد رسم خريطة جديدة للمواجهة في المنطقة ولمجمل الصراع العربي — الاسرائيلي عموما .**

وحدة الموقف العربي

جاء التضامن العربي في أكتوبر اعجازا حيث توقع العدو العجز وعليه رتب حساباته ، فكان في ذلك بعض مقتله . والحقيقة أن عرب اكتوبر نجحوا في أن يضعوا العدو داخل مثلث محكم الاغلاق حاصروه في قلبه وارغموه على أن يأخذ فيه جانب الدفاع سياسيا وعسكريا ، فكانت هزيمته التاريخية لاول مرة في ربع قرن . وبحسب ترتيب أهمية وفاعلية وأبعاد أضلاعه ، يمكن أن تعتبر هذا المثلث مثلثا قائم الزاوية : المعركة المسلحة وتره الحساس والاكبر ، والحظر البترولي عموده الرأسي ، والتضامن العربي ضلعه الافقي .

ومنذ المعركة ، فلقد كان أمل العدو أن يدب الشقاق بين العرب وتعود الخلافات مع عامل الوقت ، وبذلك يتخلخل التضامن العربي وينكسر ذلك الضلع الاخير من المثلث فيجد ثغرة يفلت بها من ذلك الحصار المطبق . والعدو يعلم ، اكثر من أى أحد آخر ، ان قوة العرب في وحدتهم وضعفهم في تفرقهم ، بينما أنه يستمد نصف قوته على الاقل من ضعفهم باختلافهم . باختصار ، قوة العدو ، سياسيا كما هي عسكريا ، تتناسب تناسبا طرديا مع اختلاف العرب ، وعكسيا مع وحدتهم . كذلك فقد أثبتت التجربة ، وخاصة تجربة ما بعد المعركة ، ان التضامن العربي ضروري ولازم للمعركة السياسية لزومه للمعركة العسكرية ان لم يكن أشد لزوما .

ولقد شهدت مرحلة ما بعد اكتوبر — لابد لنا أن نعترف — بعض الخلافات والاختلافات الثنائية ، كما أصاب الوفاق العربي أحيانا شيء من الفتور والتشتت ، وأيا كانت الاسباب الحقيقية أو المبررات المعلنة لهذه الاعراض ، فقد كانت الظاهرة طبيعية الى حد ما ، وذلك بالنظر الى تحديات المرحلة وصعوبة الاختيارات والقرارات المصيرية ، ولهذا ، وفيما عدا بعض التجاوزات الحادة والابعاد غير المبررة أوغير المسئولة ، فلم تكن الظاهرة غير صحية كلية ، وانما دليل حيوية الجسم القومي عموما ، كما كانت تلك الحيوية تفرز مضادات داخلية تحصر هذه الخلافات وتطوقها بانتظام .

ومهما يكن ، فقد ظل السواد الاعظم من الوطن العربي على وتيرة عالية من التضامن ، ولم يتعرض الوفاق العربي عموما لانخفاض حاد في معدل ضغطه الطبيعي ولا أصيب بتصلب الشرايين كما أمل أو هول البعض . فما سمي « **بجبهة الرفض** » لم يكن يمثل على علو صوته الا **الأقلية المحدودة التي لا تعدو أن تكون « جماعة ضغط » جذرية محلية المفعول ، فضلا عن انها خضعت بعد ذلك لعملية تآكل وتراجع بالتدريج** . هذا بينما ظلت القيادة الطليعية فاعلة ومؤثرة وواثقة ، بدأب وصبر وحكمة تعمل على التنسيق والتقريب ورأب الصدع . وبين الاثنين وقفت « **الاغلبية الصامتة** » من العروبة سندا ودعامة للتضامن ووحدة الصف .

وقد تبدى هذا بصورة أكثر من مشجعة في قمة الرباط . فرغم كل الصعوبات والشوائب التي هددت المسيرة القومية والتجمع العربي ، خرج المؤتمر وهو قمة القمم ، حسم معظم الخلافات على

مختلف المستويات ؟ ووضع أسس تنسيق منظم للموقف العربى الشامل . فالى جانب التنسيق الثنائى والثلاثى والرباعى على مستوى دول المواجهة ، حقق التنسيق بين دول المواجهة ودول البترول ، كما بين العالم العربى ككل وبين العالم الخارجي اصدقاء واعداء . فعربيا رصدت دول البترول مساعدات مادية كبيرة بلغت اكثر من مليارى دولار لدعم وتسليح دول المواجهة . ومع الاصدقاء ، وضع المؤتمر ضوابط الحوار العربى - الاوربى ، وحدد خطط التعاون مع افريقيا ، كما مع الدول الاسلامية والدول الاشتراكية ودول عدم الانحياز . أما مع الاعداء ، فقد تصدى لحملة الارهاب والابتزاز والتهديد المتحرشة التى قادتها الامبريالية وغذتها الصهيونية ضد عرب البترول وأسعاره ودخوله وفوائضه ، كما اكد من جديد أن سلاح البترول جاهز ليشرع من جديد اذا عاود العدو العدوان أو لم يمتثل للتسوية السلمية العادلة .

وهكذا استكمل العرب استعدادهم للدخول الى قاعة جنيف جبهة موحدة متماسكة تتكلم بلسان واحد وتحاور بلغة وحيدة وتعمل باستراتيجية أحادية ، دون ان تترك للعدو ثغرة يراوغ منها أو يلعب بها على التناقضات بينهم . غير أن الاسوأ من ذلك ، من وجهة نظر العدو ، أنهم قد وضعوا معسكره برمته فى مأزق حقيقى « كورنر » لم يكن يتوقعه ، بل وكشف كل نواياه ومخططاته ولعبته السياسية واثبت انها كانت اساسا مناورة غير مخلصة على الاقل ، مخادعة على الارجح ، وغير جادة على الاطلاق .

فالحقيقة ان مؤتمر الرباط كتعبير عن تحقيق وحدة الموقف العربى كان دوره ونتيجته الاساسية أنه كشف أن كل تحركات معسكر العدو السياسية فى الفترة الاخيرة ، وعلى رأسها ديبلوماسية كيسنجر ، لم تكن تقوم ولا تتقدم ولا تتظاهر بالرغبة الشديدة فى التوصل الى تسوية الا على أساس حساب جوهرى فى عقلها الباطن هو أنه ببساطة لن تكون هناك تسوية ، لان العرب حتما سوف يختلفون وسيكفونهم بذلك مئونة التسوية ومأزقها وتنازلاتها ، فضلا بالطبع عن مسئوليه الفشل فيها . لقد جاء المؤتمر أعظم كشاف سياسى re-agent كما كان اعظم عامل اختزال catalyst فى الموقف برمته ..

لهذا فعلى حين كان المفروض أن المؤتمر قد أنهى آخر عقبة على الطريق الى جنيف ، أعلن معسكر العدو العكس تماما . فأما اسرائيل فقد هاجمت المؤتمر بكل عنف وضراوة وادعت - كذبا - أنه أغلق باب الحل السلمى والسياسى نهائيا وبالتالى لم يترك مفتوحا سوى باب الحرب . أما امريكا فقد أعلن كيسينجر وأكد فورد من بعده ، ان الموقف اصبح دقيقا بعد الرباط ؛ فقراراته قد « عقدت الامور بعض الشىء » . وعلينا الان ان ندرس هذه النتائج ، كما يتعين على جميع الاطراف أن تتدبرها ، ورغم انه لم يفقد التفاؤل او الأمل ، قال هو ، فانه يشعر ان مهمته ستكون صعبة وان الاحتمال ضئيل فى أن يحقق انفراجا سريعا .

وبغض النظر عن التباين الفادح فى اللهجة بين التهويل الاسرائيلى المحموم والتهوين الامريكى المرور ، فالواضح ان استراتيجية السلام الامريكية قد أصيبت بشلل مؤقت اثر المؤتمر ، ولا نقول بسكتة قلبية . فالصدمة كانت صاعقة وأقوى من ان تمتص بسهولة لانها كانت - كمفاجأة حرب اكتوبر - مستبعدة تماما . والواقع ان وحدة الموقف العربى كما بلورتها الرباط كانت نصرا سياسيا عربيا بقدر ما جاءت هزيمه سياسية لمعسكر العدو ، تماما مثلما كانت حرب اكتوبر على المستوى العسكرى . لقد قلبت المائدة عليهم ، وردت اليهم القنبلة التى أرادوا القاءها فى معسكر العرب ، واعادت القاءها فى صميم معسكرهم .

سباق الحواجز

بالضبط والدقة ، ماذا تريد اسرائيل ؟ يكاد المراقب السياسى يحار ازاء سيل التصريحات والتهديدات التى تخرج من اسرائيل حاليا ، فهى متناقضة بقدر ما هى متدفقة وغزيرة ، وغامضة كما هى مكشوفة ، حتى لتبدو الصورة كلها وهى أشبه برقع الكلمات المتقاطعة او بقطع الالغاز الصينية . فهل هو تضارب مقصود للتعمية والتضليل ، أم هو تعبير عن الاضطراب والتردد وعدم الثقة ، أم هما الاثنان معا ؟

اننا ابتداء لنخطىء خطا جسيما اذا تصورنا ان اسرائيل اليوم تعرف تماما ما تريد أو ما تفعل ، على الاقل تكتيكيا ، حتى لو ادعت بغير ذلك . او كما اعترفت هآرتس منذ بعض الوقت « ان اسرائيل لم تعد تعرف الى اين تسير او الى اين تقاد » ولا ينبغى لاحد منا أن يفكر اليوم بعقلية ما قبل اكتوبر التى كانت تفترض بالوهم والعجز ان العدو قادر وسوبرمان ، يسيطر على الاحداث ويتحكم فيها ويقول للمستقبل كن فيكون . الى الابد ولت هذه الخرافة - الاكذوبة ، وسيكولوجية العدو بعد الضربة المزلزلة التى تلقاها . هى سيكولوجية

مهزوزة مرتعشة تتمزق بين الحقد والخوف ؟ وبين التظاهر الخارجي بالقوة والشعور الداخلى بالضعف .

واذا كانت اسرائيل بعد مضى اكثر من سنة على الهزيمة قد أفاقت لاشك بعض الشيء من الدوامة الرهيبة التى تردت فيها ، فمن المنطقى كذلك أن نفترض انها لا تزال مهتزه مشتتة . لقد تجاوزت مرحلة انعدام الوزن ، ولكنها فى مرحلة فقدان الاتجاه لم تزل . وهى اليوم تتخبط بقدر ما تخطط ، وتدبر مثلما تدبر ، وتناور كما تتآمر ، وبغير هذا الفرض لن نفهم حقيقة الخط او الخيط الجديد الذى يربط بين شتات أقوال العدو وتحركاته ، ويؤلف استراتيجيته الاساسية او العليا .

وفيما عدا هذا ، فان من المسلم به منطقيا ان اهداف العدو فى المعركة السياسية الراهنة هى نقيض اهدافنا نحن العرب . فاذا كان محور العمل السياسى عندنا هو استثمار نتائج وآثار اكتوبر العسكرية الى أقصى حد ممكن وترجمتها الى حقائق سياسية وجغرافية جديدة ، فانه عند العدو تعقيم او اجهاض ، أو الغاء تلك النتائج بالدقة واعادة توازن القوى الى ما كان عليه قبل المعركة بقدر الامكان كما لو لم تكن على الاطلاق . وعلى هذا فانها ، اسرائيل ، لا تريد التسوية السياسية ، ان كان لا مفر منها ، الا بشروطها هى ولصالحها . وهذا يعنى ويستدعى الا تتم الا من موضع القوة .

وقد عبر رابين عن هذا بصورة استفزازيه فى أكثر من تصريح له . . خذ مثلا : « ان اسرائيل قوية هى شرط للسلام » « اسرائيل تسعى الى السلام من خلال القوة والامن والثقة ، بمقدرتنا على الدفاع عن انفسنا » « معنى السلام بالنسبة لاسرائيل ان تكون اسرائيل قوية » « اذا لم نكن أقوياء ، فلن نصل الى سلام حقيقى » . وهناك أخيرا حديثه عن ضرورة التفاوض من مركز القوة ، لان « اسرائيل القوية هى وحدها القادرة على دخول دوامة مفاوضات جنيف ، تماما كما أن امريكا قوية هى وحدها القادرة على الدخول فى مفاوضات مع السوفيت » .. ان السلاح عند اسرائيل هو ، باختصار ، وقود السلام .

ويترتب على هذا منطقيا وعمليا أن اسرائيل تجد من مصلحتها وواجبها ، الى أن تتحقق تلك الشروط والاوضاع ، ان تؤجل التسوية السياسية ، وتمعن فى تأخيرها بالتسويف والمماطلة ووضع العراقيل واختلاقها ، والافضل على الاطلاق أن تمنعها كلية . فاذا ما فرضت عليها فى النهاية ضد ارادتها ولغير صالحها ؟ او فرضت عليها الحرب كبديل ، كانت على استعداد تام لنسف الاولى أو لتبدء بالثانية . بعبارة اخرى ، استراتيجيه اسرائيل الحاليه هى العمل للابقاء على الوضع الراهن لاطول فتره ممكنة ، ومنه تقفز اما الى نصر سياسى فى جنيف ، أو الى نصر عسكرى حربها . وكل ما تفعله الان هو ابعاد شبح الحل السياسى الى أقصى حد وأمد ممكن ، ودخول جنيف — ان كان لا مفر — من مركز القوة القصوى .

ومعنى هذا بالتالى أن اسرائيل كان عليها اساسا ومنذ البداية ان تكسب الوقت ، فالوقت طلبة المهزوم ، وهو — فى المدى القصير على الاقل — حليفه الاول . ذلك محور الاستراتيجية الوحيده المتاحه لها بعد ضربة الهزيمة ، به تستعيد توازنها ونفسيتها وأنفاسها « وتعيد ترتيب بيتها من الداخل ، وكذلك الجيش » كما اعترف زيف شيف ، ومن أجله تقبل اى تنازلات مؤقته أو جزئية أو مرحلية ، وعليه تراهن لتفتيت معسكر الاعداء وظهور الخلافات فيه أو فتور التضامن داخله ، وفى سبيله تقوم بأى مناورات تمويهية أو تخديرية ، وبهذه المناورات الملتوية والحلول المطوطة يمكن لمحاولات التسوية أن تمضى سنين عددا . وبالفعل كان الوقت والفرصة ، أى على الترتيب الابطاء فى سير التسوية والاسراع فى التسليح ، هى كل ما تطلبه اسرائيل بالحاح وانتظام من أمريكا .

ولعبة كسب الوقت هذه تلعبها اسرائيل بسفور دون أن تحاول ولو اخفاءها . فقد ذكرت الصحف الاسرائيلية مثلا أن هناك رأيا فى الحكومة يقول انه اذا أمكن ابقاء الموقف على ما هو عليه لستة شهور اخرى ، فان اسرائيل تستطيع ان تضمن فسحه عامين آخرين للعبه المفاوضات ، ذلك لان الرئيس الامريكى الجديد سوف يحتاج الى التأييد اليهودى للانتخابات الرياسية القادمة . واستطرادا للخطة نفسها أعلن رابين بعد ذلك أن اسرائيل ترى انه يجب أن تمر سنتان أو ثلاث قبل اتخاذ اى خطوة أخرى فى أزمة الشرق الاوسط حتى تستطيع جميع الاطراف ، كما زعم ، استيعاب الحقائق المترتبة على الخطوات التى تحققت فعلا . وفى مناسبة أخرى قال ان الوقت المطلوب هو حوالى ٧ سنوات ، وحينئذ ستكون حاجة أوربا الغربية لبترول العرب اقل بكثير . وعموما فان اسرائيل ، يضيف رابين : « تحتاج الى وقت لاستعادة صحتها » .

وإذا كان من المؤكد أن العرب لن يسمحوا للعدو بممارسه هذه اللعبة المكشوفة والخطره ، فالمحقق من الناحيه الاخرى ان وقتا ثمينا ، كما لاحظ الملك فيصل ، قد ضاع بالفعل ، أو كما صرح الرئيس السادات أخيرا جدا « بالتأكيد ضاع الصيف الماضى » . وبينما كان الرئيس السادات يرى أن التسويةيمكن أن تتم فى بضعة أو عدة شهور ، وعلى حين كان كيسنجر قد صرح منذ عام بأنه يتوقع حل المشكلة خلال عام ، فان عاما وأكثر من عام قد انقضى دون تقدم . والمسئول عن هذا التأخير هو لا شك التلاعب والتساور الاسرائيلى المخطط .

فى ضوء هذه الاستراتيجية الاساسية وحدها يمكننا أن نفهم موقف العدو من مؤتمر جنيف ، الذى هو - حتى لا ننسى - مبادرة مصرية أصلا فرضها العرب من موضع المنتصرين واقتيدت اليه اسرائيل راغمة كارهة . ولعلنا أن نتذكر هنا قولة بيجين غداة تقرر المؤتمر من أنه على أيه حال « فلا بأس بالذهاب الى مؤتمر جنيف لنجلس على مائدة المفاوضات مع العرب الذين ظلوا يرفضون هذه المواجهة طوال تاريخهم معنا » . أو تصريح شارون الوقح من أنه « اذا أراد العرب استرجاع أراضيهم كلها ، فلن تكون جنيف هى المكان المناسب لذلك ، وانما عليهم ان يستردوها فى جبهه القتال » واخيرا ما قاله آلون عن ان اسرائيل « ستذهب الى جنيف،آملة فى الاحسن ، ومستعدةللاسوأ » .

ومن واقع أفعال العدو وأقواله عبر السنة الاخيره يمكننا أن نستخلص مكونات هذه الاستراتيجيه ونشخصها فى سلسله متعاقبة من العقبات والمعوقات المتصاعده تضعها فى طريق المؤتمر بحيث تحيل الرحله اليه سباق حواجز حقيقى ومانع ينتهى بهما الى انهائه قبلان يبدأ وتخريبه اذا بدأ . واهم تلك الحواجز ، وهى نفسها أهم محاور تلك الاستراتيجية ، ثلاثة هى : سياسة الحلول الجزئية ، سياسية الحلول الثنائية ، سياسة الحلول الفرعية .

سياسة الحلول الجزئية

هى ما يسميه كيسنجر « السياسة التدريجية » نحو التسوية « خطوة خطوة » ، أو سياسة « الخطوات القصيره » ، وما تسميه اسرائيل سياسة المراحل أو سياسة « جزء من الارض مقابل جزء من السلام » وتدرج تحته أساسا ، ولكن مغالطة اتفاقيات فض الاشتباك والفصل بين القوات . وفى الحالين فانها ترادفة سياسة « التفتيت الافقى » للقضية ، بمعنى ان ينسحب العدو كل مرة عن شريحة صغيرة من الاراضى المحتلة مقابل تنازلات أو تعهدات معينة يلتزم بها الجانب العربى ، بحيث لا يكون الانسحاب قد وصل الى نهايته أو أقصاه الا وقد ضمن العدو بالفعل احراز كل المكاسب التى يسعى الى الحصول عليها فى الاصل ، وبحيث لا يعطى أكثر مما يأخذ ، أو دون أن يأخذ ، وبحيث يستطيع أن يتوقف ويمتنع عن المضى فى الانسحاب عند الحد الذى يريده ويخفيه وراء ظهره ويخطط له فى قرارة نفسه .

وحين نتمعن هذه السياسة ، أو حتى دون تمعن ، نجدها فى باطنها ومنتهاها سياسة الانسحاب من جزء وليس من كل الاراضى المحتلة . فهى تسمح له أن يحتفظ فى النهاية بما يشاء من الاراضى المحتلة ، أى عدم العودة بحال الى خطوط ٤ يونيو ١٩٦٧ . أو كما قال آلون ، ان اسرائيل مستعدة لتنازلات جوهرية ، لكن العودة الى خطوط ٤ يونيو « كارثة » أو كذلك كما حدد أحد أعضاء الكنيست ، الحل التدريجى هو المساومة والحصول على شيء مقابل التنازل عن شيء ، وهكذا بالتدريج نصل الى « حدود قريبة جدا من حدود ١٩٦٧ » .

وفيما عدا هذا ، فان سياسة الحلول الجزئية هى سياسة البيع بالقطاعى لا بالجملة من جانب اسرائيل ، والدفع فورا لا اجلا من جانب العرب . وبهذا فانها أساسا سياسة « شراء الوقت بالارض » أو « بيع المكان من أجل الزمان » كما يقول الاستراتيجيون . وعلى الفور ، يتضح لنا أنها استراتيجية تضمر اما عدم التخلى عن كل ثمرات العدوان ، واما الاحتفاظ بحرية معاودة العدوان وبمنطلق وثيق للانقضاض من جديد .

يكشف هذا ويؤكده قول شارون لمواطنيه ان الانسحاب الاخير الذى سيوافق عليه الاسرائيليون سيكون الخط الذى سيبدأ منه العرب هجومهم القادم ، ولذلك ينبغى الا يكون هذا الخط قريبا من حدود ما قبل ١٩٦٧ .

ثم خذ مثلا هذه المتابعة من التصريحات لرابين ، تجدها تعكس هذا الخط الخطا بدقة كاشفة :

- « اسرائيل على استعداد للتقدم بخطوات تدريجية نحو السلام اذا اعلنت الدول العربية انهاء حالة الحرب » .

ـ « استراتيجية اسرائيل للسلام هي مفاوضات وانسحاب على مراحل بهدف الحصول على اتفاقيات لانهاء حالة الحرب ، وتمهيد الطريق لمعاهدات سلام فيما بعد » .

ـ « لن يكون هناك انسحاب آخر دون مقابل ، ودون مقابل ينطوى على مغزى فعلى لاحلال السلام » .

ـ « لن تكون هناك انسحابات أخرى ما لم يتم في الوقت نفسه تقدم حقيقي نحو السلام » .

ـ « اسرائيل لن توافق على تسوية سلمية مؤقتة مع العرب اذا اشتملت فقط على انسحاب عسكرى دون مقابل ، ولابد من اتفاقيات عسكرية وسياسية معا » .

ـ وأخيرا ، وفى كل الحالات ، فان « على العرب ألا يبالغوا فى توقع تنازلات اقليمية كبيرة من اسرائيل » .

ومن الاطناب وحده بعد هذا ان نقول أن هذه الخطة ـ الخدعة مرفوضة ، تماما من الجانب العربى ، وهم على وعى تام باللعبة ، وقد افسدوها على العدو بالفعل حيث أصروا دائما ، وكمبدأ على أن الحل الوحيد هو الحل الجذرى الكامل الشامل دفعة واحدة ، وأن أى انسحاب اسرائيلى من الاراضى العربية لا يعد حلا نهائيا ولا تترتب عليه اية التزامات الا بارتباطها بالحل النهائى الذى يتمثل فقط فى الانسحاب الكامل من الاراضى العربية ، ويرتبط شرطيا بحقوق الشعب الفلسطينى .

بهذا المنطق المرفوض نظرت اسرائيل فى قرارة نفسها الى اتفاقيتى الفصل بين القوات المتحاربة على جبهتى سيناء والجولان . ورغم أن الجانب العربى نص على أعتبارهما اتفاقيتين عسكريتين بصورة بحتة ، لا حلا جزئيا ولا جزءا من الحل السياسى ، ورغم انهما لم تتما الا بعد مناورات ومحاورات مشحونة بالخطر وبالغة التعقيد ، فقد ظلتا للآن الخطوة الاولى والاخيرة . وحق لجروميكو أن يقول ، كما صرح مؤخرا ، « ان هناك دلائل متزايدة على أن اسرائيل لا تعتبر اتفاقيات الفصل فى سيناء والجولان خطوة أولى نحو تسوية عامة ، بل تعتبرها أداة للمناورة من أجل تجميد الموقف . وهكذا قد يتحول الفصل الى خطوة لاعادة تجميع القوات من أجل صدام جديد » . اما الخطوة الثانية فقد ضيعت اسرائيل نحو عام تناور حولها وتساوم دون أن تتحقق ، كما أنفقت الدعاية الاسرائيلية وقتا وجهدا تؤكد مرة أنه قد قدمت خرائط للانسحاب ، ومرة تؤكد انه لا خرائط ..

فعلى الجبهة المصرية ، حيث تتلاعب اسرائيل حول التخلى عن ابار بترول أبو رديس كورقة ضغط أو تلويح ، فالمقول أن هناك عرضا قدمه كيسنجر بالانسحاب ٣٠ ـ ٥٠ كم اخرى نحو الشرق الى خط يمتد من أبو زنيمة الى العريش أو الى الحدود مقابل اعلان بانهاء حالة الحرب . والمقدر أن هذا الانسحاب مضافا الى انسحاب فصل القوات لا يعادل الا نحو سدس مساحة سيناء فقط ، بينما تريد مصر كما قيل الانسحاب الى خط العريش ـ رأس محمد . وفى ذلك السياق صرح كيسنجر بأن مصر واسرائيل تدرسان الان خرائط لانسحاب اسرائيلى ثان « أكثر عمقا ، فى مقابل تعهد مصرى بانهاء حالة الحرب » ، وأن اسرائيل تريد قدرا من « المعاملة الطبيعية فى علاقاتها مع مصر » ، لكن مصر ترفض تماما .

وفيما عدا هذا فقد أعلن رابين انه مستعد « للتنازل عن الجزء الاكبر من سيناء » فى مقابل معاهدة سلام غير مشروطة ، أو لاعادة جزء من سيناء مقابل « شىء أقل من معاهدة سلام » كتصريح بانهاء حالة الحرب من جانب مصر . كذلك صرح آلون أن اسرائيل مستعدة لقبول « حل وسط معقول بشأن الاراضى فى سيناء » .

ولكنه عاد فكشف عما يقصد « بالحل الوسط » حين صرح بأن حجر الزاوية فى سياسة اسرائيل هو ، أن عمق الانسحاب الاسرائيلى من سيناء سيكون مرتبطا ارتباطا مباشرا بمدى ومغزى التعهدات المصرية فى المجال السياسى ، وأن اسرائيل ستواصل الاحتفاظ بأجزاء من سيناء تكون هامة بالنسبة لمصر ، وذلك مادامت التسويات من النوع المرحلى » ..

والحديث الان متواتر عن محاولة أمريكية لحث اسرائيل على قبول انسحاب ثان فى سيناء كجزء من عملية الفصل بين القوات ودون أى مقابل من مصر ، وذلك لكى يكون خطوة تمهيدية نحو مؤتمر جنيف . وفى هذا تقول المعلومات الواردة من أمريكا أن اسرائيل مستعدة للانسحاب من حقول البترول فى أبو رديس مقابل ضمان أمريكى بتوفير البترول من جانب أمريكا .

هذا على الجبهة المصرية ، أما على السورية فقد أغلقت اسرائيل باب الانسحاب نهائيا فيما يبدو . فرغم احتمال انسحابات اسرائيلية من الجولان ، مكذا أبلغ كيسنجر الرئيس الاسد ، فان من المستبعد تماما أن يعيدوا الجولان كلها ، لان ذلك « يعرض أمن اسرائيل للخطر » . هذا بينما حدد رابين بصورة قاطعة أن « اسرائيل لن تتنازل عن الجولان لسوريا حتى ولو عقدت اتفاقية سلام مع اسرائيل » . وقد عقب الرئيس الاسد على ذلك ، وبحق مطلق ، بأن « هذا معناه الحرب » . هذا بينما خرج دايان من الظل أو الظلام ليقول انه سوف يتحتم على اسرائيل أن تعيد الجولان الى سوريا اذا ارادت أن تتجنب نشوب حرب جديدة ، وان تتوصل الى اتفاق سلام مع مصر . وأضاف أن المحاولات التى تبذل لتحقيق انسحاب اسرائيلى فى الجولان يتراوح بين كيلومتر وكيلومترين لن تحل النزاع حول الارض مع سوريا ، ولن يحله سوى التخلى عن المنطقة كلها ، وفى هذه الحالة يمكن أن تتحول الى منطقة منزوعة السلاح . ثم استدرك دايان قائلا انه لا يدعو الى التخلى عن الجولان ، ولكنه وضع أن الجولان هى مفتاح مشكلة الحرب . فما لم تكن مصر راغبة فى تسوية منفصلة ، هكذا قال ، « فحتى أكثر المقترحات اغراء لن تجدى فى التوصل الى شيء ان لم نتوصل الى تسوية مع سوريا على الجولان . وما دمنا باقين فى مرتفعات الجولان فان سيف الحرب المعلق سيظل مسلطا فوق رؤوسنا » .

أما على الجبهة الاردنية ، فبعد أن لعبت اسرائيل لعبة التلويح بالفصل بين القوات حينا ما للايقاع بين الاردن الذى يريده والمقاومة التى ترفضه ، عادة فقالت انها توافق على ما سمته فك اشتباك « وظيفى » لا « جغرافى » ، بمعنى أن تبقى القوات وكذلك المستعمرات الاسرائيلية مع عودة الادارة المدنية الاردنية فقط . ثم عادت اسرائيل فسحبت عرضها قائلة انه لن يكون هناك فض اشتباك قوات أصلا ، كما لا انسحابُ اطلاقا الا فى اطار تسوية سلام شاملة ونهائية تتضمن أن يكون نهر الاردن « حد أمن » لاسرائيل بحيث لا يستطيع أى سلاح صاروخى عبوره لتهديد القدس وضواحى تل أبيب ، كما يحفظ لليهود حق استيطان « يهودا والسامرة » .

فى مثل هذا الاطار وحده فان اسرائيل « لا ترى مانعا من اعادة جزء كبير من الاراضى التى احتلتها فى الضفة الغربية للاردن ، اذا تأكدت من أن هذه الاراضى ستبقى جزءا من الاردن ولن تتحول الى دولة منفصلة ، وبشرط ألا تدخلها القوات الاردنيه » (باراليف) . أو كما قال رابين « **اسرائيل مستعدة للانسحاب من جزء مهم من الضفة الغربية ، مقابل اعلان الاردن عدم العداء وانهاء حالة الحرب مع اسرائيل** » . ولكن هذا الاعلان ، الذى آثار احتجاج ودهشة كثير من الاسرائيليين وعلقت عليه صحف اسرائيلية بأن رابين قال ما لم يقله مسئول اسرائيلى من قبل ، تمخض فى الترجمة العملية عن عرض هزيل بانسحاب صورى أجوف الى خط يتراوح بين ١٠ ، ١٥ كم من النهر . وحتى هذا العرض البائس قد يحتاج لاقراره الى انتخابات اسرائيلية جديدة لان العناصر الدينية اليمينية المتطرفة ، كالحزب الدينى القومى الذى دخل الحكومة مؤخرا ، تعد الضفة برمتها (يهودا والسامرة) جزءا من « أرض اسرائيل » التاريخية .

وحتى عند ذلك ، « فأيا كان المستقبل السياسى للضفة الغربية ، فانها قد اصبحت تشكل مع اسرائيل وحدة اقتصادية واحدة وأصبحت اسرائيل تعتبرها جزءا لا يتجزأ من الاقتصاد الاسرائيلى ، وستخطط مستقبلها كما لو كان الامر يتعلق بوحدة اقتصادية واحدة » (باراليف) .

ذلك كله دون أن نذكر القدس ، التى « وحدت » الى الابد ولا نقاش حولها البتة ، والتى ضربت اسرائيل حولها ستارا حديديا حلقيا من العمران اليهودى اقتطاعا لها من جسمها العربى ، ولتحويل خطه التهويد الى أمر واقع ليس له دافع . وكما قال بيجين « نحن لن نتخلى عن بوصة واحدة من القدس ولو وقف العالم كله بجانب العرب » . على أن هذه المهزلة برمتها قد سقطت وأصبحت غير ذات موضوع بعد قرارات الرباط .

سياسة الحلول الثنائية

هذه بدورها هى سياسة « التفتيت الرأسى » للقضية ، حيث الحلول الجزئية للتفتيت الافقى ، وهى تعنى تجزئة القضية والتسوية سياسيا ، فلا يتفاوض العدو مفاوضة جماعية مع دول المواجهة كجبهة واحدة ولكن كدول منفصلة كل على حدة ، وصولا الى صلح منفرد مع كل . فالحلول الثنائية هى نفسها الحلول المنفردة ، أو ان شئت فقل الاحادية . بهذا المفهوم « نحن على استعداد للدخول فى مفاوضات مع أى دولة عربية ، بشرط أن تكون المفاوضات حول السلام وليس ما هو أقل من ذلك » (رابين) . كذلك كرر المسئول نفسه أكثر

من مرة أن اسرائيل « تفضل أن تعقد اتفاقا منفصلا مع مصر ثم تتفاوض مع الدول العربية الاخرى بعد ذلك فرادى ، على ان تتفاوض بصورة جماعية مع المجموعة كلها » . أما جنيف ، فاسرائيل تريدها مجرد نهاية لمحادثات ثنائية مستقلة ، وهناك يكون التوقيع فقط . وتكاد هذه أن تكون بحذافيرها سياسة أمريكا أيضا .

وواضح أن غاية هذه الخطة المحسوبة هي تمزيق الجبهة العربية وتخريب وحدة موقفها . فمعنى أن تنفرد اسرائيل بكل دولة على حدة هو أن تكون في موقف أقوى على المساومة والضغط أولا ، وأقدر على الدس والوقيعة أو المضاربة بينها ثانيا ، ثم ثالثا وأخيرا الابتعاد التدريجي عن مؤتمر جنيف أو تفاديه ، فتفريغه من محتواه الحقيقي فالغائه عمليا وتحويله الى مجرد شكلية جوفاء .

وهناك أدلة على أن دبلوماسية كيسنجر قد شجعت اسرائيل في هذه السياسة والبحث عن حلول خارج المؤتمر ، ففي أكثر من مناسبة حين بدأ تعثر محاولاته الدبلوماسية اقترح شكلا أو أكثر من المفاوضات الثنائية « الجانبية » أو « الهادئة » تتم في واشنطن ، لكن العرب رفضوا . كذلك كشف مؤتمر الرباط ، فيما قيل ، عن ان أمريكا كانت تخاطب دول المواجهة بلغات مختلفة . ولقد صرح الرئيس الاسد بالفعل وأكثر من مرة أن « وزير الخارجية الامريكية حاول دق اسفين بين مصر وسوريا » ، وهما بالذات قطبا القوة العربية المحاربة ، كما حاول أن « يستغل الخلافات الثانوية وأن يصنع هوة بين القاهرة ودمشق » و « فك الارتباط بين مصر وسوريا » . وعموما فان « الولايات المتحدة لم تحاول أن تقدم شيئا أكثر من تفتيت التضامن العربي » .

وأبرز مثال على لعبة الحلول الثنائية الاسرائيلية اقتراح آلون المزعوم بالانسحاب ٣٠-٥٠ كم في سيناء . فهذا العرض ، الذي يظل يحفظ لاسرائيل منطقة المضايق ومنطقة البترول ، معلق بعدة شروط واضحة أهدافها : انهاء حالة الحرب بين مصر واسرائيل ، نزع سلاح المناطق التي سيتم منها الانسحاب ، حق اسرائيل في المرور في قناة السويس ، تعهد مصر بعدم تأييد الفدائيين الفلسطينيين ، عدم انضمام مصر الى أي عمل من أعمال الحرب قد تقوم به دولة عربية أخرى في المنطقة . والدولة العربية الاخرى المقصودة في النص الاخير هي بوضوح سوريا . وبهذا يصبح الهدف الشامل من الاقتراح هو عزل سوريا أساسا بابعاد مصر عنها ثم عزل مصر عن القضية واخراجها منها تماما .

أما المحرك وراء هذه اللعبة الاسرائيلية المكشوفة والساذجة هو ما اعتقدته اسرائيل ، خطأ أو صوابا ، من أن مصر فقدت مصدر تسليحها الاساسي نتيجة الخلاف الطارىء مع السوفيت ، بينما تدفق السلاح الكثيف على سوريا ، ومن ثم فان أمكن بالاغراء والغواية استدراج مصر الى فخ العزلة ، أصبح التعامل مع سوريا بعد ذلك سهلا وجاء دورها عسكريا فيما بعد . واذا كانت سوريا قد رأت في هذا الحل الجزئي أو الانفرادي الخبيث عاملا يدفع بالمنطقة الى الحرب ، وكانت مصر قد رفضته بازدراء رفضا قاطعا ، فان الغريب أن آلون عاد فأنكر أن ثمة مثل هذا الاقتراح وأنه لم يعرض على امريكا ، وأن الامر كله مجرد تكهنات ، والاغرب منه أن مصر كذبت علنا أن أية اقتراح أو عرض كهذا قد قدم اليها .

كذلك ، فلقد لعبت اسرائيل لعبة الحلول الثنائية بتكتيك محسوب من أجل كسب الوقت ، وتأخير كل تقدم نحو التسوية الشاملة . فمن ناحية عاودت الحديث عن الانسحاب في سيناء على أن تتعهد مصر ، كما قيل ، بعدم الاقدام على أية أعمال حربية لمدة سنتين على الاقل ، وذلك كتجربة « للتعايش السلمي » بين الدولتين (كذا) . ومن ناحية أخرى فلقد شهدت الشهور الاخيرة سؤالا تواتر كثيرا وبصورة لافتة : **مع من تكون المفاوضات التالية : الاردن أم مصر ؟** (دائما دون ذكر لسوريا) . فالخطوة القادمة هي مع مصر لا الاردن ، ثم هي العكس بعد ذلك ، وهكذا على التناوب . فحين يتعقد الموقف مع الاردن أو فيه ، يتحول الحديث الشائع الى أن تكون المفاوضات القادمة مع مصر . ولكن مصر تصر على أن تربط كل مفاوضات معها بمفاوضات موازية مع سوريا . غير أن سوريا مستبعدة تماما من جانب اسرائيل لان جوهر سياستها هو عزل سوريا بالذات ، وهو مبدأ باركه وأكد ضرورته علنا مسئول أمريكي كبير . من ثم تعود الكرة أو البوصلة نحو الاردن . وهكذا تمضي اللعبة الى مالا نهاية . وبعد الرباط بالتحديد عادت اسرائيل تتباكى على « الفرصة الضائعة » مع الاردن ، أو ذلك « اللبن المسكوب » الذي استحقت من اجله لوم الرئيس الامريكي فورد .

وبديهي أن هذا التكتيك المعادي كان محكوما عليه بالفشل منذ البداية . فمنذ فصل القوات على

الجبهتين ، كان المبدأ العربى هو ربط كل تسوية جزئية ، كانت أو شاملة ، على أى جبهة بالجبهتين الاخريين ، وعدم قبول أى عرض أو محاولة لتحقيق أى تسويات سياسية جزئية أو منفردة بحيث لا يسمح للعدو بخلق تناقضات بينهم ، ثم اللعب على تلك التناقضات أو استدراجهم الى فخ المنافسات والمناقصات . ومبدأ الربط الثلاثى الواعى هذا هو ماأشارت اليه النيويورك تايمز بأنه احد « الحواجز » العالية والمانعة التى يتعين على كيسنجر ان يجتازها للخروج من « حقل الالغام الذى يعمل وسطه » فى الشرق الاوسط .

وقد تأكد المبدأ من جديد بصورة قاطعة وحازمة فى مؤتمر الرباط الذى حدد عدة أسس يسترشد بها العمل السياسى العربى هى ،أولا ،لاتنازلات سياسية مقابل اى انسحابات تتم ، وثانيا ، لا انسحاب من سيناء دون انسحاب مماثل من الجولان ، وثالثا ، لا بحث لأى مسألة سياسية فى الصراع خارج مؤتمر جنيف ، ولابد من المؤتمر لاستئناف الجهود الدبلوماسية ، كما لابد من عقده بأسرع ما يمكن .

وقد وجد هذا المبدأ تطبيقه على الفور داخل المؤتمر نفسه وعقبه . فلقد كشف المؤتمر عن عرض أمريكى لمصر بانسحاب اسرائيلى « انسحابا كليا » من سيناء مقابل انهاء مصر لحالة الحرب ، كما قيل ان اسرائيل عرضت بعد المؤتمر الانسحاب لعمق ٦ أميال (نحو ١٠ كم ، وهو ما يظل يترك آبار البترول ومنطقة المضايق فى يدها) أخرى من سيناء بدون طلب اى مقابل من مصر . [فى رواية أخرى أن العرض يتراوح بين ٥ ، ١٠ كم ، على أن تتسلم القوات الدولية هذه الشقة ، كما تجوبها دوريات اسرائيلية – مصرية مشتركة «!» ، وان يتم تمديد وجود قوات الامم المتحدة من ٦ شهور الى ٣ سنوات . وبشرط أن تعلن مصر نيتها فى أنهاء حالة العداء فى تعهد يقدم لامريكا ...) لكن مصر رفضت كلا العرضين لانه حل ثنائى أو منفرد يفتت وحدة الموقف العربى ويتعمد اختراق قرارات الرباط ويفصل الموقف المصرى على حدة ، بينما هى تضع نصب عينها « وقبل كل شىء ليس سيناء فحسب وانما الضفة الغربية لنهر الاردن و[illegible] والقدس وبالطبع حقوق الشعب الفلسطينى » كما أعلن الرئيس السادات فى أكثر من مناسبة . بل ولقد كان آخر ما صرح به أن الانسحاب على الجبهات الثلاث هو شرط نزع الفتيل من القنبلة المتفجرة قبل التوجه الى جنيف .

سياسة الحلول الفرعية

وبها نقصد الاقتصار على مناقشة الجانب الفرعى من القضية وهو الاراضى المحتلة سنة ١٩٦٧ ، وحصر التسوية فيها دون التطرق الى أصلها وصلبها وهو قضية فلسطين الام . فما من شىء فى الصراع كله يرعب اسرائيل ويكاد يقتلها بالذعر كاثارة أصل المشكلة وأسها وجذرها ، وهو سرقة الوطن الفلسطينى وحق الشعب الفلسطينى صاحبه فى تقرير مصيره وعودته ، الشعب الى الوطن والارض الى الاهل . ويمكن القول ان العدو يضع مناقشة الاراضى المحتلة فى ١٩٦٧ فى كفة وتلك المحتلة فى ١٩٤٨ أو ١٩٤٧ فى كفة أخرى ، أو أن الحديث عن « ازالة آثار العدوان » شىء وعن « استعادة حقوق الشعب الفلسطينى » شىء آخر تماما ، وبين الاثنين يرسم لنفسه خطا يعتبره خط الحياة أو الموت والبقاء أو الفناء .

ولهذا فعلى حين أكد قادة العرب مرارا أن لب أزمة الشرق الاوسط بغير القضية الفلسطينية هى ، فلسطين وانه لا حل للمرع الا بحل الاصل ، يتخذ العدو موقفا عكسيا ومخادعا تماما . الرئيس السادات ، مثلا ، اعلن اكثر من مرة أن القدس والضفة والقطاع تاتى قبل سيناء والجولان ، هذا بينما يؤمن كل عربى انه اذا كانت سيناء هى قدس اقداس مصر والجولان قدس اقداس سوريا ، فان فلسطين برمتها هى قدس اقداس العرب قاطبة . ومن الناحية الموضوعية ، فلا شك أن ازمة الشرق الاوسط – كما تسمى – ليست الا امتدادا وتعظيما maximization للقضية الام فلسطين ، ومجرد شرنقة – على سمكها وكثافتها – لنواتها الدفينة . ازمة الشرق الاوسط بغير القضية الفلسطينية هى ، باختصار ، « كهاملت بغير الامير » كما يقولون .

على النقيض من هذا تماما ، وقف رابين ليعلن أن « ما يسمى بالمشكلة الفلسطينية ليس هو صميم النزاع فى الشرق الاوسط ، وانما صميم المشكلة هو العلاقات بين اسرائيل والدول العربية . واذا أمكن تنظيم هذه العلاقات فانه يمكن حينئذ حل المشكلة الفلسطينية بلا صعوبة » . أما المسألة الفلسطينية ، يكمل رابين ، « فمشكلة ثانوية فى نزاع الشرق الاوسط ، ولا يمكن حلها الا بعد أن يستتب السلام بين العرب واسرائيل ، وحلها يتعين أن يكون بين اسرائيل والدولة التى تقع شرقها » [أى الاردن] . ثم يضيف « وسياسة اسرائيل هى اتاحة الفرصة للفلسطينيين للتعبير عن شخصيتهم داخل اطار الدولة الاردنية – الفلسطينية » .

وبغض النظر عن هذا القلب الكامل للحقائق والذى يضع العربة أمام الحصان ، فالمحقق أن آسوأ نتائج حرب أكتوبر ، من وجهة نظر العدو طبعا ، أنها قد طرحت أصل الصراع وأساسه وفرضته فرضا ، ليس عليه وعلى أصدقائه فحسب وانما كذلك على العالم أجمع ، ذلك الذى بات مؤمنا أنه لا حل لمشكلة الشرق الاوسط الا بحل القضية الفلسطينية • ولهذا بعينه أصبح محور الاستراتيجية السياسية للعدو ولاصدقائه فى التسوية الان هو رفض فتح ملف فلسطين أو مناقشة الوجود الصهيونى على « أرض اسرائيل » بأى ثمن حتى لو أدى هذا الى نسف أى فرصة للسلام والعودة الى القتال •

وترتيبا على هـذا [أو ترتيبا له] فهو يرفض كلية أو ينكر ثلاثا : أولا ، حق تقرير المصير للشعب الفلسطينى ، ثانيا ، الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية ممثلا له ، ثالثا ، اقامة دولة فلسطينية مستقلة على أى رقعة من أرض فلسطين قد ينسحب منها .. أى أنه على الترتيب ينكر الشعب والمنظمة والدولة •

فأما الاولى ، فالمشكلة الفلسطينية هى عند العدو مشكلة لاجئين لا قضية شعب ، ومشكلة انسانية لا سياسية • وكل حقهم فى الحياة هو الغذاء والكساء ، وكل حقوقهم على العالم هى الاحسان والغوث • بل ان العدو ليرفض الاعتراف بوجود هذا الشعب أصلا ويعتبره شبحا لا وجود له (« **من هم الفلسطينيون ؟ اننى لا أعرف شعبا بهذا الاسم** » ـ مايير !) • أما فى اسرائيل ، فليس للفلسطينيين حق فى العودة ولا فى تقرير المصير ، لان « استيعاب اللاجئين العرب يعنى استيعاب طابور خامس » ، « واعادة اللاجئين هى ادخال حصان طروادة فيها » (مايير أيضا) • أمـا مسئولية حل أوضاعهم ومشاكلهم ، فان العدو ، على لسان رابين ، يحملها للدول العربية ، وذلك أساسا بالتوطين والتذويب ، وأساسا فى الاردن بالتحديد •

والواقع أن الذى يتتبع خط المؤامرة الاسرائيلية لتصفية الشعب الفلسطينى يجد أنها تفكر دائما فى الاردن وتمهده فى الاذهان لكى يكون مقبرة طبيعية حية من مقياس اقليمى أو ، مقلب dumping ground جغرافيا ـ سياسيا بحجم دولة يستوعب اللاجئين نهائيا . انهـا عملية زحزحة بشرية نحو الشرق والى الصحراء على دفعات ، دفعة عام ١٩٤٨ ، ودفعة عام ١٩٦٧ ، ودفعة أو أكثر فى المستقبل • وفى هذا السبيل فـانهم يتلاعبون بالتنظير العلمى والتبرير الجيوبوليتيكى بشكل فاضح ، فيحاولون « تلبيس » ومـرادفة الكيان الفلسطينى بالاردنى تذويبا للشـخصية الاولى فى الثانية •

مـايير ، مثلا ، فى انكارها للوجود الفلسطينى تقول قبل الرباط « ان كيانا بهذا الاسم لا وجود له • ففلسطين قد قسمت منذ ١٩٤٧ الى دولة يهودية وأخرى عربية • غير أنه لم يكن بهذه الارض شعب عربى فلسطينى ، اذ لا فرق هناك بين العرب الذين يعيشون فى عمان والعرب الذين يسكنون نابلس » • أما بعد قرار الامم المتحدة بدخول فلسطين مراقبا ، فقد وقف تيكواه يصرخ مضللا « ما هى الاردن ، ان لم تكن دولة عربية فلسطينية ؟ » هذا بينما ذهب شارون الى حد التساؤل « لماذا لا يقيم عرفات دولة فلسطينية فى الاردن ؟ » ، ثم لم يتورع عن أن يضيف , نحن على استعداد لاحتلال الاردن وتقديمه لعرفات » !

هذا عن الشعب • أما عن المنظمة فلا يمكن ، على حد قول آلون ، الاعتراف بمنظمة التحرير كالممثل للشعب الفلسطينى لان الذى يمثله هم « الفلسطينيون الاردنيون » فى الضفتين الغربية والشرقية [كذ] ا•

ومن الطريف أن رابين للاسـتهلاك الخـارجى لا شـك ، يعتـرف أنـه « بـدون حـل للمشـكلة الفلسـطينية لا يمكن أن يتحقق سلام عادل دائم » ، ولكنه يردف على التو أنه يعتقد أن « المشكلة الفلسطينية يمكن ويجب حلها فى نطاق مفاوضات بين اسرائيل والاردن » ، واسرائيل « ما زالت تعتقد أن الاردن هو المفاوض الطبيعى عن أراضى الضفة الغربية » • لماذا ؟ ـ لانها ، كما تقول ، قد أخذتها من الاردن ولن تتفاوض عليها الا مع الاردن •••

أما المنظمـة ، التى وصـفها تيكواه فى الامم المتحدة بأنها « منظمة للقتل » ، فان « لقاء اسرائيل ومنظمة التحرير ليس مقبولا الا فى سـاحة القتال » ، « وأكبر خطأ يمكن أن ترتكبه اسرائيل هو أن تعترف بالمنظمة » (رابين) ، « ولا يمكن لاى اسرائيلى عاقل أن يفكر فى الجلوس مع ياسر عرفات » (مايير) ، « واسرائيل لن تتفاوض مع منظمة التحرير الفلسطينية المزعومة ، لا لانهم فلسطينيون ، ولكن بالرغم من انهم فلسطينيون » (آلون) !

وحتى الاردن ، بعد تطورات السياسة العربية الاخيرة وخاصة بعد الرباط ، لا حوار معه اذا كان سيتحدث لحساب المنظمة . « فلو تفاوض الملك حسين ، فى جنيف ، بوصفه طرفا ثالثا لكى يترك بعد ذلك الاراضى التى تنسحب منها اسرائيل لياسر عرفات » ، قال رابين ، « فان الملك الاردنى يستبعد نفسه من الان كطرف يمكن التفاوض معه فى مؤتمر جنيف . كذلك فانه « ليس هناك ما يمكن التحدث بشأنه مع منظمات المقاومة . واذا ما تقرر ألا يكون الاردن طرفا ، فليس هناك أحد يمكن التحدث معه بشأن السلام على الحدود الشرقية . ورفض اسرائيل التام التعامل مع منظمات المقاومة سيسرى حتى لو تخفت المقاومة فى ثياب الملك حسين » .

وعلى أية حال فان اسرائيل ، كما كتبت الجيروزاليم بوست ، « لا يمكن أن تبحث مسألة الحدود مع منظمة ليست دولة وليست لها حدود » ، ولا بشأن « أرض لا تقيم عليها » (أى الضفة الغربية) . وعموما فان اسرائيل ترى أن اعترافها بالمنظمة يعنى ارغامها على العودة الى حدود تقسيم ١٩٤٧ ، وهذا ما يعنى عندها بداية انهيار الدولة .

أما عن الدولة الفلسطينية ، فقد كانت سياسة اسرائيل دائما ، قبل أكتوبر كما هى بعده ، أنه لا مجال لدولة ثالثة بين البحر والصحراء أو بين اسرائيل وحدود العراق . فى المخطط الاسرائيلى ثمة فقط دولتان مستقلتان بين البحر والنهر ، هما اسرائيل التى ستظل عاصمتها القدس « مدينة موحدة » ، ودولة عربية الى الشرق منها تضم الاردنيين والفلسطينيين تتحقق فيها الشخصية الذاتية للفلسطينيين وترتبط بعلاقات سلام وجوار طيبة مع اسرائيل (كذا) .

وفى هذا الاطار ، الامبريالى تحت الجلد وحتى النخاع ، ومن موضع القوة والسيطرة المطلقة ، طرحت اسرائيل بعد يونيو مباشرة مشروع الدولة الفلسطينية لتكون دولة دمية مسخا puppet state أو كاريكاتير دولة ومحمية اسرائيلية و « معزلا » أو « بانتوستانا » فلسطينيا ، قل « فلسطينستان » ، على غرار بانتوستانات جنوب افريقيا العنصرية . ولكن حتى هذه المناورة المكشوفة عادت اسرائيل بسرعة فسحبتها ثم دفنتها وأصبحت تحاربها بضراوة ، لان دولة فلسطينية فى جنب اسرائيل تصبح « رأس جسر ضد اسرائيل » (مايير) وبمثابة « قنبلة زمنية موقوتة على ضلوعها » (رابين) ، ومنصة انطلاق للصواريخ السوفيتية على مرأى ومرمى من تل ابيب نفسها ، و « بداية الدمار لاسرائيل » (دايان) .

وقد انزعجت اسرائيل بعد أكتوبر وحدث بها اضطراب عظيم لتصريح لوزير الخارجية آلون فحواه أنها على استعداد للقبول بدوله فلسطينية فى نطاق دولة فيدرالية اردنية ، واضطرت الحكومة الى نفى التصريح بحسبانه لا يمثل راى الدولة الرسمى ! وعاد آلون نفسه يزعم أن « اقامة دولة فلسطينية مستقلة سيكون معناه فصل الجماعة الواحدة ذات العلاقة الاسرية والتاريخية الوثيقة على ضفتى النهر ، وان هذه الدوله ستكون فى حالة انشائها بؤرة للتطرف والعدوان ازاء الاردن « كذا » واسرائيل ، وستكون قاعدة لتغلغل السوفيتى فى المنطقة ، وأن انشاءها يعنى تنفيذ سياسة لتصفية اسرائيل على مراحل وحرمانها من الحدود الامنة والقابلة للدفاع عنها » .

وبالمثل تكرر الاضطراب بشكل أكثر اثارة حين صرح وزير الاعلام ياريف بأنه « اذا ما ألغت منظمة التحرير الفلسطينية ميثاق سنة ١٩٦٨ ، واعترفت بوجود دولة يهودية ذات سيادة كاملة وكفت عن القيام بجميع الاعمال العدوانية ، فان اسرائيل ستقبل حينئذ اجراء المفاوضات مع هذه المنظمة » . وعلى الفور تصدى رابين ونفى التصريح مؤكدا ان اسرائيل لن تتفاوض مع ألد أعدائها الذين يعملون على تصفيتها . كذلك تصدت له الصحف الاسرائيلية ، التى انتقدت ايضا هذا التضارب المخل على مستوى القيادة السياسية . فقالت معاريف مثلا : ما الذين يمكن أن يحدث لو رفضت المقاومة الفلسطينية السيناريو الذى أعدته اسرائيل ؟ انهم سيمضون بلا شك فى الحرب ، ولن يطالبوا بجزء من « البلاد » ولكن سيطالبون بها كلها !

ذلك ، فى هيكله الاساسى ، هو الموقف الاسرائيلى من فلسطين شعبا ومنظمة ودولة . منه نفهم ايضا وبسهولة لماذا يختلف عند العدو مغزى الضفة الغربية [فضلا عن القدس على رأسها وعلى رأس فلسطين بأسرها] . من بين كل الاراضى المحتلة فى يونيو ، ولماذا يتميز موقفه منها فى التسوية . فعلى عكس سيناء والجولان ، الضفة الغربية [ومعها غزة] هى من صلب فلسطين السليبة ، ولذا فمصيرها يعكس ظله مباشرة على مصير الارض المحتلة فى ١٩٤٨ . ومن هنا أيضا ، وليس من هناك ، نفهم كذلك لماذا وجد العدو فيها « العقدة » الجاهزة التى يضعها فى « منشار » التسوية ليخربها واتخذ منها أكبر عائق يقيمه فى مضمار سباق الحواجز .

والتكتيك الذى اختاره العدو لتنفيذ هـذه الاستراتيجية هو ألا تفاوض على الضفة الغربية الا مع الاردن ومن خلاله . وفى اطار هذا الشرط كان العرض الذى قدمه صفقة صفيقة وخاسرة يتم بها اخراج الاردن تماما من الصراع وعقد صلح نهائى معه فى مقابل تواجد هزيل له فى شريط محدود من الضفة كما رأينا . وحين أغلق قرار الرباط هذا الباب نهائيا فى وجه مخطط العدو ، بدأ يلوح ويسعى الى فرض تسوية داخلية فى الضفة تحت اسم ما دعاه « الحكم الذاتى » ومن خلال زعامات محلية مشبوهة وقيادات مختلقة و « بديلة » يضع بها المنطقة تحت سيطرته ووصايته الفعلية ويضع العرب والعالم ازاء أمر واقع جديد . غير أن فشل هذه الخطة بدورها محتوم ، وقد بدأت بوادره فى الثورة الشعبية الحقيقية المستمرة لاهالى الضفة والتى جعلت وجوده أصعب منه فى أى وقت مضى والتى ستجعل أيامه فيها معدودة ومرهونة بالتسوية الشاملة مهما ناور أو قاوم .»

ان آجلا أو عاجلا ، نحن نخلص ، سترغم اسرائيل على قبول الامر الواقع الجديد ، الامر العربى . واذا شئنا شهادات الاخرين ، محايدين أو حتى أعداء ، فثمة هـذه الاحكام الدامغة . « قضاء اسرائيل وقدرها » ، تقول النوفيل اوبزير فاتير ، « هو الاعتراف بأن منظمة التحرير الفلسطينية هى الممثل الشرعى والوحيد للشعب الفلسطينى ، والتفاوض معها » . هذا بينما كتبت زيد دويتش تسايتونج تقول « ان اسرائيل لا مناص لها من الاعتراف بالفلسطينيين وباقامة دولة فلسطينية » . حتى الجويش كرونيكل تعترف قائلة « مع التعاطف الكامل مع اسرائيل فى ورطتها الرهيبة ، فان هناك ظروفا جديدة فى الشرق الاوسط تجعل منظمة التحرير الفلسطينية فى وسط الاحداث السياسية . فرصة عقد اتفاق مع الملك حسين ليست قائمة اليوم ، وينبغى حتما البحث عن مستقبل الضفة الغربية بالاشتراك مع منظمة التحرير الفلسطينية » . كذلك صرح فولبرايت بأن الاسرائيليين وان كانوا قد تعهدوا بعدم التفاوض مع المنظمة فانه لا يعتقد أن هذا الموقف نهائى . وأخيرا وليس آخرا هناك جولدمان ، داعية السلام الصهيونى ، يصرح بأن على الشعب الاسرائيلى أن يعد نفسه للقرار المصيرى الصعب وقبول « البديل المر » ، وبأن « الوقت قد حان لاتخاذ قرارات مؤلمة للغاية ، قرارات جذرية لايمكن تجنبها . حان الوقت للقيام بمحاولة جذرية لكسر الجمود تضع اسرائيل والعرب على السواء أمام الاعتراف المتبادل » .

عـودة فلسـطين

واذا نحن نظرنا الان الى مجمل القضية الفلسطينية من زاوية التغيرات والمتغيرات الاستراتيجية الاخيرة ، فواقع الامر أن اسرائيل تلقت أكبر هزيمة سياسية لها منذ اكتوبر فى صميم المسألة الفلسطينية بالذات ، على حين سجل العرب فيها بالمقابل أعظم نصر سياسى لهم ، كما لا شك أن هذا النصر وتلك الهزيمة هما معا أخطر النتائج السياسية لحرب أكتوبر . فكما جاء مؤتمر الرباط [هل نقول رباط الفتح ، « رباط فتح »] مؤتمر فلسطين بالضرورة جاءت دورة الامم المتحدة دورة فلسطين بلا جدال ، فكان العام برمته عام فلسطين بامتياز . وهذه الصدمات الكهربائية المتلاحقة تفسر تلك الهيستيريا السياسية الحادة التى اجتاحت اسرائيل مؤخرا الى الحد الذى لوحت معه بالانسحاب من الامم المتحدة [ربما قبل أن تطرد !].

فأما عالميا ، ففى غضون عام واحد كسبت قضية الشعب الفلسطينى اكبر قدر من تأييد الرأى العام العالمى ودوله واشتد بروز وتبلور الشخصية الفلسطينية على المسرح الدولى وعاد اسم فلسطين والشعب الفلسطينى تفرض نفسها على خريطة الدنيا بعد أن استماتت اسرائيل فى طمسها ودفنها الى الأبد . وبالقدر نفسه فقدت اسرائيل الارض التى كسبتها بالخداع والتضليل على مدى ربع قرن أو يزيد وازدادت عزلتها الى حد مدمر . وبعد أن كان كل العالم تقريبا يرفض الاعتراف بفلسطين وحقوقها وشعبها ، اصبح كل العالم تقريبا يرفض أطماع اسرائيل ودعاواها ويعترف بفلسطين . انه عام الزحف الفلسطيني المطرد الصاعد النظيم ، والتراجع الاسرائيلى السريع والاكيد .

معظم زعماء العالم ، ابتداء من السكرتير العام للامم المتحدة الى رؤساء رومانيا وبلغاريا الى النمسا وفرنسا ، فضلا بالطبع عن دول المعسكر الاشتراكى وعدم الانحياز والقارة الافريقية والعالم الاسلامى ، أعلنوا صراحة أو ضمنا تعاطفهم وتأييدهم للحق الفلسطينى فى تقرير المصير والعودة وانشاء الدولة المستقلة . ولبعض هذه التحولات قيمة خاصة لانها ذات مغزى وثقل غير عاديين .

خذ مثلا فرنسا ، التى كان وزير خارجيتها أول مسئول رسمى كبير من دولة غربية كبيرة يجتمع بقائد ورئيس منظمة التحرير الفلسطينية ، وصرح بأن فرنسا تعتقد أنه قد حان الوقت ليعترف المجتمع الدولى بالامال المشروعة للشعب الفلسطينى . ثم اعتبر ما أعلنه رئيسها ديستان بجلاء من أن « الفلسطينيين يشكلون كيانا وحقيقة وشعبا ... واذا ما اريد الوصول الى تسوية

سلمية دائمة فى المنطقة ، فيجب معالجة القضية الفلسطينية . واذا عولجت كل القضايا الاخرى دون هذه فليس هناك أى أمل فى سلام دائم فى الشرق الاوسط » . ثم حدد الرئيس الفرنسى أبعاد المشكلة فى ثلاثة : القضية الفلسطينية ، الاراضى العربية المحتلة ، أمن اسرائيل . ومن هذا المنطلق اعلنت فرنسا بصيغة حادة أنها تقدر ان حياة اسرائيل او بقاءها يستدعى بالضرورة الاعتراف بالوطن الفلسطينى ، وأن مستقبل اسرائيل داخل حدود آمنة ومعترف بها لا يتحقق الا بحل مشكلة الوطن الفلسطينى .

وفى تقديرنا ان هذه التصريحات الخطيرة لا ينبغى ان تمر دون أن ندرك دلالتها التاريخية : انها تكاد تؤلف « وعد بلفور مضاد » ، اى وعداً للعرب ، حتى ولو كان وعداً أدبيا بحتا لا تسنده اى قوة أو تواطؤ انتدابى ... ولا تزال فرنسا تعمل باصرار على توحيد كلمة اوربا الغربية او السوق المشتركة وموقفها من قضية الشعب الفلسطينى . وما تقوله فرنسا اليوم تقوله اوربا - عادة - غدا «للشاعر هاينى كلمة قديمة مؤداها انه يعجبه فى باريس أنها تسبق عصرها دائما بقرن ... » .

أما مؤتمر الرباط ، الذى وضع جوهر استراتيجية العدو فى التلاعب على التناقضات العربية على طريق مسدود نهائيا ، فقد هاجمته اسرائيل بعنف محموم . فالمؤتمر ليس هو « الكلمة الاخيرة فى سياسة الشرق الاوسط او فى شئون الشرق الاوسط ... ومزاج الرباط ليس هو المؤشر نحو حل سياسى » « آلون » . واسرائيل ، كما أضاف رابين ، ترفض التفاوض مع المنظمة التى « تضم منظمات ارهابية تعترف بأن هدفها هو تصفية اسرائيل » ، وهى « لن تقبل دوله فلسطينية ثالثة ولن تسمح للمخربين باقامة موطىء قدم لهم فى المنطقة ... لقد عهدت البلاد العربية الى منظمة تتألف من مجموعة من السفاحين بتشكيل الدولة الفلسطينية المقبلة ، وهذا يعنى مواصلة سياسة العمل على تصفية دولة اسرائيل ... ان تشكيل الدولة الفلسطينية يعنى تصفية اسرائيل » ...

ونصل الى ذروه الهزيمة الاسرائيلية تحت سقف الامم المتحدة ، دون أن نذكر امتدادها فى اليونسكو . فحين نجح العرب فى الحصول على تأييد ١٠٥ دول فى ادراج القضية الفلسطينية كبند منفصل ومستقل عن ازمة الشرق الاوسط فى جدول اعمالها ، زعمت اسرائيل أن ذلك يتعارض مع الجهود السلمية التى تبذل لحل الازمه . وحين دخلت فلسطين الى الهيئة وصدرت قرارات الاعتراف بها وبمنظمتها وبحقوقها باغلبية نحو ١٠٠ دولة واصبحت مراقبا رسميا ، كان رد الفعل الاسرائيلى دراميا بل مأساويا .

فخطاب عرفات التاريخى ، الذى طالب فيه بحق تقرير المصير للفلسطينيين وبالدولة الفلسطينية العلمانية الديموقراطية متعددة القوميات والاديان ، يعنى عند رابين أنه « ليس من حق الشعب اليهودى أن تكون له دولته الخاصة به » وانه كتب عليه أن يبقى الى الابد اقلية متناثرة فى أنحاء العالم . انه يرج الكيان الاسرائيلى كله ويقوم على مبادىء تهدد وجود اسرائيل » . هذا بينما كتبت هاآرتس تقول ان الخطاب تعبير عن الامل الاول للفلسطينيين وهو تحويل اليهود الفلسطينيين « كذا » الى اقلية صغيرة غارقة وسط الكتلة العربية . كذلك فان الهدف الحقيقى والوحيد للخطاب عند آلون ليس الا « تصفية دولة اسرائيل ... وحتى بالموافقة على منح صفة المراقب لمنظمة التحرير الفلسطينية فى الامم المتحدة فان ذلك سيكون ضررا بالغا بوجود اسرائيل ، لان معناه أن الامم المتحدة سوف تعتنق وجهة النظر الفلسطينية التى تنكر على اسرائيل حقها فى الوجود كدولة يهودية مستقلة ... وقرارات الامم المتحدة لن تعدل قرارى ٢٤٢ ، ٣٣٨ ، ولكن سيكون لها مع ذلك ثقل مؤكد » . أما عند ياريف فان « موافقة الامم المتحدة على قرارات فلسطين هى موافقة على تدمير اسرائيل » ، لان دولة فلسطين تعنى ببساطة « انتحار اسرائيل » ! » .

والسؤال الان هو : **ما معنى كل هذه التطورات الانقلابية ، وما مغزاها الصراعى** ؟ ثمة نقاط اربع جوهرية :

أولا : أن قضية فلسطين ، بهذا الدخول والقبول الاجماعى ، قد حلت نهائيا محل قضيه فيتنام فى الرأى العام العالمى وبين صفوف كل التقدميين والمناضلين من أجل الحرية فى كل مكان . انه دخول الى الشرعية الدولية ، تلب المائدة على اسرائيل وعلى دعايتها السامة والكاذبة عن « الارهابيين والمخربين وابتزازهم ... الخ » . وهو ايضا اعتراف من الامم المتحدة والمجتمع الدولى بأنها قد اخطأت فى حق الشعب الفلسطينى ، وهى الان تصحح خطأها بل خطيئتها ، وبالتالى اعتراف بأن اسرائيل كانت غلطة ، لابد مستقبلا من تصحيحها هى الاخرى .

وهو اخيرا اشبه ان يكون اعترافا أو شبه اعتراف - أو كما قال الرئيس اللبنانى نصف

اعتـراف ـ بـالشعب الفلسطينـى والوجـود الفلسطينى ، وربما يرقى ضمنيا ودون مبالغة الى نوع أو درجة من سحب الاعتراف باسرائيل .

ثانيا : أن هذا التصويت الدولى بأغلبية ساحقة فى أكبر منبر عالمى لا يقل خطرا ولا مغزى بالنسبة لمستقبل عودة فلسطين عن معنى مـؤتمر بازل الصهيونى سنة ١٨٩٧ بالنسبة لنشأة الدولة اليهودية . بينما تكاد ردود الفعل الصـهيونية الهيستيرية ـ وهم أساتذة فن الهيستيريا الجماعية وعلم الحملات المحمومة campaignology منذ عيسى حتى آيخمان ، حقا أو باطلا لا يهم ـ تكاد ردود الفعل هذه من مظاهرات وضغوط عنيفة فى نيويورك تذكرنا ، ولكن بطريقة عكسـية ، بمثيلاتها ايام التقسيم عام ١٩٤٧ . يؤكد هذا ما كتبه مراسل التايم فى القدس من أن « الجو فى اسرائيل يشبه الى حد بعيد الجو الذى كان سائدا فى مثل هذا الوقت عام ١٩٤٧ . ففى تلك الايام كان اليهود قلقين على بقاء الدولة كما هم الان » .

كذلك فلن نغالى اذا اعتبرنا دعوة العديد من الدول والدول الكبرى ورؤسائها الى ضرورة قيام دولة فلسطينية بمثابة دعوة مضادة الى « وطن قومى » للفلسطينيين . لقد تكلم البعض عن الحاجة الى «صهيونية عربية» مضادة للصهيونية الاسرائيلية الدخيلة ، بمعنى العودة الى ارض الوطن الاب ، وليس مانراه اليوم من تطورات في مجمله الا جزءا من هذه العملية التاريخية .

ثالثا : أن عجلـة التـاريخ ، تاريـخ الصراع الفلسطينى ـ الصهيونى ، بدأت على الارجح ، بل على وجه اليقين ، تدور دورة عكسية ، وأخذ بندول تطور هذا التناقض التاريخي يتأرجح فى ذبذبة مضادة راجعا ادراجه الى الماضى الاصيل والاصل السليم . ان التراكم التاريخى الذى بنى منذ ١٨٩٧ ، ١٩١٧ ، بدأ يهتز ، ونحن نشهد اليوم تحت ناظرينا ، ولكن دون ادراك كامل فيما يبدو ، عملية فكه بالتدريج . لقد انفتح الطريق عربيا وعالميا أمام عـودة فلسطيـن الدولـة ، لا كفلسطينستان المدوولكن « كفلسطين الصغرى » ، قاعدة أمامية لاستكمال تحرير الوطن السليب وكنواة وخلية لفلسطين التاريخية على كامـل التراب الوطنى ، أو « كهانوى التحرير » . ولربما تصبح سنة ٧٤ مقلوب سنة ٤٧ سياسيا كما هى عدديا « ؟ » .

والواقع ان العرب اذا نجحوا فى تحقيق أهدافهم المعلنة فى هذه الجولة من تحرير الاراضى المحتلة فى يونيـو ، واقامة الدولة الفلسطينية المستقلة ، فستكون حرب أكتوبر قد نجحت فى العودة بعجلة الصراع من أوضاع ١٩٦٧ الى وضع قريب من وضع ١٩٤٧ أو ١٩٤٨ . ولا يبقى على العرب بعد ذلك فى المراحل القـادمة من الصراع الا أن يكملوا الدورة الراجعة بالعودة بالموقف من وضع ٧ ـ ١٩٤٨ الى وضع ١٨٩٧ » .

وما لا تدركه اسرائيل ، أو تحاول الا تعترف به ، هو أن هناك عملية محققـة حـاسمة واستراتيجية من اعادة توزيع للقوة فى المنطقة تعكس عملية مماثلة أكبر على امتداد عـالمنا المعاصر . لقد بدأ ـ نحن نجادل ـ العد التنازلى فى تاريخ حياة دولة اسرائيل ، على الاقل بصورتها الراهنة . ولم يعد شك أن مصير اسرائيل برمته اصبح فى الميزان . واذا بدا لاحد فى هذا مغالاة او أسراف فى التفاؤل ، فاليه نقدم تعليقا ديبلوماسيا اسرائيليا ذكرته مجلة تايم ردا على طلب اسماعيل فهمى تجميد الهجرة الى اسرائيل لمدة ٥٠ سنة حيث قال « على الاقل فان فهمى يظن أن اسرائيل ستكون مازالت فى مكانها بعد ٥٠ سنة من الان ! » ... حتـى كيسـنجر ، كمـا ذكرت الجيروزاليم بوست ، متشائم بالنسبة لفرص بقاء اسرائيل أمام العرب ... غير أن هـذا ـ نحن نحذر ـ لن يتم طواعية وسلما . وتماما كما حققت الصهيونية دولتها بالعمل المسلح والحرب ، فلن تقوم الدولة الفلسطينية القادمة الا بالنضال المسلح والحرب المجددة .

رابعا : أن الكيان الاسرائيلى يشعر لاول مرة منذ نشأته غير الشرعية أن شبح فلسطين لا يطارده فقط كتجسيد حقيقى تناسخ وبعث ، ولكن أيضا كجسم حى يكتسب الشرعية الدولية وينذر بأن يطبق عليه ويأخذ بخناقه . ان اسرائيل ـ لاول مرة ـ تجد نفسها فى حالة حصار سياسى شبه كامل يضاف الى الحصار العسكرى الذى بداه أكتوبر .

وهذا وحده ما يفسر حالة الفزع الهيستيرى والعصبية المفلوتة التى اجتاحت اسرائيل وعكستها تصريحات وتهديدات زعمائها ، وصرخة العرب المسعورة التى تخرج وتتصاعد كل يوم من بيت القاتل . فهذا انما هو رد الفعل الطبيعى للص الذى تعود أن يسرق ويفلت بجريمته حرا سليما ، بل ومعززا ، ولكنه لاول مرة يوشك أن يضبط وهو متلبس بجريمته وأن يفقد كل شىء فى يده ، وبأثر رجعى أيضا . انه الموقف التقليدى الذى يجعل اللص قاتلا بالضرورة ، والقاتل منتحرا فـى النهاية . ولكن تلك قصة أخرى ! » .

« لا » للجامعـــة الخاصـــة

« نعم » لتكافـؤ الفـــرص

د. عبد العظيم أنيس

في الوقت الذي تتجه فيه شـعوب العـالم وحكوماته الى مزيد من الديمقراطية في التعليم ، بتوسيع قاعدة اشتراك الطبقات الكادحة، في قطاعي التعليم العام والجامعي .. في الوقت الذي ترتفع فيه صيحات الهيئات الدولية ـ وفي مقدمتها اليونسكو ـ تؤكد على أهمية مبدأ تكافؤ الفرص في الخدمات التعليمية ، وتنزع القنـاع عن الدلالة الطبقية الحقيقية لنظريات التربيـة القديمة الفاسدة ، ولامتحـانات التصفيـة في المراحل المبكرة في سلم التعليم ، وللازدواج في التعليم الاعدادي والثانوي بين المدرسة «المهنية» والمدرسة النظرية العامة ... في الوقت الذي يعلو صوت اليونسـكو منبها الى أن الطبقـات الفقيرة قد حرمت زمانا طويلا منحقها فيالتعليم، وأن الامة ككل قد أضيرت بسبب هذا ، مؤكدا أن مبدأ تكافؤ الفرص ليس معنـاه مجـانية التعليم للجماهير الفقيرة فحسب وانما معناه أيضـا منح أبناء هذه الجماهير المساعدات المالية التي تكفل لهم القدرة على الاستمرار في التعليم !

في الوقت الذي نسمع فيه عن تجربة الجامعة المفتوحة في بريطانيا ، حيث يقبل النـاس في الجامعة دون اشتراط الحصـول على شـهادة الثانوية العامة ، ونسمع فيهعن المدرسةالشاملة الجديدة حيث يقضى على هذا الانفصالالكريه ذي الدلالة الطبقية بين العمل اليدوي والعملالذهني بين المدرسة الصناعية الثانوية وبين المدرسـة الثانوية العامة .

في هذا الوقت بالذاتننتكس نحن بديمقراطية التعليم ، ونتراجع نحن الى الوراء بدعوةالجامعة « الاهلية » المزعومة .. حتى ولو كان في هـذا الانتكاس تخليا عن أجل المبـادىء التي أرستها مواثيق الثورة ، ولا سيما الميثاق وبرنامج العمل الوطني !

والغريب اننا فى مصر قد أجدنا صناعة التخفى وراء اسماء براقة ذات تاريخ كريملترويج بضاعة زائفة ذات رائحة كريهة . **فالجامعة الاهلية** قد أسست فى مصر عام ١٩٠٨ ، انشأها هذا الشعب بماله وشاركت فى تأسيسها كل طبقاته عندما كان المستعمرون يضنون على هذا الشعب بفكرة الجامعة ، وسميت **أهلية** تأكيدا لبعدها عن السلطة والحكومة وهى التى كانت مأمورة بأمر السادة الانجليز فى لندن وممثليهم فى القاهرة . ومن هذه الجامعة خرج الجيل الاوائل من الثوار والمفكرين فى مصر الحديثة ، وكان على رأسهم رجل اسمه طه حسين ! ان الاغلبية الساحقة من تلاميذ هذه الجامعة كانوا من فقراء مصر الطامحين الى مزيد من التعليم والمعرفة والاتصال بحضارة الغرب ، والحالمين بالمشاركة فى بناء مصر الحديثة كما يتمنونها أن تكون !

ما هو « الاهلى » اذن فىهذه الجامعةالمقترحة اليوم على طريقة « **الجامعة الامريكية** » كما يقول **رئيس الوزراء** ، ونحن لدينا سبعجامعات فىمصر لا نعرف كيف نحل مشكلة عجز هيئات التدريس فيها ، ولا مشكلة عجز الموارد المالية عن بناء المعامل المطلوبة ، وتكوين المكتبات المطلوبة والارتقاء بمستوى البحث العلمى المطلوب ؟ ومن هم تلاميذ هذه الجامعة المقترحة ، ونحن نعلم أن التعليم فى هذه الجامعة سوف يكون بالمصروفات الغالية ؟

ليس هناك شىء « **أهلى** » فى هذا المشروع **اللقيط** ، وليس من حق أحد أن يسميه جامعة أهلية بعد ما وصلنا الى هذه المرحلة المتقدمة — فى ظل الثورة — من ديمقراطية التعليم .

ان من الغريب اننا من الناحية الفعلية — وبدون مشروع الجامعة « الاهلية » — ننتكس فى قضية ديمقراطية التعليم الجامعى منذ سنوات دون ان تكون لدينا الشجاعة على ان نعترف بذلك ... ولقد اصبح هذا واضحا فى السنوات الخمس الاخيرة ، بعدما اصبحت الدروس الخصوصية هى الفيصل فى الحصول على مجموع كاف لدخول الجامعة ، وبعدما امتد هذا الوباء القاتل الى الجامعة ، وبعدما ارتفع اجر المدرسين فى هذه الدروس الى الحد الذى لا يقدر عليه ابناء الفقراء ، وبعدما اصبحت امتحانات الثانوية العامة [والجامعات] مجرد اختبار ممل متكرر للقدرة على الحفظ والتحصيل ، دون اختبار للمهارات ، والقدرات العقلية والقدرة على مواجهة الموقف الجديد . وكل من لهم صلة بالجامعة اليوم . يستطيعون ان يروا بأنفسهم ، ان نسبة ابناء الطبقة المتوسطة واثرياء البلاد ممثلون فى الجامعة بأضعاف أضعاف نسبتهم العددية فى هذه الامة ، وان هذه الظاهرة فى ازدياد وليست فى انخفاض ، ولاسيما فى الكليات « الراقية » كالطب والهندسة والاقتصاد والزراعة ! أليست الحقيقة ان التعليم الجامعى فى مصر قد انقسم عمليا الى قسمين : قسم الكليات « الراقية » حيث غالبية تلاميذه [ولا أقول كلهم] من ابناء الطبقات الوسطى وما فوقها وهؤلاء يعدون للمهن « الراقية » ذات الدخل الوفير أو للمناصب « الراقية » فى اجهزة السلطة والحكومة ، وقسم الكليات « الشعبية » مثل كليات التربية حيث يحتشد ابناء الفقراء والشرائح الدنيا من الطبقة الوسطى استعدادا للمهن « غير الراقية » مثل التدريس ؟

فى هذا الوقت الذى يرى كل ذى عينين هذه الحقائق واضحة وناصعة ، يعلن الدكتور **عبد العزيز حجازى** رئيس الوزراء هذه « البشرى » الجديدة بانشاء ما يسمى بالجامعة الاهلية ، ويختار لهذا الاعلان مناسبة لقائه بالمعيدين ومساعدى المدرسين فى الجامعات الحكومية ، وكأن هؤلاء المعيدين تشغلهم قضية الجامعة « الاهلية » !

أليس من حق هذا الشعب الذى خاض معارك اكتوبر فى بطولة ودفع ضريبة الدم فى سخاء ان يسأل : لماذا ؟ ... لمن ؟ وكيف ؟

واذا كان رئيس الوزراء لم يحاول فى لقائه هذا ان يجيب على هذه الاسئلة الثلاث فان من حقنا وواجبنا ان نحاول البحث عن الاجابة لها .

لماذا الجامعة « الاهلية » ؟

الاجابة الصريحة على هذا السؤال هى : لكى يدخل فى نطاق التعليم الجامعى ابناء الطبقات الوسطى وما فوقها الذين عجزوا — رغم تسهيلات الدروس الخصوصية — عن دخول الجامعة المصرية اصلا ، او دخول احدى الكليات « الراقية » ! هذه فى الحقيقة الاجابة الصريحة ، ودعونا من التمسح فى ابناء العرب الذين يتخذون كمدخل لا اكثر ولا أقل فى هذه القضية باكملها ! ان ابناء الاشقاء العرب موجودون فى الجامعات المصرية ولم يطالبوا فيما نعلم ان تكون لهم جامعة مستقلة . وهم على اية حال ليسوا من الكثرة التى تبرر ذلك ولن يكونوا ، خصوصا اذا عرفنا ان التعليم الجامعى فى كل البلاد العربية فى توسع مستمر الى حد ان دويلات الخليج التى اثرت ثراءا هائلا من البترول قد بدأت فى انشاء جامعات مستقلة لها رغم قلة مواردها البشرية الواضحة .

ان الغالبية الساحقة من ابناء العرب فى الجامعات المصرية قد بدأوا يتركزون فى اقسام الدراسات العليا لا فى مرحلة الليسانس

والبكالوريوس . وهؤلاء احوج ما يكونون الى جامعات مصرية ذات تقاليد فى البحث العلمى والدراسة للحصول على الماجستير أو الدكتوراه، ولن تكون الجامعة المقترحة بالجامعة ذات التقاليد فى البحث ولا سيما فى السنوات العشر القادمة ! **ان رئيس الوزراء — كأستاذ جامعى سابق — يعلم علم اليقين حالة البحث العلمى فى الجامعات المصرية ، لاسباب عديدة فى مقدمتها نقص الموارد والتجهيزات . فكيف لم يخطر بباله — اذا كان لديه فائض من الموارد — انيدعم بها اقسام البحث فى الجامعات بدلا من بعثرة الموارد على هذا المشروع الغريب ؟**

ننتقل الى السؤال الثانى : **لمن تكون هذه الجامعة ؟** اعتقد ان الاجابة على السؤال الاولقد اغنتنا عن التفصيل . على ان الذى يعنينى هنا ايضاحه ان هذا النوع من التلاميذ المنتظر مجوجه على الجامعة « الاهلية » هم اضعفتلاميذ المرحلة الثانوية قاطبة من الناحية العلمية ، ولا شك ان هذا سوف ينعكس على مستوى الدراسة فى هذه الجامعة . ان هؤلاء هم الذين يذهبون كل عام الى **جامعة القاهرة [فرع الخرطوم]** او **جامعة الاسكندرية [فرع بيروت]،** يتخذون منهما قنطرة للقفز فوق الحواجز والعودة الى الجامعات المصرية بعد عام ، ضاربين عرض الحائط بمبدأ تكافؤ الفرص الذى ارست الثورة أسسه . ولو كان فى الجامعات المصرية [فرعى الخرطوم وبيروت] كليات للطب والهندسة أو الاقتصاد والزراعة لما زاد الالحاح على فكرة الجامعة « الاهلية » ولما اشتد ضغط «مجموعات الضغط » المعروفة على سرعة انشاء هذه الجامعة .

ان من الغريب ان نتقبل موضة فكرية جديدة تقول : لماذا لا نتقبل هذه الجامعة كأمر واقع ؟ فقبول هذا المنطق هو فى الحقيقة تقنين للسلبيات التى نوجهها فى مجال التعليم تكريس للتفرقة الطبقية التى يتسع مداها فى خدمات التعليم والصحة والمواصلات ... الخ . وبدلا من مواجهة كل مشكلة بحلول حاسمة تضرب فى جذورها الحقيقية، نحاول ان نتقبل هذه السلبيات كأمر واقع ثم نعمل على تقنينها ، ثم نكتشف بعد ذلك ان المشكلة قد تفاقمت ولم تحل ابدا ! **الم يكن هذا هو منطق** تشجيع استيراد التاكسيات كحل لازمة المواصلات ونحن نعلم من هم القادرون على ركوب التاكسيات ومن هم غير القادرين ؟ ومع ذلك ظلت ازمة المواصلات فى القاهرة كما هى ان لم تكن قد تفاقمت عن ذى قبل !

اليس هذا ما سماه البعض بالانفتاح الاقتصادى ؟ فهل تكون الجامعة « الاهلية » انفتاحا آخر فى مجال التعليم ؟

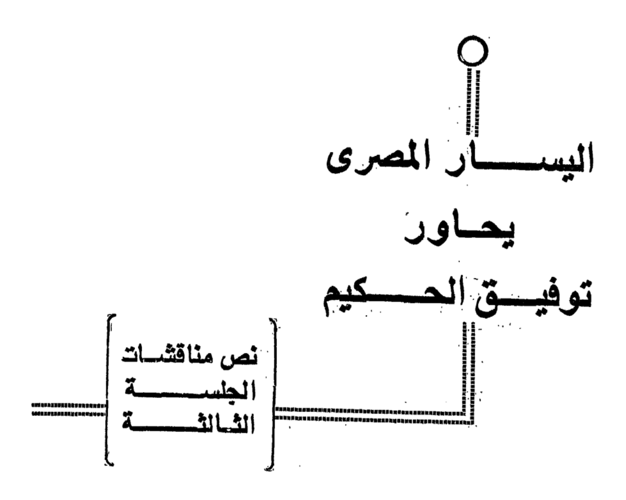
واخيرا يبقى السؤال الثالث : **كيف تقام هذه الجامعة ؟** من الذين سيقومون بتمويلها ؟ ومن أين نأتى بهيئات التدريس اللازمة ونحن نعلم اننا — فى بعض التخصصات — نعانى فقر دم شديد؟ ان من حق جماهير الشعب ، ومن حق مجلس الشعب أن يعرف ما اذا كانت الحكومة سوف تساهم فى تمويل الجامعة ؟ واذا كانت فعلى أى أساس وبأى منطق يحدث هذا ، وخدماتنا التعليمية والصحية والسكنية والنقلية الحالية على ما هى عليه من سوء وفى اشد الحاجة الى رأب الصدع الذى اصابها بعد عام ١٩٦٧ ؟

منذ سنوات لم نبن مدرسة ثانوية واحدة وبعض مدارس الوزارة القائمة مهدد بالسقوط — كما يعلم دون شك رئيس الوزراء ، والقصر العينى القديم على وشك الانهيار وهم يخلونه من مرضاه كما يعلم دون شك رئيس الوزراء .

ولقد تقبل الناس هذا الواقع المر على أساس أن معركتنا مع اسرائيل قد اقتضت هذه التضحيات وأن نفقات العبور فى اكتوبر قد الزمتنا بالصبر والسكوت . فكيف يصبر الناس ويسكتون اذا كانت الحكومة تنوى ان تساهم فى نفقات هذه الجامعة الجديدة ، اكراما لسواد عيون بعض ابناء الطبقة الوسطى واثرياء البلاد !

ان المدافع والطائرات الاسرائيلية لم تفرق — فى شهدائنا — بين ابناء الفقراء وابناء الاثرياء عند العبور الى ارض سيناء !

فكيف بالله نفرق نحن بعد اكتوبر ؟ ... كيف!



الوصول الى وحدة حقيقية ومبدئية ؟ فى الرأى والموقف ؟ ليس عملا سهلا على الدوام . انما هو ولادة عسرة ، بكل معانى الكلمة .

فلكى تتوحد أفكار الناس ، وتتقارب ، من خلال حوار حر ديموقراطى — لا بد — من أن توضع الخطوط الفاصلة والمميزة ، بين الرأى وبين الرأى الاخر ، فتتضح — بادىء ذى بدء — نقاط الخلاف ونقاط الاتفاق ..

وجاءت الجلسة الثالثة لحوار اليسار المصرى مع توفيق الحكيم ، لتطرح على الندوة نقاط الاتفاق ونقاط الخلاف ، فى الموضوع ، وفى الشكل ، وفى زاوية الرؤية والمنهج ، فى قضايا عامة ، وأخرى جزئية .

فبينما ساد الاتفاق على ان نبدأ الندوة بأن يقدم كل مشترك فيها صورة مصر المستقبل ...

وبينما اتفق الجميع على ان مصر التى نستشرفها هى « مصر الاشتراكية » ، وان حركة المجتمع نحو بناء الاشتراكية ترتبط ارتباطا عضويا بالبعدين العربى القومى والدولى ، بنمو وتعاظم حركة التحرر العربى ، ونمو وتعاظم الحركة الاشتراكية العالمية

وبينما ساد اتفاق شبه كامل ، على أن وضع صورة للمستقبل يتطلب الانطلاق من الارضية الراهنة التى تقف عليها البلاد حاليا ، بكل ماوصلت اليه خلال عشرين عاما ، وبكل الاختيارات المطروحة على الصعيد السياسى — أمام الرأى العام المصرى والعربى ...

نقول بينما حدث هذا ، تعددت المناهج ونقاط الانطلاق ....

نقاط الاتفاق ونقاط الخلاف



هناك ... من بدأ تحليله من هذه النقطة وهى أننا امام اختيارين مطروحين فى الساحة المصرية الطريق الليبرالى والطريق الاشتراكى .

وهناك ... من انطلق ابتداء من حصيلة تاريخ بأكمله لثورة يوليو ، وما قدمته على الصعيد السياسى والاقتصادى والاجتماعى والفكرى ، موضحا أن المجتمع المصرى قد حسم الاختيار ، وأنه اختار الاشتراكية ، وأن أساس كل الصعوبات كامن فى أننا لم نسر فى طريق التحولات الاجتماعية بالقوة والعمق اللازمين .

وهناك .. من ركز فى عملية استشراف المستقبل من خلال البدء بدراسة وتحليل واقع ومستقبل عن التنظيم السياسى القائم [الاتحاد الاشتراكى] .

أما نقاط الخلاف ، فقد تبلورت — من خلال النقاش — حول ما يسمى بالنموذجين المطلوبين لتطوير مصر : النموذج الليبرالى ، والنموذج الاشتراكى .

وفى خلال النقاش أيضا طرحت قضايا تاريخية واجتهادات فكرية مفيدة :

- من هم الليبراليون المصريون ؟ وهل هناك تيار ليبرالى واحد أم أكثر . وما طبيعة كل تيار ؟
- هل حققت ثورة يوليو انجازات أساسية ملموسة ، أم أن أكثر ما قدمته كان فى باب المبادىء العامة والنوايا الطيبة ؟
- اليمين الرجعى ماذا يريد ؟ ولماذا تتعارض مصالحه مع مصالح النظام القائم .
- الاتحاد الاشتراكى ... الاحزاب ... الجبهة الوطنية ... الانفتاح ... ما الرأى فيها ؟ وما علاقة هذا كله بالرؤية المستقبلية للمجتمع المصرى ؟ ان هذا كله طرح فى الجلسة الثالثة للحوار !!

■ **لطفى الخولى :**

هذه هى الجلسة الثالثة للحوار . وأحب فى البداية أن أرحب بانضمام زميلنا الاستاذ احمد عباس صالح الينا ، والاستاذ توفيق الحكيم موافق ؟

■ **توفيق الحكيم :**

موافق ومرحب .

■ **لطفى الخولى :**

فى هذه الجلسة نحن نواصل مناقشتنا حول التصور العام لكل منا لمصر المستقبل فى خطوط عامة لمجرد ايضاح رؤية ومنهج كل منا وذلك قبل ان نتعرض للتجربة . فى الجلسة السابقة لم يتسع الوقت للجميع لابداء وجهة نظره . نرجو ان ننتهى فى هذه الجلسة من هذه النقطة . الدكتور عبدالعظيم انيس مدعو للحديث .


لطفى الخولى

■ **د. عبد العظيم انيس :**

حقيقة أن استقراء مستقبل مصر مسألة صعبة ، لان مصر اليوم هى فى مرحلة مفترق طرق ، والحديث عن مستقبل مصر ، قد يعنى مستقبل مصر كما يتمناه المتحدث . أو مستقبل مصر كما تشير اليه الظروف الموضوعية . وحتى لا يكون حديثا من نوع من الرجم بالغيب ، أو تمنيات جوفاء ، فاننى اعتقد أن أقصى ما نستطيع فى هذا المجال هو أن نرصد امكانيات المستقبل ، واثقين ان علاقات القوى الاجتماعية وتوازناتها داخليا وعربيا ودوليا ، هى التى ستحسم السؤال الحيوى بين هذه الامكانيات والذى سيتحول الى واقع فى حقيقة الامر . وكما قلت فى الجلسات الماضية ان من الممكن لاى واحد ان يرصد امكانيتين اساسيتين فى مستقبل مصر خلال العشرين سنة القادمة أو نموذجين اساسيين يقفان على طرفى نقيض فيما يتعلق بمستقبل مصر . **النموذج المسمى بالنموذج الليبرالى** ، الذى تكلم عنه الاستاذ توفيق الحكيم بكل ما يعنيه هذا النموذج . والنموذج الاخر الذى نسميه **النموذج الاشتراكى** .

هناك عدد من المثقفين المصريين لايك انسان فى اخلاصهم يتحولون ، اليوم ، الى مشايعة ما يسمى بالنموذج الليبرالى ، وليس فى ذهنهم اى وضوح فكرى كامل عن معنى هذا النموذج اليوم فى ظروف مصر المحددة ، ونتائجه الحقيقية فيما يتعلق بالمستقبل . كل ما يعبرون عنه ، هو فكرة حرية تكوين الاحزاب بكل اتجاهاتها ، حرية الصحافة . ولا يعنى هذا مجرد الغاء الرقابة على الصحف ، انما فصل الصحافة عن الاتحاد الاشتراكى ، والسماح للافراد باصدار الصحف ، وانتخاب برلمان ليس لدى أعضائه فكرة الالتزام قبل الدولة والحكومة ... الخ أى محاولة ايجاد مناخ سياسى فى مصر مماثل - وهذه تمنياتهم - لما هو موجود فى البلاد الغربية كبريطانيا أو فرنسا . هؤلاء المثقفون يدفعهم الى هذا الاتجاه واقع مفهوم ، وهو ما حدث خلال السنوات الماضية من اعتداءات وتعذيب شمل احيانا أقصى اليمين ، وشمل أحيانا أقصى اليسار ، وشمل احيانا أيضا ما بين اليمين واليسار .

المشكلة فيما يتعلق بهؤلاء أن كثيرا منهم يظن أنه بهذا الطريق يمكن احياء التراث الايجابى للحركة الليبرالية فى مصر التى نشطت فى العشرينات والثلاثينات ، غير منتبهين ان واقع مصر فى هذه الحقبة غير واقع مصر اليوم . وفى رأيى أن التجربة الليبرالية فى العشرينات

غير قابلة للاعادة الان ، وان مستقبل مصر الليبرالية السياسية كما نعرف هو انعكاس لواقع هو الليبرالية الاقتصادية . أو محاولة لتعميد هذه الليبرالية الاقتصادية التى تعنى حرية التعامل فى السوق .. حرية انشاء المؤسسات الاقتصادية .. حرية اختيار انشطة العمل .. حرية تداول الجنيه فى السوق الخارجى .. حرية الاستيراد .. حرية التصدير .. الى آخر هذه الحريات ، وعندما كانت مصر بلدا « مستعمرا » ، من جانب بريطانيا ، ومجالها فى النمو الاقتصادى ، كانت الدعوة الليبرالية فكريا تعبير عن حركة الطبقة البورجوازية المصرية الصاعدة . وكانت دعوة ايجابية لانها كانت فى جوهرها دعوة الى انتزاع السوق او جزء من السوق من يد المستعمر . أما اليوم بعد عشرين سنة من الاستقلال الوطنى والتصنيع والاصلاح الزراعى والتعاونيات والقطاع العام والاستقلال الاقتصادى فان الليبرالية السياسية فى مصر تعنى هدم مابنته الثورة من اسسها الاقتصادية . وليس هناك لاحد مصلحة فى هذا غير اليمين ، وحتى ليس اليمين كله : يعنى مجموعات معينة منه ، مجموعة المصدرين والمستوردين ، وكلاء الشركات الاجنبية .. الطفيليين ، هؤلاء الذين أممت مصالحهم خلال الثورة او الذين تم الاستيلاء على اراضيهم وتم توزيعها . ولذلك ، فليس بالصدفة أن نلاحظ ، أن معظم الداعين لهذا التفكير ، وانا اقول معظم ولا أقول كل ، لانه يوجد بين الداعين لهذا التفكير لمشايعة النموذج الليبرالى ناس مخلصون تماما لمصر فى كل ما يظنون . انما معظم الداعين لهذا التفكير اليوم ، سواء فى الصحافة أو فى بعض المؤسسات هم من ذوى الفكر اليمينى الاصيل .

الحرية فى هذا النطاق تعنى أولا حرية الرأسماليين ، حرية الاقطاعيين السابقين .. حرية تجار الجملة .. حرية المضاربين .. حرية تجار السوق السوداء .. حرية عودة مصر الى السوق الرأسمالى الدولى بالكامل ، وترك العنان لقوانين هذا السوق ، حرية الدعوة الى التعليم بالمصروفات ، والجامعة الاهلية ، والهجوم على ما حققته الاغلبية من مكاسب ، وحرية سلب مقومات استقلال مصر الاقتصادى ، وبالتالى ، دفع مصر خطوة .. خطوة الى طريق التبعية أو شبه التبعية للعالم الغربى من جديد . فى المظهر من ناحية الشكل يعنى تحقيق هذا النموذج .. توفر حرية الصحافة بالمعنى الذى سلف . ولكن أعتقد أن هذه الحرية تكون حرية اقلية ـ حتى من ناحية حرية الصحافة ـ على حساب اغلبية من الكادحين .. سواء من العمال او الفلاحين . لكن التراث الليبرالى العظيم للمفكرين من أمثال طه حسين .. توفيق الحكيم .. وحتى عباس العقاد [قبل الاربعينات] ، غير قابل للاعادة فى رأيى ، لان الليبرالية ـ آنذاك ـ كانت تعنى فى أحد جوانبها التمرد على الاقلية المثلة فى سلطة المحتل وسلطة الملك وسلطة الاقطاعيين . وكان كثير من هؤلاء المفكرين متأثرين بشكل او بآخر بالفكر الاشتراكى ، حتى ولو كان اشتراكية خيالية . أما معظم المجموعة السياسية التى تنادى بالليبرالية الان فى مصر فان ما يجمعها هو العداء لمصلحة الاغلبية الساحقة من العمال والفلاحين والعداء للدعوة الاشتراكية على وجه الخصوص .

هذا النموذج الليبرالى لا امكانية له فى مستقبل مصر ، وهو فى الحقيقة بمثابة تحويل القاهرة الى هونج كونج أخرى . ولكن من هنا المعنى الذى يعطيه بعض الناس للانفتاح . لكن أمام هذه الامكانية توجد فعلا صعوبات شديدة وعقبات تجعلنى أعتقد أن هناك مقاومة شديدة لمثل هذا التفكير . على أن تحويل هذا التفكير الى واقع ، او محاولة تحقيق هذا النموذج ـ ولو بالتدريج ـ سيعنى بطبيعة الحال محاولة اعادة توزيع الدخل القومى لصالح الاقلية وضد مصالح الاغلبية وبالتالى زيادة افقار الطبقات الشعبية ، وسوف يؤدى هذا الى تفاقم الصراع الاجتماعى فى مصر ، كما سيؤدى الى وضع مصر فى مركز دقيق جدا على المستوى العربى لانه اذا تأملنا الموقف العربى الشامل كما أتصوره ، وكذلك قضية الوحدة العربية فى الحقيقة بعد الصراع العربى الاسرائيلى فهذه كلها عناصر غير مواتية لتحول مصر فى طريق النموذج الليبرالى . لكن مع ذلك تظل هذه الامكانية من امكانيات المستقبل .

د . عبد العظيم انيس

نأتى الى الامكانية الثانية . الامكانية الثانية التى تقف على طرف نقيض هى النموذج الاشتراكى القائم على قاعدة من التصنيع الواسع الذى تملكه الدولة .. وقائم على تحقيق اصلاح زراعي اوسع نطاقا مما حدث حتى الان ، وعلى توسيع قاعدة الخدمات المجانية التي تقدم للشعب في التعليم والصحة ، وعلى اعادة توزيع الدخل القومى لصالح الطبقات الشعبية .. وعلى تدعيم علاقاتنا بالنظم المماثلة لنظامنا في العالم العربي ، والتمسك باستراتيجية الصداقة والتعاون مع المعسكر الاشتراكي وخصوصا مع الاتحاد السوفيتي . في رأيي ان تحول هذه الإمكانية الي واقع يقتضي توفر الظروف — من ناحية شكل ومضمون السلطة السياسية فى مصر — وهى ظروف ليست متوفرة اليوم . هذه النقطة بالذات تعنى وتثير بطبيعة الحال قضيه الاتحاد الاشتراكى . العيب فى الاتحاد الاشتراكى ، ليس متمثلا فى صيغة تحالف العمال والفلاحين . انما المشكلة الحقيقية ان الاتحاد الاشتراكى فى رأيى ليس تجسيدا لهذه الصيغة من قريب أو بعيد ، مجرد تنظيم سياسى غير جماهيرى عاجز عن قيادة الجماهير وهو أقرب الى أن يكون منظمة رسمية وليس منظمة جماهيرية .. فاذا أضفنا الي هذا ان كثيرا من المستويات المحلية للاتحاد الاشتراكى مليئة بالعناصر اليمينية والعناصر الانتهازية .. أدركنا فى رأيى استحالة الاعتماد على الاتحاد الاشتراكى كمعبر الى طريق التطور اللارأسمالى أو التحول الاشتراكى .. صحيح كان هناك آمال فيما يتعلق بهذا التنظيم ، فى أول انشائه ، وآمال فى تطعيم قياداته بعناصر اشتراكية أصيلة . ولكن هذه الامال تبخرت تماما واتضح عجزه وعدم فعاليته رغم الكثير من المحاولات ، ولذلك الحل العملي للمستقبل يبدو لي في هذه النقطة هو في توفر جبهة وطنية في مصر بين أحزاب اشتراكية وأحزاب وطنية تعبر عن برنامج للعمل القومى واضح ممثل لمصالح العمال والفلاحين .. وتكون هذه الاحزاب حقيقة ممثلة اجتماعيا للمصالح الحقيقية للفئات الوطنية فى هذا الشعب .. هذا الوضع سيؤدى فى المستقبل — بطبيعة الحال — الى توفر ووجود منبر يسارى يدافع عن مصالح العمال ومصالح صغار الفلاحين والمثقفين الثوريين ، ويكون لهذا المنبر دور واضح في هذه الجبهة .

فهذا — بشكل عام — تصورى للمستقبل ، لقضية السلطة السياسية ، مرتبطة بفكرة النموذج الاشتراكى وامكانياته . والحقيقة — فى رأيى — ان العمل فى اتجاه هذا النموذج الاشتراكى هو الرد الوحيد الجاد على مشكلة الفقر فى مصر .. لان مشكلة الفقر فى مصر ذات شقين : الشق الاول يتعلق بزيادة الدخل القومى . الشق الثانى يتعلق باعاده توزيع هذا الدخل لصلحة الاغلبية من العمال والفلاحين وذوى الدخل المحدود من شرائح الطبقة المتوسطة . واعتقد أنه ينبغى أن يكون واضحا لاى انسان يفكر قليلا فى مشاكل مصر الاقتصادية والاجتماعية فى المرحلة الاخيرة ، أنه لا أمل فى تنمية سريعة فى مصر تقفز فوق حواجز القرون الطويلة من الفقر الا من خلال النموذج الاشتراكى ، والا من خلال التعاون مع بقية أجزاء الوطن العربى ، ومع المجتمع الاشتراكى الدولى . بدون هذا لا يوجد — فى رأيى — حل لمشكلة فقر الاغلبية الساحقة فى مصر ، ولا يوجد مستقبل لهذه الاغلبية .. يكفى أن نتذكر أن السكان يزيدون بمعدل ٢ر٧ فى المائة . وانه لو أردنا أن نزيد الدخل القومى فى مصر خلال السنوات الخمس القادمة بمعدل ٥ر٩ فى المائة يعنى ضعف معدل زيادة السكان « وفى رأيى أن هذا معدل متواضع » فسوف نحتاج للسنوات الخمس القادمة استثمارات تزيد عن سبعة آلاف مليون جنيه . ولكن من أين ؟ هذا هو السؤال الطبيعى . فاذا أضفنا الى هذا — حجم العجز الهائل فى ميزاننا التجارى وميزان مدفوعاتنا فلنتصور كم يكون حجم المشكلة .

■ **لطفى الخولى :**

فى الحقيقة يلزم عشرة آلاف مليون لكى نعمل بمعدل ٦ فى المائة .

■ **د. عبد العظيم انيس :**

انا فقط اقدم رقما واحدا ، مله تتبين حقيقة حجم التحدى الموجود .

اذا استبعدنا الموقف الداخلى ونظرنا للبعد العربى ، النقطة الثانية — سنجد فى الحقيقة — اننا مرتبطون بالعالم العربى ، لا من زاوية التراث الثقافي واللغة ووحدة الامانى .. الخ ،

لكن فى الحقيقة معركة النضال ضد الاستعمار والصهيونية تفرض علينا فرضا وحدة الالتزام العربى . لا يعنينى فى المحل الاول وحدة الحكومات بقدر وحدة الشعوب ، طبعا وحدة الحكومات مطلوبة بشرط انها تكون على أسس وطنية وعلى أسس اجتماعية صريحة وواضحة . لكن يظل الاساس هو وحدة الشعوب فى النضال .. وحدة الشعوب فى التنمية الاجتماعية والاقتصادية وفى التكامل الاقتصادى .

هنا ، طبعا ، تثار قضية دعوة مصرية مصر التى كانت مزدهرة فى العشرينات والثلاثينات وبدأت تطل على استحياء من جديد فى الوضع الحالى . يعنى دعوة مصرية مصر ...

■ **توفيق الحكيم :**

اذا سمح لى د . عبد العظيم هنا ، دعوة مصرية مصر – كما اتصور – نشأت كحركة استقلالية عن التبعية العثمانية . هى اذن انطلاقة وطنية وليست اقتصادية . واستمرت هذه الانطلاقة بعد ذلك للمطالبة باستقلال مصر عن الانجليز . فى ذلك الوقت لم تظهر قضية « أنا عربى » لانك لو قلت هذا – فى ذلك العهد – لوجدت أن البلاد العربية مقسمة وموزعة بين تبعية تركية وأخرى انجليزيه وثالثة فرنسية ... وكانت البلاد مقسمه ومحتلة . كان لابد لمصر – اذ ذاك – أن تحدد تبعيتها . فلو كانت قالت أن تبعيتى عربية فقد كان العرب منقسمين فلم يكن هناك مفر من أن تقول أنا اريد بلدى .. أرضى .. مصرى . فالدعوة المصرية كانت وليدة ذلك الوضع ، أى الرغبة فى الاستقلال الوطنى فى مواجهة الاحتلال .

فى الاربعينات ، وما بعدها ، تم الاطمئنان على الاستقلال – بشكل أو بآخر . وبدأت القضية الاقتصادية تتحرك ، وتأخذ ثقلها . هنا رأينا مثلا مولد أثرياء الحرب والباشوات الذين ظهروا مع المسرح السياسى تحركوا ليدخلوا مجالس ادارات الشركات الاجنبية . وكان هذا قد ظهر بوضوح بعد الغاء الامتيازات . فأرادت الشركات الاجنبية – التى بدأ يضيق المجال أمامها – أن تنفذ ما يمكن انقاذه فضمت مصريين الى عضوية مجالس ادارتها كما ضمت رجالا من السلطة . هنا ظهرت الطبقة الجديدة التى ركزت على المسائل الاقتصادية – بعد أن أصبحت الوطنية المصرية كسياسة واستقلال مكفولة . وتعاظم الاتجاه الى تكوين شركات ، حتى لقد تكونت شركات وهمية للاحتيال ، وكان فيها باشوات . واتذكر انى كتبت عن هذه الظاهرة تمثيلية اسمها « **اللص** » بطلها باشا من أصحاب الشركات الرأسمالية . أما الشخصية الاخرى فكانت أيضا هى شخصية لص ولكنه كان فقيرا . وكان يريد مائة جنيه فقط ليبنى بها نفسه فى المجال الحر ، فسرق هذه المائة ، وحذا حذو الباشا . المهم ان كلمات الرأسمالى والرأسمالية ترددت كثيرا فى هذه التمثيلية . وبعد نجاحها لمدة اسبوعين أوقفت بتدخل اعضاء شركة ، زاما سنة ١٩٤٨ « شركة وهمية » . الغريب أن ما ادهشنى هو أن الرقابة فى ذلك الوقت حذفت كلمة رأسمالية ورأسمالى .

اذن كان هناك طبقة رأسمالية تنبهت الى خطورة الاقلام التى تتجه الى الهجوم عليها .

وفى الواقع فان فترة العشرينات والثلاثينات اذا كانت قد أبرزت مصرية مصر وربطت ذلك بتاريخها وبحضاراتها المختلفة فان الفترة التى تلتها – فترة الاربعينات حدث فيها تحول انعكس على مواقف الكتاب والادباء . وهذا التحول فى مواقفهم لم يكن مخططا أو وفقا لخطة سابقة ، وانما يكتب الاديب ، أو يعبر الفنان وفقا لما يحسه وما هو موجود فيه . واذا كنت فى ١٩٣٨ قد كتبت **يوميات نائب فى الارياف** وغيره فقد كنت أعبر عن شخص وجد فى الريف ورأى ماعليه الريف من فقر . وكان الكتاب – بذلك – موجها الى انقاذ المصرى المهضوم . لكن الاوضاع الاجتماعية لم تكن قد تبلورت فى وقت يوميات نائب فى الريف ، كما تبلورت بعد ذلك خصوصا من ١٩٤٥ .

نأتى الان لموضوع الليبرالية . الواقع أن بلدنا فيها اكثر من « ليبرالية » واكثر من « اشتراكية » . وعليه فان هناك فروقا بين الليبراليين . هناك ليبراليون يريدون الليبرالية كما قال د . عبد العظيم للعودة بالمجتمع الى مجتمع رأسمالى حر ، أى يريدون ليبرالية اقتصادية يتحقق فيها حرية اكتناز الثروات لطبقة أو فئة اجتماعية .

ولكن هناك ليبراليون من الذين قيل عنهم الان انهم ليبراليون مخلصون تجدهم خصوصا فى أوساط المثقفين . فهؤلاء ليبراليتهم ليست من النوع الاقتصادى ، أو بالمعنى السياسى المصطلح عليه . ولكن ليبراليتهم هى رد فعل للديكتاتورية البوليسية . هم وجدوا ان الاشتراكية النابتة فى اطار ديكتاتورية بوليسية، وليس فى اطار ديموقراطية شعبية . لان الليبرالية لو كانت نبتت فى الاشتراكية الشعبية في الشعور الشعبي ،لكنا في الواقع أمام شيء واحد هو الاشتراكية . وهذا ما عناه الاستاذ خالد محيي الدين عندما اشار الى أن الامريكان في الايام الاولى من ثورة يوليو ، لم يكونوا يريدون الوفد ولا الاحزاب الشعبية لانهم عرفوا انه سوف ينبت من هذه الليبرالية مبدأ الثورة ، ستبنيت اتجاه الى توفير الحريات للشعب . وفي هذه الحالة كان لابد وأن يكون هذا الاتجاه ـ فى تطوره ـ اتجاه يسارى اشتراكى . وكان من الممكن فى هذه الحالة أن يحصل تقارب مع الدول الاشتراكية ، وهى الدول التى لم تكن أمريكا تريد أن يحدث تقارب بينها وبين الشرق الاوسط ، وبينها وبين مصر والعرب . بمعنى آخر كان هدفهم ابعاد مصر عن الديموقراطية الليبرالية ، بل وابعادها عن كل نوع من انواع الليبرالية السياسية . وكانوا يظنون أن هذا سيبقى المصريين فى قبضة واحدة يستطيعون أن يتفاهموا معها . ولذلك كانت أهم الكلمات التى قيلت كلمة الاستاذ خالد محيى الدين لانها حددت بصراحة وضع مصر ، فى الأيام الاولى من الثورة ، وعندما كانت تريد أمريكا صنع الاشتراكية بواسطة قوة أو سلطة علوية تكون ملامحها محددة . وعندما تكون الاشتراكية على هذا الوضع تفقد كثيرا من مقوماتها لانها تصبح محكومة ، تصبح ـ باختصار اشتراكية فوقيـة .

■ **لطفى الخولى :**

الاشتراكيون دائما نقدوا هذا الوضع .

■ **توفيق الحكيم :**

اذن الليبرالية قسمان اذا وهناك ليبراليون بحكم أنهم يريدون معارضة الديكتاتورية البوليسية . وهؤلاء يمكن كسبهم الي قضية الاشتراكية عندما يعرفون أن هـذا الشكل من « الديكتاتورية » ليس ملائما للاشتراكية . وأنا اقول يمكن كسبهم الى الاشتراكية بسبب أنه ليس لهم مصلحة اقتصادية فى نظام اقتصادى حر « ليبرالى » . فهؤلاء هم رجال فكر . وانا اذا كنت بينكم الان ـ وفى هذه السن من عمرى ـ فليس لغرض وانما بهدف توضيح مواقف اليسار .

وبمناسبة اليسار ارجو الا يسميني أحد يمينيا أو يساريا . فأنا لا يسارى ولا يمينى . بمعني أنني لا أستطيع ان اضع لافتة . ولكن عندما تحاسبني حاسبني علي هدفي في الحياة . وسأقول لك في هذه الحالة : هدفى مع التقدم لا مع التجمد ولا مع الرجعية . التقدم ببلادنا العربية كلها ، والتقدم البشرى الانسانى . وما دمت قد قلت : التقدم والتغيير المستمر والحركة المستمرة ، فلن يكون هذا فى الاتجاه اليميني ، ولن يكون الا فى الاتجاه اليسارى .

لكن لا زلت أصر على ألا يدعوني احد يمينيا او يساريا لان معنى هذا أننى أتقيد ببرنامج معين . من يضع لى هذا البرنامج ؟ لا اريد ان أجد نفسى مجرورا الى الاحزاب . وهذه مسألة تخصلى وحدى . فأنا مع التقدم والتجدد لبلادى وللجنس البشرى . وبهذا المعنى لا أرفض أن يقال أننى « ليبرالى » من حيث الفكر الحر .

أما النوع الثاني من الليبرالية والذى وقفت ضده فهو المنتفعون من الليبرالية . وهذا النوع حاربته ووقفت ضده فى شجرة الحكم وأدينت الملك والاحزاب . ومن بينها حزب الاحرار الدستوريين ورئيسه محمد محمود . فهذا الحزب كان يريد أن يطردنى من وظيفتى فكيف يكون الحر الدستورى ضدى وهو ليبرالى . فى الحقيقة أيضا انا كنت ضده لانه أراد أن يستغل الليبرالية لخدمة أهداف الاطار السياسى الذى كان موجودا وهو الاطار الرأسمالي . وهذا يفسر ، لماذا رحبت بالاشتراكية . ولماذا تحمست لجمال عبد الناصر . ولماذا لم أكن أطيق سماع كلمة ضد ثورة يوليو . حتى من أصدقائى القدامى الذين ينتمون الى العهد الماضى .

وبهذه المناسبة ما سمعته منهم اخيرا عندما قالوا أن التخريب الذى حدث قام به الشيوعيون . فكان ردي عليهم « ياناس ما تبطلوا الكلام ده .. هي الشيوعية دي كفر »

ان « لكل على قدر حاجته » ·وانا سبق ان كتبت في شجرة الحكم عن الجبه . فتخيلت زعماء البلد في ذلك الوقت - قد وجدوا انفسهم بحق « كل على قدر حاجته » . لكن هذا لم يكن يكفيهم . فبداوا يزاولون نشاطهم السياسى . وعندما جاء الوفد قال : ايـن الوفديون ، أين الوطنيون ؟ فعندما رأى الوفديون النحاس باشا « فى شجرة الحكم » هتفوا له ، وساروا فى مظاهرة ، واقتلعوا بعض الاشجار .. الخ

نخلص من هذا كله ، الى ان هناك نوعين من الليبرالية ، فاذا وجدنا مثقفين يقولون بالليبرالية فيجب أن نفهم هذا على أساس انهم لا يمكن أن يكونوا ضد الاشتراكية . لانى انا ككاتب - لا تحقق مصلحتى الا فى الاشتراكية . ونحن نعلم انهم فى البلدان الاشتراكية يقدمون لرجال الفكر امكانيات كبيرة : مسكن فى مكان طيب ، فى غابة أو حديقة أو جبال لطيفة وتجد أنهم يتركونه لفنه . وليس من اهدافه أن يكتنز . اذن أنا ككاتب لا أكتسب الا فى وضع الاشتراكية . فكيف اذن جاءت كلمة الليبرالية · كما قلت الخوف من الديكتاتورية البوليسية . وهى غير ديكتاتورية الحزب . لانه في الحالة الاخيرة يوجد نوع من الرقابة والحساب . والشعب فى هذه الحالة أصبح طبقة واحدة .

النوع الثانى من الليبرالية Libre Passer

يريد استغلالا لا ضابط ولا رابط له .

وهذا ليس موضوعنا .

■ د. عبد العظيم انيس :

لست مختلفا معك فى كل ما قلته حول هذه النقطة . وارجو ان اذكرك اننى قلت نقطتين فى هذا الموضوع فيما يتعلق بالليبرالية . النقطة الاولى : اننى قلت ان هذه الدعوة الليبرالية التى يشايعها عدد من المثقفين كرد فعل لما جرى من اعتقالات واضطهادات . والنقطة الثانية : أننى ميزت بين نوعين من الليبرالية . هناك مثقفون ليبراليون مخلصون فى دعوتهم وتهمهم مصلحة مصر . ولو أن هؤلاء لا يشكلون الاغلبية ، وليسوا من ذوى النفوذ السياسى فى المرحلة الحاضرة . وهناك عدد اكبر ، ونفوذ اكبر ، لما يمكن أن يسمى بليبرالية يمينية ، ودعوتهم يمكن أن نسميها « الليبرالية المزعومة » وهذه الليبرالية كشفت اهدافها ، واصحابها · الليبراليون فى الحقيقة هم الذين يمثلون خطرا حقيقيا ، فيما يتعلق بالوضع فى مصر اليوم لانهم يزحفون على الصحف المصرية . وزاحفين على المراكز القيادية فى الاتحاد الاشتراكى ، زاحفين على المراكز القيادية فى القطاع العام وفى الاجهزة الحكومية . وعلى هذا الاساس هؤلاء ينبغي أن ننبه باستمرار الى خطرهم لان التراث الليبرالى العظيم الذي تكلمت عنه غير قابل - فى رأيي - للاعادة فى ظروف مصر الحالية والمقبلة . فأعتقد لا يوجد خلاف بينى وبين الاستاذ توفيق الحكيم فى هذه النقطة . فقط أنبه ، الى أن النوع الثانى الي هم الليبراليين المزعومين اليمينيين لهم - فى الحقيقة - النفوذ السياسى الاكبر الان ويمثلون خطرا ينبغى الانتباه اليه .

■ توفيق الحكيم :

هذا صحيح .

■ د. عبد العظيم انيس :

واذا سمحت لى انتقل الى قضية البعد العربى ومصرية مصر .. فيما يتعلق بدعوة « مصرية مصر » اقول ان هذه الدعوه كان لها ما يبررها فى العشرينات . لانه ينبغى أن نتذكر كما قال استاذنا توفيق الحكيم الوضع الذى كان قائما فى العالم العربى ، فى هذا الوقت ، يفسر أسباب عزلة مصر عن قضيه الوحدة نسبيا . والكلمة المشهورة لسعد زغلول صفرا زائد صفر يساوي صفر ايضا كان لها فى الحقيقة مبرراتها من ناحية الاتى : انه بينما كانت بريطانيا تمثل العدو الاساسى لمصر فى هذا الوقت لانها احتلت مصر فى ١٨٨٢ ،

وتآمرت على مصر حتى احتلتها من قبل ١٨٨٢ ، وظلت تمثل العدو الرئيسى لمصر ، بريطانيا هذه بالذات هى التى كانت تدفع - فى نفس الوقت - حركة الشريف حسين الى المشرق العربى وهى التى كانت تشجع المشرق العربى الاولى : اننى قلت ان هذه الدعوه الليبرالية التى يشايعها عدد من المثقفين كرد فعل لما جرى فى المنطقة «سوريا ولبنان والعراق وفلسطين» على التمرد على تركيا أولا ثم على فرنسا بعد ذلك .

ومن المبررات التى ساعدت فى اتجاه العزلة موقف بريطانيا من انشاء الجامعة العربية فى الاربعينات فهذا ايضا كان من الاسباب التى دعت الى استرابة الوطنيين المصريين فى قضية الوحده العربية . وانا كنت واحدا من الناس الذين ظلوا الى سنة ٥٤ فى مناقشات عديدة مع أصدقاء من العالم العربى . كنت اقــول : « مصرية مصر » ولا شئ اسمه « عربية » او شعب عربى نؤيده كأى شعب نؤيده فى العالم مادام يناضل ضد الاستعمار . كنت اقول « مصرية مصر » هى الاساس ، لانى كنت متأثرا بشدة حتى عام ٥٤ بالاتجاه الفكرى الذى كان يمثله الاستاذ توفيق الحكيم فى العشرينات وطه حسين وكثير من المفكرين الليبراليين المصريين غيرت طبعا بعد هذا لانى رأيت الامــور والظروف من وجهة نظر ثانية .. فاذا كان لدعوة « مصرية مصر » لهـا مـا يبررها فى الماضى . فالحقيقة هذه المبررات قد اسدل عليها الستار الان . والذى اسدل الستار على هذا هو حركة النضــال ضد الاستعمار وضـــد اسرائيل،والانعزال ضد الصهيونية . وينبغى أن نعترف بهذا ليس هذافحسب ،بل - فى رأيى - ايضا أن مستقبل التنمية فى مصر يرتبط أوثق الارتباط بمستقبل النضال من أجل الوحدة العربية . وهنا قضية الوحدة العربية لا تعنى - بالضرورة - ان نخلط ما بينها وما بين فكرة الوحدة الاندماجية التى يدعو اليها - مثلا - الرئيس القذافى ، والتى حصلت فى سنة ٥٨ ، ما بين مصر وسوريا وكان لها النتائج السلبية التى عرفناها ، وأدت الى الانفصال .. الخ

انا اتكلم لانى اثرت هذه النقطة قبل هذا فى المناقشة . وقلت : ان قضية أشكال الوحدة يمكن أن تناقش فيما بعد ، هل هى قضية وحدة دستورية .. أو اتحاد فيدرالى أو تضـامن عربى .. الخ يعنى الاشكال المختلفة هنا ، هى موضوع بالنسبة للمستقبل . لكن يهمنى انى أؤكد - ايضا - أن مستقبل التنمية فى مصر يرتبط اوثق الارتباط بمستقبل النضال من اجل الوحده العربية . وهنا بقى ان نطرح القضية التى يطرحها عدد من المصريين وهى : ماذا أخذنا من العالم العربى غير التضحيات المستمرة لا الشعب المصرى تحمل كثيرا فى النضال من أجل فلسطين وفى الماضى وللرد على هذا نقول ان الشعب المصرى تحمل من اجل النضال ضد الاستعمار وهذه هى القضية الاساسية . الشعوب العربية ايضـا تحملت ولكن اذا نظرنا الى أن هذا النضال كان له تضحيات كثيرة تحملها الشعب المصرى ، فان مستقبل الوحدة العربية له - أيضا - فوائد عديدة بالنسبة للشعب المصرى . وهذا هـو الوجه الاخر من المشكلة .. فالقضية هى قضية مصالح مشتركة ما بين شعوب هذه المنطقة التى تشكل جنينا اوارهاصا فكرة القومية العربية بمعنى انه يمكن أن نتصور فى المستقبل البعيد فكرة اتحاد فيدرالى فى العالم العربى ، من نوع اتحاد الولايات المتحدة الامريكية . ويمكن أن نتصور أن يكون هذا فى مستقبل بعيد . لكن من المؤكد ان مصر تستفيد بهذه الصورة مـن الصور . والشعب المصرى نفسه سيستفيد ، وبالتالى ، لا يصح ان ننظر الى وجه ولا ننظر الى الوجه الثانى . لانه لا يمكن ان يطبق هذا الكلام فى قضية النضال ضد الاستعمار . وقضية النضال ضد اسرائيل ويترتب على هذا ان نصل الى نتائج خبيثة جدا تقول انه لابد أن نتعاون مع اسرائيل على اقامة كيان صهيونى على زعم أننا ندافع عن مصالح الشعب المصرى الخ ..

أنا فى رأيى قضية البعد العربى هذه ، قضية متعددة الجوانب ، وسأرجىء المناقشة التفصيلية فيها . أريد فقط ان أقول انه بدون موقف عربى واضح لمصر - اليوم - فان مصر مهددة بضياع هويتها ، وشخصيتها ، ومستقبلها ، واجمل ما فى ماضيها ، وأجمل مـا يمكن ان ينشأ فى المستقبل ما لم يكن لها موقف عربى واضح .

تبقى قضية البعد الدولى وفى هذا لنا خبرة طويلة .. خبرة فيما يتعلق بالتنمية .. وخبرة فيما يتعلق بالصراع العربى الاسرائيلى .. وهذه الخبرة تجعل اى انسان منصف يقتنع تماما ان صداقتنا مع المعسكر الاشتراكى خصوصا مع الاتحاد السوفيتى مسألة استراتيجية أساسية لضمان استمرار النضال الوطنـى ، ولضمـان استمرار التنمية

الاجتماعية ، والضمان حتى فكرة التقدم الاجتماعى ، بل انه حتى بصرف النظر عن النموذج الاشتراكي فلا حل لنا الا هذا . وبالتالى فان مع المعسكر الاشتراكى ومع الاتحاد السوفيتى هو احد ضمانات استقلالنا الاقتصادى والوطنى وهذا لا يعنى اتجاها الى التبعية ، على الاطلاق ، بل على العكس هو احد الضمانات الاساسية فى اتجاهنا فى عالم اليوم .

■ توفيق الحكيم :

انا الاحظ اننا لا نقوم بتحليلات .

■ لطفى الخولى :

نحن فقط نضع رؤوس موضوعات .

■ د. عبد العظيم انيس :

اذا سمحت لى يا استاذ توفيق احب ان اضيف جملة واحدة ، اننا فى هذا الموضوع .. موضوع البعد الدولى .. نحن مع التعاون مع كل دول العالم .. تعاون مع الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا ودول السوق الاوربية .. و .. و .. الخ . لسنا ضد هذا . انما ان يوضع المعسكر الاشتراكى على قدم المساواة يعنى ان نقول هذا فقط انا رايى غير كاف ، ومن الخطر ان يوضع المعسكر الاشتراكى والاتحاد السوفيتى ، على قدم المساواة ، مع بقية دول السوق الاوربية أو الدول الاوربية بما فى ذلك الولايات المتحدة . مسألة خطيرة لان هذا يعنى اننى لا أميز بين من ساعدنا على التنمية ومن لم يساعدنا على التنمية ، ومن حاربنا فى التنمية . ولن نميز بين من ساعدنا على الاستقلال الوطنى ومن حاربنا فى الاستقلال الوطنى .. لن نميز بين من اعطانا السلاح فى صراعنا مع اسرائيل ، وبين من اعطى السلاح لاعدائنا فهذه مسألة اساسية يجب أن يكون فيها وضوح تام .

■ توفيق الحكيم :

لانم يكون فيها وضوح ؟ الوضوح ظاهر والمسألة واضحة لماذا ؟ لان اسرائيل ليست عدوا للاتحاد السوفيتى ، وليست عدوا لبعض الدول الاشتراكية . ولكن صداقتها بالولايات المتحدة لها فعلا النصيب الاوفر . ومن ناحيتنا ـ فى الجهة الاخرى ـ يجب أن يكون النصيب الاوفر لمن نشعر بانه خالص فى صداقتنا . طبعا لا يصح ان نعادى معسكرات مختلفة احنا نطلب السلام .. السلام لا يتجزأ مع الجميع .

■ د. عبد العظيم انيس :

هذا مع الفارق ، وهو انه اسرائيل . فيما يتعلق بالولايات المتحدة ـ هى علاقة تبعية واضحة يعنى بمعنى انصياع سياسى . انصياع عسكرى ، انصياع اقتصادى ، .. رؤوس الاموال الامريكية والمساعدات الامريكية تجعل من اسرائيل تابعا للولايات المتحدة . اما علاقتنا ـ نحن ـ بالاتحاد السوفيتى فليست علاقة تابع .

■ لطفى الخولى :

هناك نقطة : سيادتك انطلقت من أن اسرائيل صديقة للاتحاد السوفيتى . هذا غير صحيح ، لان اسرائيل بحكم انها واقع استعمارى فى المنطقة .. بحكم انها معادية لحركة التحرر الوطنى ، بحكم أن حركة التحرر الوطنى فى تحالف مع القوى الاشتراكية فهى .. أى اسرائيل تمثل ـ فى الحقيقة ـ عدوا لحركة التحرر الوطنى العربية وبالتالى لحلفاء هذا التحرر بالاضافة الى انها ـ كواقع استعمارى ـ تتناقض جذريا مع الواقع الاشتراكى . وبالتالى هى عدو .. والقضية الاخرى المهمة فى هذا الموضوع هو طبيعة النظرة الى الاتحاد السوفيتى وهل هو صديق مميز أو غير مميز يعنى هذه ليست اختيارا عشوائيا او نزوة . لان السؤال هو : من الذى يساعدنا على التنمية ؟ .. ومن الذى يساعدنا على مواجهة العدوان الاسرائيلى ؟ .. فى هذه القضية نرى قوتين اساسيتين . وهنا أتكلم من ناحية نفعية وطنية بحتة وليس لها علاقة بالايديولوجية هناك القوتان الاساسيتان اللتان يمكن أن يقدما مثل هذا هما : امريكا والاتحاد السوفيتى .. لنفرض « وهذا فرض جدلى وغير ممكن من كافة النواحى » أن الاتحاد السوفيتى ، كان هو الذى يؤيد اسرائيل فى تنميتها وفى مدها

بالسلاح .. فالموقف الوطني المصرى كان يحتم علينا . أننا نتمسك بصداقة أمريكا التي من الممكن أن تساعدنا على هذا الوضع .. لكن الاوضاع ليست مقلوبة . وعلى العكس الاوضاع في وضعها الطبيعي . وهي أن امريكا مع اسرائيل والاتحاد السوفيتي مع القوى العربية .

نقطة أخرى ايضا هي ان تؤدي صداقتنا مع الاتحاد السوفيتي الى أن نأخذ التجربة السوفيتية ونضعها عندنا . هذا غير ممكن .. يعني لا يتبله السوفيت ولا نقبله نحن . وهذا غير وارد ، وحتى الفكر الماركسي ضد هذا النقل للتجارب .

■ د. عبد العظيم انيس :

بالاضافة الى ان اليمين الذي تحدثت عن خطره فيما يتعلق بالليبرالية ، هو ايضا شديد العداء للدعوة الاشتراكية ، شديد العداء لليسار في العالم العربي ، شديد العداء للاتحاد السوفيتي وينبغي ان يقال هذا بشكل واضح .

■ توفيق الحكيم :

اتضحت أخيرا عندما وجدنا ان الولايات المتحدة اذا كانت فعلا من مصلحتها ان تحل قضية الشرق الاوسط وتحل السلام ، وجدنا انها لا تملك هذا حتى في بلادها . وقد وجدنا أن من قال كلمة الصدق ، من قادتها وقال ان اسرائيل فتحت لها ترسانة الولايات المتحدة بأكثر مما يجب ، وانه يجب ان نراجع انفسنا في التحيز لاسرائيل ، كل من قال هذا وجدناه يسقط وكذلك الامر مع نيكسون عندما اراد ان يحل المسألة .

اذن امريكا ليست لها القدرة ان تحل مسألة الشرق الاوسط بمفردها لماذا ؟ .. لان اسرائيل هناك لها وضع يقيد الساسة في داخل امريكا . من الجائز بشكل لا يتمشى مع مصالح امريكا نفسها . فاذن الاعتماد على أمريكا سياسيا - كل الاعتماد - لن يؤدي الى ما نتمناه دائما . لانه بخلاف رغبة الحكام - أيضا - ربما كان الحاكم يريد حل المسألة بما يناسبنا لاسباب ، خاصة بالبترول ، خاصة بمصالحه . ولكن ماذا تفعل في القوى التي تقيده ، في الداخل ، فيضطر - أيضا - أنه يسحب كلامه المناهض لاسرائيل ويتمشى . اذن أنت أمام صديق مكبل لايستطيع أن يمشي معك الى آخر الشوط ...

لكن الصديق الاخر الذي أمدك بالسلاح وحاربت به يجب نراعيه ونجعله دائما في الصورة وان لا نضعه في وضع غير مشجع له على أن يقف بجانبنا لانه هو يستطيع ان يقف .. لماذا يستطيع ؟ لانه غير مكبل في الداخل باتجاهات تمنعه من مساعدتنا . الشعب السوفيتي نشعر منه بكل صداقة في اشياء كثيرة .. الحكومة ايضا .. اذن لا يوجد تخلخل في الداخل يمنع من تنفيذه لما يريد ان ينفذه فيما يختص بنا .. أما الذي نرفضه دائما فهو النزعة العاطفية في العلاقات الدولية .

ثانيا الناحية الاقتصادية هنا تستطيع أن تجد نوعا من أنواع التكامل الاقتصادي - ليس كاملا - انما نوع من أنواع التكامل بالاضافة الى أنه يمكن أن ننفتح على بعض التجارب الاشتراكية بدون أن نتقيد بنظام . لماذا ؟ لان نظام كل بلد ، نابع من ظروف تاريخية لا تتسنى للاخرين . وماركس - نفسه - ما كان يتوقع أن نظريته ستنشىء دولة في الاتحاد السوفيتي ، او في روسيا . لانه هو خطط على اساس انها ستكون في انجلترا . اذن النبات الروسي كان مستعد أكثر أن يطبق هذا . ثم خلق لهم لينين ، الرجل المخلص ، والمثقف الجامعي ولم تكن لم قوة عسكرية لكن النظرية كانت في دمه وجاهد من اجلها . واستطاع أن ينفذ اتجاهه . نحن هنا لا نستطيع هذا لاسباب كثيرة . أولا نحن بلاد من أيام الفراعنة - الى اليوم - الدين يلعب فيها دورا اساسيا ، والعقيدة تلعب دورا أساسيا . اضف الى ذلك ، اننا نحن - أيضا - لنا تقاليد عريقة في بنيان الاسرة ، وبنيان الريف ، وبنيان المجتمع ، فاذن لابد أن تكون لنا اشتراكية قابلة للنبات في طينة سوداء وفي نهر النيل المملوء باشياء خاصة بنهر النيل . ولذلك عندما تقيم سدا عاليا على النيل فلن يكون نسخة مماثلة لسد عالي على مثلا نهر الدنيبر اختلاف الارض هنا وهناك ، قد يحدث ما لا يمكن أن يتنبأ به لا خبير سوفيتي ولا خبير مصري لانك لن تعرف رد الفعل لهذه الارض وهذا الطين وهذا الطمى .

■ لطفي الخولي :

هل يعني هذا اننا امام قوة مجهولة غير خاضعة لحساب .

■ توفيق الحكيم :

هى قوة تثبت بالتجربة .

■ لطفى الخولى :

طيب ....

■ توفيق الحكيم :

يعنى عندما تبنى فبالتجربة ستظهر أشياء كانت خافية عليك .. اذن أريد أن أقول : اذا كان هذا يحدث فى الارض فما بالك فى طبيعة النفس البشرية .. نفس بشرية قد تكون مخالفة تماما للنفس البشرية فى أى بلد أخرى .. اذن انت تريد أن تنتفع بالاشتراكية لاسباب ضرورية لبناء مجتمع له آمال . لكى توزع ثمرات العمل بعدالة معينة لا يستغلها لصوص وطبقات تعيش عيشة بذخ بينما الفلاح لا يزال فى الجحور .. اذن انت تريد اشتراكية،لكن اشتراكية نابتة من ارضك .. ثانيا الاطار السياسى لاتقدر ان تعرف كيف سيكون الاطار السياسى الذى سيحمى هذه الاشتراكية .. الاطار السياسى فى الاتحاد السوفيتى نبت ولم يكن تخطيطا . انه نبات مر بتجارب ، ومر بأشياء كثيرة ما بين ستالين وتروتسكى ومابين كذا وكذا . ثم سبق هذه الثورة - أيضا - فى القرن التاسع عشر ارهاصات كثيرة ، وثورات خابت وثورات نجحت . هذا تاريخ . وهذا التاريخ غير متوفر لك . لا يزال تاريخ الاشتراكية فى مصر جديدا جدا فاذن لا تستطيع أن تنبت اشتراكية بالطريقة التى اتبعت فى الاتحاد السوفيتى ولا فى الدول الشرقية لانه كان فيها أيضاتاريخ معين فى هذا الاتجاه ..

فاذن ، كل مايمكن ان يقال انه لانطبق نظاما من بلد اخرى فى بلادنا . وكل مانستطيع ان نطبقه هو رؤوس موضوعات فيما يختص برأس المال المستغل والعمل وحقوق العمال فى بلادنا ، هذه تجدها عند الفلاح ، والعامل ، وكل انسان يكدح ، ويأخذ لقمته بعرقه ، سيجد أن هناك ناس لا تعطيه حقوقه . لانها تستغل هذه الحقوق . فمن الذى سيدافع عن هذا .. أو ما هو النظام ؟ النظام كان دائما - فى مصر - أن الذى يوزع ثمرات العمل هو الحاكم . سواء كان من الملوك أو من رجال السياسة ، من طبقة معينة ، وفى اطار ليبرالية معينة . هؤلاء لهم القدرة على توزيع العمل فى ظل الرأسمال المستغل . اليوم لم يعد عندهم هذه المقدرة . ومن هنا نحن نبحث عن الاساس : هل نحن نرجع الى ليبرالية وينبت منها جناح اشتراكى . حاولنا هذا فى ثورة ١٩٥٢ ولا أعرف كيف انقلبت الى اطار دكتاتورية بوليسية لفرد ، لطبقة . وهذا الفرد هو الذى يطبق الاشتراكية من اعلى ، لكن ثبت ان هذا لم يفد . فأذن نحن نريد اطارا لهذه الاشتراكية لا يكون مقتبسا مباشرة من دول أخرى لان الطبيعة مختلفة .. هذا ما نبحثه الان ..

اما علاقات الصداقة التى بيننا فهى علاقة تنبت من عدم وجود ما يشوب أو ما يعرقل هذه الصداقة .. يعنى احنا مع كل النية الطيبة فى علاقتنا مع أمريكا وأنا رحبت جدا أن يكون فيه علاقات بيننا وبين أمريكا . ولما جاء نيكسون هنا . قلت فعلا ان مقابلته يجب أن تشعر الامريكان بأن اسرائيل على خطأ عندما تقول بان الشعب المصرى يكره من قلبه الامريكان الشعب المصرى لا يكره أبدا .. بدليل انه قابله مقابلة طيبة . لماذا ؟ لانه لا يكره .. ولكن عندنا المصالح شىء والحب والكراهية شىء ثان . مصلحتنا بعد هذا اننا اثبتنا لاسرائيل بأن احنا لا نكره شعوبا ، لان اسرائيل كانت دعايتها ان الشعب المصرى يكره الشعب الامريكانى فقلبت علينا كل الامريكان حتى فى بيوتهم . لما نقول لهم ان مصر لا يمكن انها تكره الشعب الامريكانى - كشعب . نفس الاتحاد السوفيتى لا يكره الشعب الامريكانى كشعب .. ولكنه هو يتعامل مع حكام معينين ، ومع نظام معين . نظام سىء ولكن الشعب نفسه فيه أيضا شعب كادح لا يرضى عن النظام الرأسمالى فى أمريكا ، يعنى نفس الشعوب واحدة فى جميع الدول . الشعب لا يريد أن يحكم حكما استغلاليا سواء كان فى أمريكا أو فرنسا ... ولكن فى كل الدول . الشعب لا يريد أن يحكم حكما استغلاليا سواء كانفى امريكااوفرنسا.

■ لطفى الخولى :

هذه مناقشات مفيدة وسنرجع اليها عندما نكمل - حسب جدول الاعمال - الرؤية

المستقبلية لبقية الزملاء ... بعد ذلك تأتى المناقشات حول هذه النقطة من خلال مناقشة التجربة وتجربة الصداقة التى تطورت خلال ١٨ سنة . لكن لى رجاء أن نلتزم فى المناقشة بجدول أعمال . لان القارىء يريد أن يقرأ لنا قراءة منظمة حول موضوعات محدده . وذلك على الرغم من الاهميـــة الكبيرة للنشاط التى أثارها استاذنا توفيق الحكيم .

والكلمـــة الآن للدكتورة لطيفـــة الزيات .

■ د . لطيفة الزيات :

بعد العرض الشامل الذى قدمه د. عبدالعظيم انيس لايسعنى الا ان اثبنى هذا العرض كاطار عام اوافق عليه تماما طبعا اتفق معه على ضرورة البحث عن طريق الخلاص الوحيـد لمصر ، فى ظل الظروف الموضوعية الاقتصادية الداخلية والخارجية ، على مستوى العالم كله ، وفى ظل الظروف الموضوعية الخاصـة ايضا بمصر . هنا نلاحظ ان العالم الغربى قائم على شفا حفرة من الازمة الاقتصادية الحاده . وهكذا فانه فى ظل الظروف الاقتصادية لمصر ، وأمام الازمات التى يمكن أن تواجهها مع التكاثف السكانى ، وفى ظل احتدام الصراع الاسرائيلى العربى وما يتطلبه ويفرضه هذا الصراع . من ناحية انه اساسا صراع بين الاستعمار وبين الشعوب التواقة الى التحرر اقول فى ظل هذه الظروف كلها ، لا يمكن أن تحقق مصر السلامة الا بجبهة ديموقراطية وطنية قائمة على أحزاب اشتراكية ووطنية . وأوافق د. عبد العظيم انيس على أن هذه الجبهة لها بعدها العربى ، ولها ايضا بعدها الدولى . واحب ان اضيف بعض النقاط :

فى تصورى لهذه الجبهة الاشـتراكية الوطنية ، فى داخل مصر ، أذهب الى أن قيام هذه الجبهة مرتبط بالحريات الديموقراطية . بل انه لايمكن تحقيق الحريات الديموقراطية دون قيام هذه الجبهة . لان هذه الجبهة ستكون ــ بالضرورة ــ مكونة من الطبقات الشـعبية المستفيدة من الاشتراكية والمستفيدة من التحرر الوطنى .

ولا يمكن أن تقوم مثل هذه الجبهة الا من خلال هذه الطبقات ، ولا يمكن أن تستمر الا بمساندة هذه الطبقات . ولا يمكن أن تقوم وتستمر الا فى جو يتوفر فيه الحوار ، وتتوفر فيه الحرية . وجميع الحريات الديموقراطية . لكن الوسيلة الوحيدة لقيامها ولاستمرارها ، هى أن تحمى من جانب القواعد العريضة من الشعب المستفيدة من قيامها . ولابد أن تكون تعبيرا تحتيا لا مجرد تعبير وقتى . فالطبقات الكادحة المستفيده من وجود هذه الجبهة هى الوحيدة الكفيلة بإنشائها وبحمـايتها . ولا تستطيع أن تفعل هذا الا فى جو مـن الديموقراطية . فهذه الجبهة ــ بطبيعتهـا ــ معادية للقمـع البـوليسى ، ومعـادية لكبت الحريات . واذا ترك لهذه القواعد العريضة من الشعب أن تحمى جبهتها ، فهى الكفيلة برد جميع الرجعيين ، وايقافهم عن حدهم .


د . لطيفة الزيات

بالنســبة للبعد العربى . اقــول ان البعد العربى كامن فى المحل الاول فى التكامل الاقتصادى ، وفيمـا يتعلق بالوحدة العربية ، فهذه الوحـده أيا كان مستواها ، هذه الوحدة التـى ستقوم بين الشعوب العربيه وحدة هامة جدا . كمـا ان المستقبل يحمل اليهـا امكانيات اكبر ، لان الشعب المصرى يلتقى على طريق العمل من أجل هذه الوحدة بشعوب عربية على قدر كبير من الوعى ، وبشعوب عربية أخرى ، فى طريقها الى قدر كبير من الوعى . وفى عالم اليوم فان التغييرات الاجتماعية التى تتم على المستوى العالمى تعمق ، وتبشر بتغييـرات اجتماعية أوسع فى العالم العربى .

فى البعـــد الدولى .. الصراع بيـــن الشـــعوب العـــربية وبين الشعوب المستغلة « فـى العـــالم الثـــالث كلـــه » من ناحيـة ومن ناحية اخرى ، بين امريكا . وهو صراع حتمى ، وقد بدأ فعلا بصورة قوية . هذا يتضح اذا علمنا ان الاقتصاد الامريكى كله ، والاقتصاد الرأسمالى كله ، قائم على العامل فى العالم الثالث . سواء كـان هذا العامل يستخرج البترول ، او غيره من المواد الخام الأخرى .

ويوم يتنبه هذا العامل الى ان له حقا فى الحياة الانسانية سيصبح الصراع بينه وبين الاستعمار الامريكى محتوما . ولذلك ليس

غريبا اليوم أن تبدأ التهديدات بالتدخل فى المنطقة العربية . وأحب أن أؤكد مرة أخرى على أن الاقتصاد الغربى كله قائم على أن يبقى العامل فى العالم الثالث فى الدول المنتجة للمواد الخام فى حالة غير انسانية ، فى حالة لا يأكل فيها ما يكفى ، ولا يعيش فيها عيشة انسانية . يوم أن يتنبه هذا العامل لحقوقه سيبتدىء الصراع الحتمى بينه وبين الاستعمار الامريكى . وستبدو أزمة العالم الغربى والعالم الرأسمالى أزمة رهيبة ، ونحن اليوم نشهد بوادرها . هذا الى جانب أن التناقضات بين الدول المنتجة للبترول والدول المستهلكة للبترول قد بدات فعلا تظهر آثارها للعيان . ان امريكا - مثلا - بدل أن تضغط قليلا احتكارات البترول التى تكسب المكاسب الفاحشة ، تهدد بالتدخل المسلح فى دول الخليج لتضمن للرأسماليين الامريكيين وللاحتكاريين الامريكيين هذه المكاسب .

ربما احب أن أنهى كلامى بنغمة تفاؤل فأقول : أننا لسنا فى حيرة من ايجاد القاعدة الاشتراكية العريضة التى يمكن أن تنبع منها الجبهة الوطنية والجبهة الديموقراطية . هذه القاعدة العريضة وجدت من سنة ٥٢ الى الان . وهى موجودة بشكل واسع جدا . وربما لم يستطع جمال عبد الناصر أن يحقق الاشتراكية ، ولكنه استطاع أن يفتح مخيلة الشعب المصرى على الاشتراكية . استطاع أن يوسع القاعدة العمالية حين أرسى قواعد الصناعة الثقيلة فى مصر ، واستطاع بتوزيع الارض للفلاحين أن يوسع من قاعدة القوى الاجتماعية صاحبة المصلحة فى الاشتراكية .. والظروف الاقتصادية - نفسها - تجعل الطبقات المستفيده من الاشتراكية فى مصر اوسع وأكبر مما كانت فى أى وقت مضى . هذا على المجال المصرى .

وعلى المجال العربى ، فان ما يحدث الان فيه دلالات ومؤشرات مهمة جدا يجب أن نتنبه اليها . « وأضرب مثلا لذلك الاتفاق الذى يتم اليوم والتقارب بين سوريا ولبنان . هذا الاتفاق فى رأيى اتفاق كبير الدلالة ». ايضا التناقضات الموجودة ، الان ، بين الدول المنتجة للبترول وبين الدول المستهلكة للبترول وهى عامل يجب أن يؤخذ فى الحساب . وأخيرا فمع ايمانى بأننا نقف على مفترق الطرق ، ومع ايمانى بأن هذه اللحظة فاصلة فأنا أميل - مع ذلك - الى التفاؤل وشكرا .

■ **د. فؤاد مرسى :**

فى اعتقادى اننا لا يمكن أن نستشرف آفاق المستقبل الا ابتداء من الحاضر . والحاضر ، هنا ، هو الواقع كما يتمثل فى مصر عام ٧٥ . ومصر عام ٧٥ فى تقديرى هى محصلة مصر فى السنوات الكثيرة الماضية ، وبصفة خاصة ، منذ عام ١٩٥٢ . لذلك لا يمكن أن نبدأ الكلام عن استشراف المستقبل الا من أرضية واقعية محددة . هذه الارضية الواقعية المحددة هى ما انتهت اليه تجربة مصر وبالذات تجربة الثورة فى مصر عام ٥٢ .. هذه التجربة كما انتهت اليه تنطوى على ما يأتى :


د. فؤاد مرسى

أولا : من حيث الاسس الفكرية لهذه التجربة . تقف مصر على أرضية الفكر الوارد فى **الميثاق الوطنى** . هذا الفكر الذى يحدد أن مستقبل مصر هو المستقبل الاشتراكى اخذا بمنهج الاشتراكية العلمية . ومنهج الميثاق الوطنى الذى تدعم فيما بعد **ببرنامج العمل الوطنى** يختلف الى حد كبير عن المنهج الذى ساد فى ورقة أكتوبر .. فالقضية الاجتماعية لم توضح فيها بالوضوح الذى طرحت به فى **الميثاق** الوطنى . فلقد أصبح الهدف المحدد ، وهو بلوغ الاشتراكية اخذا بمنهج الاشتراكية العلمية ، بحيث يتناقض مع مواقف كثيرة بعضها خاص بالموقف من الرأسمالية الوطنية ، وبعضها خاص بالموقف من الرأس مال الاجنبى . وسأتعرض لهذين الامرين فيما بعد بتفصيل كبير .

ثانيا : فيما يتعلق بالواقع الاقتصادى حققت مصر حتى عام ٧٥ كما نقف على أرضيتها اليوم نتائج يجب ان نبدأ منها ايضا اى استشراف للمستقبل .

النتيجة الاولى : هى تصفية النفوذ الاستعمارى السياسى والاقتصادى بتصفية جميع المراكز الاستعمارية فى داخل الاقتصاد المصرى .

النتيجة الثانية : تصفية الملكية الاقطاعية الكبيرة للارض وتوزيع الاراضى على الفلاحين بالمجان . .

النتيجة الثالثة : تصفية الراسمالية الكبيرة التى كانت موجودة قبل ثورة ٥٢ وفيما بعدها حتى عام ٦١ .

النتيجة الرابعة : اقامة قطاع عام كبير يقوم اساسا على تأميم المصالح الاجنبية الاستعمارية ، وعلى تأميم مصالح راس المال الكبير المحلى . ثم يقوم على الاستثمارات التى اقتطعت من تضحيات ملايين الشعب المصرى وبخاصة من العمال والفلاحين والموظفين .

النتيجة الخامسة : الاخذ بأسلوب التخطيط ، هذا التخطيط الذى أعتبر أساسا لمستقبل مصر منذ عام ٦٢ عندما طرح فى الميثاق .

النتيجة السادسة : الاخذ بمباديء التعاون .. التعاون ليس فقط فى مجال التسويق، وانما أيضا فى مجال الانتاج وهذا أمر هام أكد عليه وألح برنامج العمل الوطنى الذى صدر فى عام ١٩٧١ .

هذا من حيث النتائج الاقتصادية التى انتهينا اليها بعد تاريخ طويل ، وبعد خبرة ، وتجربة مرت بمنهج التجربة والخطأ واستقرت بحيث أنها تعطى صورة مصر الاقتصادية .

يمكن أن نضيف صورة أو نتيجة اقتصادية أخيرة هى السماح لراس المال الخاص بالاستثمار وبالعمل فى مجال الانتاج بصفة خاصة ووصفه بأنه رأس مال غير مستغل وهو وصف سياسى غير اقتصادى وغير علمى . لكن كانت دلالته السياسية مهمة جدا هى ان لا يجنح رأس المال الخاص الى الاستغلال بمعنى الاحتكار . أى أن لا ينمو نموا غير محدود وعندئذ فاذا ما نمى نموا غير محدود فانه يصبح خارجا عن الميثاق .

من حيث الواقع السياسى لمصر انتهت تجربة مصر فى عام ٧٥ الى أن مصر هى مصر الطبقات الوطنية . وان السلطة يجب أن تكون بيد هذه الطبقات الوطنية وحدها . وان الديموقراطية يجب أن تكون للطبقات الوطنية وحدها لان الديموقراطية ما هى الا تضية السلطة . من الذى له سلطة اصدار واتخاذ القرار . الطبقات الوطنية بحكم الميثاق الوطنى تحدد أن مصر يجب أن تحكم بتحالف الطبقات التالية :

العمال والفلاحون والمثقفون الثوريون والرأسمالية الوطنية والجنود .. وبالطبع يعنى هذا ان السلطة والديموقراطية يجب أن تكون لهذه الطبقات . وأن الطبقات الاخرى هى خارجة عن نطاق الديموقراطية وانه لا يمكن الحديث ابتداء من مصر ـ كما تركتها لنا ثورة ٥٢ ـ الا من أرضية ديموقراطية الطبقات الوطنية .. أيضا تكتمل الصورة السياسية بأنه لا تناقض بين التحول الى الاشتراكية وبين التوسع فى الديموقراطية . واذا ماكانت هناك عمليات خرق للديموقراطية ـ فيما مضى ـ فهى خروج ليس فقط على منطق الديموقراطية انما هى خروج أيضا على منطق ومنهج الاشتراكية .. لان الاشتراكية لا تكون الا عملية جماهيريه اى عملية تخص الملايين الواسعة من العمال والفلاحين والمنتجين الحقيقيين فى بلادنا وبالتالى ليس لهم صالح الا فى توسيع هذه الديموقراطية : مضمونا ، واشكالا ، واطرا . ولذلك فالخروج عن الديموقراطية فيما مضى انما كان خروجا عن منطق التحول الى الاشتراكية أيضا .. وأيضا تكتمل الصورة بأننا مطلوب منا على المستوى السياسى أن نتخذ طبقا للميثاق الوطنى خطوات تحملنا ، أكثر فأكثر ، نحو الاشتراكية لان الميثاق الوطنى انما يطرح برنامجا للانتقال ، وبرنامجا مؤقتا . وكان من المفروض أن يعاد النظر فيه على عام ٧٢ . وبالكثير كان يجب ان يكون هذا برنامجا لعشر سنوات فحسب ، ينظر فى نهايتها فى برنامج يستشرف آفاقا أوسع نحو الاشتراكية . وبالتالى ، ليست مشكلة مصر اليوم طبقا لاوضاعها الاقتصادية والسياسية هى اننا سرنا طريقا أطول ، أو أوسع مدى فى مجال الاشتراكية ، انما المشكلة الحقيقية هى اننا لم نسر المدى الذى كان يجب أن نسير فيه فى التحول الاشتراكى وبالتالى ، فنحن أمام مشكلة نقص الاجراءات التى تكفل اكمال عملية التحول الاشتراكى فى بلادنا . هذه هى مشكلة مصر على المستوى الاقتصادى والسياسى ، وليست هى اى مشكلة أخرى . اننا سرنا أطول ، أو بعدنا عما كان يجب أن نسير فيه ، انما المشكلة الحقيقية هى اننا لم نلتزم بالافاق التى طرحت ابتداء من عام ٦٢ لمستقبل مصر . هذه الافاق ـ بالطبع ـ عملت قوى عديدة على منعها

وبصفة خاصة كانت قوى الرجعية الداخلية فيما بعد ٦٥ . وهى القوى التى وقفت ضد عملية بدء الخطة الخمسية الثانية ، والرجعية العالمية متمثلة فى الاستعمار الامريكى بصفة خاصة وأداته فى المنطقة اسرائيل بحرب ٦٧ قد وقفت ضد عمليات التحول واستمرارها .. ومن هنا نشأت المتاعب لمصر فى وقت مبكر . لا لاننا سرنا أكثر ولكن لاننا سرنا أقل فى طريق التحول الاشتراكى . وبالتالى ، اصبحت هناك عقبات وصعوبات متزايدة تراكمت وتحولت من تراكمات كمية الى تراكمات كيفية واصبح النقاش الان هل تتخذ مصر مستقبلا رأسماليا أم اشتراكيا .. لا ، ليس هذا هو النقاش لان مصير مصر ومستقبلها قد تحدد منذ عام ٦٢ رسميا بان مستقبل مصر هو الاشتراكية . لا مجال لاعادة النظر فى هذا المجال . تحددت مصر المستقبل بأنها مصر الاشتراكية .. المناقشة الان هى كيف نستعيد الطريق الى التحولات الاشتراكية التى تكمل مسيرتنا . هذا هو النقاش الذى يجب ان يثور ، ومن هنا فاننى اعتبر كل ما يثار حول ضرورة افساح المجال الاكبر لراس المال الخاص وافساح المجال لراس المال الاجنبى متناقضا مع مسار الثورة المصرية منذ تحدد فى الميثاق الوطنى .. وهذا الامر يجب ان يطرح بهذا الوضوح . راس المال الخاص قد استكمل دورته منذ سنوات عديدة واثبت بما لا يدع مجالا للشك عجزه عن القيام بتنمية مصر فكيف نعود مرة اخرى اليه ونطلب منه أن يقوم بتنمية الاقتصاد المصرى وحل مشاكل مصر المستعصية ؟ لقد اجاب الميثاق الوطنى على هذا منذ عام ٦٢ بان الراس مال الخاص غير قادر اذا ما ترك له المجال منفردا ووحيدا بأن يحل مشاكل مصر الاقتصادية ...

وكما قال الدكتور عبد العظيم انيس مشاكل مصر هى مشاكل الفقر هى مشاكل بلد فقير حتى اغنياؤه فقراء نسبيا . هذا بلد فقير يجب أن تعالج قضاياه على اساس مصالح الملايين العديدة الفقيرة التى تعيش عيشة الكفاف وأى مناقشة لمستقبل مصر انما تناقش من حتمية الحل الاشتراكى ولا حل سواه .. لن تحل الراسمالية مشاكل جماهير مصر المتراكمة التى تحولت الى مشاكل من اعوص ما يكون الان .. ايضا لا يمكن أن نظن ان مشاكل مصر يمكن ان تحل بفتح المجال امام راس المال الاجنبى لان رأس المال الاجنبى جرب ايضا وتجربته الاساسية هى فى مصر قبل ٥٢ وما بعدها فكانت هى احتلال مصر ثم بعد ما قامت الثورة بكل ما قدمته من ضمانات لراس المال الاجنبى وهى ضمانات كثيرة كانت ضمانات اقتصادية وسياسية وقانونية لم يقبل رأس المال الاجنبى على مصر إلا فى مجال وحيد هو مجال البترول وبأرقام خيالية من حيث الضآلة لم تزد مجموع استثمارات البترول الاجنبية فى مصر خلال سنوات الثورة الاولى حتى عام ٦٢ عن أربعة ملايين جنيه مصرى يعنى مبالغ ضئيلة جدا اذا قورنت بما استطاعت مصر أن تعبئه من مئات الملايين من الجنيهات للاستثمار فى مصر .. وبصفة خاصة منذ عام ٦٠ فى الخطة الخمسية الاولى وما بعدها حتى الان نجد أن الرقم الذى قدمه رأس المال الاجنبى طوال سنوات الثورة الاولى رقم هزيل ويمكن استبعاده بغير أن يؤثر فى تاريخ مصر ومستقبلها .. من هنا نجد أن تجربتنا مع رأس المال الاجنبى هى تجربة بائسة لانه لا يريد أن يأتى لماذا ؟ لان راس المال الاجنبى يجب أن يأتى بشروطه هو وبالظروف التى تضمن له أن يحقق الربح الأقصى وهى ظروف تتضمن السيطرة فاذا لم تتحقق له السيطرة فلماذا يأتى ؟ ! واذا لم يتحقق له الربح الوفير فلماذا يأتى ؟ ! من هنا يمكن أن تأتى رؤوس أموال اجنبية الى مصر لكن بشروط سيطرة وشروط الربح الاقصى الذى تضمنه لنفسها وهذا هو الامر الذى حاولت رؤوس الاموال أن تنتهجه خلال السنوات الماضية فى مصر .. خلال السنوات الماضية أرادت أن توهمنا بان حل مشاكل مصر يتم بالتفاهم مع الغرب سياسيا مع امريكا لتحل المشكلة مع اسرائيل .. واقتصاديا بأن رأس المال الاجنبى يحل مشاكل التنمية المصرية . هذا الحل حاولوا فرضه منذ سنوات ، وكانت هناك مقاومة شديدة له فى السنة الاخيرة تم القبول جزئيا بوجهة النظر هذه وهى أن رأس المال الاجنبى قادر على حل مشاكل التنمية فى مصر ... رأس المال الاجنبى لن يأتى الى مصر الا فى المجالات التى تضمن له السيطرة والربح الاقصى ولذلك هى مجالات محدودة وهى مجالات هو نفسه متخلى عنها فى بلاده .. مثلا أى صناعات ملوثة للبيئة متخلى عنها فى بلاده وعايز يعملها فى البلاد النامية المستعمرة أو شبه المستعمرة .. أى صناعات تحتاج ليد عاملة وفيرة ورخيصة متخلى عنها فى بلاده وعايز يعملها فى بلادنا زى تجميع السيارات وتجميع الراديوهات والترانزستورات ، عمليات تجميع لا نكتسب منها خبرة كبيرة ، وتغرق السوق بسلع

استهلاكية مش هى دى تنمية مصر ولا حل مشاكل الفقراء . كذلك هومستعد ان يتخلى عن الصناعات التى تتطلب تكنولوجيا بسيطة ولا تحتاج لخبرة ومعرفة ضخمة . وبالتالى من الممكن أن تكون هناك صناعات من هذا النوع لا تشكل تنمية مصر ولا مستقبل مصر .. مستقبل مصر يتشكل بعملية تنمية مخططة فيها أولويات محددة سلفا موضوعة جميعا فى اطار تخطيط اجتماعى معين هو تخطيط لمصلحة الاغلبية الساحقة من المصريين وهم اناس فقراء .. من هنا نجد أن صورة مصر فى المستقبل انما يجب أن تستشرف من واقع مصر الفكرى كما حددته مواثيقها ومن واقعها الاقتصادى والسياسى كما حدث فعلا وأصبح مصر اليوم . النتائج التى يمكن أن تبنى على مصر كما هى وكما أفضت اليها الثورة بعد أكثر من عشرين سنة نتائج ليس لها الا المنهج الاشتراكى وهى نتائج يمكن أن تأخذ فى الاعتبار كل القدرات المصرية وأيضا تأخذ فى الاعتبار البعد العربى ، والعرب الان مشرفون هم أيضا على التحولات الاشتراكية .. فالتحولات الاشتراكية ليست مسألة مصرية فقط انما هى أيضا مسألة عربية وأيضا فيها البعد العالمى لان العالم اليوم القوة الحيوية فيه التى تنمو باضطراد هى القوة الاشتراكية .. القوة الرأسمالية تنمو لكنها تنمو بمشاكل وبأزمات ومآلها أن تتدهور .. أما القوة الاساسية التى تنمو باضطراد وبمعدلات مذهلة للنمو هى العالم الاشتراكى . من هنا الافق الاشتراكى المصرى يربط مصر حتما بالعرب وبالعالم التقدمى وشكرا ..

■ **احمد عباس صالح :**

فى الواقع بعد العرض الجميل والمنظم والرائع للزملاء وما قاله – أخيرا – د . فؤاد مرسى ، يبدو انه ليست هناك اضافة حقيقية . ولكنى سأكمل ما كنت أتوقع أن يكمله الدكتور فؤاد مرسى فى شكل اتمام عملية النمو التى نقف عندها الان فى سنة ٧٥ .. وانا اوافقه تماما على أن ننظر الى المستقبل من خلال هذا الواقع والظروف القائمة .. فيما يختص بالوضع السياسى . وهى المشكلة التى يحاول أن يتسلل من خلالها الرجعيون والاستعمار لقلب ثورة ٢٣ يوليو ونتائجها ، واعادة مصر الى الاطار الاستعمارى السابق .. العيوب القائمة التى مررنا بها فى الفترة الماضية تتصل بالتنظيم السياسى أكثر من اتصالها بأى شىء آخر . واذا كان ثمة استشراف للمستقبل على الاسس القائمة فينبغى أن يوضع الاساس فى التنظيم الجماهيرى ، وهو تنظيم الاتحاد الاشتراكى . ونحن نعلم انه قد عرضت مذكرات وأبحاث خاصة بتطويره ، ولكن لم نتوصل الى نتائج ايجابية ، انما كانت تلف وتدور لتبتعد عن الاصلاح الحقيقى لان كثيرا من القوى القائمة محليا وعربيا تريد هدم النظام القائم هدما تاما ، واحلال نظام آخر محله . اذن فنقطة الانطلاق فى استشراف المستقبل هى النظر فى التنظيم السياسى القائم ، وهو الاتحاد الاشتراكى ، واعادة تصحيحه ، فالاتحاد الاشتراكى القائم يضم خمس فئات كما تسمى .

■ **لطفى الخولى :**

مفروض أنه ينضم .. هذا أكثر دقة على ما أعتقد .

■ **احمد عباس صالح :**

نعم ، مفروض انه يضم خمس فئات للعمال والفلاحين باغلبية لا تقل عن ٥٠ فى المائة ولكن الحقيقة انه ليست هناك سيطرة فكرية لهذه الطبقة الاساسية والتى تمثل اغلبية الشعب المصرى . وبالاضافة الى ذلك فان الاتحاد الاشتراكى كان يضم هذه الفئات بشكل فئوى ، وليس بشكل سياسى . فالمفروض ان طبقة العمال والفلاحين والمثقفين الثوريين لها تصور فكرى ، ونظرية ومنهج . وانه ينضم الى هذا الفكر أو هذا المنهج كل من يعتقد انه الطريق الصحيح للتطور الاجتماعى ، والتقدم الاجتماعى .

احمد عباس صالح

ولكن الذى كان يحدث هو ضم العمال والفلاحين باعتبارهم عمالا وفلاحين ، وبشكل تنظيمى ، أى فئة ، وليس باعتبارهم أصحاب وجهة نظر أو منهج أو برنامج . ينبغى اذن ان يطرح فى الاتحاد الاشتراكى التطور السياسى الذى يعبر عن مصالح وفهم طبقات العمال والفلاحين وهو بطبيعة الحال كما ورد فى الميثاق الاشتراكية العلمية .. وبالتالى ، هذا يترتب عليه ان تنشأ أمانة على الاساس السياسى ، لا على الاساس الفئوى، تطرح برنامجا، وتكون منتخبة من العمال والفلاحين انتخابا حرا ، وبشكل تنظيمى . وهذه الامانة يكون لها كل السلطات التى تمنح

لاى حزب عمالى يدين بالفكر والنظرية الاشتراكية . وبالتالى ، يتبع هذا ان تصدر هذه الامانة صحفها وان تعبر عن نفسها وتصوت فى المؤسسات البرلمانية ، وان يكون لها دور فى القرارات باعتبارها الاغلبية الساحقة لهذا المجتمع . اذن ، نحن نطالب ان يكون المستقبل هو تكوين أمانة . وهى ممكن أن تكون تسمية للحزب العمالى الاشتراكى الذى يمكن ان ينشأ داخل التجمع الوطنى حتى فى اطار الاتحاد الاشتراكى كما هو مطروح حاليا ».

من الممكن ايضا ، ان نقبل تصور قيام حزب آخر لما يسمى بالرأسمالية الوطنية . وكما قال د . فؤاد مرسى محتمل ان يكون للراسمالية الوطنية دور فى عملية التنمية الان تحت اطار الخطة والتوجيه العام الذى توجهه الدولة فى تخطيطها الاقتصادى . ويكون ـ ايضا ـ لهذه الامانة تجمعها الفكرى السياسى وليس التجمع الفئوى المزعوم الموجود الان .. كما ان من حقها ـ ايضا ـ ان تصدر صحفها ، وان تمثل نفسها فى المؤسسات الدستورية كالبرلمان وغيره ، وتشترك فى اصدار القرارات .

واذا كان ثمة قوى اخرى وانا لا اكاد ارى فى التقسيم الواقعى اى قوى أخرى فانه يكون لها ايضا . الامانة التى تريدها . ومن مجموع هذه الامانات ، وحسب عدد التمثيل ، تتكون اللجنة المركزية من هذا التحالف وبطبيعة الحال ، ان التصويت على اى قرار او على اى موقف يكون بالاغلبية ، وهذا معناه أن الاغلبية الساحقة التى توجه التطور والحركة فى مصر هى لقوى العمال والفلاحين والمثقفين الثوريين .

اما مايحدث من تهرب من هذا الوضع ، وتعمية عليه ، فهو فى الواقع يراد به تجنب المواثيق التى ذكرها د . فؤاد مرسى ، والتى يتضح منها تماما ان الطريق الحقيقى والطبيعى لمصر ان يتحول التحالف من مرحلة نظرية او مفترضة الى تحالف واقعى » وحقيقى هذا هو الجانب السياسى فى التشكيل او التنظيم الجماهيرى ».

يأتى بعد ذلك البعد العربى .. واعتقد انه يعد هام جدا ، ليس فقط من باب التكامل الاقتصادى وغيره من الابواب الهامة التى ذكرت قبل ذلك ، انما انا اعتقد ان الرجعية المصرية والتى تحاول قلب نظام الحكم الحالى ليست قادرة وحدها على ان تقوم بهذا العمل ».

■ لطفى الخولى :

هل قلت أن الرجعية المصرية تريد أن تقلب نظام الحكم الحالى ؟

■ احمد عباس صالح :

نعم ، الرجعية الحالية التى تريد ان تقوض الطريق غير الرأسمالى للتحول الى الاشتراكية ».

■ لطفى الخولى :

هل يعنى ذلك أن نعتبر ما هو قائم غير معاد وغير آمن بالنسبة لها ؟

■ احمد عباس صالح :

تعتبر الرجعية العربية ما هو قائم معاديا لمصالحها ، وتريد ان تعود الى ما يمكن ان يسمى بالليبرالية بمعناها العلمى حيث تشمل الفكر الاقتصادى والحرية الاقتصادية وحق الملكية كحق مقدس الى آخر هذه الحقوق المعروفة عن الليبرالية ».

■ د . لطيفة الزيات :

حكاية الليبرالية هذه خطيرة جدا . لان الليبرالية ـ هنا فى مصر ـ كما بدا من المناقشات التى دارت فى الاتحاد الاشتراكى تعنى قيام احزاب للطبقات المستغلة وحرمان الطبقات الكادحة من قيام احزاب ».

■ احمد عباس صالح :

انا فى الواقع اتهم الرجعية المصرية بانها تحاول قلب نظام الحكم الحالى وهو أمر حقيقى وواضح تماما امام جميع الناس .. ولكن بعد عشرين سنة من الثورة !! يبدو ان هذه القوى المحلية أضعف من ان تقوم بهذا الدور وحدها ».

الى جانب ما تقدم تصادف أن جدت ظروف تاريخية تتمثل فى تكون وتكدس رأس مال عربى ناتج من عائدات البترول . وان هذا المال العربى بطبيعة الحال لابد أن يبحث له عن سيادة . وحيث يكون المال تكون السيادة . هذا المال العربى نتيجة الضغوط الخارجية ، والظروف الخارجية يريد أن يجد له استثمارا آمنا فى المنطقة العربية تحت شروطه » .

ويفهم من هذا المنهج رغم الالحاح الكثير ، ورغم قوانين الانفتاح ، ورغم اعفاء الاستثمار الاجنبى من تطبيق عددا من نظم القطاع العام فيما يتعلق بحقوق العمال فأن هذا الرأس المال لم يتقدم الى الان خطوة مما يدل على أن شرطه الجازم والقاطع هو تغيير النظم الحالية .

وبالنسبة للتصور القائم للمستقبل فيما لو تم هذا التنظيم السياسى داخل اطار الاتحاد الاشتراكى مع التعديلات التى اشرت اليها يجب أن يمتد هذا التنظيم السياسى الى كل بلد عربى لابد ان يكون له امتداد وتلاقى مع القوى الاجتماعية المماثلة فى الوطن العربى ، وهو امتداد يبدو انه قائم فعلا بشكل او بآخر أنك تجد تلاق بين المفكرين أو الثوريين المصريين وتجد هذا التلاقى ايضا فى بعض البلاد العربية التى حدثت فيها تحولات او تطورات قريبة الى الاشتراكية مثل كثير من البلاد العربية ذات الطابع التقدمى الحالى . وايضا تجد هذا فى التشكيلات السياسية فى الدول المحافظه أعنى بهذا انه لا يكفى ان يكون لمصر تنظيم سياسى محلى فقط انما ايضا ينبغى ان تكون له امتداداته العربية باعتبار أن التحولات فى مصر هى تحولات شاملة للعالم العربى كله وليست شاملة لمصر وانه لا مجال للتقدم الاقتصادى خارج اطار الوحدة العربية . وكما قال الدكتور عبد العظيم انيس فنحن نحتاج فى الحد الادنى لـ ٧٠٠٠ مليون جنيه . وزاد الاستاذ لطفى الخولى فجعلها ١٠٠٠٠ وانا اعتقد انه لا وسيلة للتنمية الاقتصادية الحقيقية دون وحده عربية وأنه لابد أن يكون للثورة المصرية بعدها العربى واعتبارها حقيقة مطلقة وهى ايضا فى صالح الشعب العربى المستغل فى أى بلد عربى يقع فيه استغلال ويحتاج الى تنمية اقتصاديه . وكان تاريخ ثورة ٢٣ يوليو يؤيد ويؤكد هذا البعد العربى ، ولعب الجيش المصرى دورا فى اليمن ولعبت السياسة المصرية دورها فى تأييد الثورة فى العراق ولعبت دورها فى الجزائر ولعبت دورها فى كل المنطقة فهذا ليس كلاما جديدا اذن لابد ان نتوقع فى المستقبل ان الحركه الثورية المصرية هى حركة ثورية عربية فى نفس الوقت لضرورات اقتصادية وتاريخية وقومية ايضا ، هذه مجمل الصورة التى اتخيلها للمستقبل وشكرا .

■ **لطفى الخولى :**

الان يبدو ان جميع المشتركين فى الندوة ابدوا تصورهم للمستقبل فيما عدا الشباب ، لا أعرف لماذا لم يحضروا هذه الجلسة .

واذا شئنا أن نرسم الصورة ،حتى نبدأ فى الجلسة القادمة فى مناقشة التجربة ، فانه يمكن القول بأن هناك نقاط اتفاق ونقاط خلاف وضحت خلال الحوار . أجيز لنفسى تحديدها على النحو التالى :

نقاط الانطاق : من غير المتصور ان هناك مستقبلا لمصر دون ان تكون جزءا عضويا من حركة التقدم للعالم العربى ككل . وبالتالى هذه الرابطة التاريخية العضوية المصيرية ، على جميع المستويات ، تشكل مسارا اساسيا من مسار التجربة المصرية . فالقضية المصرية قضية عربية ، والقضية العربية بما فيها القضية الفلسطينية هى قضية مصرية . هذه نقطة لا اعتقد ان بين الموجودين خلاف شأنها .

بالنسبة للمحيط الدولى ، هناك ايضا اتفاق على ان حركة التقدم فى مصر نحو المستقبل هى جزء من حركة التحرر العربى والعالمى وبالتالى هى مرتبطة بكل حركات التحرر فى العالم وبكل الانسانية التقدمية وبالتالى هى مرتبطة بحركة التقدم للعالم الاشتراكى . وعلى أساس من

الواقع والتحديات التى تعانيها البلاد الان وفى المستقبل ، سواء فى التنمية المستقلة ، أو فى مواجهة الامبريالية والصهيونية ، هنـاك إكتشاف لحقيقة ثابتة هى ان الاتحاد السوفيتى والبلاد الاشتراكية هى أكبر الاصدقاء وان هذا لا يعنى أن نقف موقف المعاداة من الشعوب فى الغرب ، لانه تقف معنا بالفعل كل القـوى الديموقراطية ، والتقدمية هناك ، بمـا فيها الشعب الامريكى ، وبما فيها شعوب أوربـا الغربية

أما الخلاف ، فى الحقيقة ، فهو حول ما سمى بالنموذجين للتطوير فى مصر النموذج الليبرالى والنموذج الاشتراكى • وهنانجد تصورين مطروحين فى الندوة : التصور الاول مؤداه أنه نتيجة الظروف الحالية ، نتيجة ما تعانيه مصر من ازمات اقتصادية • ومن أزمة فى القضية الوطنية ، ومن تعقد الخريطة الطبقية و •• و •• الخ هناك من يدعو لنظام ليبرالى يتيح الحرية لجميع الطبقات ، بما فيها الطبقات الشعبية لتكوين احزابها ، وانه يجب التفريق ــ كما قال استاذنا توفيق الحكيم ــ بين نوعين من الليبراليين : ليبراليون ، من الممكن ان يتجهوا نحو التقدم ، ونحو اليسار ، وفى الواقع هم يقصدون الحريات السيـاسية والديموقراطية مع عدم مصادرة التقـدم الاقتصادى والاجتماعى نحو الاشـتراكية • وهناك ليبراليون يمينيون متحجرون متخلفون يرفعون راية الليبرالية لضرب القوى الشعبية ، ولضرب الاتجاه نحو الاشتراكية • هذا التصور يرى ان هذا هو الاسلوب الواقعى لتخطى هذه المرحلة المؤقتة من تاريخ مصر •

التصور الاخر يرى انه لامفر من التجربة ذات الافاق الاشتراكية ، وان العودة الى النظام الليبرالى منجديد ، تحت اىشعارات،هوتكرار لتجارب قد فشلت أو على الاقل انهت مهماتها التاريخية ولم يعد من الممكن تكرارها • وانه فى هذا نحن ننطلق ليس من مواقع أيديولوجية مطبقة كالماركسية أو •• أو •• الخ وانما من واقع التجربة المصرية نفسها ومن مواثيقها التى هى الميثاق وبرنامج العمل الوطنى و •• و •• الخ التى اخذت بمنهج الاشتراكية العلمية على اساس الظروف المصرية • وان هذا يعنى ضرورة وجود ديموقراطية•وقضية الديموقراطيةاوقضية السلطة هى قضية ديموقراطية وسلطة قوى التحالف الوطنى التقدمى من أجل المسيـرة الاشتراكية • وهذه النقطة التى هى المرحلة الانتقالية (وهى كما ظهر موضع خلاف يجب أن يوضع موضع مناقشة معمقة وصريحة •

وعند هذا،نختم هذه الجلسة الا اذا كانهناك من يريد ان يضيف نقطة اتفاق أو خلاف اخرى ،

■ **توفيق الحكيم :**

أريد اضافة نقطة واحدة فقط • ان مصر ــ حتى اليوم ــ لم تجرب تجربة صحيحه : فلم يكن عندنا ليبرالية سليمة ولا اشـتراكية سليمة • ولذلك عندما نقول انه مررنا من النظام الليبرالى الى النظام الاشتراكى فالواقع انه لم تكن ليبرالية حقيقية • لان الليبرالية الحقيقية تسمح بوجود حزب يمثل الطبقات الكادحة • ولكن ليبراليتنا قبل الثورة كانت ليبرالية ملاك ، بمعنى أن الاحزاب التى تحكم هى أحزاب أصحاب المصالح وأصحاب الاعمال ويمثلون الملاك • فاذن ، فلو أنها كانت ليبرالية حقيقية ، كما حدث فى أوربا لكان هناك ــ على الاقل ــ حزب يأتى الى الحكم ، أو يتحد فى وزارة ائتلافية ، ويكون ممثلا لعمال أو فلاحين • اذن هى كانت ليبرالية ناقصة ، واذن نحن لم نجرب الليبرالية الصحيحة الكاملة •

بعد ذلك ، انتقلنا الى ثورة ٥٢ ، والقول انها نقلتنا من الليبرالية الى الاشتراكية هذه •

■ **لطفى الخولى :**

لميقل احد انها اشتراكية •• كل مافىالامر انها مهدت •

■ **توفيق الحكيم :**

نعم مهدت ، لكن اضيف انها لم تمهد فقط لكنها لحمت أشياء فى أشياء بما يمكن أن نسميه **الاشترأسمالية** • بمعنى انك أتيت بمبـادىء جميلة جدا والدكتور فؤاد مرسى كان يعدد بنود الاشتراكية •

■ **د• فؤاد مرسى :**

الانجازات ••

■ **توفيق الحكيم :**

الانجازات • انا حقيقة دهشت هذا شىء عظيم جدا • ولكن أين النتيجة ؟! عندما تقرأ

الميثاق تجد ميثاقا عظيما جدا . وكلام فى الاشتراكية كلام عظيم .. أين النتيجة؟! اذا كان هذا صحيحا لكنا تقدمنا تقدما عظيما . لكن ما حدث غير ذلك . انت وضعت على الورق . وما أسهل وما أبرع ما تصاغ كتب ، ومواثيق ، ومؤلفات ، وخطب من المنابر . وبعد ذلك نرسم نظاما اشتراكيا . هذا النظام الاشتراكى المرسوم على الورق تسلمه مثلا لمهندس او نجار لكى يصوغ منه بناء ، فاذا به يعطينى لك عمارة ، مثل عمارة هذا المقاول المعروف الذى ظهر انه أولا مقاول رأسمالى مستغل لص فسرق . والذى حدث انك سلمت الاشتراكية — فى التطبيق — لقطاع عام . هذا القطاع العام ليس عنده أبدا أى روح اشتراكية . أى انك سلمت الاشتراكية لغير اشتراكيين . سلمت الاشتراكية لرأسماليين ، فى ضميرهم ، وفى تربيتهم ، وفى تكوينهم . فاذا وجدنا عمارة كعمارة هذا المقاول ، كلها مغشوشة من الداخل . وبعد ذلك تجد الكلام جميلا امام الناس وأمام العالم كأن يقال « نحن عندنا الاصلاح الزراعى الذى اقتبسته كوبا » وعندنا .. الخ .. الخ . ثم تذهب الى الريف انت فعلا فتجدملاكانزعت ملكيتهم ، وبعد ذلك تجد مظاهر استعراضية جميلة جدا . وبعد ذلك مدارس . ما الذى تعلمه ؟ التعليم فى حالة يرثى لها . تجد عندنا وزارة ثقافة ، وقطاع عام ، فى كذا ، ثم تجد أن مستوى الثقافة فى العشرينات ، والثلاثينات ، عندما لم يكن أحد يقوم بالتثقيف غير الاقلام الحرة فقط ، (والحكومة فى واد والعقول المستنيرة فى واد آخر) كانت هناك فعلا نتائج . اذن انت سلمت الاشتراكية كنظام مرسوم على الورق الجميل الى المقاول الذى بنى العمارة اياها وبعد هذا سلمها لناس لا يعرفون الاشتراكية .. فعلا ، ولا يمكن انهم ينفذوها ... » .

■ **لطفى الخولى :**

لذلك نقول : ان هذه احدى السلبيات » .

■ **توفيق الحكيم :**

فعلا . فاذا اتفقنا على صورة للمستقبل نحن مقدمون على بنائها ، ثم اتفقنا على أن النظام الاشتراكى السليم هو المطلب لان بلدنا لا تستطيع أن تتحمل استغلال الطبقات الكادحة أكثر من ذلك . بالاضافة الى أن الطبقات الكادحة ستستمر فى هذا البناء وهى التى ستبنى المستقبل .

المستقبل اذن هو للاشتراكية ولكن ... اذا كنا نقول اشتراكية ٥٤ وثورة ٥٢ سنخيب امل جماهير كثيرة . ولذلك يجب أن نحسم ونكون واضحين ، ولسنا عاطفيين ، ولا مجاملين . نقول انه كان فعلا هنا اتجاه اشتراكى ، نوايا اشتراكية سليمة بدليل اننا رحبنا وصفقنا لثورة ٥٢ . والا فان الناس ستقول لى ما الذى أسكتك لغاية ٦٧ . ان الذى أسكتنى هو اننى رأيت فعلا تحولا فى النوايا . ورأيت بعض الانجازات ، وقامت أشياء لمسناها بأيدينا . لكنها انحرفت بعد ذلك . انها وقعت فى يد المنفذين الذين ليس عندهم أى فكرة الا أن يستفيدوا من هذا النظام . الى ان رأينا أن القطاع العام كان يسلم نفسه لقطاع خاص مستتر يأتى له بالارباح ويضع هذه الارباح فى تقاريره السنوية على أنها أرباح القطاع العام . فاذن العملية فى المستقبل تحتاج الى تطبيق سليم للاشتراكية .

■ **لطفى الخولى :**

تحتاج الى معالجة التناقض بين القول والفعل .

■ **توفيق الحكيم :**

بالظبط .. فيما يتعلق بمسألة الانفتاح نريد أن ندرسها . الانفتاح ، أنا أتصوره كما يلى : لقد استنفدنا كل ثروة البلد ، يعنى أن كل ما فى البلد من نقود ومال لعمل تنمية غير كاف . فلابد من معاونة رأس المال الاجنبى . ما يشجعنا ، على هذا ، ما وقع فى الاتحاد السوفيتى والدول الاشتراكية . وجدوا أن عندهم كنوزا كثيرة فاما ان يتركوها ، واما أن يتعاونوا مع رأس مال أجنبى دون المساس بالنظام الداخلى . لان كل ما سيأتى من هذا الانفتاح أو هذا التعاون سيرفع من مستوى الطبقات الكادحة ، الى مستوى عظيم جدا . فاذن هذه عملية مفيدة لنمو الاشتراكية والتقدم الى الشيوعية باستثمار كنوزهم والا فسوف يبقى الاتحاد السوفييتى على خطأ وسيبقى بريجنيف على نظرية خطأ . لكن الواقع انهم ساروا على نظرية صحيحة وهى التعاون مع الرأسمال الاجنبى فى استخراج كنوز البلد بدل ما هى معطلة . لان رأس المال المحفوظ

الموجود فى الاتحاد السوفييتى ، أو فى مصر ، لا يقفز بنا قفزة كبيرة فى التنمية فلابد من هذا مع الفارق طبعا . لكن ما أخشاه هو انه اذا حدث هذا الانفتاح ستشعر بأن النتيجة دخلت فى جيوب ناس نصف مليونيرات والشعب لا يزال هو الشعب • أخشى ـ على الاقل ـ أن يدخل فيهم الاشتراكيون المزيفون فى القطاع العام ، الذين يقولون نعم نريد الانفتاح . ثم تراهم قد ذهبوا ليأخذوا عمولة بنصف مليون جنيه ويثرون على حساب عمليات الانفتاح • فاذن مسألة الانفتاح عندنا ـ مثل الاشتراكية ـ جميل على الورق ، وبعد ذلك تنقلب الى مسائل بهذا الشكل .. الانفتاح الذى جعل د . فؤاد مرسى يتخوف ، هو انه اذا تم فعلا ، بهذه الطريقة فسيكون انفتاحا على الطريقة الرأسمالية وليس انفتاحا على الطريقة الاشتراكية فى البلاد الاشتراكية المتأصلة • فاذن يتحتم أن نعالج كل مسألة على أساس طريقة التنفيذ والتطبيق على أساس الفكرة الرئيسية •

■ **لطفى الخولى :**

هذا صحيح •

■ **توفيق الحكيم :**

اذن الفكرة الرئيسية ؟ فى كل شىء كانت صحيحة ، والواقع أن الذى بهرنى فى ثورة ٥٢ وفى عبد الناصر هى النوايا واللافتات . ولم أتنبه ـ الا أخيرا ـ الى أنه التطبيق .. لقد كنت أسأل الفلاحين عندنا فأجد التطبيق سيئا جـدا ، وان الحـاكم يأمره هناك لايزال هو الموظف .. الموظف يبيع السماد فى السوق السوداء ... الخ • باختصار يجب أن نضع فى الاعتبار ـ فى المستقبل ـ لا النظرية البراقة ـ بل من الذى يطبق ، ومن الذى سيراقب .. ان النظام الاشتراكى السليم هـو الذى سيراقب هذا •

■ **لطفى الخولى :**

التجربة تمت بدون اشتراكيين ؟ بل على العكس ، ضد الاشتراكيين احيانا هذا هو العيب الجوهرى .. لكن أرجو مرة أخرى ان احنا نلتزم بجدول الاعمال ونحن الان نحدد نقاط الاتفاق ونقاط الاختلاف فحسب •

■ **د. لطيفة الزيات :**

تعليق على تحديدات الاستاذ لطفى الخولى فى النقطة الاخيرة التى يقول فيه اختلاف فى الصيغة • أود ان أوضح انه قد حدث التباس فى طريقة العرض بين استشراف المستقبل ، وبين البدء من النقطة الزمنية الراهنة • فبعض الزملاء التزم باستشراف المستقبل ، كما هو مطلوب فى مدى عشرين سنة ـ كما اتفقنا ـ وبعض الزملاء فضل أن يبدأ بالنقطة الزمنية الحالية التى هى نقطة ٧٥ •

■ **لطفى الخولى :**

وبالتالى .. ؟

■ **د. لطيفة الزيات :**

وبالتالى ، أرجو الفصل بين النقطتين ، لان بعض الزملاء الذين قالوا اننا نبدأ من الان ، قد يصلون الى نفس النتيجة التى يصل اليها الزملاء الذين قيموا العشرين سنة الماضية . فلا يكون هناك خلاف بينهم •

■ **لطفى الخولى :**

لابأس من وجود خلاف • لماذا نصادره •

■ **د • لطيفة الزيات :**

أنا لا أصادر • لكن أنت قلت الخلاف يبقى نقطة نقاش فى الجلسة القادمة ..

■ **لطفى الخولى :**

الخلاف يجب الا نخفيه • ولكن نقاط الاتفاق ونقاط الاختلاف ستناقش عند مناقشة المسألتين القادمتين فى جدول الاعمال النقطة الاولى : هى مناقشة التجربة ، فتح الملف الحقيقى للتجربة • ثم مسار التجربة بعد وفاة عبد الناصر حتى الان .. ثـم سنعود بعـد كل هذه الحصيلة الى المستقبل من جديد بطريقة أكثر عمقا •

من الواضح من عرض استاذنا توفيق الحكيم ـ أنه يقول : انه فى المستقبل القريب ـ

والمستقبل القريب ممكن يكون عشر سنوات وعشرين سنة ـ هو يرى انه من الممكن أن يكون هناك طريق ليبرالى يفصل ما بين الممارسة السياسية والديموقراطية وما بين التطور الاقتصادى القائم فى المجتمع نحو الاشتراكية .. وبالتالى ، هو يقول انه من الممكن ان توجد ليبرالية للجميع بما فيها القوى الاشتراكية وانها تكون حزبها و .. و .. الخ وانه تستمر فى نفس الوقت .

■ د . لطيفة الزيات :

أنا لا أختلف حول هذا ، انما النقطة التى اختلف عليها هى هل هو تحالف مع بقاء الاتحاد الاشتراكى على ما هو عليه .

■ لطفى الخولى :

هذه قضية أخرى وتفاصيل فى المناقشة .

■ توفيق الحكيم :

الاستاذ لطفى الخولى لخص تلخيصا جيدا الموضوع ، وفيما يختص بنظام الحكم الليبرالى أو غير الليبرالى هذا سيكون محل مناقشة لماذا ؟ نريد أن نصل الى حزب اشتراكى قوى .. كيف ؟

أمامنا طريقان .. اما عن طريق الليبرالية ، بمعنى انه كما حصل فى فرنسا مثلا انه فيه حزب اشتراكى قوى جدا واتفق مع الشيوعيين وكانوا قاب قوسين أو أدنى من الحكم . واما عن طريق تنظيم آخر .. يعنى ما هى الطريقة التى نصل بها الى التعبير عن الكتلة الاشتراكية .

■ لطفى الخولى :

أرجو أن أكرر اذا كان هناك كلام فى الموضوع ارجو قوله .. كلام فى نقط الاتفاق والاختلاف .

■ محمد سيد أحمد :

فى تقديرى أن قضية المستقبل ليس مطروحا فيها قضية الاتحاد الاشتراكى وصيغة الاتحاد الاشتراكى اطلاقا .. المستقبل مطروح بالاحتمالين : اطلاق الاحزاب على اطلاقها أو اطلاق الاحزاب فى داخل جبهة وطنية . هذه هى المشكلة وهذه نقطة مهمة جدا لأن العيب الاساسى الذى كان موجودا فى الماضى ، هو العيب المتعلق بنظام فوقى ونظام تحتى ، سواء فى النظام ما قبل ٥٢ أو فيما بعد ٥٢ انه كان نظام فوقى فى الحالتين . وفى سبيل أن يكتسب النظام نظاما تحتيا ولا يكون مجرد شعارات ، وصلنا الى ضالة كاريكاتورية . لقد كان البديل للنظام الفوقى اما الفوضى الشاملة واما الانقلاب اليمينى وفى الحالتين فان هذا معناه طريق أكثر ايلاما فى المستقبل وليس استقرارا . فلا يبقى اذن أمامنا من طريق سوى الطريق الذى ينزل الى تحت ، وفى سبيل اننا ننزل الى تحت فهى مشكلة احزاب . لانه ثبت ـ فى نهاية الامر ـ أن الاتحاد الاشتراكى حتى لو كان صيغة لمجموعة طبقات ، كان فى نهاية الامر طبقة واحدة محتكرة باسم الطبقات الأخرى وان الخلاف الموجود الان هو خلاف بين فئتين يمينيتين ، فئة وطنية تتمسك بالاتحاد الاشتراكى لتحتكر السلطة ، وفئة أخرى رجعية تطالب بالليبرالية فى سبيل أن تقطع الشرعية فى الماضى .


محمد سيد أحمد

■ لطفى الخولى :

هل نحن متفقون على ملخص نقاط الاتفاق ونقاط الاختلاف الذى عرضته ؟ (أبدى الجميع موافقتهم) ؟ شكرا وبهذا تنتهى الجلسة الثالثة من الحوار .

الاقتصاد الأمريكي : الأزمة والحل

جاس هال

• • •

ارسل « جاس هال » سكرتير عام الحزب الشيوعي الامريكي ، الى الطليعة هذا المقال الذي يحلل فيه طبيعة الازمة الخانقة التي يعاني منها الاقتصاد الأمريكي ، ويحدد وسائل التخلص منها .

وينشر هذا المقال في نفس الوقت في كل من « الطليعة » ومجلة « وورلد مجازين » الاشتراكية التي تصدر في نيويورك .

من ذوي التفكير السليم يستطيع ان ان يفكر ان الولايات المتحدة تعاني أزمة اقتصادية وكسادا حادا ؟ وهذه الازمة تجتاح الان كل البلدان الرأسمالية الكبرى في العالم .

ويستطيع المدافعون عن الرأسمالية ، بما فيهم الرئيس فورد ، أن يسموا هذه الظاهرة « فتورا مؤقتا » أو « هبوطا مفاجئا » او اي شيء آخر على هواهم . ولكنهم لا يستطيعون أن يخفوا المعاناة أو الحقيقة الاساسية ، وهي أن الازمات خاصية أصيلة ملازمة للرأسمالية . فالازمات الدورية سمة طبيعية للدورة الاقتصادية الرأسمالية . ومنذ الحرب العالمية الثانية . وهذه الكوارث تجتاح البلاد في ١٩٤٩ ، ١٩٥٤ ، ١٩٥٨ ، ١٩٦٩ ، وها هي تعود الان مرة أخرى .

وقد بدأت العوامل التي تحرك الازمة المالية تظهر منذ نحو عام . ولم يصل الهبوط الاقتصادي بعد الى الحضيض . فهذه الازمة ستستمر على الارجح طوال ما بقي من هذا العام بل وربما تستمر الى أبعد من ذلك .

والمعاناة والخراب ظاهرة عميقة واسعة الانتشار . والغالبية العظمى من الشعب ضحايا لهذه الازمة . ولكن العمال وأولئك الذين هم ضحايا بالفعل للقهر العنصري ، وصغار الفلاحين ، وصغار رجال الاعمال ، وأرباب المعاشات ، والمستفيدين من الضمان الاجتماعي والمعونات الاجتماعية ، والشباب الذي يعاني حاليا من البطالة هم الذين يعانون أعظم المصاعب .

والاغنياء وحدهم هم الذين لا يعانون . فلديهم ذخيرتهم الميخرة من الذهب والفضة ، وأرباح

الشركات ليست فى هبوط . ففى خضم هذه الازمة ، يزداد الاغنياء ثراء .

فما هى أسباب هذه الازمة ؟ وما الذى يجلب هذه الكوارث الاقتصادية ؟ ان هذه الازمة بشكل خاص يغذيها عاملان أساسيان . يغذيها الارتفاع التضخمى للاسعار . فكلما ارتفعت الاسعار فوق متناول المستهلكين ، اضطروا الى الاقلال من مأكلهم ، وملبسهم ، وقيادتهم لسياراتهم ، والخفض من مشترواتهم فى كل شىء . وبسبب حدة ارتفاع الاسعار تضيف الشركات الى أرباحها ما يقدر بأربعين بليون دولار سنويا .

وتغذى الازمة أيضا تلك الفجوة المتزايدة بين كمية ما ينتج من السلع وقدرة العمال والشعب بوجه عام على شراء ما ينتجونه ، وقدرتهم على شراء ما يحتاجون اليه .

ونتيجة لهذين العاملين ، تتسع الفجوة . ويتراكم مخزون الشركات من السيارات ، والملبوسات والالات الزراعية ، وغيرها من السلع الغير مباعة . ونتيجة لهذه العملية تصل دورة الانتاج الى نقطة يتعذر معها الموازنة بين الانتاج والمبيعات . وتغلق المصانع أبوابها . ويسرح العمال ، فتقل قدرتهم على الشراء بسبب ارتفاع الاسعار . وعندما تتناقص قدرتهم على الشراء تعمل المصانع بدورها على خفض انتاجها وهكذا . ومفتاح القضاء على الازمة هو معرفة كيفية وضع حد لهذه الحلقة المفرغة .

لماذا اذن لا يستطيع العمال أن يشتروا ما ينتجونه ، أو ما يحتاجونه ؟ أن العمال كطبقة ينتجون من القيم فى شكل منتجات أضعاف أضعاف ما يحصلون عليه من أجور . وهذا هو فى الاساس ما يخلق تلك الفجوة . وهذا التفاوت بين قيمة المنتجاتالتى ينتجها العمال وبين مايحصلون عليه من اجور تتسع منذبعضالوقت .وقدتزايدت سرعة الانتاج وآليته عاما بعد عام . وزادت سرعـ معدلات استغلال العمال بمقدار مائة مرة عنها فى أى فترة مماثلة فى التاريخ ، بينما هبطت القدره الشرائية الحقيقية للاجور خلال نفس الفترة الى مستوى عام ١٩٦٥ . وهكذا أصبحت هناك فجوة بين مستوى انتاج عام ١٩٧٥ وبين مستوى أجور عام ١٩٦٥ . ومن الواضح ان هذا يؤدى الى اتساع الفجوة وزيادة تراكم السلع الغير مباعة . ولا يعد هذا فائضا من السلع اذا ما قيس بما يحتاجه الناس ويريدونه . فهناك أربعين مليونا من شعبنا يعيشون تحت مستوى الكفاف . وهو ليس فائض انتاج الا من حيث ما يستطيع المستهلك ان يشترى . ومن ثم تنشأ الازمةمنالتفاوت بين اجور العمال وبين كمية الانتاج الالى الذى تزايدت سرعته .

فمن الذى يحصل على الفارق بين اى قيم رأى منتجات ينتجها العمال ، وبين القدر الضئيل من تلك القيم الذى يظهر فى مظاريف أجور العمال ؟

ان الجواب واضح للغاية . فالاغنياء والشركات الاحتكارية هم الذين يصادرون نصيب الاسد من ناتج عمل العمال . والفارق بين ما ينتجه العمال وما يحصلون عليه فى مظاريف الاجور هو ما تحصل عليه الشركات الاحتكارية من أرباح . وذلك هو المصدر الوحيد لثروات هذه الشركات . ولو أن نصيب الاسد هذا انتقل الى العمال فى صورة أجور لكان هذا كفيلا بالقضاء على ظاهرة « فائض الانتاج » . ولكن هذا بالطبع لن يكون من الرأسمالية فى شىء . وهكذا فالسبب الرئيسى للازمة هو ارباح الشركات والارباح المشتركة هى التى تخلق التفاوت والازمة .

ولكل أزمة سماتها الفريدة . وقد انعكست احدى السمات الفريدة لهذه الازمة بوضوح فى أعمال رئيس شركة فورد للسيارات . فخلال أسبوع واحد أعلنت شركة فورد للسيارات اغلاق جانب من امكانياتها الانتاجية ، وتسريح آلاف من عمال مصانع فورد ، وزيادة أسعار السيارات . أن المنطق العادى يملى القول بأن « **لدينا كثيرا من السيارات غير المباعة ، وينبغى أن تخفض الاسعار حتى نستطيع بيعها** » . ولكن انتاج السيارات يخضع لاحتكار ثلاث شركات كبرى حتى أنها لا تخشى منافسا يخفض اسعارها الاحتكارية . وهكذا فانها تبيع سيارات أقل بأسعار أعلى وتخرج بنفس الارباح التى كان يمكن أن تجنيها من بيع سيارات أكثر . و « التنزيل » الذى أعلنت عنه شركتا **كرايزلر وفورد** ليس الا خدعة زائفة . فأى « تنزيل » يردونه الى المستهلك هو شىء أضيف اصلا الى سعر السيارة .

ولان امثال **جنرال موتورز وفورد** فى معظم الصناعات لهم قبضة احتكارية ، فمن الممكن ان يكون هناك تضخم وأزمة زيادة فى الانتاج فى نفس الوقت . وهذا يفسر لماذا ستستمر الازمة الحالية لفترة أطول . فالاسعار المرتفعة التى تفرضها الاحتكارات تقف حائلا دون نقص أكوام السلع الغير مباعة ، ومن ثم فان الازمة سوف تستمر .

والازمة الحالية فريدة أيضا لانها تظهر فى مرحلة من التاريخ تدهورت فيها أسس الرأسمالية تدهورا كبيرا ، فى لحظة زادت فيها موارد الرأسمالية نضوبا . واستمرار التضخم أثناء

الازمة ، والمرحلة الجديدة من الازمة العامة للرأسمالية العالمية ، وحقيقة أن هذه الازمة تؤثر فى كافة البلدان الرأسمالية ، لها تأثيرها التراكمى فى تعميق الازمة الحالية واطالة أمدها .

فما هى الحلول اذن ؟ ان المدافعين عن أرباح الرأسمالية الاحتكارية يحاولون أن يجعلوا العمال والشعب يدفعون ثمن الازمة . وذلك هو جوهر دعوة الرئيس فورد الى « التضحيات » ومما له دلالته ان اول من يتلقون ضربات فأس مورد الاقتصادية هم أولئك الذين يعيشون على المعونات الاجتماعية ، الذين يعيشون بالفعل على حافة الفقر . ويقترح فورد تخفيض علاواتهم الموعودة من ٩ فى المائة الى ٥ فى المائة .

ويقترح الكونجرس وحكومة فورد منح الشعب تخفيضات ضريبية طفيفة ، فى الوقت الذى يقدمون فيه امتيازات سخية للاغنياء .

فهم يريدون أن يضيفوا « مالا يزيد عن ٢٣ سنتا » لكل جالون من البنزين ، بل والى أسعار الوقود أى يضيفون المزيد الى أرباح شركات البترول التى تسرقها بالفعل كقطاع الطرق . وهذا هو ما يسميه روكفلر بـ « العائد المجزى لدولاراته » .

والحل الوحيد الذى يتوافر فيه عنصر من عناصر العدالة هو الاقتطاع من الثروات المنهوبة ، من الارباح المتضخمة للشركات التى تسبب الازمة ، ومتى أقر هذا المبدأ الاساسى فى الاقتطاع من هذا المصدر ، فانه لن يكون من الصعب التوصل الى أفكار عملية حول كيفية تنفيذ برنامج ما ، فلم لا تخفض الاسعار المحددة بنسبة ٢٠ فى المائة على سبيل المثال ؟ ولم لا تلغى كافة الضرائب على الاسر التى تحقق دخلا يقل عن ٢٥٫٠٠٠ دولار سنويا ؟ ولم لا تستولى الدولة على **الزيادة فى أرباح الشركات نتيجة لارتفاع الاسعار ، والتى تقدر بأربعين بليون دولار سنويا** ؟ ولم لا يوضع حد للامتيازات الضريبية للاغنياء والشركات وتحصل الدولة نتيجة لهذا على ١٠٠ بليون دولار ؟ ولم لا تقتطع الدولة ١٠٠ بليون دولار سنويا من الارباح المشتركة للشركات ؟ ولم لا تحدد ساعات العمل بست أو ٥ أو حتى ٤ ساعات يوميا دون تخفيض للاجور ؟

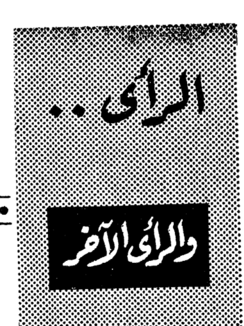
ومتى تحددت هذه الاولويات ، فلن يكون من الصعب العثور على أفكار للمشروعات اللازمة — كبناء الملايين من المساكن والمدارس والمستشفيات والكليات اللازمة ، ووسائل النقل والمواصلات الجماهيرية ، وتطهير أنهارنا وبحيراتنا ، ان مثل هذا البرنامج سيوفر حلا لمشكلتى التضخم والبطالة على السواء .

ولان السبب الاساسى للازمة الاقتصادية هو نظام الارباح المشتركة للشركات ، فالبرنامج الوحيد الذى يمكن أن يخفف من معاناة الشعب ، ينبغى أن تتحمل نفقاته أرباح الاغنياء .

وينبغى أن يكون التخفيف من عبء معاناة البشر على رأس قائمة الاولويات . والملكية الخاصة للمصانع والبنوك عقبة فى سبيل البرامج التى تمثل احتياجات البشر المكان الاول فيها . ومن ثم فمن الضرورى ان تطرح فكرة انتقال ملكية الصناعات والبنوك من الملكية الخاصة الى الملكية العامة عن طريق التأميم ولقد جعلت الازمة الحاجة الى التأميم قضية مطروحة فى جدول الاعمال .

والازمة الاقتصادية تؤثر فى كافة البلدان الرأسمالية . أما البلدان الاشتراكية فلديها مناعة ضد هذا الوباء . وأزمات الاقتصاد الرأسمالى سمة مميزة للنظام نابعة من صلبه ومتأصلة فيه . أما الاشتراكية فلديها نظام للانذار المبكر ونظام للتصحيح وهى نظم متأصلة بدورها فى طبيعة النظام . وكلما زاد الانتاج ارتفعت الاجور . وليست هناك فجوة أو تفاوت بين ما يتم انتاجه وبين ما يستطيع الناس شراءه . وليس هناك هذا التفاوت لانه ليس هناك أرباح خاصة ، أو قطط سمينة جشعة تثرى بالحصول على الفرق بين ما ينتجه العمال وبين ما يحصلون عليه فى مظاريف أجورهم . وفى ظل الاشتراكية ينعكس كل ما ينتج فى مظاريف أجور المنتجين ، العمال .

ان الاشتراكية هى الحل الحتمى للازمات الاقتصادية المحتومة بدورها فى ظل الرأسمالية .



لوحاولنا ان نحدد تاريخ الميلاد الحقيقى لباب « الرأى والرأى الاخر » ؟ لقلنا أنه ظهر ــ بالدقة ــ ليواجه هجمة سياسية فكرية ، ضارية ومضادة من قبل أشد فئات اليمين رجعية وتخلفا على خط التطور المستقل والتقدمى الذى أرتضته البلاد منذ أن أستكملت استقلالها السياسى عام ١٩٥٦ ، ومنذ ان حررت اقتصادها القومى من قبضة الاحتكارات الاجنبية عام ١٩٦١ .

هذا الهجوم المضاد الذى تجيد الرجعية أساليبه الى حد كبير ، يبدأ دائما باطلاق ستائر كثيفة من الدخان تخفى مقاصد المهاجمين وأهدافهم الحقيقية .

ومن خلال الدخان والغبار يبدأ اليمين الرجعى فى تنفيذ مخططه ، وذلك وفق التاكتيك التالى :

● أن الصعوبات التى تواجهها البلاد ــ صغيرها وكبيرها . تنسب الى التجربة الاجتماعيه التى بدأتها ثورة يوليو . من هنا تبدأ « محاكمة الاشتراكية » .

● والسلبيات والاخطاء التى وقعت من قيادات يوليو تضخم ، وينفخ فيها حتى اتبدو التجربة كلها وكأنها كارثة يجب أن تغلق صفحتها الى الابد ، تمهيدا لردة يعدون لها ...

● والنواح حول الديموقراطية والحرية يتحول ــ بقدرة قادر ــ الى استعداء للسلطات والجماهير ضد المعارضين ، والى تحريض باستخدام العنف ضدهم ..

● والرأى المعارض لليمين الرجعى ــ يزيفه هذا اليمين ــ من واقع افلاسه الفكرى ــ ثم يقدمه الى الجماهير فى صورة « الكفر » و « الالحاد » والخروج على الدين .

● والانفتاح الاقتصادى ينفخ فيه اليمين الرجعى ، لا ليكون دعما للاقتصاد القومى ودفعا للقطاع العام بل ليفتح المجال امام الاقتصاد الحر بالمعنى الرأسمالى الصرف ، بما ينتهى فى خاتمة المطاف الى الوقوع فى شرك التبعية للاستعمار الجديد .

وحول هذه القضايا دارت معارك باب الرأى والرأى الاخر ولاتزال دائرة حتى الان . وحول هذه القضايا وفى هذا العدد ، يكتب للرأى والرأى الاخر كل من :

ـ الاستاذ السيد يسين
ـ الاستاذ فاروق منصور
ـ د . محمد رضا محرم
ـ الاستاذ سعيد خيال
ـ عبد المنعم الغزالى

في مواجهة تيارين متخلفين احدهما يريد أن يتاجر بالدين ويتستر وراءه، ويغلق باب الاجتهاد لوقف التقدم ، وثانيهما يرفض مسبقا تحكيم العقل ، وبالتالي يرفض الحوار مع كل ما تطرحه الحضارة الحديثة من نظريات في مختلف العلوم ــ يكتب كل من :

① الاستاذ السيد يسين الخبير بالمركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية المقال الاول عن : « المسلم المعاصر »

② الاستاذ فاروق منصور المقال الثاني عن : « التفسير الاسلامي للاسلام »

« المسلم المعاصر »

بداية حقيقية للحوار الفكرى

السيد يسين

بعقلية منفتحة للحوار مع كل التيارات الفكرية المعاصرة ، وعن طريق اصطناع المنهج العلمي في التفكير والنقاش والنقد والجدل ، صدرت في بيروت مجلة اسلامية جديدة هي « المسلم المعاصر » التي وصفت نفسها في عددها الاول الصادر في شوال ١٣٩٤ ــ أكتوبر ١٩٧٤ بأنها « فصلية فكرية تعالج شئون الحياة المعاصرة على ضوء الشريعة الاسلامية » . وصاحب امتياز المجلة ورئيس تحريرها هو الدكتور جمال الدين عطية .

فلنر أولا كيف يقدم رئيس التحرير لمجلته ، وكيف يتصور دورها بعض كتابها ، قبل ان نناقش اتجاه المجلة ، الذى نراه ، ومنذ البداية ــ جديرا بكل ترحيب يركز الدكتور جمال الدين عطية في « كلمة التحرير » التي جعل عنوانها « هذه المجلة » على تحديد سمات المجلة الجديدة . فهي في نظره أولا مجلة علمية ، فهي ليست مجلة اخبارية او اعلامية ، ولكنها مجلة تحاول الوصول الى الرأى الحق في المشكلات التي تعترض الاسلام فكرا وتطبيقا في العالم المعاصر . وهي أيضا مجلة فكرية بمعنى اهتمامها بالبحوث والدراسات التي تناقش الاتجاه والمنهج والاصول في المقام الاول ،

وهي لذلك في نظر رئيس تحريرها مجلة « الريادة » الفكرية . وهي فوق ذلك كله مجلة « الاجتهاد » وهي لا تكتفي بالبحث في ضرورة فتح باب الاجتهاد في فروع الفقه ، بل تتعداه الى بحوث الاجتهاد في أصول الفقه ، حتى يعود للفكر الاسلامي حيويته التي تجمدت قرونا متعددة . غير أن « الاجتهاد » الذى تدعو له المجلة يتجاوز **التراث** ــ كما يقرر الدكتور عطية ــ مرتين : يتجاوزه مرة تجاوز الواعي الدارس الذى يعتمد أساسا على المنابع الاولى : الكتاب والسنة ، مقدما كليهما على ما سواها من العلوم الاسلامية التقليدية ، ويتجاوز التراث مرة أخرى ، واعيا دارسا مستفيدا أيضا ليلتحم بالعصر ، ناهلا من علومه ومتفاعلا مع قضاياه ومتفهما لمشكلاته .

وهي مجلة **واقعية** ، بمعنى أن اهتمامها في مجال تطبيق الشريعة الاسلامية يتجه الى ان يعيش المسلمون الاسلام في واقع حياتهم لا أن ينتظروا لذلك قيام « المدينة الفاضلة » ! وهي لذلك تنزع نزعة **عالمية** ، مقدرة ان هناك ارتباطا وثيقا بين المجتمعات الانسانية المعاصرة ، حتى ليكاد العالم يصبح كيانا واحدا . غير ان الطابع العالمي للمجلة

لن يقف — كما يقرر رئيس تحريرها — عند بحث بعض المشاكل العالمية ، **بل انه « يستطيع احتكاكا علميا** بالتيارات والتجمعات المعاصرة على كافة المستويات الاقليمية والعالمية ... وبذلك تسهم المجلة فى اقامة **جسور الحوار** بين الفكر الاسلامى وغيره من الافكار والمبادىء والتيارات » .

ويخطو الدكتور جمال الدين عطية خطوة أبعد ، حين يقرر أن المجلة لن تقتصر على اقامة جسور الحوار فقط ، بل انها ستسعى لاقامة **جسور التعاون** بين الاتجاه الاسلامى وبين كل المخلصين لنهوض العرب والمسلمين ، وان اختلفت مناهجهم ، فهى « **تفتح باب الحوار معهم بغية الوصول معهم الى أرض مشتركة تعين على انطلاقة موحدة أو متعاونة أو متفهمة لخير العرب والمسلمين** » .

وهكذا تتحدد الملامح الرئيسية لهذه المجلة الاسلامية الجديدة ، والتى يزيدها وضوحا الكاتب الاسلامى المصرى المعروف فتحى عثمان فى مقالة له بعنوان : « أتوقع أن تكون هذه المجلة » . يقرر الاستاذ فتحى عثمان بوضوح قاطع « اتوقع أن تكون لسان « **اليسار الاسلامى** » ، متابعة للاصطلاح السياسى الحديث فى تقسيم القوى والجماعات والافكار ... ان « الاسلام » مظلوم حين يوضع دائما مع اليمين لمجرد أنه دين .. ومنهج القرآن لتوجيه الانسان ، يجعل المسلم فى قلب اليسار » . ويتابع فكره قائلا « ان المسلم يحارب الظلم الاجتماعى والسياسى ، وهو ثابت القدم متوازن النفس ، متجدد الفكر ، لانه فى معركته مجاهد فى سبيل الله ، وتصحيح الاوضاع « عقيدة » و « عبادة » لانه احقاق للحق ، والله نفسه هو الحق المبين ، فماذا بعد الحق الا الضلال .. فأنى تصرفون » . ويحدد فتحى عثمان ملامح « اليسار المسلم » بأنه « يجاهد فى سبيل الله والمستضعفين ، ويناصر الايدى العاملة التى يحبها الله ورسوله ، ويسعى الى الحلول الجذرية للقضايا السياسية والاجتماعية » وهذا اليسار يؤمن بأن « الجذرية » لابد أن تستوعب الاصول والاسس فى واقع الكيان المادى والروحى معا . واليسار المسلم يتمسك **بالديموقراطية** ، اذ هى « حكم الله فى المصالح والعلاقات الانسانية ، حيث لا يكون النص الالهى الملزم القاطع فى وروده ودلالته » ويتابع الاستاذ فتحى عثمان « الديموقراطية الصحيحة لا تتواطأ قط مع الطغاة من أصحاب السطوة والثروة مهما كانت [أوضاعهم القائمة] ، ولا تتنكر للمقهورين أصحاب الحق سواء هدأوا أم ثاروا .. انها لا تحمى [الامر الواقع] لمجرد أنه [واقع] او (مستقر) ، بل ترجع الى الاصول والاسانيد، وتحق الحق ولو كره الكارهون » .

● ● ●

واذا كنا قد حاولنا حتى الان آن نبرز الملامح الرئيسية للمجلة كما يتصورها رئيس تحريرها وأجد كتابها ، فانه يبقى أن نلقى نظرة سريعة على محتوى العدد الاول . أول بحث يطالعنا للاستاذ عبد الحليم محمد أحمد موضوعه « خواطر حول أزمة العقل المسلم المعاصر » . ونجد فى هذه المقالة تجسيدا حيا لعدد من المبادىء التى أعلن الدكتور عطية أن مجلته تصدر عنها . ذلك أن المقالة تتضمن ادانة صارمة للفكر السلفى التقليدى الذى يتشبث بخباء بستائر الماضى ، زاعما ان كل مشكلات الانسانية فى ماضيها وحاضرها ومستقبلها قد وجدت فى « التراث » حلولها ، وهكذا يمكن أن يتجمد العقل الاسلامى اذا ما وقع أسير هذا الوهم . يقرر الكاتب « واذا كنا ندعو الى نبذ التقديس للتراث واخضاعه للدراسة الناقدة ثم تجاوزه ، فالنقد لن ينصب على علاقة التراث بمشكلات عصره العقلية والخلقية انما ينصب على مدى صلاحيته لموقفنا اليوم الذى قد تغير كثيرا » .

وفى فقرة من المقال بعنوان « حول السلبية فى الفكر الانسانى » يقرر الكاتب « **هناك من يفرق بين العلوم الطبيعية والعلوم الانسانية فيرى أن نأخذ الاولى وندع الثانية . وهناك من يرفض الرفض الكلى لبعض النظريات الحديثة مثل نظرية دارون ونظرية فرويد ونظرية ماركس . وهناك من يرمى الفكر الانسانى كله بالكفر أو بجاهليته . وقد ترتب على مثل هذه الصرخات الخاطئة أن غلب موقفنا السلبى من الفكر الانسانى** » . ويدين الكاتب هذه الاتجاهات الخاطئة جميعا ، ويدعو الى أن يقوم حوار مثمر يمارسه المتخصصون ، حتى يستفيد الفكر الاسلامى من الايجابيات الكافية فى التيارات الفكرية المعاصرة أيا كان منبعها ومنشؤها .

ونجد بعد ذلك اربع دراسات : السنة التشريعية وغير التشريعية للدكتور محمد سليم العوا ، ونظرة عابرة على حقوق الانسان الاساسية لابى الاعلى المودودى ، وفى التفسير الاسلامى للتاريخ للدكتور عماد الدين خليل ، والخصائص الثابتة اللازمة والخصائص المكتسبة للحركة الاسلامية لتوفيق الطيب . بالاضافة الى الابواب التالية : قراءات يعرض فيه زين العابدين الركابى لكتاب « رفع الملام عن الائمة الاعلام » لابن تيمية ، وباب حوار اشتمل على عدة مقالات تعبر عن وجهات نظر بصدد المجلة ، وباب نقد الكتب تولى فيه د . جمال الدين عطية عرض كتاب المسلم فى عالم الاقتصاد

لمالك بن نبى ، وباب خدمات مكتبية ، اشتمل على قائمة مراجع فى الاقتصاد الاسلامى ، وباب وثائق نشرت فيه اتفاقية انشاء البنك الاسلامى للتنمية ، وباب مؤتمرات ، عرض فيه لتنظيمات مهرجان العالم الاسلامى الذى سينعقد فى لندن عـام ١٩٧٦ .

والحقيقة اننا نعتبر صدور هذه المجلة واتجاهها العلمى ، ورغبتها فى اقامه حوار فكرى مفتوح بلا قيود مع كافة التيارات الفكرية فى الســاحة العربية ، واكثر من ذلك رغبتها فى اقامه جسور من التعاون المشترك ، يعد فى ذاته حدثا ثقافيا له دلالته البالغة . ولعل أهم هذه الدلالات ان الوسط الثقافى العربى قـد وصل الى درجة من النضج ، تسمح بأن تخرج هذه المنابر الإسلامية الجادة ، الراغبة فى الوصول الى حد ادنى من الوحــدة الفكرية مع باقى التيارات الفكرية كالماركسيــة والناصرية .

واذا كانت هذه الدعوة المخلصة للحوار قد صدرت من جانب هذا التيار الاسلامى الثورى الـذى ينطلق فـى ضـوء مسـلمات « **اليسـار الاسلامى** » كما عبر عن ذلك الاستاذ فتحـى عثمان ، فليس من قبيل الصدفة أن تنطلق فى نفس الوقت محاولات الالتقاء من جانب التيار الماركسى ، ولعل المساجلات التى دارت أخيـرا علـى صفحات « الطليعة » و « روزاليـوسـف » حـول الماركسية والاسلام ، تشهد على ذلك .

وخلاصة ذلك كله أننا ــ فيما يبدو ــ على أعتاب مرحلة جديدة من مراحل الحوار بين الاسلام والاشتراكية ، مرحلة لن يكفى فيها مجرد القناعة باثبات حقيقة أنه « لا تعارض » بيـن أن تكون ماركسيا ومسلما فى نفس الوقت ، **ولكن لابد من ممارسة الحوار فى ضوء المناقشة الفلسفية العميقة لنظرية المعرفة ذاتها فى الاسلام والماركسية** ، بغير هذه المناقشة التى ينبغى أن تمارس بأكبر قدر من الصراحة والتجرد لن يكون من السهل الوصول الى نتائج حاسمة بصدد وحدة القوى الفكرية الاساسية فى معركتها ضد استغلال الانســان للانسان ، وفى سعيها نحو تحقيق التقدم والعصرية للمجتمع العربى المعاصر .

O

التفســـــير الاســــلامى للاســــــــلام

فاروق منصور

يكتب هذا المقال « للطليعة » ــ الاستاذ فاروق منصور المسئول عن قسم التراث بأخبار اليوم .
وهو يدعو الى تفسير الاسلام بالاسلام ــ وليس بالموقع الطبقى أو الاجتماعى أو الســياسى ، ولهذا يتحقق لــدى الناس أن الاسلام جاء داعيا للألفة والتآخى ونابذا للحقـد وللضغينة ، ورافضا للاستغلال ، ومقاوما ، وداعيا للعدل ولارساء قواعده .

ان ما نقصده بالتفسير الاسلامى للاسلام ، أن يكون فهم كل مسلم لدينه نابعا من روح الدين حقا ، ويكون سلوكه مطابقا لما أمر الدين به ، وجاءت أحكامه تهدى اليـ . أن يفهم كل مسلم دينه فى ضوء الكتاب والسنة ، ويدرك أنه ليس مجرد عبادات ، أو نصوص تتلى ، أو كلمات يترنم بها ، ولكنه منهاج حياة ، وأساس بناء حضـارى ، وشريعة تنظم العلاقات بين الناس ، وتعينهم على العمل المثمر من أجل حياة افضل . تحقق التعاون بينهم ، وتؤكد العدالة والمساواة . وتملأ قلوبهم

بالحب ونفوسهم بالصفاء وتدفعهم الى الحرص على ان يحققوا لغيرهم ما يحبونه لانفسهم .

والذى يمكن أن يفهم من تفسير الاسلام بالإسلام ، اننا نلتزم بالنصوص التزام المؤمنين المبصرين ، وليس تحجر الجهلاء الجسامدين . فندرك لماذا جاء الدين ؟ وكيف تنزل لاقامة مجتمع افضل ؟ ودفع الانسان الى تطوير حياته دائما الى الاحسن ، وانه يهدف الى جعل البشر اكثر تضامنا واقوى تماسكا فى تكوين المجتمع الانسانى الفاضل الذى تشعر جموعه بالالفة والتآخى ، وتنبذ الحقد والضغينة ، ترفض الاستغلال وتقاومه ، وتدعو للعدل وتعمل على ارساء قواعده .

ويفهم من تفسير الاسلام بالاسلام ان الامر لله فيما جاءت به النصوص الملزمة ، والاجتهاد مفتوح فيما لا نص عليه ، يقوم به كل من يستطيعه ، ويملك الابداع فيه ، ويمكنه أن يقدم شيئا ذا بال على أن يكون اجتهاده رأيا رآه ووجهة نظر توصل اليها ، وانه من عنده وليس من عند الله ، يرضى به من يرضى ويعرض عنه من يعرض ، فلا يكون من وافقه هو المؤمن وحده ، ولا يكون الكفر حكما على من خالفه . ان فهم الدين على هذا الاساس يضعه فى موضعه الصحيح ، ويفيد الناس به .

لاكهانة ولاخرافة ولاأرهاب

ان معنى التفسير الاسلامى للاسلام ان يفهم الاسلام على حقيقته ، ويدرك ادراكا صحيحا ، فلا نسمح بتكوين طبقة الكهنة ، ولا نرضى بالخرافة أو الارهاب . ولا يتأتى ذلك الا بفهم القرآن والسنة فهما يقوم على الاساس الاسلامى . فكما اننا نملك منهجا لتفسير القرآن بالقرآن . أى ان تتولى آيات القرآن تفسير بعضها البعض . وكما نسلم اتباعا بأن السنة تفسر ما غمض علينا فهمه من آيات القرآن ، أو تتولى بالتفصيل ما جاء مجملا ، وبالتحديد ما جاء مطلقا . فاننا يجب أن نفهم الاسلام فهما اسلاميا فنعمل العقل ، ونحكم المنطق وننحى الشهوات والاهواء فيما نقول به أو نراه .

لاوساطة بين الانسان وخالقه

ويتحقق منهج الفهم الاسلامى للإسلام ، بأن نرجع الى الكتاب والسنة لنعرف **ما هى** الحدود التى رسمها الدين ؟ **وكيف** ينظم العلاقات بين الانسان وخالقه دون واسطة أو وسطاء ؟ **وكيف** انه يمنع فئة السماسرة والوكلاء ؟ ويجعل الايمان ما وقر فى القلب وصدقه العمل ووافقه السلوك ، ثم ننقل هذا الى حياتنا فندرك أن قدر الانسان ما يحسنه ، وكرامة الانسان تأتى من كونه انسانا أولا . وتتحقق بأن يبذل جهده لتطوير حياته وحياة الاخرين حوله . ويتبع امام الصورة التى جددها الدين للايمان وكيف أنه لم يغفل ضرورة الاتساق بين الجوهر والمظهر . وأن يتفق الشكل مع المضمون . وأنه يرفض الجوانب السلبية ويدعو الى الايجابية .

الدين حياة والعمل عبادة

كما يتحقق منهج التفسير الاسلامى للإسلام بأن نحاول الالمام بحقيقة الدين ، هل هو مجرد طقوس وعبادات ؟ أم انه عقيدة وحياة ؟ انه عبادة بالنصوص ، وتعبد بالعمل البناء ، وبذل الجهد الخلاق ، والتفانى فى اسعاد الاخرين ، والعمل على ترقيتهم وتقدمهم . ثم نمضى الى تحقيق ما نفهمه بالصورة التى نقدر عليها . وبالجهد الذى نستطيع ان نبذله .

ولكى يفهم الاسلام ، فلا بد من فهم نصوصه ، وتاريخه ، وحضارته فى ضوء مناهجه ومعطياته .

وعندما يفسر الاسلام بالاسلام فان ذلك سيفضى بأن نرفض الخضوع لاى تفرقة عنصرية . أو اى تمييز طبقى ، ولا يمكن أن ترضى عقولنا بالتفاسير التى تفرق بين الانسان وأخيه ، أو التى تعلى شأن فرد على فرد ، وتأخذ حق فئة لتعطيها للاخرين .

العدل ماشعر الناس به وعاشوه

ان فهم الاسلام بهذا المنهج يحدد للالفاظ معانيها ، ويوضح حقيقتها ، فلا يكون للامر اكثر من معنى ، نجد أن الدين يأمر بالعدل فلا يكون للعدل الا صورة واحدة تسود علاقات كل الناس ، ويكون الحكم بالعدل حقيقة يحسها كل الناس ، ويعيشونها حقا . وتكون المساواة متمثلة فيما يقال وفيما يجرى فى المجتمع . اى يؤكد التطبيق ما تحلم به النظريات ، وتراه العقول املا او غاية لسعادة البشر .

واذا ما فسر الاسلام بالاسلام ، يكون أمر العقيدة واضحا ، وأمر الحياة محددا ، فنسلم باننا عباد الله نطيعه فيما أمر ، ونفكر ونجتهد فيما تركه لنا ، ونجد ان صلاح حياتنا يقتضيه ، ومصلحتنا كبشر تحتمه ، وأنه من الخير للمجموع أن نسعى اليه ونحققه فى التزام صادق بالدين ، واستخدام صحيح لتوجيهاته وهديه .

هذا الجــديد القــديم

والامر فى حقيقته ليس جديدا . ولكنه عودة الى ما كان ، واعادة لما سبق . فلقد فهم المسلمون من امر دينهم هذا الفهم ، وعملوا على ان يحيوا به ، ويقيموا حياتهم على اساسه وبهدى منه . لقد فهموا ان الاسلام حياة ، وان العمل عبادة ، ويوم يعجز الدين عن مسايرة الحياة يكون قد حكم على نفسه ، وترك الامر لغيره . ولكن الاسلام فيما يؤمن كل مسلم غير ذلك لان المسلمين يؤمنون بأنه دين صالح لكل زمان ومكان ، لذلك فقد اجتهد المسلمون الاوائل فى ان يفسروا الاسلام تفسيرا اسلاميا ، فأخذوا من الكتاب والسنة ما أمروا به ، واجتنبوا فى حياتهم ما نهاهم الاســـلام عنه ، ونظـــروا لمـــا فيـــه صـــالح حيـــاتهم . فـــاذا وجدوا ما يجعل حياتهم أفضل اخذوه . واذا ادركوا أن أمرا سييسر لهم شئونهم استفادوا منه ، دون تفريط فى دين ، او اتباع لهوى ، او خضوع لشهوة .

ولكن بالرغم من قدم المنهج ، فانه من الصعب ان يدعو اليه داعى اليوم ، او ينادى بالاخذ به،لانه سرعان ما يتهم فى دينه ، وتنطلق بسببه الالسنة التى لا يهمها فى الحقيقة الدين ، بقدر ما يهمها صالحها . لا تدفعها الغيرة . ولكن يثيرها الخوف على ما تحققه من عائد الاتجار بالدين . ولا شك أن تفسير الاسلام بالاسلام سيكشف كل القوى المستغلة والعميلة ، والمعوقة للتقدم ، والرافضة لاستمرار الحياة اكثر خيرا واكثر اشراقا ، ويوقف كل ما اضر بالانسان .

حكم الله .. ورأي البشر

ان تفسير الاسلام بالاسلام ، يعنى العودة الى منابع الدين ، ونبذ كل ما خالفه ، والنظر الى آراء البشرعلى انها آراء بشرية ، وان هناك فرق شاسع بين ما تقضي به آيات الله البينات ، او تهدى اليه أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وسنته المطهرة وبين أن يقول مسلم برأي أو يحكم بهوى ،او يدبر لمصلحة ، او يروج لدعوة .

وهذا التفسير الاسلامى للاسلام من شأنه ان يؤكد ان الدين حياة ، وانه تعامل بين الناس ومعايشة وليس مجرد شعارات او اردية . الدين يستهدف كرامة الانسان ، وهذه الكرامة لا يمكن ان تتحقق فى ظل التوزيع الظالم للثروة الذى يبيح للمستغل ان يثرى على حساب الاخرين وسحقهم ، مدعيا بأن ذلك عدله الله وقضائه والله ـ تبارك وتعالى ـ منزه على ان يقر ظلما ، او يرضى بسلب الناس حقوقهم ، لان أياته تحكم بالعدل ، وتأمر باقامته ، وتدعو الناس لان يقاتلوا دفاعا عنه ، ولان العدل اسما من أسمائه الحسنى ، وصفة من صفاته جل جلاله .

الدين يدعو الى أن يكون الناس سواسية لا فرق بين امير واجير ، ولكن الاتجار بالدين يرفض تلك المساواه المثالية ليقسم الناس الى طبقات منها الشريف ، ومنها الوضيع ، منها القادر ، ومنهــا المحروم . ولا يــكتفى المتجرون بذلك ، ولــكنهم ينسبونه لله ، ويجعلون للظلم طابعا دينيا ، وحماية مقدسة .

لماذا ما فسر الاسلام تفسيرا اسلاميا انكشف اثم الاثمين ، وبطلت دعــوى المضــللين ، وبارت تجارتهم . لذلك فانهم لا يرضون هذا التفسير ، ولا يقرون عليه من ينادى به . ويجب الا نصدق ان القوى المعادية للخير تسلم راغبــة ، بل لابد أن يدافع الخير عن نفسه .

علماء الدين .. لاتجار ولاسماسرة

لقد جاء الاسلام تنظيما للحياة ، وجعل من الجهد المبذول ميزانا للحساب فكل انسان بقدر ايمانه وعمله ، من احسن فلنفسه ، ومن أساء فعليها . ولقد تفانى أصحاب الرسول رضى الله عنهم جميعا ـ فى بذل جهدهم من أجل ما آمنوا به ، ولم ينظروا الى ثمن او جزاء نتيجة لما قدموه للعقيدة . ولكن أجيال معاصره ترى فى الدين مغنما ووسيلة للنفوذ ، وفرض السيطرة . وكاننا نواجه قيام محاكم تفتيش جديده ، أو ميلاد مجمعات لاهوتية تفرض نفـوذها تحت رداء الكهنوت .

والتفسير الاسلامى ، يعنى اننا عندما نفهم دور الداعية الدينى ندرك انه الانسان الذى وضع حياته فى خدمة عقيدته ، فحاول ان يفهم الدين بعد أن آمن به ، وراح يدعو الاخرين اليه . بقدر ايمانه وفهمه ، اى أنه ليس وسيلة للارتزاق ، أو طريقا لفرض السيطرة والنفوذ. لان الاسلام وهو دين لا يعرف قداسة الوظف الدينى ، أو المكانة المقدسة لرجل الدين ، يرفض اى سيطرة او استغلال باسم الدين ، الاسلام يحفظ للعلماء الذين يبذلون جهدهم للتفقه فى الدين مكانتهم،يثنى عليهم،ويبارك جهدهم . وتتوالى آيات الكتاب المبين الاشادة بهم ، كما نجد ان الاحاديث تثني على عملهم وتدفعهم اليه .

والاسلام دين يحفظ للعلماء كرامتهم ، ويأبى عليهم أن يكونوا أدوات لحاكم مستغل او طاغية مسيطر ، او أن يكونوا اعوانا لفريق دون فريق ، ولكنهم حملة علم الدين ، والمدركين لاحكامه ، فعليهم اتباع ما آمنوا به ، ونقل ما عرفوه الى الاخرين . وان يكونوا دائما مع الحق ضد الباطل، ومع العدل ضد الظلم ، ومع الحياة ضد أعداء الحياة .

الرأى لمن يبصره

ولكن العلماء المؤمنين قد تضيع جهودهم عبثا عندما يكون الرأى لمن يملكه لا لمن يحسنه ،اوتكون الفتاوى التطوعية والعمالة هى السائدة وليس صوت الامام الفقيه . وحينئذ يكون التاجر اعلى صوتا ، واكثر بيانا ، ويكون الصوت الاضخم هو الاقوى تأثيرا ، أو بمعنى أدق الاسرع سماعا . ولكنه لا يبقى طويلا . لان كل شىء قد يمكن أن تضيع فيه الحقيقة الا الدين ، فان الادعاء فيه قد يحدث ، والتزوير قد يطل ، ولكنه لا يدوم ولا يطول . لقد حدث فى بعض العصور ان غابت عن الناس الحقيقة ، وضل الحق طريقه ، ولكن الظلام لم يستمر ،وسرعان مانهض علماء اجلاء أخذوا على عاتقهم تبيان الحق وتوضيحه ، والدفاع عنه ، وارساء تعاليم الدين على حقيقتها . ثاروا على الاستغلال ، واوقفوا الظلم ، وقاوموا الطغيان ، وسحقوا الباطل ، واعطوا للناس حقوقهم . ودلوا على الدين الصحيح ، وابانوا دوره وحقيقته من انه حياة مثالية ، واسس لتنظيم المجتمع الامثل الذى يعيش فيه الناس سواسية كأسنان المشط ، والذى يزول فيه التمايز الطبقى بين الناس ، ويحق الحق ويبطل الباطل . لقد ثار الكثير من العلماء الاجلاء ، وحاربوا الكهانة والخرافة ، وقالوا بأن دين الله يمنع أن يثرى القوى على حساب الضعيف ، أو يستبد الامير ويغتصب حق الفقير . وأكد العلماء الاجلاء فى كل عصر ان الدين فى القرآن هو ما يتفق مع العلم والعقل والتفكير ، وانه لا احد يفهم على المسلمين دينهم الا أهل العلم وأهل العقل وأهل التفكير . ولذلك لا غرابة اذا جزم المسلمون بوجوب اقامة كل حكم من احكام شريعتهم على القرآن الذى وصف الدين بما ذكرناه ـ وهكذا جزم علماء المسلمين كانت المصلحة فثم شرع الله ،وكما قال ابن عقيل تتمه كانت المصلحة فثم شرع الله ، وكما قال ابن عقيل تتمة لذلك : وان لم ينزل فى ذلك وحى ولا قال به الرسول [١] .

تعالوا الى كتاب الله وسنة النبى

وعندما يدعو أى مسلم بأن يفسر الاسلام تفسيرا اسلاميا ، فانه يعود الى ما نادى به القرآن ، وقضت آياته ، كما أنه يتفق مع ما فعله المسلمون عندما دخلوا فى دين الله افواجا . وقد جاءت الحضارة الاسلامية المزدهرة تأكيدا لهذا التفسير .

والذى يتفق مع الاسلام ولا يتفق معه غيره ان يفسر تفسيرا اسلاميا ، فيفهم الدين فى ضوء الكتاب والسنة ، وتنحى تماما سلطة دينية من أن تملك وحدها حق التفسير ، أو الحكم بالحرمان من ملكوت الله على من يخالفها ، أو تقضى بأن من ينال رضاها فهو من رضى عنه الله .

ان الله تبارك وتعالى خلقنا جميعا ، وكلنا عباده ، له علينا حق الطاعة ، ولنا فى رحمته رجاء وأملا . وعندما يفسر الانسان الاسلام تفسيرا اسلاميا فان سلوكه يجب أن يوافق عقيدته ، فلا يرضى بالظلم ، ولا يقبل الخضوع لاى قوة تحاول النيل منه او البطش به وتسلب حقوقه لانه « اذا فهم التوحيد على حقيقته واتخذه الانسان شعارا وطابعا فانه يتحرر من رق العبودية لغير الله فى مختلف الوانه واشكاله » [٢]

حياة كريمة لكل البشر

وعندما يلتزم الانسان بالتفسير الاسلامى للاسلام ، يحقق كماله وسيادته وحقه فى الحياة الحرة الكريمة ،لانه يتحرر من الخضوع للاستغلال ويرتفع فوق الخوف من الموت جوعا ويمكنه وقف كل المحاولات التى تهدف الى ظلمه او الاضرار به ، ويحقق الحياة الامنة له والخير لمجتمعه ، لان الناس عادة ينتابهم القلق ، ويغمرهم الحرص على اقواتهم ، ويلجأ بعضهم الى وسائل لا تليق

[١] الندوة العلمية بين فريق من علماء المملكة العربية السعودية وبين فريق من كبار رجال القانون والفكر فى أوربا فى مارس ١٩٧٢ . ص ١٩ نشرتها وزارة الاعلام السعودية .

[٢] الامام الاكبر د. عبد الحليم محمود . الاسلام والايمان . ص ١١١. الطبعة الثانية

بالكرامة الانسانية ، بل يصل الامر بالبعض الى مستوى التملق والمداهنة والمراءاة ، وبعضهم يصل به الامر الى الغش والرشوة والاختلاس وتستعبده المادة والحصول عليها . فيصبح لها عبدا مسترقا ، ولكن الاسلام وقد حرر المجتمع الاسلامي من خوف الموت فقد حرره أيضا من هم الرزق فالرزق بيد الله » (٣) .

عندما يقوم علماء الدين بدورهم

وبالمثل عندما يفسر علماء الدين الاسلام بالاسلام ، فان الناس يجدون عندهم الطريق ، ويرون فيهم القدوة ، والمثال الجدير بأن يحتذي به، ويكون الوصول الى التقدم ممكنا واحراز النجاح محققا ، لان الغايات تكون محددة ، والوسائل اليها معروفة ، لان فهم العالم الديني سيكون صحيحا ، والمامه بالاسلام سيضحى كاملا ، ويكون علماء الدين دعاة اصلاح وخير،وليسوا مجرد رجال دين،او مجرد موظفين ، ويكون في قيامهم بواجبهم اتساقا مع ما يدعو اليه الدين ، وتنطق به نصوصه ، ويكون سلوكهم حافزا للاخرين ، « فانهم وقد هيأ الله لهم أن يتولوا قيادة المجتمع دينيا لا شك يكون تأثيرهم جارفا اذا كانوا مثلا عليا للفضيلة : الفضيلة في أسمى معانيها وأشملها ، اى اذا كانوا حقا بالمنزلة التي ترضى الله ورسوله : علما وخلقا وحبا للخير واخلاصا في كل ما يأتون وما يدعون » [٤]

هذا هو الايمان

والايمان في ظل التفسير الاسلامي للاسلام، لا يأخذ معنى غيبيا ، ولكن يتمثل في السلوك والممارسة لان الايمان ليس ادعاء ، ولكنه خلق وسلوك « ان الايمان بالله هو الذى يخلق معنى الجماعة في نفس الانسان ، وهو الذى يجعل الانسان يعترف بحق الانسان في الحياة والوجود ، وهو الذى يحول الانسان من أناني جامح تتحكم فيه أنانيته الى مشارك غيره في الحياة في اى مجال فيها . في الوجدان ، أو فيما وراءه من مادى الحياة ومعنويها . » [٥]

كيف فهم المسلمون الاوائل دينهم ؟

ويمكننا ان ندرك اهمية فهم الاسلام على هذه الصورة عندما نعود الى ماضى المسلمين ، فنجد أن فهم المسلمين الاوائل لدينهم انه دين متكامل ، يؤخذ كله ، لا يؤخذ جزء منه ويترك جزء ، ولا يقبل عمليات التلفيق . لان كتابهم ينهى عن ذلك . يقول تعالى : « افتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض » [٦] .

لقد عرفوا انه دين جاء يبنى مجتمعا، وكان لزاما عليه ان يرسى دعائم هذا المجتمع . ويهتم بالانسان العنصر الاساسى لهذا البناء ، فيوفر كل الضمانات التي تحمى البشرية ، وتصلح النفس الانسانية وأول ذلك ضمان الحقوق ، وحماية الحريات ، وتحقيق العدل وكفالته . لقد عرف ما جبلت عليه النفوس من محبة الدنيا ، والتطلع اليها وما يكون في قلوب الفقراء من الحقد على الاغنياء والحسد لهم وما يكون في نفوس الاغنياء من محبة اموالهم والحرص عليها فأوجب لهم قسطا من مالهم يؤخذ منهم كرها ولو بقتال ، [٧] .

العدل والرحمة والايمان

وادرك المسلمون الاوائل أن دينهم السمح قد جاء للناس كافة لما فهموه من نصوص الآيات والاحاديث . يقول تعالى : « تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا » [٨] ، ويقول : « ان هو الا ذكر للعالمين » [٩] ويقول : وماهو الا ذكر للعالمين » [١٠] .

---

[٣] الامام الاكبر د. عبد الحليم محمود . المرجع السابق ص ١١٢ .
[٤] الامام الاكبر د. عبد الحليم محمود . المرجع السابق ص ٢١٧ .
[٥] د. محمد البهي . الاسلام في حياة المسلم . ص ٨٨ . الناشر مكتبة وهبة .
[٦] سورة البقرة آية ٨٥ .
[٧] المرحوم الشيخ يوسف الدجوى . رسائل السلام ورسل السلام ص ٤٢ الطبعة الثانية .
[٨] سورة الفرقان آية ١ .
[٩] سورة ص آية ٨٧ .
[١٠] سورة القلم آية ٥٢ .

وآمن المسلمون بأن رسالة الاسلام عالمية لكل البشر ، وانها موجهة لجميع الامم . « لقد بعث الله نبيه رحمة للعالمين ، جاء بالرحمة للانسانية عامة ولمصلحة الناس كافة ، لا لقوم دون قوم ، ولا لاقليم دون اقليم ، ولا لجماعة دون جماعة ، ولا لون دون لون ، وان هذه الرحمة تقتضى اقامة العدل بين الناس ، واذا كان لكل دين سمة فسمة الاسلام هى العدالة ، والرحمة والعدالة معنيان متلازمان لايفترق ثانيهما عن الاول ، فليس العدل منفصلا عن الرحمة ، وليست الرحمة فى أدق معانيها الا احدى ثمرات العدالة وان الرحمة العادلة لا تسمح بالاستسلام للباطل ، والخضوع للظالم وتركه يستمرىء الشر ويجاهر بارتكابه ، وبايذاء الناس غير عابىء بالمصلحة العامة التى دعت اليها الاديان ، واختص بها الاسلام » . [١١] .

العقل والقدرة

وآمن المسلمون بأن الله خلق الانسان وأهله ليكون خليفة له على الارض ، وجعله أساس استمرار العمران فى الكون ، وزوده بقدرات ، ومعنى تزويده بها أنه مطالب باستخدامها فيما يصلح شأنه ، ويحافظ على حياته : « ومن هذه القدرات العقل والقدرة على العمل فهل يمكن أن يخلق العقل ويظل ممنوعا من التفكير أو تخلق القدرة على العمل والابتكار وتجمد أو تحرم من نتيجة عملها وثمرة جهدها ، انه بمنطق الايمان والعقل لابد للانسان من استخدام كل طاقاته وأولها العقل فى التفكير والعمل من أجل حياة أفضل ولابد له من الاستفادة بنتيجة جهده ، وكذلك ما خلق شيئا فى السموات ولا فى الارض عبثا ، بل يريد أن يبقى معمل الكون هذا يسير سيرا مستمرا على نظام مدبر ، وينتفع فيه الانسان من كل شىء ، ويستخدم مختلف اسبابه ووسائله ، ولكن على وجه لا يضر نفسه ولا أحدا غيره . ان المبدأ الذى يقوم عليه بناء الشريعة الاسلامية هو أن الانسان من حقه أن يعمل لتحقيق رغبات نفسه وحاجاتها ، ويسعى فى سبيل منفعته الذاتية كيفما يشاء . ولكن من الواجب عليه فى الوقت نفسه الا ينتفع بهذا الحق الا من حيث لا يضيع حقوق غيره من البشر بجهله أو شره ، بل ينبغى أن يكون مساعدا لهم ومتعاونا معهم على قدر وسعه » [١٢] .

الصدق والمشورة

كان الاسلام بسيطا ، لانه كان يقوم على الصدق والمصارحة ، لا غموض فيه ، ولا أسرار . فكانت نتيجة الايمان به ايجابية فى السلوك . كان الرسول صلى الله عليه وسلم اذا ما واجهه أمر من أمور الدنيا سأل أصحابه ، وشاورهم فى الامر ، فيصدقونه الرأى . يسألهم عن رأيهم فى القتال مثلا ، فيقول سعد بن معاذ باسم الانصار : انا قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا ما جئت به حق فأعطيناك مواثيقنا وعهودنا على السمع والطاعة فامض يا نبى الله لما اردت فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما بقى منا رجل ، صل من شئت واقطع من شئت وخذ من أموالنا ما شئت . وما أخذت من اموالنا أحب الينا مما تركت وما نكره أن نلقى عدونا ، اننا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء [١٣] .

وهى صورة مثالية فى الاتباع تأتى من الثقة القائمة على الفهم والوضوح والمصارحة .

ويقول المقداد بن الاسود عن المهاجرين « يارسول الله امض لامر الله فنحن معك ، والله لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لنبيها اذهب انت وربك فقاتلا انا ها هنا قاعدون ، ولكن اذهب انت وربك فقاتلا فانا معكما مقاتلون » [١٤] .

وهناك آلاف المواقف الباهرة التى وقفها الكثيرون ولا دافع لهم الا التفسير الاسلامى للاسلام . واننا عندما نقول ان الحاجة ماسة لتفسير الاسلام تفسيرا اسلاميا فان ذلك يعنى ان نعود بالاسلام الى جوهره ، ونرجعه الى حقيقته ونحاول ان نضعه موضعه الصحيح ، فيكون الدين المنزل بالحق ، الذى جاء يصلح حياة الانسان ويحرره ، ويطلق لقدراته العنان لتبدع وتبتكر ، وتجدد وتقيم الحياة الافضل للانسان .

[11] المرحوم الشيخ محمد أبوزهرة . محاضرة عن الجهاد فى الاسلام ضمن محاضرات نشرها المؤتمر الاسلامى بعنوان
[١٢] أبو الاعلى المودودى . مبادىء
« وحى رمضان » القاهرة ١٩٦٠ . الاسلام ص ١٢٢ ، ١٢٣ الطبعة الثانية مكتبة الشباب المسلم نقلها الى العربية محمد عاصم الحداد — دمشق ١٩٥٧ .
[١٣ — ١٤] انظر كتب السيرة المعطرة خاصة سيرة ابن هشام وطبقات ابن سعد .

فى المقال الاول يشرح ـــ د. محمد رضا محرم ، من خلال تحليله وتقييمه دور الاتجاهات اليمينية المختلفةالتى تحاول ان تجمد طريق التطور الاجتماعىمتسترة وراء الهجومعلىسلبيات تجربة ثورة ١٩٥٢ . وفى المقال الثانى يحذر سعيد خيال فى مقاله ، من اطلاق العنان لنمو الرأسمالية ، ويكشف عن تلاعب الرجعية بالشعارات،ويدافع عن المواقع الاساسية لثورةيوليو

■ تعليق على قضية « عودة الوعى » والحوار الذى تجريه « الطليعة » مع الاستاذ توفيق الحكيم ■

[١] ٢٣ يوليـــــو و٦ أكتــــــوبر
بـــين الـــــوعى واللاوعى

د. محمد رضا محرم *

الاغلبية الساحقـــة من ابناء مصر لم تســتعد الوعى بعد ، ولسبب بسيط للغاية ربما يكون قد فات على الاستاذ توفيق الحكيم ، وهو انهـــا لم تفقد وعيها اصلا . ولكن هذا لا ينفى أن فريقـــا آخر محدود العدد ، ورائده الاستاذ الحكيم ، قد توهم ـــ عن حسن نية أو نتيجة العجز عن الرؤية الصحيحة ـــ انه استعاد وعيا توهم من قبـــل أنه قد فقده . والى جانب هذين الفـــريقين نبت بأسلوب شيطانى فريق ثالث ، مهمل الكم وانكان غوغائى الضجة ، يمكن ان نعرفه بانه « جوقـــة الوعى حسب الطلب » . والفريق الثانى رغمتألم الضمير الوطنى مما اتاه ،يمكن اننحاجه بالمنطق، واننلومه بالنصيحة ،واننعاتبه بالكلمةالصادقة، ولكن هذا الفريق الثالث لم يترك لاحد من وسيلة

[*] مدرس بكلية الهندسة جامعة الازهر .

التعامل معه غير فضح منطلقاته وتعرية قواعده . وحيث ان هذا التعليق مصوب اساسا الى ذلك الفريق الذى تدرع بالصفاقة واحترف السقوط فانه يبدو منطقيا حتمية الوصول اليه مرورا بفريق الوهم العائد [اعنى الوعى العائد] .

مدخلنا عودة الوعى

فى مطلع الصيف الماضى ، هبت ريح حارقة من مخابز الفكر البيروتية على الجماهير اليوليوية فى مصر [ولا نقول الناصرية ، حتى لا ينشغل المخابون بالارتكاريا الناصرية عن تتبع ما نقول بهرش جلودهم] ، وبدأ الترويج لكتيب من تأليف الاستاذ الحكيم ، وراج الكتاب ، وقراه الوطنيون واستغله الخونة ، ووجد الحكيم نفسه مضطرا لتقديم تبرير لفعلته ، ورغم ان مضمون الفعلة هو الكتاب الذى طبع ووزع وشكل الفعلة هو التبرير الذى قدمه الحكيم ، فسوف يركز كاتب التعليق على الشكل دون المضمون وذلك لعدة اسباب :

١ — ان « كدابين الزفة » ، وعباقرة فترات الانتقال الهاتفين مات الملك ... يحيا الملك ، قد تعاملوا مع الكتاب دعائيا وليس فكريا ، وذلك بدوافع التشفى واشباع الاحقاد ، وبالتالى فان مضمون الكتاب لم يكن ليعنيهم بقدر ما تعنيهم الشكليات المصاحبة له .

٢ — ان الكتاب ، حتى بشهادة بعض قارئيه من المتحاملين على ثورة يوليو وعلى عبد الناصر ، كان من الممكن ان يمر فى سهولة ، وان يناقش فى هدوء على اعتبار انه مقدم من كاتب له وزنه كالحكيم لولا الضجة التى واكبت صدوره واستغلال اسم صاحبه .

٣ — ان الاستاذ الحكيم فى حواره مع اليساريين المصريين والذى تتولاه مجلة الطليعة ، يؤاخذ ثورة يوليو دائما بانها قد اهتمت بالمضمون دون الشكل ، وبناء عليه حدثت جميع التجاوزات — فى رايه الاخطاء والانحرافات — التى عددها على الثورة ، ومن هنا فانه من حقنا ان نعامله بنفس منطقه .

وقد انطلق الاستاذ توفيق الحكيم فى محاولته على محاور ثلاثة :

١ — انه قد فوجىء بتداول بعض النسخ المكتوبة على الاستنسل ، من مخطوطه بين بعض المثقفين ؟ مما جعل تقديم كتيبه الى المطبعة ، وحتى ينسب الوليد اليه بصورة شرعية .

٢ — ان ما قدمه فى الكتاب مجموعة من الانطباعات ، مشاهد ومشاعر عن سنوات الثورة تكتب من الذاكرة ، وليس تقويما موضوعيا لها ، وانه اقرب ما يكون الى دعوة للمناقشة والحوار .

٣ — ان علاقته بعبد الناصر كانت طيبة للغاية ، وان الزعيم كان يقدره ، ويقر بتأثيره عليه — اى تأثير الحكيم — بكتابه عودة الروح ، وان الحكيم هو الاخر كان معتزا ببطله الموعود الذى تنبأ به فى روايته المذكورة وقبل قيام الثورة بعشرات السنين .

وكما نرى فعلى المحور الاول ترك الحكيم الاصول الخطية بكتابه لتتسرب من بين يديه ، فتستنسخ ، فتنتشر ، فتشيع ، فتصل الى يدى الناشر البيروتى . وعلى المحور الثانى قدم نفسه الينا مفكرا يتعامل مع القضايا الضخمة والمعقدة بنفس البساطة غير الواعية التى يتعامل بها مع الامور الجزئية ، وكأنما الانطباعات المعلنة ليست افكارا للكاتب مثلما تؤدى الى تمجيده فانها قد تدفع الى ادانته . وعلى المحور الثالث تمرد الحكيم على معبوده الذى قال عنه فى خاتمة كتيبه انه « مات وترك مصر وليس لها وعى ، ولا حرية ، بل ولا كرامة انسانية » .

ورغم التحفظ على المضمون ، وعدم الاتقان فى الشكل ، فانه يبقى لكتيب الحكيم فائدتان محققتان :

١ — انه نبه الناصريين الانفعاليين ، واليوليويين المثاليين ، الى ان اية شخصية مهما علت معرضة للنقد ، وان اى منهج مهما كانت ضخامة ايجابياته عرضة للتقويم . حقيقة ان الاحقاد قد تتجاوز النقد الى التجريح ، وتتحول بالتقييم الى الهدم ، ولكن لن يبقى فى النهاية الا الزعامة الشامخة ، والمنهج الثورى ، والبناء الراسخ ، والموضوعية آتية ولا ريب ، ويومئذ يشمخ عبد الناصر ، وتتدعم ثورة يوليو .

٢ — انه كشف فرسان النفاق الذين توهموا انه بالامكان تغطية جبنهم المحقود بالاندفاع خلف مدرعته الورقية « عودة الوعى » ، واطلاق الرصاص الكاذب يمينا وشمالا للنيل من الانجازات الحقيقية لعبد الناصر ولثورة ٢٣ يوليو . وفى حمى الجرى ، وصخب الضجيج ، سقطت الاقنعة ، وتحول التلميح الى تصريح ، وتجسد الماضى الهلامى الذى حاولوا التهجم عليه سنوات محددة

وشخصيات مســماة .... وواتت الفرصــة الناصريين ابناء يوليو لكسر حدة الهجوم ، وعزل تراصنته ، وتصفية ادواته . وصنع لقــاء ناصر الفكرى الرابع ، وجلسات الاستماع للعمــال والفلاحين والمثقفين التقدميين ، نقطة الانقــلاب فى المنحنى الاعلامى المصرى .

نصــائل الهجــوم

الذين عبروا على تاريخ الحكيم (اوشك ان اقول على كيانه] للنيل من مصر التاريخ والمنهج والشعب ، ينتمون الى حزب ساقطى الهــوية ، وينتسبون الى حانات الارتزاق بدعارة الكلمة، وهم فوق ذلك لا لون لهم ، وان شئنا الدقة قلنا انهم طيفيون متعددو الالوان ، ومن هنا تظهــر الصعوبة فى تعريفهم وتسميتهم . ولكن هــذا لن يحول دون محاولة الاحاطة بالسماتاو الملامح الاساسية لهم ، لنجتهد فيما بعد فى التعرف على منطلقاتهم واغراضهم . ويرى الكاتب ان الحامل لبطاقة نادى النقمة الحاقدة الذى يضم هؤلاء لابد وان يتميز بكل او ببعض السمات التالية :

١ ــ **غيبة المنهج الفكرى** : وهى النتيجــة الحتمية لكونهم فاقدى الانتماء ، فقانونهم اللولبى أنهم مع سلطان الحاضر ضد الماضى ، اما المستقبل فليس يعنيهم الا بقدر ما يستشفونه من اتجاهات رياح المصالح الانية او المنافع القريبة . ولما كان المنهج الصحيح دائما مستقبلى الرؤية ولا يتعامل مع الحاضر او مع الماضى الا كأدوات لتعضيد رؤاه او تنقيح تصوراته ، فان اى التزام مستقبلى يعنى بالنسبة اليهم مخاطرة لا يقدمون عليها من جهة، ولا يقدرون عليها من جهــة ثانية ، حتى ولو كان هذا الالتزام لمصلحة الشعب الذى يرتزقون مــن جهده ويتطفلون على عرقه . وبالطبع فانه ينشأ عن غياب المنهج انهم يطرحون على الدوام عموميات تولية ، ويصرون دائما على تفريغ اطروحاتهم من اى مضمون تاريخى او اجتماعى ، ومن هنا فانهم يتناقضون مع انفسهم فى كل حين وفى صفاقــة لا تعرف الحياء . فالدعوة الى الحرية مثلا لا تصطدم ــ فى اذهانهم طبعا ــ مع الدعوة الى القتــل واطلاق الرصــاص على التقــدميين المصريين ، وبعبارة أوضح على شعب مصر . والديموقراطية التى يغازلونها فى جنسية شبقة على صفحــات جريدتهم لا تتعارض مع وصم المخالفين لهم فى الرأى بالعمالة [فى علم النفس تعــرف هــذه الظاهرة بالاسقاط] او مع وصفهم بأنهم اجيال [لاحظ الديموقراطية حين يدين فرد واحــد اجيالا كاملة] من الطرش والعميان .ونشر ترار النيابة بشأن اتهام مجموعة من «عوالم» القاهرة بارتكاب أفعال مخلة بالاداب فيه خرق للقــانون وقيم المجتمع ويتطلب رفع قضية للتعويض ، ولكن تقذف المصريين اليومى بالطوب ، وخاصة التقدميين منهم والشباب ، والتطاول على تاريخهم ونضالهم ليس فيه خروج على دستور الشعب او وثائق الثورة ابتداء بالميثاق وانتهاء بورقة أكتوبر التى تدمتهــا القيادة السياسية القائمة واقرها تحالف قــوى الشعب العامل .

وقد ترتب على غيبة المنهج ايضا تفرد المذكورين بالذاتية والوقتية ، وتجسمت الذاتية تماما حين **حاول البعض منهم الدفاع عن نفسه بادانة عصر باكمله** ، رغم ان العصر لم يدخل محكمة التاريخ بعد فى حين أن هذا البعض قد دخل محاكم أمن الدولة وادين . أما الوقتية فشاهدنا عليها تسجيل موزايكى طريف من كتاباتهم فى العام الاخير يمكن عرضه كما يلى :

١ ــ عندما رسم كيسنجر لنفسه دورا فيمــا اصطلح على تسميته قضية الشرق الاوسط ، اغرقونا فى سيل تفاهاتهم عن الرجل المعجزة ، القــادم الينا بالمدد الامريكى [يلاحظ انه تادم الينا نحــن بالمدد وليس الى اسرائيل] ، والذى سيتولى عنا عبء المواجهة وتبعات التنمية .

ب ــ على مدى العام لم يكف فريق اللعنة هذا عن ادانة دور عبد الناصر ، وثورة يوليو طبعا ، فى حروب ٥٦ ، ٦٧ ، ٤٨ أيضا [والاختراع الاخير مسجل باسم الليبرالى العتيد احمد أبو الفتح] . واكد بعضهم انه لولا تهور عبــد الناصر وعشقه للمغامرة لجنبنا حرب ١٩٥٦ ، التى يبــدو اننــا اعتدينا فيها على باريس ولنــدن وتل أبيب ولكن صحافة العالم ، وصحافتهم أيضــا ، خلطت فى تسمية مسارح القتــال وخدعتنــا نحن المصريين فأسمتها سيناء ، وبورسعيد ، والسويس !! . وقطع هذا البعض بأن مصر لم تنل من حرب ٥٦ غير الهزيمة والفضيحة [عاقبهم الله بها] .

جـ ــ عندما هدد كيسنجر باحتلال منابع البترول العربى ، ولم يعد امامهم من سبيل الا الرد عليه والا افتضحت انتماءاتهم ، سألوه بالكاريكاتير وبالكلمة ــ وبنفس المصطلحات التى نحتوها لتملق القيادة التى يقولون أنها هزمت ــ عما اذا كان لم يعتبر بدرس ٥٦ الذى تحولت فيه دول عظمى الى دول

من الدرجة الثانية والدرجة الثالثة !! ؟ وهكذا تأكد على السنتهم أن مصر المندحرة فى حرب ٥٦ قد دحرت انجلترا وفرنسا ، وهى معادلة يعز فهمها طبعا الا على المهرجين فى دنيا الاعلام .

ورغم خوف الكاتب من اتهام مواطنيه له بالسذاجة ، فانه يدعوهم — أى فريق الوعى حسب الطلب — بل ويتحداهم ان يطرحوا على الجماهير منهجهم الفكرى او برنامجهم العملى ، خاصة وانهم قد طنطنوا بما فيه الكفاية وطالبوا بقيام احزاب لهم فى مواجهة تحالف قوى الشعب ... ولكنها على أية حال كلمات نقولها ، عسى ان يقرأوها ، ولعلهم يفهمونها ، اما المواطنون المخلصون فنقترح عليهم ، اذا رأوا فى السطور الاخيرة عبثا لا طائل منه ، ان يسقطوا هذه السطور من المقال وان يغفروا لكاتب التعليق أنه فرض عليهم قراءتها .

٣ — غائبون عن العصر ، جاهلون لروح مصر:

حلف الرذيلة الذى تكاتف افراده فى الفترة الاخيرة للدفاع عن قيم ما قبل التاريخ فى مواجهة قيم العصر وأطروحات المستقبل الفكرية يمكن تصنيف اعضائه الى نوعيتين مختلفتين :

ا — النوعية الاولى : وهى تضم الفريق الذى وقع فى تناقض مع الثورة منذ قدومها ، وكان ولابد بمنطق الثورة وشرعيتها ان يخلى موقعه ، فثورة ٢٣ يوليو ليست بدعة بين ثورات التاريخ حتى يتوقع البعض منها أن تجرى جراحاتها الاجتماعية والاقتصادية بالكلمات او بالاقتناع . وان كان هذا لا ينفى ان التاريخ يشهد لهذه الثورة بانها اجتهدت — ونجحت الى درجة كبيرة رغم ما حدث من تجاوزات — فى تجنب اللجوء الى التصفية الجسدية بقدر ما تستطيع مكتفية بالتجريد الاقتصادى والثقافى للفئات المعادية لحركة الثورة وطموح الجماهير الشعبية . واذا كان هذا الفريق قد تعرض للعزل السياسى او المحاصرة الثقافية فى مرحلة تدعيم الثورة ، فان الثورة نفسها بعد ان ضربت بجذورها فى أرض الجماهير قد عادت وردت اليه حقوق الممارسة السياسية والثقافية . ومثل هذا الفريق يظل التحاور معه ممكنا رغم عناء المحاورة وقسوة النقاش نتيجة للاختلاف البين بين بنيته الفكرية الجامدة وبين متطلبات الحوار العصرى ، وذلك لعدة أسباب لعل من اهمها أن هذا الفريق لم يخن حقوق المواطنة حين اختلف مع الثورة أو اختلفت الثورة معه ، وحصر الخلاف فى الاطار الوطنى، ولم يمدد يده للقوى المعادية يطلب دعمه فى اقتتاله مع ابناء وطنه . وبالاضافة الى ذلك فان هذا الفريق يضم عادة مجموعة الفنيين ورجال العلم الذين قد تضطرهم الاطر الاكاديمية التى يتحركون من خلالها الى الوقوع فى تناقض مع الثورة أو مع العصر . ومن أقطاب ذلك الفريق على سبيل المثال أستاذ القانون الذى يتصور انه من المحتم على الثورة ان تهذب نفسها ، وان تتبع ريجيما رجعيا خالصا لتنقص من وزنها ،حتى يمكنها أن ترتدى ثوب القانون الذى ثارت عليه أصلا !! . ومنهم ايضا استاذ الهندسة الذى يصر على تجريد مشروع قومى شمولى كالسد العالى من جميع متعلقاته الاجتماعية والسياسية والحضارية ، ويقاتل مستميتا ليفرض على الجميع أن ينظروا اليه من نفس المنظار التخصصى الهندسى الضيق الذى يرى به ذلك المشروع الديناصورى المتعدد الابعاد .

ب — اما النوعية الثانية فانها تضم فصيلتين : الفصيلة الاولى تتمثل فى الافراد الذين اختلفوا مع الثورة فى سنواتها الاولى فناصبوا مصر العداء ، وهربوا بأموالهم وجلودهم — كما يقولون — من مصر ليبيعوا ضمائرهم للشيطان فى أسواق النخاسة الفكرية ، وبدلا من المقاومة على ارض الواقع وداخل الاطار المصرى كما فعلت قوى كثيرة بعضها يمينى وبعضها يسارى فانهم قد شنوا الحرب على مصر الثورة [مع رجائى أن يلتفتوا الى التسمية] وعلى الغوغاء — يقصدون جماهير الشعب الذين ناصروا الثورة ونصروها — من خلال ما أسموه راديو « مصر الحرة !! » وما شابهه من الابواق التى استأجرت للنيل من شعب مصر . اما الفصيلة الثانية فانها تضم الفرقة التى خانت فى السنوات السبع الخضر ، وغابت فى السنوات السبع اليابسات وغيابها ولله الحمد لم يكن لخلاف أيديولوجى بينها وبين الثورة ، فهذه الفرقة حين اقتنصتها الثورة لم تتهم بالتمرد ولكنها اتهمت بالعمالة ، ولم تجابه باختلاف الرؤية او القصور فى مواجهة الثورة ولكنها جوبهت بتسجيلات التخابر وارصدة العملات الصعبة ، وكانت هذه هى النتيجة المنطقية لفرقة تعيش مع كل سلطة حتى تسقط ، وضد كل سلطة بعد ان تسقط ، فقد عاشت لفاروق حتى صباح ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، وعملت ضده فى ٢٤ يوليو ١٩٥٢ ،وتزعمت طوفان التملق لعبد الناصر حين وجوده ، وتقدمت صفوف الحاقدين عليه عند حمل القلم لاول مرة بعد وفاته . وعموما فانه يمكن القطع بان افراد

الفصيلتين المذكورتين ، سواء منهم الذين عاشوا تجربة مصر الثورة تملقا على ارض مصر او الذين عاشوها سبابا لتراب مصر على موجات الاثير ، غير مهيئين بحكم تكوينهم النفسى والاخـــلاقى ــ والاجتماعى ايضا ــ للدخول فى حوار لا يضـــع مصالحهم الوضيعة قبلمصالح مصر، بل اوشـك أناقول لا يعتبر مصـالحهمالغبية فقط دون مصالح مصر .

٣ ــ منطق المغالطة هو الســـائد : اوضحت القيادة السياسية المصرية ، فى أكثر من مناسبة، وفى أكثر من حديث صحفى ،ان قراراتها الخاصة بعودة بعض الشخصيات الى ممارسة دورها فى الحيـــاة العامـــة ، بل بتولى بعضهـــا لمناصب رئيسية فى مواقع التوجيـــه والدعاية والاعلام ، ليس القصد منه اطلاق هذه الشخصيات ، بعـــد اعطائها الضوء الاخضر ، للهجـــــوم على مصر وتمزيق اردية الثورة التى ترتديها ، وأكدتالقيادة ان الاشخاص ليسوا الاساس وانما الاساس هو تحقيق سيادة القانون . بل ان الرئيس عبر عن ذلك حرفيا بقوله انه اتخذ القرار ، وفقا لتصوره، بقصد اعادة الحق لاصحابه ... وقد فات على هذا الفريق الذى دعى او دفعللمشاركة فىالحياة العامة ان القرارات السياسية شيء ،والقرارات الادارية شيء آخر ،فالاولى اذا لمتأخذ فىالاعتبار عند اتخاذها جميع المعطياتالسياسيةوالاجتماعية للمرحلة فانها لا تنفذ بنجاح ، ومصر اذ تســـمح لهؤلاء بالعودة فانها على ثقـــة من انهم حتى لو اخطأوا فهم مجريات الاحداث ــ وقد تحقق حدس مصر ــ فانها قادرة على ردهم وردعهم ، واظن أن دروس الشهور الاخيرة تؤكد هذا وتدعمه . وأسوأ ما يؤخذ على هذه الفرق تمسحها المرائى والفج بكل ذى سلطان ، ومحاولاتهـــا المستميتة اعطاء ايحاءات خاطئة للجماهير عن قربها مـــن القيادات وعن توطد العلاقات بينهـــا وبين تلك القيادات ، وهى تعلن ذلك باسلوب فج وغير مهذب .

وكما سلف القول فان بعض هذه الشخصيات حاول الدفاع عن نفسه بادانة العقدين الماضيين بكل ما فيهما من احداث أو شخصيات ، ورغم ان اغلب القيادات الحالية كانت تقوم بأدوار لهـــا فى تلك الفترة الا ان البعض منها لم يدن هـــذا المسلك . وللاسف الشديد فان المواطن العادى ــ خاصة الشباب الذين ينفد صبرهم فى سرعة ــ وقد فاجأته ضراوة الهجوم على الثورة وهمجيته، وعجز فى نفس الوقت عن ترتيب الاوراق التى اختلطت بين يديه ، قد دفع الى التشرنق الفكرى، أو المشاغبة السلوكية أمام الثرثرة غير المسئولة لهؤلاء الذين اجتهدوا فى الضرب على هذا الوتر لاذكاء الخصومة بين الجماهير وبين قياداتها ،وهو الامر الذى يتأكد لكل من السلطة والمواطن العادى بمضى الوقت انه لا جدوى من ورائه ، ولا مصلحة لاى منهما من ورائه وان كانت مصلحة المتاجرين بنشر الغثيان الفـــــكرى فى مصر لا تخفى على الكثيرين .

المنطلقـــات والاغـــراض

حين اقتحم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة على رأس جنده المسلم فى عام الفتح ،اجتمع العصاة من قريش امامه على باب المسجد الحرام فبادرهم متسائلا : ما تظنون انى فـــاعل بكم ؟ ، قالوا : خيرا ، اخ كريم وابن اخ كريم ، والتزاما بالتوجيه السماوى «خذ العفو وأمر بالمعروف» قال لهم عليه السلام من موقع القوة الواثقة : اذهبوا فأنتم الطلقاء . ومنذ تلك اللحظة عرف المجتمـــع الاسلامى الفئة التى سميت « طلقـــاء الفتح » . وبعد ان عبر المقاتلون الاشداء من ابناء مصر قناة السويس واجتاحوا خط بارليف فى السادس من اكتوبر [١٠ رمضان] عام ١٩٧٣ ، عرف المجتمع المصرى فئة مشابهة يمكن تســـميتها « طلقـــاء العبور » . ومثلما سعى طلقاء الفتـــح جاهدين للاستئثار بمنجزات الانتصار الاسلامى ولاحتواء المجتمع الاسلامى الاول وتطويقه لخدمة أغراضهم الدنيوية،توهم طلقاء العبور أيضا امكانية الالتفاف حول المجتمع الاشتراكى فى مصر واخضاعـــه لاهوائهم بقصد استثمار منجزات حـــرب اكتوبر لصلحتهم . ولكنه لما كان الاكتوبريون النفعيون لا يملكون حرص ابى سفيان بن حرب ، او دهاء معاوية ابنه ،أو طول النفس الذى رزق به بنى امية، فانهم لم ينجحوا كما نجح هؤلاء ، بل انهم سرعان ما سقطت عنهم الاقنعة وانكشـــــفت وجوههم الشائهة . فابو سفيان مثلا لم يستغل انتصـــار الفتح لادانة المشاركين فى الهجرة هربا بدينهم، او المنهزمين فى احد دفاعا عن دينهم ، ولم يكن ذلك لغباء فيه بقدر ما كان فهما منه لمقتضيـــات العمل السياسى ، بينما طلقاء العبور استغلوا ٦ اكتوبر لادانة المشاركين فى ٥ يونيو وللدعوة الى صلب المحاربين فى اليمن رغم أنهم أبنـــاء مصر،

ايضا . وبنو امية لم يجرؤوا على اثارة التناقضات بين عهد النبوة وبين عهد أبى بكر ، أو بين ابى بكر وبين عمر ، أو بين عمــــر وبين اللاحقين له من الخلفاء ، وعندما واتتهم الفرصة أثنــاء حكم ذى النورين عثمان بن عفان لم يستغلوها لتصفيــة حساباتهم القديمة بقدر ما استغلوها لتوطيد دور مستقبلى لهم ، أما ضعاف الايمان بشــعب مصر وبقيادته ، والذين لم يعوا الظروف الموضوعيــة المحيطة بثورته ، فقد توهمــوا أن بامكانهم خلق تناقض بين القيادات السابقة وبين القيـــادات اللاحقة ، وان باستطاعتهم احداث وقيعــة بين الثورة حين كانت وبينها وهى كائنة . وعندمـــا نضجت الثمـــرة وحان القطاف وخاض معاوية صراعا سافرا ضد على بن ابى طــالب رضى الله عنه ، واوشك الاخير ان يوقع به وبجيشهعهزيمة ساحقة ، لم يجد معاوية مخـــرجا الا ان يرفع أصحابه المصاحف يطلبون عن طريقها التحكيم بما انزل الله تعالى رغم أنهم طلاب دنيا اتحاح ، أما السفهاء منطلقاء العبور فقد احترفوا «التلطيش» ذات اليمين وذات الشمال ، فتهجموا على التراث السياسى والحضارى لشــعب مصر ، وغمــزوا مواثيق الثورة ، بل وتطاولوا على الاعتقاد الدينى لجماهير المسلمين [واسألوا كبيرهم الذىيزعجه الأذان] .

والمتتبع للاتجاهات التضليلية التى حاولت تلك الفئات الباغية غرسها فى أرضية العقل المصرى، خاصة بعد عودة اخوان الافك ، يمكنه ان يقطــع بأنها تبدأ جميعها من منطلق واحد وهو محــاولة الايهام بوجود تناقض اساسى بين ٦ أكتوبر وبين ٢٣ يوليو ، مع الدأب على عزل معركة العبــور المجيدة بكل ما بذله شعب مصر من تضحيـــات خلالها عن مسار النضال المصرى وتصويرهـــا كجزيرة منفصلة لا تمتبصلة الىالتاريخ البطولى لهذا الشعب . ومهما تعددت وجــوه الدعاية ، نقيل مثلا انها قضية الحريات و ١٥ مايو ومراكز القوى ، أو انها مشكلة القطاع العام المتكس !! والذى يمثل قيدا على مبادرات الافراد ، أو انه جمال عبد الناصر الذى سلب مصر الوعى ، فان هذه الصياغات جميعا ما كانت لتطــرح طرحـــا مقارنا ، وبهذا القدر من الصفـــاقة ، لولا اصرار الذين يطرحونها على استغلال حياء الشـــعب المصرى وحساسيته . ومن هنا ، وكسرا لحاجز الحياء ، فان المقصد الاساسى للجزء الباقى مــن هذا المقال هو الاحتجاج للثالث والعشرين مــن يوليو ١٩٥٢ بما جرى فى السادس من اكتـــوبر ١٩٧٣ م .

٦ أكتوبر يحتج لـ ٢٣ يوليو

الصياغة الفلسفية المحدثة لقانون تطـــور المجتمعات والتى تنص على أن « الجديد ينبت من جوف القديم » ، سبق للمصرى الاصيل وبخبرته النضالية أن صاغها صياغة شعبية على هيئــة حكمة تقول « من فات قديمه تاه » أو تقول « اللى مالهوش قديم مالهوش جديد » . وهــذا بالضبط هو ما عز فهمه على جهابذة التسطيح فى دنيـــا الفكر السياسى فى مصر ، والذين عجزوا عــن الارتفاع الى مستوى الاحاطة بعلوم المتفلسفين أو بحكم الشعبيين . وتجاوزتهم مصر ، مصر التى كان لها شرف منــازلة أغلب ــ ان لم يكن كل ــ صور الاستعمار التى عرفتها البشرية ، ابتــداء بالغزاة الهكسوس ، ومرورا بالحيثيين فالفرس فاليونانيين البطالمة فالرومان فالصليبيين فالتتار فالاتراك فالفرنجة المحدثين منفرنسيس وانجليز، وانتهاء بالكولونياليـــة الامريكيـــة ذات الأذرع الصهيونية . ومن رصيد المقاومة والصراع الذى اختزنته الذاكرة المصرية الواعية ، حــددت مصر على لسان عبد الناصر ، ومن بعده على لســان الرئيس **أنور السادات** ، مستويات ثلاثة يجــرى عليها الصراع مع العسكرية الصهيونية المدعومة بالامبريالية الأمريكية ، وهذه المستويات هى :

المستوى الاول : المقدرة الذاتية المصرية .

المستوى الثانى : الدعم والتعاون العربى .

المستوى الثالث : الصداقات الثورية فى عالم الصراع ضد الاستعمار والعنصرية .

وتستهدف الفقرات التاليةفىالمقال بيان العلاقة بل التداخل الجدلى بين احداث اكتوبر ، وبيــن ما سبقها من احداث على مدى العشرين عامـــا الماضية من تاريخ مصر ،وتوضيح **كيف استطاعت القيادة السياسية المصرية فى حرب أكتـــوبر ان تستثمر فى ذكاء منقطع النظير جميع التراكمـــات الايجابية لحركة الثـــورة المصرية تحت زعامـــة**

عبد الناصر لصالح الشـــعب المصرى ولمصلحـــة النضال العربى .

أ ــ المقدرة الذاتيـــة المصرية : على هـــذا المستوى من مستويات الصراع تجسدت روعـــة الانجاز ، وعظمة الاداء ، وشجاعة العطـــاء فى العمل على محورين رئيسيين هما :

١ ــ تمويل المعركة : ولم يعد خافيا على أحد الان ان مصر قد وجهت لاعادة بناء قواتها ولخوض المعركة ثم لتبعات ما بعـــد العبـــور ما يزيد على العشرة مليارات من الجنيهات ،وقد أكدت القيادة السياسية ، والقيادات التنفيذية ، والقيـــادات العسكرية ايضا ، انه لولا القطاع العام لاستحال توفير هذه التراكمات المالية اللازمة ، وبالطبـــع فاننا لسنا فى حاجـــة الى ان نذكر المدلسين ان عبد الناصر كان له شرف التوقيع على قـــرارات اقامة القطاع العام فى مصر وفىبداية الستينات، ولسنا فى حاجة أيضا لان نذكرهم ان قسما مـــن الذين انتسبوا الى القطاع الخاص الذىيتباكون عليه كان مشغولا فى هذه المرحلة « بنهجه الغبورى» فىعوالم الشـوارىى وتهريب اللورياتوالسيارات الخاصة فوق جثث القوانين القائمة وقتئذ ،ولا ان نذكرهم أيضا بالجهد البطـــولى الذى قامت به شركات المقاولات [ق.ع] اثناء حربالاستنزاف الاولى ٦٩/٧٠ ، لانشاء قواعد الصواريخ ،واثناء حرب الاستنزافالثانية بعد العبور ،ثماخيرا اثناء اعادة تعمير مدن القناة ، ولعل هـــذا يفسر لهم سر العناء الذى يلقاه القطاع العام الذى يطالبون بالاجهاز عليه فورا ليخلوا الجو لقطاع المبـــانى الفاخرة والشقق المفروشة .

٢ ــ حشد القوات : استطاعت مصر ان تدفع الى المعركة ما يربو على المليون منخيرة جنودها وليست العبرة بكثرة العدد ، ولكن العبرةنوعية المقاتلين الذين استطاعوا انيتعاطوا التكنولوجيا العصرية وان يتعاملوا مع اعقد الاسلحـــة ، ولم يكن هذا ليتم لولا ان اغلبهم من المؤهلين علميا. وهكذا تأكد انمصرليستقادرةفقط علىتوفير هذا العدد الضخم من المتعلمين للقتال ، ولكنها قادرة أيضا على ضمان استمرار عمليـــات التنميـــة والادارة فى مساراتها اليومية .وقد كانتهذههى النتيجة المنطقية لمجانية التعليمالشاملة ولشعبيته ــ فى كافة المراحل ــ التى تولت ثورة يوليـــو تبعاتها حين قررت التحول بمصر الى طـــريق التنمية الاشتراكى فى عام ١٩٦١ م .

ب ــ الدعم والتعاون العربى : وعلى هـــذا المستوى من مســـتويات الصراع يمـــكن حصر اتجاهات خمسة للتعاون والدعم والتنســـيق بين مصر وبين بقية الدول العربية شعوباوحكومات.

١ ــ التأييد الجمـــاهيرى : رغم ان طـــرح قضية الوحدة العربية والمشاعر القومية العربية على المستويات الفكرية [أبو خلدون ســـاطع الحصرى مثلا] وحتى الحكومية [عرض الحكومة السورية للوحدة مع مصر عام ١٩٤٨] ، أسبق من ثورة يوليو وأسبق من عبـــد الناصر ، الا ان عبد الناصر بالتحديد يرجع اليه الفضل كلالفضل فى نقل القضيـــة الى المســـتويات الشـــعبية والجماهيرية ، وفى جعل هذه المشاعر القوميـــة نبضا يوميا دائبا فى ضمير المواطن العربى .

٢ ــ التنسيق السياسى : وتمثـــل ذلك فى الاتصالات المستمرة بين الدول العربيـــة على المستويين الشعبى والحكومى ،وتوج ذلكبمؤتمر او بمؤتمرات للقمة . ورغم ما حدث من خلافات او تناقضات بين مصر وبين بعض الدول العربية فيما مضى [اذا شئنا الدقة قلنا بين عبـــد الناصر وبين بعض الزعامات العربية] ، الا ان التنسيق العربى الكامل كان حلم عبد الناصر الذى يذكر له أنه أول من سعى لعقد مؤتمر قمة عربى فى عام ١٩٦٤ م ، والذى يذكر له ، أول ما يذكر ،انهقضى ومضى الى رحاب ربه وهو يجاهد من خلال واحد من أهم مؤتمرات القمة فى سبيل توحيـــد ــ بل انقاذ ــ الصف العربى فى فترة من أحلكالفترات فى سبتمبر ١٩٧٠ م . وكان طبيعيا أن يســـتثمر مؤتمر القمة العربى الاخير والذى عقد فى نهاية ١٩٧٤ م [مثلا] جميع الايجابيات ، وان يتجاوز جميع السلبيات التى عاشتها تجارب القمة خلال السنوات العشر الماضية ، ليظهر بذلك القـــدر من الكمال الذى ظهر به .

٣ ــ الدعم المالى والعسكرى : يمنعنا الحياء المصرى هنا من اعادة التذكير بالمساعداتالاخوية التى قدمتها مصر [قبل الثورة وبعد الثـــورة]

لجميع الدول العربية ؟ ما عرف منهـا الرخاء البترولى وما لم يعرفه ، سواء فى مجالات الدعم العسكرى للتحرير ، او لحماية الحركات الثورية ، او فى مجالات العون الاقتصادى ، او فى ميادين التعليم والصحة والخدمات ... ولذلك نكتفى بان نقول **أن الاشقاء العرب حين يدعمون موقف مصر انما يؤدون واجبا عليهملاخوة لهم أصحاب حق .**

٤ ـ الضغط بسلاح البترول : يخطئون خطأ فادحا ـ ان لم يكونوا ساذجين ـ هؤلاء الذين يتصورون أن الحكومات العربية قد استخدمت سلاح البترول فى عام ١٩٧٣ مجاملة لبعض القيادات السياسية ، ورفضت استخدامه فىعام ١٩٦٧ نكاية فى قيادات سياسية اخرى . ففى الحقيقة ان الظروف الموضوعية السائدة فى السنوات الاخيرة ، والمتمثلة فى نقص مصادر الطاقة فى الغرب . ووجود التراكمات المالية لدى الدول المنتجة ، والتوازنات الدوليةالوفاقية القائمة ، هى التى جعلت قطع البترول أو خفض انتاجه واردا ، وجعلت الحكومات العربية تقدم على مواجهة الدول الصناعية كبرت أو صغرت ... وفى هذا المجال يذكر لثورة يوليو فضل الريادة فى مواجهة الاحتكارات الاجنبية والاستغلال الاستعمارى فى وقت مبكر حين أممت قناة السويس والممتلكات الفرنسية والانجليزية فىعام ١٩٥٦ ، ويذكر لها ايضا انها ساعدت على التعجيل بمحاولات الخلاص من السيطرة الامبريالية فى اجزاء كثيرة من الوطن العربى .

٥ ـ اغلاق باب المندب : اجمع المحللون السياسيون والعسكريون على أناغلاقمصر باب المندب بموافقة حكومة اليمن الشعبية فى وجه اسرائيل كان ضربة استراتيجية قاضية ، وهكذا جاءت حرب اكتوبر بالدفاع الذى لا ينقض عما أسماه المتحاملون بالتورط المصرى فى اليمن ، وتأكد اليوم بعد النظر فىالاستراتيجية الناصرية، فذهاب الجيش المصرى الى اليمن الشمالية صد عنها زحف وعداء الاستعمار ، ودفع حركة التحرير الشعبية فى اليمن الجنوبية الى الامام ، وعجل بحصوله على استقلاله لتتولى شئونه سلطة تقدمية ، ولولا ثورية هذه السلطة لما أمكن اغلاق باب المندب فى وجه الملاحة الاسرائيلية .

جـ ـ عالم الاصدقاء : رياح الدعم والتأييد العالمية التى هبت على مصر الثورة فى اكتوبر أتتها من جهات ثلاثة هى :

١ ـ الاتحادالسوفيتىوكتلةالدولالاشتراكية.

٢ ـ مجموعة الدول غير المنحازة [الكتلة الافروآسيوية] .

٣ ـ مجموعة الدول الافريقية .

ورغم التجنى الذىمارستهالاقلامغير المسئولة على الاتحاد السوفيتى ومجموعة الدول الاشتراكية فانه تبقى حقيقتان اساسيتان لا يمكن طمسهما ، واولاهما اننا خضنا حرب اكتوبر وحققنا ما حققناه بالسلاح السوفيتى، وثانيتهما ان الكتلة الاشتراكية ايدت ـ ولا تزال تؤيد ـ وجهة النظر العربية على طول الخط وباصرار لا يعرف المساومة وعلىكافة المستويات ... وبالطبع فان الجميع يعلمون ان الانفتاح على عالم الصداقات الاشتراكية انجاز يوليوى بدأته مصر عام ١٩٥٥ ، واستثمرت ايجابياته فى ١٩٧٣ .

أما عن مجموعة عدم الانحياز فيكفى أن ننبه الحاقدين الى ان **الرئيس السادات** ، فى مؤتمر عدم الانحياز الذى عقد فى الجزائر قبل حرب اكتوبر باسابيع قليلة ، حين اراد تقديم الجهد المصرى فى خلق وتدعيم التكتل التحررى لدول العالم الثالث الى المؤتمرين راح يذكر الجميع بريادة عبد الناصر **(مع تيتو ونهرو)** لعالم عدم الانحياز ونضاله فى سبيل قضاياه .

وفيما يتعلق بمجموعة الدول الافريقية ، فيكفى ثورة يوليو فخرا ، ان القاهرة قد فتحت صدرها ومدت يدها لجميع حركات التحرير الافريقية بغير استثناء ، وأنها قامت بدور اساسى فىاقامة ودعم منظمة الوحدة الافريقية ، وانها قاتلت مع الافريقيين فى اخلاص وشجاعة ضد كافة النظم العنصرية والاستعمارية فىالقارة الام ،حتىكانت حرب اكتوبر فوقفت شعوب افريقيا جميعها الى جانب مصر الثورة ضد العنصرية الصهيونية المؤيدة بعسف الامبريالية الامريكية .

[٢] الدولـة والثـورة والشـعارات المزيفـة

سـعيد خيـال

ثورة يوليو هى ثورة الشعب المصرى وأروع انجازاته فى العصر الحديث . هى ثورة شعب وليست ثورة فرد . وما جمال عبدالناصر الا مفجر الثورة وقائدها وقد وثق الشعب المصرى به ثقة كبرى واعتز بقيادته حتى النهاية . ولا نكران أنه قد حدثت فى أطوار الثورة المتصاعدة أخطاء وتجاوزات ، كانت محل رفض من الطلائع الثورية الشجاعة بمختلف مدارسها . لكن هذا لم يقلل من التفاف الجماهير حول الثورة وقائدها . ان تاريخ مصر المعاصر يتألق بثورة يوليو . وان معاداة الثورة هى معاداة لشعب مصر والتهجم على جمال عبد الناصر هو تهجم على هذا الشعب البطل وعلى التاريخ . هى ثورة الشعب المصرى ضـد الاستعمار ، الثورة الوطنية . ثم هى ثورة طبقية ، ثورة العمال والفلاحين وأنصارهم من المثقفين الثوريين ضـد الاستغلال والاستعباد . الثورة الاجتماعية . والثورة الاجتماعية مسـتمرة . فلا يزال فى مصر تخلف فى كثير من المجالات ، ولايزال فى مصر طبقات مستغلة ورجعية تنشط لتوسيع نفوذها على حساب التقدم وسد منافذه وهدم دعاته وطلائعه .

ما هو موقف الدولة من المصالح الطبقية والاتجاهات الاجتماعية المعارضة ؟ لقد أجابت ثورة يوليو على هذا السؤال اجابة شافية . حسمت الاختيار وحددت المسار . وكان جوابها عمليا ونظريا من خلال الانجازات الثورية السياسية والاقتصادية والاجتماعية ومن خلال ميثاق العمل الوطنى وما تلاه ... القول الفصل كان ان الدولة هى دولة الثورة ، دولة قوى الشعب العامل ، تعتمد فى الاساس على العمال والفلاحين ولذلك ضمنت لهم حدا أدنى من التمثيل فى المجالس المنتخبة بما فيها مجلس الشعب لا يقل عن نصف المقاعد . القول الفصل أن أساس المجتمع هو العمل ، العمل شرف والعمل حياة ، فلا يكون الجهل ارثا والعلم ارثا والفقر والغنى ارثا بل لابد من المساواة فى الفرصة .

وكان القول الفصل ان دولة الثورة لاتحمى الاستغلال بل تعاديه ، وتسعى لتحقيق مبدأ الغاء استغلال الانسان للانسان ، وتذويب الفوارق بين الطبقات المتحالفة مع تصـفية مصالح ومواقع الطبقات الرأسمالية المستغلة .

وإعلنت دولة الثورة التزامها بالتخطيط العلمى للتنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية وصولا لبناء النظام الاشتراكى فى مصر . هى اذن الاشتراكية العلمية رغم انف جهابذة الرجعية ومزيفى الشعارات ، لانها ـ كما جاء بالميثاق ـ القادرة وحدها على تقديم الحلول لمشاكل المجتمع . لقد عادوا الى الخديعة والغش بصك الشعارات المزيفة • فيقولون اشتراكيتنا ٠٠ كما يقولون عمارتنا وعزبتنا .. تملكوها هى ايضا » اشتراكيتنا اشتراكية الغنى لا الفقـــر .. اشتراكيتنا اخلاقيــة ٠٠ اشتراكيتنا مؤمنة وليست مستوردة . ولها مثيل فى انجلترا وفى السويد .. الخ . وكلامهم هذا ليس فيه ذرة من العلم ولا مثقال ذرة من الاخلاق .

هل انتم أنصار للاستغلال أم ضده ، وهل أنتم عاملون على اذابة الفوارق بين الطبقات أم على تكريس الطبقات وقهر العاملين . هل أنتم مع الثورة أم مع الثورة المضادة ؟

ويا أيها الضعفاء بأنفسهم الاقوياء بمناصبهم باسم من تتحدثون ؟ هل باسم الاغلبية التى طال حرمانها ، باسم العمال والفلاحين وأهل الثقافة والعلم ؟ هؤلاء هم أصحاب المصلحة فى الثورة وفى الاشتراكية وانهم منكم براء . أنتم تتحدثون بأسم القلة المستغلة فقولوها صراحة .. انكم أعداء للاشتراكية وتدعون لطريق آخر . لكنهم لن يفعلوا لانهم لا يملكون شجاعة الصراحة . ان الانسان ليتعب فى البحث عن صفحة جهاد أو سطر تضحية أو اهتمام عام خارج الذات والانا لواحد منهم ، فلا يجد الا العدم . فبأى حق اذن يتصدر هؤلاء ويحتلون المراكز ؟ معاذ الله أن يقود الانانيون الامعات الشعب المصرى الذى تمرس بالنضال وتفتح بالوعى وصنع ثورة يوليو المجيدة .

وكما كان أسلافهم برادع للانجليز كما وصفهم **سعد زغلول** ، فأنهم اليوم برادع للاستعمار الجديد وزعيمته أمريكا . يحرقون له البخور ويزينون وجهه القبيح ويرمون ضوابط الانفتاح الاقتصادى بالبيروقراطية والتعقيد ، ويتهمون الحريصين على الاستقلال الوطنى ، والاقتصـــاد القومى بأنهم مصابون بالعقد النفسية .. أبدا لا يناقشون ولا يردون على الاعتراضات والتحفظات وكل بضاعتهم القذف والتشهير والاتهام . وان حقيقة دعوتهم هى لسياسة الباب المفتوح أمام الرأسمالية العالمية لتدعيم مواقع الرأسمالية والقطاع الخاص فى مصر وبذلك تتسع الفرص أمام استغلال جموع العاملين وتزداد القدرة على التحكم والارهاب . وانهم لينطلقون الان فى نهم شديد للعمولات وأتعاب الوكالة وأرباح الصفقات فى الاستيراد والتصدير والمضاربة ، يقتطعونها من عرق الشعب المصرى ودمه فى اصرار وقسوة لا تقل عن قسوة شيلوخ فى أصراره على اقتطاع رطل اللحم من جسم مدينه . وكلما شكا الشعب من وطأة الغلاء وقسوة العيش قالوا انها المعركة .. والتاريخ لم يعرف معركة وطنية بوجهين ، وجه للشعب يحمل التضحية والتقشف ، ووجه للقلة المستغلة يحمل الثروة وبذخ الاسراف .

لابد من استرداد كل ما استقطع من قوت الشعب وعرقه ، وهذا ما توجبه الطهارة الثورية . ولابد من تنحية المسئولين عن التسيب وفتح ابواب النهب والاستغلال امام النشاط الطفيلى . ولابد من اعادة سيطرة الدولة على قطاع الاستيراد بالكامل . ان البضائع الاستهلاكية المستوردة انتشرت فى طول البلاد وعرضها . والمؤكدبداهةأن أثمانها خرجت من مصر ـ عملة صعبة او بضائع وخدمات . ومن غير المعقول أن تتسع مصر لقلة مستغلة تعيش على المستورد فى وقت التقشف والمعاناة . كذلك لابد من اعادة قصر الوكالات التجارية للشركات الاجنبية على وحدات القطاع العام فلا معنى لفتح هذا الباب أمام الافراد لتحقيق ثراء فاحش يعلى على ثمن البضاعة ويتحمله فى النهاية الشعب المصرى .

ان سياسة تقديم التنازلات للنشاط الفردى وللقطاع الخاص هى المسئول الاول عن هذا التسيب الذى يقلق الجبهة الداخلية ، ويولد عنف الصراع . وقد حدد **الرئيس السادات** من جديد فى رسالة لرئيس مجلس الشعب ورئيس الحكومة دور القطاع الخاص فقال « **ان علينا انتشجعه ونوجهه نحو تنفيذ أهداف الخطة والتنمية** » . فعلى

الحكومة أن تضع هذا التوجيه موضع التنفيذ . وليس من الاهداف أن يثرى الطفيليون على حساب الشعب . ورسالة الرئيس واضحة فى هذا حيث قال « **إننا نسعى لصالح التقدم الاقتصادى لجماهير شعبنا ونرفض أن يكون جهدنا لاثراء فئة محدودة على حساب الاغلبية الساحقة** » . على الحكومة اذن أن تضع هذا موضع التنفيذ .

والمسلم به أن القضاء على مصادر الدخول الطفيلية هو العلاج الحاسم الذى تفرضه مبادىء ثورة ٢٣ يوليو وصولا لمجتمع العمل والاجر على انقاض مجتمع الملكية والريع . والامر يتطلب اجراءات كثيرة توجبها الضرورة ، ومنها استكمال نقل تجارة الجملة للقطاع العام لضمان عدالة التوزيع ومنع المضاربة والسوق السوداء .

ولا يمكن بأى حال من الاحوال اعتبار سياسة فرض الضرائب بديلا عن الاجراءات الثورية لتصفيه الاستغلال . والقول بغير ذلك يعتبر خروجا صريحا على مبادىء ثورة يوليو وطلاقا للاشتراكية . لان الاشتراكية تعنى تصفية مواقع الاستغلال وطبقاته . أما الضرائب فتنطوى وتقوم على الاعتراف بالاستغلال وحفظ مصالح طبقاته .

وهذه الحقائق تعرفها الرجعية جيدا . وهى لهذا تعادى ثورة يوليو وتتفنن فى اهالة التراب عليها . فهم يكتبون ويتحدثون عن الماضى الاسود ، وعن الكوارث والخراب الذى حل بمصر . ويضعون عهد أنور السادات فى مواجهة مع عهد عبد الناصر . والقصد واضح وهو أن الثورة ليست مستمرة وأن بعضها يبصق على البعض الاخر ، وان السادات نقيض لعبد الناصر . والحقيقة أن تاريخ السادات هو تاريخ الثورة فهو منها وهى منه . لكننا نتصدى لمناورات الرجعية وعملاء الاستعمار منعا لتضليل الشعب ودمعا لما يروجون له من أن مصر تعود الى مجتمع ما قبل الثورة .. ان الثورة مستمرة ولم يصدر عفو عن الثورة المضادة ولن تمكنها قوى الشعب العامل من اعادة عجلة التاريخ الى الوراء . ولا تملك الدولة ولا تستطيع ان تقف فى هذه المعركة على الحياد .

فهى دولة الثورة ولا تسليم فى المبادىء ولا مساومة . أما التطبيق فقابل للنقد التاريخى استخلاصا للدروس واستمرارا فى تصفيه الاستغلال الطبقى ، وبناء المجتمع الاشتراكى السليم . أن الذين يخرجون على هذا الخط ، ويروجون الشعارات الزائفة عن الحرية والديموقراطية لا يخدعون الا أنفسهم . وفى ثورة يوليو من التجارب ما يغنى عن الاجتهاد فى هذا الصدد وما يعصم من الانتكاس .

قال جمال عبد الناصر فى المؤتمر التعاونى الثانى عام ١٩٥٦ : « **لقد مرت بالشعب المصرى محن كثيرة واحداث عظيمة ولكنه لم يكن يستسلم للخديعة .. كان الشعب يسمع الكلام والوعود** والعبارات الطنانة عن الحرية والديمقراطية و... كان يحس بأنه باسم هذه الديموقراطية يستغل الشعب وتوضع السلاسل فى عنقه من أجل تحقيق منفعة عدد قليل تجمع وتآمر لكى يتمتع بالسلطة والسلطان وليثرى ويستغل نفوذه » .

وفى العيد العاشر للثورة قال **عبد الناصر** ، «الديموقراطية الاشتراكية هى ديموقراطية الشعب الذى يعمل ، الشعب العامل الذى له الحق فى ناتج عمله وله الحق فى بلده .. ديموقراطية الشعب العامل الذى صمم على ارساء العدالة الاجتماعية والذى صمم على نقل ملكية وسائل الانتاج الى الشعب والتخلص من الاستغلال الاقتصادى والاجتماعى والسياسى ، والذى صمم على ان يعزل الرجعية ولا يتحالف معها ولا يضعها ضمن اطار اتحاده الاشتراكى العربى » .

وفى مؤتمر القوى الشعبية عام ١٩٦٢ قال **عبد الناصر** : « والرجعية تتشكل وتتلون لكى تخدع العناصر الوطنية فاذا وجدت الفرصة تنقض لا تتوانى بل انها تعمل دائما على ان تنقض لتسلب الدولة وتسيطر عليها ثم تستخدم الدولة لارهاب العناصر الوطنية ، ولارهاب طبقات الشعب العاملة . هذه هى الغلطة التى تنبهنا اليها فى الاتحاد القومى » .

وقال كذلك « ان الفكر الثورى فى تلك الفترة « ما قبل الاتحاد الاشتراكى » وقع فى الخطأ حين توهم أن الطبقة المحتكرة التى كان لابد أن تسلبها الثورة امتيازاتها الاستغلالية يمكنها أن تتقبل

الوحدة الوطنية مع قوى الشعب صاحب المصلحة في الثورة » .

وفي خطابه عام ١٩٦٣ في احتفالات السد العالي قال :

« ان الرجعية والاستعمار يعتمد على بعض أعوانه في البلاد العربية حتى تتدعم الرجعية لان الرجعيين في البلاد العربية يعتبرون انتصار العدالة الاجتماعية وتحقيق الاشتراكية معناه القضاء على الرجعيين قضاء تاما في جميع أنحاء المنطقة العربية »

هذه بعض تجارب الثورة الرائدة بلورها عبد الناصر في وضوح ، وستبقى تضيء معالم الطريق الوطني لبناء الاشتراكية .

ان مطالبة قوى الرجعية بقيام الاحزاب تؤكد ما قاله عبد الناصر من انهم لايقبلون الوحدة الوطنية مع قوى الشعب العامل . لقد انهى الرئيس السادات العزل السياسي ، كما قرر الغاء شرط عضوية الاتحاد الاشتراكي للترشيح ، وتولى المناصب القيادية ، وانعدم التمييز بين قوى الثورة وقوى الثورة المضادة . ومع ذلك فهم يرفضون الاتحاد وينادون بالاحزاب .

واننا نتحفظ على عدم التمييز بين قوى الثورة والثورة المضادة لان جواز ذلك في رأينا مشروط بقبولهم لمبادىء الثورة والتزامهم بالتحالف . اما عن الحزبية والاحزاب فيكفي أن نورد ما قاله **الرئيس السادات في كتابه معنى الاتحاد القومي .**

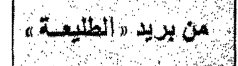
«.فقد يقال لماذا لم ينص الدستور على حرية تأليف الاحزاب مثلا بدلا من الاتحاد القومي ويكفينا الرد على هذا نقطة واحدة . فمعنى تأليف احزاب انه سوف يوجد أكثر من حزب وسيكون لكل حزب وجهة نظره الخاصة في مختلف قضايانا الخارجية والداخلية .. وطبقا لنص الدستور سيكون من حق حزب كهذا أن يزاول نشاطه ويصدر صحفا ويعقد اجتماعات ويدعو لرأيه بكل مافي طاقته من قوة ،ولا يستطيع كائن من كان أن يعترض على شيء من هذا .. تماما كما كان يحدث أيام الملك .. ومعنى وجود حزب كهذا أنه لم يكن ثمه داع لقيام الثورة أصلا . معناه ان الدستور يتنكر لكل الخطوات الحاسمة التي خطاها شعبنا . معناه ان نعود الى الوراء . وقد يقول قائل أيضا لماذا لم يسمح الدستور بتجربة قيام الاحزاب داخل نطاق مقاومة الاستعمار والحياد الايجابي ؟ وهذا القول يعد في حد ذاته لغوا . فمعنى هذا ان يسمح الدستور [بحريه] قيام الاحزاب ، وفي نفس الوقت لا يسمح لها بحرية برامجها . بمعنى انه يأخذ باليمين مايعطيه باليسار ، لانه يوجد الاحزاب وينفي وجودها في نفس الوقت . وحتى اذا فرضنا جدلا وحدث هذا فايه قيمة لتعدد الاحزاب في ظل برنامج واحد،ثم من الذي يراقب الاحزاب ليرى ان كانت تعمل داخل هذا النطاق أو تعمل خارجه . ومن الذي يتولى عقابها او الغاءها أو لفت نظرها ؟ الا يعد هذا حينئذ مهزلة ؟ » .

وما أشبه الليلة بالبارحة ، وخاصة بعد زوال مرحلة الاتحاد القومي وبداية مرحلة الثورة الاجتماعيه لبناء الاشتراكية وقيام تحالف قوى الشعب العامل ..

الميثاق هو دليل العمل وهو ليس قيدا على الثوره بل سلاحا لها . والاشتراكية هي الهدف واتحاد قوى الشعب العامل هو قوه الدفع الثوري . وعلى هذا الاساس نمضي على الطريق، نصحح الخطأ ، ونستكمل النقص ونلتزم بالمبادىء وننفذها بحق ، ونقول للخارج عليها قف من أنت ؟ ونرسي قواعد الديموقراطية الاشتراكية .

ان الرجعية المصرية اضعف من ان ننصب طوبها وهامي على المكشوف تستند على ذراع الاجنبي . فلا ينخدع أحد بشعاراتها عن مصر والوطنية وعن الحرية والديموقراطية فهي تزييف وخداع ، وليس أخطر على الثورة من الانزلاق الى الليبرالية .





من بين الرسائل العديدة التى تلقتها « الطليعة » خلال الشهر الماضى من قرائها ، نقدم فى هذا العدد بعض النماذج لعلها تعطى صورة لحقيقة الحوار الذى يجرى فى أوساط الجماهير التى تستطيع أن تجد الرأى الصحيح ، لكن رأيها لا يجد سبيله للنشر . نقدم خمسة خطابات احدها من مقاتل فلسطينى جريح والاخر من مقاتل مصرى من مقاتلى حرب اكتوبر ، وخطاب من عامل وآخر من فلاح اما الخطاب الخامس فهو من كاتب اردنى .

افتعال الخلافات يضر بالوحــدة الوطنية

جاءنا من أحد الاخوة الفلسطينيين فى سوريا الخطاب التالى نقتطف منه الفقرات التالية :

لقد جذب انتباهى النقــاش الدائر على صفحات العدد [١١] و [١٢] من مجلتكم حول الماركسية والالحاد .ولعل الجدل الدائر حول هذه القضية المجردة ما كان له أن يستقطب اهتمامى لولا الجانب العملى له ، ولما قد يتمخض عن هــذا الجــدل النظرى من اثار سياسية واجتماعية سلبية .

ومع اننى لا أرغب فى أن يستمر الجدل حوله فترة أطول من اللازم .. ومع أننى أرى أن اثارة هذه القضية قد تكون خاطئة وضــارة وطنيا وفى هذه المرحلة بالذات كيــلا يستفيد من ذلك المغرضون . وبان حسم هــذا الموضوع ليس بالامر السهل ولو على صفحات الكتب والمجـلات ، الا أننى وجدت فى تجربتى الشخصية ما قــد يخفف من حدة النقاش الحامى الوطيس .. فأنا انسان مسلم وماركسى وان كان هــذا فى نظر الـكثيرين أمــرا لا [يركب] على عقــولهم ، الا أننى اشعر بالانسجام التام فى جمعى وتوفيقى بين الماركسية والاسلام . فأنا بايمانى وضميرى واخلاقى بمشاعرى وأحاسيسى وسلوكى مسلم صحيح ، وبوعيى مسلم وماركسى . فالماركسية علم فهل ثمــة ما يضير المسلم فى أن يؤمن بنظريات علم الفيزياء أو الكيمياء والفلك والاحياء والنفس والتى هى الاخــرى تــدرس العالم كما هو موجود ؟ أقول : أفلا اقدم بتجربتى الذاتية عينة حية وملموسة ؟ وذات فائدة وما قد يلقى على القضية ضوءا ما ؟

ومن هنا أرى أن التركيز على ــ وابراز ــ الصراع والخلاف على وحول الايمان أو الالحاد و.. و .. الخ ..على حساب قضــايا التحرر الوطنى والتقــدم الاجتماعى واثارة الموضوع بهذه الطريقة أمر يقصد من ورائه ــ فيما يقصد ــ تمرير أمور خطيرة منها : أولا تحويل الانظار عن العدو الحقيقى الى عدو رهمى . بحيث يصبح العدو صديقا والصديق عدوا وهــذا يسمى احيانا جنونا او انتحارا . وبلباقة اكثر اونكيشرنية .

ثانيا ــ اخفــاء الصراع السياسى والاقتصادى . وثالثا ــ التستر خلف شعار الدين لاخفاء الجرائم السياسية والاقتصادية المرتكبة بحق الشــعوب والظهور بمظهر الحمل الوديع وبنفس الوقت تحميــل القــوى الوطنيــة والديمقراطيــة المســئولية لمحــاولة اسقاطها سياسيا وبالتالى لشن هجمة اقتصادية عليها .

ومن هذه المنطلقات وخوفا من الوقوع فى فخاخ الاستعمار أو فى الالتباس . فأنا أبعد بينى وبين الاخر وجهة النظر الفلسفية وابحث عن أوجه التــلاقى

الوطنية والسياسية والاقتصادية وهكذا التقي مع المسيحي واليهودي والبوذي والملحد الذي يقف الى جانب تضيني الوطنية و ... و ... الخ .
مع كل من يقف ضد الاستعمار واسرائيل . الى جانب بناء الاقتصاد الوطني والديمقراطي . ضد التخلف والجهل والاستغلال .
ومن ناحية أخرى أرى أنني وكافة الناس نعيش ونتصرف ، نحس ونشعر ونفكر ونعمل حسب تربيتنا وما تمليه علينا الظروف والرغبات والمصالح الاقتصادية واخيرا حسب معتقداتنا.. ومن ناحية أخرى أرى أن ايماني بالله وتمسكي بروح الاسلام يمدني بطاقة لعمل الخير . للنضال ضد الاستعمار واسرائيل وعملائها وضد الاستغلال والظلم بكافة أشكاله وأينما كان . وان التقي مع كل من يعمل من أجل نفس الاهداف مهما كان دينه أو معتقده ..
وأخيرا أسأل من يريدون تنصيب أنفسهم قضاة جددا لمحاكم تفتيش مكارثية . من رأيهم في ؟
— تقييم حرب تشرين التي خضناها ضد اليهود المؤمنين بالله والذين جندتهم الصهيونية لمحاربتنا ؟
— استشهاد ماركسيين وملحدين أعرفهم شخصيا في حرب تشرين والتي اصبت فيها ولا أزال حتى اليوم مقعدا بسببها ؟ هل كل هذا باطل في باطل ؟؟
— علمت مؤخرا أن مسلمين من طوائف مختلفة قد قاتلوا ضدنا في حرب تشرين مع الجيش الاسرائيلي .. فهل تالهم حق لكونهم مسلمين ؟؟ . كما علمت من القادمين من الضفة الغربية أن عربيا فلسطينيا ومسلما ويصلي ايضا قد قتل في الحرب فهل تلتقون معه وتعتبرونه شهيدا له الجنة في حين يعرف الجميع أن مئات من رجال المقاومة والذين استشهدوا هم ماركسيون بعضهم ملحد هل نعتبرهم كفارا تتوجب علينا محاربتهم وان لهم النار ؟؟ .
وأخيرا ما رأيكم أن نطلب من شركة أمريكية الكترونية جهازا يصنعونه لكم خصيصا لفحص الايمان والحكم على ما في الصدور فربما تكون هذه الشركة هي وحدها القادرة على تصميم مثل هذا الجهاز .
وفي الختام أرجو المغفرة من الله سبحانه وتعالى . وشكرا لمجلتكم اذا تفضلت ونشرت لي هذا الحديث وعلى مسئوليتي .

فتحي رشيد

دمشق — مخيم اليرموك

قرار تسعير العسل الأسود

النتائج والمحاذير

أصدرت الحكومة في آخر عام ١٩٧٤ قرارا بتسعير العسل الاسود بسعر سبعة وثلاثون جنيها ونصفا للطن ، معبأ بتسليم المصارات .
ويعد هذا القرار — الخطوة الثالثة — في محاولة الحكومة تطويق مشاكل صناعة السكر في مصر والقضاء عليها .. ولكن لكي نعي تماما اهمية هذا القرار ، لابد أن نتطرق سريعا الى الخطوات التي اتخذتها الحكومة من قبل في هذا السبيل .. وأهمية القرار الثالث بالنسبة لهذه الخطوات ؛ التي تمت كلها في النصف الثاني من عام ١٩٧٤ . فقد وجدت الحكومة أن ازمة صناعة السكر في مصر قد وصلت ليس الى حد ندرة السكر في السوق وارتفاع سعره فقط ، بل الى تهديد مباشر للصحة بالنسبة لاغلب السكان . والغريب انه اثناء البحث عن علاج لهذه الصناعة التي تعتبر من أقدم الصناعات المصرية وأكثرها كفاءة نادت بعض الاصوات باغلاق بعض المصانع

التى تحقق خسائر . ومصنع السكر بأبو قرقاص » . وفى المقابل كانت هناك أصوات أخرى أمينة ومخلصة تطالب بضرورة البحث عن الاسباب ، وعلاجها ، وبالطبع أخذت الحكومة بالرأى الثانى ، وكانت أسباب الازمة ما يلى :

١ ــ ان عدد العصارات قد ارتفع من سنة ١٩٦٥ حتى ١٩٧٣ بما يوازى خمسة أضعاف العدد الذى وصلت اليه من يوم أن عرفت مصر هذه الصناعة ــ فى أواخر القرن الثامن عشر ــ حتى عام ١٩٦٥ وان معظم ملاك العصارات الجديدة هم من كبار زراع القصب .

٢ ــ ان سعر القصب الذى تتسلمه شركات السكر وكان يتراوح مابين جنيهين ونصف الى ثلاثة جنيهات للطن لم يعد مجزيا بالنسبة للزراع فى ظل الارتفاع الكبير الذى حدث فى سعر مستلزمات الانتاج والعمالة .. مما ترتب عليه ، اما امتناع الزراع عن زراعة هذا المحصول اساسا . أو بيعه لاصحاب العصارات . أو انشاء عصارات خاصة بهم .

وفى محاولة لعلاج هذه الاسباب .. صدر القرار الاول .. بوقف الترخيص بانشاء عصارات جديدة ثم صدر القرار الثانى برفع سعر القصب الذى تتسلمه الشركات الى خمسة جنيهات للطن .

ورغم .. ايجابية هذه الخطوات الا انها لم تكن كافية ــ بالفعل ــ لحل المشكلة .. ذلك لسبب بسيط ، وهو ان العصارات دخلت فى منافسة غير شريفة وغير متكافئة مع مصانع السكر . لان سعر المنتج النهائى وهو « السكر » للشركات مسعر فى حين أن سعر المنتج النهائى للعصارات وهو « العسل الاسود » غير مسعر . مما دفع اصحاب العصارات الى المغالاة فى رفع سعر القصب ــ حتى وصل الطن بالفعل الى ثمانية جنيهات ــ وهم مطمئنون الى رفع سعر العسل كما يريدون بما يعوضهم الزيادة فى سعر « المادة الخام » ووصل سعر طن العسل الاسود الى مائة وعشرين جنيها .

وتركزت النتائج المباشرة للمشكلة فيما يلى :

١ ــ عدد كبير جدا من العصارات يستنزف بالفعل انتاج أكثر من ٣٠٪ من المساحة المنزرعة .

٢ ــ أن ٩٠٪ من اصحاب العصارات الجديدة هم من كبار زراع القصب .

٣ ــ انخفاض كبير سنة بعد اخرى فى المساحة المنزرعة بالقصب . ذلك لان صغار الزراع ومتوسطيهم كانوا اوقفوا تعاملهم مع الشركات . ولم تستطع العصارات أن تستوعب كل انتاجهم لان اغلبها تفرغ لتصنيع منتجات صاحبها . مما ترتب عليه احتكار فى الانتاج والتصنيع لكبار الزراع وبالتالى فى التسويق .

٤ ــ نقص رهيب فى كميات السكر .

٥ ــ ارتفاع فاحش فى أسعار العسل الاسود .

.... بعد ذلك . وامام هذه المشاكل الفرعية . جاء قرار تسعير العسل الاسود ويمكننا بعده ان نقول بمنتهى الصدق والموضوعية . ان المشكلة تم علاجها جذريا .. دون ظلم لاى طرف من الاطراف ..ذلك لو اعتبرنا أن متوسط انتاج فدان القصب من العسل الاسود هو ستة أطنان .. فان قيمة ناتجه تصبح مائتان وخمسة وعشرون جنيها .

واذا اعتبرنا ان متوسط انتاج فدان القصب هو ثلاثون طن. فانه يمكن لاصحاب العصارات أن يشتروا القصب بسعر ستة جنيهات للطن . مما يحقق لهم عائدا معقولا بعد خصم تكاليف الانتاج . وان كان هذا السعر يمثل ميزة لهم عن سعر شركات السكر . الا ان التيسيرات التى يمنحها بنك التسليف للزراع المتعاقدين مع الشركات يمكن أن تعادل تلك الميزة . ولعلنا بعد ذلك يمكن ان نتبين النتائج التى لابد أن تحققها تلك القرارات الثلاثة .

١ – انها احدى الخطوات التى تمثل محاولة الحكومة فى حصار رأس المال الطفيلى الذى نما على حساب صناعة السكر فى مصر . والذى لم يكن له هم سوى ضرب شركات القطاع العام التى تعمل فى هذا الانتاج .

٢ – انها اثبتت بالفعل انها تفى بما تعهدت به وهو معالجة مشاكل التنمية فى مصر بما يتفق مع مصالح الاغلبية الساحقة من الشعب . بعد سنوات من الارتجال والتخبط .

٣ – أن مساحة القصب بدأت – بالفعل هذا العام – تعود الى حجمها الطبيعى بعد ان اصبح السعر مجزيا – نسبيا – وما يترتب عليه من زيادة انتاج السكر وتوافره

٤ – أنه يمكن أن نطالب بعد ذلك من شركات القطاع العام – دون تعسف – أن تثبت قدرتها على المنافسة مع القطاع الخاص .. وسوف تظهر نتائج تلك المنافسة واضحة للشعب لاختلاف أهداف الانتاج بينهما ففى حين أن اهداف الانتاج فى القطاع العام تتجه لاشباع حاجات الجماهير وخدمة قضية التنمية .. يتجه الثانى لتحقيق اقصى قدر من الثراء الشخصى على حساب اى الاشياء وكل الاشياء .

٥ – انخفاض سعر العسل الاسود ، وبالتالى انخفاض اسعار المنتجات التى تعتمد عليه ، ورغم كل ذلك . فان هناك مجموعة من المحاذير تظل قائمة . ولا بد من التيقظ لها حتى تعطى هذه القرارات النتائج المرجوة والمتوقعة لها . وهذه المحاذير تتمثل فيما يلى :

١ – الخوف من ان تتكتل مجموعة اصحاب العصارات الجديدة . وهم من المنتجين الكبار للقصب – ولا أحد يستطيع أن ينكر ثقلهم .
ولقد بدأت بوادر هذا التكتل تظهر بالفعل . بحجة عدم مناسبة السعر . أو انهم اتفقوا مع المتعاملين معهم – فى بداية هذا الموسم . على أساس الوضع القديم الذى كان قائما . وانهم فوجئوا بهذا القرار .

٢ – ان القرارين الاول والثالث يظلان حبرا على ورق اذ لم تصاحبهما رقابة فعالة وصارمة ، خاصة وأنه ما زالت حتى الان هناك عدد كبير من العصارات يعمل بدون ترخيص .. وانه تلا هذا القرار بعض القرارات الاستثنائية التى لم نكن نود أن تكون ، وبالذات لان اسبابها كلها ، كانت شخصية .

٣ – ان شركات السكر اذا لم تستجب لكل النداءات المخلصة التى توجه لها بتبسيط اساليب التعامل مع الزراع الموردين . والنظر اليهم باعتبارهم طرفا فى عملية انتاجية واحدة . وليسوا ملزمين باستمرار هذه المشاركة .. فان الزيادة فى السعر لن تكون دافعا لمزيد من التعامل معها .

بقى أن نقول أنه وان كنا ما زلنا نطالب برفع سعر القصب لعدم مناسبة هذا السعر مع العائد من هذه الصناعة – حيث لم تتجاوز تكلفة كيلو السكر بعد الزيادة الاخيرة فى سعر القصب ثمانية واربعين مليما – الا ان هذه الزيادة المطلوبة لابد أن تتم وفق سياسة عامة لرفع سعر جميع المحاصيل الزراعية الاساسية . بما لا يترتب عليه وجود ميزة نسبية لمحصول على حساب محصول آخر .

جمعه عبده قاسم

ماجستير فى الاقتصاد
مقاتل شارك فى حرب اكتوبر

موقــف العمـــال من التخـــريب

يحاولٓ اليمين الرجعى وممثلوه ، الاخسرون اعمالا ، الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا .. أن يظهروا عمال بلادنا بمظهر المخربين بغية الوقيعة بينهم وبين السلطة الوطنية فى هذه المرحلة الصعبة التى يواجه خلالها شعبنا المصرى البطل تحديات الاستعمار والصهيونية ..

وبفضل هذه الوقيعة وما تسببه من زلزلة فى جبهة الوطنية المصرية ، ســـوف يرفع اليمين رأسه ليأكل كعادته الشوك بحنك غيره .. ومن ثم يسترد ســـطوته قاتلا فى تبجح .. هـــذه بضاعتنا ردت الينا ..

ولكن هذه الوقيعة لن تمر فى ساحتنا الوطنية دون أن تجهض بفعل محتواها الكاذب والمضلل والذى لا يصمد فى مواجهة الحقيقة التى تثبت أن العمال هم وحدهم القوى الرئيسية المنتجة فى المجتمع ، مما يجعلهم يحترفون صناعة الحيـــاة التى تكسبهم طبيعة معاداة التخريب والمخربين يشهد بذلك تاريخ الوطنية المصرية عموما الذى يؤكد أن العمال المصريين ابتداء من العقد الاخير فى القرن الماضى قد خاضوا العديد من الاضرابات والاعتصامات والمظاهرات فى مواجهة ســـلطة الاحتلال وسلطة تحالف الاقطاع ورأس المـــال دون أن ينسب اليهم حادثة تخريب واحدة حيث كان العمـــال يحرصون على السلامة العـــامة للارواح والاموال بتنظيم الحراسة المشددة على المصانع والالات أثناء معاركهم وذلك حتى يتم تسليمها للبوليس بمحضر رسمى يسجل فيـــه بصراحة ثبوت سلامتها العامة ..

وان معاداة التحريب لا تخص العمال المصريين وحـــدهم ، بل تخص جميـــع عمـــال العالم بدليل وجات الاضرابات المستمرة والمتلاحقـــة التى تعم أرجاء العالم ، ويشترك فيهـــا ملايين العمال بدون أن يرميهم احد بسبة التخريب ..

ولهـــذا فان أية مظاهرة عمالية تســـتهدف مطالب معينة لا تتخطى سلميتها الا بفعل قوى غريبة ومخربة كما حدث فى مظاهرات عمـــال مدينة شيكاغو الامريكية فى أول مايو عام ١٨٨٦ التى تمت بضمانة عمدة المدينة . ومع هـــذا اندس فى صفوفها بعض مخبرى البوليس الذين القوا بعدد من القنابل على رجال الشرطة ، مما أدى الى محاكمات العمال واعدام أربعة منهم ثم ظهرت الحقيقة من خـــلال اعتراف كنسى وجنائزى ادلى به رئيس بوليس المدينة عندما حضره الموت . وعلى الفور توالت احتجاجات العمال فى العالم مما اضطر الحكومة الامريكية الى اعادة المحاكمات وتبرئة العمال ولـــكن بعد أن أعدموا .

ومن ثم، فالعمال ليسوا أعداء للتخريب فقط ، بل هم أعداء كذلك للتآمر لانه اذا كان التخريب يهدر جهدهم وعرقهم وما صنعته أيديهم ، فان التآمر يهدر حياتهم وشخصيتهم الانسانية .. وهذا يعنىٓ استمرارية هذا العداء الذى لم يكن فى أى وقت ما مجرد مزاج عمالى ، بل هـــو فكر عمالى يضفى على العمل الانسانى ومنشآته ومصانعه حبا واحتراما وقداسة ، وذلك لكون هذه المنشآت وتلك المصـــانع ، وما أثمرته من خيرات تعتبر المصـــدر الوحيد لرزق العمـــال المباشر وغير المباشر . ولكونها أيضا مصدرا لحاجات بشرية غير محدودة ، وفى رحابهـــا يحقق العامل ذاته ، وطموحـــه المهنى والفنى فتنطلق طاقاته وملكاته المبدعة .. بالاضافة الى أن ملكيتها سوف تعود للكادحين عموما مع تطور الحياة والمجتمع ..

ولعل هذا يوضح موقف العمال من التخريب الـــذى هو حرفة اليمين الرجعى ، وممثـــلوه الاخسرون أعمالا ، الذين يدبرون حريقا جديدا فى حياتنا الوطنية مستفيدين بخبراتهم السابقة فى تخريب حركة الجماهير الشعبية وفى تخريب كفاحنا المسلح فى القنال وفى خنق محاولة قيام اتحادنا العام للعمال فى نفس العام متآمرين فى ذلك كله مع سيدهم الملك السابق فاروق وأجهزته الخائنة والمشبوهة .

١٩٧٥/٢/٨

عطيه الصيرفى
عامل بأتوبيس وسط الدلتا

● مـــاذا يريـــدون ...؟

لقد قامت القوى الرجعية في الفترة الاخيرة بحرب شعواء مدبرة ، تساندها المخـــابرات المركزية الامريكيـــة ، لكي تضرب حركة التقـــدم العربي والمصرى بوجـــه خـــاص ، ولكي تعوق مســـيرة التـــاريخ .. وأقول تعوق ولكنهـــا لن تستطيع ارجاع عجلة التاريخ الى الخلف مهما حاولت ذلك .. وهناك فشلها فى آســـيا .. وفى كوبا .. وفى أمريـــكا اللاتينية نفسها . حتى شيلى والارجنتين وبوليفيا .. لان طريقة الصيد فى الماء العكر قد أصبحت أمرا غير مجهول الان .. حتى ولو كان مجهـــولا يـــوم تدبير حادث مقتل السردار السير لى ستاك عـــام ١٩٢٤ فى مصر .. لان الفـــكر الاســـتعمارى واحـــد والفرق هو فى أسلوب التنفيذ وليس فى الهدف .

واليـــوم نرى العجب .. في ظـــل التنظيم السيـــاسي .. نرى الســـوق السوداء فى كل شيء .. كل الســـلع لا تصل الى الرجل العادى الا بشـــق الانفس .. وبعد الموت .. وعلى سبيل المثـــال .. الفراخ « أقســـم بالله اننى أسمع عنها فقط » ، عندما تأتي الى احد فروع الجمعيات الاستهلاكية يقوم السيد المدير بالاتصـــال بالتليفون بالسيد فلان .. وعلان .. لمعرفة ما هو فى حاجة له ومنهم بالطبع مدير التموين وأعوانه .. ويترتب على هذا الاتى :

[١] الفرخة التى ثمنها ٤٥ قرشـــا مثلا ، يحصـــل عليها المواطن الذى يبلغ مرتبه الـــ ٥٠ جنيها .. والفرخة التى ثمنها ١٢٥ قرشـــا ، تكون من نصـــيب المســـكين صـــاحب الـــ ١٢ أو عشرة جنيهات .. وقس على هذا باقى السلع فكم يرتفع دخل الانسان المحترم .. وكم ينخفض دخل المسكين مع أولاده .. فى نفس الوقت الذى قامت فيـــه الرجعية باغراق الســـوق بالملابس المســـتوردة وعربات البيجو ، وارتفع ســـعر المتر من الارض الفضـــاء فى مصر لمئـــات الجنيهات ، والشقة لاكثر من ٢٠ الف جنيه .. كل هذا فى نفس الوقت الذى تذهب فيه أموال الشعب للضياع فى كل مكان ، سواء كان بالتخريب أو الاهمال المتعمد كما جاء فى برنامج كلمتين وبس يوم ١٩٧٥/١/٤ .. على لسان الاستاذ فؤاد المهندس .

وفى نفس الوقت نســـمع التهليـــل والتكبير للملايين القادمة من امريكا وغير أمريكا .. وهذا هو تخريب الفكرة من الداخل ما دامت عاجزة من المواجهة ، وهنا تعاونها قوى رجعية لها خبرة ولها دراية بأرض الصراع .. فعندما ذهب طبيب الوحـــدة الى الفلاح ، وكانت له تطلعات طبقية ، واستغل الفلاح ، كانت الرجعية تصور لهذا الطبيب انه هناك فى الريف للعقاب .. وتصوره للفلاح على انه بكل جشعه واستغلاله وتفريقه فى المعاملة بين العمدة والعامل الزراعى المسكين ، تصوره على انه يمثل الثورة ، ورغم انه كان هناك بعض الشرفاء .. كانت الرجعية تحـــاربهم هم ايضـــا بأن تصورهم عاجزين أمام الفلاح .. وبعد ذلك جاء دور المشرف الزراعى .. ومافعله مع الفلاح .. وكانت الرجعية حريصة كل الحرص على أن تنهب حق الفلاح البسيط وبعد ذلك تقول له باكية لقد ظلمتك الثورة .. ومع كل هذا لم يكفر الفلاح بالثورة .. ولـــكنه عرف الاشياء بأسمائها ...

من نفس هذا المنطلق تقوم الرجعية الان باحياء نفس المخطط القـــذر ، لكى تسىء الى القوى الوطنية المناضـــلة فى سبيل الفلاح والعامل ... قوى اليسار

.. وتنســب اليهــا حوادث الشــغب والمظاهرات ، مستغلة مشاكل الاقتصاد المصرى التى يعرفهــا رجل الشــارع العادى .. لكى تدفع بعناصرها لتدمير القطاع العــام والخــاص بغير وعى أو ادراك .

وشعبنا رغم كل شيء يعرف من هم الــذين وراء هــذه المظــاهرة ...

وعلى الرغم من ان هناك تناقضــات فى بعض حالات التسيب فى المال العام وعدم الحزم فى المحاسـبة .. وهناك فارق شاسع فى مستوى الدخول .. وهنــاك ظاهرة الاثراء الفــاحش فى مشاريع الاستهلاك واستيراد الكماليات

الا ان هذه الامور لا تعالج بالتحطيم ولا بالطوب ، لان اليســارى يدرك ان القطــار والاتوبيس المدمر لن يدفع ثمنه الوزير ولا المدير .. ولن ينقص هذا من راتبه أو بدلاته شــيئا .. ولكن الذى سيدفع هو العامل المسكين الذى يعود من وردية الليــل يرتعــد من البرد .. والفلاح الذى يصارع البلهارسيا ويعيش على اللفت والبصل كغذاء أساسى حتى الآن ...

اليسار الحر المؤمن بمصر .. مصر الخالدة .. لا مصر الشعارات .. يدرك كل هذا .

ولكن عندما يقوم ادعياء الايمان ... واصــحاب حرية الصــحافة الخاصة ليحكموا على هذا بالايمان وعلى هــذا بالكفر .. وذاك ملحد شيوعى ماركسى يرحــل الى جهنم .. وذاك مؤمن يملك عشر عمــارات .. وكــذا فــدان ، ومستشفى خاص يتصدق فى المواســم والاعياد .. يذهب الى الجنة .

يا سبحان الله ، لقد اتخذوا من الدين ستارا لهم ، وأعادوا لنا عصر محــاكم التفتيش الدينية ، ومحــاكم الارهــاب المكارثية .. ولقد نسى أحدهم أنه ــ وهو الــكاتب المشــهور وعبقرى القــرن العشرين ــ قد قال عن فاروق فى خلافه مع الوفد ، بصرف النظر عن هذا وذاك الان .. المهم ان السيد المحترم قائل هذا .. « لكن الملك ليس انسانا عاديا كما يتصور الانســان . ان قلبه الكبير ونفسه العالية ، وخلقه الكريم ، انبل من نفوس البشر العاديين » .. سبحان الله .. لقــد رفع الملك الذى كتب عنه كتابا كاملا لنفس العبقرى .. يشرح فيه فضــائح الملك بعد قيــام الثورة .. ولا يعنينى هنــا الملك أو النحــاس .. ولكن الذى يعنينى هو أسلوب النفاق .. ولكل مقام مقال ...

وهناك مأســاة الدكتور احمد بدران .. لقد تتبعتها فى الاخبار .. والطليعة ولى عنده سؤال .. لماذا يرفع اليمين قميص عثمــان ؟ .. ومن الذى قال ان ماركس نبى ؟ .. ومن الذى يســتطيع ان يقول هــذا مؤمن يدخــل الجنة .. وذاك ملحد يدخل النار ؟ .. وهل فى الاسلام هذا الوضع ؟ .. ومتى كان ؟

واخيرا لمصــلحة من هــذا الصراع الجدلى العقيم ... ؟

أنا رجل فــلاح مؤمن بالله .. وبكل الكتب والاديان .. كل الاديان ، وأدرك ان الفكر الماركسى لا يناقض العــدالة التى أنادى بها كمسلم ...

ومطالبى هى الاتى :

[۱] حرية الانسان فى الفكر والعمل .. بمعنى ان أدرك ان فكر الانســان شيء نابع من ذاته .. وبمعنى ان يكون ناتج عمله عائــدا عليه وليس عائــدا لغيره ...

[ب] أريد له المسكن المناسب مع انسانيته .. والملبس والمأكل ...

[جـ] لا أريد ان يكون هناك فرد يملك آلاف الجنيهات يستثمرها فى عرق ودم المئات .. بينما هم ضحايا الحاجات الضرورية .. والمسكن لمن هو فى حاجة له .. العلم للجميع بغير تجارة كتجارة المذكرات ، والدروس الخصوصية ...

[د] العلاج ملك للشعب ، لكل الشعب ، فلا يكون الكشف أقل كشف هو مبلغ جنيه على الاقل .. وطبيب يرفض علاج مريض .. مجلة « روز اليوسف » العدد ٣٤٣٠ فى ١٩٧٥/١/٦ — ص ٥٩ .

[هـ] ان تكون السلع فى متناول الوزير والخفير ، لا فرق بين هذا وذاك

[و] ان تكون هناك مساواة بين الفلاح وابن الاكرمين ، كما فعل **عمر ابن الخطاب** .. هل تعرفه ... ؟

أريد تطبيق الحديث الشريف [لا يؤمن أحدكم اذا بات شبعانا وجاره طاو] .. لا أريد غير هذا .. أما ان يكون هناك تاجر السوق السوداء .. ومقاول يسرق عرق العمال والفلاحين .. وبعد هذا يبنى عشرات العمارات .. وبجانبها مسجد .. ويقوم بتوزيع الصدقات فى المواسم والاعياد .. فهذا ما لا أقبله .

ولستم أول من تاجر بالدين .. فأولكم معاوية ... ولست أكفر معاوية .. حاشا لله .. ولكنه مجرد رأى .. هذا ما أريده ، وبعد ذلك سمه ما تشاء .. ومهما يقال عن اليسار .. فهذا لن يخدع الشعب المصرى بأى حال من الاحوال .. ومن يناضل من أجل الحق لا يرهبه الموت مهما كانت الاسباب ...

وعندى كلمة لليسار من منطق الاخوة والولاء لمصر ، وللكادحين المطحونين فى أرض مصر .. أنا مع الاستاذ **توفيق الحكيم** « مع اختلاف الفارق » ، انه لابد من وجود خط فكرى واضح ، ولابد من النزول الى رجل الشارع مع وضع حد لخرافة الالحاد مع الاشتراكية .. وتحديد برنامج واضح للجميع من خلال منبر الحرية ، لكى لا ندع للرجعية فرصة تعكير المياه من جديد .. نريد ان نقول للفلاح والعامل .. هذا ما نريده :

— حماية القطاع العام من الرجعية فى الادارة ومحاربة لصوص المال العام
— وضع حد للملكية الزراعية .
— وضع حد أعلى للاجور .
— وضع حد لبعض الامتيازات .
— تأميم الطب .

ومثل هذا .. علما بأن هذه الامور لن يكتب لها النجاح بغير ايمان الجماهير بها .. وتحويل هذا الايمان الى طاقة قوة منظمة .. تعمل لمصلحة الكل لا الفرد .

نريد العمل بالايمان .. لا مجرد كلام يقال .. لان سفسطائية الجدل قد راح عصرها .. بعد ان تخطينا عصر سقراط بمراحل ...

هذا هو مطلبى من رفقاء فكر واساتذة معرفة اتعلم على ايديهم حروف الهجاء فى كتاب الفكر .. ولا خوف على هذا الشعب ، لان هواء ثورة ٢٣ يوليو قد شفاه من كل أمراض ضيق التنفس .. والشعوب لا تموت ابدا .

مع جزيل الشكر ....

متولى حسين الجندى

فلاح — السبع آبار الشرقية
مركز الاسماعيلية

مصــــريون .. أم عـــرب ؟

منذ أمد طويل وأنا أفكر بأن أكتب لاحدى المجلات المصرية ، وذلك لاوضح ما يجول بخاطرى ، ويشغل تفكيرى . ولما كانت الطليعة ، قد تحولت الى منبر رأى حر ، تنشر الاراء جميعا على صفحاتها التى تزخر بالحرية والفكر ، فقد رأيت أن أبعث لكم بمقالى هذا ، راجيا نشره عملا بحرية الصحافة :

« مصريون انتم ام عرب ؟ » هذا هو السؤال الذى يلح على كثيرا ، ويؤلمنى كثيرا . فالفكرة الشائعة فى الاوساط الثقافية فى الاردن - واعتقد فى سوريا ولبنان - ان لدى المصريين اقليمية قاتلة . ويتجلى ذلك واضحا فى الصحف والمجلات والكتب الصادرة فى مصر وافكار الكتاب المصريين ذاتهم . فالمجلات والصحف المصرية لا تنشر الا الاقلام المصرية ، والافكار السائدة فى مصر تدور فى ضمن هذه الاطر :

- فكرة انحدار المصريين من الفراعنة وعدم تاثير العرب عليهم . رايى ان العرب ما هم الا مستعمرون - الفكرة السائدة .
- الافكار الماركسية والحزبية الاخرى .
- مصر المصرية الافريقية .

وهكذا نرى ان فكره لقومية العربية ، اوفكرة القطر المصرى ضمن الكل العربى ، منعدمة الى ابعد الحدود . وهذا شىء مخالف جدا للافكار السائدة فى بلاد الشام - القطر الاردنى والسورى واللبنانى والفلسطينى - شعبيا . فاننا نجد ان فكرة القومية العربية سائده أولا فى مختلف الاوساط وخاصة الاوساط الادبية . وذلك يتجلى بوحدة النشر فى الصحف الصادره - هنا - فهى تنشر لكل العرب . وفى كتب ودواوين الادباء والشعراء تظهر فكرة العربى لا الاردنى لا السورى .. لا الفلسطينى .. بخلاف ما نقرا فى الكتب والمجلات والصحف المصرية .. التى لا تنفك تمجد مصر لذات مصر ، وتذكر عهد الفراعنة ولا تشير ببعيد او بقريب الى عهد العرب الخالى أو الحاضر . وتدعو لمصر ولمجد مصر . ليس الا .. ومثال ذلك ما جاء فى - كلمة من الطليعة - ص ٢ - مجلة الطليعة لشهر كانون ٢ بالحرف الواحد - كل عام وانت معنا طيب - وكل عام ومصر - طيبة حرة .. مستقلة وديمقراطية ومتقدمة - هذه الكلمات وان كانت قليلة ولا تعبر عن افكار معادية للعرب ، فالانسان يحب بيته فكم بالاحرى وطنه الصغير - ولكن هذه الكلمات وان كانت قليلة تعبر عن أفكار الاقليمية القاتلة . مصر هى كل شىء ، هى الام ، هى الوطن الصغير والكبير ، بغض النظر عن الامة التى تبذل من اجل كل قطر من أقطارها - وخصوصا مصر - الكثير الكثير . المال والسلاح والارواح . وليس ذلك فضلا من تلك الامة ، انما هو واجب ، يحق لكل قطر ان يطالب به الامة العظيمة .

ارجو ان تعذرونى هنا ، ولكن كم يثلج صدرى أن ارى المجلات والصحف المصرية عربية ، بكل ما فى الكلمة من معانى ، تنشر لكل العرب بدون استثناء . كم يثلج صدرى أن أرى الاشعار والكتابات المصرية تمجد العروبة ، وتمجد مصر .. كجزء من كل .. كقطر من أمة عظيمة . كم يسعدنى أن أشعر بحرارة الروح العربية تسرى فى الافكار المصرية . فتقضى على النزعة الاقليمية . فالاقليمية قاتلة .. قاتلة .. قاتلة .

ناهض نايف حتر
عضو رابطة الكتاب الاردنيين

الطليعـــة

الاستنتاج الذى توصلت اليه من « كلمة من الطليعة » ، غير صحيح ، ولا حاجة بنا الى الاشارة الى كتابات « الطليعة » ومواقفها بصدد هذه القضية . ولم يك الامر اكثر مما انت قلته « فالانسان يحب بيته فكم بالاحرى وطنه الصغير » لانها تتعلق بزملاء من مؤسسى « الطليعة » تفتقدهم بالفعل . ومقالات الكتاب العرب فى « الطليعة » كثيرة اذا رجعت لاعدادها .

الحركة النقابية العمالية المصرية هى من اهم المؤسسات الديمقراطية للشعب العامل • لهادورها الطليعى فى قيادة جماهير الطبقة العاملة فى معارك التحرير والبناء — ولها تاريخها الطويل المشرف منذ نهاية القرن الماضى ،ولكنها تعانى اليوم من سيادة البيروقراطية والمكتبية • وحيث خفت نبض الديمقراطية داخل صفوفها تكون عزلتها وفسادها ،ومعاناتها من الضعف والتحلل • عن ذلك يكتب عبد المنعم الغزالى•

غيـــاب الديمقراطيـــــة النقــــابية

= الفســــاد

عبد المنعم الغزالى

منذ ١٩٦٤ حيث أعيد بناء الحركة النقابية المصرية وفق القانون ٦٢ لسنة ١٩٦٤ الخاص بالتنظيم النقابى — وقضية الديمقراطية النقابية تحتل الصدارة فى كل حوار يدار من أجل دعم وتطوير التنظيم النقابى ليمارس دوره الطليعى فى التحرير والبناء والدفاع عن حقوق العمال •

ان انعدام الديمقراطية النقابية سمح باستفحال الفساد النقابى والبيروقراطية النقابية ، ويفرض قيادات على الحركة النقابية ، منتخبة انتخابا شكليا وصوريا ، وتمكنت من الحصول على ميزات أصبحت امتيازات خاصة ، فى نفس الوقت الذى لم تقدم غالبيتها أى عمل فى مجالات الدفاع عن الحقوق أو المساهمة فى بناء المجتمع او المشاركة فى خطة التنمية •

وأول مظهر من مظاهر الديمقراطية النقابية — هو ان تنتخب القاعدة قياداتها بشكل دورى — ولكن حتى عملية انتخاب هذه القيادات فقدت محتواها الديموقراطى ، وهذا المحتوى لا يتحقق الا من خلال تجسيد ارادة جماهير الناخبين فى اطار تنظيمى — اصطلح فى مصر على أنه الجمعيات العمومية • ومن الامور المفروضة ، ان القيادات تتقدم — فى الجمعيات العمومية — لتعلن على أعضاء الجمعية العمومية ، جماهير العمال أعضاء النقابات ما قدمت خلال الفترة الماضية ، ما قدمته فى مجال الدفاع عن الحقوق ، قضايا الاجور وتحسين ظروف العمل وشروطه ، وما قدمته فى مجال الخدمات الصحية والاسكانية والثقافية والتعليمية و • الخ •

ثم تناقش جماهير العمال فى هذه الجمعية العمومية بكل حرية القيادة التى ائتمنوها على حقوقهم خلال الفترة الماضية ـ وتكون هذه المنافشه بان يبدى الاعضاء اراءهم من على منبر الجمعية العمومية أفرادا أو جماعات أو اتجاهات . فالتنظيم النقابى ـ بحكم صفته الخاصة ـ كمنظم ديمقراطى لجماهير الطبقة العاملة بغض النظر عن جنسها ولونها وعقيدتها السياسية . ورؤيتها الفكرية وانتمائها الدينى ـ المفترض فيه أن يسمح لكل هذه القوى والاتجاهات أن تعبر عن نفسها داخله ، وأن تتنفس بطريقة صحية ».

ولكن ما الذى حدث لتنظيمنا النقابى فى مصر منذ ١٩٦٤ . أنه لم يعقد جمعية عمومية واحدة وفق الأسس والمبادىء المتعارف عليها قانونا وعرفا نقابيا . وما حدث هو جمعيات تأسيسية وكأن النقابات فى مصر تؤسس كل دورة .

ففى الفترة من ١٩٦٤ حتى ١٩٧١ ، لم تجر اية انتخابات داخل التنظيم النقابى . واستمرت القيادات النقابية « **تحكم الحركة النقابية المصرية** » طوال سبع سنوات دون أن تحاسب من القواعد العمالية وجماهيرها ، بلا رقيب ، ودون خوف من القواعد التى اهملت ، وكأن ليس لها من حق فى التنظيم النقابى غير تسجيل اسمائها فى دفاتر العضوية ودفاتر « الاستاذ » ».

وخلال هذه السنوات السبع **ازدادت قوة البيروقراطية والمكتبة النقابية** ، وفاقت قدراتها قدرة قانون النقابات نفسه ، وأصبحت « سلطة » ادارية وليس قيادة ديمقراطية للحركة النقابية .

ولكن ، اين ادى هذا الوضع ؟ ادى الى تسليم سلطة الرقابة والتفتيش على النقابات الى وزارة العمل . وانتزعت هذه السلطة من الجمعيات العمومية وهى صاحبتها بحكم القانون ، وبحكم اللوائح العمالية . وهكذا رسخ لدى القيادات النقابية العليا التصور فى أنها تعيش فى آمان ، وأنه ليس فى قدرة الجماهير العمالية أن تحاسبها .

وفوق هذا فقد أضيف الى هذه الحماية الادارية ، حماية أخرى من قبل تنظيم التحالف ـ **الاتحاد الاشتراكى** ـ اذ وضع قيد على الترشيح للمستويات القيادية داخل التنظيم النقابى ، وهو اشتراط العضوية بالاتحاد الاشتراكى . ويكون بضرورة الحصول على شهادة بذلك عند الترشيح ، وهى شهادة لم يكن فى قدرة أى عامل نقابى أن يحصل عليها ، الا اذا كان تابعا ومطيعا للقيادات العليا ، ومرضيا عنه من قبل الاجهزة الادارية ».

وهكذا ، فانه خلال سبع سنوات عجاف ، فى تاريخ الحركة النقابية المصرية ، تمكنت البيروقراطية والانتهازية النقابية أن تحصن نفسها داخل التنظيم النقابى ، وأن يكون لها السند والحماية من قبل الادارة وأجهزة الدولة البيروقراطية ، وأمانة العمال بالاتحاد الاشتراكى ».

وفى ظل هذه الحماية ، تمكنت عناصر قيادية عديدة من أن تدخل الى صفوف الطبقة الجديدة الطفيلية ، وأصبح قادة نقابيون يملكون محلات لبيع السلع المستوردة ، وعربات نقل وأجرة وورش ومصانع للنسيج ودور للسينما أو يتاجرون فى السوق السوداء فى السلع التموينية .. الخ .

ثم جاءت دورة جديدة ـ بعد سبع سنوات ـ فى ١٩٧١ . واعيد تشكيل التنظيم النقابى ، واجريت انتخابات للقيادات النقابية ، وتمت غربلة سابقة على عملية الانتخابات بواسطة أمانة العمال بالاتحاد الاشتراكى . وكما أن عملية الانتخابات لم تتم من خلال جمعيات عمومية حقيقية ، بل من خلال جمعيات تأسيسية ، وكأن الحركة النقابية تؤسس من جديد ! وعلى هذا الاساس لم تحاسب القيادات السابقة ، ولم يراجع العمال الميزانيات ، ولم تقدم القيادات منجزاتها سواء فى مجال الدفاع عن حقوق العمال أو فى مجال الخدمات . وبذلك تمكنت غالبية العناصر الفاسدة من أن تهرب باخطائها ، بل وبجرائم ارتكبتها .. الامر الذى شجع على استمرار الفساد داخل الحركة النقابية .

وجاءت دورة ١٩٧٣ ، وهى دورة لم تنته بعد ، وانتخبت قياداتها بنفس الطريقة ، **ولم تعقد جمعية عمومية حقيقية واحدة . وبذلك استمرت عملية تأسيس الحركة النقابية احدى عشر عاما .** وكما حدث فى المرة السابقة لم تقدم القيادات كشف حسابها . بل انه فى هذه الدورة داست القيادة النقابية العليا ، ومعها وزارة العمل حتى على التقليد الشكلى بالنسبة لانتخاب قيادة الاتحاد العام للعمال ، فلم ينعقد مؤتمر الاتحاد العام وفق ما اشترطه القانون لذلك ، بل اكتفى « بتعيين » ستة عشر عضوا بدلا من ٢١ عضوا فى المجلس

التنفيذى ، على أساس اختيار كل نقابة عامة لممثل عنها لحضور هذا المجلس التنفيذى . الامر الذى هبط بمستوى هذا المجلس الى حد أنه أصبح مجرد لجنة تنسيق يديرها وزير العمل باعتباره رئيس الاتحاد العام وأمين العمال بالاتحاد الاشتراكى . لقد اتخذت هذه الخطوة المعادية لابسط قواعد الديمقراطية .»

وهكذا ، حيث انعدمت الديمقراطية ، وتراخت سيده القانون ، استمرت غالبية العناصر الفاسدة والبيروقراطية فى أماكنها تعيش فى أمان كامل وتعيث فسادا دون رقابة أو محاسبة جماهيرية .

أن الاختلاف على اقتسام غنيمة قد يكون السبب فى اكتشاف عناصر الفساد — ولكن هذه العناصر ستظل مختبئة لا تصل اليها يد العدالة ، لان تقارير التفتيش التى تدينهم مازالت بعيدة عن ارادة جماهير العمال ، فلدى وزراء العمل منذ ايام السيد انور سلامة حتى الوزير الحالى ، تقارير التفتيش على النقابات العامة . ومن بينها تقارير تحتوى على مخالفات خطيرة ، وتتضمن كل أدلة الادانة — **وهذه التقارير ظلت حبيسة الارشيف السرى لوزراء العمل ، يستخدمونها سلاحا لكسب هذه القيادات الى صفهم واتجاههم فى الحركة النقابية — ولاستمرار فرض قيادتهم على الحركة النقابية — وهى قيادات مرفوضة من القواعد العمالية .**

ان هذه التقارير هى ملك القواعد العمالية ، ومن حقهم ان تكون بين ايديهم ، وان تقدم الى جمعياتهم العمومية ، صاحبة الحق الوحيد فى محاسبة هذه القيادات . وهو حق أكسبه اياها القانون ، وكما أن هذه القيادات ماكان يمكن أن تكون وأن تأخذ الشخصية العامة الا عن طريقها وباراداتها . هذه التقارير هى ملك لارادة الطبقة التى يعبر عنها التنظيم النقابى — وليست ملكا لوزير العمل أو رئيس اتحاد العمال أو أمين العمال بالاتحاد الاشتراكى .»

ان الديمقراطية النقابية تضيع وتنهار من الاساس فى ظل ضياع المحاسبة للقيادات . وما يتم الان ويعد له ، وهو أن يعاد تشكيل التنظيم النقابى وفق قانون جديد للنقابات ، وعلى أساس أن يتم التشكيل فى شهر يناير التالى لصدور القانون ، هو فى الواقع اطالة عمر هذه الدورة التى تنتهى فى يوليو ١٩٧٥ لتنتهى فى ١٩٧٦ ، هذا أولا .. وثانيا ، الاستمرار فى الحلقة المفرغة التى بدأت فى ١٩٦٤ بالعودة الى الجمعيات التأسيسية . وبذلك تستمر هذه القيادات دون حساب أو رقابة ، دون قرار حر من الجماهير العمالية ، ودون التعبير عن ارادة هذه الجماهير وتجسيدها فى جمعيات عمومية حقيقية فقدت وجودها منذ أكثر من عشرة أعوام .

ان الفساد النقابى والبيروقراطية النقابية ، وسيطرة الادارة على الحياة النقابية — ستظل معالم للتنظيم النقابى حتى تتوفر للحركة النقابية ديمقراطية حقيقية تقيمها وتحميها جماهير العمال العريضة ، وارادتهم المعبر عنها من خلال منظماتهم النقابية بكافة مستوياتها .

قراءة مستمرة في الصفحات الأولى من



في عام ١٩٥١ كانت مصر تغلي ، كانت تفور بالحركة الثورية المناهضة للاستعمار ، وتحددت مطالب كل الوطنيين وكل الشرفاء من أبناء مصر بمنطلقين أساسيين :

١ — الجـــلاء التام ..

٢ — الغاء المعاهدة ورفض أية محالفات اخرى ثنائية أو جماعية سواء مع الاستعمار القديم [بريطانيا] أو مع الاستعمار الجديد [أمريكا] .

كانت مصر ، كلهـا ، تتجمع حول هـذه المطـالب ، وعلى أساسها توحـدت مختلف القوى والقيـادات السياسية الوطنيـة أو تحالفت .

ولم يخرج عن الصـف الوطني المتراص الصفوف سوى أصـوات نشاز تنشـد تارة أنشودة « التحالف » وضرورة ربط مصر بخطط « الدفاع » عن المعسكر الغربي ، بما يعني اجلاء بعض الجنود الانجليز مقابل خضوع مصري مباشر للتحـالفات الاستعمارية .. وتارة أخرى كانت تنشد على نغمات أمريكية ، تبشر بسيد جديد يريد بناء « قواعد » في مصر .

.. كانت مصر ترفض الاحتلال والتحالفات وكل صور الاستعمار الجـديد .. باستثناء أصوات نشاز .. فماذا قالت هذه الاصوات ؟ ومن هم أصـحابها ؟ وماذا كان موقفهم من حركة الصف الوطني المتحد ؟

الاجابات على كل هذه الاسئلة سهلة وميسورة .. يكفي فقط ان نقلب معا صفحات قديمة من « أخبار اليوم » .. ونترك الوثائق وحدها تتكلم لتروي حقيقة المواقف ، والمعدن الحقيقي لاصحابها .



دول الكومنولث ضد الجلاء

لندن ـ من ايوار

علمت أن بيفن سيعرض على صلاح الدين فى حوالى أوائل فبراير القادم رأى دول الكومنولث فى استحالة الجلاء عن مصر الان ووجهة نظر الدوائر المطلعة هى أنه لكى تقوم أية وسيلة دفاعية ذات أثر [فى الشرق الاوسط] يجب أن تتوافر أربعة عوامل هى :

[أولا] أن يحتفظ بالقوة هناك .

[ثانيا] أن يقوم النظام الدفاعى فى هذه المنطقة بحيث يمكن التثبت من امكان تحرك القوات ونقلها فى المنطقة المهددة بالخطر فى أقل وقت ممكن .

[ثالثا] أن تكون هناك قوات مناسبة على أهبة الاستعداد التام لمقاومة الاعتداء الاول فى أى لحظة الى أن تتحرك القوات الرئيسية

[رابعا] أن تكون هناك أيضا استعدادات وقواعد ومخازن تعتمد عليها هذه القوات عند وصولها .

وهذه العوامل متصلة متشعبة وهى جميعا ضرورية . ولا شك أنها ، فى الجزء الغالب منها ، مسائل فنية يجب أن يعالجها وزراء الدفاع ومساعدوهم .

ولكن لها أيضا جوانبها السياسية التى تثير مشاكل سياسية سينظر اليها رؤساء الوزارات بعين الاعتبار .

مشكلة مصر

ومن هذه المشاكل السياسية مركز مصر فى أى نظام دفاعى يقوم فى الشرق الاوسط . لذلك فانه على الرغم من أن المؤتمر هو مؤتمر خاص بدول الكومنولث فانه سوف يبحث بكل تأكيد ـ فى مرحلة من مراحله ـ مسألة العلاقات بين مصر وبريطانيا وموضوع المفاوضات بين الدولتين ولن تتخذ قرارات بالطبع فى هذا الموضوع .

ولكن من المهم عندما يتقابل صلاح الدين وبيفن من جديد فى نهاية هذا الشهر أو فى أوائل شهر فبراير القادم ، أن يكون وزير الخارجية البريطانية قد اتم بحث جميع وجوه المشكلة برمتها .. تلك المشكلة التى تعتبر مشكلة قناة السويس جزءا منها .

ومن المهم أيضا أن يعرف وزير الخارجية البريطانية وجهات نظر دول الكومنولث كلها فى هذه المشكلة ، ونأمل أن تلبى باكستان الطلب حتى يمكن أن يعرف رأيها هى أيضا .

العدد ٣٢٢ ٦/١/١٩٥١

خبر اليوم

واشنطن ـ لمراسل أخبار اليوم

تتوقع الدوائر السياسية وقوع هجوم روسى فى منطقة الشرق الاوسط اذ أنها أضعف مناطق الجبهة الديمقراطية

وقد علمت أن أمريكا تلقت تأكيدا من مصر بأنها ستقف الى جوارها فى الصراع القادم .

العدد ٣٢٢ ٦/١/١٩٥١

برقيـة خطـيرة من ايـوان

الحـرب سـتبدأ فى الشـرق الأوسـط

ان موضـوع الـدفاع عن مصر والشرق الاوسط من أهم الموضوعات التي يقوم ببحثها مؤتمر رؤساء وزارات الكومنولث وسـيبدابحثهم على اساس انـه فى حالة قيام حـرب كبرى ، فان الشرق الاوسط سيكون بـكل تأكيد هدفا رئيسيا لاى هجوم يقوم به العدو . ليس هذا فقط بل هناك احتمال بان وقوع اعتداء على الشرق الاوسط قد يكون السبب المباشر فى نشوب هذه الحرب وفى كلتـا الحالتين يجب ان يكون للـدفاع عن الشرق الاوسط أهميته العظمى ومسئولية هـذا الدفاع تقع – الى حد عظيم – على عاتق حكومات الكومنولث .

الحقائق الاستراتيجية

ومن الحـق أن نذكر أن تحـت البحث مشروعات خاصة تهدف الى توحيد الوسائل الدفاعية فى الشرق الاوسط مع حلف الاطلنطى ولكن حقائق « الاستراتيجية » الجغرافيـة على أمرين هامين هما أنه يجب أن يـكون الرجـال الذين يعتمـد عليهم فى الدفاع مـن المملـكة المتحـدة ودول الدومنيون بصـفة أساسية – وذلـك زيادة على دول الشرق الاوسط .

أما الامر الاخر فهو أنه يجب أن يرد اكبر جزء من الامدادات والذخائر من نفس هـذه المصادر .

العدد ٣٢٢ ١٩٥١/١/٦

مباحثات أمريكية بريطانية هامة لحماية الشـرق الأوسـط

يـنوى الاميرال روبرت كارنى القائد العام للقوات البحرية الامريكية فى شرق الاطلنطى والبحر الابيض المتوسط أن يبحث مسألة أمن الشرق الاوسط مع كبار القواد البريطانيين فى جزيرة مالطه ، وذلك خلال الرحلة التى سيزور فيها دول الشرق الاوسط .

وبعد أن يتفقـد الاميرال كارنى وسـائل الـدفاع فى شرق البحـر الابيض وايران سيجتمع بالاميرال سـيرجون أولستون قائد الاسطول البريطانى فى البحر الابيض المتوسط والجنرال سير بريان روبرتسون القائد العام للقـوات البريطانية فى الشرق الاوسـط ، والمارشال سيرجون بيكر القائد العام لسلاح الطيران البريطانى فى الشرق الاوسط .

وقـد صرح ضـابط الاستعلامات بسلاح البحـرية الامريكى بأن هـذا الاجتماع بين الاميرال كارنى والقواد البريطانيين فى الشرق الاوسط سيكون متمما للمباحثات التى تدور بشأن أمن الشرق الاوسط وحمايته .

العدد ٣٢٢ ١٩٥١/١/٦

الشرق الأوسط

من نصيب روسيا

اتفاق سرى خطير بين روسيا والصين

لندن — لمراسل اخبار اليوم الدبلوماسى :
هذا خبر ستسبق به « أخبار اليوم » جميع صحف العالم . فقد علمت من مصادر اثق بصحة أخبارها أن هناك اتفاقا سريا [بروتوكول] ألحق بالمعاهدة السوفيتية الصينية ، التى عقدت فى شهر فبراير من عام ١٩٥٠ .
وهذا الاتفاق ، هو ميثاق يتضمن قسمة الجزء الاكبر من جنوبى آسيا الى منطقتى نفوذ احداهما روسية والاخرى صينية .
ان روسيا تعترف بما تزعم الصين من حقها فى وضع جنوب شرقى آسيا — وهو يضم بورما وسيام والهند الصينية والملايو واندونيسيا — تحت نفوذها وسيطرتها ..
وكذلك تعترف الصين بما تزعم روسيا من حق فى الاستيلاء على منطقة نفوذ فى جنوب غربى آسيا ، وهو يضم تركيا وايران والبلاد العربية وافغانستان .

العدد ٣٢٣ — ١٩٥١/١/١٣

ايزنهاور يقترح انشاء قاعدة حربية فى شبه جزيرة سيناء



يصل الجنرال ايزنهاور قائد جيش حلف الاطلنطى يوم الثلاثاء الى لندن لاجراء مشاورات عسكرية وسياسية .

وقد علمت من الدوائر الدبلوماسية الامريكية ان الجنرال ايزنهاور سوف يطلب من بريطانيا قاعدة حربية للحلفاء فى الشرق الاوسط تصلح للعمليات البرية والجوية ، ولاختزان كميات هائلة من المعدات الحربية فى تلك القاعدة .

ويقترح الجنرال ايزنهاور أن تكون القاعدة فى شبه جزيرة سينا لبعدها عن مناطق الخطر ولانها صالحة من الناحية الاستراتيجية لكى تصبح قاعدة حربية ممتازة .

وعلمت ايضا أن الجنرال ايزنهاور سوف يجتمع بالقواد البريطانيين والفيلد مارشال مونتجومرى لبحث وسائل الدفاع عن أوروبا والشرق الاوسط .

ويعتقد ايزنهاور أن انشاء قاعدة حربية بجانب قنال السويس أمر على جانب كبير من الاهمية ، اذ انه من الخطر أن تركز كميات كبيرة من المعدات الحربية فى أوروبا التى تهددها روسيا .

ويسود الاعتقاد فى لندن أنه من المحتمل أن يقوم الجنرال ايزنهاور بزيارة سريعة الى الشرق الاوسط واذا لم يتسن له ذلك فسيرسل مبعوثا حربيا لدراسة الموقف الحربى وتقديم تقرير عنه فيما بعد .

ومن المنتظر أن تشير وزارة الخارجية البريطانية الى ان مصر سوف ترفض حتما اقتراح ايزنهاور .

وفى هذه الحالة سوف يطلب الجنرال ايزنهاور توسيع قاعدة قنال السويس لكى تصلح لاستقبال قوات الحلفاء والكميات الكبيرة من المعدات الحربية فى حالة نشوب الحرب .

وتقول المصادر الأمريكية أن ايزنهاور ينوى أن يجعل من الشرق الاوسط أكبر مركز لقوات الحلفاء فى حالة نشوب حرب عالمية، وذلك نتيجة للراى القائل بأن أوروبا لن تصمد طويلا امام الغزو الروسى .

العدد ٣٢٣ ١٩٥١/١/١٣

البحث عن يد خفية وراء الاضرابات
هل الاضرابات مقصود بها افساد المحالفة مع الانجليز ؟

تعتقد بعض الدوائر أن حركة الاضرابات التى انتشرت فجاة هى حركة ليست طبيعية وانه لا بد أن تكون وراءها يد خفية حتى أن هذه الاضرابات تسير على نطاق واسع .

وقد اتهمت الحكومة فى بادىء الامر المعارضة بأنها هى التى تنظم هذه الاضرابات للتاثير فى موقف الحكومة .

ولكنها تبينت بعد البحث والتحرى ان الحركة أوسع من أن تستطيع المعارضة تنظيمها .

الاتفاق على وشك ان يتم

ولهذا يتجه الراى فى بعض الدوائر الى ان اختيار هذا الوقت بالذات لهذه الحركات الواسعة ، مقصود به عرقلة المحالفة الجديدة مع الانجليز ، وهى المحالفة التى عرف أن خطوطها الرئيسية قد وضعت فى لندن وان النحاس باشا أقر أسسها التى اتفق عليها صلاح الدين بك مع مستر بيفن فى لندن .

ويبحثون الان عن المنظمة التى تشجع بطريق خفى هذه الاضرابات .

طوائف تضرب

ومما لفت نظر الدوائر الوزارية ان الازهريين قدموا استقالاتهم بصفة اجماعية وفشلت المساعى الحكومية لافساد هذه الحركة ، ولفت نظرها كذلك حركة الاعتصامات المختلفة ، ثم ان اتحاد التعليم الحر ، الذى يعتبر الدكتور طه حسين باشا رئيسه الروحى انقلب فجأة وأذاع بيانا يدعو فيه المعلمين الى الاجتماع يوم ٢٨ يناير ليقدموا استقالاتهم بصفة أجماعية الى وزير المعارف احتجاجا على تصريحه الذى هدد فيه المدرسين غير الفنيين بالفصل .

وفى الوقت نفسه نظمت حركة اضراب واسعة بين الاطباء واجتمع مؤتمر نقابات عمال وسائقى السيارات والترام بأنحاء المملكة فى أيام ١٧ ، ١٨ ، ١٩ يناير . وقرر الاضراب من يوم الاثنين ٥ فبراير وانهم قرروا أن تتوقف جميع السيارات فى هذا اليوم .

العدد ٣٢٥ ١٩٥١/١/٢٧

خبر اليوم

لندن — لمراسل أخبار اليوم

أستطيع ان أؤكد أن الحكومة البريطانية قررت أن لا تتدخل فى الشئون الداخلية لمصر .

العدد ٣٣٥ ١٩٥١/٤/٧

حرب في سنة ١٩٥٣

واشنطن من مصطفى أمين :

يكاد يتفق رأى الخبراء الحربيين هنا على أن الحرب العالمية الكبرى ستشتعل فى حوالى شهر اكتوبر سنة ١٩٥٣ وأن الشرق الاوسط سيكون من ميادينها الاولى .

وتلقت الدوائر الحربية الرسمية هنا تقارير من بلاد الشرق الاوسط عن حالة جيوشها ومبلغ استعدادها ، ومقدار قدرتها على مقاومة الغزو الروسى . وقد علمت أنه جاء فى تقرير رسمى أن الضباط الشبان المصريين يعتبرون أحسن ضباط الشرق الاوسط ، وأنهم خير من ضباط كثير من أمم البحر الابيض شجاعة واستعدادا لتقبل الوسائل الحديثة فى الحرب .

وقد اهتمت الدوائر الحربية هنا بهذا التقرير .

وأمريكا تستعد الان لحرب ضخمة .

والرأى هنا ان الحرب قادمة ، ولكن ترومان يحاول أن يؤخرها الى أبعد وقت مستطاع .

وكل المؤتمرات التى تعقد الان ليس المقصود بها القضاء على خطر الحرب ، وانما مقصود بها تأخير خطر الحرب .

وقد بذلت فى اليومين الاخيرين مساع لكى يجتمع ترومان بستالين . وتولى الوساطة لهذه الفكرة بعض السفراء المحايدين فى واشنطون وموسكو ، ولكن لم تنجح هذه الوساطة ، وخاصة أن الشعب الامريكى بدأ يتهم ترومان بما كان يتهم به العالم تشمبرلين سنة ١٩٣٨ عندما كان يقود سياسة التهدئة .

العدد ٣٣٩ — ١٩٥١/٥/٥

أمريكا لا تريد حربا فى فلسطين

علمت « أخبار اليوم » أن الحكومة الامريكية لا ترغب فى قيام حرب جديدة فى فلسطين بين الدول العربية وبين اسرائيل بسبب مشكلة فلسطين .

وقد أبدت حكومة أمريكا استعدادها للتدخل فى وقف أى اعتداء من اسرائيل على اية دولة من الدول العربية وحل المشاكل بالطرق السلمية

العدد ٣٤١ — ١٩٥١/٥/١٩

قواعد عسكرية فى مصر لاستقبال قاذفات القنابل الأمريكية

واشنطن — لمراسل أخبار اليوم :

علمت من المصادر المطلعة أن مجلس الامن الوطنى الذى يرأسه الرئيس ترومان ، وهو المجلس الذى يقابل « وزارة الحرب البريطانية » سوف يجتمع هذا الاسبوع لدراسة التطورات الاخيرة فى ايران ومدى تهديدها لسلامة الشرق الاوسط وسيقوم المجلس بوضع توصيات خاصة لمواجهة الخطر الحالى . ومن المحتمل أن يقوم المؤتمر الامريكى — البريطانى الذى سيعقد فى مالطه باتخاذ اجراءات فعالة لحماية هذه المنطقة .

وقد علمت أن هذا المؤتمر سيطالب بانشاء قواعد جوية فى الشرق الاوسط تستطيع أن تستقبل قاذفات القنابل الامريكية الضخمة .

والمفهوم هنا أن أمريكا تقترح انشاء هذه القواعد فى مصر .

العدد ٣٤١ — ١٩٥١/٥/١٩

تحقيق أخبـار اليـوم عن الحـرب القـادمة

مصانع أمريكا تنتج قنبلة ذرية كل ساعة

ترومان لايريدهـا الآن ٠٠ ولكن يسـتعد لها

مصطفى أمين

رأيت يوم الحشر في أمريكا . سبعة ملايين شخص في نيويورك وثلاثة ملايين في شيكاغو . ونصف مليون في واشنطن . كل هؤلاء خرجوا لاستقبال الجنرال ماك آرثر استقبال الغزاة الفاتحين . مابقى رجل او امرأة او طفل في داره ، حتى المرضى حملوا على ناقلات ليلقوا نظرة من النوافذ على البطل المطرود ، وتساقط الورق كالمطر على موكب البطل المطرود ، فكان اشبه بالثلج الابيض الجميل . فزاد الاستقبال روعة على روعة ، وجلالا على جلال .

وكان ذلك اليوم في أمريكا أشبه بيوم عودة سعد زغلول الى مصر سنة ١٩٢١، مضروبا في مائة ضعف ! فلم يحدث في العالم كله أن خرجت أمة لتحية رجل طرده رئيس الجمهورية من منصبه .

ووقف ماك آرثر في سيارته ، بقامته الفارعة ، يحيى الجماهير المجنونة التي وقفت الساعات الطوال لتلمحه لحظة خاطفة . وكانت الموسيقات تدوى والهتافات كالرعد كأنها طبول الحرب تنادى حى على القتال .

لو ان ماك آرثر في بلد عربي

فقد كان الصراع بين ترومان وماك آرثر يدور حول : هل نحارب اليوم ونبدأ بالهجوم او نستعد لرد الهجوم ؟ وكان هذا الاستقبال هو صوت شعب متحمس يقول : فلنضرب من الان !

ووقف الى جانبي احد كبار الديبلوماسيين العرب يشهد هذا الموكب العجيب ، موكب القائد الذى هزمه رئيس جمهوريته ، فاستطاع أن يهزم رئيس الجمهورية في نفس الاسبوع وقال لي الديبلوماسي الكبير :

— لو أن هذا الاستقبال حدث في بلادنا ، لركب القائد سيارته رأسا الى قصر رئيس الجمهورية واحتله وطرد فخامة الرئيس .

ولكننا كنا في امريكا بلد الديمقراطية . فان من حق كل فرد في الشعب ان يلعن رئيس الجمهورية . ولكن ليس من حق الشعب كله أن يطرد رئيس الجمهورية الا بالانتخاب العام .

ساحر ينوم الشعب

تنـويما مغناطيسيا

واعتلى ماك آرثر منبر الكونجرس. ووقف يخطب الشيوخ والنواب . وجلس شعب أمريكا يسمع الخطاب في الراديو والتليفزيون

واذا بهذا القائد العسكرى يكسب فى دقيقة واحدة قلب الشعب الامريكى . لقد غزا القائد هذه القلوب واستولى عليها بكلمات قليلة . كان صوته عجيبا . فيه قوة وبساطة يهدر ويناجى . ويعلو وينخفض ، ويقوى ويضعف ، كأنه لاعب على قيثارة . وكان قلوب الشعب هى أوتارها . يحركها ويهزها فاذا بهذا الشعب الذى يكره الحرب ينقلب كأسد فى قفص يريد أن ينقض على فريسته وكأن سياسة ترومان هى القفص الذى سجن فيه هذا الشعب الذى يريد أن يتغذى بعدوه قبل أن يتعشى به .

القائد الامريكى .. مطرب جديد

وبعد دقائق كان خطاب ماك آرثر مسجلا على اسطوانات تباع بالالوف ، كأنها اسطوانات أم كلثوم . وجلس الناس يسمعون الاسطوانات ويهزون رؤوسهم وتدمع عيونهم كأنما يسمعون أغنية غرام .

وخرج الصحفيون يستوقفون الناس فى الشوارع ويسألونهم : من هو أخطب رجل فى القرن العشرين : روزفلت أم تشرشل أم ماك آرثر ؟

واذا بالغالبية تقول أن ماك آرثر هو أخطب رجل فى العالم .. وأن تشرشل وروزفلت يجيئان فى مؤخرة الصفوف . بل ان هناك من قال ان خطاب تشرشل المشهور الذى قال فيه « ليس عندى سوى العرق والدم والدموع » لا يستطيع أن يقف على قدميه امام خطاب ماك آرثر الذى أحدث فى الشعب ماكانت تحدثه خطب هتلر فى جنود العاصفة .

وبعد ساعات كان كل شىء فى أمريكا عليه وجه ماك آرثر ، علب البسكويت ، وعلب الشوكلاته وآنية الزجاج وبطاقات البريد وواجهات المحال التجارية وعلب الكبريت . كل شىء عليه صورة القائد المطرود . حتى أثواب الاطفال ولعبهم .

ترومان المسكين

وجلس ترومان وحده يرى من خلال جهاز التليفزيون فى غرفته المغلقة شعبه ينقض عليه . كانت السنة الامريكيين أحد من السيوف . وكانت مقالات صحفهم أقوى من القنابل ، كلها مصوبة الى رئيس الدولة الذى طرد بطل امريكا الجديد ، وحاول ترومان أن يتكلم فضاع صوته فى ضجيج الشعب الذى ملأ أذنيه صوت ماك آرثر وملأ عينيه استقباله الضخم ، وملأ راسه منطقه البسيط . فكأن هذا القائد منوم مغناطيسى سيطر على شعب بأسره بكلمات من شفتيه واشارات من يديه ونظرة صارمة وقامة اشبه بالجبل الاشم . وبدا رئيس الجمهورية بجوار الجبل كفأر صغير .

الزمن .. حليف الضعيف

ولكن العجيب فى ترومان أنه يكسب كل معاركه بالصبر والثقة بنفسه . كان مع ماك آرثر الشعب كله وكان مع ترومان الزمن .

ومضت الايام . وفى كل يوم يكسب ترومان نصف خطوة ، ويخسر ماك آرثر نصف خطوة . لقد كسب ترومان العمال . فقد اشعرهم أن ماك آرثر هو الدكتاتورية العسكرية . والعمال يكرهون الدكتاتورية ايا كان اسمها وأيا كان لونها . وافهمهم أن ماك آرثر هو الحرب فورا . ومعنى هذا لا زيادة فى الاجور ، بل تجنيد وخراب ودمار للمصانع التى يعملون بها وللبيوت التى يعيشون فيها .

اغنية بغير مطرب

ثم بدأ الكتاب الاحرار يغمزون القائد العظيم ، ثم يهزأون منه ، ثم يهاجمونه . وساعد على هذا الجو أن غالبية الرئيس ترومان فى مجلس الشيوخ رفضت أن تذاع مناقشات لجنة التحقيق البرلمانية فى أسباب طرد ترومان لماك آرثر بالراديو أو التليفزيون وهى فكرة جهنمية ، لان ترومان شعر بأن صوت ماك آرثر الرهيب كفيل بأن يكسب قلوب السامعين . ولهذا منع الشعب أن يسمع الصوت ، وأباح له أن يقرأ الكلام ، فكان أثر قراءة تصريحات ماك آرثر فى التحقيق كأثر قراءة أغنية جميلة فى الصحف فى حين لو سمعها الشعب لكان لها أثر أغنية يغنيها مطرب موهوب (•)

صراع على التفصيلات

ولا يزال الصراع مستمرا .. ولا تزال أمريكا منقسمة على نفسها ، بين أنصار ترومان ، وانصار ماك آرثر .. ولكن التحقيق الصحفى الذى قمت به يدل على أنه لا خلاف حقيقيا بين القائد والرئيس .

كل منهما يرى أن روسيا هى عدو الولايات المتحدة . وكل منهما يرى أن روسيا تستعد لحرب ثالثة .. ولكن ترومان يرى أن تضاعف أمريكا استعدادها وأن المعلومات التى لديه تؤكد أن روسيا ليست ضعيفة كما يتصور ماك آرثر ، بل انها على استعداد لان تضرب هنا وهناك . وانه لا يريد أن يبدأ هو بالمجزرة العالمية الثالثة ، بل يريد أن يؤخرها الى أن تستعد الولايات المتحدة لتوقف الهجوم وترده وتقضى عليه .

ان ماك آرثر يريد أن يضرب فى الشرق .. وترومان يريد أن يضرب فى الغرب .

ويعتقد ماك آرثر أن أمريكا وحدها تستطيع أن تهزم روسيا . ولكن خبراء رئيس الجمهورية يقولون أن الجيش الروسى والطيران الروسى ، والاسلحة الروسية لا يجوز التقليل من اهميتها وخطرها ، وأن أمريكا وحدها لا تستطيع أن تغلب هذا العدو الجبار ، بل يجب أن تقف غالبية العالم الى جوارها ، كما وقفت غالبية العالم الى جوار بريطانيا لتهزم هتلر .

خطة روسيا للحرب القادمة

وعندما كنت فى واشنطن ، وصلت الى وزارة الحربية الامريكية اول معلومات كاملة عن خطة روسيا للحرب الثالثة .

فقد حدث أن هرب الكولونيل بوريس شابوشنكوف بن الماريشال الروسى المعروف شابوشنكوف الى القطاع الامريكى فى المانيا ومعه خطة كاملة ، قال ان القيادة الروسية العليا وضعتها للحرب العالمية الثالثة .

والخطة كما ابلغها الكولونيل الروسى الى قائد القوات الامريكية هى :

١ — ان الجيش الروسى يستعد للاستيلاء على أوروبا الغربية كلها وقد وضع خطة بأن يتم هذا فى بضعة أسابيع ليصل الى المانش.

٢ — ان طابورا من طوابير المظلات يقوم الان بالتدريب للاستيلاء على اسبانيا ، ويتولى تدريبه بعض كبار الضباط الروس الذين حاربوا فى اسبانيا فى أثناء الحرب الاهلية الاسبانية .

٣ — تعد طوابير الان مهمتها الاستيلاء على قنال السويس وشمال أفريقيا وايران .

٤ — اذا تم الاستيلاء على قنال السويس وغرب أوروبا ، فستبدأ حملة اخرى للاستيلاء على باقى الشرق الاوسط ثم الشرق الاقصى. وقد أعد الروس لهذه الخطة ثلثمائة فرقة الى جانب الجيش الصينى .

٥ — تعتقد هيئة أركان حرب الجيش الروسى أنه ممكن تنفيذ هذه الخطة فى عام واحد .

٦ — بعد أن يتم هذا فان الروس على استعداد لان يعرضوا الصلح على الولايات المتحدة .

٧ — اعد مشروع غزو غرب أوروبا على أساس ان تتولاه ٤٠ فرقة بطريقين .

٨ — سيبدأ الهجوم بجناحين فى وقت واحد من منطقة برلين .

٩ — يعتقد الروس أن جيوش الحلفاء ستتقهقر الى اسبانيا حتى تصل اليها امدادات ، وانها ستترك تركيا واليونان وتقف فى مصر .

١٠ — يؤكد الكولونيل أن الروس وفقوا الى عمل قنبلة ذرية تبلغ نصف قوة القنبلة الامريكية .

التقرير يثير اهتمام المسئولين

واهتمت الدوائر الحربية الامريكية بهذا التقرير الخطير ، وان كانت بعض الدوائر هناك تشك فى أنه خدعة روسية ، مقصود بها « تهويش » الولايات المتحدة بالمبالغة فى استعدادات الروس الضخمة .

ولكن المسئولين الامريكيين لا يعتقدون أنها خدعة ، لان كثيرا من البيانات والاسرار

التى أدلى بها الكولونيل وهو نجل المستشار الحربى الخاص لستالين ، تؤيد معلومات قلم المخابرات .

حملة شعواء على الانجليز

ولكن الامريكيين على ثقة بأنهم يستطيعون هزيمة الجيش الروسى اذا حدثت الحرب بعد سنة ١٩٥٢، غير أنهم يشكون من حلفائهم — لقد أحدثت، تصريحات ماك آرثر حملة ضد الانجليز فى كل مكان . اتهمتهم الصحف بأنهم يتاجرون مع الصينيين الذين يقتلون أولادنا الامريكيين . واصبح من المألوف أن تسمع فى نهاية كل مناقشة كلمة جارحة من الانجليز الذين يعيشون على حساب أمريكا، ولا يريدون أن يقفوا الى جوارها .

ولقد بذل ترومان ورجاله جهودا ضخمة لوقف هذه الحملة . وفى الوقت نفسه بذلوا مجهودا مع الانجليز للعدول عن سياسة التهدئة مع الصين ..

والامريكيون يقولون ان أمريكا حتى الان لم تخصص للحرب الا عشرة فى المائة من جهودها ، وهم يعتقدون أن هذه العشرة ممكن أن ترتفع الى خمسين فى المائة فى عامين اثنين . بل قيل لى أن هناك مصانع تنشأ فى أمريكا لصنع **قنبلة ذرية صغيرة فى كل ساعة** .

أمريكا تشكو من حكومة العمال

ويتهم الامريكيون حكومة العمال فى انجلترا بانها مقصرة فى الاستعداد للحرب . ويقولون ان لدى الانجليز الان ٢٥٠ قاذفة قنابل ، ولكنها اقل من مستوى قاذفات القنابل الروسية . وان الروس أمكنهم اختراع طائرة نفاثة بأربعة محركات منذ أربع سنوات وان الانجليز عجزوا عن اختراع طائرة واحدة من هذا النوع .

مطالبة الانجليز بالاستعداد

ويقولون ان الروس صنعوا نوعين من الطائرات يسيران بسرعة ٦٥٠ ميلا فى الساعة : أحدهما يسمى ميج ١٥ والآخر يسمى M.J. — ١٧ . وان الامريكيين اخترعوا نوعا واحدا هو المسمى ف — ٨٦ .

ويشكو الامريكيون من أن سلاح الطيران البريطانى خال من هذا النوع من الطائرات. وأن طائرتهم الجديدة « فينون » لم تصل بعد الى المطارات وانها فى مرحلة الانتاج .

ويلاحظ الامريكيون أن البحرية الانجليزية لم تتقدم أيضا ، ففى سنة ١٩٣٩ كان عدد البوارج البريطانية ١٥ ، أما الان فليس لديها غير خمس بوارج صالحة منها واحدة فقط صالحة للعمل ، وعدد الطرادات الحربية البريطانية كان ٥٧ طرادا سنة ١٩٣٩ والان أصبح ٢٦ فقط .

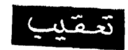
وتنوى الحكومة الامريكية أن تثير كل هذه المسائل مع الحكومة البريطانية ، وخاصة انها ترى أن الحالة الدولية الخطيرة تتطلب زيادة ضخمة فى الاستعدادات ، وان الاستعداد الضخم هو الطريقة الوحيدة لمنع الحرب .

كانت نائمة واستيقظت

ان زيارتى لواشنطون جعلتنى اعتقد أن ماك آرثر هز الرأى العام هزة عنيفة ، انه أيقظ النائمين من سباتهم ، انه حول أنصار العزلة فجأة الى معسكر انصار الحرب فورا ان أمريكا كانت حتى السنوات الماضية نائمة تحلم بدنيا سعيدة ، وقد وصف الجنرال مارشال هذه الحالة يوما بقوله « كان الراى العام نائما نوما أشبه بالبله ، وان هذا أمر كان يقلق الحربيين كثيرا » .

ولكن الراى العام قام فجأة من فراش أحلامه وقد أمسك البندقية يريد ان يطلقها .

وكل ما يحاول ترومان ان يفعله اليوم هو أن يقنع هذا المستيقظ بوضع الرصاص فى البندقية قبل ان يطلقها .



«اليد الخفية» ..و«الغزو الروسى» ..و«الأحلاف العسكرية»

القراءة فى « اخبار اليوم » ، هذه المرة، تتناول الشهور الخمسة الاولى من عام ١٩٥١ ، وسيلاحظ القارىء — هنا — ان القراءة قفزت من عام ١٩٤٧ ، التى تناولها عدد فبراير من الطليعة ، الى عام ١٩٥١ فى هذا العدد . ويعود السبب فى ذلك الى اننا لم نعثر — حتى الان — على أعداد ١٩٤٨ و ١٩٤٩ و ١٩٥٠ . والغريب ان هذه الفترة قد سقطت من مجلدات محفوظات اكثر من مصدر يحتفظ بمجلدات الصحف ، والملفت للنظر هنا ، ان هذه السنوات الثلاث قد شهدت احداثا على جانب خطير من الاهمية منها مثلا حرب فلسطين وقضية الاسلحة الفاسدة .. الخ . وقراءة «اخبار اليوم » فى تلك الفترة ، كانت — بلا شك — جديرة بالتأمل .

ونماذج القراءة فى « اخبار اليوم » التى نشرناها فى هذا العدد ، تتناول كتابات الصحيفة ورئيس تحريرها الاستاذ **مصطفى أمين** ، فى قضية واحدة او حولها بشكل غير مباشر . تلك هى **قضية الاحلاف العسكرية** التى قادت أمريكا حملتها على المنطقة — وخاصة مصر — فى هذه الفترة، لربطها بالاستعمار الامريكى الجديد الساعى لان يرث المنطقة من الاستعمارين البريطانى والفرنسى ، والسير بها فى اطار استراتيجيته وخططه المحلية والعالمية .

ما هى الخلفية السياسية لعام ١٩٥١ فى مصر والتى دارت عليها وفى ظلها ، كتابات « اخبار اليوم » ورئيس تحريرها الاستاذ **مصطفى امين** ؟ لنفهم بالتالى ، ماذا كان يريد الشعب المصرى ، واين كان موقع « اخبار اليوم » من مصالح وطموح شعبنا وآماله الوطنية ؟

دخلت مصر عام ١٩٥١ ، حبلى بالثورة ضد النظام السياسى والاجتماعى والاقتصادى القائم وقتها . وكان **الملك** قد اصبح رمزا لكل ما يعانيه الشعب من ظلم اجتماعى ، يعرف الناس عن مفاسده السياسية والخلقية الكثير . وكانت هزيمة فلسطين — وقضية الاسلحة الفاسدة ، حكما بالادانة على النظام وعلامة على سقوط هيبة الدولة وتفككها . وكان الجيش قد عاد موقنا ان المعركة فى مصر لا فى فلسطين . وبدأت حركة «الضباط الاحرار» تصعد من نشاطها الوطنى داخل الجيش ضد النظام . وكانت الحركة الجماهيرية تزداد تعاظما بالنسبة للمطالب الوطنية وتنادى بالغاء معاهدة ١٩٣٦ وجلاء بريطانيا وقد عملت الحركة الوطنية والتقدمية على ربط الصحف الوطنية والكتاب الاحرار بالكفاح الشعبى . وعقد فى ١٤ ابريل ١٩٥١ مؤتمر وطنى بنادى كلية الحقوق بجامعة القاهرة لوضع ميثاق وطنى وخلق جبهة وطنية . وكانت الانفجارات الثورية ضد كبار ملاك الارض تندلع فى « كفور نجم» و «بهوت » . وارتبط النضال الوطنى ضد الاستعمار والنضال الاجتماعى ضد الاقطاع وكبار الراسماليين وفضائحهم الوطنية .

أما الاحداث الخارجية المحيطة بمصر ، فقد كانت امريكا بعد انتصار الصين فى اكتوبر ١٩٤٩ ثم تأميم مصدق لبترول ايران وهزائم امريكا فى حرب كوريا ، وبعد هبوب حركات التحرر فى العديد من بلاد آسيا وافريقيا ، نقول كانت امريكا **ترسم خططا**

بعيدة المدى للهيمنة على آسيا وافريقيا ؟بانشاء سلسلة من القــواعد والاحــلاف العسكرية يقضى بها على حركات التحرر ، وتخوض منها هجومها فى حرب عالميـــة ثالثة ضد المعسكر الاشتراكي والاتحـــاد السوفيتى . فانشــأت حلف الاطلنطى فى غرب أوروبا ،ورسمت لانشاء حلفين آخرين فى شرق آسيا والشرق الاوســط . وكان لابد من تهيئة الاوضـــاع للحلف الاخير فى مصر .

هنا نقرأ دور « اخبار اليوم » .

على انه يجدر بنا ان نقرأ — فى سرعة — العناوين الاساسية فى الصـــحف المصرية الاخرى الوطنية . لتكتمل لنا صورة الخلفية التى نقرأ على ضوئهـــا « اخبـــار اليوم » ونتلمس دورها ..

فى المجال الداخلى ، كانت صحيفـــة « **الاشتراكية** » تكتب عن المســاخر التى يرتكبها « احد كبار المصريين » وتعــــدد المشاكل الاجتماعية وتكتب مانشيتها «لعنوا أصل الفســاد » ، وتقصـــد بذلك الملك و « **روز اليـــوسف** » تكتب عن الاسلحـــة الفاسدة وتشير الى دور الملك وحاشيته فى صفقاتها وتعلق على سفر الملك الى الخارج فتقول « كل رقيع يخرج خارج مصر يسيء الى سمعتها» .وتعبر بالرسم الكاريكاتيرى عن الملك فى صورة غول ضخم بشـــع او صورة حـــذاء ضخم لامـــع . وصحيفـــة « **الملايين** » وغيرهـــا من صحف الحـــركة الشيوعيـــة المصرية ، تهـــاجم الاوضـــاع الاجتماعية السائدة بعنف .. و « **الكاتب** » صحيفة انصـــار الســـلام تهاجم النظـــام ومفاسده .. و « **الجمهور المصرى** » تشدد حملات الهجوم على البوليس الســـياسى ومطاردته للشـــباب الوطنى والاشتراكى والشـــيوعى . وتتبـــع نشـــاطه الاســـتبدادى والارهـــابى وحـــوادث تعذيبه للمتهمين السياسيين وتلفيقه القضايا ضدهم .. و « **اللواء الجديد** » يكتب فيهـــا رجال الحزب الوطنى الجديد ضـــد الملك وتهاجم أحاديثه وتتكلم عن « ولاء العبيـــد وولاء الاحرار » .

وفى الشارع ، زاد عـــــدد الاضرابات الوطنية والعمالية واتسع نطاقها . حتى انه لم تكن تنقضى ايام بغير اضراب .وفى الريف نمت حركات الفلاحين وتمردهم .

كان هذا هو واقع الشـــارع المصرى ،وكانت تلك هى نبضات الصحافة الوطنية. فمـــاذا كتبت « اخبار اليوم » وقتها ؟ .

لنأخذ المثال الذى تجده فى قراءة هـــذا العدد :

« **البحث عن يد خفية وراء الاضرابات** ».

« **هل الاضرابات مقصود بهـــا افســـاد المحالفة مع الانجليز ؟** »

وفى مواجهة السخط الشعبى على كبار الراسماليين المتحالفين مع الاســـتعمار ؟ تفرد « اخبار اليوم » صفحاتهـــا للحـــديث عن نشاط المليونير **احمـــد عبود** ودوره فى دعم الاقتصاد المصرى ... وقصصـــا كثيرة عن انسانيتـــه واعماله الخيرية . مثـــل ان تفرد فى العدد ٣٢٨ الصادر فى ١٩٥١/٢/١٧ نصف صفحة تنشر فيها خطابا لسيدة محدودة الدخل تشكو فيه **للمليونير عبـــود** عدم مقدرة اسرتها على تكملة تعليم ابنها ، واهتمام **عبود** بالمشكلة وتبرعه بتعليم هذا الابن .

ودفاعا عن **الملك** تحاول « اخبار اليوم » ان تلبسه وجها شعبيا ، حين تتحـــدث فى العدد ٣٢٦ الصادر فى ١٩٥١/٢/٣ بعنوان « عنـــدما يتزوج **الملك** من الشـــعب » ، عن ديمقراطية الملك .. وتتحدث « اخبـــار اليوم » — بالمقالات والصور — عن الملكة الجديدة وبساطة حفـــل خطوبتهـــا **للملك** وسعادة الشعب المصرى بذلك الحدث .

ملحوظة : ســـوف نقـــرأ — فى مرات قادمة — ماذا كتب الاستاذ **مصطفى أمين** نفسه عن هذه القصة وحفل الخطوبة ... الخ ، بعد ان اسقطت ثورة يوليو **الملك** ...

بأسابيع ؟ مجرد اسابيع قليلة ؟ فى اعداد جريدة **الاخبار** فى سلسلة طويلة عن حكم وليالى **فاروق**] .

ولصرف انتباه الشعب ، عمسا يجرى فى الواقع المصرى ، تخصص «اخبار اليوم» جزءا من صفحتها الاولى وصفحتها الثالثة كاملة — ولعدة اسابيع — لنشر « مذكرات **الملك** ميشيل » ثم « الاستعداد للصيف وصيحة المايوه الاخيرة » . ولامتصاص السخط حول قضية الاسلحة الفاسدة ، تبدأ « أخبار اليوم » فى نشر « مذكرات اللواء **فؤاد صادق** القائد العام لحملة فلسطين » التى تعد دفاعا غير مباشر عن قيادة الجيش وقتها وعن **الملك** نفسه .

• • •

••• ونعود للقضية المحورية — هذا العدد من القراءة — اى قضية **الاحلاف العسكرية** التى تتقدم بها أمريكا لمصر والشرق الاوسط وموقف « اخبار اليوم » منها .

ونبدأ برصد الملاحظات الاتية ؟

● ان « اخبار اليوم » قد خصصت فى صفحتها الاخيرة ، بكل عدد ، من هذه الفترة ، بابا ثابتا تحت عنوان « هنا نيويورك » تعرض فيه لقطات من الاحداث والتطورات الدالة — من وجهة نظرها — على رخاء وديمقراطية المجتمع الامريكى . بل ان هذا المعنى يرد بشكل ثابت فى مقالاتها . ومن امثلة ذلك عشرات الجمل التى كتبها الاستاذ **مصطفى أمين** فى تحقيقه المنشور فى قراءة هذا العدد .

● تغتنم « اخبار اليوم » كل فرصة تسمح من وجهة نظرها ، بابراز « الحب الامريكى» على المستوى السياسى الرسمى للشعب المصرى . ومن امثلة ذلك ، الصورة الكبيرة المعتادة فى صدر صفحتها الاولى الى شمال اسم الجريدة ، حيث نشرت فى العدد ٣٣٤ الصادر فى ٣١ مارس ١٩٥١ صورة كبيرة لوكيل الخارجية الامريكية **ماكجى** اثناء زيارته لمصر وهو يشرب من « قلة » فى منزل احد عمال المحلة الكبرى .

● ابراز الدور العسكرى لامريكا فى حرب كوريا ، تحت ستار الامم المتحدة . وقد افردت اكثر من مقال للحديث عن شجاعة الجندى الامريكى والقادة العسكريين الامريكيين فى حرب كوريا وعلى رأسهم الجنرال **ماك آرثر** . ومن امثلة ذلك ما جاء فى العدد ٣٣٦ الصادر فى ١٩٥١/٤/١٤ بعنوان « ماك آرثر .. الثانى » .

● نشر سلسلة من الريبورتاجات الصحفية حول شخصية الجنرال **ايزنهاور** الذى كان يتصدر عمليات التخطيط لسياسة الاحلاف العسكرية فى الشرق الاوسط . كالريبورتاج المنشور فى العدد الصادر فى ٢٠ يناير ١٩٥١ ، تحت عنوان « هذا الرجل الذى قضى على **هتلر** فى اوروبا .. يعود الى اوروبا ليواجه **ستالين** » ، ومع الريبورتاج صورة ضخمة لايزنهاور .

.. قلنا ان امريكا كانت تسعى الى ربط مصر والشرق الاوسط بحلف عسكرى . وكان لابد من تهيئة الرأى العام لهذه السياسة وابرام الحلف وانشاء القواعد العسكرية .

ونحن نزعم ان « اخبار اليوم » قد لعبت — وقتها — دورا مخططا ومدروسا فى هذا الصدد . وفى رأينا ان قراءة الكتابات التى نشرناها — كنصوص — بعضها بتوقيع الاستاذ **مصطفى أمين** وبعضها بتوقيع « مراسل « اخبار اليوم » (التى تتضمن رأيا **توحى** به والتى وافق عليها رئيس التحرير بالطبع ، توضح ان دور « اخبار اليوم » قد خطط من خلال زوايا او مراحل ست هى ؟

أولا : الترويج لفكرة ان الحرب العالمية الثالثة سوف تنشب ، ان لم يكن قد بدأت بالفعل . وفي هذا الصدد يكتب **ايوار** [مراسل اخبار اليوم] في ١٩٥١/١/٦ ان الحرب ستبدأ في الشرق الاوسط . ويكاد يؤكد **مصطفى أمين** — بناء على تقديرات الخبراء الحربيين في واشنطن — انها « ستشتعل في حوالي شهر أكتوبر ١٩٥٣ وان الشرق الاوسط سيكون من ميادينها الاولى » . بل ان « اخبار اليوم » تنشر مانشيتا ضخما باللون الاحمر في العدد ٣٤١ يقول « **أمريكا تبلغ مصر أن العالم في حالة حرب** » الصادر في ١٩٥١/١/١٩ .

ورد فعل هذا المفهوم بالطبع ، ان يتساءل المواطن المصرى عن مصير بلاده عند نشوب الحرب ومدى استعدادها .

ثانيا : الترويج لمفهوم وفكرة أطماع روسيا في الشرق الاوسط ، فتنشر « اخبار اليوم » لمراسلها الدبلوماسي في ١٩٥١/١/١٣ خبرا « تسبق به جميع صحف العالم » — على حد قولها — يقول بان هناك اتفاقا سريا بين روسيا والصين يكون الشرق الاوسط — بمقتضى الاتفاق السرى الذى تحدثت عنه « اخبار اليوم » — في يقين ، ولم تكشف السنوات حتى اليوم في ١٩٧٥ أية اشارة له — فيكون الشرق الاوسط من نصيب روسيا . ويرد هذا المعنى بشكل مباشر في مقال **مصطفى أمين** ورسالته من واشنطن حين يتحدث عن « الغزو الروسى » المتوقع حالا .

ورد فعل هذا المفهوم بالطبع ، ان ينظر المواطن المصرى — الذى يعرف عدم استعداد بلاده وقتها للحرب — ينظر الى « نجدة » من الجانب الاخر من الجبهة : امريكا التى هى ضد الروس واطماعهم التى تؤكدها « اخبار اليوم » . وقد تكون هذه النجدة « حلفا عسكريا » او قاعدة من القواعد .

ثالثا : الترويج لفكرة ان امريكا هى الدولة القادرة على مواجهة اعباء الحرب وتكاليفها . وانها هى أقوى دولة في العالم تستطيع مواجهة الروس . فهى — كما يقول **مصطفى أمين** في تحقيقه من واشنطن — تصنع قنبلة ذرية كل ساعة . وهى التى سبق لها — على يد **أيزنهاور** كما تقول « اخبار اليوم » في اشارتنا السابقة — ان هزمت **هتلر** في اوروبا . وهى — كما تقول « اخبار اليوم » التى تلحق الخسائر الضخمة والهزائم « بالقوات الشيوعية » في حرب كوريا .

.. ورد فعل ذلك — بالطبع — ان يحمد المواطن المصرى الله على أن هناك دولة — كأمريكا — تستطيع ان تتصدى لهذا « الغزو الروسى — اذا شاء هو ذلك ، اى المواطن المصرى بالطبع .

رابعا : يرتبط بهذا « التخويف » ، من العدو .. كراهية ، ومن امريكا .. تعويضا عن عدم قدرات مصر العسكرية — الترويج لفكرة ان مصر وحدها ليست قوة .

ولكن « اخبار اليوم » لا تنسى في هذا الصدد — على لسان **مصطفى أمين** في برقيته من واشنطن بعنوان حرب في سنة ١٩٥٣ بتاريخ ١٩٥١/٥/٥ — لا تنسى ان تحاول محاصرة رد الفعل الوطنى فيشير الكاتب الى أن التقرير الامريكى يعتبر الضباط الشبان المصريين « احسن ضباط الشرق الاوسط » .

ويزيد احساس المواطن المصرى بالخوف من « الغزو الروسى المرتقب والمزعوم » واشتعال الحرب العالمية ، حين يكتب **مصطفى أمين** في « الموقف السياسى » للعدد ٣٢٢ الصادر في ١٩٥٢/١/٦ تحت عنوان « الحقيقة المرة » ليقول « تقف مصر اليوم وحدها في العالم تبحث عن صديق او حليف واحد فلا تجد » . وكان مراسله في لندن قد كتب في نفس العدد [صفحة ٧] ، يقول أن « دول الكومنولث ضد الجلاء » . وذلك كتأكيد عملي على ان مصر تقف وحدها .. وبالتالى لا مفر من ان نبحث جميعا عن حليف جديد .

خامسا : هنا تقدم « اخبار اليوم » مسألة الاحلاف والقواعد العسكرية تحت اسم من المهم ان نركز عليه بتأنى. فتستخدم لفظى «الدفاع عن الشرق الاوسط» و«حماية الشرق الاوسط » [انظر برقية مراسل اخبار اليوم فى ١٩٥١/١/٦ بعنوان الحرب ستبدأ فى الشرق الاوسط . وانظر ايضا مانشيت : « مباحثات امريكية بريطانية هامة لحماية الشرق الاوسط » فى ١٩٥١/١/٦ ايضا] .

... ومعنى هذا ان يعرف المواطن المصرى ان النشاط الامريكى لاقامة الاحلاف والقواعد ، مقصود به حمايته وحماية وطنه .

سادسا : ويعود **مصطفى أمين** من واشنطن ليكتب بعنوان «تحقيق اخبار اليوم عن الحرب القادمة » ويلقى أضواء باهرة على **ماك آرثر** وشجاعته وبطولته ودعوته الى اعلان الحرب ضد روسيا فورا . الى ان يقول بالحرف الواحد كما فى نص تحقيقه المنشور فى هذا العدد :

« .. ويعتقد **ماك آرثر** أن امريكا وحدها تستطيع ان تهزم روسيا . ولكن خبراء رئيس الجمهورية يقولون ان الجيش الروسى والطيران الروسى والاسلحة الروسية لا يجوز التقليل من اهميتها وخطرها ، وان امريكا وحدها لا تستطيع ان تغلب هذا العدو الجبار ، بل يجب ان تقف غالبية العالم الى جوارها ، كما وقفت غالبية العالم الى جوار بريطانيا لتهزم **هتلر** » .

.. ومعروف ان مصر وقفت مع بريطانيا والحلفاء ضد **هتلر** .

.. ويبقى - كما فى التحقيق وكما تؤدى اليه متداعيات التفكير - ان تقف مصر مع امريكا ضد روسيا .

ولا حاجة بنا الى أى تعليق .

.. نحن فى حاجة الى مزيد من القراءة المتأنية . ومجلدات الارشيف ضخمة وكثيرة .

« الطليعة »



● جمهورية مصر العربية ●

أول حصر واستقصاء للعمالة في ادارة القطاع العام

فى مؤتمر صحفى أعلن الفريق جمال عسكر رئيس الجهاز المركزى للتعبئة والاحصاء بنتائج أول حصر واستقصاء علمى شامل من العمالة فى مجال الادارة بقطاع النشاط الاقتصادى العام فى مصر ، وأبرز أهم نتائجه » وقد شمل الحصر ٣٤٫٢٠٨ الفا من المديرين بوظائف الادارة العليا والمستوى الاول ، وهؤلاء يعملون فى ٣٧٧ مؤسسة وشركة وهيئة عامة ، وهم يمثلون جميع من يعملون فى هذا القطاع من هذين المستويين [أى ابتداء من رئيس مجلس ادارة الى المساعد الادارى حتى الدرجة الرابعة] .

ودلت نتائج الدراسة فى مجال التدريب الادارى ، انه ينحصر غالبا فى زيادة المعلومات دون أن يتحقق منها زيادة القدرة على حل مشكلات العمل ، ودون تطبيق المعلومات الجديدة اتضح أن ٤٧٫٣٪ فقط حصلوا على التدريب . كذلك لم يحضر منهم سوى ٤٫٨٪ مؤتمرات علمية أو مهنية و٦٠٪ من هؤلاء لم يتقدموا للمؤتمرات بأى بحوث .

وبالنسبة للحصول على أول وظيفة اتضح أن ٣١٪ كانوا من بين العاملين فى الشركات قبل التأميم . وتلقى الدراسة الضوء على تغلب الطرق الشخصية فى الاعلام بالوظائف . اذ أن ٤٣٪ من المديرين علموا بها من خلال اتصالاتهم الشخصية و٤٠٫٢٪ علموا بطرق غير محددة فى الدراسة .

ولعل أكثر النتائج اهمية توضح أن ٧٤٪ من المديرين يعتقدون أن هناك وظائف أخرى أكثر اتفاقا مع خبراتهم ، بينما نجد أن أكثر من ٢٫٥٪ فقط لا يعتقدون أن وظائفهم الحالية تؤهلهم لمستقبل أفضل فى الوظائف الادارية فى القطاع العام . ويرى ٩٠٪ أن سبيل النجاح هو الممارسة والخبرة والعلاقات الشخصية ، بينما ١٫٨٪ يعتقدون أن العلم والتدريب المستمر هما محددات النجاح الوظيفى فى الادارة ..

لقد اتضح من الدراسة التى شملت حوالى ٣٤ ألف مدير أن الغالبية ١٩٫٧٤٤ قد حصلت على البكالوريوس أو الليسانس ، وأن هناك ٢٦٠ قد حصلوا على دبلومات عليا و٨٠ على درجة الماجستير ، و٥٧ على الدكتوراه بينما هناك ٢٣٨٠ حصلوا على المرحلة الابتدائية و٣٦ يقرأون ويكتبون أى ليس معهم شهادات على الاطلاق .

وتوضح الدراسة أن ما ينقص المديرين : المرتبات المجزية والامكانيات والموارد اللازمة للعمل والاماكن المناسبة والمساعدين الاكفاء . كذلك توضح الدراسة عدم وجود نظام موضوعى للتقدم الوظيفى بحيث يتدرج الفرد وفقا له فى مناصب الادارة طبقا لمعايير ومعدلات معروفة للفرد ذاته ، وأن هذا يثير عدم الثقة بالمستقبل الوظيفى ويحرم المديرين من حافز هام للخلق والابتكار وبذل الجهد . ولكن ثبت من الدراسة ايضا أن المديرين بالقطاع العام يتمتعون بدرجة من الحرية فى العمل والمشاركة فى تحديد الاهداف مما يخالف بعض الدعاوى التى تؤيد خلاف ذلك ، مع ذلك فان الانجازات المتحققة لا تتناسب مع توافر هذه المميزات .

وقد اتضح من الدراسة عن النفوذ النسبى للمديرين ، ان الاهمية دانت بالمدير المالى فالمدير الادارى ، فمدير المصانع ، فمدير المبيعات ، فمدير التخطيط فكبير المهندسين وهذا يدل على حقيقة الفكر الادارى السائد حيث لا تزال وظيفة التسويق والمبيعات ووظيفة التخطيط برغم اهميتها بعيدتان عن الاهتمام الموضوعى .

وتوضح الدراسة بالنسبة للرأى فى عيوب اساليب الادارة والقطاع العام انها فى المديرين انفسهم ، مما يوضح الحاجة الى تصميم نظم متطورة وثورية فى اختيار واعداد وتدريب القادة الاداريين ومحاسبتهم . هذا بالاضافة الى وجود عيوب فى التنظيم الادارى واساليب العمل بما يوضح الحاجة الى اعادة التنظيم ودعم الاجهزة الفنية للبحوث والتخطيط ومراكز المعلومات .

وتوضح الدراسة ، أن العوامل الاساسية للنجاح فى

● ج ٠ م ٠ ع ●	● لبنـــــان ●	● اليمن الشمالية ●	● قـــبرص ●
اول حصر واستقصاء فى ادارة القطاع العام	قـرارات ايجـابية لـدعم الصـــمود	مرحلــة جـــديدة فى الصراع على السلطة	فلســطين جـديدة فى جزيرة افـروديت

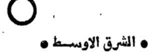
وحدات القطاع العام تأتى من داخل الوحدات الانتاجيــة ذاتها وليس من خارجها ، وهى تتركز فى كفاءة المديرين والعاملين وكفاءة التخطيط والتنظيم وتوافر الامكانيات المالية ثم دقة الرقابة .

وفى نفس الوقت ، توضح الدراسة اعتماد الدراســة أساسا على التخطيط القصير الاجل ، ومن هنا يتضح عدم التكامل مع الخطط المعتدة المدى التى تحدد الاهداف الكبرى وتعكس استراتيجيتها لضمان تحقيق أهـــدافها . وان التخطيط الادارى لا يعدو ان يكون مجمـــوعة من البرامج والموازنات غير المتكاملة .

وتؤكد المعلومات ان المديرين لا يولون موضـوع رسم **سياسة واضحة اهتماما كبيرا ، بدليل أن أهم مجالات العمل الادارى التى تحكمها سياسات واضحة هى بالترتيب: توقيع الجزاءات ، ثم ترقية الافراد ، ثم الانتاج ، ثم التدريب ، ثم اختيار الافراد ، ثم خدمـــات العاملين والحوافز ، ثم البيع والتخزين والشراء ونقل الافراد ، وأخيرا التمويل .** ويوضح هذا أن المجالات الحيوية التى تؤثر فى نجاح المشروع لا تنظمها قوانين مما يترتب عليه العديد من المشكلات وعدم الموضوعية ، واضـــطرار المرءوسين للرجوع الى رؤسائهم فى كل حالة مما يوضح الميل لتركيز السلطة ، وتعقد فى الاجراءات ، وانخفاض فى كفاءة الاداء .

ويرى المديرون أن أهم المشكلات التى تعانى منها وحدات القطاع العام من وجهة نظرهم هى عدم توافر مستلزمات الانتاج والعمالة الزائدة ، وندرة قطع الغيار ، وانخفاض مستوى الاجور والمرتبات ، واللوائح والقوانين المقيدة لحرية الادارة ، وتغلب الاعتبارات الشخصية وتدخل المؤسسات العامة فى شئون الشركات التابعة لها .

وبالرغم من أن كل هذه المعلومات قد تم تجميعها خلال اكتوبر ١٩٧٢ ، الا ان النمط الذى تبرزه لا يزال مطابقا لما توضحه الشكاوى والانتقادات الموجهة الى القطاع العام والاختناقات المتتالية فى الاسواق نتيجة للطاقات المعطلة . **من هنا تبرز هذه الدراسة العلمية الجـادة ضرورة أن تكون هناك وقفة لاعداد دراسات جديدة استعدادا لقفزة جديدة ينطلق فيها القطاع العام الى آفاق أرحب لتحقيق معدلات أكبر فى خدمة التنمية الاقتصادية والاجتماعية .**



● الشرق الاوســط ●

جروميكو :

رحلة لضبط الساعات السياسية

كيسنجر :

أمن اسرائيــل هو أمن أمريكا

علقت صحيفة « **لاكروا** » الفرنسية على زيارة جروميكو لدمشق والقاهرة ، بأن الدبلوماسية السوفيتية قد أكدت بهذه الزيارة فاعليتها فى المنطقة . وأكد الرئيس السادات فى تصريحه للتايمز بأن علاقة مصر بالاتحاد الســوفيتى « تحسنت كثيرا » بعد هذه الزيارة . واوضح البيـــان المشترك الصادر عن زيارة جروميكو للقاهرة ان الاتحاد السوفيتى ومصر يؤكدان من جديد موقفهمـا المبـدئى القائل بأن السلام الحقيقى الدائم فى الشرق الاوسط لا يمكن تحققه دون الانسحاب الكامل للقوات الاسرائيلية من جميـــع الاراضى العربية التى احتلت فى ١٩٦٧ ، وضمان الحقوق القومية المشروعة للشعب الفلسطينى ، بما فيها حقه فى تقرير المصير وفى وطنه القـومى الخاص . وان التسوية يجب أن تكون شاملة ، وان تشمل كل جوانب النزاع وتحل كل المسائل التى يتضمنها

وأبرز البيان اقتناع البلدين الراسخ بأن مؤتمر جنيف للسلام فى الشرق الاوسط ، هو أنسب منبر لمناقشـة كل جوانب التسوية . وأيد الجانبـــان استئناف مؤتمر جنيف فى أسرع وقت بمشاركة كل الاطراف التى يهمها الامر ، بما فى ذلك ممثلو منظمة التحرير الفلسطينية . وأكـــد الجانب المصرى على رأيه فيما **يختص بأهمية** وضرورة مشاركة **الاتحاد السوفيتى فى جميع مجالات**

ومراحل التسوية فى الشرق الاوسط ، بمسا فى ذلك مشاركته فى كل هيئات العمل التى يمكن أن تقام فى جنيف • وأعلن الاتحاد السوفيتى تصميمه على مواصلة تقديم المساعدة والمساندة الشاملة للقضية العادلة للشعوب العربية فى نضالها من أجل تصفية اثار العدوان الاسرائيلى واقامة سلام عادل ودائم •

وخلال الزيارة تم توقيع الاتفاقية القنصلية بين البلدين واتفاقية التعاون فى مجال التخطيط وخطة التعاون الثقافى والعلمى • وعقب الزيارة ، سافر وزراء الصناعة والتجارة والتعاون الاقتصادى لاجراء مباحثات فى موسكو حول عدة موضوعات أهمها : استخدام فائض القروض السوفيتية ، الاتفاق على مشروعات جديدة ، اعادة جدولة الديون • كما أعلن توريد صفقات من السلاح لمصر • وقد صرح جروميكو تعقيبا على الزيارة انه « هناك دائما حاجة الى اجراء تبادل واسع للاراء لضبط الساعات السياسية • وقال « اسماعيل فهمى » انه لم تنشأ خلافات خلال المحادثات • وأكد الرئيس السادات وجروميكو فى محادثاتهما الاهمية القصوى لتبادل الاراء بين ليونيد بريجنيف والرئيس السادات • وركزت على نفس النقط ، محادثات الرئيس الاسد مع جروميكو الذى زار دمشق قبل القاهرة ، فقد أكدا الاهمية القصوى لتبادل الاراء بين بريجنيف والاسد • وفى دمشق أوضح جروميكو فى عدة تصريحات موقف الاتحاد السوفيتى والمتمثل فى : انسحاب اسرائيل من كل الاراضى المحتلة ، وضمان حقوق الشعب الفلسطينى، وعقد مؤتمر جنيف لبحث كل المسائل المتعلقة بالتسوية • وقال « اننا نؤيد بحزم وثبات الشعوب العربية فى نضالها الباسل المعادى للامبريالية فى سبيل توطيد الاستقلال الوطنى والاقتصادى وتحقيق التقدم الاجتماعى» واضاف ان الوضع فى المنطقة ما يزال معقدا متفجرا بسبب السياسة العدوانية المغامرة لاسرائيل ومن يقف وراءها من الدوائر الامبريالية • ولكن الشعوب العربية استنادا الى وحدتها وتأييد أصدقائها ، لن تسمح لاحد أن يملى عليها شروطها •

وأكد البيان الصادر عن زيارة جروميكو لسوريا أهمية تدعيم الدفاع عن سوريا فى ظروف استمرار عدوان اسرائيل • وحق سوريا الذى لا ينازع فى استخدام كافة الوسائل الفعالة لتحرير أراضيها • وأكدت سوريا ضرورة اشتراك الاتحاد السوفيتى فى جميع المجالات والمراحل المتعلقة بالجهود الرامية الى حل عادل لمشكلة الشرق الاوسط • وأعرب الجانبان عن اقتناعهما بضرورة استئناف مؤتمر السلام فى جنيف على الفور ، على الا يتأخر بأية حال عن أواخر فبراير أو أوائل مارس ، مع مشاركة جميع الاطراف المعنية بما فى ذلك ممثلى منظمة التحرير الفلسطينية •

واعرب وزيرا الخارجية السورى والسوفيتى عن ارتياحهما لتطور التعاون المثمر وأكدا تصميمهما على تدعيم هذا التعاون •

ووقع الطرفان اتفاقية التعاون الاقتصادى والتكنيكى واتفاقية التعاون فى مجال الخدمات الصحية والطبية •

وعلقت جريدة الثورة السورية على محادثات جروميكو فقالت انها أكدت من جديد رغبة البلدين الصديقين فى مواصلة تدعيم علاقاتهما السياسية والاقتصادية والتجارية والثقافية والعلمية •

وبعد يومين من زيارة جروميكو ، استأنف كيسنجر سياسة المكوك بالتنقل بين أطراف النزاع • وتقول « الصياد » اللبنانية ان رحلة الوزير الامريكى الجديدة تستهدف تحقيق قدر محدود من التقدم بهدفين :

- الوصول الى تسوية نفطية فى المنطقة •
- ابعاد الدور السوفيتى أطول مدة ممكنة •

أما « يديعوت احرونوت » الاسرائيلية فتقول عن أهداف الزيارة : « يعتقد الامريكيون أنه بعد رفض السوفيت تجديد تزويد القاهرة بالسلاح من جهة ، ووضع مصر الاقتصادى من جهة أخرى ، يوفران الان فرصة فريدة للتوصل معها الى تسوية مرحلية • وهذه فى رأيهم فرصة لا يجوز لاسرائيل اضاعتها •

وقد أكد كيسنجر قبل وأثناء رحلته ، على أنها تهدف الى « الاستطلاع » ، وأن حل المشاكل لا يتم عن طريق مواجهة كل القضايا دفعة واحدة ، بل كل قضية على حدة وعلى فترات متباعدة • وقال انه سيستمع الى وجهات النظر من الطرفين ويستبعد منها كل ماهو غير عملى وما هو من قبيل الدعاية السياسية والاستهلاك المحلى ويركز على النقاط الاساسية فى تصور أمريكى للتقريب بين مطالب الطرفين• وقد أوضحت «روزاليوسف» أن هذا التقريب هو فى حقيقته محاولة تهيئة الموقف العربى للحل عن طريق مفاوضات مباشرة • وان الهدف الاساسى لرحلة كيسنجر هو ضرب قرار مؤتمر الرباط بوحدة التسوية ، بمحاولة اغراء مصر « بفضية كبيرة » تعزلها وذلك تمشيا مع تصريحات رابين بأن اسرائيل لن تتعامل مع الدول العربية مجتمعة • لكن مصر أوضحت موقفها بوضوح فى :

- لا تسوية منفردة • وان الانسحاب لابد وأن يحدث على الجبهات الثلاث المصرية والسورية والاردنية• وأنه اذا حدث تعهد واضح وصريح بالانسحاب من الجولان والضفة الغربية ، يمكن بحث بدء الانسحاب من الجبهة المصرية • وفى هذه الحالة لن ترضى مصر بأقل من الانسحاب حتى منطقة الممرات وحقول البترول فى أبورديس •
- ان هذه الانسحابات هى مجرد ترتيبات عسكرية لا يترتب عليها اى التزامات سياسية • وأعلن الرئيس السادات بوضوح انه لن يعطى لاسرائيل أى التزامات بعدم الحرب • وان كيسنجر يمكن أن يضمن الطرفين • وبدأ حديث فى واشنطون وبعض العواصم الاوربية عن حلف عسكرى بين الولايات المتحدة واسرائيل كوسيلة لطمأنتها •
- ضرورة مشاركة الفلسطينيين فى جنيف والاعتراف بحقوقهم المشروعة • وضرورة مشاركتهم فى اى مفاوضات حول الضفة الغربية •

وبعد زيارة كيسنجر لعواصم المنطقة أعلن أنه سيعود فى أوائل مارس وأعرب عن تفاؤله • وفى تل أبيب

قال أنه يعتقد بأن اتفاقا آخر تميرم • وأضاف أنه لن يتم حط فى لعبة سياسية الدول الكبرى التضحية باسرائيل ولا بأمنها. وقال ان النزاع بين امريكا واسرائيل هو نزاع بين أسرة واحدة ، وان أمن اسرائيل هو أمن امريكا • وقد أشاد رابين بجهود كيسنجر من أجل اسرائيل ونـــوه بصفة خاصة بدوره فى « **الجسر الجوى** » الذى أقيم فى اكتوبر ۱۹۷۳ لنجدة اسرائيل • والمعروف أن كيســنجر سيحمل فى رحلته القادمة التصـــور الامريكى للخطوة الجديدة فى تحقيق « التقدم المرحلى » • لكن **الوضع** — **كما يؤكد الرئيس فورد — « لا يجعل أحدا متأكدا مما يحدث فى هذه المنطقة المتفجرة جدا والصعبة للغاية »** •

O

• لبنـان •

قرارات ايجابية لدعم الصمود

يعتبر المراقبون أن مجلس الدفاع العربى المشترك الذى عقد فى القاهرة فى الفترة من ٥ — ٧ فبراير الماضى من انجح المؤتمرات التى عقدت فى نطاق الجامعة العربية • وقد خصص المجلس مؤتمره الاخير لبحث الوضع الخطير فى جنوب لبنان نتيجة الاعتداءات الاسرائيلية المتكررة على الجنوب ، وبحث كيفية مواجهة العدوان الاسرائيلى •

ويرى المراقبون أن الاتصـالات والمشاورات التى جرت بين وزراء الخارجية العرب قبل انعقاد المجلس ، قد أدت الى توفير أفضل الظروف أمام لبنان لكى يعرض وجهة نظره كاملة ، الامر الذى ســاعد على نجاح المؤتمر ، فقد اتفق خلال المشاورات على استبعاد مسألة الوجود الفلسطينى فى جنوب لبنان ، كما أن لبنان من ناحيته لم يضع شروطا تعجيزية أو تحفظات أمام مجلس الـــدفاع العربى المشترك ، وذلك على عكس ما حدث فى الاجتماع السابق للمجلس ، وكان لبنان واضحا وهو يضع مطالبه المعقولة أمام وزراء الدفاع والخارجية العرب •

كما يرجع نجاح المؤتمر من ناحية أخرى ، الى السياسة التى تنتهجها حكومة **رشيد الصلح** ، والمنسجمة الى حـد كبير مع المواقف العربية ، والتى تشارك وتنسـق مع البلدان العربيـة فى المجـالات المختلفة ، وبالاخص مع المقاومة الفلسطينية ، وذلك فى حدود ، الوضع الخاص للبنان وظروفه الداخلية — واعتقاد السلطة الحـالية فى لبنان ، بأن لبنان لا يسـتطيع أن يقف معزولا عن أزمة الشرق الاوسط ، وبالتالى عن الحلول الخاصـــة بأزمة الشرق الاوسط ، سواء سلما أو حربا •

ومن جهة أخرى ، فقد أظهر المؤتمر التقدير الـكامل من جانبه ، لوضع لبنان وظروفه الداخلية ، وعجز لبنان بمفرده عن توفير الحماية الكافية لحدوده الجنوبية ، وكذلك حرص المؤتمر على توفير الضمانات اللازمة للجبهة اللبنانية باعتبارها الجبهة الرابعة الساخنة والتى تتعرض حـاليا للعدوان المستمر من جانب اسرائيل •

ان النتائج الايجابية التى أسفر عنها اجتمـاع مجلس الدفاع العربى المشترك لا تزال غير معروفة ، ولقد اتفق على أن تظل قرارات المجلس بشان المساعدات المالية والعسكرية للبنان « سرية » ، وقد قال رئيس الوزراء ووزير الدفاع اللبنانيين أنه ليس صحيحا ما نشر فى الصحف العربية عن حجم أو نوعية المساعدات العربية للبنان » •

ولقد كان اعلان الحكومة اللبنانية عن ترحيبها بمقررات مجلس الدفاع العربى المشترك أثره البالغ فى أوســاط الرأى العام اللبنانى ، كما يعتبر ايضـا بمثابة رد على حملات التشكيك من جانب القوى الرجعية ، للتقليـل من اهمية مقررات مجلس الدفاع العربى وعــدم جدواها وقد ذهب بعضهم الى حد المطالبة برفض المساعدات العربيــة واعادتها الى أصحابها • وقد أعلن وزير الدفاع اللبنانى : « أن كل ما طلبه لبنان من دعم فى كل الميادين قــد أقره مجلس الدفاع بالاجماع .. وان التضـــامن العربى كان كاملا خلال الاجتماعات » • كذلك أعلن **رشيد الصلح** رئيس الحكومة اللبنانية : « ان مجلس الدفاع العربى المشترك ، قرر اعطاء لبنان مبالغ مفتوحة ودون تحديد » •

والشىء الواضح الان فى لبنــان ، أن القوى الرجعية المشبوهة تكثف نشــاطها حاليا ، وذلك من طريق استغلال حالة الاضطراب والفوضى فى الجنوب ، لاحــداث فتنة داخلية فى البلاد بين الشعب اللبنانى والمقاومة الفلسطينية كما يتبين ذلك من المذكرة التى بعث بها **بيير الجميل** زعيم حزب **الكتائب** اليمينى الى الرئيس اللبنانى **سليمان فرنجية** ، وذلك عشية انعقاد مجلس الدفاع العربى المشترك ، والتى تضمنت تحريضا ضد المقاومة الفلسطينية والقوى الوطنية والتقدمية المساندة لها فى لبنان ، كما تمثلت هذه المجالات أيضــا فى استكتاب أهالى الجنوب عرائض الى الحكومة للمطالبة بابعاد المقاومة الفلسطينية عن جنوب لبنان ، وكذلك المحاولات التى اســتهدفت منع الوفد اللبنانى من الذهاب الى مجلس الدفاع العربى من جانب الحلف الثلاثى الجديد [**صائب سلام** ، **رشيد كرامى** ، **ريمون اده**] ، الامر الذى يوضح معارضة القوى الرجعية لقرارات مجلس الدفاع العربى المشترك مقدما ، ومنع لبنان من الدفاع عن نفسه بالتعاون مع البلدان العربية الشقيقة •

ومن ناحية أخرى فما تزال اسرائيل تواصل اعتداءاتها على قرى الجنوب ، كما تشــــاهد الدوريات الاسرائيلية وهى تتسلل الى قرى الجنوب ، حيث تقوم بتدمير المنــازل وقتل واختطاف الاهالى ، دون أن تجد من يتصـــدى لها سوى المقاومة الفلسطينية •

ويتزايد الاحساس العام لدى المواطنين فى لبنان ، بأن اسرائيل قد تقدم على توجيه ضربة شديدة لاكتساح جنوب لبنان ، لتحطيم ثقة الاهالى فى الحكومة واثبات عجـز مجلس الدفاع العربى المشترك عن عمـل شىء • وذلك بهدف اجبـار الحكومة اللبنانية على فك اشتباك جـديد على الحـدود مع اسرائيـل ، تكون ضـحيته المقـاومة الفلسطينية •

هذا فى نفس الوقت الذى تواصل فيه القوى الوطنيـة والتقدمية والجماهير الشعبية ، الضغط على الـحكومة ، وذلك من أجل تحقيق مزيد من التلاحم مع دول المواجهـة ضد اسرائيل ، وتحويل لبنان من جبهـة مســاندة الى جبهة مواجهة ، وتحقيق سياسة دفاعية مشتركة مع الدول العربية ، وادخال قوات عربية الى لبنان لتســاعد على حمايته من العدوان الاسرائيلى ، وتسليح أهالى الجنوب وتنظيم مقاومة شعبية للدفاع ضد الاعتداءات الاسرائيلية المتكررة •

● الخليج العربى ●

«مصيرة» ... ما مصيرها ؟

أصبحت جزيرة مصيرة الواقعة على الساحل الجنوبى الشرقى لامارة عمان ، حديث الصحف العربية ووكالات الانباء العالمية فى الفترة الاخيرة ، حيث تجمع كل الانبـاء بأن هناك مفاوضـات بين الولايات المتحدة والامارة وبريطانيا ، من أجل اقامة قاعدة جوية لسـلاح الطيران الامريكى فى الجزيرة .

والمعروف أن بريطانيا تستخدم جزيرة مصيرة رسـميا كقاعدة عسكرية جوية وبحرية منذ عام ١٩٥٨ ، وهى تعد من أخطر القواعد العسكرية البريطانية فى المنطقة وتقع على بعد ٣٥٠ ميلا من مضيق هرمز ، حيث يوجـد اكبر مخزن بترول فى العالم وذلك بعد انسحاب بريطانيا من داخل الخليج ، والتمركز فى امارة عمان فى أواخر عـام ١٩٧١ . والقاعدة مجهزة بمحطة اذاعة ، كما يوجد بهـا مخازن للسلاح والذخيرة ، تستخدم فى امداد القـوات البريطانية ، التى تتولى حاليا قيادة جيش عمان فى الحرب الدائرة هناك الى جانب القوات الايرانية ضد ثوار ظفار .

وقد أثير موضوع جزيرة مصيرة لاول مرة ، خـلال زيارة السلطان **قابوس** حاكم عمان وقيس **الزواوى** وزير خارجية عمان للولايات المتحدة فى ٩ــ١ــ١٩٧٥ ، حيث اجتمعا بالرئيس الامريكى فورد والمسئولين الامريكيين ، وقد حصل السلطان قابوس على موافقة الولايات المتحدة على بيع طائرات هليكوبتر ، وامداد عمان بمعدات عسكرية متطورة ، وذكرت « صحيفة كريستيان سـاينس مونيتور الامريكية » ، بتاريخ ١٧ــ١ــ١٩٧٥ : « أن الهـدف من هذه المعدات هو تدعيم القوات العمانية ضد حـرب العصابات التى تشنها الجبهة الشعبية لتحرير عمان منـذ عام ١٩٦٥ ، وذلك فى مقاطعة ظفار بجنوب عمان ، وأن هذه المعونة العسكرية الامريكية الممنوحة للسلطان قابوس بمثابة تأمين ضد أى تحرك محتمل من الجبهـة ، وتلك الجماعات العربية الراديكالية ودول الكتلة الشيوعية التى تسـاندها .. كما ذكر قيس **الزواوى** وزير خارجية عمان بصدد المحاولات الامريكية : « ان الامريكيين طلبوا حق استخدام قاعدة مصيرة ، من حين لآخر ، والحصول على تسهيلات لاعادة تزويد الطائرات العسكرية بالوقود ، وانه فى ضوء علاقاتنا الطيبة مع الولايات المتحدة فلا نرى هناك مشكلات ، وأن عمان تجرى مناقشات مع بريطانيا للاجابة



■ ■ تجربة من المانيا الديمقراطية :

الماركسـيون والمسـيحيون يبنـون الاشـتراكية يـدا فى يـد

خـلال جولتى فى معرض الـكتاب العربى ، استوقفنى هورست لوثار تيفيلبت المحرر المسئول عن آسيا وأفريقيـا وأمريكا اللاتينية بدار أوفباو للنشر فى ألمانيا الديمقراطية ، وهو صديق قديم . ودار حديث معه عن النشر فى المـانيا الديمقراطية ، من خلاله كان حوار عن الحياة الحزبية فى جمهورية ألمانيا الديمقراطية . واذا بنا أمام تجربة ديمقراطية من المفيد ان نسجلها :

ففى ألمانيا الديمقراطية خمسة أحزاب : الحزب الاشتراكى الموحد ، والحزب المسيحى الديمقراطى ، والحزب الليبرالى الديمقراطى ، والحزب الوطنى الديمقراطى ، وحزب الفلاحين . ولكل حزب من هذه الاحزاب دار النشر الخاص بها ، وعنها تصدر الجرائد اليومية الخاصة بالاحزاب والكتب والمطبوعات

ويدين كـل حزب بمدارسه الحزبية ، التى تعد الـكادر الحزبى ، حيث يدرس فيها أساسا مشاكل البناء الاشتراكى ، والعلوم الانسانية والاخـلاقية . ولـكل مؤتمراته وندواته ونشاطه الجماهيرى ، ودوره الخاص لتعبئة الجماهير فى عملية بناء الاشتراكية فى البلاد .

والى جانب هذه الاحزاب السياسية توجـد المنظمات الجماهيرية ، التى فيها تتحد حركة الجماهير على اختـلاف مشاربها السياسية والعقائدية ، نقابات العمال واتحـادها وهو تنظيم طبقى للطبقة العاملة ، ومنظمات الشـباب ، والنساء والطلاب والمثقفين .

وكل هذه القوى ممثلة فى مجلس الشعب ، حيث تتم الانتخابات وفق قائمة موحدة . وهى ممثلة على الاساس التالى :

الحزب الاشتراكى الموحد له ٢٥ ٪ ، حزب الفلاحين ١٠ ٪ ، الحزب الوطنى الديمقراطى ١٠ ٪ ، الحزب المسيحى الديمقراطى ١٠ ٪ ، الحزب الليبرالى الديمقراطى ١٠ ٪ ، النقابات العمالية ١٤ ٪ ، الشباب ٨ ٪ ، النساء ٧ ٪ ،

على الطلب الامريكي » . [الصنداي تايمز البريطانية ، ١٩-١-١٩٧٥] .

هذا ويثير موضوع استخدام الولايات المتحدة لجزيرة مصيرة ، ردود فعل شديدة في أوساط الراى العام والصحف العربية، والتي اعربت عن استنكارها ومعارضتها للمشروع ، الامر الذى دعا وزارة الخارجية العمانية الى اصدار بيان تنفى فيه تأجير جزيرة مصيرة للولايات المتحدة واتهمت الصحف العربية بشن حملة دعائية ضد امارة عمان .. غير ان المصادر الرسمية الامريكية والبريطانية عادت بعد ذلك لتؤكد من جديد ان هناك مفاوضات تجرى بالفعل بين الولايات المتحدة وكل من عمان وبريطانيا ، وذلك بشأن استخدام سلاح الطيران الامريكي للقاعدة البريطانية فى جزيرة مصيرة .

ويزيد من المخاوف لدى الراى العام العربى ، تكرار الزيارات التى تقوم بها حاملات الطائرات والمدمرات التابعة للاسطول السابع الامريكي لمياه الخليج ، وذلك منذ شهر نوفمبر الماضى ، والتي وصفتها المصادر الامريكية بأنها زيارات تدريبية . هذا الى جانب ما تنقله الانباء من تهديدات على لسان الرئيس الامريكي فورد وهنرى كيسنجر وزير الخارجية وجيمس شليزنجر وزير الدفاع الامريكى ، بالاستيلاء على منابع النفط العربية عند الضرورة .

ويلاحظ المراقبون ، أن الاتجاه الحالى للولايات المتحدة هو شغل القواعد العسكرية البريطانية فى المنطقة ، وذلك على نحو ما حدث بالنسبة لجزيرة دييجوجارسيا فى المحيط الهندى ، ثم قاعدة الجفير فى البحرين ، وأخيرا قاعدة مصيرة فى سلطنة عمان . وان الهدف من وراء ذلك هو استكمال حزام القواعد العسكرية الامريكية حول البلدان العربية المنتجة للبترول ، وممارسة الضغط عليها وحملها على تخفيض أسعار النفط .

هذا وقد اعرب عدد من البلدان العربية التقدمية ، عن معارضتها الشديدة لسياسة التوسع الامريكي فى الخليج وجزيرة مصيرة . كما ناشدت هذه البلدان الجامعة العربية للتدخل فورا لوقف هذا المشروع الاستعمارى ، والمطالبة بسحب الوجود العسكرى الاجنبى من الاراضى العمانية ، وحذرت من الاخطار التى تستهدف حركة التحرر الوطنى العربية ، والنظم الوطنية والتقدمية العربية ، والتى ترمى الى التأثير على قضية الصراع العربى الامبريالى الصهيونى فى الشرق الاوسط .

المثقفون ٥ ٪ . وليس ضروريا ان يكون رئيس مجلس الشعب من الحزب القائد ، حز. الاغلبية ، فرئيس المجلس الحالى من المسيحى الديمقراطى . ورئيس الوزراء من الحزب الاشتراكى الموحد ، ونوابه من الاحزاب الاخرى .

وهكذا يبنى الماركسيون والمسيحيون والليبراليون والوطنيون والفلاحون الاشتراكية يدا فى يد .

وليس من تناقض فى المانيا الديمقراطية بين الكنيسة وبين الاشتراكية ، فالمشاكل السياسية والاجتماعية تحل عن طريق الحزب المسيحى الديمقراطى . ويتم تمويل الكنيسة بواسطة اعضائه كما تتلقى اعانات من الحكومة فى حالة اقامة المبانى الكبيرة للكنيسة . وتمارس الكنيسة نشاطها بكل حرية ، فلها الى جانب نشاطها الدينى دور النشر الخاصة بها ، والمكتبات المستقلة الى جانب وجودها فى مكتبات الدولة . كما توجد كلية للاهوت فى جامعات برلين وليبزج وبيناوروستك وجرايفسفالد . والاقلية الكاثوليكية لها نشاطها الخاص وكنائسها الخاصة وهى تتبع البابا فى روما .

وتشترك الحكومة مع الكنيسة فى النشاط الخاص بمكافحة الثقافة الغربية الداعية للانحلال ، فهما يحاربان يدا فى يد — مثلا — المخدرات والافلام الجنسية . وللكنيسة دور كبير فى المساهمة فى اعادة بناء البلاد . وتشترك الكنيسة بفعالية فى نشاط حركة السلام .

وتتكون الجبهة المتحدة من الاحزاب والمنظمات الجماهيرية، ولها مؤتمرها الخاص الذى ينتخب هيئاتها القيادية . ولها لجانها القاعدية ، وهى لجان لا يشترط تكوينها من الاعضاء الحزبيين وهى تهتم بمناقشة مشاكل التعليم والخدمات والشارع والحى والمنطقة ، وحتى مشاكل الحياة المنزلية ، وحتى رئيس الجبهة المتحدة ليس عضوا حزبيا ، وهو حاليا البرفيسور كورنس استاذ الكيمياء فى الجامعة .

ان الحزب الاشتراكى الموحد — لا يفرض دوره القيادى فى بناء الاشتراكية فى المانيا الديمقراطية ، ولكنه يحققه من خلال التعاون الديمقراطى الكامل بين كل القوى الاجتماعية والسياسية على اختلاف مشاربها الفكرية والعقائدية والدينية وهكذا فانه كما كان حزب الفلاحين فى المانيا منذ خمسة قرون تحت راية الدين شعارها المساواة بين الجميع ، فان الحزب المسيحى الديمقراطى يشارك فى بناء الاشتراكية تحت نفس الشعارات .

ان هذه التجربة التى يجب أن تدرس بعمق وعناية ودون احكام مسبقة — تتحقق فى المانيا الديموقراطية على اساس من الفهم العميق لتاريخ المانيا الديموقراطية الثقافى والقومى ودور الاشتراكية والكنيسة فى هذا التاريخ ، وبروح الرغبة فى اعادة بناء البلاد فى كافة المجالات ، وهو أمر لا يمكن تحقيقه الا اذا اتحدت كل قوى وعناصر الوطن بغض النظر عن منطلقاتها العقائدية والفكرية والدينية والسياسية — المهم هو بناء الوطن اقتصاديا وانسانيا ، بناء الاشتراكية حيث لا يستغل الانسان اخاه الانسان ، بكل السواعد وبكل الجماهير المعباة ديمقراطية داخل مؤسساتها الحزبية والديمقراطية والخاصة والدينية .

عبد المنعم الغزالى

● الكويت ●

تصاعد التيار الحضارى

فى نهاية شهر يناير الماضى .. توقفت الخيام الكبيرة بولائمها عن استقبال الناخبين ، بعد أن أعلن انتخاب المجلس النيابى الكويتى الجديد ، الذى يخلف المجلس السابق انتخابه فى ١٩٧١ .

وتميزت الانتخابات الكويتية الحالية ، ببروز تيار الشباب المثقف ، وهو تيار يوصف بأنه ليبرالى عصرى يطالب بتنسيق خليجى ، ويركز على دور الكويت فى الخليج العربى .

وقد ابرزت الانتخابات الكويتية لخمسين نائبا يمثلون كل الكويت ، وجود مجموعة من التكتلات الطبقية والسياسية والاجتماعية ، تعد نفسها لحياة حزبية صريحة فى الكويت .

وقد احتفظ تكتل نواب البدو والعشائر بكل نوابه فى المجلس الجديد ، والذين تم انتخابهم فعلا منذ ثلاثة أشهر على أسس عشائرية . كما أن **نواب الشيعة** ارتفع عددهم فى المجلس الجديد من **سبعة الى عشرة نواب** .

أما « **جمعية الاصلاح** » **او الحزب الدينى** فقد أصيبت بنكسة كاملة ، فسقط جميع مرشحيها وأبرزهم السيد **يوسف هاشم الرفاعى** .

أما تكتل « **الوسط التجارى** » وهو ما يعرف **باليمين العصرى** ، والذى تمثله جريدة « **القبس** » ، والذى رغم ثقله المالى الكبير **لا يمثل أكثر من ٣ ٪ الى ٥ ٪** من المجتمع الكويتى — فقد فقد الكثير من ركائزه . ويطالب هذا التكتل باقامة مجموعة من الصناعات فى الكويت ، واشتراك رؤوس الاموال الكويتية فى الصناعة العربية والتنمية العربية وان كان اتجاه رؤوس أمواله فى البلاد العربية موجه أساسا فى المجال العقارى .

وفى نفس الوقت كسب « **التجمع الوطنى** » والمعروف **بجماعة الوسط** مقاعد جديدة، ويمثله **جاسم القطامى** ، وهو تجمع يمثل بالاساس موظفى الدولة والمعلمين ومستخدمى القطاعات الخاصة ورجال الاعمال المتوسطين والصغار، وقد كان جاسم القطامى من وجوه الجناح الناصرى فى الستينات داخل حركة القوميين العرب ، ويركز هذا التجمع على دور الدولة فى النشاط الاقتصادى ، مع الابقاء على الطابع الخاص للنشاط الاقتصادى .

وأما تكتل **اليسار** والذى تعبر عنه مجلة « **الطليعة** » ، ويمثله الدكتور **أحمد الخطيب** ، فقد حصل على **ثلاثة مقاعد** ، بعد أن كان له اربعة مقاعد فى المجلس الماضى

ويؤيد هذا التجمع عمال البترول ، وذوى الدخل المحدود . وقد تحالفت معه فى نهاية الانتخابات جريدة « **الوطن** » التى يرأس تحريرها **محمد مساعد مصالح** .

وتميزت الانتخابات الكويتية الحالية — بتصاعد دور الشباب المثقف والعناصر العمالية ، وانفصال الشباب عن انتماءاته وولاءاته العشائرية والطائفية القديمة ، وبروز قدرته على فرض تيار حضارى قوى ومتميز ، فى مواجهة تيارات التخلف . كما يتوقع المراقبون تحول الكتل والتجمعات داخل المجلس الى أحزاب سياسية حقيقية .



● اليمن الشمالية ●

مرحلة جديدة
فى الصراع على السلطة

تثير التطورات الحالية فى جمهورية اليمن الشمالية اهتمام المراقبين السياسيين فى العالم العربى وفى الخارج على السواء ، وذلك بالنسبة لما يمثله موقع اليمن الشمالية بالقرب من باب المندب عند مدخل البحر الاحمر من اهمية كبيرة فى الصراع العربى الاسرائيلى الامبريالى ، وخاصة بعد أن أخذت تتكشف أراضى اليمن عن وجود البترول فى باطنها .

وكان مجلس القيادة العسكرى الذى يتولى السلطة فى البلاد ، قد أصدر فى ١٥ يناير الماضى قرارا باقالة **محسن العينى** رئيس الوزراء ، كما تم القبض بعد ذلك على اثنين من الوزراء ، اثر تقديم استقالتهما احتجاجا على اقالة محسن العينى ، وهما الدكتور **عبد الوهاب محمود** وزير الاقتصاد ، و**سلطان القرشى** وزير التموين .

وقد أكد الوزيران فى استقالتهما : معارضتهما للتحول الجديد فى السياسة اليمنية التى أقصى بسببها رئيس الوزراء محسن العينى للعمل ضد مصلحة الشعب اليمنى ، بهدف ارضاء رجال المشايخ الموالين لبعض الانظمة المجاورة ، وعلى رأسهم الشيخ **عبد الله حسين الاحمر** رئيس مجلس الشورى والقاضى **عبد الله الحجرى** عضو مجلس الشورى .. وقد أعلن المقدم **يحيى المتوكل** وزير الداخلية اليمنى : ان الوزيرين اعتقلا بتهمة انتمائهما لحزب البعث . وقد تم الافراج بعد ذلك عن الدكتور عبد الوهاب محمود وزير الاقتصاد وظل الثانى وهو سلطان القرشى فى الاعتقال حتى الان .

وقد أثيرت عقب القبض على الوزيرين حملة عنيفة من جانب أجهزة الاعلام على الاحزاب والعقائد الغريبة المستوردة التى تتعارض مع الشريعة الاسلامية ، وعلى الذين يريدون اغراق اليمن فى الكلام الفارغ والابتعادية من طريق التنمية الاقتصادية .

وفى الواقع لم تكن اقالة محسن العينى من رئاسة الحكومة مفاجأة بالنسبة للمراقبين والمطلعين على الاوضاع السياسية والصراعات الطبقية فى اليمن الشمالية ، الذين قدروا أن محسن العينى لن يبقى فى الحكم أكثر

من ستة أشهر ، وذلك بمجرد زوال الظروف التي ادت الى الاستعانة به كوجه وطني ، فهو ينتمي الى الجناح المعتدل في حزب البعث العربي الاشتراكي في اليمن ، لكي يملأ المكان الذي خلا بذهاب القاضي عبد الرحمن الايرياني ، وريثما يتم اعداد المسرح اليمني لفصل جديد في معركة الصراع على السلطة ..

ولذا يعتبر المراقبون أن اقالة محسن العيني ، ليست سوى حلقة في مسلسل الاحداث الذي بدأ بالاطاحة بحكم **القاضي الايرياني** رئيس المجلس الجمهوري ، اثر الخلاف بينه وبين الشيخ **عبد الله حسين الاحمر** رئيس مجلس الشورى ، وبعض قادة الجيش من أبناء القبائل ، ثم ما كان من استيلاء مجلس القيادة العسكرى برياسة المقدم **ابراهيم الحامدى** على السلطة في البلاد في ١٣ يونيو ١٩٧٤ .

وأيا كان الرأى في سياسة القاضي عبد الرحمن الايرياني المحافظة ، وعدائه الشديد للديمقراطية والقوى اليسارية ، فقد جاهد الايرياني خلال حكمه من اجل حماية استقلال وسيادة اليمن . وقد اعتبر المراقبون اقصاء الايرياني في ذلك الوقت انتصارا لاحتكارات البترول الاستعمارية في المنطقة ، وانتصارا لسياسة التدخل في شئون اليمن الداخلية من جانب جيرانه الاقوياء وانتصارا لمجلس الشورى برياسة الشيخ عبدالله الاحمر

وقد استطاع محسن العيني أثناء عمله بالوزارة والتعاون مع المقدم ابراهيم الحامدى رئيس مجلس القيادة تحقيق بعض النتائج الايجابية ، تتمثل في تجميد نشاط مجلس الشورى ، وتحقيق بعض الاستقرار المالي في البلاد ، واستكمال خطوات مشروع الوحدة مع النظام التقدمي في اليمن الجنوبية ، بحيث لم يتبق سوى التوقيع عليه وتنفيذه .

ولكن سرعان ما أخذت الامور في اليمن تتجه وجهة أخرى ، وذلك بسبب تفاقم الخلاف بين قبلتى « **حاشد** » و « **بكيل** » أكبر القبائل اليمنية التي تشترك في شئون الحكم . ويتزعم قبيلة حاشد الشيخ عبد الله حسين الاحمر رئيس مجلس الشورى ، كما يتزعم قبيلة بكيل الشيخ سنان أبو لحوم صهر محسن العيني ، ووالد المقدم على أبو لحوم قائد قوات الاحتياطي ، وعضو مجلس القيادة العسكرى . ويساندهم المقدم **مجاهد أبو شوارب** عضو مجلس القيادة ، وعدد كبير من العناصر الشابة في القوات المسلحة ، والتيار البعثي والقومي في اليمن ، والذين يرفضون ما يطلقون عليه التدخل من جانب الجيران في الشئون الداخلية لليمن مقابل المساعدات التي تقدم لليمن .

وقد انعكس هذا الصراع بالتالي داخل مجلس القيادة العسكرى، وظهرت نتائج هذا الصراع في الوقائع التالية :

● ففي ١٩٧٤/٨/٧ ، أصدر مجلس القيادة العسكرى قرارا يقضي بالاعدام والاشغال الشاقة المؤبدة على كل من يشارك من أفراد القوات المسلحة والامن والملحقين العسكريين في ابداء الاراء الحزبية والمساهمة في الاحزاب السياسية ، أو تنظيم الدعاية أو الاجتماعات ذات المبادىء أو الميول السياسية .

● وفي ١٩٧٤/١١/٤ ، أصدر **ابراهيم الحامدى** رئيس مجلس القيادة العسكرى ، قرارا بعودة مجلس الشورى واستئناف نشاطه ، وتكليف مجلس الشورى بمهام تشريعية في الدولة باعتبار أنه السلطة التشريعية في البلاد .

● وفي خلال موسم الحج ، عقد الشيخ **عبد الله حسين الاحمر** رئيس مجلس الشورى مؤتمرا في المملكة السعودية ، اشترك فيه الفريق **حسن العمرى** الذي يقيم في السعودية منذ سنوات ، و**عبد الرحمن البيضاني** الذي يقيم في القاهرة ، كما اشتركت في المؤتمر عناصر من قادة الثورة المضادة المعادية للنظام القائم في جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ، وفي مقدمتهم **عبد القوى مكاوى** رئيس حكومة اليمن الجنوبية أثناء الحكم الاستعمارى البريطاني .

● وفي ١٩٧٥/١/٤ عاد الفريق حسن العمرى وبصحبته الشيخ عبد الله الاحمر الى صنعاء ، حيث استقبل استقبالا رسميا شارك فيه ابراهيم الحامدى وعدد من أعضاء مجلس القيادة العسكرى .

● ثم ما كان أخيرا من اعلان مجلس القيادة العسكرى في ١٣ يناير الماضي من اقالة محسن العيني رئيس الوزراء ، الذي قيل « انه لم يعد يتمتع بثقة مجلس الشورى » كما ذكر أيضا « أنه اقيل لعوامل خارجية متعلقة بعلاقات اليمن العربية والدولية » .

ومن الطبيعي أن تثير التطورات السياسية في اليمن الشمالية والتي أطاحت بحكومة محسن العيني التساؤلات حول مستقبل الاوضاع في اليمن الشمالية . ومما يذكر عن عبد العزيز عبد الغني رئيس الحكومة الحالية انه من الخبراء في الشئون المالية والاقتصادية ، كما أنه لا يهتم بالسياسة ، وكذلك الحال بالنسبة لبقية أعضاء الوزارة ، باستثناء المقدم **يحيى المتوكل** وزير الداخلية وعضو مجلس القيادة ، و**أحمد دهمش** وزير الاعلام ، و**عبد الله الاصنج** وزير الخارجية وهو من اليمن الجنوبية والذي يثير وجوده في الوزارة علامة استفهام جديدة ، وذلك بالنسبة لمستقبل الوحدة بين شطرى اليمن ، اذ المعروف عن الاصنج أنه من المعادين للنظام القائم في اليمن الجنوبية .. هذا ومن المقرر ان تمكث الحكومة الحالية في السلطة مدة ستة أشهر ، وذلك الى أن يتم انتخاب مجلس شورى جديد في شهر ابريل القادم ويتم اجراء تعديل في الدستور الحالي .

ويعتقد المراقبون أن معركة الصراع على السلطة لم تحسم بعد بين الاتجاهين السياسيين الرئيسيين في الساحة اليمنية . ولا يوجد هناك بين المراقبين من يستطيع التكهن بنتائج الصراع الحالي في البلاد ، وان كان الاعتقاد السائد لدى المراقبين ، أن انتخابات مجلس الشورى القادمة لن تكون نهاية للاحداث ، بل بداية لجولة جديدة في الصراع بين الاتجاهين الرئيسيين الرجعي والقومي في البلاد ، الى أن تحسم قضية السلطة لصالح أى من هذين الاتجاهين السياسيين في اليمن الشمالية .

● قبرص ●

فلسطين جديدة في جزيرة أفروديت

اذاع قسطنطين كرامنليس ، رئيس وزراء اليونان ، بيانا عقب اجتماعه بكورت فالدهايم السكرتير العام للامم المتحدة ، أعلن فيه أنه لفت نظر فالدهايم الى خطورة المشكلة القبرصية التى قد تتطور الى فلسطين أخرى أو أسوأ منها . وقال ان الجانب اليونانى لن يذعن للأمر الواقع الذى يريد الاتراك خلقه فى قبرص . وقال ان حكومة قبرص بمساندة من اليونان تلجأ للامم المتحدة لان الجانب التركى فى المحادثات الطائفية بقبرص وتركيا ذاتها ، يواصلان تاكتيكات خلق الامر الواقع .

وطالب كليريدس ، رئيس البرلمان القبرصى ، مجلس الامن الذى اجتمع بناء على طلب قبرص لبحث الازمة الناتجة عن اعلان الطائفة التركية استقلال الجزء الشمالى ، بحث الاجراءات الفعالة لاجبار تركيا على تسحب قوات الاحتلال وتوقيع عقوبات عليه اذا تلكأت فى التنفيذ .

والواقع أن احتلال ٣٥ ألف جندى تركى للجزء الشمالى من الجزيرة ، وخطة ربطها بتركيا اقتصاديا وتجاريا وهى الخطة التى يجرى تنفيذها بدأب — بل وتغيير أسماء المدن الى أسماء تركية — كل ذلك كان تقسيما فعليا للجزيرة وفرض سياسة الامر الواقع ، وانهاء دورها المستقل ودور مكاريوس . ويؤكد المراقبون

تعليق

■ ■ أثيوبيا — أريتريا :

قبل أن تدق الثانية عشرة .. في أثيوبيا وأريتريا معا

تطورات الاحداث فى اريتريا يجب ان تفزع كل وطنى فى افريقيا وتستنفره للعمل من اجل دره اخطارها . فقد اصبح الصراع على درجة من التعقيد ، بصعب معه التنبؤ بقدرة اطرافه على احتوائه فى حدود محلية ، او حتى قارية .

لقد رفضت الحركة الوطنية الاريترية ، الدعوة الى وقف القتال . وحكومة النظام الاثيوبى الجديد — ايضا — قد رفضت نفس الدعوة . وبالتالى يتصاعد القتال الدموى ويتسع بين الجانبين يوما بعد يوم . وتراق كل يوم دماء العشرات والمئات من الاشقاء الافريقيين ..

والواقع ان طبيعة المنطقة وموقعها وتشابك تطوراتها السياسية ، عامل اساسى ينبغى الا يغيب عن أى تحليل وطنى حريض على مستقبل المنطقة كجزء من مصير القارة كلها .

● فالمنطقة — سياسيا : ١ — المنفذ الوحيد لاثيوبيا الى البحر والخارج . ومن هنا فان النظام الجديد فيها لن يسلم بسهولة القضية خاصة اذا وضعنا فى الاعتبار انه بعد اعلان برنامجه الوطنى التقدمى فى ديسمبر الماضى ، يتوقع ان يحكم اعداؤه الحصار من حوله ، فضلا عن ان اى تطور للقضية سوف يؤثر على مسار مشاكل اخرى متفجرة وكامنة داخل بعض اقاليم اثيوبيا . ٢ — ان المنطقة تجاوز النظام التقدمى فى الصومال وتؤثر تطوراتها ايضا على دول اخرى مجاورة تهتم بعض الدوائر بتجنب هذه الاثار .

والمنطقة — عسكريا : ١ — مفتاح رئيسى لمدخل البحر الاحمر . وبالتالى فان مستقبلها له تأثيره على استراتيجيات دول عديدة ، اقليميا ودوليا . خاصة بعد ان تفتتح قناة السويس من جهة وشدة تركيز الاهتمامات الدولية على منطقة الخليج . ٢ — ان المنطقة تطل ، فى الجانب الاخر من البحر ، على شاطىء تضم اراضيه بباطنها ٦٠٪ من احتياطى البترول العالمى . ٣ — ان المنطقة قواعد عسكرية امريكية ، فضلا عما تشهدته من محاولات اسرائيلية سابقة للبحث عن موقع راسخ لاقدامها .

والمنطقة — اقتصاديا تضم الثروات الاساسية وخاصة البترول .

.. وقد تختلف الاراء حول المسألة الاريترية ، وهل هناك أمة ؟ أم ان اثيوبيا واريتريا ، تضم شعوبا متعددة ؟

على ان كافة القوى الوطنية التقدمية تسلم بحق شعب أريتريا فى تقرير المصير على نحو يضع فى اعتباره كل معطيات الموقف ومشاكل الحدود المنتشرة والكامنة فى انحاء القارة . على نحو يغلق الباب امام كثير من محاولات اذكاء الحزازات الموروثة والقائمة بالفعل ، لاحداث انفجارات دائمة تنهك قدرات القارة وتحبط مساعى شعوبها لتحقيق امالها فى تجاوز حالة التخلف الرهيبة التى تعانيها . .

ويجب ان تكون الاعتبارات والحقائق التالية مرشد كل خطوة :

● يجب بذل كل الجهود لحصر القضية في اطار اثيوبى — اريترى — افريقى .

ان ذلك يتم تنفيذا لخطة الولايات المتحدة ، ولخطة كيسنجر – على وجه التحديد وهو الذى يريد تجزئة الجزيرة وتغطيتها بالقواعد العسكرية الامريكية . ويتم المخطط – حاليا – على أيدى الاتراك . ومن قبل أرادوا تنفيذ نفس المخطط عن طريق الانقلاب الذى دبره فى قبرص كولونيلات اليونان قبل الاطاحة بهم . فقد كانوا يهدفون حينذاك الى التخلص من مكاريوس وتقسيم الجزيرة وزيادة اعتمادها على الولايات المتحدة . لكن اليونان افلتت ومن ثم استداروا الى تركيا . واستغلوا كل امكانياتهم هم وحلفائهم لتسهيل عمل الاتراك – وان تعالى الضجيج عن قطع المعونات عن تركيا – ففى الاونة الاخيرة نقلت القوات البريطانية تسعة آلاف تركى كانوا لاجئين فى معسكراتها فى الجزيرة الى تركيا ليعودوا من جديد الى القطاع الذى تسيطر عليه القوات التركية . فى حين كانت حكومة قبرص ترى أن يتم الافراج عن هؤلاء الاتراك مقابل الافراج عن القبارصة اليونانيين الموجودين فى المناطق التركية . وأكدت الصحف الغربية أن كيسنجر هو الذى ضغط على بريطانيا لتفعل هذا ، وليحرم حكومة قبرص من ورقة للمساومة . وعلى أثر هذا الاجراء ، قام القبارصة اليونانيون باقتحام السفارة الامريكية وأحرقوها والقوا بأثاثها من النوافذ احتجاجا على تحريض أمريكا لبريطانيا للقيام بهذا العمل . كما اعتدت مجموع أخرى من القبارصة اليونانيين على السفارة البريطانية فى أثينا .

ومن جانب آخر أعلنت المانيا الغربية – أيضا بتحريض أمريكى – استئناف شحن الاسلحة لتركيا . وكانت قد أوقفت الشحن عقب الغزو التركى للجزيرة .

واذا كان الاتراك القبارصة ١٠٠ الف فحسب ، فان مساحة الـ ٤٠ ٪ من الجزيرة التى تحتلها القوات التركية والتى تريد اقامة دولة مستقلة فيها – تدخل فى اتحاد فيدرالى أو كونفدرالى مع الدولة اليونانية القبرصية – هذه المساحة تكفى لاستجلاب آلاف من الاتراك الى الجزيرة ، بما يكرس التقسيم ويستنفد طاقات الجاليتين، ومن ثم ينهى الى الابد دور الجزيرة المستقل ، ويخلق فعلا « فلسطين جديدة » .

من هنا كان اصرار مكاريوس على سحب كل القوات الاجنبية من الجزيرة ، بما فى ذلك القواعد البريطانية ،

● – ان النظام الجديد القائم فى اثيوبيا ، نظام وطنى تقدمى ينبغى الحرص على استمراره ومساندته فى ممارسة مسئولياته الوطنية والافريقية .

● ان الحركة الوطنية الاريترية تعبير لا شك فيه عن رغبة فى تصفية اعمال الظلم والقهر التى واجهتها اريتريا على ايدى حكم هيلاسلاسى ونظامه . وبالتالى فهى تعبير عن رغبة فى تقرير المصير .

من هنا نقول ، ان اتجاه النظام الاثيوبى الجديد الى رفض التفاوض على اساس تقرير المصير ، كمبدأ ، موقف لا يضع فى اعتباره كل ابعاد الصورة . بل ويتغافل احتمالات ان يقود «التعنت» الى اخطار محدقة بالثورة الاثيوبية نفسها . ويكاد هذا ان يحدث بالفعل . فالنظام الجديد فى حاجة الى استقرار يضع خلاله موضع التطبيق ، برنامجه الوطنى – على الاقل . ومن هنا ايضا نقول ان تفجير الموقف وتصعيده على النحو الذى تفجر وتصاعد به من جانب الحركة الوطنية الاريترية ، غداة اعلان النظام الاثيوبى الجديد عن برنامجه الوطنى التقدمى ، نقول ان فى ذلك دفع للاحداث ربما الى غير صالح اريتريا نفسها . بل انه لكذلك بالفعل .

نقول هذا ، لان الموقف قد أصبح – عمليا – معقدا غاية التعقيد الى حد الغموض بل والى حد اثارة الشبهات فى بعض الاحيان . ولنأخذ بعض الامثلة :

فبينما يعلن النظام الاثيوبى الجديد برنامجه الوطنى التقدمى، يندفع تحت وطأة متداعيات الموقف ، الى رفض اعمال الوساطة لوقف اطلاق النار . بل ويندفع الى حد ان يطلب من امريكا ان تمده بالسلاح لمواجهة متطلبات القتال !

والحركة الوطنية الاريترية تصعد الموقف والقتال على نحو لم يحدث ايام حكم الامبراطور هيلاسلاسى . ومتى ؟ بعد ايام قليلة من اعلان النظام الاثيوبى الجديد لبرنامجه !.

والغرب – وامريكا بالذات – أصبح يسمى الاريتريين « المقاتلين » و « الوطنيين » ، بعد ان كان يسميهم ابان حكم هيلاسلاسى «بالمخربين» و « الارهابيين » !.

وبعض القوى الاخرى التى كانت تمارس ضغوطا معروفة على الحركة الوطنية الاريترية فى كفاحها المسلح ضد هيلاسلاسى، تسارع اليوم وتتنافس لمساندة ودعم الوطنيين الاريتريين الى اقصى حد وبلا تحفظ !

اليس ذلك كله – على بعضه – غريبا !

لقد اصبحت الصورة معقدة للغاية . ويكاد زمام الموقف ان يفلت بالفعل من ايدى اطرافه الحقيقيين . وليس هذا – بالقطع – فى صالحهم .

ما العمل اذن ؟

حقن الدماء ووقف نزيفها اليومى ، هو المطلب الوطنى – القومى – الافريقى .. الاول . ثم ليلتقط الطرفان الانفاس ، مع اقرار النظام الاثيوبى الجديد لحقيقة ان الحركة الوطنية الاريترية هى المثل الشرعى لاريتريا . ومع اقرار الحركة الوطنية الاريترية بان النظام القائم فى أديس ابابا الان نظام وطنى تقدمى ، وان اساليب التعامل مع نظام من هذا النوع تختلف بالقطع عن اساليب التعامل مع نظام اقطاعى متخلف موال للاستعمار كنظام هيلاسلاسى السابق . وان الضغط من خلال التعامل مع عناصر اثيوبية انفصالية ، سوف يضر بقضية اريتريا نفسها .

.. وهنا يبرز اهمية الدور المسئول الذى يجب ان تتصدى منظمة الوحدة الافريقية لممارسته على الفور .. وعلى أعلى المستويات وأنشطتها .

لازالت هناك ساعات ، يجبان تستغل على أعلى قدر من المسئولية من جانب الطرفين ، قبل ان تدق « الثانية عشرة » ويحل الظلام . ولا يدرى احد ما الذى سيحدث بالضبط فى جنباته وان كنا جميعا ندرك جيدا النتائج المزمنة لتدابير الليل»

حسين شعلان

وترك أبناء الجزيرة يقررون أمورهم بأنفسهم . ومن هنا جاءت مطالبة كليريدس بتطبيق قرار مجلس الامن الذى يدعو لانسحاب قوات الغزو التركى . وفى ضوء كل هذا يبدو الا مناص من عقد مؤتمر دولى حول قبرص يحضره أصحاب المشكلة ليقرروا مصير جزيرتهم بعيــــدا عن مخططات القضاء على وحدتها وتكاملها .



● فرنسا ●

ديستان .. وليس مارك هالتر

وما من وجه للشبه أو المقارنة بين الرجلين .

والامر هنا لا يعدو أكثر من محاولة تصوير كاريكاتيرية خالصة لواقع جاد ..

انها محاولة لرؤية بعض خطوط الصراع داخل فرنسا تجاه منطقة الشرق الاوسط .

الصراع بين اتجاهين .. الاول يقول بسيادة المصالح الفرنسية ويرى ويتفهم نوعية العلاقات والتوازنات الجديدة فى العالم ، ويقاوم محاولات التسيد الامريكية على مصائر كل العالم الغـــــربى ، ويستشعر امكانية أن تلعب أوربا الغربية دورا متميزا وأوربيا بمعنى أن تسود فيه المصلحة الاوربية الخاصة وليس الامريكية ، ويعى درس اغلاق قناة السويس ، ودرس المقاطعة البترولية التى هددت اقتصاديات أوربا الغربية بالشلل بينما استفاد منهــــا الاحتكاريون الامريكيون ، ويطمح الى استيعاب وتشغيل والاستفادة من الودائع العربية الهائلة ، ويدرك أن لصفقات السلاح الضخمة جوانب متعددة منها الجانب الاقتصادى أيضا .

وباختصار تيار يضع المصلحة الفرنسية اولا عند النظر للقضايا الدولية وخاصة قضية الشرق الاوسط وذلك هو تيار **ديستان** وفى مقابله تيار آخر قدمنا له رمز كاريكاتيرى هو **مارك هالتر** صهيونى أكثر مما هو فرنسى ، وان كان يتكلم الفرنسية بطلاقة محاولا - عبثا - اقناع السياسة الفرنسية بأن مصلحتها فى الانحياز لاسرائيل .. وبما أن اسرائيل ومصالحها لا تنفصل عن المصالح الامريكية ، فان بقية المعادلة معروفة سلفا ..

ولقد انتصر تيار ديستان .. وهزم التيار الصهيونى ورمزه ، وفى هذا الاطار تأتى زيارة الرئيس **أنور السادات** الى العاصمة الفرنسية كخطوة لتكريس هذا الانتصار ، وكمحاولة لتطويره .

وقد كان الاستقبال الفرنسى الحافل للرئيس **السادات** تعبيرا حقيقيا عن مدى ادراك فرنسا للاهمية القصــوى للتعامل مع العرب ، وكانت كلمات « **رؤوس الامـــوال العربية** » « **البترول العربى** » « **صفقات السلاح المجزية** » تحوم دوما وان لم يشر اليها كثيرا ، أو بشكل مباشر .

والحقيقة ان زيارة **الرئيس السادات** لفرنسا كانت فرصة سانحة لتوجيه حملة اعلام مكثفة الى الراى العام الفرنسى

فقد سبقتها سلسلة متماسكة من التصريحــات الصحفيـــة والاذاعية التى ادلى بها **الرئيس السادات** لمراســــلين فرنسيين ،اعطت بمنطلقاتها الموضوعية تمهيدا جيدا للزيارة .

وكما كانت الزيارة فرصة لاعلان النوايا المصرية .. فقد كانت فرصة أيضا لاعلان النوايا الفرنسية ، ولقد تقاربت الخطوط الرئيسية للاعلانين الى درجة كبيره بحيث مهدت السبيل لصدور بيان مشترك متوازن ، ومحدد المعالم ، وخال من الكلمات المطاطة التى تحتمل معان متنوعة . فقد أكد البيان على أن الرئيسين « قـــد أوليا اهتماما كبيرا للتطورات الاخيرة واحتمالات الموقف فى الشرق الاوسط وما يثيره من قلق . وعبرا عن اقتناعهما المشترك بانه لا غنى عن تحقيق خطوات ايجابية فى وقت قريب بحيث تساعد على سرعة التوصل الى تسوية سلمية وهى تسوية يتعين لكى تكون عادلة ودائمة ، أن تتوفر شروط أساسية ثلاثة وهى :

- الانسحاب من جميع الاراضى التى احتلت فى ١٩٦٧
- تكريس حق الشعب الفلسطينى فى أن يكون له وطن
- الاعتراف بحق جميع دول المنطقة فى أن تعيش فى سلام داخل حدود آمنة ومعترف بها ومضمونة .

ويبدو أن مباحثات **الرئيس السادات مع الرئيس ديستان** كانت مثمرة وخاصــة فيما يتعلق بالدور الفرنسى بصفة خاصة والاوربى الغربى بصفة عامة فى حل أزمة الشرق الاوسط الى درجة أن الرئيس السادات قد صرح للصحفيين قائلا « اعتقد الان ، ولاول مرة منذ ستة وعشرين عاما ، أن السلام قد أصبح ممكنا فى الشرق الاوسط . اننا نقف عند منعطف فى الوقت الراهن ، ولا يتعين أن نترك الفرصـــة تفلت من أيدينا » .

وعلى أية حال فان حدود الدور الفرنسى وامكانياته ، ترتبط فى النهاية بحجم فرنسا فى توازنات القوى العالمية هذا من ناحية،ومن ناحية اخرى فانها ترتبط بالمصالح الفرنسية والتطلعات الفرنسية المتزايدة تجاه المنطقة العربية .

ومن هنا فان العلاقة مع فرنسا ليست سوى محور من محاور أخرى يتعين تواجدها كى تدور العجلة فى الاتجـــاه الصحيح أو حتى كى تمتلك الطاقة التى تمكنها من الدوران أصـــــلا .

○

● بنجالاديش ●

البــانجاباندو مجيب ..

زعـــيم أم رئيـــس ؟

... نادرة هى الزعامات الشــــعبية فى عصرنا ؟ والبانجاباندو [حبيب الشعب] **مجيب الرحمن** هـــو واحد من هذه الزعامات النادرة ، فهو لم يكن بحاجـــة الى كرسى الرئاسة كى يصبح زعيما للشعب ، بل لقد

أصبح زعيماً ورئيساً وحيداً للشعب حتى وهو فى السجن ، لكن بنجلاديش تعرضت منذ نشأتها لمؤامرات شرسة ، من أقصى اليمين [الاحزاب التى تعارض الشعارات الاربع للثورة الديمقراطية ـ الاشتراكية ـ القومية ـ العلمانية] الى التيارات الماوية التى تتشبث عبثا بفكرة أن قيام دولة بنجلاديش هو مجرد ثمرة لمخطط هندى ـ سوفيتى ومن ثم فان العناصر الماوية ترفض مبدأ الاستقلال وترفض معه كل السلطة الوطنية بأبنيتها المختلفة وتتهمها بالعمالة والخيانة ، وترفض حتى استخدام اسم بنجلاديش متمسكة بأنها شرق باكستان .

ومع انتشار الفقر ، وضعف أبنية الدولة ، وتفشى الفساد فى مختلف القطاعات ، وضعف العمل السياسى والرقابة ، بالاضافة الى الفيضانات والكوارث الطبيعية التى أدت الى زيادة النقص فى انتاج البلاد من الحبوب بأكثر من ثلاثة ملايين طن [العصر الحديث ١٩٧٥/٢/٤] أدى ذلك كله ـ ونواقص أخرى كثيرة ـ الى نجاح العناصر المناوئة فى شن حملات ارهاب منظمة ، واختلط الحابل بالنابل فى كثير من الاحيان ، فقطاع الطرق والمهربون أو الخصوم السياسيون ، من أقصى اليمين ، والعناصر الماوية .. هؤلاء جميعا يحملون السلاح ويستخدمونه ، والاسلحة كثيرة من بقايا حرب التحرير ، والقتل كثير أيضا . وتقول صحف بنجلاديش انه طوال شهر ديسمبر كانت ترتكب كل يوم ١٢ عملية اغتيال سياسية فى المتوسط ضد كوادر الحزب الحاكم وانصاره وكبار رجال حكمه .

وتختلط الامور ببعضها فالعصابات تسرق تحت ستار السياسة ، والمعارضة السياسية تقتل تحت ستار العصابات ، ونجحت جماعتان احداهما بزعامة **سبراج سيكدار** والاخرى بزعامة **محمد طه** فى الاستيلاء على بعض المناطق وشن عمليات تصفية لعناصر الحكومة فيها [التايمز ـ البريطانية ـ ١٩٧٤/٤/٢٦] .

وكان من الطبيعى أن يلجأ المواطن العادى الى السلاح أيضا ليحمى نفسه ، وهكذا أصبحت « **الرصاصة** » هى الفيصل فى كثير من الاحيان .

وأوشكت الامور على التردى ، وانقسم حزبه « عوامى » الحاكم الى فرق والى شلل استخدمت ـ هى أيضا ـ لغة الرصاص ، ضد بعضها البعض ، وضد كوادر الاحزاب الصديقة كالحزب الشيوعى وغيره .. واتهمت هذه « الشلل » بعضها البعض بالفساد وممارسة التهريب [**وهو تجارة رابحة**] وبتخريب القطاع العام والاقتصاد الوطنى .

وكان لابد من محاولة حاسمة وصارمة لاسكات صوت الفوضى ، ولمحاولة استجماع زمام الامور ، وألقى **البانجا باندو مجيب** بكل أوراقه على المائدة . ففى ٢٨ ديسمبر ١٩٧٤ أعلنت حالة الطوارىء وكلف الجيش والبوليس معا بفرض الاستقرار ووضعت كل المنشآت الحيوية تحت الحراسة المشددة . وبعد أقل من شهر وافق « **المجلس الوطنى** » بالاجماع [وهو يضم نوابا يمثلون كل الاحزاب المتحالفة بما فيها الحزب الشيوعى] على تعديل الدستور ، وادخال النظام الرئاسى ، ومنح الرئيس حق الاشراف على الوزارة ، وحق تأسيس حزب واحد فى البلاد ، بما يعنى حل الاحزاب المختلفة بما فيها حزب عوامى نفسه . والرئيس المنتخب لخمس سنوات ، له سلطات تنفيذية وتشريعية كاملة ، والمجلس الوطنى له سلطة استشارية فقط [المحرر ٢٦ يناير ١٩٧٥] . وحتى تجرى انتخابات الرئاسة تقرر أن يتولى **مجيب الرحمن** هذه المسئوليات جميعا ..

وفور صدور هذه القرارات ، تصاعدت الاسئلة حول موقف **الحزب الشيوعى** فى بنجلاديش من مثل هذه الاجراءات التى تعنى أولا وقبل كل شىء موافقته على حل نفسه .. وفى هذا الصدد تشير مجلة العصر الحديثة السوفيتية الى بيان أذاعه **محمد فارهاد** سكرتير عام الحزب الشيوعى يرحب فيه بادخال الشكل الرئاسى فى الحكومة وانتخاب **مجيب الرحمن** فى منصب الرئيس ، وقد أكد البيان أن التغييرات التى أدخلت على الدستور تخدم توحيد القوى الوطنية على أساس جديد من أجل تطوير البلاد فى طريق التقدم [العصر الحديث ٤ فبراير ١٩٧٥] .

وبرغم المصاعب فان المتفائلين من المراقبين يشيرون الى امكانيات جدية لحدوث تقدم فى بنجلاديش مشيرين الى اكتشاف مصادر غاز طبيعى غنية ، والى تزايد انتاج البلاد من السكر والشاى ، والى فعالية الاجراءات التى تتخذ لمنع التهريب ومواجهة الفساد فى دوائر الحكومة .. مشيرين ايضا الى استمرار تحالف القوى الوطنية ، والتقدمية ، والشيوعية دفاعا عن كيان الوطن وسعيا وراء تقدمه .



الجلســـة الســـرية لمجلس الشـــيوخ المعقودة فى ١١ مايو ١٩٤٨ عن مســـألة فلســـطين

تنشر « الطليعة » فى هذا العدد ، وبعد ان قدمت فىاعـداد ماضـية مجموعة منَ وثائق « السمار المصرى والقضية الفلسطينية » ، وثيقة بالغة الاهمية.هي محضر الجلســة السرية لمجلس الشيوخ المصرى [احد المجلسين التشريعيين في النظام البرلمانى المصرى قبل ثورة يوليو ، والذى كان يضم قيادات وكبار ممثلى الاحزاب السياسيةالحاكمة وكبـــار ملاك الارض والراسماليين المصريين] .

وقد عقدت الجلسة في ١١ مايو ١٩٤٨ . اىقبيل حرب فلسطين بأيام ثلاث ، وذلك لمناقشة موضوع اشتراك الجيش المصرى فى الحرب الفلسطينية واقرار الاعتمادات اللازمة للاشتراك فى هذه الحرب .

ولقد أشير الى هذه الوثيقة الهامة فى أكثرمن مرجع تاريخى ، وأكثر من مناسبة سياسية دون ان تتاح الفرصة لاحد فى الاطلاع عليهـــاأو قراءتها ولو بشكل جزئى ذلك أنها متضمنة فى ملف خاص بمحاضر الجلسات السرية لمجلس الشيوخ والنواب .

ان الاهمية التاريخية لهذه الوثيقة لا تـكمن [illegible] وبالتفصيل حقيقة المواقف والاتجاهات التى جرى تداولها وسط أعلى قمةسياسية وتشريعية فى النظام الملكى القائم فى ذلك الحين ، ولا تـكمن فقط فى انها توضيحقيقة مواقف بعضكبار الملاكوالراسماليين تجاه قضية العروبة بشكل عام والقضية الفلسطينيةبشكل خاص ، وانما أيضا فى أنها توضـــح حقيقـــة مواقف ومناورات الدول الاستعماريةوخاصة أمريكا وبريطانيا تجاه هذه المشكلة ومحاولات هذه الدول لارتداء مسوح الحيـــادالزائف أو الوساطة بين الطرفين .

ان بعض الفئات الكومبرادورية التى عاشتعلى التعامل مع الاحتـكارات الاجنبيـة وتربت وأثرت فى اطار توكيلاتها التجارية ونشاطهـاالطفيلى .. كانت هى صاحبة الصـوت الاعلى فى رفض المشاركة المصرية فى حرب فلسطين ،الامر الذى قد يلقى الضوء على مواقف ممثليها الان أو امتدادها الطبيعى الراهن .

وسوف تواصل « الطليعة » تقـديم وثائقأخرى حول هذه القضية القومية الهامة مستهدفة اتاحة المواد التاريخية اللازمة لتحديد موضوعى اكثر دقة لابعاد وطبيعة المواقف المختلفة تجاهها

ويقوم بتجميع هذه الوثائق د. رفعت السعيدضمن محـاولة شاملة لتقييم مواقف القـــوى والتجمعات المختلفة تجاه القضية الفلسطينية .

الرئيس : حضرات الشيوخ المحترمين ،

طلب الى حضرة الزميل المحترم دولة صدقى باشا أن يبدأ بالقاء كلمة فى موضوع فلسطين . ولما كان للحكومة أن تتكلم كلما طلبت ذلك فقد سألت دولة رئيس مجلس الوزراء فرأى أن يبدأ هو بالكلام . فاذا كان لدولة صدقى باشا بعد ذلك مايريد الاستفسار عنه فلا مانع بعد انتهاء دولة رئيس مجلس الوزراء من القاء كلمته ، لذلك فليتفضل دولة رئيس مجلس الوزراء لالقاء كلمته .



النقراشي

حضرة صاحب الدولة محمود فهمى النقراشي باشا رئيس مجلس الوزراء :

حضرات الشيوخ المحترمين — تعلمون حضراتكم أن موضوع قضية فلسطين نهتم له كل الدول العربية كل الاهتمام . فانه لم يكد ينعقد اجتماع لمجلس جامعة الدول العربية الا ويتناول قضية فلسطين بالدراسة ويتتبع تطورات حالتها والاجراءات التى يجب على الدول العربية أن تتخذها لصيانة فلسطين عربية موحدة . ففى أكتوبر الماضى طلبت الدول العربية عقد اجتماع لرؤساء حكوماتها فى لبنان وقد كنت يومئذ عائدا منذ قليل من أمريكا الا اننى نظرا لاهمية الاجتماع حتم على أن أسافر الى لبنان للاشتراك مع حضرات رؤساء حكومات الدول العربية الاخرى للنظر فيما يجب علينا عمله لقضية فلسطين . وفى ذلك الوقت كان اجتماع لندن قد انتهى على غير نتيجة ، والجمعية العمومية لهيئة الامم المتحدة على وشك الاجتماع لدراسة مسألة فلسطين ، وبريطانيا قد اعتزمت على انهاء الانتداب وكان يشغل بالنا جميعا وبال مئات الالاف من العرب المقيمين فى المنطقة التى يقطنها اليهود وعددهم نحو ٤٠٠٫٠٠٠ عربى — أقول كانت تساورنا الخشية على حياتهم وأرواحهم وأرواح ذويهم . فطرح للبحث موضوع اشتراك الدول العربية بقواتها ، وعرضت كل دولة ما يمكنها أن تقوم به . ولكننى تحفظت وقلت ان مصر فى نزاعها مع بريطانيا العظمى — وجنود بريطانيا مازالت مقيمة فى أراضينا — فلا يمكنها أن ترتبط فى اى اشتباك عسكرى مادام الحال كذلك . وكانت جميع الدول العربية أيضا متفقة على أنه لا يجوز أن تتدخل جيوش الدول العربية مادامت بريطانيا محتفظة بانتدابها ومتحملة مسئولية الامن فيها . ولكن كان هناك جيش حكومة شرق الاردن . وهذا الجيش كان يستخدمه الانجليز للمشاركة فى حفظ الامن . وهو جيش على استعداد وافر وتسلحه جيد وخبرته طيبة وشجاعته معروفة وذلك لان الصهيونيين ما كانوا يقبلون أن يشتركوا معها مطلقا .

لقد اتفقنا على ضرورة مساعدة الفلسطينيين بالمال حتى يتيسر لهم مقاومة الضغط الصهيونى المتوقع . وتعلمون حضراتكم أن نصيب مصر فى أموال الجامعة العربية هو يقدر بـ ٤٢٪ وقد قررتم حضراتكم اعتمادا بمبلغ ٤٢٠٫٠٠٠ ج فى ميزانية وزارة الخارجية لهذا الغرض . لقد رأينا فيما بيننا ما يمكن أن يقوم به كل عضو من أعضاء الجامعة العربية . ويسركم أن تعلموا أن مصر قد قامت بواجبها الكامل فى هذه الناحية . وقد اعترف المجاهدون الفلسطينيون بأنهم انتفعوا كل الانتفاع بالتسهيلات وبالموارد التى تلقوها من البلاد المصرية . أن المقاومة التى بذلت الى الان يرجع جزءا كبيرا منها الى ما حصل عليه الفلسطينيون من المصريين . لقد اجتمع مجلس الجامعة العربية فى مصر بعد ذلك وتقررت امدادات أخرى يجب أن تقوم بها الدول العربية كما تقرر تقديم مليون جنيه أخرى . هذه المبالغ استعملت لمساعدة المتطوعين الفلسطينيين على تدريبهم وتسليحهم وتمكينهم من القيام بالدفاع عن بلادهم وانقاذ فلسطين من الضغط الصهيونى .

فنيما يتعلق بحكومة شرق الاردن فانه فى الاجتماع الاول الذى عقد فى «عالية» بجبل لبنان اتفقت جميع الدول العربية على أن المعونة المالية الواجبة لحكومة شرق الاردن لتمكينها من استمرار جيوشها فى القيام بواجبها يجب أن تقوم بها البلاد العربية فى حالة منع الحكومة البريطانية لهذه المعونة . وتعلمون حضراتكم أن حكومة شرق الاردن مواردها المالية محدودة ، والاتفاق الذى بينها وبين الحكومة البريطانية يقضى بأن الحكومة البريطانية تقوم بنفقات الجيوش . وتقدر هذه النفقات بنحو ثلاثة أو ثلاثة ونصف مليون جنيه . فالحكومات العربية فى اجتماع لبنان اتفقت على أنه فى حالة منع الحكومة الانجليزية لهذه الاعانة تقوم الدول العربية بدفع هذا المبلغ لحكومة شرق الاردن حتى يتمكن جيشها من الاستمرار فى أداء واجبه .

حضرة الشيخ المحترم محمد فؤاد سراج الدين باشا — وهل يكون هذا بنفس النسبة ؟

حضرة صاحب الدولة محمود فهمى النقراشي باشا رئيس مجلس الوزراء — نعم بنفس النسبة . وفى هذا الوقت كان جزء من الجيش فى حيفا . وتطورت الاحوال فى فلسطين ، وسيطر على أرض السلام الحديد والنار . ولكن المجاهدين العرب صمدوا لهذا الضغط وتبين للعالم أن العرب ، حينما قالوا انهم لا يرضون بالتقسيم ولا يسمحون به ، كانوا جادين وقادرين على البذل فى سبيل مقاومة هذا التقسيم . وكان العرب فى ذلك الوقت وبعد الوسائل التى تذرع بها الصهيونيون يقومون بنسف بعض المبانى وقد أرقعوا بهم خسائر كبيرة . لقد كان موقف الفلسطينيين رائعا فى الذود عن بلادهم ولفت انظار العالم — وأمريكا بوجه خاص — فشرعت حكومة الولايات المتحدة تخفف من تأييدها للتقسيم . كما صار رجال أمريكا ينتقلون فى البلاد العربية وينقلون لحكوماتها بصفة رسمية أو غير رسمية اعتزام أمريكا على التخفيف من موقفها فى تأييد التقسيم . ولقد حضر الى شخص أمريكى ، له شأنه ، وكان مكلفا بمهمة الى جلالة الملك عبد العزيز آل سعود وقال أنه مخول له أن يبلغنى بصفة سرية التحول الجديد فى سياسة الحكومة الامريكية ازاء قضية فلسطين . وبعد ذلك سافر الامريكى الى بغداد مارا بمصر وقابلنى ونقل الى هذا المعنى . وفى هذه الاثناء تذكرون حضراتكم أن مندوب الولايات المتحدة فى مجلس الامن أعلن عدم تمسك حكومته بالتقسيم أو هذا المعنى ولكن فى عبارات سياسية وانهم يفكرون فى حل آخر . بعد ذلك تقدمت أمريكا بمشروع الوصاية ، فبحثته اللجنة السياسية للدول العربية وقدمت مقترحاتها فيما يتعلق بهذا المشروع . وأن مشروع الوصاية بشكله الذى عرض كان خطره لا يقل عن خطر التقسيم . ولقد بدأت العصابات الصهيونية تشدد حملاتها على المجاهدين العرب ، واقترن هذا التشدد بالبحث فى موضوع هدنة تعقد بين الفريقين لايقاف القتال . وأرى ان هذا الاقتران ليس مصادفة . بل انهم كانوا يريدون التاثير فى شروط الهدنة بالفعل . وتذكرون حضراتكم انه فى يوم من الايام جاءت الاخبار بأنهم حاصروا العرب الذين غزوا مستعمرتهم مشمار ، ولقد جاء لامين الجامعة العربية تلغراف من جلالة الملك عبد الله عن طريق وزير خارجيته الذى كان موجودا فى مصر — بأن المتطوعين العرب قد حوصروا فى مشمار وأنه جاءه لطلب النجدة . فطلب الامين العام للجامعة ان تقدم النجدة لهؤلاء المحصورين . وفى اليوم التالى ارسلت اللجنة السياسية — وكانت قد اجتمعت وكنت حاضرا معهم — الى ملك شرق الاردن برقية تطلب اليه أن يتقدم لانقاذ هؤلاء العرب الذين حاصروهم الصهيونيين ولكن العرب فى هذه الاثناء تمكنوا من انزال ضربات قوية بالصهيونيين ، ونجوا

من الامر ، وكان موقفهم جليلا ورائعا . ومن ذلك الوقت جعل الصهيونيون ضغطهم يزداد على المجاهدين العرب ولكن الحكومة البريطانية كانت تبلغ الدول العربية أنها مسئولة حتى ١٥ مايو عن حفظ الامن فى البلاد ولا تسمح للقوات الاجنبية أن تتدخل . فاستمر العبء على المتطوعين من مختلف البلاد العربية . وتعلمون حضراتكم أن القوات الصهيونية هى عصابات منظمة ولها أسلحة وفيرة . وفوق ذلك فان عددا كبيرا منها كان منتظما فى سلك الجيوش النظامية فلهم خبرة من الحرب العالمية الثانية .

لقد اشتد الضغط على هؤلاء المجاهدين الذين يذودون عن ديارهم فى ظروف شديدة والبلاد العربية لا تريد أن تشتبك جيوشها مع جيوش الحكومة المنتدبة وهى الحكومة البريطانية . ولقد قدمت كل منها مايخصها أن تقدمه ويجب على أن أخص بالذكر سوريا لانها من أول الامر جعلت جميع مواردها وقفا على الذود عن فلسطين . استمرت الحالة تشتد والرأى العام فى كل بلد عربى يزداد قلقا على مصير اخوانه الباقين فى فلسطين . ولقد سافر سمو الوصى على عرش العراق الى عمان واجتمع بجلالة الملك عبد الله ، ثم حضر الينا فى مصر وتحدث مع المسئولين فى أمر ما يجب أن يعمل لانقاذ فلسطين . وبطبيعة الحال كان جوابنا أن مصر لا تتأخر عن القيام بواجبها . وهى لن تكون وراء الدول العربية أبدا بل هى ستكون معهم فى صف واحد . ولقد لفت النظر جلالة الملك عبد الله الى أن ميزانية جيش شرق الاردن قاصرة عليه فى زمن السلم . وانه عندما تدخل الجيوش الميدان لابد وأن يقتضى ذلك نفقات اضافية قدرت لاول وهلة بمبلغ مليون ونصف من الجنيهات ورأت الجامعة أن تكتتب فيه ووافقتم حضراتكم على ما خص مصر منه وهو مبلغ ٦٣٠٫٠٠٠ جنيه .

وتتقدم الحكومة الامريكية الان واللجنة الثلاثية أو مجلس الامن بمشروع الهدنة . والحديث يجرى فيه بالاخذ والعطاء ، لان العرب يخشون أن تكون هذه الهدنة وسيلة لتزويد الصهيونيين بقوات اضافية جديدة . والواقع أن مجلس الامن حائر وكذلك هيئة الامم المتحدة والحكومة الامريكية . ولقد جاءنى سفير أمريكا برسالة شفوية قال فيها أن الموقف فى فلسطين يتطور من سىء الى أسوأ ، وأن الحالة كادت تكون حربا تنقلنا الى حرب سافرة . وانك كرئيس للحكومة المصرية تعرف أن أمريكا تعطف على مصر ، ومستعدة أن تمدها بكل معونة . ولكن اذا استمرت الحالة على ما هى عليه فاننا لا يمكننا أن نقدم لحكومة مصر أية معونة . ويجب اما أن تتم الموافقة على مشروع الوصاية أو يقدم مشروع آخر يحل محله ، فأجبته بأننى أتفق معه على أن الموقف يتحول من سيىء الى أسوأ ، ولكن هذا لم يكن من صنع مصر . بل ان مصر حذرت من هذا ونبهت الى العواقب الوخيمة أما اذا كنتم تريدون افساح الطريق «للهاجاناه» فهذا شىء آخر . أما نحن فلا نستطيع أن نقف مكتوفى الايدى ونرى العرب يذبحون بواسطة الصهيونيين ، ولا يمكن للدول العربية أن تقف ازاء الذى وقع فى « دير ياسين وحيفا » أما مسألة مشروع الوصاية فتبحث . وأراد أن ينفى تهمة التهديد فقال لا تأخذ كلامى على أنه تهديد فانه ليس كذلك تماما .

وبطبيعة الحال يجب على مادمنا فى جلسة سرية أن أطلع حضراتكم على كل التطورات : أن الحكومة البريطانية بقيت لآخر لحظة تقول أنها تقف حائلا دون دخول جيوش الدول العربية فلسطين لانها مسئولة عنها لغاية ١٥ مايو .

وحدث أنه عندما أغار اليهود أو الصهيونيون — وانى مضطر لاستعمال كلمة « الصهيونيون » لان اليهود يقولون أن الصهيونية غير اليهودية .

الرئيس : اليهودية دين ...



فؤاد سراج الدين

حضرة الشيخ المحترم محمد فؤاد سراج الدين باشا : الصهيونية مذهب سياسى .

حضرة صاحب الدولة محمود فهمى النقراشى باشا رئيس مجلس الوزراء :

لما أغار الصهيونيون على طبرية وأخرج العرب من ديارهم لجأوا الى شرق الاردن ولقد استغربت البلاد العربية من أن جيش شرق الاردن لم يتقدم . ولكن علمنا أن جلالة الملك عبد الله أرسل جيشه ولكنه وجد الانجليز هناك ، كما علمنا أخيرا أن جلالته أرسل قوات من جيشه الى القدس . ولكن الانجليز ردتها عنها أى أن انجلترا ، متمسكة بموقفها وانها هى المسئولة عن الامن لغاية ١٥ مايو .

حضرة الشيخ المحترم الاستاذ مصطفى نصرت — ولماذا لم تتمسك بذلك فى حيفا ؟!!

الرئيس : متمسكة أى انها لا تريد أن يتدخل احد للمحافظة على الامن .

حضرة صاحب الدولة محمود فهمى النقراشى باشا رئيس مجلس الوزراء :

من أغرب الادلة بعد ذلك على هذا الموقف أن معالى وزير الدفاع المصرى وصلته أول أمس رسالة من الملحق العسكرى بالسفارة البريطانية يقول فيها ما معناه أن الحكومة البريطانية مازالت متمسكة بألا تدخل فلسطين أى جيوش وأنها لديها العدة والطائرات الكافية لمنع هذا التدخل . فأرسل وزير الدفاع المصرى هذه الرسالة مع مدير المخابرات الى الملحق العسكرى ، وقال له أن لاشأن لك فى أن تخاطب وزير الدفاع فى ذلك واذا كان لديك شىء من هذا فيجب أن تتقدم به الى وزارة الخارجية .

ولقد قابلنى السفير البريطانى أول أمس وقدم الى خطابا أو مذكرة شخصية من مستر بيفن ، ومعها مشروع الهدنة ، ويقول أنه مشروع عادل ومقبول ومعقول ، فاذا كانت الهيئة العربية العليا تقبل هذا المشروع فانها تقف موقفا سياسيا مانعا . أما اذا كان أثناء بحث مشروع الهدنة تدخل الجيوش العربية فى فلسطين فان هذا يعطى للصهيونيين فرصة الدعاية فى العالم بأن العرب هم المعتدون . وبطبيعة الحال فانهم أبلغوا هذه الرسالة الى جميع الدول العربية ، وأن الدول العربية تبحث هذا الموضوع وستجتمع اللجنة السياسية غدا فى دمشق وسيسافر مندوب مصر للاشتراك فى بحث هذا الموضوع .

حضرة صاحب السعادة محمد فؤاد سراج الدين باشا : هل هى هدنة دائمة ؟

حضرة صاحب الدولة محمود فهمى النقراشى باشا رئيس مجلس الوزراء :

هدنة لمدة ثلاثة أشهر .

يا حضرات الشيوخ المحترمين — ان يوم ١٥ مايو على الابواب ، وبريطانيا العظمى ستتخلى عن الانتداب وتبعاته ، ويبقى جميع سكان فلسطين من العرب تحت رحمة هذه العصابات الثلاثة ، فهل يمكن ان نقف كمتفرجين ونستمر فى هذا الموقف ؟ .

[أصوات — لا] .

لقد أحسست — وانا الذى لم أشجع مطلقا اشتباك القوات العسكرية لعدة اعتبارات كثيرة — ان واجبى أن أقف أمام حضراتكم بصفتكم ممثلى الامة وأن أطلعكم على جلية الامر . وأن أقول : أنه اذا لم يوقف القتال وقفا يمنح العرب الطمأنينة ، فانه لا مناص من أن تتقدم الجيوش المصرية لاحلال الامن فى فلسطين .

[تصفيق] ..

وبناء عليه ونظرا لان واجبى يحتم على أن يكون الجيش مستعدا لهذا

الدخول ، تقدمت الى حضراتكم وطلبت اعتمادا جديدا بمبلغ أربعة ملايين من الجنيهات ليمكن القيام بهذا الغرض .

ان الجيش المصرى بدخوله فلسطين سيقوم بأنبل مهمة قام بها جيش وهى اعادة السلام لارض السلام . وهو عنده من الشجاعة ومن القوة ومن الاستعداد ما يؤهله للقيام بهذه المهمة فى الحدود التى رسمتها له الحكومة المصرية .

حضرة الشيخ المحترم احمد ابراهيم

عطا الله بك : ان استعداد الجيش هو أهم شيء .

حضرة صاحب الدولة محمود فهمى

النقراشى باشا رئيس مجلس الوزراء :

ان الهدنة يا حضرات الشيوخ المحترمين اذا وقعت فستكون لمدة ثلاثة شهورتتجدد الى أن تتمكن هيئة الامم المتحدة من ايجاد حل لهذه المسألة . والدول العربية تبحث الان شروط الهدنة وستوصى بما فيه المصلحة . ولقد أردنا أن تكون هذه الهدنة محايدة بالنسبة للفريقين . وبطبيعة الحال مشروع الهدنة موجود معى ، ولا داعى لعرضه على حضراتكم ، لانه يحتاج الى دراسة الشروط الواردة به ، وستتولى اللجنة السياسية بحثه . ولقد قابلت اليوم عزام باشا وكنت أريده أن يحضر هذه الجلسة ولكنه اعتذر وسيذهب وكيل وزارة الخارجية غدا للاشتراك فى اللجنة السياسية .

أن يوم ١٥ مايو آخر يوم ،فهل يمكن أن نترك العرب يذبحون بهذا الشكل الفظيع؟ لقد نشأت مشكلة أخرى ، وهى ان هؤلاء العرب أصبحوا يهاجرون الى الدول العربية المجاورة . فحينما وقعت حادثة حيفا ذهبت آلاف بل عشرات الالاف الى لبنان . وصفد — كما تعلمون — تقاوم سكانهامقاومة عنيفة ، فبطبيعة الحال ستطتبدأت الهجرة منها ايضا . فحينما بدأت هذه الهجرة ، فتحنا اعتمادا بمبلغ ١٠٠٠٠ج من المصروفات غير المنظورة . ولكن سرعان ما رأينا ان مئات من المصريين فى القدس يريدون أن يعودوا فيجب اعداد العدة لذلك . وفى يافا نحو ٤٠٠ مصرى يريدون العودة — ايضا — فيجب أن يحضروا بمراكب . ولذلك اضطررنا لاعتماد مبلغ ١٠٠٠٠٠ جنيه وافقتم حضراتكم عليه .

وبطبيعة الحال ، فان مشكلة الهجرة ليست بالمشكلة الهينة . وأهم شيء — عند وجود المهاجرين — هو واجب المحافظة على الصحة العامة . ولذلك كلفت مدير الحجر الصحى أن يعنى بهذا الامر وأن تكون العناية بالصحة لها الاولوية . كما كلفت ادارة الامن العام أن تعنى بحفظ الامن ، لان حضراتكم تعلمون ان الجواسيس والهربين يدخلون فى زمرة هؤلاء المهاجرين وتاريخ الجواسيس يخبرنا بأن هؤلاء يتمكنون من دخول البلاد مع هؤلاء المهاجرين . وبالامس جاءنى وكيل وزارة الصحة المساعد وقال لى : أنك كلفتنى بمسألة العناية بالصحة العامة وقد بلغ عدد المهاجرين الان نحو ١٤٠٠٠ مهاجر . وقد علمت أن ١٦٠٠٠ مهاجر على وشك الوصول . فاذا احتلت البلاد وجود ١٤٠٠٠ مهاجر فقد يصعب عليها المحافظة على الصحة العامة اذا جاءها ١٦٠٠٠ مهاجر آخر . ولكنه من الواجب أيضا الا أمنع المهاجرين من الحضور الى مصر بل يجب أن تتخذ الاستعدادات الكفيلة بصيانة الصحة العامة .. فنحن أمام هذه المشكلة — اخواننا عرب فلسطين يخرجون من ديارهم ويلجأون الينا ، فيجب ان يطمئن هؤلاء حتى يستطيعوا العودة الى بلادهم ، بدلا من أن يتركوا ثرواتهم وديارهم وأعمالهم غنيمة للصهيونيين .

هذا هو الموقف ، أردت أن أطلع حضراتكم عليه وعلى سياسة الحكومة المصرية ولعلكم تتفقون معى على أن الحكومة المصرية قد بذلت كل ما فى وسعها لتفادى هذا الخطر الشديد . ولكن هناك واجبا أهم هو أن البلاد المصرية اذا قالت نفذت واذا وعدت أنجزت ، .يجب علينا حفظ الامن والنظام ليعود السلام الى ربوع فلسطين .

[تصفيق]

الرئيس : الكلمة الان لحضرة الشيخ المحترم دولة اسماعيل صدقى باشا .

حضرة الشيخ المحترم محمد فؤاد سراج

الدين باشا : الا يحسن اذا كان لدى بعض حضرات الشيوخ المحترمين بعض الملاحظات أو الاستيضاحات على بيان دولة رئيس مجلس الوزراء يبدأ حضراتهم بها ، وبعد ذلك يدلى دولة صدقى باشا بما لديه من بيانات؟

حضرة الشيخ المحترم عبد السلام

الشاذلى باشا : أرى أن يناقش المجلس أولا تقرير اللجنة التى شكلت بالامس لبحث قضية فلسطين .

حضرة الشيخ المحترم أحمد رمزى بك : وانا بدورى أرى أن يتفضل سعادة توفيق دوس باشا مقرر اللجنة بشرح وجهة نظرها ، وبعد ذلك تعطى الكلمة لدولة اسماعيل صدقى باشا .

الرئيس : لقد استمعت اللجنة الى ما أدلى به دولة رئيس مجلس الوزراء من بيانات ، وبناء على ذلك وضعت تقريرها . وأظن أنه اذا تكلم أحد حضرات الشيوخ المحترمين مستوضحا أو مستفسرا فهذا الامر من شأنه أن يجلى الموقف أمام المجلس كثيرا والكلمة الان لدولة اسماعيل صدقى باشا .

حضرة الشيخ المحترم دولة اسماعيل

صدقى باشا : حضرات الشيوخ المحترمين :

لقد استمعت بكل عناية للبيان الذى ادلى به الان دوله رئيس مجلس الوزراء ، وغرضى من طلب الكلمة هو الاستفسار ، لان هناك بعض المسائل لاتزال بعد استماعى لبيان دولته تحتاج للايضاح . ولعلى أكون فى هذه الرغبة التى أتوجه بها لا اقصد ادراكى الخاص ، بل ليتبين المجلس كل نواحى هذا الموضوع الخطير .

اننى سأوجه بعض الاسئلة ولا أدرى من الذى سيتولى الرد عليها ، هل دولة رئيس مجلس الوزراء ، أو سعادة مقرر اللجنة ؟ .

الرئيس : ان دولة رئيس الحكومة مستعد للاجابة عن كل سؤال .



اسماعيل صدقى

حضرة الشيخ المحترم دولة اسماعيل

صدقى باشا : السؤال الاول هو :

الا يرى دولة رئيس الحكومة أن دخول الجيش المصرى بأراضى فلسطين وقيامه هناك بأعمال حربية يخالف التزامات ميثاق الامم المتحدة التى اشتركت مصر فى وضعه وفى اقراره ، وهلا ينتظر دولته اعتراضا من هيئة الامم المتحدة وقد يكون اعتراضا مقترنا باجراء عنيف ؟ .

هذا هو السؤال الاول ، ولا أدرى ان كان دولة رئيس الوزراء يرى أن يرد على كل سؤال على حدة ، أو أن دولته يرى أن أستوفى جميع أسئلتى ، ثم يتولى دولته الرد عليها دفعة واحدة ؟ .

الرئيس : أرى أنه يحسن القاء الاسئلة جميعها دفعة واحدة ، ثم يتولى بعد ذلك دولة رئيس الحكومة الرد عليها جملة .

— **حضرة الشيخ المحترم محمد فؤاد**

سراج الدين باشا : أعتقد انه يحسن ذلك لارتباط الاسئلة بعضها ببعض .

حضرة الشيخ المحترم دولة اسماعيل

صدقى باشا : السؤال الثانى هو :

يقولون أن هيئة الامم المتحدة أشارت

على الخصمين بعمل هدنة الغرض منها محاولة التفاهم بينهما . فاذا صح ذلك . الا يرى دولة الرئيس أن الفرصة كانت سانحة لمصر كى تعمل على عدم الاسترسال فى أعمال العنف . ولمصر فى ذلك مركز خاص يؤهلها لذلك المسعى ؟ .

حضرة الشيخ المحترم أمين أحمد سعيد : هذا السؤال غير مفهوم .

حضرة الشيخ المحترم دولة اسماعيل صدقى باشا : لا أدرى ان كان دولة رئيس الحكومة قد فهم هذا السؤال أو لم يفهمه .

حضرة صاحب الدولة محمود فهمى النقراشى باشا رئيس مجلس الوزراء :

أرجو دولة الشيخ المحترم اسماعيل صدقى باشا أن يلقى السؤال مرة ثانية كى يتبينه جميع حضرات الشيوخ المحترمين اعضاء المجلس .

حضرة الشيخ المحترم دولة اسماعيل صدقى باشا : السؤال هو ما يأتى :

يقولون أن هيئة الامم المتحدة أشارت على الخصمين بعمل هدنة الغرض منها محاولة التفاهم بينهما ، فاذا صح ذلك ، الا يرى دولة الرئيس أن الفرصة كانت سانحة لمصر كى تعمل على عدم الاسترسال فى أعمال العنف . ولمصر فى ذلك مركزها الخاص الذى يؤهلها لذلك المسعى ؟

حضرات الزملاء المحترمين : ربما أن التعبير بالماضى فيما يختص بهذا الموضوع لم يكن له محل — بعد البيان الذى سمعته الان من دولة رئيس الحكومة . اذ قلت فى سؤالى ألا يرى دولة الرئيس أن الفرصة كانت سانحة لمصر كى تعمل ...

« فقد تبينت الان من عبارات دولة النقراشى باشا أن اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية ستنعقد فى دمشق غدا ، وأن مندوب مصر الذى سيحضر اجتماع هذه اللجنة مزود بتعليمات دولته ، ليبدى رأى مصر فيما يختص بمسألة الهدنة .

حضرة صاحب الدولة محمود فهمى النقراشى باشا رئيس مجلس الوزراء :

أن موضوع الهدنة موضوع تدبم سبق أن بحث ، ونوقش فى احدى الجلسات .

حضرة الشيخ المحترم دولة اسماعيل صدقى باشا : كنت أود أن يظل دولة رئيس الحكومة — فى هذا الموضوع بالذات — فى المركز الذى وقفه منه فى الجلسة الاولى التى تكلم عنها ، بعد عودته من أمريكا لانى فهمت من عباراته أن دولته كان شديد الحرص ، شديد التحفظ فى هذا الموضوع . وبناء على ذلك كأن يتضح أن يكون اقتراح الهدنة هو التكؤة التى يتكىء عليها الان كى يتجنب — وهذا ليس عيبا — الاوضاع الصعبة المؤلمة التى ستعقب اعلان الحرب ، والدخول فى الحرب فعلا . فكان بدلا من أن يطلب دولته الينا الليلة ، اعلان الحرب يقول لنا نحن لانزال فى طريق السعى الى التفاهم بين الطرفين المتخاصمين وقد قلت فى عبارتى — التى لم يدركها حضرة الشيخ المحترم أمين احمد سعيد — ولمصر فى ذلك مركز خاص يؤهلها لهذا السعى .

[هنا تولى الرياسة حضرة الشيخ المحترم أحمد على باشا وكيل المجلس]

لمصر الان حالتان : الحالة الاولى ، انها كبيرة البلاد العربية وهى التى تنفق — على ما أفهم — أكثر الاعتمادات المطلوبة لهذه الاجراءات . وهى التى — بصفة خاصة — لا نستطيع أن نقول عنها أنها البلد الذى له فى أمر النزاع الفلسطينى الشأن الكبير كشأن البلاد العربية المتاخمة لفلسطين بالذات ، وكشأن البلاد التى أحوالها ولغتها وطبائعها وما بينها وبين فلسطين من صلات عديدة قوية تجعلها شديدة الاهتمام فى أن تسوى المسائل التى بينها وبين فلسطين على صور مخصوصة . أما مصر فتعتبر بعيدة ، ولو أنها من ضمن البلاد العربية .

حضرة الشيخ المحترم الاستاذ عباس الجمل : ان مصر أيضا متاخمة لفلسطين .

حضرة الشيخ المحترم دولة اسماعيل صدقى باشا : نعم نحن متاخمون لفلسطين ولكن تفصل بيننا صحراء تمتد طويلا . ولكن البلاد العربية الاخرى متضامنة وفلسطين فى بعض احوالهما ، ومتصلة بها فى البعض الاخر ثم أن لهجتهما واحدة ، ومع ذلك فليس هذا هو بيت القصيد . فأنا أفسر لم يختلف شأن مصر عن شأن غيرها من البلاد الاخرى .

حضرة الشيخ المحترم الاستاذ عباس الجمل : اقول أن مصر هى الاخرى متاخمة لفلسطين .

حضرة الشيخ المحترم الدكتور ابراهيم مدكور : نريد أن نسمع الخطيب .

الرئيس : ان هذه المقاطعات هى السبب فى أن بعض حضرات الشيوخ المحترمين لا يستطيعون تتبع المتكلم . لذلك أرجو عدم المقاطعة .

حضرة الشيخ المحترم دولة اسماعيل صدقى باشا : السؤال الثالث الذى أريد أن أوجهه الى دولة رئيس الحكومة هو : هل صحيح أن اميركا وانجلترا ، أو احداهما ، حذرت مصر من عواقب الدخول فى الحرب حرصا على السلام العام ، وماذا كان موقف مصر من هذا التحذير وما هو مداه ؟ .

وأرجو أن يكون مفهوما أننى وضعت هذه الاسئلة قبل أن أسمع البيان الذى أدلى به الليلة دولة رئيس الوزراء .

حضرة الشيخ المحترم الاستاذ عباس الجمل : لقد أجاب دولة رئيس مجلس الوزراء على هذا السؤال ضمن بيانه الليلة .

حضرة دولة الشيخ المحترم دولة اسماعيل صدقى باشا : لقد ذكرت الان انى كتبت هذه الاسئلة قبل سماع بيان دولة الحكومة .

حضرة الشيخ المحترم الاستاذ عباس الجمل : اذن كان من الواجب الا يوجه دولة صدقى باشا هذا السؤال بعد أن سمع الاجابة عنه خلال بيان رئيس الحكومة .

الرئيس : أرجو حضرة الشيخ المحترم الاستاذ عباس الجمل عدم المقاطعة خصوصا وأنه يجب ألا يعارضه احد أثناء كلامه . وأظن أن دولة صدقى باشا يسمح .

— **حضرة الشيخ المحترم الاستاذ عباس الجمل** : يا معالى الرئيس أريد أن اقول

الرئيس : أرجو عدم المقاطعة .

حضرة الشيخ المحترم دولة اسماعيل صدقى باشا : اذا كان المجلس لا يريد أن يستمع الى كلامى واذا كان الرأى سيبدى قبل سماع كلمتى فاننى على استعداد لعدم اتمامها .

وأكون فى هذه الحالة قد أديت واجبى الى هذا الحد .

حضرة الشيخ المحترم محمد فؤاد سراج الدين باشا : بل اننا نريد أن نستمع الى كلام دولة صدقى باشا الى النهاية .

حضرة الشيخ المحترم دولة اسماعيل صدقى باشا : السؤال الرابع هو :

« قال دولة رئيس الحكومة فى أحد بياناته — ويرجع فى ذلك الى محضر لجنة الخارجية وأقول هذا فى جلسة سرية لانه كان فى استطاعة كل من حضراتكم أن يحضر جلسات هذه اللجنة ، أن خطر الحرب بين الكتلتين اللتين تتنازعان السيادة على العالم ليس خطرا وهميا بل قد يكون قريبا .

فهلا يرى دولته أننا باشتراكنا فى حرب

بفلسطين لبعض دولة اليشار مصلحة فى اثارتها بعمل على قدح الزناد الذى ينبعث منه التحرر الذى يذوب العالم كله؟.

●● السؤال الخامس هو :

« الا يرى دولته أن لمصر وهى لم تنته بعد من تصفيه مشاكلها السياسية والداخلية مصلحة كبرى فى استتباب السلام » ؟

●● السؤال السادس هو :

« هل مصر على استعداد ــ حربيا وماليا ــ لمواجهه حرب قد تتسع رقعتها ويطول مداها ؟

●● السؤال السابع هو :

« هل صحيح أن الجيش المصرى تنقصه الذخيرة وأن الموجود منها لا يكفى الاايام قلائل ؟ وهل صحيح أن سلاح الدبابات يكاد يكون معدوما وسلاح الطيران فى حكم العدم وهل يسمح دوله رئيس الحكومه ببعض البيان الذى يطمئن البرلمان من هذه الناحية ؟.

وانا اذا كنت قد وجهت هذا السؤال، فانما وجهته لانى ــ عندما خرجت من الحكم ــ كانت الحالة لا تشعر بأن هناك ما يدعو للاطمئنان . ومن الجائز ان يكون الاستعداد بعد خروجى قد تم ، واننا نستطيع الان أن نواجه حربا وهذا مما أشك فيه بعض الشك .

●● السؤال الثامن هو :

« فى حالة وجود ما يكفى للقتال ــ فى المرحلة الاولى منه ــ فهلا يتوقع دولته ــ وسنصبح فى الوضع الذى ستتكره هيئة الامم ــ أن سيكون من المسير الحصول بعد الان على سلاح أو عتاد ؟

●● السؤال التاسع هو :

« من ناحيه الاستعداد المالى الا يرى دولة رئيس الحكومة أن حربا قد تمتد بعض الوقت نحتاج للملايين الكبيرة من النفقات . واذا كانت مصر على أعبه القيام باصلاح واسع النطاق فى كل ميادين النشاط الاجتماعى والاقتصادى وغيرهما . فهلا راى دولته أن المصلحه فى دخولنا الحرب ــ ان كانت هناك مصلحة ــ لا تعوض علينا ضياع فرص الاصلاح او تأخيرها على الاقل ؟

●● السؤال العاشر هو :

« من المعروف أن الجيش المصرى لايزيد عدده الا قليلا عن الخمسين الفا . واظن أنه لن يخطر على بال احد أن يبعث بالجيش كله لعمليات حربية فى الخارج وان يخلى منه البلاد . وبعيد بالطبع عن تفكير اى سياسى مسئول أن جيش الاحتلال البريطانى قد يصلح عوضا عن جيشنا الوطنى فهل فكر دولة الرئيس فى احتمال قصور القوى المصرية عن تادية واجباتها الحربية بالقدر المنتظر منها ؟»

●● السؤال الحادى عشر هو ؟

« اذا كان الامر كذلك ، واذا كانت الجيوش العربية ليست فى حالة من الاستعداد تسمح بالقضاء على الجيش المعادى ، وقد سمعنا عن عدده وبالاخص عن قوة سلاحه ، كما قام عليه الدليل فى المواقع الاخيرة ، فهل فكر دولة رئيس الحكومة فى كل الاحتمالات من هذه الناحية ؟

●● السؤال الثانى عشر هو :

« يقولون أن الجيش المعادى فضلا عن قوته الذاتية من الطيران قد يحصل او حصل بالفعل على معونة كبيرة من أحد جيوش الدول الكبرى . فهل فكر دولة الرئيس فى الخطر الهائل الذى تستهدف له مصر اذا هى تعرضت لتوجيه ضربات من الجو ؟

●● السؤال الثالث عشر هو :

« لا تزال مصرمحتاجه ــ كما كان الحال فى الحرب الاخيرة ــ لاستيراد كثير من الحاجيات لا غنى لها عنها ، ويجز ضياعها الى الخراب والى شل ادارة الحرب نفسها . وأذكر فى هذه الناحة الحبوب فى قلتها ، والسماد الكيماوى فى عدمه، والبترول فى مشتقاته فى عدم كفايتها ــ ومعلوم أنه فى مثل هذه الحالة التى سنواجهها بدخولنا فى حرب لا ترتاح لها هيئة الامم لن يكون من السهل الحصول ــ كما كان الحال من قبل ــ على مطالبنا الضرورية . فما رأى دولة رئيس الحكومة فى هذا الوضع الخاص ؟ » .

●● السؤال الرابع عشر والاخير هو:

فى غير اعتبارات الوفاء للجار والمروءة ــ وهذا مجال ــ اذا صح أن له قيمته الكبرى فى الميزان فان اعتبارات اخرى تقوم فى وجهه فتضعفه ــ أود أن أعرف من دوله رئيس الحكومة اذا كان قد استنفد وسائل التفاهم بين العنصرين العربى واليهودى . ونظرة من دولته فى مشتملات بعض ملفات وزارة الخارجية المصرية تدل على أننا اذا استثنينا النشاط العدوانى من بعض السادة فى الجانبين، فان الحالة بين السكان العرب والسكان اليهود وتبادلهما للمنافع ، بعضهم مع بعض ، وبالاخص فى سنى الحرب الاخيرة، أقول ان بحثا من دولته فى هذه الملفات كان من شأنه ان يقتنع بأن الحرب كان من الهين تجنبها ».

حضرة الشيخ المحترم الاستاذ عباس محمود العقاد : هذه أسئلة ضرورية سديدة لابد من توجيهها وانتظار الاجابة عليها ، وهذا ما نسلم به تماما . لكننا نود من دولة صدقى باشا بقدرته الممتازة أن يرتب أسئلة مثلها تبنى على اتخاذ الموقف الاخر وهو عدم التدخل وترك الدولة الصهيونية تقوم فى ١٥ مايو الحالى .



عباس العقاد

حضرة الشيخ المحترم دولة اسماعيل صدقى باشا : أظن أنه مفهوم أننى أطلب من حكومتنا المصرية ، أن تؤدى رسالتها حتى النهاية ، رسالة السلم ، ورسالة المحافظة على مصالح مصر بأن تعمل على تجنب الحرب . وقد عملنا على تجنبها فيما تذكرون فى ظروف أخرى وتجنبناها.

حضرة صاحب المعالى أحمد مرسى بدر بك وزير العدل : وهل يمكن تجنب الحرب من جانب واحد ؟ لابد أن يكون الطرفان راضيان على هذا .

حضرة الشيخ المحترم دولة اسماعيل صدقى باشا : اننى أنادى بالعمل على تجنب الحرب ، ولا أحتم بأن الحكومة لابد أن تنجح فى مهمتها ، اننى أطلب اليها أن تؤدى رسالتها ــ رسالة السلام .

حضرة الشيخ المحترم الاستاذ عباس الجمل : لى استيضاح من دولة صدقى باشا هو : هل فكر دولته فيما اذا قامت دولة يهودية فى فلسطين ، وهاجمت مصر بجيوشها ولم نبادر بالدفاع عن أنفسنا الان بدخول فلسطين ؟ أقول هل فكر دولته فى هذا المصير لمصر نفسها اذا قصرنا الان ولم نرسل جيوشنا لتشترك مع الجيوش العربية فى قمع هذه الفئة لانقاذ فلسطين ؟ وهل فكر دولته أيضا فيما يترتب على هذا التقصير منا ، اذا قامت دولة صهيونية ، يعلم دولة صدقى باشا مبلغ مطامعها ومداها ، وهى أن تأخذ مصر لنفسها ؟.

فهل فكر صدقى باشافى دفع هذا البلاء عن مصر اذا قصرت فيه الان ؟

حضرة الشيخ المحترم اسماعيل صدقى باشا : اذا كان دولته رئيس الحكومة يرى الرأى الذى يراه الاستاذ الجمل ، من أن الدولة الصهيونية فى استطاعتها أن تغير على مصر بجيوشها ، وتضع يدها عليها فلو كنت مكان دولة رئيس الحكومة لقلت أن هذا غير ممكن من الناحية المادية اولا ، لان الصهيونيين أو اليهود ، يقل

عددهم عن المليون بينما عدد سكان مصر عشرين مليونا .

حضرة الشيخ المحترم الاستاذ أمين احمد سعيد : ان عدد اليهود يقول عنه دولة صدقى باشا انه يقل عن المليون هو الموجود فى فلسطين فقط ، اليس كذلك ؟ .

حضرة الشيخ المحترم اسماعيل صدقى باشا : نعم

حضرة الشيخ المحترم الاستاذ امين احمد سعيد : ولكن قد يتضاعف هذا العدد مستقبلا .

حضرة الشيخ المحترم محمد فريد ابو شادى بك : نعم وسيتضاعف عن طريق الهجرة .

حضرة الشيخ المحترم اسماعيل صدقى باشا : لا أعرف من أين يتضاعف، ومتى ؟

حضرة الشيخ المحترم الاستاذ أمين احمد سعيد : قد يتضاعف هذا العدد فى أيام . وقد يتضاعف أربعة أمثاله فى خلال أسبوع ، خصوصا وان أبواب الهجرة فى فلسطين مفتوحة من جميع النواحى .

حضرة الشيخ المحترم الدكتور ابراهيم مدكور : لى ملاحظة شكلية هى اننى أفهم أن لاى عضو من اعضاء المجلس أن يستوضح الحكومة ماشاء ، أما أن يسأل دولة صدقى باشا ، فلا يجوز لانه لا يسأل الا يوم أن تكون فى يده السلطة التنفيذية .

حضرة الشيخ المحترم اسماعيل صدقى باشا : ولذلك سمحت لنفسى أن اقول اذا كان دولة رئيس الحكومة يرى ما يراه حضرة العضو السائل ، فقد كنت أنتظر من دولته أن يتولى هو الرد على هذا السؤال ، ويقول — وهو يتكلم عن تعداد سكانه عشرين مليونا هو — مصر — وله ما لمصر من الموارد — لاأظن أن مثل هذا البلد يستهدف لهجوم من أمة يهودية تعدادها مليون نسمة .

حضرة صاحب المعالى احمد مرسى بك وزير العدل : أن تعداد اليهود ١٥ مليونا لا مليون كما يقول دولة صدقى باشا .

حضرة الشيخ المحترم اسماعيل صدقى باشا : انى أذكر ما لدى من معلومات .

حضرة الشيخ المحترم جمال الدين أباظه بك : يحسن أن تتكلم الحكومة لنسمع ما تريد ان تقوله .

حضرة الشيخ المحترم دولة اسماعيل صدقى باشا : فلتكن حربا ، اننى أدافع عن أولادكم .

ان من لديه بعض الالمام بأحوال العالم السياسية يعرف الى أية درجة من الاهتمام تعنى البلاد التى تؤلف الكتلة الغربية ، بصداقة هذه الناحية من العالم وهى الناحية العربية . ولقد ظهر مما مضى — كما ظهر من بيان دولة رئيس الحكومة نفسه — أن كل شيء كان يدل على أن هناك رغبة شديدة فى عدم ارهاف العرب ومضايقتهم فى العمل . على أن المسائل الشائكة التى أثيرت قد سعت الدول الى تجنب أثرها ، وأكبر دليل على هذا أن مشروع التقسيم الذى كان فى نظر أميركا هو مشروع المشروعات عدل عنه . لماذا ؟ اليس طمعا فى استبقاء صداقة العرب ؟ وهل تظنون ، حضراتكم ، أنه ستوجد دول تساعد أقلية من اليهود فى فلسطين كى تجتاز هذه الصحراء التى لم يستطع اجتيازها جيشا الالمان أو الترك فى الحرب العالمية الاولى ؟

أظن أنه لا يمكن مهما كان عظم الجيش الذى يستطيع اليهود جمعه — أن يحتل اليهود مصر ، أو أن يدخلوا مصر ويقيدوا من أرزاق مصر ، وهم يقيدون منها الان .

لهذا لا أظن أن الخطر الذى يتوقعه حضرة الشيخ المحترم الاستاذ عباس الجمل خطر محقق .

حضرة صاحب الدولة محمود فهمى النقراشى باشا : أبادر فاقول ان فى دخول الجيش المصرى — بعد ١٥ مايو — أراضى فلسطين لاعادة السلم والامن فى ربوعها ليس فيه مخالفة لميثاق هيئة الامم المتحدة .

حضرة صاحب المعالى محمود حسن باشا وزير الدولة : بل فى هذا الاجراء تأييد لميثاق هيئة الامم .

حضرة صاحب الدولة محمود فهمى النقراشى باشا رئيس مجلس الوزراء :

أقول ليس فى دخول الجيش المصرى أراضى فلسطين بعد ١٥ مايو مخالفة لميثاق هيئة الامم المتحدة لانه ليست هناك دولة ، وانما هناك عصابات فتكت بالعرب وذبحتهم وأمعنت فى هذا الامر . فمن يتقدم لاعادة الامن والسلام فى تلك البلاد لا يمكن أن تعتبر هيئة الامم هذا العمل من جانبه مخالفة لميثاقها . فنحن نعمل على استتباب السلم .

حضرة الشيخ المحترم الدكتور جاد قنديل : يجب أن ينشر هذا التصريح .

حضرة الشيخ المحترم عبد السلام الشاذلى باشا : اريد قبل أن ننتقل من هذه النقطة أن أقول اذا أعلنت الدولة اليهودية قيامها فى ١٦ مايو واعترفت بها بعض الدول التى اعترفت بالتقسيم ، فهل سيكون موقفنا موقف المحارب المهاجم اولا ؟

حضرة صاحب الدولة محمود فهمى النقراشى باشا رئيس مجلس الوزراء : هذا اعلان غير قانونى لا يسلم به أحد .

حضرة الشيخ المحترم أحمد ابراهيم عطا الله : هل اذا اعترفت هذه الدول بالدولة اليهودية ، نكون مرتبطين بهذا الاعلان ؟

حضرة الشيخ المحترم محمد فريد ابو شادى بك : ستدخل الجيوش قبل الاعلان .

حضرة صاحب الدولة محمود فهمى النقراشى باشا : لقد تساءل دولة صدقى باشا عدة أسئلة عن معدات هذه العصابات وانا مصر على تسميتها عصابات ، وهى عصابة الهاجاناة ، وعصابة شترن ، وعصابة الارجون ، فهذه عصابات وليست دولة . سأل دولة صدقى باشا عن المعدات وعن أشياء كثيرة جدا فى كل الاحتمالات . ولكن الاحتمال الهام أمامنا والذى يجب الا يغيب عن نظرنا هو أن هذه العصابات ليست طليعة حرب تشن على هذه المنطقة بل هى رأس حربة غزو ، وهى رأس حربة لنشر الاضطرابات ولاهدار الامن ولنشر الشيوعية فى هذه الربوع . وماقلته هو الذى يجب علينا أن نفعله ، خصوصا اذا كان موقفنا — وهو موقف مستمد من الوقائع ، ومستمد من الحقائق — هو ما نعلمه من أمر هذه العصابات التى ليست طليعة حرب بل هى رأس حربة الغزو . وحضراتكم تعلمون ماذا اقصد اى ان هذه العصابات هى بداية الغزو .

يقال لى الا تعلم أن دولة كبرى ستساعد هذه العصابات ؟ لماذا تساعدها ؟

انها تساعدها لنشر الاضطرابات ولاهدار الامن . أيجوز فى اليوم الذى تجتمع فيه كلمة الدول العربية على مقاومة رأس الحربة هذه ، وعدم التمكين لها فى وسط هذه الدول أن تنكص مصر على عقبيها ، وتقول لهذه الدول . الا تعلموا كذا ، الا تعلموا كذا ، ألا تعلموا كذا ؟

حضرة الشيخ المحترم عبد اللطيف

زعزوع : ألا ينتظر أن تساعد أمريكا هؤلاء الناس ؟

حضرة صاحب الدولة محمود فهمى

النقراشى باشا : فليكن .


عبد المجيد الرمالى

حضرة الشيخ المحترم السيد

عبد المجيد الرمالى : ما معنى فليكن ؟

نحن نريد أن نعرف الحقائق قبل كل شيء.

حضرة الشيخ المحترم الاستاذ حسن

عبد القادر : ان دولة رئيس الحكومة يذكر لنا الحقائق .

المقرر : أظن انه يحسن أن نستمع الى نهاية كلام دولة رئيس الحكومة ، وبعد ذلك لكل منا أن يقول ما يشاء .

حضرة الشيخ المحترم السيد عبد المجيد

الرمالى : وأين هى الحقائق ؟

حضرة الشيخ المحترم الاستاذ حسن

عبد القادر : أن دولة رئيس الحكومة يدلى بما لديه من معلومات فاذا كان لدى حضرة العضو المحترم السيد عبد المجيد الرمالى ما يقوله فليتفضل بقوله بعد أن ينتهى دولة الرئيس من كلامه . والمسألة ليست مسألة اعتراض .

حضرة صاحب الدولة محمود فهمى

النقراشى باشا رئيس مجلس الوزراء :

أكرر القول أنه لا شك أن هذه العصابات هى رأس حربة الغزو التى نعد ضد هذه الربوع . فاذا اجتمعت كلمة الدول العربية على مقاومة هذه الغزوات ، واستأصلت شأفتها وعدم التمكين لها بينها ، فلا يمكن لمصر أن تنكص على عقبيها ، لانها بذلك تحقق الخطر الذى يخشاه دولة صدقى باشا ، ويخشاه كل واحد منا .

حضرات الشيوخ المحترمين : لا يعيبنا عندما نقف موقفا فيه كل المصلحة المستمدة من الحقائق — أن يكون هذا الموقف الذى ينشأ عن صيانة مصلحتنا فيه أيضا وفاء للجار .

أننى مع دولة صدقى باشا فى أن ننظر الى مصلحتنا أولا ، ولكن يزيد هذه المصلحة اعتبارا واجلالا أن نكون مصلحة مقترنة بالوفاء للجار وللعروبة . وهذا الامر لا يضعفنا بل يقوى مصلحتنا . ومصلحتنا كدولة مصر المستقلة الا نمكن لرأس الحربة أن تتوطن فى البلاد ، لانها لا تقوم الا على الارهاب ، وعلى سفك الدماء ، وعلى نشر الارهاب والاضطراب، ونشر الشيوعية .

اننى أوافق على أن أمريكا أبدت عطفا على مصر ، وأوافق ايضا على انه يجب أن نحتفظ بعلاقاتنا الطيبة . ولكن اذا لم نقم بأى بذل للدفاع عن مصلحتنا ، فهل ننتظر من الغير أن يدافع عنا ؟

لقد قلنا ان تحول أمريكا من الموقف القديم ، موقف التحمس للتقسيم الى العدول عنه أو الى الفتور فيه ، راجع أولا وبالذات الى مايذله العرب المجاهدون من الدفاع عن وطنهم . فهل بعد ماقالته الدول العربية جمعاء من أنها لا توافق على التقسيم ، وانها لا تقاومه عندما تكون الاراضى لاهلها العزل من السلاح أمام هؤلاء الارهابيين الذين يذبحونهم ويفتكون بهم كما رأيتم . فهل يكون لنا قدر أو شأن بين الدول اذا ما وقفنا نتفرج على هذه المذابح مكتوفى الايدى .

لا يمكن والله . ان لم ندافع عن حقك فلن يدافع آخر عن حقك . ولكن اذا دافعت وصمدت فى الدفاع نقدم اليك من يريد صداقتك بمساعدتك ومعونتك .

وهذه هى الحياة الدنيا بين الافراد والامم .

حضرة الشيخ المحترم السيد

عبد المجيد الرمالى : نريد أن نعرف مدى استعدادنا ؟

حضرة صاحب الدولة محمود فهمى

النقراشى باشا رئيس مجلس الوزراء :

لمصر مركز خاص حقيقة ونحمد الله عليه ونشكر الدول العربية على تقديرها لمركزنا . وقد استخدمت مصر هذا المركز وهذه المكانة فى حدود الحياة الدولية . اننا لم نتحد هيئة الامم ولم نعمل على الاخلال بالسلام ، ولم نعمل على تهديد الامن الدولى . ونحن — باعترافنا الدخول الى فلسطين — انما نمنع تهديد السلام العالمى ، لا أن نخل به . وكان لسياسة مصر أن الدول العربية وافقتها على عدم اتخاذ أى اجراء للعنف فلم تحاول أى دولة من الدول أن تخرق ميثاق الأمم المتحدة . وتسألون حضراتكم الان عن استعداد مصر واستعداد الامم العربية اذا تركنا مصر جانبا فانى اشرح لكم قوة الدول العربية . الجيش العربى — كما قلت لحضراتكم — هو جيش شرق الاردن وهو جيش قوى مدرب له خبرة بالبلاد ، ولقد استخدم فى حفظ الامن فيها ، كما قلت لحضراتكم بينما كانت العصابات تتصدى للجيوش الانجليزية . فاذا حضر الجيش العربى سكنت العاصمة فرجاله وضباطه مدربون وعندهم كل العتاد .

حضرة الشيخ المحترم اللواء حسن

عبد الوهاب باشا : كم يبلغ عدده ؟

حضرة صاحب الدولة محمود فهمى

النقراشى باشا رئيس مجلس الوزراء :

لا أستطيع أن أذكر عدده وحضراتكم جميعا تعلمون أن المهم هو قوة الضرب للجيش وليس المهم عدد رجاله . فقوة الضرب عند الجيش الاردنى كاملة .

حضرة الشيخ المحترم اللواء أحمد

عطية باشا : كاملة بالنسبة .

حضرة صاحب الدولة محمود فهمى

النقراشى باشا رئيس مجلس الوزراء :

نعم كاملة بالنسبة لعدده .

انظروا حضراتكم الى العراق الباسلة. انها نقلت جزءا من جيشها بعتاده ومعداته عبر الصحراء التى تفصل العراق عن سوريا . لقد نقلت قوات من الجيش واعية بمعداتها . وعندها طائراتها أيضا . فالجيوش العراقية التى قطعت هذه الصحراء التى لا تتجاوز الف كيلو مترا، وصلت الى سوريا لا لكى تعمل المناورات النزهة وانما جاءت للدفاع عن العروبة وانقاذ فلسطين . وسيكون لها شأن كبير اذا دخلت أراضى فلسطين . أما سوريا فانكم جميعا يجب أن تحيوها كما حييتها لانها جعلت جميع مواردها وقفا على الدفاع عن فلسطين . ولكن بطبيعة الحال معداتها الحربية أقل من معدات شرق الاردن والعراق ولبنان أيضا شريكة سوريا ولكن مواردها محدودة . واذا كانت معدات سوريا أقل من معدات العراق فذلك لان المدة التى دولت فيها أمور جيشها مدة قصيرة فلم تستكمل بعد استعدادها. ولكن لها من بسالتها ومن خبرتها ومن تصميمها على انقاذ فلسطين ما يجعل قوتها فعالة . وكذلك شأن لبنان . اما عن الجيش المصرى فحضراتكم تعرفون بسالته وتنظيمه تنظيما وافيا كاملا عندما تكون على وشك الدخول فى اراضى لمقاتلة عصابات ارهابية .

ولعلكم توافقوننى حضراتكم — ولوأننا فى جلسة سرية وفى مجلس الشيوخ الموقر الا أدلى ببيانات تفصيلية عن عدد الجيش .

حضرة الشيخ المحترم الاستاذ حسن

عبد القادر : وما النصر الا من عند الله .

حضرة صاحب الدولة محمود فهمى النقراشى باشا رئيس مجلس الوزراء :

نحن قادمون على أمر خطير فلا تلقوا بالكم الى دعايات الخصم ولا نريد أن نكون أداة لترويج هذه الدعايات الضارة .

(تصفيق)

كما لا نريد أن نكون أداة لنشر الهزيمة والضعف بين الصفوف . وأن الجيش المصرى لا يمكن أن تصدر اليه الاوامر بالتقدم خطوة الا اذا اتخذت كل الوسائل الكفيلة لتحقيق الامور الذى ندب من أجلها .

(تصفيق)

حضرة الشيخ المحترم عبد السلام محمود بك : هذا هو كل ما نريده .

حضرة الشيخ المحترم الاستاذ أمين أحمد سعيد : هذا يكفى جدا .

حضرة صاحب الدولة محمود فهمى النقراشى باشا رئيس مجلس الوزراء : ان كل البلاد العربية تدين الجيش المصرى وتعرف قوته معرفة حقيقية .

حضرة الشيخ المحترم محمد فؤاد سراج الدين باشا : دولة رئيس مجلس الوزراء لم يذكر الجيش السعودى .

حضرة صاحب الدولة محمود فهمى النقراشى باشا رئيس مجلس الوزراء :

لقد فاتنى ذلك حقيقة وانا متأسف لذلك . لانى متصل بالجيش السعودى والدولة السعودية سترسل قوات سيكون لها شأن كبير .

فبناء عليه اذا أردتم أمرا فيمكنكم أن تقوموا به واذا صممتم عليه فستصلوا الى تحقيقه . وما سيطلب من الجيش المصرى سيمكنه ان شاء الله أن يقوم بتحقيقه .

بقيت هناك كلمة واحدة . ليس هناك اعلان حرب بل هناك بلاد تطيح فيها عصابات تخرج السكان عن ديارهم وتذبحهم ، وتفعل فيهم ما تعرفون وما لا تعرفون . فالجيش المصرى انما يدخل فلسطين لاعادة الامن والنظام لسكان هذه الربوع فهو لا يعلن حربا ، وليس أمامه دولة معترف بها ، وانما أمامه عصابات يجب عليه أن يطهر البلاد منها .

حضرة الشيخ المحترم محمد عسلوى الجزار بك : يقول دولة رئيس مجلس الوزراء أن الجيش المصرى سيدخل فلسطين بعد ١٥ مايو فهل نشترك معه جيوش البلاد العربية الاخرى ؟

حضرة صاحب الدولة محمود فهمى النقراشى باشا رئيس مجلس الوزراء :

نعم لقد لفت صدقى باشا النظر الى الاصلاحات الاجتماعية الواجب علينا عملها والى الخسارة الاقتصادية التى تصيبنا . وانى اقول لحضراتكم أنه يجب أولا أن تكون للدولة كرامة معززة . فاذا فقدت الدولة كرامتها ، واذا فقدت أعزاز الناس لها ، فكل نشاط اقتصادى لا شك وبدون نزاع انه زائل . اننا انما نحمى أنفسنا من الخطر الذى نخشاه ويخشاه دولة صدقى باشا ، وهو نشر الاضطرابات ، واهدار الامن وانتشار الشيوعية فى البلاد . فيجب أن تكون مصر آمنة من جانبها ، وهذا الامن يقتضى استئصال رأس الحربة . فنحن نعمل لاستتباب الامن . ومصر مازالت عند سياستها التى قامت عليها فهى لا تلجأ الى العنف ، ولا يضطرها شيئا الى أن تحيد عن هذا السبيل . والصبر كما تعرفون حضراتكم مزية ، والصبر واجب ، وهو أيضا فضيلة . ولكن استمرار الصبر ازاء الخطر المحدق يعتبر خورا ولا يكون صبرا .

إن العتاد والمعدات موجودة فى البلاد ويمكننا الحصول عليها وقد حصلنا فعلا على كثير منها ، وسنستمر فى الحصول على ما يلزمنا لهذه المهمة الخطيرة .



حلمى عيسى

حضرة الشيخ المحترم محمد حلمى عيسى باشا : يجول بخاطر بعض الناس أنهم قرأوا فى الصحف أن الصهيونيين يزمعون اقامة دولة يهودية وأنه قد تصبح هذه المسألة حقيقة واقعة وانى مندهش من هذا الصور ، لانه لا يكفى أن تكون طائفة من الناس مقيمة فى احدى البلاد فتتفق فيما بينها وتدعو أو تنادى باقامة دولة لها داخل هذه الدولة فيكون لها ما تريد وهذا الامر غير جائز قانونا لانه لا يتفق مع القواعد والاصول المقررة فى القوانين الدولية .

فاليهود الموجودون فى فلسطين استنجدوا بدولة أخرى وهى الدولة المنتدبة فى أن تعاونهم لانشاء وطن قومى لهم هناك فلم يعترف لهم بهذا الحق أحد ، ولم يرتض عرب فلسطين هذا الوضع واعترضوا عليه بشدة فأصبح النزاع منذ ذلك الوقت مستمرا بين العرب واليهود . تكونت عصابات جيء بها من الخارج تحارب العرب وتقاومهم وتعتدى عليهم وتريد هذه العصابات انشاء دولة هناك وهو أمر مناقض لمبادىء القانون الدولى . اذ معنى طلبهم انشاء وطن قومى انهم كانوا من غير وطن .

ان الدول القومية التى تحتل بعض الدول الصغيرة لا تستطيع أن تنشىء من هذه الدولة الصغيرة دولا تنتمى اليها .

فانجلترا — مثلا — لا تستطيع أن تقول أن مصر هى انجلترا وقتما كانت تحتلها ولا أن تقول فرنسا أن مراكش والجزائر وتونس هى بلد فرنسى . فالقوانين لايمكن أن تعترف بمثل هذه الدولة كدولة لها مزاياها القانونية .

الرئيس : هذا الكلام حسن فيما يتعلق بالفقه الدولى وأرجو معالى حلمى عيسى باشا أن يؤجل الكلام فى هذا الموضوع الى حينه .

والكلمة الان لحضرة الشيخ المحترم محمد فؤاد سراج الدين باشا .

حضرة الشيخ المحترم الاستاذ عباس الجمل : هناك آية قرآنية تقول « قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لاخوانهم هلم الينا ولا ياتون البأس الا قليلا ، مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء » .

حضرة الشيخ المحترم محمد فؤاد سراج الدين باشا : اخوانى المحترمين — لاشك أن دولة رئيس مجلس الوزراء جدير بالشكر على هذه البيانات القيمة التى أدلى بها لنا فى هذه الليلة ، بل وجدير بالشكر أيضا على الموقف الذى اتخذه فى هذه المسألة القومية الخطيرة . وانى لابادر فأعلن تأييدى التام للخطة السليمة التى رأى دولته والحكومة اتخاذها فى هذه المسألة أيضا .

لا شك يا اخوانى فى أن الموقف الذى نعالجه الليلة هو موقف خطير جدا ولعله يعرض على البرلمان لاول مرة فى تاريخ مصر .

حضرة صاحب الدولة محمود فهمى النقراشى باشا : هذا صحيح .

حضرة الشيخ المحترم محمد فؤاد سراج الدين باشا : وهو موقف تختار فيه البلاد بين دفع العدوان عنها وبين البقاء جامدة لا تحرك ساكنا .

لاشك عندى فى أنه لو أننا عنينا بمسألة فلسطين لمجرد الوفاء بالجار ، كما قال دولة صدقى باشا لكان لاعتبار المصلحة الخاصة المقام الاول . ولكنا جميعا قد فضلنا هذا الاعتبار عن الاعتبار المعنوى وهو الوفاء بالجار .

ولكنى أرى أننا ونحن بصدد النظر فى مسألة فلسطين انما ننظر فى مسألة

مصر بذاتها ، واننا بدفاعنا عن فلسطين انما ندافع عن مصر نفسها .

حضرة الشيخ المحترم الاستاذ عباس الجمل : هذا كلام حق ولا شك .

حضرة الشيخ المحترم محمد فؤاد سراج الدين باشا : ان الخطر الصهيونى فى فلسطين انما هو خطر على مصر ذاتها ودليلى مستمد من أقوال دولة صدقى باشا نفسه . تلك الاقوال التى تفضل بها فى هذه الجلسة . فقد أشار دولته الى ما يحتمل من عدوان صهيونى على مصر بطائراتهم ، وقذفها بقنابلهم اذا ما دخلت جيوشها فلسطين . كما أشار دولته بلباقة محمودة الى احتمال انكسار قواتنا أمام المدد المتوالى للصهيونيين وأمام قواتهم .

فاذا كان دولته يخشى هذه النتيجة ودولة الصهيونية لم تنشأ بعد ، بل وهى فى المهد ، فماذا يكون الموقف غدا لو أنشئت هذه الدولة وأصبح لها وجود.
[تصفيق]

لا شك أن فى هذا الخطر الحقيقى وليس خياليا ، كما انه ليس بمستغرب لانه كما قال دولة صدقى باشا ليس الامر هو أن نصف مليون يغزون عشرين مليونا ، بل هو يقول الليلة انوراءهذا النصف مليون دولة كبرى تمده بالسلاح والذخيرة والعتاد . فهل يضمن دولته أن هذه الدول تتوقف غدا عن تغذية هذه الدولة الصهيونية الجديدة بهذه الادوات وهذا العتاد حتى تنفذ تلك السياسة الخطيرة التى تسعى اليها فى الشرق الاوسط ؟

اذن نحن فى موقف لا يحتمل التردد ، ولا يحتمل كثرة الجدل . فنحن فى دفاعنا عن فلسطين انما ندافع عن مصر ذاتها . لاشك فى أننى أعتقد أن دولة صدقى باشا لو أن الامر المعروض علىحضراتكم الليلة كان يتعلق بشأن قوات صهيونية تجتاز فعلا الحدود المصرية — ما كان ليتردد لحظة واحدة فى الوقوف الىجانب الحكومة فى رد هذا العدوان مهما كانت النتيجة . وهذا الموقف الذى أشير اليه ، هو نفس الموقف الذى نحن فيه الليلة ، وكل الفرق بين الموقفين ان أراضى المعركة تتأخر بضعة كيلو مترات ، وهذه الكيلو مترات ستصير بعد قليل فىبلادنا وأراضينا اذا نحن وقفنا وتهاونا فى رد هذا العدوان .

ومما لا شك فيه أن كل الخسائر التى أشار اليها دولة صدقى باشا محتملة ، فقد تقع خسائر مالية أو أعباء مالية ، وقد تتأثر الاحوال الاقتصادية . وقد توقع كل ذلك دولة رئيس الحكومة ولكنها أعباء تتحملها كل دولة تقف مثل هذا الموقف لتدافع عن نفسها ، ولا يمكن أن تدافع الدول عن كيانها وعن نفسها دون أن تدفع الثمن غاليا من دماء أبنائها وأموالها وعتادها .

[تصفيق]

أى اصلاح ينشده دولة صدقى باشا؟ هل يعتقد دولته انه اذا نجح الصهيونيون فى انشاء دولة لهم فى فلسطين ان اقتصادنا سيبقى فى أمان من هؤلاء القوم ؟

انهم لايزيدون عن ١٥ مليونا فىالعالم أجمع ، ومع ذلك فانهم يملكون اقتصاد العالم . فاقتصادنا وحياته لا يتسانى ولا يكون اذا أنشئتهذه الدولة الصهيونيه فى فلسطين . والمدخل العسكرى فى نظرى هو السبيل الوحيد الذى يدفع الدولالكبرى التىيخشاهاالان دولةصدقى باشا الى تغيير خطتها . لانه ان صحت نظرية دولته فى أن الدول الكبرى تخشى أو تحرص على صداقه العرب وعلى رضائهم ، وتخشى ان تنشب الحرب فى الشرق الاوسط بسبب مسألة فلسطين ان صح هذا الفرض فهذا القرار العظيم ، وهذا التدخل العسكرى هو الذى سيحمل هذه الدول علىتغيير خطتها حتىلاتصادم مع العرب وحتى لا تقوم حرب فى الشرق الاوسط لا يعلم مداها الا الله .

لذلك أقول — ان صح فرض دولة صدقى باشا عن الحرص على صداقة العرب — فسبيل ظهور هذا الحرص فى الميدان هو هذا التدخل العسكرى فعلا. أما أن نبقى جامدين ساكنين نضيع الوقت بين اجتماعات تعقد هنا وهناك ، وبيانات تذاع من هنا وهناك ، فهذا العمل من جانبنا لن يحرك الدول التى تحرص على رضاء العرب مادام الامر فى سكون وهدوء وليست له نتائج يخشونها فاما اثارة حرب فى الشرق الاوسط او رضاء العرب . فان كان هناك أمل فىأن تحرص بعض الدول الكبرى على رضائنا وتخشى الحرب فى الشرق الاوسط ، فالسبيل الوحيد لكى تستفيد من هذا الرضاء — ان كان موجودا — هو التدخل العسكرى فعلا .

لم يبق لى بعد هذا الا استيضاحان من باب الاستفسار او الاطمئنان—الاول هو ما يأتى :

لقد قال دولة صدقى باشا وهو رئيس سابق للوزراء انه يعلم أن ذخيرة الجيش المصرى لا تكفيه الا بضعة أيام .

هذا هو سؤالى الاخير . وبعد ذلك لم يبق لى الا أن أختتم كلمتى كما بدأتها بشكر الحكومة على موقفها فى هذا الشأن الخطير .

حضرة الشيخ المحترم اسماعيل صدقى باشا : لقد سمعنا هذا .

حضرة الشيخ المحترم محمد فؤادسراج الدين باشا : وانا لا أريد أن يظل هذا التصريح قائما بلا رد لذلك ارجو معالى وزير الدفاع أن ينير المجلس فى هذا السبيل دون ابداء بيانات أو احصائيات، لانى لا استسيغ الادلاء باحصاءات فى مثل هذه الشئون العسكريه فارجو ان اسمع فقط ان ذخيرة الجيش المصرى تكفيه وتكفيه وتكفيه .

حضرة الشيخ المحترم على زكى العرابى باشا : لقد قال دولة رئيس الحكومة هذا .

حضرة صاحب الدولة محمود فهمى النقراشى باشا رئيس مجلس الوزراء : اقول أن الذخيرة كافية وقد زود الجيش فى العام الماضى والعام الحالى بذخيرة اضافية ومستمرة .

حضرة الشيخ المحترم محمد فؤاد سراج الدين باشا : لقد رميت الى هذا التحديد خاصة .

والاستيضاح الثانى هو : هل هناك أى اتفاق ما على مركز فلسطين السياسى بعد تحريرها منالخطرالصهيونى أوبمعنى آخر اننى سمعت وسمعتم حضراتكم أن هناك أغراضا سياسية فى بعض الدول العربية بالنسبة لفلسطين .

فنريد ان نطمئن على أن فلسطين ستبقى لاهلها عربية فلسطينية موحدة .

حضرة صاحب الدولة محمود فهمى النقراشى باشا : ستبقى فلسطين لاهلها عربية موحدة .

[تصفيق]

حضرة الشيخ المحترم محمد فؤاد سراج الدين باشا : لى سؤال أخير أيضا أرجو أن أسمع الاجابة عنه من دولة رئيس مجلس الوزراء وهو : هل دخل فى حساب الحكومة — فى دراستها للموقف — انه قد يمد الانجليز من أجل انتدابهم على فلسطين بعد ١٥ مايو ، اى بعد الموعد الذى حددوه؟ واذا حدث هذا فهل سيبقى قرار الحكومة كما هو او سيعرض الامر للبحث والدراسة »

هذا هو سؤالى الاخير . وبعد ذلك لم يبق لى الا ان اختتم كلماتى كما بدأتها بشكر الحكومة على موقفها فى هذا الشأن الخطير .

حضرة صاحب الدولة محمود فهمى النقراشى باشا رئيس مجلس الوزراء :

الاجابة على السؤال الاخير الذى القاه سعادة سراج الدين باشا وهو سؤال خطير هى ما يأتى :

لقد أوضحت الخطط الرئيسية لسياسة الحكومة وبطبيعة الحال لا يمكننى أن أرتبط الا فى حدود الخطط الرئيسية . ولقد درسنا هذه الاحتمالات واللجنة السياسية للجامعة العربية ستجتمع وتبحث الموضوع . ولا يمكننى أن أرتبط بشىء فرضى . وعلى كل حال فانى اشكر سعادة الشيخ المحترم على انه نبهنى الى هذا الاحتمال ، ولو أنه احتمال سبق أن كان موضع نظرنا فى الماضى ، ولكن سيزداد تركيز نظرنا فيه .

حضرة الشيخ المحترم الدكتور جساد قنديل : من الظواهر الحسنة أن روح المجلس هذه الليلة روح طيبة جدا ، فأرجو أن تستمر كذلك .

حضرة الشيخ المحترم اللواء احمد عطية باشا : لقد تردد اسم الجيش فى هذه الليلة وأريد أن أطمئن على أن الجيش المصرى نموذج حسن لكل الجيوش العربية.

[تصفيق]

وأن الجيش المصرى وحده — بما لديه من العدة الحاضرة وبما أدلى به دولة رئيس الحكومة من تغطية النقص فى ذخيرته



محمد على علوبه

— كفيل بأن يرد السلم فى ربوع فلسطين وأن ينتصر اذا قوم مقاومة عنيفة .

هذا ما أردت أن اقوله لحضراتكم .

[تصفيق]

حضرة الشيخ المحترم محمد على علوبة باشا : حضرات الشيوخ المحترمين :

ليس لى مجال فى القول بعد ماسمعته من دولة رئيس مجلس الوزراء ومن حضرات الشيوخ المحترمين الذين تكلموا قبلى . وانه مما اثلج صدرى ان اسمع تأكيدا أمس واليوم من الحكومة بأن الجيش المصرى مستعد تمام الاستعداد وان الحركات العسكرية التى ستعيد النظام والامن الى فلسطين ان هى الا حركات مشتركة بين جيش مصر وبقية الجيوش العربية . وبعد هذا أعيد الى أذهان حضراتكم ان الدول العربية حكومات وشعوبا من مدة طويلة قالت أنها لا تعتبر قرار التقسيم ، وانما نحن ماضون على عدم احترامه وعلى الدفاع عن فلسطين فأرجوكم أن تتصوروا هذه الحالة اذا ما عن للامم العربية الان بعد التصريحات والتأكيدات العديدة من ملوك ورؤساء حكومات — أو اذا ما عن لمصر أن تتقهقر وأن تتنحى فماذا يكون مركزها العام أمام الحكومات العربية وأمام باقى الشعوب العربية ؟ اذا أتت الدولة الصهيونية وتكونت وقد أعلنت قرارا بصفة رسمية أنها انما تسترجع ملك اسرائيل ، وانها لابد لها من أن تكون دولتها من الفرات الى النيل وهذه هى الدولة التى يريدون تكوينها . اننى أعتقد شخصيا ولا الزم احدا بأن يشاركنى اعتقادى هذا لانه عندما صدر قرار من هيئة الامم المتحدة برغبة التقسيم بضغط من امريكا وقد أعلنت حكومات كثيرة بأنه كان مضغوطا عليها من أمريكا ثم بعد ذلك جاءت أمريكا بنفسها وتنحت من فكرة التقسيم . واعتقادى الشخصى ايها السادة هو انهم كانوا يظنون أن التقسيم سينفذ بلامقاومة — أى حبرا على ورق — ولما ظهرت تلك المقاومة التى أعتبرها مقاومة ضئيلة وشريفة من الفلسطينيين أنفسهم كان لابد من قوة لتنفيذ التقسيم بالقوة . فجاء تنافس الحكومات ، وظهر الخلاف بين الكتلتين وأرادوا أن يبعدوا خصومهم فعدلوا عن فكرة التقسيم بالقوة . فاذا كان الامر كذلك بتلك القوة الضئيلة الم يكن من باب اولى اذا جاءت الامم المتحدة جميعا وأحاطت بفلسطين لتنقذها من غوائل هذا الاستعباد أو هذا الاغتيال ؟

والويل لنا اذا قال التاريخ — والعياذ بالله — ان الامم العربية نكصت على أعقابها وتركت الدولة الصهيونية تنمو وتزدهر . لن يكون لنا بعد ذلك وجود ولا شرف وسنكون طعمة لاولئك الذين يريدون أن يقتلونا ، ويحق لنا أن نقول [لو ذات سوار لطمتنى] اذا افترضنا ما نعتقده الان بعيد أو مستحيل ، وأن كلام الحكومات لا يؤكد لنا كل التأكيد بالانتصار . اذا افترضنا هذا ونحن يجب أن نعتقد أننا سننتصر على شراذم الصهيونية اذا اجتمعت الدول وهزمتنا فخير لنا أن نموت بقوة الدول من أن نموت من قوة المرابين .

[تصفيق]

حضرة الشيخ المحترم صلاح الدين الشواربى بك : لقد سبق أن اجتمعنا وقررنا التبرع بمكافأة ثلاثة أشهر لمساعدة فلسطين ، ولقد قامت الحكومة الان بتأدية واجبها . فيلزم علينا — نحن الذين تقدمت بنا السن ولا نستطيع ولا نقوى على حمل السلاح — أن نستمر فى هذا التبرع كما يجب على البلاد جميعا أن تتبرع حتى نستطيع ان نساعد فلسطين مساعدة جدية هذا ما أردت أن أقوله لحضراتكم وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين .

حضرة الشيخ المحترم عبد السلام الشاذلى باشا : لقد ظهر بجلاء ووضوح اتجاه الامة واتجاه هذا المجلس فى ضرورة تأييد الحكومة فى خطتها للدفاع عن فلسطين . ولى كلمة قصيرة فى هذا الموضوع . لقد رأيت اهتمام المجلس بمسألة الذخائر ، ولقد كنت محافظا للقاهرة قبيل الحرب الماضية فرأيت كيف أن الانجليز تمكنوا من أن يحشدوا المصانع هنا وهناك فى القاهرة وفى النحاسين وفى غيرها للاشتغال بصنع الذخائر للجيش لعدم توافرها لديهم . لذلك أوجه نظر الحكومة ونظر معالى وزير الدفاع خاصة — الى الاهتمام بأمر هذه المصانع لتغذية الجيش بما يحتاج اليه من الذخائر .

الرئيس : لقد انتهت المناقشة في هذا الموضوع . واظن أن المجلس بعد أن استمع الى البيانات التى أدلى بها دولة رئيس الحكومة ووقف على سياستها يوافق على هذه السياسة .

حضرة الشيخ المحترم أمين احمد سعيد:

اقترح أن تكون موافقة المجلس على سياسة الحكومة بالاجماع .

حضرة الشيخ المحترم عبد اللطيف زعزوع : أن كل الاسئلة والمناقشات التى دارت حول هذا الموضوع انما كانت للاطمئنان فقط ، فالموافقة على هذه السياسة بالاجماع .

الرئيس : هل يوافق المجلس على سياسة الحكومة التى انتهجتها فيما يتعلق بالمسألة الفلسطينية بالاجماع ؟

حضرة الشيخ المحترم محمود غالب باشا : للان لم يسمع المجلس رأى اللجنة التى كونها بالامس لبحث هذه المسألة ومن الواجب أن يستمع المجلس الى رأيها .

الرئيس : لقد ذكرت اللجنة في تقريرها انها استمعت الى بيانات دولة رئيس الحكومة ووافقت على خطتها بالاجماع .

حضرة الشيخ المحترم محمود غالب باشا:

ولكن من الواجب أن يسمع المجلس رأى اللجنة التى كونها .

المقرر : لقد اشتمل تقرير اللجنة على شقين : شق طرح على حضراتكم الليلة والشق الاخر لم يطرح بعد .

حضرة الشيخ المحترم الاستاذ عباس الجمل : هذا الشق يجب الا نتعرض له الآن .

الرئيس : نعم . يجب عدم التعرض لهذا الشق من التقرير .

المقرر : اذا كان الامر كذلك فاقول ان اللجنة قد قررت فيما يتعلق بالشق الاول من التقرير ما يأتى : — « اجتمعت اللجنة لبحث مما كلفها به المجلس ، وسمعت بيان دولة رئيس الحكومة عما يرى انه يجب أن تقوم به مصر نحو فلسطين ، من ضرورة التدخل مع الجيوش العربية فى الوقت المناسب لاعادة النظام والطمأنينة لذلك القطر ومنع المذابح المتواصلة الآن ، وهى واثقة من نتائج هذا التدخل باذن الله » .

وقد وافقت اللجنة على هذه السياسة بالاجماع ، وتدعو المجلس الى الموافقة على رأيها . وقد انتخبت اللجنة سعادة توفيق دوس باشا مقررا لها .

الرئيس : هل توافقون حضراتكم على هذا الشق من التقرير ؟

[موافقة بالاجماع]

المقرر : الشق الثانى من التقرير خاص بموضوع لم يطرح على حضراتكم ...

حضرة الشيخ المحترم الاستاذ عباس الجمل : لا نريد التعرض لهذا الشق الآن

الرئيس : ان هذا الشق من التقرير لم يكلف المجلس اللجنة ببحثه أمس .

المقرر : بل لقد كلفت به اللجنة امس .

حضرة الشيخ المحترم محمد فؤاد سراج الدين باشا : أرجو أن تجعل لهذه الجلسة مظهرا اجتماعيا بحتا ، ولذلك أرى أن لا ضرورة لعرض هذا الشق الثانى من التقرير الآن .

الرئيس : أمامنا الآن مرسوم بالاذن للحكومة بأن تصدر أذونات على الخزانة بمبلغ اربعة ملايين من الجنيهات لاجل مسألة فلسطين .

وبعد ذلك ، الى ان تصدر الحكومة هذه القروض تأخذ من الاحتياطى المبلغ المذكور على أن تقوم بتسديده من هذا القرض .

فهل توافقون حضراتكم عليه من حيث المبدأ ؟

(موافقة)

حضرة صاحب الدولة محمود فهمى النقراشى باشا رئيس مجلس الوزراء :

لى كلمة بسيطة وهى تنفيذا للسياسة التى عرضتها على حضراتكم وتفضلتم بالموافقة عليها ستتقدم الى المجلس غدا بتشريع عاجل ، ارجو أن يوافق المجلس على عقد جلسة فى الغد لاقراره .

الرئيس : لا مانع من ذلك .

المقرر : موضوع هذا التشريع ، هو الشق الثانى من تقرير اللجنة الذى أردت أن أشير اليه .

الرئيس : يستلزم أخذ الرأى على هذا المرسوم بقاء حضرات الاعضاء المحترمين داخل قاعة الجلسة ، والآن لتعود الجلسة علنية .

(أعيدت الجلسة علنية حيث كانت الساعة الثامنة والدقيقة العاشرة مساء) .

الطليعة

ملحق الأدب والفن

- المــــرأة فى أدب الحـــكيم
- أم كلثوم : الندرة .. والاستثناء
- الموميـاء : انهض فلن تمـوت

فى هذا العــدد :

- المرأة فى أدب الحكيم : شريرة وخالقة وأم دون حب
- زكى نجيب محمود : الوضعية المنطقية فى الأدب والفن
- هذا الفنان وعالمــه : محمد ســيد توفيق

الأدب والفن فى شهر :

- أم كلثوم : النـــدرة .. والاســــتثناء
- الموميـــاء : انهــض .. فلن تمــوت
- « لحظة صدق » .. والقضــية الضائعة
- قــراءة فى ثــلاث روايـــات جــديدة
- هــذا غــذاء حقيقــى لأطفالنــــا
- على الطريق الصعب : جاليرى ٦٨ ـ سنابل ـ أقلام الصحف
- الحــلم والواقع فى عصافير ياسين رفاعية

المرأة

فى أدب الحـــــكيم :

شريرة وخالقـــــــة وأم دون حـــــب

سـامى خشبـة

لم يتفق النقاد المصريون على سمو مكانة واحـد من كتابنا المبدعين مثلما اتفقوا على سمومكانة توفيق الحكيم ، ومع ذلك لم يختلفوا حول تقييم اعمـال واحد من هؤلاء الكتاب وافكاره مثلما اختلفوا على تقييم اعمـال الحكيم وافـكاره . ودخلـت « الصـحافة » لعبة « نجومية » الحكيم وشـغلت الناس احيانا بعصـاه او بحماره ، واحيانابالبيريه والشـارب ، او بالبرج العاجى المزعوم ، واحيانابالبخل المشهور او الذهول الاكثرشهرة .. أو بعداوته للمراه التىكانت اشهر من كل شيء .

وقد يكون لتوفيق الحكيم نفسه دور فى الاهتمام والانشغال كما قال البعض ، وقد يكون ذلك لرغبته فى الدعاية لنفسه كماقالوا ، أو لافكاره واعماله كمانقول

وهو الغائب القديم الذى عرف كمية الجهل والعماء السابح فيهما شعبه وقراؤه ، الدرجة التى ينبغى معهاان تكون للكاتب « الجاد ! دعاية لاجدية فيهـا حتى تجتذب انظار اوسع قطاع ممكن من الجمهور .

ولكن لا نعتقد ان هذه الدعاية هى مايمكن ان تخلق الاهتمام النقدى بأعمال توفيق الحكيم ، أوبمواقفه من حيـاتنا السياسية والاجتماعية والفنية . كما لا نعتقد ان هذه الدعاية كانت هى السبب الاساس لـــ « جماهيرية » توفيق الحكيم التى لا شك فيها .

ونبدا بحكم سيكون علينا اثباتته فى السطور التالية ،من خلال تناولنا لقضية « المرأة » اوموضوعها او « ظاهرتها » عند توفيق الحكيم : ان السبب الاساسى لجماهيريته انما يرجع الى المزيج المدهش الذى اقام عليه الحكيم بناء اكثر اعماله [فى موضوعاتها وافكارها] واتخذه غالبا اساسا لموقفه العام من قضـايا حياتنا السياسية والاجتماعية والثقافية ، المزيج الذى يجمع بين الحكمة المستخلصة من التراث الشعبى ومن التراث الدينى كما يفهمه الشعب لاكما يفهمه الفقهاء ، ومن فضائل تلك الفئة من الطبقة المتوسطة التى أنتمى اليها الحكيم شخصيا وفكريا وتاريخيا . انها الفئة التى وقفت على ساقين احداهما مغروسة فى تقاليد صغار ومتوسطى الملاك الزراعيين فى الريف ، والثانية تتحرك على مساحة من القانون الفرنسى [قانون أصدق ثورة بورجوازية فى التاريخ] وحياة البيروقراطية المصرية فى فترة من حياتها كانت تشعر فيها بوطأة القهر ، بينما كان يفرض عليها وضعها ان تمارس دور أداة القهـر وتجسيده المباشر ، فحلت تناقضها بنوع خاص من الليبرالية ، يجمع بين افتراض التحرر مع التمسك فى نفس الوقت بقيم التجمد التى تحفظ لتكوين المجتمع الريفى شيئا من تماسكه القديم .

بهـذا المزيج بين الحكمة الشـعبية وفضائل البورجوازية الصـغيرة الريفية البيروقراطيـــة نصف المتحـررة نصف المتزمته ، كان الحكيم يتوجه الى « أوسع الجماهير » القارئة فى مصر بالفعل ، يقدم لها حكمتها الموروثة الشعبية والدينية [وأحيانا الاسطورية] فى قوالب فنية عصرية ، ممتزجة بالرغبة « الوطنية » فى التحرر بالمقدار الذى يتيح لهـذه

الجماهير شيئا من اللحاق « بركب الحضارة » دون أن يفقدها فى نفس الوقت أعز ما تملكه من « القيم » التى تحقق لها شيئا من التماسك الاجتماعى والاخلاقى المنقذ من احتمال التمزق النفسى والفكرى الذى تنتجه دون شك « الحضارة نفسها • اننا نواجه من جديد أحد الحلول التى قدمتها اجيال مفكرينا وادبائنا الرواد لواحدة من أخطر قضايا تطورنا الحضارى والثقافى الحديث ، قضية علاقتنا بالحضارة الغربية وموقفنا من آثار « غزو » هذه الحضارة لواقعنا المغلق منذ قرون غزوا مفاجئا وقاسيا .فلنرجىء ذلك الى حين ، بعد ان نتبين مقدار اقتراب هذا الحكم من الحقيقة وسيكون بابنا الى ذلك هو الحكيم والمرأة .

[..●..]

فى ثقافتنا القومية الموروثة ، شعبية ودينية ، نظرة [هى من اسس تلك الثقافة] الى المرأة تقول انها كائن خاص ، حرام ومحرم ، هو أصل شقاء البشر بانخداعها بمؤامرة ابليس والحية وانزالها آدم من نعيم الفردوس والخلود الى جحيم الارض والموت • كائن لاشك فى دونيته اذا قيس بالرجل ، ذكاؤه مكر وفطنته خداع ، وقدرته على الخلق غريزة دون عقل ، كائن شهوانى فى خمول ملتذ فى كسل ، جماله فخ للرجل وشهوته دمار لما فى الرجل من ذهن خلاق قادر على اكتشاف الحقيقة واعادة تركيب شظايا العالم الذى حطمت تماسكه فى الازل امرأة • فى الموروث الدينى كانت حواء تجسيدا لذلك المفهوم ، وتقدم الموروث الشعبى عشرات النماذج من كل لون لا يحيطها الحصر .

كما ان لكل قاعدة استثناء يثبتها ويزيدها رسوخا ووضوحا ، كذلك تحقق لتلك « القاعدة » استثناؤها ، والاستثناء هنا يتجسد فى الزوجية والامومة ، وبمعنى آخر فى مقدار ما تستطيع المرأة ان تحققه من « انسانية » تضعها فى تفان ودون تردد ولا شروط فى خدمة « رجل » بعينه ، لابد أن يكون هو « زوجها » ، ثم « ابنها » القادم من صلب هذا الرجل الزوج بالتحديد . فى الموروث الدينى كانت ايزيس والعذراء والسيدة خديجة رموز هذه المفهوم الاكثر شهرة ، ومرة أخرى قدم الموروث الشعبى نماذج لا يحيطها الحصر وان لم تكتسب أهمية تذكر فى الادب الشعبى ، فهى فى النهاية نماذج للاستثناء وليست للقاعدة ، كما انها ليست النماذج الصالحة لخلق « الفن » بمثاليتها وصرامتها وتطابقها مع الامن الواقع • ولكن من هذه الاستثناءات بالتحديد يستمد « المثل الاعلى » الاخلاقى الذى يصنع منه الاطار المطلوب من كل امرأة أن تضع نفسها فيه . فاذا كانت حواء قد اصبحت أما للبشرية ، وتضمنت تشبيهاتها مادة خصبة للاساطير وأنواع مأثورات الادب الشعبى [السامى خصوصا] فان ايزيس والعذراء والسيدة خديجة ، يصبحن أمهات للملوك والابطال والانبياء والمؤمنين ، ونادرات لا يتكررن ، ومن الصعب أن يتكرر ابناؤهن . وقليلا



ما يمثل فى أحداث التاريخ أو فى تراث بالادب الشعبى .

فى اطار هذا المفهوم الموروث السائد عن المراة ، باساسه واستثنائه ، نشأ توفيق الحكيم ، وهو اطار يتمتع بقوة خاصة — وحضور مستمر — فى الفئة الاجتماعية التى جاء منها ، بورجوازية الريف المصرى ، التى تلقت التعليم الحديث ، واحتفظت بملكيتها الزراعية المحدودة ، فظلت مرتبطة بالريف ، ثم انضمت الى طائفة الموظفين . فى هذه الفئة تصبح « الاسرة » الصغيرة هى وحدة الحياة الاجتماعية بعد تفتت « العشائر » أو التجمعات العائلية الكبيرة بفعل انسلاخ المتعلمين عن القرى واقامتهم فى العواصم والمدن . الى الحياة الجديدة يأتى المتعلم الحديث بقيمه الموروثة ، الدينية والشعبية . وبما ان العلم الحديث قد كان مجرد « معلومات » تلقن فى المدارس لاغراض ادارة بناء اقتصادى وسياسى حديث ، وليس « نظرة » جديدة شاملة الى الكون والتاريخ والمجتمع والانسان ، نظرة تنبع من حركة حضارية شاملة كما حدث فى اوروبا النهضة وما بعدها ، فان تلك القيم الموروثة تصبح أكثر حضورا — رغم ان مادتها تصبح تجريدا — بوصفها قيما تفقد بالتدريج ما يجسدها من أحداث التاريخ أو حتى الحواديت واشكال الادب الشعبى . ويزداد التمسك بها فى وجه المزالق « الاخلاقية » للحياة الحديثة لانها العاصم الاخير ضد التفتت الكامل للعالم القروى القديم وهى عاصم «مفيد» لانها ستحمى « الاسرة » الصغيرة نفسها من التفتت ، اذ تزودها بنسق اخلاقى جاهز لم يتجه اليه الفحص ولا الشك ، ولا داعى لان يتجه اليه من ذلك شىء .

ولكن هذا المفهوم الموروث السائد ، يدخل عليه عنصر جديد ، مستمد عن المصادر الاساسية للحياة الجديدة نفسها التعليم ، ونوع وأسلوب العمل وبيئة الحياة الاجتماعية انه عنصر ليبرالى فى مضمونه الاساسى البعيد . ولكنه ايضا عنصر وافد ياتى على استحياء شأن الغريب المستوحش ، وان كان فى قدومه يعبر عن احتياج واقعى تفرضه الحياة وقد تقبلته طبقة الحكيم الاجتماعية بطريقتها الخاصة ، كما عبرت الثقافة المصرية فى عصر تكوين الحكيم العقلى الاول عن هذا العنصر بمصطلح «السفور» الذى كان يتضمن فى وقت واحد ، عتق المرأة من اسر الحريم والحجاب ، وتعليمها مع حرمانها من العمل ، ومنحها ثقة اكبر فى مسائل تربية الاطفال وادارة «البيت» مع المحافظة على دونيتها الاجتماعية وتأكيد دونيتها الجنسية الموروثة . بذلك تضمن الجورجوازية الجديدة ان « ترفع مستوى » نسائها العقلى ، مع محاصرتهن داخل الاطر القديمة فى نفس الوقت وتجريمهن اذا فكرن فى «رفع مستواهن» الفعلى ، العاطفى والاقتصادى ، باستخدام «عقولهن» الجديدة [وعواطفهن الجديدة بالتالى] استخدامها «المنطقى» المحتم بذلك حققت هذه الطبقة «للمرأة» اسباب الانعتاق بالتعليم والخروج من وراء جدران « الحرملك » ولكنها حافظت عليها موضوعا للقهر الاقتصادى وللاستغلال الجنسى للرجل ، اعتمادا

> **وكل مافى المسألة انى دائما أفرق بين المرأة كشىء يوحى بالجمال ، وبين المرأة كمخلوق يريد ان يستأثر بكل شىء فى حياتنا . ان عداوتى لهذا المخلوق لن تنقطع مادمت أخشى منه . ان عداونى ليست الا دفاعا عن نفسى .. فلو ان المرأة تمثال من الفضة فوق مكتبى ، أو باقة من الزهر فى حجرتى ، أو أسطوانة موسيقية أنطقها وأسكتها بارادتى ، لماكان لها عندى غير تقديس واكبار لايحدهما حد . ولكنها للاسف شىء يتكلم ويتحرك .. على ان الانصاف يقتضينى ان أقول ان المرأة اذ تحطم من جانب فهى تبنى من جانب . انها كالطبيعة فى يدها العبقريتان : عبقرية الفناء وعبقرية البناء . وانه لمن المستحيل ان نرى فى التاريخ حضارة قامت بدونها ولا انحطت بدونها . وان عرشها فى مملكة الفن أظهر العروش .. ففى الغرب هى المرأة ، وفى الشرق هى المرأة . حيثما وجدت صاحبة الذوق وجد فن الكمال الممكن ، ونهض الفكر وقامت الحضارة .**
>
> **تحت شمس الفكر**
> **٢٥٣ / ٢٥٦**

على النسق الاخلاقى من قيم العالم القديم مجردة ومنظمة وشديدة الحضور .

وفى نفس الاطار المعتد كانت الارستقراطية المتفرنجة والفئات الاجتماعية القريبة منها والمتشبهة بها تتحرك . ولكن قرب الارستقراطية وذيولها من « منبع » التأثير الغربى ، ورغبتها ورغبة ذيولها فى الالتحاق بهذا المنهج ، مع استحالة « نبوع » القيم الاخلاقية الغربية المتحررة والاكثر انسانية نبوعا تلقائيا من الواقع الاجتماعى والسياسى الذى كانت ارستقراطيتنا وذيولها تعيشه ، كل هذا انتج ذلك التفسخ الاخلاقى المشهور الذى عاشته ارستقراطيتنا ممزقة بين ميراث عصر الجوارى المتجدد فى عصر العوالم ، وبين مكتسبات عصر المرأة « المودرن » التى ينبغى ان يكون لها كما يقول الحكيم فى الرباط المقدس ، عشيق أو خليل او حتى صديق ، والتى ينبغى الا يثور زوجها على هذا الوضع بحكم رغبته فى ان يكون « مودرن » أو متحررا على الطريقة الاوربية كما تخيلوها ، ايضا كما يقول الحكيم فى نفس الرواية . وبذلك ايضا شاركت ارستقراطيتنا وتوابعها الاجتماعية فى عملية تحقيق اسباب التحرر للمرأة ودفعتها فى نفس الوقت بقوة اكثر الى الطريق المؤدى الى تحويلها الى موضوع جنسى كامل فى نظر الرجل وفى نظر ذاتها نفسها ، وبينها يفقد الرجل والمرأة معا أى سند معنوى من القيم الاخلاقية القديمة ، ويعجزان عن تبين الهدف النهائى للقيم المتحررة المنتمية الى الغرب المعبود المشتهى ، هدف استعادة الرجل والمرأة معا لانسانيتهما وانتهاء غربتهما بالحرية المسئولة .

بين هذا وذاك يتمزق التكوين الوجدانى لنماذج هذه الطبقة ، وينعكس فى شكل « جرائم » الغيرة والشذوذ وتجارة الرقيق الابيض وتفتت الاسر الارستقراطية التى تعلن فى نفس الوقت [وياللغرابة] تمسكها بالعشيرة الكبرى !! ، ويتم اخضاع كل ما هو معنوى [بما فى ذلك الفن] للتبذل الجنسى ، الذى تصبح المرأة فيه هى الموضوع المنتهك لنفسها ، وللرجل على سواء .

واعتمادا على المفهوم السائد الموروث عن « المراة — الشر » هاجم الحكيم المرأة نفسها من حيث هى كذلك .

وعلى هذا النموذج ثار توفيق الحكيم متوهما انه المصير « المحتم » لكل امرأة ولكنه اراد بالمقابل أن يحول الحل الذى حققته طبقته الى النموذج المثالى لحل المشكلة ، واسعفه الاستثناء العظيم (بنماذج ايزيس والعذراء والسيدة خديجة) ممتزجا بتصوراته الخاصة المبتكرة فى جولات الفن مع الاسطورة والدين والتاريخ والواقع ، وممتزجا بذلك العنصر الليبرالى الشاحب الوافد ، أسعفه كل ذلك لكى يصوغ « الحل المثالى » فى دعوة موجهة الى نساء امته ورجالها ، مكتوبة فى شكل روايات ومسرحيات ومقالات وتأملات ..

بذلك أصبح الحكيم مدافعا من التراث باعلانه الايمان بالمفهوم السائد فى التراث عن المرأة ومن الاخلاق (بهجومه على التفسخ الاخلاقى فى فئات المجتمع العليا) وأصبح فى نفس الوقت داعيا الى اخلاق جديدة ولكنها مستندة الى استثناءات التراث القديم ، ومستندة فى نفس الوقت الى الليبرالية الوافدة الشاحبة التى طلبتها وفرضتها حياة البرجوازية الصغيرة الريفية المتعلمة الجديدة !!

ولقد تردد موضوع « المرأة » من زوايا كثيرة فى أدب الحكيم المسرحى والروائى بل ان « المرأة الجديدة » كان هو عنوان واحدة من اوائل اعماله المسرحية المعروفة . وربما كان السبب الاجتماعى الذى فرض على الحكيم الاهتمام بهذا الموضوع سببا واضحا ، فقد كانت قضية « تحرير المرأة » واحدة من أهم قضايا التغيير الاجتماعى منذ اوائل القرن وجاءت كتابات قاسم أمين لكى تفجر القضية التى كانت تستعد لهذا الانفجار منذ فتح الخديو اسماعيل اول مدرسة حديثة لتعليم البنات فى حوالى منتصف القرن الماضى . ومن البديهى ان تنفجر مع قضية المرأة كل قضايا « الاخلاق » فى مجتمع ارتبط عنده مفهوم الشرف بمفهوم « العرض » ودارت فيه كرامة الرجل — ابا أو اخا أو ابنا — حول قدرته على حماية « عرضه » أى منع الرجال الاخرين من الوصول الى « حريمه » الخاص بأى ثمن ، وحبذا لو كان الثمن هو الدم ، والاسهل بالطبع هو أن يدفع الثمن من دم المرأة نفسها . وكان الوجه المقابل لهذا الانشغال بتحرير المرأة فى سنوات الظهور الاول للحكيم ، هو غيبة المرأة عن الحياة الاجتماعية

> .. جمال المرأة وفتنتها : تلك هى فى نظرى اشواكها الحقيقية التى تضع فيها كل سموم سلطانها وقسوتها . فالمرأة تشهر علينا نحن الرجال هذا السلاح ، وتقف به فى وجه اعمالنا ، آمرة فينا ناهية ، صائحة بنا احيانا ان نقف فى طريقنا كما تقف القافلة تحت تهديد قطاع الطريق ، لتأخذ منا كل ماعندنا من وقت ، وقلب ، ومال ، وجاه ، وشهرة . انها لتجردنا من كل شىء ، وتتركنا عراة تحت سلطان سلاحها المسلط المخيف !
>
> لعلها تتهمنى بالمبالغة ، ولكن هل تستطيع امرأة ان تقول لى ان هنالك امرأة فى الوجود تعيش لغرض آخر غير سلب الرجل ! . انك اذا فتحت رأس امرأة لما وجدت فيه غير هذه الغاية : السطو على رجل !
>
> ان الرجل قد يعيش لعمله ، أو لفكرته ، ولكن فكرة المرأة ، وعملها هو البحث عن الرجل الذى تسلبه لحظاته وكل حياته.
>
> تحت شمس الفكر
>
> ص ٢٦٢ / ٢٦٣

ومن تجارب هذه الحياة التى يمكن ان تتحول الى تجارب فنية تتمتع بأساس واقعى منطقى .

ولكن هذا السبب الاجتماعى لم يكن مبررا عند كثيرين من كتاب جيل الحكيم للاهتمام بقضية المرأة وتحريرها ومكانها فى المجتمع ومعناها فى الوجود بنفس درجة اهتمام الحكيم بها فمن البديهى ان تكون له اسبابه الخاصة ، السيكولوجية والفكرية . أما عن الاسباب السيكولوجية فقد لا يستطيع ذلك الا تحليل نفسى ، أو عملية نقدية يكون التحليل النفسى هو سندها الاساسى . وقد يكفينا هنا ان نشير الى « التقديس » الخاص الذى يتحدث به الحكيم عن امه فى « سجن العمر » ومن شخصية « الام — الزوجة » بشكل عام فى « تحت شمس الفكر » وان كنا ندرك انه يتحدث عن صفية زغلول ومرة عن أمه هو ، وعن شخصيات مختارة بعينها من « الامهات — الزوجات » فى « **الرباط المقدس** » ، تبرز منهن ايزيس الى جانب السيدة خديجة ، وزوجة كارل ماركس الى جانب زوجة دزرائيلى ، دون تمييز للمضمون الخاص بكل واحدة منهن ولا المعنى التاريخى لكل « زوجة وزوجها » . فهو لا يهتم منهن جميعا الا بمعنى « فناء » الزوجة المستنيرة القوية الصلبة فى زوجها ، بعد ايمانها به ، ايمانا تاما على تدرين متساويين من العاطفة والعقل ولكننا نعرف ايضا من « **عودة الروح** » التى يقر الحكيم لفؤاد دوارة ، انها تتضمن شيئا من سيرته الذاتية (عشرة ادباء يتحدثون) نعرف ان « محسن » لم يكن يحب فى امه استعلاءها على الفلاحين وكان يفضل فى ابيه حبه لهم واكباره لصلابتهم وكرمهم ونعرف أيضا من « أهل الفن » ان امرأة بعينها هى « الاسطى حميده » كان لها الفضل فى « جر » الحكيم الصبى الى عالم الفن بالعوالم والمطربات والالاتية ، وانها تمكنت من « جره » الى هذا العالم بفضل مزيج عطرها الانثوى وحنانها الاموى فى وقت واحد .

ورغم ما قد يبدو فى « الرباط المقدس » من رائحة التجربة الشخصية (التى اعتقد بأنها استمرت الى ماوراء الرواية والى ماوراء مجرد العلاقة العابرة) ، ورغم ما قد نحسه عن « راهب الفكر » فيها من احساس بالندم والرغبة فى التكفير والاستعداد لتعليق اثم التفكير فى « الخطيئة » على كتفى المرأة التى احبته وحاولت ان تعلمه ممارسة الحياة لا التفرج عليها وتحمل مسئوليتها بدلا من اعتماد مقعد الوسيط او القاضى أو مسجل الاخبار ، أقول انه رغم كل ذلك فاننا لا نملك الكثير من المعرفة بالتربية العاطفية للحكيم ، لكى نستخلص تصورا عن أى اساس سيكولوجى لموقفه المعقد من المرأة .

ولكننا قد نملك بعض الحق فى ارجاع موقفه منها ، وولعه بمعالجة « وجودها » من مختلف زواياه الى وقوف الحكيم طويلا عند المصادر التاريخية للثقافة الشعبية والمعتقدات الشعبية ، والتصورات الشعبية ايضا عن المصادر

الدينية من اسطورة ايزيس واوزوريس الى سفر التكوين فى التوراه ، ومن اسفار الملوك فى التوراه [قصص سليمان بالذات] الى الف ليلة وليلة ومن سور « سليمان » و « اهل الكهف » فى القرآن الكريم الى اساطير بيجماليون واوديب الاغريقية . وقد يكون لوقوف الحكيم عند هذه المصادر سبب فى تأثره بالرومانتيكية الاوربية فى عصر « ثقافة الإنحلال » بعد الحرب العالمية الاولى ، رومانتيكية البحث عن الاصول من ناحية والبحث عن التشابه بين الفنان والخالق من ناحية أخرى [1] .

فى كل هذه المصادر تتجسد المرأة زوجة أو اما أو معشوقة أو كلها معا . وتتحول عند الحكيم الى مصدر للخلق احيانا ، وان ظل خلقها بالضرورة ناقصا يحتاج الى الجهد العقلى يبذله الرجل لكى يكتمل . وقد تتحول عنده الى مصدر خطر على الخلق [وعلى الخليقة] بما تمثله فى التراث من شهوانية وما حكم عليها به من دونية جسدية وعقلية تترتب عليها دونيتها الاجتماعية ، ولكنها قد تتحول الى مجرد « لغز » او رمز للحياة الملغزة ، او رمز للفردوس المفقود ، او الشر الكامن المهدد ، أو رمز للوطن [الارض الام] .

ولكننا نستطيع أن نقسم معالجات الحكيم - الروائية والدرامية والتأملية - لموضوع المرأة الى قسمين أساسيين ، سنضطر الى استخدام مصطلحات شديدة العمومية بهدف تحديدهما فى هذه السطور التى لا تتاح فيها الفرصة لتخصيص جهد مستقل للبحث عن المصطلحات المناسبة . سنسمى القسم الاول بقسم المعالجات الانثروبولوجية ، التى استسلم فيها الحكيم تماما للمفهوم التراثى السائد عن المرأة ، الذى يتجه نحو ادانتها باعتبارها تجسيدا للشر من زوايا مختلفة . ونسمى القسم الثانى بقسم المعالجات « العقلية » التى حاول فيها الحكيم ان ينصب من المرأة رمزا للخير من زوايا مختلفة ايضا .

فى القسم الاول يمكننا أن نرى الحكيم وقد تملكته الخشية من تحرر المرأة ،حتى لا ينطلق الشر من عقاله فيهدد ما بقى للرجل من عقل أو قدرة على التعقل .

---

[1] أدين بهذه الملاحظة للاستاذ بدر الديب فى حوار شخصى معه عن الحكيم .

وهو يعبر عن ذلك بوضوح فى مقالاته عن المرأة والحياة والمرأة والمجتمع فى « تحت شمس الفكر » ، ويضيف الى الخوف من تحرر المرأة [بمعنى مزاحمتها الرجل فى العمل ومناقضتها بذلك لطبيعتها] خوفه من جمالها ، ذلك السلاح الفتاك الذى يمكن أن يدفع بالرجل الى الدمار فى « الرباط المقدس » انه خوف من استعباد المرأة جنسيا للرجل ، اذن ، على أساس الايمان بالتناقض بين الجنس والفكر وقدرة الجنس على تدمير قدرات الرجل فى التفكير والخلق . ان الجنس الذى جسدته « حواء » فى الفردوس ، كان الاداة المباشرة لسقوط آدم [وليس سقوطها هى] وبداية العذاب للبشرية .

> **.. واختلس راهب الفكر اليها النظر : ورأى ذلك الجمال كله .. وتأمل تلك الكرزتين وما يمكن ان يكون فيهما من عسل .. وذلك البدن البض الغض اللدن وما يمكن ان يحدثه لمسه من اثر .. ان جسمها الذى امامه لم يكن عنده اكثر من جدار يضع عليه صورا من اختراع خياله ومعانى من ابتكار ذهنه . أما الجدار ذاته فلم يلمسه ولم يعرف ما وراءه ! .. كيف استطاعت هى ان تقول هذا القول الصائب : حقا ان رؤوسنا بما تفرز من معان تغلف بها المادة ، لتقصينا بدون ان نشعر عن لمس حقائق الاشياء .. انها المبارزة الدائمة بين المعنى والمبنى ، والفكر والجسد ، والروح والمادة ، كل منهما يريد ان يحجب الاخر ، فلا نبصر منه غير ظلال شاحبة . فالفكر اذا طغى يفسر لنا الجسد بمعانيه ، والمادة اذا طغت تفسر لنا الروح بوسائلها .. لا .. لا شيء يفسر المادة غير المادة . ولا يكشف عن الروح غير الروح .. لابد ان يلتحم صدر بصدر وتلتصق شفة بشفة حتى يخرج من ذلك الاحتكاك قبس من شعور خاص هو وحده الذى يعرفنا ما لا يستطيع الفكر المجرد ان يتخيل .**
>
> **الرباط المقدس**
> **ص ٣١١ / ٣١٢**

وفى هذا القسم أيضا سنرى الحكيم مؤمنا بالخصائص الشريرة للمرأة بفطرتها وهو شر مرتبط غالبا بجمالها . فجمال بطلة الرباط المقدس كاد يدفع راهب الفكر الى الزلل مثلما دفع بافنوس الى السقوط بعشق تاييس ، وكان جمال الفتاة « ريم » ذات المظهر البريء الغامض هو السبب فى الشرور التى بدأت بها يوميات نائب فى الارياف وفى الشر الذى انتهت به الرواية : قتل ريم نفسها . وفى شهر زاد تستطيع الفتاة الخبيرة المحنكة أن تدفع شهريار الى الفلسفة والبحث عن مغزى الوجود ، بينما تعشق هى عبدا أسود يرضى غريزتها . فهى تخلق الرجل حقا ، ولكنها تخلقه ناقصا يتعذب بنقصه ، وتخلقه لمجرد نطسرة الخلق المركبة فيها ، بينما تظل هى مجرد شهوة حسية لا علاقة لها بالعقل الذى خرج من رحمها . وقد لا يرتبط شر المرأة بجمالها بل قد يكون مرتبطا بكونها امرأة . ان الجارية « شهباء » فى « سليمان الحكيم » لا تستطيع الا أن تكون لعنة وشرا على حبيبها الفارس قدر ما كانت لعنة وشرا على كل من اقترب منها بما فيهم سيدتها الملكة بلقيس ودون أن تدبر لذلك الشر اقل تدبير .

وفى القسم الاول أيضا سنرى الحكيم مؤمنا بلغز المرأة التى ربما كانت شهر زاد أشهر نماذجه ، ولكن أوضح هذه النماذج هى الزوجة العجوز فى « يا طالع الشجرة » . تلك التى تختفى حية فى لا مكان ، وتختفى ميتة لكى تحل محلها السحلية « الشيخة خضرة » ، لكى تصبح مصدرا للخلق ومصدرا للعذاب وللنجاة من العذاب فى وقت واحد .

فى ذلك الجانب الاول يتجسد أيمان الحكيم فى معالجته للمرأة بالتناقض بين الجنس والفكر ، انعكاسا لصراع أبدى عبر عنه الحكيم اكثر من مرة بين جمال المرأة وعقل الرجل . وربما كان هذا التناقض الموهوم انعكاسا لفكرة التناقض الابدى الثابته الذى يؤمن به الحكيم بين الحس والعقل ، أو التعادل بينهما بتعبيره واستحالة تكاملهما او امتزاجهما استحالة مطلقة .. بذلك تم عند الحكيم الحصول على تعبير فكرى وصياغة فنية للحكمة الشعبية والدينية القديمة عن المرأة [وخاصة فى الثقافة السامية] منذ حواء سفر التكوين الى مومس جلجامش الى عشتار ادونيس ، انتقالا الى نساء الف ليلة وليلة [العراقية والمصرية] الكثيرات .

ولكن هذا التعبير الفكري وتلك الصياغة الفنية يتحققان دون استناد لمفهوم تتعدى وغير المفهوم الاخلاقي المستمد من الاستثناءات العظيمة للمفهوم التراثي السائد عن المرأة . هنا ادانة كاملة للمرأة بما هي كذلك ، وحكم بدونيتها المطلقة ، جسديا وعقليا ، وبالتالي اجتماعيا — وتحذير رهيب للرجل مما تجسده من شر . لن نلتقي في هذا الجانب بأي تصور للملابسات التاريخية التي انتجت تلك الحكمة الشعبية ، ومفهومها السائد عن المرأة ، [منظورا اليها كموضوع جنسي يتساوى مع الشر والنقص في الخلق] .

[●]

وفي القسم الثاني يتحقق التعادل ، او تبذل المحاولة النبيلة لتحقيق ذلك التعادل . ففي مهارة عقلية كبيرة يكتشف الحكيم تلك الاستثناءات العظيمة للمفهوم السائد عن المرأة ، الاستثناءات التي تثبت القاعدة من ناحية ، وتحاول من ناحية مقابلة خلق نسق من القيم المساعدة على مواجهة الاضرار التي لابد من حدوثها نتيجة تأثير القاعدة نفسها .

في هذا القسم يحاول الحكيم أن يحقق المزج بين بعض تلك الاستثناءات [وأساسا ايزيس] وبين الفضائل الليبرالية الشاحبة لبرجوازية الريف المتعلمة التي التقت على أرض واحدة بفضائل المجتمع الزراعي القديم .

فاذا كانت الثقافة السامية ، قد عبرت عن تغلب النظام الابوي على النظام الامومي في مراحل قديمة باعلان سقوط المرأة وشرها وبتحريم المرأة وتحميلها ذنب البشرية كلها ، فان الثقافة المصرية القديمة قد تمكنت من حل المشكلة بطريقة نموذجية : لم يكن هناك سقوط ولا صعود ، وانما كان هناك تكامل مثالي داخل مؤسسة « الزوجية » منذ الازل . واذا كانت الام هي الرحم ، مصدر الخلق ، فان الاب هو الذراع ، مصدر العمل المنتج ، للمحافظة على الخلق . ولتظل الام في مكانها ، أصلا مقدسا ، تعيد الروح للاب المقتول ، وتلد الابن فيه يتجدد الاب لكن هي ايزيس وليحتفظ الاب بمكانه أيضا ، لكن هو العمل والابتكار والقتال . وليأخذ سلطته من الام نفسها ، وليتزوج أخته وارثة الام لكي يحمي بذلك ميراث الام والاب الاصليين بعمله وابتكاره وقتاله . لكن هو أوزوريس ، الا له المبتكر المنتج المقتول لكي تخصب

.. وتناولت القلم ، وجلست باحدى فخذيها على ساعد المقعد ، فالتصق جسمها بجسمه وانحنت برأسها لتكتب فانحدرت بعض خصلاتها المعطرة على جبينه . ثم تحركت فاحس احد نهديها يلامس خده ويكاد من ضغطه الرفيق ينبج بلطف ورقة .. وشم رائحتها تملأ انفه . رائحة جسم الانثى ممتزجة بعطورها .. ان لعرق المرأة وأنفاسها من الرائحة الذكية أحيانا مايزري بأي عطر مصنوع . فهي رائحة طبيعية في المرأة كما في الزهرة .. ولكنها لاتوجد في كل النساء ، كما ان الشذا الطيب لايوجد في كل الازهار . وان فيهما لسرا تعرفه الطبيعة ولاتعرفه الصناعة .. هو الذي يجعل في تلك الرائحة الطبيعية اغراء جنسيا لايقهر .. ولم يستطع راهب الفكر ان يميز رأسه من قدمه . فقد أمسى شيئا ليس له زمام .. ولم يفطن حتى الى معنى كلماتها وهي تمازحه ، ولكن اذنه منتشية بحلاوة صوتها ، ولم يبد اهتماما بكلماتها التي تخطها فوق الورق ، ولكن عينه تلتهم تلك اليد الرخصة البضة ، انه لم يعد انسانا مفكرا أو قابلا للتفكير في أي صورة من صورة ، لا النافع منه ولا التافه ، انما هو كتلة لحم ودم وأعصاب بغير قياد ..

الرباط المقدس
٣٢٠ / ٣٢١

بجسده الارض ، ولكي تتاح للام فرصة اعادته للحياة [خلقه بنفسها من جديد] ولتلد له ابنا يكون هو نفسه تجسيدا جديدا وحيا لابيه المقتول .

ويكتشف الحكيم هذا الاستثناء العظيم منذ زمن طويل — ويحكيه نموذجا للمرأة الام الزوجة الفاضلة الجديرة بأن تحتذى في احدى رسائله الى « طيفها » في « الرباط المقدس » . ولكن هذا التجسيد الانثروبولوجي للاخلاق لا ينفع لصياغة الدعوى الموجهة الى المرأة من أجل أن تبذل شيئا من الجهد للتخلص من دونيتها . فهو يعرف أنه يخاطب امرأة هذا العصر .

وليست امرأة عصر الدولة المصرية القديمة انه يعرف الفضائل التي يتكون منها نسق القيم الاخلاقية لقرائه ويعرف « الرذائل » التي ينفرون منها ، ويعرف أيضا من يجسدون هذه الرذائل . لتمتزج اذن في شخصيات فتيات البورجوازية الصغيرة المصريات ، وأ ملكات الاساطير ، أو غانيات العصر المملوكي الجزئيات ، أو بنات الملوك ذوات الفطنة والذكاء ، لتمتزج فيهن ملامح من ايزيس وصفية زغلول ، ومن السيدة خديجة والعذراء ، وليصبحن غالبا رموزا للوطن الواحد أو للمعرفة الشاملة أو للجمال المطلق ، وأحيانا رموزا للحياة أو للعدالة أو الشوق الى الحرية .. ولكن البديل هو أن يتحولن الى صورة للمرأة الحبيبة أو العاشقة . فتلك لاتكون الا التجسيد الحي للشر والخطر الماحق الذي يهدد الرجل والخليقة .

وفي عام ١٩٦٤ قال توفيق الحكيم لفؤاد دوارة أنه كف عن تحقير المرأة « المصرية » وأنه كان يحقرها في مجال « الثقافة » وحدها .. « وفي مرحلة معينة من مراحل تطورنا الاجتماعي ، خصوصا المراحل السابقة حين كان تعليم البنات محدودا جدا ولم تكن القراءة والاطلاع وكل مطالب الثقافة من الامور التي تشغل المرأة المصرية والشرقية عموما في المراحل الاولى التي تلت السنين مباشرة . ولكن ذلك عارض يزول مع الزمن وقد زال بالفعل جزء منه » .

وربما كان ذلك اعتذارا من الحكيم للمرأة بشكل عام ، وللمرأة المصرية بشكل خاص . فانه لم يكن يحقر المرأة المصرية وانما كان يعبر عن رأيه في « المرأة » على وجه الاطلاق وان كان قد وجه دعوته الى المرأة المصرية وحدها بالطبع . ولكنه حتى ذلك الحين [عام ١٩٦٤] . كان الحكيم في نفس الحوار يردد ايمانه بأنه ليس للمرأة أن تفعل ما يفعله الرجل ، ولا أن تحصل على ماحصل عليه وايمانه بأن جمال المرأة « خطر » على الرجل .. الخ

ولكنه قبل أيام من كتابة هذه السطور ، كان يتحدث عن ضرورة مشاركة الشباب في الخدمة الوطنية في كل مجالات العمل سألته : والفتيات أيضا ؟ قال دون تردد : نعم .

[●]

ليته يكتب ايزيس الجديدة ، أو حتى شهر زاد . ليته يحكى لنا ما صارت اليه « ساقطة » « الرباط المقدس » ...



زكي نجيب محمود :

[١٩٠٥]

الوضعية المنطقية فى الأدب والفن : وجه آخر للمثالية الذاتية

أحمد عزالدين

يحدد التاريخ — دائما — اتجاه الفنان ، ونشاطه الابداعى ، وان كان لا يحدد حجم موهبته .

كما يحدد التاريخ — ايضا — اتجاه العالم ، ونشاطه العلمى ، وان كان لا يحدد قوة اكتشافه .

ذلك ان العلم والفن — فى النهاية — ، ليسا كائنين منفصلين عن حركة التاريخ وعن قوانينه .. ، بل هما وليدا هذه الحركة ، وصياغة خاصة لهذه القوانين.

ان كلا منهما ليس الا سبيلا للوصول لاكتشاف ومعرفة عالم واحد ، والى توكيد الانسان فيه ، بطرق مختلفة .

ان كلا منهما ليس الا سبيلا للوصول الى الحقيقة التى تعيش وتتطور البشرية — فقط — عبر معرفتها .

ان كلا منهما يستند الى الخبرة العملية ، من أجل ان يخدم الخبرة العملية ذاتها ، ويصبح جزءا منها .

حقيقة ، ان سبيل كل منهما لتحقيق ذلك مختلف ، وأن الحقيقة التى طمح — ويطمح — كل منهما فى الوصول اليها مختلفة .

.. فى العلم تكون الحقيقة مطلقة — اى لا علاقة لها بمكتشفها — ، وذات وجه واحد ، كما أنها تتكافأ مع نفسها دائما .

وفى الفن ، تكون الحقيقة أكثر نسبية ، وذات وجوه متعددة ، ومتميزة ، وان كانت فى نفس الوقت أكثر ثباتا ، [١] وحقيقة — ايضا — أن كلا منهما يتطور بشكل وبطبيعة مختلفة ، التطور فى العلم صاعد دائما ، فالنظرية الذرية الحديثة، أكثر تطورا من نظرية [بوهر] ، وتالية لها ، وقوانين النسبية ليست فقط أكثر كمالا وتطورا من قوانين [نيوتن] فى الميكانيكا ، بل هى تجعل الاخيرة تتراجع خلفها بمراتب بعيدة .

والتطور فى الفن متتالة مختلفة ، ان الحديث لا ينفى القديم ، ولا يلغيه ، ظهور [المتنبى] لا يلغى [امرؤ القيس] ، كما أن [برخت] لا يلغى [شكسبير] ، وفى هذه النقطة بالذات ، تكمن قوة الفن العظيم ، الا وهى تثبيت القيم الدائمة لكل ما هو متغير . لكن المسافة بين العلم والفن ليست بهذا الثبات ، ذلك أنهما — وان تمايزا وانفصلا — راجعان — ككل النشاط الانسانى — الى العمل باعتباره العملية الاجتماعية

---

[١] يبدو ذلك واضحا فى تفسير النقاد لابطال [شكسبير] مثلا .. الذين لم تتوقف التأويلات والايحاءات بشأنهم حتى يومنا هذا ، على اختلافها وتباينها الشديد ، فى حين أن قانون [الكوانتم] فى نظرية الاحتمالات لا يعنى الا تفسيرا واحدا لموقع الالكترون من النواة .

التى طورت الانسان ، وفجرت طاقاته ، وامكاناته ، انهما — بالتالى متحركان مع تطوره . وتشابك علاقته ، طبيعة وشكلا .

المسافة بينهما — اذن — متحركة على نحو كبير ، فما أكثر الاكتشافات العلمية التى تسلحت بنبوءة الفن لها ، وهى تبحث عن صيغتها ، وتفتش عن قانونها المستقل .

وما أكثر ما كان الفن انفعالا دافئا ، وخصبا ، ببعض الاكتشافات العلمية التى واكبته أو واكبها .

لست أقصد بذلك القول ، بأن الفن كان تابعا لاكتشافات العلم وذيلا لحركته ، ولا أنه كان دائما يتنفس من رئة العلم ، ولا ان من مهامه الترويج والدعاية لحقائق العلم فى عصره ، لكنى أقصد أن كلا منهما ، ككائن منفصل ومتميز ومستقل يستمد دمه ، فى ذات اللحظة ، من نفس القلب .. ، من العملية الاجتماعية التى تجرى بها حركة التاريخ فى ظروفها المجددة .

ان كلا منهما ذو طبيعة طبقية ، وان بدا متميزا عن طبيعته .

ان كلا منهما لا يستطيع أن يكون — فى كل عصر — الا ذا صلة مباشرة بالاخر ، وان بدا مستقلا عن الاخر .

.. [والوضعية المنطقية] ذاتها — وان جافت ذلك تماما — قد اثمرت تيارها الفلسفى كله داخل نفس الاطار ، بل قدمت نظرتها الى الفن والادب ، تحت نفس التاثير .

لقد تميزت [الوضعية المنطقية] — أو التجريبية العلمية كما يطلق عليها الان — فى [فينا] ، فى العشرينات من هذا القرن ، كاتجاه « ينزع نحو تحليل المعنى تحليلا يجعل معيار الحق هو شهادة الحواس » ، وسرعان ما عقدت زواجا شرعيا مع الاتجاه التحليلى ، الذى عرف باسم : مدرسة [كمبردج] تحت دعوى ، « الارتكاز على العقل وحده » .

ولم يكن تميز هذا التيار فى الفلسفة فى هذا التوقيت مصادفة عشوائية :

كانت الرأسمالية الغربية — بعد الحرب العالمية الاولى بنتائجها المعروفة — قد تكشفت طبيعتها الاحتكارية ، وتفجرت ازماتها الروحية والفكرية ، كما أن الطبقة البرجوازية فى مجتمعاتها ، كانت قد حملت فوق وجهها ملامح محافظة ورجعية ، بعد أن انسلخت تماما عنه ، ملامحها الثورية السابقة .

●● كانت « الكلمة » فى البدء هى كل ما هناك ، هى الفكرة وهى الثقافة وهى المعرفة وهى المهارة ، بل كانت « الكلمة » هى التى ترفع عارفها الى مكان الصدارة ، وتخفض جاهلها الى الدرجات الدنيا من سلم المجتمع .

وارتبطت الكلمة بالكهانة وبالقداسة وبالوساطة بين الانسان والله ممن قرأها ومن كتبها كانت له قوة السحر فى خلق الاشياء وتبديلها واعدامها عما على الكاهن الساحر الا ان يقرأ كلاما أو ان يكتب كلاما لتتفتح له ابواب السماء ، ليشفى المرضى ، وليفتك بالعدو ، ولتربح التجارة ، ويسلم المسافر ، وينتصر المحارب ، كلام ينطق به القادر على الكلام ، أو يكتبه ، كان هو الكفيل بتيسير العسير . وتذليل الصعب ، وبلوغ الهدف ...

تجديد الفكر العربى — ص ٢٣٠ .

وفى نفس الوقت صاحب التقدم العلمى الهائل ، خوف شديد ، نتج عن عدم القدرة على هضم نتائج الفزياء الحديثة .

ومع انتقال الطبقة الثورية فى فترة الصعود الرأسمالى ، الى مواقع محافظة ورجعية ، ومع التعقد الشديد فى نظريات العلم الحديث ، وفى المناخ العام الذى نتج عن الحرب العالمية الاولى ، أثمرت [الوضعية] تيارها ، منتقلة بالفلسفة من موقع الريادة الى موقع ذيلى من العلم [٢] ، ومنتقلة على وجه آخر ، بالفن الى دائرة النشاط الذاتى المغلق .

[●]

وحمل د. زكى نجيب محمود لواء [الوضعية المنطقية] فى الشرق العربى كله ، متشيعا لها ، ومبشرا بها ، داخل اروقة الجامعة ، ودوائر البحث الاكاديمى ، وعلى صفحات الكتب والمجلات والجرائد . ظل رائدها الاول ، على امتداد فترة حافلة ، تصل الى ثلث قرن كامل .

والحق ، أنه استمر — دائما — مخلصا لها ، مدعما ومعمقا لفكرها ، فى دعوته الفلسفية العامة ، أو فى تناوله للظاهرة الفنية ، أو فى نقده التطبيقى .

والحق — أيضا — أن [الوضعية] قد استمدت — فى بلادنا — من ميزات رائدها الشخصية ، امكانات وقدرات ، اكبر من امكاناتها وقدراتها الحقيقية ، لكنها على كل حال قد قدمت — على امتداد تلك الفترة الطويلة — مادة جادة ، اثارت حولها ، نشاطا فكريا واسعا بين التيارات الفلسفية والفكرية الاخرى ، مما ساعد هذه التيارات ، على أن تؤصل وتعمق من مواقفها ونظرياتها .

لكن الخطوط العامة لفلسفتها ، قد حظيت بالنصيب الاكبر من هذا النشاط الوافر ، فى الوقت الذى ظلت فيه نظرتها الى الفن ، ومناهجها فى النقد الادبى والفنى ، ومواقفها فى النقد التطبيقى لا تحظى بنفس القدر من الاهتمام والرعايه والمواجهة .

نحو نظرية جديدة فى الادب ..

كانت نظرية [المحاكاة] ، صياغة حاجات جمالية لنظام اجتماعى ، ومرحلة كاملة من مراحل التطور الاجتماعى للبشرية [٣]

كما كانت نظرية [التعبير] ، صياغة جديدة ، حاجات جمالية ، لنظام اجتماعى جديد ، ولمرحلة أخرى تالية ، من مراحل هذا التطور . [٤]

---

[٢] تحدد [الوضعية] مهمة الفلسفة فى تحليل نتائج العلم الحديث.

[٣] تتناول النظرية الفن من زاوية المتلقى ، وهى تفسر الفن فى ظل العلاقات العبودية والاقطاعية .

[٤] تتناول النظرية الفن من زاوية الفنان ، وهى تفسر الفن فى فترة الصعود الرأسمالى .

وهين جاءت [الوضعية] رفضت هاتين النظريتين ، وحاولت أن تقدم صياغة جديدة ، ونظرية جديدة مختلفة، بينما وقفت من النظريتين السابقتين عليها موقفا واحدا :

[.. غفر الله لفلاسفة اليونان الاولين — وافلاطون وارسطو على وجه التحديد — حين تركوا للناس من بعدهم ، مبدأ فى النقد الادبى أزاغ أبصارهم ، عن حقيقة الادب وحقيقة الفن ، حتى ليحتاج الامر الى أمثال هؤلاء الفحول ليصححوا الاوضاع بحيث يحررون الناس من حبائل ذلك المبدأ القديم الراسخ فى النفوس ، واعنى به مبدأ المحاكاة ، الذى يجعل الفن محاكاة للطبيعة ، فان رسم رسام صورة قالوا له : ماذا « تعنى » هذه الصورة ؟ .. أى أنهم يسألونه : أين الشىء فى الطبيعة التى جاءت الصورة لتحاكيه والويل له ان قال لهم عن صورته أنها لا تصور من الطبيعة شيئا ..] [٥]

.. وتستمر [الوضعية] فى رفض النظرية الثانية — نظرية التعبير : —

[.. ثم غفر الله لجماعة من النقاد المحدثين ، الذين جاءوا وكأنهم ثائرون على المبدأ القديم — مبدأ المحاكاة — واعلنوا فى الناس أن فى جعبتهم سهما جديدا هو أنفذ من السهم العتيق الى حقائق الفن فقالوا : لا ليس الفن وليس الادب تصويرا لهذا الشىء أو ذاك مما تدركه الحواس ، بل هو « تعبير » عن هذا الوجدان او ذاك مما تطرب به النفوس .

فبناء على هذا الرأى لا يجوز لك أن تنظر الى الصورة — مثلا — وتسأل: ماذا تصور من أشياء الطبيعة ، لانها لم تجىء لتصور شيئا ، وانما هى انعكاس لما تختلج به نفس الفنان ، تومىء ايماء ، وتوحى ايحاء بنوع من العاطفة التى لابد أن تكون قد ملأت عليه جوانحه وهو يسكب الوانه على لوحته] [٦]

.. ثم تقدم [الوضعية] نظريتها — هى — فى الفن :

[ان موقفنا ازاء ذلك أن نجعل من العالم ثلاثة أوجه ، فطبيعة فى الخارج تتحدث عنها العلوم وأحاديث الحياة اليومية الجارية ، وذات فى الداخل تتبدى فى أحلام اليقظة وأحلام النوم وما اليها ثم عالم من فن وأدب ، قائم بذاته لا ليصور خارجا ولا يعبر عن داخل ، انما هو خلق وعلى من يرتاده أن يعيش فيه ، فلا يتخذ منه مجرد نافذة يطل منها على شىء سواه] [٧]

تعارض [الوضعية] — اذن — نظرية [المحاكاة] ونظرية [التعبير] وتقدم نظريتها هى — [الخلق] — بديلا لها .

انها ترفض — اولا — تناول الفن من زاوية المتلقى ، وترفض — ثانيا — تناول الفن من زاوية الفنان ، بينما تتناوله من زاوية العمل الفنى فقط .

انها تعزل الفن عن شخصية الفنان المبدع ، كما تعزله عن سياقه التاريخى — الاجتماعى ، وعن واقعه الموضوعى، وتتعامل معه باعتباره [مخلوقا] مستقلا ، منفصلا ، مجردا .

وعلى الرغم من أن نظرية [الخلق] ، لا تقدم تفسيرا كاملا ، للظاهرة الادبية، الا أنها تعد — حتى من قبل أساتذة علم النقد الموضوعى — أبرز مجهود أثمره الفكر البرجوازى المعاصر .

ان الفن لديها لا يقوم على محاكاة العالم الخارجى ، وهو فى نفس الوقت، لا يعبر عن عالم داخلى فى ذات المبدع، بل هو [خلق] مستقل ، ومنفصل عنهما .

واذا كانت [الوضعية] — التى ترفع شعار العلم — أبرز روافد الفلسفة المثالية المعاصرة ، فان نظرية [الخلق] ليست أكثر من وجه آخر للمثالية الذاتية ، التى ترفضها ، وهى تغطى وجهها ، بقشور العلمية .

لقد كانت [الرومانسية] تعبيرا من فترة الصعود العظيمة للرأسمالية ، كانت تجسيدا جماليا وفنيا للطبقة البرجوازية الصاعدة ، وهى تسعى لامتلاك العالم ، والانتقال به من مرحلة تاريخية — الاقطاع — الى مرحلتها — هى — التاريخية : الرأسمالية .

ولقد نجحت المدرسة [الرومانسية] وهى تنتج شوامخ أعمالها الفنية العظيمة ، فى صياغة علاقة جمالية لها بالعالم من حولها . لكنها فى فترة أفولها ، وخلال تأزمها الروحى والفكرى، لم تنجح فى تقديم هذه الصياغة ، ولم تستطع أن تقدم تفسيرا كاملا للظاهرة الفنية .

ان نظرية [الخلق] ليست أكثر من رافد آخر للمثالية الذاتية ، رافد يعبر عن التأزم والافلاس والتمزق الذى تعانيه [الرأسمالية] فى مرحلة انهيارها ، وهو رافد يفصل العمل الفنى — فصلا متعسفا — من مبدعه ، ومتلقيه ، وعن سياقه التاريخى — الاجتماعى .

.. ذلكم باختصار — هو جوهر نظرة [الوضعية] الى الفن ..

على أن نظرية [الخلق] ، وان تكن النواة الاساسية ، التى نسجت [الوضعية] حركتها وتفسيراتها للفن، وتناولها لظواهره — بل واستقراءاتها فى مجال النقد التطبيقى — حولها ، الا أن الاقتراب من هذه التفسيرات وهذا التناول ، وتلك الاستقراءات يعد اقترابا من النظرية ، وهو فى نفس الوقت ، كشفا — واضحا من صلتها بالمثالية الذاتية .

الفن .. الا يعنى شيئا ؟

يبدأ د. زكى نجيب محمود ، مقالا شهيرا له بهذا القول [٨] :

[٥] [فلسفة وفن] — ص ٣٦٤ .
[٦] المصدر السابق ص ٣٦٥
[٧] نفس المصدر ص ٣٦٦
[٨] [الشعر لاينيىء] — المصدر السابق ص ٣٦٣

إذا سألك سائل ، مشيرا الى شجرة الصفصاف التى تدلت بفروعها حتى مست ماء الجدول فقال : ماذا تعنى هذه الشجرة ، وبأى نبأ جاءت ، فماذا عسى أن يكون جوابك ؟

الا تجيبه — وأنت فى حيرة من سؤاله — انها لا تعنى شيئا على الاطلاق .. كلا ولا هى جاءت تحمل الانباء ، لكنها شجرة صفصاف وكفى ..

وجوابك هذا يا سيدى ، وتلك الحيرة منك ازاء سؤال السائل هو جوابى وهو حيرتى من كل من يسأل عن قصيدة من الشعر ما معناها ؟ لكم طال النقاش بينى وبين طائفة من أصدقائى حين أسمعهم يتحدثون من [معانى] هذه القصيدة أو تلك ، أو هذه الصورة أو تلك ، فأردهم ما وسعتنى الحيلة قائلا : ان الفن ليس له معنى ، ولا ينبغى أن يكون له ...]

مقارنة قصيدة الشعر بشجرة الصفصاف — على النحو الذى يقدمه الدكتور — ، مدخل هام الى فهم المنطق الصورى ، حين يعقد صلة وهمية بين ظاهرتين مختلفتين — أو شيئين مختلفين — ، فيفرض على واحدة منهما ، قانون الاخرى — أو طبيعة الاخر — ويفسرها بذلك تفسيرا متعسفا .

ما هى العلاقة بين شجرة الصفصاف وبقصيدة الشعر ؟

يريد المنطق الصورى أن يوهمنا ، أنه كما أن شجرة الصفصاف لا تنبىء عن شيء ، كذلك قصيدة الشعر ، لاتنبىء عن شيء .

بل هو يريد أن يعمم هذه الصلة الوهمية — بين الشجرة والقصيدة — على كونها جزئية ، بين كل الاشجار وكل قصائد الشعر ، بل بين كل الطبيعة وبين كل الفن ...

انه يريد أن يقنعنا من خلال هاتين الخطوتين — عقد صلة وهمية بين ظاهرتين مختلفتين ، وتعميم نتيجة هذه الصلة الوهمية — بنتيجة شاملة ، مؤداها أن الفن لا ينبىء .

وحتى دون رفض هذه الصلة الوهمية بين القصيدة والشجرة ، فان الشجرة — قبل القصيدة — تنبىء عن شيء أو تعنى شيئا ..

انها تعنى — بلغة المنطق العلمى — أن ملايين العوامل — الفزيائية الكيماوية ، الفسيولوجية — قد تفاعلت ، لكى تنبثق هذه الشجرة فى هذا الموضع ، بهذه الكيفية على وجه التحديد .

وحين نفترض أن قصيدة الشعر قد كتبت فى هذه الشجرة تحديدا ، فانها تعنى شيئا .. ، انها الشجرة منعكسة داخل ذات الشاعر ، بمعنى أدق ، انها الشجرة مضافا اليها الشاعر وعيا ووجدانا وخيالا .

.. الفن لا يعنى شيئا .. ، تلك هى لغة [الرومانسية] الواضحة على وجه التحديد ، وهى لغة المثالية الذاتية على وجه العموم .

.. ولكن ، اذا كانت [الوضعية] تصر على أن الفن لا يعنى شيئا ، فما هى رسالة الفنان :

[تكون الرسالة حين يجاوز الفنان حدوده الاقليمية ، ليخاطب الحقيقة الانسانية فى صميمها ، والحقيقة الانسانية واحدة ، مهما اختلفت الالوان ، والجلود ، وطرز الثياب وألوان الطعام وانماط الروابط والصلات ..] [٩]

.. الحقيقة الانسانية واحدة .. ، لاشك فى ذلك ، لكن ، كيف يصل اليها الفنان .. ؟ تقول [الوضعية] : عندما يجاوز حدوده الاقليمية .. ، كيف .. ؟ بأن يرتفع فوق معاناة وأشواق وهموم من يشاركونه هذه الحدود ؟! . بأن ينفصل عن واقع هذه الحدود . ؟!

على هذا النحو الذى تقول به [الوضعية] فان الامر قد يبدو بسيطا ومعقولا .. ، لكنه بالتأكيد أكثر تعقيدا ، كما أنه — وهو الاهم — معكوس .

نحن نوافق على أن الوصول للحقيقة الانسانية يحدث عندما يجاوز الفنان حدوده الاقليمية ، بل نضيف : وحدوده القومية والتاريخية .

لكن ... ، كيف يمكن لذلك أن يتم ؟

●● فالمقالة توشك ان تكون فى مصر القالب الاوحد الذى يصب فيه الاديب خواطره ، ومشاعره ، فأديبنا قصير النفس تكفيه المقالة الواحدة ليفرغ فى انهرها القليلة كل ما يتأجج به صدره من عاطفة ، وما يختلج به رأسه من فكرة ، فان غضب أديبنا من نقص تلمحه فى بناء الجماعة ، او اخلاق الفرد ، فزع الى المقالة ، يصب فيها ثورة غضبه ، وان افتتن أديبنا بجمال الطبيعة لجأ الى المقالة يبث فيها ما أحس من عجب واعجاب .. اما الاديب الذى يريد ان يعالج بؤس البائسين فينشر فى الناس القصة تلو القصة ، حتى يبلغ ما ينشره الوف الصحائف كما فعل [ديكنز] ، اما الاديب الذى يعطف على العمال فيكتب فى ذلك المسرح الرواية فى اثر الرواية كما فعل [جونز ورثى] ، اما الاديب الذى يتلقى خطابا من قارئه تستفسر من الاشتراكية . يرد على الرسالة بمجلدين كما فعل [برنارد شو] . اما الاديب الذى يرى علاج الانسانية فى حكومة دولية تمسك بزمام العالم كله يكتب فى ذلك كتبا تزيد على الخمسين كما فعل [ولز] .

مثل هذا وذاك من الادباء لم تشهده مصر ، فبؤس البائسين علاجه مقاله ، والعمال تكفى لنصرتهم مقالة ، وحل المشكلات الدولية حسبه مقاله ...

جنة العبيط او ادب المقالة ص ٣ — ٤ .

---

[٩] نفس المصدر ص ٢٣٢ .

كيف جاوز [شكسبير] أو [تولستوى] أو [همنجواى] أو [برخت] حدودهم القومية والتاريخية ؟

لقد جاوز كل منهم هذه الحدود — فقط — عندما التصق بالروح الانسانية وتكشف اعماقها داخل تلك الحدود .

ان اى فن عظيم سمته الاولى انه يحمل سمة قومية واضحة .

بل ان ذاتية الكاتب القومية تبدو بوضوح اكثر ، كلما ازدادت انسانيته ، كما أن الكاتب الانسانى العام — فى نفس الوقت — هو الاكثر قومية .

[الوضعية] تطرح المسألة معكوسة ..

انها تطالب الكتاب بأن ينفصلوا عن حدودهم الاقليمية ، ليصطادوا الحقيقة، كأن الاخيرة لا توجد داخل اوطانهم .

ان التصاق الفنان بظروفه الزمانية والمكانية ، تغلغله داخل أشواق وأحلام وهموم البشر فى مكانه وزمانه ، — فقط — هو الذى يمنحه فرصة تجاوز حدوده الاقليمية .

القومية ليست ضد العالمية ، أو الانسانية ، لكن الانسانية والعالمية ليست معنى مجردا وعاما ، ليست هدفا مستقلا .

ان الدعوة للتوجه الى الحقيقة الانسانية بهذا الشكل المعكوس ، دعوة لا قومية ، انها قد تحمل وجها انسانيا، لكنه — يقينا — وجه زائف ، انها تعكس بقوة ، موقفااجتماعيا — تاريخيا.

انها ترفض اخضاع الاعمال الانسانية لظروفها المكانية لتكتسب معنى عاما ، بينما المسألة عكس ذلك تماما ، اننا كلما تغلغلنا فى هذه الظروف الخاصة بشكل اكمل ، كلما تعرفنا على العام فيها ».

اننا نريد أن نصل الى الحقيقة الإنسانية ، نريد أن نصل الى العالمية ، ليكن ، ان الحركة الى ذلك تبدأ من القومية ، تبدأ من الحدود الاقليمية ، وليس العكس .

●● لا يكون الفن فنا اذا هو اعاد ما هو قائمبالفعل ولم يأت بخلق جديد ، وشتان بين هذا الذى ندعو اليه وبين ما يجن به كثير من ادبائنا الشبان الذين يحسبون انمهمة الاديب هى ان يجلس فى قهوة بلدية وينقل عنالناسمايقولونه حرفا بحرف ، فلو كان فى ذلك ادب لارضاهم واسترحنا ،لانه يكفينا فى هذه الحالة ان نضع مسجلا للصوت فى كل قهوة وفى كل مصنع وكان الله يحب المحسنين ..

فلسفة فن — ص ٣٦٨ .

ان هذا وحده هو الذى يعطى [شكسبير] أو [تولستوى] أو [همنجواى] أو [برخت] انسانيتهم وعالميتهم .

لقد جاوز كل منهم حدوده الاقليمية — فقط — عندما التصق بالروحالانسانية داخل هذه الحدود ، عندما تغلغل داخل هذه الحدود ، عندما انتمى الى هذه الحدود .

ان احدى قيم الفن العظيم — كما سبق — أنه قادر على أن يثبت القيمة الثابتة ، فى اللحظة التاريخية المتغيرة ، لكن قدرته على ذلك ، متوقفة — فوق موهبته — على مدى التصاقه بهذه اللحظة ذاتها ، على قدرته على كشف داخلها ، على انتمائه الكامل لها .

.. تستمر [الوضعية] فى توضيح رسالة الفنان كما تراها :

[ونتناول الموضوع من زاوية أخرى. لنوضح رسالة الفنان فى عصرنا الذى تخاصمت فيه الشعوب ، وذلك أن ننظر الى طبيعة الفن فى أعماقها فنراها هى نفسها طبيعة اللعب ، فالتلقائية فى الفن ، والتنفيس الذى يكون فى اللعب ، هو نفسه التنزه عن الغرض فى الفن ، وأهم منذلك كله التعبير عن الكيان الانسانى فى مجموعه — لا هذا العضو وحده أو ذاك العضو وحده] [١٠]

[الوضعية] تعقد صلة وهمية أخرى بين الفن واللعب — كتلك الصلة التى عقدتها بين شجرة الصفصاف وقصيدة الشعر — اللعب تنفيس عن الذات ، وهو منزه عن الغرض ، والفن كذلك منزه عن الغرض ، اللعب لا وطن له ، وهكذا ينبغى أن يكون الفن .. ، « تعبيرا عن الكيان الانسانى فىمجموعه لا هذا العضو أو ذاك العضو » .. انه استمرار فى استخدام نفس المنطق الصورى.. ، الاداة التاريخية للمثالية.

ان الفن ليس الا تعبيرا عن الحياة الاجتماعية وعكسا لها ، والتطور التاريخى للفن نفسه ، شاهد أكيد على ذلك .. ، نعم ان الكتابة نفسها قضية ذاتية للغاية ، لكن الفصل بينالشخصية الابداعية للكاتب وظروفه المحددة عمل متعسف .

ان الشخصية الابداعية للكاتبليست شيئا عاما أيضا ، انها شىء محدد للغاية ، بل ان قوتها وفاعليتها تكمن فى ذلك التحديد ، تكمن فى وجودها فى مكانها وزمانها فحسب .

ان الكاتب ذا الشخصية الابداعية العظيمة .. ، هو ابن شرعى لشعبه وقوميته ، وعصره ، ومن هنا يأتىتأثيره ودوره الانسانى ، ان الدعوة الى [العالمية] ، قد تكون فى ظروف معينة ومماثلة لموقف بطل [كافكا] فى قصته الشهيرة [الجحر] ، انه يلجأ الى جحره ويتحوصل فيه بعيدا عن تناقضات الواقع الذى تسحقه انه يواجه تحديات عصره بالتحوصل ، منسحقا ومنكسرا ، لكنه متشبث بجحره حتى النهاية ■

[١٠] المصدر السابق ص ٢٢٣.

لكن هذه الدعوة فى ظروف مختلفة ، تشبه بطل [الامبراطور جونز] [١١]، الذى يحاول الهرب من الجـزيرة التى اشتعلت فيها المتاعب ضده ، بينما لم يكن يعرف ـ أو يملك ـ كيف يواجهها. ليس هناك سبيل أمام [جونز] سوى الهرب الى ساحل البحر ، بحثا عن سفينة شاردة تلتقطه الى جزء آخر من العالم ، لكنه وهو يخترق الاحراش بعيدا عن دقات الطبول التى تطارده يسقط تتيـلا ..

ان كلا الموقفين واحد تقريبا ، كلاهما يسعى الى الهرب ، وكلاهما يختـار سبيلا مختلفا . لكن موقف الاول وحده ، هو الذى يستحق منا ـ فقط ـ بعض الشـفقه !

نحو مذهب جديد فى النقد

[الوضعية] ليست مدرسـه ادبية بالمعنى العلمى للكلمة ، انها تيار فكرى يحمل قسـمات مشـتركة فى مواجهة الظاهرة الفنية ، وفى محاولة تفسيرها وتناولها .

ان جميع الوضـعيين تربطهم عـدة اهداف ووسـائل فنية مشـتركة ، قد لا يبدو أنها ذات طبيعة ايديولوجية .

لكن [الوضعية] رغم ذلك حاولت أن تستحدث وسائلها الخاصة فى طرائق التعبير والاداء ، كما حاولت أن تنظر لفكرها الادبى وهى تقدم نظرية [الخلق] مؤسسة عليها أسلوبها الخاص فى النقد الادبى .

لقد دعت الى نقد علمى مؤسس على تقدم العلوم كما استخدمت بالفعل بعض نتائج هذه العلوم فى دراسة دور اللغة فى العمل الشـعرى وعلاقة الموروثات الشعبية والرمز والاسطورة بالتجـربة الفنية .. ، [١٢]

وعلى وجه العموم ، فانها وهى تقدم نظريتها ، فصلت العالم الخارجى للفنان والعالم الداخلى له تماما ، عن العمل الفنى ، وتعاملت مع الاخير باعتبـاره عالما خاصا خالصا ، له قوانينه وحقائقه ـ اللغويةوالجمالية ـ الذاتية المستقلة. أن دور الناقد فى ضوء ذلك ، هـو التعامل مع هذه القوانين وتلك الحقائق الداخلية للعمل الفنى ..

لعل كلام [د. زكى نجيب محمود] يكون ـ وهو كذلك ـ أكثر توضيحا

[.. لكن هناك مذهبا ثالثا فى النقد يتشيع له كاتب هذه الاسطر ، وهـو مذهب فى حركة النقد الفنى جديد فى اوربا وأمريكا وقديم معروف فى حركة النقد الفنى عند العرب الاقدمين ، ومؤداه ان ينصب تحليل الناقد على العمل الفنى نفسه ، لا لننفذ خلاله الى نفس الفنان ، ولا الى العـالم الخـارجى بماضـيه وحـاضره ، بل نقف عنـده هو ذاته فنرى كيف تتآلف عناصره ، مما أدى الى حسن وقعه على [ذوق] المتذوقة؟ نعم ، نحصر انفسنا فى العمل الفنى نفسه فلا نسمح لاى عامل خارجى أن يتدخـل فى حـكمنا ، كنفس الفنـان ومشاعره ، أو حوادث التاريخ ، أو الاسـاطير الدينية وغير الدينيـة او المبادىء الخلقية ، أو الافكار الفلسفية، فلا يجوز للناقد ـ بناء على هذه المدرسة الجديدة ـ أن يسأل من لوحة ـ مثلا ـ قائلا : ما مغزاها ؟ أو ما معناها ؟ ، لانه لا مغزى ولا معنى فى الفنون ...

والعمل الفنى بناء على هذه المدرسة النقدية . معياره هـو الفن نفسـه ، فمعيار الشعر هو الشعر ، ومعيـار الموسـيقى هو الموسـيقى ، ومعيار التصوير هو التصوير وهكذا .] [١٣]

.. قـد تبدو رائحـة [هيـوم] و [ريتشاردز] و [اليوت] فى هذه الاسطر واضحة .. ، وقد تكون رائحة الاخير أكثر نفاذا ..

هل يحتاج الامر الى توضيح .. ؟ ، [الوضعية] ترى ان التعامل مع العمل الفنى ـ على اعتباره [مخلوقا] ـ ينبغى أن يتم مـع قوانينه الداخليـة فقط .. ، مع اسقاط الفنان والعـالم الخارجى تماما من الحسـبان .. وقد يبدو ذلك طيبا ، اذا أمكن التعامل مع اللغـة باعتبارها أداة ذات محتـوى تـاريخى ـ اجتمـاعى .. ، لـكن [الوضعية] كما تتعامل مع [النص] باعتباره كائنا مغلقا .. ، تتعامل مـع اللغة باعتبارها رمزا مغلقا ، وتحدد لها وظائف محددة . [١٤] .

.. يستلزم الامر أن نعود الى الاصل، يقول [د. زكى] فى مقاله [لمن يغنى الشاعر] [١٥] :

[فاذا نحن وجهنا بصرنا الى « أفراد الاسرة » ـ أعنى قصائد الشـعر ـ لكى تجيب عن سؤالنا ، ألفيناها تقدم لنا اجابات ثلاثا على الاقل .

فهناك القصـيدة التى يتحدث بهـا الشاعر الى نفسه كأنها النجوى ،وهناك القصـيدة التى يتوجه بها الشاعر الى سامع أو الى سامعين ، ثم هناك الشـ[عر] الذى يكون فيه الشـاعر لا متكلما و[لا] سـامعا ، اذ يخلق من عنـده متكلما وسامعا ، كما يحـدث فى الشـعر المسرحى ، حين يدور الحوار فيه بين شخصين ليس الشاعر نفسه أحدهما]

.. مرة أخـرى قد تبدو رائحـة [ت.س. اليوت] نافذة .. ، انـه نفس تفسيره للمواقف الفنية الثلاث ، فى محاضراته الشهيرة « **أصوات الشعر الثلاثة** » .. ، انه نفس الفصل المتعسف بين العمل الفنى وبين الفنان والعالم من حوله ، نفس العجز عن رؤية الخاص فى علاقته المتشابكة بالعام .

ترى .. ، هل يختلف الامر فى النقد التطبيقى .. ؟

لقد حرص [د. زكى] على أن يتابع الحركة الادبية والفنية باستمرار ، من خلال منظوره الخاص ، حتى أن حركة ـ « الشعر الجديد » مثلا ـ قد حظيت بعدة مقالات هامة له ، لعل رأيه فيها يتركز فى الاسطر التالية :

[وها هنا اقول انه اذا كان التخفف من العناية بالشكل هو السـمة المميزة للشعر الجديد [لاحظ أن هـذه جملة شرطية ، فاذا اجاب منهم مجيب ، بأن هذا التخفف من العناية بالشكل ، ليس هو السمة المميزة للشعر الجديد ، لم يعد بينى وبينهم نقاش] اقول انه اذا كان هذا التخفف هو السمة المميزة ، اذن فما يسمى « بالجديد » هو محاولة

---

[١١] للكاتب الامريكى يوجين اونيل
[١٢] لمزيد من التفصيل حول هـذا ارجع الى « مقدمة فى نظرية الادب » ـ د. عبد المنعم تليمة .
[١٣] فلسفة وفن ص ٢٢.
[١٤] تحدد [الوضعية] للغـة وظائفا ثلاثا فقـط هى . التعـبير ، والتمثيل ، والاداء وتفسر [الوضعية] المواقف الفنية الثلاثة [الغنائيـة ـ الملحمية ـ الدرامية] عـلى أساس هذه الوظائف الثلاث .
[١٥] المصدر السابق ص ٢٣٢ ـ

أريد بها أن تكون شعرا لكنها لم تبلغ أن تحقق لنفسها ما أرادت والفرق عندئذ لا يكون فرقا بين شعر « جديد » وشعر « قديم » بل يصبح فرقا بين الشعر وما ليس بشعر على الاطلاق ، لان الذي يميز الفن في شتى صنوفه هو [الشكل] الذي صب فيه موضوع ما ، ولو انهار الشكل لم يعد الفن فنا حتى وان بقي الموضوع كله بحذافيره لم ينقص شيئا ، هذه مسلمة يستحيل بغيرها أن نمضي في المناقشة خطوة واحدة ..] [١٦]

أريد أن أتوقف قليلا — بعيدا عن قضية الشعر الجديد كله — عند المنهج.
كيف نتعامل مع مسلمة الدكتور ؟

ان الذي يميز الفن في شتى صنوفه هو [فنيته] ، والشكل — دون شك — واحد من قسمات تلك [الفنية] ، كما أن المضمون واحد من تلك القسمات .

ان المحتوى الجيد أو المتطور قد لا يجد دائما الشكل الجديد أو المتطور الذي يجيد التعبير عنه ، تلك حقيقة لا سبيل الى انكارها ، لكن العلاقة بين الشكل والمحتوى ليست بهذه البساطة .

ان غنى مضمون الشكل ، يعتبر شرطا ضروريا لوجود الشكل نفسه ، لذلك فان الانطلاق من المحتوى ، دائما ، هو الذي يعطى تفسيره للشكل ، والعكس في ذلك ليس صحيحا في كل الاحوال.

كيف تنحت الفكرة الفنية معمارها الخاص بها ، كيف تؤلف بين وحداته ، كيف يتلاءم هذا المعمار أو لا يتلاءم معها .. ، ان البحث عن ذلك كله ، ينبغي أن يتم في جوهر الفكرة لا في المعمار .

ان رفض الشعر الجديد لانه يحمل شكلا هشا — على حد تعبير الدكتور — يشبه وصف حديقة مزهرة بأنها ميتة ، لمجرد أن سياجها من أعواد الذرة الجافة ، وليس من أشجار الزيزفون .

انه منهج المثالية الذاتية .. ، فهل يختلف المنهج عند تناول الرواية :

[قصة « الارض » [١٧] محاكاة للطبيعة والى هذا الحد قد أصابت ، ثم أفلت منها بعد ذلك ما لم يكن يجوز أن يفلت من الفنان الاصيل وهو «الصورة» أو الاطار الذي يخلعه على تلك العجينة لكى تتخذ شكلا مفهوما ..] [١٨]

ان المنهج لا يختلف .. ، لكن الامر أصبح يحتاج الى التركيز .. ، باختصار شديد ، [الوضعية] ترفض نظريتى [المحاكاة] و [التعبير] وتقدم نظريتها الخاصة [الخلق] بديلا نظريا لهما ..

و [الوضعية] تستند على الاخيرة في تفسيرها لتاريخ الفن من جهة ، وفى تحديدها لدور الفن من جهة أخرى ، فهى ترى — أولا — ثلاث مراحل فى تاريخ الفن ، تتماثل مع الوظائف الثلاثة التى تضعها للغة والتى تتعامل معها — أيضا — كرمز مغلق ، ليس له أى محتوى تاريخى — اجتماعى .

وهى ترى — ثانيا — ان الفن لايعنى شيئا ، وانه يستهدف — على ذلك — النشوة الخالصة ..

وفى علم النقد الادبى ، تؤسس منهجا نقديا يتعامل مع [النص] باعتباره عالما خاصا مغلقا له قوانينه وحقائقه الذاتية الداخلية .

وفى النقد التطبيقى ، تفصل الشكل عن المضمون ، كما تفصل العمل الفنى من سياقه التاريخى — الاجتماعى ، ذلك لانها تفصل العلم — اساسا من سياقه التاريخى — الاجتماعى .

[والوضعية] فى ذلك كله ، وجه آخر للمثالية الذاتية ، انهما الوجه الذى يعبر — بحق — عن الازمة الرأسمالية العالمية الخانقة ، فى مرحلة انهيارها .

الواقعية .. تقدم البديل ..

للفن قوانينه الخاصة ، ليس فى ذلك شك . وهذه القوانين ، مستقلة — استقلالا نسبيا — من الواقع الموضوعى . لكن هذه القوانين الخاصة تعمل فى اطار قوانين هذا الواقع ذاته .

والواقع الموضوعى ، وهو متشابك ومتداخل . ومتفاعل ليس شيئا ثابتا جامدا لا حركة فيه ، انه متحرك ومتصادم ومتغير .. ، وهو يخلع تغيره وتحركه وتصادمه على كافة الظواهر الانسانية التى يصوغها فى حركته .

ان كل مرحلة تاريخية تقدم صياغة ثقافية مختلفة لها ، تكون انعكاسا للحقائق الاساسية فى واقعها المادى الموضوعى فى اطار هذه الحقائق العلمية الموضوعية ، يقدم الفكر العلمى نظريته فى الفن — نظرية الانعكاس — نافيا بذلك كل النظريات الفنية التى تقف على ارض الفكر المثالى [١٩] .

والمدرسة الواقعية — على اختلاف التيارات والتفسيرات والاجتهادات — تستند فى الدراسة الادبية وفى تفسير تاريخ الفن ، وفى نظرية النقد ، وفى مجالات النقد التطبيقى الى المثل الاعلى الجمالى والاجتماعى التى صاغت على اساسه نظريتها فى الفن .

والواقعية وهى تخضع الفن للواقع انما تقوم بتأكيد الفن ، وتأكيد الانسان ذاته ، ذلك ان الجمال — فى جوهره — تأكيد للنزعة الاجتماعية فى الفن .

لكن ... ، استطيع ان اقول دون تردد ، ان هذه المدرسة لم يتح لها بعد ، حتى الان أن تكشف عن وجهها الرائع كاملا فى حياتنا الثقافية والفنية .

ان المثالية الذاتية استطاعت بتراثها الطويل ، وبخبرتها العريضة ، ومرتكزة على امكاناتها المتاحة ، ان تحول مفردات قاموسها الفنى الخاص الى بديهيات رائجة ، تغمر أفق هذه الحياة.

... الا ما أشق الجهد ، وما اعظم المسئولية الملقاة على عاتق نقادنا الواقعيين ، لشحذ اسلحتهم ، ومواجهة تلك البديهيات الرائجة فى حياتنا الثقافية والفنية ، حماية لبراعم المستقبل التى تحاول — جاهدة — أن تتفتح على أرضنا المعطاءة .

---

[١٦] نفس المصدر ص ٣٤٩

[١٧] المقصود رواية الارض للاستاذ — عبد الرحمن الشرقاوى

[١٨] فلسفة وفن ص ٣٩٤

[١٩] نظرية [المحاكاة] التى تقدمها [الكلاسيكية] ، ونظرية [التعبير] التى تقدمها [الرومانسية] ، ونظرية [الخلق] التى تقدمها [الوضعية] .

هـذا الفنــان وعـــالمـه

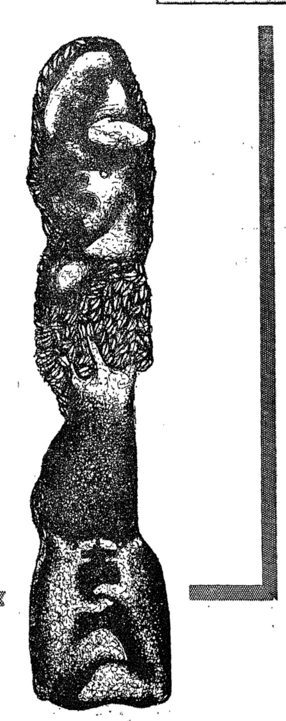
المثال محمد سيد توفيق

[٣٣ سنة] الدرب الاحمر فى القاهرة

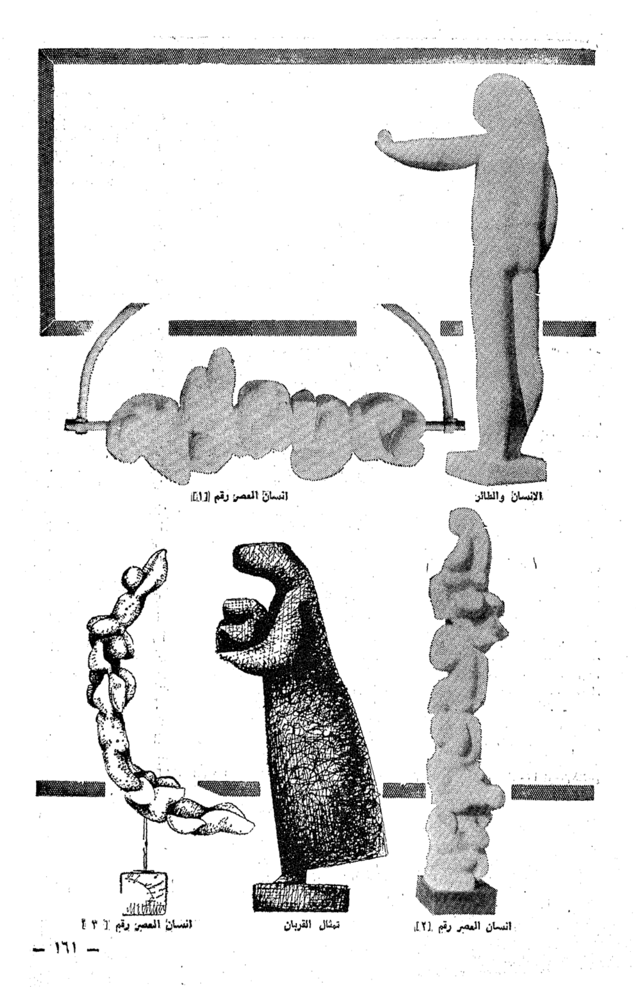
الانسان المعاصر .. آلامه وآماله ... معاناته واحزانه وطموحه ... لحظات القوة والضعف ... صراعه مع الواقع ... مع الاخر ... علاقة الاخر به ...

هذه هى المعانى التى نراها فى تماثيل المثال **محمد سيد توفيق** الاخيرة ... فهى عبارة عن تراكيب نحتية خالية من الفواصل الحادة بين الكتل وخالية من الفراغات ، حيث يهتم بالبنـاء المعمارى فى علاقة الكتل المكونة للتمثال وبساطتها لتقوم بوظيفة الحركة وتعطى فى النهاية الاسلوب الخاص به ... ولا توجد التفاصيل التى تؤكد الحركة الميكانيكية للجسم البشرى متأثرا بفلسفة المعالجة التى كان يتبعها المثال الفرعونى فى تماثيله .. غير ان المثال **محمد سيد توفيق** استطاع ان يكون معاصرا عندما اختار الموضوع الذى عبر عنه وكان الانسان هو العنصر الاساسى له ، وبأسلوب معاصر حطم النسب المثالية للواقع وذلك لايجاد علاقات جمالية أخرى بين الكتل النحتية مؤكدا الشحنة الدرامية والتعبيرية.. لذا يمكن ان نعتبره بين الفنانين التعبيريين فى مصر .

س . ت



تكوين



الانسان والطائر

انسان العصر رقم [١]

انسان العصر رقم [٢]

تمثال القربان

انسان العصر رقم [٣]

أم كلثوم الندرة والاستثناء

بعد نصف قرن من الحضور القوى والفعال ..غابت أم كلثوم .
وبعد غيابها .. سالت أنهار الكلمات ، وترددت كلمة « المعجزة » مئات المرات . فهل كانت معجزة حقا .. وبأى معنى من المعانى ؟
لنتفق على ما لا خلاف حوله ، وسنرى أن أم كلثوم لم تكن معجزة لكنها كانت ندرة واستثناء .
لنتفق أولا على أنها كانت مؤسسة فنية ووجدانية كاملة ، ولم تكن مجرد « مؤدية » مهما بلغت عظمة الاداء ، فالمألوف فى تاريخ الفن أن يدور المؤدون فى أفلاك المبدعين ، يستمدون منهم القبس والضياء ، فماذا يكون لورانس أوليفييه أو جون جيلجوود لولا كلمات شكسبير .. وماذا يكون كاروزو أو جيلى لولا أعمال فيردى وبوتشينى .. وماذا يكون ميلكيور أو فلاكشتاد لولا أوبرات فاجنر .. [ونستطيع أن نضرب الامثلة بغير نهاية] ، لكن أم كلثوم كانت كوكبا يدور المبدعون فى فلكه رغم أنها لم تنظم كلمات أغانيها ولم تضع ألحانها . لكنها كانت تحديا للمبدعين فقدموا لها أفضل ما لديهم .

ولنتفق ثانيا على أن صوتها كان ندرة واستثناء : صوت لا يقلد ولا يبارى ، يصل فى أدائه غاية التحقيق ، يفى بكل المتطلبات الجمالية حتى أكثرها دقة وأرهفها ، من الهمس الى نهاية مدى الحنجرة الانسانية [وأغانى الاربعينيات خير شاهد] ، صافى النبرة ، واضح الطبقة ، قادر على الوصول دون مكبرات ، هذا الى جانب أنك لا تستمع الى الاغنية الواحدة مرتين ، ولعل ام كلثوم كانت قمة هذه السمة التى لازمت الغناء العربى ونهايته : القدرة الفائقة على الارتجال ، على زخرفة اللحن وتوشيته بتلك التطريزات والنمنمات الصغيرة حتى يخال جمهورها أنه يسمع فى كل مرة أغنية جديدة ، ويعينها الاحساس الناضج على تطويع الصوت النادر للتعبير عن ظلال المعنى حتى مادق منها وخفى .

ولنتفق ثالثا على أن أغانى أم كلثوم ستعيش طويلا مستقلة عن معانيها . بعبارة أخرى : لقد غنت أم كلثوم — أكثر ما غنت — **لونا واحدا من الحب** ، الحب المتستر المتخفى المتردد بين البوح والكتمان ، لانه لا يعرف صداه عند الاخر ، الحب المعتل المحيط الذى يكتفى منه صاحبه باجترار المه ، ويلقى لذته « فى ذلته وخضوعه » ، حب الدموع و« الاهات » واللوعة والجوى المحرق وأمل الوصال ولا وصال . وحين تشب أجيال ترى الحب أخذا وعطاء ، مبادرة ومسئولية ومشاركة ، تفعل الحب ولا تكتفى بذرف الدموع واجترار الاهات ، حينذاك أيضا تبقى أغانى أم كلثوم .. كما بقى شعر الرومانتيكيين الكبار ، وكما بقيت « تريستان و ايزوالدة » لفاجنر رغم أن « الملك مارك » لم يعد موجودا ليفرق بين الحبيبين ، ورغم أن احدا لم يعد الان يلتمس لحظات نادرة من الفراق يعقبها لقاء دائم فى العالم الاخر ، وكما بقى شعر المتنبى فى كافور رغم ان التاريخ كنس كافورا فيمن كنس وكما بقيت الاطلال التى وقف أمامها الشعراء يوما فى حومانة الدراج والجواء وسقط اللوى .
الا ترى حتى عيون المحدثين جمالا وروعة فى الكاتدرائيات القديمة ؟.. بل ولعل هذه الاجيال ان ترى فى أغانى أم كلثوم صورة من صور التوق الانسانى الى التخطى والتجاوز وتحقيق المستحيل .
ولنتفق رابعا على أن أم كلثوم كانت فنانة كل العرب . استطاع صوتها أن يجمع بينهم رغم اختلاف البيئات وتعدد الثقافات ، وجد كل فيه شيئا يتوق لسماعه ، ويسرت لها معرفتها بشىء من التراث والشعر ، وحفظ القرآن والمدائح ، أن ترهف حسها بالكلمة العربية والايقاع الشعرى ، فغنت قصائد ما كان يمكن لغيرها أن يتيح لها هذا المدى من الجماهيرية والذيوع على ألسنة الناس .
ولنتفق خامسا على أن أم كلثوم كانت تاخذ فنها ماخذ الجد الكامل ، وهذا — فى عالمنا العربى —

من وجوه الندرة والاستثناء . ان التجاوب الصادق الذى كان يحدث دائما بين أم كلثوم وجمهورها لا يقدر عليه سوى فنان يأخذ عمله بجدية واخلاص كاملين ، ويعطيه كل نفسه ووجدانه ، حتى تكتمل الدائرة وينبثق الوهج من القطبين وقد طال التقاؤهما . هنا كانت أم كلثوم مثالا فذا للعطاء والقدرة على تلمس نبض المتلقى والاستجابة له حتى الاشباع .

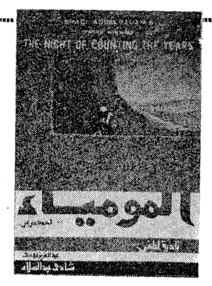
[●]

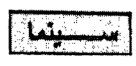
وبعد ان ينقضى الحزن لفراقها ــ هى التى غنت دائما للفراق ! ــ ستبقى أم كلثوم موضوعا للدارسين ، وهذا هو تكريمها الحقيقى : أن يقول لنا هؤلاء لماذا كانت أم كلثوم مؤسسة فنية ووجدانية فريدة ، وكيف استطاعت أن ترتفع من قروية فقيرة تطوف موالد القرى وتغنى فى أفراحها لتصبح سيدة الغناء العربى خمسين عاما بغير منازع .

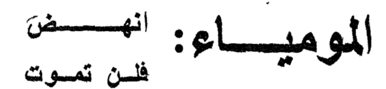
وهذا ما ستحاوله « الطليعة » فى عددها القادم

« الطليعة »





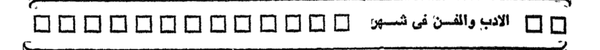




فى مشهد النهاية الغريب ، ينسحب ظلام الليل امام مطلع الفجر ، وينجح مفتش الاثار الشاب فى مهمته فتنساب سفينته الجميلة بانوارها المتلالئة على مياه النيل ، حاملة معها توابيت ملوك الفراعنة ، وينجح ابن القبيلة وزعيمها فى فرض تغيير أسلوب الحياة الذى عاشت به قبيلته طوال خمسة قرون ، ويتهيأ الشباب لاستقبال عصر جديد .. ومع هذا فان كل شىء يبدو حزينا ، مقبضا ، يفيض بالشجن ، صوت صفارة السفينة النائح يتصاعد ليلاقى اصداء الموسيقى التى تتردد لاول مرة ، ومفتش الاثار الشاب ، المهموم ، لم يبتسم طوال الفيلم حتى فى لحظات انتصاره . وابن القبيلة وزعيمها ممزق الثياب ، مضطرب المشاعر يضرب وجهه بكفيه باكيا ، ضائعا وسط كثبان رملية كثيفة .

قد يبدو « المومياء » غامضا وصعبا وفريدا ، خاصة بالنسبة لجمهور لم يتعود الا مشاهدة اعمال صغيرة ، فكرا وفنا . واذا اردت ان تصنفه فلابد ان تفرد له بابا خاصا به ، ذلك انه لايتشابه مع مئات الافلام التى انتجتها ستوديوهاتنا ، فمشاهده تخلو تماما من العنف والتوتر والاثارة والقبلات والاذرع والافخاذ العارية وهو لايتضمن اغنية أو معركة او رقصة ولغته السينمائية تكاد لاتستعين بالموسيقى التصويرية الفاقعة والديكورات المزيفة والتمثيل الميلودرامى .. فهو فى النهاية يرفض — بشجاعة وحزم — تركة السينما المصرية المدمرة ، والسائبة ، ويحاول أن يقف منفردا ، وحيدا ، قويا ، على أرض تاريخية لم تقترب منها السينما المصرية بعد ، وان يعبر عن الوجدان المصرى فى احدى مراحل الازمات الروحية التى مرت بشعبنا .

و « المومياء » مثل قطعة الموسيقى او قصيدة الشعر ، لايكشف عن معانيه مباشرة ، بسهولة ووضوح ، فهو ملىء بالتلميحات والدلالات ، كلما تأملته ازددت ادراكا لابعاده وأعماقه ، وقد يكون لقصته بداية ووسط ونهاية ، لكن الفيلم ليس مجرد الحدوته ، ولكنه يعبر «فى بعد من أبعاده» عن مشاعر القلق والحزن والحيرة والرغبة فى التعبير ، التى سيطرت على وجدان شباب مصر ، فى سنوات مابعد يونيو ٦٧ ، وهى السنوات التى صنع فيها الفيلم و « المومياء » فى بعد آخر ، يعكس روح مصر المضطربة خلال القرن التاسع عشر ، قرن الانتقال السريع من عصر الى عصر ، من اسلوب فى التفكير والحياة الى اسلوب آخر .. ويستند « المومياء » او « ليلة حساب السنين » كما يحب ان يسميه الاوروبيون الى واقعة حقيقية حدثت عام ١٨٨١ ، عندما اكتشف « احمد كمال » ، اول باحث آثار مصرى ، مقابر الاسرة الحادية والعشرين بالدير البحرى .. ولعل وقفة عند هذا التاريخ تساعد على تفهم أبعاد « المومياء » .





شفيق نور الدين « أيوب » ممسكا بالتميمة وأحمد مرعى « ونيس » هل سينجح فى استرداد التميمة وخوض غمار المستقبل

فى فقرة من كتاب امريكى يحاول ان ينصفنا ، وما اقل الذين ينصفوننا ، يقول **« دافيدلاندرز » فى « بنوك وباشوات »:**
« ان تسلل اوروبا المتوسعة فى العصر الصناعى الجديد الى مصر فى القرن التاسع عشر .. كان بداية مرحلة جادة جداً لاحدى مآسى التاريخ فى الالفسنة الماضية : مأساة التقاء حضارتين » .
وهو قول صائب ؛ ذلك ان مصر استيقظت بعد قرون الظلام والتخلف على كابوس اليم ، فالنهضة لم تبدأ هادئة ، متطورة ، مطمئنة ، نتيجة للعديد من التغيرات التاريخية ، فضلا عن بعث جوانب الماضى الايجابية ، كما حدث فى اوروبا نتيجة للتغيرات التاريخية فى مصر النهضة ، فضلا عن اكتشافهالذخائر حضارتها اليونانية والرومانية .. ولكن النهضة فى مصر جاءت مفزعة ، غازية ، مفاجئة ، مع دوى مدافع نابليون فى نهاية القرن الثامن عشر .

ومع تدفق رأس المال الاجنبى خلال القرن التاسع عشر ، وتوطيد النفوذ الاوروبى ، كانت مصر تنجب الاجيال الاولى من ابنائها الذين تحملوا عبء مواجهة حضارة شابة ، قوية ، ظالمة ، من واقع عجوز ، مظلم ، ضعيف ومتخلف وفى هذا القرن المضطرب ، الذى يشهد نهاية عصر وبداية عصر جديد ، والذى يموج بمشاعر حادة من اليأس والامل ، والذى يختلج بعشرات الافكار الشابة ، الجديدة ، القوية ، التى تواجه الواقع ببصيرة نافذة وتتطلع للمستقبل « ونيس بطل الفيلم » ، وتقاتل فى الوقت نفسه عشرات الافكار العاجزة ، الضعيفة ، التى تستمسك بالماضى وتحتمى به «شيوخ القبيلة » — فى هذا القرن تطالعنا أسماء رفاعة الطهطاوى ، ومحمد عبده ، ومحمود سامى البارودى ، وعبد الله النديم ، واحمد عرابى .. أسماء قام اصحابها بمحاولة توجيه دفة مصر نحو العلم والثقافة والتحرر .. وفى عام ١٨٨١ الذى تدور فيه أحداث « المومياء » كانت انجلترا تتهيأ لتصفية الحساب مع قوة مصر النامية ، ووضع نهاية فاجعة لقرن مضطرب ، لذلك فان الفجر لايطلع فى مشهد النهاية محملا بالبهجة والاطمئنان بقدر ما يحمل من قتامة وقلق .

فى افتتاحية الفيلم نستمع لقراءة من كتاب « الموتى » الفرعونى :

يا من مضى ستعود

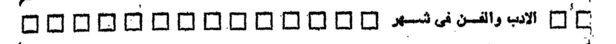
يا من تنام سوف تنهض

يا من تموت سوف تبعث

انهض .. فلن تفنى

وفى اجتماع مفتشى الاثار ، يدور الحديث حول قطع الاثار التى ظهرت اخيرا فى السوق السوداء ، ويوافق «ماسبيرو» مدير المتحف المصرى على سفر الباحث « أحمد كمال » الى الاقصر فى محاولة لمعرفة مصدر الاثار المسروقة .. وينتقل الفيلم الى « طيبة » حيث قبيلة «الحربات» التى تتعيش منذ خمسة قرون على سبع ذخائر احدى مقابر الملوك فى الدير البحرى ..

اول ما يطالعنا فى « طيبة » ، مع نهاية الليل ، مشهد « طقسى » مهيب يدفن فيه شيخ القبيلة ، دلالة على انتهاء مرحلة «مظلمة» من التاريخ وبداية مرحلة اخرى .. وتنتقل الزعامة بأسرارها الى ابنى الشيخ المتوفى . وأول الاسرارالتى يكتشفها الاخوان هى الطريقة التى تتعيش



منها القبيلة .. وفى مشهد قاتم ، مغلف بالظلام ، يتسلل الاخوان بصحبة عميهما للبدء فى مزاولة مسئوليتهما ، ومن خلال طريق مهجور ، لاتسلكه الا الضباع والدواب ، يصل الجميع الى مكمن التوابيت ، وبمدية حادة يقطع أحد الاعمام اللفائف المحيطة بجثمان احد الملوك ، كما لو كان يبقر جسما حيا . ومن داخل الجثمان يخرج العم تميمة بديعة ، يسلمها للابن الاكبر ، ويطالبه ببيعها للتاجر «ايوب» وتوزيع نصف ثمنها على القبيلة.

وتبدأ معاناة الابن الاكبر ، فهو يدرك بشكل ما ان المستقبل لن يقبل هذا الاسلوب فى العيش ، وهو يحس برياح التغير القادمة من عصر جديد ، وهو يؤمن بانه آن الاوان لان تغير القبيلة طريقة حياتها . لذلك فانه يرفض بيع التميمة ويطالب اعمامه بأن تبحث القبيلة عن العيش بفكر وعواطف واعمال جديدة .. وهو فى هذا وان كان يعكس مشاعر الاجيال المصرية النامية ، خلال القرن التاسع عشر ، فانه يعبر ايضا عن حلم وايمان واحتياج ورغبة شباب مصر فى التغيير ، خاصة بعد هزيمة يونيو ٦٧ .

لكن التغيير ليس سهلا .. فشيوخ القبيلة يستمسكون باسلوب الماضى فى الحياة ، الامر الذي يدفع الابن الاكبر الى الهرب والهجرة من طيبة كلها . وفى مشهد غنى بالدلالات ، تتابع الكاميرا خطوات الابن الاكبر المجهدة فوق الكثبان الرملية الناعمة ، فى اتجاه الشاطىء. وعندما تصبح المركب الشراعى فى مرمى بصره يشاهد كفين غريبين مرسومين على جدارها .. ربما يحذرانه ، او يطالبانه بالعودة ، او يستغيثان من أجله .. ويبدو أنه أدرك انهما نذيرا شؤم ، ذلك انه يتوقف ، وتتوقف معه الكاميرا . ويقتحم الكادر ، من خلف الابن الاكبر ، رجلان ملثمان .. وبلا عنف او مبالغة ، تنقل لنا ملامح الوجه احساسا بالخنجر الاليم الذى طعن قلبه ، وسرعان ما يسقط غارقا فى الموت والظلام .

تعد شخصية الابن الاصغر « ونيس » امتدادا صريحا للابن الاكبر ، فمشاعرهما وأحلامهما تتقارب تقاربا شديدا . لكن بينما يستسلم الاخ الاكبر لرغبته فى الهرب او الهجرة فيبتلعه الظلام ، يصمد «ونيس» للازمة ، لذلك فانه ، مع المقارنة بأخيه ، يبدو اعمق ادراكا واشمل وعيا واكثر عذابا وقلقا واقوى ارادة .. ولان فرصة الحياة امتدت امامه ، فان معتقداته تتحول الى فعل وسلوك ، الامر الذى يجعله اكثر اكتمالا من اخيه الاكبـر .

ونتيجة لتفتح وعى « ونيس » وازدياد ادراكه ، فان كل شىء حوله يكتسب معنى جديدا ، فالتماثيل والعمدان والرسوم الجدارية المحيطة به ليست احجارا جامدة ، ولكنها تاريخ طويل ، يرتبط به على نحو ما .. كذلك المياوات التى تتعيش عليها القبيلة ، ليست جثثا لاباء لها ولا أبناء ، كما يدعى الشيوخ ، ولكنها جزء من لحمه ، الامر الذى جعله يقول اكثر من مرة بان القبيلة عاشت « على لحمها » قرونا طويلا ، وقد آن الاوان لتغير اسلوبها فى العيش .

والفيلم بهذا لايعنى انه دعوة صوفية ، او تأملات رومانسية فى آثار الماضى ، تذكرنا بالدعوة الغامضة للفرعونية فى أوائل هذا القرن ، ولكنه ، فى بعد من أبعاده ، دعوة لمعرفة هذا الماضى واستيعاب دروسه ، عن طريق العلم ، لذلك فان « ونيس » يضطر الى ارشاد « رجل العلم » باحث الاثار ، عن مكان المقبرة .. وليس عبثا — خاصة بعد هزيمة يونيو — ان تتردد فى الفيلم اسماء «احمس» ، الذى اجهز على بقايا الكهسوس ، او «تحتمس» الذى تعقب الاعداء وأبعدهم عن ارض مصر ، ووصل بقواته الى هضبة تركيا شمالا والشلال الرابع جنوبا ، او « رمسيس الثانى » الذى وضع نهاية لوجود « الحيثين » .. ذلك ان هذه الاسماء كفيلة ، او على الاقل كان يجب ان تكون كفيلة باستنهاض الهمم العاجزة ، وايضا لنذكر أهل مصر بأن قهر الغزاة ، والانتصار على الاعداء من الامور الممكنة ، التى تؤكدها وقائع التاريخ .. ويدعم الفيلم هذا المغزى مرة اخرى فى المشهد الذى يتقابل فيه كل من « ونيس » الجريح بصديقه الشاب الجريح ايضا ، فى احد المعابد ، حيث تظهر الرسوم الجدارية اسرى الاعداء ، يسيرون فى طابور دائس طويل ، مستسلمين عاجزين ، كما لو كان يحدث الشابين الجريحين ، والمفرجين الجرحى ايضا ، قائلا « انهضوا .. فلن تفنوا ».

اما عن جماليات الفلم ، فلا اعتقد ان ثمة ضرورة تفرض اعادة ماقيل فى عشرات المقالات عن ايقاع الفيلم الهادى المتمهل ، الشاعرى . او عن الاهتمام بتفاصيل كل لقطة ، وتعدد المستويات داخل الكادر الواحد ، او تفرد اسلوب المخرج فى تحريكه للمثلين وتصميمه للملابس ، او مقدرة مصور الفيلم على جعل كل لقطة لوحة بديعة ، ترتبط بسابقاتها ولاحقاتها ، او الموهبة الخلاقة للاخوين احمد وصلاح مرعى ، الاول فى دور ونيس والثانى فى تصميمه للديكورات والفيش الفيلم .. لكن مايستحق ان نقف عنده قليلا هو حوار « المومياء » .

اختار « شادى عبد السلام وعلاء الديب » اللغة الفصحى مادة للحوار ، وذلك لما يتوفر فيها من مقدرة على التعميم والتحليق ، ولانها تتمتع بطاقة شاعرية كبيرة ، فضلا من مقدرتها على التركيز والتعبير عن الافكار ، والفيلم بهذا يكون قد تنازل عما تتمتع به اللغة العامية من تلقائية وصدق وحراره ، فضلا عن قدرتها على اظهار التباين النفسى والاجتماعى بين الشخصيات .. لكن هذا ليس معناه انه توجد حدود فاصلة بين امكانيات كل من اللغتين ، فالمسألة فى النهاية تتوقف على مقدرة الكاتب وتمكنه من اسرار اللغة التى يستخدمها ، وهو الشىء الذى لم يتحقق فى الفيلم على نحو مكتمل .. فبينما يحقق الحوار قيمة درامية وايحائية وتشكيلية فى بعض الاجزاء ، خاصة عندما ينسج على طريقة الاشعار الفرعونية ، فانه فى اجزاء اخرى يأتى بعيدا عن الدقة ، معلبا ، قريبا من التعبيرات الطنانة .. فعندما يذهب « ونيس » لمفتش الاثار ويقف امام سفينته الوحيدة يقول « لماذا جئتم بكل هذه العدة والعتاد » ونستمع الى جملة تفتقد الهوية عندما يتدارك ونيس مع « مراد » القواد فيقول « اغرب عن وجهى ايها النعس » .

وعموما فان الحوار — على غير العادة فى الافلام المصرية — لم يكن الاداة الرئيسية للتعبير ، فهو يبدو متواضعا امام ثراء الصورة ، ويكفى أن نسترجع ونفكر فى مشهد النهاية الغريب .

وليس تفسير «المومياء» على اساس انه يحلق باحدى جناحيه فى عام ١٨٨١ بينما يحلق بجناحه الاخر فى آيامنا هذه يلغى تفسيرات اخرى يحتملها الفيلم ، فهو فى النهاية ، كعمل مشبع بحب مصر — يرفرف بجناحيه الى الماضى تاره ، والى المستقبل طورا — يرى عشرات الامور ، على نحو شامل وعام ، قد يحتاج للشرح والتفسير ، ولانه مرتفع ، فان مجال رؤيته ارحب ، واحساسه برياح التغير القادمة من عصور جديدة ، أوضح وأدق . ■

كمال رمزى



«لحظة صدق» ..
والقضية الضائعة

الصحفية [منى] تهاجم مقاول احدى العمارات المهارة ، مستندة الى شهادات العمال والحرفيين العاملين فى بناء العمارة ، ويحاول المقاول [مصطفى توكل] ايقاف الحملة الصحفية فيرفض رئيس التحرير الذى يتحمس لكتابات منى فيرفع المقاول قضية على الدار عن طريق محاميه [أحمد مازن] الذى يحاول أولا انهاء الخلاف مع [منى] وديا فترفض باصرار ، وتذهب الى من اعطوها الحقيقة اثناء حملتها تطلب منهم ان يكرروا ما قالوه أمام المحكمة فتجد التهرب ثم الانكار بعد ان نجح المقاول فى اسكاتهم بنفوذه وامواله ، وينجح المحامى فى تبرئة المقاول ، وتخسر هى ، ولكنها ترتبط بعلاقة مع المحامى [الذى اعجبته شجاعتها وجرأتها] ويتزوجان ..

وفى الجزء الثانى من العمل تكتشف منى بعد مواقف عديدة ان زوجها مازال على حاله ، وانه لجأ الى مخرج غريب لتنفيذ وعده لها [بألا يدافع الا عن القضايا العادلة] .. هذا المخرج هو احداث توازن فى عمله بمعنى دفاعه عن قضية لاحد المظلومين ، مقابل دفاعه عن قضية أخرى باطلة ، الى ان تأتى اللحظة التى يجدان فيها نفسيهما خصمين فى قضية واحدة ، فبينما تهاجم هى المتهم [وهو رجل بغش الشاى] يدافع هو عنه ، ويطلب منها التنحى عن الكتابة فى هذا الموضوع .. فينفصلان ..

ويبدأ الجزء الثالث من العمل وقد عاد كل منهما الى نقطة البداية ، ولكن بعد ان تتأكد هى انه لن يتغير ، وبعد ان يمارس هو تجربة معايشة المبادىء ، ليبدأ كل منهما فى ممارسة حياته من جديد ، ومن خلال مشاهد متوازية نرى كيف يتصرفان ، فبينما تركن هى الى قدر من الانطواء والبعد عن العمل يستمر هو فى سلوكه ، والدفاع عمن يدفع أكثر ، مستغلا براعته فى النفاذ الى ثغرات القوانين .. ، ويلوح فى افق كل منهما آخر من خلال واقع استمرار الحياة ، فيظهر [حلمى] ـ الصحفى الشاب المنقول الى الجريدة حديثا ـ بشخصية فذة فى مبادئها ، وبدون جهد يستحوذ عليها حيث تجده نموذجا للانسان الذى تفتقده ، ومن ناحية اخرى ينخرط المحامى فى علاقة نسجتها له صاحبة احدى القضايا ، التى نفذت اليه بأساليب مختلفة من اجل حصولها على مبلغ التأمين فى مصنع احترق وكان ملكا لزوجها المتوفى ، واتهمت العمال بحرقه ..

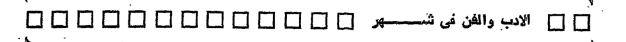
ومن خلال العلاقة المتوازية التى تتطور بين الصحفية والصحفى ، والمحامى والارملة ، يلوح لكل منهما انه قد وجد طريقه الصحيح وفى نفس اللحظة التى يستسلم كل منهما الى هذا اليقين بكون قد سقط فيما هو اشد بشاعة من التجربة الاولى .. فتكتشف هى أن الصحفى ماهو الا نموذج للانتهازى الجديد الذى يرتدى ارفع ثياب التقدمية ، ويقبض ثمن كل كلمة ، ويكتشف المحامى ان المرأة التى أوقعته بضعفها واحتياجاتها الى حماية رجل مثله] ماهى الا وحش ، فهى التى حرقت المصنع ، واستخدمته هو [المحامى] كأداة لسجن عامل برىء ، والحصول على مبلغ التأمين ، وهكذا يأتى الفشل الثانى لكل منهما ليجدا نفسيهما وقد استغلا ، كل حسب موقفه ، فهى قد توجر بها ، وهو قد خدع ، فيلوذ الاثنان فى نفس الوقت بالمكان الذى كان يجمعهما ليجدا نفسيهما وجها لوجه ويتفقان على استئناف الحياة ..

هذه هى قصة [لحظة صدق] التى قدمها التليفزيون فى ثلاث سهرات درامية أيام ١٠ ، ١٧ ، ٢٤ من شهر يناير الماضى ، وكانت بمثابة باكورة الاعمال الدرامية الطويلة الجديدة للقناة [٥] بعد انفصال قناتى التليفزيون ، فى نفس الوقت الذى لم تقدم فيه القناة الاخرى [٩] اعمالا درامية جديدة اكتفاء بالسهرات القديمة .

فماذا نجد فى « لحظة الصدق » ؟

اننا فى هذا العمل الذى كتبته [القصة ـ السيناريو والحوار] **فتحية العسال** ، واخرجه **فايز حجاب** نقف حائرين أمام تناقضات الشخصيتين الرئيسيتين مع نفسيهما ، ومع ما تطرحانه من قيم ، وفكر ، ومواقف ..

فالصحفية منى [**سهير المرشدى**] .. بهذه الصورة من الوعى والادراك ، والشخصيه الجادة الناضجة ، كيف



تخونها هذه الصفات أمام موقفين هامين فى البداية [السهرة الاولى] .. **الموقف الاول** عندما تجد العمال الذين ساهموا فى بناء العمارة يتراجعون عن شهاداتهم أمام المحكمة .. والمفاجأة هنا ليست كاملة للدرجة التى اذهلتها وجعلتهـا تتساءل « ليه الناس بتتغير ؟ » .. فهؤلاء الناس ، قد وضحت نيتهم قبل هذا عندما ذهبت تطلب منهم اعادة ما قالوه لها أمام المحكمة فسوفوا ، وماطلوا ، ووضح ان هناك شيئا لم يعودوا بسببه كما كانوا .. فلماذا اذن تفاجأ بتغيرهم ، وتبدو غير مدركة لضغط الاكراه المادى ، والتهديد بقطع أرزاقهم .. انه ليس موقفا نادرا ، ولكنه يحدث كل يوم مادام هنـاك مقـاولون واصحاب اعمال ، وارزاق .. الخ ؟

والموقف الثانى .. هو هذا الزواج الذى ارتضته « منى » ، فهو مناقض لشخصيتها التى تفرض علينا النظر اليها كانسانة تتزوج لاسباب كثيرة هامة ، وليس فقط بسبب الاعجاب السريع بعنادها وجرأتها كما حدث .. فهى قد تزوجت شخصية متناقضة معها اساسا ..هى تدافع عن الحقيقة والعدل ، وهو يدافع من الشخص ، أى الموكلُ الذى يدفع اتعابه ، وهو فى العادة ظالم أو [سفاح على حد تعبيرها] يستطيع ان يدفع جزءا من الالوف التى نهبها للمحامى .

وشخصية منى كما قدمها العمل تجعلها أيضا لاتصدق ان الحل هو فى تعهده لها [سوف لن ادافع بعد ذلك الا عن القضايا المادلة] .. ولكنها صدقت أو ارادت هذا .. وكان بوسع أى منا ان يدرك ماسيحدث فى السهرة الثانية حيث لم يتغير كلاهما الى ان وصل الحال بهما الى الانفصال ، والبداية من جديد [السهرة الثالثة] والدخول فى علاقات جديدة تنتهى بالنسبة لمنى بمفاجأة .. ذلك الصحفى الذى يتسلق أشرف المواقف ليخرجها كالحشرة ، ويأخذ الثمن ، وهى هنا تجربة لها قيمتها فى اثراء هذا العمل بنموذج منتشر الان لدرجة بلبلة أشرف الناس ، وأكثرهم اخلاصا .. فحلمى « **فاروق الدمرداش** » كان ملكيا أكثر من الملك ، وقاد منى فى الكشف عن تجار الفن وادعيـائه ، وفى مواقف اخرى جعلتها تسلم بوجود الشخصـية التى افتقدتها ، والنموذج الطيب الذى يماثلها فى الصدق ، ولكنها تفاجأ بأن هـذا النموذج مجرد تاجر فى صورة تقدمية .. أو هو القواد الحديث .. وانه يحصل ليس على ثمن كتاباته فقط ، وانما ثمن معرفته بها أيضا ، ولذلك كانت ثورتها عليه ، وفضحه العلنى هو التصرف المنطقى ، ولكن اللا منطقى هو عودتها للزوج المحامى [نهاية الثلاثية] لانها لا تمثل الا وقوعا فى خطأ جديد ، مع التسليم بانتفـاء الشخصـية الشريفـة المخلصة من المجتمع .. **وبالتالى تصبح منى فى الثلاثية مجرد نموذج شاذ حيث انها النموذج الوحيد الشريف ، المخلص ، الملتزم الذى يطرحه العمل** .. وهو تركيز يخل الى حد ما بالعمل ففى احد المواقف مثلا يقول لها رئيس التحرير بعد فترة من توقفها عن الكتابة [انا مش قادر ابص للجرنال من غيرك] .. فغنى عن القول ان الجريدة هى اولا واخيرا نتاج عمل جماعى وليس لانسان ايا كانت أهميته ان يكون معادلا لها !

أما الزوج المحامى [**يوسف شعبان**] فهو شخصية تكشف نفسـها من اول لحظة بصدق شديد ، فهو قد اكتسب براعته وسمعته من تبرئته لاخطر المجرمين [مقاولو عمارات الموت ـ غشـاش الشاى ـ الخ ...] ، وهو قد رتب حياته على هذا ومبدأه .. ان المحامى يقف مع موكله الذى يلجأ اليه » .. ولان المظلومين دائما لايستطيعون دفع «اتعابه» الغالية فهو بالتالى يدافع عن نوعية معينة باتساق شديد .. وهو قد خدعها منذ اللحظة الاولى بترتيب تمثيلية مع صاحب عمارة الموت ، حتى يبدو الرجل أمامها لايجد القوت هو وأولاده بعد انهيار العمارة ، وكادت اللعبة ان تنجح .. وهو لم يصمد طويلا أمام أول قضية تواجهه بعد تعهده لها بالدفاع عن الحق [طالما سيحصل على مبلغ كبير] ، وهو أيضا عندما فكر فى الخروج من ورطة العهد الذى حنث به لجأ الى معادلة غريبة .. قضية مجانية للفقراء مقابل قضية غالية للسفاحين ، وهو تصرف شبهه وكيل مكتبه بسخرية قائلا [انت بتزكى عن فلوسك .. حتبقى محامى الغلابة ولا محامى مصطفى توكل] وهى معادلة مضحكة ، ولكنها تعبر عن تفكيره بوضوح ، ولذلك فان الدهشة الشديدة تصيبنا لثورته فى النهاية على الارملة حارقة المصنع [**سميرة محسن**] عندما علم انها خدعته ، وانها حرقت المصنع وليس العاملُ الذى ادخله السجن .. انها تبدو ثورة مفتعلة .. فهو قد ادخل العاملَ السجنَ وهو يعرفَ تماما انه ليس الذى حرقَ المصنع ، وانما هم مجموعة من العمالِ لايعرف ايهم ، وانما كان لابد من ادخال احدهم ليكسب هو القضية .. وتحصل هى على التأمين .. فلم اذن الثورة الشـديدة على [سجن عامل برىء] .. ان هذا الموقف لايعدو افتعالا دراميا لتصل الثلاثية الى النهاية .. ويعود البطلان لبعضهما ، مع انها عودة خاطئة ، بل مرفوضة ..

ان هذه الملاحظات كانت ضرورية لتقيم عمل هام .. أولا لتعرض التليفزيون له كموضوع يطرح افكار كثيرة جادة وثانيا لانه حظى بمتابعة كبيرة من المشاهدين.. وثالثا لجدية مؤلفته التى قادتها نواياها الحسنة الى طرح كل شىء تريده، وليس الشىء المناسب لهذا العمل ، ولذلك فان حيرتنا هنا مبعثها هذا الخلط الذى حدث فى السهرة الاولى بحيث لم يكن سهلا ان نجيب عن سؤال : قضية من هى .. هل هى قضـية منى امـام المقـاول [السفاح] ؟ أم قضيتها الشخصية ؟ ان البناء الدرامى هنا كان يقتضى التركيز على القضية الاساسية .. والشخصية الاساسية ايضا ، ولكن الذى حدث بعد ذلك، ان العمل وزع اهتمامه بالتساوى على منى وأحمد ، فـوزع بالتـالى اهتمام المشاهد ، ورغم ان المؤلفة اجادت رسم بعض الشخصيات مثلَ المحامى ، والفتاة التى عينت صحفية بمرتب كبير لانها تملكُ كلَ شىء عدا الموهبة والكفاءة [**رجاء الجداوى**] ، والصحفى الانتهازى ، [الذى لعب دوره بتفوقٍ يعد اكتشافا **فاروق الدمرداش**] ، الا أن نفس المؤلفة اهملت ادوارا أخرى منها رئيس التحرير [**زكريا سليمان**] وزميلة منى [**فادية مكاشة**] التى ذكرنا دورها بسنيد البطلَ فى الافـلام المصرية ، والمحـرر الفنى [**سيد عبد الكريم**] الذى بدأ كالطفلَ الاهوج بزجره الجميع . .

وبالرغم من امكانيات التصوير الفيديو المحدودة الا ان المخرج فايز حجاب قدم عملا يمتاز بلقطات جيدة بعضها لا ينسى مثلَ لقطة ذهاب المحامى الى زوجة العاملَ فى بيتها ليطلب منها ان تحث زوجها على الاعترافَ بحرق المصنع ، لقطة اكتشافَ منى حقيقة حلمى ، وان عاب العملَ بطؤه فى بعض الاجزاء ، وبطء الاداء.. والمقدمة الطويلة ، والموسيقى المصاحبة التى اضافت للعملَ ايحاءات مسـطحة محددة ، فقد استغلَ معه الموسيقى ، موسيقى أغنية اوربية شائعة رومانسية حالمة وكان تركيزَ هذه النغمة موحيا تماما بما سيحدث فى نهاية العملَ .. وهوَ خطأ غريب يصر عليه معدو موسيقى الاعمالِ التليفزيونية عادة ☐

ماجدة موريس

●●● قراءة فى ثلاث روايات جـــديدة ●●●

هـذه الطيـور التى لاتبيـض الذهـب

لاشك ان صورة المستقبل هى الحافز الخلاق ، الذى يندفع بالنشاط الذكرى والادبى لافاق الابداع ، فالطاقة الابداعية كطاقة بناءة وكتعبير اجتماعى تسعى للتاثير فى صورة المستقبل ولما سيكون عليه ، ولما كانت صورة المستقبل متوقفة على حقيقة التكوينات الواقعية للحاضر ، وتياراته المتصارعة ، ارتبطت هذه الطاقة بموقف القوى الاجتماعية الحالية بالتالى .

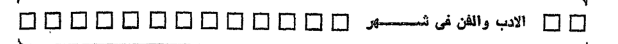
وماطرأ على الحياة الادبية من متغيرات منذ بدايات القرن الحالى ، وحتى الان ، يعكس التغيرات النسبية التى استجدت على الخريطة الطبقية للواقع المصرى ، واختلاف الاهمية النسبية للطبقات الاجتماعية ، وموقعها من المستقبل ، ففى اوائل القرن الحالى ، كانت البورجوازية المصرية هى الطبقة الصاعدة على درج الحياة الاقتصادية ، والتى تنتمى للمستقبل ، او ينتمى لها المستقبل . لعشرات من السنوات القادمة ، وعبرت الحياة السياسية والثقافية من فتوتها ونشاطها ، ووثوقها الشديد بالنفس وبالمستقبل ، وهيأ لها هذا الوضع التاريخى أن تفرز عمالقة الادب والفكر من بين صفوفها ، وان تنتشل الثقافة المصرية من وهدة التخلف ، والتعلق الضار بأنماط السلف والتراث . وتفتحت زهرة الفكر والادب ، بالانفتاح الشجاع على الثقافات والحضارات العالمية ، وارتفعت رايات البورجوازية عالية خفاقة فى سماوات الابداع ، فالطاقة الابداعية التى يتحلى بها العباقرة ، هى صدى للتفتح الفكرى للجماعة ، وهى التعبير الاكيد للظفر بالتاريخ ، الحاضر والمستقبل وهكذا أمكن للبورجوازية فى مرحلة صعودها ان تقدم رواد الفكر والادب ، ممن تفتخر بهم اليوم ... طه حسين والعقاد والمازنى وعلى عبدالرازق .. الخ هؤلاء الذين « كونوا أمجاد مصر الثقافية والفنية » [1] ، والذين لايمكن لمصر الصاعدة نسيان فضلهم وريادتهم . ان خذلان طه حسين أو المازنى انما يحقق اليوم ــ بعد تغير الاهمية النسبية للاوضاع الطبقية فى مصر بتغير واقعها ، والتشوف الواضح لما ستكون عليه صورة مستقبلها ــ على ايدى الطبقة التى خرج من بين صفوفها طه حسين والمازنى ، بتنكر هذه الطبقة ــ التى ما أسرع مادبت باوصالها

أمراض الشيخوخة المبكرة وعوامل التصدع والانهيار ــ للمبادىء التى أسسها ونادى بها هؤلاء الرواد العظام ، فالنتائج التى انتهت اليها المعارك الادبية والفكرية فى بواكير القرن الحالى ، لم يعد امام البورجوازية سوى التنازل تدريجيا عنها دالفة ــ فى انهيار ــ لقوقعة المحافظة والجمود الفكرى والاسفاف الادبى ، فقضية كقضية الاصالة والمعاصرة ، وان كان قد بت الامر فيها فيما ولى من ايام

بالانفتاح على الفكر المعاصر ، تطرح من جديد على بساط البحث ومائدة المناقشات بتاثير نزعة معاداة الماركسية رغبة فى الحد من توصل المد الثورى الى الطبقات الدنيا وتسليحها بالنظرية والوعى والقيادات ، وتشهر البورجوازية أسلحة الالحاد والاستيراد وعدم الوطنية والتحلل من القومية ، وهى ذات الاسلحة التى وجهت اليها فى مرحلة صعودها وتصدرها للحياة الفكرية والثقافية ، وترتد اصابعها عابثة بصفحات التراث ، متخلية عن علما نيتها هذه المرة ، مناهضة كل تطلع للثقافات والحضارات العالمية المفيدة ، مغلقة ابواب الابداع الفكرى والادبى ، فما كانت لتحلى به من شجاعة أصبح كالخنجر الموجه لصدر صاحبه ، لايملك خوفا وفزعا غير التائه بعيدا عنه ، فالواقع المصرى الراهن يلفظ البورجوزاية مشيرا الى ان احتمالات المستقبل لم تعد لها ، متمثلا تحت سيطرتها المتسربة الى الدهاليز الخلفية للحياة الاقتصادية وسراديب التطفل الاقتصادى التى شقتها وكونتها سلبيات الواقع ، ان الباب المفضى لطريق النهاية امامها ــ كطبقة لم تعد تطلعاتها تتفق مع تطلعات الاغلبية فى العدالة والتقدم ــ قد فتح على مصراعيه ، بواقع مفاهيمها ، فان كانت تعتصم بصيغة التحالف للمحافظة على وحدة الجبهة الداخلية ، ووحدة الصمود أمام الخطر الخارجى ، فليس اخطر على وجودها من هذه الصيغة اذا انقشع الخطر ، أو قلت حدته نسبيا وتضافرت جهود التحالف الوطنى للبناء الداخلى ، ومعالجة السلبيات والقضاء عليها .

ان صورة المستقبل التى تحدد اطرها المبادىء الايجابية لثورة يوليو ، هى صورة منذرة بنهاية الاستغلال كما ان تطور هذه المبادىء سيسلم حتما مقاليد المستقبل للطبقات المستغلة ، وتشهد مرحلة مابعد اكتوبر معركة رأب التصدع التى تخوضها البورجوازية فى مساحة السياسة والاقتصاد ، وساحة الثقافة فى

الان نفسه ، فما اعنف ماتبذله من جهد لتصفية ثورة يوليو من عناصرها الايجابية التى تهدد مستقبلها ، ويتضح هذا بكل ما أطلقته من دعاوى ضد التقدم كبيع القطاع العام ، واعادة النظر فى قوانين الاصلاح الزراعى ، والمساس بمبدأ تمثيل العمال والفلاحين فى المؤسسات الثقافية بنسبة الــ ٥٠٪ ، والمناداة بعودة الاحزاب ، والتهجم على انجازات الثورة بالاشاعات المغرضة حول السد العالى ، واثارة البلبلة حول حوادث



كمشيش ، ثم الا تدل محاولتها امتطاء جواد الاستثمارات الاجنبية لغزو الحياة الاقتصادية على مدى تصدعها ؟ وتصاحب هذه المحاولات الفاشلة ، محاولة اخرى لتصفية اليسار ، وعزله عن منافذالثقافة والاتصال بالجماهير ، سواء بالسيطرة الفعلية ، والهيمنة الكاملة على اجهزة النشر ، ومنافذ الثقافة ، او بتشـــويه وجه اليسار ، واثارة النفور منه تحطيما لقدراته على الاقناع ، محاولة لنزع الوعى من الاغلبية ، والتوقف بالتاريخ من المصى قدماللمستقبل الذى يثير الريبة والوساوس.

لقد تحول نبع الالهام والابداع الفكرى من قناة اليمين،بعد ارتفاع نسبة الملوحة بأراضى البورجوازية ، الى قناة اليسار المتحركة للمستقبل المنتظر ، حيث مصر الاشتراكية ، وتحولت أفكار اليمين الى بركة من الماء الاسن ، وانتقل الابداع الثقافى الى الاجيال الشابة ، التى يجاهد اليمين فى ابعادها عن منافذ الثقـافة والاتصال ، بالحجر على طاقاتها المبدعة محاولة لترميم انهياره المحتوم ، فلا تجد هذه الاصوات امامها غير الهجرة بالفكر الى بيروت وسوريا والعراق ، تاركـة سماء مصر للاصوات الواهنة المختلة ، باجنحتها القصيرة العاجزة من التحليق فى سماء الابداع والخلق الادبى •

ومعضلة الروائى اليوم نابعة منطبيعة فنه ، فالرواية تعكس اكثر من غيرهامن الفنون الادبية مجريات الحياة الخارجية المحتدمة بالصراعات ، ان كل تطلع جاد وصادق للحياة ، يدفعه دفعا لاكتشاف حدة التناقضات ، ويجره جـرا لادانة الطبقة التى ينتمى اليها ، ومواجهتها ، وهو مـالا يريده ، ومايرغب فى تجنب اثارته ، وليس امام الروائى من خيار، ان البيئة المحلية تفرض زمانها ومكانها عليه ، كما لم يعد بامكانه مناقشةمفهوم الالتزام ، ولا تواتيه الجراة للكشف عن الوجه الحقيقى بصراحة شجاعة وليس بمقدوره غير تلافى هذا الوضع الحرج على حساب موضوعية العمل الادبى ، بخلق حقائق فنية تختلف عن الحقيقة الواقعية، وتبتعد منها ، وتمسخها بالتزوير ، أن الحذر من تفتح العيون على مباذءات الواقع دفعه لا لخيانة الواقعية والتجنى عليها فقط ، وانما لخيانة الفن ذاته ، متخليا بذلك من ناصية الابداع الادبى والخلق الجميل ...

فى هذا الضوء نعرض للروايات التالية:

١ ــ البيات الشتوى : محمد يوسف القعيد عندما يبدأ حفر البئر الاختبارية بحثـا عن البتـرول ، فى نصف الفدان الذى يملكه وردانى ، فلاح قرية السوالم ــ بحيرة ، بتاريخ اكتـوبر ١٩٦٤ ، نتوقع ان هذا الحفر ، شـق حاد ، ورؤية عميقة تضرب جذورها بأعماق واقع القرية المصرية ، مؤصلة جذور العلاقات المضطربة بالحياة الواقعيـه ، الا ان تنقيب القعيد لم يكن لـه من هدف غـير ذر التراب فى العيون •

وحين يستبدل القعيد الارض كمحور رئيسى لحياة القرية ، تتأسس حـوله العلاقات الاجتماعية وتنمو وتتشابك ، بالبئر كمحور روائى ، يكون قد مهـد الطريق لتجنب الاصطدام بل والاحتكاك بهـذه العلاقات ، والتعرض لحقيقـة الصراعات الناشبة فى القرية المصرية ، وحقيقة التكوينات الطبقية الجديدة بالريف المصرى فى هذه الفترة من عام ١٩٦٤ اوما تلاها من سنوات اختمار العنف الذى انفجر بكمشيش بعد عامين تقريبا من هذا التاريخ • تفسخت رؤية القعيد بهذا الاستبدال وسقطت الى مايشـبه البناء الاسـطورى المتهافت ، فالبئر كحـدث محورى افتقد الحركة الذاتيـة والنبض الحى المرتبط بالشـخصيات ، وبحيـاة القرية ولم يستطع ان يطور من الاحداث باطراد ليدفعها للنهاية الطبيعية، وكمحور مفتعل لم يكن بمقدوره غير استـثارة الاحلام والامانى بصدور الرجال المكدودة دون ان يسمح لهؤلاء الرجال بالتبلور ، وطفت شخصيات رجال القرية فقاعات مكرة بلاأسماء ، ويظل البئر كائناخرافيا دخيلا ، لم تتحد خفقاته مع خفقان قلب القرية ، وديناميتها ، بل ان وجوده انكر على القرية حركتها الذاتية ، فمـا ان بدأ التنقيب حتى ترك الرجال الفئوس والمعاول ، مكتفين بترقب مايجرى فوق جسر القرية ــ مصعدين التنهدات الحاره تبريداً لحرارة الانتظار ، وبهدوء القرية تماما ، ويتوقف نبضها ، وسكون حركتها افتقدت الرؤية موضوعيتها ، ان معالم التطور والتغير الاجتماعى لاتعتمد على الحركة الصـاعدة للتاريخ ، ولا تتعلق بمجموع الارادات الانسانية وسعيها العنيف لتحقيق العـدالة والتقدم ، ان الظالم والمظلوم من طبيعة الكون، كدوران الارض حول الشمس ، وكدوران الشمس حول نفسها ، وكتعاقب الفصول الاربعة ، حتمية ازلية من حتميـات الطبيعـة ، واستسلام مطلق لقانون العادة، والطبيعة وحدها هى التى تملك امكانيات التقدم والرخاء ، فالبئر بمثابة نزع الارض لردائها البالى ، لتتحول لمنجم مـن الـذهب ، تتأسس حوله المستشفى والمدرسـة ، ومؤسسة الكهرباء ودور اللهو والعمارات الشاهقة ، وليتحول ابو السعود والموم لمديرين ورؤسـاء ، يخطون كل شهربمرتب ثابت !! • ان مشاكل القـرية بتوقف حلها على هذا الحد الذى تتوقف عنده القرية ، ان تكون قرية ، وتظل العلاقات الاجتماعية بمنأى عن اى تغير « لابدان يكون هناك مظلومون وبعدد المظلومين فهناك ظالمون فى نفس الوقت .. تلك طبيعة الحياة ، ان أقل نصيب سيكون خيرا من الحال الان » ، « الغنى غنى والفقير فقير .. اتولدنا كدا ، دى حكمة ربنـــا » •

تكفل تكتيك الرواية باستبعاد الثغرات التى تمكن الواقع من النفاذ ، ولاحكام هذه السيطرة اعتمدت الرواية على السرد اعتمادا ان لم يكن كليا ، فهو أساسى فلم تسنح للشخصيات فرصـة التنفس والتعبير ، ومـر السرد بالشـخصيات مرورا عابرا متعجلا ، مختزلا ما امكنه كل ما يشتم منه رائحة الصراع وطبيعة العلاقات الواقعية ، واذا كانت ضرورة العمل الروائى تفرض تحاور الشخصيات فهذه الضرورة تقتضى بناء الشخصيات ، باحكام معالمها ، وتحديد سـماتها ، وتوضيح علاقاتها ، وهو ماينطلب مـن الحقيقة الفنية الاقتراب مـن الحقيقـة الموضوعية ، ولما كان الصدق الفنى خطرا يهدد رؤية القعيد المزيفـة ، فلقد ألغى التحاور بين الشـخصيات ، وسـقطت وظيفة الحوار نهائيا •

ومن بين خمس عشرة ألف نسمة ، هم تعداد سكان السوالم ، لايقدم القعيد غير بضعة وعشر شخصية ، لاترتبط اى منها بالارض ارتباطا وثيقا فيما عدا الوردانى صاحب النصف فدان، فهى عدا الوردانى من الخارج الى عالم القرية كعصمت النجماوى المهندس ، وسلسبيلة على الله عشيقة حب الدين سرحان ، ومحروسة الغجرية قارئة الودع ، والمعلم يعقوب واصيلة زوجة ابى السعود المنادى • واما انها لاترتبط بالارض بصلة كحب الدين سرحان ، والشيخ محمود المؤذن وفتحى سالم عضو الاتحاد الاشتراكى ، وابى السعود ، والموم مقاول الانفار ، اما الشخصيات المرتبطة بالارض كالعمدة على الدمراوى ، فلقد تخلت عنـه الروايـة وتجاوزته من الوهلة الاولى • ولم يكن القعيد ــ تمشيا مع رؤيته المـزيفة ــ بحاجة لغير هذه الشخصيات • ولم تنم هذه الشخصيات نموا طبيعيا متفاعلا مع الحدث • ان التكتيك الذى التزمه الروائى ــ تكتيك التهرب ــ لم يدفعها للامام بل للخلف، بالارتداد للماضى ، وظلت ساحة الحاضر عالما مجهولا لم تدلأه قـدم • فافتقدت الشخصيات الارض التى تقف

علبها لنفاعل وتحتك وتصطرع . وبدأ المحور الرئيسى فاقدا ديناميته . ولم يستطع جذب الشخصيات للتفاعل والنمو المضطرد مع الاحداث . كما ان فرغ العقيد من اسقاط مجموعة الاحلام التى راودت الشخصيات وامانيها فى التقدم والرخاء المتمثل بالمرتب الثابت. واحلام الموم بالمنصب والمال الوافر ، وسلسبيلة ، بمقهى العمال المتسع الرزق وفتحى سالم بعضوية مجلس الادارة .. حتى تفرغ لاستقصاء تاريخ هذه الشخصيات وبهذا الارتداد فقدت الرواية وحدتها العضوية ، ونموها الطبيعى ، ليتخلص العقيد مرة اخرى من مواجهة شخصياته بقطعها من وعاء الزمان والمكان الواحد والمشترك ، ولتصلنا مجموعة من القصص القصيرة المنفصلة غير المتفاعلة . ان تحطيم الشكل التقليدى للرواية ، تم لحساب تجاهل الواقع ، ولم ينجح فى تقديم رواية يتحقق لها التكامل الفنى ، وسقط السرد بين الحواشى والملاحظات والمعلومات البدائية والصور العامة وخلفية الصورة والالوان والمذكرات .. بلا اثراء حقيقى للادب الروائى .. ان وقائع الحياة المادية ومظاهرها : ترعة ساحل مرقص والطريق الزراعى ودميسنا وكفر عوانة ونكلا العنب ، والتوفيقية التى انزلق اليها السرد بالاسهاب ، لم ترق للشخصنة الروائية التى تسمح للاشياء بالمشاركة ، والنبض داخل الحقيقة الفنية كضرورة لاغنى عنها . وتظل فتوغرافيتها استطرادا لالزوم له ، ولغوا غير منتج اطرافا زائدة تشوه الخلق الفنى ولاتثريه .

أن قوى الخير والشر التى تعمل بعضد الرؤية غير الواقعية ، هى نفسية وفردية فى مجملها . وظواهر انسانية تتعلق بالفرد لا بالنظام الذى تعتمه الجماعة.

ومن الملاحظ ان علاقات الصراع التى ابقى عليها العقيد تنبنى على مشاعر الكراهية والعواطف الذاتية .. فالصراع الناشب بين فتحى سالم والمهندس مصمت من ناحية وبين الاخير والعمدة من ناحية اخرى .. يدور حول تدعيم الذات بصفة مطلقة كذات فرد .. ان ما يثير فتحى سالم احتلال المهندس لمكانته المرموقة بين صفوف الفلاحين ، «يتضاءل فتحى سالم امام الرجال ، وكل مايعرفه وتضحى الجريدة ورقة لاقيمة لها ، تذوب المسافة التى تفصل فتحى سالم عن الناس» واما العمدة فـ « لقد ادرك .. فى الثوانى الاولى أن هناك شيئا ما يموت فيه ، يذبل قبل الاوان ، وهذا الاحساس ناتج من انه امام شىء جديد تماما ، مدهش ، غير عادى ، ممثل فى هذا الشاب الصغير » وطبيعة الاستغلال الذى تطرحه الرؤيا ينفصل عن العلاقات الاجتماعية وعن واقعيتها ، ان المعلم يعقوب عنصر الشر الذى يمتص دماء القرية وفلاحيها، مائدة القمار التى التهمت فدادين حب الدين قيرطا بعد قيراط ، اما ثراء الموم مقاول الانفار فما هو غير سطو فعلى قامت به امه فسلبت خزينة الصراف ما استودعه فيها . لقد تمتشرئة العلاقات بادانة النفس البشرية ..

٢ ـ ضد مجهول : ابو المعاطى ابو النجا

الاقتراب من عالم ابى المعاطى ابى النجا اقتراب خطر ، ان لم يتسلح بالحذر الشديد ، والتيقظ الاشد ، فابو المعاطى أبو النجا قصاص راسخ القدم ، صادق القلب ، وان كانت كل من «البيات الشتوى» وضد مجهول تتعرض للقرية المصرية ، فلا شك ان رؤية ضد مجهول رؤية تكاد تتكامل ، كفل الروائى لشخصياته الاكتمال النفسى والجسدى والاجتماعى ، ودفعها لينسج القصة غير هيابة من تحاورها ، وتصارعها مهما كانت طبيعة هذا الصراع ، والنفاذ الذى يتمتع به أبو المعاطى للنفس الانسانية ، نفاذ بصير لا يتوفر للكثير من روائيينا، وتتصدر الرواية شخصيات اربعة ، شريف ابن عباس بك الموردى، احمد ، صبرى ، ومحمد الجندى ، ونيطت بالاربعة مهمة دفع الاحداث من البداية للنهاية .

وفيما عدا محمد الجندى ، أسطورة القوة والشجاعة فى القرية ، فهم من التلاميذ الوافدين اليها فى عطلة صيف ١٩٥٤ ، أى بعد تطبيق قوانين الاصلاح الزراعى ، التى لم تطبق بالقرية ، ومن البداية نستمع لخفقات قلوبهم الوافدة تعلو على ضجيج القرية وتتغلب عليها ، ويرتفع حوارهم العميق والذكى على حوار الحياة اليومية وشرها البغيض بقرية الزهايرة ، ويتعالى الحوار كلما أمعنا الغزو فى عالم ضد مجهول ، وتحاور الاربعة الراقى لم يلطخ بالوحل ولم يستخلص من الطين ، وان كان يتناول مشكلة العدالة والحرية ويتناسب ومستوى الشخصيات الاربعة ، الا أنه لا يتناسب ومستوى القرية . فتتوارى حياة بطينها خلف التحاور بالمجرد وبغير المحسوس . حقيقة ان قرية الزهايرة قرية ذكية شديدة الوعى .. وفلاحها ليس كفلاح الصعيد الذى يعرضه باستخفاف وتندر ، والذى يعرف البترول . « بترول يعنى جاز .. والجاز بتشغل بيه الوابور واللمبة نمرة خمسة » ، فمن الممكن أن نستمع فوق مساطب الزهايرة لرجل كرجب الصعيدى ، الاجير ، يلخص تجاربه ببساطة وعمق ، « يا أولاد .. الواحد منا بلا عافية لا قيمة له عند النساء ، وعند صاحب الارض ، لا تبيعوا عافيتكم بالسنة أو بالشهر بيعوها باليوم ، فصاحب الارض يحب أن يرى العمى بعينيه ، ولا يرى نفر الشهر جالسا فى الظل بدون عمل ساعة من النهار » ، ومن الممكن أيضا أن تتحاور البلد بأسلوب أذكى بكثير : « كان لابد أن تحدث ثورة فى البلد حتى نرى البحر لاول مرة فى حياتنا ـ وحتى يصيف شريف فى الزهايرة » . ومع هذا فلقد ذاب واقع القرية مبتعدا مسلما راية النمو والتفاعل لانفعال وردود أفعال الوافدين .

والتمايز جلى بين شخصيات الرواية : وتحدد معالمها الجسدية والنفسية متأسسة على أوضاعها المادية وموقفها الطبقى ، أن تشابه المظهر الخارجى لكل من شريف ومحمد الجندى يتضمن اختلافا جوهريا عميقا بينهما ، فكلاهما صادق ، وهذه حقيقة الظاهر ، الا انه « اذا كان شريف يمارس الصدق لانه لا يجد نفسه مضطرا للكذب ، فمحمد الجندى يمارس الصدق ، لانه لا يقدر على الكذب حتى لو أراد ، ان الصدق ترف يملكه الرجل الغنى أو الشجاع » ، واذا كان شريف والجندى متفقان فى كثير من الاراء ، فمعرفة شريف ناتجة عن التعليم ، أما الجندى فعن التدرب بالممارسة العملية، وغير هذه الشخصيات كالحاج ابراهيم وعباس بك الموردى . والشيخ عرفه المأذون والحاج حبيب ، ورجب الصعيدى وعطية ، تتحدد معالمهم وسماتهم أيضا تبعا لموقف كل منهم من ملكية الارض .. وباستثناء الاخيرين ، فهم اقرب للشخصيات الثانوية .

عالم الزهايرة اذن عالم واضح ، بل وشديد الوضوح .. فالى أين يدفعنا هذا العالم . ؟ .

هل يكافح الناس خلال حياتهم من أجل العدالة أم يكافحون من أجل الفوز والتفوق ، والرفاهية والمجد ؟ » وبمثل السؤال المحور المجرد للعمل الروائى.. وتختلف الاجابة باختلاف الشخصيات .

ـ **شريف** : « أما العدالة فقد يكافح من اجلها اولئك الذين خسروا السباق وحدهم ، انها تشبه لحظة البدء فى المباراة ، توجد ليتجاوزها اللاعبون ، ثم يطالب بها الخاسر ليبدأ السباق من جديد » .

ـ **صبرى الشيوعى** : « حين تجد ان الاغلبية فى بلدك أو فى أى بلد آخر هى التى تخسر المباراة دائما ، الا يعنى

هذا أن ثمة خطأ فى نظام اللعبة نفسها وأن يصبح هدنك ليس مجرد البحث من بداية جديدة لنفس المباراة ، بل البحث من نظام جديد للعبة يفوز بها من يبذل العرق والذكاء بحق » .

حين ينتقى أبو المعاطى ابو النجا كرة القدم ، وينقلها الى حياة القرية ، يضيف عائقا جديدا يساهم مع اختياره السابق لشخصياته الاربعة فى عزل مشاكل القرية الحقيقية ، وتتحول الكرة لتصبح المشكلة المحورية للرواية ، ويظل العالم شديد الوضوح بتكويناته الطبقية ومعالمه النفسية ، خلفية ساكنة غير متفاعلة ، وتنتقل الفاعلية من حياة القرية للملعب، وتتوقف العلاقات الواقعية من الاستمرار ، لتستحوذ علاقات التنافس على الاهتمام . وبدخول الكرة عالم الرواية ، تتقلص طبيعة العلاقات، وتتلاشى الحدود بين الكبار والصغار ، بين من يملك ومن لا يملك ، ويتساوى عطيه بن جمالات الاجير مع شريف بك ، وتتهاوى علاقات الطحن والاستغلال ، والبحث من اللقمة ، ليحلم كل فلاح بالتفوق .

ان الزهايرة غير جائعة الى الخبز وحده ، ولكن الجوعى يحلمون بالمجد ، حين تصعد الرواية برجب الصعيدى وعطية الاجيرين لمصاف الشخصيات الرئيسية ، جنبا الى جنب مع شريف والجندى وأحمد وصبرى ، تكون قد خطت خطوة واسعة للخروج من معضلة الواقعية بدفع رؤيتها من سم الابرة ، فالمحرك الاساسى لشخصيتى رجب وعطيه هو الرغبة البحتة فى الامتياز ، انهما لا يطالبان بحق الحياة وبالعدالة ، وانما بحق الظهور ، والعلاقة التى تربطهما بالمجموع ليست الاستغلال وانما المنافسة، فرجب « يريد أن يصبح نجما بأى ثمن ». **ان فرسان ضد مجهول يكافحون لا من أجل العدالة ، وانما من أجل المجد ، وارادة السيطرة هى المحرك الذى تدور حوله الحياة** ، وما ملعب كرة القدم الا الحياة ذاتها، «الحياة مركزة ومتطورة، التنافس مركز والتعاون كذلك ..والاثنان معا فى لعبة واحدة ، عبقرية الفرد فى المحاورة ، وعبقرية الجماعة فى تبادل الكرة ، التنافس والتعاون فى وقت واحد معا لاول مرة » .

وتتأكد رؤية ضد مجهول اخيرا فى موقف رجب الذى ضحى بنفسه فى سبيل الزهايرة ، رجب الاجير الحالم بالمجد ، وهو حين يتقبل صنوف العذاب بقسم الشرطة ، يتحمله مستبشرا بسمعة طيبة بين الاهالى ، وأصابع الجميع كما يتوقع تشير اليه : هذا رجب البطل الذى تحمل الكثير من أجل الزهايرة .. ابو زيد الهلالى آخر ، يتسلل الى القلوب . ولم يكن رجب يطمع فى أكثر من هذا .

[●]

٣ ــ حب تحت الحراسة : أسماعيل ولى الدين .

يبدو ان الناقد المعاصر اصبح يتحرج من التعرض للغة ، رغم أهميتها ، وبالرغم من احساسه بهذه الاهمية ، وربما كان محقا فاللغة كشرط من شروط الكتابة الجوهرية ، هى من المسلمات التى يفترض فى الكاتب الالمام بها . فتجارب الكاتب مع الكتابة ، تمثل مرحلة التكوين التى تتم فى غيبة القارىء ، وبعيدا عن أجهزة النشر ، وهى مرحلة لا تضاف للعمر الادبى حتى تصل هذه التجارب الى الحد الذى يتسق عنده التعبير باللفظ والكلمة، كدلالة وكرمز عن المعنى، فهذه المحاولات بطبيعتها كأشهر الحمل لا تضاف الى عمر الانسان ، فاذا كان حرج الناقد راجعا الى هذا الافتراض ، واذا كان مستساغا ومنطقيا وطبيعيا مع أى من الادباء فهو غير جائز مع كاتب كاسماعيل ولى الدين لم يوفق الى الان رغم تجاربه العديدة ، للتوصل الى هذا الحد الادنى لاتساق اللفظ مع المعنى ..

بل .. ويبدو أن اسماعيل ولى الدين ليس هو الطائر الوحيد بالعش الذى لا يبيض ذهبا .. والذى لايجيد التغريد.. فيوسف القعيد يتشابه الى حد ما مع ولى الدين فى التجنى باللفظ على المعنى .. وتكفى جملة « يكتبون الشكاوى فى السر لاولياء الله .. » للدلالة على هذا التشابه ..

واقل ما تحدثه قراءة اسماعيل ولى الدين ، استفزاز غيرة القارىء على لغته ، التى لا هم للكاتب الا اهانتها ، والحط من شأنها ، والتجنى على أساليبها، « فلغتنا الجميلة » يقبحها افتقار الكاتب لمفرداتها ، وضحالة ما يسعفه به قاموسه اللغوى المحدود من مفردات ، وكفى بفحص الفصل الاول من حب تحت الحراسة [٤] دليلا ، فمن بين الف كلمة تشكل مجموع كلمات هذا الفصل ، وتقيم صرح ما يناهز المائة والخمسين جملة بقليل ، تختل وظيفة ما يقرب من ثلثيها ، ليحصى المتمعن ما يبلغ السبعمائة كلمة فى غير محلها الصحيح ، المناسب لاداء المعنى ، ويؤكد احصاء أفعال الثلاثة فصول الاولى من « **طائر اسمه الحب** » [٥] ــ الفا كلمة تقريبا ــ أن عدد الافعال المستخدمة تتعدى الاربعمائة فعل على نحو التقريب ، فاذا استبعدنا عامل تكرار هذه الافعال فى الاستخدام ، بلغت المائة والخمسين فعلا ، بالنظر الى استخدامها بصورتها المجردة، وبالتجاوز من كل ما يشتق منها من مصادر وأسماء!

ويتميز أسلوب اسماعيل ولى الدين بعدم تأديته للمعنى التام ، المستشف ــ باجهاد الذهن ــ من السياق ، ويضرب الاخماس بالاسداس ، لتخمين المقصود ، واستخلاصه من بين براثن الركاكة ، فالالفاظ واردة اما بالزيادة، واما بالنقص، مستخدمة فى غير محلها ، بحيث تنحرف بالمعنى للنقيض أوتحمل المعنى مالايطيق، أو ترمز لبعض المعنى دون البعض ، وهى عموما تفتقر لدقة الكاتب المتمكن من لغته، المطلع على أبسط صور استخدامها، وتوضح النظرة غير المتانية للفصل الاول من « حب تحت الحراسة » مايلى :

١ ــ « حتى خاله الذى جاء من الصعيد، نام ولم يحاول الاب ان يعزم عليه بالبقاء حتى الصباح سلم عليه وقبله قبلة طويلة» صفة طويلة صفة زائدة ، **الا اذا كانت** واردة لتبين شذوذ الاب أو انحراف الخال !

٢ ــ « والبعض الاخر يبدو على وجوههم التهكم والفرح **الداخلى**» ان صفة الداخلى غير دقيقة فالفرح اصبح فرحا جليا ، غير متستر حياء أو خجلا ، اما التهكم فالمقصود به الشماتة لا السخرية .

٣ ــ « لم يستطع الرجل تناول افطاره، أصابه الذهول ، عيناه **دخلت قليلا** » واسناد دخلت العينين تعبير شىء ضل الفعل المناسب ، فحط من الصورة ، وأضاع المعنى ، وبدد مشاعر التأسى للمصاب » .

٤ ــ « وجدها فرصة ان يتكلم فى التليفون مع شقيقته **التى تعيش بعيدا** عنهم » المعنى المراد انها لا تقيم معهم ، اما استخدام جملة تعيش بعيدا عنهم فلا تؤدى المعنى نفسه ، وتوحى بمعنى مختلف سبق للكاتب نفيه « انها تسكن قريبة منهم » واحدى الجملتين لا ضرورة لها للسرد الروائى ، كما أن الجملة الاخيرة أيضا يعتورها التحريف ، فقريبة حال للفاعل الساقط من صورة اللفظ ، والمقدر بالضمير الغائب : هى ، أليس من الانسب اذا كنا بصدد تحديد مكان الفعل تسكن استخدام ظرف الزمان [قريبا] أو الجار والمجرور بالقرب .

٥ ــ « وعندما دخل سامى على أبيه الذى كان يحبه بجنون وجده منكفئا على وجهه ، وعندما رأى سامى **عدل وجهه**

وداري عينيه بنظارته السوداء» استخدام الفعل المضارع أغلب الاحيان بالرواية ، يجعل كان فى غير محلها ، فسامى لم يتوقف عن حب والده ، كما أن الفعل هدل ترك الاب منكفئا على حاله قبل دخول سامى ، وفات الكاتب أن الانكفاء غير طأطأة الرأس .

٦ ــ « عندما جاء العصر اذدحم البيت بالناس ، أصدقاء والده المقربون والشامتون، الاقارب المحبون والساخرون، واضطر ان يدارى نفسه ، لبس وتأنق ونزل ليجلس معهم ، كان شيئا مزدحما ممتلئا » أعوزت الكاتب الصفات الدقيقة للتمييز بين الطوائف المختلفة والمتباينة، فالاولى بالصفات للتمييز التناقض حتى تتضح الصورة ، واضطر أن يدارى نفسه جملة تنازل الكاتب عن معناها فورا ، الا باعتبارها استعارة غير موفقة من اللغة الدارجة وهو الارجح ، تأنق وهبط الى « الدور الاول » من الفيلا « المكونة من طابقين » ، فبوغت ، كان شيئا مزدحما ممتلئا ، أما الشىء فلا علم لاحد به على وجه الضبط ، والاغلب انه البيت ، أو مكان استقبال الزائرين ، فاذا كان البيت فهو تعبير غير دقيق ، فلم يمتلىء البيت ، واذا كان مكان الاستقبال فهى اشارة فى غير محلها فالمشار اليه غير مذكور ، واذا انصرفت صفة الاذدحام لتوضيح الاكتظاظ الافقى ، فلا شك أن ممتلئا لبيان الامتلاء الرأسى ، واذا كان الكاتب لا يرمى هذا المرام المضحك ، فأى النعتين لا ضرورة له !

٧ ــ « وبعد قليل يدق الضحك والكلام» هل المقصود أن الكلام دق أى أصبح دقيقا عسيرا على الافهام ، فان صح المعنى فهل دق الضحك وصعب استيعابه، أم المقصود بيدق يسحق او يطحن ، أم أن المطلوب استخلاص صوت الدق وضجته لتصوير ضجة القهقهة وارتفاع صوت الثرثرة !

٨ ــ « يجامل الموجودين ، يتكلم كلمات مقتضبة ، لا يبدأ الحديث ولكن يرد على مايوجهونه له » لا داعى لجملة يتكلم كلمات مقتضبة ، لمكانها الطبيعى بعد الاستدراك بلكن ، يرد على ما يوجهونه له بكلمات مقتضبة ، كما يمكن التعبير على نحو آخر : يتكلم كلمات مقتضبة مجيبا على ... دون حاجة للاستدراك ، وعلى أن نحو يذكر هذا الاقتضاب ، فهو يتناقض مع فعل المجاملة ، الموحى بتصنع التودد ، وافتعال البشاشة .

٩ ــ « حاول سامى أن يدخل فى الموضوع ، الخبر الذى نزل اليوم فى الجرائد » ان ال التعريف بكلمة الموضوع تضر المعنى وتشوه التعبير ، فالاقوم « موضوع الخبر » الا اذا أريد بها المحافظة على مقتضيات التعبير الساقط المبتذل ، والمعنى السقيم ، والانشاء المشوه ، كما يؤكد الفعلان يدخل ونزل.

١٠ ــ « كان البيت كأنه فى يوم عيد، حتى العيد لايكون بهذا الازدحام ، الانوار كلها مضاءة على الاخر ، لايعلم الا الله كم يصرفون اليوم فقط على النور والاكل والشاى والسجائر والضحك والكلام » المقصود انه : حتى فى العيد لايكون البيت بهذا الازدحام . وعلى الاخر الملحقة بالانوار لاضرورة تقتضيها والا فما معنى الانوار كل مضاءة على الاخر ، اللهم الا اذا كانت اللمبات غازية ، كما انه من المعتقد ان الله جلت قدرته يستطيع ان يقدر كم سينفقون من جيوبهم على الضحك والكلام !

١١ ــ « وبعدها رفضت ان تعود لتعيش معهم ، رفضت ان تترك بيتها وابنتها الصغيرة التى انجبتها خلال شهور الزواج القليلة » نطيش سهام الكاتب عن الهدف ، فلا احد يتوقع من الام حين تعود لصوابها وتعود لمنزل اسرتها ، ان تترك ابنتها كأنها جزء من جدران منزل السوء ، أو باب من ابوابه، فواو العطف التى يوردها الكاتب غافلا عن معناها تخضع الابنة لحكم فعل التحرك مع البيت ، فاذا قيل ان العطف يمتنع لمانع معنوى ، وباعتبار الابنة مفعولا معه ، البس القياس هنا واجبا ، مع ماسبق بيانه فى كم يصرفون اليوم على النور .... والضحك والكلام .. وهى جملة لاتحتمل تأويلا بالمفعول معه .

١٢ ــ « طلب قهوة وشرب سيجارة مع ابنه » لنتغاضى عن شرب وان كان غير ملائم ، فشرب سيجارة [واحدة] مع ابنه ، المشاركة فى « تخميس » سيجارة غير جائز ادبيا او ماديا بين الاب والابن، فالابن قد تجاسر بالتدخين امام والده فى موقف يلى هذا الموقف زمنا مقدم عليه فى السرد ، وبغض النظر من سيجارة واحدة ، فالتدخين امام دمع الاب لايقتضى فيما بعد من سامى ان يتجاسر عليه ويغامر به . ان اى الجملتين لاتتفق والمعنى ، اذا كان هناك معنى !

ولم يكن ما مضى غير نماذج لما جاء فى فصل واحد ــ لننظر الى الرواية نفسها :

لايتمتع اسماعيل ولى الدين بمخيلة الروائى ، التى تتحكم فى اتساق الأحداث، مهما تباينت المواقف، وتعددت الشخصيات، وتمادى طول الرواية ، كما انه يفتقر الى ذاكرة الروائى ، وترويه وتأنيه ، فالحدث يفلت منه وتتعثر خيوطه متناقضة مختلة، ويتضارب السرد ، يخبرنا الكاتب فى الصفحة الثامنة « حب تحت الحراسة » بأن سامى « لم يذهب .... الى العمل اليوم ، اضطر ان يبقى فى البيت ، يقابل الناس ، يرد على التليفون » ، ولكن ، ما اسرع ما تخونه الذاكرة فيدلى مباشرة على الصفحة التاسعة : ان منيرة فى نفس اليوم ، وبسبب احداثه اتصلت بابنها « سامى فى عمله » ليعود ، ويفاجأ بعودته بالنبأ غير السار .

وليس كاسماعيل ولى الدين كاتبا يجنى على اشخاصه ، ويهدمها ، ويبدد سماتها ، ان تبلد المشاعر الذى يبدو كصفة رئيسية لهذه الشخصيات ، لاترجع لنبائها الفنى ، لبنة من لبنات البناء ، ولانها فارغة ومخوخة حقا ، وانما تعود هذه الصفة غالبا لضحالة قدرة التعبير ، وقصور باع الكاتب عن تصوير الجوانب المختلفة ، التى تبرز خبايا واسرار شخصياته ، وتفضح مكنوناتها . الى جانب افتقار الكاتب لفهم الكائن الانسانى، الثرى الوجدان ، العميق المشاعر ، ان ميزة اسماعيل ولى الدين هى الملكة الخاصة بتصنيف فصائل الكلاب ، وانواع رابطات العنق ، والفروق الدقيقة بين روائح الخمور ، ومذاقها ، واسمائها ، والبلاد التى قامت بتقطيرها ، وكذا الطرز المعمارية واشكال الاعمدة « واهميتها » وبقدر ما تتوفر له هذه المعرفة البراقة بقدر ما تعوزه القدرة على تصنيف الذوات الانسانية ، وتبين الفروق الجوهرية الدقيقة غاية الدقة بين احداها والاخرى

ان المحرك الاساسى فى سلوك هذه الشخصيات هو مجموع الدوافع الغريزية الاولية، انها كائنات حشرية لاترقى لصاف الانسانية ، فسامى المحب لوالده بجنون، يفكر عقب موته ملولا بسرادق التعزية « لماذا لايتركه هؤلاء الناس يحزن لوحده، انه والده هو فقط ، وليس والد احد غيره ، كأنما ادعى كائن ملكية ابيه او جثمانه ، وسوى هذه الافكار البليدة، المنبعثة عن دوافع التملك ، لاتراوده سبحات او حسرات ، واذا تعرض الكاتب لامتناع عبد الحميد صبره عن تمليك بعض ثروته لابنائه ، برر هذا بالخوف الغريزى « كان يخافهم » !؟ . وحين يضيف الى الدوافع الاولية اسبابا اخرى ، يسقط للابتذال والسوقية ، مستعيرا هذه المبررات من خارج مكونات الشخصية ، وبما يختلف مع منطقها ونظرتها للامور ، يرفض بشدة ان يرثوه

وان يشتركوا معه فى ماله وهو حى» ، ولا يقل الاب فى « طائر اسمه الحب » اختلالا وابتذالا عن الاب فى حب تحت الحراسة ، فهو يرفض زواج انهار [ابنته] من يسرى بحجة « هل تتزوج ابن رجل معروف بسيرته البطالة وسط الشارع الضيق ، رجل اثتله اليأس والمرض بعد رحلة لهو ومتعة ، وعشق للمخدر والشم » .

ويحاصر افلاس الكاتب الشخصيات ويخنقها ، ويمنعها من الانطلاق للتعبير عن احاسيسها وافكارها ، فلا تستطيع الا التعبير المشوه عن غرائزها ، ونادرة هى اللحظات التى تلفت مظاهر الحياة والطبيعة نظرها واهتمامها ، فكما لم يستطع سامى ان يعمق لحظة التأمل فى « الحياة والموت » مثريا الحياة الادبية والفكرية بتأملات مبدعة ، لم يكن بمقدور باقى الشخصيات تذوق أى من المظاهر البسيطة للعالم . فمشهد النيل لايستغرق من ملك غير لمحة ساذجة ، « النيل **جميل** ، مراكب التجديف الخشبية التحينة تجرى فى سباق **حلو** ، من بعيد برج القاهرة يقف فى صراع مخيف مع السماء **يقطع المنظر** الى نصفين » ، ويساهم افتقاد الاسلوب للدقة فى اغراق العالم الروائى كما لو كان رؤيا طفل ساذج ، للنيل الجميل وللسباق الحلو .. ، الى جانب الاعتماد على الدوافع الاولية كالخوف المجرد ، والرغبة المطلقة ، والحزن المبهم ، فى تبرير الاحداث واندفاع الشخصيات .

لاينضج الروائى الا باستقلال شخصياته ، بخلق الشخصية التى تجابه سيطرته بقوتها ، لتختلف عنه ، وتتحرر من احكامه ، ان شخصية كأحمد عبدالجواد ، تختلف بأفكارها واخلاقها ومشاعرها وسلوكها عن **نجيب محفوظ** ، انها حاضرة بذاتها ، متفردة بمعالمها ، متكاملة بمكوناتها ، ومثل هذه الشخصيات تنطلق كالمارد من قمقم الاديب ، ومن واسع خبرته بالحياة والانسان ، لتشق عصا الطاعة ، مسخرة الاديب بطاقاته الابداعية لخدمتها ، ولاتصادفنا مثل هذه الشخصيات ، ويمثل هذا التكامل فى روايات اسماعيل ولى الدين القصيرة ، رغم قلة عددها وانماطها المحدودة ، وقد لايكون من الانصاف ان نطلب من الروائى مضارعة عظمة **تولستوى** الذى اطلق بتمكن نحو المائة والخمسين شخصية فى عالم « **الحرب والسلام** » دون أن يهن او يختل ، ولكن ما لايغتفر للروائى ، وما لايغتفره شخصياته له ان يخلقها مسخا مشوها ، بغير رأس وبدون أطراف ، ثم يفرغها من القيم ، ويبعثها للحياة نافخا فيها من روح فتين ، ولا يسلم القليل الذى يعطيه من ملامحها من التناقض ، فمنيرة الام ، الصامتة دوما .. لا تبالى بمرض زوجها عبد الحميد صبره ، فكأنه لا يعنيها ، ان قليلا او كثيرا ، الا انها تنهار فجأة بموته ، ويشطرها الشلل نصفين ، من شدة الاسى والحزن ؟ ! ، ورامى لاعب كرة القدم ، عشيق الابنة ، ثور صامت ، حيوان حقيقى ، وبتعبير الكاتب : « عندما يفتح فمه بالحديث ، يصبح **صفرا** ، **لايفهم فى شىء** ، **لايثيره شىء** » لايمت للانسانية بصلة ، لايستغرق بين اللحظة التى يقابل فيها ملك ، ولحظة صرعها ارضا وامتطائها دقائق ، لقد ضخم اسماعيل ولى الدين من حيوانيته كالعادة فافتقد الرونق الانسانى ، ومثله فى ذلك مثل يسرى « طائر اسمه الحب » الطالب الجامعى الشبق ، العنيف الشهوة ، تشبه علاقته بأنهار علاقة رامى بملك » ، ثم لاشىء يضاف ، اما ادهم الدبلوماسى فيذكر سامى انه قد شوهد وهو طالب جامعى « فى وضع غريب مع صديق يكبره » يتحدث عنه زملاؤه فى غيابه « يتغامزون بتجربتهم معه » وادهم مرة اخرى « يتكلم بصوت متزن عميق ... رجل فى تصرفاته ، فى كلماته ، فى علاقته مع العالم حوله » ، اى الادهمين نصدق ، وكلا الصورتين بلا تبرير ؟

بين ملك المنتمية الى الطبقة العليا ، وبين انهار التى تمتد جذورها الى ادنى شرائح البورجوازية ، يسقط اى احتمال قد يطرأ على بال بان ايا منهما تمثل النموذج الذى يحتوى الطبقة ، ويعبر عن واقعها ، ويشكو همومها ، ويعلن عن تطلعاتها ، فشخصيتا ملك وانهار تعرضان نفس المباذل ، الخيانة الزوجية ، والتحلل الخلقى ، فالدوافع التى تحرك كلا منهما هى الدوافع الغريزية ، انهما اشبه بلقاعتين على سطح الحياة الاجتماعية ، لاتخضعان للتيارات الداخلية وللصراع الطبقى الدائر بين هذه التيارات ، كما انهما ليستا موقفا اجتماعيا مع او ضد ، وان كانتا قد عرضتا كطبيعة انسانية تدينها حشريتها ودناءتها ، فالعالم دنىء بطبعه ، يرجع تشوهه لتشوه الطبيعة الانسانية لاغير ، **ان صرح شخصيات اسماعيل ولى الدين صرح منهار ، فكما يغيب الجانب النفسى ، يغيب الجانب الاجتماعى ، وتقف الشخصية فى العالم الروائى على اطراف اصابع قدم واحدة** ، واى منها لاترقى لتمثل نمطا ، او نموذجا ما ، وحين يحتل وعى الكاتب احدى الشخصيات ــ كملك او انهار ــ لاينهض بالشخصية هذا الاحتلال ، فتظل متبلدة ، مقصرة فى عكس تشوقات الكاتب واحلامه وتطلعاته وآرائه ومواقفه ، كما انها لاتخفف من نزقها وفجورها وتندفع لنهاية الشوط المسف ، عارضة موضوع الكاتب الاثير « اجسام الرجال الرياضية التى لايسترها سوى قطعة صغيرة من مايوه » ، وتهب ملك ترضية لنزعات غريبة « كانت تحبه اكثر وصدره بالفانلة الملونة ، وفخذاه تظهران من الشورت الابيض ، الشعر يملؤهما بعنف » و « تلعب بشفتيها فى شعر يده ، ... ، تشد بأسنانها شعر صدره ... تذوب ... وتمد يدها وتسقط ببطء قميصه الليّنوه المفتوح ، ليظهر صدره بوضوح » وتواصل انهار الاحلام « انفرج على ملابسه الداخلية ، على اجزاء جسمه ، كما كنت أفعل فى الزمن الماضى » .

وقد يخدعنا المهندس سامى بتعاطفه مع العمال ، الا ان سامى سرعان ماينزع ثوبه المزيف هذا ، ليتهجم على علاقة ملك بتوفيق ــ الموظف الصغير ــ فان كان قد رحب سكوتا وضمنا بعلاقة ملك بأدهم ، وهو المتأكد من شذوذه ، وبغير ادهم ، فلقد نبذ بقوة غير مبررة لنيسا علاقة ملك بتوفيق ، رغم تأثيره الحسن على تصرفاتها .

ان مايرضى سامى كما يبدو بوضوح ان تحترف ملك الدعارة تمشيا مع الرغبة المعتادة فى تدنيس كافة الشخصيات ، دون ضرورة فنية ، وهل كانت هناك ضرورة لتدنيس ام انهار اللاهية المتمتعة بشبابها ، او منيرة التى تساورها رغبات يلمح بها الكاتب ، تذروها رياح اللغو ؟ ، ويمكن الصاق تهمة الاجتماعيسة عنوة بسامى ، باعتبار نبذه لتوفيق موقفا طبقيا ، تم على حساب شرفه الخاص ، بقبول تهتك ملك مع ادهم المنتمى للطبقة العليا ، ولكن هذا يتطلب النظر الى موقفه من العمال طبقيا ايضا ، باعتباره من مثقفى الطبقة المناهضين لقيمها .

ان هواجس فالركاكة عصفت بزوارق الشخصيات فى يم الدوافع الطبقية ، فلم ترس على بر الواقعية [ ]

رضا الطويل

---

١ ــ الجديد ــ د. رشاد رشدى ــ مايجب ان يقال فى اليمين واليسار العدد ٦٥ .

٢ ــ روايات الهلال العدد ٣١١ نوفمبر ١٩٧٤

٣ ــ البيات الشتوى روايات الهلال العدد ٣٠٩ سبتمبر ٧٤

٤ ــ ضد مجهول روايات الهلال العدد ٣١٢ ديسمبر ٧٤

٥ ــ الكاتب يناير ١٩٧٥ العدد ١٦٦

هذا غذاء حقيقى لأطفالنا

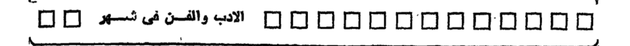
الشىء الذى لاشك فيه أن المكتبة العربية تعانى نقصا واضحا فى كتب الاطفال ، ولعلنا لا نعرف جهدا له قيمته فى هذا السبيل سوى ما قدمه الرائد كامل كيلانى ، من بعده تضاءل الاهتمام بهذا اللون من ألوان الكتابة ، حتى أصبح الاب يقع فى حيرة حقيقية اذا أراد أن ينتقى لطفله ما يمكن أن يمتعه ويسليه ، ويغرس فى وجدانه قيمة مضيئة أو فكرة ذات معنى ، وزاد الامر سوءا تلك المسلسلات الرخيصة التى لا تهتم بغير قصص الجواسيس والمغامرات البوليسية القائمة على العنف والجريمة .

من هنا تنبع أهمية ما تقدمه هذه الدار الجديدة « **دار الفتى العربى** » فى بيروت . ومجموعة الاعمال التى قدمتها — حتى الان — تشمل عدة سلاسل : فهناك سلسلة « **حكايا من الوطن** » التى يقدمها القاص والكاتب الفلسطينى **زين العابدين الحسينى** . معتمدا فيها على معلومات حقيقية من مسيرة الثورة الفلسطينية وتضحيات الفدائيين والفلسطينيين البسطاء الذين يحتضنونهم ويقدمون لهم الرعاية والعناية ، وسلسلة « **من حكايا الشعوب** » التى تتخذ من فولكلور مختلف الشعوب قصصا بسيطة تعيد صياغتها كى تقدم لقارئها تدعيما لقيم الايمان بالخير والتضحية من أجل الغير ، ونبذ الانانية والانتهازية ، وفى سلسلة « **الافق الجديد** » تقدم الدار قصصا خيالية تستثير خيال الاطفال وترسخ لديهم الايمان بقيم العدل والحرية ، من بين أعداد هذه السلسلة قصة كتبها ورسمها المناضل الفلسطينى الشهيد **غسان كنفانى** وأهداها الى ابنة أخته « لميس » التى ارتبطت به حياة وموتا .

ويسهم فى كتابة هذه الاعمال عدد من كتاب الوطن العربى ، ابرزهم القاص السورى **زكريا تامر** ، ان الخيال الجرىء والمتطلق لهذا القاص قد روض حتى يلائم خيال الاطفال ، فى صياغة بسيطة وواضحة ، أبطاله هم أنفسهم : ظواهر الطبيعة والحيوانات والنبات .. والاعمال التى يقدمها زكريا من أفضل هذه المجموعة على الاطلاق .

وبالاضافة لمضمون هذه القصص لابد من الاشارة لاخراجها الانيق ، وطباعتها الملونة التى تشيع البهجة وتدفع بالاطفال الى انطلاق الخيال ، وقد أسهم فى رسم الاعمال واخراجها عدد من أبرز رسامى الوطن العربى . من بينهم محيى اللباد وحلمى التونى وحجازى وبهجت ونبيل تاج ونذير بنعة ونبيل أبو حمد ومنى سعودى ونوال عبود وغيرهم .

ان هذه الاعمال زاد حقيقى ومشبع لاطفالنا ، وما أجدر كتاب وفنانى العالم العربى بالالتفاف حولها ودعمها ... فأشياء كثيرة تبدأ من هذا الطريق . ■



الحلم والواقع

فى « عصافير » ياسين رفاعية

فى مقدمة « عصافيره » يقول الفنان ياسين رفاعية :

« لقد تبعثرت حياتى طويلا، هنا وهناك . فى الوطن وفى الغربة . عشت مع أناس من مختلف الطبقات ، ومن مختلف المستويات الخلقية والثقافية ، من الذين لم يتخلوا عن طبقتهم، ومن الذين خانوا طبقتهم ،من الذين ادعوا ما ليس فيهم ، ومن الذين كانوا يحيون بألف لون وألف وجه . وكانت مصيبتى اننى كنت أراقب باهتمام كل ما يجرى حولى . وكانت حاسة بصرى وبصيرتى حادة . ولم أجد بعد هذا كله ابسط من حياة هؤلاء الناس البسطاء ، المغمورين ، المقهورين ، الذين يعانون بكل ما فى المعاناة من مدى وعمق ».

بهذه الكلمات يحدد الفنان الارض التى يحرثها ، والمدى الذى يعمل فيه قلمه، من واقع البسطاء ، ومن ارق المشاعر الانسانية وانبلها ، يستمد مادته . عالمه عالم البسطاء فى حياتهم اليومية بكل ما فيها من معاناة ، وكل ما فيها من احلام . وليست هناك فى هذه المجموعة قصة واحدة لا تنطلق من الشخصيات من معاناة الواقع الى ابعد مدى لدائرة احلامها الرحيبة . فكل شخصيات قصصه تنطلق من ارض تجربتها اليومية ، باحثة بكل قدرتها على الحلم والخيال عن شىء ، لكى تعود من ضنى البحث برؤيا أعمق ، وبوعى انبل بالحياة . وقد لا تعود وتمضى الى الموت ولكن بعد ان تنفذ ببصيرتها الى ادراك ما . المهم انها جميعا تحقق الالتحام بين الواقع والحلم .

ولناخذ مثلا قصة « نجمة الصباح » .

ينسج الكاتب خيوط هذه القصة من الحياة اليومية لطفل فقد اباه وكل ما يدريه عنه انه سافر بعيدا ، ولام تكافح فى سبيل لقمة العيش . الام والطفل يعيشان حياتهما اليومية بكل ما فيها من اعداد طعام وأكل وشرب ومذاكرة وتنظيف صحون ومشاهدة تليفزيون . لكن الفنان يجدل مفردات الحياة اليومية البسيطة كل ما يعتمل فيهما من اشجان وحنين . الام تعيش أحزانها واحلامها التى تنسجها لولدها بكل طاقتها على الحب والحنان والابن يعيش احلامه بعودة الاب والدفء . واحلامه البسيطة تتركز حول دراجة يود لو ان اباه كان معه ليشتريها له. فى ذهنه ترتبط الدراجة بالقطار الذى قالت امه ان اباه سافر فيه ، بالطائرة. كلها اشياء ترتبط بالسفر . وهو يكره القطار لان القطار الذى حمل اباه لم يعد به . لكنه يحب الطائرة ، فالسفر بالطائرة اسرع . منطق طفل بسيط ، لكنه يكشف عن اعماق تتأجج بالمشاعر الانسانية الدافئة وبالرؤى الخبيئة من الواقع ومن الحلم ينسج الفنان خيوط البداية .

ويتدرج نمو هذين الخطين حين يسأل الابن أمه :

« — الى اين سافر ؟

— سافر الى نجمة مضيئة فى السماء.

— وهل هناك قطارات تسافر الى النجوم ؟

— ثمة قطارات .

— وهل يسافر الناس الى النجوم؟

— يسافرون عندما يملون الدنيا .

— لكن السماء ملأى بالنجوم .

— كل نجمة سافر اليها انسان ما »

— وكيف اعرف النجمة التى سافر اليها أبى ؟

— عندما يجىء منتصف الليل ،سيكون هناك فى السماء نجمة مضيئة اكثر من كل النجوم . اليها سافر أبوك .

من هذا الموقف المتناهى فى بساطته، وفى عمق المشاعر الانسانية التى يكشف عنها ، يلتهب خيال الطفل مرة اخرى، ان خياله هنا لا يقف عند الدراجة والطائرة بل يشق الكون منطلقا نحو النجوم بحثا عن نجمة مضيئة . وتثير النجمة فيه الامان والوعد والامل والفرحة ويكتسب الحلم ابعادا اكبر ، حين يجنح به الخيال الى الامل فى الوصول الى النجم يوما ليعود الى أمه بأبيه. لقد تساقط الحزن القديم . تساقط الشجن القديم ، ليصل الطفل الى ذروة البهجة والنشوة .

ثم تأتى النهاية المفجعة . فالنجمة

تشتعل وتهوى . ومن خلال تجربته يصل الطفل الى ما يشبه الادراك . ان اكثر الاحلام عذوبة وصفاء يغتالها الواقع . تقول كلمات القصة انه « لم يعد يرسم طائرات تطير . ولم يعد يحب الليل والنجوم » . الطفل هنا يصل من تجربته هذه الى معنى عميق في الحياة ، ان يعيش بلا احلام ، يصل الى وعي انبل في مواجهة الواقع .

ولعل فكرة ان نعيش بلا احلام في مواجهة واقع شرس لهي احدى الافكار الرئيسية التي تلح على كل قصصه تقريبا منذ كتب قصة «بلا احلام» في مجموعة « العالم يغرق » التي صدرت عام ١٩٦٣ . هذه الاحلام عنده ، رغم بساطتها الظاهرية الخادعة ، تدور حول اشياء جوهرية واولية . فهي تتعلق بشيئين اساسيين في حياة الانسان ، برغيف الخبز ، وبالحب والخصب . لكنها دائما تنبع من الواقع وتصطدم به. اطفال «**رباعية الجوع**» يحلمون بالرغيف حتى اذا ما حصلوا عليه طاردهم اللصوص وكلاب الحراسة معا . وشخصيات «**الولد**» و « **زهرة البنفسج** » تحلم بالخصب والنماء ولا تجد في حياتها سوى الجدب . احلام تصنعها يد الحقيقة الباردة القاسية . وهي لذلك احلام غير مشروعة . فلا يمكن ان يواجه الانسان الخشونة والسوقية بالعذوبة والصفاء . الاحلام عندئذ تصبح نوعا من التقوقع داخل الذات ، والاختباء من الواقع ، تصبح حالة هروب تنتفي فيها قدرات الانسان الكامنة ، كما في قصة « **رجل يحلم** » . فالرجل يحلم مختبئا داخل ذاته ، ولا يلقى الا الموت . فغلظة الحياة تتطلب ان يشحذ الانسان كل اسلحته ، كل امكانياته المجردة والمحسوسة لكي يواجه الحياة . هكذا تقول قصة « **الله والسمكة** » . وهكذا تقول قصة « **الحصاة** » . اطفال « السمكة » يدركون ، بعد ان يسلبهم اللصوص سمكتهم التي جاد عليهم البحر بها ، ان لابد من سكين . وفي قصة « الحصاة » يصطنع انطون الدجل في لحظة مزاح مستهترة ، موهم صديقه انه قادر ان يعيد اليه حبيبته من طريق تحضير الارواح ، لكنه يدرك في النهاية ان المعجزة تتم لان صديقه استنجد بتلك القوة العظيمة الكامنة في الكون وفي نفسه . انه يدرك ان اوهامه التي حاول ان ينسجها حول صديقه كان لا يمكن ان تؤدي الا الى مأساة ، لو لم يستنفر الصديق في نفسه كل قدرات الانسان الكامنة .

هكذا ينتصر ياسين رفاعية في كل قصصه لارادة الانسان والحياة ، هذه هي الرسالة الايجابية التي نحملها كل قصصه .

هذه هي الرؤيا التي تملا عيني الفنان في هذه المجموعة : الانتصار من خلال كل المعاناة للحياة ولارادة الحياة . ومجرد نظرة على ادواته من صور فنية كافية لان تلقي بعض الضوء على رؤيته الشفافة للكون والحياة ، وعلى الرقة والعذوبة اللتين تتمتع بهما حساسيته المرهفة . فالصور التي تنبثق من خياله هي صور للجدار والصقيع والثلج ، للطاولة والصحون ، والساعة والجريدة ، للشوارع والسيارات والمهنة القذرة ، مثلما هي صور للاكواخ والقصور وعلب الليل .

لكنها ايضا صور للشذى والشمس الدافئة والطيور التي تهاجر الى بيتها . هي صور السهول والوديان والزرع ونجمة الليل ونجمة الصبح والسماء ، وارض البشر والزهر والورد الابيض والربيع . صور للنهر والبحر والموج والرمل والسمك والطيور واشجار الزيتون والندى والمطر والبستان والحقل . كلها صور تشير الى بصمة الطبيعة على حساسية الفنان وهيامه بكل ما ينبض بالحياة . وهي حساسية تجمع بين عذوبة الرقة وعمق التجربة .

واذا كانت الصورة الفنية تظل مجرد صورة حتى تكتسب معنى ودلالة لكي تصبح رمزا ، فان هذا الحس ، وهذا الادراك المرهف ، يمكنان ياسين رفاعية من الارتفاع بالصورة الى مستوى الرمز . فالواقع المجدب عنده يعادله صورة بحر الثلج الذي يغطي على كل اشكال الحياة ، مثلما زهرة البنفسج رمز لكل الاحباطات التي يولدها العجز عن الوصول الى الخصب والنماء . وفي الجانب الاخر نجد البحر والسمكة والزيتونة رموزا لما في الطبيعة المعطاءة من خير للجميع ، والنجمة دلالة على اقصى ما يمكن ان يصل اليه الانسان باحلامه ، والحصاة رمزا للادراك الذي يشرق على عقل الانسان . وهكذا تصبح الرؤيا مرتبطة اوثق الارتباط بما يصدر عن خيال الفنان من صور حين يصور الواقع التعس ازاء انفساحة الحياة .

لقد قالوا عن تشيكوف يوما ان كتاباته نوع من الخيط الحريري الذي يخنق . لكننا نقول اليوم عن اديبنا العربي ان كتاباته نسيج من الحرير يبعث ملمسه في الانسان بهجة وتفاؤلا واملا في الحياة .

د. أمين العيوطي

اخبار

الزيني بركات ودولة البصاصين

رواية **جمال الغيطاني الجديدة** ، صدرت في دمشق ، يواصل فيها جمال استلهام مصر المملوكية ، ويرسم صورة العصر بما يحفل به من شخصيات أبرزها **الزيني بركات** محتسب القاهرة ، **وزكريا** قائد « البصاصين » فيها .

صدر لجمال من قبل مجموعتان قصصيتان : « **اوراق شاب عاش منذ الف عام** » ، « **ارض — ارض** » ورواية قصيرة بعنوان « **الزويل** » .

نجمة أغسطس الماضي والحاضر

وعن دمشق ايضا صدرت رواية « **نجمة اغسطس** » **للكاتب** صنع الله **ابراهيم** . تتابع الرواية مراحل العمل في بناء السد العالي ، وتعرض لنماذج من العاملين — مصريين وروس — في هذا الصرح الكبير ، ثم تمتد رحلة الراوي الى معابد « **أبي سنبل** » ليتابع عملية فكها ثم نقلها .

صدرت لصنع الله من قبل رواية بعنوان « **تلك الرائحة** » .

الجزء الرابع من ديوان الجواهري

وعن وزارة الاعلام العراقية صدر الجزء الرابع من المجموعة الكاملة للشاعر **محمد مهدي الجواهري** . من المفروض أن تكتمل المجموعة في ستة اجزاء .

كما أصدرت الوزارة مجموعة دراسات من الشعر العراقي المعاصر بعنوان « **ويكون التجاوز** » للكاتب **محمد الجزائري** .

بيروت ..
الأزقة والمطر

تحت هذا العنوان تقدم الكاتبة اللبنانية رفيف فتوح مجموعتها الجديدة

وتضم المجموعة تسع قصص ، تعبر فى معظمها عن هموم فتاة من هذا الجيل فى مدينة وثنية كبيروت ، وتعكس تمزقها بين وجهى المدينة : شارع الحمراء بأضوائه ومجوهراته وأمكنة اللهو الجميلة فيه ، وأوكاره المتنوعة وأقبية الضياع المختبئة فى أزقته من ناحية ، وبيروت الأزقة الموحلة التى يعيش فيها كادحون يجدون ـ بالكاد ـ قوت يومهم من الناحية الاخرى . وبين هذين الوجهين يكون السقوط : الحياتى والاخلاقى ، وتسلم الفتاة جسدها دون حب . لكن هذا السقوط ليس نهاية لشىء ، فمعظم هاته البطلات متمردات ، وحين تنهى دانية علاقتها برئيسها الذى اشترى جسدها بالمال والنفوذ تنطلق الى الطريق وهى تحس أنها ولدت من جديد .

فى قصص رفيف يتضح البعدان الاجتماعى والوطنى معا ، فى قصتها « العبور » تحس البطلة ـ حين يستعيد الانسان العربى تكامله على موسيقى الرصاص ـ أنها تمارس الحب للمرة الاولى : «يتدفق الخدر اللذيذ هادرا فى شراييني .. تنزلق ملابس قطعة قطعة .. صفارات الولادة .. أجراس تقرع وعيد ـ أنا وأنت ـ صوت واحد يبعث فى سنوات القحط والجفاف [بلادى .. بلادى] ـ أنا وأنت ـ نمارس الحب لاول مرة على تراب الارض التى سرقها القراصنة معاء لنحرر أنفسنا وعالمنا وأرضنا ..».

ورفيف تكتب قصصها بأسلوب سهل ومنطلق وبسيط ، وتفيد افادة واضحة من كتابة الريبورتاج الصحفى ، فتصل مباشرة الى ما تريد : الحياة الداخلية لبطلاتها والكشف عن تناقضاتها بين وجهى المدينة .




O



تعليق

على الطريق الصعب

جاليرى ٦٨ □ سنابل □ أقلام الصحوة

من مجموعة من الكتاب الشبان بالاسكندرية صدر فى أول فبراير العدد الاول من مجلة « اقلام الصحوة » :

وصدور مجلة عن غير اجهزة الدولة مغامرة محفوفة بالخطر ولكنها تبقى دائما مغامرة ضرورية . والتحدى هو أنتتحول المغامرة الى عمل عادى ولكن كيف ؟ ليست هذه تجربة جديدة فقبلها كانت تجربة « جاليرى ٦٨ » وكانت كالشهاب ضوءه يخطف البصر ، ولكنه سرعان ما يختفى ليس لطبيعة فيه ، بل لان الكواكب المعتمة حوله كثيرة . وبعدها كانت « سنابل » ورغم صدورها عن محافظة كفر الشيخ رسميا الا أن الكواكب تعودت دائما أن تمارس طبيعتها فى الازدحام حول كل ضوء جديد تاركة دائما المدارات التى تخنق هذا الضوء . وخلال تلك المسيرة وحتى الان يواصل كتاب المنصورة اصدار سلسلتهم « أدب الجماهير » فى حذر شديد حتى ليعتقد المرء ان شهابهم قد انكسف والان تحاول الاسكندرية حمل المشعل لتنير به الطريق الذى لا تلتفت اليه اجهزة الدولة الثقافية . ومهما كان الحكم على ما قدمته المجلة فى عددها الاول الا أن من الواجب الاشارة الى الاتى :

① صدور هذه المجلة يعنى مسئولية يتحملها هؤلاء الشباب . اما أن يجعلوا من الكلمة سلاحا واما تتحول المجلة الى كشكول يثير فرح المراهقين الذين يسجلون خواطرهم واعتقد انهم ـ قراءة لما قدموه فى هذا العدد ـ سيكافحون على الطريق الاول .

② صدور هذه المجلة يعنى أنه على كل الكتاب الشرفاء المساهمة الفعلية من اجل استمرارها وتجويدها . ليس بالكلمات الطيبة ولكن بالفعل الشجاع .

③ صدور هذه المجلة يضع اجهزة الدولة فى اختبار جديد وهى التى تستطيع ان تلعب دورا سريعا فى تدعيم هذه المجلة . والاختبار ليس فى التدعيم المالى فقط ـ وطرقه كثيرة اقلها الاعلانات ـ ولكن فى أن تترك المجلة كمنبر حر دون وصاية أو اغراء بالتخلى عن دوره لتؤكد فى ذلك قيمة الديمقراطية التى نسعى اليها فى حقلنا الثقافى .

④ ويبقى فى النهاية أن نقول ان موت هذه المجلة ـ مهما كان ما تقدمه ـ سيكون ادانة جديدة للاجهزة الثقافية وللمثقفين معنا . فلندعم أقلام الصحوة ومن يدرى قد تنجح هذه المرة فى المدينة العليلة .. الاسكندرية .

ابراهيم عبد المجيد

العـدد القـادم



أبـريـل ١٩٧٥

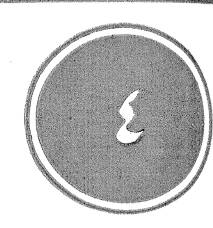
يكتب فيه

- د. محمـد شـعلان : مدرس الأمراض النفسية بطب القاهرة
- د. يحيى الرخـاوى : مدرس الأمراض النفسية بطب القاهرة
- د. فرج أحمـد فرج : أستاذ مساعد علم النفس بآداب عين شمس
- د. أحمـد العـريان : أسـتاذ مواد البناء بهندسـة القاهرة
- د. حسين كمال الدين : مدير البحـوث بشركة الورق الأهليـة
- د. مـراد وهبـة : أسـتاذ الفلسـفة بتربيـة عين شـمس

الثمن ١٠ قروش



السنة الحادية عشرة
ريل ١٩٧٥



الطليعة

طريق المناضلين الى الفكر الثورى المعاصر

عدد خا

.. وفشلت سياسة «الخطوة خطوة»

نقد للخطة والانفتاح الاقتصادى

جامعة للقادرين ماليا .. العاجزين علميا

من هم «الليبراليون» ؟

حوار اليسار مع توفيق الحكيم

التجربة فى ١٨ عاما

مستقبل ازمة الشرق الأوسط

ماذا تعنى التسوية ؟

أوراق كيسنجر فى الحوار العربى الامريكى (وثائق)

ملحق الفلسفة والعلم

لمرأة ..
ضية عام ٧٥

كلثوم ..
حقيقة
لاسطورة

ملحق الأدب والفن

الفهرس

العدد الرابع ـ السنة الحادية عشرة ـ ابريل ١٩٧٥



مجلة شهرية

تصدر أول كل شهر

رئيس التحرير :

لطفى الخولى

مدير التحرير :

ابو سيف يوسف

سكرتير التحرير :

مصطفى سامى

المحررون :

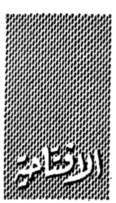
حسين شعلان
خيرى عزيز
د. رفعت السعيد
عبد المنعم الغزالى
فاروق عبد القادر
وديع امين

[■]

د. محمد الخفيف
شارك فى تاسيس الطليعة
واسرة تحريرها
يناير ١٩٦٥ ـ مارس ١٩٧٢

ان [الطليعة] ميدان مفتوح لكل رأى حر
وفى اعتقادنا أن تفاعل الآراء الحرة على
اختلافها هو وحده الذى يستطيع أن يبلور
ويستخلص وحدة فكرية أصيلة ».

من هـذا المفهوم تفتح [الطليعـة]
صفحاتها لكل رأى لديه كلمة يقولها ـ
مؤمنة بشعار الحرية المجيد الذى اطلقه
فولتير فى القرن الثامن عشر [قد أختلف
معك فى الرأى ولكنى على استعداد لان
ادفع حياتى ثمنا لحقك فى الدفاع عن
رأيك] »

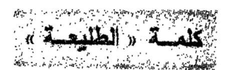


من أسرة تحرير «الطليعة» الى قراء المجلة وأصدقائها

كان من المفروض أن يكتب لطفى الخولى رئيس تحرير المجلة « كالعادة » المقال الافتتاحى لهذا العدد •

غير أن وعكة مفاجئة حالت بينه وبين أن يقوم بهذا العمل •

ولطفى الخولى اذ يعتذر لقراء « الطليعة » واصدقائها يرجو أن يلتقى بهم على صفحات المجلة فى عدد قادم •



.. وفشلت سياسة « الخطوة خطوة »

لم يكن فشل كيسنجر مجرد فشل فى انجاز عملية فك اشتباك ثان على جبهة المواجهة بين مصر واسرائيل فقط . بل كان فشل كيسنجر فى انجاز هذه « الخطوة الاولى » ، فشلا لدبلوماسية « الخطوة خطوة » عموما. ووصل الفشل الى حد انه لم يكن من الممكن تغطيته بصيغة دبلوماسية منمقة تقدم مباحثاته للراى العام على انها قد تعرضت لتعثرات تقتضى المزيد من التفكير والبحث ، وتقرر فى ضوء ذلك ارجاءها لحين التوصل الى صيغ بديله يتحقق بمقتضاها تذليل العقبات . بل ترددت الامور الى حد ان « اشهار الافلاس » لم يكن منه مفر .

ومع ذلك ، كان كيسنجر حريصا كل الحرص على انجاح مهمته .

لم يلتفت الى احداث كمبوديا التى وصلت الى حد خطير . واكد انه لن يغادر المنطقة مالم يصل الى اتفاق . وكاد اصراره يصل الى حد العناد . ولم يكن ذلك مصادفة .

والحق ان كيسنجر كان يجازف بأمور كثيرة عندما قرر الاقدام على هذه الخطوة ؟ والمجىء الى المنطقة لاختبار منهجه لعلاج الموقف فى التطبيق .. دبلوماسية « الخطوة خطوة » ...

كان النجاح يعنى دعما وتعزيزا للنفوذ الامريكى فى المنطقة . وبروز امريكا مرة اخرى باعتبارها وحدها الطرف الذى يملك مفاتيح التسوية ومفاتيح السلام .

وكان النجاح يعنى احكام سيطرة امريكا على مصائر «ازمة الشرق الاوسط» ومصائر « ازمة الطاقة » فى آن واحد . وسيطرة امريكا على هاتين « الازمتين » تحديدا — فى الملابسات الدولية الراهنة بالذات — تعنى استعادة امريكا هيبتها، فى وجه ازمات عاتية تعصف بالعالم الرأسمالى الآن .

وكان النجاح يعنى نجاحا لشخص كيسنجر ولدبلوماسيته فى وقت بدأت تتعرض لمآخذ وانتقادات ، داخل المؤسسات الامريكية ذاتها . واتسعت موجة النقد لتنال من صميم سلوكه فى حل اكثر من قضية دولية تخص امريكا مباشرة : من شيلى الى قبرص الى البرتغال الى فيتنام الى تعريضه التحالف الاطلنطى للاهتزاز ، الى مدى سلامة علاجه للنزاع العربى الاسرائيلى .

كان النجاح — فى كلمة مختصرة — يعنى نجاح منهج كيسنجر فى فرض حل امريكى لازمة الشرق الاوسط : اراد كيسنجر أن يحقق لامريكا — بمقتضاه — شوطا بعيدا نحو ارساء سيطرتها على المنطقة، لا بالمعادلة الاستعمارية التقليدية ، ولا بالمعادلة المطروحة فى « مبدأ ايزنهاور » بعد العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦ ، ولكن بمعادلة مستحدثة، تناسب مقتضيات « الانفراج الدولى ، وتحقق مصلحة امريكا فى سيطرتها على مصائر « ازمة الشرق الاوسط » ومصائر « ازمة الطاقة » فى آن واحد .

هذه المعادلة الكيسنجرية ربما لم تحظ بتأييد اجماعى داخل المؤسسات الامريكية ، وربما تعرضت لانتقادات اطراف مختلفة وقوية داخل الكونجرس : المجموعات الموالية بتزمت لاسرائيل من جانب ، والمجموعات المعادية للانفراج الدولى برياسة السناتور جاكسون من جانب آخر . وربما لم يعد بحظى كيسنجر بالمركز الذى حققه لنفسه فى ايام رياسة نيكسون ليفرض منطقه على نقاده وخصومه . بسبب الظروف التى تحيط بالرئيس الامريكى الجديد فورد . وبسبب اقتراب موعد انتخابات الرياسة الامريكية فى العام القادم . ولكن هذا كله لا يسقط عن منهج كيسنجر وجاهته دفاعا عن مصالح الامبريالية الامريكية فى ثوبها المعاصر . بل كان ذلك كله مما دفع كيسنجر الى تكثيف جهوده ، وبلوغها حد العناد ، لاحراز أى قدر من النجاح .

ومهما اختلفت البواعث والدوافع ، فان المبادرة الكيسنجرية لم تكن موضع رفض مصر من حيث المبدأ . بالقدر الذى تلبى مطلب مصر فى تحريك الحل ، وبقدر ما يترتب عليها انحسار الاحتلال الاسرائيلى ، بما يسمح باعادة فتح القناة واسترداد الممرات وحقول البترول فى ابو رديس .

ولم تكن اسرائيل هى الاخرى رافضة للمبادرة بالقدر الذى يكون انسحابها من جزء من سيناء اساسا لانشاء « حقوق » لها داخل الارض المصرية تقرها مصر ، وبالقدر الذى تحقق مقابل هذا الانسحاب الجزئى فصل مصر عن دول المواجهة الاخرى ، وعن حركة المقاومة الفلسطينية ، وبعبارة أخرى استجابت اسرائيل لمبادرة كيسنجر لهدف هو نقيض الهدف الذى اعلنته مصر : فلقد اعلنت مصر قبول مبادرة كيسنجر كمنطلق لتنشيط التحرك نحو حل . واستجابت اسرائيل لاجهاض الحل الشامل نهائيا ، وبهدف ايجاد « وضع » هو بمثابة « حل منفرد » تعقده مع مصر ، بأمل أن ينشأ — بعد ذلك — ظرف تنعدم فيه المقومات اللازمة لاستمرار عملية الحل . وتتوقف الامور عند هذا الحد .

وعند مناقشة تفاصيل هذه « الخطوة الاولى » فى دبلوماسية « الخطوة خطوة » ، نشأ خلاف بين الطرف الامريكى [كيسنجر] والطرف الاسرائيلى [والاطراف الاسرائيلية المشتركة فى «فريق المفاوضين الاسرائيليين»] حول مقدار التنازلات الاسرائيلية الواجبة حتى تكلل المحاولة بالنجاح .

وكانت « محصلة » مواقف فريق المفاوضين الاسرائيليين ، التشبث فى مرحلة أولى بضرورة ان تقر مصر — علنا — « انهاء حالة الحرب » اى ان تسلم مصر صراحة باستمرار احتلال اسرائيل لارض مصرية دون أن ترى مصر موجبا لاستمرار حالة الحرب . وفى مرحلة ثانية ، قبل فريق المفاوضين الاسرائيليين صيغة لا تتخلى عن معنى الامتناع عن ممارسة القوة ، دون النص صراحة على انهاء حالة الحرب ، ولكن تضمنت الصيغة شروطا تحمل معنى الانتهاك الصريح للسيادة المصرية ، وتشترط انفصال مصر عن رفيقة السلاح سوريا ، وتخليها عن التزاماتها حيال حركة المقاومة الفلسطينية ، وتسرى هذه الشروط لعدة سنوات قادمة .

وفى مقابل هذا التعنت الاسرائيلى ، لم يكن كيسنجر فى وضع يمكنه من الزام المفاوض الاسرائيلي بالتخلى عن هذه الشروط رغم انه كان يعلم — سلفا — انها مرفوضة . ذلك ان مركزه فى امريكا لم يعد المركز الذى كان يحظى به وقت رياسة نيكسون ، ولم يعد لا هو ولا الرئيس الامريكى فورد فى مركز يؤهلهما لاغفال انتقادات الكونجرس وضغط مراكز القوى داخله وتآلف مجموعات متباينة المنطلقات فى مساندة موقف المفاوض الاسرائيلى .

ولكل ما تقدم ، فشلت المحاولة برمتها ، فشلت فى جر مصر الى تعهدات تحقق الاهداف المشتركة الامريكية الاسرائيلية ، بل كشفت عن خلخلة التخطيط المشترك الامريكى الاسرائيلى ، واستنفرت قوة الوطنية المصرية واستحثت القيادة السياسية للبلاد على التصميم على رفض عملية تهدر سيادة مصر ومركزها العربى على نحو لا رجعة فيه .

واسفر هذا الفشل عن وضع جديد فى المنطقة .
وضع تلقى فيه المخطط الامبريالى الصهيونى ضربة عنيفة .

ولكنه أيضا وضع يشوبه توتر نشأ فى صفوف القوى المعادية للمخطط الامبريالى الصهيونى .

هذا التوتر الذى نشأ نتيجة خوض مصر المباحثات مع كيسنجر بمقتضى دبلوماسية « الخطوة خطوة » ينبغى مناقشته فى هذه اللحظة البالغة الدقة بصراحة تامة . ودون أدنى حساسيات ومن منطلق تعزيز الانتصار الذى تم احرازه على المخطط الامبريالى الصهيونى ، لا من منطلق التعلق بحساسيات الفترة السابقة :

صحيح ان قبول مصر مبدأ اجراء مباحثات مع كيسنجر بمقتضى دبلوماسية « الخطوة خطوة » قد استثار هذه الحساسيات وترتب عليه شيوع جو من الشكوك . وارتفعت اصوات لتعلن اعتقادها الجازم بأن هذه الدبلوماسية لن تلبى المطلب العربى — ولا المطلب المصرى — بالتوصل الى حل شامل .

ولكن كان لخوض التجربة ، ولفشلها ، الفضل فى استثارة الوطنية المصرية . ورفض مصر — باسم الوطنية المصرية — المخطط الامبريالي الصهيونى برمته ، هو مكسب للقومية العربية كلها ، هو مكسب لحركة التحرير العربية عموما . وهذا المكسب فى أشد الحاجة الى دعم فى وقت لن تقف فيه اسرائيل ، ولا الامبريالية مكتوفة الايدى بعد أن فشلت محاولتهما ، ولن تدخر جهدا لاستغلال كل ثغرة ممكنة لتنقض بطرين القوة بعد أن فشلت فى تطبيق مخططها « السلمى » القائم على « التوريط » و « الاستدراج » .

لقد اصيب المخطط الامبريالى الصهيونى بضربة عنيفة . ولكن استثمار هذه الضربة لصالح حركة التحرير يتوقف فى هذه اللحظات الدقيقة — على سرعة تضافر كافة القوى المعادية لمخططات الامبريالية . وقدرتها على ان تعيد تنظيم صفوفها على وجه السرعة



هذه كلمة تحية توجهها « **الطليعة** » الى **الاستاذ احمد بهاء الدين** .

ففى الفترة التى تولى فيها **الاستاذ احمد بهاء الدين** رئاسة تحرير « **الاهرام** » ، قدرت هيئة تحرير « **الطليعة** » حرصه على التعامل مع « **الطليعة** » من منطلق احترام استقلالها ، واحترام حق محرريها فى التعبير عن انفسهم ، والمحافظة على التقاليد التى التزمت بها المجلة منذ ان صدرت فى عام ١٩٦٥ .

ان « **الطليعة** » التى تقدر **لاحمد بهاء الدين** دوره ككاتب سياسى ووطنى لم تخف انها كانت تختلف معه في بعض آرائه واجتهاداته ، وهو الامر الذى يضاعف من تقدير المجلة لالتزامه باحترام الرأى الآخر .

ان « **الطليعة** » اذ تحيى الاستاذ **احمد بهاء الدين** ، تتمنى له موفور الصحة ، وشفاء عاجلا ، يمكنه من استئناف عمله فى القريب العاجل .

« **الطليعة** »

بتضامنها الى المستوى المطلوب . وهذا التضامن رهن تعزيز «نواة صلبة» تضم مصر وسوريا وحركة المقاومة الفلسطينية فى المقام الاول ، مستندة الى الجبهة العربية العريضة المتمسكة باستعادة الحق العربي دون اهدار او تفريط .

كما ان الظرف الراهن يقتضى جهدا مكثفا لتخطى كل ما شاب علاقات مصر بالاتحاد السوفييتي وبالدول الاشتراكية من حساسيات .. والواقع انه لم يعد هناك ما يبرر استمرار وجود عقبات تحول دون زيادة تعزيز العلاقات المصرية السوفيتية ، بل على العكس ، فقد اضحت هذه العلاقات فى الظروف الراهنة عنصرا اساسيا لاجتياز الفترة الدقيقة القادمة بنجاح ، ورد ما قد يساور العدو من تطلعات الى شن مغامرة عسكرية .

ان شعار عقد مؤتمر جنيف فورا كأساس لحل الازمة هو شعار يتفق مع كلمة الشرعية .. وهو الشعار الذى لم تحد عنه قوى التقدم والتحرر . ومطلوب من هذه القوى في هذه اللحظات الدقيقة ان تثبت بنضالها وبتعزيز تضامنها ان هذا الشعار يقبل وضعه موضع التطبيق العملى ، وان يجرى الاجهاز النهائى على دبلوماسية الخطوة خطوة ، دبلوماسية العمل فى الكواليس ، دبلوماسية الحلول الجزئية والمنفصلة ، القائمة على التمييز والتفريق والتفرقة بين الاطراف العربية ، بتنشيط البديل فعلا ، واثبات تفوقه لا استناده الى كلمة الشرعية فقط ، ولكن ايضا لانه انجح فى فرض السلام العادل عملا .

« **الطليعة** »

يواصل عادل حسين دراسته التى بدأ فى نشرها فى عدد سابق « حول نقد سياسة الحكومة » وفى هذا العدد يركز الكاتب على موقف الحكومة من قضيتى التخطيط والانفتاح الاقتصادى .

نقد للخطة والانفتاح الاقتصادى

عادل حسين

الاقتراب من النموذج الاشتراكى - بأى قدر - يفترض التخطيط من أجل أعلى معدلات ممكنة للتنمية الاقتصادية المستقلة ، وهو يفترض فى نفس الوقت ضمان التوزيع العادل لدخل هذه التنمية بين الطبقات الوطنية . وقد نقدت فى عدد سابق من « الطليعة » نتائج سياسة الحكومة فى مجال توزيع الناتج ، وأوضحت أن الاغنياء يزدادون غنى والفقراء يواجهون مصاعب اشد . ومفروض أن نعالج الآن الوجه الاخر ، أى محاولة الحكومة تحقيق أعلى معدلات ممكنة من التنمية الاقتصادية على ضوء خطة ١٩٧٥ ، وفى مناخ « الانفتاح الاقتصادى » .

لقد تقدمت الحكومة بهذه الخطة لكى « تعطى التنمية الاقتصادية والاجتماعية دفعة قوية تحقق زيادة فى الناتج القومى فى سنة ١٩٧٥ تبلغ ٩ر٢ فى المائة بالاسعار الثابتة ، وهذا معدل لم تشهده بلادنا من قبل ، فقد كان معدل النمو فى أوج نشاط التنمية من سنة ١٩٥٦ - ١٩٦٦ لا يتجاوز ٧ر٦ فى المائة فى المتوسط ، كما أن النمو المستهدف يعتبر طموحا بالمقاييس العالمية ، ولتحقيق ذلك ارتفع حجم الاستثمار من ٢٨٠ مليون جنيه فى سنة ١٩٦٨ الى ١١٨٠ مليون جنيه فى مشروع الخطة فى سنة ١٩٧٥ » (١) .

ولا شك أن المعدل المستهدف هو بالفعل معدل طموح ، وقد سجل مجلس الشعب للحكومة انها قدمت الخطة الانتقالية (خطة ١٩٧٥) الى المجلس فى الموعد الذى يقضى به القانون رقم ٧٠ لسنة ١٩٧٣ (٢) ، ونضيف من جانبنا أن وزارة التخطيط لم تقتصر فى مشروعها المقدم على وضع برنامج استثمارى ، كما جرت العادة فى السنوات السابقة ، فقد حرصت على تحقيق التوازن بين المتغيرات الاقتصادية الاساسية على المستوى القومى ، وهذه المتغيرات هى : الاستثمار والانتاج والناتج والعمالة والاجور والتعاون مع العالم الخارجى والاستهلاك النهائى والادخار . وهذا التوازن - اذا كان واقعيا - يمكن من تنفيذ الخطة ، ويمنع تعرض الاقتصاد القومى للتضخم والاختناقات وقصور الموارد المتاحة عن تغطية الاهداف المقررة . ولا شك أن محاولة تحقيق هذا التوازن يعتبر - من الناحية الفنية - انجازا يستحق التقدير لاجهزة التخطيط .

وقد تحددت أولويات الخطة على النحو التالى :

١ - التعمير للاسراع بحركة اعادة الحياة فى منطقة القناة . ٢ - الاستكمال أى التعجيل باتمام المشروعات التى تطعت شوطا كبيرا فى التنفيذ .

---

[١] بيان رئيس مجلس الوزراء عن برنامج الحكومة فى مجلس الشعب - ٢٧ نوفمبر ١٩٧٤

[٢] رد مجلس الشعب على بيان الحكومة - ٩ ديسمبر ١٩٧٤

٣ ـ الاحلال والتجديد والطاقات العاطلة وذلك لإزالة الاختناقات التى توجد فى بعض الوحدات الانتاجية ٠ ٤ ـ المشروعات الجديدة ذات الاهمية الحيوية للتنمية [كالاسمدة والاسمنت] ، أو توفير احتياجات الجماهير ٠

وبالنسبة للنقطة ذات الاولوية الاولى ، أى التعمير ، فان الاعتبارات السياسية اذا كانت تبرر البدء والاهتمام ، فانها لا تبرر حجم الانفاق الذى حددته الخطة ، ولا تبرر أسلوب العمل الذى يتحقق فى منطقة القناة [وسأعود الى هذه المسألة] . أما بالنسبة لتسلسل الاولويات الاخرى ، فان أمرها يبدو معقولا ، فهى تحقق عائدا مرتفعا نحتاجه ، وهى تهدف الى « تثبيت وتقوية القاعدة التى سوف ينطلق منها الاقتصاد المصرى خلال الخطط الخمسية القادمة » (٣) واذا كانت الخطة ـ من أجل تحقيق هذه الاهداف ـ قد ارتفعت بنصيب القطاع العام من الاستثمارات الى ١٠٥٦٫٢ مليون جنيه ، وكان نصيب القطاع الخاص ٩٨٫٢ مليون (أى ٨٫٥ فى المائة فقط من اجمالى الاستثمارات الموزعة ، رغم أنه يزيد ثلاث مرات عن حجم استثماره المقدر فى خطة ١٩٧٤) اذا كانت الخطة الانتقالية قد أعطت القطاع العام هذا الحجم والدور الكبير ، فان هذا تسليم بأن الاعتماد على القطاع العام ، وعلى الصناعة بالتالى ، هو الاسلوب الممكن لتحقيق عائد سريع ومضمون ، فالصناعة فى ظل القطاع العام هى المجال الاكثر استجابة لاهداف التخطيط ٠

معارضة مجلس الشعب

الا أن هذه الخطة جوبهت فى مجلس الشعب بمعارضة وانتقادات شديدة ، فقد هاجم البعض استئثار القطاع العام بالنصيب الغالب من الاستثمار ، بل عاد البعض الى فكرة بيع ٤٩ فى المائة من أسهم شركات القطاع العام الحالية ٠ وفى تقرير لجنة الخطة والموازنة نقدت اولويات الخطة ، فالتركيز على تشغيل الطاقات العاطلة ـ كما جاء فى التقرير ـ مبالغ فيه ، والزراعة (وبعض القطاعات الاخرى) لم تنل مكانها المناسب فى الاولويات ٠ فنصيب قطاع الزراعة من استثمارات خطةعام ١٩٧٥ لا يعدو ٤٫٣ فى المائة ، و « يقل حجم ما خصص لوزارة الزراعة والاصلاح الزراعى من استثمارات فى هذه الخطة عما خصص لها عام ١٩٧٤ » [٤] . وأعتقد أن جوهر الخلاف بين الحكومة ولجنة الخطة والموازنة لم يكن قى المفاضلة بين الزراعة والصناعة ، ولكنه فى تحديد دور كل من القطاعين العام والخاص فى انجاز التنمية ، وبالتحديد فى انجاز الاهداف العاجلة للتنمية كما جاءت فى خطة ١٩٧٥ ٠

ان تشجيع القطاع الخاص المنتج (كما هو الحال فى الزراعة) ضرورة قومية ، ولكن معقول أن تكون أولوية أو درجة التشجيع بقدر الاسهام المتوقع لهذا القطاع فى تحقيق خطة ١٩٧٥ ، أو خطة الانعاش التى تهدف الى تحقيق عائد سريع ومرتفع يمكن للدولة تعبئته لمواجهة الاعباء والالتزامات المتعددة ، فهل تركيز الاهتمام على قطاع الزراعة ـ بوضعه الراهن ـ يضمن تحقيق هذا الهدف ؟

اذا كانت المناقشة فى هذا النطاق فاننا نذكر بحقيقة أن القطاع الخاص [الذى ينحصر هدفه فى تحقيق أقصى ربح) قد يستجيب للتوجيهات المركزية التى تستخدم الحوافز الاقتصادية ، ولكن لا يمكن ضمان التزامه بقرارات التخطيط التى مفروض أن تحركها المصالح القومية وليس فقط تحقيق أعلى عائد للمنتج الفرد ٠ وقد نشير هنا الى أن عدد المخالفات للدورة الزراعية قد ارتفع الى ١٨٠ الف مخالفة فى عام ١٩٧٤ ، وكان ٤٢ ألفا فى العام السابق (٥) ، وفى قطاع الزراعة بالتحديد ينبغى أن نسلم أيضا بأن زيادة الاستثمار والحوافز السعرية لن تسهم كثيرا فى تحديث الزراعة أو تطوير هيكلها داخل الحيازات الصغيرة (الملكيات أقل من ٥ أفدنة ٩٤٫٥ فى المائة من عدد الملاك ٥٧٫ فى المائة من مساحة الارض الزراعية) ان الحجم الصغير أو القزمى لهذه الملكيات ، وما يرتبط به من علاقات اقتصادية واجتماعية متخلفة ، هو سجن يحول دون انطلاق هذه الحيازات كوحدات انتاجية متطورة ٠ وعلى هذا لن يستفيد ـ فى المقام الاول ـ من زيادة الاستثمارات والحوافز الاقتصادية المقترحة الا اغنياء الفلاحين ، فهم الاقدر على تطويع هيكلهم المحصولى ، وهم الاقدر على تطوير أساليبهم فى الزراعة ٠ ان زيادة الاسعار ستؤدى عند فقراء الفلاحين الى مجرد زيادة الاستهلاك الضرورى ، أما زيادة الاسعار والاستثمار عند أغنياء الفلاحين فانها تؤدى الى زيادة الانتاجية والارباح ، وهذا جيد ولكن ما هى الاجراءات الضرورية لتعبئة وتوجيه هذه الارباح من أجل استخدامات التنمية المحلية والقومية ؟ ٠

---

[٣] الخطة الانتقالية [يوليو ١٩٧٤ ـ ديسمبر ١٩٧٥] ـ وزارة التخطيط ـ ص ١٨

[٤] تقرير لجنة الخطة والموازنة عن مشروع خطة ١٩٧٥ ، والسياسة المالية ومشروع الموازنة العامة للدولة للسنة المالية ١٩٧٥ ـ القسم الثانى ٠

[٥] الاهرام ـ ٧ يوليو ١٩٧٤

ان د . أحمد أبو اسماعيل [رئيس لجنة الخطة والموازنة) لم يشر الى هذا السؤال فى تقريره (ولا أعتقد أن هذا الاغفال كان على سبيل السهو] لان تناول القضية كان سيصل الى مجموعة متكاملة من المقترحات ، تعبئة الفائض الاقتصادى [الناشيء عن الاستثمار ، وتعديل مستويات الاسعار] هو نضال شاق ضد الانانية الغريزية لاغنياء الفلاحين أصحاب هذا الفائض والذين سيعارضون أى زيادة فى الضريبة ، بل سيعترضون على اقراض الدولة قسما من هذا الفائض . ومن ناحية أخرى فانه اذا كانت المطالبة باعطاء الزراعة أولوية متقدمة مطالبة موضوعية ، ولصالح التقدم العام للاقتصاد القومى ، وليس فقط لصالح أغنياء الفلاحين ، فان مقترحات لجنة الخطة والموازنة كانت ستتطرق الى النصف الكسيح من الزراعة وتوصى باجراءات سياسية وتنظيمية فى اتجاه التعاون الانتاجى الذى يمكن من اقامة الزراعة الكبيرة الحديثة ، ويمكن بالتالى من زيادة الانتاجية فى الزراعة المصرية بشكل عام ، لصالح الفلاحين ، وصالح تنمية الاقتصاد القومى ، والحديث فى كل هذا كان سينتهى الى البحث فى أساليب الملاءمة بين المصالح الفردية للمنتجين الزراعيين وبين أهداف التخطيط القومى ، وهو أمر يسعى اغنياء الفلاحين الى الانعتاق منه . ان تقرير لجنة الخطة لم يتطرق الى هذه الامور التى كانت تصلح مبررا قويا لمطالبته بتعديل أولويات خطة ١٩٧٥ . ولو انه فعل لكان فى الامر منطق أقوى ، ولكن حتى فى هذه الحالة كان سيرد بأن مثل هذه المقترحات المتكاملة تصح للمدى الطويل ، ولكننا - فى المدى القصير - نحتاج الى خطة مضمونة العائد السريع ، ومضطرون بالتالى الى التركيز على الصناعة (فى القطاع السلعى) فهى بطبيعتها قطاع منظم ، وهى فى بلادنا خاضعة للادارة المركزية ، وهى بالتالى أقدر على تحقيق الهدف المطلوب لهذا العام .

ولا يعنى هذا اننا نعارض اى تعديلات جزئية فى حجم استثمارات الزراعة ، وبعض الزيادات التى اقترحت كانت بالفعل ضرورية . كذلك نحن لا نعارض اى تعديلات فى أسعار المحاصيل ولكن بشرط أن يتم هذا فى اطار المخطط العام للاسعار ، وبحيث لا تختل التوازنات العامة داخل الخطة . ان ما نعارضه بالتحديد هو تلك « المناحة » التى نصبها التقرير حول الظلم الشديد الذى أصاب الزراعة ، وعن ضرورة تغيير أولويات خطة ١٩٧٥ بالذات لحساب قطاع الزراعة .

مخاطر حقيقية على التخطيط

على أى حال . لقد سبقتنا الحكومة الى رفض هذا الاتجاه العام لتقرير لجنة الخطة والموازنة ، وتمسكت بالاولويات التى تقدمت بها ، وتمسكت بالتالى بهذا الحجم الهائل للقطاع العام ولاستثمارات الصناعة . وقد اتخذت الحكومة هذا الموقف تحت ضغط الاحتياجات العملية ، وليس بسبب اى تحيزات « عقائدية » . ولكن اذا كان الموقف « النظرى » للحكومة سليما من اجل تحقيق أعلى معدلات ممكنة فى التنمية من خلال القطاع العام والصناعة ، فان النية الطيبة لا تكفى وحدها . فهل يكفى أن نضبط الموازنات على الورق ؟ وهل يكفى ان تتحمل الدولة مسئولية الاستثمار كى نقول ان التنمية مخططة ؟ واذا كانت هناك مجالات متزايدة تخرج عن قبضة التخطيط والاشراف المركزى ، فكيف نضمن تحقيق الاهداف ؟ واذا كانت الاداة الاساسية فى تحقيق الخطة - وهى القطاع العام - يختل تنظيمها وتهاجمها عوامل التعرية من كل اتجاه فكيف تحقق هذه الاداة دورها وتمنع تسرب الفاقد الكبير ؟ !

لكى تتضح جدية وخطورة هذه التساؤلات سنعرض لبعض الامثلة :

● **قطاع التعمير :**

لقد منح مجلس الشعب وزارة التعمير سلطات واسعة بمقتضى القانون رقم ٦٢ لسنة ١٩٧٤ ، وهذا القانون يخول الوزارة وضع خطة التعمير ويخولها سلطات مالية وادارية واسعة ، دون التقيد بالقواعد المنظمة للتصرف فى النقد الاجنبى وباللوائح المالية او لوائح المناقصات والممارسات والمقاولات . وبمقتضى هذه الصلاحيات خرجت استثمارات تبلغ ٢٤٢٫٧ مليون جنيه [وهى الاستثمارات المخصصة لاعباء التعمير] من دائرة الاشراف المركزى لاجهزة التخطيط . وعثمان احمد عثمان له - بالمناسبة - رأى واضح فى موضوع التخطيط ، فقد أعلن فى مجلس الشعب أنه « لو لم نتمسك بحرية الفرد الكاملة فى ظل المنافسة ، فلا يمكن ان نحقق اى تقدم » [٦] وقد اضطر يومها د . محمود القاضى الى الرد بأن « اقتصادنا فى مصر مبنى على التخطيط ، وغير متروك للمنافسة وفرق شاسع بين الاسلوبين » [٧] .

وقد أعلن مجلس الشعب فى رده على بيان

---

[٦] مجلس الشعب [اللجنة التشريعية] قانون استثمار المال العربى والاجنبى والمناطق الحرة - مجموعة الاعمال التحضيرية - الاجتماع الثانى ص ١٢٣.

[٧] المرجع السابق ص ١٢٤.

الحكومة أن السلطات الواسعة المخولة لوزارة التعمير « لا تعني تحللا من رقابة المجلس بل تفرض مزيدا من اليقظة والحزم » . ونحن نرجو أن يتابع الشعب كله فعلا ما يجرى فى منطقة القناة ، لان كل المؤشرات تدل على خطورة الحال ، « فالتعمير يسير بطريقة عشوائية وغير مخططة ، هذا ما أعلنه أحمد حلمى بدر ، وأضاف أنه عندما نقوم بعملية ترميم على هذا النطاق الواسع الذى قد يشمل نحو ١٠ آلاف منزل ، لابد من أن تكون هناك تكاليف محددة مقدما ، وأن تكون هناك مقايسات ، وأن يكون هنـــــاك حصر وبرامج للتنفيذ يجب اتباعها . فى الترميم يقدر المسئولون عن التعمير قيمة اصلاح بنحو ٢٠٠ جنيه ، فاذا ما طلب منهم صاحب العقار القيام بعملية الاصلاح قـاموا باصلاحه بمبلغ ٢٠٠٠ جنيه ، فأى الرقمين هو الصحيح ؟ اننى أود أن اعرف — والكلام لازال لاحمد حلمى بدر — ما هى التكاليف التى ستنفق على مدن القناة ؟ عند بناء حى الملك فيصل تقرر أن يكون البناء بالحجر ، ولم يجدوا العامل الذى يقوم بالبناء ولو بأجر ٦ جنيهات فى اليوم ، أى ما يعادل مرتب رئيس مجلس ادارة ! وكان الغرض من البناء بالحجر خفض التكاليف ، ومع ذلك لو قورنت هذه التكلفة بتكلفة البناء بالطوب الاحمر والحديد المسلح لوجدنا أن تكاليف البناء بالحجارة تفوق تكاليف البناء بالطوب الاحمر » . كهذا كانت صيحة عضو مجلس الشعب [٨] .

وهناك مسئولون وفنيون آخرون يؤكدون نفس الحقائق حول الاسراف وانعدام التخطيـط ، فعمليات الحفر تصل الى أعماق لا تحتـاجها ضرورات العمل ، واللوارى تنقل الاتربة وتلقى بها فى أماكن غير مدروسة ستتسبب فى مشاكل معقدة عند محاولة البناء فى هذه الاماكن فى المستقبل . ان هؤلاء الفنيين يتعجبون من كميات الخرسانة التى تلقى فى جوف الارض ومن المبانى التى تقام فوق هذه الاساسـات بعرض ٥٠ سم ، وهو سمك لم يألفه ، أو نسيه المهندسون المعاصرون ، وكل هذا من أجل اقامة مساكن اقتصادية لا يزيد ارتفاعها عن طابق أرضى وثلاثة أدوار فوقه ! ان هذه المساكن هى نفس المساكن التى تحدث عنها عضو مجلس الشعب ، والتى ستبنى من الحجر الجيـرى . وأغرب ما فى تقرير هؤلاء المسئولين هو أن العاملين فى الموقع — على اختلاف مستوياتهم — لا يدرون بدورهم سر هذا الاسراف ، وهم يتصورون أن هذه سياسة عليا ! ففى مكاتب هؤلاء العـاملين رسومات كاملة لنماذج من المبانى من الطراز الهيكلى العادى ، أى على نمط المساكن الاقتصادية التى نعرفها فى القاهرة ، والزيادة فى تكلفة الوحدة السكنية المقامة بالحجر الجيرى وفوق جبل من الخرسانة بالنسبة لتكلفة الوحدة السكنيـة الاخرى التى نعرفها ، لا تقل عن ١٠٠٠ جنيه ، ويعنى هذا اننا خسرنا فى بناء ٤٠٠٠ وحدة سكنية ، كان مقدرا أن تتم قبل نهاية عام ١٩٧٤ ، ما يقرب من أربعة ملايين جنيه ، وسوف نخسر عشرات الملايين اذا استمر انشاء السويس كلها بنفس الطريقة !!

وفى مجال التعمير هناك كلام أيضا عن المبالغة فى الاستعانة بالخبرات الاجنبية ، والتى تتم كلها من خلال شركة [المقاولون العرب] ، وهناك أخيرا التقديرات شبه الرسمية التى تقول ان حجـم الاعمال التى ستوكل الى قطاع المقاولات الخاص تتجاوز ١٤٠ مليون جنيه .

● وينقلنا هذا الى الحديث عن قطاع المقاولات بشكل عام :

لماذا تعاظم دور القطاع الخاص بنفس النسبة — خارج منطقة القناة ، وفى مختلف مجالات الانشاء [مباشرة أو من الباطن] فان علينا أن نتصور كم سيتضخم نصيب قطاع المقاولات الخاص ، فحجم انتاج التشييد فى الخطة الانتقالية يصل الى ٦٥٤ر٦ مليون جنيه [أى ٥٧ فى المائة من اجمالى الاستثمارات] وكان الحجم المقابل فى خطة ١٩٧٤ لا يتجاوز ٣٩١ مليون جنيه . ورغم أن هذه الزيادة الهائلة تبلغ ٦٨ فى المائة فقد تمت تصفية شركتين من شركات القطاع العام فى مجـال المقاولات ، ورفع حد التعاقد — فى نفس الوقت — مع مقاولى القطاع الخاص من ١٠٠ الف جنيه الى ٥٠٠ الف جنيه .. ان القطاع الخاص لم «يظلم» اذن فى استثمارات الخطة كما تصور البعض ، فهو يتوغل فى ميدان استراتيجى حاكم ، يشتغل بمال الدولة وتسهيلات بنوك الدولة ، ويحقـق أرباحا خرافية ، مما دعا محمود أبو وافية الى المطالبة باعادة النظر فى العلاقة بين شركات المقاولات واصحاب الدخول الطفيلية الذين يريدون ان يثروا دون مجهود أو تعب [٩] . وقد أشارت لجنة الرد على بيان الحكومة الى نفس الاتجـاه حين أعلنت « انه قد أصبح من الضرورى أن تمتد أحكام قانون الكسب غير المشروع الى المتعاملين مع القطاع العام من الافراد » . وقـالت « ان

[٨] احمد حلمى بدر : مناقشة بيان رئيس الوزراء عن برنامج الحكومة مضبطة الجلسة الرابعة عشرة .
[٩] محمود ابو وافية : مناقشـــة بيان رئيس الوزراء — مضبطة الجلسة الرابعة عشرة .

الفساد والثراء يرجع في معظمه الى علاقات في أحد طرفيها موظف أؤتمن على أموال عامة فخان الامانة وفي الطرف الاخر فرد يسعى الى التأثير على ذمة الموظف العـــام ليتقاســـــمان معـــا الربح الحــــرام » . ان هذه الفقـــرة تتسع لفئات أخرى غير المقاولين . ولكن لا شك أن أعمال المقاولة التي ستتحرك في نطاق ٦٥٥ مليون جنيه هي أكثر المجالات أسالة للعاب . والسؤال الموجه الى الحكومة هو : ألم تدل خبرة الخطة الخمسية الاولى على أن قيام القطاع الخاص بنصيب كبير من انتاج التشييد أدى الى رفع التكلفة واستنزاف المال العام وارباك المواعيد ؟ بل ألا تدل خبرتنا الحالية المتجددة على نفس الشيء ؟ فكيف نتحدث عن امكانية تنفيذ الخطة كما ونوعـا وفي المواعيد المقررة ، وكيف نعاني في تدبير الاموال ، ثم نترك هذه النسبة الكبيرة من انتاج التشييد في يد قطاع المقاولات الخاص !؟

● نأتي بعد هذا الى قانون استثمار المال العربي والاجنبي والمناطق الحرة :

ولن نستطرد هنا في مناقشة القانون [١٠] ولكن يكفي أن نذكر بالجو الذي أحاط الجدل حول هذا القانون حين قدمت الحكومة مشروعه في مايو ١٩٧٤ . يكفي أن نذكر بالاحلام الزائفة التي روجت بين الجماهير المتعبة في تلك الفترة التي سبقت وصاحبت زيارة نيكسون .. ولقد حملت الحكومة أجهزة الاعلام مسئولية اشاعة هــذه المبالغات والاكاذيب . وهي محقة اذا كانتتقصد برامج الاذاعة والتليفزيون ، وهي محقة أيضا حين نقصد مصطفى أمين وعلى أمين اللذين تحدثا عن ليلة القدر وعن بلايين الجنيهات التي تقف على الباب تنتظر الانفتاح ، ولكن لا ينبغي للحكومة أن تنسى أن كبار المسئولين قد شاركوا بكل قوتهم في تلك الحملة ، ففي اجتماعات اللجنة المشتركة لنظر مشروع القانون قال الرئيس السابق لمجلس الشعب [حافظ بدوى] « نريد أن نحس باشراقة فجر جديد ، نريد أن نحس بالدنيا وقد تفتحت لنا » . « نحن في حاجة الى ان نفتح الابواب ، نحن في حاجةالىأنيطلعلينا الفجرالجديد» ... «أرجو ان نفتح قلوبنا وأن نفتح للرخاء أبوابنا وأن نفتح في الحياة آمالنا وأن ننظر بعيدا عن هذه المحاذير التي سمعتها الان من الاخ أحمد طه ، نريد ان نبتعد قليلا عن هذه المحاذير ، ولنعتمد على الله وعلى ارادتنا الحرة » .. « ان أبواب الخير تتفتح لنا » ، فلنقبل عليها ولنسع اليهاولنعتمدعلىالله . الخ [١١] .

وحديث الدكتور حجازى [وكان النائب الاول لرئيس مجلس الوزراء] لم يكن مختلفا في روحه العامة عند مناقشة مشروع القانون داخل مجلس الشعب، كانت الاموال تنثر بغير حسابوكانيلوح ـ لدى أي تحفظ ـ بمشروعـات وأموال هائلة تنتظر اقرار القانون ، وكان هذا التلويح بالاموال كافيا لاذابة أي حجة أو اعتراض .

لقد تمت المناقشات وسط هذا الجو الذي أسهمت في خلقه كل الاجهزة المسئولة ، ووسط هذا الجو كان ممثلو الحكومة يلحون على ضرورة الانتهاء من المناقشات في أقصر وقت ، وبالفعل توالت اجتماعات اللجنة المشتركة من اللجنة التشريعية واللجنة الاقتصادية ولجنة الخطة والموازنة ولجنة القوى العاملة ، ومر هذا القانون التـاريخي بسهولة ، وفي جلسة واحدة لمجلس الشعب ، رغم أن القانون ـ كما وصفه وزير الدولــة لمجلس الشعب « هو الدستور الاقتصادي لبلادنا حتى سنة ٢٠٠٠ ، واعتقد أنه خلال السنوات القادمة ستفتح أبوابا كثيرة أخرى » .. « والقصد من هذا القانون تحقيق الاشتراكية الحقة التي ترتفع بفقيرنا الى مرتبـــة غنينــا ، ولا تنزل بغنينـــا الى مرتبـــة فقيرنا » [١٢] وواضح ان الاشتراكية المسكينــة أصــبحت تحمل في بلادنا بأوصـــاف عجيبة ، وأصبحت تعرف بأي كلام ، والا ماذا تعني هذه الاشتراكية الحقة كما عرفها الوزير ؟ وكيــف نستطيع في بلد محدود الموارد أن نرفع مستوى الفقير دون أن نهبط بمستوى الغني ؟ ان أغنى الدول لا تزعم أنها قادرة علىذلك ، ولذا تفرض الضرائب التصاعدية ولا يقولون مع هذا أنهم يطبقون الاشتراكية الحقة ، على أي حال .. ما علينا ، هذه قضية أخرى .

ما يهمنا حاليا هو متابعة نتائج قانون الاستثمار خلال الاشهر التي انقضت بعد صدوره . ان المشروعات التي ستقام وفق هذا القانون ستعامل كمشروعات قطاع خاص حتى لو كانت الدولة مشاركة فيها . وهي لن تخضع للمحددات العامة التي يستلزمها التخطيط المركزي ، وهذا مفهوم ولكن الى أي حد يخضع اختيار المشروعـات والموافقة عليها لقرارات خطة التنمية ؟

---

[١٠] راجع مقــال د. فؤاد مرسى [الطليعة فبراير ١٩٧٥] ــ ندوة الجمعية المصرية للاقتصاد السياسي والاحصـــاء والتشريع [الطليعة يوليو ١٩٧٤] ــ مقال عادل حسين [الطليعة يونيو ١٩٧٤] .

[١١] حافظ بدوى : مجموعة الاعمال التحضيرية ــ مرجع سابق ص ٣٨٦

[١٢] وزير الدولة لشـــئون مجلس الشعب : المرجع السابق ص ٣٩٠

● لقد نوقشت علاقة الاستثمار الاجنبي والعربي بخطة التنمية اثناء بحث القانون :

فالمادة ٣ كانت تنص على أنه « يجوز استثمار المال العربي والاجنبي في جمهورية مصر العربية لتحقيق أهداف التنمية الاقتصادية والاجتماعية في اطار السياسة العامة للدولة وخطتها القومية » وقد نجحت المناقشة في استبدال كلمة يجوز في بداية المادة بكلمة يكون ، فأصبحت « يكون استثمار المال العربي والاجنبي ... الخ » . ولكن المناقشة فشلت في اضافة التحديد الذي اقترحه د . محمود القاضي لعبارة الخطة القومية ، فقد اقترح ان يضاف بعد هذه العبارة « التي تصدر وفقا لاحكام القانون رقم ٧٠ لسنة ١٩٧٣ » ، ولكن هذا التحديد رفض . فماذا عن التطبيق الان ؟ يقول تقرير الخطة الانتقالية « أن الانفتاح لا يعني العودة للاقتصاد الحر ، بل هو انفتاح مخطط يتم في اطار خطة التنمية التي تقرها الدولة ، ويبدى التخطيط رأيه في كل مشروع يقترح من الجانب المصري أو من مستثمر عربي أو أجنبي حرصا على تحقيق التنمية المتوازنة لاقتصادنا القومي » [١٤] ، وهذا الكلام أوله حلو وآخره يثير تساؤلا ، فهل دور التخطيط الان هو مجرد ابداء الرأي والمشورة أم أنه يقرر ؟ لقد سجل تقرير الخطة أن الهيئة العامة لاستثمار المال العربي والاجنبي وافقت حتى نهاية سبتمبر ١٩٧٤ [فترة اعداد المراحل الاولى من خطة ١٩٧٥] على عدد من المشروعات يبلغ اجمالي قيمة رأسمالها ٣ر١٠٤ مليون جنيه [منها ٩ر٥٤ مليون جنيه نقد أجنبي] ويخص الجانب المصري من هذه المشروعات ٤ر٨١ مليون جنيه والشريك الاجنبي ٩ر٢٢ مليون جنيه . وتتضمن حصة الجانب المصري ٧٥ مليون جنيه للقطاع العام و ٤ر٦ مليونا للقطاع الخاص . وتدل هذه الارقام الاجمالية على أن الامال العريضة حول الانفتاح انتهت في الواقع الى أن المعونات والاموال السائلة لم ترد بالحجم الذي صور لنا ، وأيضا الاستثمارات المباشرة لم تنهمر .. واذا كان الحصاد وفقا لخطة ١٩٧٥ حصادا محدودا في الكم ، فانه أيضا فقير في النوع ، فقد استحوذ قطاع الاسكان على حصة في هذه الاستثمارات تبلغ ٧ر٦٦ مليون جنيه أي على ٦٤ في المائة من اجمالي الاستثمارات المشتركة التي وافقت عليها الهيئة ، فهل كان هذا وفق الاولويات التي حددتها خطة التنمية المصرية ؟ لعلنا نذكر هنا أن تقرير وكيل مجلس الشعب ورئيس اللجنة المشتركة [د . جمال العطيفي] كان قد سجل أن غالبية اللجنة « اعتبرت أن الاستثمار في بناء العقارات قد يكون مرغوبا فيه لتنشيط السياحة أو لمشروعات الامتداد العمراني ، ولكن حجم الاستثمارات فيه يجب الا يطغى على حالات الاستثمار الاخرى ، وأن الهدف الاساسي من القانون يجب أن يكون تشجيع الاستثمارات الانتاجية » [١٥] .

لماذا اذن مثل الاسكان ٦٤ في المائة من استثمارات ١٩٧٥ ؟ هل يمثل هذا مجرد ثقل الاندفاع التلقائي للمستثمر العربي الخاص ؟ طبعا مفروض الا نخضع لمثل هذا الاندفاع التلقائي لو كان في الامر تخطيط ، ومع ذلك فان المستثمر العربي بريء من هذا الاندفاع ، فالاستثمار الكبير في قطاع الاسكان يتضمن ٦٤ مليون جنيه لاقامة ١٠٫٠٠٠ وحدة سكنية ، يشارك في تنفيذها [المقاولون العرب] . وبالمناسبة فان تقرير الخطة الانتقالية لا يضع هذا الاستثمار لشركة [المقاولون العرب] في نطاق الاستثمارات المشتركة التي يسهم فيها القطاع الخاص المصري . فهل هذه الشركة قطاع عام ؟ ان هذه النقطة — بالمناسبة — تبدو كلغز غريب ، واذا كانت قطاعا عاما فهل يعني هذا انها جذبت رأس المال العربي الى هذا الاتجاه بتعليمات من أجهزة التخطيط المركزية وفق الاولويات التي تراها ؟ وللعلم فان هذا المشروع لا ينتفع منه محدودو الدخل ، وليس من مشروعات الامتداد العمراني ، فهو للاسكان في جاردن سيتي والمعادي وفي الارض المطلة على الميريلاند ، وفي أرض أغاخان المطلة على النيل في شبرا . والشقق ستطرح للتمليك للمصريين والعرب والاجانب . فمن أراد أن يحجز في شقة من الاسكان المتوسط يدفع تحت الحساب ١٥٠٠ جنيه ، أو ٤٠٠٠ دولار ، واذا اراد شقة من الاسكان فوق المتوسط يدفع ٣٠٠٠ جنيه أو ٨٠٠٠ دولار واذا اراد شقة من الاسكان الفاخر يدفع تحت الحساب ٥٠٠٠ جنيه أو ١٥٠٠٠ دولار [١٦] .

والان ماذا عن القطاعات الاقتصادية الاخرى غير الاسكان ؟ وفق تقرير الخطة الانتقالية احتل قطاع السياحة الموقع الثاني في جذب الاستثمارات [٤ر٤١ مليون جنيه] ثم الصناعة في الموقع الثالث [١٦ مليون جنيه — أي ١٥ في المائة فقط من اجمالي الاستثمارات] وواضح من قوائم المشروعات الصناعية التي أقرها مجلس ادارة

---

[١٤] الخطة الانتقالية — مرجع سابق — ص ١٢٤/١٢٥

[١٥] مجموعة الاعمال التحضيرية —مرجع سابق — تقرير اللجنة المشتركة من اللجنة التشريعية واللجنة الاقتصادية ولجنة الخطة والموازنة ولجنة القوى العاملة — ص ٤١١

[١٦] اخبار اليوم ١٥ فبراير ١٩٧٥

هيئة استثمار المال العربى والاجنبى أننا لم نظفر حتى الان بالمشروعات ذات التكنولوجيا المتقدمة التى كنا نتطلع اليها . بل ان كثيرا من المشروعات لا يبدو أيضا أنها موجهة للتصدير ، وبالتالى فهى لن تكسب نقدا أجنبيا ، ستصرف انتاجها فى الداخل بالعملة المحلية ، وسيصبح تحويل أرباحها للخارج عبئا على مواردنا المحدودة من العملة الصعبة . وما كان أغنانا عن قبول هذه المشروعات التى تحملنا بالاعباء ، وخاصة حين لا تكون ذات أهمية حيوية لأقتصادنا القومى .. ومثلا هل اقامة مصنع المياه الغازية [سفن آب] كان ضروريا جدا كى نتحمل أعباء تحويل أرباحه للخارج ؟ وفى خارج الصناعة سيثير اشتراك المستثمرين العرب فى تشغيل خطوط ميكروباس وما أشبه نفس المشكلة . ستحصل الايرادات بالعملة المحلية ، وتصدر الارباح بالنقد الاجنبى . ثم ما هى قصة مجموعةمطاعم [WIMPY] ، وأيضا ماهىقصة الشركة الفرنسية التى تولت عملية النظافة بمطار القاهرة ؟ أحيانا يرفض الانسان تصديق الانباء من فرط غرابتها ويتصور أنها نكتة .. فكيف يصل الامر الى استقدام خبراء أجانب من أجل أعمال النظافة ؟ ! ولا يمكن أن تكون كل هذه الامور محسوبة وفق احتياجات خطة التنمية .

وقد صرح د . **طاهر امين** [وزير التعاون الاقتصادى] بأن الهيئة عرض عليها طلب شركة ويمبى فرفضته [١٧] ، ومع ذلك فتحت المطاعم ، فهل يعنى هذا أنه بدأ فتح أبواب خلفية للتهرب من قانون الاستثمار — على عيوبه — ومن اشراف وزارة التعاون الاقتصادى — رغم أنه أيضا محدود فى غياب التخطيط الشامل وتخطيط المشروعات ؟ . لقد أعلن د . طاهر امين أن مطاعم ويمبى التى تم افتتاحها لا تخضع لقانون استثمار رأس المال العربى والاجنبى ولن يسمح لها بتحويل أرباحها للخارج . فهل تعنى هذه السابقة أنه سيكفى فى المستقبل أن يقول أى مستثمر أجنبى أنه لن يحول ربحه الى الخارج كى يعفى من موافقة هيئة الاستثمار على مباشرة نشاطه ؟ ومع ذلك فان عقدا كعقد نظافة مطار القاهرة هو نوع مبتدع من النشاط لا أعتقد أنه يخضع للهيئة ولقانون الاستثمار ، ومع ذلك فانه يكلفنا نقدا أجنبيا . والتوسع فى هذا الباب — على طرافته ! — خطير .

● مسألة أخرى .. النمو الورمى فى المناطق الحرة . حين قدمت الخطة الانتقالية الى مجلس الشعب سجلت أن هيئة الاستثمار وافقت على مشروعات بلغ اجمالى قيمة رأسمالها — كما سبق أن أوضحت — ٣ر١٠٤ مليون جنيه . كانت هذه البيانات حتى نهاية سبتمبر ١٩٧٤ . وفى نفس الوقت كان قد ووفق على عدد من المشروعات بنظام المناطق الحرة ، وقدرت قيمة رأسمالها بنحو ٩١ مليون جنيه . ولكن مع نهاية ديسمبر ١٩٧٤ ارتفعت القيمة الاجمالية للأستثمارات المشتركة التى ووفق عليها الى حوالى ١٨٠ مليون جنيه بينما ارتفع رقم استثمارات المناطق الحرة الى حوالى ٩١٨ مليون جنيه [١٨] . ومشروعات هذه المناطق لا تخضع للضوابط التخطيطية — المتواضعة — التى تخضع لها موافقات مشروعات الاستثمار المشترك خارج المناطق الحرة . انها لا تخضع بطبيعتها لاى أولويات تحددها خطط التنمية المصرية ، فهى مشروعات مفروض أنها جسم غريب لا يتكامل مع مشروعات وقطاعات اقتصادنا القومى ، انها مشروعات تنتج سلعا أو خدمات أجنبية موجهة الى التصدير خارج البلاد ، وحتى اذا أرادت تصريف بعض انتاجها فى السوق المصرى ، فان دخول هذا الانتاج الى السوق المصرى يخضع لقواعد الاستيراد من الخارج ، واذا أرادت هذه المشروعات شراء بضائع محلية فان هذه البضائع تكون فى حكم السلع المصدرة ، فتحصل عليها ضريبة الصادر وغيرها وتستوفى كافة اجراءات التصدير .

ووفقا لهذا فان الفائدة التى تعود علينا من اقامة المناطق الحرة لا تتعدى تشغيل عدد من العاملين وتحصيل بعض الرسوم والضرائب . وفى مقابل هذا فاننا نتقبل تقديم موقعنا الجغرافى الممتاز فى قلب منطقة مستهلكة عظيمة كى تستفيد منه أفرع الشركات الاجنبية فى ايصال سلعها الى هذه الاسواق العربية بتكلفة أقل وبربح أعلى . والتكلفة الاقل تتحقق بسبب قرب المسافة من أسواق التصريف ، وأيضا لان اليد العاملة المصرية ذات أجر منخفض . وللحقيقة كان كرمنا عظيما مع الشركات الاجنبية ، فقانون ٦٥ لسنة ١٩٧١ كان ينص صراحة على سريان القانون الخاص بمقاطعة اسرائيل على المشروعات التى تقام فى المناطق الحرة ، ولكن القانون المنفذ حاليا رقم ٤٣ لسنة ١٩٧٤ أغفل هذا النص . الى هذا الحد فاقت حساسيتنا أكثر الدول العربية انفتاحا ، فلست أحسب ان دولة عربية واحدة يمكن أن تتردد فى النص على هذا المبدأ صراحة فى قوانينها ، ومع ذلك فليس هذا هو أخطر مظاهر الكرم ، فالمسألة

---

[١٧] حديث د. طاهر امين الى محمود المراغى — روزاليوسف ١٠ مارس ١٩٧٥

[١٨] محمود المراغى — روزاليوسف ١٧ مارس ١٩٧٥

الاكثر خطورة هى تقبل هذا الاندفاع الهائل لرأس المال الاجنبى نحو هذه المناطق التى لا تخضع لاى تخطيط أو اشراف جاد . ان اتساع هذا الجيب ليضم مدنا باكملها ثم مواقع استراتيجية هامة فى القاهرة والاسكندرية ، لا يمكن الا ان يؤثر تأثيرا سلبيا عميقا على هيكل الاقتصاد المصرى ، ولا يمكن الا أن يخلخل أسس نظامنا الاقتصادى والاجتماعى ، الذى جاهدنا وناضلنا من أجل ارساء ايجابياته . ان مشروعات المناطق الحرة التى ووفق عليها ارتفعت قيمة استثماراتها خلال أشهر قليلة الى ما يقرب من بليون جنيه ، ترى كم سيكون الرقم - لو سارت الامور بنفس المعدل - خلال عامين أو ثلاثة ؟ ان حصان طروادة ، أو ديناصور طروادة هذا لن يمكن لنا أن نسيطر عليه . انه قطاع هائل مدعوم بالامكانيات ، يعمل على أرضنا ، وعقله وقراراته تصدر من العواصم الخارجية .

ثم ما أثر هذا على سياسات التكامل الاقتصادى العربى ؟ هل سيساعدها هذا الجسم الغريب ؟! وما أثر هذا على قدرات مشروعاتنا التصديرية الى الاسواق العربية والافريقية ؟ لقد كان قربنا من هذه الاســــواق ميزة نقف بها امام منافســة الاحتكارات الاجنبية العملاقة التى تنخفض تكلفة انتاجها بسبب انتاجها الكبير وبسبب تقدمها الفنى وخبرتها الادارية ، فاذا بنا نقدم ميزتنا الوحيدة الى هذه الاحتكارات كى تستخدمها أيضا فى ضرب منتجاتنا . بل وما أثر هذا الجسم الغريب على انتاجنا المحلى داخل السوق المصرية نفسها ؟ وهل نصدق حقيقة أن انتاج هذه الشركات لن يتسرب الى السوق المحلية لاننا سنحيط المنطقة الحرة بأسلاك شائكة وسنقيدها باجراءات التصــدير والاستيراد ؟ واذا كنا قد شهدنا خلال الاعوام السابقة تدفق السلع المهربة من خارج الحدود فكيف سيكون الحال من داخل الحدود ؟! بل ان توسعنا فى المناطق الحرة وصل الى حد اننا نسمح بنص القانون ولائحته التنفيذية بأنه يمكن انشاء منطقة حرة خاصة تكون متصورة على مشروع واحد . أى انه يمكن لاى مشروع ان ينشأ فى أى مكان ويحصــل على ترخيص بأنه منطقــة حرة خاصة ، أى دولة ذات استقلال ذاتى ، ثم نتصور بعد هذا ان تعاملاته مع جيرانه ستخضع لقواعد الاستيراد والتصدير بفضل الشرطى الذى سيقف على بابه !

لقد نوقشت تحفظات كثيرة عند مناقشة قانون الاستثمار ، وكانت التحفظات بسبب الحرص على الاستقلال الاقتصادى والقطاع العام ، وضرورة التخطيط القومى ، والحفاظ على المكتسبات الاجتماعية ، ولكن تسم المناطق الحرة مر للاسف بأقل قدر من الحذر والالتفات ، مع أن نتائج التطبيق ، واندفاع راس المال الاجنبى الى هذه المناطق بالذات يدلنا على أن هذه المناطق هى مكمن الخطر الاعظم .

● **نصل الآن الى قضية اثارت اكبر قدر من التحفظ والمعــارضة اثنــاء منــاقشة قــانون الاستثمار .**

انها قضية السماح للبنوك الأجنبيه بالمشاركة فى ملكية بنوك تجارية تتعامل بالعملة المصرية . فى هذه القضية بالذات تحدث كل رجال البنوك وعارضوا . وتحدث رجال من مختلف الاتجاهات السياسية وعارضوا . ولكن الحكومة لم تتوان من ناحيتها عن استخدام كافة الحجج المدهشة لابقاء هـذه الفقــرة ٦ من المادة ٣ . وحين تراجــع المعترضون الى خط الدفاع الثانى وقالوا اذن يكون الشريك مع البنك الاجنبى بنكا من بنوك القطاع العام ، أصر ممثلو الحكومة على الترحيب بهذه البنوك الاجنبية بلا قيد أو شرط ، وقالوا انه لابد من اعطاء القطاع الخاص المصرى فرصة المشاركة أيضا فى البنوك التجارية ، فالقطاع الخاص من « مصريين أمناء على بلدهم يهمهم ارتفاع قدرها » وقال المرحوم وزير التامينات السابق أنه ليس مقبولا فى عهدنا المشرق ان نقول للمصرى انك لست محل ثقة ، ولذا فان النص على قصر المشاركة على القطاع العام دون الافراد اساءة لشعور المواطنين المصريين . وكان طبيعيا أن يرد رئيس اللجنة [د . العطيفى] ان المسألة ليست مسألة ثقة أو عدم ثقة فى المواطن المصرى ولكنها مسألة تنظيم لضمان سيطرة الدولة على قطاع المصارف . وهذه هى القضية . ولكن وزير التامينات السابق أطلق حكما آخر بالغ الغرابة ، فقال أنه يعتقد « كأستاذ جامعى وأستاذ بنوك بالذات ان البنك الاجنبى لا يأتى ليرسم سياسة هدم ، ولماذا نفترض سوء النية دائما فنتوقع أن هذه البنوك ستأتى لتهدم » [١٩]

ولا أدرى من اين أتى المرحوم د . حسن الشريف بهذا الاعتقاد . افهم أن يقال اننا يقظون ، وأننا قادرون على منع اى تخريب ، ولكن ان يقال ان البنك الاجنبى بطبيعته لا يمكن أن يشترك فى سياسة هدم فان هذا يتعارض حتى مع خبرتنا الحديثة مع البنوك الاجنبية بعد تأميم قناة السويس . الا أن المسئولين كانوا مستعدين لقول أى شىء فى تلك الفترة من أجل امرار القانون . بل

---

[١٩] وزير التامينات : مجمـــوعة الاعمال التحضيرية - مرجع سابق ص٢٧٥ .

لقد وضع د . عبد العزيز حجازى تعريفا جديدا للملكية العامة يختلف تماما عما يتداول كمسلمات ، فنحن نعرف ان الملكية العامة هى ملكية لكل المجتمع ممثلا فى الدولة وهى فى هذا تختلف عن الملكية الخاصة التى هى ملكية فرد أو بعض افراد . وقد طالب المعارضون لمشاركة البنوك الاجنبية فى البنوك التجارية المصرية ـ كما سبق ان ذكرنا ـ بأنه اذا كان ولابد من انشاء هذه البنوك فان الشريك المصرى الذى يملك ٥١ فى المائة من الاسهم يجب أن يكون أحد بنوكنا التى يملكها القطاع العام وذلك حتى نظل مرتبطين ـ بأى قدر ـ بمبدئنا القديم الذى ينص على انه « يجب أن تكون المصارف فى اطار الملكية العامة » « الميثاق ـ الباب السادس » . لقد طالب المعارضون بهذا ، فماذا بالدكتور حجازى يقول انه « عندما نتكلم عن اطار الملكية العامة فانما نعنى أن الغالبية فيها او الجزء الاكبر منها ، السيطرة عليه للمصريين » .. « وبالتالى فاننى أعتقد أن اطار الملكية العامة محافظ عليه بالكامل فى حدود النص الذى سبق ان شرحته طالما ان الـ ٥١ فى المائة فى أيد امينة وغير مستغلة » [٢٠] .. أى ان ملكية اى رأسماليين مصريين شرفاء هى ملكية عامة !!

والان ... ماذا تم فى موضوع البنوك ؟ تماما كما توقعنا، فهذا هو المجال الذى شهد انقضاض رأس المال الاجنبى ، وهذا طبيعى ، فالبنوك موقع استراتيجى هام يهمهم أن يتداخلوا فيه . ان ١٩ بنكا من البنوك العالمية طلبت افتتاح فروع لها فى مصر . هذه الفروع لن تتعامل بالعملة المصرية ، ولكنها ستستفيد من موقعها فى مصر كمركز متقدم وستنافس البنوك المصرية فى محاولتها استقبال الودائع العربية ومدخرات المصريين فى الخارج . والفروع التى ستعمل فى مصر ستساعد فى هذا زميلاتها وشقيقاتها المنتشرة فى الدول العربية صاحبة المال الفائض وفى بيروت . لقد ووفق بالفعل على عديد من هذه الطلبات . وفى مجال المشاركة فى البنوك التجارية التى تتعامل بالعملة المصرية « النقطة التى اثارت أكثر التحفظات » ووفق فعلا على انشاء خمسة بنوك منها بنك مشترك يتألف من بنك مصر « ٥١ فى المائة » مع بنك فيرست ناشيونال شيكاغو وبنك دى روما . وكذلك ووفق على انشاء بنك مشترك يتألف من البنك الاهلى المصرى « ٥١ فى المائة » مع بنك تشيس مانهاتان . كذلك ووفق على انشاء بنك ثالث يتألف من بنك الاسكندرية « ٥١ فى المائة » مع بنك باركليز .

ولعلنا نلاحظ هنا أن الحكومة الامريكية لا زالت تبحث مصير المعونة الهزيلة التى أعلنت انها ستقدمها « ٢٥٠ مليون دولار » ولعلنا نلاحظ أيضا أن رأس المال الامريكى لم يتقدم حتى الان للمشاركة فى مشروعات نحتاجها وتعتمد على التكنولوجيا المتقدمة ، ولكن فى البنوك بالذات لم يتردد رأس المال الامريكى لحظة فى المجىء ! ولكننا الى جانب هذا قد نلاحظ أيضا ملاحظة فيها شىء من الايجابية ، فقد تصورت أن الحكومة عادت الى فكرة أن يكون الشريك مع البنوك الاجنبية أحد بنوك القطاع العام المصرى بعد أن سفهت وهاجمت من طالبوا بهذا المطلب . وقد فرحت بهذا التصور لانه يحد من الخطر ، حتى وان ظللنا نردد : وما كان اغنانا عن مشاركة الاجانب فى هذا المجال اصلا .. الا أن د . طاهر أمين بدد الفرحة حين صرح باسم الحكومة أن قرار قصر مشاركة البنوك الاجنبية على بنوك القطاع العام هو قرار مرحلى لمدة عام أو عامين [٢١] وقد حاولت الحكومة طمأنتنا على مستقبل بنوك القطاع العام ، فاعلن ان شركات القطاع العام ستقصر معاملاتها على هذه البنوك ، ولكن معروف أن ودائع القطاع العام فى هذه البنوك لا تتجاوز ٣٠ فى المائة من اجمالى الودائع ، وان ٧٠ فى المائة للقطاع الخاص والعائلى . وفى الاستحواذ على هذه النسبة الاكبر من المدخرات المحلية ، ستنافسنا البنوك الاجنبية بدون مناسبة .

● ومع هذا الاندفاع نحو تأسيس البنوك التجارية المشتركة كان طبيعيا ان تمتد يد المراجعة الى تنظيم قطاع البنوك كله ، فألغيت عمليات الدمج السابقة « كان البنك الصناعى قد أدمج فى بنك الاسكندرية وبنك بور سعيد فى بنك مصر » ويعاد النظر حاليا فى الهيكل التنظيمى لجهاز المصرفى على اساس الغاء نظام التخصص ، فيصبح كل بنك وحدة مستقلة تتعامل مع أى جهة وفى مختلف الاغراض . ترى هل يتناسب ارتخاء القبضة المركزية على بعض الودائع والاعمال المصرفية فى البنوك المشتركة ، وهل يتناسب الغاء تخصص بنوك الدولة الذى تقرر عام ١٩٧١ مع اصول التخطيط المالى اللازم لتنفيذ الخطة الشاملة ؟ وهل كل هذه الاجراءات تبشر بالخير بالنسبة لخطة ١٩٧٥ ، وللخطة الخمسية التالية ؟ !

ان التصور الصحيح لتنظيم قطاع البنوك والذى يخدم تنفيذ الخطة الاقتصادية ، يتطلب فى مجال البنوك

---

[٢٠] النائب الاول لرئيس مجلس الوزراء ــ المرجع السابق ص ٤٩٦ و ٥٠٠

[٢١] د. طاهر امين : محاضر لجنة الاستماع فى مجلس الشعب لمناقشة الانفتاح الاقتصادى ــ جلسة ١٢ مارس ١٩٧٥ .

التجارية ـ كما يقول د. اسماعيل صبرى « وزير التخطيط » :

١ ـ تخصيص بنك للتجارة الخارجية ٢ ـ تحقيق التخصص والتكامل بين البنوك التجارية الاخرى . وقد بدأ بالفعل تحقيق هذا التخصص فيما يتعلق بالتعامل مع القطاع العام . ويجب التوسع فيه وتأكيده . فليس ثمة اى فائدة من التنافس بين البنوك ، ولا معنى لتعدد فروعها فى نفس المكان . ٣ ـ توفير الرقابة الكاملة للبنك المركزى على البنوك التجرية بحيث يكون مجموع فروعها شبكة مصرفية واحدة تغطى الجمهورية وتحركها فى المقام الاول توجيهات البنك المركزى .

اما الائتمان طويل الاجل ففى تقديرنا انه لابد من وجود بنك للاستثمار فى الجهاز المصرفى المصرى ويجب ان يتلقى هذا البنك الفائض الايجابى لكل شركات القطاع العام وعليه ان يوفر لكل شركة الاستثمارات المقررة لها فى الخطة [٢٢].

واعتقد اننا ابتعدنا ونبتعد كثيرا عن هذا النموذج التنظيمى الذى لا يمكن احكام التخطيط ـ فى المرحلة الحالية من نمونا ـ عن غير طريقه ، واذا كانت هناك ضرورات موضوعية لتعديل النموذج فيما يتعلق بالائتمان الطويل الاجل نتيجة محاولة اجتذاب فائض الاموال العربية ، فان هذا التعديل لا ينبغى ان يتعارض مع الفكرة المحورية لهذا التنظيم المطلوب ، وهذه الضرورات لا علاقة لها على اى حال بالبنوك التجارية .

● وما جرى فى نطاق البنوك ، يجرى فى نطاق التعامل الخارجى .

فبعد أن كان المبدا هو أن تكون تجارة الاستيراد كلها فى اطار القطاع العام « الميثاق ـ الباب السادس » بدأ فى عام ١٩٦٨ السماح للقطاع الخاص بالاستيراد من باب خلفى اسمى الاستيراد بدون تحويل عملة فكان وسيلة لطبقة من الوسطاء يتهربون من الضرائب ويصرفون مدخرات المصريين فى الخارج عن قنواتها الطبيعية الى داخل مصر .

ومنذ ذلك التاريخ ، وخاصة بعد صدور قانون استثمار المال العربى والاجنبى توالت التيسيرات للقطاع الخاص لكى يساهم فى الاستيراد عن طريق السوق الموازية وعن طريق الاستيراد بدون تحويل عملة ، وقد سمح القانون لمشروعات الاستثمار الاجنبى باستيراد احتياجات انشائها وتشغيلها من الخارج وينطبق نفس السماح طبعا على المناطق الحرة ، وتشير مختلف الضغوط الى احتمالات التوسع فى هذه الابواب من الاستيراد .

ان السؤال يطرح نفسه مرة اخرى : هل ارخاء قبضة التحكم المركزى على مواردنا المحدودة فى النقد الاجنبى هو الاسلوب الانسب للتنمية المخططة ؟ وبعيدا عن الخطة ، او الاشتراكية ، الا تدعو ندرة مواردنا من النقد الاجنبى ـ فى ظروفنا الحالية ـ الى اخضاع اولويات انفاقها لتحكم كامل من قبل الدولة ؟ والا هل يقبل استيراد سيارات الركوب والجبنة الرومى وما أشبه من السوق الموازية ،بينما نضطر الى شراء « القمح المطلوب بقروض قصيرة الاجل فائدتها ومصروفاتها ١٩ فى المائة وواجبة السداد خلال ١٢ شهرا » !! [٢٣].

وفى مجال التعامل الخارجى هناك ملاحظة اخرى أشارت اليها وزارة التخطيط : « ثمة ملاحظة ملفتة للنظر وهى عزوف الوزارات عن استخدام القروض والتسهيلات التى تقدمها الدول الاشتراكية حتى هبطت نسبتها من المكون الاجنبى للاستثمار الى حوالى ٥ر٨ فى المائة فقط ، ولابد من العمل على استخدام هذه الموارد المتاحة والمسارعة الى اعادة التفاوض بشأن القروض المخصصة لمشروعات عدلنا عنها او تأجل تنفيذها لاستخدامها فى مشروعات الخطة المقترحة » [٢٤] ولا شك اننا نتفق مع وزارة التخطيط فى أن هذه الملاحظة ملفتة للنظر فعلا ، بل ونضيف أنها ملاحظة خطيرة ، ويبدو ان وزارة التخطيط تتفق بدورها فى هذه الاضافة فهى تقرر فى موضع آخر من التقرير أن السمة الاساسية لسياسة الانفتاح الاقتصادى هى « أنها انفتاح على العالم كله شرقه وغربه . فمصر الحريصة على استقلالها الاقتصادى وموقفها المبدئى كدولة رائدة فى عدم الانحياز ترى فى تنوع علاقاتها الاقتصادية تأكيدا لعدم انحيازها وتأمينا لاستقلالها » [٢٥] ولكن هل يقتصر دور اجهزة التخطيط فى مثل هذه المسائل على مجرد توجيه الملاحظات ؟ اذن ماذا تركت لامثالنا من الكتاب والصحفيين ؟! واذا كان التخطيط غير قادر على حسم مثل هذه الامور الاستراتيجية ، والتى لا

[٢٢] راجع د. اسماعيل صبرى عبد الله : تنظيم القطاع العام ـ دار المعارف ـ ١٩٦٩ ـ ص ٤٦٠/٤٦١
[٢٣] حديث د. عبد العزيز حجازى الى فهمى هويدى ـ الاهرام ٧ فبراير ١٩٧٥
[٢٤] الخطة الانتقالية ـ مرجع سابق ص ١٤٣
[٢٥] نفس المرجع السابق ـ ص ١٢٤

تتقرر وفق معايير فنية فقط ولكن وفق معايير سياسية واقتصادية وفنية معا ، اذا كان التخطيط قد فقد سيطرته حتى في هذا المجال من تعاملنا مع الخارج .. اذن ماذا بقي للحديث عن جديه الخطة الانتقالية والخطة الخمسية ؟!

● **هناك أيضا اضافة عن مجالات الزراعة والثروة المعدنية والصناعة .**

لقد تحدثت باختصار عن تناقضات قطاع الزراعة التي تحد من امكانياته في التنمية ، وتحد من توافق خطواته مع احتياجات التخطيط الشامل . وستكون هذه التناقضات محور الصراعات وضغوط ومناقشات كثيرة في السنوات القادمة يصعب أن نتنبأ منذ الان ستحسم لمصلحة من ، لمصلحة القطاع العام والتخطيط ، أو لمصلحة أغنياء الريف ؟ ولكن ما يعنيني هنا هو الاشارة الى أمل خلق قطاع عام حديث في الزراعة الذى تتضافر قوى كثيرة من أجل خنقه . لقد ولد هذا الامل مع أراضي السد العالي الجديدة . وكانت كل القوى التقدمية تتطلع الى ان تكون هذه الاراضى طليعة الزراعة المتفوقة تكنولوجيا ومجالا لاقامه التجمعات الزراعية الصناعية الوطنيه . وفي هذه الحالة أن تكون هذه الاراضى نموذجا يشع اشعاعه داخل الاراضى التقليدية وحسب ، ولكنه سيمثل أيضا ركيزة استراتيجيه تستجيب - كقطاع عام - لاهداف التخطيط الشامل في مجال الزراعة . والسؤال الان : هل نتقدم نحو هذا الاتجاه فعلا ؟ ان سياسة الحكومة - منذ سنوات - تتجه الى تمييع هذه القضية ، وشيئا فشيئا وزعت أراضي السد العالي بالتمليك والايجار ، فمن بين ٦٥٠ الف فدان بلغت الحدية وزع ٣٠٠ الف فدان ، ومن الارض الباقية ستوزع ١٠٠ الف فدان أخرى كأرض متناثرة ، و ٤٠ الف فدان توزع على الخريجين ، و ١٠ آلاف فدان للمقاتلين ، ثم ٥٠ الف فدان أخرى ستحدد قواعد توزيعها ، والـ ١٥٠ ـــ فدان الباقية هي التي ترشح كجزر دولة ! وحتى في هذا النطاق يصر البعض على اقتسام استغلال هذه الارض المحدودة مع الشركات الاجنبية . كيف نقبل اشراك لاجانب في استغلال أرضنا الزراعية المحدودة والتي انتزعناها بدمائنا وعرقنا ؟ [٢٦] ويبدو كما لو أن اشراك الاجانب في استغلال هذه الاراضى قد تحول الان الى هدف قومي لا نحيد عنه ، فأثناء مناقشة قانون الاستثمار قيل اننا نبحث مشروعا لتربية الحيوان ومشروعا لتحديث وتصنيع الانتاج الحيواني في مساحة ٣٠٠ الف فدان غرب النوبارية . وبعد فشل هذين المشروعين بحثنا مشروعا مع شركة F.M.C. الامريكية لانشاء شركة النوبارية « ٥١ في المائة مصرى و ٤٩ في المائة أمريكي أو أمريكي عربي » ، بزراعة ٣٠ الف فدان ، وكانت الاقتراحات ان تتوسع المرحلة الثانية الى ٥٠٠ ألف فدان . وقد تعثر هذا المشروع ايضا « لان العروض الامريكية لم تكن مناسبة » ماذا بنا نطرح مشروع النوبارية الان للشركات العالمية ! وكما يقول د . الجبلي ساخرا « وزير الزراعة الاسبق » « اذا وصل الحال الى ان مصر اصبحت تحتاج لمن يزرع لها أرضها يبقى نموت أحسن ! » .

اننا نضيع فرصة ثمينة ولا تعوض لتحديث الزراعة المصرية مع ادخالها عضويا في نطاق التخطيط الشامل ، سواء ببيع وتوزيع الاراضى الجديدة أو باعطائها لشركات أجنبية ، واى شركة أجنبية ستزرع بالمناسبة وفق ما تراه محققا لاقصى أرباحها وليس وفق أولوياتنا نحن . انها قد تستخدم أساليب حديثة ولكن دون ارتباط بأهداف التخطيط .

● **كذلك الثروة المعدنية :**

ففي الوزارة السابقة وفي الوزارة الحالية تلح وزارة الصناعة من أجل اتاحة المجال للقطاع الخاص للعمل في قطاع التعدين وفي الملاحات [٢٧] . وهو في هذا المجال سيتطفل على نتائج الكشوف التي صرفت عليها الدولة ، وسيختار المواقع السهلة ذات العائد السريع ، وفي الماضي كان السماح للقطاع الخاص في هذا المجال مرتعا للنهب غير المنظم ، وفي الظروف الحالية سيعود النهب طبعا ، ومع تواجد امكانيات القطاع العام في الاماكن المجاورة سيتم النقل ايضا ان شاء الله بعربات الدولة « بالاتفاقات الجانبية وحيث تتعذر المراقبة في الصحارى » وما هي الفائدة التي تعود على الاقتصاد القومي من كل هذا ؟ وهل النظرة الشاملة للتخطيط القومي تبرر مثل هذا الاتجاه ؟! الاهم من هذا كله هو اننا نرجو أن تتنبه النظرة الشاملة للتخطيط القومي الى ضرورة رفض فكرة الكونسورتيوم الاوربي المقدمة لاستغلال فوسفات ابو طرطور . فليس هناك أى مبرر لاشراك رأس المال الاجنبي في اقتسام هذا الكنز الثمين . في البترول المشاركة مفهومة لان رأس المال الاجنبي يتحمل مخاطر ضياع الاموال

---

[٢٦] راجع المعارضة المتميزة للدكتور مصطفى الجبلي - الطليعة اغسطس ١٩٧٤.
[٢٧] الاهرام - ١٣ فبراير ١٩٧٥.

فى التنقيب . ولكن فوسفات أبو طرطور نحن الذين اكتشفناه ، ودراساته الكاملة بمستوفاه ، ولا تنقصه الا الاموال اللازمة للانشاءات ومد الطرق واقامة الميناء ، وجزء كبير من هذا يمكن ان نحصل عليه عن طريق القروض . قد يبدو رأينا منطقيا ، ولكن سريان المنطق لم يعد مضمونا بعد هذا الذى يحدث فى ارض السد العالى .

● واخيرا .. لقد طالب البعض بالغاء المؤسسات العامة كأسلوب تنظيم القطاع العام .

وقد علق د . حجازى على هذا المطلب « بان الغاء المؤسسات العامة يضيع كل المكاسب التى حققناها من خلال ادارة القطاع الاقتصادى ، ومن أجل هذا فاننى أؤيد تأييدا كاملا بقاء المؤسسات العامة الاقتصادية باعتبارها الشركات الام » [٢٨] . ولكن بعد هذا التصريح بايام صدر قرار باعطاء ٢٠ مصنعا سلطات مطلقة فى الانتاج والاستيراد والنقل البحرى ، وفى التعامل مع البنوك لتدبير العملات الاجنبية اللازمة لاستيراد مستلزمات الانتاج ، وقد أعلن أن هذه القائمة دفعة أولى وأن كافة الوزراء كانوا بتقديم اسماء الشركات التى سيطبق عليها هذا « النظام » فى قطاعاتهم ، وقد صرح د . ظاهر امين بانه لا يجد مانعا من تطبيق هذا النظام على كل الشركات العامة ، وهكذا فان قطاع الاستثمار المشترك يعامل كقطاع خاص ، حتى لو كان الشريك للاجنبى هو احد شركات القطاع العام المصرى ، بل شركات القطاع العام الرئيسية تفلت شيئا فشيئا ، وبدون المشاركة مع الاجانب ، من ضوابط الاشراف المركزى التى تتحقق عبر المؤسسات العامة . فهل هذا هو الشكل التنظيمى الامثل للقطاع العام كاداة تنفيذيه لخطة ١٩٧٥ وما يتلوها من خطة خمسية تحت الاعداد ؟ ! ان تحفظاتنا عديدة على نظام المؤسسات النوعية كاسلوب ادارى لا يتناسب مع طبيعة العلاقات الاقتصادية الموضوعية بين الشركات العامة ، والمؤسسات النوعيه تحولت الى أجهزة بيروقراطية تثقل كاهل الشركات وتعوق حركتها ، ولكن لا يمكن ان يكون الحل هو العودة الى صيغة اكثر تخلفا من صيغة المؤسسة الاقتصادية التى نشأت عام ١٩٥٧ .

● كان مفروضا أن أتحدث بعد هذا عن الموقف من القوى البشرية ، من الجماهير الشعبية وكوادرها الفنية ، وللحقيقة فانها العامل الاول - بالعلم وبالحساب - فى انجاح التنمية والتخطيط فى مصر .. وفى هذا المجال ، كما فى المجالات السابقة التى اشرت اليها ؟ سنجد أن هذه القوى أبعد ما تكون عن الاعداد لهذه المهمة ، والسياسات التى تضعف امكانيات التنمية المخططة فى المجالات المختلفة ، تمتد أيضا الى هذا المجال الاساسى . ولكن هذا يتطلب وقفة خاصة أفضل أن أعالجها فى موضوع مستقل .

● ● ●

وسالخص الان ما عرضته فى الصفحات السابقة :

١ - لقد تقدمت الحكومة بخطة طموحة يبدو أن أولوياتها حددت على أساس معقول باستثناء تحفظنا على معدل التعمير وأسلوب تنفيذه .

٢ - السياسة العامة للحكومة ، والنظام الاقتصادى الجديد الذى تنشئه يبدو معوقا لتنفيذ خطة ١٩٧٥ ، أو أى خطة أخرى فى المستقبل . فالدائرة التى يتحكم فيها التخطيط تضيق باستمرار . وسلطات وزارة التخطيط بشكل عام محدودة ، والمؤسسات التى تمكن من تنفيذ أى خطة تذوى بشكل مضطرد .

فالتعمير خارج نطاق التخطيط - القطاع الخاص يتعاظم دوره فى قطاع المقاولات - قطاع الاستثمار المشترك يخرج عن دائرة التخطيط وتنظيمات القطاع العام - قطاع المناطق الحرة السريع النمو أكثر تحررا من الاشراف المركزى - البنوك التجارية المشتركة تقلل من قدرتنا على التخطيط المالى - الاتجاه الى الغاء التخصص فى البنوك التجارية العامة نتيجة طبيعية ، ويفاقم من هذا الاتجاه تمييع قضية القطاع العام فى مجال الزراعة - المخاطر ضد سيطرة الدولة فى قطاع التعدين - اضعاف الاشراف المركزى على الشركات العامة .

الى أين تقودنا الحكومة خطوة خطوة ؟ !

٣ - نتائج سياسة الانفتاح : امام ضرورات التصنيع ، تستجيب الحكومة لدعم استثمارات القطاع العام ، وللاعتماد فى خطة ١٩٧٥ على القروض الخارجية مع الدول والمؤسسات الاجنبية كوسيلة أولى للتمويل الخارجى ، تنفيذا للانفتاح الاقتصادى وهذا ايجابى . ولكن يقابل هذا تحيز فى ارتباطاتنا الاقتصادية مع الغرب على حساب روابطنا التقليدية مع الدول الاشتراكيه ، وهذه علاقة سلبية تضرنا سياسيا واقتصاديا . ومن ناحية أخرى لاحظنا فى مجال الاستثمار الاجنبى المباشر ، أن الاستثمار فى المناطق الحرة يفوق

---

[٢٨] مناقشة بيان رئيس الحكومة بالجلسة الرابعة عشرة .

الاستثمارات المشتركة داخل اقتصادنا القـومى وهذا خطير . وفى الاستثمارات المشتركة خارج المناطق الحرة لاحظنا خللا فى ترتيب الاولويات ، فالتزاحم واضح على مجال البنوك وهذا امر لا نرحب به . وبالنسبة لحجم الاستثمارات كانت المبانى السكنية الفاخرة فى المقام الاول ، وتلتها السياحة ، وكانت الصناعة فى المحل الثالث وفى مشروعات لا تمدنا بالتكنولوجيا المتقدمة التى كانت اساسا فى ترحيبنا بالاستثمار الاجنبى المشترك . وقد صرح د . طاهر امين بأنه يجرى حـاليا التفـاوض بشـأن مشروعـات للحديد والبتروكيماويات ، وهذا هام ولكنه لم يتحقق حتى الان .

اننا على ضوء هذا العرض نحذر ان رئيس الحكومة وكافة المسئولين يتصدون فى كل مناسبة لاراء اقصى اليمين التى تعارض اى حديث عن القطاع العام أو التخطيط ، وقد عارضت الحكومة الاراء التى طالبت ببيع نسبة من القطاع العام الحالى . ولكن هذه الاراء اليمينية هى فى الحقيقة آراء عفى عليها الزمن ، فاغلبية الرأسماليين فى كل بلاد العالم أصبحت تطالب بقدر من تدخل الدولة ، وفى الفكر الاقتصادى الغربى لم يعد هناك – بشكل عام – من ينصح الدول الغربية المتقدمة أو الدول النامية بالابتعاد عن التخطيط أو عن تملك الدولة لبعض المشروعات الحاكمة . وبالتالى فان الخلاف الحقيقى لم يعد بين التخطيط أو عدم التخطيط ، ولكن حول مدى ومضمون التخطيط ، وحول مدى ودور القطاع العام . هل المقصود هو مجرد توجيه الاقتصاد القومى أو تخطيطه ؟ وهل القطاع العام هو قائد للتنمية وللقطاع الخاص ؟ أو هو مساعد للقطاع الخاص فى تحقيق التنمية الرأسمالية ؟ وهل التنمية – فى التحليل النهائى – تهدف الى بناء اقتصاد قومى مستقل ولصالح الجماهير العاملة ؟ أو تهدف الى اقتصاد مشوه ترتبط قراراته الاساسية بخارج الوطن ، وتزيد الفوارق بين الطبقات ؟

هذه هى الاسئلة الحقيقية المطروحة فى الساحة المصرية .

كيف نسدد القروض ؟

بقيت نقطة أخيرة ونحن نتحدث عن خطة ١٩٧٥ ، انها نقطة تمثل خللا هيكليا خطيرا فى بنيان الخطة ، ونقصد قضية تدبير الموارد اللازمة لتمويل الخطة . لقد ناقش تقرير لجنة الخطة والموازنة هذه المسألة ، ووافق التقرير على مبدأ ان يكون التمويل الاساسى لاستثمارات الخطة عن طريق الاقتراض من الخارج . فالموارد المحلية التى يمكن تعبئتها – حسب تقرير وزارة التخطيط – لا تتجاوز ٣٦٦ مليون جنيه ، والموارد الخارجية التى سنعتمد عليها فى تحقيق الاهداف الاستثمارية تقدر بنحو ١١٠٠ مليون جنيه ، اى أن المدخرات المحلية لا تتجاوز ٢٥ فى المائة من الحجم الاجمالى للاستثمار المستهدف . ويقول تقرير التخطيط أننا سنتمكن من تحصيل المـوارد الخارجية فى شكل منح ومعونات وقروض وفى شكل استثمارات مباشرة . واذا كنا نعلم ان حجم المعونات والمنح محدود جدا ، وكذلك الاستثمارات المباشرة ، فان معنى هذا أن الاعتماد الاساسى سيكون على الاقتراض . واذا كان تقرير لجنة الخطة والموازنة قد وافق على تمويل عجز يصل الى نحو ١١٠٠ مليون جنيه بالاقتراض مـن الخارج ، وقال انه ليس هناك عيب او خطر فى ذلك ، فاننا نرفض هذا المنطق ونعتقد أن قيام خطة للتنمية – فى ظل الاوضاع التى شرحناها فـى الصفحات السابقة – تعتمد فى تمويلها الغالب على الخارج يعرض بلادنا لمخاطر غير محدودة . ويزيد هذه المخاطر والمحاذير ما جاء فى تقرير اللجنة بعد ذلك . فالخطة تقترض نوعين من القـروض :

١ – قروض انتاجية قصيـرة الاجـل « قروض تجارية » ٢ – قـروض استثمارية طـويلة الاجل [٢٩] . فأما النوع الاول من القروض فان الخطة تقوم بالحصول عليه لتمويل شراء جانب كبير من السلع الوسيطة خصوصا تلك التى تدخل فى تشغيل الطاقات العاطلة . وهذه القروض يجب سدادها بعد فترة قصيـرة ، ولكى يمكن سدادها يجب أن نكون قادرين على تصدير جزء من الانتاج الذى تحقق نتيجة لعملية الاقتراض من الخارج . فاذا كانت أرقام الخطة تتوقع جهودا فى حجم صادراتنا فان هذا يعنى أننا لن نتمكن من سداد فوائد واقساط القروض الانتاجية قصيرة الاجل التى سنقترضها لتشغيل الطاقات العاطلة ، ومعنى ذلك ان هذه الطاقات العاطلة التى سيتم تشغيلها عام ١٩٧٤ نتيجة للاقتراض ستعود طاقة عاطلة مرة أخرى لانه لن يكون هناك من يقرض بدون انتظار سداد قرضه وفوائده ، وان عدم سداد القروض التى ستمول الطاقات العـاطلة سيضر بالمركز الائتمانى للدولة ، وسيضعف قدرتنا فى الحصول على القروض الانتاجية التى نمول بها انتاجنا العادى ، وبذلك ستظهر الاختناقات فى اقتصادنا القومى بصورة اكثر عنفا فى عـام ١٩٧٦ .

[٢٩] راجع تقرير لجنـة الخطـة والموازنة – مرجع سابق

أما فيما يختص بالقروض الاستثمارية فان سداد هذه القروض يتوقف على الصادرات التى ستتحقق فى السنوات المقبلة كنتيجة لاستخدام هذه الالات فى الانتاج .

« ولكن يلاحظ ان الكثير من المشروعات يتعلق بالتعمير والاسكان والمرافق ، وهذه أنشطة لن تترتب عليها صادرات ، ولكن الخطة تمول جانبا كبيرا من هذه بقروض ، وهذا يضعف مركزنا الاقتصادى ، ذلك أنه لن يمكن سداد مثل هذه القروض الا اذا أمكن زيادة الصادرات من المشروعات الاخرى زيادة ضخمة تكفى لسداد قروض المشروعات جميعها ، وهذا أمر لا يتأتى المشروعات حديثة متكوين ، وكان واجبه على المخطط للمحافظة على سلامة الاقتصاد المصرى فى علاقاته الخارجية أن يعتمد فى تمويل مشروعات الاسكان والتعمير والمرافق على المعونات ، كما فعلت كثير من الدول التى مرت بها حرب » .

اننا نعارض ـ كما قلت ـ مبدأ أن نعتمد على الاقتراض الخارجي كمصدر رئيسى لتمويل التنمية ، ويزداد اعتراضنا مع د . احمد ابو اسماعيل حين يكون مؤكدا منذ الان اننا لن نستطيع سداد هذه القروض الكبيرة . مد يخفف من هذه المخاوف ان تكون اجهزة التخطيط واضعة فى اعتبارها احتمال زيادة الموارد المحلية خلال هذا العام من خلال انسحاب اسرائيلى عن مناطق البترول فى سيناء ، وسيحل هذا المورد جزءا من مشكلة السداد . او يقلل من حاجتنا للاقتراض . وقد اشار تقرير الخطة الى هذا الاحتمال فعلا ، بل ووضعت الخطة فى اعتبارها ايضا افتراض اعادة تشغيل قناة السويس خلال عام ١٩٧٥ والحصول منها على ايرادات قدرتها بحوالى ٧٥ مليون جنيه [٣٠] ، ولكن فى حالة عدم تحقق هذه الاحتمالات يصبح من الضرورى اعادة النظر جذريا فى حجم ونوع الاقتراض الخارجى . صحيح ان الوضع الاقتصادى المنهك يبرر قبول بعض المخاطر وقبول المراهنة مثلا على قدوم معونات أو اكتشافات بترولية جديدة أو امكان اعادة جدولة الديون .. الخ . ولكن كل هذا لا يبرر حجم المخاطر التى قبلت بها الخطة ، والتى لا ينبغى أن تستمر فى حالة الفشل فى اجبار اسرائيل على اجراء انسحاب جزئى آخر .

الا ان الامر المثير للاندهاش فى تقرير لجنة الخطة والموازنة هو انها لم تقترح حلولا مقنعة للمشكلة التى أثارتها حول اللجوء الى التمويل الخارجى . لقد اقترحت تعديل الاولويات ، فنصحت بالاقلال من محاولات تشغيل الطاقات العاطلة « فمشاكل الجماهير يجب أن تحل فى حدود الموارد المتاحة .» . كذلك اشارت اللجنة ضمنا الى أن يكون التعمير فى نطاق المعونات المتاحة ، ولكنها طالبت فى مقابل هذا باستثمارات اضافية أو باعادة توزيع الاستثمارات بحيث تزداد أنصبة هذه المجالات : الزراعة والرى ـ كهربة الريف ـ التعليم العام ـ التعليم العالى والجامعى ـ صحة ريفية ـ نقل بحرى ـ ادارة محلية ـ مرافق مدن صغيرة وقرى ريفية . وتعنى هذه المقترحات ان الحجم الاجمالى للقروض الخارجية المطلوبة لن يقل بل قد يزيد . واذا كانت كافة هذه المجالات لن تزيد التصدير بحيث يسهل تسديد القروض المستخدمة فى تمويل استثماراتها ، فان تعديل الاولويات لا يعد حلا اذن لهذه المشكلة .» وقد يبدو أن الحل الاخر الذى تقدم به تقرير اللجنة هو الحل الاكثر واقعية ، فقد اقترح مصدرين لزيادة الموارد المصرية : المصدر الاول محاولة تأجيل سداد ديون الحرب او تقسيطها على آجال طويلة جدا مع تخفيض الفوائد المقررة . والمصدر الثانى مطالبة الدول العربية بزيادة الدعم المقدم لمصر ، وقدرت اللجنة هذا الدعم الاضافى بـ ١٠٠٠ مليون جنيه .

وجميل جدا لو تحقق لمصر هذان المصدران ، ولكن أمرهما يخرج عن يدنا ويتعلق بارادة الاخرين ، فكيف نواجه الموقف فى وضعنا الراهن ؟

لقد ناقشنا موقف التقرير فى موضوع أولوية الزراعة ووصلنا الى ان التقرير كان حريصا على عدم الاشارة الى استراتيجية عامة لتطوير الزراعة . وربطها بالتخطيط ، واوضحنا كذلك حرص التقرير على عدم مناقشة أسلوب تعبئة وتوجيه الفائض الزراعى الى اغراض الاستثمار والتنمية ، وكان هذا انحيازا لاغنياء الفلاحين . وفى هذه النقطة ونحن نتكلم عن حل مشاكل تمويل الاستثمار عاد التقرير الى الانحياز ، ولكن فى هذه المرة الى أغنياء الريف والمدينة معا . فرغم وضوح مشكلة التمويل ، ورغم خطورة الاعتماد على الخارج ، ورغم بحث التقرير عن حل فى العالم العربى بل وفى كل أنحاء الارض لم يخطر على بال د . أحمد أبو اسماعيل الحل الذى يبدو أنه فى يدنا وعلى ارضنا ، الا وهو أن نزيد حجم الفائض الاقتصادى المحلى الموجه للتنمية . ومرة اخرى لم يكن الامر سهوا . المسألة أن هذا الحل يغضب الطبقة التى تفضل تبديد جزء كبير من الفائض الاقتصادى فى استهلاكها الترفى .

---

[٣٠] الخطة الانتقالية ـ مرجع سابق ص ٤٣ و ٤٤

محاولة لاستطلاع مستقبل أزمة الشرق الأوسط في كتاب جديد

ماذا تعني التسوية ؟

يصدر بعد ايام عن « دار القضايا » في بيروت كتاب للزميل محمد سيد أحمد ، الكاتب السياسي « بالاهرام » ، وعضو أسرة تحرير « الطليعة » ، يستطلع فيه مستقبل ازمة الشرق الاوسط ، تحت عنوان : « بعد أن تسكت المدافع .. » ؟! .

وبترتيب خاص مع « دار القضايا » ، تنشر « الطليعة » بعض صفحات الكتاب التي يتقصى فيها المؤلف معنى انجاز « تسوية » لازمة الشرق الاوسط .

لا يكاد يوجد اليوم مصري ، أو عربي ، على استعداد أن يطرح على نفسه ، أو على غيره ، السؤال : يوم أن ننجز هدف « السلام العادل والدائم » في المنطقة ، يوم أن نحقق التسوية مع اسرائيل ، يوم أن تسكت المدافع نهائيا ، ما الذي سوف يكون ؟ ما هي الملامح التي نتصورها للشرق الاوسط ؟ ما هي الخواص التي سوف تميز علاقاتنا مع اسرائيل ؟

موضوع محظور الاقتراب منه ، حتى بالتأمل والفكر ، لان التحدث عنه علنا ، بالنشر او بالقول ، ممنوع . وان لم يكن ممنوعا ، فهو مدان في أذهان جمهرة الرأي العام العربي ، وحتى في رأي غالبية الصفوة .. مدان لاعتقاد رسخ بعمق في ضمير الامة العربية ، أن التسوية مستحيلة التحقيق بغير تصور واحد لها لا بديل عنه ، هو الاستسلام لخطط اسرائيل ، والانصياع للمشروع الصهيوني .

ومع ذلك ، فان تحقيق « السلام » بما يفترضه من انجاز تسوية مع اسرائيل ، امر مطروح كهدف علني وكهدف ملح ، بل كهدف على رأس أهداف

المرحلة ، انه مطروح كهدف حقيقى ، لا كمناورة سياسية ، ولا كمجرد « تكتيك » فى استراتيجيته تستهدف العكس ، ولم تحد عن فكرة ازالة اسرائيل .

والدليل على أن النية خالصة ، فى أن يكون هذا الهدف حقيقيا ، هو أنه أصبح أساس التزامات عربية لا رجوع فيها تجاه أطراف دوليه متعددة ، التزامات لا يجوز الاستهتار بها . ولو افترضنا جدلا أن هدف السلام ليس شرطا يتوقف عليه استقرار وتطوير العلاقات العربية السوفيتية . فهو بلا شك شرط تنمية العلاقات العربية الامريكية ، وشرط التطلع الى حوار مثمر مع دول السوق الاوروبية المشتركة .

ولكن ما دامت التسوية مع اسرائيل ومستقبل السلام فى المنطقة لم يتقرر مهما نصور واضح الملامح ، فلا ينتظر من اسرائيل ان تقر ان الهدف حقيقى . وسوف تتذرع بهذه الحجه للتشكيك فى صدق الدعوى ، ولتاكيد ان العرب لم يتخلوا قط عن نيتهم الدفينة فى ازالة اسرائيل بكافة الطرق المتاحة . وهو منطق تستند اليه الان ، للتعنت فى رفض التسوية ، واجهاض هدف العرب فى تخطى نزاع يستنزف طاقاتهم ، ويصرف انظارهم عن مشاكل عديدة يمليها تطلعهم الى مواكبة العصر .

والواقع ان المستقبل المنظور لمصر ، وللعالم العربى ، هو المستقبل الذى سوف تتم فيه « تسوية ما » لازمة الشرق الاوسط . ليس هناك مجال الان لاستطلاع مستقبل لمصر ، او للامة العربية ، منفصل عن ازمة الشرق الاوسط ، منفصل عن قضية اسرائيل . . مستقبل يكون قد ابتعد عن مشكلة التحدى الصهيونى ، بحيث لم يعد هذا التحدى واردا ، ذلك انحركة التناقضاتفى المنطقة كلها مرتبطة بصورة او بأخرى بهذا التحدى ، ويتعذر الان التنبؤ بخريطة للمنطقة بمعزل عن هذا التحدى ، أو مع افتراض عدم وجوده أصلا .

لقد سبق أن أشرنا الى أن ربع القرن الماضى من تاريخ مصر والمنطقة لم يكن منفصلا عن تأسيس اسرائيل . وانطلاق ثورة مصر ليله ٢٣ يوليو ١٩٥٢ لم يكن منفصلا عن تأسيس دوله اسرائيل فى ١٥ مايو ١٩٤٨ . لقد كانت الشرارة الاولى فى حركة الضباط الاحرار ، هى الاهانة التى ذاقها جيش مصر على يد مسئولين كان يرجع فسادهم الى فساد النظام الملكى المصرى ، وأسلوبه الفاسد فى خوض حرب فلسطين الاولى . ولم تكن اسرائيلغائبة أبدا عنالمنعطفات التى عاشتها ثورة مصرمنذ ذلك التاريخ . وما ينطبق على مصر تخصيصا ؟ ينسحب على أرجاء اتسعت على الدوام من الارض العربية .

ان الاطار الوحيد لمستقبل منظور للمنطقة هو الاطار الذى تتقرر فيه مصائر ازمة الشرق الاوسط ، مهما طال الوقت أو قصر . تماما كما كانت المواجهة العربية الاسرائيلية هى الاطار الاساسى لكل تطورات المنطقة منذ تأسيس اسرائيل حتى اليوم .

قلنا : مهما طال الوقت أو قصر . . ذلك أن استشراف ملامح المستقبل لا يتقيد باجال زمنيه ، لا بالعام القادم او بالعقد القادم او بنهاية القرن او بمنتصف القرن المقبل . . ومن هنا فليس من تصور لمستقبل أزمة الشرق الاوسط لا يصل بها الى نهاية ما ، بتسوية ما ، فى يوم ما .

ولكن يجدر بنا ان نتساءل : حتى لو سلمنا بأن الطريق الى التسوية ـ طال أو قصر ـ لابد أن تتخلله حرب خامسة ، أو سادسة ، أو سابعة . . فماذا سوف تحققه هذه الحروب ؟ وحتى لو افترضنا جدلا ان تكون الحرب القادمة ، او التالية لها ، أو التى تتلو التالية ، حربا تحرز فيها اسرائيل نصرا ساحقا ، فان ذلك لن يلغى تساؤلا هاما اثار قلق الجنرال الاسرائيلى بالتقاعد « ماتيتياهو بيليد » وكان قد طرحه قبيل اعلان وقف اطلاق النار فى حديث يعكس هموم ذوى البصيرة فى المؤسسة الحاكمة الاسرائيلية :

« ولنفترض أن مصر استسلمت بسكانها البالغ عددها ٣٥ مليونا ، ماذا تملك دولة بصغر حجم اسرائيل أن تفعل بهم ؟ وهل أهداف الصهيونية هى أن تحتل على الدوام المزيد من الارض العربية ، وأن تعمل بانتظام على تدمير اقتصاديات العرب ؟ ومن ذا الذى سوف يزود اسرائيل بوسائل انجاز ذلك ؟ » .

لذلك جاز لنا ان نقرر ـ كما قال أنور السادات ـ **انه لا يوجد لازمة الشرق الاوسط « حل » عسكرى** . وقد بلغت الازمة من الخطورة لاطراف دولية متعددة حدا أصبح معه « **عدم الحل » أمرا هو الاخر غير محتمل** . لذلك فان « تسوية ما » واردة لا مناص . وسبق ان **اشرنا** الى ان اسرائيل وهى **تتحدث عن المستقبل** ، تطرح تصورات عما بعد حدوث التسوية فقط ، **وتمتنع** عن كل حديث حول كيفية أتمام التسوية ، **والعرب** عندما يتحدثون عن المستقبل ، **لا يتصورونه الا فى** بعده الذى يسبق حدوث تسوية ، **ويكتمون هم** أيضا ، بل يرفضون كل تفكير فيما سوف **يعنيه** انجاز التسوية . وليس ذلك مما يرسى **بوادر**

« التكافؤ » التى برزت بين اطراف النزاع بفعل حرب اكتوبر على اسس قويمة ، وليس ذلك مما يجنب العرب محاذير التسوية ، ومخاطرها عليهم ، بل شأنه فقط تجريدهم من الرؤية الواضحة . **ومن هنا ، فلا مفر من طرح تصورات عن التسويه ، فيما سوف يكون عليه وضع المنطقة بعد التسوية ، فى افضل « الفروض » وفى « أسوأ » الفروض .. فهذا على أى حال هو وحده حلقات المستقبل التى يمكن استشراف ملامح لها منذ الان ، وهو اجتهاد لا غنى عنه ، حتى لو اقتضى الواجب فى الحال أوسع حشد للجهود ، استعدادا لاستئناف القتال . وحتى لو اشارت شواهد عديدة الى تجمع سحب الحرب من جديد .**

• • •

ماذا تعنى التسوية ؟

لا تعنى التسوية بالقطع الغاء التناقض كما سبق وأوضحنا فيما يتعلق بالتسويات الكبرى التى انجزت مع حلول الانفراج الدولى ، والتسويه التى سوف تنجز بين العرب واسرائيل ، لو حققت شرط ارضاء جميع أطراف النزاع ، هى تسوية سوف تسترشد هى الاخرى بهذه القاعدة .. سوف تكون **تعبيرا عن دخول أزمة الشرق الاوسط عصر الانفراج الدولى ، وعن تخطيها الانطباع بالخواص التى ميزت فترة الحرب الباردة** ، وبالذات خاصية الاستقطاب المطلق ، والعداء المستحكم ، وانقطاع كل صلة بين الاطراف المتنازعة ، وانعدام كل لغة مشتركة ، كل « قاسم مشترك » بينها .

التسوية اذن ليست الغاء للتناقضات ، بل هى اعادة ترتيب هذه التناقضات ، بجهد واع ومدبر ومتعمد يستهدف « عزل » و « تجميد » التناقضات التى يعتبر ضررها على جميع الاطراف أكبر من فائدتها لاى طرف .

تعنى التسوية عقد اتفاقات صريحة أو ضمنية ، تنشىء التزامات متبادلة بين اطراف النزاع ، معززة بضمانات متكافئة ، من أجل استبعاد ممارسة التناقض بأسلوب الحرب ، أو بأى أسلوب آخر يلحق ضررا بجميع الاطراف ، يفوق ما قد يحمله من مزايا لاى طرف . وتعنى كذلك اقامة شبكة من الضمانات المتبادلة ، ينطوى على مجموعة من « الروادع » ومن « الحوافز » ، لا لمجرد تعزيز الالتزام بالامتناع عن ممارسة أشكال محددة من الصراع ، ولكن أيضا لتنشيط الاتجاه الى صرف النظر عنها نهائيا ، وتنمية مصلحة الجميع فى تحويل التسوية الى ظاهرة لا رجعة فيها .

ليس معنى ذلك بالبداهة أن يكون الصراع قد انتهى ، انما يعنى أن الصراع سوف يكتسب أشكالا أخرى ، اشكالا تختلف تماما عن اشكاله السابقة ، أشكالا علينا ان نستشف ملامحها .

ما هى أبرز هذه الملامح ؟

أبرز هذه الملامح فى شواهدها العامة **هو تكاثر عدد الاقطاب المستقلة والمتميزة فى النزاع** ، وتكاثرها على نحو ينبىء بزيادة صعوبة احتواء الظاهرة .. أو ردها بمعنى الرجوع بالحالة الى ما كانت عليه من قبل . لقد ترتب على استقطاب النزاع فى مراحله السابقة ، قصر أبرز أقطابه ، أى أقطابه ذات الوزن فى تقرير مجرياته ، على عدد محدود فقط . ومهما بدت خريطة النزاع معقدة ، ومهما تعددت الاسباب الاجتماعية والعقائدية والطائفية والدينية والعرقية ، الخ .. للنظر الى النزاع برؤى مختلفة ، فكان هذا التنوع ممتصا داخل اطار نمط بسيط ، تحكمه المواجهة الاساسية . وكانت أوجه الاختلاف والخلاف - القائمة أو الكامنة - لدى اطراف النزاع الرئيسية ، مجمدة أو معطلة ، او مرجاة ، لحين الانتهاء من المعركة الرئيسية . هذا هو المقصود بشعار « اعلاء صوت المعركة فوق كل صوت » ، وضرورة الحفاظ على « الوحده الوطنية » و « تماسك الجبهة الداخلية » الخ ...

كان التناقض الذى طغى لدى اطراف النزاع على كل تناقض آخر هو التناقض « الوطنى » فان الدول العربية المجاورة لاسرائيل تعرضت سيادتها للانتهاك باحتلال اسرائيل أجزاء من أرض **الوطن** .

وعانى شعب فلسطين من اهدار صميم وجوده ، كشعب ينتمى الى **وطن** ، ويستقر على أرض .

والاسرائيليون يحسون بأن العداء العربى لهم هو تهديد فى الصميم لهدف المشروع الصهيونى فى اقامة « **وطن** قومى لليهود » فى فلسطين . ومن هنا ، كانت اطراف النزاع الواضحة الهوية محدودة ، هى « الدول العربية » من جانب ، واسرائيل من الجانب الاخر . ثم برز خلال ممارسة النزاع هوية مستقلة لشعب فلسطين ، وتحددت قضيته كقضية تندرج داخل اطار حق العرب فى استرداد أراضيهم المسلوبة ، ولكن بخواص متميزة لعدم استناد شعب فلسطين الى وطن مستقل ، مكتمل السيادة عند نشوب النزاع ، شأنه فى ذلك شأن غيره من الشعوب المستعمرة ، بسبب الانتداب البريطانى ، ثم قبل ذلك بسبب الحكم العثمانى .

وحتى **الاطار الدولى للنزاع** اتسم هو الاخر فى ظل الاستقطاب الدولى السابق بنمط اقرب الى

البساطة . فقد وقفت الدول الغربية الاستعمارية الى جانب اسرائيل ، واسرائيل دعمت وقفة هذه الدول الى جانبها ، بعدم الكف عن تأكيد انتمائها الى الغرب ، وصفتها كامتداد لقيمه وحضارته وكموقع أمامى له يكفل الحفاظ على مصالحه فى قلب العالم العربى المتخلف . واستعانت دول غربية مختلفة باسرائيل لتحقيق اهداف لها فى العالم العربى ، واجهت بها تصاعد حركة التحرير العربية : بريطانيا وفرنسا بعد تاميم مصر قناة السويس ، ثم الولايات المتحدة فى فترة تالية . وحتى ألمانيا الاتحادية وقت أن دفعت تعويضات جسيمة لاسرائيل فى صورة فيض من الاسلحة المتطورة ، لم يكن ذلك لمجرد التكفير عن ذنوب النازى ضد اليهود ، لسبب بسيط ، وهو أن اسرائيل لا تمثل « يهود العالم جميعهم » ، ولا هى تمثل — تخصيصا — جميع اليهود الالمان أو غير الالمان الذين تعرضوا لاضطهاد النازى . والاسلحة المتطورة التى سلحت حكومة بون بها اسرائيل لم تكن تأمينا لاسرائيل ، بقدر ما كانت ادوات عدوانها على العرب فى حرب ١٩٦٧ .

فى مقابل ذلك ، وقفت مجموعة الدول الاشتراكية الى جانب الحق العربى . ومن المؤكد أن منطلقاتها الايديولوجية لم تكن متطابقة مع منطلقات الدول العربية ، بل تمايزت عنها نوعيا . ولكن هذا التمايز النوعى — فيما يتعلق بمصر وبسوريا وبقضية فلسطين — لم يقف حائلا دون حرصها طوال فترة الاستقطاب الدولى على تأكيد أوجه التوافق فى المصالح والاهداف ، وخاصة هدف ازالة آثار العدوان ، واسترداد العرب أراضيهم المحتلة .

ولكن بروز احتمال التسوية بنال من صفة البساطة فى نمط المواجهة وخريطتها . **اذ لم يعد التناقض « الوطنى » وحده هو الطاغى . ولم يعد هو التناقض الخليق بامتصاص كل صور التناقض الاخرى** . ذلك أن التسوية تعنى اقرار حدود وطنية « آمنة ومعترف بها » لكل اطراف النزاع . وتعنى بالتالى أن تكتسب اوجه الصراع فى المنطقة ، وخاصة الصراع العربى الاسرائيلى ، صورا أخرى .

لقد اشرنا الى شكل من اشكال هذا الصراع داخل اسرائيل ، برز فى أعقاب حرب اكتوبر ، بعد أن تحقق نوع من « التكافؤ » فى قوة الاطراف المتنازعة . نقصد بذلك الصراع بين الصقور والحمائم . كان هذا الصراع مطموسا من قبل فى وقت ساد فيه منطق الصقور دون منازع .

كذلك ، بعد حلول الانفراج الدولى ، لا ترى مصر غضاضة عن « الانفتاح » فى اتجاهات شتى . بل أنها تعقد على سياسة « الانفتاح » آمالا كبيرة ، وتطرحه كهدف أساسى من أهداف المرحلة . ولم تعد تتقيد فى علاقاتها الدولية بما كان يمليه عليها الاستقطاب الدولى من قبل . وهذا « الانفتاح » من قبل مصر على أطراف دولية عديدة ، يحذو حذوها فيه الاطراف العربية الاخرى التى تعرضت للعدوان ، بدرجات متفاوتة من الوضوح والحسم .

والانفتاح على الغرب يعنى الانفتاح على الرأسمالية العالمية . ولازمته كاتجاه ، المصالحة مع النظم العربية المحافظة التى اصبحت هى الاخرى بفضل عوائد البترول وجها بارزا للرأسمالية العالمية . وهذا الانفتاح على الرأسمالية العالمية ، لابد ان يصاحبه فى الداخل بروز التمايز بشكل أوضح بين تيارات سياسية تمثل منطلقات اجتماعية متباينة بل متعارضة .

وهذه حقائق تنم عن نمط مغاير لملامح الصراع مستقبلا فى المنطقة .

كان يمكن تعريف التناقضات التى كانت تفصل بين أقطاب النزاع من قبل « بالتناقضات **الراسية** » ونقصد بذلك التناقضات « **الوطنية** » التى فصلت على خريطة جغرافية للشرق الاوسط دول المنطقة المصطدمة فى النزاع : اسرائيل من جانب ، والدول العربية فى الجانب الاخر .

برز الان بجانب هذه « التناقضات الرأسية » ، « تناقضات **أفقية** » ، تناقضات تفصل بين شرائح مختلفة من مجتمعات هذه الدول المشتركة فى النزاع . هذه « التناقضات الافقية » هى فى الاغلب تناقضات «اجتماعية» . **وقد اصبح التناقض الاجتماعى يزاحم التناقض الوطنى فى احتلال مقدمة المسرح السياسى فى المنطقة** .

كل التناقضات الاجتماعية هى حسب تعريفنا تناقضات « أفقية » ، لانها تناقضات بين شرائح مختلفة من المجتمع ، شرائح بعضها ينتمى الى الفئات الاجتماعية العليا على قمة المجتمع ، وشرائح اخرى تنتمى الى الطبقات العاملة التى تشكل قاعدة المجتمع .

ولكن ليست كل التناقضات « الافقية » تناقضات اجتماعية . فان التناقض مثلا ، بين الصقور والحمائم فى اسرائيل ، لا يمثل تناقضا اجتماعيا ، بقدر ما يمثل اختلافا فى رؤى فئات تنتمى الى شرائح اجتماعية واحدة ، تتبنى جميعها منطلقات

الصهيونية ، حول استراتيجية اسرائيل ومصالحها الاساسية فى الحاضر والمستقبل . ولن يبرز تناقض اجتماعى اساسى فى اسرائيل الا اذا تعاظم شأن التنقض بين قوى الصهيونية من جانب، والقوى المعاديه للصهيونية فى الجانب الاخر ، ولكن مازال هذا التناقض محدود الاثر على الحياة السياسية الاسرائيلية ، لصغر حجم وضعف تأثير القوى التى انسلخت من الصهيونية ، وبلغت القدرة على الوقوف منها موقفا مضادا ، متسقا وفعالا وحاسما .

هكذا نرى ان خريطة الصراعات فى المنطقة لم تخفت ، بل على العكس تعقدت بعد حرب اكتوبر مع حلول عصر « الانفراج » على الصعيد الدولى ، وبعد أن اصبحت التسوية امرا واردا بالنسبة للنزاع . تعقدت لانها لم تعد مقصورة على نمط واحد بسيط نسبيا ، هو نمط الصراع القائم على « التناقضات الراسية » فقط ، بل اصبحت خريطة الصراعات محكومة بنمطين مختلفين كل الاختلاف ، يتداخلان فى صور معقده : النمط الاصلى ، القائم على « التناقضات الراسية » بين اطراف النزاع على اتساع خريطة المنطقة جغرافيا ، وفى تشابك معه ، نمط **جديد** للصراعات ، قائم على « التناقضات الافقيه » داخل كل « طرف جغرافى » على حدة . ويتلاقى ـ بمقتضى هذه « التناقضات الافقية » ممثلو التيارات الاجتماعية المتماثلة على اتساع الخريطة الجغرافية للمنطقة ككل ، فى مواجهة تيارات اخرى ، ذات منطلقات مقابلة متماثلة ، على اتساع نفس الخريطة الجغرافية .

على سبيل المثال : انصار تشجيع « الانفتاح » على امريكا وتيسير تنفيذ أمريكا مخططها فى ان يتحقق لوجودها انتشار يمتد الى كل دول المنطقة ، لابد أن يتلاقوا فيما بينهم ، فى شتى الدول العربية بالمنطقة ، بل ان تبرز نقطة تلاق واحدة على الاقل بينهم وبين المهيمنين على مصائر اسرائيل ، رغم استمرار قيام « التناقض الراسى » معها .

يتشابك اذن ، ويتداخل ، نمطان مختلفان كل الاختلاف ، لخريطة التناقضات فى المنطقة . وفى اللحظات التى يحتدم فيها النزاع ، ويشتد التوتر ، وتكثر فيها التحرشات والاشتباكات ، او تندلع فيها حرب اخرى ، يحتل نمط « **التناقضات الراسية** » مقدمة المسرح السياسى ، ولكن مهما بلغ التوتر ، وحتى لو نشبت حرب اخرى ، **فلن يزول نمط « التناقضات الافقية »** . انهقد ينزوى مؤقتا، ولكنه لن يزول تماما . لماذا ؟ لان احتدام النزاع ، وحتى بلوغه حد الحرب الفعلية ، سوف ينم عن بروز ظاهرة « الاستقطاب » مرة اخرى ، ولكنها سوف تكون « استقطابا موقعيا » فقط ، استقطابا بين أطراف النزاع المباشرة فقط . ولن تمتد ظاهرة « الاستقطاب » لتشمل العالم بأسره ، ولتقلب الاتجاه العالمى نحو « الانفراج الدولى » . صحيح أن الموقف قد ينفلت ، وقد يسفر عن تصعيد يفضى الى حرب نووية شاملة ، لكن احتمال وقوع هذا الفرض متضائل ، وسوف يزداد تضاؤلا كلما تعززت الضمانات الدولية المتبادلة ، لتحويل « الانفراج الدولى » الى واقع لا يقبل الردة .

لذلك ، فان استعادة النزاع صفة الاستقطاب لن تستند الى مناخ الاستقطاب الدولى عموما ، بل سوف تسفر عن استقطاب موقعى يقاومه اتجاه الانفراج الدولى عموما ، وقد يتعرض اتجاه الانفراج الدولى كما سبق وقلنا لمنعرجات وانتكاسات . ولكن لن يحول ذلك دون سعى الاطراف الدولية المعنية بالنزاع للحد من تفاقم التوتر . سوف تتدخل الاطراف الدولية ـ على تعارض منطلقاتها الاجتماعية ـ لدى مختلف اطراف النزاع المباشرة . وهذا التدخل فى منطلقات اجتماعية متعارضة ليس من شأنه أن يزيل « التناقضات الافقية » ، خاصة بعد أن تبلورت تيارات لدى اطراف النزاع المباشره ، تتسم هى الاخرى بصفة التعارض الاجتماعى .

لن يزول اذن نمط « التناقضات الافقية » تماما مهما « احتدم نمط التناقضات الراسية » . **لقد اصبح تلازم النمطين معا ظاهرة لا رجعة فيها ، طوال فترة انجاز عملية التسوية ، قصرت مدتها أو طالت** . وسوف تحتل « التناقضات الافقيه » مقدمة المسرح السياسى كلما انجز المزيد فى اتجاه التسوية . ولن تزول « التناقضات الرأسية » ،من الناحية الشكلية على الاقل ، الا باتمام التسوية فعلا ، وحلول السلام فى المنطقة .

هذه صورة أولى لملامح الصراع مستقبلا فى المنطقة .

الصورة الاخرى ، هى ان « **أزمة الشرق الاوسط » بصدد أن تفقد صفتها كأزمة للشرق الاوسط** ، أى كأزمة اقليمية محددة موقعيا على خريطة العالم الجغرافية ، بين دول بعينها فى منطقة مرسومة المعالم .

لقد نجم عن **تغير موازين القوى** بين اطراف النزاع المباشرة بعد حرب اكتوبر ، نشوء حالة دعت الاطراف الدولية المعنية بالازمة الى **بحث استراتيجية جديدة** . وبرزت الحاجة لاعادة

صياغة المعادلة السياسية فى أرجاء مختلفة تحيط بمواقع النزاع أصلا • فاتسعت « دائرة الازمة » لتشمل **منطقة أوسع جغرافيا** من تلك المعروفة تحديدا « بالشرق الاوسط » . اتسعت لتنال من نظام مكاريوس غير المنحاز فى **قبرص** . واتسعت لتقرير قواعد تحكم حرية الملاحة فى **باب المندب** عند جنوب البحر الاحمر • واحتدت الصراعات الدولية حول الصومال وارتيريا واثيوبيا ، فضلا عن احتدام الصراعات فى جنوب شبه الجزيرة العربية • وامتدت « حالة الازمة » الى منطقة **الخليج** بعد استخدام سلاح البترول • ولاول مرة منذ ربع قرن ، طافت حاملة طائرات امريكية ، تصاحبها مدمرتان من حاملات الصواريخ الموجهة فى مياه الخليج ، تحمل انذارا بأن هذه المنطقة ليست بمنأى عن دائرة الصراع •

كما اتسعت « دائرة الازمة » لا بالمعنى الجغرافي فحسب ، بل بمعنى آخر أيضا ، معنى أن « أزمة الشرق الاوسط » أصبحت حلقة فى « شبكة من الازمات » ذات صفة أكثر عمومية • قد تكون حلقة الشرق الاوسط على أعلى جانب من الخطورة • وقد تكون الحلقة الخليقة باشعال فتيل الانفجار • ولكن هذه الحالة من « الازمات المتشابكة » لم تعد سمتها المميزة أنها « اقليمية » ، او انها « محددة جغرافيا » بقدرما اصبحت سمتها المميزة هى انها أزمات « **نوعية** » : كأزمة الطاقة والازمة النقدية ، وقضية التضخم ، وقضية المواد الخام الاستراتيجية ، وعلاقة اسعارها بأسعار المنتجات الصناعية ، الخ .. وكل هذه الازمات النوعية تتحدد لها ملامح جغرافية بالقدر الذى تصبح فيه مواقع بعينها من كوكبنا ، هى المواقع الكفيلة بزيادة اشعالها أو الاسهام فى اخمادها •

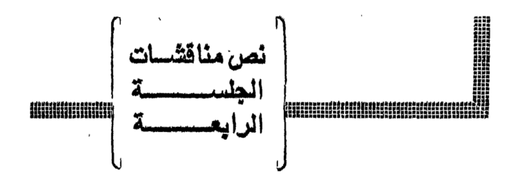
وبهذا المعنى أصبح النزاع العربى الاسرائيلى الان « زنادا » لشبكة ازمات تتسع للعالم بأسره.

لقد « زالت » أزمة الشرق الاوسط - **مضمونا** - بتحولها الى «زناد» فى « شبكة أزمات » أوسع نطاقا . وقد يكمن حلها فى اكتسابها هذه الصفة الجديدة .. **قد تكون التسوية محكومة بتوافق ارادات دولية متعددة فى ابطال مفعول هذا « الزناد »** • عندئذ ، سوف تعنى التسوية زوال ، أزمة الشرق الاوسط » شكلا كذلك • ولكنها لن تعنى زوال « شبكة الازمات » التى أصبح النزاع العربى الاسرائيلى حلقة من حلقاتها • وانما سوف تعنى أن « شبكة الازمات » سوف تستمر فى اثارة اشكال للتوتر تختلف كثيرا عن صور التوتر المألوفة فى الشرق الاوسط الى الان •

لقد دخلت « **السيبرناطيقا** » خريطة الصراعات فى المنطقة ، خريطة تتكاثر فيها أقطاب الصراع ، وتتعدد فيها وتتنوع طبيعة هذه الاقطاب ، وعمليات « تغذية عكسية » تطبع الصراع بأوجه تداخل وتشابك معقدة . تلك هى فى ملامحها العامة ، وقواعدها الاساسية ، الخريطة التى ينبىء بها مستقبل ازمة الشرق الاوسط ومستقبل المنطقة • والمطلوب تحديد نمط « النظام » المنبثق من حالة قد تبدو لوهلة أولى أقرب الى « الفوضى » لفرط مخالفتها للمعهود والراسخ فى العادات الفكرية والسلوكية للذين عاشوا النزاع وتمرسوا فى صراعاته .



اليســــار المصرى
يحــاور
توفيــق الحــــكيم



تضمنت الجلســات الثلاث الماضــية ، عرضــا« للارضية » التاريخية ، كنقطة انطلاق للمشــتركين فى الندوة ، ثم محاولة لاستشراف آفاق المستقبل ، وخاصة بشان الاختيــارين المطروحين ، فى الساحة المصرية : الطريق الليبرالى والطريق الاشتراكى .

اتفق الجميع على ان مصر التى نســتشرفها هى« مصر الاشتراكية » ، وساد اتفاق شبه كامل على أن وضــع صــورة للمســتقبل يتطلب الانطلاق من الارضية الراهنة التى تقف عليها البلاد حاليا ، الا ان المناهج ونقاط الانطلاق قد تعددت .

وتبلورت نقاط الخــلاف حول هــذين الطريقين النموذجين للبناء ، وقــال البعض اننا امــام هذين الاختيارين : الطريق الليبرالى ، ام الطريق الاشتراكى . بينمــا أكد البعض الاخر ، أن الاختيــار قد حســم لصالح الاشتراكية .

وقد فتحت الجلسة الرابعة لحوار اليسار المصرى مع توفيق الحكيم ، ملف تجربة ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ فى المساحة الزمنية من يوليو سنة ١٩٥٢ الى سبتمبر سنة ١٩٧٠ .

وتبلور منذ البداية منهجان ، منهج يريد ان يفصل ما يسمى بفكر الثورة ، عن تطبيقاتها وانجــازاتها ، على أساس الا يختلط احدهما بالاخر خوفا من الوقوع فيما نسميه بالحكم الذاتى وليس الموضوعى التجربة .

ومنهج يرى انه لا فصل ــ فى الواقع ــ بين الفكر وبين التطبيق ، والا فســيظل الحــكم على مسار الثورة حكما مجردا وفى الفراغ .

ملف تجربة ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢



وتعرض المشتركون فى الندوة بالتحليل لفكر الثورة كما عبرت عنه منشورات الضباط الاحرار ؟ وسائر مواثيق الثورة : « فلسفة الثورة » لجمال عبد الناصر ، و « الميثاق » ، وما طرح فيه من أفكار تتعلق بالعدل الاجتماعى والوحدة العربية ... الخ .

وتناول البعض الجوانب الايجابية والسلبية على خط تطور التجربة ، ومن الناحية النظرية أعرب البعض عن عدم اقتناعه بأن الناصرية نظرية فكرية مثل الوضعية المنطقية ، او الماركسية ، او الوجودية مثلا ، وانما هى قد طرحت افكارا فى الميثاق ، بعضها يتعلق بالنضال الوطنى ، والبعض الاخر يتعلق بالوحدة العربية ، والثالث بالعدل الاجتماعى ، الخ ، وهى افكار يمكن قبولها ، وتأييدها ودعمها .

وقد ابرزت المناقشات وجهة نظر اخرى ، وهى ان اضعف اجتهادات عبد الناصر فى الميثاق كانت فكرة تأميم الصراع الاجتماعى ، فى ظل دولة فيها طبقات ، وفيها علاقات رأسمالية . والتصور فى مثل هذه الظروف بأنه يمكن ايجاد منظمة سياسية متجانسة تقودها قيادة فوق الصراع الاجتماعى ، وتستطيع ان توفق — حسبما تريد — بين مختلف الطبقات وايضا فكرة المعادلة الصعبة لتحقيق التنمية « بدون دفع ثمن » الخ .

هناك ايضا قضية « التنظيم الطليعى » ، وفكرة تأميم الصراع الاجتماعى ، وهل كانت فكرة تكتيكية ستنتهى فى آخر الامر الى حزب ثورى قيادى له فكر متكامل ؟

وافكار « التجربة والخطأ » ، والتركيز فى التصنيع على الصناعة الاستهلاكية ، وحصيلة الثورة فى مجال الفكر ، كل ذلك وغيره من القضايا ، قد طرح فى الجلسة الرابعة للحوار .

■ لطفى الخولى :

فى الثلاث جلسات الماضية قدم الاستاذ توفيق الحكيم والاستاذ خالد محيى الدين كل من وجهة نظره نوعا من « الفرشه » أو « الارضية » التاريخية لتكون منطلقا للندوة .

وفى الجلستين الماضيتين قدم كل منا محاولة لاستشرا ف المستقبل .

وفى هذه الجلسة ، نرجو ان نفتح ملف التجربة ، ووعاء هذا الملف هو — على ما أعتقد — الفترة من يوليو ١٩٥٢ الى سبتمبر ١٩٧٠ . ومن المفيد أن نتفق على تقسيم زمنى موضوعى حتى لا تضيع معالم الصورة . مثلا : الفترة من ١٩٥٢ — ١٩٥٦ وابرز معالمها تأميم قناة السويس . ثم من ١٩٥٦ — ١٩٦١ وهى فترة بداية ما سمى بالاجراءات الاشتراكية او الاجتماعية ... الخ . ثم من ١٩٦١ الى ١٩٦٧ ، ثم من ١٩٦٧ الى وفاة عبد الناصر فى ١٩٧٠ .

ربما يكون للاخوة المشتركين فى الندوة منهج آخر فى معالجة الموضوع . ولكن على أن يتعين الاخذ بالمنهج المقترح أن نتعرض للتطورات الاجتماعية فى الداخل وما حدث فى تكوين الابنية التحتية والفوقية . وبالاضافة فنحن لن نهمل أيضا البعد العربى وعلاقته الجدلية مع البعد المصرى ، كما لن نهمل البعد الدولى . لنصل — فى النهاية — الى تحديد مشترك لما هو الايجابى وما هو السلبى فى التجربة ، الا اذا كان استاذنا توفيق الحكيم عنده تصور آخر لفتح التجربة .

■ توفيق الحكيم :

أحب أن اوضح الموضوع فى تحديدات نستطيع بها أن نرى — بوضوح — القضايا المختلطة بعضها ببعض . لانه عندما ندين — تاريخيا — فترة فانه يحدث لبس بين جوهر الفكر لهذه الثورة وبين .....

■ لطفى الخولى :

لماذا تستخدم كلمة ندين .. تقييم او تقويم ؟

لان كلمة الادانة منذ البداية تعنى انك أصدرت حكما نهائيا .

■ توفيق الحكيم :

أقول « ندين » لانى أتكلم بلغة الذين يريدون الادانة . ولذلك أردت أن أوضح فكرتى . وسأحاول أن أقدمها الان بكيفية منظمة بدلا من « الدردشة » حتى أتجنب الاستطراد .

■ خالد محيى الدين :

اذا كنا الان بصدد تقييم التجربة الماضية فلابد من الالتزام بمنهج . وحقيقة ما حدث هنا — فى الندوة — اننا توصلنا الى اتفاق كبير حول صورة المستقبل . وتبقى هناك بالطبع خلافات ارى أنها خلافات بسيطة . وحتى نقيم التجربة لابد ان نطرح هذا السؤال : الى اى مدى قربتنا التجربة الماضية من هذه الاهداف المستقبلية ؟



فاذا كانت التجربة قد ابعدتنا عن هذه الاهداف فاننا نستطيع فى هذه الحالة ان نعرف أين هى نقطة الضعف فيها أو ما هى الجوانب السلبية .

واعتقد أننا قد اتفقنا على هذا المنهج فى الجلسة الاولى .

■ لطفى الخولى :

ونحن فى الحقيقة قد تعرضنا — من خلال — مناقشة المستقبل لكثير من ايجابيات التجربة وسلبياتها .

■ د . عبد العظيم انيس :

ربما كان الافضل أن نركز — ابتداء — على مناقشة فكر الثورة .

■ توفيق الحكيم :

سأحاول أن أقدم هذه الافكار المنظمة . فأقول :

لاننا قد اصبحنا فى حوارنا هذا مقتربين من مرحلة فتح الملفات للتجربة وبحثها ، بالتعميق والتحديد ، بعد أن انتهينا من مرحله الفرشة والتمهيد . ثم اننا ايضا انتهينا من الاتفاق على برنامج البحث ، وهو البداية من المستقبل أى تصور البناء المستقبلى لمصر ، وتخطيط صورة المستقبل على ضوء الماضى والحاضر ، لان ما يعطيى صوره تقريبية لاى مستقبل هو وضوح صورة ماتم فى الماضى وما يجرى فى الحاضر . اذ لا يوجد مستقبل قائم فى الهواء . كل هذا بديهى واتفقنا عليه ، اذن لتحديد صورة المستقبل يجب أن نطرح باختصار ووضوح جوهر الفكر السياسى والاجتماعى الذى رسبت فى الاذهان من الماضى حتى اليوم ،كماينبغى أن نحدد بداية هذا الماضى : وليكن قيام ثورة ١٩٥٢ ، والتى يفتح ملفها باعتبارها تجربة تاريخية / . . . نستطيع ان ننكر ان فيه تجربة تاريخية من ١٩٥٢ الى الان أو لان مصر ـ قبل ذلك التاريخ ـ وهذا مهم ـ لم تكن قد حددت رسميا واركز على كلمه رسميا اى تفكير سياسى اجتماعى خلاف الاستقلال لمصر والسودان ، بل اننا نقول انه قبل ١٩٥٢ ، الفكر السياسى من أول عرابى ومصطفى كامل وسعد زغلول ١٩١٩ ، تركز فى الاستقلال لمصر ، وحدة وادى النيل ، مصر والسودان ، وبلورة ما هو المصرى الذى يريد أن يستقل عن تركيا وعن الخلافة العثمانية . . كان هذا هو الفكر السائد رسميا على الرغم من وجود افكار كثيرة . اما بعد ثورة ١٩٥٢ فقد تحدد هذا التفكير السياسى والاجتماعى رسميا فى عبارة « الحرية والاشتراكية والوحدة » ، ليس معنى ذلك أن هذه الافكار لم تكن موجوده قبل ثورة ١٩٥٢ . لقد كانت موجودة قبلها . كما أن افكار الثورة الفرنسية كانت موجودة قبلها . لكن المطلوب هو التبنى الرسمى لهذه الافكار والمبادىء ، فأظن هذا هو جوهر ما يسمى بالفكر الناصرى . وهو انه فيه مبدأ رسمى فى الدولة وهو انه الحرية والاشتراكية والوحده ، ولست أدرى بعد هل اليسار المصرى يعترف بوجود ما سمى بالفكر الناصرى ، أو أنه يعترف ـ فقط ـ بفكر ثورة ١٩٥٢ ، وبأن الفكر الناصرى ما هو الا فكر ثورة ١٩٥٢ . هذه مسالة فرعيه جانبية لا أدرى نعطيها اهمية خاصة أو انها مسألة واجبة الحسم للتحديد التاريخى والواقعى . على كل حال لا خلاف ـ فيما أظن ـ على ان جوهر التفكير السياسى والاجتماعى بمصر فى العشرين سنةالاخيرة ، ومنها انتشر فىكثير من البلاد العربية ما يتلخص فى عباره « الحرية والاشتراكية والوحدة » كما أن التفكير السياسى والاجتماعى الذى لخص الثورة الفرنسية هو فى عبارة « الحرية والاخاء والمساواة » . اذ اتفقنا على ان هذا هو جوهر الفكر السياسى والاجتماعى الذى انتشر فى أوروبا والعالم بعد الثورة الفرنسية وعلى أن الحرية والاشتراكية والوحدة هو جوهرالفكر السياسى والاجتماعى الذى رسخ فى مصر وانتشر وسوف ينتشر فى اكثر البلاد العربيه فى المستقبل فاننا نحن قد حددنا ووضحنا صوره المستقبل عندنا فى خطها الرئيسى ويبقى واجبنا هنا فى العمل والبحث هو دراسة تفصيلات ووسائل تنفيذ هذه المبادىء . والطريق من اجل ذلك طويل وشاق وفيه عراقيل خطيرة . فالثورة الفرنسية ـ مثلا ـ عندما نادت بمبادىء « الحرية والاخاء والمساواة » لم تكن تدرى أنها نادت بأفكار كبيرة جدا تحتاج الى تحديد وصعوبات فى التطبيق والتنفيذ . ولما فشلت فى هذا التحديد والتنفيذ ، ولم تجد الجماهير ، ما كانت تنتظره من نتائج هذه « الحريه والاخاء والمساواة » ، ووجدت أن ما تولد من هذه المبادىء النبيلة العظيمة هو طبقه جديدة هى البورجوازية ، حلت محل الارستقراطية ، وامتلكت قوة خطيرة جديدة بازدهار الصناعة الكبرى فسيطرت بها على أفكار الجماهير بأشد مما كانت تسيطر الارستقراطية بسلطة الدم الازرق .

« واذا بالحرية والاخاء والمساواة » مجرد كلمات جميلة لم تقض على الظلم الاجتماعى ولا على انعدام المساواة والاخاء ، وادى هذا الفشل الى ضرورة ثورة اخرى فكانت الثورة الروسية . كذلك الحال صورة المستقبل ايضا عندنا ، اذا لم نحسن دراسة هذه المبادىء « الحرية والاشتراكية والوحدة »

وكلمة الحرية يجب أن تحدد من الان ، ماهو المطلوب منها ؟ هل هى الحرية الفردية ؟ أو الاجتماعية ؟ او الاقتصادية أو السياسية ؟ وما الذى تم حتى الان فى العشرين سنة الماضيه فى مثل تطبيق هذه الحرية وكذلك الاشتراكيه ، ما الذى نجح والذى أخفق فى تطبيقه ؟ وهل ستولد هى أيضا طبقة جديدة تتستر باسمها لتكرر نوعا من الطبقات الراسماليه القديمة ؟ وهل تكون اشتراكية فوقية أو تحتية . . الخ هذه المسائل . و « الوحدة » مامدى امكان تحقيقها ؟ مع مراعاة اختلاف العقائد والمناهج والتقاليد والتطور الاجتماعى والتاريخى لكل

دولة وشعب ، وهل المقصود وحدة اندماجية ، او وحدة تكاملية ؟ أقصد اقتصاديا وسياسيا ، كل ذلك يجب ان يدرس تفصيلا . وليس اخطر من المبادىء اذا لم تدرس دراسة جدية ، وهذا هو خطر البرامج او الخطوط والاتجاهات الفكرية عندما تطلق فى الهواء بدون تحديدات فتنقلب الى شعارات نستعمل كلاميا وسياسيا فى الوقت الذى يطبقها فيه الجماهير ، ويطالبون بتنفيذها ويراقبون نتائج هذا التطبيق والتنفيذ ، وهذا ما جعلنا ننقد ثورة ١٩٥٢ ، أو الفكر الناصرى ، عندما بدأنا نقارن بين مبدأ وبين تطبيق ونكتشف أن المبدأ انقلب شعارا فى حين أننا كنا متحمسين ــ بالاخص أنا ــ عندما كانت الثورة وعبد الناصر تقوم بكل تواضع بانجازات دون أن تقرنها بشعارات قبل ما يقول الوحدة والاشتراكية ، كنا نلاقى تحديد الملكية والاصلاح الزراعى ، كل هذا وكنا نجد انه ينفذ . ولكن عندما حددت فى مبادىء الوحدة والاشتراكية ، وابتدأنا نقارن بين المبادىء الجميلة جدا وبين تطبيقاتها ، هنا بدأنا نشعر بشىء من بعض خيبة أمل أو بعض الترقب من انتظار .

■ **لطفى الخولى :**

هذا جاء بعد شعار الاتحاد والنظام والعمل

■ **توفيق الحكيم :**

لا .. هذا الشعار لا نستطيع ان نسميه فلسفة ، على كل حال كلمة النظام هذه ، فاكر أننى قلتها فى « **شجرة الحكم** » حيث ذكرت أننى اترقب ثورة مباركة تقوم على النظام ،لكن كلمه « النظام » فى الشعار الذى تحدث عنه الاستاذ لطفى هى مجرد آمال فى التنفيذ وليست فلسفة . بدليل انك عندما تطرح كلمة الحرية ، ستجد انها تحتاج الى كتاب يوضح مدلولها ومن المراد منها ، وكذلك كلمات الاشتراكية والوحدة ، فانها تحتاج الى دراسات طويلة . وأعود الى حديثى فاقول :

عندما كانت الثورة ، وعبد الناصر ، تقوم ــ بكل تواضع ــ بانجازات دون ان تقرنها بشعارات . وقبل أن نطلق شعارا ضخما تتعلق به أحلامنا ثم ما نلبث ان نكتشف أن هناك فرقا شاسعا بين الكلام والعمل ، وبين الحلم الجميل وبين الواقع المؤلم (واحب ان انبه هنا ، الى اننا اعتدنا أن نخلط بين المبدأ والتطبيق ، وبين الفكر والعمل ، وهذا الخلط هو الذى يسهل دائما هدم كل ثورة من أساسها وهذا ليست من مصلحة التقدم البشرى أن تهدم كل ثورة تقدمية من الاساس بمجرد الفشل فى التطبيق . ذلك أن كل ثورة عظيمة قامت على أساس المبدأ والفكر والمذهب ، من ثورة اخناتون القائلة بفكرة توحيد الاله فى آتون ، والى الافكار الدينية ، كل الفلسفات تبدأ من الفكر . ولا يمكن انه يضر بالثورة نفسها كلها كمبدأ وجوهر الا التطبيق . لكن التطبيق السىء ليس معناه أن الثورة الدينية والثورة السياسية كلها خطأ ، هذا غير صحيح . واضرب مثلا لذلك ما يحدث فى المحاكم . تجد فرقا كبيرا بين جوهر العدالة وبين مايسمى « بقانون الاجراءات الجنائية ، او المدنية » . القانون فى جوهره عدالة ، ولكن عندما تجد انه مثلا يقول لك يجب أن تتقدم فى ظرف ثلاثة أيـام بالمعارضــة والا .. هذه الاجراءات تشعر بأنها مجرد اجراءات تنظيمية . ولكن كل طعنة فى العدالة انما تأتى دائما من الاجراءات التى تنفذ تنفيذا آليا أو سيئا فتكسر العدالة .

كذلك الثورات ، تضرب دائمـا من ناحية التنفيذ السيء ، ولذلك اذا أردنا ان ننصف الثورة الفرنسية ــ مثلا ــ يجب أن نفصل فكرها الخالد لمبادىء الحرية والاخاء والمساواة عن التطبيق الناقص وعن عهود الارهاب . واذا اردنا أن ننصف الثورة المصرية سنة ١٩١٩ ، فيجب أن نفصل مبدأها الثابت فى حريه الوطن واستقلاله عن التطبيق الناقص الذى تلا ذلك . كما اننا لو اردنا انصاف الثوره المصريـة ١٩٥٢ ، فيجب ان نفصل مبدأها الثابت فى الحرية والاشتراكية والوحدة عن التطبيـق الناقص .

مثال آخر : نحن نخطىء عندما نقول : ان ثورة ١٩١٩ هى الحرية والاستقلال ودستور سنة ١٩٢٣ والاحزاب ونحو ذلك ، فى حين أن أحدهما مبدأ والاخر وسيلة . ونخطىء ايضا عندما نقول عن ثورة ١٩٥٢ انها الحـرية والاشتراكية والوحدة ، والسـد العـالى ، والاصلاح الزراعى ، وجلاء الانجليـز . أى عندما نمزج المبادىء بوسائل التنفيذ . نحن نعلم أن أى فشل فى التنفيذ يضر ، وتتحمل مسئوليته المبادىء نفسها وهذا ظلم . ولا ادل على ذلك من موضوع السد العالى . كأن يقال كيف تدافعون عن ثورة ١٩٥٢ مع أن السد العالى ظهرت فيه عيوب وخلل فى التنفيذ ؟ لكن هذا الاسلوب فى الـكلام عن الثورة يؤدى الى القضاء على الثورة . لانه حتى اذا فرض أن هناك نواقص وخلل فليس معنى ذلك اننى اهدم كل شىء . ولذلك أميل الى ان نناقش بكل

موضوعية كل نقد يوجه الى الاصلاح الزراعى ، أو السد العالى ... الخ وذلك من منطلق أن نتعاون لاصلاحه ووضعه فى وضعه السليم . كذلك يجب ألا نتستر على خطأ لمجرد أن لا يقال لنا أن الثورة فشلت .

والمسائل الاقتصادية أو المسائل الحيوية للبلد يجب الا تكون موضع مهاترات بل موضع بحوث وهذا أيضا من ضمن الذى اضر بثورة ١٩١٩ انها انقلبت الى مهاترات فى تفضيلات دستور أو تنفيذات اقتصادية أو أى شىء من هذا القبيل ، فهذا أضر بفكرة الثورة ».

وبالمثل ، اذا قيل أن هناك أى نقص فى اجراءات ثورة ١٩٥٢ ، فى مشروعات حيوية اصلاح زراعى ، أو تصنيع او سد عال ، فنحن نتقبل النقد ونفحصه ، بكل نية سليمة وكل رحابة صدر ، على شرط أن لا يكون هذا ضرب لفكرة الثورة اذا كنا الان سنتفق على ان هذه هى الفلسفة التى يجب ان ندافع عنها وسنبنى عليها فى المستقبل . ان أى نشل فى التنفيذ لاى بند لا ينبغى أن تتحمل مسئوليته المبادىء نفسها ، وهذا ظلم ، واجحاف، وتشويه لكل ثورة . لذلك من رأيى أن نرتب الامور وننظم الموضوعات تنظيما واضحا يمنع الخلط ونضع المبادىء الثابتة باعتبارها فكر الثورة الباقى فى مكانها البارز ، أما التطبيقات فهى فروع وجداول لها . اذا اتفقنا على أن فكر ثورة ١٩٥٢ ، أو ما يسمى بالفكر الناصرى يتلخص فى مبادىء الحرية والاشتراكية والوحدة فان التنفيذ يكون بوضع الجلاء مثلا تحت بند الحرية ، ومع الجلاء بعض المسائل السياسية التى تتعلق بالحرية ، ويوضع تحت الحرية ، الحرية الداخلية أيضا وهى حرية الفرد وهل كانت مصانة أم كان هناك قمع يمنع هذه الحرية من انطلاق المواهب . فكلمة الحرية دى يجب ان تكون بابا من ابواب الماضى والحاضر والمستقبل . يعنى ، كلمة الحرية نسلم انها مبدأ من مبادىء الثورة وانها اتسعت بعد أن كانت الحرية فى عهد ثورة ١٩١٩ الحرية السياسية فقط . كان هذا الكلام الرسمى – أما غير الرسمى فكان يؤكد على حرية الفكر ». فكان الادباء والمفكرون هم القائمون بهذه المعركة ، انما من طريق غير رسمى ، ولذلك كانت ترتطم هذه الحرية الفكرية بالسلطات الرسمية ».

ثم نأتى بكلمة الاشتراكية وهذه يدخل تحتها ، الاصلاح الزراعى ، السد العالى ، التصنيع ، فهذه أدوات الاشتراكية ، وما فسد منها وما لم يفسد ، كل هذا يبحث لانه يعتبر اجراءات وتنفيذات للثورة وهى محل النقد ولكن مبدأ الثورة الاساسى الاشتراكية ليس محل نقد . لان دى ملك مصر ، اما الاشتراكية فى ذاتها فهذا مبدأ آمنا به واى ضرر يمسه طبعا سنقاومه لانه ملك مصر ». وأى ضرر سيحيق به ، سوف نقاومه لان الاشتراكية تظل جزءا من الاساس المستقبلى ».

فاذا آتينا **للوحدة العربية** فيمكن أن نضع تحتها أمورا كثيرة . مثلا : لقد دخلنا بعض الحروب . فهذه الحروب يجوز انها من أجل الاشتراكية أو من أجل الوحدة ». فاذا كانت من اجل الوحدة فسوف نسأل عن الفائدة او المضار التى حققتها هذه الحروب لخدمة قضية الوحدة . وسوف نسأل بعد ذلك عن الوحدة المطلوبة . هل هى وحدة بين دول عربية يختلف بعضها عن البعض فى العقائد السياسية والاجتماعية . ثم ما هو شكل هذه الوحدة ، وماذا نريد لمصر : وحدة اندماجية أم وحدة تكاملية . وهكذا لابد أن نحلل كل كلمة من كلمات الحرية والوحدة والاشتراكية . فاذا لم نفعل فسوف تأتى ثورة أخرى تحدد هذه المبادىء وذلك قبل أن نتكلم وندخل فى انجازات عام ٢٠٠٠ بالنسبة لنا وما بعد ٢٠٠٠ بالنسبة للشرق العربى ».

ليس معنى هذا ان نهمل الكلام عن التطبيقات ، ولكن اعادة النظر فى التطبيقات تقتضى أن نحدد ونعمق كل مبدأ من مبادىء ثورة ١٩٥٢ ، الحرية والاشتراكية والوحدة ». فنفحص مثلا مبدأ الحرية ، وما يحتاج اليه من تحديدات وتفصيلات وتعميقات ، ونتصور حدود مبدأ الحرية فى المستقبل مع عرض لتطبيقاتها فى الماضى والحاضر ، ثم مذهب الاشتراكية : ما هى حدوده المتصورة والمطلوبة للمستقبل مع عرض لتطبيقاتها فى الحاضر والماضى ، وكذلك مبدأ الوحدة فى الصورة المستقبلية مع بيان صورتها فى الماضى والحاضر ، وهكذا ، فهل توافقون على هذا الرسم البيانى لتخطيط خريطة المستقبل لبلادنا ، لانه ان لم نحددها الان فسنخلط الانجازات بالمبادىء وعندما نخلط الاثنين فمن الجائز جدا ان نقع فى أخطاء كثيرة وأول خطأ هو العاطفية، العاطفية بتجعلنا ندافع عن فترة جاءت بمبادىء تاريخية ، فترة انتقالية ، مبادىء تاريخية ملك البلد كلها فى الحاضر والمستقبل ثم نتستر على أخطاء التطبيق ، فهذا

أيضا سيء لانه يجعل المستقبل رهنا للفوضى التقديرية ٠

■ لطفي الخولي :

الواضـح من العرض الـذى نقدمه أن فيه فكرة محورية رئيسية وهى : انك تريد أن تفصل مايسمى بفكر الثورة عن تطبيقات وانجازات الثورة ، على اساس ان لا يختلط احدهمـا بالاخر خوفا من الوقوع فيما نسميه بالعاطفية فى الحكم أو بالحكم الذاتى وليس الموضوعى للتجربة ٠ هذا منهج لكن هذا المنهج يقابله منهج آخر ، المنهج الاخر يرى انه لا فصل – فى الواقع – بين الفكر وبين التطبيق ، أو بين النظرية وبين العمل ٠ والا سيظل الحكم على مسار الثورة حكما مجردا وفى الفراغ ٠ وأنت نفسك حذرت منه لانه سيتجاهل الاطر التى تم فيها والظروف المادية والمعنـوية والفـكرية التى كان يمر بها المجتمع ، والصراعات التى كانت تدور فيه ، والتى انبثقت منها هذه الثورة وانبثق منها هذا الفكر وتم خلال هذه الظروف المعقدة بأبعادها المحلية والعربية والدولية هـذا التطبيق ٠

نقطة ثانية هى : انه يجب أن يراعى ان الشعار الذى لخصت فيه ثورة ٢٣ يوليو منذ ٦١ فى الحرية والاشتراكية والوحدة ، هذا الشعار فى الحقيقة ليس شـعارا جاءت بـه الناصرية او ثورة ٢٣ يوليو بداءة ، وانما هى جزء من فكر قومى تقدمى بدأ به البعث – مثلا – رغم التغيير الذى حدث فى البعث سـابقا – وهو انه كان يطرح شعار « الوحدة والحرية والاشتراكية » ٠ ففى الواقع نحن امام مسيرة واحدة لفكر ما يمكن ان نسميه فكرا قوميا تقدميا بدأ به البعث ، ثم أخذت به الناصرية مع اضافات جديدة ثم ، مع وجود التجربة فى مصر ، وزنها وثقلها فى العالم العربى ٠٠ فهذا ايضا يجب ان يؤخذ فى الاعتبار أن الثورة كما قلت فكرا وتطبيقا لم تنبت من فراغ وانما نتيجة الافلاس الواضح من جانب التحالف الذى كان يحكم مصر من الرأسمالية الكبيرة والاقطاع وكبار الملاك والملكية والنظام الملكى ، مع الوجـود الاستعمارى المباشر سواء فى مصر أو فى البلاد العربية كلها ٠ ومن هنا يخيل لى ان النقطة التى يجب أن ننطلق منها عموما فى تفكيرنا هى : هل كان انفجار ثورة ٢٣ يوليو فى ظروفها التاريخية بعد الحرب العالمية الثانية ٠٠ فى ظروف مصر ٠٠ فى ظروف العالم العربى خطوة الى الامام عموما أو خطوة الى الخلف ، ثم بعد ذلك نحاكم الثورة بمدى ملاءمة فكرها مع التطبيق الذى انجز سلبا أو ايجابا مقدرين الظروف التى تم فيها ممارسة هـذا الفكر وممارسة هذه الثورة ٠ مع التحديدات التى ذكرتها فيما يخص قضايا الحرية وقضـايا الاشتراكية وقضايا الوحدة ٠ لكن أنا أخوف ما أخافه هو منهج الفصل التام فى رؤية الفكر عن الواقع لانى اعتقد انه ليس خافيا ان جانبا من اليسار له نقد معين أيضا على فكر الثورة ٢٣ يوليو ، وليس على التطبيـق وحـده ، وبالتـالى فالمرجو استبعاد عملية الفصل ٠

■ توفيق الحكيم :

فكرتى فى الفصل ترتبط بمسألة النقد ٠ اذا أردت أن تنقد حتى نمنع الثورة من أن تضرب – وانا اتكلم عن أى ثورة – لا عن ثورة ١٩٥٢ وحدها – فان الثورات تضرب فى التنفيذ. هذا – كما اشرت – من ثورة اخناتون الى الثورة الفرنسية ٠ وحتى الثورات الدينيـة تضرب – ايضا فى التنفيذ ٠ لماذا ؟ لان مبادىء كل ثورة تنبع من بيئة الفكر الانسانى ٠ وفى بيئة معينة تولد فلسفة الحياة الانسـانية ٠ وهذه الفلسفة تولد فى العادة بشكل طبيعى وصادق ٠ ومبادىء هذه الفلسفة تصبح ملكا للبشرية ٠ وتظل ملكا للبشرية حتى اذا قيل أن هناك شخصا قد قام ببلورة هذه المبادىء ٠ ففكرة ان هناك اله واحد وجدت قبل اخناتون ، لكن لم يكن هناك من له الشجاعة على التصدى لكهنة آمون حتى جاء اخناتون – بصفته الفرعون – وبما له من السلطة – بثورة دينية تدعو الى التوحيد ٠ لكن كهنة آمون تغلبوا عليه بعد ذلك وارتدت الثورة ٠ ثم عادت للظهور فى أديان أخرى ٠٠ الخ .
من هنـا اقـول أن فـكر ثوره ١٩٥٢ كان موجودا من قبل الثورة ٠ ثم قامت الثورة ببلورة هذا الفكر ٠ فقد كان فى مصر تياران من الفكر : الفكر الرسمى لثورة ١٩١٩ من ناحية ، ومن ناحية اخرى اجتهادات وآراء المفكرين الاحـــرار . هـــؤلاء المفكـــرون بلوروا فكرة « المصرية » ٠ ولم تكن هـذه الفكرة واضحة كل الوضوح عند مصطفى كامل الذى نادى بالارتباط بالدولة العثمانية ٠ جـاء المفكرون الذين مهدوا لثورة ١٩١٩ ، وطرحوا القضية لا على اساس انها جلاء الانجليز فقط ولكن على اساس البحث عن كيان مستقل لمصر فى مواجهة قوتين : الدولة العثمانية ودولة الاحتلال ٠ فى الوقت نفسه كان الجو السياسى

مليئا بافكار متنوعة ومختلطة كان هناك تيار الفكر الدينى الذى عبر عنه عبد العزيز جاويش، وكان هناك التيار السلفى - بوجه عام - الفرق بين الفكر الرسمى السائد وقتئذ وبين الفكر غير الرسمى هو أن الاول وقف عند شعار استقلال مصر . فى حين ان الفكر الثانى اهتم بأن يجعل لمصر كيانا عبر عنه « بالمصرية » .

لما جاءت ثورة ١٩٥٢ بلورت فكرة الوحدة العربية كفلسفة رسمية . لكن هذه الفكرة كانت موجودة من قبل وعبر عنها الفلاسفة والمفكرون بطريقة غير رسمية . حتى لقد وجدنا أن من الشعراء المصريين - أحمد شوقى - من كان ينظر اليه على انه شاعر البلاد العربية .

لكن ثورة ١٩٥٢ تعرضت لفكرة الوحدة من ناحية التطبيق (وحدة تكاملية - اندماجية .. الخ] . والتطبيق له باب أو أبواب من الفكر ..

فهل نستطيع اذن أن نتفق - هنا - على أن فكر الثورة يتجسد فى شعار « الحرية والوحدة والاشتراكية » على الرغم من انها لم تستمده من فراغ ؟

اذا كان هناك اتفاق ، فسوف نستطيع أن ننظر بسهولة فى تطبيقات الفكر . وسنجد هنا الجيد والناقص .

الواقع انى أشعر أن لطفى الخولى غير متفق معى على أن فكر المستقبل سيكون حول الحرية والاشتراكية والوحدة . فاذا كان هذا المنهج غير مقبول ، فلنر اذا كان هناك منهج آخر ..

■ د . فؤاد مرسى :

فى الحقيقة أريد أن أوضح الفكرة التى تقدم بها الاستاذ توفيق الحكيم ، وعلق عليها الزميل لطفى الخولى .

فاذا كنت قد احسنت فهمى لحديث استاذنا توفيق الحكيم فانى الخصه ، فى انه لم يقدم لنا منهجا لبحث ملف تجربة عبد الناصر فى ثورة ٢٣ يوليو ، وانما قدم لنا محاولة من جانبين : الجانب الاول يتضمن توضيحا ، من وجهة نظره . والجانب الثانى ، تحذيرا للاخرين . أما الجانب الاول ، وهو توضيح من وجهة نظره ، فاعنى به انه يرد على من يرى أن نقده لتطبيقات ثورة ٢٣ يوليو فى نواحى معينة منها انما نقد لثورة ٢٣ يوليو فى مبادئها الاساسية وهى « الحرية والاشتراكية والوحدة » . ويريد أن يحدد موقفا واضحا - من الان - وأنه مع مبادىء ثورة ٢٣ يوليو ولكنه يستطيع أن ينقد بحرية تطبيقات وانجازات هذه الثورة ، وهذه المبادىء . اما الجانب الاخر من الحديث الذى تفضل به فهو تحذير الينا - نحن - وهو الا يكون حرصنا على ثورة ٢٣ يوليو ومبادئها بصفة خاصة سببا فى أن نغفل النقد الذى تناول تطبيقات وانجازات ثورة ٢٣ يوليو فى عهد جمال عبد الناصر . بهذا المعنى يكون الحديث الذى أدلى به الاستاذ توفيق الحكيم حديثا فى موضعه . وهو سليم فى جانبيه لاننا نتبع منهجا يجمع بين الشروط التى تضع الامور جميعا فى مكانها - وأعتقد أن هذا المنهج قد بدأ لطفى الخولى بوضع عناصره . هذا المنهج يتلخص فى الاتى : اننا نناقش ثورة ٢٣ يوليو ، كثورة تاريخية ، لا لمجرد انها تنتسب للماضى وانما ، هى أيضا ، مرت عبر تاريخ وأحداث . وخلال هذا التاريخ تشكل فكرها ، كما تشكلت منجزاتها . وانها لم تبدأ بفكر جاهز حتى نستطيع - من اللحظة الاولى - أن نحاسبها عليه . كما أن فكرها الذى تبنته قد تطور من مرحلة الى مرحلة أخرى ، وبالتالى : فان الثورةليستحدثا واحداءوانماهىتطور تاريخى شمل فترة من تاريخ مصر بأجمعها . هذه الحقبة التاريخية ، نحن نعللها ، ابتداء من بداية الثورة وانفجارها - كما قال لطفى الخولى - وحتى اليوم الذى توفى فيه جمال عبد الناصر . من هنا يجب أن نكون موضوعيين وتاريخيين . عندما بدأت الثورة لم تكن مثلما انتهت فى اليوم الذى مات فيه عبد الناصر . وهذا يجب أن يوضع فى الاعتبار تماما . كذلك جمال عبد الناصر الذى بدأ الثورة يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٢ هو أيضا . كما قال لطفى الخولى - محصلة تاريخ سابق على الثورة نفسها . وبالتالى لا يستطيع الفكاك منه فى يوم ٢٣ يوليو . من هنا نحتاج فى الحقيقة الى عرض تاريخى لفكر وانجاز الثورة . وإذ نتخذ المنهج التاريخى أساسا لنا لتحليل الفكر والانجاز فاننا يمكن ان ندرسه ، والا فسوف ننسب لهم أمورا لم تكن بذهنهم وقت الاحداث ، ثم نحاسبهم عليه حسابا عسيرا وهذا ظلم ونظلم التاريخ . ويصح أن نضيف لناس أرصدة ليست لها . ومن هنا فان المنهج التاريخى هو وحده الذى يمكن أن يكون منهجا موضوعيا فى الدراسة . ومن ثم أعود لما طرحه لطفى الخولى فى البداية من أن تحليل الثورة الى مراحل شىء ضرورى جدا . على سبيل المثال شعارات ، الحرية والاشتراكية والوحدة » لم

تبدأ الا فيما بعد ١٩٦٢ عندما وضع الميثاق • ولم تبدأ مع ١٩٦٢ أى بعد عشر سنوات والا لن نستطيع ـ مثلا ـ أن نفسر مواقف لطفى الخولى ومواقف زميلنا الاستاذ خالدمحيى الدين٠٠ ماذا كانت والى أى شيء صارت لا ذلك انه قبل ١٩٦١ كان للطفى موقف معين ، ودفع من أجله ثمنا معينا • والناس استغربت انه بعد ١٩٥٦ ثم ١٩٦١ كانت له مواقف محددة تتجه الى تأييد مسار الثورة نحو الاشتراكية • وبدون هذا أيضا لن نستطيع أن نفسر الموقف الموضوعى لخالد محيى الدين •

■ خالد محيى الدين :

أنا موافق على كلام د • فؤاد مرسى تماما • لكن هناك فارق بين فكر الثورة والتطبيق ، وبالنسبة لقضية الحرية والاشتراكية والوحدة فان المشكلة ليست هى فكر الثورة عن الحرية ، أو فكر الثورة عن الاشتراكية ، أو فكر الثورة عن الوحدة ـ فان هذه موضوعات مختلفة ، ولست أعتقد أن أحدا سيكون مختلفا على الاهداف • فى الوقت نفسه فان فكر الثورة عن الحرية ينشا عن ظهور مشاكل موضوعية . وفكر الثورة عن الاشتراكية ارتبط بظهور عقبات حالت دون النجاح فى إقامة الاشتراكية • كذلك فكر الثورة عن الوحدة . وهنا تأتى التطبيقات • وهناك نوعان من التطبيقات : تطبيق يمكن أن ننقله مثلا : السد العالى فمثل هذا التطبيق ليس له صلة بالفكر الثورى لانه مشروع صناعى • وهناك مشروعات صناعية قد تفشل أو تنجح لسوء التقدير الاقتصادى فى موضع التنفيذ أو فى داخل النطاق السياسى • لكن النقد يجب ان يوجه الى السياسة الصناعية للثورة • بمعنى أن هذه السياسة تنبع من فكرها ، وهذه السياسة تؤثر على سياسة التصنيع • وفى الوقت نفسه فكر الثورة متأثر بأوضاع طبقية واجتماعية • مثال ذلك : اذا اتجهت سياسة التصنيع الى صناعة سيارات الركوب قبل اقامة صناعات أساسية أخرى ومهمة • فان ذلك يعكس اتجاها يمكن أن ينقد وأن يناقش • لكن قد يحدث ـ فى بعض الاحيان ـ أن يقام مصنع ولا ينجح أو تظهر به عيوب خطيرة • فهذه الواقعة يمكن أن تحدث فى أى مكان وفى ظل أى نظام ولا تكون لها دلالة اجتماعية محددة •

اذن نحن عندما نناقش قضايا التطبيق فاننا نناقش هذا الجانب من التطبيق الذى يتجسد فيه الفكر ويرتبط ارتباطا مباشرا •

■ د • عبد العظيم أنيس :

تأييدا لما قاله د • فؤاد مرسى والاستاذ خالد محيى الدين اقترح أن نعود الى تنظيم المناقشة • فاقترح أن نركز فى الجانب الاول من المناقشة على فكر الثورة وفكر عبد الناصر • وبالطبع ، سنواجه ، عندما ندخل فى هذا الموضوع ضرورة تقسيم هذه المرحلة الى مرحلتين • والنظرة التاريخية التى تحدث عنها د• فؤاد مرسى ، فى هذا الموضوع •

قضية الفصل وعدم الفصل • فى رايى أن هناك منهجا يوفق بين كلام لطفى الخولى وكلام الاستاذ توفيق الحكيم • وان هناك قضايا لا يمكن الفصل فيها النظرية عن التطبيق • وقد تكون التطبيقات ، وهى فى ذهن متخذ القرار ، قد نفذت بالكامل دلالة واضحة على معنى من المعانى فى فكره ، وينبغى فى هذا السياق ان نستفيد من اهمية عدم الفصل مابين الفكر النظرى والتطبيق • لكن توجد أيضا مواقف يمكن فصل فيها الفكر النظرى عن التطبيق بمعنى انه قد يبدأ المشرع وزعيم الدولة بفكره ، ويتخذ القرار فيها، وعند التنفيذ يجدان هذه الفكرة لم تنفذ كما اراد وكما ارادت الثورة بسبب صعوبات محلية ومشاكل أخرى • هذا نوع المشاكل التى فعلا يمكن ان نفصل فيها بين الفكر المقصود وبين التطبيق الذى تم وعيوب هذا التطبيق • اضرب مثلين : سياسة التصنيع كما قال الاستاذ خالد ، فى اتجاهاتها الاولى ، كان لها دلالة من زاوية فكر الثورة حتى لو كانت نفذت بالكامل • حدود تطبيق سياسة الاصلاح الزراعى فى رأيى أيضا لها دلالة من زاوية فكر الثورة ينبغى الا ننساها ، حدود نظرة هذه الثورة لقضية الاشتراكية فى المجتمع الريفى هذه مسالة لها دلالة كبيرة وبالتالى لما أقول الاصلاح الزراعى ابتدأ بالـ ٢٠٠ فدان ، واتخذ قرارات فيما يتعلق بقانون الاصلاح الزراعى الاول عن كذا وكذا فان هذا له دلالة من ناحية فكر عبد الناصر • وحتى فى الاجراءات التى تمت فى ١٩٦٣ ـ من ناحية الاصلاح الزراعى الثانى ـ أيضا له دلالة من هذه الناحية . الازمة التى واجهها المجتمع المصرى فيما يتعلق بالتنمية بعد ١٩٦٥ و ١٩٦٦ فى رايى أن هذه الازمة ـ كما سنوضح تفصيلا ـ لها أيضا دلالة فيما يتعلق بفكر الثورة ، والازمة التى كان فيها فكر الثورة • ويتذكر الاستاذ توفيق الحكيم اننى كنت قد أشرت ـ فى الماضى ـ الى أن المشكلة التى تتعلق بقضية الشكل وغير الشكل التى آثارها منذ

البداية . ففى رأيى أن أزمة الشكل - أهميتها - ربما انه لم يكن لها الوضع المناسب التى احنا - على اهميتها - ربما لا تستحق هذا الاهتمام الذى علقه عليها استاذنا توفيق الحكيم بقدر ما هى مشكلة مصور فكر الثورة بعد ١٩٦٦ ، اعنى توقفه ، وعجز الثورة عن ان تتقدم اكثر من هذا . وهذه ازمة انعكست فى التغييرات الوزارية الكثيرة جدا بعد ١٩٦٥ . ويذكر الاستاذ الحكيم تغيير وزارة على صبرى وصدقى سليمان وزكريا محيى الدين . فهذه الاشياء كلها ، تمت فى فترات قصيرة بحيث أن الوزارة كانت مثلا - قائمة لمدة سنة او سنة ونصف ثم تتغير فى عهد عبد الناصر . هذا كان يعكس - فى رأيى - ازمة . يمكن ان نتحدث فيها بتفصيل . ومن هنا ، اعتقد ان النقطة التى علينا نركز فيها ابتداء هى قضية فكر الثورة . واذا سمحتم ادخل فى الموضوع بهذا المنهج التاريخى ، وهو عدم عزله وعزل قضايا يمكن لا تعزل فيها على الاطلاق ، وقضايا يمكن أن نعزل فيها التطبيق عن النظرية لانها تمثل قضايا ثابتة .

■ **لطفى الخولى :**

أنا مع منهج د . عبد العظيم انيس ، وهو اننا نميز - لدواعى البحث - بين فكر الثورة وبين حصيلة التطبيق .

■ **توفيق الحكيم :**

أنا مسرور ، لان الاراء تتعدد ويتم تعميقها بهذا الشكل . والواقع اننا نحب ان نبحث فى مفهوم الثورة لهذه الاشياء الكبيرة : الحرية والاشتراكية والوحدة .

وفى اعتقادى ان فلسفة ثورة ١٩٥٢ تتمثل فى الحريه والاشتراكية والوحدة . وهذه هى القاعدة التى يجب أن ننطلق منها الى المستقبل على أساس ان هذا فخر البلد ، ثم نتقدم فى هذا المجال من اجل المزيد من التعميق والتحديد .

وفى الوقت نفسه عندما أسمع أن نفس هذه المبادىء الثابتة لها مفهومات متغيرة عند زعماء الثورة انفسهم ، فان هذا ايضا يتطلب مزيدا من التحديد والتعميق . غير ان هذه النقطة تحتاج الى معلومات قد لا تتوفر الا عند الاستاذ خالد محيى الدين . فقد ذكر لنا ان الثورة فى السنوات الخمس الاولى لم يكن لها تفكير رسمى . كما ان لطفى الخولى أشار الى ان أفكار الوحدة والاشتراكية والحرية كانت موجودة قبل ١٩٥٢ عند حزب البعث ، وربما كانت موجودة فى مصر بشكل أو بآخر .

ومع ذلك فانا اتكلم عن الفكر الرسمى للثورة . وهنا اضع هذا السؤال موضع البحث وهو :

هل كان هذا الفكر الرسمى موجودا لدى القادة الذين تعين عليهم ان يقوموا بالتنفيذ . أم أن مفهوماتهم الخاصة لهذه المبادىء كانت جد مختلفة عن مفهوماتنا ؟

■ **د . عبد العظيم انيس :**

احب ان اضع بعض الخطوط العريضة التى تتعلق بفكر الثورة . الحقيقة ان فكر الثورة - عموما - قد مر بمرحلتين : المرحلة الاولى ، كما قال خالد محيى الدين لغاية سنة ١٩٦٢ ، حيث لم تكن توجد وثيقة فكرية واضحة للثورة . وابتداء من ١٩٥٢ - باستثناء كتاب « فلسفة الثورة » . انما ، لا يعنى هذا اطلاقا ان الثورة لم تكن لديها فكرة طول هذه السنوات . قادة الثورة بالتأكيد كان لديهم افكار .

■ **توفيق الحكيم :**

كنت أحب ان يلخص لنا احد هذا الكتاب من منطلق ما اشتمل عليه من افكار . انا قرأته قراءة ربما كانت سريعة ولم اكن فى ذلك الوقت على اتصال شخصى بأحد . فلابد من قراءة هذا الكتاب ، مادام هناك شيء يسمى « فلسفة الثورة » .

■ **لطفى الخولى :**

أقترح اذن أن الدكتور مراد وهبة يعرض لنا الخطوط الرئيسية لوثائق الثورة وهو فلسفة الثورة والميثاق وبيان ٣٠ مارس ففيها مسار التجربة . أما الجلسة القادمة فنعرض بعدها للبرنامج الخاص بالعمل الوطنى وورقة اكتوبر . تفضل يا دكتور . .

■ **د . عبد العظيم انيس :**

ان فكر الثورة كما قال د . فؤاد مرسى فعلا يحتاج هذا النظر التاريخى . من سنة ١٩٥٢ وحتى كتابة « الميثاق الوطنى » لم تكن هناك وثيقة شاملة تتعلق بفكر الثورة سياسيا ووطنيا واجتماعيا وعربيا ، بالمعنى الذى ورد فى « الميثاق الوطنى » واذا كان يمكن أن نقول ان هناك وثيقة تدرس ، فهذه الوثيقة كانت كتاب « فلسفة الثورة » . ولكن اذا جاز ان نسنقى شيئا متعلقا بهذه الفترة التى هى من

١٩٥٢ الى اوائل الستينات فلابد أن نستتيه أساسا من هذه الخطب ومن التطبيقات نفسها للدلالة على فكر الثورة فى هذه المرحلة : فكر الثورة وفكر عبد الناصر . حقيقة انه فى السنوات الاولى يصعب أننا نتكلم ، اذا استبعدنا المنشورات الخاصة بالضباط الاحرار . وهذه المنشورات كان لها اتجاه محدد ، وطبعا لم يتم الالتزام به الا بعد الثورة لان هناك كان صراعا فى داخل الثورة نفسها بين أفكار وتيارات مختلفة . وهذه الافكار والتيارات المختلفة تطلبت بعض الوقت حتى « يتبلور الجانب القيادى فيها » .

■ **توفيق الحكيم :**

أنا عاطفتى نحو عبد الناصر لم تتغير قط ، ولذلك أضيف انه لابد أن أفصل العاطفه حتى لا يحدث خلط

أولا : كون حصل خراب فهذا حدث فحصل خراب فى البلد لا يمكن - مثلا - ان تعول ان البلد استنزفت فيها ١٠٠٠٠ مليون جنيه لم تستفد منها لا قرية ولا اصلاح . هذه لا اقدر أهضمها مهما قلت - مثلا - عن حبى لوالدى . لا يمكن أبدا أن اتغافل أو اتجاهل ما حدث منه . لقد حصل خراب كما حصل أيام نابليون . فهو على الرغم من انتصاراته ، فى كذا جبهة ، ضرب فرنسا ماليا مع أنه خسر فى موقعة واحدة ، فرنسا رأت الخراب وراحت تطرده .

وانا فى مسألة « عودة الوعى » ماذا انتقدت ؟ انتقدت واحدا أحبه ، ولكن لا يمكن أسكت عن انى انا شخصيا وجدت ان الحكم المطلق يؤدى الى انه يطبع الشعب كله بطبعة واحدة الى درجة أننى كنت تأثرت للغاية عندما رأيت وزراء أعرف آراءهم الخاصة ، ثم أراهم فى التليفزيون ، يتكلمون بعبارات هى كليشيهات . اذن انا لولا « عودة الوعى » والصدمة التى حصلت لما كنتم قد جلستم هنا الان لتتحدثوا فى تاريخ مصر . لابد أن يقوم أحدنا بعمل الصدمة بصرف النظر عن الحب ولذلك أحاول دائما فصل العاطفة . مع اننى سأظل أذكر لعبد الناصر مواقف شخصية ممتازة معى . انا مهمتى هى اثارة الافكار ضد شىء لابد أن أكشفه حتى يحصل الجدل . لكن ما يصدمنى هو أن يأتى بعض الناس ليستغلوا هذا ويهدموا كل الفترة . هل الفترة كلها تهدم أم لا ؟ طبعا ما يؤلمنى هنا أكثر ، فى التطبيق ، هو حكاية هل نهدم السد العالى ؟ زعلت منها جدا . لاننى ذهبت سنة ١٩٦٤ الى السد العالى ورأيت كل شىء والتقيت بقرش صاغ فى النفق على أساس أن المياه ستتدفق عليه ولهذا يبقى لى حاجة داخل النفق . فعلا سررت جدا بالسد العالى وعرفت منافعه وبعد ذلك لما جم يقولوا انه ظهر هناك عيوب .. لم استطع أن أحصل على الرأى الاخر .. يجب أن يكون هناك راى آخر ولكن من خبراء موضوعيين . وكنت احب أن الدكتور عبد العزيز أحمد يشرح لنا كيف ان عبد الناصر كان واجبا عليه ان يقول له : تعالى : قل رأيك .

■ **محمد سيد احمد :**

الاستاذ فيليب جلاب عمل كتابا جاء فيه ان عبد العزيز أحمد اقتنع فى النهاية حسب ما قالوا فى الكتاب بأن السد العالى سليم .

■ **توفيق الحكيم :**

ان ما جعلنى أشعر أنه معارض هو اضطهاده فانه عندما حصل على جائزة الدولة التقديرية لم يتم التصديق عليها من عبد الناصر . وكان واجب أنه يصدق ويقول ولو أنه معارض لنا لكن هذا شىء آخر . وكذلك الامر مع السنهورى . هذه الحاجات لم تكن تصح . لابد - كمفكرين - ان نفصل بين عاطفة الحب وبين تنبيه الامة . لماذا أقول أنه لابد من صدمة كهربائية بعد عشرين سنة . لان الرجل وصل من التقديس الى درجة ان أى نقد له يصبح هجوما . جنازته فى العالم لم يحصل مثلها أبدا . وهناك ناس حتى اليوم يقرأون له الفاتحة . انتظر عشرين سنة عليه وسيصبح الشيخ عبد الناصر . كل هذا عظيم . ولكن الشعب يحدد افكاره ، ويجب ان يناقش الافكار والا تجمد عقله وفقد الوعى فعلا . وأنى أقصد دائما بالوعى ليس وعيى انا كما يقول بعض الهازلين . انما المقصود هو وعى أهم من شخصى أنا الفانى . ان المهم والمقصود هو وعى الامة كلها التى جمدها وشكلها رأى رجل واحد . نعم ان الذى حدث أنه تبلورت البلد كلها تحت رعاية شخص ، فى التفكير حتى ان استاذ الجامعة لما كان يحضر لتدريس التاريخ يملؤه تزييف ويعمل سدا ما بين الماضى كله وبين الحاضر بعد الثورة . البلد - بالحكم المطلق - تفقد جزءا كبيرا من وعيها .

■ **د. عبد العظيم انيس :**

أحب ان اقول ، ان النقطة التى يخاف منها الاستاذ توفيق الحكيم فيما يتعلق بتحكم العاطفية فى أحكامنا على أفكار الثورة وانجازات الثورة والجوانب الايجابية فيها والجوانب السلبية ، اعتقد أن هذا الخوف غير

متوفر فى عدد كبير من الموجودين هنا ؟ وعلى الاخص اتحدث عن الصف الذى انا موجود فيه ابتداء من خالد محيى الدين حتى د . فؤاد ثم لطفى الخولى ثم أنا ، لاننا قاسينا فى ظل الثورة الكثير . وأنا عن نفسى اقول فى ايجاز اننى فصلت من الجامعة سنة ١٩٥٤ بقرار من مجلس قيادة الثورة لا لشىء الا لافكارى السياسية . ثانيا أعتقلت ٥ سنوات و٣ شهور أيضا فى ظل عبد الناصر وحوربت فى انتخابات ١٩٥٧ ، وفى لقمة العيش . كل هذه اعتبارات لا تجعل مجالا لاى مشاعر عاطفية خاصة من ناحية اتجاه عبد الناصر . انما احاول أن أؤكد رؤية موضوعية للمجتمع المصرى وتطوره خلال العشرين سنةالاخيرة ، رؤية موضوعيةتتضمن ايجابياتكثيرة لازم ندافععنها ونتمسك بها من أجل المستقبل وتتضمن أيضا السلبيات ».

■ **لطفى الخولى :**

دكتور أنيس هل نفهم من كلامك ان هذه وجهة نظر أخرى ، وان من تعرضللمعاناة فان هذا يمنعه من الرؤية الموضوعية للتجربة ولا يجعل منها معيارا للحكم على عبد الناصر والتجربة .

■ **توفيق الحكيم :**

هذا ما يجب أن يكون رائدنا هنا . اننا موجودون منأجلمصر فىمستقبلها الذىنحاول نراه . وهذا واجبنا هنا ان نشعر بأننا نطرح أسس تفكير لمصر فى المستقبل . فاذن نحن نطرح ــ جانبا ــ عاطفيتنا واريداستبعاد حبى وأنت عارف ، وانا دائما أحبه جدا بقلبى فى الحقيقة : شتمت ناس من أعز الناس لى علشان عبد الناصر . ومن المعروف اننى قليل البكاء . ولكن لما رأيته فى الصور بعد موته ، ما قدرت أن أمنع الدموع .

■ **د. عبد العظيم انيس :**

والان نعود الى فكر الثورة وأفكار عبد الناصر. وهنا سوف نستقى استدلالاتنا من كثير من التطبيقات بالاضافة الى عدد من الخطب . فى السنتينالاوليين من الثورة ،كان هناك صراع شديد فى مجلس قيادة الثورة . ولم يستقر الا بعد سبتمبر ١٩٥٤ . وبالتالى ، كانتهناك اتجاهاتفكرية مختلفة : كان هناك اتجاه وطنى . هذا الاتجاه الوطنى غير محدد المعالم وهذا الاتجاه الوطنى حاولت الامبريالية الامريكية أن تطوقه فى السنوات الاولى من الثورة بشكل واضح . لقد جاء وقت ، ظن فيه عدد من اليساريين أن الامبريالية الامريكية أفلحت فى تطويق الثورة بهذا الشكل . ولو أن هذا ثبت أنه غير صحيح ، لكن يهمنى الاشارة الى حقيقة الموقف من الناحية التاريخية .

عبد الناصر عبر فى كتابه « فلسفة الثورة » عن خطوط استراتيجية عامة تتعلق بالنضال الوطنى ، فيما يتعلق بمصر ، ووضعها فى الدوائر الثالثة ، التى أسميها خطوطا استراتيجية عامة : الدائرة العربية والدائرة الافريقيةودائرة الاسلام .. وفىتقديرىان هذا الكتاب كان يعكس حدود وقصور فكر عبد الناصر ،فى هذا الوقت ،هذا الفكر الذىتطور بعد ذلك تطورا كبيرا من الناحية الاجتماعية . وكان ينقص الثورة فكر اجتماعى واضح ،وفكر جماهيرىواضح . بمعنى على أى قوة سياسية وبأىشكل شعبىيمكن ان تعتمد الثورة ؟ ولذلك ابتدات تجارب الثورة فى هذا الاتجاه مع الاتجاه الوطنى العام الذى سارت فيه .ففكرت فى تنظيم مثل هيئة التحرير تحت شعارات النظام والاتحاد والعمل . لكنها كانت منظمة غير جماهيرية ــ وكانت يافطةرسمية أكثر من اى شىء وفشلت فشلا ذريعا فى كل شىء . لم تستطع أن تعبر عن أى شىء . ثم جاء بعد ذلك موضوع الاتحاد القومى حتى ١٩٦٢ . فاذا لخصنا فكر الثورة فى خطوط كبيرة ــ فى الفترات الاولى ــ وخصوصا فكر عبد الناصر ، فان فكر عبد الناصر كان متجها : الى فكر وطنى عام ، استقلال وطنى .. جائز نسميها فكرةنظرية ، وطبعا هى فكرةمطروحة فى العالم كله من قبل عبد الناصر . ثم محاولة كسر شوكة الاقطاعيين عن طريق اجراء اصلاح زراعى يستطيع أن يكسر شوكتهم دون تحديد واضح لمواقف ومطالب .. الفئات الاجتماعية الاخرى فى الريف ، ابتداء من فقراء الفلاحين حتى اغنياء الفلاحين (وهم ليسوا الاقطاعيين] ويختلفون عنهم فى أن الاقطاعيين هم أساسا كبار الملاكغير المقيمين ــ عادة ــ فىالقرية ، والذين يتبعون اسلوبين . أما أسلوب الاعتماد على عمل الاجراء فى التنمية الزراعية ، أو أسلوب تاجير الاراضى وهممقيمون فى المدينة ، لكن اغنياء الفلاحين [ملاك الخمسين فدانا والستين فدانا والمائة فدان ، وحتى فقراء الفلاحين الثورة لم يكن لها عند قيام الثورة فكر واضح . ولذلك ترتب على قانون الاصلاح الزراعى من الناحية الفعلية أنه دعم المراكز الحقيقية لاغنياء الفلاحين . القانون بالطبع أنصف عددا من فقراء الفلاحين . لكنه ظل

محدودا جدا بالنسبة لجمهرة الفلاحين فى الشعب المصرى ، التى ظلت مكاسبها محدودة بالنسبة للمكاسب السياسية والاقتصادية التى كسبها اغنياء الريففى داخل القريةالمصرية . هذه النقطة .. تبين أن الفكر النظرى غير مفصول عن التطبيق . واستدل من هذا ، أن حدود الفكر النظرى الذى كان موجودا — فى هذا الوقت — فى داخل مجلس قيادة الثورة وهو كسر شوكة الاقطاعيين ، لا اكثر ولا أقل ، دون الاهتمام الكافى بأن تعود الارض لمن يفلحها ، وأن يحدث تطوير ثورى فى الريف المصرى من الداخل ..

أيضا ، أحد الاهداف التى كانت موجودة فى كسر شوكةالاقطاعيينهو تحويل عدد منهؤلاء الى مساهمين فى الصناعة والتجارة فى المدينة ..

فاذا جئنا الى فكرة التصنيع . فسوف نرى انه الى جانب الاعتماد على الجزء ألمتوفر من تحويل امكانيات الريف الى الصناعة والى المدينة ، كانت هناك فكرة اساسية فى ذلك الوقت هى الاعتماد على رأس المال الاجنبى فى تقدم الصناعة المصرية وتنميتها .. ولذلك جاء القانون الذى اشار اليه خالد محيى الدين حول رأس المال الاجنبى ..لكن هذه الفكرةفشلت فى التنفيذ فشلا تاما لان الامبريالية الامريكية — فى محاولتها لتطويقثورة ١٩٥٢ — كانتتستهدف اهداف قيادة الثورة لم تكن قيادة الثورة مستعدة ان تعطيها على الاطلاق ، وبالتالى ، وقف موضوع تدفق الاستثمارات الاجنبية الى الداخل الذى كان مرتبطا بتحقيق هذه الاهداف السياسية ، من ناحية تدعيم مركز الامبريالية الامريكية فى مصر وفى المنطقة العربية كلها .

ايضا من الافكار التى طرحها عبد الناصر فى كتابه « فلسفة الثورة » — ولو لم يطرحها فى الكتاب بصراحةووضوح — انما أعتقد شخصيا أنها كانت فى باله لانه لا ننسى ان عبد الناصر والضباط الاحرار دول خلاصة تجربة ١٩٤٨ وحرب ١٩٤٨. فكرة البعد العربى والدائرة العربية كانت أيضا فى أذهانهم لانه كان مستحيلا أن يتطور الصراع بين مصر واسرائيل ويصبح معزولا عنبقية العالم العربى وخصوصا المشرق العربى يعنى سوريا — الشعب الفلسطينى — لبنان — الشعب العراقى .. الخ المنطقة الملاصقة لاسرائيل . النظرة الى اسرائيل ككيان صهيونى من خلال دعم الامبريالية العالمية لها كالعصا الغليظة للامبريالية لم تكن واضحة فى كتاب فلسفة الثورة. بالاضافة انى قلت ان كتاب فلسفة الثورة — أيضا — لم يكن يطرح قضايا فكر اجتماعى بكيفية واضحة. تلك حدود الفكر الذى كان موجودا فى الفترة الاولى بشكل عام. هو فكر وطنى عام، لكن تطبيقاته كانت مقصورة فى هذا الاتجاه . اذ لا وجود لتنظيم شعبى حقيقى تعتمد عليه الثورة، ولا محاولة لتأصيل هذه القضية، قضية تنظيم الشعب ودواعيها ومستقبلها ، وبالاضافة الى عدم وجود فكر اجتماعى واضح . لهذا نستطيع ان نقول بشكل عام : ان الضباط الاحرار وقيادة الثورة كانت تعكس— فى تلك الفترة والى حد كبير اجزاء من البرجوازية المصرية التى كانت تتمنى الاستقلال ، وكانت تتمنى التصنيع ، ولكن كانت تدرك أيضا قصور امكانياتها فى ظل الوضع الدولى والمحلى الذى كان سائدا فى هذه المنطقة ، وكانت تتمنى ايضا نوعا من التعاون العربى يقرب اشياء كثيرة من التى بدت بعيدة فى تلك الفترة.

فى المرحلة الثانية أيضا ، وانا أقول بايجاز شديد التى هىفى رأيى ابتدأتمن كتابالميثاق وما بعد هذا . الثورة ، حدث تغيير كبير فى فكرها خلال هذه المدة ، لانها تعلمت دروسا كثيرا . وهذهالدروس انعكست ،بدون شك ، فى كتاب الميثاق الوطنى . وعلى الرغم من الايجابيات الفكرية الكثيرة التى انعكست داخل الميثاق ، هناك سلبيات فكرية احدد بعضها : أولا ، ابتداء لست من المقتنعين بان هناك شيئا اسمه الناصرية بمعنى Nasserism أى نظرية فكرية مثل الماركسية ومثل الوجودية ومثل الوضعية المنطقية .

الافكار التى طرحت فى الميثاق كثير منها اما أفكار تتعلق بالنضال الوطنى ، وأنا احبذها تحبيذا كاملا . واكار تتعلق بالوحدة العربية من ناحية المبدا وأحبذها . وأفكار تتعلق بالعدل الاجتماعى أكثر مما أسميها اشتراكية بالمعنى العلمى . معذلك طرحت افكارا تغازل الفكر الاشتراكى كثيرا فى داخل هذا المنطوق ، واقترب من الفكر الاشتراكى اقترابات كثيرةداخل الميثاق الوطنى لاشك وينبغى أن نقول هذا بشكل واضح ..

الاجتهادات النظرية التىفى الميثاق اجتهادات كثير منها شائع باستثناء اجتهاد أو اثنين ..

أما أهمية النظر الى مصر — فى الميثاق — كقاعدة لنضال فى العالم العربى ضد الامبريالية الدولية ، ومن أجلالمحافظة على الاستقلالالوطنى ، فلا شك أنهذا ليساجتهاد عبد الناصر انما هذا تطبيقه . وهذه الرؤيا تحمدلعبد الناصر كزعيم .

ومن الطبيعى ان نؤيد فى كل هذه — أيضا — الافكار المتعلقة بالنظرة العربية

المنطقة . البعد العربى عندما ينعكس ، فى ميثاق، هو ــ أيضا ــ بعد هام. والبعد المتعلق بالعدل الاجتماعى ، وعديد من الافكار الاشتراكية التى أقرت بأن هناك صراعا اجتماعيا بين الطبقات. وهى أيضا أفكار صحيحة. كانت موجودة ــ بالطبع ــ قبل عبد الناصر. لكن الجديد ان عبد الناصر تبناها واصبحت جزءا من سياسة الدولة الرسمية .

وربما كان الاجتهاد النظرى الوحيد الذى أضافه عبد الناصر فى داخل الميثاق ، ــ وانا باعتبره أضعف اجتهادات عبد الناصر ــ هى فكرة تأميم الصراع الاجتماعى .. فكرة تأميم الصراع الاجتماعى تنعكس بشكل أو بآخر فى داخل الميثاق على اساس ، انه يمكن فى ظل دولة فيها علاقات رأسمالية ، وفيها طبقات أن يوفق بين هذه الطبقات بحسن تدبير الحاكم .. وينعكس هذا فيما يسمى تحالف قوى الشعب العاملة، انا لست ضد تحالف قوى الشعب العاملة ، وهو مبدأ سليم .. لكن يجب الا ينظر الى التناقضات بين فئات تحالف قوى الشعب العاملة فقط من زاوية .. ان هذه التناقضات لابد وأن تنفجر ، بمعنى أن تؤدى الى كارثة ، لان هذه التناقضات يمكن حلها فى ظل صراع اجتماعى صحيح . ولكن لابد أن يعطى لهذا الصراع الاجتماعى مدلوله الحقيقى فى تنظيمات جماعية تستطيع انها تؤثر على النظام وتستطيع انها تعكس حقيقة رغبات جماهير العمال والفلاحين الذين يمثلون الاغلبية الساحقة ..

هناك كانت فكرة تسيطر على ذهن عبد الناصر وهى انه يمكن عن طريق السلطة وعن طريق الدولة ، وعن طريق الحاكم العادل ، الذى يقف فوق هذه الطبقات كلها وفوق الصراعات أن يحل التناقضات الاجتماعية . لكن هذا لم يكن صحيحا من الناحية الموضوعية ، بدليل انه ، من سنة ٦٥ أى بعد انتهاء الخطة الخمسية الاولى، كان لابد من اجراءات فى داخل الزراعة المصرية أساسية من اجل ضمان تراكم رأس المال . وهذا هو القانون الذى التزمته كل الثورات من ناحية التنمية الاجتماعية كان لابد من فوائض قطاع الزراعة لتوفير أو احداث تراكمات جديدة من الاستثمارات . ثم انه كان لابد من ادخال نظام التعاون الانتاجى فى الزراعة المصرية وتوسيعه ، لكن هذا لم يحدث خوفا من انه يمس الملاك أو يمس حرية المزارعين الفرديين فى زراعة ما يريدون .

وبسبب أن هذه الإجراءات لم تنفذ

يمكن ــ فى الواقع ــ أن نلقى الضوء على الصراعات التى نشأت فى بعض أنحاء الريف وسميت بقضايا الاقطاع . وفى تقديرى ان هذه الصراعات لم تكن بين اقطاعيين وبين فلاحين فقراء ، بل بين فقراء الفلاحين من ناحية ، وبين أغنياء ومتوسطى الفلاحين . وقد بدا فى لحظة أن عبد الناصر انحاز لجانب الفلاحين وصغار الملاك .

واعتقادى ــ بعد هذا ــ أن أضعف النقاط فى سياسة عبد الناصر كانت فكرة « تأميم الصراع الاجتماعى » ان عبد الناصر لم يستخدم هذا التعبير ، لكن الميثاق عبر عنه ، ويمكن استخلاصه منه من خلال دراسة الصيغة المقترحة للتحالف ، وهى أن يوجد تنظيم واحد ، ولا توجد منابر تعبر عن مصالح العمال ومصالح الفلاحين الفقراء فى داخل الاتحاد الاشتراكى .. لقد تصور انه يمكن أن توجد منظمة متجانسة تقودها قيادة فوق الصراع الاجتماعى ، وتستطيع أن توفق ــ حسبما تريد ــ بين مختلف الطبقات .

ربما نجد، انه فى فترة من الفترات ، ان هذه الفكرة نجحت من ناحية التطبيق ، لكن هذا النجاح كان فى رأيى نجاحا مؤقتا لا يلبث ان يصطدم بحقائق أساسية فى داخل المجتمع المصرى . وهذا ما حدث ، وتبين العجز الواضح فى الاتحاد الاشتراكى حين لم يؤد أى دور لمصلحة فقراء الفلاحين ..

■ أحمد عباس صالح :

اريد أن أذكرك يادكتور عبد العظيم بأن الميثاق نص ــ أيضا ــ على وجود حزب طليعى داخل الاتحاد الاشتراكى . ومنذ ١٩٦٣ بدأ يتكون ما يسمى بالتنظيم الطليعى لانه وضحت ان فكرة تأميم الصراع الاجتماعى ، هذه فكرة تكتيكية ستنتهى فى آخر الامر الى حزب ثورى قيادى له فكر متكامل . وأظن ، انه عقب تكوين هذا التنظيم ، تكون ما يمكن أن يسمى « بمدرسة للكادر » وهى المعهد الاشتراكى . ولو راجعنا برامج المعهد سنجد انها كانت تتجه اتجاها سليما وواضحا نحو فكر اشتراكى علمى . وبالنسبة لفكرة امكان الحياد المطلق فى الصراع الطبقى ، لم نتحقق أيضا هذه الفكرة فى التنظيم الطليعى .. والحقيقة ان هذا التنظيم فى اتجاهاته الفكرية ، أيضا ، لم يصمد عند مواقع فكرية ثابتة . النظرية كانت موجودة ولكن بدا أن التطبيق سيؤدى ــ فيما يبدو ــ الى أن يعمل التنظيم

الطليعى على الحد من سلطان عبد الناصر – بعض الشىء – فى الهيمنة على القوة الاجتماعية . فالافكار كانت موجودة وتنفذ ، ثم يعدل عنها ، فيه نوع من ...

■ د. عبد العظيم انيس :

صحيح انا متفق مع الاستاذ أحمد عباس صالح . واقول انه كان هناك « مداعبات » كثيرة لدى عبدالناصر فى هذا الاتجاه بدليل انه سأل اكثر من مرة – فى مؤتمرات الاتحاد الاشتراكى – عن نهاية اجراءات ٦٣ وان بعض الناس ، من عناصر وسيطية او يمينية ، تحايلت عليه ليعلن ان الاجراءات الثورية قد انهيت تماما ، فكان يرفض . هذا معناه ان عبد الناصر لم يقفل الباب رسميا امام استمرار الاجراءات الثورية ، لكن فى الناحية التطبيقية – ورغم هذه «المداعبات» – من الواضح انه كان يتهيب اتخاذ هذه الاجراءات وكان يتخوف من ان تفلت زمام سيطرته على الموقف فى هذا الاتجاه ...

■ أحمد عباس صالح :

معذرة للمقاطعة ... أظن فى ٦٩ بدأ يحدد الملكية الزراعية من جديد الى ٥٠ فدانا ، واذكر ان هذا الكلام طرح فى خطبة من خطب عبد الناصر . وكان هناك كلام كثير فى تصريحات او مناقشات حول اتجاه عبد الناصر الى مزيد من الحد من الملكية الزراعية بهدف تصفية او الحد من سلطان اغنياء الفلاحين . واعتقد ان هذا كان واردا ، بدليل ، انه حتى بعد ٦٧ كان هناك تفكير فى مزيد من تحديد الملكية الزراعية فهذا يعنى ان التطبيقات تتعارض فى النهاية مع فكرة الحياد بين القوى الاجتماعية المختلفة ...

■ د. عبد العظيم انيس :

ليس هناك خلاف بيننا فى هذا الاجتهاد الثانى . انتقل الى نقطة أخرى :

فى الميثاق اجتهاد نظرى واعتقد انه كان اجتهاد قاصر على النظرة الى تاريخ مصر ما قبل ٥٢ . كان هناك نوعا من التعسف فى الفكر النظرى المتعلق بهذه النقطة وبالذات فى النظر الى ثورة ١٩ وسعد زغلول وكل ما احاط بها . هناك تسطيح مبالغ فيه لمرحلة ما قبل الثورة . وبالتالى ، ما يؤدى اليه هذا التبسيط النظرى الشديد من اهمال كثير من صراعات الشعب المصرى وقياداته فيما قبل الثورة .

■ توفيق الحكيم :

المسئول عن هذا بعض أعضاء الحزب الوطنى الجديد الذين ساندوا الثورة ، لانهم كانوا خصوم ثورة ١٩ . وكان اتجاههم واضحا للنيل من ثورة ١٩١٩ والتقليل من دور سعد زغلول . ولهذا ربما لم يكن عبد الناصر مسئولا مسئولية رئيسية فى هذه النقطة ، اذ لم تكن له مصلحة فى ذلك .

■ د. عبد العظيم انيس :

عندما ينظر مؤرخ الى الميثاق يجد هذا التقصير .

ومن المشاكل التى طرحت ، وكانت محل استفهام طويل ، ولا تزال محل مناقشة والى الان ، مشكلة ما يسمى « بالمعادلة الصعبة » وبمقتضاها يمكن التنمية الى حدود مضاعفة الدخل القومى دون أن تدفع ثمن هذا اى فئات اجتماعية داخل المجتمع ودون أن يدفع الشعب المصرى ثمنا لهذا ، ودون ان تدفع البرجوازية الوطنية واغنياء الفلاحين ثمنا لهذا . وقيل أن هذه معادلة صعبة وانا رأيى أن هذه كانت معادلة مستحيلة . والدليل على هذا أنه بعد انتهاء الخطة الخمسية الاولى [التى استفادت فائدة كبيرة من اجراءات التمصير التى تمت بعد ٥٦] طرحت القضية من جديد طرحا واضحا . ولم يكن هناك اجابة عليها على الاطلاق . لانه بعد أن أممت ، واخذت رؤوس اموال الاجانب ووظفتها كان لابد وان نبحث عن تراكم جديد لراس المال من أجل التنمية . لاننا لا نستطيع فى ظل نضالنا الوطنى ان نعتمد على الارض أساسا ، او على المعسكر الاشتراكى . فالمعسكر الاشتراكى سوف يساعد بقدر جهده . لكن الاساس هو أن تساعد نفسك ، اى أن نقطة الانطلاق هى ما تفعله أنت وتضع أسسه فى الداخل .

اذن ، تضية المعادلة الصعبة ، مثلها مثل تأميم الصراع الاجتماعى كانت من الاجتهادات الجديدة لعبد الناصر . وفى رأيى الشخصى ، ان كلتا القضيتين من أضعف ما فى هذه الاجتهادات النظرية .

هذه بشكل عام ، وبايجاز شديد الافكار التى طرحت فى المرحلة الثانية .

وبالطبع انعكست هذه كلها فى سياسة التصنيع ، فاتجهت الى التركيز على الصناعة

الاستهلاكية،مثل صناعة السيارات ، وصناعات أخرى .. ليس معنى كلامى هذا ، انه لم يكن هناك جهد ايجابى كبير فى الخطة الخمسية الاولى .. نعم كان هناك جهد ايجابى لاينبغى أن ننكره ولكننا نتكلم – هنا – عن قصور أفكار التنمية الموجودة فى الميثاق كما انعكست فى التطبيق . فهذه نقطة تتعلق – أيضا – بعدم العزل بين التطبيق ، وبين الفكر النظرى فى عدد كبير من القضايا ...

من ضمن الافكار التى لا تزال ايجابية فى داخل الميثاق فكرة عدم الفصل بين الحرية السياسية وبين الحرية الاجتماعية .. هذا التفكير كان تفكيرا جديدا بالنسبة للمجتمع المصرى .. الاشتراكيون القدامى واليساريون كانوا دائما يؤكدون على هذا المعنى الى أن تبنته الدولة رسميا فى الميثاق الوطنى ... وهذه النقطة ايجابية على الرغم من سوء التطبيق فى بعض الاحيان . وأخيرا فانه مع كل القصور يظل فى رصيد الثورة وفكر عبد الناصر فكر نظرى صحيح ينبغى أن ندعمه ونتمسك به من ناحية المبدأ حتى لو حصل اختلال فى التطبيق .

■ **توفيق الحكيم :**

الفكرة التى تبنت رسميا ارتباط الحرية السياسية بالحرية الاجتماعية فكرة صحيحة وأنا اذكر اننى كتبت قبل الثورة وقلت الصوت السياسى تابع للصوت الاجتماعى، تابع للملكية .. كبار الملاك .. كبار الملاك وهم من عندهم الارض الذين يأخذون ، ليس ثروة محصول القطن فقط بل ويأخذون الاصوات السياسية .. هذه الافكار كانت موجودة طبعا لكن كونها توضع رسميا كمنهج رسمى للدولة ، فهذا مهم ..

ظاهرة أخرى ، كنت أحب أن تدرسوها ، هى انه تولدت بعد تحديد الملكية يعنى ، ظاهرة جديدة تتمثل فى أن هناك اغنياء فى الريف يكونون ثروات كبيرة لا من التملك بل من تأجير الارض لانهم يستفيدون من أن الايجارات منخفضة أيضا .. ايجار الشقق المفروشة .. فأصبح هناك طبقة من الاغنياء على أساس الايجار مش على أساس الملكية .. وانا أعرف ، فى الريف ، بعض الناس الذين كانوا فى غاية الفقر تقريبا . وكانوا مستأجرين بسطاء فترقى الواحد منهم الى طبقة جديدة اقتصاديا فلا يعمل بايده انما اخذ ينمو ، واشترى جرارا بخاريا ، وبدأ يؤجره ، وبدأ يستخدم صغار الفلاحين الفقراء الذين كان فى صفوفهم فى يوم من الايام ..

■ **لطفى الخولى :**

هذه هى النقطة التى اشار اليها د . عبد العظيم ، من ان تطبيق الاصلاح الزراعى أدى الى توسيع قاعدة أغنياء الريف وخلق الظروف المناسبة لاستغلالهم .

■ **توفيق الحكيم :**

وهذا الثرى اصبح عضوا فى الاتحاد الاشتراكى ، وأصبح له اتجاهات سياسية وله دور أساسى .. فالارض لمن يزرعها اتخذت معنى آخر .. هوه كان يزرعها سابقا ، ولكنه ترقى الى انه لم يعد يزرعها بيده ، ولكن اصبح طبقة مالكة مالك بلا ملك .. أو هو صاحب ملك قليل ، مالك مثلا لعشرة أفدنة ، ولكن استغلاله فى ٥٠ فدانا ، واذا به من أثرياء الريف ..

■ **احمد عباس صالح :**

موافق على أغلب العرض الذى قدمه د . عبد العظيم انيس ولكن هناك نقطه فى المنهج لكن هى فى الموضوع ايضا . وهى انه ينبغى وضع الفكر الذى طرحته ثورة ٢٣ يوليو ليلة ٢٣ يوليو فى المبادىء الستة بالنسبه للأفكار التى كانت مطروحة فعلا فى المجتمع المصرى والصراعات السياسية التى كانت موجودة فى المجتمع المصرى .

فى الواقع لو لا حظنا الفترة من ٤٦ الى ٥٢ سنجد ان هناك نموا واسعا الى حد ما للافكار الاشتراكية العلمية ، وبلورة لها فى المجتمع . وكانت تطرح كثيرا من الحلول لمشاكل المجتمع ، سواء من ناحية الاستقلال أو من ناحية اعادة الثورة الاجتماعية .

وكانت هناك ايضا شرائح مختلفة من التفكير اليسارى الى جانب اتجاهات الفكر اليمينية والتصنيفات المختلفة . نتيجة هذه الصراعات ونتيجة ظروف معينة ، حدثت ثورة ٥٢ ، ولم تطرح الا ذلك الجانب الذى فيه شىء من الغموض ، فى المبادىء الستة ، التى طرحتها فى هذه الفترة . هذا الجانب ، فيما اعتقد كان امتدادا لتيار فكرى موجود ايضا فى المجتمع المصرى ، كان يفكر فى تحديد الملكية

الزراعية ؛ كان يفكر فى توسيع قاعدة الطبقة الوسطى لحكم المجتمع المصرى . هذا النوع من التفكير النظرى طرح فى حزب احمد حسين ومحمد خطاب ومريت غالى وأيضا اظن الدكتور احمد حسين [جمعية الرواد] هذا النوع من الافكار ربما كانت المبادىء الستة تشير اليها الى حد ما .

واستمر صدام ثورة ٢٣ يوليو من خلال هذه البلورة ضد الفئات أو القوى الاجتماعية التى تختلف مع هذه المبادىء ، مثلا الاختلاف مع بعض قيادات حزب الوفد فيما يختص بقضية الاصلاح الزراعي ، بينما كانت قطاعات اخرى حتى من الرجعية اليمينية الشديدة توافق على تحديد الملكية الزراعية . وظل الموقف الفكرى للثورة .. وهو يتبع - الى حد ما - تلك الفكرة التى تظن ان سيطرة الطبقة الوسطى الصغيرة على المجتمع المصرى ، واتساع قاعدتها هى الوسيلة للاصلاح الاجتماعى فى مصر .

ما أحب أن اضيفه ، أن عملية ثورة ٢٣ يوليو كانت فى الواقع فى حالة جدليه مع القوى الاجتماعية فى مصر . وأن تغيرها وانتقالها من وضع فكرى الى وضع فكرى آخر كان نتيجة لهذا الجدل ، وهذا الصدام وأيضا نتيجة المشاكل الموضوعية التى طرحت نفسها . الخلافات زى ما تفضلت وكما قلت فانه حتى سنة ٥٦ كان التفكير انه من الممكن التنمية الصناعية تأتى عن طريق رأس المال الحر الاجنبى والمصرى وتشجيعه الى حد مطلق .. ووضعت القوانين التى كانت تعفى المشروعات الصناعية من الضرائب لمدة خمس سنوات ، وانشىء البنك الصناعى ،يعنى كانت هذه الافكار امتدادا لنفس الافكار القديمة الخاصة بالمجموعة الوسطية التى تمثل الطبقة الوسطى ، ولكن هذا فى التطبيق فشل .. يعنى ان الثورة كانت تحاول تنفذ شيئا ما - طبقا للمفاهيم التى جاءت بها اولا - ولكنها لا تلبث ان تكتشف انه لم يحدث تجاوب بينها وبين الطبقات التى تظن انها تمثلها . وفعلا لم يحدث التجاوب ، لانه فيما يبدو من خلال التجربة التاريخية - لا ترضى طبقة ان تحكم بالنيابة ولابد انها تحكم نفسها بنفسها ، ومن هنا تطور الفكر .. فكر ثورة ٢٣ يوليو على اساس (براجماتى) وكان عبد الناصر يقول دائما « التجربة والخطأ » وظللنا فى مرحلة التجربة والخطأ الى الميثاق .. الميثاق يمكن نقول ده بداية تبلور لانه فى الواقع - حتى عبد الناصر - كان يلح على أن الميثاق هذا ليس نظرية ، انما هو دليل عمل فى مرحله معينة [١٠ سنوات] وانه لا يلبث ان يتغير وده برضه منطلق من منطلقات التفكير [البراجماتى] ان لا يتقيد بنظريه ، حتى يكتشف الواقع او يحدد له مفاهيم وسواء كان هذا التفكير صحيحا او غير صحيح فسوف نلاحظ انه حدث نتيجة تفاعله مع القوى الرئيسية فى المجتمع - وهى قوى العمال والفلاحين - انه اقترب شيئا فشيئا من الافكار الاشتراكية .

ولعلنا لو وضعنا جدولا او رسما بيانيا لحركة الفكر لثورة ٢٣ يوليو ، فسنجد انها كانت تصعد باستمرار مع وجود شىء من الذبذبات الى اتجاه اليسار . وحدثت محاولة لتحديد معنى - مثلا - الاشتراكية . الميثاق جاء وقال الاشتراكية العلمية وقال ان هناك صراعا طبقيا ، لكن عندما قامت قيامة بعض الاوساط اليمينية عاد عبد الناصر وقال : والله انا اعنى بالاشتراكية العلمية هو اننا نفكر بمنهج علمى فى تطبيق الاشتراكية ، وهو متجنب الاصطلاح العلمى الشائع فى الثقافة السياسية . ونحن نعلم انه قد نشب صراع فى داخل الاتحاد الاشتراكى وتنظيماته المختلفة حول اشتراكية عربية أم اشتراكية علمية .. الخ .. لقد حاولت بعض القوى أن تطالب عبد الناصر بأن ينفى او يستبعد المفهوم الاشتراكى من الاصطلاح العلمى الشائع تحت شعار فكرة الاشتراكية العربية على أساس أن لها خصائص مستقلة ، وانها نابعة من البيئة .. الخ .. المهم للتهرب من مضمون كلمة الاشتراكية العلمية الذى ورد فى الميثاق والذى لم يكن تفسير عبد الناصر له تفسيرا قاطعا لابعاده عن الاصطلاح العلمى الشائع . لكن ونذكر جميعا انه فى احدى الجلسات فى كتيب طبع اظن كان مع امناء الاتحاد الاشتراكى أو شىء من هذا القبيل فى الجيزة حدد عبد الناصر انه لا توجد اشتراكيات متعددة ، بل توجد اشتراكيه واحدة ، وانما يوجد تطبيق عربى للاشتراكية . وهذا أيضا كان تطورا فى المفهوم العام عند عبد الناصر وفى الواقع أن عبد الناصر كان يقترب شيئا فشيئا من الافكار المطروحة فى المجتمع المصرى وكان يجرب بعضها . كان يرفضها أولا ثم تأتى المشاكل فيقبلها ثم يمضى معها . انما القول بإضافة فكر أو اختراع فكر اسمه الفكر

الناصرى هو فى الحقيقة قضية محل جدل». ونحن نعلم عن وجود كثير من الكتابات فى هذه الفترة فى مجتمعات العالم الثالث نظن أنها ـ لظروفها الخاصة ـ يمكن أن يكون لها أيضاً نظرية خاصة وما أكثر الكتابات التى كتبت حول .... البحث عن نظرية ، وما ظهر من الطريق الخاص .

ربما كان فى ذهن د . عبد العظيم أن يحدثنا عن المواقف الاساسية الفكرية فيما يختص بالصراع بين الكتلتين الكبار ، مثل فكرة عدم الانحياز والحياد الايجابى ، وتكوين كتلة ثالثة فى مواجهة الصراع بين الكتلة الرأسمالية والاشتراكية فهذه أيضا كان لها أثر فى التفكير ، ولكن سرعان ما تعدل هذا التفكير . فبعد أن كان يتجه الى أن يكون حيادا بين الكتلتين توسع معنى الحياد الايجابى ، واتضح انه كان انحيازا الى جانب القوى الاشتراكيه فى عدائها وتصفيتها للامبريالية .. كل هذه الافكار فى الواقع كانت موجودة وينجه ابيها عبد الناصر وثورة ٢٣ يوليو .. الا انه فى التطبيق فى الواقع كان هناك خلل كبير جدا . يعنى تطرح مفاهيم على المستوى الفكرى عظيمة جدا ولكن لم يكن هناك تطبيق سليم أو صادق لهذه المفاهيم .. الان لم يبق من الحركة الناصرية ـ ان صحت العبارة ـ الا الفكر». فاذا ما ناقشنا هذا الفكر نجده فعلا فكراً متقدما وهذه هى نقطة التناقض التى سنصطدم بها ـ باستمرار ـ وهى انه اثناء قيادة عبد الناصر كانت هناك أفكار عظيمة مطروحة ولكن فى التطبيق الحقيقة كانت هناك فواصل ، وبالعكس ، كان يمكن خروج على هذه المفاهيم فى كثير من الاحيان . وذلك كما قال الدكتور عبد العظيم عندما أشار الى الالتزام بقضية فكرية وعدم الالتزام بهذه القضية فى التطبيق . وكان د . عبد العظيم يريد فى الواقع أن يصل الى النسبة الحقيقية أو النسبة الطبقية لهذه القيادة فى الصراع الفكرى ».

قضية « التوازن الاجتماعى » وفكر التوازن الاجتماعى فيما يتعلق بهذه القضية نحن نعلم أنه لم يظهر فى تاريخ السياسة حكم ، يخيل أو يتصور ، أنه من الممكن أن يكون هناك حياد فى السلطة فى مواجهة الطبقات لم يعرف فى التاريخ السياسى ابدا مثل هذه الفكرة الا فى حزب العمال البريطانى . فقد روج هذا الحرب لفكرة حياد الدولة فى مواجهة الطبقات . فحتى هذه الفكرة لم تكن جديدة فاذا صح هذا ، تعين علينا أن نكف عن اعتبار الناصرية مذهبا سياسيا، وانما هى حركة ثورية برجمانية ، تصل بالتدريج الى مفهوم نظرى . ثم يتعين بعد ذلك متابعة هذا الخط الذى أوشك أن يصل الى المفهوم النظرى العلمى الحقيقى فى السنوات الاخيرة قبل ٦٧ بقيادة عبد الناصر لثورة ٢٣ يوليو .

بعد ٦٧ حصل نوع من التوقف ، وساد الظن بأن العملية انتقلت من ثورة اجتماعية تحررية الى ثورة تحرروطنى، وبالتالى، فان كل التحولات الاجتماعية ينبغى أن تتوقف وفى هذا المناخ سادت فكرة التجمع الوطنى ، الا أنه لم يحدث توقف فحسب ، بل حدث أيضا رجوع عن الثورة الاجتماعية .

ان ملخص كلامى هو اننا ونحن نحاول أن نكتشف الافكار الاساسية لثورة ٢٣ يوليو علينا أن نتنبه الى انها ثورة برجماتية تقترب ، او تحاول الاقتراب من مفهوم نظرى كامل ، لكن هذا لم يتم الى وفاة عبد الناصر .

■ **توفيق الحكيم :**

أحب أن أضيف شيئا الى هذا المفهوم ، ان كل كلامنا انصب على النواحى السياسية والاقتصادية ويجب الا ننسى حصيلة ثورة يوليو فى الجانب الفكرى هل تقدمت بالفكر ، من حيث هو فكر ، أو ساعدت على ظهور التخلف الذى يسمونه الرجعية التتارية فيما يختص بالتفكير ، هذا النوع من التفكير الذى يشعرنا ـ مع الاسف ـ اننا بحاجة الى معركة أخرى . كنا نظن او نتوهم أننا تجاوزناها وهى مقاومة التخلف الفكرى والتجارة بالدين والرجعية الفكرية ، فالى اى مدى ساعدت حركة ثورة ٢٣ او الناصرية على تشجيع او على الاصح على ترك التخلف الفكرى ينمو على حساب التقدم الفكرى والحرية الفكرية التى هى الحضارية .

فهذه قضية يجب ان تبحث ، لانه بدون التقدمية الفكرية لا يمكن تفهم الاشتراكية .

■ **لطفى الخولى :**

اذا اذنتم ننهى الجلسة الان . وشكرا .

لدواعي الوضوح ، ولاجتناب التكرار في المناقشة ، كلفت الندوة د . مراد وهبة استاذ الفلسفة بجامعة عين شمس بأن يقدم عرضا موجزا لفكر ثورة ٢٣ يوليو كما ورد في الوثائق التي صدرت في حياة عبد الناصر . وفيما يلي العرض الذي قدمه د . مراد وهبة في الجلسة الرابعة .

فكـــر الثــــورة عـن الحرية والاشتراكية والوحدة

بـين وثـــائق ثـــلاث

● فلسفة الثورة ● الميثاق الوطني ● بيان ٣٠ مارس

في « **فلسفة الثورة** » يفرق عبد الناصر بين التمرد والثورة من حيث أن التمرد تحقيق لرغبات جزئية في اطار وضع راهن ، أما الثوره فهي تغيير جذري لوضع راهن . ومن هذه الزاوية يقرر أن حركة الضباط الاحرار في « ٢٣ يوليو » ثورة .

والثورة علمية الطابع لانها تخضع لقانون العلية القائل بأن لكل حدث علة . والعله قد تكون قريبة عرضية وقد تكون بعيدة جوهرية . والعلة الجوهرية هي العلة الحقيقية ، أي المفسرة لاصول الاحداث ــ أما العلة العرضية فهي ليست كذلك ، ولهذا ينبغي مجاوزتها الى ما بعدها من علة جوهرية .

وتأسيسا على ذلك يحدد عبد الناصر العلل العرضية لثورة ٢٣ يوليو بأنها حرب فلسطين والاسلحة الفاسدة وازمة نادي الضباط وحادث ٤ فبراير ١٩٤٢ . وهو بعد هذا التحديد يتجاوز العلل العرضيه بحثا عن العلة الجوهرية في اعماق اللاشعور الجمعي للشعب المصري فيعثر عليها في عصر المماليك حيث الطغيان الاجنبي ممتزج باقطاع طاغ .

ولكن ماذا يعني هذا الوضع في عصر المماليك ؟

يعني ــ **في رأي عبد الناصر** ــ فقدان الحرية السياسيه والحرية الاجتماعية في آن واحد .

والثورة على هذا الوضع كيف تكون ؟

باسترداد الحريتين في آن واحد ، وهذا لن يتأتى الا اذا انطوت الحرية السياسية على الحرية الاجتماعية ؛ اي الا اذا تبطنت الحرية السياسية بمضمون اجتماعي .

والحرية ، بهذا المفهوم تنطوي على تناقض ، ذلك ان الحرية السياسية يستلزم تحقيقها مشاركة « كل » الشعب ، في حين أن الحرية الاجتماعيه تستقطب « جزءا » من هذا الكل .

ولهذا فالحرية بهذا المفهوم ، في رأي **عبد الناصر** ، تستلزم منطقا خاصا ، وهو بالقطع ليس منطقا تقليديا اصلاحيا ، لان المنطق التقليدي لا يقر التناقض ، فاما حرية سياسية واما حرية اجتماعية .

فما هو اذن هذا المنطق الخاص ؟

هو منطق ثوري ، على حد قول **عبد الناصر** ، وهو المنطق الجدلي على حد التعبير الفلسفي ، يقبل التناقض ولا يرفضه ، ولكنه لا يركن اليه وانما يحاول رفعه أو ازالته .

بيد أن المنطق الثوري وحده ليس يكفي ، اذ هو يكشف عن التناقض المطلوب رفعه أو ازالته ، ولكنه لا يبين كيفية رفع هذا التناقض ، فهذا من شأن النظرية الثورية . ولم يكن في امكان عبد الناصر تأسيس هذه النظرية الثورية . فهو يقرر صراحة في مفتتح الجزء الاول من « **فلسفة الثورة** » أنه من الصعب عليه أن يتحدث عن فلسفة الثورة .

اذن النظرية الثورية غائبة ؟ فما العمل ؟

هنا يركن **عبد الناصر** الى القوى القائمة ، ويستند في تحديدها الى « **تاريخية** » الزمان ، و « **أممية** » المكان . تاريخية الزمان تمثل تاريخ الشعب المصري في نضاله المتواصل . وأممية المكان تكشف عن قوى ثلاث : القوة العربية والقوة الافريقية ، والقوة

الاسلامية . ولكنه عند تحديد القوة الاسلامية يحرص على بيان البعد السياسي للعقيدة الاسلامية . يقول « يجب أن تتغير نظرتنا الى الحج . لا يجب أن يصبح الذهاب الى الكعبة تذكرة لدخول الجنة بعد عمر مديد ، او محاولة ساذجة لشراء الغفران بعد حياة حافلة . ويجب أن تكون للحج قوة سياسية ضخمة » . وتتمثل هذه القوة السياسية ، فى رأيه ، فى رفض تعاطى « **الوهم** » الذى يصدره الينا الاستعمار . ونحن بالفعل قد تعاطينا هذا الوهم لعدة قرون طويلة امتدت من العصر المملوكى حتى القرن التاسع عشر حيث غاب العقل اذ تركناه هائما على وجهه فى الصحراء ، وتجلى الوهم فى هذه الهتافات :

« يارب يا متجلى .. اهلك العثملى »

« يارب يا عزيز .. داهية تاخد الانجليز » .

وخلاصة القول ان هذه القوى الثلاث - بمنظور تقدمى - ينبغى ان تكون فى خدمة تحقيق الحرية السياسية المبطنة بمضمون اقتصادى ، أى فى خدمة الاشتراكية ، لان هذا المعنى الذى يحدده ناصر للحرية يحدده للاشتراكية

ولكن أية اشتراكية ؟

من اجل الجواب عن هذا السؤال أصدر عبد الناصر « **الميثاق الوطنى** » فى ٢١ مايو ١٩٦٢ أى بعد مرور عشر سنوات على ثورة ٢٣ يوليو .

وكان من المتوقع ان يطرح **عبد الناصر** النظرية الثورية . ولكنه طرح ارهاصات لها . وتجلت هذه الارهاصات سلبا حين قال ان التسليم بوجود قوانين طبيعية للعمل الاجتماعى ليس معناه القبول بالنظريات الجاهزة والاستغناء بها عن التجربة الوطنية .. التجربة الوطنية لا تفترض مقدما تخطئة جميع النظريات السابقة عليها او تقطع برفض الحلول التى توصل اليها غيرها . كما تجلت هذه الارهاصات ايجابا حين قال « **ان الاشتراكية العلمية هى الصيغه الملائمه لايجاد المنهج الصحيح للتقدم** » ومعنى هذه العبارة **ان عبد الناصر** لم يكن مهيأ لقبول الاشتراكيه العلميه كنظرية ثورية فاكتفى بقبولها كمنهج . ومن ثم فقد وقف عبد الناصر عند « عتبة » النظرية الثورية .

ولكن هل الوقوف عند هذه العتبة يكفى ؟

الجواب بالسلب . واغلب الظن ان هذا الجواب كان واردا فى ذهن عبد الناصر . وقد حاول أن يعهد به الى التنظيم السياسى الذى اقترح تأسيسه من داخل تحالف قوى الشعب العاملة كلها ، والذى اقترح تكوينه من « الطلائع » القادره على قيادة التفاعل السياسى نحو هدف تذويب الفوارق بين الطبقات .

ومفهوم الطلائع عند عبد الناصر يدور على الطبقة العاملة باعتبار أن العمل هو المقياس الحقيقى للقيمة الانسانية على حد قول عبد الناصر » .

ومعنى ذلك أن الطبقة العاملة - كطليعة - منوط بها تذويب الفوارق بين الطبقات . وهنا مكمن الغموض ، أو مكمن الاصالة فى التجربة الناصرية . ذلك أن عبد الناصر يقر الصراع الطبقى ولكنه بتصوره على مستويين :

المستوى الرأسى يدور على الصراع بين القوى الرجعية المتمثلة فى تحالف الاقطاع ورأس المال المستغل وبين قوى الشعب العاملة . وهو صراع يتحتم فيه ازالة القوى الرجعية .

والمستوى الافقى يدور على الصراع بين قوى الشعب العاملة . وهذا الصراع هو الذى ينبغى أن يكون حله « سلميا » فى اطار الوحدة الوطنية وعن طريق تذويب الفوارق بين الطبقات .

ومن خلال هذا المفهوم لصراع الطبقى يطرح **عبد الناصر** قضية **الوحدة العربية** . فهو يرى أن هذه الوحدة لا يمكن ان تتحقق الا اذا تحققت « **الثورة الشاملة** » فى المجتمع العربى . وهو يعنى بالثورة الشاملة تحقيق الحرية السياسية المبطنة بمضمون اقتصادى ، أى الاشتراكية .

وهنا أيضا يتصور عبد الناصر الصراع الاجتماعى على مستويين :

المستوى الرأسى يقوم على الصراع بين الرجعيه العربية المتحكمة وبين الجماهير الزاحفة الى اهدافها . ودليله على هذا الصراع ما يعانيه النظام القديم فى العالم العربى من جنون اليأس وفقدان أعصابه وهو يسمع من بعيد فى قصوره المعزولة وقع أقدام الجماهير الزاحفة الى أهدافها .

والمستوى الافقى يقوم على الصراع بين القوى التقدمية الشعبية والقوى الرجعية والانتهازية فى العالم العربى .

واذا « بنكسة » ١٩٦٧ تهز هذا الامل الذى كان يرقب تحقيقه عبد الناصر ، فيتراجع الى الوراء ، ولكنه سرعان ما يقفز الى الامام بفضل الموقف التاريخى لجماهير الشعب يومى « ٩ ، ١٠ يونيو » فاذا بعبد الناصر يطرح « برنامج ٣٠ مارس » ، وفيه يحاول وضع برنامج عمل لسد الثغرات التى أدت الى النكسة . وهى ثغرات تشهد على فساد المناخ ، فيصححه بفكر اوضح وحشد أقوى وتخطيط أدق ، على « أمل » أن تكون للارادة الشعبية مقدرة اجتياح كل العوائق والسدود نافذة واصلة الى هدفها .

ومع ذلك يبقى السؤال المصيرى :

هل ثمة بارقة أمل ؟ .



فى هذا العدد ينشر باب « الرأى والرأى الاخر » حوارا هاما حول قضية لم تزل مطروحة ، هى قضية الليبرالية ٠

فتحت عنوان « من هم الليبراليون ؟ » ، كتب فيليب جلاب ليكشف القناع الزائف عن بعض دعاة الليبرالية ، هذا القناع الذى بات يستتر خلفه دعاة اطلاق الحرية الكاملة للمشروع الخاص ، وبالتالى للاستغلال الرأسمالى ٠ وبعد أن أوضح فيليب جلاب أن الليبرالية فى صورتها النظرية والكلاسيكية لم يعد لها وجود ، حدد أن انصار الليبرالية فى مصر هم أحد فريقين :

ــ فريق المستغلين الذين يدقون طبول « الحريات » لينقضوا على المكاسب الاقتصادية والاجتماعية للجماهير ٠

ــ فريق المثقفين المخلصين والمستنيرين الذين يرفعون شعارات ليبرالية لكنهم لا ينسون القضية الاجتماعية ٠

ولقد اتيح للكاتب والمفكر المعروف الدكتور حسين فوزى ، أن يطلع على مقال فيليب جلاب ، ووافق على أن يناقشه بمقاله المنشور تحت عنوان :

فصل فى الليبرالية « البعبع »

وفى هذا المقال يؤكد د ٠ حسين فوزى على حقيقة أن الليبرالية لم تمت ، وهى بالدقة هذه الليبرالية التى تعنى اقامة مجتمع منفتح ، يقدم فرصا متساوية للجميع ، ويفتح باب الترقى أمام الكفاءة والموهبة ٠ وان ما هو مطلوب ليس هو النظام الراسمالى بل اقامة توازن بين نظام اشتراكى معتدل وبين ما يسميه د ٠ حسين فوزى « بالليبرالية الجديدة » ٠

وقد تضمن باب الرأى والرأى الاخر ايضا مقالا هاما ناقش فيه د ٠ ميلاد حنا قضية الجامعة الاهلية ، وفند فيه الحجج السطحية لليمين ، والتى تروج لامرار هذا المشروع ، واكد على الاضرار التى يمكن ان تترتب على تنفيذه من الناحيتين العلمية والاجتماعية

أما المقال الاخير الذى كتبه النقابى عبد الرحمن خير ، تحت عنوان « حق قوى الشعب العاملة فى اقامة تنظيماتها المستقلة » ٠٠ فقد رصد فيه مواقف الطبقة العاملة فى الدفاع عن حرياتها النقابية وحقوقها الاقتصادية ، وربط هذا كله بحق الطبقة العاملة فى الوجود التنظيمى المستقل داخل تحالف لقوى الشعب العاملة صاحبة المصلحة فى التحول الاشتراكى ٠

من هم « الليبراليــــون » .. وماذا يريـدون ؟!

فيليب جلاب

الذين يتحدثون عن حقهم فى امتلاك ماشاءوا أو استطاعوا من الارض والمصانع يقولون انهم ليبراليون والذين يطالبون بالحرية لانفسهم دون الاخرين يسجلون أسماءهم أيضا ضمن قائمـة الليبراليين. وفى الفترة الاخيرة يكفى أن يكتب أحدهم أو يعلن عن رغبته فى تكوين « أحزاب » سياسية لكى يتيه على غيره ممن لم يسعدهم الحظ بالمطالبة بالاحزاب ! أليس « ليبراليا » ؟ أليس من المناضلين من أجل الحرية حتى لو كان تشـكيل الاحزاب كما يعنيه هـو مجرد تقنين نشاطه الخاص السياسى والاقتصادى وتصفية كل ما عداه من أنشطة عامة ومصالح لملايين المصريين ؟!

وفى احدى جلسات الاستماع فى مجلس الشعب منذ أسبوعين تساءل أحد كبار الليبراليين فى استنكار : « **اذا كان فى امكانى أن أحرق فلوس ... فكيف لا أستطيع أن أعمل مصنعا بهذه الفلوس** ؟ ... « **الحرية** » مرة أخرى ؟! .. حرية « المواطن » فى أن يحرق ما يملكه ؟!

ولم يقل أحد للاستاذ الليبرالى أن الليبرالية حتى فى منتصف القرن الثامن عشر فى بداية عهدها الذهبى لم تكن تسمح « بحرية » حرق الاموال الخاصة . ولم يقل له أحد [حرجا أو تهذبا] أن القوانين الوضعية فى أكثر المجتمعات الاوروبية «تحررا» تعاقب من يفعل ذلك بأمواله الخاصة ، اذا كان متمتعا بقواه العقلية .

أما الشريعة الاسـلامية فلا تحاسـب فقط الذين يحرقون أموالهم الخاصة ، ولكنها تقرر الحجر فورا على الذين يتصرفون فيها بسفه واضح . وهى مسألة يملك أن يطالب بها أى مواطن ضد أى سفيه برفع دعوى «الحسبة» المعروفة !

• • •

ماهى الليبرالية اذن ؟ ومن هم الليبراليون ؟

الذين أسسوا الليبرالية وصاغوها كمبدأ فكرى وسياسى فى الغرب [وهى بالمناسبة من الافكار المستوردة !] يقولون ان الليبرالية عقيدة وفلسفة وحركة تلتزم بالحرية كمنهج وسياسة فى الحياة للفرد وللمجتمع . وهى تعنى لديهم نظريا وعمليا أقصى قدر من الحرية الاقتصادية وأقل قدرا من تدخل الدولة . وهى حرية الرأسمالية والنشاط الخاص فى مقابل أى شكل من اشكال الاشتراكية والشيوعية .

والحرية لدى الليبراليين تعنى أو كانت تعنى فى بدايتها الحرية للجميع : اقتصاديا وسياسيا واجتماعيا ودينيا ... الخ .

لكن الحرية للجميع بنفس القدر شعار يصعب تحقيقه داخل اى مجتمع بل وحتى داخل اية أسرة بطريقة حسابية . ولسنا هنا بصدد سرد مراحل تطور الفكرة أو العقيدة الليبرالية فى أوروبا حتى انتهت الى ما انتهت اليه حاليا . لكن تطور المجتمعات الرأسمالية نفسها وتعقد الحياة وتضارب المصالح بين القلة المالكة والكثرة العاملة التى ناضلت كثيرا من أجل حقوقها أوصل الليبرالية بمعناها التقليدى الى ما يقوله بعض دعاتها المعاصرين : **لقد سقطت الليبرالية منذ منتصف القرن كنظام للفكر وتنظيم**

للحكومة والمجتمع . انها اليوم اشبه بشعائر جنازة على جثمان يرفض الموت ! وذلك كما تقول « دائرة المعارف البريطانية » .

وقبل أن تسقط الليبرالية بزمان طويل، وعندما كانت لا تزال تبدو كنظام أمثل ، أدرك بعض أنصارها من فلاسفة التنوير أنه « ليست هناك حكومة تسمح بحرية مطلقة » . وهو يعنى أن حكومات الليبراليين انفسهم لا تسمح بحرية مطلقة لغير أنصارها .

وبدات ضرورات التطور الاجتماعى تحدث اثرها بين الليبراليين ، وتضطر بعضهم الى عدم تجاهل الديموقراطية الاجتماعية فى مقابل الديموقراطية السياسية ، اذا صح أن هناك ديموقراطية سياسية دون مضمون اجتماعى . أو كما يقول ماتزيني : ان الليبرالية تقوم على ثلاث : «الاقتراع العام والتعليم المجانى وضمان حق العمل » .

والمهم فى هذا كله أن اكثر المجتمعات رأسمالية اليوم وهى الولايات المتحدة الامريكية لم تعد نموذجا من الناحية الاقتصادية لما نادى به الليبراليون الاوائل وفلاسفة الاقتصادية الحر . ولقد أشار **الدكتور عبد العزيز حجازى** رئيس الوزراء اكثر من مرة لهذه المفارقة فى رده على دعاة الاقتصاد الحر فى مصر . يقول الدكتور حجازى [فى نفس جلسة الاستماع فى مجلس الشعب] : « كنت الان فى لقاء مع مجموعة رجال الاعمال الامريكيين وسألنى واحد منهم : هل أنتم متجهون للاقتصاد الحر الغربى ؟ فقلت له أين الاقتصاد الحر الغربى ؟ ان عندكم فى الولايات المتحدة الامريكية قطاع عام والدولة تتدخل فى الزراعة والتعاون الزراعى ، ولهذا هناك تحكم فى أسعار المحاصيل .. المجتمعات كلها الان شرقا وغربا لم تعد فيها الرأسمالية المطلقة ... » .

● ● ●

نحن اذن أمام واقع جديد معروف لليبرالية أو هو واقعها الحقيقى فى تطبيقها العملى منذ نشأتها بدرجة أو اخرى . وهذا الواقع يتلخص فى مرحلتين :

●● الاولى هى مرحلة الليبرالية « الكاملة » أى حرية اقتصادية مطلقة من الناحية العملية مع حرية سياسية مطلقة من الناحية النظرية .

ذلك أن أصحاب رءوس الاموال والمسيطرين على ثروات المجتمع وهم دائما قلة ذات نفوذ خطير فى ظل الرأسمالية ، لم يسمحوا للاخرين بنفس القدر من الحرية السياسية ، لان الحرية السياسية المطلقة لن تسمح بسيطرة القلة على الكثرة فى المدى البعيد ، وستؤدى الى تجمع الغالبية العظمى وتضامنها مع حقها فى تنظيم نفسها سياسيا ، مما يهدد سيطرة الاقلية الرأسمالية فى الصميم . ولذلك كانت الصيغة الليبرالية فى تلك المرحلة هى الحفاظ على شكل « الحرية للجميع » مع السيطرة على كل المراكز الحساسة فى المجتمع من النواحى الاقتصادية والاعلامية والتنفيذية ، بحيث تستمتع الاغلبية بشكل الحرية وتنفرد الاقلية بالشكل والمضمون معا .

●● أما المرحلة الثانية التى يسميها بعض الليبراليين بمرحلة « **سقوط الليبرالية** » ، فهى التى أصبح فيها الحفاظ على الرأسمالية أو الاقتصاد الحر أهم من التمسك بأشكال جوفاء من الحريات السياسية . وهى مرحلة تدخل الدولة الرأسمالية فى الاقتصاد « الحر » الى اقصى مدى ممكن وفقا لظروف كل مجتمع ومشاكله الطبقية ونفوذ العاملين فيه .

وأصبحت هناك صيغة « تلفيقية » تجمع بين قدر من الحرية الاقتصادية وقدر من الحرية السياسية يحفظ للطبقات المالكة أقصى قدر ممكن من الهيمنة . ولذلك لم يعد أحد يجرؤ ، فى أكثر الدول « حرية » من ناحية النشاط الاقتصادى الخاص ، على الزعم بأن هناك نظاما ليبراليا بالمعنى المقصود فى الكتب أو عندما ظهرت الفلسفة الليبرالية وطبقت هنا أو هناك .

وفى كل الاحوال أصبحت الليبرالية **مظهرا** لحرية مطلقة بعد أن كفت عن أن تكون **تعبيرا حقيقيا** عن حرية مطلقة .

والا فمن الذى يمكن أن يزعم أن المواطن الامريكى العادى الذى يمثل ٩٠ ٪ من الامريكيين يملك أكثر من حرية نظرية ، أمام مئات الالوف من أدوات وأجهزة الاعلام الاذاعى والتليفزيونى والصحفى والثقافى التى يسلطها عليه يوميا ممثلو النظام الحقيقيون من كبار الرأسماليين ورجال الاحتكارات ؟

ان ذلك لا يعنى أن هذه المجتمعات تخلو تماما من أى اثر « للحرية » . لكن هناك هامش دون شك « للمعارضة » بالقدر الذى يحفظ للنظام واجهة ضرورية ويحول دون الانفجار النهائى .

لكن اذا أصبح النظام « مهددا » من جانب الغالبية حتى باقتراع حر ديموقراطى فان أول مايلجأ اليه كثير من مدعى الليبرالية هو الانقلاب الدموى المسلح وهو الوجه الاخر لاى رأسمالية اقتصادية وسياسية .

ومثال « **شيلى** » الشهير والاخير ليس هو الحجة الدامغة الوحيدة . ان هناك سلسلة لا حصر لها تبدأ بهتلر فى عام ١٩٣٣ وتمر من

قبل ومن بعد بايطاليا وأسبانيا والبرتغال ، دون أن نسقط من الحساب مجموعة شرق أوروبا وغيرها قبل الحرب العالمية الثانية .

● ● ●

فماذا عن مصر وعن الذين يرددون ويزعمون انهم ليبراليون لمجــرد أنهم يرفعـــون شــعار الاحزاب ؟

لعله من المهم أن نؤكد أن هذا لا يعنى ادانة لكل من ينادى بشعار الاحزاب . كما أنه ليس موقفا من شعار الاحزاب نفسه . لكننا نناقش الذين يزعمون أنهم ليبراليون لمجرد رفعهم لهذا الشعار .

علينـــا أيضا أن نفرق بين بعض الــكتاب والمفكرين الليبراليين الذين تستهويهم فكرة الحرية، أو الليبرالية دون أن تكون على حساب حقــوق الغالبيـــة العظمى من المصريين وما اكتســبوه اجتماعيا خلال سنوات الثورة ، وبين اولئــك المتشدقين بليبرالية جـــوفاء تعنى حقهم فى أن يمتلكوا ما شاءوا على حساب هذه الاغلبيـــة وحقهم فى تشكيل تنظيماتهم السياســية التى تحمى ما يملكون وما يتطلعون لامتلاكه .

ولعل هذا ما يعنيه **الاستاذ توفيق الحــكيم** بقوله ... « فلما جاءت ثورة يوليـــه ١٩٥٢ ووضعنا فيها أملنا فى هذا التصحيح والتوجيه وجدنا أن هذا يحدث فى اطار الحكم المطلق . ومع ذلــك رضينا بهـــذه الاشتراكية بديلا عن الديموقراطية ، أى عن الحرية الليبرالية.. »

ولعله نفس ما يستهدفه مفكر **كالدكتور حسين فوزى** بشكل عام ومن مجمل كتاباته المتنوعة دون نص مباشر حول هذه الفكرة .

وهو أيضا ما يستخلصه **الدكتور زكى نجيب محمود** عندما يطالب بعدم التسوية بين الافراد .. « اذ فيم يفكر العقل وفيم يكون الراى اذا كان القالب النموذجى أعد للجميع على حـــــد سواء ؟ » .

ولسنا فى مجال حصر أولئك الذين تستهويهم الليبرالية دون أن يتخلوا عن موقفهم من الدفاع عن حقوق ومكتسبات الاغلبية العاملة فى مصر فهم فى النهاية يجتهدون لايجاد صيغة تكاد أن تكون مستحيلة، ويشفع لهم دائما حسن نواياهم ونفورهم الطبيعى من فلسفات اليمين الرجعى الــذى يرفـــع ويمتهن فى نفس الــوقت أكثر الشعارات بريقا .

لكن المشكلة الاساسية تتعلق بأولئــك الذين يتحدثون عن الليبرالية بمعناها الغربى الكامل ، والذى سقط نهائيا فى نفس التربة التى أنبتتها .

واذا كان لديك الوقت والجهد لتحليل كــل ما يكتبون ويكررون صباح مساء ، فان خلاصة ما يطلبون هو أن تكون هناك حرية « للناس » فى اســتثمار « أموالهم » وحرية للنـــاس فى تكوين « تنظيماتهم » . فاذا حاولت أن تكتشف من هم الناس الذين يطالبون لهم بهذه الحريات فستصل على الفــور الى أنهم « **أولئك الــذين اضطهدوا** » فى « **ممتلــكاتهم** » و « **حرياتهم** » **لحساب القطاع العام** . !

فاذا افترضنا أن هؤلاء المطـــالبين بالحـــرية يحسنون الظن بالليبرالية .. أو أن أنباء ووقائع الليبرالية الغربيـــة الساقطة لم تصلهم بعــد فستتوقع منهم أن يطالبوا « بالحرية للجميع » أيا كانت القيمة العملية لهذا الشعار . لكنك لن تصدم عنـــدما تقرأ لهم دون مواربة أن **الحرية ليست** « **للمنحرفين** » ! ومن هم المنحرفون فى رأيهم ؟ انهم **خصومهم السياسيين** ، وكل الذين يدافعون عن تنمية اقتصادية لصالح الاغلبيـــة وليست على حسابها . وكل الذين يتمسكون بديموقراطية سياسية ذات مضـــمون اجتماعى واضح . وكل الذين يقاومون محاولات تصفية القطاع العام كمؤسسة قيادية للاقتصاد المصرى .. أو كل الذين يدافعون عن منجزات وايجابيات ثورة ٢٣ يوليو فى أى مجال .

لكن الليبراليين يحــاولون التخلص من بعض الحرج أحيانا فيتفضلون بالتصريح : « اننـــا لا نمانع فى قيام حزب للشيوعيين ! » ... كأنهم جهـــة الترخيص بقيام وتكوين الاحـــزاب ... وسيتفضلون بالتنازل والموافقة حتى بالنســبة لحزب الشيوعيين .. !!

ان الليبرالية كما عرفتها أوروبا فى البداية ليست شعارا ولكنها موقف ثابت يبدأ من سقراط واصراره الهادىء على الموت فى سبيل الحقيقة، وينتهى بفولتير الذى يبدى استعداده للمــوت دفاعا عن حق خصمه فى أن يقول رأيه .. !

هـــل هناك وجـــه شبه واحد بين أولئــك الليبراليين العظام وبين الهزال «الليبرالى» الذى يطنطن به أعدى أعداء الحرية فى بلادنا ؟

وأى ليبرالية تلك التى تحاكم الماضى «بجرأة» منقطعة النظير ، وتنافق الحاضر [دون أن تؤيده] بثبات وتناسق منقطع النظير ايضا ؟

وأى ليبرالية تلك التى تدعى أن صـــحفها مفتوحة « للراى الاخر » .. بينما تغلقها نهائيا دون « الراى الاول » .. وأى رأى ؟

لقد سنحت الفرصة لمدعى الليبرالية أن يثبتوا جدارتهم بما يدافعون عنه . لكن الصحف التى يسيطرون عليها لم تشهد قهرا واستئصالا للراى الاخر كما تشهده الان على أيديهم !

واذا كان هـــذا هو نموذج الليبرالية الذى يقدمونه ويدعون اليه فهو يؤكد المعنى الــذى

تصدنا اليه من البداية ؟ وهو أن الليبرالية « الجديدة » التى يطالبون بها هى حرية رأس المال الفردى « المصرى » والاجنبى فى الانفراد بمصر والمصريين بعد تصفية كل ما يرونه « عائقا » أو عقبة فى هذا السبيل .

القضية فى النهاية هى عودة الرأسمالية بكل عنفوانها وبعد أن قلمت ثورة ٢٣ يوليو أظفارها.

اما الليبرالية الحقيقية التى لا يقصدونها فهى التى أشرنا اليها والى تطوراتها فى أوروبا من قبل . وهى التى تعنى — بصرف النظر عن النتائج العملية — حرية كل الناس فى التعبير عن أنفسهم فى نقابات واتحادات وأحزاب وصحف دون رقابة من أحد . وربما لن يختلف أحد مع هذا النوع من الليبرالية ، لكن آلاف الكلمات المنمقة وكل الحيل الصحفية والاعلامية لن تخدع أحدا ليقع فى فخ ليبرالية الراسمالية الاكثر استغلالا ، أو حرية رءوس الاموال فى استنزاف جهد وعرق ملايين العمال والفلاحين والعاملين المصريين .

ان الحرية التى لا يعرفها هؤلاء الليبراليون هى حرية كل الفئات والطبقات الوطنية فى التعبير عن نفسها بشكل منظم ومسئول وفى جنى ثمار عملهم فى مصر المستقلة الاشتراكية والديموقراطية. وهؤلاء بالتحديد [ومن يمثلونهم فكريا] هم أكثر الناس ليبرالية فى القول والعمل بالنسبة لأنفسهم ولخصومهم رغم أنهم لم يزعموا أنهم ليبراليون ولم يرفعوا هذا الشعار ! .

فصل فى الليبرالية « البعبع »

د. حسين فوزى

.. ردا على مقال فيليب جلاب « من هم الليبراليون وماذا يريدون ؟ » كتب الاستاذ الدكتور حسين فوزى مقالا بعنوان : فصل فى الليبريالية « البعبع » ..

تساءل الاخ والزميل فيليب جلاب فى جراة مشكورة عمن هم الليبراليون ، وماذا يريدون . أى والله ! لاننا بعد طحن الدكتاتورية الموصوفة بمراكز القوى [يوفمزم] ، وصلنا بر السلامة لنتساءل عما هى الليبرالية ، وماذا يريد أصحابها .

والاحظ أن الاستاذ جلاب يرضيه توصيف الليبراليين على هواه ، فهم كذا ، وهم كيت ، من مقاسات الطول والعرض والعمق . ولا أحسبنى أجادله فيمن يختارهم ممثلين لليبرالية ، فهم فى رأيى الصورة المعكوسة لمنافقين آخرين زعموا الايمان بالاشتراكية الى درجة وصفها بالعربية ، وربما ذهب بعضهم الى أنها اشتراكية أبى ذر الغفارى . ونشهد أننا رأينا أثر هذه الاشتراكية فى منجزات كان الشعب وغالبية المثقفين على اتفاق بضرورتها ، منذ الاربعينات ، وعلى حق الشعب الكامل فى التمتع بمزاياها ، وهى « منجزات وايجابيات ٢٣ يوليو فى اى مجال » .

واتزان الحكم على هذه المنجزات بعامة ، والانصاف فيه لا يقوم على الايجابيات وحدها ، بل يقتضى موازنتها « بالسلبيات » . وفى رأيى أن الطريق الوحيد لهذه الموازنة هو أن نسائل أنفسنا عن أثر كل منها فى الحياة العامة والخاصة ، وعلى شئون الوطن داخليا وخارجيا ، قبل حركة التصحيح ، وأثر كل منها على السلوك الاجتماعى ، والاخلاق الفردية ، والتعليم العام والفنى والجامعى ، وعلى الادارة ، والعاملين بهذه الادارة ، ديوانية كانت أم مؤسسات .

كان دنى ديدرو فى ضيافة الامبراطورة كاترين الثانية — وهى فى عصرها تحسب على من وصفوا بالعواهل المستنيرين — يناقش فيما تسأل عنه قيصرة الروسيا ، كلما خلت اليه بعد الانتهاء من مهام الدولة . ومن أقواله لها فيما أذكره : انه مهما كان الحاكم المطلق خيرا فى طبيعته وفى انجازاته ، فانه ينتهى على الاغلب بنكبة وطنية .

وآسف ان لا أجدنص كلام ديدرو كما ترجمته في مقال « بالملحق الادبى والفنى » لصحيفة « الاهرام » منذ سنوات طوال . وكان ذكر هذه الواقعة فى أسطر قليلة هى كل ما حذف من مقالاتى على مدى حياة « الملحق » المأسوف عليه .

وانه مهما شهد التاريخ بعبقرية **نابليون** فى الادرة والحرب ، فقد نكب الشعب الفرنسى فى النهاية باحتلال عسكرى أجنبى . وقد طالبه حينذاك ماريشالاته المقربون ، موفدين من مجلس الامة ، بأن يولى الشعب الفرنسى عرض أكتافه ، ويرحل دون هوادة ، الى غير رجعة .

وما أسهل التشدق بايجابيات **موسولينى وهتلر** ، وقد حقت عليهما حكمة ديدرو ، قبل أن يولدا ، وكان خيرا كل الخير لايطاليا والمانيا ان لا يولد هذان المجرمان .

أكرر انى لا أرى جدوى من مناقشة ما جاء بمقال أخى وزميلى **فيليب جلاب** ، وقد خصصها لفئة جعل منها « علاقة » لكل ما يرفع عنها صفة الليبرالية .

وليس هنا مجال فسيح للنقل عن نصوص الحريات السياسية ، والحقوق السياسية ، والاجتماعية من دساتير الدول الليبرالية الكبرى .

انما تحضرنى كلمة للصحافى الامريكى وولتر ليبمان : « واجب وضرورة ، لتقوية الجمهورية ودوامها فى عصر الحروب والثورات أن نحافظ على اقتران الحرية – كما مارسها الرئيس جفرسون – بالسلطات التى طالب بها الكسندر هاملتون . فلا شىء أضر بنا أكثر من عدم المبالاة بهذين المبدأين . فالحرية قرين السلطة ، لان عشق الحرية يدفعنا الى اهمال سن القوانين التى تحتويها وتقومها . كما أن النوجس من الحرية يجرنا الى انكارها وخنقها . انما الحرية الحرية فى حماية القانون المرضى عنه من الشعب ، هى التى تعمر طويلا » .

الليبرالية الحقة هى التى ترى الخير والشر فى كل عمل أو انجاز انسانى لعدمها بأن الكمال لمدبر الكون وحده . وأنا أتفق مع الاستاذ جلاب فى سرب مثالب ما اوثر وصفه « بالليبريالية ألبعبع » . وأحب أن يصدقنى عندما آؤكد له ايمانى بالاشتراكية العلمية ، وثقتى بأنها هى التى نجحت فى تصحيحات العالم الرأسمالى . وصدق من قال بأن الرئيس فرنكلن روزفلت قاوم الازمة الاقتصادية التى نزلت بالشعب الامريكى يوم جمعة اسود فى خريف ١٩٢٩ ، وذلك بفرضه المشروع الذى عرف « بالنيوديل » عقب توليته الرياسة سنة ١٩٣٣ ، ومجمله وسائل اشتراكية .

ويحسن أن نسعى الى اقامة توازن بين نظام اشتراكى معتدل وبين ما أصفه بالليبرالية الجديدة . وقطب من اقطابها هو العلامة الاقتصادى الكبير جوزيف شومبيتر ، وادعو الاستاذ جلاب بأن يعود الى قراءة كتابه عن « الرأسمالية والاشتراكية والديموقراطية » ، ويكفينى هنا أن أشير الى القسم الثانى من كتابه حين يقدم له بمدخل يتساءل فيه : « هل فى استطاعة الرأسمالية أن تواصل حياتها ؟ » ويجيب عن هذا السؤال بقوله : كلا ، لا أظنها تستطيع .

وفى القسم الثالث ، وعنوانه : « هل فى استطاعة الاشتراكية ان تفلح عمليا ؟ » ويبدأ القسم بقوله : « أى نعم ، تستطيع بطبيعة الحال » .

كما أرجو أن يطالع خاتمة هذا الكتاب ، مذكرات وضعها لمحاضرة القاها امام الرابطة الاقتصادية بنيويورك فى اليوم قبل الاخير من سنة ١٩٤٩ ، وقبل تسعة ايام من وفاته [يناير ١٩٥٠] :

« كان **كارل ماركس** مخطئا فى تشخيصه للطريقة التى ينهار بها المجتمع الرأسمالى . ولكنه لم يخطىء فى توقع انهياره . وأخطأ أنصار الركود الرأسمالى [وهم الركوديون اصطلاحا] كذلك فى تشخيصهم للاسباب التى تفسر عملية الركود . ولكنهم قد يكونون على حق فى تشخيصهم لمسار هذا الركود ، وبمعونة كافية من القطاع العام .

والان أسمح لنفسى بمعاقبة الاخ والزميل على طريقة استعانته « بدائرة المعارف البريطانية » بوسيلة ذكرتنى بسخرية السيد رئيس جمهورية مصر عندما طالب اللوام والرافضين باكمال آية « ولا تقربوا الصلاة » . وليس هذا مكان ترجمة المادة كلها التى كتبها **البروفيسور ماكس ليرنر** استاذ الحضارة الامريكية « **بجامعة لويس براندايس** » . تكفى بعض فقرات مادة « الليبرالزم » التى تشغل نحو سبعة أعمدة . وذلك فى قسمها الاخير ، وعنوانه « **الليبرالية فى النصف الثانى من القرن العشرين** » . وتبدأ بالجملة التى ساقها الاستاذ **جلاب** ، بعد أن حذف مطلعها ، وهاهى ذى بتمامها : « **قال عدد من مراقبى القرن العشرين عند منتصفه بتدهور الليبرالية كنظام فكرى ، وتنظيم حكومى واجتماعى . ولكنهم فى هذا كمن يجرون شعائر الجناز على جثمان يرفض أن يموت . ويمكن القول بأن الادوار الكلاسيكية لليبرالية تعتبر فى أغلبها أدوارا سلبية ، ذهبت قبض ريح التاريخ . ولكن ما لا يتضح هو : هل ينطبق هذا الحكم كذلك على الدور الديموقراطى ، ودور الرخاء فى ايجابيات الدولة الليبرالية ؟** » .

ويجيء بعد هذا شرح لشكل الليبرالية الاساسى ، وقد واجهت ليبرالية القرن العشرين بتحميلها التبعة ، اولى من تركها للفوضى ... « وفى النصف الثانى من القرن العشرين كان ثمة ليبراليون كثيرون يؤمنون على كلام هوبهاوس : الحرية بدون المساواة اسم فخيم الرنين ، زرى المعنى . ومن هنا يجيء التوكيد على النواحي الاقتصادية والاجتماعية التي يوضع فى رحابها الكفاح من اجل الحرية . وكذا التجارب فى التنظيم الاقتصادى والرقابة مما حدا بانصار ما يضار الليبرالية الكلاسيكية الى التنبؤ بأن الديمقراطية تسير فى « درب الاستعباد ٨٠ ».

ثم اجتزىء بالفقرة الختامية للمادة : « ومما حفظ للنظام الليبرالى حياته بعض العناصر التى مكنته من اقامة مجتمع منفتح ، وحياة هانئة نوعا : باب الترقى مفتوح للكفاءة والموهبة . المبدأ الذى لا يهدف الى المساواة بذاتها ، ولكنه يفتح الباب الى فرصة متساوية امام الجميع . ارساء القرارات على الاتفاق العام ، فاذا نزلت نوازل الازمات استجاب الناس لها متكاتفين على مجابهتها بطريقة أكثر حيوية من الاستجابة التى تفرض عليهم فى النظام الشمولى . ازدياد الطمأنينة الاقتصادية بدون تضحية الحرية . وتحويل تيار ما يمكن بطريقة ما أن يثير نزاعا اجتماعيا طبقيا ، تحويله الى نزاع سياسى فحسب ، فنتائج هذا النزاع السياسى مقبولة من كل الاطراف حتى المغلوب على أمره فيها . وأخيرا المبدأ الذى يعتبر كل فرد حاملا فى طيات نفسه قوة مكنونة يجب اعطاؤه الفرصة لاظهارها » .

تعقيب

مع تقديرى الكامل لاستاذنا الدكتور حسين فوزى ؟ الا اننى لا أرى فى رده اى خلاف جوهرى مع ما كتبته .

فنحن لا نفرق بين منافق « ليبرالى » ومنافق « اشتراكى » . لكن المقال يتعلق أساسا بمدعى الليبرالية وكيف يتخذونها ستارا لاهداف بعيدة تماما عن الليبرالية .

أما بالنسبة **لموسولينى وهتلر** ، فنحن نعتقد انهما شر مطلق وليس لهما اى ايجابيات على الاطلاق ، وانهما الوجه الاخر للراسمالية المتجردة تماما من الشكل الليبرالى .

لكننا فرقنا فى نفس الوقت بين مدعى الليبرالية وبين الذين يؤمنون ببعض مزايا الليبرالية ، دون المساس بحقوق الغالبية العظمى من العاملين . وضربنا مثلا بالدكتور حسين فوزى كواحد منهم من واقع كتاباته ومواقفه .

وفى هذه المسألة بالتحديد يتفق أستاذنا الدكتور حسين فوزى مع ما ذكرته عنه عندما يقول : « ونحن نسعى الى اقامة توازن بين نظام اشتراكى معتدل وبين ما أصفه بالليبرالية الجديدة » ، بل انه يؤكد ايمانه بالاشتراكية العلمية مما يتجاوز ما ذكرته عنه أيضا .

فيم الخلاف اذن ؟

ربما كان الخلاف حول جدوى تخصيص المقال لمناقشة فئة جعلنا منها « علاقة لكل ما يرفع عنها صفة الليبرالية » . لكن ما ذنبنا اذا كان هؤلاء هم أعلى الناس ضجيجا فى الحديث عن الليبرالية ؟

والمسألة الاخيرة تتعلق بالفقرة الخاصة بالليبرالية فى دائرة المعارف البريطانية . وواضح من مقالى اننى لم اضعها بين قوسين ، بمعنى اننى لم انقلها كنص ، لكننى نقلت معناها تماما . ولم أجتزىء شيئا يغير المعنى على طريقة « ولا **تقربوا الصلاة** » ، بدليل ان النص الذى اورده استاذنا الدكتور فوزى لا يختلف فى معناه من معنى الفقرة التى أوردتها . كما انه لم يكن معقولا ان انقل حوالى سبعة أعمدة من الانسكلوبيديا عن مادة الليبرالية .

وفى النهاية لا ارى جراة استحق عليها الشكر بالكتابة عن الليبرالية . كما اننى لم أر اى جراة فى مواقف وآراء اخرى اعلناها [زملاء كثيرون وانا] ادت بنا الى ما يقرب من عشرة اعوام من الاعتقال .. الخ وكان الاعتقال فى ذلك الوقت يحظى بتهليل وترحيب مدعى الليبرالية ؟ الذين ادعوا « الاشتراكية » ايضا فى فترة لاحقة ».

فيليب جلاب

في العدد الماضي كتب د. عبد العظيم انيس معترضا على اقامة الجامعة الاهلية .. وفي هذا العدد يواصل د. ميلاد حنا الاستاذ بهندسة عين شمس الكتابة في نفس الموضوع مركزا على عدد من النقاط العملية التي تجعل من هذه الجامعة أداة لاستنفاذ موارد الحكومة خدمة للقادرين اقتصاديا وغير القادرين علميا .

جامعة للقادرين ماليا

العاجزين علميا

د. ميلاد حنا *

عندما دعاني ابنائي الطلبة لندوة حول « الجامعة الاهلية » في النادي السياسي لاتحاد طلاب جامعة عين شمس ، كنت اتصور انها قضية محسومة وأن الحكومة لا تنوى فعلا القيام بمثل هذه المشروعات المتخلفة .. وكان الحوار ساخنا من الطلبة اليساريين الى الحد ان بعضهم قال بطريقة رومانتيكية « ان المشروع لن يمر الا فوق جثثنا » ..

وبمناقشة زملائي الاساتذة في الكليه فهمت بأن موضوع « الجامعة الاهلية » مازال موضوع الحوار ، وأنه من غير المتوقع أن ينفذ في القريب العاجل .. غير ان ما ينشر باستمرار من كتاب اليمين يثير في النفس الخوف ، اذ أن العديد من الامور في بلادنا تنام وتنام ثم تهب واقفة بين يوم وليلة عندما يتبنى الامرفئةاوشخص يملك انيعطي قرارا .. خصوصا وقد دأبت بعض الجرائد في « اليوميات » على ترديد أن الجامعة الاهلية قد تمت الموافقة عليها طالما أن المجلس القومي للتعليم قد أستهل بها مقدمة التقرير الذي رفعه الى رئيس الجمهورية وان الرئيس قد وافق على هذا التقرير " برمته » ..

فهل لنا أن نناقش الموضوع بهدوء وروية وواقعية

الزمن اللازم لانشاء جامعة

تعطي جرائد اليمين انطباعا بأن الجامعة الاهلية قد أنشئت فعلا ، وعلى الطلبه الذين لا يسعدهم الحظ بالقبول في « الجامعات الميرى » أن يدخروا المصروفات من الان ليدخلوا « الجامعة الراقية » مع بداية العام القادم .

ومن الناحية الواقعية فان هذا الامر غير صحيح ، اذ ان انشاء اى جامعة جديدة - للاثرياء او للفقراء - يحتاج الى سنوات طويلةمن الدراسة والاعداد .. وحتى بفرض الوصول الى قرار واضح فان عملية الانشاء ذاتها تحتاج الى وقت .. تحديد موقع الجامعة مثلا .

(*) أستاذ الانشاءات بهندسة عين شمس .

من غير المعقول أن تتكدس القاهرة فوق تكدسها الحالي ويكفي القاهرة ما بها من أزمات وليس من داع لإغراق القاهرة بمزيد من مشاكل اسكان ومواصلات عدد آخر من الطلاب .. وان لم يكن هناك مفر من انشائها في القاهرة فأين تكون .. ؟؟ في أي منطقة أو حي .. هل ستأكل ما تبقى من أرض خضراء أم ستكون في المدن الجديدة حول القاهرة وفي أعماق الصحراء ، وفي هذه الحالة .. اين المرافق اذ سيحتاج الطلاب الى مدينة سكنية ثم الطرق من والى القاهرة والمواصلات .. الخ .

ويعد تحديد مكان الجامعة وفض مشاكل الحياة فيها وحولها فان المهندسين قد يحتاجون الى ما يقارب السنتين لكي يتدارسوا ويرسموا مباني مثل هذه الجامعة وعمل « البوم » بكل الرسومات والتفصيلات وعمل المواصفات والاشتراطات وحساب الكميات .. الخ وبعد ذلك يأتي موضوع التنفيذ ذاته ويصعب تحديد حجم العمل من الان ، ما لم يكن هناك وضوح رؤية في نوعية الكليات والمعاهد وشكل الدراسة والتنظيم داخلها وهل ستكون ككليات أو كأقسام .

بمعنى أن يكون هناك مثلا قسم للطبيعة ويقوم بتدريس طلبة الطب والهندسة والعلوم والزراعة .. عشرات المشاكل تملأ رأسي كمهندس عند التفكير في انشاء الجامعة .

وحتى بعد الانتهاء من المباني ، فان الجامعة ليست مبنى عادي يسكنه الاهالي بمجرد الانتهاء منه ، ولكنه يحتاج لوقت في « فرشه » ، وإعداده داخليا : المعامل ، الورش ، التجهيزات للمدرجات وغرف الدروس ، شراء الكتب وتجهيز المكتبات .. وحتى اعداد الملاعب وأماكن الترفيه ...

وفي هذا الأمر يكون انشاء الجامعة كمبنى الفندق يحتاج الى جهد ووقت في التجهيز لا يقل - ان لم يزد - عن وقت وجهد اعداد الهياكل الانشائية والمباني وتشطيباتها وخير دليل على ذلك ما يعرفه سكان القاهرة من أن فندق **الماريديان** قد استنفذ اكثر من عشر سنوات حتى أمكن افتتاحه جزئيا ولم تستكمل أجزاء داخلية فيه حتى الان .

من كل ذلك يتضح أن الوقت اللازم لانشاء جامعة لا يقاس بالاشهر - كما توحي الصحافة السطحية - ولكنه - كالصناعة الثقيلة - يحتاج الى وقت طويل في الدراسة التخطيطية والهندسة ووقت أطول في التنفيذ .

الجامعات استثمار ضخم

عندما انشئت بعض الجامعات الاقليمية اتخذت قرارات سريعة بتحويل مبان قائمة كمدارس ثانوية ، أو معاهد عليا ، الى مبان جامعية ، وصدرت الاوامر بتحويل المستشفيات العامة الى ملحقات بكليات الطب ولذلك فان التصور هو أن انشاء جامعة جديدة لا يحتاج الى استثمار يذكر .

غير أن المطالبين بالجامعة الاهلية يرغبون في أن تكون هذه الجامعة نموذجا فريدا من نوعه ، وعلى مستوى الجامعات الاجنبية . ولذلك فان الاستثمار لها عند انشائها سيحتاج الى مبالغ طائلة تقدر بملايين الجنيهات إن لم تكن بعشرات الملايين .. ولا يمكن في مثل هذه الدراسة العاجلة اعطاء ارقام دقيقة اذ ان الميزانية المطلوبة تتوقف على حجم الكليات وأعداد الطلبة ، ونوعية الدراسة .

وأيا كان المبلغ المطلوب فان السؤال الذي يطرح نفسه أساسا هو :

على نفقة من ستقام الجامعة :

يدعي اصحاب الفكر اليميني انها جامعة اهلية أي انها غير حكومية ويدللون على شرعيه اقامتها بأن « **الذين يصرخون من قيام جامعة اهلية ، خوفا على الاشتراكية ، وحسرة على اهدار مبدأ تكافؤ الفرص .. لماذا لا يطالبون بانهاء نشاط القطاع الخاص ولماذا لا يدعون لاغلاق المستشفيات الخاصة ، ولماذا لا ينادون باغلاق المدارس الخاصة** » ... ؟

ونحن لسنا بصدد مناقشة الدعوه الى اغلاق القطاع الخاص والمستشفيات الخاصة والمدارس الخاصة .. وان كنا نأمل في ان تلغى يوما ما ... !! الا أن الامر العجيب هو أن الذين يدعون لانشاء جامعة اهلية لا يناقشون من الذي سيتكرم وينشىء هذه الجامعة ..

وبحكم التعريف يملك القطاع الخاص ، والمستشفى الخصوصي ، والمدرسة الملاكي ، رأس المال الخاص .. فلماذا اذن لا يذكر لنا مروجو فكرة الجامعة الاهلية : من أين سيأتي رأس المال الخاص الذي « يغامر » بانشاء الجامعة الاهلية .. ؟

ان غالبية الشعب المصري ترحب برأسمال مصري وطني ينشىء هذه الجامعة ، وان لم يتوفر لدى الوطنيين الرأسماليين هذه الشجاعة فليشاركوا رأس المال العربي تمشيا مع سياسة الانفتاح وفي حدود قوانينها .. وأغلب الظن أن هذا المشروع سوف يخضع لكل ما شرع من قوانين خاصة بتشجيع رأس المال العربي وحتى الاجنبي ... ومن الطبيعي أن الامر يحتاج الى موافقة أجهزة وهيئات ومجالس التعليم العالي والجامعي حتى **تكون الجامعة الجديده غير مدمرة للجامعات القائمة** وفق ما هو متبع من أن

الصناعات الجديدة المقبولة ، لن تكون على حساب تدمير وافلاس الصناعات الوطنية القائمة ...

وفضلا عن ذلك فان هذه الجامعه الخاصة سوف **تخضع لرقابة وتفتيش الهيئات الحكومية الوطنية فى التعليم الجامعى المصرى** وفق ما يحدث من رقابة على منتجات المصانع الجديدة لكى تكون منتجاتها وفق المواصفات المطلوبة دون غش ... أى حتى تكون نوعية الخريج لهذه الجامعات وطنية خالصة .. لا بل وفق ما هو متبع من التفتيش على المدارس الخاصة حاليا منعا من تلاعب أصحابها أحيانا ..

وهل هناك ملعوب

غير أن المتابع لضغط اليمين فى هذا المجال يلحظ أن هناك « ملعوبين » :

● الدعوة للجامعة الاهلية شعار براق ويجمع حوله كل من لا يستطيع دخول الجامعة حتى الفقراء يتوهمون احيانا انهم قادرون على دخول هذه الجامعة .. **ولذلك فان الرغبة غير المعلنة هى ان تقوم الحكومة بانشاء هذه الجامعة على حسابها ومن ميزانية الشعب** لكى يحتلها الاثرياء بأرخص السبل ، ولذلك فان **المناورة المكشوفة** هى فى أن يكون انشاء هذه الجامعة عن طريق « تقرير المجلس التخصصى للتعليم والبحث العلمى » ثم موافقة ضمنية لمجلس الوزراء على هذا التقرير « برمته » ثم احالة الموضوع الى لجنة التعليم بمجلس الشعب .

الحقيقة أننى لا أفهم ما ذا يحدث .. ولماذا كل هذه الاجراءات .. ان كان هناك رغبة فى أن تفتح الطبقات الغنية جامعة لتعليم ابنائها فليكن لها ما تريد ، طالما هناك أثرياء ولكن ليدفعوا هم مصاريف انشاء الجامعة .. وليدفعوا هم ثمن الارض اللازمة لها .. اذ أنهم هم الذين تسببوا فى الارتفاع المخيف لثمن الارض مؤخرا .. وقد أثروا من ذلك كثيرا .. لذلك فليتنازلوا - كطبقة - عن جزء مما حصلوا عليه من مكاسب رهيبة مفاجئة .. فى تعليم أولادهم .

لن يسمح الشعب المصرى الفقير بأن يؤخذ من ميزانيته لكى يمول انشاء جامعة جديدة للاثرياء .

وفى تقديرى الشخصى أن الدكتور اسماعيل غانم - وهو اشتراكى قديم - لن يسمح بهذا الامر على الاطلاق ، حتى وان اقتضى الامر ان يعلن ما لديه من بيانات ومناورات على الشعب كله ..

أما الملعوب الثانى : فهو ان يروج اليمين لفكرة أنه طالما أنه قد اتفق على انشاء الجامعة الاهلية وطالما ان انشاءها يحتاج الى سنوات ، فلا بأس ممن

الحاق أبناء الطبقة الراقية « بالجامعات الميرى » مثل جامعة القاهرة وطنطا والمنصورة وذلك بشكل مؤقت وعلى سبيل الاستثناء لحين انشاء هذه الدرة الفريدة فى الجامعات والتى سيفخر بها كل مصرى ... !!

وعلى أى حال فان أبناء الطبقة الراقية لن يدخلوا الجامعات الحكومية « سفلقة » ، **ولكنهم** سيدفعون الاجر والربح ، وان أردتم فسندفع بالعملة الصعبة ... لكى نحسن حال الجامعة وتشترون بما سندفع الاجهزة والمعدات الناقصة ...

منطق أعوج ومكشوف ولن يمر ولن يسمح الوطنيون المخلصون بتخريب التعليم الجامعى كله بدخول أبناء هذه الطبقة اليه من الباب الخلفى .. !!

الطلبة العرب مصدر رزق جديد

من المغريات التى يطرحها أهل المعرفه أن انشاء جامعة بمصروفات سيكون مصدر عملة صعبة بأن نفتح أبواب هذه الجامعة للطلبة العرب .

والواقع هو أنه توجد جامعة واحدة على الاقل فى كل دولة عربية ، والكويت لديها جامعة ممتازة يرأسها فى المعتاد وزير مصرى سابق او لاحق .. !! وتبحث الان دول الخليج انشاء جامعة بها وقد قامت امارة قطر هذا العام بدراسة جادة فى هذا الشأن واستعانت بخبراء دوليين من اليونيسكو ، وكذلك بكبار رجال الجامعات المصرية لاستشارتهم فى كيفية انشاء جامعة بها .

ولذلك فان أغلب الدول العربية لديها اكتفاء ذاتى من الجامعات .. لا بل أن الصعوبة الكبرى التى تواجهها امارة قطر عند بحث انشاء جامعة بها هى فى البحث عن العدد الكافى من الطلاب من الامارات او غيرها من الدول العربية ، لكى يسمح بانشاء الجامعة اذ لا توجد لديهم لا **مشكلة الارض** ولا الهندسة ولا التمويل ولا الاساتذة . **ففى البترول** وموارده ما يسمح باستخدام احسن **العقول** والامكانيات فى العالم ، **ولكن الازمة فى وجود قطريين يرغبون فى التعليم العالى فى قطر ..**

ومن المشاهد كذلك أن أثرياء العرب - ان رغبوا فى التعليم العالى - فانهم يشدون الرحال الى جامعات أوروبا وأمريكا وذلك لاسباب كثيرة .. أولاها أن مشكلة توفر المال وتحويله لا تمثل أى عقبة .

أن من يدق أبوابنا من الوافدين هم أساسا أولاد الطبقات المتوسطة والكادحة فى بلادهم .. وعلى أى حال فان الجامعات المصرية « **الحكومية** » ،

تقوم حاليا باقتطاع جزء من الامكانيات التعليمية بها ، من فم اولادنا ، لكى تقدمها عن رضاوووعى، الى ابناء جيراننا المكافحين ... اما آثرياء العرب فانهم ان رغبوا أن يدرسوا فى مصر لسبب او آخر فانهم فى بعض الاحيان تد يسببوا لنا بعض المشاكل ... اذ أن مرض الدروس الخصوصية فى الجامعات المصرية لم يستفحل الا من خلال « أبناء الطبقات الثرية » مصرية كانت ام عربية .

ثم ماذا فى أوربا الغربية وأمريكا

مع الانفتاح يدعو اليمين باستمرار للتشبه بأوروبا الغربية وأمريكا ، اذ هى دول راسمالية يتمتع فيها الفرد بالراحة فى النشاط الاقتصادى والفكرى ، فضلا عن تقدمها التكنولوجى .

ولذلك دعنا نرى ما يحدث فى هذه الدول ؟ .. هل التعليم فيها بمصروفات .. وان كان بمصروفات تدفع للجامعات فهل يدفع هذه المصروفات الاهالى أم الهيئات والمنح الحكومية ؟ .. وعلى أى اساس يتم الاختيار لدخول هذه الجامعات ؟ هل من يدفع اكثر يدخل أولا .. !! .

ان النقلة الحضارية « فى ميدان التعليم فى اوروبا جديرة بالدراسة ، وسوف تسعدبلادنا لو حققنا جزءا مما وصلت اليه هذه الشعوب .

موضوع دخول الجامعه محسوم بالنجاح فى الامتحانات والمسابقات ! لا مجال للعب ، او التحايل ، او الوساطات .. الكل يدخل نفس الامتحان ويعامل بنفس المعاملة وبحياد تام ..

ولسنا فى مجال مناقشة موضوع مفاضلة امتحانات المسابقات بالجامعات على الامتحان الموحد « الثانوية العامة » ولكننى اود ان اؤيد ان **نظام المسابقات ولا شك انجح ولكن الوساطات والضغوط فى بلادنا سوف تفسده .**

ولا ننكر كذلك ان الهيكل الاقتصادى والاجتماعى فى اوروبا وامريكا مختلف تماما ، وحيث لا يوجد صراع الحياه والموت على دخول الجامعات ؛ اذ أن المجتمع يعطى المرتبات والاحترام الاجتماعى لاصحاب المؤهلات المتوسطة والمهارات اليدوية والجهد العضلى بنفس القدر او بفارق بسيط جدا عن أصحاب درجات البكالوريوس والدكتوراه .. أما فى بلادنافان دخول الجامعات هو جواز السفر الحقيقى للوصول الى الاحترام الاجتماعى والوظائف العليا فى اجهزة السلطة ..

وعلى ذلك فان دخول الجامعات فى الدول الرسمالية الغربية لا يتم عن طريق المؤهلات الاقتصادية للوالدين ولكن عن طريق القدرات الذاتيه للطالب .. وان أى حديث عن نفوذ الوالدين فى مساعدة اولادهم فى دخول الجامعات يعتبر فى نظر الرجل الغربى .. عمل شائن ومتخلف » .

وفى دول أوروبا وبالذات الدول الاسكندنافية فان الدولة تمول تعليم الطلاب تماما بمعنى أن الحكومة تعطى سلفيات للطلاب المقبولين فى الجامعة تغطى مصروفات الجامعة ،علاوة علىقدر معقول يكفى الاقامه فى مساكن الطلاب والحياة العادية .. ومصاريف الكتب والترفيه وخلافه .

وتساعد القيم الاجتماعية فى اعطاء فرص متكافئه للطلاب من ناحيه اتفاق جيل الاباء وجيل **الابناء على ضرورة استقلال كل فتى وفتاة عن الاسره تماما بمجرد الانتهاء من الدراسة الاعدادية او الثانويه اى حوالى سن العشرين** . ويرحل الشاب او الشابة عن منزل والديه ويسكن فى وحده مستقلة ويحيا حياته الخاصه .. ولذلك فان الدارسين فى الجامعة يكونون مستقلين اقتصاديا ونفسيا عن ذويهم ويعيشون فى مستوى موحد بمساكن الجامعة على اعانات وسلفيات الحكومة وبحيث لا تشعر اطلاقا بالفارق بين ابن صاحب اكبر شركه مقاولات وبين ابن النجار الذى يعمل بها .. الكل حقيقة سواسية الا فى الفروق الذاتيه بين انسان وآخر .

ومما يجدر الاشارة اليه هو ان جميع خريجى جامعات السويد يردون ما قدم اليهم من سلفيات وهى مبالغ طائلة — وذلك بعد تخرجهم ، لكى تقوم الدولة بتسليفها مرة أخرى الى جيل آخر وهكذا .. ويتم ذلك على اقساط مريحة لعدة سنوات ولذلك فالدخل الحقيقى لخريج الجامعة — بعد سداد السلفة ، يكون موازيا بشكل عام لدخل العامل،او صاحبالمؤهلالمتوسطولعل هذاهوالسبب فى عدم وجود التكالب على دخول الجامعات فى اوروبا بنفس الحماس والضغط الموجود عندنا .

وخلاصة القول أن موضوع الجامعه الاهلية يزداد حيوية ويحلو الحديث عنه كلما تصور اليمين المصرى انه سينتزع مكاسب من ابناء شعب مصر الكادحين ، واننا نتطلع الى الوقت الذى ستساهم فيه الدولة باعانات سخية للمتفوقين من أبناء العمال والفلاحين لكى توفر لهم كل السبل المريحة لاتمام دراستهم واظهار مواهبهم بدلا من الصراع المريع الذى يعانيه جمهرة الطلاب الان من جراء مواجهة ارتفاع الاسعار وازمات الاسكان والمواصلات والكتاب الجامعى .

حق قوى الشعب العاملة في اقامة تنظيماتها المستقلة

« وحول حق قوى الشعب العاملة فى اقامة تنظيماتها المستقلة يكتب عبد الرحمن خير سكرتير تثقيف اللجنة النقابية بالمصانع الحربية مؤكدا أن الطريق الأمثل لاستمرار مسيرة ثورة يوليو ، هو اقامة جبهة وطنية تضم الاحزاب المعبرة عن قوى الشعب العاملة صاحبة المصلحة الحقيقية فى الاشتراكية ».

عبد الرحمن خير *

صدرت توصية فى مؤتمر لأحدى النقابات العمالية الكبرى فى هذا الشهر ، تطالب « بأن تقوم النقابات العمالية بتزكية مرشحى العمال فى انتخابات مجلس الشعب وخوض معركة الانتخابات الى جوارهم » ، كما وجهت هذه النقابة خطابا الى كل النقابات العامة واتحاد عام العمال تدعوهم فيها الى عقد مؤتمر عام للنقابات العمالية ، حيث أن الموقف يتطلب بالضرورة دراسة ومناقشة واسعة ومركزة يجريها اتحاد العمال والنقابات العمالية لتحديد رأى الحركه العمالية ومسارها فى القضايا الثلاثة الهامة التالية :

١ - الانفتاح الاقتصادى وأثره على الخط السياسى بصفة عامة ، وعلى العمال بصفة خاصة .

٢ - ارتفاع تكاليف المعيشة ومدى موازنته وملاءمته مع الأجور .

٣ - الحرية النقابية وفقا للقوانين والمواثيق المحلية والدولية » «١» .

وفى أغسطس الماضى طالب عامل « بالاعتراف بحق العمال فى اقامة تنظيمهم السياسى المستقل » «٢» ، ولو ربطنا هذا بما أعلنه ممثلو النقابات العمالية فى لجنة الاستماع أثناء مناقشات تطوير الاتحاد الاشتراكى من ضرورة التمسك بالتحالف بين قوى الشعب العاملة كضرورة ملحة لاستكمال مهام الثورة الوطنية الديموقراطية ، واتمام مسيرة التحول الاشتراكى »

★ سكرتير تثقيف اللجنة النقابية ـ تدريب المصانع الحربية ـ حلوان .

[١] مؤتمر اللجان النقابية للنقابة العامة للصناعات الهندسية والمعدنية والكهربائية ١٥٤٠٠٠ عامل وتضم عمال صناعات الحديد والصلب والكهرباء والصناعات الحربية وصناعات الطائرات .

[٢] الدورة التثقيفية للكوادر العمالية التى نظمتها أمانة القاهرة بأبى قير فى أغسطس ١٩٧٤ .

لوضع لنا أن هذا بالتحديد يعني ضرورة أن يكون للطبقة العاملة شأنها شأن بقية قوى الشعب العاملة من فلاحين ورأسمالية غير مستغلة : حق الوجود التنظيمي المستقل الذي يعبر عن نفسه ببرنامج يوضح رؤية كل من هذه القوى نحو قضايا البناء والتحرير ، ويعبر عن مصالحها المشروعة اقتصاديا واجتماعيا داخل تحالف لقوى الشعب العاملة صاحبة المصلحة فى التحول الاشتراكى . خاصة بعد ما أثبتت كل التجارب الماضية - منذ قيام الاتحاد الاشتراكى - أنه لم يتحقق وجود حقيقى لقوى العمال التى طال استغلالها والتى هى صاحبة مصلحة عميقة فى الثورة «٣» . ومن هنا يتبين لنا أن الصيغ الحالية والمقترحة لبناء الاتحاد الاشتراكى لن تتيح امكانية التعبير عن المصالح الاقتصادية والرؤية الاجتماعية الحقيقية لسائر قوى التحالف . خاصة وأن الصيغة الحالية والتى استمرت لسنوات عديدة ، فضلا عن عجزها عن تحقيق التمثيل الحقيقى للقوى المتحالفة ، فانها لم تستطع أن تمكن الاتحاد الاشتراكى من انجاز أى ممن المهام الوطنية التى انيط به تنفيذها حتى فيما حمله به برنامج العمل الوطنى فيما يتعلق بمحو الامية وتنظيم الاسرة ...

ومسئول كبير فى الاتحاد الاشتراكى لم يجد ما يرد به على العمال - فى اجتماع عام - الا ان الذين يتحدثون عن مشاكل الجماهير هم الخونة والملحدون .. الهجوم على كل ما انصفت به الثورة فقراء مصر : الاصلاح الزراعى ، والسد العالى ... الخ » «٤» وجاء بيان مجلس الامناء يتهم اليسار المتطرف بأنه كان وراء حوادث الشغب ، وانه يعمل على اشعال نار الصراع الطبقى . فى الوقت الذى ترك فيه الاتحاد الاشتراكى الجماهير الكادحة فريسة لغوغائية اليمين واستغلاله البشع بل وابتزازه ... وبدأ يشارك القوى الرجعية هجومها على اليسار والتى باتت هذه القوى الرجعية تتحرك بشكل منظم وأصبحت جمعياتها ونواديها وصحفها فجأة تطلق لسانها فى القضايا الاجتماعية والاقتصادية والسياسية بعدما سكتت دهرا أيام كانت التحولات الاجتماعية تمضى الى غايتها بدعوى عدم التدخل فى السياسه . تحاول هذه القوى اليوم فى حملتها المسعورة ضد قوى الاشتراكية والتقدم ، الهاء جماهير الشعب الكادحة عن عدوها الرئيسى المتمثل فى الامبريالية والصهيونية وشغلها عن قضاياها الاجتماعية ومعاناتها اليومية من جراء الاستغلال البشع من قبل حفنة من المضاربين والمهربين وتجار السوق السوداء يريدون أن يحكموا سيطرتهم على مقدرات البلاد وتوجيه مصادر الثروة الوطنية لمصلحتهم ، مستغلين ما جاءت به ورقة أكتوبر من تأكيد « تثبيت أوضاع الملكية كما هى عليه الان ؛ ولتسد الباب أمام مزيد من التأميمات ، ولتسمح بحرية أوفر لرأس المال الخاص للاستثمار ، ومعنى هذا اننا نتقدم فى طريق يقوم على حرية الاستثمار ، واحتمالات تذويب الفوارق بين الطبقات تنعدم فى هذه الحالة . والمتوقع أن تزيد هذه الفوارق وتتسع » «٥» . هذا كله فى الوقت الذى لا تقدم فيه صيغة التطوير التى تقدمت بها اللجنه الثلاثية المشكلة لدراسة الاراء التى طرحت لتطوير الاتحاد الاشتراكى على ضوء ورقة أغسطس ايا من السبل لتحقيق التمثيل الحقيقى لقوى الشعب العاملة سوى أن هذا سيرجأ الى ما بعد المرحلة الاولى من التطوير ، والتى ستتم بالانتخابات فى يوليو القادم ، - بعدما عجزت عن تصور شكل المنابر المستقلة أو كيفية تنظيم التعبير لكافة التيارات من يمين ويسار ووسط التى اعترفت بها ورقة التطوير - الى أن بعض اعضاء اللجنة قد صرح بأن هذه المنابر التى لم تستطع تصور لشكلها سوف تكون مقدمة « تمهد لقيام الاحزاب اذا أراد الشعب ذلك » . ومعنى هذا ان شكل المنابر المقترحة سيخضع لاسلوب القوى التى ستفرزها انتخابات يوليو ، ونخشى أن تكون نفس العناصر السابقة التى عانى منها الاتحاد الاشتراكى والتى تطرح ما تسميه بالمنابر المتحركة ، والتى حالت دون وجود تمثيل حقيقى للطبقات

---

[٣] الطليعة عدد سبتمبر ١٩٧٤ العامل هو العامل اليدوى » عبد المنعم الغزالى .
[٤] روز اليوسف ١٩٧٥/١/١١ - صلاح حافظ « اليسار المصرى ولعبة خلط الاوراق » .
[٥] الكاتب سبتمبر ١٩٧٤ - صلاح عيسى - الكاتب .

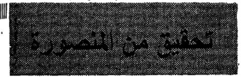
صاحبة المصلحة فى التحول الاشتراكى . علاوة على القوى الاخرى التى رفع عنها العزل السياسى والتى تنتمى فكريا الى الاتجـاهات الثيوقراطية والرجعية المتخلفة المعادية لثورة يوليو .. ومن هنا تصبح جماهير العمال والفلاحين وصغار التجار فريسة سهلة لاستغلال هذه الطبقات التى تتزايد ثرواتها بصوره شيطانية،ومعها قدرتها على التأثير فى الاتجاه السياسى والأقتصادى للبلاد ، ويصبح احتمال هدم الاتحاد الاشتراكى مطروحا للمرة السادسة ، اذ لم تتمكن هذه القوى ذاتها من أحكام قبضتها بواسطته ، وبما تملكه من امكانيات واسعة للحركة فى طول البلاد وعرضها علـى مقدرات الشعب وتفرض عليه اوضاعا لا تتفق مع مشيئته فى استمرار انجاز مهام الثورة الوطنية والديموقراطية والتحول الاشتراكى والتى عبرت عنها انتفاضات ١٠٤٩ يونيو ٦٧ ، وجنازة الرئيس عبد الناصر والتحركات العديدة للطلبة والعمال ومن ثم تطرح فكرة الاقرار بحق الطبقات الشعبية فى اقامة احزابها المستقلة المعبرة عن مصالحها الاقتصادية فى مواجهة قوى القهر الطبقـى والاقتصادى نفسها فى الساحة الوطنيه على أن تتجمع هذه الاحزاب فى جبهة وطنية تتبنى برنامج حده الادنى :

- استكمال مهمة تحرير الارض - حماية منجـزات ثورة يوليـو - استمرار التحـول الاشتراكى - حماية الحريات العامه وحقوق الاجتماع والتظاهر .

وان تلغى من قانون العقوبات كل المواد التى تجرم أفكار التقدم الاجتماعى والتى تعطل نصوص الدستور التى تقر بحرية الفكر والعقيدة وابداء الرأى .

أن أى حديث عن حرية التعبير اذا لم يتجسد فى حق تشكيل التنظيمات الخاصة يصبح لغوا لا معنى له - وفى أطار التحالف يحق لكل انسان وطنى أن يناضل ويضحى ويستشهد تحت الراية التـى يختارها . ان الوسيلة الوحيدة لتنظيم حـوار ديموقراطى بين قوى التحالف هو الاقرار بحقها فى بناء منظماتها المستقلة ، وهو السـبيل الوحيـد لاستمرار سلمية الصراع الطبقى ، وقد تعالت أصوات العمال أثناء جلساتلجان الاستماع مطالبة بوجود القوى الاجتماعية بشكل ديموقراطى داخل تحالف يستمر بعملية التحول الاشـتراكى -

ويأتى الموقف العمالى .. حركة واعية فى وجه محاولات اليمين المتخلف الانحراف بمسيـرتنا وأفساد العلاقة بين السلطة والفصـائل الوطنيـة التقدمية .. وازاء هذا الموقف الذى تناقض فيـه الاتحاد الاشتراكى مع جماهيره وانضم الى قوى المنظومة الرجعية فى حربها الصليبية .. وليكن مؤكد أن الجبهة الوطنية التى تضم الاحـزاب المعبرة عن قوى الشعب العاملة صاحبة المصلحة الحقيقية فى الاشتراكية هى الطريق الامثـل لاستمرار مسيرة ثوره يوليو لبناء مصر المستقلة الاشتراكية الديموقراطية ، وبدونها تكون كمن يحرث فى البحر، فهلا واجهنا الواقع بشجاعة قبل أن نصل اليه عبر طريق تتربص الرجعية بشعبنا فيه وتوشك أن تبدأه ..



مع من تقف الأجهزة الشعبية مع مصالح الجماهير .. أم مع السلطة ؟

مصطفى سامى

انتقلت أخبار المنصورة ـ فجأة ـ للصفحات الاولى من الصحف ، وتركزت الاضواء على ثالث مدينة مصرية ، بعد القاهرة والاسكندرية لعدة أيام بعد ان زارها المهندس سيد مرعى رئيس مجلس الشعب مدعوا من طلبة جامعتها .

ما هى قصة هذه الزيارة التى شغلت الرأى العام الى هذا الحد ؟

ان النتائج السريعة ، وردود الفعل ، التى جاءت فى شكل تصريحات وأخبار نشرتها الصحف بعد الايام الثلاثة الاولى من الزيارة ، تعكس المفاجآت التى التقى بها رئيس مجلس الشعب للمدينة فى جولته بها ، وتعكس ايضا الى اى مدى كانت الصورة باهتة وأحيانا مظلمة تماما لا تعبر عن الحقيقة أو حتى نصفها ..

فى أول تصريح له ـ بعد عودته الى القاهرة ـ قال رئيس مجلس الشعب : « ان ما رأيته فى المنصورة من سوء المواصلات والمجارى والمرافق ، وصورة رغيف العيش شىء لا يمكن السكوت عليه » ! وفى نهاية حديثه قال : « ينبغى أن نفتح صدورنا للنقد البناء ، ما دمنا ننادى بالحرية ، ولا نكون حساسين عندما تنتقدنا الصحف ، ولا بد أن نكون دائما قدوة لجماهيرنا » ...

فى اليوم التالى للزيارة ، أصدر الرئيس أنور السادات قرارا بنقل الدكتور ابراهيم دكرورى محافظ الدقهلية الى الامانة العامة للحكم المحلى ، ونقل السيد محمد على رشيد محافظ مطروح محافظا للدقهلية .

وفى نفس اليوم أوفد الرئيس وزيرى الحكم المحلى والتموين الى المنصورة لبحث مشكلات المدينة بعد أن تلقى تقريرا من المهندس سيد مرعى



المهندس سيد مرعى فى زيارة على الطبيعةلمدينة المنصورة

عن زيارته للمدينة سواء بالنسبة لطفح المجارى وسوء حالة الرغيف وما رآه من انهيار حالة المرافق بشكل عام .

لماذا لم تتحرك القيادات السياسية والتنفيذية فى المدينة قبل أن تستفحل حالتها وتصل الى هذه الصورة التى وصفها رئيس مجلس الشعب بأنها « **لا يمكن السكوت عليها** » .. ؟ ان طفح المجارى التى تغطى أحياء كاملة ، والتى تنبعث رائحتها فى كل مكان بالمدينة ، حتى وصل الامر ان دخلت بيوت الناس فى بعض الاحياء ، وانقطاع المياه بعد الدور الثانى فى المنازل وانقطاع الكهرباء وسوء حالة الرغيف ، كلها مشاكل يعانى منها اهل المنصورة منذ أكثر من ثلاث سنوات ، ورغم ذلك لم يتحرك احد لحماية الجماهير ، رغم تعدد الاجهزة الشعبية والتنفيذية ، مما جعل اهل المدينة يفقدون الثقة والامل تماما فى اى اصلاح .

عندما واجهت نائب المنصورة **ممدوح فودة** بمسئوليته تجاه هذا الانهيار الذى وصلت اليه حال المدينة « **لماذا لم تتحرك وتبلغ المسئولين** » ؟ قال :

« منذ ثلاث سنوات ، زار المنصورة المهندس عبد العزيز كمال وزير الاسكان ، وبعد ان قام بجولة فى شوارعها ، وشهد بنفسه الطفح والمجارى التى تطفح داخل البيوت فى الاحياء الشعبية ، وسمع بنفسه شكوى الجماهير الذين التقى بهم أثناء مروره فى الشوارع ، ووعدهم بحل هذه المشاكل بمجرد وصوله الى القاهرة .. ولم يحدث شىء .. !

« عبد المجيد شديد ، **أحد محافظى الدقهلية** السابقين لم يكن يغلق باب مكتبه على نفسه ، كان دائما يستمع الى اهل المدينة ، ويلتقى بهم فى جولاته ، وتأثر عندما دخل البيوت ليجد المجارى تطفح وتصل الى حجرات النوم ، ووعد أصحابها بابلاغ المسئولين فورا .. ولم يتحرك أحد لنجدتهم .. ! » .

ويقول **ابراهيم عطية الامين** المساعد لقسم ثان بالاتحاد الاشتراكى : « منذ عامين ، زار المدينة ثلاثة وزراء ، ومن بينهم المهندس محمود عبد الحافظ الذى كان وزيرا للاسكان فى هذه الفترة ـ محافظ القاهرة حاليا ـ وتأثروا أو هكذا بدا عليهم ـ لما رأوه من معاناة الاهالى ووعدوا طبعا بالاصلاح الفورى .. وظل الحال كما هى .. !! لم يتغير أى شىء رغم تعدد زيارات المسئولين للمدينة ورغم تعدد شكاوى أهلها .. !

ماذا كانت النتيجة .. ؟

أثناء مرور المهندس سيد مرعى مع **ممدوح فودة** ، لم يكن بعض الاهالى قد سمعوا عن رئيس مجلس الشعب ، فسألوا نائبهم عن **شخصية**

الضيف القادم من القاهرة ؟ وعندما أجابهم كان ردهم : « مش عاوزين وزراء ثانى .. لم نعد نصدق أحدا منهم .. احنا عاوزين الرئيس السادات يزورنا هنا .. » الى هذا الحد فقدت الجماهير ثقتها فى المسئولين ، لم تعد تتصور أن هناك أحد يمكن أن يشعر بمشاكلها ، الكل يعمل ضدهم ، الاجهزة التنفيذية والشعبية فى مدينتهم غائبة تماما .. انهم يريدون الرئيس السادات ليسمع اليهم فلن يحل مشاكلهم غيره ..

هكذا كانت الحالة النفسية لابناء المنصورة وهم يستقبلون رئيس مجلس الشعب ، تحدثوا معه بصراحة مطلقة دون أدنى خوف ، فلم يعد احد منهم يخشى شيئا ، عندما حاولت الاجهزة رسم خط سير لجولته فى المدينة ، رفضت الجماهير ، وعندما حاولوا فى المحافظة تخصيص شوارع معينة ليمر منها وهو داخل سيارته ، رفض ابناء المدينة خط السير المرسوم ، فنزل من السيارة وخرج من الموكب المعد له . وسار مع الاهالى فى الشوارع ، بلا حرس ، وبلا شرطة تدفع الناس بعيدا عنه واستقبلته الجماهير بلافتات تقول : « نريد أن نأكل رغيفا نظيفا ـ انقذونا من المجارى » وأحاط الاطفال به قبل أن ينزل من سيارته ومعهم لافتة اخرى تقول : « اطفالك يطالبونك بأنقاذهم من الغرق فى المجارى » !

وفى طريقه الى سندوب نزل من السيارة أمام دكان صغير للبقالة ، واشترى رغيفا ، وفوجىء بأنه أسوأ مما صوره له الاهالى ..

استجاب رئيس مجلس الشعب للجماهير ، لانه شعر بصدقهم ، واحس بمعاناتهم المستمرة ، استمع الى كل شكواهم وزار معهم كل الاحياء التى يعانى أهلها من انعدام أى نوع من الخدمات وأى نوع من الاهتمام ، حكوا له عن قلة تنعم بكل شىء على حساب جهدهم وعرقهم ، قلة تشغل المناصب ، وتركب السيارات الفاخرة ، ولا تشاركهم حتى فى نوع الخبز الذى يأكلونه ، حتى التفرقة ، وصلت الى رغيف العيش !

فى زيارته التى استمرت أقل من خمس ساعات عرف رئيس مجلس الشعب كل هذه الحقائق ، التى تدمها كما رآها للسيد رئيس الجمهورية .

ان العامل الرئيسى لنجاح هذ الزيارة يرجع الى الاسلوب الذى تمت به بعيدا عن مواكب الاحتفال وبعيدا عن المظاهر الرسمية التى تخفى دائما الحقائق ، ولا تهتم بأكثر من المظاهر البراقة ..

وخطة زيارة رئيس مجلس الشعب للمدينة أعدها مجموعة من أبنائها بينهم **ممدوح فوده** نائبها الذى يقل سنه عن الخامسة والثلاثين .. والزيارة اساسا كانت تلبية لدعوة رئيس اتحاد طلاب جامعة المنصورة الذى استقبله قبلها بأيام رئيس مجلس الشعب فى مكتبه ، وناقش معه بعض مشاكل الجامعة ، بعد ذلك تطرق الحديث الى حالة المدينة وما يعانيه اهلها من سوء الخدمات ..

قبل أن يحضر المهندس سيد مرعى بعدة أيام التقى فى مجلس الشعب بممدوح فوده واستمع اليه عن الحاله التى وصلت اليها المدينة ، المجارى ، الكهرباء ، انتشار الامراض والروائح الكريهه ، الدود الذى يوجد فى المياه ، انحرافات فى مجلس المدينة ..

وقبل الزيارة بيوم واحد ، اجتمعت الهيئة البرلمانية لمحافظة الدقهلية ، واقترح المحافظ أن يختار بعض أفراد للقائه بدلا من مؤتمر شعبى ، وأعد خط سير للزيارة بعيدا عن الاماكن المزدحمة وبعيدا عن الشوارع العائمة فى المجارى والمليئة بالمطبات ... »

ولم ينفذ شىء من برنامج الزيارة الرسمى ، **كانت خطة شباب المنصورة ان يشهد رئيس مجلس الشعب بنفسه حل المناطق بعيدا عن شارع البحر وبعيدا عن اقواس النصر التى اقامتها المحافظة تحيه لضيف المدينه ..** معنى ذلك الا ينفذ البرنامج الرسمى للزيارة الذى وضعته المحافظة ، ومعنى ذلك ايضا أن تتعارض رغبة أهل المدينة مع رغبات المسئولين الذين حاولوا اخفاء الصورة الحقيقية أو تشويهها .. وفشلت خطة المحافظة ونجحت خطة شباب المنصورة لان الضيف القادم من القاهرة أصر على رؤية جميع الاوضاع ، والالتقاء مع أكبر عدد من الناس ، لقد اقتنع بصدق الجماهير ، وكذب الاجهزة .. !

فى مديرية الزراعة ، استقبل مدير الزراعة بالدقهلية المهندس سيد مرعى بالحفاوة المعتادة من المديرين قائلا : « اهلا بك فى مدينة المنصوره الجميلة » فرد عليه رئيس مجلس الشعب قائلا : « آسف أن أقول انها المنصورة الغير جميلة .. لقد رأيت الصورة أسوأ مما نقلها لى الاخ ممدوح فودة » .

بعد حضور الاحتفال باليوم الهندسى الاول فى كلية هندسة المنصورة بدأت الجولة الرسمية فى المدينة من الشوارع التى قررتها المحافظة ليمر بها موكب برفقة المحافظ ، وكبار رجال المحافظة ، كان

مجلس المدينة قد أصلح مطبات هذه الشوارع وقام بغسلها واقام بعض اقواس النصر قبل أيام من الزيارة .. بدأ مرور الموكب من الجامعة الى شارع الثانوية ثم شارع الجلاء وعلى ناصيته شارع الاسواق ، نزل المهندس سيد مرعى من سيارته يرافقه نائب المنصورة ومجموعة من شبابها ، وهنا بدأ أول لقاءاته بأبناء الشعب ، قدموا له رغيف العيش الاسود ، نصفه ردة والنصف الاخر تراب ، وليس قمحا مكسيكيا كما يقول ابراهيم عطية ، أحد شباب المنصورة الذين رافقوا رئيس مجلس الشعب فى جولته داخل المدينة ، وهو احد شهود الاثبات الخمسة الذين قدموا شهادتهم ضد أمين الاتحاد الاشتراكى السابق للدقهلية الدكتور القاسمى الطرشوبى الذى فصلته لجنة النظام بسبب بعض انحرافات لا داعى لذكرها ..

قدمت له فتاة اسمها **بهيجة الشلاوى** تعمل سكرتيرة بمحافظة الدقهلية رغيفا آخر لا يقل سوادا ولا سوءا عن سابقه .. ركب مع عضو مجلس الشعب سيارته الصغيرة التى كانت تنتظر على ناصية شارع الاسواق ، ووراءه سيارة اخرى تحمل بعض الشباب من أبناء المدينة الذين يحاولون اظهار الحقائق كاملة للضيف القادم من القاهرة ، فى شارع الاسواق بدأ الخوض فى المجارى والمطبات ، سيدة قدمت له رغيفا آخر ، قال احد المواطنين لنائب مدينته « مش عاوزين وزراء » .. وضحك رئيس مجلس الشعب ! ، انتقل الى شارع كبير اسمه محمد فتحى ملىء بالمطبات ، ورائحة المجارى التى تفوح من شارع الاسواق وحوله لاتزال تنبعث .. دخل مع بعض المواطنين أول فرن فى الشارع ، صورة الرغيف كما هى لم تتغير ، انتقل الى شارع عزام ، المجارى أيضا تطفح وتصل الى داخل البيوت ، انتقل الى ميدان الشيخ حسنين ، التقى بالجماهير وتحدث معهم ، سمع الشكوى من التموين والمياه والكهرباء ، استمر الموكب الشعبى بعيدا عن الموكب الرسمى الذى مايزال ينتظر عودة رئيس مجلس الشعب ، فى الطريق الى سندوب التقى بالمساكن الشعبية ، وأهلها يستقبلونه بلافتة تقول « دى مش قلة اعتمادات .. ده اهمال » .. ! المجارى هنا ايضا تحيط بالمنازل .. فى سندوب سمع نفس الشكاوى ابتعد اكثر عن الموكب الرسمى المنتظر فى أول المدينة ، انتقل بعد ذلك الى قرية اسمها « جديلة » فى أطراف المدينة ، نسبة المتعلمين من ابنائها تصل الى ٩٥ فى المائة ، ضمن الموكب غير الرسمى كان احد ابنائها شاب اسمه **محمد أبو وردة** يعمل موظفا فى بنك التسليف قال لى : « المحافظ رفض أن ينزل سيد مرعى الى جديلة بسبب احوالها التعيسة والتى لا يطيقها بشر » .. استمرت الجولة ساعتين ونصف .. وصلت الساعة الخامسة بعد الظهر ، والموكب الرسمى لايزال منتظرا .. عاد بعد ذلك الى منزل المحافظ ليتناول الغذاء فى الخامسة والنصف ، وكان يحمل الخبز الذى قدمه له الاهالى ، والذى اشتراه بنفسه من بعض الافران والبقالين .. ماذا فعل بعد ذلك .. ؟

فى منزل المحافظ ، كانت أول نتائج الزيارة ، اتصل المهندس سيد مرعى ، بالمهندس **عثمان أحمد عثمان** الذى كان موجودا فى الاسماعيلية فى هذا اليوم ، شرح له أوضاع المجارى التى لا ترضى احدا ، وطلب منه اجراءات سريعة للقضاء على هذه المشكلة ، قال له « لقد وعدت أبناء المنصورة بحل هذه المشكلة فورا بعيدا عن أى اعتمادات فى الميزانية ، وبعيدا عن أى روتين » ...

بعد هذه الزيارة بأسبوع واحد ، ذهبت الى المنصورة ، والتقيت ببعض الشباب من أبنائها ، تنقلت معهم فى نفس الشوارع والاحياء التى سبق لرئيس مجلس الشعب زيارتها ، **كانت الصورة كما هى باستثناء بضع عربات تقوم بشفط المجارى أرسلت فى اليوم التالى لزيارة رئيس مجلس الشعب ، كان حديث الاهالى لا يزال عن زيارة ضيف القاهرة الذى فتح صدره لهم لاول مرة وسمع شكواهم ..**

نفس التساؤل الذى طرحته فى بداية هذا التحقيق ، قدمته لبعض ابناء المدينة ممن التقيت بهم :

لماذا لم تتحرك الاجهزة الشعبية فى المدينة ؟

جاءت اجابتهم اجماعية على ضرورة اعادة النظر فى هذه الاجهزة ، أسلوب انتخاب اعضاء الاجهزة الشعبية ، هو نفس الاسلوب الذى كان يحكم الانتخابات فى مصر منذ أكثر من عشرين سنة ، نفس العلاقات والقيم القديمة والحسب والنسب ، مع استثناءات قليلة .

ماذا كانت النتيجة .. ؟ اشاعات تملأ المنصورة سمعتها عن فساد بعض هذه الاجهزة وترديها فى اعمال لا صلة لها بعملها .

● تسعيرة شقق المساكن الشعبية خمسون جنيها يحصل عليها « أمين » **الاتحاد الاشتراكى** فى احد أقسام المنصورة ..

● سكرتير مجلس مدينة سابق ، صدر قرار بايقافه عن العمل لادانته فى جرائم اخلاقية ، مما

اضطر المحافظ السابق عبد المجيد شديد لقصاله ، انشئت له وظيفة جديدة فى المجلس لم تكن موجودة من قبل ، فأصبح « مساعد رئيس مجلس المدينة » .. !

● حضرت حفلا للعاملين بمصنع الخشب الحبيبى والراتنجات بسندوب ، وسمعت للاسف كلمة احد ضيوف الحفل — امين الاتحاد الاشتراكى بالدقهلية وعضو مجلس الشعب عن دكرنس ، ماذا قال السيد « الامين » ؟ : فى تحيته لعمال المنصورة قال : « بينما كان عمال القاهرة يقومون بالشغب فى شهر يناير الماضى ، كان عمال المنصورة هنا يؤدون عملهم ويعرفون حقيقة مسئوليتهم ... » !! ثم تحدث عن السلاح ، ورحلة الرئيس الى فرنسا فقال : « عندما علم جروميكو بقرار مصر الحصول على السلاح من فرنسا ، جاء جريا الى القاهرة .. كلهم تجار سلاح .. وكلهم مصاصى دماء .. » !! تصوروا هذا الكلام يصدر عن مسئول سياسى .. !

● فى زيارتى للحسينية ، انقطعت الكهرباء عن الحى ، وكان يرافقنى بعض الشباب من بينهم عضو مجلس الشعب ممدوح فودة ، كان تعليق اهل الحى ، أن انقطاع الكهرباء متعمد ، مجرد محاولة لاحراج المحافظ الجديد من المسئولين عن الكهرباء بها

●أبلغ أهالى المنصورة المهندس شيق مرقى أن المحافظ السابق كان يحضر الى المحافظة صباح السبت ليعود الى القاهرة مساء نفس اليوم ، ولا يراه أحد طوال الاسبوع .

● بعض الاجهزة حاولت تضليل وزير التموين الذى حضر بناء على قرار من الرئيس السادات ليبحث بنفسه حالة رغيف العيش ، قالوا للوزير أن الخبز الذى قدم له أعد فى منزل واحد من الاهالى ، وان رغيف العيش افضل من ذلك ، وعندما زار وزير التموين بعض الافران اكتشف صدق الاهالى ، وطبعا كذب الاخرين .. !

... هذا بعض مما سمعت من أبناء المدينة ورغم ذلك ، فاننى لا أستطيع ان أتهم أحدا فليس أمامى اوراق للادانة او تبرئة أحد : ولقد رأيت أن اضع أمام المحافظ الجديد السيد محمد على رشيد : هذه الاخبار او الشائعات التى عرفتها خلال زيارة قصيرة لعله يستطيع أن يبدأ التحقيق فيها من أجل صالح المنصورة وصالح ابنائها ، ولا اعتقد فى النهاية أن كل ما حدث للمدينة سببه « قلة الاعتمادات » ولكننى مع أهل المنصورة فى أن هناك اهمالا وانحرافات .

■ نشرت «الطليعة» من قبل دراستين لاحمد صادق سعد حول « النمط الاسيوى للانتاج » . عالجت الاولى — فى عدد فبراير ١٩٧٤ — هـذا النمط من الناحية النظرية ودرست الثانية — فى عـدد مارس ١٩٧٤ — التـكوين الاقتصـادى الاجتماعي المصري القديم بعنوان «مصر الفرعونية» . ويعتبر المقـال التالي استمرارا لهذه الدراسة من الناحية التاريخيـة (*) وسـتتلوها دراسـة بعنوان «الوجه الاسيوى لمصر الهلينية » .
وترحب مجلة الطليعة بالنقاش والحوار حـول هـذا الموضوع الجديد الذى يحتمل الكثير من الاجتهادات .

حول النمط الآسـيوى للانتاج

مصـــــر الهلينيـــــة

أحمد صادق سعد

كتب طه حسين فى « مسـتقبل الثقافة فى مصر » [الصادر عام ١٩٣٦] يؤكد أن الثقافة المصرية نبعت من حوض البحر الابيض المتوسط ، وترعرعت على الارضيـة الفـكرية الاغريقيـة الرومانية. ولكن واقع التطور المصرى فى العصر الهلينى يدحض هذا الرأى . فاذا كان الاسكندر استقبل كمنقذ من الاحتلال الفارسى عندما دخل مصر على رأس الجيوش المقدونية عام ٣٣٢ ق . م فان مايقـرب من عشرة قـرون من الحـكم الهلينى بعده عجزت عن تحـويل سـكان وادى النيـل الى جـزء من امبراطورية الروم . بدليل أن عمرو بن العاص استطاع أن ينتزع مصر بواسطة جيش صغير يقرب من ٦٠٠٠ جندى فقط عام ٦٤٢ م .
وعرفت مصر عهدا من النمو الاقتصادى فى ظل البطالمة والرومان . وترتب عليـه تطور خطير طرا على المجتمع المصرى ، وخاصة فى نهاية ذلك العصر ، اذ بدأت تظهر فيها نبتات واضحة لنظام اقطاعى ذى أشكال خاصـة .
ومن الملفت للنظر — مع ذلك — أن كلا من حكم البطالمة والـرومان والبيزنطيين انتهى مقـرونا بالازمة الاقتصادية والانهيار السياسى . ويكمن سبب هذا الوضع — فى تقديرنا — فى أن القوى الانتاجية لم تكن قد وصلت بعد الى مسـتوى كاف من النمو يسمح للبلاد بالتخلص من المركزية

او اعادة بنائها على مستوى أعلى [مثل مركزية الدولة الرأسمالية] . وبتعبير آخر ، فقد ظلت القوى الانتاجية — رغم نموها — حبيسة الاطار الاجتماعي الذي فرضه النمط الاسيوى .

هذا من جهة . ومن جهة أخرى ،فان الطبقة الناهضة التي نمت مع التطور الاقتصادي — الطبقة المرتبطة بالملكية الفردية والعلاقات النقدية — لم تستطع ولم ترد أن تجمع الجماهير الشعبية حولها في حركة تاريخية ايجابية تنقل المجتمع المصري باسره الى مرحلة جديدة . بل ظلت منعزلة عن الجماهير لطبيعة منبعها وتكوينها البيروقراطي او الاجنبي ، وكلاهما طفيلي .

ولقد أدت هذه الاوضاع الاقتصادية الاجتماعية الخاصة بمصر الى أن يصطبغ التطور فيها بصبغة خاصة ، وأن تتميز سماته بفوارق أساسية عن بعض ما جرى في أوروبا الغربية عند ظهور الاقطاع بها . وسوف نحاول مناقشة هذه الامور فيما بعد .

(١) طبيعة الغزو الاغريقي الروماني وأهدافه

١ — المركز التجاري المصري في العصر الهليني

نعلم أن الاغريق بداوا يحضرون الى مصر منذ منتصف القرن الثامن قبل الميلاد . وقد استعان بسمتيك الاول بالمرتزقة منهم لتحرير مصر من النير الاشوري واعادة توحيدها . وأسس التجار الاغريق مدينة نقراتيس في الدلتا في اوائل القرن السابع ق . م . وكانت الهجمات الفارسية على مصر واليونان في القرنين السادس والخامس تقطع طرق التجارة الاغريقية، مما كان يوحد بين مصالح المدن اليونانية والملوك الصاويين في المقاومة المشتركة ضد الفرس ، ويسهل اقامة الاحلاف بين الطرفين .

ولقد كان مواطنو المدن اليونانية القديمة ملاكا صغارا في بادىء الأمر . غير أن ظروفا اقليمية من جهة ، ونظام العبودية الفردية من جهة أخرى أوجدت الاسس لنمو الحرف والتجارة والملاحة البحرية في المنطقة . وبعد أن كان نوع من المساواة البدائية يسود صفوف الاغريق الاحرار ، استطاع البعض أن يزداد غنى بفضل استغلال عمل العبيد على نطاق واسع ، مما جعل من الثروات الفردية العامل الوحيد الذي يحدد مركز المواطنين في الدولة . وتحولت أثينا مثلا في القرن السادس ق. م. الى مدينة صناعية اشتهرت بجودة منتجاتها من الاسلحة والمنسوجات والحراريات . وأضحى اليونان القديم المركز التجاري الرئيسي في حوض البحر الابيض ، ويدخل في منافسة شديدة مع المدن الفنيقية والملوك الفرس الذين فرضوا سيطرتهم عليها . وكان الفنيقيون حولوا العمل الحرفي المعتمد على العبيد الى صناعة يدوية [مانيفاتورة] واسعة في ورش كبيرة تنتج بكميات وفيرة وبتكلفة منخفضة . وقامت الحروب بين الفرس والاغريق للسيطرة على الطرق التجارية في شرقي البحر الابيض . وفي صيف عام ٣٣٢ ق. م. هزم الاسكندر الفرس ، وخرب ميناء طيرة [صور] التجاري الهام ، ثم أسس ميناء الاسكندرية على الشاطىء المصري في خريف نفس العام . وكانت خطة القائد المقدوني أن يجعل من هذه المدينة قاعدة لمحاصرة الشرق تجاريا وعسكريا ، ومنطلقا للاستيلاء على طرق التبادل مع آسيا .

وترتب على فتوحات الاسكندر واستيلائه على ثروات ملوك الشرق العظيمة — في مصر وفارس والهند — أن تحولت كميات مهولة من المعادن النفيسة والمنتجات الى سلع يجري تبادلها وتوزيعها في الأسواق . كما اتسعت العلاقات التجارية بين اوروبا والشرق . وأضحت مدينة الاسكندرية المستودع الكبير للعالم القديم ، وعاصمة للفكر الاغريقي . ومن الامور ذات المغزى أن يكون البطالمة — ثم الرومان بعدهم — قد اتخذوها عاصمة سياسية وادارية لمصر الى أن جاء الفتح العربي فأعاد قادته مركز الحكم الى القرب من منف القديمة في جنوب الدلتا [الفسطاط ثم القطائع الخ] .

واذ مثل البطالمة مصالح اقتصادية سلعية موجهة نحو التجارة والتبادل النقدي ، فقد حاربوا لوضع أيديهم على المراكز التجارية الاخرى في البحر الأبيض . وكان أقربها اليهم الشاطىء الفنيقي وسوريا الجنوبية وفلسطين التي خضعت للملوك السلوقيين بعد تقسيم ممتلكات الاسكندر بين ضباطه الكبار . كما شن البطالمة الحروب للاستيلاء على الجزر اليونانية وسواحل بحر ايجه ، بغرض تحطيم المركز التجاري للمدن الاغريقية الكبرى ، والسيطرة على الطرق التجارية التي توصل بين البحرين الابيض والاحمر من جهة والمحيط الهندي من جهة أخرى . وكذلك أرادوا بهذه الحروب التمكن من الحصول على الاخشاب اللبنانية والمعادن السورية التي لا تتوفر في مصر ، ونهب الشعوب السورية للحصول على الاموال التي يدفعون بها رواتب المرتزقة . وفي القرن الثالث ق.م. كانت الامبراطورية البطلمية تضم قبرص وبرقة [المشهورة حينذاك بغزارة قمحها وجودة خيولها] وسوريا «السيلية» بما فيها فينيقيا وفلسطين —

ونظم الملوك البطالمة الحملات العسكرية والرحلات الاستكشافية الى جنوب الوادي

وشواطىء الجزيرة العربية والهند بهدف فتح الطرق التجارية الجديدة .

لقد كان خط التطور الذى بداه الاغريق فى بلادهم مبنيا على الملكية الفردية الخاصةوالانتاج السلعى . وكان البطالمة — والطبقة الحاكمة الاغريقية المحيطة بهم — أبناء هذا الخط . غير انه لم يؤت الا ثمار قليلة فى مصر ، وسريان ما فقد الملوك البطالمة ممتلكاتهم منطقة بعد اخرى منذ القرن الثانى . وذلك لان التمزق الداخلى اخذ ينخر فى النظام السياسى من جهة ، ولان نمو روما جعلها مركزا جديدا للتجارة فى البحر الابيض من جهة اخرى .

فوقعت مصر فى الحماية الرومانية الفعلية فى بداية القرن الاول ق. م. ، الى أن استولى عليها اغسطس رسميا عام ٣٠ ق.م. بعد انتحار كليوباترا . وفى هذه الفترة كانت العلاقات النقدية متطورة فى الجيش الرومانى ، وان كانت الضريبة والقروض العينية هى أساس الاقتصاد الرومانى [١] . ولكن مجتمع روما كان هو الاخر مجتمعا عبوديا ومبنيا على الملكية الفردية ، وأصبحت علاقات التبادل فيه أساس انتاجه فى نفس الوقت الذى شهدت الامبراطورية التحلل السريع للمشترك الرومانى القديم . وكان التجار الرومان الكبار يحتاجون الى تأمين الاتصالات البحرية مع شرقى البحر الابيض ، الامر الذى وفره الاحتلال الرومانى لمصر وسوريا وآسيا الصغرى واليونان . كما ضمن الاستيلاء على مصر وصول كميات هائلة من القمح كان هؤلاء التجار يتولون نقله . وعاد الولاة الرومان فى مصر الى ما بداه البطالمة ، فقادوا الحملات الى داخل النوبة وحتى الشواطىء العربية بغية تنمية التجارة الرومانية مع أفريقيا الوسطى واليمن والهند مرورا بالدلتا والاسكندرية . ومنذ منتصف القرن الاول ق. م. أصبحت الطرق التجارية فى العالم القديم كله تتجه الى روما . وأفاد من هذا الازدهار تجار الريف والموانى الذين اصبحوا يكونون الشركات والاتحادات التجارية الضخمة التى اتسعت فى القرنين الاول والثانى بعد الميلاد بشكل خاص [٢] .

واشترك فى هذا النشاط افراد الطبقةالمالكة الاغريقية فى مصر ، وخاصة فى مدينةالاسكندرية التى كان يصدر منها القمح المفروضة جزيته على سكان وادى النيل . وترتب على هذا أن اتسع تغلغل العلاقات النقدية وزاد التبادل التجارى ، وخاصة فى الدلتا .

غير أن ثورات العبيد كانت قد بدأت تهز أركان الامبراطورية الرومانية [ثورة سبارتاكوس عام ٧٤ — ٧١ ق.م.] ، كما اضطربت الشعوب المتبربرة المحيطة بحدودها . واندلعت الثورات والاضطرابات فى مصر أيضا . وأدى اشتداد الفقر لدى المعدمين فى روما نفسها ، والمستوى المعيشى المنحط لمئات الالوف من العبيد الى التضييق على القدرة الشرائية ، وتعطيل التقدم التقنى فالابطاء من الحركة التجارية العامة . وسادت فترة من الفوضى العسكرية علت فيها يد البيروقراطية الحربية فى القرن الثالث الميلادى . فازداد اعتصار الشعوب المقهورة — والمصريون منها — للصرف على الجيوش من الرومان والمرتزقة التى تسند عرش الاباطرة ، مما جفف من معين الفائض الذى يمكن أن يكون موضوع التبادل التجارى . كما وقع تضخم نقدى حاد تسبب فى ارتفاع هائل فى أسعار الحاجيات الاساسية ، الامر الذى دفعبالمقايضة العينية مرة أخرى الى الامام ، فزاد من انحطاط التجارة .

ونتج من هذا كله أن التاثير الرومانى النقدى والتجارى على الاقتصاد المصرى ظل فى حدود تطور سطحى وضيق نوعا . وعندما تم تقسيم الامبراطورية الرومانية الى الجزئين الغربى والشرقى [فى منتصف القرن الرابع الميلادى] ، انتقل مركز الجذب التجارى الى بيزنطة أى بحرايجة مرة أخرى . وباتت الطرق التجارية الرئيسية بين العاصمة الرومانية الشرقية وقلب آسيا والهند تمر بعيدة عن مصر والاسكندرية، فتدهور مركزهما واضمحلت اهميتهما . ثم جاء

---

[١] K. MARX : «Introduction à la critique de l'économie politique». (Dans «Contribution à la critique...»). Paris — Editions Sociales — 1972 — p. 167.

[٢] M. ROSTOVTZEFF : «Rome» — New York — Oxford University Press — 1960 — p. 264.

القرن السادس بالتوسع الفارسي من جهة ، وبازدهار التجارة في الجزيرة العربية في دولة حمير باليمن من جهة أخرى ، مما بدأ يقطع الخطوط التجارية الموصلة الى بيزنطة سواء المباشرة منها أو المارة بمصر . وارتبط هذا كله بالثورات الداخلية ، وبالضغوط السلافية على الحدود البلقانية . ولم ينجم عنه فقط أن ظلت القبضة البيزنطية السياسية ضعيفة الى أن سقطت مصر في يد العرب ، بل ان النبتات الاقطاعية التي ظهرت في مصر بسبب نمو الملكية الفردية في العهد البيزنطي عجزت عن أن تضرب جذورا عميقة في العلاقات الانتاجية المصرية . ويبدو أن الحكم العربي في فجر الاسلام قد عصف بها الى درجة كبيرة .

ب — اعتصار مصر

كان المحتلون الفرس في منتصف القرن الخامس ق . م . يستخرجون من مصر ما يقرب من ۳۲۰٫۰۰۰ أردب من القمح . ورفع البطالمة الضريبة العينية المفروضة على المصريين الى ۳٫۰۰۰٫۰۰۰ أردب . أما الرومان والبيزنطيون فقد وصلوا بالجزية الى ۸٫۰۰۰٫۰۰۰ اردب سنويا [۳] . وعلاوة على هذا كانت الضريبة النقدية على بعض الاراضي تصل الى ۸۰۰٫۰۰۰ جنيه تقريبا في ظل البطالمة ، فوصلت الى ۵٫۰۰۰٫۰۰۰ جنيه في الحكم الروماني وحوالي مليونين في الفترة البيزنطية . وهذا دون ذكر عشرات الضرائب والرسوم ، والأسعار المرتفعة للبضائع التي تحتكر الحكومة انتاجها أو تجارتها ، وتكاليف « استضافة » الجنود في القرى ، واجبار الفلاحين على ان يقبلوا في منازلهم الجنود الذين اقطع عليهم الملك أو الوالي أرضا كراتب مقابل الخدمة العسكرية الخ .

ومنذ عام ۳۰ ق . م . زاد من ثقل هذا الاستغلال الفظيع لقوى الشعب المصري — والفلاحين بصفة خاصة — ان الجزية العينية والحصيلة النقدية للضرائب كانت تخرج من مصر الى روما ثم بيزنطة دون أن تعود الى دائرة التبادل والاستهلاك الداخلية . وكان هذا معناه استنزاف القدرة الاقتصادية المصرية بشكل عام ، وعرقلة تراكم الفائض ، ذلك التراكم الذي لابد منه لنمو القوى الانتاجية نموا يسمح بالانتقال الحاسم الى طور اجتماعي جديد .

ونرى في هذا الاستنزاف سببا اضافيا لضعف البوادر الاقطاعية التي تسبب عنها تأثير العلاقات النقدية والتبادل التجاري الهليني على الاقتصاد المصري .

ان العصر الهليني بالنسبة لمصر اذن ، عصر مورس فيه العنف عليها من الخارج بشكل أساسي ، على هيئة الاحتلال الاغريقي فالروماني والبيزنطي . كما يمكن اعتبار حروب البطالمة للسيطرة على تجارة البحر الابيض من جهة ، والثورات الداخلية ضد الحكم الاجنبي من جهة أخرى تبادلا للعنف بين مصر والخارج . وقد نجم عن هذا العنف بنوعيه أمران متناقضان :
أما الاول فهو تطوير الاقتصاد والمجتمع المصريين الى مشارف الاقطاع [دون المرور بالعبودية] .
والامر الثاني هو عرقلة هذا التطوير عرقلة كبيرة ، واضعاف جذوره ، وتطويع أشكاله للمناخ الاسيوي العام أي المناخ المصري الاساسي .
وكأن هذه النتيجة الثانية نوع من رد الفعل الدفاعي ، ومن المقاومة التلقائية البسيطة ازاء المحاولة التي تبذل لزراعة جسيمات اجنبية في الحياة المصرية قهرا .

(۲) تطور التكوين الاقتصادي الاجتماعي المصري

استطاعت مصر الهلينية — وخاصة مدينة الاسكندرية — أن تلعب دورا هاما في تجارة البحر الابيض . ولا يعود هذا أساسا الى القدرة الخاصة لبعض الاقليات الاثنية [الاغريق — اليهود — التجار والماليون الرومان] ، بقدر ما يعود الى التطور الذي طرأ على التكوين الاقتصادي الاجتماعي المصري .

أ — نمو القوى الانتاجية

ان هذا النمو هو العنصر الاول والمحرك للتطور .
وقد عنى البطالمة والرومان بادخال التحسينات التقنية ، وخاصة في مجال الزراعة بغية الحصول على أكبر عائد ممكن من مصر [٤] لزيادة الصادرات . واستهدف البطالمة من هذه العملية بشكل خاص أن يزيدوا من ورود الذهب والفضة مقابل البضائع التي يتاجرون فيها .
وقد شدد خلفاء الاسكندر في مصر القبضة

---

[۳] Prince Omar TOUSSOUN : «Mémoire sur les finances de l'Egypte» — Le Caire — Institut Français d'Archéologie — 1924 — pp. 49 et pass.
والمبالغ المذكورة للضرائب مقدرة بأسعار عام ۱۹۲٤ .

[٤] M. ROSTOVTZEFF : «The social and economic history of the hellenistic world» — Vol. 1, Oxford, Clarendon — 1959 — p. 272.

الادارية على البلاد ، واهتموا بالسيطرة على الامن الداخلي [أى اخضاع الفلاحين لارادتهم]. وادخلوا نظما جديدة فى الزراعة والرى واستصلاح الاراضى . وشجعوا الصناعة [٥] بوسائل سنعود اليها فيما بعد . وفى الجملة فقد وقعت تنمية القوى الانتاجية المصرية بطريقة مقصودة ومخططة نسبيا ، وتحت الاشراف المركزى . اى فى اطار طبيعة التكوين الاسيوى نفسه وباستعمال اساليبه جنبا الى جنب الاساليب الاخرى [وخاصة منهج النمو التلقائى المنبثق من الملكية الفردية والتجارة النقدية] . ولكن تقديرنا أن الاحتفاظ بالاطارات الاسيوية التى تحرك داخلها حكام مصر الهلينية كان من ضمن الاسباب التى ضيقت على محاولة التطوير نفسها ، وجعلتها مرضة للضعف السريع فيما بعد .

وكذلك استطاع « السلام الرومانى » القاهر فى مصر أن يوجد فيها ازدهارا اقتصاديا فى أول الامر ، طالما كانت أسعار القمح المصرى ترتفع فى الإسواق بشكل مستقر .

وادخل النظام البطلمى اهم تطور فى الادوات الزراعية المصرية فى ذلك العصر ، ونعنى استعمال الحديد . ففى حين أن الادوات اليدوية المستعملة فى زمن الفراعنة كانت خشبية أساسا ، تحولت الى المعدنية فى القرن الثالث ق. م. فأصبح للمحراث سلاح حديدى ،وكذلك الفأس والمنجل والجروف والبلطة . وانتشر الحديد أيضا فى صناعة أجزاء من العربة وخاصة العجلات . فكان هذا بمثابة ثورة تكنولوجية عميقة .

واستعملت الزراعة البطلمية أساليب جديدة فى الرى ، منها الساقية والطنبور ، بعد أن كان الشادوف هو المستعمل فقط . وانتشرت وسائل متقدمة فى البذار ، وظهر النورج . وتبين النقوش أن انتاج الزيت والنبيذ أصبح يتم بواسطة المكابس ذات المحاور ، وان بعض المطاحن تعمل بفعل المياه .

وبهذه الطرق حصل البطالمة على محصولين بل وأحيانا ثلاثة محاصيل فى السنة الواحدة ، معتمدين على الرى الصناعى . وادخلوا زراعة الحمص والبازلاء والترمس والبرسيم ، وانواعا جديدة من القمح . كما انتشرت فى العهد البطلمى بعض الزراعات التى كانت محدودة من قبل مثل الزيتون والخروع والعنب والثوم والكرمب اليونانيين والتين والسفرجل والرمان ، ثم التفاح والمشمش واللوز بل والفسدق فى الفترات المتأخرة وكذلك الورد وزهور أخرى التى تستخرج منها الروائح والاطياب . واستوردت مصر السلالات الجيدة من الاغنام بهدف تحسين الصوف ، ومن الحمير . ويبدو أن الجمل قد بدأ يتاقلم فى مصر لاول مرة . وكذلك انتشر النحل وزادت تربية الخنازير . وقدمت الدولة المساعدات لبعض أصحاب المزارع والمستأجرين باقامة نظام خاص لاقراض البذور [٦] .

وفى ظل الرومان استحدثت انواع متقدمة من السواقى ، ودخلت ماكينة الدراس مصر لاول مرة [٧] . واستطاع الامبراطور «أوريليان» أن يزيد الخبز الموزع على معدمى روما رغيفا لكل فرد بفضل ارتفاع الانتاج الزراعى المصرى . ويلاحظ هنا أيضا أن قادة جيش الاحتلال قاموا بتشغيل جنودهم فى صيانة شبكة الرى المصرى، أى ان جانبا من التقدم الذى احرزته مصر حينذاك يعود الى قيام الدولة بالدور الاقتصادى الذى يستلزمه النمط الاسيوى . ولكن الجانب الاخر — وخاصة زراعة العنب والزيتون — يعود الى الاعتماد على الاساليب المستثمرة للاموال النقدية والى استغلال التربة المصرية الخصبة بوسائل أعلى علميا .

وادخل الرومان فى مصر زراعة القطن والارز وقصب السكر ، مما ترتب عليه انخفاض فى المساحة المنزرعة قمحا . وازدادت أهمية الذرة [٨] . وصدرت الاوامر للعديد من كبار الموظفين تكلفهم باستصلاح الاراضى البور المملوكة للتاج الامبراطورى [الى جانب وظائفهم الاصلية]. وكان البطالمة من قبل قد بدأوا يقطعون على محاسيبهم وكبار رجال البلاط ارضا بورا أيضا ، ثم تحولوا فى القرن الثانى ق. م. الى منح الاراضى التى كانت خصبة وهجرها زراعها.

---

[٥] هـ . ايدرس بل : « مصر من الاسكندر الاكبر حتى الفتح العربى »تعريب الدكتور عبد اللطيف احمد على — القاهرة — دار النهضة العربية —١٩٦٨ — ص ٧٤ .

[٦] انظر — P. JOUQUET : «L'Egypte Ptolémaïque» — (Dans Hanotaux, ed.) — Paris — Plon — 1931 — Tome III, — p. 161

[٧] V. CHAPOT : «L'Egypte romaine» — (Dans ditto), p. 310.

[٨] J. G. MILNE : «A history of Egypt under Roman rule», London — Methuen & Co. — 1924, pp. 255/256

وأما فى الميدان الصناعى ؟ فيبدو أن اسكندر الاكبر الغى الاحتكار الحكومى الذى كان منتشرا أيام الفراعنة فى معظم الحرف . وكان هـذا الموقف يفيد المصالح التجاريـة اليونانية ، اذ هبطت أسعار المنتجات المصرية فى الاسـواق الخارجية ، كما أصبح أصحاب الورش الاغريق فى الاسكندرية يستطيعون تشغيل العمال المهرة المصريين الذين تحرروا من سيطرة الدولة . ولكن احتيـاج الخزينة الملكية البطلمية الى الامـوال المتزايدة للصرف على الحروب والمرتزقـة دفع بالبطالمة بعد ذلك الى العودة الى فرض الاحتكار فى العديد من الصناعات الحرفية .

وعلى كل ، فتدنمت فى مصر البطلمية صناعة النسيج للقطن والحرير والكتان ، وكذلك الصوف لاتمشة الملابس والستائر والسجاجيد . وكذلك اشتهرت الاسكندرية بالصناعات الغذائية وخاصة الجبرى والفلفل والخل والسمك الملح واللحوم المدخنة والحلويات والورق [٩] وازدهرت فنون صياغة المعادن النفيسة وطرق البرونز ، والروائح العطرية ، وانتشرت الورش على أراضى المعابد ، وفى عزب كبار رجال البلاط . ولقد كان الاغريق يميلون فى أول الامر الى تشغيل العبيد فى الصناعات الحرفية ، ولكن أجور العمال المصريين الاحرار كانت أزهد من أن ينافسهم العمل العبودى [١٠] وأصبحت المنتجات المصرية المصنوعة مصـدرا للتجارة الرابحة .

وقد تفوقت صناعة الزجاج المصرى فى العهد الرومانى خاصة بفضل اكتشاف طريقة النفخ . واستمر نمو الصناعة الحرفية فى المدن الاغريقية خصوصـا ، ممـا اتى بالثروات الكبيرة لتجار الاسكندرية بالذات فى الفترة الاولى .

وأخيرا ، فيجب أن نذكر التقدم الذى أحرزته العلوم فى الاسكندرية ضمن نمو القوى الانتاجية . ففى ظل البطالمة تقدمت علوم الهندسة والميكانيكا والفلك والجغرافيا ، وتم تقسـيم الدائرة الى ٣٦٠ درجة . وفى الطب استطاع العلماء تحديد دور الاعصاب والاستفادة من ملاحظة النبض . وكذلك تقدم الطب العلمى فى الاسكندرية الرومانية بفضل تشريح الحيوانات وبداية ظهور الاساليب المتخصصة فى الجراحة والكى .

ب ــ نمو الاقتصاد النقدى والسلعى

دفع التقدم الذى أحرزته القوى الانتاجيـة بأنماط جنينية ــ كانت موجودة من قبل ــ الى التطور والنمو . ففى مصر الفرعونية كان الانتاج يتم أساسا للاستهلاك المحلى والاكتفاء الذاتى ، وكانت التبادلات الرئيسية تجرى على حدود البلاد وكمقايضات عينية يسـتعمل فيها **الرمز** النقدى أى لا تتبادل العملة بل تفيد كمقياس خيالى للقيمة ، أما فى العهد الهلينى ، فقد أصبح الانتاج السلعى ــ أى الانتاج الذى يتم بقصد التبادل ــ يحتل مركزا واضحا ، ويصب فى المـدن الاغريقيـة [وخاصة الاسكندرية] . وتجرى التجارة فى المنتجات بمبادلتها بالعملة فعلا . وفى هذه الحالة كانت العملة تلعب دور التجسيد للقيمة التبادلية فى السلعة .

● **وقد خرج جزء من الانتاج الزراعى والحرفى من دائرة الاكتفاء الذاتى الى دورة السوق الداخلى والخارجى.** فتلك المزارع الواسعة التى تخصصت مثلا فى الكروم والزيتون كان لها محصول اكبر من أن يستوعبه استهلاك القرية التى بجانبها . وكان لابد من أن يتحول النبيذ والزيت الى سلع توزع فى الاسواق الداخلية [وخاصة بالمـدن الاغريقية المصرية مثل الاسـكندرية ونقراتيس الخ] وتصدر الى تجار البحر الابيض . وكذلك الخضروات الجديدة التى دخلت فى ذلك العصر كانت تغـذى أسـاسـا المدن الاقليمية الكبيرة والاسكندرية .

ومن الناحية الاخرى ، فحرفيو القرى الذين باتوا يصنعون الاسلحـة الحـديدية للادوات الزراعية مثلا لم يكونوا يعتمدون على الخامات الفلزية المستخرجة من منجم صغير قربهم ، بل على مواد نصف مشغولة تستورد من سوريـا وغيرهـا ، ثم يجـرى تحويلها فى دورة أولى بالورش الكبيرة بالاسكندرية ومراكز الاقاليم قبل أن تباع لهؤلاء الحرفيين الريفيين لكى يجروا عليها الدورة النهائية من التصنيع .

وتنطبق نفس القاعدة على المنسوجات الكتانية والروائح المستخرجة من الزهور ، وعسل النحل ، وصوف الاغنام ، وحيوانات التسمين ، أى أن التقدم الذى أحرزته القوى الانتاجيـة زاد من نسبة العمل الفائض الى العمل الضرورى ، واوجد كميات من الخيرات الخام أو المحولـة صناعيا أكبر من قدرة كل قرية على استهلاكها

[٩] P. JOUGUET : «L'impérialisme macédonien et l'hellénisation de l'Orient». — Paris — Albin Michel — 1937 — pp. 316 et pass.

[١٠] P. JOUGUET : «L'Egypte ptolémaique» — Op. cit. p. 100

المباشر . وفى الوقت نفسه ؟ فقد صاحب قيام الحكم البطلمى ، ثم الرومانى والبيزنطى — وجود طبقة حاكمة ذات نمط استهلاكى معتمد على السوق ، وذات نشاط تجارى وصناعى أى نشاط معتمد على السوق ايضا ، الخارجى والداخلى . وبهذا توافر الشرطان الضروريان لتحويل جانب من المنتجات الى سلع اى انتاج أوسع من الاستهلاك المحلى وأسواق أخرى قادرة على استيعاب الفائض .

وهنا تجدر الملاحظة ان ذلك التحول السلعى أصاب جزءا من انتاج البلاد وليس كله . فاذا كان جزء من القمح يذهب الى المستهلكين الاغريق فى مصر أو يصدر ، فالجانب الاكبر منه كان يستهلك فى مكان انتاجه أى فى القرية نفسها . ولم تمثل حدائق الكروم والزيتون والزهور والخضروات الخ الا جزءا أيضا من الاراضى الزراعية ، وخاصة تلك التى منح حق الانتفاع بها الى كبار القوم . أما الارض المملوكة للتاج، فكانت أغلبيتها الكبرى تزرع قمحا وهو الغذاء الاساسى للفلاحين . أى أن ذلك التطور للانتاج السلعى الذى ابرزناه سابقا لم يلغ الاكتفاء الذاتى الذى بقى أساس الاقتصاد المصرى ، وان كانت اصبحت له حدود ضيقت من مجاله وشموله .

● **واتسعت التجارة الخارجية بشكل اساسى فى هذه الفترة** ، وذلك تنفيذا لخطة البطالمة القائلة بأن المحافظة على استقلال مصر وسيطرتهم عليها لن تتحققا الا بتفوقهم التجارى فى شرقى البحر الابيض ، كما سبق الاشارة اليه . ومن الطبيعى أن التجارة الواسعة التى ازدهرت فى هذه الفترة كانت تستورد البضائع اللازمة لاستهلاك الطبقة الحاكمة من المحتلين المقدونيين والبلاط الاغريقى والاغنياء من الاثنيات الاجنبية أساسا . ولم تكن تلك التجارة الخارجية تعنى بالاحتياجات الاساسية للكادحين المصريين .

وقد توسعت العلاقات التجارية الى أبعد من المنطقة المحيطة بمصر مباشرة فى القرنين الثانى والاول ق. م. فقامت تجارة بين مصر والصين [فى ظل أسرة « هان »] . واكتشف الربان هيبالوس الرياح الموسمية التى مكنت السفن التجارية البطلمية من الابحار الى الهند دون توقف . واتخذت الجزر الواقعة قرب الشاطىء الجنوبى للجزيرة العربية مراكز لتخزين البضائع .

وكذلك باتت البطالمة يمدون تجارتهم الى الشاطىء الافريقى الشرقى لاستجلاب العطارة والبخور والطيب [١١] . وكانت السيطرة البطلمية على سوريا وفلسطين — كما قلنا — تأتى لهم بالاخشاب والمعادن والزيت والاقمشة والرقيق ومختلف أنواع الفاكهة والجبن .

وكانت الاسكندرية تصدر بالمقابل القمح والاقمشة الرفيعة المصنوعة من الكتان ، والاوانى الزجاجية والالبسطر وغيره من مختلف الاحجار . وكانت مركزا لتجارة عابرة نشيطة . وكان نظام المقايضة العينية سائدا فى العلاقات مع البلاد المتصلة بمصر عن طريق البحر الاحمر ، ولكن استعمال العملة كان امرا سائدا وعاما فى المبادلات الجارية بالحوض الشرقى للبحر الابيض . ورغب الملوك البطالمة فى المزيد من النقود ، لا ليصرفوا على اسطولهم العظيم وجيشهم المرتزق فقط ، بل لاعتبارهم اكتنازها ضمانا لمركزهم المسيطر أيضا .

وبعد أن اخمد الرومان لهيب الثورة الشعبية ضد جباتهم فى طيبة ، التفتوا هم الاخرين الى تأمين سبل التجارة الخارجية . فطهروا البحر الابيض من القراصنة ، ومهدوا طرقا جديدة توصل الى شاطىء البحر الاحمر ، واحتلوا ميناء عدن فى أوائل القرن الاول الميلادى . فازدهرت التجارة بين مصر والهند، ولكن اتجاهها وموضوعها تغيرا : فبعد أن كانت تتم مع الهند الجنوبية لشراء السلع الكمالية ذهبا ، أصبحت تستجلب من الهند الشمالية القطن والمواد الخام الاخرى وتسدد ثمنها سلعا . وفى الفترة كان التجار السكندريون يسيطرون على تلك التجارة ، ومدينتهم المركز الاكبر للتبادل فى العالم القديم .

وكان من الطبيعى أن يؤثر هذا النشاط التجارى الخارجى بدوره على الاقتصاد الداخلى . ولذلك انتشرت فى العهد البيزنطى الاسواق السنوية [ذات المناسبات الدينية] والاسبوعية فى القرى المصرية حيث بدأت المنتجات الزراعية تباع نقدا[١٢] . ونظن أن اليهود لعبوا دورا كبيرا فى تسريب التبادلات التجارية النقدية المنتظمة الى الريف المصرى ، اذ انهم كانوا اكبر عددا [مليون فرد] من الاغريق فى العهد الرومانى ، واوسع انتشارا فى القرى . كما أن نسبة كبيرة منهم

---

[١١] P. JOUGUET : «L'impérialisme macédonien.» Op. cit. pp. 331/332

[١٢] H. MUNIER : «L'Egypte byzantine» — (Dans «Précis de l'Histoire d'Egypte») — Tome II — Le Caire — Institut Français d'Archéologie — 1932 — p. 82 .

كانت تنتمى الى طبقات اجتماعية اقرب الى المنتج المباشر . وقد اشار ماركس الى دور الوسطاء فى تغيير الهيكل الداخلى للانتاج ، فقال :

« ان التداول البسيط ، الذى هو التبادل البسيط بين السلعة والنقود ... يمكن أن يوجد تاريخيا لانه ــ بالدقة ــ ليس الا حركة وسيطة بين نقطتين سبق تحديدهما من قبل ، ودون أن تكون القيمة التبادلية قداستولت على انتاج احد الشعوب فى اتساعه كله أو الى أعماقه . اما اذا تكرر ظهور الوسطاء الذين يدفعون الى التبادل [اللومبارديون والنورمانديون الخ] ، ونمت علاقة مستمرة يمارس فيها المنتجون تجارة قد نسميها سلبية ، فسوف يأتى الدافع الى ذلك النشاط التبادلى من الخارج وليس من الهيكل الداخلى للانتاج . وفى هذه الحالة لن يمكن أن يكون فائض الانتاج بعد ظاهرة عفوية تقع صدفة ، بل لابد من أن تتكرر باستمرار . وبهذا الشكل يميل المنتج [بفتح الباء ــ المترجم] نفسه الى الاتجاه نحو التداول ، والى ايجاد القيم التبادلية » [١٣] .

● **وانتشرت المعاملات النقدية** : وكان الاسكندر قد دفع بها دفعة أولى عظيمة بأن القى بالمعادن النفيسة المكتنزة بالقصور الاسيوية فى حركة التداول الواسع . ولم يكن من الممكن أن توثق مصر البطلمية علاقاتها الاقتصادية بالعالم اليونانى دون أن تكثر من استعمال النقود المنتشرة فيه منذ زمن بعيد . وفعلا وصلت هذه العلاقة الى الدرجة أن النقود المصرية التى سكوها تدوولت فى البحر الابيض كله .

وكان ملوك العصر الصاوى من قبل قد استعملوا عملات ذهبية أجنبية غالبا لدفع رواتب المرتزقة اليونانيين . وحصل الفرس بعدهم على جزء من جزية مصر نقدا . ولكن مصر ظلت مع ذلك بلد الاقتصاد الطبيعى أساسا . واستمرت كذلك فى ظل البطالمة ، اذ كانت الضريبة على الاراضى المنزرعة حبوبا تجبى عينا، وكذلك العديد من الضرائب والرسوم وغيرهما . الا ان ضرائب أخرى كانت تجبى نقدا ، ومنها تلك المفروضة على مزراع الزيتون والعنب ، وعلى بعض الصناعات الحرفية . ولذلك اقام البطالمة فى مختلف الاقاليم والمراكز الادارية ــ بل والعديد من القرى ــ مكاتب مصرفية تجمع بين وظائف خزينة الدولة والبنك ، أى تودع فيها حصيلة الضريبة النقدية ، وتتعامل فى الودائع ايضا . وهكذا وجد نظام مصرفى متشابك يغطى مساحات كبيرة من داخلية البلاد الى جانب سلسلة الشون الحكومية التى تخزن فيها حصيلة الضريبة العينية . واعتمدت الادارة البطلمية أساسا على العناصر الاغريقية للاشراف على تلك المراكز المصرفية او للبنوك الحكومية [١٤] . واحتفظ الرومان بهذا النظام ، ولكن التعامل النقدى زاد فى ظل احتلالهم . ومما يدل عليه أن أفرادا عديدين اقاموا فى العهد الرومانى بنوكا خاصة جنبا الى جنب البنوك الحكومية .

وثمة عامل اضافى ساهم فى نشر المعاملات النقدية ، وهو أن البطالمة ادخلوا فى مصر نظام تأجير حصيلة الضرائب النقدية ، وهو الذى سمى بنظام « القبالة » فى عصر الولاة العرب والالتزام فى العهد العثمانى . وكان البطالمة قد نقلوه من اليونان واعتمدوا عليه ليضمنوا الجباية الكاملة لرسوم معينة . فكانت الضريبة المحددة تعرض فى مزاد علنى كل عام وترسو على من يتقدم بأعلى عطاء . وكان الملتزمون يخضعون للرقابة الحكومية المحكمة حفظا على مصالح التاج . أما أغلب الضرائب العينية ــ وخاصة على الاراضى المنزرعة غلالا ــ فكانت تجمع بواسطة الجباة الحكوميين مباشرة وتودع فى الشون الحكومية .

وبهذا الشكل تمكن البطالمة من جمع أموال عظيمة سائلة ، فأصبحوا مصرفيى [بنكير] العالم القديم كله .

ورغم أن الرومان لجأوا الى أساليب أخرى لجمع الضرائب ــ وخاصة المباشرة منها ــ الا أن نظمهم هى الاخرى شجعت انتشار التعاملات النقدية . ومنها أنهم وضعوا تعريفة للضريبة العقارية تختلف مع نوع المحصول المزروع ، وخيروا المزارعين بين تسديد الضريبة عينا أو نقدا . وكذلك نجدهم فى بداية عهدهم يلغون الاحتكار الحكومى الذى كان البطالمة قد فرضوه على اغلب أنواع التجارة الداخلية ، ويرفعون الحواجز الجمركية بالنسبة للتعامل مع روما ، مما فتح السوق الداخلى المصرى أمام أصحاب

---

[١٣] K. MARX — «Fragments de la version originale» (Dans «Contribution...» Op. cit.), p. 229.

[١٤] « ايدرس بل — المصدر المذكور — ص ٦٥ » .

الاراضى [« الاواتى »] والتجــار وأصــحاب الورش الصناعية والمقاولين من الاغريق والرومان خاصة .

وفى ظل الحكم الرومانى نجد عددا من هؤلاء للمستثمرين يؤسسون معا شركات تقوم بتشغيل الورش اليدوية الواسعة . ويعمل فى بعضها العبيد احيانا قليلة ، وعمــال أحرار فى معظم الاحوال [١٥] . وكذلك نفذ الحــكام الرومان كثيرا من اعمال الرى واستصلاح الاراضى عن طريق المقاولين الذين يستأجرون عمالا . ويبدو أن السخرة لم تلعب دورا هاما فى مثل هذه الاحوال . كما أن أفرادا من الطبقة الحاكمة منحوا اراضى بورا بشرط استزراعها ، الامر الذى كان يتم بالعمل المأجور . واذا كان العمال القليلون فى المجتمع الفرعونى يتلقون راتبا عينيا ، فنجد عددهم قد زاد وأجورهم اصبحت نقدية فى ظل الحكم الرومانى . ونلاحظ أن الرومان خففوا من القيود التى كانت تربط الحرفى باقليمه ، فأصبح تنقله من مدينة الى أخرى أسهل . كمـــا أن الازمات النقدية الشديدة التى وقعت فى ذلك العهد اثرت على الاجور الاسمية للعمال فأخذت ترتفع [١٦] .

ولعب المرابون فى العهد الرومانى دورا كبيرا فى نشر التعامل النقدى أيضا . وكان يتولى هذا العمل فى الدلتا بعض الموظفين الكبار ومساعديهم . أما الصعيد فيبدو ان المــاليين الرومان كانوا قليلين فيه .

واقترن انتشــار المعــاملات النقــدية بظهور الازمات المرتبطة بالنقود . ففى ظل البطالة هبطت قيمة العملة المصرية الى الربع [عام ١٣٠ ق.م.] كما حدثت سلسلـــة من الازمـــات فى العهدين الرومانى والبيزنطى [الربع الاخير للقرن الثالث الميلادى ، القرن الرابع ، منتصف القرن السادس] وذلك لان الحكام لجأوا الى تزييف النقود وخفضوا وزن الذهب فيها سرا . وأصابت هذه الازمات أصحاب البنوك الخاصة ، فعادت مصر القهقرى فى الاقتصاد الطبيعى الى درجة كبيرة اى الى المقايضة العينية القديمة . كما انكمشت الحركة التجارية والمصرفية والصناعية فى الأسكندرية ومدن الاقاليم الرئيسية . وكانت هذه الظاهرة بارزة قبل الفتح الاسلامى بشكل خاص . ومع ذلك فقد بقيت للتعامل النقدى جذور قوية لاحظها الفاتحون العرب فى منتصف القرن السابع [١٧]

ولابد من أن نلاحظ هنا أن انتشار التعامل النقدى لا يعنى بالضرورة ظهور النظام الرأسمالى طالما لم تصبح قوة العمل نفسها سلعة كميزة أساسية فى الاقتصاد . ويقول ماركس فى هذا الصدد :

« ان مجرد وجود الثروة النقدية ، بل وحتى سيطرتها على شىء من مركز السيادة ، لا يكفى لان **ينجم الرأسمال عن هـــذا التحلل** [١٨] . ولو كان هذا واقعا ، لكانت روما وبيزنطة الخ قد ختمتا تاريخهما بالعمل الحر ورأس المال . فهناك ارتبط أيضا تحلل العلاقات القديمة للملكية بتطور الثروة النقدية — والزراعـــة الخ . ومع ذلك فالواقع أن نتيجة هذا التحلل لم تكن الصناعة بل سيادة الريف على المدينة » [١٩] .

● **واتسعت الحيازة الفـــردية للارض** على أسس أرسخ من المحاولات المتكررة السابقة . اذ كان يسندها هذه المرة وجود فائض عمل أكبر من ذى قبل بفضل نمو القوى الانتاجية . كما أن اتساع التجارة الخارجية وتطور الداخلية عن الاطوار الجنينية كانا يقدمان امكانيات أوسع لكى يستولى الافراد على الفــائض بغية مبادلته . واخيرا ، فان انتشار استعمال النقود قدم فرصة لتحويل ناتج المبادلة لا الى بضائع تتلف عندما تخزن مدة طويلة بل الى ثروات معدنية تتحمل التخزين الطويل ويمكن أن يلقى بها فى حركة التداول مرة ثانية فى أية لحظة .

وتثبت البرديات أن المنازل وبساتين الكروم والفاكهة كانت حيازة للافراد منذ الفترة البطلمية الاولى . وكذلك كانت توجد بعض المساحات من الاراضى المزروعة غلالا فى مصر العليا التى كانت تباع وتشترى وترهن وتوهب للاقارب دون قيود . والاغلب أن هذه الاوضـــاع كانت تركة للعهد

---

[١٥] P. JOUGUET : «L'Egypte gréco-romaine» — (Dans «Précis...» — Op. cit). T.I, p. 374.

[١٦] J. G. MILNE : Op. cit. — pp. 257 et pass.

[١٧] يلاحظ أن اسم «الدينار» للمعلقايانى من الاســم اللاتينى «ديناريوس» Denarius وهو اسم العملة الذهبية الجارية فى بيزنطة .

[١٨] يقصد تحلل الاقتصاد الطبيعى .

[١٩] K. MARX : «Pre-capitalist economic formations» — London — Lawrence & Wishart — 1964 — p. 110.

الصاوى ولفترة الاحتلال الفارسى الذى سبق فتح الاسكندر . غير ان البطالمة شجعوا الحيازة الفردية للارض تشجيعا ، اذ باعوا ارضا حكومية بورا لكبار الموظفين ورجال البلاط بشرط استزراعها عنبا وزيتونا ، وبمقتضى عقود ايجار طويلة او عقود وراثية . وكان هدفهم من ذلك ايجاد طبقة تضمن املاكها ولاءها للتاج وكفاءة خدماتها له . وفى الوقت نفسه كان يحق للدولة مصادرة تلك الارض اذا أهمل صاحبها زراعتها واستغلالها [٢٠] . فملكية الرقبة كانت تظل للدولة ، اى ان تلك الملكية كانت باقية فى اطار النمط الاسيوى.ولكن النتيجة على أى حال كانت أن العديد من التجار الاغنياء الاغريق والاجانب غيرهم اشتروا ارضا لزراعتها زراعة سلعية ولتسمين حيوان الذبيح عليها ، وتربية نحل العسل . وبهذا الشكل تم استصلاح مساحات كبيرة فى منطقة الفيوم بشكل خاص . وكانت الدولة تقدم القروض لشراء البذور والصرف على العمالة .

وعلاوة على ذلك ، فقد منح البطالمة ايضا حق الانتفاع الفردى بالارض لعدد ضخم من الجنود المرتزقة ، وخاصة الاغريق . وكان هدفهم من ذلك ان يكونوا مستعمرات عسكرية فى داخلية البلاد تثبت اقدام المرتزقة فيها ، وتضمن المحافظة على السيطرة البطلمية . وكانت هذه الحيازات الزراعية تنتقل للورثة بشرط ادائهم الخدمة العسكرية للدولة التى كانت فى الوقت نفسه تمارس سلطتها فى مراجعة حقوق هؤلاء الورثة وقدرتهم على احلالهم محل المتوفى فى استثمار الحيازة . فكانت الارض توضع تحت الحراسة الى أن تحسم الدولة موقفها منهم [٢١] .

أما الجنود المصريون الذين خدموا فى الفيالق المساعدة للجيش البطلمى ، فقد تمتعوا ايضا بامتياز الحصول على حيازات زراعية فردية ، وان كانت المساحة فى هذه الحالة اقل من تلك التى كانت تمنح للمرتزقة الاجانب . غير ان العملية ذاتها كانت بداية لاخراج بعض المزارعين المصريين الصغار من نطاق المشترك القروى، وتحويلهم الى منتجين فرديين تعاملهم الدولة كافراد لا كجزئيات نكرة من مجموع مستعبد .

والملاحظ أن الذين حصلوا على حق الانتفاع بالاراضى الواسعة ــ هم وورثتهم ــ كانوا من الاغريق والمحاسيب والمرتزقة الاجانب وكبار الموظفين الرومان بعد ذلك . ويبدو انهم حصلوا من الدولة فى الوقت نفسه على **السلطات الادارية** على اراضيهم ، الامر الذى تحول بعد ذلك الى النبتات الاولى للاقطاع فى أواخر الحكم البيزنطى .

ومع ذلك ، ففى العهد البطلمى وبعده ، لم يكن المالك الكبير سيدا على أرضه ومن عليها من الفلاحين . فلم يكن يحق له القضاء بينهم ، كما أن الارض كانت تعود شرعا الى الدولة عند وفاته [٢٢] وكانت تسمى الارض التى « **يتخلى الملك عن ادارتها** » [لا رقبتها] لغيره . وكانت ضياع المعابد تنتمى الى هذا النوع ، برغم أن البطالمة تولوا ادارتها عن طريق موظفين خاصين . وعلى أى حال ، فكانت الدولة تتلقى من هؤلاء المنتفعين الفرديين ــ كبارا وصغارا ــ ريعا سنويا عن تلك الارض ، مما كان يثبت باستمرار حق الدولة فى الولاية على الارض الزراعية كلها .

وقد وصل بعض كبار المنتفعين بالارض الى حالة عجيبة من الثراء الواسع . فهذا «أبولونيوس» وزير المالية لبطليموس الثانى [حوالى ٢٥٠ق.م] يزرع أرضا واسعة فى الفيوم حيث يحيط نفسه بخدم وحشم لا يحصى ، ومنهم الاطباء الخصوصيون وعازفو القيثارة والراقصون ، غير الفلاحين والعبيد . وهو يملك فى الوقت نفسه شركات للنقل البحرى والشركات الزراعية والتجارية ، فيسكن مديروها فى قصره ومعهم كتبتهم ومحاسبوهم وموظفوهم الاخرون [٢٣] .

وازداد عدد أمثال هؤلاء مع مرور الزمن فى هذه الفترة ، واشتدت نزعتهم الى الملكية الفردية الكاملة ، وتفكك أمام ضغطهم نظام الاقتصاد الحكومى الذى بناه البطالمة والذى سيرد ذكره فيما بعد . فقدم الملوك تنازلات متتالية فى اتجاه تحرير المبادرة الفردية من رقابة الدولة وقبضتها .

ان الطبقة الحاكمة والمالكة الاغريقية والاجنبية لم تكن من الكادحين المنتجين ، فلم تكن مصلحتها تنطبق مع التقدم العام لوادى النيل. فاعتصارها المتزايد للشعب المصرى ، وانهيار المالية البطلمية بسبب كثرة الحروب المكلفة

---

[٢٠] H. ROSTOVTZEFF : «The social... hellenistic World». Op. cit. pp. 289/290.
[٢١] P. JOUGUET : «L'Egypte ptolémaïque» — Op. cit — pp. 87/88
[٢٢] P. JOUGUET : «L'Impérialisme...» — Op. cit. p. 383.
[٢٣] P. G. ELGOOD : «Les Ptolémées d'Egypte» — Paris — Payot — 1943 — pp. 81/82.

والثورات الداخلية — هذا كله أدى الى أن الركود بدا يخيم على الزراعة . وتحولت اراض خصبة واسعة الى مساحات بور وجافة هجرها فلاحوها والمنتفعون بها . فلما جاء الرومان ، اعلنت ادارتهم ان الارض المزروعة والخصبة ملك الامبراطور الخاص الذى استولى عليها . ثم بدا يمنح حق الانتفاع بتلك الحيازات القابلة للزراعة والمهجورة لالاف من الموظفين الكبار واصحاب الاموال والتجار من الاغريق والرومان . واندفعت مرة اخرى عجلة التطور ، فعادت العزب الكبيرة الى الظهور ، تعتمد على الوسائل الحديثة والعلمية للزراعة [٢٤] . وهكذا تم تطور تاريخى مرة اخرى شبيه بالسابق ، وان كان على مستوى اعلى بسبب التقدم العام للقوى الانتاجية .

وقد احتفظ الرومان ايضا بنظام الضريبة العينية على الاراضي المزروعة قمحا لكى يجمعوا منها الجزية السنوية الضخمة التي يتم بفضلها توزيع الخبز على معدمى مدينة روما . وكان هذا من العوامل المعرقلة لتطور الاقتصاد المصرى نحو الطبيعة السلعية الشاملة .

ومع ذلك فنجد التجار والماليين الاغريق والرومان فى الاسكندرية يستغلون تصاعد اسعار القمح ، فيضارب بعضهم بها ، ويشتغل البعض الاخر باستئجار الاراضى وايجارها من الباطن بشرط زراعتها غلة . وكانت الدولة تقدم لهم التسهيلات المختلفة [٢٥] . وكان هذا معناه ادخال الارض نفسها فى دائرة سوق السلع بصورة من الصور .

وترتب على السياسة الرومانية فى مجال الاقتصاد ان اتسع الانتفاع الفردى بالارض ، ثم الملكية الفردية لها اتساعا كبيرا منذ اوائل العهد البيزنطى . ويلاحظ المؤرخون ان ذكر الارض المملوكة للتاج اخذ يختفي بسرعة من السجلات المصرية فى تلك الفترة ، مما يدل على تحولها الى الحيازة الخاصة فى القرنين الثالث والرابع الميلاديين [٢٦] .

● **الطبقة المالكة الحاكمة : مغامرون وافاقون** . يصور العديد من المفكرين الغربيين — بل وبعض المثقفين المصريين — الحكم الاغريقى الرومانى فى مصر على أنه عهد النور الفكرى ، ويلقون اضواء رومانسية على حكامه بتصويرهم كفلاسفة يحلقون فوق الماديات . ويتعرض الكثير من المؤرخين لفتوحات الاسكندر باعتبارها استهدفت توحيد الشعوب تحت ظلال الفكر الاغريقى الرفيع . ويبدون أسفهم وتحسرهم على ان الذى انتصر فى نهاية الامر لم يكن هذا الفكر بل « التأثيرات المؤذية والضارة للمحيط الشرقى » [كذا !] [٢٧] ...

واذا كانت حقيقة ان الاسكندرية كانت مركزا للثقافة والفلسفة والعلوم فى هذه الفترة ، غير انها ايضا كانت اقرب الى مركز جذب لجمهرة هائلة من المهاجرين والطريدين والمنفيين الذين انتزعتهم الاضطرابات السياسية والحروب الاهلية والازمات الاقتصادية من اوطانهم ، والقت بهم اسرابا على ارض مصر بحثا عن المعيشة باية وسيلة . وكان الجيش البطلمى ثم الرومانى يقدم لبعضهم فرصة الارتزاق والاقتيات المتطفل على الفلاحين . كما ان التجارة والمضاربة بالمال والاشتغال بالربا الفاحش ، والالتزام بتحصيل الضرائب ، واستغلال الاحتكارات الحكومية الصناعية والتجارية الخ — هذه جميعا كانت تقدم للبعض الاخر امكانية جمع الثروة بقهر الكادحين واعتصارهم الى آخر قطرة دم في عروقهم . فنرى هؤلاء الاجانب قطعانا مفترسة تحط رحالها على الوادى وتمارس نشاطا محموما طماعا مستغلة التراث الاغريقى باستقلال المدن فى التخلص من القيود ورفض اى مبدأ سام سوى مثل اعلى واحد هو اقتناء الثروة باسرع ما يمكن .

وكون هؤلاء الطبقة الممتازة ، المعفاة من اغلب الضرائب ، والتى تتمتع بحق المواطنية . فى حين ان المصريين انفسهم لم يكونوا مواطنين بل « **مستسلمين** » ليست لهم اى حقوق . وكانت تلك الطبقة الحاكمة المالكة تتركز فى المدن الاغريقية مثل ارسينوى بالفيوم وهيرمابوليس واكسيرينخوس ونوقراتيس وبتوليمايس ، وخاصة الاسكندرية — حيث تعيش منعزلة عن سائر سكان مصر ، وتتكلم لغة غير لغتهم ،

---

[٢٤] M. ROSTOVTZEFF : «The Social and eco nomic history of the Roman Empire» — Oxford — Clarendon — 1957 — pp. 283/292.

[٢٥] A. C. JOHNSON : «Egypt and the Roman Empire» — Ann Arbor — University of Michigan Press — 1951 — p. 74.

[٢٦] A. C. JOHNSON : Ditto — pp. 76/78.

[٢٧] P. JOUGUET : «L'impérialisme...» — Op. cit. p. 373.

وتعبد غير ما يعبدون ؟ وتتباهى بتقاليد يرى فيها المصريون نجاسة وانحطاطا . فكانت هذه كلها عوامل زادت من عمق الهوة الفاصلة بين الحكام والمحكومين ، بين الدولة كجهاز قاهر والفلاحين المقهورين . وجعلت مصر تتخلص فى الفترة الاخيرة من معظم ذلك التاثير الهليني الذى مورس عليها عشرة قرون دون أن يتعدى سطحها كثيرا ».

جـ ـ نبتات لتكوين اقطاعى

لقد تلاقى نمو الانتاج السلعى والعلاقات النقدية التى أسسها حكم البطالة ، مع الهيكل الاقتصادى الاجتماعى الذى اتى به الرومان والمبنى على وجود ملكية الارض بصورة مزدوجة [الملكية المشتركة للدولة او المدينة مع الملكية الفردية للمواطن الرومانى] .ووقع هذا التلاقى على ارض مصر ذات التكوين الاقتصادى الاجتماعى الاسيوى . فنتج عنه ظهور النبتات الاولى لاقطاع من نوع خاص ، نراه **اقطاعا بيروقراطيا** .

ولم تتم هذه العملية بانتقال فجائى حاسم ؟ ولا بتطور منتظم سلس مترابط الحلقات ، بل من خلال عملية تاريخيةحيةتشكلها ضغوط اجتماعية وسياسية متناقضة وعلى مستويات مختلفة . فتحدث فى مسار تلك العملية الاخذ والعطاء بين تلك القوى ، والتقدم والتأخر ، والانعراج للتطور فى اتجاهات متباينة .

فسبقت الاشارة الى الاراضى التى كانت تقطع لكبار رجال الدولة والقادة العسكريين والجنود من المرتزقة الاجانب والمصريين فى ظل البطالة . وكانت الدولة تملك رقبة هذه الارض ـ كما تملك مصر باجمعها ومن عليها ـ من الناحية النظرية او الشرعية . ولكن القوى النازعة الى الملكية الفردية ـ وقد اشتد عودها كما رأينا ـ نجحتشيئا فشيئا فى تحقيق خطوة مهمة ، وهى ان تؤول تلك الاقطاعات الى الابن الاكبر عند وفاة رب الاسرة . وهكذا اصبح الانتفاع بالارض وراثيا مع مرور الوقت، واكتسب مظهر الامتلاك الخاص دون ان يعترف البطالة بانتقال ملكية الرقبة الى المنتفعين بها [٢٨] . وكان هذا ايضا مصير اراضى المعابد الواسعة . ومع ذلك ففى نهاية العهد البطلمى كانت ارض التاج مازالت تصل الى نصف المساحة المزروعة .

ثم جاء الحكم الرومانى . فاعتبر الامبراطور مصر ملكا خاصا بشخصه ، لا جزءا من الامبراطورية الرومانية . ووضع يده على ارض التاج البطلمى السابقة . وأوقف الرومان لفترة منح الارض للعسكريين والجنود . ولكنهم اعترفوا بالملكية الخاصة للاراضى التى كانت فى أيدى الافراد عند حضورهم ، وشجعوا انتشار هذه الملكية بين صفوف الطبقة الحاكمة من الاغريق ، باعتبارها ضمانا على قدرة اصحابها على اضطلاعهم بمسئولية ادارة البلاد وجباية ماتطلبه روما من ضرائب وجزية سنوية . وتمكن بعض أصحاب الاقطاعات من توسيع الرقعة الزراعية التى يملكونها بتقديم الرشاوى لكبار الموظفين الرومان وبالافلات من مختلف القوانين واللوائح ، وبتطويع التقاليدوالعلاقات الشخصية لمصلحتهم . كما انهم استفادوا من عودة السياسة الرومانية الى بيع اراضى التاج للمواطنين الرومان فى القرن الثالث الميلادى. وعندما قرر الرومان تحويل اللغة الرسمية من الاغريقية الى اللاتينية فى مصر [عام ٢٩٦ م]، كان من الطبيعى ان يتسع معه تطبيق الفكر القانونى الرومانى الذى يعترف بالملكية الفردية للارض ، مما أعطى أصحابها فى مصر مركزا أقوى .

وقام الامبراطور سفروس [١٩٣ ـ ٢١١م] بسلسلة من الاصلاحات القانونية والادارية تعتبر تنازلات هامة لملاك الاراضى الكبار . منها الاعتراف بحقوق المواطنية الرومانية للاثنيات الاجنبية التى ينتمون اليها ـ **ماعدا المصريين** ـ مما كان يعطيهم الحق الشرعى لملكية الارض، ومنها انه منح سكان المدن الاغريقية حق انتخاب مجلس شيوخ يتولى شئونها ، اى نوع من الحكم الذاتى لكل مدينة ، وهو الامر الذى أصاب مركزية الحكم والدولة واضعفها . واصبحت المناطق الريفية المحيطة بالمدن الاغريقية فى مصر تابعة لسيطرة تلك المجالس البلدية من الناحيتين الادارية والمالية بل والدينية ايضا الى درجة كبيرة .

وزادت الملكية الفردية للاراضى الزراعية فى الريف رسوخا ، اذ لم تعد تدفع الا الضريبة

(٢٨) هـ . ايدرس بل ـ نفس المصدر ـ ص ٦١ .

العقارية — دون الريع — علامة على انها انتقلت اصلا كمنحة من الدولة . ولكن هذه الارضيات تتوارث وتدار فى حرية تامة [٢٩] . الا ان اصحابها لا يقيمون فى الريف على اراضيهم ،بل فى المدن الاقليمية الكبيرة ، وفى الاسكندرية بشكل خاص : انهم ملاك غائبون متطفلون ، كما كان كبار المنتفعين فى العصور الفرعونية السابقة . وكأن النمط الاسيوى المصرى الاصيل ختم علاقاتهم بالارض بطابعه ، فجعلها مختلفة جد الاختلاف عن التقليد الرومانى المعروف ،وهو انيعيش المواطن الرومانى اساسا وسط مزرعته وعبيده .

ثم قدم الامبراطور ديوقليديانوس [٢٨٦ — ٣٠٥ م] تنازلات جديدة . وانزل ضربات اخرى بالهيكل الادارى للنمط الاسيوى ، اذ الغى التقسيم المصرى التقليدى الى اقاليم ، واوجد تقسيما اداريا ذا دوائر اوسع هى الابرشيات. وفصل بين السلطات الادارية والعسكرية .

وفى هذه الفترة قوى ساعد كبار الملاك الى الدرجة ان اعترف الحكم الرومانى لهم « **بحق الجباية الذاتية** » ، اى ان يجمعوا الضرائب المستحقة عليهم وعلى فلاحيهم بانفسهم ، ويسلموا حصيلتها لكبار المديرين الماليين فى الحكومة مباشرة دون المرور برقابة الجباة المحليين الكثيرى العدد . وحينذاك — وخاصة منذ القرن الرابع الميلادى — نمت ظاهرة جديدة هى نظام **الحماية** او الوصاية . اذ كان الفلاحون الاحرار الذين يزرعون الارض الملكية يتنازلون عنها للمالك الكبير مقابل حمايتهم من الجباة المحليين ، فيصبحون عملاء او **موالى** [*] لذلك المالك الذى يلقب بالسيد **الحامى** ، والذى يأخذ على عاتقه بالمقابل مسئولية دفع الضرائب . وتحول الفلاح الى مستأجر مربوط بالارض التى آلت الى غيره ، وشبيه بالقن الاقطاعى [٣٠]

وقد حاول الاباطرة البيزنطيون مقاومة نظام الحماية الذى كان يسرب أراضى التاج الى خارج أيادى الدولة ، ويبعد الفلاحين عن السيطرة الحكومية . فصدرت القوانين فى عامى ٣٦٠ و ٤١٦ التى تعاقب الحماة والفلاحين أيضا لانفصالهم عن المشترك القروى . وفى عام ٤١٥ صدر قانون يعترف بواقع الحماية قبيحا يتعلق بآثارها الماضية ويمنع تكرارها فى المستقبل . ولكن هذه القوانين لم تفد الا فى جعل التطور ابطأ بعض الشىء ، ولم تمنعه تماما .

وفيما بين ٤٦٠ و ٤٧٠ م اصبح كبار الملاك انفسهم هم حكام الاقاليم ورؤوس الدوائر الادارية الفرعية . وباتوا مكلفين ايضا بجباية الضرائب المستحقة على الفلاحين الاحرار الذين يزرعون الاراضى المحيطة بالمدن [٣١] . وفى القرن السادس الميلادى اصبح لملاك الضيع الكبيرة جيوش خاصة من المرتزقة [بعضهم من اصل جرمانى] ، ومحاكم وسجون تابعة لهم ، وشبكات للبريد ومحطات للخيل اللازمة له ، ومستشفيات ومصارف واساطيل من المراكب النيلية . ويعمل لديهم رهط كبير من الموظفين والكتبة والمحاسبين ، ويبسطون حمايتهم على اديرة كاملة ويوقفون عليها الاموال والعقارات. ويخضع لهم الفلاحون الموالى المرتبطون بالارض والذين لا يستطيعون مبارحتها .وهكذا شكل اصحاب الاراضى الكبيرة **نبالة** تتمتع باستقلال كبير من السلطة السياسية البيزنطية، وتسيطر على الفلاحين الذين اقتربت تبعيتهم لها من نظام القنانة .

ولكن هناك فوارق بين بذور هذا الاقطاع والاقطاع الاوروبى.والاول انتلك النبالة الاقطاعية المصرية كانت من اصل بيروقراطى فى معظمها، وظلت ايضا تمارس وظائف ادارية كبيرة لدى فروع الدولة البيزنطية حتى آخر مراحلها . والفرق الثانى ان ممتلكات افرادها كانت تتكون من اراض متناثرة فى شتى انحاء البلاد ، ولا تشكل معا منطقة واحدة او اقليما واحدا . والفرق الثالث ان اصحابها ملاك متغيبون يعيشون فى المدن لا على اراضيهم ، ويمارسون استغلالهم للفلاحين بواسطة هيئات بيروقراطية تابعة لهم . اى يشكلون صورة مصغرة للامبراطورية البيروقراطية التى هم جزء منها . واغلبيتهم الساحقة من الاغريق او المتأغرقين المعزولين عن الشعب المصرى انعزالا كاملا .

والفرق الرابع ان هناك جيشا حكوميا [٣٢] يتبع الامبراطور من خلال الحكام [دوقات]

---

[*] استعملنا هذا اللفظ العربى للدلالة على كلمة Client وان كان نظام الموالى القبلى فى الجزيرة العربية فى ذلك الوقت لم يطابق ما جرى فى مصر بالضبط .

[٢٩] P. JOUGUET : «L'Egypte gréco-romaine» — Op. cit. p. 349.

[٣٠] هايدرس بل — نفس المصدر — ص ١٧٨/١٧٩ .

[٣١] انظر — C. DIEHL : «L'Egypte chrétienne et byzantine» — (Dans Hanotaux, ed.) — T. 3 — pp. 455/456.

[٣٢] J. G. MILNE : Op. cit. p. 150.

للولايات المصرية الاربعة ، وان هذا الجيش له معسكرات فى جميع الانحاء ويتولى مهمة مزدوجة هى حماية البلاد من الغزو الخارجي وفرض السلام الداخلى — أى ضمان جباية الضرائب وحماية اصحاب الاراضى الكبار من ثورات الفلاحين عند استفحالها . وكذلك تكون مهمة ذلك الجيش المركزى أن يمنع هؤلاء الاقطاعيين من أن يتحولوا الى افراد مستقلين عن التاج البيزنطى استقلالا تاما ، وان يبقيهم جزءا لا يتجزأ من الهيكل الحاكم البيروقراطى للامبراطورية البيزنطية .

وعليه ، يمكن أن نسمى هذا الاقطاع **اقطاعا بيروقراطيا** . ونلاحظ انه يحمل سمات هى انعكاس التأثير « الاسيوى » على التطور الاقتصادى والاجتماعى المصرى فى هذه الفترة .

وقد جاءت الاصلاحات الادارية التى اجراها الامبراطور جستنيان [٥٥٤ م] معترفة بالامر الواقع ومسجلة له . فقسمت مصر الى ٤ ولايات متساوية المراكز تقريبا ، لكل ولاية حاكم يتبع الامبراطور مباشرة ومستقل عن الحاكم جاره . فقضت هذه الاجراءات على المركزية المصرية التقليدية تماما ، واصابت الهيكل السياسى والعسكرى المصرى بالضعف الشديد ... وفتحت الطريق واسعا أمام الغزوات الفارسية فى أوائل القرن السابع [٦١٦ — ٦٢٩ م] ثم امام الفتح العربى [٦٤١ م] .

وهنا يجدر بنا أن نبدى ملاحظتين :

الاولى ان ذلك النمط الجديد للعلاقات الاجتماعية — الاقطاع البيروقراطى — لم يكن قد وصل بعد الى الشمول والسيادة فى مصر البيزنطية عندما فتحها عمرو بن العاص . ولذلك أعتبرنا الظاهرة التى وصفناها باقتضاب — **نبتات** للاقطاع فقط . ونعتقد ان هناك من الادلة ما يثبت ان النمط الاسيوى كان ما يزال هو السائد والاساسى فى المجتمع المصرى فى العصر الهلينى ، رغم التطور الذى جرى فيه .

والملاحظة الثانية أن التطور الذى وقع فى التكوين الاقتصادى الاجتماعى المصرى فى العصر الهلينى يدحض تماما نظرية كارل فيتفوجل عن « الطغيان الشرقى » ، والقائلة بالثبات الأبدى للنمط الاسيوى . واذ كانت مصر تنتقل الى مشارف النظام الاقطاعى فى القرن السابع ، فقد حدث هذا الانتقال **دون المرور بالنظام العبودى** . ويثبت هذا بدوره ان مجتمعا ما — والمثال هنا يتعلق بمصر — يستطيع أن يتخطى مراحل معينة من التطور أو يقفز عبرها ، وانه ليس شرطا حتميا أن تمر جميع المجتمعات دون استثناء بذلك التسلسل التاريخى الخماسى للتطور الذى عرفته اوروبا الغربية [المشاعية فالعبودية ثم الاقطاع فالرأسمالية والاشتراكية] .

د — التدهور الختامى :

من المعروف ان النظام الاقطاعى ساد أوروبا الغربية نتيجة الانتصارات الساحقة التى احرزتها القبائل البربرية — وخاصة الجرمانية — على الامبراطورية الرومانية . وكانت تلك القبائل حينذاك فى اوج قوتها فى حين ان الازمات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية كانت تمزق النظام العبودى الرومانى .

أما بوادر النظام الاقطاعى البيروقراطى فى مصر ، فهى تظهر فى نهاية السيطرة البيزنطية ، وعندما يصيب الضعف والانهيار والضمور الاقتصاد المصرى كله ، بما فيه — بل وخاصة — اقسامه السلعية والنقدية الحاكمة . ولا تبدا تلك الطبقة الجديدة فى الظهور وهى تزداد قوة واندفاعا اى فى اتجاه تاريخى صاعد . بل تنبت وهى فى حالة شديدة من الهزال ، ولا تقوى على الاستمرار فى البقاء الا لوجود الجيش المحتل والقاهر للفلاحين . اضف الى ذلك ان هؤلاء الفلاحين انفسهم عجزوا عن قلب النظام رغم نضالاتهم ، الامر الذى وفر للطبقة الحاكمة الجديدة مناخا مناسبا خاصا . وكأن هناك أوضاعا معينة فى مصر معكوسة بالنسبة لاوروبا الغربية ... وفى تقديرنا ان هذا يرجع الى أن الهيكل العام المصرى — المبنى على النمط الاسيوى — اعطى للتناقض بين القوى الانتاجية وعلاقات الانتاج تلك السمات الخاصة التى يلحظها الدارس لهذا العصر التاريخى الهام . وهى سمات تضرب جذورها فى العصر الفرعونى الاسبق . واقصد أن ذلك التناقض عبر عن نفسه فى مصر فى التناقض بين قوى التوحيد المركزية — وهى الضمان الاساسى للانتاج بسبب انخفاض القوى الانتاجية — وبين قوى التمزق المعبرة عن النزعة الى الملكية الفردية ، وهى القوى الوحيدة [فى الوقت نفسه] القادرة على رفع القوى الانتاجية الى مستوى أعلى فى ذلك الوقت .

فقد قام النظام البطلمى بعد ان شهد الاقتصاد المصرى فترة طويلة من الانحطاط لان السيطرة الفارسية على مصر ، وقيام الامارات المستقلة بعضها عن بعض تسببا فى اهمال

الشبكة الصناعية للرى ، وفى وقوع التجارة الخارجية فى ايدى الاجانب من الاغريق والفنيقيين ، وفى احتكار الكهانة للصناعة الحرفية المصرية .

وبعد ان ازدهر النشاط الاقتصادى فى مصر البطلمية حتى بداية القرن الثانى ق ٠م٠ ،حدث ان هبط مركز مصر التجارى كما ذكرنا ، مما اضعف مقاومتها امام الغزوات السورية [١٦٩ — ١٦٨ ق٠م٠] وفتح المجال للمنازعات الشديدة بين افراد الاسرة المالكة ، وكذلك بين اجنحة الطبقة الحاكمة ، واوقع البلاد تحت الوصاية الرومانية .

وفى السنوات القليلة التى سبقت انتحار كليوباترا والاحتلال الرومانى لمصر ، كانت التجارة الخارجية والداخلية قد اصابها الركود، ونظام الرى فى حالة انهيار [٣٣] ، ونشاط الصناعات التى تحتكرها الحكومة كاد ان يتوقف . وتحولت مناجم الذهب فى النوبة مثلا الى ليمان للمجرمين والمعارضين السياسيين، واصبح انتاج هذه المناجم تافها [٣٤] . وكانت قبضة الحكومة المركزية بالاسكندرية على البلاد قد ضعفت الى الدرجة أن منطقة طيبة اقتربت من الاستقلال عنها فى بعض الاحيان .

ودفعت السياسة الرومانيةالاقتصاد المصرى الى الامام مرة اخرى كما راينا . ولكن الضعف أخذ ينخر فيه من جديد ابتداء من القرن الثانى الميلادى ، وقتئذ جند الامبراطور الفلاحين للاستعانة بهم فىمحاربة الثورة اليهودية ،واخذ باقى سكان القرى يهجرون الارض هربا من فداحة الضرائب . ثم اندلعت ثورة البشموريين [الثورة « **البوكولية** »] ، فأصيبت الزراعة فى الصميم . وزادت الامور سوءا فى القرن الثالث بسبب هبوط الحركة التجارية بين مصر والهند ، وزيادة الرسوم الجمركية المفروضة على التجار السكندريين . وبدأ يختفى فىالقرن الرابع الهيكل الاجتماعى الاغريقى الخاص ، وتدهور المدن الاغريقية ، وتفقد الاسكندرية مركزها الاقتصادى العظيم السابق [٣٥] . واخذ الاباطرة البيزنطيون بعد ذلك يهملون النظام الاقتصادى المصرى ، خاصة وان المقاومة الشعبية جعلت حصيلة الضرائب المفروضة على وادى النيل فى انخفاض مستمر . وفى القرن السادس انغلقت العزب الكبيرة والاديرة العديدة على نفسها اقتصاديا مكونة دوائر متزايدة من الاكتفاء الذاتى ، الامر الذى عرقل التداول النقدى . فكادت أن تختفى تلك العملة المنخفضة القيمة التى كانت بيزنطة تسكها [٣٦] . ويعنى هذا انالمحرك الاساسى للتطور المصرى فى ذلك الوقت — التجارة والتداول النقدى — كان قد فقد جانبا كبيرا من طاقته ، وان ذلك الاقطاع البيروقراطى الذى بدا يظهر فى الوقت نفسه كان اعجز من أن يوجد الظروف التى تمكن مصر من أن تتخطى نهائيا حدود الاقتصاد الطبيعى ».

---

[٣٣] ه٠ايدرس بل — نفس المصدر — ص ١٠٧ ه

[٣٤] H. MUNIER : Op. cit. pp. 85/86.

[٣٥] P. G. ELGOOD : Op. cit. pp. 235/237.

[٣٦] J. G. MILNE : Op. cit. pp. 106/107.

القـراءة الرابعة

فى



الصدق فى مجريات الحيـاة اليومية ، قضيـــة اخلاقية ..وضرورة للفرد السوى العادى .
والصدق فى عرض مجريات الحياة العـامة ــ والسياسية بصفة خاصة ــ قضية تتجاوز الاخـلاق وتصبـــح بالاضافــة الى ذلك .. ضرورة وطنيـــة للصحفى الوطنى .
اما الامانة ــ فى الحياة اليومية للفــرد ــ فهى مقياس لا اختلاف فيه للحكم لصالحه او عليه .

.. والامانة ــ فى الحياة الصحفية ..والسياسية منها خاصة ــ قضية مبدئية ومهنية ووطنية معــا .
وهى مقياس دقيق لفرز الصحف عن بعضها ، وهى ايضا ترمومتر لا يخطىء فى كل زمن : الامس واليوم وغدا ..

الصحفى الوطنى فى مفهومنا : هــو الذى يكتب الحقيقة . فان لم يستطع فلا بد والا يكتب عكسها.
وبمعنى آخر : ان يتحمل مسئولية ما يكتبه اليوم ..كل يوم . وفى الغد لا يسارع بالهرب من كل كلمـة كتبها من قبل ، ثم يغمس قلمه فى « عيون » القــراء ويكتب عكس ما كتبـــه بالامس تمــاما .. وبنفس الحماس .. ويصبح « ملكيا اكثر من الملك » .

ربما نسى بعض الناس ما كتبته « اخبار اليـــوم » عن «فاروق المنقذ» و «اعياد الملك .. اعياد الشعب» فى اواخـــر عام ١٩٥١ ــ حين كانت مصر تشـــهد ارهاصات الثورة . وربمـــا نسى بعــض النــاس ما كتبته «اخبار اليوم» عن «الملك الذى ترك المدرسة قبل الميعاد» و «عبثه» بعد مضى ايام قليلة .. وقليلة جدا من سقوط فاروق بثورة شعب مصر فى يوليـــو ١٩٥٢ .
لكن «اختراع» الطباعة ، و «اختراع» الارشيف ، يذكران من ينسى دائما .
.. انها قضية « المهنـــة والشرف الصحفى » فى المقام الاول . وهى قضية الجيل الجديد الذى تربى فى احضان ثورة يوليو الوطنية ليعرف ماذا كان يحدث من قبل ، حتى يتجنب ان يحدث ذلك من جديد .
فى الصفحات القادمة : آراء «اخبـــار اليوم» فى الملك وفى تحركات الشعب المصرى من أجل الجلاء .
وما اعظم «اختراع» الطبـــاعة .. و « اختراع »الارشيف .

أمريكا تتوقع

أن ينقذ الملك فاروق الحالة

واشنطن ـ لمراسل «أخبار اليوم»

نشرت مجلة «تايم» أقوى مجلات أمريكا السياسية، مقالا عن مصر، جاء فيه: أن جلالة الملك كان في أثناء شهر العسل يعمل ساعتين أو ثلاث ساعات كل يوم. وكان يتصل دائما بالقاهرة تليفونيا. وأن الولايات المتحدة تعتقد أن جلالته هو أهم شخصية في أهم منطقة في العالم الآن. وأنه هو الذي يستطيع انقاذ الحالة في مصر، وأنه وحده يستطيع أن يقضي على السخط في ليلة واحدة، لو قاد بنفسه حركة الاصلاح.

ان الوفديين كانوا قبل ان يتولوا الحكم «معارضين مخلصين».. فأصبحوا بعد ان تولوه «خدما مطيعين».

● ووصفت مجلة «تايم» حرم النحاس باشا بانها تمثل «آلهة الشر» في حكم مصر. وقالت أن هناك محالفة بين حرم النحاس باشا وفؤاد سراج الدين باشا على حكم مصر، نظرا لمرض النحاس باشا وتقدمه في السن.

● وقالت المجلة أن حرم النحاس باشا وشقيقها اصبحا الآن من أغنى المصريين. بينما أن أسرتهم لم تكن غنية اطلاقا، وانه ليس لدى حرم النحاس باشا مصدر للثروة سوى مرتب زوجها، ومع ذلك فانها اشترت ٧٥٠ فدانا في هذا العام وحده.

● وقالت ان الوفد لديه أنشط هيئة وأكبرها لنشر الفساد السياسي في البلاد.

● وذكرت ان كثيرين من زعماء الوفد لا يرغبون مطلقا في جلاء الجنود البريطانيين عن قنال السويس.

● وقالت ان هناك املا قليلا في ان تستطيع الاحزاب الاخرى ان تفعل خيرا من الوفد، وأن حزب السعديين هو الحزب الثاني في مصر، وانه حزب انفصل عن الوفد في سنة ١٩٣٨، احتجاجا على الفساد الوفدي.

● وقالت: ان احد كبار الانجليز قال «لو أن الملك فاروق تولى بنفسه غدا حركة نشيطة للاصلاح، فانه وحده الذي يستطيع ان يقضي على السخط في مصر في ليلة واحدة».

● وذكرت المجلة أن الملك نال حب شعبه عندما تولى الحكم، وكان يزور المرضى في اثناء انتشار الاوبئة، وكان يرفع بيده الانقاض عندما كانت تهدم القنابل الاسكندرية خلال الحرب. وأنه دخل مرة منزل فلاح فقير وشاركه في طعامه وقال للفلاح ارجو أن يأتي اليوم الذي تأكل نفس الطعام الذي آكله.

● وقالت ان اكبر حادث أثر في الملك هو حادث ٤ فبراير، عندما أحاطت الدبابات البريطانية بقصره، واقتحمته دبابتان، وفرضت النحاس باشا رئيسا للوزراء.

● وقالت ان الملك وصف الحادث بقوله: «لقد دخل سير مايلز لامبسون مكتبي، ومعه الضباط الانجليز المسلحون، وتحت هذا الضغط، وقعت الامر بتعيين النحاس باشا رئيسا للوزارة، ثم قلت للسفير البريطاني عند خروجه:

ـ سير مايلز.. انك ستندم على هذا اليوم.

● وذكرت مجلة «تايم» أن الملك فاروق ذكي ونشيط، وانه يطلع يوميا على عدد ضخم من التقارير التي ترد اليه من جميع انحاء البلاد. ويقرأ الصحف كلها، ويناقش السياسة الخارجية بسبع لغات.

● وقالت انه كثيرا ما دخل الملك على مجلس الوزراء، وقال للوزراء: انني احمل لكم مطالب الشعب. ووضع الملك عدة برامج للاصلاح الاجتماعي، ولكن أحدا لم ينفذ هذه البرامج.

● وقالت المجلة ان الملك فاروق غير راض على سياسة امريكا لمساعدة اسرائيل.

● وقالت: ان سياسة امريكا في مصر هي:

١ ـ مشروع النقطة الرابعة.

٢ ـ مشروع فلبريات.

٣ ـ معاونة سلبية مع بريطانيا.

٤ ـ الامل في أن تكون عودة الملك فاروق الى مصر بداية عهد جديد.

[العدد ٣٥٨ ـ ١٥ـ٩ـ١٩٥١]

على مصر أن تختار

[١] اما أن نقف مع الديمقراطية
[٢] أو نكون ميدانا للغزو مرتين

محرر اخبار اليوم الدبلوماسي

علمنا ان بريطانيا كبيرا قال لمصرى كبير : اننا الان فى مفترق طرق ، وعلى مصر ان تختار ، اما ان تقف بجوار الديمقراطيةصراحة وتقبل الدفاع المشترك ، واما ان تقبل المصير الاخر . وهو أن تكون ميدانا للغزو والاحتلال مرتين .

فمن المؤكد ان الجيوش الروسية ستغزوها وتحتلها فى أول الامر . وبعد ذلك ستجىء الجيوش الديمقراطية من الغرب وتحارب الجيش الروسى فيها وتخرجه من الاراضى المصرية .

وقال المصرى الكبير : انه يقدر هذه الحقيقة .

[العدد ٣٤٣ — ١٩٥١/٦/٣]

فى الصميم

ان قصة امتناع العمال المصريين عن العمل فى معسكرات الانجليز تكفى وحدها كدليل رائع على كفاح شعب ضد الاستعمار . .

وان قصة معركة البوليس المصرى بنادقه الصغيرة مع مدافع الانجليز ودباباتهم ، تكفى ليعرف العالم اصرار المصريين على الجلاء الناجز من وادى النيل . .

ان هذه القصص الحقيقية هى وحدها التى يمكن ان ترسم صورة صحيحة لهذا الشعب الجاد ، الذى يفضل الموت حرا ، على ان يعيش عبدا .

اما قصص القطط المشتعلة التى تحرق المعسكرات ، والكرنب المعبأ بالديناميت ، والقاء تشكيلات من الثعابين والقمل والبراغيث على الانجليز وغيرها من القصص الخيالية المبتكرة ، فهى تسىء لقضيتنا ، ولكفاحنا ، وتجعلنا نبدو عابثين لاهين فى وقت كفاحنا العظيم .

ان الحقيقة وحدها تكفى .. اما الاكاذيب فهى تخدم خصومنا ، وتضر قضيتنا .

ابن البلد

[العدد ٣٦٨ — ١٩٥١/١١/٢٤]

حوادث المظاهرات تسىء الى مصر

تلقت وزارة الخارجية المصرية تقريرا سريا من السفارة المصرية فى واشنطون جاء فيه :

على الرغم من معارضة الصحافة الامريكية ووزارة الخارجية الامريكية لقرار مصر بالغاء المعاهدة ، فان موقف الشعب الامريكى قد يكون مغايرا لذلك ، لان كراهية الاحتلال قد يمكن اخفاؤها مؤقتا بين طيات التصريحات الرسمية وسطور الصحف . ولكنها لا يمكن أن تستأصل من قلوب الشعب .

وان أعداء مصر يحاولون الاساءة اليها

لدى الشعب الامريكى بطريقة واحدة ، وهى الايهام باننــا نكره الاجانب ونعتــدى عليهم ، ونحطم دورهم ومتاجرهم •

ومن بريد السـفارة المصرية الذى تتلقــاه يوميا من الشــعب الامريكى قلما نجد فــردا لا ينتصف لمطالبنا القومية ويشجعنا على طرد العدو الغاصب من بلادنا •

ولقد كان من اسباب نجاح ايران فىقضيتها انهمحاولوا بقدرالمستطاع كبح جماحالعدوان: لانه يؤذى ولا ينفع ، يؤذى سـمعتنا وقضيتنا اضعاف الايذاء الواقع ضد الافراد المعتـدى عليهم • هذا فضلا عن ان مثل هذه المظاهرات سرعان ما يسـتغلها اعداؤنا اسـتغلالا ذو حدين ، فيتهموننا بتغلغل الشيوعية فى بلادنا وقيامها من وراء هذه الحركات ••

[العدد ٣٦٤ — ١٩٥١/١٠/٢٤]





أعيــــاد الملــــك
أعيــــاد الشــــعب

ان احتفال الامة باعياد الملك دليــل الولاء للتاج الذى تتمثل فيه عزه الوطن ومقدساته: الحرية والطمأنينة والعدالة والمساواة ، التى لا يتحيف منها ظالم ولا يجور عليها باغ •

والامة اذ يشملها الفرح ، وتجــرى فيهـا المواكب هاتفة داعية فى مناسبة عيد الجلوس والقران الملكيين ، انما تتمثل فى خواطرهـا هذه المعانى جميعا •

وترجو ان ترى الدســـتور الذى يجعلها مصدر السلطات مرفوع القــوائم ، فى حمى لا يمسسه سوء •

ترجو انترى الحرية قاعدة الحياة فىمصر: حرية الصحافة ،حرية الراى ،حرية الاجتماع، حرية التنقل ،حرية الخطابة ،وسائر الحريات التى كفلها الدستور •

ترجو ان ترى الطمأنينة تشملها فى الداخل والخارج ، حيث لا يطغى سلطان مهما يكن، وحيث ترتد الى الوطن حقوقه المغصوبة •

ترجو أن ترى العدالة تشمل أفراد الشعب جميعا : العدالةالاجتماعية والعدالةالسياسية والعدالة الاقتصادية ، فلا يثرى فريق على حساب فريق • ولا تجرى فى الوطن اخطــاء

تسترها نصوص ؟ ولا يقوم ظلم تحت ستار من القانون ، ولا يعيش فريق في ترف وحشي ، ويعيش فريق في حرمان وحشي .

ترجو ان ترى المساواة بين ابناء الوطن : سلطان القانون بظل الجميع ، والحقوق والواجبات واحدة للجميع . صاحب الحق اقوى الاقوياء حتى يؤخذ له حقه ، والباغي اضعف الضعفاء حتى يرتد عن بغيه .

هذا هو ما يريده الشعب الذي يحب من الاعماق ملكه وصاحب تاجه . وهذا هو مايريده الملك لانه لا يريد الا ما اراد الشعب واراد الدستور .

وهذا التجاوب بين الشعب والملك هو الذي يجعل للتاج مهابته وروعته ، ويجعل للشعب كرامته وعزته .

[العدد ٣٣٩ — ١٩٥١/٥/٥]

.. وكان مقال « اعياد الملك .. اعياد الشعب » المنشور في العدد رقم ٣٣٩ من اخبار اليوم الصادر في ١٩٥١/٥/٥ ، هو آخر تسابيح اخبار اليوم في امجاد فاروق .. انقلبت بعدها الى النقيض تماما وشنت حملة عنيفة على الملك الذي ترك المدرسة قبل الميعاد ، ولا اخلاقياته ونسقه وفجوره وخطفه للزوجات ..

ما الذي حدث ؟

كيف واتت اخبار اليوم ، فجاة ، هذه الشجاعة في مناصبة الملك العداء؟

لقد انفجرت ثورة يوليو ١٩٥٢ ، وسقط الملك .

وظلت « اخبار اليوم » ساكتة بشجاعة ايضا منذ قيام الثورة في ٢٣ يوليو ١٩٥٢ حتى تاكدت سلطة الثورة ونفى الملك الى خارج البلاد في ٢٦ يوليو ١٩٥٢ .. فبدات حملتها في ٣١ يوليو على الفور ..

الملك الذي ترك الدراسة قبل الميعاد

لندن — لمراسل « الاخبار » :

نشرت جريدة «نيوزكرونيكل» مقالا عن الملك السابق كتبه لها لورد «كينروس» الذي كان يراس ادارة الدعاية والنشر بالسفارة البريطانية بالقاهرة منذ عام ١٩٤٤ حتى عام ١٩٤٧ ..

وقد قال اللورد كينروس في ذلك المقال : ان مشكلة فاروق الاساسية هي انه لم تتح له فرصة النمو . ولم يكن هذا الخطأ خطأه فقد تولى الملك صغيرا جدا ... ولد في مهد النهضة المصرية وشاءت رغبة والده ان يتلقى علومه الاولى في مصر . فتعلم العربية لا التركية وشب ليكون اول ملك مصري في هذه الاسرة الالبانية الاصل .

ولم يعرف من شئون العالم الا النذر اليسير ، حتى بلغ السادسة عشرة من عمره ، فأرسله والده الى انجلترا ليتلقى العلم في كلية « وول وتسن » .. وكان فاروق اصغر من أن يختلط بزملائه الذين يكبرونه سنا ، كما كان اكثر نضجا من اطفال الانجليز الذين في سنه . ومن هنا سئم الحياة في لندن !

ولكن كلية « وول وتسن » كانت تناسبه ؟ فقد كانت كفيلة باشباع رغبته في حياة الجندية ، وتمكنه من الامتزاج بنظرائه من الانجليز ، وتلقنه بعض اصول النظام والترتيب . ولكن والده مات لسوء الحظ بعد التحاقه بهذه الكلية بفترة وجيزة فاستدعي الى القاهرة ليجلس على

عرش مصر قبل ان يستكمل تعليمه العربى ؟ وهو ما كان ينقصه .

ولذلك ،وجد فاروق نفسه وهو فى السابعة عشرة من عمره يصارع الدسائس فى القصر الشرقى بدلا من أن يتدرب على حياة الجندية فى الميدان .

وكان له رفقاء قلائل فى مثل سنه . .وكذلك كان اكبر مستشاريه من اصدقاء والده . .
ولما كانت والدته قد ترملت وهى صغيرة السن فقد انساقت هى الاخرى فى حياتها الخاصة، وكان سفير بريطانيا يتحدث الى فاروق كما لو كان خاله او عمه ! . .

وتعود فاروق الا يصغى الى هؤلاء النصحاء، وقال مرة فى لهجة ساخرة : « ان كثيرين من الناس لا يدركون اننى القوة الكامنة وراء العرش ! »
ولذلك فما لبث فاروق ان بنى «قصره» بنفسه ! . . وذلك بعد ان وجد نفسه وحيدا تعسا فى حياته العائلية تثقل عليه حياة القصر . . وكان اولئك الزملاء الذين اصطفاهم فاروق عبارة عن حلاق ايطالى وصحفى لبنانى . وكان فاروق يصحبهما ويهرب بهما من حياة ومسئوليات القصر فيقضى وقته معهما فى الاندية الليلية امام موائد القمار !

[العدد ٣٩ — ١٩٥٢/٧/٣١]

○

قال زكى هاشم ان فاروق ألقى عليه قنبلة ذرية قصة الملك كاملة

بقلم مصطفى أمين

دخل صديقى الدكتور زكى هاشم الى مكتبى فى دار « أخبار اليوم » وكأنه جثة تتحرك ! وجهه شاحب وقد اختفى منه دم الحياة . لونه أصفر صفرة الموت . يداه ترتعشان وهو يصافحنى . تكاد الكلمات تموت على شفتيه. وكان اشبه برجل لم ينم اسبوعا كاملا .رجل يحمل على رأسه هموم البشر جميعا !

قال : انا جئت لاخبرك ان الدعوه قد الغيت !

قلت : ماذا حدث ؟

قال : قنبلة ذرية !

قصة خاتم

ووضع زكى هاشم كفه على رأسه وراح يتكلم وكأنه يبكى ! كانت اعصابه فوق جلده لا تحت جلده كباقى الناس ! كان يروى لى أعجب قصة سمعتها فى القرن العشرين !

قال :

— أن ما حدث لى لم يحدث لاى رجل قبلى، ولا أظنه سيحدث لاى رجل بعدى ! لقد الغى زواجى بأمر ملكى ! **فقد خطبت الآنسة ناريمان** صادق . وحرصت ان اختارها من أسرة مناسبة . واتفقنا على عقد الزواج غدا .

ووزعنا رقاع الدعوة على المدعوين ، واردت ان ابحث عن خاتم أهديه لخطيبتى لمناسبة الزواج. وأشاروا على أن اذهب الى احمد نجيب الجواهرجى لاشترى خاتم الزواج . . وفعلا اشترينا خاتما مناسبا .

وشاء سوء حظى أن احمد نجيب كان هناك. واقبل على خدمتنا .وراح يعرض علينا اصنافا والوانا من الخواتم . وكان يتأمل «نورا» معجبا ، وكان يثنى على ذوقى فى اختيار عروسى ، ولم يثر هذا الثناء شكوكى ، فاننى اعرف ان من عادة بعض التجار تملق الزبائن لاقناعهم بشراء بضائعهم !

وسأل احمد نجيب الجواهرجى «نورا» — هكذا كانوا يسمون ناريمان : — هل لها اخوات ؟

فقالت : لا . . لا صبيان ولا بنات !

فسألها : فى أى مدرسة هى ؟

فقالت : الاميرة فريال .

فسألها نجيب عن عمرها ؟

فقالت : انها احتفلت فى ٣١ اكتوبر بانها أتمت ١٦ عاما .

وهنا قال احمد نجيب :

— ان عندى فى الاسكندرية خاتما مدهشا. عجيبا . لقطة ! بديعا ورخيصا ! . .فأعطينى

يا عروسة عنوانك ورقم تليفونك وسأتصل بك بعد يومين ..
وأعطت « نورا » عنوانها ورقم تليفونها لاحمد نجيب ..
وانصرفت انا « ونورا » وتحدثنا عن لطف وذوق احمد نجيب ، وعن اهتمامه بنا وبخاتم الزواج !

الفرح لن يتم

واستمر زكى هاشم يتم قصته العجيبة ويقول :
وفى اليوم التالى جاءنى حسين فهمى صادق ، والد «نورا» مهرولا الى دارى ، وهو شاحب اللون وقال لى :
— حدثت مصيبة ! ان الملك قرر ان يتزوج ناريمان ! لم استطع مطلقا ان اقاوم رغبته . اعطنى كل صورها وسنرسل اليك كل هداياك . مطلوب منى ان لا اقابلك او اجتمع بك . ولكنى وجدت ان واجبى يقضى على ان اقابلك لاعتذر اليك . انا آسف جدا ولكنه امر ملكى ! ماذا افعل ! اننى بكيت طويلا و« نورا » بكت طويلا وامها بكت طويلا ، ولكن لا فائدة ! ليس فى يدى شيء سوى ان افسخ الخطبة ، وارجوك ان تتصل بجميع المدعوين لتبلغهم ان الفرح لن يتم ولا تخبرهم بالسبب ، ارجوك ان تخفى كل شيء . هذه هى الاوامر ولا اعرف ماذا افعل !

الاب يبكى

ولم يستطع زكى هاشم ان يقول شيئا ! كان هذا النبأ اشبه بمطرقة من الحديد نزلت على رأسه ففقد النطق . كان يتوقع كل شيء الا هذا ..
وشعر حسين فهمى صادق بالصدمة فبكى وقال :
— اعمل ايه يا ابنى ! ليس فى يدى شيء . ليس فى يدى شيء !
وفتح زكى هاشم فمه للمرة الاولى وقال :
— وما رأى « نورا » ؟
قال والد ناريمان :
— ليس لها رأى !

أين رآها

ثم راح حسين فهمى صادق يخفف عنى ويقول :
— على كل فالمسألة غير مؤكدة حتى الان . انما الاوامر هى ان تفسخ الخطبة نورا وان لا نتصل بك ولا تتصل بنا ، وانا جئت لزيارتك من وراء الملك . ارجوك ان لا تخبر احدا اننى قابلتك !
وسأل زكى هاشم :
— ولكن هل رأى الملك « نورا » .
فقال حسين صادق وهو يتلعثم :
— لا أعرف .. يظهر انه رآها عندما كنت معها عند أحمد نجيب الجواهرجى ، تشترى خاتم الزواج ..
وقال زكى هاشم انه لم ير الملك هناك . ولم ير حركة غير عادية تدل على ان الملك فى محل الجواهرجى .

دبلة الخطبة !

ثم وضع حسين فهمى صادق يده فى جيبه واخرج دبلة الزواج التى كانت نريمان تضعها فى اصبعها .. وقد كتب عليها اسم « زكى هاشم » .
وباصابع مرتعشة خلع زكى هاشم دبلة الزواج من اصبعه ، وكان مكتوبا عليها «نريمان صادق » !

ان حياتى قد انتهت

سكت زكى هاشم بعد ان انتهى من رواية قصته .. وسكت انا ..
شعرت كأن اشعاع القنبلة الذرية ، التى سقطت على زكى هاشم ، قد اصابنى انا !
لم اصدق ما كنت اسمع ! لم اتصور ان خطبة ملكية يمكن ان تجرى بهذه الطريقة العجيبة !
قلت : وماذا انت فاعل ؟!
قال : ان قصتى انا انتهت . لقد قالوا لى انتظر حتى يقرر الملك قراره النهائى . ولكن لست انا الذى انتظر حتى تعجب الملك او لا تعجبه ! ان حياتى انتهت ايضا !
قلت له : اسمع يا زكى ! ان قصتك اشبه بالف ليلة وليلة ! واننى لولا معرفتى انك رجل صادق لما صدقت كلمة واحدة !
وهنا ارتسمت بسمة حزينة على شفتيه المرتعشتين وقال :
— انا قرأت الف ليلة وليلة كلها .. وليس فيها قصة كهذه !

هل كان يعلم ؟

وخرج زكى هاشم من مكتبى ، وشعرت انه حمل همومه ووضعها على رأسى !!

لقد قلت له وانا اودعه : انني اعـدك ان احاول « فشكلة » هذا الزواج !

قال : وما الفـائدة ! ان القنبـلة الذرية أصابتني اصابة مباشرة ! ان ما حدث يكفيني!

قلت : هل عرف الملك انها مخطـوبة لك ؟ هل عرف ان رقاع الدعوة وزعت ؟ هل عرف انكم اتفقتم مع المطرب عبد العزيز محمـود على احياء الحفلة ؟

وسـكت زكى هاشم ولم يجب .. ثم لمعت عيناه من خلف نظارته ، وقال وهو يتوقف عن الخروج :

ــ لقد قالت لى « نورا » منـذ يومين : ان عيد ميلادها كان فى يوم ٣١ اكتوبر المـاضى ، وقرر والدها ان يحتفل به احتفالا كبيرا ، وكان الموعد يوم الاثنين ، ولكن والدها مرض فجأة، فتأجل الاحتفال الى يوم الجمعة ٤ نوفمبر ..

عمـار يقـرأ كف الملكـة

وكان عبد الرحمن عمار ، وكيل المواصلات موجودا فى الحفـلة وأراد ان يداعب «نورا» فقال لها : اننى اعرف قراءة الكف واستطيع ان اعرف مستقبلك .

وجلست « نورا » الى جانب عمـار ومدت اليه كفها .. وقال عمار وكأنه يقرأ الغيب كله:

ــ سيتقدم اليك بعد ايام شاب ممتاز طالبا يدك . اسرعى وتزوجيه ! ستجدين معـه السعادة كلها ! حذار ان ترفضيه ! ان السعادة ستكون معه . ولو ان اميرا جاءك فى الوقت الذى يجىء لك فيه هـذا الشـاب فنفضلى الشاب المتعلم على هذا الامير ! .. ان امامك باب السعادة فادخلى فيه ولا تنحرفى الى باب الشقاء !

وضحك الجـالسون ، وسـمع المطـرب عبد العزيز محمود ضحكهم وتهنئتهم للعروس، فأقبل بموسيقاه وتخته يزف نريمان وهو يقول:

ــ اتمخطري يا حلوة يا زينة يا داخلة مـن جوه جنينه !

باب السعادة .. وباب الشقاء

وسارت نريمان وهى تضحك وسط هـذه الزفة .!

وبعد ايام تقدم زكى هاشم يطلب يدها .. فقبلته ...

ثم قالت لزكى هاشم ، وهى تروى القصة:

ــ وهكذا دخلت باب السعادة .

واتم زكى هاشم القصـة ، ثم التفت الى وقال :

ــ ولكن يظهر ان باب السـعادة هى ان تصبح ملكة .!

قلت له :

ــ آه لو تعلم .. انه باب الشقاء .. !

الملك السابق ينصح الامراء بالزواج

وخرج زكى هاشم من مكتبي واخذت اقلب الاوراق التى أمامى واتساءل : هل يكون هذا حقيقة ؟ أم ان العروس غيرت رأيها فى الزواج فادعت اسرتها ان الملك يريد ان يتزوجها ..؟

اننى كنت اعرف ان الملك السابق كان يفكر فى هذا الوقت فى الزواج ، وانه حـدث فى المأدبة الملكية ، التى اقامها الملك السابق فى يوم ٢٥ نوفمبر سنة ١٩٥٠ لاعضاء اسرة محمد على بمناسبة ذكرى محمد على ان قال الملك للامراء :

ــ اننى الاحظ ان عددا كبيرا منـا غير متزوج .. واخشى ان تنقرض أسرة محمـد على .. ولهذا يجب ان يحاول كل منا ان يتزوج لنحفظ الاسرة .. ان كثيرين منا طلقوا زوجاتهم. وأرجو ان لا ييـأس الذين لم يوفقهم الله فى حياتهم العائلية من رحمة الله وان يجربوا مرة ثانية .. وان يعملوا كما سوف اعمـل ، وان يبدأوا حياة جديدة . اننى شخصيـا افكر فى الزواج الان ..

ولقد خرج يومها الامراء من قصر القبة وقد شعروا ان الملك السابق يفكر فى الزواج ..!

ولكنى لم اتصور انه فى نفس الاسـبوع سيختار الملك السابق زوجته ، وسيختارهـا بهذه الطريقة التى لجأ اليها .. !

اننى اعرف ان احمد نجيب مورد المجوهرات للقصور الملكية ، ولكنى لم اتصـور انه مورد العرائس للقصور .. ! وما كدت ابحث وانقب حتى وجدت ان الحقيقة اغرب مما رواه زكى هاشم .. !

حـادث خطف آخـر

ففى يوم ذهاب نريمـان وزكى هاشم الى الجواهرجى احمد نجيب حدثت اغرب قصـة خطف . ولكنه كان خطف شارب .. !

فقد كان الملك السابق موجـودا فى ذلك الوقت فى الاسكندرية . وفى ساعة من الليل دق تليفون قصر المنتزه الى فندق سان استفانو. وقيل لكريم ثابت ان الملك يطلب البـك ان تحضر فورا الى القصر لامر هام ..

وظن كريم ثابت ان الملك قرر اقالة حسين سرى ، وكان رئيس الوزارة فى ذلك الحين . ولكن عندما دخل عنده اعطـاه مجلة لايف

الامريكية وفيها صورة للشاويش محمــد محمد ابراهيم سيد احمد ، وقد ظهر فيها شــاربه الطويل ..

والى جانب صورة الشاويش نشرت المجلة الامريكية صورة للملك فؤاد ، وقد بدا بنفس الشارب تقريبا .. !

وكانت مجلة آخر ساعة قد نشرت صــورة هذا الشاويش ، فنقلتها مجلة لايف واضافت اليها صورة الملك فؤاد .

ولم يفهم كريم ثابت المقصود من استدعائه. ولكن الملك الســابق دق الجـــرس وطلب الاميرالاى أحمد كامل ، قومندان الحــرس ، واعطاه المجلة وقال له :

ــ يجب ان تقصوا فورا شــارب هــــذا العسكرى ! .

وخرج احمد كامل واتصل في نفس الليلة بحكمدار بوليس الاسكندرية وابلغه اغــرب امر ملكى : « يقص شارب الشاويش محمــد محمد ابراهيم سيد احمد فورا » .

وقبضت الحكمدارية على العسكرى وقصت شاربه فورا ثم نقلته الى اسوان .

فـاروق لا ينـام

ولم ينم الملك السابق حتى ابلغه الاميرالاى احمد كامل ان الاوامر نفذت .. وانه شــاهد الشاويش محمد محمــد ابراهيم سيد احمــد بغير شارب .. ! وكان الملك مهتما بهذا الامر .. ولا أمر سواه ! وفى هذه الاثناء دق احمد نجيب التليفون وطلب ان يبلغ الملك فــورا « نبأ خطيرا هاما !

وهنا بدأت القصة .. قصة خطف ناريمان .. أغرب قصة خطف في القرن العشرين !

[العدد ٤٧ ــ ١٩٥٢/٨/١٠]

تعليـــق « الطليعـــة »

.. وتستمر «الطليعة» في قراءة «اخبـــار اليوم » .وتستعرض بعض ما قدمته المجلة عام ١٩٥١ . فقد حفل هذا العام بنماذج توضــح اللامبدئية ، كما توضح كيف يغير الكاتب جلده بسرعة وذلك دون ان يضع القوم فى اعتبارهمان ذاكرة الشعب دائما قوية ويقظة ، ولديهــا حافظة تتميز عن حافظة الانسان الفرد ، بانهـــاترث ذاكرتها جيلا عن جيل .

ففى ١٩٥١ ، كانت وزارة الوفد تتولى الحكمفى مصر ، وهى وزارة الاغلبية ، وكانت هناك مفاوضات دائرة بين حكومة الوفد والحكومــةالبريطانية . وفى نفس الوقت ، كان هناكصدام بينها وبين السراى . وهذا الخلاف تعلو موجاتهاحيانا الى حد الصدام العلنى ، وتهبط احيـــانا الى حد يقترب من المهادنة والتنازل .

وكانت القوة الضاغطـــة دوما على هـــــذا الطابع المتردد للوفد ، هى قوة جماهير الشعب وحركته بالعمال والفلاحين والمثقفين الثوريين.

فى ذلك الوقت بالذات ، والمفاوضات تتعثرمع الانجليز . وتبدو نذر الصدام مع المستعمر، وحركة الجماهير الشعبية تتصاعد ، ويتاكد لدىالجميع ان خلاص الوطن مــن كل الشرور التى يعانى منها ــ الاستعمار والاقطاع والاستغلالوالكبت والاضطهاد ــ انما هو بوحدة كلالقوى الوطنية والديمقراطية والتقدمية فى جبهــــةواحدة معادية للاستعمار .. كانت اخبار اليوم تروج لحل آخر ، وتبشر بمخلص آخر.. وليسهذا الحل الا مزيد من تسلط الملكية ، ومزيد من عودة حكم الاقليات ، وليــس غير «فاروق»منقذا للوطن ..

يوضح هذا ما نشرته فى عددها الصــــادرفى ١٩٥١/٩/١٥ ــ على هيئــة رساله مــن مراسل «اخبار اليوم » بواشنطن ــ بعنــوان: « امريكا تتوقع ان ينقذ الملك فاروق الحالة » ــ وفى هذه الرسالة ، كان الملك فاروق « ذكيـــــاونشيطا » ، ويطلع يوميا على عدد ضخم مــن التقارير التى ترد اليه ، ويقرأ الصحف كلهـــاويناقش السياسة الخارجية بسبع لغـــات . وهو يدخل على مجلس الوزراء ويقول للوزراءاننى احمل مطالب الشعب .. الخ .

كان ذلك فى ١٩٥١ ..

ولكن ما ان جاء يوليو ١٩٥٢ وطرد الملك فاذابالقوم ينقلبون فجاة ، ودون سابق انذار ، ضد الملك الصالح التقى الورع المنسب الشريف ..واذا به يصبح ناقص التعليم ،لا يعرف منشئون العالم الا النذر اليسير ، يقضى وقته فى الاندية الليلية امام موائد القمار مع حـــلاق ايطالى وصحفى لبنانى .

كان هذا الصحفى اللبنانى — كريم ثابت —من كتاب اخبار اليوم الدائمين ! .

.. هكذا كان المقال الذى نشر فى الاخبـــار— العدد ٣٩ — ٣١ يوليو ١٩٥٢ .

هذا «الملك العظيم » — الذى كانت « اعياده اعياد للشعب » [أخبار اليوم العدد ٣٣٩ — ١٩٥١/٥/٥] وذلك عنـــدما زف الى الملكة ناريمان ، اصبح فجاة . وبعد قيام ثورة ٢٣ يوليو التى طردته من البلاد — صاحب قصـــة خطف ناريمان «اغرب قصة خطف فى القرن العشرين» [قصة فاروق كاملة بقلم مصطفى امين — الاخبار— العدد ٤٧ — ١٠ اغسطس ١٩٥٢] واصبح لصا ومقامرا وزير نساء . « فاروق يستولى على مجوهرات التاج الايرانى — الاخبار — ١٣/٨/ ١٩٥٢ ، و « سافضح فاروق فى جميع انحـــاء العالم ، هكذا قال امبراطور ايران لسفير مصر فى طهـــران » — الاخبـــار — ١٩٥٢/٨/١٧ ،و « فاروق يستولى على ملابس الامبراطورة» — الاخبار ١٩٥٢/٨/١٩ .

و « فاروق ينفق فى عام واحد مليونا و٢٠٠الف جنيه غير اربعة ملايين من الجنيهات دفعتها الدولة . « فريدة وبناتها سيخربن بيتى » .. —الاخبار — ١٩٥٢/٨/٣١ . و « البـــوليس كاد يضبط جلالة الملك فى منزل الراقصة — « الاخبار— ١٩٥٢/٩/٣ . و « نازلى تطرد فاروق مـــن قصر القبة وتقول له : انت مجنون — الاخبـــار١٩٥٢/٩/٤ ... الخ .

ونحب أن نؤكد بعد هذا على حقيقة هامة :وهى أن هؤلاء القوم عندما قالوا فى الملك ماقال مالك فى الخمر ،فقد فعلوا ذلك بعد طرده ،وبعدأن طوحت به حركة الضباط الاحـــرار . هـــذا بعد ان كانوا يعيشون معه اسراره ، وبعـــد انجعلوه العامل الاول ، والصانع الاول [مقـــال للاستاذ سابا حبشى اخبار اليوم ١٩٤٥/٢/١]والملك الصـــالح والفـــدائى الاول .. فى ذلك الوقت ، وعندما خرجت جماهير الشعب تعلن سخطها على الملك وحاشيته وتهتف ضد الدول الاستعمارية أدانت أخبار اليوم هذه المظاهرات،وقالت انها من فعـــل الشـــيوعيين والعنـــاصر الهدامة وحملت الوفد مسئوليتها .وتحت عنوان« حوادث المظـــاهرات تسىء الى مصر » نشرت ما وصفتـــه بانه تقـــرير سرى تلقتـــــه وزارة الخارجيـــــة المصرية من الســــــفارة المصرية بواشنطن — اخبار اليوم ١٩٥٢/١١/٢٤ .

وفى اليوم نفسه [١٩٥٢/١١/٢٤] نشرت أخبار اليوم بقلم ابن البلد كلمة — تتستر خلف تأييد امتناع العمـــال المصريين عن العمـــل فى المعسكرات البريطانية ، وصدام رجال البوليس مع العساكر الانجليز — وفى الوقت نفسه ادانت فى هذه الكلمة كفاح الفدائيين البطولى فى منطقة القنال ، وحاولت تشويه هذا الكفاح الذى سقط خلاله شهداء ابرار مثل الاعصر والمنيسى .. كل ذلك فيما وصفــــه ابن البلد باكاذيب عن القطط المشتعلة التى تحرق المفسكرات والكرنب المعبا بالديناميت .. الخ ونحن نعلم ان الشعب المصرى قد رأى فى تلك الايام ، المعسكرات البريطانية تشتعل ، ورأى القوات البريطانيه وهى ترتعش عند استلامها تموينها من الخضر ، ومن هنـــــا فان وصف تصرفات الفدائيين بانها اكاذيب لميكن الا تشكيكا من «ابن البلد» فى نضال الشـــباب الوطنى [اخبار اليوم العـــدد — ٣٦٨ — ١٩٥٢/١١/٢٤] .

وفى نفس الوقت — علينا ان نذكر — انه فى صيف ١٩٥١ ، وهو الصيف الذى انتهت احداثه بخريف ساخن مع الاستعمار البريطانى ، بالغاء معاهدة ١٩٣٦ [اكتوبر ١٩٥١] بدأت اخبـــار اليوم تروج لفكرة ضرورة أن تقف مصر بجـــوار« الديمقراطية » — أى الغرب — لمواجهـــــة « الغزو الروسى » المؤكد حدوثه [— [اخباراليوم ١٩٥١/٦/٣] . وهو أمر يوجب فى رأى أخبار اليوم قبـــول الدفاع المشترك . وهكذا .بينما كانت أخبـــار اليوم وصحفها تشن حملة مركزة ضد حكومة الوفد بهدف اسقاطها لانهـــا تمثل الفساد ، ولانها تفرط فى حقوق البـــلاد ، كانت تحبذ — بطريقتها الخاصة — وتدعو الى نظرية الدفاع المشترك مع الغرب الاستعمارى، وهى نظرية رفضها الشعب بكل طبقاته الوطنية والثورية من قبل ، عنـــدما اسقط مفاوضـــات خشبة — كامبل ، وصدقى — بيفن .

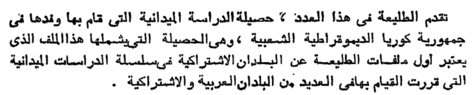
.. والقراءة مستمرة ..

« الطليعــــــــة »



كوريا الديمقراطية الشعبية

من الداخل



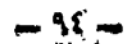
تقدم الطليعة فى هذا العدد ٪ حصيلة الدراسة الميدانية التى قام بها وفدها فى جمهورية كوريا الديموقراطية الشعبية ، وهى الحصيلة التى يشملها هذا الملف الذى يعتبر أول ملفات الطليعة عن البلدان الاشتراكية فى سلسلة الدراسات الميدانية التى قررت القيام بهافى العديد من البلدان العربية والاشتراكية .

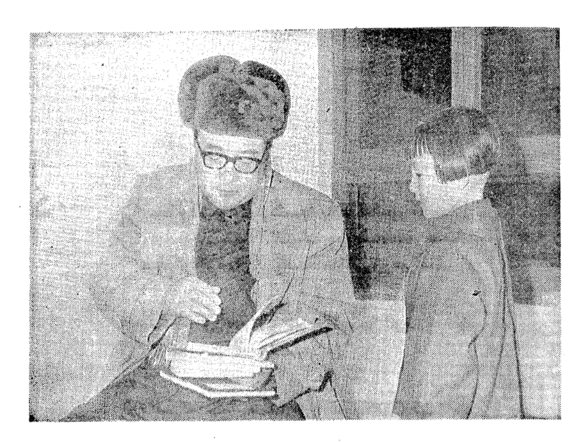
وقد اشترك فى وفد الطليعة الى كوريا الديموقراطية الزميلان **خيرى عزيز** و**حسين شعلان** .

وقد شملت دراستهما لواقع هذا البلد الاشتراكى الصديق جانبين أساسيين : اولهما هو الزيارات الميدانية لمختلف المجالات ، وثانيهما هو المناقشات والدراسات النظرية لواقع هذا البلد ، ولحقائق تطوره فى مختلف المجالات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية .

وقد قام الزميلان فى إطار هذه الدراسة بزيارة بعض المدن ، والمصانع ، والمؤسسات الثقافية ، والتعليمية والفنية ، والانتاجية ، والمؤسسات التى تقوم بالخدمات الاجتماعية ، فضلا عن المتاحف الثورية ، كما قاما بزيارة بلدة « **بانمونجوم** » الشهيرة على خط العرض ٣٨ الذى يفصل بين شمال كوريا وجنوبها ٪ وحيث تتجسد مأساة تقسيم الوطن الواحد ، والشعب الواحد .

والتقى الزميلان فى ختام زيارتهما لجمهورية كوريا الديموقراطية الشعبية بالرفيق « **شونج جون جى** » نائب رئيس الوزراء الذى اجاب على العديد من التساؤلات التى كانت لاتزال معلقة ، وشرح بعمق واقتدار العديد من جوانب



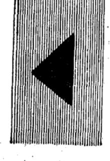


الرعاية الابوية التى يبذلها زعيم الثورة للجيل الجديد تستهدف ان يكون خير خلف لقضية الثورة

التجربة الكورية فى البنــاء فى مختلف المجالات ، وفى ميدان النضال ضد الامبريالية، وعلاقة كل ذلك بتضامن بلاده الــذى لا يحيــد ، مــع شعبنــا المصرى والشعوب العربية الشقيقة فى كفاحها ضد الامبريالية ، ومن اجل استعادة ثرواتها القومية ».

وكان وفد الطليعــة قد التقى من قبل بالــرفيق **رى يون ايك** رئيس اتحــــاد الصحفيين فى كوريا الديموقراطية ،ورئيس تحرير صحيفة « **رودونج سينمون** » المركزية ، ونائبه ايضا ، كما التقى فى مختلف المــدن بممثلى الصحف ووســائل الاعلام المحلية ، والتقى ايضا بالرفيق **رى يونج جو** نــائب رئيس اللجنــة المركــزية للزراعة الذى تحدث عن المسالة الزراعية، والرفيق **لى شول مو** نائب وزير التعليم الابتدائى ، الذى تحدث عن التعليم ، كما التقى وفد الطليعة بالرفيق **بايك جين جى** مدير لجنة الدولة للتخطيط ، ونائبه الرفيق **باك شــانج ريون** ، اللــذان تحــدثا عن التخطيط وقضايا التطور الصناعى وخطة السنوات الست الحالية ، أما قضايا السياسة الخارجية والعلاقات مع البلدان الاشتراكية، فبحثها الوفد مع الرفيق **رين يونج جاك** مدير وزارة الخارجية كذلك فقد عكست الرفيقة **كانج جونج سون** الصحفية العاملة بمجلة المراة الكورية ، العديد من جوانب موهبة ومقدرة المراة الكورية المعاصرة .

وتأمل الطليعة ان يجد قراؤها فى الملف الذى تقدمه هنــا ، عرضا كافيا لــلالمام بمختلف جوانب تطور وتقدم هــذا البلد الاشتراكى الصديق ».



① مفتاح التجربة : جوتشية وخط التطور المستقل
② مسيرة البناء الاقتصادى من بلد مدمر تماما عام ١٩٥٣ • • الى بلد صناعى زراعى متقدم — خيرى عزيز

③ المسألة الزراعية : الفروق تتلاشى بين الريف والمدينة
④ ٣ نظم للتعليم — حسين شعلان

⑤ الموقف المستقل فى الخلاف العقائدى داخل المعسكر الاشتراكى
⑥ اعادة توحيد كوريا : السمات ومناهج الحل — خيرى عزيز

□□□

● قيادة تهزم أقوى امبريالية فى آسيا وأقوى امبريالية فى العالم

اذا كان بأمكان المنجزات الايجابية الضخمة للبلدان الاشتراكية ، كسر احتكار بعض الدول الرأسمالية المتقدمة لتعبير «**المعجزة الاقتصادية**» الذى استأثرت به دولة رأسمالية متقدمة ، أو دولتان ، فى الفترة التالية للحرب العالمية الثانية ، فى ظروف استثنائية معزوقة ، ومع العلم بأن هذه «المنجزات » الرأسمالية لم تقترن قط بالعدالة، واتسمت **بالتباين الكبير — كماهو الامر فى حالة اليابان مثلا — بين المركز الاقتصادى [الثالث فى العالم] ، والترتيب العشرين من ناحية دخل الفرد**، اذا كان بأمكان البلدان الاشتراكية أن تكسر حقا هذا الاحتكار ، فاننا لا نعدو الصواب اذا قلنا ان جمهورية كوريا الديموقراطية الشعبية ، قد حققت ايضا بالاضافة الى جمهورية المانيا الديموقراطية ، وغيرها من البلدان الاشتراكية ، التى اتسمت بمعدل تنمية سريع وباهر ، ما يكاد يرقى الى مستوى المعجزة فى مجال البناء الاقتصادى والاجتماعى .

فقداستطاعت كوريا الديموقراطية تحقيق المهمة الشاقة المعقدة للتصنيع التى استغرق تحقيقها فى الدول الرأسمالية **قرنا كاملا أو يزيد** ، خلال مدة قصيرة للغاية ، لم تتجاوز ١٤ **عاما**، انتقلت هذه الجمهورية الشعبية خلالها من بلد زراعى متخلف ، الى بلد صناعى زراعى متقدم ، يشكل الانتاج الصناعى فيه ٧٤ فى المائة من مجمل الانتاج القومى ■

ويظلّ تصورنا لحجم الانجاز الذى حققته هذه البلاد غير مكتمل ، اذا لم نشر الى الاهداف التى وضعتها هذه البلاد نصب أعينها ، بعد انجاز خطة السنوات الست الحالية التى تنتهى فى ١٩٧٦ ، فقد حددت كوريا الديموقراطية **عشرة مهام** أساسية لتحقيقها والوصول بانتاج البلاد تقريبا الى : **١٢ مليون طن صلب** [**أكبر قاعدة صناعية للأمة العربية لم تصل بعد الى ١ مليون طن صلب**] ، **١٠٠ مليون طن فحم ، ٢٠ مليون طن أسمنت ، ١٠ ملايين طن معادن غير حديدية ، ٥ ملايين طن آلات ومعدات ، ٥ ملايين طن أسمدة كيماوية ، ٥٠ مليار كيلو وات ساعة ، ٥ ملايين طن من الصناعة الخاصة بالثروة السمكية ، ٣٠٠٫١٠٠ هكتار اراضى جديدة مستصلحة من طرح البحر ، ١٠ ملايين طن حبوب** .

كذلك استطاعت هذه الجمهورية ان تحقق ارقاما قياسية فى سرعة الانجاز ، تبدت بوضوح فى مجال بناء الصناعة المحلية الصغيرة والمتوسطة ، من أجل انتاج سلع الاستهلاك اليومى، اذ تمكنت ، بتعبئة عمال البلاد ، وكل الاحتياطيات والامكانيات المحلية ، **من بناء اكثر من ١٠٠٠ معمل ومصنع للصناعة المحلية فى فترة تراوحت ما بين ٣ و ٤ شهور** ، غطت كافة مناطق البلاد بشبكة من المعامل والمصانع الصغيرة والمتوسطة التى اصبح انتاجها من السلع الاستهلاكية منذ ١٩٦٩ يعادل انتاج الصناعة المركزية نفسها .

والنتيجة ان الصناعة الكورية اصبحت تنتج الان أكثر من ٣٠٫٠٠٠ نوع من سلع الاستهلاك اليومية منها **الراديوهات ، والتليفزيونات ، وماكينات الخياطة ، والثلاجات، والغسالات الخ**، ومختلف انواع **السلع الغذائية** ، بالاضافة الى انتاج **القاطرات ، والسيارات ، والجرارات، والحفارات، والبولدوزرات** الخ .

كذلك نجد من الناحية المعنوية ، ان كوريا الديموقراطية [الشمالية] هى التى تمارس بانجازاتها ، ومكتسبات شعبها ، تحديها المعنوى القوى ، للنظام الرأسمالى التابع للولايات المتحدة فى الجنوب وليس العكس ، **اذ تطالب كوريا الديموقراطية، حكومة سيول ، بأن تسمح للملايين المتعطين من شعب الجنوب ، بالانتقال الى الشمال ، حيث تستطيع الجمهورية الشعبية تدبير اعمال لائقة لهم ، وحياة انسانية كريمة، ولكن النظام فى الجنوب هو الذى يخشى ذلك خشية كبيرة** ، ويعرقل اى شكل للاتصال والتعاون الفعال مع الشمال .

على أن تتبيننا لحقيقة الانجاز الذى حققه هذا البلد ، يكتمل حقا ، اذا علمنا ان **عمليه التنمية الضخمة التى حققهـا حتى الان، لم تنطلق سنة ١٩٥٣ من قاعدة طبيعية تقليدية لبلد زراعى متخلف ، وانما انطلقت من بلد مدمر تماما بفعل العدوان الامريكى ، دمرت مدنه وقراه ، والتهمت النيران حياته ووديانه حتى أن الطيور هجرت اعشاشها والوحوش الكاسرة فرت من غابات البلاد التى لم يبق فى مدنها حجر على حجر** . وقال المستعمرون الامريكيون الذين تركوها رمادا سنة ١٩٥٣ : « **لن تقوم قائمة لكوريا الشمالية حتى بعد مائة عام** » .

ويبقى بعد كل ذلك ، ان القيادة الثورية لجمهورية كوريا الديموقراطية الشعبية ، التى استرشدت بمبادىء الاشتراكية العلمية ، **قد استطاعت تحقيق كل تلك المنجزات . لا بقوى الشعب الكورى باكمله** [أكثر من ٤٠ مليونا] **وانما بثلث قوى هذا الشعب ، وهم سكان النصف** الشمالى من البلاد ، وبعد نضال ضار خاضته هذه **القيادة الثورية ضد اقوى امبريالية فى آسيا** [**الامبريالية اليابانية**] ، **ثم ضد أقوى امبريالية فى العالم** [**الامبريالية الامريكية**] .

١ مفتاح التجربة : « جوتشيه » وخط التطور المستقل

وفى الواقع، فان فهم المنجزات التى حققتها جمهورية كوريا الديموقراطية الشعبية، انما يعتمد بصفة اساسية على ادراك تلك الفكرة المحورية ، فى حياة وتطور الثورة الكورية ، فكرة « **جوتشيه** » التى تعتبر الاساس النظرى للثورة والبناء فى تلك الجمهورية، والتى صاغها

الرفيق **كيم ايل سونج** » خلال الخمسة عشر عاما للكفاح المسلح القاسى المعادى لليابان .

وتعنى فكرة « **جوتشيه** » فى حقيقتها العامة ، اذا لجأنا الى التبسيط الشديد ، الايمان بضرورة وسلامة ، **خط التطور المستقل** ، **ومفادها ان المرء مسئول عن مصيره هو ، وانه قادر ايضا على**

صوغ مصيره . وقد أوضح زعيم الثورة الكورية : « لسنا أول من اكتشف هذه الفكرة ، انما كل ماركسي ـ لينيني يراها، وكل مافعلت هو أنني نوهت تنويها خاصا بهذه الفكرة » .

« جوتشيه » في الفكر

وتعني فكرة «جوتشيه » **الالتزام بالمبادىء التي من شأنها أن تؤدي الى حل مسائل الثورة والبناء الاشتراكي كلها على نحو مستقل ، وفق الحقائق الخاصة بالبلاد ، وبقواها الخاصة في المقام الاول ، ورفض روح التعويل على الغير ، واعلاء الثقة بالقوى الذاتية .**

ويوجز الكوريون فكرتهم هذه على النحو التالي : « « **جوتشيه » في الفكر، والسيادة في السياسة ، والاستقلال في الاقتصاد ، والدفاع الذاتي في الدفاع الوطني » . ويرون ان الموقف الاستقلالي هو الموقف الاساسي الذي ينبغي الالتزام به في الثورة والبناء ، والموقف الابداعي ، هو الطريقة الاساسية التي ينبغي تطبيقها في تحويل الطبيعة والمجتمع .**

والسيادة في السياسة

وتتجسد فكرة « جوتشيه» أولا ما تتجسد في رأيهم، في مبدأ السيادة والاستقلال في السياسة، وهم يرون **ان السلطة التي تعمل تحت ضغط الاخرين لا يمكن أن تسمى سلطة شعبية حقا ، مسئولة عن مصير الشعب ، ولا يمكن اعتبار بلد له هذا النوع من السلطة ، دولة مستقلة ذات سيادة » .**

ويشير الكوريون بصفة خاصة الى الاضرار التي تسبب فيها **الجمود العقائدي** القائم على التبعية والذي ظهر على اشد ما يكون اثناء الحرب « واصبح لا يطاق بعد الحرب » ، والذي دفع حزب العمل الكوري سنة ١٩٥٥ الى اتخاذ موقف حازم ضد الجمود العقائدي .

العدوان الامريكي وتدمير اقتصاد

الرأسماليين وأغنياء الفلاحين

وفي الواقع ، فلقد اتبع الكوريون خطهم الخاص في البناء الاشتراكي ، ولم يكن بوسعهم محاكاة البلاد الاشتراكية الاخرى في هذا السبيل ؟ لان العدوان الامريكي خلق وضعا خاصا في كوريا كان لابد من الانطلاق منه ، أولا وقبل كل شيء .. ذلك ان **الامبرياليين الامريكيين لم يدمروا فقط مساكن وممتلكات العمال والفلاحين ، وانما دمروا ايضا اقتصاد صغار ومتوسطي أصحاب الاعمال، والفلاحين الاغنياء** ، فاذا كانت بعض الشعوب الاخرى قد لجأت ابان ثوراتها الاشتراكية الى نزع ملكية الرأسماليين والفلاحين الاغنياء ، لتصفيتهم كطبقات ، فان الثورة الكورية لم تكن لتحتاج الى ذلك ، لانه عندما أصبح كل شيء دمارا بسبب الحرب ، لم يعد ثمة فرق بين صغار رجال الاعمال ومتوسطيهم وبين الحرفيين في المدن ، وغدا الكل بروليتاريا ، لذا اختار حزب العمل تجاههم طريقا مبتكرا يقوم على أساس ضمهم في تعاونيات ، واعادة تثقيفهم بروح الاشتراكية .

وكان على الفلاحين ايضا ان يفعلوا كذلك، بغية انقاذ زراعتهم التي حل بها الدمار الشامل . ولذا اتخذ حزب العمل طريقا يقوم على أساس الفكرة الماركسية اللينينية عن أن التعاون حتى ولو تام على اساس تكنيك بدائي ، يعتبر شديد التفوق على الزراعة الفردية ، ولذا فنظرا لان الفلاحين الكوريين كانوا في مسيس الحاجة الى العمل معا لكي يتخلصوا من وضعهم العسير، لذا عمل حزب العمل الكوري على **دفع التحويل الاشتراكي للاقتصاد الريفي قدما الى الامام ، وبجرأة، دون انتظار تحقيق التصنيع .**

والاستقلال في الاقتصاد

وفي المجال الاقتصادي عمل حزب العمل على الالتزام بمبدأ الاعتماد على القوى الذاتية، وبناء الاقتصاد الوطني المستقل ، على أساس اعطاء **الاولوية لبناء الصناعة الثقيلة مع تنمية الصناعة الخفيفة والزراعة في آن واحد ، بالاعتماد رئيسيا على الموارد الطبيعية ومصادر المواد الاولية المتوفرة في البلاد** ، بحيث تستطيع هذه الصناعة ان تنتج وتؤمن جوهريا من داخل البلد ، اللوازم والمواد الاولية ، والوقود ، والقدرة المحركة والالات والتجهيزات اللازمة للاقتصاد الوطني. وكانت احدى المنجزات الكبرى التي حققها الكوريون في هذا المجال، هي خلق **صناعة بناء الالات** الخاصة بهم .

وقد أوضحت لنا الكوادر الكورية في شئون التخطيط والاقتصاد التي التقينا بها ، ان روح الاعتماد الذاتي على النفس في المجال الاقتصادي ، ليست من التعصب القومي في شيء

وانهم اذ يعولون على قواهم الذاتية ؟ فانهم لا يقصدون مطلقا نبذ التضامن الاممى ، أو رفض التعاون والمساعدة المتبادلة بين البلدان الشقيقة، او حل كل شيء بأنفسهم ، بل أنهم ليرون ضرورة توطيد التضامن الاممى بين البلدان الشقيقة . وقد أشار قائد الثورة الكورية بهذا الصدد الى [1] « **اننا نلنا دعما وتشجيعا نشيطين من جانب البلدان الاشتراكية والشعوب المحبة للسلام** فى العالم ايام التقويم والبناء العصيبة بعد الحرب ، **كما تلقينا عونا غير قليل من البلدان الاشتراكية الشقيقة تلقت كوريا الديموقراطية حوالى ٥٥٠ مليون دولار مساعدة اقتصادية وفنية من البلدان الاشتراكية** . وان النجاحات التى أحرزناها فى بلدنا فى التقويم والبناء ما بعد الحرب ، هى ذات صلة بيد العون التى امتدت الينا من شعوب البلدان الشقيقة .. **اننا نعرف هذا الجميل ولا ننساه** » واضاف قائلا : « الا اننا فى هذه الفترة نفسها ، اتخذنا تعبئة قوى شعبنا وموارد بلدنا الى أقصى حدكأمر جوهرى، واجتهدنا فى نفس الوقت لاستخدام مساعدة البلدان الشقيقة استخداما ناجحا . والواقع هو ان جهودنا **الذاتية هى التى أدت الدور الحاسم فى انعاش وبناء ما بعد الحرب** » .

مخاطر الافراط فى الاعتماد على العون الاجنبى

واستطرد قائلا مستكملا تحليله «لجوتشيه» فى الاقتصاد « اننا نلجأ الى العون الاجنبى عندما نشرع فى أمر لا نعرفه او نعالجه للمرة الاولى ... لقد بنينا محطة كهر حرارية بمساعدة الفنيين السوفيت ، كما اننا ننشىء معملا لتكرير البترول بمساعدة الفنيين السوفيت ايضا لاننا لا ننتج البترول فى بلدنا حتى الان . هذا الحديث ادلى به فى ١٩٦٩ قبل خطة السنوات الست التى دفعت بالبلاد طفرة كبرى الى الامام . ولا شك ان المحطات الكهرحرارية ومعامل تكرير البترول سوف تبنى فى المرات القادمة بقوى فنيينا نحن » وهو ما يحدث الان .

ويؤكد الكوريون تلك الحقيقة البالغة الاهمية، وهى انه « اذا اعطيت اهمية مفرطة للعون الاجنبى ، أو اذا **حدث الميل الى التعويل على الدول الاخرى فقط، فقد** الشعب الثقة بقواه الخاصة ؟ واهمل السعى الى اسنباط موارد البلاد الداخلية ، بحيث لا يعود يهتم سوى بتقليد الاخرين ، وعقد آماله عليهم ، واذا سارت الامور على هذا النحو يتعذر فى التحليل النهائى ، النجاح فى بناء دولة مستقلة .»

الفينالون : جوتشيه فى التطبيق الاقتصادى

وربما كان أبرز مثال على اتباع جوتشيه فى البحث العلمى ، وفى التطبيق الاقتصادى، ما لجأ اليه الكوريون فى سبيل حل مشكلة كساء وملبس الشعب . فنظرا لان مساحة الارض الصالحة للزراعة فى البلاد ، محدودة ، ونظرا لعدم نجاح زراعة القطن بسبب هطول أمطار غزيرة فى فصل الصيف ، لذا وجه الاهتمام منذ وقت مبكر ، وفى عز احتدام الحرب ضد العدوان الامريكى ، الى ضرورة حل مشكلة ملبس الشعب عن طريق البحث العلمى ، عن طريق الكيمياء .. وبدأ العلماء الكوريون عملهم فى ظروف شاقة كانوا يجرون فيها أبحاثهم تحت الارض بسبب العدوان ، وكانت تنقصهم القاعدة الفنية للبحث ، ولكن القيادة الثورية للبلاد وفرت لهم الاجهزة والمواد اللازمة واولتهم برعايتها وتشجيعها ، حتى استطاع الدكتور « **رى سن جى** » العالم الكورى الشهير ، اختراع الفينالون .

ملابس الشعب من الحجر الجيرى والبوص

ويصنع الفينالون ، وهو نوع من الالياف الصناعية ، من معالجة الحجر الجيرى الذى لا ينضب له معين فى كوريا الديموقراطية ، بفحم الانتراسيت المتوفر بكثرة فى البلاد أيضا ، وينتج مصنع الفينالون بهامهونج [٤٠٠٠ عامل] والذى يعتبر بحق مصنع« **جوتشيه**» ٥٠,٠٠٠ طن من الفينالون ، وهو يعادل انتاج مليون و ٤٠٠ الف فدان قطن ، وتكفى هذه الكمية التى ينتجها ٤٠٠٠ عامل فقط ، لصناعة ٥٠٠ مليون متر قماش يتسع

---

(1) اجوبة من الاسئلة التى طرحها الصحفيون الاجانب ص ٢٨ و٢٩.

بأنه أقوى من الصوف ثلاث مرات ، وغير قابل للكرمشة ، ومناسب تماما لمناخ البلاد لانه يحفظ حرارة الجسم ».

كذلك قامت كوريا الديموقراطية **بانتاج الحرير الصناعى ، والالياف الصناعية الاخرى من البوص وقش الاذرة ، فضلا عن انتاج الياف صناعية من الخشب** ، وتم بناء سدود بين الجزر الصغيرة فى بحر الغرب عند مصب نهر **«أمنوك كانج»** لتصبح جزيرة تغطيها حقول البوص ، وبذا ظهرت جزيرة لم تكن موجودة من قبل سماها الشعب « **جزيرة الحرير** » وحصلت البلاد عن طريقها على مزيد من المواد الاولية اللازمة لصناعة الحرير بسعر رخيص للغاية . وهكذا حلت مشكلة ملابس الشعب بفضل قاعدة المواد الاولية هذه والالياف المستنبطة منها .

وقال الكوريون أيضا بهذا الصدد « لقد كنا مضطرين لاستيراد الفحم القارى من الخارج لانتاج الحديد ، الا أن علماءنا **استطاعوا انتاج الحديد باستخدام فحم الانتراسيت الذى لا ينضب له معين فى بلادنا** ، وكان هذا بمثابة اسهام عظيم آخر فى توطيد دعائم الاقتصاد الوطنى المستقل .

كما أوضحوا : أن انتاج الاسمدة عن طريق تحليل الماء بالتيار الكهربائى لا تناسبنا ، اذ يستهلك كثير من الكهرباء ، لذا فقد وجد علماؤنا طريقة لانتاج السماد عن طريق « تغويز » فحمنا الحجرى ، كما تم بلوغ منجزات كثيرة فى الرى الزراعى بفضل ابتكار أساليب لم تعرفها البلاد الاخرى ، وتم كذلك بناء الافران العالية بالجهود الخاصة فى ظرف سنة واحدة ، بدلا من بنائها بمساعدة الفنيين الاجانب بنفقات أكثر ، وفى مدة أطول [٤ سنوات] ، وحدث نفس الشىء فى انتاج القاطرات الكهربائية بجهود الطلاب والمهندسين بدلا من استيرادها من الخارج بأموال كثيرة .

ومن الناحية العامة ، **ولتجسيد فكرة « جوتشيه » فى الثورة الكورية الراهنة ، يرى الكوريون أن أشد المسائل الحاحا الان ، هى مسألة تحقيق وحدة وطننا سلميا وبشكل مستقل.** كما يرون أن **المهمة المحورية الان لتجسيد فكرة « جوتشيه » فى النصف الشمالى من الجمهورية هى تحرر شعبنا من العمل المضنى** ، عن طريق السير قدما وبحزم لتحقيق المهام الثلاث الرئيسية فى الثورة التكنيكية الا وهى **تضييق التمايز بين العمل الخفيف والعمل الثقيل ، وبين العمل الزراعى والعمل الصناعى، وتحرير النساء الكوريات من ثقل الاعباء المنزلية** عن طريق التنمية الشاملة للتكنيك .

ويؤكد الكوريون على انه اذا كانت فكرة « جوتشيه » تتفق والمبادىء الاساسية للماركسية اللينينية ، الا انها **تبرز اليوم بصفة خاصة كانعكاس لمرحلة التطور الجديدة للحركة الشيوعية العالمية ، ومتطلباتها الحتمية .**



مسيرة البناء الاقتصادى من بلد مدمر تماما عام ١٩٥٣ .. الى بلد صناعى زراعى متقدم

والتقينا اثناء الزيارة ، بالرفيق « **بايك جين جى** » مدير لجنة الدولة للتخطيط ، والرفيق **باك شانج ريون** نائب مدير لجنة الدولة للتخطيط ، **لدراسة مسار التطور الاقتصادى فى كوريا الديموقراطية من مرحلة الدمار الشامل بعد العدوان الامريكى سنة ١٩٥٣، حتى أصبحت تلك الجمهورية ، البلد الصناعى المتقدم الذى شهدناه ..**

وقد شملت المناقشات مع الرفيق **باك شانج ريون** ، الالمامة بالوضع الاقتصادى فى البلاد بعد الحرب سنة ١٩٥٣ ، ثم التصنيع ، وأخيرا خطة السنوات الست ١٩٧١ — ١٩٧٦ التى يجرى تنفيذها الان ..

أ ــ الوضع الاقتصادى بعد حرب الدمار الشامل

كانت كارثة الحرب فى كوريا ، أصعب من أن توصف ، فلقد القى الامبرياليون الأمريكيون ١٨

تنبلة على كل كيلومتر مربع فى النصف الشمالى من كوريا ، ودمروا حوالى ٨٠٠٠ مصنع صغير ومتوسط وكبير ، و ٦٠٠ الف منزل و ٥٠٠٠ مدرسة ، و ١٠٠٠ مستشفى ومستوصف ، و ٢٦٠٠ سينما ومسرح ، ودمرت منشآت ومبان اخرى لا يمكن أن تحصى ، ودمرت كافة وسائل الخدمات فى الثقافة والتعليم .. الخ .

وقد رسمت الثورة وحزبها خط توجيه الاقتصاد القومى على اساس التحليل العلمى للسمات الخاصة بكوريا الديموقراطية . فأشار بهذا الصدد كما قلنا الى ضرورة اعطاء الاولوية لبناء الصناعة الثقيلة مع تطوير الصناعة الخفيفة والزراعة . وقد اشار الزفيق باك شانج ريون الى « انه فقط عندما قمنا بتنمية الصناعة الثقيلة أولا ، امكننا انهاض الصناعة الخفيفة والزراعة ، وتحسين مستوى معيشة الشعب والاسراع بالتطور الاقتصادى فى البلاد . وعندما فعلنا ذلك ايضا تمكنا من حل مشكلة الاقتصاد المستعمر [بفتح الميم] الاحادى الجانب والذىتولد عن الاستعمار اليابانى للبلاد ، كما تمكنا من التغلب على التخلف. واوضح« انه كان يمكن أن نؤجل تطوير الصناعة الخفيفة والزراعة ، بحجة التركيز على الصناعة الثقيلة ، ولكننا لم نفعل ذلك ، لاننا استهدفنا بتنمية الصناعة الثقيلة ، تطوير الصناعة الخفيفة والزراعة ».

وبعد الحرب حددت القيادة الثورية بعض المراحل فى سبيل اعادة بناء الاقتصاد الوطنى . « المرحلة الاولى منها ، هى مرحلة التحضير لعملية اعادة البناء . والمرحلة الثانية تمثلت فى خطة ثلاث سنوات . والمرحلة الثالثة تمثلت فى خطة خمس سنوات ، وفى هذه المرحلة وضعت اسس التصنيع الاشتراكى فى البلاد .

وبدىء بالفعل فى تنفيذ هذه المراحل ، وخلال أشهر قليلة ، اعيد بناء عدة فروع أساسية فى الصناعة، وتم فى الريف بناء الخزانات وعديد من وسائل الرى الاخرى .

وعلى أساس هذه النجاحات بدا تنفيذ خطة الثلاث سنوات من أجل بناء أسس الاقتصاد الوطنى المستقل ، وتصفية مظاهر الاقتصاد المستعمر الاحادى الجانب ، والاسراع بتحسين مستوى معيشة الشعب، وتم بنجاح انجاز الخطة فى سنتين وثمانية اشهر . وفى هذه الفترة اعيد بناء المصانع على أسس حديثة ، وبنى المزيد منها على نطاق واسع ، كما تم انتاج سلع مصنعة تماما بعد أن كانت البلد تنتج سلعا نصف مصنعة فقط ؛ وتم فى الزراعة ، تجاوز مستويهما بعد الحرب، وفى المجال الثقافى اعيد بناء العديد من المنشآت وبدأ مستوى معيشة الشعب فى التحسن ».

ب ـ التصنيع وبناء الاقتصاد

مع بنـــاء الدفـــاع

واعطت قيادة البلاد الاولوية لتحويل علاقات الانتاج قبل القيام بالثورة التكنيكية ، ذلك أن التحويل الاشتراكى لعلاقات الانتاج ، جعل البلاد قادرة على اقامة الصناعة الثقيلة مع بناء الصناعة الخفيفة والزراعة على نحو منسق · وهذا التحويل الاشتراكى لعلاقات الانتاج ، جعل البلاد قادرة على تصفية علاقات الانتاج القديمة ، والاسراع بالبناء الفنى · وجدير بالذكر أن مسألة التحويل ، والفنيين العاملين ، قد اكتسبت أهمية خاصة فى كوريا الديموقراطية ، وذلك كرد فعل للسيطرة الاستعمارية التى استمرت ٣٦ عاما · وقد لجأ الكوريون لحل مسألة العاملين الفنيين الى دعوة كافة المثقفين لاعطاء الاولوية للتعليم مما ادى الى تخريج عدد من الفنيين الشبان · ومن الناحية الاخرى ، تم توجيه العاملين الى تعلم الاساليب الفنية الحديثة ، والمعارف العلمية أثناء عملية الانتاج ·

وقد تمت عملية التصنيع الاشتراكى على مرحلتين : ١ ـ وضع الاستعدادات لاسس التصنيع الاشتراكى ٢ ـ مرحلة تنفيذ التصنيع الاشتراكى · وكانت المرحلة الاولى هى خطة الخمس سنوات التى وضعت فيها أسس التصنيع الاشتراكى · أما خطة السبع سنوات فكانت خطة تحقيق التصنيع الاشتراكى بالفعل ·

وقد أوضح لنا نائب رئيس لجنة الدولة للتخطيط « اننا خططنا لتحقيق هذه الخطة من ١٩٦١ الى ١٩٦٧ ، ولكن الموقف فى بلادنا تحول الى حالة من التوتر الشديد · فخلال تلك الفترة ، خلق الامبرياليون الامريكيون مشكلة الكاريبى ، وزادوا الاستعدادات للحرب ، واثاروا فى مناسبات عديدة ، الاستفزازات العسكرية ضد النصف الشمالى من البلاد ·

وفى ظل ظروف كهذه ، كان لابد من توجيه الاهتمام الى توفير قوة دفاعية مناسبة ، والقيام

بالاستعدادات الضرورية لمواجهة غزو العدو فى أى لحظة • ولذا عقد الرفيق كيم ايل سونج الدورة الخامسة للجنة المركزية الرابعة للحزب فى عام ١٩٦٢، وفى هذه الدورة وضع خط تحقيق البناء الاقتصادى مع بناء الدفاع الذاتى للبلاد فى نفس الوقت •

نتيجة لذلك كان لابد من تنفيذ خطة السبع سنوات فى أكثر من سبع سنوات، وبالفعل تحققت الخطة فى عشر سنوات • وقد أثار الامبرياليون الامريكيون الاستفزازات ضد كوريا الديموقراطية فى تلك الفترة مثلما حدث من سفينة التجسس « بويبلو » وطائرة التجسس « أى • سى • ١٢١ » ولكنهم لم يجرؤوا على مهاجمة كوريا الديموقراطية •

وخلال هذه الفترة تطور اقتصاد كوريا الديموقراطية بسرعة شديدة نتيجة للربط بين البناء الاقتصادى والدفاعى • وازداد اجمالى الانتاج خلال خطة السنوات السبع ١١٫٦ مرة عما كان عليه سنة ١٩٥٦، وازداد معدل انتاج وسائل الانتاج بمقدار ١٣ مرة، وانتاج سلع الاستهلاك ٩٫٣ مرة، وتحققت زيادة فى الانتاج كل عام تبلغ ١٩٫١ فى المائة، وما كانت تنتجه البلاد فى عام كامل سنة ١٩٤٤ قبل التحرير، أصبحت تنتجه فى ١٢ يوما فقط سنة ١٩٧٠ •

وتمكنت كوريا الديموقراطية خلال تلك الفترة من بناء مصانع صناعة الالات باعتبارها صناعة رئيسية، وتحقق نجاح عظيم فى هذا المجال ببناء الصناعة الهندسية • وفى حين لم يكن مستطاعا قبل التحرير صناعة الالات الزراعية البسيطة، أصبحت البلاد فى سنة ١٩٧٠ قادرة على صناعة مكابس قوة ٦٠٠٠ طن، وسيارات نقل حجم كبير، وبولد وزارات، وقاطرات كهربائية، وسفن كبيرة، بالاضافة الى صناعة الخراطة • وبفضل هذه النجاحات أمكن توفير كل مستلزمات الصناعة وبناء المصانع محليا على خلاف ما كان يحدث فى البداية حين كانت تنقص بعض المعدات التى لم تكن تصنع محليا وانما كانت تستورد •

جـ ـ الوضع الاقتصادى الراهن وخطة السنوات الست من ١٩٧١ ـ ١٩٧٦

أقر المؤتمر الخامس لحزب العمل الكورى خطة السنوات الست على أساس تحقيق الهدفين الاساسيين التاليين : ١ ـ **المزيد من توطيد الاسس المادية والفنية للاشتراكية بمواصلة زيادة الانتاج**

٢ ـ **تحرير الشعب العامل الذى تخلص من القهر والاستغلال من العمل الشاق** • وسبيل تحقيقهما هو تطوير النجاحات فى التصنيع بالاسراع بالبناء الاقتصادى الاشتراكى، والشروع بفعالية فى تجديد كافة مجالات الاقتصاد القومى بما فيه الزراعة •

أهداف الخطة

وتستهدف خطة السنوات الست، انتاج من ٢٨ الى ٣٠ مليار كيلووات ساعة كهرباء، و ٥٠ ـ ٥٢ مليون طن فحم، ٣٫٦ ـ ٤ مليون طن صلب، ٢٫٨ الى ٣ مليون طن أسمدة كيماوية، ٧٫٥ ـ ٨ مليون طن أسمنت و ٥٠٠ مليون الى ٦٠٠ مليون متر نسيج، ٧ ـ ٧٫٥ مليون طن حبوب •

ويطلقون على خطة السنوات الست **خطة تشوليما** « أى الحصان المجنح » [رمز السرعة] • والمقرر أن يزداد المعدل السنوى للانتاج بنسبة ١٤ فى المائة وأن يزداد اجمالى الانتاج بمقدار ٢٫٢ مرة عن سنة ١٩٧٠ •

مشاكل يجرى حلها

وقد ساعدنا الرفيق **باك شانج ريون** أيما مساعدة على تبين ملامح الصورة العامة للتطور الصناعى الراهن فى كوريا الديموقراطية، والسمات المحدودة لهذه الصورة فأوضح لنا أنه وان كانت الصناعة الكورية تعتمد أساسا على المواد الخام المحلية، الا أنها لا تزال تستورد بعض المواد من الخارج، ونحن لم نستطع بعد حل **مشكلة فحم الكوك**، الهام لصناعة الحديد، والذى نعانى من نقصه، ولذا نبذل جهودنا لاستخدام الحد الادنى من فحم الكوك فى انتاج الحديد • ونجح علماؤنا وفنيونا فى استخدام فحم الانتراسيت بشكل أكبر، وبدأنا نقلل من استخدام الكوك فى صهر الحديد كذلك **ينتج الصلب « البليستر » فى كوريا فقط، وباستخدام الانتراسيت**، كما انهينا أبحاثنا التجريبية فى مجال استخدام الكهرباء فى صهر الحديد، وبدأنا فى تنفيذ ذلك بالفعل، كما توسعنا فى انتاج الحديد الاسفنجى للاقتصاد فى استخدام الكوك •

« ولم نستطع بعد حل **مشكلة الالومنيوم، والقطن، والمطاط**، ونعمل الان لحل مشاكل هذه

المواد من خلال التبادل مع الدول الاشتراكية ، كما نشترى بعض المواد من بعض البلاد الرأسمالية ، على ألا يقل اعتمادنا على موادنا الخام المحلية عن نسبة من ٦٠ فى المائة الى ٧٠ فى المائة وذلك طبقا لخط الحزب ، أما فيما يتعلق **بالصلب ، فاننا نعتبره أكثر المواد أهمية فى سبيل تحقيق « جوتشيه »** فى الصناعة .

وضع المعادن الحديدية وغير الحديدية

واستطرد نائب مدير لجنة الدولة للتخطيط **قائلا : « وبسبب ذلك فان حزبنا يوجه جهوده الضخمة لدعم استقلالنا فى انتاج المعادن الحديدية** خلال الخطة الحالية ، ولدينا الامكانيات لتطوير صناعات هذه المعادن ، لان بلدنا زاخر بكافة الموارد ، واكتشف عمالنا وفنيونا احتياطيات ضخمة لعديد من المعادن الخام ، ونحن نركز جهودنا لاكتشاف خامات المعادن ، ونتوقع فى المستقبل القريب اكتشاف بلايين أو عشرات البلايين من أطنان خامات المعادن •

« وقد استطعنا فى السنوات الاخيرة حل مسألة الصناعة البتروكيميائية ، ونتيجة لذلك سننتج انواعا جديدة من المنسوجات المصنوعة من الالياف الصناعية مثل الانيلون – وتيترون – وديدرون خلال سنة أو سنتين ••

كذلك تزخر كوريا الديموقراطية بالمعادن غير الحديدية مثل الذهب ، والفضة ، والزنك ، والرصاص ، ولديها عشرات البلايين من أطنان الفحم فى باطن الارض • ولذا يقال ان **كوريا الديموقراطية لا تحسب بالمساحات ، بالكيلو مترات المربعة ، بل بالاحجام لانها ذات ٣ أبعاد** ، كما تزخر البلاد أيضا بامكانيات توليد الكهرباء من مصادر المياه •

وتم خلال السنوات الثلاث الماضية فى المجال الصناعى ، بناء أكثر من ٨٠٠ر١٣ ورشة ومعمل ومصنع جديد ، تعمل جميعها بالفعل الان ، كما تم خلال السنوات القليلة الماضية انشاء فروع صناعية جديدة .

وقد ازداد اجمالى الانتاج الصناعى فى البلاد فى ١٩٧٣ بنسبة ١٩ فى المائة . كما اصبح الانتاج الصناعى فى نفس السنة يعادل ٦ر١ مرة ، الانتاج الصناعى فى عام ١٩٧٠ ، كذلك فعلى الرغم من أن خطة السنوات الست كانت تنص على وجوب تحقيق زيادة سنوية فى الانتاج قدرها ١٤ فى المائة . فان النسبة التى تحققت قد تجاوزت هذا الرقم بالفعل ، واصبحت ١٧ فى المائة وهو كما قال نائب مدير لجنة الدولة للتخطيط انتصار كبير – لخط بناء الاقتصاد الوطنى الاشتراكى المستقل الذى وضعه قائدنا طبقا لفكرة « جوتشيه » •

د – المهام الرئيسية الثلاث

للثورة التكنيكية

وتعمل كوريا الديموقراطية الان لانجاز ثورتها التكنيكية من أجل تحقيق مهام رئيسية ثلاث هى : **١ – تقليل الفروق بين العمل الثقيل ، والعمل الخفيف ٢ – وبين العمل الصناعى والعمل الزراعى ، ٣ – وتحرير النساء من ثقل الاعباء المنزلية** ، وذلك بزيادة حركة التجديد فى كل فروع الاقتصاد القومى وخاصة فى الصناعة والزراعة • وقد أوضح لنا نائب مدير لجنة الدولة للتخطيط أيضا « اننا استطعنا خلال خطة السنوات السبع ، تحرير عمالنا من العمل الشاق الى حد كبير ، ولكن لا تزال هناك فروق بين العمل الثقيل ، والعمل الخفيف ، والعمل فى ظروف الحرارة الشديدة ، وفى الظروف الضارة ، فضلا عن التمييز بين العمل الصناعى والعمل الزراعى ، وبالاضافة الى ذلك فان النساء اللاتى يبلغن حوالى نصف السكان لا يزلن أسرى العمل المنزلى الشاق •

وترجع ضرورة الثورة التكنيكية فى كوريا الى أهميتها بالنسبة لحل مشكلة الايدى العاملة ، ويقول كوادر التخطيط الكوريون أنه « لدينا الكثير مما يمكن عمله فى خطة السنوات الست ، **ولو كان لدينا أيد عاملة أكثر لكان بالامكان تحقيق استغلال أفضل للمناجم ، واصطياد كميات سمك كبيرة الخ** ، ولكن موارد الايدى العاملة فى بلادنا محدودة للغاية ، خاصة وانه خلال الحرب الاخيرة فقد الكثير من الشباب ، بالاضافة الى انه لدينا عدد كبير من التلاميذ والطلبة • كذلك فقد كررنا اقتراحنا للجنوب بتخفيض القوات المسلحة من خلال اتفاق سلام بين الشمال والجنوب ، ولكن الانفصاليين لم يقبلوا ، لذا لم يكن باستطاعتنا تخفيض عدد قواتنا ، ولذا فان معظم مشاكل بلادنا تنبع من مشكلة الايدى العاملة •

ويتم طبقا للخط الذى وضعه الحزب فى المؤتمر الخامس ، تحقيق المهام الرئيسية الثلاث للثورة

التكنيكية ، فى كل فروع الاقتصاد القومى ، **بالاعتماد على الصناعة الهندسية والقوى التكنيكية** • كما تبذل جهود كبيرة فى مجال الثورة التكنيكية فى الزراعة • ومن أجل تزويد الريف بالمزيد من الجرارات ، يحل العمال الكوريون هذه المشكلة عن طريق توسيع مصنع **كومسونج** للجرارات بمعدل عشر مرات •

تحرير النساء من ثقل الاعباء المنزلية

أما المشكلة الاخرى التى تعمل الثورة التكنيكية على حلها فهى : تحرير النساء من ثقل الاعباء المنزلية ، خاصة وتبلغ نسبة عمل النساء ٤٠ فى المائة من اجمالى الانتاج القومى العام ٪ فمعظم العاملين فى **الزراعة ، والصناعة الخفيفة ، والتجارة ، والتعليم ، والثقافة ، والصحة** هم من النساء . وهناك محاولات وجهود عديدة تبذل لحل مشاكل النساء عن طريق تصنيع الاكل المطهى ، والوجبات الرئيسية فى صورة « أطباق جاهزة » وقد بنت كوريا لهذا السبب عددا كبيرا من مصانع الاطعمة الجاهزة ، التى يقبل عدد كبير من النساء على شراء أطباقها الجاهزة •

كذلك كان لابد بالنسبة للمرأة أيضا من توفير دور الحضانة ورياض الاطفال بشكل كاف كى يستطيع عدد أكبر من النساء التفرغ للعمل بشكل فعال • ويوجد فى كوريا الديموقراطية فى الوقت الحالى ٣٫٥ مليون طفل وصبى وهى أعلى نسبة فى العالم بالنسبة لعدد السكان •

كذلك تقوم البلاد بانتاج ادوات المطبخ المنزلى واحتياجاته ، من أفران ، وسخانات الخ من أجل التقليل من عمل النساء الشاق وبنت الدولة مصانع عديدة للادوات المنزلية ، وبالاضافة الى ذلك يوجد لكل ناحية مطبخ ، ومغسل ، وورش لصناعة الملابس ، ومحلات للملابس الجاهزة ، ولذا تلبس النساء الملابس المصنوعة فى ورش الملابس ٪ ويغسلن ملابسهن فى المغاسل ، مما أعفاهن من عديد من الاعباء والجهود الشاقة التى كن يبذلنها فى الماضى •

وتعتمد عملية تحقيق المهام الثلاثة للثورة التكنيكية ، بشكل عام ، على تطوير الصناعة الهندسية ، وزيادة انتاج صناعة الالات نفسها ، نظرا لحاجة الثورة التكنيكية الى آلات كثيرة . وقد انتجت المصانع بمعجزات انتاجية ١٠٫٠٠٠ آلة فى العام بعد أن كان الانتاج من قبل ٣٠٠٠ فقط ، وفى نهاية خطة السنوات الست من المقرر أن يتم انتاج ٣٠٫٠٠٠ آلة •

رفع مستوى المعيشة

والغاء كافة الضرائب

وفى الواقع ، يتمثل مبدأ أسمى ، من مبادىء عمل ونشاط الحزب ، فى العمل على رفع مستوى معيشة الشعب ، عن طريق الغاء الفروق فى مستوى المعيشة بين العمال والفلاحين ، والفروق فى الظروف المعيشية بين سكان المدن وسكان الريف • وقد أوضح لنا كوادر التخطيط : « أن **كافة العاملين فى البلاد قد تخلصوا من القلق فيما يتعلق بالطعام والملبس ، ولا يوجد شخص فى بلادنا يشعر بالجوع أو يرتدى الاسمال ، كما لا يوجد متعطلون ، وبتطوير الاقتصاد ، تواصل الاجور ارتفاعها** ، كما تواصل اسعار الحاجيات انخفاضها ، وخلال خطة السنوات الست ، سيرتفع مستوى معيشة الشعب ، وسيتحسن بصفة خاصة وضع الفلاحين ، الذين ألغينا الضريبة العينية عليهم فى الزراعة منذ ١٩٦٦ •

زيادة الاجور ١٫٥ مرة

وانخفاض الاسعار ٥٠ ٪

وطبقا لخطة السنوات الست ، ستزداد أجور العمال بنسبة ١٫٥ مرة ، وستنخفض اسعار السلع الاستهلاكية بنسبة ٥٠ فى المائة • وفى اول **ابريل من العام الماضى الغيت كافة انواع الضرائب فى بلادنا** . وفى مارس من العام الماضى انخفضت اسعار السلع الاستهلاكية بمتوسط ٣٠ فى المائة • ونتيجة لذلك اصبح عمال بلادنا يحصلون على زيادة فى الدخل قدرها ٢٨ ون فى المتوسط ، شهريا . وسوف يزداد الدخل الحقيقى للفرد فى بلادنا هذا العام ١٫٥ مرة بالنسبة للعمال و ١٫٦ مرة بالنسبة للفلاحين وذلك بالمقارنة مع دخل الفرد فى عام ١٩٧٠ ، كما ازدادت القوة الشرائية للشعب »



المسألة الزراعية
الفروق تتلاشى .. بين الريف والمدينة

فى المستقبل القريب - بعد عامين تقريبا - يتم انجاز الثورة الاشتراكية فى الريف الكورى . ويومها تختفى تماما أية فروق متبقية بين المدينة والقرية . فكيف يجرى حل هذه المعضلة ؟

من خلال انتقالنا ومناقشاتنا مع الرفيق رى يونج جو نائب رئيس اللجنة المركزية للزراعة نستطيع ان نضع ايدينا على ٣ **مفاتيح عامة وأساسية** :

■ « تثوير » الريف بأسس الاشتراكية وتطبيقاتها فى المسألة الزراعية .

■ تدعيم قيادة الطبقة العاملة للفلاحين من خلال ادخال الثورة التكنيكية الى الريف وتحول الفلاحين الى عمال . وهنا كان على المدينة أن تساند الريف وعلى الصناعة أن تساند الزراعة .

■ رفع مستوى القيادة الادارية للزراعة ، الى مستوى تقدم ادارة الصناعة ، خلال عملية الانتقال من نظام التعاونيات الى نظام مزارع الدولة .

فكر الانسان .. أولا

كنا نسأل : لماذا كل هذا النشاط الفكرى الذى نلاحظه فى كل مكان فى وقت تم فيه بالفعل تصفية الطبقات المعادية ؟ الا يؤثر ذلك على عملية الانتاج نفسها

سؤالنا كان لفلاح فى الاربعين من عمره ، نزل لتوه من فوق الجرار الذى يسوقه . نظر الرجل لجراره ، ثم قال : « بهذا الجرار ازرع الاشتراكية فى قريتى . الجرار لا يعمل وحده . الانسان هو الاهم . والفكر هو الذى يحرك نشاط كل انسان . لكن وعينا نحن الفلاحين بذلك ، لم يكن ممكنا بدون الثورة الثقافية التى تعنى بالنسبة لنا الان أن نتثقف بالاشتراكية . لقد كانت تسود ريفنا الافكار المتخلفة عن المجتمعات الاستغلالية والعادات والتقاليد القديمة المعوقة لتطور الزراعة على أسس اشتراكية . وبدون أن أتسلح بالفكر الاشتراكى ، كان الجرار هذا لا يعنى بالنسبة لى سوى آلة . ولكنه يعنى بالنسبة لى الآن ما هو أكثر بكثير . انه يعنى تقدم مستوى معيشة مرتفع وحضارة جديدة . ولهذا فانه شىء ثمين اعرف باهمية صيانته والعمل عليه » .

وعندما استأذن الرجل وقفز الى جراره يستكمل عمله ، عرفت لماذا اشاهد بين وقت وآخر حلقات تثقيف فكرية تجتمع هنا وهناك . ولم أشأ أن أبحث عن اجابة للنصف الثانى من سؤالى ، فقد كان حماس الرجل فى العمل بعد أن قفز الى الجرار كافيا .

الثورة التكنيكية ..
فى خدمة الريف الاشتراكى

ادخال الثورة التكنيكية فى الريف الكورى - من اجل تحقيق اهداف الاشتراكية فيه - كان معناه ايجاد حل لمشكلات : الرى وتوفير الكهرباء والميكنة واستخدام الكيماويات .

ولان محصول **الارز** هو الزراعة الرئيسية والمحصول الرئيسى للبلاد ، فان حل مشكلة الرى كانت قضية رئيسية خاصة اذا عرفنا أن الجفاف يسود البلاد فى الربيع وبداية الصيف بينما توجد أمطار كثيرة فى أواخر يوليو وأغسطس . وبدون حل هذه المشكلة ، يصعب توفير « الغذاء » من المحصول الرئيسى للبلاد . بل يصعب تحقيق اى نجاح سواء فى ميكنة الزراعة أو فى استخدام الكيماويات أو حتى فى توفير الكهرباء . ففى فصول الجفاف مثلا - لا قيمة للميكنة بدون رى حيث لا يوجد ماء .

فى معظم انحاء العالم ، يسقط الماء من مكان عال الى مكان منخفض . ولكن فى كوريا - بحكم

طبيعتها – توجد الزراعة فى اراض عالية ، بينما الماء فى اراض منخفضة . لم يكن كافيا أن يتوفر الماء ، بل كان لابد من « سحبه » الى أعلى . وفى اقليم هوان هى – مثلا – توجد محطة ضخ لرفع الماء الى ارتفاع ١٥٠ مترا فوق الارض . لهذا نجد **أن طول قنوات الرى التى بنيت فى الريف الكورى ، تماثل طول محيط الكرة الارضية ، ونجد كل أنواع الخزانات الكبيرة او المتوسطة والصغيرة .**

وقنوات الرى نفسها ، استخدمها الكوريون كمولدات للكهرباء ولتربية الاسماك وللنقل المائى ولتوفير المياه اللازمة للصناعة وللشرب .

بشبكات الرى ، زرع الكوريون الارز فى ظل الجفاف ، ووفروا الكهرباء وأدخلوها الى كل القرى وبيوتها حتى فى الاماكن الجبلية النائية ، وأدخلوا الكهرباء فى عملية توفير الغذاء (العلف) للحيوانات .

وقد أعطى الكوريون اهتماما كبيرا لتحقيق الميكنة فى الريف وتحرير الفلاحين من العمل الشاق ، وعملت المصانع فى المدن لتوفير الجرارات (أربع أنواع : جرار بقوة ٣٠٠ حصان وآخر بقوة ٧٥ حصانا وثالث بقوة ٢٨ حصانا ، واخير بقوة ١٦ حصانا . ويجرى حاليا العمل على انتاج جرار بقوة ٨ حصان) . وفى عام ١٩٧٤ وفر الكوريون ما بين ٣ و٤ جرارات لكل ١٠٠ هكتار ومن ١ الى ٢ لورى لكل ١٠٠ هكتار . وفى عام ١٩٧٦ سيكون هناك ما بين ٨ الى ٩ جرار لكل ١٠٠ هكتار . وفى نهاية الخطة السداسية (٧٠ – ١٩٧٦) ستتم نهائيا ميكنة وتصنيع الزراعة فى الريف الكورى . وبهدف توفير الاسمدة ومواد المقاومة تنتج كوريا اليوم ٥٠٠ كيلو جرام للهكتار الواحد وستوفر فى نهاية هذا العام واحد طن لكل هكتار . وكان من الممكن أن تذهب هذه الكميات عبثا ، ما لم تتوفر فى كل منطقة من الريف معاهد ومدارس للزراعة ومقاومة الافات لتعليم وتدريب الكادر الفنى .

وبميكنة الريف ، يكتسب الفلاحون كل مهارات وخصائص الطبقة العاملة . وذلك يدعم بالتالى قيادة الطبقة العاملة ، ويسهل بدوره عمليات اتمام بناء الثورة الاشتراكية فى البلاد ككل .

تعميم مزارع الدولة

ارتبط الخطان السابقان : الثورة الثقافية وادخال الثورة التكنيكية لتطوير الريف الكورى ، بالخط العام الثالث : تنفيذ نظام مزارع الدولة .

وقد قامت عملية الانتقال من نظام التعاونيات الى نظام مزارع الدولة ، على أساس بناء مزارع كبيرة وتطوير محطات الالات الزراعية وتحسين البذور . وربط هذه العملية باقامة مزارع الدولة حيث أصبح دخل الفلاحين فيها مماثل لدخل سكان المدن ، واصبحت بالتالى نموذجا ، عملت التعاونيات على تطوير نفسها وفقا له . وواصلت الدولة دعم هذا النظام حتى أوشك على أن يعم الريف الكورى كله .

ويضع الكوريون ايديهم بوضوح على أن « التوليفة » التى نجحوا فى تحقيقها بين قيادات الصناعة وقيادات الزراعة ، كانت عاملا من العوامل الاساسية التى أحرزت هذا التقدم فى تحويل الريف .

ويتم تقييم العمل الانتاجى لكل فلاح ، من خلال « جماعة العمل » التى ينتخبها الفلاحون فى اجتماع عام يرشح فيه الكادر نفسه . وتجتمع جماعات العمل فى الخريف من كل عام لدراسة ومناقشة تقارير كل جماعة عن عمل كل فلاح فى المزرعة .

ملكية خاصة .. فى حدود

وتسمح عملية تطبيق الاشتراكية فى الريف الكورى ، بحدود من الملكية الخاصة . فالدولة – من خلال ادارة المزرعة – تشجع على أن يقوم الفلاحون بتربية الماشية لحسابهم . بل تمدهم بالرءوس وبالعلف فى نظير أن تستلم الدولة من الاسرة ١٠٠ كيلو جرام من اللحم سنويا . ويسمح للأسرة بذلك فى حدود رأس لكل فرد من أفرادها . ولا يوجد قانون يمنع زيادة عدد الرءوس من الماشية كمشروع خاص . ولكن ظروف العمل نفسها من حيث الوقت هى التى قد تحول دون زيادة كبيرة للمشروع الخاص .

كما تعطى الدولة جزءا صغيرا من الارض حول المنزل للزراعة الخاصة ، وتساوى هذه المساحة ٠٠١ر٠ من الهكتار . ومعظم الاسر تزرع الخضروات فى هذه المساحة لاستهلاكها الخاص وتبيع ما قد يزيد سواء من انتاج الماشية أو الخضروات للدولة بأسعار مجزية .

ولا تختلف الخدمات العامة التى تقدمها الدولة للقرية ، سواء فى الحجم أو النوع ، عن نفس المستوى الذى يقدم للمدينة وبشكل خاص فى مجال الصحة ، وقد انتهت الدولة منذ عام ١٩٦٨ من تعميم الاذاعة فى الريف ، حيث وفرت راديو لكل أسرة . وهى الان على وشك « تلفزة » الريف بتوفير جهاز تليفزيون لكل أسرة .

٣ نظـــــم التعلـــــيم

تطور التعليم الشعبى فى كوريا على أساس الربط بين التعليم ومستقبل البلاد . وحتى فى فترات الحروب ضد الاستعمار اليابانى ثم الامريكى ، كان هنـاك اهتمام ملحـوظ بضرورة استكمال بناء المدارس ، وتوفير التعليم المجانى للاطفال . وقد تحولت معارك القتال ضـد الاستعمار الى دراسات فى مناهج المدارس .

وبعد الحرب ضد اليابان ، لم يكن بالبلاد سوى ٤٣ مدرسة متوسطة . ولم تكن هناك جامعات . وكانت نسبة الامية ٨٠ فى المائة من مجموع السكان . وأمكن تدبير الاستثمارات لاقـامة المدارس ، بالاضافة الى اعتمادات الدولة ، عن طريق جعل التعليم نظير مصروفات للقـادرين ومجانى لغير القادرين . وقد تحددت القدرة او عدم القدرة ، على أساس الملكية فى ذلك الوقت . وبالاضافة الى ذلك نظم الحزب حملات واسعة للتوعية من أجل المساهمة فى بناء المدارس ، سواء بالمال لمن يملك أو بالجهد لمن لا يملك . وبهذه الطريقة حلت مشكلة بناء المدارس وبقيت مشكلة توفير المدرسين . ووجه الحزب نداء لكل من تلقى بعض التعليم للمشاركة ، وفى نفس الوقت ركزت الدولة على عملية تخريج كادر للتدريس .

ومن الامور التى يعتزون بها فى كوريا ، أنهم لم يدربوا كوادر التدريس فى ذلك الوقت خارج البلاد حيث كان ذلك ممكنا ، بل نبذوا هذه الفكرة بمنطق أن تدريب الكادر داخل البلاد ، يمكنهم من التعرف جيدا على حقائق الحياة فى البلاد ، وبالتالى على الوسائل الملائمة لتطويرها . ولم يأت عام ١٩٤٨ الا وكانت كوريا قد أسست أول جامعة (١٩٤٦) سميت بجامعة كيم ايل سونج ، وأنشأت ٥٠ معهدا متوسطا وعاليا .

لا أمية منذ ١٩٤٩

بمفهوم أن الشعب كله يجب أن يساهم فى بناء الوطن ، وأن المواطن المتعلم أقدر على البناء ، نظمت حملة واسعة فى البلاد أمكن معها القضاء على الامية **تماما** فى عام ١٩٤٩ . لكن الحرب العدوانية التى شنتها الامبريالية الامريكية على البلاد ، دمرت المدارس . فمدينة بيونجيانج دمرت عن آخرها ولم يتبق من كل مبانى المدينة سوى مبنيين فقط . وتأخرت عملية التعليم بالطبع وعادت مشكلة الامية من جديد ، وان كانت هذه المرة اقل حدة .

وفى عام ١٩٥٦ ، أمكن تحقيق نظام التعليم الابتدائى الالزامى الذى كان قد تعطل بسبب الحرب بشكل كامل . وفى ١٩٥٨ تحقق نظام التعليم المتوسط الالزامى ايضا . وفى عام ١٩٧٢ تحقق نظام الالزام لمدة ١١ سنة بدلا من مدة ٩ سنوات .

حقائق عن التعليم

● طوال فترة التعليم الالزامى [١١ سنة] يدرس الطفل بجانب اللغة ، التاريخ والرياضيات والطبيعة والكيمياء والادب والاحيـاء والنظـرية الماركسية وتاريخ نضال شعب كوريا ضد الامبريالية اليابانية والامبريالية الامريكية ويتلقى الطفل بعض التدريبات العسكرية والتدريب على قيادة السيارات ويقضى يوميا ساعة يدرس خلالها التاريخ الثورى للزعيم كيم ايل سونج .

● تشكل كل مدرسة مجموعات [كل مجموعة تضم من ١٠ الى ١٥ تلميذا] للدعاية الصـحية وتقديم بعض الخدمات فى الريف والمصانع .

● يبلغ عدد المدارس الابتدائية والمتوسـطة الان فى كوريا ١٠،٠٠٠ مدرسة .

● كثافة التلاميذ فى الفصول ما بين ٣٥ الى ٤٠ تلميذا ، وبعد عامين ستصبح ٣٠ تلميذا .

● يتم انتقال التلاميذ من فصل دراسى الى فصل آخر عن طريق الامتحانات اساسا . ولكن هناك نسبة عن المناقشات التى تجرى فى الفصل .

● فى فترة الاجازة تكلف المدرسة التـلاميذ ببعض المهام ، كالعمل فى وسط العمال والفلاحين . وبالنسبة لتلاميذ المرحلة الالزامية يشاركون فى زراعة الزهور او فى معسكرات الراحة والرياضة .

● فى فترة التعليم الجامعى ، يقيم الطلبـة فى الجامعة اما الطلبة الذين يعيشون فى نفس المدينة التى بها الجامعة فالاقامة فى الجامعـة اختيارية امامهم ، ولا يدفع الطلبة اية رسوم سواء للتعليم او للاقامة .

● فى مدرسة شوليما فى بيونجيانج [مدرسة تضم المرحلة الالزامية كلها] ١٠٠٠ تلميذة وتلميذ فى كل فصل ٣٠ تلميذا ، بالمدرسة ٥٣ مدرسا ومدرسة و ١١ معملا ومكتبتان تضمان ٤٠٠٠٠ كتاب [٢٠٠٠٠ فى العلوم و ٢٠٠٠٠ فى الانسانيات] .

● يبدأ اليوم الدراسى فى التاسعة صباحا . وفى الواحدة ظهرا يتناول التلاميذ وجبة الغذاء ثم يقضون الفترة من الساعة ٤ الى الساعة ٥،٣٠ فى المعامل او صالات الفنون حيث ينتهى بذلك اليوم الدراسى .

٣ نظم التعليم

يوجد فى كوريا ٣ اشكال للتعليم : نظام يسمى بـ « ما قبل الدراسة » ونظام « التعليم العام » ونظام « التعليم والعمل معا » . وبديهى ان نقول أن كل مراحل التعليم بالمجان .

وفى نظام « ما قبل الدراسة » ، يلتحق كل الاطفال برياض الاطفال فى سن ٤ سنوات ولا تبدأ الدراسة الا فى سن الخامسة حيث يدرس الاطفال برنامجا من ٧ مواد هى : قصص طفولة كيم ايل سونج ـ القيم الشيوعية ـ اللغة الكورية ـ الحساب ـ الرسم والاشغال اليدوية ـ الغناء ـ الرقص .

وبعد رياض الاطفال ، ينتقل الطفل الى نظام التعليم العام من سن السادسة حيث يلتحق بالمدرسة الابتدائية لمدة ٤ سنوات ليتم بعدها ٦ سنوات أخرى فى مدارس متوسطة . وبذلك تصبح مدة التعليم الالزامى ١١ سنة .

ويقوم التعليم فى هذه المرحلة على أساس اعداد الاطفال بتمكينهم من نظرة عامة وتكوين عام يؤهلهم لتلقى المواد العلمية الاساسية الحديثة ، والتمهيد للحصول على مهارات فنية أكثر ولياقة بدنية ملائمة .

وبعد التعليم المتوسط يلتحق التلميذ لمدة ٣ سنوات بالمدارس العليا المتخصصة حيث يتم تدريبه خلالها لتأهيله كفنى على مستوى متوسط . وبعد ذلك يستطيع التلميذ الالتحاق بالجامعة أو بالمعاهد العليا الاكثر تخصصا حيث يقضى ما بين ٤ الى ٦ سنوات . وبعد التخرج من الجامعة هناك معاهد أبحاث مدة الدراسة بها ٣ سنوات حيث يتخرج منها الطالب على مستوى فنى عال ومتخصص .

اما نظام « الدراسة والعمل معا » ، فقد أنشىء وكرس لخدمة أولئك الذين لم يواصلوا التعليم بعد الفترة الالزامية والتحقوا بالعمل ، وأيضا لخدمة من يعمل ويرغب فى مواصلة دراسات عليا متخصصة .

وفى اطار هذا النظام ، توجد مدارس مسائية وبالمراسلة ، ومدارس ملحقة بالمصانع ومعاهد متخصصة على مستوى عال . ويوفر هذا النظام الفرصة لانجاز مهمة : امداد العمال الذين حصلوا على خبرات فنية من خلال العمل ، بدراسات نظرية ترفع من كفاءتهم الانتاجية .

المبادىء التى تحكم التعليم

يحكم عملية التعليم ونظمها فى كوريا ، ثلاثة مبادىء . يتعلق الاول منها بمفهوم أن جيل المستقبل لا فائدة منه اذا كان عاجزا أيديولوجيا ومهما بلغ من درجات التمكن الفنى . ولهذا لابد من تعليمه بالثقافة الثورية والشيوعية . ومن رياض الاطفال وحتى الجامعات ، يتلقى الطلبة دروسا فى الفكر الماركسى . ويرتبط هذا المبدأ مباشرة بالمبدأ الثانى ، الذى ينطلق من مفهوم أن الشعب هو الذى يلعب الدور الرئيسى فى تغيير المجتمع . ولا تغيير يحقق التقدم فى بناء الاشتراكية بدون التمكن من العلم الحديث والتكنولوجيا والثقافة المعاصرة . ويكمل هذين المبدأين السابقين غير ممكن بدون توفير صحة جيدة للطلبة . ولهذا فان الرياضة البدنية عنصر أساسى من العناصر التى تقوم عليها أسس التعليم فى كوريا .



الموقف المستقل فى الخلاف العقائدى داخل المعسكر الاشتراكى

ولعل من أبرز ما يمثل الموقف المستقل الذى تتخذه جمهورية كوريا الديموقراطية وقيادتها طبقا لفكرة « جوتشيه » ، هو موقفها من الخلاف العقائدى الذى ظهر فى صفوف الحركة الشيوعية العالمية وبين البلدان الاشتراكية . وتلتزم كوريا الديموقراطية ، حسبما أوضح لنا الرفيق « رين يونج جاك » مدير وزارة الخارجية التزاما صارما بمبدأ الاستقلال فيما لها من علاقات مع البلدان الاشتراكية ، كما تلتزم بموقف تنشيط الوحدة بين البلدان الاشتراكية والاحزاب الشقيقة . وتضع لذلك أربعة مبادىء يتعين على البلدان الاشتراكية ان تلتزم بها : **اولا ان تعارض الامبريالية ، ثانيا: ان تؤيد حركة التحرر الوطنى فى المستعمرات والحركة العمالية العالمية : ثالثا : ان تواصل السير الى الاشتراكية والشيوعية ، ورابعا: ان تقيم الوحدة فيما بينها** على أساس عدم التدخل فى الشئون الداخلية لبعضها البعض ، والاحترام المتبادل ، والمساواة والمنفعة المتبادلة .

وفيما يتعلق بالخلافات داخل المعسكر الاشتراكى فقد تناولها الرفيق **كيم ايل سونج**

بالشرح والتحليل مرات عديدة ، وتحدد فيها موقفهم المبدئي المستقل من هذه الخلافات . وبهذا الصدد اوضح الرفيق كيم ايل سونج [٢] : « ان الخلافات بين الدول الاشتراكية ، هي على أية حال ، **خلافات بين البلدان الشقيقة المناضلة في سبيل هدف مشترك** ، والخلافات بين بعض البلدان الاشتراكية ، ان وجدت ، هي بصورة رئيسية **خلافات حول تقدير الإمبريالية ، وحول المسائل الاستراتيجية والتكتيكية في النضال ضد الامبريالية** » .

« **لا يريد البعض أن ينشطوا في النضال ضد الامبريالية** ، وضد الولايات المتحدة ، اذ يستعظمون قوى الامبريالية ، ولاسيما الامبريالية الامريكية ، ويعتبرون أن العالم كله سوف يفنى اذا فجر الامبرياليون بعض القنابل الذرية . **اننا لا نستطيع أن نوافق على هذا . لا يجوز استصغار شأن الامبريالية بالتأكيد ، ولكنه لا يجوز كذلك المبالغة** في قوتها . فالامبريالية ، والامبريالية الامريكية على وجه أخص ، قد أخذت في الافول ، فلو لم يكن الامبرياليون الامريكيون متجهين نحو الافول ، لماذا أصيبوا اذن بالهزيمة في كوريا ؟ ولو لم يكن مصيرهم هو مصير الشمس عند الغروب ، لماذا اذن يتم تأديبهم في جنوب فيتنام ، وهذا يؤكد ان أيامهم باتت معدودة .

وضرب هنا مثلا بعدم تجرؤ الامبرياليين على اشعال نيران الحرب بعد تأميم الرئيس عبد الناصر لقناة السويس ، وضرب مثلا بنجاح الشعب الجزائري في احراز استقلاله وغيره من الشعوب الافريقية في انهيار نظام السيطرة الاستعمارية في افريقيا انهيارا لا مرد له ، بالاضافة الى النضال العارم لشعوب أمريكا اللاتينية وفي طليعتها شعب كوبا ضد الولايات المتحدة ، والهجوم الذي تتلقاه الامبريالية الامريكية ليس من الخارج فقط ، بل من الداخل بسبب نضال الزنوج ضد التمييز العنصري والنضال من أجل الحرية والحقوق الديموقراطية ونضال الجماهير الشعبية ضد الحرب .. مما اعتبرها جميعا دلائل تشير الى اتجاه الامبريالية نحو الافول .

خلافات داخل الاسرة الواحدة

ويستمر مارشال كيم ايل سونج شارحا وجهة نظره فيقول : « هناك خلافات اذن بين بعض البلدان الاشتراكية حول مسألة كيف ينبغي **تقدير الامبريالية** ، وفي الوقت ذاته ، حول مسألة **كيف ينبغي النضال ضد الامبريالية ، وتأييد حركة تحرر الشعوب** . واذا عمدنا الى التشبيه ، فان الخلافات بين البلدان الاشتراكية **هي ما يشبه الاختلاف في الرأي الذي ينشأ مؤقتا في الاسرة الواحدة** .

ويستطرد قائلا : « ومادامت الخلافات بين الدول الاشتراكية لم تحسم بعد ، فيمكن أن تشتد الشحناء حينا وتتضاءل حينا آخر ، بيد أن هذا لا يعني أن الخلافات قد استفحلت عن ذي قبل ، بل أنه يتعذر اعتبار أن البلدان الاشتراكية منقسمة على بعضها انقساما تاما . فلو أن احد البلدان الاشتراكية قد انتقل تماما الى جانب الامبريالية ، لكان الامر مختلفا . الا انه لم يحدث منذ ظهور الخلافات أن انتقلت دولة اشتراكية الى جانب الامبريالية ، كما أن هذا الامر مستحيل .. ان شعوب البلدان الاشتراكية كافة تناضل من أجل بلوغ هدفها المشترك الا وهو بناء المجتمع الحر السعيد ، الاشتراكي فالشيوعي . ثم أن البلدان الاشتراكية متحدة في التحالف الذي يقتضيه التضامن الطبقي لدى الطبقة العاملة العمالية الظافرة في النضال ضد الامبريالية والاستعمار العالميين ، ولذلك فأن شعوب وبلدان الاشتراكية لن تنقسم على بعضها أبدا . وفي النهاية ، فانه سوف تتغلب البلدان الاشتراكية على خلافاتها ، وتتوصل الى نظرة مشتركة ، وتناضل مجتمعة ضد الامبريالية ، من أجل انتصار الاشتراكية والشيوعية .

أسباب الاختلاف

ويرى المارشال كيم ايل سونج « ان الاختلاف في وجهات النظر بين البلدان الاشتراكية حول مسائل مثل تقدير الحقبة المعاصرة ، ووسائل النضال ضد الامبريالية الخ ، مرجعه **الاختلاف في الظروف التاريخية والجغرافية التي تقع فيها هذه البلدان الاشتراكية وفي مهماتها القومية التي تواجهها ، والاختلاف فيما بينها حول فهم الماركسية اللينينية** » ويرى أيضا انه نظرا لان استغلال واضطهاد الانسان للانسان قد تمت ازالتهما في البلدان الاشتراكية كافة بعد استيلاء الطبقة العاملة على السلطة واقامة الملكية الاجتماعية لوسائل الانتاج في هذه البلدان ، **لذا لا يمكن قيام**

---

[٢] منذ ١٩٦٩ في رده على اسئلة المدير العام لدار التحرير في مصر ص ٣٢ الى ص ٣٥ من كتاب اجوبة عن الاسئلة التي طرحها الصحفيون الاجانب .

تناقض بين الدول الاشتراكية يعكس اختلافا أساسيا فى المصالح ، مثلما ينشأ بين الطبقات المتناحرة » • كما يرى أيضا أن الخلافات القائمة حاليا فى الرأى بين البلدان الاشتراكية هى **خلافات مؤقتة** •

وتحتفظ القيادة الكورية وجمهورية كوريا الديموقراطية الشعبية ، بعلاقات الصداقة والتعاون ، وبعلاقات الاخوة مع البلدين الاشتراكيين الكبيرين **الاتحاد السوفيتى ، والصين الشعبية** . غيران الصحافة ووكالات الانباء الغربية والامريكية خاصة ، تحاول النيل من العلاقات الطيبة القائمة بين كوريا الديموقراطية ، وبين الاتحاد السوفيتى والصين ، عن طريق الادعاء بأن كوريا تنحاز الى جانب أحد البلدين الاشتراكيين الكبيرين فى صراعهما •

وقد رد كيم ايل سونج على ذلك فقال [٣] : « **ان ادعاءات الامبرياليين والنشرات المأجورة لهم بأن بلدنا يقف الى جانب بلد معين أو آخر ، بصدد خلافات الرأى القائمة بين بعض البلدان الاشتراكية ، ليس الا حيلة بلهاء ترمى الى خلق العداء ، ودق اسفين بين بلدنا ، وبعض البلدان الاشتراكية الاخرى** . وليس هناك اية غرابة فى ان يتمسك الامبرياليون وسائر الرجعيين فى العالم بمثل هذه المراوغات الدنيئة ، اذ انهم يأملون فى توسيع شقة الخلاف فى الاراء بين بعض البلدان الاشتراكية ، ويلوذون بمختلف المراوغات الماكرة لاضعاف وتدمير وحدة البلدان الاشتراكية وتماسكها » •

ويرى بهذا الصدد : « ان الاحزاب الماركسية اللينينية ، كانت منذ البدء أحزابا مستقلة وسيدة مصيرها • والشيوعيون هم المقاتلون الذين ينطلقون من ايمانهم بالماركسية اللينينية ، فيناضلون فى سبيل تحرير الطبقة العاملة وشغيلة بلدانهم ، وفى سبيل حرية شعوب العالم قاطبة وتحررها ، ولهذا يلتزمون بقناعاتهم المستقلة فى جميع الظروف مهما عسرت ، ويناضلون فى سبيل هذه القناعات ، لا تلين لهم قناة • **واذا ما فقد بعض الشيوعيين السيادة والاستقلال ، فاتبعوا ما يفعله الاخرون ، فلن يستطيعوا صون المبادىء والاحتفاظ بخططهم وسياستهم** ، وسوف يؤدى هذا فى نهاية المطاف الى فشل الثورة والبناء فى **بلدانهم** ، بل وسيلحق ضررا فادحا بتطور الحركة الشيوعية الدولية والثورة العالمية » •

وفيما يتعلق بموقف حزب العمل الكورى فى هذا السبيل يقول ،« ان حزبنا يتخذ فكرة « جونشيه » هاديا لنشاطه ، وهو يحدد خطه وسياسته باستقلال تام ويخوض النضال ضد الامبريالية ، والنضال ضد الانتهازية من كل نوع ، ليس خبط عشواء بناء على أوامر الاخرين أو توجيهاتهم ، بل اعتمادا على قناعاته الذاتية دائما • ونحن اذ نلتزم التزاما ثابتا على هذا النحو بمبدأ الاستقلال فى نشاطنا ، فاننا نسعى فى نفس الوقت الى الاتحاد على اساس مبادىء الماركسية اللينينية والاممية البروليتارية ، مع أصدقائنا الذين يناضلون فى سبيل الهدف المشترك ، والى تعلم ما هو جدير بالتعلم من تجاربهم ، وما يتفق ومبادىء الماركسية اللينينية • وينسجم مع واقع بلدنا ، والاحزاب الشقيقة كلها تتفهم موقف حزبنا هذا وتعتبره صائبا » •

نقد موقفى الخوف من الحرب والصراخ ضد الامبرالية

وانطلاقا من هذا الموقف المستقل ، تنتقد الزعامة الكورية التطرفات والمبالغات التى تنشأ فى الصراع داخل الحركة الشيوعية العالمية وبين البلدان الاشتراكية ، وتنتقد بصفة عامة ، المواقف التى يعتبرها حزب العمل الكورى ضارة بقضايا النضال ضد الاستعمار ووحدة الحركة الشيوعية • وتوجه الزعامة الكورية نقدها لهذا البلد الاشتراكى الكبير أو ذاك فى نقطة معينة ، بشكل ضمنى يفهم من السياق ، ولا تذكر هذه البلدان بالاسم •

وبهذا الصدد يقول كيم أيل سونج [٤]: « **أن الموقف من الامبريالية الامريكية ، يشكل خلال الفترة الراهنة مقياسا رئيسيا للتحقق من صحة مواقف الاحزاب الشيوعية والعمالية** » وينبه الى أن « البلدان الاشتراكية ، **حتى ولو كانت تقيم علاقات دبلوماسية مع الدول الامبريالية ، يجب ألا تذيب كفاحها المناوىء للامبريالية فى اطار تلك العلاقات ، أو تضعفه لهذا السبب** • ينبغى على البلدان الاشتراكية أن **تتمسك بالمبادىء الطبقية فى**

---

(٣) نفس المرجع السابق ص ٨٤ ـــ ٨٦

(٤) « الوضع الدولى ومشاكل الحركة الشيوعية العالمية » الثورة والبناء الاشتراكى فى كوريا ص ١٤٠ ـــ ١٤١

الدبلوماسية أيضا ، وأن تمارس الضغط على الامبريالية الامريكية ، وتجعلها عرضة لسوطة الضغوط ، ثم تفضح سياستها القائمة على العدوان والحرب وتذيبها »

● من الناحية المقابلة ينتقد الموقف الاخر بقوله : « **كذلك فانه من الخطأ مجرد الصراخ ضد الامبريالية الامريكية ، دون اتخاذ الاجراءات المحددة لإيقاف عدوانها** ، وبنوع خاص ، **يجب عدم خلق الصعوبات أمام القوى المعادية للامبريالية فى اتخاذها الاجراءات العملية والموحدة ضد المعتدين الامبرياليين الامريكيين** · فلو حدث هذا ، لتعذر منع العدوان الامبريالى الامريكى · وعلى العكس من ذلك ، فانه يجعل الامبرياليين الامريكيين أشد غطرسة ، ويشجعهم بالتالى على الاعمال العدوانية » ويقول : « ان النضال ضد السياسة الامبريالية فى العدوان والحرب ، ولاجل سلام العالم وأمنه ، هو من مبادىء السياسة الخارجية للبلدان الاشتراكية ، **لكن الشيوعيين فى كفاحهم لمنع الحرب · يجب ألا يخافوها أبدا** ، بل عليهم ابادة المعتدين عندما يشنون هجمات مسلحة ضدنا ، ولا يمكن صد العدوان الامبريالى والدفاع عن السلام الا عن طريق **التمسك الشديد بالموقف المبدئى فى معاداة الامبريالية** ، وشن كفاح عنيد ضدها » ·

فيم تتجسد التحريفية الحديثة والانتهازية اليسارية ؟

ويرى كيم ايل سونج « **ان التحريفية لا تزال** تشكل خطرا كبيرا على الحركة الشيوعية العالمية ، وانها **تجد التعبير عنها قبل كل شىء فى الموقف غير الصلب نحو الامبريالية ، وفى توجهها السلبى من كفاح الشعوب الثورى** » ويرى من الناحية المقابلة « وجوب محاربة **الانتهازية « اليسارية »** ، لانها **لا تلتفت الى حقائق الواقع المتغيرة ، وتستشهد بقضايا فردية من الماركسية اللينينية بطريقة جامدة، مثلما تقود الشعب الى العمل المتطرف تحت شعارات مفرطة فى الثورية ، انها تفصل الحزب عن الجماهير ، وتشق القوى الثورية ، وتحول دون شن هجوم مركز على العدو الرئيسى** » ويرى أيضا « **انه بدون محاربة الانتهازية « اليسارية » ، لا يمكن خوض معركة فعالة ضد التحريفية الحديثة** » ·

وانتقد الزعيم الكورى من الناحية المقابلة الجهود المبذولة لتكوين أحزاب موازية فى الحركة الشيوعية العالمية فقال [٥] : « **علينا ان نعارض** المحاولة الرامية الى شق صفوف المعسكر الاشتراكى والحركة الشيوعية العالمية · **ان شق المعسكر الاشتراكى الى معسكرين ، وشق الحركة الشيوعية العالمية الى حركتين ، وكل حزب الى حزبين** ، لا يمكن أن يكون شيئا سويا أو مرحبا به **على الاطلاق · يجب علينا السعى الى الوحدة عبر الصراع** » ·

نقد « المبالغات » المتبادلة

وتنتقد القيادة الكورية الاحكام التى تتصف **بالتطرف والمبالغة : والتى تقع فيها بعض البلاد** الاشتراكية فى نظرتها وتقييمها للاوضاع فى بعض البلاد الاشتراكية الاخرى وترى هذه القيادة : « **انه لا يجوز اقصاء هذا البلد الاشتراكى ، أو ذاك عن المعسكر الاشتراكى · بشكل مصطنع** ، فمثل هذه الاعمال من شأنها تقويض المعسكر الاشتراكى ، يجب الا يتم اقصاء أى بلد اشتراكى عن المعسكر الاشتراكى والحركة الشيوعية العالمية · **ولا يجوز لاحد اجراء تقييم يتصف بالمبالغة أو التشويه لاى بلد أو حزب شقيق ، أو اعتبار أى من الـ ١٣ بلدا اشتراكيا · خارج المعسكر الاشتراكى والحركة الشيوعية العالمية** ، ففى رأينا أنه **ينبغى اعتماد الدرجة القصوى من التعقل والحذر فى تقييم الزعامة لدى أى بلد أو حزب شقيق** » · « **لا يجوز على الاطلاق ، اعتبار العلاقات بين الاحزاب الشقيقة ، مثل العلاقات العدائية بيننا وبين الامبريالية · فلو ارتكبت زعامة حزب شقيق غلطة ، وجب على الشيوعيين ان يتقدموا بالنقد الرفاقى** ، وأن يساعدوها فى العودة الى جادة الصواب » ·

وتنتقد الزعامة الكورية أيضا المبالغات التى وقعت فيها دولة اشتراكية أو أخرى فى وصفها للمجتمع فى دولة اشتراكية ما بأنه يعود الى الرأسمالية ، فقالت من الناحية المقابلة أنه : « **ينبغى عدم التسرع فى استخلاص النتائج المتعلقة بطابع المجتمع فى بلد شقيق على أساس ظواهر منعزلة يمكن ملاحظتها فى نواح متعددة من حياته الاجتماعية ، لان الطابع المميز لمجتمع معين يتحدد وفقا للطبقة التى تملك السلطة ، والشكل السائد فيه للملكية ووسائل الانتاج** » · وأضاف زعيم الثورة الكورية قائلا أنه : « **لا يجوز للمرء أن يضع أى بلد**

---

(٥) نفس المرجع السابق ص ١٦٠ .

شقيق على قدم المساواة مع العدو ؟ أو أن يدفع به الى جانب الامبرياليين ، حتى ولو كانت لهذا البلد بعض النواحى السلبية • فالشيوعيون لا يسعهم أبدا السماح لانفسهم بالتحامل ، أو السقوط في الذاتية ، لدى النظر صوب الاحزاب والبلدان الشقيقة » •

وفى الختام ينتقد كيم ايل سونج أولئك الذين يرفضون وحدة العمل ضد الامبريالية تحت ستار هذه الحجة أو تلك فيقول : « ان رفض القيام بعمل مشترك ضد الامبريالية ، ليس موقفا معارضا حقا للتحريفية ، مدافعا عن نقاء الماركسية اللينينية ، أو مسهما فى تعزيز وحدة المعسكر الاشتراكى وتماسك الحركة الشيوعية العالمية ، ولا يمكن اعتباره بمثابة الموقف الذى يناوىء الامبريالية الامريكية • فالاستراتيجية الاساسية للثورة العالمية اليوم ، هى توجيه رأس الرمح فى الهجوم ، ضد الامبريالية الامريكية ، على أساس وجوب التمييز بوضوح بين صديق ارتكب غلطة ، والخصم . فالخصم يجب قهره ، بينما الصديق الذى ارتكب غلطة ينبغى انتقاده وارشاده لسلوك جادة الصواب . بهذه الطريقة ينبغى علينا أن نوجد جهودنا مع جميع الاصدقاء ونحارب العدو الرئيسى » ... « وان تاريخ الحركة الشيوعية العالمية يعرف أمثلة عديدة عن قيام الشيوعيين بعمل مشترك حتى مع الاشتراكيين الديموقراطيين ذوى الاتجاه اليمينى فى النضال ضد الحروب الامبريالية ، وسياسة الجبهة المتحدة التى سار عليها الشيوعيون لعبت دورا هاما فى الماضى على صعيد تعبئة الشعوب للنضال ضد الحروب الامبريالية » •

ويرى فى النهاية : « ان شعوب البلدان الاشتراكية سوف تصل فى مجرى النضال المشترك ضد الامبريالية ، الى التغلب على خلافات الرأى ، والى القتال جنبا الى جنب فى سبيل انتصار القضية المشتركة ، ألا وهى بناء الاشتراكية والشيوعية » •



٦ اعادة توحيد كوريا السمات الخاصة .. ومناهج الحل

ودارت مناقشات وفد الطليعة بشأن مسألة اعادة توحيد البلاد مع الرفيق تشا أونج بال الكادر السياسى المتخصص فى شئون الوحدة ، وتركزت المناقشة فى البداية حول الكيفية التى عمل بها الامريكيون على تقسيم كوريا •

كيف عمل الامريكيون على تقسيم كوريا ؟

وبهذا الصدد أوضح الرفيق تشا أونج بال ، أنه بعد الانتصار فى حرب التحرير ضد اليابانيين ، انشئت « اللجان الشعبية » فى كل مكان ، وكانت الاساس السياسى لاقامة حكومة واحدة فى البلاد بأسرها ، الا أنه عندما احتل الامريكيون جنوب كوريا ، قاموا بتصفية اللجان الشعبية تماما ، واقاموا حكما عسكريا هناك ، وعارضوا رغبة الشعب فى بناء جمهورية ديموقراطية .

وعندما عقد فى موسكو فى ديسمبر ١٩٤٥ لقاء وزارى بين ثلاث من الدول المتحالفة ، وهى الاتحاد السوفيتى ، والولايات المتحدة ، وبريطانيا ، وناقشوا فيه مسألة استقلال كوريا ، فان الامريكيين عرقلوا اقامة حكومة موحدة فى البلاد . واقترحوا تشكيل حكومة عسكرية فى كل كوريا الى أجل غير مسمى • وبعد اقامة هذه الحكومة ، اقترحوا فرض الوصاية على كل كوريا لمدة خمس أو عشر سنوات ، بحجة ان الشعب الكورى غير مؤهل لحكم نفسه بعد ٣٦ عاما من التبعية للحكم اليابانى ، وقالوا انه بعد فترة الوصاية يمكن للشعب الكورى ان يحكم نفسه .

ويقول الكوريون ان اقامة الحكم العسكرى والوصاية كانت تتعلق بالبلاد الاستعمارية التى هزمت فى الحرب ، اما بالنسبة لنا فكان ذلك أمر غير عادل على الاطلاق . وعلى أية حال فقد فشل الامريكيون فى اجتماع موسكو فى تمرير اقتراحاتهم ، وقرر الاجتماع اقامة حكومة موحدة ديموقراطية مؤقتة لكل كوريا . ولذا انهى الامريكيون المباحثات من جانبهم .

وبعد الاجتماع الوزارى للدول الثلاث ، عقد اجتماع سوفيتى - أمريكى ، وعند عقده ، طرحت الولايات المتحدة المشكلة الكورية فى الجمعية العامة للامم المتحدة فى سبتمبر ١٩٤٧ ، وأخذت تعمل على تنفيذ مناورتها الثانية لتقسيم البلاد ، فعن طريق تعبئة الاصوات الموالية لها ، استطاعت استصدار قرار بشأن كوريا ينص على انشاء « لجنة الامم المتحدة بشأن كوريا » وارسلت الولايات المتحدة هذه اللجنة الى كوريا برغم معارضة الشعب الكورى وشعوب العالم .

وعن طريق هذه اللجنة ، أجرت الولايات المتحدة انتخابات منفصلة فى كوريا الجنوبية فى

١٠ سبتمبر ١٩٤٨ ، اقيمت على اثرها حكومة عميلة لها هناك ، عقدت الولايات المتحدة كل انواع المعاهدات غير المتكافئة التى تضمن تبعية هذه الحكومة لها ، وعلى هذا النحو قسمت البلاد الى قسمين . وجمع الامريكيون ، العملاء السابقين لليابانيين فى الجنوب من راسماليين وكومبرادور للاعتماد عليهم فى حكم الجنوب ، وواصلوا قمع القوى الديموقراطية وحل كافة المنظمات الوطنية القائمة ، وقطعوا كافة الروابط الاقتصادية والثقافية والانسانية ، وانتقال الاشخاص بين الشمال والجنوب .

السمات الخاصة

تختلف مسألة اعادة توحيد كوريا ، اختلافا تاما ، على سبيل المثال ، عن مسألة اعادة توحيد المانيا . فالمانيا كانت بلدا عدوانيا وامبرياليا ، كوريا لم تكن كذلك ، وبعد الحرب العالمية الثانية ، كان لابد من تقسيم المانيا الى قسمين بسبب الحرب ، وحتى الان تخشى شعوب العالم ، توحيد المانيا من جديد ، واتجاهها مرة أخرى نحو العسكرية . ولقد برهنت التجارب التاريخية على ذلك . فلقد هزمت المانيا فى الحرب العالمية الاولى ، ولكنها عادت مرة أخرى الى طريق العسكرية .

ولكن مشكلة توحيد كوريا تختلف عن ذلك ، لان كوريا لم تغز بلدانا أخرى ، وانما تعرضت هى للغزو من جانب بلدان أخرى . وشعوب العالم عندما تؤيد وحدة الشعب الكورى فانها تقف فى صف سلام العالم ، لانه مادام هناك انقسام فى كوريا فستكون هناك أيضا احتمالات الحروب والقتال .

وتتلخص سمات مسألة اعادة توحيد كوريا فى سمتين إساسيتين أوضحهما الرفيق **تشا أونج بال** : ١ - أن مسألة اعادة توحيد بلادنا ، هى **مسألة اقامة السيادة الوطنية فى كل أراضى بلادنا** ، وطرد الامريكيين من جنوبها ٢ - ان مسألة اعادة توحيد بلادنا ، **هى مجرد مسألة اعادة توحيد لبلد مقسم** . فمصدر انقسام بلادنا ليس هو شعبنا فى الشمال أو الجنوب ، كما أن هذا الانقسام لم يتم بسبب خلافات دينية أو طائفية أو عنصرية . **كذلك فإن اعادة التوحيد ليست مسألة مزج بين أمم مختلفة ، وليست مسألة ضم بلد ضعيف لبلد قوى أو استعادة اراض اكتسبتها دولة (ثورية مثلا) انتصرت فى الحرب وانما هى مسألة داخلية فى بلادنا** .

منهج اعادة التوحيد

وفيما يتعلق بالطريقة والمنهج الذى ينبغى أتباعه لاعادة توحيد البلاد ، حددت الزعامة الكورية خطا أساسيا بهذا الصدد يقوم على ثلاثة مبادىء :

١ - **مبدأ الاستقلال فى الوحدة** وهو اهم مبدأ جوهرى يعتمد عليه المبدأين الاخرين ، ويقوم على أساس ضرورة اتمام الوحدة بجهود الشعب الكورى نفسه دون تدخل قوى خارجية .

٢ - **المبدأ الديموقراطى فى الوحدة ، بمعنى** وجوب اشتراك الشعب كله فى الشمال والجنوب . فى العمل من أجل الوحدة ، بمعنى أن تحل مسألة اعادة التوحيد طبقا لرغبات ومطالب الشعب الكورى نفسه ، ونظرا لان هناك طبقات عديدة فى جنوب كوريا من عمال وفلاحين ، ومثقفين وبورجوازية وطنية لذا ينبغى اختيار النظام السياسى الواحد للبلاد ، طبقا لارادة كل طبقات الشعب .

٣ - المبدأ الثالث هو اتمام **اعادة التوحيد بطريقة سلمية** بمعنى حل المسألة لا بالوسائل الحربية ، وانما بالوسائل السلمية بشرط واحد ، هو خروج الامبرياليين الامريكيين من كوريا الجنوبية . والخط السلمى فى الوحدة خط ثابت اتبعته كوريا الديموقراطية .

ولكن الرفيق **تشا أونج بال** أوضح « **ان هناك امكانية لتحقيق الوحدة بالوسائل الحربية** . فمثلا فى ٢٥ يونيو سنة ١٩٥٠ نشبت الحرب بسبب مخططات الولايات المتحدة . ومن الممكن ان تثير الحكومة العميلة فى كوريا الجنوبية ، الحرب مرة أخرى ضد الجزء الشمالى . وفى هذه الحالة يمكن أن تواجه مسألة اعادة التوحيد عن طريق الحرب . ولكن ذلك يرجع الى موقف العدو واستفزازاته واثارته الحرب ضدنا ، ولكن حزبنا وحكومتنا لا يزالان يصران على الحل السلمى للمشكلة لانهما يقدران المصالح القومية لشعبنا .

أما منهج الحل ووسيلته الرئيسية فتنبع من الخط الرئيسى ، ويقوم هذا المنهج على أساس ضرورة طرد الامريكيين من كوريا الجنوبية ، واجراء انتخابات فى كوريا كلها شمالا وجنوبا ، ثم اقامة حكومة موحدة فى البلاد .

أقتراح « الاتحاد الكونفدرالى »

وقد اوضح الرفيق **تشا اونج بال** : « اننا قدمنا فى ١٣٠ مناسبة مقترحات للجانب الاخر ، لاعادة توحيد بلادنا وذلك منذ التحرير . وفى هذه المقترحات تقدمنا بمناهج وسبل عديدة لاعادة توحيد بلادنا . فاقترحنا اقامة اتحاد **كونفدرالى** بين الشمال والجنوب ، وتبادل اقتصادى ، وثقافى ، وتخفيض النفقات العسكرية والقوات ، وعقد اتفاقية سلام ، وحرية الانتقال ، وتبادل الخطابات والمساعدة على حل مشاكل الجنوب

للمساهمة فى اقامة حياة مستقرة فى الجنوب عن طريق عرض امكانية تشغيل ملايين المتعطلين فى الجنوب ، مما يسند اقتصاد كوريا الجنوبية ، ولو قبلت هذه المقترحات لامكن عن طريقها انجاز مهمة التوحيد .»

واشار الرفيق تشا أونج بال الى ان الاحزاب السياسية فى كوريا الجنوبية كافحت من أجل اعادة توحيد البلاد حتى قبل انتفاضة ١٩ ابريل التى أطاحت بسينجمان رى • وكافح طلاب وشباب كوريا الجنوبية ببطولة فى الانتفاضة تحت شعار ، الوحدة هى السبيل لحياتنا « لنذهب الى الشمال وليأتوا الى الجنوب » واستمر شعب الجنوب فى كفاحه بعد الانقلاب العسكرى الذى اتى بباك جونج هى الرئيس الحالى ، وحدثت انتفاضات الشباب والطلبة فى ٢٤ مارس و٣ يونيو ١٩٦٤ وفى هاتين الانتفاضتين ، عارض الشباب والطلبة « المحادثات بين كوريا الجنوبية واليابان » • وفى ١٩٦٥ كافحوا ضد « المعاهدة بين كوريا الجنوبية واليابان » واستمر الكفاح الذى تدعم من خلاله تيار الوحدة ، حيث يعزل الامبرياليون الامريكيون وعملاؤهم أكثر فأكثر ويواجهون وضعا متزايد الصعوبة .»

خطوط العمل من أجل الوحدة

منذ بدء الحوار فى ١٩٧١

قدمت قيادة جمهورية كوريا الديموقراطية منذ ١٩٧١ ثلاثة خطوط للعمل من أجل الوحدة :

الاول : هو المفاوضات الموسعة بين الجانبين : وقد قدم هذا الاقتراح فى الخطاب الذى القاه الرفيق كيم ايل سونج فى ٩ اغسطس ١٩٧١ ، الذى أعرب فيه عن استعداد الشمال فى أى وقت لاجراء اتصالات مع الاحزاب السياسية فى كوريا الجنوبية بما فيها الحزب الجمهورى الديمقراطى الحاكم ، والمنظمات الاجتماعية والشخصيات فى كوريا الجنوبية .» وبعد طرح هذا الاقتراح زاد شعب كوريا الجنوبية من ضغطه ورفعت شعوب العالم اصواتها مطالبة بتحقيق اقتراح الشمال ، **وهو ما أرغم سلطات كوريا الجنوبية على بدء محادثات الصليب الاحمر** بين الشمال والجنوب ، والشروع بحركة جمع شمل العائلات ، برغم ان هذه السلطات كانت تعلن من قبل انهالن تجرى اية مفاوضات مع الشيوعيين ، وتتبنى سياسة معاداة الشيوعيةبنشاط محموم،وبرغم انها قمعت واعدمت عديدا من المناضلين الذين طالبوا بالوحدة السلمية .»

الثانى : تأكيد المبادىء الثلاثة لتحقيق اعادة الوحدة ، بفرض الاسراع بالتوحيد بما يتناسب مع الموقف السائد فى البلاد منذ بدء الحوار ، وهذه المبادىء هى : ١ ـ اعادة التوحيد ينبغى ان تتم على اساس **حق تقرير المصير** بدون تدخل أى قوى خارجية ٢ ـ اعادة التوحيد ينبغى **أن تتم بطريقة سلمية** بدون استخدام القوات المسلحة ٣ ـ ينبغى العمل على **قيام وحدة وطنية كبرى** ، على أن توضع فى الاعتبار ، الاختلافات فى الافكار والنظم السياسية بين الشمال والجنوب •

البيان المشترك بين الشمال والجنوب

وبعد نشر هذه المبادىء الثلاثة من جانب قيادة كوريا الديموقراطية ، صدر « **البيان المشترك** » بين الشمال والجنوب فى ٤ يوليو ١٩٧٢ الذى احتلت المبادىء الثلاث مكانا هاما فيه بل وتم تأكيدها فيه ، عن طريق النص على تخفيف التوتر بين الشمال والجنوب ، ومنع الهجمات الدعائية المتبادلة ، ومنع نشوب الصدامات المسلحة ، مما يستند جميعه الى المبادىء الثلاثة •

لجنة للتنسيق بين الشمال والجنوب

وبعد « البيان المشترك »» انشئت بفضل الجهود المخلصة للحزب والحكومة فى كوريا الديموقراطية « **لجنة التنسيق بين الشمال والجنوب** » وعقد اتفاق من أجل ذلك ، يعكس روح المبادىء الثلاثة ايضا ، وقد أقرت الجمعية العامة للامم المتحدة هذه المبادىء ، باعتبارها المبادىء الرئيسية لحل مشكلة توحيد كوريا وذلك فى الدورة الـ ٢٨ للجمعية العامة للامم المتحدة سنة ١٩٧٣ .»

الثالث : هو البرنامج ذى النقاط الخمس : وهناك ظروف محددة ، دفعت الى التقدم بهذا البرنامج ، لانه بعد اصدار البيان المشترك ، انتعشت آمال الشعب الكورى فى الوحدة كما لقى البيان تأييد وترحيب شعوب العالم المحبة للسلام .» ولكن حكومة كوريا الجنوبية اتبعت بعد ذلك تكتيكا خادعا ذا وجهين ، فعندما يجلسون مع ممثلى الشمال يزعمون موافقتهم على البيان المشترك ويقولون كلاما طيبا ، اما عندما يعودون فيواصلون الاستعداد للحرب بنشاط ، ويرددون مزيدا من الافتراءات على الشمال • وفى هذه الظروف ايضا الحوا على ضرورة دخول كوريا الى الامم المتحدة على أساس دولتين منفصلتين ، وهنا كان لابد من التقدم بمقترحات جديدة من أجل تمهيد الطريق للاسراع بالوحدة ، ووقف مؤامرات الولايات المتحدة فقدم البرنامج ذى النقاط الخمس ، وينص البرنامج على :

١ ـ تخفيف وتهدئة التوتر بين الشمال والجنوب ، وابعاد حالة المواجهة المسلحة بينهما .»

٢ ـ تحقيق كافة أوجه التعاون والتبادل بين الشمال والجنوب .

٣ ـ عقد جمعية وطنية كبرى من ممثلين للاحزاب السياسية ، والمنظمات الاجتماعية ، والشخصيات المستقلة لكافة الفئات فى الشمال والجنوب . وهى مسألة أساسية تجعل بالامكان تحقيق الوحدة فى اتساق مع رغبات ومصالح الامة بأسرها . خاصة وان هناك فى كوريا الجنوبية أحزاب ترغب باخلاص فى عقد الجمعية الوطنية الكبرى مثل **حزب التوحيد الثورى ، والحزب الديمقراطى الجديد** .

٤ ـ اقامة اتحاد كونفدرالى بين الشمال والجنوب تحت اسم واحد هو « **جمهورية كوريا الكونفدرالية** » . والسمة الاساسية له ، انه خطوة انتقالية ، قبل توحيد البلاد فى حالة ما اذا لم توافق سلطات كوريا الجنوبية على عدم اقامة حكومة موحدة عن طريق انتخابات عامة فى كل البلاد ، كما أن هذا الاتحاد يترك مختلف النظم السياسية فى الشمال والجنوب على ما هى عليه .

٥ ـ الاشتراك فى النشاط الخارجى من أجل منع الانقسام الدائم للبلاد . وفى حالة دخول الامم المتحدة يدخلها الشمال والجنوب باسم واحد هو « جمهورية كوريا الكونفدرالية » ذلك أنه من خلال الاشتراك فى النشاط الخارجى معا ، يمكن زيادة الوحدة الوطنية ، وتسهيل خلق موقف ملائم لاعادة التوحيد .

أقتراح باتفاق سلام مع الولايات المتحدة

وفى الواقع ، فلقد كان آخر الاقتراحات من أجل خلق الظروف الملائمة لاعادة توحيد البلاد ، هو الاقتراح **بعقد اتفاق سلام مع الولايات المتحدة** الامريكية نفسها والذى بعث به المجلس الشعبى الاعلى فى كوريا الديموقراطية الى الكونجرس الامريكى فى بداية العام الماضى ، باعتباره خطوة ومبادرة نشطة لخلق ظروف اعادة التوحيد ، وينص اتفاق السلام على :

١ ـ الا يحدث غزو من جانب الطرفين لبعضهما ، وأن يوقف سباق التسلح وزيادة عدد القوات (أى القوات الامريكية فى كوريا الجنوبية) .

٢ ـ الا تتدخل الولايات المتحدة فى الشئون الداخلية لكوريا ، وألا تعرقل وحدة البلاد .

٣ ـ أن تسحب الولايات المتحدة قواتها من كوريا الجنوبية .

٤ ـ لا ينبغى تحويل كوريا الى قاعدة عسكرية عدوانية ، أو ميدان عمليات لاى دولة اجنبية بعد انسحاب القوات الامريكية من كوريا الجنوبية .

ويقول الكوريون فى الشمال أن سبب اقتراح اتفاقية السلام مع الولايات المتحدة هو أن سلطات كوريا الجنوبية ليست لديها النية لابرام اتفاق سلام . ففى برنامج النقاط الخمس ، هناك فقرة تتعلق بعقد اتفاقية سلام بين الشمال والجنوب ، ولكن سلطات كوريا الجنوبية لم تقبلها . فضلا عن أن سلطات كوريا الجنوبية ليست لديها الصلاحيات لعقد اتفاق معنا لان الولايات المتحدة هى التى تسيطر فى كوريا الجنوبية على كل شىء ، وهى التى تصدر كافة الاوامر ، ولذا فالاقتراح واقعى وعادل .

الوضع الراهن

أما فيما يتعلق بتطور محادثات الصليب الاحمر بين الشمال والجنوب أوضح الرفيق **تشا أونج بال** أن هذه المحادثات لا تزال بعد عدة لقاءات فى مرحلة المحادثات التمهيدية ، وهذه اللقاءات لم تتوقف تماما ، فمن المقرر ان تعقد اجتماعات أخرى والتوقف فى المحادثات يحدث بسببه عدم اخلاص الجانب الكورى الجنوبى . فمن البداية حاولوا اطالة أمد المناقشات ، وعلى الرغم من أن المحادثات تتعلق بمسائل انسانية الا أنهم وضعوا فيها عملاء المخابرات الكورية الجنوبية الذين يدبرون كافة المكائد والمؤامرات .

والواقع ، أن السلطات الرجعية العميلة للامريكيين فى كوريا الجنوبية هى التى تقف عقبة كؤود فى سبيل اعادة توحيد البلاد ،فعندما اشتد فرح الشعب فى كوريا الجنوبية ببدء محادثات الصليب الاحمر ، وأعرب عن تأييده الحار وحماسه الكبير لها ، فزع حكام كوريا الجنوبية من تصاعد مشاعر الشعب الوحدوية فى كوريا الجنوبية تصاعدا سريعا ، وعلى الفور لجأوا كالعادة ، الى اعلان « حالة الطوارىء » بدعوى « التهديد بالعدوان من الشمال على الجنوب » ، وأخذوا كما فعلوا دائما ، يدوسون الحرية الديموقراطية بالاقدام ، ويشددون قمعهم الفاشى على الشعب بدعوى ان لا سبب يدعو الى تعديل « **قانون مكافحة الشيوعية** » و «**قانون الامن القومى** » ، وضيقوا الخناق على نشاط أحزاب المعارضة ، ومنعوا اعضاء أحزاب المعارضة من الاتصال بالشمال ، وقاموا باعتقال وسجن وتعذيب العديد من الذين قاموا بالاتصال والتبادل بين الشمال والجنوب ، وبلغ بحكام كوريا الجنوبية الحد أنهم نفذوا حكم الاعدام الصادر على بعض الوطنيين الذين كافحوا فى سبيل الديموقراطية ، ومن أجل التوحيد السلمى ، فى كوريا الجنوبية ..

● جمهورية مصر العربية ●

كيسنجر ٦ × ٩
هل فشل .. أم حقق أهدافه ؟

للمرة التاسعة يأتى كيسنجر الى منطقة الشرق الاوسط الملتهبة محاولا ان يستخدم نفوذه الشخصى لحل قضية بالغة التعقيد ، وفي كل مرة يتبع كيسنجر اسلوبا انفرد به في تاريخ الدبلوماسية العالمية هو أسلوب « المكوك » يتنقل بنفسه بين الاطراف المعنية محاولا البحث عن نقاط أو حتى « احتمالات » لنقاط الاتفاق .

ولان القضية معقدة فان « المكوك » يذهب ويجىء ست مرات في المتوسط في كل جولة .. وربما أكثر .

وفى الجولة الثامنة اكد كيسنجر انها لاستيضاح مواقف الاطراف المعنية ، ثم أكد أنه قادم فى المرة « السابعة » ليضع النقاط فوق الحروف وليقدم « تسوية » على طريق الحل جزءا جزءا ، وخطوة خطوة .

جزءا ، جزءا .. بمعنى البحث عن مخرج على كل جبهة على حدة وخطوة ، خطوة .. بمعنى زحزحة الاطراف على صعيد الجبهة الواحدة نحو قبول تسوية جزئية .

والامر الذى لا شك فيه ان كيسنجر قد اهل نفسه للقيام بهذا الدور ، ان قدم نفسه كوسيط مقبول — الى حد ما — من اطراف النزاع ذلك انه استطاع ان يكسب ثقة الكثيرين ممن يملكون مفاتيح الاتفاق ..

وربما كانت هذه الثقة ، هى نقطة الخلل في القضية كلها ، ذلك ان كيسنجر لم يكن على الاطلاق محايدا بين اطراف النزاع ، ومن ثم لم يكن وسيطا .

وربما كان الاساس فى المشكلة هو ان كيسنجر يعرف كيف يصبر ، ويلعب ، ويلتقط الخيوط ، بين أطراف النزاع ، وربما كان ايجال الون واحدا من أكثر الذين استطاعوا فهم كيسنجر وفهم اسلوبه ، انه يقول عنه — ربما من منطلق المديح وربما مجرد تقييم يعلن فيه انه يفهم اللعبة .

« انه [كيسنجر] يجعلك تشعر بأن ينصت لك بتجاوب وتفهم عظيمين ، ومع ذلك فهو لا يتخلى عن صلابته ، انه لا يستعديك بان يأتى الك بخطة معينة جاهزة ، ومع ذلك فأنا متأكد أن فى ذهنه مثل هذه الخطة انه يعطيك الشعور بأنه جبهة حريص عليك وعلى بلدك وعلى الشرق الاوسط »

وربما كانت سياسة « المكوك » هذه جزءا من الخطة التى المح الون الى اكتشافها ، فالرجل يأتى ويأتى ويأتى ولابد حتى من الناحية السيكولوجية أن تقدم له شيئا ما ولو صغيرا فى كل مرة ..

ويمثل هذا النشاط العصبى والعضلى الجارف استطاع سياسى يتوارى دوره بالضرورة مع توارى دور حكومته فى اطار مرحلة الانتخابات الامريكية المقبلة ان يلعب بمهارة واقفا بكلتا قدميه على مسرح الاحداث بينما التاريخ ومنطق الاحداث يرشحه بل ويدفعه للانزواء .

والحقيقة انه مع رجل كهذا ، وفى ظل موقف متأزم كهذا فان الخط البيانى للنتائج يهتز بشدة صعودا وهبوطا .. ولقد يقول البعض أن هذا « الاهتزاز » جزء من الخطة ، ولقد يرى البعض انه محصلة موضوعية لسياسة ترسم خطوة خطوة وبشكل جزئى ، ولكن الشىء المؤكد أن كيسنجر ذهب عقب رحلته الثامنة وهو ممتلىء تفاؤلا ، وبدأ رحلته التاسعة بتفاؤل يلف الاطراف المختلفة ، الى درجة التصريح بأن نصيب الرحلة من النجاح يصل الى نسبة ٩٠٪ .

لكن أمورا اخرى تتواجد على مسرح الاحداث ..

فالجزئية قد تفيد لدى طرف ظروفه الموضوعية سهلة ، لكنها تزيد الامور تعقيدا لدى طرف ظروفه الذاتية صعبة ، وقد يكون من الافضل لوضعه النظر اليه بالمنظار العام وليس الخاص ، اى جزء من مشكلة عامة وليس كمشكلة مستقلة بذاتها . وفى هذا الاطار المعقد يمكن للانسان ان يفهم الموقف على الجبهة السورية . واعلان القيادة السياسية الموحدة مع الفلسطينيين .

كذلك فان الطرف الذى لايزال بعيدا من التلامس المباشر مع كيسنجر وهو الفلسطينيون يجدون انه من الضرورى ان يتواجدوا فى الساحة وبشكل مباشر ، ومن هنا — جاءت عملية فندق سافوى فى تل ابيب . فان هذه العملية — ومهما اختلف البعض حول تقييمها — فان احدا لا يختلف حول نتائجها والتى تتبلور فى اعلان صارخ ومخضب بالدم من جانب الفلسطينيين انهم مصممون على الا يتساوم احد

ومع ذلك يذهب « المكوك » فى طريق الذهاب والعودة ، فالامر فوق انه هام على المستوى العالمى والاقليمى ، الا انه هام ايضا على المستوى الشخصى — عندما ترتبط القضية بجهود فرد ربط الكثير من ثقله وكبريائه السياسى بها — ويصعد « الخط البيانى » مرة ثالثة .. لكنه يصعد ليعود فيهبط مرة أخرى ، عندما تعلن الوزارة الاسرائيلية تمسكها بمقترحاتها السابقة ، وتصدر أوامرها لفريق المفاوضين بالالتزام بها .. ويعود كيسنجر ليبدو اقل تفاؤلا ، عندما يقول انه قد يلقى افكارا اسرائيلية مقابلة للافكار المصرية المحددة ، وبدا الامر وكأن كل ما امكن احرازه هو أن يحدد كل طرف ما يريد .

وتعود النغمة الاسرائيلية لتعلن رفض الانسحاب من الممرات وحقول البترول ، وتطالب صحيفة « دافار » الاسرائيلية « بأن تسير المفاوضات بتأن » .. وفى المقابل تعلن مصر رفض هذه المناورة وتعلن رفضها القاطع لفكرة الدوريات المشتركة ، ذلك ان قبول مصر لهذه الدوريات يعنى قبول التعاون وتنظيم احتلال الاسرائيليين للارض المصرية » . [الاهرام ١٧ — ٣ — ١٩٧٥] .

ويعلن كيسنجر أن « المكوك » على استعداد للعمل حتى نهاية شهر مارس ان لزم الامر وكأنه يضغط بذلك على الاطراف المعنية كى تصبح أكثر استعدادا للتنازل —

بل ويعلن انه سوف يستقيل اذا لم ينجح .. وكانه ايضا يهدد اطرافا تحرص على بقائه .

ويواصل الخط البياني هبوطه الحاد عندما تعلن الاهرام أن المتحدث الرسمى المصرى صرح بأن المباحثات بين الرئيس **السادات** و**كيسنجر** « كانت حادة وشاقة » لكن **كيسنجر** يظل ممسكا بخيط التفاؤل ويصرح للصحفيين فى نفس اليوم أنه « لايريد أن يصل الى مرحلة يقوم فيها جانب برفض مقترحات الجانب الاخير .. وانه بالرغم من تحرك الامور ببطء الا انه لم يصل بعد الى المرحلة التى يعتقد فيها انه لا يستطيع أن يستمر فى مهمته » .

[الاهرام ١٨ — ٣ — ١٩٧٥]

وتترقرق الدموع فى عينى **كيسنجر** — هكذا اكدت الصحف — وهو يعلن انتهاء مهمته بلا نتيجة ، وكأنه كان يتوقع نتيجة ما ..

ويبقى علينا ان نسأل أنفسنا ماذا قدم كيسنجر لنا ولاسرائيل بعد ٥٤ زيارة ضمن ٩ جولات .. اموال واسلحة ودعم مادى ومعنوى لم يسبق له مثيل يتدفق على اسرائيل .. وهذا التدفق — وكيسنجر أحد صناعه — لابد له بديهيا من أن يشجع اسرائيل على التمادى والاعراض عن اية تسوية معقولة .

انهم يغزون الثمر ويستثيرونه ثم يطلبون منا الا نصدق انه «وحش» أو أنهم يعدونه لكى يقوم بدور « الوحش »

انهم يمدون « اسرائيل » بكل ما تحتاج وبأكثر مما تحتاج كى تظل قاعدة للعدوان والحرب وعندما تترقرق الدموع فى عينى كيسنجر .. فانها لا تترقرق شفقة على السلام أو على العرب أو على العدالة وانما كما حرص ان يؤكد حزنا على شباب اسرائيل من ان يهددهم خطر الحرب ..

والشىء المؤكد أن **كيسنجر** لن يستقيل لانه لم يفشل ، لقد حقق خطة موضوعة .. وهو ليس بحاجة الى الاستقالة لان التاريخ قد أعد له كل مؤهلات الانزواء .. ولا يبقى أمام الاطراف المختلفة سوى أن تواجه مصائرها ..

○

الانفتـــاح الاقتصـــادى في جلسات الاستماع .. الى أين ؟

خلال جلسات الاستماع التى خصصتها لجنة المقترحات بمجلس الشعب لمناقشة سياسة الانفتاح الاقتصادى حدد **الدكتور عبد العزيز حجازى رئيس الوزراء** العناصر الاساسية التى ترتكز عليها سياسة الحكومة فى قضايا الانفتاح الاقتصادى :

● الانفتاح ليس نظرية جديدة أو شعار أو نظام مستقل — لقد جاء الانفتاح لمرحلة ولا يمكن أن يدرس فى مصر الا على ضوء المراحل التى سبقته — مرحلة تمصير الاقتصاد المصرى ثم تحريره من سيطرة رأس المال المستغل ثم تدخله مرحلة جديدة لتحقيق الكفاية والعدل .

● الاشتراكية المصرية ليست امتدادا للشيوعية العالمية لان المجتمع المصرى له مقوماته الاساسية ولكننا نأخذ من التنظيمات الاقتصادية ما يناسب ظروفنا تماما كما تأخذ التكنولوجيا من دول العالم .

● أن التخطيط للانفتاح الاقتصادى ، يعتبر عملية أساسية خاصة وأن المرافق العامة والخامات كالطرق والمياه والانارة فى الدولة لا تحتمل الانطلاق فى تبول المشروعات العربية الاجنبية وذلك يجعلنا نسير بالتدريج — وسوف يتم وضع تخطيط شامل للانفتاح الاقتصادى ومتابعة تنفيذ المشروعات على أسس ثابتة فى نطاق من خطة الدولة

● اختيار المشروعات يتم الان فى ضوء مدى حاجتنا للمشروع والعائد الاقتصادى الذى يحتمه .

● سياسة التصنيع فى مصر لابد وان تكون لها اهداف اقتصادية محددة — لان سياسة من الابرة الى الصاروخ لا تتناسب اطلاقا مع ظروف الاقتصاد المصرى .

● القطاع العام كانت له بعض السلبيات — ولكنه خلق جيلا قائدا من الشباب المصرى يحتل الان مواقع هامة داخل مصر وخارجها وأعطى لمصر قدرات انتاجية كبيرة فى تزويد المنطقة العربية بالخبرات المصرية .

● ان جملة ما انفقته الدولة على مشروعات الاسكان والمرافق خلال السنوات السبع الماضية بلغ ٢٤٠ مليون جنيه فى حين ان ما أنفق على التعمير فى عام واحد بلغ ٢٤٠ مليون جنيه .

● ان تصدير العمالة المصرية للخارج أمر ضرورى — ولهذا تم وضع برامج لتدريب العاملين فى الشركات والتوسع فى انشاء مراكز التدريب .

● ان مفاوضات تجرى الان بين مصر وكل من المانيا الغربية واليابان لدراسة مشاكل مياه الشرب فى مصر وتجديد شبكة المياه بالاضافة الى أن البنك الدولى للانشاء والتعمير قدم لمصر قرضا لتمويل مشروعات السكك الحديد كما ستحصل مصر على قرض لتحسين المواصلات السلكية واللاسلكية — وتجرى مفاوضات مع السعودية والكويت وصندوق الانماء العربى لبحث امكانية مساهمتها فى تمويل مشروعات اصلاح مرافق النقل ..

وعلى ضوء هذه المبادىء العامة التى تتحرك الحكومة فى اطارها عرض **الدكتور طاهر أمين وزير التعاون الاقتصادى** ما تم تحقيقه حتى الآن من تحرك فى مختلف الجبهات لعقد اتفاقيات التعاون الفنى والاقتصادى للاستفادة بالتكنولوجيا ثم المشروعات المشتركة :

● ما تم الترخيص به من مشروعات يزيد من ألف مليون جنيه صدرت لشركات تعمل فى المناطق الحرة والاستثمار .

● الحكومة تتفاوض الان على مشروع مشترك لمشروعات بتروكيماويات تزيد قيمتها عن ٩٢٣ مليون دولار .

● تفخر مصر بمجمع الحديد والصلب بحلوان — وقبل أن يبدأ انتاجه بالطاقة الكاملة .. سنكون قد تعاقدنا على مشروع للحديد بالاختزال المقارن انتاجه مليون و٦٠٠ الف طن وقد البدء فى التركيب فى هذا المشروع هنـاك مشروع مماثل يكون قد تم تركيبه .

● قدم الوزير احصائية هامة تبرزجانبا هاما من الصورة فقد ورد لمصر ٥٥٢ طلبا حتى آخر ديسمبر ١٩٧٤ ووفق على ١٦٦ مشروعا — منها ٢٣ منطقة حرة و١٦٣ فى الداخل وهناك ٢٧ مشروعا أعطيت موافقات وسحبت لعدم قيـام المستثمرين بالجدية فى التنفيذ وهناك ٦٧ مشروعا رفضت و٢٣ مشروعا اهمل اصحابها تقديم مستنداتها و٢٤ مشروعا مقدما للاقامة فى المنطقة الحرة فى بور سعيد عندما يتم انشاؤها ومازال هناك ٣٠٢ مشروع تحت الدراسة .

كما اوضح الوزير أن عشرة مشروعات قد بدأت الانتاج وهناك مشروعات تجرى التجارب على منتجاتها بالاضـافة الى المشروعات التى بدأت فى اعداد الاعمال المدنية وتوريد المعـدات .

وطوال ثلاث جلسات امتدت كل منها لعدة ساعات بدت المناقشات كما لو كانت مبارزة بين الحكومة التى مثلهـا الدكتور **عبد العزيز حجازى** رئيس الوزراء والدكتور **طاهر امين** وزير المعاون الاقتصادى — وبين الذين دعتهم لجنة **الاقتراحات** والعرائض برئاسة **محمود ابووافية** لحضـور الجلسات وكانوا لفيفا من رجال البورصة والبنـوك والاقتصاديون تقليديون ورجال أعمال يقومون بنشاط ضخم فى مشروعات الانفتاح ، ومعهم ايضـا بعض رؤسـاء البنوك والمؤسسات .

وفيما عدا اربعة من المتكلمين هم **الدكتور طوبار** و**عبد السلام عثمان** ود. **عبد المنعم البنا** والاستاذ **ماجد عبد العظيم الصحفى** — استبعدوا ان يكون الانفتاح صنوا للقطاع الخـاص — ودافعو عن اهميـة التخطيط ودور وفضل القطاع العام واكدوا على اهمية ان يكون الانفتاح على العالم كله وفى اطار خطة التنمية — وكشفوا مدى ما يتحمله الاقتصاد المصرى من اعباء بسبب اقتصاديات التعمير والخدمات والتنمية .

فيما عدا هؤلاء — فقد بدا واضحا ان هناك ضغطا مكثفا من غالبية هذه العناصر — على اختلاف مواقعها الاقتصادية والفكرية — ضد القطاع العام — وضد كل ما حققته الثورة ومن اجل أن يكون الانفتاح بدون ضوابط ولا حدود .

ومع هذا فقد كان هناك اكثر من اتجاه :

اتجاه تزعمه الاستاذ **احمد ابو الفتح** وانضم اليه الوزير السابق **امين شاكر** راح يقطع بين الحاضر والماضى مؤكدا على أن عبور ١٩٧٣ رسم له وخططه السادات بقواده ووزرائه ولم يكن نتيجة الـ ٢٥ سنة الماضية التى حققت خلالها هزائم مذهلة .

ودعوا لتحرير الاقتصاد من أهواء الايديولوجيات التى فرضت عليه لسنوات وأن نعيد مصر الى وضـع عـدم الانحياز !! وأكدوا على أن الانفتاح هو لتحقيق مشروعات القطاع الخاص واستنكر أن يكون للقطاع العام سـيطرة على الانفتاح أو أن يرفض مشروع بانشاء مصنع لانه يتنافى مع الخطة — ويطالب باطلاق حرية تملك الاراضى الزراعية للاجانب .

واتجاه ثان تصدره الدكتور **زكى عبد المتعال** والمهندس **محمود اسماعيل** و**مصطفى فهمى مروان** ، و**الحسينى النجار** من رجال الاعمال **وزكريا توفيق** رئيس مؤسسة القطن .

وركز اصـحاب هـذا الاتجاه على نقد القطـاع العام وأسلوب ادارته وقوانين العمل وسياسة تعيين الخريجين التى اسموها سياسة بطالة مقنعة والمرتب عبارة عن اعانة ودعوا لتعديل قوانين العمل لانه لا يمكن اجبار المستثمر الاجنبى على عدم فصل العامل :

وقدم أصحاب هذا الاتجاه مجموعة كبيرة من الاقتراحات

● انشاء المناطق الحرة .

● اعادة فتح سوق البضاعة الحاضرة للقطن .

● ضرورة انعاش سوق الاوراق المالية لانها ميتة وذلك عن طريق شركات الاستثمار بالمال الاجنبى بالمشاركة مع المال المصرى .

● انشاء شركات مستقلة يحدد فيها عدد الاسهم التى يجب ان يمتلكها الفرد الواحد ثم المساهمة الشعبية وهو نظام موجود فى ايران وجنرال موتورز الامريكية [حيث يشجعون صغار المستثمرين] .

● طرح عدد من الاسهم والسندات للبيع وتشـجيع مشاركة المواطنين فى رأس مال شركات القطاع العام :

● انشاء **هيئة** مستقلة للبت فى مشروعات الانفتـاح الاقتصادى .

● تشجيع رأس المال الوطنى ليكون مركز جذب لرؤوس الاموال الاجنبية .

● ضرورة تمتع المستثمر المصرى بكل حقوقه حتى يطمئن المستثمر الاجنبى .

● اطلاق عمليات التصـدير أمام القطاع الخاص .

وانفرد الدكتور **حلمى مراد** بكلمة اثارت بعض النقـاط الهامة وبعض النقاط الاخرى التى لم تكن فى مسـتوى ما قدمه من أفكار .

لقد رفض الدكتور حلمى مراد فى كلمته أن يكون هنـاك انفتاح مطلق واكد على ضرورة أن يكون هناك معـايير للانفتاح، وان الانفتاح الاقتصادى لايتعارض مع الاشتراكية، ولا مع التخطيط ، وطالب باعطـاء الضـمانات الحقيقية لصاحب رأس المال ويتمثل ذلك فى وجود نظام ديمقراطى كامل يقوم على حرية الكلمة متمثلة فى حـرية الصحافة وممارسة مجلس الشعب لسلطاته .

الا ان الدكتور حلمى مراد اثار عدة نقاط :

● ان القيادات صانعة القرارات بالانغلاق هم الذين يجوبون العالم للدعوة للانفتاح — والدول عندما تقوم بتغيير سياستها الخارجية تقوم بتغيير سفرائها .

● طالب بالقضاء على السلبيات الموجودة فى المشروعات الاقتصادية وعدم الابقاء على المشروعات الفاشلة .

● مواكبة ارتفاع الاسعار وظاهرة العمولات والسمسرة للانفتاح الاقتصادى ، وما ادى اليه ذلك من ارتفـاع فى الاسعار ولم يمانع أن تقوم بيوت السمسرة بهـذا ولكن بشرط الا تكون السمسرة من نصيب المسئولين أو المتصلين بهم ، وان تكون مقابل فائدة للحصول على صفقة بشروط افضل .

● طالب قادة الاتحاد الاشتراكى فى القاهرة باخـلاء الاماكن التى فيها مكاتب فى وسط القاهرة لتكون مقـار لشركات الانفتاح الاقتصادى .

● اثار موضـوع السيارات الخاصة بالوزراء .

ولاحظ المراقبون ان الدكتور عبد العزيز حجازى قد اضطر للتدخل عدة مرات لمنع تدهـور المناقشة مؤكدا على ان :

● الايجابيات لثورة مصر اكثر من سلبياتها ولولا هذا ما عبرنا القناة وما حققنا الانتصارات التى نتباهى بها .

● انه لا يستطيع أن يترك الشعب غير القادر فى أيدى القوى الرأسمالية — ومع أنه من الذين ينتقدون سياسة التخطيط فى الفترة الماضية التى لم تستطع توفير الحذاء

والمبتز بأسعار معقولة ــ قائلا لن نذهب نحو الاقتصاد حر ولن نقبل اي مشروع يتقدم الينا ــ واننا لن نذهب الى الاقتصاد الحر الذي يقضي على القطاع العام ، ويبيع اسهمه الى الشعب بأسهم اسمية أو عادية وتركز الثروات فى ايد قليلة .

وأكد الدكتور حجازى على أن الانفتاح مسيرة دولة ولا ردة ولا تراجع الى الوراء ــ والانفتاح لا يعنى خلق طبقة رأسمالية جديدة ، ولا هو تشجيع لأى مستثمر يرغب في الكسب والمضاربة وتكديس الثروات ثم يهرب للخارج ــ وان القطاع العام سيبقى كقاعدة اساسية لانطلاق الاقتصاد القومي .



● سوريا ●

قيادة سورية ــ فلسطينية موحدة

ما يزال اقتراح الرئيس السورى حافظ الاسد بشأن اقامة قيادة سياسية وعسكرية موحدة مع منظمة التحرير الفلسطينية يثير ردود الفعل والتعليقات فى الاوساط السياسية والصحف العربية والاجنبية .. وكان الرئيس السورى قد عرض اقتراحه ضمن خطابه الذى القاه فى ذكرى العيد الثاني عشر لثورة الثامن من آذار [مارس] .

وقد عاد الرئيس السورى بعد ذلك ليفسر اقتراحه والهدف من ورائه ، وذلك خلال المؤتمر الصحفى الذى عقده قبل اجتماعه بالدكتور هنرى كيسنجر وزير الخارجية الامريكى فى التاسع من شهر مارس ، اذ قال : ان انشاء قيادة سياسية وعسكرية سورية ــ فلسطينية موحدة يمكن ان يوفر للفلسطينيين فرصــة التمثيل فى مؤتمر جنيف » واضاف قائلا : « ولكن انشاء مثل هذه القيادة قد يمنع سوريا ايضا من الذهاب الى جنيف ، وان الامر مرهون بالقرار السياسى الذى تتخذه القيادة السياسية فى هذا الشأن . وان ذلك يعنى اننا اما سنذهب معا او لا نذهب على الاطلاق » .

وقد أعلن ياسر عرفات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية وعدد من القادة الفلسطينيين الاعضاء فى منظمة التحرير فى تصريحات عن ترحيبهم باقتراح الرئيس السورى حافظ الاسد . كما عقدت اللجنة التنفيذية لمنظمة التحـــرير الفلسطينية اجتماعا فى دمشق بتاريخ ١٥ مارس ، لبحث اقتراح الرئيس السورى . وبعد ذلك صدر بيان رسمى عن المنظمة تعلن فيه عن ترحيبها الكامل بهذه المبادرة من جانب الرئيس حافظ الاسد ، من اجل تعميق التضامن العربى الذى جسدته حرب اكتوبر ١٩٧٣ .

وقال البيان : ان اللجنة التنفيذية تعتبران قيام هذه الوحدة انما يعزز المنطلقات التى اقرها مؤتمرى القمة العربيين السادس والسابع بالجزائر والرباط من قبل . كما ترى اللجنة فى قيام هذه الوحدة ودعمها على اهداف قاعدة النضال الفلسطيني والعربى قوة فاعلة فى مواجهة التحديات الصهيونية والامبريالية ، وضد محاولات ضرب الثورة الفلسطينية وتصفيتها وتمزيق التضامن العربى .

كذلك أعلنت كل من مصر والكويت وليبيا عن ترحيبها بدعوة الرئيس السورى حافظ الاسد لتكوين قيادة سياسية وعسكرية سورية وفلسطينية موحدة ، وتأييد كـــل الخطوات التى من شأنها تدعيم القوة العربية والوحدة العربية .

والمعروف ان اسرائيــــل ما تزال ترفض حتى الان الاعتراف بوجود الفلسطينيين ، او اقامة دولة للفلسطينيين فى المنطقة ، وتصر على اعتبار الفلسطينيين جزءا من شعب الاردن .

ومن هنا يعتبر المراقبون اقتراح الرئيس السورى ، بمثابة رد على المخططات الاسرائيلية الامبرياليــة فى المنطقة ، والتى تصر على تجاهل وجود الشعب الفلسطيني كما يعتقد المراقبون ان اقتراح الرئيس حافظ الاســـد لا يعنى افتقـاد الفلسطينيين استقلاليتهم ، ولــكن من شأنه تجنيب الفلسطينيين خطر فك أى ارتباط على الضفة الغربية ، ومن ثم اغلاق الضفة الغربية فى وجه منظمة تحرير فلسطين .

هذا ومن المقرر ان توجه اللجنة التنفيذية لمنظمـــة التحرير الدعوة الى المجلس الوطني الفلسطيني ، الذى يمثل القيادة الجماعية للثورة الفلسطينية ، لمناقشـــة اقتراح الرئيس السورى حافظ الاسد ، باقامة قيـــادة عسكرية وسياسية بين سوريا وفلسطين .



● السعودية ●

اغتيـــال الملــك فيصـــل

فوجىء العالم فى يوم ٢٥ المــاضى ، باغتيال الملك فيصل بن عبد العزيز . وقد جرى حادث الاغتيال عندما كان الملك يستقبل افراد الاسرة الملكية فى قصره بالرياض والقاتل ، الامير فيصل بن مساعد ، احد افراد البيت المالك السعودى . وقد وصفه البيان الرسمى بأنه مختل العقل والشعور .

وقد احدث اغتيال الملك فيصل ردود فعل واسـعة فى مختلف العواصم العربية .

فعقب الوفاة مباشرة ، وجه الرئيس انور الســادات بيانا الى الشعب المصرى والامة العربية نعى فيه الملك فيصل ، وابرز الدور الذى قام به الملك الراحل قبل وبعد حرب اكتوبر .

وقد احدث اغتيال الملك فيصل ردود فعل قوية ــ ايضا ــ فى كثير من عواصم العالم . ففى الولايات المتحـدة الامريكية اعلن المتحـدث الرسمى باسم وزارة الخارجية الامريكية « ان اغتيال الملك فيصل قد يكون خسارة عظيمة كبيرة للوضع الامريكى فى الشرق الاوسط ، وبرغم دوره فى حظر البترول وزيادة أسعاره فانه بقى مؤيدا بشكل حازم لجهود وزير الخارجية الامريكي التى تستهدف استعادة السلام فى المنطقة » .

وفى باريس أعرب المسئولون فى الحكومة الفرنسية عن قلقهم لنبأ اغتيال الملك فيصل الذى جاء فى اعقـاب

فشل مهمة كيسنجر فى الشرق الاوسط ، الامر الذى قد يترتب عليه زيادة التوتر بشكل خطير فى الشرق الاوسط .

واثر اعلان وفاة الملك الفيصل اختير الامير خالد ابن عبد العزيز ليخلف الملك الراحل ملكا للمملكة العربية السعودية ، والامير فهد بن عبد العزيز وليا للعهد .

O

● اليمن الشمالية ●

ماذا يحدث فى اليمن ؟

من المنتظر أن تتم فى شهر ابريل الحالى انتخابات مجلس الشورى الجديد فى اليمن الشمالية ، وفقا لما أذيع من قبل ، وذلك عقب اقالة حكومة محسن العينى التى كانت تضم بعض العناصر الوطنية فى ١٣ يناير الماضى ، هذه الاقالة التى يعتبرها المراقبون مرحلة جديدة فى الصراع على السلطة فى اليمن الشمالية .

ان طبيعة الظروف التى يعيش فيها اليمن الشمالى ، وعلاقات القوى الطبقية فى الداخل ، تثير القلق فى أوساط المراقبين والرأى العام العربى ، حول المصير الغامض والمحفوف بالمخاطر الذى تتجه اليه اليمن فى الوقت الحاضر .

ولم يعد هناك شك لدى المراقبين ، ان السلطة فى الشطر الشمالى من اليمن ، قد أصبحت بيد الاقطاع القبلى بالتعاون مع فئة البورجوازية الكومبرادورية من كبار المستوردين الذين يعملون ذيولا للاحتكارات الاجنبية، كما تسيطر على التجارة وتحقق أرباحا خيالية ولا تحتفظ الا بجزء قليل منها داخل البلاد .

كما يتميز الوضع الحالى بتزايد النفوذ الخارجى فى الشئون الداخلية لليمن الشمالية ، والتغلغل فى معاقل الدولة الاساسية من جانب من يطلقون عليهم جيران اليمن الاغنياء ، وذلك من خلال بعض الشخصيات فى مجلس الشورى والقوات المسلحة واجهزة الامن والادارة وقد استطاعت هذه الجبهة اليمينية ، التى كانت تنمو

تعليق

٣ ملاحظات حول مناقشات الانفتاح الاقتصادى

فى الجلسات التى عقدتها لجنة الاستماع فى مجلس الشعب برئاسة محمود ابو وافية ، نوقشت سياسة الانفتاح الاقتصادى : وكان هناك حرص على دعوة من يمثلون رأيا يختلف مع رأى الحكومة ، واكد هذا — من الناحية العملية — ان كوننا مصريين لايمنع من الانتماء الى اتجاهات سياسية متباينة ، والصراع والتنافس بين هذه الاتجاهات لايتعارض مع الوطنية .

● وقد كان مفروضا ان نسعد لاعتراف لجنة الاستماع بهذه الحقيقة ، لولا اننا لاحظنا ان اللجة قررت ان تحصر حق الخلاف مع الحكومة وحق الحوار معها فى دائرة اليمين ، فوجهت دعوات الى بعض اقطابه ، وافسحت صدرها لارائهم ، بينما امتنعت عن توجيه الدعوة الى اى من ممثلى اليسار الذين يختلفون ايضا مع سياسة الحكومة ، ولكن من وجهة اخرى غير وجهة اليمين بطبيعة الحال .

وقد يذكرنا هذا بالشعار الذى رفعه على امين اثناء مناقشة ورقة تطوير الاتحاد الاشتراكى ، فقد طالب يومها بنظام سياسى عجيب اسماه نظام الحزبين .. حزب الحكومة وحزب آخر ، ولم يكن متصورا ان الحزب الاخر الذى يكافح على امين من اجله .. هو حزب على يسار الحكومة . واذا كانت الحكومة تحتل موقع المسئولية والشرعية فعلا ، فان دعوة على امين كانت اذن مجرد مطالبة بحقه وحق زملائه فى تكوين حزب يمينى ، وقد عارضنا يومها هذا المطلب الخطير . وقلنا ان حق التعبير الديمقراطى ينبغى ان يكفل لكل الاتجاهات الوطنية ، وان كبت اليسار يلغى اى مضمون حقيقى للديمقراطية السياسية .

وكنا نرجو الا تتورط لجنة الاستماع فى موقف يلتقى مع رأى على امين فتعتبر ان الاتجاه الوحيد الذى يحق له نقد الحكومة هو اتجاه اليمين الرجعى .. صحيح ان محمود ابو وافية تدخل اثناء الجلسات واكد حق المواطنين فى اعتناق الماركسية ، ولكن ينبغى ان ننتبه الى ان حق اى انسان فى اعتناق اى فكر ، ان المطلوب هو مجتمع متحضر ، واذا كان محمود ابو وافية قد وجد نفسه مضطرا الى تاكيد هذه البديهية فان هذا يعكس مدى ضيق الافق والصدر لدى بعض من تحدثوا فى جلسات الاستماع ، رغم انهم من اكثر الناس صياحا حول الليبرالية والديمقراطية .

الا ان المطلوب من محمود ابو وافية ليس مجرد تاكيد حق اى مواطن فى اعتناق اى فكر ، ان المطلوب هو الاعتراف بحق كل مواطن وكل اتجاه فى التعبير عن فكره .. لليمين الوطنى ان يعبر عن آرائه وعن مصالح اصحاب الثروة ورأس المال ، ولليسار ايضا ان يعبر عن آرائه وعن مصالح الجماهير الكادحة ، وعلى لجنة الاستماع ان تفسح صدرها لكل الاراء بنفس القدر .

● بعد هذه الملاحظة الاولى . ننتقل الى كلام احمد ابو الفتح ومحمد شاهين « نائب رئيس مجلس الامة الاتحادى » وكانا ابرز المتحدثين باسم اليمن . ان برنامج احمد ابو الفتح معروف ، وقد نشر موجز ماقال فى لجنة الاستماع فى اخبار اليوم . اما محمد شاهين فقد قدم مفهوما للانفتاح يعنى هدما لكل نظامنا الاجتماعى ، لقد طالب بتصفية القطاع العام وبأن يكون ٩٠ أو ٩٥ ٪ من انتاجنا فى يد القطاع الخاص . وان نتحول الى اقتصاد حر تسرح فيه الراسمالية الاجنبية والمحلية بلا اى قيد . وقد كان الرجل واضحا وصريحا . هل هناك من ينهب ؟ وماله ! هل ستفلس شركات وطنية كالبنوك ؟ فى ستين داهية!

باستمرار خلال السنوات الاخيرة ، أن تقود نشاطا محموما في مواجهة الحركة الوطنية في اليمن الشمالية، عن طريق الاعتقالات والاعدامات للعناصر الوطنية والتقدمية في صفوف الجيش واجهزة الامن والحركة العمالية والطلابية ، هذا بالاضافة الى تكوين مجموعات ارهابية مسلحة خارج القوات المسلحة ، تستهدف التخريب على حدود اليمن الديمقراطية ، ولضرب الحركة الوطنية في الشمال ، ويقال أن بعض هذه التنظيمات الارهابية مثل « جيش الانقاذ » يرتبط بدوائر خاصة خارج اليمن الشمالية .

وتتمثل مشكلة اليمن في موقعه بالقرب من منابع البترول الذي يفرض على شعب اليمن التخلف والتجزئة لتأمين امن ومصالح احتكارات البترول الاستعمارية والمصالح الرجعية في المنطقة .. وقد عملت السياسة الرجعية الاستعمارية هذه على معارضة ومنع اقامة اى مشاريع صناعية عربية أو أجنبية في البلاد ، مثل مصفاة البترول التي كانت ستقام في ميناء الخوخة بمساعدة العراق ، كما تعارض هذه القوى الخارجية حصول اليمن على اسلحة من جانب الاتحاد السوفيتي . وتكشف الانباء الواردة أخيرا عن وصول أسلحة غربية الى اليمن تقدر قيمتها بحوالى ١٩٥ مليون جنيه استرليني .

ويستهدف المخطط الامبريالى الرجعي التمهيد لاستنزاف ثروات اليمن الشمالية ، كما ينظر اليها أيضا كمجال حيوى من الناحية الاستراتيجية والاقتصادية في المستقبل من ناحية الوجود البشرى ، باعتبار اليمن هي الاكثر عددا في شبه الجزيرة العربية ، وتقدر الاحصاءات التقريبية عدد سكان اليمن الشمالية بحوالى ٨ ملايين نسمة ، بينما يقدر تعداد شعب السعودية بحوالى ٤ر٥ ملايين نسمة ، كما يقدر عدد اليمنيين العاملين في السعودية بأكثر من مليون عامل يمنى ، الى جانب عشرات الالوف الذين يعملون في بقية مناطق الخليج العربى .

ان عدم وجود حدود طبقية فاصلة ، وسيادة الطابع الاقطاعى العشائرى . هذه الاوضاع غير المستقرة اقتصاديا واجتماعيا ، قد ساعدت على ظهور العامل الخارجي كعامل رئيسي في توجيه السياسة اليمنية — اذ أن القاعدة هي أن العامل الداخلي هو الاساس — أما بالنسبة لليمن الشمالية فهناك استثناء للقاعدة ، حيث العامل الخارجي يلعب دورا اساسيا ، هذا على الاقل في الوقت الحاضر ، وان كان ذلك لا يلغى بطبيعة الحال وجود قوى في الداخل تحكم وتتصارع فيما بينها .

هكذا قال بالنص . وحين نبه ابو وافية الي ان هذا الكلام يخالف الدستور الذي ينص على اننا دولة اشتراكية ، قال محمد شاهين : اذن نغير الدستور هو الدستور نزل من السماء !

بهذه البساطة تحدث الرجل عن تغيير الدستور وتغيير النظام الاجتماعي تغييرا جذريا كما لو كان يتحدث عن تغيير نظام المرور في احد شوارع القاهرة لقد طالبنا بحق اليمين الوطنى في التعبير ولكن كنا نتصور انه سيلتزم باطار الدستور والمواثيق الوطنية ، من حقه ان يطالب بتعديل جزئى هنا او هناك ، ولكن هل منحقه ان يطالب بنسف كل شيء بهذه البساطة ؟!

وهل السماح بمثل هذا الكلام بل وينشره في صحف واسعة الانتشار نوع من رحابة الصدر المقبولة : لقد سرحت وتخيلت ان يساريا «مجنونا» وقف يطالب ايضا بالغاء الدستور وتصفية القطاع الخاص ، ترى هل كان سيقابل بنفس السماحة والعتاب الرقيق ؟ ! ومع ذلك فان الذي يقول مثل هذا الكلام هو فعلا يسارى مجنون ، وفي حالة وجوده كان سيستحق منا اعنف النقد ، فنحن نؤمن بدور القطاع الخاص الي جانب القطاع العام في التنمية الاقتصادية والاجتماعية ، ونقبل مواثيق الثورة والدستور اطارا عاما للتحرك السياسى ورغم ان نقدنا وخلافنا مع الحكومة هو في نطاق كل هذا ، فانه غير مقبول ، وغير مسموح به !

● ملاحظة اخيرة : ان اهل اليمين واهل الوسط يكثرون من الحديث عن الدين والاسلام . وكما ان الديمقراطية — في عرفهم — لاتتسع لغيرهم، فانهم يتصورون ايضا ان دين الله لايتسع الا لهم ، فمحمد شاهين لا يتحدث عن الاشتراكية الا باعتبارهم كفارا مشركين !

ايها السادة اذا كنتم تتصورون انكم احرارا في تحديد نطاق ديمقراطيتكم ، فانكم لستم اوصياء بالقطع على نطاق الدين ونحن نعتقد اننا اعلم منكم واصدق في شئون ديننا ، ولكننا لا نقطع بشيء في هذا — على اى حال — ونترك الثواب والعقاب لله .

المهم . لقد تحدث د. محمد حلمى مراد في الجلسة الثانية من جلسات الاستماع ، وانصت الجميع لارائه انصاتا جيدا ، حتى وصل الى موضوع القدوة . قال ان المصاعب الاقتصادية التي يواجهها المواطنون تطلب تكافلا في تحمل التضحية وقال انه اذا طالبنا الجماهير بالا تحقد فان من الواجب اولا ان نطالب المسئولين بان يكونوا قدوة في الاقتراب من هموم الناس ، ولابد من محاربة الاسراف في المظهر والسلوك . ثم استطرد — على سبيل المثال — الي ظاهرة اسراف الوزراء وغير الوزراء في استخدام السيارات الحكومية الفارهة. حين تطرق د. حلمي مراد الى هذه النقطة توقف الانصات وثار اغلب الحاضرين وقالوا انها نقطة خارجة عن موضوع الانفتاح . وحين اشار د. حلمى الى ان عمر بن الخطاب كان يسلك هذا السلوك ، لم تتوقف المعارضة ، وقال البعض أن ظروفنا تختلف عن ايام صدر الاسلام ولولا الخوف وبقية من حياء ، لقالوا ان عمر رضى الله عنه كان مثلنا من المشركين ، او ان ابتلهام نموذج عمر هو استلهام لنموذج غريب عن مجتمعنا.

لقد قال محمد شاهين ان الاشتراكيين المشركين هاوزين يلهبوها نار .. وفي الحقيقة لايلهب النار الا اولئك الذين لايهمهم الا مضاعفة ثرواتهم ولا يهمهم بعد هذا ان كان جارهم عاريا او جائعا .

عادل حسين

ولكن العامل الخارجي هو الذي يأتي ليحسم الصراع في النهاية .

والواقع ان الغالبية العظمى من اهالي اليمن الشمالية هم من الزراع ، بينما يمثل الرعاة نسبة قليلة في المناطق الشرقية ، وفي معظم الالوية تســود الملكية الصغيرة والمتوسطة الى جانب الملكيات الاقطاعية الكبيرة .

ويشتمل الاقتصاد الفلاحي في اجزاء منه على نوع من الاقتصاد الطبيعي ، كما تظهر في مناطق أخرى العلاقات السلعية ، حيث تمارس فئة التجار المستوردين احتكار تجارة القمح والدقيق في غالبية المناطق ، وفي بعض المناطق يهتم الفلاحون بزراعــة القمح ، ولــكنهم مضطرون في نفس الوقت لشراء الملابس ، والشاي ، والسكر ، والسجاير .

ان وجود هذه الفئة من البورجوازية الكومبرادورية من التجار المحتكرين بصفتهم وكلاء للشركات الاجنبيــة والتي تتعاون مع النظام القــائم على أساس المصالح المشتركة ، يؤدي الى الحاق الضرر الكبير بالتجــار الصغار والمتوسطين في أنحاء البلاد ، من جراء احتكار هذه الفئة الكومبرادورية للبضائع .

وتتشكل المعارضة الشعبية حاليا داخــل اليمن في صفوف الاجراء والملاك الصغار والمتوسطين ، والعمال وصغار الموظفين والطلاب والجنود ، والتي تخــوض النضال تحت قيادة التنظيمات الوطنية الديمقراطية .

لا تختلف المصاعب التي تواجهها القوى الوطنيــة في الشــطر الشمالي من اليمن ، عن المصاعب التي تواجهها القوى الوطنية في العديد من البلدان العربية ، حيث تناضل القوى الوطنية في اليمن الشمالية ، لا ضد القوى الرجعية المحلية فحسب ، بل وايضا ضد القوى الرجعية في المنطقة بامكانياتها الضخمة ، فضــلا عن الرجعية العالمية بقيادة الولايات المتحدة الامريكية .

والشيء الملاحظ هو أن الحركة الوطنيــة في اليمن الشمالية ، تخوض معركتها الحالية بمعزل عن تأييــد القوى الوطنية على الصعيد القومي والعالمي ، مما أدى الى فرض حالة من العزلة عليهــا . اذ ان الظروف الخاصة باليمن الشمالية تجعل من الصعب على القوى الوطنية هناك ، تحقيق نجاحات اساسيــة بمعزل عن التضامن من جانب القوى الوطنية التقدمية في الوطن العربي .

وتواجه القوى الوطنية والتقدمية في اليمن الشمالية في الوقت الحاضر ، مهمة توحيد الجهود والعمل على اقامة الجبهة الوطنية الديمقراطية التي تضم جميع القوى الوطنية الديمقراطية في الساحة اليمنية ، كما تعمل جاهدة على تعزيز الروابط والعلاقات مــع كافة قوى التحرر والتقدم في الوطن العربي .

وتركز القوى الوطنية والديمقراطية على تحقيق المطالب التــالية :

١ ــ تصفية النفــوذ الاجنبي الامبريالي والرجعي وتحقيق السيادة الوطنية وتعزيز الاستقلال في الشــطر الشمالي من اليمن .

٢ ــ اطلاق الحريات الديمقراطية السياسية والنقابية والافراج عن جميع المعتقلين الوطنيين ، وايقاف الحملات العسكرية على الفلاحين ، واصدار العفو العام وانهاء حالة الطوارىء وايقاف الملاحقات للقوى والشخصيات الوطنية والديمقراطية .

٣ ــ تحقيق الاصلاحات الديمقراطية في المجــال الاقتصادي والاداري وفي مجال الخدمات العــامة ، ومكافحة الغلاء والرشوة والبطالة وحماية مصالح العمال والفلاحين وجميع الفئات الكادحة .

٤ ــ تعزيز الهوية الوطنية للقوات المسلحة بعيدا عن الولاءات القبلية والشخصية واشراكها في عمليــات التطوير والبناء ، وربط دورها بدور القوى الشــعبية المناضلة من أجل يمن ديمقراطي موحد .

٥ ــ اقامة حكومة وطنية في الشطر الشمالي من اليمن ، تمثل فيها كافة القوى والشخصيات الوطنيــة لتقوم بتحقيق هذه المطالب .

٦ ــ العمل من أجل تصحيح وتطوير الاوضاع الادارية والمالية ، وابعاد العناصر المتلاعبة بمصالح الشــعب وامكانياته والعمل على ايجاد أجهزة الدولة الحديثة ، وحل أزمة العجز المالي بتنمية الموارد المحلية وضبط المصروفات العامة ووضع خطط للتنمية الاقتصادية .

٧ ــ دعم النظام الوطني الديمقراطي في الشــطر الجنوبي من اليمن ، والعمل على تحقيق الوحدة اليمنية بين شطري اليمن بطرق سلمية وديمقراطية ، وعلى أساس تنفيذ اتفاقية القاهرة وبيان طرابلس .

٨ ــ انتهاج سياسة وطنية متحررة معادية للامبريالية والصهيونية والرجعية ، ومتضامنة مــع قوى التحرر والتقدم في المجالين العربي والدولي .



● الوطن العربي ●

اقتراح بناء من عبد الله الطريقي

قدم الاستاذ عبد الله الطريقي وزير البترول السابق بالمملكة العربية السعودية ، والخبير العالمي في الشئون البترولية ، اقتراحا هاما لتنظيم الاستفادة من فوائض عوائد النفط لمساعدة مصر والبلاد العربية والاسلامية الاخرى ، وبلدان العالم الثالث التي تحتاج الى العون .

وقد ورد هذا الاقتراح في مقال للاستاذ الطريقي بالعدد الخامس [فبراير ١٩٧٥] من مجلة « نفط العرب » التي يصدرها مكتبه للاستشارات النفطية .

وقال الاستاذ الطريقي في هذا المقال « ان اهل النفط ينظرون الى اهل البلاد العربية الاخرى على انهم اقرباء لهم ويريدون مساعدتهم ولكنهم لا يقدمون تضحيات كافية تتناسب ومقدار الفــرص المتاحة لهم لمساعدة اخــوانهم وأنفسهم في هذه الفترة الحرجة من حياة كل انسان عربي .

وأهل النفط مستعدون لاخذ بضع مئات من ملايين الدولارات الى البلاد العربية كمصر لاقامة بعض المشاريع الانشائية التي يمكن اعتبارها من المرافق العامة التي لا يمكن أن تدر ربحا مجزيا على أصحابها ، وربما تتعرض للخسارة ، أو الضياع لانها تقام في بلد فقير مضـــطرة حكومته أن تحدد الاسعار والاجور ، وهذه المشاريع تشمل بناء المساكن الشعبية والفنادق ، وبعض المصانع

كالاسمنت والزجاج ••• كما أن أهل النفط يريدون اقامة صناعات بسيطة فى بلد متطور فقير • ويريدون أن تضمن الحكومة المحلية ربحا صافيا على رأس مالهم الموظف ، لا يقل عما يمكن أن يحققه رأسمالهم لو كان قد وظف فى فرنسا ، أو انجلترا مثلا • وهذا أيضا أمر صعب التحقيق فى بلد متطور كمصر تحاول حكومته الحفاظ على الاسعار فى مستوى منخفض ورفع مستوى المعيشة بقدر الامكان وهكذا يستمر حوار « الطرشان » بعيدا كل البعد عن القضية الاصلية لانه يدور بين رأس المال الخاص فى بلاد النفط ، والقطاع العام فى مصر وسوريا والسودان وغيرها من البلاد العربية •

وأضاف عبدالله الطريقى قائلا : « وأرجو الا يؤخذ هذا الكلام على أنه انكار للمجهودات القيمة التى يقوم بها بعض القادة العرب كجلالة الملك فيصل ؟ وسمو أمير الكويت ، ورئيس الامارات العربية المتحدة ، والرئيس القذافى ، والرئيس بومدين ، ولكن ما نريد أن نؤكده فهو أن المساعدات الفردية مهما كبرت لا تكفى • وهى مثل من يحاول علاج مرضى السرطان بالاسبرين • حقيقة بأن هذه المساعدات قد تخفف بعض الالم ، ولكن الموت حتما حاصل » •

وقال الطريقى « أن الفكرة التى ذكرها الرئيس أنور السادات فى تصريحه لجريدة الانوار اللبنانية من أن العرب بحاجة ملحة لمشروع انماء وتعمير كمشروع مارشال الذى اقامته الولايات المتحدة الامريكية لانقاذ اوروبا من حالة التدمير والخراب مباشرة بعد الحرب العالمية الثانية، انما هى فكرة عظيمة ، والعرب باشد الحاجة اليها » •

وقال الطريقى : « أن ما يريده العرب فعلا فهو توظيف آلاف الملايين فى بلادهم ، لا اعطائهم هبات ومساعدات لان الهبات والمساعدات مهما كثرت لا تحل كل مشاكلهم • واقامة مشروع مارشال عربى ينشأ من أجله صندوق عربى واحد يسمى « الصندوق العربى الدولى للانشاء والتعمير » تجمع فيه جميع الفوائض العربية من دول النفط الصغيرة ، ذات العوائد الكبيرة ، ونعنى بها الكويت ، والمملكة العربية السعودية ، وقطر ، ودولة الامارات العربية فى منطقة الخليج والجمهورية العربية الليبية فى الشمال العربى الافريقى • ومن هذا الصندوق يجب أن تسدد جميع الديون التى على دول المجابهة ، كالديون التى للاتحاد السوفيتى على مصر وسوريا . فليس من المعقول ان نقول للروس أنتم مقصرون فى أمدادنا بالاسلحة ولهم فى ذمة مصر وحدها خمسة الاف مليون دولار • يجب تحرير مصر من الديون أولا قبل محاسبة الاتحاد السوفيتى على تقصيره ، فهذه الدولة العظيمة وقفت معنا مواقف لايمكن لعربى حر الا الاعتراف بها وشكرها عليها • ومن المؤلم أن من بين البلاد التى نهجر اليها أموالنا ، الولايات المتحدة الامريكية ، التى اعطبت اسلحتها المتقدمة ، اسلحتنا فى سيناء والجولان ومنعت جيوشنا من تحرير أرضنا فى حرب رمضان » •

وأوضح الشيخ عبدالله الطريقى وجهة نظره فقال فى ختام مقاله : « أن اقامة صندوق عربى واحد تجمع فيه جميع فوائض عوائد النفط العربى هو حدث كبير فى تاريخ امتنا ، ويمكن أن يشمل نشاط هذا الصندوق ، لا المنطقة العربية وحدها ، بل كل الدول الاسلامية التى لا شك أن لها حقا معلوما فى فوائض النفط عندنا • وبعد أن نعمر بلاد الاخوة والاقرباء ، علينا واجب المسلم على أخيه المسلم • فباكستان ومسلمو الهند وبنجلاديش والشعوب الاسلامية الفقيرة فى افريقيا وآسيا ، والشعوب الاخرى من بلاد المعسكر الثالث كلها نستطيع مساعدتها على أساس أننا سنضع فى صندوق الانشاء والتعمير العربى والدولى ما يعادل اربعين الف مليون دولار كل عام، وهذا هو المبلغ الذى قدرت به فوائض الدول العربية من عوائد النفط فى عام ١٩٧٤ ، أى ما يعادل ٤٠ بليون دولار » •

« أن هذه البلايين قد وضعت الان فى مصارف أوروبا وأمريكا واليابان ، وهذه العملية ستتكرر كل عام اذا لم نقم مشروع مارشال العربى ، وصندوق الانشاء والتعمير العربى الدولى • أن الاوربيين والامريكيين يجتمعون على أعلى المستويات ليتفقوا على الطريقة التى تصرف بها أموالنا • فلماذا لا نجتمع نحن ونقرر الطريقة التى تصرف بها هذه الاموال لمصلحة العرب والمسلمين والشعوب الاخرى فى معسكر عدم الانحياز أو دول المعسكر الثالث الفقيرة » •



● قبرص ●

قاعـــدة تجســس أمريكية على الدول العربية

منذ اسابيع قليلة ، أذاعت وكالة اسوشيتد بريس الامريكية برقية لمراسلها فى نيقوسيا ، قالت فيها ان القاعدة الجوية البريطانية المقامة فى اكروتيرى بجنوب قبرص يجرى استخدامها بواسطة طائرات التجسس الامريكية الشهيرة من طراز « ى ــ ٢ » لكشف مواقع

وقالت الوكالة الامريكية ان السفارة الامريكية فى نيقوسيا ، أصدرت بيانا أعلنت فيه ان عمليات التجسس الجوى هذه على البلاد العربية تتم بعلم حكومة قبرص [حكومة الرئيس مكاريوس] ، وبعلم السلطات العسكرية البريطانية ، وبعلم اسرائيل •

فقد قال بيان السفارة الامريكية بالحرف : « ان هذا النوع من النشاط ذو طبيعة مفتوحة ، وهو معروف لجميع الحكومات المعنية بما فيها حكومة قبرص » •

وقد جاء اكتشاف وجود طائرات التجسس هذه فى القاعدة البريطانية قبل ذلك بأيام قليلة ، عندما القى القبض بطريق الصدفة على أربعة من رجال السلاح الجوى الامريكى وهم بالملابس المدنية أثناء التقاطهم صورا لمواقع الحرس الوطنى القبرصى اليونانى فى نيقوسيا • فقد اعتقد البوليس القبرصى فى البداية انهم يتجسسون على المواقع العسكرية للقبارصة اليونانيين لحساب القبارصة الاتراك أو القوات التركية ، ولكن التحقيق مع هؤلاء الجنود الامريكيين الاربعة ، كشف من التفاصيل الحقيقية لعمليات التجسس التى تقوم بها طائرات « ى ــ ٢ » الامريكية على مواقع الدول العربية •

ومن هذه التفاصيل ، نكتشف ان حكومة قبرص – وهى احدى دول عدم الانحياز – قد سمحت لطائرات التجسس الامريكية بأن تتخذ مواقعها فى قاعدة جوية تؤجرها حكومة مكاريوس للقوات البريطانية ، وان هذا الامر قد أحيط بسرية حتى لا يسبب احراجا للحكومة القبرصية •

والمعروف ان طائرات « ى – ٢ » هذه تحلق على ارتفاعات شاهقة تجعلها بمأمن من مدى نيران المدفعية أو القذائف او وصول الطائرات المقاتلة اليها ، وقد سبق استخدامها للتجسس فوق أراضى الاتحاد السوفيتى ، ولكن وسائل الدفاع الجوى السوفيتى تمكنت من اسقاط احدى هذه الطائرات فى مايو عام ١٩٦٠ ، حيث كانت تصور المواقع السوفيتية من ارتفاعات شاهقة ، وقد اتضح ان هذه الطائرات قامت من احدى القواعد الامريكية فى ايران ، وانها كانت متجهة الى قاعدة تابعة لحلف الاطلنطى فى النرويج ، حيث كان من المقرر أن تقطع اراضى الاتحاد السوفيتى من الجنوب الى الشمال •• ومع اسقاط طائرة التجسس الامريكية تمكنت السلطات السوفيتية من الامساك بقائدها حيا وقدمته الى المحاكمة ، واعترف انه كان يقوم بعملية تجسس جوية بتعليمات من وكالة المخابرات المركزية الامريكية •

ان القواعد البريطانية فى قبرص قد استخدمت فى عام ١٩٥٦ نقطة انطلاق فى العدوان الثلاثى على مصر ، وفى حرب يونيو سنة ١٩٦٧ رأى أهالى قبرص الطائرات العسكرية الامريكية وهى تهبط الى القواعد البريطانية وتتغير علاماتها لكى تحمل الشارة الاسرائيلية وتتجه الى اسرائيل •

لذلك يرى عديد من المراقبين العرب أن من حقهم الان أن يتساءلوا حكومة الرئيس القبرصى مكاريوس لماذا تسكت على استخدام أراضيها فى عمليات تجسس جوى على الدول العربية ؟ •• ولماذا تسمح بوجود طائرات تجسس أمريكية فى هذه القواعد التى تقضى اتفاقيات استقلال قبرص لعام ١٩٦٠ ، بألا تستخدمها اية قوات اخرى غير القوات البريطانية ؟ •• وهل هناك نية لتحويل هذه القواعد البريطانية الى قواعد بريطانية – أمريكية مشتركة أو الى قواعد امريكية صرفة او الى قواعد عسكرية لحلف الاطلنطى ••• ؟

○

● المجر ●

المؤتمر الحادى عشر للحزب حصاد كفاح ٣٠ عاما

بدأ فى ١٧ مارس الماضى فى بودابست انعقاد المؤتمر الحادى عشر لحزب العمال الاشتراكى المجرى بحضور ثلاثين وفدا اجنبيا ، وبسكرتيرى الاحزاب الشيوعية فى بلاد اوروبا الشرقية فيما عدا رومانيا • واكد فيه يانوش كادار سكرتير اول الحزب المجرى الدور القيادى للطبقة العاملة وطابع الاستمرار المتواصل الذى تتسم به سياسة الحزب

وقد أتيحت فرصة كبيرة فى هذا المؤتمر لاثارة الانتقادات حول مختلف جوانب العمل القومى • واعرب سكرتير اول الحزب عن ارتياحه لهذه الانتقادات التى وجهت من على منصة المؤتمر لدرجة انه كان يمكن الاعتقاد – حسبما قال – بأن المعارضة هى التى تحدثت واكد كادر ان هذا منهج طيب •

وقد حضر ليونيد بريجنيف سكرتير عام الحزب الشيوعى السوفيتى هذا المؤتمر حيث جدد اقتراحه الخاص بعقد مؤتمر القمة الاوروبى فى « الاشهر القادمة » • والنسان

● ● نيكولاى الكسندروفيتش بولجانين

فى ٥ نوفمبر من عام ١٩٥٦ ، اثناء العدوان الثلاثى على مصر وجه رئيس الوزراء السوفيتى نيكولاى الكسندروفيتش بولجانين ، ٣ رسائل الى رؤساء وزراء بريطانيا وفرنسا واسرائيل ، يقول فيها « .. وانما للتساؤل فى اى وضع كان يمكن أن تجد فيه انجلترا نفسها : اذا ماهاجمتها دول اكثر منها قوة ، تملك كل انواع الاسلحة القتالية الحديثة ! علما بأن هذه البلدان ليست بحاجة فى الوقت الحالى الى ان ترسل الى شواطىء انجلترا اساطيل حربية بحرية وجوية ، بل يكفى ان تستخدم معدات أخرى ، هى على سبيل المثال اسلحة صاروخية » . ثم يقول « ان الحكومة السوفيتية بملؤها العزم على اللجوء الى استخدام القوة لسحق المعتدين ولاحلال السلام فى الشرق » •

منذ ذلك الوقت عرفت الشعوب العربية – وقت الشدة – أسم بولجانين الذى وجه الانذار السوفيتى الى الدول الثلاث ، وكان الانذار ونتائجه وآثاره ، تجسيدا وترجمة للدور الدولى الذى أصبح الاتحاد السوفيتى يمثله ، وخاصة بالنسبة لحركة التحرر الوطنى العالمية •

وبالطبع ، كان بولجانين عضو المكتب السياسى للحزب يدرك المغزى السياسى « للانذار » بنفس القدر الذى كان يدرك به « مغزاه » العسكرى باعتباره يحمل رتبة « مارشال » منذ عام ١٩٤٧ تقديرا للدور البارز الذى لعبه فى الحرب الوطنية العظمى ضد الغزو النازى •

وبولجانين ، هو واحد من ابرز جيل بناء الاشتراكية فى الاتحاد السوفيتى وحمايتها • وهو واحد من الوجوه التى خرجت بالاتحاد السوفيتى – فى الخمسينات – الى العالم الخارجى •

فى ١١ يونيو من عام ١٨٩٥ ولد بولجانين فى نيجنى نوفجورود [مدينة جوركى الان] على نهر الفولجا ، لاسرة عمالية الحقته بعد ذلك بمدرسة التجارة الثانوية وتخرج فيها • ولم يستطع أن يواصل تعليمه ، فالتحق بعمل كتابى تعرف على العمل الثورى وانضم للحزب قبيل الثورة ولعب دورا ملحوظا فى الحرب الاهلية وحروب التدخل ، وفى ١٩٢٢ عمل فى مجال التخطيط والتنمية كعضو فى « المجلس الاعلى للاقتصاد »

وفى ١٩٢٧ عين مديرا لمصنع الادوات الكهربائية فى موسكو ، واظهر قدرة بالغة فى التنظيم والادارة • وكان مصنعه ، اول مصنع يحقق اهدافه المحددة فى الخطة الخمسية الاولى •

على أنه اظهر ميلا شديدا للدراسة العسكرية • فالتحق فى عام ١٩٣٠ ، باحدى المدارس العسكرية ، وتلقى

فى مجال حديثه عن الكوميكون ؟ وبرنامج التكامل الاقتصادى الى « اننا ننفذ هذا البرنامج ، وان كان ببطء وليس بصورة سريعة كما كنا نتمنى ، ومع ذلك فان التنفيذ يجرى بدقة وبدون تغيير وبروح من الاستمرار والمتابعة . » واقر بريجنيف بأن الموقف الاقتصادى فى العالم لابد وان يكون له تأثيره على العالم الاشتراكى نظرا للعلاقات الاقتصادية الواسعة النطاق القائمة بين الدول الاشتراكية والعالم » وأضاف : « ان هدفنا يتمثل فى العمل على أن تتجنب اقتصاديات الدول الشقيقة بأقصى درجة ممكنة ، النتائج الضارة التى تترتب على الأزمة الاقتصادية فى الدول الرأسمالية » .

وقد تناول يينو فوتشك رئيس وزراء المجر فى الخطاب الذى ألقاه سياسة بلاده فى المجال الاقتصادى ، وبشأن الطاقة أكد أن بلاده تهتم حاليا بتنمية انتاجها من الفحم ، وأوضح أن مشكلة ارتفاع الاسعار فى السوق العالمية تضطر المجر الى اتخاذ موقف حذر فى العقود التى تبرمها مع الدول الاجنبية حتى لا تنعكس آثار الازمة الحالية على الاهداف الاجتماعية للحزب ، وأعرب عن ارتياحه للمعونات السوفيتية للاقتصاد المجرى التى تهدف الى مساعدته على مواجهة ارتفاع الاسعار وذلك فى صورة قروض مالية ، وبضائع تسدد قيمتها خلال ١٠ سنوات ، وأعلن فى الختام ضرورة تحقيق تنمية فعالة فيما يتعلق بالتكامل الاقتصادى بين دول الكوميكون .

وقد خصص بيلابيشكو سكرتير الحزب كلمته للحديث عن الجانب الايديولوجى ، وأوضح أن واجب المؤتمر هو تطوير وتنمية الدور القيادى للطبقة العاملة التى يعتبر الحزب طليعتها ، وتشجيع قيام الوحدة الوثيقة للغاية بين العمال والفلاحين والمثقفين . وأضاف أن تفتح وازدهار « سياسة التحالف » هذه ، تستوجب تدعيم الديمقراطية الاشتراكية والتحالف الديموقراطى ، ثم ندد « بمحاولات الكسب السهل التى استشرت بين صفوف الشعب » وطالب بدعم الديمقراطية فى الجمعيات التعاونية والشركات .

وقد عقد فى اطار المؤتمر الحادى عشر للحزب الشيوعى المجرى اجتماع قمة ، ضم بريجنيف السكرتير العام للحزب السوفيتى ، وهوساك سكرتير الحزب التشيكوسلوفاكى ، وجيرك سكرتير الحزب البولندى وجيفكوف سكرتير الحزب البلغارى ويانوش كادار سكرتير الحزب المجرى ، واريك هونيكر سكرتير الحزب الشيوعى فى المانيا الديموقراطية تبادلوا فيه وجهات النظر بشأن تقدم بناء الاشتراكية والشيوعية فى الدول الشقيقة ودرسوا فيه المسائل المتعلقة بالعيد الثلاثين لسحق الفاشية الهتلرية ، واجروا تحليلا لسلسلة من المشكلات الدولية الحالية ، والمسائل التى تهم الحركة الشيوعية العالمية .

والواقع ان انعقاد المؤتمر الحادى عشر للحزب الشيوعى المجرى فى ذكرى مرور ثلاثين عاما على تحرير المجر من الحكم الفاشى ، كان بالنسبة لعديد من المراقبين السياسيين فرصة لمتابعة انجازات المجر خلال العقود الثلاثة الماضية ، اذ تحولت المجر خلالها من بلد زراعى متخلف الى دولة صناعية عصرية ، وانتقلت الزراعة من الانتاج الصغير الى النمط الاشتراكى لادارة المزارع الكبيرة ، وأصبحت المجر اليوم تحتل المرتبة الـ ٢٥ بين بلدان العالم فيما يتعلق بالنمو الاقتصادى ، وتضاعف انتاجها الصناعى ٨ مرات عما كان قبل التحرير . كذلك نجد انه فى الوقت الذى تمثل فيه المجر ٠٫٢٦٪ من سكان العالم فانها تنتج ٠٫٥٪ من حجم الانتاج الصناعى العالمى ، وتشغيل ٠٫٨٪ من حجم التجارة العالمية كذلك يضم القطاع الاشتراكى الان ٩٨٪ من وسائل الانتاج فى الصناعة و٩٧٪ فى الزراعة .

وقد تضاعف الحجم الاجمالى لانتاج صناعتى المواصلات والعدد والادوات ما بين ٢٨ و٣٠ مرة عما كان عليه منذ ٢٥ عاما وتضاعف الانتاج الصناعى ككل ست مرات بالنسبة لما كان عليه سنة ١٩٥٠ وانتاج الفحم الذى كان لا يتجاوز من ٦ — ٧ مليون طن قبل الحرب ، وصل تدريجيا الى أكثر من ٣٠ مليون طن .

منهجا دراسيا مركزا . وفى ١٩٣١ فاز فى الانتخابات كرئيس لمجلس سوفيت موسكو ، حيث حقق نجاحا ملحوظا ففاز بوسام لينين . وفى ١٩٣٨ عين مديرا لبنك الدولة ، ثم نائبا لرئيس الوزراء بعد أن انتخب عضوا باللجنة المركزية للحزب

ورغم انه لم يكن من العسكريين المحترفين ، الا انه اظهر كفاءة عالية «كقوميسير» فى المجلس العسكرى للجبهة الغربية . ثم فى المجلس العسكرى لحصة البلطيق الثانية ، ورقى فى ١٩٤٢ الى رتبة « الجنرال » . وفى ١٩٤٤ استدعى الى موسكو حيث عين عضوا فى لجنة الدولة للدفاع [التى تولت مسئولية الدفاع عن البلاد اثناء الحرب] ثم رقى الى رتبة « مارشال » وأصبح نائبا لوزير الدفاع [ستالين]



لعب بولجانين دورا كبيرا فى مواجهة موسكو .

وبعد وفاة ستالين [مارس ١٩٥٣] لعب بولجانين دورا كبيرا فى مواجهة بيريا ، واصبح وزيرا للدفاع السوفيتى فى وزارة مالنكوف ، ثم اصبح فى ٨ فبراير ١٩٥٥ رئيسا لوزراء الاتحاد السوفيتى .



وبعد المؤتمر العشرين للحزب [١٩٥٦] اشتد الصراع داخل الحزب وخاصة عام ١٩٥٧ حين اتجه نيكيتا خروشوف السكرتير العام للحزب الى تصفية الخلافات مع يوغوسلافيا . وفى مارس ١٩٥٨ اعتزل الوزارة ، ووجه « نقدا ذاتيا » أمام اللجنة المركزية للحزب لانضمامه الى « المجموعة المناهضة للحزب » التى اعفيت من عضو اللجنة المركزية وهى :

[مالنكوف وكاجانوفتش ومولوتوف وشبيلوف]

وتولى منصب مدير بنك الدولة مرة أخرى . وفى نوفمبر ١٩٥٨ ، أعفى من عضوية اللجنة المركزية ، وأحيل فى مارس ١٩٦٠ الى المعاش .

ثم توفى فى ٢٤ فبراير ١٩٧٥ عن ٨٠ عاما .

كذلك بلغت صناعة الصلب فى المجر حجما كبيرا حيث وصل الانتاج فى عام ١٩٧٤ الى ٣ر٣ مليون طن ، كذلك أصبح الحجم الاجمالى لانتاج الالات اليوم ١٠ أضعافه قبل ٢٥ عاما .

الا ان هناك فروعا حققت قفزات بارزة ، فانتاج صناعة المواصلات والاجهزة التراغية قد تضاعف ٢٥ مرة ، وصناعة العدد والادوات تضاعفت ٣٠ مرة ، وفى عام ١٩٧٤ انتج مصنع ايكاروس ٨٠٠٠ عربة اتوبيس ، ومن المقرر أن يرتفع الرقم الى ١١ – ١٢ الفا فى ١٩٧٦ – ١٩٧٧ . وقد أصبحت مصانع ايكاروس الان من اكبر مصانع الاوتوبيسات فى العالم .

وسجلت الصناعات الكيماوية الرقم القياسى فى سرعة الانطلاق ، ففى عام ١٩٧٤ كان اجمالى انتاجها يعادل ٢٢ ضعف انتاجها فى ١٩٥٠. كذلك بلغ انتاج صناعة الادوية ٩٠ ضعف انتاجها فى ١٩٥٠ ، وبلغ انتاج السماد هذا العام ٣ مليون طن ، وتضاعف انتاج الاخشاب ٨ مرات ، والورق أكثر من ٧ مرات ، والطباعة ٥ مرات ، والنسيج ٣ مرات ونصف ، والملابس أكثر من ٨ مرات بالنسبة لانتاجها فى عام ١٩٥٠ .



● البرتغال ●

وعزفت «جراندولا» من جديد

فى ٢٥ ابريل ١٩٧٤ وعندما حدثت الانتفاضة الثورية فى القوات المسلحة البرتغالية ، كانت اذاعة اغنية «جراندولا فيلا مورينا » هى اشارة البدء .

ومنذ ذلك الحين واغنية « جراندولا » تتردد فى كل مكان كرمز للثورة ..

وفى ١١ مارس ١٩٧٥ وقعت محاولة انقلاب رجعى يتزعمه « سبينولا » .. وقد انضمت الى هذه المحاولة الرجعية مجموعة من المظليين وأخرى من الطيران ، تحركت لتطلق نيران مدافعها الرشاشة وتلقى قنابلها على ثكنات كتيبة مدفعية موالية للثورة ومعروف عنها انها أكثر الكتائب انحيازا لليسار وبالتحديد للحزب الشيوعى .

والقت طائرتان صغيرتان من طراز دورنيير قنابل مضادة للافراد على ثكنات نفس الكتيبة .

وفى نفس الوقت كانت مجموعة أخرى من المتمردين تأسر قائد الحرس الجمهورى فى مقر قيادة كارمو بوسط لشبونة وهو أيضا من القادة المعروفين بولائهم التام للثورة .. بينما قامت مجموعة ثالثة بحصار مطار لشبونة ..

وعلى الفور انطلقت الوف المواطنين الى الشوارع يقيمون المتاريس ويهتفون «الشعب مع الثورة» ، «الشعب مع حركة القوات المسلحة» .

وردت عليهم شاحنات تحمل جلود الحرس الجمهورى الذين استطاعوا انقاذ قائدهم من أيدى المتمردين بهتافات مدوية « الحرس الجمهورى مع الشعب ومع الديمقراطية »

واهتزت أرجاء لشبونة بأصوات ملايين الحناجر تغنى فى صوت واحد أغنية « جراندولا فيلا مورينا » .

عام يفصل بين الحادثين ، أو أقل من عام بقليل ، والفارق ليس كميا فحسب ، ليس مجرد انه فى المرة الاولى ردد الاغنية عدة مئات من الجنود والضباط الثوريين ، وفى المرة الثانية كانت الملايين تندفع لتحمى الثورة وتقيم المتاريس فى الشوارع وتهتف « الشعب مع حركة القوات المسلحة .

عام يفصل بين الحادثين ، وكما قال أحد المراقبين ٢٥ ابريل ١٩٧٤ كان انقلابا عسكريا .. اما ١١ مارس ١٩٧٥ فهو رد شعبى لثورة ناضجة ضد انقلاب رجعى ، انه الفارق بين الانقلاب والثورة .

والحقيقة أن الامور تسير فى البرتغال عبر منحنيات دقيقة وبالغة التعقيد فالحلف القائم بين «حركة القوات المسلحة» و « الحزب الشيوعى » و « الحزب الاشتراكى » يتعرض لاهتزازات عنيفة ، وكبار الملاك والرأسماليين ورجال الكنيسة يراهنون الان على «الحزب الاشتراكى» ويحاولون الوقيعة بين أطراف الحلف ..

وبينما كان الاستعداد يجرى للانتخابات البرلمانية القادمة عقد الحزب الشيوعى مؤتمرا استثنائيا اصدر عددا من القرارات البالغة الاهمية من بينها أطار برنامجى للمرحلة ، ومطالب محددة بشأن الانتخابات والحقيقة أن مراجعة المطالب تكفى لايضاح مدى الصعوبات والمشاكل التى يتعرض لها الحلف القائم .. فالشيوعيون يلمحون فى وثائق المؤتمر الاستثنائى الى نوع من الحوار المستمر بين بعض الرجعيين وبعض عناصر الحزب الاشتراكى ، ويلمحون أن كوادرهم لم تزل ممنوعة من الوصول الى بعض المقاطعات ، والى أن الاحصاءات غير دقيقة ، وأن هناك تعمدا لتزييفها ومن هنا فانهم يطالبون بتدقيق شديد فى عملية الانتخابات قبل الشروع فيها وذلك حتى لا تكون منفذا « غير مشروع » لاستحواذ البعض على قدر من السلطة لا يستحقه ..

والبرنامج الذى طرحه مؤتمر الحزب الشيوعى برنامج مرن وتكتيكى انه لا يطالب مثلا بمصادرة أراضى الاقطاعيين وانما يكتفى بالمطالبة بتحسين أحوال الفلاحين وحتى الاراضى « الحراجية » فانه يطالب باستفتاء العاملين فيها ليقرروا الاسلوب الامثل لاستغلالها ..

ويركز البرنامج على اهمية توحيد القوى السياسية وعلى ضرورة صون هذا الحلف باعتباره ركيزة العمل الثورى فى مجابهة الاعداء وهم كثيرون ..

والح البرنامج على اهمية تشكيل اتحاد عمالى واحد.. الامر الذى يعارضه اليمين معارضة قوية خشية أن يسيطر الشيوعيون على كتلة عمالية وفلاحية تضم مليونى عامل وعامل زراعى . والاشتراكيون هم ايضا يعارضون النقابات الموحدة ويقول زعيمهم سنبدأ بنقابة موحدة لننتهى بحزب موحد » .

وعندما اتجهت الامور نحو تأسيس الاتحاد العمالى الموحد كانت الازمة على وشك الانفجار ، وتطور الصراع الى ازمة كاملة حينما قررت الحركة تحويل نفسها الى قوة سياسية دائمة .

وفى اوائل مارس طالب الجناح اليمينى باستقالة العناصر اليسارية فى لجنة التنسيق العسكرية والتى تتكون من سبعة اشخاص جرى انتخابهم من مؤتمر حركة القوات المسلحة « ٢٠٠ ضابط » .

ومرة أخرى يفشل اليمين فلا يجد سوى التآمر ، ولان اليمين معزول ، ولان الحكم الثورى يتمتع بتأييد الغالبية الساحقة من القوات المسلحة الامر الذى يصعب معه تحريك أية قوات ضد الثورة ، فان عددا من الضباط اليمينيين من فرقة المظلات خدعوا جنودهم واوهموهم انهم يهاجمون « ثكنة » متمردة على الثورة ..

وانطلق الرصاص .. ومن الجانب الاخر انطلق رصاص مضاد وانطلقت معه أغنية « جراندولا » وهنا أدرك جنود المظلات انهم قد خدعوا .. وانتهى الانقلاب ، ووجه الجنرال أوتيلوساريفا دوكارفالو الحاكم العسكرى للشبونة رسالة الى الشعب البرتغالى قال فيها « ان التحالف بين الشعب والقوات المسلحة سيثبت الان كما اثبت دائما ان الثورة لا رجعة فيها » .

ومن ناحية أخرى أعلن متحدث رسمى باسم الحكومة « أن تطورات اليوم ستكون انتصارا آخر للحكومةالبرتغالية يمكن عن طريقه القاء الضوء على كثير من الامور التى لم تكن واضحة حتى الان ، ونحن نعتقد أن يوم ١١ مارس سيقدم لنا الايضاح » .

وهكذا فان انقلاب اليمين قد حدد الحدود الفاصلةووضع القوات الثورية فى مجابهة مسئولياتها .. سبينولارمز اليمين يهرب الى اسبانيا ومنها الى البرازيل ، والحكومة تصدر بيانا تتهم فيه اسبانيا بالتواطؤ مع المتآمرين ، وتشير الى دور السفير الامريكى قائلة « انها ترحب باستدعاء السفير الامريكى الى بلاده .. »

ويحكم يسار القوات المسلحة قبضته على السلطة ، ويتشكل مجلس جديد للثورة يعلن فى مرسوم تشكيله حل مجلس الدولة وحل المجلس العسكرى للخلاص الوطنى . وبرغم ان احدا لم يعرف بعد اسماء اعضاء مجلس الثورة [٢٤ عضوا] الا أن اتجاهه قد انضح من أول قرار أصدره وهو تأميم البنوك البرتغالية باستثناء أفرع البنوك الاجنبية ..

[وتقدر ثروات هذه البنوك بـ ١٥٠ مليار ايسكوديس]
ويرى المراقبون أن قرار التأميم هذا يعنى تغيير التركيب الاقتصادى فى البلاد تغييرا جذريا ذلك أن البنوكالبرتغالية تهيمن على معظم الصناعة فى البلاد .. وفى نفس الوقت يلاحظ المراقبون انه ومنذ أحبطت محاولة الانقلاب بدات حركة القوات المسلحة تعلن ضرورة ضرب الرأسماليينالذين تواطأوا مع العناصر المضادة للثورة ، كما جرى اعتقال الكثيرين من أبناء الاسر الثرية ذات النفوذ الكبير فىمجالات المصارف والصناعة .. كذلك فقد أعلن أن الحكومة تفكر فى تأميم شركات التأمين .

مرة أخرى ١١ مارس علامة طريق .. حدود فاصلة اليمين يتآمر ، يطعن من الخلف ، والجماهير ، العمال والفلاحون ينطلقون الى الشوارع بصدور عالية ينشدون « جراندولا » .. اليمين يتآمر والشعب يحمى الثورة .. ولابد لذلك من ان يترك أثره على توازنات القوىومستقبل الاحداث ، وعندما يبدأ نظام ثورى يحق فى الصدام مع البرجوازية .. وفى التأميمات ، فان الطريق يظل على الدوام مفتوحالاحتمالات كثيرة ، احد اطرافها مزيد منالعمل الثورى ضد اليمين ، والطرف الاخر مزيد من التآمر .

لكن المؤكد انه مع كل تقدم جديد على طريق الثورة فان أية مؤامرة يمينية جديدة سوف تواجه بمزيد من الملايين تسد الطريق بصدورها أمام المؤامرة ... وهى تردد فى فخار « جراندولا فيلا مورينا » .

● الهند الصينية ●

تجربة « العجز الأمريكى » فى الشـــرق الأقصى

لا يزال اكبر وزيرين فى حكومة الرئيس الامريكى فورد – وهما هنرى كيسنجر وزير الخارجية ، وجيمس شليزنجر وزير الدفاع – يريان ان الحكومة الامريكية يجب ان تقدم معونات عسكرية اضافية الى حكومتى سايجون وبنوم بنه ، لكى يمكن لهما الاستمرار فى مواجهة اعصار الثوار الى ان تتمكن السلطات الامريكية – بوسيلة ما – من الوصول الى تسوية لانقاذ ماء الوجه . وذلك فى حين ان أغلبية أعضاء الكونجرس الامريكى تعارض تقديم مثل هذه المعونات ، لانها ترى انها لن تقدم ولن تؤخر ، وان سقوط حكومتى سايجون وبنوم بنه اليوم لن يختلف عن سقوطهما بعد أيام أو أسابيع .

وحتى كتابة هذا التقرير ، كان هناك خلاف حاد فى الرأى ، احدثته حرب الشرق الاقصى بين المسئولين الامريكيين ، حيث يقول البعض ، ومنهم الاعضاء البارزون فى الحكومة ، ان « الموقف المتدهور » فى الهند الصينية سيؤثر على الموقف الاستراتيجى للولايات المتحدة فى العالم كله ، فى حين يرى عدد آخر من المسئولين ، بينهم اغلبية أعضاء الكونجرس ، ان من الممكن ان تعترف أمريكا بهزيمتها فى الشرق الاقصى مع الاحتفاظ بنفوذها فى سائر أرجاء العالم الاخرى التى تعتبرها منطقة نفوذ لها .

وفى حين يواصل الثوار انتصاراتهم فى كمبوديا وفيتنام الجنوبية ، حيث تحمل لنا الانباء كل يوم سقوط مدينة أو « موقع حصين » فى أيديهم .. فان رجلا مثل شليزنجر يعلق على ذلك قائلا : « منذ بضع سنوات كان هناك أولئك الذين يبدون القلق على ما يسمونه أسطورة قوة أمريكا التى لا تقهر .. والان فاننا نواجه ادراك ان هناك ما يسمى العجز الامريكى ، ولست واثقا من ان هذا التغيير هو الى الاحسن » .

وقد قال دبلوماسى فى دولة متحالفة تحالفا وثيقا مع الولايات المتحدة [رفض ان يذكر اسمه ، ونقلت تصريحاته وكالات الانباء الامريكية] : « اننا الان نرى تهديدا – من داخل الولايات المتحدة – لمصالح الولايات المتحدة ، والذى يحدث الان ليس له مثيل فى التاريخ منذ الانعزال الامريكى فى بداية العشرينات » . وأضاف هذا الدبلوماسى قائلا : « بالنسبة لموقف الولايات المتحدة فى جنوب شرق آسيا ، فانه كارثة ، واذا استمرت معالجة الساسة الامريكيين للموقف على النحو الحالى فسيؤدى الامر الى كارثة عالمية » .

ورغم ان حكومة لون نول فى بنوم بنه لم تسقط حتى اعداد هذا التقرير .. فقد أشارت آخر الانباء الى انه يحزم أمتعته استعدادا للرحيل ، بينما تتكرر الدعوات الى الامير نورودوم سيهانوك الرئيس الشرعى لكمبوديا – والذى يعيش فى بكين الان – للعودة الى بلاده التى أخرجته منها المخابرات الامريكية فى الانقلاب الذى دبرته ضده منذ خمس سنوات .

وبينما يتضح ، حتى كتابة هذا التقرير ، فشل الجهود الامريكية فى الشرق الاوسط ، تبدو فى الافق خيوط الهزائم المطردة للسياسة الامريكية الخارجية ، وانهيار النفوذ الامريكى فى كل من البرتغال واليونان وتركيا وقبرص .



أوراق كيسنجر



هذه « الاوراق » جزء من مجموعة « الوثائق السياسية » التى صدرت ، اخيرا ، عن وزارة الخارجية الامريكية بشأن الشرق الاوسط .

وقامت الوزارة الامريكية بترجمتها ، فى لبنان ، الى اللغة العربية ، وسمحت بتداول محدود لها . وذلك تحت اسم « الحوار العربى — الامريكى منذ حرب اكتوبر » .

وقد لفت نظرنا فى هذه الوثائق ، مجموعة الاوراق الخاصة بالدكتور هنرى كيسنجر وزير الخارجية . فهى تكشف بقدر غير قليل من الوضوح عن افكاره ومواقفه وأساليبه فى العمل الدبلوماسى ازاء القضية العربية .

ورأينا أن ننشر هذه الاوراق بنصها العربى ، المترجم بلبنان ، باعتبار ان هذه الترجمة قد اعتمدت رسميا من جانب الخارجية الامريكية .

والاوراق تضم :

(١) النص الكامل للمؤتمر الصحفى الذى عقده كيسنجر فى واشنطون يوم ٢٥ اكتوبر ١٩٧٣ ، غداة حرب اكتوبر وبعد سفره العاجل الى موسكو للاتفاق على مشروع قرار موحد يصدر عن مجلس الامن بوقف اطلاق النار .



■ هنرى كيسنجر يلوح بعلامة النصر عند وصوله الى قصر الامم المتحدة بجنيف لحضــور مؤتمر السلام الخاص بأزمة الشرق الأوسط يوم ٢١ ديسمبر ١٩٧٣ .

② الكلمتان المتبادلتان بين الدكتـــور هنرى كيسنجر والسيد اسماعيل فهمى وزير الخارجيـــة المصرى فى مأدبة العشـــاء التى اقيمت بوزارة الخارجية الأمريكيةبواشنطون تكريمـــا لوزير الخارجيـــة المصرى فى ١٥ اغسطس ١٩٧٤ .

③ الكلمتان المتبـــادلتان بين الدكتـــور هنرى كيسنجر والسيد عبد الحليم خـــدام وزير الخارجية السورى فى مأدبة العشاء التى اقيمت بوزارة الخارجيـــة الامريكيـــة بواشنطون تكريما لوزير الخارجية السورى فى ٢٤ اغسطس ١٩٧٤ .

④ الكلمتان المتبـــادلتان بين الدكتـــور هنرى كيسنجر والمرحوم عمر السقاف وزير الدولة السعودى للشئون الخارجية فى مأدبة العشاء التى اقيمت بوزارة الخارجية الامريكية بواشنطون تكريما لوزير الخارجية السعودى فى ٢٩ أغسطس ١٩٧٤ .

⑤ الخطاب الذى القاه كيسنجر أمـــام الجمعية العامة للامم المتحدة فى ٢٣ سبتمبر ١٩٧٤ ، وكشف فيه ، لاول مرة ، عن الازمة الاقتصادية التى تعانيها الولايات المتحـــدة الامريكية واتصالها بمشاكل التضخم والطاقة والغذاء ، فى العالم . ومحاولاته لتصـــدير هذه الازمة الى البلاد النامية باسم السلام العالمى والرخاء الدولى .

[١] مؤتمـــــر كيســـــنجر

عن حــــرب أكتـــــوبر

[واشـــنطن ــ ٢٥ أكتــوبر ١٩٧٣]

سيداتي سادتي :

اعتقد أن افيد تقديم لاسئلتكم هو اعطاء ملخص للاحداث التي جرت بين السادس من تشرين الاول واليوم ، كي تتمكنوا من تقييم اجراءاتنا والوضع الذي تجد انفسنا فيه ومسلكنا المقبل .

بدأت الازمة بالنسبة الينا الساعة السادسة من صباح السادس من تشرين الاول ، عندما أوقظت من نومي بمعلومات تفيد أن حربا عربية ــ اسرائيلية أخرى توشك أن تندلع . وانا أذكر هذا التفصيل الشخصي لانه يجيب عن السؤال القائل أن تدخل الولايات المتحدة منع اسرائيل من القيام باجراء استباقي . ان الولايات المتحدة لم تقم بأي مسعى لدى أي من الجانبين قبل السادس من تشرين الاول ، لان جميع معلومات الاستخبارات التي كانت في حوزتنا وجميع المعلومات التي اعطيت الينا ، من قبل دول اجنبية ، اوحت بأنه ليس هناك احتمال باندلاع حرب . ولم يكن لدينا أي سبب لاسداء أية نصيحة لاي من المشتركين في القتال ، لاننا لم نعتقد ــ وبامكاني أن أقول ، أن الحكومة الاسرائيلية لم تعتقد أيضا ــ أن هجوما كان وشيكا .

وفي غضون الساعات الثلاث بين السادسة والتاسعة صباحا ، بذلنا جهودا كبيرة لمنع اندلاع الحرب من طريق العمل كوسيط بين الطرفين مؤكدين لكل واحد منهما ، أن الطرف الاخر يحاول الحصول على ضمانة بأن الجانب الاخر ليست لديه نية عدوانية .

ولكن قبل أن يصبح بالامكان انجاز هذه العملية ، نشبت الحرب وبدأت العملية التي لا نزال مشغولين بها .

ولا اعتقد أن أية غاية مفيدة تخدم باستعراض كل تحرك دبلوماسي فردي ، ولكن اعتقد انه من المفيد الاشارة الى بعض المبادىء الاساسية التي حاولنا أن نتبعها :

فطوال الازمة كان الرئيس مقتنعا بأن لدينا قضيتين رئيسيتين : أولا ، انهاء الحرب بأسرع وقت ممكن . ثانيا ، انهاء الحرب بطريقة من شأنها ان تساعدنا على القيام بمساهمة رئيسية لازالة الاوضاع التي ولدت أربع حروب بين العرب والاسرائيليين في الخمس والعشرين سنة الماضية .

لقد كنا ندرك أن هناك عدة اطراف مهتمة بالموضوع . هناك بالطبع المشتركون في النزاع ــ مصر وسوريا من جهة العرب ، تساعدهما دول عربية عديدة . واسرائيل من الجهة الاخرى . وكان هناك الاتحاد السوفييتي ، وكان هناك الاعضاء الدائمون الاخرون في مجلس الامن ، وبالطبع كانت هناك الولايات المتحدة .

وكان رأينا ، أن الولايات المتحدة تستطيع أن تكون فعالة جدا في كلتا المهمتين اللتين اعلنهما الرئيس ــ انهاء الحرب ، وكذلك القيام بمساهمة لتحقيق سلام دائم في الشرق الاوسط ــ اذا تصرفنا بطريقة نستطيع فيها أن نبقى على اتصال دائم مع جميع هذه العناصر في المعادلة .

وطوال الاسبوع الاول حاولنا أن نبلور اجماعا في الرأي في مجلس الامن ، من شأنه أن يحقق وقف اطلاق نار بشروط ، باستطاعة الاسرة العالمية أن تدعمها . وقد اعلنا عن مبادئنا الاساسية في الثامن من تشرين الاول . ونحن لم نطرحها لتصويت رسمي لاننا ادركنا انه ما من اغلبية كانت متوافرة . ولم نكن نريد أن يتم تحديد الجهات بصورة سابقة للاوان . وفي العاشر من تشرين الاول ، بدأ الاتحاد السوفييتي بشحن الاسلحة بطريق الجو بصورة معتدلة الى حد ما ، في بادىء الامر ، ولكنها ما لبثت أن بلغت في الثاني عشر من تشرين الاول مستويات جوهرية .

دعوني اقل كلمة هنا ، حول علاقتنا مع الاتحاد السوفييتي ، طوال هذه الازمة وما حاولنا أن نحققه . أن الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي هما بالطبع خصمان من الناحية الايديولوجية ، والى حد ما من الناحية السياسية . ولكن للولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي أيضا مسئولية خاصة جدا . اننا نملك ــ كل واحد منا ــ مخزونات نووية قادرة على ابادة الانسانية . ولدى كل منا ، واجب خاص للتأكد من أن المواجهات تظل محصورة ضمن حدود لا تهدد الحياة الحضارية . وكلانا سيدرك ، عاجلا أم آجلا ، أن القضايا التي تقسم العالم اليوم ، والقضايا التي يمكن التكهن بها ، لا تبرر الكارثة التي لا نظير لها والتي تشكلها حرب نووية . ولذلك حاولنا في جميع اتصالاتنا مع الاتحاد السوفيتي ، أن نبقي [هذه الحقيقة] في ذهننا . وحاولنا أن ننقلها الى وضع لا تغيب فيه عن النظر هذه المصلحة المهيمنة التي تشاركنا فيها الانسانية .



■ كيسنجر يتحدث الى الصحفيين في واشنطن يوم ٢٥ اكتوبر ١٩٧٣ عن الظروف التي ادت الى الحرب بين العرب واسرائيل

وقد أشرت في خطاب - ألقيته في مؤتمر السلام على الارض - الى أن هناك حدوداً لا يمكننا أن نذهب الى أبعد منها . وقلت اننا سنعارض المحاولة التي تقوم بها أية دولة لتحقيق وضع من السيطرة ، سواء كانت عالمية أو اقليمية ، واننا سنقاوم أية محاولة لاستغلال سياسة من الانفراج لاضعاف محالفاتنا ، واننا سنرد اذا استخدمت تخفيفات حدة التوترات ، كغطاء لزيادة حدة النزاعات في الاماكن الدولية المضطربة . وقد اتبعنا هذه المبادىء في الوضع الراهن .

انه من السهل بدء مجابهات ، ولكن يتوجب علينا في هذا العصر ، أن نعرف أين سنكون في النهاية ، وليس فقط أي وضع يجب أن نتخذه في البداية .

لقد حاولنا طوال الاسبوع الاول ، تحقيق اعتدال في مستوى شحنات الاسلحة الخارجية التي كانت ترسل الى المنطقة ، وحاولنا أن نعمل مع الاتحاد السوفييتي على وضع مشروع قرار لوقف اطلاق النار ، من شأنه أن ينهي النزاع .

وقد فشلت هذه المحاولة الاولى يوم السبت الثالث عشر من تشرين الاول ، لاسباب عديدة - بما فيها ربما سوء تقييم للوضع العسكري من قبل بعض المشتركين .

وقد ووجهنا بعدها بعدم القدرة على اصدار قرار لمجلس الامن يحظى باجماع في الرأي ، وعلى ادخال جوهري للاسلحة من قبل دولة خارجية الى المنطقة . ومنذ هذه النقطة قرر الرئيس يوم السبت الثالث عشر من تشرين الاول ، أن على الولايات المتحدة أن تبدأ بنفسها مجهودا من اعادة التموين . ومنذ ذلك الحين عملت الولايات المتحدة على المحافظة على توازن عسكري في الشرق الاوسط ، بغية التوصل الى تسوية عن طريق التفاوض كنا نسعى اليها .

وبالتزامن مع هذا أبلغنا الاتحاد السوفييتي ، أن اهتمامنا في التوصل الى حل مقبول لا يزال قويا جداً ، واننا كجزء من هذا الحل ، مستعدون لمناقشة خفض متبادل في شحن الاسلحة الى المنطقة .

وفي الأيام التي تلت ، بحثنا مع الاتحاد السوفييتي معالجات عديدة لهذه القضية . وكانت الصعوبة الرئيسية كيفية التوفيق بين الحاح العرب على التزام فوري بالعودة الى حدود عام ١٩٦٧ ، والحاح اسرائيل على حدود آمنة ونتيجة يتم التوصل اليها عن طريق التفاوض .

وكما تعلمون جميعا ، ذهب رئيس الوزراء كوسيجين في السادس عشر من تشرين الاول الى القاهرة لبحث هذا الموضوع مع زعماء مصر . وقد عاد الى الاتحاد السوفييتي في التاسع عشر من تشرين الاول .

وبدأنا باستقصاء صيغة جديدة لانهاء الحرب في ذلك المساء ، ورغم أن تلك الصيغة كانت لا تزال غير مقبولة بالنسبة الينا ، وفي الوقت الذي كنا لا نزال ندرس فيه تلك الصيغة ، بعث السكرتير العام بريجنيف بطلب مستعجل الى الرئيس نيكسون كي أوفد الى موسكو ، لاجراء المفاوضات بغية الاسراع في انهاء الحرب التي قد يصبح من الصعب احتواؤها اذا هي استمرت .

وقد وافق الرئيس على طلب المستر بريجنيف وكما تعلمون جميعا ذهبت الى موسكو باكرا في صبيحة العشرين من تشرين الاول .

وقد أمضينا يومان من المفاوضات الكثيفة ، ووضعنا صيغة اعتقدنا انها كانت مقبولة لجميع الاطراف ، ولا نزال نعتقد انها تمثل حلا عادلا لهذا النزاع المفجع .

وكما تعلمون جميعا تضمن قرار مجلس الامن ثلاثة أجزاء . لقد دعا الى وقف اطلاق نار فوري في الاماكن التي تحتلها القوات المتحاربة ، كما دعا الى تنفيذ فوري لقرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ الذي أقر في شهر تشرين الثاني عام ١٩٦٧ ، والذي يحدد بعض المبادىء العامة التي على أساسها يجب تحقيق السلام في الشرق الاوسط . ودعا ، ثالثا ، الى مفاوضات بين الاطراف المعنية تحت اشراف ملائم لتحقيق سلام عادل ودائم في الشرق الاوسط .

وهذه النقطة الثالثة ، كانت أول التزام دولي بالمفاوضات بين الفرقاء في نزاع الشرق الاوسط . وكانت الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي مستعدين لتقديم رعايتهما اذا ثبت أن هذه هي عملية المفاوضات . ولا تزال الولايات المتحدة مستعدة لتنفيذ هذا الاتفاق . كان هذا الوضع عندما عدت من موسكو وتل أبيب مساء الاثنين .

ومنذ ذلك الحين ، تطورت الاحداث في الاتجاه التالي : في اليوم الاول - أي يوم الثلاثاء - من تنفيذ قرار وقف اطلاق النار ، كان هناك خرق للقرار أدى الى بعض المكاسب الاسرائيلية الاقليمية ، وقد أيدت الولايات المتحدة مشروع قرار يدعو المتحاربين الى التوقف عن اطلاق النار ، والعودة الى الاماكن التي نشب فيها القتال ، ودعوة مراقبين دوليين الى مراقبة تنفيذ قرار وقف اطلاق النار . وقد بدا لنا هذا قرارا عادلا .

وفي اليومين الاخيرين ، تطورت المناقشة في مجلس الامن والاتصالات التي رافقتها في اتجاه بدا لنا مقلقا . فقد واجهنا بصورة متزايدة ، سيلاً من الاتهامات كان من الصعب التثبت منها في

غياب مراقبين دوليين» وطلبا للقيام بعمل لم يكن في مقدورنا أن نقوم به .» مثال ذلك كان هناك اقتراح بأن ترسل قوات أمريكية - سوفييتية مشتركة الى الشرق الاوسط لمراقبة تنفيذ وقف اطلاق النار .

وأود أن أحدد نيابة عن الرئيس ، موقف الولايات المتحدة ازاء هذه القضية بوضوح تام .» ان الولايات المتحدة لا تحبذ ولن توافق على ارسال قوة أمريكية سوفييتية مشتركة الى الشرق الاوسط .» وتعتقد الولايات المتحدة أن المطلوب في الشرق الاوسط قبل كل شيء هو تحديد للوقائع ، تحديد لاماكن الخطوط ، وتحديد لمن يقوم باطلاق النار حتى يتسنى بعد ذلك لمجلس الامن اتخاذ اجراء مناسب .» ولا يمكن التصور أن قوات الدول العظمى ، يجب ادخالها بالاعداد التي ستكون ضرورية للتغلب على كلا المتحاربين .»

ولا يمكن التصور أننا يجب أن نزرع تنافس الدول العظمى في الشرق الاوسط ، أو بصورة بديلة ، يجب أن نفرض سيادة عسكرية مشتركة من قبل الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي . ان الولايات المتحدة تعارض حتى أكثر من ذلك ارسال قوات عسكرية الى المنطقة ، من جانب واحد من قبل اية دولة عظمى ، وبنوع خاص من قبل دولة نووية ، أيا كان المظهر الذي تتخذه تلك القوات . وان غموض بعض التصرفات والاتصالات ، وكذلك بعض الاجراءات التأهبية التي اتخذت ، هو الذي دفع بالرئيس في اجتماع خاص لمجلس الامن الوطني ، عقد ليلة أمس الساعة الثالثة صباحا . الى أن يأمر باتخاذ بعض الإجراءات الوقائية من قبل الولايات المتحدة .»

ان موقف الولايات المتحدة بالنسبة الى السلام في الشرق الاوسط ، هو كما يلي : ان الولايات المتحدة تؤيد تقيدا صارما بوقف اطلاق النار ، كما حدد في قرار مجلس الامن الدولي رقم ٣٣٨ الذي أقر في الثاني والعشرين من تشرين الاول . والولايات المتحدة ستؤيد وستقدم كل مساعدة ، وهي على استعداد لتقديم بعض العناصر لقوة مراقبين دوليين ، تكون مسئوليتها ابلاغ مجلس الامن عن أعمال خرق وقف اطلاق النار والتي ستكون مسئوليتها أيضا مساعدة الاطراف على الاهتمام بالقضايا الانسانية وغيرها ، الناجمة عن كون أنه يوجد على الجبهة المصرية - الاسرائيلية سلسلة من الجيوب يصعب فيها الى حد كبير تحديد الحدود .

واذا رغب مجلس الامن ، فان الولايات المتحدة مستعدة للموافقة على قوة دولية ، شرط ان لا تتضمن أية دولة تابعة للدول الاعضاء الدائمة في مجلس الامن ، ترسل الى المنطقة كضمانة اضافية على تنفيذ وقف اطلاق النار .

ان الولايات المتحدة مستعدة لبذل مجهود رئيسي للمساعدة في الاسراع بحل سياسي يكون عادلا لجميع الاطراف .»

والولايات المتحدة تعترف بأن الاوضاع التي ولدت الحرب في السادس من تشرين الاول ، لا يمكن أن يسمح لها بأن تستمر . ان الولايات المتحدة مستعدة لان تضع بصورة ثنائية ومن جانب واحد ثقلها الديبلوماسي في مجهود جد يبذل في عملية التفاوض التي تصورتها الفقرة الثالثة من قرار مجلس الامن رقم ٣٣٨ .

وعليه نحن الان في نقطة حاسمة . ان فرص السلام في الشرق الاوسط من وجهات نظر عديدة ، مفعمة بالامل الى حد كبير .

لقد اختبرت اسرائيل مرة أخرى آلة الحرب ، وأعطيت فرصة للمفاوضات التي سعت اليها طوال وجودها ، ويتوجب عليها ان تكون مستعدة للسلام العادل والدائم الذي يدعو اليه مجلس الامن .

وأظهرت الدول العربية قلقها ، وتلقت ضمانات دولية بأن دولا أخرى ستهتم بهذه المفاوضات

والاتحاد السوفييتي لا يهدد في أي من أوضاعه الشرعية في الشرق الاوسط . والمبادىء الخاصة الملقاة على عاتق الدول النووية العظمى لايجاد توازن بين مصالحها المحلية ، ومصلحتها العالمية ، والتزاماتها الانسانية ، تبقى قائمة .

واذا نظر الى الامور في هذا الاطار ، فانه ما من قضية من القضايا المتعلقة بالتقيد بوقف اطلاق النار ، تستدعي عملا من طرف واحد .

أما بالنسبة الى الولايات المتحدة ، فقد أعلن الرئيس مرارا أنه ليس لهذه الادارة هدف أسمى من أن نترك للذين سيخلفوننا ، عالما يكون مأمونا ومضمونا أكثر من العالم الذي وجدناه . انه التزام يجب أن يقوم به أي رئيس ، أيا كان الحزب الذي ينتمي اليه ، وهي مسئولية يجب أن تتحملها - اذا كان يرجى للانسانية أن تبقى على قيد الحياة - الدول النووية العظمى عند نقطة ما قبل فوات الاوان .

لكننا أعلنا دائما أنه يجب أن يكون سلاما مقرونا بالعدالة . والشروط التي تم الاتفاق عليها في الامم المتحدة تتيح فرصة لشعوب الشرق الاوسط لتقرير مصيرها بنفسها بالمشاورة والتفاوض - لاول مرة منذ خمسة وعشرين عاما .

وهذه فرصة نحن مستعدون لرعايتها . انها فرصة ضرورية لهذه المنطقة المهدمة . وهي ضرورية بصورة مماثلة لسلام العالم . وهي فرصة لا يحق لان يسمح للدول العظمى بأن تضيعها .

والان سأكون مسرورا الرد على الاسئلة :

س : دكتور كيسنجر ، هل بامكانك أن تدخل بمزيد من التفصيل حول التهديد السوفييتي الذي سبب استنفار القوات العسكرية الامريكية ليلة أمس ؟

وأيضا اذا كان بامكانك أن تقول لنا اذا كان السفير دوبرينين قد سلمك مذكرة قاسية كما وصفها السناتور جاكسون حول الوضع في الشرق الاوسط .

ج : ان السناتور جاكسون هو صديق حميم لي ، لكنه لا يشترك في مداولاتنا . التي لن أناقش تفاصيل الاتصالات الفردية .

لقد أصبحنا مدركين لاستنفار بعض الوحدات السوفييتية وكنا في حيرة من تصرف بعض الممثلين السوفييت في المناقشات التي جرت .

اننا لا نعتبر أنفسنا في مجابهة مع الاتحاد السوفييتي . ولا نعتقد أنه من الضروري ، في هذا الوقت ، اجراء مجابهة . وفي الواقع نحن مستعدون للعمل بشكل تعاوني لتحقيق الاهداف التي وضعناها بأنفسنا .

غير أن العمل التعاوني يستبعد اجراء من طرف واحد ، وقد قرر الرئيس أنه كان من الضروري أن نوضح موقفنا ازاء الخطوات الفردية .

س : حضرة الوزير ، عندما كنت تتحدث في وقت سابق عن المسئولية الخاصة الملقاة على عاتق الدولتين النوويتين العظيمتين لتجنب اي شيء من شأنه أن يدمر الانسانية ، أو يحولها الى رماد ، قلت ان هناك حدودا لا نستطيع أن نذهب الى ابعد منها .

وقلت انه من بينها : سوف نقاوم محاولة لاستغلال الانفراج ، بشكل يضعف الاخرين أو يضعف حلفاءنا - انني لم أستوعب ذلك جيدا - ولكنك ستتذكر ما قلته .

ان ما أود أن أعرفه - ما اردت ان أسأله ، هو ما اذا كنت تعتقد أن اجرام الروس حتى الان - وبخاصة الخروج عما اعتقدت أنه كان اتفاقا - قد بلغ النقطة التي يهدد فيها استقلال الانفراج الى مدى غير ملائم »

ج : اننا لسنا مستعدين بعد لاعطاء هذا الحكم . علينا أن ندرك بالطبع ، كما أشرت الى ذلك في ملاحظاتي ، أننا والاتحاد السوفيتي على علاقة فريدة من نوعها ، فنحن في نفس الوقت خصمان وشريكان في صيانة السلام . فكخصمين ، غالبا ما نجد أنفسنا منساقين نحو مجابهة محتملة ، ولكل واحد منا أصدقاء يدعون انفسهم يمارسون أهدافا لا يسعى وراءها كليا أي منا .

فعندما اتخذنا الخطوات الوقائية التي تعرفونها جميعا . فعلنا ذلك لاننا فكرنا في أنه قد يكون هناك احتمال ان القضايا قد تتجاوز الحدود التي وضعتها . ولكننا لسنا مستعدين بعد للقول بأنها تجاوزت هذه الحدود ، ونحن نعتقد ان امكانية التحرك في الاتجاه الذي حدده مجلس الامن في وقت سابق هذا الاسبوع ، لا تزال حقيقية جدا . واذا كان على مجلس الامن أن يتخذ اليوم قرارا يسمح بادخال قوات دولية ، باستثناء قوات الدول الاعضاء الدائمة ، فان الولايات المتحدة .

ستشعر بأننا عدنا الى الطريق الذى رسم في وقت سابق على هذا الاسبوع .

س : حضرة الوزير ، هل بامكانك أن تقول لنا ما اذا كانت الولايات المتحدة قد تلقت انذارا محددا من الاتحاد السوفييتى بأنه سيرسل قواته من طرف واحد الى الشرق الاوسط » هل لديك معلومات بأن الروس يهيئون لمثل اجراء كهذا ؟ ان السبب الذى يدفعنى الى اثارة هذا السؤال - كما تعلم - هو أنه كانت هناك بعض التخمينات هذا الصباح ، بان الاستنفار الامريكى قد عجل به الى هذا الحد ، ربما بسبب متطلبات أمريكية داخلية بقدر ما عجلت به المتطلبات الحقيقية للديبلوماسية فى الشرق الاوسط ، وانى لاتساءل اذا كنت تستطيع ان تعطينا بعض المعلومات الاضافية حول ذلك ؟

ج : اننا نحاول تسيير سياسة الولايات المتحدة الخارجية بالنسبة الى ما نحن مدينون به ، ليس فقط لجمهور الناخبين بل للاجيال القادمة . ومن امارات مايحدث لبلادنا أنه أمكن حتى التصور بأن الولايات المتحدة تستنفر قواتها لاسباب داخلية .

اننا لا نعتقد أنه من الحكمة فى هذا الوقت الدخول فى تفاصيل المحادثات الديبلوماسية التى عجلت باتخاذ هذا القرار . وعند انتهاء الجهود الديبلوماسية الحالية بطريقة او بأخرى ، منجعل السجل متوافرا ، وسنكون قادرين على الدخول فى تفاصيل أوسع . وانى واثق بشكل جازم بانه سيرى ان الرئيس لم يكن له خيار آخر بوصفه زعيما وطنيا مسئولا .

س : دكتور كيسنجر هل بامكانك أن تقول ياسيدى ، لماذا تشعر الولايات المتحدة بأن على الدول الدائمة العضوية فى مجلس الامن ، ألا ترسل قوات على رغم أن هناك فصلا فى ميثاق الامم المتحدة يدعو ، على ما أعتقد ، جميع أعضاء الامم المتحدة الى تقديم قوات ، اذا طلب منها ذلك .

ج : اننا نعتقد أن الفقرة الخاصة من الميثاق التى ذكرتها ، يجب أن ينظر اليها فى ضوء الظروف الخاصة ، فعندما يكون هناك وضع حيث قد توجد فيه لعدد من الاعضاء الدائمين ، مصالح متضاربة ، وعندما قد يكون وجود قوات للاعضاء الدائمين ، مساهما هو نفسه ، فى التوتر فى المنطقة ، يبدو لنا أن السبيل الوحيد الممكن هو استبعاد الاعضاء - قوات جميع الاعضاء الدائمين .

انها ستكون فاجعة اذا اصبح الشرق الاوسط ، الذى تمزقه الان منافسات محلية ، نتيجة قرار تتخذه الامم المتحدة ، مسرحا شرعيا لتنافس القوات العسكرية للدول النووية العظمى .

ولذلك بدا لنا ، أن الاهداف السياسيه ستخدم بطريقة افضل ، اذا كانت أية قوة دولية تم ارسالها تتألف من دول لا يتوافر احتمال لان تنجرف هى نفسها فى منافسة نتيجة لتواجدها .

س : دكتور كيسنجر ، قد يبدو واضحا ، لكنى أود أن أسألك - هل ان الغاية من الاستنفار القائم حاليا ، هى القول للاتحاد السوفييتى بأنه اذا أرسل قوات الى الشرق الاوسط ، فاننا سنعمل الشىء نفسه »

ج : لا أود ان أتكهن حول ما قد يقرر الرئيس أن يفعله فى ظروف نأمل بشدة أن لا تبرز . وقد يبدو لنا أن نعريض كل ما تم تحقيقه فى السعى من أجل السلام ، للخطر من طريق عمل من طرف واحد ، سيكون خطوة من اللامسئولية لا نعتقد أنها محتملة . ولذلك لا أود أن أتكهن بما ستفعله الولايات المتحدة اذا اتضح أنه ، عوضا من بدء حقبة من التعاون ، قد دفع بنا الى الوراء ، الى مجابهات يجب التغلب عليها عاجلا أم آجلا . لان الانسانية لا تستطيع أن تتحمل النزاع الابدى لهؤلاء الذين يملكون القدرة على تدميرها .

س : حضرة الوزير ، اذاع راديو القاهرة أن مثل هذا العرض لارسال قوات سوفييتية لتنفيذ وقف اطلاق النار قد ورد من موسكو . هل قدم مثل هذا العرض ، واذا كان الامر كذلك ، هل استنفرت القوات السوفييتية فعلا وهل هى آخذة فى التحرك ؟

ج : اننا بالطبع لا نذكر المبادلات الديبلوماسية التى ربما تجرى بين حكومة مصر وحكومة الاتحاد السوفييتى . اننا أيضا لا نعلم أية قوة سوفييتية ربما تكون قد ادخلت الى مصر . ونحن نعتقد ، وما زلنا نوجه كل جهد فى ذلك الاتجاه ، ان أى اجراء يتخذ من قبل أية دولة فى الشرق الاوسط ، سيكون فى اطار قرارات مجلس الامن والامم المتحدة .

واود أن أكرر مرة أخرى : اننا لا نعتبر انفسنا الان فى مجابهة مع الاتحاد السوفييتى . اننا مازلنا مستعدين ، ونعتقد انه من الممكن تماما المحافظة على الاتجاه الذى أوصلنا الى هذه النقطة ، والذى يتوقف عليه سلام العالم .

س : حضرة الوزير ، هل تعتقد ان الاتحاد السوفييتى قد هدد باتخاذ اجراء من جانب واحد ، ودفع بهذا الموقف الى حافة المواجهة ؟ هل ترى من الممكن ان يكونوا قد رأوا احداث نهاية الاسبوع الماضى على أنها اضعفت الرئيس الى حد كبير ، حيث كان مهددا بأن يوجه اليه الاتهام ، فرأوا هناك فرصة سانحة وقرروا التحرك ؟

ج : ان التكهن بصدد البواعث ينطوى دائما على خطر . غير أن المرء لا يمكن ان يتعرض لازمة سلطة فى مجتمع لمدة تمتد الى أشهر من دون أن يدفع ثمنا فى مكان ما على امتداد الخط .

س : دكتور كيسنجر ، من وجهة نظر الجمهور ، كان الاعتقاد السائد لديه حتى هذا الصباح ، ان هذه الازمة أمكنت السيطرة عليها ، وان وقف اطلاق النار أخذ يترسخ . وقد رفضت ان نبحث المحتوى الديبلوماسى للاتصالات المحددة ، فهل كانت هناك قبل هذا التطور المفاجىء الاخير أية اشارة الى أن هذا الموقف قد يسير فى مثل هذا الاتجاه ؟

ج : كلا ، لم يكن هناك ، فحتى بعد ظهر أمس ، كان لدينا كل سبب للاعتقاد ان الاتجاه الاساسى الذى ترسخ ، والذى وافق عليه جميع الاطراف سيجرى فى الواقع تنفيذه . وأكرر اننا مازلنا نعتقد اننا فى الامكان الاستمرار فى هذا الاتجاه . ان احدا لا يستطيع أن يكسب من ادخال تنافس بين الدول الكبرى أو من مضاعفة التنافس بين الدول الكبرى . ان الهدف الذى يسمو على كل ماعداه فى الشرق الاوسط ، يجب أن يكون تحقيق سلام عادل ودائم بين الدول العربية واسرائيل . وان الولايات المتحدة مستعدة لتعزيز ذلك الهدف بل وملحة ، وتلك هى القضية التى يجب أن نهيىء انفسنا لها .

س : دكتور كيسينجر : لمتابعة ذلك ، قال السناتور جاكسون وغيره ، أن هذه الحكومة كانت تتصرف وفق ما دعاه بوهم الانفراج منذ البداية ، فهل فى استطاعتك أن تكون أكثر دقة الان فى هذه الظروف بشأن وضع الانفراج مع الاتحاد السوفييتى ؟

ج : مستر ليزاغور ، لقد اعترفنا منذ بداية هذه الادارة بأننا نتعامل مع خصم عقائدى وسياسى . كذلك اعتقدنا أن لدينا التزاما تاريخيا فى هذه الظروف بالذات ، لان نقاوم ، وأن نحاول ازالة اخطار الحرب ، وقد أوضحنا دائما ومارسنا دائما اننا ستقاوم اية مغامرات فى السياسة الخارجية عبر الازمات العديدة فى المراحل الاولى من هذه الادارة .

وأن النواحى التى اختلفنا فيها مع بعض منتقدينا ، كانت فى قناعتنا انه من الخطر المحاولة التدخل فى الشئون الداخلية لدولة لها ذلك التكوين المختلف عن تكويننا ، وذلك التفكير العقائدى المختلف عن تفكيرنا .

لقد حافظنا على سلامة حلفائنا وعلى أمن الولايات المتحدة ، بينما خففنا من خطر الحرب .

وكما قلت فى ملاحظاتى ، فهذا عمل تاريخى يجب أن يحله شخص ما ، وانه فى مصلحة جميع الامريكيين وجميع الانسانية ان يحل فى أسرع وقت ممكن .

وبالنسبة الى وضع الانفراج : أظن أننا نستطيع ان نعطى حكما أفضل ، عندما نعلم ما اذا كان السلام قد ترسخ ، فاذا استطعنا نحن والاتحاد السوفييتى أن نعمل بصورة تعاونية اولا نحو اقرار وقف اطلاق النار ، ثم نحو ترقية تسوية دائمة فى الشرق الاوسط ، فعندئذ يكون الانفراج قد أثبت نفسه . واذا لم يتم هذا ، فعندئذ نكون قد بذلنا جهدا - لا

فع فى المقابل ثمنا ، وهو جهد يجب ان ...ل ، ثم ان المرء يجب ان ينتظر لحظة ...رى ، عندما تبذل محاولة تأمين السلام ... جلبه للانسانية :

س : دكتور كيسنجر ، ان انباء هذه خطة السوفييتية بشأن قوة سوفييتية ...ريكية مشتركة ، كانت منتشرة على ...اق واسع قبل توجهك الى موسكو ، خاصة فى أوروبا الشرقية ، فهل بحث ...ستر بريجنيف هذه الفكرة معك فى أية ...ورة ؟ واذا لم يفعل فلماذا تظن أنه ...لتزم الصمت بشأنها منذئذ ، ثم ديبعثها ...رة أخرى بعد أيام قلائل ؟

ج : لا أعلم أية خطط كانت منتشرة على نطاق واسع فى أوروبا الشرقية . ...ستطيع فقط التصرف ازاء الخطط التى بلغنا بصورة رسمية . ان الخطة المتعلقة بانشاء قوة عسكرية أمريكية – سوفييتية ...شتركة فى الشرق الاوسط ، لم تطرح علينا مطلقا ، سواء بصورة علنية او خاصة حتى يوم أمس . وقد أوضحنا على الفور ، أننا لن نشترك فى قوة كهذه ، واننا أيضا نعارض أية تحركات من جانب واحد .

س : دكتور كيسنجر ، لقد ذكرت ان الرعاية الامريكية السوفييتية ، قد تكون مفيدة فى التحرك بهذا الامر ديبلوماسيا . هل أنت مستعد شخصيا لان تلعب دورا فى جعل هذه المحادثات تبدأ ؟ وثانيا ، هل وافق جميع الفرقاء على ضرورة اجراء محادثات عربية – اسرائيلية مباشرة ؟

ج : اننا لم نكن على اتصال وثيق بصورة متماثلة مع جميع الفرقاء . ولدينا سبب للاعتقاد أن عددا كافيا من الفرقاء قد قبل هذه المحادثات . والحقيقة هى أنه حتى بعد ظهر امس ، جرت مباحثات تمهيدية بين السفير دوبرينين وبينى ، حول المكان والمشاركة والاجراءات المتعلقة بهذه المحادثات .

س : دكتور جيسنجر ، لقد أشرت فى ظرف سابق الى مصالح سوفييتية مشروعة فى الشرق الاوسط ، وأشرت الى أننا نشعر بأن تلك المصالح ليست مهددة هناك ، فهل أعطى السوفييت دليلا على أنهم يوافقون على تقييمك »

ج : على أساس المحادثات التى أجريتها مع السكرتير العام بريجنيف فى وقت متأخر ، يعود الى يوم الاحد الماضى ، والاتصالات التى تبودلت بعد ذلك ، بين الرئيس والسكرتير العام بريجنيف ، كان هناك كل سبب لتوقع الاتى : انه فى حين تكون بالطبع ، مصالحنا ليست متطابقة ، وتكون هناك اختلافات فى المعالجة ، فهناك قدر من الموازاة يمكن تطويره فى اتجاه ايجاد سلام دائم . وعليه اود أن أقول أن لدينا سببا للاعتقاد ان الرعاية المشتركة التى ينحدث منها قرار مجلس الامن لا يمكن بعد تنفيذها .

س : دكتور كيسنجر ، خلال قرارى وقف اطلاق النار فى الامم المتحدة ، قامت القوات الاسرائيلية عندئذ باحراز مكاسب عسكرية جوهرية على الارض . هل الولايات المتحدة مستعدة لان تحث اسرائيل على الالتزام بالقرار الذى يدعو جميع الفرقاء الى الانسحاب الى الخطوط التى كانت تقف عندها ، عندما وضع وقف اطلاق النار الاول موضع التنفيذ ؟

ج : لقد أيدت الولايات المتحدة القرارين ، وهى اليوم تؤيد قرارا آخر يتضمن بنودا مماثلة فضلا عن نص يقضى بتشكيل قوة دولية من جميع الدول الاعضاء فى الامم المتحدة ، يحق لجميع الاعضاء فى الامم المتحدة الانتساب اليها ، باستثناء الدول الدائمة العضوية فى مجلس الامن .

س : دكتور كيسنجر : انى ألاحظ انك قلت ان الرئيس اتخذ قرار الاستنفار العسكرى ، وانك قلت ان الرئيس لم يكن لديه خيار آخر . هل أوصيت بهذا أو أن الرئيس اتخذ مبادرة موضوع الاستنفار العسكرى ، وهل تشعر بأنه قرار حكيم كليا ؟

ج : مستر مولنهوف ، لدى قاعدة عامة الا اقدم قائمة بالنصائح التى أعرضها على الرئيس ، ولكن نظرا الى المضامين الخاصة التى لاحظتك ، يمكننى القول أن جميع كبار مستشارى الرئيس – جميع أعضاء الامن القومى – كانوا مجمعين فى توصياتهم ، نتيجة مداولات لم يشترك فيها الرئيس نفسه – والتى انضم اليها فقط بعدما كانوا قد كونوا قرارهم – وان الاجراءات المتخذة ، التى أمر بها بالفعل ، كانت للمصلحة الوطنية الجوهرية .

س : دكتور كيسنجر ، هل فى الامكان ان تذكر ما الذى تغير فى رأيك من تلك الفترة من يوم امس ، عندما كنت تتحدث انت والسفير دوبرينين عن موضوع الاشتراك فى المحادثات ومكانها ، وغير ذلك ، وتلك الفترة من مساء أمس التى حملت السوفييت على اتخاذ الاجراء الذى اتخذوه ؟ ما الذى تغير فى تقديرك ؟

ج : أود أن أوضح ، انه حتى الان لم يتخذ الاتحاد السوفيتى بعد اى اجراء لا يمكن الرجوع عنه ، والذى نأمله هو الا يتخذ مثل هذا الاجراء .

وأكرر مرة أخرى ما قلته فى مناسبات عديدة فى هذا المؤتمر الصحفى . اننا لا نسعى الى فرصة لمجابهة الاتحاد السوفييتى . اننا لا نطلب من الاتحاد السوفييتى التراجع عن اى شىء فعله . ان الفرصة لممارسة السبيل المشترك فى مجلس الامن وفى الديبلوماسية بعد ذلك مفتوحة . والاجراءات التى اتخذناها والتى أمر بها الرئيس كانت احترازية فى طبيعتها . انها لم تكن موجهة ضد اية اعمال تم اتخاذها ، وعليه فليس ثمة سبب لان تتراجع اية دولة عن اى شىء لم تفعله بعد .

وفيما يختص بالبواعث اظن ان علينا ان نقيم ذلك ، بعدما ينتهى الوضع الراهن .

س : حضرة الوزير ، هل بين الاسباب التى حملت الرئيس على اتخاذ قراره ، ما يتضمن تهديدا موجها ضد أية دولة فى عكس تهديد فى الشرق الاوسط ؟

ج : الحقيقة أننى لا اظن انه من المناسب لى أن أخوض فى تفاصيل المبادلات الديبلوماسية . اننا لا نتحدث عن تهديدات تبودلت . اننا لا نتحدث عن موقف من نوع أزمة صواريخ . نحن نتحدث عن موقف قدمنا فيه قبل اثنتين وسبعين ساعة قرارات مشتركة ، حيث لاتزال ضرورة القيام بخطوة مشتركة نحو السلام ، هى حقيقة الان ، مثلما كانت عندئذ ، وحيث يوجد لدى الاطراف المشتركة فى نزاع الشرق الاوسط كل شىء يكسبونه من فترة هدوء ، ومن على الاقل مراقبة أو محاولة رؤية ما يمكن أن يولده مجهود أمريكى ديبلوماسى . وعليه فاننا نتحدث عن موقف احترازى وليس من موقف فعلى .

س : حضرة الوزير ، يبدو لى انك تسأل الشعب الامريكى – أنت والرئيس – الذى صدم فعلا من احداث الاسبوع الماضى ، أن يقبل استنفارا عسكريا مثيرا جدا يتناول قوات نووية ، على أساس نوع قبضة دخان ، دون أن تبلغاه أو تبلغانا تماما لماذا . واذا كنت قد فهمتك من قبل ، فقد قلت أنك اكتشفت استنفار بعض القوات السوفييتية ، وانك تضايقت من مسلك بعض الاشخاص ، على مايبدو ، والذين يتعامل معهم المسئولون الامريكيون ، وذلك هو حقا كل ما نبرر به هذا الاستنفار . والان ان هذه البلاد مخضوضة بشكل سىء الان . وانى لاتساءل اذا كان فى استطاعتك أن تعطينا اية معلومات أخرى تساعد على اقناع الشعب بأن هناك أساسا راسخا للاجراءات التى اتخذت .

ج : اننا نحاول المحافظة على السلام فى ظروف صعبة جدا . وعلى السيدات والسادة أن يحددوا ما اذا كان هذا هو الظرف لمحاولة خلق ازمة ثقة فى حقل السياسة الخارجية أيضا . لقد حاولنا أن نعطيكم اقصى ما نستطيع اعطاءه من المعلومات بصورة لطيفة ومأمونة ولائقة فى هذه الظروف . وحالما تصبح هناك نتيجة واضحة ، سنعطيكم كامل المعلومات ، وبعد ذلك ستستطيعون اعطاء الحكم فيما اذا كانت القرارات قد اتخذت بصورة متسرعة أو غير مناسبة . ان الاستنفار الذى أمر به هو ذو طبيعة احترازية ، وهو ليس مما لا يمكن الرجوع عنه بأية صورة . انه القرار الذى بدا أن الموقف يتطلبه . على اننا سنكون مستعدين ، وأنا متأكد خلال اسبوع لان نضع الحقائق أمامكم .

ولكن يجب أن يكون هناك حد أدنى من الثقة بأن كبار موظفى الحكومة الامريكية لا يلعبون بأرواح الشعب الامريكى .

س : دكتور كيسنجر ، ان المشكلة الرئيسية فى الشرق الاوسط فى الوقت الحاضر ، تبدو انها تقلق المصريين على سلامة جيشهم الثالث على الضفة الشرقية للقناة . هل هناك أيه خطوات يجرى اتخاذها لامكان تحسين وضعه ؟ وثانيا هل يمكنك أن تعطينا بعض التفاصيل الاخرى من نتائج مباحثاتكم بالنسبة الى المحادثات المقبلة ؟ قبل اثنتى عشرة ساعة كان كل واحد ينتظر بدء المحادثات . هل يمكنك ان تقول لنا بأى اتجاه نستطيع ان نتوقع أن تسير فيه تلك المحادثات ؟

ج : اننا نعتقد أن المشاكل المعينة التى يثيرها وقف اطلاق النار ، حيث تنتشر القوات بتلك الصورة الغريبة - كل جيش له وحدات وراء خطوط الجيش الاخر - ان هذه الاوضاع تولد قبل كل شىء ، وخاصة فى المراحل الاولى ، صعوبات كثيرة . اننا مقتنعون كليا بأنه مع وجود مراقبين بنية حسنة على الجانبين ، وبالمشاركة الفعالة من قبل الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى ، فان الصعوبات يمكن تخفيفها بصورة جوهرية وازالتها آخر الامر .

والذى اعلمه مثلا ان بعض المؤن الانسانية قد وصلت الى الجيش الثالث اليوم .

وسنكون بالطبع مستعدين لان نقدم مساعينا الحميدة لجهود لم يكسب فيه اى واحد من الفريقين ميزة حاسمة نتيجة لتوزيع قواته .

وعليه فانا مقتنع بأن الاوضاع الخاصة لوقف اطلاق النار ، على صعوبتها - تمكن معالجتها وتحسينها بالحنكة السياسية من الجانبين .

س : حضرة الوزير ، لقد ابلغت بالتأكيد دوبرينين وغيره ما ابلغتنا اياه ، وربما أكثر ، هل يمكنك اعطاؤنا اى دليل على التأثير الذى كان لذلك على هذا الشعب ؟

ج : اننا فى هذه اللحظة فى مجلس الامن نناقش القرار الذى نؤيده . فاذا قبل ذلك القرار ونفذ ، فاننا نعتقد أنه سيؤدى الى تخفيف عاجل للموقف ، والى اعادة الاوضاع كما رأيناها ظهر امس .

وهل يمكننى ان أقول أيضا ان هذا المؤتمر الصحفى كان مقررا فى وقت قبل أن يعرف هذا الحدث الاخير أو يشتبه به ، وقد مضيت قدما به كى أتمكن من أن أضع فى الاطار الصحيح التطور الذى جلبناه الى هنا ، واقصى ما أستطيع من المنطق بوجود دقة الموقف .

س : انك لم تجب من الجزء الثانى من سؤالى ، دكتور كيسنجر .

ج : ماذا كان الجـــزء الثـــانى ؟

س : عن المفاوضات . ماذا سيكون من أمرها ؟

ج : اننا نعتقد أن المفاوضات يمكن ويجب أن تبدأ فى غضون أسابيع قليلة جدا .

س ، كيف ؟

ج : كيف ؟

س : نعم ، لقد قلت اننا نبحث موضوع الاشتراك والمنبر ، واتساءل اذا كان فى استطاعتك أن تعطينا مزيدا من التفاصيل .

ج : أظن ان علينا ان ننتظر الى أن يصبح الفرقاء مستعدين لاعلان هذا .

س : حضرة الوزير ، هل لديك أى دليل على الكيفية التى سيصوت فيها الاتحاد السوفييتى على مشروع القرار اليوم ؟

ج : اظن ان المناقشة لاتزال دائرة ، وعندما نعلم نتيجة ذلك التصويت .

س : هل هناك اى دليل على الكيفية التى يمكن أن يصوتوا بها ؟

ج : اننا نأمل بأن يصوت الاتحاد السوفييتى الى جانب مشروع القرار .

س : اذا أقر مشروع القرار ، دكتور كيسنجر ، هل تتوقع الغاء حالة الاستنفار ؟

ج : أن الاستنفار لن يستمر دقيقة واحدة أكثر مما نعتقد انه ضرورى .

س : دكتور كيسنجر .

ج : وسيلغى حالما يزول أى خطر من قيام عمل من جانب واحد .

س : دكتور كيسنجر ، فيما يختص بالدور الذى قد تلعبه الولايات المتحدة فى الحصول على أوضاع تؤدى الى سلام دائم ، لقد ذكر قبل بضعة أشهر انك قلت بانك تؤيد سياسة امريكية تدعم اسرائيل ، ولكنك لا تؤيد فتوحات اسرائيلية . ما هو رأيك فى ذلك الان ؟

ج : اظن انه نقل عنى بخصوص ذلك ، قبل أربع سنوات ونصف السنة ، قبل أن أدرك التسمية الخاصة التى تتصل بمبادىء العمل المختلفة .

ان موقفنا هو - كما ذكرت علنا - أن الاوضاع التى أوجدت هذه الحرب ، كانت بوضوح لا تغتفر بالنسبة الى الدول العربية ، وانه فى عملية مفاوضات سيكون من الضرورى تقديم تنازلات جوهرية وستكون المشكلة ربط المخاوف العربية بشأن السيادة على الممتلكات ، مع المخاوف الاسرائيلية بشأن الحدود الامنة .

اننا نعتقد ان عملية المفاوضات بين الفرقاء هى مركب أساسى من هذا . وكما ذكر الرئيس لوزراء الخارجية العرب الاربعة ، وكما ذكرنا تكرارا ، اننا سنبذل جهدا كبيرا لايجاد حل يعتبر عادلا من قبل جميع الفرقاء . لكنى أظن أنه لن تخدم اية غاية بمحاولتى تحديد الطبيعة الحقيقية لجميع هذه البنود .

س : حضرة الوزير ، شكرا جزيلا لك .

[٢] كيســـنجر - اســـماعيل فهـمى

[واشـــنطن ـ ١٥ أغســطس ١٩٧٤]

فيما يلى نص الكلمتين المتبــادلتين بين وزير الخارجية الامريكى الدكتور كيسنجر ، ووزير الخارجية المصرى السيد اسماعيل فهمى ..

■■ الدكتور كيسنجر :

حضرة وزير الخــارجية ، حضرات الضيوف المحترمين :

انه لمن دواعى سرورى البالغ ان أرحب باسماعيل فهمى ، اذ هى أول زيارة يقوم بها الى الولايات المتحدة تلبية لدعوة . وكانت أول مرة - ولا أود ان أكون فظا - سمعت فيها عن وجود اسماعيل فهمى ، هى فى العام الماضى بعد أسبوع تقريبا من انتهاء الحرب ، عندما كانت الامور لا تزال متوترة جدا . وقد تلقينا برقية من مصر تقول : ان اسماعيل فهمى قادم الينا ، وقد استطلعت عنه ، فوجدت انه وزير للسياحة . وفى تلك المرحلة أرسلنا برقية الى القاهرة ، نقترح فيها ، بصورة لبقة قدر المستطاع ، ولذلك حدوده فى هذه الوزارة ، بان تحديد موعد آخر ربما يكون أكثر ملاءمة . ولكن اسماعيل كان قد بدأ سفره . وهكذا ذهبنا لملاقاته على المطار . وقد اجرينا اجتماعات عديدة ضمن لجان حول ما نتصرف تجاهه .

وتقرر أن أقابله بعد يومين من وصوله . لكنه توجه رأسا من المطار الى مكتبى . وكانت بداية صداقة عظيمة .

وفى المرة التالية التى قدم فيها اسماعيل الى هنا ، تلقيت برقية من الجزائر ومن رئيسها ، تقول أن اسماعيل فهمى قادم . وكنت عرفت من هو . لكنى كنت عازما على الذهاب الى كاى بيسكين لتمضية عطلة نهاية الاســـبوع تلك .

وهكذا أرسلت اليه عدة برقيات أشرح له فيها بطريقة مملة جدا ، لماذا كان من



■ كيسنجر واسماعيل فهمى فى واشنطن عند زيارة وزير الخارجية المصرى للعاصمة الامريكية فى منتصف اغسطس ١٩٧٤ ، وقد وقف الى الخلف السفير المصرى فى واشنطن الدكتور اشرف غربال ٠

المستحيل تماما أن أستقبله لعدة أيام ٠ لكنه جاء وكان مهما جدا أنه جاء ٠

والان ، أقول هذا كنكتة ، ولكن كتقدير أيضا لرئيسه ولضيفنا ٠ ففى الوقت الذى أوفد فيه الرئيس السادات صديقه وزير السياحة ، والذى مالبث ان أصبح بعد وقت قصير وزيرا للخارجية ، الى الولايات المتحدة ، لم نكن أجرينا مناقشات جدية مع مصر منذ زمن طويل ٠ كنا قد خرجنا لتونا من تجربة الحرب التى استخدمت فيها كما نعلم جميعا معدات أمريكية بالطبع ليس على الجانب المصرى ـ ومع ذلك كانت للرئيس السادات الحكمة لان يدرك أن ذلك كان الظرف لاجراء حوار ، وأنه اذا كان يرجى للسلام أن يتحقق فى الشرق الاوسط ، فانه لن يقوم الا على اساس صداقة وتفاهم بين الشعب الامريكى والشعب العربى ٠ وفى وقت كنا لا نزال نبحث فيه ما اذا كان فى الامكان ابقاء وقف اطلاق النار قائما لبضعة أيام أخرى ، بدأنا مناقشة ٠ ومن الصعب أن نتذكر اليوم ، أن تسعة أشهر فقط مرت منذ أن بدأ هذا الحوار ـ بشكل متردد جدا ٠ ولكن ما كان أحد ليتجرأ على التنبؤ فى ذلك الحين ، بالمدى الذى ستذهب اليه العلاقة بين مصر والولايات المتحدة ، بين الدول العربية والولايات المتحدة ، وكم يمكن ان يساهم ذلك فى تحقيق سلام عادل ودائم فى الشرق الاوسط ٠ لقد تعاملنا بعضنا مع بعض بصدق وصراحة ، وقلنا لاصدقائنا المصريين منذ البداية ، اننا لن نعد بأى شىء لا نستطيع أن نفى به ٠ لكننا سنفى بكل شىء نعد به ٠ لقد ادركنا أننا كنا منغمسين فى عملية صعبة ، فى منطقة قاست الالام طوال قرون ، وبين شعوب عاشت كرب الاستعمار وكرب الاضطهاد ، وهكذا ، أدركنا عندما بدأنا العملية ، أنها ستكون صعبة وان كل خطوة الى الامام ستكشف عن مشاكل جديدة ٠ لكننا ادركنا ايضا ان تقدما يجب ان يحرز لما فيه مصلحة جميع شعوب المنطقة ، وان دماء كافية قد أريقت ، وان السلام كان أمرا حتميا ٠ وانه لرمز للاهمية التى نعلقها على هذه العملية وعلى الصداقة بين بلدينا ، ان تكون زيارة ضيفنا التى تقررت منذ عدة أسابيع لم تؤخر ساعة واحدة ، نتيجة الاحداث التى وقعت فى واشنطن فى الاسبوع الماضى (١) وقد أكد الرئيس فورد اليوم مجددا ، عزم الولايات المتحدة الراسخ على المساهمة بجميع طاقاتها فى عملية تحقيق سلام عادل ودائم فى الشرق الاوسط ٠ ونحن نعلم ان مثل هذه العملية ستتطلب الزعامة النشيطة والمشاركة ، من قبل مصر التى كانت دائما الزعيمة السياسية والادبية للمنطقة برمتها ٠

وبالاضافة الى جهودنا المشتركة لدفع السلام قدما فى الشرق الاوسط ، انشأنا طوال السنة الماضية علاقة جديدة من التعاون بين شعبينا ، عبر عنها فى اللجان المشتركة التى لعب فيها وزير ماليتنا ذلك الدور البارز ، والتى عقدت أول اجتماعاتها فى مصر فى شهر حزيران الماضى ، وأولى جلساتها العاملة الموسعة خلال هذه الزيارة ٠ اننا نعلم بأن هذا ليس سوى البداية ٠ لما سيتطور الى علاقة فائقة الاهمية ٠

أنت هنا يااسماعيل بين اصدقاء ، منغمس فى مهمة مشتركة لما فيه منفعة جميع الشعوب فى المنطقة ـ فى روح من حسن النية تهدف الى تحقيق العدالة ٠ ان رئيسكم وأعمالكم قد ساهما مساهمة عظيمة فى شق الطريق نحو أول حوار بناء منذ ٢٠ عاما ، ولما فيه أفضل أمل للسلام فى الشرق الاوسط ، منذ جيل من الزمن ٠ وبامكانكم أن تعتمدوا على جهودنا المستمرة بنفس الروح ، اذ تستمر هذ المحادثات ، التى سادت خلال هذا الشهر ، والتى ستستمر طوال الاسابيع المقبلة ٠ أننا سنجرى محادثات عديدة اخرى ، وبصفتى زميلا ورفيقا فى مسعى هام ، أود أن أثنى عليكم وعلى رئيسكم ٠ وأود أن أقترح أن نشرب نخب ضيفنا وزير خارجية مصر ، ونخب رئيسه السيد السادات ، ونخب الصداقة بين مصر والولايات المتحدة ٠

■ وزير الخارجية فهمى :

حضرة وزير الخارجية ، حضرة المستر كيسينجر ، حضرات الاصدقاء المحترمين :

انها لفرصة فريدة لى أن أتحدث اليكم بالاصالة عن نفسى ، وبالنيابة عن الوفد المصرى ٠ انها فريدة بمعنى ، كما قال لكم هنرى ، انها المرة الاولى التى اجىء فيها الى عاصمتكم ، وقد أعلن عن الزيارة رسميا ٠ لقد سمعت ما قاله لكم فى مستهل خطابه مرات عديدة ، بحيث انى استطيع أن أحفظه على ظهر قلب بسهولة (ضحك) ٠ الا أن كل مرة

١ ـ يقصد استقالة نيكسون من رئاسة الولايات المتحدة بسبب فضيحة ووترجيت . وحلول فورد محله ٠

تزيدني متعة الى حد كبير جدا • وعلى أن اقول لكم بكل بساطة ، ان افضل طريقة للتعاون مع هنرى ، هى الذهاب اليه من دون اعلان عن الزيارة ، كى لا يتمكن من أن يهيىء نفسه بصورة كافية • ولكن الشيء الرئيسى فيما يختص به — أنه منذ أول صباح قلت أو اجبرت نفسى على رؤيته ، حالما وصلت الى هنا فى واشنطن — شعرت بثقة انى جالس مع رجل كرس نفسه لخدمة السلام فى مناطق عديدة من العالم ، وكرس نفسه لخدمة بلاده بأفضل طريقة يود كل امريكى أن يحققها ، لقد اشاد بعلاقاتنا • وأنا فخور بتلك العلاقة وتكلم عن مساهمتنا فى بناء الدرب المناسب المؤدى الى السلام — سلام حقيقى وعادل — لكنه لم يتكلم عن دوره الشخصى فى مساعدتنا فى الحقيقة على تحقيق ماانجزناه حتى الان • واذا كان هناك اى شيء نستطيع أن نقوله عن دوره ، هو انه يستحق كل الفضـــــل بتصوره واستراتيجيته الطبيعية التى لدى كثير من الناس شكوك بشأنها ، لكننا احببناها ، وفيما يتعلق بعـــلاقاتنا ، علاقاتنا الثنائية ، صحيح أننى عندما جئت الى هنا ، كنت منفذا تعليماتى التى تلقيتها من الرئيس السادات ، وهى أن احاول قبل كل شيء التوصل الى فك ارتباط مع الولايات المتحدة أولا ، وليس مع الاسرائيليين • واظن اننا نجحنا فى الوصول الى فك ارتباط مع الولايات المتحدة • وآمل أن يظل هناك انغمـاس جيد فى المستقبل وانغماس دائم •

لقد كان من الضرورى بدء صفحة جديدة ، لانى اعتقد أن المنطقة عانت كثيرا بسبب التعرج فى العلاقات بين الولايات المتحدة ومصر بنوع خاص ، ولكن فى هذه المرة نحن عازمون على بناء علاقاتنا على أساس متين ، خطـوة خطوة ، ونحن متأكدون أنه مع توافر النية الحسنة ، لابد لنا من بناء سلام دائم فى المنطقة ، سلام تستفيد منه شعوب المنطقة ، وتستمتع به ، وأنه بتفهـم الشعب الامريكى ومساعدته سيظـل السلام ، كما آمل ، فى هذه المنطقـة ، وسيبرز تعاون حقيقى بين شعوب هذه المنطقة وشعوب الولايات المتحدة •

اننى ممتن لجميع الذين جاءوا منكم لحضور مأدبة العشاء هذه ، وعلى أن اقول لكم بصراحة أنى متأثر جدا من الطريقة التى استقبلت فيها هنا فى هذه الفترة الحاسمة من تـاريخكم • انكم تعاملوننى بسخاء ، لدرجة أنى اشعر باننى مدلل — وانا اكره أن ادلل — من حين لاخر ، أود أن اعامل كما لو أن زيارتى لم تعلن ، لانكم اذا جعلتمونى اتعود هذا النوع من المعاملة ، فستجدوننى معكم مرات عديدة فى زيارات معلنة •

اننى لا أستطيع فى الواقع أن افوت هذه الفرصة من دون أن اعبر لكم جميعا عن تقديرى العميق وامتنانى ، منذ أن قدمت الى هنا ، لكل أمريكى مسئول فى الحكومة او فى الكونغرس • وأنا واثق بانى ماالقى نفس المعاملة من مجلس الشيوخ • وهذا شرف لى وامتياز لان أكون أول وزير خارجية مصرى يمثل أمام لجان العلاقات الخارجية فـى مجلسى النواب والشيوخ •

وبالاضافة الى كل هذا ، كان لى الشرف بالذهاب والاستماع الى أول خطاب للرئيس فورد • وكنت ابديت رغبة فى أن احضر هذه الفرصة التاريخية • واليوم شرفنى الرئيس فورد مرة أخرى ودعانى الى مأدبة غداء • وقد أكد عزمه على تقوية العلاقات بين بلدينا وكذلك تقوية العلاقات بين شعبينا • وأنا فخور جدا باني سأنقل الى الرئيس السادات شعور الرئيس فورد وعزمه ، على أن يرى أن سلاما دائما وراسخا سيهيمن على المنطقة • وعليه آمل أنكم ستوافقون معى على شرب نخب الصداقة بين بلدينا ، ونخب شعبينا ، وأن نشرب على شرف وزير الخارجية والســـيد كيسنجر ، وعلى شرف رئيسكم الرئيس فـورد ، وكذلك نخب ازدهاركم وسعادتكم •

[٣] كيســــــنجر — خــــدام

[واشـــنطن — ٢٤ أغســطس ١٩٧٤]

فيمـــا يلى نص كلمـــة الوزيرين كيسنجر وخدام :

■ **الدكتور كيسنجر :**

معالى وزير الخـارجية ، حضرات الضيوف المحترمين :

انها لمناسبة مهمة جدا ومثيرة للمشاعر الى حد كبير ، أن نرحب فى الولايات المتحدة لاول مرة منذ ١٥ سنة ، بوزير خارجية سوريا • ان معرفتى بالسوريين تعود الى اقل من عشرة أشهر ففى نهاية تشرين الاول [اكتوبر] الماضى دعوت عضو الوفد السورى لدى الامم المتحدة ، وهو نائب وزير الخارجية وصديق السيد خدام ، لزيارة واشنطن • وعندما جلس قلت له : « مساء الخير » ، وقد رد بالقول ، « قبل ان أجيبك يجب أن احصل على تعليمـــات من دمشـــق » • (ضحك) • وفى نهاية ذلك الاجتماع لم اقل ان الحديث كان بناء [ضحك] • وبعد ذلك بشهرين ، دعيت لزيارة دمشق وقد سمعت ، أن السوريين ليسوا أسهل من يمكن التعامل معهم فـى الشرق الاوسط • ويمكننى ان اقول انى لم أجد فى الشرق الاوسط أناسا يسهل التعامل معهم (ضحك) • لقد أجريت حديثا مع الرئيس الاسد ، كان مقررا له أن يستغرق ساعتين ، وكان لايزال حيويا بعد ثمانى ساعات بحثنا فيه ، باسهاب الدعوة الى مؤتمر جنيف • وكان كل شيء ممتعا جدا وسهلا • ولم ادر لماذا اكتسب السوريون السمعة بانهم صعب •

وعندما ارتكبت فى نهاية السـاعة السابعة خطأ سؤال الرئيس الاسد عما اذا كان هناك شيئا فى الدعوة يعترض عليه ، قال نعم ، هناك جملة يعترض عليها بنوع خاص ، وهى الجملة التى تقول ان الفريقين وافقا على الذهاب الى جنيف [ضحك] • وتلك هى المرة الاولى التى سمعت فيها أن سوريا ليست ذاهبة الى مؤتمر جنيف (ضحك) • ومنذ ذلك الحين كان على أن اعرف أصدقائى السوريين جيدا • لقد امضينا ٣٢ يوما ، ونحن نتفاوض حول فك الارتباط على مرتفعات الجولان • وكانت مفاوضات صعبة الا انه كان ايضا اختبارا مثيرا للمشاعر ، لانه كان واضحا أن احد



■ كيسنجر وعبد الحليم خدام وزير خارجية سوريا اثناء وصول وزير الخارجية الامريكي الى مطار دمشق يوم ١٢ مايو ١٩٧٤ فى احدى جولات مباحثاته حول الشرق الاوسط .

الاسباب الذى من أجله اكتسب السوريون سمعة كونهم صعب ، هو لانهم متمسكون بالمبادىء الى حد كبير . واذ كنا منغمسين فى هذه المفاوضات ، كنا فى الواقع نفعل أمرين . كنا نبحث الخطوط ومختلف النواحى العسكرية ، ولكن أبعد من ذلك ، كنا نقوم بتحرك من الحرب الى السلام ونحو ادراك أن الشعوب فى الشرق الاوسط ، عانت ما فيه الكفاية ، واثبتت شجاعتها بما فيه الكفاية ، فى غالب الاحيان ، وانها يجب أن تتعلم أن تعيش معا فى عدالة ، وعلى أساس سلام دائم ، يأخذ بعين الاعتبار جميع مخاوفها . ومع وجود الكراهية والالام التى تبدت لمدة جيل من الزمن كان طبيعيا أن هذه العملية ستكون عسيرة جدا وطويلة جدا . وقد خرجت بتصميمين : الاول وقد نقضه الرئيس فورد هذا الصباح ، وهو ألا أتورط فى مفاوضات أخرى مع السوريين (ضحك) . والثانى ، ان العملية التى بدىء بها يجب أن تستمر . ويجب أن نستمر فى العمل معا من أجل السلام العادل والدائم الذى تستحقه جميع شعوب الشرق الاوسط . وأنتم جميعا تعلمون أن هذا الامر اكده الرئيس فورد فى خطابه الاول ، وأكده مرة أخرى فى جميع محادثاته التى أجراها مع وزراء الخارجية من الشرق الاوسط ، بمن فيهم وزير الخارجية السيد خدام . وفى الوقت نفسه ينبغى على جميع الفرقاء فى الشرق الاوسط أن يدركوا أن هذه عملية تتطلب صبرا وتفهما ، وأظن اننا حققنا قدرا كبيرا من ذلك . وأقول باسمى وباسم وزارة الخارجية الامريكية ، اننا نعتقد أن زيارة وزير الخارجية خدام ساهمت مساهمة كبيرة فى هذه العملية ، ونحن نعتقد أن فهم موقف كل جانب وهو أمر جوهرى ، قد تعزز الى حد كبير .

وجدير بالذكر أيضا ، انه قبل عشرة أشهر عندما قام وزير الخارجية اسماعيل فهمي بزيارتى فى مكتبى من دون ضجة ، لم تكن هناك علاقات بين سوريا والولايات المتحدة . وخلال تلك المدة لم ننشىء فقط علاقات ديبلوماسية بصورة رسمية ، بل أظن أن عملية تبادل الاتصالات نمت الى درجة كبيرة ، بحيث ان بلدينا يجب الا ينعزلا عن بعضهما مرة أخرى . وتلك العملية أيضا تعززت الى حد كبير ، نتيجة زيارة وزير الخارجية . وستستأنف المحادثات التى بدأناها عندما يعود الى حضور دورة الجمعية العامة . وعليه ، أود أن انتهز هذه الفرصة لارحب بصديقى وزير الخارجية خدام فى الولايات المتحدة ، وأن اقترح شرب نخب الرئيس الاسد والصداقة بين سوريا والولايات المتحدة ، وضيفنا وزير الخارجية خدام (تصفيق) .

■ ■ وزير الخارجية خدام :

معالى وزير الخارجية ، أصدقائى الاعزاء :

اسمحوا لى أن أعرب عن امتنانى لهذا الجو الدافىء الذى ساد فى أثناء زيارتى لواشنطن . فمنذ وصولى الى واشنطن وفى أثناء المحادثات التى أجريتها مع وزير الخارجية كيسنجر والاجتماع الذى أجريته مع الرئيس ، شعرت بأن هناك حرصا كبيرا من جانب المسئولين الامريكيين والادارة الامريكية ، على انشاء علاقات طيبة بين بلدينا . ومن المؤكد أن الفضل فى ذلك يعود الى الدكتور كيسنجر للدور الرئيسى الذى لعبه فى ايجاد الوضع ، وفى تحسين العلاقات ، وفى ايصالها الى ما هى عليه اليوم . ان الدكتور كيسنجر يعتقد أن السوريين هم الى حد ما يصعب التفاوض معهم ، وقد عزا هذا الى عدة عوامل . غير أن الدكتور كيسنجر يدرك جيدا أن أولئك العرب الذين قدموا مساهمة عظيمة للحضارة العالمية وقدموا الشىء الكثير للعالم ، وتركوا أثرا لهم فى جميع انحاء العالم - على مر العصور وعلى مر التاريخ - هم شعب لا يستطيع أن ينسى بسهولة الظلم الناتج على العدوان . لقد نشرنا السلام عبر مئات السنين بسبب ايماننا بأن السلام لا يمكن استتبابه والمحافظة عليه ، ما لم يكن مرتكزا على الحق والعدل . وعليه ، كان لزاما على العرب أن يكافحوا من أجل السلام . وكفاحهم من أجل الفلسطينيين الذين اغتصبت حقوقهم هو جزء فقط من الكفاح العربى لاستعادة السلام المرتكز على العدل ؛ ان العرب يريدون السلام ، وبسبب رغبتهم فى السلام هم تواقون لبدء حوار مع الولايات المتحدة . ولقد كانت تلك الرغبة نتيجة ادراكهم أن الولايات المتحدة راغبة رغبة صادقة فى القيام بجهود جدية لتحقيق سلام مرتكز على العدل فى المنطقة . وفى ختام كلمتى اود أن أكرر تقديرى وشكرى للدكتور كيسنجر لاتاحته هذه الفرصة لى ، كى أقابل ذلك العدد الكبير من الامريكيين البارزين ، وذلك العدد الطيب من ممثلى الصحافة . اسمحوا لى بأن أنقل اليكم تحية الشعب العربى السورى ، لاننا نؤمن بالحاجة لانشاء علاقات طيبة ، علاقات ستنمو وتتحسن مع مرور الزمن ، بين شعبنا وشعب الولايات المتحدة الامريكية . أن العلاقات لن تكون جيدة ، الا اذا ارتكزت على الاحترام المتبادل ، واذا كان الحال كذلك ، فهى لن تخدم قضيتنا المتبادلة بل قضية السلام فى جميع أنحاء العالم . وأود أن ادعوكم كى تنضموا إلى فى شرب نخب الرئيس فورد ونخب العلاقات الطيبة بين بلدينا ، ونخب الدكتور كيسنجر الذى قام فعلا بدور عظيم فى ايجاد تلك العلاقات الطيبة بين بلدينا التى ننعم بها اليوم ، والتى أتاحت لى هذه الفرصة الممتعة جدا الليلة . وأود أن أضيف الى هذا نخبا للدكتور كيسنجر الذي لم يعد يعتقد أن السوريين شعب يصعب التفاوض معه (ضحك) .

[٤] كيسنجر - السقاف *

[واشنطن ـ ٢٩ أغسطس ١٩٧٤]



■ كيسنجر مع عمر السقاف وزير الخارجية السعودى اثناء محادثات جرت بينهما فى واشنطن فى منتصف فبراير ١٩٧٤ .

■ ■ كيسنجر :

معالى وزير الخارجية ، حضرات الضيوف المحترمين :

انه من دواعى سرورى العظيم أن أستطيع الترحيب بصديقى عمر السقاف فى واشنطن . لقد طلبت من موظفى أن يحاولوا العثور على جملة باللغة العربية أستطيع أن أحفظها . وقد قالوا لى ان هناك عبارة باللغة العربية تقول : بيتى بيتك . والى الذين لم يسمعوا من قبل اللغة العربية تحكى بلهجة ألمانية (ضحك) أقول انها تعنى أن بيتى هو بيتك .

والان آمل ياسيدى ان تشعر بانك فى بيتك هنا . ان هذه القاعة الرحبة هى تقريبا فى حجم غرفة النوم التى أقمت فيها عندما زرت الرياض [ضحك] انك بين أصدقاء .

لكنى يجب ألا أكون صديقا جدا لعمر ، لانه فى تشرين الاول [اكتوبر] الماضى بعد مضى أقل من أسبوع على تعيينى وزيرا للخارجية زارنى فى نيويورك وقال ، أريدك أن تهتم بالشرق الاوسط . اننا نريد التليل فقط من وقتك (ضحك) .

« ومنذ ذلك الحين أصبحنا نعرف بعضنا جيدا . لقد زرت الرياض لاول مرة فى تشرين الثانى (نوفمبر) الماضى ، واظن انه يصح القول بأن الثقة لم تكن بعد كاملة . ولكن منذ ذلك الحين أنشأنا علاقة وثيقة جدا من الثقة والائتمان العظيمين . ان عمر يتصرف من حين لاخر كناصح غير رسمى فى الشئون العربية ، وهى نصيحة احتاج اليها كثيرا . أذكر مناسبة قلت فيها لعمر بأن هناك شخصا فى العالم العربى قال لى انه لا يستطيع أن يفعل أمرا . فقال عمر ، الان تستطيع أن تطمئن الى انه سيفعله (ضحك) . فقلت له اذا لماذا يقول لى انه لن يفعله ؟ فقال : لانه قرر ان يفعله . ولكنه لا يريدك أن تنقل الخبر (ضحك) .

والان لنتحدث بصورة جدية . ان عملية صنع السلام فى الشرق الاوسط عبر

* توفى بنيويورك فى ١٥ نوفمبر ١٩٧٤.

السنين العديدة من عدم الثقة ومن جميع الخيبات ، كانت صعبة جدا لجميع الاطراف • وقد تطلب الامر ثقة وقوة ذاتية ، بالنسبة الى الدول المعنية كي تبذل الجهد ـ وفوق كل شيء الايمان باحتمال أن الدول التي حاربت بعضها تلك المدة الطويلة ، تستطيع أن تتعلم أن تعيش بسلام • وفي هذا الجهد ـ هذا الجهد الذي يكاد يكون « روحيا » والذي كان أكثر تعقيدا من الناحية التقنية ، كانت مساهمة ضيفنا الليلة عظيمة . لقد كانت دائما نصيحته معينة حتى عندما كنت افضل ان يقول شيئا آخر »

وان التقدم الذي تحقق قد اكتسب شيئا مهما من قدرته على التحدث الى جميع الفرقاء العرب ، فضلا عن التحدث الينا من مركز صدق وصداقة •

والان نحن عاكفون مرة اخرى على جهد آخر للشروع في مفاوضات . وكلنا يعلم انها ستكون مفاوضات صعبة ، وأنها ستستغرق وقتا ، وأن الامور يجب أن تصبح ناضجة • ونحن نعتمد على اصدقائنا من المملكة السعودية للاستمرار في اسداء نصائحهم وتقديم دعمهم •

وهم يستطيعون الاعتماد علينا ، بأننا سنواصل السياسات التي بدىء بها ، واننا سنبذل كل جهد لتحريك الشرق الاوسط نحو سلام عادل ودائم ، استحقته جميع دول المنطقة بفضل ما عانته من آلام »

غير أن علاقاتنا مع المملكة السعودية ليست مقيدة بالمشكلة القائمة بين الدول العربية واسرائيل •

ان المملكة السعودية لديها اطول تاريخ غير منقطع من الصداقة مع الولايات المتحدة من اية دولة اخرى في هذه المنطقة ، وعليه ، فان مدى تقدمنا بصورة حسنة في تلك العلاقة ، هو امر مهم لبلدينا ومهم لجميع الشعوب في المنطقة ، كي ترى انه بعلاقة الثقة مع الولايات المتحدة ، وبتلك العلاقة فقط ، تستطيع اعمق اماني شعوب تلك المنطقة ، منطقة الشرق الاوسط أن تتحقق .

لقد بدأنا اخيرا علاقة تعاونية في كثير من الحقول • لقد شكلنا كثيرا من اللجان لتعميق علاقتنا ، ونحن واثقون بأن هذه العلاقة ستستمر ، وأن هذه اللجان ستنجح ليس فقط لاننا واثقون بالمهارة التقنية التي تتمتع بها ، بل لان لدينا ثقة في موقف الجانبين • وعندما ننجح فاننا نستطيع ، كما اظن ، ان نكتب فصلا جديدا في العلاقة بين الشعبين العربي والامريكي •

وفي هذا كله ، ساهم عمر السقاف بمساهمة مهمة ، وهكذا كنا ممتنين جدا بدعوته الى هنا كآخر الوزراء العرب الذين زارونا في آب [اغسطس] كي نستفيد من حكمته ، وسنواصل محادثاتنا في نهاية شهر ايلول (سبتمبر) لمناسبة الجمعية العامة •

وهكذا بالنيابة عن زميلي الامريكي هنا أود ان ارحب بك واقترح شرب نخب جلالة الملك فيصل ونخب ضيفنا وزير الخارجية السقاف (تصفيق) •

■ ■ عمـــر السقاف :

صـــــديقي العزيز هنري ، حضرات الضيوف المحترمين :

انه لمن دواعي سروري العظيم ، أن اكون هنا بين هذا العدد الكبير من الاصدقاء المحترمين ، الاصدقاء الذين نكن لهم احتراما عظيما ، وانا ممتن جدا لان صديقي هنري اتاح لي فرصة الاجتماع بذلك العدد الكبير من الشخصيات الذين آمل ، بل انا واثق بانهم سيقومون بالتعاون معنا كسعوديين أو كعرب ، لبلوغ هدفنا في تحقيق تسوية سلمية بعدل في بلادنا الشرق اوسطية •

و هنري صديق حميم لي • وقد قابلته من قبل منذ اقل من سنتين ، واستطيع أن اقول باخلاص انني احببته لاول مرة رأيته وتحدثت معه فيها ـ وان كنت لا اعلم ما اذا كان قد لاحظ ذلك أم لا ، لان انطباعكم هو انه يمكن ان يكون من الصعب كثيرا على دبلوماسي محترف مثلي ان يحب مثل هذا الرجل القدير والاستاذ الجامعي والرجل الحكيم ، لانى ادركت فيما بعد ان الدبلوماسيين المحترفين لا يحبونه كثيرا (ضحك) •

وأود ان أوضح بجلاء لاصدقائنا هنا أن صديقنا هنري قد فعل في الواقع بفضل قوته الديناميكية ومقدرته ومواهبه الجديدة ـ فعل اشياء عظيمة في الشرق الاوسط ، اشياء لم يتصور احد انها قد تفعل •

من السهل على اناس من اماكن بعيدة أن يقولوا هذا الامر حصل في هذه المنطقة أو تلك المنطقة ، ولكن بالنسبة الينا ـ نحن نعيش هذه الازمة ، هذه المأساة في الشرق الاوسط ـ لم نكن نتصور تحقيق فك الارتباط في منطقتنا • وما تم تحقيقه لم يكن كل شيء بل كان شيئا عظيما ، لانه بداية وهي دائما صعبة • وبالنسبة اليه والى الاشخاص الذين يتعاونون معه ، أظن أن المستقبل سيكون طيبا ، وكذلك بالنسبة الى اولئك الذين يحبون السلام والتقدم للشرق الاوسط وللعالم عموما •

في منطقتنا ، كان العرب المعنيون وما زالوا يكنون احتراما عظيما لامريكا وللشعب الامريكي • وحتى في فلسطين عندما سئلوا عقب الحرب العالمية الثانية ـ أو الحرب العالمية الاولى ، ما اذا كانوا يفضلون نيل الاستقلال أو أن يساعدهم الامريكيون او اية دولة اخرى ، قالوا بالاجماع انهم يفضلون أن يساعدهم الامريكيون الذين نعتقد انهم شعب سلام وحرية وعدالة • غير ان ذلك لم يحصل ، فقد سلمت فلسطين الى دول اخرى ، ولا اريد ان انهي القصة ، ولكن الذي اردت أن أبينه هو ان ذلك الجزء من العالم يكن احتراما ومحبة لهذا الجزء من العالم الولايات المتحدة الامريكية .

ما مضى قد مضى ، وعلينا الان أن ننظر الى المستقبل • هذا مستقبل ليس قاتما مثلما كان في الماضي • ان الطريق ممهدة الان والناس مستعدون لان يتقابلوا ويتحدثوا مع الدكتور كيسنجر ، وحتى أن يتحملوا استقباله في سوريا اكثر من خمس عشرة مرة . ولست ادرى ما اذا كان هو قد كابد أكثر أو ما اذا كانوا هم كابدوا اكثر ، بعد تلك الزيارات المتواصلة (ضحك) ، لكني واثق بشيء واحد هو أن وزنه قد ازداد خلال تلك الزيارات (ضحك) وأنا مسرور ان اراه يفقد شيئا من ذلك الوزن الذي كسبه [ضحك] •

ولنعد الى المملكة السعودية •

ان المملكة السعودية هي صديق حميم لشعب الولايات المتحدة . والملك عبد العزيز العظيم الذي وحد المملكة العربية السعودية ، كان صديقا حميما لامريكا الشمالية ، وكذلك ابنه الملك فيصل • ان المملكة السعودية لم يقم قط اى نزاع بينها وبين امريكا • كان السبب دائما بروز مخاوف ، مما يجعل الامور صعبة ويسبب نوعا من المتاعب بين بلدينا •

انهم احيانا البريطانيون ، واحيانا الفرنسيون ، وأحيانا الاسرائيليون ـ واحيانا ، كما يقولون عندما لا يكون هناك من يلقى اللوم عليه ، الايطاليون [ضحك] »

وهكذا فنحن كبلاد نامية ، نشعر بان هذه البلاد العظيمة ، هذه البلاد القوية تستطيع أن تقدم مساعدة عظيمة الى العرب والى دول الشرق الاوسط •

وشكرا لله أن الامور مختلفة الان • ان الامور قد تغيرت كثيرا • الان لم يعد هناك عداء بل اصبح هناك ود للولايات المتحدة ، الا بين القلائل •

اننا نعلم بأن الناس هنا ليسوا دائما من نفس الرأى تجاه قضيتنا وتجاه العرب . ولا نستطيع أن نلوم بل يجب أن نلوم انفسنا لاننا لم نرهم قط بالاسلوب الصحيح ما هي قضيتنا • لقد ارتكبنا ليس بصفتنا المملكة السعودية بل بصفتنا عربا ، سلسلة اخطاء أوجدت خصومات بين الولايات المتحدة والعرب • وأنا مسرور الان اذ ارى بيننا سفيرى مصر وسوريا ـ ومسرور اذ ارى معظم السفراء العرب بيننا هنا ، مما يبين أن الصورة قد تبدلت •

نحن بلاد لديها امكانيات عظيمة • ونحن نعلم باننا لا نستطيع أن نفعل كل شيء بمفردنا . اننا نحتاج الى مساعدة وعندما نقول مساعدة ، فاننا نحتاج الى تلك المساعدة من اصدقائنا •

وبصراحة اقول اننا نفتقر الى كل شيء اننا نفتقر الى المخلوقات البشرية والى الخبرة التكنولوجية ، والى كل ما يلزم لكى يجعل اى بلد يعمل بصورة جيدة ويبني مستقبلا جيدا لنفسه »

وهذا لا ينطبق على المملكة السعودية فقط • هناك دول عربية اخرى تحتاج الى هذه المساعدة •

وبالنسبة الى هذا الموضوع : انك لا تستطيع ان تطلب المساعدة كصدقة • انها مصلحة متبادلة ، وكلما درسنا هذه المصلحة المتبادلة بصورة شاملة وباحترام متبادل اكثر ، وجدنا أن شعبكم يستطيع أن يقدم مساعدة عظيمة لبلادنا • كذلك بلادنا ، بالقليل - ولا أعلم ما هو رأيكم - « بالقليل أو الكثير » الذى لديها تستطيع ايضا أن تساعد الولايات المتحدة .

كل ما نتطلع اليه هو ان يواصل صديقنا هنرى بذل جهوده بدعم من حكومة الولايات المتحدة ، ومن المسئولين فى الولايات المتحدة ، لانهاء مهمته ، بصورة حصيبة ولجعل السلام سائدا فى منطقتنا •

واذا حصل هذا لن يكون هناك مكان لاعداء السلام ولاعداء التقدم ولاولئك الذين يريدون أن يعيشوا على المشاكل .

وبعد ذلك حالما يسود السلام فى الشرق الاوسط ، أظن انها ستكون خطوة لكى يسود السلام فى جميع العالم •

أظن أنى أكثرت الكلام ، وآمل ان تكون لغتى الانجليزية مفهومة ، لانى ما زلت اتحدث لغة عربية - انجليزية • واذ انهى كلامى ، اطلب اليكم ان تنضموا الى فى شرب نخب فخامة رئيس الولايات المتحدة ، ونخب مضيفنا هنرى ، ونخب شعب هذه البلاد العظيمة • شكرا لكم (تصفيق) •

[٥] خطاب كيسنجر فى الأمم المتحدة عن الأزمة الاقتصادية

[نيويورك - ٢٣ سبتمبر ١٩٧٤]

حضرة الرئيس ، حضرة السكرتير العام ، حضرات المندوبين المحترمين ، سيدانى ، سادتى : فى العام الماضى ، فى خطابى الاول كوزير للخارجية تحدثت الى هذه الجمعية عن الغايات الامريكية ، وقلت ان الولايات المتحدة تسعى وراء سلام شامل منظم وليس مجرد هدنة . وقد طلبت من دول أخرى ان تنضم الى فى الانتقال بالعالم من الانفراج الى التعاون ، ومن التعايش الى التآلف .

خلال العام المنصرم احرز تقدم فى معالجة ازمات معينة ، غير ان كثيرا من القضايا الاساسية لا تزال قائمة وتهدد قضايا جديدة بنيان الاستقرار العالمى نفسه •

أن اعمق مشكلة نواجهها وتتجاوز المواد المدرجة على جدول اعمالنا ، هى ما اذا كانت رؤيانا تستطيع مماشاة تحدياتنا ، وهل سيذكر التاريخ القرن العشرين على انه زمن نزاع عالمى متصاعد او بداية ادراك عالمى ، وهل سيحفز عصرنا القائم على الاعتماد المتبادل على التقدم أو يستجلب كارثة ؟

الجواب ليس واضحا بعد . نحن نقف فى وضع دقيق هو ان الوقائع الجديدة لم تتغلب بعد على انماط التفكير والعمل القديمة والمفاهيم التقليدية - السيادة القومية والكفاح الاجتماعى والعلاقة بين الدول القديمة والدول الجديدة التى غالبا ما تقود طريقنا . وهكذا دبرنا أمرنا لكننا لم نتقدم . وتحملنا ، لكننا لم نزدهر . وواصلنا رفاهية الاحتواء السياسى .

وهذا الوضع برز بصورة دراماتيكية خلال الفترة القصيرة منذ جلسة الخريف الماضى العادية . لقد اتلفت الحرب الشرق الاوسط وقبرص . وتقنية المتفجرات النووية واصلت انتشارها الخطر . وتضخم الاسعار وخطر الكساد يخيمان فوق اقتصاديات الاغنياء والفقراء على حد سواء .

نحن لا نستطيع السماح لهذا الاتجاه بأن يستمر • فالنزاع بين دول كانت متضررة لا يزال قائما والكفاح بين الكتل قد يهدم البشرية . ان المعتقدات والنظريات المستمدة من القرن الماضى لا تحل ولا حتى تواجه مشاكل اليوم التى لم يسبق لها مثيل . ونتيجة لذلك ، فان الاحداث تتحدى العادات وتتسع الهوة بين الكلام المنمق والواقع .

لقد عالج العالم منازعات محلية كما لو كان فى الامكان السيطرة عليها الى الابد ، وسمحنا للعديد من الاسباب الكامنة وراءها بأن تتقيح دون عناية بها ، الى ان ظن الفرقاء ان السبيل الوحيد امامهم هو الحرب • ونظرا الى أن كل ازمة أمكن حصرها آخر الامر ، بقينا متوانين . غير ان التغاضى عن النزاعات المحلية يغرى بحدوث دمار عالمى . ليست لدينا ضمانة بأن هذه الازمة المحلية أو الازمة التالية لن تنفجر بصورة يتعذر السيطرة عليها .

لقد عالج العالم الاسلحة النووية ، كما لو ان ضبط النفس كان شيئا آليا ، ان الخطر المفزع لهذه الاسلحة قيدها لحوالى ثلاثة عقود ، وساعد تعقيدها وتكاليفها الباهظة على تحديد عدد الدول التى تمتلكها لعقد من الزمن تقريبا . والان ، كما كان متوقعا تماما ، أصبحت الموانع السياسية معرضة لخطر الانهيار ، واصبحت الكارثة النووية تبدو اكثر احتمالا - سواء عن طريق التصميم او سوء التقدير أو الحادث العرضى او السرقة او الابتزاز .

لقد عالج العالم الاقتصاد كما لو ان تقدمه المستمر صلب لا يلين • وفى حين كان النمو فى فترة مابعد الحرب غير متوازن وتخلفت بعض اجزاء العالم ، تركز اهتمامنا على كيفية زيادة المشاركة فى تقدم عام . ومازلنا نعالج القضايا الاقتصادية على أساس قومى أو اقليمى أو على أساس الكتل ، فى الوقت الذى يزداد فيه اعتمادنا بعضنا على بعض . ان اجهاد نسيج اقتصاد العالم ومؤسساته يهدد بأن يغمرنا جميعا فى كساد عام .

ان البنيان الدقيق للتعاون الدولى الذى شيد بذلك الجهد الكبير خلال ربع القرن الماضى لن يستطيع الصمود - وبالتأكيد فى الامكان تعزيزه اذا بقى يتعرض الى صدمات النزاع السياسى والحرب والازمات الاقتصادية .

وعليه ، فقد حان الوقت لكى تتصرف الدول المجتمعة هنا على اساس الاعتراف بأن استمرار الاعتماد على شعارات قديمة ومنافسات تقليدية سيدفعنا نحو :

ـ حرب حتى أكثر تمزيقا بين الاغنياء والفقراء ، وبين الشرق والغرب ،وبين المنتج والمستهلك .

ـ عالم حيث المنازعات المحلية تهدد بمجابهة عالمية ، وحيث الذرة المتكاثرة تهدد بخطر عالمي .

ـ عالم من التكاليف المرتفعة والمؤن المتضائلة ومن السكان المتكاثرين والانتاج المتدنى .

غير ان هناك سبيلا آخر . ففي الاسبوع الماضي وامام هذه الجمعية ، نذر الرئيس فورد بلادنا لمسعى تعاوني ومفتوح لبناء عالم اكثر امنا وازدهارا . ان الولايات المتحدة ، تقوم بالالتزامات التي تفرضها علينا قيمنا وقوتنا .

الا ان بناء عالم تعاوني هو خارج متناول اية دولة واحدة . فالعالم المتكل بعضه على بعض بصورة متبادلة يحتاج ليس فقط الى مواردنا جميعا ، بل الى تصوراتنا وقدرتنا الخلاقة . والدول لا تستطيع ان تتجابه وان تتعاون في نفس الوقت . لم يعد في استطاعتنا ان نلاحق مصلحتنا القومية او الاقليمية او الكتلية الا ضمن اطار عالمي .

علينا ان نعترف بأن المصلحة المشتركة هي في الاختبار الشرعي الوحيد للمصلحة القومية .

ان من المصلحة المشتركة ، وهكذا من مصلحة كل دولة :

ـ ان تحل المنازعات المحلية دون استخدام القوة ، وان تزال اسبابها الجذرية بوسائل سياسية .

ـ ان يتم انتشار التقنية النووية دون انتشار الاسلحة النووية .

ـ ان يرفع الاتكال الاقتصادي المتبادل النامي جميع الدول الى اعلى ، ولا يجرها معا الى اسفل .

اننا لن نحل هذه المشاكل خلال هذه الدورة أو اية دورة من دورات الجمعية العامة .

ولكن علينا علي الاقل ان نبدأ :

ـ في اصلاح المشاكل وليس فقط تدبير امرها .

ـ تكييف الاحداث بدلا من تحملها .

ـ مجابهة التحديات بدلا من مجابهة بعضنا لبعض .

١ ـ البعد السياسي :

ان المسئولية السياسية العاجلة لعصرنا هي حل النزاع من دون حرب . ان التاريخ حافل بالامثلة على المآسي التى تتعرض لها الدول ، عندما تجمد العداوات القديمة والتصور الذاتي المجال لاتخاذ القرارات . كذلك التاريخ يتميز بفترات قصيرة عندما يتسع نظام قديم في المجال أمام نمط جديد لم يجر التنبؤ به . ان هذه هي أوقات اضطراب وخطر محتملين ، ولكن ايضا أوقات فرصة لخلق جديد .

اننا نواجه مثل هذه اللحظة اليوم ، فدعونا نواجه وقائعها :

أولا : أن قوة دافعة نحو السلام قد تولدت :

ـ في العلاقات بين الشرق والغرب وفي بعض النزاعات الاقليمية ، وهذا الزخم يجب الابقاء عليه . لكننا فقط في بداية العملية . لقد خففنا من حدة التوترات لكننا بعيدون عن المصالحة ، واذا لم نستمر في التقدم ، فاننا سننحدر الى الوراء .

ثانيا : ان التقدم في مفاوضات حول قضايا صعبة سيتم فقط بالصبر والمثابرة والاعتراف بحدود الجانب الاخر التى يمكن احتمالها . ان السلام هو عملية وليس حالة ، ولا يمكن تحقيقه الا في خطوات .

ثالثا : ان عدم الاعتراف بما يمكن تحقيقه والامساك به سيمنع تحقيق ما هو مثالي ، وان محاولة حل جميع القضايا دفعة واحدة هي وصفة اكيدة للركود ، وان التقدم نحو السلام يمكن احباطه بطلب الشيء الكثير جدا بصورة مؤكدة ، مثلما بطلب الشيء القليل جدا

رابعا : ان المجتمع العالمي يستطيع ان يساعد على حل النزاعات المزمنة ، غير ان التوقعات المبالغ بها ستمنع المصالحة الضرورية بين الفرقاء . وهذه الجمعية تستطيع ان تعين او تعرقل عملية المفاوضة . انها تستطيع ان تبحث عن كبش فداء او حل ، وهي تستطيع ان تعطى الفرقاء عذرا كي يهربوا من الواقع او من الدعم القوى في البحث عن تسوية . انها تستطيع ان تعتمد الدعاية او تساهم في حلول واقعية تستجيب لتشوق الانسان الى السلام

ان الشرق الاوسط يبرز هذه الاعتبارات بشدة ، فخلال العام الماضي شهدنا الحرب العربية ـ الاسرائيلية الرابعة ، خلال جيل ، والبداية المبشرة بالامل لعملية سياسية تؤدى الي سلام دائم وعادل .

لقد حققنا مهلة وقف اطلاق النار واتفاقي فك ارتباط ، غير ان ظل الحرب لا يزال قائما . ان تركة الكراهية والعذاب والشعور باستحالة التوفيق اخذت تستسلم ، مهما كان ذلك بصورة مترنحة ـ امام عملية المفاوضات ، ولكن مازال امامنا طريق طويل .

ان احد الجانبين ينشد استعادة الارض والعدالة لشعب مشرد ، والجانب الاخر ينشد الامن واعتراف جيرانه بشرعية وجوده كدولة . وهدف السلام المشترك هو في النهاية عريض بالتأكيد ، بما يكفى ليضم جميع هذه الاماني .

دعونا نكن واقعيين بشأن ماينبغي عمله . ان فن المفاوضة هو تحديد اهداف يمكن تحقيقها ضمن وقت محدد ، وبلوغ هذه الاهداف بتصميم ، وكل خطوة الي الامام تعدل تصورا قديما ، وتوجد وضعا جديدا يحسن فرص الوصول الى تسوية شاملة .

ونظرا الى ان هذه المبادىء اتبعت في الشرق الاوسط ، امكن الوصول الى اتفاقات في العام الماضي ، حسب الكثيرون انها مستحيلة . وقد تحققت فوق كل شيء بسبب حكمة زعماء الشرق الاوسط الذين قرروا انه حصل من الحروب والتأزم ما يكفي ، وان المزيد يمكن ان يكسب عن طريق اختبار بعضهما لبعض بالمفاوضة ، بدلا من اختبار بعضهما في ميدان المعركة .

ان اعضاء هذه الهيئة ، كمجموعة وكافراد ، لديهم مسئولية خطيرة بان يشجعوا ويؤيدوا الفريقين في الشرق الاوسط في اتجاههما الحالي . ولدينا كذلك التزام بان نمنح تأييدنا لقوات حفظ السلام الدولية في الشرق الاوسط وغيره من الاماكن . ان الولايات المتحدة تشيد بدورها الذي لا يمكن الاستغناء عنه ، فضلا عن مساهمة السكرتير فالدهايم البارزة في قضية السلام .

خلال العام الماضي بذلت بلادي جهدا كبيرا لتعزيز السلام في الشرق الاوسط ، وقد طلب مني الرئيس فورد ان اؤكد مجددا اليوم اننا مصممون على المضي قدما في هذه الجهود . اننا سنعمل بصورة وثيقة مع الفرقاء وسنتعاون مع جميع الدول المهتمة بالامر ، ضمن اطار مؤتمر جنيف .

وجزيرة قبرص المعذبة هي منطقة اخري حيث يتطلب السلام روح مصالحة وتسوية وعدالة . ان الولايات المتحدة مقتنعة بان سيادة قبرص واستقلالها السياسي وسلامتها الاقليمية يجب المحافظة عليها ، وسيكون على الفرقاء ان يقرروا شكل الحكومة التي يعتقدون انها تلائم اوضاع قبرص بالذات ، على افضل وجه ، وعليهم ان يتوصلوا الى تسوية حول المناطق التي ستكون باشراف الجاليتين القبرصيتين اليونانية والتركية ، وكذلك الظروف التي يستطيع فيها اللاجئون ان يعودوا الى منازلهم ويقيموا في سلام . واخيرا ليس هناك سلام دائم ممكن التحقيق ما لم يتفق على شروط تؤدي الى خفض عدد القوات المسلحة والاسلحة وغيرها من انواع العتاد الحربية بصورة مرتوقة ومرحلية .

ان الولايات المتحدة مستعدة لان تلعب دورا فعالا حتى اكثر من الماضي في



■ وزير الخارجية الامريكي في مؤتمره الصحفي الذي اعلن فيه عزمه على الاستقالة اذا لم تهدأ محاولة اثارة موضوع اتهامه في قضية ووترجيت في مايو ١٩٧٤ .

مساعدة الفريقين على ايجاد حـــل لمشكلة قبرص التى تعود الى قرون ، وسنفعل كل مافى وسعنا ، غير ان اولئك المعنيين بالامر مباشرة هم الذين سيكون جهدهم حاسما اكثر من الجميع . ان الفريق الثالث يجب الا يطلب منـــه ان يأتى بنتـــائج عجيبة لا ترتكز على الواقع . ان الفريق الثالث يستطيع ان يشجع اولئك المعنيين مباشرة ،على ان يدركوا مصالحهم الاوسع ، وفى امكانه ان يساعد فى البحث عن عناصر الاتفاق بتفسير آراء ودوافع كل جانب الى الجانب الاخر ، ولكن لن يستطيع اى وسط ان ينجح مالم يرغب الفريقان فى هذه الوساطة رغبة صـــادقة ، ومالم يكونا مستعدين لاتخاذ القرارات الصعبة اللازمة للحل .

ان الولايات المتحدة تقوم الان فعلا بمساهمة كبيرة فى المساعدة على التخفيف من الالام الانسانية التى يعانيها شعب قبرص ، ونحن نحث الاسرة الدولية على ان تستمر ، واذا امكن ، ان تزيد مجهودها الانسانى من الاغاثة .

وتسجل الولايات المتحدة بارتياح خاص استمرار عملية التغير فى افريقيا . ونحن نرحب بذلك المظهر الايجابى من التعاون بين الحكام القدامى والشعوب الحرة الجديدة وان الولايات المتحدة تتعهـد بتقديم دعمها لاهالى الافريقيين للمشاركة فى قطف ثمار الحـرية والكرامـة الانسانية .

٢ ــ البعـد النـووى

البعد الثانى الجديد على جدول اعمالنا يتعلق بمشكلة التكاثر النووى .

لقد اصبح العالم معتادا على وجود الاسلحة النووية ، بحيث يفترض انها لن تستخدم ، غير ان التقنية اخذت اليوم تزيد بسرعة عدد الاسلحة النووية التى فى ايدى الدول العظمى ، وتهدد بوضع تقنية التفجير النووى تحت تصرف عدد متزايد من الدول الاخرى .

فى عالم حيث يملك كثير من الدول اسلحة نووية ستكون الاخطار جسيمة ، وسيكون من الصعب جدا ان لم يكن من المستحيل المحافظة على الاستقرار بين عدد كبير من الدول النووية ، وســتتخذ الحروب المحلية بعدا جديدا ، وسيجرى ادخال اسلحة جديدة الى مناطق حيث يظل النزاع متازما ، ويعتبر الفرقاء مصالحهم الحيوية معنية الى حد كبير . وسيكون هناك ايضا خطر متزايد جدا من انغماس مباشر للدول النووية الكبرى .

ان المشكلة لا تقتصر على دولة واحدة او منطقة واحدة او كتلة واحدة . ليست هناك دولة تستطيع ان تكون غير مبالية بانتشار التكنولوجية النووية ، ذلك ان الامر يتصل مباشرة بأمن كل دولة .

ان التحدى الذى يواجه العالم هو ادراك المكاسب السلمية للتقنية النووية دون المساهمة فى نمو الاسلحة النووية او فى عدد الدول التى تملكها .

ان الولايات المتحدة بصفتها دولة نووية كبرى تعترف بمسئوليتها الخاصة . نحن نعترف باننا لا نستطيع ان نتوقع من الاخرين ان يظهروا ضبط النفس اذا نحن انفسنا لم نتحل بضبط النفس . ونحن نسعى بالاشتراك مع الاتحاد السوفييتى الى اجراء مفاوضات حول تحديد الاسلحة الاستراتيجية من حيث النوعية والكمية .

وقد اجتمع وفدانا فى جنيف فى الاسبوع الماضى ، ونحن عازمون على المضى فى هذه المفاوضات بجدية الغاية التـى تستحقها . فالولايات المتحدة لا اسبقية لديها على ضبط وخفض مستوى الاسلحة النووية .

وابعد من العلاقات بين الدول النووية تكمن الحاجة لمعالجة امر وانتشار التفجيرات النوويه . يجب ان ناخذ بعين الاعتبار ان مادة البلوتونيوم هى عنصر جوهرى من عناصر المتفجرات النووية وانه فى المستقبل القريب ستتكاثر كثيرا كمية البلوتونيوم المتولدة من المفاعلات النووية السلمية .

وحتى الان قدمت الولايات المتحدة وعدد من الدول الاخرى على نطاق واسع وقودا ومواد نووية اخرى ، لتعـزيز استخدام الطاقة النووية لغايات سلمية وهذه السياسة لا يمكن ان تستمر اذا ادت الى تكاثر المتفجرات النووية . ان بيع

هذه المواد لم تعد في الامكان معالجته كمشروع تجاري تنافسي محض ·

وعليه ، يجب على الاسرة العالمية أن تعمل بصورة مستعجلة لايجاد نظام من الضمانات الدولية الفعالة ضد تحويل البلوتونيوم أو منتجاته الفرعية نحو صنع متفجرات نووية · والولايات المتحدة مستعدة للاشتراك مع دول أخرى في جهود شامل ·

فدعونا نتفق معا على الخطوات العملية التي يجب أن تتخذ لضمان عوائد الطاقة النووية مجردة من أهوالها :

ـ ان الولايات المتحدة ستعرض قريبا مقترحات محددة لتعزيز الضمانات للدول الرئيسية الاخرى الممونة ·

ـ سنعزز جهودنا لكسب أوسع قبول ممكن لضمانات وكالة الطاقة الذرية الدولية لانشاء رقابة عملية على تحويل المواد النووية ولضمان فعالية هذه الاجراءات ·

ـ ان الولايات المتحدة ستحث وكالة الطاقة الذرية الدولية على وضع ميثاق دولي لتعزيز الامن الطبيعي ضد سرقة المواد النووية أو تحويلها الى جهات أخرى · ومثل هذ الميثاق يجب ان يحدد مبادىء وأساليب لحماية المواد في أثناء استخدامها وتخزينها ونقلها ·

ـ ان المعاهدة الخاصة بعدم تكاثر الاسلحة النووية والتي صادقت عليها هذه الجمعية تضمن اعطاء التأييد الكامل والتواصل ، والمعاهدة تتضمن ليس فقط التزاما عريضا بالحد من انتشار الاسلحة النووية ، بل التزامات محددة لقبول وتنفيذ ضمانات وكالة الطاقة الذرية الدولية ومراقبة نقل المواد النووية ·

حضرة الرئيس ، أيا بدت المزايا التي ستنشا عن امتلاك تقنية الاسلحة النووية ، فهذه ستثبت انها سريعة الزوال · انه عندما تفتح ، علبة باندروا ، لن تكون هناك دولة واحدة مستفيدة ، بل ان البشرية جمعاء ستخسر ذلك أننا سنعيش عندئذ في عالم أحيل فيه الاستقرار الى التاريخ ، وأصبح الخوف حقيقة شاملة ·

وهذا ليس أمرا لا مفر منه ، اننا اذا تصرفنا الان بصورة حاسمة ، فاننا نستطيع بعد التحكم في مستقبلنا ·

٣ ـ البعد الاقتصادي

لقد كتب لورد كينز يقول ان قدرة البشر على أن يتكيفوا مع بيئتهم هي احدى خصائصهم ، وقلائل منا هم الذين يدركون بقناعة طبيعة التنظيم الاقتصادي غير العادية وغير المستقرة والمعقدة ، وغير الموثوقة والمؤقتة ·

ان التاريخ الاقتصادي لحقبة ما بعد الحرب تميز بالنمو المتواصل للدول المتقدمة ، فضلا عن الدول النامية · وقد ارتكز الترتب العالمي لشعوبنا وأساس مؤسساتنا السياسية ، والمفهوم المتصل ببنيان السلام المتطور ـ ارتكزت كلها على الاعتقاد أن هذا النمو سيستمر ·

ولكن هل سيستمر فعلا · ان النظام الاقتصادي العالمي المنفتح والتعاوني الى حد كبير الذي نعتبره مسلما به ، يتعرض الان لهجوم لم يسبق له مثيل · فالعالم يقف على حافة العودة الى القومية الاقتصادية غير الكبوحة التي رافقت انهيار الكساد الاقتصادي في الثلاثينات · واذا حصل ذلك فسيتعذب الجميع ـ الفقراء فضلا عن الاغنياء ، المنتج فضلا عن المستهلك ·

وهكذا ، دعونا لا نخشى بعد الان نجابه علنا الحقائق التي أخذت تسيطر على مباحثاتنا واهتماماتنا الخاصة ·

ان الدلائل التحذيرية المبكرة على أزمة اقتصادية كبيرة ، واضحة · فنسب التضخم التي لم يسبق لها مثيل خلال ربع القرن الماضي أخذت تجتاح الدول المتقدمة والدول النامية على السواء ·

والمؤسسات المالية العالمية أخذت تترنح تحت وطأة أضخم وأسرع تحركات للاحتياطي عرفها التاريخ · وبرزت أسئلة عميقة حول مواجهة أكثر حاجات الانسان الحاحا للطاقة والغذاء ·

وفي حين يهدد الوضع الحالي كل فرد وأمة ، فالفقراء هم الذين يعانون أكثر من غيرهم · وفي حين يستطيع الاغنياء أن يكيفوا مستوى معيشتهم ، لا يرى الفقراء أمامهم سوى اليأس ·

ولن يكون في مصلحة دولة واحدة أو مجموعة دول أن ترسم سياستها على أساس اختبار للقوة ، لان سياسة المجابهة ستنتهي بكارثة للجميع ، ومواجهة حاجات الانسان للطاقة والغذاء ، وضمان النمو الاقتصادي في الوقت الذي تتطلب فيه السيطرة على تضخم الاسعار تعاونا دوليا لدرجة لم يسبق لها مثيل ·

فدعونا نطبق هذه المبادىء أولا على وضع الطاقة ·

ـ أن منتجي الزيت ينشدون حياة أفضل لشعبهم ومردودا عادلا لمواردهم المتقلصة ·

ـ ان الدول النامية التي كانت نعمة الطبيعة عليها أقل ، تواجه انهيارا في نتائج عقود من الكفاح لاجل الانماء بسبب سياسة تسعير لا سلطة لهم عليها ·

ـ ان الدول النامية تجد الحضارة الصناعية التي شيدت خلال قرون معرضة للخطر ·

وهكذا ، فان الدول المنتجة والدول المستهلكة معا لديها مطالب مشروعة ، والمشكلة هي التوفيق بينها من أجل الخير العام ·

والولايات المتحدة تعمل بصورة وثيقة مع عدد من الدول المنتجة للبترول ، للمساعدة على تنويع اقتصادياتها ، لقد انشانا لجانا لتسهيل تحويل التكنولوجيا وللمساعدة بالتصنيع · ونحن مستعدون لقبول استثمارات جوهرية في الولايات المتحدة ، ونرحب بدور أكبر لمنتجي البترول في ادارة المؤسسات الاقتصادية الدولية ·

ان استثمار الفائض من دخل البترول يشكل تحديا كبيرا ، والدول التي تحتاج الى هذا الدخل أكثر من الجميع ، هي عموما الاقل احتمالا لان تحصل عليه · لقد عملت المؤسسات المالية الدولية حتى الان بنجاح ، ولكن يجب ايجاد وسائل لتامين المساعدة لتلك الدول التي تحتاج اليها أكثر من غيرها ، والعبء الكلي للمداخيل الفائضة لم يجيء بعد ·

ولكن رغم أفضل جهودنا لتلبية الحاجات الشرعية لمنتجي البترول وتوجيه مواردها نحو استعمالات بناءة ، فان العالم لا يستطيع تحمل حتى المستوى الحالي للاسعار ، وبصورة أقل من ذلك كثيرا ، الزيادات المستمرة · ان أسعار السلع الاخرى لابد ان ترتفع بصورة لولبية لا نهاية لها ، ولن يستفيد أحد من مثل هذا السباق ، وسيضطر منتجو البترول لان ينفقوا المزيد من أجل وارداتهم الخاصة ، ولن تتمكن دول كثيرة من أن تتحمل سرعة السير ، ويمكن أن تصاب الدول الفقيرة بالاختناق · ان بنيان التعاون الاقتصادي العالمي المعقد اللازم للابقاء على النمو الاقتصادي الوطني يتعرض لخطر التمزق ·

وستعمل الولايات المتحدة مع دول أخرى مستهلكة على ايجاد وسائل لصيانة الدول المستهلكة وطرق لتخفيف وطأة الاستثمارات الضخمة من الخارج · وان الاتفاق التمهيدي على برنامج من التضامن والتعاون جرى توقيعه قبل بضعة أيام في

بروكسيل من قبل الدول المستهلكة الكبرى ، هو خطوة أولى مشجعة •

غير أن الحل الطويل الامد يتطلب تفاهما جديدا بين المستهلكين والمنتجين • فخلافا لاسعار الاغذية ، فان سعر البترول المرتفع ليس نتيجة عوامل اقتصادية ، كنقص فعلى فى الاستيعاب وفى اطلاق حرية العرض والطلب ، انه على العكس من ذلك ، ناجم عن قرارات متعمدة لتحديد الانتاج والابقاء على مستوى غير طبيعى من الاسعار •

اننا نعترف بأن الدول المنتجة يجب أن تنال حصة عادلة • وتبقى هناك حقيقة أن الاسعار الحالية تهدد حتى الرفاهية الاقتصادية للمنتجين • انهم يعتمدون آخر الامر على حيوية الاقتصاد العالمى من اجل أمن أسواقهم واستثماراتهم ، ولا يمكن أن يكون من مصلحة اية دولة أن تجسم يأس الدول الاقل تطورا التى هى قابلة للعطب من جراء الاسعار المرتفعة ، والتى لا سبيل امامها سوى أن تدفع •

ان ما ارتفع نتيجة قرار سياسى يمكن خفضه بقرار سياسى •

فى الاسبوع الماضى دعا الرئيس فورد الدول المنتجة للبترول للاشتراك مع الدول المستهلكة فى تحديد استراتيجية ستلبى حاجة الإنسان الطويلة الامد للطاقة والغذاء بأسعار معقولة • وحدد المبادىء التى يجب أن تهتدى بها مثل هذه السياسة ، وأعلن امام هذه الجمعية تصميم امريكا على تلبية مسئولياتنا بالمساعدة على تخفيف حدة واقع قاتم آخر هو المجاعة العالمية •

انه فى وقت من الحرص العالمى على العدالة وفى عصر من التقنية المتقدمة ، من غير المحتمل أن يعانى الملايين الجوع ويبقى مئات الملايين سيئى التغذية •

ان ضخامة المشكلة الطويلة الامد واضحة • فحسب نسبة نمو السكان الحالية ، يجب ان يتضاعف انتاج الاغذية عند نهاية هذا القرن للابقاء حتى على المستوى الحالى من وجبات الطعام • ولكى تتوافر وجبات كافية من الطعام لجميع العالم ، يجب ان نرفع الانتاج العالمى ثلاثة اضعاف • واذا كنا صادقين تجاه مبادئنا ، علينا التزام للمكافحة من أجل توفير مؤونة كافية من الغذاء لكل رجل وامرأة وطفل فى العالم ، وهذه امكانية تقنية وضرورة سياسية وحتمية خلقية •

ان الولايات المتحدة مستعدة للاشتراك مع جميع الدول فى مؤتمر الغذاء العالمى فى روما لتدشين المجهود الضخم اللازم • وستقدم عددا من المقترحات المحددة :

ـ لمساعدة الاقطار النامية • ان لديها أدنى محصول وأكبر كميات من الارض والمياه غير المستعملة وامكانياتها من حيث الإنتاج الغذائى ، يجب أن توازى حاجتها النامية • »

ـ لزيادة الإنتاج الدولى من المخصبات زيادة جوهرية ، يجب أن تضع حدا نهائيا لنقص العالم المزمن من المخصبات •

ـ لتوسيع برامج الابحاث الدولية والاقليمية والقومية ، ان الموارد العلمية والتقنية تجب تعبئتها الان لتلبية متطلبات العام ٢٠٠٠ وما بعده •

ـ لاعادة بناء احتياطى العالم من الاغذية ، ان قدرتنا على معالجة الجوع يجب أن تتحرر من تقلبات الطقس •

ـ لتوفير مستوى جوهرى من المساعدة الغذائية ، يجب أن تحول دون اختناق الدول الفقيرة وتساعدها على بناء القاعدة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للكفاية الذاتية •

ان الولايات المتحدة ستزيد خلال السنة المقبلة قيمة مساعداتنا من الاغذية الى الدول المحتاجة ، ونحن نقوم بهذا الالتزام رغم ازدياد الضغط على اقتصادنا ، وفى وقت نسعى فيه لخفض ميزانيتنا الحكومية ، لاننا ندرك أبعاد المأساة التى نواجهها • نحن جميعا هنا لدينا مشكلة مشتركة هى مساعدة الدول الافقر حالا •

ان آمال كل دولة فى أن تحيا حياة سلام ووفرة تعتمد على تسوية دولية فعالة لازمات التضخم والوقود والاغذية • علينا ان نعمل الان وعلينا ان نعمل معا •

حضرة الرئيس ، دعونا لا ننسى قط ان جميع مساعينا السياسية سيحكم عليها آخر الامر بمقياس واحد ، هو ترجمة أعمالنا الى اهتمامات انسانية •

ان الولايات المتحدة لن ترتاح الى عالم تظلل فيه مخاوف الانسان آماله • اننا نؤيد جهود الامم المتحدة فى حقول القانون الدولى وحقوق الإنسان • ونحن نحبذ نشاطات الامم المتحدة فى الحقول الاجتماعية والاقتصادية والانسانية فى العالم • ان الولايات المتحدة تعتبر مؤتمر الامم المتحدة العالمى حول السكان الذى عقد فى العام الماضى ، ومؤتمر الغذاء العالمى الذى سيعقد بعد شهر من الان ، ومؤتمر قانون البحار الحالى ـ عظيمة الاهمية بالنسبة الى مستقبلنا المشترك •

ان الولايات المتحدة ستقدم خلال الشهور المقبلة مقترحات محددة الى الامم المتحدة للمباشرة فى مجهود دولى كبير لمنع التحريف فى القانون الدولى وحملة منسقة للسيطرة على المرض الذى يصيب ويوهن اكثر من ٢٠٠ مليون شخص فى ٧٠ دولة ـ وفى تدعيم جوهرى لقدرة العالم على معالجة الكوارث الطبيعية وبخاصة تحسين نظام الامم المتحدة للاغاثة من الكوارث •

٤ ـ الخاتمة :

حضرة الرئيس ، لقد عشنا زمنا طويلا فى عالم كانت فيه تبعات فشلنا قابلة للسيطرة ـ عالم أمكن فيه احتواء النازعات المحلية ، وهددت الاسلحة النووية بالدرجة الاولى الدول التى امتلكتها ، وأبدت دورة النمو والانحطاط الاقتصاديين اهتماما قوميا بصورة رئيسية •

غير أن الوضع لم يعد كذلك • اننا نجابه وضعا قد تغير تغيرا اساسيا • انه لم يعد فى الامكان التصور أن النزاعات والاسلحة والكساد لن تنتشر •

ان من السهل الموافقة على مجموعة اخرى من المبادىء او الاجراءات التى يجب أن تتخذها دول اخرى ، غير ان حاجات الفقراء لن تلبى بالشعارات ، وحاجات اقتصاد عالمى متسع لن تلبى بقيود جديدة ، والبحث عن السلام لا يمكن القيام به على اساس المجابهة • وهكذا فان كل دولة يجب أن تسأل ماذا تستطيع ان تعمل ، وأية مساهمة هى مستعدة أخيرا للقيام بها من أجل الخير المشترك •

حضرة الرئيس ، وراء السلام ووراء الازدهار تكمن أعمق امانى الانسان من أجل حياة من الكرامة والعدالة • ووراء الكرامة ووراء حرصنا على الغاية القومية نحن مدعوون لان نخدم • يجب ان يكون هناك اهتمام بتحسين حالة البشر ، وفى حين لا نستطيع خلال الحقبة القصيرة المتوافرة لكل منا أن نزيل مشاكل القرون المتراكمة ، لا نتجرأ على أن نفعل ما هو اقل من أن نجرب ، فدعونا نشرع فى مهامنا •

دعونا نتصرف بروح «تاكيديس» بأن اشجع الناس هم بالتأكيد الذين لديهم أوضح تصور لما هو امامنا ـ المجد والخطر على السواء ـ ومع ذلك الخروج لمواجهتهما •

هناك أمل الان ، لان ضرورتنا ملزمة ، اذا نحن فقط اعترفنا بذلك •



ملحق الأدب والفن

- أم كلثوم .. الحقيقة والأسطورة
- صورة المرأة : فى أدب نجيب محفوظ
- النسر الأحمر فى المسرح القومى
- الزينى بركات ودولة البصاصين

فى هذا العـــدد :

ام كلثوم .. الحقيقة والاسطورة :

— ام كلثوم : والمسرح الغنــائى

— القمة التى تربعت عليها ام كلثوم ينبغى أن تبقى شاغرة

صورة المرأة : فى أدب نجيب محفوظ :

الأدب والفن فى شهر :

- سينما : زائــر الفجــر .. صــدمة الوعى تشــتد
- : اســـبوع الفيـــلم اليوغســـلافى
- مسرح : النسر الاحمـــــر فى المسرح القـــومى
- رواية : الــزينى بــركات ودولــة البصـــــاصين
- تعليق : حــول طـــه حســـين فى ذكـــراه

هذا الفنان وعالمــه :

ادعاءات المواطن سخم سنحام رع « قصة قصيرة »



أم كلثوم الحقيقة والأسطورة

وعدت « الطليعة » بتقديم عدد من آراء الدارسين لفن أم كلثوم .

وفيما يلى نقدم رأيين : احدهما حول دور امكلثوم فى تجميد المسرح الغنائى .

أما الرأى الثانى فهو حول دور ام كلثوم فى الوقوف بالاغنية العربية عند حدود التطريب لاتتجاوزها .

ولا يزال الباب مفتوحا امام المزيد من اجتهادات الدارسين .

[١] أم كلثـــوم

والمســـرح الغنــــائى

عنايات وصفى *

لا شك فى أن ام كلثوم ظاهرة فريدة ، فنادرا ما نسمع صوتا يغنى - بقوة واقتدار - خمسين عاما متوالية ويطرب لها ثلاثة اجيال متتالية من الشعب المصرى والعربى ، لهذا فهى ظاهرة جديرة بالدرس والتحليل ، من حيث مكوناتها الاساسية .

والمغنى - حتى يصبح مغنيا ناجحا - يجب أن تتوفر له شروط اساسية : ان يكون ذا آلة صوتية سليمة ، وموهبة موسيقية ، وحس فنى مرهف .

وجسم الانسان - بتكوينه الفسيولوجى - هو الالة التى تصدر الصوت البشرى ، وصناع الالات الموسيقية ينتقون انواعا خاصة من الاخشاب لصناعة الكمان والتشيلو وغيرهما ، ويجهدون فى ضبط الاوتار وشدها . اما الالة الصوتية الانسانية ، فان الطفل يولد بها مشكلة على نحو معين ، ثم هى تتحدد وتكتمل باكتمال نموه حتى النضج .

هذه الالة تتكون من اجهزة ثلاثة .

● جهاز التنفس ، الانف والحنجرة والقصبة الهوائية والرئتين . ويقوم الحجاب الحاجز وعضلات البطن بدور فى عملية التنفس الخاصة بالغناء .

● جهاز اصدار الصوت : اى الحنجرة بما تحويه من احبال صوتية واربطة تتحكم فى شد هذه الاحبال وارتخائها .

● جهاز تكبير الصوت : اى التجاويف الموجودة فى جسم الانسان وأهمها تجويفا الانف والفم .

وأم كلثوم حبتها الطبيعة بمكونات سليمة لصوت جميل ، وموهبة موسيقية وحسا فنيا مرهفا . بالاضافة الى انها تلقت تعليمها الاول فى كتاب القرية فتعلمت الى جانب القراءة والكتابة حفظ القرآن وترتيله مما كان له أثر فى ادائها ، فهى عن طريق الحفظ والتكرار اكتسبت معرفة القواعد الضابطة لمخارج حروف اللغة العربية وصفاتها ، واكتسبت اتقان النطق بالكلمات وادائها فى الفصحى بحذق عن طريق اخراج كل حرف من مخرجه الصحيح واعطائه حقه من الصفات اللازمة له من همس أو جهر ، ومن شدة أو لين الخ ..

ولاعجابها الشديد بأخيها خالد أخذت تحاكيه وتتدرب على تلاوة القرآن وترديد الموشحات الدينية الى ان أصبح وضوح مخارج الحروف وابراز معانى الكلمات طبيعة من طبائعها وعلامة مميزة فى ادائها .

وقد افادها كثيرا التدريب المستمر الذى كان بمثابة تمرينات للتنفس ، فاكتسبت رئتاها القوة والمرونة اللازمتين لطول نفس المغنى والتحكم فى اخراجه .

واذا كنت قد اطلت بعض الشىء فى ذكر المكونات الاساسية للمغنى بشكل عام ، وهى حقائق أولية معروفة فان الدافع الى ذلك هو أن نفسر على أساس علمى ما اتفق على تسميته « بمعجزة ام كلثوم » .

وكلنا يعلم مدى التغييرات التى ادخلتها ام كلثوم على الاغنية الفردية الطويلة . فقد حررتها من رتابة الاشباع المنتظم المسمى بالضروب الشرقية - المستمر من أول الاغنية الى آخرها دون تغيير . حررتها أيضا من ثقل الزخارف اللحنية التى كانت تفسد الكلمات وتطغى على معانيها ، فكان لها رأى خاص فى مطابقة اللحن لكلمات ومعانى النص الادبى ، فبالرغم من أنها لم تكن ملحنة الا أنها كانت تبدى دائما توجيهاتها الخاصة للملحنين ولم تكن ترضى بكل ما يقدم لها من ألحان . كما كانت تختار كلمات اغانيها بعناية شديدة ودقة بالغة .

وهكذا وصلت بادائها للاغنية الطويلة الى مستوى مميز ، وأسلوب خاص . ان عظمة أم كلثوم المتمثلة فى قوة صوتها واتساعه ومرونته ، ثم تمكنها من ايضاح معانى الكلمات علاوة على موهبة التواصل بين المغنى والمستمع التى تعتبر أثمن ما تجود به الطبيعة على المغنى ، لهو شىء لا يختلف عليه اثنان فقد سيطرت على ناصية الاداء للاغنية الفردية الطويلة على مدى نصف قرن .

واذا كان الامر كذلك . واذا كانت هذه هى منزلة أم كلثوم فان السؤال الذى يطرح نفسه بالضرورة هو اين نضع أم كلثوم بادائها الممتاز فى تاريخ الموسيقى والغناء المسرحى فى مصر أى المسرح الغنائى او الاوبريت .

ان هذا يتطلب أن نعرض عرضا سريعا لتطور الغناء فى نصف القرن الحالى أو ربما قبل ذلك .

فى النصف الثانى من القرن الماضى واوائل هذا القرن شهدت مصر وفرة فى انتاج المسرح الغنائى احدثت نهضة عظيمة فى الاغنية فجعلتها تتحول من اغنية فردية الى اغنية جماعية . ومن

* رئيسة قسم الغناء بالمعهد العالى للتربية الفنية

أغنية وصفية الى أغنية درامية تعتمد على التعبير وتتعدى مرحلة التطريب •

فقد اهتم الحكام باستدعاء فرق الاوبرا الاجنبية وبنيت دار للاوبرا ، وكلف الخديوى اسماعيل أحد مشاهير الموسيقى فى ايطاليا « جوزيبى فيردى » بتأليف أوبرا خاصة بمناسبة افتتاح قناة السويس ، وافتتحت خمس مدارس لتعليم الموسيقى العسكرية فى القاهرة [١] • والى جانب هذا اخذ الفن القومى طريقه الى الظهور فنجد اسماء لامعة مثل عبده الحامولى [١٨٤٥ - ١٩٠٠] ، ومحمد عثمان الذى يرجع اليه الفضل فى تدعيم الدور المصرى وتنسيقه فى القالب الخاص الذى ظل الى عصرنا هذا •

اما عماد المسرح الغنائى فكان الشيخ سلامة حجازى (١٨٥٢ — ١٩١٧) الذى ذاع صيته كمنشد ومبدع للدور والغناء القديم ، غير انه انفرد بالمسرح الغنائى وحمل لواءه منذ عام ١٨٨٩ ، ولقى نجاحا هائلا بدأ بأثره الكتاب يمدونه بمجموعة قيمة من المسرحيات • ثم قامت فرقة منيرة المهدية بتمثيل مسرحياته وتوالى ظهور فرق اخرى قوبلت جميعها بالتشجيع والاعجاب •

تخرج فى هذا السيل المتدفق من الفرق المشتغلة بالغناء المسرحى ثلاثة من عباقرة الملحنين المعاصرين لتلك الفترة وهم : داود حسنى (١٨٧١ - ١٩٣٧] ومحمد كامل الخلعى [١٨٨١ - ١٩٣٨] وسيد درويش (١٨٩٢ — ١٩٢٣) .

وقام كل منهم بتلحين ما يزيد عن ٢٠ مسرحية غنائية ناجحة • واضاف سيد درويش فى مسرحياته مشاهد اساسية لاستعراضات الطوائف الشعبيه التى عبر عنها بالحانه ومثلها تمثيلا صادقا ، كما امتاز بتصوير معانى الكلمات التى تعبر عن المشاهد فى الحان جميلة • وهنا نقف قليلا عند هذا الفنان لنتأمل شخصية بارزة فى تاريخ الفن المصرى ، فنان ولد وعاش فى قلب الطبقة العاملة فاصبح كل ولائه الفنى لها على عكس ما كان شائعا فى ذلك الوقت [٢] ، فقد كانت معظم موسيقانا قبله أسيرة الانغام التركية والفارسية وكانت فنا سجينا فى القصور مخصصا للزينة ولتسلية السادة وادخال السرور والبهجة الى عالم الحريم والاغوات ، ثم كانت رسالة سيد درويش — مندفعا بسليقته الصافية — هى تحطيم السلاسل التى كانت تربط هذا الفن العظيم الى عالم الحريم ثم الانطلاق به الى صميم الحياة •• حياة السواد الاعظم من بسطاء الناس ليعبر عنهم ويبهجهم ويزرع فيهم الامل والثقة •

ولم تكن الموسيقى الشرقية فى شكلها القديم تحرم الشعب من سماعها فقط بل كانت تحرمه أيضا من الغناء لانها فى تعقيدها لم يكن يقدر على ادائها الا جبابرة الصوت الرخيم مثل محمد عثمان وعبده الحامولى .وغيرهما •• فلما جاء سيد درويش اصبح كل الشعب يغنى وتلك هى اهم معجزاته ، فقد اخرج الموسيقى من القصور الى الشوارع لانه استحدث اسلوبا جديدا فى التعبير الموسيقى استلهمه من الانغام الشعبية السائدة •

ومن الطبيعى أن يتجه سيد درويش الى موضوعات جديدة ذات طابع شعبى وطنى بدلا من موضوعات الاغانى التى كانت تؤدى فى القصور ، فبالرغم من انه لم يؤلف الا قلة من كلمات الحانه واغانيه التى وضع أشعارها مؤلفون كثيرون الا انه كان مساهما كبيرا فى أغلب المعانى والافكار •

ولما كان مسرح سيد درويش الغنائى هو بحق مسرح الثورة الوطنية وأحد اسلحتها فانه بوفاة هذا الفنان العظيم اخذ هذا النوع من الاوبريت الشعبى الوطنى يضمحل شيئا فشيئا ، ولكن اذا كان المسرح الغنائى قد ضعف بعد ذلك فالى أى مدى يمكن أن نحمل مسئولية ضعفه الى ظاهرة أم كلثوم ؟

الواقع أنه ربما كان من الظلم أن نحمل ام كلثوم كل المسئولية ، فهناك بالتاكيد أكثر من عامل موضوعى تسبب فى انهيار المسرح الغنائى ، ولكن مسئوليتها نتحدد على الوجه التالى : انها اختارت خطا معينا لفنها ، اعتمدته وسارت به لنهايته ، ولعذوبة صوتها وكمال ادائها تهافت عليها الجمهور متقبلا كل ما تقدمه له ، والتف حولها مشاهير الادباء والملحنين كل منهم يصب عصارة ابداعه الفنى فى هذا القالب ، ولهذا فهى باستمرار ادائها لهذا النوع من الغناء تمثل خطا منفصلا عن تراث المسرح الغنائى كما بلغ قمته فى سيد درويش ، والفرق الواضح هو أن اغانى سيد درويش القصيرة انتشرت وغطت جميع مدن القطر فى كل مكان لسهولة لحن الاغنية وقصرها ومطابقتها لما فى نفوس الشعب من الامانى والافكار ، اما أم كلثوم فقد فضلت الاغنية الطويلة صعبة الاداء على الرغم من انها سجلت نجاحا فى الاغنية القصيرة فى الافلام التى اضطلعت ببطولتها •

ولسنا نغفل هنا حقيقة هامة هى أن سيد درويش كان ملحنا ومغنيا ، وأم كلثوم لم تكن الا مؤدية ، ولكن كلا منهما كان متحكما الى حد كبير فى نوعية ما يقدمه من فن • وهناك قضية اخرى تفسر هذا الانفصال الذى أشرنا اليه صحيح أن كلا من سيد درويش وأم كلثوم قد قدم اغانى فى موضوعات وطنية وعاطفية ، لكن الطابع المهيمن عند كل منهما ظل مختلفا ، فبينما استلهم سيد درويش موضوعات وطنية وشعبية لفنه ظلت معظم أغانى أم كلثوم فى اطار الاغنية العاطفية •

ولقد شهدت البلاد بقيام ثورة يوليو احداثا تاريخية متلاحقة بدلت من ايقاع الحياة ، فزادته سرعة ، وذلك بفضل التغييرات السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية ، ولم يكن من قبيل الامانى وأحلام اليقظة ان تعبر موسيقانا وأغانينا عن الاحداث القومية الكبرى ، وأن يبعث — عندئذ — فن عظيم كفن الاوبريت ، هذا الفن الذى لم يستمر تطوره بعد سيد درويش • صحيح أن هناك قلة من الاعمال ظهرت على خشبات المسرح الغنائى ، الا أنها لم تترك أثرا باقيا بسبب افتقارها الى التكامل الفنى • فاذا فتشنا بعد ذلك عن أسباب غياب الاوبريت فسيكون من بين هذه الاسباب أن أم كلثوم — بوزنها كظاهرة — استمرت بأداء الاغنية الفردية الطويلة التى تتنافى مع نبض الحياة الجديدة ومتطلباتها •

ان هذا التناقض بين متطلبات الحياة الجديدة وبين توقف تطور فن الاوبريت ربما دعانا الى التشكك فى حقيقة النهضة التى تشهدها البلاد فى التعليم الموسيقى •• هذه النهضة التى تتمثل فى وجود ثلاثة معاهد عليا متخصصة فى تعليم الموسيقى فى القاهرة وحدها ، أحدثها هو المعهد القومى للموسيقى « الكنسرفتوار » الذى أنشىء فى عهد الثورة على غرار المعاهد الاوروبية ونفخر كل الفخر بثمرته ، فقد تخرج منه مجموعة من الفنانين الذين أثبتوا جدارة عالية فى العزف على الالات الغربية فى مسابقات عالمية ، ومنهم من درس أصول علم التاليف الموسيقى ، وقد

---

١ – محيط الفنون – الجزء الثانى د • أحمد الحفنى •
٢ – سيد درويش فنان الشعب – مقال ليوسف حلمى ، دراسات اشتراكية ، ابريل ٧٢ •

شاهدت القاهرة في العام الماضي أوركسترا من طلبة ومعيدي الكنسرفتوار اسعد المشاهدين واثبت كذب التشكيك في امكانية قيام أوركسترا قومي جميع أعضائه من المصريين يؤدي الموسيقى العالمية .

وتطور معهد فؤاد فاصبح الان يسمى معهد الموسيقى العربية بقسميه الثانوى والعالي ، وفيه تدرس الموسيقى العربية الى جانب الموسيقى العالمية ، وشهدنا في العام الماضي ظهور فريق من طلابته وخريجيه يؤدي روائع التراث العربي بنجاح هائل .

هذا عدا المعهد العالي للتربية الموسيقية ، وهو الذي يغذي جميع مدارس القطر بالمدرسين المتخصصين وفيه نخبة من أعلى المستويات في العلم والفن ، تلقت تعليمها العالي في مختلف البلاد الاوروبية ، وتقوم الان بتدريس جميع مواد المعرفة الموسيقية العالمية والعربية وفق احدث تطورات التعليم ، وهو الذي يمد المعاهد السابقة بالاساتذة المتخصصين في مختلف المواد الموسيقية . علاوة على الدراسات العليا التي افتتحت منذ عدة سنوات .

وانه لمن الضروري أن تواكب هذه المعاهد الموسيقية ركب الحضارة العالمية لكي تؤتي ثمارها ، وأن تستند الى حس نقدي ، ثوري وقومي يحافظ على التراث ويتعمقه ليستخلص منه كل العناصر الحية التي تدفع الى مزيد من التطور والتجديد .

ولذلك فان تقديرنا لام كلثوم لا يعني أن نفقد النظرة الموضوعية الى ما قدمته والا حكمنا على أنفسنا بالتجمد وعدم التطور .

لقد كان هدف أم كلثوم ورأيها الخاص هو الحفاظ على موسيقانا وعلى تراثنا ، وهذا رأي يتفق عليه كل فنان مصري أصيل ، لكن الحفاظ على التراث والطابع القومي لا يعني تجميده في قالب معين ، بل صقله وتطويره والارتقاء به الى أعلى مراتب السمو مسايرة لركب العلم والحضارة .

أم كلثـــــوم والأغنيـــة العـــربية

كمــالَ بكـير *

كتب الكثيرون عن أم كلثوم واتجهت معظم كتاباتهم الى مواساة المستمع العربي الذي فقد برحيلها اعظم الاصوات والملكات الابداعية التي أدت الاغنية العربية بصورة يعتقد الغالبية أنها انتهت تماما برحيلها ، واظنهم على حق فيما ذهبوا اليه من ان الاغنية على نحو ما اتجهت بها السيدة ام كلثوم لن تتكرر مطلقا ، ذلك أنه لن يتاح مرة أخرى لمطربة أن تستطيع بمفردها أن تحدد مسار الفن الغنائي ولما يقرب من نصف قرن من الزمان على نحو ما فعلت أم كلثوم ، لذا أعتقد أن الامر يستحق وقفة طويلة متأنية ودراسة لفن أم كلثوم في محاولة موضوعية قدر الطاقة لبيان الحجم الحقيقي لهذا الفن الذي يمكن وبلا مبالغة ان يقال انه ساهم بقدر وافر في تشكيل وجدان الشعب العربي عامة والمصري على وجه الخصوص .

والذي لا خلاف عليه مطلقا هو تلك القدرة الخارقة التي تمتعت بها السيدة أم كلثوم على الاداء والتي ارتكزت على دعامتين نادرا ما وجدنا بهذا القدر من التكامل في اى من المطربين ليس في مصر فحسب بل وفي اى مكان . أولى هاتين الدعامتين هي تلك المساحة الصوتية العظيمة والقدرة الفريدة على التحكم في كل أبعاد هذه المساحة وبنفس الدرجة من الامتياز ، وثانية هاتين الدعامتين هي تلك القدرة الباهرة على التمكن من اللغة العربية وسلامة نادرة في مخارج كافة حروفها خاصة تلك التي لا توجد في غيرها من اللغات والتي ليس من اليسير التحكم تماما في مجرد نطقها فما بال الاداء الغنائي .

وهاتان القدرتان وان ساهمت الموهبة الطبيعية فيهما بقدر الا ان القدر الاعظم بلاشك للعمل المخلص الجاد على انمائهما لتصلا الى هذه الدرجة من التكامل وليصبحا اداتين طيعتين بصورة فائقة مكنتا السيدة ام كلثوم من هذا الاداء البارع حقا ، والذي دعم هذا الاداء ليصل به الى التكامل هو تلك القدرة الموسيقية المرتكزة على موهبة نادرة الاصالة في الاحساس باللحن والنغم الشرقي الذي يحتاج الى حساسية خاصة لوجود ربع الدرجة الصوتية والذي ترتب عليه حشد هائل من المقامات الموسيقية العربية واصلت ام كلثوم بدأب التلقي والدرس على أساطين العالمين بها ، لانماء موهبتها على الاحساس بهذا النغم ولتمكن من أدائه ليس فقط بحساسية موهبتها وانما بدراية وعلم لهذه المقامات التي اعتقد ان التمكن منها يحتاج الى جهد بالغ ، هذا بالاضافة الى تلك الموهبة الاصيلة في الاحساس بالايقاع العربي وهو ما يعبر عنه اهل الحرفة الموسيقية «بالواحدة» وهو العنصر المكمل للنغم العربي ولا أظنه يقل عنه في احتياجه للجهد

* مؤلف موسيقى

للالمام بالايقاعات العربية عامة والمصرية منها بنوع خاص . كل هذا مكن للسيدة أم كلثوم من امتلاك ناصيته فنها وعرضه بصورة بالغة الامتياز استولت تماما على اذن ووجدان المستمع العربى .

وهذا الامتياز الفريد فى اداء الاغنية والذى بهر بحق جمهرة المستمعين هو فى تصورى ما ينبغى الوقوف عنده ، خاصه أنه بعد أن أدركت السيدة امكلثوم انفرادها تماما بالتربع على قمة الاداء الغنائى وبلا منازع حولها الى مايشبه الاسطورة الحية وتدس الاقداس فى عالم الطرب الذى لا يقربه الا المتعبدون فى محرابه ولا يمسه الا الحواريون ، الامر الذى ترتب عليه أن ابتعد فن أم كلثوم تماما ليس عن النقد فحسب بل وعن أى تعليق ، فمن ذا الذى يمكنه أن ينقد هذا الاداء الاسطورى او حتى أن يعلق على هذا الابهار المعجز ، وهنا كمن الخطر على فن أم كلثوم العظيم الذى استمر على نسق واحد لا يتطور خطوة واحدة الى الامام اذا لم يتصور أحد مطلقا أن ثمةخطوات يمكن انيخطوها هذا الفن العظيم فى أى اتجاه ، وهذا فىتصورى ماجعل أمكلثوم لاأقول ترفض وانما لا تتحمس سوى لاستعراض قدرانها الفذة المتمكنة ليس على الاداء فحسب بل وعلى زخرفة هذا الاداء بشتى صنوف الزخارف العربيه التطريبية ، واستعراض براعتها النادرة على الارتجال واللعب باللحن على مختلف المقامات الموسيقية العربية وعلى اتساع قدرانها الصوتية العريضة ، وتلوين جزءصغير من الاغنية تبعا لذلك بشتى الالوان الباهرة ، بل ووصل الامر الى حد الارتجال واللعب بلفظة واحدة من الاغنية ربما ينسى بعدها المستمع الاغنية كلها ولا يبقى عالقا باذنيه سوى تلك اللفظة المرتجلة ببراعة معجزة، وهنا يذكرنا فنالسيدةأمكلثوم بعازف الكمان الفذ « بجانينى » الذى تحولت صياغة « الكونشرتو » على يديه البالغة القدرة الى ما يشبه الالعاب البهلوانية الموسيقية التى قد لا تؤدى الى معنى ما اللهم الا التسليم بالقدرات الخارقة لهذا العازف البهلوان .

واستمرار فن أم كلثوم على النسق المتقدم ودون تساول بالنقد والدراسة والتحليل شكل خطورة بالغة على مسيرة الفن الغنائى والموسيقى العربى عامة والمصرى بصفة خاصة ، ذلك أن تربعها وبجدارة على قمة الاداء الغنائى جعلها قطبا بالغ الضخامة دارت فى فلكه بقية الانشطه الغنائية والموسيقية أو كادت . فاللحن لا يعمد ملحنا الا بعد أن يخضع لحنا ترضى عنه سيدة الغناء العربى فتتنن الملحنون فى الابداع على النسق الذى يحظى بهذا الرضا ليردده هذا الصوت العملاق المتفرد ليدوى بعده اللحن فى أركان العالم العربى ، ومن هنا كانت امارة السيدة ام كلثوم وسلطانها على عباقرة التلحين الذى استمر طوال فترة تربعها على عرش النغم العربى يحتل مكان الصدارة فى الانتاج الابداعى للموسيقيين حيث ارتبطت صور ابداعهم الاخرى به فى شكل مقدمات موسيقية لاغنياتها ، أو فى جمل موسيقية قصيرة « لزمات » تفصل بين فترات الاغنية ، وكان المدخل لعالم الاداء الغنائى لاكثر المؤدين هو محاولة محاكاة أسلوبالسيدة أمكلثوم بأداء بعض أغنياتها ومن ينجح قدر الطاقة فيالاقتراب من هذا الاسلوب يعمد مطربا ، والعديد من مطرباتنا بدان حياتهن الفنية من هذا المدخل ، واعتبر دبلوما فنيا فى العزف الانضمام للفرقةالموسيقية المصاحبة لسيدة الغناء يعترف به كشهادة على الاجادة والتمكن . وقليل من لمع خارج هذا الاطار « الام كلثومى » فىعالمالموسيقىوالغناء أبرزهم الاستاذ محمد عبد الوهاب ، وبقى أكثر من لم ينتظمهم هذا الاطار فى منطقة الظل ، لهذا عظمت مسئولية ام كلثوم من النشاط الغنائى والموسيقى فى مصر بقدر عظمتها هى كشخصيه موسيقية متفردهلها اليد الطولى فىمسار وحركههذا النشاط .

ولمزيد من محاولة التعرف على فن أم كلثوم نقف مليا أمام تساؤلين يفرضان نفسيهما بالحاح ، أولهما واخطرهما موقف السيدة أم كلثوم منالمسرح الغنائى الذى كان مزدهرا على نحو ما عما هو عليه الان وقت بداية احتلالها لمكانتها الكبيرة فى عالم الاداء الغنائى ، والتساؤل الثانى وربما أعتبر فرعا من الاول هو لماذا لم تؤد سيدة الغنساء الحان فنان مصر الاصيل سيد درويش ؟ ذلك باعتباره اهم من اتجهوا بالحانهم الى التعبير الموسيقى أكثر من اهتمامه بالتطريب الامر الذى ادى بطبيعته الى اتجاهه الى المسرح الغنائى الذى خصه بانتاج غزير ، وفى تصورى أن تفرد أم كلثوم ومواصلتها لنجاحاتها كمؤدية بارعة حقا جعلها لا تتحمس لان يشاركها هذا النجاح من يفرض المسرح الغنائى بطبيعته وجودهم الى جوارها كعمل جماعى لا يسمح بالانفراد بالقمة التى تربعت عليها دون مشاركه أحد ولو بقدر يسير ، حتى تردد عنها — ولكن على استحياء — أنها « كلثت » ملحنيها الذين قنعوا الى جوارها بذيوع ألحانهم مؤداة بصوتها العملاق الواسع الانتشار واظن هذا ما يلقى لنا بعض الضوء على احجام محمد عبد الوهاب ولفترة ليست بالقصيرة عن التلحين لها ، وعدم سعيها هى الاخرى فى طلب الحانه حتى لا يثور — ولو خلسة — التساؤل عن من منهم يحتل مكان الصدارة لحن عبد الوهاب أم اداء أم كلثوم لهذا اللحن . كل هذا بالطبع يختلف تماما من المسرح الغنائى الذى يفترض فيه أن يذوب جميع المشاركين فى كل متسق ليحتل العمل نفسه مكانالصدارة ، الامر الذى انتهى بها وبنا الى أن تركز النشاط الموسيقى فى الاغنية الفردية التطريبية ومنتهى النجاح أن تقترب هذه الاغنية من الصورة « الكلثومية » أما بالتلحين لها شخصيا وهو حلم كافة الملحنين أو على الاقل التلحين على النهج «الكلثومى» الذى يغنى يوما للتلحين لها ، ودار المؤدون للاغنية فىفلك المحاولةالمستميتة للاقتراب بالاداء من صورته الفارهة عندها . واللهم لا اعتراض مطلقا على الاغنية الفردية فى صورتها العملاقة عند أم كلثوم بل وعند غيرها من المحاولين ، لكن على الا تصبح هى النشاط الموسيقى الاوحد ، على نحو ما صار اليه الحال عندنا بعدما تبقن الكافة من المكانة التى وضعتها فيها أم كلثوم بأنها نهاية المطاف .

ويبرز الان تساؤل ملح يرد كثيرا وبشكل مستفز ، هو من يحتل القمة الشاغرة التى خلت تماما برحيل سيدة الغناء العربى عنا ، وفى تصورى المتواضع أن هذه القمة الشاهقة ستبقى شاغرة الى الابد ، بل وارجو الا اكون مغاليا اذا تصورت أنها ينبغى أن تبقى كذلك أولا للصعوبة البالغة فى ان يصل احد الى هذه القمة ، وثانيا وهو الاهم لينطلق النشاط الابداعى الموسيقى والغنائى الى آفاق جديدة رحبة حجبتها عنا القدرات المعجزة فى فن أم كلثوم ، وليخلد فن ام كلثوم العظيم على أن نبتعد تماما عن الاستماتة فى محاولة تكراره فهى محاولات محكوم عليها مسبقا بالفشل ولنسعى جهدنا فى محاولة خلق قمم شامخة اخرى وفى شتى ضروب الابداع الغنائى والموسيقى .

المـــرأة

فى أدب نجيـــب محفـــوظ

د. لطيفة الزيات

لــكى يتلمس الدارس طريقة الى صورة المرأة فى أدب نجيب محفوظ الروائى لابد وأن يستند الى ركيزة ماتعتبر نقطة انطلاق الى هذا العـــالم الفنى المتعدد الابعاد . ولعل الثلاثية تشمل الركيزة الملائمة لمثل هذه الدراسة فالثلاثية كانت وما زالت تشكل رؤية أساسية من رؤى الحقيقة عند نجيب محفوظ، ثم ان الثلاثية تحتـــوى على بذور الكثير ممـــاكتب من الروايات لا فى المرحلة اللاحقة على الثلاثية فحسب ،بل وفى المرحلة السابقة عليهـــا أيضا ، بداية من القاهرة الجديدة

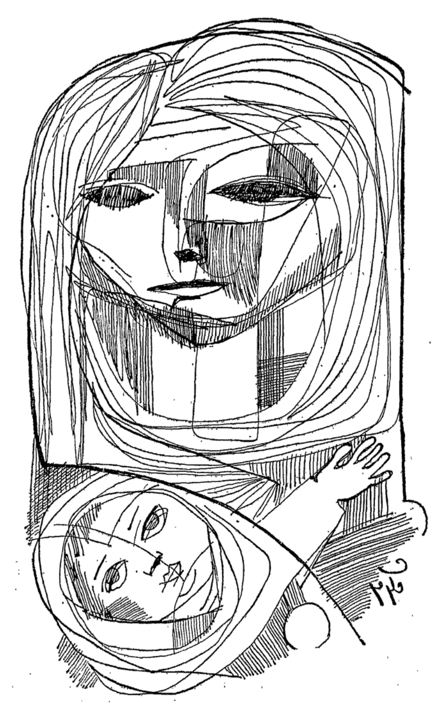
وانى اذ اتخــذ من الثلاثيــة منطلقا سألتزم بالضرورة بخطوط واسعة وعريضة تغطى العام وتقصر عن الخاص ، وتلقى الضوء على بعض جوانب المرأة فى العالم الروائى دون استكمال لكل الجوانب ، وذلك فى اطار بورجوازية المدينة الوسطى والصغيرة وهو الاطار الذى غالبا مايتحرك فيه الكاتب .

تبدأ الثلاثية وتنتهى بأمنية ، فهى تبدأ وأمنية تنتظر فى منتصف الليل عـــودة الزوج أو السيد/احمد عبدالجواد وتنتهى وامينة تحتضر . ونحن نلتقى بأمينة أول ما نلتقى بها فى فترة سابقة على ثورة ١٩١٩ ، امرأة فى الاربعين من عمرها، استطاعت حيث فشلت من قبلها اخرى، هى هنية امياسين ، ان تعايش متناقضات الزوج ، وان تبنى بيتـــا واسرة تضم ياسين ابن زوجها البكر والكاتب بمدرسة السلحدار ، وفهمى ابنها البكر والطالب بكلية الحقوق ، وكمال ابنهـــا الصغير والتلميذ بمدرسة خليل اغا ، وخديجـــة بنتها البكر فى العشرين من عمـــرها ، وعائشة الصبية الجميلة فى السادسة عشرة من عمرها . وتنتهى الثلاثية بنهاية الحرب العالمية الثانية ، وبنهاية جيل من الاجيال الثلاثة وبداية الجيـــل الرابع .

فالسيد/أو الزوج قد مات ،والجيل الاول قد انمحى او كاد ، والجيل الرابع على وشك الخروج الى الحياة . فليلة تحتضر أمينة يوانى المخاض كريمة وزوجهـــا عبد المنعم شوكت ملقى فى الســـجن بتهمة الانتماء للاخوان المسلمين .

وفيما بين بداية امينة فى الثلاثيـــة ونهايتها يطوى الزمن فيمن يطوى على فترات متعاقبة ابن امينـــة البكر فهمى الطالب بكلية الحقوق الذى يقتله الانجليز فى مظـــاهرات ١٩١٩ ، تزوج واولاد عائشة جميعا . وعائشة تفقد أول ماتفقد زوجهـــا الشـــــاب وطفليها اثر اصابة بالتيفود، ثم تعود وتفقد ابنتها الباقية وهى تضع مولودهـــا الاول . وما بين بداية أمينة ونهايتها يتمخض الزمن عن اعاجيب تمس الاحياء كما تمس الاموات . فياسين ابن السيد/ينتقل من زوجة الى زوجـــة حتى يستقر على زنوبة العوادة ، صبية العالمة زبيدة ، وابنة اختها ، وعشيقة السيد سابقا ، وزنوبة العـــوادة التى كانت يوما مطية لمن يدفع الثمن ،تتحول الى زوجة مستقيمة واما محتشمة ، بل لعلها اكثر سيدات الاسرة احتشاما . وعائشـــة الصبية الغنـــدورة الجميلة الكسول التى خلقت للمتعة والسعادة ،

وعاشتها ردحا ، قد تحولت الى حطـــام امرأة فاقدة للوعى والادراك بعد ان خطف الموت عائلتها ، وكمال الطفل الشقى المحب للحياة قد تحول الى رجل جاوز طور الشباب ، عاكف عن الزواج ،وكافر بكل المقدسات . أما خديجة ابنة امينـــة الكبرى فمازالت تشاكس الحيـــاة بنفس صلابة امها ، وخاصة وقد ابتليت بأغرب ما يمكن ان يبتلى به انسان فى هـــــذا الزمان ، اذ ألقى الـــــبوليس السياسى القبض على ابنيها الشابين عبد المنعم شوكت وأحمد شوكت ، الاول بتهمة الانتماء الى الاخوان المسلمين ، والثانى بتهمة الشيوعية . وكانت هذه الحقيقـــة الاخيرة ، حقيقة القاء القبـــض على الشابين ، هى آخر الحقائق الكثيرة التى وعتها امينة قبل ان تصاب بالشلل الذى اسلمها للموت ، وان لم تكن هـــــذه الحقيقة هى التى اسلمتها للموت . فما من شىء يسلم أمينة للموت الا الموت ذاته . فقد وعت ، كالارض ، حقائق الحيـــاة واستوعبتها ، ونالت منها هذه الحقائق ولم تنلها . وفى اليوم الذى تصـــاب فيه امينة بالشلل نهاها ابنها كمال عن الخروج لبرودة الجو ،فلم تنته ،واتهمها بالعند فابتسمت . وكانت فيما أعتقـــد



عنيدة جدا . ولكن ما من احد بعنيد على الموت .

ومن المهم بمكان ان نلم ببعض الشيء، بصورة امينة ، اذ ان امينـــة بتكرر بصورة او باخرى فى الكثير من شخصيات نجيب محفوظ الروائية ،بل لعلى لا اذهب بعيدا حين اقول ان ما يشكل جـــوهر شخصيتها ، يشكل جوهر الاصالة فى المرأة عند الكاتب ، مدرجة كانت هـذه الاصالة في الاطر الاجتماعية الذى يتقبلها المجتمع ، او تلك التى يرفضها المجتمع. وأمينة ليست شخصية في الحياة ، بل شخصية روائية محـــدودة بالظــــروف الموضوعية للمكان والزمان ، وبالاطار الاجتماعى الذى نشأت وعاشت وماتت في ظله ، وقد لا يتأتى فصلها عن هـــذا الاطار ، وان تأتي تخطى هذا الاطــار للتوصل الى ما يشكل جوهر المراة التى هى أمينة . وتتميز امينة بقـدرة هائلة على التكيف والتجاوز ، وبقدرة هائلة على الحب والعطاء ، وعلى تقبل الاخرين على ما هم عليـــه لا على ما ينبغى ان يكونوا ، وبولاء لا حدود له لاسرتهـــا ولدينها ولمبادئهـــا ، ولكل من تحب . وتتمتع امينة بحاسة عملية تتيح لهـــا المصالحة بين الواقع والمثال ،واستيعاب كل المتناقضـــات ، دون أن يترتب على ذلك اىاختلال فىشخصيتها وشخصية أمينة شخصية متكاملة تتمشى اقوالها مع افعالها ، علنها مع سرها ، مظهرهـــا مع مخبرها . وتكامل شخصية امينةتكامل يعز على الكثير ممن حولها رجالا كانوا أم نساء .

ومن قبل امينة تمردت هنبسـة على الوضع الذى يفرضه السيد او الزوج على البيت فى وضع الاله صباحا ، والسكير والعربيد مساء . ولكن قدرة امينة على التكييف تجعلها تعايش لا السيد فحسب، بل العفاريت ذاتها . فأمينة جاءت الى بيت السيد صبية فى السادسة عشرة من عمرها من بيت يختلط فيه الدين بالخرافة، وعاشت وماتت وهو تؤمن بان في كل ركن من البيت عفريتها . وفى البـداية تسلحت ضد العفاريت بالاستعاذة بالله والخوف . وانتهت بالشعور بالاستعلاء على ، والسخرية من العفاريت وابنائها يتحلقون حولها . وبهذه القــدرة على

التكيف تخلق امينة لنفسها ولاولادهـا عالما مستقلا عن عالم السيد ، تكون هى ، دون السيد ، محوره ومركزه . وكما حولت امينة السطح الاجرد الى حديقة غناء تجمع بين الجمال والعطاء بتربية الدجاج والحمام ، حولت البيت المكفهر ، الى وجود ينبض بالدفء والود ، والسمر ، والدعابة وفرحة الحياة ، بمجرد انزياح منه وجود السيد . وخضوع امينة للسيد . هو خضوع مسايرة لوضع تجد نفسها ازاءه ، وليس خضوعا كاملا . فامينة تسلم فى الكثير ، ولكنها تبقى على هذه النواة الصلبة التى بدونها تفقد الشخصية مقوماتها واستقلالها وتكاملها وقدرتها على الحب والعطاء والاستمرار . والسيد يحد من حرية امينة فى الحركة ، ولكنه لا يحد من تفكيرها المستقل ، وهى تسلم له بالكثير ، ولكنها لا تسلم له بعقلها ولا بمثلها . وامينة تقف موقف النقد من بعض افعال السيد ، وتدرك انها للاحتفاظ باسرتها ، قد اطاعته ظالما واطاعته عادلا (بين القصرين ص ١٤٠ — ١٤١) ، وان المنطق يجانبه فى الكثير من الاحيان . وهذا الحكم من جانب امينة ينسدل على حياتها مع السيد باكملها ، ولكنه يبرز فى موقفين . فالمنطق قد جافى السيد حين رفض تزويج ابنه فهمى بمريم ، وكاد يجافى السيد ، لولا تصدى امينة ، حين اوشك ان يعدم فرصة خديجة الاخيرة فى الزواج متسلحا بشكليات تخفية ، ترضى نهمه للسيطرة ورغبته فى الظهور بصورة الحاكم المطلق . وبمدى ما تتسامح امينة مع الاخرين ، بمدى ما تلزم نفسها بمبادئها ومثلها . وهى اذ تخير بين النجاة بالكذب ، وبين عقاب يطيح بكل ما بنت ، تفضل التزام الصدق والاحتفاظ بهذه النواة الصلبة التى هى مصدر قوتها . وفى موقف فاصل تملك فيه امينة ان تكذب دون ان تفتضح كذبتها ، وان تنجو بنفسها وبأسرتها ، تلتزم الصدق ، وتعترف للسيد بانها اصيبت فى حادث تصادم فى الشارع وقد خرجت دون اذن منه . ويعزو الكاتب هذا الالتزام بالصدق ، او الاعتراف ، الى الخوف من مواجهة السيد بالكذب . ولو كانت امينة ترى فى السيد ، كما يراه كمال فى صباه ، المطلق ، او الاله القادر على هتك اسرار الكذب وفضح المستور لتقبلنا تفسير الكاتب . ولكن السيد لا يشكل بالنسبة لامينة الاله ولا المطلق ، انه رجلها الذى تعرفه كما لا يعرفه احد ، وتتقبله بكل نقائصه وعيوبه . ومن ثم فالتزامها للصدق ازاءه لم يكن خوفا ، ولكن حفاظا على تلك الذات المتكاملة التى لا ترتضى بحال ، وأيا كان الثمن ، ان تنزل من تكاملها باللجوء الى الكذب .

وامينة متدينة شديدة التدين ، ولكن حاستها العملية ، وقدرتها على الحب تعينها على تقبل كل حقائق الحياة مهما بلغ من تناقض هذه الحقائق ، لانها كواهبة للحياة وحامية لهذه الحياة ومسئولة عن الحياة تخلق ، وتبنى ، وتحب اناسا من لحم ودم لا مجردات . ومطلقات امينة ، على غير مطلقات ابنها كمال ، تتسع للارض كما تتسع للسماء ، للواقع والمثال ، وللطين والاسطورة وفى هذا الاطار الواسع يتدرج الله ، والحسين ، واولياء الله الصالحون ، والاب والام والابناء والاهل والجيران ، بمدى ما يتدرج السيد بسكره وعربدته ، وياسين ببهيميته وفضائحه وزنوبة العوادة التى ترجعها امينة الى اصل طيب . وامينة تستوعب كل هذه التناقضات مغتنية بها . وهى تستوعب كل انواع الضعف البشرى ، دون ان يمس هذا الاستيعاب من تكامل شخصيتها ، لان المرجع فى هذا التكامل هو سلوكها هى لا سلوك الاخرين .

وهذه هى صورة امينة التى تلح على الكاتب كل ما صور ، اما بداءة ، فالام فى السمان والخريف لا تختلف فى كثير من امينة . والقدرة على التكيف والحاسة العملية ، والامتداد بالذات هى الملامح المميزة لشخصية الام فى السمان والخريف والام فى بداية ونهاية هى مزيج من امينة ، ومن ابنتها خديجة التى تتميز بقوة الشخصية ، بل لعلها امينة وقد انتزعت من الاطار الزمانى والاقتصادى ، وكتب عليها ان تدخل معركة خاسرة مع العوز والحاجة لحماية اسرتها من السقوط . والام فى خان الخليلى هى مزيج من امينة وابنتها عائشة ، الغندورة المحبة للطرب والسمر والمتعة . وان غلبت امينة على هذا المزيج . فالام فى خان الخليلى تخسر كما تخسر عائشة معركتها ضد الموت ، وتفقد مثلما تفقد امينة ابنها الشاب ، وتصمد مثلما لا تصمد عائشة لهذا الفقد . اما مايشكل جوهر امينة المرأة فسنلتقى به مجسما فى كثير من شخصيات نجيب محفوظ النسائية ، شبيهات كن على المستوى السطحى ام نقائض .

والثلاثية تبدأ وتنتهى بامينة كما سبق ، وان قلت ، غير ان امينة لا تنفرد فى الثلاثية بالبدايات والنهايات . وكل من الجزئين الثانى والثالث فى الثلاثية ينتهى بدورة الموت والميلاد معلنة تجدد الحياة . والاطار الفلسفى المادى الاستاتيكى الحتمى حتمية القدر يدفعنا الى التساؤل : من الذى ينتهى ومن الذى يبدأ ؟ من الذى يموت ومن ذا الذى يولد ؟ وعلى اى صورة تتجدد الحياة ؟ ولكن نفس الاطار الفلسفى يهيب بنا ان نتحفظ ما امكن التحفظ ونحن نثير هذا السؤال . فالكاتب يعمل فى ذات الوقت فى اطار الفلسفة المثالية التى تفترض وحدة الوجود كامتداد للحقيقة الكلية ، وتفترض بالتالى ان الحق والباطل ، الخير والشر ، الرذيلة والفضيلة وجهان لنفس العملة . ومن ثم فنحن نملك ان نتساءل على اى صورة تتجدد الحياة فى الثلاثية ، وان كنا لا نملك ان ندرج هذه الصورة فى مساحة سوداء او بيضاء ، فلا ابيض ولا اسود حيث تتصالح النقائض وتصبح واحدا .

تنتهى قصر الشوق او الجزء الثانى من الثلاثية وعائلة عائشة التى وهبت نفسها للسعادة الحقيقية ، والمتعة الصافية البريئة الحلوة قد اوشكت على الانتهاء . فخليل شوكت الشاب وطفلاه يحتضرون ، وزنوبة العوادة تضع طفلتها الاولى كريمة . والطفلة التى تولد نسب عريض فى العربدة والبهيمية يستمد اهميته من الاهمية التى يعلقها الكاتب على القوانين الطبيعية والاجتماعية ، وعلى ثبات هذه القوانين ثباتا غير قابل للتغيير . وقد نختلف مع الكاتب فى ثبات هذه القوانين ، وفى اهمية قوانين الوراثة التى يعلق عليها اهمية كبرى ، غير ان اختلافنا هذا لا يعفينا من أخذها فى الاعتبار فى سياقها من المنطق الروائى . وام كريمة ، او الطفلة التى تولد والجزء الثانى من الثلاثية يؤذن بالانتهاء هى زنوبة العوادة ، بنت أخت زبيدة العالمة وسلطانة الطرب سابقا ومدمنة الكوكايين والحطام الانسانى لحظة ميلاد كريمة . وأبو الطفلة التى تولد هو ياسين الداعر الابدى والبهيمى السلوك سرا وعلنا . وجدة الطفلة للاب هى هنية المزواجة التى تستخدم ابنها ، طفلا ، ومسيطا بينها وبين عشاقها . أما جد الطفلة فهو السيد احمد عبد الجواد ، الاله فى البيت ، والنديم المهذب مع الاصدقاء ، والداعر مع العوالم والمومسات ، والعاكف على النساء والشراب ليلا ، ومقيم الصلاة نهارا : ويثور السؤال : هل نقائض امينة هم الذين يرثون الارض ؟ ويعمق من اهمية اثارة السؤال ، ان وفاة سعد زغلول زعيم الامة ومحط آمالها اذ ذاك ، يتواءم وموت عائلة عائشة ، ومولد الطفلة كريمة . غير ان شيئا ما فى نسب كريمة يلزمنا بالتحفظ ونحن نسأل هذا السؤال . فكريمة تنحدر من صلب السيد أحمد عبد الجواد مثلما ينحدر ابناء واحفاد امينة . وتأتى نهاية الجزء الثالث للثلاثية اولا ، واعمال نجيب محفوظ التالية ثانيا ، لتؤكد الاهمية القصوى لهذا التحفظ . فالسكرية تنهى الثلاثية بدورة الموت والميلاد ، وكريمة هى التى تلد ، والطفل الذى تلده لا ينحدر من صلب السيد فحسب ، بل من صلب أمينة ذاتها هذه المرة . فزوج كريمة هو عبد المنعم شوكت الاخ المسلم حفيد امينة ، وابن بنتها البكر خديجة . والنقائض تلتقى اخيرا وتنصهر فى واحد .

وتنتهى الثلاثية ونحن على مشارف اولاد حارتنا اولا ، ثم الطريق ثانيا والاولى تعليق على الخليقة ، والثانية تعليق على حياة نتلقاها فاقدة للمعنى . ويبرز التصالح ما بين الخلفية الفلسفية المادية والخلفية الفلسفية المثالية المبنية على وحدة الوجود فكريا ودراميا . ففى اولاد حارتنا يولد الكل بتراث ثقيل من الجريمة لابد له فيه . فالكل ينحدر

من هذه الدائرة بنت ادريس الشرير المتجبر ، ومن قدرى القاتل ، ابن ادهم الخير الحالم ، والكل يدفع ثمن جريمة لم يرتكبها ، بل ارتكبها ادريس الشرير وادهم الخير حين تمردا على أبيهما الجبلاوى . والكل بباطله وحقه ، بخيره وشره ، ينحدر من صلب الجبلاوى الذى يملك الخلاص ولا يمنحه . وفى **الطريق** تحل المفارقة بين النقائض ، أو أشباه النقائض الى أقصاها كما يتطلب الاطار الرمزى ، لتتجلى هذه المفارقة عن حقيقة أن النقائض اشباه . وان الحق قد اقام باطلا ببعض صفاته ، وان الله يرى كل الاشياء جميلة . سواء اعتبرها الناس خطأ أم صوابا . فالرحيمى ، **الاب** ، والخلاص ، والقيمة والخلق والنماء ليس نقيضا **للام** بسيمة عمران القوادة القاتلة ، كما توهمنا ، ففيه من خصالها الكثير ، وكريمة التى هى امتداد للام وللجريمة والدعارة والسحبة البهيمية الفطرية ليست نقيضة الالهام التى هى امتداد الاب ولكل ما هو بناء وجميل ومعطاء فى الحياة ، كما تصورنا ، ففى كريمة التى تقود صابر الى الجريمة ثم المشنقة بعض من مزايا الهام ، بل من مزايا الأب .

وفى ظل تصور فلسفى هذا شأنه تكتسب الشخصيات نسائية كانت أم من الرجال تقييما غير التقييم الاخلاقى المتعارف عليه والدارج . ففى ظل الحتمية الاستاتيكية يصبح السقوط سواء بالنسبة للرجال أو النساء ، أيا كان نوع هذا السقوط ، قدرا لافكاك منه ، اما بحكم قانون الوراثة او بحكم الحاجة المادية ، أو كليهما بل بتطور الامر فى المرحلة الرمزية ، فيولد الانسان بتراث ثقيل من الجريمة ، ويتوائم مجرد الوجود مع امكانيات السقوط . وفى ظل هذا التصور تنتفى المسئولية الانسانية وبصبح الساقط أو الساقطة ، أيا كانت نوعية السقوط ، ضحية ، وتتحول النقائض الى اشباه ، ويسهل تبادل المواقع ، وتكتسب الفضيلة والرذيلة معان غير تلك التى تتعارف عليها التقاليد ، وتصبح الاصالة والزيف هما المعياران اللذين يقيم بهما الكاتب المرأة ، بغيا كانت ام زوجة وأما . والاصالة ليست حكرا على ما تواضع المجتمع على تسميتهن بالفاضلات ، ولا الزيف أيضا حكر على الساقطات .

وكل امرأة أصيلة فى أدب نجيب محفوظ فيها صفة او اكثر من صفات أمينة .

وعملية تبادل المواقع فى ظل التصور الفلسفى لوحدة الوجود تتم فى العالم الروائى لنجيب محفوظ على المستوى الواقعى والمستوى النفسى فى **الثلاثية** وغير **الثلاثية** من الروايات . ففى **الثلاثية** تنتقل زنوبة العوادة من فئة الساقطات الى فئة الفاضلات وتتمتع بميزتين من ميزات أمينة ، وهما القدرة على التكيف والولاء . وتنحدر كل من هنية أم ياسين، وسميرة الجارة الجميلة ، وأم مريم الى



فئة الساقطات . وفى **السمان والخريف** تنتقل ريرى من فئة الساقطات الى فئة الفاضلات حين تتزوج تاجر المخدرات الذى يتبنى ابنتها من عيسى الدباغ ، بينما تنحدر نفيسة الى فئة الساقطات فى **بداية ونهاية** تحت ضغط الحاجة الجنسية والحاجة المادية معا .

وتبادل المواقع على المستوى النفسى أوقع فى روايات نجيب محفوظ ، اذ يستمد من خلال التناقض دلالات فنية أضخم . فالزوجة فى **اللص والكلاب** هى التى تخون ، ونور المومس هى التى تشكل وجه الخلاص الوحيد المفتوح لسعيد مهران ، والزوجة فى **اللص والكلاب** فيها ذلك اللون من الزيف الذى يسم الكثير من الشخصيات النسائية فى أدب نجيب محفوظ ، ونور فيها من أمينة تلك القدرة الهائلة على الحب التى تمنح دون انتظار مقابل ، وتلك القدرة الجبارة على تقبل المحبوب ايا كانت جرائمه . ولما كان السقوط لا يرتبط بالضرورة بالجنس عند نجيب محفوظ ، فنحن نجد عملية تبادل المواقع تتخذ ابعادا اوسع واعمق والمفارقة لا تجرى بالضرورة بين امرأتين ، بل تتسع لتستوعب شخوص الرواية جميعا . ففى **السمان والخريف** تبدو ريرى المومس اكثر شخصيات الرواية أصالة . وتتضاءل الى جانبها سلوى الارستقراطية خطيبة عيسى الاولى ، التى تدبر عنه بمجرد أن يدبر الزمن وتتزوج حسن ابن عمه الذى يقبل عليه الزمن . كما تتضاءل الى جانب ريرى قدرية زوجة عيسى الدباغ وامها اللتان يخططا لاصطياد عيسى زوجا ، وللابقاء عليه . والمفارقة الحقيقية فى الرواية هى المفارقة بين عيسى وريرى ، فعيسى الوفدى السابق ، والموظف البارز فى عهد الوفد ، يحمل بذور السقوط ، وريرى المومس تحمل بذور السمو . وعيسى السياسى البارز فى عهده يسقط حين ينحرف عن مبادئه مستغلا هذه المبادىء فى جمع الرشوة ، وهو يسقط حين يتخلى عن ريرى بنذالة بعد ان انتفخ بطنها ، وهو يسقط حين يتزوج بلا حب ، بامرأة لمجرد انها غنية . اما ريرى فتحتفظ بتلك النواة الصلبة التى تشكل احترام الذات وتعين أمينة على الاستمرار فحين يلفظ عيسى ريرى بعد ان يحملها طفلا ، لا تحاول قط ان تلاحقه ، وحين تلقاه صدفة وينكر معرفتها تتقبل انكاره فى هدوء . وتلتقى ريرى بتاجر مخدرات يحبها ويتزوجها ويمنح ابنتها اسمه ، ويقبض على الرجل ، وتقوم ريرى بعمله ، وتظل مخلصة فى انتظاره . وحين يعود عيسى ، ويتعرف فى الابنة الصغيرة على ابنته ، ويحاول بكل الوسائل اقناع ريرى بالانفصال عن زوجها الغائب والزواج منه ، تلفظ فى اشمئزاز مروع ، وازدراء لا حدود له كل هذه المحاولات . ان ريرى ، وقد ارتفع عنها عبء الحاجة الاقتصادية الذى اوقعها فى البغاء ، تسترد كل مقومات اصالتها الانسانية ، وترى فى دعوة عيسى دعوة الى خيانة انسانيتها واحترامها لذاتها . ان ريرى لا تعرف شيئا فى السياسة ، كما يكتشف عيسى اول ما يعرفها ولكنها تعرف ما لا يعرف ، احترام الذات والولاء ولاء كاملا لكل ما تدين به هذه الذات ولكل من يحترم هذه الذات . وفى هذا الصدد لا تقبل ريرى ، كما تقبل عيسى ولم يزل المساومة . وريرى ترتبط فى الاطار الروائى بكل ما يشكل لعيسى القدرة على التجدد والخلاص والخلق والامتداد والبدء . ولكنها تستعصى على عيسى لان رصيده فى المساومة والتنازل عما يدين به عقليا ووجدانيا رصيد ضخم . ولا أظن ان بى حاجة الى القول أن قدرة ريرى على التكيف والولاء لهذه النواة الصلبة التى تشكل احترام الانسان لذاته هى بعض صفات أمينة .

وفى **الشحاذ** تتمتع الزوجة بالتكامل الذى يحرم منه الزوج وتقف على طرف النقيض منه فى مفارقة حادة . وبينما ينحدر عمر الحمزاوى الى الجنون ، محاولة فاشلة لتلمس المعنى فى الحب أولا وفى الجنس ثانيا وفى التصوف ثالثا ، تنجب الزوجة مولودها الثالث وتلتحق بالعمل وتزوج ابنتها الكبرى التى تنجب بدورها مولودها الاول . وتنتظر الزوجة فى اخلاص ، وتتقبل عودة الغائب . وقد اختارت الزوجة الحب دينا ولم تحد عن دينها ابدا . وليس هذا القول مجازا بل فعلا . فقد تخلت عن دينها واهلها لتتزوج الرجل الذى احبت الى النهاية ، زوجا محبا وأبا عطوفا ورجلا عاكفا من معاشرتها ، هاجرا للبيت ، متنقلا من حضن الى حضن ، ومنتهيا الى حالة الجنون فى كوخ مهجور ، فى رحلة البحث من معنى الحياة .

والمعنى الذى يستعصى على الزوج تملكه الزوجة بلا ادنى عناء . فالمعنى يكمن للزوجة فى الحب حتى وان خاب ، وفى الزوج حتى وان خان ، وفى الاولاد والعمل . والزوج يسقط فى **الشحاذ** لانه تخلى عن المبادىء التى تبناها عن اقتناع فى مقتبل حياته ، ايثارا للسلامة . والزوجة لا تسقط لانها لم تحد قط عن الحب او عن الدين الذى اختارته عن اقتناع .

والكاتب يقف موقف الحسد والاستهانة فى ذات الوقت من جهل المرأة بالملتقات

أو تجاهلها لهذه المطلقات وفي قدرتها على المصالحة بين المتناقضات والتوصل الى معنى الحياة في الحب والزواج والانجاب ، او حتى في مجرد رحلة الحياة ذاتها . والكاتب يحسد المرأة لانها تهتم مثلما يهتم بالقضايا الفلسفية كما هي الله ومعنى الموت والوجود ويستنفد بها في ذات الوقت لانها لا تتطاول الى المجردات وتكتفي بالمحسوسات ، ولا تتجاوز الخاص الى العام . ولا يتوقف عن التساؤل كيف يتأتى للمرأة ان تصالح بين الواقع والمثال ، بين الارض والسماء ، وكيف تتوصل لمعنى في خضم هذا البحر الزاخر من المتناقضات التي تعز على التصالح . وما اكثر ان نواجه بهذا المنظر الاثير عند نجيب محفوظ وخاصة في رواياته الاولى : رجل يسائل امرأة في لحظة صفاء عن مطلق من المطلقات ليكشف عن جهل المرأة بهذه المطلقات ، ورجل يتسائل امرأة عن مدى دينها ليكشف التناقض الذي ينطوي عليه موقفها ، ولا تستشعره هي في ذات الوقت .. وفي الشحاذ يسأل عمر الحمزاوي الزوج وردة العشيقة عن هدفها من الحياة ، فتجيب بلا تردد ان الحب هو هدفها من الحياة ، وتؤكد تدينها ردا على سؤاله ، وحين يسألها عن ماهية الله تهز كتفها مستبعدة لهذا السؤال الذي لا جدوى من سؤاله . وفي السمان والخريف يسأل عيسى الدباغ زوجته كما يسأل عشيقته ريري عن الوطن وعن الاستقلال وعن الله ايضا ، وفي الثلاثية يسأل كمال البغي التي يشبع عندها حاجته عن الله ايضا . وتتكرر الاسئلة والاجابات عن نفس النمط بحيث يعز حصرها . والكاتب اذ يسبغ على أمينة الام في الثلاثية جوهر الاصالة في كل من هو اصيل في رواياته ، رجلا كان أو امرأة ، يعزو اليها متناقضات كمال الابن . فالام هي الرقة الجاهلة بينما الاب هو الفظاظة الكاملة .

والمرأة المتعلمة تدخل ادب نجيب محفوظ في مرحلة مبكرة ، فنحن نلتقي بها بداية من القاهرة الجديدة كتلميذة في المدرسة او طالبة في معهد عال او مدرسة ، ولكنها لا تختلف في كثير من غيرها من النساء المفتقدات للتصميم لا في الجوهر ولا حتى في السلوك الخارجي . ان فرص الخروج التي تتيحها الدراسة أو العمل تكاد تشكل المبرر الوحيد لاختيار الكاتب للفتاة الدارسة او العاملة كشخصية من شخصيات رواياته .

وتبدأ المرأة العاملة في اكتساب بعض المقومات التي تنفرد بها بداية من الثلاثية حيث نلتقي بأنماط من النساء العاملات تنطوي على تغير مظهري احيانا ، وتغير جوهري احيانا اخرى . ويبدو التغير المظهري ممثلا في كل من عايدة شديد وعلوية صبري . فعايدة شديد حبيبة كمال الارستقراطية المولد الفرنسية الثقافة تضرب بالتقاليد المتبعة في هذا الزمن عرض الحائط ، مخالطة للرجال ، سافرة للنفس ، وطارقة للمواضيع التي لا يطرقها عادة سوى الرجال . وهي اذ تفعل هذا تكشف عن نمط سلوكي جديد في هذا العصر . أما علوية صبري الطالبة الجامعية التي تنتمي الى جيل لاحق لجيل عايدة فهي اكثر تحفظا ربما لانها تنتمي الى البورجوازية الوسطى ، ومع ذلك فهي ترسي نمطا جديدا في السلوك حين تقبل على الحديث مع زملائها الطلبة بلا حرج ، وتتبادل معهم المذكرات وتسهم في المناقشات . ومن حيث المظهر الخارجي تقدم الفتاتان الجديد في النمط السلوكي ، اما من حيث الجوهر فسلوك كل منهما لا يختلف بحال عن سلوك فتاة تفتقد الاصالة من فتيات البورجوازية الصغيرة . وعايدة شديد تخطط للزواج بقرينها في الارستقراطية حسن سليم . وتتودد الى كمال الذي لا تحمل له الا الزراية لكي تدفع العريس المنشود الى اتخاذ قرار بالزواج منها . وعلوية صبري تخطط للزواج ، كما يخطط الانسان لعمل او صفقة وتصارح أحمد شوكت بان الاتفاق قد تم بينها وبين عائلتها على مواصفات الزوج المطلوب ، على الا يقل دخله عن خمسين جنيها على اقل تقدير . والتخطيط في مجالات العلاقات الانسانية التي ينبغي ان تقوم على الحب والاقتناع ، يفقد الفتاتين الاصالة ، ويدرجهن في مجال الزيف الذي ينعيه الكاتب على المرأة أيا كان الاطار الاجتماعي الذي تتحرك فيه ، وأيا كان قدر التعليم الذي تلقته سيدة فاضلة كانت أم بغيا . ففي الثلاثية تتحول زنوبة العوادة الى سيدة فاضلة ، وان كانت تفتقد الاصالة وتتميز بالزيف . فالعقل لا القلب هو الذي يحركها في مجال العلاقات الانسانية . والتخطيط والحساب هو رائدها لا الحب ، والكذب هو سلاحها ، فزنوبة تخطط لكي تصبح رفيقة للسيد ، وتخطط لكي تصبح زوجة لياسين مرتقية بذلك السلم الاجتماعي . وعملية التخطيط هذه عملية تجارية قبيحة تصم زنوبة العوادة كما تصم سلوى الارستقراطية في السمان والخريف . فسلوى تتخلى عن خطيبها عيسى الدباغ الوفدي عقب ثورة ١٩٥٢ وتتزوج ابن عمها حسن . وهي تدبر عن ذلك الذي أدبر عنه الزمن وتقبل على ذلك الذي أقبل عليه الزمن . وفي هذا الصدد لا تختلف سلوى في كثير عن زوجة سعيد مهران في اللص والكلاب ، التي ترتبط بالزواج بمجرد ان يلقى بالزوج في السجن . ويكتسب هذا الزيف ابعادا ضخمة في معظم روايات نجيب محفوظ حيث غالبها ما يتعامل مع البورجوازية الصغيرة والوسطى التي تعتبر الزواج بمثابة شهادة تأمين او استثمار ، وتدرج الزيجات في سجل الارباح التجارية ، وتخطط وتعاين وتزن وتتنازل عن المطلوب لتفوز بالممكن وهي في صدد تزويج بناتها وابنائها . ويمتد هذا الزيف فيبدو في ميزان الانسان بمقياس مايملك لا بماهيته الانسانية ، وفي التنازل من المبادىء الاخلاقية والمعتقدات ومن المسلمات الانسانية كالحب في سبيل تدعيم الوضع المادي والاجتماعي او في محاولة مستميتة للابقاء عليه . ونساء هذه الطبقة لا ينقصن دربة عن الاهل فهن ابناء الطبقة بجدارة ، وفي خان الخليلي تطمع نوال في الزواج من احمد عاكف وتخطط لاصطياده ، وتنفيذه حين يظهر في المجال اخوه الذي يصغره سنا ويفوقه جاها . وتقع نوال في حب رشدي عاكف ، وحين ينتهي الامر بموت المحبوب تتجاوز فيما تتجاوز الحب والمنشود الى الممكن في حومة التوصل الى الهدف وتبدأ من جديد في محاولة اصطياد احمد عاكف زوجا . والامثلة التي تمثل هذا الزيف سواء من جانب نساء هذه الطبقة أم رجالها امثلة تضج بها صفحات روايات نجيب محفوظ .

أما النمط الثاني للمرأة المتعلمة الذي يتبدى أول ما يتبدى في الثلاثية ، فهو نمط يمس الجوهر والسلوك الخارجي معا . ونحن اذ نلتقي بسوسن حماد نلتقي بأول فتاة في ادب نجيب محفوظ تتجاوز الخاص الى العام ، وتكرس حياتها لقضية الوطن والطبقات الكادحة . وهي بذلك تخرج من الاطار الذي انحبست فيه المرأة اذ ذاك . مثبتة أن المرأة تستطيع ان تهتم بما هو خارج عنها ، وان لم يشكل هذا الاهتمام اهتماما بماهية الكون فهو قطعا يشكل اهتماما بماهية المجتمع .

وستبرز المرأة المتعلمة بشكل اوضح في كتابات التي تصور الفترة التالية للثورة . وستلعب هذه المرأة دورا رئيسيا وايجابيا في تحريك الحدث احيانا ، وستصبح ندا للرجل تبتلى بمثل ما يبتلى به من أحداث عامة ، وتغييرات ضخمة وعاصفة . وستضفي رؤية الكاتب للحقيقة على المرأة المتعلمة عامة وعلى المرأة على اطلاقها مقومات تختلف في الفترة السابقة على هزيمة ١٩٦٧ اختلافا بينا عن تلك التي تضفيها عليها في الفترة اللاحقة للهزيمة . ففي الثورة الروائية التي تبدأ باللص والكلاب وتنتهي بميرامار [١٩٦٧] تبدو الاشياء وكأنها مازالت تحتفظ بشيء من الثبات والتوازن ، بالرغم من التغيير المؤلم الذي طرأ عليها . ولكن ما نكاد نبلغ الحب تحت المطر ١٩٧٣ والكرنك [١٩٧٤] حتى يزول الثبات والتوازن ، وتكاد العاصفة تقتلع الجميع . ففي ثرثرة فوق النيل [١٩٦٦] نرى الوانا من اللامبالاة والانتهازية ، وانعدام القيم الاخلاقية ممثلة في مجموعة من الرجال والنساء المنحلين والمنحلات . فنحن نلتقي بسناء الفتاة الجامعية التي تشق من طريق الجنس طريقها الى السينما ، وبليلى زيدان الموظفة بوزارة الخارجية ، و « الرائدة الزائفة » التي لا تمارس الجنس الا عن رغبة ، وبسنية كامل التي تتخذ لها عشيقا ، او زوجا احتياطيا في الوقت الذي تنصب فيه على زوجها . ولكننا نلتقي ايضا بسمارة بهجت لتذكرنا ان الجو ما زال نقيا خارج

العوامة » وان سكان العوام لا يشكلون المثقفين ، بل فئة من المثقفين . وسمارة بهجت خريجة كلية الاداب ، وصحفية اشتراكية وجادة ، وقد دخلت العوامة لتدرس سكانها كظاهرة تصلح للعلاج المسرحى ، وهى تبحث جادة عن دافع مقنع يتأتى معه تحويل هؤلاء اللامبالين الى مبالين والسلبيين الى ايجابيين ولو على نطاق العلاج المسرحى . ويجلى الحدث عن انقلاب درامى ، كما ينجلى وعادة فى روايات نجيب محفوظ ، وللحظة قصيدة تتبادل سمارة بهجت الجادة المواقع مع انيس المسطول الابدى ، فيصمم هو على الابلاغ عن القروى الذى قتلته سيارة المسطولين ، وترجع هى عن تصميمها ، ربما نزولا عن ارادة المجموعة ، وربما خوفا من الفضيحة ، وربما اشفاقا على رجب الممثل المشهور الذى كان يقود السيارة ، والذى تميل اليه سمارة بهجت رغم ادراكها لحقيقته . ويموت جانبا هاما من سمارة بهجت حين تقرر عدم التبليغ عن الجريمة ، ولكنها لا تموت كلية ، فهى قد نجحت من حيث لا تدرى فى هدم هذا الركن الركين من اللامبالاة ولو الى حين حين اوقعت الشجار بين افراده . وسمارة بهجت تعى انها تنازلت عن شىء مبدئى ، وهى قادرة على رد دوافع انهزامها الى جذورها الطبقية كفتاة من الطبقة البورجوازية ، وهى تعرف انها تمثل الجدية اكثر مما هى جادة حقا لانها تنتمى الى طبقة فى طريقها الى الهبوط ، وان عليها ان تنتزع بفكرها وارادتها من هذه الطبقة لتتجاوز اسباب هذا الانهزام . وتنتهى **الثرثرة** وسمارة بهجت عازمة ولم تزل على هذا التجاوز. وهى آملة فعلا فى هذا التجاوز ، ربما لان فتاة اسمها سوسن حماد من الطبقة العاملة حققت هذا الهدف فى **الثلاثية** ، ولان فتاة اخرى اسمها زهرة سوف تحقق هذا الهدف فى **ميرامار** وكلتاهما تنتميان الى طبقة صاعدة ، الاولى الى طبقة العمال ، والثانية الى طبقة الفلاحين . وزهرة الخادمة الريفية التى بدأ اثناء الحدث فى تلقى دروس القراءة والكتابة هى الوحيدة التى تمر بمرحلة التطهير بسلام فى جحيم **ميرامار** فالكل يسقط او يبقى حبيسا للماضى وزهرة تتجاوز الحاضر الى المستقبل لا لانها تنتمى لطبقة صاعدة فحسب ، بل لان الكاتب يحاول أن يضفى عليها طابعا رمزيا ، كمصر. وسواء تقبلنا هذا الرمز او لم نتقبله ، تبقى الحقيقة ، حقيقة اننا نخرج بمرأة صلبة اصيلة لم يشبها شائب من **ميرامار** ، كما خرجنا من **الثرثرة** بسمارة بهجت ، وما لا يقتلها بقولها .

وأود ان اوضح ، وانا بمعرض الحديث عن التطورات التى تطرأ على المرأة المتعلمة فى **الحب تحت المطر** [١٩٧٣] وفى الكرنك [١٩٧٤] ، انى لست بمعرض تقييم هاتين الروايتين، اذ لم تتح لى دراستهما الدراسة التى يتأتى معها التقييم السليم ، ومن ثم تندرج كل اشارة فنية فى هذا السياق فى دائرة الانطباع لا دائرة التقييم . وفى **الكرنك** ، نلتقى بسمارة بهجت ، وقد تسمت باسم زينب دياب ، وقد انتسبت لطبقة صاعدة تمنت سمارة بهجت ان تنتسب اليها وهى طبقة العمال ، ونرى زينب دياب وقد تجاوزت كل ما لم تستطع سمارة بهجت أن تتجاوزه ، فهى جادة فعلا وليست مدعية للجدية ، وهى اشتراكية بحكم انتمائها الطبقى وبحكم اخلاصها لثورة ١٩٥٢ ، وهى بنت هذه الثورة والمكافحة من اجل مبادئها ومثلها العليا العامة منها والخاصة ، الاجتماعية منها والدينية . ولكن زينب دياب تلقى على يد هذه الثورة مصيرا فاجعا ، يعمق من فداحته المستوى الرمزى الذى تكتسبه فى ظل البناء الروائى . ففى عالم قهوة الكرنك التى تحكمه قرنفله مثيلة **زهرة** فى **ميرامار** ، وعم عبده فى العوامة تموت زينب دياب ، وحبيبها اسماعيل الشيخ ابناء الثورة موتا معنويا، ويموت حلمى حمادة الشيوعى الذى احبته قرنفلة موتا ماديا فى غرفة التعذيب فى السجن. ويحل محل الثلاثة فى قهوة الكرنك وفى قلب قرنفلة منير احمد الذى يهذى بالمذهب لا بالعقل ، وبالفردية لا بالجماعية . والذى انبعث على حد قول الراوى كنور باهر من ظلام شامل ليزيح جيلا شاهقا. ومنير احمد والامر كذلك بديل، ولا بديل من ماتوا معنويا وماديا ، فهو يمثل تجدد الحياة ، وان لم يمثل امتدادا لماضى . وكل هذه العوامل تكسب كلا من زينب دياب ، واسماعيل الشيخ ابعادا رمزية . فزينب ليست بنتا من بنات الثورة بل بنت الثوره وما ينطبق عليها ينطبق على اسماعيل ، وما ينسحب على مصيرهما ينسحب على جيل باكمله. ولو سقط الاطار الرمزى لتناولنا مصير زينب كتعليق على جانب من الحقيقة لا كل الحقيقة . فأجهزة الثورة وادواتها من سجون وتعذيب وارهاب تهدر عرض زينب دياب ماديا ومعنويا مطيحة بعذريتها وببراءتها ومحولة اياها الى جاسوسة تؤدى معلوماتها الى مقتل حلمى حماده الشيوعى فى غرفة التعذيب ، ثم الى مومس تلتمس فى البغاء لونا من الوان تعذيب الذات تكفيرا عن السقوط .

وتقضى الثورة على اسماعيل الشيخ ابنها بسقوط مماثل ، ومع السقوط يموت الحب ، ويتحول الاحياء الى أموات يدبون على أقدام . والحقيقة أرحب وأوسع وأنمى وأكثر تعقيدا مما تطل علينا من هذه الرواية .

وزينب دياب واسماعيل الشيخ وحلمى حمادة أحياء الان بيننا يعمرون ويبنون ويشقون الطريق الى مستقبل يتجاوز سلبيات الماضى ويغتنى بايجابيات الحاضر .

وفى رواية **الحب تحت المطر** تلتقى بشخصيات نسائية هى فى الغالب من خريجات الجامعة تنتمى الى أصول طبقية مختلفة ، ومن بين خريجات الجامعة سنية أنور وعليات عبده ومنى زهران ، وتنتمى الاخيرة الى الطبقة الوسطى ، ولا تعرف الى اية طبقة تنتمى فتنة نادر ممثلة السينما ، أما سمراء وجدى المتقدمة فى السن فهى من أصل ارستقراطى . ولا يمتد اهتمام أى من النساء فى هذه الروايه الى قضية عامه . والحدث ينتهى بقبول مصر لمبادرة روجرز . وما بين البداية والنهاية يصاب المقاتل ابراهيم ابن عم عبده بدران العامل بأحد المقاهى بالعمى اثر اشتباك مسلح ، وتصمم خطيبته سنية أنور على الزواج منه ، منتقلة بذلك من موقع البغى الى موقع الاصالة الكاملة . **ولكن ما من دافع قوى يبرر ماضى سنية ويبرر بالتالى حاضرها ، سقوطها وسموها . فسنية موظفة بالاصلاح الزراعى ، وطالبة جامعية سابقة . وهى ابنة عامل ، وقد يشكل هذا الوضع حاجة مادية ، ولكنها حاجة لا تدفع للارتماء فى البغاء — فلو كانت سنية على هذا القدر من الاصالة لاختارت لنفسها فى أى مرحلة من مراحل التعليم عملا ترتزق منه بدلا من الاضطرار للانحراف . ولو كان التطلع الطبقى ، لا الضرورة المادية القصوى هى سبب انحرافها لما انطوت شخصيتها على التكامل الذى يتيح لها الزواج برجل فقد بصره والاخلاص لهذا الرجل حتى النهاية . وما ينطبق على سنيه ينطبق على عليات بنت عبده بدران ، وأخت ابراهيم بدران المقاتل . وعلى بقية الشخصيات . فحيث ينتفى المبرر القهرى للسقوط ، يصبح التغير مستحيلا ، وبالتالى عملية تبادل المواقع التى تتم بنجاح فى غير هذه الرواية من الروايات عملية غير مقنعة على الاطلاق . ان تحول ريرى مقنع فى السمان والخريف ،** فعملية احتراق البغاء عملية قهرية مملاة عليها بحكم وضعها ومن ثم فهى لا تنال من أصالتها التى تتبدى حين تنزاح الحاجة . ولكن شيئاً ما يدفع النساء والرجال الى السقوط فى هذه الرواية ، لا نعرف ماهية على الاطلاق ، فليس عنصر الحاجة بعنصر ملح ، ولا عنصر الوراثة ، وربما يكون المبرر الوحيد لهذا السقوط فى انهزام القيم الاخلاقية القديمة دون أن تحل محلها قيم جديدة . وعلى كل فالجو مشبع بتلوث مميت ، لا تنجو منه شخصية من الشخصيات فى فترة من الفترات . ويعلق حسنى حجازى المصور السينمائى على كلمة مومس قائلا : لم يعد لهذه الكلمة معنى .. ويعنى أن الكل قد أصبحن مومسات . ويصح التعليق ، ولكن فى اطار هذه الرواية فحسب .

هذا الفنان وعالمه



● **الفنان سعد عبد الوهاب [٤٧ سنة] ـ القليوبية**

الانسان عنده يعطى معنى السمو .. وله نسب ومقاييس خاصة .. والطائر يؤكد فكرة الحرية.. والعناصر التى يستمدها من الواقع لم تكن صورا مكررة لها .. بل هى ترجمة لافعال الطبيعة التى تصبح أساس العملية الابداعية فتتجه الى الانفعالات وتؤثر فيها .. والوجود بمعناه المثالى هو عالم الفنان سعد عبد الوهاب.. فتخاطب أعماله العقل من حيث بناء الصورة وتحليلات الفورم ... كما تخاطب العاطفة عندما يحس المتذوق المعانى التى تحملها عناصر لوحاته ... ومفهوم الجمال عنده هو مجموع العلاقات والالوان التى تحدث عملية التفاعل داخل اطار اللوحة لتؤثر بشكل ايجابى على المتذوق ... والمرحلة السابقة كان فيها متأثرا بالمدرسة التكعيبية ... وهناك علاقة وطيدة بين أعماله فى التصوير الزيتى وبين رسومه التى تنشر فى الصحف حيث يتبع نفس المنهج ونفس المعالجة ... كما أننا نرى فى أعمال الحفر التى أبدعها فى الفترة الاخيرة تأثيرات الفن القبطى وهى بالضرورة تأثيرات مثالية أيضا ...

وبهذا المفهوم السريع لعالم الفنان سعد عبد الوهاب يمكن اعتباره فنانا واقعيا ذا نزعة مثالية.

س.ت

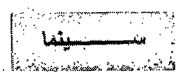


رسم فى مجلة الكاتب [١٩٧٢]



بورترية [١٩٥٨]

رسم فى جريدة المساء [١٩٧٤]



زائـــر الفجـــر

صـــدمة الـوعى .. تشـــتد

● الجمعة ٥ يونيو ١٩٧٠

هو اليوم الذى اختاره مؤلفا الفيلم للابلاغ فيه عن مقتل الصحفية الشـابة « **نادية الشريف** » . وهى الشخصية المحورية التى تدور من حـولها الاحـداث والافـكار والمواقف منذ لحظة الابلاغ وحتى نزول العنوان الاخير يحفظ قضـيتها . وهى أيضا الشخصية التى سيمكننا من خلالها — أو بسببها — أن نتابع رحلة المحقق الشاب مع ذكريات وشهادات جيرانها أو الذين يحملوا معها أو عندها ... وهى ذكريات تمس المـاضى والحاضر وتشكل ملامح جزئية من الصورة العامة لمجتمع كامل . وهى فى **النهاية رحلة عبر مستنقعات الفساد العام الذى صنع هزيمة الخامس من يونيو ١٩٦٧** » .

وتبدأ الرحلة منذ الابلاغ عن مصرع نادية الشريف ومحـاولة رجال العدالة اكتشاف الجانى المجهول من خلال بناء بوليسى الطابع يبدأ من الجثة ذاتها — وهى التى يحسم تقرير الطبيب الشرعى منذ البداية التساؤلات حول احتمالات اعتبار الوفاة جنائية حين يقرر أنهـا جاءت نتيجة لهبوط فى القلب — وتتسع حلقاته تدريجيا مع اجراء المحقق على الظن بجنائية الوفاة لكى تمس كل حلقة منها شخصية مختلفة . هناك الدكتور فريد زوجها السابق الذى يعطى صورة لعلاقتهما التى بدأت منذ ما يزيد عـن ١٥ عاما ، وهناك الجيران الذين يدينونها أخلاقيا « كل ليلة والتـانية تلم شـوية نسوان وشوية رجالة ويقلوا أدبهم ! » ثم عبده الطباخ الذى يدافع فى حرارة عنها ثم ما يلبث أن يضيف فى مرارة مؤكدة : « هوه البنى آدم لمايكون نضيف محتاج يثبت نضافته فى الزمن ده !! » وأخيرا هناك المحقق نفسه الذى يربط طوال الفيلم بين شهادات هؤلاء وشهادات نانا تاجرة منازل اللهو الحر [!] وسماد ابنة أختها التى رفضت ممارسة الدعارة فى شركة خالتها وسامح الرسام وآخر اصدقائها .. **وبقدر ماتتسـع دوائر البناء بقدر ما تمس وتضم وتحيط بنماذج وظواهر وأوضاع مـن صميم مجتمعنا فى سنوات النكسة . غير أن دائرة المحقق — الذى صار يعرف الان الكثير عن نادية وعن عالمها — فهى تنفتح لكيلا تغلق أبدا . ويظل التساؤل معلقا فوق رأسه .: من قتل نادية الشريف ؟**

ورغم أن الفيلم يجيب فى وضوح بأن أحدا لم يقتلها بل مثلها « جميع » غاسد الا انه فى الوقت الذى تحفظ فيه قضية نادية الشريف يفتح فيه ملف قضية أخرى: الاوضاع التى قتلت واعتقلت أكثر مـن نادية شريف .

● هى .. التى يجب ان تموت

فى رواية جورج أورويل سنة ١٩٨٤ يتحدث البطل « ونستون » الذى يحيا — أو يستمر حيا — فى ظل حكومة غربية دكتاتوريه رجعية علمية من نوع خاص — يتحدث من خط معلق على الرؤوس يظل معلقا أبدا لكيلا يهوى الا على رؤوس « **المتكلمين** » ... انه خط نمعى مستمر زئبقى لا يملك المرء أمامه الا ان يعاشر الخوف المادى والمعنوى دون أن يدرى لذلك سببا ... وهـو يحادث « أوبريان » صديقه الجديد الغامض عما يجول فى نفسه من أحاسيس تجاه هذه الحكومة ... ويرد عليه « أوبريان » هازا رأسه : **سوف نلتقى فى المـكان الذى لا يوجد فيه ظلام .**

ويلتقيان بالفعل ، وفى المكان الذى لا يوجد فيه ظلام ، بل الذى أعدم فيه الظلام كله . و « نستون » فى قاعـة

فسيحة مقتولة بالبياض . انها حجرة تعذيب بالضوء الباهر الاسطورى .

وتقضى نادية الشريف لحظات حياتها الاخيرة داخل غرفتها البيضاء أيضـا مشلولة فى انتظار زائر الفجر المجهول الملامح .. لقد وضعت في غرفة التعذيب تلك منذ ما يزيد من ١٥ عاما عندمازارت مستشفى أم المصريين ووجدت المرضى الفقراء الذين يعشش فى عيونهم الذباب يتصارعون من أجل زجاجه دواء منوهم فقالت للدكتور فريد : « معاملة غير انسانية يا دكتور » . بل انها ذاقت الطعم الخاص لزنازين الاعتقال قبيـل قيام الثورة بأشهر قلائل عقب حريق القاهرة ، ثم بعد ذلك بستة عشر عاما [١٩٦٨] عقب مظاهرات فبراير ...
انها اذن قد قبلت طريق الثورة رغـم علمها بفداحة الثمن . بيد أن الفيـلم فى مجموعه لا يسعى الى تحديد نـوع انتماء نادية السياسى ، فهو يقدمها فى دوائر مختلفة تكون فى شـكلها العام صورة « للثورى فى حالة حركة فىمجتمع له ظروف معينة » . فهى وطنية تلقائية [تصطدم بمخبر يقـوم بضرب بعض الاطفال الفقراء امام باب مسجد السيدة زينب حيث كان يقـوم سـائح أجبى بتصويرهم ... فبعد أن تنزع الفيلم من الكاميرا تتشاجر مع المخبر الذى يتهمها باعاقته عـن أداء عمله الرسمى ...
ويروى عبده الطباخ عن هذا فيقول : « كانوا عاوزين يدخـلوا الموضوع فى السياسة عشان يودوها فى داهية ! »]
وهى وطنية انسـانية [تصـطدم فى المستشفى بصور لم تكن لترد لها على ذاكرة قط وتعـترض على النظام الذى يريده الدكتور بعد أن تعترض علىمعاملة المرضى بهذا الشكل . يقول الدكتور فى تبريره : « المرضى جهـلة مايعرفوش النظام والممرضين أجهل ! » وتحكى له نادية قصة : « زمان كان الملك فـؤاد يذهب الى المنيا كل سنة ومعه مطرب أو مطربة ويقيم المادب للفلاحين ... وكل واحد يدور علىحتة لحمة والعساكر يضربوهم عشان يحافظوا على النظام.. تمام زى النظام اللى أنت عاوزه ! »]
وهى وطنية ثورية [منشورات ١٩٥٢ ومظاهرات ١٩٦٨] وأخلاقية ايضـا [رفضها القاطع تأييد نانا فى دفـع سعاد الى الدعارة] ... وهى فى النهاية مزيج متداخل من هذا كله .

ومن هذه الجزئيات يمكننا ان نحـدد ملامحها أكثر وأكثر .. ان نادية الشريف مدفوعة بحماسها الوطنى والسياسى الى التفكير فى الحلول الجزئية والمعالجات العاجلة مما يدفعها الى حد التورط فى مشاكل عديدة . ويبدو أن فكرها لميصل الى مرحلة أكثر تنظيما — وربما كان العذر هو ظروف الفترة ذاتها — ولهذا كان من السهل على هذا النموذج ان يقع تحت سيطرة « المستمر القمعى » وان يهدده ترقب حلول زائر الفجر المجهول ... ونحن ندرك أيضا أن نادية الشريف تتميز منذ عام ١٩٥٢ بوعى ثورى مبدئى وهى تعى فى عام ١٩٥٥ خطوات النمو الحثيث لفرسـان « الطبقة الجـديدة » المستفيدة من كل الاوضاع بحكم المهـنة والعلاقات المتشعبة . تقـول للدكتور فريد زوجها السابق ورمز الانتهـازية الجديدة : « مش خايف على الكرسى » . فيرد مبررا كل شىء : « أنا ان كانعلى مش عاوز أقعد فى البلد دى . »

غير أن الذى لم نستطع تفسيره تماما هو مهادنتها للطبيب الانتهازى وزواجها منه طوال هذه الفترة . هليمكن تفسيره على أنه نوع من التصالح قبلت به نادية خاصة أنها كفت عن الكتابة بعد الزواج، أم يمكن تفسيره بالرجـوع الى كونها بورجوازية ثورية تحارب من خلال وضعها الطبقى — الذى يجعلها تدهش فى عام ١٩٥٢ من وجود بشر أحيـاء يسكنون المقابر — والذى يبدو مؤكدا فى مشاهد منزل الزوجية ونوعيه المدعوين لقضـاء السهرات عندها ... أم يرجـع الى وجود تناقض أصيل فى فكرها يصيبها بالارتباك عند انتقالها الى اوضاع طبقية أعلى ... على اية حال فان التناقض الرئيسى مع الزوج يتفجر بعـد النكسة لكى تعود نادية الى عالمها الحق او هذا ما تؤكده المناظر والاضاءة فى شـقتها الخاصه بعد الانفصال وكذلك نوعيـة أصدقائها .

قال عنها مدير التحرير : « اللى زيها عمره قصير فى البلد دى حقيقى ..
فى هذه العبارة يتجسم معنى العجز المبدئى الذى يحكم سلفا على الثورى بالعمر القصير وهو لم يكن يبدأ وهـو مستمر قمعى آخر يعجل بالموت « كانت دايما بتقول أنها خايفة ... مرات تقول من السجن .. ومرات تقول من الموت.. ... « فيه ناس كانوا بييجوا يراقبوها ويسألوا عنها من وراها ... »

ولم يحدث من خلال مسيرتها ان انتصرت سوى انتصار واحد : الاستمرار فواقعة المنشورات ١٩٥٢ تودى بهـا الى السجن الذى تحمل له أسوأ الذكريات وواقعة مخبر السيدة تؤدى الى تجديد وضعها فى القائمة السوداء ومظاهرات ١٩٦٨ تودى بها الى السجن مرة أخرى ... وتصف لنا اللحظات الاخيرة مـن حياتها اجتماع الخوف الخاص مع الخوف العام على قتلها : « ما بيصحوش الا فى الفجر .. دايما يقبضوا على الناس فى الفجر .. » وهى تصرخ باكيه قبـل ان تموت : أنا مش خايفة من الموت يا سعاد ... أنا بس خايفة ييجى بدرى قبل ما أشوف اللى نفسى فيـه ... يا خسارتك يا مصر ... مصر اتظلمت يا سعاد » .

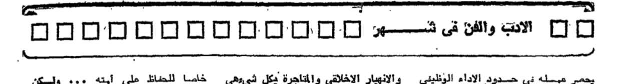
وفى هذه العـبارة أقصى تصعيد للقضية التى حاربت وقتلت من اجلها نادية الشريف .

●

● هو .. الذى يجب أن يهدد

كان حسـن الوكيل يأخذ حمامه الناعم المعتاد حين تلقى نبأ تليفونيا بترقيتـه الجديدة من معاون نيابة الى وكيل نيابة تشاركه الفرحة بالخبر السعيد زوجتـه الجميلة . يظـل الوكيل على سعادته كموظف ناجح الى ان تقتحم حياته قضية انيط به التحقيقفيها وهى مصرعالصحفية نادية الشريف . كان حسن يعلم ان نادية تكتب مقالات « تودى السجن » ولكن الامر لم يكن يتعدى كونه شيئا « خارجا عنه » . وباعتباره ممثلا للسلطه فهو آمن الى ابعد الحدود من تأثير المستمر القمعى الذى يرى ويلمس تأثيره الفعال على الاخرين ... واذا كان الفيـلم قد جعل من نادية الشريف شخصية لهـا مقومات البطل التراجيدى فهو يجعـل من المحقق تدريجيا — ومن خلال نمـو وتداخل خطوط الاحداث التى يصـنعها الشهود والجناة معا وهى جزئيات تكون صورة عامة — شخصية بطولية تبحث عن مخرج لمأساتها الخاصة من خـلال المأساة الشاملة .

وفى اعتقادى أن أبرز ايجابيـات الفيلم تتركز حول خلق وتطوير صراع هذه الشخصية الذى يبدأ على السطح ثم ما يلبث ان « يتورط » مع اتضاح الصورة الكلية شيئا فشيئا . وهنا تصبح ازمة المحقق ازمة محورية لانه هو الوحيد الذى تتجمع لديه كافة التفاصيل ولانه يحمل فىأعماقه بذور نقاء ودأب انسانى ووطنى مخلص . ونحن لا يمكن أن نعتبره مواطنا عاديا بحال ولكنه يبدو لنا — كى نتعاطف معه — وكأنه يدرك الامور بطريقة المواطن العادى ... فهو يردد كالمأخوذ : « دلوقت بس عرفت احنا ليه اتهزمنا فى ٦٧ » مع أنه بحـكم عمله تتوافر لديه المعلومات الخفية التى لا يعرفهـا الا زملاءه فقـط — وهـو يحـاول — كرجـل مسـالم — أن



يحصر عمله في حدود الاداء الوظيفي « المجرد » المتقن والذي يضع القضيه ـ أو يحصرها ـ على الصعيد البوليسي فحسب .. وهو أداء تتحكم فيه معايير أخلاقية بحتة تتعلق بشرف المهنة وكفاءة الاداء ... غير أن الواقع « الضخم » **كان أكبر منه ويصيبه بهزيمة مروعة ولكنها تسهم في تنوير عاله وخلق منحنى جديد لشخصيته يجعله ينتقل باهتماماته من الخاص الى العام دفعة واحدة .** لقد **أضيء النور في وجهه مباشرة** بعد أن تبض البوليس على نانا التي يكتشف من ملفها ممارستها الدعارة السرية وتهريب العملة وادارة الاماكن المشبوهة والاتصال بالجهات الاجنبية ... ولكن نانا التي تربطها باللواء رأفت بيه أحمد علاقات وثيقة والتي تجعل من « ضمرها محمي .. محمي اوى الظاهر » تفلت تماما رغم ادانتها . ويتصل به اللواء المجهول لكي يأمره بحفظ القضية وينهي انذاره الصاعق : « **غلطة زي دي ممكن تهدد في مستقبلك** » . وهنا تماما يكف حسن الوكيل عن أن يكون موظفا نشيطا وينشط أكثر وبحماس ذاتي في الكشف عن حقائق الوضع الاخرى . ولكنها نقطة تطهيره حينما يتساءل في مرارة قاتلة : « **بالذمة لو حد ديكومطرجي يعمل ايه .. يضحك ... والا يلطم .. والا ينتحر أحسن !** » وعندما يكرر مساعده : « **القانون بيحمي اللي فوق بس** » ينفجر المحقق الماجز : « **غلط ... غلط ... غلط .. !** » ويصل الى حد الشعور بالعبث بالواقع عندما يعلق لزوجته على مشروعات المستقبل : « **احنا نفتح محل لحمة راس أحسن . يا ريتني حفظت القضية واستريحت** » .

وهكذا . ينبهنا الفيلم بذكاء الى انه لا أحد يمكنه أن يكون بمأمن من تأثير المستمر القمعي مادام موجودا .

وبقى أمام حسن الوكيل أن يختار بين الصمت والوعي . والفيلم لا يقطع باختياره ولكن سؤاله لسعاد ـ آخر من كان برفقة نادية قبيل موتها في نهاية الفيلم تعليقا أو عبارة تأملية أكثر منها سؤالا : « **وليه مابلغتيش البوليس** » . فترد عليه سعاد : « **ومين المجرم اللي أبلغ عنه** » . ويسود صمت ثقيل بينما سرح الاثنان ومعهما الرسام سامح في شباب القاهرة الكبير قبل أن ينزل العنوان الاخير الذي يفيد بأن القضية قد حفظت في العاشر من يونيو ١٩٧٠ .

● الاخرون

لا يلزم لتكوين المستمر القمعي وجود سلطة قهرية علوية فحسب ولكن الانهيارية والانهيار الاخلاقي والمتاجرة بكل شيء هي بلا شك عوامل تكثيف من تأثير سلطة القمع العلوي بقمع سفلي متكرر ويومي « يقصر عمر » الثواب . ولهذا كان هناك الدكتور فريد زوج نادية قبل طلاقهما . نهو يفهم قواعد اللعبة جيدا وكيفية استثمار الاوضاع لصالحه . ففي عام ١٩٥٥ كان يقـول لنادية الشريف : « مستعد أكلمك عن السرقة والاهمال والروتين والاستهانة بالمرضى الفقراء ... عشان المريض يدخل المستشفى تبقى مشكلة ... وعشان يخرج منها حاجة أصعب حتى لو كان ميت ... بس الرقابة تسمح لك في الجورنال بنشر الكلام ده ؟ » وهو يبدي رغبته في الهجرة ومع ذلك يحبذ البقاء لان الاوضاع تتيح له الاستغلال والقفز الى أعلا وهو ما يصل اليه بالفعل . ولهذا فهو يرفض الاستمرار مع ناديه بحجة أنه « مالوش في السياسة » أو بالصاق تهم اخلاقيه بها . وهو يتحالف مع نانا في عمليات الاجهاض ، وينضم في النهاية الى مجتمع « الطبقة الجديدة » .

وهناك أيضا « نانا » وهي أكثر صراحة من فريد لانها ترتبط « مباشرة » بأحد ممثلي السلطة والطبقة الجديدة معا وهو الذي يستطيع دائما أن يوفر لها غطاء مأمونا تعمل في ظله « بحرية » الى درجة أنها تصرخ في وجه ضابط البوليس الذي اقتحم فيلتها :

« هية دي الحرية اللي بتقولوا عليها ؟! » ومن خلال محل الكوافير تستطيع أن تدير محل دعارتها وهي ما تفتأ تردد للمحقق ترغيبا وترهيبا : « ضروري تعرف اللواء رأفت أحمد » .

ولكن المأساة تزورها هي أيضا عندما تكتشف أن ابنتها الصغيرة قد أصيبت بنزيف مفاجيء نتيجة خطأ في عملية اجهاض لها . انها أيضا لا تسلم من وهج النار . أما **اللواء « رأفت أحمد »** الذي لا نراه أبدا فهو موجود طوال الوقت من خلف الاحداث وهو يمثل ـ بطريق مباشر وغير مباشر ـ أحد العناصر الرئيسية في تكوين المستمر القمعي الذي هدد حسن الوكيل وقتل نادية الشريف .

● زائر الفجر

قال ممدوح شكري مخرج الفيلم ذات مرة : « ما أردت أن أقوله ... « **الانسان عندما يوضع في البؤرة ... وتصبح حريته محاصرة حصارا قاتلا .** » ... وان كانت بطلة الفيلم قد ماتت جسديا ، فان الموت النفسي الذي يسبق ذلك أفظع وأقسى ودلالته أقوى ... وإني أعتقد ان كل مجتمع يضع نظاما خاصا للحفاظ على أمنه ... **ولكن عندما تكون المجتمعات في مرحلة التطور فان ذلك النظام قد يسيء استغلال حرية الفرد** ... وانه مما يثير الدهشة ـ وهذا ما ينطبق في الغالب على كثير من مجتمعات العالم ـ **ان المثاليين وأصحاب النفوس الابية يعانون من الحصار أكثر من غيرهم** .. ربما لانهم اقوياء .. ربما لانهم يكرهون الظلم ويحسون به أكثر من غيرهم ... انهم يسعون الى الرفض واتخاذ المواقف بشكل سريع وحاكم .. وهذا ما يجعلهم في الغالب عرضة للاصطدام .. والفيلم كأحداث بشكل عام يطرح فترة طويلة من حياتنا للنقاش ... **أو هو نوع من النقد الذاتي يمارسه الفيلم بالنسبة لتجربتنا الثورية بما فيها من ايجابيات وسلبيات** .. وهو ربما يصنع مقارنة بين بطلة الفيلم من ناحية وبين ما حولها من ناحية أخرى ، من حديث له مع سامي السلاموني ـ نشرة نادي سينما القاهرة ٣١ـ١ـ١٩٧٣]

وهذا يعني أن ممدوح شكري كان قد استوعب فكريا ـ وفنيا أيضا ـ تجربة فشل فيلميه الروائيين السابقين « **الوادي الاصفر** » [١٩٦٩] و « **أوهام الحب** » [١٩٧٠] اللذين يدوران حول موضوعات عامة ومجردة . **كما تبرز عبارته تلك احساسا ناضجا ـ أكده « زائر الفجر » ـ بالسينما السياسية بقدر ما تسمح به ظروف التجربة المصرية في السينما والسياسة معا .** وقد اختار ممدوح مع **رفيق الصبان** الشكل البوليسي لبناء الفيلم ولكن هذا لا يعيب الفيلم ولا يؤخذ كتملة لاتجاهه تجاريا وهو على العكس يلائم جو الرهبة والغموض والترقب المناسب لزائر الفجر الدامي . وكان فريق العاملين في الفيلم كله داعيا بتلك الاهداف . مدير التصوير **رمسيس مرزوق** ومهندس المناظر **نهاد بهجت** والموسيقار **ابراهيم حجاج** والمونتير **احمد متولي** ثم ممثلة الموقف **ماجدة الخطيب** التي نرجو أن تمكنها ظروف السينما المصرية من الاستمرار ممثلة ذات موقف وكذلك **عزت العلايلي** الذي يسهم بنصيب وافر بأدائه المتقن وملامحه الشديدة المصرية في عديد من الافلام المصرية الجادة في الاعوام الاخيرة .

كان المخرج **الكوبي س. الفاريز** يغضب كلما خرج الجمهور من مشاهدة فيلم له وأفلامه كالصواعق ـ لكي يتوجه الى منزله كالمعتاد . قد يغضب الجمهور وقد يبكي ، ولكنه يمضي الى منزله في النهاية . وفي ظني أن « **زائر الفجر** » لو لم يكن قد حذفت منه مشاهد

وعبارات بالغة الاهمية بالاضافة الى عرضه فى وقته لكان قد حقق ما هو أكثر من انفعال الجماهير التى تقبل على مشاهدته .

ولست أريد أن يجرنا هذا الى الحديث عن **دور الرقابة فى مصر** وما جنته على الفيلم والجماهير التى وجه اليها الفيلم أصلا حين تحذف مشهد الفقراء فى المستشفى مثلا وكأنه غير موجود أو عبارة مثل سؤال المحقق لجار نادية الشريف : « وليه ما اتكلمتش من الاول» فيرد الجار : « أصل الجبن سيد الاخلاق يا بيه » ... وعبارات ولقطات أخرى أفاض غيرى فى الحديث عنها ... ولا أريد أيضا أن أناقش عبارة لمسئول الرقابة مثل : « نادية الشريف لم تكن صورة مشرفة للصحفية المصرية فهى امرأة مشبوهة لها علاقات مختلفة سواء مع رئيس التحرير أو مع الرسام أو مع جارها الطالب الذى يسكن فى الشقة المجاورة لها ... » [**وهى نفس أحكام وعبارات د.فريد ومديولى جارالقتيلة!!**]

... لا أعتقد أن المجال يتسع هنا لمثل هذه المناقشة مع افتراض وجود أرضية مشتركة أصلا ... ولكن لابد من سؤال واحد : **ما هى الحدود الفاصلة بين رأى الرقيب وحكمه الشخصى أيا كان منصبه الرقابى وبين الحدود العامة التى اقرتها مواثيق الثورة جميعها** . ان الدكتور فريد يقول لنادية : « وهية الرقابة فى الجورنال هاتسمح لك بنشر الكلام ده ؟ ويبدو أن الرقابة تؤيد الدكتور فريد فى شكه هذا لان المنع ثم العرض فى التوقيت الميت - أى منعه و « **العصفور** » و « **التلاقى** » لعرضها فى مناخ مختلف من الوقت الذى أنتجت فيه هذه الافلام مما يمكنها من الاختصار ديمقراطيا [!] لان القضايا التى تثيرها تبدوكأنها قد حلت اليوم.أن هذا الموقف كله يسحب البساط من تحت أقدام السينما المصرية الجادة .

ولكن « **زائر الفجر** » رغم ذلك يدعو الى ألا يكون المتفرج « **جبانا أو خائنا** » على حد تعبير **فرانز فانون** . ولهذا فهو يقف اليوم فى طليعة الافلام المصرية التقدمية ... **وهى أفلام نريدها حتى لا تعود المستورات القمعية الى الظهور مرة أخرى وحتى تشتد صدمة الوعى بفن ممتع وثورى يعبر عن احتياج أصيل وملح فى بلادنا . وحينئذ سوف يكسب السينمائيون الجادون الحرب على جبهات ثلاث** : تقدم الفن السينمائى ذاته ، **وامكانية توصيل ما ينادون به من أفكار وقيم ، ثم تحقيق الانفضاض التدريجى من حول « حلقة الحاوى » السينمائية .. ولا شك انه طريق وعر طويل ولكنه بدأ « بالمومياء » مثلما بدأ « باغنية على الممر » و « الظلال فى الجانب الاخر » و « العصفور » ، و « التلاقى » و « زائر الفجر » .**

الفاروق عبد العزيز

أسبوع الفيلم اليوغسلافى

هل يصلح الشباب أخطاء « القطط السمان » ؟

الفكرة المسبقة عن السينما اليوغسلافية تقول بانها تتشابه مع ما نعرفه من مواصفات سينما البلاد الاشتراكية : الثقة بامكانيات الانسان ، وبقدرته على تجاوز ازماته الخاصة ، لتلتقى ارادته فى النهاية مع ارادات الاخرين ، فى اتجاه بناء عالم جديد .. التغنى بانجازات الحاضر ، والامال الكبيرة فى المستقبل .. التأكيد على قيم العمل والتضحية وحب الاخرين وانكار الذات ، عن طريق عرض سير نماذج من ملايين المجهولين ، الذين راهنوا بحياتهم ، ضد الظلم الداخلى والغزو الخارجى ، فى سبيل بناء مجتمع عادل وحر .

الحياة بالحب .. لا تكفى !

لكن اسبوع الفيلم اليوغسلافى يحطم ، الى حد كبير ، فكرتنا المسبقة عن السينما اليوغسلافية ، فاذا استبعدنا فيلمى الاطفال « **الذئب الوحيد** » و « **مغامرة طفل** » ، واذا وضعنا فى الاعتبار ان فيلمى « **كيف نموت** » و « **وولتر يدافع عن سارايفو** » يعتمدان - بحكم موضوعيهما وفترتهما التاريخية - على مرحلة النضال العظيم الذى خاضته الشعوب اليوغسلافية ، خلال الحرب العالمية الثانية ، سنجد اننا امام ثلاثة افلام تعبر عن يوغسلافيا الحاضر ، اجتماعيا وفكريا ونفسيا ، « **الحياة بالحب** » و « **فى انتظار ليو** » الذى عرض تحت اسم « فرحة الحياة » و « **ستحل علينا اللعنة يا ايرينا** » الذى عرض تحت اسم « **العاطفة المحرمة** » ، وهى افلام تفاجئنا بما بها من قتامة وسأم واحباط وسوء ظن ، سواء فى المجتمع او الانسان ، وتتراوح بين النقد المر لسلبيات الواقع ، وتكاد تقترب من اليأس .

الحياة بالحب .. وهم عابث

يفتتح « كريشسو جوليك » فيلمه بمشاهد رقيقة لحب صادق بين طالب وطالبة ، يعيشان فى ظروف مالية صعبة . وتروى صاحبة السكن الذى تشغل الطالبة احدى حجراته قصة فيلم ميلودرامى جعلها تبكى كثيرا : فتى يحب فتاة ، وعندما يقف المجتمع ضد زواجهما تمرض الفتاة وتموت ، ويبكى الفتى طويلا

فوق فراشها .. وعلى طول « الحياة بالحب » يقدم « كريشو جوليك » رؤيته الواقعية لنفس القصة .

ويكتسب الفيلم اهميته من خلال القصص الفرعية ، والمشاهد العامة ، والشخصيات الثانوية ، وجمل الحوار العابرة .. فمن خلال هذه العناصر يقوم الفيلم بمحاولة جريئة لرصد ظواهر مجتمع تتحلل فيه القيم الاشتراكية لتحل محلها قيم مجتمع استهلاكى ..وانعكاس هذا التحلل على علاقة الحبيبين .

يبحث الفتى عن عمل ، لكنه يكتشف ان المرء بلا وساطة لا يمكن ان يعمل .. ولان حب الشابين لبعضهما قوى وصادق ، فانه يصمد للتجارب الاولى فيتزوجان .. وتبحث الفتاة بدورها عن عمل . وتضطر للسفر الى قرية صغيرة حيث تشتغل مدرسة بأجر محدود ، تدخر منه جزءا كبيرا ، ترسله لزوجها .

عندما تذهب الفتاة الى القرية ،لاتجد مكانا تسكنه ، ومن تتابع المشاهد تعرف ، ونعرف معها ، ان احد كبار المسئولين عن القرية ، الذى يحاول ابتزازها واقامة علاقة معها ، تشيد فندقا كبيرا ، فى محاولة لجذب السياح، وتسأله احدى المسنات فى لقاء عابر ، وبطريقة ذات مغزى ، عن حصة الاسمنت التى كان يجب أن توزع على القرية كلها .

توفق الفتاة فى العثور على حجرة فى شقة اسرة طيبة ؟ ومن خلال الحديث بينها وبين ربة البيت ، التى تعيش شيخوختها قبل الاوان ، تعرف انزوجها ذهب ليعمل فى المانيا ، فهناك فرصة العمل اكبر ، والمال اوفر ، وامكانية شراء ثلاجة وتليفزيون وعربة وملابس فاخرة وغسالة متوفرة .. وبالفعل نشاهد عودة الزوج المنهك ، الذى قضى سنوات طويلة بعيدا عن اطفاله وزوجته وبيته ووطنه ، ليشترى بعرقه وغربته وأجمل سنوات حياته اجهزة يحلم بالربح من بيع بعضها والاستمتاع بالبعض الاخر . ويقضى مع اسرته ليلة دافئة قبل ان يذهب الى المدينة لشراء « ايريال» للتليفزيون ، وعند عودته من المدينة فى المساء ، تنقلب عربته وتفيض روحه .. فهو لا يجيد القيادة ، والطرق المؤدية للقرية غير معبدة .. و .. الاضاءة فيها منعدمة .

وفى الجانب الاخر ، جانب الزوج ، الذى طالعنا فى البداية محبا ،نقيا ، رقيقا ، نشاهد الفساد يتسلل الى روحه ، خاصة عندما يرى مظاهر الثراء تحيط به بينما هو ينتظر النقود القليلة التى ترسلها له زوجته .. ويتقابل مع فتاة كان يحبها فى يوم ما ، تزوجت من أستاذ جامعى قضى سنوات طويلة فى اوروبا الغربية ليعود بعدها بمال وعربة وملابس فاخرة، وبرغم الشيخوخة التى بدأت تدب فى كيانه فانه يشترى زوجة شابة ،وبدورها تشترى الشاب الذى طالعنا فى البداية محبا ، نقيا ، رقيقا .

وتعلم المدرسة حقيقة الامر ، وبلا دموع ، او ندم ، أو كذب ، يتم اللقاء بينها وبين زوجها .. وفى مشهد خال من الانفعال يتم الطلاق بينهما حيث يبدأ كل منهما مواجهة حياته الخاصة ، بعد ان يكتشفا انه ليس بالحب وحده يحيا الانسان ، فالمجتمع السوى ، العادل ، شرط جوهرى لوجود ونماء الحب .

و « الحياة بالحب » ، من الناحية الفنية ، بالغ البساطة ، لكنها بساطة غنية بالدلالات ، نابعة من الوضوح الفكرى لدى المخرج ، الذى قام بكتابة السيناريو ، ووضع فى اعتباره الا يكون الاهتمام بقصة الحب على حساب صورة المجتمع ، لذلك فان كل جملة تتمتع بمعنى اجتماعى ، ولكل شخصية دلالة طبقية ، ومجموعة « الفلاش باك » ليست مناطق اخبارية أو مواقف ذاتية بقدر ما هى تأملات فى الواقع ، الامر الذى لا يستثير عواطف المتفرج من اجل تحلل قصة الحب ــ على طريقة الفيلم الميلودرامى الذى تحكيه صاحبة البيت ــ بقدر ما يحرك عقل المتفرج ضد مجتمع تتراجع فيه الاخلاقيات الاشتراكية امام قيم مجتمع استهلاكى لا يرحم .

« فى انتظار ليو » .. الخطر

يقدم المخرج « بوشستاين هلاديك » فيلمه القاتم « فى انتظار ليو » ـــ الذى قدم تحت اسم « فرحة الحياة ! ـــ بأسلوب يختلف تماما عن أسلوب «كريشو جوليك » الواقعى ، المحايد ، الذى يهتم بتقديم رؤية موضوعية للمجتمع بقيمه ، وشخصياته ، وحواره ، وان كان يتفق معه فى الهدف النهائى ، وهو تحذير مجتمع يسير بسرعة نحو خطر مدمر .

يقدم « فى انتظار ليو » الواقع من خلال وجهة نظر بطله « ليو » ، المهندس الشاب ، الذى يرى مبانى مدينته بطريقة أدق وأوضح من الاخرين ، وهو يطالعنا على طول الفيلم ممسكا بميزان لقياس درجة انضباط المنشآت ، يتأمل من خلاله الاعمدة والجدران والسقوف ، ويقول ان زوايا بناء الاعمدة خاطئة ، وان الجدران مائلة ، والسقوف اثقل مما يجب ، وان كل شىء حتما سينهار .

والفيلم ، وهو يقدم الحياة من وجهة نظر بطله ، يعتمد على المشاهد التخيلية احيانا ، ويتعمد للتجديد ، ويلجأ الى الرموز تارة ، والى جو الاحلام تارة أخرى .

ومنذ بداية الفيلم ، يبدو « ليو » رافضا وساخرا من اسلوب مدينته فى الحياة ، فالشقة التى يسكنها خالية تماما من الاثاث ، فيما عدا بعض الكتب ، وعلاقاته بالاخرين مضطربة ، غير واضحة المعالم ، وهو يرتبط بثلاثة وجوه ، ممرضة مطلقة يقيم معها علاقة جنسية بغير حب ، وفتاة صغيرة منطلقة يحبها ويرفض الارتباط بها .. واسد يتمنى ان يعيش معه فى شقة واحدة !

وتنتهى علاقته بالممرضة عندما تهاجر الى المانيا « هكذا » حيث فرصة العمل اكبر والمال اوفر ..وتنتهى علاقته بالفتاة المنطلقة عندما تحاول ان تقترن به فتحضر لشقته الخاوية ثلاجة وسريرا ومنضدة وكراسى .. وينتهى الفيلم بظلام كثيف يملأ الشاشة ، ثم لقطة كبيرة لانياب مقززة تمزق وتنهش قطعة ضخمة من اللحم .. وتتراجع الكاميرا ليظهر الاسد فى شقة « ليو » الخاوية ، ويتوقف الاسد لحظة لينظر الى الكاميرا ، ثم يواصل غرز انيابه فى قطعة اللحم ، ويعود الظلام الكثيف ليغرق الشاشة مرة اخرى !

وقد يكون فى « فرحة الحياة » أو فى «انتظار ليو » بطئا واضحا فى الايقاع، يصل احيانا الى حد الاملال ، وقد نأخذ عليه بعض التزيد والتطويل ، وربما يصدمنا بخلوه من المواقف الكوميدية ـــ على الرغم من انه قدم لنا على انه كوميديا ـــ لكنه ينجح ، من خلال تركيبه القائم على التخيل والتجريد والرمز والواقع ، فى تفجير مجموعة تساؤلات داخل ذهن المتفرج ، تمتزج مع بعضها لتاخذ فى النهاية مغزى محددا .. فازاء هذا الفيلم من المنطقى ان يتساءل المرء : ما هى طبيعة المجتمع الذى يفرز هذا النموذج الرافض ؟ وما هى مسألة الدم الذى يسحب منه بانتظام ! .أهو مريض حقا ، ام ان هذا السلوك مفروض عليه ؟ .. وعندما يقف بطلنا فوق احدى السقالات ويقترب منه رجل ممسك بخوذة محطمة ليخطره بانها كل ما تبقى من عامل انهار فوقه احد الاعمدة ،لابد وان يتساءل المتفرج عن طبيعة هذا الموقف ومعناه ، أهو تخيلى ام واقعى ؟ والاجابة عموما لها مغزى تلميحى واحد ، يلتقى بدلالة المشهد الافتتاحى الذى يقف فيه «ليو» فوق احدى البنايات ، بينما تقترب منه ابرة ضخمة جدا لتسحب مايقال بانه دم زائد .

« العاطفة المحرمة » ..وفكرة اللعنة

يقدم « كول انجليوفسكى » تحفة سينمائية ، تعد درسا فى التمكن الموهوب



«ستحل علينا اللعنة يا ايرنيا» .. لماذا؟!

من اللغة السينمائية ، ذلك انه ينسج فيلمه بمهارة شديدة ، فهو يحول ، بقدرة خلاقة ، كافة عناصر الواقع الى ايحاءات فنية ، فالليل والغابة والغيوم الكثيفة والمياه المحاصرة والطاحونة العاطلة يعبر بها عن الرغبات المكبوتة ، التى تتحين فرصة الانطلاق .. ويعبر بالمطر والمياه المنطلقة وظهور الشمس ودوران الطاحونة عن الشبق المرتوى والغريزة المتحققة .. والفيلم متماسك الى الدرجة التى لا تحس فيها بقطعات أو نقلات ، كما لو كان مصورا دفعة واحدة ، فى نفس واحد .. وعلى طريقة الاساطير تحس بان الاشجار والمياه والتلال البعيدة والغيوم كائنات حية ، لها ارواح متقلبة ، تحزن وتفرح وتغضب وتنذر ، ويأتى التمثيل البديع لكمل هذه التحفة الفنية .. لكن السؤال الذى يطرح نفسه هو : عما يعبر « ستحل علينا اللعنة يا ايرينا » ، وماذا يقول ، وفى اى اتجاه يسير ؟

ان الفيلم يبلغ فى قسوته حد الوحشية ، وهو من الناحية الفكرية ، يختلف جذريا عن « الحياة بالحب » و « فى انتظار ليو » ، فالفيلمان الاخيران يتضمنان نقدا لمجتمع لا يحقق لافراده السعادة والحب والعدل ، واذا كان « ليو » متجهما وسوداويا اكثر من « الحياة بالحب » ، فان النقد فى النهاية ، مهما كان مريرا ، يحمل نوعا من الامل فى الاصلاح والتجاوز والمستقبل ، الامر الذى لا وجود له فى « ستحل اللعنة » ، ذلك ان « ايرينا » يعود الى الماضى البعيد ليجلب تلك الفكرة البائسة واليائسة ، التى تجاوزتها البشرية ، فكرة « اللعنة » .

يبدأ الفيلم بحكمة صينية قديمة ، لا اعتقد ان لها وجودا فى صين اليوم ، يكتبها المخرج بعرض الشاشة ، تقول « من اعماق سارينيا .. وفى جزرنا الوهمية .. تتساوى الالام والاحزان » .. وتتوالى المشاهد لنتبين ان الابن الذى تزوج حديثا ، يذهب الى الجيش ، تاركا زوجته فى رعاية والده ، فى كوخ يكاد يكون معزولا عن العالم .. وعلى نحو قدرى ، تتحرك غريزة كل منهما فى اتجاه الاخر . وعلى طريقة الكورس ، او هتاف الالهة ، او تيريزياس ، فى التراجيديا اليونانية ، يظهر « ميديش » بهيأته الغريبة ليعلن الاب بان بيته سيهدم ويتحطم ، وان حيواناته ستموت ، وسيعيش وحيدا شريدا .

وبالفعل تتحقق النبوءة ، فسرعان ما يتم فعل الجنس بين الزوجة والاب .. وسرعان ما يعود الابن الغائب .. وسرعان ما يشاهد الحقيقة الفاجعة كاملة . . وعندما يطالب الزوجة ، بعد مشهد عاصف — صادقا او ساخرا أو بائسا ، لا أحد يعلم ، بان يعيش ثلاثتهم تحت نفس السقف ، وان يكون جسدها مباحا لكليهما ، تنتقل الكاميرا للاب المحطم خارج الكوخ .. وعندما يعم الصمت والسكون ينظر داخل المسكن حيث يقدم لنا الفيلم لقطة دامية للابن مشجوج الرأس ، والى جانبه بلطة قاسية .. وبينما تقف « ايرينا » مذهولة ، وحيدة ، متحجرة النظرات ، يسير الاب مهزوما ، متهالكا ، عبر اشجار الغابة ليضيع بين فروعها ، ولا يبقى فى الكادر الثابت سوى الافق الرمادى ، وسحب داكنة ، وفراغ موحش ، ويرتفع صوت آلة « كلارنيت » وحيدة لتملأ الفراغ بصدى صوتها الحزين المقبض .

والان ، ما الذى جعل فنان السينما الشاب « كول انجليوفسكى » يعود بتحفته الجميلة الى الماضى ، او بتعبير ادق ، يجلب من مخلفات الماضى افكار اللعنة والخطيئة والقدر ، ما الذى جعله يستعير العديد من عناصر الاسطورة والتراجيديا الاغريقية ، ولماذا ينظر الى الانسان كدمية مسلوبة الارادة ، بل ويدفع بطله الهالك الى لعن الحياة ، فى أحد مشاهد الذروة ، وهو يقطع احدى الاشجار ، مرددا فكرة ان الحياة ليست سوى ميلاد وموت وميلاد وموت وميلاد وموت ، متجاهلا فى هذا كل ما يمكن ان ينجزه الانسان فيما بين الولادة والموت ، وهى الفكرة التى يقول عنها « ارنست فيشر » انها تتردد كنوع من الهروب العدمى ازاء تناقضات مجتمع لا يريد الفنان ان يتعرض لها ، الامر الذى يجعلنا نتوقف عند حد التساؤل عن مسار التجربة اليوغسلافية وتغيراتها ، التى دفعت احد فنانيها الى تقديم فيلم به هذا القدر من اليأس ؟

فيلمان حربيان .. وفيلمان للاطفال

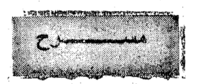
يمكنك ان تتجاهل الفيلمين الحربيين « كيف نموت » من اخراج « ميومير ستامينكوفيتش » ، و « وولتر يدافع عن سراييفو » من اخراج « خبر الدين كرفافاتش » .. فبينما يقف « كيف

تموت » ، المتواضع فنيا ، عند الحدود الاولية للواقعية الاشتراكية ، يقوم « وولتر » بمحاولة فاشلة لمحاكاة الافلام الحربية الامريكية ، فهو يأخذ من افلام الجاسوسية تضارب الظواهر والمعلومات ، وعدم اليقين ، والشك فى كل الاطراف . ويأخذ من الافلام البوليسية التوتر والمطاردة ، وايضا الشك فى كل الاطراف ! والعملية العسكرية التى تقوم بها قوات المقاومة ، والتى تتمثل فى الاستيلاء على قطار محمل بالبنزين ، لا تقوم على « جماعية البطولة » بقدر ما هى مغامرة فردية ، لا تعتمد على قوة الجماهير المقاومة بقدر ما تعتمد على شجاعة وذكاء واعصاب حفنة لا تتجاوز اصابع اليد الواحدة . ويبدو ان القائمين على الفيلم احسوا بفردية البطولة ، الامر الذى جعلهم يقولون فى النهاية ان « وولتر » ليس فردا ، ولكنه جميع سكان « سراييفو » !

اما عن فيلمى الاطفال ، فربما لاتنطبق مواصفات افلام الاطفال على « الذئب الوحيد » اخراج «اوبراد جلوشتشيفيش» بقدر ما تتوافر فى « مغامرة طفل » لـ « فلاديميرتادى » ، فعلى الرغم من ان « الذئب الوحيد » يثير خيال الاطفال بالتمثل الاخاذ للكلب « هوند » ، يساعده مجموعة اطفال ، فضلا عن اعتماده على افكار طيبة تنادى بالصداقة والشجاعة ومساعدة الاخرين ، الا ان الطلقات النارية وآثار الدماء والتوتر والموسيقى المفزعة ، لا تجعل منه فيلما نموذجيا للاطفال .

يبقى « مغامرة طفل » الذى تصلح قصته للتمصير ، وهو يبدأ بخلافات بين « الكبار » من اهل القرية ، حول اسلوب ادارة طاحونة يملكها عدد منهم ، وتصل الخلافات حد اهمال الطاحونة ، التى تفسد تماما وتمتلىء بنسيج العنكبوت .. ويبدأ بعض الاطفال فى التردد على الطاحونة المهجورة واصلاحها ، وتنظيفها ، وتتعرض مغامرتهم للفشل نتيجة افساد متعمد يقوم به اطفال آخرون .. لكنهم بدفاعهم الصلب من الطاحونة ، وباصرارهم ، وعن طريق العمل الدؤوب الجماعى ، ينجحون فى تشغيلها وتجميلها . ويفاجأ اهل القرية بآلة الانتاج المهجورة وقد دارت اخيرا .. وفى موجة الاحتفال باصلاح الطاحونة ينسى الكبار ما قام به الصغار فيلتقطون لانفسهم الصور التذكارية ويشربون ويرقصون ، ولا يجد الصغار امامهم الا الانسحاب والذهاب الى مكان جديد ، لاصلاح شىء آخر لابد وان يكون الكبار قد افسدوه .. والفيلم فى لفتته الجريئة هذه ، يلتقى مع النزعة النقدية الشجاعة التى طالعتنا فى « الحياة بالحب » ، وعلى العكس من « ايرينا » اليائس ، ينظر بالامل الى غد سيصلح فيه شباب المستقبل اخطاء « القطط السمان » ، الذين فرضوا بأنانيتهم ، واعوجاج سلوكهم ، ظلا قاتما على الواقع ، عكسته السينما اليوغسلافية الشابة ، على نحو يستحق ، فى النهاية ، كل تحية وتقدير .

كمال رمزى



النسر الأحمر في المسرح القومي


سهير المرشدى

اثارت مسرحية «النسر الاحمر» وتثير قضايا كثيرة ، فنية وفكرية ، على المستويين النظرى والتطبيقى ، ليس اقلها قضايا استخدام الدراما للتاريخ ، والعلاقة بين الموقف المأساوى الملحمى وبين نفس الرؤية الى العصر والواقع اللذين تكتب الدراما فيهما ومن اجلهما ، والعلاقة بين الموقف المأساوى والبناء الملحمى فى العمل الواحد ، والعلاقة بين العمل المكتوب فى صورة مسرحية وبين النسيج الروائى فى نفس الاطار ، وبينه ايضا وبين « الاعداد » الذى يرى المخرج نفسه مضطرا اليه لكى يتمكن من استخلاص المادة الادبية الخام الصالحة لتأليف عرض مسرحى قوى .. وبناء على كل تلك القضايا ، تتحدد قضيتان : رؤية العرض المسرحى الى عصرنا والى التاريخ معا كحقيقتين متقابلتين وصورتين تنعكس كل منهما فى مرآة الاخرى . ثم امكانية استخلاص «الوحدة العضوية» الضرورية لاى عمل فنى لكى يقوم بهذه الصفة ،

عملا فنيا ، حتى لو كان « تعدد » الاساليب هو السبيل المقصود عمدا للوصول الى هذه الوحدة .

• • •

ويستطيع أى كتاب يدرس فى تاريخ هذه المرحلة من تاريخ مصر والعرب [مرحلة نهاية الحكم الفاطمى ، ومصر الحروب الصليبية وبداية الحكم الايوبى بصلاح الدين يوسف بن ايوب [يستطيع مثل هذا الكتاب ، ان يبين لنا دون مماحكة ، ان « النسر الاحمر » بنصها المكتوب أو المعروض ، كانت كما قال مؤلفها عبد الرحمن الشرقاوى : «مرامية لحقائق التاريخ البارزة الاساسية .. فوضى السلطة فى مصر منذ منتصف عصر الفاطميين ، تحكم رجال الدعوة الشيعية الدجالين وتواطؤهم حتى مع « الحشاشين » وغيرهم ومع الصليبيين للفوز بمغانم السلطة والثروة ، الخيانات والمؤامرات الدموية فى المعسكرين العربى والصليبى ، الانتفاضات الشعبية لا تنتهى ثم تضرب فى قسوة متناهية ، الوحشية الصليبيةيقابلها نوعمن الاعتصام بتقاليد المجاهدين الفاتحين الاوائل [أيام عمر بن الخطاب وقواده العظام] عند قواد المقاومة الاسلامية العربية [وخاصة نور الدين محمود ثم صلاح الدين نفسه] فرق الانتصارات الايوبية فى بحار المظالم التى تفتح الحرب أبوابها ، وتدعمها الابنية الاجتماعية والايديولوجية السائدة المتخلفة ، الملل الذى يتملك القواد الصليبيين ازاء عقم غزواتهم ، وتضارب المثل الاعلى المعلن للحرب مع الحقيقة البشعة للحروب واهدافها وجزعهم من الانهيارات التىاحدثتها الحروب نفسها فى الابنية الاجتماعية والسياسية لبلدان اوروبا المشاركة فى الحرب الصليبية او الحروب الدينية داخل اوروبا .. الخ .. الخ ..

ونحن نعرف ان كل « واقع » هو بالنسبة للعمل الدرامى تاريخ ، وان كل تاريخ واقع ايضا . ولكن التاريخبالنسبة للدراما واقع مكتمل بعيد . اكتمالهيعطى لمادة العمل الدرامى صفة « الحقائق الثابتة » المنتهية . ولكن بعده يعطى للخيال الحق فى انيكمل بالتصور العقلى والمنطق الفنى ما تعجز العين عنرؤيته، فتتحول الحقائق الثابتة المنتهية الى ظواهر «تكتمل» من خلال الفعلالدرامى نفسه . ومن هنا تنفتح للفنان المسرحى امكانية غرس رؤيته فى تضاعيفالواقع المكتمل البعيد ، الذى يعود الي الوجود بالتحقق الفنى ، فيتحرك نحو « اكتمال» من نوع مختلف ، سيحمل بالضرورة معنى جديدا ، ومغزى ينتمى الى عصر العمل المسرحى وليس الى عصر الاحداث التى كانت قد اكتملت وانتهت منذ قرون على « مسرح الحياة » .

الدراما التاريخبة لابد ان تطمح الى اعادة « اكتشاف » مغزى » مادتها التاريخية ودروسها . على الاقل بحكم ارتباط العمل المسرحى بثقافة الامة ،التى تعاد صياغتها ويعاد اكتشاف معانيها فى كل عصر « تاريخى » او اجتماعى جديد ، وارتباطه بالتالى بتصور الامة عن ذاتها ، بجذورها ومسار حركها ، وحاضرها ، والمستقبل الذىتحرك نحوه فى هذا المسار .

وبديهى ان الدراما التاريخية ستكون اكثر تعلقا بالعصر الذى تكتب فيهولاجله، بل انها تعيد اكتشاف مادتها التاريخية على ضوء هذا العصر ، وتختار هذه المادة بالذات ، لانها — من وجهة نظر الفنان المسرحى — المادة التى يمكن ان نرى فى مرآتها جانبا من اعماق صورة عصرنا الراهن .

واذا كانالتشابه الذىرآه عبدالرحمن الشرقاوى وكرم مطاوع ، بينذاك العصر بالذات ، وبين ظروفنا المعاصرة بعد هزيمة ١٩٦٧ ، وفوضى السلطة اثناء مرض عبد الناصر ، والاحداث التى تلت وفاته ، والظواهر الاجتماعيةوالسياسية التى نبتت فى المجتمع المصرى بسبب الهزيمة وبسبب تخلخل البنيان السياسى والاقتصادى وطغيان العوامل الذاتية على العوامل الموضوعية فى تحريك الظاهرة الاجتماعية ككل ، ثم الظواهر السلبية التى سبقت اكتوبر العظيم ثم تفاقمت من بعده فىصلب المجتمعالمصرى وبنائه السياسى وتجسدت فى تعاظم القوى الداعية الى العودة الى ما قبل ١٩٥٢ على الاكثر او الى ما قبل ١٩٦١ على الاقل ... الخ اذا كانهذا التشابه موضع شك ، فان نفس الكتاب المدرسى فى التاريخ يمكن ان يذكرنا بكل ذلك ، علاوة على ما سيذكرنا به من احداث التاريخ العظمى التى نكتفى فى العادة بتذكرها كانها هى « كل » التاريخ ..

ولكننى بذلك اكاد أتهم المسرحية بأنها كتبت لا لشىء الا لكى تؤكد هذا التشابه بين العصرين، او لكى تستخلص «العبرة» من هذا التشابه ، وبأنها لا تثير غير هذه المشكلة .. العلاقة بين التاريخ والعصر الراهن فى الدراما التاريخية .

ان « الدراما » لا تحاسب بقوانين التاريخ ولا تختبر — فى صدقها الفنى — الا بمعيار الصدق الفنى وحده ، بعد التيقن من صدقها مع « جوهر » التاريخ ومع جوهر عصرها فى وقت واحد . ومن البديهى ان الشاعر المسرحى فى عصرنا، لن يكتب الدراما التاريخيةبنفس الاسلوب الذى كانت تكتب به عند لوب دى فيجا او شكسبير او شيللر . ان وعيه بضرورة التوجه الى « عصره » سيكون اكثر الحاحا ، وبالتالى فانه سيحاول العثور على « تركيبة » جديدة او صياغة جديدة لبنائه المسرحى ، تتيح له فرصة التأثير المباشر على جمهوره وتوجيه نوع من « الدعوة » المباشرة اليه .

ورغم عدم دقة « المصطلحات » الموروثة عن النقد والنظرية الدرامية الغربية ،فاننا سنستخدم هذهالمصطلحات مؤقتا عارفين بقصورها عن التعبير عما تفرضه المعالجة المسرحية المصرية من معان مختلفة .

صلاح الدين فى « النسر الاحمر » هو محور المسرحية ، وهو يخوض صراعه الثلاثى الجوانب باسلوب واحد يمليه التصور الذى حدده الشرقاوى للسلطان المجاهد العظيم . صراعه الاول يدور ضد الفساد الذى تجسده شخصية « عليش » داخل مصر . وقد تمتصياغة « عليش » لكى يكون مزيجا من المتاجر بالدين ، والمتاجر بشعارات العدل والحرية ، والمنحل اخلاقيا ، والمستغل والديماجوجى السياسى فى وقت واحد. وبعد ان يتم لصلاح الدين القضاء على « عليش » ، ثم ينشغل بالحرب ،يبرز الواقع داخل مصر وجها آخر لنفس الشخصية مزودا بمهارات جديدة [المتاجرة بالفنوالفساد الاخلاقىبجماعة تحميها أجنحة السلطة التابعة لصلاح الدين نفسه] . وهو فساد لا يقل شراسة عن فساد عليش ، ولكنه اكثر خطرا لانه يعمل من داخل البنيان الذى اقامة السلطان ،ويرمى الىقتل السلطان والقضاء على المؤمنين به فى وقت واحد بتهمة انهم هم قتلة السلطان ،لكى تتاح لهم الفرصة لسرقة مجد أفكار السلطان وبريق نبله بضربة واحدة .

وفى خارج مصر يخوض صلاح الدين صراعا ضد التخاذلوالتنافسغير الشريف ثم الخيانة داخل المعسكر العربى نفسه، ويخوض « النسر » صراعه الثالث خارج مصر ايضا ضد الصليبيين ، المؤمنينمنهم بقضيتهم حقا ، او الساعين منهم الى السطوة والسلطة والثروة تحت شعار الصليب . وفى الجبهات الثلاث ، يلجأ صلاح الدين الى الرحمة والنبل والسعى الى توفير الدم . يعفى « عليش » من القتل بشروط يوفيها ثم يغادره الى «اخير



المغرب » لكى يكيد لصلاح الدين ويحرضه عليه حتى تغتال عليش همجيـــة الامير نفسه . ويحاول صلاح الدين بالحسنى اقناع أمير المغرب حتى يتسبب الامير فى قتل أقرب أصـــدقاء السلطان وأكثرهم ايمانا به وأنصحهم له ويكاد يتسبب فى هزيمة ماحقة للسلطان نفسه حتى يلجأ السـلطان الى الامر بقتله بعــد ان يتم أسره بطريقة عجيبة لا تكاد تصدق . أما الصليبيون فالقضية معهم واضحـــة .. الحـــرب حتى النصر ، تنتهى بقتـــل المتوحشين منهم او بالعفـــو عن نبلائهم المهزومين .. وتنتهى احــــدى المعارك بالعفو عن جميع أسراهم حتى يعـــودوا الى قتاله .. هذه « الرحمـــة » مـــع الفاسدين والخونة والاعداء يقدمهـــا عبد الرحمن الشرقاوى باعتبارها « كعوب أخيل » التى لابد ان تقضى على البطل التراجيدى ، وأن تؤدى الى سقوطه فى النهاية .. ولكن الشرقاوى يعرف التاريخ ، ويخاطب عصره أيضا . وهـــو لا يريد لصلاح الدين ان يكون بطلا تراجيديا ، لا يريد له ان يسقط وانما يطمح ان يستمر هذا البطل العربى الرحيم العادل لكى يقيم بناء الحياة الجديدة .

ولهذا ، فان قامة صلاح الدين تتعادل فى تكوينها عناصر البطل التراجيدى التى لا تكتمل ، مع عناصر البطل الملحمى التى لا تكتمل أيضا .. انه يكاد ان يكون بطلا ملحميا ، بقيادته لامته فى حرب الحياة أو الموت ، وبطموحه الى ان يجمع فى شخصه فضائل أمته . ولكننا نعرف ان فضائل البطل الملحمى تؤدى به الى النصر دون اى احتمال لهزيمة ولا تدفعـــه الى « فخاخ » تقـــسيريه اكثر من مرة الى الهلاك ، وهو لا يهلك الا بسبب نقطـــة ضعفه التى هى بذرة المأساة [فيمـــا بعد] فيه . والبطل الملحمى يجســـد كل فضائل الامة ، بينمـــا لا يجســـد صلاح الدين فى المسرحية الا الفضـــائل الحربية والاخلاقية لامته .. لا يملك خبرتها ولا حكمة تجربتها المستخلصة من معاركة الواقع لا من الاستعلاء عليه ، بذلك تصبح تراجيدية صلاح الدين وملحميته قيـــودا على الجانبين من تركيب شخصيته وعلى الصدق الفنى للدراما .

ولكن الشرقاوى ، يضـــع الى جانب صلاح الدين تجسيدا لها .. ولكنه يخاف تكاد ان تكون شخصية ملحمية كاملة ، وتقترب الاخرى من القامة التراجيـــدية الكاملة .. ويحرص كرم مطاوع فى الاعداد [عن طريق الحـــذف والاضافة] ان يحولهما الى المصدرين الاســـاسيين للوعى فى شخصية صلاح الدين . وتحويله هو بالتالى الى بطـــل لنـــوع من التنـــوير المستمد من تنوير المأساة ، ولكنه القائم على قوة الملامح البطولية فى صلاح الدين بأن تمتزج فيه فضائله التى تكاد تصنع مأساته ، وتهيئه فى نفس الوقت للبطولة الملحمية ، مع الفضائل التى سيتعلمها من الشخصيتين المتكاملتين ، الملحمية والتراجيدية .

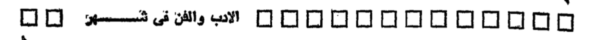
يضع الشرقاوى شخصيتى محمود ثم كوكب الى جانب صلاح الدين ، ولكن كرم مطاوع يضعهما مباشرة « حوله » : الى جانبيه أحيانا ، وقدامه وخلفه احيانا ، حتى يصبح محمود فى النهاية هو القيمة التى يسعى اليها ، بينما تقوده كوكب من يده فى هذا السعى ..

ومحمود هو الخيـــاط الفنان [كاتب تمثيليات خيـــال الظل] المثقف المؤمن بالعدل والجهاد والحرية وبأن العـــدل والحرية فى الوطن شرطان لامكانية تحقيق الانتصار فى الجهاد .. ايمانه يدفعه الى جيش صلاح الدين ، وايمـــانه بضرورة « الفعل » يدفعه الى النضال حتى الموت دفاعا من القضية التى يرى هـــــو فى صلاح الدين تجسيد لها . ولكنه يخاف أحيانا من أن تكون له حياته الخاصة .. يخاف من الحب ويخاف من القوة التى تتيحها السلطة . وخوفه هـــذا هـــو سقطته ، هو ما يحوله الى بطل تراجيدى يحمل المأساة ونور المعنى فى وقت واحد للاخرين . وبهذا النور الذى تتلقـــاه منه حبيبته كوكب ، تكتمل لكوكب قامة البطولية الملحمية ، انه باستشهاده ، أى باكتمال تراجيديته ، يعطى لكوكب الفرصة لاستخلاص معنى حياته ونضاله .. العدل والحرية شرطان لانتصار الجهاد .

ولم تكن قامة كوكب بعيدة عن هـــذه البطولة منذ البداية . انها مثلة «خيال الظل» ، الفتاة التى تعرف فورة الجسد ونشوة الحب ومرارة الجـــوع وفجيعـــة الخيـــانة وحيـــوية حب الحياة وادراك مغزاها الحقيقى رغم الفقـــر كله ورغم جهامة الدنيا فى وجهها . تعرف هـــذا كله دون ان تقرأ الا فى « كتاب البؤس ، كتاب معاناة الانذال ، كتاب مواجهـــة الدنيا اذ أنت وحيـــد وشريف وسط الاهوال ، تناضل فى وجه الانواء لكى تبقى مرفوع الرأس » مثلما يقول عنها محمود ، ولكنها لم تكن تعرف بعد مرارة الموت والقدرة على ان تنشب اظفارها فى عنق قاتل حبيبها الذى جسد لهـــا الشرف والمعرفة والفهم الصحيح والجسارة على الفعل .. فلما عرفت هذا ، وامتزجت المعرفة بما اعتصرته من مأساة استشهاد محمود عاشق الحرية والعـــدل ، كانت قادرة على ان تصبح هى «البطل الملحمى» الكامل ، الذى عاش المأساة وخرج منها بكعب أخيـــل داميا فى القلب ، ولكن بعقل « نستور » قادرا على القاء تعاليم الحياة الجديدة للبطل الذى ستسير وراءه الامة فى معركة العدل والحرية بعـــد أن سارت وراءه فى معركة الجهاد .. صلاح الدين .

• • •

وفى المعسكر المقـــابل ، معســـكر الصليبيين ، تدور دراما مشابهة ، ولكنها ستكون بالضرورة ذات معان متناقضة . ان الوعى المتطابق مع حركة التـــاريخ وحقيقته الانسانية فى المعسكر العربى ، هو الذى يتيح الفرصة لابطال هـــذا المعسكر لان يكونوا « ابطـــالا » للقيم الانسانية العامة التى نكتشفها نحن من خلال صراعاتهم الخارجية ، والداخليـــة لكى « نتعلمها » ونستنير بها . وعلى النقيض من ذلك ، يصبح الايمان بالقيم المناقضة لحركة التاريخ وحقيقتـــه فى المعسكر الصليبى ، أو التظاهر بالايمان بهذه القيم مصورا لزيف بطولة ابطـــال هذا المعسكر .. شجعانه لابد أن تكون شجاعتهم نوعا من القســـوة او الجنـــون لانهم فاتحون ومستعمرون وليسوا مؤمنين ، وعلماؤه لابد ان تنتهى بهم حكمتهم الى رفض قســـوة وجنون الشجعان فيه حتى اذا هزموا لابد ان يكتشفوا «الحقيقة» وهى انهم يستخدمون لتحقيـــق اغراض الفاتحين والتجار والملوك . وهذا لابد ان تفترق الدراما افتراقا اساســـا عـــن التاريخ . ان ريتشارد قلب الاســـد لم يكتشف فى التاريخ ان صلاح الدين يحمى القدس خيرا منه ، كما ان الملك جيوفرى وزوجته الورعة النبيلة لم يكونا شديدى الاعجاب بصلابة صلاح الدين وهو يعفو عن أسراهم بعد ان ذبح زهرة شبابهم . يكفى ان التاريخ يسجل — على ألسنة المؤرخين الصليبيين — اعجاب فرسان الصليبيين بنبالة غريمهم المسلم — لكى تخلق الدراما شخصياتها وفقا لما يتطلبه قانونها من صراعات مستمرة بين مجموعات الشخصيات وبين الافراد وداخل الافراد انفسهم . فاذا انطلقنا من فهم يقول ان « النسر الاحمر » تتحدث عن الاسرائيليين لا عن الصليبيين ، وأنها «تفسر» الصراع العربى الاسرائيلى ، وليست عمـــلا دراميا يصوغ عالمه وفقا لقوانينه الخاصة



لكى يحقق — بقدر ما يستطيع — صدقه الفنى ولكى يعبر عن تصوراته الخاصة من جوهر التاريخ والعصر القائم فى وقت واحد ، اذا انطلقنا من مثل ذلك الفهم لكان معنى ذلك أن نكتفى بمناقشة البحوث التاريخية أو السيوسيولوجية أو المقالات السياسية ، وأن نكف عن التفكير فى « وظيفة » المسرح والفن الدرامى ، باعتبارهما فنا يقيم عالمه ، وفقا لقوانينه المستقلة عن قوانين الحقيقة الاجتماعية والتاريخية ، ساعيا فى نفس الوقت الى اضاءة التاريخ والواقع الراهن بنور من نوع مختلف .

بهذا الشكل يصبح من الطبيعى ان يكون ارناط وكونراد مجرد سفاحين متواطئين مع التجار ، قاتلين « لا فارسين مدافعين من قضية ، بينما يمكن ان تكون الملكة « جى » وريتشارد قلب الاسد ابطالا لقضية زائفة ، تعترض المسيرة الحقيقة للتاريخ ، وتتناقض فى الدراما مع القيم الانسانية ، رغم كثرة حديثهم من هذه القيم ، ولابد ان يخلو ارناط وكونراد من اى صراع داخلى ، بينما تكتفى الملكة الورعة بالتأمل واطلاق « الامثال » عن الفضائل والنبالة والايمان الصحيح ، ويكتفى الملك بما يوجهه من سباب لارناط المتوحش او التفجع مرة واحدة على فرسانه المصروعين . اما ريتشارد فهو الوحيد الجدير بأن يعيش صراعا حقيقيا ، بين قدرته على الحرب ونبله الاخلاقى كفارس ، وبين اكتشافه ضرورة ما تفرضه الحرب من نذالة وخسة واضطراره للخضوع للنذالة والخسة بتعامله مع التجار والخونة العرب . وفى الدراما لابد ان يؤدى مثل هذا الصراع الى هزيمة الشخصية ، دون ان يكون لها الحق فى قامة البطل ، ولا حتى نقيض البطل الحقيقى . فكل ما يستطيعه ان يتوارى فى ظل البطل الحقيقى ، ويخلى له الطريق . والغريب — او لعله هو الطبيعى — ان هذا هو ما حدث فى التاريخ الحقيقى .. توارى ريتشارد [لم تكتب عنه دراما واحدة ، باستثناء الدراما السينمائية التجارية] حتى بالنسبة لاوروبا ، وظل صلاح الدين بطلا للقيم الانسانية حتى بالنسبة لاوروبا المسيحية ، [ان دانتى لم يستطع ان يضعه فى الجحيم] .

ويكون من الطبيعى ايضا ان يتطابق الخائن فى المعسكر العربى [أمير المغرب] مع الفارس السفاح فى المعسكر الصليبى .. كلاهما يتعامل مع نفس التجار ، وكلاهما يسعى بنفس الجنون الى تدمير بطل الفضائل السياسية والقضاء على الفضائل نفسها فى الدراما ، او ايقاف حركة التاريخ فى الحقيقة التاريخية .

ولكن عبد الرحمن الشرقاوى لم يكن يخضع لهذه الظروف العامة وحدها فى كتابة « النسر الاحمر » . انه فى الاساس كاتب روائى واقعى ، وشاعر غنائى رومانتيكى . والكاتب الروائى الواقعى يستطيع ان يورد كل ما يشاء من التفاصيل والاحداث ، بينما يستطيع الشاعر الغنائى الرومانتيكى ان يكتفى بالغناء بالصوت المنفرد ، او حتى بالخطابة وترديد الشعارات . ولذلك يأتى بناء النص المنشور للنسر الاحمر ، بعيدا الى حد كبير من البناء المسرحى بركام التفاصيل والاحداث التى تكاد تغرق الدراما الكامنة فى داخله ، وبحكم المزاوجة بين المأساة والملحمة بحكم سيطرة البطل القومى على رؤية المؤلف فيها . ويأتى الحوار الشعرى غنائيا وخطابيا فى معظم المواقف « الفكرية » و « العاطفية » بما يملاها من تأملات وشعارات يعيد الشرقاوى صياغة الكثير منها اكثر من مرة واحدة فى الموقف الواحد . وهو يعيد صياغتها غالبا بنفس المفردات التى عرفناها منه أول مرة منذ قصيدة « رسالة من أب مصرى » قبل ربع قرن .

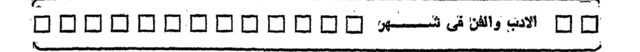
ويعتمد كرم مطاوع فى « الاعداد » على الحذف ، لكى يكتشف سلسلة المواجهات الدرامية التى تتكون منها الدراما فى مجموعها ، يستخلصها من قلب البناء شبه الروائى للعمل الذى كتبه الشاعر . ثم يعتمد على الاضافة لكى يؤكد الخطوط العامة لرؤية العرض المسرحى نفسه .. الاضافة احيانا من عمل سابق للشرقاوى هو « ثار الله » فى مشهد خيال الظل فى الفصل الاول ، حيث تؤكد السيدة زينب لاخيها الامام الحسين أن العالم والعصر ليسا فى حاجة الى امام وانما يطلبان ملكا ، وأن كل « الملاك » سيكونون أعداء للامام دفاعا عما امتلكوه غصبا . وهنا سيهاجم « مليش » شاشة خيال الظل ، لكى يتأكد معنى المستغل المتاجر بشعارات العدل والحرية والدين فى شخصية مليش . ويضع كرم مطاوع اضافة اخرى فى نهاية العرض ، حيث تلقى « كوكب » التعاليم التى استخلصتها من خبرة حياتها وموت حبيبها ، لكى تؤكد أن المحافظة على « ذكرى الشهداء » لا تكون الا باقامة العدل والحرية .. فتتحقق لها قامة البطولة الملحمية بتعبيرها عن كل فضائل الامة وحكمتها واحلامها ، ويتحقق لها — ممثلة للامة والفقراء والمقهورين — مكان « المعلم » حتى لصلاح الدين .

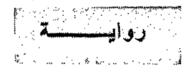
وبذلك اتجه اعداد كرم مطاوع الى استخلاص ما هو درامى ومسرحى من قلب بناء شبه روائى وتعبير شبه غنائى فى الاصل ، ثم اتجه الى ابراز اندماج المعنى التراجيدى والمعنى الملحمى الناقصين فى شخصية صلاح الدين وتحقيق هذا الاندماج بتقريب شخصيتى محمود وكوكب تقريبا شديدا من صلاح الدين نفسه ، بينما ترك كرم شخصيات المعسكر الصليبى على حالها .

وفى العرض المسرحى تعجز امكانيات المنصة عن تلبية رغبات الاخراج الطموح ، رغم القرصين الدوارين والارضيات المضيئة المتنقلة ، ورغم العمق المعقول للمنصة الضيقة ورغم ذكاء الديكورات التى وضعتها سكينة محمد ، كما تعجز اكثر امكانيات التمثيل عن تلبية طموح الرؤية التى يريدها العرض . وربما كان « اعادة اكتشاف » امينة رزق — فى دور الملكة الصليبية — عملا يستحق عليه كرم مطاوع التقدير الحقيقى ولكن جسارة الاخراج فى دفع دور صلاح الدين الى **انور اسماعيل** ودور محمود الى **عبدالرحمن ابو زهرة** هى الجسارة المثمرة حقا والتى يمكن بها ان يكسب المسرح المصرى امكانيات جديدة للممثلين القديرين .

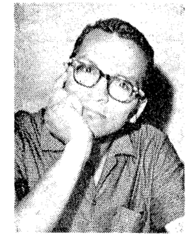
ويستحق **حمدى احمد** فى دور همام **ونبيل بدر** فى دور مليش ، **واحمد الناغى** فى دور امير المغرب **ومحمود حجازى** فى دور الحمار تابع مليش **ومجدى مجاهد** فى دور ارناط .. يستحق كل منهم « وقفة » خاصة يفرضوها بحساسيتهم وتلقائيتهم التى ساهمت فى تحقيق ما تحقق من رؤية العرض . وقد تكون **سهير المرشدى** فى غنى عن التقدير . وهى التى « تحمل » مع عبد الرحمن ابوزهرة العبء الاكبر فى تحقيق تلك الرؤية ، ولكننى اعتقد ان بعض امكانياتها الطبيعية هى ما تمنعها من تحقيق ما تحسه حقا وماتريد توصيله ، اتعبد مساحة صوتها وعجز وجهها عن تجاوز تعبير الحزن الى تعبير الهم الثقيل ، وعن تجاوز تعبير السخط الى تعبير الغضب . ولكنها مع هذا تعيد صهر ذاتها كل ليلة لكى تحمل مع عبد الرحمن ابوزهرة عبء عرض مسرحى يوحى بأكثر جدا مما يصرح به فى وضوح .

سامى خشبة





الــــزينى بـــــركات ودولـــة البصـــاصين



جمال الغيطانى

العصر « **التــاريخى** » ؟ والعصر « **المعاشى** » ، أيهمــا أكثر قدرة على التعبير عن الاخر وايهما هو نفسه ، خاصة حين تكون روع الكاتب وقلبــه وجهده قد أحكمت ذلك التشابه الذى ان لم يفتعل فى بعض الاحيان ، فانه يظل وراء الاحداث والشخصيات ، وراء المحن والمواجهات دائما خفيا ، يطل علينا ، دائما يطل ، فى لحظات العناء — لا لينتزعنا من الواقع الفعلى — وانمــا ليقول لنا ، ثمة زمن شبيه ، شبيه حتى فى بعض التفاصيل (•) ويصل التشابــه الى حد التطابق حين ينطلق الكاتب من تقدم عصره المعاشى ، ذلك التقدم المخيف فى وسائل التجسس ومراقبة الناس ، وحين يتم ذلك فى عصر تحددت فيــه الاماكن . والمطامح ، فى قاهرة المماليك الصغيرة ، ذلك هو العصر التاريخى ، أما التقدم المخيف فهو سمة عصر آخر ، فهل يمكن حقا ان تفصل التجربة المتخيلة من التجربة المعاشة ؟ .

تلك هى القضية التى تثيرها للوهلة الاولى رواية **جمال الغيطانى** « **الزينى بركات** » التى نشرتها مؤخــرا وزارة الثقافة فى سوريا ، والتى رغم أهميتها لم تجد ناشرا فى مصر .

تعالج الرواية نهاية عصر المماليــك . زمن انحدار يتألق فيه نجم « الزينى بركات بن موتى » — شخصية تاريخية حقيقية — ليصبح بصــورة غامضــة « متولى الحسبة » ووالى القاهرة . هو ينادى بالعدل بعد ان قتل « على بن أبى الجود » المتولى الاسبق — راقصا — ويظل مشهد موته رغم صغر المساحة التى يحتلها فى — السرادق الاول — « ماجرى لعلى بن أبى الجود وبداية ظهور الزينى بركات بن موسى .. » مشهدا لا يستطيع القارىء الا ان يجد له تجسيدا سينمائيا شديد العصريــة والكثافة وهى احدى سمات هذا العالم الوحشى الفاجع .

كان المتولى الاسبق قد سرق أموال المسلمين وسامهم العذاب ، ولكنه فى مشهد الموت هذا ، ورغم الزغاريد وعلامات الفرح والتشفى يبقى انســانا يتألم ، يبقى الانسان فوق كل شىء وقبل كل شىء ، آدميا يتعرض لعذاب مبتكر « مبهدل آخر بهدلة ، يلطمه الصــغير والكبير ، النساء يبصقن عليه .. » .

فالظالم والمظلوم هنا ضحايا دورة خراب جهنمية ، تلفهم جميعا ، يتسلل الاحساس الفاجع هادئا طريا منذ مشهد الموت الراقص ، ويتعمق أكثر ليصل الى مداه حين نتبين ان الظالم الجديد أشد حنكة وخبثا ، وليس ثمة أمل كبير فى ان يأتى الزمان الجديد بـ

يمتلىء العمل بشخصيات كثيرة تستحق كل منها دراسة مستقلة ، تتحرك جميعا فى عالم معقد ، متعدد الابعاد والسمات فى لحظة تاريخية مشــحونة بالنــذر والاهوال ، لانها لاتفتعل التشابه ، وانما تنطلق أصلا من الواقع المعاش فكما ان الانسان هو « خلاصة زمانه » فالكاتب هو ابن عصره حتى لو قطــع يهددها الغزو العثمانى ، ويختفى الزينى ورءوس معممة ، وأمراء وولاه .

الموت يخيم على المدينة ، وثمــة صراع ضار يدور فى قمة السلطة التى يهددها الغزو العثمانى ، ويختفى الزينى ليظهر من جديد متوليا فى عهــد بنى عثمان . يضرب الخراب المنظم فى اعماق الناس ، فى أرواحهم وضــمائرهم ، فالخوازيق والمشانق ، والســـجون والمؤامرات والفتن ، والبؤس المتفشى لاتحاصر الحياة المادية للناس فحسب ، لان هناك نظام متكامل « للبصاصة ... » لايتوصل الى اعادة بنائه وتخيله بهذه الصورة سوى كاتب متوغل فى قلب عصره — والبصاصون هم المرشدون والمخبرون المصريون ، يتفنن كبيــرهم — **زكريا بن راضى** فى اتقــان عملــه وتوسيع رقعته ، وينقلنا ذلك مرة أخرى الى عصرنا دون ان يقول شيئا انه يحلم ان « يجىء زمان يعرف بصاصوه كم من

الرجال سيضاجعون حريمهم ، اى أطفال سيسكنون أرحام أمهاتهم ، اى طفل منهم سيولد ويكبر .. » .

ذلك خيال شرير بلا حدود لما يمكن ان يلحقه بالانسان من أذى ، يطلق رجاله ليحاصروا الاغنيات والاحلام ، ليلقنوا المغنين الجوالين ومايجب ان يقال ، هل هو شر دفين فى طبيعة الرجل ؟ أم انه كامن فى طبيعة العمل الذى يقوم به ؟ اكتسبت ممارسته الطويلة شكل الادمان ، وأصبح رغم لحظاته الانسانية نموذجا للشخصيات السادية التى تستمتع بتعذيب البشر ، فيدرب رجاله على التضامن فى تعذيب الناس وملاحقتهم .

ولكن ولع « **جمال الغيطانى** » باكتشاف أعماق هذا النوع من الشخصيات ، ومحاولته الدائبة المجتهدة للتوغل فى خباياها العميقة ، وتخيل دوافعها وشغفها الشرير ، ينسيه أن يعيننا على الاجابة على هذا السؤال ، هل ثمة مغنم مباشر ؟ . هل هو مجرد اغراء الموقع وما يقدمه من امتيازات ؟ . ان معالجة الشخصية بهذه الصورة تجعل بؤرة الاهتمام والنفاذ مركزة فى الهواية، فى الاستمتاع السادى بما يفعله « بن راضى » ، تلك الهواية والسادية تعطيان لنتائج عمله ونشاط عالمه بعدا عبثيا ، يضيف للعذاب الانسانى بعدا آخر ، بعدا مضنيا ، غير مبرر ، يجعل من تسلل الرعب الى قلب بلد بأكمله ، ذلك التسلل البطىء الذى يضرب حتى أعمق أعماقها جزءا من تركيبة الحياة وخصائصها اليومية العادية ودون ثمن .

« يجب أن تكون الخطوة التى يعبر فيها الانسان عتبة أبوابنا حدا فاصلا بين عهدين ، عندما ينقسم العمر الواحد قسمين ، بحيث يخرج الانسان من هنا يحمل نفس الاسم لكنه فى حقيقة الامر شخص آخر ... »

وعلى الطرف الاخر ، فى حوارى المدينة وعلى مقاهيها ، تلك المدينة التى يشلها الرعب والبؤس يرى الفتى — النقيض — حبيبته فى عالم يعيش البشر فيه انسانيتهم وفضائلهم ، عالم مثالى الصورة ، شديد المثالية لانه النفى الكامل لهذا العالم الوحشى ، وحينما يولد هذا العالم فى مخيلته تصبح كل فضائله بالسلب ..

« يراها فى مدينة لا تعرف الطواعين، لا يموت الانسان فجأة فى عرض الطريق لا يتوجع أموق لخطف ابنته ، لا يساق الفقراء الى الجب ، الى المقشرة ، لا تقضى الاعمار فى سجن العرقانة ، لا تنزع يد من جسم لانها سرقت خياره ».

يجسد هؤلاء على أرقى مطامحهم ومثاليتهم — سعيد الجهينى — الذى يتلقى علوم الدين على الشيخ أبو السعود — الذى يمثل وجوده وفعاليته الهامة المتسللة بوادر نفى هذا العالم الجهنمى .. فهل يصبح منطقيا أن يكون سعيد الجهينى هو هدف الملاحقة وليس محتكرى أقوات الناس وأرزاقهم لا المخربين ولا الجواسيس الذين يعملون لصالح الغزاة والطامعين فى البلاد . بناء الرواية ومسارها الايقول ان ذلك هو الطبيعى أو المنطقى ، ولكنه الذى يحدث .. السجون والعذاب للذين يحلمون بالمستقبل ، ويملكون شجاعة رفض الزيف والتزوير ، وهى شجاعة المواجهة العزلاء البطلة لشرور هذا العالم ، وما تتسلح به هذه الشرور من أدوات المصادرة والقمع .

زكريا بن راضى كبير البصاصين ، والزينى بركات بن موسى متولى الحسبة وأجهزة الامن والدولة من ناحية ومصر بشبابها وطموحها برجالها ونسائها ومشايخها وجواريها ، هم أطراف اللعبة المحكمة على خيوط غير مرئية تمتد لتربط كل الاطراف ، بين زينى وزكريا عداء دفين يكنه كل للاخر وكل منهما مع ذلك يحتاج الى الاخرة . ويتفتق هذا العالم الغنى عن الاعاجيب ، السلطان ، الجوارى ، الغلمان ، الدراويش ورجال الدين والباعة ، والمماليك صغارا وكبارا تتحرك جميعا الى مصائرها التى يدبرها قدر يبدو غيبيا وغامضا ، ولكنك حين تتحققه تجد أنه الافول الوشيك ، فهو عالم استنفذ أغراضه وتجاوزه الزمن ، ولم يبق له سوى القوة الفتاكة لاجهزته التى يصيبها التفكك والفوضى هى الاخرى لحظة الغزو العثمانى .

يعقد زكريا بن راضى اجتماعا لكبار البصاصين فى أنحاء الارض مقره القاهرة وبينما الغزو العثمانى على الابواب يصل المجتمعون الى النتيجة التالية التى تستند الى احدى الخصائص التاريخية المميزة لعصر المماليك ، كثرة انشقاق الامراء والولاة واندلاع الفتن التى يستخلص منها زكريا حكمة لكسب صفة الشمول .

« اذا تآمر بعض الصفوة، أو جماعات من العامة على الكرسى ، فلابد من ابلاغ الامر الى صاحب الكرسى ، هذا واجب ، ولكن لنفترض وصول بعض الصفوة المتآمرة أو العامة « والفرض الاخير نادر الحدوث » الى مقاليد التملك والسيطرة ، ما هو موقف البصاص هنا؟

نقول مادام البعض انتزع المقاليد من صاحب الكرسى الاصلى وتمكن من احتلاله ، فليس هذا الا دلالة على ضعف الاول ، كيف يمكنه اقرار العدل اذا كان لا يمكنه حماية روحه ... » .

حكمة يطبقها الزينى ببراعة ، خادم المهدين الامين ، فلابد أن يكون الاقوى هو الذى استولى على الكرسى .

ولكن مصر الفقيرة لا تتفرج ، هى طرف منذ البدء ، طرف لا يبين لكنه موجود دائما انها هى موضوع القهر والقسوة، بؤسها بلا حدود ، ومن قلبها يخرج الرجال المقاومون الذين يتصدون للغزو يقودهم شيخ جاوز التسعين « شرب من نبع الحياة ، ومن شرب من نبع الحياة لا يموت أبدا ولا يهزم قط ... »

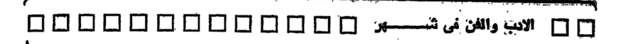
هجر بيته وانطلق الى الريف يشعل فيه نارا حامية ، يستنفر الشعب ... »

شىء لا تقوله له ابدا ولا تستطيع أن تحسبه أجهزة الامن ، ذلك هو تواجد الناس معا ، تمردهم وثورتهم هباتهم الجماعية وقدرتهم الخارقة والمعجزة ، هنا تكمن أرقى فضائلهم ، ومنهم يخرج الشيخ وبهم يحتمى .

ومن أعماق السجن خرج سعيد الجهينى ، باحثا عن مولاه وقد توارت خلف ألوان العذاب مطامح الشباب الاول التى افصحت باحتجاجها الصارخ احدى لحظات الشجاعة فى مواجهة كل المخاوف والحسابات ، لحظة اكتشاف النفس كأصفى ما تكون فى وجه الزينى الذى يخطب حتى الناس يصبح فيه كاذب فيضع حجرا صغيرا فى وجه حملته المزورة من اجل كسب شعبية ، ينجح فى ذلك ، الا أن رحالة أوروبى يلاحظ انه :

« يسرى شيىء خفى ، شعور لا يبين فى الارواح والجماد ، رهبة خفية من الزينى ، لا تبدو على وجه بشر ، وانما ترى بعيون خفية ... » .

ان دولة البصاصين تحكم حصارها على أرواح الناس لحظة المواجهة فى حياة سعيد ، لحظة هامة فى هذا العمل لحظة درامية لانها تتم رغم ادراكه لكل



الاخطار ، رغم ادراكه أنه وحيد ومعزول متقدم وحالم ، والآخرون ، الآخرون التعساء لا يعلمون ».

« لا يجافى الهجير ، لقرفه نظرات الاستياء ، السقائين ، الحدادين ، المرخمين ، البنائين، الفحامين ، التجارين الخبازين ، البصاصين ، ليزجروا اليه بهم لا يفلحون ... »

هم حقا لا يعلمون مدى انحطاط دولة الزينى ، ولكنهم فيما بعد ، وبعد أن يطفح الكيل يعلمون مدى انحطاط حالهم فينضم اليه الكثيرون ».

خرج الفتى من اعماق العذاب باحثا من مولاه ، باحثا عن يقين ما ، اختبارها إصلاحية كانت له فى الماضى مستجيرا مختزلا فى جملة واحدة ، كانت دائما نبوءة دفينة منذ تجلى لنا بالتدريج عالم زكريا بن راضى الخفى « أعطبونى ، وهدوا حصونى » .

تحمل هذه الرواية الكثير وتستحق الكثير ، وتقول الكثير ولكن يهيمن عليها ذلك العرى الفاضح للحياة الداخلية لاجهزة الامن التى تتسلط الناس فى عصر المماليك ، وفى كل عصر آخر ولكنها تبدو هنا لشدة أحكامها وقسوتها قدرا لا يمكن الفكاك منه ، ويبدو الانسان أمامها عاجزا وبلا حيلة .

فى « الزينى بركات » من الجهد والدراسة بقدر مافيها من موهبة استطاع من تزاوجها جميعا أن يخلق هذا العالم بشخصياته الدرامية المبنية بدقة آسرة، وبأحداثه التراجيدية والتاريخية الكبرى ، هذا التزاوج الذى أدى تصاعده الى تداخل العالمين الداخلى والخارجي لابطاله حتى أصبحت الاحداث فى بعض اللحظات — قضية القوانيس مثلا — هى العالم الاساسي وليس عالم الشخصيات ، وتلك سمة عامة حين يختار الكاتب زمانا عاصفا لعمله تتوارى فيه الصراعات والنزعات الداخلية أو تصبح ردود أفعال بصورة تبدو ميكانيكية أحيانا — لايقاع العالم الخارجى،ومن هنا تبدو استحالة الموازاة .

الا أن المستوى الراقى الذى بلغه جمال الغيطانى فى الصياغة وادارة الاحداث على اتساع رقعتها،وشخصياتها ولغة السيناريو ، وانقطاع التسلسل الزمنى التقليدى لم تحل جميعا دون خلق تشابه فى صياغة العوالم المتناقضة ، والمشاعر المتناقضة . الحب — العذاب — السجن — التمرد — الثورة — الاسى، وتلك بعض المحاذير التى يدفع اليها اختيار الكاتب للماضى ووعيه اليقظ دائما لمراعاة خصائصه ، وهو ما يوقعه أيضا فى كثير من اللحظات الميلودرامية التى تضفى على الحدوتة سحرا خاصا ، وتخل فى لحظات بدقة البناء وتماسكه ، اذ تبدو ثرثرة اضافية .

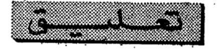
وهى على اية حال قضية خاصة بلغة « جمال الغيطانى » بصفة عامة ، فهى لغة مروتة فريدة ، لها جمالها الخاص الذى يصب فى الفصحى حرارة التعبير الشعبى وعمقه ، تجنح فى بعض اللحظات للانشائية ، تميل الى الوصف دون حياد، فيصبح الكاتب مرئيا دائما ، هامسا دائما ، متربصا خلف كل حدث وكل شخصية ، خاصة خلف كل شخصية ، وهو موجود أحيانا أكثر من الوجود الموضوعى لشخصياته ، وربما بدا ذلك أكثر وضوحا فى أعماله الاخرى «مجموعتى القصص » — أوراق شاب عاش منذ الف عام و « أرض أرض » وتتجسد أكثر فى كتاباته من جبهة القتال التى يتشابه فيها ما يكتبه فى ظل الحرب وما يكتبه فى ظل الهدوء ، ذات الكاتب هى الموجودة أولا ، وهى الاشد حضورا حتى فى اللحظات الانسانية العابرة ، ومصدرها دائما لغته .

تبقى مسألة العودة الى هذا الشكل مرة أخرى اذ يحتمى الغيطانى باطار ملوكى ليقول فى عصره هو رأيا ، وليكون قادرا على أن يصرع ، وهو هنا فى مأمن من المباشرة التى وقع فيها نجيب محفوظ فى « الكرنك » فتحولت الى « تحقيق صحفى » ، وهى على أية حال تجربة تغرى بالانسياق والمواصلة ، ولا أعرف اذا ما كان الكثيرون سوف يصلون الى هذه النتيجة التى وصلت اليها بعد قراءتين « للزينى بركات » وهى أن جمال الغيطانى قد استنفد هنا كل امكانيات هذا الشكل ، يهدده بالتكرار أن يعود اليه مرة أخرى لسببين أولهما أنه فى هذا العالم من الشمول والاتساع ما لا يبقى فى عصر المماليك أمام روائى مثله يمتلك هذه المواصفات ويمشى خلفها بهذه الجراة ، شيئا آخر يهدد لغته ، اذا ما عاد الى هناك مرة أخرى ، بفقدان رونقها وسحرها الخاص .

قد تكون العودة الى عصور أخرى يدرسها بنفس القدرة شيئا جديدا ، وعلى أى حال فنحن لا نستطيع أن نقول ابدا ، بأية درجة يثقل عصر ما ، عصر معاشى وواقعى على كاتب ينغمس فيه تدفعه شدة ارتباطه به الى بناء عالم آخر ، فى زمن آخر ، بعيدا ، حر هو فيه من كل القيود .

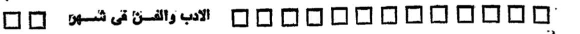
فريدة النقاش





حول طه حسين فى ذكراه

لقد حرص اتحاد كتاب المغرب على المشاركة فى الاحتفال بذكرى الاديب الراحل الدكتور طه حسين لانه يقدر جيدا تأثيره على الثقافة العربية المعاصرة بعامة ، وعلى الادب المغربى بخاصة سواء عن طريق فئات شبابنا التى تخرجت من الجامعة المصرية أو عن طريق كتبه المتداولة والمقروءة على نطاق واسع . لقد كان طه حسين بالنسبة للطليعة المغربية المناهضة للاستعمار الفرنسى فى الاربعينات ، معلما مضيئا لخطواتها على طريق الثقافة العربية المتحررة الساعية لتأصيل الذات وتجاوز الجمود والتقليد . فكان الى جانب ادباء ومثقفين عرب آخرين، يمد الشباب المغربى، الرافض للفرنسية والاجادة الثقافية ، بصورة مشرقة لما يمكن ان تكون عليه اللغات القومية حين تتاح لها حساسية شفافة ، وقلب ذكى مثلما اتيح لمصر الرائدة على امتداد المسافة الممتدة من الشيخ رفاعة الطهطاوى الى طه حسين .



كان اختيارا حاسما من جانب طه حسين حين قرر القطيعة مع الثقافة الجامدة المتقوقعة على نفسها المكتفية بماضيها تجتره وتعيد تقليبه من منظور تعبدي . وكان هذا التحول في مسيرته المنطلقة من اعماق الريف ادراكا لارهاصات القوى الجديدة الكامنة في احشاء مصر عند مطلع هذا القرن . ومن ثم فان مشروع طه حسين الادبي والثقافي لم يكن يستهدف الاستفادة الشخصية او ركوب أمواج العصرية العابرة . انه لم يجعل من معرفته للادب وللثقافة الاجنبية وسيلة للاغتناء والحظوة ، أو شارة للتباهي والاعتزاز . ولم يفعل مثلما فعله الكثيرون حين عادوا من اوروبا فانكمشوا على ذواتهم منعزلين في ابراج وصوامع ، وانما حرص على تجريب هذه الثقافة في الممارسة وعبر المواقف ، ليفيد في أوسع مجال ، وليدفع عجلة التغيير والتقدم الى أمام .

ان هذا الحرص على الحضور ومتابعة المعرفة والجهر بالرأي وخلخلة المنهجية التقليدية العاجزة ، هو ما يجعل من طه حسين صاحب مشروع نقدي متكامل ينطلق من الادب ليلامس الثقافة والسياسة والايديولوجية ، مشروع تنعكس عليه مختلف العوامل واللحظات التاريخية الفاعلة في تاريخ المجتمع المصري . ومن ثم فان طه حسين بما توافر لديه من امكانات ذاتية ، وبمعايشته لقضايا أساسية ، يعتبر أحسن نموذج لدراسة اشكالية الادب والثقافة العربيين لاستجلاء الانجازات والمعوقات ، ولاستخراج الحصيلة وتعميق النقد استشرافا للتجاوز .

لا اقصد من هذه الكلمة الموجزة ، القيام بمثل هذه الدراسة ، ولكنني أسجل فقط بعض الافكار والملاحظات المستخلصة من قراءاتي لكتابات طه حسين ومن الحوار الذي اديره مع نفسي كلما حاولت ان اؤطر هذه الظاهرة العملاقة التي تتأبى عن كل تأطير ، وتستعصي على كل تحليل أو تفسير .

لاشك ان السياق العام الذي يعطي لمشروع طه حسين دلالته والتحامه هو بالاساس سياق الليبرالية الديمقراطية كما اخذ يتبلور منذ العشرينات في مصر والذي اكتسب الكثير من مقوماته النظرية على يد احمد لطفي السيد واصحابه بتفاعل مع جماعة بنك مصر المشكلة لمشروع التبرجز على المستوى الاقتصادي

لقد اختار طه حسين ان ينضم الى حزب الاحرار الدستوريين باعتبارهم يمثلون العقلانية « الرشيدة » المستوحاة من الفكر الارسطي ومن مقولات الديمقراطية الليبرالية الغربية ذات الاواصر مع المفهوم الانساني للفكر . اختار هذا الاتجاه بدلا من الاتجاه الوطني الرومانسي ، وبدلا من الاتجاه الثقافي ، فانعكس هذا الاختيار على مجموع ما كتب : انعكس عليه حين جعل من العقلانية المنحدرة من فكر غربي خاص منهجه في اعادة النظر في التراث وفي دراسة التاريخ ، وفي التخطيط لمستقبل الثقافة .

لكي نفهم هذا الافتتان بالغرب وبالثقافة الانسانية عند طه حسين في مطلع حياته الفكرية ، لابدان نستحضر المثل العليا والاحلام الوردية التي كانت تراود الطبقة الوسطى المصرية وتفريعاتها البورجوازية تحت تأثير تطلعاتها الاقتصادية والاجتماعية وتدفعها الى اتخاذ الغرب نموذجا يحتذى . ان هذه الطبقات التي احتلت المجال الحيوي بعد سنة ١٩٢٠ كانت تحتضن فلسفة ليبرالية على المستوى الاقتصادي وتحرص على استيحائها بدون ان تعنى بدراسة الاصول والشروط التي اتاحت لها النجاح في المجتمعات الغربية .

ولكن طه حسين لم يكن من ذوي « المصالح الحقيقية » كان اقتناعه بالعقلانية والديمقراطية وبالليبرالية اقتناعا يستمد أصوله ومقولاته من دراساته وجولاته الواسعة في الفكر الانساني ، ومن كرم طبعه وحرصه على ان يسهم بفعالية في تطوير وترقية مجتمعه . وسرعان ماكشفت له الممارسة عن جوانب خفية معقدة من المسألة الاجتماعية ومن الصراعات الحقيقية التي تقتضيها عملية التغيير . عاش التجربة حين اصطدم مباشرة بهذه القوى الليبرالية المقنعة التي عجزت عن افراز قيم اخلاقية واجتماعية وفكرية مساوقة لمذهبها الاقتصادي المتلهف على الربح . . عرف الوجه الاخر للثقافة حين اضطرته الممارسة الى تعديل وتصحيح الكثيرمن تقديراته وتحليلاته المجردة .

ان من اللحظات الاساسية في مسيرة طه حسين ، تلك اللحظة التي اخذ يعيشها منذ سنة ١٩٣٠ ، عندما تراكمت التناقضات والازمات ، وتراكمت الاسباب الموضوعية والذاتية مشيرة الى ضرورة تغيير الهياكل والبنيات بعد ان فشل الاستقلال الشكلي المعلن عنه سنة ١٩٢٣ في ان يغير شيئا . كانت هناك طلائع جيل جديد تتوافد على الساحة لتؤكد انهيار البديهيات التي شيدها جيل الرواد . وكان طه حسين يشاهد القيم الليبرالية الديمقراطية تدفن تحت مطارق الدكتاتوريات المتعاقبة المتواطئة مع السراي : اسماعيل صدقي ، محمد محمود ، ابراهيم عبد الهادي . . الخ

ان طه حسين الذي حرص دوما على الانصات لشعبه قد وجد نفسه مشدودا الى القوى الجديدة المتسائلة امام المأزق عن كيف السبيل الى جعل الثقافة تساهم في التغيير الحقيقي ؟ .

ما كان لطه حسين ، وقد عاين عن قرب ، تخلف البورجوازية الليبرالية الا أن يعيد النظر في اختياره السياسي ، فافترق عن الاقلية « المتنورة » وعن الالتباسات التي تربطها بأصحاب المصالح الحقيقية ، لينضم الى الجماهير الواسعة المنضوية آنذاك في حزب الوفد رغم تناقضاته الايديولوجية والطبقية .

هل نفسر هذا التحول بأن طه حسين قد ادرك ببصيرة وحسه العميق ان كل تغيير يستلزم ان يستند على بنيات اجتماعية وبشرية حقيقية تكون مهيأة موضوعيا وتاريخيا للتغير والتغيير ؟

ان هذا التحول السياسي — الثقافي في حياة طه حسين يكتسي اهمية كبرى اذ جعله يتجذر في السيرورة الاجتماعية ويقيم روابط عضوية بينه وبين المشروع القومي المستهدف للتحرر والانخراط في العصر .

لذلك نجده بعد توقيع اتفاقية سنة ١٩٣٦ يتحمل مسئولياته ليخطط لمستقبل للثقافة في مصر . وان هذا الكتاب من أهم ما أنتج طه حسين لانه ، بالرغم من اختلافنا معه في التحليل والاختيار ، يعتبر مشروعا ايديولوجيا لفئات اجتماعية كانت وما تزال تتهم في علاقاتها مع الغرب على نحو لا يخلو من الاستلاب والمبالغة في حسن النية بالثقافة « الانسانية » .

الا أن انغمار طه حسين في الممارسة جعله يكتسب تجربة وصلابة مكنتاه من ان يقدم شيئا ملموسا لتغيير الشروط الاجتماعية والثقافية القاسية التي كان يعيش فيها الاف من اطفال وشباب مصر .

ان كثيرا من القضايا والاشكاليات التي عالجها طه حسين لاتزال مطروحة على الثقافة العربية المعاصرة . واذا كان له فضل الريادة في تجذير الفكر النقدي ، وارساء بعض اسسه ، فانه يتبقى على الاجيال الحالية والاتية ان تحقق المعادلة الصعبة القاضية بأن تجعل لاختيارات المجتمع العربي اسسا مادية وبشرية وثقافية ملتحمة بالعصر ، ورافضة للاستلاب ، سواء كان استلابا تجاه الماضي أو تجاه الغرب

محمد برادة
اتحاد كتاب المغرب

قصة قصيرة

ادعاءات المواطن سخم سخام رع

أحمد الشيخ

بيانات وثائقية غير رسمية :

الاسم الرباعي : سخم سخام سخموى ماعت .

الوظيفة : مسجل قوائم ملوك الزمن الاول تم تحنيط جثته بأمر فرعون قليل الشهرة ، كانت له مقبرة وتابوت وتمثال على الباب الشرقى لكنه تعرض لمجموعة من التراكمات واختفى كل شىء حتى تم اكتشاف التمثال وتابوت المومياء فى بدايات القرن التاسع عشر من التقويم المعاصر الموافق نهايات الالف السابع لجلوس الملك خع سخم على عرش مصر ، وقد تم تدمير المومياء وافسادها بفعل اثرى مبتدىء يتميز بالخراقة وكان قد جاء مرافقا لغزوة احد مشاهير القرن الثالث بدعوى انه عالم مصريات .

وكيل المدعى الغائب : مفتش آثار فى الاربعين يصعب البوح باسمه الحقيقى خوفا على وظيفته ومختصر الاسم المستعار هو س.س.ن ه

الموطن الاصلى : جنوب مصر [قرية جنب وادى الملوك او ما يسمى حاليا بمدينة الاقصر] .

اللون : جرانيتى احمر تحت الاتربة والوساخات .

الشهود : ١ لوحة المجاعة الاصلية ، وقد تعرضت لاهمال حكام مصر من فراعنة الاسرات المتأخرة وبسبب عصور الانهيار المتعاقبة الى أن جاء أحد ملوك البطالمة المتأخرين وسمح باعادة تسجيل ما كان مسطورا على الاثر الاصلى [لم يكن فرعونا بأى معيار وانما هو غاز استتب لاسلافه الامر فى مصر وكان يجهل مثلهم تاريخها جهلا مطبقا ولا يعرف حرفا من لغتها] وقد حدث ان اخطأ الكاهن المسئول من قراءة النص وقام باملاء متعجل فتم تسجيل الاسم الاخر سخم سخام رع وجعل الوظيفة تتحول الى :

مضحك جلالة الملك زوسر والذى طول قامته شبر ونصف الشبر . وربما جعل الامر هكذا ليكون طريفا حيث لم يكن ثمة دليل على احتمال أن يكون الخطأ غير مقصود صانى الدعابة . ومازالت لوحة المجاعة مطمورة تحت أنقاض المدن التى خربتها جحافل الغزاة من الفرس والرومان وكل من تبعهم ويلزم البحث الجاد لاخراج اللوحة الاصلية . !

٢ [كا] سخم سخام سخموى ساعت [روح] وهى حائرة منذ تدمير مومياء المذكور أعلاه ، تبحث عمن يسمع شكاياتها دون جدوى .

٣ ــ مجموعة من اوراق البردى المسلوبة موزعة على متاحف لندن واللوفر وبرلين وتورين وغيرها من متاحف العالم بالاضافة الى هواة جمع الاثار وتجارها فى العالم الغربى على وجه التحديد .

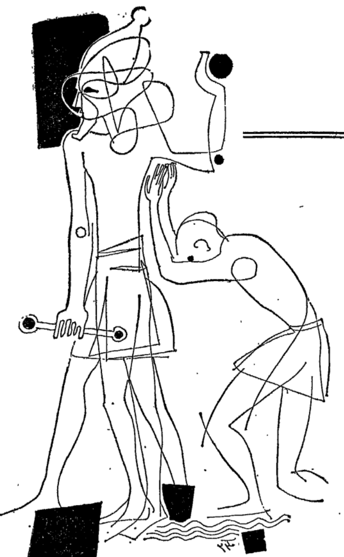
٤ ــ التمثال الاصلى وهو مركون فى دار آثار فرعية باحدى عواصم المحافظات ومدون اسفله الاسم الحقيقى والمهنة والديانة ، [ومنها يتضح ان المدعى كان من عبدة الاله خنوم ولم يعرف فى حياته شيئا عن الاله رع ولم يكن له عليه ولاية طوال حياته انما آمنت الروح مؤخرا بالاله رع باعتباره الها مصريا يستحق التقديس] .

الادعاءات : متشعبة على هيئة دلتا النهر فى الزمن القديم واخطبوطية كما يقال فى الزمن الحديث .

● ● ●

اوهام طالب الاثار حول تمثال رمسيس :

كان قد أخذ الامر بجدية تفوق مايمكن احتماله ، بمعنى أنه وهب نفسه لاستكمال أحد البحوث حول اصل التمثال وتاريخ صنعه وكل النصوص التى تتحدث عنه ، وكثيرا ما كان يثير مناقشات عجيبة لا تخطر على بال أحد وتسفر دائما عن بلبلة فى اوساط الطلبة ، ومرة جاء ببردية وعرضها على الاستاذ مدعيا انها مجرد اكتشاف ضمن مجموعة من الاكتشافات المزمع استكمالها ، وقد عجب الاستاذ وطلب منه تسليمها فورا الى مصلحة الاثار فلم يمتثل للامر بدعوى انها



ستكون فى أمان معه ولن تتعرض لأى سوء .

فى احدى الامسيات وبينما المدينـــة غافية وحارس التمثال راقد علىقاعدته الجرانيتية جاء الطالب وجلس عند قدم التمثال اليمنى واخرج آلة حادة وراح ينبش بها عند الكعب تماما وظل علىهذا الحال ينبش فى تؤدة ، وعيناه تتلصصان على الحارس مجاذرا أن يكتشف أمره ، وقد انقضى الليل بطــوله على هـــذا حتى بدأت المواصـــلات مســـارها المعتـــاد فقام من جلســته بينمـــا كان الحارس يتحـــرك حركة عفـــوية تنـــذر بالصحو ، نفض الطالب ملابسه ونخاص من ذرات الحجر وابتسم وهو يدارى سلاحه ويتجه الى محطة المترو دون ان يلحظه احد ، وقد ادهش الجميع عندما وقف فى المحاضرة يعلن بحمـــاس كأنه اليقين رايا غريبا قائلا للاستاذ :

— رمسيس الذى يقف الان مشـــــدود القوام شامخ الانف متطلعا باســـتعلاء وشموخ الى كل الكائنات عنـــد موطىء قدميه لا يحمل ملامح الفرعون الحقيقية ، انه مجرد تمثال مكرر ، نسخة مقلدة من التمثال الحقيقى الذى ضـاع .

دهش الاستاذ من تلك الدعوى وقال بعد تفكير بشىء من المكر :

— وما هى ادلتك على هذهالدعوى ؟

أجاب الطالب بحماس :

— عندى مجموعة من الوثائق ،وهناك دليل آخر ، أنت قلت لنا ان التمثـــال كتلة مصمتة ، بينما هو مجوف منالداخل ، وانا ازعم انهم سرقوا التمثال الحقيقى وهربوه فى غيبة الحراس أو حتى فى حضورهم .

اصفر وجه الاستاذ وبدت عليه الحيرة لحظات ثم تماسك وراح يسأل الطالب بنبرات وتورة :

— والوثائق ؟ اين الوثائق؟ الموضوع خطير كما ترى ولابد من دليل .

ورد الطالب باستخفاف وهو يحدقفى عينى الاستاذ :

— الوثائق عندى ولن تراها الا بعـــد التحقيـــق فى الامـــر كله ، انا اعتبرك مسئولا معى الى ان تتضح الحقيقة .

وهنا اغتاظ الاستاذ من تلك الجسارة التى تصل الى حـــد الوقاحـــة ، أحس بضيق شديد وطرد الطالب من المدرج ، وساد صمت انقسم الطلبة والطالبـــات بعده الى فريقين متخاصمين احدهما يؤيد الاستاذ فى سلوكه بينما الاخر يرى أن الاسلوب الذى اختاره بطرد الطـــالب تنقصه الكياســـة وهـــو على كل حال اسلوب لا يتسم بالديمقراطية وانه كان من الواجب مناقشة القضية مادامت فى مجال العلم بدلا من استخدام السلطةفى طرد من يخالفون الاساتذة فى وجهـــات النظر ، وقد رد الاستاذ على ذلك الفريق المعارض بأنه يأسف لما جرى وانهلظروف خاصـــة لم يكن مهيئا للاسترســـال فى مناقشات تتسم بهذا القدر من الخطورة فى هذا اليوم بالتحديد ، ثم وعد الطلبة بمناقشته فى المحاضرة التالية وطلب منهم ابلاغ الطـــالب بذلك وانه ربمـــا يتزود بالرجـــوع الى بعض المصـــادر حول الموضوع ليكون النقاش اجدى .

لكنه فى المحاضرة التالية والتىتلتها لم يظهر الطالب وظل غائبا طوال العام الدراسى وكأنما ابتلعته الارض فى غفلة من جميع الناس . وفى صباح الامتحان تساءل الطلبـــة والطالبـــات عن زميلهم الغائب فقال احدهم انه سمع انه اصيب بلوثة فى عقله ودخل مستشفى الامراض العقلية وعقب آخـــر بأنه ربمـــا تعرض لبعض الشرور لو صدقنـــا الاســـاطير التى تقال عن لعنة الفراعنة لانه اكتشف أو كاد ان يكتشفسرا لا يجوز اكتشافه، وهنا همس أحد الطلبة فى اذن زميل له بأنه تصادف ان مر بميدان رمسيس فى ذلك المساء التالى لليوم الذى اختفى فيه الطالب وقد رأى بعينى رأسه مجموعة من علماء الاثار يلتفون حول قاعدة تمثال رمسيس ويبدو انهم كانوا يقومون بعملية ترميم لساق التمثـــال اليسرى وان كان غير متأكد من وجـــود اسيـــتاذهم وسط الجمع .

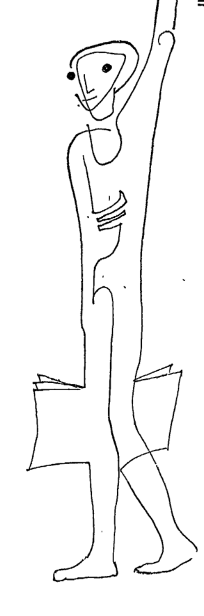
وفى آخر أيام الامتحان همست بنت فى اذن زميل لها كانت على علاقة وثيقة به يمكن ان توصف بالحب والثقة قائلة انها سمعت من احـــد الرجال المرموقين وهو يمت اليها بصلة قرابة كمـــا يعرفه الطالب نفسه ،سمعت بانزميلهمحبوس منذ ذلك اليوم الذى ناقش فيه استاذه على ذمة التحقيق فى قضية مخدرات ،

وتبرعان ما نشر الولد الخبر على كل من صادفه من الزملاء دون ان يدرى لماذا وربما كان يشك فى أن الامر لا يزيد عن قضية ملفقة أو شائعة لا اساس لها من الصحة .

حكاية الولد الذى كان يصعد الهرم:

ولما تخرج المواطن س.س.ر من معهد الاثار عينوه مفتشا فى منطقة الاهرامات وقد تعرف على ولد من نزلة السمان كان بارعا فى صعود الهرم بشكل مميز لدرجة أن السياح كانوا يدهشون بسبب جسارته فى الصعود بيسر وكأنه يمشى على الارض ، كان عمر الولد لا يتعدى الحادية عشرة بحال من الاحوال ، وقد أحبه مفتش الاثار وكان يعطف عليه لانه عرف أنه ابن لحارس قديم من حراس الهرمات فىظروف غامضة منذ سنوات، كان الولد اسمه عادل وكان يتيما ومحببا الى نفس مفتش الاثار لدرجة أنه لما كان يغيب يسأل عنه كل من يصادفه ، وعندما يقابله يجيبه عنكل الاستفسارات التى يطرحها حول منطقة الاهراماتوكان يسمح له بدخول حجرة الدفن بلا مقابل. وقد اكتشف المواطن س.س.ر من خلال المناقشات أن الولد عادل لم يكن خالى الذهن تماما عن حقيقة البناء لدرجة انه كان يجادل المفتش نفسه فى بعض الامور ويذكره ببعض التفاصيل الدقيقة التى نسيها بسبب مشاكله الاجتماعية ، والعجيب أن الولد عادل كان يجيد الحديث حول الاهرامات وتاريخها بالانجليزية والفرنسية وأحيانا بالاسبانية ، يمكن القول ان الولد بدا لمفتش الاثار كنزا واعجوبة ، كان أحد حراس الهرم يكره الولد عادل ويطارده أحيانا ويمنعه من صعود الهرم ، لكنه فى حضور المفتش كان يحس أن الاهرامات كلها ملكا له ، وقد دبر الولد وسيلة لاشباع رغبته فى صعود الهرم وكتابة اسمه على احجار قمته ، وقد باح للمفتش بأنه ينوى تسجيل اسمه على كل أحجار القمة وعددها الف حجر تقريبا وعندما سأله المفتش مستفسرا عن عدد أحجار الهرم اجابه بأنها تزيد على المليونين فدهش المفتش وقال للولد ان الامر سوف يرهقه لكن الولد هون الامر وقال انه يلزمه حوالى ثلاث سنوات لو سجل اسمه كل يوم على حجر وابتسم المفتش للولد واعطاه كتيبا من مصلحة الاثار مخصصا للسياح ويحتوى على مجموعة لطيفة من الصور الاثرية .

فى صباح باكر ارتدى الولد ملابسه وقال لنفسه أن ميعاد المدرسة لم يحل بعد وحسب الوقت وقال لنفسه : يمكننى أن أصعد واسجل اسمى قبل استيقاظ الحارس . حام حول الهرم فلمح الحارس الذى لا يحبه وتوارى عنه ، كان الجو مشحونا بالضباب وكان هناك مع الحارس سائح غريب وعدد من الحراس وكان ثمة شىء يقومون بتحميله فى سيارة كبيرة نصف نقل كأنه تمثال أو مومياء ، ولقد سمع الولد همسا غريبا فلم يهتم ، كان مشغولا بنفسه وبدأ فى صعود الهرم ، وتدانطلقت السيارة بحملها بينما الولد يصعد فى طريقه الى القمة ، وعندما بلغها بدأ يكتب اسمه على احد الاحجار فى عجلة من أمره وهنا ظهر له الحارس الذى كان يصعد خلسة ويقترب منه بشكل بدا له أنه سوف يمسكه وقد شخط الحارس فى الولد بكراهية طالبا منه النزول ومهددا اياه بأن يرميه ، وقد توترت ملامح الولد ولم يستطع مقاومة الخوف ، أحس بنوع من الدوخة وعندما تحركت قدمه اليمنى تتحسس الحجر تحته انزلقت وأفلتت يداه المسكتان بالحجر الاعلى فتدحرج الى الهاوية كأنه كرة من المطاط تهوى دون أن يعترض مسارها شىء ، هكذا اذن كان الحارس سببا مباشرا فى موت الولد عادل وقد نزل مسرعا وأفهم الحراس الاخرين أنه لو شهد أيهم ضده فسوف يعترف بتفاصيل كل ما جرى فى منطقة الاهرامات منذ عين فيها حارسا ويجر بذلك اقدامهم معه ، وكما قال مهددا .. وعلى وعلى أعدائى ، لكن الحراس كانوا من محترفى التكتم على الكثير مما يعرفون، لكنه اتضح فى مساء نفس اليوم أن ظنهم قد خاب لانه حدث أن السائح الذى هو فى حقيقة أمره مجرد لص آثار كان قد قرر شحن ما أخذه من آثار على ظهر أحدى السفن وحدث أن تصادف أن شك احد المختصين فى الشحنة وفتح الصندوق واكتشف الامر ورفض بعناد ما قدمه السائح من عملة صعبة كنوع من الرشوة ليسكت ، غير أن المختص كان حديث التخرج ويقوم بعمله بصورة مثالية تفتقد الى المقدرة على السكوت عن مثل هذه الامور فأبلغ الشرطة وتم القبض على لص الاثار متلبسا وبدأ فى التحقيق معه فاعترف بكل شىء وتم القبض أيضا على كل حراس منطقة الاهرامات .



ولقد بدا لمفتش الاثار الذى كان حزينا من أجل الولد عادل أن سرقة الاثار فى هذا الصباح لها علاقة بسقوط عادل فأسرع يدلى بأقيواله لمن كانوا يتولون التحقيق موضحا ان عادل له علاقة بالامر وأن سقوطه من فوق الهرم يشبه ما رآه فى أحد الافلام الامريكية التى تناقش نشاطات عصابات المافيا . وقد شكره المحقق على هذه المعلومات ذات القيمة .

ومن يومها التفت المواطن س.س.ر الى حقيقة كانت غائبة عن ذهنه فقال لنفسه . .انهم يسرقون الاثار .. وبدأ يستعيد حكاية زميل دراسته الذى ناقش الاستاذ مرة عن تمثال رمسيس ثم اختفى بصورة اسطورية ولم تظهر له آثاره، فقال لنفسه ايضا «انهم بارعون فى الخلاص من كل من يعرفون » وخاف على نفسه فقرر ان يبدو جاهلا بكل ما يدور حوله وان يجهد نفسه فقط للقيام بتسجيل أمين لكل الحقائق التى عرفها والتى يمكن ان يكتشفها ، وطوع نفسه على عدم البوح بشىء مما يعرفه لاحد حتى زوجته ، وقد تيسر لمفتش الاثار ان يقوم بعدة أبحاث ذات قيمة علمية خاصة ومن بينها بحث يستند الى بعض الوثائق وتدعمه مجموعة لا بأس بها من القرائن حول موضوع المواطن سخم سخام سخموى ماعت الذى نقلوا اسمه من لوحة المجاعة الاصلية بطريقة خاطئة على اللوحة الاخرى فأصبح بذلك يدعى سخم سخام رع والذى من كثرة ما اهتم بدراسته بشكل تفصيلى متتبعا حياته ونشاطاته وما تبقى من آثاره أصبح يشعر انه جزء منه ، لدرجة أنه كان يتجلى له احيانا فى امسيات الشتاء ويحدثه بالفعل شاكيا مما حصل له بسبب لصوص الاثار وحراس المقابر المرتشين ، ولولا أن مفتش الاثار كان يمتلك قلبا شجاعا لا يعرف الخوف ولولا انه اهتم فى فترة سابقة من حياته بتحضير الارواح وآمن بعدها بفكرة الحلول بمعنى عودة الارواح لتحل فى أجساد جديدة فى أعقاب كل دورة فلكية مداها نحو سبعة آلاف سنة . لولا كل هذا الايمان لكف عن البحث ولما صدق على كل حال انه هو نفسه الذى سجل بقلمه تلك الملاحظات العجيبة من حياة سخم سخام رع ، ولربما كان يقول لنفسه انها مجرد أوهام أو أن ما تم تسجيله ليس الا وثيقة قديمة قام بنقلها حرفيا فى كشكول يملكه . ولقد رفض مفتش الاثار شكوكه هو نفسه فى ان يكون قد اصيب بما يسمى بلعنة الفراعنة فغاب عقله أو كاد، فاستمر دؤوبا على ما كان قد بدأه وعكف على تسجيل كل ما كان يراه متدرجا من الزمن القديم بنظام حتى العصر الحديث قائلا لنفسه « ربما يفيدهم هذا البحث مستقبلا » لكنه بسبب الوسواس الذى كان يلازمه دوما ويبرع فى زرع المخاوف فى صدره عاد وبعثر ما كان مسطورا بنظام فى كشكوله الاول الذى مزق أوراقه قبل ان يحرقها وراح يطالع ما سطره عن ذات الموضوع فى كشكول آخر ويهز رأسه استحسانا ويقول لنفسه مطمئنا : «حتى لو وقع الكشكول فى أيديهم فسوف يحيرهم ويجعلهم عاجزين عن لملمة أطراف ما يحتويه » وارتاح المواطن س.س.ر نوما وعقد العزم على معاودة ترتيب المعلومات بعد ان يحال على المعاش .

● ● ●

جانب مما ذكره المواطن سخم سخام رع على لسان مفتش الاثار:

اطمئنوا بالا فسوف يعود الرجال الرجال ، بناة الاهرامات والرعامسة والتحامسة وغيرهم من ملوك الزمن الاول، سوف يعود على الاخص سقنن رع تاما وأحموزى وكل الشجعان من اسلافكم بعد طول الرقود ، ولسوف ينساح الرجال فى اتجاه الشرق ، يكنسون ما تبقى من فلول الغزاة ، فزاة الزمان الاول لم يرحلوا الا بعد ما ضحى الرجال .مومياء سقنن رع تشهد بما كان ، الدماغ المهشم ببلطة غادرة ، واللسان المضغوط عليه بالاسنان وعجلة الكهنة فى تحنيط الجثمان ، كل ذلك يوضح انهم لم يرحلوا الا بعد ان ضحى الرجال والملوك ، بعدها انساحت جيوش أحموزى فى اتجاه الشرق. ان كنتم نسيتم ماجاء فى برديات الاسلاف وما سطروه لكم فى كتاب الموتى ومتون الاهرام ووصايا الحكيم القدم ايبور فيلزم ان تعاودوا فتح الصفحات، ربما لتصلوا بعدها الى سر الاسرار او ما كان يدور فى قدس الاقداس . انما الاكيد ان سيعود الرجال الرجال فى ثياب جديدة وسوف يتم اخراج كل من وطأت اقدامه ارض مصر غصبا ، ويومها يلزم ان تمحوا مع الرجال عن لوحة المجاعة الاصلية ، ان تصلحوا مومياء البائس سخم سخام رع ، أن تعيدوا كل ما سلبوه منكم وانتم فى غفلة من أمركم بدءا بحجر اللغات الثلاث الذى فك رموزه وافد اجنبى مع غزوة وصلتكم فى بدايات القرن الفائت وانتهاء بآخر جعران مسلوب بواسطة سائح يهوى جمع الاثار من كل بلاد الحضارات البكر .وثمة اشياء لا يجز نسيانها بحال من الاحوال : تاج حتشبسوت الذهبى ، عصا اخناتون ، وأساور وقلائد الملكات تى، اياح حتب ونتى شرى وغيرهن مما اخذوه وجعلوه لزوجاتهم فى البلاد البعيدة . ثم برديات كتاب الموتى وكل النصوص ذوات القيمة والتى تحكى عن ميراثكم الذى تجهلونه . ساعتها سوف يجىء الرجال ويسود الحب والسلام وحتى شمسكم التى كانت تطلع عليكم كل صباح باستحياء سوف تستعيد جرأتها على التطلع الى وجوهكم فتتفتح عيونكم على نورها الحنون وترون ما يدور حولكم، وسوف ينمحى العماء من كل العيون وتزول اشباح المخاوف .

صلوا لرع .

٢ ـ وشاية :

ليست وشاية كما تحسبون ، انها شهادة لوجه الاله الذى تعبدون ، كان ثمة تمثالان بائسان من حجر الجرانيت الاحمر لمواطن يدعى سخم سخام وقد ظلا لوجه جيوش الغزاة ، وقد تم اكتشاف احدهما مطمورين تحت انقاض قرية قديمة عبرتها فى اوائل خمسينات هذا القرن عند أحد ابواب المقبرة ، وعلى قاعدته كتابة بخط واضح يمكن تفسيره ، أما التمثال الاخر فقد تم اكتشافه قبلها بسنوات لكن ماكان مسجلا على قاعدته استحال الى حروف مطموسة وباهتة وهو موجود فى أحد متاحف الاقاليم بعد ان واجه العديد من الصعاب ، فى اول الامر شالوه وحطوه على عربة تجرها الجياد العربية الاصيلة، ثم وضعوه وسط كومة من التماثيل وأوراق البردى والجعارين والادوات التافهة فى أحد مخازن القلعة ، ثم نقلوه الى دار بالازبكية ثم بولاق وبعدها استقر حيث هو الان ، كان هذا هو ما حدث للتمثال الثانى ، اما التمثال الاول فقد لاقى من الاهوال ما جعله اشد بؤسا ، ذلك انه رأى بعينيه الغرباء يدخلون المقبرة ويدمرون مومياء المواطن سخم

تسخام بعد ما تسلبوا كلُ ما وجدوه من حلى واوراق بردى ، بل انهم كسروا التابوت نفسه ، وقد كره التمثـــال حياته من يومها لانه بتدمير المومیـــاء سنتوه الروح فى عوالم مجهولة .،هكذا أذن ضاعت «كا» سخم سنخام لسنوات طوال حرموها خلالها من الاطمئنان الى وجود بدن مستقر فيه وظلت تحوم فى ظلمات العالم تندب تاريخهـا المطموس وتنعى حظها التعس الذى جعلها تدور فى مسارات بلا غاية ، تماما كما حصــل لتمثاله فى رحلة الضياع المالوفة .

فى البدء حملوه على سـيارة نقــل وربطوه بحبال متينة ثم وضعـــوه فى صندوق ودفعوا بالطبـــع لكل من راى وسكت ، كان اسم السفينة التى استقل ركنا على سطحها « فريدم شب » وقد قال السائح المثقف والذى خلص كل شىء بعملته الصعبة موجها حديثه الى التمثال:

ـــ لا تحزن يا صديقى فسوف نهتم بك فى بلادى ، ســوف نضعك فى المكان اللائق لتراك الملايين من ابنـــاء وطنى المتحضر وسوف تخلص من غباء الجهلة الذين عـــاشرتهم آلاف السنين دون ان يلتفتـــوا اليك ، كانوا كمـــا تعرف يحسبونك مسخوطا غضب عليـه الاله فحوله حجرا ، هىء .. هىء .. الم يكن الامر كذلك ، المساخيط ؟ أنا اعرف لغتهم ، تعلمتها من أجل تخليص ما يمكن تخليصه من بين أيديهم ، سبق انخلصت مسلة كاملة وسليمة .

وسكت اللص المثقف كما سماه التمثال بعدها ، وراح يحشو غليونه ويشعله ويمتص دخانه ملتذا . وعندما وصلت « فريدم شب » الى الميناء انزلوا التمثال ثم نقلوه بحرص بالغ الى العاصمة ، وفى الشارع الرئيسى حيث يقوم المتحف انزلوه مرة اخرى ، كانوا يهنئون الرجل وكأنه فتــح عكا فعجب التمثـــال الذى وسعوا له مكانا نظيفا وفسيحا واحاطوه بزجاج شفاف وسلطوا عليه الاضـــواء بشكل رائع ، كان المكان مكيفا وكانوا يتوافدون بنظام ودأب ودون كلل ،يقفون ويتأملون منبهرين ويتجادلون فى بعض التفاصيل الخفية ، هكذا اذن ظل التمثال منصوبا فى متحف غريب لسنوات طوال وقد جاءه اللص المثقف الذى قام بنقله يوما وقال من بين شفتيه بحماس :

ـ متسخوط سـخم سـخام شخموى ماعت ، كيف الاحوال ؟ أنت مسـجل قوائم قديم وتعرف قيمة التاريخ. جئت اخبرك بأنه هناك صفقة لو تمت لاستحق اسمى أن يسجل فى صفحات التاريخ ، سنشترى هذه المرة كلُ آثاركم المكررة فنقدم للعالم المتحضر خدمة لا ينساها ، كل هذا من اجل عملتنا الصعبة ياصاحبى، ان لها فعل السحر ولها قدرات جمــة على شراء التماثيل والمسلات والجعارين بنفس درجــة قدرتهـا على شراء ذمم المرتشين وذوى الضمائر ومحدودى الافق والاذكياء .

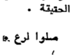
وقد سكت التمثال طبعا لانه لم يكن مطالبا بالرد ، ليلتها حامت حول التمثال روح سخم سخام قلقة متوترة مغتاظة بسبب ما كان يشيع أيامها من احتمال عقد صفقة لبيع الاثار المكدرة «ان أرواح الاسلاف تطن فى فراغ الوادى دون أن يسمعها أحد ، ومياه النهر تلعن كل من يشرب منه جرعة ويرضى بمثل هـــذا التفريط المهين بالثمن البخس » بهذا كانت الروح تهدر دون أن تدرك انها تخاطب تمثالا بائسا وعاجزا من حجر الجرانيت.



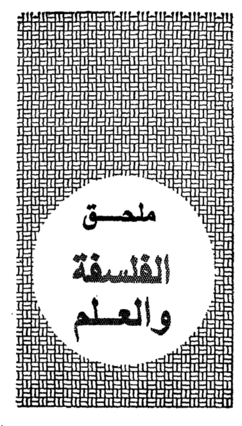
ومرة أخرى وبعد سنوات قليلة جاءت الروح وهى فى حالة من الهيـــاج يرثى لها وكانت تتشكى هــــذه المرة من شر رهيب كما قالت . « انهم السـماسرة وتجار الخـــردة واللصـوص من ذوى الوجاهة هذه المرة ، يجتمعون سرا مع مجموعة من الغرباء لبحث الاجـــراءات الواجب اتخاذهـــا لاتمام صفقـــة آثار يستحيل تعويضها ، هذه المرة ســيكون الامر سطوا ولصوصية وسوف تبـــاع كل دلالات حضارتنا .فى واحدة من مدن الغرب وهى على كل حال متر عـــالى للسماسرة والافاقين وهـــواة المغـــامرة من ذوى الارصدة الفلكية الارقام ، دعك ايها التمثال من اللصوص الصغار من يطمعون فى بضعة آلاف ، ودعك مـــن حراس المناطق النائيـــة الذين يفرطون فى بعض الجعارين أو حتى مومياء بائسة لمواطن مجهول ، كل هذا لا يهم ، الامر هذه المرة خطير ، انه مهـــزلة تنمحى بعدها كل دلالات الحضارة فى وادينـــا الحبيب .. أوه ، انت لا تسمعنى .. قد لا يعود الرجال الرجال الذين فات على موتهم الاول سبعة آلاف ..هيه.. ماذا تقول » .

وكأنما أجهد الروح كل هذا الحديث واغتاظت من صمت التمثال ، لكنـــه لم يكن ثمة مهرب من ان تطرح مخاوفهـــا حتى ولو لتمثال حجرى أصم ، تساءلت الروح هذه المرة دون ان تنتظر جـــوابا « هل يجرؤ واحد من الابنـــاء هنـــاك على ابلاغ الشرطة وحراس الاثار الشرفاء وحـــــراس الحـــدود أو حتى علمـــاء اليونسكو ؟ » .

وهنا سكت التمثال أيضا لانه اعتبر نفسه غير مطالب بالرد ، كان يقـــول لنفسه « انها روح ثرثارة وتحب الوشاية كطبعها القديم ، ثم انها وجدت لنفسها بدنا جديدا ويمكن بذلك ان توضح الامر لو كان حقا وصدقا الى كل الجهـــات المعنية أم ترى هو الحرص على سنوات العمر الجديد ؟ . » بهذا كان التمثال البائس حائرا بالفعل وعاجزا حتى عن الانتقال الى أرض مصر ليرى ويســمع بنفسه كل شىء كارها أن يصـــدق تلك الوشايات متخوفا ان يكون لها ظل مـــن الحقيقة .



صلوا لرع .



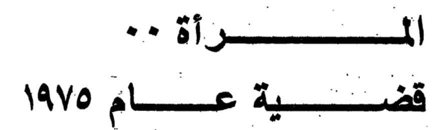
أبريل ١٩٧٥

□ المرأة .. قضية عام ١٩٧٥

د. مراد وهبه

□ البحث العلمي والتكنولوجيا في المجتمع المصرى

د. عمر الفاروق عثمان



رأت منظمة الامم المتحدة أن يكون هذا العام هو عام المرأة .

ورؤية المنظمة هى **رؤية تحريرية** فى المقام الاول بحكم انشغالها بقضايا الظلم والتسلط والاستغلال ..

وملحق « **الفلسفة والعلم** » منذ صدوره فى اول ابريل من العام الماضى وهو منشغل بهذه القضايا . فقد جاء فى افتتاحية العدد الاول « **أن الخلفية الاجتماعية ملازمة للفلاسفة والعلماء على حد سواء** ، **ومن** ثم فان قضية المجتمع وتطوره ليست بمعزل عن هؤلاء جميعا ، بل ان اسهامهم فى تناولها **لازم وضرورى** » ..

وقضية المرأة من قضايا المجتمع ، - هى بالتالى موضع اهتمام الفلاسفة والعلماء . وتاريخ الفكر الفلسفى والعلمى حافل بآراء متباينة فى طبيعة المرأة ووظيفتها الاجتماعية والحضارية ..

يقرر **افلاطون** فى « **تيماوس** » ان المرأة شريرة بطبيعتها ، ذلك أن الآلهة قد صنعت الرجل كاملا ، ولكنها اشترطت عليه المحافظة على كماله حتى ينعم بحياة سعيدة بعد الممات ، وفى حالة الاخلال بهذا الشرط فليس من عقاب سوى ان يولد مرة ثانية على هيئة امرأة ..

ويكرر **ارسطو** رأى افلاطون ، فيقرر أن الطبيعة قد حبت الرجل العقل الكامل ، أما المرأة فأقل عقلا . ويقرر كذلك انه ليس بصحيح أن الطبيعة هيأت المرأة للمشاركة فى الجندية والسياسة ، ذلك ان وظيفتها العناية بالاطفال وبالمنزل تحت اشراف الرجل .

ولم تكن آراء افلاطون وارسطو بمعزل عن **المجتمع الاثينى** ، بل لم تكن الا متسقة مع هذا المجتمع المأثور عنه فى تاريخ الانسانية انه كان مجتمعا « **عبوديا** » و « **رجوليا** » فى آن واحد . ولهذا واكب احتقار المرأة انتشار « **الجنسية المثالية** » homosexuality

وفى العصر الوسيط لم تكن آراء الفلاسفة فى المرأة مباينة لآراء افلاطون وارسطو . يقول : كبير فلاسفة هذا العصر **القديس توما الاكوينى** » ان المرأة رجل ناقص ومخلوق عرضى » . ولم يكن هذا القول غريبا عن الطابع المميز للعصر الوسيط وهو الطابع الاستغلالى المتمثل فى النظام الاقطاعى . ذلك أن من سمة الاستغلال تشويه صورة الانسان .

ولكن مع بزوغ **الثورة الصناعية** واندماج المرأة مع الرجل فى عملية الانتاج ، وانفجار **الثورة الفرنسية** استنادا الى مبادىء الاخاء والحرية والمساواة تغيرت نظرة الفلاسفة الى المرأة فخلت من سمة التحقير ، بيد ان هذه النظرة لم تدم طويلا اذ سرعان ما تمسكت البورجوازية الصاعدة ، من اجل ترسيخ كيانها ، بالاخلاق القديمة ، واعلنت ان الضمان للملكية الخاصة هو تضامن الاسرة ، والضمان لهذا التضامن هجران المرأة للعمل المنتج والعودة الى البيت .

وجاءت الثورة البلشفية تصحيحا لمسار الثورة الفرنسية وتجسيدا واقعيا لمبادئها .
وأعلن **لينين** فى حديثه الى أول مؤتمر للنساء العاملات فى ١٩ نوفمبر ١٩١٨ « **الاشتراكية قادرة على تحرير المرأة من وضعها العبودى** » . بيد أن لينين ينبه الى ان هذا التحرير لن يتحقق آليا وتلقائيا ، اذ يشترط **فاعلية** النساء العاملات . اى ان «**تحرير المرأة مرهون بها** » على حد قوله .

ومعنى عبارة لينين ان الرجل قد يكون عائقا فى المجتمع الاشتراكى أمام تحرير المرأة وهذا ممكن ووارد بحكم التراث الانسانى ، اذ هو تراث رجولى ، اى تراث من صنع الرجل وحده ، تراث يصور المرأة على أنها جنس ليس الا ، ويصور العلاقة بين الرجل والمرأة على انها علاقة تقف عند حد «**الجنس**» ولا تتجاوزه الى حد «**الانسان**»

. **وفرويد** يعتبر المثل الشرعى لهذا التصور . فحديثه عن المرأة مقصور على الوظيفة الجنسية وتصويره لعقد المرأة النفسية ذو طابع جنسى **مثل** « عقدة الخصاء » و « عقدة اوديب » ، وتفسيره للحب والكراهية والحسد مردود الى الغريزة الجنسية وحدها . وفرويد بعد هذا كله يفاجىء القارىء بقوله فى كتابه « **محاضرات تمهيدية جديدة فى التحليل النفسى** » أن المرأة « **لغز** » واغلب الظن أن فرويد يهدف من وراء هذا القول الى تثبيت آرائه ، والى عدم مجاوزتها بدعوى أنه ليس بعدها سوى المجهول .

ومع ذلك فقد حاول **سارتر** مجاوزة نظرة فرويد الى المرأة وذلك باجراء فحص « **وجودى** » للعلاقة الجنسية بين الرجل والمرأة . يقول فى كتابه « **الوجود والعدم** » « ثمة ميل اساسى لدى الانسان وهو الميل الى ملء الفراغ ، فالطفل يعلم منذ خبراته الاولية انه ينطوى على ثقوب . فهو حين يضع اصبعه فى فمه فانه بذلك يحاول سد ثقب فى وجهه وهكذا الحال بالنسبة الى عملية التهام الطعام .. فان تأكل تعنى أن تسد ثقبا . ثم يستطرد قائلا « ومن هذه الزاوية يمكن تناول المسألة الجنسية »

بيد أن نقطة الضعف فى نظرة كل من فرويد وسارتر تجاهل فاعلية [**المجتمع**] فى تحديد نظرة الرجل الى المرأة . ومن ثم فانه ليس فى الامكان تحرير المرأة الا بتحرير المجتمع من جميع صور الاستغلال ، اى بتحريره من كل ما هو لا انسانى . **ذلك أن** قضية تحرير المرأة انما تعنى فى المقام الاول تحريرها من نظرة الرجل اللا انسانية اليها . ومعنى ذلك أن قضية تحرير المرأة تعنى فى ذات الوقت تحرير الرجل من هذه النظرة اللاانسانية .

ولماذا عن مجتمعنا العربى ؟

يقول الشاعر العربى « **أدونيس** » فى كتابه « **الثابت والمتحول** » ان اخلاق المجتمع العربى هى اخلاق ذكورية . وحيث تسود الاخلاق الذكورية تسود أخلاق جنسية مزدوجة : فرض العفة الكاملة على المرأة ، والسماح للرجل بأن يمارس حريته الجنسية الكاملة .

وحين قرأت هذا الوصف ابتأست ، فثمة دلائل تشهد على صحة هذا الوصف تأتى فى مقدمتها **الدعوة الرامية الى تحديد لباس معين للمرأة** . فهذه الدعوة ليس لها سوى معنى واحد : تثبيت ماتريد البشرية مجاوزته :

- أن المرأة جنس ليس الا .

وهذا التثبيت استلاب لانسانية المرأة والرجل .

د . مراد وهبة

المــــرأة والثــــورة

د. محمد شعلان

ان المجتمع يبث ما به من أنظمة وعلاقات على الافراد فتصبح جزءامنهم يحملونها معهمفى مختلف مراحلتطورهم فيعيدون تطبيقها فىمختلف المجالات، ويثبتبذلك النظم والعلاقاتالاصلية . والاسرة هى المدرسة التى تبدأ فيها هذه العملية حيث يجد الطفل نفسه ملقى بعد طرده من جنة رحم أمه بدون أسلحة فى مواجهة علاقته بالمجتمع [والذى يتمثل فى الاسرة] ومركزة فى البداية فى أمه . فالام تمثل الحلقة الاخيرة والحيويةفى علاقةالمجتمع بالطفل ، ويتركز فيها جماع القيم الاجتماعية . بهذه الطريقة يضمن المجتمع المحافظة على استمرار كيانه ازاء خطر التجديد عند كل جيل . ان الطفل يريد البدء من جديد ويريد الاكتشاف . انه ملىء بحب الاستطلاع والرغبة فى التجربة والخلق ، وهو لا يقبل بسهولة الافتراضات المطلقة — اذن فهو ثائر فى جوهره ازاء رغبة المجتمع فى المحافظة على كيانه ومقاومة التجديد .

واذا كانت السياسة هى دراسة علاقات السلطة فى مجال الانسان فاننا من هذا المنطلق نستطيع ان نرى عدة مستويات لدراسة هذه الظاهرة . فهناك المستوى المألوف والذى يخص علماء السياسة ونستطيع ان نطلق عليه المستوى السياسى الاوسع Macropolitical وتكون العلاقات هنا أقرب الى علاقة الفرد بالاشياء اكثر منهاعلاقةفرد بأفراد . فالادوار والوظائف والمبادىء تتغلب على الصفات الفردية . والمستوى الثانى هو المستوى السياسى الاصغر Minipolitical وهو يختص بدراسة العلاقات بين المجموعة الصغيرة حيث أكثر من شخصين يكونون علاقة وتتمثل أساسا فى الاسرة الاولية كما نعرفها فى مجتمعاتنا ، وان كانت ليست هى النمطالنهائى أو الوحيد لتكوين مجتمعاتصغيرة . ويأتى فى النهاية المستوى السياسى الدقيق Micropolitical وهو ليس الا تلك العلاقات من خلال المنظور الداخلى ، اى علاقات السلطة بين مختلفاجزاء أو اوجهالنفس البشرية من الداخل . فالفرد طالما لم يكتمل ولم يتجانس ويتوحد فهو منشق علىنفسهومتصارعداخل نفسه . والصراع غالبا ما يكون بين أشخاص داخل الشخص كثيرا ما يمثلون اشخاصا خارجية .

حينما نتحدث الان عن السياسة وعلاقات السلطة فى المجتمع والنزعات المحافظة فى مقابل النزعات الثورية لا بد لنا أن ندرك أن كل هذا موجود على مختلف المستويات . وما يحدث على النطاق الاوسع يجد صداه على النطاق الاصغر والدقيق . بل انه ايضا مبنى على كونه صدى لما يوجد فى النطاق الاصغر والدقيق فى علاقة مزدوجة الاتجاه **فالوضع المحافظ يجلب اليه افرادامحافظين ولكن الافرادالمحافظينهم أيضا يخلقونالوضع المحافظ . وكذلك الوضع الثورىيجلباليه الافراد الثوريين ، والافراد الثوريون يخلقون الثورة** .واذا كان الوضع المحافظ لا يمكن ان يوجد الا بواسطة افراد محافظين ، وانه لا يقبل ويرحب الا بهؤلاء الافراد . فان الوضع الثورى لا يمكن ان يوجد الا بواسطة افراد ثوريين ولا يسمح الا بوجود مثل هؤلاء الافراد فى قمة بنيانه .

من هذا المنطلق فان الثورة والمحافظة ليستا مجرد عمليات تحدث فى الخارج ، أى فى المجتمع فحسب ، ولكنها عمليات ذات جوانب أو مستويات مختلفة . فما يحدث فى الخارج ما هو الا تكرار لما يحدث فى الداخلوما يحدث فى الداخل هو ايضا تكرار ومرآة لما يحدث فى الخارج . اى أننا **لا نستطيع ان نحقق الثورة الاجتماعية بمجرد تغيير فى النظم والعلاقات الاجتماعية بدون النظر الى التغيير المقابل فى الداخل . وكذلك لا نستطيع ان نثور فى غرفة مغلقة او حتى داخل أسرة** . فما نفعله فى الداخل لا يمكن أن يتم بدون تغيير

مقابل فى الخارج .. فالثورة الحقيقية تتمثل فى تغيير شامل وجذرى وتناسق بين الفكر والحس والعمل . ولا يمكن أن يكون التغيير حقيقيا حين يقتصر على الجزء دون الكل . **فالثورة لا يمكن أن تولد وتستمر الا بوجود ثائرين مستمرين فى ثورتهم .**

وهذا الموقف المتكامل للثورة يتنافى مع موقف من يثور من اجل تغيير أوضاع خارجية كمجرد بديل وهرب من التحدى الحقيقى ان يغير الفرد ما بنفسه . فالله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم . وعلى النقيض الاخر فانه يتنافى أيضا مع من يحوصل ثورته فى داخل دائرته الضيقة على المستوى السياسى الاصغر أى داخل مجموعته [الاسرية عادة] أو داخل نفسه لانه فى الحقيقة يتجنب مسئولية مواجهة القهر الخارجى . الثورة **المتكاملة اذن تتصف بحالة من السيولة فى الحركة بين ما هو داخلى وما هو خارجى** . فالمعركة على أى من المستويين فيها تقوية للآخر وتكملة له مثلما يفعل النوم مع اليقظة والحلم مع الحقيقة والفن مع العلم والحب مع القوة .

واذا كان الغرض من هذه المقدمة هو التمهيد لحديث عن الثورة على المستوى السياسى الاصغر اى الثوره داخل كل فرد وفى علاقاته الشخصية مع من حوله [أى الاسرة أو المجموعة التى قد تكون بديلا او مكملا للاسرة] فليس فى هذا تقليل من المحاولات الثورية على المستوى السياسى الاكبر Micropolitical وانما محاولة للعودة الى جانب طال اهماله . فما اسهل الحديث عن الواقع الخارجى السىء وضرورة اصلاحه ، وما اسهل وضع اللوم على الخارج فى صورة اعداء شريرين سواء كان ذلك من جانب الفرد حينما يتهم المجتمع الذى يعيش فيه بالفساد أو يتهم حكومته ، وعلى مستوى المجتمع حينما يتهم فئة منه بالخيانة والانحراف او يتهم عدوا خارجيا كالاستعمار او الصهيونية .. فما اسهل أن نؤجل معاركنا تحت وهم الانتظار لحين القضاء على العدو الخارجى . الثورة الحقيقية تبدأ هنا والآن .. اننا كثيرا ما نهرب من الواقع المموس ـ هذا المكان وهذه اللحظة ـ تحت وهم اننا ننتظر التغيير هناك وغدا .. وحينما يأتى الغد فانه يصبح بالتالى حاضرا نهرب منه الى مستقبل بعيد آخر ، وهكذا نستمر فى الهروب من مواجهة الواقع ، ويختفى المستقبل ويهرب كالسراب [بينما الماضى يجذبنا كالحلم] . والتحدى الحقيقى هو ان نستطيع أن نبدأ الآن . ولهذا فان المنطلق الذى اخترناه يبدأ بالاسرة والمرأة كأقرب ما يكون للفرد ، لان ذلك أوقع تمثيل للمجتمع الخارجى ازاء الفرد ومن خلال هذا نستطيع أن نرى صورة أوضح بالنسبة للثورة داخل الفرد . فالاسرة هى مجتمع خارجى بالنسبة للفرد ولكنها تحمل صفات وامكانيات العلاقة الفردية الانسانية المباشرة .. وكذلك تحمل امكانية العلاقة بالاخر اى انها تحوى التقابل والتفاعل بين علاقات الحب وعلاقات القوة والسلطة .. وعلاقة الفرد بنفسه هى فى النهاية علاقته بأسرته . فقد نشأ وهو فى شديد الحاجة اليها فرضخ وقتل أجزاء من نفسه لحساب ارضاء الاسرة وامكانيته للتطور .. والثورة هى فى امكانية الفرد كسر هذه العلاقة الطفيلية بأسرته بحيث يتمكن من الاستقلال فيصبح حرا حقا . فعلاقة الفرد بنفسه لا تتم بالعزل الخارجى عن أسرته بقدر ما تتم بهذا العزل الداخلى الذى يتأتى عن طريق الصراع الداخلى بين الجوانب التى فى نفسه والممثلة لاسرته ، وبين تلك الممثلة لحقيقة نفسه .

واذا كان الحديث عن الاسرة مرتبط بالحديث عن المرأة فذلك لان المرأة فى الاسرة هى الحلقة النهائية فى سلسلة القهر الاجتماعى . فالمرأة هى مصب ونهاية الظلم الاجتماعى . **ولعل المجتمع عرف بالتجربة أن خير من ينقل الظلم والاستعباد ويعلمه للنشء هم أكثر الناس حظا من الظلم أى العبيد** . ولهذا يعمد المجتمع الى الابقاء على قهر المرأة أملا فى قهر الطفل ، وقهرها بحيث تصبح عبدا طيبا ولكنها لهذا تصبح سيدا سيئا .. وكلما زادت طاعتها وزاد خنوعها واستسلامها للمجتمع زادت قسوتها كسيد لهذا الطفل البرىء الخام ، كالمثل القائل بأن العبد المطيع سيد قاهر .

وكما أن الثورات قلما تنفجر الا بازدياد التناقض بين السيد والمسود ، ولا تتحقق الا بثورة المسود على السيد هادفة تحديد الاثنين معا فاننا نستطيع أن نرى دور ثورة المرأة على القهر الاجتماعى فى صورة الرجل هى المفتاح للتغيير الحقيقى . فالطفل ثورته عنيفة وجذرية ، الا انها تفتقر الى القوة والوسائل المادية . اذ ان الطفل مجرد تماما من الاسلحة ومعتمد تماما فى غذائه المادى والوجدانى على أمه وبالتالى على الاسرة والمجتمع . ولا يستطيع الثورة بدون مخاطرة الجوع المادى والوجدانى القاتل . فهو سريعا ما يستسلم ازاء الثمن المعروض وهو المساندة المادية والوجدانية ، ويقتل فى نفسه اى رغبة فى الانطلاق والتحرر ، ويصبح هو بالتالى العبد المسود الخالى من الارادة الحرة والذى سيتولى بدوره السيادة القاهرة حينما يأتى دوره فى تأسيس الاسرة . أما المرأة فقد اصبحت تمتلك بحكم الضرورة بعض الاسلحة التى تسمح لها بالثورة والاستقلال ، لان الرجل يصبح فى مزيد الحاجة لان يكون تابعه قويا ، فزيادة قوة التابع تضيف الى قوة السيد ، والتابع الضعيف يصبح عبئا على سيده . فهو يستهلك بدون انتاج وينفذ بدون مبادرة أو ابداع . وفى حلقة المنافسة على القوة والملكية يجد الرجل مصلحته فى تقوية اتباعه فيسمح لزوجته بالعلم والعمل والاستقلال

فى نفس الوقت الذى يريد فيه أن يحتفظ بسيادته عليها الا انه سلاح ذو حدين . فالعبد القوى الذى أخذ السلاح وحمله فى مجابهة المنافسين الاخرين من خارج الاسرة والذى حارب من اجل السيد وحماه وعضده أصبح فى مقدوره أن يدير السلاح فى وجه سيده وأن يزيد فى مطالبه .

هذا هو وضع المراة فى مصر اليوم ، فهى تنتقل من عهد التبعيه الضعيفة المقهورة المسحوقة الى عهد التبعية المبدعة القوية . وهى فى حيره وازمة ازاء الرباط المزدوج التى وضعت فيه . فمطلوب منها ان تستخدم اسلحة التحرر ؛ ان تعمل وتتعلم وتستقل وتحمى نفسها ،وفى نفس الوقت يتوقع منها التبعية لزوجها وطاعتـه والرضوخ لرغباته ، يمكنها أن تقوى لتحقيق اغراضها ، ولكن لا يسمح لها أن تقوى لتأكيد ذاتها فى تعارض مع زوجها) . **وهى فى هذه الحيرة تجد نفسها مطالبه بالشىء وعكسه وتجد نفسها اذا فعلت ما طلب منهـا عوقبت واذا لم تفعل عوقبت أيضا** ، مطلوب منها أن تتعلم وتستقل ، وتكسب ، ولكن اذا أبدت أى ممارسه حقيقيه لهذا الاستقلال تعاقب اشد عقوبة . انها تكسب ولكن الزوج هو صاحب الكلمة النهائية فى كيفية الانفاق . واذا تمكنت وهى من تخالط الرجال ولكن لا يسمح لها بأى درجة من العلاقات الحقيقية معهم ، الا اذا وقعت على صك البيع الذى يجعلها ملكية خاصة لرجل فى صورة الزواج .وهى تحرم من الحريات بمختلف انواعها حتى تضطر لبيع نفسها لاول رجل كأقل العبوديتين شدة ،فهى بدون زواج عبدة لاسرتها ،واذا تزوجت فقد اختارت سيدا أقل قهرا من ابيها . فزواجها اضطرارى لانه الافضل فى سلم الاستعباد .

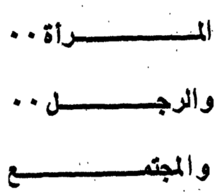
ولكن الثورة الحقيقية المتكاملة مسـئولية وألم وجهد مستمر . والمراة بين وضعها المقهور وأملها فى التحرر تمتلىء غليانا لا تتحمله فتحاول الهروب منه بشتى الوسائل . فهى تارة تهرب فى صورة التمرد فى الظلام . فتنتقم من ظالميها وتمارس حريتها فى السر ، فتمارس حرية كاذبة ، اذ أن الحرية الحقيقية لا يمكن ممارستها فى الظلام . فالحرية هى تحرر من الخوف وهى ايمان وتكامل وتجانس بدون انشقاق بين الفكر والحس والفعل . والحرية الحقيقية لايمكن انتزدهر الا فى مواجهتها مع القهر وجها لوجه مثلما لا يمكن أن يوجد الابيض بدون الاسود والخير بدون الشر والحياة بدون الموت . والحرية التى تمارس فى الظلام لا تواجه شيئا ازاءها ، فهى بالتالى ممارسة تهربية دافعها الانتقام لا تثرى صاحبها . فى كلتا الحالتين فهو عديم الاختيار . وهذا المخرج الذى تلجأ اليه المرأة يضعف الطاقة الثورية فيها ،فبدلا من أن تواجه ظالمها علنا تنتقم منه سرا وتقدم له فروض الطاعة فى الظاهر .وتظن انها بهذا اخذت حقها وثأرته ولكنها فى الحقيقة لم تفعل الا تأكيد عبوديتها بالسالب فى السر وبالموجب فى العلن .

والطريق الثانى الذى قد تتخذه المراة لثورتها هو ان تحاول العودة الى الماضى بان تبالغ فى سلبيتها وتنفى من قيمة نفسها فتدعو الرجل الى امتطاء جواده وانقاذها كالفارس المغوار فتكتشف بعد حين انها استعبدت نفسها له مرة اخرى فحملته عبء مسئوليتها بدلا من أن تساعده على التحرر والانطلاق . فالسلسلة التى وضعتها فى عنقها ، وسلمت طرفها الاخر ليد الرجل أصبحت مكبله ليديه بقدر ماهى مكبلة لعنقها .وتفشل هذه الثورة اذن ويعود الانسان الى حيث بدءا .

وقد تتخذ طريقا ثالثـا بأن تنسحب من حلبة الصراع فى صوره الانتحـار المباشر ، أو غير المباشر فى صورة المرض الجسمى او العقلى . فهى تلغى الصراع بأن تلغى طرفا منه ، ولعلها بذلك تحرز نصرا ما ، فقد جعلت سلاح قاهرها عديم الفائدة وحرمته من لذة النصر فقتلت نفسها بيدها لا بيد عمرو وحققت بطولة الاستشـهاد . وهو حل مع الاسف يودى بصاحبه ولا يجزيه فى حياته .

وقد تفضل المراة التى تداعبها الثورة ان تبقى على جسدها وحياتها فتكتفى بالانتحار النفسى وتعمى بصيرتها ويتبلد احسـاسها ، فتقضى على اللذه الخفيفه ايضا وتعيش فى قيم جوفاء تكرر مافرض عليها من قيم . وتؤكد بذلك استعبادها ، وتعيش فى حالة من اللا وعى والاستسلام كالالة . ولكن الذين ذاقوا طعم الحرية قليلا لا يستطيعون نسيانها ،فلا يرضيهم هذا الحل وتعود الثورة تداعبهم من الداخل حتى يبحثوا عن حل آخر .

فيأتى الحل الاخر لا محالة . فالحياة مصرة على الاستمرار ،واذا فشلت مرة فى التحرر فهى تعيد الكرة ،وتبدأ من جديد فى دورات من الموت والميلاد الجديد وتنجح عاجلا او آجلا رغم الف فشل . وتثور المرأة ثورة حقيقيه ومستمرة حتى النهاية وتقرر ان تواجه قهرها فى الخارج وفى الداخل مواجهة مفتوحة وعلنية بكل ما فيها من ألم وصراع . وتثور على قاهرها دون أن تتركه وتهرب الى الموت او المرض ودون ان تنتقم منه أو تستسلم له ظاهريا . فهى فى ثورتها عليه من اجل حريتها تثور من اجل حرية الانسان بما فى ذلك الانسان فيه . **فهى تثور عليه ومن اجله** . وهنا يستطيع الرجل المستنير ان يتقبل بل ويعضد ثورة المراه عليه فيكتشف **أن تحرير المرأة هو من أجل الانسان ، وبقدر ما تتحرر المرأة من عبوديتها للرجل بقدر ما يتحرر هو من عبوديته** . والحرية تعنى الا يكون هناك سيد ومسود ،وبأن يتغلب المسود على حاجته لان يخضع ،وكذلك أن يتغلب السيد على حاجته لان يسود . فهى فى النهاية **التخلص من الحاجة بأى من أشكالها** . وهى لاتتم الا بين انداد متساويين .



المــــرأة ..
والرجـــل ..
والمجتمـــع

د. فــرج أحمــد فرج

يتجدد النقاش من وقت لآخر، وترتفع حدته وتصل الى حد الاشتعال فى كثير من الاحيان حول قضية العلاقة بين الرجل والمرأة والدور الاجتماعى لكل منهما . ولا نستطيع بالطبع أن نفصل الشكل الذى يتخذه النقاش فى هذا الامر، ولا مضمون هذا النقاش كذلك عن الزمان والمكان الذى يدور فيه . بعبارة أخرى لا ينفصل فكر الانسان فى أى أمر من الامور عن « **مناخ** » الزمان والمكان الذى يتولد فيه هذا الفكر، لذلك كان طرح قضية تحرير المرأة فى مصر على يد قاسم أمين وغيره ، **فى فترة بعينها من تطور المجتمع المصرى** . لم يكن من الممكن مثلا أن تطرح هذه القضية فى العصر المملوكى أو العثمانى ، ولا فى بداية عصر محمد على ،ولكن كان لابد فى عصر محمد على ذاته بكل منجزاته ، وبكل ما أدت اليه هذه المنجزات من تحولات بعيدة المدى فى البناء الاجتمــاعى الاقتصادى للمجتمع المصرى ، كان لابد منه حتمية تاريخية وشرطــا ضروريا لتحقيــق الظــروف الموضوعية لتولد هذه الدعوة فى هذا الزمان من تاريخ مصر ، وفى هذا المكان من الارض العربية . ليس ذلك فحسب ، بل أن ما حدث فى هذا الزمان من تاريخ مصر وفى هذا المكان من الارض العربية لا ينفصل عما يدور من حوله ويحدث بجواره فى أرجاء أخرى من العالم . فبذور النهضة الحديثة التى غرست على أرض مصر فى عصر محمد على جزء لا ينفصل عن التحولات الهائلة التى كانت تمر بها أوربا وعن نهضة مماثلة تتحقق بخطى ثابتة فى اليابان مثلا ، والولايات المتحدة الامريكية .

وعلى هذا فالقضايا لا تطرح كيفما اتفق ولا تثار وفق الاهواء والنزوات الفردية ، ولكنها دائما وبلا استثناء وليد شرعى لتطور المجتمع ، بعبـارة أخرى ، مع ما يطرأ على المجتمع من تحــول وتطور ، تتحول وتتطور القضـايا التى يطرحها هذا المجتمع . كما ترتبط الكيفية التى تطرح بها **هذه** القضايا ، والخلافات التى يدور حولها اجتهاد المجتهدون فى سعيهم الى حل هذه القضايا، بتطور هذا المجتمع وتحوله . وعلى هذا فقضية « **تحرير المرأة** » لا تطرح الا عندما يصل المجتمع الى تلك المرحلة من التطور التى يصبح فيها **هذا** « **التحرير** » ضرورة اجتماعية ، وحتمية موضوعية بل وعندما تنبت البذور الاولى لهذا « **التحرير** » ويصبح هو نفسه حقيقة اجتماعية مـوضوعية

بصدد التكوين ، أو جنينا اجتماعيا ينتظر المخاض ويترقب للميلاد ٠

الانسان ٠٠٠ تاريخ

يقودنا ما سبق الى ضرورة وضع قضية المرأة في اطارها الانساني من حيث هي وجه من وجوه هذا الاطار الانساني نفسه ٠ فهي قضية الكل تتجلى من خلال الجزء ، هي قضية الكل ، أي قضية الوجود الانساني ذاته في حركته الساعية الى الحرية ، وقد تجلت عن طريق الجزء في زمان ومكان معين من حركة التاريخ الانساني ، وأعنى بهذا الجزء الوجود الانساني للمرأة في حركته التاريخية وهو يتجه صوب مرحلة من مراحل تطوره تأخذ شكلا عينيا محددا نطلق عليه اصطلاحا « **التحرير** » ٠ ولذلك فعلينا أن نناقش ما يعنيه هذا الاصطلاح ، ويقتضى هذا بالطبع مناقشة الوجود الانساني ذاته من حيث هو كذلك ٠ أو بعبارة أخرى مناقشة الصورة التي أصبح الانسان يرى فيها نفسه ، في هذه المرحلة التاريخية من مراحل تطوره الانساني ٠ ويستطيع المتتبع لتاريخ الانسان ، ولتاريخ الفكر الانساني بخاصة أن يتبين بوضوح وجلاء أن الانسان لم يقترب من نفسه ويتخذ من ذاته موضوعا للدراسة والتأمل والتفلسف ، كما اقترب منها في هذا الطور من أطوار تطوره التاريخي ٠ انه الان يقف أمام نفسه متفحصا لذاته متأملا لها متسائلا عن ماهية وجوده وغاية هذا الوجود ٠ وتنبرى المذاهب والتيارات الفكرية والفلسفية على اختلافها للاجابة على هذه التساؤلات . ولكنها جميعها لا تستطيع الا أن تجمع على رأى واحد عام مؤداه أن الانسان هو ذلك « **الذى يختلف يومه عن أمسه ويختلف غده عن يومه** » انه ذلك الكائن صاحب التاريخ . ما كان عليه بالامس في جميع جوانب حياته غير ما هو عليه اليوم في جميع جوانب حياته ، وما سيكون عليه في الغد غير ما هو عليه اليوم في جميع جوانب حياته كذلك ٠ هذه الحركة الدائمة والصيرورة المستمرة حقيقة يجمع عليها الجميع وان اختلف المختلفون حول تفسيرها سواء بارجاعها الى تطور الوعى ذاته ، أو تحقق الحرية من حيث هي اختبار مسئول ، أو الى التطور التكنولوجي أو التحولات الاجتماعية الطبقية . . الخ

الانسان اذن ذلك الموجود أو الكائن الذى يتغير ويتحول دون توقف ، ولو أننا استخدمنا المصطلحات الهيجلية لقلنا أنه ذلك الكائن الذى يعيش في حالة سلب مستمر لما هو عليه ، ذلك أن ما هو عليه ـ أى اسلوب حياته بأسره ـ قائم وفي حالة ايجابية **في لحظة أو فترة أو حقبة معينة محددة** طالت أو قصرت ، ثم لا تلبث هذه الحالة أن تسلم الزمام لحالة أخرى منافية لها ٠ بحيث تكون الحالة الثانية سلبا للحالة الاولى ٠ فالانسان البدائي عاش فجر حياته يرهب الحيوانات المفترسة ويخافها ، ثم اذا به في فترة تالية يطاردها ويقتلها ويفزعها هي ، ثم اذا به في فترة ثالثة يستأنسها ويروضها ويستخدمها ٠٠٠ الخ انه يخضع لبعض جوانب الطبيعة في فترة ثم لا يلبث أن يخضع هذه الجوانب لارادته ويطوعها لاهدافه. هذا السلب حركة مستمرة لا تتوقف يولد فيها الجديد دائما من رحم القديم ، ويخلى القديم السبيل للجديد ، الذى لا يلبث أن يصبح بدوره قديما يحل محله جديد يخلفه وهكذا ودون توقف . وكل جنين يحمل في ثناياه بذور موته ، كما ان كل موت هو ايذان بميلاد جديد ٠

هذه هي حركة التاريخ الانساني ، أو هي حركة الانسان من حيث هو تاريخ ، أو من حيث هو صور تاريخية متعاقبة ٠ والان ما هي القوة المحركة لهذه الحركة التاريخية ؟ انها وبلا خلاف العمل ، أو الفعل ، أو الاختيار ، انها النشاط الانساني الايجابي للانسان والذى يغير من خلاله وبواسطته معطيات هذا العالم المادى بحيث يصبح بالرغم من كونه جزءا من الطبيعة ، يشكل مافوق هذه الطبيعة وفي مقابلها ، أو بعبارة فلسفية بحيث يكون في حالة تعالى على هذه الطبيعة وتجاوز لها في صورتها الخام البكر ٠ انه يحول الاشجار الى وقود ، أثاث ، مكان للمتعة ٠٠٠ الخ ٠ ان النشاط الانساني هنا سلب للطبيعة ، سلب لما هي عليه ، ولكنه في نفس الان حفاظ على المسلوب وارتقاء به الى شكل أرقى وأعلى ٠

هذا هو جوهر الانسان أو ماهيته ، هذا هو الفارق الكيفي المميز للانسان في علاقته بعالمه في مقابل الحيوان في علاقته بعالمه ٠ ان الحيوان أسير العالم الطبيعي لا يستطيع الا أن يخضع له ويتكيف معه والا هلك ٠ أما الانسان فنقيضه هو الذى يخضع العالم الطبيعي لمطالبه ويطوعه لاهدافه ومقاصده **بالعمل أو الفعل السالب الخالق في آن واحد** ٠

الانسان ٠ ٠ حرية وتعال

اذا كان ما يميز الانسان هو **فعله وعمله** والذى يجمع في ثناياه وفي وحدة جدلية بين **السلب والخلق** ، **بين الالغاء والابقاء** ، فان الانسان بهذا المعنى يصبح « حرية » وهو بهذا المعنى حرية ذات شقين ، الشق الاول الحرية من حيث هي سلب لما هو قائم ورفض له ، أو بعبارة أخرى مرحلة « التحرر من » أى التحرر من القيود أو من الحدود القائمة أو البادية لامكانيات الطبيعة والانسان ، مثال ذلك تحرر البدائي من حدود الوجود العياني المباشر للشجرة من حيث هي كذلك ، من حيث جزء

ثابت فى الارض وفروع خارجة من هذا الجزع ، ومن حيث هى وجود مباشر وعلى هذه الصورة وفى هذا المكان • أما المرحلة الثانية فهى مرحلة التحرر من أجل ... اى من اجل كذا وكذا من المقاصد ، وفى هذا المثال حرية أن يصعد الشجرة وينزع بواسطة قطعة من الحجر المسننة فرعا من فروعها ، وان يسوى هذا الفرع وينزع عنه اوراقه، وأن يستخدمه فى توجيه دوابه أو الحماية من أعدائه أو أن يستخدمه وقودا ··· الخ • ان الحرية هنا متحققه فى فعل أو عمل تتطلب هذين الجانبين أو هاتين المرحلتين من المراحل رفض لما هو قائم ، وخلق لما سيقوم ، **بواسطة ما هو قائم ومن خلاله مرفوضا ومنفيا** • نعود مرة ثانية الى مثال البدائى سالف الذكر ، لقد رفض هذا البدائى الحدود الضيقة لقدراته العضلية ، لقد سلب هذا الضعف ضعفه ، وبواسطة هذا الضعف ذاته ، وذلك عندما شكل بعضلاته محدودة القوة ـ بالقياس الى الحيوانات المفترسة هائلة القوة ـ من الحجارة بلطة حادة ، ثم استخدمها بدلا من عضلاته محدودة القوة ، فى قطع فرع الشجرة ، ثم استخدم هذا الفرع ذاته بعد أن ضم اليه قطعة الحجر المسنود بواسطة حبل جدله من فروع الاشجار ، رمحا يقذف به الحيوانات القوية عن بعد فيرديها ، وبذا تتحقق له الغلبة فى النهاية عليها ، وهذا ما يقوم به العلم عندما يحول الانسان طاقات الطبيعة الهائلة من قوى معادية له الى قوى فى خدمته ، وهكذا تبلغ العملية الجدلية ذروتها عندما يصبح الضعف ــ البشرى ــ قوة ، وتصبح القوة ــ قوى الحيوان والطبيعة ــ ضعفا ازاء الضعف السابق للانسان •

وهنا يجب أن نبرز جانبين على قدر بالغ من الاهمية : أولهما ان المرحلة الاولى من الحرية وهى مرحلة التحرر **مما** هو قائم هى أهم هذه المراحل وأخطرها جميعها ، أنها الفكاك من قوة الاشياء ، من الزامها وقهرها ، من جبروتها ذلك الذى كان يبدو قيدا لافكاك منه وحدودا لا خروج عليها ، ما يبدو أنه طبيعة الاشياء مادية طبيعية كانت أو اجتماعية أو فكرية ، تلك الطبيعة التى بغيرها لا تكون هذه الاشياء ، هذا التحرر « من » أى مما هو قائم ، مما هو ظاهر ، مما هو بديهى يقينى وحتمى ·· الخ هو لب الوجود الانسانى كما يتجلى فى تاريخ الانسان من حيث هو فعل الاختيار الحر • ولو أننا لخصنا هوية هذا التحرر الانسانى لوجدنا أنه لا يعدو كونه تحررا مما هو حيوانى أو بيولوجى، وسلبه بواسطة ما هو انسانى ، مثال ذلك تحرر الانسان من حدود قدرته العضلية باستخدام الادوات وتطويرها • هذا التحرر لابد ان يشمل بالطبع جميع مواقف الانسان وتصوراته ومشاعره وافكاره وقيمه الاجتماعية والاخلاقية المتعلقة بهذا الاستخدام المحدود لقدراته العضلية • هـوية الانسان والتى بغيرها لا يكون انسانا ، هى ذلك التعالى والتجاوز والسلب ممثلة فى العمل والفعل والاختيار الحر ، وأول الخطوات على هذا الطريق تتجلى فى التحرر « من » ، مما هو **قائم وماثل فى** الاشياء ، فى العالم المادى ، وفى كيانه البيولوجى ، وفى قيمه ونظمه وفكره ·· الخ سلب الانسان لكينونته الحيوانية هو فتح الطـريق لصيرورته الانسانية ، ذلك ان تجاوزه لما هو حيوانى قائم ، يفتح الطريق لما هو انسانى ممكن • المرحلة الاولى اذن مدخل وشرط لابد منه للمرحلة الثانية وهى مرحلة حرية الاختيار ، وجدير بالذكر ان المصطلح الانجليزى للمرحلة الاولى هو : To Be Free From ويهمنا هنا حرف الجر From اما المرحلة الثـانية فيشير اليهـا المصـطلح الانجليزى To Be Free To أى حر من أجل أو حر « **ل** » ·· اى ليفعل كذا وكذا ، أو من أجل القيام بكذا وكذا ، المرحلة الاولى تشير الى ما هو قائم ومكتمل ، وله كيان وابعاد وخصائص تبدو ـ تبدو فقط ـ وكأنها حقائق صلبة قائمة باقية لافكاك منها ولا خروج عليها ولا جدال حولها • أما المرحلة الثانية فتشير الى ما لم يقم بعد ، الى ما لم يتحدد ، أو يتشكل أو يتبدى ، بعبارة أخرى يمكننا هنا ان نستعيد التعبير الشائع « فى علم الغيب » انها تشير الى امكان مفتوح لا يمكن ان تحدد أبعاده سلفا أو تقرن مقدما ، الا بأوسع الحدود وبأشمل المعانى واكثرها تجريدا من حيث هى سلب لما كان •

من هذا كله نخلص الى ان الانسان انسان بقدر ما يتعالى على حيوانيته ، ويتجاوزها ويسلبهـــا حدودها البيولوجية القائمة بواسطة فعل حر أو عمل أو اختيار •

والمـرأة •• انسان أيضا

والان نتساءل ماذا عن المرأة ؟ وماهو موقعها من كل ما سبق ذكره والحديث عنه ؟ ونجيب قائلين المرأة ايضا انسان ، المرأة أيضا سلب لما هو حيوانى قائم واعلاء لما هو انسانى ممكن • وان كل ما ينطبق على الوجود الانسانى من حيث هو «**فعل الحرية**» ينطبق عليها كذلك • وعلى هـذا فظهور « الحركات النسائية » ، فى مختلف بلدان العالم فى ظروف تاريخية معينة أمر لا يجب أن تفوتنا دلالته • ان الدعوة الى « **تحرير** » المرأة تولد فى ظل ظروف متشابهة فى مختلف بلدان العالم ، تولد فى ظروف لا تعدو كونها طورا جديدا من أطوار حركة الانسانية ذاتها نحو الحرية ، حركة « تحرير المرأة » اذن وجه من وجوه حركة تحـــرير الانســـان ، ذلك ان دعـــوات ، أو

حركات « تحرير المرأة » تظهر عند انتقال المجتمع من المرحلة الزراعية الاقطاعية الى المرحلة الصناعية الرأسمالية · بعبارة أخرى ، عند تحرر المجتمع من بناء بأسره من العلاقة بالطبيعة والعلاقة بين البشر وبعضهم البعض ، بما فى ذلك بناء متكامل متشابك من الافكار والقيم والتصورات · سواء فيما يتعلق بالمرأة ، أو ما يتعلق بالرجل ، ولما كانت المرأة والرجل هما معا وجهى الوجود الانسانى **الواحد** ، فان التحول الذى يطرأ على هذا الوجود لا يمكن الا أن يشمل هذين الوجهين معا ·

فى المجتمعات قبل الصناعية (البدائية والرعوية والزراعية) يكون الانسان أسير ما يبدو أنه طبيعة الاشياء ، امكانياته البدنية والعضلية ، أدواته البدائية ، دوابه وحيواناته ، أرضه ومياهها ومناخها ودوراتها الزراعية ومحاصيلها الثابتة ، ثم تقلبات الطبيعة من عواصف وفيضانات لا يعرف لها سببا واضحا ولا يقدر على التنبؤ بها أو التحكم فيها وقهرها · أنه يعيش حياته أسير « **طبيعة الاشياء** » تمسك به وتحكم قبضتها عليه · ثم يولد عصر جديد ، يناقض ما سبقه وينفيه ويسلبه ما كان يتصف به ، ذلك عصر الصناعة ، حيث اكتشاف طبيعة الاشياء وبخاصة اكتشاف أنها - أى الاشياء - على عكس ما كانت تبدو عليه · بعبارة موجزة يبدأ الانسان يمسك - هو نفسه - بطبيعة الاشياء ، ويبدأ - هو - يحكم قبضته عليها ، وواضح ان جوهر التحول هنا هو الانسان الذى انتقل انتقالا كيفيا من الخضوع الى السيطرة · وهذا الانتقال لابد ان يكون انتقال فى موقف الانسان ذاته بأسره من العالم . انه تحول **كيفى فى فكر وعمل الانسان ، وفى ممارسساته لمختلف جوانب حياته** ·

وغنى عن البيان ان دارسى التاريخ الحديث وبخاصة تاريخ أوربا الصناعى يعلمون كيف اعتمدت الصناعة فى نشأتها على قوة عمل المرأة والاطفال ، اعتمادا وصل الى أبشع حدود الاستغلال · وعلى هذا فالمرأة انتقلت مع الرجل من ممارسة الزراعة الى ممارسة الصناعة · وعلى هذا كانت الحركات النسائية وجها من وجوه الحركات العمالية والحركات المنادية بالديمقراطية السياسية · نحن هنا اذن بازاء ثلاث أشكال هى فى جوهرها تعبيرات مختلفة ومترابطة عن شىء واحد ، هو « تحرير الانسان » وان اختلفت صور هذا التحرير ·

والآن ما هى القيود التى تعوق « تحرير المرأة » انها قيود « **طبيعتها** » قيود « **أنوثتها** » قيود « **دورها البيولوجى** » بعبارة موجزة انها قيود « **الطبيعة الحيوانية** » . ونلاحظ أننا حاولنا نوضح ان الانسان هو تجاوز لهذه القيود وتحويل لها من عبء عليه وقيد له الى عكسها ونقيضها ، الى نفى وسلب لها · هذا هو لب حركة « تحرير المرأة » أنها تحرير لها مما يبدو أنه « قيود » و « حدود طبيعية لا فكاك منها . ولما كانت الحرية تمر بطورين أو مرحلتين ، اولها لا تعدو ان تكون تمردا على ما هو قائم ورفض له ، وثانيهما اختيار وخلق لما هو ممكن ، فاننا نستطيع ان نتبين ان الطور الاول لازالت له الغلبة حتى الان ، فالمرأة تناضل من أجل الفكاك مما هو قائم أى من أجل الخروج من الاصفاد · وهذه الاصفاد تقيد المرأة من حيث هى « جسد » و « **أنثى** » من حيث هى جسد « **ناقص** » أو « **عاجز** » أو « **فاتن** » . ولذلك يتركز الرفض المتمرد على تأكيد هذا الجسد ونفى كل ما نسب اليه من عجز أو قصور أو فتنة واشارة واجبة التقييد· الحرية هنا سلب للقيد ونفى له أنها تحرر من « الحجاب » أو من « غطاء الرأس » أو من « ملابس » مفروضة تغطى جميع أجزاء الجسم الخ · ·

ان الحوار الديالكتيكى هنا لا يعدو ان يكون على الوجه التالى : **ما أنت الا جسدا واجب الاخفاء ، تصبح « ما أنا الا جسدا ، واجب الكشف والابراز** » وجدير بالذكر أننا فى هذا الطور - وهو أهم الطورين وأخطرهما فى تحقيق التحرر والتطور - نجد الاسير لا زال فى قبضة آسره وان حطم **القيد** · فلب القضية لا زال قائما وهو « **المرأة جسد فحسب** » مخفيا كان أم مكشوفا . هذا الطور وان بدا سلبيا عديم الجدوى ، فهو أخطر الاطوار وأصعبها تحقيقا ، هو وحده الذى يفتح الطريق الى الطور الثانى · الطور الذى تصبح فيه المرأة « **انسان له جسد** » ·

وفى النهاية يجب ان نؤكد ان المرأة لا تصبح انسانا له جسد ، ولاتكتسب جسدها بعده الانسان العميق الا بقدر ما يحقق المجتمع تطورا انسانيا عميقا ، وبقدر ما يصبح الرجل انسانا كذلك . ان الرجل والمرأة وجهان لشىء واحد ، ويقول المثل العامى فى هذا الصدد « قوله وانقسمت نصفين » فقدر المرأة الوجه الاخر لقدر الرجل كما ان قدر الرجل هو الوجه الاخر لقدر المرأة وحركة تحرير المرأة وجه ، ومن وجوه تحرير الانسان ، تحرير فكره كما فى الحركات الديمقراطية وتحرير عمله كما فى الحركات العمالية والاشتراكية وتحريرجسده كما فى الحركات النسائية انها جميعها وجوه مختلفة لشىء واحد : حركة الانسان التى لا تتوقف نحو حرية لا حدود لافاقها .

- د. عمر الفاروق عثمان -

● آخر مقال كتبه د. عمر الفاروق قبل وفاته فى نوفمبر ١٩٧٣.
وكان د. عمر الفاروق من خيرة الباحثين فى المركز القومى للبحوث، فأبحاثه العلمية تجاوزت المستوى القومى الى المستوى الدولى . هذا بالاضافة الى اهتماماته بقضايا البحث العلمى فى مصر

البحث العلمى والتكنولوجيا فى المجتمع المصرى

د . عمر الفاروق عثمان

حقائق ومبادىء عامة

١ - ليس هناك بحث ذو قيمة بدون وجود مشكلة أو حاجة حقيقية . هذه الحقيقة على بساطتها هى الاساس الذى قام عليه التطور العلمى الكبير خلال المائة عام الاخيرة . وهذه الحقيقة أيضا هى الاساس فى استفادة أى مجتمع من التراث العلمى العالمى المطروح ومن الاجهزة العلمية القائمة لديه . **ولقد افتقد الجهاز العلمى فى مصر دائما همزة الوصل بينه وبين قيادة الدولة واحتياجاتها المحددة باستثناء تجربتين محددتين : الاولى** قام بها تطوعا اتحاد الصناعات فى عام ١٩٦٥ وسجل فى مذكرة موجهة الى الجهات المعنية - ومن بينها المركز القومى للبحوث (أكبر التجمعات العملية فى ذلك الوقت) - المشاكل التى تواجه قطاعات الدولة المختلفة . **والتجربة الثانية** كانت أكثر تحديدا وذلك فى أواخر عام ١٩٦٧ بعد ضرب المدمرة ايلات واغراقها أمام السواحل المصرية ، انتقم العدو بضرب التجمعات الصناعية بالسويس وأغلبها بترولية واستنفذت الحرائق التى اشتعلت فى ذلك اليوم أغلب المخزون اللازم لاطفاء مثل هذه الحرائق . ولقد نجحت مجموعة من أصغر شباب الباحثين بالمركز القومى للبحوث فى تصنيعه على النطاق العملى من مخلفات المذابح ثم أمكن تحويله الى الانتاج على نطاق صناعى .

٢ - البحوث التجريبية والتطبيقية لا تعتبر منتهية عند حد معين بدون الوصول الى الاصول النظرية لحل المشكلة الداعية لمثل هذه البحوث . **ومن هنا فمن غير الممكن القول بأن البحث العلمى يمكن أن ينقسم تماما الى بحث أكاديمى وبحث تطبيقى فهما مرتبطان بل ومتكاملان والقول بغير ذلك انما هو مزيج من السطحية وايثار السلامة .**

فلا يمكن الفصل تماما مثلا بين باحث يدرس توزيع الاليكترونات داخل ذرة أحد العناصر وكيفية انتقالها بين المدارات المختلفة لتلك الذرة وعدد مرات هذا الانتقال فى وحدة الزمن تحت ظروف الاثارة المختلفة ، وفى وجود بعض المؤثرات الكيميائية والفيزيائية على عدد مرات هذا الانتقال وكفاءة عملية الاثارة وهو بحث يعتبر أكاديميا صرفا ، وآخر يدرس تطوير عمليات التنقيب عن الخامات المعدنية فى باطن الارض وهو بحث بلا شك يعتبر تطبيقيا ، فكلاهما يمكن أن يكمل

الاخرى ، بل أكاد أقول أن تطور عمليات التنقيب عن الخامات المعدنية المختفية تحت سطح الارض باحتياطياتها الضخمة كان يبدو مستحيلا بدون التطور الكبير الذى نتج عن الابحاث التى أجريت فى الموضوع الاول ، الى جانب التطور الذى حدث فى نظرية الاحتمالات واستخداماتها وهى احدى فروع الرياضة البحتة • كذلك اذا رجعنا الى التطور الفيزيائى الضخم لاستكشاف مكونات الذرة والقوى المؤثرة عليها ، وكيفية حركتها وتوزيعها حول النواة والذى بدأ قرابة نهاية القرن الماضى ، حيث بدأت النظريات الفيزيائية المهتمة بمثل هذه الموضوعات فى الظهور واستمرت فى الثلث الاول من هذا القرن والتى انهارت واحدة اثر أخرى ، نجد أن الدافع لاستمرار البحث فى هذا المجال هو عجز كل من هذه النظريات عن تفسير بعض الظواهر الطبيعية وهو ما يؤكد اما عدم صحتها أو عدم شموليتها • ولقد كانت هذه البحوث الفيزيائية ذات الطبيعة الاكاديمية هى الدعامة الاساسية لتطور علم الكيمياء ، وبالتالى الى تطور الصناعات الكيميائية والمعدنية والاليكترونية والتى تعد فى العالم الان الدعامة الاساسية فى التصنيع الثقيل •

ومن المهم أن نوضح هنا انه ليس من المحتم أن يقوم الفرد العلمى الواحد بهذين النوعين من البحوث ، ولا أن يقوم معمل واحدبهذاالعمل ، ولكن من المحتم أن يكون هناك التنظيم العلمى والكوادر البشرية القادرة على تحليل المشكلة الى عناصرها الاساسية وتوزيعها على المعامل والافراد المتخصصين ثم تجميع النتائج للوصول الى حل للمشكلة •

٣ ــ من الضرورى أن نفهم **أن الذى يحدد مهمة البحث العلمى ودوره فى أى مجتمع هو السلطة المهيمنة على ذلك المجتمع** ــ ففى الدول الاشتراكية أو شبه الاشتراكية ، تحدد اللجنة المركزية للحزب الحاكم أو للجبهة الوطنية الحاكمة خطط التنمية لنمو مجتمعاتها كأهداف سياسية ، تترجمها أجهزة علمية متخصصة فى مرحلة تالية الى خطة علمية قابلة للتنفيذ فى ضوء الامكانيات المادية والبشرية المتاحة لذلك المجتمع • فمثلا اذا حددت القيادة السياسية فى خطة التنمية هدف تدعيم صناعات الحديد والصلب والصناعات المعدنية عموما ، فور ذلك تقوم الاجهزة العلمية المتخصصة بوضع الخطط الكفيلة بزيادة انتاجية مناجم هذه الخامات الاساسية الى جانب مناجم المواد المستخدمة معها اذا كانت امكانيات هذه المناجم تسمح بذلك ، أو تضع الخطط الكفيلة باستكشاف مساحات جديدة من الارض لم تستكشف بعد ، او لم يقدر مخزونها تقديرا دقيقا ، وذلك طبقا لطرق البحث المتبعة فى هذا البلد وفى ضوء امكانياته • واذا افترضنا جدلا أن الاجهزة العلمية قد وصلت بعد تلك السلسلة الى نتيجة سلبية فهى بلا شك ايجابية من زاوية اخرى اذ تمكن الاجهزة السياسية من تامين مصادر الخامات اللازمة قبل البدء فى انشاء صناعة بعينها تفاديا لاية مصاعب مفاجئة فى الحصول على المواد الخام • ومما لا شك فيه أن مثل هذه الاجهزة العلمية تتمتع بمركزية مطلقة فى التخطيط كما أنها ترتبط مباشرة بالقيادة السياسية العليا فى الدولة وتعمل بتنسيق معها ، وعادة يكون هناك تفهم كامل من كل من الجهازين لطبيعة عمل الجهاز الاخر • أما فى الدول الرأسمالية فتقوم الشركات والاحتكارات منفردة أو متكتلة بدور مشابه لما سبق ذكره تأمينا لمصادرها من المواد الخام داخليا أو خارجيا فى حدود الاسعار التى تقدرها مناسبة لانتاجها ولتوزيعها وارباحها أو تكون محصلة جهود هذه الشركات أو الاحتكارات سواء كانت متكاتفة أو متصارعة هى نتاج المجتمع من مثل هذه الصناعات •

٤ ــ لابد ايضا أن نفهم أن التقدم العلمى والتكنولوجى فى أى مجتمع هو محصلة عدة عوامل تتداخل وتترابط وتتفاعل سلبا وايجابا ، تبدأ بالتعليم أساسا بهدف تكوين المواطن بصفات تسمح بتحقيق أغراض هذا المجتمع •• وفى مجتمع كمجتمعنا ، لابد كخطوة أولى من محو الامية الهجائية ، يتلو ذلك محو الامية المهنية لنسبة كبيرة من افراد الشعب ، وهاتان الخطوتان سوف يسمحان بالتالى بتكوين الشرائح اللازمة من النوعيات المختلفة ذات الكفاية المتدرجة من أدناها الى اعلاها • وبدون تواجد كل هذه الشرائح المتدرجة الكفاية قد يستحيل تحقيق أى تقدم علمى وتكنولوجى ، ولو توفرت الشرائح ذات الكفاية العلمية العالية أو حتى النادرة •

٥ ــ من المستحيل حدوث تقدم كبير فى أى من مجالات العمل الوطنى الاساسية بما فى ذلك البحث العلمى بدون توفر الاستقرار والاستمرار ، وهما بالضرورة نتاج عمل جماعى ، وليس نتاج افكار او عمل أفراد مهما حسنت نواياهم ومهما بلغت قدراتهم •

٦ ــ من عوامل كثرة التغيير فى أوضاع البحث العلمى والتذبذب فى اتجاهاته ، غياب التقاليد العلمية • والمقصود بالتقاليد هنا هو ما يتولد عن الاتجاه العام للمجتمع وحصيلة تفاعله مع الاحداث التى يمر بها والخبرات التى يكتسبها نتيجة لهذا التفاعل • **ومن غير المفيد تحت أى ظرف من الظروف ان تفرض تقاليد معينة على أى فئة أو**

مجتمع بقرارات علوية سواء رغبة فى التسلط أو تجنبا لخطأ محتمل • وللحقيقة فان عـديدا من الشخصيات التى تولت قيادة البحث العلمى قد حاولت فرض تقاليد معينة على المشتغلين بالبحث العلمى وكانت النتيجة النهائية لمثل هذه التجارب المتكررة هو المزيد من الصمت وعدم المبالاة تجاه التغييرات المتتالية •

٧ ـ لابد وان يكون واضحا لدينا أن رفع شعار العلم شىء ووضعه حقيقة فى خدمة المجتمع شىء آخر ، فلو رجعنا الى ما جاء بميثاق العمل الوطنى بعد حوالى اكثر من عشرة أعوام من صدوره عن دور البحث العلمى فى المجتمع والافكار التى طرحها بهذا الخصوص ابتداء من التـوسع الزراعى الراسى الى تطوير واستخدام الطاقة والقوى المحركة ، والبحث عن مصادر الخامات ، ودور النقل فى خدمة عمليات التنمية ٠٠ الخ لوجدنا الفرق شاسعا بين ما كنا نقـول وما كنـا نفعل • فانه فى الوقت الذى نرفع فيه شعار دولة العلم والايمان ، وفى وقت نقرر فيه انشاء أكاديمية للعلوم نجد أن الدولة مثلا قد رصدت خمسة آلاف من الجنيهات من العملة الصعبة فى ميـزانية ١٩٧١ ـ ١٩٧٢ لاحد اكبر التجمعات العلميـة الضرورية . واليست فكاهة او من قبيل ذلك ، أن لتغطية احتياجات اكثر من الف من البـاحثين ومساعديهم من الاجهزة وقطع الغيار والمـواد الاساسية كالكيماويات والافلام ٠٠ الخ ، وقد يظن أن هذه فكاهة ، والحقيقة انها ليست كذلك ، ولكنها مؤسفة ، اذ من غير المقبول أن تدفع الدولة عشرات الملايين من الجنيهات على مدى عشرات السنين لتكوين أكثر من ألف من المشتغلين بالبحث العلمى من مختلف المستويات وفى مختلف التخصصات وتجهيز المعامل اللازمة لهم ، ثم تدفع بكل هذه الثروة الطائلة الى الهلاك وفى بساطة متناهية متعللة بمختلف الدواعى والاسباب • ولما كنا دولة غير منتجة للاجهزة العلمية وبالتالى قطع غيارها ، ولما كنا أيضا دولة غير منتجة لاغلب احتياجات المراكز العلمية من الكيماويات ومواد التشغيل الاساسية الاخرى ، فانه يتحتم علينا اذا كنا جادين فيما نرفع من شعارات أن نحس مثل هذه الثروة ، بتوفير أدنى قدر ممكن من الاعتمادات المالية الاجنبية يكفل صيانة ما هو موجود فعلا من الاجهزة بصفة دائمة ، ويوفر مواد التشـغيل الضرورية . واليست فكاهة او من قبيل ذلك ، أن تكون اعتمادات هواة العلوم من العملة الصعبة أكبر بمراحل من اعتمادات المشتغلين بـالبحث العلمى فى مكان مثل المركز القومى للبحوث •

٨ ـ البحث العلمى فى مجال الدراسات الانسانية لا يقل أهمية لاى مجتمع عن البحث العلمى فى مجال العلوم الفيزيائية • ان دراسة العلاقات الاجتماعية السائدة فى مجتمعنا وطبيعة حركة وسلوك طبقاته وأفراده وتحليل الظواهر الاجتماعية والنفسية ودراسة تاريخ الشـعب المصرى على مدى القرون الخمسين الماضية وتأثير البيئة وجغرافيتها وطبيعة السـلطة الدينيـة والعسكرية والمدنية وأساليبها وتأثيراتها فـى المجتمع ، وتاثير عمليات الغزو المتتالية عليه ورد فعل الكتلة الرئيسية من جماهير الشعب ودورها الاساسى فى مقاومة وقهر هذه الغزوات ، مما لاشك فيه أن هذه الدراسات العلمية أساسية فى تحديد اتجاهات ومسار الكتلة الرئيسية من الشعب لدحر العدوان الواقع عليه ولتأمين مستقبله •

دور البحث العلمى فى المجتمع

من المعروف الان أن البحث العلمى فى أى مجتمع من المجتمعات المتقدمة يقدر دوره فى هذه المجتمعات قياسا الى العائد الاقتصادى الناتج عن القيام به ، وذلك أيا كان النظام الاجتماعى لهذه المجتمعات • ولما كانت هذه الحقيقة قد تعمقت فى جذور البناء الاقتصادى لمختلف الدول المتقدمة لذلك نجد أن غالبية القيادات السياسية للدول المتخلفة (او ما اصطلح على تسميتها مجـاملة بالدول النامية) قد اضطرت الى رفع شـعار « وضع العلم فى خدمة المجتمع » ـ ربما عن اقتناع وربما عن رغبة فى مجاراة التقدم والمتقدمين ـ كأحد الاسس المادية لتنمية مجتمعاتها • وفـى الاغلب لم تكن لدى هذه القيادات من خبراتها الذاتية ، او من الخبرات الفنية المتوافرة لديها ، او بحكم طبيعة النظم القائمة ذاتها ما يسمح لها بوضع تصور شامل وواضح لدور البحث العلمى فى مجتمعاتها ـ هاديا لخطواتها ، وهو ما أنتج الهوة الواسعة بين الشعارات المرفوعة وبيـن الواقع الذى تعيشه •

ونحن هنا فى مصر ، لا يمكن أن نطلق على أنفسنا لفظ دولة متخلفة من زاوية الامكانيات البشرية والمادية المتاحة ، فى هذا المجال هناك عشرات الالاف من الحاصلين على أعلى الدرجات العلمية فى مختلف التخصصات ، وهناك المعامل التى لو حصرت أجهزتها على نطاق الدولة كلها لفاقت قيمتها عشرات الملايين من الجنيهات ، ولكننا لا نتجنى على أنفسنا لو قلنا أننا دولة متخلفة جدا

من زاوية استفادتها من الامكانيات المتوفرة لديها بشريا وماديا .

ويجب أن نعى تماما أن الامكانيات مسألة نسبية خالصة ، فرغم ضآلة ما نملكه من رأسمال علمى قابل للاستثمار بالنسبة لدول أخرى كثيرة ، الا أن الامكانيات ليست هى العقبة الاساسية التى تواجهنا الان ، ولا يحق لنا أن نتكلم عن نقص الامكانيات الا عندما تفوق استفادتنا من تلك الإمكانيات المتاحة حجم هذه الامكانيات وتستهلكها او تتعداها . **والقصور الحالي فى استخدام البحث العلمى من أجل زيادة وسرعة تنمية الاقتصاد الوطنى هو قصور سياسى** . فايمان القيادات السياسية للدولة بدور البحث العلمى يمثل حجر الزاوية ، وليس بالضرورة من أجل هذا الايمان أن تكون هذه القيادة من القطاع العلمى ، ولكن من الضرورى تماما شعور القيادات بالحاجة اليه فى صياغات عامة وأن تكن فى نفس الوقت تحقق متطلبات اقتصادية أو استراتيجية عاجلة أو آجلة محددة . ونستطيع على ضوء وجهة النظر هذه أن نفصل مؤقتا بين دور البحث العلمى فيما هو قائم حاليا وبين دوره فى اعداد وتنفيذ خطط التنمية القادمة .

أولا : دور البحث العلمى

فيما هو قائم حاليا

يمكن أن يقتصر الحديث فى هذا الجزء على قطاع الصناعة مثلا كقطاع رئيسى ويمكن من خلاله توضيح وجهة النظر السابق ذكرها .

- تحديد مواصفات السلع المنتجة حاليا بمواصفات قريناتها من مختلف الدول الاجنبية المتقدمة ، والاصرار من جانب جهاز الدولة السياسى على الارتفاع المستمر فى جودة الاصناف المنتجة الى أن تصل على الاقل الى مستوى جودة تلك الاصناف فى الدول الاجنبية .

- تحديد تكلفة الانتاج للسلعة كحد أقصى بتكلفة انتاج مثيلتها من الدول المتقدمة مع مراعاة مستويات المعيشة فى كل دولة ، علما بأن انخفاض الاجور النسبى لدينا يجب أن يكون عاملا فى جانب خفض تكلفة انتاج السلعة عند مثيلاتها بالخارج .

فلو قامت السلطات السياسية بتحديد النقطتين السابقتين فى وضوح كهدف لمستوى الانتاج الجارى فى القطاع الصناعى المدنى ولم تسمح له - بالتغاضى او بالتراضى - بالتجاوز عن « الحد الادنى للتكلفة ذات الجودة المحددة » لاصبحت قيادة الانتاج الصناعى كلها وتنازليا حتى مستوى الوحدة الانتاجية أمام موقف يتحتم عليها فيها أن تستعين بالبحث العلمى للوصول الى الهدف المنشود .

والاستعانة بالبحث العلمى فى هذا النطاق سوف يكون فى نطاق البحث عن بديل للخامات المستوردة ، للوصول الى مواد اولية أكثر وفرة وأحسن مستوى وأقل سعرا ، الاقلال من الفاقد ونسبة التالف فى المنتج ، أكفأ استفادة ممكنة من العمليات الحرارية الناتجة عن التفاعلات الكيمائيه فى الصناعات القائمة ، الاهتمام بالمنتجات الثانوية المصاحبة للعملية الانتاجية الاساسية .. الخ ..

ويبدو للوهلة الاولى أن مطالبة دولة صناعية ناشئه استوردت مصانعها ، واستخدمت تكنيكا متخلفا نسبيا هو كل ما أمكنها الحصول عليه فى عديد من وحدات الانتاج بأن ترفع مستوى انتاجها من حيث الجودة والتكلفة الى مستوى منافسة دولة صناعية عريقة يعدو ضربا من التعجيز ، ولكن الحقيقة أن أى مجتمع يتصف بالحيوية والرغبة فى تحقيق أهداف محددة يلجأ الى استنفار طاقات أفراده وتعبئتها ، واستنباط أساليب انتاجية خاصة به تستفيد من خصائص المجتمع ، والظروف المحيطة به وتحويلها من نقط ضعف فيه الى نقط قوة له . **ولنذكر دائما أن وفرة الايدى العاملة يجب أن يكون عاملا من عوامل التقدم ، وليس سببا من أسباب التدهور .**

والمدخل سابق الذكر لمعالجة القصور فى استخدام البحث العلمى يمكن القيادة السياسية ، اذا كانت تريد ، من أن تحدد بسهولة نسبيه وضع الانتاج المحلى كما وكيفا بالنسبة للانتاج العالمى على أساس مقارن . كما أنه **يحرم القيادات التكنيكية من فرصه التلاعب احصائيا أو التحصن وراء تفاصيل فنيه قد تعجز أمامها القيادة السياسيه عن اتخاذ قرار محدد بدون رضاء تلك القيادات التام** . كذلك فان هذا المدخل ذاته يمكن القيادات السياسية للدولة من تحديد أوجه القصور فى الانتاج ، وكذلك برمجة طرق تلافى هذا القصور فى خطط التنمية التالية اما باضافة وحدات للمصانع القائمة ، او بانشاء صناعات جديدة تتكامل والصناعات القائمة .

ثانيا : دور البحث العلمى

فى خطط وبرامج التنمية المستقبلة

اذا كنت قد سمحت لنفسى فى السطور القليلة السابقة أن أقسم بين دور البحث العلمى فيما هو

قائم ودور البحث العلمي في خطط وبرامج التنمية المستقبلة وهو ما لا يمكن في الحقيقة القبول به ، الا أنني أرى أن للبحث العلمي في المستقبل القريب تأثيرا حاسما في مصير مصر ، وبالتالي الامة العربية لعشرات وربما لمئات السنين القادمة ، وهو ما يقتضي منا جميعا أن نشحذ كل حواسنا وامكانياتنا العقلية سعيا وراء أقصى استفادة من امكانيات مجتمعنا وهو ما دفع بي الى هذا التقسيم المفتعل سعيا وراء اقصى قدر من تسليط الضوء على هذا القطاع الحساس ، وان طبيعة الغزو من زوايا مختلفة الذى احتل منذ ١٩٦٧ سيناء ، سدس التربة المصرية من ناحية المساحة وان كانت أهم مناطق الارض المصرية على الاطلاق من الناحية الاستراتيجية . ينبىء عن صراع مرير بين القوى الوطنية في المنطقة العربية وبين الاقلية الغازية التي زرعت بعناية في مكان حساس من الارض العربية ، **وتلقى كل الرعاية من القوى صاحبة المصلحة في بقائها وقوتها** ، ومصر من ضمن قوى المنطقة العربية تقع عليها العبء الاكبر ليس بمنطق الرغبة في التزعم أو التسابق في رفع الشعارات ، ولكن بحكم امكانياتها المادية والبشرية ولدرجة تطورها الاجتماعي بالنسبة للمجتمعات العربية الأخرى .

لذلك فان هذا الصراع المرتقب والذى من المحتم أن يبدأ يوما حتى ولو انتهت المشكلة المسماة بمشكلة الشرق الاوسط . لابد وأن ينتهي بسيطرة أحد الطرفين المتصارعين على الطرف الاخر ، وتجريده كلية من كل وسائل قوته ونزع أسلحته المادية وتحطيم أسلحته المعنوية ، وذلك هو الحد الطبيعي لنهاية الصراع ، وهو أيضا النتيجة التي سيصل اليها الطرف الذى يسعى بعمله ومثابرته من أجل تحقيقها .

ومهما قيل عن دور القوى الكبرى في العالم وعن مصالحها في المنطقة . وعلى رغبتها أو عدم رغبتها في استقرار هذه المنطقة ، فان القوة الوحيدة القادرة حقيقة على حسم هذه القضية حتى وان كان ذلك على المدى البعيد ، هي جبهة القوى الوطنية العربية وفي مقدمتها جبهة القوى الوطنية المصرية . ولعل أقصى أسلحة القوى الوطنية هو دعم الانتاج الوطني وتطويره وذلك عن طريق دعم اتجاهات معينة أساسية في قطاعات البحث العلمي وخصوصا قطاع الصناعات والزراعات الاستراتيجية ، ولاتتمكن القوى الوطنية من الوصول الى ذلك بأسرع ما يمكن ، بدون اللجوء الى استخدام آخر ما توصل اليه التطور العلمي والتكنولوجي في كل دول الأرض بما فيها أعداؤنا .

١ ـ دعم وتطوير انتاج الصناعات والزراعات الاستراتيجية

من المتصور لاى بلد يدخل في صراع مصير ، أن يضع في حسابه أسوأ الاحتمالات ، وخصوصا وأن ساعات تحديد المصير لا تحكمها الأخلاقيات . ولا مبادىء الامم المتحدة ، ولا اتفاقيات جنيف عن تحريم استخدام بعض أنواع الاسلحة الكيميائية والبيولوجية . ومن هنا فلابد لنا ونحن نضع أنفسنا ، بحكم دورنا ومصلحتنا ، في مقدمة قوى الصراع مع العدو ، أن نضع في حسابنا ردود فعل عنيفة ضدنا ، ضد أى بادرة جادة لتطوير مجتمعنا اقتصاديا وتوجيه هذا الاقتصاد لاحتمالات صراع دموى طويل الامد ، في جولة أو جولات قادمة ، متصلة كانت او متقطعة . ويجدر بنا في هذه الحالة أن نضع استراتيجيتنا على أسس اقتصادية وعسكرية ، تناسبنا ولا تناسب أعداءنا ، نستفيد فيها من مساحة الارض المصرية ، التي نسيطر عليها حقيقة وليس شعارا ، جماهير مسلحة بالسلاح وليس بالاناشيد ، ونستفيد فيها أيضا من عمق الارض العربية المحيطة بنا ، في تأمين مصادر ومخازن لكل احتياجاتنا ، تدعمها وتحميها بالضرورة القوى الوطنية المتحدة وليست فقط الحكومات حيث مصالح الشعوب واتفاق هذه المصالح أعمق وأوطد بمراحل من اتفاق الحكومات خصوصا في صراعات المصير .

كذلك فانه من الضرورى استراتيجيا بالنسبة لنا أن نعيد صياغة أسلوب الصراع عسكريا ليتناسب مع مستوى امكانيات الشعب المصرى ماديا وحضاريا ، ولا يتناسب في ذات الوقت مع أعدائنا . ولعل من الظروف المواتية لمثل هذه العملية وجودنا واعداءنا على طرفي نقيض ، من ناحية عدد السكان ودرجة تجانسهم واحتمالات الصراعات الداخلية في وجود صراع دموى مستمر ، ومن ناحية مساحة الارض وكثافة المنشآت ووفرة الموارد المائية والطاقة في مواجهة احتمالات التدمير ، امكانيات الاكتفاء الذاتي والحد من التجارة الخارجية تحت الظروف القاهرة القصوى ، درجة استخدام العنصر البشرى ، ودرجة استخدام الالات ، درجة التطور العلمي والتكنولوجي ... الخ ..

ولابد لكل شعب يخوض معركة تطوير أو معركة مصير من أن يتوصل الى ابتكار أسلوب ذاتي يحقق به غايته في ضوء امكانياته المادية والبشرية وفي ضوء الظروف المحيطة به . ومن هنا فانه لابد من استخدام عمق واتساع الارض المصرية كاحدى وسائل تأمين المنشآت الحيوية .

٢ ـ كشف وتحديد وتقييم مصادر الثروة المعدنية والمياه

وحتى الان لم تتعرض مساحات كبيرة من الارض المصرية وخصوصا المناطق الجنوبية والغربية لعمليات المسح الشامل بالطرق المختلفة ولم تتكامل مثل هذه النتائج المتحصل عليها ويستلزم هذا العمل فى المراحل التالية الانتقال الى دراسات وتركيز الخامات واستخلاص مكوناتها الاصلية والثانوية .

كذلك تعد المياه مصدرا أساسيا وحيويا لبعض الصناعات التى تستهلك منها كميات قد تزيد على كميات مياه الرى فى الدول المتقدمة ،ورغم وفرةمياه النيل العذبة الا أن استكشاف مصادر المياه الجوفية فى بعض المناطق ضرورة حيوية . ولابد أيضا من اعادة النظر فى اقتصاديات طرق الرى الحالية بمياه النيل ، اذ أن كل الدراسات المنشورة تدل على أن النباتات لا تستفيد من كل كميات المياه التى تغمر بها الاراضى الى جانب مشاكل الصرف والملوحة الناتجة من الرى الدائم بالغمر .

٣ ـ مصادر الطاقة

استغلال مصادر الطاقة الموجودة والمكنة لخدمة الاغراض المختلفة سواء فى الصناعة أو الزراعة ، والاستخدامات المنزلية ، مع الاهتمام باستغلال الامكانيات الغير مستخدمة حاليا مثل مساقط منطقة الفيوم والقناطر العديدة على النيل ومنخفض القطارة .. الخ . كذلك الاهتمام باستغلال الطاقة الشمسية بعد كل الاهمال الذى لقيه هذا الفرع فى مصر فى الوقت الذى حصل فيه على اهتمام أغلب دول العالم المتقدمة أو شبه المتقدمة ومصر أغنى منها جميعابشمسها الساطعة فى أغلب أيام السنة وخصوصا فى الاجزاء الجنوبية حيث الحاجة ماسة الى الطاقة للمساعدة على تطوير المنطقة وتسهيل سبل المعيشة فيها . والطاقه النووية بلاشك أحداهم مصادر الطاقة فى المستقبل ولكن تكاليف عمليات الانشاء والتشغيل والصيانة واعداد الافراد اكبر من طاقتنا فى الوقت الحالى .

٤ ـ تطوير الزراعة والانتاج الحيوانى

تطوير الزراعة يرفع طاقة الارض الزراعية أى بزيادة رأسية فى الانتاج ، وذلك بطرق كل السبل على أسس اقتصادية سليمة بحيث يكون عائد الانتاج من التطوير أعلى من تكاليف التطوير والتحسين . ولعل تجاربنا الخاصة فى مصر فى تحسين خواص التربة ، وبالذات تجربة كفر الشيخ للحرث العميق وتكرارها الموسع بالغربية أن تقنع المسئولين بضرورة الالتجاء الى الاقسام العلمية والاستفادة من خبرة علمائنا وفنيينا . كذلك فان تجاربنا المحدودة وتجارب غيرنا غير المحدودة لها نتائجها الواضحة فى مضاعفة الانتاج عدة مرات، باستخدام المخصبات الكيميائية البسيطة والمركبة ، وامامنا تجارب غرب اوروبا كدول متقدمة والهند كدولة نامية كمثلين لقدرة الاسمدة الكيماوية على زيادة الانتاج . **وليس غريبا أن نسمع عن وجود فائض أغذيه زراعية فى الهند من انتاجها ، بعد العجز الشديد الذى كانت تعانى منه والضغوط الامريكية التى امسكت بخناقها وقت الازمات .**
وكانت سياسة نهرو الحكيمة فى أوائل الستينات بانشاء ثلاثة عشر مصنعا لانتاج انواع السماد الكيميائى المختلفة وتوزيعها جغرافيا بما يلائم المواد الاولية للصناعة المحلية منها والمستوردة ، وامكانيات النقل سواء للمواد الاولية او المواد المنتجة هى الاساس لذلك الاكتفاء الذاتى والفائض الذى تحقق .

هذا ويتم تطوير الزراعة والانتاج الحيوانى ايضا:

ـ بزيادة الرقعة المنزرعة باستصلاح الاراضى القابلة للاستزراع واستخدام المياه المتوفرة من نتائج استخدام وسائل اقتصادية أفضل للرى بدل عمليات الغمر ، كذلك استخدام مياه البحر فى الرى كتجربة تستحق الدراسة والمتابعة ، نظرا لطبيعة أراضينا ومياه البحرالمحيطة بنا على طول آلاف الكيلومترات والتى سبق الحديث عنها ، وقد دربت وزارة الزراعة بعضا من اخصائيها فى ايطاليا لهذا المشروع .

ـ زيادة انتاج البروتين الحيوانى عن طريق استغلال أنواع من البروتين الغير صالح كغذاء للانسان غذاء لحيوانات وطيور المزرعه وتربية الاسماك وهى بعض الطرق الرئيسية للاستفادة من مخلفات المزارع باقصى درجة من الكفاية وبالتالى خفض تكلفة انتاج البروتين الحيوانى .

ان مالدينا من امكانيات أضخم بمراحل مما هو معلوم حاليا ولكن لابد للحفاظ على هذه الثروة الطائلة على الاقل بوضعها الراهن وان لم تستغل بالكامل فى الوقت الحالى ، ولذلك لابد من توفير قطع غيار لجميع الاجهزة تكفى لتشغيلها عددا من السنين حتى ولو توقف انتاج هذه الانواع فى الشركات المنتجة وهو مايحدث عادة نتيجة لاستمرار تطور الاجهزة العلمية وزيادة كفاءتها . كذلك لابد من استكمال مكتبة مركزية واحدة على الاقل لتكون بمثابة المكتبة الام تقوم بامداد جميع المكتبات الفرعية بنسخ مصورة لكل ماتريد وما يستتبع ذلك من تدعيم الخدمة المكتبية والتوثيق **على أن تكون ادارة مثل هذه المنشآت جماعية تفاديا لنزوات الافراد ونزعات الظهور .**

المضمون الواقعى لخلق تكنولوجيا مصرية

د. حسين كمال الدين

اذا اتفقنا أن « التكنولوجيا هى تطويع العلم وتطبيق النظريات العلمية التى اكتشفها الانسان لانتاج احتياجاته المادية والروحية » فاننا نعثر على الرابطة بين البحوث العلمية الاساسية والبحوث التطبيقية والعمليات الانتاجية .

اى اننا من خلال هذا التعريف للتكنولوجيا يمكننا ان نضع أيدينا على العناصر الاساسية « للمضمون الواقعى لخلق تكنولوجيا مصرية » .

فاذا كان هدف التكنولوجيا هو انتاج احتياجات الانسان المادية والروحية أى توفير الغذاء والكساء والمسكن والعلاج والتعليم والثقافة والترفيه ، بل التطوير والارتفاع المستمر بمستوى ما يقدم من هذه الاحتياجات ، يتبين أن الانسان هو محور وهدف كل العمليات التى تصب فى النهاية عند توفير احتياجاته .

أى انه حتى اذا كان البحث العلمى الاساسى أو البحت ، قد يكون عند البعض رياضة فكرية أو ممارسة لنوع من الخلق الروحى فان توفير هذه الامكانية لهؤلاء العلماء تقتضى مستوى معينا من التقديم التكنولوجى ، أى التطبيق لنظريات علمية بحتة أو أساسية .

فما بالنا ونحن نعلم أنه ما من نظرية علمية بحتة أو أساسية الا ونبعت أساسا اثناء محاولات الانسان لانتاج احتياجاته المادية والروحية ، أو استخدمت بعد ذلك لانتاج هذه الاحتياجات والارتفاع بمستواها .

وعندما نقول : ان « الانسان هو محور وهدف كل العمليات التى تصب فى النهاية عند توفير احتياجاته فاننا نعنى الانسان المنتج للقيم المادية والثقافية : العالم الباحث الذى يصل الى وضع النظريات العلمية التى ترفع العلم من مستوى كيفى الى مستوى كيفى أعلى وأحسن ، والعالم الباحث الذى يطبق هذه النظريات ويطوعها لاختراع أو اكتشاف أو تطوير ادوات الانتاج ، والفنان الذى

يستفيد مما توفره التكنولوجيا لابداع خلق جديد ؟ والعامل فى مصنعه والفلاح فى حقله والمعلم فى مدرسته والطبيب فى مستشفاه .. الخ ، كل فى مجاله خالق لقيم انتاجية مادية او ثقافية ومستفيد مما يخلق غيره من قيم مادية وثقافية .

فالتعاون الوثيق بين كل المنتجين للقيم المادية والثقافية بشكل « المضمون الواقعى لخلق تكنولوجيا مصرية » .

ويأخذ هذا التعاون شكل الانتقال من العام الى الخاص ثم الانتقال من الخاص الى العام مع الارتفاع المستمر فى كل دورة من هذه الدورات بمستوى التعاون وبالتالى بمستوى البحث العلمى والتكنولوجى والانتاج المادى والروحى لاحتياجات الإنسان .

فيم ، اذن ، يتمثل هذا التعاون ؟

يتمثل هذا التعاون فى : الاستفادة الكاملة من كل ما هو متاح سواء كان موجودا فعلا أو كامنا :

١ – قوى بشرية ، عالة او عاملة ، فنـــانة ومفكرة .

٢ – مواد خام .

٣ – أموال .

٤ – أدوات انتاج .

٥ – قوى محركة .

ولكى نستفيد من كل ما هو متاح ، الموجود منه والكامن ، لابد من :

١ – أن تمتلك قوى الشعب المنتجة للقيم المادية والثقافية كل ما لديها من امكانيات .

٢ – أن تضع تخطيطا كاملا شاملا لانتاج ما تحتاجه من قيم مادية وثقافية .

٣ – أن يرتفع التخطيط دائما بمستوى الانتاج المادى والروحى لاحتياجات الانسان .

واذا أردنا خلق تكنولوجيا مصرية ، وفى اطار العوامل السابق الاشارة اليها ، فان هذا يمكن أن يتحقق اذا توفرت :

١ – المشاركة الكاملة لجميع العاملين فى انتاج القيم المادية والروحية فى وضع التخطيط الكامل الشامل لانتاج هذه القيم مشاركة جادة وواعية وديمقراطية .

٢ – ازالة الأمية بطريقة ثورية وسريعة .

٣ – خلق قاعدة متعلمة واسعة وعميقة .

٤ – التدريب المستمر فى مجالات العمل .

٥ – التوعية للجميع بأهمية التعاون فى خلق تكنولوجيا مصرية .

٦ – عقد اجتماعات دورية ابتداء من أصغر المستويات الانتاجية الى اعلاها لمناقشة مشاكل الانتاج والعمل على خلق وتطوير التكنولوجيا المصرية ، والاستفادة من خبرة كل من يعمل فى هذه المجالات مهما كانت خبرته ضئيلة . وتتويج مثل هذه الاجتماعات بمؤتمرات دورية على النطاق القومى .

٧ – تدعيم أجهزة البحث فى أماكن الانتاج [المادى والثقافى] .

٨ – ربط اجهزة البحث فى أماكن الانتاج المتشابهة [الصناعة الواحدة مثلا] بمعاهد بحوث نوعية .

٩ – الربط بين البحوث التطبيقية فى أماكن الانتاج والمعاهد النوعية وبين البحوث الاساسية والنظرية فى الجامعات أو غيرها من مراكز البحوث .

١٠ – التكامل بين جميع البحوث التطبيقية والاساسية فى خطة كاملة شاملة تنبع وتصب وتتفاعل مع الخطة القومية لانتاج الاحتياجات المادية والروحية للانسان المصرى . ان حفز وتشجيع واستثارة الطاقات الكامنة لدى العاملين فى انتاج الاحتياجات المادية والروحية ، واتاحة اكبر وأوسع الفرص للتعبير عن آرائهم وافكارهم بالنسبة لما يقومون به من نشاطات فى مجالات عملهم الانتاجى ، وفى جو مشبع بالديمقراطية والحرية ، لابد أن يثرى التجربة المصرية فى خلق تكنولوجيا مصرية نابعة من التربة المصرية وتصب فى تحقيق وتطوير احتياجات الانسان المصرى المادية والروحية .

لقد كان الانسان العامل ، دائما ، مصدر كل الاكتشافات والاختراعات والتطويرات التى تحققت على مر العصور منذ ان بدات الانسانية خطاها الاولى على مدارج التقدم .

ونحن نعيش اليوم ثورة علمية وتكنولوجية تحقق تقدما هائلا وسريعا وعميقا فى عالمنا

المعاصر وتعكس آثارها على المجتمع العالمي كله .

ولقد تفجرت هذه الثورة بفضل المنافسة المحتدمة بين النظامين الاجتماعيين الموجودين في العالم النظام الاشتراكي والنظام الراسمالي . فقد ادت هذه المنفسة وبسبب اتباع المعسكر الاشتراكي لاسلوب التخطيط الكامل الشامل في البحوث العلمية والتكنولوجية ، وما تحقق نتيجة لذلك من تقدم علمي وتكنولوجي ، لادراك الدول الرأسمالية ضرورة وأهمية التخطيط في البحوث العلمية .

وكان ، كذلك لضخامة مشروعات البحوث العلمية والتكنولوجية وضخامة الاعتمادات المالية اللازمة لها ، مثل بحوث الذرة والفضاء ، وعدم امكان وحدات البحوث الصغيرة أو المنفردة القيام بها .

كما كان لوفرة المعلومات العلمية وتدفقها السريع وعدم امكان استيعاب الافراد أو مجموعات البحوث الصغيره لها .

كان لزاما لكل ذلك من تدخل الدول في تمويل وتنظيم والاشراف على البحوث . بل رأينا صعوبة قيام بعض الدول المتقدمة منفردة ببعض أنواع البحوث مما اضطرها الى التنسيق فيما بينها في مشروعات بحوث الذرة والفضاء وغيرها مثل مجموعة السوق الاوروبية المشتركة .

ان هذه الثورة العلمية والتكنولوجية الهائلة والعميقة والسريعة النبض تلقى علينا تبعات أكبر في ضرورة السير في الطريق السليم لخلق تكنولوجيا مصرية .

وهنا لابد ان نعيد الى الاذهان التحديات الكبرى التي تواجهنا والتي يلزم لمواجهتها ان نبدأ وبسرعة في خلق التكنولوجيا المصرية :

١ - التحدى الاستعمارى الصهيوني الذى يحطم ما نبنى في دورات زمنية منتظمة ويستنزف طاقاتنا ومواردنا ويهدد كياننا ذاته . هذا التحدى يرتكز على تقدم علمي تكنولوجي كبير لابد من مواجهته بتقدم علمي وتكنولوجي مماثل .

٢ - التحدى المتمثل في ازدياد البلدان المتقدمة تقدما والبلدان المتخلفة تخلفا . وما لم نكسر هذه الحلقة المفرغة بمعدلات سريعة من التقدم العلمي والتكنولوجي والبناء الاقتصادى المنظم المخطط فان الفجوة بيننا وبين البلدان السريعة التقدم سوف تزداد اتساعا .

٣ - والتحدى الثالث هو ارتفاع معدل زيادة السكان والذى يلتهم ما نحققه من تقدم ما لم ترتفع معدلات التقدم والبناء والانتاج عن معدلات زيادة السكان وذلك بتحقيق ما نرجوه من معدلات تقدم علمي وتكنولوجي عالية .

ومرة اخرى تحدد لنا هذه التحديات معالم الطريق الذى يجب أن نسلكه لخلق تكنولوجيا مصرية :

١ - الدراسة العميقة والاستفادة الكاملة من كل ما هو متاح في العالم من نظريات علمية وتقدم تكنولوجي والبدء من حيث انتهى غيرنا .

٢ - الاهتمام ، أولا وفي المرحلة الحالية ، بتطبيق النظريات العلمية العالية في خلق تكنولوجيا مصرية .

٣ - الانتقال من العام الى الخاص أى من البحوث التطبيقية واستخدام التكنولوجيا العالمية المتاحة الى البحوث العلمية الاساسية لخلق **العلم المصرى** والذى بدونه لن تتقدم أو تتطور **التكنولوجيا المصرية** أى يتحقق الانتقال مرة اخرى من الخاص الى العام .

٤ - العمل على خلق **التكنولوجيا العربية والعلم العربي والاستفاده من الطاقات المتاحة في الامة العربية وعلى نطاق الوطن العربي** . وخاصة عندما نلمس أهمية وضرورة التجميع في مشروعات البحوث العلمية والتكنولوجية .

٥ - الاستفادة الكاملة مما يتيحه لنا **التعاون المخلص مع البلدان الاشتراكية** في مجالات خلق وتدعيم وتطوير التكنولوجيا المصـ
طريق تبادل الخبراء وتبادل المعلومات والوثائق العلمية والبعثات والزيارات وبناء المعامل والمصانع و .. الخ .

٦ - التنسيق العلمي والتكنولوجي بيننا وبين **بلدان العالم الثالث** ذات الظروف المتشابهة **والاستفادة من خبرات هذه البلدان في خلق وبناء وتطوير التكنولوجيا** .

واخيرا فان المنهج العلمي ، والنظرة الشاملة التي تلم بكل ظروفنا ، والرؤية الواضحة لاتجاه التقدم ، والعمل الدؤوب المثابر المنظم على تطويع الطبيعة لخدمة الانسان المصرى ، هو المضمون الواقعي لخلق تكنولوجيا مصرية .

الدراسات الانسانية فى التعليم الجامعى والعالى للعلوم والهندسة والتكنولوجيا

د. أحمد العريان

ان الدراسات الانسانية سواء أكانت تتخذ مظهر العلوم أو الاداب الخالصة لها الان دورها الجليل الكبير فى عصر العلم الطبيعى والتكنولوجيا ، فهى تقدم ـ من جهة ـ خدمات تعين على زيادة فعالية العلوم الطبيعية والانتفاع من تطبيقاتها على افضل وجه ، وتتيح لشخصية الانسان ـ من جهة أخرى ـ تكاملا وتوازنا وتوجيها سليما ، تزداد حاجتنا اليه كلما ازدادت العلوم والتكنولوجيا تقدما .

أولا : جذور المشكلة

ا ـ الصراع بين العلم والانسانيات : الخلفية التاريخية :

ترجع بداية الصراع بين العلم والانسانيات الى ما قبل عصر النهضة فى أوربا . وقد اتخذت مظاهر هذا الصراع صورة حادة فى بعض الاحيان تختلف فى تقفى الكنيسة الكاثوليكية لاصحاب الفكر العلمى واعدامهم فى كثير من الاحوال . ولكن العلماء تمكنوا من اثبات وجودهم ، وغيرت أبحاثهم واكتشافاتهم من تصور الانسان لنفسه وللبيئة المحيطة به ، فجاء عصر سارت فيه الثقافتان العلمية والادبية متلازمتين . ثم جاء بعد ذلك التطور العظيم فى التكنولوجيا والعلوم ، ذلك التطور الذى صاحب التحول الصناعى خلال القرن الثامن عشر وكان ثوريا وشاملا فأصبحت الفجوة بعيدة المدى بين العلم والانسانيات ، ووصل الصراع بين الثقافتين الى الذروة فى القرن التاسع عشر حين استقطب أصحاب العلوم فى ناحية نظرية داروين فى التطور ، واستقطب الادباء وأصحاب الانسانيات فى جانب آخر .

وقد استمر هذا الصراع على أشده خلال القرن العشرين وزادت الهوة اتساعا حين سيطر العلم سيطرة شاملة على حياة الانسان خلال هذا القرن لدرجة أصبحت فيها الانسانيات مهددة وأصبح الانسان فى موقف يفتقد فيه المعانى الروحية . وفى الوقت نفسه رفض أصحاب الثقافة التقليدية أن يقبلوا الاكتشافات العلمية كجزء أساسى من التعليم الذى ينمى شخصية الانسان ويمهد له طريق التقدم . وقد تمثلت خطورة هذا الفصام الثقافى فى اتقان تكنولوجيا الحروب .

ب ـ الثقافتان :

ان ما بلغه التازم بين العلم والانسانيات يعبر

عنه بوضوح العالم الاديب الانجليزى س • ب • سنو (C.P. Show) فى المحاضرة الهامة التى القاها عام ١٩٥٩ فى جامعة كمبريدج تحت عنوان « الثقافتان The Two Cultures
يقول سنو : « نقيضان مستقطبان : فى قطب منهما نجد أصحاب الفكر الادبى ، الذين يشيرون الى انفسهم دائما على أنهم « أهل الفكر » ، كأنه لا يوجد غيرهم ممن يمكنه حمل هذه الصفة • وفى القطب الاخر العلماء . وبين المجموعتين هوة عميقة من عدم التفاهم • كل فئة لديها صورة مشوهة عن الاخرى ، غير العلماء يظنون العلماء مختالين متحذلقين •• » « غير العلماء لديهم اعتقاد جازم أن العلماء لهم تفاؤل سطحى ولا يدركون حقيقة موقف الانسان • » « ومن ناحية أخرى يعتقد العلماء أن ذوى الفكر الادبى ينقصهم بعد النظر ولا يهتمون ببنى جنسهم ، يفتقدون الناحية العقلية بدرجة كبيرة وحريصون على أن يقصروا الفن والفكر على لحظة الوجود فقط . هذه الاتهامات المتبادلة ليست خالية تماما من الصحة ومع ذلك فهى تخريبية ، وكثير منها مبنى على استنتاجات خاطئة خطيرة » •

وينهى سنو محاضرته الهامة بأن « **اجتياز الفجوة بين الثقافتين ضرورة فكرية وعملية ، ولن يتأتى هذا الا باعادة النظر فى النظم التعليمية** » • **وهكذا يرد العالم الاديب س • ب • سنو هذه المشكلة الى نظام التعليم ويلقى التبعة كلها عليه من أجل الوصول الى حل شامل وأساسى يقرب ما بين « الثقافتين » ويتيح فرص التفاعل الخلاق بينهما** •

جـ ـ وجها المشكلة :

للمشكلة اذن وجهان يجب معالجتهما معا ، أحدهما يتعلق بالتخصصات العلمية والتكنولوجية والاخر يتعلق بأصحاب الدراسات الانسانية ، الا أن المشكلة أكثر خطورة فى وجهها الاول عن وجهها الثانى • **والهدف هنا هو التعرض للمشكلة بالنسبة للمهندسين والفنيين والتكنولوجيين بصفة خاصة** •

ثانيا : مفهوم الدراسات الانسانية وجذورها

أ ـ مفهوم الدراسات الانسانية :

أن المعارف المتصلة بالانسان قد صارت تتجمع طبيعيا فى دراسات انسانية ذات طابع ثقافى ، من أمثلتها الاداب المختلفة والتاريخ والفلسفة من جهة ، ومن جهة أخرى فى مباحث تسعى الى أن تضفى على نفسها طابع العلمية كعلم النفس وعلم الاجتماع • الخ ، ولذا فمن المفيد تقسيم الدراسات الانسانية الى فئتين تسمى الاولى باسم « **الانسانيات ـ Humanities** » والثانية باسم « العلوم الانسانية » [Human Sciences
وسوف تتبين لنا ضرورة هذا التقسيم فى الاجزاء اللاحقة •

ب ـ جدوى الدراسات الانسانية وأهميتها :

١ ـ ضرورة العلوم الانسانية [Human Sciences
يمكننا تلخيص أهم جوانب دور العلوم الانسانية وضرورته فى عصر العلم والتكنولوجيا فيما يلى :

١ ـ أمكن للعلوم الانسانية ، حينما طبقت مناهج مشابهة لتلك التى يتبعها العلم الطبيعى والتكنولوجيا ، أن تخدم نفس الاغراض التى يخدمها الاثنان معا .

٢ ـ تنطوى التكنولوجيا على جانبين هامين يعتمد أحدهما على العلم الطبيعى ويعتمد الاخر على جانب انسانى اجتماعى ، لان الاغراض العملية لا تجد لها سندا أو مبررا الا فى اطار هدف اجتماعى وانسانى معين .

٣ ـ تسير حركة التقارب بين العلوم الانسانية والعلوم الطبيعية فى الاتجاهين معا (كما فى السيبرنطيقا وعلم النفس الصناعى) •

٤ ـ تستطيع العلوم الانسانية أن تقوم بدور عظيم الاهمية فى فهم الانسان واعداده ذهنيا ونفسيا على النحو الذى يجعله مهيأ لاكتساب القدرات التى تمكنه من الاضطلاع بالعمل العلمى فى صورته الحديثة المعقدة •

٥ ـ تستطيع العلوم الانسانية أن تؤدى دورا هاما فى مساعدة العلوم البحتة على حل مشكلاتها الداخلية الخاصة •

٦ ـ العلوم الانسانية هى وحدها التى تستطيع بحث وسائل التكيف التى يمكن بها مواجهة تغيرات البنية المادية للمجتمع •

٧ ـ التقدم العلمى يجلب للانسان مشكلات جانبية لابد من التصدى لها على مستوى العلوم الانسانية •

٨ ـ العلوم الانسانية فى استطاعتها أن تجعل التكنولوجيا أكثر انسانية مما هى عليه الان .

٩ ـ ان عصر الفضاء لابد أن يؤدى فى المدى القريب أو البعيد الى مشكلات ذهنية ونفسية تفتح أمام العلوم الانسانية أبواب تحديات جديدة •

٢ ـ ضرورة الانسانيات (Humanities)

يمكن تحديد أهم جوانب المهمة الكبرى للانسانيات فى عصر العلم والتكنولوجيا فيما يلى :

١ ـ الانسانيات وحدها هى التى يمكنها أن تحقق « توازنا » مناسبا بالنسبة الى الانسان الذى يعيش فى عصر العلم ٠

٢ ـ الانسانيات وحدها هى التى تعين على « اعطاء هدف للنشاط البشرى فى بقية الميادين وتوجيه الفاعلية الانسانية التى يتيحها العلم للانسان فى اتجاه سليم »

كما أنها « ترعى تلك الحاجات الباطنة العميقة التى لا تقدر على رعايتها التكنولوجيا مهما تقدمت » ٠

ثالثا : الدراسات الانسانية للهندسة والتكنولوجيا

ا ـ اضطراد الحاجة الى المهندس المتكامل :

يجب أن ينظر الى الاهتمام الحالى بالدور الذى تلعبه الدراسات الانسانية فى التعليم الفنى على انه جزء من عملية التطور المعقدة نسبيا والتى ترجع جذورها الى « الثورة الصناعية الثانية » ٠ ان هذه التطورات المحاطة بهالات براقة من الاموال والوقت والبراعة الانسانية قد أثارت مشكلات الترشيد الاقتصادى والتركيز فى الانتاج وتداخلت معها ، وظهرت المؤسسة ذات الحجم الكبير كمنظمة « اقتصادية ـ اجتماعية » جديدة **وبرز المهندس فى هذه التطورات بمثابة « الرجل الجديد » الذى اعتمدت على وجوده ومجهوداته سواء كمبتكر للطرق الفنية الصناعية أو « كرجل التنفيذ »الاول أو « كمسئول عن الادارة » ، وكانت النتيجة المحتمة لذلك كله أن صارت الحاجة ماسة الى المهندسين لتولى مسئوليات لم تكن فى اطار برامج اعدادهم الفنى « المهنى »** ٠

ان حركة التطور هذه جعلت من العلوم الانسانية مكملا اجرائيا (أدائيا) لكل من تصميم الالات وتشغيلها والانتاج ونظمه وما يتعلق بهما ، كما دفعت الاهمية البالغة للهندسة كمهنة رجال العلوم الانسانية ـ وبعض المهندسين ـ الى اقتراح دور أبعد لمجالاتها كجزء لا يتجـزأ من المقررات الهندسية ٠ وينظر هنـا للدراسـات الانسانية باعتبارها الدعم الذى يقدم للمهندس لينمو «**كشخص متكامل**» على وعى وتبصر بالمسئوليات الاجتماعية والاقتصادية المرتبطة بدوره المهنى ٠

ب ـ المدخلان : الاجرائى « الادائى » والانسانى :

يقصد بوجهة النظر الاجرائية أنها تلك النظرة التى تعتبر العلوم الانسانية نظما لها قيم ايجابية بالنسبة للمهندس عند تناوله المشكلات العملية لمهنتـه ومعالجتهـا ، بينما يقصد بوجهة النظر الانسانية تلك النظرة التى تعتبر الدراسات الانسانية علوما متممة للقيم الفنيـة التى ينميها تدريب المهندس ومصدرا من مصادر التوجيه الفكرى له ٠ وتؤكد اسهامات العلوم الانسانية الحالية والمستقبلة فى تدريب المهندسين وجهتى النظر السابقتين معا ٠

رابعا : المسائل الاساسية المستخلصة من تجارب الدول فى تدريس الانسانيات

[أ] بعض الاعتبارات العامة :

لقد تنوعت المعلومات التى تضمنتها التقارير القومية المقدمة لليونسكو فى تفصيلاتها ، واتسعت فى مضموناتها وغطت تسع دول هى على التوالى : تشيكوسلوفاكيا ، وفرنسا ، والمانيا الاتحادية ، والهند ، واليابان ، والسويد ، والاتحاد السوفيتى والمملكة المتحدة (بريطانيا) ، والولايات المتحدة الامريكية ٠

ان المتوقع عند دراسة هذه التقارير هو الاختلاف الكبير فى الفلسفات والنظم التربوية ٠ ولذا فان المدى المتسع للتعليم الهندسى والتنوع فى المناهج مع الاختلافات الموجودة فى أهداف المعاهد الهندسية نفسها (سواء فى داخل الدولة الواحدة أو بين الدول بعضها البعض) قد أدى الى صعوبة امكان التوصل الى نتائج بسيطة بخصوص التعرف على النمط الاساسى لتعليم الهندسة ٠ والملاحظ أن الاختلافات فى مستوى التطور الاقتصادى ودرجة الالتزام بالتقدم التكنولوجى وثيقة الارتباط ليس فقط بالاختلافات فى الاعداد الكلية للطلاب ولكن أيضا بالتنوع فى المقررات التى تدرس لهم ٠ يضاف الى ذلك هذه الانواع الجديدة من التعليم الفنى التى ابتكرت فى معظم الدول ايمانا من الحكومات التى تواجه الان بأنماط من « **التفوق التكنولوجى** » الاجنبى بالحاجة الماسة الى صنوف من الاصلاح أو التطوير النشط على وجه الخصوص ٠ وتتوارد فى تقارير الدول المختلفة عديد من الامور الخاصة بالتنظيم والمحتوى وتتجه غالبيتها الى اقرار امكانية دخول العلوم الانسانية لتحقيق الاغراض الاجرائية أو الانسانية أو للجمع بين الاثنتين ٠

(ب) المادة الدراسية للمقررات غير الفنية :

يبدو أنه من الصعب عزل الامور الخاصة بالتنظيم عن التفكير فى المواد التى تدرس ، وقد أوضحت العديد من التقارير التى تناولت تقييم تجربة تدريس العلوم الانسانية والانسانيات فى كليات الهندسة ومعاهد التكنولوجيا الدور الرئيسى

الذى يلعبه تدريس القانون والاقتصاد فى معظم مقررات الدراسات الانسانية [ويتضمن مقررات فى الاقتصاد والمحاسبة والادارة الصناعية) بينما كان علم الاجتماع وعلم النفس أقل حظا من القانون والاقتصاد بصفة عامة . على أن الحالة المتفردة الشاذة عن هذا الاتجاه كانت فى الولايات المتحدة الامريكية حيث احتل التاريخ مكان القانون كأكثر مادة دراسية محببة الى جانب الاقتصاد ولاقت مقررات علم الاجتماع وعلم النفس والعلوم السياسية استجابة كبيرة أيضا . الا ان الملاحظ بصفة عامة أن العلوم السلوكية كانت مرغوبا فيها بدرجة أقل من العلوم التى توفر خلفية اقتصادية وقانونية لفروع التخصص المختلفة للمهندس (كتدريس القانون المتعلق بالصناعات الانشائية للمهندسين فى السويد واليابان مثلا) • وربما كان التاريخ هو الممثل الرئيسى للجانب الانسانى فى الدراسة الذى درس على نطاق واسع فى الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفيتى وتشيكوسلوفاكيا والهند ، لكنه - كمادة للدراسة - اختلف اختلافا بينا فى هذه الدول بعضها عن البعض • ان استعراض التقارير المقدمة فى تقويم التجربة يكشف عن عدد من المشكلات العامة التى وضحت فى الهيكل والطريقة مما يحتاج نظرة متأنية سليمة ودراسة وافية مستفيضة عند بحثهما • **ان جانبا تنظيميا لمقررات الدراسات الانسانية لطلاب الهندسة والتكنولوجيا لابد أن يجيب على هذا السؤال :**

هل « الدراسات الانسانية للهندسة » موضوعة على وجه الخصوص لطلاب الهندسة أم انها نفس الدراسات التى يتلقاها طلاب الدراسات الانسانية أنفسهم فى كليات الاداب ومعاهد علوم الانسان ؟

ان الممارسة العملية فى المعاهد التى كان فيها هذا السؤال ذو اهمية خاصة تنبه الى وجود خلافات كبيرة فى الرأى • وتشير التقارير الواردة من الولايات المتحدة الى أن أغلبية عظمى من أعضاء هيئة التدريس الذين يدخل هذا الموضوع فى اهتماماتهم يميلون الى الدراسات المتشاركة ، بيد أن عددا قليلا من المدرسين والاساتذة دعا الى تناول هذه الدراسات عن طريق مقررات ذات مواد دراسية خاصة تحقق تكاملا فعالا مع الجوانب الاخرى من عمل الطالب • لكن الذى يبدو واضحا - فى الاجابة على السؤال الهام السابق - أن الرأى النهائى فيه يتوقف على الاغراض التى يستهدفها ادخال الدراسات الانسانية فى صلب اهتمامات ومقررات طالب الهندسة . ان العلوم الانسانية على المستوى الاعدادى او « المدخلى » لها ما يزكيها . لكن ثمة خطرا يكمن دائما فى اعتبار طلاب الهندسة اقل شأنا من المتخصصين فى العلوم الانسانية وخاصة اذا كانت حاجتهم اليها أقل الحاحا أو أهمية •

لكن جانبا آخر يتعلق بمقررات الدراسات الانسانية بدا أن الرأى فيه أكثر صعوبة - وهو الخاص بمسألة طريقة التدريس - حيث لم يصادف وجود ما يثبت أن طرقا غير معتادة تتبع فى تدريس العلوم الانسانية للمهندسين • ولم يوجد ما يوحى بوجود مدرسة مميزة - فى أية دولة - عن غيرها كحركة لها استقلالها الخاص عن ذلك الاتجاه العام الذى تتطور فيه العلوم الانسانية •

(جـ) التكامل بين الدراسات الانسانية والمواد الهندسية :

تكاد الاراء كلها تجمع على أن ثمة حاجة الى تنمية روح التقدير العادل بين المواد الهندسية والمواد غير الهندسية فى منهاج الدراسة • وهذه الحاجة - فى رأينا - هى المدخل الوحيد لمناقشة كل المسائل الكبرى المتعلقة بالموضوع [الوقت المتاح - هيكل الدراسات - نوعية القائمين بالتدريس .. الخ] .

لكن مسألة أخرى ذات اهمية خاصة تستحق التنويه - وتعد مثار حوار فى كل المعاهد تقريبا - وهى الخاصة بتطبيق واحد أو أكثر من العلوم الانسانية فى واحدة أو أكثر من مناحى الدراسة الهندسية • ان هندسة الانتاج والهندسة المدنية مثلا ، مجالان فسيحان يمكن لعلم الاقتصاد وعلم الاجتماع وعلم النفس أن يقدموا فيهما الكثير ، وتوضح بعض المقررات التى جرى وضعها فى التقارير القومية المقدمة لليونسكو أن هذه الاسهامات صارت معترفا بها بشكل متزايد مضطرد القيمة (وقد كانت المقررات الاكثر تقليدية فى الاقتصاد والقانون هى التى استمرت لبعض الاعوام ذات قيمة اجرائية فى عدد من المجالات الهندسية) •

ان المسألة الاساسية هنا يحددها هذا السؤال :

ما هى المكانة التى تتمتع بها الدراسات الانسانية بالنسبة الى العلوم الهندسية التى يقدر على أساسها مستوى المعهد وقيمته ؟

ان الذى يحدث فى حالات قليلة غير معتادة أن يحقق التعليم فى مجال الدراسات الانسانية فى أحد المعاهد الفنية منزلة عالية ومكانة قومية [بل ودولية) مستقلة ، لكن تكامل هذه الدراسات ومنزلتها ومكانتها المرموقة ليس الا نتيجة مباشرة لنجاح مجموعات صغيرة من الذين تصدوا لتدريس العلوم الانسانية ، او لنجاحهم كأفراد فى اقناع زملائهم وتلامذتهم بأن لديهم شيئا ذا قيمة يقدمونه • وهذا ينقلنا الى المسألة الاخيرة فى هذا

العرض العام الا وهى وضع القائمين على التدريس ٠

(د) الزمن المتاح وطريقة توزيع الدراسات الانسانية خلال المقرر الهندسى :

يدور خلاف كبير حول الزمن المتاح لدراسة المواد غير الهندسية فى كليات الهندسة ومعاهد التكنولوجيا ، وقد أوصت الجمعية الامريكية للتعليم الهندسى فى عام ١٩٥٥ بأن المحتوى « **الانسانى - الاجتماعى** » للمناهج الهندسية يجب أن يصل الى حوالى ٢٠ فى المائة من المقررات الكلية المطلوبة لاعداد الخريج، واذا نظرنا للتقارير القومية المقدمة لليونسكو عن التعليم الهندسى فى أغلب الدول ، فاننا سنجد ، اذا اردنا تطبيق التوصية السابقة على التعليم الهندسى فى مصر ، أن المطلوب للدراسات الانسانية سوف يزيد على أضعاف المتوافر حاليا (حوالى ٣ فى المائة) ٠ وتشير آراء معظم المهندسين الى أن النسبة ٢٠ فى المائة يجب أن ينظر اليها على أنها تمثل القيمة القصوى لمثل هذا التعليم فى الوقت الذى تشير فيه توصيات اليونسكو الى أن هذه النسبة لا ينبغى أن تقل عن ١٠ فى المائة ٠

ان تفسير مثل هذه الاتجاهات يمكن استخلاصه من مراحل التعليم فى الدول المعنية ، فعلى سبيل المثال ، تتبوأ الدراسات الانسانية مكانة رفيعة فى التعليم الثانوى فى كل من السويد وفرنسا انطلاقا من مبدأ هام يقول بأن التعليم العام الذى يفترض توافر مقوماته عن طريق الاهتمام بمثل هذه المواد يبدأ فى الحقيقة قبل أن ينتقل الطالب الى التعليم العالى ٠ والطبيعى فى مثل تلك الحالة أن يخصص الوقت المتاح للعلوم الانسانية فى التعليم الجامعى والعالى للمقررات ذات الطابع الاجرائى [الادائى] كالمنهج « **الاقتصادى - الفنى** » الجديد الذى اقترحته اللجنة السويدية لتخطيط التعليم بالجامعة والكليات عام ١٩٦٣ عن طريق اقتراحها بانشاء قسم « **الهندسة الاقتصادية** » ٠ وفى الناحية المقابلة نذلك يبين التقرير القومى التشيكى أن العلوم الانسانية تشغل قرابة ٩ فى المائة من المقرر الكلى للمعاهد فى مجال التعليم الفنى العالى وأن هذه النسبة مجرد نهاية صغرى ، وأن الدراسات المبنية على أساس من التحليل العلمى والتربوى لكافة مشتملات العملية التعليمية فى المجال الجامعى هى التى بامكانها أن تؤدى الى تحديد أفضل نسبة فضلا عن تحديد أى الموضوعات ينبغى تدريسها فى كل سنة دراسية على حدة ٠

وقد تمت من قبل دراسات من هذا القبيل أسفرت فى نهاية الامر عن زيادة مجموعة الدراسات الاجتماعية والانسانية ، ففى الولايات المتحدة الامريكية اتخذ ذلك شكل التوسع فى عدد من المقررات الاختيارية فى الشطر الاختيارى من البرنامج الدراسى ٠ والملاحظ بعد ذلك أن الرغبة العامة البارزة فى مختلف التقريرات المقدمة لليونسكو تتجه الى المطالبة بالمزيد من الوقت للمواد غير الفنية ٠

على أن هناك مسائل هامة تواجه أى امرىء يقوم بالتخطيط لمقرر فى الدراسات الانسانية لطلاب الهندسة والتكنولوجيا :

- أى المواد يدرس ؟
- ولأى فترة تستمر الدراسات ؟
- وهل تعطى هذه الدراسات فى تسلسل متصل ؟

الى غير ذلك من المسائل الهامة ، لكن الملاحظ حتى الان هو عدم وجود اطار موحد يمكن الاتفاق عليه ٠ فحيث ينبه التقرير الامريكى الى أن « ثمة درجة ملحوظة من الاختلاف فى وجهات النظر بين الهيئات الخاصة بالتعليم الهندسى فيما يتعلق بأولويات مقررات العلوم الانسانية باعتبارها احد الجوانب الاساسية فى اعداد المهندسين » ، نرى أن التقرير الهندى يشير أيضا الى انه « لا يوجد فى الهند حتى اليوم اتفاق واحد بين أرباب التربية والتعليم بالنسبة لموقع العلوم الانسانية من الاعداد الهندسى ، فالبعض من المتعصبين للدراسات العلمية يرى أن تعليم الدراسات الانسانية لا يضيف الى الاعداد الحقيقى للمهندس فى الوقت الذى يرى فيه البعض الاخر من ذوى النظرة الشاملة أن وجود مثل هذه الدراسات فى التعليم الهندسى له قيمته ٠ وفى ضوء هذا التباين يبدو أن الكثير يتوقف على الاهمية النسبية التى تتعلق بالقيمة الاجرائية أو الانسانية لتعليم العلوم الانسانية ٠ ولا مراء فى أن هذا العامل له أهميته ووزنه فى توقيت هذه الدراسات ٠

شىء آخر فى تجربة « الدراسات الانسانية للهندسة والتكنولوجيا » اشارت اليه الجامعات والمعاهد العليا اليابانية ، وهو تجهيز برامج الدراسة فى المرحلة الاولى (المبكرة) من التعليم الجامعى والعالى بالدراسات الانسانية حتى تتجه الدراسات فى المرحلة الثانية اتجاها أوثق اتصالا بالدراسات الهندسية للطالب ٠ ويبدو أن هناك اتفاقا عاما على أنه كلما تقدم طالب الجامعة فى الدراسات الانسانية صار اتصاله وثيقا بهذه المواد وكانت الفائدة أعظم ٠ ان مجال الدراسات الانسانية ، والاستمرار الذى يمكن أن يسمح به هيكل الدراسات الهندسية فيها أمران وثيقا الاتصال الى درجة بعيدة ، وقد أكدت غالبية التقريرات القومية قيمة الاستمرار وفاعليته الا أنها عابت فى نفس الوقت التقييد الصارم فى التخطيط

الذى تسبب فى عدم توافره • وقد اقترحت بعض التقارير القومية حلين بديلين ، يقضى أولهما بتشجيع الطلاب على التخصص فى واحد أو اكثر من العلوم الانسانية بعد أن تتاح لهم بعض الدراسة المدخلية (الاعدادية) العامة فيه ـ وقد أعطى التقريران الفرنسى والبريطانى أمثلة لذلك ـ بينما يقضى الحل الثانى بتنظيم سلسلة من الدراسات الانسانية يتم التخطيط لها على طول فترة ما قبل التخرج ومن خلال مناهج هذه الفترة بأكملها . وقد أوصت الجمعية الامريكية للتعليم الهندسى منذ عام ١٩٥٦ « بوضع سلسلة من الدراسات الانسانية على مدى أربعة اعوام تشكل ما لا يقل عن ٢٠ فى المائة من المنهاج الكلى متضمنة فى ذلك الفلسفة والمشتملات الاخرى التى يتم صياغتها بالتعاون فيما بين كليات الهندسة والاداب والاقتصاد بطريقة تحقق تكاملاواعيابين الشطرين الفنى والانسانى من المنهج » • وأيا كان الحل الذى يبدو أنه الاكثر ملاءمة ، فانه يجب اعتبار موضوع « الدراسات الانسانية للهندسة والتكنولوجيا » هدفا لا مناص من تحقيقه ، وينبغى اتاحة فرص النمو والاستمرار له حتى تتمكن هذه الدراسات من أن ترسخ وتتطور بشكل مجد وفعال •

خامسا : موقع الدراسات الانسانية من التعليم الهندسى فى مصر

يعتبر تدريس الانسانيات والعلوم الانسانية بكليات الهندسة فى مصر فى وضعه الحالى متخلفا جدا • ان هندسة القاهرة ـ كمثال ـ ظلت حتى بدء التعليم الهندسى الحديث فيها مع أوائل الخمسينيات تدرس لطلبتها القانون والاقتصاد بنسبة تصل الى حوالى ٥ر١ فى المائة من مجموع المقررات الكلية للدراسة ، ثم طورت الدراسات الانسانية والقومية فيها بحيث صار الطلبة يدرسون فى السنة الاعدادية « المجتمع العربى » وفى السنة الاولى « ثورة ٢٣ يوليو » وفى السنة الثانية « نظرية التطور الاجتماعى » ، وفى الثالثة « مقررا قوميا » يوضع بمعرفة الكلية بالاضافة الى بعض المقررات الضئيلة فى « المشروعات » و« التنظيمات الهندسية » • وظلت الكلية تعمل بهذا النظام حتى عام ١٩٦٧ ، حيث بدأت فى العام الدراسى ٦٧ـ١٩٦٨ تجربة جديدة حين أضافت الى مقررات السنة الاعدادية مادة أخرى بعنوان « **مدخل الهندسة** » والغت فى العام الدراسى التالى المقررات القومية من السنتين الثانية والثالثة وتركت للاقسام أن تدرس بديلا عنها مقررا فى « التشريعات الصناعية » أو « اقتصاديات المشروع » أو خلافه . لكن النسبة المئوية التى حصلت عليها المقررات القومية والانسانية مع هذا التطوير لم تزد على ٣ فى المائة فى أحسن الاحوال [بما فى ذلك مقرر اللغة] كما كانت هذه المقررات متناثرة ووحيدة • وكان « **مدخل الهندسة » هو التجربة الوحيدة التى حاولت التصدى لهذا القصور ، وحاولت فى الوقت ذاته معالجته بخطوة طموحة • لقد حاولت تجربة « المدخل » أن تعالج موضوع التعريف بالهندسة والتمهيد لها والاطلاع على جوانبها المختلفة وأن تحل مشكلة اختيار الهندسة كمهنة فى نفس الوقت الذى حاولت فيه أن تشد الابصار نحو جوانب متعددة فى المعرفة الانسانية** ، وقد جاءت استجابات الطلاب لها مشجعة بدرجة دلت على مدى الاحتياج الى مثل هذه الدراسات وقدرتها على اثبات نفسها متى ملكت زمام الجدوى والاقناع والتكامل .

عشرة اقتراحات هامة

اذا أخذنا كلية الهندسة بجامعة القاهرة كمثال ـ باعتبارها الكلية الاقدم فى الجامعة الام ـ فاننا نتصور لها الاقتراحات التالية :

١ ـ يتم انشاء قسم خاص بالدراسات الانسانية فى الكلية يتمتع بما تتمتع به سائر الاقسام من استقلال وامكانيات وهيئة تدريس ، ويكون هذا القسم ممثلا لكل فروع الدراسات الانسانية التى يتقرر تدريسها بالكلية ، كما أن له قدر معقول من الحرية فى تحديد مقدار ونوعية ما يسهم به فى الدراسات الهندسية لمختلف الاقسام ، على أن يتجه عمله فى أقرب مدى ممكن الى تقديم مقررات تتجاوز « غير المتخصصين » من شأنها أن تؤدى الى مؤهلات عليا متخصصة (درجة أو دبلوم) فى العلوم الانسانية للهندسة والتكنولوجيا •

٢ ـ يقوم بالتدريس فى هذا القسم الاساتذة المتخصصون فى الفروع المختلفة للدراسات الانسانية ويتمتعون من حيث المنزلة والمعاملة المالية بكل ما يتمتع به نظراؤهم بالكلية •ويمكن أن يقوم بالتدريس فى هذا القسم أساتذة ومدرسون من نفس الكلية (ممن يدرسون بها المواد العلمية والهندسية) ممن لهم اهتمامات واسعة بالدراسات الانسانية ونشاط ملحوظ فى مجالاتها ، ويفضل من حصل منهم على دراسات فيها ، ومن له انتاج واضح فى هذا المجال •

٣ ـ اذا كان الحجم الامثل الذى تشغله الدراسات الانسانية فى المقرر الهندسى يقدر بنسبة بين ١٥ ، ٢٠ فى المائة من الحجم الكلى للمقررات المطلوبة لاعداد الخريج ، فان نسبة ١٠ فى المائة هى نسبة معقولة تمثل من وجهة نظر اليونسكو الحد الادنى الذى يمكن الاخذ به فى البداية الى أن

يتمكن قسم الدراسات الانسانية بالكلية من الوصول بها مع عملية تطوير الدراسات والابحاث به ، ووفقا للاحتياجات المطلوبة لكل من الاقسام المختلفة بالكلية الى النسبة المثلى • ونحن نرى أن البدء بهذه النسبة هو الخطوة المناسبة التى تلائم الاعداد الاولى لمهمة انشاء قسم ، اذ أن فشل التجربة يكون أقرب احتمالا لو أن البداية تجاوزت هذه النسبة ، كما أن نسبة الـ (١٠ فى المائة) تمثل طفرة كبيرة بالنسبة لما هو موجود بالفعل الان (ولا تتجاوز نسبته ٣ فى المائة) • (ونحب أن نشير هنا الى بيانى موضوع بمعرفة خبراء التعليم الهندسى بمنظمة اليونسكو يوضح تصميما بيانيا للمقررات فى نظام دراسى من أربع سنوات تبدو فيه الدراسات الانسانية بنسبة تصل الى ١٥ فى المائة تقريبا] .

٤ – يجب « استمرار » **مقررات الدراسات الانسانية خلال فترة الدراسة فى التعليم الهندسى** ، وهذا يقتضى أن تكون الدراسات الانسانية بنسبة معينة فى مقررات السنة الدراسية الواحدة يفضل أن تكون قريبة من النسبة الكلية (وهى بالنسبة لنا هنا ١٠ فى المائة) • ان هذه النسبة الثابتة تضمن لنا تحقيق نقطة أخرى على جانب كبير من الاهمية الا وهى « **انتظام** » الدراسات الانسانية خلال فترة الدراسة فى التعليم الهندسى وفى مقررات السنة الواحدة • ان ميزتى «**الاستمرار**» و « **الانتظام** » **هما فى تقديرنا دعامتان تقويان وضع الدراسات الانسانية الى جوار الدراسات الفنية والعلمية** ، وتمنحاها فرصة أن تستلهم موضوعاتها من واقع احتياجات « العملية التدريسية » فى تطورها كما تمنحاها امكانية ان تواكب نفسها مع مقررات الدراسات الهندسية وتتكامل معها (يلاحظ فى ذلك بيانى منظمة اليونسكو) •

٥ – تشكل « **مجموعة عمل** » على مستوى عال مسئول من أساتذة الدراسات الانسانية وأساتذة الهندسة ممن لهم خبرة فى تنظيم التعليم وسياسته ، وعلى وعى بحركة الاقتراب والتزاوج بين الدراسات الانسانية من جانب والدراسات العلمية والتطبيقية من جانب آخر ، ولهم اهتماماتهم الواضحة فى هذا المضمار ، من أجل وضع الخطوط العامة العريضة لمقررات الدراسات الانسانية التى تبدأ بها هذه التجربة على كل مستويات الدراسة بكلية الهندسة أى بالنسبة للاقسام المختلفة والسنوات الدراسية المتعددة .

٦ – تتطلب البداية – من وجهة نظرنا – أن تختار مجموعة الدراسات الانسانية وفقا لوجهة النظر الاجرائية (كالاقتصاد والقانون والادارة وغيرها) بحيث يكون الغرض منها هو تدعيم الثقافة المتصلة مباشرة بحياة الخريج المهنية والفنية على أن يتم تكامل هذه الدراسات على مدى زمنى مناسب حتى تدرج بشقيها (العلوم الانسانية والانسانيات) فى مقررات الدراسة .

٧ – يجب أن يتوافر فى مقررات الدراسات الانسانية عنصران بالغا الاهمية :

أولهما : يجب أن تبرز فكرة « **الجذع الانسانى – الاجتماعى** » شامخة فى هذه المقررات من خلال علاقة الترابط التى يجب أن تتضح جيدا بين مختلف مقررات الدراسات الانسانية ومجالاتها التى يتضمنها منهاج دراسى واحد •

ثانيهما : يجب أن يتضح تكامل معقول بين موضوعات الدراسات الانسانية وغيرها من الدراسات التى تسود التربية التكنولوجية العالية •

ونشير هنا الى امكانية الاستعانة – فى البداية – ببعض الدراسات التى يتلقاها طلاب الدراسات الانسانية أنفسهم فى كليات الاداب ومعاهد العلوم الانسانية والتى تكون قريبة من الاهتمامات التكنولوجية • ولكن هذا الاجراء ينبغى أن يكون مؤقتا حتى توضع مقررات خاصة بطلاب الهندسة تحقق الشرطين السابقين معا • على أن ذلك مرتبط بطبيعة الحال بالاهداف المقصودة من الدراسات الانسانية والمشار اليها آنفا .

٨ – **يمكن لقسم الدراسات الانسانية أن يحتضن تدريس الانجليزية العلمية (أو موضوع لغة التدريس بصفة عامة) والمقررات القومية فينتشلها بذلك من ضعفها و « ضياعها » ويخلع عليها فى الوقت نفسه « هوية » ويكسبها « انتماء »**.

٩ – يتم تقويم هذه التجربة بعد ثلاث سنوات •

١٠ – يتم تعميم هذه التجربة على ثلاثة مستويات :

الاول : مستوى كليات الهندسة بالجامعات الاخرى • وهذه يمكن أن ينشأ فيها قسم على غرار القسم الذى ينشا فى هندسة القاهرة .

الثانى : مستوى المعاهد العليا الفنية والتكنولوجية . وهذه يمكن أن ينتدب للتدريس فيها مدرسو قسم الدراسات الانسانية بكليات الهندسة • أو من الممكن انشاء قسم للدراسات الانسانية فى واحد (أو اثنين) من اكبر هذه المعاهد على أن يقوم هذا المعهد (أو المعهدين) بسد احتياجات المعاهد العليا الاخرى فى المقررات الانسانية •

الثالث : مستوى الكليات العلمية فى الجامعة الواحدة (ككلية العلوم والطب والزراعة وغيرها) • وهذه يمكن أن تنشأ بها اقسام على غرار القسم الذى ينشا فى هندسة القاهرة . أو تنشىء لها الجامعة هيئة تدريس واحدة تقوم على توفير مقررات الدراسات الانسانية لها جميعا ووفقا لاحتياجات كل كلية على حدة .

الطـــب النفسى

والمسئولية الاجتمـاعية والسياسـية فى مصر

د • يحيى الرخاوى

فى مرحلة تطورنا الحاليـة ؟ يبـدو انه من اوجب واجباتنا ان ندقق فى كل حركة براقة ،وان نعيد النظر فى كل وهم جـديد حتى نستطيع ان نتجنـب الانزلاق الى خـدعة الحلول السهلة او تعجل الامل فى الرفاهية الحالة .

ومهمة الطبيب النفسى ــ فى تقـديرى ــ من أخطر المهام التى يمكن ان تساهم فى بناء أو هدم شعبنا فى المرحلة الحرجـة الراهنة ، كمـا ان مسئوليته امام المجتمع لا تعفيه منهـا ان يقتصر على النموذج الطبى لممارسة مهنته ، او ان يغمض عينيه عما يرى حوله من تيارات سياسية وتغيرات اجتماعية : تطورية او تدهورية .

وفى نفس الوقت فان الهجوم عليه مشـاركة فى الحركة العالمية المضادة للطب النفسى قد يأتى بأوخم العواقب فى مجتمعنا الذى لم تتأصل فيـه معانى الحركة ومسئولياتها بالدرجة الكافية ،فاذا انزلقنا الى النقد المجرد فقـد نفتح البـاب أمام التحطيم دون بديل .

ولنبـدأ من البداية بدراسـة حجم المشـكلة وطبيعتها .

ولن ألجـأ فى عـرض حجم المشـكلة الى المؤشرات التقليدية التى يعتمد عليها الطب النفسى الاجتماعى فى ذكر تواتر المرض النفسى ونسبته الى الامراض الاخرى ، لان كل هذه المعدلات تشير الى المرض النفسى بتعريفه المحدود فى العيادات والمصحات اساسا ، ولكنى سأحاول فى هـذا المقال ان اتناول حجم المشكلة وطبيعتها من خلال النظر فى ظاهرة « **الاغتراب** » بصفة عامة .

وقد اتخذ مصطلح « الاغتراب » معـان عديدة منذ هيجل وفـويرباخ وماركس حتى متـسـارتر ورولوماى .ولكنا اذ نعود الى اصله فى مجـال المرض النفسى نجد انه استعمل دائما فى وصف **الاغتراب العقلى** بمعنى الجنون ذاته ، وما بين الاغتراب الميكنى الذى يستبعد جوهر الانسـان ويلغى وجوده فى حياتنـا المعـاصرة ، وبين الاغتراب العقلى الذى يستبعد الواقع ويحطمـه دون بديل ، يقع الانسان صريعا يبحث عن مخرج جاد قد لا يتحقق الا بثورة كاملة توافق بين قدراته واحتياجه لتحقيق انسانيته .

وهنا قد يثار تحذير شائع يطرحه من يعتقـد انه انسان سوى ، اذ يقول «ولكن حذار ، فما يسرى على المرضى الشواذ لا يسرى على الرجل العادى .» وهو يتصور بذلك انه يحمى نفسـه من تهمة التشابه بالمرضى ، ويلتقط اغلب الاطباء هذا التحذير ليدعموا موقفهم فى مملكتهم الطبية الخاصة بعيدا عن النقاش والمسئولية الاجتماعية ، ولكن التجربة وعمق الرؤية والبحوث فى ماهية الصحة النفسية والمرض [١] تدمغ هذه المقولة من اساسها حيث يكاد يصبح من البديهيات ان الحد الفاصل بين السوى والمريض هو حد وهمى ،بل ان المريض النفسى ، مثله مثل الفنان على اختلاف وسائل التعبير ومسار الثورة ــ يعرض فى صورة منذرة مشاكل المستقبل بحيث نستطيع القول مع رولوماى [فى كتـابه عن الحب والارادة] « **ان أمراض اليوم هى مشاكل المستقبل** » ، فما نعتبره اليوم ظاهرة استثنائيـة لندرتهـا او شـذوذ مظاهرها سرعان ما تصبح بعـد بضـع سنوات مشكلة اجتماعية تحتاج لجهد اجتماعى وسياسى من الدرجة الاولى .

---

(١) يحيى الرخاوى ، مستويات الصحة النفسية على طريق التطور الفرد ، كتاب حيرة طبيب نفسى ـ القاهرة ١٩٧٢ .

فاذا ما رجعنا الى ظاهرة الاغتراب فى صورتها الوبائية الحالية وتتبعنا جذورها الى الاغتراب العقلى لراعنا وجه الشبه بين مايعانيه المريض وما يعانيه المجتمع ، ولاستطعنا ان نرجع اغلب اسباب شقائنا الى هذه الظاهرة الاساسية .

وفى مصر بوجه خاص لا يحتاج الامر الا الى نظرة متفحصة حتى نستطيع أن نتبين عمق الانشقاق الذى نعيشه بين جوانب شخصيتنا ، وخطورة الاغتراب الذى نمارسه فى مختلف نواحي سلوكنا . فالانفصال كامل تقريبا بين الكلمة والفعل ، بين العمل وعائده ، بين العلم وتطبيقاته ، بين البحث العلمى والمجتمع ، بين العمل الفنى والثورة ، بين الثقافة والانفعال اليومى بها . والانسان المصرى فى هذه المرحلة لا يثرى وجوده بعمله بل انه يؤكد اغترابه ويبتعد عن ذاته بالاستغراق فى العمل او اللاعمل على حد سواء .

وحين أرسم هذه الصورة البشعة لا اقف موقف اليائس او المنكر لانجازات هذه الامة وآخرها — ومن أعظمها — **حرب اكتوبر** . ولكن هذه الحرب بالذات ان دلت على شيء فقد دلت على طول نفس هذا الشعب وقدرته على حضانة بذور الحضارة وحب الحياة مدة تفوق أى خيال مهما بدت مظاهر الموت او الضياع ، **ولابد ان نعتبر اكتوبر صحوة ذات دلالة وفرصة لبداية جادة ، ولكنها ليست ابدا بديلا عن حالة التقشف النفسى والوعى المؤلم الخلاق اللازمين لصنع الانسان صانع الحضارة ، ولا ينبغى أن تلهينا فرحة النصر عن رؤية الاعماق وتحمل المسئولية وباستمرار** .

فاذا ما زاد الوعى بهذا الاغتراب ، فاننا قد نواجه ما يسميه الاطباء احيانا بالمرض النفسى . فاذا كان هذا الوعى مفاجئا ومؤلما وميئسا فان الانتحار يصبح فكرة ملحة ، او محاولة جادة ، أو فعلا نافذا كما نشاهد فى الدول المتقدمة . **ولكن هبوط نسبة الانتحار لدينا — اذ تقول الاحصائيات اننا اقل بلد فى العالم — ليس دليلا على صحتنا النفسية الممتازة ، بل قد يكون دليلا على ضعف وعينا أو على عمق اغترابنا وخطورته** . فالوعى بواقع الحال لا يمكن ان يكون مرضا نفسيا فى ذاته لمجرد خوفنا من مواجهة الحقيقة ، لذلك فقد اسميته « **ازمة تطور** » لامرضا [٢] ، وقد تنتهى هذه الازمة بصحوة خلاقة ، او بهزيمة ارتدادية . ولا اسمى الحالة مرضا الا بعد الهزيمة التى يتحمل مسئوليتها المريض والطبيب والمجتمع على حد سواء [٣] .

ومن هنا نبدأ فى نقاش مسئولية الطبيب الاجتماعية [بما فيها الجانب السياسى] كفرد فى مجتمع يحمل ضمنا مسئولية توعية المريض بطبيعة صحوته والوقوف بجانبه حتى يوجه مسار الازمة الى البناء لا الى الهدم او الردة .

وموقف الطب النفسى التقليدى من هذه المشكلة موقف متردد خائف ، ولذلك فهو يمارس سلطة تضطر الانسان فى ازمة وعيه باغترابه ان يختار احد شقيه دون الاخر ، مما يضعه بين اختيارين لا خير فى أيهما ، فهو صريع ما بين

فخرى ميلاد ١٦ كور ١٥ السبت

٢ — الطب النفسى والمسئولية الاجتماعية

الاغتراب الميكنى فى صورة عجز عن اثراء وجوده الانسانى بتغذية وجدانه ، وما بين الاغتراب العقلى فى صورة انتصار الفوضى نتيجة لنشاط المخ القديم [الطفل الكامن فى وجداننا حسب نظرية **اريك بيرن**] دون احترام للمنطق أو العقل ، ودون ارتباط بالواقع او تحديد هدف يثرى الكيان الكلى . والطبيب عادة يرجح الاختيار الاول باستعمال وسائل قمع نفسية او فيزيائية ، او كيميائية ، وحتى اذا عجزت كل هذه الوسائل . فما اسهل ان يعطى هذا الانسان المتأزم اسما لاتينيا رشيقا يسمح له بالهرب — تحت ستار المرض — من مسئولية انسانيته ، كما يسمح للطبيب كذلك بتبرير سلوكه فى نفس الوقت .

ولا يمكن ان يلام الطبيب النفسى وحده وهو يتخذ هذا الموقف فى مجتمع قد بلغت درجة قسوته وقهره مبلغا يجعل اى محاولة جادة لصحوة واعية ترى الواقع ببعده الحقيقى سببا للنفى **اما للسجن او للتكفير او للمرض** ، على ان الطبيب اليقظ الذى يحاول هو ذاته ، ان يصنع هو ذاته من خلال ممارسة عمله بصدق مؤلم لا يملك وهو يمارس هذا القمع الاضطرارى ليمنع سوء توجيه الطاقة الخلاقة الى مجرد التحطيم دون بديل — لا يملك الا ان يعايش الالم كله فى مواجهة المجتمع القاهر .

وهنا يواجه بسؤال شخصى تماما :

هل يعلنها صريحة منذرة حتى يتنبه لها الساسة والاحرار فيساعدونه على رفع قهر المجتمع عن بعض ابنائه الذين يمكن ان يكونوا بشائر ثورته لمجرد انهم رأوا واقعهم المر ؟ هل يكتفى بان يساهم ايجابيا فى مجتمعه العلاجى الصغير بان يعمق مسئولية المريض [٢] ويضبط طاقته بالوسائل الكيميائية والفيزيائية دون ان يقضى عليها تماما ؟ هل يساهم فى صحبة صاحب ازمة الوعى فى ثورته بعض الوقت حتى يتركه قادرا على الحفاظ على شقيه معا دون الاضطرار الى الاغتراب العقلى

---

(٢) المرجع السابق .

(٣) بديهى ان الحديث عن المرض فى هذا المقال يستبعد الامراض العضوية العقلية نتيجة لالتهاب مخى او ورم او اصابة مباشرة .

ولقد قامت فى مقابل الطب النفسى التقليدى اطروحة مضادة عرفت باسم « **ضد الطب النفسى**» أو الحركة المناهضـــة للطب النفسى ٭ **وانتشرت** هذه الحركة حتى اصبحت قضية ملحة سرت بين مجموعات من علماء المجتمع وعلماء النفس وعلماء التحليل النفسى والماركسيين الناقدين للمجتمع الغربى ٭. وظهرت تجمعات حول هذه الحركة فى بلاد مختلفة وكتابات كثيرة ، وكان من اشهرها كتابات **زاس** Szasz فى امريكا ٭ **ولانج** Laing وكوبر Cooper فى بريطانيا ، **وبازاجليا** Basaglia فى ايطاليا . وقد تصدى لهذه الحركة الاطبـــاء النفسيون التقليديون حتى نشر سير مارتن روث مقالا للرد عليهم فى المجلة البريطانية للطب النفسى فى عدد مايو ١٩٧٣ ٭ كما بلغ من عالميـــة هـــذه الحركة ان خصصت لها مجلة **«رسالة اليونسكو»** عددها الصادر فى يناير ١٩٧٥ من المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية حول الطب النفسى بين مؤيديه ومعارضيه ٭.

ولكننا فى مصر ، ونحن نتحسس طريقنا الى بناء مستقبلنا على اسس علمية جديدة قد يبـــدو اننا لا نستطيع ان نستدرج الى هذا الموقف تحت وهم اننا وصلنا الى درجة من الرفاهية العلميـــة والنضج العقلى والكفاية الاقتصادية، درجة تسمح لنا بان نشارك على المستوى العام فى قضية نقد علم ناشىء لا يعدو ان يكون فرعا صغيرا من فروع الطب ٭ ولا يتعدى المشتغلون به فى مصر ثلاثمائة مختص ، كما لا يزيد عدد المتحدثين فيه وعنـــه عن اصابع اليدين .

الا ان للامر وجه آخر .

فان تأثير هذه المهنة فى مصر — رغم قلة عدد العاملين بها نسبيا — قد تعدى حدود العيادات والمصحات والمجلات العلمية الاكاديمية حتى اصبح يمس قضايا عامة من اهمها تطور الفرد والمجتمع فى ابعاده السياسية والفلسفية والاقتصادية .

وفى الوقت الذى نجـــد فيه تفسيرا طبنفسيا مطروحا لاغلب ظواهر حياتنا يظل الاطباء بمناى من النقد وراء النموذج الطبى للمرض والعلاج .

وفى رأيى ان امام الاطباء النفسيين فى مجتمعنا فرصة للتصدى للاطروحة ومضاداتها معا قـــد تمكنهم من ان يصنعوا منهما جماعا قابلا للتطبيق بل ربما للتصدير ! ، وذلك اذا استطاعوا ان يتعمقوا جذور المشكلة الانسانية التى تطرح عليهم فى شكل المرض النفسى من ناحية ، وفى جذور ظاهرة الاغتراب الوبائى فى حياتنا العادية مـــن ناحية اخـــرى ٭، وحيث لم ينجـــح الطب النفسى التقليدى فى الاسهام الكامل فى حل هذه المعادلة كما لم تنجح الثورة فى اعطـــاء البديل ، فقد بزغ الامل فى ظهور جماع الاطروحة وفى امكانية ان يخرج من « **هنا** » . وليست هـــذه متوالية الخاصة ، وانا لم ابنها على تعصب محلى او وهم او غرور وطنى خادع ولكنها رؤية قـــد تحقق أمل **دافيد كوبر** فى كتابه الاخير عن « **اجرومية الحياة**» حين توقع ان يأتى الحل من دول العالم الثالث ٭ وهى بداية تحقيق دعوة الاستاذ الدكتور **ا. فلر تورى** E. Fuller Torrey المساعد الخاص المدير خدمات المؤسسة الامريكية للصحـــة النفسية فى مارى لاند ، حين دعا الى ظهور **طب نفسى مصرى** [فى محاضرة القاها فى الجمعية المصرية للطب النفسى سنة ١٩٧١] يسهم فى تطور الانســـان ويثرى الطب الامريكى وغيره باكمال نقصه وليس بتكرار تطبيق قيمه المهزوزة .

ثم نرجع لنعيد النظر فى الاطروحة ومضاداتها فنرى ان سير مارتن روث يكتب فى مقاله المشار اليه « انه لمن العجيب وغير المتوقع انه فى الوقت الذى يتحرك فيه الطب النفسى من عزلته ويقترب من سائر الانظمة السائدة فى المستشفيات العامة ان تثار تساؤلات عن علاقة الطب النفسى بالطب العام » ، وهو فى ذلك ، يشبه سائر الاطبـــاء التقـــليديين اذ يهـــرب من مواجهـــة مسئوليته الاجتماعية والسياسية التى تفرضها عليه تعرضه لمواجهة آلام الانسان .

اما التيار المضاد للاطروحة فهو يعتبر الطب النفسى برمته عرضا اجتماعيا ٭ ولا سبيل للقضاء عليه الا باطلاق حرية الجنون ،ولكنه بهذه الصورة لا يقدم بديلا ، بل انه قد يكون عامل اجهـــاض لثورة اجتماعية وسياسية بنـــاءة تحـــت دعوى الحرية المطلقة .

وبمواجهتنا لشقى المعـــادلة نجد انفســـنا فى موقف صعب . فاذا كان من واجب الطب النفسى الا يقمع الانسان الذى زادت درجة وعيه بحقيقة اغترابه ، وفى نفـــس الوقت كان من واجبـــه الا ينمى الحل الهروبى بالجنون ، فما هى ابعاد مسئوليته فى مرحلة نمو مجتمعنا المصرى حاليا؟

اعتقد انه من البديهى ان تكون ادنى درجـــة من المسئولية هى تحديد المخاطر التى قد تنشـــا من سوء الفهم الذى يحيط بهذا العلم او من سوء الممارسة التى قد يقع فيها ومحاولة تجنبها .

واول المخاطر ان يطرح تصور للصحة النفسية برسم نموذج محدد للانسان بطريقة سلفية قبلية٭ وكأننا ملتزمون ان تصاغ على شاكلته . وبديهى ان هذه الطريقة تعوق التطور ولا تقدم لنـــا الا مسخا للانسان تحت ستار النمـــوذج الطبى — ويتزعم هذا الاتجاه الطب النفسى الانجلو ساكسونى التقـــليدى ويؤازره فى ذلك المفهـــوم الميكانيكى العصبى حيـــث يبحث عـــن خلية فاســـدة تفسر كل مـــرض من الامـــراض ، كمـــا يؤيده الاتجاه السلوكى فى علم النفس حيث يحاول ان يجـــزىء الانســـان المريض الى مفـــردات سوء

التكيف . وللاسف فان الطب النفسى فى البلاد الاشتراكية المسترشد بفكر بافلوف قد ساهم فى تأكيد هذا الاتجاه بموصفة الانسان المريض وتشييئه وتجزئته بطريقة زادت من اغترابه . **وربما كان هذا الاتجاه يمثل مرحلة التخبط فى التطبيق ولا يمثل نقصا فى النظرية حيث اكد الفكر الماركسى كلية الانسان وقدرته على اعادة خلق ذاته من خلال الممارسة والجدل المستمر .**

على ان هذا الموقف الضيق لا يحرم الانسان من جدله مع الطبيعة من خلال مواجهة مواقف جديدة فحسب ، بل انه يوقف الجدل بين اجزاء المخ ذاته [بين المخ القديم والمخ الحديث حسب نظرية **هنرى اى** Henry Ey زعيم الطب النفسى الفرنسى وصاحب المدرسة العضوية الديناميكية — او بين الطفل والوالد والناضج داخل اجزاء المخ أيضا حسب نظرية **اريك بيرن** Eric Berne صاحب مدرسة التحليل التفاعلى] .

والخطر الثانى ان يمتد مفهوم المرض الى مجال اضطراب الاخلاق ، كما تتنحى فكرة الذنب تدريجيا ليحل محلها « تشخيص ما ويصبح حق الانسان العادى فى ان يصدر حكما اخلاقيا مسألة مرفوضة اصلا ، وبالتالى فان الطب النفسى بصورته التبريرية يمكن ان يشجع اللامسئولية فيعطى للمجرم والمنحرف والطالب الفاشل مبررات للفشل او لسوء السلوك تحت اسم المرض .

أما الخطر الثالث فهو ان نبالغ فى تقديس معطيات هذا العلم بما يفوق حجمه وطبيعة فروضه . فقد انتشرت الفتاوى الدجماطيقية انتشارا كاد ان يعطى المختصين فيه قدسية يحسدهم عليها قساوسة القرون الوسطى وكهنة رع ، وعلينا ان نعلن ان هذا العلم ما زال وليدا يحبو فى مهد العلم ويتحسس طريقه الى المجتمع .

والخطر الاخير هو ان يزيد خوفنا من سوء استعمال ايجابيات هذا العلم فننساق وراء الرفض دون بديل فنفتح بذلك الباب امام الحركة المناهضة له فى مجتمعنا الذى لازال يتحسس طريقه الى الحرية المسئولة ، حيث ان درجة الحرية التى ينادى بها المناهضون لهذا العلم لم تفتح الابواب فى الدول الاكثر عراقة فى ممارسة الحرية الا للجنون والانحراف اذ لم تعط بديلا ايجابيا ، **فما بالك بمصرنا العزيزة التى استقبلت اعلان الحرية بانتشار كتب ومجلات بالملايين لا لشىء الا لانها تدغدغ الحواس وتلوح بالامال بلا حدود .**

ولا ننسى ان اطلاق حرية الجنون والانحلال تحت وهم رفض القهر التقليدى لا يعدو ان يكون حيلة تؤكد الحلول الجامدة والسلفية ولا تحاربها حيث يعتبر هذا النوع من الحرية صمام أمن يحافظ على الاغتراب الميكنى القائم بأن يوجه الطاقة الثائرة فى خلايا المخ الى اشكال مجهضة تلبس شكل الثورة ولا تحمل مقومات الحياة .

وفى النهاية احب ان اؤكد اننا فى مرحلة تطورنا الحالية نحتاج الى اشكال مختلفة من الوعى والخدمات تتناسب مع اختلافاتنا الفردية على أن نعرف حدود كل مرحلة وامكانيات كل فريق دون تعصب او وصاية او اتهام . وفى يقينى ان الطبيب النفسى يقف بين اختيارات واضحة المعالم ، وأن دوره يمكن أن يكون بناء فى كل حال ، بشرط ان تعرف ويعرف مداه فى حدود امكانياته ودرجة وعيه ، وفى تصورى ان الامكانيات المتاحة لاى طبيب تبدأ بان يختار ان يلتزم مجاله المتواضع اذا فضل النموذج الطبى المحدود حسب ماتوصله اليه رؤيته ، وبالتالى فهو قادر على ان يقوم بدور الطبيب العادى من تشخيص وتسكين دون التزام ببناء او توعية . وهو يقوم بهذه المهمة بصورة نافعة بلاشك ، حيث يقف امام الحلول السلبية التى قد تشوه المريض وتبرر نفيه من المجتمع . وله ان يمارس حقه — وواجبه — الطبى هذا لمن يرضى ان يسلم له نفسه وعقله باحثا عن الهدوء او الاستسلام تحت اى اسم مهما اختلفنا حول هذا الاسم ، فهو الصحة او الموت .

والطبيب متحيز مهما ادعى الحياد العلاجى ، وبالتالى فهو مسئول عن المشاركة فى تحمل نتائج ثورته وثورة مريضه معه بقدر التزامه بقيمه ودرجة تطوره . وسينتقل موقفه هذا الى المريض فورا وبالتالى يغلق عليه باب الهرب تحت وهم المرض ، ويمنعه من التخلى عن مسئوليته ، بل هو فى النهاية يحمله مسئولية مرضه وقهر مجتمعه ويتحملها معه من خلال الممارسة الصادقة والمشاركة فى الالم البناء .

واخيرا فقد يكون الطبيب هو الموصل الجيد بين المريض والمجتمع حتى ينبه من « لم يصبه الدور » الى هذه الرؤية المستقبلية التى اعلنها المريض فى عيادته . فاذا كان فرض رولوماى صحيحا — وقد صح عندى — فى ان المريض والفنان هما عيون المستقبل ، واذا كان الفنان قادرا على توصيل رؤيته التنبؤية الى الناس مباشرة عن طريق الرمز واعادة تكوين كل جديد من اجزاء القديم المنهار ، فان المريض النفسى — وهو صاحب رؤية مشابهة — منذرة او مبشرة — يحتاج الى من يوصل هذه الرؤية الى المجتمع بشيرا ونذيرا .. وهنا يقوم الطبيب بدور المترجم والمبلغ معا .

واذا لم يستطع الطبيب النفسى ان يواجه مسئولياته الاجتماعية بكل العمق والالم اللازمين لتطور ذاته ومجتمعه ، فلا اقل من ان يتنبه الا يعرض النموذج الطبى لمجال مهنته كحل سهل ، يستتبع اسقاط المسئولية الاجتماعية عن المنحرفين والفاشلين والمنسحبين والعدميين تحت اسم المرض ، وبذلك يمتنع عن ان يساهم — دون ان يدرى — فى تدهور المجتمع .. وهذا اضعف الايمان .



□□ وصل إلى القاهرة فى شهر فبراير عالم من ألمانيا الغربية هو البروفيسير " هلموت بكر " مدير " معهد ماكس بلانك للبحوث التربوية " .. وهو نائب رئيس المجلس القومى للتعليم فى ألمانيا الغربية. كما انه بروفيسير فخرى فى سوسيولوجيا التعليم فى الجامعة الحرة فى برلين الغربية ..

ألقى محاضرة فى نقابة المعلمين بعنوان «**التعليم فى عالم الغد**» الفكرة المحورية فيها أن تعليم الغد ينبغى أن يتميز بالانفتاح ، وأن هذا الانفتاح يفضى الى تحقيق اهداف ثلاثة : **المرونة والانتماء والوعى الكونى** وأن هذا التحقيق لا يتم الا استنادا الى العلم والتكنولوجيا .

ثم يطرح قضية **مكانة الله** فى التعليم فيرى أن تعليم الغد ينبغى أن يبين الطريق الى «**المفارق**» دون أن يطلب من المتعلم التزام أعمى بالمفارق . **وهنا ينبغى ألا نسىء نقد الماركسية للدين فنفهمه على انه انكار للمفارق . فحيث التحرر من الايمان فى شتى صوره يكون مباحاً ، يكون الايمان ممكنا ..**

□□ احتفلت بلغاريا فى الشهر الماضى بمرور خمسة وثمانين عاما على مولد كبير فلاسفة البلغار « **تودور بافلوف** » وبمرور سبعين عاما على كتابته لأول مقال ..

ومأثور عنه انه أدى دورا حاسما فى تطوير الفلسفة الماركسية تطويرا لينينيا . قرأ كتاب « **المادية والنقدية التجريبية** » للينين ثم افاد منه فى تناول القضايا الفلسفية المتباينة ، فأصدر كتابين احدهما بعنوان « **المادية الديالكتيكية ونظرية الصور الحسية** » [١٩٢٩] والآخر بعنوان « **المثالية والمادية** » [١٩٢٩] ..

وفى اثناء اقامته فى الاتحاد السوفيتى [١٩٣٢ — ١٩٣٦] ناضل من اجل تثبيت اللينينية فى الفلسفة الماركسية . ولهذا اصدر فى عام ١٩٣٦ كتابه المشهور « **نظرية الانعكاس : مجموعة مقالات فى نظرية المعرفة للمادية الديالكتيكية** » .

□□ ألقى الاب جورج شحاته قنواتى محاضرة « **المجمع العلمى المصرى** » فى ١٩٧٥/٣/٣ عنوانها « **حصيلة دراسات الفلسفة الاسلامية فى الخمسين سنة الاخيرة** » . وهى عبارة عن جولة حول العالم من اجل القاء الضوء على البحوث والرسائل العلمية والترجمات والنصوص التى صدرت فى مختلف البلدان ..

ألقى محاضرة فى « **قسم الفلسفة والاجتماع** » بتربية عين شمس فى ١٩٧٥/٣/١٥ عن « **مكانة المنطق فى جامعة وارسو وفى المجتمع البولندى** » أبان فيها أن المنطق مادة اجبارية فى جميع كليات جامعة وارسو ، وأن علماء المنطق فى بولندا متأثرون بالوضعية المنطقية ، وأن ليس ثمة صلة بين المنطق الرياضى والمنطق الجدلى من حيث أن ما يسمى بالمنطق الجدلى هو فى الحقيقة ليس من المنطق فى شىء ، وأن التناقض الذى يستند اليه المنطق الجدلى هو تناقض وهمى ، والافضل فى رأيه استخدام لفظ صراع بدلا من لفظ تناقض.

□□ فى شهر مارس استقبلت جامعة عين شمس عالما من بولندا هو البروفيسير « مكيمنسى شلنيفسكى » من جامعة وارسو ورئيس تحرير مجلة « **دراسات منطقية** » . ينشغل بقضايا المنطق الرياضى ..

□□ انعقدت فى « **المركز الفرنسى المصرى للاعلام العلمى** » ندوة فى ١٩٧٥/٣/٢٠ عنوانها « **مصر والتكنولوجيا** » حضرها وفد فرنسى من معهد الادارة بباريس ، **ودعا الى محاورته مفكرون من المساهمين فى تحرير « ملحق الفلسفة والعلم »** . وادار الحوار مدير المركز الدكتور **لستينى** وهو من علماء الفزياء المعاصرة . واستقطب الحوار فى قضية البحث العلمى فى الجامعات المصرية ، وكان من راى المفكرين المصريين انه ينبغى التركيز على البحوث التطبيقية دون البحوث النظرية ، اذ حاصل الامر هو على الفن من ذلك.



اغتراب

لغويا أن « **يغترب** » تعنى أن « **يكون الاخر** » وفلسفيا تتحدد معنى الاغتراب فى فلسفة هيجل حيث الروح المطلق [الله] ليس ثابتا وانما هو ذات متطورة وتطورها يمر بمرحلتين : مرحلة اغتراب ومرحلة ازالة الاغتراب .

ثم تتطور معنى الاغتراب عند ماركس فى **كتابه « مخطوطات اقتصادية وفلسفية ـ عام ١٨٤٤ »** اذ يعنى ان يفقد الانسان ذاته ، اى يصبح **«غريبا»** عن نفسه ، او بالاحرى عدوا لذاته . وقد انتهى ماركس الى تحديد هذا المعنى من خلال الفحص النقدى لوضع العامل فى المجتمع الرأسمالى .

فالعامل فى هذا المجتمع مغترب ازاء منتوج عمله ، ذلك ان الانتاج ، فى هذا المجتمع، موجه ليس لاشباع الحاجات الانسانية ، وانما لزيادة رأس المال . ولهذا فالعامل محروم من ثمرة عمله .

ثم هو مغترب كذلك فى عملية الانتاج . فالعمل لا يعبر عن تحكم الانسان فى الاشياء ، ثم هو يسير على وتيرة واحدة تحكمها عوامل خارجية تتمثل فى الآلات وفى التنظيم الراسمالى . ومعنى ذلك أن العمل لا ينتمى الى العامل .

ثم هو مغترب عن ذاته الحقيقية ، اى من وجوده المتطور ، أى عن الانسانية الكامنة فيه . وبذلك يتحول الى سلعة .

وهذا كله اغتراب اجتماعى ـ اقتصادى ؟ ولكنه يفضى بالضرورة الى اغتراب سياسى ، بمعنى أن الفرد ليس مواطنا لان الدولة محكومة بطبقة تهدف الى تحقيق مصالحها الذاتية .



ملحق الفلسفة والعلم

- المرأة .. قضية عام ٧٥
- المضمون الواقعى لخلق تكنولوجيا مصرية
- الطب النفسى والمسئولية الاجتماعية والسياسية
- الدراسات الانسانية فى التعليم الجامعى والعالى

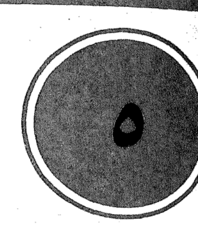
ملحق الأدب والفن

- أم كلثوم .. الحقيقة والأسطورة
- صورة المرأة : فى أدب نجيب محفوظ
- النسر الأحمر فى المسرح القومى
- الزينى بركات ودولة البصاصين

الثمن ١٠ قروش
مطابع الاهـرام التجارية

السنة الحادية عشرة
مايو ١٩٧٥





« العالم العربى » فى « ماء يغلى »

[الثورة الفلسطينية
والجبهة الرابعة]

اليسار المصرى يحاور توفيق الحكيم

فيتنام - كمبوديا
الخروج الأمريكى من آسيا

الرأى .. فتحى رضوان يناقش الحكيم
والرأى الآخر جامعة « الخاصة » و « اللامعقول »

رسائل من ◻ بغداد ◻ عدن ◻ دبى

محمد مندور .. عشر سنوات بعد الرحيل

ملحق الأدب والفن



مجلة شهرية

تصدر أول كل شهر

رئيس التحرير :

لطفي الخولي

مدير التحرير :

أبو سيفة يوسف

سكرتير التحرير :

مصطفى سامي

المحررون :

حسين شعلان
خيري عزيز
د. رفعت السعيد
عبد المنعم الغزالي
فاروق عبد القادر
وديع أمين

[■]

د. محمد الخفيف
شارك في تأسيس الطليعة
وأسرة تحريرها
يناير ١٩٦٥ ـ مارس ١٩٧٢

الفهرس

العدد الخامس ـ السنة الحادية عشرة ـ مايو ١٩٧٥

كلمــة من « الطليعــة »

منذ عدة شهور ، تتلقى « الطليعة » شكوى أشبه بعتاب .. من القراء ، خاصة بظاهرة نفاد «الطليعة» بعد وقت قصير من صدورها ، وتعتز « الطليعة » بما لاقته من اهتمام وعناية القراء .

واذ تتوجه « الطليعــة » لقرائها بالشكر والتقدير ، فانها تود أن ترصد — أمام قرائها — حقيقتين :

● أنه منذ عدد يناير ، زادت كمية المطبوع من « الطليعة » باضافة عدة آلاف أخرى .

● أن حجم ما يطبع من « الطليعة » قد وصل الى الحد المسموح به — اقتصــاديا واداريا .

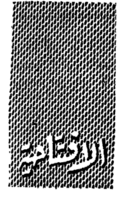
وبرغم ان «الطليعة» كانت تأمل في امكانية رفــع هذا الحــد المطبــوع ، الا أنهــا تعتذر — لقرائها — عن عدم قدرتها على طبع كميات اضافية أخرى .

عزيزى القارىء : نحن نشكرك بامتنــان ونعتذر لك بأسف شديد ■

« الطليعـــــة »

ان [الطليعة] ميدان مفتوح لكل رأى حر، وفى اعتقادنا أن تفاعل الآراء الحرة على اختلافها هو وحده الذى يستطيع أن يبلور ويستخلص وحدة فكرية أصيلة .

من هــذا المفهوم تفتح [الطليعـــة] صفحاتها لكل رأى لديه كلمة يقولها — مؤمنة بشعار الحرية المجيد الذى اطلقه فولتير فى القرن الثامن عشر [قد أختلف معك فى الرأى ولكنى على استعداد لان ادفع حيــاتى ثمنا لحقك فى الدفاع عن رأيك] .



« العــالم العــربى »
فى
« مـــاء يغـــلى »

ما الذي يجرى فى المنطقة العربية ؟ .. لحساب من ؟ .. والى اين ؟

السؤال معقد التركيب . ويوما بعـــديوم تتكاثر عقده . لكنه ـــ فى حد ذاته ـــ ليس جديدا . فمنذ ان سكتت مدافع حرب اكتوبر ١٩٧٣ ، والسؤال دائم الحضور فى صور متعددة وفى مواقع مختلفة .

ولعل هذا التعدد فى الصور والاختلاف فى المواقع ، هو الذي يعطى دوما الانطباع باننا نواجه جديدا . فنبدو ـــ بدرجـــات متباينة ـــ وكاننا مفاجأون ، فى كل مرة ، بسؤال فريد فى بابه .

وهكذا تخدعنا الصور التمويهيةالمتجددة التى يتشكل بها السؤال . وتعتبر كـل صورة ، ظاهرة خاصة او مشكلة اقليمية تتصل بموقع محدد . منفصلة عن مجمل ظواهر ومشاكل الصراع العربى الاسرائيلى الامبريالى .

واذا استمر الوضع على هذا النحو ، فقد يستلزم الامر هزيمة اخرى كهزيمة ١٩٦٧ وحربا اخرى كحرب اكتوبر ١٩٧٣ ، كي نعى درس الصراع . **وهو انه لم تعد توجد بالوطن العربي ، فى عصرنا الراهن ، مشكلة او قضية خاصة بهذا الاقليم او ذاك ، منفصلة او معزولة عن هذا الصراع باى حال من الاحـــوال ، مهما بدت كذلك على السـطح . ليس فقط فيمـــا يتعلق بالتحرر من الاحتلال الصهيونى والهيمنة الامبريالية . وانما فى كل ما يتصل بوجود وحياة ومستقبل الانسان العربى والثروة العربية والثورة العربية .**

من هنا ، اصبح السؤال بالدرجـــة الاولى ، فى جميع عقده وصوره ومواقعه ، سؤالا عربيا . وليس سؤالا مصريـــا او فلسطينيا او خليجيا او سوريا او عراقيا او جزائريا الخ ..

وكل محاولة لتجزئة السؤال اورؤيته وعلاجه من منظور جزئي او اقليمى ، محكوم عليها بالفشل . بل انهـا تعرض « الكل » للخطر ، فى ذات اللحظة التى يبدو وكأن الخطر يطعن « جزءا » محدودا فحسب ، ويبتعد عن بقية الاجزاء .

• • •

منذ وقت قريب (ابريل ١٩٧٥) انفجر السؤال لبنانيا عند « عين الرمانة » . وجاء هذه المرة فى صورة صراع دموى بينحزب الكتائب اليمينى والثورة الفلسطينية . الثابت — باعتراف جميع المراقبين — ان ميليشيا الكتائب المسلحة ذات القمصان السود ، هى التى بادرت بالاعتداء . فى حين آثر الفدائيون ومعهم كل القـوى الوطنية والتقدمية اللبنانية ، من مسيحيين ومسلمين ، التمسك بموقف الدفاع . وحين تدافعت الجهود لاخماد الصراع ، اصطدمت بما سماه المراقبون ، **طرفـا ثالثا مجهولا** متداخلا مع اقصى العناصر الكتائبية يمينية وتعصبا وتخلفا ، يصر على مواصلة اشعال النيران وسفك الدمـاء على أوسع نطاق .

جرى البحث عن هوية هـذا الطـرف الثالث . وتضاربت الاقوال فى هذا المجال ، الى ان استقرت — تحديدا — على انـه يتكون من مجموعة من المخربين الاسرائيليين الذين تسربوا الى لبنان بجوازات سـفر اوروبية .

وهـذا القول المحدد هـو الاقرب الى الصحة . ذلك ان السوابق التاريخية فى الصراع العربى الاسرائيلى تؤكده .

امثلة ؟!

فى **لبنان** نفسه [عملية قتل كمال ناصر وكمال عدوان ويوسـف النجـار فى السبعينيات فى قلب بيروت] .

فى **مصر** [قضية لافون الشهيرة فى الخمسينيات التى فجرت القنابل فى قلب القاهرة والاسكندرية] .

فى **العـراق** [قضيـة الجواسـيس والمخربين وما احدثته من تخريب منـذ الستينيات فى قلب بغداد وفى شـمال العراق مع تمرد الملا البرزانى] .

فى **الجزائر** [تعاون عناصر من الهاجاناة مع منظمة الجيش السرى الاوروبية ضد الشعب الجزائرى خلال اواخر الخمسينات وأوائل الستينات فى قلب الجزائر العاصمة ووهران] .

فى كل مرة من هذه السوابق ، ثبت ان المخربين الاسرائيليين لا يستطيعون — وحدهم — القيام بالمهام الموكولة اليهم الا من خلال التداخل مع **عناصر محلية فى الموقع** ، تمهد لهم الطريق ، وتفتعل الظروف الملائمة للتخريب . وفى كثير من الاحيان ، تلعب هذه العناصر المحلية ، دور الساتر والغطاء ، بحيث يبدو « العمل التخريبى » ، وكأنه من صـنع داخلى تماما ووليـد التناقضات الوطنية . فتضطرب الاوضاع ، وتتضارب الاتجاهات ، ويلهث الجميع فى قذف بعضهم بعضا بالاتهامات ، تصفية لحسابات قديمة او قائمة ، وانتهازا للفرص من اجل تسديد ضربات لحساب معـارك انتخابية او سياسية متوقعـه . وتزداد نيران الفتنة اشتعالا . ويصدق من يقول : « يعملها العدو ويقع فيها الوطن » .

واللافت للانتباه ، فى السـنوات الاخيرة ، اسراع القوى اليمينية المتخلفة ، التى نبتت منها العناصر المحلية ، الى تغيير جلودها . والظهور بمظهر البرىء الغاضب ، محاولا تعليق وزر العمـل التخريبى بالقوى الوطنية والتقـدمية فى المجتمع .

ويحدث — فى بعض الاحيان — نتيجة لما يتوفر لدى اليمين من خبرة فى **هذا** المجال ، ان يتمكن من ان يجذب الى صفوفه فى توجيه الاتهام ، قطاعات غير واعية من قوى الوسط الوطنية ، مستغلا بعض الاعمال غير المسئولة التى يقدم عليها ، حنقا ويأسا ، « يسار طفولى » يفرزه بمجتمعاتنا الزراعية المتخلفة ، التى تختلط فيها العشائرية و القبلية والطائفية برأسمالية طفيلية وبيروقراطية جاهلة مستبدة ، مناخ غير صحى ينبت فى اجوائه ، نوع من الثورية الميكانيكية القصيرة النفس ، مما يمكن أن نطلق عليه اسم « **البداوة الثورية** » .

● ● ●

هذا الاتجاه ، الثنائى الحركة ، من جانب اليمين المتخلف ، يرمى الى اصطياد اكثر من عصفور فى وقت واحد .

فهو ، من ناحية ، يلقى على كل القوى الوطنية والتقدمية ظلال المسئولية عن اليسار الطفولى وبداوته الثورية .

ومن ناحية ثانية ، يدفع القوى الوطنية والتقدمية فى مجملها ، من موقف الهجوم الى موقف الدفاع .

ومن ناحية ثالثة ، وهى التى تعنينا اساسا فى هذا المقال ، يحول الانظار بعيدا عن «العناصر المحلية» التى اسهمت فى التخريب مع العدو بطريق مباشر او غير مباشر .

واستقراء تاريخ حركة الصراع فى المنطقة ، يكشف عن ان هذه العناصر المحلية تتحدد ، كما ونوعا ووظيفة، بمقياس العمل التخريبى المطلوب تنفيذه .

وفى هذا الصدد ، نميز بشكل عام ، بين مستويين من المقاييس :

● مستوى يقتصر فيه مخطط العدو على الحصول على معلومات ، او القيام بعمل تخريبى محدود مثل اغتيال المناضل **غسان كنفانى** فى بيروت او التعرف على مدى ونوعية تسليح الجيش المصرى أو السورى .

فى حدود هذا المستوى ، لا يحتاج العدو الا الى تجنيد عدد محدود من العملاء من العناصر المحلية ، الذين يعملون بشكل جواسيس .

وبدراسة قضايا التجسس الاسرائيلى والامبريالى التى ضبطت فى مصر على مدى نصف القرن الماضى ، تبرز للعيان حقيقة هامة ، وهى ان العدو يصطاد عملاءه من بحرين :

بحر الفقر والعوز ، حيث يكون المواطن مفتقدا لضرورات الحياة طبقا لمعايير مجتمعه وعصره . تغلب عليه نزعة الغربة والمغامرة بكل شىء حتى الوطن . وذلك نتيجة لضائقته المادية والمعنوية وضعف وعيه السياسى ، ووهن الجسور بين مستقبله وبين مسيرة مجتمعه السياسية والاجتماعية [وهذا يقطع بأن مقاومة العدو ترتبط ارتباطا عضويا بقضية مقاومة الفقر والاستغلال ، وقضية انعدام التوعية السياسية من خلال حركة ديمقراطية جماهيرية] .

اما **البحر الاخر** الذى يقتنص منه العدو عملاءه ، فهو بحر البرجوازية البيروقراطية والطفيلية ، النهمة الى الأثراء السريع الفاحش دون ما جهد وعن اى طريق .. وفى قضايا التجسس فى مصر تبرز شخصيات احتلت مناصب هامة فى الجهاز البيروقراطى ، وبعضها كان ينتمى الى فئات كبار الملاك والرأسمالية الكبيرة . وهناك حالة تجسس كان بطلها زوج كريمة احد كبار الرأسماليين المصريين الذين تولوا رياسة مجلس الوزراء المصرى اكثر من مرة قبل ثورة يوليو ، واشتهر بمواقفه المعادية لعروبة مصر ومشاركتها للشعب الفلسطينى فى نضاله ضد الصهيونية .

والطريقة فى عملاء هذا البحث ، انهم يدافعون عن انفسهم بالقول، انهم لم يتصوروا انفسهم يعملون لحساب اسرائيل ، وانما لحساب المخابرات الامريكية او لحساب حلف الأطلنطي !

● واذا جئنا للمستوى الثانى ، فى تعامل العدو مع العناصر المحلية ، نجده اشد خطرا . ذلك انه يتعدى النطاق التكتيكى المحصور فى عمليات تخريبية او تجسسية محدودة ، الى نطاق استراتيجى يستهدف اما ضرب وتصفية قوة ثورية صاعدة ومؤثرة على اتجاه سير الاحداث كالثورة الفلسطينية ، واما اجهاض وحدة عمل مشتركة محتملة النمو كالتضامن العربى الجنينى الذى تولد خلال حرب اكتوبر ، واما افتعال احداث صدامية تستغل التناقضات الثانوية داخل البلد العربى الواحد او فى الوطن العربى ككل بحيث تتضخم وتتحكم فى سير الاحداث على حساب التناقض الرئيسى بين مجموع القوى العربية وبين العدو .

ويتخذ هذا المستوى ، فى العادة ، شكل الفتن والحرب الاهلية وتوتير العلاقات بين عدد من الدول العربية الخ . .

والعدو الاسرائيلى — فى هذا المستوى — لا يقدر على انتهاج هذا الاسلوب بقدراته المنفردة ولحسابه وحده . وانما هو ينسق دائما مع اكثر القوى تفاعلا معه فى اجهزة الامبريالية الامريكية . وذلك على اعتبار انه رغم هوامش الخلاف التكتيكى ، التى تضيق وتتسع فى العلاقات الاسرائيلية الامريكية ، الا ان وحدة المصالح بينهما تظل كاملة — استراتيجيا — فى مواجهة حركة التحرر العربى عامة والواقع العربى البترولى بوزنه الراهن، خاصة .

والطاقات الاسرائيلية والامريكية العاملة فى هذا الحقل ، لا تقتصر فحسب على اجهزة المخابرات . وانما تستخدم — جنبا الى جنب — العديد من الاجهزة السياسية والاعلامية العلنية ، التى يتاح لها حرية الحركة والحوار بشكل مشروع غالبا . بحيث ينصب جهدها المكثف فى النهاية على ترويض وغسل مخ بعض القوى والاتجاهات والاحزاب اليمينية المتخلفة داخل المجتمعات العربية ، للعمل تحت قيادتها الخفية .

والاساليب المتبعة عادة — فى هذا المجال — تعتمد أما على العزف بشدة على مخاطر وهمية او حتى صحيحة — لكن مبالغ فيها — على المصالح الحالة لهذه القوى اليمينية . اول بذل الوعود لهما بمكاسب سياسية واقتصادية كبيرة ، لو مارست بعنف « واجبها » فى الدفاع عن « الانسانية والديمقراطية والعالم الحر » ضد « الخطر الاحمر او الاصفر او الفلسطينى » .

فى هذا الاطار ، نلاحظ ان هذه القوى اليمينية ، تتخطى « نظام الحكم » التى تكون ، فى غالب الاحيان ، جزءا منه ، لتقوم هى « بالواجب » سواء بعون ظاهر او خفى من العدو . يحدوها الامل ان تنفرد وحدها — بعد اداء الواجب — بالسلطة . وذلك كله تحت اسم حماية النظام وفى ظل راياته .

وبالطبع ، فان الكم الساحق من عناصر هذه القوى اليمينية التى تشارك بحماس فى « ممارسة الواجب » ، لا تكون — بالضرورة — طرفا او حتى على علم بحقيقة المخطط . وانما يقتصر ذلك على عدد محدود من القيادات ذات الوزن والتأثير فى جماهيرها .

خلال العشرين عاما الماضية ، كان العالم الثالث ، مسرحا للعديد من هذه

المخططات التى تراوحت ، عند التنفيذ ، بين النجاح الجــزئى او الكــامل وبين الفشل .

امثلة ؟!

فى آسيا : كمبوديا [جماعة لون نول من داخل النظام] . فيتنام الجنوبية [جماعة نيو ـ كاوكى من داخل النظام الذى كان يراسه دييم واغتالته المخابرات الامريكية]. اندونيسيا [جماعة سوهارتو ومالك من داخل النظام] الهند [جمــاعة الجنـاح اليمينى فى حزب المؤتمر المعادى للجنـاح اليسارى الذى تتزعمه انديرا غاندى ـ فشلت] .

فى افريقيا : غانا [اسقاط حكومـة نكروما وضرب الحركة التقدمية بالقــوة العسكرية للنظام] . مالى [اسقاط حكومة موديبوكيتا بالقوة العسكرية للنظام] . الكونغو كينشاسا ـ زائير ـ [اسقاط حكومة لومومبا ، وتصفية الحركة الوطنية بقوى من داخل النظام] . غينيا [مؤامرة الوزراء على حكم الرئيس سيكوتورى ـ فشلت] .

فى امريكا اللاتينية : تشيلى ، آخـر مثال مأساوى ناجح . ومن قبله سـانتو دومنجو وجواتيمالا . وآخر الامثلة الفاشلة كوبا وبيرو .

فى العالم العربى ، جرت ، منـذ الخمسينيات ، محاولات عديدة ركز فيها اساسا على مصر والجزائر والعــراق وسوريا والمغرب واليمن . تراوحت فيهـا النتائج ايضا بين الفشل وبين النجــاح الجزئى او الكامل .

● ● ●

والواقع ان ماجرى فى لبنان عند « عين الرمانة » ، يندرج فى اطار المستوى الثانى من الاعمال التخريبية الجماهيرية الطابع، حيث تم تحريك عناصر محلية « معروفة » بيمينيتها المتخلفة ، ومحسوبة على النظام اللبنانى ، للقيام بواجبها ضد « الخطر الفلسطينى » .

صحيح ، ان هذا ليس التحرك الاول من نوعه ، من جانب نفس العناصر المحلية .. لكن تحرك « عين الرمانة » اكثرها خطورة ، واهمها ـ من حيث الدلالة ـ فى المرحلة الراهنة بالذات .

لمــاذا ؟

لبنان على مشارف انتخابات رياســية جديدة . ذلك ان ولاية الرئيس الحــالى تنتهى فى عام ١٩٧٦ . والصراع حـول الرئاسة بدا دورته بالفعل .

خلال ولاية الرئيس فرنجية امكن افشال معظم المحاولات ـ بثمن فادح احيانا ـ التى جرت ، اما للوقيعــة بين اللبنــانيين والفلسطينيين ، واما لاشعال حرب اهلية بين المسلمين والمسيحيين ـ اســتغلالا للتمــايز الطــائفى ـ من حول الوجود الفلسطينى فى لبنان .

وغدا هذا الوجود ـ فى مفهوم نظام الحكم الراهن ـ حقيقة سياسية لا مفر من قبولها والتعايش معها ، حفاظا على الوحدة الوطنية للكيان اللبنانى من ناحية وتعميقا لانتمائه العربى من ناحية اخرى. وقام فرنجية بتمثيل الدول العربية خلال

مناقشات الجمعية العامة للامم المتحدة حول القضية الفلسطينية فى اواخر عام ١٩٧٤ . واصطدام من اجل ذلك بكل من حزب الكتائب وبالولايات المتحدة . وبلغ الامر بامريكا الى حد اهانة الرئيس اللبنانى شخصيا ، حينما اخضعت امتعته ، عند وصوله الى نيويورك ، للتفتيش بحجة البحث عن « حشيش » مهرب كان قدابلغ « جودلى » السفير الامريكى بلبنان ، حكومته عنه رسميا .

وبالتالى اصبح من المفيد ، لكل من اسرائيل وامريكا ، ان يلى السلطة فى ١٩٧٦ رئيسا جديدا يعارض نهج الرئيس الحالى ، ويكون فى نفس الوقت قادرا على تسيير « النظام » فى اتجاه معاد للوجود الفلسطينى . وطبقا للعرف الدستورى فى لبنان، فان الرئيس لابد وان يكون مسيحيا مارونيا . والكتائب ، تنظيم عشائرى لاكثر القوى المارونية يمينية وتخلفا فى شكل حزب . ولم تستطع العناصر المارونية الوطنية ذات الاتجاه العربى ان تحتل فيه ، بعد ، ثقلا مؤثرا .وبالتالى فان التحرك العنيف للكتائب واستعراضها لعضلاتها المسلحة يمكن ان يسهم فى تنصيب رئيس جديد بالمواصفات المطلوبة ، إمريكيا واسرائيليا .

وكان المدخل التقليدى للكتائب الى الحلبة هو اثارة النعرات الطائفية . غير أن هذا المدخل لم يعد مجديا الى حد غير قليل ، بسبب التطورات السياسية والاجتماعية التى طرات على لبنان خلال العشرة اعوام الماضية ، حيث نمت برجوازية تجارية ومالية لاطائفية من ناحية . وحيث تولدت فى المقابل اتجاهات سياسية واجتماعية تقدمية ، هى بطبيعتها معادية للطائفية من ناحية اخرى .

ولهذا عمدت الكتائب — مستغلة العدوان الاسرائيلى المكثف على جنوب لبنان منذ هزية ١٩٦٧ — الى شق مدخل جديد لحركتها ، وهو ما تسميه الخطر الفلسطينى على كيان لبنان الخاص .

ولم تكن مجرد صدفة أن «**بيير الجميل**» زعيم الكتائب ، تقدم فى فبراير الماضى بمذكرة سياسية الى رئيس الجمهورية يطالبه بالحد من الوجود الفلسطينى بلبنان وتقييد حركته الى أقصى درجة ، أن تعذر على الحكومة طرده الى خارج البلاد . واقترح — اذا لم توافقه السلطة على مطالبه — اجراء استفتاء شعبى حول قبول أو عدم قبول استمرار الوجود الفلسطينى بلبنان .

ولعله ليس هناك شبيه معروف لمثل هذا الاستفتاء الكتائبى ، غير الاستفتاء الذى الزمت به حكومة اسرائيل نفسها حول الانسحاب أو عدم الانسحاب من الضفة الغربية لنهر الاردن .

وكان « بيير الجميل » قد اتخذ قبل ذلك ، خطوة تكتيكية بارعة ، استهدفت «تعريب» واجهة حزب الكتائب الذى قام — تاريخيا — على أساس سياسة عزلة لبنان عن العرب وانتماؤه الى الغرب . فقام على رأس وفد من الحزب بزيارات لبعض البلاد العربية ، عاد بعدها يتحدث بامتنان عن «أشقائه العرب » الذين تفهموا « عروبة الكتائب » .

وبهذه الخطوة ، استطاعت القيادة التقليدية لحزب الكتائب أن تمتص قوى المعارضة الشابة داخل الحزب التى راحت تشدد على عروبة لبنان ومساندة الكفاح الفلسطينى والعدل الاجتماعى . وأن تبدو— فى نفس الوقت — بقناع عربى يمكنها من مواصلة دورها ضد الثورة الفلسطينية بأسلوب جديد . يعتمد على الشعارات المخدرة عن « قدسية القضية الفلسطينية »وأن الكيان اللبنانى الذى تتعايش فى كنفه كل الديانات والاجناس هو التحدى للكيان الصهيونى العنصرى . غير أنه عندما

يقترب الحزب من الثورة الفلسطينية، فانه يعمد بحذر الى التمييز بين ما يسميه « العمل الفدائى الشريف » و « العمل الفدائى غير الشريف » ! وتحت سطح الاحداث والتغيرات الشكلية فى الوجوه والشعارات والتصريحات كانت القيادة التقليدية لحزب الكتائب تنشط فى توثيق الروابط مع أشقائها من القوى اليمينية المتخلفة فى العالم العربى ، وتعيد تنظيم الميليشيا المسلحة وتدريبها ، استعدادا ليوم « عين الرمانة » الموعود .

• • •

كان هذا كله « تحضيرا جيدا » من اجل القيام بعملية حصار عربية يمينية محكمة للثورة الفلسطينية وحلفائها من الوطنيين والتقدميين اللبنانيين، تتولى خلالها ميليشيا الكتائب التى جهزت بأحدث أسلحة حرب العصابات ، البدء بتنفيذ الخطوات الاولى فى المخطط الدموى .

بيد ان حرب اكتوبر فاجأت المخططين ، وتأجل التنفيذ . وعندما شرعوا يجسون النبض بعد ذلك حول امكانية التنفيذ من جديد ، بمجموعة من الحوادث الاستفزازية المتفرقة ، كانت الثورة بجبهتها العربية والعالمية قد تجاوزت كل الاستفزازات واندفعت تغزو الامم المتحدة وتفرض وجودها على العالم كله وبرفقة لبنان بالذات .

ومرة أخرى ، آثر المخططون استمرار التأجيل ، الى أن وقع ماسمى « بفشل كيسنجر » فى مهمته لاجراء فصل ثان بين القوات على الجبهة المصرية فى مارس ١٩٧٥ .

على الرغم من دموع كيسنجر ، وهو ينعى فشله فى مطار بن جوريون باسرائيل، والتلميحات التى صدرت من واشنطون بالقاء مسئولية الفشل الى حد ما على عاتق الاسرائيليين، الا أن واشنطون ومعها جميع القوى اليمينية لم تخف أن الفشل ، يعود فى جوهره ، الى الثورة الفلسطينية بحركتها التحررية : سياسيا وعسكريا . ويأتى بعد ذلك فى ترتيب أسباب الفشل، رفض مصر لانهاء حالة الحرب مقابل انسحاب جزئى من سيناء ، والمراوغة الاسرائيلية .

الحضور الفلسطينى الثورى والمتصاعد داخل عملية الصراع ، هو اذن — فى تقدير واشنطون وتل أبيب — العقبة الرئيسية التى تحول دون تطابق خط السلام الامريكى الاسرائيلى مع خط السلام العربى . وبالتالى فان القضاء ، أو على الاقل تحجيم نفوذ وفاعلية الثورة الى أقصى حد ممكن ، أصبح يحتل المركز الاول فى جدول الاولويات لدى كل من أمريكا واسرائيل ، والقوى اليمينية المتخلفة فى المنطقة .

وتتضاعف أهمية وخطورة هذا المركز ، بعد أن واكب فشل مهمة كيسنجر الاخيرة فى الشرق الاوسط — زمنيا — انهيار الوجود السياسى والعسكرى لامريكا وعملائها فى كمبوديا وفيتنام الجنوبية . وذلك أمام الزحف الساحق لحركة الجبهة الوطنية الكمبودية وحركة التحرير الفيتنامية

ان حصيلة الموقف فى « الشرق الاقصى » ، لابد وأن تنعكس آثارها على الموقف الراهن فى « الشرق الاوسط » بكل مخلفات حرب اكتوبر المتفجرة . الامر الذى يكسب الثورة الفلسطينية وجميع القوى الوطنية والتقدمية العربية مزيدا من القوة ووضوح الرؤية لمواصلة الطريق النضالى . ومعنى هذا أن الظروف فى الشرق الاوسط بتلقحها بانتصارات الثورة فى الشرق الاقصى ، سوف تصبح ناضجة — عن أى وقت مضى — لحرب تحريرية طويلة النفس اكثر تقدما وعمقا من حرب اكتوبر .

واذا ما وقعت هذه الحرب ، فى الوقت الذى تعانى فيه الولايات المتحدة أعتى الازمات الاقتصادية والسياسية — فى تاريخها — داخليا وخارجيا ، فان القوة

الزعـامية التى اكتسبتها على العـالم الرأسمالى بعد الحرب العالميـة الثانية ، تصبح مهددة . وقد لا تمضى سنوات حتى تتحول ـ فى الميزان العالمى ـ الى مجرد دولة رأسمالية كبيرة .».

باختصـار ، ان الخط البيـانى لحركة الاحداث فى الشرقين الاقصى والاوسط ، الذى يتقاطع مع خط أزمات الطاقة والتحالف الغربى ، يدفعان بالحاح متزايد ـ على أمل احـراز كسب ما ـ المخطط الامريكى الاسرائيلى اليمينى المتخلف ، الى العمل على اجهاض كل امكانية قائمة أو محتملة ، لتفجير حرب تحريرية عربية . ولن تنجح عملية الاجهاض الا اذا صـفيت البـورة الثورية الفلسطينية .

لكن كيف ؟

كان هـذا هو السؤال الذى طرحـه الامريكان والاسرائيليون على انفسـهم من قبل ، وتوصلوا بشأنه الى اجابة محددة جاهزة للتنفيذ .

الاجابة نحت جانبا الاسلوب التقليدى الذى درج على استخدامه فى المنطقة . ونعنى به قيام القبضة الاسرائيلية بتسديد ضربات ردعية أو انتقامية هنا وهناك فى العالم العربى وضـد لبنـان الفلسطينى بصورة خاصة . لقد ثبت عدم فاعلية هذا الاسلوب ، اساسا ، باشتعال حرب اكتوبر وما أسفرت عنه من نتائج . فضلا عن أن كل عدوان على لبنان ، خاصة بعد أن كاد يكون يوميا ، خلف مع آثاره المـادية السلبية ، آثارا سياسية واجتماعية ايجابية فى تمتين نسيج الوحدة الشعبية اللبنانية الفلسطينية .

من هنا ، استبدل الاسلوب التقليدى ، بأسلوب آخر يعتمد على التكنيك المثلث القوى : أمريكا ، اسرائيل ، والقوى اليمينية المتخلفة .

وبدا ذلك جليا ، بعدم اقدام اسرائيلـ كالعادة ـ على عمل انتقامى ضد لبنان الفلسطينى ، بعد عملية فندق « سافوى » بتل أبيب فى مارس ١٩٧٥ . وذلك على الرغم من أنها تعد من أخطر العمليات فى تاريخ تحدى الثـورة الفلسطينية لحـزام الامن العسكرى الاسرائيلى .

وقد قيل فى تفسير احجام اسرائيل عن الرد على عملية سافوى ، انها خشيت من أن يودى الرد بمهمة كيسنجر قبل أن تبدأ .

لكن هذا القول ، وان كان يؤكد على أن اسرائيل كانت حريصـة على انجاح مهمة كيسـنجر ، مردود . ذلـك أن اسرائيل عمدت ، من قبل ، الى القيام بأكثر من عمل عدوانى ضد لبنـان خـلال زيارات سابقة لكيسنجر فى المنطقة .

الاقرب الى المنطق ، وهو ما تـكشف عنه حركة الاحداث ، أن الاتفاق كان قد تم على تنفيذ المخطط المحدد بالتكنيك المثلث القوى .».

مرة اخرى .. كيف ؟

قبل أيام معدودة ، من اضطرام الصراع الدموى الذى دشنته ميليشيا الـكتائب فى « عين الرمانة » ، وقف « رابين » رئيس وزراء اسرائيل فى الكنيست ، يرد على سؤال أحد الاعضاء عن معنى عدم الرد على عملية فندق سافوى . قال رابين :
« **ان حكومتى لن تقوم بعملية ضد المخربين وضد لبنـان ، لان من شأن ذلـك دفع اللبنـانيين والفلسـطينيين الى الاتحـاد والتماسك . وان الحل هو اثارة الصراعات الطائفية فى لبنان ، وصـولا الى الحرب الاهلية ، لشل المقاومة الفلسطينية والقوى المساندة لها** » .

كانت الاجابة ، ذات نكهة غريبة . فسرها البعض بأنها عملية تخدير وتمويه لعدوان اسرائيلى وشيك الوقوع ضد لبنان . غير أنهـا فى الحقيقـة ، كانت اشـارة الى « العناصر المحلية » فى لبنان بأن الميعاد المحدد لتنفيذ المخطط ، قد حان .

وبالفعل فان التراكم الكمى « للاحداث الشاذة » التى تلاحقت على طول وعرض المنطقة منذ بداية عام ١٩٧٥ . وبدت ،فى كثير من الاحيان غير مبررة ومستعصية على الفهم ، كان قد وصل الى الحد الكيفى المطلوب للعمل .

ففى الخامس والعشرين من شهر مارس ١٩٧٥ ، أغتيل الملك فيصل ، صاحب أقوى علاقات صداقة مع الولايات المتحدة فى المنطقة ، على يد ابن شقيقه ، الامير الشاب الذى أتهم بأنه تشبع بالافكار اليسارية خلال دراسته بالجامعات الامريكية ومخالطته لمجموعات اليسار الجديد هناك . [**الهدف المباشر : عقاب كل من يحاول أن يتخطى ، ولو ببوصة واحدة ، خط الصداقة المرسوم**] .

وفى اليوم السابق على اغتيال الملك فيصل ، كان الرئيس فورد ، يعلن – على غير المعتاد – بأن أمريكا تعيد تقييم علاقاتها باسرائيل بعد فشل مهمة كيسنجر . [**الهدف المباشر : الغواية والايهام بامكان تبدل المواقف الامريكية فى الصراع**] .

واذا اعتمدنا أسلوب « الفلاش باك » السينمائى فى رصد حركة « الاحداث الشاذة » فى المنطقة ، فاننا نلتقط الصور التالية .

● تفجر خلاف علنى وحاد بين مصر وليبيا . [**الهدف المباشر : فصل مصر عن عمقها الليبى**] .

● توتر العلاقات بين كل من الثورة الفلسطينية ومصر وسوريا . [**الهدف المباشر : تفتيت وحدة قوى المواجهة المباشرة الرئيسية**] .

● اثارة الخلافات بين العراق وسوريا حول مياه نهر الفرات [**الهدف المباشر : فصل سوريا عن عمقها العراقى**] .

● تهديد كيسنجر وفورد ، منذ بداية العام وفى أشكال متعددة ، باستخدام القوة لاحتلال منابع البترول العربى ، اذا ما وقع حظر بترولى جديد يهدد بالاختناق الاقتصاد الغربى . ثم عودة « فورد » فى حديث له بمجلة تايم الامريكية فى الثانى عشر من يناير ١٩٧٥ ، وتكرار ذلك فى أواخر مارس « بأن احتمالات الحرب فى الشرق الاوسط خطيرة جدا جدا . وان هناك احتمال حظر جديد للبترول . [**الهدف المباشر : الارهاب العام بالتلويح بالعصا الامريكية فوق الرؤوس**] .

● حدوث أعمال تخريبية عمدية ، خلال مظاهرة سلمية بالقاهرة ، فى أول يناير ١٩٧٥ . وقيام القوى اليمينية المتخلفة وأجهزة دعايتها باتهام اليسار المصرى بعمليات التخريب واستعداء السلطة عليه وتحريض الناس علنا على قتله مما قد يودى باشعال نيران الفتنة . [**الهدف المباشر : ضرب الوحدة الوطنية للجبهة الداخلية المصرية باعتبارها اهم واكبر جبهات المواجهة فى الصراع**] .

● ● ●

ماذا يعنى هذا كله ؟

يعنى اغراق المنطقة العربية فى ضباب كثيف يحجب الرؤية الصحيحة ، ويربك حركة القوى الوطنية والتقدمية حتى لتتصادم بعضها مع بعض ، ويفسح الفرصة أمام القوى اليمينية المتخلفة للعمل المضاد . وذلك من أجل تحقيق خمسة أهداف محددة :

أولا : دفع التناقضات الثانوية فى الوطن العربى لتحل محل التناقض الرئيسى مع العدو الاسرائيلى الامبريالى .

ثانيا : بذر بذور الشك والذبول فى الجسم الجنينى لوحدة العمل العربى الاكتوبرية .

ثالثا : اغراء كل قوة عربية أو موقع عربى بمنح كل الاهتمام للمشاكل الاقليمية الخاصة على حساب المشاكل القومية العامة .

رابعا : انهاك الثورة الفلسطينية وعزلها وتصفيتها ».

خامسا : اجهاض كل تخمر في الواقع العربي ، لانطلاق حركة تحررية طويلة النفس ، وتنمية اقتصادية شاملة وجذرية .

• • •

في هذا الضوء ، يمكن رؤية احداث « عين رمانة » بلبنان ، كمجرد الشرارة الاولى لحرب أهلية عربية .

وهي تندلع من لبنان بالذات ، بسبب أن الاحتكاك بالوجود الفلسطيني المسلح من شأنه أن يشعل النار الملتهبة على نحو سريع ، وبالتالي تمتد السنتها الى اطراف العالم العربي كله . وذلك دون أن تظهر للعيان الايدي الامريكية والاسرائيلية ، بفضل التغطية التي يوفرها تحرك « العناصر المحلية » في الساحة اللبنانية .

في اتون النار المشتعلة ، يصبح الشغل الشاغل لكل قوة او نظام أو اقليم أن ينجو بنفسه من الحريق ، ولو على أكتاف الاخرين وفي نفس الوقت لن يعدم الامر – والحالة هذه – احتراق عدد من القوى الواعدة بالثورة والتحرير ، أو حتى بمجرد التقدم العصري .

والمنطق في النهاية يقول : اذا أردت أن تسلق البيض ، ضعه في ماء يغلي . ولكي تغلي الماء يتحتم ان تشعل النار .

• • •

هذا الموقف الذي نجد أنفسنا في وعائه اليوم ، هو الاجابة الواقعية ، على سؤال ما الذي يجري في المنطقة العربية ؟

والوعي بأبعاد هذا الموقف الخطير ، يوجب علينا أول مايوجب ، رؤية احداث « عين الرمانة » رؤية قومية شاملة لا رؤية اقليمية جزئية . ويستلزم أن تتكاتف كل القوى والنظم الوطنية والتقدمية مع الثورة الفلسطينية والجبهة الوطنية اللبنانية على اخماد الحريق . وعزل وتعرية « العناصر المحلية » من حزب الكتائب أو من القوى والاتجاهات اليمينية المتخلفة في المجتمعات العربية ، والتي أنيط بها القيام « بالواجب » الذي يرسمه لها العدو الصهيوني الامبريالي .

ان هذا النوع من « العناصر المحلية » ، أخذ ينشط نشاطا ملحوظا ، بعد حرب اكتوبر ، بدرجات متفاوتة في العالم العربي وهو يعمل كطابور خامس داخل الساحة . ولا يتوانى عن استغلال كل شيء : من رواسب الطائفية والاقليمية ورجعية القرون الوسطى ، حتى الازمات والاخطاء التي لامفر من ان تصاحب مسيرة التطور والعدل الاجتماعي .

واذا كان من غير المطروح ، في المرحلة الراهنة ، من جانب القوى التقدمية ، بناء الاشتراكية في العالم العربي ، الا أن هذا لا يعني أن المطروح البديل هو الجمود على ما هو قائم من علاقات اجتماعية عفنة ومقيدة للتقدم ، أو العودة الى المجتمع العشائري أو القبلي او الاقطاعي او الرأسمالي الطفيلي .

انما المطروح ، هو مجرد التنمية الاقتصادية والاجتماعية التي تحافظ على الاستقلال الوطني وتقوى جبهة المقاومة ضد العدو . وتنقل الوطن كله ، نقلة حضارية الى مجتمع الربع الاخير من القرن العشرين . وتوفر للعامل اليدوي والذهني حياة الانسان . وتقيم نظاما ديمقراطيا يعبر عن كل الطبقات والقوى الوطنية المنتجة والمقاتلة .

وهذا الطرح ينبع ، عن ادراك لحقيقة الواقع الراهن للوطن العربي ، وميزان القوى السياسية والاجتماعية فيه

وهذا الواقع يكشف عن خمس حقائق موضوعية :

أولا : اختلاف درجات النمو الاقتصادي والاجتماعي بين البلاد العربية . الأمر الذي يعكس بدوره اختلافا في نوعية النظم سياسيا واجتماعيا . ولا مفر من أن يتولد عن ذلك صراع وتنافس .

ثانيا : انقسام البلاد العربية ــ بالمعيار البترولي الحديث ــ الى دول بالغة الثراء ، ودول تعاني الفقر والضيق . وهذا ايضامن شأنه أن يولد الصراع كما يولد أيضا رغبة مشتركة في التعايش . وذلك وفقا لاسلوب معالجة هذا الانقسام بين أجزاء وطن واحد .

ثالثا : التبلور المكثف ، بحكم المصالح الاساسية ، لوحدة القوى البرجوازية النامية في البلدان العربية . وان انقسمت الى قوتين رئيسيتين : قوة يمينية غبية ومتخلفة، وقوة يمينية وسطية مستنيرة وعصرية .وهو تبلور وانقسام يفجر صراعات داخل الطبقة ذاتها . ويوفر أرضية لتحالف وطني بين القسم المستنير والقوى التقدمية .

رابعا : التشتت النسبي ، نتيجة تعدد المنابع الاجتماعية والفكرية ، للقوى والنظم التقدمية في البلاد العربية . وهي وان اتفقت فيما بينها على الهدف الاستراتيجي البعيد المدى ، الا انها تختلف على تقييم طبيعة المراحل الاستراتيجية القصيرة المدى وعلى أساليب الممارسة التكتيكية . وهذا يخلق بدوره صراعات متعددة الصور بين آن وآخر ، ويضعف من وزن وفاعلية القوى التقدمية ككل .

خامسا : تبلور العدو بشكل واضح ومحدد ، وخاصة منذ هزيمة ١٩٦٧ وخوض حرب اكتوبر ١٩٧٣ . يتركز في الامبريالية الامريكية واسرائيل الصهيونية . وذلك بالنسبة لجميع القوى والتيارات في الوطن العربي ، باستثناء اليمين الطفيلي المتخلف. وهذا من شأنه أن يبرز الاطار العام للتناقض الرئيسي الذي يتوجب على جميع القوى المعادية للامبريالية والصهيونية ، الالتفاف من حوله .

● ● ●

هذه الحقائق الخمس ، هي في تقديرنا، التي تحكم الواقع العربي اليوم .. وتلقى على القوى الوطنية والتقدمية ، مسئولية عدم الوقوع ــ أيا كانت الاستفزازات ــ في فخ جماعة النفخ في نيران التناقضات الثانوية على حساب التناقض الرئيسي . ويلزمها بالتالي ، أن تتجمع من حول برنامج مشترك ، يقوم على أساس عزل اليمين المتخلف سياسيا وشله عن الحركة ، ومكافحة الاهداف المباشرة « للاحداث الشاذة » التي يفرخها العدو في المنطقة ، وعلاج ما ينتج أو قد ينتج عنها من آثار سلبية .

بمعنى اننا مطالبون اليوم بأن نقدم صياغة حركية حضارية لتعايش [لا غنى عنه] وصراع [لا مفر منه] بين القوى الوطنية والتقدمية وبين القوى البرجوازية العصرية والمستنيرة . وذلك على كل من المستويات الاقليمية والقومية على السواء .

بهذا وحده ، يملك الكيان العربي ، في هذه المرحلة الراهنة من الصراع ، القدرة على أن تكون اجاباته على السؤال المعقد التركيب ، قومية وممكنة واقعيا . وذلك في وجه اجابات العدو الامبريالي الصهيوني ، واليمين الاقليمي الطائفي المتخلف .

لطفي الخولي

خطـــاب أبريـــل

بعـــد رســـالة ينـــاير

عادل حسـين

خطاب الرئيس السـادات الى الشعب فى ١٤ ابريل هو وثيقة من اجل تصحيح الاتجاه . ولكن ينبغى ان نتذكر ان هذا الخطـاب سبقته رسالة فى شهر يناير الى المهنـدس **سيد مرعى** و د . **عبـد العزيز حجـازى** . وقـد وصفت [**الطليعة**] هـذه الرسالة بنفس ما تصف به الان الخطاب فقالت انها « وثيقة من اجل تصحيح الاتجاه » ، ونعتقد ان هذا الوصف كان دقيقا ، فقد اوضح **الرئيس السادات** « اننا نسعى لصالح التقدم الاقتصادى لجماهير شعبنا ، ونرفض ان يكون جهدنا لاثراء فئة محدودة على حسـاب الاغلبية الساحقة » .. ووفقا لهذا المفهوم قـال **الرئيس** لقد « رأيت ان اطرح عليكم بعض تغيرات هامة اعتقد ان الواجب يقتضى تناولها بالدرس والتقنين .. اننى اعتقـد ان النظـام الضرائبى يحتاج الى نظرة جديدة لتصبح الضريبة هى الاداة الرئيسية السليمة لتحقيق أهدافنا الاجتماعيـة من تذويب للفوارق بين الطبقـات ، ومن توفير متطلبات الحياة الكريمة لاوسع جماهير شعبنا».

فالضرائب يجب ان تكون ـ كما قررت رسـالة الرئيس ـ وسيلة لتوزيع الاعباء توزيعا عـادلا بين المواطنين ،ووسيلة للحد من تضخم الثروات، ووسيلة للحد من مظاهر البذخ والاندفاع نحـو الاسـتهلاك الترفى ، وحافزا على الاسـتثمار المنتج ، كما ان التهرب من الضريبة يهدد حساب الموارد المتوقعة ، ويؤثر على تنفيذ الخطة ،فضلا عن توليد دخول تندفع بطبيعتها الى الاستهلاك ومظاهر الترف ، وتخلق بذلك مشاكل اقتصادية واجتماعية .

مصير رسالة يناير

على هذا النحو سارت رسالة ينـاير ، ولكن الناس معذورة اذا كانت قد نسيت . فقد تليت الرسالة فى **مجلس الشعب** وفى **مجلس الوزراء** ثم فى اجتماع ضم اقطاب اجهزة الاعلام ،فماذا كانت النتيجة ؟ اجهزة الاعلام الاساسية تجنبت تماما مناقشة الاقتراحات ، بل لقـد تجنبت فى الحقيقة اى ذكر للرسالة ، ولم يكن الامر مجرد سهو ، كان تعبيرا عن المعارضة بالامتناع عـن مناقشـتها . ولم يـكن صـدفة أن **الطليعـة** و**روز اليوسف** وحدهما ، وعلى قلة جيلتهما نسبيا، هما من تولى الدعم والمناقشـة .. وماذا عـن الحكومة ؟ لقد توالت الدراسات والاجتمـاعات ولم تصل طوال شهرين ونصف الشهر الى قرار. حتى عدم الجمع بين عملين ، وكنا نتصوره اكثر يسرا ، تعثر وتعثر . اما **مجلس الشعب** فلم يتابع بدوره مقترحات **الرئيس السـادات** . ورغم أن **المجلس** يضم عددا من الاعضاء عارضوا ونقدوا حكومة د. حجازى ، فان الامر فى هذه المرة كان مختلفا ، فلم يتحـركوا لمحاسبة الحكومة على ترددها وتأخرها . وهذا مفهوم ، ففى مجـال زيادة الضرائب نجد عددا غير قليل من اعضاء المجلس اكثر ترددا من الحكومة .ه

الناس معذورة اذن حين تنسى رسالة يناير .
والعجيب فى الامر هو ان مجلس الشعب خاض — فى نفس هذه الفترة — معركة الاصلاح الوظيفى ، وكأنه يقول للجماهير ان هناك طريقا مباشرا لا يحتاج لأى اجراءات معقدة لحل المشاكل المعيشية . كان مشروع الاصلاح الوظيفى الذى تقدمت به الحكومة يتطلب حوالى ٢٢ مليون جنيه ، فاذا بلجنة مجلس الشعب التى درست المشروع تقدم مشروعا مضادا يتكلف حوالى ٧٢ مليون جنيه . ثم فتح الباب لمناقشة بدلات طبيعة العمل ، وسارعت الفئات تطالب ، حتى بلغ عددها ٢٥ فئة ، ووعدت باقرار حقها فى البدلات مع العام المالى الجديد . ووجه العجب فى كل هذا هو ان تقرير لجنة مجلس الشعب ، لم يبحث كيف تدبر الاعتمادات الاضافية اللازمة ، والتى تبلغ فى ميزانية هذا العام ٥٠ مليون جنيه ، ومفروض ان اللجنة ترفض ان توفر الحكومة هذا المبلغ بطبع كميات اضافية من البنكنوت تحدث مزيدا من التضخم وتزيد من اعباء المعيشة للفقراء . واللجنة فى نفس الوقت غير متحمسة لزيادة الضرائب . ان « **الاهرام الاقتصادى** » كان محقا حين قال [عدد اول ابريل] انه اما ان مقدمى المشروع يدركون ان هذا المطلب فوق طاقة الميزانية وان توفير المبلغ لن يتم الا اذا فرضت ضرائب جديدة على الناس ومع ذلك تقدموا بالمشروع ، او انهم لم يكونوا فى الصورة كما ينبغى ، فتقدموا به وهم لا يعلمون باستحالة تنفيذه . والاحتمالان — كما يضيف الاهرام الاقتصادى — ليسا فى صالح اللجنة التى تقدمت بالمشروع . ان موقف حكومة د . حجازى فى معارضة اتجاه اللجنة كان له منطقه ، فهى ترفض او على الاقل تتردد فى زيادة الضرائب ، وهى تدرك ان تدبير ٥٠ مليون جنيه اضافية — بدون تمويل تضخمى — يحتم نوعا من اعادة توزيع الدخل القومى ، اى انتزاع قدر من الفائض الاقتصادى الذى تستحوذ عليه الطبقات القادرة لكى يستخدم فى زيادة الاجور على النحو الذى اقترحته لجنة مجلس الشعب . والحكومة ترفض هذا او تتردد فى قبوله كما قلنا ، واذن كان موقفها مفهوما فى معارضة زيادة الاجور على النحو المقترح .

فى مقابل هذا قرر **الرئيس السادات** فى ٥ ابريل ان يشمل مشروع القانون تصحيح أوضاع العاملين ، جميع من يعملون فى الدولة ، اى قرر أن يمتد تطبيق القانون بكافة مزاياه على جميع العاملين فى القطاع العام . وهذا القرار وموقف الطبقات الكادحة والقوى التقدمية من تأييده ، هو ايضا مفهوم ، فهو مشروط ومربوط بالاتجاه الذى دعا اليه الرئيس السادات من اجراء « تغييرات هامة » تهدف الى نوع من اعادة توزيع الدخل القومى بين مختلف الطبقات ، أى انه مربوط بتدبير اموال حقيقية لمواجهة الزيادة فى الاجور .

الغير مفهوم هو موقف لجنة مجلس الشعب ، واذا عدنا الى الاحتمالين اللذين اشارت اليهما الاهرام الاقتصادى ، فى محاولة لتفسير الموقف ، سنجد ان اللجنة كانت تماما فى صورة الميزانية ، على الاقل من خلال د. **احمد أبو اسماعيل** [رئيس لجنة الخطة والموازنة فى ذلك الوقت] وبالنسبة للاحتمال الاخر فان اللجنة ، وخاصة د. **احمد ابو اسماعيل** يرفض فرض ضرائب جديدة لزيادة ايرادات الخزانة ، وهو واضح تماما فى هذا ، واكده فى اول تصريح له بعد قبوله الوزارة وقبل حلف اليمين ، فقال « ان جهاز الضرائب يتحرك الان فى ظل قوانين كافية ، واحكام التطبيق هو الاساس » [الاخبار — ١٦ ابريل ١٩٧٥] .

اذن ما هو تفسير موقف اللجنة ؟ ليس لهذا من تفسير ، الا ان اللجنة ارادت ان تعلن انها تشاطر الجماهير فى همومها ، وتتقدم بحلول من جيب الخزانة العامة ، وليس من جيب الراسمالية .. انها فيما يبدو محاولة لتفادى وضع نظام ضرائبى عادل ، وهو موقف « غير شعبى » ، ثم محاولة تغطية هذا الموقف « بحديث » عن الاصلاح الوظيفى ، وهذه لعبة خطرة ، واذا كان الامر كذلك فما الذى سيفعله الدكتور احمد ابو اسماعيل الان بعد ان اصبح وزيرا للمالية ؟ انه الان امام الامر الواقع [والذى كان يعرفه] وهو ان جيب الخزانة يعانى . فهل ستمتد يده الى جيب الطبقة الراسمالية ليأخذ حق الشعب ؟ انه وفقا لتصريحه الذى ذكرناه لازال يصر على عدم فرض ضرائب جديدة ؟ انه مأزق فى الحقيقة .

وعلى اى حال ، وحتى لا نفتقد السياق ، فاننا بصدد رسالة **الرئيس** فى يناير ١٩٧٥ ، وما قابلته من تراخ اعلامى وتباطؤ تنفيذى وتشريعى ايا كانت اسبابه . على هذا الضوء جاء خطاب ١٤ ابريل الى المواطنين وبداه قائلا « لقد اخترت ان يكون حديثى أليكم عن الشئون الداخلية لقاء مباشرا معكم ، اتوجه به الى قلوبكم وعقولكم راجيا ان تكونوا جميعا معى فى هذه اللحظات » .. وقال « اريد أن الفت النظر بوضوح الى اننا لسنا مجتمعا لاصحاب الملايين ، وانما نحن مجتمع للعاملين المنتجين .

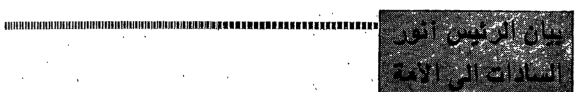
ان هذا المجتمع لن يعود مهما حدث الى حالة كان فيها قبل الثورة ، يوم ان كان نصفا فى المائة

فقط من السكان يحصلون وحدهم على نصف الدخل القومي . ذلك فساد لا اقبل به ، وذلك افساد لا يقبل الشعب به ، وسوف اقاومه وسوف يقاومه الشعب معي » .

خطاب ابريل والحكومة الجديدة

لقد اعاد الرئيس في هذا الخطاب تأكيد موقف يناير ، وتشكل مجلس وزراء جديد برئاسة **ممدوح سالم** ، ونرجو ان يكون المجلس الجديد اكثر حسما في اصدار التشريعات والاجراءات المطلوبة من اجل دعم تحالف الجبهة الداخلية في مواجهة العدو الاسرائيلي . ونرجو الا يطالب مجلس الوزراء الجديد بمهلة اخرى ، فتكفي المدة التي انقضت منذ يناير حتى الان ، والتي ادت الى زيادة التوتر الاجتماعي . ومن ناحية اخرى فان الدراسات قد استكملت وزيادة . والسيد رئيس مجلس الوزراء هو عنصر استمرار مع ماتم في مجلس الوزراء السابق ، وبالتالي فان مشروعات القوانين الجاهزة لابد وان تحول فورا الى مجلس الشعب .

واذكر هنا ان مجلس الوزراء برئاسة **د . عبد العزيز حجازي** كان تداجتمع سبع ساعات في ٢ ابريل واصدر بيانا جاء فيه أن المجلس ناقش اعداد التشريعات الخاصة بحماية المال العام وترشيد الانفاق والاستهلاك والتشريعات الضريبية . ناقش المجلس الهيكل العام للنظام الضريبي المتمثل في ضرائب مباشرة على راس المال وعلى الدخل ، وفي ضرائب غير مباشرة على التداول والمعاملات والاستهلاك، ورسوم الملاهي والرسوم الاخرى المتنوعة ، وناقش اثر كل من هذه الضرائب على موارد واعباء كافة الطبقات . والمعروف ان العبء الاكبر من هذه الضرائب غير المباشرة تتحمله الطبقات الكادحة . ولذا قرر المجلس ضرورة أن تكون الضرائب غير المباشرة — بقدر الامكان — تصاعدية بما يحقق مزيدا من العدالة الاجتماعية ويؤثر تأثيرا واضحا على الانفاق البذخي .



بيان الرئيس أنور السادات الى الأمة

وجه الرئيس أنور السادات بيانا الى الامة في ١٤ ابريل الماضي . وقد حظي البيان باهتمام سياسي كبير انعكس في المناقشات التي دارت حول ما جاء في البيان ووسائل وضعه موضع التطبيق .

وجريا على تقاليد « الطليعة » في نشر نصوص البيانات والاوراق التي تكتسب أهمية خاصة في ظروف محددة، واقامة حوار معها ، فاننا ننشر نص بيان الرئيس . ثم ننشر وجهة نظر عادل حسين حول القضايا التي طرحها البيان . وفيما يلي نص البيان :

ايها الاخوة المواطنون

لقد وعدت في خطابي امام مجلس الشعب يوم التاسع والعشرين من شهر مارس الماضي أن أتقدم اليكم بحديث عن الشئون الداخلية اطرح فيه تصوراتي لمرحلة من العمل الوطني تنتظرنا وها انا ذا أفعل . ولقد اخترت أن يكون حديثي اليكم عن الشئون الداخلية لقاء مباشرا معكم اتوجه به الى قلوبكم وعقولكم راجيا أن تكونوا جميعا معي في هذه اللحظات ذلك لان المسئولية ليست لفرد مهما احسنتم الظن به ولا هي لجماعة من الناس مهما حسنت نواياها . ان المسئولية الان لشعب باكمله ويضاعف من هذه المسئولية ان هذا الشعب يحتل مكانة خاصة في تاريخ وحياة امة باثرها وأكثر من ذلك وربما أخطر من ذلك فان هذه الامة أمتنا العربية ليست مجرد كيان جغرافي أو تجمع انساني ملقى على ركن بعيد من الدنيا لا يشعر باحد ولا يشعر به أحد .

وانما هذه الامة في قلب العالم وفي وسط صراعاته التاريخية والحضارية والسياسية والاقتصادية . وبالتالي فان ما نفعله هنا يقرر لنا وما نفعله هنا أيضا يؤثر في امتنا وما نفعله هنا يهم هذا العالم كله وبغير استثناء .

من هنا وفي هذا الحديث الى قلوبكم وعقولكم وبهذه المسئولية العظمى على المستوى الوطني والقومي والانساني فانني أريد أن اكون واضحا معكم الى أبعد حد صريحا الى غير ماحد ويساعدني على ذلك انني عرفتكم حق المعرفة لاني منكم وخبرتكم في كل الظروف لاني عشت حياتكم ولقد مرت ظروف لم يكن معي فيها غير اصالتكم ولم يكن لي من سلاح غير خبرة حضارية ترسبت في أعماقكم عبر سبعة آلاف سنة من التاريخ المكتوب هي لكم شهادة صدق .

في ٢٨ سبتمبر سنة ٧٠ وبعد رحيل جمال عبد الناصر كنتم ، أنتم وأنتم وحدكم كنتم العون والسند في انتقال تسلمي لمقاليد السلطة وقف العالم كله أمامه مبهورا ومعجبا .

في ١٤ مايو سنة ١٩٧١ وفي وسط عملية تصحيح لمسار ثورة ٢٣ يوليو ٥٢ وهذه العملية كانت محفوفة بالاخطار كما تعلمون .. كنتم انتم .. وانتم وحدكم القوة والسلطة التي قررت وحسمت واعطت لهذا الوطن امكانية

وبالنسبة للضرائب المباشرة اوضح **د. النشار وزير المالية** السابق ان ما يتحمله القطاع العام من ضرائب مباشرة يبلغ اكثر من ٨٠٪ من مجموع الضرائب المباشرة وذلك فى الوقت الذى لا يمثل فيه سوى ٥٣٪ من مجموع النشاط الاقتصادى ، واوضح **د. النشار** ان ما يتحمله القطاع الخاص من هذه الضرائب المباشرة لا يتناسب بالتالى مع حجم النشاط الاقتصادى الذى يقوم به [٤٧٪] وقد قرر مجلس الوزراء السابق على ضوء هذا عددا من المبادىء :

١ — ان يخضع للضريبة الفائض الكبير الذى يحققه بعض المولين نتيجة لزيادة قيمة مايمتلكونه من بعض انواع الثروة ، دون جهد مبذول ، والمثال هنا الاراضى والعقارات .

٢ — اخضاع الدخول التى لم تمتد اليها يد التشريع حتى الان ، للضريبة . وقد لوحظ ان أرباح الاستغلال الزراعى اخضعت اخيرا وفقط لضريبة بسيطة نسبيا تتمثل فى ضرائب الدفاع والامن القومى .

٣ — سد الثغرات الموجودة فى التشريع الضريبى على نحو يحول دون تجنب بعض المولين الخضوع للضريبة والافلات منها ، فالحصيلة منخفضة بشكل واضح فى الضريبة على الارباح التجارية والصناعية ، وكذلك فى الضريبة على ارباح المهن الحرة والضريبة العامة على الايراد .

وبمناسبة الضريبة العامة على الايراد ، فاننا لا نملك الا ان نضيف لحديث مجلس الوزراء السابق حقيقة بالغة الشذوذ ، فكلنا يشاهد بعينيه كل يوم تزايد الطبقة الراسمالية عددا وثروة ، ومع ذلك تناقصت حصيلة ضريبة الايراد العام خلال السنوات الست الماضية ، اى من ١٩٦٩ الى ١٩٧٤ ، بنسبة ٦٠٪ ! هل يعقل هذا وهل يحتمل ؟ ! وهل يعقل ان يكون متوسط ما تحصل عليه الدولة من الخاضعين لضريبة

تطور ديمقراطى حقيقى . فى ٦ اكتوبر ١٩٧٣ وامام تحد عسكرى وسياسى بدا قبوله للكل مستحيلا أو شبه مستحيل كنتم انتم وانتم وحدكم طلائع الحق والحقيقة .. وكان شبابكم وابناؤكم على جسور العبور وفى سمائنا شرفا لهذه الامة . لا يطاوله شرف ، واذا موازين القوى فى هذه المنطقة تتغير ، واذا هذه الامة لاتؤكد ارادتها فى الحاضر وحده وانما اذا بهذه الامة تؤكد ايضا وبمشيئة الله أن المستقبل لها مهما كابر عدوها . مهما عاند عدوها . مهما حاول هذا العدو يائسا أن يتلكأ امام مد التاريخ وأمام موجاته الهادرة .

أيها الاخوة المواطنون ..

فى حياة كل شعب وأمة لحظات لا بد فيها من وقفة لحديث مع القلوب والعقول حديث يبحث فى أعماق النفس بذلك الهدوء الذى يمنحه الايمان وحده ويعيش فى جوانب التجربة يحاول ان يزن وأن يقيم بذلك اليقين الذى يمنحه العلم وحده . والهدف من ذلك كله أن تكون هناك بين الوقت والاخر عملية مراجعة للنفس وحساب للتجارب يكون من شانها أن تزداد النفوس ثقة وقوة وأن تزداد التجارب ثراء وغنى .

ونحن الان امام لحظة من هذه اللحظات التى تخلو فيها الشعوب الحية إلى نفسها تتأمل وتفكر وتقف فيها الشعوب الحية ايضا امام تجاربها تزن وتقيم .

ولقد يكون خير مانفعله الان ونحن أمام مثل هذه اللحظة التاريخية ان نبدأ فنتثبت اولا وقبل كل شىء من منطلقاتنا الاساسية نعيد تحديدها لكى نعيد تجديدها .

ولو حاولت ان افعل شيئا من ذلك امامكم لقلت ما يلى :

نحن قوة من قوى الثورة الوطنية فى هذا العالم نسعى الى الحرية ونقاتل دفاعا عنها ونعتقد أن مصير الحرية لا يتجزأ ، ونحن وسط قوى هذه الثورة طليعة من طلائع الاشتراكية نؤمن بأن الحرية ليست مجرد شعار سياسى وانما هى حقائق اجتماعية واقتصادية .

ونحن فى هذا الاختيار الاشتراكى نقدس الديمقراطية عارفين ان الديمقراطية ليست كلمات لها رنين وانما الديمقراطية ، والديمقراطية الحقة هى سلطة الاغلبية اى سلطة قوى الشعب العاملة .

ونحن فى هذا الاحترام للديمقراطية لا نقبل بالكلام يلقى على عواهنه يرن اليوم وينسى غدا وانما نحن نقول وسوف نظل نقول بأن السلطة لابد لها من إطار ولابد لها من تجسيد ، وسلطة قوى الشعب العاملة لا يمكن ان يكون لها اطار او تجسيد إلا تحالف قوى الشعب العاملة

ونحن فى هذا التمسك بسلطة وديمقراطية تحالف قوى الشعب العاملة نجد امامنا الى المستقبل طريقين لا ثالث لهما نحو بناء مجتمع صحى ومجتمع قوى طريق للانتاج وطريق للرفاهية . اى عمل باقصى ما يقدر البشر على العمل ، وتوزيع باعدل مايقدر البشر على العدل ونحن فى هذا كله وبه ومعه جزء من أمة عربية واحدة رخاؤها لا يتجزأ وأمنها لا يتجزأ ماضيها لم ينقطع ومستقبلها موصول باذن الله . ونحن فى هذا كله وبه ومعه طرف فى هذا العالم الذى طال شوقه للسلام وكانت حروبه وهمومه طلبا لهذا السلام قائما على العدل لانه لا سلام الا والحقوق مصونة .. ولا سلام الا والمطامح المشروعة مكفولة ولا اقول المطامع لانها غير مشروعة .

لقد كانت هذه منطلقاتنا الاساسية وسوف تظل هذه منطلقاتنا الاساسية كانت هذه منطلقاتنا الاساسية منذ عبر عنها عبد الناصر باسم ثورة ٢٣ يوليو ، ومنذ حملت المسئولية من بعده فقد ظل تمسكى بهذه المنطلقات الاساسية كاملا ومطلقا ليس فقط باعتبارى شريكا فى ثورة ٢٣ يوليو ولكن لانى شاركت مع عبد الناصر وعن قناعة وايمان بسلامة هذه المنطلقات وبانها الطريق المستقيم امامنا ولو قد آمنت بغير ذلك لما سكت ولو قد طرا مايدعونى لتغيير رايى لما ترددت لحظة وانتم تعرفون فى أن اجىء اليكم اعرض عليكم رأيى وأتلقى منكم قرارا .

الايراد العام [من يتجاوز دخلهم السنوى ١٠٠٠ جنيه] هل يعقل ان يكون المتوسط ٢٠ جنيهـا فقط رغم قسوة النسب التى يقتطعها القـانون [نظريا] من إصحاب الدخول العالية ؟ !

المهم : نعود الى المبادىء التى اقرها مجلس الوزراء السابق :

٤ ــ ضرورة وضع وسائل جديدة للكشف عن المتهربين وادخال المقاولين ومقاولى الباطن وتجار الشنطة واية فئات اخرى تحقق اربـاحا مرتفعـة دون ان تدفع عنها ضرائب .

٥ ــ ينبغى النظر فى دخـل الاسرة سـواء كان مصدره عقارات مبنية او دخلا زراعيـا او عملا كوعاء خاضع للضريبة حتى يتسنى تحـديد القادر وغير القادر بطريقة اسلم ، بمـا يضمن عدالة توزيع العبء الضريبى .

.... الدراسات قد اكتملت اذن . ولم تعد تحتاج الى مزيد . والمطلوب فقط من مجـلس الوزراء الجديد ان يكون اكثر حسما فى تنفيذ ما تقرر من مبادىء . ولكن حديث د . **احمد ابو اسماعيل** الذى سبقت الاشارة اليـه ، لا يعتبر علامـة مطمئنة فى هذا الاتجاه ، وكذلك فـان اسلوب التصرف مع قـانون الكسب غير المشروع يثير التساؤل . لقد قال **الرئيس السادات** فى رسالة يناير « ارى ان تبدأ فورا اللجان المختصة بوزارة العدل فى فحص اقـرارات الذمة الماليـة لكل القيادات التنفيذية والتشريعية والسياسية وان توفر لها الحكومة ما تحتاج اليه من خبرات فنية» . ولكن مرت الايام والاشهر وكلمة «فورا» هذه معلقة فى الهواء .

وفى الاجتماع الاول لمجلس الوزراء الجـديد [١٧ ابريل] أعاد الرئيس الحديث فى موضوع تطبيق قانون الكسب غير المشروع « لو استطعتم ان يكون ذلك فورا كى تريح الناس ونريح الدنيا كلها .. ولنبدأ بفحص اقـرارات الاشـخاص والمناصب القيادية العليا والتعرف على حالتهم ،

ولقد كان هناك من تصوروا على خطا أن الطريق طريقان وبان الثورة عهدان .

ولم تكن المسئولية على الخطا وحـده وانما على الخلط أيضا ؛ لقد كان هناك من تصوروا خطـا انهم يستطيعون ان ينادوا بوقيعة بين عبد النـاصر وبينى وكانوا فى ذلك على خطأ ، ان هـذه الوقيعة لم تحدث بين عبد الناصر وبينى فى وجوده ولا يمكن أن تحدث بينه وبينى فى غيابه .

... ولقد نسوا .. أن العلاقة بيننا لم تـكن علاقة رجلين فقط وانما كانت صداقة مبدأ تحمل كل منا مسئوليته فيها بمقدار ما اتيح له أمانة ونزاهة .

ولقد كان هناك أيضا من تصوروا خطا ان تكوين بعض جوانب التجربة معنـاه التعرض للتجربة ذاتها من الاساس .

لقد كانت تجربتنا عظيمة وككل التجارب العظيمة فقد كانت لها ايجابياتها وكانت لها سلبياتها . وعندما نصحح فاننا يجب أن نحاذر فلا نحـاول التهديم متصورين اننا نحاول التقييم . ولقـد كان مطلبى واضحا منذ البداية ــ كانت هنـــاك ايجابيات عظيمة وهذه منجزات حققهـا الشـــعب .. حققتموها انتم ولابد من التمسك بها والبناء من فوقهـا وكانت هناك سلبيات شابت التجربة وكانت فى معظمها من صنع افراد استبد بهم الهوى او اعمتهم السلطة وهذه لابد من اسقاطها

ولقد كان من اسباب الخطا والخلط أيضا أن هناك من تصوروا أن التجربة الثورية لشعبنا توقفت عند لحظة معينة من الزمان ونسوا أن الثورية الحقيقية ليست الجمود وانمـــا الثورية الحقيقية حوار مـــع الظروف المتغيرة واستجابة للتحديات الطارئة . والا فهو القعود بدلا من الحركة وهو التراجع بدلا من التقدم . وعلى سبيل المثال .. فهل كان يمـكن أن نتصرف فى سياستنا الدولية فى عصر الوفاق بنفس المنطق الذى كنا نتصرف به فى عصر الحرب البـــاردة .. كـانت الخطوط فى عصر الحرب الباردة محددة .. كتلة غربية وكتلة شرقية . والان فان الخطوط فى عصر الوفاق متـداخلة لان عصر الوفاق الذى فرضته استحالة الحرب النووية بين القوتين الاعظم جعل التعاون السياسى والاقتصادى، والثقافى بين الكتلتين على اشد وأقرب ما يكون التعاون فهل كان يمكن الا ناخذ علمـا بذلك ونتصرف على اساسه . ومثـال آخر فى سياستنا العربية .. لقد تفجرت الثروة العربية فى مكان آخر غير المكان الذى تفجرت فيه الثورة العربية وأحدث ذلك آثارا بعيدة المدى .

ان الثروة العربية أضبحت الطاقــة الإساسية التى تستطيع أن تخدم قضية البناء الاقتصادى والاجتماعى فى أرض الامة العربية كلها من أقصاها الى أقصاها فهل كان من المقبول أو من المعقول أن نظل جامدين عند تقسيمات فى العـالم العربي صاحبت مرحلة من مراحل تطوره

ولكن التطور نفسه تجاوزها الان .. هل كان من المقبول أو من المعقول ان نظل جامدين عند تلك التقسيمات لكى يقال عنا أننا ثوريون .

ان هذا فى رأيى ثورية بالاسم وحده وبالشعار وحده .. وكلاهما فى الظروف المتغيرة قديم وعقيم . لقد كنا فى مرحلة سابقة نحاول أن نحصل على متطلبات التنمية من معونة الدول المتقدمة ، ولكن منطقتنا الان اصبحت اكبر منبع لرءوس الاموال ، فهل كان ممكنا الا ناخـذ علما بذلك ونتصرف على أساسه ؟ وفوق ذلك وبعده فان الثورة الجديدة فى العالم العربى استفادت من فكر الثورة فبدأت هى الاخرى تدخل رحاب التاريخ وتبذل جهودا هائلة فى التنمية بفضل ما أتيح لها من موارد وهذه التنمية الاقتصادية والاجتماعية تفرض مع كل يوم دوى جديدة واذن فان الامة العربية كلها بدأت تسير على نفس الطريقين اللذين كنا نحـاول السير عليهما : اى الانتاج والرفاهية فما هو المبرر اذن لافتعال مالم تعد هناك ضرورة له ؟ لكنه الخطا والخلط كمـا قلت والعجز الثورى عن فهم الظروف المتغيرة وتحليلها والاستفادة منها لصالح التقدم الشامل على ارض أمة عربيـة بأسرها .. أمة عربية لم تذب فيهـا المتناقضات الاجتماعية ولكن ذاب فيهـا ويجب أن يذوب اى داع يدعونا الى الحدة فى ادارة هـذه المتناقضات ويجب أن يذوب أيضا اى داع الى العنف فى تحريك هذه المتناقضات .

وتوضح للشعب ؟ وأن نتناول بعد ذلك اقرارات بقية المستويات بما يحقق الثقة والراحة ، حيث أني لا اريد ولا احتمل اى واحد منكم محل شبهة عند الشعب » .

بعد هذا الحديث القاطع قرر مجلس الوزراء انه سيبدأ « فورا » تنفيذ ما دعا اليه الرئيس بعد صدور قانون الكسب غير المشروع . ولا ادرى ما معنى كلمة « فورا » هنا اذا كان التطبيق سيؤجل الى حين اصدار القانون ؟! ثم لماذا التأجيل ؟ ان القانون قائم فعلا والتعديلات المقترحة لا تعنى أكثر من أنه سيشمل فئات جديدة لم تكن تخضع للقانون مع دعم لقدرات الجهاز الذى يبحث الاقرارات ، وكل هذا لا علاقة له بامكانية تطبيق القانون القائم على القيادات بلا اى تأجيل ، مادمنا ندرك الاهمية السياسية الملحة لهذا الاجراء .

على أى حال أرجو الا أكون قد بالغت فى تأويل أول قرار يتخذه مجلس الوزراء الجديد ، ولكن تجربتنا مع التأجيلات السابقة فى ادخال اى اصلاح اجتماعي او ادارى حقيقى ، تبرر فرط حساسيتنا .. ومع ذلك فالمسألة ليست فى الحقيقة حساسية ، فقد استشعر الرئيس وهو يتناول القضايا التى جاءت فى رسالته وخطاباته وتصريحاته ، ان اقرار الاصلاحات المقترحة ليس أمرا سهلا . والتعبير الذى استخدمه فى مطلع رسالة يناير يدل على هذا « لقد عودتكم — حتى فى أصعب الساعات — على مواجهة التحديات التى امامنا بصدق وصراحة » . وفى مطلع خطاب ابريل قال « فى حياة كل شعب وأمة لحظات لابد فيها من وقفة لحديث مع القلوب والعقول » . كان الرئيس يستشعر اذن مصاعب تنفيذ المقترحات التى يتقدم بها . وهذا طبيعى فتصحيح الاتجاه ، أو ادخال اصلاح فى العلاقات الاجتماعية القائمة يعنى ان نأخذ بعض المال من طبقة الرأسماليين المقتدرة ، والمتوقع والطبيعى هو أن تعترض هذه الطبقة . واذا كانت هذه الطبقة قد دعمت نفوذها الاقتصادى وضاعفت ثرواتها خلال السنوات الأخيرة ، فانها دعمت فى

ايها الاخوة والاخوات :

لقد كانت هذه الاعتبارات والضرورات التى اضفنا منها الى منطلقاتنا الاساسية مجموعة من الضمانات الجديدة .

اولها : مرونة فى السياسة الدولية تدعونا من موقف الاستقلال واللا انحياز الى التعاون الحر الايجابى والخلاق مع كل الاطراف الدولية بلا عقد أو رواسب من الماضى ، لان الظروف تغيرت فانتقلنا من عصر الحرب الباردة الى عصر الوفاق الدولى .

ثانيها : اسلوب مختلف فى العمل العربى يجمع بالاختيار وبالرضا كل القوى العربية وبغير استثناء او تمييز وذلك لصالح التقدم العربى الشامل ولمصالح الامن العربى الذى لا يتجزأ .

ثالثها : منطق جديد فى رسم وتوجيه سياسة التنمية ينفتح على الكل ليحصل على الخبرة والتكنولوجيا من حيث يستطيع الحصول عليها وينفتح على العالم العربى بوجه خاص ، لان العالم العربى بوجه خاص اصبح أكبر مصدر وأكبر مورد للاموال اللازمة للاستثمار ، بل وللدفاع ايضا على أساس ماقلناه وكررناه وسوف نظل نقول به ونكرره وهو أن الرخاء العربى لا يمكن أن يتجزأ كما أن الامن العربى لا يمكن أن يتجزأ . ولقد وقع البعض منا بالخطأ والخلط فى منزلقين تصور البعض بالخطأ انه يستطيع أن يدين الماضى كله ، ونسوا بذلك أن الحاضر امتداد بالتطور للماضى ، وتصور البعض الاخر بالخلط انه يستطيع أن يشكك فى الحاضر ، ونسوا انه لن يثبتوا بذلك الا شيئا واحدا هو العجز عن رؤية المستقبل ، لكن الاغلبية العظمى من شعبنا ومن امتنا لم تقع فى الخطأ ولا وقعت فى الخلط ، لقد فهمت وادركت وسارت وواصلت .. وبقى اصحاب الخطأ واصحاب الخلط فى منزلقاتهم لا يرون ولا يسمعون ولا يفهمون .

ايها الاخوة والاخوات — لقد اردت بهذا الطواف الفكرى حول آفاق ما نحن فيه أن اجلو وأن أوضح منطلقاتنا الاساسية وما زاد عليها مما اردناه لها من ضمانات جديدة ، وسنضع التجربة كلها تحت الضوء ولكى نزيل من حولها كل التباس وحتى لا ينجح احد ولن ينجح احد فى التشويش على فكر شعبنا وامتنا بالدس على ماضيه أو بالتعويق عن مستقبله .

ايها الاخوة والاخوات — قبل ان انتقل بكم الى بعض اوجه القصور ، وفى ظنى انه جميعا مما نشأ عن الخطأ والخلط ، ولقد كنت الاحظ منذ البداية والفت النظر وقد حان ان اضع ذلك امامكم لتكونوا معى شركاء وناصحين خصوصا وان الرقابة يجب ان تكون فى يدكم سلاحا من أسلحة الممارسة الديمقراطية الحقة .

لقد لاحظت امورا ثلاثة اعرضها عليكم كما يلى :

اولا : لاحظت قصورا فى فهم الظروف المتغيرة ومن ثم قصورا فى الامساك بالفرص المتاحة امامنا ، وبرغم ان شعار الانفتاح قد انطلق فانتى لم اشعر ان واقع الانفتاح قد تحقق ، ظلت بعض الرواسب القديمة تتسبع احيانا بشعار الاشتراكية ناسية أن الاشتراكية الحقيقية هى أن يصبح مجتمعنا كله مجتمعا من المنتجين .

ان هناك محظورا واحدا فى الاشتراكية وليست هناك من محظورات غيره ، هذا المحظور الوحيد هو استغلال الانسان للانسان ، وليس فى الانطلاق الى التنمية اذا ما تحددت التنمية فى خطة لها اهداف ليس فى هذا الانطلاق استغلال للانسان وانما هو تنمية من اجل الانسان ، فظلت بعض العوائق البيروقراطية تسد الطريق كما حاولت دواما أن تسد الطريق امام كل أمل لشعبنا وكل مطلب له ، وتعثرت مشروعات ما كان لها ان تتعثر ، وتلكأت الاجراءات والتعقيدات وكأننا لسنا فى سباق مع الزمان نحاول تعويض ما فات واللحاق بالعصر كما ينبغى أن يكون اللحاق به ولم يكن ذلك كله فى رأيى مطلوبا ولا مقبولا .

ثانيا — لقد كان هناك من تصوروا أن الظروف الجديدة فرصة متاحة لمجموع الشعب كله . وهكذا لاحظت بكل اسف — وأكرر بكل أسف — ان هناك ثروات تتراكم ويجيء تراكمها فى معظم الأحيان من أعمال طفيلية . وأريد هنا ان اقول بصراحة انني لست ضد أن يكسب احد بجهده ما يستحق .

نفس الوقت علاقاتها بالمؤسسات السياسية والاعلامية . نحن نذكر كيف قوبلت حكومة د . **عزيز صدقى** بمعارضة عنيفة فى مجلس الشعب حين أرادت فرض ضريبة على الحدائق . وفشلت جهود الوزارة رغم كل المناقشات والحجج العلمية والاقتصادية التى قدمها د . **مصطفى الجبلى** وزير الزراعة فى ذلك الوقت . فكيف يكون الحال اذا كان الامر يتعلق بحديث عن سياسة ضرائبية موجهة ضد الدخول المتنوعة لكل الطبقة الرأسمالية ، وليس ضد دخل فئة واحدة من فئات هذه الطبقة ؟

ان التردد فى اصدار التشريعات الضرائبية لم يكن بسبب تكاسل اللجان الوزارية والفنية ، ولكنه انعكاس لضغط الطبقة الرافضة . هذه هى الحقيقة ، وينبغى ان نواجهها صراحة اذا كنا نسعى فعلا للاسراع باصدار هذه التشريعات .

لقد خاطب **الرئيس السادات** عقل وقلب هذه الطبقة . فبالقلب : نحن لازلنا فى قلب معركة ضد عدو يحتل أرض الوطن ، و « شعبنا قادر على مواجهة المرحلة الصعبة التى تمر بها ـ وهى مرحلة التحرير والتنمية ـ على اساس المساواة فى التضحيات » . وبالعقل : فان مصالح الرأسماليين الذين لا ترتبط مصالحهم بغير مصر تؤكد عليهم قبول التضحيات التى يفرضها . اننا « قوة من قوى الثورة الوطنية فى هذا العالم نسعى الى الحرية ونقاتل دفاعا عنها ونعتقد ان مصير الحرية لا يتجزأ » .

وعلى الرأسمالية الوطنية ان تدرك ان بلدنا وشعبنا لن يتخلى عن مثله الاشتراكية وانجازاته التقدمية ، وعليها ان توائم بين تطلعاتها وبين هذه الحقيقة الموضوعية . وبالاضافة الى اعتبارات المعركة الوطنية واطار التقدم الاجتماعى المكتسب ، فان سياسة الانفتاح وتشجيع القطاع الخاص تفترض جوا من الاستقرار السياسى ، ويفترض بالتالى « منعا لاى آثار جانبية ، لاى انحراف أو اعوجاج ، [يقصد الانحراف عن العدالة فى توزيع الدخل] وتأمينا للسلام الاجتماعى ، وان نعمل على ارساء الوسائل القانونية القادرة على تحقيق هذه الاهداف بحيث

ولكننى على وجه اليقين ضد أن يكسب احد على حساب غيره من الناس أو استغلالا لظروف الناس ، وأريد أن ألفت النظر بوضوح الى اننا لسنا مجتمعا لاصحاب الملايين وانما نحن مجتمع للعاملين المنتجين . ان هذا المجتمع لن يعود مهما حدث الى حالة كان فيها قبل الثورة يوم أن كان نصف فى المائة فقط من السكان يحصلون وحدهم على نصف الدخل القومى ذلك فساد لا أقبل به وذلك افساد لا يقبل الشعب به وسوف اقاومه وسوف يقاوم الشعب معى . اقول ذلك لكى أحذر فلن أسمح ولن يسمح الشعب معى باعمال سمسرة طفيلية وباعمال المضاربة والمغامرة ولا بالمتاجرة بالتهريب وفى السوق السوداء ولا بتلاعب باقوات الشعب ومتاجرة فى مصالحه .

ثالثا ـ لقد أحسست أن موجة غلاء الاسعار قد زادت عن كل حد يمكن احتماله ، وفى كثير من المناقشات التى اجريتها اخيرا فلقد كنت أقول لبعض مساعدى تعالوا فقولوا لى كيف تستطيع عائلة متوسطة الدخل فضلا عن عائلة فقيرة أن تعيش وأن توازن حياتها . اننى أفهم أن موجة ارتفاع الاسعار هى موجة عالمية ولكننى لا أريد أن تكون عالمية موجة ارتفاع الاسعار ساترا نخفى وراءه أسباب قصورنا ونكتفى بابداء العذر عن ايجاد الحل .

اننى أعرف أن الاعذار سهلة وأن الحلول صعبة ، ولكن عندما يكون الامر هو حياة الناس ومعيشتهم وتكاليفها فاننا يجب أن نجرب المستحيل . وفى كل الاحوال فاننى لا أتصور أن نترك تكاليف المعيشة ومشاكل الاسكان والمواصلات حيث هى الان .

أيها الاخوة والاخوات ـ هذه ثلاثة امور لاحظتها ولابد انكم تلاحظونها معى بل اننا جميعا نعانيها كل يوم . ولعلى اقول انها الان أهم مايواجهنا من مشاكل يتعين حلها والا فاننا سنجد انفسنا أمام مالا نستطيع أن نرضى به اذا لم نستطع ان نرى آفاق الانفتاح ، اذن فان الفرصة المتاحة امامنا اليوم سوف تضيع واذا لم نستطع أن نقضى على عناصر الفساد والافساد فاننا سوف نجد الفوارق بين الطبقات تتسع ولا تذوب . واذا لم نستطع أن نضبط موجة ارتفاع الاسعار ونسيطر عليها فاننا سوف نجد أن الحياة قد أصبحت صعبة على قوى العاملين المنتجين فى وطننا . واذا توقفنا أمام هذه المشاكل فكيف نستطيع اللحاق بما نريد من امال عراض . كيف نصل الى امل لا يعادله فى تقديرى أى آمل وهو تأمين كل فرد فى هذا المجتمع الذى نعيش فيه . لقد قلت اننى أريد تأمين معاش لكل عاجز ولكل أرملة ولكل مسن على أرض مصر قلت ذلك وطلبته وأصر عليه ولا بد أن يتحقق .

أيها الاخوة والاخوات .. لقد أردت أن أوجه حديثى هذا اليكم فى وقت أعتقد فيه أننا على بداية مرحلة جديدة ولم افعل ذلك الا وقد اكتملت لدى خطة لمواجهة متطلبات هذه المرحلة وسوف أبدأ باذن الله وعلى الفور فى اجراء تغييرات أساسية وشاملة وجدتها لازمة لكى نستطيع مواجهة هذه المرحلة لتحقيق مانرجوه فيها من اهداف . ولست اريد تغييرات فى الاشخاص ، وانما اريد تغييرات فى الاسلوب . ولست اقصد الى تغييرات فى الشكل وانما اقصد الى تغييرات فى الجوهر وفى الصميم .

اننى أطلب أن تكون منطلقاتنا الاساسية حقائق حية وأطلب أن تكون الضمانات الجديدة لهذه المنطلقات الاساسية استجابة خلاقة لظروف عالمية وعربية ووطنية متغيرة ولا أرضى أن تكون هذه الضمانات تكئات للجمود العقائدى أو للتحجر البيروقراطى ولا أن تكون منها ثغرات متاحة للاثراء غير المشروع على حساب الناس ولا أن تكون أعباء مضافة تجعل الحياة لا تطاق بالنسبة للغالبية العظمى من جماهيرنا .

اطلب أن يكون مجتمع كل المنتجين الذى نريده على ارضنا قادرا على رفع مستوى الحياة لكل فرد من افراد شعبنا قادرا فى نفس الوقت على توفير الامان لكل من لا يستطيع رغم ارادته أن يشارك فى عملية الانتاج وأن يبقى عضوا كريما فى مجتمع المنتجين .

اطلب ذلك وتطلبونه معى وسوف نحقق بعون الله ما نطلب وسوف نحققه بعملنا « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

يحوى النظام القدرة على التصحيح الذاتى من خلال القانون » [رسالة يناير] .. كل هذا الحوار المنطقى والعاطفى ،ورغم قسوة التحديات الخارجية ، وتزايد التوتر الاجتماعى الداخلى ، لم يجعل « قلب » القطاع الاكبر من الطبقة الرأسمالية يرق !

من هنا كانت اللهجة اعنف فى خطاب ابريل فاذا لم يكن النظام قادرا على التصحيح الذاتى، واذا عدنا الى برلمان ما قبل الثورة الذى يرفض اى زيادة فى الضريبة ، ولو انهدت الدنيا كلها . اذا عدنا الى هذه الايام فان العواقب ستكون وخيمة ، وستكون القوى المحافظة هى المسئولة عن الصراعات التى ستنجم عن هذا والتى يستفيد منها العدو الاسرائيلى فى المقام الاول.

نعم ستكون القوى المحافظة هى المسئول الاول ، لان «الاستقرار الاقتصادى لاينفصل عن الاستقرار السياسى ، اذ لا يمكن ان يعيش الانسان اذا كان قلقا على رزقه ، قلقا على مستقبله ، قلقا على امكانياته المادية او مايتاح له من سلع وخدمات » [رسالة يناير] ... « وفى كل الاحوال فاننى لا اتصور ان نترك تكاليف المعيشة ومشاكل الاسكان والمواصلات حيث هى الان » [خطاب ابريل] .

ان مطالبة مجلس الوزراء الجديد باتخاذ اجراءات سريعة ، هى مطالبة بمواجهة شجاعة مع القوى النهمة التى لاتنظر الى ما هو ابعد من أنفها ، وبدون هذه المواجهة الصريحة لن يحدث شىء الا تكرار الكلام . واذا عدنا الى تجربة د. **عبد العزيز حجازى** فان المأساة هنا تكمن فى ان الوزارة السابقة تصورت ان بوسعها أن تمنع مستوى المعيشة لجماهير الشعب من التدهور ، دون أن تمس دخول الطبقة المقتدرة، وفى ظروف لا تملك الخزانة فيها موارد كافية. وقد ترتب على هذه السياسة أن وصلنا الى الحالة التى بعث فيها **الرئيس** برسالته والتى بخطابه ، تداركا للمخاطر . لقد انتهت هذه السياسة الى تدهور فى معيشة الجماهير المنتجة من جانب ، والى مزيد من الثراء والتنازلات للطبقة الغنية من جانب آخر .وقد قدمت [الطليعة] نقدا لهذه السياسة فى عددى فبراير وابريل . وكان مفروضا ان يكون هذا النقد وثيقة دفاع من الحكومة السابقة امام القوى اليمينية ، فقد أثبت النقد ان هذه الحكومة قدمت عديدا من التنازلات لهذه القوى . ولكن هذه القوى النهمة لا تشبع . وقد قلنا فى ختام المقال المنشور فى عدد فبراير : « ان نقدنا لسياسة الحكومة وان بدا حادا ، فانه لا يعنى الاقلال من تقديرنا لمواقف وزارة د. عبد العزيز حجازى فى الدفاع عن مكتسبات الشعب ، وفى دفاعها عن القطاع العام ، وفى محاولتها لوضع ضوابط على مفاهيم الانفتاح ، ولكنه يعنى بالقطع تحذيرا من أنصاف الحلول ودعوة الى اجراءات حاسمة .. لقد فقدت الوزارة تأييد قسم اساسى من اليمين المصرى الذى لايقبل اقل من التصفية الكاملة لكل ايجابيات تحققت خلال اعوام الثورة، بقى ان تكسب الوزارة جماهير الشعب » .. ولكن مرت الاشهر والحكومة تتردد فى مراجعة سياستها ، ولا تستجيب للتحذيرات الواضحة ، فكان لابد وان تترك الحكم للاسف ،ولم تلق تأييد الشعب . هذا هو الدرس المستخلص من تجربة وزارة د. **عبد العزيز حجازى** .

أبو الفتح لم يقرأ الخطاب

والان .. ما هى ردود الفعل التى تلت خطاب ابريل والتشكيل الوزارى الجديد ؟ الشهادة لله لم تتجاهل الصحف هذه الاحداث كما فعلت مع رسالة يناير . فقد كتبت التعليقات ، وبعضها كان معارضا للخطاب ، وبعضها الاخر كان يؤول الخطاب والاجراءات بطريقة تبدو عجيبة .

● فاحمد **ابو الفتح** كان اول من كتب [١٧ ابريل] وتفضل بتقديم برنامج للحكومة الجديدة يختلف تماما عما جاء فى خطاب **الرئيس السادات**، حتى لقد ظننت فى البداية انه لم يستمع الى الخطاب ولم يقرأه ، لولا اننى لمحت سطرا فى ختام المقال يشير الى انه سمع حديث الرئيس. وليس عيبا طبعا ان يختلف احد الكتاب مع **رئيس الجمهورية** ، حتى وان بدا الخلاف شاملا وجذريا ، ولكن اعتقد ان اللياقة كانت تقتضى مناقشة ما جاء على لسان الرئيس وبيان اسباب الخلاف التى تبرر طرح برنامج معارض ، اما تجاهل الخطاب فانه أمر لا يليق .وبالمناسبة فان ما راعنى فى مقال احمد ابو الفتح هو امتداحه الشديد للسيد رئيس مجلس الوزراء ، فهو يقول انه قابل **«السيد ممدوح سالم** اكثر من مرة، وهو يتمتع بخبرات كثيرة ، فهو يتحدث اكثر من اربع لغات اجنبية ،وقد زار الكثير من دول العالم، وله آراء فى الحريات وفى الاقتصاد والسياحة تتمتع بالفهم الصحيح للامور » .

واعتقد ان هذا التقريظ من **احمد ابو الفتح** مسألة لا تخدم رئيس مجلس الوزراء ، **فأحمد أبو الفتح** متفرغ لاستفزاز الجماهير .. هذا الرجل يتول وسط شعب يعانى ويئن بحثا عن لقمة خبز ، انه يمكن لكل من يملك مالا

ان يقوم بحركة دون ان يسأله انسان عما يفعل! اي استفزاز هذا ، واي تحريض للناس على الهياج ؟» مثل هذا الرجل الذي يطالب بان تكون كل السياحة في يد القطاع الخاص [وهي مصدر هام للنقد الاجنبي الذي نحتاجه جدا لاستيراد القمح] ومثل هذا الرجل الذي يطلب في مجال العلاقة مع القطاع الخاص ان نصدر قانونا يشتمل على مادة واحدة ينص فيها على الغاء كافة القوانين التي تعرقل قيام هذا القطاع بدوره الرئيسي [اي ان نصفي — باختصار — كل تظامنا الاقتصادي والاجتماعي] هذا الرجل لم يكن من حقه ان يقول ان السيد رئيس مجلس الوزراء له فهم صحيح في امور الاقتصاد والسياحة . فكلمة الفهم الصحيح حين يقولها احمد ابو الفتح قد تفهم على ان السيد ممدوح سالم يوافق على آراء السيد كاتب المقال . واذا فهمت العبارة على هذا النحو فانها تؤدي الى بلبلة نحن في غنى عنها ، وفي ظروف تتطلع الناس فيها الى سياسة اقتصادية تناقض تماما ما يدعو اليه اليمينيون من امثال احمد ابو الفتح .

● ومع احمد ابو الفتح شاركت اخبار اليوم في نفس الموكب [١٩ ابريل] . فمصطفى أمين يصف د . احمد ابو اسماعيل بانه كان يتولى زعامة المعارضة ضد سياسة الدكتور عبدالعزيز حجازى ، ويستنتج مصطفى أمين من تعيينه وزيرا للمالية ان الوزارة الجديدة ستتبنى سياسة اقتصادية مختلفة عن السياسة الاقتصادية السابقة . ومصطفى أمين لا يقصد طبعا سياسة اقتصادية مختلفة ، بالمعنى الذي طالبنا به في [الطليعة] ، انه يقصد طبعا سياسة اقتصادية يمينية ، هكذا يتمنى الرجل ، وقد التقط اشارة الرئيس الى العوائق البيروقراطية في الانفتاح الاقتصادى ، واعتبرها محور كل الحديث . واذا صح ان د . عبد العزيز حجازى كان يركز كثيرا من السلطات في يده ، الا ان توزيع الاختصاصات وتيسير الاجراءات لا يعني اننا سنخرج عن الاطار المفترض لسياسة الانفتاح .

والاطار الذي يتجاهله مصطفى أمين ولا يناقشه هو « ان سياسة الانفتاح الاقتصادي طرحت كسياسة شاملة ، تعبىء مواردنا الذاتية وتوفر لها الانطلاق والحركة وتجلب لها مايكملها ويضاعف من فاعليتها من تمويل وخبرة خارجية مدركين ان عبء التنمية يقع اولا وقبل كل شيء على عاتقنا نحن » .. « ان الموارد الخارجية للتمويل يجب ان تستهدف زيادة الانتاج القومي حسب الاولويات التي وضعتها الخطة . فهو وسيلة لمساعدة الطاقة المصرية في الوصول الى اهدافها . اننا نرفض ان نفتح ابوابنا لاعمال المضاربة والصفقات العابرة التي لايستفيد منها غير فئة قليلة وتحقق كسبا سريعا قد لا تصحبه زيادة في الانتاج» . [رسالة يناير] .. لقد تجاهل مصطفى أمين كل هذا ، تماما كما تجاهل ما جاء في خطاب السادات عن استمرار ثورة ٢٣ يوليو ، وعن استمرار الاشتراكية . وهو يلخص مطالب الرئيس من الوزارة الجديدة في انها « العدالة في توزيع مواد التموين ، ومحاربة الاتجار بقوت الشعب » . اي ان الامر لا يعدو تطوير العمل في وزارة التموين ! صحيح ان الرئيس قال : « لو اننا كشعب عشنا على نصف رغيف فقط بالتساوي لتقبل شعبنا ، بل حينئذ يعيش ويصمد سنين .. شريطة ان نعيش جميعا على نصف رغيف ، فلا يكون بيننا من يأخذ رغيفا بينما يأخذ الثاني نصفا ويأخذ الثالث رغيفا ونصف » نعم تحدث الرئيس بهذا وعن توفير المواد الاساسية ، ولكن ضمن حديث شامل عن اعادة توزيع الدخول وتعديل التشريعات الضرائبية ، وكل هذا تجاهله مصطفى أمين .

● .. والدكتور ابراهيم عبده ايضا .. يقول الرئيس السادات : « لقد كان هناك من تصوروا على خطأ ان الطريق طريقان وبأن الثورة عهدان» ، ولكن الدكتور ابراهيم عبده يعترض ، وله فضيلة التعبير عن اعتراضه بلا مواربة فقال « اعتقد اننا بثورة مايو ١٩٧١ قد بدأنا طريقنا السوية . وليس في تقرير هذه الحقيقة التاريخية ما ينفي مودة الزعيمين عبد الناصر والسادات » ... « واذن كان لمايو خط يختلف تمام الاختلاف مع الخط الذي كان قبل هذا الشهر المجيد ، وهما خطان متوازيان ، وتقول العلوم الهندسية انهما لا يلتقيان ابدا [اخبار اليوم ١٩ ابريل] .

ان د . ابراهيم عبده لا يقصد هنا احداث مايو المحددة التي نعرفها ، والا لكان قد ترك تفسير هذه الاحداث وما تعنيه لقائد هذا اليوم ، فهو بالقطع أدرى منه واعلم . ولكن د . ابراهيم عبده يدافع عن آماله هو في تغيير النظام الاقتصادى والاجتماعي ، وهو ككل قوى اليمين لن يتنازل عن هذه الامال بسهولة ، حتى بعد ان يقول الرئيس السادات « لن أسمح ولن يسمح الشعب معي بأعمال سمسرة طفيلية ، وباعمال المضاربة والمغامرة ، ولا بالمتاجرة بالتهريب ، وفي السوق السوداء ولا بتلاعب باقوات الشعب ومتاجرة في مصالحه » [خطاب ابريل] .

● ولكن لم نلوم د . ابراهيم عبده على ادانته الكاملة لسنوات الثورة ؟ الم يصرح وزير الاسكان عثمان احمد عثمان [وهو وزير مسئول] «بان

بسبب هذه الازمة هو استيراد نظم من الخــارج وتطبيقها فى مصر » . . «آن الاوان للتخلص من النظام المستورد الخاطىء وخلق المنافسة والحريات امام المواطن المصرى » . . . « يجب ان يعرف الشباب اننا نعانى من رواسب ٢٠ سنة »[ندوة تليفزيونية الاهرام ١٥ ابريل] .

● وماذا عن **مجلس الشعب** بعد خطاب ابريل؟ لقد نشر **محمود ابو وافية** تقرير اللجنة المشتركة من لجنــة الاقتراحات والشــكاوى واللجنــة الاقتصادية بمجلس الشــعب عن الانفتــاح الاقتصـــادى [الاهرام ــ ١٩ ابريل] وجاء فى هذا التقرير ان الانفتاح الخارجى ينبغى ان يسبقه انفتاح داخلى . وهذا يعنى انه فى مجال العلاقة بين القطاعين العام والخاص « لا ينبغى ان يطغى قطاع على قطاع » [اذن ينتهى الدور القيــادى للقطاع العام الذى جاء فى الدســتور وفى كل المواثيق حتى ورقة أكتوبر !] وحتى يكون الكلام محددا يطالب التقرير بتحقيق « الديمقراطيــة الاقتصادية» [اسم مستعار للنظام الراسمالى»]، وذلك « بقصر نشـــاط الدولة على المشروعات الاساسية ذات النفع العام أو التى لا يســتطيع القطاع الخاص القيام بها ، او التى لهـا طابع احتكارى فعلى » . [أى أن الاساس هو النشاط الخاص ، ودور القطاع العام هــو دور تكميلى يساعد فيما يفشل فيه القطاع الخاص او يعجز عنه] .

ويطالب التقرير ايضا « بانسحاب القطــاع العام من غير مجالاته بالقدر الذى يعالج الخلل فى الاقتصاد القومى » ولا يحدد التقرير هــذه المجالات المقصودة والتى يسبب انسحاب كابوس القطاع العام منها الى معالجة الخلل .

ويواصل التقرير مقترحاته مطالبا بطــرح جزء من اسهم رؤوس اموال شركات القطــاع العام على القطاع الخاص والافــراد ، ومراعاة ان يكون جزء من راسمال بعض شركات القطاع العام فى صورة سندات تتداول باسعار اسمية وتدر عائدا ثابتا .

وبالمرة يرى التقرير انه لا يتصـــور امكان استمرار السير على سياسة توظيف الكافة !.

اننا نؤكد فى ختام هذا المقال اننا لا نمانع فى الاستماع الى آراء اليمين ، ولكن ما يفزعنــــا هو أن يكون اليمين هو صاحب الصوت الاعلى والغالب ــ بما لا يقاس ــ فى اجهزة الاعلام . ويفزعنا ان يرتفع هذا الصوت بكل هذه القوة بعد خطاب ابريل ، وفى استقبال مجــلس الوزراء الجديد . انه تأكيد مرة اخرى على ان ادخال أى قدر من الاصلاح الاجتمـــاعى ــ رغم ضرورته الملحة ــ ليس أمرا سهلا على الاطلاق .

الثورة الفلسطينية والجبهة الرابعة

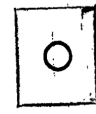
بدعوة من « فتح » حركة التحرر الفلسطيني زارت بعثة من الطليعة قطاعي الوسط والجنوب في لبنان وتمكنت البعثة — بمساعدة المقاتلين الفلسطينيين — من أن تذهب وتتجول في قواعدهم المتواجدة في أقصى الجنوب ، عند خط التماس مع العدو الاسرائيلي .

والواقع : لقد ذهبت « الطليعة » الى هناك لاكثر من سبب :

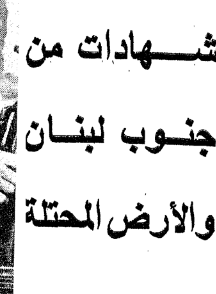
● سبب أول ، هو أن في الجنوب جبهة ملتهبة رابعة لم يكف القتال فيها عن الاستمرار والتصعيد .

● سبب ثان ، هو أن المقاومة الفلسطينية المسلحة لم تزل تتعرض لمؤامرات تستهدف تصفيتها بالسلاح ، أخطر مافيها أن بعض هذه المؤامرات لابس ثيابا عربية مزعومة . وما يوم « عين الرمانة » ببيروت ببعيد ، يوم أن فرضت الكتائب الصدام على الفدائيين . وتمخض هذا الصدام عن ٦٠٠ شخص بين قتيل وجريح من بينهم أكثر من ١٠٠ من رجال المقاومة والمواطنين الفلسطينيين .

● سبب ثالث ، هو التقليد الذى درجت عليه الطليعة وهي أن تتابع عن طريق التحقيق الصحفي في الموقع ، وتقديم الشهادات الواقعية تطور ونمو انسان الثورة الفلسطينية : ففي مارس ١٩٧٠ قدمت





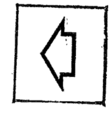


شهادات من جنوب لبنان والأرض المحتلة

« الطليعة » دراستها « انسان الثورة الفلسطينية .. الواقع الجديد » وفى مارس ١٩٧٣ قدمت دراستها تحت عنوان « حركات الكفاح المسلح بعد فيتنام » ــ وهى الدراسة التى تضمنت مقالا بعنوان « الثــورة الفلسطينية وخرافة الطريق المسدود » وقد كتبت بعد زيارة للمقاتلين فى العرقوب .

ثم تأتى هذه الدراسة فى وقتها تماما ، لنقــدم شهادات واقعية من المقاتلين ، ثم شهادات وتعليقات من أعضاء بعثة الطليعة الى الجنوب وهم :

- أبو سيف يوسف
- عبد المنعم الغزالى
- حسين شعلان
- فاروق عبد القادر



٣ مراحـــل
للكفـــاح المســـلح الفلســـطينى

فى عبارات موجزة وقاطعة ، حـدد ابو موسى من قيادات فتح المقاتلة ـ ، مسيرة الكفاح المسلح منذ أن بـدأ بشكل سرى ، حتى أنتهى الى التمركز على حدود الارض المحتلة .

مرت الثورة الفلسطينية ، فى مسيرتها التى بدأت مع عام ١٩٦٥ ، بمراحل ثلاث يمكن أن نحددها فى :

● **اولا : المرحلة السرية [٦٥ ـ ١٩٦٧]**

فى هذه المرحلة أى قبل حرب يونيو كانت الثورة محاصرة ، فقد كانت بعض الاجهـزة وبعض الانظمة تمنعها من الظهور والعمل . وكان النظام فى الاردن هو الساحة الرئيسية لعرقلتنا حيث كانت مخابراته تتعقب الثوار لخنق الحركة . ثم صدر قرار من القيادة العسكرية الموحدة بالجامعة عندما كان على على عامر رئيسها ، يقضى بضرورة منع الحركة ومطاردتها .. يوضح هذا الى أى حد كانت العراقيل . ورغم هذا خرجت بعض الدوريات ونفذت بعض العمليات الناجحة داخل الارض المحتلة . وكان اول أسير من رجالنا أسره العدو هو الاخ **محمود حجازى** . وكان أول شهيد لنا هو الشهيد أحمد موسى [قتلته السلطة الاردنية بعد عودته من عملية داخل الارض المحتلة] .

كانت هذه المرحلة شاقة وعصيبة ، حتى وقعت حرب ١٩٦٧ .

● **ثانيا : الكفاح على اكثر من جبهة**
[ما بعد ١٩٦٧ وحتى سبتمبر ١٩٧٠]

بعد حرب ١٩٦٧ ، حدث ما حدث .. وكان الاردن بالفعل ضعيفا ، ظهرت المقاومة بشكل علنى اذ لم تكن هناك قوة تمنع ظهـورها علانية . فاسرائيل لم تكن مسيطرة تماما على كل الضفة الغربية . ومن خلال هذا الواقع . تمكن كادرنا من دخول الضفة العربية ، ليعمل بالاضافة الى بعض المواقع التى كانت تعمل فى الداخل منذ البداية . وكان الاخ **ابو عمار** يعمل ضمن المواقع فى الداخل ويتحرك معها .

الا أن طبيعة الضفة الغربية وعدم وجود المرافق المؤهلة لحرب العصابات ، بالاضافة الى جودة المواصلات والامكانيات المتوفرة فى يد العدو ، هذا كله عرقل عملية نمو قواعدنا فى الداخل . ساعد على ذلك ، ان النظام الاردنى عندما خرج من الضفة الغربية لم يأخذ معه ولا ورقة واحدة من أوراق مكاتب الامن فتسلمها العدو ، وبذلك تمكن من كشف معظم الدين تعاملوا مع الثورة الفلسطينية . وبـدأت اسرائيل فى محاسبة كل وطنى فلسطينى . وفى تعقب العناصر الوطنية واعتقالها بالالاف . وقد لعب هذا ايضا دوره فى عرقلة تنمية القواعد . وبعد ستة شهور أو سبعة ، اخذ النظام

الاردني انفاسه ، وفي هذه المرحلة اصبحت الثورة تحارب على جبهتين : في الداخل والخارج . ثم جرت احداث الاردن الدامية بشكل تسلسلي حتى تفجرت في أيلول [سبتمبر] ١٩٧٠ . كان التعامل مع الثورة وكأنها عدوة ، تجربة الثورة كانت صعبة ، قتال من خلال العدو ومن خلال أهل الدار . وهذا يبين أنه ليس هناك أوجه شبه بين الثورة الفلسطينية وبين غيرها من مختلف الثورات . مع كل خطوة كانت الثورة تلقى صعابا كثيرة حتى حدثت مذبحة ايلول [سبتمبر] وكانت انحسارا للثورة . ففي خلال المذبحة ، دفعت حدتها ببعض الفدائيين الى الاختفاء في الضفة الغربية تحت احتمال مطاردة العدو .

لكن غزة كانت تتحرك أفضل من الضفة بسبب الفرق بين ادارتها من قبل وادارة الضفة .

ورغم هذا كله ، شهدت هذه المرحلة انتصارات . معركة الكرامة التي كانت مشرفة لنا وللامة العربية . ولاول مرة ، تترك اسرائيل في أرض المعركة دبابات وقتلى . وقد أدت معركة الكرامة ونتائجها ، الى نمو سريع للثورة حتى ان الشباب ترك مواقعه الدراسية وانضم الى الثورة .

ولكن واقع التآمر المستمر على الثورة ، جعلها تواجه عوائق مستمرة ، حتى أنه يمكن القول بأن الثورة الفلسطينية لم تتح لها الفرص لتأخذ دورها الطبيعي . لقد قال الجنرال جياب في هذا الصدد : « أنتم تعيشون في حقل الغام » .

● **ثالثا : ما بعد ١٩٧٠ — المنطلق دائما استمرار الكفاح المسلح**

بعد أن انحسرت الثورة من الاردن ، انكمش — نوعا ما — الاتصال بالضفة وغزة ، وبدأت عملية شاقة .

اذا أردنا أن نعبر للضفة ، فكاننا نعبر اسرائيل مرتين . ورغم ذلك استمرت الثورة . وهنا قال ابو عمار « الى جبل الشيخ » . وهو جبل تغطيه ثلوج وزوابع . ثم بدأت مضايقات في لبنان . وفرضت علينا معركة ٢ آيار [مايو] ، رغم حرصنا على الا نطلق اى طلقة في أرض عربية . وقاتلنا لا لنقيم سلطانا ، ولكن دفاعا عن النفس . وتدخلت الدول العربية حتى توقف القتال .

وفي هذه المرحلة أعدنا الاتصال بالضفة الغربية برحلات أطلق عليها اسم « رحلات الذئاب » . فقد كنا نقطع الجليل لكى نصل الى جنين ونابلس ونقطع الصحراء لنصل الى العقبة . ورغم الصعوبات واصلنا العمل الى أن حدث أخيرا بعض التطور في عملنا : مثل عمليات كيريات شمونة — معالوت — نهاريا — تل أبيب التي كانت تعنى أن تنال من الاسد في عرينه . وأهم ما في هذه العملية ، هو ان نبرهن على أن الوصول الى تل أبيب ممكن .

وتعد هذه المرحلة التي نعيشها ، أفضل من أيام مضت ، من حيث قدراتنا الذاتية التي نمت خلال استمرار القتال والنضال ، وحيث توصلنا بعون كل الشرفاء الى طرح القضية العادلة في الامم المتحدة ، ومن حيث الاعتراف باننا المثلون الشرعيون والوحيدون لشعب فلسطين . وأصبحت القضية الفلسطينية عربية . [في تشرين [أكتوبر ١٩٧٢] أتيح للعرب أن يوجهوا ضربة شديدة الى رأس العدو] .

ان الشعب العربي معطاء ، وكل الظروف المقبلة لصالحنا . الشعب العربي يملك الامتداد والعمق والبشر . الصراع مع العدو ، صراع حضاري ، صراع القومية العربية في مواجهة الايديولوجية الصهيونية . صراعنا ضد الصهيونية والاستعمار محسوم . وهذا حكم التاريخ . يمكن ان يتم وقف اطلاق النار . لكن سيتفجر الصراع مرة أخرى .

● ● ●

الثورة الفلسطينية أخذت دورها في لبنان في نهاية ١٩٦٨ . لكنها لم تلق التسهيلات الكافية ، الى ان وقع صدام في مجدل سليم . بعض القوى في القوات المسلحة طوقت القاعدة وطلبت منا تسليم السلاح .. رفضنا . أهالي القرى تدخلوا لحماية المقاتلين . هنا حصل الاتصال مع الاهالي . وبدأنا نكيف هذا الاتصال بشكل لا يؤدي الى الصدام بالسلطة اللبنانية لاننا لا نريد ذلك .

نحن لا ندعي أننا قادرون تماما على منع اسرائيل من احتلال الارض . ولكننا ندعي أننا قادرون على دوام استمرارية القتال معها .

واقع علاقاتنا بالاهالي في قرى الجنوب ، واقع حسن فيه عشرة وتعامل . ولكنه ما زال دون التنظيم الصحيح . لقد رفض الكثيرون منهم اغراءات التهجير ، بعد أن لمسوا بالتجربة صدق الثورة والمقاتلين . الواقع أنه بامكاننا ان نخلق من الجنوب خط دفاع قوي عن لبنان . لكن بعض الاوضاع تتدخل لتشكل عراقيل كثيرة .

هناك واقع حرب تشرين [اكتوبر] لابد من استثمار نتائجه . والمهم أن تبقى القضية حية .

كم يكلف انشاء منطقة فدائية ؟

بعد احداث ايلول ١٩٧٠ اتجهت الثورة الفلسطينية المسلحة الى التمركز فى قواعد اخرى حول فلسطين ، وهذه الشهادة التى يقدمها « أبو خالد » من القيادات العسكرية الشابة ، تحكى قصة الاصرار العنيد والتضحيات والالام التى لاتنتهى بسبب اضطرار الثوار الفلسطينيين الى القتال ـ رغما عنهم ـ على اكثر من جبهة غير جبهة العدو .

☐ **الاسم : ابو خالد**

ـ من مواليد فلسطين

ـ التحق كمتفرغ منذ ٥ سنوات بالضفة الغربية

العملية كانت فى عام ١٩٦٩ :

كنت عضوا فى احدى مجموعات الارض المحتلة بالقطاع الشمالى واحد افراد داورية حاولت العبور من **غور الاردن** الى منطقة **الناصرة** . حاولنا العبور اكثر من مرة . لكن وقفت فى طريقنا ثلاث عقبات اساسية : معارضة السلطة الاردنية ، والنهر عقبة ثانية ، واسرائيل عقبة ثالثة .

كان عدد افراد المجموعة سبعة . استشهد منهم ثلاثة من الشباب ، فاصبحنا اربعة . زدنا تصميما على ضرب الهدف المحدد .

تحركنا الى لبنان لندخل من هناك ، ولكن لم يكن لنا تواجد علنى فى لبنان فى ذلك الوقت . كان عدد الفدائيين قليلا جدا ويعيشون متخفين . انطلقنا من سوريا من اعلى قمة فى جبل الشيخ . اجتزنا الاراضى اللبنانية ، واجتزنا عوامل معوقة تمثلت فى معارضة بعض الوحدات المسلحة اللبنانية ، اجتزنا بعض عقبات فى جبل الشيخ .

مكثنا فى الطريق الى الهدف المحدد ١٤ يوما ، ٧ منهم فى الارض العربية و ٧ فى الارض المحتلة . وعندما وصلنا ضربنا الهدف بالناصرية ، وكان الهدف شركة فورد للسيارات .

بعد العملية ، حاولنا العودة من الناحية الاردنية . لم نستطع ، لان النهر كان عائقا . عدنا الى الشمال ، وفى اثناء تحركنا بالمنطقة استطاعت اسرائيل ان تكشف اتجاهنا الى الشرق . وعلى اثر ذلك ضربت **اربد** بالصواريخ ، وحملت المسئولية للاردن . ثم اعلنت ان الفدائيين هربوا الى الاراضى الاردنية متجهين شرقا . فاتجهنا الى الشمال بدون ان نعرف طريقنا . وظللنا نسير ستة ايام صوب الشمال . فى اثناء ذلك سقطت منا بعض المهمات التى كنا نحملها . اكتشفها الاسرائيليون . فأخذوا **يطاردوننا فى آخر يوم من فرارنا من جبل**

الجرمق . وهناك حشد العدو قـوة كبيرة . استعملنا اسلوبا جديدا فى المناورة . فكان العدو كلما قام بتمشيط منطقة نعود اليهـا مرة ثانية . وفى الوقت نفسه ، كان معنـا أحد الشباب الذين يجيدون اللغة العبرية . وكنـا نرتدى مـلابس المظليين الاسرائيليين [الصاعقة] . وعندما اصطدمنا باحـدى المجموعات الاسرائيلية طلب منهم زميلنـا بالعبرية ان يفسحوا لنا الطريق . ولارتباكهم تركونا نمر .

واصلنا السير مدة ساعة للخروج مـن المنطقة الجبلية . وتوجهنا الى احد الاودية . اكتشـفت قوات المظـلات الاسرائيلية مكاننا واغاروا علينا . وقاموا بعمل عدة أحـزمة جديدة . كان المساء قد حل. ورأينا الفرصة سانحة للافلات . فاضطـررنا ان ندخـل مستعمرة اسرائيلية . فلم يكن امامنا طريق آخر . حكى معهم زميلنا الذى يحكى عبرى ، وقال لهم ان المخربين اتجهوا الى المنطقـة الغربية ففتحوا لنا الطريق .

فى اليوم التالى ، الساعة ٦ صبـاحا ، أخذوا ينادون علينا باسمائنا ، ويقولون انهم متأكدون من اننا داورية الناصرة . قالوا : لن تفلتوا ! فكرنا ان نتجه الى الاراضى اللبنانية. ولكن الخارطة كانت قد فقدت منا . ولم نكن نعرف الطريق فاعتمدنا فى سيرنا على الاهتداء بالنجم فى المساء .

فى ذلك اليوم ، اصبت . قررنا ان نأوى الى جبل — على الطريقة الجـزائرية — ثم نجر اليه قوات العدو ونقاتلها . واتفقنا على ان نقسم انفسنا . انا وزميل لى نشتبك مع العدو لنخفف الضغط على بقيـة الداوريه . وتم هذا ونجت بقية الداورية وامكنها ان تدخل لبنان . واتضح فيما بعد اننا كنا قريبين مـن الحدود اللبنانية ، ولم نكن ندرى .

انا وزميلى قادتنا اقدامنا ، بعد الاشتباك ، الى منطقة عربية وهناك استقبلنى رب عائلة هو وزوجته واولاده واعتنوا بى . كانت مهمة هذا الرجل ان يراقب الحـدود فاخبرنى بان بعض الشباب وصل مـن الارض المحتلة . وكانوا هم بقية الداورية .

طلب منى بعض السكان ان اسلم نفسى الى السلطات فـرفضت . فاصروا . ولكن انقذ الموقف الشهيد النائب معـروف سعد الذى كان على علاقة بالثـوره الفلسطينية . فارسل الى طبيبا ، واصطحبنى الى نزله . وهناك مكثت عشرين يوما .

بعد انقضاء هذه المدة ، طلبنا ان نفتح منطقة فى القطاع الاوسط نتحرك منها فى لبنان [من العرقوب الى النبطية] . وكلفنا بذلك نحن اعضـاء الداورية التى ضربت الهـدف فى الناصرة .

بعض القوى فى لبنان كانت تقف بعنـاد ضد تواجد الفدائيين على الارض اللبنانية ، ادى هذا الى وقوع معركة تشرين ١٩٦٩ فى لبنان . كان عددنا فى ذلك الوقت ستون من الفدائيين .

بدأت المعركة كما يلى :

فى ١٩٦٩/١٠/١٥ شاهدنا ما يقرب مـن ٢٠ آلية وسيارات الاسعاف تحيط بمنطقـة الوادى . ارسلوا الينا احد المدنيين .. يطلب منا التسليم والعودة فى سياراتهم . المعجزة التى حـدثت هى ان ٣٨ من رفاقنـا كانوا مرضى بالملاريا وامراض اخرى فى المستشفى . وعندما سمعوا بما حدث تركوا اسرتهم وحملوا اسلحتهم وكأنهم اصحاء .

كانت المشكلة ان نكسب وقتا . فارسلنا احد الاخوة مع المدنى واعلمنا الوحدة المسلحة اللبنانية بان من يريد ان يتفاوض معنـا فليتفاوض مع هذا الانسان . كان هدفنا ان نطيل أمد المفاوضات حتى يحل الظلام ، ولذلك قدم الاخ الذى ارسلناه للتفاوض نفسـه باعتباره يحمل رتبة المقدم وما اعلن الطرف الاخر انه لا يستطيع ان يتفـاوض الا مـع رتبة مثل رتبته . وبهذا استطعنا ان نكسب وقتا لان المفـاوضات لم تبدأ الا السـاعة السابعة مساء .

كان قد تم الاتفـاق مع قـادة بعـض مجموعاتنا على ان ندخل بعـض القـرى اللبنانية . فدخلنا قرية مجـدل سليم فى منتصف الليل . وحتى لا نمكن احـدا من ان يعرف عددنا الحقيقى قمنا بشراء كل كميـة الدخان والخبز والمعلبات الموجودة بالقرية ، حتى ان السلطات قدرت ان عددنا حـوالى الالف فدائى . فازدادت الحشود العسكرية حول القرية . وفى نفس اليوم وفى الثالثة بعد الظهر حاولت قوة من المغاوير الدخول الى مشارف القرية فوقع اول اشتباك بيننا وبينهم ، وكان هذا يحدث لاول مرة فى لبنان.

بعد الاشتباك، اتصلوا بنا بواسطة الهاتف. وقالوا اذا لم توقفوا اطلاق النار فسـوف نتصرف فى « المقدم » كرهينة . وتكلم معنـا زميلنا « المقدم » وطلب منا وقف اطـلاق النار . فطلبنا منه الحضور هو وضـابط الاستخبارات الى البلدة ليتم التفاوض . وعند حضور الضابط اللبنانى بدأت المفاوضـات. لكننا اختلفنا معه وابلغنا زملاءه بانه محجوز لدينا ، وحذرنا من اقتراب اى قوة . وهنـا

تدخل اهالى القرية وطلبوا منا اخلاء سبيل الضابط حتى يستطيعوا الوقوف بجانبنا . فاجبناهم الى مطلبهم .

ولكن فى المساء تجددت المعركة ودخلت فيها من الجانب الآخر الاليات . واستطعنا عرقلة تقدمها بعض الشيء رغم ان اسلحتنا كانت خفيفة ، بالاضافة الى ان الاسلحة المضادة للاليات كانت قليلة .

وفي تلك الليلة كانت الاوامر التي صدرت للفدائيين قاطعة : ان من يفكر في التسليم سوف يعدم . على ان قيادتنا [قيادة الكفاح المسلح] ابلغتنا بواسطة اجهزة اللاسلكي بان نتفاوض مع القوة المسلحة اذا رأينا ان موقفنا سيىء . فاعلمناهم بأن في استطاعتنا الصمود حتى تصلنا نجدات ، رغم بعد المسافة .

في اليوم التالي وقعت عندنا عشر اصابات .

يوم ١٨/١٠/١٩٦٩ كثرت الاصابات في صفوفنا .

في ذلك اليوم ، خرج بعض الاهالي من القرية تحت تهديد بعض الوحدات المسلحة اللبنانية التي اعلنت انها ستضرب القرية وتدمرها على الفدائيين ، فعرض علينا الاهالي التدخل من قبلهم لدى تلك الوحدات المسلحة لاسعاف المصابين والحفاظ على البلدة . فارسلنا بعض الناس لمفاوضة هذه الوحدات . وكانت المفاوضات فرصة لنا لنعيد تنظيم صفوفنا ، حتى تصل بعض النجدات .

حاول بعض الجنود ان يدخلوا مع وفد الاهالي القرية متخفين في زي مدني . فشعرنا بذلك . ومنعنا دخول الناس الا بعد تفتيش .

استمرت المعركة بشراسة ، وكان ثلثا عدد الفدائيين مصابين وقتلى . واستمر القتال الى يوم ٢١/١٠/١٩٦٩ حتى انهكت عناصرنا انهاكا كاملا ، ونفدت الذخيرة من بعضهم . وتمكنت الوحدات اللبنانية من دخول البلدة . وهنا تصرف بعض الجبناء فاخذوا يطلقون النار على القتلى في الشوارع ليوهموا انهم قتلوهم مع ان بعض قتلانا كان قد استشهد من اربعة ايام . كانت النتيجة في صفوفنا كما يلي :

٢٢ شهيدا ــ ١٧ جريحا ــ ١٥ فدائيا في حالة اعياء وانهاك تامين .

في اثناء تسليمنا للوحدات اللبنانية اطلق بعض الشبان النار على احد ضباطنا عندما كان يرفع يديه ليسلم نفسه . وعندما حاول احد زملائنا مساعدة ضابطنا اطلقوا عليه النار وقتلوه ايضا .

بعد المعركة بدأ التحقيق الفوري معنا لمعرفة من هم المسئولون الذين تولوا المقاومة في صفوفنا . تعرفوا علي . بعد ان امسكوا اوراقا موقعة مني . فطلب عميد لبناني من احد جنوده ان يطلق النار علي فورا . رفض الجندي وقال له ان الثورة لن تنتهي اذا قتلنا هذا الشخص . وحدث نقاش في صفوف الوحدة المسلحة . بعد ذلك نقلنا الى السجن . بعد اتصالات ومباحثات خرجنا من السجن وانتهت العملية بخلق وقيام منطقة الجنوب الفدائية .

شهادة مقاتل من كفر شوبا

□ الاسم : علي محمد
السن : ٢٠ سنه
لبناني من ابناء كفر شوبا
التحق بالمقاومة من ١٩٦٩
رأيي

ان اشتراكنا في المقاومة يشرفنا ، لانها نضال يدافع عن الامة العربية ، وانا في المقاومة اجد نفسي واحس اني ادافع عن كرامتي .

ان عدونا مغتصب لاراضينا ، وارض العرب كلها مستهدفة ومحتلة وليست فلسطين فقط .

ورأيي ان ٩٠٪ من شباب القرى يؤيد المقاومة ، ومستعدون لدخول المقاومة ، ولكن الحكم اللبناني يطاردهم ويسجنهم ، ويمنع من المشاركة في أي نشاط للمقاومة .

وانا من اول المعارك موجود هنا ، واشتركت فيها ، وكان اول هجوم للعدو على منطقة الحادوز ــ من الساعة ١٢ الى الساعة ١ ــ ولم يتمكنوا من دخول القرية ، ودخل حوالي ١٠٠ جندي على المحور الثاني للقرية ، واخذوا ينادون بالميكرفون على السكان ليخرجوا من القرية بسرعة ، وطلبوا من الاهالي ان يسلموا المخربين .. وكان رد الاهالي رفض الخروج من القرية وانه ليس عندهم مخربين .

صبي صغير قال لهم شفت « المخربين » كانوا بيسألوا عنكم وانتوا بتسألوا عنهم .

لقد واجهناهم ، وضربناهم ولم نمكنهم من استعمال اسلحتهم ، وقاموا بصف المدنيين على الحائط ، ولكننا تمكنا من تركيز الضرب عليهم ، حتى اضطروا الى الانسحاب بعد ان اخلوا جرحاهم من المكان . وكانت المعركة معهم وجها لوجه عند اقتحام المواقع . وبعد ذلك اخذت المدفعية تركز على القرية .

واحب ان أؤكد ــ انني سأظل مع المقاومة كواحد منهم دفاعا عن كرامة الوطن والاهل .

شـــــــهادات المقـــــــاتلين في قواعــــــــدهم

أخذت هذه الشــهادات الواقعية فى مواقع الفدائيين فى أقصى الجنوب اللبنانى عندما حلت بعثة «الطليعة» ضيوفا على كتيبة نســور العرقوب وتولى كمال الشيخ التعريف بالكتيبة وأوجه نشاطها الرئيسية .

□ **كمال الشيخ**

كتيبة نسور العـرقوب

ـــ كتيبتنا اول كتائب قوات العاصفة التى دخلت جنــوب لبنان فى ١٩٦٨ . فالقى على عاتقها مواجهة حملات التصفية التى تعرضت لها سـواء على يد قـوات العـدو او على يد غيره . اسم الكتيبة جاء من المعركة التى نشبت بيننا وبين العدو فى ٢١ مايو ١٩٧٠ وقد وصف ابو عمار المقاتلين بالنسـور .

خلال فترة تجميد الجبهات العربية ، صرفنا الجهد باتجاه الداخل فى الارض المحتلة وبناء التنظيم داخل الارض المحتلة وتنظيم قـواعد عسكرية .

بالنسبة لنا نعمل على خلق المقاتل الملتزم المؤمن بمبادىء حركة فتح وتصوراتها لكيفية تحـرير فلسـطين . ويوجد فى كل قطـاع لقواتنا مفوض سياسى لصقل المقاتل سياسيا: عربيا ، وفلسـطينيا ، ودوليـا ، لخلق كادر قيادى مستقل .

مقاتلنا يمتلك كفاءة فى مواجهة العدو وفى استيعاب كل مقدرات الحرب الحديثة .

ليس واجب الامة العربيـة ان تشير الى خطر العدو الصهيونى ولكن ان تشـارك فى النضال ضده من اجل وضع التاريخ العربى المعاصر .

ان معسـكر الشبيبة عندنا لاقل من ٢٠ سنة يضم شبابا من كل البلاد العربية . لقد حققنا الوحدة العربية بين صفوفنا بالفعل . من هنا نطرح فتح قضية الوحدة من على ارض المعركة .

اشتركنا فى حرب الاستنزاف على الجولان . وقد تمثل دورنا فى : ١ ـ عملية اعاقة قوات العدو حتى لا تكون ضمن اطار دائرة القتـال الحقيقية . ٢ ـ تمرير المعلومات عن جبهـة العدو وامداد اشقائنا فى سوريا بها . ٣ ـ استقبال كافة الإخـوة السـوريين الجرحى والشهداء وتوصيلهم .



☐ في قرية كفر شوبا جلست بعثة « الطليعة » تستمع لابناء القرية عن الاحداث الاخيرة ..

وأود ان نسجل هنا ان المقاتل السوري اثبت انه مقاتل من الدرجة الاولى . جبل الشيخ كان عليه الثلج ولكن المقاتل السوري قهره .

وبالمناسبة لقد اصبح الثلج جزءا من حياتنا واصبحنا نقاتل على الثلج ودربنا على ذلك جيدا .

الجماهير اللبنانية طيبة بسيطة معطاءة متعطشة للتحرر ومنهم متطوعون معنا . ودائما الخط الوطني هو الاقوى .

☐ احمد ابو شلبك

— ٢٥ سنة

— من مواليد نابلس بفلسطين .

— كنت طالبا فى المدرسة . تركتها والتحقت بالثورة فى اوائل عام ١٩٦٨ .

— اشتركت فى عدة عمليات . اول عملية اشتركت فيها كانت على ارض فلسطين . فى شويعر . كنت واحدا من الرماة فى الدفاع الخفيف . اشتبكت مع ٣ رشاشات اسرائيلية اطلقت ذخيرتها فى الجو . حققنا اهدافنا وانسحبنا فى سلام .

شاركت فى حرب تشرين [اكتوبر] تحركنا الى القطاع الاوسط على منطقة الجليل الاعلى . تقدمنا بشكل ٣ مجموعات لاقتحام المنطقة من اجل نفتح الطريق لاحدى المجموعات الرئيسية . وصلنا المكان المحدد لنا وضربنا الهدف واصبت فى مكان حساس بجسمى . ولكن المهم اننا حققنا الاهداف المحددة لنا . واستشهد منا زميلان من قوات الصاعقة .

— فى اى حرب لا فرق بين اى مقاتل من اى جهة . ولكن رفقة السلاح ووحدته هى كل شيء . ليس مهما ان فلانا من الصاعقة وفلانا من كذا .. الخ . المهم ان هدفنا واحد وشعبنا واحد .

— احب ان اناشد الامة العربية كلها الوقوف الى جانب القضية وان يلفظوا كل ما يفيد العدو الاسرائيلي .

☐ هوارى بومدين

— ٢٧ سنة .

— جزائرى .

— اخترت هذا الاسم لان صاحبه ناضل فى الكفاح الجزائرى وتمكن من ارجاع العروبة الى الجزائر . وكان ولا يزال ، ينادى بكفاح العالم الثالث وبالقضية الفلسطينية .

— كنت ادرس فى فرنسا بكلية فنسان . فالحياة تطلب من كل شاب ان يتعلم . فالمستقبل للعلم . كنت ادرس بهذه المدرسة المختصة بالعقول الالكترونية . لدى دبلوم . عملت فى ليبيا . قبل دخولى ليبيا اتصلت عام ١٩٧١ بمنظمة التحرير فى تونس لكى اتطوع . ومنعتنى السلطات من ذلك . وعملت فى ليبيا ثم جئت الى المنظمة منذ اسبوع فقط .

بالنسبة للحياة هنا ، فان من يريد ان يؤدى واجبه لا تهمه الحياة فى الجبل . لابد من العمل لتحرير الارض العربية . الثورة ليست قتالا فقط . بل ايضا اعلام وثقافة . لابد من شرح قضية فلسطين . وفى اوروبا ليس هناك اعلام كاف عن القضية . وواجبا كل شباب مقيم بأوروبا ان يلتحق بالثورة الفلسطينية ليعرف معناها ويستطيع مناقشة الاوروبيين .

كلمتى لكل الشباب العربى : اولا — الشباب العربى المقيم باوروبا . كثير منهم ابتعدت افكارهم عن القضية الفلسطينية . وبالنسبة للشباب العربى فى الوطن اقول ان هذه هى القضية الوحيدة التى يمكن ان توحد العالم العربى . ولا اعتبر نفسى — كمواطن عربى — متحررا وفلسطين محتلة .

□ **جيفـــارا**

— ٢٧ سنة .

— عراقى .

— اخترت الاسم لانه احد مناضلى الثورات التى سبقتنا .

— التحقت بالثورة فى مارس ١٩٦٩ . كنت فى الاردن وجــرحت فى ايلول [سبتمبر] ١٩٧٠ . ثم رحلت الى الجولان ثم الى الجنوب فى لبنان .

— الثورة الفلسطينية تمر بمرحلة حاسمة . لايمكن ان تمر مؤامرة دون مواجهة من الثورة . اى تخاذل او استسلام تضيع معه حقـوق الشعب . وثورتنا واقفة بكل يقظة ولاتساوم . ثورتنا تمر بمرحلة الخطر كل سنة ولكنهـا تتعداها وتقدر على تجاوزها . ان عددا كبيرا من الشباب العراقى مستعد للالتحاق بالثورة . من ناحية عائلتى لم أجــد صعوبة ، فقد كنت مجندا فى القوات المسلحة العراقية فى الاردن . وقد تركتها والتحقت بالثورة .

— أود ان اقــول للشباب العــربى ان القضية عربية وواجب كل شــاب عربى ان يشارك فى الثورة ولو بجزء بسيط فيها .

□ **جمال محمد احمد**

— ١٩ سنة .

— مصرى من الصعيد .

— التحقت بالثورة منذ اسبوع فقــد جئت أؤدى واجبا وطنيا يجب على كل شاب عربى ان يؤديه . حصلت على دبلوم صنــايع . ثم عملت تاجرا مــع والدى . منــذ ان كنت فى المدرسة الاعدادية وتفكيرى يتجه الى ضرورة الالتحاق بالثورة الفلسطينية . فقد كنت أطالع فى الجرائد عن عمليات الفــدائيين . ولانى الولد الوحيد بين اخواتى فقد وجدت صعوبة من عائلتى . لكننى استطعت التغلب على هذه الصعوبة . لقد كان ابى مكافحا ضد الانجليز فى مصر ولهذا فقد رحب بالتحاقى بالثورة .

الحياة ضمن صفوف المقاتلين حلوة وتساعد الانسان على الكفاح . والاخوة يجيبون على كل اسئلتنا .

كلمتى الى زملائى فى مصر والوطن العربى ومن فى سنى ان الثورة الفلسطينية ثورة عربية موحدة وعلى كل شاب عربى المشاركة فيها .

□ **محمد ابو خالد**

— ١٩ سنة .

— من مواليد الاردن .

— كنت طالبا بالسنة الثانية الاعدادى فتركت المدرسة والتحقت بالثورة عام ١٩٦٩ .

— عرفنا من الكتب ووعينا انفسنا . لقــد استولت اسرائيل على ارضنا بالقوة وشردنا .

— كنا نسمع اخبار الفدائيين واشــتباكهم مع العدو الاسرائيلى . اصبح لنا هــدف ان نحارب العدو ونستعيد الارض . وكان اهلى غير موافقين على التحاقى بصفوف الفدائيين ولكننى صممت .

دربت على جميع انواع السلاح . ولكن هذا غير كاف لان اسرائيل تواصل تسليحها باحدث الاسلحة . ولازم نتدرب جيدا على كل الاسلحة . وان شاء الله سننتصر .

الصعــوبات نجــدها مــن اسرائيل ومن غيرها الذين يحاولون التضييق علينا كثيرا . لكننا لا نسكت ولن نسكت .

الاهالى اللبنانية معنا رغم كل الضغوط . وحل الضغوط يكون بالسياسة ، فان لم تحل تكون بالقوة . وهناك أمل ان تحل بالسياسة . اننا نتمنى ان نرجع فلسطين وترابها . ونعيش فيها حياة جديدة احسن من الحيـاة التى يعيشها شعبنا الان . سوف نطــرد العملاء . ونعيــش مع بعــض فلســطينية مسلمين ومسيحيين ويهودا ونكون يدا واحدة .

□ **سعيد ملكاش**

— ٢٤ سنة .

— من مواليد سوريا .

— التحقت بالكفاح المسلح فى يناير ١٩٦٨ . كنت طالبا باولى اعدادى . تركت المدرســة من أجل القضية . لم اضع فى اعتبارى ان يوافق اهلى او لا يوافقوا .

— اشتركت فى عدة عمليات . العمليــة التى اثرت فى نفسى كثيرا ، آخر عملية . لانه عندما نزلنا من اكثر من شهر ، كانت الدنيــا شتاء وبرد . نزلنا **المطلة** . ضعنا فى الطريق لمدة ٤٨ ساعة فى الجبال . ضاع منا زميل .

عندما وصلنا الى الهدف وضربنا الدبابة ،اثناء الانسحاب طلعت فوقنا ٤ طائرات هليوكبتر وانطلقت مدفعية العدو . ظللنا لمدة ٣ ايام فى الطريق الى ان رجعنا . وكانت مفاجأة لنا ان وجدنا زميلنا الذى ضاع ، اثناء عودتنا .

اننا ننادى الشباب العربى والعالمى بان يقف الى جانبنا ويساندنا دائما حتى النصر .

□ **ممدوح**

— ٢٢ سنة .

— سورى من دير الزور .

— التحقت بالثورة منذ ٣ سنوات قضيتها فى الجنوب بلبنان حيث العمل الثورى الحقيقى . لم اجد اى معارضة من اهلى لان عددنا كثير فى البيت .

اعتقد ان احسن وضع للثورة الفلسطينية الان لانها تلعب دورا ملموسا وبارزا .

من الصعوبات التى تواجه المقاتل فى البداية الاهل — الاصدقاء — السينما .. الخ . لكن شيئا فشيئا يتغلب الفرد على مثل هذه الصعوبات .

الثورة الفلسطينية فى نظرى هى تحرر العالم العربى كله .

□ **اسماعيل عمار**

— ١٨ سنة .

— من مواليد سوريا . اصلا من صفد بفلسطين .

— التحقت بالثورة فى عام ١٩٦٩ من اجل ارضنا وعرضنا . الانسان لما يسمع ان اخته فى فلسطين داستها دبابة ، ولما يسمع عن الذى يفعله العدو فى الضفة ،وفى غزة لازم دمه يفور .

— اشتركت فى عدة عمليات . فى آخر عملية من شهرين نواحى **مرجعيون** . كنا ٤ افراد رماة ب ٧ . ضربنا دبابة واشتبكنا لمدة ساعتين . بعد انتهاء الذخيرة انسحبنا . فى كل عملية مواقف صعبة . اصيب زميل لنا . حملناه وكان مصابا فى رجله حتى نرجع للقاعدة . اقرب قاعدة كانت تبعد مسافة ٦ كيلومترات .

— اكبر تطور لقضيتنا عام ١٩٧٤ فى الامم المتحدة . لانه فى عام ١٩٧٠ لم يكن لنا صوت . والان اصبحت ١٠٥ دولة تؤيد حقوق الشعب الفلسطينى .

— اشتركت فى حرب تشرين [اكتوبر] رامى دوشكا . واهمية حرب تشرين ان العرب اتحدت وفى نفس الوقت حققنا انتصارات .

□ **ابراهيم عبد العال**

— ٢٠ سنة .

— من مواليد الضفة الغربية .

— تركت دراستى والتحقت بصفوف الثورة فى الاردن منذ عام ١٩٦٨ .

— خرجت فى ٥ دوريات قتالية .

— آخر عملية اشتركت فيها فى شهر يناير الماضى . كنا ٧ افراد . وكان يساندنا مدفع موجه على مستعمرة كفر برعم [فى الجليل] . كان ٤ افراد منا للاقتحام و٣ افراد على الهاون . هاجمنا دبابة للعدو ومدفعا . دمرنا الدبابة والمدفع خلال اشتباك دام ٤ ساعات .

الدرس الذى استفدته هو ان العدو مرتزق لا يحارب عن قناعة وانما عن اغراء مادى تورطه الصهيونية به . غير شجاع ، الشجاعة هى صفة الانسان الذى يدافع عن حقه . والجبن من صفات المغتصب لحق غيره .

نقضى وقتا مستمرا فى التدريب . ويحضر مفوض سياسى نناقشه ويناقشنا فى المشاكل السياسية . وتصلنا الصحف والمجلات والكتب .

المقاتل الفلسطينى اليوم يختلف — الى حد كبير — عن ٦٩ و ٧٠ . لقد حققنا نتائج فى ١٩٧٤ فى الامم المتحدة بعد ان كنا نرجو من الاخرين شرح قضيتنا . استطعنا بالبندقية ان نشرح وكسبنا . بالتأكيد لن ينجح كيسنجر لان اسرائيل من المستحيل ان تنسحب . اسرائيل ضرورى لابد ان تتوسع . واذا تراجعت يكون هدفها تسوية نفسها . يجب الا ننسى شعار اسرائيل « من النيل الى الفرات » .

وفى قاعدة أخرى من قواعد الجنوب استمعت بعثة الطليعة الى بعض شهادات للمقاتلين الذين تقل أعمارهم عن ٢٠ سنة .

□ **يوسف السعدون**

— ١٥ سنة .

— لبنانى من طرابلس فى الشمال .

— التحقت بالثورة فى ١٩٧٣ . المفروض على كل مواطن عربى ان يلتحق بالثورة لان فلسطين ارضنا جميعا . ولابد من ان نحررها من العدو . كل شاب لبنانى يتصرف على حاله . كل شاب نضالى لا احد يمنعه من الالتحاق بالثورة . رايى ان الغالبية من شباب لبنان يؤيد الثورة . اهلى كانوا موافقين على انضمامى . لى اخوات بنات . والدى وجدى واخى من الفدائيين .

— احب اقول للشباب العربى انه واجب عليه ان يلتحق بصفوف الثورة على الجبهة .

□ **ابو خليل**

ـ ١٦ سنة .

ـ فلسطيني .

ـ التحقت بالثورة في ١٩٦٩ . قبلها كنت أعيش في احد المخيمات وادرس .

ـ كنا أشبال فلسطينية في فتح .والثورة تعتمد على الجيل الصاعد . تدربنا بالسهل وفي كل الظروف بحيث اصبح باستطاعتنا ان نقاتل بأى موقـع . لى أخين احـدهم مـن الفدائيين .

ـ في السادسة صبـاحا نقوم لنغتسـل ونرتب الفرش وننظفه ثم نفطر بعـدها فترة تدريب صباحية ثم نستنفر احتيـاط وننتشر ونلعب درس رياضة . ندرس ثقافةوسياسة نشرات ـ مجلات ـ وصحف .

ـ فلسطين جزء من الوطن العربي .وعلى كل عربي ان يشارك في الثورة .

□ **عاصف**

ـ ١٨ سنة .

ـ من الشمال من المفرق

ـ حضرت ايلول [سبتمبر] ١٩٧٠بالاردن. كان خيانة . حصلت مؤامرة لاخراجنـا من ساحة النضال العربي . ظنوا ان اخراجنـا من الاردن يعني ضرب الثورة جذريا .

اثنـاء مؤامرة ايلول [سـبتمبر] كنت في الكفاح المسلح في احد القطاعات الموجـودة بالاردن . اصبح لى ٦ سـنوات في الكفـاح المسلح . تدريبي العسكرى يتقدم ويتحسن. نطالع صحف وكتـب ودراسـات من مـركز الابحـاث الفلسطينيـة . نحن الذين نعيش الاخبار ونصنعها .

أحب أقول للشباب العربي ان كل من يجد في نفسه طاقات ثورية ليس هناك غير عمل واحد .

□ **صلاح الدين**

ـ ١٨ سنة .

ـ سوري .

ـ التحقت بالثورة منذ شهر ونصف .كنت اريد ان اتطوع في القوات الخاصة السورية. كان لى زميل تطوع في العاصفـة وتطوعت معه . آمنت بالقضية . كنت طالبا بمدرسـة اعدادية . اقتنعت اكثر بالقضية . كلنا اخوان عرب . لابد من مساندة قضية فلسطين لانه واجب ودفاع عن الوطن والعرض .

□ **قاهر**

ـ ١٨ سنة .

ـ لبنـاني .

ـ التحقت بالثورة منذ ١٩٧٢ .

ـ الثورة الفلسطينية عربية شاملة . ومن واجبنا كشباب عربي ان نلتحق بها لتحـرير الارض العربية . نتمنى لكل شاب عـربي ان يعي مسئوليته تجاه الثورة ويعمل معهـا على اى نضال كان .

● الثقـة بالنصر .. رغم التعـذيب

شـهادة من الأرض المحتـلة

[هذه شهادة مناضـل فلسـطيني اعتقل وعذب في سجون اسرائيل]

الاسم : سليمان رشيد النجاب .

العمر : ٤١ سنة .

السكن : من اهالى الضفة الغربية .

في يوم ٢٨/٣/١٩٧٥ اخذني الاسرائيليون مع مجموعة من الرفاق : محمود شقير وعبد الله السرياني صوب الحدود اللبنانية بهـدف طـردنا من الارض المحتلة ، والملاحـظ ان الاسرائيليين يطبقون نظام النفي او الابعاد على ثلاث فئات من المناضلين الفلسطينيين :

الاولى : هي في ـ نظـر العـدو ـ فئة الخطرين سياسيا .

الثانية : تشمل من له علاقة بنشاط مسلح لا يستطيع الاسرائيليون اثباته .

الثالثة : فئة المسجونين الذين يقضون مدة الحكم ، ثم يطردون بعدها الى الخارج .

وحتى تتضح الظروف التى تم فيها ابعادنا لابد من الاشارة الى انه بعد **حرب اكتوبر** حدث نهوض كبير وجسور فى الحركة الجماهيرية قابله العدو بحملة واسعة ، اعتقل فيها الكثيرين . ولكنه ركز اعتقالاته — فى المحل الاول — على اعضاء **الجبهة الوطنية الفلسطينية** التى تمثل الان الاطار العام لكل القوى الوطنية داخل الارض المحتلة . وهذه الجبهة هى — بحق — ذراع **منظمة التحرير الفلسطينية** فى الارض المحتلة ، وتنشط فى صفوفها كل القوى الوطنية والتقدمية من قوميين وبعثيين وشيوعيين من أعضاء الحزب الشيوعى الاردنى بالاضافة الى المستقلين وغير الحزبيين .

وواضح أن الهدف من عملية ابعاد المناضلين الفلسطينيين هو :

١ — تفريغ الارض المحتلة من الكوادر القيادية المناضلة ضد الاحتلال .

٢ — افساح المجال للعملاء والمستسلمين ودعاة الهزيمة .

٣ — وضع الضفة الغربية تحت وصاية دولية لمدة خمس سنوات . وهنا تظهر اسماء بعض المتعاونين والمتواطئين مع العدو من أمثال الجعبرى والياس فريج .. الخ .

لكن العدو عجز — حتى الان — عن تحقيق هذه الاهداف الثلاثة . فعندما عرضت قضيتنا على الامم المتحدة جرت فى الارض المحتلة انتفاضة جماهيرية كبرى ، برهنت على أن القوى الوطنية تعزز مواقعها ، وتصعد أساليب مقاومتها جماهيريا وسياسيا ، وهذه الانتفاضة التى حدثت بعد سنة من حرب اكتوبر وعند نظر قضية فلسطين امام الامم المتحدة كان من أهدافها التصدى للارهاب الصهيونى ، ومساندة المسجونين الذين يتعرضون لتعذيب بشع فى سجون اسرائيل .

تسألنى عن أساليب التعذيب المتبعة ضدنا وهذه هى قصة اعتقالى :

لقد كنت مطاردا منذ ثلاث سنوات فى الارض المحتلة لانتسابى الى الحزب الشيوعى الاردنى ثم قبض على فى الشارع . وقالوا لى :

— اما أن تعطينا ما عندك من معلومات ، أو نصفيك ولا أحد يعرف انك هنا .

قلت : ان معلوماتى كلها هى شهادة ميلادى فى أول الامر منعونى من النوم ٤٨ ساعة ، وربطونى على باب فى السجن . وأجبرونى على خلع ملابسى كلها . واخذ واحد منهم يضربنى على أعضائى التناسلية لمدة اربع ساعات . ثم هددونى بالاعتداء على زوجتى وأسمعونى صوتها .

— ماذا فعلت ؟

كنت مقتنعا تمام الاقتناع بأن شرف زوجتى الحقيقى هو فى صمودى ، أما استسلامى فمعناه تقديم زوجات رفاق آخرين الى العدو .

بعد أسبوع ، نقلونى الى مركز تحقيق آخر وتولى التحقيق معى ضباط اسرائيليون يطلقون على أنفسهم أسماء عربية لاخفاء شخصياتهم . واذكر من هذه الاسماء : **الميجور منصور — وأبوهانى — وأبو على — وجوفى — وابوالعبد .**

بعد ذلك نقلونى مع اشخاص آخرين اذكر منهم خليل حجازى الى سجن **المسكوبية** [**بالقدس**] وظلوا يضربوننا حتى اغمى علينا ، فنقلونا الى زنزانة كلها مياه .

ثم نقلت الى سجن **سرفند** العسكرى ، وأخذوا منا ملابسنا المدنية والبسونا ملابس رجال المظلات الاسرائيليين حتى لا تتلوث ملابسنا بالدم .

وهناك فى احدى زنزانات هذا السجن ، قرات على جدرانها اسم : **العريف أحمد بهجت** ٧٣/١/٢١ . هذا الاسم أشعرنى اننى لست وحدى ، وأنى لست معزولا عن الشعب المصرى .

التعذيب فى هذا السجن يأخذ شكل الضرب ، وتعرية اجسامنا ، وجرجرتنا على الارض على الركب أو على الظهر والتهديد بالكلاب . ثم بعد ذلك كانوا يدخلوننا فى قبو أشبه بالزنزانة مساحته ٦٠ فى ٦٠ فى ١٦٠ سنتيمترا ، وأرض هذه الزنزانة مزروعة بأحجار مدببة حادة . كنت أجبر على الوقوف على هذه الاحجار مدة ساعتين . ورأسى مغطى بكيس اسود حتى لا أرى شيئا ثم أعلق مدة ساعتين بحيث تلمس أطراف قدمى الارض لمسا خفيفا . وتستمر هذه العملية مدة ٤٨ ساعة وتتكرر ثلاث مرات فى الاسبوع .

وفى يوم من الايام جاءوا ليقولوا لى :

— الان جاء دور الطب والعلم . ورشوا جسمى بمادة حارقة مرتين على صدرى وأعضائى التناسلية فشعرت بالتهابات وحدثت فى جسمى تسلخات .

وبعد شهرين من هذا البرنامج ، نقلنا الى مركز تحقيق آخر **بحيفا** . هناك وضعت فى زنزانة منفردة واستمر الضرب وهو يبدأ بالتركيز على الرأس .

وهناك سمح لي لأول مرة ان أرى محاميتي **فيليسيا لانجر**، وقد رأت آثار التعذيب على جسمي .

بالاضافة الى الضرب هم يحضرون خبراء، وعلماء نفس لالقاء محاضرات على المسجونين تلقى باللغة العربية [غسيل مخ] . وكانوا يحاضرون عن اللاوطنية واللااخلاقية .. مثال ذلك :

كانوا يقولون لي انت عمرك ٤٠ سنة .. وعمرك الماضي قضيته في ظروف قاسية .. ولم يبق لك عملياً غير ٢٠ سنة . اطلع واستمتع بالحياة مع زوجتك واطفالك . ما فائدة الوطنية .. هذا كلام فارغ . يجب ان يكون شعارك : اللهم اسألك نفسي .

ثم يشككون في جدوى النضال، ويصورون اسرائيل في صورة القوة التي لا تقهر ولا فائدة من مقاومتها . كانوا يقولون لي :

— انت تضحي والاخرون يبنون زعامات !

بعد شهر نقلت الى سجن **الرملة** في زنزانة منفردة . هناك توقف التعذيب . وبقيت هناك ٧ شهور جرى بعدها طردي خارج الحدود .

وذهبت الى جنيف وتقدمت الى اللجنة الدولية لادلي بشهادتي عما حدث

هذا واذكر من الذين عذبوا معي :

عبد الله السرياني — جمال فريتخ — عطا الله العشماوي — وخلدون عبد الحق خليل حجازي — وحسني حداد — وعبد المجيد حمدان [وقد استغلوا اصابة ابنته بالعمى] — وعبد الله البباع — وخضر العالم — وثلاثة اخوة هم اولاد الملاعبي — وساجي خليل — ومهدي بسيسو، وهناك لطفية الحواري التي عذبت تعذيبا وحشيا .

— كم — في تقديرك عدد المعتقلين ؟

— هناك السجناء الفلسطينيون يبلغ عددهم ٤ آلاف منهم ثلاثة آلاف صدرت ضدهم أحكام، وفي هذه المحنة القاسية لابد ان نشكر القوى الديموقراطية في اسرائيل وفي مقدمتها **حزب راكاح** على الدور الذي يقومون به في تعبئة المجهود لكشف السلطة العسكرية وسياستها، ونشكر بوجه خاص المحامية **فيليسيا لانجر** .

— في رأيك الى أي مدى يؤثر التعذيب على معنويات المناضلين :

هناك مفاهيم تروج في العالم العربي .. عن عمد .. تقول ان قدرة الانسان محدودة امام وسائل التعذيب الحديثة ونحن نرد ونقول : ان قدرة الانسان — المناضل — على الاحتمال لا حدود لها . . والسبب هو ان الذي يحدد صمود المناضل هو عمق ايمانه بحتمية انتصاره .. ولذلك فان الاختيار الذي يطرح عليه هو : اما أن تعترف، واما أن تموت . ولقد تربينا على ان مواجهة التعذيب وتحمله هو مواصلة للمعركة من موقع جديد . وان المحافظة على اسرار الحركة تعد هزيمة للعدو . وليس غريبا ان كثيرين من المناضلين لا يزالون صامدين بشرف ويدافعون عن مبادئهم . وفوق ذلك نعرف ان المواقف الصامدة لها تأثير اخلاقي حاسم على الناس .

— والآن كيف تقيم — في كلمات — الوضع في الارض المحتلة ؟

اذا القينا نظرة على ما يجري في الجانب الاخر .. جبهة العدو، نرى انه حاول — طوال خمس سنوات — دمج الضفة الغربية بالكيان الاسرائيلي في مختلف المجالات السياسية والاقتصادية . والان تعتبر الضفة الغربية سوقا يمارس فيها العدو استعمارا تقليديا .

في نفس الوقت فان بقاء الجسور مفتوحة بين الضفتين ساعد البورجوازية الوطنية الفلسطينية على ترويج البضاعة في الدول العربية . واسرائيل تشجعهم على التصدير وتدفع لهم مكافأة تشجيعية والخطر هنا هو انه يمكن ان تساعد البضاعة العربية على تسريب بضاعة اسرائيلية، وهذا الامر خفف من حدة التناقض بينها وبين الاحتلال . بالطبع البورجوازية الوطنية لها دور في مقاومة الاحتلال . ولكن ليس لها دور قيادي .

ومن خطط المحتلين انشاء وتشجيع الصناعات المشتركة [راسمال اسرائيلي عربي مشترك] وخطتهم بالنسبة للفلاحين هو أن الزراعة يجب أن تخدم الصناعة الاسرائيلية . وقد تمكنوا من احلال محصولات محل محصولات اخرى يتولون — هم — تصديرها او تصنيعها . فمثلا يشترون طن البابونج من الفلاح الفلسطيني بدولارين ويبيعونه لايطاليا بمائتي دولار .

ثم لا ننسى ان في مقدمة مخططاتهم الهجوم على الثقافة الوطنية وتغيير المناهج المدرسية بما يخدم اهداف الاحتلال الاسرائيلي .

ولكن على الرغم من ذلك كله اذا قيمنا الوضع في جبهة الشعب الفلسطيني فانه يمكن القول بأن الرؤية في الضفة الغربية فيها وضوح اكثر وصفاء . لان هناك مواجهة مباشرة مع الاحتلال والخط الفاصل واضح :

اما مع الاحتلال او ضده . ولا مجال لأى شيء آخر .

بالاضافة الى ان الاحتلال نفسه يطرح يوميا مهمات نضالية على الناس بسبب المصادرات والاعتقالات .. الخ .

ومعنويات الناس ممتازة وثقتهم بالمستقبل ممتازة . ..

ومن الناحية السياسية الوضع ممتاز داخل حركة الجماهير .

وهناك التأييد والالتفاف حول منظمة التحرير الفلسطينية . وبالاساس ، هناك تأييد لشعار انشاء دولة ديموقراطية .

الانفصال عن الاردن محسوم بين الناس ، وهم يعتبرون ان الدولة الفلسطينية هدف واقعى ..

○ عمر أحمد عوض الله ..

شهيد الوطن والشعب

فى سجن عسقلان الدموى ، وفى الحادى والعشرين من يناير « كانون الثانى » سنة ١٩٧٥ ، توقف عن الخفقان قلب المناضل عمر احمد عوض الله عضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الفلسطينى فى قطاع غزة ، حيث كان يقضى منذ نهاية عام ١٩٧٠ ، حكما بالسجن مدى الحياة ، بصفته قائد الجناح المسلح للحزب الشيوعى ، والجبهة الوطنية المتحدة .

لقد كان عمر أحمد عوض الله من المناضلين القلائل ، ومثلا ناصعا يحتذى به ، فقد سار بثبات على نفس الدرب الذى سبقه عليه رفاقه من شهداء الحزب البواسل : حسين بلال ، ويوسف اديب طه ، وعبد الوهاب الفار ، مكرسين بدمائهم خط الحزب وتراثه النضالى فى الدفاع حتى الموت عن مصالح الجماهير الكادحة ، وفى سبيل انتزاع حقوق شعبنا المغتصبة ، وتقرير مصيره بنفسه على تراب وطنه الحر ، بكل أشكال النضال وبضمنها الكفاح المسلح .

ولد الشهيد عمر أحمد عوض الله فى قرية « المسمية » ، من عائلة فلاحية عام ١٩٣٤ ، وترعرع فى ظروف شهد فيها الشعب الفلسطينى ، أخطر مؤامرة استعمارية صهيونية رجعية ، تستهدف اقتلاعه من أرضه وانهاء وجوده . وبالرغم من أن عمر كان قد أنهى الصف السابع الابتدائى ، فان ظروف حياة أسرته ، قد انتزعته من مقاعد الدراسة سعيا وراء الرزق ، فاشتغل عاملا للنسيج فى شركة « المنار » فى عامى ١٩٤٩ ، ١٩٥٠ ، ولم يتمكن من العودة لمتابعة الدراسة الا فى عام ١٩٥١ ، حيث التحق بمدرسة البريج الثانوية ، وفى هذه الفترة التحق عمر فى صفوف عصبة التحرر الوطنى ، التى كان قد أسسها الشيوعيون العرب الفلسطينيون منذ عام ١٩٤٣ ، والتى واصلت نضالها فى قطاع غزة ، ثم تحولت فى [آب] ١٩٥٣ الى الحزب الشيوعى الفلسطينى فى قطاع غزة .

وفى شهر آب « أغسطس » عام ١٩٥٢ ، دخل عمر أحمد عوض الله ، السجن للمرة الاولى فى حياته ، وقدم للمحاكمة وحكم عليه بالسجن لمدة ثلاثة اشهر ، واكتسب عمر أثناء وجوده فى السجن خبرات جديدة ، وخرج اكثر وعيا وصلابة ، فشارك بدور قيادى فى المظاهرات العارمة التى شهدتها المنطقة الوسطى فى قطاع غزة سنة ١٩٥٣ ، احتجاجا على الاعتداءات الصهيونية المتكررة ، ومن اجل اطلاق الحريات العامة للجماهير . وأصبح مسئولا عن تنظيم الشبيبة الشيوعية فى القطاع .

وقد شارك الشهيد بدور قيادى وبارز فى الانتفاضة الشعبية التى تأججت فى القطاع ، احتجاجا على مشروع توطين لاجئى قطاع غزة فى شبه جزيرة سيناء ، وذلك فى مارس « آذار » عام ١٩٥٥ حيث استطاعت جماهير القطاع احباط هذا المشروع

التصفوى . وعلى أثر ذلك اعتقل عمر مع العشرات من رفاقه فـي العـاشر مـن آذار « مارس » سنة ١٩٥٥ ، وظل عمر معتقلا حتى الثانى من شهر تموز « يوليو » سنة ١٩٥٧ حين أفرج عنه .

وفى الثانى عشر من شهر آب « أغسطس » سنة ١٩٥٨ ، دخل عمر مع عدد كبير من رفاقه السجن مرة أخرى . وفى الثانى والعشرين من آيار « مايو » أفرج عن عمر مع فوج من رفاقه .

وبعد عدوان الخامس من حزيران ، استطاعت القوى الوطنية ، ان تشكل الجبهة الوطنية المتحدة فى قطاع غزة ، التى قامت بإعادة تنظيم الجماهير الواسعة وتعبئتها وراء أهداف النضال التى تضمنها برنامج الجبهة ، واخذت فى تصعيد النضال تدريجيا ، عن طريق النشرات الواسعة ونشرة « المقـاومة » التـى كانت تصـدرها أسبوعيا ، وعن طريق تنظيم المظـاهرات والاعتصامات وحركات العصيان ، الى ان وصلت الى اقرار حمل السلاح فى شهر كانون الاول « ديسمبر » سنة ١٩٦٧ .

وفى مطلع عام ١٩٦٨ أصبح الشهيد عمر أحمد عوض الله عضوا فى اللجنة المركزية للحزب ، وأسندت اليه قيادة التنظيم العسكرى للحزب والجبهة الوطنية المتحدة .

وفى أواخر شهر آذار « مارس » ١٩٦٩ ، وبعد أن كان التنظيم العسكرى بقيادة الشهيد عمر قد نفذ أكثر من ٥٠٠ عملية ضد قوات الاحتلال ، بدأت سلطات الاحتلال تطـارده وتتعقب خطواته ، وظل يعمل طيلة سنتان فى الخفاء ، ويقوم بواجباته الوطنية ومسئولياته الحزبية والعسكرية .

وذات يوم من شهر كانون الاول « ديسمبر » ١٩٧٠ ، استيقظت جماهير مخيـم الشـاطىء والاحياء المجاورة على هدير المـصفحات الاسرائيلية وهى تحاصر منزلا متـواضعا ، وتقصفه بالقنابل ، وشاهدت الحجارة تتطاير اثر انفجار القنابل وهى تدمر مدخل الملجأ الذى كان يربض فيه الشهيد عمر ، ويخرج عمر من بين الانقاض وتراب الوطن يعفر هامته ووجهه ويهرع موسى ديان شخصيا ليشاهد بأم عينه الحصن الذى كان قد احتضن الشهيد عدة شهور .

وفى اقبية الموت الاسرائيلية ، يصمد عمر عوض الله لاهوال التعذيب ، ويحال للمحاكمة ، ويقدم المدعى العام الاسرائيلى وثائقه أمـام المحكمة العسكرية ، ست بنادق ومطبعـة ، واعداد كبيرة من منشورات الحزب والجبهة .

وفى تشرين أول « اكتوبر » وقف عمر أمام المحكمة يدفع بعدم صلاحيتها بالحكم علـى الوطنيين الفلسطينيين ، ويشجب العـدوان الصهيونى ، ويدين الارهاب البـربرى الذى تمارسه سلطات الاحتلال ، ويؤكد بأن النصر سيكون حليف الشعب العربى الفلسطينى فى نضاله من أجل العودة وحق تقرير المصير ، وان لشعبنا الحق فى استخدام كافة الوسائل النضالية لتحقيق اهدافه المشروعة وليدافع عن النظام الوطنى التقدمى فى مصر ، مؤكدا ان الشيوعيين الذين يضعون مصالح الوطن فوق الاعتبارات الذاتية ، يرون فى ذلك النظام حليفا وسندا لنضال شعبنا العربى الفلسطينى .

وقد قضت عليه المحكمة العسكرية بالسجن مدى الحياة ، ونقل الى سجن عسـقلان الرهيب ، ليلتقى هناك بعشرات من رفـاق السلاح ، وليبدأ معهم من جديد رحلة العذاب والجوع والاضطهاد ، ولينظم عدة اضرابات عن الطعام ، من اجل تحسين ظروفهم المعيشية ، ومعاملتهم معاملة انسانية ، وليناضل مع زملائه لاقتناء مكتبة يتزود منها المعتقلون بما ينير عقولهم ويملأ أوقات فراغهم الطويلة .

وفى الحادى والعشرين من يناير « كانون » الثانى » ١٩٧٥ ، فارق عمر احمد عوض الله الحياة ، ليغرس منارة جديدة أكثر اشراقا وعظمة فى مسيرة حزبه والحركة الوطنيـة الفلسطينية ، ولا عجب اذن ، ان أولتـه الجماهير فى قطاع غزة حبها وتقديرها حيا وميتا ، فقد خرجت تحمله على الاعناق فى مظاهرة صاخبة ، انطلقت من حى الشجاعية الى مثواه الاخير ، تحييه من أعماقها وتهتف بسقوط البرابرة .

قـــرية

مقـــاتلة

شـــهادة من كفـر شـــوبا

يقدم عبد المنعم الغزالى شهادة عن معارك كفر شـوبا كما سـمعها من المقاتلين هناك

على الحدود مع الارض المحتلة قرى لبنانية ترفع راية المقاومة : ضد العدو الاسرائيلى ، **كفر حمام** ، **كفر شوبا** ، **راشيا** — وغيرها ، وسكان هذه القرى يخضعون لضغط مزدوج، ضغط العدو الاسرائيلى المستمر بمدفعيته وطيرانه ، وضغط بعض « الاجهزة » عليهم ليتركوا القرى ويخلوها .

وفى هذه المنطقة ، الممتدة عبر سلسلة طويلة من الجبال ، تأخذ المقاومة الفلسطينية مكانها . وتواجه الكمـــائن الاسرائيلية الموجودة فى الفجر ، والخالصة ، وبرج العادى ، جلعاوى ومعسكر عين العودة ، والمطلة ، والفـرج ، وميان باخور ، وخرجة الميدان .

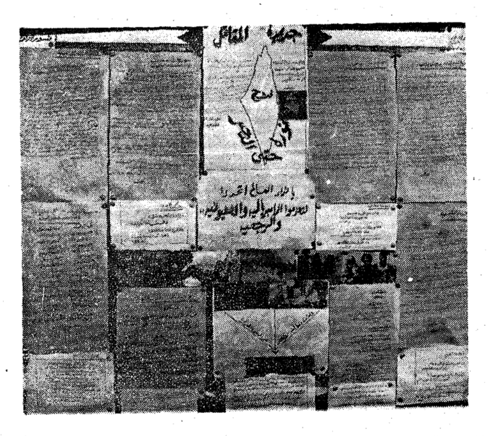
وتقع قرية **كفر شوبا** على بعد ٥٠٠ متر من مرمى مدفعية العدو ، وعلى بعد ٢ ك . م من القمة التى يسيطر عليها العدو . ومن هذه القمة تمكن العدو من شق طريق جبلى كان هو المحور الاساسى الذى تنطلق منه الاليات الاسرائيلية فى هذه المنطقة لتضرب وتهاجم قرى بأكملها .

لقد سارت المعارك التى دخلتها كفر شوبا على الوجه التالى :

خاض الفدائيون عدة معارك بدأت أولاها فى ١١ — ١ — ١٩٧٥ ، وخسر فيها العدو ٣٢ جريحا وقتيلان . هنا بدأ الرد الاسرائيلى . وكانت آخر عملية للفدائيين قد نفذت فى صباح ١١ — ١ — ١٩٧٥ الساعة السادسة واربعين دقيقة ، حيث دمرت المقاومة مجنـزرتين ، واصـــابت عشرين جنديـــا مـن جنـــود العدو [جرحى وقتلـى] كانـوا مـرافقين للمجنزرتين . وبعد هذه العمليات ، تـأكد للمقاومة أن العدو يعد لضربة شديدة فى منطقة **العرقوب** ، بهدف تصفية المقاومة ، واضعاف فعاليتها فى الاحداث .

وفى مساء يوم ١١ — ١ — ١٩٧٥ ، استعدت المقاومة للقاء العدو ، فوزعت الكمائن . وفى تمام الساعة السابعة والربع بدأت قوات العدو فى التقدم الى كفر شوبا . واصطدمت مع الكمائن الامامية . واستمر الاشتباك مـدة ساعتين . ولم يتمكن من تحقيق أى من أهدافه ، ووفق بياناته فقد جرح لـه اثنان وفقد قتيلا واحدا .

ومرة أخرى ، وفى مساء ١٢ — ١ — ١٩٧٥ عاود العدو الهجوم ، وتم صده للمرة الثانية . وأعلن أنه قد جرح له أربع .



□ صحف الحائط التي يحررها أبناء الثورة الفلسطينية وتتناول أخبار وصور المعارك اليومية مع العدو والتعليق عليها

وفي اليوم الثالث ١٣ ـ ١ ـ ٧٥ ركز العدو على قذف القرية بالمدفعية . وبدأ دكها ونسف منازلها . وأعلن العدو أن خسائره جريحان . وواجهت الكمائن قوات العدو المحاصرة **لكفر شوبا** .

وفي اليوم الرابع ١٤ ـ ١ ـ ١٩٧٥ ، كان قد تم ترحيل معظم السكان المدنيين ، بضغط من بعض قوات الجيش ، ولم يتبق من السكان غير خمسمائة مواطن ، من الاطفال والشيوخ والنساء .

في ليلة ١٤ ، ١٥ جهز العدو ٢٠ آلية لنقل القوى المهاجمة ، واتخذت جميع فصائل المقاومة مواقعها ، وتجسدت الوحدة الوطنية بين مقاتلي فصائل المقاومة . وفي تمام الساعة الثانية عشرة بدأ العدو تقدمه على المحور الرئيسي ، وفتح النيران من كل الاتجاهات . وتمكن العدو من اختراق محور شمال شرقي القرية ، واستمر الاشتباك مع قوات العدو حتى الساعة الرابعة والنصف من صباح يوم ١٥ ـ ١ ـ ١٩٧٥ ، لكن العدو لم يتمكن من اختراق **كفر شوبا** ، وغنمت المقاومة منه بعض الاسلحة والذخائر ، واستشهد أربعة من شباب المقاومة .

وفي يوم ١٥ ـ ١ ترك المدنيون القرية .

قصف العدو القرية لمدة خمسة عشر دقيقة قصفا مركزا وكثيفا .

وفي ١٦ ـ ١ استمر القصف المدفعي طوال الليل ، واستشهد اثنان من شباب المقاومة ، وتمكنت المقاومة من التصدي لاحد من كمائن العدو ، وغنمت منه المواد التي كان يستخدمها .

وفي صباح ١٦ ـ ١ ـ ١٩٧٥ حاول العدو دخول **كفر شوبا** بالدبابات ، التي تمركزت على ثلاث محاور رئيسية محور بين تلة الرمثة وسكة

السماك ، والثانى رويسات العلم ، والثالث رويسة الصاعقة وبرج نيتلين .

وبدا العدو فتح نيران دباباته فى الخامسة من صباح يوم ١٦ ــ ١ . واستمرت نيرانه حتى الساعة الثانية عشر ظهرا . واشتبكت مدفعية المقاومة مع العدو ، كما وضعت الالغام على الطريق ، واستخدم المقاتلون قذائف آر . ب . ج . وسقط من المقاومة اربعة شهداء وستة جرحى .»

واشترك فى المعارك خمسة وعشرون من رجال المقاومة من كل الفصائل ، وكانوا مدعمين بمختلف الاسلحة ، وبمدفعية من مختلف الاعيرة . واستخدم العدو كتيبة كومندورز مكونة من حوالى ٢٠٠ جندى وأربع طائرات عدا آلياته ودباباته .»

ـ ولكن ماذا عن دور سكان كفر شوبا فى المعركة ؟

يقرر رجال المقاومة :

ان اهالى **كفر شوبا** كانوا معنا . وقد رفع معنويات السكان . كل السكان كانوا معنا ، كان الاطفال يقومون برصد تحركات العدو ، ويخبروننا بأماكن تجمعه وعدد قواته . كما أن قسما كبيرا من الاهالى كان مسلحا ، وبعضهم اشترك معنا فى المعركة . كما اشتركوا معنا فى الدوريات ، والكمائن الانذارية .

ورغم كثافة القصف ، لم يرحل السكان . بل تم ترحيلهم بالقوة . وبعد ترحيلهم ، اشتبكوا مع بعض الاجهزة اللبنانية فى **مرجعيون** واصيب منهم اثنا عشر . وكانت مطالبهم تحصين كفر شوبا وحمايتها .

رفضوا باصرار اتخاذ أى موقف ضد المقاومة . رغم كل الضغوط الواقعة عليهم .

وبعد إنتهاء المعركة ، قال اهالى **كفر شوبا** بعد عودتنا ستظل بيوتنا مفتوحة للمقاومة . وقد طالب وفد كفر شوبا الى السفارات العربية أن يقدم اليهم الدعم مباشرة لحماية القرية . وليس عن طريق أية هيئة رسمية أو غير رسمية .

ـ لكن كيف تفسرون مواقف الاهالى المساندة للفدائيين ؟ :

يقول رجال المقاومة :

ان الخمسة آلاف الذين يسكنون **كفر شوبا** يتميزون بحسهم الوطنى والعربى المرتفع ، وفوق ذلك فان علاقاتهم بفلسطين تاريخية . وكان سوقهم مع الخالصة ، ونادرا ما كانوا يتعاملون مع مرجعيون .

ان **كفر شوبا والعرقوب** هما البوابة التى منها دخلت المقاومة .

ومعظم الاحزاب الوطنية التقدمية لها وجود فى هذه القرى . وشباب كفر شوبا والعرقوب من راعى الماعز الى المعلم فى المدرسة مهتم بالصراع الدائر فى المنطقة العربية .

■ ■ ■ ■

وننشر فيما يلى ، نص المذكرة التى وجهها اهالى كفر شوبا الى شعب لبنان والشعوب العربية :

مذكرة أهالى كفر شوبا

الى ابناء شعبنا وبناته فى لبنان :
الى أبناء وبنات أمتنا العربية :
الى اخواننا واخواتنا فى جنوب لبنان الحبيب ،

من كفر شوبا نبعث لكم بتحياتنا ونتوجه اليكم برسالتنا ، بعد أن عاش لبنان والوطن العربى على أخبار المعارك البطولية التى خاضها ابناء كفر شوبا وقوات من الثورة الفلسطينية ، وبعد أن شعر الجميع بالفخر والاعتزاز لما تحقق من انتصار فى دحر العدو خاسرا يحمل قتلاه وجرحاه . بعد ذلك أخذت الاخبار تتحدث عن نزوح أهل كفر شوبا ، وعما حل بقريتنا من دمار ، وبدات الجهات المسئولة فى الدولة تتحدث عن تعويض أهل كفر شوبا . وواكبت ذلك البيانات السياسية والخطب والمهرجانات من الاحزاب الوطنية تعبر عن تضامنها ووقوفها الى جانبنا .

ولكننا لن نقبل أن تكون نهاية معركتنا البطولية حديثا عن مأساة ، وعن لاجئين ، وتتحول الى وعود بالتعويض ، ودعوات سياسية تستنكر العدوان وتطالب بالعودة . لن نقبل أن تتكرر دير ياسين اخرى ، ولن نرضى بأن تتحقق أحلام العدو الصهيونى البربرى بتهجير

الاهالى وارهابها . لن نترك الارض ابـدا وسنتمسك بها . ولن تتحقق اهداف الصهاينة . ان الطريق الذى يجب ان يتلو هذه المعركة هـو أن نعود الى كفر شوبا العزيزة نعـلا لا بالبيانات . وان هذا الطريق وحده هو الذى يترجم الى الانعال كل ما يقال عن صمود ونضال ، او من عداء للصهيونية والاستعمار . وهو الذى يكشف الزيف والبهتان ويضع الامور فى نصابها . ولهذا بدأت طلائع من أبناء كفر شوبا وبناته ، ومن بعض الطلبة الوطنيين فى لبنان تعود الى القرية الحبيبة . وها قد مضى علينا ستة أيام بلياليها ونحن فى كفر شوبا نرفع أنقاضها ونحرسها ، وقد وضعنا دماءنا على أكفنا ولن نسلمها للاحتلال او نتركها للغربان والخراب .

ان هذه الطلائع مصرة على الحياة فى كفر شوبا والصمود فيها مهما كلف الثمن وغلت التضحيات وستكرر هذا الاصرار وسوف يكرره غيرها حتى ولو تعرضت كفر شوبا لما تعرضت له مرة اخرى واثقة من ان قوافل العائدين الصامدين ستتوالى كما هى تفعل الان . لتؤكد حبها لارضنا الطيبة : واصرارها على عدم الخضوع للعدوان . وعلى عـدم الرضوخ لابتزاز العدو الذى يريد ارهابنا . حتى نصبح لاجئين متوهما اننا قد ننقلب على الفدائيين .

من كفر شوبا ، من عودتنا المقـاتلة الى ربوعها الطيبة ، من تكاتف الجهود الوطنية ، سنحقق صمود جنوبنا الحبيب .

مرة أخرى نحييكم من كفر شوبا ، ونهيب بكم أن تسهموا بكل الاشكال فى دعم قرية كفر شوبا الصامدة ، ودعم العرقوب ، ودعم الثـورة الفلسطينية .

وانه لصمود فى كفر شوبا حتى نهزم الغزاة وننتصر .

عاشت أمتنا العربية حرة كريمة ومتحدة .

كفر شوبا فى ٦ ـ ٢ ـ ١٩٧٥

الاهالى والطلبة فى كفر شوبا

قام فى شـــهر مارس الماضى ، وفد من « الطليعة » بزيارة الى سوريا ، لاعداد دراسة للتجربة السورية على أرض الواقـــع .
وقد عكف اعضاء الوفـــد ، بعـــد عودتهـــم على دراســـة مشاهداتهم وانطباعاتهم والاحـــاديث والمناقشات التى أجروها فى ســـوريا ، لاعداد الدراســـة التى ستنشر فى عـــدد « الطليعـــة » القـــادم : يونيـــو ١٩٧٥ .

الثــــورة ومؤسســـات الدولة الفلســطينية

حسـين شـعلان ـ عبد المنعم الغزالى

هل من الممكن « خلع ، حركـة الثورة الفلسـطينية المسـلحة من لبنــان » ؟

هذا سؤال هام لا تفرضه فقط تطورات الاحداث « المرة » التى جرت مؤخراً بتحرش حزب **الكتائب** ـ بشكل مفتعل ـ ضد المقاومة الفلسطينية ، وانما تفرزه حالة القلق الصادق التى تساور كل عربى وطنى وتثير مخاوفه . سؤال فيه كل آلام ذكريات « سبتمبر الاسود » وفيه أيضا الامال التى أيقظتها « حرب أكتوبر » و « معركة كفر شوبا » ثم « عملية فندق سافوى » .

والاجابة على السؤال ، مطالبة بالا تقع فى محظورى : المبالغة فى تقدير قوة المقاومة بدوافع عاطفية يصعب تجنبها ، أو التقليل من الحجم الحقيقى للاخطار المعرضة لها بالفعل .

ومن البداية نقول ان الصدام المفتعل الذى نفذته الكتائب ضد المقاومة ، لن يكون الصدام الاخير ـ من الكتائب أو غيرها من قوى لبنانية مماثلة ـ ضد المقاومة ، مثلما لم يك صـدامها الاول . فالتربص بالمقاومة من قبل هـذه القـوى ، و « التحرش » و « الاستفزاز » ، أصبحت جميعها « خبز وملح » المقاومة اليومى .

ولو جاز لنا اعادة طرح السؤال على نحو جزئى ، فنقول : هل تستطيع القوة المسلحة لحزب الكتائب « ١٢٠٠ فرد يضاف لهم ٥٠٠٠ فرد عند تعبئة كل الاحتياطى » ، أن « تخلع » المقـاومة الفلسطينية من لبنان ؟

فى حدود هذه الجزئية ، تكون الاجابة : هذا مستحيل بالقطع ، مع تجنب المحظورين السابق الاشارة اليهما .

لكن المشكلة الحقيقية فى الواقع ان قوى مختلفة غير الكتائب ـ أيضا ـ ضد المقاومة ووجودها وتسعى دائما لافتعال الصدامات معها .

ما هى المصلحة « **المحلية** » لهذه القوى فى التربص بالثورة الفلسطينية المسلحة ؟

والاجابة : ان المقاومة « زرعت » نفسها وحتى من قبل « اتفاقية القاهرة » ، فى الواقع اللبنانى ، وأصبحت مع مضى الوقت عنصرا مؤثرا على الخريطة السياسية لابد وان يوضع فى حسابات كل قوة وهى تمارس حركتها العامة ونشاطها اليومى . فالتفاعلات والتأثيرات التى احـدثتها ممـارسة المقـاومة الفلسطينيـة لمسئـولياتها النضالية ، كشفت عن أكثر من « عورة » للاجهزة والقوى الرجعية ، فضلا عن انها ساهمت فى خلق ارضية جماهيرية هى بكل الحسابات احتياطى ثمين للقوى الوطنية والتقدمية اللبنانية .

ان الحكم الحالى فى لبنان ـ وبغض النظر عن اية تحليلات ـ يتخذ موقف محاولة تجنب المشاكل الحادة مع المقاومة . وذلك لاكثر من اعتبار . ومن هنا ، فان بعض القوى والاجهزة ، تسعى الى دفع الامور نحو « مأزق » تتصوره للحكم الحالى ليجد نفسه وجها لوجه فى صدام مباشر مع المقاومة . وخلال هذا « المأزق » يصطاد من يريد أن يجنى ثمارا معينة .

ونحن نعتقد أنه من السذاجة ، النظر الى مثل هذه المعارك المفتعلة مع المقاومة الفلسطينية ، فى هذه الاوقات بالذات ، دون ربطها بأحداث أخرى ادت بعضها الى غياب الملك فيصل عن الساحة وفشل بعضها الاخر فى ابعاد قيادة وطنية عربية وتأثيراتها . لابد وان نقول ان « الورقة » الثالثة فى هذه « اللعبة » المريبة والمشبوهة ، كانت ورقة المقاومة الفلسطينية هذا اذا لم تك هناك « اوراق » أخرى لم تكشف بعد .

من هنا نأتي الى مصلحة القوى الخارجية المشاركة في هـذه الاحداث المعـادية للثـورة الفلسطينية ، والتي يصعب على اية قوة محلية رجعية في لبنان ان تبادر للعمل ضد المقاومة بدون مساندة هذه القوى الخارجية المعادية .

لقد شنت اسرائيل الهجوم على « الكرامة » بقصد ضربها واخمادها منذ بداياتها الاولى ، حينما خلقت المقاومة الجبهة غير الهادئة الوحيدة وقتها .. مع اسرائيل . وفي « أيلول الاسود » تمت محاولة الاجهاز على المقاومة الفلسطينية ، حينما أصبح « حجم » المقاومة يمثل حدا غير مقبول من اكثر من طرف . ويومها كان الاسطول السادس الامريكي يتابع عن قرب أحداث المذبحة التي اعلن الامريكيون بصددها عن استعدادهم للتدخل عندما يبدو أن الرياح ستأتي بما لا تشتهي سفن الاسطول السادس .

واليوم ، تمثل المقاومة الفلسطينية بالحجم الذي استعادته وطـورته كما وكيفا .. محليا وعربيا ودوليا ، تمثل خطرا لابد من استبعاده ومصادرة تأثيراته سواء على مخططات راهنة فشلت أو لاحقة تمارس المقاومة دورها المباشر وغير المباشر في التنبؤ مقدما باحباطها او فشلها .

باتت الثورة الفلسطينية اليوم اذن ، طرفا مؤثرا « محليا » و « خارجيا » على الجانب الاخر من الحدود ، يصعب تجاهله .ولذلك فان التربص به ، حالة يومية .. محلية وخارجية . وستظل كذلك .

الى هذا الحد ، تتمثل الاخطار . ونعود الى سؤالنا : هل يمكن — في ضوء ذلك — « خلع » المقاومة من لبنان ؟

ونقول انه بتضافر هذه القوى المعادية ، لا يصبح مستحيلا وان كان — حتى بتضافرها — صعبا .لكن المؤكد ان المذبحة لابد وان تكون مروعة وأن جراحها المؤلمة سوف تمس الجميع وبشكل موجع . سوف تكون — اذا حدثت — أشبه بعملية « هدم المعبد » على رءوس الجميع .

ان القوى الرجعية والصهيونية والامبريالية ، تلتقي جميعها حول هدف تصفية المقاومة الفلسطينية التي حولت جنوب لبنان — منطقة التماس مع حدود العدو الاسرائيلي — الى جبهة رابعة .. ساخنة مع اسرائيل . جبهة لا تهدأ من الاشتباكات الدائمة ، تحرص المقاومة بها الحفاظ على « حرارة » القضية ، وتمهد اسرائيل بهـا — وتصعيدها — الى « الحرب الخامسة » التـي تعمل من أجلها بكل ما تملكه .

ولان مثل هذه الصدامات والمعارك مع المقاومة الفلسطينية ، هي معركة « موت أو حياة » ، فان قوات وقواعد الثورة الفلسطينية وجماهيرها لن تمررها بسهولة . وهنا فان القوى الوطنيـة والتقدمية في الوطن العربي كله ، تتحمل مسئولية أكيدة في العمل على حماية الثورة الفلسطينية المسلحة ، وسوف لا يغفر لها أحد أي تقاعس عن ممارستها هذه المسئولية .

• • •

و « خلع » او « حصار » الثورة الفلسطينية في أرض لبنان ، وهي العملية « الممكنة — الصعبة » ، لا تعني بالمرة القدرة على **تصفيتها** . ذلك لان المقاومة الفلسطينية تجاوزت بكثير جدا مجرد ان تكون مجموعات من المناضلين السياسيين ، او فرقا منتشرة لقوات حرب عصابات .. الخ . ولكنها — منذ وقت — استكملت تأسيس وبناء كثير من مؤسسات السلطة والدولة ، القادرة على تولي وممارسة مسئولياتها سواء في العمل من اجل تحرير الارض — بالاسلوب السياسي اذا قدر له أن ينجح — او بالتعامل العسكري باعتباره طـريق الضغط الاساسي الذي تؤكده شواهـد وتجارب عديدة .

ولان المقاومة الفلسطينية بمؤسساتها ، اصبحت مؤهلة لممارسة صلاحيات السلطة والدولة ، فان هناك اكثر من قوة وطرف — محلي وخارجي — له مصلحة اكيدة في محاولة ابعادها عن تصوراته للعمل ومخططاته ، بتصـــفيتها ، أو على الاقل بتعجيزها عن التأثير في تنفيذ هذه التصورات .

الى أي حد ، صحيح هو القول ببلوغ الثورة الفلسطينية حجما من التطور والنضج تستطيع معه تشكيل السلطة الوطنية الفلسطينية ومؤسسات دولتها الديمقراطية العلمانية ، فوق أي شبر من الارض يتم تحريره من الضفة الغربية او قطاع غزة ؟

وطبيعي انتكون **المؤسسةالعسكرية** ،من ابرز مؤسسات الثورة الفلسطينية . واقرار للـواقع والحقيقة نقول ، ان القوة الاساسية الضاربة في المؤسسة العسكرية الفلسطينية ، هي قـوات العاصفة «فتح» . وقد تطورتالمؤسسة العسكرية الفلسطينية عبر مراحل ثلاث : من ١٩٦٥ وحتى يونيو ١٩٦٧ ، تميزت فيها بما يمكن تسميته بحرب العصابات المحدودة او الصغيرة قوامها حـركة دوريات ليلية . ثم ما بعد ١٩٦٧ وحتى سبتمبر ١٩٧٠ ، وتميزت بعلنيتها واتساع كيانها وخاصة بعد النجاحات الوطنية التي حققتها في معركة الكرامة ، ثم اضطرارها للعمل على جبهتين .. ضد اعمال التربص بها وضد العدو الاسرائيلي في نفس الوقت.وأيا كانت الخسائر التيمنيت بها — وهيهائلة — في«سبتمبر الاسود»،الا انها خرجت اكثر نضجا ونموا كما وكيفا . ثم ما بعد ١٩٧٠ ، وتتميز بالربط بين عمل القواعد على الحدود وعمل القواعد في داخل الاراضي المحتلة . وتتجـه

جميعها ٪ ابتداء من عملية « كبريات شسمونة » وحتى « عملية فندق سافوى فى تل أبيب » ، الى ضرب العدو فى أعمق اعماقه ..

وقد أفادت حرب اكتوبر ١٩٧٣ ، الثورة الفلسطينية فى تطوير مؤسستها العسكرية لتأخذ – شيئا فشيئا – وضع « **جيش تحرير** » حقيقى . ولهذا الجيش تشكيلاته من فرق وكتائب .. الخ وكادر ثابت بمستوياته ورتبه ، فضلا عن تشكيلات الخدمات والمهندسين والادارة .. الخ . ويزيد عنى ذلك الكلية الحربية التى أسستها « فتح » لتخريج ضباط جيش التحرير . كما اسست الثورة الفلسطينية ، نبعا رئيسيا لهذه المؤسسة واحتياطيا خصبا بأقامة « **معسكرات الاشبال والفتوة** » التى شهد منتصف عام ١٩٦٨ أول معسكر علنى لها ، وأعلن فى اوائل عام ١٩٦٩ عن تشكيل المجلس الاعلى لمؤسسة الاشبال والفتوة . وشارك اشبال المعسكرات فى الدفاع عن قواعد الثورة أثناء مذبحة سبتمبر الاسود . ثم شارك الاشبال فى العمليات القتالية ، بل نفذوا بعض العمليات الانتحارية فى عام ١٩٧٤ « عملية يفتاح مثلا » دون مشاركة من القوات العاملة فى « جيش التحرير » .

لقد أصبحت المؤسسة العسكرية الفلسطينية – بحق – عاملا فعالا فى الصراع العربى الاسرائيلى – على المستوى العسكرى والقتالى – وعنصرا أساسيا من عناصره .

على انه يحق للمؤسسة العسكرية الفلسطينية علينا هنا ان نسجل لها حقيقة أنها تتميز بدرجة عالية من **التربية السياسية** نتيجة للاهتمام الواضح الذى توليه قيادة الثورة الفلسطينية ، لاهمية دور « **ادارة التفويض السياسى** » داخل المؤسسة العسكرية . حيث نجد فى مختلف التشكيلات العسكرية « مفوضا سياسيا » مسئولا عن تحويل مفهوم « السياسة توجه البندقية » الى واقع عملى فى الحياة اليومية للمقاتلين بمستوياتهم المختلفة .

اما **المؤسسة السياسية** للثورة الفلسطينية ، فنقصد بها منظمة التحرير الفلسطينية . وبغض النظر عن وجهات النظر المتعددة حول تقييم مرحلتها الاولى « ٦٤ – ١٩٦٧ » كنتاج لمؤتمر القمة العربى الاول وانعكاساته عليها ، فقد كان من المستحيل بعد ١٩٦٧ ، أن تستمر المنظمة فى قيادة الشعب الفلسطينى وثورته الوطنية المسلحة ، بدون الطلائع المقاتلة التى فجرت الكفاح المسلح عشية عام ١٩٦٥ . وفى مرحلتها الثانية « ما بعد ١٩٦٧ » ، انطلقت المؤسسة السياسية للثورة من خلال برنامج سياسى نضج وتبلور بتحديد هويتها كحركة تحرر وطنى جزء من حركة التحرر الوطنى العربية . وبادراكها للارتباط العضوى بين اسرائيل والاستعمار العالمى وخاصة الاستعمار الامريكى ، طرحت نفسها ضمن اطار حركة التحرر الوطنى العالمية ، مستهدفة اقامة مجتمع فلسطينى تقدمى . وبذلك حددت الثورة الفلسطينية طبيعة جماهيرها العربية والعالمية . على ان قمة نضج المؤسسة السياسية الفلسطينية ، تمثل فى شعار « الدولة الفلسطينية الديمقراطية العمانيه » التى تضم الفلسطينيين المسلمين والمسيحيين واليهود معا وبحقوق وواجبات متساوية .

وقد كان للخطة الاستراتيجية للمؤسسة السياسية ، التى لعبت فيها « **فتح** » دورا قياديا مؤهله له ، بعدم فض الاشتباك مع العدو باستمرار ، اثره العميق والمباشر على احراز التقدم على مختلف الجبهات العسكريه والسياسية محليا وعالميا . وفى هذا الصدد نرصد ما جاء فى بيان الاجتماع الطارىء للجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية ، فى أعقاب قرار وقف اطلاق النار فى ٢٢ اكتوبر ١٩٧٣ : « ان اللجنة التنفيذية تعلن لشعبنا الفلسطينى والجماهير العربية والقوى الصديقة لنضال شعبنا فى العالم ، أن الثورة الفلسطينية التى انطلقت منذ بداية عام ١٩٦٥ ليست معنية بهذا القرار ، وهى تؤكد أنها ستتابع الكفاح المسلح ضد الكيان الصهيونى من اجل تحرير الوطن وحق شعبنا فى تقرير مصيره بنفسه وعلى ارضه » . منذ ذلك الوقت « بعد حرب اكتوبر » تعيش المؤسسة السياسية الفلسطينية مرحلتها الثالثة الدقيقة ، التى تناضل فيها من اجل انجاز اكبر قدر ممكن من الانجازات دون أن يكون ذلك على حساب الهدف الاستراتيجى للثورة مع ضمان استمرار الكفاح المسلح . وفى هذه المرحلة تبرز فيها الضرورة الاكيدة للحفاظ على الوحدة الوطنية بين فصائل المؤسسة السياسية .

ومن ابرز معالم نضج المؤسسة السياسية الفلسطينية ، فى الفترة الاخيرة ، اعتراف ١٠٥ دولة فى **الامم المتحدة بها** كممثلة للشعب الفلسطينى ومندوبة عنه ، بعد الخطاب الذى القاه المناضل **ياسر عرفات** امام المنظمة الدولية .

ويتبع المؤسسة السياسية الفلسطينية عددا من الاجهزة السياسية والاعلامية ، تملك المؤهلات الكافية لان تكون اجهزة السلطة الوطنية والدولة . فبالاضافة الى مكاتب المنظمة المنتشرة فى كثير من عواصم العالم ، يوجد اكثر من برنامج اذاعى ووكالة أنباء وصحيفة ومجلة ومركز للابحاث والدراسات ودار نشر لثقافة الاطفال ومؤسسة للسينما وفرقة للفنون الشعبية وفرقة مسرحية .. الخ



التدريب على فنون القتال المختلفة ومن أهم الدروس اليومية لشباب الثورة الفلسطينية .

وإذا كانت عملية بناء الجيل الجديد الواعي المستنير ، مسألة ملحة لاى دولة ، فهى مسألة لا غنى عنها للثورة الفلسطينية ومهمة التحرير التى تتطلب جهود أجيال متتالية تمتلك المؤهلات الكافية لتحمل مسئولياتها . وهنا يأتى دور المؤسسة التربوية والتعليمية للثورة الفلسطينية . وقد قام مركز التخطيط التابع لمنظمة التحرير بتأسيس قسم التخطيط التربوى والاجتماعى فى أكتوبر ١٩٧١ لوضع حد للتشتت الفكرى والثقافى وفى « تثوير » اتجاه التربية والتعليم التى يتلقاها الطفل والطالب الفلسطينى . وجنبا الى جنب جهود « جمعية انعاش المخيم الفلسطينى » « ١٩٦٩ » ، قام مركز التخطيط ــ قسم التربية ــ بانشاء ١١ دارا لرياض الاطفال وتنظيم دورات تدريبية مكثفة لمعلمات رياض الاطفال .

وأبرز مؤسسات التربية والتعليم للثورة الفلسطينية ، على الاطلاق ، « **مدرسة اسعاد الطفولة** » فى « سوق الغرب » ببيروت ، وتعد هذه المؤسسة انجازا فلسطينيا ، يدعو الى الفخر ، بل يمكننا ان نقول ــ بكل امانة ــ ان مدرسة اسعاد الطفولة ، مؤسسة تربوية تعليمية تفتقد مثلها معظم الدول العربية . وقد اجتذبت هذه المدرسة ، اهتمام سائر الدوائر التقدمية العربية وغير العربية . وتقوم « **فتح** » برعاية المدرسة ومتطلباتها الى حد أن **ياسر عرفات** يوليها اهتماما شخصيا فائقا . ولا يكاد يرى زائرا عربيا أو أجنبيا يقابله إلا ويبادره بالسؤال عما اذا كان قد زار « مدرسة اسعاد الطفولة » أم لا ؟

و « مدرسة اسعاد الطفولة » ، تجربة عربية رائدة . فهى طراز من المدرسة الوطنية الشاملة . وتضم المدرسة ٥٣٥ طالبا من الجنسين على ثلاث مراحل : الروضة ــ الابتدائية ــ الاعدادية ، وفى العام الدراسى القادم « ٧٥ ــ ١٩٧٦ » ستفتتح المدرسة مرحلة ثانوية .

ومنذ خطوتك الاولى داخل بناء المدرسة ، يقع نظرك على لوحة زيتية تترجم كل ما بداخل هذه المدرسة : فدائى يحمل طفلا بيده ، والى جانبه شبل يحمل السلاح ، وفى الخلف تمتد خيام اللاجئين وبخط كوفى تقرأ على اللوحة مقطعا شهيرا من أناشيد « العاصفة » : والطفل ان تتلوا أبوه ــ واجب علينا نحضنه ــ والبيت يساللى يهدموه ــ واجب علينا نعمره .

وأول المواد التى تهتم بها المدرسة وتركز عليها ، تاريخ وجغرافية فلسطين ، بالاضافة الى المواد التعليمية الاخرى فضلا عن مواد الموسيقى والتربية المنزلية .. الخ . وفى المدرسة اذاعة كوسيلة تعليمية سمعية فى الفصل . وفى الاوقات الاخرى تنقل للاطفال الاخبار والمحاضرات الثقافية وانشطة حركة التحرر فى العالم . وتعنى المدرسة بالتربية الكشفية « ثلثا التلاميذ ملتحقون بالنظام الكشفى » ، وتعمل المدرسة على احياء التراث الفلسطينى : الاغنية والانشودة والرقصة ، مع تطويرها . وتعنى المدرسة بالتربية الفنية : رسم واشغال يدوية ، فضلا عن الاقسام المهنية : نجارة ــ حدادة ــ تطريز ــ تدبير . الخ ويمارسها الاطفال بعد فترة الدراسة : وتكتفى



ابناء الثورة الفلسطينية فى احدى مدارس قرية كفرشوبا .

المدرسة ذاتيا بتوفير الثياب التى يلبسها التلاميذ سواء فى الدراسة او خارجها او فى الانشطة الاخرى ، وذلك عن طريق القسم المهنى التابع لها . وتعنى المدرسة بالمكتبة ومراجعها وكتبها وبخاصة كتب الاطفال . وكل التلاميذ فى القسم الداخلى للمدرسة ، ويضم سبعة اجنحة اطلق على كل جناح اسما لمدينة فلسطينية ، واصبح يطلق على ساكنيه اسم شعب هذه المدينة . وستبدأ بعد ذلك تسمية كل حجرة باسم قرية تابعة للمدينة . والعاملون فى المدرسة ١٠٠ شخص موزعون على اقسام الادارة والتعليم ، ٢٥ للتعليم ، والقسم الداخلى والتموين والانتاج . وتنظم المدرسة فى كل صيف دورة لرفع كفاءة المعلمين فيها . وتعنى المدرسة بالنظافة والصحة بشكل ملفت لنظر كل من يزورها ، وشعارها فى هذا المجال « الصحة قبل التعليم » .

وبعد اعلان الثورة الفلسطينية فى ١٩٦٥ ، تكونت مجموعة من **المنظمات الديمقراطية الجماهيرية** . يستثنى من ذلك اتحاد الطلبة الفلسطينيين « ١٩٥٩ » واتحاد العمال الفلسطينيين «١٩٦٣» . اما المنظمات الجماهيرية التى تكونت بعد ذلك فهى : الاتحاد العام للمراة الفلسطينية ، اتحاد المعلمين الفلسطينيين ، الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين ، اتحاد شبيبة الثورة ، الاتحاد العام للمهندسين ، والاتحاد العام للاطباء . والواقع انه يمكن رصد كثير من الملاحظات المتعلقة بطبيعة تكوين هذه المنظمات واوضاعها ومدى فعاليتها . الا أنه يمكن القول بأن عددا منها وخاصة الطلابية والعمالية قد ادت دورا كبيرا فى سبيل تعبئة رأى عام عالمى الى جانب الثورة الفلسطينية . ونعتقد بأنه ما زال أمام الثورة الفلسطينية الكثير من الجهد تبذله من أجل بناء منظمات جماهيرية ديمقراطية فعالة .

يبقى ان نشير الى سمتين اساسيتين ، تتسم بهما المؤسسات التى اقامتها الثورة الفلسطينية . **اولهما** : ان النشأة المستقلة لحركة المقاومة الفلسطينية وتطورها الى ثورة تحرر وطنى ، قد انعكست بوضوح على طبيعة الاجهزة والمؤسسات التى اقامتها . وبذلك توفرت للثورة مؤسسات فلسطينية خالصة . **ثانيهما** : ان مسألة الهجرة التى فرضت على الشعب الفلسطينى ، دفعت كل من استطاع منهم الى الالتحاق بمعاهد التعليم والجامعات فى المكان الذى استقر فيه بحثا عن طريق للحياة . وقد ادى ذلك الى توفر كادر مؤهل علميا وفنيا لتشغيل هذه المؤسسات وتطويرها . فاذا أضفنا الى ذلك الوعى السياسى الذى تزود به هذا الكادر خلال انخراطه فى صفوف الثورة ، لادركنا قيمة الثروة البشرية فى الكادر الذى تمتلكه الثورة الفلسطينية .

ان قدرة الثورة الفلسطينية على مواصلة طريقها ، قدرة هائلة . وبقدر ما تنجح فى مواصلة استقلاليتها فى نشاطها على الجبهات العسكرية والسياسية ، بقدر ما تزداد مؤسساتها تطورا ونضجا . ويوم تستطيع اقامة سلطتها الوطنية على أى شبر من الارض يتحرر ، سوف تجد لديها مؤسسات وطنية قادرة ومؤهلة لممارسة مسئولياتها .

صـــورتان وتعقـــيب

أبو سيف يوسف

كانت وجهة بعثة«الطليعة» فى ذلك اليوم زيارة **مخيم النبطيه** فى القطاع الاوسط من لبنان .

جلسنا فى مقر قيادة القطـاع نسـتمع الى « **ابو موسى** » وهو يلخص فى اقتضاب ،وفى حزم عسكرى ، مراحـل الكفـاح الفلسطينى المسلح .

وعندما تحدث « ابو موسى » عن رحلة العذاب والاهوال التى بدأها الفدائيون ــ بعـد مذابح ايلول ــ من جبال الاردن واغوارها ، الى حيث يتعين عليهم ان يتمركزوا فى قواعدهم الجديدة فى لبنان ، اكتفى بوضع هذه الرحلة فى تعبير مكثف ، ملىء بالشعر والحقيقة معا ، حين وصف رحلة الفدائى بقوله :

« هى رحلة الذئاب »

كنت ادون بعض الملاحظات فتوقفت عن الكتابة، وعن متابعة «**ابوموسى**» . استعدت فورا وقائع فيلم سينمائى رأيته منذ سنوات يصف « رحلة الذئاب » .

فعندما يتعين على الذئب ان يهاجر من منطقة الى اخرى ، تراه يقضى الايـام والليـالى وهو يركض ، لا يتوقف ولا يتردد الا ليعتلى قمة هدا الجبل ، او يهبط محاذرا فيقطع الوادى فى لمح البصر . يزحف حينا ليتخفى ، ويقفز حينا آخـر لينجو ممن يطارده . ثم يواصل الركض مسابقا الريح . وهو فى هذا كله ينهش المسافات ويقطع فى اليوم الواحد عشرات الكيلومترات . ان نداءا خفيا ركبته فيه الطبيعة يظل يلح عليه ،يحرضه، ثم يزجره ان هو استسلم للنوم او الضعف .ولقد يحدث ان يجرح او يصاب ، فيلعق جراحـــه ويمضى . ثم تنتهى رحلته الى جحره او كهفــه الجديد ــ فى المعتاد ــ الى احدى نهايتين .فهو اما ان يصل الى مستقره الجـديد . فهى اذن نهاية سعيدة ، واما ان يقتله صياد او وحش ، فهى اذن نهاية فاجعة .

فاذا كان «**ابو موسى** » قد شبه رحلة الفدائى الفلسطينى نحـو قـاعدته الجـديدة « برحلة الذئاب» ، فلعله قد حاول ان يعبر عن جوهر هذه الرحلة وعن طابعهـا المـأساوى . فهؤلاء هم شبان فلسطينيون ، تقل اعمارهم ــ وفى الغالب لاتزيد كثيرا ــ عن العشرين عاما . ينطلقون من اماكن شتى محيطة بالارض المحتلة . يقطعون فى مسيرتهم عشرات الاميال سيرا على الاقدام، متسلقين الجبال ، نازفين العـرق على الرمال، متخفين فى الكهوف ، تلفهم زوابع جبل الشيخ وعواصفه الثلجية وتدمى اقدامهم صخور حمراء وسوداء ورمادية فى العرقوب . ورحلتهم ايضا نحو القاعدة ــ هى كرحلة الذئاب . تنتهى الى احدى نهايتين : سعيدة . اذن فهم قـد وصلوا الى قاعدتهم فى لبنان ليواصلوا حياة الفدائيين، وربما كانت النهاية فاجعة : حين يضل بعضهم فى الطريق ، او يهلك ، او يناله رصـاص العدو، وكل هذه ــ مع ذلك ــ امور عادية يتقبلها المقاتل الفلسطينى . لكن النهاية الفاجعة بحق هى ان يكتشف الفدائى انه ــ اذ يموت ــ فانما يسقط

برصاص اخ له عربي الوجه واليد واللســان . عندئذ لايملك الفدائي الشهيد الا أن يقــول للقاتل :

ـ ماذا فعلت باخيك ؟

لكن الموت ـ على اى صــورة ـ لا ينهى الرحلة . لان فدائيا اخر يبدأهــا ولا يســتطيع التنصل منها . ففى صدره قد ركبت هذه اللهفة الابدية على الاهل، والوطن، والارض المغتصبة.

بعد زيارتنا للقطاع الاوسط ـ ذهبنا الى اقصى الجنوب . وهناك كان يجلس بجانبى فى مقدمة السيارة « **الاخ ابو خالد** » كان صامتـا معظم الوقت ، يدير عينيه ويتفرس ـ كصقر الجبال ـ فى شعاب الجبل وأوديته . كان المنظـر خلابا بغير حدود . حدثته فى ذلك .

اجاب :

ـ هذه المنطقة تشبه تمام الشبه ارضى التى عشت فيها فى فلسطين . بل هى جزء منها .

ثم اضاف :

ـ بل هى فى فلسطين أجمل .

الصورة الثانية : « رحلة أوديسيوس »

قبل ١٩٦٥ ، وهــو بدء الكفـاح المسلح كان الفلسطينى يرحل ـ او هو يرغم على الرحيل ـ ليتحول ـ او ليهبط ـ من مواطن الى لاجىء ، وفى أحسن الاحوال ، كان يرحـل ليسـتقر ـ كمهاجر . يعذبه الحنين الى وطنه ، لكن دون ان يدرى كيف ، ومتى يعود اليه .

لكن الفلسطينى الذى انضم الى المقـاومة ، كان قد بدل نمط الرحلة ... غير هويتها .جاء من الخليج الى الاردن وهناك قاتل . ثم ارغم منذ ١٩٧٠ على انيهاجر الى قاعدة فى هذا البلد العربى او ذاك . لكن الارغام ـ هنا ـ لم يكن تحت ضغط المذابح والمطاردة بقدر ما كان مرتبطا بهدف محدد . كان شعاره الهجرة العكسية ،اى العودة الى الوطن .

هنـا ، نتـوقف عن استخدام تعبير « رحلة الذئاب » لنستعير من اساطير البطـولة تعبيرا آخر : « رحلة أوديسيوس » البطل الاغريقى ، الذى نزح عن وطنه ، واغترب ، وقاتل بضراوة وتعذب ، ضد اعداء من البشـر ، وضد مخلوقات مروعة تأكل الحيوان والانسان . حالف الالهــة الخيرة واستعان بها ليبطل مكر الالهة الشريرة وسحرها . وبعد غيبة طالت ، يعود **أوديسوس** الى « **ايثاكا** » بلده ، بطلا مكرما ،وسيدا عزيزا.

أما أوديسوس البطل الفلسطيني فتبدأ مسيرته الثانية من المخيم او القــاعدة . وتبقى نقطــة الوصول ثابتة : فلسطين .

وقد عرف العدو الاسرائيلى ذلك ،ووعاه تحت وطأة العمليات التى ضاعفها الفدائيون وصعدوها فى داخل الارض المحتلة : فنظم حربا لم يعلنها ، وهى لم تزل دائرة فى اقصى الجنوب من لبنان . وفى الوقت نفسه ، راح ينفذ خطة منتظمة لضرب المخيمات .

ولا حاجة للتأكيد على ان خطة ضرب المخيمات انما تدخل ـ بالضرورة ـ تحت عنوان « ابادة الجنس البشرى » . وهذه هى الصــورة التى يطالعنا بها **مخيم النبطية** .

فهذا المخيم كان قائما على هضبة صخـرية متدرجة تحيط بها سهول وحقول . وقد بنــاه اللاجئون الفلسطينيون الذين وفدوا على لبنان عام ١٩٤٨ ، قادمين من **بيسان وسهل الحولة**. وعندما زرته عام ١٩٧٣ كان بمثابة قرية فقيــرة يسكنها خمسة آلاف نسمة ، غالبيتهم من عمــال الزراعة . لكنه اليوم مجرد حطام سوى بالارض، باستثناء اكواخ قليلة يسكنها عدد من العائلات لا يتجاوز الخمس . أما بقية سكانه فقد راحوا يفتشون عن مكان آخر وسقف آخر ، بعــد أن قتل منهم اربعون وجرح سبعون ، يوم ان هاجمت حشود الطائرات الاسرائيلية [١٦ مايو ١٩٧٤] المخيم وقصفته قصفا مركزا حتى لم يبق فيه حجر على حجر .

قال لنا قائد القطاع الاوسط وهو يدق بيده على جدار الهضبة التى تحتضن المخيم :

ـ لقد حاولنا ان نحفر ملاجىء داخل الصخر للوقاية من الغارات .لكن الاسرائيليين استخدموا فى ضرب المخيم قنابل الالف رطل ، وصمت .ربما لانه يصعب على المرء ان يشرح ـ فوق انقاض المخيم ـ كيف يكون الخراب المطلق .

وربما تركنا القائد لنستنتج ان الامر لم يكن مقصورا على قنابل الالف رطل . وانما كان معها قنابل البلى الفتاكة ، والقنابل الزمنية ، وقنابل النابالم والفسفور . والشراك الخداعيــة التى اهداها العدو الاسرائيلى الى اطفال المخيم فى شــكل « لعب » ما ان تثير خيال الطفــل حتى تفترسه .

لم يطل تجوالنا بالمخيم . فاى شىء نرى فيه؟ ولكن من موقفنا باعلى مدرج فيه ، كنا نرى فى

أسفل التل صفا من المساكن لم تسـقط ولكن اسقفها قد خلعت تماما فبدت كعلب من الكرتون او مكعبات نزع غطاؤها ، فملاتهـا الشمس ، واندست فيها الظلال ، واهتزت ابوابها المشوهة ومالت الى الخارج كأيد اصابهـا الشلل . كان المنظر يوحى باننا نشهد نهاية العالم .

وعندما ذهبنا فى اليوم التالى الى **كفر شوبا** فى اقصى الجنـوب ، كانت هناك ايضـا قرية لبنانية اخليت من سكانها [٤٠٠٠ نسـمة] . ورأينا انها استشهدت ايضا كمخيم **النبطية** .ولم تكن هناك ــ بينها وبين المخيم ــ سوى فـروق كمية فى درجة الدمار .
وربما شعر الاخوة الفدائيون بانقباضنا ونحن نسير وسط خرائب مخيم النبطية . فدعونا الى ان نصحبهم الى مكان آخر .

وهناك ، وفى مسكن بسـيط ، لايكاد يدخله ضوء الشمس وجدنا عددا من الفدائيين جالسين وامامهم مجموعة من الالات التليفزيونية . اشار الاخ القائد الى المسـئول عن ادارة الجهـاز . وجدنا انفسنا نتابع نسخة من فيلم تليفـزيونى منقول عن تليفزيون اسرائيل ... كان الموضوع:

عملية فندق سافوى .
سمعنا اصـوات ابطـال العملية التى دخلت تاريخ الكفاح المسلح الفلسطينى لتكون منمعالمه الهامة والتاريخية . وكانت اكثر اللحظات اثارة عندما تابعنا الجـدل الدائر بين الفـدائيين وبين الاسرائيليين عن طريق احدى الرهائن التى تولت الترجمـة من العبرية الى العربيـة . سـأل الاسرائيليون :

ــ من أين اتيتم .

ــ من هنا ... من أرضنا .

ولم يصدق الاسرائيليون .فعادوا يلحون . فيجيب الفدائيون ،

ــ هذا ليس من شأنكم . اننا هنا .

ثم تدوى القنـابل ، وتعوى الرشاشـات . وتسقط جدران . وتهرول سيارات الاسعـاف تنقل الجرحى من الاسرائيليين . ويظهر الجنرال **جور** وهـو يجيب على اسـئلة الصحفيين بأسى واقتضاب .

وعندما غادرنا المسـكن المعتم . وصـافحت وجوهنا ــ مرة اخرى ــ اشعة الشمس . كان الربيع يطوق ربى لبنان بعرس من خضرته وبكل ازاهيره .كان **أوديسوس الفلسطينى** قد قطع ، بعد تدريب شاق ، وعن علم ومعـرفة ، المرحلة الاولى من طريقه الطـويل ومن رحلته نحـو الوطن . لقد تحدد مسار الرحلة .

تعقيب

وربما كان فى تقـديرنا ان نضيف الى هاتين الصورتين ٢ صورا اخرى تجلو وجه الثـورة الفلسطينية . غير ان الانبـاء الواردة من لبنان عـن نزيف الدم الـذى اسالته الكتائب فى صدامها مع الفدائيين، وعن القتلى العرب من لبنانيين وفلسطينيين نقول :هذه الانباء ربما حتمت علينا ان نلتفت الى هذا الحـدث الخطير ، على الرغم من انه لم يكن الاول من نوعـه ، اذ بدات محاولات التطويق والتصفية ضد المقاومة فى لبنان ، وبهجمـات عنيفة منـذ ١٩٦٨ وتكررت ١٩٦٩ . [راجع شهادة ابوخالد].
هنا يبدو الحديث عن هدف العـدو فى تصفية الثورة الفلسطينية شاقا ولا شك. فمن الصعـوبة بمكان ان يشرع المرء فى توضيح ما هو واضح : مخطط الالتفاف حول الثورة الفلسطينية لقبر قضية فلسطين .
لكننا نؤمن ، ان مهمة التوضيح هذه ،هى ــ من بين جميع المهام الملقاة على جميع الفصائل الوطنية والثورية ــ فى مقدمـة المهام الرئيسية : المباشرة والمستمرة .
ذلك ان الثورة الفلسطينية ، اذ تقترب ببطء شديد ، وبثبات اشد ــ من نهـاية مرحلة هامة وحاسمة من مراحل كفاحها : اقامة الدولة الفلسطينية على ما يتحرر من ارضها ، تنظر فترى الاخطار المحدقة مـن حولها تتضاعف ، وتكثف بكيفية لم يسـبق

لها مثيل . وان اخطر اللحظات على النصر هي لحظات الاقتراب من النصر . فهنا يوتر العدو كل قواه . ويستخدم كل وسائله: بدءا من الهجوم الارضي والقصف الجوى ، مرورا بالتسلل للخطف والاغتيال والتخريب، ووصولا — في الوقت نفسه — الى استدراج بعض القوى العربية — ويا للاسف — لتشهر سلاحها وتلعب لعبة العدو ، ولتطعن الثورة في ظهرها .

لكن الحقيقة التي يتعين ان تستقر في وجداننا ، هي أن العدو اذ يفعل ذلك فانما يفعله تحت وطأة الفزع من واقع ان الثورة الفلسطينية قد اخذت تنتقل الى مواقع متقدمة ، وانها تثبت على الطريق انتصاراتها . ذلك اننا على هذا الطريق يمكن ان نرصد ما يلي :

● النصر السياسى والدبلوماسى الذى احرزته الثورة عندما استمعت الجمعية العمومية لهيئة الامم الى خطاب ياسر عرفات . ان ١٠٥ دولة قبلت منظمة التحرير كمراقب في اجتماعات الهيئة .

● قرارات مؤتمر القمة في الرباط ، وهي التى دشنت الالتزام المبدئى والثابت بقضية الشعب الفلسطيني .

● نمو واستمرار الدعم ، والتعاون بين حركة التحرير الفلسطينية وبين الاتحاد السوفيتي وسائر الدول الاشتراكية .

● الجبهة الوطنية الفلسطينية التي قامت واشتد عودها كذراع لمنظمة التحرير داخل الارض المحتلة ،وكحركة ثورية وديموقراطية، وكملهم ومنظم لكفاح الجماهير الشعبية على المستويات السياسية والاقتصادية والاجتماعية .

● نضال الفدائيين المستميت في جنوب لبنان . وتصعيد هذا النضال بالكيفية التى حولت العمليات المتفرقة الى جبهة حرب رابعة ، متزايدة السخونة .

● وعندما وصل الكفاح المسلح في الجنوب الى هذا الحد كان قد حقق مكسبين ثمينين :

اولهما : تدفق متزايد من جماهير عمال الزراعة والكادحين الفلسطينيين الى صفوف المقاتلين . [في لبنان حوالى ٤٠٠ الف فلسطيني يعيشون في ١٦ مخيما] .فهذا الدم الشعبى ضمان رئيسى لاستمرار الثورة ، وافشال مخطط التصفية .

ثانيهما : اقتراب جماهير الجنوب اللبناني . وغالبيتها من الفلاحين والكادحين من الكفاح الفلسطيني المسلح ، والتفافها حوله في معركة ، بل في حركة وطنية مشتركة بين الفلسطينيين واللبنانيين معا.

وعندما تصل الثورة الفلسطينية المسلحة الى هذه المواقع المتقدمة فانها تكون قد اصبحت الساحة او البؤرة التى تتجمع فيها — بكيفية مكثفة — كل قسمات حركة التحرر الوطني العربية . من حيث انها حركة وطنية معادية للامبريالية والاستعمار الصهيوني الاستيطاني .وحركة ديموقراطية ذات افاق سياسية واجتماعية : فهي تقف ضد العنصرية والطائفية والتعصب الديني، وهي في صراعها ضد الاستعمار الجديد الذى يساند العدو الاسرائيلي تقف — بالضرورة — ضد التخلف والتبعية ومع التقدم الاجتماعي .

ومثل هذه الثورة ، اذا كانت تستنفر الاعدا لضربها وتصفيتها ، فانها لابد وان تستنفر — في الوقت نفسه — كل الفصائل الوطنية والثورية في الوطن العربي للوقوف بجانبها واسنادها بكل الحزم والثبات المطلوبين .

وجهة نظر فى :

أزمـــــة مــــــارس ١٩٥٤

الفصل الاخير

سـنوات الصـدام
الصـدام الأخـير

قصــة ثورة ٢٣ يوليو

الجزء الاول

أحمد حمروش

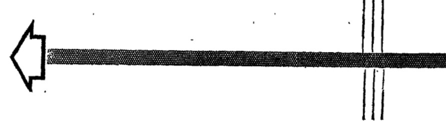
نقدم هنا فصلا من كتـاب أحمـد حمروش [قصــة ثورة ٢٣ يوليـو] الذى اصدرته المؤسسة العربية للدراسات والنشر فى بيروت .

والكاتب هو أحد الضباط المصريين الذين انتموا الى التنظيمات اليســارية قبـل ٢٣ يوليو ، ثم شارك مع الضباط الاحرار بقيادة جمال عبد الناصر فى صنع ثورة يوليو .

وقد أصدر أحمد حمروش ورأس تحرير مجلـة [التحــرير] أولى المجـلات التى أصدرتها حركة القوات المسلحة فى ١٦ ســبتمبر ١٩٥٢ ، كما أصــدر مجلتى [الهدف] الشهرية عن ادارة التعبئة للقوات المسلحة عام ١٩٥٥ [والكاتب] عن دار التحرير للطبع والنشر عام ١٩٦١ .

وخلال العمل الصحفى لأحمد حمروش الذى بدأ مع نهاية فترة الانتقال فى يوليو ١٩٥٦ عمل أيضا مديرا للمسرح القومى ثم مديرا لمؤسسة المسرح لمدة تسع سنوات ، وأخيرا عين رئيسا لتحرير روز اليوسف ثم أصبح كاتبا متفرغا بها .

[وقصة ثورة ٢٣ يوليو] تصدر فى أربعة أجزاء ، وهى حصاد مناقشات طويلة للكاتب مع أغلبية الضباط الاحرار وأعضاء مجلس قيادة الثورة والسياسيين الذين شاركوا أو اختلفوا مع الثورة .



أزمة مارس كانت نتيجة طبيعية لصدام حركة الجيش مع الاقطاع والاحزاب القديمة والاخوان المسلمين والشيوعيين ، وبعض ضباط الجيش .

لم تكن الاجراءات الادارية أو السياسية قد نجحت في تصفية وجود هذه القوى أو انهاء دورها .

انحنت هذه القوى للعاصفة .. تنتظر الفرصة المناسبة لاستعادة النفوذ أو الحركة الحرة .

وازمة مارس ، بدات تنفجر في مبراير ، عندما أرسل محمد نجيب استقالته يوم ٢٢ الى كمال الدين حسين باعتباره سكرتيرا لمجلس قيادة الثورة ، يسجل محاضره وقراراته .

ولم تكن الاستقالة تعنى انسحابا هادئا من الحياة العامة ، ولكنها كانت تعنى في مضمونها انهاء لاعمال مجلس قيادة الثورة واهاله لاعضائه ، فقد ارتبطت الجماهير بشخصية محمد نجيب التى امتلكت الشارع .

كانت الاستقالة تحديا لمجلس قيادة الثورة ، واختبارا لقوة محمد نجيب في مواجهة المجلس ، وامتحانا لارادة الشعب .

كان شعار محمد نجيب الذى بدأ يردده هو الديموقراطيه ، ولكنه في حقيقة الامر كان مسئولا بحكم مركزه وموقعه عن كل الاجراءات التى اتخذتها حركة الجيش .. من اعتقالات ومحاكمات وحل للاحزاب والغاء للدستور .

ولكن تطور الامور دفع محمد نجيب الى التشبث بالديموقراطية وعودة الجيش الى الثكنات ، وهو ما قاله صراحة أمام الضباط في ناديهم في ديسمبر ١٩٥٣ .

وقبل المجلس التحدى الذى فرضه نجيب .

وقال لى محمد نجيب انه عندما عاد الى منزله بعد تقديم الاستقالة حتى فوجىء بأن التليفون قد ضاعت منه الحرارة .

وظهرت الصحف صباح ٢٥ فبراير تحمل هذه المانشيتات :

اجتماع هام مفاجىء لمجلس الثورة .

تعيين جمال عبد الناصر رئيسا للوزراء .

قبول استقالة محمد نجيب من جميع الوظائف التى يشغلها .

منصب رئيس الجمهورية يظل شاغرا حتى نعود الحياة النيابية الى البلاد .

كان مجلس قيادة الثورة قد أعلن هذه الاخبار ضمن بيان وزعه على الصحف في الرابعة صباحا ، ولم تكن قرارات المجلس بالاجماع ، فقد أعترض عبد اللطيف بغدادى وخالد محيى الدين على قبول الاستقالة .

وعقب توزيع البيان الذى حاول تشويه صورة محمد نجيب قام عبد المحسن أبو النور قائد الحرس الجمهورى في ذلك الوقت بعمل خدعة لقائد حرس منزل محمد نجيب في الزيتون ، أبعده بها عن المنزل واستبدل القوات التى كانت تحرس المنزل بقوات تابعة لمجلس القيادة .

وأصبح محمد نجيب معتقلا في منزله .

كان أعلان الاستقالة صدمة للجماهير التى لا تعرف ما يدور في كواليس السياسة والتى ارتبطت بمحمد نجيب وأحبته منذ اليوم الاول للثورة .

وبدأت سلسلة من ردود الفعل في مختلف المواقع .. داخل الجيش وفى الشارع .. فى القاهرة والاقاليم .. فى مصر والسودان .

اقوى ردود الفعل واسرعها كان فى سلاح الفرسان حيث كانت الافكار الديمقراطية تجد مجالا خصبا للنمو ، وخلال الفترة السابقة لم تخمد تطلعات أفراد السلاح لديموقراطية ورفع قبضة مجلس القيادة القوية عن الجيش .

واثناء نظر مجلس القيادة فى استمرار مشروع [النقطة الرابعة] الامريكى ، اشترى ضباط الفرسان عشر نسخ من كتاب [النقطة الرابعة] تاليف الكاتب الصحفى احمد بهاء الدين ، واتصل به بعضهم لمقابلة خالد محيى الدين وثروت عكاشة حيث فهم من المقابلة أن مشروعا معروضا على القيادة ، وأن ضباط الفرسان يريدون أن يشكلوا مجموعة ضغط عن طريق مناظرة ينتظر فيها رفض المشروع .

صدام الضباط

كان اليوم التالى لاعلان استقالة محمد نجيب يوم جمعة .. ومع ذلك فقد دعا ضباط سلاح الفرسان الى اجتماع عام لم يحضره خالد محيى الدين ولا ثروت عكاشة الذى كان قد عين ملحقا عسكريا فى باريس .

وحضر حسين الشافعى فطالبه الضباط بعودة محمد نجيب والحياة الديموقراطية ولما عجز عن اقناعهم حضر جمال عبد الناصر .

وصل جمال عبد الناصر الى ثكنات السوارى فى السابعة والنصف مساء ، وعرض فى هذا الاجتماع خطوات الثورة وما قامت بتحقيقه .. ولكنه فوجىء بنقد موجه الى تصرفات بعض أعضاء مجلس القيادة الشخصية .

كانت هناك عدة محاور للمناقشة :

١ ـ الشكل الديموقراطى للتعبير عن ارادة الشعب المصرى .

٢ ـ المدى الذى يتدخل فيه الجيش فى شئون الحياة اليومية ، وموعد عودته للثكنات لاداء دوره الطبيعى فى خدمة الوطن .

٣ ـ تأثير عزل محمد نجيب على اتفاقية السودان ، وكان ابن محمد نور الدين الزعيم السودانى ضابطا بالسلاح وقد أعلن أن الشعب

السودانى عاطفى وان عزل محمد نجيب سيؤدى الى انتصار حزب الامة .

واستمر الاجتماع الى ما بعد منتصف الليل حيث طلب جمال عبد الناصر العودة للمجلس لاستشارته والحضور مرة أخرى .

وكان خالد محيى الدين قد وصل الى مبنى القيادة بعد عودته من حفلة السواريه فى احدى دور السينما واستدعائهم له ، ويقول انه وجد وجوها جامدة أحس فى تضاريسها بالكراهية ، ولم يكن قد بلغه بعد ما دار فى سلاحه

ورویلهم جمال عبد الناصر قصة اجتماع السوارى ، ودارت مناقشة قصيرة للخروج من المأزق ومجابهة الموقف ، حسمها جمال عبد الناصر باقتراحات محددة هى تولى خالد محيى الدين رئاسة الحكومة ، والعمل بسرعة على عودة الحياة الدستورية ، وذلك لفقدانهم الثقة فى نجيب وعدم رغبتهم فى التعاون معه .

اعترض خالد على هذا الاقتراح قائلا انه لا يقبل البقاء وحده ، ولكن جمال عبد الناصر قال نحن لا نستطيع مقاومة التيار الشعبى .

وذهب جمال عبد الناصر مع خالد محيى الدين الى الضباط المجتمعين فى السوارى ، والذين لم يغمض لهم جفن طوال الليل ، وكانت الساعة قد بلغت الثالثة صباحا .

واعلن جمال عبد الناصر ان المجلس قد وافق على ما يأتى :

١ ـ حل مجلس قيادة الثورة .

٢ـ عودة محمد نجيب رئيسا للجمهورية البرلمانية .

٣ ـ يشكل خالد محيى الدين حكومة انتقال لمدة ستة شهور .

٤ ـ تجرى الحكومة انتخابات لجمعية تأسيسية لتضع دستورا دائما .

٥ ـ يعود أعضاء مجلس قيادة الثورة الى وحداتهم .

ضجت القاعة بتصفيق شديد وضاعت محاولات الكلام فى ضجة الموافقة .

وتوجه خالد محيى الدين مع الصاغ عباس رضوان واليوزباشى شمس بدران والصاغ عماد ثابت الى منزل محمد نجيب لابلاغه بقرار مجلس قيادة الثورة ... وقد رحب نجيب بالقرار ، خاصة وان علاقته بخالد كانت قد اصبحت وثيقة خلال رحلة قاما بها الى اللوبة ، واجتمع الرأى فيها على أهمية عودة الحياة البرلمانية الديموقراطية .

وكانت هذه الرحلة هى بداية ظهور تناقضات أعضاء المجلس مع محمد نجيب .

وعندما عاد خالد محيى الدين الى القيادة كانت معالم الصورة تتغير تدريجيا ، فان ضباط الصف الثانى المحيطين بمجلس القيادة رفضوا الاستجابة لقرارات مجلس قيادة الثورة ، وعودة الضباط الى التكنات فحملوا السلاح وتملكتهم حالة هستيرية وتصرفوا تصرفات فردية .

حاول بعضهم الاعتداء على خالد محيى الدين فمنعهم عبد الحكيم عامر وجمال سالم

ورفض هؤلاء الضباط تسليم بيان مجلس القيادة الى مندوب الاذاعة الذى حضر فى السابعة والنصف صباحا

كان يحمل لواء المعارضة للقرارات البكباشى احمد انور قائد البوليس الحربى ، والصاغ مجدى حسنين وقائد الجناح وجيه اباظة واليوزباشية كمال رفعت وحسن التهامى ومحمد ابو الفضل الجيزاوى والصاغ سعد زايد وغيرهم من الضباط الذينخرجوا عنحدود الانضباط ، وبدأوا يهاجمون اعضاء المجلس الذين اتخذوا هذا القرار .

وفى مكتب اللواء عبد الحكيم عامر ارتفعت ضجه النقاش وتبين خطر الصدام المسلح .. ووقف عامر فوق مكتبه شاهرا سلاحه مهددا بالانتحار اذا حدث قتال بين اسلحة الجيش ووحداته .

ومع ذلك لم يرتدع ضباط الصف الثانى ، وتحردوا تلقائيا لتنفيد رغباتهم دون تنسيق .. بعض ضباط المدفعية احضروا المدفعية المضادة للدبابات وحاصروا سلاح الفرسان من جهة الشارع ، وجنود احدى كتائب مدافع الماكينة وجهت مدافعها نحو اسلاك السلاحمن داخل ثكنات العباسية ، وحول البوليس الحربى مسار عربات واوتوبيسات سلاح الفرسان ، واعتقلوا من بها من الضباط .. وصدرت الاوامر لبعض الطائرات بالتحليق فوق سلاح الفرسان

فوجىء ضباط الفرسان بهذه الحركات المضاده ، وحاول البعض منهم تفادى صداما دمويا مسلحا . فذهبوا لمناقشة اعضاء القيادة ولكنهم لم يتمكنوا من ذلك فقد اعتقلوا ومنعوا من العودة .

ولم تقف التصرفات الذاتية لضباط الصف الثانى عند هذه الحدود .. بل ان اليوزباشية كمال رفعت وداود عويس اتجها الى منزل محمد نجيب دون أوامر لاعتقاله ، ولما اعترضهم الحرس اتصلوا بصلاحنصر قائد كتيبة الحرس الجديد فاذن لهم بالدخول .

وترك كمال رفعت محمد نجيب فى ميس المدفعية بالماظة وعاد الى مبنى القيادة ليبلغ عبد الحكيم عامر الذى ثار عليه وانبه هو وصلاح نصر قائد كتيبة الحرس .. وارسل اليوزباشى حسن التهامى للافراج عن نجيب واعادته الى منزله .

ووصل نجيب الى منزله سالما بعد يوم عصفت بنفسه التوقعات المختلفة ، وكسرت فيه قواعد الاحترام لرئيس الجمهورية ، وتمزقت نهائيا وحدة الضباط الاحرار .

ولم يكن رد الفعل الوحيد لاستقالة محمد نجيب قاصرا على ما حدث فى سلاح الفرسان ، ولكنه كان موقفا ضمن مواقف أخرى .

ضباط المنطقة الشمالية فى الاسكندرية عارضوا استقالة نجيب فور اعلانها ، وابلغوا ذلك البكباشى صلاح الدين مصطفى الملحق العسكرى المصرى الذى استشهد فى عمان بعد ذلك ، والذى أوفده المجلس للتعرف على رأى ضباط الاسكندرية بصفته كان واحدا منهم .

وتجاوزت ردود الفعل حدود الجيش .

عمت المظاهرات شوارع الخرطوم وبعض مدن السودان تهتف [لا وحدة بلا نجيب] ، وخرجت المظاهرات ايضا فى القاهرة منذ الصباح الباكر تهتف بحياة محمد نجيب .

وفى الوقت الذى أحاطت فيه قوات الجيش بسلاح الفرسان ، وتم اعتقال عدد كبير من ضباطه بلغ الاربعين ، وبدا الامر كما لو ان مجلس قيادة الثورة قد انتصر تماما ، عقد المجلس اجتماعا طالب فيه بعض الاعضاء باخراج خالد محيى الدين من المجلس وتحديد اقامته أو اعتقاله ...

عارض هذا الاتجاه عبد اللطيف بغدادى الذى قال ان خالد لم يخف آراءه ، كما أنه طلب الاستقالة ورفض المجلس .

وحسم جمال عبد الناصر المناقشة بقوله : ان القضية ليست قضية خالد محيى الدين ولكنها قضية محمد نجيب ، فاذا تقررت عودة نجيب فلابد من عودة خالد أيضا .

وبدأت مناقشة موضوع محمد نجيب .. وكان قد تقرر تشكيل محكمة برئاسة جمال سالم ومن أعضائها البكباشى أحمد أنور لمحاكمة ضباط الفرسان المعتقلين .

وأثناء الاجتماع اتصل أحد ضباط الفرسان بعبد الحكيم عامر وأبلغه أنه اذا لم يفرج عن كل الضباط المعتقلين ، فان الدبابات المحاصرة ستوجه نيرانها على مبنى القيادة .. وليحدث بعد ذلك ما يحدث .

وكانت المظاهرات تزداد انتشارا فى شوارع القاهرة .. ومناقشات المجلس فى مصير نجيب مستمرة لا تنقطع .

عـودة محمـد نجيب

وعند الثالثة بعد الظهر كان الارهاق قد استبد بجميع أعضاء المجلس بعد ليلة مرهقة لم يغمض لهم فيها جفن ، فقرروا رفع الجلسة للنوم اربع ساعات .. وطلب منهم جمال عبد الناصر تفويضا بالتصرف اذا ساءت الامور خلال هذه الساعات ، فوافقوا على ذلك ، وبقى وحده فى مقر المجلس بعد

أن ذهب الجميع لخطف لحظات للراحة ، وكانوا خلال هذه الفترة لا ينامون فى منازلهم .

وما هى الا برهة قصيرة حتى كانت الاخبار تتلاحق على مجلس القيادة .. وكالات الانباء تحمل أخبار مظاهرات السودان .. البكباشى صلاح مصطفى يصل من الاسكندرية حاملا موقف ضباطها تأييدا لنجيب .. وأخيرا عودة صلاح سالم الى المجلس وقد صدمه منظر المظاهرات تملأ الشوارع وتحيط بقصر عابدين ، وهو فى طريقه الى منزله .

روى لى صلاح سالم أنه قال لجمال عبد الناصر الذى كان يجلس وحيدا فى الغرفة [اما ان ينزل الجيش لتفريق المظاهرات ، واما ان يلتهب الموقف] .

ويقول ان جمال عبد الناصر لم يجب .. جلس فى صمت واضعا رأسه بين يديه .

وتابع صلاح سالم حديثه [اعتقد أنه لابد من عودة نجيب] .

وظل جمال عبد الناصر صامتا لا يجيب .

وقال صلاح سالم [سأبلغ الخبر للاذاعة] .

واستمر صمت جمال عبد الناصر .

وكرر صلاح سالم عبارته فى الحاح .

ولم ينطق جمال عبد الناصر ... ظل محتفظا بصمته وأفكاره .

ولم يجد صلاح سالم بدا من تبليغ الاذاعه بخبر عوده محمد نجيب .

وفوجىء اعضاء المجلس فى منازلهم ببيان تذيعه الاذاعه فى السادسة من مساء ٢٧ فبراير ١٩٥٤ يقول [حفظا على وحدة الامه يعلن مجلس قيادة الثوره عودة الرئيس اللواء محمد نجيب رئيسا للجمهورية وقد وافق سيادته على ذلك] .

وصحب هذا البيان بيان آخر تكررت اذاعته يقول [تعلن قيادة الثورة ان أى اخلال بالأمن فى انحاء البلاد سيقابل بكل شدة وعنف] .

عاد محمد نجيب رئيسا للجمهورية .

ونشرت صحف صباح ٢٨ فبراير بيانا على لسانه قال فيه :

[أرى من واجبى أن ابين لاخوانى ابناء المصريين والعرب اننى استقلت من منصبى بمحض ارادتى مقتنعا أن مجلس الثورة هو الهيئة التى ترتبت فيها غاياتنا العليا ، ورسمت اهداف الثورة السابقة التى ترمى الى رفعة الوطن واستقلاله ، وما أقدمت على هذه الاستقالة الا لكى أتيح لاخوانى أعضاء المجلس الفرصة للعمل على تحقيق هذه المبادىء والعمل على طرد العدو الغاصب الذى مازال يحتل جزءا من أرضنا الطاهرة وانى لاهيب بالمصريين المخلصين والعاملين أن يتحدوا صفا واحدا خلف اخوانهم واخوانى أعضاء مجلس

قيادة الثورة ، يعملون معهم جاهدين لتحقيق الاهداف السابقة] .

لم تكن عودة محمد نجيب هزيمة لطرف من الاطراف ، وانتصارا للطرف الاخر ، ولكنها كانت توفيقا فرضته الظروف الحساسة المتوازنة ، وبدايه لمرحلة جديدة من المواجهة الصريحة والمستقرة .

وبدأ محمد نجيب يومه الاول بعد العودة بالذهاب الى قصر عابدين حيث تدفقت المظاهرات رغم بيان المجلس الذى تكررت اذاعته عدة مرات ... وحدث اصطدام بينها وبين البوليس أدى الى اصابة ١٣ مظاهرا ، حملوا قمصانهم الملوثة بالدماء يلوحون بها لمحمد نجيب الذى خرج يخطب فيهم من شرفة قصر عابدين .

وعندما لمس نجيب هياج الجماهير وارتفاع هتافات الاحتجاج ضد الاعداء عليهم استدعى اليه فى الشرفة المرحوم عبد القادر عودة أحد زعماء الاخوان المسلمين ليهدىء من ثائرة المتظاهرين الذين خطب فيهم قائلا : انه لم يقبل العدول عن الاستقالة الا من أجل الحرية والديموقراطية والانتخابات البرلمانية .

وأبلغ محمد نجيب النائب العام للتحقيق فى حادث الاعتداء على المتظاهرين .

وفى اليوم التالى أول مارس ١٩٥٤ ظهرت الصحف وفيها أخبار القبض على ١١٨ شخصا ، بينهم عبد القادر عودة واحمد حسين ، كما تقرر ايقاف الدراسة فى الجامعات الثلاث الى نهاية الاسبوع حيث كانت المظاهرات تد اجتاحتها .

وكان غريبا فى وسط هذا الجو المضطرب أن يسافر محمد نجيب فى نفس اليوم أول مارس الى السودان لحضور افتتاح البرلمان السوداني بناء على ارتباط سابق مع صلاح سالم وأحمد حسن الباقورى .

كان موعد السفر غير مناسب اطلاقا ، فالامور لم تهدأ بعد فى مصر ، وكثير من المشاكل كانت تحتاج الى حل ومواجهة .

وكانت هناك فى الخرطوم مفاجأة شديدة أيضا .

جماهير حزب الامة احتشدت فى المطار والشوارع المؤدية اليه تعلن ارادة الانصار بعد انتصار الحزب الوطنى الاتحادى فى الانتخابات وتعيين اسماعيل الازهرى رئيسا لوزارة السودان هاتفة : [لا مصرى ولا بريطانى .. السودان للسودانى].

ورغم أن الصديق المهدى كان فى استقبال محمد نجيب فى المطار الا أن المظاهرات أخذت شكلا معاديا ، واصطدام البوليس بالجماهير أفسد مظاهر الاحتفال ، وحاصر المدعوين فى أماكنهم .

وغادر الخرطوم مع الفجر محمد نجيب وزملاؤه ، كما غادرها أيضا سلوين لويد وزير الدوله البريطاني ، ولم يفتتح البرلمان السودانى .. وقد حكمت المحكمة العليا التى كان يراسها قاض بريطانى بعد ذلك باعدام عوض صلح رئيس تحرير جريدة الامة ، ومدير دائرة عبد الرحمن المهدى ، وبالسجن المؤبد على الصحفى على غرج بالجريدة ، وأربع سنوات على عبد الله عبد الرحمن نصر الله سكرتير عام منظمات الانصار .. وقد خففت محكمة الاستئناف بعد ذلك حكم الاعدام الى المؤبد ، وحكم المؤبد الى عشر سنوات .

عاد محمد نجيب ولاحقته منشيتات الصحف باحداث السودان المحزنة ، واستمرت حركات الاعتقال .. فتم يوم ٣ مارس اعتقال ٤٥ من الاخوان ، ٢٠ من الحزب الاشتراكى [مصر الفتاة] ، ٥ وفديين ، ٤ شيوعيين .. وصدر قرار باستمرار اغلاق الجامعة اسبوعا آخر ..

المعتقلون من مختلف القوى السياسية .. وعودة نجيب لم تكن استقرارا للوضع ، ولكنها كانت فرصه لالتقاط الانفاس والتناطح من جديد ..

طالب محمد نجيب باطلاق سراح المعتقلين ، وتحقيق النيابة مع المسئولين عن جرحى المظاهرات .. وصرح فى مؤتمر صحفى حضره عدد كبير من مندوبى وكالات الانباء والصحفيين الاجانب الذين توافدوا على مصر يشهدون اول تناطح بين الضباط تمتد آثاره الى الشارع .

صرح محمد نجيب قائلا : [أننى لا أرضى أن أكون رئيسا للجمهورية فى بلد غير ديموقراطى وغير برلمانى .. وانه سيفرج عن المعتقلين جميعا] .

وعقد مجلس قيادة الثورة اجتماعا لم يحضره محمد نجيب ولا خالد محيى الدين الذى كان قد سافر الى وادى النطرون لمدة أيام بناء على نصيحة زكريا محيى الدين وزير الداخلية ومدير المخابرات فى ذلك الوقت ليبعد مؤقتا عن القوات المسلحة التى اعتبرت حركة الفرسان بمثابة شرخ عميق فيها .

وجد المجلس أن الصدام المباشر ليس فى صالحه ، وان جميع القوى السياسية متربصة رغم اعتقال أو تحديد اقامة زعمائها .

واقترح جمال عبد الناصر أن ينفس من الضغط المتراكم بقرارات تتيح للمجلس البقاء فترة فى هدوء

قرارات ٥ مارس

وصدرت قرارات ٥ مارس التى أعلنها جمال عبد الناصر فى بيان جاء فيه :

قرر مجلس قيادة الثورة اتخاذ الاجراءات فورا لعقد جمعية تأسيسية منتخبة بطريقة الاقتراع المباشر على أن تجتمع خلال يوليو ١٩٥٤ وتكون لها مهمتان :

١ ـ مناقشة مشروع الدستور الجديد واقراره

٢ ـ القيام بمهمة البرلمان الى الوقت الذى يتم فيه عقد البرلمان الجديد وفقا لاحكام الدستور الذى ستقره الجمعية التأسيسية .

وقرر المجلس ايضا الغاء الرقابة على الصحف .. والغاء الاحكام العرفية قبل اجراء انتخابات الجمعية التأسيسية على أن يكون لمجلس الثورة سلطة السيادة لحين اجتماعها . كما أن تنظيم الاحزاب سيكون متوقفا على الدستور الجديد .

وصرح جمال عبد الناصر ايضا بأنه ينوى الافراج عن المعتقلين . أما الذين لم يحاكموا بعد فلن يقدموا للمحاكمة .. وقال [سأنسى الاساءة التى لحقت بى ، وسأنظر للجميع على اختلاف الوانهم باعتبارهم مواطنين يعملون جميعا لصالح الوطن .. كما أننى سأنسى كل ما أصابنى ، وسأنظر فى بناء مصر على أسس ديموقراطية صحيحة] .

ولكن قرارات ٥ مارس لم تكن كلمة النهاية فى قصة الخلاف بين محمد نجيب وخالد محيى الدين من جهة واعضاء مجلس القيادة من جهة أخرى .. فقد بدأ كل فريق يتحرك ضد الاخر بأساليب مختلفة .

اعتمد محمد نجيب على شعبيته وعودته منتصرا فطلب أن يعود رئيسا للوزراء بعد أن كان جمال عبد الناصر قد تولى هذا المنصب واستمر فيه حتى ٧ مارس الى ان عاد محمد نجيب فى اليوم التالى رئيسا لكل من الجمهورية ومجلس الوزراء ومجلس قيادة الثورة .. واخذ يوالى تصريحاته قائلا : [ان كل ما يقال من اننا نبغى الاستمرار فى حكم عسكرى ما هو الا هراء وأفساد وازعاج] .

وأبلغ الصحف عن خطاب وصله من حسن الهضيبى ، مرشد الاخوان من داخل المعتقل ، يطلب منه الرجوع عن حل الاخوان ، والافراج عن المعتقلين .. وكان قد صدر قرار بحل الاخوان وأعتقال زعمائها فى شهر يناير ١٩٥٤ .

وخطاب آخر وصله من نقيب المحامين عمر عمر لدفع الاعتداء الجسيم الذى وقع على المحامين أحمد حسين وعبد القادر عودة وعمر التلمسانى ، والدعوة لجمعية عمومية ، تطلب عودة الحياة النيابية ، وعمل ميثاق وطنى .

واستمر محمد نجيب على أسلوبه .. لا يقيم صلات تنظيمية مع الضباط الموالين له ، ولا يخطط معهم حركة ما للمستقبل ، ولا يربط نفسه بحزب أو قوة سياسية . اعتمادا منه حسب اعتقاده على [كل] الجماهير .

هذا بينما اعتمد مجلس قيادة الثورة على أسلوب آخر ، هو الاعتماد على القوات المسلحة التى كان قادة وحداتها قد عينوا بامر اللواء عبد الحكيم عامر .. وحاولوا تضييق شقة الخلاف ، فافرجوا عن ضباط المدفعية الذين حوكموا فى بداية عام ١٩٥٣ .. واقام عبد الحكيم عامر مأدبة عشاء فى نادى الضباط حضرها ١٣٥٠ فى محاولة لترطيب الجو وتهدئته واكتساب ثقة الضباط .

دور هيئة التحرير

لم تكن هناك قوة سياسية يستطيع أن يعتمد عليها اعضاء مجلس قيادة الثورة ، بعد أن حلت جميعا ووضع قادتها فى السجن الا هيئة التحرير ..

وكانت هيئة التحرير قد قامت فى نشاطها ـ حسب ما قاله لى ابراهيم الطحاوى سكرتيرها ـ على أساس الدعاية لجمال عبد الناصر وليس محمد نجيب .

كان الموقف يندفع اندفاعا نحو انتخابات الجمعية التأسيسية

كتب سليمان حافظ فى مذكراته التى لم تنشر بعد :

كان يتعين علينا أن نحسب حساب الوفد فى الانتخابات المقبلة بحكم انه أكبر الاحزاب القديمة واكثرها نظاما ومن ثم كنت متفقا وجمال عبد الناصر على الا نكتفى بتقليم اظافره بسان تجرده من العناصر الطيبة التى كانت منتمية اليه لتنتظمها جبهتنا ، بل يجب أن يأتلف تحت علمها جميع خصومه من رجال الاحزاب الاخرين والمستقلين ، ونظرا لضيق الوقت رأينا ان نسلك اليهم عن طريق زعمائهم ومن أجل هذا نشطت للاتصال بهؤلاء الزعماء وعملت على رفع الحجر عن بعضهم] .

وطلب جمال عبد الناصر من ابراهيم الطحاوى سكرتير مساعد هيئة التحرير الاتصال بالسياسيين الثمانين الذين سبق له الاتصال بهم عند تكوين الهيئة ، وأبدوا استعدادهم الكامل للتعاون معه ،

وكان من بينهم الدكتور محمد صلاح الدين عضو الهيئة الوفدية ووزير الخارجيه السابق ، وفكرى اباظة ، واللواء محمد فتوح النائب الوفدى وغيرهم ، وذلك لان خطة المجلس كانت الاستقالة والنقدم للانتخابات كحزب من الاحزاب .

وفوجىء ابراهيم الطحاوى حسب قوله بأن السياسيين قد تراجعوا عن موقفهم السابق ، وعادوا الى أحزابهم القديمة ، بما فيهم الدكتور محمد صلاح الدين الذى كان مرشحا ليكون سكرتيرا عاما لهيئة التحرير .

وانتهزت بعض الصحف فرصة رفع الرقابة عن الصحف فتمادت فى الهجوم على العسكريين .. مثل مجلة [الجمهور المصرى] التى هاجمت البوليس الحربى وقائده احمد أنور هجوما قد يكون بعض ما ورد فيه صدقا ولكنه كان مستفزا أو مثيرا ، ودافعا لتشبث المجلس وضباط الصف الثانى بالسلطة خوفا مما يمكن أن يحدث لهم اذا تغيرت الامور ، وبدأوا يخضعون للتحقيق والحساب ، وكشف ما ارتكب بعضهم من اخطاء وانحرافات قد تصل بهم الى دائرة العقاب أيضا .

كانت الحلقة تضيق حول مجلس القيادة .. التناقضات بين الضباط مازالت قائمة .. البعض يطالب بالعودة للثكنات ، والمستفيدون من رجال الصف الثانى وبعض المقتنعين بفساد القديم عن يقين يصرون على استمرار الثورة .. والقوى السياسية كلها معادية ومن خلفها جماهير .. وهيئة التحرير بعد تخلى السياسيين عنها أضعف من أن تحقق شيئا .

وفى يوم ١٩ مارس انفجرت اربع قنابل فى أنحاء متفرقة من القاهرة .

وفى صباح ٢٠ مارس كان اجتماع المؤتمر المشترك للمجلس والوزارة ، وأثيرت قضية الانفجارات . وطلب جمال سالم وزكريا محيى الدين اتخاذ اجراءات صارمة للضرب على أيدى هؤلاء المخربين .

وقال محمد نجيب فى تلميح بأنه لا يوجد صاحب مصلحة فى التخريب الا هؤلاء الذين يبتغون تعطيل مسار الشعب نحو الديموقراطية .

وبدأت معالم المعركة السياسية داخل المجلس تظهر فى تصريحات القادة .. جمال عبد الناصر يصرح لوكالة [انس] الايطاليه قائلا [سيكون الاخوان أحرارا فى تشكيل حزب اسلامى أو هيئة اسلامية] ، وعن الشيوعيين يقول [كلما بدا أن من الممكن الاتفاق مع لندن قام الشيوعيون - وعددهم ليس كبيرا - ولو أنهم منظمون تنظيما جيدا يزاولون نشاطهم تحت ستار المطالب الوطنية ، وقاموا بحملة تهدف للحيلولة دون الوصول الى اتفاق] .

ومحمد نجيب يواصل تصريحاته [لن نتراجع عما استهدفناه من عودة الحياة النيابية ... ولماذا نخاف منها وما ثرنا الا لاعادتها خالية من الشوائب] . كما أكد أيضا أنه ليس فى نيته تكوين حزب .

وظهر الوفد مرة اخرى عندما ادلى برأيه الذى تلخص فى : [التمسك بالنظام الجمهورى والاصلاح الزراعى وعودة الحياة النيابية فورا حتى تستقر الاوضاع] ، ويعود على ماهر ليصرح بقوله [ان مصر لا تستطيع الوقوف موقف الحياد ويجب أن تنضم للغرب] .

وحدثت خلال هذه الفترة اتصالات بين الوفد ورجال الثورة عن طريق محمد صلاح وابراهيم الطحاوى اقترح فيها الوفد انضمام رجال الثورة اليه ، وأن يكون جمال عبد الناصر سكرتيرا عاما للوفد .

ويقول ابراهيم الطحاوى : [ولكن جمال عبد الناصر رفض الاقتراح] .

ونشرت جريدة **المصرى** رسالة لعضو مجلس قيادة الثورة السابق يوسف صديق سربها من منزله حيث كان محدد الاقامة ، يقترح تشكيل وزارة يرأسها الدكتور وحيد رأفت وتضم الوفد والاخوان المسلمين والشيوعيين لاجراء انتخابات للبرلمان الجديد .

وكانت هذه هى المرة الاولى التى يطرح فيها علنا اشتراك الشيوعيين فى الحكم ضمن جبهة وطنية ديموقراطية .

وتميزت هذه الفترة بحيوية شديدة فى اعلان الرأى .. محمود عبد المنعم مراد يدافع صراحة عن حكم الشعب فى جريدة [المصرى] . وجلال الدين الحمامصى يحذر من الانتخاب فى جريدة [الاخبار] .

وأصبح الموقف مهتزا تحت أقدام مجلس قيادة الثورة ، ووهنت قبضته على الحكم والسلطة ، وأصبح استمرار الحالة على ما هى عليه ضربا من المستحيل ، وكان لابد من شىء ينهى فترة القلق والتوتر وعدم الاستقرار .

قرارات ٢٥ مارس

واجتمع أعضاء مجلس قيادة الثورة يوم ٢٥ مارس بحضور محمد نجيب وخالد محيى الدين حيث دارت مناقشات عاصفة ، بدأت باقتراح من عبد اللطيف البغدادى بالغاء قرارات ٥ مارس

وتمسك خالد محيى الدين بها ، ومطالبته بشكل جديد للديموقراطية يحرم النواب الذين صوتوا تأييدا لاى قوانين مقيدة للحريات والذين رفضوا دفع ضريبة الاطيان ، ورؤساء الاحزاب والذين طبقت عليهم قوانين الاصلاح الزراعى من حق الترشيح للجمعية التاسيسية .

وانحرفت المناقشة الى وضع الامور على طرفى نقيض :

اما الغاء قرارات ٥ مارس ؟ ».

واما رفع كافة القيود عن عودة الاحزاب والافراج عن كل المعتقلين .

وبعد مناقشة استمرت خمس ساعات الى اصدار ما عرف بقرارات ٢٥ مارس :

١ - يسمح بقيام الاحزاب .

٢ - مجلس قيادة الثورة لا يؤلف حزبا .

٣ - لا حرمان من الحقوق السياسية حتى لا يكون هناك تأثير على الانتخابات .

٤ - تنتخب الجمعية التأسيسية انتخابا مباشرا دون تعيين أى فرد ، ويكون لها السيادة والسلطة الكاملة ، وتكون لها سلطة البرلمان كاملة والانتخابات حرة .

٥ - حل مجلس الثورة فى ٢٤ يوليو باعتبار الثورة قد انتهت وتسلم البلاد لممثلى الامة .

لم تكن هذه القرارات هى ما يعيش فى صدور أعضاء مجلس القيادة ، ولا هى ما يتطلع اليه محمد نجيب أو خالد محيى الدين ... ولكنها كانت عملا من أعمال الاثارة المبنية على التخلى فجاة عن كل السلطات والصلاحيات والاشارة الى انتهاء الثورة بما يمثل النكسة لامال الجماهير ويقترب بالامور من حافة الهاوية .

كانت خطة الجنوح للنقيض واضحة فى مناقشات المجلس ، عندما قال أحدهم باننا اذا اعدنا الاحزاب سنعيد الحزب الشيوعى كنوع من الاثارة والتهديد .. وعقب ثان بان الافراج عن المعتقلين سيشمل مصطفى النحاس واحمد حسين وحسن الهضيبى وكل زعماء الاحزاب .

كان انتقالهم المفاجىء من النقيض يدل على وجود تدبير ما ، فلا يعقل أن يوافقوا موافقة غير مشروطة على عودة الاحزاب والافراج عن كل المعتقلين .

هذا الاتجاه من التفكير صحيح .. ولكنه صحيح أيضا أن المجلس لم يكن فى موقف القدرة على [الاختيار] بقدر ما كان قريبا من اليأس ، يسلك لهدفه فى الاستمرار أى سبيل ».

قال صلاح سالم ان الهدف من اعادة الحزب الشيوعى هو اثارة الامريكيين .

وقال لى خالد محيى الدين : أن مراسل مجلة « نوفيل » أوبزرفاتور قال له ان جمال عبد الناصر سيكسب المعركة مع نجيب ، وانه عرف ذلك بحكم صلاته [صلات المراسل] بالسفارتين الامريكية والبريطانية .

وما أن اعلنت القرارات حتى بدأ اخراج المعتقلين .

الصدام الاخير

أول الذين أفرج عنهم كانوا الاخوان المسلمين ومرشدهم حسن الهضيبى الذى توجه جمال عبد الناصر لزيارته بمنزله فى منتصف الليل فور الافراج عنه كما نشرت جريدة المصرى يوم ٢٥ مارس .

وقد كان هذا الاجتماع حاسما فى تغيير موقف الاخوان المسلمين ، فقد استأنفوا نشاطهم وعقدوا أول اجتماع بعد الافراج عنهم .

وخرج حسن الهضيبى قائلا قبل الغاء مجلس القيادة لقراره بحل جماعة الاخوان المسلمين [ان الجماعة قائمة وانها اقوى مما كانت] .

وحرص محمد نجيب على التأكد من الافراج عن كبار المعتقلين فاتصل بهم فى منازلهم ، فلم يجد أحدا قد أفرج عنه الا حسن الهضيبى وعبد القادر عودة ، أما مصطفى النحاس وأحمد حسين فلم يفرج عنهما .

وقد التقطت جريدة [الاخبار] تسجيلا دفعت به المباحث اليها عن اتصال محمد نجيب بمصطفى النحاس لسؤاله عن رفع تحديد الاقامة والاستفسار عن صحة زوجته ، فنشرت ذلك بالبنط العريض لتعمق الوهم بأن هناك اتصالات خفية بين نجيب والنحاس ، الامر الذى يثير ضباط الجيش ويبعدهم عنه .

أثبت عدم الافراج عن مصطفى النحاس وأحمد حسين ومحاولة اثارة الضباط ضد محمد نجيب أن النية لم تكن خالصة لتنفيذ قرارات ٢٥ مارس رغم اعتقاد بعض أعضاء المجلس الذين لم تكن لهم اتصالات خفية أن الامور قد انتهت الى ذلك .

ذهب حسين الشافعى الى هيئة التحرير وابلغ ابراهيم الطحاوى أن المجلس قرر الانسحاب

اعترض الطحاوى - حسب روايته - على هذا التفكير ، معلنا ان الانسحاب معناه دخول الضباط للسجن ، واعلن انه سيقاوم قرار المجلس ».

وهكذا كان تفكير ضباط الصف الثانى الذين سبق أن أوقف بعضهم تعيين خالد محيى الدين رئيسا للوزراء ، واعتقلوا محمد نجيب ، وانقذوا المجلس من حركة ضباط سلاح الفرسان .

وبدا الصدام يأخذ شكلا حادا

نقابة الصحفيين تطلب الغاء الاحكام العرفية فورا وتشكيل وزارة قومية . ونقابة المحامين تعلن الاضراب .. والصحف تنشر أن مصطفى النحاس ورشاد مهنا واحمد حسين لم يفرج عنهم .. والقائمقام أحمد شوقى قائد الكتيبة ١٣ مشاة التى قامت بدور كبير ليلة ٢٣ يوليو ، أرسل خطابا نشرته الصحف يعلن فيه نفس المطالب .. وهيئات التدريس وطلبة الجامعات يطالبون بعودة الحياة النيابية .

وفى الجانب المقابل كان الصاوى أحمد صاوى سكرتير اتحاد عمال النقل قد اتصل بابراهيم الطحاوى الذى أثار معه التخوف من انتكاس مكسب العمال فى منع الفصل التعسفى .

ودبر الاثنان خطة لاعتصام متزايد لعمال النقل ينتهى باضراب عام .

وضباط البوليس يعلنون [ان العودة الى الحياة النيابية مع وجود الاحتلال خدعة استعمارية] .

وقيادة الحرس الوطنى ومنظمات الشباب تتحرك قواتها الى القاهرة .

وكان موقف الاخوان المسلمين فى هذه الفترة يمكن أن يعتبر عامل ترجيح لاحد الجانبين ... وقد اتصل محمد رياض قائد حرس محمد نجيب ببعض قادة الاخوان دون استشارته فجاء الرد بأنهم لم يتدبروا أمرهم بعد ، وانهم يفضلون الانتظار والهدوء حتى يتم الافراج عن كافة المعتقلين .

وصدر للاخوان المسلمين تصريح فى صحف صباح ٢٧ مارس يقول [فيما يختص بعودة الاحزاب السياسية أملنا الا يعود الفساد أدراجه مرة أخرى فاننا لن نسكت على هذا الفساد ، بل نؤيد بقوة حرية الشعب كاملة ، ولن نطلب بتأليف أحزاب سياسية لسبب بسيط . هو أننا ندعو المصريين جميعا لان يسيروا وراءنا ويقتفوا اثرنا فى قضية الاسلام .

ونشر فى الجمهورية فى نفس الوقت خبر جاء فيه : [تقرر اعادة جماعة الاخوان المسلمين، وان كل اثر لقرار حل الجماعة الصادر فى يناير الماضى قد زال] .

هكذا اختار الاخوان المسلمون الوقوف مع مجلس قيادة الثورة والتخلى عن تأييد الديموقراطية وعودة الحياة النيابية ... وهو موقف نابع من رفضهم القديم لاستمرار الحياة البرلمانية وخاصة فى هذه الفترة التى عادت فيها تباشير الحياة الى القوى والاحزاب السياسية ، بعد أن كانوا القوة السياسية الوحيدة المصرح لها بالعمل والنشاط .

تم الاتفاق على أن يجنحوا للسلبية فى هذه الايام الحرجة ، وأن يبتعدوا عن الاشتراك فى أى مظاهرة معادية للمجلس .

وهكذا بينما لعبت جماهير الاخوان المسلمين دورا حاسما فى عودة محمد نجيب بعد استقالته فان قيادتها لعبت دورا انتهازيا فى قضية عودة الحياة النيابية .

وأخذت كفة مجلس القيادة ترجح ساعة بعد أخرى .. ومفاتيح السلطة تحرك الاجهزة التابعة لها .. وهيئة التحرير احتضنت حركة عمال النقل وابناء اتحاد الصعيد ، وشلت حركة الاوتوبيس والترام والتاكسى والقطارات ، ثم نزلوا بعد ذلك الى الشارع فى مظاهرات كان يحركها الطحاوى وطعيمة بعربات ركبت فيها ميكروفونات .

وظهرت جريدة المصرى بمانشيت كبير يوم ٢٨ مارس [مؤامرات ضد الشعب] .

وقال خالد محيى الدين عندما سئل عن المظاهرات [عساهم الايكونوا قد هتفوا بسقوط الحرية والبرلمان والحياة النيابية] .

ولكنهم هتفوا فعلا بسقوط الحرية يوم ٢٨ مارس .. وكان محمد رياض قائد حرس محمد نجيب قد دخل عليه فى حجرة نومه بعد منتصف ليلة ٢٧ ـ ٢٨ مارس وابلغه عن الخطة المدبرة لاشعال المظاهرات يوم ٢٨ مع الصباح الباكر .

اتصل محمد نجيب بوزير الداخلية زكريا محيى الدين وحذره من خروج المظاهرات ، واستدعى اللواء الباجورى وكيل الداخلية الى منزله وطلب منه فض المظاهرات بالقوة فطلب منه الباجورى توقيع أمر كتابى باطلاق الرصاص على المتظاهرين ، فرفض نجيب وقال له [اقطع يدى ولا أوقع أمرا باطلاق الرصاص على أبناء الشعب] .

وحاول بعض الضباط الملتفين حول محمد نجيب أن يدفعوه لاعلان تشكيل وزارة جديدة يراسها وحيد رأفت ، وأن يتخذوا اجراء ضد أعضاء المجلس ، ولكنه تردد وآثر أن يؤجل ذلك الى ما بعد عودته من الاسكندرية بعد زيارته لها مع الملك سعود الذى كان قد وصل يوم ٢٠ مارس .

ولكن الوقت كان متأخرا فان المظاهرات المدبرة قابلته فى المحطات تهتف [لا أحزاب . ولا برلمان] .

ورفض محمد نجيب الانسياق وراء غرائزه حتى لا يحدث صدام مسلح أو حرب أهلية كما قال لى .

وعقد اجتماع بدأ عند منتصف الليل واستمر حتى فجر يوم ٢٩ مارس .. وحضره محمد نجيب وجمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر والدكتور عبدالرازق السنهورى وعبدالرحمن عزام مع الملك سعود .

ودارت مناقشات طويلة انتهت بتسليم محمد نجيب لمطالب مجلس قيادة الثورة بعد أن خذلته الجماهير ولم تناصره كما حدث عند إستقالته ، وبعد أن قرر عدم اللجوء الى ما يثير صداما مسلحا .

وسافر الملك سعود، وسقط محمد نجيب فى المطار مغشيا عليه ليبقى بعد ذلك مريضا فى منزله لمدة ثلاثة اسابيع ، وتصدر عنه نشرة طبية يوقعها الدكتوران أنور المفتى ورجب عبد السلام حتى لا تشاع اخبار تثير الجماهير من جديد فى وقت يدرك فيه أن مظاهرات اليومين الاخيرين كانت مدبرة ومفتعلة .

وفى الساعة السادسة والنصف من نفس اليوم اذاع صلاح سالم القرارات الاتية :

١ ـ ارجاء تنفيذ قرارات ٥، ٢٥ مارس حتى نهاية فترة الانتقال .

٢ ـ يشكل فورا مجلس وطنى استشارى يراعى فيه تمثيل الطوائف والهيئات المختلفة ويحدد تكوينه واختصاصه بقانون .

وبعد اذاعة هذه القرارات مباشرة توجه جمال عبد الناصر وصلاح سالم وكمال الدين حسين لزيارة اتحاد نقابات النقل المشترك حيث خطب الصاوى أحمد صاوى وأعضاء المجلس .. ونزلت القوات المسلحة الشوارع لحفظ الامن .

وهكذا انتهى اخطر صدام تعرض له مجلس قيادة الثورة .. نجيب مريض فى منزله ، وقوات الجيش الموالية للمجلس فى الشوارع ، ومظاهرات عمال النقل وغيرهم فرضت نفسها على الموقف ، والاخوان المسلمون فى تجنبهم الحذر لكل ما حدث .. وخالد محيى الدين مختف فى الاسكندرية لم يعد الى القاهرة مع الملك سعود ومحمد نجيب .

وتطورت الاحداث بعد ذلك لمصلحة مجلس قيادة الثورة ، واستقرت له تماما بعد تعيين جمال عبد الناصر رئيسا للوزراء يوم ١٧ أبريل ١٩٥٤ وتشكيل وزارته الاولى ، وعزل خالد محيى الدين من مجلس قيادة الثورة وسفره الى الخارج .

الحكم للعسكريين

كان واضحا من سير الاحداث خلال أزمة مارس أن الانتصار كان أكثر انجذابا لجانب اعضاء مجلس قيادة الثورة للاسباب الاتية :

أولا ... لم تتوافر لمحمد نجيب شخصية الزعيم المؤثر فى أفكار الجماهير ، واقتصرت جاذبيته على سماحته وبساطته ، وهى أمور لا تكفى وحدها لتوجيه الحركة السياسية .

ثانيا ... لم يلجأ محمد نجيب الى تكوين تنظيم موال له فى الجيش كما فعل جمال عبد الناصر وزملاؤه ، كما أن صلته كانت معدومة بالقوى السياسية المختلفة ، على عكس جمال عبد الناصر الذى تعددت صلاته وتوحدت أهدافه أو تنافرت مع هذه القوى تبعا للظروف القائمة .

ثالثا ... ضعف الوفد والاحزاب السياسية الاخرى وعدم قدرتها على تحريك الجماهير تبعا لتوجيهاتها لغياب عنصر التنظيم الحزبى الملتزم واعتمادها فقط على التنظيمات القديمة المؤثرة فى الجماهير بطريقة شخصية فقط .

رابعا ... عدم وصول القوى الشيوعية واليسارية الى الدرجة المطلوبة من الصحة والانتشار الكفيل بحشد الجماهير حولها ، علاوة على معاناتها من الانقسامات والاعتقالات .

خامسا ... العجز عن تكون الجبهة الوطنية الديموقراطية نتيجة لتردد الوفد ورفض الاخوان المسلمين وعدم وضوح الخط السياسى لمحمد نجيب .

سادسا ... ترجيح كثير من الفئات للخط الوطنى الذى تبنته الحركة فى بدايتها على خطواتها المعادية للديموقراطية والتى لم تصل الى الجماهير البسيطة فى حياتها اليومية .

سابعا ... انتهازية الاخوان المسلمين ووقوعهم فى شرك مساندة [مجلس قيادة الثورة] فى أحرج وقت تصادمت فيه القوتان .

ثامنا ... عدم توافر الظروف المواتيه لتجميع وحشد العناصر الوطنية الديموقراطية داخل الجيش ، وتاييد بعضهم لمجلس القيادة حيث لم يكن هناك منبر آخر .

تاسعا ... غيبة الحركة الجماهيريه المؤثرة التى كان يمكن أن تشكل قوة ضاغطة على أعضاء المجلس فلم يكن هناك اتحاد لنقابات العمال ولم تكن هناك تنظيمات فلاحية ، كما أن الجامعه كانت مغلقة ، ولم يكن هناك تنسيق بين النقابات المهنية .

عاشرا ... غيبة العمل السياسى داخل الجيش بعد حل بقايا تنظيم الضباط الاحرار ، وخلق علاقات جديدة بين الضباط ناشئة من الارتباط الشخصى والمصلحى .

كل هذه الاسباب وغيرها جعلت انتصار مجلس قيادة الثورة باعتباره المعبر عن حركة الجيش اكثر رجحانا .. وخاصة بعد أن انفردت حركة الجيش بالقوى المختلفة تطيح بها واحدة بعد الاخرى ، دون ادراك من هذه القوى بأن المطارق الهاوية لن تتوقف الا اذا تحولت كل التنظيمات الحية الى جثث هامدة أو مغشى عليها .

وهكذا انتهت أزمة مارس بانتصار حركة الجيش ، وفتح ابواب الحكم للعسكريين قادة ثورة يوليو ١٩٥٢ ●

يوسف صديق

فارسا مصريا أصيلا

فى الشهر الماضى — توفى **يوسف منصور صديق** : واحد من قادة حركة الضباط الاحرار التى فجرت ثورة ٢٣ يوليو .

ولد يوسف صديق فى زاوية المصلوب محافظة بنى سويف فى يناير ١٩١٠ . وبعد ان اتم دراسته الثانوية . التحق عام ١٩٣٠ بالمدرسة الحربية ، وتخرج منها عام ١٩٣٣ : حيث التحق بالكتيبة العاشرة مشاة بالسلوم . وظل يعمل بهذه الكتيبة مدة طويلة تمكن — خلالها — من أن يحولها الى أول كتيبة لمدافع الماكينة فى الجيش .

ولكفاءته عين استاذا بالكلية الحربية عام ١٩٤٠ . ثم فى كلية اركان حرب عام ١٩٤٢ . وفى كلية الاركان اختلف يوسف صديق مع كبير المعلمين الانجليز ، فقد كان يوسف يرى ان اسلوب الدفاع المتحرك افضل من اسلوب الدفاع الثابت ، وهو الاسلوب الذى يفضله كبير المعلمين الانجليز . وفى كلية الاركان بدأ يوسف ينتقد بصراحة وجرأة اسلوب تعليم الطلبة فى كلية الاركان على نماذج خشبية . وفى ذلك الوقت انتقد ايضا نظام عساكر المراسلة ؛ علنا ، واعتبره **اهانة للجندية** ولانسانية الانسان المصرى .

وفى ١٩٤٣ اصيب بتسوس فى العظام . ورغم مرضه استمر فى دراسته بكلية اركان حرب ، وتخرج فيها عام ١٩٥٤ ، ولظروفه الصحية بعد تخرجه من كلية اركان حرب عين فى السجلات العسكرية . وفى هذه الاثناء تعرف الى الماركسيين . وقد ظل صديقا لهم وللعناصر اليسارية فى الحركة الوطنية المصرية طيلة حياته ، وان لم يكن قد ارتبط اى ارتباط عضويا باى تنظيم او حزب سياسى .

وفى نادى ضباط الجيش — القى تصيدة فى وداع اللواء سليمان عبدالواحد سبل بمناسبة تركه الخدمة ، وكان هذا اللواء على ارتباط بجماعة الاخوان المسلمين ، وفى هذه القصيدة قال على الملا :

انا وهبنا للجهاد نفوسنا
لا نبتغى رتبنا ولا اطماعا
والمؤمنون المخلصون يزيدهم
ظلم الحوادث شدة وصراعا

وبعد النكبة هذه القصيدة بدأت الاصابع تشير اليه كعنصر متمرد داخل القوات المسلحة. فنقل بعدها الى الاسماعيلية . وهناك بدأ نشاطا واسعا بين الضباط ضد الانجليز ، وكان من بين هؤلاء الضباط حسن احمد الدسوقى ، واحمد شوكت ونصر جعيصة وكمال المنيرى وهو من الضباط الذين استشهدوا فى حرب فلسطين عام ١٩٤٨ .

وازاء نشاطه المعادى للانجليز نقل الى اسوان فى ابريل ١٩٤٨ ، ولكنه لم يستمر هناك اسابيع قليلة ، حتى نقل بكتيبته الى فلسطين ، وهناك عسكر بها فى **أسدود** .

وعاد من فلسطين — ولم يكتم غضبه فى صدره ، وأخذ يهاجم الفساد فى حرب فلسطين، وعقد اجتماعات مع ضباط عديدين . وبدأ يكتب المنشورات بنفسه ، وكان يمليها على اطفال عائلته ويوقعها ح.ا.د ويرسلها الى الضباط ، ويوزعها بنفسه على مكاتبهم .

ونقل الى السودان فى عام ١٩٤٩ — أركان حرب لقائد عام القوات المصرية فى السودان — وهناك بدأ صدامه مع اللواء احمد عبد الفتاح البشارى القائد العام . فقد انحاز يوسف الى الجنود ودافع عنهم وعن مطالبهم ، وبدأ يعقد اجتماعات مع الضباط يهاجم فيها الانجليز . وهكذا لم يمض عليه فى السودان غير تسعة شهور ، حتى جاءت « غازتية » التنقلات بنقله الى **منقباد** .

وفى منقباد ، استمر ستة شهور ، اتصل خلالها بمجموعات من الضباط ، وكان لقاؤه بالضباط الاحرار . ومن منقباد نقل بكتيبته الى العريش . وفى العريش تولى قيادة منطقة العريش فى التنظيم السرى للضباط الاحرار .

وقبل ٢٣يوليو ١٩٥٢ انتقل يوسف صديق بكتيبته الى القاهرة ، منطقة هاكستب . وعن هذه الفترة كتب يوسف صديق فى مذكراته :

« ان أزمة الحكم الملكى كانت قد بلغت قمتها، فشهدت القاهرة فى الثلثالثانى من يوليو تعاقب
« وسقوط الحكومات المنهارة . وكان الجو
« السياسىملبدا بالتكهناتعن الحكومة القادمة .
« وحملتالاشاعات اخبارا خطيرة عن الاحتمالات
« المنتظرة .. ووجد **جمال عبد الناصر** نفسه
« فى موقف لا خيار له فيه .. فاما أن يضرب
« ضربته فورا .. واما انيعرض نفسه ويعرض
« حركة الاحرار كلها بضربة قاضية من الحكومة
« الجديدة التى كانت الاشاعات قد رشحتفيها
« اعداء الداء للاحرار وحركتهم . وهكذا اراد
« القدر الا يمهلنا حتى تصل كتيبتى .. وتقرر
« ان تضرب قبل يوم ٢٦ يوليو . لا اذكر التاريخ
« على وجه التحديد . ولكنه كان حوالىالعشرين
« من يوليو ، كنت راقدا فى فراشى بمنزلى فى
« حلمية الزيتون ، أعانى من نزيف فى رئتى
« اليمنى ، اعتاد مهاجمتى فى كل صيف من
« السنوات الثلاث الاخيرة ، وعلى هذه الصورة
« القاسية ، زارنى الرئيس جمال عبد الناصر
« ومعه عبد الحكيم عامر ليبلغنى قراره الاخير
« بوجوبالضرب فورا .وكانطبيعيا ان ينصحنى
« الرئيس بعدم الاشتراك فى العمل مراعاة
« لحالتى الصحية .. لكنى رأيت أن هذا العمل
« لن يكلفنى جهدا كبيرا يضر بصحتى ، فأيس اتل
« من ان أساهم بحضورى لتأدية هذا الواجب
« المتواضع فى يوم العمل الذى طال انتظارنا
« له . ووافق جمال واقرنى على رايى ..
« وانصرف مع عبدالحكيم ليطوفا على الاخرين
« ويواصلا الاعداد للساعة الحاسمة » .

وفى ليلة ٢٣ يوليو ، تحرك يوسف صديق ، ومعه كتيبته الصغيرة ومجموعة من الضباط من بينهم **عبد المجيد شديد** قائد ثانى الكتيبة ، **وحسن شكرى وعبد القادر مهنى والشربينى ومحمد غنيم** ، وغيرهم ، واقتحم ادارة الجيش، واعتقل قادة الجيش وكانوا قد دعوا لاجتماع عاجل لمواجهة حركة الضباط الاحرار .

وبعد ان انتصرت حركة الضباط الاحرار ، ظل **يوسف صديق** ينظر الى برنامج الضباط الاحرار نظرة الجندى المقاتل لهدفه . فبعد طرد الملك ، طالب بالافراج عن جميع المسجونين السياسيين الاخوان والشيوعيين والعناصر الوطنية والديمقراطية ، وطالب بقامة جبهة وطنية تضم كل القوى الوطنية وعارض اى اتجاه للضغط على اتجاه الجماهير الشعبية — وكعادته لم يسكت ، فأبعد الى سويسرا [١٩٥٣] وعادمنها بعد شهور فحددت اقامته ، ثم اعتقل فى السجن الحربى لفترة .

وظل **يوسف صديق** امينا مخلصا لمبادىء الضباط الاحرار ، واستعاد صحته بعد تأميم القناة ، وفى ١٩٦١ قال يوسف لقد استعدت شبابى عندما استمعت الى جمال عبد الناصر وهو يعلن اجراءات الثورة الاجتماعية .»



يوسف صديق والزعيم الراحل جمال عبد الناصر وبعض الضباط فى اوائل أيام الثورة .

وفى ١٩٦٩ زار الاتحاد السوفيتى وعاد بعد ثلاثة شهور ليكتب كتابه « **المسلمون فى الاتحاد السوفيتى** » .

وابتداء من ١٩٧٠ اخذ المرض الذى عانى منه طيلة حياته يعاوده ، وظل يقاوم المرض والالم خمس سنوات — حتى سقط وهو الجندى الذى لم يحن رأسه ابدا ، وظل يرفعه بشموخ واعتزاز .

لقد كان **يوسف صديق** بحق ، واحدا من الديمقراطيين الثوريين : تميز بطهارة ونقاء ، وبساطة الفلاحين — كان فى امكانه بعد ان أقصى الى الظل ، أن يهدأ ، وان يثرى ، وان ينعم بحياة ناعمة هو واهله واولاده .. ولكنه فضل أن يستمر فى حياته كما هى مؤمنا ان كل نشاط طفيلى ، وكل عبث بمبادىء الضباط الاحرار التى آمن بها الى زوال ، فلم يطلب لنفسه ولا لاهله اى امتياز خاص .

كان مؤمنا بالشعب الى اقصى حد ، مطالبا بالديمقراطية والحرية محتجا على كل عبث بهما ، رافضا لكل محاولة للانقضاض على مبادىء الضباط الاحرار الستة .

كان **يوسف صديق** طرازا خاصا من الديمقراطيين الثوريين ، كان شاعرا مرهف الحس ومقاتلا قوى الشكيمة . عاش غنيا بمواقفه ، ورجولته فارسا مصريا أصيلا .

« الطليعة »

[أول مايو ١٩٧٥]

والنضال ضد الأزمة فى العالم الرأسمالى

منذ تسعين عاما تحدت الطبقة العاملة الامريكية سطوة الاحتكارات — وسقط الشهداء واعدم القادة . ثم انكشفت المؤامرة التى حيكت ضدهم بعد ان اعترف قائد البوليس وهو على فراش الموت بالمؤامرة . فاعيدت القضية — وبرأ القضاء القادة الذين اعدموا . ومنذ مؤتمر الدولية الاشتراكية فى ١٨٩٩ يحتفل بأول مايو عيدا عالميا للعمال فى العالم .

واذ تحتفل الطبقة العاملة العالمية بهذا العيد اليوم — اول مايو ١٩٧٥ — فانها تفعل ذلك وهى تتحمل اعباء الازمة الاقتصادية العاتية التى يعانى منها النظام الرأسمالى العالمى . معاناة لا حدود لها .

فالنظام الرأسمالى يعيش ازمة لم يسبق لها مثيل — أزمة فى هيكل البناء الرأسمالى ذاته ، أزمة تجمع بين التضخم والكساد ، وتشمل مجالات النقد والطاقة والبيئة والمواد الاولية والسلع الغذائية ، وتقترن بمضاربات ضخمة ، وحيث تتفاقم التناقضات بين البلدان الرأسمالية .

وتتحمل الطبقة العاملة وكل العاملين والفئات الوسطى وكل الفئات غير الاحتكارية عبء هذه الازمة الضارية .

والتضخم الحالى فى النظام الرأسمالى اكتسب ويكتسب طابع المرض المزمن ، والتزايد المستمر ، وذلك بسبب السياسة العسكرية والاقتصادية لاغنى دولة هى الولايات المتحدة الامريكية . بسبب تكاليف حربها فى فيتنام ، وبسبب انخفاض قيمة الدولار وسباق التسلح . والسياسة التى تنهجها الشركات المتعددة القوميات .

وتنعكس اثار الازمة المحتدمة ، تلك ، على الطبقات العاملة والكادحة . فارتفاع الاسعار يؤدى الى انخفاض القوة الشرائية للعمال ، وسياسة الحكومات الرأسمالية الخاصة بالتقشف تتجه الى تجميد الاجور والحد من الانفاق الاجتماعى والاستهلاك الشعبى ، وهى امور تؤدى كلها الى الكساد وشلل الحياة الاقتصادية وازدياد البطالة . ويواجه العمال المهاجرون الى البلدان الرأسمالية صعابا عديدة ، وتعانى النساء العاملات من تفرقة ظالمة ، وتتضرر من عواقب هذه الازمة فئات المستخدمين والموظفين ، وشرائح اجتماعية عريضة مثل المهندسين والكوادر الفنية والمعلمين . وتنعكس آثار الازمة على الريف ، فتزداد الهجرة منه الى المدن والمناطق الصناعية فيزداد عدد العاطلين ، ويزداد استخدام هؤلاء العمال المهاجرين بأجور زهيدة لنقص كفاءتهم ، ولانهم غير مؤهلين . ثم تمتد آثار تلك الازمة لتشمل الصناعات الصغيرة والمتوسطة والتجارة .

وفى البلدان النامية ، تكون الاثار السلبية للازمة الرأسمالية اكثر فعلا ، واعنف واقسى عبئا على كاهل العمال والكادحين وصغار المنتجين والمزارعين الصغار والفقراء .

ففى هذه البلدان تتزايد معدلات التضخم اكثر من أى وقت مضى . وكل الاجراءات النقدية التى تتقدم بها الدول الرأسمالية — مثل اجراءات

صندوق النقد الدولي — انما هي تتحقق دائما على حساب البلاد المنتجة للمواد الاولية ، ولصالح الاحتكارات والشركات المتعددة الجنسيات . كما انها تؤدى الى زيادة ديون هذه البلدان نحو الولايات المتحدة واوروبا الغربية واليابان . ولقد انخفضت حصة الغالبية العظمى من البلدان النامية فى التجارة العالمية ، بسبب تدهور شروط التبادل ، وبذلك تدنت ايراداتها النقدية الى حد الانعدام . وهو وضع يسمح للامبريالية ورأس المال الكبير ان يواصلوا استنزاف الثروات الطبيعية للبلدان النامية . وهو امر ، يفسر المقاومة التى تبديها البلدان المنتجة للبترول لهذه السياسة ، واتجاهها الى استخدام حقها فى التحكم فى ثرواتها . اما بحريتها فى تحديد وتقرير اسعار البترول وربط هذه الاسعار بمعدل التضخم العالمى ، او بالتأميم الكامل للبترول . وهكذا فان هذا التحرك يتحول شيئا فشيئا الى معركة واسعة ، تشمل البلدان المنتجة للمواد الاولية [غير البترول] فى سعيها الى استعادة ثرواتها القومية .

وتواجه هذه المعارك التى تخوضها البلدان النامية باعمال وبمواقف عدائية من قبل الامبريالية العالمية ، حيث تتهم البلدان المنتجة للبترول بانها المسئولة الاساسية عن التضخم ، مع ان ازدياد التضخم كان سابقا على رفع اسعار البترول ، فقد بدأ منذ عام ١٩٦٨ ، كما وان رفع سعر البترول لم يدخل الا بنسبة ضئيلة جدا فى المعدل العام للتضخم .

وعندما تحتفل الطبقة العاملة العالمية بعيدها العالمى — اول مايو ١٩٧٥ — عليها ان تجيب على السؤال التالى : هل يمكن للعمال ان يناهضوا اثار الازمة الوخيمة — وهل لديهم من حلول جذرية يطرحونها ؟

يجيب العمال : نعم ! — ان الاجراءات التى يجب ان تتخذ لمكافحة آثار الازمة يجب وان تكون ذات طابع ديموقراطى ، يضمن تحسين مستوى المعيشة ، ويحد من الارباح الباهظة للمجموعات الاحتكارية ، ويفرض سياسة اقتصادية معادية للاحتكارات .

وترى المنظمات النقابية للعمال وتطالب الى جانب مطالبها الاجتماعية ، بضرورة تأمين القطاعات الاساسية فى الاقتصاد ، وتجميد الاسعار ومراقبتها ، ووقف المضاربات لخفض الانفاق غير المنتج ، وخاصة الانفاق العسكرى ، والعمل على تنمية الاستهلاك الشعبى ، وزيادة الانفاق على الاحتياجات الاجتماعية ، وتنويع وتوسيع التبادل بين مختلف البلدان وخاصة مع البلدان الاشتراكية .

والى جانب المطالب الخاصة بالاجور وظروف العمل .. الخ فان الحركة النقابية العمالية مدعوة الى مزيد من النضال دفاعا عن الحقوق الديموقراطية والنقابية وتوسيعها . ومثل هذا النضال يكتسب اهمية خاصة فى تلك الدول التى مازالت تعانى من الانظمة الفاشيستية والديكتاتورية مثل شيلى .. الخ .

ولمواجهة هذه الازمة العاتية ، فان الاتحاد العالمى للنقابات ، طرح — مؤخرا — على الحركة النقابية الدولية مشروعا للعمل ، وذلك خلال انعقاد مكتبه الدائم فى الفترة من ٢٨ الى ٣٠ يناير ١٩٧٥ .

ولقد طرح هذا المشروع مسألتين اساسيتين تندرجان بالكامل فى نطاق عمل المنظمات النقابية الدولية :

اولا : تنسيق النضال ، على الصعيد الدولى ، ضد الشركات المتعددة الجنسيات التى تتأكد مسئوليتها الجسيمة فى تفاقم الازمة .

ثانيا : تنظيم التضامن العمالى الدولى فى النضال من اجل الاستقلال السياسى والاقتصادى الكامل للشعوب .

ويعنى ذلك ، حق كل بلد فى تأميم المشروعات المملوكة لشركات متعددة الجنسيات ، وسيادته الكاملة فى التصرف بثرواته الطبيعية من اجل ضمان مصالح العمال ، وخطط التنمية الاقتصادية والقومية ، ويعنى كذلك ضرورة تنمية التعاون الاقتصادى الدولى والتجارة والعلاقات بين الدول على قدم المساواة ، وبين البلاد على اختلاف انظمتها الاجتماعية والاقتصادية ، وضمان نموها لصالح العمال والشعوب .

ان عام ١٩٧٥ — وهذا ما تؤكده جميع المؤشرات هو عام العمل النقابى الدولى الموحد — ضد الاحتكارات المتعددة القوميات ، وضد كل هجمات الامبريالية على الديمقراطية وحركة التحرر الوطنى . وليكن احتفال الطبقة العاملة باول مايو ١٩٧٥ فى ظل شعار الوحدة ودعمها — عام التضامن العمالى مع الشعوب العربية فى نضالها ضد العدوان الامبريالى الصهيونى ، وضد احتلال اسرائيل للارض العربية ولدعم حركة التحرر الوطنى الفلسطينية ، التضامن مع نضال شعب شيلى ، والتضامن مع شعوب وعمال امريكا اللاتينية وافريقيا وآسيا وهى ترفع بصلابة راية النضال من اجل حرية واستقلال بلادها ، ومن اجل القضاء على استغلال الانسان لاخيه الانسان .

« الطليعة »



فى هذا العدد ينضم الى الحوار المفتوح فى أكثر من جبهة أكثر من طرف .. ويثبت قراء « **الطليعة** » أنهم كتاب جادون ومجيدون أيضا .. وانهم يتابعون أهم القضايا ولا يكتفون بهذه المتابعة الواعية وانما يشتركون أيضا بقلمهم فى المعركة ..

وتبدأ صفحات الرأى والرأى الاخر فى هذا العدد بكلمة من وطنى معروف هو الاستاذ **فتحى رضوان** يعقب بها على آراء الاستاذ توفيق الحكيم ..

ثم يواصل **الدكتور محمد رضا محرم** الحوار الذى بدأته « الطليعة » حول الجامعة الاهلية ، مقدما حجج واسانيد جديدة فى هذا الصدد .

ويتولى « **خيرى عزيز** » تقديم الوجه الحقيقى لمسرحية « يحيا الوفد » ..

فيليب جلاب يقارن بين احمد ابو الفتح وفرغلى باشا ، ومقاتل من مقاتلى حرب اكتوبر هو **المهندس عبد المنعم بدوى** يشارك هو ايضا فى الحوار ، حول طرف آخر من اطراف الحوار يقدم **ماهر سامى** رئيس تحرير مجلة الشباب رأيه فى « **شجاعة الرأى عند على أمين** » واكثر من قارىء آخر يدلى برأيه فى هذا الحوار .

وهنا بعد ذلك مساهمة من أحد القادة النقابيين « جمال عبد الوهاب محمد سكرتير عام النقابة العامة لعمال التجارة فى موضوع هام هو تطوير المؤسسة الثقافية العمالية ..
ثم هناك بعد ذلك أكثر من موضوع يطرح للنقاش ومن اكثر من زاوية آراء اليمين وأساليبه فى الحوار والحقيقة أن « **الطليعة** » قد تلقت عددا كبيرا من رسائل قرائها حول هذا الموضوع ، ونظرا لضيق المساحة فاننا نقدم مجرد نماذج ..

وهكذا تتنوع الموضوعات ، ويصبح الرأى والرأى الاخر مرآة حقيقية تعكس مشكلات المجتمع وقضاياه الاساسية .. مؤكدة بذلك حقيقة هامة هى أن اتاحة أكبر قدر ممكن من الحوار هو السبيل الحقيقى لاتاحة اكبر تلامس ممكن مع المشكلات الحقيقية ، واكبر قدر من الفهم لها .

فتحى رضوان يناقش الحكيم

تعليقا على الحوار الذى يجريه اليسار المصرى مع الاستاذ توفيق الحكيم تلقت الطليعة الرأى التالى من الاستاذ فتحى رضوان ..

و « الطليعة » اذ ترحب على صفحاتها بهذا المقال .. .. ليسرها أن تفتح بهذا الرأى حوارا ممتدا بين كل المفكرين المصريين حول ملف التجربة لثورة ٢٣ يوليو ..

السيد الاستاذ لطفى الخولى

رئيس تحرير مجلة « الطليعة » .

بعد التحية

جاء فى الحوار المنشور فى مجلة الطليعة بعدد شهر ابريل فى الصفحة الثلاثين ومابعدها، نصان يتضمنان رايين ، احدهما ينصب على موقف مصطفى كامل من مبدأ « المصرية » ، وثانيهما ينصب على موقف الحزب الوطنى الجديد من ثورة سنة ١٩١٩ ، ولما كان هذان الرايان يجانبان الحقيقة ويجافيان التاريخ الصحيح ، فانى أرجو أن تأذن لى بالتعليق القصير التالى :

فى العمود الثانى من الصفحة السادسة والعشرين قال الاستاذ توفيق الحكيم :

لم تكن هذه الفكرة [فكرة المصرية] واضحة كل الوضوح عند مصطفى كامل الذى نادى بالارتباط بالدولة العثمانية ، جاء المفكرون الذين مهدوا لثورة ١٩١٩ ، وطرحوا القضية لا على اساس انها جلاء الانجليز فقط ، ولكن على اساس البحث عن كيان مستقل لمصر : فى مواجهة قوتين ، الدولة العثمانية ودولة الاحتلال .

وفى العمود الثانى ايضا فى الصفحة الرابعة والاربعين يقول الاستاذ توفيق الحكيم :

المسئول عن هذا بعض اعضاء الحزب الوطنى الجديد الذين ساندوا الثورة لانهم كانوا خصوم

ثورة ١٩١٩ وكان اتجاههم واضحا للنيل من ثورة سنة ١٩١٩ والتقليل من دور سعد زغلول ،ولهذا ربما لم يكن عبد الناصر مسئولا مسئولية رئيسية في هذه النقطة ، اذ لم تكن له مصلحة في ذلك .

واما عن النص الاول ، فيهمنى ان اقول ، مستندا ، الى وثائق حياة مصطفى كامل من مقالات وخطب وكتب واحاديث ودراسات ، ان مصطفى كامل هو ابو الفكرة المصرية ،الصريحة، النقية ، الخالية من الشوائب ، الرافضة لكل تداخل فى غيرها ، او تداخل غيرها فيها ،ولدت على يديه ،وشبت عن الطوق ،واصبحت فتية جميلة واخاذة ، وذات بهاء خالب للالباب ، ورداء جاذب للانظار ، وشباب باعث للحب والهوى ، بفضل ما قاله ، وما كتبه وما فعله ، وبفضل اصراره على تحديد معنى مبدئه الذى عبر عنه بقوله : «لو لم اكن مصريا لوددت ان اكون مصريا» مرة ، والذى أطلقه فيما يشبه النشيد مرة اخرى، حينما قال : بلادى ، لك حبى وفؤادى ، لك دمى ونفسى ، لك عقلى ولسانى ، لك لبى وجنانى ، فانت انت الحياة ولا حياة الا بك يا مصر » ثم حينما اطلق ، تعبيرا عن حبه لمصر ، وهيامه بها، ما يعد بحق ، غناء العشق الوطنى ، اذ قال :

« الا ايها اللائمون انظروا مصر ، وتأملوها ، وطوفوها ، واقرأوا صحف ماضيها ، واسألوا الزائرين لها من اطراف الارض ، هل خلق الله وطنا اعلى مقاما واسمى شأنا ،واجمل طبيعة ، واجل آثارا ، واغنى تربة واصفى سماء، واعذب ماء ، وادعى للحب والشغف من هذا الوطن العزيز » .

فاسم مصر ، لم يتردد على لسان زعيم مصرى قبل مصطفى كامل ،ولا بعده كما تردد على لسانه وقلمه ، ولم يعش فى خاطر احد من ابنائها الذين نذروا انفسهم لخدمتها ، والدفاع عن حقوقها ، ورد المعتدين عليها ، والطامعين فيها كما عاش فى خاطر هذا الشاب الذى وصفه بحق شاعر العربية العظيم احمد شوقى بانه « حبيب مصر ــ وشهيد غرامها » .

فاذا كانت [المصرية] هى احساسا وشعورا، او كانت عقيدة فكرية ، او كانت مذهبا سياسيا ، او كانت منهجا للكفاح ، فهى من غرس مصطفى كامل ، وهى آخر الامر واوله ، جوهر حياته ، وركن الزاوية فى كفاحه ، والغاية التى سعى اليها ، وفنى من اجلها .

ويمكنك ان تعد لفظ مصر ، فى كل ما خلفه عرابى ومحمد عبده ،ولطفى السيد وسعد زغلول، والذى جاءا بعدهم ، من آثار مكتوبة ،ومقروءة، ومسموعة ومحفوظة ، وانى لواثق انها لا تعدو فى جملتها عشرة مواضع . وكانت [المصرية] عند مصطفى كامل بناء كاملا ، فسيحا وشامخا ، وقوامه :

أولا ــ الاعجاب بمصر ، بوصفها امة ذات حضارة ، وذات رسالة ، وانها منحت فى الماضى، علما ودينا وفنا وثقافة ، وانها قادرة على ان تمنح من جديد ، مثلما اعطت فى الماضى وزيادة .

ثانيا ــ ان اليأس من مستقبلها ، او الخوف من اعدائها ، او الاطمئنان اليهم او الثقة فيهم او احسان الظن بهم خيانة وجريمة وكفر وشرك .

ثالثا ــ انها جديرة بان يقاتل اولادها فى سبيلها ، بشجاعة وجد واصرار ، واستماتة .بل انها جديرة بان تبعث فى قلوب قادة غيرها من الامم وزعمائهم الحب والتقدير والرغبة فى الوقوف الى جوارها .

رابعا ــ ان موقع مصر الجغرافى ، ومكانتها الروحية ، وصلاتها بالعرب وافريقيا والاسلام وأوروبا ، يجعل احتلالها مبعثا لقلاقل ومطامع دولية تتجاوز بمخاطرها مصر وبريطانيا ،وتؤدى الى حروب دولية ، ولذلك كانت رسالته الاولى هى « مخاطر الاحتلال البريطانى بالنسبة للعالم كله » وقد تحققت نذره ، اذ قامت الحرب العالمية الاولى قبل ان ينقضى على وفاته اكثر من ست سنوات الا ببضعة شهور .

اما ما دأب على ترديده خصوم مصطفى كامل ــ بغير حق ولا سند من التاريخ ــ من ان مصطفى كامل كان يدعو الى التبعية العثمانية ،فحقيقة الامر فيه ما يلى :

أولا ــ ان الذين رموا مصطفى كامل بذلك هم جماعة حزب الامة ، وقد اثبتت وثائق التاريخ ، وكتب الساسة البريطانيين والفرنسيين وما استظهره العلماء المصريون ،من انهم جماعة مؤمنة بالاحتلال البريطانى ، راغبة فى استبقائه او اطالة امده ، مع بذل الجهد ، فى الاشادة بآثاره ، والتنويه بأفضاله . وقد كتب كبيرهم فى مذكراته بخط يده بأنه غاب عن صوابه لما علم بان اللورد كرومر قد سحبته حكومته من مصر، وانه لم يعد الى [وعيه] الا بعد ان طمأنه اللورد كرومر بان سياسته [أى سياسة اللورد] ستستمر بعده ، فى شخص السير الدون جورست لانه تلميذ وفى للورد . وقال آخر من زعماء هذه الجماعة انه باق فى منصب الافتاء ما دام الاحتلال البريطانى قائما او جاثما على صدر

مصر . وقد اقترح ثالث من هذه الجماعة ابان الحرب العالمية الاولى : قبول الحماية البريطانية ، والاكتفاء بها ، مما اخرج احد تلاميذ هذا الزعيم ، وهو الدكتور محمد حسنين هيكل باشا ، عن حلمه ، فأغلظ القول لاستاذه ،وقال له : لا يدعو هذه الدعوة الا احد اثنين : رجل يرى فى مصر بغيا ، يطؤها كل صاحب شهوة ، أو عبد رقيق يسلم قياده لكل صاحب سلطة .

ثانيا ــ لقد اعلن مصطفى كامل فى اكثر من حديث وخطبة ومقال عن طبيعة العلاقة بين مصر وتركيا ، وابان علاقة من اتفقت مصالحهم ، وتشابهت المخاطر المحدقة بهم ، وان مصر لا تنزل عن استقلالها لتركيا ، ولا تفنى فيها ، ولا تتبعها تبعية الخاضع للسيد ، من ذلك ما قاله فى خطبة الوداع فى يوم ٢٢ اكتوبر سنة ١٩٠٧ فليعلم اعداء مصر اننا نطلب لها الاستقلال ، ونطلب لها ذلك الاستقلال ، باعلى صوتنا ، وعلى مسمع من امم الارض كلها ، واننا اذا اخلصنا الود لامة أو لدولة ، فانما نعمل كغيرنا ونتبع ناموس الطبيعة القاضى بان من اتفقت مصالحهم يجتمعون ويتناصرون واذا كانت انجلترا تسعى الآن للتقرب من الدولة العلية ، وتغير سياستها نحوها تغييرا محسوسا فمن الذى يلوم المصريين على ان يكونوا اقرب الناس من تركيا قولا وفعلا وان يحافظوا على هذه الصلة ما استطاعوا » .

وقال قبل ذلك فى ٢٧ من يناير سنة ١٩٠٧ ايضا : يستحيل علينا ان يطلب واحد منا مالكا اجنبيا عنا ، فنحن لا نود الا ان نكون قوة محالفة للدولة العلية ، ننصرها وتنصرنا ، ونعتز بها وتعتز بنا » .

وقال فى ٢ مايو سنة ١٩٠٦ :

« اما دعواكم ان الوطنيين المصريين يريدون الانتقال من استعباد الى استعباد ، وانهم انما يطلبون خروج الانجليز من مصر ، ليدخلوا تحت حكم جديد ،فهى دعوى لا يقبلها ذو لب ،ولا يسلم بها احد من العقلاء » .

وقد كنا نحسب ان هذا الجانب المشرق الوطنى من سياسة مصطفى كامل ووطنيته سيحسم هذه الدعاوى القائمة على غير اساس من الدرس والتأمل فى النصوص والوثائق والوقائع والحقائق ، وان هذه التصريحات التى كررناها كثيرا وعلقنا عليها طويلا ستنهى هذا الاتهام الباطل الى غير رجعة ، ولكن يبدو انه فى عالم الفكر والعلم ، تسود الاشاعات الباطلة ، كما تسود فى دنيا الناس اليومية .

ثالثا ــ كان مصطفى كامل ، شديد الاعجاب بما تم فى عهد محمد على من نهضة عسكرية وعلمية وصناعية ، فلما انقضى على ولايته لمصر مائة سنة هجرية ، دعى الى الاحتفال بالعيد المئوى لهذه المناسبة ، ويعلم كل من قرأ سطورا فى تاريخ مصر الحديثة ، ان محمد على هو الد اعداء تركيا ، وانه دخل معها فى حرب ، وانه اكتسح جيوشها فى سوريا حتى وصل الى إنصب] فانزل بالجيوش التركية هزيمة مدوية . فلو كان مصطفى كامل ،ينظر الى مصر ، كولاية تابعة لتركيا ، وينظر الى تركيا كسيدة مهيمنة على شئون مصر ، وامورها ، لما احتفل بهذه الذكرى ، ولما حشد لها ، حشد من قوة وطاقة وجهد .

بل أن احتفاله بهذه الذكرى بمثابة مذكرة مفسرة لسياسته ازاء تركيا .

رابعا ــ كان مصطفى سياسيا عمليا ، ملهما ، وقد كانت خطة تقوم على ركائز فيها الدعوة الخطابية والصحفية ، والاتصالات بالساسة وزعماء الدول ورؤساء الحكومات فى الوقت الذى يلعب فيه بالاوراق السياسية التى بين يديه ، خلقا للفرص ، واحراجا للاحتلال البريطانى ،فكما استقل الخصومة العنيفة بين الاستعماريين الفرنسى والانجليزى ، والتنافس المر بين بريطانيا والمانيا ، فقد استغل مركز بريطانيا الضعيف فى مصر من الناحية السياسية والدولية .فبريطانيا ، كانت الداعية لابرام اتفاقية لندن التى عقدت بين الدول الاوروبية الكبرى فى سنة ١٨٤٠ ، وقد وضعت هذه المعاهدة الشهيرة اساس العلاقة بين مصر والدول جميعا وفى مقدمتها تركيا ،وكانت نصوصها تقضى باستغلال مصر الداخلى الكامل ، مع تبعية اسمية او رسمية لتركيا ، هذا من ناحية ،ومن ناحية اخرى ،كانت روسيا والنمسا ، تطمعان فى املاك السلطان العثمانى ، ومنها ولايات السلطان فى الشرق العربى اى العراق وسوريا ومصر ، وكانت سياسة بريطانيا ان تظهر على المسرح الدولى ، فى ثوب الصديق لتركيا ــ والمدافع عن حقوقها ، لا حبا فى تركيا ، ولا حرصا على نفوذها ، وانما خوفا من طمع الطامعين فى تركيا ، الذين ان حققوا اطماعهم ، وصلوا الى البحر الابيض المتوسط ، بجيوشهم واساطيلهم ، ونفوذهم الادبى والاقتصادى . ولذلك بقيت بريطانيا طوال الفترة الاولى من

الاحتلال البريطاني أي من سنة ١٨٨٢ حتى سنة ١٩١٤ تعلن انها تحترم سيادة تركيا على مصر ، وان احتلالها اجراء مؤقت ، بل كانت مضطرة الى قبول مندوب سامي تركي في مصر يتقدم رجال السلك السياسي الاجنبي كله ، وكان كبار الموظفين وممثلو الجاليات الاوروبية يقدمون له في المناسبات الرسمية فروض التجلة والاحترام قبل ان يزوروا خديو مصر ، او مندوب بريطانيا . ومن هنا كان مصطفى كامل حريصا على اظهار هذه الصلة الرسمية بين بريطانيا ، وتركيا ، لان بريطانيا لا تملك ان تنكرها من جانب ، ولان التحدث عن هذه الصلة يضايق الاحتلال البريطاني ، ولكنه لايملك ان ينطق . فاستغلال هذه الصلة كان عملا سياسيا من الطراز الاول .

ولعلنا اذا تبينا هذه الناحية من تاريخنا الحديث علمنا لماذا اسرفت بريطانيا في وعود الجلاء عن مصر ، حتى كادت تبلغ المائة في حين انها لم تعد بالجلاء عن أي بلد آخر احتلته في امبراطوريتها التي لم تكن تغرب عنها الشمس . فبريطانيا ملزمة بمعاهدة لوندرة الا تحقق لنفسها مكانا خاصا متميزا في مصر ، على حساب الدول الكبرى الاخرى ، وكانت بمقتضى هذه المعاهدة ، مطالبة بان تجلو عن مصر سريعا ، وبان تحترم صلة تركيا بمصر ، وكل ذلك يفيد في عمل مصطفى كامل السياسي ، ويتيح له فرص المناورة ، واثار الامل في امكان زحزحة الاحتلال عن مصر ، في نفوس اتباعه ، مما يقوى من ضغط الحركة الوطنية .

اما اننا — نحن اعضاء الحزب الوطني الجديد — نهاجم ثورة سنة ١٩١٩ ونقلل من قدرها ، فابعد الامور عن الصحة ، وعن الثابت من اقوالنا ، في الصحف والكتب ، ففي مثلا كتيب صغير صدر منذ اكثر من عشرين عاما في سلسلة اقرأ ، بعنوان [اخي المواطن] وهو مجموعة احاديث كنت اذيعها ، ابان اشرافي على الاذاعة في الشهور الاولى لاولى وزارات الثورة ، وواضح من هذه الاحاديث ، ان الحزب الوطني الجديد ، يعتبر ثورة سنة ١٩١٩ ، هي ثورة الحزب الوطني بذر بذورها ، وهيأ لها ، ودعى لاندلاعها مصطفى كامل ، بما ملا به نفوس الامة ، من كراهية الاحتلال ، وسوء الظن به ، ثم حضر لها بصفة مباشرة محمد فريد ، الذي نظم العمل السري ، واشرف عليه ، فتتلمذ على يديه عدد من الشباب الذين حملوا السلاح ، واطلقوه في صدور رجال الاحتلال ، واعوانهم ، ومن هؤلاء الدكتور شفيق منصور الذي اتهم في قضية مقتل بطرس غالي ، ثم قضية الشروع في قتل السلطان حسين والذي نفي الى مالطه خمس سنوات وعاد ليستأنف العمل السري تحت قيادة تلميذ آخر من تلاميذ محمد فريد هو عبد اللطيف الصوفاني بك الذي تتلمذ على يديه ، واقتدى به ، امين الرافعي وعبد الرحمن الرافعي ثم احمد ماهر والنقراشي وحسن كامل الشيشيني .

وكان آخر ما سمعه المصريون قبل ثورة سنة ١٩١٩ ، خلال الحرب العالمية الاولى ، من نداءات الثورة ، والعمل ضد الانجليز ، كانت خطب ونداءات محمد فريد وعبد العزيز جاويش وهما في المنفى ، واعوانهما في مصر ، ممن زجوا الى السجون والمعتقلات ، بعد ان قتلوا او شرعوا في قتل السلطان واعوانه الوزراء ، والذين قبلوا الحماية وعملوا في ظلها . حدث هذا في حين كان سعد زغلول زعيم ثورة سنة ١٩١٩ ، يمني نفسه — كما جاء في كتاب الاستاذ مصطفى أمين ص ٢٠ ، ٢١ ، من الجزء الاول — ان يكون وزيرا للاوقاف فالزراعة فمديرا لمكتب البعثات المصرية في باريس ، بل ان سعد زغلول نفسه قال في مذكراته انه طلب ان يكون مديرا لشركة قناة السويس ، وان كتشنر اوهمه بان ذلك ممكن ثم صرف نظره عن هذا المنصب . ولو راجعت البيان الانتخابي الذي نشره سعد بمناسبة ترشيح نفسه لدائرتين من دوائر القاهرة للجمعية التشريعية سنة ١٩١٣ لوجدتموه خاليا من الاشارة الى اى قضية سياسية ، فقد اقتصر على الاصلاحات الداخلية ، كأنه بيان انتخابي عن مقعد في مجلس بلدي القاهرة .

فاذا راجعتم مذكرات محمد فريد لوجدتم ان كلمة الثورة تتردد في يومياته ، ولقرأتم انه قابل الهر زامنيس وكيل وزارة الخارجية الالمانية ، وحدثه في موضوع ارسال اسلحة لمصر ، معاونة للثورة المصرية التي يعمل على التحضير لها . فكيف نزعم ان هذه الثورة ثورتنا ، ثم نخاصمها ، او نهاجمها . ولكنا نختلف مع قيادة الثورة ، بعد ان مر القسم الاول منهنا في شهور مارس وابريل ومايو سنة

١٩١٩ . الذى تتابعت احداثه بتلقائيـــة شعبية رائعة ، فى خـــلال غيبة ســـعد وزملائه فى فرنسا وبريطانيا لمدة سنتين بدأت من ابريل سنة ١٩١٩ ، وانتهتا فى فبراير سنة ١٩٢١ . ونحن بقدر ما نعجب بصـــلابة وحسن تنظيم وشجاعة ووطنية عبد الرحمن فهمى الذى وقع على كتفيه عبء قيادة الثورة . فى المرحلة الاولى منهـــا ، التى كشفت عن روح الشعب المصرى القتاليـــة الباهرة ، وعن فهمه الصحيح لمعنى الحـــرية ، وادراكه الدقيق لطريق تحقيقها ، أما الاسلوب الذى جرت عليه قيـــادة الثورة فى الفترة التى بدأت بعودة سعد زغلول فى اوائل سنة ١٩٢١ والتى استقبل فيها استقبال الغزاة والفـــاتحين لعظم ما عقده الشعب عليه من آمال ، فقـــد ملأت نفوسنا مرارة ،اذ انطفأت جذور الثورة ، وتحولت الى حرب اهلية اســـتمرت حتى قامت الثورة فى ٢٣ منيوليه سنة ١٩٥٢ .فمصر خلال هذه الحقبة الطويلة ، لا هى لجأت الى العنـــف الصريح كما فعلت ارلنـــدا بقيادة ديفاليرا حتى قطعت صلتها ببريطانيا تمـــاما واعلنت ارلنـــدا جمهورية . والتزمت الحياد فى الحرب العالمية الثانية ، وهو حيـــاد كان مشربا بالعطف على اعداء بريطانيـــا ، ولا هى عمـــدت الى اسلوب المقاومة السلمية او السلبية بقيادة غاندى ،التى انتهت بأن الانجليز اعلنوا من جانبهم الجـــلاء عن الهند شبه القارة والمع جوهرة فى التـــاج البريطـــانى ، بل سلكنا منهجا غايتـــه الحكم وكراسى البرلمان ممـــا اتاح للملك وللانجليز ان يحسنوا استغلال هذا الضعف فى الحـــركة الوطنية ، وافسح المجال لما يسمى بدســـائس القصر التى غايتها اسقاط وزارة الوفـــد عـــن الحكم ، كان هذا الحكم هدف الثورة او غايتها.

ان ثورة سنة ١٩١٩ ، هى ثورتنا ، ونحن فخورون بها ، ونباهى الشعوب بجلائل اعمالها وبكل طلقة رصاص اطلقت منها ، وبكل شهيد معروف أو مجهول من شهـــدائها ، وقد يحسن ان نقول ان الحزب الوطنى الجديد هـــو وحده بين الاحزاب جميعا ، هـــو الذى اقام حفلة تأبين لشهداء قضية السردار ،فاشاد بتضحيتهم،ورفض ان يسميهم جناة او مجرمين ولا محكوما عليهم فى جناية ، بل اعتبرهم جنودا ومقـــاتلين وطالب ان يطلق أسم الدكتور شفيق منصور على شـــارع كبير من شـــوارع القاهرة بدلا من شـــارع نوبار مثلا ، كما طالب ان يطلق اسم البطـــل العظيم العامل ابراهيم موسى وزملائه محمد فهمى على وراغب حسن على شوارع الاحياء العمـــال فى بولاق وشبرا الخيمـــة والمحلة ، لان هؤلاء هم الذين شرفوا الحركة العمالية ومصر كلها .

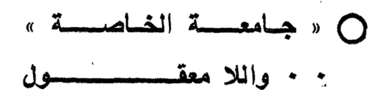
بقى ان اقول ان القول بان الشيخ عبدالعزيز جاويش كانت له اتجاهات اسلامية فى السياسة المصرية ، غير صحيـــح ايضـــا ، لان الشـــيخ جاويش كان له مَجـــالان : مجـــالُ الســـياسة المصرية ، وكان فيه كاتبا وخطيبا وزعيما مدنيا ، يفكر كما يفكر اى زعيم آخر من انداده وزملائه، لا يخلط بين الدين والسياسة ، ثم هو عالم دين وفقيـــه ، يدعو الى تجـــديد التفكير الدينى ، بشجاعة وعقل مستنير ودارس عميق ولا ننسى ان نذكر للشيخ عبد العزيز جاويش ما يأتى :

أولا ـــ انه احد ثلاثة او اربعة درسوا اللغـــة العربية وآدابها وتاريخها فى جامعة اكسفورد، وكان له تلاميذ مسيحيون من انجليز وغيرهم .

ثانيا ـــ انه افتتح مدرسة لتعليم اللغة الفرنسية للازهريين ، وانه علم فيها على الغاياتى ، الذى هاجر الى سويسرا واقام فيها ،وانشـــا مجـــلة منبر الشرق التى كانت منتدى ، وســـفارة ودار دعاية لمصر وللعرب وللشرقيين قاطبة .

ثالثا ـ انه هو الذى فتح باب النقد الادبى أمام الشباب فى صحيفـــة اللواء ، وكان طه حسين اول من افاد من هذا التشجيع ثم كان الشـــيخ جاويش ، هو الذى حرضه على اللحاق بالجامعة الاهليـــة ، ثم القى اليه بفـــكرة الســـفر الى فرنسا ، ومعنى هذا كله ان الشيخ عبد العزيز جاويش ، كان اماما من ائمة التفكير الحـــديث فى مجالات الادب والسياسة والدين .

ولكم خالص التقدير وعظيم الاحترام .



« جامعة الخاصة » .. واللا معقول

د. محمد رضا محرم*

تواصل « الطليعة » فى هذا العدد مناقشتها لقضية الجامعة الاهلية ..
وفى هذه المرة ــ أيضا ــ يدلى برأيه واحد من هيئة تدريس الجامعة هو الدكتور محمد رضا محرم .

فى السنوات الاخيرة راجت فى مصر بدعة أو « موضة » تسمية الاشياء بغير أسمائها .
فأصبحت الرشوة المقدمة للموظفين العموميين الذين يتقاضون مرتبات من الدولة تسمى رسوم تحسين خدمة .. وأصبح السفه الذى يمكن أن يمارسه البعض بحرق نقودهم ممارسة للحرية ، كما يحلو للبعض أن يفهمها ، وذلك رغم الاية القرآنية الكريمة التى تقول « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياما » [1] [مع لفت نظر الذين لا يفقهون ، الى الحكمة فى نسبة المال الى ضمير المخاطب وليس الى ضمير الغائب !! واضحى التهجم الحاقد على المناضلين الذين رحلوا عنا شجاعة . وتوج الذين تملقوا أصحاب السلطان البائد ثم هاجموهم بعد أن غيبتهم القبور أو الاقدار أئمة فى حسن الخلق .
وأصبحت مشاركة أفراد من الرأسمالية المصرية بنسبة واحد وخمسين فى المائة من مشروعات الاستثمار المشترك مع الهيئات الاجنبية تعبيرا عن

* مدرس بكلية الهندسة ــ جامعة الازهر
[1] سورة النساء ــ الاية الخامسة

الممارسة المصرية لحقوق الملكية العامة وتعبيرا عن هيمنة القطاع العام [٢] . وأخيرا أصبح التلهى عن العبادة بأحاديث الصالونات صلاة ، حتى ان واحدا من الذين اعتادوا تجريح تدين المخالفين له فى الرأى يقول « ومع أنفسنا أحيانا ، ننسى صلاة الجمعة فنستغفر ونقول .. السنا أيضا نصلى ؟! » «٣» .

وعلى ما يبدو فان منهج الخلط فى التسمية هذا قد اتبع مع هذا المسخ المشوه الذى طلع البعض علينا به وأسماه « **الجامعة الاهلية** » . وقد سبق أن طالب **الدكتور عبد العظيم** أنيس [٤] برفض هذه التسمية المضللة واستبدالها بتسمية « **الجامعة الخاصة** » ، حتى لا نسىء الى تجربة عظيمة يعتز بها شعب مصر ، حين دعا المتنورون منه الى انشاء « الجامعة الاهلية » فى عام ١٩٠٨ لمواجهة الثقافة الاستعمارية بالثقافة الوطنية . **ويرى كاتب المقال أن الدكتور أنيس قد تقدم الى نصف الطريق وليس الى نهايته** ، لان التسميه التى اقترحها لا تزال فضفاضة ولا تعبر عن هذا الشىء الذى يروج له هذا البعض ، لانها قد تعنى جامعة ذات وظيفة محددة ، أو تهتم بدراسات معينة ، أو تجرى بحوثا ذات طبيعة خاصة ، أو تضم نوعية ممتازة من الطلاب أسوة بما اتبع مع المحاولة طيبة الذكر واليتيمة التى تتبنى المجتهدين من خريجى الاعدادية العامة والتى عرفت باسم « مدرسة المتفوقين الثانوية » . ولكن لما كانت الجامعة - واتجاوز هنا واقبل اللفظ لعجز القاموس اللغوى عن ايجاد بديل له - المروج لها لا تستهدف أيا من الامور السالفة الذكر ، وليس يعنى من يدعون اليها الا أن تكون مدخلا خلفيا وغير مشروع يصل به الى مراحل التعليم العليا الفاشلون من أبناء الاوتوقراطية المحدثة التى تصنعها عمولات استغلال الانفتاح ومقاولات الباطن وتجارة الشنطة وسمسرات الخردة وعرق التهريب على اى من المذهبين الفيورى أو الشواربى ، فانه يكون من الاوفق أن نسميها « **جامعة الخاصة** » . هذا وأحب أن أطمئن الدكتور **عبد العظيم أنيس** على التسمية التاريخية العزيزة علينا جميعا [الجامعة الاهلية] ، فلست أظن الذين طرحوها قصدوا المقارنة أو تصوروها ، والدكتور أنيس نفسه اذ يتصور هذا فانه يحسن الظن - فى غير موضعه - بعلم هؤلاء أو بوعيهم بتاريخ مصر القريب أو البعيد ، وأقصى ما استهدفوه - كما يظن الكاتب - أن يستخدموا « **طعما شعبيا** » يستدرجون به « **الاهالى** » أو الجماهير لمساندتهم فى دعاواهم ، وهو ما يستوجب تصدى العلميين والمخلصين لهذا الشعب ولجماهيره الكادحة لهذه الدعاوى الانتكاسية لفضحها ووادها قبل أن تتنسم نور الواقع .

عندما يشارك الجامعيون

فى كوميديا « جامعة الخاصة » :

عندما يتحدث البعض عن السهولة التى يمكن أن تنشأ بها الجامعات ومن بينها الجامعة المروج لها ، ينتاب العارف بمستلزمات واحتياجات التعليم الجامعى - خاصة المعملى منه - دهشة متأنية . فاذا تبين له أن أغلب هؤلاء لم يعرفوا التعليم الجامعى لا طلابا ولا أساتذة التمس لهم العذر ، ولكن يستبد به غضب مشمئز اذا ما تبين له أن نفرا منهم محسوب على الجامعات وعلى التعليم الجامعى .. بل انهم أصحاب مناصب علمية عليا تفرض عليهم التزام التخطيط ، والتخطيط العلمى ، للتعليم العالى ... فكيف يبسط هذا الفريق الاخير الامر تبسيطا مخلا ، يحرض به الفريق الاول على الجهر بأفكار غير علمية ، وعلى الخوض فى أمور عليه أن يتريث وان يتعلم قبل أن يغامر بالتعامل معها ؟! .. للاجابة نستعرض بعض الامثلة :

١ - فى نهاية الستينيات أطلق أحد وزراء التعليم العالى على صفحات الجرائد شعارا رنانا يقول فيه « أعطونى مليون جنيه أعطيكم جامعة » .. وبالطبع اذا ما قارن أحدهم المبلغ المطلوب لانشاء جامعة بالمبلغ الذى يطلب الان كمقدم تمليك شقة [٥٠٠٠ جنيه] ينشئها قطاع عام المقاولين

---

[٢] الباحثون عن المزيد من هذه التسميات المحدثة يمكنهم مراجعة مقالات عادل حسين فى اعداد فبراير ، ومارس ، وابريل ١٩٧٥ ، من مجلة الطليعة

[٣] حديث ابراهيم الوردانى عن رواق الحكيم - الجمهورية ١٩٧٥/٤/٣ .

العرب !! لتأكد له تفاهة المليون جنيه !! اذ ينفق لتحقيق هدف نبيل وكبير .

٢ ــ يقول **رئيس قسم الاقتصاد الزراعي** في جامعة الاسكندرية [٥] « ان امكانية توفير رؤوس الاموال اللازمة لتمويل عملية انشاء وتشغيل الجامعة الاهلية لا ولن تمثل أية عقبة في سبيل انشائها » .. بل ان تفاؤله يبلغ مداه حين يقول « لا نعتقد أيضا بأن هناك من سوف يجادل في أنه من شأن ضخامة الارباح التي يحتمل أن تغلها رؤوس الاموال المستثمرة في مثل هذه الجامعة ، أن تؤدي الى امكانية توفير جميع الاحتياجات المالية اللازمة **لانشائها** واعدادها اعدادا عصريا مناسبا ، وذلك عن طريق الاكتتاب الرأسمالي أو التعاوني العام » .. وهكذا فليطمئن أصحاب المصلحة في « جامعة الخاصة » ، فحتى أساتذة الاقتصاد « حتى ولو كان زراعيا ! » معهم ، الى حد طمأنتهم بأنهم سينشئون جامعتهم من الارباح التي يحتمل أن تغلها رؤوس الاموال المستثمرة فيها فقط !! ، وبالطبع فسوف تبقى لهم رؤوس الاموال ذاتها !! .. وفي هذه الحالة فانني أقترح عليهم التصدق بها على جامعات الدولة الفقيرة التي لا تجد الكفاف ، أو على الطلبة المصريين الفقراء الذين يحرمون من أداء الامتحان لانهم لم يسددوا الرسوم الجامعية السنوية وقدرها ثلاثة جنيهات تقريبا لكل منهم !! .

٣ ــ ويقدم **رئيس جامعة المنصورة** [٦] تجربته الرائدة في الانشاء الجامعي دون اعتبار للامكانيات المادية فيقول « لقد قررنا انشاء كلية الحقوق بجامعة المنصورة **بدون اى امكانيات** .. بل وبعد أن انتهى مكتب التنسيق من توزيع الطلاب على كليات الحقوق وفي الجامعات المختلفة .. وقد أعلنت عن قبول ٣٠٠ طالب فقط ففوجئت بأن هناك ١٥٠٠ طالب من الجامعات الثلاث يقدمون طلبات قبول في كلية حقوق المنصورة » .. وللاسف الشديد فان الدكتور **عبد المنعم البدراوي** لم يقل لنا ما اذا كانت كليته قد قبلت ٣٠٠ أو ١٥٠٠ طالب ، وسواء قبلت الكلية هذا العدد أو ذاك فهذه تجربة مثيرة ورائدة يمكن أن تستند اليها وزارة التربية والتعليم عند محاسبة أصحاب المدارس الخاصة الذين يتحايلون عليها فيطلبون دعما ماليا بحجة توفير الامكانات لاداء العملية التعليمية !! ، فكيف يحتاج التعليم الثانوي مثلا الى امكانات في حين أن التعليم في جامعة المنصورة يمكن أن يتم فجأة وبغير تخطيط وبعد أن ينهي مكتب التنسيق أعماله وبدون أي امكانات كما مارسه رئيس جامعة المنصورة ؟! .

٤ ــ أما السذج الذين أتلف العلم عقولهم الى حد توهم أن ما فعلته جامعة المنصورة في الكليات النظرية لا يمكن تحقيقه في الكليات المعملية فهديتنا اليهم حديثا علميا يحكى عن **عميد كلية الزراعة** بنفس الجامعة [٧] أنه قال فيه « **أما الحديث عن الامكانيات والتجهيزات فلم يعد مقبولا** .. فالتجهيزات لا تقف عائقا أمام اقامة كليات جديدة .. يكفي أن تعلم أن كلية الزراعة بجامعة المنصورة قامت بامكانيات ضئيلة ومع ذلك فهي تؤدي دورها كاملا في خدمة الاقليم .. » وبالطبع فان الكلية المعجزة سوف تؤدي ما هو فوق الكمال اذا ما استكملت امكاناتها !!! .

وهكذا يتلف السادة الدكاترة المسئولين أدمغة المواطنين المصريين فيما يتعلق باحتياجات التعليم الجامعي ، فيتورط الابرياء الفقراء منهم في لوم الدولة التي تضن على الشعب بمليون من الجنيهات لانشاء جامعة حكومية جديدة تأوي أبناءهم ، أو التي تحرمهم اصدار قرار لا يكلفها الا ثمن الورق « رغم غلو سعره !! » الذي يكتب عليه ، وثمن الحبر الذي يكتب به ، لانشاء كلية من هذا النوع الذي لا يحتاج أية امكانات !! . أما النفعيون القادرون فانهم يتوهمون أن انشاء جامعة تخصهم أمر يسير للغاية ، ولا جهد فيه ولا علم ، وفوق هذا فان ربحه مؤكد !! .

نقض الادعاءات الكاذبة

لن يناقش الكاتب هنا دستورية انشاء « جامعة الخاصة » ، فقد تولى الدكتور **اسماعيل غانم** [٨] هذا العمل في الاجتماع الموسع الذي عقده الاتحاد الاشتراكي لجامعة عين شمس بحضور المهندس **سيد مرعي** رئيس مجلس الشعب والدكتور **حافظ غانم** الامين الاول للجنة المركزية ، ويبقى أن نطلب

[٥] دكتور عبد الودود خليل ــ مجلة الطليعة ــ اكتوبر ١٩٧٣
[٦] جريدة الجمهورية ــ تحقيق عن الجامعات الاقليمية ــ ١٩٧٥/٤/٣
[٧] د. يحيى مسعود ــ جريدة الجمهورية ــ ١٩٧٥/٤/٣ ــ تحقيق عن الجامعات الاقليمية
[٨] جريدة الطلاب ــ ١٩٧٥/٣/١٥

منه بوصفه رئيسا للمجلس الاعلى للجامعات ـ خاصة وأنه رجل قانون ـ أن لا يشغل هذا المجلس باستعراض هذه القضية مرة أخرى حتى يلتفت « مجلس الجامعات الميرى » هذا لمشاكل هذه الجامعات وما أكثرها .. كما نرجو من المجلس القومى للتعليم أن لا يتورط هو الاخر فى مناقشة مشاكل التعليم فى مصر أو التخطيط له من خلال « جامعة الخاصة » هذه التى استطاع البعض بحكم انتماءاتهم أو بحكم مناصبهم أن يفرضوها موضوعا للدراسة على جميع الهيئات الحكومية والشعبية ... بل اننى أذهب الى ما هو أكثر من هذا فأطالب المجلس القومى للتعليم والمجلس الاعلى للجامعات أن يتصديا لاية محاولات لتخطيط التعليم « أو تخليطه » تتم فى غيبتهما ، والا لتمكنت كل فكرة ـ مهما كان شططها ـ من التجسد واقعا لو تبناها مسئول فى مركز سلطة ، ولعل تجربة انشاء كلية الحقوق فى جامعة المنصورة وانشاء الكليات العملية لجامعة الازهر فى اسيوط .

بهذا تحظى احدى المدن الصغيرة فى صعيد مصر بجامعتين وكأننا ضاقت علينا الارض بما رحبت كما يقولون !! [خير أدلة على ذلك . أما عن تجاوز الجامعة المروج لها ، بل وهدمها لمبدأ تكافؤ الفرص الذى أقرته ثورة يوليو ، فلن نعرض له مستقلا لانه أوضح من أن نقف عنده .. بدليل أن الذين يروجون « لجامعة الخاصة » هذه لم ينكروا ذلك وان حاولوا الاحتجاج له بالاستثناءات التى تخطى بها المجتمع أحيانا مبدأ تكافؤ الفرص ، محاولين أن يجعلوا منها قاعدة قد تسمح بتمرير مشروعهم .

ونعود الان الى الادعاءات التى يطرحها أنصار « جامعة الخاصة » لنتناولها واحدا واحدا وبشىء من التفصيل .

١ ـ **وجود المدارس الخاصة :** اعتبر البعض قبول المجتمع بوجود المدارس الخاصة مبررا للقبول « بجامعة الخاصة » ، وذلك مرفوض لعدة اعتبارات :

ا ـ النظام الاقتصادى والاجتماعى المرتضى من الشعب المصرى هو النظام الاشتراكى ، ولم يقل أحد بصفته الرسمية أو الفردية بغير هذا ، حتى هؤلاء الذين يرغبون فى العودة بنا الى فكر وممارسات القرن التاسع عشر لم يجدوا مما يعيروننا به الا اشتراكية السويد واشتراكية بريطانيا !! ، وفى ظل هذا النظام تصبح مسئولية الدولة عن التعليم كاملة ، واذا كانت الدولة لاعتبارات معينة ـ مفروض أنها مرحلية ـ قد تخلت عن بعض مسئولياتها فى التعليم الادنى ، **فهذا استثناء أو خطأ لا يحتج به** ، كما أنه عمل غير ناجح ، وغير سليم بالمرة .

ب ـ نظام التعليم الادنى منضبط مركزيا ، فى مناهجه وكتبه ، وامتحاناته العامة وأدواته والقائمين على التدريس فيه ، وتحقيق مثل هذا الانضباط أو الولاء المركزى فى التعليم العالى غير ممكن ، بل ومستحيل لانه يتنافى مع طبيعة هذا التعليم ، وبالتالى فان تركه للمتاجرين فى العلم أو المنتفعين به غير وارد وغير جائز عقلا ، ولعل فيما قيل عن الجامعتين الامريكيتين فى بيروت والقاهرة ما فيه الكفاية .

جـ ـ رغم الحاح الجميع على ضرورة توجيه التلاميذ المصريين نحو التعليم الفنى لحاجة التصنيع والتنميتين الاقتصادية والادارية اليه ، فقد كان عدد الحاصلين على شهادة الاعدادية العامة ٢٠٣١٨٥ ، بينما الحاصلين على الاعدادية الفنية ١٦١١ وذلك فى عام ١٩٧٠ ، وكان عدد الحاصلين على الثانوية العامة ٧٨٨٥١ بينما الحاصلين على الثانوية الفنية ٥٥٨٥٥ فى عام ١٩٧١ ، ولعل هذا الخلل بين النوعيتين نشأ أساسا [خاصة فى المرحلة الثانوية] عن الاعداد الضخمة التى تضمها المدارس الخاصة وفصول الخدمات التى تعمل جميعها فى مجال التعليم العام بوصفه الاقل اعباء والاكثر عائدا لاصحاب هذه المدارس . ولعله لو أنشئت « جامعة الخاصة » وتصرفت بنفس المنطق فاتجهت الى التعليم النظرى بوصفه الاوفر والاكسب [كما تفعل الغير عزيزة جامعة بيروت !!] لزادت الامر خللا [٩] .

٢ ـ **استقطاب الطلبة العرب :** والبعض كان صريحا فى هذا الشأن ، فتحدث عن الدنانير المنتظرة وعن البترودولارات ، وتصور الجامعة المنتظرة وسيلة لاستثمار الفوائض العربية التى لا تجد المجالات الكافية للاستثمار !! . والبعض الاخر حاول أو اجتهد أن يغلف تطلعاته « النقدية » بغلاف قومى وتحدث عن واجب مصر القومى فى أن تفيض بعلمها على جيرانها . ونسى الاثنان أن أغلب الاشقاء العرب كفوا منذ مدة عن المجىء الى مصر متعلمين ، ولم يعد يجىء الينا الا بعض أبناء الدول العربية الفقيرة كاليمنيين الشمالى

[٩] البيانات المذكورة مأخوذة عن مطبوعات الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء بالقاهرة لاعوام ٧١ ، ١٩٧٢

والجنوبى ، وأبناء بعض الدول الاسلامية الذين يدرسون علوم اللغة وعلوم الدين ، وأغلب هؤلاء حاصلون على منح دراسية تمولها جمهورية مصر العربية . ولعلم هؤلاء جميعا فان الدول العربية الاخرى أصبحت مترفة الى حد تعاطى العلم من منابعه المتقدمة مباشرة ، وهذا في حالة عدم وجود التخصص العلمى أو المستوى التأهيلى المطلوب فى جامعاتها ، ولعلمهم أيضا فان هذه الدول جميعا أصبحت تملك جامعات متطورة للغاية ومتقدمة ، ومن العجيب أن بعض هذه الجامعات يعانى من مشكلة قد تبدو بالنسبة لنا غريبة للغاية وهو نقص عدد الطلاب الملتحقين بهذه الجامعات . ومادام الشىء بالشىء يذكر فقد روى بعض العائدين من جامعة طرابلس أن عدد طلبتها يبلغ ٢٠٠٠ طالب [يناظر ثلثى عدد المقيدين فى كلية الهندسة بجامعة الازهر والتى لا تملك امكانات تذكر ، كما أن مبناها الجديد آيل للسقوط] ، وان ميزانيتها السنوية تبلغ ٦٠ مليون جنيه ليبى ، أى حوالى ١٢٠ مليون جنيه مصرى .

أما الذين يتحدثون أحيانا عن ضرورة اهتمام الجامعة المذكورة بالدراسات البترولية لجذب الاخوة العرب اليها فيحسن أن نذكرهم أيضا بأنه فى المملكة العربية السعودية جامعة للبترول والمعادن وصنفها البعض هلعا بأنها خرافة !! ، وفى ليبيا كلية لهندسة النفط والتعدين تضم أقساما ستة أكبرها يدرس فيه عشرون طالبا !! ، هذا بالاضافة الى معهد فنى عال فى نفس التخصص . كما أن العراق وغيرها من الدول النفطية لديها الاقسام المتخصصة اللازمة لها .

٣ ـ طيورنا المهاجرة وعجز الجامعات الحكومية : حاول البعض أن يثير نخوتنا بالتباكى على الابناء [وفلذات الاكباد] الذين يلتحقون بجامعات بيروت والخرطوم . وفى البداية نحب أن نؤكد أنه ليس عيبا ان يطلب ابناؤنا العلم فى الدول العربية المجاورة أو حتى فى الدول الاجنبية ، خاصة وأن المدافعين عن « جامعة الخاصة » يدعون الاشقاء العرب لتلقى العلم فى جامعتهم !! ، كما أنهم لابد يعلمون أن فى السفر سبع فوائد !! . وفوق هذا فان توسيع فرص التعليم لتستوعب الهياكل التعليمية المصرية جميع الحاصلين على الثانوية العامة مسئولية قومية يجب أن نطالب الدولة بها وأن نساعدها على تحقيقها ، وفى هذا الاطار ـ وحلا لمشاكل التمويل اللازمة لانشاء معاهد أو كليات جديدة ـ يمكن أن يبحث على سبيل المثال حرمان الراسبين ـ لظروف غير قاهرة ـ من الطلبة من مجانية التعليم فى سنوات الاعادة ، على أن تحصل منهم رسوم عن هذه السنوات تضم حصيلتها الى المبالغ التى ترصدها الدولة لتوسيع مجالات التعليم العالى ... هذا مع ضرورة تنبيه المتباكين الى الكف عن مبالغاتهم لان أغلب هؤلاء الطلاب المصريين قد صدرهم أهاليهم الى بيروت والخرطوم لانهم لم يعجبهم الفرص التى أتيحت لهم ـ وفقا لقدراتهم الذهنية ـ فى المعاهد الفنية المصرية ،ولانهم منجهة أخرى قادرون على البذخ أو الترف التعليمى ابتداء من المدرس الخصوصى وانتهاء بالليسانس الخصوصى !!

٤ ـ الجامعة القدوة : تطاول البعض الاخير ، فادعى أن « جامعة الخاصة » التى يدعو اليها سوف تكون جامعة مثالية ومتكاملة ، الى حد اثارة الغيرة !! فى قلوب الجامعات الحكومية التى سوف تحاول جاهدة الوصول الى مستواها ، والدخول فى منافسة شريفة !! يترتب عليها الارتفاع بمستوى جامعات الحكومة . بل ان البعض الاخر داهمته احلام مفادها ان الجامعة المذكورة سوف تستهدف استقطاب الطلبة النوابغ الى صفوفها ، لتجنبهم التلف الذى قد يتعرضون له فى جامعات الميرى !! . . وبالطبع لا نملك الا أن نطلب من هذا البعض الاخير أن يقارن بين التعليم فى اغلب المدارس الخاصة وبين التعليم فى المدارس الحكومية [حتى رغم تدهور مستوى الاخير فى السنوات القريبة] ليجد الاجابة على توهماته ، ثم ندعوه بعد ذلك لنستعرض معا كيف تتوفر الامكانيات لاقامة ودعم هذه الجامعة البدعة » .

كيف سينشئون « جامعة الخاصة » ؟

قدر الاستاذ الدكتور **ميلاد حنا** [١٠] الزمن اللازم لانشاء الجامعة المذكورة ، وبالصورة التى يروج لها البعض بل « ويطبل » لها ، بحوالى العشر سنوات ، وتوقع ان تكون التكاليف اللازمة لها ملايين الجنيهات أن لمتكن عشرات الملايين . وكاتب الدراسة يقبل تقديرات الدكتور **ميلاد حنا**،ولايظنها مبالغفيهاثقةفىخبرتهبوصفهأستاذاجامعياقديمامن جهة ، ولكونه من جهة أخرى مهندسا انشائيا لابد وأنه قام بانشاء أو شارك فى انشاء بعض الكيانات العلمية والتعليمية . وقد نبه الدكتور **ميلاد حنا**

[١٠] مجلة الطليعة ـ ابريل ١٩٧٥

الى ما قد يحاوله البعض من الحاق أبناء الطبقة « الراقية » بالجامعات الاميرية لحين الانتهاء من انشاء « جامعة الخاصة » ، وطالب برفض هذا المنطق لخطورته ولكونه تحايلا من اليمين للتسلل « بفلوسه !! » الى مقاعد الجامعات الحكومية . ولعلنا نذكر أن اقتراحات من هذا القبيل قد قدمت فعلا حين نوقش الموضوع فى لجنة التعليم بمجلس الشعب ، بل وصل الامر الى تحديد أجور حجز « الكراسى »للراغبين !! ويتساءل كاتب الدراسة عما اذا كان مقدمو مثل هذه الاقتراحات سيضيفون بضاعتهم من الفاشلين الى الاعداد التى اتخمت بها الجامعات فعلا ، أم أنهم سيستبدلونهم بعدد مناظر من اللاعبين الاكثر تفوقا والاشـــد فقرا ؟! ، وسواء كان ما يتصوره هذا البعض **عملية اضافة للاغنياء المتخلفين عقليا أو عملية طرح [أعنى طرد] للفقراء القادرين عقليا ، فمثل هدا الامر لن يمر بسهولة لان الفقراء والكادحين لن يسمحوا بازاحتهم ــ وبسلطة البنكنوت الذى يملكه القادرون ــ عن المواقع التى هى حق لهم مرتين ، مرة فى معركة الدروس الخصوصية التى خسروها واستسلموا فيها ، ومرة أخرى حين يحاول هؤلاء القادرون شراء المقاعد التى يجلسون عليها ــ أى الفقراء ــ فى جامعات الشعب .**

وفى مقاله تساءل الدكتور ميلاد حنا أيضا « على نفقة من ستقام الجامعة المذكورة ؟ » . وخلص الى ان الرغبة غير المعلنة للمناورين هى أن تقوم الحكومة بانشاء هذه الجامعة على حسابها ومن ميزانية الشعب بدليل المحاولات التى تبذل لاخراجها الى الوجود عن طريق الهيئات الرسمية والعلمية . ورغم موافقتى التامة للدكتور ميلاد حنا فيما ذهب اليه ، فاننى سوف أفترض ــ من باب الجدل ليس الا ، وليس من باب حسن النية ــ جدية الداعين لاقامة هذه الجامعة فى محاولة تمويلها بعيدا عن ميزانية الدولة وأتساءل : « ماهى الطرق الاخرى التى يستطيعون عن طريقها تمويل الجامعة المذكورة وانشائها » .. أمامهم فى الحقيقة طريقان لا ثالث لهما :

أولا ــ الدعوة الى اكتتاب شعبى : وهذه محاولة غير مجدية وغير مغرية ، فالجامعات الاقليمية **التى أنشئت فى المنصورة ، وفى الزقازيق ، وفى** طنطا ، قد تم تمويلها جميعا ــ ولا يزال ــ باكتتاب شعبى غير مباشر ، **عن طريق ما عرف بالجهود** الذاتية . **والذين لم يبلغهم الخبر بعد عليهم** بالنزول الى الفلاحين فى قرى المحافظات الثلاث لسؤالهم عما اكتتبوا ويكتتبون به لتدعيم الجامعات المذكورة .. والجامعات الاقليمية الاخرى المدرجة تحت الانشاء فى قنا ، والمنيا ، وأسوان [الجامعة التكنولوجية » ، والمنوفية « **التى أعلن أن مواطنيها** يسعون لجمع مليون جنيه لانشائها وذلك الى جانب استفادتها بمبانى وامكانات المعاهد والكليات القائمة بالمحافظة] ، والقليوبية ، يتحمس لها المواطنون ، ويعلنون دائما استعدادهم للتعاون مع الحكومة لاقامتها لتعليم أبنائهم ورعايتهم .. وبالتالى فلست أظن أن الجماهير المصرية الكادحة على أستعداد لاستبدال تعاونها مع الحكومة فى انشاء الجامعات بتورطها مع الذين يعالجون « خيبة » أبنائهم بالشمارات البراقة .. وفوق هذا فان الاكتتاب الجماهيرى « لجامعة الخاصة » لو تم فانه لن يكفى وحده لاقامة الجامعة المنشودة ، كما انه لن يوفر العملات الصعبية اللازمة لتجهيزها معمليا .

ثانيا ــ التمويل الذاتى : لا يستحي البعض من الادعاء بأنه فى الامكان انشاء جامعة تمول نفسها ذاتيا ، كما هو متبع فى أغلب جامعات الدول الرأسمالية . ونستطرد مع هؤلاء حتى باب الدار !! .. ونناقش مصادر التمويل الذاتى للجامعات المذكورة متجاهلين أن أغلبها مرتبط بهيئات سياسية أو دينية أو احتكارات اقتصادية تدعمها وتنفق عليها لتحقيق مصالحها ، لنتبين ما اذا كان من الممكن أن تطرقها « جامعة الخاصة » أم لا ؟ .. وعموما فان مصادر التمويل لهذه الجامعات ثلاثة :

١ ــ الرسوم الجامعية : لقد بلغت هذه الرسوم فى الكثير من الجامعات الامريكية على سبيل المثال حوالى ۳۰۰۰ « ثلاثة آلاف فقط !! » دولار أمريكى سنويا ، فكم نتوقع أن تكون الرسوم الدراسية المقررة « لجامعة الخاصة » ؟ . لقد اراحنا بعضهم فقدرها للمصريين بحوالى ۳۰۰ ــ ۵۰۰ جنيه سنويا [١١] . فمن من المصريين يستطيع دفع هذا

[١١] كتبت هذه الارقام من الذاكرة ،وأرجو ان لا اكون مخطئا فى حدها الادنى،وأن كنت متأكدا من حدها الاعلى ،والذى يمثل رسوم الدراسة والقيد فى السنةالاولى .

المبلغ سنويا وتخوض مقامرة تعليم أولاده فى هذه الجامعة ؟ . . فى مقاله عن الجامعة الخاصة تصور الدكتور عبد العظيم أنيس [١٢] أن تلك الجامعة تنشأ لابناء الطبقة الوسطى وما فوقها الذين عجزوا عن دخول الجامعات الحكومية .

وأنا اختلف مع الدكتور عبد العظيم أنيس ، فأى طبقة وسطى يقصد ؟ ! ، وهل الموظفون المكتبيون او البيروقراطيون شاغلوا الدرجات المالية المتقدمة ينضمون الى فئة المنتفعين بتلك الجامعة البدعة ؟!

الامر يحتاج الى تحديد . . وان كنت شخصيا أرى ان هذه النوعية من الموظفين ـ وبالتالى كل من هم دون ذلك ـ غير قادرة على تعليم ابنائها بهذه الشروط المطروحة .. ولنعامل الموضوع حسابيا .. طبقا لقانون الاصلاح الوظيفي يحتل الحاصل على مؤهل عال الدرجة الثانية المالية بعد ٢٤ سنة فى الخدمة ، فى حين يحتلها حامل المؤهل المتوسط بعد ٣٢ سنة ، اى أنه فى المتوسط يكون قريبا من سن الخمسين . فاذا تصورنا أن هذا الموظف منضبط حضاريا وبيولوجيا فلم يتزوج الا فى سن النضوج ولم ينجب غير ولدين عليه أن يعلمهم فى هذه المرحلة ، واذا جاملناه واعطيناه علاوة ، فان مرتبه الشامل يصبح حوالى ٧٥ جنيها شهريا ، فاذا عدنا لنستقطع منه الضرائب والمعاش والتأمينات والدمغات وتبلغ حوالى ٢٠ فى المائة فان مرتبه يهبطمرةاخرى الى ٦٠ جنيها شهريا «مع فرض أنه ليس مدينا بسلفة لاحد البنوك او لاحد الاثرياء !!] ، وتبلغ جملة دخله السنوى ٧٢٠ جنيها . وحيث أنه سوف يطالب من جامعة الخاصة بمبلغ ٦٠٠ ـ ١٠٠٠ جنيه سنويا فلن يكون امامه الا أن يقرر أمرا من ثلاثة : اما أن يعيش على الكفاف ، واما أن يقترض ، واما أن يضرب عن تعليم احد ولديه أو كليهما ... وهكذا فانه حتى قدامى وكبار البيروقراطيين سوف يعجزون عن تعليم أولادهم فى الجامعة المذكورة .. وبالتالى فانها ـ كما أوضحنا فى بداية الدراسة ـ لن تستقبل غير الفاشلين من ابناء الارستوقراطية المحدثة التى تصنعها العمولات ومقاولات الباطن ، وتجارة الشنطة ، وسمسرات الخردة ، وعرق التهريب ، وما شابه ذلك .. ومهما بلغت الحصيلة فلن تكفى لتمويل الجامعة المذكورة ، خاصة وان ابناء هؤلاء ليسوا جميعا من الفاشلين ، والكثيرون منهم يمكنهم الالتحاق بجامعات الحكومة .

٣ ـ **تعاقدات واستثمارات البحوث** : وهذا هو المصدر الاساسى لتمويل الجامعات المتقدمة التى يتحدثون عنها ، وفى الدول التى تضم هذه الجامعات تهتم المؤسسات والتشكيلات الصناعية أو الزراعية وحتى الادارية بتطوير انتاجها أو أدائها ، وتتقدم الى الجامعات بمشاكلها لتتعاقد معها على حلها . فهل من الممكن أن يتوفر هذا المصدر « لجامعة الخاصة » فى مصر ؟! .. بالطبع فان هذا هو مستحيل المستحيلات .. فأولا : لا توجد خطة بحوث فى مصر ، وثانيا : القطاع العام الذى يملك الهياكل الانتاجية الاساسية لا يزال فى أحسن حالاته ناقلا للتكنولوجيا وليس مطورا لها ، وثالثا : فان جامعات الحكومة رغم كثرتها قل أن يعرض عليها المشاركة فى برامج بحثية ، وفى حالة وجود هذه البرامج فسوف تكون هذه الجامعات العريقة والملتزمة هى الاحق بتعاطيها .. ماذا بقى اذن « لجامعة الخاصة » ؟! .. أظن أنه قد بقى لها القطاعان الخاص والطفيلى ، ولكن حتى هذين لا أمل فيهما ، فلست أظن البيوميين مهتمين بتحسين خواص مواد البناء ، ولست أحسب الغبوريين حريصين على تطوير مستورداتهم قدر حرصهم على تلوين أساليبهم الاستيرادية أو التصديرية !!

٣ ـ **الدعم الحكومى** [**مساعدات الدولة**] : وهو أمر قد يكون عاديا فى مجتمع رأسمالى لا تتحمل الدولة مسئولية التعليم فيه كاملة . ولكنه غير وارد بالمرة فى مجتمع اشتراكى فى مقدمة مسئوليات السلطة الشعبية فيه القيام بتبعات العملية التعليمية والهيمنة عليها بصورة كاملة .

وهكذا يتبين أنه لم يبق أمام الداعين « لجامعة الخاصة » الا مغازلة الدولة لتقوم نيابة عنهم بتحمل تبعات انشاء وتمويل الجامعة التى يروجون لها بالباطل ، وبالطبع فانه قد يصبح من واجبات الدولة حينئذ أن توفر لجامعتهم الكوادر العلمية والبحثية اللازمة لتسييرها ، بوصفها ـ أى الدولة ـ المهيمنة على الجامعات الحكومية التى تضم هذه الكوادر ، وليس مهما مرة أخرى ان

[١٢] مجلة الطليعة ـ مارس ١٩٧٥.

يكون هذا أيضا على حساب جامعات الشعب ! .. واذا ما وصلت الامور الى هذا الحد ـ ولست أظنها واصلة ـ فانه يجب على الجميع أن يفرضوا على الحكومة ، باسم شعب مصر الذى يتبنى الاشتراكية طريقا لحل مشكلته الاجتماعية ، اذا كانت تملك هذه الامكانات ، أن توجهها لتخفيف العناء الذى تلاقيه الجامعات الاقليمية ، وجامعات العواصم أيضا !!] ، أو أن تضع يدها فى يد جماهير الجهود الذاتية لانشاء جامعات اقليمية جديدة .

الاتحـــاد الســـوفيتى

بين صواريخ العبور .. و« صاجات » تحية كاريوكا

خيرى عزيز

> **ترددت « الطليعة » طويلا فى الاهتمام بمـا يجرى على خشبة مسرح ميامى .. ايمانا منها بأن صفحاتها يمكن أن تتفرغ لتناول ماهو أهم .. وما هو مفيد ..**
> **لكن مسرحية « يحيـا الوفـد » ليست فقط امتهانا للفن الصحيح ، لكنها تتجاوز ذلك كله لتصبح « سقطة » سياسية تمس المحيط الثقـافى المصرى كله .. ومن هنا كتب « خيرى عزيز » تعليقه عليها .**

لم يحدث قط فى تاريخ المسرح المصرى منـذ نشأته ، ان حفل عمل مسرحى واحد ، بمثل هذا القدر من الحقد الدفين ، على دولة اجنبية ، بما فيها اسرائيل نفسها ، مثلما حفلت مسرحيـــة « **فايز حلاوة** » ، « **يحيا الوفد** » على **الاتحــــاد السوفيتى** ، الدولة الوحيدة فى العالم التى أمدتنا بسلاح العبور .

واننا لندعو ، ــ بكل اسف ــ اى كاتب او ناقد فى هذا البلد ، أيا كان اتجاهه ، ـأن يقدم لنا فى مسارح القاهرة سنة ١٩٧٥ ، ولو مسرحية واحدة ، أو حتى بعض فصول مسرحية ، ضـد اسرائيل نفسها ، أو ضد من امدوها بالسـلاح ، وتخفل بواحد على عشرة ، أو حتى واحد على مائة ، من مثل هذا العداء الضارى ؟ الذى صبه « **فايز حلاوة** » على هذا البلد الصديق .

ذلك انه لم يحدث قط فى تاريخ الدول التى ناصبت مصر اشد العداء ، وفرضت عليهـــا صنوف الحصار الاقتصادى ، وحروب التجويع ، وصبت عليها حمم غضبها ، قذائف ونيران وقنابل ، ان تعرضت دولة منها لمثل هذه الشحنة الضخمة من الافتراء والبغض ، التى تعرض لها الاتحــاد السوفيتى .

كما لم يحدث قط ، فى تاريخ مسرحنا المصرى ، الذى يعكس اخلاقيات شعب ودود ، انسـانى وطيب ، أن وجهت اهانات قاسية وقارصة وبذيئة ، ضد شعب من الشعوب ، مثلما وجهت فى هذه

المسرحية ، ضد الشعب الروسى ، الشعب الاوروبى الوحيد فى العالم ، الذى قدم شهداء على أرضنا دفاعا عن العمق المصرى ، على ارض وسماء هذا البلد .

كذلك ، فمن بين الاحزاب الهامة التى تقود مصائر هذا العالم ، أو تؤثر فيه ، لم يلق حزب منها سواء فى الغرب او الشرق ، ابتداء بحزب المحافظين البريطانى الذى **شن على مصر عدوان ١٩٥٦ بآلاف ضحاياه** ، وحزب « **جى موليه** » الذى **شارك البريطانيين غدرهم** ، او حزب العمل الاسرائيلى نفسه ، الذى كان وراء اغتصاب وطن عربى بأسره ، او الحزب الجمهورى الامريكى الذى قدم حكمه لاسرائيل فى ٥ سنوات ، اسلحة ومعدات وذخائر ، **تعادل ما قدمته امريكا لاسرائيل فى العشرين عاما الاخيرة ، عشرين مرة** ، كل هذه الاحزاب ، لم تلق ما لاقاه الحزب السوفيتى من افتراء واهدار ومهانة على خشبة مسرح **تحية كاريوكا** ، فى حين كان هو الحزب الوحيد ، على مستوى القيادات الدولية العظمى ، الذى وقف الى جوارنا فى احلك وامجد اللحظات فى يونيو ١٩٦٧ واكتوبر ١٩٧٣ ، والوحيد الذى اصدرت قيادته اوامرها ــ قبل واثناء وبعد حرب اكتوبر ١٩٧٣ ــ وهذا أمر لم يعد يحتاج الى مزيد تكرار ــ بمد الجسر الجوى ليل نهار لامداد جيوشنا العربية المقاتلة بالسلاح ، وهو أيضا الحزب الوحيد فى العالم ، الذى كشف **روجر ديفيس** مساعد وزير الخارجية الامريكية نفسه ، فى اجتماع مجلس الاعمال فى « **هوت سبرنجز** ، بولاية **فرجينيا** فى ١١ مايو ١٩٧٤ ، بعضا مما صنعته قيادة هذا الحزب اثناء حرب اكتوبر حين قال :

« **لقد كانت اعادة تزويد المتحاربين بالسلاح ، مسألة يعود تقريرها الى الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى ، بصفتهما الدولتين الرئيسيتين اللتين تقومان بذلك . وقد سعينا الى كبح النفس ، إلا أن السوفييت كانوا ــ بكل وضوح ــ غير مهتمين . وفى العاشر من اكتوبر بدأوا عملية هائلة من شحن الاسلحة بطريق الجو الى مصر وسوريا والعراق ، شملت حوالى الف رحلة جوية ، وعددا من الشحنات البحرية الى الموانىء العربية** » . ... « **لقد حول العمل السوفيتى ــ [تزويد العرب بالسلاح] ــ حربا اقليمية ، الى حرب ذات مضامين خطيرة بالنسبة الى موقف القوة العالمى للغرب** » .

هذه هى بعض مواقف الحزب الذى استحق وحده ، دون سائر احزاب العالم ، كل هذا القدر من الهجوم والازدراء السوقى الرخيص الذى صبه « فايز حلاوة » فى مسرحيته .

وهذا الرجل ، لا يكلف احدا مشقة فهم رموز مسرحيته ، او كشف استارها ، فهى واضحة جلية فى البداية ، ثم سافرة بعد دقائق من بدء العرض

واحدى الافكار الاساسية التى اراد التأكيد عليها برموزه طول العرض ، هى انه من بين دول العالم اجمع ، فان الدولة الوحيدة التى كانت علاقاتنا بها غرما وخرابا ودمارا على مصر ، ليست هى اسرائيل ومن زودوها بسلاح الغدر والتدمير ، وانما الاتحاد السوفيتى الذى استحق وحده كل الحقد المركز الذى صبه فايز حلاوة عليه لما يزيد عن ثلاث ساعات ونصف ، ومن بين شعوب العالم اجمع ، فان الشعب الوحيد أيضا الذى نهب مصر وخيراتها واقتصادها وثرواتها ، فهو كذلك الشعب السوفيتى الذى اتى على كل شىء فى مصر لا نعرف كيف ، والتهم وحده فى العرض ، كل ما تبقى لفلاحى قرية « كفر السلام » .

لا توجد جراة على استبدال الاكاذيب بالحقائق ، قدر هذا الافتراء الاقتصادى ، فلم يكن الاتحاد السوفيتى قط هو الذى استنزف مصر وافقرها اقتصاديا ، وانما اسرائيل بالتحديد ، ومن ورائها الولايات المتحدة الامريكية ، هما اللتان فعلتا ذلك . فهما اللتان اجبرتا مصر ، وخاصة منذ عدوان يونيو ١٩٦٧ على **اقتطاع حوالى ٨ الاف مليون جنيه** من القوت اليومى للشعب المصرى ، ومن ثمن غذائه وملبسه وكسائه ، ورصدها للانفاق على القوات المسلحة وامدادها وتموينها ولبناء الاستحكامات ، وخطوط الدفاع ، وتعمير المدن التى دمراها .

ومن الواضح تماما ، انه لولا وجود اسرائيل ومن يمولونها فى قلب الوطن العربى ، ولولا هذه الحروب العدوانية الدورية التى يدبرانها ضد مصر كل فترة زمنية ، لكان حال الشعب المصرى اقتصاديا ، غير هذا الحال ، ولما اضطررنا قط الى اقتطاع كل هذه الموارد الضخمة ، لاغراض الدفاع . لكننا نعلم تماما ان هذه المليارات المقتطعة ، انما هى فى الواقع ، الضريبة التى يدفعها الشعب المصرى من لحمه الحى ثمنا لوجود هذه الولاية الامريكية رقم ٥١ مفروضة بالقوة ، فى قلب العالم العربى . كما نعلم ايضا أن الهدف من تلك الحروب الدورية لضرب مصر ، انما هو تأخير وعرقلة نموها الاقتصادى والصناعى ، كطليعة لحركة التصنيع العربى ،

الي اطول فترة ممكنة ، حتى تبقى المنطقة العربية، على وضعها الزراعي المتخلف ، مزرعة بائسة، لمصانع الاستعمار الغربي الجديد .

فما هو الجرم الذى ارتكبه الاتحاد السوفيتى فى كل ذلك ؟ ومن اين اتى فايز حلاوة بادعائه الرخيص ، بان هذا البلد نهب ثروات ، واقتصاد وخيرات مصر ؟

ان هذا الزعم لم يجرؤ اقتصــادى واحد فى العالم ، وحتى فى العالم الغربى انيقوله ، لان الدول الغربية تعرف اكثر من غيرها ، كم قــدم الاتحاد السوفيتى تضامنا ومســاندة ودعمــا لمصر ، كما وان الملفقين الغربيين لا يستطيعون لدى الراى العام الاوروبى ، وحتى فى اشــد حملاتهم حقدا على العلاقات المصرية ــ السوفيتية، الا ان يقدموا حججا قابلة للتصديق فى اوروبا ، وان يلتزموا الحد الادنى من احترام وتوقير العقل البشرى ، لانه معــــروف لكل ذى عينين فى العــالم ، بالحقائق الرقمية المثبتة ، ان الاتحاد السوفيتى هو الذى قدم لمصر المساعدات ،ولم ينهب اقتصادها ، واعطى بالمقياس الاقتصادى اكثر مما اخذ ، وبفارق يبلغ اكثر من ٥ مليار دولار حتى الان ــ وذلك دون احتساب ثمــن السلاح الذى تخلى عنه الاتحاد السوفيتى لنا، باعتراف الرئيس الراحل **جمال عبد الناصر** بعد تعويض جيشنا عن فقد معظم سلاحه فى يونيو ١٩٦٧ .

فاعتمادا على اى حقائق اقتصادية ،وعلى اية ارقام وهمية ، اطلق فايز حلاوة افتراءه ؟ **اننا نتحدى أى معلق اقتصادى مصرى أو عربى ، أو حتى عالمى ان يثبت لنا ان العلاقات الاقتصادية بين مصر والاتحاد السوفيتى ، كانت غنمــا له وخرابا على مصر ، او ان العلاقات الاقتصادية مع الاتحاد السوفيتى ، كانت فى غير صــالح مصر واقتصادها .**

وعلى العكس من ذلك ، فلقد وجه الملفقون الغربيون هجماتهم الدعائية فى اوروبا ضــــد سياسة الاتحاد السوفيتى ، **من منطلق مناقض تماما** ، وذلك كى يجدوا صدى فى الاذان العليمة بالحقائق الاقتصادية فى اوروبا . لقـــد قالوا للشعب السوفيتى بخبث وتآمر انه يضيع امواله ويقدم معوناته ومساعداته للمصريين والعرب ، وهم لا يستحقونها ،ويهدرونها ، ويذرونها ادراج الرياح كما حدث بالنسبة للسلاح السوفيتى فى حرب يونيو ١٩٦٧ ، متوهمين أن مثل هــذه الاسافين والحملات الدعائية الخبيثة، سوف تدفع الشعب ومن ثم القيادة السوفيتية الى التخلى عنا ، حتى تسقط عواصمنا العريقة تحت الكعوب الحديدية لقــوات اسرائيل ، وفاتهم تمــاما ان سياسة بلد اشتراكى حقيقى كالاتحاد السوفيتى، انما هى سياسة مبدئية ثابتة فى دعم نضـــال الشعوب التحريرى ، سياسة لا يمكن ان تتــأثر بالنكسات المؤقتة فى تاريخ نضال الشعوب ، ولا يمكن ان تفقد الثقة ابدا فى قدرتها ، وعلى راسها الشعوب العربية ، على تجاوز نكساتها، وصولا الى النصر .

على انه اذا كان من المؤكد من ناحية اخرى ، ان قتل ابناء شعب من الشعوب ،وتدمير مــدن هذا الشعب ، انما هو **عملية استنزاف اقتصادية وعملية افقار غير مباشرة لهذا الشعب** ، فاننــا نود أن نتسأل حقا ، **ومن الذى دمر مفــدات واسلحة القوات المسلحة المصرية فى يونيـــو ١٩٦٧ ؟**

اليس طرح هذا السؤال فى حد ذاته ، فى داخل مصر ، يعد مأساة اخلاقية وضميرية ، اذا كان بعض الناس الذين يعتلون منابر جماهيرية باسم الحرية فى هذا البلد ، يطمسون بحقــد مغرض هدام ، كل هذه الحقائق الجلية فى تاريخ الشعب ، ويطعنون القوى التى وقفت معنا ؟

ثم اذا كان الشعب المصرى **ينفق على اعادة تعمير مدن القناة اليوم ، ملايين الجنيهــات التى يقتطعها من الزم ضروريات قوته اليومى** ، فاننا سنضطر مع الاسف لان نعيد طرح هذا التساؤل: **ومن الذى دمر هذه المدن ؟ اننا نسأل فايز حلاوة** هذا السؤال . ومن الذى تسبب فى انتزاع اللقمة من افواه المصريين لترصد لتعميرها ؟ هل المدفعية السوفيتية هى التى دمرت مدن قناة السويس ، ام انه الطيران البلغارى حقا ، هو الذى قام بذلك ، مادامت حتى بلغاريا ــ التى قدمت لنــا مساعدات غذائية بدون مقابل ــ لم تسلم مــن بذاءات هذا الرجل دون ذنب او جريرة ، علمــا بانها وسائر دول المعسكر الاشتراكى الاخرى، هذا المعسكر الذى نانف ان نكرر هنا البذاءات التى اطلقها عليه ، لم تفعل ، كما فعلت بعــض الدول التى يهيم فايز حلاوة بمعسكرها حبــا ، ولم تسلم اسرائيل ، دبابات « **ليــوبارد** » ذات المدفع المروع .

لكن يبدو ان حياة الشباب الذين قاتلوا ببسالة واستشـــهدوا باسلحة العدو امر لا اهمية له قط فى نظر امثال فايز حلاوة ، وفرقتــــه التى تتلالا راياتها باسم تحية كاريوكا . وهذا أمر

منطقى ومؤكد ، فأمثال هــذه الرايات ؟ لم تكن قط فى تاريخ الشعوب رايات انتصار وعبور . لان رايات الانتصار والعبور الحقيقية لا يمكن ان تستبدل رمز الفــداء والكبرياء الوطنى باســم راقصة ، ولا تقايض نسر الثورة بنجمة كباريه .

ونود ان نسأل هذا الرجل ايضا ، اذا كانت هذه التساؤلات لم تكف بعد دليلا : **ومن الذى تسبب فى حرمان شعب مصر — ايضا — مــن ملايين الدولارات من دخل قنــاة الســويس ؟** اليس هو العدوان الاسرائيلى المدعم بســلاح الامريكيين هؤلاء الذين بلغت عنان السماء ، اشادة بممثليهم ، وتبجيلا ورفعة ، وتقبيلا للاعتــاب ؟ **أليس هو الذى حرم شعبنا من دخــل سنــوى لقناة السويس ، اصبح بالاسعار الحالية يعادل ٦٠٠ مليون دولار كل عام** ؟ من الذى منع دخول هذا القدر الطائل من المال الى خزينة مصر ؟ هل هى بحرية الاميرال **جورتشكوف** حقا ؟

ياله من مستوى مؤسف للتساؤل والنقاش فى الحقائق الجلية الواضحة ، خاصة اذا فقــد الانسان ضميره على هذا النحو .

ثم من الذى دمر **معمل تكرير البترول بالسويس وغيره من المصانع** ؟ ومن الذى نهب وينهب بترول حقول **ابورديس** بمئات الملايين من الدولارات كل عام ؟ **اننا نسأل « الممثلة الكبيرة » تحية كاريوكا** أيضا اذا جاز لنا ان نطرح عليها مثــل هــذا التساؤل الجاد : من الذى انتزع من افــواه شعبنا كل هذه الموارد المالية الضخمة ، ليفرض علينا حرب الافقار والتجويع ، هل هو حقـــا الشعب الروسى ؛ الذى تألقت وابدعت فى اطلاق سيل بذاءاتك عليه لما يزيد على ثلاث ساعات ونصف ؟ .

انه لامر غريب اخلاقيا اشد الغرابة ، ان يزرع المدفع الامريكى بيــد اسرائيل الخــراب والدمار ، ثم تجد اناسا كهؤلاء ، يوجهون التهم دون حياء ، الى شعب الاتحاد السوفيتى .

ان الرصاصــــات التى انطلقت فى فنــدق « سافوى » — تل ابيب اخيرا ، كانت روسية الصنع ، فلم كل هــذا الحقــد على الروس ، والاتحاد السوفيتى ؟

اننا مضطرون ، وفاء وعرفانا ، لاصـــدقاء الشعوب العربية فى كفاحها ، لان نقول بصريح العبارة — امام هذه الحملات الدنيئــة — **ان شعب الاتحاد السوفيتى بالذات ، هو الشعب الوحيد فى العالم الذى قدم — تاريخيا — لشعب مصر اكثر من اى شعب آخر بما فيها الشعوب العربية ، وتلك حقيقة رقمية مثبتة بوقائع مادية ، وليست حقيقة عاطفية باى حال من الاحوال .**

وبعد كل ذلك ، فانه ليس باستطاعتنا مرة اخرى ، تكرار وتعداد مواقف الاتحاد السوفيتى التاريخية ، دعما ومساندة لشـــعب مصر ، سياسيا وعسكريا وصناعيا ، **ابتداء من انذاره الشهير فى ١٩٥٦ ضد بريطانيا وفرنسا ، حتى موقفه الاخير بالشروع فى التدخل فى صفجيش مصر بعد الثغرة ، مرورا بشراء القطن المصرى عندما امتنع الغرب عن شرائه ، وتحويل السفن المشحونة بالقمح من طريق موسكو الى القاهرة ، وتزويدنا بالبترول أيام الحصار الاقتصادى ، وبناء السد العالى ، وقواعد الصناعة الثقيــلة — مجمع الحديد والصلب ، مجمع الالومنيــوم — الترسانة البحرية ، كهــربة الريف الخ .** فكل هذه المواقف والمساعدات انما هى رصيد صداقة وود كامن فى عقل وقلب ، كل مصرى وعربى .

واذا كانت تجرى اليوم محاولات لانكارها على بعض المسارح ، واهالة التراب على الشــعب الذى قدمها ، فان ذلك لن يطمس الحقيقــة ابدا ، **لان المساعدات السوفيتية الاقتصــادية والعسكرية ، لم تقدم ، ولا تقــدم ابدا ، على عتبات مسارح الهزل الرخيص ، ولا تتلقفها قط أيدى الراقصات . ومخرجى التهريج المسرحى وفلاسفة النوادى الليلية ، وانما تتلقفها دومــا الايدى الحقيقية ، ايدى شباب مصر ورجالهـــا وأبطالها ، وهى امينة على كل عهــد ، وفيــة كشعبها الاصيل .**

اننا لن نتحدث هنا عن البناء المفكك والذى لا يربطه رابط لهذه المسرحيــة ، وانما نود ان نشير فحسب الى ان اسوأ مافيها ، ليس هو فقط عدائها العميق لدولة وشعب الاتحاد السوفيتى ، وانما هو ايضا ، **افقادها المتفرج الثقة فى قيمة اى مبدأ واى قيمة سياسية او اخلاقية ، وزرعها بذور الشك واليأس والكفر بكل شىء ، وخاصة بقيم الصداقة والتعاون مع الشـــعوب التى آزرتنا فى معاركنا** ، والتى نحتاج اليها اكثر من غيرنا ، وخاصة ، ومعركة التحرير لم تنته بعد .

لكن يبدو انه من الطبيعى تماما ، ان «مقاتلى» النوادى الليلية و « المناضلين » على خشبات مسارح الهزل ، اولئــك الذين لم يكن الدم فى عرفهم ، سوى محلول رخيص من صبغة حمراء يضعهـــا رجال الماكيـــاج ، كل هؤلاء لا تعنيهم الصداقة مع الاتحاد السوفيتى فى شىء ، ولاقيمة يرونها ، فى الحاجة الى سلاح يدافع عن كرامة شعب ، وشرف أمة ، ورجولة رجال .

هكذا نجد انفسنا بكل وضوح امام تلك المفارقة العابثة : **فعندما يهدأ هدير المدافع ، وإيقاع البطولة والرجولة ، تدوى فى مسارح القاهرة. « صاجات » تحية كاريوكا .**

والحقيقة التى نحب ان نؤكد عليها بصفة خاصة،هى اننا لا نكتب — هنا — دفاعا عن شعب ودولة الاتحاد السوفيتى ،فهما فى غنى — بمواقفهما العملية المشهودة — عن دفاعنا ، ولا نكتب دفاعا عن الصداقة المصرية — السوفيتية ، فهى تدافع بثمارها ، عن نفسها ،**وانما نكتب اولا وقبل كل شىء ، دفاعا عن وفائنا وعرفاننا ، كامة وكشعب ، ونكتب كل ذلك ايضا كرثاء لما وصل اليه اهدار بعض القيم والمثل ، التى بدونها لن يكون لهذا الشعب مستقبل .**

الا ان فايز حلاوة يصل الى قمة الابتذال حقا عندما يقسم مسرحه الى قسمين متجابهين ،قسم يضم الفلاحين المصريين يحملون الشوم والنبابيت فى وضع المتحفز بقيادة « ممثل » امريكا المليونير العائد وزوجته الحسناء من ناحية ،وقسم يضم الوفد السوفيتى الزائر ، فى وضع المتربص ، ومعه ضابط شرطة مصرى — هكذا — من ناحية اخرى — وعندما نشاهد احد السوفييت — حسب افتراء فايز حلاوة — يشهر مسدسا فى وجه الفلاحين المصريين ،يتحفز هؤلاء للانتضاض من أجل القضاء فورا على السوفييت بقيادة المليونير المندوب « الامريكى » القائد والمنقذ .

علام يدل هذا الصغار ؟ وكيف يسمح هذا الانسان لنفسه ان يهبط الى هذا الدرك من الكذب والتزوير ، بالنسبة لتاريخ شعبه وكفاح بلاده وتضحياتها « ومنذ متى وقف الامريكيون فى صف فلاحى مصر ،بينما اشهر السوفييت سلاحهم ضدهم ؟

ان المستشار والخبير السوفيتى لم يشهر مسدسه فى وجه فلاحى مصر قط ، ولن يشهره، وانما هو تلقى بعض الطلقات فى صدره احيانا، واستشهد مع بعض ابنائهم ، وتلك هى الحقيقة الناصعة التى لن يلوثها حقد فايز حلاوة ومسرحه الاسود .

ومن عجب ايضا ،ان تحية كاريوكا التى جعلت ثمن تذكرة البنوار فى مسرحها تسعة جنيهات ، تنصب نفسها هى الاخرى متحدثة باسم الفلاحين المصريين ، فى الوقت الذى سيصيب فيه الذهول اسرة اى فلاح فقير ، لو علمت انه فى مقابل دخول حفلة تمثيل واحدة ، يدفع الانسان ،تسعة جنيهات بالتمام والكمال .

ثم نجد بعد ذلك .ما هو امر ، ففى حين ينهال « فايز حلاوة » على السوفيت ، على هذا النحو ،فانه يقول على لسان «الممثلة الكبيرة» ودون حياء ، وبعد كل الاختبارات التى مر بها هذا الشعب : « **الانجليز الذ** »و « **اللهم احشرنا فى زمرة اصحاب الملايين . واجعل لنا نصيبا فى الدولار والاسترلينى** » ، هكذا يظهر التهافت المخزى ، والاستعداد الذليل للقيام بدور الخادم والتابع ، على عتبات الولايات المتحدة ،والذى تقابله امريكا برغم كل ذلك التهافت المغى ، بالصد والتمنع .

وقبل الختام بقليل ،يقدم فايز حلاوة ،الامريكان وصنائعهم فى صورة «المهدى المنتظر» ،وصاحب العصا السحرية ،الذى سيحيل تراب مصر ذهبا، وفقرنا غنى ، وبؤسنا ، ملايين ومليارات ،وكان المليونيرات الامريكان وصنائعهم يبعثرون اموالهم هكذا ، احسانا وصدقة وبلاهة ، دون مقابل، على شعوب العالم الفقيرة .

ونجد الاستاذ حلاوة فى النهاية ، يحل اعسر مشاكل مصر بقدرة قادر ،وبذلك **الاكسير الامريكى** السحرى ،وبفضل المليونير القادم من امريكا « الذى خرج لامريكا بربع جنيه ، وعاد بلعب بالفلوس لعب » ففى لمح البصر ، تحولت اكواخ الطين واسطح البوص ، الى فيلات « اولترا مودرن » ، وحلت الديكورات الفاخرة ، محل الزرائب ، والثلاجات ، والغسالات ،والدفايات، والسخانات ، محل المواشى والجديان ، والمعيز، وافخر الثياب الغربية المستوردة ، محل زعبوط رثيفة ، وسروال عبد الودود .

اننا لا نعرف لماذا يصر بعض العاملين فى حقول الاعلام المصرى ،ممن يفكرون مثل فايز حلاوة على عزف مثل هذه المعزوفة الخائبة التى لم تحقق حتى ثمن الدعاية التى انفقت عليها ؟ لقد ذكرونا ، بعد امد طويل ، بالاضاليل والشائعات الرخيصة التى راجت ، عندما كانت مصر تستعد لاستقبال **ريتشارد نيكسون** ، عن البواخر الامريكية الضخمة التى تدافعت الى ميناء الاسكندرية ، تحمل خيرات امريكا التى رفع الحظر عنها ، والتى ستتدفق علينا منذ الان بلا حساب ،سمنا، وجبنا ، «وفراخا» !! والتى طال انتظارها دون جدوى ، بعد هذا الترويج الرخيص .

الم يصبح واضحا بعد ، ان شعبا واحدا من الشعوب التى « سارت » مع الامريكان فى اسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية ، لم يتحقق له واحد على المائة ، بل واحد على الالف من تلك الاحلام الوردية الخادعة التى يروج لها امثال فايز

حلاوة ؟ واذا كان هناك شعب من الشعوب قد حقق بعض ذلك حقا ، فليدلنا عليه السيد حلاوة حتى نستنير سياسيا ، ونعرف ماذا يدور حولنا في العالم ؟ اما الظاهرة العالمية التي لايستطيع، لا هو ، ولا غيره ، انكارها ، فهي **ان الشعوب تسعى في كل مكان الى طرد الامريكيين المستعمرين وعملائهم حيث وجدوا .**

اليس هذا هو حال الشعب **اليوناني** ، الذي اطاح بعملاء المخابرات المركزية الامريكية ، وحيث سدت المظاهرات المعادية لامريكا ، عين الشمس ، كما يقولون «او ليس هو حال شعب **قبرص** الذي يطالب مكاريوس بالتوجه نحو الاتحاد السوفيتي ، بعد ان عرك ثمن الانقلاب الامريكي ، مذابح ومجازر وحشية ، ذبح الاخ فيها اخيه ؟ اليس هو حال شعب **البرتغال** أيضا ، الذي اطاح بالديكتاتورية الحليفة لامريكا التي كتمت انفاس الشعب ما يقرب من نصف قرن ؟ وغيره من الشعوب ؟ الم يكن ذلك ايضا هو تطلع الشعب **التركي** ، بعد انكشاف رغبة يونان الكولونيلات والامريكان ، في ابتلاع جزيرة قبرص ؟ الم ينظم خيرة شباب هذا الشعب ، الاعمال المسلحة ضد كافة اشكال الوجود الامريكي ؟ اليس هو نفس اتجاه شعب **كمبوديا** ، الذي اكتسح معاقل العملاء ـ الخونة وطردهم من بنوم بن ؟ فلماذا لم يطق شعب كمبوديا اذن حكم امريكا وعملائها، ولماذا قاتل من اول يوم ضد هذا الحكم اذا كان منعما حقا بكل هذا الخير والازدهار والرخاء ؟ ولماذا قاتل ، ويقاتل شعب **فيتنام** ، ايضا ببطولة نادرة ، واستبسال منقطع النظير ، تخلصا من حكم الولايات المتحدة وعملائها ؟

لماذا قاتل هذا القتال المظفر المنيد تخلصا منهم ، اذا كانوا يحملون اليه حقا «المن والسلوى» والفيلات الفاخرة ، ومجتمع «الرفاهية» ، في « الجنة الموعودة » و « فردوس الدولار » الذي يبشر به فايز حلاوة في مصر ؟

اننا لا نقف ضد تحسين علاقات بلادنا ، بأي بلد في العالم بما فيها الولايات المتحدة الامريكية، لكننا لا نقبل امتهان كرامة وكبرياء الشعب المصري على هذا النحو ، ولا هذا التزلف المتهافت الرخيص .

على انه اذا كان الرئيس **انور السادات** قد حدد موقفا جليا واضحا بشأن الاتحاد السوفيتي والشعب السوفيتي والصداقة المصرية ـ السوفيتية ، واوضح في لقائه بوفد قيادات الشباب السوفيتي في القاهرة في ١٧ ديسمبر الماضي : « **ان شعبنا في مصر ، وشبابنا ايضا يعلم مدى نمو وازدهار العلاقة بين مصر والاتحاد السوفيتي ، ولقد تعاونا سويا في بناء القاعدة الصناعية في مصر ، وتعاونا ايضا في بناء السد العالي ، كما تعاونا في مجال تزويد مصر بالاسلحة السوفيتية** ، ومازالت مجالات التعاون واسعة بين بلدينا » و « ان الصداقة المصرية ـ السوفيتية قد صمدت للمصاعب والعواصف الكبيرة ، واثبتت انها صداقة متينة » ، واعرب للشعب السوفيتي الصديق عن **كل شكر ومحبة مصر ، وحرصنا على ازدهار هذه الصداقة ونموها باستمرار » .**

واذا كان قد اكد في رسالته الى شباب مصر والاتحاد السوفيتي في ٩ ديسمبر الماضي «ان مصر **تقدر قيمة الصداقة بين الشعوب** ، وتعمل باستمرار على ازدهارها وتدعيمها » و « ان صمود جماهيرنا الشعبية ايمانا بحقها ، وتضامن الشعوب المحبة للسلام والتقدم ، **وفي مقدمتها الاتحاد السوفيتي الصديق** ، قد استطاع ان يحطم كل مخططات العدوان والسيطرة الاسرائيلية» .. و « اننا هنا في مصر نقدر موقف كل الشعوب الصديقة التي **وقفت معنا ، ولاتزال تقف بجانبنا، وفي مقدمتها الاتحاد السوفيتي الصديق** والذي اكدت معاركنا ، ومعارك غيرنا ، انه يقف باستمرار بجانب قوى التحرر في العالم » .

واذا كان قد اكد ايضا تلك الحقيقة البالغة الاهمية وهي « **ان الصداقة العربية ـ السوفيتية هي بالنسبة لنا في مصر صداقة مبدا واستراتيجية** خدمة لمصالح بلدينا ، وتحقيقا لارساء قواعد العدل والسلام والتقدم في العالم » . واوضح « **ان العلاقة مع الاتحاد السوفيتي ، علاقة مبدئية** ، وليست مجرد انتهاز فرص او صداقة ظروف » .. و « **ان المساعدات التي قدمها الاتحاد السوفيتي لمصر ، امر يعرفه كل مصري .. وكل شاب مصري » .**

افلا يشكل كل ذلك حقا ، حكما مسبقا واضحا ، على كل تلك التهجمات والافتراءات والاساءات التي وجهتها تحية كاريوكا وفايز حلاوة ضد هذا الشعب ، وذلك البلد ؟

واذا كان رئيس وزراء مصر ايضا قد اعرب لنفس الوفد السوفيتي حينذاك ، عن رايه الجلي الواضح ، بالنسبة لمواقف الاتحاد السوفيتي، والشعب السوفيتي ، بقوله : « **لقد وقفت شعوبكم السوفيتية العظيمة ، ووقفت قيادتكم المناضلة مع الشعب المصري** ، وقيادته الحكيمة

المناضلة ، ومع الامة العربية **فى احلك اوقات المحن والازمات** ، وترجمت شعوبكم وقيـادتكم هذه الوقفة ، الى **تأييد سياسى ، ودعم عسكرى ، وعون اقتصادى** ، هذا التأييد والدعم ، لا يقاس بحجم ، ولا يفهم ، فى ضوء الارقام الجـامدة الصماء » « ان شعبنا المصرى العربى يقيس التأييد بمعناه ، وبما **يرمز اليه من قيم ودلالات** ، ويعرف **الوفاء** للصديق ، لانه صديق **مخلص وامين** ، ولان **الصداقة قيمة بناءة** ، ولان **الاخلاص معنى ايجابى** ، يستلهمه شعبنا من عقائده ، وتراثه ، وحضارته ، التى تواصلت خطـاها عبر الاف السنين » .

لذا فاننا نريد ، بعد كل ذلك ، ان نعرف حقا حكم فايز حلاوة النهائى على الشعب السوفيتى والاتحاد السوفيتى ، وعلى كل تلك القيم ، ذلك الحكم النابع حقا من « عقائدنا وتراثنا وحضارتنا » والذى يتفق مع قيمنا الاخلاقية ، وعرفاننا ، ونود ان نعرف ايضا ، كيف اعرب حقا فى النهاية عن كل هذا القدر من التقدير المصرى والوفاء ، وعن كل هذا التدفق من المشاعر الودية المخلصـة الدافئة ، وذلك بالكلمات نفسها التى نطق بها فى مسرحه دون رمز ، او مواربة .

هكذا نجد فى النهاية ، الروس هؤلاء الذين تحدث **الرئيس الســادات** عن **تعاونهم المخلص معنا** ، وعن **صداقتهم المتينة لبـلادنا** ، والذين اعرب لهم عن **كل شكر** ومحبة مصر ، **وتقديرها لقيمة صداقتهم** ، **فى المقدمة من كل صداقاتنـا** بشعوب العالم ، والتى تعد «**مبدأية واستراتيجية**» بالنسبة لنا ، بما تضمنته من مسـاعدات « **كل مصرى ، وكل شاب مصرى** » يعرفها حق قدرها ، هؤلاء الروس الذين تحـدث رئيس وزرائنـا حينذاك عنهم : **كشعب عظيم ، وقيادة مناضلة** : **ناصرتنا فى أحلك اوقات المحن والازمات** » ليسوا فى نظر فايز حلاوة وتحية كاريوكا ـــ وبالكلمات نفسها التى نطقوا بها على مسرحهم ـــ سوى روس « **حيوانات** » ، و « **كلاب** » و « **بهائم** » و « **اولاد كلب** » « **يستحيل التفاهم معهم** » ، « **حيوانات صديقة ، وبهـايم جاية من روسـيا** » الى آخر تلك البذاءات التى اطلقوها طـول العرض . وكل ذلك على سبيل المثال فقط لا الحصر ، خاصة اذا اردنا الا نذكر بعض البـذاءات التى يعاقب على نشرها ، الرقيب على الاداب العامة .

على هذا النحو ، نجد ان الشعب العظيم الذى أنجب **لينين** ذلك الاعجاز فى الذكاء البشرى ، وتلك العبقرية السياسية ، **صاحبة اعلى رقم فى التوزيع حققه انسان** منذ فجر الكتابة ، والذى أنجب **ستالين وجوكوف** بطلى الحرب العالميـة الثانية ، ومحطمى الفاشـية الهتلرية فى قلبها برلين ، ومحررى أوروبا من عبودية النـازى ، هذا الشعب الذى حطم **نابليون بونابرت** عنـدما ارتدى الامبراطور الفـرنسى ثيـاب المعتـدى والغازى ، والذى انجب عددا من اعظم **الادباء** على مدار التاريخ الانسانى ، **تولستوى** العظيم الذى كان خطوة الى الامام فى مضمار التقـدم الفنى للبشرية جمعاء ، والذى انجب عبقـريات **دوستويفسكى ، وتشيكوف ، وجوجول ، وجوركى وتشايكوفسكى** ، واعظم رائدات العالم فى الباليه **بافلوفا ـــ أولانوفا ـــ بليسيتسكايا** ، واصحاب الاعمال الخالدة فى الفن السينمائى ـــ **ايزنشتين وبودوفكين** ، وفى المسرح **ستانسـلافسـكى** والعلماء الموهوبون **بافلوف وميتشورين** ، وعشرات غيرهم فى كل مجالات العلم والادب والفن ، هذا الشعب الذى انجب ايضا **اول ابطال وبطـلات** الفضاء ، نموذجا مشرقا لشـبـاب العصر ، **جاجارين ـــ تيريشكوفا** وعشرات غيرهم ، والذى يحتل المرتبة الاولى فى العالم ، فى انتـــاج **الصلب ، والالات ، والاســمنت ، والبترول ، والجرارات ، والقاطرات الكهربائية** ، وصـانع **اسرع سيارة فى العالم** ١٦٠٠ كم ، **واطول مدى لصاروخ عابر للقارات** ، والذى يحظى بتقـدير واحترام حتى اعدائه . قد تحولهما على مسرح تحية كاريوكا وفايز حلاوة الى مجموعة من **البلهـاء والحمقى والمشـوهين المشعثى الشعر** ، الذين يرتدون **الشورت** ، ويطلقون صرخات **هستيرية مفاجئة وغامضة** ، تثير الضحك والســخرية والازدراء .

ان شعبنا بكل وفائه واخلاصه وتاريخه ، برىء من مثل هذه الاعمال الدنسة ، والذين يعتقدون ان الشعب المصرى قد انتهى ، وبلغت بهم الجرأة والافتئات ، ان يمجدوا اعداءه علنا ، ويهيلوا على اصدقائه التراب ، واهمون اشد الوهم . ولن تجدى محاولاتهم قط . لان للاتحاد السوفيتى ، وللشعب السوفيتى هنا ، رصيد صـداقة وود اكثر بكثير من مجرد الاحتقار الذى تثيره بعض سواقط الهزل المسرحى .

تخطىء تحية كاريوكا اشد الخطأ ، اذا اعتقدت هى وفايز حلاوة ان شـباب مصر يحتـاج الى قيادتهما الروحيـة ، ليعلمانا درسا فى الغـدر الرخيص المبتذل فبعض الراقصات لم يحـددن ابدا دساتير الشعوب الاخلاقية ، ولا اشرفة قيمها النبيلة .

واذا كان فايز حلاوة قد شن هجماته ، وصب لعناته باسم « مصرية زائفة » على اليسار المصرى ، وتلك قضية اخرى ضخمة لا تستحق ثمن الرد عليها . فالامر المؤكد ايضا ، ان اليسار المصرى لا ينتظر ان يتلقى براءات الوطنية من فرقة تحية كاريوكا .

وانه لمن سخرية القدر حقا ، من سخرية القدر بكل تأكيد ، هذه الايام ، ان نضطر فى مصر النبيلة العظيمة ، للدفاع عن قيمنا ومثلنا السياسية العليا ، وعلاقات بلادنا ، المبدئية والاستراتيجية بالشعوب والثورات العظيمة ، والدفاع عن كبرياء هذا البلد ومبادىء شعبه فى الوفاء والعرفان ، امام تهجمات بعض تلميذات بديعة مصابنى ، وخريجات شارع محمد على .

● ● ● ● ● ● ● ● ● ● ●

○ حول تطوير المؤسسة الثقافية العمالية

جمال عبد الوهاب محمد *

يقدم جمال عبد الوهاب محمد سكرتير عام النقابة العامة لعمال التجارة ومسئول التثقيف بها اقتراحات لتطوير مؤسسة الثقافة العمالية .. وتأييدا واستكمالا لهذه المقترحات كتبت الطليعة تعقيبا حول هذا الموضوع .

صدر عن المؤسسة الثقافية العمالية دراسة حول تطوير المؤسسة الثقافية العمالية سبتمبر سنة ١٩٧٤ وذلك بناء على قرار السيد وزير القوى العاملة وأمين أمانة العمال باللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى العربى ورئيس مجلس ادارة المؤسسة الثقافية العمالية .. برقم ٤٧ فى ٨ - ٨ - ١٩٧٤ الذى يقضى بتشكيل لجنة لتطوير العمل بالمؤسسة الثقافية العمالية من السادة :

١ - الدكتور ابراهيم الغمرى ابراهيم
الاستاذ المساعد بالمعهد القومى للتنمية الادارية - رئيسا

٢ - السيد / عمر عبد المجيد غنايم
الأستاذ الزميل بالمعهد القومى للتنمية الادارية

٣ - السيد / احمد عبد العزيز الشرقاوى
الخبير بمعهد التخطيط القومى

٤ - السيد / على يحيى مصطفى
الاستاذ المساعد بالمعهد القومى للتنمية الادارية

٥ - السيد / عزت عبد النبى غازى
الخبير بوزارة القوى العاملة - اعضاء

وحدد القرار اختصاصات اللجنة فى اتجاهين أساسيين :

الاول : وضع اسس وأساليب تطوير العمل بالمؤسسة الثقافية العمالية خاصة فيما يتعلق بتحديد الاحتياجات الثقافية للعمال والبرامج التى يمكن من خلالها اشباع هذه الاحتياجات وأسس

---

[*] السكرتير العام للنقابة العامة لعمال التجارة ومسئول التثقيف .

وقواعد تقييم البرامج والدارسين ووضع الاسس التخطيطية لنشاط ومسئوليات المؤسسة .

الثانى : دراسة مشروع اعادة التنظيم المقدم من الاستاذ عبد السلام الحمادى مدير عام الادارة العامة للتنظيم والتدريب بوزارة القوى العاملة .

ولنا على هذه الدراسة بعض الملاحظات نجملها فيما يلى :

من حيث القرار رقم ٤٧ فى ٨ ـ ٨ ـ ١٩٧٤

١ ـ ان هذا القرار قد أغفل اشراك أى من القيادات العمالية على كافة المستويات حتى مسئول التثقيف والتدريب بالاتحاد العام لعمال مصر والمنوط بمتابعة أعمال المؤسسة الثقافية العمالية .

وهذا فى رأينا يدل على أن السلطة لا تزال تنظر الى العمال على أنهم لم يصلوا بعد الى درجة من النضج تمكنهم من تطوير وادارة مؤسساتهم أو حتى على الاقل الاشتراك مع آخرين فى عمليات التطوير والادارة .. هذا بالرغم من العمر المديد الذى قطعته الحركة النقابية على طريق النضال الشاق والمرير فى ظل ظروف اجتماعية وسياسية غاية فى القسوة . والذى اثبت فى كثير من المواقف انهم على درجة عالية من النضج والوعى بالتاريخ وبحركته ..

هذا من ناحية القرار رقم ٤٧ لسنة ١٩٧٤ . أما عن الخطوط الرئيسية لعمليات التطوير من واقع الدراسة التى أعدتها اللجنة المذكورة والتى أودعتها مجلدا ضخما يفوق فى حجمه دليل مصلحة التليفونات .. ونود أن نشير الى ان هذه الدراسة قد تجاهلت أن مهمتها كما هو ثابت من القرار رقم ٤٧ لسنة ١٩٧٤ وضع اسس وأساليب تطوير العمل بالمؤسسة فيما يتعلق بتحديد الاحتياجات الثقافية للعمال .

وفى هذه النقطة بالذات وهى تحديد الاحتياجات عن ما هى احتياجاتهم ، ومن اجاباتهم الموقرة كيف تعرفت على هذه الاحتياجات وكيف تمكنت من تحديدها ؟ ان أبسط القواعد العلمية فى هذا الشأن توجب سؤال الناس أصحاب هذه الاحتياجات عن ما هى احتياجاتهم ، ومن اجاباتهم يمكن تحديد احتياجات هؤلاء الناس .

وقد كان على اللجنة ان تتوجه بالاسئلة والاستفتاءات والاستقصاءات الى العمال على كافة مستوياتهم للتعرف على الاحتياجات التثقيفية والتعليمية لهم التى تعد بصدق ووفق أسس علمية وموضوعية احتياجاتهم الحقيقية .. وهذا ما لم تفعله اللجنة وبذلك تكون قد خرجت عن الاسلوب العلمى الذى رسمته لنفسها والذى أوهمت القارىء بانها تلتزم به ..

واذا تركنا هذه الناحية وأطلعنا على القرار لنتعرف على المهمة الثانية للجنة فنجدها هى تحديد البرامج التى يمكن من خلالها اشباع هذه الاحتياجات ؟

وواضح من صياغة هذا النص انه لم يتم قبل صدور القرار تحديد لهذه البرامج بطريقه علمية وهذا حق ، اذ لم تجر دراسة علمية موضوعية منذ انشاء المؤسسة ، حتى الان لتحديد البرامج والموضوعات التى تشبع هذه الاحتياجات ؛ اذ ان هذه الدراسة مرتبطة ومترتبة على المهمة الاولى التى لم تتم ايضا .

ولكن هذه اللجنة التى نسبت لنفسها قد رأت خارقة للعادة وفوق الطبيعة اذ اعطت لنفسها القدرة على معرفة الغيب وكشف ما فى الصدور فبعد أن تعرفت بقدرة قادر وبطرق غيبية بعيدة عن الواقع ومجافية للمنطق العلمى على تحديد الاحتياجات الثقافية للعمال قامت بنفسها وبقدراتها الخارقة هذه الى تحديد البرامج الثقافية وعلى كافة المستويات .فقامت بالحذف والاضافة والتغيير والتبديل فى البرامج ، بل وفى المعاهد فقامت بحذف معاهد واضافة معاهد أخرى لا نعرف لذلك سببا ، الا أمزجة اصحاب هذه الدراسة وتهيؤاتهم ..

اما المهمة الثالثة التى جاءت فى القرار فهى « **تحديد أسس وقواعد تقييم البرامج والدارسين** .. ويبدو أن اللجنة فى زحمة عملها لم تلتفت الى هذه المهمة .. والا لكانت قد امدتنا بنتائج جهودها فى هذا المجال .. فاننا لم نجد دراسة علمية لهذه المهمة بالرغم من خطورتها ..

أما بالنسبة لوضع الاسس التخطيطية لنشاط ومسئوليات المؤسسة ، فان هذا البند للحقيقة قد نال قسطا كبيرا ووفيرا من البيانات والاحصاءات بشكل مكثف كما لو كانت الدراسة معدة لهذا البند من مهام اللجنة فقط ..

وقد حفل بدراسة وفيرة عن الوضع التنظيمى للمؤسسة وقدمت كثير من المقترحات والحلول .. فمثلا النظام الوظيفى (الوظائفى) للمؤسسة الذى اعتبرته اللجنة مشكلة المشاكل .. فراحوا يطوعون الوظائف وينشئون المناصب ويخلقون مراكز وظيفية ، ويصنعون لها المقاسات ، والاسطمبات التى تصادف هواهم . فجاملوا كل الوظائف القيادية والادارية والفنية لذوى المؤهلات العليا وخصوا حملة المؤهلات الاقتصادية والتجارية

النصيب الاكبر من هذه الوظائف .. كما لو كانت الدولة قد انشأت المؤسسة الثقافية العمالية من أموال العمال الغلابة حيث يخصص ٣ الى ١ حصيلة اموال الغرامات والجزاءات التى تقتطع من اجورهم الهزيلة على مدى مايقرب من ١٥ سنة ولا يزال لكى تقام الوظائف والمناصب للسادة حاملى المؤهلات العليا ،فالعمال يناضلون ويتعبون ثم يدفعون والسادة يقبضون !

ونقدم بعض الامثلة فقط حيث لايتسع المجال لتغطية هذه المناصب والوظائف التى صنعتهـا اللجنة وصاغتها على مقاسات محددة لا يشغلها الا حاملى المؤهلات العليا فقط ، ومن يـريد الاستزادة نحيله الى الدراسة نفسها ، وعلى وجه التحديد الفصل الثالث ـ توصيف الوظائف ص ١٢٩ وما بعدها ..

ومن هذه الامثلة :

وظيفة المدير العام للمؤسسة :

الشروط :

مؤهل جامعى (تجارة ، اقتصاد) وخبرة لا تقل عن ١٧ سنة فى مجال التثقيف العمـالى وحضوره دورة تدريبية فى الادارة العليا ينظمها احد المعاهد الحكومية .

أو : دكتوراه فى الادارة أو الاقتصاد فى مجال النشاط العمالى وخبرة ٥ سنوات على الاقل فى مجال نشاط المؤسسة .

فاذا تركنا هذه الوظيفة الحساسة على حـد تعبير الدراسة الى توصيف الوظائف التى يشرف عليها سيادة المدير العام .

فوظيفة مدير ادارة بحوث وتخطيط الثقـافة العمالية .

الشروط :

مؤهل جامعى (تجارة ـ اقتصاد ـ اداب ـ حقوق) خبرة لا تقل عن ١١ سنة فى أعمال تتناسب مع اختصاص الوظيفة ، ويفضل الحاصلون على مؤهلات فوق الجامعية (دراسات عليـا ويفضل من حضر دورة متقدمة فى التخطيط من أحد المعاهد الحكومية) .

ـ اجادة احدى اللغات الاجنبية (الانجليزية ـ الفرنسية) .

ـ اتمام دورة تدريبية فى الادارة من احـد المعاهد الحكومية التى تنظمها المؤسسة للعاملين بها . وبالمثل فى **وظيفة رئيس قسم التخطيـط والمتابعة ، ورئيس قسم البحوث والنشر ورئيس قسم الاحصاء ورئيس وحدة التنظيم والإدارة ورئيس وحدة العلاقات العامة** .. الخ كلها تشترط المؤهل العالى ..

واذا انتقلنا الى الوظائف الخاصة بقطـاع التثقيف ـ فنجد أن وظيفة نائب المدير العام لشئون التثقيف تشترط مؤهلا جامعيا مناسبا وخبرة ١٤ سنة ، منها على الاقل ٥ سنوات فى التثقيف العمالى أو التدريب الادارى واتمام دورة تدريبية فـى

تعليق: الثقافة العمالية يجب أن تكون مؤسسة عمالية

ان ما كتبه الزميل جمال عبد الوهاب السكرتير العام للنقابة العامة لعمـال التجارة ، عن اتجاهات القيادة الجديدة لمؤسسة الثقافة العمالية ، هو رأى يعبر عـن مجمل الحركة النقـابية المصريه بكل اتجاهاتها ، فيما تريده هذه القيادة الجديدة للثقافة العمالية ، فهى تريدها عملية بيروقراطية بعيدة تماما عن التنظيم النقابى المفروض انه القائد لكل نشاط يومى للعمال . وهى تريدها مؤسسـة بيروقراطية تعود بالنفع والفائدة عـلى مجموعة من أساتذة الجامعة ، والمثقفين من أبناء الطبقة الوسطى لتحسين حالتهم المادية وهى كذلك ـ وهو المهم ـ تريد أن تفرض فكرا داخل الحركة العمـالية وتنظيمها النقابى ، هو فـكر الطبقـة الوسطى التى تسـعى دائمـا لفرض وصايتها على الحركة النقابية بحجة أن الحركة النقابية « قاصر » يجب فـرض الوصاية عليه . وهو أمر يدل على جهالة تامة بتاريخ الحركة النقابية المصرية التى يبلغ عمرها النضـالى والتنظيمى ثلاثة ارباع قرن !

والحقيقة أن مؤسسة الثقافة العمالية بقيادتها الحالية قد ضربت عرض الحائط بتوصيات الحلقة الاولى للثقافة العمالية ـ والتى انعقدت فى بغداد فى الفترة من ١ الى ١٠ ابريل ١٩٧٢ ، والحلقة الثانية المنعقدة فى بيروت من ١٧ ـ ٢١ سبتمبر ١٩٧٣ .

وقد جاء فى توصيات الحلقة الاولى عن رسالة الثقافة العمالية :

« فرسالة الثقافة العمالية هى تطوير تراثنا الثقافى ، وتنقيته مـن الثقافات الدخيلة ، التى فرضتها الطبقات المستغلة المرتبطة بالاستعمار والصهيونية لتحـل محلها ثقافة العمال فى ميادين العـلوم الاجتماعية أو الثقافات الفنية والعلمية ، وأن نعمل على تغيير القـيم الاجتماعية التى أورثتنا اياها مجتمعات الرأسمالية والاقطاع والتخلف ولتسلح العمال بقيمهم القائمة على تقبل ما هو جديد ومفيد ، ولتدعيم اتصالاتها بالثقافات التقدمية ، وتجاوز مظاهر القـدرية والعفوية التى دعمتها الثقافات الرجعية ، ولتوعيـة العمـــال بمؤامرات الاســـتعمار ، والصهيونية والانظمـة الرجعية وبقـايا العهود السابقة العميلة ، وللتبشير بالمجتمع

الادارة العليا فى أحد المعاهد الحكومية .. وبالمثل وظيفة أمين مكتبة ووظيفة مراقب عام شئـون المناطق ووظيفة مدير منطقة .. **وهكذا حتى نصل الى وظيفة رئيس مركز ......** وايضا وظائف المعاهد : فوظيفة مراقب عام شئون المعاهد ووظيفة مدير معهد فوظيفة رئيس شعبة **وبالمثل فى الوظائف الخاصة بقطاع الامانة.. فجميعها يشترط فى شاغلها ان يكون من حملة المؤهلات العليا .**

ويلاحظ ايضا على هذه الدراسة انها نظرت الى المؤسسة الثقافية العمالية على أنها مـؤسسة اقتصـادية شأنهـا فى ذلك شـان اى مؤسســـة اقتصادية اخرى ولم ينظر اليها على انها مؤسسة تربوية ذات طابع خاص ، وانها تؤدى خدمـات تثقيفية وتعليمية لفئة من جماهير الشعب لها الوزن العددى والثقل الحضارى ، والميراث الفكـرى المتعاظم ...

ونلاحظ كذلك أن الدراسة لم تهتم بانشاء قنوات اتصـال بين الجهـــاز التنفيـذى ومجلس ادارة المؤسسة بل لم تضع فى اعتبارها أى وجود لهذا المجلس ولم تحاول ان تحدد او ترسم خطوطا بين المجلس وبين الجهاز التنفيذى ، وهذا فى رأينـا يشكل خطورة كبيرة يجب تنبيـه الاذهان الى القائمين الان على العمليات التى يطلقون عليها تطوير المؤسسة .

ويمكننا القول انه لم يعد لمجلس ادارة المؤسسة اى وجود امام هذا التنظيم الذى بشرت بـه هـذه الدراسة المشئومة .

وفى الجملة فان هذه الدراسة لا تمثل الواقع ولا تعبر عنه ، وان ماوصلت اليه من نتائج وبخاصة فيما يتعلق بالاحتياجات التثقيفية للعمال والبرامج والمناهج التى تغطيها ولا يمكن الاعتداد بهـا ونرفضها فى جملتها وتفاصيلها ،اذ كما وضح لنا أنها لم تقم على دراسة علمية وموضوعية للواقع ولم تصدر عن أصحابها وانما جاءت بطريقة بعيدة عن المنهج العلمى الذى أعلنت اللجنة التمسك به ..

ان الامانة العلمية تتطلب أن تعد استقصاءات مقننة ومدروسة توجه الى العمال على اختلاف مستوياتهم للتعرف على الاحتياجات التعليميـة والتثقيفية فى كل مجال من مجالات التثقيف .

واننا من موقع احساسنا بالمسئولية التاريخية نعلن رفضنا لهذا الاسلوب وهذا المنهج الذى سارت وتسير عليه هذه اللجنة ونطالب السيد الوزير رئيس الاتحاد العام لعمال مصر ورئيس مجلس اداره المؤسسة الثقافية العمالية أن يعيد الى هذه اللجنه رشدها وأن يوقف عمليات ذبح المؤسسة العمالية واعادة تشكيل لجنة أخرى للـدراسة والتطوير يتحقق فيها الخبرة من المتخصصين فى مجالات التثقيف العمالى وتربية الكبار مـع القيادات العمالية والثقافية اصحاب المصلحـة الحقيقية فى عمليات التطوير،والمستهدفين لخدمات المؤسسة .

الجديد الحريص على بناء الاشتراكية ، وأن يمارس العمال دورهـــم الطليعى والقيادى » .

كما جاء فى نفس التوصيات عن اجهزة الثقافة العمالية على المستوى القطرى العربى :

« واذا كانت الحركة النقابية سـيدة مصيرها ، فانه ينبغى لها أن تكون هى المهيمنة على أجهزتها الثقافية ، وذلك بأن تؤكد أنها جزء لا يتجزأ من الحركه النقابية وأن تعمل على استقلالها فى بعض الاقطار العربية التى لم يتحقق فيها ذلك . وأن تضمن للعمال ــ كاجراء مرحلى ــ الاغلبية المطلقة فى مجالس ادارتها ــ كحد أدنى ــ لكى تتاح لهم الفرصـة لحمايتها مـن تسرب الثقافة المعـادية لمصالحهم ، وأن تؤكد أن ذلك لا يحول دون استعانتهم بمن يرون مـن الفنيين والخبراء فى حالة الحاجة الى الاستعانة بهم .

« ولا يكفى أن تكون أغلبية مجالس ادارتها من العمال ، بل لابد من أن تعد لها العناصر الاداريه والفنية من العمال ايضا ، وأن تعمل على وضع التشريعات الخاصة بها ، وتخرج بها عن مجـال الخدمة الادارية [المدنية] ».

والحقيقة المرة ــ هو أن القيادة الادارية والفنية الحالية ، هى قيادة غير مؤمنة بوعى العمال المصريين وحركتهم النقابيه. وهى تريد الاجهاز على مؤسسة الثقافة العمالية كمؤسسة من مؤسسات الحركة النقابية العمالية ، وتحويلها الى شركة من شركات العلاقات العامة ، وهى تضرب عرض الحائط بكل رأى أبدته الحـركة النقابية المصرية والعربية فى مجال الثقافة العمالية .

والان .. أنهـا مسئولية الحـركة النقابية المصرية وبصفة خاصة مسئولية السيد صلاح غريب رئيس الاتحاد العام للعمال وأمين العمال بالاتحاد الاشتراكى العربى ، فى اعادة الثقافة العمالية الى أحضان الحركة النقابية ، انها مهمـة السيد صلاح غريب ، أن يعيد الامانة التى سلمها الى د. ابراهيم الغمـرى ابراهيم الى أصحابها . فالثقافة العمالية هى مؤسسة عمالية مائة فى المائة .

((الطليعة))

● نقــــرأ أبــو الفتـــح

.. ونحترم فرغلى « باشا »

فيليب جـلاب

احمد ابو الفتح لايمل من ادانة كل ماأنجزته ثورة يوليو دفاعا عن أصحاب الملايين . وفى المقابل ـ كما يوضـــح فيليب جلاب ـ يتسامى المليونير السابق والباشا السابق محمد فرغلى عن كل ما أصابه شخصيا فى التأميمــات ، ويدافع بموضوعية عن الدور الايجابى والبناء للقطاع العام .

كتب السيد **محمد فرغلى** أحــد كبار رجـــال الاعمال من أصحاب الملايين السابقين مقالا فى **الاهرام** [١٩٧٥/٤/١٤] بعنوان « القطاع العام مظلوم » ، يعـــد نموذجا نادرا فى التواضـــع والشرف والموضوعية والقدرة الخارقة على تجاوز المصالح الانانية والالام الذاتية .

والسيد محمد فرغلى كما هو معروف كـــان واحدا من اثنين احتكرا تقريبا [قبل الثـــورة تصدير الاقطان . وكان واحدا من مجموعة تعد على الاصابع وتملك بنفوذها وثرواتها ادارة دفة الحكم صراحة أو من وراء الستار .

وهو من القـــلائل الذين جردتهم الاجراءات الثورية من ثرواتهم مع اتاحة الفرصة لهم بأن يواصلوا الحياة براتب شهرى متواضع ، يقــل كثيرا عن دخله اليومى عندما كان مليونيرا وأحد « الباشوات » المرموقين .

ولسنا بصدد تلخيص مقال السيد فرغلى الذى يستحق أن يعاد طبعـــه وان يقرأه ويســـتوعبه الكثيرون . لكن بعض فقرات المقال تكفى فيما نحن بصدده الان .

يقول : « ان عددا ممن عملوا فى القطاع الخاص ارتكبوا الـــكثير من الاغلاط ولـــكنهم لم يتعرضوا للانتقاد على أساس أنهم كانوا يجنون ثمرة عملهم سواء نجاحا أو فشلا . ولم تـــكن الانظار موجهة الا الى القلائل ممن وفقوا ، كما أن الكثيرين أفلسوا وبالطبع لم يعلم عن سوء تصرفاتهم وعدم حظهم ومأساتهم الا القليلون » .

ثم يضيف : .. « ومما يؤسف له أن الانتقادات الموجهة الى القطاع العام تعمم بيننا من المؤكد أن عددا غير قليل من مؤسساته تجرى ادارتها بطرق ممتازة . وهذا ينطبق مثلا على تصدير الاقطان ... » .

ويقول : « لا يعلم الـــكثيرون أن عـــددا من مصانع القطاع العام تعمل بخسارة ، ليس لعدم كفاءة المشرفين عليها أو لعدم صلاحيتها ، ولكن لان الدولة ترى أن المصلحة العامة تقتضى بأن تباع منتجات تلك المصانع بأقل من سعر التكلفة مساهمة منها فى تخفيف أعباء المعيشة » .

ثم يلخص ــ فى جملة ذات مغزى ــ [لعله يوجهها لاولئك الذين لا يعنيهم من أمر الوطن الا نهب ثرواته] أذكى ملاحظاته قائلا: «**ولا يساورنى أى شك انه لولا انجازات القطاع العام لكانت معركة الصمود أشـــد صعوبة وقسوة ، ولـــولا معركة الصمود لكان من المتعذر الاقدام بثقة تامة وروح عالية على حرب السادس من اكتوبر ، واتمام منجزاتها الرائعة . ويكفى ان نتذكر ذلك حتى نشعر بحتمية القطاع العام » .**

ورغم أن السيد محمد فرغلى كان من أصحاب الملايين ، الا أنه أدرك مالم يدركه الكثيرون من العاطلين بالوراثة ، وكبار اللصوص والسماسرة وعملاء رأس المال الاجنبى . لقد ادرك حتمية القطاع العام أو حتمية العـــدالة الاجتماعية فى مجتمع مُقتير . فحيث يسمح بنمو الثروات الى درجة الملايين ــ أو ما يقترب منها ــ يســـمح أيضا بأن يكون ذلك من جيوب وعلى حســـاب آلاف العاملين من المعوزين والفقراء والمتوسطين الذين لا يدخرون جهدا فى العمل ليل نهار .

ولانه من المستحيل أن يصل أحد الى جمع مئات الالوف عن طريق «العصامية» والكد والعرق فقد أصبح من المألوف الان ترديد المصطلحـــات القديمة المستهلكة التى تعطى للمسميات معـــان اخرى مختلفة . فالمضارب «عصامى»،واللصوص والسماسرة وتجار السوق السوداء «أذكياء» .. والذين يريدون « حقهم » فى نهب الشعب المصرى

والعودة الى مجتمع ماقبل الثـورة من أنصـار « الاقتصاد الحر » .. !

... وهكذا لم تمض أكثر من ثلاثة أيام على نشر السيد محمد فرغلى لمقاله المذكور ، حتى أعاد الاستاذ أحمـد أبو الفتح نشر « أفـكاره » القديمة التى لم يمل تكرارها ولم « تمل » صحفنا من نشرها . ولنتأمل الفارق الكبير بين المقالين :

فبينما يقول فرغلى « بحتمية القطاع العام » وأن معظم نقاط الضعف فيه « قابلة للعلاج » ، يؤكد أبو الفتح أن الكثيرين « يعتقدون أن ... الاصلاح غير ممكن نظرا لتعقد المشاكل ولتراكمات خلفها الحكم الماضى » !

أما التأميم ، وهو أساس القطاع العام ، فهو فى نظر أبو الفتح « حملة طائشة من التأميمات والحراسات هزت الاقتصاد المصرى هزا عنيفا » لكن أبو الفتح لا يترك أحدا فى حيرة ازاء المغزى الحقيقى لهذا « الطيش » فقد طالب فى مقاله أو برنامجه السياسى برد « الحقوق التى اغتصبت فى الماضى والتى نهبها أصحاب الثقة الى أصحابها الحقيقيين » .

لقد كان المتوقع ، من رجل مثل فرغلى «باشا» أن يحاول انتهاز الفرصة ليطالب أيضا «بأمواله» أو بعضها ، خاصة وانه تحول من مليونير الى موظف يتقاضى راتبا شهريا ، كما لم يعرف عنه « الذكاء » اللازم لتهريب بعض أمواله الى الخارج أو الحصول على بضعة ملايين من مصادر خارجية مقابل أعمال تعد من الجرائم المؤكدة فى حـق مصر وشعبها .

أمـا بعض الذين يمتلكون المـلايين داخل او خارج مصر ، ولم يطالبهم احد حتى الان بالكشف عن مصدرها فلهم رأى آخر .

... ومن اجل هذا ، وغيره من الاسباب ، نشعر بعظيم الاحترام والتقـدير للباشا السابق السيد محمد فرغلى . فقد كانت لديه كل الاسباب الشخصية لان يطلق على ثورة ٢٣ يوليو اسم « الحكم المـاضى » ، وأن يسمى عـودة بعض الحقوق الى الشعب المصرى « اغتصابا » ... وأن يرى فى تهريب الاموال الى الخارج والحصول عليها من أى مصـدر « حرية انتقـال رءوس الاموال » ...

... لكنه شأن المصريين ذوى الـكبرياء لم تلوثه ثروة هائلة سـابقة ، ولم يفتقـده توازنه عودتها الى اصحابها الشرعيين . أليس جديرا بالاحترام ؟ .

من أحـــد « جحـافل أنصـــاف المتعـلمين » الى أحمـــد أبـو الفتـــح

عبد المنعم محمد بدوى ★

وعنـدما اتهم « أحمد أبو الفتح » خـريجى الجامعات بأنهم جحافل من أنصاف المتعلمين ، لم يحاول أن يقلل من نسبة المقولات الخاطئة فى مقاله .. ويفتح بذلك الباب أمام مقاتل آخر من مقاتلى حرب اكتوبر ليرد عليه معددا ماوقع فيه من أخطاء .

يتساءل أحمد أبو الفتح عن ما هى الاشتراكية المصرية .ويتمنى لوحددنا معالم النظام الاشتراكى فى مصر ... طبعا .. عشرون سنة خارج البلاد .. بالتأكيد لم يكن يتتبع اخبار مصر ، ولم يحاول معرفة شىء عنها . والا لما سأل هذه الاسئلة ..

ثم هو بعد ذلك يقسم الاشـتراكية الى نوعين ؟ أولهما المطبق فى الاتحاد السـوفيتى او الصين ، والثانى فى السويد وانجلترا .. وهو بذلك يبين عن جهل فاضح بالنظم الاشتراكية ... مدعيا ان ملكيـة الدولة لبعـض المرافق او الانشـــطة

[*] مهندس بمصانع شركة النصر للاجهزة الكهربائية والاليكترونية ومقاتل شارك فى حرب أكتوبر .

الاقتصادية تعنى الاشتراكية . وهذا جهل بطبيعة النظم الاشتراكية .. وحتى يستطيع الاستاذ ابو الفتح ان يستوعب الاجابة على تساؤله ولكى يصحح معلوماته .. نصيحتى له ان يقرأ اولا تاريخ الفكر الاشتراكى .. واسس الاشتراكية العلمية وما هى الفروق بين النظام الاشتراكى والنظام الرأسمالى .. وذلك حتى تكون عنده الخلفية السليمة فى الحكم على الانظمة المختلفة .. وارى كذلك ان يقرأ مواثيق الثورة ابتداء من الميثاق حتى برنامج العمل الوطنى .. ولابد له من هذه القراءات رغم حقده الدفين على النظم الاشتراكية بصفة عامة وعلى ثورة ٢٣ يوليو بصفة خاصة .. وذلك عملا بالقاعدة التى تقول « اعرف عدوك » وحتى لا يتورط الاستاذ الكبير فى استنتاجات عقيمة مبنية على فهم خاطىء .. وحتى لا يتعامل مع تلك القضايا الضخمة والمعقدة بتلك السطحية غير الواعية .

والحقيقة اننى لم اكن اتصور اطلاقا انه وهو الذى كان مسئولا فى يوم من الايام عن احدى الصحف الكبرى فى مصر يقول : — « وكان مفهومى لما نادى به **الرئيس** انه يريد اقامة نظامين للاقتصاد المصرى : الاول هو القطاع العام والثانى هو القطاع الخاص ... » .. نظامان للاقتصاد فى بلد واحد .. يا للحسرة ! وهل تسمى القطاع العام او الخاص نظام اقتصادى ؟ .. الم يكن اولى باحمد ابو الفتح ان يتواضع ويخرج من حجرته بفندقه الفاخر ليسأل احد تلاميذ الثانوى .. ليعطيه المسميات الحقيقية بدلا من هذا الخلط العقيم .. اننى لا املك الا ان اقول ان نشر مثل هذه الاراء اهانة لنا نحن المصريين .. واستهتار بعقول القراء .

لقد كان من الممكن ان نغفر له رأيه فهذه ارادة الله .. لولا انه اخذ يتعالى ويصف خريجى الجامعات بانهم « جحافل من انصاف المتعلمين الذين لا يفيدون ولا يستفيدون » .. وبالله عليكم ! هل من يقول ان السويد او انجلترا تطبقان نظاما اشتراكيا هو المتعلم الكامل ؟ ... هل من ينادى باقامة نظامين للاقتصاد فى بلد واحد .. من الممكن ان يفيد او يستفيد ؟ .. الحكم لكم .

ثم يأتى احمد ابو الفتح ليقول كلاما له دلالة خطيرة تفصح بوضوح — وبدون لبس عن نواياه تجاه النظام الاقتصادى للبلاد . ففى مجال الخطة والتخطيط يقول « الخطة والتخطيط يجب ان يقتصر اثرهما على القطاع العام .. اما **المصريون** فيكون لهم الحق فى اقامة المشروعات دون رقابة » .. واهم ما نلاحظ هنا هى كلمة [المصريون] ..

فهو يتكلم عما لو كان القطاع العام ما هو الا قطاع اسرائيلى داخل النظام يجب ان يكون فى جانب ، والمصريون فى جانب آخر .. ثم هو يكرر نفس المعنى حينما يقول « تطرح الحكومة فى كل او غالبية مشروعات القطاع العام حصة من الاسهم **للمصريين** ، وبذلك يشترك **الشعب المصرى** فى الاشراف وتمويل هذه المشروعات .. » .. ما حكاية المصريين هذه ؟ .. ان المراقب ليكاد يحار .. اننى فى حدود معلوماتى المتواضعة — وبصفتى من العاملين بالقطاع العام — اعرف ان كل رؤساء مجالس الادارة والمديرين والعاملين بهذا القطاع من المصريين . فمن هم المصريون [الاخرون] الذى ينادى استاذنا باشرافهم او تمويلهم له ؟ ..

ثم ما هذا التناقض .. لقد رأينا انه يريد ان يقصر الخطة والتخطيط — يعنى خطة التنمية — على القطاع العام وحده .. ثم نراه فى موضع آخر يبشرنا بان القطاع الخاص هو الذى « سيساهم مساهمة فعالة فى بناء الاقتصاد القومى » .. كيف ؟ وانت تطالب بان يكون له الحق فى اقامة المشروعات دون رقابة او تخطيط ... لقد كان اولى بالكاتب الكبير ان يقرأ رسالة **الرئيس السادات** الى **رئيس مجلس الشعب ورئيس مجلس الوزراء** الذى حدد فيها بوضوح ما هو المقصود بالانفتاح وما هو دور القطاع الخاص .. يقول **الرئيس** : — «اننا نعنى بسياسة الانفتاح دعم القطاع العام وتنشيطه وتحريره من قيود البيروقراطية، ورفع كفايته الانتاجية .. وننظر الى القطاع الخاص على انه احد المكونات الاساسية لاقتصادنا علينا ان ننشطه ونشجعه **ونوجهه نحو تنفيذ اهداف الخطة والتنمية ..** »

ثم اننى احب ان اوضح للصحفى الكبير ان مصر الان امامها تحديان : هما قضية التحرير وقضية التنمية .. وهما قضيتان متلازمتان لابد لكل مصرى ان يشارك فيهما .. وطبعا يعرف الاستاذ ان قضية التنمية حتمية بالنسبة لقضية التحرير ومن لا يشارك فى التنمية فلن يكون له دور فى قضية التحرير اللهم الا اللجوء الى المخابىء عند سماع صفارات الانذار .. الا اذا كان هذا الدور يكفيه .

واخيرا احب ان اعود الى قضية انصاف المتعلمين الذين لم يفيدوا ولم يستفيدوا .. وهنا اود ان يضيف الاستاذ الكبير الى معلوماته ان انصاف المتعلمين هؤلاء هم الدم الجديد الذى دخل القوات المسلحة .. فعبروا القناة وحطموا خط بارليف .. هم الذين عملوا على اعقد الاجهزة الالكترونية فتساقطت الطائرات الاسرائيلية بصورة ذهل لها العالم اجمع .. هم الذين قادوا

الطائرات والدبابات والمدافع واحـــدث الاسلحة المختلفة .. فحققوا بذلك نصر اكتوبر الذى غير وجه العالم واخل بموازين القوى فيه .. ويستطيع احمد ابو الفتح ان يرى هذه الجحافل فى مراكز البحث العلمى ومؤسسة الطاقة الذرية .. فى مجمع الحديد والصلب ... فى شركات الغزل والنسيج .. فى مصانع الاجهزة الالكترونية .. فى مراكز الحاسبات الالكترونية .. فى معركة التعمير فى مدن القناة .. فى مجمع الالومنيوم بنجع حمادى .. فى اى شبر من أرض مصر .. لقد اتضح لى اخيرا السبب الذى من أجله لم تستطع أكثر من عشرة اذاعات معادية ان تؤثر على الراى العام فى مصر ولا على مسيرة مصر الثورة .. السبب بسيط جدا وهـــو ان الكاتب الكبير وامثاله كانوا يتحدثون من خلالهـــا .. وسارت القافلة ولسوف تسير .

أيــة حـــــرية هـــذه ؟!

سهام هاشم ★

وتسأل «سهام هاشم» المحررة بوكالة انباء الشرق الاوســـط « اية حـــرية هذه ؟ » وتقدم فى تعليقها على هذا السؤال عددا من الحقائق الجديرة بالتأمل ..

لا يختلف اثنان ـ مهما كان الخـــلاف أو الاختلاف بينهما ـ على أن تكاليف المعيشة أصبحت تنوء بها كاهـــل اية اسرة مصرية دخلهـــا فـــوق المتوسط ، فضلا عن الاسر ذات الدخول الاقل فالاقل .

ويمكن القول ، أن الفئات التى تستطيع مواجهة أعباء المعيشة ـ بدون معاناة وبدون الاضطرار الى التنازل عن الكثير من الضروريات ـ تعد الان على أصابع اليد الواحدة ، وبالتحديد هى فئات التجار والسماسرة والمرتشين والمختلسيـــن .. هؤلاء الذين سموا أخيرا و « تأدبا » بذوى الدخول الطفيلية . كما ان هناك بعض الاطباء الذين يمكن ضمهم الى هذه الزمرة .

ولكن ـ والحق يقال ـ تطالعنا الصحف كل يوم فى عناوينها الرئيسية بتصريحات لـــلاجهزة المسئولة ، تؤكد فيها أنها تعتزم « **فرض عقوبات رادعة على أصـحاب الدخـول الطفيليـة** » وأنها « **ستشدد العقوبة على تجار الســوق السوداء** » وأن « **قانون الكسب المشروع ســوف يطبق بكل حزم** » . وهناك أيضا نداءات أخرى تنشرها الصحف تهيب بالمواطنين أن يتعاونوا مع الاجهزة المسئولة للارشاد والتبليغ عن التجار الجشعين لانزال هذه العقوبات الرادعة بهم .

فاذا انتقلنا الى أرض الواقع فسوف نجـد المواطنين ـ كل المواطنين ـ حيارى لا يمكن لأى منهم أن يشترى سلعة واحدة بسعر واحد من أثنين من المحلات ، حتى اذا كان كل منهما الى جوار الاخر . ويتلفت كل مواطن حوله ، فتصيبه الدهشة حينما يجد هؤلاء التجار الجشعين يتزايد عددهم يوما بعد يوم ـ رغم توعد الحكومة لهم ـ وتزدهر تجارتهم بشكل لم يسبق له مثيل ، فضلا عن المحال الجديدة التى يحتفل بـافتتاحها ، بـالورود والرياحين ، وينفق على ديكوراتها الاف مـن الجنيهات التى لا يمكن أن يكون صاحبها قد ألقى بها فى اليم بدون أن يكون واثقا تماما من أنه سيستردها مضاعفة وفى مدة وجيزة . وأذكر هنا على سبيل التحديد محال البقالة والاحذية .

وهنا ينبغى طرح السؤال التالى : **ما معنى هذا كله ؟ هل فى الامر لغز من الالغاز ؟ وياترى هل** الاجهـزة المسئـولة جـادة بـــالفعل فـــى اعتزامها « الضرب بشدة » على أيدى تجار السوق السوداء وذوى الدخول الطفيلية ؟ واذا كان الرد بالايجاب فما الذى يمنعها اذن ؟ **ما الذى يمنع** جهازا يقال له « جهاز الاسعار » من تحديد سعر لكل سلعة ـ كبيرها وصغيرها ـ بعد حســاب تكاليف انتاجها ونقلها وتحديد ربح معقول للتاجر طبقا لظروف كل محافظة أو حتى كل منطقة ؟ **ان دستورنا ينص على أن مصر دولة اشتراكية** . وقد

[★] محـــررة بوكالة أنبـــاء الشرق الاوسط .

شاءت ظروف عملى أن أعيش عامين فى احدى الدول الاشتراكية ورأيت بعينى كيف تصل كل سلعة الى يد المستهلك ، وعليها بيانات تحدد تكاليف انتاجها وتاريخه ، ثم سعرها لكل مستهلك ، وتتساوى فى ذلك جميع السلع من القلم الرصاص حتى الاجهزة المعمرة مثل الثلاجات وبقية الاجهزة المنزلية . وبهذا الطريق وحده أمكن اصابة هدفين معا . أولهما : أن السلطة بهذا الشكل تثبت حضورها كسلطة مسئولة أمام الشعب وأمام التاجر . وثانيهما أنها تساعد كل مواطن على معاونتها فى الكشف عن كل تاجر يتجاوز التسعيرة المفروضة . وبهذا وحده تثبت اجهزة الدولة أنها تضع يدها فى يد جماهير الشعب الكادح من أجل « الضرب بشدة » على أيدى الجشعين وتجار السوق السوداء ، ومن اجل أن يكون دخل كل مواطن دخلا فعليا يستفيد بكل قرش فيه فى تدبير أمور معيشته ، لا أن يكون مجرد دخل صورى سرعان ما يذهب الى أيدى التجار والسماسرة لكى يزدادوا ثراء ، وتزداد ممتلكاتهم من عمارات وشقق مفروشة وسيارات أجرة .. الى آخر القائمة المعروفة من الممتلكات التى أصبحت « **موضة العصر** » فى مصر ، والتى يعيش أصحابها فى مستوى من البذخ والرفاهية يتحدى كل الشرفاء فى هذا البلد...

دور الصحافة

وينبغى التساؤل هنا : ما هو دور الصحافة وأصحاب الاقلام ازاء هذه الظواهر ؟ هل الامر يتلخص فى أن تكون الصحف ، ويكون الصحفيون مجرد « **سعاة بريد** » ينقلون وجهات نظر السلطة الى الشعب « بكل امانة وموضوعية »؟ ثم ينقلون بكل « دقة » أيضا معاناة جماهير الشعب الى الاجهزة المسئولة ؟

أم أن دور الصحافة هو مجرد « **تبرير** » لما تتخذه السلطة من اجراءات ؟ أم أن دورها يقتصر أساسا على شن الهجوم تلو الهجوم ضد مختلف الاجهزة لتقاعسها عن أداء واجبها ازاء الجماهير الكادحة ؟

فى رأينا انه اذا اقتصر دور الصحافة على أمر واحد من الامور الثلاثة السابق الاشارة اليها ، انما تكون قد تخلت عن الدور المنوط بها ، وسقطت كمهنة أراد لها قدرها أن تحمل على عاتقها أمانة الكلمة عبر الاجيال المتعاقبة . ولا يمكن - والامر كذلك - أن توصف هذه الصحافة وبهذا الشكل بأنها صحافة واعية بمسئوليتها ، ولا أن يوصف أصحاب الرأى فيها بأنهم ملتزمون بقضايا الشعب والوطن . ذلك أن الوطنية لم تعد تعنى مجرد تحرير للارض من مستعمر أجنبى ، ولا هى مجرد حب شبق لتراب هذا الوطن ، ولاهى ايضاتعاليم ثابتة جامدة ، وانما هى وبالدرجة الاولى ارتباط بالجماهير العريضة وحب مطلق للشعب . وهى كذلك دراسة أمينة لمعطيات الواقع من الصراعات الاجتماعية بين مختلف الفئات وابراز المتناقضات بينها لكى يكون ذلك بمثابة دفع نحو الحل الامثل والحتمى لاية دولة نامية وهو « الحل الاشتراكى » .

ومن كل هذا المفهوم نستطيع ان نقول ان دور الصحافة وذوى الاقلام الشريفة يتركز أساسا فى أن يكونوا « **موصلا جيدا** » - ان صح هذا التعبير - بين الاجهزة المسئولة من جهة وبين الجماهير من جهة أخرى . فبينما يمكن القول أن الصحافة أساسا وبالدرجة الاولى هى التعبير عن ضمير المجتمع ومتطلباته ، فهى أيضا وبالدرجة الثانية تعبير عن التحديات التى تواجهها السلطة أو يواجهها الحاكم .

ومن هذا المنطق فان دور الصحافة يكون من الخطورة بحيث تكون هى المسئولة عن أى خلل يعترى العلاقة بين الاجهزة المسئولة والشعب ، سواء كان هذا الخلل على شكل انفصال بينهما أو فى صورة انعدام الثقة بين كل منهما .

وفى غمرة هذا كله ، يظهر كتاب فى الاسواق بعنوان « الماركسية والاسلام » ولست هنا بصدد نقد هذا الكتاب فربما تفرد لهذا الغرض صفحات أخرى . ولكنى أستطيع أن أؤكد أن هذا الكتاب يتضمن تجنيا واضحا على كل من الاسلام والماركسية معا .

ولا أستطيع أن أزعم أن بمقدورى دفع هذا التجنى عن الاسلام . فالاجدر بهذا هم رجال الدين الواقفون - بدقة - على روح الاسلام ونصوصه . ولكن ، يمكن القول - بوضوح هنا - أنه بقدر ما كان الدين ثابتا وملزما فى فرض العبادات بصفتها تاكيدا مستمرا للصلة بين الخالق وعباده ، فان الدين - على الجانب الاخر - قد عنى ، سواء فى الكتاب الكريم ، أو فى الاحاديث الشريفة - قبل أن يعدنا أو يتوعدنا بالديار الاخرة - نقول ... عنى بتدبير أمور دنيانا من بيع وشراء وميراث وعلاقات اجتماعية وغيرها . ولذلك ، ومن هنا - فقط - كان الدين الاسلامى الحنيف آخر الاديان وأفضلها جميعا ، لانه لا كهنوت فيه ولا نصوص جامدة . وانما هو دين يصلح لكل زمان ومكان من حيث كونه دين علم ، ودين عمل ، ودين عدالةبالدرجة الاولى .

كذلك ينبغى هنا أن اسجل اننى لست بصدد الدفاع عن الماركسية ولا عن الدول التى طبقت المذهب الماركسى . فما وصلت اليه هذه الدول من تقدم على الصعيدين العلمى والاجتماعى غنى عن أى دفاع ، بل وأصبح هذا التقدم فوق منطق أى مغالط يحاول نكرانه أو أى مغرض تراوده أحلام عودة عجلة التاريخ الى الوراء . ولكنى أقول أننى عندما قرأت الكتاب - وهو يدور حول مفهوم الحرية الإنسانية - رأيت الدكتور **مصطفى محمود** يقع فى مغالطة غريبة يثبت فيها أن الحرية ليست هى أن نحب ماناكله ، والا كان الحيوان اكثر حرية من الانسان .. !! هكذا وفى الربع الاخير من القرن العشرين توضع القضية بهذا الشكل . واعتراضنا على هذه القضية هو أن الماركسية لم تقتصر فى تناولها لمفهوم الحرية على حرية الانسان فى أن يجد ما يأكله ، ولكنها عنيت بحياة الفرد والمجموع فى الغذاء والكساء والعلاج والتعليم والثقافة سواء فى الطفولة والصبا والشباب والشيخوخة . هذا بالاضافة الى أننا ينبغى أن نقولها صريحة جلية : انه لانجاز كبير حقا ان يتحرر الانسان أساسا من ربقة المعاناة فى الحصول على لقمة العيش وذل الحصول على العلاج وهوان الامية والجهل .

والواقع اننى لم أستطع أن أمنع نفسى بعدما قرأت كتاب « الماركسية والاسلام » من تذكر صورة كنت اراها يوما خلال فترة اقامتى بالعاصمة السوفيتية وأعنى بها صورة الشعب السوفيتى وهى تقف ارتالا لشراء الاسطوانات والورود وتذاكر باليه مسرح البولشوى . ويبدو أنه كان على ازاء هذه الصورة ان الغى عقلى واشعر بالاسى والحزن على هذه الجماهير البائسة التى احالتها الماركسية الى « مجرد عبيد للقمة العيش » . وأتذكر على الجانب الاخر انسانا جاهلا بلا مأوى يتضور جوعا بينما المرض ينهش أحشاءه ولكن يكفيه فخرا وفخارا أنه يستطيع ان يجأر ويقول « انا حر » . . ! !

○ وظيفـــة الاعــــلام ..
وشـــجاعـة الـــرأى عنـــد على أمـــين

ماهر ســـامى *



وتفتح الطليعـة صفحات الرأى والرأى الاخر لصحفى شاب هـو الاستاذ ماهر سـامى رئيس تحرير مجلة الشباب ليتحدث عن وظيفة الأعلام وشجاعة الرأى عند على أمين

كتب الاستاذ على أمين عموده اليومى «فكرة» الذى ظهر يوم الاربعاء ١٦ ابريل مرحبا بوزير الاعلام الجديد بعد ان أكدت له مصادره العليمة ببواطن الامور - خاصة انه يتمتع بمواهب وقدرات خاصة فى معرفة أخبار الغد قبل وقوعها - انه قد تم تعيين وزير جديد للاعلام بدلا من الدكتور **احمد كمال ابو المجد** . وطرح على أمين تصوره عن الاعلام المطلوب فى عهد الوزير الجديد بعد ان كان الاعلام سطحيا وتافها وثقيلا ومملا فى عهد الوزير السابق . وتم جمع حروف المقال بالمطبعة . ولكن الاحداث جاءت على غير ما توقع الصحفى الكبير وضد ما كان يشتهى . وبقى وزير الاعلام فى موقعه . فأسرع على أمين برفع بعض العبارات من مقاله حتى يغدو متمشيا مع الوضع الجديد . وظهرت « فكرة » بعد التعديل لتبدو صالحة مع الاحوال المفاجئة التى لم تكن فى الحسبان .

* رئيس تحرير مجلة الشباب .

كان الأستاذ على أمين فى جميع احـوالـه « جاهـزا » دائمـا لكل الاوضاع والمواقف والاحتمـالات . كان رجلا « تحت الطلب » لديه كل المقاسات التى تناسب جميع الظروف .

وبصرف النظر عما يكون لدى الصحفى الكبير من مشـاعر أو مواقف شخصية مع وزير الاعلام لم يستطع ان يخفيها حتى يتحقق من سـلامة اخبار مصادرة ، فاننا نسـأل فى البداية اذا كان من الشجاعة أن يكتم الصحفى رأيا يظل حبيسا فى داخله — وهـو يملك أن يعلنه احتراما لامانة الكلمة فى اى وقت — ثم يجهر به بعد غياب من يتصل به هـذا الرأى عن ساحة العمل العام .

اما الذى نشره الاستاذ على أمين فى كلمته بعـد التعديل فيحتـاج منا الى وقفة هادئة وموضوعية نناقش فيها أفكاره ومطالبه .

يرى الاستاذ على أمين ان محور العمل الاعلامى فى مصر كلها هـو الاذاعة والتليفزيون وحدهما وانه حتى فى هذين الجهازين فان وظيفـة الاعلام المصرى يجب ان يكون شاغلها الوحيد أن تكرس كل جهودها فى اعداد برامج الترفيه والترويح للمستمعين والمشاهدين .

من اجل هـذا يكون اقرب الى مواصفـات الشخص الذى يقترحه الاستاذ على أمين ليتولى مسئولية الاعلام — ان يكون واحدا من أبرز نجوم الكوميديا فى مصر ، أو أحد اصحاب الفرق المسرحية الشهيرة التى تجيد فن الترويح عن المشـاهدين . يرى الاسـتاذ على أمين أن الذى يتربع على عرش الاعلام فى مصر يجب اختياره لخلافة نجيب الريحـانى الذى تربع على عرش الكوميديا سنوات طويلة — حتى يمارس مسئولياته فى تسلية الناس والترفيه عنهم باقتدار عظيم .

وفى عبارة اكثر تحـديدا وتركيزا فان الاستاذ على أمين يريد تعيين وزير « للانبساط والفرفشة » ربما اقتداء ببعض النظم النيابية والحكومية التى يكتب عنها كثيرا — ولا نعرف فيها شبيها للمسئول الذى يقترحه .

ونسى الصحفى الكبير ان اجزاء مقدسـة من تراب مصر لازالت فى قبضة العدو الاسرائيلى ، واننا اصحاب قضايا وطنية وقومية وعالميـة ، ودعاة مبادىء وقيم ورسالات ، وان لدينا مشاكل وهموما واحلاما كثيرة وعريضـة .

نسى الاسـتاذ على أمين ان رسـالة الاعلام المصرى تتجـاوز — كثيرا وبعيدا — مسألة الترويح والترفيه وانها وظيفة كلمة ورأى وشرف ومبدأ ، وعمل دائب دائم متصل مع شعوب وحكومات ومنظمات عالمية .

ونسى الاستاذ على أمين وظيفة اضحاك الناس لاينبغى أن تدخـل ضمن مسئوليات وزير الاعلام ، وسيغدو هـذا الوزير اكثر وفاء بالامانة عندما يجعل للكلمة قيمة ، وللرأى احتراما ، وعندما يرسى تقاليد مقدسة للعمل الصحفى ، وعندما يكون حارسا لحرية الكلمة ومدافعا عن شرفها ومقاتلا من أجلها .

ثم نحن نثق ان شعبنا لا يريد وزيرا للاعلام يضحكه ويسليه بقـدر ما يحتاج الى رجل يصون حريته فى الرأى وحقه فى الكلمـة ، يحسن التعبير عن قضاياه وعرضها على شعوب الارض كلها ، لا يزور الحقـائق ولا يستخف بعقول الناس ولا يضحكها قليلا ثم يضحك عليها طويلا .

ان شعبنا يتطلع الى قيم وتقاليد نظيفة وشريفة فى ابداء الرأى — حتى لو كان مخالفا — لا تفوح فيها أعطان الحقد ورذائل الهوى والشماتة ولقد آثرنا ان نطرح على الملا أفكار الأستاذ على أمين كلها ، الذى نشره منها والذى كان معدا للنشر ولم يظهر نتيجة سوء الاحوال الاستكشافية فى تنبؤات الاستاذ على أمين حتى تعرف مصر كلها مدى ما يتمتـع به على أمين من شجاعة فى الرأى وثبات على المبدأ ...

ارايتم حال أبطال حرية الصحافة فى بلدنا .

فكـرة !

الاعلام هو علم وفن وخبرة ، ولهذا يفشل فيه الهواة ويتعثر فيه الادعياء !
والمطلوب من وزير الاعلام الجديد ان يعيد للاعلام المصرى العلم والفن والخبرة ... ويخلصه من الفهلوة ، والتعمق والسطحية !
واول شروط الاعلام أن يكون خفيف الدم ، حتى يجتذب المستمع الى الاذاعة، وحتى لا يقفل المشاهد التليفزيون !
والاعلام عندنا كان ثقيل الدم !
والثقلاء يتكلمون بلا انتراكت ! تطول أحاديثهم حتى يملها النـــاس ويكررون ما يقولون ، ويتصورون أن المستمعين أغبياء !
وخبراء الاعلام يقولون أن المستمع الحديث لايطيق الاحاديث الطـويلة .. فاننا فى عصر الاسلوب التلغرافى الذى لايفأفىء ولا يثاثىء فيه المتحدث بمترادفات زمان ! . أنه يختلف عن مستمع زمان الذى كان وقته يتسـع الى سماع المحاضرات الطـويلة ، ويحتمل اللف والدوران مع الالفاظ البراقة والعبارات الرنانة .
والمطلوب من وزير الاعلام الجديد أن يأمر باحترام وقت الناس ! أن يرحم الجمهور من المحاضرات الطويلة ، ومن استقبالات الوزراء التى لاتنشرها الصحف لتفاهتها !
مطلوب منه أن يستنجد بعدد من خبراء البرامج العالمية ، ويطلب منهم أن يعلمونا كيف نختار برامج تريح أعصاب الناس ، حتى يتخلص من البرامج التى تقصف العمر نريد منهم أن يعلمـونا كيف نزيد سرعة برامجنا ، حتى نضع حداً للبرامج التى تمشى بسرعة السلاحف ولها تأثير الحبوب المنومة !
والمطلوب من الوزير الجديد أن يترك التفاهات لصغار الموظفين ، ويركز وقته على رسم الخطوط العريضة ، ويمنح كبار الموظفين باقى السلطات من تعيينـات المذيعات الى اختيار الاغانى والطقاطيق !
المطلوب منه بعد ذلك أن يسـتفتى الشعب ، وأن نقدم له مايطربه ويسليه وما يفيده .. لا مايطرب معالى الوزير !

على أمين

« فكـرة » على امين التى لم تنشر واجـرى عليها التعديل

فكرة !

الاعلام هو علم وفن وخبرة .. ولهذا يفشـل فيه الهـواة ويتعثر فيه الادعياء !
والمطلوب من وزير الاعـلام ان يعيد للاعلام المصرى العلم والفن والخبرة .. ويخلصه من الفهلوة والسطحيه .
واول شروط الاعلام ان يكون خفيف الدم ، حتى يجتذب المستمع الى الاذاعة ، وحتى لا يقفل المشاهد التليفزيون !
والاعلام عندنا لايزال ثقيل الدم !
والثقلاء يتكلمون بلا انتراكت ! تطول أحاديثهم حتى يملها الناس .. ويكررون ما يقولون ، ويتصـورون ان المستمعين اغبياء !
وخبراء الاعلام يقولون ان المستمع الحديث لا يطيق الاحاديث الطويلة .. فاننا فى عصر الاسلوب التلغرافى الذى لا يفأفىء ولا يثاثىء فيه المتحدث بمترادفات زمان ! . انه يختلف عن مستمع زمان الذى كان وقته يتسع الى سماع المحاضرات الطويلة .. ويحتمل اللف والدوران مع الالفاظ البراقة والعبارات الرنانة .
والمطلوب ان نحترم وقت الناس ! ان نرحم الجمهور من المحـاضرات الطويلة المطلوب ان نستعين بعدد من خبراء البرامج العالميـة ، ونطلب منهم ان يعلمونا كيف نختار برامج تريح اعصاب الناس ، حتى نتخلص من البرامج التى تقصف العمـر ! نريد منهم ان يعلمونا كيف نزيد سرعة برامجنـا ، حتى نضع حـداً للبرامج التى تمشى بسرعة السلاحف ولها تأثير الحبوب المنومة !
والمطلوب من الوزير ان يركز وقته على رسم الخطوط العريضة ، ويمنح كبار الموظفين كل سلطاتهم الفنية .
والمطلوب منه بعـد ذلك ان يستفتى الشعب ، وان يقـدم له ما يطربه وما يسليه وما يفيده ..

على أمين

« فكـرة » على امين التى نشرها بعد التعديل الـذى يلائم « عودة » الوزير

اليســـار المصـــرى
يحـــاور
توفيـــق الحـــكيم

نص مناقشـات الجلســـة الخامســـة

طرحت فى الجلسة الخامسة قضـــايا فكرية على جانب كبير من الاهمية .

فى بادىء الامر جرى الاتفاق – بدون صعوبة – بين توفيق الحكيم وبين المتحدثين فى الندوة على أن لثورة ٢٣ يوليو – كما لعبد الناصر – جوانب ايجابية ، وانجازات لا سبيل الى طمسها او نكرانها ، لـــكن الخـــلافات داخل النـــدوة حـــول حجـــم السلبيات وتقييمها . فهناك :

– رأى يقول أن السلبيات تضخمت الى حد انه قد اصـــبحت تمثل نوعا مـــن الردة او الخراب .

– رأى ثان يقول ان البلاد دفعت ثمنا فادحا لهذه السلبيات وان ذلك قد تم بسبب ان مصر دفعت لان تقوم بمهام دولة كبيرة فى العالم العربى وعلى الصعيد الدولى ، وان هذا تم دون أن تكون هنـــاك مؤسسات حقيقية للشعب .

– رأى ثالث ذهب الى ان ثورة يوليو يجب أن تقيم تقييمـــا جدليـــا بالتعـــرف على محصلة الايجابيات والسلبيات ، وان هـــذه المحصلة تبين ان البلاد انتقلت فى عهدها الى مواقـــع متقدمة – عموما – داخليا وعربيا ودوليا .

ثــــورة يوليــــــو

مشــــاكل الفــكر والتطبيـــــــق

غيـــر ان التـــركيز فـي النـــــدوةـــ عند تقييم الايجابيات والسلبيات ـــ كان على فكر عبد الناصر والفكرية التى تضمنتهامواثيق الثـــورة ، وعلى مشاكل التطبيق والممارسة .

لقد أوضح النقاش أن فكر عبد الناصرتطور واكتسب ـــ من خلال المعارك التى خاضها ـــ من أجـــل التنمية والتصـــنيعمضمونا اجتماعيـــا متقدما . لـــكن نقطة الضعف فى فكرية عبد الناصر ظلت علىالدوام متمثلة فى تحفظـــه على الانفتـــاح الـــكامل على الفـــكر الاشتراكى العلمىوتجارب البلدان الاشتراكية . لماذا حدث هذا ؟

كان هذا موضوع حديث خالد محيى الدين ...

لكن توفيق الحكيم يطـرح قضيـــة جديدةتتعلق بالممارسة الثورية ، هى قضية المثل الاعلى السلوكى بالنسبة لقادة الثورة ،أى ثورة ، والى أى مدى يؤثر وجـــوده وبدرجات مختلفة ـ سلبا وايجابا على تحول الثورة من عمل علوى الى قضية شعبية وجماهيرية بكل معانى الكلمة .



■ لطفى الخولى :

هـذه هى الجلسة الخامسة من جلسات الحوار الذى بدأناه مع أستاذنا توفيق الحكيم ولقد حاولنا فى الجلستين الثانية والثالثة أن نستشرف آفاق المستقبل وأى طريق نسلك : الطـريق الليبرالى أم الاشتراكى واختلفنـا حول اختيار الطريق وأن كنا قد اتفقنا على أن مصر التى نستشرفها هى مصر الاشتراكية .

وفى الجلسة الرابعـة بدأنا نفتـح ملف التجربة ـ واتفقنا على أن الفترة موضـوع التقييم تمتد من يوليو١٩٥٢ الى سبتمبر١٩٧٠ وفى مناقشة هـذه الفترة طرحت للتحليـل وللتقييم الافكار الرئيسـية التى تضمنـتها منشورات الضباط الإحرار ومواثيق الثـورة وبعض خطب عبد الناصر .

وفى جلستنا الخامسة هذه نواصل تقييم التجربة والكلمة الانللاستاذ خالد محيى الدين.

■ خالد محيى الدين :

اؤيد الطريقة التى عرض بها د · عبد العظيم تقييم التجربة · لكن الاحظ فقط أنه تحدث عن سلبيات ، ولم يتكلم عن ايجابيات ··

■ د · عبد العظيم انيس :

لو سمحت لى أقاطع هنا ـ أنا متصور أنه غنى عن البيان فى كلامى ان ايجابيات الفكر فى ثورة ٢٣ يوليو ، والمعبر عنه فى الميثاق ،وعلى وجه الخصوص ، من زاوية الفكر والنضال الوطنى ، ومن زاوية التقدم الاجتماعى ،ومن زاوية البعد العربى ـ يعنى ايجابيات هـذا الموضوع أعتقد ـ فيما يتعلق بى ، أو بوجهة نظرى ـ ليست محل شك . لكن ما هدفت اليه هو نقد الجوانب الفكرية التى اعتقدانهاقاصرة، اما الايجابيات فهى كثيرة وليست محل خلاف·

■ توفيق الحكيم :

أيضا أضم صوتى فى هذا بأن الايجابيات لم تكن محل شك وخصوصا بالنسبة لى . لماذا ؟ لانه واضح من موقفى فى اول الثورة، وواضح منكلامى ،وواضح من كتابتى، انىكنتمتحمسا لها ، متحمسا للايجابيات طبعا ـ ولم يكن متصورا اننى أتحمس لسلبيات · أنا كنت من منطلق التفاؤل وخارج من مرحلة كنت أظنها ، او كتبت عنها ، انها ميئسة ·وأناكنتانظرلها دائما نظرة النقد فى كتب مثبوتة منشورة .. ولما تلقيتثورة ٥٢ علىأنها الثورة المباركة،وكانتكل ايجابياتها تثير حماسى ، فاذن الان،لا محل، أبدا ، لاناتكلم عن ايجابيات .نحنآزرناها لذلك، ولا محل لتكرار هذا القول . نحن نتكلم عن كيف تحولنا ، وكيف حدث ما يسمى بـانقلاب ، وردة ··· الخ · وفى التاريخالعربى نقرأن جماعة ردوا على عمر بن الخطاب : « نحن معك ما دمت مع الحق ونكون ضدك اذا أسأت الحكم » فاذن أنا كنت مع عبد الناصر ـ بكل قلبى ـ طالما الذى أمامى هو انجازات · ولكن عندما أجد فى البلد خرابا لا أستطيع أن أزيف وأقول ان هذا خير على البلد · فاذن نحن نبحث كيف أتى هذا الخراب ؟

■ لطفى الخولى :

فقط اريد فى آخر الجلسة أن استفسر عن كلمة الخراب

■ خالد محيى الدين :

لم أقصد ان عبد العظيم انيس لم يتحدث عن ايجابيات لكن اقول ، انه تكلم اكثـر عن السلبيات . وقد أوضح موقفه الآن . لكن أنا طبعا اقول وجهة نظرى ·والتقسيمالذىقدمه موافق عليه ، وموافق على رأيه بأن فكر الثورة تطـور ·

المرحلة الاولى فى فكر الثورة هى من ٥٢ الى ٦١ (ولو أن د · عبد العظيم اعتبـرها مرحلتين) وهى مرحلةالمبادىء الستة : القضاء علىالاستعمار، والقضاء علىالاقطاع، والقضاء على الاقطاع وسيطرة رأس المال على الحكم ، وعـدالة اجتمـاعية ، وجيـش وطنـى ، والديمقراطية السليمة ·

فى تلك المرحلة كان تفكير عبد الناصر منطلقا من ان هناك نظاما تقليديا وهو يريد فى نطاق النظام الرأسمالى ـ ان يقوم باصلاحه وان يدخل عليه تغييرات . كان القادة يرون بعض المظاهر غير العادلة فى توزيع الثروة فـى مصر · لكن فكرة التغيير الاجتماعى بصورتها

الكبرى التى ظهرت فيما بعد لم تكن قد اتضحت آنذاك .

■ **لطفى الخولى :**

هل كان تفكير عبد الناصر قبل ان يصبح قائدا لثورة ٢٣ يوليو بعد تفجيرها ـ اى خلال وجوده فى تنظيم الضباط الاحرار قبل تفجير الثورة ، هل فكره كان اكثر تقدما مما كان عليه بعد ان اصبح حاكما ؟

■ **خالد محيى الدين :**

الفكر قبل الثورة ، هذا شىء لا استطيع ان احكم عليه . لانه ـ فى اجتماعاتنا ـ كان يوافق على الافكار التى كنا نعرضها . لم يكن مطروحا ـ فى ذلك الوقت ـ برنامج اجتماعى للتغيير . كل ما كنا نسعى اليه هو برنامج وطنى ، وقبول مبدأ اصلاحات اجتماعية فى نطاق الموجود . حتى الاصلاح الزراعى لم يطرح كمسألة واجبة ، بل حتى عزل الملك لم يكن واجبا .. الاتجاه الغالب هو اتجاه محافظ ، مع ميل الى التقدم . وهنا لابد من التفرقة بين نوعين من الافكار . فكر كانت تعكسه المناقشات الدائرة فى الغرف .. وفكر كان يتجسد فى خطب عبد الناصر أمام الجماهير . وكان الخطأ الذى وقعت فيه أننى كنت أعول على المناقشات التى كانت تدور فى الغرف المغلقة وأعتبرها هى المحك والمؤشر . ولكن المحك الرئيسى فى الحقيقة هو ماكان يعلن امام الناس ، لان هذا هو الذى يحدد الالتزام .

وعلى سبيل المثال : محاضر مجلس الثورة فيها امور او قضايا لم يكن من الممكن ان يتصورها انسان . وفيها كان يتم قبول اشياء لكن عندما كان يأتى ليعلنها ـ أمام الجماهير ـ تتحول الى موقف آخر ، وهذا شىء طبيعى فى اى مناقشة . ان القرار النهائى هو الذى يحدد محصلة الكل .

فكر الثورة ـ فى ذلك الوقت ـ كان قائما على ان هناك نظاما رأسماليا ، لكن هذا النظام الرأسمالى يجب الا يطلق على عواهنه ، بل لابد من التدخل فيه يعنى نوع من التوجيه الرأسمالى .. ومن ثم تم تشكيل مجلس تنمية الانتاج القومى . فالدولة تبدأ تدرس مشروعات لتساعد رأس المال على انه يستثمر يعنى الدولة تلعب دورا هنا ، دور مفكر ، والدولة فى مصر كانت طوال عمرها تلعب هذا الدور . من ايام محمد على . هى التى اسهمت فى محاولة قيام الرأسمالية على عكس ما حدث فى بعض البلاد الاخرى . ومن هنا كان للدولة المصرية دائما وضع متميز داخل النظام الاقطاعى والرأسمالى .

عبد الناصر ـ فى ذلك الوقت ـ كان اتجاهه هو المحافظة على النظام ، مع القيام بعدد من الاصلاحات الاجتماعية تمكن من استقرار الحكم . وكانت خطوة الاصلاح الزراعى الخطوة الاولى ، والضرائب التى فرضت . هذه المرحلة اسميها مرحلة الرأسمالية الموجهة . وفيها حدد مجلس قيادة الثورة « ان النشاط الاقتصادى حر ، على الا يضر بمصلحة البلاد المطلقة . لم يكن معنى هذا اننا سنقاوم رأس المال ، على العكس كنا نريد رأس المال يعمل ، ويستثمر ، ويكبر ، ويعمل ثانية دون أن يستغل ، ودون ان يسعى للسيطرة على الحكم » . وكان فى فكر عبد الناصر ـ فى ذلك الوقت ـ نقطتان اساسيتان : الاولى هى الا يخرج النشاط الرأسمالى عن القوانين ، اى لا يسمح له بالسيطرة على الحكم . نعم هو حريص على ابقاء النظام الاقتصادى ـ كما هو ـ ولكن كان يرفض أن تكون الدولة خاضعة للرأسمال ، اى ان الدولة تستطيع ان تلعب دورا مستقلا ، والدولة فى نظره دائما تستطيع أن تلعب دورا . ولذلك كان يقول باستمرار : أنا لست ضد رأس المال ، بشرط ألا يسيطر على الحكم . وكان دائما يقول : انه من الممكن أن نتدخل ضد رأس المال فى الوقت المناسب . ولكن هو مبقى عليه ، وعلى النظام الاقتصادى والطبقات السائدة اقتصاديا ، هى باقية .. وهذا الفكر استمر الى عام ١٩٦١ . وهذه المرحلة نسميها مرحلة الاقتصاد المختلط . فيها قامت المؤسسة الاقتصادية ، وتم فيها تمصير جزء من الاقتصاد ، وتأميم جزء آخر بعد ٥٦ . وبدأت المؤسسة الاقتصادية ـ بعد ذلك ـ تقوم ، هى ، بمشاريع ، وتشرك معها رأس المال . واعلنت انها سوف تبيع بعض مشروعاتها ، لكن لم يحدث أنها باعت بالفعل . كان تفكير المؤسسة الاقتصادية أن تبيع للرأسماليين المشروعات الناجحة ، لكن عبد الناصر بدأ ـ هنا ـ يفكر فيما يسمى بالولاية الاقتصادية للدولة ، بجانب الولاية السياسية .

وكانت أدواته فى الناحية الاقتصادية ، المؤسسة الاقتصادية ، وكانت الاداة السياسية هى الاتحاد القومى · وقد عكست خطبه هاتين النقطتين : الاقتصاد المختلط ، واعطاء النقطتين دول ـ هنا ما يسمى بالاقتصاد المختلط دور للدولة أكبر . وهكذا ففى عام ١٩٥٧ ألقى خطابا هاما جاء فيه :

« ان القيادة الاقتصادية هذه يلزم أن تكون موجودة للدولة التى لها الولاية التى تحمى كل طبقة من الطبقة الاخرى ، وكل صاحب مصلحة من صاحب المصلحة الاخرى · والحكومة هى التى تجعل التوافق كاملا بين جميع المصالح وبين جميع الطبقات ، فى نفس الوقت ، وفى سبيل سد الفراغ السياسى والاجتماعى بتكوين الاتحاد القومى · يعنى سد الفراغ بالعمل السياسى وبالاتحاد القومى ، كما قلت الان الاتحاد القومى الغرض منه خلق قيادات واعية لتكون فى الميادين السياسية ، وتكون ايضا فى الميادين الاقتصادية لاننا لا نستطيع فصل السياسية عن الاقتصاد » · هذا ماقاله· ثم يضيف أنه :

« يجب تنسيق الاقتصاد العام مع الاقتصاد الخاص الرأسمالى ، مع الاقتصاد الزراعى للفلاحين ، مع الاقتصاد التعاونى » ·

فهنا يقدم اربعة اشكال ويحاول التنسيق بينها فى ميادين متعددة : ميدان الادارة العامة الاقتصادية والتمويل بالمواد الاولية · وهذا يحتاج الى قيادة اقتصادية ـ كما يحتاج الى قيادة سياسية ·

كان هذا هو الفكر المهيمن على جمال عبد الناصر · وفكر جمال عبد الناصر كان هو فكر الثورة ، لان عبد الناصر كان له دور متميز خاصة بعد ٥٦ · كان له دور تاريخى · ونحن نعلم ان الشخصيات التاريخية دائما يكون لها تأثير على الجماهير ·

ونحن نعلم أنه فى ذلك الوقت تمت الوحدة ، وتمت فكرة وضع مشروع السنوات الخمس الاول . وهو كان واضح فى مشروع السنوات الخمس الاول . وكان فكره ان الدور الاكبر فى التنمية سيضطلع به القطاع الرأسمالى ، فهذا كان أمرا واضحا ، وحتى الخطة الخمسية التى وضعها تبين ان نصيب عوائد التملك من الدخل القومى فيها كان أكبر · .

وكان يتصور ان الرأسمالية يمكن ان تساعده على مضاعفة الدخل القومى فى ١٠ سنوات ، وفى هذا ، لجأ الى مجموعة بنك مصر وطلب منها النصيحة · وانتهى الى انه لكى يجبر الرأسمالية على المساهمة فى التنمية أصدر قانون الحد الاقصى للارباح فى يناير ١٩٥٩ ،على أن هذا القانون هو الذى دفع الرأسمالية الى أن تغير مسلكها ازاء النظام . لان الرأسمالية كانت تنمو وتكسب · ولكن عندما درس عبد الناصر الوضع الاقتصادى وجد ان الادخار الكبير موجود فى الشركات المساهمة فكيف يأخذ اكبر نسبة من هذه الاموال ليستثمرها فى التنمية · فقيل له انه لكى نواجه مجالس الجمعيات العمومية فلابد أن نضع فى الاعتبار أن المساهمين يريدون أرباحا ، والارباح التى لا توزع ، تثير شعورا بالضيق لدى المساهمين· فلابد من رفع النسبة الغير موزعة لكى يعاد استثمارها فى التنمية · ومن هنا نصحوه أن يصدر قانون الحد الاقصى للارباح وبمقتضاه لا توزع ارباح فى عام ١٩٥٩ ازيد من عام ٥٨ الا بـ ١٠ فى المائة وأكثر من هذا يتطلب اذنا من وزير الاقتصاد ·

لكن هذا اعتبر من جانب الرأسمالية كأول تدخل فى البورصة ، وفى ميدان الصناعة · وانهارت البورصة ، وبدأت الرأسمالية تقاطع · فكانت النتيجة ان ٥٩ مرت وفى العام التالى تمت عدة اجراءات نمت عن الاتجاه القادم : وهو تأميم بنك مصر والبنك الاهلى ثم تأميم الصحافة سنة ٦٠ · وكل هذا أدى الى مزيد من التدهور فى موقف الرأسمالية ·

كان فكره ـ فى ذلك الوقت يسير على نوع من الاقتصاد المختلط : دور أكبر للقطاع الرأسمالى ، ودور أقل للدولة · لكن الدولة تتدخل لحفظ التوازن · وهو ـ هنا ـ حريص على أن يكون للدولة وضع مستقل · هى ليست خاضعة للنفوذ الرأسمالى لكنها تحمى النظام · لم يكن النظام رأسماليا تقليديا ، بل راسمالى موجه ، ولكن فى السلطة حكومة متميزة تحاول ان تقوم بدور هو فكره كان دائما ان الدولة لها نوع من الاستقلالية ·

■ د · عبد العظيم انيس :

سؤال هنا : هل يمكن أن نقول ان طابع النظام فى هذه الفترة هو رأسمالية الدولة.

■ لطفى الخولى :

من الممكن أن د. عبد العظيم أنيس يريد أن يقول أنه نوع من « البونابارتيزم » فى بلد متخلف ؟ .

■ خالد محيى الدين :

لا أريد أن أقول انه فوق الطبقات · عبد الناصر كان يقول ان الدولة غير خاضعة لنفوذ الرأسمالية · وهو حريص على ابراز استقلالية الدولة ·

■ توفيق الحكيم :

يعنى هو كان أقرب الى أن يقول بالاشتراكية الوطنية أو الوطنية الاشتراكية ·

■ خالد محيى الدين :

على العكس ، كان شعاره ـ فى ذلك الوقت ـ اسمه الاشتراكية الديمقراطية التعاونية . وبعد ذلك رفع شعار الاشتراكية العربية · وهذه المرحلة هى المرحلة الوحدوية ، وبرزت فيها شعارات الاشتراكية العربية ، والاشتراكية الديمقراطية ، وفكرة الدور الذى تلعبه الدولة ، والمصالحة بين الطبقات ·

■ توفيق الحكيم :

انا كنت اريد ان اقول ان المرحلة التى تحدثت عنها وطرحت فيها مسألة الاستفادة من الراسمالية فى تنمية الدولة ، هذه المرحلة ربما تشبه الاشتراكية الوطنية التى كانت موجودة فى المانيا ومضمونها استخدام الراسمالية وقوتها فى تقوية الدولة عسكريا واقتصاديا ·

■ خالد محيى الدين :

لا أعرف لانى ضد التشبيه دائما · لكن أقول ان عبد الناصر ـ فى هذه المرحلة ـ لم يكن خاضعا للنفوذ الرأسمالى · هو كان يحافظ على النظام الرأسمالى ولكنه كان يتدخل فيه فى الوقت المناسب · لكن تدخل الدولة وضح حقيقة هامة هى انه عندما تملك الدولة مصادرها تتوافر لها استثمارات ضخمة للتنمية ·.

■ توفيق الحكيم :

هنا أحب أن أقول ، انه ربما كان توفر هذه الاستثمارات فى ايدى الدولة هو الذى دفع الامبريالية والصهيونية الى وضع خطط لاستنزاف قوة مصر الاقتصادية · وهنا أشير الى حرب اليمن · وقد أشار الى هذا فعلا عدد من الكتاب . اى هل استطيع ـ بعبارة اخرى ـ أن أقول : ان الامبريالية والصهيونية عندما رأت وجود رؤوس أموال ضخمة فى أيدى الدولة ، مع اتجاه مصر الى القومية العربية ، والى تأكيد زعامتها فى العالم العربى ، ربما تصوروا أن هذا سيؤدى حتما الى تصفية المصالح الامريكية وضرب اسرائيل بالقوة العسكرية · ولذلك لا يستبعد انهم حاولوا ان يستنزفوا هذه القوة الاقتصادية فى حرب مثل حرب اليمن ، حتى لا توجه ضد اسرائيل ·.

■ خالد محيى الدين :

هذه المسائل ربما ستتضح فيما بعد · لكن اذا جئنا الى تأميم ٦١ ، فسوف نرى أنه قد دعت اليه الضرورة لمواجهة التنمية ، ولمواجهة الموقف الاجتماعى ، الناشىء من فروقات الثروة . كانت حدة الصراع الطبقى مشتدة ، ووجد عبدالناصر ان هذا الوضع خطير [ومن صفات عبد الناصر انه كان متنبها لقضية الصراع الداخلى وأخطاره) وعندما كانت الامور تصل الى نقطة الحسم ، كان عبد الناصر يختار دائما الحل التقدمى · لا أقول الحل التقدمى كاملا ـ لا ـ فهو نتيجة ضرورات اقتصادية ومواجهة خطة التنمية · لذلك قرر التأميم ٦١ ، ثم حسم الموقف فى ٦٣ · هذا التأميم الثانى حدد اتجاها فكريا أكثر تقدما · فبينما كان الاتجاه فى تأميم ٦١ دفع تعويضات ، فى ٦٣ اكمل التأميمات ، وصفى الباقى وقال لا تعويض أكثر من ٣٠ ألف جنيه · وكلنا يعلم ان هناك ظروفا ساعدته على ان يحسم فى اتجاه التأميم فى ٦١ منها : الانفصال

واحتمال ضياع مركز مصر القيادى فى العالم العربى .

ثم هناك الميثاق الوطنى . وفيه ثلاثة ابواب رئيسية تحدد فكر عبدالناصر : الباب الثانى والباب الخامس والباب السادس . الباب الثانى وهو عن ضرورة الثورة ، وفيه يؤكد عبد الناصر ان الاساليب التقليدية لم تعد نافعة ، وانه لكى نواجه التخلف والتنمية ونقيم العدالة الاجتماعية، لابد من أسلوب جديد وحركة جديدة . لماذا ؟ — لان الدنيا فيها تغييرات، حددها فى حركات التحرر ، واستقلال الدول ، وقيام المعسكر الاشتراكى ، وقيام مؤسسات كالامم المتحدة وعدم الانحياز . وقال ان البلاد النامية فى مقدورها ان تتطور وتتجه الاتجاه الاشتراكى ، وان هناك عدة طرق الى الاشتراكية بسبب الظروف الجديدة . وعلى الرغم من كل هذا ، وعلى الرغم من أنه يعلن انفتاحه على التجارب الجديدة يعود ليقول انه لا يريد أن يلتزم فى بناء المجتمع بقوانين . وهو فى الواقع يقع فى خطأ لانه يعتبر الفكر والتجربة (النظام) شيئا واحدا ، مع انهما شيئان متميزان . وعلى سبيل المثال انا ،فى مصر ، لا اقر أن اطبق التجربة او النظام السوفيتى، ولا أستطيع أن أنقله الى أى بلد آخر . لكن أى نظام يقام له فكر ، واستطيع ان أطلع على هذا الفكر . ولكن اذا أخذنا هذا الفكر فلكى يطبق ويطوع للتجربة المحلية ، وفق الظروف الخاصة . عبد الناصر لم يكن مقتنعا بأنه يمكن الفصل بين التجربة [اى النظام] وبين الفكر . ولذلك ظل على الدوام متخوفا من الانفتاح الكامل على الفكر الاشتراكى . ومع انه كان يدعو الى الاشتراكية فقد كان حريصا باستمرار على أن ينتقى ، أى ان فكره فى هذا المجال كان انتقائيا . وقد برر هذا فى الميثاق بقوله انه لا يريد أن يأخذ قوانين حرفية وضعت فى القرن التاسع عشر . لكن الواقع انه لا يوجد شىء اسمه قوانين حرفية . فلا ماركس ولا لينين قد خاطر كل منهما بتقديم صورة ثابتة للمجتمع القادم . لقد تحدثا أساسا عن قوانين التطور الاجتماعى ، عن حركة المجتمع فى الماضى والحاضر ، وعن الاتجاهات العامة جدا فى المستقبل .

بالاضافة الى ذلك ، لا يتصور ان الاشتراكية العلمية اقتصرت على ما كتبه ماركس أو لينين ، لان كل التجربة الثورية للاحزاب العمالية والشيوعية وحركات التحرر تعتبر خبرة للاشتراكية العلمية . تغنيها وتضيف اليها باستمرار . لكن عبد الناصر أراد أن يأخذ موقفا متميزا ، وذلك على الرغم من ان عددا من القضايا الرئيسية فى الميثاق مأخوذة من الاشتراكية العلمية مثل فكرة الصراع الطبقى، فكرة الاستغلال الرأسمالى . أشياء واردة ، فمن أتى بها ؟ . لكنه ظل باستمرار يفرق بينه وبين الاخرين بأشياء غير مطروحة ، لانه لم يقل أحد بنقل تجربة شعب آخر ولا نقل نظام آخر . لكننا نأخذ الفكر ، والفكر يدرس فى المدارس ويدرس فى الجامعات .

■ **توفيق الحكيم :**

أو لنقل انه يريد أن يفصل بين الفكر وبين السلطة . لانه أيضا — وفى المكان الاول — يخشى انطلاق السلطة من يد قابضة . فاذن هو يقبل النظرية او عرضت فى الميثاق على الورق . ولكن عند التطبيق ، وعندما يجد أن النظرية سترتقى الى قوة فى ذاتها غيرقوته، يقول لك : لا انا الحكم . الحقيقة ليس فى مقدورى أن أتصور لماذا لم يطبق عبد الناصر الفكر الذى وضعه فى الميثاق .. مثلا ، فى اعترافه بصراع الطبقات ، ثم يأتى بعد ذلك ليحاول أن يؤمم صراع الطبقات أيضا . هناك نظم تجعل السيطرة فى يد مفتاح واحد الى أعلى . وأيا ما كانت طبيعة التفكير النظرى فان هناك دائما اتصالا بين التفكير وبين العمل . فما رأى الاستاذ خالد فى فصل عبد الناصر بين النظرية وبين التطبيق ؟

■ **خالد محيى الدين :**

والله هو انا رأيى انه كان يخشى تغلغل الفكر فى الناس ، وهو كان يحب يقرا ويستمع الى الناس . ... وان لا ينزل هذا الفكر الى جماهير الشارع ...

■ **توفيق الحكيم :**

أو كما قال الاستاذ محمد سيد أحمد انه لا يريد الثورة التحتية .

■ **خالد محيى الدين :**

وهو باستمرار كان حريصا على ان يجسم قضايا الثورة بنفسه، ولذلك باستمرار كان يحب ان يأخذ موقفا متميزا . مثلا كان يقول : الثورة العربية تواجه هذا العالم ، لابد لها ان تواجهه بفكر جديد ، ثم يحبس نفسه فى نظريات مغلقة ،فى الوقت نفسه لم يكن ينعزل عن التجارب الغنيه ، موقفه اذن موقف انتقائى ، ينتقى ما يشاء .

مثال آخر : هــو حدد موقفــه فــى ضرورة الثورة ـ فى النهاية ـ وقال : الدولة النواة ، وهى الجمهورية العربية المتحدة هى الدولة التى عندما تنجح فيها الحرية والاشتراكية والوحدة فسوف تنطلق منها الثورة،يعنى هو حدد هنا دورا قياديا لهذه الدولة .

■ **د . عبد العظيم انيس :**

فى هذه النقطة بالذات ، اى نقطة انفصال الفكر عن التطبيق من المفروض ـ بطبيعة الحال ـ ان نميز ما بين الاجراءات السياسية ذات الطابع التقدمى فى ثورة ٢٣ يوليو فى كثير من جوانبها وما بين تاصيل الفكر النظرى للثورة نفسها . يعنى انا لا استطيع ان أمنع نفسى وأنا اقرأ الميثاق من الشعور ان هناك باستمرار محاولة البحث عن طريق ثالث . لقد وجد فى العالم طريقان طريق النظام الراسمالى ويمثله الغرب ، وطريق النظام الاشتراكى وتمثله الدول الاشــتراكية الاوربية،والدول الاسيوية الاشتراكية .كالصين وفيتنام .. الخ . لكن عبد الناصر حاول فى التاصيل النظرى ان يثبت (وانا قلت ان هذه كانت اضعف الاجتهادات النظرية) انه من الممكن ان يوجد طريق ثالث ، لا هو هذا ولا هو ذاك . وهذه نقطه غير موضوع طريق عربى للاشتراكية . يعنى أنا مقتنع تماما بأن يكون هناك طريق عربى للاشتراكية ، طريقنا الى الاشتراكيه لا هو طريق سوفيتى ولا طريق صينــى لكن الاهداف النهائية فيما يتعلق بهـذا الطـريق واحدة سواء فيما يتعلق بالاتحاد السوفيتى او فيما يتعلق بالصين أو فيما يتعلق بأى دولة اشتراكية أصلا ، بمعنى اقامة نظام قائم على الغاء استغلال الانسان لاخيه الانسان ، اقامة نظام مبنى على فكرة التنميــة الكاملــة والتصنيع .. الخ فهنا نجد أنه فيما يتعلق بقضية البحث عن طريق ثالث من الناحية النظرية ومحاولة اثبات وجوده فان هذا الطريق غير موجود فى رأيى . ولابد من ملاحظة ان فكرة الطريق الثالث كان لها انعكاســاتها ومتاثرة ايضا باعتبارات تكتيكية مؤقتة، متعلقة بالوضع الدولى . ففى مرحلة الحرب الباردة نشأت اجتهادات كثيره من القادة الوطنيين فى الدول النامية نهرو وتيتو وعبد الناصر طرحوا فكرة الحياد الايجابى ، لسنا مع هذا المعسكر ولا مع ذاك . لكن هذه الفكرة التى بدأت بهذا الشكل سرعان ما تطورت بعد ذلك فى اتجاه وطنى واضح ضد الاستعمار . لكن الجذور الاولى كانت بدأت بهذا الشكل ،ومؤداها ان دول عدم الانحياز ـ بالموقف الوسط ـ تستطيع ان تلعب دورا ايجابيا فى المحافظة على السلام فى العالم . فاعتقد أن هذا كان له ايضا انعكاس على التفكير فيما يتعلق بالطريق الثالث فى المشاكل الداخلية .

■ **خالد محيى الدين :**

وهنا يمكن أن نقول ان هذا هو جانب ايجابى فى اصراره على الثــورة ، واصراره علــى التغيير . وسياسته الخارجية فعــلا كانت سياسة متطورة يعنى نظرته كانت نظرة عالمية : فالسلام لا يتجزأ ، والحرية لا تتجزأ . وعمليا كان واقفا مع حركات التحرر ، ولم تكن نظرته قومية ضيقة . هذه حقيقة . وموقفه من عدم الانحياز موقف متطور . ثم تقديره لدور الامــم المتحدة ، وقوله ان الرخاء لا يتجزأ . وقضية نضاله من اجل العالم الثالث ، وموقف العالم الثالث من قضية المواد الخــام وتصديرهــا وموقفه من المساعدات . وهو قد لعب دورا قياديا سنة ٦٤ فى مؤتمر التنمية والتجارة . وهذا كله يعكس رغبته الثورية ، رغبته فى التغيير ولكن هو باستمرار يريد ان يتميز بفكره طريق ثالث عايز باســتمرار او حريص على ان يؤكــد بأن لنــا وضــعا خاصــا وهو الطريق الثالث . ووضعه الخاص كان نابعا من ظروف مؤقتة . لكن فى نطاق هذه الظروف المؤقتة تصور أنه من الممكن ان يقوم بعملية تنمية دون حاجة الى « التضحية بــاجيال » ولذلك حدد فى الميثاق انه لايستطيع ان ينمى المجتمع عن طريق الراسمالية ، ولا يريد أن يفعل ذلك عن طريق « السخرة » والسخرة هنا

و « التضحية بالاجيال » ربما تشير الى تجربة الاتحاد السوفيتى • لكن اذا كان هذا هو المقصود ، فان الرد على ذلك هو ان الاتحاد السوفيتى لم يكن يريد أن يقدم هذه التضحيات ، ولكنه اجبر على ذلك ، فتدفرض عليه حصار دقيق ، حال بينه وبين التعاون والتعامل مع الخارج • ولو تم هذا لما اضطر الى عمل هذه التضحيات • وقد علق بعض الاشتراكيين الاجانب على ما جاء فى الميثاق بهذا الصدد بقولهم انه اذا كان عبد الناصر يستطيع ان يقدم نموذجا للتجربة ، تنمية واشتراكية بدون تضحيات ، فسوف تكون تجربة رائدة فى الفكر العالمى ، مع ان هذه التجربة لم تحدث بعد • طبعا من الممكن ان الاجيال لاتضحى بأجيال ، ولكن لابد للاجيال التى تبنى الميثاق ان تضحى •

صورة هذه التضحية الواجبة لبناء الاشتراكية لم تكن مطروحة بقوة أمام عبد الناصر لاكثر من سبب • فمن ناحية استطاع أن يحصل على تراكم رأسمالى من الاصلاح الزراعى ومن التمصير ، ومن التأميمات التى لم يدفع عنها تعويضات • فى الوقت نفسه استمر يتلقى معونات بالعملة الصعبة من الخارج • الولايات المتحدة فى وقت من الاوقات كانت تدفع ٧٠ مليون دولار ، وبهذا كله استطاع ان يضع خطة للتنمية ويشترى مصانع • واستطاع ايضا أن يبنى مدارس ومستشفيات ويقدم خدمات • فى الوقت نفسه لابد من ملاحظة أن خطة التنمية التى وضعها كانت بها عيوب وثغرات ، على سبيل المثال كان الاتجاه الى اقامة صناعات استهلاكية مثل السيارات •• الخ ، وذلك ليؤكد من وراء اقامة هذه الصناعات أنه لا حاجة الى التقشف والتضحية • مع ان الذى استفاد من هذه الصناعات الاستهلاكية هى شريحة اجتماعية محدودة للغاية • وأنا أعتقد أنه لو أن جيلنا أخذ بمبدأ التضحية من أجل بناء البلد على اسس قوية ، ولو انه استمر يضحى لمدة عشر سنوات لكنا قد تفادينا كثيرا من المتاعب التى نلاقيها اليوم •

كان عبد الناصر على قناعة بأنه يمكن بناء مجتمع جديد بدون تضحيات ، وكان على قناعة بأنه يعمل تجربة جديدة بدون تضحيات ، مع قناعته ايضا بدور الدولة ، وتدخل الدولة والتأميم • وفى هذا الشق الاخير هو ايجابى تماما • وفى هذا هو متطور وثورى • وبالفعل وضع أرضية لكل انسان يريد ان ينطلق بالتجربة • لكن اصراره على عمل تنمية بدون تضحيات ، أدى الى ماذا ؟ أدى الى انه بعد انتهاء الخطة الخمسية الاولى ، لم يكن هناك مصدر لمواصلة التنمية الا أن يأخذ من الطبقات الوسطى • لكنه رفض هذا الحل • لذلك توقفت خطط التنمية وأصبحت خططا سنوية • ولو أنه كان أخذ من الطبقات الوسطى لاستطاع ان يقنع جماهير الشعب بأن تضحى وتتعب من أجل زيادة الانتاج • وهذا هو الفرق — في الواقع — بين تجارب البلاد الاشتراكية وبين تجارب بلاد العالم الثالث فى التنمية • فهذه التجارب الاخيرة لم يقدر لها النجاح الملحوظ • طبعا يمكن ان يقال ان الناس فى الاتحاد السوفيتى والبلاد الاشتراكية الاخرى •• الخ تحملت متاعب التنمية فى السنوات الاولى ، وهذا صحيح • لكن الصحيح أيضا أن الجماهير رغم هذا استمرت تعمل بحماس لتجتاز المرحلة الصعبة • لهذا لم يستطع عبد الناصر أن يحسم قضية التنمية • وكيف كان فى مقدوره أن يفعل ذلك ولم يكن هناك تنظيم سياسى يقنع الجماهير ، وتكون قياداته هى القدوة والمثل الاعلى فى كل شىء •

وهناك فى فكر عبد الناصر ايجابية كبرى وهى كلامه عن « حتمية الحل الاشتراكى » • وهو بهذا وضع امام الناس فى العالم النامى وفى البلاد المتخلفة حقيقة أنها لا تستطيع أن تنهج الطريق الرأسمالى فى التنمية لان الرأسمالية الوطنية لا تستطيع أن تقوم بأعباء هذه التنمية الا على أساسين كلاهما مرفوض ، أن تكون تابعة للرأسمالية العالمية ، أو أن تكون مستقلة تحمى مصالحها بالحواجز الجمركية ، وكلا الطريقين لا يخدم مصالح أوسع الجماهير •

■ **توفيق الحكيم :**

أصل الدول النامية لا تستطيع — حتى اذا أرادت — أن تتبع النظام الرأسمالى لسبب ،

وهو أن النظام الرأسمالي هذا ليس مجرد نظام يمكن ان يقام بمرسوم . ولكنه - تاريخيا - نما من خلال قوة فردية منتجة اخذت تقوى وتتجمع . مثلا الذين انشأوا شركة الهند الصينية ، هم شركة وليسوا حكومة . مثل آخر : الصناعة في فرنسا اقامتها شركات وناس عندها عقول وابتكار ، وعقولهم قبل كل شيء هي عقول استغلالية . يعني شخص يجد - مثلا - ان لطفي الخولي ، هذا ، كاتب معروف يقوم يستغله . براعتهم اذن انهم يعرفون كيف يستغلون وينمون ارباحهم . ففي الواقع ، الرأسمالية تولد من أناس يستغلون مهارتهم في استغلال الاخرين . والسلطة بعيدة عن هذا . لكن في مرحلة أخرى يلجأون الى السلطة لتساعدهم في فتح باب بلاد اخرى فيها مواد خام ، وعندما يصبحون قوة تصبح السلطة سلطتهم ، يأخذون السلطة ، سواء كانوا هم فيها او بالاصوات . فالذي حدث اذن هو ان الدول الرأسمالية لها جذور وبذور في بناء الرأسمالية . وبعد ذلك ذهبت الى البلاد النامية واستولت على مواردها . والبلاد النامية قاومت وطردت هؤلاء .. لما طردت هؤلاء . ماذا حدث ؟ .. ماذا تعمل في الموارد اذن ؟.. تسلمها للرأسمالية يعني تخلق طبقة رأسمالية لا يمكن خلقها . لانه اما أن تسلمها الى الرأسماليين الاصلاء وهم الذين عندهم الخبرة فعلا ، واما تقع الموارد ووسائل الانتاج في أيدي أهالي البلاد . وبالفعل هؤلاء اخذوها بالمقاومة الشعبية ، واخذوا الاستقلال ، فماذا يحدث في هذه الحالة ؟

في الجزائر - مثلا - هناك مزارع تركها الفرنسيون ، وهناك مناجم .. بعد رحيلهم يكون النظام الجديد ؟ النظام لا يمكن الا ان يكون انك تسلم الشعب الذي قاوم ، وتقول له تعال نأخذ هذه الموارد لنا وننميها . فاذن لابد أن يشرع الذين قاموا بالثورة في تسلم الحكم . هناك يسألون : ماذا عسانا فاعلين بهذه التركة ؟ ولمن نسلمها ؟ اذا سلموها للرأسماليين ، اذن فيم كانت مقاومتهم . وكان الاولى أن يتفقوا معهم بلا مقاومة شعبية . اذن الحل الاشتراكي هنا ليس مجرد رغبة او ارادة . ولكنه حتمية .. حتى الحاكم الثائر الذي قام بالمدفع يطرد المستعمرين لا يستطيع أن يستولي على شيء لان مهمته الاساسية هي المقاومة ، والا فهو رجل نصاب أو « شيخ منسر » . طرد الاجانب وأخذ الفلوس . لا . اذن تبقى المسألة ان الشعب الذي قاوم معه يأتي اليه ليقول له تعال ندير هذه الاموال وموارد الانتاج .. اذن هي اشتراكية . لا لان هناك نظرية طبقوها ، وانما هي مسألة طبيعية حتمية . اريد ان اقول **حتمية هنا** : لا من وجهة نظرنا ، وانما من وجهة واقعية فعلية . ناس - طردوا ناسا وأخذوا الفلوس ، وبعد ذلك هم كهيئة محاربة .. يقولون كل هذا ملكنا كلنا ...

■ **لطفي الخولي :**

عندما تقول « كل هذا ملكنا كلنا فهل يعني هذا نوعا من مشاعية الثورة ؟

■ **توفيق الحكيم :**

ضروري والا يبقى مفيش لازمة للثورة .

■ **د . عبد العظيم أنيس :**

تاكيدا لكلام الاستاذ خالد أريد فقط الفت النظر الى مرحلة ما بعد انتهاء الخطة الخمسية الاولى . لاني كنت قد أشرت الى هذا الموضوع من قبل . لقد وقعت ثلاثة تغييرات وزارية من ٦٦ لغاية ٦٧ .. وزارة علي صبري سقطت بعد انتهاء الخطة الخمسية الاولى . جاءت وزارة زكريا محيي الدين . وبعدها جاءت وزارة صدقي سليمان . فهذا التغيير المتعدد في ظل نظام ليس هو النظام الحزبي ينبغي ان يكون محل التفات نظر شديد .

ونحن نتذكر ، في هذا الوقت ، انه لما جاء زكريا محيي الدين نشأت فكرة خطة سبعية .. ولما ترك زكريا محيي الدين نشأت في وزارة صدقي سليمان خطة ثلاثية . وهذه الخطة الثلاثية تحولت بعد ذلك الى خطة سنوية . الفكرة الاساسية التي صاحبت مجيء زكريا محيي الدين ، كانت فكرة التقشف . وبالتحديد طرحت فكرتان أساسيتان في هذه الوزارة :

الفكرة الاولى : انه لابد من تقشف . وكانت الامور قد وصلت الى حد أن اقترحت بعض الجهات وقف علاوات الموظفين في هذا الوقت . وكان هذا احد اسباب خروج الوزارة . ان ضغط المصروفات العامة كان قد وصل الى

حدود فكرة خطرت فى بال هيئات رسمية ، فكرة وقف علاوات الموظفين • طبعا عبد الناصر ماكان يوافق على هذا لاعتبارات سياسية •

أيضا طرح فى هذا الوقت فكرة الاستفادة من الاموال العربية ، لان المأزق الذى كان فيه النظام تمثل فيما يلى : اذا كنت تريد أن تواصل التنمية فمن أين لك الموارد الخاصة بالتنمية • فكانت الفكرتان المطروحتان : ضغط المصروفات العامة ووفر فى مصروفات الحكومة ، وهات من رؤوس الاموال العربية • لانه من الجائز ان وجود زكريا محيى الدين يكون عنصر تطمين لرأس المال العربى فى هذا الاتجاه •

لم يمض أكثر من سنة على هذه الوزارة حتى تبين ان هذه الفكرة فاشلة وانه لاينتظر لها النجاح • هذا اذا كانت مصر حريصة على أن تحافظ على استقلالها الوطنى • وكان عبد الناصر حريصا على أن يحافظ على الاستقلال الوطنى فى هذا الاتجاه ، والتوفيق هنامستحيل • اضف الى ذلك — من ناحية اخرى — كيف يعلن النظام أنه لا يريد أن يضحى بجيل من الاجيال ثم يوقف علاوات الموظفين السنوية •

■ **توفيق الحكيم :**

آه لماذا اذا ذكرت وزارة زكريا محيى الدين يقولون هذا الذى رفع سعر الارز •

■ **خالد محيى الدين :**

لانه كان يريد أن يصدره للخارج •

■ **د • عبد العظيم انيس :**

بعد ذلك نعلم : انه طرح لما فشلت وزارة زكريا محيى الدين جاء صدقى سليمان تحت شعار وزارة الانجاز • أى أن القضية الإساسية الان هى الا نبدأ فى مشروعات جديدة أو ننمى تنمية جديدة بقدر أن ننفذ بقية ما هو قائم • لان هناك مشروعات بدىء فيها ولم تستكمل الى الان • وربما تفيد فى المجال الصناعى لو تستكمل •

وبالتالى ، كانت هناك حاجة الى أن يأتى شخص له تاريخ ناجح من ناحية التنفيذ وهذا كان صدقى سليمان •• لكن صدقى سليمان لما بدأ يواجه هذه المشكلة قال بفكرة خطة ثلاثية • بينما وزارة زكريا محيى الدين كانت تقول بخطة سبعية ، على أساس أننا نخطط على مدى بعيد نسبيا وأنه من الجائز ان النتائج لن تكون قريبة • كانت الخطة الثلاثية هى فكرة استكمال تنفيذ ما هو قائم من هذه المشروعات •

لكن جاءت كارثة ٦٧ المعروفة • حلت وزارة صدقى سليمان ، وتولى عبد الناصر رئاسة الوزارة بنفسه •

فى جميع هذه السنوات ، اذا واجهنا الارقام المتعلقة بالاستثمارات فى مصر ، سواء فيما يتعلق بالقطاع العام قطاع الانتاج ، أو حتى قطاع الخدمات ، سوف نجد ان الاستثمارات منخفضة جدا بالنسبة لما تم فى الخطة الخمسية الاولى •

■ **د • فؤاد مرسى :**

أنا لى تعقيبات تفصيلية على ماذكره الزميل الدكتور عبد العظيم انيس ، ولذلك احتفظ بها لحين عرض كلمتى بالكامل •

■ **خالد محيى الدين :**

تعليقا على ما قاله د • عبد العظيم انيس • فعلا البلد وجدت ، بعد الخطة الخمسية الاولى انها تواجه صعوبات لتضع خطة ثانية ، وانه لابد لها من موارد • يعنى كان مطلوب صياغة جديدة توضع امامها • لكن الحقيقة ، ان القيادة أجلت ، واستمرت تؤجل • مثلا موضوع صدقى سليمان • لما جاء زكريا محيى الدين كان يريد ان يوقف بعض المشروعات ويقلل الاستثمار • هنا ، **البنك الدولى** اراد أن يعمل اتفاقية ويتدخل فى العملة •• فعبد الناصر رفض الموافقة •• جاء صدقى سليمان بنظرية أنه من الممكن أن نعطى علاوات للموظفين ، ونستخدم ما يسمى بالعمل السياسى لاذكاء حماس العاملين ليزيدوا انتاجهم • وانه يمكن هذا عن طريق العمل السياسى • يعنى نأتى بواحد عنده قدرة على التنفيذ هو صدقى سليمان ، وفى الوقت نفسه كان ايامها على صبرى فى قمة الاتحاد الاشتراكى • وقيل ان تنشيط الاتحاد الاشتراكى سياسيا — يمكن ان يزيد الانتاج •

اعتقادى ان هذا كله ـ ايضا ـ كان هروبا من مواجهة الموقف ، وبالتحديد كانت البلد تريد ترشيد اقتصـادى .. ضرائب جـديدة خطة لترشيد الاستهلاك .. بحث عن موارد جديدة .. اولويات . كل ده كان عملية صعبة . ثم جاءت الحرب فى ذلك الوقت فى ٦٧ . يعنى ـ فى تقديرنا ـ ان البلد كانت تواجه تناقضا داخليا غير محلول ، وهو تناقض سياسى واقتصادى .

■ د . عبد العظيم انيس :

هى المرة الوحيدة التى لم يكـن فيهـا عبد الناصر حاسما .

■ خالد محيى الدين :

القضية تتعلق بأسلوب عبد الناصر . مثلا هـو كان ممكن جـدا يقضى على الاقطـاع سياسيا بواسطة العمل الجماهيرى والتثقيفى للاتحاد الاشتراكى ، لكنه فضل اللجوء الى أساليب اللجنة .. واللجنة هـذه يمكن ان يحصل فيها انحراف ، وفكرة لجنـة تصـفية الاقطاع ـ فى حد ذاتها ـ لم تكن سهلة لان الاقطاع كان بالفعل قويا أو بقاياه كانت قوية بسبب التجربة . ولكن بسبب الخوف من انزال الفكر الى الجماهير وهذا ينبع من فكر عبد الناصر نفسه هو يريد تأييد العمال والفلاحين يريد أن يقوم باصلاحات ويكسب للقيـادة والسلطة تأييدهم . لكن لم تكن الفكرة المحورية مشاركة الفلاحين والعمال أو قيادات معه فى السلطة . كانت هذه قضية اساسية عنده ، كانت واضحة تمام الوضوح ولذلك هـو باستمرار حريص على ان يرضى ويأخذ تأييد . وهذا واضح تماما من فكرة ٥٠ فى المائة عمال وفلاحين . وهى خطوة ضخمة جدا لانها حقوق تكتسبها الطبقة العاملة ، بصرف النظـر عـن التحايل الذى يشوبها ، هى حقوق تاريخية ومن الصعب المساس بها ، وعمقت من وعى الناس ، وأشعرت الفلاحين والعمال ان لهم حقوقا فى مجالس الادارة ومجلس الشعب ، وفعلا انشأت فئات من الناس عمرها ما كانت تحلم فى يوم من الايام أن تصل الى البرلمان أو الى قيادات الاتحاد الاشتراكى . يعنى ان أى انسان ـ بعد هذا ـ يحاول أن يعمل تجربة اشتراكية سوف يجد ـ فى هذا المنطلق فعلا ـ نقطة الى الامام .

ولكن بحكم هذا التفكير يتم اللعب فى هذا الموضوع وفى تفسيراته الى حد ان تأخذ الـ ٥٠ فى المائة هذه عناصر غير حقيقية .

مثال آخر : فكرة الرأسمالية الوطنية الغير مستغلة هذا مجرد شعار سياسى ، لانه لا يوجد شىء اسمه الرأسمالية غير المستغلة ، لكن هدف الشعار أن يجذب الرأسمالية الوطنيـة الى الحلف .. عظيم .. لكن هذا اذا كنا نتصور انه حقيقة ، لان الرأسمالية نمت نموا هائلا فى هذه الفترة .. هناك قطاع المقاولات وقطاع التجارة .. وقطـاع الزراعـة .. قطـاع الاستغلال الزراعى الذى لا يدفع ضرائب . لكن تظل الارباح الطائلة أكثر فى قطاع المقاولات والتجارة .

وبعد ٦٧ النمو الرأسمالى ظهر أكثر عندما وجهت الدولة مواردها الى الحرب . القطاع العام كان غير قادر أن يأخذ استثمارات . فالمجال انفتح للتصدير ، والاستيراد أمام القطاع الخاص فازداد نموا . هذا النمو افرز اتجاهات وقوى فكرية معادية للتقدم والاشتراكية .

بالاضافة فان عبد الناصر قام بعملية ـ أيضا أوقفت تطور الثورة فى الريف عندما أعلن سنة ٦٩ انـه عـايز يحدد الملكيـة مـرة والى الابد . يعنى كونه يحدد الملكية بـ ٥٠ فدانا لا أعتراض على هذا . لكن لا يوجد شىء اسمه « الى الابد » ، ان هذا معناه وقف الثـورة الزراعية . و ٥٠ فدانا فى مصر على فـكرة مسـاحة كبيرة جدا تزرع زرعتين فلو أن مالكا عنده ٥٠ فدانا ، ويزرع زرعتين محاصيل أو فواكه فان ايراده من ذلك كبير جدا . وهو كبير ـ ايضا ـ بالمقارنة بالمتوسط العـام للدخول .

وأخيرا نستطيع ان نقول : ان عبد الناصر كان له اتجاه ثورى فيه عداء للامبريالية ، وفيه عداء للرأسمالية ـ بشكل عام ـ وفيه انحياز للطبقات الفقيرة ، ولكن لم يكن عنده تخيـل لشكل المجتمع الجديد . لقد تصور انـه ـ بالمواقف وبالظروف ـ التى كان موجودا فيها يستطيع أن يلجأ الى اسلوب جديد يتجنب به صعوبات ومشاكل المجتمعات الاشـتراكية الاخرى . لذلك لم يتخذ اجراءات لابـد أن يتخذها . وقد خلق عدم اتخاذها عددا من المتاعب

التى تعانى مصر منها اليوم . لانه اذا لم تبدأ مصر باتخاذ اجراءات معينة فى ترشيد الاستهلاك ، وفى وضع الاولويات . واذا كنا الان نريد أن نعمل كل شيء .. نحرر الارض مع الاستمرار بالتنمية فى كافة جوانبها — واذا كنا فى الوقت نفسه نقول اننا لا نريد ان نضحى . فنحن لن نفعل شيئا . وعلينا أن نعتبر بما فعلته بلدان أخرى مثل بريطانيا التى واصلت بعد أن كسبت الحرب اجراءات التقشف واستمرت عشر سنوات وهى كما نعلم دولة رأسمالية . فما بالك ببلدنا التى تقوم بتنمية وتواجه حربا تحريرية ؟

لا شك أنه من الممكن أن يكون لنا أسلوب آخر ولنا طريق آخر ولابد أن يكون طريقا عربيا . ولكن الى أين يقودنا هذا الطريق . هذه هى القضية الرئيسية ... الى الاشتراكية .. الى أن تكون الموارد فى يد الدولة هذه هى القضية الرئيسية ..

من هنا برزت نقاط الضعف فى فكر الثورة .. ومنها نشأت هذه الحالة .

فكرة الاتحاد الاشتراكى انه هو حلف قوى الشعب العاملة من عمال وفلاحين ورأسمالية وطنية ومثقفين . لكن كيف يعمل هذا الحلف فى ظروف وجود الصراع الطبقى اعترف عبد الناصر أن الصراع الطبقى حتمى . وحدد انه لابد من ان يكون الصراع الطبقى سلميا . لكن «سلميا» بأى شيء ؟ هو أجاب بتذويب الفوارق بين الطبقات وتجريد الرجعية من أسلحتها . لكن من الملاحظ أن كلمة الرجعية تأخذ باستمرار مضمونا جديدا . فمع مسيرة الثورة وتطورها تحاول بعض الفئات التى اشتركت فيها ان تجمد الوضع لمصالحها الخاصة هنا تنشأ رجعية جديدة ، قد تحاول ان تسيطر على السلطة وتقف ضد التطور .

نخلص من هذا الى أن فكر الثورة كانت له جوانب ايجابية : قضى على قدسية الملكية الفردية — الاستقلال — حدد موقف مصر فى الصراع العالمى — حدد موقف مصر أو الدولة المصرية فى انها يجب ان تنحاز الى جانب الطبقات الفقيرة .

ولكن لعدم وضوح الفكرة النظرية والرغبة فى التمايز لاجل التمايز نشأت أخطاء عديدة ، يجب أن تعالج فى المستقبل .

وبالتبعية ، يمكن أن نقول أنه اذا وضعنا الاهداف المستقبلية التى طرحناها فى الجلسة الماضية فسوف نجد أن التجربة الماضية كانت خطوة تقربنا من هذه الاهداف . ولكن لكى نصل الى هذه الاهداف لابد أن نتجنب سلبيات الماضى ونعمق الايجابيات .. ودائما نجد ان الخطأ الرئيسى هو خطأ فى الفكر ، وهو الخطأ الذى ينعكس فى التطبيق .

■ **توفيق الحكيم**

الاستاذ خالد قال كلمة مهمة جدا وهى تبدو انها معنوية ، ولكن هى أساس الثورات دائما .. لابد من مثل اعلى : نقص المثل الاعلى . هذه مشكلة لا هى أدبية ولا هى بلاغية . خذوا أى ثورة .. يعنى ايه المثل الاعلى ؟ هل هو المثل الاعلى الاخلاقى بالمعنى الفلسفى . لا ! هو المثل الاعلى السلوكى . يعنى انت تريد ان تعمل ثورة . لكن لابد من ان تسأل عن طبيعة هذه الثورة . طبعا الثورة لابد يكون فيها فكر ولكن هذا الفكر من الذى يطبقه ؟ سوف يطبقه بشر .. قادة ، وهؤلاء القادة لابد أن يكونوا — هم أيضا — ثوريين على أنفسهم فى سلوكهم . يعنى ايه ؟ يعنى اذا ارادوا ان تكون هناك مساواة بين الناس فيتعين عليهم الا يشجعوا على قيام طبقة ممتازة فى حالة ترف ظاهر جدا ثم بعد ذلك يتكلمون فى الافكار والنظريات .. فالنظريات هنا سوف تبقى كلاما مجردا .. فأنت قلت : « **المثل الاعلى** » ينقصنا . لكن لماذا ؟ لان الثورة — فعلا — كانت تحت ضغط طبقة واسعة ، وفى حالة ترف .

يعنى اذا اردت ان تقوم بثورة حقيقية فيجب ان تحدد طبيعتها واهدافها ، ونحن فى الواقع يمكن ان نكون امام اكثر من نموذج :

هناك ثورة شاملة وفيها يضرب القادة المثل لشعوبهم . فهم يسكنون فى مساكن متواضعة ويلبسون ملابس بسيطة . وبقوة المثل تحذو الشعوب حذوهم وتندفع فى تقليدهم . هنا نذكر اسماء مثل لينين وهوشى منه .. الخ وهناك ثورة رأيناها هنا بعد ٢٣ يوليو . القادة قالوا لا . لا داعى لان نفرض على أنفسنا كل التقشف ولا داعى فى الوقت نفسه لان نكون مترفين مثل الباشوات السابقين . فهذه ثورة من النوع المعتدل . يعنى هى ثورة فى الفكر ، تجعل

الفلاحين يشعرون انهم أنصفوا من الاقطاع • ولكن يجب في الوقت نفسه أن نتفادى حدوث رجة كما حدثت فى الاتحـاد السوفيتى أو الصين • لان طبيعة مصر لا تقبل هذه الرجة • الاغنياء ممكن نأخذ منهم شيئا من فلوسهم ،ولكن نترك لهم الاشياء التى تحافظ على مظهرهم• نترك لهم سياراتهم ولا بأس من أن يزوجوا بناتهم فى هيلتون ! وشيراتون • يقولون : لابد من التدرج ولنترك الرأسمالية تعمل وتعيش وتحقق مكاسب لاننا سنأخذ من هذه المكاسب ونعطى الطبقات الاخرى . فهذا النوع الثانى من الثورات هو الذى يمكن أن يسمى ثورة معتدلة •

وهذان النوعان من الثورات ظهرا فى جميع عصور التاريخ .ولماذا نذهب بعيدا .ولنضرب مثلا على ذلك الثورة الاسلامية • ان محمدا كان ثائرا على مجتمعه • ولكنه كان متقشفا • قد يقال انه كان بين الصحابة أغنياء مثل أبى بكر ، فقد كان من التجار • لكن أبا بكر كان قد وضع ثروته فى خدمة النبى وحروبه ، اى فى خدمة الجهاد •

من المتقشفين أيضا فى الثورة الاسلامية نعرف عمر بن الخطاب ، الذى لم يكن يهتز فى تطبيق أسس العدالة •

بعد ذلك جئنا الى عثمان • من ذلك الوقت بدأ نظام المحسوبية الى أن انتهت بمعاوية والبلاط ••• الخ • فاذن هنا نرى أنه فـى التاريخ الاسلامى حدث تدرج : منثورة حقيقيه ومتقشفة تضرب المثل الى نظام آخر مختلف•

والواقع ، انه عندما يضرب قادة الثورة وذووهم المثل ، فان هذا يفيد الشـعب كله والطبقات كلها • لان هذا يعنى اننا ندخر لبناء البلد ونستبعد الترف ، خصوصا وقد كنا ــ من قبل ــ فى مجتمع يحكمه الباشوات • وباسم هذا المثل السلوكى الاعلى نستطيع أن ندعو الناس الى أن يسلكوا نفس المسلك • فاذا تحقق هذا فقد قمنا بالثورة رقم ١ الثورة الكاملة أو الشاملة التى أشرت اليها فى مستهل كلامى •

كنت دائما أثير مع أصدقائى ومعارفى أهمية المثل فى سلوك قادة الدول . فكانوا يقولون لى انه من حق من جاهد وتعب أن يتمتع ويلبس مثلا كرفتات سولكا أو يلبس خاتما مـن الماس .. الخ .. لكن ردى على هذا هو ان الثورة تظل محتاجة الى المثل الاعلى • ونعود مرة أخرى الى عمر بن الخطاب • فقد استمر على مثل التقشف الصارم • كان يقرأ على مصباح الزيت . فاذا انتهى اطفأ المصباح فان هذا مال الدولة • واستمر فى التقشف حتى بعد ما فتح الفتوحات الهائلة التى انتصر فيها . ونحن نعلم انه عندما توجه الى الشام لم يغير ملابسه • فحدثوه فى ذلك فلم يستجب وتمسك بالملبس البسيط •

المسألة أنى هنا لا أتحدث عن أحد بالذات • ولكن لابد من البحث أو الاتفاق على أحكام موضوعية ، ولابد من أن نطرح هذا السؤال • هل كانت مصر وكان الشعب يرفض أن يقوم بثورة شاملة ، بالثورة رقم ١ • وهل كان يرفض أمثلة التقشف ••

■ **لطفى الخولى :**

مع اتفاقى التام على اهمية المثل الاعلى السلوكى الذى تحدث عنه أستاذنا تـوفيق الحكيم ، يظل المعيار فى الحكم على اىثورة، هو ماذا حققت هذه الثورة من أعمال وتغييرات ملموسة • وبالفعل حققت ثورة يوليو أشياء ••

■ **توفيق الحكيم :**

هذا لاشك فيه • ولهذا تحمسنا لهـا • والظاهر أننا ننسى ما بدأنا به عندما قلت افتحوا الملفات • بعض الناس فهم من هذاانني ضد عبد الناصر • وهذا غير صحيح لانهناك انجازات تحققت . ولكن الى اى مدى ؟ لاتزال الحقيقة غير واضحة .

■ **لطفى الخولى :**

فتح الملفات بمعنى الاهتمام،والتاريخللثورة •:

■ **توفيق الحكيم :**

بكل تأكيد • والاحظ بالمناسبة أن عرض الاستاذ خالد محيى الدين كان موفقا لانه يقول هذه هى الانجازات • وهذه هى الاخطـاء الفكرية • وهذه هي النواقص • وهـذه هـى الاستنتاجات •.

■ **خالد محيى الدين :**

اريد أن أعلق على ما قاله الاستاذ توفيق الحكيم • أنا عندما تحدثت عن المثل الاعلى لم أكن أقصد أن قائد الثورة أو رئيس الدولة يجب أن يلبس لبسا معينا أو يسكن فى مكان معين •

■ **توفيق الحكيم :**

لا ! انا كنت اهدف من كلامى الى طرح هذا السؤال • افرض أن عبد الناصر قائد الثورة كان اراد هذا • فهل كان المجتمع يقبله ام لا؟ المسالة ليست مسألة فرد • انما هى مسألة مجتمع : هل هو معد لقبول هذا أم لا ؟ وهل على قائد الثورة ان يعده لقبول ذلك أو ان يخضع هو لتيار هذا المجتمع ؟

■ **د• مراد وهبة :**

الحقيقة انه فى كلمة الاستاذ توفيق الحكيم فيه نقطة مهمة جدا لابد من مناقشتها •وهى مسألة مدى نضج العوامل الموضوعية فى تقبل ثورة متقشفة لانه الواضح أن ما قيل حتى الان هو التركيز على الجانب الذاتى المتمثل فى عبد الناصر • لكن ما مدى انعكاس العوامل الموضوعية على هذا العامل الذاتى أو ما مدى تحكم العوامل الموضوعية فى فكر عبد الناصر • هذه قضية مهمة •

■ **محمد سيد احمد :**

هناك نقطة متعلقة ـ ايضا ـ بالعوامل الموضوعية • والملاحظ ـ هنا ـ أن ثورة عبد الناصر كانت محكومة بوضع دولى غير الوضع الداخلى • مهم جدا ، وأرجو أن احدد ذلك فى نقطتين :

النقطة الاولى : أن عبد الناصر اول مصرى حكم مصر من قرون طويلة • وجاء فى وقت كانت الثورة الوطنية فيه منطلقة فأخذ من الشعب تأييدا هائلا وسهلا نسبيا ، ولكنه لم يدفع فى مقابل هذا التأييد الثمن فى صورة مؤسسات راسخة للشعب تمكنه من المشاركة الحقيقية متمثلة فى هذه المؤسسات • كان هناك ـ بعبارة اخرى ـ نوع من الاندفاع العاطفى الجماهيرى لتأييد عبد الناصر لانه عبر عن تطلعات قومية ولكن لم يكن لهذه التطلعات ما يسمح بتجسيمها وبؤسسها ، ويسمح لها بالصمود للتحديات التى تجد من خلال عملية التطور . هذه نقطة . وهى نقطة ذات اهمية.

النقطة الثانية : فى الوضع الدولى • عبد الناصر كان نتاج فترة انتقالية أسميها بالوضع الدولى ، وهذا الوضع له فى آن واحد مجموعتان من الملامح المحددة • المجموعة الاولى خاصة بما أسميه **الحرب الباردة** • والمجموعة الثانية خاصة بما اسميه **الانفراج الدولى** • عبد الناصر تحرك فى الفترة التى بدأت تذوب فيها ثلوج الحرب الباردة ولكن لم تتجسم فيها ـ بعد ـ ملامح الانفراج الدولى • صحيح ان هاتين الفترتين تتناقضان تمام التناقض من كل النواحى • الاولى تتسم بالاستقطاب الشديد والثانية لا استقطاب،لكن الشىء المهم هو انه فيما بين الفترتين كان يمكن لدولة صغيرة نسبيا أن تبرز على المسرح وتأخذ وضعا ـ من الناحية النسبية ـ أكبر مما هى عليه حقيقة •

■ **لطفى الخولى :**

مهام دولة كبرى •

■ **محمد سيد احمد :**

نعم •• وهنا التناقض ••فى المرحلة الاولى (الحرب الباردة) لم تكن هناك تناقضات ، يعنى استقطاب شامل كل طرف مستقطب هنا أو هنا . ولكن الوضع الجديد [الانفراج] فان الدول الكبرى تبدى حرصا على ألا تسمح لاية قوة دولية باللعب على التناقضات بينها، ولاتسمح لها بأن تظهر بحجم أكبر من حجمها الحقيقى • فهذان العنصران الدولى والداخلى ، حالا دون حاجة الى تعميق الثورة • حالا دون أن يضطر عبد الناصر أو الثورة الى حماية نفسها، بتعميق مجرى الثورة •

وهكذا فى سنة ٥٦ كان يمكن لعبد الناصر أن يقوم بعمل معين مع الامريكان والسوفييت ليواجه العدوان الثلاثى • لكن الصورة العكسية كانت فى ٦٧ • انتهى هذا الوضع • لماذا ؟ لانه بين ٥٦ و ٦٧ فترة حافلة بأحداث دولية هائلة منها على سبيل المثال أزمة كوبا ••• الخ •

■ **خالد محيى الدين :**

فكر عبد الناصر لم يأت اعتباطا،هوينبعمن الظروف التيعاش فيها ، والظروفالاجتماعية والاقتصادية التى فيها مصر . يعنى الذى دفع عبد الناصر الى أن يلجأ فى الحالة الاولىالى قبول الرأسمالية الموجهة هو ان عبد الناصر كان قد ورث نظاما فيه اقطاع وفيه راسمالية، فلكى ينجح فى ضرب الاقطاع كان لابد من أن يمشى مع الرأسمالية . وبحكم انه فى السلطة كان لابد ان يمارس معها دورا توجيهيـــا فالظروف الموضوعية هى التى كانت تؤثر على تفكيره . الخطوة الثانية لما حصل التأميم ونمت ايرادات الدولة واصبحت تمتلك بعضالامور، فهذا أثر على فكر عبد الناصر فيما يخص الاقتصاد المختلط . وعندما ووجه بأن خطة التنمية متعثرة اعتبر عبد الناصر أن المصدر الرئيسى للادخار القومى (ما يزيد على ٥٠ فى المائة والادخار القومى] موجود فى الشركات ، فقام بالتأميمات كاجراء ضرورى .وهذا كله يعنى ان الظروف الموضوعية التى نشأ فيهاعبد الناصر كانت تشغل فكره وهذا لا ينفى أنه هو ــ حقيقة ــ متقدم خطوة عن طبقته .

■ **لطفى الخولى :**

يعنى ان فكر عبد الناصر كان متقدما عن التفكير السائد .

■ **خالد محيى الدين :**

عن التفـــكير الســـــائد فى طبقتــه . هو كان متقدم عنه بحكم مسئوليته . لان الحاكم الذى يحكم، ولوانه يكون متأثرا بالطبقة،الاانه يبقى ــ باستمرار ــ متقدما فى فكره بحكم المسئولية .

■ **لطفى الخولى :**

لكن عندما نأتى للنقطة التى آثارها د.مراد وهبه عن العلاقة الجدلية بين الذات والموضوع فى الثورة وانهما غير منفصلين ، وأن الاثنين يحكمان بعضهما البعض فماذا نقول ؟

■ **خالد محيى الدين :**

أحب أن أشير الى أمر معين وهو أن رئيس الدولة لا يمكنأنيعيشعيشة عادية أو معينة فاذا كانت المسألة هى مسألة القيم التى توضع او يجب ان تسود فان الناس لا يهمها أن رئيس الدولة عايش عيشة معينة . هذه القضية لا تهم أحدا .

من ناحية أخرى اذا وضعت للمجتمع قيما معينة وسمحت ببضائع التـرف وشـارع الشواربى، واقمت حفلات فى الهيلتـون .. الخ، فهذا أمر يستحق الاهتمام .ووجود هذه القيم فى المجتمع يفسر حقيقة أن الجانب الثقافى فى الثورة لم يتطور بنفس الحركة التى تطورت بها الاجراءات الاقتصادية . وهذا عطل على فكره . ولذلك نجد الان أن خبراء التخطيط فى العالم يقولون اذا لم تسر الأجراءات الاقتصادية بجانب التطور فى الجوانب الاجتماعية والثقافية والسياسية فان فى هذا اعاقةللتنمية.

■ **توفيق الحكيم :**

طيب والجانب السلوكى .. ؟

■ **خالد محيى الدين :**

والجانب السلوكى ايضا ،لان الناستظلعلى عاداتها القديمة وتصرفاتها تمتص جزءا كبيرا جدا من جهود التنمية وخطة التنمية لا تستطيع أن تعيش وتنجح فى ظروف الانماط السلوكية القديمة .

■ **لطفى الخولى :**

بل يمكن القول ان هذه الانماط قد تخرب التنمية .

■ **خالد محيى الدين :**

حقيقة ، وهذا هو الامر الذى ندعو الى معالجته . وهذا بعكس الفكر السائد فى القيادة هـــو فكـر معيـن ينعكس على الســــلوك والتصرفات . ويمكن فيما يتعلق بـالقائد وسلوكه ، فنحن لانريد له أن ننغص عليه عيشته . لابد أن يحيا حياة طيبة ..

أخيرا ، احب أن أضيف اضافة بسيطة : حقيقة أن عبد الناصر قام بدور أكبر من حقيقة مصر أو حجمها . لكن هذا الموقف جلب منافع لمصر . لان دور مصر القيادى فى حركة التحرر العربية وفر لها مساعدات بنسبة الفرد أعلى من

اى بلد . ولم يكن هذا اعتباطا . أنا أعرف مثلا أن الاتحاد السوفيتي ساعد في حرب اليمن وانه خفض بقدر كبير جدا من مصاريف التسلح . هذا على قدر علمي وليس لدى الرقم الحقيقى، فمن المؤكد لانه أخذ عدة تخفيضات من الاتحاد السوفيتى فى حرب اليمن ، وقبلها كانت امريكا تساعدنا ايضا الى ان اصطدمت به بسبب ان جمال عبد الناصر كان مؤثرا فى العالم العربى .

ولو ان مصر انزوت وبقيت مجرد مصر، لكان الاهتمام بها اقل ولانكمش دورها فى العالم العربى . حتى حرب اليمن على الرغم من الاسلوب الذى تمت به لانها لم تكن هى اول مرة يخرج فيها عبد الناصر . فقد ذهب الى الجزائر والى العراق والى سوريا لكن ضيق الناس من حرب اليمن كان لان الحرب كان فيها تكلفة باهظة لا اعرف حجمها بالضبط .

■ **توفيق الحكيم :**

لاهى الفكرة فعلا فى التكلفة ، لو انها اتكلفت مليون جنيه لكنا قلنا معقول . لان الكارثة ليست فى الفكرة ، ولكن هى التكاليف والخسائر .

■ **خالد محيى الدين :**

على العموم لم تتكلف ٤٠٠٠ مليون كما ذكرت . حرب اليمن فيها نقطتان : حرب اليمن كان يمكن أن تعرض بطريقة احسن سياسيا . اذن كان ينقص الاسلوب والطريقة بجانب ضخامة التكلفة .

النقطة الثانية فى حرب اليمن هى انه كان من نتاج هذه الحرب قيام جمهورية اليمن الجنوبية التى قفلت باب المندب .

■ **توفيق الحكيم :**

لكن هذه النتيجة لم تكن متوقعة .

■ **خالد محيى الدين :**

بعد حرب اكتوبر ٧٣ ممكن نقول اليوم ان البحر الاحمر يكون بحيرة عربية . هذه حقيقة . وبفضل موقف مصر العربى فقد حصل عبد الناصر على ١٠٥ مليون جنيه سنويا فى ٦٧ فى مؤتمر الخرطوم . لان موقفه العربى وسياسته العربية حققت لمصر موقفا ممتازا . وعندما نتأمل هذا الرقم فسوف نجد أن السياسة العربية كانت مجلبة للنفع ولم تكن ضررا .

■ **لطفى الخولى :**

وهى كذلك الى الان .

■ **خالد محيى الدين :**

نعم ، وهذا ما كنت أريد أن أضيفه فى هذا الامر وهو أن مصر استفادت من هذا ..

■ **محمد سيد احمد :**

المسألة ليست مسألة ضار او مفيد . السؤال هو هل : هذا امر عارض او اساسى او مستمر ؟

■ **خالد محيى الدين :**

ايمان عبد الناصر بدوره فى القضية العربية ليس ايمانا عارضا .

■ **محمد سيد احمد :**

سؤالى بالتحديد هو : هل الابعاد الداخلية والعربية والدولية التي استفادت منها مصر فى ايام عبد الناصر هى أبعاد عارضة يعني مرتبطة بحقبة تاريخية معينة ام دائمة . انا أزعم انها اقرب الى العارضة منها الى الدائمة ولهذا جانب ايجابى وجانب سلبى . الجانب الايجابى انها حققت لمصر اشياء ، الجانب السلبى اننا ندفع الثمن ، بسبب ان الثورة لم تنزل الى العمق فى صورة مؤسسات حقيقية للشعب ، ولقد دفعنا الثمن فى ١٩٧٠ .

■ **خالد محيى الدين :**

العيب ان عبد الناصر لم ينزل فى العمق سياسيا ، فهذه قضية ليس لها علاقة بالواقع الخارجى . انما هى نابعة من طبيعة النظام فى حد ذاته . يعنى نستطيع أن نقول ان الطبقة الوسطى – لاول مرة – كانت تسيطر على الحكم . وبعبارة اخرى ، لم تكن الظروف العالمية هى التى منعت عبد الناصر ان يعمل فى

الداخل . وعندما نقيم نشاط عبد الناصر الدولى فنحن نستبعد القول ان عبد الناصر كان يلعب على المعسكرين . لان عبد الناصر كان حريصا - من اول دقيقة - على حفظ علاقة متوازنة بينهما . لكن هذه العلاقة المتوازنة لم تمنعه من ان يحدد موقفه بالنسبة لامريكا والمعسكر الغربى ، وهذا الامر لم يكن واضحا فى خطبه فحسب بل كان واضحا ايضا - فى المؤتمرات العالمية . مثلا فى مؤتمر التنمية والتجارة . فموقفه هناك أدى الى كسب العالم الثالث كله الى موقف ضد العالم الامبريالى .

■ **لطفى الخولى :**

لا . نحن نسأل عن ٥٦ و ٦٧ وماذا كان الثمن الذى دفعناه فيهما .

■ **خالد محيى الدين :**

بسبب موقفه .. وهو كان يفعل هذا دفاعا عن مصلحة مصر الحقيقية . هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى كان هذا الموقف يعطى مصر دورا . ويؤكد هذا ان امريكا حاليا تهتم بالعلاقة مع مصر . لانها اقتنعت ان مصر لها دور فى العالم العربى . ولو لم يكن لها هذا الدور لاختلف الامر ، وذلك بغض النظر عن أن هناك « وفاق » أو « غير وفاق » .

■ **لطفى الخولى :**

بل ان المساعدات التى يقدمها الاتحاد السوفيتى لمصر هى نتيجة وزن مصر فى العالم العربى .

■ **د . لطيفة الزيات :**

ارجو أن اعلق على مسألة العلاقة الجدلية بين الظروف الذاتية وبين الظروف الموضوعية عبد الناصر لعب على التناقض بين المعسكرين ولعب بالفريق الذى اعتقد انه فى صالح مصر وبناء مصر كقوة يمكن اكبر مما تطبق وكان من الممكن ان ينجح فى هذا ، لو كان اتبع داخليا سياسة مختلفة عن السياسة التى اتبعها وهى السياسة الوسطية أو السياسة التى تجعله يسير فى طريق الثورة خطوات ثم يتوقف . وهى الـ[illegible] التى جعلته يقف فى طريق مسدود بالنسبة للتنمية سنة ٦٥ . وهى السياسة التى جلبت علينا ٦٧ . عبد الناصر لما ابتدا سياسة التصنيع - والتصنيع الثقيل - كان يجب ان يتوقع ان امريكا لن تحالفه الى نهاية الطريق ولن تقف منه ساكنة وهو يصنع وهو يخلق قاعدة عمالية ؛ وهو ان تكون لمصر سوق فى افريقيا وآسيا ينافس بها مصالح امريكا واسرائيل . كان لابد ان يدرك طبيعة وحجم وضراوة الصراع والصدام بينه وبين امريكا، ولم يفعل لانه تمسك - فى الداخل بسياسة وسطية تتراوح بين ماهو طريق رأسمالى وبين ما هو طريق غير رأسمالى .

فى الواقع ، هجوم اسرائيل علينا سنة ٦٧ لم يكن هجوما أبله ولا هجوما اعتباطيا كان هجوما مدبرا جاء فى اعقاب فترة انتكست فيها خطة التنمية أو على الاقل لم تندفع فيها خطة التنمية . كنا فى فترة حرجة وجاء هجوم اسرائيل علينا يستهدف القضاء على القاعدة الصناعية التى بنيناها ، ومحو اى امكانية نسترد بها انفسنا وننطلق .

■ **لطفى الخولى :**

هذه الهجمة الاستعمارية الصهيونية ضربت عبد الناصر أيضا ...

■ **محمد سيد احمد :**

هى نقطة ضعف لضرب كل شىء .

■ **د . لطيفة الزيات :**

اختم قولى ان الطريق الوسط كان هو الطريق المسدود كان هو السبب فى عدم تلبية احتياجات الواقع الموضوعى

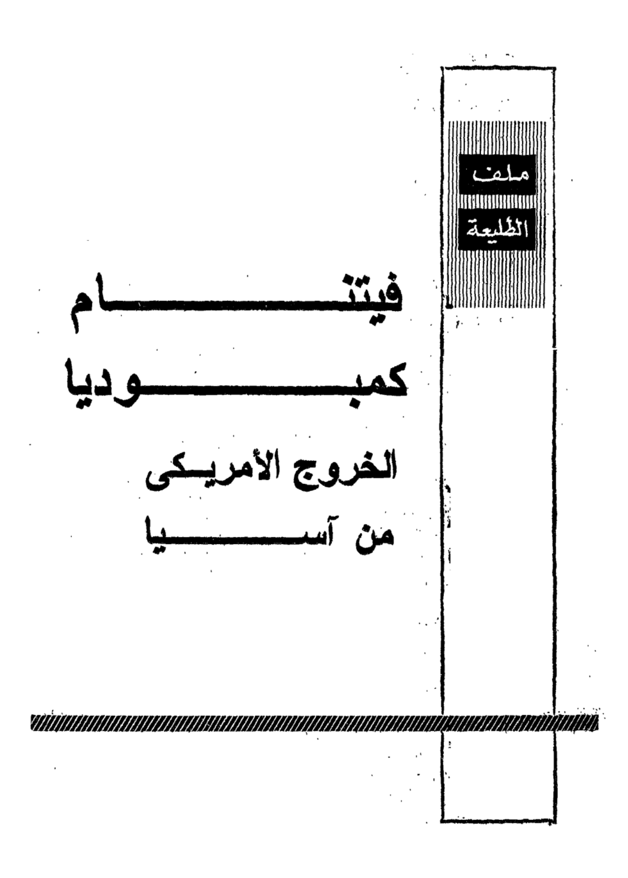
■ **لطفى الخولى :**

عند هذا الحد ، هل تفضلون الاستمرار فى المناقشة ، ام نواصل فى جلسة ثانية .

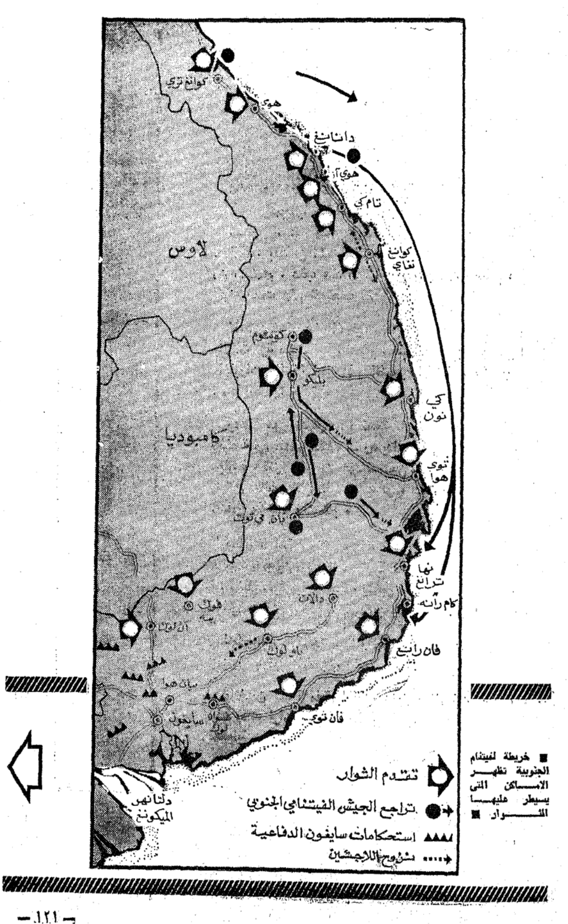
[اتفق المجتمعون على مواصلة الحوار فى جلسة مقبلة] .

■ **لطفى الخولى :**

فى جلسة ثانية ، سوف نستكمل تقييم التجربة قبل ان نلخص الاتجاهات الرئيسية التى ظهرت عند مناقشة هذه النقطة ... شكرا .



فيتنام
كمبوديا
الخروج الأمريكى من آسيا



■ خريطة لفيتنام الجنوبية تظهر الاماكن التي يسيطر عليها الثوار ■

نقلت عمليات الاكتساح العسكرية الاستراتيجية لثوار فيتنام الجنوبية وكمبوديا ، قضايا الحرب والثورة فى الهند الصينية ، مرة أخرى ، الى مكان الصدارة فى مجالات ووسائل الاعلام العالمية ، بعد أن كانت هذه القضايا قد انتقلت الى مرتبة تالية من الاهتمام ، عقب عقد اتفاقية باريس بشأن السلام عام ١٩٧٢ والتى نصت على انسحاب الجيش الامريكى من فيتنام .

لقد كان نجاح هذه العمليات الكبرى نصرا مؤزرا لقوى الحرية والاشتراكية والسلام فى العالم ، نصرا حافلا بالعديد من الدروس والخبرات الثمينة التى دفع الشعب الفيتنامى وشعوب الهند الصينية ثمنها بالدم .

ولذا فهى تشكل ـ بالنسبة للحركة الثورية العالمية كلها وخاصة فى العالم الثالث ـ رصيدا هاما جديرا بالدراسة المتعمقة الباحثة ، التى يمكن أن تعود ـ دون شك ـ بالفائدة على مختلف اشكال الكفاح التى تخوضها شعوب هذا العالم ، فى سبيل التحرر والتقدم والسلام .

وتقدم « الطليعة » فى هذا الجزء الحوار الذى أجرته مع السيدة « نيوين تى بينه » وزيرة خارجية الحكومة الثورية المؤقتة فى فيتنام الجنوبية ، والذى يتناول مختلف جوانب التطور الراهن للكفاح الثورى فى فيتنام الجنوبية خاصة ، والهند الصينية عامة

كما يتضمن مقالا للدكتور رفعت السعيد يحلل فيه أسباب ومعنى التراجع الامريكى الكبير فى الهند الصينية .

ويتضمن اخيرا مقال لخيرى عزيز يحلل فيه أسباب ، وسر هذه الانتصارات الضخمة التى حققتها قوات التحرير فى الهند الصينية .



فيتنــــام

حوار مع وزيرة خارجية

الحــكومة الثــورية

كانت زيارة السيدة « نيوين تى بينه »وزيرة خارجية الحكومة الثورية المؤقتةفى فيتنام الجنوبية للقاهرة خـلال الشـهرالماضي فرصة ملائمة بالنسبة للطليعـة ، لاثارة مختلف القضايا والمسائل التى تتعلق بالموقف فى الهند الصينيـة ، والحـرب التحريرية المستعرة هنـاك وبحث مختلفجوانب هذه الحرب مع احدى الشخصيات التى شاركت بنصيبها فى كفـاح شـعب فيتنام الجنوبية ، وتحملت المسئولية على مستوى العمل القومى لهذا الشعب .

وقد جاءت زيارة وزيرة خارجيةالحكومه الثورية المؤقتة للقاهرة ، فى وقت تـدت فيه الانتصارات التىاحرزتها قواتالتحرير الثورية في فيتنام وكمبوديا ،انظار شعوب العالم اجمع ، وخاصة شعوبنا المناضلةفى العالم الثالث .

ومن هنا كان « للحوار » الذىاجرته« الطليعة » معها اهميته ، ونضارته .

وقد حضر « الحوار » ايضا السـيدسفير الحكومة الثورية المؤقتة لفيتنـام الجنوبية فى القاهرة وعددا من الملحقين الفيتناميين العاملين بالقاهرة .

واشترك فى الحوار من اسرة تحـريرالطليعـة الزملاء : ابو سيف يوسـف ، وحسين طلعت . وحسين شعلان ،وخيرىعزيز ، و د . رفعت السعيد ، وكمـال السيد ، ووديع امين ،ومحمد سيد احمد.

ــ الطليعة : يسـعدنا ويشرفنـا ان نستقبل هذه الشخصية ،الممتازة ،والمناضلة الرفيقة « نيوين تى بينه » بيننا لندير حوارا بناء نستطيع منه ان نتعرف على مـلامح الصورة فى جنوب فيتنام .

ونبدا مباشرة فنتساءل عن الموقفالعام فى فيتنام :

من الملاحظ ان الموقف يتطور بوضـوح فى فيتنام . وتكتنفه بعض مخاطر التدخل، وكذلك الامر فى كمبوديا . حيث بلغت حدة النزاع هناك مرحلة حاسمه . وفي ظلهذه التطورات يهمنا ان نتعرف على وجهـة نظركم فى الموقف العام فى الهند الصينية؟

□ الوزيرة : اعتقد ان الموقف يتطور فىفيتنام وكمبوديا ولاوس لصالح الثـوار . وربمـا كان الموقف فى كل منهما يختلف عن الاخرى . فهناك

ــ بالطبع ــ اختـلاف الى حد ما فى الظـروف الاجتماعية والسياسية ، الا ان الدول الثـلاث تشترك فى انها تخوض معـارك مسلحة ، وان الموقف يتطور لصالحها .

وسابدأ بالحديث عن فيتنام ثم كمبوديا واخيرا عن لاوس .

لاشك انكم على معرفة باتفاقيةباريس . لقـد كانت ولا تزال انتصارا عظيمـا وهاما للشـعب الفيتنامى ، بل يمكن القول انها انتصارا ذو طابع تاريخى . وهذا لا يعنى ان هذه الاتفاقيه تنحصر أهميتها بالنسبة لفيتنام فقط أو شعوب الهنـد الصينية ، وانما لها مغزاها الدولى ايضا . اننى اتحدث اليكم من وجهة النظر الوطنية . ويمكنان اقول : ان هذه الاتفاقية ترجمة لاستخدام القـوة من جانبنا استخداما صائبا ،لاننا استطعنا ارغام الولايات المتحدة على توقيعها . وان هذهالاتفاقية تعكس هدف جبهة التحرير الوطنيـة ، وحكومة

الثورة فى فيتنام الجنوبية . وقد نصت هـــذه الاتفاقية على حق شعب فيتنام فى الاستقلال ، والسيطرة على اراضيه ، وحقه فى الوحدة .كما نصت الاتفاقية ليس فقط على ان تسحب الولايات المتحدة قواتها ، وانما على ان تكف عن التدخل العسكرى ، أو اى تدخل فى الشئون الداخلية لفيتنام الجنوبية . كما نصت الاتفاقيـة على ان الحل السياسى لمشكلة فيتنـام الجنوبيـة يكون اساسه ومحتواه حق الشعب فى تقرير مصيره وضمان الحقوق الديمقراطية للشعب . ويبـدو واضحا ان الاتفاقية تعكس الهدف الذى حاربنا من اجله عشر سنوات . وان ما يحدث هـذه الايام هو تطور منطقى للموقف . وبالنسبة للولايات المتحدة يعتبر ما يحدث ــ الان ــ نتيجة سياستها الرامية الى عرقلة تنفيذ اتفاقية باريس . وان هذا يعتبر دليلا على سلامة سياستنا التى تهدف الى حماية الاتفاقية والدفاع عنها بكل السبل السياسية والعسكرية ، والدبلوماسية . وان مايحدث الان لاينفصل عن الماضى ، عن السنوات الاخيرة . وان ما يحدث هو هزيمة للولايات المتحدة ،نتيجة للسياسة التى تنتهجها .

ومن الناحية العسكرية ،فقد كان للعدو قوات تقدر بمليون ونصف مليون جندى . كان ذلك اثناء الحرب المحلية .. اما فى فترة فتنمة الحرب فقد سحب الأمريكيون جزءا من قواتهم ودعموا القوات العميلة . فهذه القوات لم تنقص بل على العكس زادت . وفى هذه الفترة عوضوا السحب البسيط لقواتهم بغارات جوية مكثفة . واود هنا ان اقول ان الامريكيين قد استخدموا قواتهم البرية والجوية ولكنهم لم يصلوا الى اهدافهم .

والان بعد انسحاب القوات الامريكية انكمشت ايضا ادوات الحرب لانه عندما انسحبت القوات الامريكية ، سحبت معها جزءا من المعدات العسكرية فانسحب معهم الفنيون والطيارون ، وقد حاولوا دعم نظام سايجون . ولكن كان من الواضح انه مهما كان الدعم فلن يعوض عن وجودهم . باختصار اختلف حجم ادوات الحرب وحجم العمليات ايضا . وبالطبع ادى هذا الى ان تكون محصلة العمليات العسكرية فى صالحنا .

وهنا يجب ان نضع ــ فى اعتبارنا ــ نقطة هامة هى الروح المعنوية للقوات . فانتم تعرفون ان قوات العملاء مجندة من فيتنام الجنوبية ،اى من الشعب هناك وان حكومة سايجون تجندهم بالقوة .. انهم الفلاحون والعمال وحتى الطلاب جندوا ــ كلهم ــ بالقوة .. فروح القتال منعدمة عندهم . ثم ان اتفاقية باريس اضعفت ايضا روحهم المعنوية . هذا بالاضافة الى انه ليس لهم مبرر شرعى للحرب . وهكذا نجد ان الوعى الوطنى تطور بعد عقد اتفاقية باريس .

وعندما قدمنا سياستنا الخاصة **بالمصالحة الوطنية** .. وهى سياسة هامة حاول الاستعمار الامريكى معارضة هذه السياسة باحداث الفرقة ليس فقط بالنسبة للشعب بتحريض فئة على اخرى واصحاب ديانة على اخرى ، بل لقد عمدوا الى التفرقة بين افراد الاسرة الواحدة ، لان هناك اسرا يعيش جزء منها فى المنطقة المحررة ،ويعيش الجزء الاخر فى الجهة الاخرى. بل اننا نجد ــ حتى ــ مقاتلين فى جيش العملاء الاخ منهم ضد اخيه . وهذه ليست حالات خاصة، ولكن هناك عددا كبيرا من الاسر راح ضحية هذه السياسة . ولذلك فقد عملنا ــ بعد ابرام اتفاقية باريس ــ ووجهنا اهتمامنا لروح **المصالحة الوطنية** ، متخذين من الاتفاقية اساسا لها .

ــ الطليعة : هل نستطيع ان ناخذ فكرة عن تكوين القوى الوطنية وعن وزنها الحالى ؟

□ **الوزيرة** : تهدف سياسة المصالحة الوطنية الى عزل العناصر المناهضة لتحرير الوطن ،وهذه السياسة تعبر عن مطلب الشعب وعن رغبته فى ان يستريح من معاناته ومن التمزق الذى شمل الاسرة ، حتى ان المشتركين فى جيش العملاء أخذوا يشعرون بالذنب .

اذن فنحن ــ من ناحية ــ نترجم رغبات الشعب، ومن ناحية اخرى ، نهدف الى عزل الرجعيين ومناهضى الوطنية الذين يخدمون العدو .والامر المؤكد هو ان سياسة المصالحة الوطنية لها اثرها، حتى ، بين جنود جيش العملاء انفسهم لذلك ليس من الغريب ان تجدوا ــ من الناحية العسكرية ان محصلة العمل العسكرى هى فى صالحنا . هذا من ناحية .

ومن الناحية الاخرى فاننا نمارس سياسة فعالة خاصة بالوحدة الوطنية . وانتم تعرفون انه كان لدينا جبهة وطنية عريضة اثناء المقاومة الاولى ضد الفرنسيين . والجبهة الوطنية التى تكونت فى عام ١٩٦٠ هى اكثر اتساعا . ومنذ تكوينها لم ندع سبيلا لتوسيع هذه الجبهة الا وسلكناه .

ــ الطليعة : ما هى القوى السياسية التى تضمها الجبهة . وما نوعيتها ؟

□ **الوزيرة** : من الناحية السياسية ،يمكننا ان نقول ان جبهة التحرير الوطنية تضم غالبية الشعب : الفلاحين قبل اى فئة اخرى ، كما تضم عمال المدن ايضا . وتضم البرجوازية الصغيرة بل وطبقة البرجوازية الوطنية والطلاب. ولقد حاول الامريكيون باساليب الاستعمار

الجديد ؟ إن يخلقوا طبقة جديدة من البرجوازية: من العسكريين ورجال المال ومديرى البنوك والوسطاء والعسكريين .

ـ الطليعة : اى من العناصر المتعاونة مع العدو والمكشوفة ..

☐ **الوزيرة :** بالضبط .. لقد استخدموا سياسة الاستعمار الجديد منذ فتره طويله .منذ عشرين سنة ، تقريبا . لذلك لم يعد يثق الشعب فى هذه العناصر .

ـ الطليعة : واصبحت هذه العناصر تمثل ـ بعد ان بلغت حجما معينا ـ مشكلة فى عملية البناء الوطنى ؟

☐ **الوزيرة :** نعم .. ومن الناحية السياسية إستخدموا وسائل بارعة فقد استخدموا الشعارات الوطنية ليحاربوا الشيوعيين . فى البداية استخدموا هذا الاسلوب .. اذا كنتم تتذكرون ايام نجو دينه دييم فقد كان هذا الخائن يتظاهر بالوطنية ، فى حين كان فى الواقع يقاوم الوطنيين الحقيقيين . وهذه وسيلة قديمة .. لكن هذه السياسة غير ناجحة عندنا ، لان لنا خبرة طويلة معهم . لذلك يستخدم الامريكيون وسائل سافرة وطائشة فقد استخدموا سياسة التهدئة مبكرا .

ـ الطليعة : سياسة التهدئة باى معنى؟

☐ **الوزيرة :** هى ببساطة قهر الشعب ، ورسم سياسة قمع للسيطره عليه . وقد استخدموا هذه السياسة ـ منذ ١٥ عاما ـ ولجأوا فى ذلك الى كل الوسائل الخادعة .

ولهذا استطاعوا افساد عدد من المواطنين ، وارهاب عدد آخر . كما انهم يستخدمون الوسائل الاقتصادية ايضا للسيطره على فريق ثالث . وبكل هذه الوسائل ـ مجتمعة ـ استطاعوا ان يسيطروا على جزء من الشعب .

ـ الطليعة : بفضل اتفاقية باريس اتسعت الحركة الثورية ، واصبح من الصعب على الولايات المتحدة الامريكية العودة الى التدخل العسكرى كما حدث من قبل . ويرجع ذلك الى ظروف الولايات المتحدة . لكن ... هل هناك ـ مع ذلك ـ احتمال للتدخل الامريكى بطريقة أو باخرى؟

☐ **الوزيرة :** لقد استخدم الامريكيون كل الوسائل لهزيمتنا ، وهم متمسكون بسياستهم. لكن ما الذى يمكنهم ان يفعلوه الان ونحن فى غاية اليقظة ؟ يجب ان يعيدوا حساباتهم طبقا للظروف الحالية وان يضعوا فى اعتبارهم الخبرة التى اكتسبناها .. فقد استخدموا كل الوسائل العسكرية سواء كانت برية او جوية . ومرة اخرى ما الذى يمكن ان يفعلوه ؟ لا شك انهم يفكرون فى وسيلة ما ، ولكن هل سينجحون ؟ ان التدخل بالاسلوب السابق امر صعب جدا. ولكننا لا نستبعد ذلك ! نحن نقول دائما : ان الاستعمار عنيد ويمكن ان يفعل ذلك . ولكننا واثقون من فشله ، لان علاقات القوى فى صالحنا ، فى فيتنام وكمبوديا ولاوس . وطبقا لتحليلنا فان ذلك ليس بحالة خاصة ، ولكنه جزء من الموقف العام .. العالمى . فموقف الاستعمار الامريكى يزداد صعوبة فى العالم ، انه يضعف. ليس من الناحية العسكرية فحسب ، بل وايضا من الناحية السياسية وحتى الاقتصادية . بالطبع لاتزال توجد فى بعض المناطق .. وفى بعض البلاد صعوبات تواجه الحركات التقدمية ، ولكن هذه الحركات التقدمية تسير ـ بوجه عام ـ قدما فى طريقها .

ـ الطليعة : هل معنى ذلك اننا لسنا بعيدين عن تحرير قريب ونهائى لفيتنام الجنوبية ؟

☐ **الوزيرة :** لا نستطيع ان نقول ان التحرير النهائى قريب ،لاننا نواجه ـ عمليا ـ اكبر دولة استعمارية .. اكبر قوة استعمارية ، ولها خبرتها فى التعامل مع الشعوب . وقضية فيتنام لها طابع دولى .. هى ليست قضية محلية فقط . لذلك نحن نعد انفسنا لحرب شاقة وطويلة .. ولكننا متاكدون من اننا نسير فى الطريق السليم.

ـ الطليعة : تكلمت الرفيقة عن علاقات القوى فى المنطقة ، فهل تدخل فى اعتبارها علاقات القوى فى ظل الانفراج الدولى ؟

☐ **الوزيرة :** فى تصورنا ، اذا كان الانفراج فى منطقة ما من العالم وفى فترة زمنية ما فان ذلك يرجع الى نضال الشعوب ، فهو الذى اجبر الاستعمار على التراجع . وفى تصورنا ان الاستعمار يستخدم ايضا الانفراج ليكسب وقتا.

الطليعة : الرفيقة الوزيرة تكلمت عن التركيب الطبقى للجبهة . والسؤال هو : ما هو التركيب السياسى والتنظيمى للجبهة . بمعنى ما هى المنظمات والهيئات السياسية ... القوى السياسية المختلفة التى تعمل داخل الجبهة ؟

السؤال الاخر هو انه مع الانتصار الساحق الذى يتحقق الان لاشك ان هناك

قوى تعيد حساباتها حتى من قوى اليمين. ما هو تأثير البرنامج المعلن للجبهــه على احتمالات انضمام اجزاء من هــذا اليمين الوطني او المعادى للتدخل الامريكي لصفوف الجبهة ؟ وهل هنــاك احتمــالات لاعلان برنامج جديد للخــلاص الوطني يمــكن ان يجمع كل القوى على اختلاف اتجاهاتهــا الاجتماعيــة التي ترغب في التخلص مــن عملاء الامبريالية وتنفيذ اتفاقية باريس ؟

□ **الوزيرة** : اوضحت من قبل ، ان الجبهــة تضم غالبية الشعب وفى مقدمته الفلاحون ، اى الطبقات العاملة : عندنا ثلاثون تنظيما داخــل الجبهة الوطنية ، تنظيمــات شعبية .. وثلاثة احزاب سياسية كبيرةهى : **الحزب الديمقراطى، والحزب الثورى الشعبى ، والحزب الاشتراكى الراديكالى** .

وفيما يتعلق بالتكوين الاجتماعى لهذه الاحزاب فان الحزب الثورى الشعبى يضم الطبقـــات الشعبية . والحزب الاشتراكى الراديكالى يضم المفكرين من ذوى الاتجاهات الاشتراكية ،الا ان القضايا الوطنية هى الغالبة فى حــديثهم ، اى ويتحدثون اقــل عن الاشتراكية . امــا الحــزب الديمقراطى فيضم البرجوازية الوطنية وقد تكون هذا الحزب فى عام ٤٦ منذ عهد المقاومة الاولى واتجاههم ايضا وطنى وديمقراطى .

ــ الطليعة : لماذا ٣٠ تنظيما .. ولماذا هذا التعدد .. ؟

□ **الوزيرة** : هناك تنظيمات شعبية . تنظيمات للشباب والمراة .. الخ يضاف الى ذلك الطوائف الدينية ، فهناك تنظيم البوذيين وتنظيم الكاثوليك الوطنيين ، وطوائف دينية اخرى .. وحتى عندنا تنظيمات اقليمية .. ونحن قليلا ما نتحدث عــن الاحزاب فى الخارج .. انما نتحدث فقط عــن **الجبهة الوطنية** اذ ليس للاحزاب علاقات خارجية فالعلاقات الخارجية مقصورة على **الجبهة الوطنية** .

ــ الطليعة : هذا يعنى ان احترام هذا التعدد فى التنظيمات هو الوســيلة المثلى لتحقيق الوحدة ؟

□ **الوزيرة** : نعم .. سألت الان عن برنامجنا . كان للجبهة منذ عام ٦٠ برنامج كبير ومحدد بدقة وفى عام ١٩٦٧ كان البرنامج اكثر شمولا ، وتناول كل القضايا ،واصبح محور العمل لكل الاحزاب . اما الان فان **اتفاقية باريس** هى قاعدة ومحــور وحدتنا الوطنية ، وهى اكثر اتساعا .
وفيما يختص بالمطالب المباشرة فقد تم **اعلان ٨ اكتوبر** برنامجا من ١٢ نقطة . تطالب النقطة الاولى فيه بان توقف امريكا تدخلها العسكرى ، وخاصة الدعم العسكرى **لسايجون** ؟ وان تكف عن التدخل فى الشئون الداخلية لفيتنام . وتطالب النقطة الثانية بابعاد **ثيو ورفاقه** ــ وهم العقبة امام تنفيذ اتفاقية باريس ــ وان تحــل محلهم حكومة سلام لتنفيذ الاتفاقية . وهذه هى النقاط الملحة فى البرنامج ... وكما ترون فان لنا برنامجا كبيرا .

ــ الطليعة : بعد تنفيذ اتفاق باريس ، سواء بالقوة او بوسائل سلمية ، فانه من المتوقع ان الخطــر الخــارجى سيتراجع نسبيا ، وستزيد فرص التمايز الاجتماعى بين قوى الجبهة . وهـــذا ربما اعطى الاستعمار الجديد فرصا اكثر تمكنه مــن تقسيم صفوف القوى المعارضة للامبريالية . هل فى ذهن قيادة الجبهة هذا الخطر ، وما هى الاجراءات التى اتخذتها ؟ بالطبــع ان هذا الخطر ربما لا يكون عاجلا ، وانما هو وارد ... ربما على المدى الطويل ؟

□ **الوزيرة** : نحن ننادى بنظــام ديمقــراطى تقدمى فى فيتنام الجنوبية ، هــذا فى حين ان النظام فى فيتنام الشمالية اشتراكى . وهــذا يعنى اننا نضع ــ فى اعتبارنا ــ الخــلاف بين الاتجاهات المتعددة فى فيتنام الجنوبية والناجمة عن الاستعمار الجديد ، وهو الامر الذى اخــر تحسن الموقف فى الجنوب .

ولسوف تظهر خلافات بيننا بمجــرد استتباب السلام . لكننا نأمــل الا تدوم طــويلا . ولذلك سوف يستمر النظام الديمقراطى التقدمى بعض الوقت . وسوف يكون فى داخل هــذا النظــام اتجاهات سياسية مختلفة ،ولكن يجب ــ بالطبع ــ ان نتحد على الاهداف الكبرى .

ــ الطليعة : ما هى احتمالات الوحدة مع الشمال فى تصورك ؟

□ **الوزيرة** : ان حجم قضية تحــرير فيتنــام الجنوبية ، كبير بدرجة لا تســمح بدراســـة مسألة الوحدة . الا ان ذلك سوف يتم سلميا . ونعتقد اننا سوف نصل الى هذا ، لان الرغبــة فى توحيد فيتنام هى شــعور عميــق فى نفس الشعب الفيتنامى سواء فى الجنــوب او فى الشــمال ، وهى كذلك حتى لدى العناصر غير التقدمية . لكننــا لم ندرس هـــذا الموضوع بالتفصيل ، لان قضية التحرير تتطلب حشد كل قوانا .

ــ الطليعة : اذا تصورنا ان الوضــع فى فيتنام سينتهى الى انتصــار حاسم ، ولكن غير مكتمل . يعنى قد تصل الامبريالية

الامريكية الى مرحلة لا تتدخل فيها ؟ ولكن تعمل على منع انهيار النظام العميل او نظام شبيه. فهل يمكن - مثلا - انتصور الوضع فى فيتنام الجنوبية سيتحول الى فيتنامين ؟ وفى هذه الحالة ما هى العلاقة التى يمكن ان تتواجد بين النظام الثورى الذى سيصبح دولة حقيقية [سواء من ناحية عدد السكان ومن ناحية مساحة الارض التى يحتلها] وبين فيتنام الديمقراطية وبين النظام العميل .

□ **الوزيرة** : عند توقيع اتفاقية باريس وضعت الولايات المتحدة فى اعتبارها استخدام وسائل جديدة لتحقيق سياستها ، اى باقامة حكومة موالية لها فى فيتنام الجنوبية. وهى - الان - تنفذ سياستها هذه . ولكن ما هى الوسائل التى استخدمتها لتنفيذ سياستها :

اولا - هناك زيادة الدعم العسكرى **لثيو** لاستخدامه كأداة لعرقلة تنفيذ اتفاقية باريس ، ولاضعافنا واحتوائنا .

اما **الوسيلة الاخرى** فهى ان تكون لهم قوة ضاربة ، من حولنا . لقد انسحبوا. نعم . ولكنهم موجودون - ليس فقط عن طريق عملائهم فى سايجون ، او عن طريق مستشاريهم العسكريين هناك ، ولكنهم متواجدون - بكيفية فعلية - بقوة ضاربة يطلقون عليها **قوة الردع**. انهم يحتفظون بقواتهم فى تايلاند وذلك بغض النظر عما اعلنت عنه حكومة تايلاند .. ويتواجدون كذلك فى الفلبين . معنى ذلك ان القوات التى انسحبت من فيتنام ماتزال متواجدة، ربما يكون قد عاد جزء منها الى الولايات المتحدة، لكن الجزء الاخر ذهب الى الفلبين . وهناك ايضا الطائرات التى انسحبت من جنوب فيتنام . ثم اننا نرى - ايضا - الاسطول السابع يتنزه فى المياه الاقليمية لفيتنام ايضا .

والنقطة الثالثة هى سياسة التقسيم ، انهم يريدون التفريق بين ثورة فيتنام وبين الثورة فى كمبوديا . كما انهم يريدون عزلنا عن الحركات التقدمية والاشتراكية ، او على الاقل الحد من مساعدتهم لنا. . هذه - كما اعتقد - هى الوسائل الثلاث الاساسية التى تستخدمها الولايات المتحدة فى سياستها الجديدة .

- الطليعة : لكن الفشل يحالفها كثيرا فالثورة فى كمبوديا تسير قدما فى طريقها، وسياسة التفريق بين الثورات لا تسير كما كانوا يريدون ، كما ان تواجدهم ليس سهلا لان له مشاكله . وبوجه عام هناك تطور فى الموقف ، ليس لصالحهم . لكن الامر - مع ذلك - يدعو الى اليقظة ، لانهم ربما يستخدمون تكتيك او يقومون بمحاولة اخرى ، او الاثنين معا .

□ **الوزيرة** : هذا صحيح ، ولكنهم لم يكفوا بعد عن محاولاتهم ، فانهم يواصلون سياستهم رغم فشلهم . وسياسة التفريق لا تتبع فقط عندنا، بل فى كل منطقة من مناطق العالم .

- الطليعة : لكنما الذى يمكنهم من اثارة الانقسامات بين الثورات فى فيتنام وكمبوديا ولاوس ؟ نحن نعلم - بالطبع - انها دول مختلفة لكن هذا لا يكفى لتفسير قدرتهم على احداث الفرقة ، خاصه مع النهوض العظيم للحركة الثورية ، وكما هى ظاهرة الان .. فى الوقت الحالى ، ومع ما تحققه من انتصارات ؟

□ **الوزيرة** : اذا اصروا على الاستمرار فى اتباع هذه السياسة ، فلديهم المبرر لذلك .. لانه تظل هناك تناقضات .

- الطليعة : ماهى هذه التناقضات وماهى نوعيتها ؟

□ **الوزيرة** : هناك تناقضات فى كل الدول .. تناقضات داخلية ، حتى فى الدول المتجاورة وفيما بينها ايضا . وانتم تعرفون انه فى داخل الحركات التقدمية العالمية توجد تناقضات ايضا. والاستعمار يستغل هذه التناقضات ، ونحن نعرف انه يبنى سياسته عليها ؛ونحن لا ندع سبيلا لافشالها الا وسلكناه .

- الطليعة : هل ترجع هذه التناقضات لاسباب تاريخية بين شعوب المنطقة أو هو التفاوت بينهم ؟ .. ربما يبدو انه لا تفاوت يذكر بينهم لان تاريخهم متقارب ، وهم قد عانوا من نفس الاستعمار تقريبا . بالطبع ... ربما كانت رؤيتنا لهذه القضية غير واضحة ؟

□ **الوزيرة** : هناك فوارق يستغلها الاستعمار، انه يبذر بذور الفرقة بيننا ولكنه لم ينجح . نحن يقظون جدا لسياسته ؛ولذلك لم ينجح فى التفريق بيننا سواء فى الهند الصينية او مع الدول الاشتراكية ..

اعود الى السؤال الذى طرحته .. هل من الممكن ان تصبح فيتنام ثلاث دول ؟ نحن نعانى من كونها دولتان ، ولا اعتقد ان هناك من يرغب فى ان تكون ثلاث دول وهذا هو السبب الاول. اما السبب الثانى فهو ان فيتنام الجنوبية ؛لايمكن ان تعرف الاستقرار بوضعها الحالى . ويجب ان

تصل الى نقطة معينة من الاستقرار ..كما انه لا يمكن الحفاظ على كيانين فى مثل هذه الظروف. لابد وان نصل الى شيء .
لقد تحدثت عن احتمال عدم تدخل الولايات المتحدة . لكن الواقع انهم يتدخلون .

ـ الطليعة : نحن لا نقصد عدم تدخل الولايات المتحدة ، وانما نقصد عدم تدخلها عسكريا مباشرا .. اى بطريقة غير مباشرة ...

□ **الوزيرة** ، اذا كان نظام ثيو سيظل قائما ، فلن يكون هناك استقرار . ولن يكون هناك سوى سبيلين : اما تطبيق اتفاقية باريس واما استمرار الحرب .

ـ الطليعة : الرفيقة الوزيرة ذكرت ان هناك ثلاثة احزاب رئيسية ، الحزب الديمقراطي ويمثل البرجوازية الوطنية ، والحزب الشعبى الثورى وهو حزب ماركسى ، والحزب الاشتراكى الراديكالى وهو متأثر بآراء اشتراكية ووطنية . وفى نفس الوقت ، وضح لنا ان المحور الاساسى الاجتماعى للحركة الثوريه هو طبقة الفلاحين . فالسؤال المطروح هو :
اولا : هل ينظر الى الفلاحين كطبقة متجانسة ام هناك تفاوت اجتماعى بينهم ناتج عن ملكيات متفاوتة ؟
وثانيا : كيف استطاعوا التوفيق بين التناقضات الطبقية والاجتماعية ، فى هذا الموقف .

□ **الوزيرة** : ابان المقاومة الاولى ضد الفرنسيين ــ التى دامت كما تعرفون تسع سنوات ــ وفى فترة الاصلاح الزراعى وزعنا الارض على الفلاحين . فى هذا الوقت ، كان هناك ملاك للارض وطنيون يشاركون فى المقاومة الوطنية ، هؤلاء لم نأخذ ارضهم . ولكن اخذنا ارض العملاء ووزعناها .
واثناء المقاومة الثانية كانت الحرب شرسة فى الريف ، هنا وجدنا ان الامريكيين لم يطبقوا اساليب الاستعمار الجديد فحسب ، بل كانت لهم سياسة خاصة بالاصلاح الزراعى ايضا ... وتتمثل فى استيلائهم على الارض من الجميع وتمليكها لعملائهم .. وعلى هذا الاساس اصبح حتى الملاك الوطنيون السابقون ضحايا . هذه الارض وزعت على عملاء الامريكيين .. وكانوا يريدون بذلك ان يكونوا منهم طبقات من ملاك الارض موالين لهم . وفى اغلب الاحيان كان ملاك الارض من العسكريين .
معنى ذلك ان الثورة اعطتهم الارض ، واخذها منهم الامريكيون وعملاؤهم . وبتحريرنا للارض اعدناها اليهم .. لذلك نجدهم مرتبطين اوثق ارتباط بالمقاومة .. ولهذا السبب ــ ايضا ــ تعتمد قواتنا عليهم .. وفيما يختص بالفوارق الطبقية فلا توجد بين الفلاحين مشاكل تذكر ، لانه يوجد امامنا عدو شرس يمثل خطرا عظيما عليهم قبل غيرهم .. ان كثيرا من الملاك السابقين اصبحوا فلاحين ، وبعضهم ترك الريف واتجه الى المدن .

ـ الطليعة : ما هى التغييرات المتوقعة فى آسيا وخاصة فى فيتنام فى حالة انهيار نظام لون نول فى كمبوديا وهذا امر متوقع؟

□ **الوزيرة** : اعتقد ان الجميع فى جنوب شرق آسيا يشعرون بتاثير كفاح شعبى فيتنام وكمبوديا ، ليس فقط فى جنوب آسيا ، بل فى العالم كله .. لقد حدث تغيير فى تايلاند ــ ليس جذريا ــ ولكنه على اى حال تغيير ، وفى دول اخرى فى جنوب شرق آسيا مثل سنغافورة وحتى فى ماليزيا والفليبين .. التغيير بسيط ، ولكن هناك اتجاه للسلام والحياد والاستقلال والابتعاد قليلا عن الاستعمار الامريكى .. اننا نلحظ ذلك الان . وبالطبع اذا كان النصر ساحقا ونهائيا فسوف يكون لذلك تأثيره على القوى التقدمية فى هذه الدول فانها ستزداد قوة على قوة خاصة تلك القوى التى تطالب بالسلام والاستقلال الوطنى .. واعتقد ان حرب فيتنام كانت ذات اثر عميق من حيث انها ساهمت فى جلب المتاعب للامريكيين عسكريا وسياسيا .. واعتقد اقتصاديا ايضا ..

ـ الطليعة : فى نهاية هذا اللقاء الهام والبناء نحب ان نؤكد ان كفاح شعب فيتنام كان باستمرار مصدر الهام لجميع قوى التحرر الوطنى فى العالم . والشيء المؤكد ان امثلة هذا الكفاح قد استقرت فى وجدان جميع الشعوب بما فى ذلك شعبنا المصرى ، لذلك شعرنا نحن اعضاء اسرة الطليعة بفخر عندما جاءت هذه الفرصة النادرة لنستمع الى الرفيقة الفاضلة وزيرة خارجية فيتنام وهى تحدثنا عن الاوضاع فى فيتنام . وهو الامر الذى زاد من وضوح الموقف فى اذهاننا . فباسم زملائى اعضاء اسرة التحرير ، وباسم زميلنا رئيس التحرير لطفى الخولى الذى منعه المرض من الحضور نكرر الترحيب بالرفيقة فى بلدنا وفى مجلتنا ونتمنى لشعب فيتنام الشقيق مزيدا من الانتصارات والنجاحات.

□ **الوزيرة** : اولا انا اشكر الزميل **ابو سيف يوسف** وجميع الزملاء على اتاحتهم الفرصة لى لزيارة الطليعة والحديث معهم اليوم ■

وفى الحقيقة فان شعبنا وجيشنا فى الجنوب يحققون — فى هذه الايام — انتصارات عظيمة، وهذا دليل على السياسة السليمة التي تنتهجها الحكومة الثورية لجمهورية فيتنام الجنوبية . وهذه السياسة تدل على اننا مصممون على تنفيذ **اتفاقية باريس** التى تعتبر انتصارا عظيما للشعب الفيتنامى . ونحن نخوض كفاحا سياسيا طبقا لهذه الاتفاقية .

ومن ناحية اخرى ، نحن نخوض كفاحا مسلحا — لان عدونا — اى حكومة سايجون — تقوم بالهجوم العسكرى على المناطق المحررة . كما اننا نخوض كفاحا دبلوماسيا للضغط على امريكا من اجل تنفيذ الاتفاقية الخاصة بفيتنام . ولسوف نواصل كفاحنا السياسى والعسكرى والدبلوماسى ، لان امريكا لا تحب الفشل ، ولسوف تحاول بكل وسيلة لتبقى فى جنوب فيتنام . ولذلك اقول انه ربما تستمر الحرب فى جنوب فيتنام .

ونعتقد انه تحت ضغط الكفاح القوى لشعب فيتنام ضد الرجعية والامبريالية الامريكية ، وتحت ضغط الرأى العام العالمى ستقوم أمريكا بتنفيذ الاتفاقية . ان امريكا لا تزال تؤيد حكومة سايجون ، فى حين ان الشعب الفيتنامى كله فى الجنوب يطالب باسقاط هذه الحكومة . وهذا يعنى ، ان امريكا ليست جادة فى تنفيذ اتفاقية باريس .

ونحن نعتقد ان امريكا لا توافق مطلقا — باختيارها — على تنفيذ هذه الاتفاقية . ولهذا اقول ان الكفاح سيستمر طويلا ، ولكننا سوف نحقق انتصارا نهائيا . ولهذا — ايضا — ارجو من اصدقائى الحاضرين هنا ان يساعدونا بمساندتهم الصحفية ، وان يؤيدوننا باعطاء فكرة للشعب المصرى وشعوب العالم عن كفاح شعب فيتنام .

ونحن نعرف تماما ان اخبار كفاح شعب فيتنام فى الايام الاخيرة تظهر على صفحات الجرائد المصرية كل يوم .

وان الشعب الفيتنامى مع استمراره فى كفاحه يتابع كفاح شعب مصر البطل ، وعدونا الامبريالى مشترك . لذلك فان شعب فيتنام يؤيد الشعب المصرى فى كفاحه بكل ما يستطيع من جهد .

○ الانهيار الكبير

د. رفعت السعيد

ثمة طابوران يتراجعان ، وليس طابورا واحدا كما يتصور البعض .. آلاف من الاميال تفصل بين الجموع الهائمة على وجهها فى الطابورين ، لكن رباطا واحدا يشد بينهما ..

والطابور المسلطة عليه الاضواء — الان — هو هذه الالوف من جنود حكومة سايجون الذين يتراجعون هلعا وبغير نظام ، ويجبرون مئات الالوف من المدنيين على التراجع معهم وخلفهم ليحتموا بهم وليسهموا فى نشر الفوضى وعرقلة تقدم قوات الثوار . وتصف « **لومانتيه** » [الفرنسية] طابور التراجع فى فيتنام قائلة « يتأكد انحدار نظام حكم سايجون يوما بعد يوم .. بيد ان قوات **ثيو** تواصل — وسط حالة الهلع التى انتابتهم — دفع مئات الالاف من المدنيين عمدا الى طريق الهرب ، وتعد هذه مجرد محاولة اجرامية لحماية انسحاب عسكرى بخلطه مع طوفان بشرى من اللاجئين » . [لومانتيه — ٢٩ — ٣ — ١٩٧٥]

والنتيجة طابوران ، مئات الالوف من البشر ، يجوبون الطرقات من مدينة الى أخرى وسط معارك عسكرية ضارية ..

واذا كانت الاضواء تتركز على هذا الطابور ، محاولة اخفاء الانهيار المأساوى لنظام عميل بدعايات « انسانية » ، بينما الجميع يعلمون ان صناع هذا الطابور هم الذين يتباكون على اصحابه .. أقول : اذا كانت الاضواء تركز عن عمد على هذا الطابور ، فانها تبتعد — عن عمد — عن طابور آخر .. أزعم أنه رغم اختلاف الظروف والمكان ، ورغم آلاف الاميال التى تبعد به عن فيتنام ، مماثل لطابور المتراجعين هلعا فى فيتنام ، بل لعله صانعه ، والمتسبب الحقيقى فى كل المأساة

الفيتنامية ، غير أن الحرب الفيتنامية هي أيضا أحد الاسباب في الازمة الاقتصادية الامريكية .

ولنلق نظرة سريعة على الطابور الثاني :

المكان : طرقات الولايات المتحدة الامريكية .

اصحاب الطابور : مئات الالوف من المتعطلين .

الوصف : تقدمه لنا المجلة الامريكية **نيوز آند ورلد ريبورت** في عددها الصادر في ٢٤ ـ ٣ ـ ١٩٧٥ .

تقول المجلة الامريكية « في اعداد لم تشهدها امريكا منذ الكساد العظيم في عام ١٩٣٠ ، بدأ مئات الالوف من الامريكيين المتعطلين ، ومعهم عائلاتهم ينطلقون عبر الطرق الرئيسية في سعى يائس بحثا عن عمل » .

انها ظاهرة على مستوى الامة الامريكية كلها تزداد تفاقما كلما ازدادت حدة الانكماش ، وتكشف عن قصص لا حصر لها من المعاناة التى تثير مشاكل جمة للجماهير وللمؤسسات الخاصة .

وتمضى المجلة الأمريكية قائلة : « غير أن المهاجرين الجدد ليسوا مثل مهاجرى عام ١٩٣٠ . ذلك انهم لا يعرفون الى أين المصير . انهم يهجرون المناطق التى تتفاقم فيها البطالة ، ويتحركون في يأس الى حيث تقودهم غريزتهم بحثا عن فرصة جديدة للعمل . وفى نفس الوقت هناك آخرون يعودون من جديد الى ارضهم التى هجروها منذ سنوات بعد أن اضناهم البحث عن عمل فلم يجدوا ، وقد صرح أحد المسئولين الامريكيين بقوله : انها حركة شاملة لشعب مذعور يبحث عن عمل ، وتضم حركة الهجرة اناسا من متوسطى الدخل وغيرهم من الفقراء شبابا وشيوخا ، عائلات وافرادا ، سودا وبيضا ، وبينما هم ينطلقون فى حركة تشبه الهجرة الجماعية ، يشيع الاضطراب فى كل مكان » .

والحقيقة ان الرقم الذى يتداوله المسئولون الامريكيون لعدد الهائمين على وجوههم فوق طرقات الولايات المتحدة كبير ، والرقم الرسمى المعلن هو ١٫٣٠٠٫٠٠٠ شخص تقدموا بطلبات لعدد من الجمعيات لينالوا مساعدات مادية خلال فترات الترحال الرهيب . وهذا الرقم ليس سوى مجرد وليد لرقم آخر اشد هولا هو عدد المتعطلين فى الولايات المتحدة « والذين يصل عددهم الى ثمانية ملايين متعطل ، وهذه نسبة لم تصل اليها امريكا منذ الثلاثينات فى عصر الكساد الكبير » [نيوز آندورلد ريبورت ـ المرجع السابق] .

ويتحرك الطابوران ، ربما على محورين مختلفين ، وآلاف من الاميال تفصل بين هذه الجموع البشرية الهائمة على وجهها ، لكن المحرك واحد .. انه « الكساد الكبير » أو بالدقة الازمة الاقتصادية للعالم الرأسمالى والتى تتبلور في صورة جلية فى الولايات المتحدة الامريكية .

ولعل فى هذا الطابور الثانى .. ليس مجرد الاجابة على حقيقة مصدر المشكلة الفيتنامية ككل ، ولكن ايضا الاجابة على السؤال الكبير الذى يحير الكثيرين « لماذا لم تتدخل الولايات المتحدة الامريكية لانقاذ عملائها ؟

انه يعطى صورة عميقة للعجز الاقتصادى المتزايد ، والذى يخلق بالضرورة عجزا سياسيا .

ان الولايات المتحدة تقف الان فى حالة شلل اقتصادى وسياسى ودبلوماسى واعلامى كامل ، تجاه ازمة الشرق الاقصى ، وهذا العجز المركب هو ظاهرة تستحق التأمل لانها تقدم لنا نموذجا مصغرا ، وربما أيضا « بروفة » للانهيار الحتمى الكبير الذى ينتظر العالم الرأسمالى ككل .

ان الكلمات الكبيرة ، مثل آلة الردع الامريكيه ، الضمانات الامريكية ، التكنولوجيا الامريكية ، هيمنة الاقتصاد الامريكى ، الحسابات الالكترونية الدقيقة للقضايا السياسية .. الخ كل هذه الكلمات وغيرها تتهاوى الان ، وبسرعة تحت مطارق الثوار الفيتناميين والكمبوديين فى جنوب شرقى آسيا .

وباختصار فان الطابورين الهائمين على وجههما فيما بين الطرق الامريكية تارة ، وبين الطرق الفيتنامية تارة اخرى ، هما تجسيد ونتيجة للصراع التاريخى بين نظامين ، قد يبدو أحدهما متألقا وزاهيا وعملاقا لبعض الوقت لكنه أجوف فى أعماقه وعاجز عن الصمود أمام أية منافسة سلميه أو مسلحة من النظام الاخر ..

ومع هذا التدهور الكبير يجهد الكثيرون أنفسهم لتحليل هذه الظاهرة ، والبحث عن أسبابها ، ويحاول البعض أن يعود خمس سنوات الى الوراء أى الى ابريل ١٩٧٠ عندما تدخلت أمريكا فى كمبوديا بتدبير انقلاب عميل ضد حكومة الامير **نورودوم سيهانوك** ، ومع الانهيار تكشف أوراق كثيرة ، ويدخل لعبة كشف الاوراق **وليام سافير** مستشار الرئيس الامريكى السابق **نيكسون** ، فينشر مذكراته تحت عنوان « قبل السقوط » ويتحدث عن عملية تدبير انقلاب كمبوديا فيقول أن المسئول الاساسى عن تدبير وتخطيط وتنفيذ هذا الانقلاب هو **هنرى كيسنجر** والذى كان فى ذلك الحين مستشار الرئيس لشئون الامن القومى . وقد كان الثوار الفيتناميون يستخدمون الاراضى الكمبودية ممرا لذخائرهم وعتادهم وحكومة **الامير سيهانوك** التى كانت معتدلة وليس من الممكن وصفها بالتقدمية أو الثورية ، لم تكن قادرة أو راغبة فى اغلاق هذا الممر إغلاقا كاملا ..

وبعد صراع ضار ـ كما يقول **سافير** نجح **كيسنجر** وبفضل اتباع سياسة « الكوك » بين البيت الابيض ومقر البنتاجون ومقر المخابرات المركزية ،

نجح فى اقناع القوى الامريكية الفاعلة بالتدخل فى كمبوديا ، وكانت حجته الاساسية أن « العملية خاطفة » وأن الهدف منها هو « الضغط على السوفييت لارغامهم على الدخول فى مفاوضات حول المشكلة الفيتنامية » .

ويؤكد **سافير** فى مذكراته ، أن **كيسنجر** هو الذى قاد السياسة الامريكية نحو هذا المأزق الخطير ، فهو الذى دفع **سيهانوك** الى الالتقاء مع القوى الثورية الكمبودية التى وقفت الى جواره وساندته رغم خلافاتها السابقة معه . والغريب فى الامر أن الحكم « المعتدل » الذى كان يمنح ثوار فيتنام ممرا أو بالدقة يتغاضى عن مرورهم قد استبدل بحكم « عميل » عجز تماما عن الامساك بزمام الامور ، وتحولت مساحات شاسعة من الحدود الكمبودية - الفيتنامية الى جبهات مشتركة . وليس مجرد ممرات .

ولعل أطرف تصوير درامى لمأساة الخطأ الكيسنجرى تجاه مشكلة كمبوديا هو ما كتبه **كلود جوليان** فى افتتاحية « لوموند دبيلوماتيك » [الفرنسية] ، « قد يدخل **كيسنجر** التاريخ على أنه الرجل الذى علم الكمبوديين الشيوعية » .

وهكذا يأتى الفشل مضاعفا ، فمن حيث أراد كيسنجر انقلابا فى كمبوديا ليمنع انتصار الشيوعية فى فيتنام الجنوبية ، فاذا به يضع كمبوديا وفيتنام الجنوبية معا فى متناول يد الحركة الثورية فى البلدين والتى يلعب فيها الشيوعيون دورا رئيسيا .

ويبحث البعض عن سبب آخر لهذا الانهيار الكبير .. ومع اختلاف الخطأ يبقى المخطىء واحدا .. وهو **كيسنجر** أيضا ، وفى نظر هؤلاء - وهم رجال الحزب الديمقراطى المعارض والمستعد للوثوب عقب الانتخابات الى مقعد الرئاسة - فان الخطأ يبدأ باتفاقيات باريس .

ويبنى الديمقراطيون تحليلهم على اساس نظرية مضادة تماما لنظرية **كيسنجر** فى الحل خطوة .. خطوة اوقطعة .. قطعة، فهم يقولون - وهم محقون فى هذا - أن خطوة .. خطوة دون تصور استراتيجى عام يهدد الهدف البعيد ويقود نحوه ، يتحول الى تخبط تكتيكى يعقد الامور ولا يفيدها ، لكنهم واذا كانوا على حق فى رفضهم سياسة خطوة .. خطوة ، ويحاولون التبشير بسياسة التشدد ، ويرفضون اتجاهات الجمهوريين لتخفيف حدة التوتر الدولى ..

ومن هنا يأتى رد « الجمهوريين » ومحاولات تفسيرهم للانهيار باتهام الاغلبية « الديمقراطية » بأنها السبب فى هذه الكارثة بمنعها المساعدات عن الانظمة العميلة . ويعترف « الجمهوريون » بخطأ **كيسنجر** ، وافتقاره للخيال الاستراتيجى العام ، وانبهاره بنجاحات تكتيكية - اكثرها ذا طابع شخصى - لكنهم يعودون للتساؤل عن الاسباب التى حدت بالاغلبية « الديمقراطية » فى الكونجرس للاعتراض على كل طلبات **فورد** بارسال مزيد من المساعدات الى الانظمة العميلة .. ويقدمون ردا على هذا التساؤل النقاط التالية :

● ان الديمقراطيين تحكمهم الان اولا وأخيرا عقده الانتخابات القادمة ، وان الظروف مهيئة لانقضاضهم على السلطة ، ومن ثم فان ما يجرى الان فى فيتنام وكمبوديا هو خير غطاء على الكارثة التى صنعوها هم والتى سبق ان افقدتهم مقعد الرئاسة من قبل ، فاذا كان **جونسون** قد تسبب فى تمريغ سمعة المؤسسة العسكرية الامريكية فى وحل الادغال الفيتنامية وفى فقد ٥١٫٤٠٠ قتيل امريكى فى معارك فيتنام وحدها ، فان السياسة البديلة لسياسته قد قادت الى الكارثة الختامية . والمحاولة « الديمقراطية » الان تكمن فى شن حملة اعلامية تستخدم الكارثة الحالية لاخفاء الوجه المشوه للكارثة القديمة .

● ان « الصقور » فى الولايات المتحدة ، ولها مكامنها الاساسية فى الحزب الديمقراطى ، تريد أن تقدم برهانا عمليا على خطأ سياسة التهدئة وتخفيف حدة التوتر الدولى (أو مايسمى بسياسة « الوفاق ») . فاذا كان العنف باهظ الثمن فان ثمن المنافسة السلمية « أبهظ » ، ومن ثم فان « الصقور » تترك الامور كى تتردى عن عمد حيث مآلها الطبيعى والحتمى أن تتردى ، كسبيل لاقناع الرأى العام الامريكى بضرورة العودة لسياسة الحرب الباردة والتشدد .

● ان العناصر الاشد رجعية فى الولايات المتحدة - ولها مكامنها الاساسيه فى الحزب الديمقراطى - تريد بتركها الامور كى تتردى عن عمد فى مكان هو مفقود بالضرورة كسبيل لارباك قوى السلم فى الولايات المتحدة ، والتى اتسع نفوذها وتعمقت جذورها من خلال معارضة التدخل الامريكى فى فيتنام ، ومن خلال تأييد سياسة التعايش السلمى .

هذا ما يقوله الجمهوريون ..

لكن قوى أخرى تفسر هذا الانهيار والشلل الامريكى الى الصراع بين المراكز الامريكية الثلاثة للقوة .. البيت الابيض . البنتاجون - المخابرات المركزية .

وثمة آراء أخرى تتردد عن خطر الاعتماد على أنظمة عميلة مكشوفة بنسبة ١٠٠ فى المائة وانه من المفيد محاولة مجاراة الزمن ، وايجاد أشباه عملاء .. أشباه مكشوفين كسبيل لضمان فرصة أكبر لبقائهم .

غير أن البعض يفسر هذا الانهيار فى أن الولايات المتحدة قد أرهقت ميزانيتها بالفعل من ضخامة المساعدات الاقتصادية والعسكرية التى

قدمت لهذه الانظمة – والتي تحولت الى مصفاة حقيقية لا نهاية لها .. الاموال تتسرب الى جيوب الصفوة الحاكمة والاسلحة يهرب الجنود بتركوها في أيدى الثوار . ان حكومة « ثيو » وحدها قد تلقت فى عام واحد هو عام ٧٣ – ١٩٧٤ مبلغا ضخما من المساعدات المالية التى وصلت الى ٢٫٠٠٠٫٠٠٠٫٠٠٠ دولار وهذه الارقام الفلكية تذوب على الفور .. ولا أمل فى اية نتيجة حقيقية مع أية زيادة مهما كانت فى حجم المعونات [الشئون الدولية – السوفيتية – فبراير ١٩٧٥] . بينما يرتفع الرقم الاجمالي للمساعدات العسكرية فى السنوات القليلة الماضية الى ١٥٠ مليار دولار ، وهو رقم فلكى لا يمكن تخيله .

ومع ذلك فان الولايات المتحدة ، وبرغم ما تعانيه من شلل وارتباك تحاول ايقاف هذا الانهيار بمظاهرة عسكرية لا تخيف احدا ، فسفن الاسطول السابع الامريكى (حاملتا طائرات هليوكوبتر – ثلاث مدمرات – حاملة طائرات – ست سفن انزال) تحتشد الان أمام شواطىء فيتنام .

والرئيس فورد يهدد بأن أمريكا لن تسكت على ما يجرى ..

لكن الشلل الامريكى لا يأتى – فقط – من عجز السياسة الامريكية ولا من تغير موازين القوى العالمية لغير صالحها وانما أيضا من أنها لا تستطيع أن تدعى أنها تتدخل بتساعد « شيئا » ما قائما أو يستحق المساعدة .. ان النظام العميل ينهار تماما بحيث يصعب الادعاء بمساعدته ..

● ● ●

وأخيرا وبرغم أن كل التحليلات التى أوردناها تحتوى على قدر قل أو كثر من الحقيقة ، الا أننا نخطىء لو تصورنا أن أيا منها هو السبب المباشر ، انها مجرد نتائج .. أما السبب الحقيقى ، المباشر ، الفاعل فانه يكمن هناك فى الطابور الهائم على وجهه من مئات الالوف من الامريكيين المتعطلين .. انه الكساد العظيم .. الذى يقود الى الانهيار العظيم ..

يبقى أن نقول أنها مجرد مقدمات .. « بروفة » لانهيار نظام بأسره .

○ الانتصـــــار العظـــــيم

نحن نتقدم .. ونتقدم
صامدين كأعواد الصلب
بالالاف ... والالاف
قواتنا تتقدم .. وتتقدم
صفوفنا طويلة مثل الانهار ..
عالية كالجبال
وارادتنا تتقدم ، وتتقدم
كبحر الصين بلا آخر
للشاعر الفيتنامى تو هو

خيرى عزيز

أى درس رائع ثمين ، يتلقاه العالم ، وخاصة العالم الثالث ، من هذا الاكتساح الثورى الهائل ، والانتصار الاستراتيجى العظيم ، الذى حققته وتحققه فى هذه الايام ، القوات الثورية للشعب الفيتنامى ، والشعب الكمبودى ؟ .

ان هذه مسألة تتسم بأهميتها الخاصة بالنسبة لنا ، ولكل الشعوب التى لاتزال تواجه مهام نضالية تحريرية أساسية فى صراعها ضد الاستعمار الجديد .. فلقد اجهد العديد من المنظرين السياسيين البورجوازيين ، الذين احترفوا عملية تمييع النضال الشعبى وتفريغها من محتواها الثورى فى العالم الثالث ، أنفسهم فى اصطناع التلفيقات للحيلولة بين الشعوب ، وبين الاستفادة من حكمة ومغزى النضال الفيتنامى .

وكانت اخطر واهم تلفيقاتهم ، لاطالة عمر الاستعمار الامريكى – نظريا – ومحاولة تثبيطهم

الشعوب فى النضال ضده تقول : « انه اذا كان صحيحا ان الولايات المتحدة لاتستطيع احراز النصر فى فيتنام على الثوار وجمهوريه فيتنام الديموقراطية فانه من الصحيح ايضا ان الثوار لن يستطيعوا بأى حال ، احراز نصر كلاسيكى حاسم على الولايات المتحدة هناك ، فضلا عن انها لن تسمح بتحقيق مثل هذا النصر » .

وعدد هؤلاء المنظرون بالارقام والاحصاءات الصارخة ، مظاهر الحجم الهائل للقوة العسكرية الامريكية ، والامكانيات الاقتصادية التى لا تنضب للولايات المتحدة ، مؤكدين أنهما سيحولان بالقطع ، دون تحقيق نصر فيتنامى ثورى حاسم ، مهما طال أمد الكفاح لتحقيقه .

ولذا فان أكثر الامور اهمية الان ، بعد أن تبدد وذهب أدراج الرياح ، ذلك التحليل المضلل ، الذى تصدت له القوى التقدمية على الدوام ، فهو محاولة تفهم سر هذا النصر الحاسم الذى أحرزته القوات الثورية فى الهند الصينية .

الواقع أن اهم حقيقة جوهرية أدت الى انتصار الشعب الفيتنامى ، وهو شعب فلاحى صغير على اقوى دولة امبريالية فى العالم ، هو اعتماد هذا الشعب فى قتاله على نظرية وتطبيق « حرب الشعب » ، اى اشتراك الامة كلها فى القتال ضد العدو ، لاالقوات المسلحة وحدها . ومن شأن هذا التطبيق الاستراتيجى أن يحرم العدو دائما من القدرة على تطبيق أساليبه التى يريد استخدامها فى القتال ، ويحرمه بصفة خاصة من وجود مؤخرات أمينة له ، فحيثما يوجد الشعب المسلح ، تكون الجبهة فى كل مكان . وبذا لا يجد العدو مكانا يستقر به فى أمان ، ويجد نفسه فى حرب بلا جبهة ، وبلا مؤخرة ، وبلا خط نيران محدد المعالم ، فهو بازاء جبهة قتال فى كل مكان ، وفى كل وقت ، بعد أن تحولت البلاد بأسرها الى ميدان معركة ، وهذا هو السر فى فشل تكتيك « النقل بالهليوكبتر » ، والانزال الجوى لقرات المظليين التى كانت تجد دائما ، فى انتظارها ، عدوا يقظا من رجال العصابات ، ووحدات نظامية تضربها بقوة بغية ابادتها .

كذلك كان الخط الاستراتيجى الذى اعتمده الفيتناميون لحرب الشعب فى الجنوب هو خوض حرب طويلة الامد واكتساب القوة اثناء القتال ، لانهم وجدوا انهم فى مواجهة حرب تخوضها الامبريالية الامريكية ، زعيمة القوى الامبريالية ، وصاحبة الجيش الكبير والمعدات الحديثة ، والقدرة العسكرية والاقتصادية التى تفوق قوتهم بمرات عديدة ، فانهم يحتاجون الى الوقت لكى يدمروا القوة الامريكية والعميلة ويضعفوها بالتدريج ، ولكى يحدوا من نقاط قوتها ، ويزيدوا نقاط ضعفها سوءا ، وفى نفس الوقت ، لكى يعد الفيتناميون ويطوروا قواتهم المسلحة وقواتهم السياسية ويقلبوا الميزان أكثر فاكثر لصالحهم بمرور كل يوم ، ويستنزفوا قوى العدو ، وينمو قواهم وهم يواصلون القتال ، ويحرزوا نجاحات أكبر وأكبر ، بمهاجمة العدو ، مبتدئين بأعمال صغيرة ، ومتقدمين الى أعمال أكبر وأكبر ، لدفع العدو الى الخلف خطوة خطوة ، واحباط مخططاته الاستراتيجية المتتالية ، حتى يجهزوا عليه فى النهاية اجهازا كاملا . وهذا هو السبب الذى حدا بالزعيم الثورى الفيتنامى ترونج شينه ليقول : « ان الوقت المع استراتيجيينا انه يعمل لمصلحتنا :«ان ماصممنا على المقاومة حتى النهاية » ،كما اوضح الجنرال جياب انه « اذا كانت السلطة هى المسألة الاساسية فى كل الثورات ، فان تدمير قوات العدو هو المسألة الاساسية فى كل الحروب » .

ولعل من ابرع ماتسمت به القيادة الثورية الفيتنامية وساعدها فى تحقيق انتصاراتها الرائعة ايضا ، هو نجاحها فى الربط بين النضال العسكرى والنضال السياسى سواء بالنسبة للأوضاع داخل فيتنام الجنوبية ، أو بالنسبة للوضع السياسى الدولى للعدو .

فبالنسبة لداخل فيتنام ، نجد ان الانتصارات الاستراتيجية الاخيرة التى تحققت منذ اول مارس ١٩٧٥ ، قد جاءت نتيجة هجمات عسكرية متواصلة ، وانتفاضات جماهيرية سياسية قوية فى المدن ، أدت الى كسر انظمة الدفاع القوية للعدو ، وتفريق قواته المسلحة ، واجهزته المسلحة الاخرى ، وتحرير اهم المدن الكبرى ، وتحرير ٩ر٣٠٠ر٠٠٠ مواطن . كذلك ادت الانتفاضات الشعبية والهجمات المسلحة ، الى انضمام عديد من الفرق ، ومئات الالاف من جنود وضباط الجيش العميل بأسلحتهم الى الجماهير ، استجابة لنداء جبهة التحرير .

وقد كان ذلك الانجاز افضل تطبيق عملى ، لنظرية الثورة الفيتنامية فى مجال الاساليب الثورية . فقد اوضح قادتها دائما ان النضال المسلح شكل أساسى للنضال له أثره الحاسم والمباشر فى تحطيم القوى العسكرية للعدو ، والنضال السياسى بواسطة الجماهير هو ايضا شكل أساسى للنضال ، له أثره الحاسم على طول مراحل الثورة ، ومن أجل نجاحها . وان النضال العسكرى المقرون بالنضال السياسى ، هو الشكل

الأساسي للعنف الثوري في جنوب فيتنام ؟ والجمع بين النضالين هو القاعدة الأساسية للاساليب الثورية هناك ـ كذلك أعطت قيادة الثورة ، اهمية كبرى **للعمل السياسي بين قوات العدو** ، كشوكة هجومية استراتيجية ونقطة رئيسية في العمل الثوري في فيتنام الجنوبية ، كما نجد أنه بينما عملت القيادة الثورية على انشاء **القواعد القوية** في منطقتي « **التلال ـ الغابات** » ، و «**السهول**» ، فانها أعدت ايضا مواطيء لاقدامها في المنطقة الثالثة « **المدن** » .

هكذا نجد في داخل فيتنام الجنوبية ان **الجمع بين النضال العسكري والسياسي** ، **ومهاجمة العدو بثلاث شوكات** « هي العمليات العسكرية ، والعمل السياسي ، والتحريض والدعاية بين قواته » . **والتنسيق بين الانتفاضات الجماهيرية . والحرب الثورية** ، **وضرب العدو في كل المناطق الاستراتيجية الثلاث** ، هي أبرز ملامح الاساليب الثورية التي استخدمت في فيتنام الجنوبية .

ولم يقتصر جمع القيادة الثورية الفيتنامية بين النضال العسكري والسياسي على الوضع داخل فيتنام وحدها ، وانما نسقت هذه القيادة افضل تنسيق بين هجماتها العسكرية الاستراتيجية ، وبين الوضع السياسي والدولي العام للعدو المحلي والامريكي ، واختارت أنسب اللحظات لشن هذه الهجمات .

وهذه مسألة تتسم بأهميتها ، اذ يرى الفيتناميون ، أن هناك مسألة هامة جدا **بالإضافة الى اعداد القوات السياسية والعسكرية** ، تلك هي مسألة **انتهاز اللحظة المناسبة** التي قد تتحقق ، اما بواسطة القوات الثورية في الداخل ، او نتيجة لظروف خارجية ، ويرون انه حالما تكتسب الثورة وضعا صلبا وقويا ، ويدفع العدو لالتزام الحائط ، فانه في هذه الحالة ، تتوقف المسألة فقط على **وضوح الرؤية الخاص لدى القادة** ، **وعلى حاستهم السياسية** . وغالبا ما يكون كافيا للقادة ، في هذه الحالة ، ان **يضعوا ايديهم بشكل كامل على الاتجاه الرئيسي** ، **وعلى بعض العوامل والشروط الاساسية** ، وأن تكون لديهم الجرأة على العمل .

ولذا نجد أن جبهة التحرير بدأت هجومها **في وقت وصلت فيه حكومة نيوين فان ثيو العميلة الى قمة عزلتها** حتى عن الولايات المتحدة الامريكية ، مصدر امدادها وتعزيزها اقتصاديا وعسكريا ، الامر الذي اتضح تماما عندما رفض زعيما الاكثرية الديموقراطية والاقلية الجمهورية في مجلس الشيوخ الامريكي منذ عدة اشهر حتى مقابلة زعماء الوفد الذي ارسله ثيو لطلب المزيد من المساعدات الامريكية العسكرية والاقتصادية .

كذلك شنت جبهة التحرير هجومها في وقت دلت فيه كافة الاستفتاءات ، على معارضة أغلبية الشعب الامريكي لتقديم اي مساعدات جديدة لحكومة ثيو ، بعد ان تكبد الشعب الامريكي ٥٥ الف قتيل و ٢٠٠ مليار دولار ، وزود هذه الحكومة بأحدث اسلحة الترسانة الامريكية ، لضمان بقائها واستمرارها دون جدوى .

كذلك شنت جبهة التحرير هجماتها الاستراتيجية ، في الوقت الذي تصاعد فيه نفوذ **القوة السياسية الثالثة** في فيتنام الجنوبية ، التي تضم عناصر فعالة في البرلمان ووزراء وجنرالات سابقين ، وصحفيين ، ومثقفين ، وفنانين ، وشباب ، وطلبة ، وهي عناصر ربما تعاونت مع نظام سايجون في الماضي ، لكنها انقلبت الى معارضة ثيو نتيجة السياسة الحمقاء التي واصل اتباعها ، وتعكيره صفو السلام ، وانتهاكه المستمر لاتفاقيات باريس بشأن السلام باعتداءاته المتكررة من قبل على المناطق المحررة في الوقت الذي كان شعب الجنوب يحن فيه حنينا شديدا الى السلم ووقف القتال . كل ذلك ادى الى تفجر المظاهرات في نهاية الامر ، في سايجون نفسها ، تطالب باستقالة ثيو ، لدرجة ان البرلمان طالب ايضا برغم عمالة معظم عناصره ، بتنحيه عن الحكم ، وتضامن معه في ذلك رئيس الكهنة البوذيين الذين يمثلون القسم الاكبر من السكان وهو ماحدث بعد ذلك

اما فيما يتعلق **بالولايات المتحدة الامريكية** ، فقد شن هذا الهجوم الاستراتيجي الثوار ، بعد أن كان التماسك الامريكي الداخلي ، قد تفكك تماما بشأن مواصلة الحرب في فيتنام ، وخاصة بعد المظاهر الحادة التي اتخذتها معارضة الحرب ، وتزايد المطالبين بانسحاب امريكا من الهند الصينية في اوساط الراي العام الامريكي ، حيث بلغت نسبتهم ٧٠ في المائة من الرأي العام الامريكي ، ممن عارضوا ايضا تقديم المزيد من المساعدات لحكومتي سايجون وبنومبن ، وتزايد نسبة هؤلاء ايضا في اوساط الكونجرس ، والمفكرين ، ودوائر الشئون الخارجية ، فضلا عن ضعف مكانة الرئاسة الامريكية « ٣٤ في المائة فقط من الامريكيين يمنحون فورد ثقتهم » وتزايد قوة الكونجرس الذي قيد سلطة الرئيس الامريكي في التدخل العسكري في الخارج .

كما شنت هذه الهجمات في وقت عانت وتعاني فيه الولايات المتحدة بشدة ، من المشاكل الاقتصادية والداخلية الضخمة ، كمشكلة الطاقة ،

والكساد الاقتصادى ، والبطالة (٨ مليون متعطل) ، وعجز ميزان المدفوعات ، والازمة النقديه ، وهبوط الطلبات الصناعيه بنسبه ٦٠ فى المائة نتيجة لهبوط معدل الاستثمارات ، فضلا عما ترتب عن الارتفاع المستمر فى الاسعار الذى دفع كثيرا من الامريكيين الى معارضة المزيد من الانفاق على التدخل الامريكى فى الخارج ، والذى خلق شعورا لم يسبق له مثيل منذ الحرب العالمية الثانية بثقل الاعباء التى تتحملها الولايات المتحدة نتيجة تورطها فى الشئون الخارجية .

كذلك تبينت براعة الفيتناميين فى الربط بين العمل العسكرى ، وبين الوضع السياسى العالمى للعدو ، فى انهم شنوا هجومهم الاستراتيجى فى فترة عانت وتعانى فيها الولايات المتحدة من الاضطراب والتخبط فى كافة مجالات سياستها الخارجية ، وتلقت فيها الضربات تلو الضربات فى مختلف مناطق العالم .

ففى **البرتغال** ، تلقى حلف الاطلنطى ضربة قوية بنجاح الثورة التى شارك الاشتراكيون والشيوعيون بنصيب وافر فى تفجيرها ودعمها ، مما يعد ضربة للجناح الجنوبى لحلف الاطلنطى يثير تحديا من أخطر التحديات التى واجهها منذ نشأته ، يضاف الى تصدع فى الحلف نتيجة الانقلاب اليونانى العميل فى **قبرص** ، هذا الانقلاب الذى ادى الى مذابح ومجازر وحشية راح ضحيتها الشعب القبرصى الذى ازداد معارضة ايضا للولايات المتحدة ، يضاف الى ذلك تزايد منافسة **المانيا الغربية واليابان** للولايات المتحدة ، وانزعاجها من التقارب بين **فرنسا** والاتحاد السوفيتى .

أما **فى الشرق الاوسط** ، فقد تلقت اسرائيل ، فى حرب أكتوبر اولى الضربات العسكرية المؤثرة منذ تأسيسها فى ١٩٤٨ ، الامر الذى يؤذن ببدء تبدل علاقات القوى فى هذه المنطقة لغير صالح الولايات المتحدة ، فضلا عن فشل مهمة كيسنجر فى هذه المنطقة مؤخرا ، يضاف الى ذلك تزعزع نفوذ ومكانه الولايات المتحدة فى **شبه القاره الهندية** ، نتيجة ميلها الى جانب باكستان فى حرب **بنجلاديش** ، ووقوف الاتحاد السوفيتى مع الهند، ويضاف الى ذلك ايضا فشل كيسنجر فى اقامة علاقات وديه مع **دول أمريكا اللاتينية** ، وفى تسوية نقاط الاحتكاك بين **كندا** والولايات المتحدة ، وتعثر سياسة الانفراج مع **الاتحاد السوفيتى** بعد الغاء الاتفاقية التجارية بين البلدين .

واذا وجدنا فى **الفلبين** فى آسيا ، ان الرئيس **ماركوس** يطالب باعادة النظر فى الارتباطات الامريكية ، وأن **ماليزيا** أقامت لاول مرة علاقات دبلوماسية كاملة مع الصين الشعبية ، فى حين دعت حكومة **تايلاند** الى سحب القوات الامريكية والجلاء عن القواعد الامريكية خلال عام ، وأكد **اليابانيون** معارضتهم لوجود السفن الامريكية فى مياههم ، لاستكملت أمامنا معالم الوضع السياسى الدولى للولايات المتحدة ، الذى اختارت القيادة الفيتنامية ببراعة أن تشن هجومها الاستراتيجى خلاله .

والواقع ، وهذا ما لم يضعه الامريكيون وعملاؤهم فى الاعتبار هو أن القياده الفيتناميه الثورية ، تمرست بصورة خاصة بفن الجمع البارع بين النضال العسكرى والسياسى فى تاريخ الثوره الفيتنامية عامة ، اذ نجد فى ثوره اغسطس ١٩٤٥ ، **انه حينما احرز الاتحاد السوفيتى نصره المدوى على جيش كوانتونج التابع للفاشيين اليابانيين ، واجبرهم بذلك على التسليم بلا قيد أو شرط ، انتهز الحزب الشيوعى الفيتنامى (حزب العمل الان) هذه الفرصة الفريدة بسرعة ، لكى يفجر انتفاضة عامة معتمدا على القوى السياسية للجماهير العريضة فى الريف والمدن ، وجمع بينها وبين القوات المسلحة الثورية ، وحطم الاجهزة الرئيسية للعدو فى العاصمة والمدن الاخرى ، وصفى كل شبكته الادارية فى الريف ، واستولى على السلطة فى كل أنحاء البلاد .**

ونجد نفس الاستخدام البارع لنفس الاسلوب **فى عام ١٩٥٣ حينما دخلت حرب المقاومة ضد الفرنسيين مرحلة من أكثر المراحل حسما** ، اذ عبأ الحزب الجماهير **من أجل تخفيض كبير للايجارات الزراعية** ، ومن اجل الاصلاح الزراعى تطبيقا لشعار **الارض لمن يفلحها** ؛ وبفضل هذا الاجراء أمكن استنهاض روح المقاومة لدى ملايين الفلاحين ، وشحذ قوتهم ، وتعزيز الحلف العمالى ـ الفلاحى ، وتدعمت السلطة الشعبية ، وازدادت الجبهة الوطنية المتحدة قوة ، وارتفعت القدرة القتالية للجيش الشعبى الى درجة لم يسبق لها مثيل ، ودفعت كل نشاطات المقاومة الى الامام ، وأسهم هذا الاجراء بشكل حاسم فى احراز النصر العسكرى العظيم **فى ديان بيان فو** .

وثمة ملاحظة اخرى ملفتة للنظر بالنسبة للعمليات العسكرية الثورية فى الهند الصينية ، اذ نجد انه بينما تضمنت عملية الاكتساح الاخيرة لقوات التحرير الفيتنامية ، نوعا من **التنسيق مع القوات الثورية فى كمبوديا** ، خاصة وقد بدأت عملية الاكتساح هذه فى الوقت الذى كانت قوات

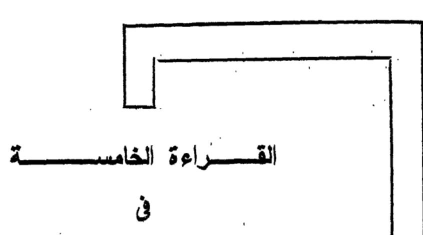
تحرير كمبوديا توجه فيه ضرباتها الاخيرة القاصمة الى جيش لون نول العميل ، فان عملية ديان بيان فو فى ١٩٥٤ ، تضمنت أيضا نوعا من **التنسيق مع لاوس** حينذاك ، ففى الوقت الذى كانت القوات الفيتنامية تعد فيه نفسها لمعركة ديان بيان فو ، شنت قوات « **الباثيت لاو** » ومتطوعو الشعب الفيتنامى هجوما فى وسط لاوس وأبادوا قوات كبيرة للعدو ووصلوا الى نهر ميكونج ، كما قامت القوات اللاوسية الفيتنامية المشتركة بهجوم آخر فى جبهة لاوس الوسطى حيث كان العدو مكشوفا أدى الى سحق عديد من وحدات العدو ، كذلك قامت القوات الفيتنامية اللاوسية المشتركة بهجوم من ديان بيان فو على لاوس العليا ، بهدف تحويل الانظار ، ومن أجل تأمين الظروف للقوات التى ستهاجم ديان بيان فو ، وقد اسفر الهجوم عن القضاء على وحدات عديده للعدو وتحرير حوض نام هو الواسع ، مما أجبر العدو على دفع المزيد من قواته الى لوانج برابانج .وأتيحت بذلك أعظم فرصة لتحقيق النصر العظيم فى ديان بيان فو .

هكذا ، يثبت فى النهاية أن الولايات المتحدة لم ولن تستطيع بمليارات الدولارات ، ومئات الالاف من اطنان السلاح ، أن تؤمن حكم أقلية ضئيلة يرفضها الشعب ، ممثلة فى طبقة **البورجوازية التجارية ، والكومبرادورية ، والملاك العقاريين الكبار** ، لسبب وحيد أن هذه القوى العميلة ، قوى رجعية حتى العظم ، متعطشة للانتقام الطبقى ، وطفيلية اجتماعية ، منفصلة عن الانتاج الوطنى ، ومعتمدة كلية على دولارات الولايات المتحدة .

اما قوى الثورة الفيتنامية فتتمثل فى أكثر من **١٠ ملايين فلاح ، يشكلون مع الطبقة العاملة** ، قوى الثوره الرئيسية ، ويتكونون فى معظمهم من الفلاحين الفقراء ، وتتمثل أيضا فى جماهير **البورجوازية الصغيرة** ؟ من صغار التجار والصناع والحرفيين وذوى المهن الحرة ، والموظفين ، والمثقفين ، وطلاب المدارس والجامعات والتى تعانى جميعا من اضطهاد ممثلى الامبريالية ، وبيروقراطيى البورجوازية التجارية والاقطاع ، ونشكل اغلبيه سكان مدن فيتنام الجنوبيه ويبلغ عددها **أربعة ملايين** نسمه تقريبا ، بالاضافة الى تلك القطاعات من البورجوازية الوطنيه التى تتخذ موقفا معاديا للاقطاع والامبريالية .

هكذا يثبت الانتصار العظيم للثوره فى فيتنام الجنوبيه ، تلك الحقيقه البالغه الاهميه وهى انه **ما من ديكتاتورية فاشستية يمكن أن تحول دون اندلاع ثورة** • فحينما كان على السلطة العميلة فى فيتنام الجنوبية ، أن تلجا الى اشد الاجراءت بربرية وفاشستية ضد الشعب ، فانه كان لذلك معنى اساسيا واحدا ، هو **أن هذه السلطة قد منيت بفشل ذريع فى المجال السياسى** ، وان موقفا ثوريا فى طور التكوين ، وأن الثوره يمكن ان تندلع ، وقد اندلعت ، بل وانتصرت بالفعل ايضا .

لن نحتاج فى النهاية الى مزيد تأكيد ، **ان هذا الانتصار العظيم انما هو ثمرة الخط الذى لايقهر لحرب الشعب ، ثمرة تطبيق استراتيجيه ثورية هجومية ، وثمرة فن عسكرى يهزم القوى الكبيره ، بالقوى الصغيرة ، ويتغلب على الوحدات الكبيرة ، بالفصائل الصغيرة ، ويواجه الاعداد الكبيرة ، بالنوعية العالية ، فن يعرف كيف يشل قوة العدو** العسكرية **والسياسية الى اقصى حد ، ويعرف كيف يوجه ضرباته للعدو دائما من موقع المبادأة والهجوم ، وكيف يخلق مراكز قوة يضرب منها العدو بقسوة ويصرعه فى حرب طويلة الامد** .



القـــــراءة الخامســـــة

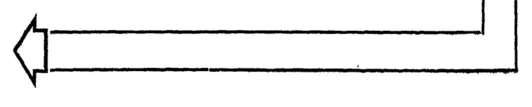
فى



و .. « الأخبـــــــــــار »

ربما لانجد قراءةاكثر مباشرةووضوحا، «لاخبار اليوم» و «الاخبار» ــ كمؤسسة سياسية واحدة ــ مثلما هى هذه المرة. فالافكار التى تعبر عنها مباشرة ،ولاتحتاج عناء البحث عما وراء السطور . وتتعلق قراءة العدد ، بصفحات « اخبار اليـــوم » و «الاخبار» فى الفترة الممتدة من ينـــاير ١٩٥٣ وحتى نوفمبر ١٩٥٤ .

وكنا نود ان نجد ضمن مجلدات الارشيف الذى نرجع اليه ، الاعداد التى صـــدرت فى الفترة من اول يناير ١٩٥٢ وحتى آخر ١٩٥٢ . لنتأمل مواقفهم من «حريق القاهرة» ومعالجتهم له ، ثم موقفهم عشية وغداة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ عندما انفجرت الثورة . وفى هذا الصـــدد ايضا ، فأننا نعترف بأنه لم نتمكن من العثـــور على المجلد الذى يضم اعداد «اخبار اليوم » عشية وابان وغداة حرب فلسطين وما صاحبها من قضايا . وربما حالفنا الحظ فوجدنا هذه الاعــــداد لنقدم فيها قراءة قد تكون مثيرة .



فكرة !

كان تليفوني أمس لا ينقطع عن الرنين .. وبدلا من ان اسمع كلمة « هالوا » ، كنت اسمع سؤالا واحدا هل انك تفضل الملكية على الجمهورية ؟ وهل نسيت فساد الملكية ؟ وهل تحن الى عبودية زمان ، وهل وهل الى آخر هذه الاسئلة التى تثبت ان حرية الرأى عند بعض الناس معناها ان تؤيدهم فى آرائهم !

والواقع اننى أريد النظام الملكي وانه خير الانظمة فى كل بلد لا تزيد نسبة التعليم فيه على ٢٥٪ . وارى ان العبد لا يتحرر اذا تحول النظام من ملكية الى جمهورية ، وان من كان عبدا فى ظل الملك ، يستمر عبدا فى ظل رئيس الجمهورية !

ومن رأيى ان يستمر نظام الوصاية الحالى ، وان يحدد سن رشد الملك بثلاثين سنة ، وبعد الثلاثين سنة نستفتى الشعب هل يريد ملكية أم جمهورية .

وليس معنى ان تؤيد الملكية انك تريد ملكا كفاروق ، وليس معنى أن تؤيد الجمهورية انك ستجد رئيس جمهورية كروزفلت ! فالملكية التى أؤيدها هى الملكية الدستورية التى يخضع فيها الملك لسلطان الشعب .

وليس معنى الخلاص من الملكية اننا سنتخلص من الظلم والطغيان ... فقد رأينا فى التاريخ الحديث الزعماء الاحرار يتحولون الى عبيد ، والديمقراطيين يتحولون الى طغاة ، والاشراف يتحولون الى لصوص !

اننى أؤيد النظام الملكى ، بعدما رأيت فى الماضى فقرا فى الرجال والاخلاق . فالجمهورية تتطلب غنى فى الرجال ، وغنى فى الاخلاق ، واننى أفضل جهنم التى اعرفها على الجنة التى لا اعرفها ولا يعرفها غيرى .

على أمين

الاخبار — العدد ١٧٩ — السنة الاولى ١٣ يناير ١٩٥٣

فكرة !

يجب ان اعترف ان أغلبية كبرى من الشعب تؤيد انهاء الحكم الملكى وقيام النظام الجمهورى .

وانا احترم رأى الاغلبية ، ولكنى لم اقتنع برأيها .

ولقد كان من رأى الاغلبية ان معاهدة ١٩٣٦ هى معاهدة شرف واستقلال . وظهر بعد توقيعها ، وباعتراف جميع الذين وقعوها ، انها خلت من الشرف وخلت من الاستقلال .

ولذلك فان رأى الاغلبية ، الذى لا يستند الى الحقائق ولا يرتكز الى البحث ، لا يجوز ان نأخذه قضية مسلمة .

فأنا أريد أن أفهم أولا ما هو وجه العجلة فى تقرير النظام الجديد؟ وما هو الربح الادبى الذى ستحصل عليه البلاد من اتخاذ هذا القرار فى عام ١٩٥٣ بدلا من عام ١٩٦٠ .

وهل معنى أن فاروق كان ملكا فاسدا ان الملكية نظام فاسد !

وهل معنى أن يتولى رياسة الجمهورية لاول مرة رجل صالح ، ان النظام الجمهورى سيستمر نظاما صالحا ؟

اننى أرى — وأنا أقلية ضئيلة — انه يجب أن يستمر نظام الوصاية الحالى عشر سنوات . ثم بعد ذلك نستفتى الشعب على ضوء الحقائق والتجارب .

أما اليوم فعندنا ما هو اهم الف مرة من الملكية والجمهورية .. عندنا شعب يطالب بحريته ويطالب برفع مستواه .

ويوم نحقق هذه الاهداف الضرورية ، نستطيع ان نفكر فى الكماليات والالقاب والاسماء .

على أمين

الاخبار — العدد ٢٥٢ — ٩ ابريل ١٩٥٣

كلمة اليوم

اعـــلان الجمهـــــــورية

أعلن ليلة امس ، اسقاط حكم اسرة محمد على وبالتالى اسقاط ولاية الملك احمد فؤاد الثانى عن عرش مصر ، وقيام الجمهورية .

واعلن ان الرئيـــس اللواء محمـــد نجيب سيتولى سلطات رئيس الجمهورية مع احتفاظه بكل سلطاته الحاضرة ، كما اعلن ان بعض حضرات الضباط قد تولى منـاصب وزارية على التفصيل المنشور فى غير هذا المكان .

وهكذا انتهى فى الليلة الماضية الحكم الملكى من ارض الفراعنة بعد ان دام على صـــورة أو اخرى ترابة خمسة آلاف سنة . وما من احد قضى على هذا الحكم غير نفســـه فانه باخطائه الخاصة والعامة ،وبتجـاهله ارادة الشعب وحقوقه انفصل عنه انفصـــالا عقليا اصيـــلا . فلم يكن بد من ان تبلغ الامور غايتها وتستبدل مصر بهذا الحكم نوعا آخـر اقرب تعبيرا عن ارادتهـــا واوثق اتصـــالا بهذه الارادة فى مختلف مظاهرها .

وقد جاء هذا الاعلان الخطير بعد تطورات كانت ترمى اليه بوضوح ، وتكاد تقطـــع به تطعا . فلم يكن معقولا بعـــد ان اسـتهدف النظام الملكى الى ما استهدف اليه من مطاعن وما عزى اليه من اخطـــاء ومآثم ان يبقى او ان يظل له احترام .. اى احترام .

ولئن كان هذا الاعلان قد جاء من قـــائد الثورة وباســـمها ، فما من شك انه عبر أيضا عن حقيقة الاتجاه الشعبى . وهو على كل حال قد رد الامر فى النهـاية الى ارادة الامة وجعل لها الكلمـــــة الاخيرة فى البت بما تراه ،متى تم وضـع الدستور واصداره ، واعيدت للبلاد الحياة النيابية .

ومن الحقائق العجيبـــــة فى تاريخ مصر الطويل ، انه منذ دالت دولة الفراعنة منـــذ اكثر من ثلاثة آلاف سنة ، لم يحكم مصر او يجلس على عرشها مصرى اصيل . نعم انها امتصت كل الغزاة وادمجتهم فيهـــا . ولكن الحقيقة الثابتة ان احدا منهم لم يكن ينفعل بها انفعال الاصلاء من ابنائها الذين توارثوا دمها وجـرت فى عــروقهم احاسيســـــها ومشاعرها .فلنا ان نقول ان اعلان الجمهورية الذى تم ليلة امس ، هو اول اعلان لاسترداد الدم المصرى الاصيل حقـــــه فى حكم بلاده والاشراف على شئونها .

بقى ونحن نستقبل هذا الحدث التاريخى الخطير ، ان ندرك ما القته المقـــادير على عواتقنا من مسئوليات ، وما ادخره التـــاريخ لابناء هذا الجيل من تبعات . فان عليه ان يثبت جدارته بحقه وايمانه بارادة الشـــعب وحرية بنيه . فان نظم الحكم مهمـــا تكن ، واشكالها مهما تتنوع ، ليست مقصودة لذاتها ولا محبوبة لاسمائها بقدر ما هى مقصـــودة محبوبة لمعانيها . واجمل هذه المعـــانى هــو توفير الحـــرية للمواطنين فى الادلاء بآرائهم والمشاركة فى امجاد وطنهم ، وتحمل المتاعب والتضحيات فى سبيله .

والجمهورية تطور يتجه الى الشعب .وقد بدا نظام الحكم فى العالم بالنظام الملكى القائم على التفويض الالهى ،ثم القائم على التوارث، ثم النظام الدستورى الذى يجعل الملك رمزا ويعطى السلطة كلها لممثلى الشـعب .واخيرا النظام الجمهورى . وهـــو ليس الا مواجهة للواقع . والواقع ان الشعب هو الذى يحكم. فان نظام الملكية الدستورية ليس الا هــروبا من الواقع ومحاولة للاحتفـــاظ برسم الملك التقليدى دون سلطة او توجيه او نفوذ .ولذلك عدلت عنه اكثر الدول الى النظام الجمهورى. فمصر اذ تحذو هذا الحذو لا تخرج عـــن خط التطور العام ولا تجانب الحقيقة البارزة فى هذا العصر ، وهى ان النظام الملكى اضحى نظاما عتيقا فى طريقه الى الزوال .

كتب الله لمصر فى عهدها الجديد التوفيق. وكتب لرؤسائها وزعمائها السداد .

الاخبار — العدد ٣١٢ — ١٩ يونيو ١٩٥٣

الموقف السياسي

شكرا للجاني

بقلم مصطفى أمين

من كل قلبي اشكر الجاني الذي اطلق على جمال عبد الناصر ثماني رصاصات ! انه صنع ما لم يستطع جميع انصار عبدالناصر وجميع اصدقائه وجميع محبيه ان يصنعوه ، انه ازاح الستار عن جمال « الانسان » ، انه جعل الناس يرونه على حقيقته التى كانت تختفى وراء الثوب الكاكى وخلف الجنود والحراس.

ولقد كنت اعرف اناسا لا يحبون جمال عبد الناصر «لله فى لله» .

لم يكفهم انه الرأس الذى دبر هذه الثورة ، لم يكفهم انه الرجل الذى عزل فاروق دون ان يريق نقطة دم ، لم يكفهم انه الرجل الذى حقق الجلاء .. كل هذا لم يشفع عند هؤلاء الناس كى يحبوا جمال عبد الناصر . ان بعضهم يحترمه ولا يحبه . وبعضهم يقدره ويكرهه . وبعضهم يخافه ويرهبه ويخشاه ، فيفضلون ان يبتعدوا بعواطفهم عنه فيرسموا فى قلوبهم سياسة حياد لا هى حب ولا هى كره ، او يسدلوا بينهم وبين هذا الرجل ستارا من حديد ..

وكنت انا ادهش لهذا الشعور عند هؤلاء الناس . وانتبه الى ان هؤلاء يلتومون دوا ان يكون الزعيم عندنا اشبه بمشايخ الطريق او البهلوانات هو العريس فى الزفة ، وهو النعش فى الجنازة . فهم يريدون من الزعيم ان يقفز هنا وينط هناك . يبتسم للمصورين ويهش للمهللين ، يمثل الطيبة ويتظاهر بصورة الرجل « الهليهلى » الذى لا عمل له الا تقبيل الأطفال والتلويح بيده للنساء .

وكنت اسمع بعض اصدقاء جمال يأخذون عليه مظهره الجاد ، ويطلبون اليه ان يبتسم ، فيرفض هذا الراى باحتقار .

ويقول انه يرفض ان يتظاهر بغير حقيقته ، ويأبى من اجل ما يسمونه « الشعبية » ان يضع على وجهه مكياج العواطف التمثيلية او قناع شيخ الطريقة لينال تصفيق الجماهير .

.. وكان بعض الذين يعرفون جمال عبدالناصر يسمعون هذا ويحزنون ، يحزنون لانهم فشلوا فى اقناع بعض الناس بحقيقة هذا الانسان . هذا الرجل الخجول الذى يكره الطغيان والجبروت ومع ذلك ينصوره بعض الناس فى صورة « الديكتاتور » !

هذا الشاب المتواضع الذى يحمر وجهه خجلا لكلمة اطراء ، والذى يتعذب وهو يوقع قرارا بفصل موظف ، والذى يتهلل بشرا وهو يصدر أمرا بالافراج عن معتقل . هذا القلب الطيب المملوء بالرحمة والحنان ، تصوره الاوهام بصورة الجزار .

وكان الذين يعرفون جمال يتساءلون فى مرارة : هل يجىء اليوم الذى يبصر فيه العميان ؟ هل يجىء اليوم الذى يعرفون فيه ان جمال هو الضمان الاول الذى منع هذه الثورة البيضاء من ان تتحول الى ثورة حمراء . وهل سيعرف الناس يوما ان مجلس الثورة اصدر ذات يوم حكما باعدام احد المتهمين ، ووقف هذا الشاب الطاغية يترافع الساعات لينقذ راس ذلك المتهم من المشنقة بينما كان بعض الذين يبدون بصورة الملائكة الرحماء يصرون على عقوبة الاعدام !

ثم لو عرف هؤلاء العميان الحقائق هل يصدقونها ؟ ام انهم سوف يهزون اكتافهم ساخرين ويقولون ان جمال عبدالناصر لا يبدو انه هذا الملاك الرحيم الذى تصورون !

انكم تثنون على المقعد لا على الرجل الذى يجلس عليه . وهكذا كانت المناقشة تنتهى دائما بان جمال فى حاجة الى معجزة ليعرفه جميع الناس على حقيقته .

ثم جاء الجانى محمود عبد اللطيف واطلق الرصاص وصنع المعجزة .

هؤلاء الذين كانوا لا يحبون جمال اصبحوا يتحدثون عنه كأسطورة ..

كان يرضيهم لو أنه اصبح بهلوانا فقط .. ولكنهم فوجئوا به بطلا . رأوه مع الموت وجها لوجه فلم يفر ولم يهرب ..

بل واجه الموت كما يفعل الابطال فى القصص والاساطير .

وحدثت المعجزة ! هذه الرصاصات الثماني فتحت كثيرا من القلوب المغلقة فاحبت .. وشفت كثيرا من العيون المغمضة فرأت وداوت كثيرا من الاذان الصماء فسمعت ..

وقال بعضهم : لقد اصبح بطلا ..

وقال غيرهم : لقد اصبح انسانا عظيما .

وقال آخرون : لقد اصبح « فيه شىء لله »

ولكنه كان هكذا دائما ..

اخبار اليوم — العدد ٥٢١ — ٣٠ [illegible] ١٩٥٤

الموقف السياسى

العهد الجديد

بقلم مصطفى أمين

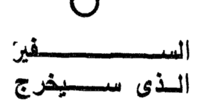
دعا الرئيس جمال عبد الناصر يوم توقيع اتفاق الجلاء الى عهد جديد . فقد قال : هاتوا أيديكم ، وخذوا أيدينا ، وتعالوا نبنى وطننا من جديد ، بالحب والتسامح ، والفهم المتبادل ..

وشعرت وانا اسمع جمال عبد الناصر يتكلم انه يعنى كل كلمة قالها . انه كان يتكلم من قلبه وليس من لسانه . شعرت ان هذا القلب يتسع للمصريين جميعا ، الذين يعرفهم، والذين لا يعرفهم ، الذين أيدوه ، والذين حاربوه . شعرت انه نسى الاخطاء التى ارتكبت ضده ، ولم يذكر الا الاعمال الطيبة التى قدمت لهذا الوطن . احسست انه يريد ان يبدأ هذا العهد الجديد ..

وانى اقدر كل التقدير المسئوليات التى يحملها على كتفيه . اعرف انه لولا الحزم الذى اظهرته الثورة فى بعض المواقف ، لما استطاعت ان تحقق لمصر كل ما فعلت . اعلم ان هذا الحزم حقق فى شهور ما كان يمكن ان لايتم فى سنوات لو تركت الخطايا تتحول الى جرائم ، والمناورات تنقلب الى مؤامرات .. ولكن اعرف الى جانب هذا كله ان جمال عبد الناصر يريد ، وقد حقق لبلاده المعجزة، ان يحقق معجزة جديدة .. يريد ان تصل فرحة الجلاء الى كل قلب ، وان يجفف فى العيد الاكبر الدمعة من كل عين . ولكنه فى ذلك حائر بين قلبه وبين مصلحة الوطن . لا يريد ان يعرض هذا الوطن لخطر ليكسب تصفيق الناس ، ولايريد ان يفتح الابواب التى قد يدخل منها اعداء الوطن . فهو يعلم ان فترة العشرين شهرا القادمة هى اخطر فترة فى تاريخنا ، ويعلم ان كل شىء كسبناه قد يضيع اذا لم تفتح الثورة عيونها وآذانها .. ولكن مع كل هذا اؤمن ان هذا الرجل قادر ان يصنع المعجزة ، قادر ان يرش هذه الارض بالتسامح والحب ، بعد ان كانت قد فرشت فى عهود الطغاة بالكراهية والانتقام! قادر ان يقيم فى هذا البلد عهدا يبدو اليوم مستحيلا . وقد كان خروج فاروق مستحيلا فى وقت من الاوقات ، وكان اعلان الجمهورية مستحيلا ، وكان خروج الانجليز من بلادنا مستحيلا ، ولكن جمال فعل كل هذا ..

وانا اؤمن انه سيفعل المعجزة الجديدة ، معجزة الحب والتسامح والفهم المتبادل .

الاخبار — العدد ٥٢٠ = ٢٢ — ١٠ — ١٩٥٤



السفير الذى سيخرج

مستر جيفرسون كافرى ظل موظفا بوزارة الخارجية الامريكية اكثر من ٤٣ عاما اشترك فى خلالها فى اهم الاحداث التى وقعت فى العالم . وقد قضى منها ٣٠ عاما سفيرا لبلاده . تنقل فى كثير من الميادين السياسية والدبلوماسية قبل الحرب العالمية الاولى وفى اثنائها ومن بعدها وقبل الحرب العالمية الثانية ومن بعدها حتى الان . وفى هذه الفترة الطويلة مثل حكومته فى اربع عشرة عاصمة من عواصم العالم فى الشرق الاقصى وفى اوروبا وفى امريكا اللاتينية .

والرجل مشهور بكفاءته السياسية والدبلوماسية عن كياسة وسمو أدبه وحسن خلقه وسلامة ذوقه .

أما هنا فى مصر فقد قضى مستر كافرى خمس سنوات سفيرا للولايات المتحدة ، واجهته فيها مسائل من أعقد المسائل التى عرضت له طوال مدة خدمته . .

— اذ اشترك ووفق فى حل الخلاف الذى قام بين مصر وانجلترا فى مسألتى السودان وقنال السويس ، وكان من بناة الاتفاقين اللذين انتهيا الى وفاق بين مصر وانجلترا .

— وهو الذى وقع الاتفاقية العامة للنقطة الرابعة سنة ١٩٥١ .

— كما وقع خمس اتفاقات أخرى خاصة باصلاح مديريتى البحيرة والفيوم وبلغت نفقات هذا الاصلاح ٢٥ مليون دولار .

وهو شغوف بدراسة تاريخ مصر وايران والعراق وتركيا والمملكة العربية السعودية والمناطق المتاخمة لها ، كما انه شغف بدراسة آثارها منذ ٣٨ عاما وهو يشتغل الان بوضع كتاب عن الاثار المصرية ، ولما كشف الملاح المراكب الفرعونية بجوار الاهرام كان أول من زارها هو مستر كافرى .

وفى سنة ١٩٥٠ اختير عضوا فخريا فى قبيلة عرب الحويطات بالاردن ومصر والمملكة العربية السعودية .

وفى سنة ١٩٥٢ اختارته قبيلة عرب الباسل فى الفيوم عضوا فخريا فيها .

والان وقد بلغ مستر كافرى سن الاحالة الى المعاش وقرر مغادرة مصر نهائيا ، الا يحسن بمصر — حكومة وشعبا — اقامة حفل تكريم له تقدم له فيها هدية تكون دليلا على عرفان مصر لجميله وتذكره بان مصر تعتبره ابنا من أبر ابنائها ، وان اسمه سيبقى منقوشا فى قلوب المصريين خالدا ابدا . وبعد الابدان كان بعده بعد .

وحبذا لو فكر اولو الامر فى اقامة حفلة تكريم مثلها لمستر رالف ستفنسون سفير انجلترا اعترافا بفضله هو الاخر فى تقريب وجهتى النظر المصرية والبريطانية فى مسألتى السودان ومنطقة القنال وكللت مساعيه الطيبة بالتوفيق والوفاق .

عزيز خانكى

اخبار اليوم — العدد ٥٢٣ — ١٣ — ١١ — ١٩٥٤ .



تعقيب

« الجمهورية » .. و « السلطة أو الحاكم » و « السفير الذى سيخرج »

فترة قراءة « اخبار اليوم » و « الاخبار » — هذا العدد — تتعلق بواحدة من أدق فترات التاريخ المصرى المعاصر . حيث سقط النظام الملكى عندما اصبح عاجزا بشكل كامل عن تقديم اى حل لمطالب الشعب المصرى الوطنية والاجتماعية ، واصبح الشعب المصرى رافضا كل الرفض نهج النظام وتقاعسه . وبدأت قيادة ثورة يوليو تتلمس طريقها لانقاذ البلاد وتطويرها على اسس وطنية .

فى تلك الفترة ، كانت كل قضايا المجتمع المصرى مطروحة — بشكل طبيعى — للتفكير والنقاش امام كل مواطن . وكان « مستقبل مصر » هو الشغل الشاغل لكل الدوائر السياسية — محليا وخارجيا — ، كما كان يشغل كل المواطنين .

ولنقرأ — هنا — موقف « اخبار اليوم » و « الاخبار » من قضايا ثلاث :

اولا : الموقف من الجمهورية ؟

لم يكن سقوط الملك فاروق ، يعنى ـ فى ذلك الوقت ـ مجرد سقوط واحد من ابناء الاسرة المالكة ،بسبب سلوكه أو مدى كفاءته وقدراته فى الحكم . او بسبب حماقاته .. الخ ، ليحل محله «امير» آخر ليصبح « ملكا » جديدا . كسقوط الخديوى اسماعيل مثلا وتنصيب الخديوى توفيق خلفا له . فقد كان المجتمع المصرى قد شهد تغيرات كثيرة ونمت فيه قوى اجتماعية مختلفة وتصارعت فيه مصالح اجتماعية متباينة ومتناقضة . ودلت التجربة الطويلة على ان اى حل لمشاكل مصر الوطنية والاجتماعية ، تبدأ بتصفية الركيزة الاساسية للاستعمار فى داخل مصر : النظام الملكى ومؤسساته .باختصار كان سقوط فاروق ، يعنى ذهاب نظام بأكمله .

ومطلب تصفية النظام الملكى واقامة الجمهورية ، لم يكن مطلبا وطنيا فى عام ١٩٥٣ فحسب ، بل طرحته الحركة الوطنية المصرية منذ اواخر الاربعينات سواء فى مظاهرات واضرابات الطلبة والعمال أو فى المطبوعات والمنشورات السرية للديمقراطيين والشيوعيين او على لسان المئات من المثقفين الوطنيين المعتقلين والمسجونين .

وتم الاستقطاب فى المجتمع المصرى وقتها حول شعارى : استمرار الملكية او اقامة الجمهورية . الاقلية صاحبة المصالح القديمة المنهارة والتى استفادت من الحكم الملكى وحقق لها مصالحها ، كانت مع استمرار الملكية . والاغلبية صاحبة المصلحة فى تغيير النظام الذى تسبب فى مشكلتها الوطنية وعجز عن حلها والذى سحق مصالحها،كانت مع اقامة الجمهورية.

وخرجت «الاخبار» ـ امتداد «اخبار اليوم» ـ لتعلن موقفها السافر على لسان الاستاذ **على امين** احد اصحابها ورئيس تحريرها ، انها مع استمرار النظام الملكى . والادهى من ذلك سبب تأييده ، انه يقول فى « فكرة » بالعدد ١٧٩ ـ السنة الاولى ـ ١٣ يناير ١٩٥٣ :« والواقع اننى اريد النظام الملكى وانه **خير الانظمة** [الحروف السوداء من عندنا] فى كل بلد لاتزيد نسبة التعليم فيه على ٢٥ ٪ .وارى ان **العبد** [الحروف السوداء من عندنا] لا يتحرر اذا تحول النظام من ملكية الى جمهورية .. الخ » . ثم يضيف « اننى اؤيد النظام الملكى ، بعدما رايت فى الماضى فقرا فى الرجال والاخلاق فالجمهورية تتطلب غنى فى الرجال وغنى فى الاخلاق » .

الاستاذ على أمين يؤيد الملكية ويرفض الجمهورية اذن ، لان الشعب المصرى ـ كما جاء على لسانه ـ شعب **غير متعلم** وشعب من **العبيد** ، اى غير مؤهل لان يدير دفة حكمه عن طريق رئيس ينتخبه ولابد من فرض **الوصاية** عليه من **ملك** ، والاستاذ على امين يرفض الجمهورية لان رجال مصر بحكم « الفقر » فى الاخلاق رجال مؤهلون لقيادة البلاد .

هكذا كان الموقف الحقيقى « للاخبار » ـ امتداد «اخبار اليوم» ـ من الشعب المصرى وقيادة ثورة يوليو اذن . ثم تؤكد موقفها مرة اخرى على لسان رئيس تحريرها فى ٩ ابريل ١٩٥٣ .

على ان السيد **على امين** رئيس تحرير «الاخبار» ، يسارع فى العدد ٣١٢ الصادر فى ١٩ يونيو ١٩٥٣ [أى بعد حوالى ٤٠ يوما فقط] الى كتابة افتتاحية « كلمة اليوم» عن اعلان الجمهورية ويقول :« .. فلم يكن معقولا بعد ان استهدف النظام الملكى الى ما استهدف اليه من مطاعن وما عزى اليه من اخطاء ومآثم ان يبقى أو ان يظل له احترام .. اى احترام » . ثم يضيف « الذى تم ليلة امس ، هو اول اعلان لاسترداد الدم المصرى الاصيل حقه فى حكم بلاده والاشراف على شئونها » . بل

انه يمضى الى حد النفاق فيقول « فمصر اذ تحذو هذا الحذو لا تخرج عن خط التطور العام ، ولا تجانب الحقيقة البارزة فى هذا العصر ، وهى ان النظام الملكى اضحى نظاما عتيقا فى طريقه الى الزوال ».

اى الموقفين نصدق « للاخبار » — امتداد « اخبار اليوم » — الموقف الاول او الثانى ؟ وأى الموقفين « الاخبار » نفسها صادقة فيه ؟

لكن هذه الصفة دائما من الصفات الثابتة لمدرسة الاستاذين مصطفى امين وعلى أمين .

ثانيا : الموقف من السلطة والحاكم :

بعد الثورة ، وتولى قيادتها السلطة ، كان **محمد نجيب** هو الشخصية المتصدرة للحديث باسم الثورة وموضع تركيز واهتمام كاميرات الاضواء . وبعد احداث مارس ١٩٥٤ المشهورة ، تولى **جمال عبد الناصر** مكانه الطبيعى فى قيادة الثورة ومجريات احداثها بعد ذلك .

وفى اكتوبر ١٩٥٤ ، كتب الاستاذ **مصطفى امين** أحد اصحاب «اخبار اليوم» ورئيس تحريرها ، معلقا على حادثة محاولة اغتيال **جمال عبد الناصر** فى الاسكندرية على أيدى « جماعة الاخوان المسلمين » . فلم يحلل الحادثة ، وطبيعة قواها المتصارعة واهدافها من ثورة يوليو .. الخ ، وانما راح يقول **غزلا فى جمال عبد الناصر** .

وجريا على عادة «اخبار اليوم» راح الأستاذ مصطفى امين يهاجم **محمد نجيب** الذى عزل او غاب عن الصورة ، اثناء تدبيجه الغزل فى **جمال عبد الناصر** . فتحت عنوان **شكرا للجانى** ، كتب الاستاذ مصطفى امين فى « الموقف السياسى » فى العدد ٥٢١ من «اخبار اليوم» الصادر فى ١٩٥٤/١٠/٣٠ ، يقول « وكنت انا ادهش لهذا الشعور [شعور عدم حب عبدالناصر] عند هؤلاء الناس . وانسبه الى ان هؤلاء القوم ، تعودوا ان يكون الزعيم عندنا أشبه بمشايخ الطرق أو البهلوانات ، هو الريس فى الزفة وهو النعش فى الجنازة . فهم يريدون من الزعيم ان يقفز هنا وينط هناك ، يبتسم للمصورين ويهش للمهللين . يمثل الطيبة ويتظاهر بصورة الرجل « الهليهلى » الذى لا عمل له الا تقبيل الاطفال والتلويح بيده للنساء » . على أن من يراجع «اخبار اليوم» و «الاخبار» ، فترة وجود **محمد نجيب** ، يجد انها تردد المديح والغزل واقوال الصحف الأجنبية عنه .. الخ .

أما عن **جمال عبد الناصر** ، بعد توليه السلطة مباشرة ، فيقول الاستاذ مصطفى امين فيه [بنفس العدد والمقال] : «**هذا الشاب المتواضع الذى يحمر وجهه خجلا لكلمة اطراء ، والذى يتعذب وهو يوقع قرارا بفصل موظف ، والذى يتهلل بشرا وهو يصدر أمرا بالافراج عن معتقل . هذا القلب الطيب المملوء بالرحمة والحنان ، تصوره الاوهام بصورة الجزار» . وجمال عبدالناصر « هو الضمان الاول الذى منع هذه الثورة البيضاء من أن تتحول الى ثورة حمراء** » .

وكان الاستاذ **مصطفى امين** ، حريصا قبلها باسبوع واحد على ان يعزف مقالات الغزل والمديح فى جمال عبد الناصر . فتحت عنوان « **العهد الجديد** » [**العدد ٥٢٠** — ١٩٥٤/١٠/٢٣] يقول : « **شعرت ان هذا القلب** [يقصد قلب عبد الناصر كما فى نص المقال المنشور] **يتسع للمصريين جميعا ، الذين يعرفهم والذين لا يعرفهم ، الذين ايدوه والذين حاربوه** » ، الى ان يقول « **ولكن مع كل هذا أؤمن ان هذا الرجل قادر ان يصنع المعجزة ، قادر ان يفرش الارض بالتسامح والحب ، بعد أن**

كانت قد فرشت فيعهود الطغاةبالكراهية والانتقام ! قادر ان يقيم فى هذا البلد عهدا يبدو اليوم مستحيلا . وقــد كان خــروج فاروق مستحيلا فىوقت منالاوقات .وكان اعلان الجمهورية مستحيلا ، وكان خروج الانجليز من بلادنا مستحيلا . ولكن جمال فعل كل هــذا ، وانا اؤمن انه ســيفعل المعجزة الجديدة » .

ترى اى الكلام نصدق اليـــوم ، كلام الاستاذ **مصطفى امين** عن **جمال عبدالناصر** فى ذلك الوقت ، ام ما يكتبه وتكتبه «اخبار اليوم » عن **جمال عبد الناصر** هذه الايام ؟

هل يكفى تفسيرا لهذا التغير ــ بعــد **غياب عبد الناصر** ــ اسلوب مدرســـة مصطفى امين وكتابات « اخبار اليــوم »و «الاخبار» ، فى التعامل مع كله سلطة وكل حاكم : معه حين يصل الحكم وضده لحظة يغيب .. ؟

الواقع انهم كانوا يراهنـــون فى ذلك الوقت على ان يسلك **جمـــال عبد الناصر** نهجا فى السياسة فىاطار اتصالاتالثورة الاولى فى ذلك الوقت بالغرب . فراحــوا يحرقون البخور . وما ان اكتشفت الثورة الموقف الحقيقىللدول الاستعماريةوعدائها للثورة ، حتى نهجت الثورة طريقا آخــر . منذ ذلك الوقتبالتحديد ــ بعد التغيير ــ غيرت « اخبار اليوم » و «الاخبار» موقفها الحقيقى من **جمال عبد الناصر** . وان ظل موقفها غير معلن الى حين ظنت ان الوقت مناسب لاعلانه اليوم .

● ● ●

وماالذى يكشفعن «الاهتمام»و«الايمان»بكل ما هو « امريكى» **لدى** « اخبار اليوم»؟ وهل هناك ابلغ من حديثهم عن «السفير الذى سيخرج » فى العدد ٥٢٣ من«اخبار اليوم» الصادر فى ١٩٥٤/١١/١٣ .فبينماكان المستر فوستر دالاس يعد العـــدة « **لحلف بغداد** » وربط مصر به ــ كمــايأمل ــ خرجت «اخبار اليوم» تطـــالب بان تقدم مصر «حكومـــة وشعبا» هـــدية للسفير الامريكى **جيفرسون كافرى** « **تكون دليلا على عرفان مصر لجميله وتذكره بانمصر تعتبره ابنا من ابر ابنائها ، وان اسمه سيبقى منقوشا فى قلوب المصريين خالدا ابدا وبعد الابد ان كان بعده بعد** » .

« اخبار اليوم » لم تطلب فى ١٩٥٤ بعدبدء جلاء القوات البريطانيـــة عن مصر ، بتقديم « هدية » ــ فى شكل تمثال او اىرمز آخر ــ لشهداء مصر من اجل الجلاء .. مثلا ، وانما تطالب بهدية للســـــفير الامريكى .. وباعتباره « ابنا من ابر ابناء مصر » ... الخ .

.. وبعد .. هل شــعب مصر ومثقفوه فى حاجة ، بعد قراءة النصوص ــ مجرد مثل هذه النصوص ــ لان يعرف حقيقـــة مواقف «اخبار اليوم» و «الاخبار» ؛ وعلى اىنغمة يعزفون اليومكما عزفوا بالامس؟.

« الطليعـــة »




• جمهورية مصر العربية •

وزارة جديدة واعادة تنظيم المناصب العليا

فى الاسبوع الاول من ابريل اعلن ان د . عبدالعزيز حجازى سيكلف باعادة تشكيل وزارته ، ولكن مع نهاية الاسبوع الثانى تأكد ان الرئيس السادات يرى انه يجب احداث تغيير شامل لا مجرد تعديل محدود فى الوزارة . وقد رفض الرئيس ان يتولى بنفسه الوزارة ، حتى يولى اكبر قدر من وقته وجهوده لمتابعة مشكلة الشرق الاوسط ، بما تقتضيه من تكثيف الاهتمام العالمى بها ، والمحافظة على الحشد العربى كقوة ذات اثر فى المعركة السياسية الدائرة .

وفى ١٣ ابريل تقدم الدكتور عبد العزيز حجازى استقالته.

وفى ١٤ ابريل وجه الرئيس السادات حديثا الى الامة – أكد فيه على ثبات المنطلقات الاساسية للتجربة المصرية ، مؤكدا لهؤلاء الذين حاولوا الوقيعة بينه وبين عبد الناصر ان علاقاتهما كانت صداقة المبدأ فوق صداقة الرجلين .

كما اعلن الرئيس ان هناك منطلقات ثلاث اليوم للتجربة المصرية :

اولا : مرونة الموقف السياسى والتعامل مع الجميع بلا عقد .

ثانيا : اسلوب مختلف للعمل العربى يجمع بالاختيار والرضا كل القوى العربية .

ثالثا : منطق جديد فى رسم سياسة التنمية ، ينفتح على العالم العربى ، لان الرخاء العربى ينبغى ان يكون كالامن العربى كلا لا يتجزأ .

وركز الرئيس السادات على ثلاث ملاحظات اساسية بالنسبة للعمل الداخلى :

١ – القضاء على عوائق البيروقراطية التى حاولت ان تسد الطريق على الانفتاح بالقصور فى فهم الظروف المتغيرة والفرص المتاحة .

٢ – ان هذا المجتمع ينبغى ان يبقى مجتمع المنتجين وليس مجتمع اصحاب الملايين ، فهناك ثروات تراكمت من اعمال السمسرة وذلك فساد وافساد لايمكن السكوت عليه .

٣ – وقف موجة الغلاء التى ارهقت الاسر المتوسطة والفقيرة ، والا نلجأ الى الاعذار السهلة بالتخفى وراء ستار ارتفاع موجة الغلاء العالمية .

وبعد ان القى الرئيس بيانه كلف السيد ممدوح سالم بتشكيل الوزارة الجديدة .

وفى منتصف ليلة ١٥ ابريل اصدر الرئيس قرارا جمهوريا باعادة تنظيم المناصب العليا فى الدولة ، وترتب على ذلك ان اصبح الفريق حسنى مبارك قائد القوات الجوية نائبا لرئيس الجمهورية بدلا من السيد حسين الشافعى . ومن المعروف ان نائب الرئيس هو من قادة الجيش الذين برزوا باعمالهم فى حرب اكتوبر .

وقد اجرى ممدوح سالم مشاورات واسعة قبل اعلان تشكيل الوزارة الجديدة . وضمت الوزارة الجديدة ٢٤ عضوا بينهم ٣ نواب لرئيس الوزراء ، كما ضمت ١٦ وزيرا جديدا و ١٨ من اعضاء الوزارة المستقيلة . وخرج من الوزارة السابقة ١٧ وزيرا . وقد اعتذر عن الاشتراك فى الوزارة د . مصطفى خليل ، ود . شريف لطفى ، و د . اسماعيل صبرى عبد الله وزير التخطيط السابق .

وفى اول اجتماع لمجلس الوزراء بعد حلف اليمين الدستورية ، اوضح الرئيس مسئوليات المرحلة القادمة ، والتى وصفها بانها « مرحلة جديدة بقدر ماهى هامة » – وقال الرئيس : « ان الشعب ينتظر العمل الجاد » ، ولابد ان يشعر الشعب بجهد فى انجاز هذه المهام الثلاث التالية : ١ – الانفتاح الاقتصادى ، وعلى اساس انه هو الاصل وان الشذوذ هو التعقيد والبيروقراطية

٢ – الالتفاف للقضاء على ظاهرة تكدس الثروات بطريقة طفيلية ، ولابد من التقدم بالقوانين اللازمة لذلك ، وانه يجب فورا بحث اقرارات الاشخاص الموجودين فى مراكز القيادة العليا . وقال الرئيس : « كلنا ضد الدخول الطفيلية وضد السمسرة وضد التهريب والمتاجرة بأقوات الشعب ٣ – كفالة عدالة التوزيع للسلع التموينية ، وطالب الرئيس بانه « لابد ان يكون التوزيع عادلا ولابد ان تراعى القوانين ، وان تحمل الدخول الكبيرة وان تؤدى ما عليها للدولة ، كذلك لابد من عدالة التوزيع بالنسبة للمواد الاساسية ، وفى هذا العمل كله لابد ان يحاط الشعب بالحقائق اولا بأول » .

وقال الرئيس بالنسبة لدولة المؤسسات انا مصر على ان يستمر هذا لا ان يوقف او ان يحد منه . وقال اننا نواجه تحديات كثيرة ولابد ان تكون كل مؤسسة – ليس فقط السلطة التنفيذية – لابد ان تكون كل مؤسسة من داخلها مترابطة ومتفاهمة .

وقدم الرئيس للمجلس الفريق « حسنى مبارك » نائب رئيس الجمهورية تسائلا انه اختاره لانه احد ابطال بارزين تولوا القيادة العليا الى جانبه فى حرب اكتوبر وانه لابد ان ندفع بمن ادوا خدمات الى الوطن الى مواقع المسئولية حتى تكون منطقين مع حركة التاريخ ، وحتى يكون هذا الجيل ممثلا ومعبرا عن روح السادس من اكتوبر يوم تخطت قواتنا المسلحة باسم الشعب والامة كل عوائق واسوار المستحيل .

● سوريا	● تنزانيا	● فرنسا	● البرتغال
المؤتمر القطرى السادس لحزب البعث	« لا » .. للحوار مع النظم العنصرية	تصاعد جديد لحرب البترول	ماذا يعنى فشل الانقلاب الرجعى

واكد رئيس الوزراء فى تصريح ادلى به للصحفيين ، على ضرورة الارتفاع بالاعمال لاكثر من مستوى الاقوال، وان يكون الوزراء قدوة لجماهير الشعب فى المسئولية والحرص على مصالح الوطن والمجتمع . وضرورة الاهتمام بالمشاكل التى تعانى منها الجماهير الشعبية الصامدة ، وان يكون ذلك كله فى اطار من ديمقراطية القرار .

وطالب رئيس الوزراء اجهزة الاعلام بمتابعة اعمال مجلس الوزراء وقراراته بالتعليق والنقد البناء .

وفى لقائه مع الصحفيين فى ٢٢ ابريل الماضى أعلن رئيس الوزراء ● ان الدولة ستواجه عمليات السمسرة والعمولات بمنتهى الشدة والحزم ، وان المحاسبة ستبدأ من اعلى المستويات ، كما ان العمل الجاد وحشد الطاقات ودفع كل القوى للعمل لابد ان تأتى من أعلى المستويات .

● وانه خلال اسبوعين ستنخفض اسعار الخضر وستحل مشكلة السلع الاساسية الاخرى .

● وان الحكومة بصدد اعداد قانون الضرائب الجديد الذى سيعتبر التهرب من الضريبة «جناية» تستوجب العقاب ، وان سياسة الوزارة هى ترك الحرية لكل فرد للعمل والكسب ، بشرط الا يتهرب من الضريبة الواجبة عليه ، ودون اى استغلال للشعب .

هذا ومن المتوقع ان تلقى الحكومة الجديدة بيانها امام مجلس الشعب فى الجلسة التى يعقدها المجلس فى النصف الاول من شهر مايو القادم .



باندونج .. عشرون عاما

« لقد كان مؤتمر باندونج فى ١٩٥٥ ، نقطة تحول فى تاريخ الشعوب الافريقية الاسيوية ، وايذانا بانتفاضتها وانطلاقتها لانتزاع حقوقها وتأكيد استقلالها وتدعيم تضامنها . وكان هذا المؤتمر فى نفسه حجر الاساس فى استراتيجية عالمية جديدة على الساحة الدولية كلها، لقد كانت مبادىء باندونج هى التى ارست اركان التعايش السلمى ، وسيادة الشعوب وحريتها ، كما كانت أول اشارة الى دخول الشعوب الافريقية الاسيوية ميدان العمل الدولى ، واحتلالها مكانها فيه بجدارة وعن حق، وممارستها حقوقها فيه بفعالية على اسس المساواة والعدالة الدولية » .

بهذه الكلمات التى وجهها الرئيس انور السادات افتتحت اولى جلسات « الاجتماع الدولى لمنظمة تضامن الشعوب الافريقية الاسيوية احتفالا بالذكرى العشرين لمؤتمر باندونج التاريخى » .

وقد تلقى هذا الاجتماع الدولى الذى عقد جلساته خلال يومى ١٣ — ١٤ ابريل ١٩٧٥ ، فى قاعة اجتماعات اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى العربى ، والذى حضره ممثلون لمختلف منظمات التضامن الاسيوى الافريقى فى العديد من البلدان ومندوبون عن مختلف المنظمات العالمية عددا من الرسائل الهامة .. من بينها رسالة من **كورت فالدهايم** السكرتير العام للامم المتحدة ورسالة من الرفيق **ليونيد بريجنيف** السكرتير العام للجنة المركزية للحزب الشيوعى بالاتحاد السوفيتى جاء فيها :

« ان تطوير التقاليد التى تمخضت عن مؤتمر باندونج سوف يكون اسهاما ملموسا فى النضال ضد الامبريالية، وتستطيع شعوب آسيا وافريقيا المناضلة ان تكون — كما سبق لها — على ثقة بدعم الاتحاد السوفيتى المستمر».

كذلك تلقى الاجتماع الدولى رسائل من **الرئيس البكر** والشيخ **مجيب الرحمن** والسيد **رشيد الصلح** والسيد **ياسر عرفات** والعديد من رؤساء الدول الافريقية والاسيوية والدول الاشتراكية .

وخلال جلسات الاجتماع الدولى التى **يوسف السباعى** السكرتير العام لمنظمة التضامن الاسيوى — الافريقى تقريرا مسهبا ، تحدث فيه عن الدلالة التاريخية لمؤتمر باندونج وعن تصاعد حركة التضامن الافريقية الاسيوية وعن بؤر التوتر والمسائل العاجلة وعن قضية التمييز والانفراج وأمن الدول .

وقد قال **يوسف السباعى** فى تقريره « ان الشعوب الافريقية الاسيوية تأخذ مصيرها فى ايديها ، ولقد انقضى ذلك الزمن الذى كان الامبرياليون يستطيعون فيه ان يفرضوا ارادتهم على الشعوب التى كانوا ينظرون اليها على انها مجرد موضوع لسياستهم الاستعمارية .وخلال العشرين عاما التى انقضت منذ باندونج عانت الامبريالية العالمية والقوى الرجعية هزائم ساحقة ، وجرت تغيرات سياسية واقتصادية واجتماعية على المسرح الدولى لصالح التحرر الوطنى والدول النامية الفتية ، واصبحت الاشتراكية عاملا حاسما فى التطور الاجتماعى العالمى ، وتحطم النظام الاقتصادى للامبريالية وتعرضت الراسمالية لازمة تزداد تعمقا » .

كذلك اشاد **يوسف السباعى** فى تقريره الى الاجتماع الدولى ، بدور ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى « التى بدأت عصرا جديدا فى تاريخ البشرية » .

وبالاضافة الى تقرير السكرتير العام قدم الى الاجتماع الدولى تسعة عشر تقريرا من تسعة عشر بلدا ومنظمة **تقدم وفد اليابان تقريرا عن « القواعد العسكرية**

الامريكية — تهديد للسلام والامن فى آسيا » وقدمت الهند « مشاكل السلام والامن فى آسيا » وقدمت سيرى لانكا تقريرا عن « المحيط الهندى .. منطقة سلام » .وقدم وفد الاتحاد السوفيتى تقريرا بعنوان « اهمية وحدة ودعم قوى الاشتراكية والتحرير الوطنى فى عملية الثورية العالمية » اما وفد الصومال فكان تقريره عن « الجماعة الاشتراكية صديقة البلاد النامية التى يمكن الاعتماد عليها » كذلك قدم خالد محيى الدين رئيس وفد مجلس السلام العالمى تقريرا بعنوان « باندونج والسلام العالمى » .. الخ .

وبعد مناقشة عامة اصدر الاجتماع بيانا عاما اعاد التذكير بالنقاط العشر التى تقوم عليها مبادىء باندونج. واكد ان روح باندونج « لا تزال حية بين شعوب افريقيا وآسيا وامريكا اللاتينية » . ويتركز النضال فى المرحلة الراهنة ضد الاستعمار الجديد وعلى رأسه الولايات المتحدة ، وتكتسب ضرورة دعم الجبهة العالمية لكل القوى المعادية للامبريالية اهمية اكبر اليوم » .

ومضى البيان العام يقول « وتشق القوى التقدمية طريقها الى الامام . لكن قوى الرجعية لازال تعمل.. ونحن نطالب باجراءات لتصفية بؤر العدوان وتهيب بالشعوب الافريقية الاسيوية ان تدعم نضالها من اجل الوحدة وتضامنه .

وحدد البيان العام اهداف شعوب آسيا وافريقيا قائلا :

« اننا نعمل :

— من اجل التصفية الكاملة للاستعمار والاستعمار الجديد والعنصرية والصهيونية .

— من اجل التطور المتكافىء للجميع ومشاركة كل بلاد العالم فى التقدم التكنولوجى .

— من اجل حق كل الشعوب فى ان تصوغ مستقبلها وتكون سيدة مواردها وامكاناتها الوطنية .

— من اجل وقف كل تدخل اجنبى وتصفية كل القواعد الاجنبية » .



• الوطن العربى •

العودة الى طريق مؤتمر جنيف

دخلت أزمة الشرق الاوسط مرحلة جديدة ، وذلك بعد اعلان فشل سياسة د. هنرى كيسنجر وزير خارجية الولايات المتحدة والمعروفة بسياسة الحل « خطوة خطوة »

وكانت مصر قد تقدمت رسميا بعد اعلان فشل مهمة كيسنجر الى **الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة** ، باعتبارهما الدولتين المسئولتين عن رئاسة مؤتمر جنيف ، بطلب عقد المؤتمر ، لبدء المرحلة الثانية من أعماله ، الامر الذى لم تجد امامه الولايات المتحدة مفرا من قبول الموافقة على عقده ، من حيث المبدأ .

من الواضح ان اتجاه مصر وسوريا يؤيدهما فى ذلك الاتحاد السوفيتى يقوم على ضرورة عقد مؤتمر جنيف ، على أساس انه المنبر الدولى المؤهل لتحديد وارساء أسس السلام والامن فى الشرق الاوسط .

والمعروف ان اسرائيل ما تزال عند موقفها المتعنت ، واصرارها على عدم اشتراك منظمة التحرير الفلسطينية فى مؤتمر جنيف . كما أنها تكشف بسياستها العميلة كل يوم والمتمثلة فى بناء المستعمرات واحكام قبضتها على الاراضى العربية المحتلة ، عن رغبتها فى الاحتفاظ بالاراضى العربية . الامر الذى يثير الشكوك لدى المراقبين فى امكانية ذهاب اسرائيل الى المؤتمر ، وتعرضها لمواجهة عربية ودولية من اجل تخليها عن الاراضى التى احتلتها بالقوة .

ويؤكد الاتحاد السوفيتى ومصر وسوريا أيضا اهمية الاعداد للمؤتمر اعدادا جيدا ، بحيث يؤدى الى ايجاد الحلول النهائيه الشاملة والكاملة لمشكلة الشرق الاوسط .

وكانت مصر قد دعت الى توسيع مؤتمر جنيف ، وضم الاردن ولبنان الى المؤتمر باعتبارهما من دول المواجهة ، وكذلك ضم انجلترا وفرنسا وممثلين عن دول عدم الانحياز وذلك حتى لا يتحول المؤتمر الى مواجهة بين الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة وحدهما .

وتتجه الانظار فى الوقت الحالى الى الولايات المتحدة ، التى امدت اسرائيل بكافة أشكال الدعم المادى والعسكرى حتى تحدد موقفها بعد فشل مهمة كيسنجر ، وهو ما عبر عنه الرئيس السادات فى حديثه الى التليفزيون الامريكى بقوله : « **انه يجب على الولايات المتحدة أن تعلن موقفها بوضوح أمام العالم ، وما اذا كانت ستحمى اسرائيل فى حدودها أم هل ستحميها فى أراضى الغير التى احتلتها بالقسوة** » ..

والى أنيتم الاعداد لمؤتمر جنيف وتحديد موعده ، فان الاتجاه الحالى لجميع اطراف قوى المواجهة ، هو مراجعة الحسابات واعادة تقييم المواقف والاعداد للمرحلة المقبلة. وبالفعل بدأت تجرى الاتصالات والمشاورات بين قوى المواجهة الثلاث فيما بينهم وبين مجموعة الدول العربية .

وقد شهدت الفترة الاخيرة لقاء بين الرئيس **أنور السادات** وبين **ياسر عرفات** رئيس منظمة التحرير الفلسطينية ولقاء بين وفد منظمة التحرير وبين كبار المسئولين فى القاهرة ، حيث أمكن تصفية الخلافات بين الجانبين وهى الخلافات التى وصفت بأنها لا تخرج عن كونها مجرد اجتهاد فى الرأى ، وأن الجميع يلتقون دائما على الهدف والنضال والمسيرة الواحدة . كما أكد **ياسر عرفات** ما أشار اليه الرئيس السادات من قبل ، الى أهمية التضامن وتأكيد معنى الالتقاء المصرى — السورى — الفلسطينى ، باعتباره المحور الاساسى فى الصراع مع العدو الصهيونى . ومن بين النتائج الهامة لمباحثات الوفد الفلسطينى فى القاهرة ، تحقيق التنسيق بين الجيشين المصرى والفلسطينى فى سيناء ومنح مكاتب فى القاهرة للتطوع فى جيش التحرير الفلسطينى — قوات عين جالوت — المرابطة فى سيناء .

كما شهدت الفترة الاخيرة لقاء قمة عربى محدود فى الرياض ، يضم الرئيسين **أنور السادات وحافظ الاسد والملك خالد بن عبد العزيز** ، وذلك من اجل وضع الاسس الاستراتيجية لاحتمالات الحرب أو السلام فى المستقبل وقد تركزت محادثات القمة بين القادة الثلاثة على موضوعين أساسيين هما :

- العلاقات الثنائية بين دولتى المواجهة : مصر وسوريا
- التنسيق الكامل بين مصر وسوريا ، باعتبارهما

دولتى المواجهة العسكرية ؟ والسعودية باعتبارها دولة المواجهة الاقتصادية .

ومن ناحية أخرى تتزايد الدعوة الى الاسراع بعقد اجتماع عربى عام على مستوى القمة ، يتناول تقييم الوضع العربى ، ووضع استراتيجية عربية كاملة وشاملة على المستوى القومى لتوحيد الصف العربى وتعزيز جبهة الصمود العربى ، ومن المتوقع أن يعقد هذا الاجتماع فى شهر يونيو القادم . كما أنه من المتوقع ان يسبق اجتماع القمة العربى لقاء [مصرى — سورى — فلسطينى] لاتخاذ خطوات سياسية وعسكرية للتنسيق فيما بينهم وتدعيم وحدة قوى المواجهة الثلاث — هذا وان كان لم يتقرر بعد تحديد موعد هذا اللقاء . وكان قد ذكر انه سيتم تحديد موعد هذا اللقاء ، عقب عودة وفد مصر برئاسة **اسماعيل فهمى** وزير الخارجية من موسكو واجراء محادثات مع **أندريه جروميكو** وزير الخارجية **وليونيد برجنيف** السكرتير العام للحزب الشيوعى السوفيتى . وكذلك بعد زيارة ياسر عرفات والوفد الفلسطينى الى موسكو فى أواخر أبريل الماضى .

وقد أعلن اسماعيل فهمى وزير الخارجية بشأن مباحثاته فى موسكو أنه تم الاتفاق على ضرورة استئناف مؤتمر جنيف لاعماله ، وضرورة اشتراك ممثلى منظمة التحرير الفلسطينية فى هذا المؤتمر على أن يكون لهم نفس الحقوق التى يتمتع بها المشتركون الاخرون .



● سوريا ●

المؤتمر القطرى السادس لحزب البعث العربى الاشتراكى

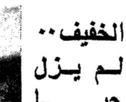
انعقد فى أوائل الشهر الماضى المؤتمر القطرى السادس **لحزب البعث العربى الاشتراكى** ، بعد أن تمت خلال الفترة السابقة عمليات الانتخابات فى مختلف المستويات الحزبية المدنية والعسكرية .

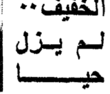
وقد القى الرئيس السورى **حافظ الاسد** والامين العام للحزب كلمة فى جلسة افتتاح المؤتمر ، اوضح فيها الاهمية الخاصة للمؤتمر فى هذه الظروف التاريخية التى يمر بها القطر السورى ، والسمات التى يتسم بها المؤتمر ، والتى لها دلالة خاصة بالنسبة للحزب وللشعب .. وقال :

اننا بلغنا مرحلة من النضج تجعلنا نغلب العام على الخاص ، ونغلب الاساسى على الثانوى ، وندرك الشروط الضرورية للتطور والتى لابد منها لخوض أية معركة يفترض أن نخوضها » ..

وأكد الرئيس **حافظ الاسد** تصميم الحزب على ممارسة الديمقراطية بشكل جدى وحقيقى على امتداد الحزب وعلى امتداد أوسع الجماهير .

الخفيف .. لم يزل حيا





وتمضى السنوات ، ولم يزل د. محمد الخفيف حيا ، بتاريخه ونضاله وفكره .

ان أسرة تحرير « الطليعة » التى عاشت معها د. **الخفيف** تجربة التأسيس والممارسة والذى أسهم معها بجهده وفكره وتلمه لتذكر د. **الخفيف** ، كرفيق نضال منح « الطليعة » كل ما استطاع من جهد وقدم لها الكثير .

وتمضى السنوات .. ولم يزل د. محمد الخفيف معنا بفكره ؟ وتمضى السنوات وسيظل معها **الخفيف** حيا .

وعن الظروف الخاصة التى تمر بها الامة العربية ، اكد الرئيس **حافظ الاسد** أن الامة العربية حققت نصرا فى اكتوبر وحققت مكاسب هامة ، وان هناك محاولات مستميتة لطعن هذه المكاسب رغم أن بعضها دخل التاريخ كمكسب دائم وابدى ، ولا يمكن لاى أسلوب يتبع ولا لاية وسيلة تستخدم أن تغير من هذه الحقيقة .

وعن علاقات العرب بالغرب والشرق قال الرئيس الاسد : « هناك علاقات بمواصفات خاصة مع الغرب . وعلاقات بمواصفات خاصة أخرى مع الشرق . هناك علاقات بين الحكومات العربية فى هذه المرحلة مختلفة عما كانت عليه فى المراحل السابقة وفيها الايجابى وفيها السلبى .. وان كل هذا يتطلب منا ومن كل مخلص — فى وطننا العربى — جهودا خاصة وخلاقة لتنتصر أمتنا العربية فى صراعها العادل » .

وقد ناقش المؤتمر فى جدول أعماله التقارير التنظيمية والسياسية والاقتصادية المقدمة من القيادة القطرية للحزب واتخذ فى نهاية جلساته عددا من القرارات والتوصيات فى المجالات المختلفة من بينها :

تأكيد موقف الحزب من اجل مواصلة النضال لتحرير الارض العربية المحتلة كلها ، وضمان الحقوق الوطنية للشعب العربى الفلسطينى ، والاستمرار فى تعزيز القوى الذاتية العسكرية للقطر ، ورفع كفاءتها القتالية ؟ والاستمرار فى بناء الجبهة الداخلية بما يكفل حشد طاقات الشعب فى المعركة ، والتصدى للمؤامرات الامبريالية فى المنطقة وتفويت الفرصة عليها . ومقاومة مخططاتها المعادية واجهاض المحاولات الرامية لتصفية القضية الفلسطينية

وقضية التحرير الشامل للاراضى العربية المحتلة ، **والتركيز على المعركة المصيرية وعدم الانزلاق الى المعارك الهامشية**

وفى مجال السياسة العربية قرر المؤتمر : تطوير اساليب العمل الوحدوى الاشتراكى والنضال لتحقيق ما يمكن تحقيقه من خطوات وحدوية على طريق الوحدة العربية الشاملة ، وتعزيز التضامن العربى وترسيخه ، والعمل على وضع طاقات الامة العربية العسكرية والاقتصادية والسياسية فى المعركة ، واستمرار دعم حركات التحرر الوطنى ماديا ومعنويا فى آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية ، والتضامن مع جميع قوى التحرر والتقدم والاشتراكية فى العالم .

وفى مجال القضية الفلسطينية قرر المؤتمر : الالتزام بدعم الشعب العربى الفلسطينى فى سبيل العودة الى وطنه ، وتقرير مصيره فوق أرضه ، والعمل على ابراز الشخصية الفلسطينية فى نطاق الانتماء القومى ، وتأييد الشعب الفلسطينى فى اقامة السلطة الوطنية المستقلة على الارض الفلسطينية التى يتم تحريرها ، ومواصلة النضال لتحرير كامل التراب الفلسطينى .

وقد حيا **المؤتمر** المبادرة التى أعلنها الرئيس **حافظ الاسد** بالدعوة لقيام قيادة سياسية وعسكرية سورية ــ فلسطينية موحدة مع التأكد على مواصلة العمل لانجاز الصيغة المناسبة لوضع هذه المبادرة موضع التنفيذ .

وفى المجال الاقتصادى قرر المؤتمر : **العمل على وضع التشريعات الكفيلة بالمحاسبة ، سواء أكان ذلك مكافأة أو معاقبة ، وتحويل الجمعيات التعاونية الزراعية من جمعيات خدمات زراعية الى جمعيات انتاجية اشتراكية وتامين الامكانيات اللازمة لذلك ــ ودعم القطاع العام باعتباره القائد فى مجالات الاقتصاد الوطنى .**

كذلك اتخذ المؤتمر عددا من القرارات والتوصيات فى مجالات الاسكان والصحة والمواصلات والسياحة والثقافة والاعلام والخدمات الاجتماعية .

واختتم المؤتمر اعماله بانتخاب القيادةالقطرية الجديدة للحزب وهى القيادة التى ستتحمل المسئولية خلال السنوات الاربع القادمة ..

هذا وقد احتفلت القيادة القطرية لحزب البعث العربى الاشتراكى فى سوريا ، فى السابع من شهر أبريل الماضى بالذكرى الثامنة والعشرين لتأسيس حزب البعث ، وقد أعربت مختلف الاحزاب الوطنية والتقدمية فى العالم العربى والدول الاشتراكية عن تهانيها للحزب السورى بهذه



تعليق: عندما تحتفل الشعوب بذكرى انتصارها على الفاشية

يحتفل العالم هذا العام بالذكرى الثلاثين لانتصار الاتحاد السوفيتى والقوى الاخرى المتحالفة على الفاشية الالمانية والايطالية والعسكرية اليابانية فى الحرب العالمية الثانية [٣٩ ــ ١٩٤٥] .

ان الفاشية التى ظهرت الى الوجود بدءا بانقلاب موسولينى فى ايطاليا فى أوائل العشرينات وشملت عددا من البلدان الأوروبية ، والتى بلغت أوج خطورتها بالانقلاب النازى فى المانيا عام ١٩٣٣ ، لم تكن فى واقع الامر سوى نتاج وافراز طبيعى للراسمالية العالمية ، نتيجة استحكام أزمتها العامة ، وتفاقم الصراع بين الاحتكارات الألمانية والايطالية واليابانية من جهة وبين الاحتكارات الاستعمارية الاخرى . ودفعت هذه الأزمة المانيا النازية الى شن حرب طاحنة ، من اجل اعادة توزيع وتقسيم الاسواق ومصادر الخامات فى المستعمرات والبلدان الرأسمالية الضعيفة التطور .

لقد بدت اخطار الفاشية أول مابدت فى آثارها المدمرة على مجتمعاتها ، والتى تمثلت فى التخلص من كل أشكال المعارضة فى الداخل ، وتحطيم كافة أشكال الحريات المتعارف عليها فى النظم الديمقراطية الغربية ، واهدار كل القيم الانسانية والحضارية وكل ما هو ضد العقل والمنطق ، واتباع الاساليب الديماجوجية فى تضليل وخداع الجماهير ، والتبشير بنظريات القومية المتعصبة ــ نظريات التمايز العنصرى والجنس الارقى ــ وبهذا المعنى كانت الفاشية كنظرية ونظام تعنى الحرب بالضرورة . ومن هنا شنت الامبريالية الالمانية حرب اغتصاب ونهب البلدان الاوروبية . وهى حرب ذاقت فيها الشعوب الاوروبية كل الوان القهر والتنكيل على ايدى الجيش الالمانى ، بحيث تجاوزت جرائم الفاشية الالمانية ابشع جرائم الغدر والقسوة التى عرفتها البشرية فى العصور الوسطى والقديمة المظلمة : ابتداء من الاغتيال الفردى الى احراق المئات والالوف من الاحياء فى أفران خاصة . وخيم الخطر الاسود على العالم .

على أن الحرب التى بدأت فى القارة الاوروبية ، سرعان ما جرت اليها بلدان العالم اجمع ، التى هبت لدرء الخطر الفاشى ، والدفاع عن القيم الانسانية وكل منجزات التطور والتقدم الحضارى للبشرية . خلال عصور التاريخ .

غير أن الحرب بدأت تتجه مسارا آخر بعد الهجوم الالمانى على الاتحاد السوفيتى فى ١٩٤١/٦/٢٢ . لقد كانت القيادة الالمانية تأمل من وراء القضاء السريع على الاتحاد السوفيتى القضاء على بريطانيا واجبارها على الاستسلام ، وهو ما اعترف به ونستون تشرشل رئيس الحكومة البريطانية والرئيس الامريكى روزفلت وغيرهما من القادة العسكريين الغربيين فى ذلك الوقت . الامر الذى اضطرت معه بريطانيا والولايات المتحدة الى قبول التعاون العسكرى مع الاتحاد السوفيتى فى مواجهة العدو المشترك .

ومن ناحية اخرى ، فقد كانت الحرب على الجبهة السوفيتية ــ الالمانية ، اختبارا حقيقيا لقدرات الدولة الاشتراكية اجتماعيا وسياسيا واقتصاديا على الصمود ، فى مواجهة أعظم قوة عسكرية من حيث العدد والعدة والتنظيم العسكرى فى العالم وقتذاك . وتمكنت المقاومة الشعبية الباسلة خلال ثلاث سنوات من شل حركة العدو وتحطيم قواه الرئيسية ، واستنفاد كل احتياطيه الاقتصادى والعسكرى . الامر الذى وضع من تحويل الهجوم على بريطانيا ، وتوقف قصفها بالقنابل منذ بدء الحرب على الجبهة السوفيتية ، والى تحسين موقفها العسكرى والمعنوى . وتبين الاحصائيات الخاصة بالحرب أن مجموع الفرق الالمانية التى تحطمت على

المناسبة التى يخوض فيها الحزب على رأس الجبهة الوطنية فى سوريا ، النضال ضد العدوان الصهيونى الامبريالى ومن أجل تحرير الاراضى العربية المحتلة ، ومن اجل تطوير المجتمع السورى على طريق الاشتراكية والتقدم.



● تنزانيا ●

«لا» للحوار مع النظم العنصرية

من المتوقع ان تتصاعد حركة الكفاح ضد النظم العنصرية فى جنوب افريقيا وروديسيا ، على اثر التطورات التى وقعت داخل روديسيا من جهة .. والنتائج الهامة التى اتخذتها الدورة التاسعة الاستثنائية لمجلس وزراء منظمة الوحدة الافريقية الذى انعقد فى دار السلام [من ٧ الى ١١ ابريل] .

فبينما استشهد هربرت شتيبو من زعماء حزب « زانو » [اتحاد زيمبابوى الوطنى] فى لوزاكا على ايدى عملاء لنظام سميث العنصرى ، قام سميث ايضا باعتقال القس ندا بانينجى سيثولى مؤسس حزب «زانو» . وذلك بعد فشل المناورة التى قام بها سميث مؤخرا لنزع سلاح قوات الكفاح المسلح تحت اسم « التفاوض » .

وقد اتخذ مؤتمر دار السلام ، عددا من القرارات واقر عددا من الوثائق تتضمن تحليل الموقف الراهن فى جنوب القارة وتحدد استراتيجية الدول الافريقية المستقلة فى النضال ضد العنصرية والاستعمار . واكد المجتمعون مساندتهم لمطالب شعب زيمبابوى وناميبيا فى الاستقلال وتصفية النظم العنصرية فى جنوب القارة ، واكدوا تأييدهم لنضال « المقاتلين من اجل الحرية » فى كل صوره فاذا ما فشل النضال السياسى ، « فلا مناص من تصعيد الكفاح المسلح ومده بكل الدعم الضرورى » . واعاد المجتمعون بذلك الموقف الذى اكده من قبل « إعلان لوزاكا » و« اعلان مقديشيو » . وقد دعا المجتمعون كل الدول الافريقية والمجتمع الدولى والمنظمات الدولية ، بضرورة العمل لعزل النظم العنصرية سياسيا واقتصاديا ، واعتبار من يتعامل دبلوماسيا وتجاريا مع هذه النظم « طرفا غير صديق لافريقيا » .

الجبهة السوفيتية ٦٠٧ فرق ، بينما حطمت الجيوش الاخرى المتحالفة ١٧٦ فرقة للعدو .

ولا شك ان كل ذلك قد سهل على بريطانيا والولايات المتحدة الى حد كبير ، فتح الجبهة الثانية ضد الجيش الالمانى فى نورماندى على الساحل الفرنسى فى ١٩٤٤/٦/٦ ، وذلك بعد أن كانت نتيجة الحرب قد تقررت على الجبهة السوفيتية . على انه لا ينبغى — فى الوقت نفسه — التقليل من شأن توحد قوى الدول الثلاث المتحالفة [الاتحاد السوفيتى وبريطانيا ، والولايات المتحدة] ضد المحور الهتلرى [المانيا ، ايطاليا ، اليابان] وهو الامر الذى أدى الى التفاف كافة الدول والقوى الديمقراطية فى العالم من حولهم : الامر الذى كانت له أهمية عظيمة فى تحقيق النصر .

ولقد ادركت القوى الديمقراطية فى البلاد الاوروبية التى رزئت بالاحتلال الفاشى ، أهمية التحالف والتعاون المشترك فيما بينها ، حيث تكونت الجبهات الوطنية التى ضمت الاحزاب الشيوعية والاشتراكية والاحزاب البورجوازية الديموقراطية للدفاع عن شرف الوطن وحريته وتنظم النضال ضد المحتلين وفى أكثر من بلد تمكنت هذه الجبهات من وضع البرامج السياسية الخاصة بمهام التحرير والبناء ، التى التفت حولها جميع القوى الوطنية والتقدمية والعمالية . وتحملت هذه الجبهات الوطنية التقدمية فى بلدان أوروبا وآسيا عبء النضال التحررى بنجاح ضد الاحتلال الفاشى .

لقد أدى تحطيم الفاشية الى انهيار كثير من الانظمة الرجعية ، وانتصار الثورات الاشتراكية فى عدد من بلدان أوروبا وآسيا ، وظهور النظام الاشتراكى كقوة عالمية مؤثرة فى سير التطور البشرى ، والى تزايد نضال الطبقة العاملة فى البلدان الرأسمالية من أجل الاشتراكية ، كما أدى الى خلق الظروف المواتية أمام نضال حركات التحرير الوطنية فى المستعمرات من أجل الحرية والاستقلال الوطنى .

ان كل ذلك قد أدى الى التغير الجذرى فى ميزان القوى على الصعيد العالمى لصالح قوى الاشتراكية والديمقراطية والتقدم ، على حساب القوى الامبريالية والرجعية الدولية ، والى تعميق الازمة العامة للرأسمالية العالمية ، وجعل القوى الامبريالية تفقد المبادرة فى التصرف والتلاعب بمصير الشعوب كما كانت تفعل فى الماضى .

وفى هذه الايام ، حيث يحتفل العالم بذكرى الانتصار على الفاشية ، ترتفع الاصوات من جانب القوى الاشتراكية والديموقراطية فى العالم بالتحذير من ظاهرة تزايد نشاط القوى الفاشية الجديدة ، فى عدد من البلدان الاوروبية حيث يقوم الفاشيست الجدد باغتيال العناصر التقدمية وتدمير المنشآت العامة ومقار الاحزاب الديمقراطية وارتكاب كل أعمال الاستفزاز والارهاب .

ولا شك أن القوى الاشتراكية العالمية وحركة التحرر الوطنى والقوى الديمقراطية والتقدمية فى العالم ، قد أصبحت حاليا أقوى بكثير مما كانت عليه قبل الحرب العالمية الثانية ، وهى تستطيع من ثم أن تلعب دورا حاسما من أجل احباط مؤامرات الفاشيين الجدد . غير أن هذه المهمة أصبحت تتطلب فى هذه الظروف توحيد الجهود بين جميع قوى التقدم والاشتراكية والسلام ، من أجل القضاء على ظاهرة الفاشية الجديدة ، وذلك قبل أن يستفحل خطرها ، ومن اجل منع كل المحاولات الرامية الى اشعال حرب عالمية ثالثة ستكون بلا شك ، وبصورة لم يسبق لها مثيل ، أعظم خطرا فى تدمير الانسانية والقضاء على كل منجزات الحضارة البشرية .

وديع أمين

ويعتقد المراقبون الامريكيون ، ان رفض المؤتمر لفكرة « الحوار » مع النظم العنصرية ، يعد مكسبا ضخما لحركة التحرر الافريقية وحركات الكفاح المسلح الوطني في جنوب افريقيا وزيمبابوي .

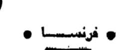
فمنذ اعلان حكومة النظام البرتغالي الجديد عن عزمها على استقلال موزمبيق وانجولا ، ادت التطورات التي أعقبت ذلك الى تغيرات جذرية في ميزان القوى في جنوب القارة ، ودفع النظم العنصرية الى البحث عن طريق للخروج من المأزق الذي يوشك أن تقع فيه . فقد فقدت تلك النظم العنصرية تماما مستعمرتي انجولا وموزمبيق السابقتين « كمنطقة عازلة » بينها وبين افريقيا المستقلة . واصبح مطروحا بشكل تلقائي احداث تغييرات مماثلة في جنوب القارة .

وقد بدأ جون فورستر رئيس وزراء جنوب افريقيا « حركة الالتفاف » هذه ، بإلقاء خطاب تحدث فيه عن « التعايش » مع الدول الافريقية المستقلة وضرورة بدء « الحوار » معها . واعلن وقتها « ان العالم سيفاجأ بتغييرات هامة خلال ستة اشهر » . وخلال هذه الفترة قام بإجراء اتصالات سرية مع لوزاكا — بعد مشاورة حكومة سميث — وترددت انباء تقول بانه قام بزيارة سرية الى ساحل العاج والسنغال [انكرت ذلك] كما قيل بان وفدا من جمهورية افريقيا الوسطى قد زار جنوب افريقيا للاتفاق على « مساعدات » مادية وفنية تقدمها حكومة فورستر . وكان آخر نشاط لفورستر ، زيارته العلنية الاخيرة الى ليبيريا .

وقد اوضح البيان الذي اذاعه مكتب حزب المؤتمر الوطني الافريقي [جنوب افريقيا] في داكار ، أن محاولة فورستر « للحوار » ، تهدف الى شق وحدة صف الدول الافريقية المستقلة من جهة ، وعزل حركة الكفاح المسلح ، والقوى الوطنية المناضلة ضد العنصرية والاستعمار . وقد ادان البيان مناورة فورستر ، واكد ان الكفاح المسلح « هو الطريق الوحيد لتحقيق استقلال الشعوب التي ترزح تحت نير النظم العنصرية في القارة » .

ومن الجدير بالذكر ان مؤتمر دار السلام قد أكد وهو يرفض « الحوار » مع النظم العنصرية ، « اصرار منظمة الوحدة الافريقية على مواصلة النضال بلا مساومة ضد العنصريين » . كما ناقش طرق ووسائل تحرير جنوب القارة على ضوء خبرات حركات التحرر الوطني في الدول الاخرى .

O



فشل التمهيد لمؤتمر دولي تصاعد جديد لحرب البترول

دعت الجزائر الى عقد اجتماع عاجل وطارىء لوزراء البترول في الدول المصدرة له ، لاجراء مباحثات حول التطورات الجديدة للسياسة البترولية بعد فشل المحادثات التمهيدية لعقد مؤتمر قمة للدول المنتجة والمستهلكة .

وأيدت الكويت هذا الطلب ، بعد أن لاحت نذر تصاعد المواجهة بين الدول المستهلكة والمنتجة خلال اجتماع باريس التحضيري .

والواقع أنه منذ أن بدا في باريس الاجماع التحضيري للمؤتمر العالمي للطاقة في ٧ أبريل ، رجحت وكالات الانباء احتمالات فشل المجتمعين من ممثلي الدول المنتجة والمستهلكة للبترول في التوصل الى اتفاق يسمح بعقد هذا المؤتمر في الصيف القادم . وبالفعل فقد تركزت الخلافات في امرين : جدول الاعمال ، اذ ارادت الدول الصناعية قصره على مشكلة الطاقة ، واصرت الدول المنتجة والدول النامية على ان يشمل بحث كل المواد الاولية والتنمية . اما موضوع الخلاف الثاني فكان حول أطراف المؤتمر فقد عارضت دول العالم الثالث تقسيم الدول النامية الى دول منتجة للبترول ودول غير منتجة على أساس أن مصالح هذه الدول واحدة وأرادت توسيع عدد الحاضرين وأصر الاخرون على العكس وتقدم ممثل السوق المشتركة باقتراحين للتقريب بين مشروعي الدول النامية والدول الصناعية حول جدول الاعمال ، كانا في الواقع رضوخا لمطالب الدول النامية ، اذ ينص الاقتراح الاول على بحث المواد الخام الاخرى ويطالب الثاني باعطاء أولوية لمساعدة الدول النامية في مشروعاتها لكن عند المناقشة أصر كل طرف على موقفه .

والواقع أن الخلاف بين الطرفين يتركز كما قالت الاكسبريس الفرنسية في أن الأهتمام الرئيسي للدول الصناعية يتركز على تكاليف البترول التي خلقت عجزا لا يمكن تحمله في ميزان مدفوعاتها منذ ارتفاع الاسعار في ١٩٧٣ ، في حين أن المشكلة بالنسبة للدول المنتجة هي زيادة عائداتها مقابل هذه الثروة التي تقدمها والتي تهدد بالنضوب ..

وقد اشترك في هذه المواجهة الاولية اليابان والولايات المتحدة والسوق المشتركة [الدول الصناعية المستهلكة] والسعودية والجزائر وفنزويلا وايران [الدول المنتجة وان كان ذلك بصفة شخصية لا كممثلين للاوبك كما قرر مؤتمر دول البترول في الجزائر] والهند والبرازيل وزائير [الدول النامية] وتولت فرنسا الرئاسة الفنية للمؤتمر وبذلت كل جهدها لمنع الدخول في التفاصيل ، ومناقشة المسائل المتفجرة ، والاقتصار على بحث تاريخ المؤتمر المقترح وجدول أعماله وتحديد الدول المشتركة فيه .

لكن سرعان ما تفجرت الخلافات منذ الجلسة الاولى ، وسرعان ما أعلن متحدث باسم الوفد الامريكي أن الاجتماع وصل الى طريق مسدود من جديد بسبب اصرار الدول المنتجة على أن يعطى مؤتمر الطاقة المقترح الاولوية لبحث المواد الخام بدلا من مشكلة الطاقة ، والمسائل المتعلقة بها . وتقدمت الدول المستهلكة باقتراح بحث المواد الخام من خلال بحث الطاقة ، ولكن الجزائر والدول الاخرى المنتجة قالت ان هذا يعني اعطاء موضوع المواد الخام أهمية أقل من مشكلة الطاقة وهو أمر غير مقبول .. وعند مغادرته للجزائر بعد زيارة رسمية لها ، أعلن الرئيس الفرنسي ديستان في ١٣ أبريل أنه اتفق مع بومدين على جدول أعمال المؤتمر وقائمة الدول التي ستدعى للاشتراك فيه وعلى ضرورة بحث المسائل الخاصة بالمواد الاولية في المؤتمر ، ولكن الدول المتقدمة وفي مقدمتها الولايات المتحدة ، قالت انها قدمت اقصى تنازلات في موافقتها على أن يبحث المؤتمر المقترح مسالة المواد الخام على أن يكون التركيز على مشكلة الطاقة . وبذا تحطم الاجتماع منذ البداية لاصرار الولايات المتحدة على فرض رؤياها وخططها لحل ازمة البترول .

وقد لخصت صحيفة لومانتيه الرئيسية [٨/٤/٧٥] الدلالات الاساسية للمؤتمر فى :

● ان الوقت قد تغير عن عام ١٩٦٠ عندما فرضت شركات البترول تخفيض الاسعار على الدول المنتجة . ومنذ ذلك الحين لم تكن الانتصارات التى أحرزتها دول الاوبك فيما يتعلق باسترداد مواردها والاشراف عليها من قبل الصدفة ..

● ان القضية الاساسية هى اقامة نوع جديد من العلاقات الاقتصادية الدولية ، يسمح لكل شعب أن يجد طريقا للتطور الاقتصادى والاجتماعى .

● ان موقف فرنسا ينحاز فى التحليل الاخير لموقف واشنطن . وقد وقعت فرنسا مع الدول الرأسمالية الاعضاء فى منظمة التعاون والتطور الاقتصادى ، اتفاقية من أجل انشاء صندوق نقد مشترك برأسمال ٢٥ مليار دولار فى مواجهة الدول المنتجة . كما صوت مندوبها فى ليما ضد مشروع تأميم مناجم المواد الاولية للدول النامية وضد تطور تحالف الدول المنتجة للبترول .

● ان الرجعية الدولية تعبىء قواها لد العمل بسياسة حكمت عليها الوقائع بالفشل . ولن يحصل العمال ولا الدولة على أى مكاسب من وراء هذه المغامرة . ان شركات البترول هى التى تتحكم فى سوقه ، وهى المسئولة عن الازمــــة .

ولم تكن نتيجة أعمال المؤتمر خائبــة على المراقبين لتطورات الازمة . ففى اليوم التالى لبدء المؤتمر قالت صحيفة **لاستامبا الايطالية** [٨/٤/٧٥] ان المشكلة الحقيقية ليست بحث القضايا المتعلقة بالبترول وانما وضع نظــام اقتصادى جديد وشامل يكفل اعادة التوزيع بين الفقراء والاغنياء بين الشمال العظيم ، والجزء الجنوبى الكبير من العالم . أما **لاكروا** الفرنسية [٥/٣/٧٥] فزعمت أن اقتراح الجزائر بتثبيت أسعار البترول لمدة خمس سنوات دليل على تعنت جبهة الدول المنتجة والمستهلكة . ومن هــذا أصبح من الصعب تجنب حدوث مواجهة بين المجموعتين على المدى القصير . اما نشرة وكالة **نوفستى السوفيتية** [٧/٤/٧٥] فتضيف بعدا آخر فى الموضوع فتقــول أن مشكلة البلاد المنتجة الان ، هى حماية عوائدها من البترول فى مواجهة التضخم فى العالم الرأسمالى ، وفى مواجهة تدهور قيمة الدولار . وقالت **الفيجارو** [١٧/٤/٧٥] أنه يتعين الاستسلام لسيادة البترول ، والتسليم بأنه من الان فصاعدا ، لن يكون الدولار أو الفرنك ــــالحا لشراء البترول ، بل سيصبح البترول هو الصالح لشراء الدولار أو الفرنك . أن الصلة التى نحاول ايجادها بين أسعار البترول وأسعار المواد الاخرى سواء كانت المصــادر البديلة أو المواد الصناعية ، تثبت أن البترول ليس بالسلعة التى يرتبط سعرها بأسعار العملات بقدر ما يرتبط سعر العملات به .

واذا كانت نبوءة **لسوار البلجيكية** [١٠/٤/٧٥] بأنه لن يكون هناك مؤتمر على الاطلاق قد تحققت ، فان ذلك يوضح أن أسلوب التفاهم ومجرد الجلوس الى مائــدة واحدة ــ وذلك ما كانت فرنسا تريده ــ قد فشل ، ومن ثم فالبديل هو الاساليب العنيفة ، الامر الذى يحتـــم الاستجابة فورا لدعوة الجزائر باجتماع الدول المصدرة .

● البرتغــــال ●

ماذا يعنى فشل الانقلاب الرجعى ؟

لم تكن مؤامرة اليمين المسلحة فى ١١ مارس الماضى والتى قادها الجنرال **انطونيو دى سبينولا** ، هى اول مؤامرة ضــد حركة القوات المسلحة التى اطــاحت فى العــــام الماضى **بمارشيللو كايتانو** خليفــة الدكتاتور **ســالازار** ، فقد سبقتها العديد من المؤامرات ، كان منها مؤامرة سابقــة لاسبينولا نفسه أطاحت به من كرسى الرئاسة فى سبتمبر ١٩٧٤ .

وقد سبق هذه المؤامرات المضادة لثورة البرتغال ، نشاط تخريبى فى مجال الحياة الاقتصادية والاجتماعية ، واستفادت القوى المضـــادة من التركة المثقلة بالسلبيات والمصـــاعب التى خلفتها ديكتاتورية **سالازار ومارشيللو** .

ففى المجال الاقتصادى ركز الرأسماليون الكبار جهودهم لخنق النظام الجديد : مثلا فى مجال الاقراض للمؤسسات الصغيرة رفضت البنوك او خفضت القروض ، الامــر الذى أدى الى اضطرار هذه المؤسسات الى فصل العمال ووقف الانتاج . ومن الممكن تبين مدى خطر هذا التكتيك ، اذا عرفنا ان هذه المؤسسات تستخدم ٩٠٪ من السكان العاملين فى البــلاد . وهكذا استهدف هذا التكتيك اثارة اعداد كبيرة من العــاملين للمطالبة بالعمل ولقمة العيش .

واما المؤسسات التى تنتمى الى الاحتكارات الكبيرة فقــد لجأت الى تقرير زيادة كبيرة فى أجور بعض فئات العمــال وحدث ذلك فى شركة التليفون والتلغراف الدولية ، حيث منح العاملون فيها حدا ادنى للاجر قدره عشرة آلاف ــ اسكودوس اى ثلاثة اضعاف الحد الادنى الذى حددته الحكومة المؤقتة ــ [وهو ٣٣٠٠ اسكودوس] ــ وكان الحد الادنى فى ظل حكم الفاشية ١٢٠٠ اسكودوس . وعندما حددت الحكومــة المؤقتة الحد الادنى للاجور بثلاثة آلاف وثلثمائة اسكودوس ، كانت تضع فى اعتبارها الامكانيات الاقتصادية للبلاد . بينما تصدت الاحتكارات من تقرير الزيادة الكبيرة ــ والمبالغ فيها ــ ان يتجاوز حجم الاجور الاجمــالى الانتــاج القومى ، وبذلك لا تبقى أى احتياطى لتنمية الصناعات ، كما يتسبب ذلك فى احداث فوضى اقتصادية لا يمكن تخيل مداها ، وزيادة فى نسبة التضخم تنتهى الى موجة عالية من الغلاء الشديد .

لقد كان هدف الرأسماليين الكبــار واحتكاراتهم من زيادة الاجور خلق مواجهة بين الطبقة العاملة وبين الحكومة الثورية المؤقتة والقوات المسلحة ، ثم لينقضــوا بعــد ذلك ــ هم كمتقذين للموقف اى للاستيلاء على السلطة .

وقد استغل اليمين مؤامراته فى ان حــــركة القــوات المسلحة حتى مؤامرة ١١ مارس ١٩٧٥ لم تكن تملك برنامجا لاجراء اصلاحات اجتماعية جذرية . وكذلك من ترك بعض الاتجاهات اليسارية المتطــرفة والصبيانية والمــاوية لتملأ الساحة بشعارات ومطالب لا يمكن تحقيقها .

وما ان بدأت المؤامرة فى القاء قنابلها وتحريك عناصرها المسلحة وبمعونة الاحزاب اليمينية ، وفى مقدمتها الحــزب

الديمقراطى المسيحى بقيادة الماجور جوزيه سانشيز أوتريو وحزب التحالف للعمال والفلاحين وحركة اعادة تنظيم البروليتاريا [وهى حركة ماوية] حتى تحركت كل القوى الديمقراطية والتقدمية الى الشارع خلف المتاريس – الحزب الشيوعى وحزب الحركة الديمقراطية البرتغالية وانحاد نقابات العمال – والذى يضم حاليا ٧٥٪ من عمال البرتغال – وتمكنت بمعونة القوات المسلحة من ان تسحق محاولة اسبينولا الانقلابية .

واذ اتهمت حركة القوات المسلحة والحكومة الثورية المؤقتة المخابرات الامريكية بانها خلف المحاولة الانقلابية ، سارعت الحكومة الامريكية واعلنت تنصلها من الانقلاب المدحور ، واعلن السفير الامريكى ان بلاده ليس لها ضلع فى انقلاب ١١ مارس ، وانها لاتتدخل فى الشئون الداخلية للبرتغال ، وانه ليس رجلا من رجال المخابرات الامريكية ، وهو مجرد دبلوماسى . وذلك ردا على تصريحات المسئولين البرتغاليين التى وجهت اليه اتهاما صريحا بانه خلف الانقلاب .

واثر فشل محاولة سبينولا – اعلن مجلس الثورة لحركة القوات المسلحة ، ان الاعداد لانتخابات الجمعية التأسيسية مستمر ، وانها ستجرى فى ٢٥ ابريل ١٩٧٥ ، وان هذه الجمعية التأسيسية ستقوم باعداد دستور للبلاد ، سيكون بمثابة ميثاق عمل وتقدم بين الاحزاب السياسية وحركة القوات المسلحة – كما ذكر البيان ان هذه الوثيقة ستحتوى على المنجزات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التى انجزت منذ ان تم التطويح فى العام الماضى بالديكتاتورية الفاشية .

وفى ١٢ ابريل الماضى اعلن مجلس الثورة ضرورة اعادة بناء الاقتصاد فى البلاد – بشكل عاجل – تمهيدا للانتقال الى النظام الاشتراكى ، واعلن البيان انه لابد من مواجهة حاسمة لكل الاختناقات التى يعانى منها الاقتصاد البرتغالى ، انخفاض الانتاج والاستثمارات ، وارتفاع الاسعار المستمر والعجز فى ميزان التبادل التجارى ، والحرب الاقتصادية الامريكية حيث أجلت الولايات المتحدة او الغت عددا من العقود بين الشركات الامريكية وبين الحكومة البرتغالية ، وكذلك وقف البنوك الامريكية القروض الممنوحة للبرتغال .

وهكذا جاء تأميم البنوك الكبرى وشركات التأمين وبعض الصناعات الرئيسية الكبرى فى البلاد اجراءا هاما من قبل مجلس الثورة لحركة القوات المسلحة للرد على كل مؤامرات الرجعية والرأسمالية الكبيرة .

لقد فشل الانقلاب العسكرى الاخير فى البرتغال :

أولا : لان التلاحم بين الشعب وحركة القوات المسلحة تحقق – وذلك عندما اعتمدت القوات المسلحة على قوة الجماهير الشعبية واعطتها الثقة وطلبت منها عبر اذاعة لشبونة ان تنهض لتسحق تمردا فى بعض وحدات الجيش ، وان تنزل الى الشوارع دفاعا عن الثورة – فوضع الشعب المتاريس على مدخل لشبونة ، وقام بحراسة مقر القيادة ، وحاصر المتمردين فى قاعدة كارمو .

ثانيا : لان الشخصيات الشعبية الساقطة التى تعتمد عليها الدوائر الامبريالية لم يعد فى امكانها احداث تغيير فى الخط السياسى التقدمى الذى تسير عليه حركة القوات المسلحة ، وخاصة بعد اعلان مجلس قيادة الثورة ان حركة القوات المسلحة ستظل طرفا فى القوى السياسية البرتغالية .

ثالثا : لان الطبقة العاملة كان قد بدأ توحيدها – ندخلت المواجهة مع القوى المضادة موحدة اكثر من أى وقت مضى – وخاصة بعد صدور قانون توحيد النقابات والتنظيمات العمالية – وهو الامر الذى قطع الطريق على استفادة اليمين واليساريين المتشنجين من الاوضاع الانقسامية التى كانت تسود حركة الطبقة العاملة النقابية والعمالية .

رابعا : لان محاولة اليمين الانقلابية تلك – كان قد تقرر القيام بها قبل الانتخابات التى كان من المقرر اجراؤها فى منتصف ابريل – وهنا فانه لا اليمين ولا الامبريالية فى مقدورهما ان يعيشا او ينتصرا فى ظل جو ديمقراطى يتمتع الشعب فيه بحقوقه الديمقراطية .

ان فشل الانقلاب الرجعى يعنى بالنسبة للثورة فى البرتغال ، كما قال المتحدث الرسمى : التزام جانب اليقظة ، والتمسك بالوحدة والهدوء ، وكذلك التمسك بالثورة من جانب الشعب لان حركة القوات المسلحة تقف فى صف الشعب البرتغالى .

رسالة العراق

مرحلة جديدة للجبهة بعد انهاء التمرد

بغداد : من كمال السيد

● ارتبطت احتفالات العراق فى ٧ نيسان (ابريل) بالذكرى الثامنة والعشرين لانشاء حزب البعث العربى الاشتراكى ، باحتفالات عودة السلام للشمال والاستيلاء على **الجلالة** ، مقر قيادة البرزانى على الحدود مع ايران وهروبه مع نفر من أتباعه الى أيران . وقد شاركت فى هذه الاحتفالات وفود من معظم بلدان العالم . وتميزت بجانب المهرجانات السياسية والشعبية ، بافتتاح عدد كبير من المشروعات وتكثيف الجهد فى الشمال فى محاولة لازالة آثار الدمار بما يكفل استئناف المواطنين الاكراد لحياتهم العادية « عاد حتى يوم ٢٧ مارس ١٨٠٠٠ من أتباع البرزانى » .

وفى الزيارة التى نظمتها حكومة العراق

للصحفيين الاجانب لموقع الجلالة ، أكد قائد القوات العراقية فيه أنهم كانوا مصممين على اقتحامه مهما كان الثمن ،خاصة وقد رفض مجلس الثورة رسالة وصلته من البرزاني في ١٩ مارس بفتح الحوار ، وقال : ان الاتفاق مع ايران قد سهل المهمه . واشار القائد الى ان الجيش العراقي ، جيش عقائدي يؤمن بقضايا وطنه ويبذل كل الجهد للدفاع عنها . وأكد أن قواته تقدم اعاشة كاملة للاكراد حتى يستأنفوا كسب عيشهم ، وأن الجيش يشترك بفاعلية في اعمال التعمير في الشمال . وقد رأينا من بين القوات العراقية ، مواطنين اكرادا يقاتلون في صفوف الجيش العراقي ضد التمرد، ويؤمنون بما يفعلون . نفس المشاعر لدى المثقفين الاكراد ، اذ يؤمن هؤلاء بأن الاكراد في العراق اسعد منهم حظا في البلاد التي لاتعترف بأي حقوق قومية للاكراد ، كذلك يؤمنون بأن زعامة الملا رجعية وعميلة ولا تتفق مع مصالح الشعب الكردي . لكن القضية تظل مع ذلك تتمثل في افساح المجال لهؤلاء المعبرين الواعين عن مصالح الشعب الكردي للمشاركة الحقيقية ، والقضاء على المرارة التي خلفتها لديهم تجارب سابقة .

ومع ان عمليات تصنيع الشمال بدأت منذ عدة سنوات واقيم عدد كبير من المعامل والمصانع ، ومع أن عمليات التعمير والانعاش بدأت بشكل واسع عقب توقف القتال والقضاء على التمرد ، الا أن المراقبين يرون أنه يتعين وضع خطة شاملة للتنمية الاقتصادية والاجتماعية لمنطقة الحكم الذاتي ، تحدث اثرين على سكانها ، **اولهما** : ان تجعلهم يؤمنون بأن الوحدة مع عرب العراق في دولة واحدة امر مفيد لهم على المستوى المادي والحضاري ، وان من يهدد هذه الوحدة يعرض مصالحهم للخطر ، **وثانيهما** ، خلق شرائح اجتماعيه جديدة - مرتبطه بالتصنيع - من العمال والفنيين والاداريين لها قيم جديدة ، وأفكار جديدة غير تلك السائدة بين صفوف الفلاحين الاكراد الاميين ، ذوى الوعي المتخلف الذي يجعل منهم اتباعا طيعين للبرزاني وامثاله .

ومن أبرز الحقوق التي يتعين كفالتها للاكراد - بجانب المشاركة الفعلية في اتخاذ القرارات وتنمية مناطقهم - توفير ظروف ازدهار الثقافة الكردية ، واولى ضمانات هذا حق التعليم باللغه الكردية . وقد جرت محاولات خطرة من بعض العناصر البيروقراطيه والجاهله لتحويل التعليم من الكردية الى العربية في بعض محافظات الشمال (تم ذلك في ٤٦ مدرسة في محافظة نينوى وحدها) ، لكن دنك لم يرض الحزب الحاكم الذي اتخذ قرارا بوقف كل هذه الاعمال التخريبية . وقد كرس **الرئيس البكر** جزءا أساسيا من خطابه في احتفالات الحزب لتأكيد حقوق الاكراد .

ولخص **الرئيس البكر** في خطابه عوامل الانتصار على تمرد الملا ، بأنها تمثلت في وحدة القوى الوطنية التقدمية العربية والكردية ، والتمسك بنهج الكفاح الثابت ضد الامبريالية والرجعية والحرص على تلبية الحقوق القومية المشروعة للشعب الكردي على أساس بيان ١١ مارس وقانون الحكم الذاتي .

وفي هذا الخطاب اشاد **الرئيس البكر** بالروح الطيبه التي أبدتها حكومة ايران منذ توقيع اتفاق ٦ آذار وفي التعاون في تطبيق كافة بنوده . وقال « هنا تجدر الاشارة الى مواقف بعض الجهات التي تحاول التعريض بالاتفاق . وهذه الجهات نفسها هي التي كانت تردد علنا وسرا بأن العراق يفتعل المشاكل مع ايران ويجعلها ذريعة لعدم تأدية واجباته القومية » .

والواقع ان المهام المطروحة على العراق ضخمة وهائلة الاتساع ، ابتداء من عدم انتكاس القضية الكردية ، وهو امل ما يزال يراود الاستعمار والرجعيه ، الى مشاريع التنميه الطموحة التي تنفذها ، الى السياسة الخارجية القائمة على تسوية النزاعات مع الدول المجاورة والتعاون . وهذه المهام تشترط لنجاحها ، تدعيم التحالف الوطني بقيادة حزب البعث ، وتحويله الى ممارسة يومية على مستوى القاعدة ، وليس القيادة فقط . في ذلك يؤكد أن مرحلة جديدة قد توافرت ظروفها الموضوعية ، لتطور الجبهة بقيادة حزب البعث، لتكون في مستوى التحديات المطروحة في مجال التعمير والبناء الداخلي على نطاق واسع ، وزيادة فاعلية الاسهام القومي للعراق على النطاق العربي ، ودعم دوره العالمي . وقد أكدت صحيفة « **طريق الشعب** » العراقية أن تحقيق المهام الوطنية الكبيرة ، ولا سيما تنشيط مؤسسات الحكم الذاتي ، وتطويرها واجراء اصلاحات اجتماعية واقتصاديه سريعة ، وحل مشاكل العائدين من منطلق سياسي وانساني سليم ، هي رهن بتوسيع وتطوير الممارسات الديمقراطية ، وتعزيز الجبهة الوطنية والقومية الديمقراطية وتنشيط مبادراتها لتعبئة الجماهير وتوعيتها بخصائص ومسئوليات

المرحلة الراهنة ، واشراكها فى عملية البناء المقبل بشكل مباشر ».

كما ألقى « عزيز عقراوى » عضو اللجنة العليا للجبهة الوطنية والقومية التقدمية وعضو المكتب السياسى للحزب الديمقراطى الكردستانى كلمة فى احتفالات حزب البعث قال فيها ان تجارب الشعب العراقى أكدت أن الانتصارات الوطنية كانت مقرونة بتحالف واتحاد الاحزاب والقوى الوطنية ، كما أن الاخفاقات ، كانت نتيجة لتبعثرها . ولقد تحقق فى ظل الجبهة وبقيادة حزب البعث المناضل منجزات وطنية وقومية كبرى كان من أهمها قانون الحكم الذاتى لمنطقة كردستان ، حيث ارسى الحل السلمى الديمقراطى للمسألة الكردية . **ان مسيرة الحركة الثورية فى العراق وفى الوطن العربى كله قد دلت بشكل قاطع على أن من أبرز عوامل نمو هذه الحركة وعيها لاهمية التعاون والتحالف النضالى بين فصائلها الطليعية فى جبهة موحدة ، تضمن الا تتغلب التناقضات الثانوية فيما بينها على التناقض الرئيسى مع الاستعمار والصهيونية والرجعية ».**

رسالة جنوب اليمن
المؤتمر السادس للجبهة القومية يحدد اختياراته : مع الاشتراكية العلمية ووحدة كل القوى الثورية

عدن : من سعيد خيال

دعت الجبهة القومية فى جمهورية اليمن الشعبية الديمقراطية مجلة الطليعة لحضور مؤتمرها السادس . ومثل الطليعة فى هذا المؤتمر الاستاذ سعيد خيال المحامى ، وعضو المجلس القومى للسلام.

عندما يهبط الانسان الى عدن ، يدرك للوهلة الاولى الملامح العامة لهذا القطر الشقيق . فالمبانى بسيطة . والمحلات التجارية متواضعة . والحركة هادئة . ومعظم السيارات من نوع التاكسى بالنفر . اما سيارات نقل البضائع والركاب فقليلة . ومن هذه المظاهر تدرك انك فى مجتمع زراعى وتجارى بسيط أو غير مركب . ان غيبة الصناعة وما تفرضه من تقسيم العمل مسألة ظاهرة فى عدن . فطابع المجتمع هو طابع الخدمات . وتعداد السكان فى الجمهورية لا يتجاوز المليون ونصف المليون تقريبا ، معظمهم بدو رحل وصيادو اسماك ومزارعون وعمال خدمات والمشتغلون بأعمال تجارية .

غير أن هذه الصورة التى تعرض لزائر عدن لا تغير من هذه الحقيقة ، وهى ان ثورة اليمن الشعبية قد اضطلعت فى هذا الجزء من الجزيرة العربية بانجازات كبيرة كانت بدايتها صفرا ، والصفر كثير ! واليك الدليل . قال الرفيق **سالم ربيع على** ، « وكلمة الرفيق هى المتداولة هناك » ، واسمه الشائع عند الجماهير **سالمين** وكان اسمه الحركى فى العمل السرى .. قال فى حديث صريح مع الجماهير فى نوفمبر ١٩٧٤ لتقييم الخطة الثلاثية :

« ولكن ما هى امكانياتنا المادية ؟ ماذا خلف لنا الاستعمار من منشئات اقتصادية زراعية أو صناعية حتى نوفر منها المبالغ من أجل التنمية الاقتصادية ؟ .. ما هو المصنع الذى أبقاه لنا الاستعمار ؟ .. ماهى المزرعة التى ابقاها لنا الاستعمار حتى نكسب من ربحها ما يمكننا من توفير الاموال لانشاء مصنع آخر ، أو مزرعة اخرى ؟ لقد ارتكب الاستعمار ضد شعبنا أبشع الجرائم .. الصعوبة الاخرى هى انعدام الخبرات العلمية والفنية فى بلادنا .. اذا مافتشنا سواء بين المتواجدين عندنا أو الذين تركوا البلاد ، فلا يمكن ان نلتقى بينهم خريجا واحدا فى الاقتصاد الريفى وفى الرى لا نجد الا شخصا واحدا ،

وفى التخطيط لايوجد عندنا كادر واحد ، وفى الاحصاء ايضا لا يوجد عندنا كادر واحد .. والمشكلة الثالثة عدم وجود الدراسات . ونحن متأكدون ان الاستعمار عمل الكثير من الدراسات .. ولكن للاسف الشديد لم نجد دراسة واحدة .. والقضية الاخرى هى عدم وجود الاحصاءات فلم نجد اى احصاءات حتى لسكان الجمهورية .. ولم تكن هناك احصاءات لما نستورده من الخارج .. ولا لما ننتجه فى بلادنا .. لم تكن هناك احصاءات لما عندنا من ثروات حيوانية وسمكية » .

كانت هذه هى الخلفية الموروثة كما عبر عنها الرفيق **سالمين** . ومع ذلك تحقق نجاح كبير فى تنفيذ الخطة الثلاثية الاولى التى انتهت فى العام الماضى لتبدا الخطة الخمسية . كانت جملة الاستثمارات المخططة بملايين الدينارات ٣٢٫٤٣٣٫٩٠٠ لكن التنفيذ الفعلى وصل فقط الى ٢٥٫١٢٨٫٨٢٠ بنسبة انجاز قدرها ٧٧٫٤ فى المائة .

وقد مهدت هذه الخطة الى الخطة الخمسية التى تكشف عن قوة الارض التى تقف عليها الثورة ، وآفاق التقدم الكبير بعد أن توطدت أساساته . فجملة الاستثمارات فى السنوات من ٧٤ ـ ٧٥ الى ٧٨ ـ ١٩٧٩ تبلغ ٧٥٫٤ مليون دينار (الدينار يساوى حاليا جنيه وربع استرلينى » ، المحلى منها ٣٤٫٥ مليون دينار والاجنبى يساوى ٤٠٫٩ مليون دينار . وتستهدف الخطة الوصول بالانتاج الزراعى الى ٤٨٫٢ مليون دينار نصيب القطاع العام منه ١٠٫٥ وفى الانتاج الصناعى الى ٢٤٫٦ مليون دينار نصيب القطاع العام منه ١٥٫٢ والباقى موزع بين القطاعات الثلاثة الخاص والتعاونى والمختلط « بين العام والخاص » . وفى مجال التعليم سيتضاعف عدد التلاميذ فى مختلف المراحل ليصل فى نهاية الخطة لاكثر من ثلث المليون منه ١٠٦٫١٥٠ الف تلميذة ، وعددهن فى سنة ٧٢ ـ ١٩٧٣ كان ٣٨٫٥٦٠ الف تلميذة .

هذه النهضة الكبيرة ، تعتمد على القيادة السياسية التى تسير جهاز الدولة لخدمة التقدم واوسع الجماهير العاملة . ان السلطة هناك تتولاها **الجبهة القومية** وابرز قادتها ثلاثة رفاق : **سالم ربيع على** رئيس مجلس الرئاسة . **عبد الفتاح اسماعيل** الامين العام للجبهه القومية ، **وعلى ناصر محمد** رئيس الوزراء . وكل الشواهد تدل على ان هذه القيادة تعمل لتحوذ على ثقة الجماهير . والحق انه لا يوجد فى صفوفها اثر للتعالى على الناس او تطلعات وامتيازات خاصة . لا أدل على ذلك من ان النسبة بين الحد الادنى والحد الاعلى للمرتبات والاجور كانت ١ ـ ١١ ، فنزلت بها هذه القيادة الشعبية الى ١ ـ ٤٫٥ فقط . ان مرتب الوزير ٧٥ دينارا ، واقل اجر للعامل ١٥ دينارا اما مرتب رئيس مجلس الرئاسة فهو ١٠٠ دينار شهريا .

ولهذه القيادة الشعبية تاريخ نضالى طويل ، فقد تم تشكيل الجبهة القومية فى عام ١٩٦٣ على اساس الاخذ بالكفاح المسلح لتحرير جنوب اليمن من الاحتلال البريطانى . وانقل عن موجز تجربة الثورة فى اليمن الديموقراطية للرفيق **عبد الفتاح اسماعيل** قال : « هذه الفترة كانت القوات العربية «يعنى المصرية» قد وصلت الى صنعاء للمشاركة فى الدفاع عن ثورة سبتمبر أمام الهجوم الملكى السعودى والاعتداءات العسكرية الانجليزية فى الجنوب .. وكانت العلاقة بين حركة القوميين العرب والرئيس الراحل **جمال عبد الناصر** علاقة جيدة . كان الصدام بين القوات المصرية والبريطانية على الحدود بين الجمهورية « الشمال » واليمن المستعمرة « الجنوب » يمهد لتجسيد العلاقة الجيدة بين الحركة و **عبد الناصر** بتدعيم العمل المسلح فى الجنوب بالسلاح . ولذلك فقد أيد عبد الناصر تبنى حركة القوميين العرب للكفاح المسلح وعبر عن استعداده لتقديم السلاح للجبهة القومية من خلال وجود القوات العربية « المصرية » فى صنعاء وتعز .. وفى الجانب السياسى بدأت قيادة الجبهة القومية تنشط نشاطا واسعا من خلال اذاعة صنعاء وتعز وصوت العرب .. ثم قال :

« ومع السير المتصاعد للكفاح المسلح فى مرحلة التحرر الوطنى كانت الجبهة القومية تتطور .. وكان هذا التطور يقربها من درجة الانتقال من الفكر القومى الشوفينى الذى كان أساس التربية الفكرية لحركة القوميين العرب الى الفكر الاشتراكى العلمى والاخذ بالتقاليد الحزبية القائمة على أساس هذا الفكر .. وشهدت الجبهة صراعا من اجل تحديد الهوية الاجتماعية والايديولوجية .. ومع ذلك فان مؤتمر الجبهة القومية الاول عام ١٩٦٥ .. اقر الميثاق الوطنى الذى كان الدليل النظرى للجبهة .. وبرغم النزعة البورجوازية الصغيرة فى هذا الميثاق ، حول

القضايا الاجتماعية ، وقضية الموقف من صراع العصر الراهن بين النظام الاشتراكى ، والنظام الرأسمالى العالميين ، الا انه شكل خطوة متقدمة بالنسبةللهوية السياسيةوالاجتماعية والايديولوجية، فقد حدد الميثاق مهام الكفاح المسلح،وبرنامج الثورة الاجتماعى ، كما حدد التزام الجبهة بنظرية الاشتراكية العلمية ، وان كان التزما مشوبا بالضبابية ، والميل البورجوازى الصغير » .

ويوضح كلام الاخ عبد الفتاح اسماعيل الصلة بين الثورة المصرية والثورة اليمنية ودرجة التأييد والدعم الذى قدمه عبد الناصر والجيش المصرى، وهذا الكلام يعتبر انصافا لدور مصر فى اليمن ، هذا الدور الذى يراه اليمين المصرى كارثة وخرابا . وكذلك يوضح اثر الميثاق المصرى فى ميثاق الجبهة القومية .

ثم نعود لمتابعة كلام الاخ **عبد الفتاح اسماعيل** لنتبين أن نظرية الاشتراكية العلمية لم تستقر وتصبح التزاما فى الجبهة القومية الا فى مؤتمر الجبهة الخامس :

يقول الاخ عبد الفتاح اسماعيل :

« لقد أعلنا انحيازنا لنظرية الاشتراكية العلمية . وكان هذا الانحياز انحيازا واعيا ومستجيبا لاشواق الثورة .. أننا فى عصر يتسم بالصراع بين أيديولوجيتين هى الاشتراكية العلمية والرأسمالية . ولم يكن أمامنا من خيار - كحركة تحرر وطنى - عندما خضنا نضال التحرر ، ومن خلفنا الكادحون البسطاء ، الا ان نختار الايديولوجية التى تمثل خلاصهم من الاستغلال والتخلف وتجسد طموحهم فى الحياة التقدمية الخالية من كل استغلال .

ولم نكتف بالايمان النظرى لهذه الايديولوجية، ولكنا بدأنا بدراستها من مصادرها الاصلية .. وهكذا **أنشأنا مدرسة العلوم الاشتراكية لاعضاء التنظيم السياسى والفصائل الديموقراطية الاخرى ولكوادر أجهزة الدولة** .. وأعطى التنظيم السياسى الجبهة القومية اهتماما كبيرا للمناهج التربوية وطلاب المدارس حيث ادخل مادة الاشتراكية العلمية كمادة تزود الجيل الجديد بالافكار الصحيحة حول القضايا المختلفة المرتبطة بالحياة » .

وقد اقر **المؤتمر السادس** الذى دعيت مجلة الطليعة لحضوره ؟ أقر النظام الداخلى للجبهة القومية . وجاء بالمادة الاولى مايلى :

« التنظيم السياسى للجبهة القومية يسترشد بالاشتراكية العلمية وهى دليل أعماله . وبالاشتراكية العلمية وحدها يهتدى التنظيم السياسى كما انه يكافح ضد كل النظريات والاراء التى تتناقض مع نظرية الاشتراكية العلمية أو تعمل على تشويهها أو تزييفها أو التى تحاول فصل التيارات الرئيسية الثلاثة لعصرنا عن بعضها البعض ، النظام الاشتراكى العالمى والحركة العمالية العالمية وحركة التحرر الوطنى العالمية » .

وفى المادة ١٧ مبادىء السلوك وتربية أعضاء التنظيم ومنها تعميق الحس الانسانى .. الانسان صديق ورفيق واخ للانسان .. الاستقامة والصدق والنقاء والاخلاص والبساطة والتواضع فى الحياة الاجتماعية والخاصة . الاحترام المتبادل فى الاسرة واحترام حقوق المرأة ، مقاومة اعداء الاشتراكية ، وقضايا التحرر الوطنى العربية والعالمية وحريات الشعوب .

وتعمل الجبهة القومية لكى لاتتحول مبادىء الاشتراكية العلمية الى مجرد شعارات ترفع فى المناسبات .

ان مبادىء الاشتراكية العلمية ليست شعارات مرفوعة تعلن فى المناسبات ، وانما لتكون - فى اليمن الشعبية - دليل العمل فعلا فى التطبيق . وفى التقرير السياسى الذى وافق عليه المؤتمر السادس التجسيد الحى لهذه المبادىء . ان السياسة الثورية عبارة عن رؤية صحيحة . ومواقف محددة من المشاكل والاحداث . وعلى سبيل المثال والعينة نجد فى التقرير السياسى ما يلى :

« ومن أبرز سمات عصرنا الراهن هو اشتداد الصراع الطبقى العالمى بين قوى الامبريالية والرجعية وبين القوى الثورية والتقدمية لصالح الديمقراطية والاشتراكية والسلام .. ان الوحدة المتعاظمة للقوى الثورية العالمية تعنى أن الامبريالية والقوى الرجعية لم تعد قادرة على تغيير اتجاه تطور الانسانية نحو التقدم .. ان التطور التاريخى للانسانية قد أكد بالوقائع أن النظام الرأسمالى انما يفضى الى الالام والحرمان وهو الطريق الايل للافول .. السمة البارزة فى حركة التحرر الوطنى ليست فقط نضالها ضد الاستعمار من أجل الاستقلال الوطنى . ولكن فى مجرى نضالها هذا تخوض أيضا نضالا متصاعدا ضد قوى الاستعمار الجديد وما تمثله من احتكارات استغلالية . ان ما يؤكد ذلك هو ظهور

مجموعة من البلدان التى اختارت لنفسها الطريق الصحيح . وهى طريق التطور اللاراسمالى .. ندعوة القوى الثورية العالمية الى صيانة **السلم العالمى** تعتبر عملية ديالكتيكية حيه متطوره شمولية . ولا يعنى ذلك بقاء الوضع العالمى على ما هو عليه الان واستمراره بل انه شكل من اشكال الصراع الطبقى بين قوى الاشتراكية والراسمالية . وتقود هذا الصراع القوى الثورية العالمية وعلى راسها المعسكر الاشتراكى .. ويمكننا القول أن الظروف المؤدية لقيام الحرب قد تغيرت [المتغيرات] الى درجة كبيرة ، ولكن هذا لا يعنى بأى حال من الاحوال ان الطبيعة العدوانية للاستعمار والاحتكارات العالمية قد تغيرت ، أو انها قد تخلت عن أهدافها ومصالحها الاستراتيجية واصبحت مسالمة وتخلت عن نزعة الحرب .. **ان وحدة المعسكر الاشتراكى ضرورية من اجل تقوية** النفوذ المتعاظم للاشتراكية فى العالم .. اننا نؤمن من أن وحدة المعسكر الاشتراكى ستقطع الطريق أمام الامبريالية العالمية التى تحاول الاستفادة من الخلافات فى هذا الاطار .. فالتطورات الاخيرة فى **تشيلى** بعد الاطاحة بالحكومة الشعبية من قبل الطغمة العسكرية الفاشية قد كشفت بشكل جلى خطط الامبريالية الامريكية فى تصفية كل القوى الوطنية والتقدمية .. ولقد اصبحت **كوبا** الاشتراكية منار حركة التحرر الوطنى فى امريكا اللاتينية ...

ان الاحداث الاخيرة التى وقعت فى **البرتغال** قد أوجدت حالة مرضية فى الوضع السياسى العام .. ان استقلال هذه الشعوب « غينيا بيساو وانجولا وموزمبيق » سيعزز مواقع قوى الثورة العالمية وصيانة السلم العالمى ويزيد من عزلة الامبريالية وأزمتها العامة .. لقد اصبح تاريخ **فيتنام وكمبوديا ولاوس** الحافل والمتزج بدم ابنائها الاوفياء يشكل جزءا من تاريخ التحرر الانسانى .. اننا متأكدون من إنتصار **الشعب الكورى** ضد التواجد العسكرى الامبريالى ومن اجل وحدته بشكل مستقل وسلمى .. ان جمهورية اليمن الشعبية تقف بشكل ثابت الى جانب نضالات الشعوب من اجل تحررها وتقدمها الاجتماعى والاقتصادى .

ثم يحدد التقرير المواقف العامة للجبهة على الصعيد العربى فيقول : **اننا لو أمعنا النظر فى الاوضاع العامة للاقطار العربية خلال السنوات الاخيرة لوجدناها خاضعة – فى تطورها – للمحددات الامريكية للحفاظ على ما تبقى لها من مصالح فى المنطقة ، من جهة ، وتفاقم التغلغل الاستعمارى والامبريالى الاقتصادى والسياسى ، من جهه اخرى ، وتعاظم حركات التحرر العربية .. تعاظما مستمرا فى المقابل .** ثم يضيف التقرير :

ان **وجود** قاعدة امريكية صهيونية عدوانية فى قلب الوطن العربى يشكل تهديدا مستمرا **وسيظل تهدد الشعوب العربية والسلم العالمى** ،بالاضافةالى تعزيز سيطرة ونفوذ الاستعمار الجديد .. **والشعب العربى الفلسطينى** .. انه اليوم ينهض والسلاح بيده ، والشعب العربى كلهمعهمن اجل اقامة دولته الوطنية الديموقراطية المستقلة على ارضه وهو بذلك يتفق مع السياق التاريخى لحركة التحرر الوطنى العربية باعتباره جزءا منها ويعيش فى اطار ظروفها وقوانين تطورها .. ان المسيرة النضالية اثبتت انه أمام مواجهة الالة العسكرية العصرية لاسرائيل ، ومن ورائها القوة الغاشمة للامبريالية ، لابد أن يكون فى حوزة دول المواجهة المتحررة قوة عسكرية متفوقة .. **وحرب أكتوبر** التى خاضها الشعب العربى فى مصر وسوريا وفلسطين ومعه بقية الشعوب العربيةدليل قاطع على صحة هذه النظرة .. تلك الحرب التى ادت الى انهيار النظرية العسكرية الاسرائيلية .. بل قلبت نظريات القيادة الاسرائيلية أيضا .. ان استخدام **البترول ورءوس الاموال العربية** الضخمة الفائضة كسلاح للضغط على القوى الامبريالية .. ولمصلحة التنمية الاقتصادية والاجتماعية داخل الوطن العربى .. سيكون له اثر كبير فى تعزيز مواقع حركة التحرر العربى على الصعيدين الداخلى والدولى .. **وقد اكدت حرب أكتوبر أكثر من أى وقت مضى أهمية التضامن المبدئى القائم بين حركة التحرر الوطنى العربية والانظمة المتحررة والمعسكر الاشتراكى ....**

ثم يحدد التقرير :

ان أعظم رد لمواجهة هذا التحدى الامبريالى الصهيونى يكمن فى تلاحم فصائل المقاومة الشعبية الفلسطينية فى اطار منظمة التحرير .. وتلاحم القوى الوطنية الديموقراطية داخل كل قطر بشكل ديموقراطى .. واطلاق طاقات الجماهير ومنظماتها السياسية والنقابية لمساهمتها فى معركتها المصيرية والتنسيق بين الانظمة العربية

المتحررة والمنظمات العربية التقدمية كلّ ذلك من اجل تعزيز التضامن العربى وقيام الجبهة العربية التقدمية .. **ان تنظيمنا السياسى والجبهة القومية واصل وسيواصل نشاطه من أجل قيام الجبهة العربية التقدمية .**

وبعد ان حلل التقرير تطورات العلاقة مع السعودية ، قال :

أما فيما يتعلق **بعلاقتنا مع اتحاد الامارات والبحرين وقطر** فانها قد شهدت تحسنا ملموسافى الفترة الاخيرة .. ان السياسة الداخلية والخارجية لجمهوريتنا تتحدد فى الاساس بقناعتنا بالنهج الايديولوجى والسياسى الذى نلتزم به وهو الفكر الاشتراكى العلمى باعتباره الاساس المرشد .. ومن هنا فان السياسة الخارجية تربطها بالسياسة الداخلية وحدة ديالكتيكية لا انفصام بينهما .

واذا كان المؤتمر السادس قد حدد مواقف واضحة فى السياسة والتنظيم فان الجبهة القومية تتجه منذ مدة وتعمل من أجل حل المشكلات الخاصة بوحدة كل القوى الثورية والتقدمية ليضمها تنظيم واحد .

ففى جنوب اليمن يوجد تنظيمان سياسيان آخران غير التنظيم السياسى للجبهة القومية . والتنظيمان هما **اتحاد الشعب الديموقراطى** ، التنظيم القائم منذ تكوينه على النظريه الماركسية وسكرتيره هو **عبد الله باديب** وزير الثقافة ، والتنظيم الاخر هو **حزب الطليعة** .

وقد قام الحوار بين التنظيمات الثلاثة بهدف الاندماج والتوحد وتكوين حزب الطليعة . وكما قال الرئيس **سالم ربيع** : فان هذا الحوار هو أطول حوار فى التاريخ فى اصغر بلد فى العالم . ان الاساس الذى يبنى عليه التوحيد هو نظرية الاشتراكية العلمية . وما دامت النظرية واحدة للاحزاب الثلاثة فلا معنى للوجود المستقل . وليس واردا تكوين جبهة وطنية من الثلاثة ، لان الجبهة تكون فى حالة اختلاف الايديولوجية والاهداف والمواقع الطبقية .

وقد اتفق الجميع على تكوين الحزب الواحد ، حزب يستند على الطبقة العاملة وجمهور الكادحين من اجل اتمام مرحلة الانتقال من الديموقراطية الشعبية الى النظام الاشتراكى الكامل . وجاء فى التقرير السياسى ان موقف الجبهة القومية ينطلق من الحرص المبدئى على وحدة فصائل العمل الوطنى الديمقراطى ، باعتبار هذه الوحدة قضية مبدئية تعكس قناعتنا الثابتة من ان هذا الطريق هو الطريق الصحيح لصنع تجربة جديدة تنهى التشتت والانقسام داخل صفوف جماهير الشعب والحركة الوطنية ، وتحدد بوضوح قوى الثورة والقوى المعادية لها ..

وقد القى **سكرتير حزب الطليعة** من فوق منبر المؤتمر السادس كلمة رحب فيها بالتوحد والاندماج . كما القى **سكرتير اتحاد الشعب** كلمة تميزت بالموضوعية وصفاء الرؤية واعلن عن عقد مؤتمر التوحد خلال شهور قليلة لاتمام الوحدة .

وفى التقرير السياسى للجبهة ما نصه : « وسوف تعقد التنظيمات الثلاثة مؤتمرا توحيديا فى النصف الاول من سبتمبر القادم » .

اما عن وحدة اليمن . وحدة الشمال والجنوب **فان الجبهة القومية** تعلن وتعمل على اساس وحدة الشعبية ، ووحدة الوطن كله عندما تتوافر ظروف تحقيق امل الوحدة . ان الاختلاف بين النظامين هو الذى يجعل الوحدة الان مغامرة او عملا ضد التقدم . ففى اليمن الشمالية اوضاع وعلاقات اقتصادية واجتماعية تعتبر امتدادا للاقطاعية والقبلية ، بينما الاوضاع فى اليمن الجنوبى قد انتقلت الى مرحلة الديموقراطية الشعبية بعد تأكيد الاستقلال السياسى والاقتصادى ، واختيار طريق التنمية اللارأسمالى وصولا للاشتراكية .

ان الدعوة للوحدة الان بين البلدين ، واغفال اختلاف المراحل السابق بيانه ، تعتبر انحيازا للقديم وتغليبا لاوضاع الشمال ، انها دعوة للانتكاس بالثورة فى اليمن الشعبية .

واخيرا فقد اسعدنى ان اعلم هناك أن العلاقات بين مصر واليمن الشعبية هى علاقات تعاون وتقدير ، وان مصر لا تبخل بشىء رغم ظروفها الصعبة ، وان الكوادر المصرية هناك تبذل جهودا مستحقة للشكر والاحترام .

ان فى اليمن الشعبية تجربة رائده فى العالم العربى ؛ ومن واجب كل القوى الوطنيه والتقدمية ان تحرص على متابعتها ، وأن تسلط عليها الاضواء ، وتدعو لدعمها ومساندتها .

رسالة

دبى

مؤتمر البترول العربى التاسع

دبى : من مجدى نصيف

انعقد مؤتمر البترول العربى التاسع هذه المرة **بدبى** احدى امارات « دولة الامارات العربية المتحدة » ، فى وقت وصل فيه الصراع بين الدول المنتجة والدول المستهلكة الى القمة ، فكان اكبر تجمع بترولى عربى منذ حرب اكتوبر .

لقد عقد هذا المؤتمر فى ظل مناقشات عالمية حول أزمة الطاقة ، وخلال تهديدات باحتلال منابع البترول ، وبعد عدة ايام من اجتماع قمة منظمة الدول المصدرة للبترول الذى انعقد بالجزائر ، وجاء هذا المؤتمر فى منطقة من اكبر مناطق انتاج البترول واحتياطياته فى العالم .

وحضر المؤتمر ، الى جانب وفود الدول العربية ، ٣٥ منظمة وهيئة عربية واجنبية ضمت مندوبين عن شركات البترول العاملة فى المنطقة فوصل عدد الذين حضروا المؤتمر من أعضاء الوفود والهيئات والخبراء الى حوالى ٨٠٠ ، ووصل العدد بالمراقبين والصحفيين الى حوالى الالفين . **وبهذا يكون اكبر مؤتمر بترولى عربى حتى الآن** . وقد قامت ادارة البترول **بجامعة الدول العربية** بدعوة وفود عدة دول اشتراكية دخلت أراضى دولة الامارات لاول مرة فى تاريخها حيث انه ليس لها تمثيل دبلوماسى هناك .

وقد القى **محمود رياض** كلمة الامانة العامة لجامعة الدول العربية فقال : « ان المؤتمر ينعقد فى فترة حاسمة تهم كل دول العالم المنتجة للبترول ، وخاصة الدول العربية . فنحن نمر بمرحلة تحول هامة تحتاج منا الى الكثير من البحث والدرس . فقد كنا نعانى — الى وقت قريب — من استغلال القوى الخارجية لثرواتنا ومواردنا الطبيعية ، مما ساعد على رفع مستوى المعيشة فى الدول الاجنبية الى أقصى الحدود ، بينما نحن — أصحاب الحق الحقيقى فى هذه الثروات — مازلنا نعانى من التخلف الاقتصادى والاجتماعى . وكان من الضرورى العمل على وضع الامور فى نصابها من أجل رفع المستوى المعيشى للانسان العربى : « وعندما اخذنا فى ممارسة حقنا الطبيعى ثارت علينا الدول التى شاءت مواصلة استغلالها لمواردنا وحاولت تشويه الحقائق، بل وهددت باستخدام القوة » .

وقال **مانع العتيبة** وزير بترول الامارات ورئيس المؤتمر : « ان الدول المنتجة قد ناضلت طيلة السنوات الماضية التى تلت الحرب العالمية الثانية من اجل سيطرتها على الصناعات البترولية وتوجيهها الوجهة التى تخدم شعوبها ، وبذلت هذه الدول الكثير من التضحيات ، حتى أننا نجد الصورة قد تغيرت تماما ، بحيث أصبحت جميع الدول تباشر نوعا من السيطرة على ثروتها البترولية . لقد كان بترولنا يباع بأسعار رمزية ، ومنذ عام ١٩٤٧ وحتى عام ١٩٧١ ، جمدت الاسعار ، بل انها خفضت مرتين فى الخمسينيات ، فى حين أن أسعار السلع الصناعية والغذائية ازدادت فى تلك الفترة بما يزيد عن ٣٠٠ ٪ وعندما هبت الدول المنتجة وطالبت بالسعر الحقيقى ، ضج العالم الصناعى ، وبدأ يكيل الاتهامات للدول المنتجة ، ويتهمها بأنها تعمل على تخريب الاقتصاد العالمى » . وقال « اننا جزء من هذا الاقتصاد العالمى ، ولا يمكن أن نسمح للاقتصاد الذى نحن جزء منه بأن ينهار ويتحطم » .

وانقسم اعضاء المؤتمر الى ثلاث شعب : **شعبة الانتاج وشعبة التصنيع ثم الشعبة الاقتصادية** التى نوقشت فيها مسائل عديدة هامة مرتبطة بالمشاكل العالمية وانعكس ذلك فى ثلاث ندوات عن الاستفادة من الغاز الطبيعى فى تنمية الصناعات البتروكيماوية فى البلاد العربية ، ثم أزمة الطاقة العالمية ، ثم تطوير العلاقات بين الدول المنتجة والدول المستهلكة .

وقال **الدكتور ابراهيم صقر** [كلية الاقتصاد — جامعة القاهرة] فى بحثه الذى قدمه بعنوان **ازمة الطاقة : بعض الجوانب السياسية** ، انه ليس هناك أزمة بالمعنى العلمى للكلمة بل هى سلسلة من الصراعات بين الدول المنتجة واحتكارات البترول ، وان الولايات المتحدة الامريكية هى التى تقود الجانب الاخر فى المواجهة البترولية معنا ، وهى تحاول الابقاء على أقصى ما تستطيع الابقاء عليه من مصالحها ، وتسلم ان كان ليس أمامها الا التسليم ، بأقل القليل » ، « ... ومن واجبنا أن نستمر فى عملية المواجهة البترولية لتحقيق أقصى مايمكننا من مكاسب » .. كذلك « من الواجب أن نتكافل مع بلاد العالم الثالث ونحن منهم لتحقيق اقصى ما يمكن من المصالح المتبادلة فى المواجهات المشتركة » .

وقال **الدكتور نقولا سركيس** [مدير المركز العربى للدراسات البترولية — بيروت] فى بحثه المقدم للمؤتمر عن « **أزمة الطاقة : وتحدى التنمية الاقتصادية فى البلاد العربية** » أيضا أنه ليست هناك أزمة طاقة بالمعنى المفهوم ولكن هناك ظاهرة ادت الى ارتفاع أسعار ترجع الى عدة اسباب أولها « الجهود التى بذلتها الدول المصدرة للبترول متضامنة متكاتفة فى اطار منظمة الاوبيك » وثانيها « التبدل الجذرى الذى طرأ على الاستراتيجية البترولية الامريكية فى الفترة ١٩٧٠ — ١٩٧١ » .

وأشار **الدكتور سركيس** الى أن « ارتفاع الاسعار قد أدى الى زيادة سريعة فى المداخيل البترولية العربية التى قفزت من ٤ر٧ مليار دولار عام ١٩٧٠ الى ٧ مليار دولار عام ١٩٧١ و ٢ر٨ مليار دولار عام ١٩٧٢ و ٩ر١٥ مليار دولار عام ١٩٧٣ ثم الى حوالى ٦٢ مليار دولار عام ١٩٧٤ . ومن البديهى أن هذا الارتفاع السريع للعائدات البترولية يتيح للدول العربية فرصة ثمينة وعلى جانب كبير من الاهمية لدفع عجلة التنمية الاقتصادية ، بفضل توافر الرساميل اللازمة لتمويل المشاريع الانمائية » .

لقد ناقش المؤتمر بطبيعة الحال امكانية استغلال فائض الاموال العربية فى خطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية فى العالم العربى وطرق ذلك ، ثم مساعدة دول العالم الثالث فى تنمية مجتمعاتها أيضا .

وانعكس كل ذلك على قرارات المؤتمر التى ايدت منذ البداية قرارات قمة الاوبيك ، وشجب اساليب الضغط والتهديد التى تمارسها الدول الصناعية الغربية ، وطالب بزيادة الاهتمام بمعاهد التدريس والتدريب البترولى وذلك لاعداد كوادرنا العربية فى كافة مجالات العمل البترولى ، ودعا الى تأكيد حق الدول العربية فى استخدام سلاح البترول كسلاح دفاعى فى المعارك العربية المصيرية .

وثائق « الطليعة »

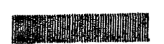
هى ترجو « الطليعة » أن نعتذرلقرائها واصدقائها بسبب اضطرارها الى تأجيل نشر باب لوثائق فى هذا العدد ، وذلك على الرغم من زيادة عدد صفحات المجلة ، وربما تقبل القراء والاصدقاء اعتذارنا على أساس ان طبيعة الموضوعات والمواد المنشورة فى هذا العدد ربما فرضت نوعا من الاولوية فى النشر .

وترجو الطليعه ان تتابع نشر باب وثائق من العدد القادم

الطليعة

ملحق الأدب والفن

- □ محمد مندور ..
  عشر سنوات بعد الرحيل
- □ المرأة .. فى شعر السياب
- □ المسرح: حياة نعمان عاشور



فى هذا العـدد :

محمد منيور .. عشر سنوات على الرحيل

الأدب والفن فى شهر :



محمد مندور

عشر سنوات بعد الرحيل

منذ عشر سنوات .. رحل محمد مندور « ٥ يوليو ١٩٠٧ ـ ١٩ مايو ١٩٦٥ » عن عالمنا .

كان معلما شجاعا ، وداعية لا يهدأ للتحديث والتعقيل ، رأى كثيرا وعرف كثيرا ، وعاش حياة مليئه بالنضال السياسى والفكرى ، ستبقى لنا من مندور أعماله ، وسيبقى لنا ما هو أهم وأجدى : التحام الفكر بالعمل ، أن تعمل ماتراه حقا ، وأن تمضى بالفعل لنهاية الطريق .

وقد فعل هذا مندور ..

وبعد عشر سنوات على رحيله ، نقدم بين يديه الصفحات التالية ، آملين فى القدرة على الفهم والعمل على التخطى والتجاوز .

ولعل هذا كان جوهر رسالته .



■ محمد مندور :
مرحلتان فى فكره وانتاجه

د. عبد المنعم تليمة

الفكر الصحيح هو الاستجابة الصحيحة للواقع . لكن هذه الاستجابة قد تسوغ غايات الواقع المائل لتحمى بنيانه القائم من الانهيار والتصدع، وقد تسوغ غايات الواقع المتحرك الى بنيان جديد . فى الحالة الاولى تنهج الاستجابة نهجا اصلاحيا ، وفى الحالة الثانية تنهج نهجا ثوريا . وقد كان فكر محمد مندور ألمع استجابة وأقواها للواقع المصرى فى الاربعينات والخمسينات . كان هذا الفكر صحوة عقلانية تقدمية ، تجهد فى حل أزمة البورجوازية المصريه — اجتماعيا وسياسيا وثقافيا — بمنهج اصلاحى حازم ، اى إنها كانت تجهد فى حل أزمة البورجوازية — التى بدأت تجمد وتحافظ اجتماعيا ، كما بدأت تفقد طاقتها التقدمية ثقافيا وفكريا وفنيا — بحل بورجوازى جذرى وتقدمى ، وانما يستمد الفكر البورجوازى ملمحه التقدمي عندما يعتد بالطبقات الاخرى ، ويسعى — وهو يسوغ الحل الجذرى للبورجوازيه — الى الاعتداد بمصالح الطبقات المنتجة وبرامجها الاجتماعية والسياسية و الثقافية وفى هذا السبيل فان محمد مندور كان — لاصالة انتمائه الى الجماهير المصرية ولجذرية منهجه الاصلاحى التقدمى — ينظر الى مصالح مجموع شعبه اجتماعيا وسياسيا ، والى الجوانب العقلانية المتقدمة فى التاريخ الثقافى والفنى لهذا الشعب فكريا وجماليا . ان المعيار الموضوعي لتقدمية فكر وجذريته ، بل ووطنيته — فى هذه المراحل الاخيرة من ثورة مصر الوطنية البورجوازية — أن يعتد هذا الفكر بدور الطبقة العاملة ، وأن تقيم صلة الحوار مع فكرها العلمي الثورى . ولم يقبل محمد مندور بعض أصول الاشتراكية العلمية ، ولم يتوسل بمنهجها الثورى ، لكنه — وهو المناضل الديمقراطى الكبير — قد استلهم مقولات أساسية فى الفكر العلمى ، واعتد بالتطور التاريخى للطبقة العاملة المصرية ، وعقد الصلات المتينة بنضالهما ، وحاور طلائعها من المفكرين والكتاب ، وساند محاولاتهم وتجاربهم وأعمالهم الفكرية والادبية والفنية .

ما حقائق البناء المصرى اجتماعيا وثقافيا عندما نشط محمد مندور فى أوائل الاربعينات من هذا القرن العشرين ؟ . كانت مهام الثورة الوطنية المصرية قد تبلورت فى ثلاث : التحرير ، والتحديث ، والتعقيل . تحرير التراب الوطنى وتحقيق الاستقلال والسيادة الوطنية . وتحديث العلاقات الاجتماعية بالانتقال بالاساس المادى للمجتمع المصرى من العلاقات الاقطاعية التقليدية الى العلاقات الرأسمالية الحديثة بانجاز ثورة صناعية وبتحقيق مجتمع ديمقراطى ينهض على الحريات السياسية ، وحرية البحث والتفكير ، وعلى الفصل بين الجانبين الروحى والزمنى فى الدين ، وعلى نظرية وطنية فى بناء الانسان . وتعقيل الفكر والنظر ، بالانتقال من [المنهج النقلى السلفى] الى [المنهج العقلى التجديدى] الذى ينهض على العلمانية ونقد الموروث وتقويمه ، سعيا الى ثقافة ذات مضمون وطنى قومى ، وغايات انسانية . لم تكن هذه المهام الثلاث منفصلة فى ثورتنا الوطنية المصرية لكن البورجوازية المصرية — وهى قائدة المجتمع المصرى فى هذه الثورة — لم تع ارتباط هذه المهام الثلاث وتداخلها ، كما ان أزمة هذه البورجوازية — تاريخيا — كانت قد بدأت فعجزت عن انجاز هذه المهام : ان تحرير التراب الوطنى لم يكن لينفصل عن تحرير الاقتصاد الوطنى ، لكن الرأسمالية المصرية الناشئة لم تستقل الاستقلال النسبى الذى تحققه الرأسماليات الوطنية الناضجة عن السوق الرأسمالى الاحتكارى الاستعمارى . ويمكن تفسير هذا الامر بالرجوع الى ظروف نشأة البورجوازيه المصريه وتطورها لقد نشأت هذه البورجوازية نشأة زراعية لذا لم تتناقض هذه البورجوازية مع الاقطاع المصرى بصوره واضحه ، الى جانب أن هذه البورجوازية عندما سعت الى أن تحل محل رأس المال الاجنبى لم تفلح فى اقامه علاقات رأسماليه ناضجة نظرا لضعف خبرتها ومواردها ولقوة الاستغلال الرأسمالى الاحتكارى الاستعمارى . ويفسر هذان الامران ما بقاء الاقطاع واستمراره جنبا الى جنب مع نمو الراسماليه المصرية وتطورها تطورا بطيئا . لهذا كانت العلاقات الاجتماعيه فى مصر سنة ١٩٥٢ شبه اقطاعيه — شبه رأسماليه . معنى هذا ان البورجوازيه المصريه عجزت عن تحقيق مهمتى التحرير والتحديث . وينسحب هذا بطبيعة الحال على المهمة الثالثة — التعقيل — لان العجز عن الاستقلال الوطنى يفضى فى البناء الثقافى الى ظاهرة الذيلية ، كما أن بقاء العلاقات الاقطاعية التقليديه يفضى الى المناهج السلفية ، وتداخل هذه العلاقات التقليديه بالعلاقات الحديثة يفضى الى التوفيقية على حساب العلمانية والعقلانية .

لقد سلف القول ان محمد مندور اجتهد فى سبيل تصور الاساليب النضالية والحلول الفكرية لازمة الثورة الوطنية المصرية ، أو بمعنى أدق لازمة البورجوازية

الاصرية قائدة هذه الثورة ، وكان منهجه فى ذلك — كما سلف القول أيضا — اصلاحيا جذريافى اطار التفكير البورجوازى التقدمى . ووعى فكر مندور التحام مهمة تحرير الوطن سياسيا بمهمة تحرير المواطن اجتماعيا ، والتحام هاتين المهمتين بمهمة بناء ثقافة وطنية ديمقراطيه تحرر العقول والافهام من كل غيبيه وتقليدية ودينية . وتصور مندور سبيل تحقيق هذه المهام الثلاث ينهض على العدالة الاجتماعيه والحريات السياسية. لهذ كانت دعوته الى نوع من الاقتصاد الموجه وراسمالية الدولة دعا فيه الى تدخل الدولة فى عملية توزيع الثروة عن طريق النظام التعاونى وحماية الصناعات الوطنيه ، والمشاركة فى الانتاج ، والضرائب التصاعدية . وربط محمدمندور بين هذا الاسلوب فى توجيه الاقتصاد وبين اسلوب تنظيم الحياة السياسية فى البلاد ، فدعا — اتساقا مع مبدأ الاقتصاد الموجه — الى نظام سياسى قائم على [الديمقراطيه الاجتماعية] . ويرفض هذا النظام الديموقراطيه الليبرالية التقليدية كما يرفض الديمقراطية الشعبيه على السواء . ان الديمقراطية الاجتماعية برزت ثمرة لتعثر الديمقراطيه الليبرالية فى أوربا ، فجنح الاصلاحيون من قادة الاحزاب الراديكالية الغربية الى المزاوجه بين الحريات بمفهومها البورجوازى الكلاسيكى ، وبين توجيه الاقتصاد ببرامج اصلاحية تقيل الانظمة الراسمالية من عثرتها وتحفظ كياناتها من التهدم والانهيار ولقد شهد محمد مندور — أثناء بعثته الى فرنسا بين ١٩٣٠ - ١٩٣٩ تجربة واحد من ألمع هؤلاء القادة الاصلاحيين وهو ليون بلوم الذى ألف الوزارة الفرنسيه سنة ١٩٣٦ ببرنامج اصلاحى راديكالى احفظ الراسماليين الكلاسيكيين لانه يحد من استغلالهم ، كما أحفظ الاشتراكيين العلميين لانه لم يكن السبيل لنفى قوانين هذا الاستغلال . وعلى الرغم من ان [الديمقراطية الاجتماعيه] ذات محتوى [ديمقراطى] ، الا أن هذا المحتوى شكلى فى حقيقة أمره ، لانه ينتهى الى صالح البورجوازيه اقتصاديا وسياسيا : والسبب أن هذا المذهب لا يقيم توجيه الاقتصاد وتخطيطه على أساس طبقى علمى ، ولا يجعل لهذا الاقتصاد الموجه تعبيرا سياسيا ممثلا للطبقات الوطنية والشعبية ، لذا ينتهى فى الواقع الى [توجيه] الاقتصاد الى صالح البورجوازية، والى قصر السلطة السياسية عليها وحدها . ان الديمقراطية الاجتماعية تحمل فى أساسها النظرى تناقضا بارزا يجعلها حلا شكليا للصراع الاجتماعى ، ويتجلى هذا التناقض فى محاولتها التوفيق بين التصور الليبرالى الكلاسيكى للحريات، ومبدأ توجيه الاقتصاد وتخطيطه ، اذ أن هذه المحاولة لا تنتهى — مادامت البورجوازية تحتكر السلطة السياسية — الا لصالح البورجوازية نفسها . انما يكون توجيه الاقتصاد وتخطيطه فى صالح الطبقات الوطنية والشعبية ، عندما تكون السلطة السياسية ممثلة لهذه الطبقات تمثيلا حقيقيا يعتد باستقلالها ببرامجها وأفكارها وأحزابها . ولم يعد محمد مندور من هذا التناقض فنراه وهو يلح على توكيد الحقوق الدستورية والسياسية لجموع [طبقات الشعب]، بالمفهوم الليبرالى الكلاسيكي ، لا يتبين أن هذا المفهوم — القائل بالاحزاب دون الجبهة — لا يحقق مشاركة هذه الطبقات فى ادارة سياسة بلادها ، ومن هنا فانه لا يتبين أن الاقتصاد الموجه فى هذه الحالة انما يكون فى خدمة البورجوازية المنفردة بالسلطة السياسية . ان التناقض فى الاساس النظرى للديمقراطية الاجتماعية قد قاد محمد مندور الى أمل عريض فى [الطليعة] الوفدية — وكان احد بناتها وأعمدتها الاساسية — فى نهاية الاربعينات كما قاده الى تعليل عجز الاحزاب المصريه الليبرالية بالسيطرة الاستعمارية والاستبداد الالكى غافلا عن الاساس الطبقى لهذا العجز . بل لقد قاده هذا التناقض الى ضرب من المثالية الافلاطونية والارسطية — تذكر بليبرالية أحمد لطفى السيد فى فجر هذا القرن — عندما برر مندور هذه [الديمقراطية الاجتماعية] باتفاقها مع آراء [العقلاء] منا ، وعندما خشى [العمالية] حفاظا على ما سماه [توازن الامة الاجتماعية] ، وعندما دعا الى حكم [الصفوة] المثقفة من أبناء البورجوازية . وفى ذات الوقت الذى كان محمد مندور يبشر بهذا الحل ، كانت فصائل فى الحركة الديمقراطية والثورية فى مصر — ولا تزال — تدعو الى [حل شعبى] لمشكلات الثورة الوطنية المصرية يتأسس على [الديمقراطية الشعبية] ، أى على الاستقلال السياسى والاقتصادى ، والتخطيط الموجه لصالح كل الطبقات الوطنية والشعبية ، ومشاركة هذه الطبقات — المستقلة فكريا وتنظيميا ، المتحدة فى جبهة حول برنامج ديمقراطى — فى ادارة الحياة السياسية للبلاد . كان النهج الاصلاحى للديمقراطية الاجتماعية حلا بورجوازيا تقدميا ، وكان النهج الثورى للديمقراطية الشعبية حلا عماليا ثوريا ، وكان كل منهما سبيلا مقبالبا لقوى ديمقراطية تتوجه الى تحقيق مهام ثورة مصر الوطنية . وخلال الازمة الديمقراطية — فى الخمسينات والستينات — اقترب محمد مندور من آفاق الحل الشعبى ، وبدا هذا الاقتراب فى نتاجه الثقافى والادبى المؤثر . لقد غلب على حركة هذا الرائد العظيم النشاط السياسى — تنظيميا وفكريا — فى الاربعينات ، وغلب على حركته فى الخمسينات والستينات النشاط الفكرى والثقافى والادبى ، وكان فى هذا الطور الثانى من حياته أحد الاعمدة الشامخة فى ثقافتنا الوطنية الديمقراطية ، وسندا قويا لكل جديد حقيقى فى الفكر والفن والادب . ان تراث محمد مندور فى هذا الجانب الفكرى والادبى — منذ كتاباته الباكرة فى أوائل الاربعينات ، حتى وفاته سنة ١٩٦٥م — محور أساسى من محاور البناء الثقافى العربى فى العصر الحديث

ومن الطبيعى ان تنسحب اصلاحية محمد مندور الاجتماعية على ساحة الثقافة الوطنية الديمقراطية ، وهى الساحة التى خلق فيها عطاءه الكبير . وفى هذا السبيل فان مؤرخ نتاجه لابد ان يقف عند مرحلتين لهذا النتاج ، مواكبتين لمرحلتى فكر مندور السياسى والاجتماعى : مرحلة الاربعينات، ومرحلة الخمسينات والستينات فى المرحلة الاولى كان مندور — كما سلف — يؤمن بقيادة الصفوة المثقفة من ابناء البورجوازية ، وكان يعمل تنظيميا فى صفوف [الطليعة] الوفدية ، وكل هذا فى اطار [الديمقراطية الاجتماعية] التى بشر بها مخرجا للثورة الوطنية المصرية من أزماتها ، وبعبارة اخرى مخرجا للبورجوازية المصريه من ازمتها . ولقد اثمر هذا الفكر نهجا للعمل الثقافى والادبى عند مندور فى تلك المرحلة الاولى ، اذ رأى ان ثقافة البورجوازية قد انتهت الى سلفية تقليدية ترتد الى العناصر المتخلفة من الموروث ، أو انها انتهت — فى اتجاه آخر — الى تبعية تلتقط أخلاطا من الثقافات الغربيه . كما راى أن من هذه الطبقة قد فقد غذوية الرومانسية الاولى وانتهى الى غنائيات فردية مريضة ، وأن درس هذا الادب قد عامل النص الادبى باعتباره شاهدا من شواهد اللغة ، أو وثيقة نفسية أو اجتماعية أو تاريخية . لهذا كله رفع محمد مندور لواء العلمانية والعقلانية فى ميدان النظر ، وحاول تأصيل اكاديمية رصينة فى ميدان الدرس الادبى ، وتأصيل جمالية موضوعية فى التعامل مع العمل الفنى . ان الجمالية فى ميدان الفن الادبى — والفن عامة — ليست بعيدة عن الايمان [بالصفوة المثقفة] فى ميدان العمل السياسى والاجتماعى ، واذا كانت الديمقراطية الاجتماعية — عند محمد مندور — حلا للمسألة الاجتماعية ، فان الجمالية كانت لديه رد فعل لتردي الدرس الادبى فى الاربعينات . أما فى المرحلة الثانية فلقد كف محمد مندور عن العمل السياسى المباشر — للظروف السياسية التى اشرنا اليها فيما سبق — وانصرف الى التوجيه الثقافى والتقويم الادبى ، وفى هذه المرحلة تاثر بالآفاق الفكرية الثورية ، فبرز لديه حس تاريخى اجتماعى فى فهم الثقافة جعله يلح على العناصر الشعبية والديمقراطية فى التراث ...

ويقف بجسارة ضد النكريات اليمينية والرجعية ، وينتقد بقسوة أجهزة الثقافة، ويتبنى الاجتهادات الفكرية والابداعات الفنية الجديدة ، حتى تتقدم — فى هذه المرحلة الثانية من حياته — صفوف المثقفين المصريين الديمقراطيين . لكن جانب النقد الادبى ، نظريا عمليا ، فى نشاط مندور الثقافى ، هو الجانب الاكثر اصالة وتأثيرا ، لذا فانه جدير بوقفة خاصة .

فعلى الرغم من أن نتاج محمد مندور فى الدرس الادبى والنقدى ليس — الا القليل منه — دراسات أكاديمية منهجية، انما كان غالبا مما يمليه على طلابه أو ينشره فى الصحف والمجلات السيارة ، فانه على الرغم من ذلك ، فان مؤرخ هذا النتاج يجد أن صاحبه قد أسهم بدور رائد فى كل علوم الادب تقريبا : التاريخ الادبى ، والدراسة الادبيه ، والنقد الادبى النظرى والعملى ، والدراسه الادبيه المقارنة . كما يجد مؤرخ هذا النتاج ان صاحبه يصدر عن فكر جمالى واضح ، وعن منهج ذوقى وموضوعى منسق . وقد يظن ان ميدان التاريخ الادبى يقتصر على المعنى الاصطلاحى الضيق الذى ينهض فيه مؤرخ الادب برصد العوامل الفاعلة فى مرحلة من مراحل الادب القومى ، أو فى مراحل هذا الادب كلها . لكن التاريخ الادبى ينتظم مجالات أخرى ، على رأسها التأريخ لنوع أدبى، أو مدرسه ادبية ، أو مذهب نقدى ..الخ ولقد حاول محمد مندور فى كل هذه المجالات ، معتمدا حسا تاريخيا راقيا ، وموضوعيه منضبطة ، ونقافة فنية عريضة — وفى هذا السبيل خلص مندور معنى [التاريخية] فى ميدان الدرس الادبى من العشوائية ، ومن النظر الى الظاهرة الادبيه باعتبارها مستقلة عما سواها من الظواهر . حاول أن يميز الظاهرة الادبية لكنه لم يقطعها عن سياقها التاريخى الاجتماعى . ويتبدى [١] هذا النهج فى تأريخه للنقد العربى القديم الذى جعله منسعا للاصول الفكرية والاخلاقية والبلاغية والجمالية والذوقيه للتراث العربى منذ أولياته فى الجاهلية حتى آخر عصور ازدهاره العباسية . كما يتبدى هذا النهج فى تاريخه للنقد [٢] العربى الحديث الذى رصد فيه الاصول النظرية والمناهج التطبيقية لائمة النقد المحدثين . وفى الانواع الادبية وضع [٣] مندور محاولة لبيان الاصول الجماليه وتطورها التاريخى للانواع الشعريه ولادب المسرحية ، وللمناهج النقدية ، كما وضع محاولة لبيان الاصول التاريخية [٤] العامة لادب المسرحية العربية مشيرا الى العناصر الشعبية الموروثة . والى الظواهر درامية والملحمية والقصصية فى الموروث العربى القديم . وفى منتصف الخمسينيات وضع تخطيطا لمدارس الادب [٥] العربى الحديث ومؤرخيه ونقاده . أما أو الاحياء ، الرومانسية أو التجديد ، الواقعية او المعاصرة — كان أول [خريطة] لهذه المدارس ، مرتبطة بأسسها الاجتماعيه العامة ، ولقد تبعه فى هذا التخطيط جمهرة دارسى الادب العربى الحديث ومؤرخين ونقاده . أما ميدان الدراسة الادبية فلايزال تحديده متداخلة فى علوم الادب عامة . ولقد برزت محاولة محمد مندور — فى كتابه [نماذج بشرية] — منذ ثلاثين سنة مثالا طيبا فى هذا الصدد . وفى ميدان النقد الادبى كان جهد مندور المؤثر ، فى النقد النظرى اهتم بتأصيل موضوعى بجماليات الادب فى كتابه [فى الميزان الجديد] ، وكان هذا الجهد اقوى رد على ما ساد تلك الفترة من مفاهيم عامه وفوضى فكريه فى درس الادب ومناهج نقده . وفى كتابيه [فى الادب والنقد] و [الادب ومذاهبه] عرف بالاصول النظرية لمدارس الادبية والنقدية فى ضوء تاريخى تطورى.

وفى النقد العملى تصدى بالتقويم لعدد ضخم من الشعراء والروائيين والقصاصين والمسرحيين المحدثين والمعاصرين ، وافرد كتبا لولى الدين يكن ، واسماعيل صبرى، وخليل مطران ، وابراهيم عبد القادر المازنى ، وثلاثة كتب لمسرحيات أحمد شوقى وعزيز أباظه وتوفيق الحكيم . وعلى الرغم من أن محمد مندور كان مؤهلا علميا للدرس الادبى المقارن ، الا انه لم ينشغل بهذا الميدان الهام ، ولكن معرفته الطيبة بالاداب العالمية قديمها وحديثها ، تبدت دائما فى اعماله فى التاريخ الادبى ، والدراسة الادبية ، والنقد النظرى والتطبيقى .

يقف وراء هذا النشاط الكبير تصور نظرى لماهية الادب ومهمته . ولقد بدأ مندور — فى الاربعينات — جماليا يصحح المفاهيم الخاطئة ويدفع الفوضى الفكرية فى ميدان النظر الجمالى والنقدى . ولكنه فى ذلك الوقت غالى فى جماليته حتى غرق فى مثالية متطرفة ، لقطع الفن من اواصره التاريخية الاجتماعية : « روح الشعر ، روح غفل ، ولكنها قوة من قوى الطبيعة ، قوة تحتاج الى التثقيف [٦] الصحيح » . وجعله — أى الفن — خلقا خالصا : « قالوا ان الصدق فى الادب هو مقياسه الوحيد . وهذا قول بدائى، الادب أعمق من الصدق . الادب ليس تصويرا للواقع ولا تسقطا لاصداء الحياة [٧] الادب خلق للصدق » . ويمكن ان نسمى هذه المرحلة مرحلة [فى الميزان الجديد] وعطاؤها النظرى أكثر جوانب التراث المندورى أصالة فى التنبيه الى الاصول الجمالية للادب ، ولكن هذا العطاء شابته نظرات غالية فى فلسفة الفن ، وهى نظرات غفلت عن الحقيقة التاريخية والسياق الاجتماعى لتلك الاصول الجمالية أما المرحلة الثانية — فى الخمسينات والستينات — فيمكن أن نسميها مرحلة [النقد الايديولوجى] — عنوان فصل أخير كتبه مندور عن منهجه النقدى فى كتاب [النقد والنقاد المعاصرون] — وفيها يلح محمد مندور على الدعوة الى ما سماه [الادب الهادف] الذى يفصح عن موقف للشاعر أو الكاتب من عصره ومجتمعه . وفى هذه المرحلة الثانية لم تنل الاصول الجمالية للادب عناية ذات قيمة فى كتابات مندور ، كما شابت هذه الكتابات — — من الوجهة الفكرية — عبارات غامضة مثل [الادب للحياة] و [الادب للمجتمع] ، ومثل [الادب القائد] ... الخ . يرى فى نقده الايديولوجى انه : « لم يعد من الممكن أن يظل الادب والفن مجرد صدى للحياة ، بل يجب أن يصبحا قائدين لها ، فقد انقضى الزمن الذى كان ينظر فيه الى الادباء والفنانين على انهم طائفة من الفردين الابقين الشذاذ ، أو المنطوين على أنفسهم أو المجترين لاحلامهم وآمالهم الخاصة ، أو الباكين لضياعهم وخيبة آمالهم فى الحياة ، وحان الحين لكى يلتزم الادباء والفنانون بمعارك شعوبهم وقضايا عصرهم [٨] ومصير الانسانية كلها » . لكن مندور

---

١ — النقد المنهجي عند العرب .
٢ — النقد والنقاد المعاصرون .
٣ — الادب وفنونه .
٤ — المسرح .
٥ — الشعر المصرى بعد شوقى . ثلاثة اجزاء .
٦ — فى الميزان الجديد ص٧٥
٧ — المصدر نفسه ص ٧٠
٨ — النقد والنقاد المعاصرون ص٢٣٥.

من أواخر حياته اقترب من التصور العلمي لعلاقة الفن بالواقع، ومن نظرية الانعكاس التي توصل جدلية هذه العلاقة: « ان الادب انعكاس لواقع الحياة وتطورها، ولكنه ليس انعكاسا سلبيا بل انعكاسا ايجابيا، فهو يرتد ثانية الى تلك الحياة ليحث خطاها ويدفعها نحو مزيد من التطور والتقدم، وبذلك يأخذ من الحياة، ثم يعطيها أكثر مما يأخذ. وهذا هو المفهوم الديالكتيكي للفلسفة الاشتراكية بالنسبة للادب، وهو يختلف عن المفهوم الميكانيكي للاشتراكية الذي يعتقد ان التطور المادي للحياة هو الذي يطور الفكر في حين ان الفكر لا يمهد لهذا التطور ولا يسبقه.

فهو يضع الفكر في موضع الذنب لا الرأس بينما المفهوم الديالكتيكي يجعل الفكر قوة فعالة نحو التطور والتقدم لا مجرد انعكاس آلي لذلك التطور ». وحتى هذا الاقتراب كلام عام لا يساعد في بيان خصوصية الظاهرة الفنية. ان التصور العلمي لعلاقة الفن بالواقع، يجعل الواقع يسطم ما هو طبيعي وما هو اجتماعي في آن، ويجعل الفن ادراكا جماليا للعالم يفصح بالتشكيل الجمالي عن موقف فكري واجتماعي من هذا الواقع الذي تحدده شروط تاريخية واجتماعية في كل مرحلة من مراحل تطوره. ان هذا التصور العلمي للظاهرة الفنية — وليس هنا مجال عرضه — يستند الى المادية التاريخية التي تحفظ مندور على بعض من مقولاتها.

والحق ان محمد مندور كان في المرحلة الاولى من حياته الادبية والنقدية — المرحلة الجمالية في الاربعينات — أدنى الى البحث في [ماهية الادب] وبخاصة من زاوية عناصر التشكيل، وأنه كان في المرحلة الثانية — المرحلة الايديولوجيـــة في الخمسينات والستينات — أدنى الى البحث في [مهمة الادب] وبخاصة من زاوية الموقف الفكري والاجتماعي. ولم يكمل عمله في المرحلة الثانية عمله في المرحلة الاولى، لان كلا من العملية قام على مفهوم نظري يغاير الآخر. ولعل هذه الحقيقة تفسر منهج محمد مندور في النقد العملي: فلقد صدر في المرحلة الاولى عن منهج جمالي ألح فيه على عناصر التشكيل الفني في النص، وصدر في المرحلة الثانية عمـــا سماه المنهج الايديولوجي — التسمية غير دقيقة لان كل منهج فكري أو نقدي، ايديولوجي بالضرورة — وألح فيه على الموقف الفكري والاجتماعي، أو سماه [المضمون].

وعلى الرغم من أنه نبه كثيرا الى ضرورة الوعي — في التعامل مع النصوص — بتفاعل التشكيل والموقف، الا أنه لم يصغ العلاقة الجدلية بينهما صياغة علمية.

والحق أن جهد مندور النقدي — بجانبيه النظري والعملي، وفي مرحلتيه — انما يمثل تمثيلا قويا رحلة الفكر العربي الحديث نحو فلسفة جمالية موضوعية، ولاشك أن طريق هذه الرحلة طويل، ولقد راد محمد مندور هذا الطريق، وقطع منه شوطا، وكان انجازه علامة اساسية يهتدي بها المفكرون والجماليون والنقاد.



■ محمـــد منـــدور

أوديســـيوس النقـــد الأدبي

د. أحمد عثمان

من يتصفح كتابات الدكتور محمد مندور القيادة العربي الكبير يجد نفسه وكأنه على ظهر سفينة تجوب كل البحار من أقصاها الى أقصاها، ربانها قوي البنية، حصيف الرأي، ولكنه كأوديسيوس ملاح تائه، تتقاذفه مغريات البحر من جزيرة الى أخرى، وتستبقيه احدى الساحرات فينسى لبعض الوقت نفسه وسفينته ورفاقه، لا يسير في رحلاته هذه على أسس علمية ثابتة ولا في اطار خطة منهجية مرسومة.

ومع ذلك فان جولات محمد مندور في النقد انما هي فتوحات واستكشافات كسبها الادب العربي، وينبغي على أدبائنا ونقادنا ان يدرسوها ويقيموها كتجربة رائدة، ليجددوا لانفسهم على ضوئها الطريق الصحيح.

ولقد اخترنا لمقالنا جانبا واحدا نذلل به على صحة ما سبق أن قررنا، الا وهو جانب الثقافة الاغريقية في كتابات مندور.

نهضـــة مصر والثقافة الاغريقية

يربط محمد مندور [في « كتابات لم تنشر » كتاب الهلال ١٩٦٥] بين نهضة مصر وحرص روادها من مفكرين وأدباء على بعث التراث العربي القديم بحركة بعث التراث الاغـريقي واللاتيني التي سادت أوروبا ابان نهضتها. فرجل كرفاعة الطهطاوي قد فطن بلا ريب أثناء اقامته في فرنسا الى أن النهضة الاوربية التي رآها قد ابتدأت بحركة بعث قوية لهذه الاداب الكلاسيكية القديمة ولهذا كان يؤمن — كما آمن طه حسين وغيره فيما بعد — بأن نهضة بلادنا لا يمكن أن تعتمد على النقل عن اوروبا فحسب بل يجب ان تعنى الى جانب ذلك ببعث القديم العربي.

وهو ينظر الى التراث الاغريقي [في « نماذج بشرية » بطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ١٩٥١] نظرة اكبار واجلال لخصب هذا التراث وقدرته على الايحاء، قدرة لا يمكن أن تنفد لانها من قدرة الحياة التي أمسكت بها عبقرية هذا الشعب الاغريقي، فصاغتها في صور ونماذج لن تفنى أبدا، وهذا ما يفسر حرص الدول الاوروبيـــة على الثقافات الاغريقية واللاتينية واعتبارها من الوسائل الاولى في تربية الشباب. فعلى الرغم من أن معظم المؤلفات التي كتبت بها قد ترجمت من اللغتين الى جميع اللغات الحية أكثر من مرة، الا أن الاهتمام بدراسة هاتين اللغتين مازال على أشده، لان دراسة مثل هذه اللغات في حد ذاتها

رياضة عقلية لا مثيل لها . كما أن الكتب التي الفت فيها يرجع جانب كبير من قيمتها وخلودها الى جمال صياغتها ، ومن الثابت ان أية ترجمة لا يمكن أن تحتفظ بهذا الجمال .

ويوضح محمد مندور فى كتاب « المسرح » [دار مطابع الشعب] كيف ان العقلية الاغريقيه قد تميزت بشيء خطير هو جماع ما يسمى بالمعجزة الاغريقية التى جعلت من نتاجهم الاساس العام للحضارة الحديثة . وهذا الشيء هو الولع بالانسان والايمان به واتخاده محوراً للحياة كلها بل وتصوره للالهة أنفسهم . فالاغريقى بعكس كل الشعوب القديمة يتصور آلهته على شاكلة الانسان [الانتروبومورفية أو الناسوتية] . فى حين يتصور المصريون القدماء — كبقية الشعوب الشرقيه — آلهتهم كقوى تسكن عالما خارجيا بعيدا عن مجال الحياة البشرية ، مسيطره على تلك الحياة ، فلا تتصف آلهتهم بصفة الانسان الذى تتجمع فيه المتناقضات وتتصارع الفضائل والرذائل وتتعدد المغامرات الدراماتيكية الانسانية . ولم يشتبك البشر مع الآلهة ، كما لم يشتبك الانسان مع قوة « القدر » أو « الضرورة » أو « الجبر الكونى » فهذه سمات اغريقية صميمة .

تطور الدراسات الكلاسيكية فى مصر

ونحن نرى فى كتابات محمد مندور وحدها دليلا واضحا على نمو تكوينه الفكرى واتساعه باطراد ، وانعكاسا ملموسا لتطور الدراسات الكلاسيكية والاهتمام بها فى مصر . ففى كتاباته الاولى تبدو علامات واضحة من التعثر فى معالجته للتراث الاغريقى ، ففيها الكثير من التعميمات السطحية والاخطاء الناجمه عن قصور فى الفهم يرجع اساسا الى اعتماد كلية على قراءة هذا التراث فى ترجمات انجليزية أو فرنسية دون الالمام باللغة الاغريقية أو اللاتينية . لكنه يعود ليصحح ويقوم هذه العثرات فى مؤلفاته المتأخرة ، وهذا دون شك يعكس تطورا فى الدراسات الكلاسيكية فى مصر اذ ان كتبه الاخيرة تعاصر وتواكب مؤلفات ظهرت لبعض الدارسين المتخصصين كالدكتور محمد صقر خفاجة — يرحمه الله — وزملائه من الدارسين الذين توفروا على هذا الجانب من الدراسات الادبية وأسهموا اسهاما ملموسا فى تعميق وتأصيل فهمها .

وأول ما يؤخذ على محمد مندور فى كل كتاباته انه لا يورد مراجع للاراء التى يستند اليها ، أنت فى كثير من الاحيان لا تعرف عما اذا كان ما تقرأ يمثل برأى مندور الخاص أم هو شرح وتفسير لاراء الاخرين . والسبب الرئيسى لذلك هو أن كتابات مندور تتكون فى الغالب من محاضرات ألقاها ونشرت أحيانا دون مراجعة فيغلب عليها طابع الارتجال . ثم أن هذا العيب لا تنفرد به كتابات محمد مندور فغالبية مايصدر من كتبنا لا تحوى مراجع ، وبعضها يذكر مراجعه بطريقه غير دقيقة . وهذا ما لا يتفق مع العصر الذى نعيشه والذى نميز بالدقه وروح الاتقان والتقدم التكنولوجى الهائل ، فان لم نتدارك هذه الاخطاء لن نبلغ ما نريد علما وحضارة او ادبا وثقافة .

وفى حين نجد مندور يفسر تفسيرا معقولا — او ينقل هذا التفسير — لترتيب نشأة الفنون الشعريه الاغريقيه قائلا بان الشعر الملحمى كان فى بدايه الامر يحل محل التاريخ لاقدم العصور الاغريقيه القديمة ، فبمجرد أن أخذ المجتمع يعى ماضيه رأيناه يحرص على تدوينه فى صوره الملاحم الشعرية ، وكان هذا التاريخ يختلط بالاسطورة بما فيها من مبالغه وتهويل . نجده مع ذلك فى كتاب « الادب وفنونه » [معهد الدراسات العربية العاليه ١٩٦١ — ١٩٦٣] يخطىء فى ذكر سبب حرب طروادة الاسطورى قائلا بأنه « هو أن باريس بن برياموس ملك طروادة شاهد هيلينا وهى تستحم مع وصيفاتها على شاطىء البحر أثناء مروره بسفينة على ذلك الشاطىء وراقه جمالها .. الخ » . وكلنا يعرف أسطورة حرب طروادة كما أوردها هوميروس حيث ذهب باريس لكى يسترجع أخته هيسيونى من بلاد الاغريق وكان هيراكليس [هرقل] قد خطفها . وهناك التقى بالمرأة التى كانت قد وعدته بها أفروديت الهة الجمال والحب وهى هيلينا أجمل نساء العالم ، رآها فى معبد أرتميس ، ثم زارها فى القصر الملكى فى مدينة أسبرطة التى تقع داخل شبه جزيرة البلوبونيزوس وكان صاحب القصر الملك منيلاوس غائبا ، وكان ما كان بين باريس وهيلينا بعد أن أوحت اليهما أفروديتى بالعشق ، وعاد باريس بمعشوقته الى طروادة التى دفعت ثمنا غاليا لهذه الفعلة النكراء .

وفى حديثه بنفس الكتاب عن الشعر الاغريقى وانقسامه الى أربعة أقسام او انواع يتميز كل منها عن الاخر بمضمونه احيانا، وبمضمونه وشكله الفنى، اى قالبه احيانا اخرى وهى الشعر الغنائى والشعر الملحمى والشعر الدرامى والشعر التعليمى يرى — أو ينقل آراء الاخرين — بأن الشعر الغنائى أسبق من الشعر الملحمى لان التغنى بعواطف الانسان وأحاسيسه هو الاسبق مع أن هذه الاشعار الغنائية الاولى لم تصل الينا لانها لم تدون ، وهذا ما دفع كثيرا من الباحثين للاعتقاد بأن شعر الملاحم أسبق وفى الواقع فان الشعر الملحمى كان لا يمكن أن ينشأ الا بعد أن اصبح للبشر ماض يعرفونه وبطولات يتناقلون اخبارها . والخطا الذى وقع فيه محمد مندور هو انه وضع الشعر التعليمى بعد الشعر الدرامى ويؤرخهما معا فى غضون القرن السادس ق . م . والحقيقه غير ذلك لان الشعر التعليمى الاغريقى جاء فى ظهوره تاليا للشعر الملحمى بل ومتلونا ببعض خصائصه كان يبنى على سبيل المثال الوزن السداسى وهو الوزن الذى صيغت به ملاحم هوميروس . وكان يظن قديما بان هيسيودوس ابا الشعر التعليمى معاصر لهوميروس واستقر الراى الان على انه عاش فى القرن السابع ق.م فى حين ازدهر الشعر الدرامى ابان القرن الخامس .

ويقول محمد مندور أيضا فى كتاب « فى الادب والنقد » [لجنه التأليف والترجمه والنشر ١٩٤٩] أن النقد الادبى كان سابقا للتاريخ الادبى « فمن الطبيعى أن يكون خالق الادب ناقدا ومن المعلوم أن شعراء العرب انفسهم فى الجاهليه كانوا نقادا وقد ضربت للنابغة خيمة يحكم فيها بين الشعراء كما كان أول نقاد اليونان ارستوفانيس شاعرا روائيا » فقد يفهم من هذه العبارة أن ارستوفانيس يقع فى بدايه تاريخ الادب الاغريقى مع أنه عاش فى القرن الخامس والرابع ق . م فى حين يمتد تاريخ الادب الاغريقى حتى القرن العاشر او التاسع ق . م . وبالطبع هناك الكثيرون من الشعراء والكتاب مثل ارستوفانيس يمكن اعتبارهم نقادا على اساس القول بأن كل خالق للادب انما هو ناقد . فهناك هسيودوس وارخيلوخوس وبنداروس وثوكيديديس وافلاطون والسفسطائيون وغيرهم . أما اذا كان محمد مندور يقصد « النقد المسرحى » بالذات فلا يمكننا أن نهمل اعمال سوفوكليس ويوريبيديس وغيرهما من الشعراء المسرحيين الذين تحتوى اعمالهم على بذور للنقد الادبى غير المباشر . اما اعمال اريستوفانيس ولاسيما « الضفادع » فهى بحق اول نص أدبى مسرحى يحتوى على نقد أدبى مباشر وصريح بل ويشكل هذا النقد الموضوع الاساسى للمسرحية .

وفى كتاب « الادب وفنونه » يقول محمد مندور انه لم يكن لعنصر الشخصيات فى المسرحية الاغريقية اهمية بارزة وذلك لان شخصيات تلك المسرحيات كانت أسطورية غير محددة الابعاد ، وكان دورها فى المسرحية يقتصر على تجسيد أنواع السلوك ، ولذلك لم يتحدث عنها وعن أبعادها أرسطو ولم يعط هذا العنصر

الاهميـــة الاولى فى المسرحية بل أعطى تلك الاهمية للميثوس أى « القصة » أو « الموضوع » [ونفضل نحن » الحــدث الدرامى »] ، وفى مثل هذا التفسير نقل واضح عن آراء الباحثين الاوربيين الذين شرحوا كتاب «فن الشعر» لارسطو فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل العشرين . وهى آراء لم تعد مقبـــولة الان لما فيها من فصل بين رسم الشخصيات والحدث الدرامى فى حين أن كلا منهما يولد فى الاخر وينمو بنموه ويتفاعل مع كل حركة فيه . المهم أن مندور ينقل هده الاراء ولا يسندها الى اصحابها الاصليين ولا يناقشها .

وفى نفس الكتاب يتحدث عن نشــــاه الفن التمثيلى الاغـــريقى وتطوره مــن الديثورامبوس منيمول » حتى اذا انتقل هذا الفن الى المدينة . واتصل أول الامر بالديانة الرسمية للدوله . اللاتينيه وهى الديانة الاوليمبية .. الخ » فالمقصود هو « الدولة الاغريقية » لا « اللاتينيه » وحتى فى هده الحاله فالعباره أيضـــا مخطئه لانه من المعروف أنه لم تكن هناك دولة اغريقيه واحدة الا ابان العصر الهلنستى وبعـــد فتوحات الاســـكندر وانما كانت هناك دويلات أو ما يعـــرف بنظام الدوله المدينة Polis وهنـــاك فى كتابات مندور الكثير من مثل هـــده الاخطاء سنكتفى بذكر بعضها فقط ولاسيما الخاص بشخصية أوديسيوس الى اهم بها . فهو يقول ان هذا الاسم أوديسيوس يعني « جواب الافاق » وفى الحقيقة ان هـــذا الاسم مشتق من فعـــل اغريقى odyssomai بمعنى اغضب ضـــد أو أكره . ويعتقد بعض الباحثين أن البيت رقم ٦٢ فى الكتاب الاول من الاوديسيا يشير الى هذا الاشتقاق . ومن الافضل على أية حال الا نقول أهمية كبرى على هذا الاشتقاق اللغوى رغم ماله من علاقه بمفهوم البطوله عند الاغريق وهذا ما لا يتسع المجال لشرحه . ويقول مندور كذلك بأن أوديسيوس كان ملكا على جزيره كورفو [أو كوركيرا كما كانت تسمى قديما وأصبح اسم الجزيرة باليونانيه الحديثـــه « كيكيرا » أما كورفو فهو اسم المدينه العاصمة الحالية] . ومن المعروف — وكما يعود محمد مندور نفسه ليصحح هذا الخطأ فى كتابه « الادب وفنونه » أن الاوديسيا ملحمة هوميروس تحكى مغامرات البطل أوديسيوس « ملك جزيره اثياكا [أو ايثاكى] أثناء عودته من طروادة فى آسيا الصغرى الى وطنه بعد انتهاء الحرب » . ومن الاخطاء أيضا قوله بأن أوديسيوس بعد عودته عاقب « القوادات » فهذه الكلمة بلا شك ترجمة للكلمة الفرنسية solliciteurs والانجليزية suitors بمعنى « الطامعين » فى الزواج من بنيلوبى زوجة الملك أوديسيوس الغائب .

لماذا لم ينقل العرب المسرح الافريقى

حير هذا السؤال كثيرا من الباحثين العرب المستشرقين منذ أن بدأ العـــرب ينقلون المسرح الاوربى الحديث فى منتصف القرن التاسع عشر ، وتعددت الاجابات ووجهات النظر .

لقد سبق أن اتصل العرب بالحضاره الاغريقية واخذوا عنها ما أمكن أخذه مما يصح عند العقول كافة كأصول التفكير الرياضى والفلسفى وأما ما سيتصل من تلك الحضارة بمقومات الحياة الاجتماعية والعاطفيه ، وهو ما تتميز به الحضارات فلم يستطيعوا بداهة فهمه ولا قبوله او نقله ، ومن هنا لم يترجموا الى لغتهم شيئا من شعر الاغريق وان كانوا على العكس من ذلك قد ترجموا جانبا مــن اشعار الفرس كالشاهنامة وغــيرها . وربما كان ذلك — كما يقول محمد مندور فى « كتابات لم تنشر » — لان حيـــاة الفرس التى يصورها ذلك الشعر كانت أقرب الى حياه العرب من حياة الاغريق ، ثم أن الدين قد لعب فى هذه المفارقة دورا حاسما فالفردوسى شـــاعر مسلم وهو فارسى وثنى .

وفى محاضرات « الادب وفنونه » يفند محمد مندور الناقـــــد الحصيف آراء المستشرق رينان الذى يزعم أن العرب كجنس سامى لا يمتلكون ذلك الخيـــال التركيبى اللازم لبناء المسرحية ، كما يرى أن ملكيتهم الاساسية هى ملكة الملاحظه للجزئيات . ورأى رينان هذا القائم على الجنس لا يمكن قبوله لان مسألة الجنس برمتها لا تستطيع أن يصدر على أساسها حكما على ملكات الشعوب المختلفه . ثم يدلى محمد مندور برأى [سبقه اليه توفيق الحكيم فى مقدمته لمسرحية « الملك أوديب »] وهو ان لطبيعة حياة البادية وعدم استقرارها وللبيئة البشرية والبيئه الطبيعيه أثر فى تفسير هذه الظاهرة ، فالتمثيل يحتاج الى استقرار والى بناء دور للمسرح . والذى لاشك فيه أن الدين الاسلامى أيضا قد حال دون ترجمـــة المسرح الاغريقى القـــائم على الوثنيـــة وآلهتها وأساطيرها الى اللغة العربية ، بينما لم يكن هنا لك أى تعارض بـــين هذا الدين والفلسفة الاغريقية وبخاصة المنطق ، بل ان المسلمين قد استعانوا بذلك المنطق فى تأييد الاسلام بحجج عقلية فى محاجة خصومه والدفاع عنه . ويذهب البعض الى أبعد من ذلك فيقولون ان الاسلام الذى حارب فن النحت وصنع التماثيل خوفا من العودة الى عبـــادة الاصنام لم يكن من المنتظر أن يبيح — وهو لايزال قريب العهد بعصر الاصنام — ترجمة أو تأليف مسرحيات يخلق فيها كاتبوها شخصيات على نحو ما يخـــلق النحاتون تماثيل تشبه الاصنام وتفسد العباد ، فضلا عن مشاركة الله فى قدرته على الخلق ، وهى حجة غير مقبولة [راجع « المسرح »] .

وقد تشبه الفنون الشعبية خيال الظل والاراجوز وصندوق الدنيا التى انتشرت فى البلاد العربية فن المسرح الاغريقى الذى كان فى أساسه فنا شعبيا . ولكن هذه الفنون لم تخلق أدبا ولا خلفت تراثا أدبيا ولكنها لا شك قد مهدت العقول والحواس للاقبال على فن التمثيـــل بل والسينما اللذين أخذناهما عن الغرب بعد أن اتصلنا وتأثرنا به . ولو أن تأثير مثل هـــذه الفنون الشعبية — كما يقول محمد مندور — كان ضارا على نظرة الجمهور لفنون المسرح والسينما ، اذ لم يستطع الكثيرون حتى الان التخلص تخلصا تاما من نظرة الاستخفاف وأحيـــانا الازدراء لهـــذين الفنين . فى حين أن الفن التمثيلى الاوربى يعود بجذوره الى أصول المسرح الاغريقى الدينية وما بها من تقديس وتعبد للاله باكخوس [أو ديونيســوس] .

هوميروس

يظهر محمد مندور اهتماما خاصـــا بهوميروس أول وأعظم الشعراء الاغريق ويدل كتاباته على فهم عميق بهـــذا العبقرى الخالد . فهو فى كتاب « الادب وفنونه » يشير الى خاصية أســـاسية ودقيقة من خصـــائص أسلوب هوميروس وهى استخدامه للصفات . فمن المعروف ان هوميروس ورث تراثا ملحميا انشاديا ضخما صاغه فى ملحمتيه الشـــهيرتين « الالياذة » و « الاوديسيا » وفى هذا التراث الملحمى أصبح لكل بطل أو اله صفات معينة متعارف عليها وملازمة له وعلى الشاعر الملحمى فى كل مرة يذكر فيها اسم هذا البطل أو الاله أن يختار من هذه الصفات ما يناسب الوزن والمقام . فأوديسيوس على سبيل المثال يوصف بأنه « الهى » أو « الصبور شبيه الالهة » وابنه تيلماخوس فهو اما « شبيه الالهة او « ابن أوديسيوس المحبوب » ، وأخيلليس « سريع الارجل » والفجر « ذو الاصابع الوردية » ... الخ ويقول محمد مندور فى هذا الشأن ان هوميروس يستخدم هذه الصفات فى وصفه للناس والاشياء على نحو مزيد فى اللغة نابع من طبيعة الانسان الفطرية وهذا واضح تماما فى استخدامه لما يسميه علماء الجمـــال اللغوى باسم صفات الماهية epithète de nature وذلك لان الصفات تستخدم عادة لتمييز الموصوف من غيره عندما نقول الرجل الكريم تمييزا له من البخيل أينما هناك صفات أخرى ترد على الموصوف لتحديد وابراز صفة ملازمة لطبيعته وهى التى تسميها بصفة الماهية أى التى تبرز ماهية الشىء أو خاصية

من خصائصه ، لا لكى تميزه عن غيره مثل قولنا الله الحى الباقى فنحن لا نصف الله هنا بأنه حى وباق لتمييزه عن اله آخر غير حى ولا باق وانما لنحدد ماهيته ونبرز الخصائص اللازمة لهذه الماهية .

ويمتاز هوميروس أيضا بما يمتاز به الانسان الفطرى وهو النظرة التركيبية synthesis الى الناس والاشياء فهو لا يحلل النفس البشرية ولكنه يركز ملامحها فى صورة مركبة . ذلك لان التحليل ملكة مكتسبة لا يصل اليها الانسان الا بعد نمو حياته الفكرية وتفكيره المنطقى بينما الانسان الفطرى تتركز انطباعاته ومدركاته فى صور مركبة ، نستطيع اليوم تحليلها ويمكننا بهذا التحليل نضعف من قوتها ونحطم جمالها . ويضرب على ذلك مثلا لمنظر توديع اندروماخى لزوجها ميكتور وهو ذاهب الى القتال فهى تودعه « بابتسامة تبللها الدموع » مشفقة على زوجها من الموت وعلى طفلها من اليتم ولكنها حريصة على الا تظهر أمام زوجها البطل اى فزع أو خوف لكى توحى له بالثقة .

أوديسيوس

يمثل أوديسوس — كما يقول مندور — أنموذجا للشعب الاغريقى ذاته بما فيه من قوة وضعف ، هو صورة واقعية للاخلاق الاغريقية وللملكات الاغريق الذين فطنوا لهذه الحقيقة ، فرأى كل منهم فى شخصية هذا البطل نفسه أو جانبا منها ، بما تعرفه منهم من الشجاعة وروح المغامرة وتفتح للمعرفة والاقدام على المخاطرات ، مع المقدرة على ملابسة الواقع وتدبر الصعوبات ، ثم المرونة فى معالجة الناس والاشياء مما دفعهم أحيانا الى اسكات صوت الضمير ، والتعلق بالهدف دون النظر الى الوسائل ومدى ما فيها من قسوة . وتلك كلها صفات سنراها عند أوديسيوس فى تاريخه الطويل فى الادب الاغريقى واللاتينى والاداب الاوروبية الحديثة ، على تفاوت فى النسب وتطور فى الاتجاه وفقا لسير الزمن وتقدم الحضارة .

ويقدم لنا محمد مندور فى كتابه « نماذج بشريه » دراسة ممتعة عن شخصية أوديسيوس ابتداء من هوميروس حتى القرن العشرين . وهذه الدراسة لاشك منقوله من كتب الباحثين الفرنسيين عن التراث الاغريقى ، ولا يشير مندور الى هؤلاء الباحثين ، ومع ذلك فرغم مايشوب هذه الدراسة من أوجه نقص اذ أنها لا تعالج شخصية البطل فى لادب اللاتينى وتمر مرورا سريعا على شخصيته فى الاداب الاوروبيه الحديثة ، رغم كل ذلك فاننا نعتبر هذه الدراسة من أهم ما أسهم به مندور فى الدراسات الكلاسيكية فهى تشير الى الاتجاه الصحيح الذى ينبغى أن يأخذه عدد من الباحثين المتخصصين فى مصر ، الا وهو الدراسات المقارنة .

يرسم هوميروس شخصية أوريسيوس فى الالياذة كبطل مقدام ذى حكمة ، خبير بدخائل النفوس ، ذى ذكاء نافذ وثقة بالنفس ، أبى ، بليغ فقد اختير على رأس وفد ذهب الى أخيلليس ليثنيه من عناده فكانت خطبته فيه مؤثرة نافذة قسوية . وكل مواقفه تدل على أنه وان لم يكن مادى النزعة الا أنه قد عرف دائما كيف يضع صالح الوطن فوق نفعه الخاص ، بل فوق كبريائه ، وهو ورع تقى يخشى الالهة ويحترمها ولا سيما الربة اثينة الهة الحكمة والذكاء وهو فى كل ذلك يمثل تمثيلا صادقا الصفات الاغريقية المميزة .

أما فى الاوديسيا فأوديسيوس هو البطل ، محنك ، حسن التقدير ، ذوفهم عميق للنفوس ، ولباقة فى معالجة المشاكل ومقدرة بالغة فى التغلب على الصعوبات فهو باختصار لم يفقد شيئا من صفاته المميزة فى الالياذة ولكن بعضها تطور وتعمق وبعضها الاخر خفت حدته . وفى الحقيقة عندما نمر من الالياذة الى الاوديسيا نلمح فى شخصية أوديسيوس تطورا لا ريب أنه قد ماشى تطور العقلية الاغريقية كلها ، بحيث نجد أن فى صورته عند هوميروس ككل تمثيلا لخلاصة الروح الاغريقية . فنحن نلاحظ انه اذا كانت الالياذة قد صورت البطولة الجسدية الخارقة فى شخص أخيلليس فان الاوديسيا قد صورت بطولة الذكاء البشرى فى شخصية بطلها أوديسيوس .

ومع ذلك فنحن نرى أن محمد مندور قد أسقط على هوميروس بعض المفهومات والتفسيرات العصرية عندما يقول « لم يعد أوديسيوس فى الاوديسيا البطل المقدام المغامر ... بل الداهية الخصيب الذكاء ... آفاق البحر الابيض ليرى بعينى رأسه ويعلم عن تجربة فلا يعود الى وطنه الا وقد ملأ ناظريه بجمال ما شاهد وأغنى ذاكرته بما سمع من قصص ، وليس من شك فى أن الزم الصفات لرجل يسعى الى ما كان يسعى اليه أوريسيوس هو القدرة على التمييز عن فطنه ومهارة » . فهذه الفقرة تصور أوديسيوس وكأنه مستكشف من مستكشفى عصر النهضة الاوربية يسعى فقط من اجل المعرفة وهو لم يكن كذلك عند هوميروس اذ أن القدر وحده هو الذى دفعه الى متاهات البحار أما هو نفسه أوريسيوس فلم يكن يتمنى ذلك وكل شاغله كان الرجوع الى وطنه وأهله سالما .

وفى مسرحية «فيلوكتيتيس» لسوفوكليس نرى أوديسيوس خبيثا جبانا ، لا يتورع عن شىء ، ولا يقيم أى وزن لمبادىء الاخلاق ، وهذا ما يعكس بوادر القلق التى أخذت تتفشى فى أواخر القرن الخامس ق.م فى اثينا عندما ظهرت الفلسفة السفسطائية وامتدت يد العبث بالاخلاق التقليدية ، تلقى الشك فى قيمتها وتحث التقليدية ، تلقى الشك فى قيمتها وتحث على الخروج عليها ملتمسة لذلك تأويل باطلة »

وفى النهاية أثبت أوريسيوس أنه لم يكن انموذج الشعب الاغريقى فى مراحله التاريخية المختلفة فحسب بل انموذجا بشريا فيه الكثير من نواحينا الانسانية التى نمتلكها او نود أن نمتلكها ، ففيه الحنين الى الوطن واللهفة الى العودة اليه مهما كان فى ذلك من مخاطرات ، فيه روح المغامرة التى تدفعنا الى الضرب فى الارض والبحار لنفيد تجارب ونثرى بما نشاهد من صور . فيه حب الاستطلاع والرغبة فى المعرفة التى لا تعدل بالفهم شيئا ولا يردها عن ذلك شىء . فيه كل هذا وفوق هذا من المعانى التى مازلنا نحرص عليها أو نقف دونها . هكذا يظهر عند دانتى وعند دى بللى أحد كبار شعراء فرنسا فى القرن السادس عشر . وعند الفريد تنسيون الشاعر الانجليزى ابان القرن التاسع عشر نجده مكافحا صلب العود ، يغامر رغم شيخوخته ، وكله ثقة وتحرق الى المجهول ، فاما النصر والسيطرة على الوجود واما الفناء وسط الجهاد وتلك كلها صفات انجليزية صميمة وفى القرن العشرين نجده عند جيمس جويس الذى أنفق جانبا كبيرا من حياته فى باريس تلك المدينة الصاخبة نجده رمزا للمعرفة الشاملة تلك التى لا تعدل بالتجربة شيئا ولا تردها عنها مبادىء أو مواصفات اجتماعية »

وهكذا يجوب أوديسيوس الاداب كلها من اقصاها الى أقصاها وهذا ما فعله محمد مندور الذى تجول فى الادب العربى منذ العصر الجاهلى حتى الكتاب المعاصرين وفى الادب الاغريقى منذ هوميروس حتى العصر السكندرى الذى أفرد له ثلاثة مقالات نشرت عام ١٩٤٤ [« كتابات لم تنشر »] ثم فى الاداب الاوروبية الحديثة منذ العصور الوسطى حتى الحركة الكلاسيكية ثم الرومانسيه فبقية المذاهب حتى مسرح العبث والمؤلفين الاوربيين المعاصرين . لقد استكشف مندور بعض الاماكن فى تاريخ الادب والنقد ، التى ربما كانت نائية أو مستعصية على جيله او الاجيال التى سبقته . ولكنه مع كل ذلك يمثل مرحلة فى تاريخ النقد الادبى العربى أعتقد أننا فى سبيل تخطيها أو ينبغى أن نتخطاها .. واضعين هذا العلم قواعده وأصوله ... دون أن نغفل أو نقلل من أفضال البحارة الاول وفتوحاتهم . ■

المـــرأة في شـــعر الســـياب

خمســة صــور وثــلاثة وجــوه

أحمــد عز الدين

احتسب ان بطل السياب قدظل محافظا على جوهره ، عبر كل المراحل التى قطعها ، علىتباينها ، وتفاوتها الشديد .
قد تكون ملامح وجهه قـــداصابها الزمن هنا ، وقد تكون اطرافه قد حل بها العطب هناكوقد يكون جلده قـــد تغير فى موانىء المرض والذبول . لكنقلبه ظل ثابتا فى موضعه .

حقيقة أنه لم يكن ذلك الذىيسعى الى تغيير خريطة الاشياء [كبطل ادونيس] . او الى تغييرالعالم [كبطل البياتى] ، ولم يكن ــ أيضا ــ فارســا دونكيشوتيا [كبطل عبد الصبور]، أو مغامرا دون جوانيا [كبطلنزار] ، بل كان شخصا مأساويا ــ يعانى الفقر والمرض والغربةــ الا أنه كان عاشقا رقيقــا وبسيطا ، على نحو متفرد .

انهم يتحدثون عن هذه المأساويـــة باعتبارها تصادما بين السياب كذات ، وبين الحياة العادية ، التى أحاطت به. وأسرته .. تصادما بين طابعه الخاص، وبين الواقع المتناقض المتصادم منحوله غير ان هذا الطابع الخاص ، ليـس مجرد انعكاس لشخصيته المنفصلة عن الواقع الذى تنفس وأبدع فيه .

لا خلاف على أن السياب كان انسانا مأساويا .

لــكن هذه المأساوية ، ألم تــكن انعكاسا لواقع أكبر من الظروفالذاتية، التى أحاطت به وكبلته . ؟

الم يكن هذا الواقع ذاته جزءا مــن تاريخ المنطقة العربية التى كان الصراع الوطنى والاجتماعى فيها ، فى أكـثر لحظاته تفجرا وعنفا ؟

ان علينا أن ننسبه للعصر الـــذى خلقه ، لكى يبدو لنا مدى ارتباطـــه بهذا العصر ، ومدى تعمقه فيه .

أليس هذا فى نفس الوقت ، مقياسا واضحا وأكيدا لموهبته ! لقد كانالسياب أقرب الى تاريخ المنطقة ، وأكثر تغلغلا فيها من كل الاصوات التى صاحبته .

لست اريد بذلك ان اسقط العـــامل الذاتىتماما من معادلته ، فان هذا معناه تجاهل خاصيته كفنان وكمبدع ، ولكننى اريد أن اسقط ذلك الحد المتوهم بـين موهبته وحركة التاريخ من حــوله ، فليس بمقدور اى موهبة مهما كبرت ، ان تحول الكذب أو الوهم الى حقيقة .

لقد كان التاريخ يتحرك أمام عينيه ، ولم يكن مجرد شاهد عيان على عصره، وانما كان ممساهما فى صنعه ، وكانت عذاباته وضلاله مرتبطـــة بحـــركة ذلك التاريخ ، وبطبيعة هذا العصر .

ليس بامكان موهبة ــ مهما كـبرت ــ أن تــكون أسمى من عصرها ووطنها ، وليس هناك موهبة تستطيع أن تقــدم مضمونا ، لم ينضج بعد تاريخيا ، بل وحتى أن تستوعبه .

.. لكن ما هى الموهبة ؟ .

انهم يخيفوننا بهذه الكلمة فى هــذه الايـام !

انهم يتحدثون عنها كثمرة معلقـــة لا جذور لها ، باعتبارها هبة ، وبالتالى باعتبارها مقياسا ضبابيا يتم فرز ابداع الاخرين على أساسه ، خارج الظروف الاجتماعية ، بل خارج العصر كله ، خارج الزمن والبيئة .

لكن الموهبة ــ فى جوهرها ــ تعبير صادق عنهما معا،انهما يتركان بصماتهما ليس على الموهبة الثابتة فى تربتهمـــا فقط ، بل على كل الطبيعة البشريـــة

التي تستمد خصائصها منهما .

وقوة الموهبة تتوقف على مدى تغلغلها فيهما ، وبالتالي تعبيرها عن متطلبات اللحظة العابرة من خلالهما .

لكن الموهبة — مع ذلك — لا تنفصل عن التاريخ ، انها تمزج هذه اللحظة بالتاريخ في وحدة لا تنفصم ، بينما تسعى لتوكيد نفسها .

انها — ككل ما يحيط بها — ليست ثابتة ونهائية ، انها هي نفسها في كل لحظة ، وليست نفسها في كل لحظة .

انها دائما متجددة ، دائما متنوعة ، دائما باحثة عن حلول جديدة ، تؤكد ذاتها من خلالها ، لتكون — أو لا تكون — أكثر ضرورة للناس ، وفي هذا — تحديدا — تكمن قيمتها وفاعليتها وأصالتها .

وعندما نقول أن السياب موهبة كبيرة ، فاننا نقصده بهذا المقياس .

لعلى مدخلى الى المرأة في شعره لم يطل ، فهي في مركز الثقل منه ، موهبة فنيا وجماليا وفكريا .

خلفيــة تاريخية

على الرغم من أن هذا الزواج الذى عقد بين نقدنا المعاصر ، وبين موروث المصطلح الغربي ، كان — ولا يزال — زواجا غير شرعي ، الا ان بعضا من هذا الموروث قد أتيح له — ربما نتيجة التداول الواسع — أن يشحن بدلالات خاصة ، قاربت بينه وبين الحقل الذى يتعامل معه ، حتى أنه ليصعب — مع ذلك ، استخدام بديل نقدى ، يمكن له أن يفجر المعنى المطلوب منه تحديدا ، مهما كان أكثر احتواء له .

ومن بين هذا الموروث : [المدرسة الكلاسيكية الجديدة] ، [المدرسة الرومانطيقية] .

لقد أطلق الاول على الاتجاهات الاحيائية التي سادت أواخر القرن الماضي ، وهيمنت على بدايات هذا القرن ، والتي حاولت أن تستحدث علاقة جديدة بالتراث الشعرى القديم ، والتي كانت ملامحها بادية في أشعار [اسماعيل صبرى] في مصر ، و [خليل مطران] في لبنان ، والتي وصلت الى انضج تعبير لها على يد [شوقي] و [حافظ] وغيرهما .

وأطلق الثاني ، على ذلك الاتجاه الذى أخذ يتسرب الى الشعر العربي منذ مطلع هذا القرن ، حيث أخذت تباشيره تلوح قوية في شعر [جبران خليل جبران] [1] ، و [مطران] [2] ، وأخذت بعد ذلك في التكشف في أشعار عبد الرحمن شكرى [3] . ثم في أشعار [الشابي] و [أبو شبكه] و [الهمشرى] و [التيجاني] ، ثم بعد ذلك في أشعار [علي محمود طه] ثم [ناجي] و [محمود اسماعيل] .

---

(1) جبران خليل جبران (١٨٨٣ — ١٩٣١] صدرت مجموعتاه [عرائس المروج) و (الارواح المتمردة) عامى ١٩٠٦ و ١٩٠٨ على التوالي في نيويورك وكلاهما تعبر عن عطش روحي شديد الى الانعتاق من ربقة التقاليد وهي تمجد حرية الانسان واختياره .

(2) صدر ديوانه الاول في مصر عام ١٩٠٨

(3) عبد الرحمن شكرى (١٨٨٦ — ١٩٥٨) صدر ديوانه الاول (ضوء الفجر) عام ١٩٠٩ .

ولم يكن هذا التيار الاخير الذى سجل العقد الرابع من هذا القرن انتصاره ، منفصلا عن الظروف التاريخية ــ الاجتماعية التى كان الوطن العربى يعيشها آنذاك حقيقة أننا لا نكاد نلمس اثرا مباشرا للمعاناة السياسية عند أى من رواده [باستثناء الشابى] ، وحقيقة ان هذا التيار قد عبر عن نفسه فى شعر عاطفى، وهو يرتدى أكثر من رداء ، واكثر من لــون .

فهو تارة يهلل منتشيا بالحب المثالى [أبو شبكة ــ الشابى] وتارة يعبر من فرحه الجذلة بالحياة [على محمود طه] ، وتارة أخرى يجىء متبتلا بالجمال مقدسا له [الشـــابى ــ التيجانى ــ الهمشرى] ، لكنه فى كل الاحوال ، يعكس نشوقا وحنينا طاغيا الى مثــال لا يجده فى الواقع ، ولا يتلامس معه الا بوجدانه الظمآن ـ وحقيقة أيضا أن هذا التيار لم يضع لنفسه افقــا فلسفيا ينسج حركته النامية عليــه ، مثلما كانت الرومانسية الغربية [٤] .
لكن هذا التواتر الذى صاحب بدايتــه ونموه ، من بلد عربى الى آخر ، ربما يعكس على نحو قوى ، ذلك الاساس التاريخى ــ الاجتماعى الذى صاغــــه موضوعيا ، وهو يقيم مجمل حـــركتــه كتيار متدفق يجسد جوهر التناقض بين الواقع والمثال ، بين ما هو قائم وماهو مأمــول .

ان صورة الذات التى تســعى الى الخلاص ، وتسبح بالجمال والحـــرية وتحلم بتجاوز ما هو موروث من علاقات وقيم ومثل ــ من داخل هذه القيم والمثل والعلاقات ذاتها ــ لا بد وأن تبـدو فى النهاية ، متعبة ومكدودة ، تحــت وطأة معاناتها الاجتماعية ، بينما تفتش عن انعتاقها وخلاصـــها فى مخالطـة الطبيعة وجدانيا ، والإلتصاق الواجف بجمالها ودفئها .

وهى أيضا لابد وأن تعكس هـــــذا الشرخ الحضارى الهائل بين ما تستند عليه من قيم ومثل ، ونقيضها الاخر ، الذى تتطلع اليه .

انها ــ مثلا ــ حين تستخدم مقياسا أخلاقيا لقيم الفضيلة ، يكون مقياســا ذا طرفين متناقضين متباعدين ، أحدهما للمرأة والاخر للرجل .

وهى ــ مثلا ــ حين تعبر عن نزوعها لعفة المرأة وقدسيتها لا تستطيع أن تخفى رغبتها الفائرة فى الالتصاق بجســدها المحــرم .

انها تارة تقف مترددة أمام بهجـــة الجنس ولذته ، وتارة ترمى بنفسها فى أتونه ، متطهرة من وازعها الدينى ، وقسوتها الروحية .

لعل هذا يبدو واضحا ، فى موقفى [عمر أبو ريشة] و [الياس أبوشبكة] بل لعله أكثر وضوحـــا فى موقف على محمود طه [٥] .

لقد كان حبهما للمرأة فى مجمله [حبا مجزءا] .. ، على حد تعبير توفيق صائغ فى تناوله لاشعار [أبو ريشة]

● ● ●

عبر هذه الدوائر المتداخلة بــدأت [بواكير] السياب .

ولم يكن من الممكن له أن يضع نفسه فى موضع خارجها ، لكن تأثره [بمحمود طه] كان ساطعا ــ لكن ، لماذا [محمود طه] بالذات ؟

هل كان القاموس الشعرى له ــ وهو يستمد مفرداته من طبيعة الريف ــ هو الرحيق الذى جذب نحلة السياب ــ التى حطت فى نفس الوقت بين أزهار [كيتس] و [شيلى] وغيرهما ؟

هل كان اخلاص [السياب] لبيئته ــ كما يقول د. السامرائى [٦] ــ هــو السبب ؟

مهما يكن الســبب ، فالشــاهد ان نحلة « السياب » تغذت كثيرا على رحيق « محمود طه » ..

لكننا رغم ذلك لانعدم اثرا آخــر ، لشاعر آخر فى بواكيره . ففى ملحمة « بين الروح والجسد » ــ التى اهداها الى « بودلير » وبعث بهـا الى « على محمود طه » ليكتب مقدمتها ــ تبدو تامة «الياس ابو شبكة» قائمة فى خلفيتها . [٧]

● الوجه الاول ●

المرأة (الواقع ــ المثال) :

ان الصورة الاولى للمرأة فى شعره نجمع شظاياها من هذه الخلفية ، فهى تضع لنفسها صورتين متناقضتين لوجهها الواحد .. كيف يبدو الامر ؟

(الصــورة الاولى) :

تتطابق تفاصيل وجزئيات هذه الصورة مع صورة حواء فى الموروث الدينى ــ حتى باستخدام نفس مفرداته :

بازهرة التفاح هل تحدثين عــن الجنان
يوم استقذبها الهوى تلبين كانا يعشقان
اروى لنا نبأ «الطريد» فانت راوية الزمان
أغوته حواء فمد يديه نحو الاقحوان ..

حواء هى الغاوية ، هى مكمن الفساد والتشرد ، وآدم هو المخدوع - والضحية

ان الصورة الاولى تمتد داخل نسيج دينى اخلاقى ، يمزق روحه :

عين يرنح هدبها نفسى
ولم يقطع همسه الداء
ويد على كتفى مجلجلة
واخجلتاه أتلك حــواء
لاكنت آدمها ولا لفحت
فردوسى الخمرى حمراء . [٨]

انه يرسمها بنفس هذا المقياس الموروث ذى الطرفين المتناقضين المتباعدين ..

(الصــــورة الثانيــة) :

لكن هذه الصورة المقبضة التى تحرك وجدانه بين تفاصيلها ، تضعه فى تمزق روحى ووجدانى عميق. فكيف يتخلص منه ؟ انه يضع لنفسه صــورة اخــرى يفر اليها من تمزقه ..

بطــول انتظــارى لعلى اراك
لعلى الاقيك بين البشر
أطلى على من شباك الحياة
فاصبحت حسنا . ملا النظر ..

---

[٤] تستثنى من ذلك أعمال [جبران] و (نعيمة) التى التصقت بمنابعها الفلسفية فى الغرب واستمدت منهما ضوءها الخاص .

(٥) راجع محمد مندور (الشعراء المصريين بعد شوقى] ج٢ - القاهرة ١٩٥٨ ، (على محمود طه الشاعر والانسان) أنور المعداوى ــ بغداد ١٩٦٥ .

(٦) راجع ــ (لغة الشعر بين جيلين) ابراهيم السامرائى ــ بيروت .

(٧) يفصل (ابو شبكة) فى ديوانه (افاعى الفردوس) بين الروح والجسد، من منظور دينى ، ناشدا التطهر من الخطيئة التى اثقلت روحه ــ والملحمة المذكورة ، تتطابق فى الوزن والقافية مع قصيدة (أيفى هذا العصر) ضمن الديوان المذكور - ١٩٣٨ - لمزيد من التفاصيل ارجع الى (الياس أبو شبكة وشعره) رزوق فرج رزوق بيروت ــ ١٩٥٦ .

(٨) (اقــداح وأحـــلام) ديوان (ازهار وأساطير) .

اطلى على طرفى الدامع
خيالا من الكوكب الساطع .
ظلا من الاغصن الحالمات
على ضفة الجدول الوادع [٩] .

وهكذا .. يجسدها فى الطبيعة ويجسد الطبيعة فيها ليعطيها تماسكا ووجودا حقيقيا :

ولكنها نور كل الحقول
ودفء الشذى بين اعشابها
وافراح كل العصافير فيها
وكل الفراشات فى غابها [١٠] .

بين هاتين الصورتين المتناقضتين لوجه المرأة ، يجيء شعر [السياب] فى مرحلته الاولى ، فهو يعكس فى الصورة الاولى موروثة الدينى الاخلاقى عنها ، فتبدو شريرة بذاتها ، وفاسدة ، ومعينا لاينضب للخيانة والتلوث .

وهو يعكس فى الصورة الثانية — محاولا تجاوز تمزقه وتأزمه — وجها مائيا لها ، يجمع شظاياه من داخله ، ويوحده فى الطبيعة من حوله ، مناجيا كلا منهما فى الاخرى ، وهذا الوجه السابق المثالى؛ شع دفئا وعطاء وذهبا لكنه بفقد وفاءه وعطاءه ولونه كلما اقترب من الارض التى يستند عليها .

ان هذا — بالضرورة — قد خلف لديه وجدانا ممزقا — بين الواقع والمثال — موقفا متناقضا من مجملها كانثى ومحبوبة ومعشوقة .

أنه يحبها ويرفضها ، يقدسها ويلعنها انها اجنحة للارتفاع فوق الواقع والتطهر منه، وهى — فى نفس الوقت — قوة جذب شديدة اليه . [والسياب] فى هذا كله، ليس منفصلا عن تلك الرحلة التى تطبعها التيار الرومانسى فى شعرنا العربى ، حتى قبل ان يعلن انتصاره فى العقد الرابع من هذا القرن . والتى كانت فى مجملها محاولة للخروج من القشرة الاجتماعية الصلبة التى احس بسمكها حوله .

ترى الا يتناغم هذا التيار مع نبض [الانتليجنسيا] الشعبية التى اشتد ساعدها ونما ، والتى اخذت تسعى الى غزو قمة المجتمع العربى، التى كانت خريطة بلدانه الاجتماعية قد اصابها كثير من التغير فاق مداه، اتساع الطبقة المتوسطة لكل الظواهر المصاحبة له ؟



• الوجه الاول والادوات الفنية •

على مستوى « اللغة » : لم يتجاوز [السياب] وهو يتحرك فى مقاطيع هاتين الصورتين المتناقضتين، قاموس الشعر العربى الشائع كثيرا ، لقد كان الاخير قد افرز مفردات جديدة ، تميزت بالبساطة بعيدا عن تقعر القاموس التقليدى [والحق ان ضرورة اجتماعية وسياسية كانت وراء تنقية اللغة — فى هذا التوقيت — من الفاظها الجهمة الخشنة . [١١]

ظل « السياب » يستخدم البديع بفنونه المختلفة كالجناس وغيره بشكل واسع . كما ظل ميالا الى استخدام النعوت ، والالفاظ التجريدية والى الحشو الكثير بين مفرداته .

وعلى مستوى شكل القصيدة ، فانه تائها ظلت جزئية ، وان كان قد حاول ان يبث فيها — فى هذه المرحلة المبكرة — روح العصر، وانه يتجنب الوقوع فى مصيدة الصورة التقليدية .

وعلى مستوى شكل القصيدة ، فانه استطاع قرب نهاية هذه المرحلة ، ان يتحرر كليا من نظام الشطرين ، ومن القافية الموحدة، مزاوجا بين عدد التفاعيل، بانيا شعره على وحدة التفعيلة . [١٢]

• الوجه الثانى •
(المرأة — القضية)

اخذ نموذج المرأة [الواقع — المثال] فى التداخل فى شعر [السياب] فى الفترة التالية على ذلك ، حتى وصلا مع نضجه الفكرى والفنى ، الى درجة من التوحد المريع .

انه لايتخلص من حلمه الواعد ، ولايسمو على واقعة ، لكن الحلم والواقع يتبادلان اعراض الالوان .

انها تصير ارض الواقع التى تنتظر المطر وتتشوف اليه ، وسماء المستقبل التى تمنحه الخصب والنماء . لم تعد المرأة مدخلا الى الطبيعة ، بل اصبحت جزءا من شموبيه الحياة بفرحها وخيبتها ، بقسوتها ووعدها الفرح المجنون . ان [السياب] لايخرج — فى هذه المرحلة — فقط من موروثه السلبى للمرأة ، بل يتجاوز ارهاصات طبقته الصاعدة ، وهى تسعى الى تحرير نفسها اجتماعيا وسياسيا، ويستأثر باكثر معانيها سموا ورقيا ، حتى وهو يعكس جرحها المفتوح كاملا ، ينز دما .

انه يعكس حبا ، تمتزج فيه الروح بالجسد ، كما تتوحد فيه الانثى بالارض، وتلمع فيه تناقضات العصر المتعة المدهشة لبس هناك خلاف على ان هذه الصورة — فى بعض اجزائها — تقوم على ارضية ناجعة تتعرى فيها المأساة بلا حل . لكن «السياب» كان يتحرك داخل قانون المرحلة ولم يكن بمقدوره ان يتحرر منه .

ان منحى المرحلة — التى تلت نكبة عام ٤٨ — كلها شعريا، ذو ظلال مأساوية عميقة الغور .

بل ان رنة الفرح المتعبة ، واشراقه الامل اليقينى ، لم تتواجد عبرها الا فى أشعاره ، ثم فى اشعار البياتى فيما بعد ، واشعار [جبرا] خصوصا فى [نهر الرماد] :

ها هو فى قصيدته [الى جميلة بوحريد] يصنع من جسدها مسيح الثورة العربية ..

مشبوحة الاطراف فوق الصليب
مشبوحة العينين عبر الظلام
يأتيك كل الناس ، كل الانام
حشد مشع باشتعال المغيب
يأتيك من وهران — باللزحام

(٩) (أهواء) المصدر السابق .
(١٠) المصدر السابق .
(١١) ربما يرجع الفضل فى ذلك اساسا الى الذى انتجته المدرسة التقليدية الجديدة الذى اكتسب قوة اكبر واهمية اكثر فى العراق منذ القرن الماضى ، وحرر معظة الشعر وجعلها اكثر طواعية ، وقدم خلفية لينة لشعراء المرحلة التالية .
[١٢] كانت القصيدة الاولى فعلا التى بنيت على وحدة التفعيلة هى (هل كان حبا) فى أواخر عام ١٩٤٧ .

يرجون مما تبذلين الطعام
والامن والنعماء والعافية
وهو يصنع منهسا جسرا بين هذابات الحاضر ووعد المستقبل :
واذ يستضيء المدى بالحريق
فيندك سجن ويجلى طريق
ويذكى بأطيابه الدانئة
محياك باللغة النائية
تقولين : عند ابتداء الطريق
ونحن الذين اعتصرنا الحياة
من الصخر تدمى عايه الجبساه
وىمتص رى الشفاه
من الموت فى موحشات السجون
من البؤس من خاويات البطون
لاجيالها الاتية .

.. وعلى قمة هـذه المرحلة ، التى يصير الحب فيها كليا .. تأتى انشـودة المطر ، كارفى تجسيد جمالى وفنى لها :
عيناك غابتا نخيل ساعة السحر
او شرفتان راح يرنو عنهما القمر

لقد استخدم « السياب » فى القصيدة الرمز التموزى الذى يومىء الى اسطورة البعث بعد الموت .

ويجيء استخدامه للاسطورة هنا مـن انضج استخداماتها فىالشعر العربى كله انه لايصرح بها،لكنه يستخدمها استخداما ضمنيا . مظهرا بها التناقض بين المطـر المنهمر وعطش الارض من ناحية ، وبين العطش الانسانى وارتواء الارض مـن ناحية اخرى ويستند بناء القصيدة بشكل عامعلى هذا التناقض المتحرك بينصورها الحية المتحركة باستمرار :

علي هذا ، فان هناك وجها واحـدا للمراة عنده فى هذه المرحلة ، وهو وجه تمتلىء تقاطيعه وملامحه بالخليج والعشب والمطر والعصافيروالردىوالصخر والحياة لكن الحب ـــالحياةـــ الواقعـــالمستقبل يتحدون فيه اتحادا مريعا ومدهشا .

● الوجه الثانى والادوات الفنية ●

علىمستوى اللغةفقد اصبح [السياب] اكثر التصاقا بمفردات القاموس الشعرى الكلاسيكى ، التى نفخ فيها من روح العصر ما اكسبها الدفء والتوهج كما انه اصبح اكثر انتقاءا للفظة الشعرية وتدقيقا فىاختيارها، وكثيرون هؤلاء الذين تحدثوا عن اللغـــة عنده . فقد تحـــدث [السمرائى] [١٣] .

على سبيل المثـال ـ عن استخدامه للالفاظ الصوتية [ـ النشيج ـ كركر ـ احيح ـ هسهسة .. الخ] .

أما على مستوى الصورة الشعرية ، فانصورته لمتكن مشبعة بالحركة والتنقل «كالبياتى» ، ولم تكن مكاجئة ومدهشة «كادونيس » ، ولم تكن عنيفة « كخليل حاوى » ، بل كانت اليفة وديعة واكثر اعتمادا على الالوان فى تشكيلها البسيط والمركب [١٤] .

● الوجه الثالث ●

يطالعنا الوجه الثالث للمرأة عند السياب فى مرحلته الاخيرة ـ التى تمثلها دواوينه «المعبدالغريق» ، «منزل الاقنان» شناشيل ابنة الجلبى » . كما لو كان شظايا متناثرة . يرتمى خلفها افق واسع من الفجيعة والمأساة والخيبة .

ففى غنائية متهدجة ، تنز دما ولوعة من ذات فقدت امنها وتبددت قواها ،فى مواجهة عنيفة مع واقع يستل من عيونهـــا نور الحياة ، تتشكل صورتان ـــ متقابلتان داخل اطار واحد ـــ لتلك المرأة الواحدة تتعمق كل منهما عبر قصائد هذه الدواوين

تلك هى الصورة الاكثر شيوعا فى اشعار المرحلة،انه يصوغهامن مفرداتها الانثوية الحسية ، عاكسا شوقاجسديا طاغيا اليهـــا :
تتتاعب جسمك فى خلدى
فتجن عروق
عريان تزلق فى ابد
تنهيه الرعشة فهى شروق
فى ليل الشهوة . كل دمى
يتحرق يلهث ينفجر
ويقبل ثغرك الف فم
فى جسمى تنبتها سقر
واحن انوق [١٥] .

ان « عبير جسدها الليلى » ، يناديه ، عبر صحارى الغربة والتيه ، يدعوه الى ثدييها المرتعشين تحت يده ، وهو يتوهم ـ احيانا ـــ انه يمزق جسدها العارى :
مزق جسمك العارى
تمزق تحتسقف الليلنهدك بين اظفارى
تمزق كل شيء من لهيبى غير استار .



حجب فيك ما اهواه . [١٦]

.. ها هى دورة الحب لاتكتمل ، ان هناك ثلوجا ، تبقى بينه وبين عيونها ،رغم احتراق جسدها فى لهيبه . انه لايأخذ منها الا الجسد الذى يرحل فى اعضائه : بينما يبقى شيء يريده ، ويدركه . ولايصل اليه ابدا .. لكنه ــ فى كل الاحوال.. ينزع عن جسده المرض والعلة .ويقوم قويا من رقدته ليلقاها :
سأشدها شدا فتهمس بى :
[رحماك] ثم تقول عيناها
مزق نهودى ضم ــ اواها ــ
ردفى ، واطوى برعشة اللهب
ظهرى كان جزيرة العرب
تسرى عليه يطيب رياها
ويموج تحت يدى ويرتجف
بين للتمتع والرضا ردف [١٧]

.. مفردات صـورة المرأة هنـــا ، حسية [جسد ، ثغر ، ظهر ، ردف ، ثدى ، دم ، صدر .. الخ]

وهذه المفردات ، تطل كخلايا كبيرة ـ او كأعضاء كاملة ، فى نسيج مـن الانفعال المشحونة بدلالات جنسية قوية الايحاء، وذاتوقعحسىمباشر : [يرتعش يموج ، عرى ، ينزلق ، يحن ، يرتجف يلهث ، اطوى ، أكل .. الخ] .

لكن ، لماذا تبدو هذه الصورة ، قوية ناطقة فى مرحلة المرض والخيبة ؟ هل كانت هناك نوازع جنسية حقيقية تطحن اعضاء السياب الى هذا الحد ؟ ام تراه

---

(١٣) لغة الشعر بينجيلين ــ ابراهيم السامرائى . بيروت .
[١٤] راجع فصل [التشكيل اللونىفى قصائد السياب) ـــ من دراسة محمد الجزائرى فى الشعر العراقى الحديث ـ (ويكون التجاوز) ـــ بغداد ١٩٧٤ .
(١٥) (حنين فى روما) ـــ ديوان المعبد الغريق ص ٣٧ .
(١٦) (احتراق) ـــ نفس المصـــدر ص٩٩ .
(١٧) (وغدا سالقاها) ـــ ديوان (شناشيل ابنة الجلبى) ص٥٥ .

كان يهرب من لسع المرض فى جسده المتحور ، الى تلك الغابة التى يشجرها من حوله ويستظل بظلها ، ويقتات من ثمرها !

هل كان جسدها هو الشباك الوحيد الذى يعانق منه الحياة الساطعة رغم الانكسار والذبول ؟ ام لعل جسدها قد صار عنده رمزا كاملا تتحقق فيه قدرته القائمة على الفعل والحركة والتأثير ؟.

ايا كان الامر ، فان صورة [المرأة — الانثى] تشيع مفرداتها الحسية المتزاوجة فى شعره ، دفئا إليفا ، وفعلا قويا ، كما انها تعكس فى الوقت ذاته شفافية غريبة ، ربما كان مصدرها تد المادى الذى يفوق اكثر الاثاث الروحية عمقا :

اواه ما احلاك ذاب النورفيك وذبتفيه
والليل ماء والنباح
مثل الحصى يذداح فيه ، وانت اول واردية .

● الصورة الثانية ●
(المـرأة ـــ الزوجـة) :

تتقابل هذه الصورة مع الصورة الاولى داخل نفس الاطار ، فهما متحركان معا ، ونامیان معا ، ومتصلان ، بل ومتداخلان احيانا . واذا كانت المرأة فى الصورة الاولى رمزا حسيا ، يشكل تفاصيله العضوية ، ويلتصق باعضائه ملتمسا فيه تنتظر فى قلق وريبة زوجا ـ فارسا ـ قادما وراء استدارة الافق البعيد :

رحل النهار ..
الدفء والراحة والقوة ، فهى هنا رمز معنوى ممتلىء بمشاعر الزوجة الوفية التى
ها انه انطفأت ذبالته على افق توهج دون نار
وجلست تنتظرين عودة سندباد من السفار
والبحر يصرخ بالمواصف والرعود
وجلست تنتظرين هائمة الخواطر فى دوار
سيعود .. لا .. غرق السفين من المحيط الى القرار
سيعود لا . حجزته صارخة العواصف فى إسار
ياسندباد أما تعود .. [١٨]

لقد اصبح « اوديسيوس » آخر ، تقاوم زوجته الرياح والارواح الشريرة من حولها ، مبقية على شعاع امل لديها فى أن يعود من اسار الالهة :

عشر من السنوات مرت وهى تجلس فى ارتقاب
اطفالها المتوثبون مع الصباح
صمتوا وكفوا من مراح
زجرتهم لتحس وقع خطاك برعمت الزهور
وأتى الربيع وما اتيت وجاء صيف ثم راح [١٩] .

ان صبرها لاينفذ برغم انها لاتملك الا ان تظل قابعة فى مكانها تشعل النار فى موقدها وتنتظر :

وزوجتى لاتطفىء السراج «قد يعود»
فى ظلمة الليل من السفر

وتشعل النيران فى مواقدنا .. برود هو الماء ، وهو يهوى الدفء والسمر [٢٠]

وقد ياخذ وجهها اشكالا اخرى ، قد يصير (شباك وفيقة) الذى يمسح فيه وجهه ، او اشناشيل ابنه الجلبى الذى يسارق النظر من خلاله الى حمرة الشفق لكنه هو ، هولايتغير ، يظل قابعا صابرا ، منتظرا عودته ، ان تقاطيعه فى النهاية تظل ممتلئة بالشفق ـ البحر ـ السحاب ـ الافق ـ السماء ـ البرد الرعود ـ النار ـ السراج ـ اللهفة ـ الخوف ـ الشوق .. الخ ، سواء احاطت هذه المفردات بالشباك ، او الشناشيل ، او تزاحمت وراء باب الدار المغلق ، او تناثرت فى افق الليل المفتوح

● الوجه الثالث والادوات الفنية ●

على مستوى اللغة ، فان الكلمات الدارجة تجد لها استخداما اوسع [اليلم ـ الدرابك ـ طابا .. الخ]
لكن اعتقادى ، أن الملمح الاساسى فى هذه المرحلة ، هو سيادة الاستخدام الاسطورى فى قصائدها . كما ان الصورة الشعرية تفاجئنا بالحركة السريعة لمفرداتها

● تعـــليق ● :

قد يبدو للوهلة الاولى ان ذلك التحديد والقطع فى رصد هذه الصور ، وتلك الوجوه المتعددة للمرأة فى شعر السياب ، ينم عن فصل ميكانيكى لمراحله التى لايمكن لنا ان نضع بينها فواصل قاطعة فهى متحركة ومتداخلة ، كما ان كلا منها تقود الى الاخرى ، وتتغذى على الاخرى ، وتتشكل فنيا وجماليا من خلال الاخرى .

وفى هذا فاننى اضع احترازين :

أولهما : اننى امسك بالوجه أو الصورة الاكثر شيوعا وسيادة فى المرحلة وهذا لا يعنى أن هناك صورا أخرى أو وجوها أخرى قد توجد فى نفس المرحله لكنها ـ يقينا ـ خابية وصغيرة.

ثانيهما : اننى التقط الوجه أو الصورة فى قمة نضج ملامحها ، واستقرارها وقد يكون ديوان [أزهار واساطير] هو رأس المرحلة الاولى جماليا وفنيا وفكريا ، وقد يكون ديوان [انشودة المطر] هو رأس المرحلة الثانيه لكن المرحلة الثالثة تتوزع بين [المعبد الغريق] و [منزل الاقنان] و شناشيل [ابنة الجلبى] .

[●]

اود أن أكرر بعضا مما جاء فى مدخلى الى بدر شاكر السياب .. اذا كان صحيحا انه ليس فى مقدور موهبة ـ مهما كبرت ـ ان تقدم مضمونا لم ينضج بعد تاريخيا ، بل وحتى ان تستوعبه ، فان حجم الموهبة يتحدد بنفس المقياس ، الا وهو قدرتها على أن تصوغ عصرها جماليا وفنيا ، مستحدثة ادواتها ووسائلها الفنية الخاصة ، القادرة على عكس هذا المضمون .

لقد تعاملنا مع السياب بهذا المقياس ، وبهذا المقياس وحده نقول عنه انه موهبة كبيرة .

لماذا ـ اذن ـ يبقى شعره ابدا الى قلوبنا ، حتى فى قصائده التى ابدعها فى لحظات ضلاله السياسى والفكرى ؟

ان القول بان صدقه الذاتى مع تجربته الخاصة هو السبب ، يبدو لى قولا ناقصا .

ليس هناك أدنى شك فى أن [السياب] قد توهج بعذابه الشخصى ، لكننى اعتقد ان ما يقربه منا ـ كشاعر وانسان ـ انه توهج بعذابنا جميعا . ■

---

(١٨) (رحل النهار) ـ منزل الاقنان ـ ص٥ .
(١٩) (حامل الخرز الملون) ـ المصدر السابق ص١٣ .
(٢٠) (الليلة الاخيرة) ـ نفس المصدر ص٧٧ .

« هولدرلين » أحدث مسرحيات بيترفايس

دراما العجز عن التصالح مع العالم

فريدة النقاش

فى مواجهة الموت المعنوى البطىء والفشل الذى تتعرض به تجربته وحلمه وحبه ، يقول الشاعر الالمانى «هولدرين» لا ، لم استطع الا انقاذ صمتى ..

كان قد التجأ الى داخله ، الى عالم تعيس ، عميق الاغوار ، حر من صنعه هو ، عاش قرابة اربعين عاما مصابا بالانهيار العصبى والعقلى فى معظم الاوقات .

وعن حياة الشاعر وتجربته . كتب « بيتر فايس » مسرحيته « هولدرلين » التى نعرضها هنا .

تقع المسرحية فى فصلين من ثمانية مشاهد مع مقدمة وخاتمة ، يلعب فيها الراوى دورا اساسيا ويلجأ فيها «فايس» الى كافة الاشكال والحيل التى استخدمها فى أعماله السابقة ، مضافا اليها لغة شعرية راقية تستلهم من عالم «هولدرلين» نفسه روحها وقدراتها ..

الراوى واسطة تنقل هموم عالم المثقفين والفنانين الذين يعيش بينهم الشاعر معظم الوقت ، الى جموع العمال الزراعيين والصناع الذين اختارهم « فايس » فى البدء شهودا للحدث لا مشاركين فيه ، معلقين عليه لاجزءا منه ، ولكنه يجعل منهم ابطالا اساسيين حين يقدم « هولدرين » لاصدقائه جزءا من مسرحيته « أمبيدوكليس » وهم يشكلون كذلك « كورس » ضخما للتعليق على الحدث وتنميته والمشاركة فيه بهدف توضيح هوية الجمهور الذى كان يريد هولدرلين أن يتوجه اليه حين كتب هذا العمل مبشرا بالثورة .

فى البدء ينصحنا هولدرلين « الا نسقط فى الاحزان » لان هذه المسرحية لا تعالج فقط سقوط « هولدرلين » ولكنها تقدم لنا عالما طالما حلم هو نفسه بأن يحسبه . واذا كان الحلم قد خانته الظروف ، فان شاعرنا قد شهد سقوط الباستيل وغنى كثيرا للاخاء ، وتتقدم المجموعة ، لتقول ان هذا الشاعر الجميل « لم نحقق تماما من أن ذلك الزمن ما زال بعيدا ، الزمن الذى تسود فيه عدالة واخوة حقيقتين».

يقع المشهد الاول فى مدرسة اللاهوت [فى جامعة توبنجن بالمانيا] التى تضم عددا كبيرا من مثقفى العصر وكتابه ، ويختار لحظات ذات دلالة هامة فى حياتهم وعلاقتهم ، بالثورة الفرنسية على اشدها ، وينظر اليها الطلاب بأمل ، بينما تؤرقهم الهموم الفلسفية والروحية لعصر صاخب .

« .. وهذه القصة عودتنا الى عصرنا ، طالما ظل هناك رجال مثله ، يعطبون بدورهم متحملين الشقاء والالم والعذاب » .

ويحذرنا هولدرلين مع ذلك من الاستغراق فى التراجيديا « رغم ان العنم فى حياته كان استثناء » .

تعد المدرسة لاستقبال الدوق حاكم المقاطعة وزوجته بينما ينشغل الطلاب بمناقشة جوهر الحرية والطريق الى تغيير العالم، بينما يتقدم « سنكلير » ليكتب على الحائط « يسقط الطغاة ويحيا ١٤ يوليو » وتدور مناقشة طويلة بين «هيجل» و «نيفير» القسيس والشاعر المغمور ، المطمئن تماما ميقينه واختياره ذلك اليقين الذى يجعل حياته بسيطة صافية يتمنى « هولدرلين » ان يعيش مثلها ، ولكن تؤرقه الرغبة فى اكتشاف ما هو مستعص على الحواس » : يدعو «هيجل» الى قيام دولة يقودها العقل ، ويبحثون طويلا فى علاقة الذات والموضوع ، الانسان والكون ، وحين يسأل نيفير القسيس المؤمن عن الله يقول « هيجل » : ان ارقى تجسيد له يتم فى الانسان ، ولكن القس يؤمن أن ثمة عنصرا خارجيا يوجد ويعمل خلق كل ما نراه ، ويتساءل « هيلر » ساخرا لهذا جعلتنا الان نستعد لزيارة الدوق !

ويحتج سنكلير الثورى الغريب قائلا انهم سوف يرفضون هذه الزيارة ؛ بينما يواصل كتابة شعاراته المؤيدة للثورة . حين يدخل مدير الجامعة نبذكره «سنكلير» انه هو الذى علمهم دوسو وحدثهم كثيرا من حقوق الانسان نيقول المدير « ان التعليم والمعرفة حول مظالم تلك العهود شيء ، وما نحن فيه الان شيء آخر ، ولا تنسوا ان الدوق ينعق عليكم هنا » ، وذلك هو الدوق الذى يرسل — بالجنود الالمان الفقراء وبالاموال لمناواة الثوار الفرنسيين .

وتمتلىء الجامعة بالجواسيس الذين يمدون تقاريرهم ضد الطلاب النشطين والقلقين الذين يرون أن زمن تأييد الثورة بالعواطف الجياشة وحدها قد انتهى . فالصراع فى فرنسا صراع حياة او موت ومع ذلك يقول « هيلر » :

« علينا الان أن نحيى حرارة الرجل الذى يسرق قوة العمل » ، ويرى «هيجل» ان التغيير يمكن ان يتم — لا بالعنف — وانما بالتعليم المستمر الصبور وتعليقا على الموكب المهيب للدوق يقول عامل : « علينا أن نعطى ابناءنا لهذا السيد . ومن أجل خمسة مراسخ يفقدون حياتهم » .

وتضع هذه الجملة الحادة المفاجئة التناقض بين الهموم الفلسفية والروحية العميقة للطلاب والدارسين والشعراء ،

وبين الرؤية العملية المباشرة عميقة الدلالة للناس الذين يدفعون الثمن الفعلى كل يوم ، والذين يصدمون بكل قسوة الواقع يسير الاحتفال بهدوء فى البدء ثم يتقدم « سنكلير » ليهتف بحياة الجنود الالمان « الذين باعهم الدوق لهوسندا » ، وفى تتابع حى وسريع يتعرض للاستجواب بالتعذيب أمام زملائه فى حين يكتشف الدوق شعارا كبيرا على الحائط « تحيا الثورة » ، وعند انصرافه يقول لمدير الجامعة لن يطول ذلك الامر فقد تلقيت

أخبارا تقول « ان فتاة برجوازية وارستقراطية سوف تطعن « مارا » الاحمر بخنجر » .

ويتقدم هيلر خاتما المشهد رافعا علم الثورة الفرنسية المثلث الالوان « ان من يريد أن يحقق للانسان حريته بالثورة لا يحق له أن يستريح الا فى القبر » .

ثم تبدأ رحلة «هولدرلين» من اجل تأمين عيشه ، فيعمل مدرسا « لفريتز » ابن هنريش فون كالب المحارب الارستقراطى الذى « يحب أن يزرع علم بلاده على أراض جديدة يغزوها جيش المانيا » فهو يهوى الحرب ، وشارلوت زوجته وصديقة « شيلر » يحب الشعر « وهولدرلين » . وثمة انفصال كامل بين عالميهما . اما الطفل فهو مصاب بحالة من الاضطراب العصبى يعالجه هولدرلين بالشعر الذى يكشف به من الاعماق الصافية البريئة للفتى — الذى

تمثل ثورة فتاة — كجزء أساسى من اللعبة المسرحية .

فى ختام المشهد تنتابه حالة من الهذيان العقلى تكون امتدادا لصراخه المؤلم فى المشهد الاول حينما تعرض سنكلير للتعذيب ، ففى المشهد الاول هناك العذاب الجسدى المباشر — الذى يحدد ملامح العالم الخارجى ، وفى المشهد الثانى العذاب الروحى المبرح والذى يضيىء لنا عالمه الداخلى متعكسا على كافة علاقاته ، وسعيه المتصل لوصل العالمين واذا كان قد فشل واعطب فانه « لم يفقد اليقين فى مستقبل أفضل للانسانية حتى فى قلب وحدته الروحية العنيفة » وثمة علاقة حميمة بين الانسان الحقيقى والسماء المفتوحة ، بين الانسان والحرية فهولدرلين فى بحثه داخل الصبى « فريتز » عن الانسان الحقيقى الكامن والبرىء يجد ان الشعر اليونانى ، الشعر الذى كتب « تحت سماء مفتوحة » فى علاقة حرة بين الانسان والطبيعة هو الطريق الى الانسان الحقيقى داخله ، ومن قبل الشبه حب سيمون وجان بول مارا تحت سماء مفتوحة بلا حدود ، لكن ثمة خطر أن يذهب « هولدرلين » بعيدا جدا فى توقله فيفقد التوازن .

فى المشهد الثالث يكون هولدرلين « قد ترك » منزل « فون كالب الى مينا فى رفقة شيلر الذى أحب شعره وقدمه الى الحياة الثقافية ، يلح الشاعر على حاجة العالم المضطرب الذى يعيشون فيه الى رموز توازى فى قدرتها على الايماء والتأثير والفعالية فى العصر ، تلك التى خلقها الاغريق « ولكننى لا اطالب بالعودة الى عالمهم » .

ويرتبط سعيه الروحى هذا بثقته الكبيرة فى فعالية الفن كسلاح فى النضال العظيم من اجل وجود كريم للانسانية وهو يدعو بفنه الى زعزعة اركان العالم القديم والاسهام فى هذا العمل الكبير للانسانية . وفى هذا المشهد الذى تقع احداثه فى « بينا » يلتقى هولدرين جوته دون أن يتعرف عليه ، ويرى شيلر انه لابد من تغيير الانسان أولا قبل تغيير البناء الاجتماعى » .

فيقول هولدرلين « لا ، علينا اولا أن نقلب العالم رأسا على عقب حتى يستطيع الجديد ان يولد .. » فالتشويه الذى يملأ العالم لايحتمل تأجيل انه لايحتمل التأجيل لدرجة دفعت بالشاعر الذى حمل كل ثقل عصره الى الهذيان الروحى والعقلى — الى جنون ما ..

فى المشهد الرابع يستمع الى محاضرات نيخته مع عدد كبير من الطلاب والكتاب ، وفى مواجهة الفكر الثورى الذى يدعو اليه نيخته ، ومن بناء دولة عادلة يتعدى عدد من الطلاب القوميين فيعرض رؤيته العصرية لصعود النازية وشعاراتها من الجنس الالمانى وضرورة تنقيته ،

وارتباط كل ذلك بالحفاظ على الثروة للاثرياء .

وفى المشهد الخامس يعمل «هولدرلين» مدرسا من جديد لدى أسرة « جونتار » وهناك يحب سوزيت ، ويتاح له ولنا فى هذا العالم الرأسمالى الذى يتزايد نموه ويمد نفوذه الى المستعمرات ان يكره بشاعته ، ولكن سوزيت تحبه وتكره هى أيضا هذه الحياة بينما يقود هولدرلين خطاها لاكتشاف « الجمال » الحقيقى وتذوقه والسعى اليه ويقيم السيد جونتار احتفالا كبيرا يشارك فيه كبار الرأسماليين وبعض المفكرين والكتاب استكمالا للديكور وينشد « جوته » و « هيجل » كل على طريقته اصلاحا مافى الحياة « جوته » عن طريق تقدم التعليم والصناعة «وهيجل» عن طريق اعطاء الطبقات الفقيرة بعض الامن بهدف اقرار النظام القائم ، بينما يتلقى « هولدرلين » أمرا بالمساعدة فى اعمال المطبخ ، وهو ينتمى وجدانيا وعاطفيا واجتماعيا الى الناس الفقراء والمضطهدين ، عمالا ، وعاملات ، ونساء .

ويطرد هولدرلين مرة أخرى من عمله وفى لحظة حب سخية بالدموع والشوق تطلب سوزيت الى اختها ، ان تطلب اليه لقياها مرة كل شهر تحت شجرة الكستناء .

فى هذا الاحتفال الذى تنتهى على اثره خدمة « هولدرلين » يقسم « نايس » المدعوين وسكان القصر الكبير الى ثلاث مجموعات ، ولكل منها نشيدها الذى يختصر ويكشف الثرثرة اليومية والاجتماعات المتفرقة ليقدم للقارىء والمشاهد الجوهر الاساسى لعالم كل منهم بلغة شعرية راقية عالم المال والتوسع الرأسمالى والاستعمارى « دوا تماما ترتفع الاسهم فى بورصتنا » .

عالم الغليان والسخط الشعبى الذى يعبر عنه العمال بادراكهم لكثرتهم وضرورة وحدتهم ويعبر عنه نشيد المثقف قائلا :

عقنه وآسنه هى أوروبا كلها وامريكا
اذ تلقى جميعا بشباكها حول العالم
لتنزع العبيد والثروات

وتزرع وكرا فى كل مكان ، يرى فيه قطاع الطريق واللصوص ليحكموا بالنار ، وقبضة السيف والصليب »

وتجرى أحداث المشهد السادس وبداية الفصل الثانى فى « هامبورج » حيث يستضيف هولدرلين عددا كبيرا من اصدقائه ليقرأ عليهم مسرحيته « أمبيدوكليس » وهنا يلجأ بيتر فايس الى مسرح داخل المسرح ، هذه اللعبة التى لاتفقد ابدا قدرتها على التأثير ، وفى الوقت الذى يساعده ذلك على مضاعفة تأثير الفرجة المسرحية فانه يدفع « هولدرلين » الى اختيار أبطاله من بين العمال والعاملات « الاوضح هوية الناس الذين ينتمى اليهم ويتوجه لهم » « أمبيدوكليس .

تحسق تجسيد هولدرلين للبطل الثورى ، للبطل الذى لم يستطع هوان بكونه ، « وامبيدو كليس » هو كل ثورى حقيقى يكره ترميم الواقع الكريه او ترقيعه انه يلجأ الى الناس ليقود من جبال عالمة المتخيل الان طورى ، المصرى ثورة عارمة وحين يسأل الكورس هولدلين فى أى عصر تقع أحداث مسرحيته يقول منذ خمسمائة عام والان ايضا .

الكورس فلماذا هذا الايغال فى القدم زمانا ومكانا ..

لان شخصية أسطوريه ما

لابد ان تظهر الى الوجود

فى ساعة التى ينطفىء فيهـا عمر الثورة الكبرى التى تشتعل مع ذلك فى قلوب الناس معزولين ولأنه لابدمن شخص ما سئم عد الساعات كى يتذكر ان ثمة نارا اشتعلت فى زمان سحيق يمكن ان ينقذ من جديد اوارهـا تحت عصف ريح قوية

ولكن البطل الذى يجسد فيه هولدرلين كمال عالمه الثورى الجديد ، ويقتربيه «فايس» من شخصية جيفارا يتعرض لحصار ممن رجال الدين الذين يتهمونه بالكفر ، ويصمم بالالحاد والخروج على الدين كل من يؤويه او يستمع اليه او يضىء على قبره شعلة بعد الموت .

ويتساءل احد اصدقاء الشاعر ،هل كان البطل الثورى وحيدا ، وهل كان اصدقاؤه يرون ان الزمن لم يكن ناضجا بعد للعمل الثورى .

فيعلق الكورس قائلا ان شبانا وفتيات كثيرين على استعداد للحاق به أينما كان ومن اى وقت ، وهنا يصل هولدرلين عصره بعصر امبيدوكليس الاسطورى ويصلهما فايس معا بعصرنا .

وتتصل « الحدوتة » ليترك آلاف الناس حياتهم الامنة ليلتحق بالثورة بعضهم على بغل صغير اعجف ،وآخرون يواجهون الجوع والعطش فى الجبال الوعرة .

يتدخل هيجل قائلا ان شخصا كهذا لايصلح قدوة للشعب فيرد شيلنج « انا أرى ان الفن وحده يسمح لنا بالتثوير الكامل للشخصية » .

ويتدخل « هولدرلين » قائلا ان حملة « امبيدوكليس » للقضاء على الطغيان قد ترددت اصداؤها فى مناطق كثيرة ، وتمرد العبيد ، وترددت الحكايات فى مناجم الفضة عن جيش عظيم يتجمع فى الجبال . ويتدخل احد الحاجزين قائلا ليمل العصور والمعانى علينا انذهب نحن لنساعد الثوار وننقذهم . فيدعو « هولدرلين » الجميع للتخلص من هذا الرضا الصامت بالعيش « ولاتأملوا ان يساعدكم احد قبل ان تساعدوا انفسكم ان لم يقـل امبيدوكليس غير هذا ، اختاروا زمانكم ، وضعوا اقدامكم على الطريق » ويعلق الراوى على انتهاء المشهد قائلا «ظل هولدرلين وحده يحمل ثقل العصر الذى عاشه » .

ويردد الكورس ..

تأملوا طويلا

ذلك النداء القادم من اعماق الصمت

مـن الجبـال

وطابقوا انتم انفسكم

بين القول والفعـل

فى المشهد السابع ينتقل هولدرلين الى « مستشفى » الامراض العصبية وليكون هذا المشـهد امتدادا لحـالة الانهيار المعنوى التى لاحت بوادرها فى الفصل الثانى ، ويشخص الطبيب مرضه قائلا انه نقد القدرة على التواصل وكان قـد عاد من باريس بعد ان انصل بالجمعيات السياسية السرية ، اما احلامه ورؤاه كلها تتدور فى عالم اغريقى كامل ،وهو لم ينفصل تماما عن ابداعه وعن الاشياء التى احبها اكثر من غيرها طيلة عمره، شعر الاغريق وحضارتهم وفى هذه الفترة كتب « هولدرلين » واقعيا كثيرا مـن اشعاره ، فى هذا المشهد يعرض لنا فى شريط سريع تطـور علاقاته برفاقه وثوعيتها وطبيعة الزمان الذى اصيب فيه بالجنون : ويقول له سنكلير صديقه الحميم الذى نراه فى هذا المشهد وحده مرتين مرة مكبلا بالحديد ، ومرة اخرى يارونا رد اليه اعتباره .

« انا ارى فى جنونك لغة اخترتهـا انت لاسباب مؤلمة » .

وفى المشهد الاخير نرى «هولدرلين» وهو يعمل امينا لمكتبة ، يعيش فى عالم رؤاه الخاصة . ويزوره **كارل ماركس** الصحفى الشاب زيارة طويلة يحدثه فيها عن تصـوره هو للثورة او عن تأثره العميق بشـعره ، وبعد ان يسـتمع طويلا الى ما يحس يقول له :

« تشلت كل اجتهاداتى فى مصالحة عالمى داخلى مع العـالم الخارجى .. وكنت ضحية لقوى لم يكن لى مفر من مواجهتها .. » .

ثم يقدم له نسخة من مسرحيـة لم تنشر ولم تقدم قائلا :

«سوفتفتح الابواب امامى فى النهاية»

كانت احداث ٦٨ فى فرنسا واوروبا هى الخلفية المعاصرة لمسرحية «فايس » هذه التى استمر فيها الحـوار العميق بين العالم الداخلى لشـخصية فذة ، ولجيل بأكمله ولمعطيات العالم الخارجى المحيط والمؤثر بكل صراعاته وتقلباته ، وعلى صفحة الماضى التى يتحرك فيها « هولدرلين » واصدقاؤه ينعكس الحاضر وتنتقل الى جامعات «كينا» و«توبنجن» المحاورات العاصفة التى شهدها جامعات فرنسا اثناء هذه الاحداث، ولكنه يسجل ايضا هذه الحقيقة فى مقدمته القصيرة.

« اذا كانت المسرحية تعالج بشكل اساسى البنية الفوقية وتأثيرهـا على بعض الشخصيات البارزة فى الفنـون والعلوم ، فان دخول العمال لابد ان يتردد صداه بقوة فى صـميم اسس المجتمع نفسها ! .

● فريدريك هولدرلين

فريدريك هولدرلين شـاعر المانى كبير [١٧٧٠ – ١٨٤٣] درس اللاهوت فى جامعة « توبنجن » ، وكان يكتب الشعر حينئذ ووضع مخطوطا لروايتـه « هيبريون » ونشر له «شـيلر» بعض اشعاره ، وقدمه ليعمل مدرسا لابن شارلوت فون كالب . رجل «هولدرلين» بعد ذلك الى « يينا » لتتابع محاضرات فيخته وليكون قريبا من «شيلر» . دفعته الفاقة ، فى سنة ١٧٩٦ ليعمل مدرسا لدى اسرة احد كبار رجال البنوك فى فرانكفورت ،ووقع فى حب عميق لزوجته سوزيت جونتار ، الموهوبة الجميلة التى اصبحت بعد ذلك « ديوتيما » بطلـة روايته وبعض أشعاره ، ودفعت الغيرة الزوج الى انهاء خدمة الشـاعر الذى اصابته هزة عقلية وعضوية شديدة ، ومع ذلك انهى هولدرلين الجزء الثانى من روايتـه هيبريون » التى ظهرت فى سنة ١٧٩٩ . وجئته اسرته بعد ان لاحت عليه بوادر الانهيار العصبى على الذهاب الى سويسرا ليعمل من جديد معلما لدى احدى الاسر ، وعاد فى سنة ١٨٠١ .

وبعد محاولات كثيرة يحظى بمنصب استاذ الادب اليونانى فى « يينا » من خلال تدخل شيلر ومساعدته ، ولم تفلح فعاد معلما فى بوردو بفرنسا ، وماتت جونتار بعد ذلك بعام فعاد الى وطنه من فرنسا ماشيا وكان فى حالة عقلية متأخرة وفى لحظات الشفاء القليلة كتب العديد من اعظم اشعاره وارقها ،ونشر اصدقاؤه معظمها بعد اصابته بالجنون وكان قد اتم ترجمـة « انتجون » واوديب لسوفكليس » وكان « سنكلير » صديقه الحميم قد حصل له على وظيفة امين مكتبه .

وكان « سنكلير » يرفض ان يصدق ان « هولدرلين » مجنون ، ولسوء الحظ اعتقل وسجن بتهمة الخيانة سـنوات عديدة وحين خرج تدهورت حالة «هولدرلين» الذى وضع فى مصحة فى توبنجن حيث توفى فى يونية ١٨٤٣ .

يعد « هولدرلين » واحدا من اعظم شعراء المانيا تأثرا «بشيلر» وكلوبستوك فى شبابه البكر ، وتخلص من تأثير «شيلر» وشخصيته الطاغية بعد ان كتب «ديوتيما» وترك الاوزان الكلاسيكية .

وكان عشقه العميق لليونان قد امتزج بنوع من الرؤية الكلية للطبيعـة ذات طابع تنبؤى ورغم اللغة الجميلة والحماس الملهم لليونان القديمة فى « هيبريون » فانها لاتتارن ، باناشيده واغنياته الدينية التى امتزج فيها الالهـام الكلاسيكى بالرؤية المسيحية . ■

لوسيان جولدمان

نحو دراسة اجتماعية للأدب

د . نادية كامل

في تقصينا لمذاهب النقد الادبي نلتقي — من حيث تقييم المضامين ومحاولة القاء الضوء على مفاهيمها — بتيارين كبيرين من الدراسات كان للفكر الفرنسي اسهاماته الثرية في كل منهما .

يعمد انصار التيار الاول الى مواجهة النص الادبي — نثرا كان او شعرا — باعتباره لصيقا بالفرد الذى ابدعه . مما يقودهم الى تقصى العوامل النفسية المؤثرة فى عملية الابداع الادبى .

أما التيار الثانى فيعمد انصاره الى محاولة ربط النص الادبى بالبنى الاجتماعية التى ينتمى اليها الكاتب ويدور فى فلكها .

ولئن كان تيار التفسير الاجتماعى للنص الادبى هو الذى ستخصص له الصفحات التالية الا اننا سنبدأ ببعض الايضاحات حول التيار الاول من خلال ما وجهه اليه انصار التفسير الاجتماعى من نقد ضالة النتائج التى قد تترتب على التعويل كثيرا على المقومات الذاتية فى العمل الادبى ، ثم تخلص الى الوقوف امام الآراء التى ادلى بها واحد من ابرز انصار التيار الاجتماعى فى تفسير الادب من النقاد الفرنسيين المعاصرين وهو لوسيان جولدمان « ١٩١٣–١٩٧١ » .

ان التيار الاول الذى يتجه الى ادراج العمل الادبى فى المسيرة الذاتية لكاتبه يعجز من ان يكتشف سوى الدلالات الفردية لذلك العمل وعلاقته بالمشكلات الخاصة بحياة المؤلف دون ان ينجح فى ان يفسر ارتباط العمل الادبي باللحظة الحضارية التى نبت فيها ، ولكن ما الجدوى التى تحققها محاولة تفسير نصوص كاتب مثل باسكال من خلال علاقاته باخته على سبيل المثال فكم من الرجال الذين كانت لهم علاقات مشابهة ، فهل كتبوا ما كتب باسكال ؟

ان التوصل الى التقييم الصحيح للعمل الادبى يكون على الاخص بتحليله من خلال الوضع التاريخى والاجتماعى الذى تمت فيه عملية الكتابة . واذا اريد الاستعانة بالعمل الادبى على المستوى النفسى للكشف عن مدى ارتباطه بالعصر الذى بدأ فيه ، فذلك يكون على اساس ربطه ومواجهته باللحظة الحضارية التى ولد فيها والبحث فى ثناياه عن مبلغ ما فيه من امال وتطلعات ورغبات حال الواقع المعاصر للكاتب باوضاعه الراسخة الجائرة ان تلقى الاشباع .

فكل سلوك انسانى — على حد قول لوسيان جولدمان فى مؤلفه [**نحو دراسة اجتماعية للرواية**] — هو ادلاء باجابة تهدف الى ايجاد توازن بين الانسان والعالم المحيط به ، وهذا التوازن لا يمكن الا ان يكون مؤقتا وبحاجة الى تجاوز تبعا لحركة التاريخ الاجتماعى التى لا يهدأ لها قرار . مما يستتبع ايلاء الواقع الاقتصادى والسياسى والثقافى الذى تظهر فيه الاعمال الادبية ما يستأهله من دراسة تعين على التعرف على التوازنات التى تنهدم وتلك التى يتجه الانسان نحوها .

واذا نظر الى العمل الادبى من زاوية الفرد الذى كتبه فان **الجزء الاكبر من العمل يظل يعوزه التفسير** ، اذ كيف يكفى لفهم العمل الادبى ان تنزع الى تحليله على ضوء بعض الشواهد المنتزعة من حياة مؤلف لم نكن نعرفه فى حياته وحتى اذا تأتى لنا ذلك فان اقصى ما يمكن ان توصلنا اليه هذه المعرفة مجرد مجموعة من الانطباعات لا يمكن — على احسن الفروض — ان تدخل فى عداد النقد الانطباعى . فهل يمكن لاى دراسة نفسية ان تفسر انتاج راسين من المسرحيات التراجيدية وسبب عدم كتابته لمسرحيات مماثلة لمسرحيات موليير مثلا ؟

لذلك كان لزاما ان يلجأ الباحث فى تفسير الاعمال الادبية الى معيار موضوعى يستخلص من طريق ربطها بالجماعة او الجماعات التى ينتمى اليها الكاتب وتقريبا للامر من الاذهان ففى حالة راسين لو كان قد عاش فى وسط غير الذى عاش فيه ولقن من المعارف غير ما لقن ، ما كان سوف يكتب تلك المسرحيات التى كتبها . ذلك لان ايديولوجية العصر الذى عاش فيه ، وهو القرن السابع

عشر بتفاؤله وعلمانيته ، لها فضل كبير على ممارسة هذا الكاتب لعملية الابداع الادبى .

ان العملية النفسية المعقدة التي يولد من خلالها العمل الادبى ترتبط بانتماء الكاتب الى عدد قل او كثر من الجماعات المختلفة من اسرية ومهنية ووطنيه وطبقيه وغير ذلك . وتؤثر هذه الجماعات بظروفها المتنوعة على ضمير الكاتب مسهمة فى ايجاد بناء داخلى فريد ومعقد الجماعات التى ارتبط بها الكاتب تفسر ماغمض من خفايا العمل تفسيرا موضوعيا بحيث يمكن ان يقال — تجاوزا ودون تجن على الحقيقة ان الجماعة من خلال المؤلف هى الفاعل الحقيقى فى عملية الابداع الادبى . وليس المؤلف كما ذهب انصار التفسير النفسى أو الذاتى هو صاحب الابداع الادبى المستقل تماما

على اننا عندما ننسب العمل الادبى الى الجماعة فيجب ان نضع فى الاعتبار ان الكائن الجماعى ليس حقيقة اوليه ولا حقيقة ذات كيان قائم بذاته ، بل هو يتالف ضمنا من السلوك الشامل للافراد المشاركين فى الحياة الاقتصاديه والسياسية والثقافية وغيرها من نواحى الحياة الاجتماعية .

ان الفرد باعتباره فردا ليس بامكانه اصلا ان يدرس وحده بناء عقليا متماسكا ومرتبطا بما يمكن ان نسميه [رؤية للوجود] ان مثل هذا البناء لايمكن ان تشيده الا جماعة ، وكل ما يقدر عليه الفرد هو ترجمة او تحويل هذا البناء التصورى الى مستوى الخلق الادبى .

ولكن هل معنى ذلك ان هناك روابط بين مضامين الاعمال الادبية ومظاهر الحياة الاجتماعية — وهل يقتصر التفسير الاجتماعى للادب على التقاط هذه الروابط؟

يقرر لوسيان جولدمان ان الدراسة الاجتماعية للادب عندما تتجه الى البحث من روابط المضمون تضيع منها الخصيصة الجوهرية ذاتها للعمل الادبى . ولاتنجح الدراسة الاجتماعية للنص الادبى على اساس من علاقة المضمون الا كلما كان الاديب موضع الدراسة اقل قدرة على الابداع الادبى مما يجعله يقنع بوصف الواقع على ماهو عليه دون تحوير تجربته المباشرة .

واذا وقفنا عند الاعمال الروائية التى شغل لوسيان جولدمان بدراستها على الاخص فاننا نجد ان بنى العالم الروائى تواكب البنى الفكرية والوجدانية لبعض الكائنات الجماعية .

ومن خلال علاقة المواكبة هذه تنبع امكانية هائلة لفهم عملية الابداع الفنى وذلك لان الجماعة او الطائفة الاجتماعية توجه ضمائر اعضائها الى اجابات متكاملة للمشاكل الحياتية المثارة ، وحتى اذا تنوعت بعض جزئيات هذه الاجابات من عضو الى عضو فى الجماعة ذاتها ، فلانتماء العضو الواحد الى العديد من الجماعات التى لا يشاركه الاعضاء الاخرون فى الانتماء اليها . وتتألف من هذه الاجابات المتكاملة « رؤيا للوجود » تمهد لها وتشيدها لبنة لبنة الجماعة القادرة وحدها على ذلك . فاذا ابتدعت قريحة الكاتب عالما تصوريا متكاملا يتجاوب مع مجموع الاجابات التى تتجه نحوها الجماعة كان عمل الكاتب عملا ادبيا جديرا بالاعتبار ومن هذا تتبين العلاقة الحقة بين الفكر الجماعى واعمال الابداع الكبيرة فى الادب . وهى علاقة لا تتجلى فى «تماثل المضامين» فحسب ، بل وفى « تماثل البنى » على الاخص فليس العمل الادبى الكبير انعكاسا للظواهر المباشرة للحياة الاجتماعية بقدر ما هو معيار يسمح بادراك المعانى الموضوعية الخافية ولهذا بدت الدراسة الاجتماعية للمضامين كافية ومقنعة عندما تنصب على اعمال ادبية محدودة القيمة فاذا واجهت الدراسة الاجتماعية عملا من اعمال القمم الادبية دعت الحاجة الى الالتفات البنى فمثل هذه الاعمال الادبية لاتقدم تسجيلا لتفاصيل واقعية بل تقدم على الاخص رؤيا للوجود

صحيح ان الضمائر الفردية تتأثر على نحو او آخر بكل الجماعات الانسانية التى تنتمى اليها ، الا ان بعض هذه الجماعات دون سواها هى القادرة على بلورة رؤيا للوجود ، ومن ثم على ان تمارس تأثيرا عميقا وفعالا على عمليات الابداع الادبى . وهذا يعنى ان الباحث الذى يريد ان يعطى تفسيرا مقنعا للاعمال الادبية وبخاصة تلك التى ترقى الى القمة يجب عليه السعى الى ربطها بكائنات جماعية تتجه — من خلال مجابهتها للمشكلات اليومية — نحو رؤيا شمولية للانسان . ولعل «الطبقات الاجتماعية » كانت ولا زالت من اكثر الكائنات الجماعية التى تفى بمتطلبات الدراسة الاجتماعية للبنى الادبية لقدرة تلك الطبقات على غرس «رؤيا للوجود» فى وجدان افرادها .

وليس معنى ذلك ان جماعات اخرى جزئية مثل الاسرة والجيل والاقليم لاتؤثر على ضمائر افرادها وبالتالى على ضمير الكاتب ، ولكن هذه الجماعات لن يتأتى لها الا ان تفسر بعض العناصر الهامشية للعمل الادبى دون بنائه الاساسى .

البطل المشكل

فى مجال تقصى فهم الاعمال الادبية من خلال المفاهيم الاجتماعية يسجل لوسيان جولدمان ان الحركة الروائية فى الغرب قد بدأت بقيام تجانس بين التركيب الروائى وبين تركيب المجتمع المرتكن الى العرض والطلب فى الاقتصاد الحر .

ثم يظل التوازى بين الرواية وذلك المجتمع فى تطورهما الى المستقبل .

ويسجل لوسيان جولدمان أن الرواية يجب أن تفهم على انها قصة استقصاء يقوم به « بطل مشكل » عن القيم الصحيحة فى عالم متدهور . وهذا «البطل المشكل» بطل مخفق لانه يرفض أن يكون مثل الاخرين ، ويأبى أن ينصاع للقيم الباطلة السائدة ، ويمضى متمردا على قواعد السلوك التى تسير عليها العلاقات الانسانية فى عالم من الشكليات البالية . ولذلك فقد تجلى البطل الروائى فى اغلب الاحوال فاقد العقله أو خارجا عن القانون مستحقا للعقاب .

وعلى ضوء هذه العلاقة بين البطل والعالم أمكن التمييز بين ثلاثة انماط من الرواية ، فهناك من الروايات ما يمضى فيها البطل يجابه العالم المتفسخ المحيط به بفكرة مثالية تستبد به او تشتت تها . وهناك من الروايات ما يعرض فيها البطل عن العالم الخارجى العطن ويلوذ بسلبية تجعله يرفض المصالحات التى يلوح له الاخرون بها ، وهناك ايضا من الروايات مايبدو فيها البطل غير مرتض لعالم اللاقيمات الخارجى وغير متخل عن التدرج الضمنى للقيم فى الوقت ذاته :

ويمكن أن يتضح من ذلك أن البطل المشكل فى تقصيه عن القيم الشرعية فى عالم منحل ، محكوم عليه « بالانفصال أو الغربة » . وقد ترجع الغربة الى سبب خارجى عن العالم الروائى الذى يتحرك بين جدرانه ، مثلما نرى فى « **دون كيشوت** » **لسير فانتيس** حتى تسيطر على البطل فروسية غريبة عن العالم الجلف الذى يمارس فيه شهامته .

الا انه على الرغم من هذه الغربة التى يلقى البطل اليها نتيجة تقصيه عن قيم صحيحة فى عالم غير شرعى فان الرواية من خلال هذا التقصى ذاته عملية تأريخ اجتماعى . وذلك ايضا وعلى الاخص لان الرواية كعمل ادبى تقتضى تحويل مايكون فى وجدان الروائى من اخلاقيات مجردة الى وقائع ملموسة . ومن ثم كان بالامكان على الدوام التدليل على أن العمل الروائى يعكس الى حد كبير أو صغير صورة المجتمع فى العصر الذى كتب فيه ، بل ان الرواية التى بلغت حدا بعيدا من التعقيد الديالكتيكى واسهم فيها كتاب مختلفون بانتاج متنوع يضرب بجذوره فى الحياة الاجتماعية اصبحت أكثر الاشكال الادبية تعبيرا عن محتوى العصر .

واذا كان هذا هو حال الرواية فان بالامكان أن نفهم كيف يظل التجانس وثيقا بينها وبين العلاقات اليومية فى مجتمع يعتمد على قاعدة الانتاج من أجل السوق ، حيث ينصرف الاهتمام الى الربح ولو على حساب كل القيم الاخرى . فتطغى شواغل الاستغلال على اعتبارات اشباع ما للانسان من حاجات مشروعة . وازاء صخب الحماس الجارف الى الربح بأى ثمن ،

والى مضاعفة أرقام العمليات وتضبب العائد منها ، تضحى القيمة الاقتصادية غير الشرعية صاحبة الكلمة العليا والقانون المطاع ، ممارسة ضغطها على الضمائر لاماتة القيم الانسانيــة أو على الاقل اغراقها فى سبات عميق .

وفى خضم ذلك الجمع الغفيــر من الشخصيات الزائفة يظهر « البطل المشكل » ممثلا فى كل من أولئك الذين لازالوا يقاومون ذلك القانون اللا انسانى المستبد بالعلاقات الاجتماعية . فيصبح الوجود بالنسبة لهم مشكلة فى خضم مقاومتهم وصراعهم من اجل القيم الاصولية التى صارت فى المجتمع المتـــدهور متدهورة متقصين عن الجوهر رافضين الانخـداع بالمظهر أو بالوهم والحلم كما يسميه واحد من كبار الدارسين الاجتماعيين للادب فى النقد الفرنسى المعاصر هو رينيه جير .

واذا درست الرواية على انها الترجمة الامينة للحياة الاقتصادية وانعكاساتهـا على العلاقات الاجتماعية ، فانه يتبين أن الضمير الجماعى فى المجتمعات المنتجـة من اجل السوق يفقد تدريجيا كل ملامسة ايجابية للحقيقة ويتحول الى متلق لمـا تمليه عليه [1] .

على أن لوسيان جولدمان يمضى ازاء ذلك فيبحث عن كيفية تحقق التلاقى بين الشرعيــة والتعبيــرات الادبيــة فـى مجتمع يجري فيه هذا التلاقى خارج الضمير الجماعى . ويقرر فى هذا المقام انه على الرغم من أن تكديس الاموال والاستحواذ على المناصب الاجتماعية قد أصبح قيما مطلقة فى المجتمعات المنتجة من أجـل السوق الا أنه يظل فى ذلك المجتمـع من الكتاب والفنانين والفلاسفة والمفكرين من يتمثل فيهم نموذج « البطل المشكل » كما أن تلك المجتمعات أيضـا لا تخـلو من بعض القيم الشرعية ففكرة المنافسة التى يقوم عليها السوق أصـلا توحى بمفاهيم الحـرية والمســاواة وحقـوق الانسان وانماء الشخصية والتسامح . وانطلاقا من هذه القيم الجانبية نمى خيط الرواية معبرة بذلك عن التجربة الشخصية « للبطل المشكل » .

واذا كان الشكل الروائى القائم على فكرة « البطل المشكل » هـو بحسـب جوهره نقد واحتجاج ، فهـل نمت فى المجتمع البورجوازى أشـكال روائيـة أخرى غير هذا الشكل الاحتجاجى ؟

يرى لوسيان جولدمان ان أعمـال بالزاك تعـد التعبير الادبى الكبير عن العالم المبنى عـلى القيم البورجوازية مثـل التعطش الى السـلطة والمـال والعشق الجنسى والاحسان والرحمة . ولكن باستثناء حالة بالزاك يجـدر أن نتساءل لماذا لم يكن للشكل البورجوازى فى الادب الروائى سوى أهمية ثانوية.

ويخلص لوسـيان جولدمان الى أن الادب الجديد بالاعتبار ينبع من توق الى تجـاوز الفـردية ، وهو ما يعنى أن الانسان لن يكون صادقا وأصيلا الا متى تصور نفسه مرتبطا بجماعة مستقلة . اى أن تصور المستقبل الاجتماعى من خلال نقد الاوضـاع الاجتماعية القائمة فى بيئة وزمان معينين هو الذى يخلق أدبا جديرا بالاعتبار .

واذ تتقوض «الفردية» بسبب ضغوط العلاقات بين البشر والاموال فى مجتمع الانتاج من أجل السوق تتبدى فى تاريخ الادب المعاصر تحولات موازية فى الشكل الروائى أفضت الى التفسخ التدريجى للشخصية الروائية وتلاشى البطل الفرد.

وقد مرت هذه التحولات بمرحلتين . حـاول كثير من الروائيين فى المرحـلة الاولى أن يدخلوا فى مفاهيمهم الروائية افكارا جماعية مما بثتها الايديولوجيات المتجاوزة للفردية مثل التضامن الاجتماعى والاشتراكية .

أما المرحـلة الثانية وهى المرحـلة المعـاصرة فقد تميزت بالجهـد المبذول لكتابة رواية يكاد يغيب فيها البطل تماما وذلك بحـذف عنصرين أساسيين همـا السيكولوجية ومسيرة الزمن الى المستقبل من خلال الحدث الروائى .

وهذا النمط الروائى المعـاصر هـو ما عرف فى فرنسا «**بالرواية الجديدة**». ويتصدى لوسيان جولدمان لحقيقة الرواية الجديدة مقررا أنها ليست مجرد مجموعة من التجارب فى الشكل ، ولا هى محاولة للهروب من الواقـع الاجتماعى بل هى محاولة للتعبير عن واقع زماننا .

وقد أعلن **آلان روب جرييـه وناتالى ساروت** وهما يتحدثان بأسـم الرواية الجديدة أن الشكل الروائى الجديد انما يعبر عـن واقـع انسـانى مختلف كل الاختلاف عن الواقع الانسانى الذى عبر عنه روائيو القرن التاسـع عشر ومن ساروا على نهجهم . وتضـيف ناتالى ساروت أن العـادات النفسـية والقيم الفكرية القديمة التى لا زالت تعيش فى قلوب وأذهان الكثير من الناس تمنعهم من فهم الواقع الجديد . كما يقرر آلان روب جرييه أنه لا يوجد بالنسبة للانسان حقيقة ثابتة . فان جوهر الواقع الانسانى ذاته شىء ديناميكى يتغير عبر التاريخ . واذا كان تحليل نفسـية الشخصيات ومـا ترويـه من قصـص قـد أصبحت أمـورا مهجـورة من كتـاب الـرواية الجديدة فلاننا نحيا فى مجتمـع مختلف كل الاختلاف عن مجتمع اولئك الروائيين الكبار الذين اهتموا بهـذه الامور من أمثـال بالزاك وستاندال و **فلوبير** .

لقد فقدت قصة حياة البطل أهميتها فى المجتمع الجديد . واذا كانت علاقة مثل علاقة زوج غيور وزوجة وعشـيق من العلاقات التى طرقت كثيرا على مدى تاريخ الرواية فان الطريقة الجديدة التى عالج بها آلان روب جرييه هذه العلاقة فى رواية « **الغيرة** » لم تكن طريقـة استهدف بها الغرابة والطرافة بل كانت معالجة حتمها تغير نوعية العلاقات بين البشر والعالم الملموس سواء كان طبيعيا أو مصطنعا ، فقـد اكتسبت الاشـياء مـكانة أساسية فى حيـاة الانسـان وأصبحت تتمتـع بالحرية التى نفقدها الانسان يوما بعد يوم .

لقد أخذت الشخصية فى الاختفـاء التـدريجى من الرواية الجديدة وحـل محلها « الشىء » ولا غرابة فى ذلك فقد ابان لوسيان جولدمان أن الرواية أكثر الاجناس الادبية تأثرا وأرتباطا بالتكوين الاقتصادى للمجتمع .

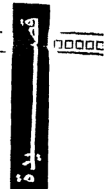
---

(1) فى رواية لجيرزى كوسـيتسكى أصدرتها دار النشر الفرنسية فلا ماريون عام ١٩٧١ بعنوان « الحضور » نجـد ترجمة لهـذه النتيجة المترتبـة عـلى استبداد منتجات السوق فى المجتمـع الاستهلاكى البورجوازى . فشانس بطل الحضور » ما أن ينتهى من أعمـال الفلاحة حتى يتخذ مجلسه أمام شاشة التلبفزيون الملون ويتابـع البرامج كلها حتى آخر السهرة . ومن العالم الرحيب لا يعرف شانس سوى هـذه الصـور المسطحة التى تتابع وتهرب من أمامه فى الظلام . وهكذا اكتسب ثقافة عريضة مشتتة مستهلكة وغير متماسكة .

ويتخلل تجربته للوجـود كثـير من الثغرات . وعلى سبيل المثال فقد لاحظ شانس ذلك الرجل الوسـيم الغبى فى التليفزيون أن الرجال يبتسمون للنســاء بل ويقبلونهن ايضا . وعرف ايضا ان النساء ينجبن اطفالا ولكن بين القبـلات والولادة لا يعرف ماذا يحدث فان برامج التلفزيون تمتنع عن عرضه .

فبطل رواية « الحضور » هذا نموذج ساخر ولكنه طيب على متلق انتهى به المطاف الى ان اصبح التليفزيون لا يعـد بالنسبة له اصطناعا فان ما يدور على الشاشة ليس انعكاسا للاشياء الحقيقية بل ربما كانت هى الاصل فهذه الصورة هى ايضا اشياء موضوعية وهى بالنسبة لشانس الحقيقة المتلقاة .

وهكذا أيضا يمكن أن يضحى منطق السوق هو الاصل والحقيقة فى علاقات الاموال بالبشر .



١٩٦٨

شعر : محمد عفيفى مطر



القطارات لم تنقطع
غبش الفجر لوزة قطن مبددة نفضتها
الرياح على قبة النخل والشجر النائم ، انفتحت
خوخة الباب .. صوت الامومة من خشب
السنط آخر
زاد ومفتتح للبلاد الاليفة ، آخر ما اعشب
الوجه من
زغب الشمس، اول لافتة اتهجى كتابتها غربة فى
اتساع الشوارع بالخلق .
والفجر يفتح أبوابه فى زجاج النوافذ ،
شمس بكعك السميط المحمص تطلع منقوشة
بالجدائل
والسمسم [انخلعت فى الجلاليب احصنة الطين ،
لب النوى المر ، مسبحة الرامخ الاملس]
انفسحت بيننا الارض يا رهج الحرب بين
القبائل [هل أنتم الان بين الحجاز وتونس ، هل
صدئت فى دروع زناته او فى سيوف الهلالية
الشمس ، ام تمسح الكتب المستجدة صوت
الربابة من
طينة الذاكرة ؟!] /
وخبز القرى فى الحقائب مرتعش بالقرابة والملح
[عين زجاجية تتقحم جيما معطشة ، وطن
ينتهى فى
كلام الختان الصبى ، ونهر افتش منه خرائط ليست
مبللة ، ورق تتكوم فيه البلاد الفسيحة ، والماء
يسكن بئر التذكر ، والشمس مرسومة بالرصاص] /
القطارات لم تنقطع .. والمسافات بين الوجوه
وبين المرايا مهشمة ، هاهو الوطن المستدير على
جسد الارغفة / تكسر فوق الموائد
هذى صحاف الكوابيس :
اطعمة الخوف دافئة ؟
والسلال المليئة تفتح صرتها فى رصيف المحطات ،
ينتشر الوحش ، يلبس اقنعة الاهل ، يركض فى
فلوات الوجوه الاليفة / وحوشا
وحوشا
وحوشا

يستيقظ الضحك ، السوق تمتد أروقة للمساومة ؟
فأصرخ ..
الارض تنشق ارضين ، والشعب شعبين ،
أحصنة الماء تصهل فى الذاكرة /

هو المـــــاء :
جمرة عشـــــق متوجة فى برارى البـــداوة ،
محفـــورة فى بكاء الطـــلول ومكتوبة فى سيوف القبائل
والشعر ، مكتوبة فى طقوس الدم الجاهلية /
هو الماء جمرة عشق متوجة والرعية من أصدقائى
امرؤ القيس ، علقمة الفحل ، والنفرى الغريب
المشرد بين قرى مصر والبصرة ، الســـهرودى
زوج ابنتى وأنا طالب الثأر من قاتليه وممن
يعيدون تطويقه بالحصار المعاصر والاسئلة /
أحرره من سجون الخليفة كى يفتح الاسئلة / مناديل
للجبز ، بوابة لاغتصاب الميادين من حاكميها ،
اسمعونى /
فهـل لغــــة تتوقد فيها مصـــاهرة العشـــق
والموت ، هل قمر يتكسر مسبحة ، هل صـــلاة
تدمـــــدم فى
شجر الرب ، هل أصدقائى يقيمون فى الزلزلة/
ويلقون أقوالهم بسطا فى الميادين .. هذى
أبار يفهم مطر من صراخ النبوة ، هذى الجموع
استحمت بشمس المجاعة ..
هل أصدقائى يقيمون بالجامعة / صلاة القبائل
للغيم والنهر ملء اليدين ،
اسمعونى /
فهل لغة تشعل النار فى حطب الشعر .. هذا
هو النفرى المشرد فى لغة الخطباء يولول فى
وحشة السحر
يصرخ فى صحراء الكلام ويكسر قفل الينابيع
يدخل فى
مدن الحاكمين يقيم المتاريس ينشىء كوميونة من
تشعرير الرفض والاسئلة /
[واوقفنى .. عن يمينى خراب يسيجه النوم ،
والارض
قد لبست زخرف « الامن »وازينت» عن شمالى
خطى النهـــر كانت تلاحقنى ، كان يفـــرط فى
خطواتى الشباك
المليئة بالموج ، يكشف لى سمك الحلم والنار فى
الغيمة المثقلة /
فهل غرق يستعيد الينابيع ، هل غرق
تتفتح فيه الهتافات عن جسد الحلم ، هل غرق
تتقشر من تحته المقصلة/فيهوى الكلام المهجن ،
هل غرق يتلبس كالمس والهذيان المرابط فى
ساحة الحلم والخلق ، والحلم مركبة الحضرة
الشاملة] /

وهذا هو السهروردى يدخل ليل الميادين والارض
مخبوءة
تحت جبته ، وهو يبصر طير الجـــلالة منتشرا
تتقمصه
الكائنات الاسيرة ، محتشدا فى قلوع المراكب
والنهر
يمشى مظاهرة فمظاهرة .
والبـــــلاد البعيـــدة ترســـل مـــلء الســـلال
فطائرها الدموية زوادة للجموع المقيمة خلف
المتاريس ، ترســـل موالها المتحذر فى الدمـــع
والسهروردى والنفرى يخطان فـــوق الحوائط
والصحف
الجامعية طير الكلام المفاجىء بالشمس والريح ،
والكحل مشتعل فى عيون الصبايا بوحشية
الحب والثورة المقبلة /
● لو انى أطلعت من لغتى نخلة لخطفت اللغات
الهجينة خطف المناجل / درست المعارف درس
الرمال عصفت عليها الرياح العواصف /
والواقفون بى واقفون فى كل موقف خارجون
عن كل موقف وأنت معنى الكون كله .
« كلمة سر الليل »
● [قد جاء وقتى وآن لى أن أكشف عن وجهى
واظهر
سبحاتى ويتصل نورى بالافئية وما وراءها
وتطلع على العيون والقلوب ، وترى عـــدوى
يحبنى
وترى أوليائى يحـــكمون ، فأرفع لهم العروش
ويرسلون
النار فلا ترجع ، وأعمر بيوتى الخراب وتتزين
بالزينة
الحق ، وترى قسطى كيف ينفى ما ســـواه ،
وأجمع الناس
على اليسر فلا يفترقون ولا يذلون ،
فاستخرج كنزى وتحقق ما احققتك به من خبرى
وعدتى وقرب طلوعى
فانى سيـــوف أطلع وتجتمع حولى النجـــوم ،
وأجمع بين
الشمس والقمر ، وادخل فى كل بيت ويسلمون
على
وأسلم عليهم وذلك بأن لى المشيئة وباذنى
تقوم الساعة .]
« تحريض للاحتفال والرقص وتتويج الرعبة »
● أنا مليل الليل ومنهر النهار ، أفل الليل وطلع
وجه السحر وقام الفجر على الساق ،

اربط المنطقة فينعقد كل شيء ، والبس درعي ولامتي
فتستيقظ الارض ، والبس البرقع ولا اكشفه .
« دعوة للمنازلة »
● العلم المستقر هو الجهل المستقر
« دعوة لقراءة مالم يكتب »
● اهدموا واهدموا واهدموا
نزل الله في جسد الشعب — لما استوى فوق
وانهمر المطر المتوحش قعقعة ونجوما نحاسية :
ـ كل هذا السلاح المرابط من اجلهم ؟!
[قالت امرأة] —
وطن يتقلد مجزرة أم يخافون شعبا تربى على الخوف ؟!
— : اسلحة مشتراه بما كثفته المجاعات من
صدأ فوق أسنانهم ثم تشرع صفا فصفا
فتصرخ تحت فتوق الثياب القديمة شيخوخة باكرة ؟! /
[تقول الصبية] —
لكنهـا قبل أن تكمل القول يخنقها الدمع .

دوى الرصاص القريب
هو الموت يفتح تحت عباءته سكة لالتحام
البنادق باللحم .
دوى الرصاص المفاجيء ،
تعقعت العربات المدرعة ، اتغرست في الرصيف الاكف
فتحنا الخطى سكة يهرب النهر منها ويحمل
جرحاه في دمهم للبيوت القريبة
[هل غسل النهر أثوابه من خيوط الدم المتخثر ،
هل زال حبر المطابع من فوق كفيه ؟]
هذا هو الفجر يكنس صمت الميادين
والشمس تلمع فوق الدروع الصقيلة /
« سيناريو تسجيلى على شاشة الرعب »

● **شهادة لاثبات الحلم ونفى التأويل :**

البلاد البعيدة أوحشها الحلم والرقص
فالشمس مجدورة الوجه ، تصفر تحت
الملاط المقشر ، تسود في جدر الطين
ينفتح الجرح في جثة الامكنة / فما باردا
كنعاس الغريق على العشب ،
ترفصت النصب الحجرية ، هذى سماء الميادين مثقوبة ..
عرش المجاعات — ينفخ فيه السنابل والغضب
المتأجج ، نحن له أنبياء ، مصاحفنا تتنزل من
شهوة الماء .
اهدموا واهدموا
فالشواديف شاهدة والسواقى رسائل مطوية
حملتها الينا المواويل من تربة الاهل ،
خاتمها وردة للصراخ
اهدموا واهدموا ..
« نشيد الخروج »
● هذه قبة الجامعة
هبط الليل .. فالتف حراسها للهجوم المباغت
والنوم تطلع أشجاره ،
انطفأ الكحل ، أرخى الرخام يديه على
ركبة التعب المتألق ، والنوم ينثر أعشاشه
بالهواجس والخوف ، هل لانت الارض كالفرش
الاسرية فالتحم الجسد الادمى بصمت الحجارة
والكتب الانلة /
ودوى الرصاص البعيد ..
هـــل اســتيقظ المــــاء في الذاكرة ؟
فهذا هو النهر يترك فرشته ويمد خطاه وجوها
وجوها
وجوها



يشجر ليلَ الميادين بالرقص والاذرعة /
ويفتح لحم الشوارع ،
بيت الشوارع يفتح نافذة للامومة ، فى
ظلمة الشرفات تضىء الابوة بالخبز والماء ،
تحت الضفائر يبرق وهج القرابة ، ينعقد
الخوف والياسمين المفضض بالدفء زغرودة
للزواج الجماعى أسورة للمواعيد ..
دوى الرصاص البعيد القريب
واقبل سيل الدروع الصقيلة / يسد المداخل ،
ليس منتظما فوق طبل البراح المشاع سوى
خطوة الدركى وصوت الحذاء الثقيل على حجر
السمع
طــك .. طكَ ..
طــك .. طك ..
وفى ورق الذاكرة / يقرفص فى دمه وطن نقشته
الشطوط البعيدة بالسلق — والشمس محمرة
فى مياه
الأصيل — القطيفة فىحبق الماء مسكونةبالفراش
الملون — سجادة من نجيل المجازات — رائحة من
وضوء الجباه السخية فوق حصير الجوامع —
رائحة
الخبز طالعة من موائدنا العائلية ..
فى ورق الذاكرة /
يقرفص فى دمه وطن ..
طــك .. طك ..
طــك .. طك ..
وحدها ، قامة من رخام الليونة والدهشة
الشبقية ، والقرط مركبة للنداءات والوحشــة
المزهرة /
وقفت تتمسح فى ظلها تحت ضوء الفوانيس ،
ترمى
رماد سجائرها فى الرياح ، تقزقز لب المواعيد
والتعب
المتدثر بالكحل والزغب المتخفى ودفء الفراء .
[خطوة .. خطوتان ..
ومن بين وجهيهما شعلة ودخان
السجائر كالفرشة المستضاءة ، عاد الى
مستراح الحذاء الثقيل على حجر السمع ..
طك .. طك .. طك ..
« النهاية مفتوحة »]

● **نداءات وشعارات مكتوبة على الجدران ولم يغسلها المطر أو تقشرها الاظافر :**

١ — اختبىء يا قطارا يهرول فى الحلم،صوتك
يخلع ريش النشاز الملون ، يسقط بين
الصدى والصدى ، وتصنفره شفرات الاظافر ،
يدخل أوركسترا الأسر .
فلتختبىء يا قطارا يهرول فى الحلم ؟ فالارض
مكشوفة والمحطات مفتوحة تحت ضوء السفر/
اختبىء
فالاقامة ماهولة بوحوش القرابة والالفة الناعمة
٢ — جسد للعشيرة : أعضاؤه انفرطتكالعناقيد
فى ورق الملصقات — الافيشات — وهج النيون
المشاكس .
حيط الظلام :
فهل ينفر النهد تحت الاكف ويلتم رهط العناق
الصريح وهــل يفتح الليــل مضيفة للتخــاصر
والجنس ، هل
تفلت الشهقات المقيمة فى اللون ، هلْ ؟!
٣ — تنفست حقائب الوطن ، يا لله ، هلْ
يملكُ كلّ
هذه الملابس الداخلية ؟
ويبعثرها فى الريح ، فهلْ كلّ هذه الالوان من
شمس واحدة ؟
وغربت الشمس ، فكل طريق صباح ، وكــلّ
صباح طريق .
٤ — العصافير تنسج أعشاشها فى حــــديد
الشبابيك
والارفف الخشبية فى المكتبات وفى الحـــافلات
المليئة بالزحمة الضاحكة .
والعصافير تنسج أعشاشها تحت ليل من الشعر
المستعار
وفى خوذ الشهداء وأحذية الهاربين .
٥ — أسرعوا أسرعوا فالبلاد القديمة
ركضت خلفكم ،
واكتبوا واكتبوا فالبلاد القديمة
قطعت شجر الابدية .
٦ — مطلع جاهلى يجىء
تطلع الشمس فى الذاكرة
تحت ايقاعه يستضىء
وطن للخراب الطللى ،
نهر تجرجره الصرخة الفائرة .
٧ — صخب ، وبلاد تجلجل فى حجر السمع ،
والرعد يزرع اعضاءه ..
انتظروا .. تصهل الخيل فى الاروقة

● **حــلم :**

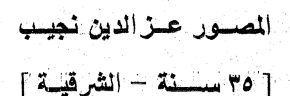
هذه امراة تتغطىبأوسمة العزى؟ قش تطاولَ من
ابطيها وحلقاء شمس بهيجة /
ضربت قبة منخشونة أوراقها فوقَ شمس الزبيب
المقيمة فى الفخذين الشهيين .
هل هذه امرأة المرمر امرأة الصولجان ؟ /

طيور الحجارة ترصفنا بيض السطوع الملون ؟
ينقفه الدفء
والبرد ، يفتح فيه الدهاليز : هذى المدينة فى
الافق مملكة
والرعية يضربها طائف الصرخة الهالعة /
ـ أتعرفنى ؟!
ـ ربمـــا ..
فوق عينيك جرح يذكرنى بمرايا الطفولة
والطيران المفاجىء بين الذراعين والسقف .
ـ الح تحت ثيابك سيفا،فهل طالب انت للثأر ام
خارج تسترد البداهة والصيد فى غابة
الدهشة الملكية ؟
ـ اطلب بيتا وعائلة أسترد على خبزها شرف
الاسم ، أطلب بئر القبيلة .
ـ هذى المدينة موبوءة .. يترجل وحش جميل
التقاطيع ما بين همهمة الفقهاء ودفء الفراش
المبلل
بالنوم والموت ، ما بين وشوشة القصر بالمخمل
المستريب وعرافة الشهوة الجسدية والانتحار
البطىء .
انا ملك ، والمدينة تحتى تلف عصائبها ، بين
تاجى وعرشى تساقط الشمس دامية ، يخلق
الليل تحت
هشاشته حيـــوان الوسامة والرعب ، الـــوية
للخفافيش ؟
عرافة الصرخة المستجيرة تتبعنى للخلاء .
تؤامرنى وتقايضنى ؟
ـ كيف ؟
ـ آخذ سيفك ، خذ صولجانى ، وقل للجماهير :
قابلنى
الوحش يأكل صاحبكم نقطعت جناحيه ، مزقته
قطعا قطعا فاختفى ..
سوف تلبس تاجى وتشهد مملكة تتفصد أنهارها
تحت
رجليك ، ترقد فوق سريرى ، وتفتـــح زوجى
خزائنها ..
وانا أتخفى ، وتأخذنى فى عبيدك ...
ـ تعرفنى ؟!
ـ ربمـــا ..
بين نهديك نهر يذكرنى بالرحيل المفاجىء فى
الفجر ، اذكر بحرا وصحراء ، فى ركبتيك ارتعاد
يذكرنى
بالاراجيح والنوم ، اذكر شمسا مضببة فى خزائن
فخذيك .. عيناى فتشـــتا عن بلاد السراويل
والدفء ..
ها وطن يتيقظ فى الذاكرة / فمـــدى الموائد
واستترى
والبسى تحت عينى أوسمة العرى ،
نش الخليقة ممتلىء بالطيور الغريبة والوحش ،
أروقة القصر واسعة ..
[كنت أطلب بيتا وعائـــلة استرد على خـــبزها
شرف الإسم ..
ها أنت عارية تفتحين الصناديق تعطينى منخزائن
فخذيك مملكة تتطاول فيها السلالات ..
والصمت عـــائلة تتماسك فى كل ريح ..] ٪
ـ أتعرفنى ؟
ـ أنت .. هل تعرفين انســـلاخ الظـــلام من
البحر .. هل
تعرفين انتقامى ؟
خزائنك الخضر مفتوحة بين كفى .. هل تعرفين
انتقامى ؟

● **مملكة اخرى :**

واسعة خطوة الشمس ، اوسع منها غيوم
القصائد فى القلب ، أوسع منها يد وفم يرفضان
زغيف المماليك ..
والارض واسعة يتناسل فوق خرائطها عنكبوت
الاقاليم
ينفرط الملكوت الملون اسيجة وبلادا ..
واوسع منها دمى روضوئى المباغت فى
رجفة الجرح ، أوسع منها حصيرة نومى على
قبة الحلم ..
مملكتى لا تزول الى آخر الدهر ،
مملكتى وسعت كل شىء ،
ومملكتى شارع ورصيفان تطلع بينهما
خطوة الرقص جميزة للغداء الجماعى ..
نكتب فوق الاكف مواعيدنا ، نتحسس قارورة
اللون
والارض تضحك ملء الفروع ، الاباريق تهوى
مكسرة فى
كتاب القوانين ، نكتب نارا مجنحة ..
كلما غسل الموت اوجهنا اقترب الفجر .. هذا
وضوء الكتابة ،
نصطف فى حضرة الحلم نكتب مملكة للشوارع
هـــذى الشوارع مملكة يتبطنها الحلم والرقص ،
تلتم اصواتها جسدا للقصائد
ازمنة للجنون المبرقش
بالمـــاء
والشمس ..

هـذا الفنـان وعـالمـه

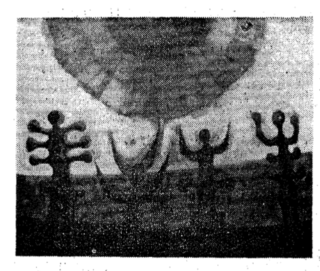


المصور عز الدين نجيب

[٣٥ سنة – الشرقية]

نبات الصبار وقرص الشمس .. الفتى الذى يحمل فى قلبه طائرا يتوق للحرية .. المرأة والجنين الذى لم يولد بعد .. المغنى الذى يشدو بأغنية لمصر ... الاشجار التى تقف صامتة كأنها جمع من البشر ينتظر ماسيحدث.

هذه المعانى جزء من اللغة التى يتناولها الفنان عز الدين نجيب فى لوحاته عندما يعبر عن فكرة ترتبط بالانسان .. فيأخذ الفن عنده صفة الالتزام وتصبح له وظيفة تسهم فى بناء المجتمع وتكون مسئوليته شاقة أمام الاراء التى تنادى بالنزوع الى ايجاد فن سلبى تحت شعار الفن للفن وأن الفن الخالص هو الفن اللاموضوعى الذى يحقق الجمال المطلق حيث يستخدم أصحاب هذه النظريات والمؤمنون بها عبارات .. الفن لعب ... الفن فرار .. الفن راحة .. الفن متعة .

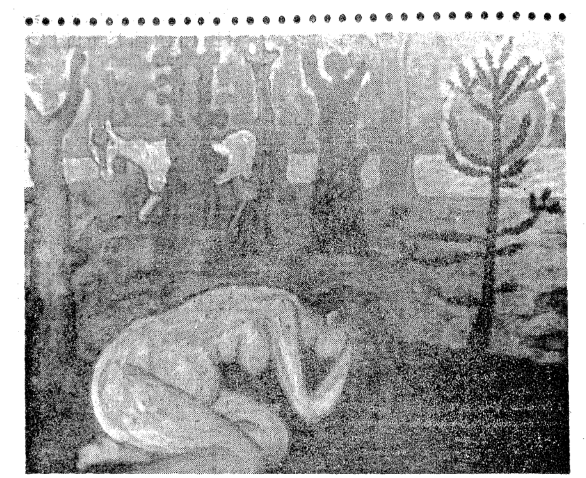


والتجربة هنا احدى التجارب التى تؤكد ايجابية الفن .. فمن منطلق الالتزام بالموضوعية ومساندة كل جديد بناء يتصارع مع القديم المتدهور .. نجد الفنان عز الدين نجيب يمتلك رؤية ناضجة تبدأ من فهمه الجيد للمفهوم الاكاديمى حتى التحليلات المعاصرة للتصوير التشكيلى فى استخدام العناصر الاساسية كاللون والخط والمساحة التى تخلق عناصر لوحاته فى علاقة محسوسة ومحسوبة فينشأ تكوين الصورة بشكل مدروس وتحدث الدراما بين الاشكال وتولد الشحنة التعبيرية هذا الى جانب استخدام الاداء التكنيكى بمهارة رائعة .

س . ت



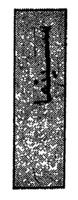
« فى الاعماق »



« الفارس المجهول »



« المخــاض »



أريد حلا

قضية نوع .. أم قضية مجتمع ؟

من الناحية الشكلية ، اقتسمت المراة مع الرجل بطولة مئات الافلام المصرية . وغالبا ما ياتى اسمها ، على الافيشات قبل أسم الرجل .. وتعددت صورها ، وتنوعت أدوارها ، واختلفت ابعادها .. ولكنها جاءت فى النهاية تجسيدا حازما لمفاهيم صناع السينما ، وهى المفاهيم التى بلورتها وعبرت عنها عشرات الافلام التى انتجها أغنياء الحرب ، خلال سنوات الحرب العالمية الثانية وما بعدها .. وهى الفترة التى انتشرت فيها الكباريهات والمواخير ، وبيوت الدعارة . اى الاماكن التي وجد فيها محدثو النعمة ،الطفيليون أغنياء الحرب،متعتهم وسعادتهم ووجودهم .. وفى هذه البؤر الفاسدة تعرفوا على المراة فى احط وآبأس صورها ،ليست كانسان من روح وارادة ومشاعروآمال، قادرة على العمل المنتج البناء ، ولكن كمجرد أذرعوأثداء وأفخاذ،مصدر للاثارة ومطفئة للشهوات .

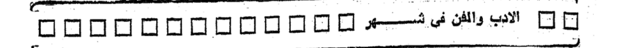
وليست مصادفة أن تظهر نساء هذه البؤر الفاسدة كبطلات فى العديد من الافلام الحديثة ، ولبست مصادفة أيضا أن يعد الفيلم المتفرجين بأنهم سيستمتعون بالمرأة على طريقة أغنياء الحرب، فتكتب على الافيشات أن الممثلة «ستغنى وترقص» ذلك ان معظم رجال السينما المصرية ، المسيطرين على الانتاج ، من الناحية الطبقية ، ليسوا سوى امتداد صريح لاغنياء الحرب .. وتعكس افلامهم نفس الموقف من الجنس الاخر . فعلى الرغم من أن المرأة ، على مستوى الواقع ، حققت انتصارات حاسمة ، فكسبت معركة العلم حيث تحررت من أغلال الجهل واصبحت تقف الى جانب الرجل امام أعقد التجارب العلمية . وعلى الرغم من انها كسبت ايضا معركة العمل ،فتحررت بالتالى من سيطرة الرجل اقتصاديا ،فان السينما المصرية لاتزال تقدم المراة فى الصورة التى يريدها ويتمناها المنتجون الطفيليون ،سلالة أغنياء الحرب ،فهى لا ترتقى ابدا الى مستوى الانسان المنتج، البناء ، العاقل ، المستقل ، ولكنها تكتسب قيمتها من مدى ترفيهها وتعلقها بالرجل . فاذا كانت لا تقوم « بالرقص والغناء » ، فلا أقل من أن تظل فى حدود الدمية الوديعة ، ساذجة ، مطيعة ، خانعة ، وفى هذه الحالة توصف بالرقة، أو تقدم كطفلة عاجزة ، ضعيفة ،حائرة وسلبية ، وفى هذه الحالة يدعى رجال السينما أنهم يقدمون امرأة تتمتع بشخصية ملائكة .

من هنا يكتسب « أريد حلا » اهمية مبدئية ، فهو ، على عكس الافلام السائدة يقف الى جانب المرأة فى المطالبة بان تعامل كانسان مكتمل ، موفور الكرامة ، حر الارادة ، ويحاول أن يبرز مدى قسوة القمع الذى تعانيه ،من خلال كشف ثغرات قانون الاحوال الشخصية .

والفيلم بهذا الهدف النظرى الطيب ، شىء يستحق التحية . ولكن عندما ننظر الى مجموعة الافكار والمواقف والاحداث والشخصيات ، التى حاول أن يحقق من خلالها هدفه النظرى الطيب ، نكتشف أنه نتيجة لقصور افكاره وأنفعال مواقفه وطريقة بنائه المسطحة لشخصياته لم يستطع أن يصل الى تصور صحيح لقضية المرأة ، ذلك أنه ، منذ البداية ، حصر نفسه حصارا مدمرا ، عندما كبل افكاره فى حدود المطالبة بتغيير قانون الاحوال الشخصية ، فلم يستطع بالتالى ان يضع قضية المرأة فى اطارها الاجتماعى الصحيح ، واكتفى بتقديمها كقضية نوع بشرى مقهور ، يتساوى أفراده جميعا فيما يلاقونه من اضطهاد وتعذيب ، الامر الذى أدى بالضرورة الى ظهور الرجال ، فى مجملهم ، كنوع بشرى آخر ، تجرى فى دمائهم جرثومة الشر والظلم .

والفيلم يطرح قضيته من خلال ثلاث قصص ، واحدة اساسية ، ليس لها الا قيمة محدودة ، اهتم بها السيناريو اهتماما شكليا مسرفا ، سواء من ناحية الزمن الذى تستغرقه ، أو من ناحية المبالغة فى اظهار معاناة بطلتها ، التى قامت بأدائها « فاتن حمامة » ، على نحو مبدع وخلاق بحق ، لكنها جاءت هزيلة ، يشوبها الكثير من الانفعال والادعاء وعدم الاقناع .. وبينما لم يهتم السيناريو اهتماما جادا بالقصتين الجانبيتين الهامتين ، ربما خوفا من طغيانهما على القصة الاساسية فانهما جاءتا اشد تأثيرا واعمق دلالة .

يبدأ الفيلم ، قبل ظهور التترات ، ببطلة القصة الاساسية وزوجها يودعان ابنهما المسافر الى الولايات المتحدة لاستكمال دراسته ، وبعد نزول التترات ينتقل الفيلم الى فيلا الزوجية الفاخرة لتفاجئنا الزوجة كما تفاجىء زوجها بطلبه





الطلاق .. واذ يرفض الزوج مطلب الزوجة تبدأ رحلتها الشاقة لتحقيق غرضها وانتزاع حريتها ، مستنجدة فى هذا بعنصرين : عنصر شخصى يتمثل فى اتمام تعليمها ومزاولة العمل ، والعنصر الاخر يتمثل فى انتزاع حق الطلاق من قانون الاحوال الشخصية ، وهى تنجز مسئولية العلم والعمل ، على نحوسريع وغامض ، ربما ليثبت الفيلم أنها تتمتع بصواب التفكير الى جانب قوة الارادة .. ولكنها تخسر قضيتها أمام قانون جامد ، يعطى الرجل الحق فى أن يكون جلادا قاسيا اذا أراد .

ولاشك أن اقامة القصة المحورية على أساس تتبع قضية سيدة تطلب الطلاق، يعد من الامور الجريئة، المحفوفة بالمخاطر . ذلك أن الجمهور لايزال خاضعا ، ولو جزئيا ، للافكار الجامدة ، التى تنزعج من المرأة عندما تقرر وتطالب بالانفصال .. بل ومن المحتمل أن ينظر الى الزوجة بريبة ، كما فعل الزوج ، عندما اعتقد أن ثمة رجلا آخر .. وعموما فان الفيلم وقع فى منزلق مدمر عندما أقام علاقة حب مفاجئة ، غير مبررة ، بين بطلته وصديق أخيها ، الشاب الباهت ، الرخو ، الذى لايتجاوز سن ابنها المسافر الى الولايات المتحدة ، الامر الذى ادى الى تقليل التعاطف مع البطلة التى تخوض معركة مصيرية .. أضف الى هذا أن الفيلم لم يستطع أن يقدم صورة واضحة الابعاد للزوج الذى لم يستطع أن يكسب قلب زوجته بعد عشرين عاما من المعاشرة ، فنحن لانعرف عنه الا معلومات شحيحة جدا يقال أنه دبلوماسى طرد فى التطهير ، ولا نراه الا فى مجموعة مواقف مفتعلة : يداعب سيقان فتاة فى أحد النوادى ، أو يقبل صديقة أجنبية ، أو يحدث زوجته بخشونة .. وبينما تؤكد الزوجة بانه هجر فراشها منذ سنوات ، تعود لتؤكد فى مناسبات أخرى بأنه يريد أن يأتيها فى غير المأتى !

هكذا تجد أن الفيلم وهو يدافع عن حق بطلته الاستراطية فى الطلاق، يقدم زوجا مصمتا بلا أبعاد ، مجرد رجل شرير ، أنانى ، سخيف ، شهوانى وفاسد الخلق ، شأنه شأن مجمل رجال الفيلم .

ينتقل الفيلم مع بطلته الى المحكمة حيث يقدم أصدق وأفضل مشاهده ، فالمحكمة هنا ليست ذلك المكان النظيف ، المرتب ، اللامع ، الذى تعودناه فى أفلامنا المصرية ولكنه محكمة حقيقية .. مكان بائس ، مزدحم ، قذر ، يكتظ بالمظلومات ... وتتحرك الكاميرا بسرعة لتنقل عشرات الوجوه المنهكة لنساء متهورات ، مهلهلات الثياب ، فقيرات ، الامر الذى جعل بطلة الفيلم الانيقة تبدو كجسم غريب وسط طوفان المعدمات البائسات .

ومن أحراش المحكمة ينتقى الفيلم وجهين ليقدم قصتيهما .. فى الاولى تطالعنا مطلقة شابة ، مع طفليها ، تحاول الحصول على نفقة من زوج لاندرى لماذا انفصل عنها ، وفى أثناء التأجيل المتوالى لقضيتها يلمحها قواد ويطاردها حتى تستسلم له فى النهاية . وأمام القاضى تتنازل عن نفقتها ، بعد أن جربت الكسب السهل ، بينما يتهرب الزوج ، بشكل خسة ، من حضانة أطفاله .. وكما قدم الفيلم زوج صاحبة القصة المحورية بشكل مصمت ، يعود مرة أخرى ليقدم زوج صاحبة أولى القصتين الجانبيتين بنفس الطريقة ، بل وبنفس الخصائص ، فعلى الرغم من أن الزوج الاول « دبلوماسى » طرد فى التطهير ، وأن الثانى عامل « ميكانيكى » فانهما يلتقيان فى سمات رجولية واحدة : الشر والانانية والسخافة والغلظة والكذب ، وان كان الاخير يتميز بالجبن الشديد ! .. ولم يكلف الفيلم خاطره

وهو يهاجم الزوج الثانى بأن يسأل :هل هو سيىء ومنحرف بطبيعته ؟. وعلى نحو تدرى ، أم أن هناك قهرا وقع عليه ، دفعه بالتالى الى ظلم زوجته ؟

أما القصة الجانبية الثانية ، فانها تقدم مأساة واقعية لسيدة تعرضت للطلاق بعد ثلاثين عاما عاشتها مع زوج اقترن بفتاة صغيرة . وسرعان ماتنفق مؤخرالصداق لتصبح عرضة للجوع والتسول ، وترفع قضية نفقة . وبعد تأجيلات عديدة تخسر القضية ، وتطالبها المحـــكمة بدفع المصروفات كاملة ، وتضطر الى رفـــع قضية جديدة ، لكنها تموت قبل أن يحكم القاضى .. ولعل موت بطلة هذه القصة الجانبية من أهم وأصـــــدق وأجـــدى الطعنات الموجهة لقـــانون الاحـــوال الشـــــــخصية ، لايـــكاد يرتقى الى مستواها الا قصة المرأة التى انحرفت بدافع من الجوع والخوف والقلق ، وقد أدى صدق القصتين الجانبيتين الى كشف زيفه وادعاء القصة الاساسية ، التى تبدو مشكلة المرأة فيها ، كما تحددها بطلتها الارستقراطية هكذا : كيف تتعرى الزوجة ، وتكشف أسرارها الخاصة أمام المحكمة ؟!

اذن فنحن امام فيلم عجيب بحق ، اساسه او جذعه فقير ومخوخ ، بينمـــا فرعاه متماسكان وقويان ، وقد جاء الاخراج تعبيرا دقيقا عن هذه الحقيقة ، فبينما تنشط الكاميرا وتتحرك بصدق وحرارة ، داخل المحكمة ، بين المقهورات ، مهلهـــلات الملايس ، صاحبات قضية المرأة الاصليات تبدو الكاميرا عاجزة وبليدة وهى تصور القصة الاساسية ، فهى تنقل مايدور أمامها من ثرثرة وانفعالات ببطء يصـــل حد الاملال ، وفى جلسات البطلة مع صديقاتها أو حوارها الطويل مع القاضى أو وزير العدل تصل الكاميرا الى درجة خطيرة من العجز وانعدام الكفاءة ، فهى تصور من اليمين تار ، ثم من اليسار ، وببرود تتحرك لتصور من الخلف ، ثم من الامام .

لابأس ، أن الفيلم بهدفه النظـــري الطيب ، شىء يستحق التحية ، وبفشله فى تحقيق هدفه انما يدفعنا الى المطالبة بفيلم آخر ، يضع قضية المرأة فى أطارها الاجتماعى الصحيح .. أن تكون تعبيرا عن طوفان البائسات اللاتى تكتظ بهن قاعات وممرات المحكمة ، وليست معاناة سيدة تبلغ فى رقتها حد الخجـــــل من المحكمة ، واذا تحقق هذا الفيـــــلم ، فلاشك سيحسب لاريد حلا أيجابية اخرى ، ذلك أننا تعلمنا من أخطائه الشىء الكثير .

كمـــــال رمزى

كلمـــــة مصـــــر

فؤاد حداد : الشاعر الشعبى الذى عرفته مصر المناضلة منذ الاربعينات ، أيام اللجنة الوطنية للعمال والطلبـــة و ٢١ فبراير ١٩٤٦ ، والذى دفع الثمن سنين طويلة خلف جدران الســــــجون والمعتقلات ، كانت كلماته دائما تعبيرا عن المناضلين الوطنيين والتقدميين .. أليس هو القائل بلسان كل مناضل :

احنا الدموع .. احنا العرق
احنا الكتابة .. على الـــورق
احنـــا اللى بنمشى الـــــزمن

ولقد ظهر اخيرا آخر ديوان لفؤاد — « كلمة مصر » مهدى الى انتصار مصر فى أكتوبر — هذا الانتصار الذى كان :

شوق ايام واجيال كثيرة

وشعر **فؤاد حداد** شعر مقاتل ، يحيى دائما فى قلوب الكادحين والمناضلين خضرة الامل .

وشاعرنا ، يعرف هدفه ، ويعرف قدر هذا الهدف وقيمته ، ويعبر عنـــه بقدرة عبقرية وببساطة معجزة والكلمة دائما عنده تخدم فكرة وتستهدف تحريك أنبل القيم لدى الناس . وهو عنـــدما يستخدم الكلمات يصبح لها لون ومذاق وتتسم كلماته بســـــمو جمالى ، وفى الوقت نفسه برؤية اجتماعية واعية .

وفؤاد حداد شاعر له نفس ملحمى عميق ، وقصائده و « حواديته » زاخرة بالحب والبطولة وبالتضحية وبالثقة فى الانسان ..

ان فؤاد حداد هو الشاعر الشعبى المثقف ، لكنه أيضا يحفظ الشعر القديم ، متمكن من لغته ، عارف بأسرارها ، فليس شاعرا من يجهل لغته ، وهو ليس بشاعر منغلق متعصب انه ملم بانتاج الشـــعراء العـــالميين ، آراجون ، بابلونرودا ، ناظم حـــكمت ، بيتوفى ولذلك فهو يملك ناصية التعبير عن علم ومعرفة ، ويخضع الكلمة لوعيـــــه ، ويطوعها لتعبر بعمق وجمال عن قيم الشعب النبيلة والتى استقرت فى وجدانه عبر آلاف السنين .

ولكلمات فؤاد حداد — موسيقى خاصة وهو يخضعها لكل المقاييس الكلاسيكية — فهو متمكن من هذه المقاييس ولاداعى لان يهرب منها بحجة انها لاتعبر على قدرة الفنان وذاته — فالشعر عنده يجب أن يكون شعرا وليس مجرد نظم مرسل ، او كلمات معماة لا تملك التعبيـــر الا بعلامات التعجب والاستفهام . والقافية عند فؤاد حداد ليست حلية يتزين بهـــا بيت الشـــعر بقـــــدر ما هى تعـــبير جمـــــالى راق يعبر عن المعنى الـــذى يزيده التعـــــبير ويحـــــقق بهـــــا الارتباط الداخلى الجدلى للقصيدة — وحتى القافية الداخلية والتى تجعل من بيوت القصيدة قطعا من نسيج الدانتل الرقيق — ليست رفاهية جمالية ، ولكنها خلق جمالى يقصد التعبير عن معنى أو التأكيد على هذا المعنى ، أو لتحويل

البيت من الشعر الى بيان أو نداء للناس :

لا ينتصر فى أرض محبوبة
ولا يهتدى لمعنى الوطن والحب
غيراللى يحضر ع الوطن والزاد
موالى يحضر للعمل فى ميعاد
وردية اللى استشهدوا امبارح
وكل مصرى فى الميعاد يحضر

وفؤاد حداد : عاشق متيم بحبمصر

انده عليك شمس بتلف البلاد
والعصر
انده عليك يا اخضر ياريحة مصر
ساعة ما يرجع كل طير للعش
لون السما والأرض لون العشق
وانا طول حياتى وعشت
انده عليك

وفؤاد حداد : يزرع كل الارض المناضلة من اجل الحرية مقاومة :

ازرع كل الارض مقاومة
ترمى فى كل الارض جدور
ان كان ظلمه تمد النور
وان كان سجن تهد السور
كون البادىء ، كون البادىء
كل فروع الحق بنادق
من ايام الوطن اللاجىء
الى يوم الوطن المنصور
ازرع كل الارض مقاومة
– وما اجمل شيء فى الدنيا !

« اكتوبر اللى انتقم ليونيه »

وعندما ارتفع العلم المصرى على خط بارليف شامخا : رآه فؤاد حداد .

دايس على بارليف
كان الامل صادق وقلب شريف
اتنزهت عينى وبالى اغتنى
شفت العلم دايس على برليف

وأمل الانسان :
من الظلام فى الضى
ومن العطش فى الرى
من الف حى وحى
من الف عام وأنا عايش فى

الزمان الجاى

وقوة الشهداء :

انى انده على اسوان على حلوان
انده لبحر البقر وانده على شدوان
أسامى تحت السما لها ملحمة
وديوان
ياشعب ياقوة الشهداء على
العدوان

«والشريان الفلسطينى» يصرخ :

تغنى الليالى ولا يبور الدم
ولا طيارات الامريكان تمنع
النور من المصنع

وينشد مواله :

شيلينى يا دنيا قبل النور وحطينى
بالراحة بالقوة فى الريح
الفلسطينى
خلينى قبل الصباح اعرف صلاح
دينى

واصدق الاحساس عنده – ان تحس بمتاعب الناس وكدها وتحمل همومها .

باعم يالى بتسألنى عن الاحساس
اكمنى شاعر مغنى صنعتى
الاحساس
القلب بيحس لكن اصدق
الاحساس
على كتف شايل حمول الناس
يحس بها

ومصر عند فؤاد حداد بالمعايش والصنايعية ، فالصنايعى الصبى يقول :

طول النهار بنشتقى
وتنام الليل ونلتقى
الفجر يخش سرقة

ولحن الحدادين يقول :

عندنا عتمة فى عتمة
عندنا نار قايدة نار
عندنا عزم دراعاتنا
اللى طال شمس النهار

ومصر دائما بناسها الطيبين – بالفن والناس الحلوين ، وهى بهم أثبت من الاهرامات والطف من النسمة ، وحضن مصر عند فؤاد حداد هو « المطرح الدافىء » – وهذا «المطرح الدافىء» الذى احتضن قادة نضال وطن عظام ، وفنانين كبار ..
فالشيخ محمد رفعت :

اخضر على طول المدد اخضر

ومختار – الذى أقام لمصر التماثيل نجد زهوها وقوتها وهى تقاوم الاستعمار
والملحمة تملا السما والشارع
وترد الاستعمار وتشهد وتنهض
وتقف قبال الدنيا وكتافها اعرض
ام القوام الفارع
تمثال بهية بنت ست الدار

وسيد درويش فنان الشعب :

اسمر وجيه اللون
وفيه شبه من أربعين مليون
وفى ايده حنه وريشة ومسطرين
وسلاح

وبيرم التونسى :
عامل فى عنبر ، شيخ على منبر
فى الفن عنتر

ومحمد عبيد : بطل من ابطال الثورة العرابية .

« على أرض مصر عظيم الجاه »

وعبد الله النديم : ضمير الثورة العرابية :

لما التفت فوق المآسى وقال
يامصر كنا رجال
بنعلى اسمك للزمان الجاى

ومصطفى كامل :

اول سلامنا لامنا
اللى جناحها يضمنا
ياكلمة خضرا ومؤمنة
سلامنا للارض اللى ولدتنا
مصطفى كامل

هذه هى مصر وكلمتها التى انشدها فؤاد حداد وغناها بكل شىء فيها – كان

وكائن وسيكون ، بفلاحها الكادح وبرائحة عرق العامل فيها « الذى عمر أيده الحرة ما تقصر » وبشرايين شهدائها من اجل أن تظل رائحة مصر دائما « خضرة » .

ديوان « كلبة مصر » — هو اضافة جديدة الى انتاج فؤاد حداد منذ ديوانه الاول احرار وراء القضبان ١٩٥٢ ، ثم ديوانه حنبنى السد ، وبقوة العمال وبقوة الفلاحين ، وديوان المسحراتى .

واخيرا نأمل ان يقدم فؤاد حـــداد الى مكتبة الشعر العربى ملحمته الكبيرة والتى كتبها ونحتها خلف جدران السجن الرهيب اوردى ليمان ابو زعبل ..

نأمل ونرجو ان يحقق شاعرنا الكبير لابناء مصر الامل . .

عبد المنعم الغزالى

تعليق

المســـرح

حيـــاة نعمـــان عاشـــور

دخل نعمان عاشور الى المسرح — شأنه شأن معظم كتابنا المسرحيين . من زاوية الادب . وهذا المدخل له شـــان كبير حينما يكتب نعمان عاشور مذكراته اذ ان امكانياته كاديب تعطيه القـــدرة على تجاوز الذات الى الموضوع . ذلك ان القارىء سيسأل نفسه بادىء ذىبدء ما الذى ساستفيده — من هذه المذكرات او تلك . وقد درج بعض اهل الفن على تسجيل مذكراتهم وفى ذهنهم انالقارىء يثيره الحديث عن الكواليس بوجه عام وربما كان فتوح نشاطى] من ابـــرز الذين تجاوزوا الذات الى موضوع فى مذكراته عن المسرح لانه صاحب تجربة فى التعبير بالـــكلمة اذ مارس النقـــد والكتابة المسرحية فى بعض الصـــحف والمجلات الثقافية .

ولقد بدأ نعمان كتابة [المسرححياتى] بكلمة مطمئنة اكد فيها انه يطرح هـــذه الذكريات ليبحث فيها من مكوناته الفكرية والفنية من خلال السنوات التى سلخها من عمره فى مجال المسرح وقدر له ان يلعب فيها دورا مبكرا . ثم يدخل فى جذور علاقته بالمسرح محاولا البحث عن اصولها فى طفولته . ومن خلال ذلك يعطينا ما يشبه الدراسة الاجتماعيـــة لحياة الطبقة الوسطى انذاك — الاسرة التى تملك عربة وبيتـــا وارضـــا وتسافر الى القاهرة فى رحلات اسبوعية تشاهد فيها المسرحيات والافلام . ولكن ايـــن هذه الطبقة التى هيأت له فرص القراءة والسفر والمشاهدة سرعان ما يتحـــول الى رجل « شعبى » يحب الجموع ويستأنس بروحهـــا . واذا كان هناك شىء من التعسف فى ربط طفولته بفن المسرح كأنه يريد تقديم شهادة بدعمهة بالوثائق ، فان الكاتب لم يقدم تفســـيرا مقنعا لانتمائه الشعبى اللهم الا حبـــه للجماهير وللجموع الشعبية الصـــاخبة ولقد الح على هذا المعنى فى اكثـــر من موضع ولكن على نحو انشائى خالص، دون ان يقدم وشيجة واحدة تفسر عمق صلته بالجماهير ، ذلك ان حبه وحده لا يكفى لبناء موقففكرى مع الجماهير ،

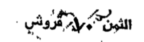
وحينما يصل الكاتب الى ما يســـميه بثورة ١٩٤٦ ويقول انها كانت استكمالا لثورة ١٩١٩ نراه لا يدعم هذا التسول الكبير بوثائق تعادله ، كل ما هنالك انه تتبع نشاط بعض مثقفى اليسار وذلك من خلاله هو نفسه كذات تحاول ان تجد لنفسها مكانا ، وزعم انالطاقة الثورية كانت من منطلق ثقافى بحت وهذا غير صحيح الى حدما ، صحيح ان مثقفى اليسار لعبوا دورا كبيرا ولكن الـــذى ساعدهم على انماء هذا الـــدور تلك القاعدة الشعبية العريضة التـــى كان المخاض يحركها ، والقرية التى ينتمـــى اليها كاتب هذه السطور على سبيلالمثال « شباس عمير بمحافظة كفر الشيخ » . شهدت قيام اربع جمعيات ثورية مكونة من الفلاحين المصريين والعمال الزراعيين كانت تقوم بنشاط ضد الاقطاع والسلطات الحاكمة وتهتف بسقوط الاحزابالرجعية والملك . وكن من الافضل ان يركز نعمان على « الموضوع » تركيزا اكثر كثافـــة وبشكل اكثر موضوعية ، خاصة وانه كان دائم التكرار بانه لم يكن عضوا باى من الاحزاب او الجمعيات السرية .

ومما يلفت النظر فى هذه المذكرات او هذه الزكريات . تضخم الجانبالذاتى لدى نعمان ، ففى حديثه عن مسرحياته الاولى بل عنمسرحياته كلها كان يؤكد بثقة لا حد لها انها لاقت نجاحا عريضا وخدمت الشباك ، وانها كانت الاولى من نوعها ، ومن الواضح ان مسألة ريادته للمسرح المصرى الحديث تحتـــل الجانب الاعظم من وجدانه ، ورغم ان الكثير من الدراسات النقدية اعترفت بهذه المسألة ، الا ان نعمان فى حديثه عنها اضفى عليها كثيرا مـــن الالحاح والتأكيد — لدرجة ان الذى يقرأ هذا الكتاب دون ان يقرأ مسرحيات نعمان او ماكتب عنها سيتصور لابد ان مسألة الريادة هذه موضوع شك كبير من جانب نعمان نفسه ، لقد كان صوته مرتفعـــا الى ابعد حد ، خاصة عند تعليقه على بعض المقالات التى هاجمته والتى اوردها فى كتابة مع ان الكثير من هذه المقالات كان يتسم بطابع انشائى ولا تحتاج الى تعليق منجانب الكاتب الا بقدر ماتثيره فيه من مشاعر . واذا لم تدفعه هذه العملية بقليل من الفجاجة فانها الجاته الى كثير من التطويل والترهل فىالحديث عن كل مسرحية على حدة . وكنت افضل ان يهتم نعمان بالكشف عن معاناته فى تاليف هذه المسرحات بدلا من انتهاز الفرصة والدفاع عنها بعد ان صارت حقائق ثابتة ، والقارىء ولوع بالوقوف علىأسرار عملية المعاناة وينفر منالحديث عن النفس .

ومما لا شك فيه ان الكتاب شيق وذو اسلوب رحينى وممتع . وسيظل مصدرا هاما لمن يريد دراسة نعمان . ســـيما وانه كشف فيه عن اصول كثيـــر من شخصياته الفنية .

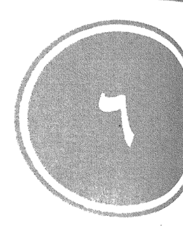
خيرى شلبى


مطابع الأهرام التجارية
القاهرة


الثمن
قروش

السنة الحادية عشره
يونيو ١٩٧٥





طريق المناضلين الى الفكر الثورى المعاصر

علم الجهل ...

... قومية لمساندة مصر [بيان]

د. حجازى :

قصة السوفيت مع مصر

■

رؤية نقدية لبيان الحكومة

توفيق الحكيم واليسار :

التقييم الجدلى .. لا الحسابى لثورة يوليو

■

لا طبقات فى الاسلام

«سوريا» من داخل «سوريا» [دراسة ميدانية]

ملحق الأدب والفن



مجلة شهرية

تصدر اول كل شهر

رئيس التحرير :

لطفى الخولى

مدير التحرير :

ابو سيف يوسف

سكرتير التحرير :

مصطفى سامى

المحررون :

حسين شعلان
خيرى عزيز
د. رفعت السعيد
عبد المنعم الغزالى
فاروق عبد القادر
وديع امين

د. محمد الخفيف
شارك فى تاسيس الطليعة
واسرة تحريرها
يناير ١٩٦٥ — مارس ١٩٧٢

الفهرس

العدد السادس — السنة الحادية عشرة — يونيو ١٩٧٥

ان « الطليعة » ميدان مفتوح لكل رأى حر وعى ايماننا ان تفاعل الآراء الحرة فى اختلافها هو وحده الذى يستطيع أن يبلور ويستخلص وحدة فكرية اصيلة .

من هذا المفهوم تفتح « الطليعة » صفحاتها لكل رأى لديه كلمة يقولها — مؤمنة بشعار الحرية المجيد الذى أطلقه فولتير فى القرن الثامن عشر « قد اختلف معك فى الرأى ولكنى على استعداد لان ادفع حياتى ثمنا لحقك فى الدفاع عن رأيك »

كلمة من « الطليعة »

بعد صدور العدد الماضي من «الطليعة»، فوجئنا ، بخاتم ادارة التوزيع بمؤسسة الاهرام يغطي رقم العشرة قروش ،سعر النسخة المعتاد المطبوع على ظهر الغلاف ويرفعه الى خمسة عشر قرشا .

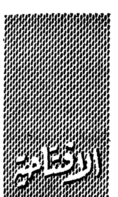
كانت مفاجأتنا فى أسرة تحرير « الطليعة » بحجم مفاجاة القراء تماما . هرعنا الى الادارة نسأل ونحتج .

وقيل لنا ان المؤسسة كانت قد قررت — بعد حساب التكاليف المرتفعة — رفع سعر النسخة . واعتذرت المؤسسة بأنه حدث خطأ من جانبها فى عدم ابلاغ أسرة التحرير بذلك ، او التشاور مع رئيس التحرير الذى كان مريضا .

حاولنا بعد ذلك مناقشة العودة الى السعر القديم ، ولكن المؤسسة واجهتنا بارقام حساب التكاليف التى تضاعفت اكثر من مرة .

وأسرة « الطليعة » تود أن يتعرف قراؤها وأصدقاؤها على الحقيقة، ويقبلوا عذرها . وفى نفس الوقت تلح فى طلب مؤازرتهم ودعمهم فى مواجهة أى مفاجآت جديدة تطل من جراب سيف حساب التكاليف .

أسرة تحرير « الطليعة »



علـــم الجهـــــل

من حق « ذلك » اليمين المتخلف الذي طفح على سطح مجتمعنا ، في السنوات الأخيرة ، ان نسجل له — ربما على مدى التاريخ المعروف للانسانية — الريادة في ابتكار علم جديد غير مسبوق ، هو « علم الجهل » . أو بتعبير آخر «علمنة الجهل» .

صـــحيح ان اليمين المتخلف ، ظـــاهرة طبيعية ، في كل مجتمع وفي كل عصر . تتواجد — بدرجات متباينة — كقوة معادية لأي تغيير أو تطوير ، حتى ولو كان تغييرا وتطويرا راسماليا بحتا .

وصحيح أن الجهل ، سواء على مستوى الافراد أو الطبقة ، كان باستمرار ، أحد السمات المميزة لليمين المتخلف : كيانا وفكرا وحركة . حتى أنه يرى في تصنيع البلاد ، كارثة وطنية . من حيث أنه يبذر في جسم المجتمـــع « جراثيم » العمال ونقـــاباتهم « الشريرة » .

وصحيح أيضا ، أن اليمين المتخلف ، يتمتع بنوع من الذكاء البدائي الخـــاص ، مستمد من « غريزته الفهلوية » التي تشحذ داخله حاســـة مميزة تمكنه — في مجال النهب الجشـــع — من « أن يشمها وهي طـــايرة » ، ومن « أين تؤكل الـــكتف » . وتساعده — في مجال الزلفى والنفاق — على سرعة تغيير جلده كالأفاعي ، تجسيدا لقيمة من أهم قيمه الأخلاقية : « اللي يتجوز أمي اقول له ياعمي » .

لكن يبقى ، رغم هذا كله ، أن نضع في اعتبارنا خمس ملاحظات عند الحديث عن اليمين المتخلف المعاصر في بلادنا .

اولى هذه الملاحظات ، أن اليمين المتخلف ينمو ويذهر في واقعنا ، في الوقت الذي يذوي ويأفل ، في كل أنحاء العالم ، بحيث لم يعد له ســـوى جيوب صـــغيرة ، تلفظ

انفاسها الاخيرة ، في عدد محدود من بلادآسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية . ولا يتم ذلك بفعل القوى والاتجاهات الاشتراكيةوحسب . وانما بقوة الرأسمالية الوطنية المستنيرة خاصة ، وبفعل حركة التحرر الوطنى عامة .

الملاحظة الثانية ، أن اليمين المتخلف ،قد نما كالاعشاب الطفيلية في حقلنا ، بعد هزيمة ١٩٦٧ ، التي كانت — وما تزال الى حد معين — تمثل انتكاسة خطيرة لمسار حركة التحرر الوطنى وابنيتهاالاقتصادية المستقلةوالاجتماعية التقدمية . كما كشفت في الوقت ذاته ، عن نواقص وسلبيات الحركة .

وفي ظل هذا المناخ ، نشط اليمين المتخلف الى التآمر على تغطية النواقص والسلبيات الحقيقية ، والتى تتركز فيغياب الديمقراطية الشعبية — واكرر الديمقراطية الشعبية بالذات — وفي عدم الحسم لمسار الحركة نحو مزيد من التنمية المستقلة ونحو مزيد من التغييرات الاجتماعية ذات الافاق الاشتراكية .

واخترع اليمين المتخلف ، « بغريزته الفهلوية » ، وضيق افقه الفكرى .. فضلا عن رجعيته ، نواقص وسلبيات وهمية وزائفة ، تطعن حركة التحرر السياسى والاجتماعي في أسسها وأصولها . فراح يتحدث عن خطأ وعدم جدوى التأميم والقطاع العام وقيادته لعملية التنمية ..وعدم شرعية الاعتراف بالوزن الاجتماعى والسياسي لجماهير العمال والفلاحين الصغار والمعدمين. وعدم سلامة العلاقات مع الاتحاد السوفيتى في مجال التصنيع وفى مجال اعادة بناء القوات المسلحة ، بالنسبة للاستقلال الوطنى !

الملاحظة الثالثة ، تخلص في أن اليمين المتخلف في بلادنا ، تهيأت له ظروف استثنائية مواتية . فمع الهزيمة وصعوباتها الاقتصادية وآلامها الطاحنة ، تولدت سوق سوداء واسعة لكثير من السلع وخاصة المواد التموينية ، صاحبتها شروخ سياسية واجتماعية عديدة أضعفت — نسبيا ووقتيا — من حركة التحالف الوطنى التقدمى . واقتنص اليمين المتخلف الفرصة ليغدو فارس السوق السوداء في مرحلة الجذر . وهكذا في بحر الصفقات التجارية ذات العمولات عاد « سمك القرش » ينهش لحم الناس الحي دون حياء أو ردع .

الملاحظة الرابعة ، تكشف عن أن اليمين المتخلف ، وهو محدود العدد ضعيف الوزن سياسيا ، قد تمكن بأساليب متعددة ، فيمقدمتها الرشوة بمختلف صورها ، أن يركب اجتماعيا وسياسيا اكتاف الفئات العليا من اغنياء الريف والبرجوازية البيروقراطية . وهي فئات تملك ثقلا أصبحله حجمه المؤثر في دوائر تتسع نسبيا — في المجتمع واجهزة الدولة على السواء .ومن هنا عوض اليمين المتخلف قوته المحدودة ، بقوة مضافة تمسك — منذ هزيمة ١٩٦٧ أساسا — بمفاتيح لها اهمية عملية في مجالات اقرار السياساتوتنفيذها .

بيد انه مع هذا كله — وهذه هي **الملاحظة الخامسة** — ظل اليمين المتخلف مهددا ومكشوفا ، أمام عمليات التعرية الفكرية والاجتماعية التي يقوم بها — ضده — من مواقع مختلفة ، كل من البرجوازية الوطنية والرأسمالية المستنيرة والتكنقراط المرتبطين بحركة الانتاج والتطوير ، فضلاعن جماهير العمال والفلاحين والمثقفين الثوريين. خاصة وأن حركة التحرر الوطنى، منذ ثورة ١٩١٩ بعد الحرب العالمية الاولى ، والى أن بلغت مرحلة متقدمة ومنفتحة عربيا وعالميا بعد قيام ثورة يوليو ١٩٥٢ ، قد عمقت ووسعت من نطاق الوعى الجماهيرى العام بخطر الجمود والانعزال عنمجرى حركة التقدم الانسانية: اجتماعيا وفكريا وتكنولوجيا .

وتيقن اليمين المتخلف ، بعدم قدرته ــ رغم تحالفاته ــ على ان يتصدى لهذا التيار المتصاعد للوعى الجماهيرى . فهو مفلس فكريا . وافلاســه يأتى كنتيجة طبيعيــة لتحجره الاجتماعى ، وانعزاله فى « جيتوطفيلى » عن مسار حركة تجدد الحيــاة وتطورها الانتاجى والعلمى . واذا ماأطلق لنفسه عنان التعبير المباشر عن آرائه وأفكاره ، فضح مراميه غير المشروعة على نحو حاد يبلور وحدة عمــل بين القــوى المستنيرة والمتقدمة على اختلاف منابعهــا الاجتماعية والفكرية حتى ليجد الراسماليون المستنيرون انفسهم جنبــا الى جنب مــع الماركسيين فى هــذا الاطار . كمــا تثير افكاره الفجه موجات واسعة من السخط والسخرية وسط الجماهير الشعبية على نحو تراجيك ــ كوميدى ، اذا جاز لنا أن نستخدم لغة المسرح .

مثلا .. فى احــدى جلسات الاستماع [مارس ١٩٧٥] التى اعتادت لجنة الاقتراحات والشكاوى فى مجلس الشعب عقــدها ، ، وقف أحدهم ، يطالب بفتح باب البلاد دون أى قيود أمام الرأسمال الاجنبى وبتصفية القطاع العام بحيث يتحول الى القطــاع الخاص ٩٥ ٪ منه على الاقل . وأن يترك مجال التجارة والاستيراد والتصــدير ــ وهذا مربط الفرس عند اليمين المتخلف ــ مفتوحا على مصراعيــه بحرية تامــة . وتساءل : « هل هناك من ينهب ؟ وماله ! هل ستفلس شركات وبنوك وطنية ؟ فى ستين داهية ! » . وحــين نبــه الى انما يدعو اليه مخالف للدستور ، احتد قائلا : « اذن نغير الدستور . هو الدستور نزل من السماء ! » .

وفى احدى جلسات اللجنة السياسية للاتحاد الاشتراكى العربى خلال عام ١٩٧٢ وقف من يقول بأن السبب الرئيسى لهزيمة ١٩٦٧ هو ابتعاد المجتمع عن الله وتعاليم الاسلام . وحين سئل : كيف ؟ قال : « من يوم أن عرف القرش طريقه الى جيــوب الفلاحين والصنايعيه ، ووجد من يزن فى رؤوسهم أنهم قوة وقيادة وأن لهم حقوقا مهضومة الى آخر كل هذا الكلام الهدام .. استأسدوا على كبارهم وأولياء نعمتهم . ومن يطاول رؤوس الكبار واولياء النعمة ، يخرج عن طاعة الله . ومن يخرج عن طاعة الله تنزل به الهزيمة ! فى بلدنا يقف الولد الجلف ابو جلابية مطينة ، وكله على بعضه لا يساوى ثلاثة أبيض اقرش ونصف قرش] يعوج لك الطاقية فوق رأسه ويقول لــك تعالى هنا قل لى ... والله لولا انى رجل مؤمن لقلت ان القيامة قامت ! » .

● ● ●

أمام هذا العجز المخزى ، الذى يعبر عن غيبوبة فكرية واجتماعيــة عن واقع الحيــاة والعصر ، ناهيــك عن المستقبل وآفاقه ، أحست بعض عنــاصر اليمين المتخلف ــ وخاصة تلك التى اتيح لهــا الاحتكاك بالعالم الخارجى من خلال صفقات الاستيراد والتصدير ــ بالحاجة الى نوع خاص من « المثقفين ــ الترزية » الــذين يملكون مع مخزون عدائهم لحركة التحرر الوطنى بأبعادها الديمقراطية والاجتماعية التقدمية ، بعض القدرات الفكرية ، على تقديم صياغات تبدو وكأنها ذات مســحة علمية ورنين ثقافى .

ولقى اليمين الطفيلى المتخلف ، بغيته ، فى مجموعة من المثقفين الطفيليين أيضا . ونقصد بهم بعض أولئــك الذين عاشوا ازمنا فى خدمة ورعاية القصر الملكى وكبار ملاك الاراضى والرأسمالية الكمبرادورية ، راوا نهاية العالم فى سقوط هذه القوى . وكذلك بعض اولئك الليبراليين القــدامى الذين هزهم بركان ثورة يوليو وخاصــة بعد الاجراءات الاقتصادية والاجتماعية فى ١٩٦١ ، ففقدوا التوازن والقــدرة على التكيف مع حركة الواقع التاريخية ، وآثروا الهــروب الى مواقع الثورة المضــادة " باساليب مباشرة وغير مباشرة .

وظل هؤلاء المثقفون الطفيليون ، ليس فقط على هامش حركة التاريخ والمجتمع بل وعلى هامش أقرب الطبقات الاجتماعية اليهم ، وهى طبقة البرجوازية الوطنية المنتجة . نافين انفسهم خارج الواقع ، حسا وجسما ، حتى وقعت هزيمة ١٩٦٧ فعادوا يتنفسون مناخها ويستجمعون مع عودة ظهور اليمين المتخلف فلولهم . وذلك بشيء كثير من الحذر القلق فى البداية . حتى اذا ما بدأ الشعب وقواته المسلحة اولى خطواتهما فى عبور سنوات الهزيمة فى اكتوبر ١٩٧٣ ، وظهر أن القوى الجماهيرية بقدراتها الانتاجية والمسلحة ، تعيد بث طاقة الحرارة الفاعلة فى مسار حركة التحرر الوطنى ، حتى تنادت العناصر القيادية لكل من اليمين المتخلف الطفيلى والمثقفين الطفيليين الى التآزر والتكاتف فى محاولة للقيام بعبور مضاد . وهى المحاولة الجارية الان .

من هذا التفاعل المرضى بين وباءين ، وسط تلك الظروف الاستثنائية الصعبة فى مجتمعنا ، والتى لا يمكن الا أن تكون عابرة ووقتية ، بحكم تناطحها مع جموع الشعب وقواه الانتاجية والمسلحة ومسار حركة التاريخ ككل ، ابتكر هذا العلم الجديد .. علم الجهل ، الذى يمارس اليوم فى عدد من المجالات السياسية والصحفية والثقافية فى بلادنا .

• • •

ومن الصعب ، اذا صح هذا القول ، أن يحيط المرء بكل الركام النظرى والتطبيقى بشأن قضية « علمنة الجهل » . فقد أصبحت على نحو من التعدد والتنوع ، فى الكم والنوع ، الى حد لا يسمح بمتابعة تفصيلية . بالاضافة الى ضيق المجال وصعوبة القضية ومخاطرها فى نفس الوقت .

ومع ذلك يمكن ، فى حدود ماهو متاح ، أن نركز على أربعة خطوط .

الخط الاول ، هو تبيض وتجميل وجه اليمين الطفيلى المتخلف . واعادة عرضه فى صورة الضحية والمجنى عليه .. سرقت أمواله عن طريق التأميم والقطاع العام ، فظل يكدح ويعرق ويعقد الصفقات فى الخفاء وبالواسطة حتى عوض ثروته المؤممة أضعافا مضاعفة . وبدل المليون جنيه المصادر ، أصبح يمتلك عشرة ملايين .

وتقدم فى هذا الاطار مجموعة مختارة من قصص النجاح المثير تدق من حول أبطالها الطبول فى الصحف وتؤلف الكتب تحت رعايتهم ويروى التليفزيون — بالصوت والصورة — حكاياتهم .

و « علمنة الجهل » هنا تستهدف تصوير أن التأميم — فى حقيقته — ليس وسيلة من وسائل تصحيح العلاقات الاجتماعية والحد من الاستغلال وتصفية امتيازات فئة قليلة على حساب الغالبية الساحقة من الشعب ، كما هو معروف ومتواضع عليه فى العالم كله بما فى ذلك العالم الراسمالى . وانما هو عملية سرقة ونهب لمال حلال .

فى حين تصور نجاح المضارب فى عقد صفقات الاتجار فى السوق السوداء والتصدير والاستيراد مع مايحوط بها من رشوة وعمولات غير مشروعة يدفع الشعب ثمنها فى ارتفاع أسعار احتياجات معيشته اليومية ، كدحا وشطارة وعرقا شريفا . وبالتالى نموذجا صالحا لاقتداء الجيل الجديد به .

الخط الثانى ، يقوم على أساس أن «وطنية» المصرى تتحدد على أساس الاختيار

الحاسم بين « المصرية » وبين «الاشتراكية». فالمصري ، من دون خَلق الله في بـلاد العالم، لا يحق له أنيكون وطنيا واشتراكيانى وقت واحد .

لمـاذا ؟

يقول فلاسفة علمنة الجهل ، ان الولاءللاشتراكية هو ولاء نحو فكروتيم مستوردة غريبة عن القيم والتقاليد المصرية الاصيلة.وبالتالى فالاشتراكى أو اليسـاري عموما يفتقد الاصالة والوطنية المصرية .

واذا ما سألتهم عن الموقف المصرى منالبمين والمواطن الراسمالى .

اجابوك ، بحيـدة العلماء وصرامتهم :أعلم ، انكَ لكي تبقى مصريا أصيلا يجب أن تنأى بنفسك عن اليمين واليسار .. عنالرأسمالية والاشتراكية . ذلكَ أن مصر لا تعرف الا المصرى وفقط .

تحاورهم — على قدر علمك — فتقولأن مصر وطن . أما اليمين أو اليسار فهو موقف اجتماعى وفكرى وسياسى داخـلالوطن .

يردون : هذه هى الخيانة بعينها . فىمصر من يملك الملايين كَمن يملكُ الملاليم.. ومن يسكن الكوخ كمن يسكن القصر ..كلاهما مصرى .. لا فرق ولا تمييز .. من واجبهما أن يعيشا معا فى حب وسـلامواحترام متبادل الى ابد الابدين راضين بما قسم لهما ، آملين فى خير الوطن .

تقول : لكن هذه التمايزات الاجتماعيةالغير عادلة ، لابد وان تفجر الصراعات بين المالكين والمعدمين ، بين المسـتغلينوغير المستغلين كما حدث ويحدث فى كلّ وطن على هذا الارض . وبالتالى لا يتحققالحب والسلام بين أبناء الوطن الواحد الا عندما يتطهر الوطن من استغلال الفئـةالصغيرة للجماهير العريضة .

يصرخون : هذا هو الكفر الشيوعى ،الذى ربما يساوى بين بطون الناس فى حياتهم المـادية . ولكنه يسلبهم حيـاتهمالروحية ومشاعر الحب والوطنية !

تجادل : هـل الوطنيـة تعنى قبـولالاستغلال والرضى به ؟

يصفعونك بحكمتهم : الوطنية هى قبولالوطن بكل خيره وكل شره . وانت وحظلك فى الحياة !

الخط الثالث ، يتمثل فى العـزف علىنغمة أن الحـرية التى تتيح للمواطن أن يصرخ فى وجه الحاكم .. دون أن ينالهعقاب ، هى حـق من حقوق الانسان الطبيعية . وهذا صحيح . لكن « فقهاء علمالجهل » يزيدون : ان هذا الحق الانسانى هو وحده أثمن مافى الوجود . بما فىذلكحياة الانسان نفسه .

كتب احدهم — أخيرا — يقول : « اذاخيرت بين الحرية وبين الحيـاة ، آثرت الحرية » .

ولا ندرى كيف تكون الحرية ، بل وماجدواها أصلا لانسان مات .

تقول لهم : ان الحرية ليست مجرد حلية يتزين بها الانسان ، وليست مجرد صراخ لا صدى له اجتماعيا وسياسيا فى وجه الحاكم . وانما هى ممارسة واعية ومسئولة لانسان حى يناضل من أجل تحقيق انسانيته روحيا وماديا ، وتجسيد ارادته فى بناء وطن متقدم متحصن ضد الاستغلال ، وعالم يسوده الاخاء والسلام . ومن هنا فالحرية الانسانية ، فى وطننا وعصرنا وعالمنا ، هى حرية النضال ضد النظام الرأسمالى الاستغلالى وبقايا الاقطاع وضد الامبريالية والعنصرية والحرب العدوانية ..

يقولون : هذه ليست حرية بل تخريب . فاذا كانت الحرية لا تجبر العامل على بيع قوة عمله الى الرأسمالى . فان هذا الرأسمالى من حقه ان يمارس حريته فى تحديد اجر العامل أو رفض تشغيله . وكذلك حريته فى توسيع نشاطه ومضاعفة ثرواته واستغلالها كيفما يشاء ، حتى ولو احرقها .. فهو حر !

والخط الرابع ، يتجه الى التبشير بأن العالم قد تخلص تماما من الامبريالية والاستعمار . وانه لم يعد هناك فواصل بين عالم اشتراكى وعالم رأسمالى . وأن مايسمى بالوفاق الدولى قد ازال كل الفروق بينهما . بحيث أن الاتحاد السوفيتى الاشتراكى ، أصبح كالولايات المتحدة الرأسمالية . كل منهما دولة نووية عظمى و « بس » . ولهذا فلم يعد هناك موجب للتفريق بينهما خلال التعامل مع أى منهما أو التمييز ، الذى درجنا عليه ، بين صديق هو الاتحاد السوفيتى وعدو هو أمريكا . ان فى هذا جمود عن مسايرة المتغيرات الجديدة التى طرأت على العالم مؤخرا .

تتساءل فى البداية : هل اسرائيل : صديق ام عدو ؟

يرمقك دهاقنة « علمنة الجهل » بنظرة ارتياب . ولكن مع اصرارك على السؤال يجيبون بشق الانفس : عدو ؟ وماذا فيها ؟

تقول : هل يمكن أن نساوى بين من يسلح عدونا للاعتداء علينا واحتلال اراضينا وقتل شعبنا وبين من يسلحنا للدفاع عن أنفسنا ؟ هل يمكن أن نضع على قدم المساواة بين من ضرب من حولنا حصار الجوع ورفض تقديم أى مساعدة لبناء اقتصادنا الوطنى ، وبين من قدم لنا العون والمساعدة لبناء صرحنا الصناعى من السد العالى الى مجمع الحديد والصلب الى ترسانة السفن الى مئات من المصانع المتعددة الانواع .

يجيب خبراء علم الجهل : عدنا الى الاسطوانة القديمة .. ان الاتحاد السوفيتى لم يساعدنا اويسلحنا حبا فى سواد عيوننا ، وانما ليستعمرنا ايديولوجيا . بل انه هو المسئول الاول ، بصفته البلد الشيوعى الكبير ، عن قيام اسرائيل . فالشيوعية والصهيونية وجهان لعملة واحدة . الاولى نادى بها يهودى هو **كارل ماركس** . والثانية نادى بها يهودى آخر هو « **هرتزل** » . وكلتاهما — الشيوعية والصهيونية — فى خدمة اليهود .

تقول : لكن « ماركس » اشتراكى علمى ندد بالعنصرية اليهودية وطالب اليهود بأن يتحرروا من يهوديتهم ويندمجوا فى أوطانهم التى ولدوا وانتسبوا اليها ويشاركوا الشعوب فى حركتها الساعية للتحرر والاشتراكية . فى حين أن « هرتزل » عنصرى متعصب استعمارى النزعة وكانت الحركة الصهيونية التى قادها — وما تزال — رافدا متميزا من روافد الحركة الامبريالية .

يهمسون بثقة العلماء : لا تصدق .. كلهم يهود ..

تسأل ؟ .. وكيسنجر ؟

يجيبون باحتجاج : لا .. هذا شيء آخر .. هذا أمريكي مخلص .

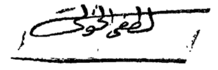
فاذا رفعت علامة استفهام : مخلص لمن ؟ قطعوا الحوار وصاحوا : لا فائدة من النقاش ، انت مزايد !

• • •

هذه بعض الخطوط البارزة فى منطق « علم الجهل » الذى ابتكره تحالف اليمين الطفيلى مع مجموعة المثقفين الطفيليين . وذلك فى سبيل توفير أساس فكرى وغطاء شرعى لحركة تلك الفئة المحدودة التى تسعى الى اهتلاب الفرصة لحصر الثروة والسلطة فى يدها ، فى بلد مايزال متخلفا ، ويعانى بدرجة حادة من صعوبات وتضحيات الحرب . ذلك أنه فى مثل هذه الظروف يضغط اليمين المتخلف مع الفئات العليا من البيروقراطية فى اتجاه جعل الدولة مجرد مؤسسة لنقل الثروات الى جيوب الاغنياء . وفتح أبواب التجارة وخاصة فى مجال التصدير والاستيراد ، والمضاربات العقارية ، للاثراء الفاحش وتكوين الثروات الطائلة بسرعة ودون ما جهد انتاجى .

والمعروف — تاريخيا — ان هذا الاتجاه بميادينه المتعددة ، له رصيد تقليدى كبير فى البلدان المتخلفة . فمنذ القدم كان الاغنياء الطفيليون يستغلون مراكز النفوذ فى وظائف الدولة ويمارسون دوما التجارة وبيع وشراء العقارات ويتعاملون بالربا والرشوة والسمسرة كأعمال شريفة ومحترمة .

الجديد فى الامر ، أن هناك محاولة لاقناع الجماهير الشعبية والبرجوازية الوطنية والتكنقراط ، بأن هذا الاتجاه الطفيلى ، هو أسلم الاتجاهات لنمو الاقتصاد الوطنى وازدهاره . ومن هنا كانت جهودهم المحمومة فى سبيل « علمنة الجهل » .



■ وثيقــة عمــل سيـــاسي ■



جاءنا البيان التـــالي من « اللجنـــة القومية لمساندة الشعب المصري » التي تكونت من مبادرات عدد من القيـــادات العربية الوطنية والتقدميـــة ، من بينهم صـــلاح البيطـــار وكمـــال جنبـــلاطوتقي الدين الصلح واديب الجادر وصديق شنشل وعبـــد الله الطريقي وجاســـم القطامي .

وتنطلق اللجنة في مبادرتها من مفهوم « الواجب القومي » تجاه نضال وتضحيات الشعب المصري وقواته المسلحة من اجل القضية العربية ككل بمختلف ابعادها .

وتتصور اللجنة أن تقوم بممارسة أعمالهـا ـ في البداية ـ من خلال القيام بمجموعة من الاتصالات المباشرة مع المســئولين والقيادات الوطنية في البلاد العربية ، طارحـــة من حســـابها كل العقـــد والحساسيات ، على أســـاس تنـــاول الموضوع على المستوى القومي . وهـــو المستوى الذي يقوم على « تفهم حقيقة دور مصر النضالي والقيـــادي على مر الزمن وحقها على البلاد العربية كلها . وواجب البلاد العربية في تعزيز صمودثلث الامة العربية حتى ينعكس عليهـــا جميعا » .

بيـــان الى الأمـــة العربيـــة

بين متطلبات المرحلة الراهنة من مراحل النضال العربي التي بدأت مع حرب رمضان [تشرين الاول ١٩٧٣] هناك مطلب عاجل ملح ، تتوقف على تلبيته أمور أخـرى مصيرية .. هذا المطلب هو نجـدة مصر العربية ، قلب وطننا العربي ، بدعم مالي من الثروات العربية يمكنها من تجاوز الازمة الاقتصادية التي تعاني منها . واننا كلما اعملنا الفكر،وكيفما تلبنا النظر فياوضاعنا العربية الحاضرة نجد أنفسنا أمام أولوية هذا المطلب تدعونا للقيام بمبادرة حاسمة سريعة .

لم يعد سرا ما تعانيه مصر العربية من أزمة اقتصادية خانقة في هذه الفتـرة . فالاخبار عن هذه المعاناة ترد متتـالية ، وتصريحات المسئولين اشارت اليها مرارا ، والدراسات العلمية بينتهـا بـالارقام ، ومظاهرها اليومية تبدو في حياة شعبنا العربي في مصر وتقلق كل عربي . لقد بات معروفا أن في مصر ازمة غذاء لابد من تداركها قبل أن تتفاقم ، وفي مصر أزمات أخرى عدة في مختلف مجالات الحياة تمس كرامة الانسان ، وشعبنا العربي في مصر يتحمل هـذه الازمات بصبر وجلد مغالبا الآلام .

واضح أنه لا يضير مصر العربية المحاربة وقد خاضت بشرف حرب رمضان وتحملت ما تحملت من أعباء الدفاع عن الوطن العربي ان تخرج من الحرب بمتاعب اقتصادية ، وبجراحات تمثل اوسمة شرف للمحارب . وواضح أيضا انه ليس لنا أن نفاجأ بحقيقة أوضاع مصر الاقتصادية ونحن نعرف حجم النصيب الكبير الذي وقع على كاهل مصر

من واجبات النضال العربى عبر سنوات طويلة ، ونهضت بمسئولياته برضى وعلى الخصوص منذ نكسة ١٩٦٧ • ويكفى أن نتذكر الرقم الذى أنفقته الخزانة المصرية على القوات المسلحة خلال السنوات السبع الماضية والذى تجاوز سبعة آلاف مليون جنيه •

اننا حين نضع هذا المطلب على رأس متطلبات المرحلة الراهنة فمن موقع الادراك والوعى لمكان مصر ودورها فى وطننا العربى ، فمصر فى موقع القلب من وطننا الكبير ، وقد أهلتها عوامل الجغرافيا والتاريخ لتقوم بدور حضارى هام ، وتسهم فى عطاء العرب الحضارى ، ولتحمل العبء الاكبر فى معارك أمتنا من أجل التحرر والتقدم والبناء •

كما أن مصر هى قاعدة النضال العربى وقلعته الحصينة ودورها معروف فى تدفق موجة التحرير فى وطننا العربى وفى العالم الثالث • وانه لا انتصار على أعدائنا فى مجابهتنا لهم ، ولا بناء لمستقبل وطننا ، ولا وفاء بمتطلبات دورنا العالمى الا بمصر العرب قوية عزيزة •

انطلاقا من هذا الوعى والادراك يتحدد المعنى الحقيقى لدعوتنا لنجدة مصر • فهذه الدعوة ليست أمرا ثانويا وانما هى آمر جلل مصيرى • وهى ليست دعوة الى التفضل على مصر وانما هى أداء لواجب قومى • وان كل ما يمكن أن يقدم من دعم مالى عربى لن يوازى اسهام مصر الحضارى وعطاء أبنائها بالنفس والمال • كما أن الاخلال بهذا الواجب القومى عربيا يعنى تعريض الوطن العربى كله للخطر •

ولابد لنا ونحن فى معرض توجيه هـذه الدعوة الى الاشارة لما قدمته مصر وسوريا كجزء من الامة العربية ككل فى حـرب رمضان المجيدة ، والى ما كان من مردود خوضنا الحرب على زيادة ثروتنا العربية والنفطية منها على الخصوص •

كما لابد لنا من الاشارة لذلك التضامن العربى الذى تجلى فى حرب تشرين بدخول الاكثرية الساحقة من الدول العربية ساحة القتال أو ببذلها المال أو باستخدامها سلاح النفط ولمردوده على ذلك النصر الذى تحقق للامة العربية •

ولهذا ، فاننا ، ونحن نوجه هذه الدعوة انما نستوحى روح تشرين [اكتوبر] التى اثبتت فاعلية هـذا التضـامن ، وتقتضى استمراره لتعزيز الصمود الاقتصادى لشعبنا فى مصر بصرف النظر عن الخلافات السياسية القائمة بين الحكومات العربية ، وبصرف النظر عما يعرض من خلاف حول اجتهادات وممارسات النظام فى مصر بشأن تطور القضية الفلسطينية •

اننا ، ونحن نتطلع فى المستقبل القريب نرى دورا كبيرا ينتظر مصرنا العربية ونثق أنها ستؤديه على الوجه الاكمل بعد أن تتجاوز أزمتها الاقتصادية ، دورا يؤدى الى مشاركة عربية لمصر فى حمل أعباء المعركة ماليا ، والى مشاركة عربية مع مصر فى قيادة المعركة ، مشاركة تكون من شأنها تعزيز التفاهم والتضامن والالتحام العربى ، وتعميق الخط العربى الاصيل فى اطار رؤية واضحة لقضيتنا المصيرية وتحديد أدق لاهداف المعركة التى تخوضها والتقاء موحد حول استراتيجية هذه المعركة ، حيث لا مفر من ان نستجيب لقدرنا : ان يدافع الكل عن الكل ، كل العرب عن كل العرب •

واننا ندعو من أجل ذلك الى نجدة عاجلة نقدية لمصر لا تقل عن ما يعادل ألف مليون جنيه مصرى خلال عام ١٩٧٥ تساهم فيها الدول العربية النفطية على الخصوص •

وتحية لمصر العرب ولشعب مصر العربى من كل العرب وهم يرددون أنشودة محبة مصر ، ويعبرون عن ذلك بالبذل •

كلمـــة
الطليعـــة

فاجاتنا الصحف — دون سابق انذار — بان قرارا قد صدر ، يعطى المواطنين حق الاشــتراك فى ملكية شركات القطاع العام . وحين قرانا هــذا الخبر ، كانت « الطليعة » تتاهب للطبع ، ولذا لن نتمكن — للاسف — من تقــديم عرض متكامل لوجهــة نــظرنا ، وسنكتفى بعرض موقفنــا ، فى ايجاز ، ودون انفعال .

لمـــاذا نعـــارض بيـــع أســـهم القطـــاع العـام ؟

■ ماذا يقول القرار ؟

يقول القرار بزيادة رأس مـال الشركات التى يملكها القطاع العام عن طريق أسهم جديدة تطرح للاكتتــاب . وتــكون اولوية لاكتتاب فيها للعاملين فى الشركة التــى تطرح أسـهمها ، فاذا لم تتم تغطيتها خلال شهر من تاريخ اصدارها يطرح ما تبقى منها للاكتتاب العام بين المواطنين .

ونبدأ هنا بأن نقرر الحقيقة الواضحة ،وهى أن اعطاء الاولوية فى شراء الاسهم للعاملين فى أى شركة ، هو مجرد مسألة شكلية ، فالاغلبية الســاحقة من العاملين لا تجد فائضا تشــترى به حذاء وليس سهما . وحتى بالنسبة للادارات العليا فان الشرفاء منهم ، والذين يعيشون على مرتباتهم ، لن يجدوا فائضا كبيرا فى حوزتهم . وعلى ذلك فان الاكتتاب الحقيقى سيكون لاناس من غير هؤلاء العاملين الكادحين . وقد نشر أن الحد الاقصى المسموح به للشخص الطبيعى « من الاسهم الجديدة والقديمة » هو ١٠ آلاف جنيه ، ولكن لم يوضح اذا ما كان هذا هو الحد الاقصى لقيمة الاسهم التى يجوز للفرد أن يملكها فى كل الشركات ، أو أن هذا هو الحد الاقصى الذى يجوز امتلاكه فى شركة واحدة . كذلك فان الحــد الاقصى المسموح به للشخص يعنى أن بوسع الاسرة أن تحوز أضعاف هذه الكمية . ثم ما هو الضمان أصلا فى ظل التسيب الحالى ؟ أن

يلتزم أصحاب الملايين بهذا السقف ؟ هل ستكون الاسهم اسمية ؟ واذا لم تكن مسجلة باسم صاحبها وانما ستطرح للتداول في سوق الاوراق المالية ، فمن سيتابع التداول وانتقال ملكية الاسهم ؟ وكيف سنتدخل «تدخلا مشينا» في محاسبة الناس في ظل « الانفتاح » ؟! ان هذا الحد الاقصى الذى يتحدث عنه لن يراعى فى الواقع ، وبعد فترة سيقال لنا لنكن واقعيين ، ولاداعى لمثل هذه القيود السخيفة ، وستكون فعلا سخيفة لانها غير واقعية !

ثم ماذا عن المستعدين للاكتتاب بنقد اجنبى ؟ لم تنشر الصحف شيئا عن هذا « والنشر عن كل هذا القرار الخطير واجراءاته يتم بالقطارة ، أى ان الحكومه لم تكتف بالمباغتة ، ولكن أيضا تحبس بعض المعلومات ، أو على الاقل لا تفرج عنها كلها كى تتضح كل أبعاد الصورة » ، ولكننا نعتقد - على أى حال - أن منطق الامور سيدعو الى اعطاء أولوية خاصة لمن يكتتب بالنقد الاجنبى ، فالقرار يقوم على أن هذه الشركات تحتاج الى تمويل توسعاتها ، وتحتاج الى سيولة تستخدمها فى استيراد مستلزمات انتاج وهكذا .

فاذا أعلن بالفعل ان الاولوية فى الاكتتاب ستكون للمواطنين الذين يكتتبون بالنقد الاجنبى ، فان الخطوة الطبيعيه التالية ستكون : وماذا اذا لم تكف مدخرات المصريين بالنقد الاجنبى ؟ لابد اذن من السماح للاخوة العرب ، والمستثمرين الاجانب بالمشاركة ، وهذا هو معنى « الانفتاح الاقتصادى » . ولسنا فى هذا نستخدم استنباطا تعسفيا ، او نسبق الاحداث . فالاقتراح الذى كان **الدكتور أحمد أبو اسماعيل** قد تقدم به الى مجلس الشعب عام ١٩٧٣ « فى تقرير لجنة الخطة والموازنة وكان رئيسا لها » هذا الاقتراح كان يقول « لماذا لا نفتح الابواب أمام الاستثمار العربى فى الانتاج المصرى بالمساهمة فى شركات القطاع العام . ان « الانفتاح الاقتصادى لابد أن يعنى فتح أبواب الاستثمار أمام رأس المال العربى فى جميع المجالات » ... « انه من الممكن فتح باب للاستثمار الخاص « العربى والمصرى » فى ٤٩ فى المائة من أسهم هذه الشركات » .

هذا هو مصير القرار فى التطبيق ، ودعونا من حكاية أولوية الاكتتاب للعاملين فى كل شركة .

● لماذا القرار ؟

هناك حجج ثلاثة تقدم :

الاولى - زيادة رأس المال وتوفير السيولة ، وبدلا من تحمل الدولة لهذا العبء ، يمكن للافراد المقتدرين أن يساهموا فى تقديم الاموال المطلوبة . ولو كان هذا هو الهدف الحقيقى - وليس تغيير نوع ملكية الانشطة الاقتصادية ، أو تصفيه الدور المتميز للقطاع العام فى ادارة الاقتصاد القومى - لو أن المسألة مجرد حل مشكله مالية ، لكان ممكنا أن تلجأ الدولة ، أو حتى شركات القطع العام مباشرة ، الى الاقتراض الخارجى والداخلى ، وطرح سندات عند الحاجة بدلا من الاسهم . وفى هذه الحالة تحصل شركات القطاع العام على التمويل المطلوب دون ارهاق الميزانية العامة ، او الميزانية النقدية .. وأيضا دون تغيير فى النظام الاقتصادى والاجتماعى ، الذى يمثل القطاع العام محوره الرئيسى .

حجة ثانية تقول : ولكن أليس مناسبا ان تفتح بعض القنوات أمام مدخرات الافراد كى تخرج من تحت البلاطة ، أو كى نحد من تبديدها فى الاستهلاك الترفى ؟ وهذه حجة معقولة ، خاصة وأن هناك طائفة من المصريين تملك فعلا مدخرات ، ولكنها لا تعرف عالم الاعمال ، ولا تعرف بالتالى كيف تستخدم هذه المدخرات استخداما استثماريا منتجا « المصريون العاملون فى الخارج مثلا » .. الحجة اذن لها أساس ، ولكن لم تكون هذه القنوات داخل القطاع العام القائم بالفعل ؟ لماذا لا نشجع أصحاب المدخرات هذه على الاكتتاب - أساسا - فى شركات جديدة خاصة أو عامة ؟ فهذا التوسع هو المطلوب والمفيد . لقد رحبنا دائما بمثل هذا التوسع - فنحن نؤمن بدور الراسمالية الوطنية التى تعمل فى مجالات الانتاج بنفس القدر الذى نحارب به الانشطة الرأسمالية

الطفيلية . ولكن المسألة الاساسية هى هل نحن نهدف الى استمرار قيادة القطاع العام أو لا ؟ اذا قلنا أننا نهدف الى هذا فان قيادة القطاع العام تتطلب أن يكون ذا حجم مؤثر ، وأن يسيطر على مفاتيح الاقتصاد القومى . ولا تكفى هنا النسب المئوية ، فلابد أن يكون قلب القطاع العام بعيدا عن أحصنة طروادة التى تتمثل فى مصالح المساهمين المتضاربة . فهذه الاحصنة ستشل من قدرة القطاع العام ، مهما عظم حجمه ، ستحد من التزامه بقدرات وتوجيهات التخطيط المركزى .
ليبق اذن قلب القطاع العام بعيدا عن مساهمات أصحاب المدخرات ، ثم لا مانع بعد هذا أن تنشأ على هامشه شركات منتجة جديدة ، خاصة او مشتركة .

الحجة الثالثة تقول : ادخال المساهمين فى ملكية شركات القطاع العام سيرفع من كفاءتها الادارية والانتاجية .. كيف ؟ فى البداية نذكر بحقيقة تقول - رغم كل تهويلات الدوائر الرجعية - أن عدد الشركات الخاسرة فى القطاع العام لا يتجاوز ١٠ شركات من بين ٤٠٠ شركة قطاع عام .. واسباب الخسائر - فى معظم الحالات - اسباب قهرية « منها شركات كانت تعمل فى سيناء « ! » او فى مناطق التدمير والعدوان » .. ومع هذا يظل السؤال : كيف سيؤدى اشتراك المساهمين الافراد فى ملكية شركات القطاع العام الى رفع كفاءتها الادارية والانتاجية ؟ الا يقال ان حصة كل مساهم ستكون محدودة ؟ الا يقال أن القطاع العام سيظل مالكا لاغلبية الاسهم فى كل شركة ؟ اذن سيظل القطاع العام ، او ستظل الدولة صاحبة الكلمة الاولى فى تعيين الادارات . ولكن يبدو أن المتصور هو أن هذه الشركات ، بعد طرح أسهمها للبيع والتداول فى بورصة الاوراق المالية ، ستتغير حوافزها على العمل ، وستكون أسعار أسهمها فى البورصة ، وبالتالى معدلات الربح المحققة ، مقياسا مرئيا لنجاح الادارة . وهذا صحيح ، فلاشك أن استخدام سوق الاوراق المالية ، واستخدام مقياس الربح كمقياس وحيد ، ارضاء للمساهمين الرأسماليين ، سيغير كل المفاهيم عند الادارات العليا وعند المجتمع كله . نعم ستتنافس الادارات فى هذه الحالة تنافسا مجنونا « من أجل زيادة الارباح بأى سبيل » .

واسهل السبل هو الحد من المكاسب التى حصل عليها العاملون فى شركات القطاع العام « خاصة وأن هذه الشركات لابد ستطالب بأن يطبق عليها ماهو مطبق بالفعل على الشركات المشتركة المشكلة وفق قانون استثمار المال العربى والاجنبى . فهذه الشركات حتى لو كان القطاع العام مشاركا فيها ، لا تخضع للوائح القطاع العام » .
والسبيل الثانى السهل هو زيادة الاسعار « وكثير من شركات القطاع العام كانت تحقق معدلات منخفضة من الربح بسبب تحديد الدولة لاسعار منتجاتها » ثم ماذا عن عبء العمالة الزائدة ؟ ان التخلص منها سبيل ثالث لاثبات نجاح الادارة فى زيادة الارباح « والمشاكل التى واجهها العاملون فى قطاع الفنادق ستتكرر « فالشركات الاجنبية التى اصبحت تدير مزيدا ومزيدا من فنادقنا ، تحللت من لائحة القطاع العام « فتهاوت حقوق العاملين ، وتخلصت هذه الشركات مما اعتبرته عمالة زائدة تخل باقتصادياتها . فى بعض الحالات استغنى عن نصف عدد العاملين .

ولكن قد يقال أن السعار حول تحقيق الربح بأى وسيلة لن يتم فقط وفق هذه التنبؤات المشئومة ، فقد يتحقق أيضا عبر زيادة الانتاجية ، والحد من الاسراف بكافة صوره . ولقد طالبنا دائما بزيادة فائض القطاع العام عبر هذا الاسلوب . هذا هو نوع التطوير الذى طالبنا دائما به ونحن ندافع عن القطاع العام . فنحن ندرك أن امكانيات القطاع العام لا تستثمر الى الحد الاقصى ، ولكن اذا اردنا زيادة الارباح فى وحدات القطاع العام زيادة حقيقية من خلال الارتفاع بالانتاجية ، ومن خلال الحد من الاسراف والانحراف « وليس بأساليب القفز على مشاكل العمالة والاجور والاسعار » فان الوسيلة المثلى تتحقق عن طريق احكام التخطيط الشامل والمتابعة ، فهذا التخطيط الشامل ومؤسساته المختلفة « وليس آليات السوق وسوق الاوراق المالية » هو الذى يخلق الظروف الخارجية الصحية لنمو الوحدة الانتاجية . أما بالنسبة للرقابة الذاتية داخل الوحدة الانتاجية فان الوسيلة المثلى هى بتعميق الديمقراطية فى الادارة ، واتاحة الفرصة أمام العاملين للمشاركة فى وضع البرامج ومتابعتها عن طريق لجان انتاج حقيقية

« وليس على أى حال بواسطة رقابة البيروقراطيات الجدة فى الجمعيات العمومية التقليدية » .

ومع ذلك ، فان الدعوة لمشاركة المساهمين فى شركات القطاع العام لا تتجه الى الشركات التى تشكو من سوء الادارة ، وهبوط معدل الارباح ، فهذه لن يقبل أصحاب المدخرات على الاكتتاب فيها . ان الدعوة الى المساهمين ستوجه الى الشركات التى تحقق أرباحا معقولة ، اى التى لا تشكو من سوء الادارة ! وقد سبق **للدكتور أحمد أبو اسماعيل** أن أوضح هذا فى جلسة مجلس الشعب « ٣٠ ديسمبر ١٩٧٣ » فقال « أن اللجنة « اى لجنة الخطة والموازنة » تقترح اخذ اسهم الشركات الرابحة وعرضها للبيع فنحصل بذلك على عملة اجنبية لتشغيل الطاقات العاطلة فى القطاع العام ، وذلك بدلا من اللجوء الى الاقتراض المصرفى » ولا ندرى لماذا .. بدلا من اللجوء الى الاقتراض !! » .

ليس الهدف اذن اسهام أصحاب المدخرات فى رفع الكفاءة الادارية والانتاجية لشركات القطاع العام . الهدف هو مجرد اشراكهم — دون مجهود ودون مخاطرة — فى الحصول على البيض الذهبى للدجاجة التى رباها الشعب بكدح ونضال طويلين . وغدا سيدعوهم الجشع الى المطالبة بذبح الدجاجة نفسها . وساعتها .. أى حين يذبح القطاع العام تماما ، لن تكون الجماهير العاملة وحدها هى الخاسرة . فأصحاب الامال الرأسمالية ايضا سيخسرون ، ماداموا وطنيين ، واذا كانوا يهدفون الى الاسهام فى تنمية وازدهار اقتصادى ، فهؤلاء الرأسماليون الوطنيون يرتبط نماؤهم ومستقبلهم ، كما يرتبط الاستقلال الاقتصادى ، بنمو القطاع العام ودوره القائد .

● لكل هذا نعارض القرار !!

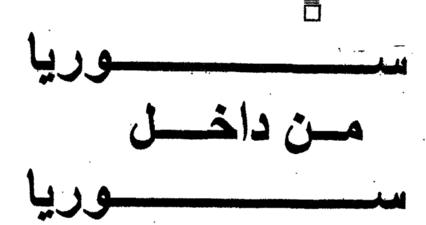
اننا نعارض هذا القرار الخطير .. ونعارض أن يصدر مثل هذا القرار — فى دولة المؤسسات — دون مناقشة ديمقراطية واسعة ، تشترك فيها كل أطراف التحالف الوطنى . أن الديمقراطية تسهم فى طمأنة الرأسماليين الى انهم لن يفاجأوا باجراءات تأميمية أو ضرائبية ، تصيب مصالحهم ، الابقرارات سبقتها مناقشات ودراسات وتصويت . والديمقراطية مفروض أن تضمن لجماهير الشعب العامل نفس الحق . وبالتالى لا ينبغى أن تباغت هذه الجماهير باجراءات تهدد مصير قطاعها العام ، وتهدد مكتسباتها التقدمية فى الصميم ، دون أن يسمح لها بحق الدفاع عن النفس . هذا لا يجوز .. وعجيب أن بيان الحكومة الذى قدم أمام مجلس الشعب — قبل هذا القرار بأسبوع — لم يتضمن اشارة واحدة الى هذه النية !

ويبدو أن بعض الوزراء كانوا مثلنا لايدرون بأمر هذا القرار قبل أيام من اصداره . فتصريحات زكريا توفيق « وزير التجارة » رغم تحفظاتنا عليها — وعيسى شاهين « وزير الصناعة » حول فكرة بيع اسهم بعض وحدات القطاع العام ، كانت فى خط بعيد تماما عن اتجاه القرار الجديد ! وهذا يفرض التساؤل الطبيعى : ماهو اسلوب العمل الذى تتبعه الحكومة ، وكيف تتسلسل الدراسات ، حتى تصل الى قرارات ، داخل جهاز الحكومة الحالية ؟

اننا نعارض هذا القرار ، ونرى انه غير دستورى ، فهو يزلزل اساس النظام الاقتصادى والاجتماعى الذى يعبر عنه الدستور . ونحن نأمل أن يتدخل **الرئيس أنور السادات** لتدارك هذا الخطأ .

وفى نهاية الامر ، فاننا لا نناقش الاشتراكية أو الرأسمالية ، فالقطاع العام وتماسكه هو ضرورة وطنية — من الناحية الاقتصادية البحتة — لتمويل الاعباء العسكرية والمحافظة على الاستقلال الوطنى .. ودعنا من الجوانب الاجتماعية واعتبارات التنمية .. وياليتنا نؤجل مثل هذه الامور التى تثير خلافات حادة .. على الاقل الى أن ننتهى من تحرير أرض الوطن .

« الطليعـــة »



لا تزال « الطليعة » تواصل تقديم دراساتهاعن واقع الوطن العربي ؟ على اساس من الزيارات الميدانية . فمن قبل قدمت الطليعةرؤيتها « للعراق من داخل العراق » ثم قدمت في العدد الماضي شهادات عن الثورة الفلسطينيةفى الجبهة اللبنانية ، وفى اقصى الجنوب من لبنان . وفى هذا العدد تقدم الطليعة دراستهاعن :

« سوريا من داخل سوريا »

فقد اتيح لوفد من «الطليعة» أن يزور هذا البلد الشقيق بدعوة من وزارة الاعلام السورية .

وعلى امتداد مايقرب من عشرين يوما التقىالوفد بشخصيات بارزة ، من رسميين ، ومن قيادات حزب البعث ، ومن قيادات الاحزابالمشاركة فى « الجبهة الوطنية التقدمية » . وزار صحيفتى « البعث » و « الثورة » .

ثم مضى يتجول فى انحاء سوريا ليزور جامعةدمشق والقنيطرة ، وموقع سد الفرات ، وبعض المصانع .

ولا شك أن ثمرات هذه الدراسة انما يعودالفضل فيها الى عدد كبير من الاخوة والاشقاء والاصدقاء السوريين ، فى الحزبوالحكومة وفى الجبهة ، وفى المجتمع .

من هنا ، نرى لزاما أن نثمن باعتزاز كلالمساعدات التي مكنت البعثة من أن تنجز عملها هذا وقد ركزت الدراسة على القاء بعضالاضواء على أبرز الملامح فى حياة سوريا من النواحى السياسية والاقتصادية والاجتماعية .وكانت بعثة الطليعة تتكون من :

- أبو سيف يوسف
- حسين شعلان
- عبد المنعم الغزالى
- فاروق عبد القادر



[١] ســـــوريا بـين معـــــــركتين

أبوسيف يوسف

كنا ، نحن اعضاء بعثة الطليعة ، في لقاء مع الرفيق **عبد الله الاحمر** ، الامين العام المساعد لحزب البعث العربي الاشتراكي . وكنا قد تأهبنا لحوار طويل امتد — بالفعل — على مدى ساعتين . وكان موضوع الحوار : حزب البعث في سوريا : دوره في حياة المجتمع السوري . كيف يستعد لعقد مؤتمره القطري الرابع؟وما هي العلاقة بين القيادتين القومية والقطرية . وهل هي — فعلا — علاقة عضوية أم اقرب الى أن تكون شكلية . واسئلة اخرى عن علاقة الحزب بالدولة ، وعلاقته باعضاء مجلس الشعب الحزبيين . والاخطار المحتملة التي يتعرض لها في عمله من ناحيتين : نحو بيروقراطية في داخله، واندماج جهازه التنظيمي بجهاز الدولة ، الامر الذي يمكن أن تضيع معه الفواصل والحدود .

وفي اثناء الحوار تطرق الحديث الى قضية فلسطين ، فوصفها الرفيق عبد الله الاحمر بانها « **القضية الرئيسية** » .

● **سألنا الامين المساعد للحزب :**

— هل هي قضية رئيسية أم القضية الرئيسية؟

فأجاب :

— هي القضية الرئيسية .

وربما امكننا أن نضيف — وفقا لما لمسناه وشاهدناه خلال عشرين يوما قضيناها في القطر الشقيق — أن **فلسطين** ، هي في وجدان السوريين أكثر من « قضية » ، وتكاد أن تصبح « منطلقا » من المنطلقات الحزبية ، ومبدأ من المبادىء في سياسة البلاد . ولذلك ، عندما خطب الرئيس **حافظ الاسد** في عيد الثورة [٨ آذار] ، واعلن من قبل ، عن اقتراحه الخاص باستعداد سوريا لاقامة قيادة مشتركة سياسية وعسكرية معمنظمة تحرير فلسطين ،كان الرئيس **الاسد** يؤسس موقفه على أمرين ،

— المنطلقات الفكريةالاساسيه [الايديولوجية] للبعث .

— المكان والحيز الذيأصبحت تشغلهما قضية فلسطين بعد حربين : يونيو ٦٧ ، واكتوبر ٧٣ .

ففيما يتعلق بالمنطلقات الاساسية للبعث ،فقد انتهت وثائق الحزب ، في مؤتمراته القومية والقطرية ، الى صياغات أكثر تحديدا لاهدافه البعيدة والمرحلية . وساعد هذا ، على وضوح أكثر في التحليلات لم تكن لتتوفر — في الواقع — في منشورات الحزب ومطبوعاته ابان نشأته الاولى [١] .

وفي لقاء لنا ، في القيادة القطرية ، مع أحد أعضائها : الرفيق **عبد الله الاحمر** ، كان لابد وان ندخل الى اى موضوع من مدخل « الوحدة العربية » :

ففي رأى حزب البعث ،وهو ما اكده **الرفيق** ، أن اول مابلفت النظر عند دراسة تاريخ العرب الحديث هو ظاهرة التجزئة . وهذه التجزئة — كما قال — لم تكن عفوية في بلاد العرب ، بل كانت مخططة ومقصودة . الدليل على ذلك ، أن الاستعمار غزا بلادا اخرى ، وعندما رحل عنها، ظلت هذه البلاد في نطاق ، وفي كيان سياسي موحد. الامثلة على ذلك : الهندواندونيسيا ،وعندما درس المؤتمر هذه الظاهرة توصل الى أن استمرار نضال كل بلد عربي على حدة أمر مستحيل . ثم طرح هذا السؤال : لماذا وقعت التجزئة ؟ وكانت الاجابة : هي أن الثورة البورجوازية في البلاد العربية عجزت عن تحقيق الوحدة . والسبب هو انها ولدت في عصر الامبريالية ، عصر تصدير

(١) نشير بوجه خاص الى الطبعة الثالثة من كتاب أصدرته القيادة القومية للحزب تحت عنوان : « بعض المنطلقات النظرية التي اقرها المؤتمر السادس في تشرين أول ١٩٦٣ » .

راس المال المالي . وكل ما اقامته من صناعات هي الصناعات التي سمح بها الاستعمار لكي لا تنافس صناعات « البلد الام » . يضاف الى ذلك ، ان البورجوازية العربيةكانت — عموما — انفصالية بطبيعتها .. فهي لكونها ضعيفة ،وغير مستنيرة لا تهتم بقضية الانتاج ، وتفضل الجرى وراء الربح السريع فقد عجزت عن تصنيع البلاد، عن القيام بالثورة الصناعية الاولى التي قامت بها البورجوازية الاوروبية . من هنا ، ايضا ، هوة التخلف الاخذة بالاتساع باستمرار بين البلاد العربية وبين البلاد الاوروبية المتقدمة . وعند هذا الحد ، طرح حزب البعث **شعار الاشتراكية** — في ظروف دولية جديدة — ولم يكن طرحه لهذا الشعار تراجعا منه عن **شعار الوحدة** أو تفضيلا له . ولكن **البعث** وجد ان متطلبات العصر تتطلب :

— ان تنحى البورجوازية عن قيادة المجتمع .

— وان تقوم القوي التي يمثلها حزب البعث، ومعها كل القوى الثورية والتقدمية بعمل ثورتين في آن واحد : وحدوية واشتراكية .

فالوحدة هي قضية مصير . ولكن الاشتراكية هي ايضا — وبمعنى من المعاني — قضية مصير .

في الطريق الى الوحدة تلتقي الامه العربية — وجها لوجه — بالاستعمار ، وفي الطريق الى الاشتراكية تلتقي بالاستعمار الجديد .. وأينما سرت في هذا الطريق او ذاك ، فانت مطالب بالتصدى « للكيان الصهيوني التوسعي والعدواني » الذى اقامه الاستعمار : اسرائيل .. وبالتالي ، انت مطالب — في نظر البعث — بان تحدد : موقفا من قضية فلسطين ، وان تطرحها الطرح الصحيح .

موقع وتاريخ

هنا ربما يسأل المرء نفسه ، الى اى مدى يمكن ان يكون لهذا الفكر علاقة قوية او علاقة منشأ — بموقع سوريا الجغرافي وتاريخها الوطني ، على الاقل في العصر الحديث ؟

فيما يتعلق بالموقع الجغرافي فان سوريا ، تمثل ملتقى الطرق التي تربط البلاد الافريقية وبلدان حوض البحر الابيض المتوسط ببلدان غرب آسيا . وبحكم هذا الموقع ، الجغرافي الملائم قامت فيها — منذ اقدم عصور التاريخ — ممالك ومدن . أن هذا الموقع الجغرافي نفسه جذب اليها الغزاة ، وكان آخرهم الاستعمار الفرنسي . ولكن نظرة الى هذا الموقع الجغرافي يرينا انها تملك حدودا مشتركة مع العراق والاردن ولبنان وفلسطين وانها — من ناحية — وبوضعها هذا — ممر لطرق التجارة والحضارة القادمة من البحر الابيض ، ومن ناحية اخرى ممر لطرق البترول والتجارة الاتية من الخليج الى البحر الابيض ايضا . وربما ادركت القوى الوطنية في سوريا التي حصلت على استقلالها السياسي مبكرا في عام ١٩٤٣ — أن تطور سوريا الاقتصادى يتطلب منها ان تستعد ، هي، لان تستقبل انابيب البترول الاتية من منطقة الخليج لتحمله الى موانيها الواقعة على البحر الابيض المتوسط . الا أن هذه القوى الوطنية أدركت أن الفائدة الاقتصادية التي ستجنيها من مرور انابيب البترول بارضها ، يجب الا تنفصل عن متطلبات حماية أمنها واستقلالها القومى . وهذا يفسر كيف انها بادرت ، في وقت مبكر جدا — في ١٩٦٤ — الى التصدى للاحتكارات النفطية الكبرى — فترفض اعطاء اى امتياز او توقيع عقد مشاركة مع الشركات الاجنبية في مجال استخراج النفط . ومن ثم ، قررت سوريا ان تستثمر نفطها بكيفية مباشرة . وتجسدت هذه السياسة في القانون رقم ١٣٣ لعام ١٩٦٤ ، وينص على أنه :

« يمنع اعتبارا من نفاذ هذا المرسوم التشريعي اعطاء أي امتياز لاستثمار الثروات المعدنية والبترولية في أراضي الجمهورية العربية السورية لاىّ شخص طبيعي او اعتبارى » .

وقد اعتبرت سوريا أن هذه الخطوة تشكل حجر الزاوية في استقلالها السياسي وتطورها الاقتصادى . وكان يكفي لكى تقتنع سوريا بهذا ان ترى ما كان يحدث — في ذلك التاريخ — في عدد من البلاد المجاورة ، عندما كانت احتكارات البترول الاجنبية تمثل دولة داخل الدولة : لكن الخطر المباشر يظل يأتي من دولة اسرائيل . ان الانجليز كانوا يعتبرون السيطرة على فلسطين ضرورية لحماية قناة السويس « طريق الهند » ومصالحهم البترولية . والولايات المتحده ،عندما دخلت المنطقة بعد الحرب العالمية الثانية ، رأت ان اسرائيل قد حلت محل السلطة البريطانية ، وانها كفيلة بحماية المصالح البترولية ضد نمو وتصاعد النضال الوطني التحريرى للشعوب العربية . ومن هنا — ومن جميع هذه المداخل — تدخل قضية فلسطين الى الحركة الوطنية السورية ، لتكون في مركز اهتمامها المباشر والملح .

هذا عن الوضع الجغرافي .

وأما عن تاريخ النضال الوطني في سوريا والمشرق العربي ، فان هذا يعود بنا الى تاريخ الثورة العربية الكبرى التي اتجهت بوعي

الى توحيد بلاد المشرق العربى، خاصة كل اجزاء المنطقة المعروفة باسم سوريا الكبرى . ونحن نذكر، انه بعد ان تم انتخاب المؤتمر الوطنى السورى، اجتمع المؤتمر فى دمشق فى ٣٠ يونيه ١٩١٩ وسلم مذكرة الى لجنة التحقيق الامريكية التى ذهبت الى هناك لتستطلع رغبات أهل البلاد : ففى البند السابع من بنود هذه المذكرة أوضح المؤتمر، انه يعارض الدعاوى الصهيونية لخلق كومنولث يهودى فى الجزء الجنوبى من سوريا ، هذا الجزء المعروف باسم فلسطين ، كما يعارض الهجرة الصهيونية الى أى جزء من اجزاء البلاد . ونحن نعلم، بالطبع ، ماحدث : فقد ضربت الثورة وتم تمزيق الشام والمشرق العربى . ولكن ، اذا كانت قضية فلسطين تطرح اليوم — وبعد اكثر من نصف قرن . فى ظروف محلية ودولية جديدة ، فان أول ما يخطر على البال هذه الفرضية ، وهى اننا بازاء عملية تاريخية متجددة ، تنطبق عليها احدى مقولات المنطق الجدلى « نفى النفى » . فاذا كان الاستعمار العالمى ، بعد الحرب العالمية الاولى ، قد « نفى » الثورة العربية فى المشرق ، فان على حركة التحرر الوطنى فى البلاد العربية أن تعود لتنفى ، مرة أخرى ، كل الاوضاع التى خلقها الاستعمار فى المنطقة .

واذا صحت هذه الفرضية ، وهى صحيحة استراتيجيا ، فان قضية فلسطين تصبح هى هذا العامل المبلور ، والمستقطب لاهتمامات حركة التحرر الوطنى العربية بمحتواها الجديد ، وذلك على الاقل فى هذه المرحلة من مراحل تطورها.

وعند هذه النقطة ، قد يبدو اننا نتحدث عن فلسطين ، بمناسبة زيارتنا لسوريا . ولكن الحقيقة اننا نتحدث — فى الاساس — عن المعركة الوطنية التحريرية التى تخوضها سوريا اليوم ، والتى تتبلور شعاراتها تحت عنوان استرداد الحقوق المشروعة لشعب فلسطين العربى . بل ان من المألوف ان نسمع فى سوريا « فلسطين قبل الجولان وقبل سيناء » . والسؤال هنا : هل هذا الموقف السورى مجرد مناورة حتى تظهر سوريا بمظهر الطرف الاكثر تشددا ، كما تذهب الى ذلك بعض التعليقات الغربية وخاصة الامريكية !

الواقع انه ليس هناك — نظريا على الاقل — ما يمنع الحكومة السورية بأن تظهر التشدد حتى من قبيل المناورة المشروعة ضد الاعداء . لكن القضية ، أو جوهر الموقف السورى ، انما يتشكل تحت تأثير عوامل عديدة بعضها ذاتى وبعضها موضوعى .

ففى مقدمة العوامل الذاتية ، هناك الامتحان الحقيقى للمنطلقات الفكرية ، وللشعارات التى تمسك بها البعث منذ الاربعينات ، والتى تعلن وثائقه انه كان سباقا اليها . وهنا ، تدخل قضايا استعادة الاجزاء السليبة من الوطن العربى وفى مقدمتها فلسطين .

وفى مقدمة العوامل الموضوعية ، هذا الواقع الذى خلقته حربان : حرب يونيو ، وفيها فقدت سوريا جزءا من الجولان احتلته اسرائيل، واقامت عليه عددا — لا يزال يتزايد — من المستعمرات .. ثم حرب تشرين [اكتوبر] التى استؤنفت — وبضراوة هائلة — بعد وقف اطلاق النار . ان معارك تشرين ومعارك الجولان قد خاضتها القوات المسلحة السورية وسجلت فيها بطولات حقيقية . لكن ، يجب ان نضيف الى ان جماهير الشعب السورى ، أيضا ، قد تم الحاقها **بمدرسة الحرب** . وفى هذه المدرسة الصعبة جرى تثقيفها سياسيا . وهى لذلك قد تقبلت التضحيات المفروضة عليها ، ودفعت ثمنا كبيرا ليس اقله حجم التدمير الذى أصاب المدن والمرافق الاقتصادية التى ضربها الطيران الاسرائيلى عامدا متعمدا .

وعندما ينظر الشعب السورى الى هذا كله ، والى الجولان المحتلة ، والى القنيطرة التى جرى تدميرها بالكامل ، والى التحصينات والاستعدادات الاسرائيلية على الجانب الاخر من خط القتال ، فان النتائج التى يستخلصها السوريون هى :

— انه من المستبعد أن تجلو اسرائيل بالاقتناع، ومن خلال المفاوضات ، من خلال جنيف .

— وفى هذه الحالة ، فان البديل هو حرب خامسة ، تستعد لها اسرائيل وتلوح بها ، ولابد ان يجرى الاستعداد لها فى سوريا ، بتسليح مناسب ، طالما وصفه المراقبون بانه تسليح كثيف للغاية .

سوريا اذن تخوض معركتها التحريرية على جميع الاصعدة . وهى معركة شاملة ، لها الوزن الاكبر فى التأثير بعمق على كافة مظاهر الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية . بحيث ان كثيرا من الظواهر والتطورات لا يمكن فهمها دون ان يكون المدخل اليها الموقف من معركة التحرير . وان حركة حزب البعث نفسه ، والحركة التصحيحية ذاتها ، والعلاقة بين القوى والاحزاب السياسية داخل الجبهة الوطنية التقدمية ، والعلاقات بين سوريا وبين مصر ، وبينها وبين البلدان العربية الاخرى، كل هذا تحكمه ، وتشكله ، معركة التحرير

بطبيعتها ، بكل تعقيداتها ، وبآفاق الحلول المختلفة المطروحة لها .

استمرار التنمية : المعركة الثانية

ولكن ، لما كانت معركة التحرير تدور في المجتمع السوري بكل تاريخه ، وخصائصه ، وحركة الطبقات الاجتماعية الداخلة فيه ، فان لهذه المعركة وجهها الداخلي ، وهي **المعركة الثانية** التي تخوضها سوريا — في الوقت نفسه — اذا صح هذا التعبير . ويمكن أن توضع تحت عنوان **معركة التنمية** .

وحول التنمية ، حول اختيار طريق التطور الاجتماعي ، تدور معركة حادة للغاية ، وبكل المقاييس . وفي مواجهتها تتحدد المعسكرات الطبقية .

فهناك ، من ناحية ، القوى والاحزاب السياسية التي تعبر عن مصالح وأهداف الطبقات الشعبية والوطنية : الفلاحون والعمال والحرفيون والمثقفون وقطاعات مختلفة من البورجوازية الصغيرة في المدن . وهذه القوى السياسية تتحد — بقيادة **حزب البعث** « الحزب القائد » في داخل **الجبهة الوطنية التقدمية** وتضم **الحزب الشيوعي السوري والاتحاد الاشتراكي العربي والوحدويون الاشتراكيون** . وهذه الجبهة تتمسك بحزم — بان يتم جلاء العدو الاسرائيلي ، ويتم الاعتراف بحقوق شعب فلسطين ، بدون أن تتقدم سوريا تنازلات اقليمية من ناحية ، أو ترغم من ناحية اخرى على القيام بتراجعات تمس مكتسباتها الاجتماعية التقدمية واستقلالها الاقتصادي .

ومن ناحية اخرى ، هناك بقايا الطبقات القديمة الاقطاعية والبورجوازية والبورجوازية الكبرى التجارية والكومبرادورية ، وكل أقسام البورجوازية التي تدخل تحت عنوان «الراسمالية الطفيلية» . وهذه القوى ، وان كانت لا تملك تنظيمات سياسية مشروعة ، الا ان لها ثقلا ملحوظا ونفوذا محسوسا داخل المجتمع . وهي تضغط من أجل حل للقضية الوطنية من خلال الولايات المتحدة الامريكية . وفي مقابل هذا الحل تقدم تنازلات تمس جوهر النظام الاقتصادي والاجتماعي القائم في سوريا .

ونستطيع ان نأخذ فكرة واضحة عن التناقض الحاد بين هذين المعسكرين ، اذا قلنا أن المعركة بينهما انما تحتدم حول مصير القطاع العام ، في داخله وفي خارجه ، كما تجري في كل مكان ، وفي كل مؤسسة ، ومصلحة ودائرة حكومية ، وفي جميع انحاء البلاد .

فهذا القطاع الاقتصادي الهام ، قد اخذ ينمو كما نعلم — منذ الأيام الاولى لتحقيق الاستقلال عام ١٩٤٣ ، عندما قامت الدولة بتأميم الشركات الاجنبية . ثم قامت — بعد ذلك — بانشاء عدد من المشروعات اهمها انشاء مصفاة البترول في **حمص** [١٩٥٨ — ١٩٥٩] .

وفي عهد الوحدة السورية — المصرية ، حدثت الوجبة الاولى من التأميمات عام ١٩٦١ . وحدثت الوجبة الثانية منها عام ١٩٦٥ . ثم تدعمت مواقع القطاع العام بفضل المشروعات الاقتصادية المملوكة كلية للدولة ، والتي نفذت خصوصا في الخطتين الخمسيتين الثانية [٦٦ — ٧٠] والثالثة [١٩٧١ — ١٩٧٥] .

هكذا قام قطاع عام في سوريا يسيطر على ٧٠٪ من الانتاج الصناعي والتجارة الخارجية وأصبح ، من ثم ، محور التنمية في سوريا ، والمصدر الرئيسي للتراكم البدائي . وأمكنه أن يساهم في استثمارات الخطة الخمسية الثانية بنسبة ٦٥٫٧٪ ، وارتفعت هذه المساهمة الى ٨٠٪ في الخطة الثالثة .

وترتب على ذلك أن :

- نما الدخل القومي بمعدل ٩٫٦٪ في السنوات الخمس الاخيرة . وفي السنوات الاربع الاخيرة زاد الانتاج الصناعي بمعدل ١٠٪ سنويا .
- امكن تثبيت اسعار الخبز والسكر والوقود والارز .
- ارتفع متوسط دخل الفرد من ٧٦٤ ل.س. عام ١٩٦٣ الى ١٠٢٥ ل.س. عام ١٩٧٣ .
- تم فتح مراكز جديدة للبيع للجمهور بالتجزئة وبدون تدخل الوسطاء والمحتكرين .
- تم تأمين القسم الاعظم من احتياجات القوات المسلحة اثناء حرب تشرين [اكتوبر] كالوقود والمواد الغذائية .
- امكن الاسراع في اعادة تعمير ما خربه الطيران الاسرائيلي من محطات توليد الكهرباء .
- امكن ان تبدأ قضية تخطيط الاقتصاد القومي على أسس واقعية ، رغم كل الثغرات التي تشوب العملية التخطيطية ذاتها في بلد حديث عهد بالتخطيط .
- زاد وزن الطبقة العاملة السورية ، اذ ارتفع عدد عمال القطاع العام الى حوالي ١٩٠ الف عامل .

وفى النهاية ، اذا جاز أن نلخص الوظائف الاساسية للقطاع العام فى مرحلة من التطور الاقتصادى يعتبرها السوريون **مرحلة انتقالية** أمكن القول : بأن هذه الوظيفة تتمثل فيما يلى :

● تحرير الاقتصاد الوطنى من مختلف أنواع التبعية للشركات الاجنبية ، وحماية الاقتصاد القومى — فى النهاية — من الوقوع فى قبضة الاستعمار الجديد .

● خلق اساس مادى قوى لتنمية المجتمع ، خاصة وان جميع الاحزاب السياسية تضع قضية بناء مجتمع اشتراكى هدفا استراتيجيا لها . كما أن الدستور الدائم ينص على أن « اقتصاد الدولة اقتصاد اشتراكى مخطط يهدف الى القضاء على جميع اشكال الاستغلال » .

● تمكين الجماهير من المساهمة فى ادارة الاقتصاد الوطنى عن طريق اتخاذ القرارات السياسية ومراقبة ومتابعة تنفيذها . وهذا كله يوسع من نطاق ممارسة الديموقراطية .

الى أين يتجه الهجوم المضاد ؟

ازاء هذا الوضع ، لم يكن ممكنا ولا متصورا ان تسكت القوى المضادة على الجهود المبذولة لدعم القطاع العاموتطويره .وهنا نشبتالمعركة، التى لم تزل مستعرة داخل المجتمع السورى .

والواقع انه يوجد فى سوريا قطاع رأسمالى كبير ، الى جانب القطاع العام . وهذا القطاع يملك وسائل اقتصادية كبيرة ، ويلعب دورا رئيسيا فى بعض الاحيان ، وذلك بفضل قدرته الهائلة على الحركة ، وبحكم خبرته فى التأثير على اجهزة الدولة وافسادها والضغط عليها .

وحتى نأخذ فكرة عن مواقعه القويةونشاطاته الواسعة ، يمكن القول بأن هذا القطاع الرأسمالى الكبير الخاص :

● يشرف على ثلثالتجارة الخارجية ولا يدخل فى هذا نشاطه فى التهريب .

● يحتكر ــ تقريبا ــ قطاعات الملكية العقارية والبناء والتشييد والنقل والسياحة .

● يسيطر من خلال تجار الجملة على ٨٠٪ من التجارة الداخلية .

● يسيطر عن طريق المقاولين والمكاتب الهندسية على اكثر من ٩٠٪ من صناعة البناء والتشييد .

وحتى نكون فكرة عن الارباح التى يحققها هذا القطاع الرأسمالى نقول :

● فى قطاع المقاولات لم يزد رقم اعمال الشركات الحكومية [وعددها ٤ شركات] على ٨٠ مليون ليرة سورية فى عام ١٩٧٣ . اما رقم اعمال المقاولين فقد زاد عن ٣٠٠ مليون ليرة . وكانت كل عقودهم من الدولة .ويستخدم هذا القطاع ٧٤٢٨٨ عاملا ومستخدما .

● فى عام ٧٠ — ١٩٧١ ازداد حجم اعمال القطاع الرأسمالى استيرادا وتصديرا من ٣٦٣ مليون ليرة سورية الى ٩٨٣ر٣ مليون ل.س .

● يشترى كبار التجار انتاج شركات النسيج المؤممة ثم يحتكرونه ويبيعونه بالاسعار التى يحددونها الى تجار التجزئة . وتتراوح ارباحهم فىهذا المجالبين ٣٠ ـ ٤٢فى المائة من الثمن الذى تحدده شركات القطاع العام .

والنتيجة ــ كما يشير الى ذلك واقع الحال هو أن عدد اصحاب الملايين لم يزل فى ارتفاع مستمر .

وهنا تطرح بالضرورة قضية النشاط السلبى الذى تمارسه البورجوازية التجارية الكبرى والمقاولون والمتعهدون والسماسرةووكلاء البيوت الاجنبية والمهربون ، وكل من يدخل تحت عنوان « الرأسمالية الطفيلية » .

ان الرأسمالية الطفيلية تهدد سلامة وفعالية القطاع العام على الوجه التالى :

● ان القسم الاكبر من البورجوازية الطفيلية يحد من قدرة القطاع العام على احداث «التراكم» اللازم لتوفير الاستثمارات . ذلك لان الرأسمالية الطفيلية تقتطع جزءا هاما من ارباح القطاع العام وتأكله لقمة سائغة .

● ان ركض الرأسمالية الطفيلية وراء تحقيق اكبر معدلات للربح فى أقصر وقت يتسبب فى زيادة كمية النقد المتداول . وهذا يؤثر على قيمة النقد السورى ويحدث حالة من التضخم هى موضع شكوى الجماهير .

● ان قيام الرأسمالية الطفيلية بعمليات السمسرة بين القطاع العام وبين المؤسسات الاجنبية ، وما تحصله خلال هذه الوساطة من عمولات هائلة ٪ تتسبب ــ ايضا ــ فى رفع الاسعار .

● ان مشتريات الرأسمالية الطفيلية منانتاج القطاع العام الصناعى تباع للجمهور ولتجار التجزئة وللحرفيين ــ بعد رفع اسعارها ــ وهو الامر الذى يفاقم من حدة الغلاء .

واذا حاولنا ــ بعد ذلك انتحدد ــ الاتجاهات الرئيسية لهجمة الرأسمالية الطفيلية على القطاع العام السورى امكن القول :

● ان البورجوازية التجارية الكبيرة وهى

راس الرمح فى هجوم الاقسام الطفيلية من البورجوازية ، تحاول ان تجمد القطاع العام بحيث لايتخطى مرحلة رأسمالية الدولة . فاذا ما تم لها هذا تحول القطاع العام — فى واقع الامر الى مجرد قطاع تنفق الدولة على اقامته وتنميته ، ثم تجنى البورجوازية التجارية قسما هاما من ارباحه وينتهى هذا كله — فى حالة استمراره — الى وقف التطور الاشتراكى .

● ومن الناحية الفكرية ، يتجه الهجوم الى تصيد الاخطاء والثغرات فى القطاع العام ، والتشنيع عليها ، والمبالغة فيها ، بهدف خلق راى عام مضاد للقطاع العام فى صفوف الجماهير الشعبية توطئة للانقضاض عليه .

● الاستعانة بدعم الرأسمالية العالمية والضغط من اجل اعطاء تيسيرات كبيرة لرؤوس الأموال الاجنبية ، لدعم مراكز رأس المال الخاص وتوسيع رقعة نشاطه بحيث — تعجز الدولة عن توجيهه — بأى شكل — فى اطار اى خطة واقعية للتنمية .

محصلة المعركة

وعند هذا ، يرد السؤال :

الى اين انتهت هذه المعركة بين القطاع العام وبين القطاع الرأسمالى الطفيلى [٢] ، بين القوى الاجتماعية التى تدعم القطاع الاول والقوى الاجتماعية التى تشكل الثانى ؟

فى حقيقة الامر لم يستطع وفد « **الطليعة** » ان يكتم مخاوفه على مستقبل ومصير القطاع العام فى القطر السورى . ولذلك كانت اسئلتنا فى هذا المجال ومناقشاتنا صريحة للغاية .

الا انه يتعين علينا ان نقول ان حصيلة المناقشات والاجوبة التى تلقيناها من شخصيات بارزة فى الحياة السياسية ، وفى الاجهزة التنفيذية، ومن القوى المشاركة فى الجبهة الوطنية التقدمية ، كانت ايجابية فى مجموعها ومطمئنة. ونشير — بوجه خاص — الى المناقشات الاقتصادية التى اجريناها مع كل من الاستاذ



— مساحة سوريا : ١٨٥ الف كيلو متر مربع .

— النظام : جمهورى رئاسى .

— السكان : ٧ ملايين .

— استقلت عام ١٩٤٣ من خلال معركة تحريرية ضد الاحتلال الفرنسى .

— متوسط دخل الفرد : ٢٥٠ دولارا فى العام .

— الميناء الرئيسى : اللاذقية .

— الزراعة : هى فرع الانتاج الرئيسى فى سوريا وتنتج من ٢٠ — ٢٥ فى المائة من الدخل القومى .

— الصادرات من المواد الاولية والمنتجات الزراعية تشكل ٧٥ ٪ من مجموع الصادرات السورية .

— ادى قانون الاصلاح الزراعى الى توزيع القسم الاكبر من اراضى الاقطاعيين وكبار الملاك على قسم من فقراء الفلاحين ولا يزال قسم منهم دون ارض .

— هناك ١٧١٧ جمعية تعاونية [احصاء ١٩٧٣] يزرع اعضاؤها ١٦٫٣ ٪ من الارض المستثمرة كلها عدد اعضاء هذه الجمعيات ١٣٩ الف فلاح .

— الغالبية الساحقة من هذه الجمعيات تقصر نشاطها على اعمال التسويق والتسليف . ولا توجد سوى ٤ جمعيات تعاونية انتاجية يغطى نشاطها ٢ فى الالف من المساحة المستثمرة فى سوريا .

— نفذت سوريا حتى الان ثلاث خطط خمسية .

— تنمو الصناعة تحت تاثير القطاع العام .

— تنمو صناعة البترول بسرعة بالتعاون مع الاتحاد السوفيتى .

— يقوم على اساس صناعة النفط عدد من الصناعات الاخرى مثل صناعة السماد الازوتى — السوبر فوسفات — الزيوت المعدنية — صناعة شحوم التزييت — صناعة البراميل .

— فى عام ١٩٦٨ صدر قانون يسمح للرأسمال الاجنبى بالدخول الى سوريا ، وقدمت له تسهيلات هائلة . ولكن لم تؤد هذه التسهيلات الى قيام مشاريع انتاجية حقيقية وخلال الاعوام ١٩٧١ ، ١٩٧٢ ، ١٩٧٣ لم تزد نسبة المشروعات التى اشتراها القطاع الخاص الصناعى — بما فى ذلك رؤوس أموال المغتربين السوريين — على ٦٠ مليون ليرة سورى [٩ ملايين جنيه] .

— حصة البلدان الاشتراكية من المبادلات السورية ٢٩٫٦ ٪ وصادرات سوريا الى هذه البلدان تغطى ٨٢ ٪ من وارداتها .

[٢] تجدر الاشارة الى ان القطاع الخاص قسمان : قطاع خاص فى الزراعة والصناعة والنقل والحرف وبعض الخدمات وهو قطاع منتج ، ويضيف الى الاقتصاد القومى على عكس القطاع الرأسمالى الاخر الذى يقوم بدور طفيلى وتخريبى .

عبد الرحمن خليفاوى رئيس الوزراء السابق ، والمسئول عن المكتب الاقتصادى فى حزب البعث ، والاستاذ مصطفى الحلاج الاقتصادى المعروف والوزير السابق فى عهد الوحدة المصرية السورية .

فالجميع لم يهونوا من المخاطر ، ولم يحاولوا ان يقللوا من اثر ضعف الوعى التخطيطى والنواقص فى ادارة القطاع العام ، والحاجة الى دعم الدور القيادى للطبقة العاملة فى مواقع الانتاج ، ومكافحة اخطار التضخم ، كما اكدوا على الحاجة الى انعطاف جذرى فى النهوض بقطاع الزراعة لصلحة الانتاج الزراعى ومصلحة صغار الفلاحين وعمال الزراعة . الا ان الجميع يتفقون على ما يلى :

ان المحصلة العامة لانشاء القطاع العام ، ولنشاطاته هى ايجابية ، بلا ادنى شك . كما أن جميع المحاولات التى استهدفت تطويقه لم تنجح فى تحقيق اهدافها .

فى اعتقادنا ـــ ان هذا الحكم سليم وصحيح ، وفقا لما لمسناه ـــ وهو يستند الى ظواهر موضوعية فى حياة سوريا .. هذه الظواهر التى تتمثل فيما يلى :

● الوعى العام فى صفوف القواعد الشعبية للاحزاب المشاركة فى الجبهة الوطنية التقدمية باهمية ودور القطاع العام فى الاقتصاد الوطنى . وهذا الوعى تغذيه عملية تثقيف سياسية مستمرة يقوم بها حزب البعث والاحزاب المشاركة : عملية لا تتم داخل الاجتماعات الحزبية فحسب ؛ بل وتهتم بها الصحافة اهتماما مكثفا . وهذا ما تعكسه ـــ مثلا ـــ كتابات صحيفتى « **البعث** » و « **الثورة** » .

● نضال الطبقة العاملة السورية وتضحياتها الواعية من اجل الحفاظ على القطاع العام وانهاضه . ويجب ان نضيف ايضا نضال وجهود المهندسين والتكنيكيين والعمال المهرة الذين يشكلون جزءا من القوى الوطنية الديموقراطية فى البلاد .

● استجابة الحكومة الى مطالب الرأى العام بالدفاع عن القطاع العام . وهو الامر الذى عكسته مجموعة هامة من القرارات الجمهورية والقوانين .. من بينها الامر الجمهورى الذى يؤكد على ضرورة تنفيذ الخطة الخمسية فى مواعيدها « تحت طائلة المسئولية » ومنها القانون رقم ١٨ لسنة ١٩٧٤ لتنظيم المؤسسات العامة والشركات العامة بهدف اعطائها قدرا من المرونة فى العمل ، ومنها المرسوم رقم ١٨ لسنة ١٩٧٤ الذى يشدد العقوبات على التهريب .

● الجهد المتواصل الذى تبذله الدولة فى توسيع قاعدة القطاع العام بضم وحدات جديدة تكون مملوكة للدولة وقد ساعد على هذا العديد من الاتفاقيات التى عقدتها مع الاتحاد السوفيتى والمانيا الديموقراطية ويوغسلافيا وبلغاريا وكوريا الديموقراطية ورومانيا .

● ان كل هذه الضمانات الهامة ، تسمح للجماهير الشعبية ـــ فى ظروف محددة ـــ لا بان تصد الهجمة على القطاع العام ، بل وان تنتقل الى مواقع الهجوم على الذين يحاولون تطويقه وتخريبه .. ومن هنا نتفق مع ما يقال :

من أن ما يجرى على صعيد المعركة بين القطاع العام وبين القطاع الخاص ، يسير ، بشكل عام ، وحتى الآن ، لمصلحة التقدم .

فماذا سألنا بعد ذلك :

ماهى آفاق تطور المعركة فى المستقبل ؟

الجواب فى اعتقادنا هو أن سوريا ـــ كما رأينا ـــ تخوض معركتين معركة التحرير ومعركة التنمية . وهنا فان المناهج المتبعة فى حل القضية الوطنية هى التى تتحكم فى تقرير مصير التنمية ، وتقرر فى اى اتجاه تسير : الطريق الرأسمالى أم الطريق الاشتراكى ؟ ولسوف تسير ـــ بثبات ـــ فى الطريق الثانى بقدر ما يتم حل القضية الوطنية على اساس عدم التفريط فى الارض ، وفى قضية شعب فلسطين ، وانطلاقا من عدم التراجع عن خط التقدم الاجتماعى . فهذا هو فى الواقع نهج القوى الوطنية والتقدمية ، فى مقابل نهج قوى الاستعمار والرجعية والردة الداخلية .
ولكن ، حتى يتأكد النهج الوطنى التقدمى لابد من ان تكون قواه الضاربة والصدامية على مستوى المعركة . ومن بين هذه القوى تبرز قوتان : حزب البعث والجبهة .

وفى اعتقادنا انه ايا ما تكون خلافاتنا مع هذه النظرية أو تلك من نظريات حزب البعث ، الا ان منطلقاته فى مجموعها وطنية وتقدمية تحقق ، وتخدم فى التحليل الاخير ـــ قضايا النضال من اجل بناء المجتمع على أسس تقدمية .

لهذا ، فانه بقدر ما يدعم حزب البعث قوته ، بقدر ما يكون هذا افضل لقضايا التحرير

والتنمية . وحتى يتحقق هذا ، يحتاج الحزب الى ان يطور علاقاته بالاحزاب الاخرى فى داخل الجبهة ، فى اتجاه الاعتراف بحقها فى مزيد التعبير الديموقراطى عن نفسها ، وفى اطار الجبهة [٣]. فاذا تم هذا ، أمكن ان يتم تنافس بناء بين القوى السياسية التقدمية . وهذا التنافس سوف يدعم قواعد حزب البعث ولن يضعفها بحال من الاحوال . ففى النضال اليومى ، ومن خلال حل التناقضات الثانوية بين قوى الجبهة ، وعلى مرأى ومسمع من أوسع الجماهير ، يستطيع حزب البعث ان يدعم دوره القيادى . ومن المؤكد ، ان تجارب حركات التحرر الوطنى ، وتجارب بناء الجبهات الوطنية المتحدة قد دللت — بوضوح — على ان كل قوة تضاف الى طرف من أطراف الجبهة فى قوة مضافة الى اطراف الجبهة فى آن واحد .

[٢] ملامح بارزة فى التجربة السياسية

حسين شعلان

● تجربة الجبهة

بين مفهومي « التعاون » و « الهدنة »

يحكم مسار نشاط الحركة السياسية لجماهير الشارع السورى ، قوتان سياسيتان : اولهما اساسية وغالبة ، وهى قوى التقدم ، ولها الحجم والفعالية والتأثير الاعظم . وهى القوى التى تضمها « الجبهة الوطنية التقدمية » المكونة من : حزب البعث العربى الاشتراكى ، الحزب الشيوعى السورى ، تنظيم الوحدويين الاشتراكيين « انضم الى حزب البعث واندمجا معا مؤخرا » ، حركة الاشتراكيين العرب ، وحزب الاتحاد الاشتراكى العربى : وثانيهما هامشية وهى قوى الرجعية والتخلف ، المحدودة الفعالية والتأثير . وتعيش حالة « بيات » فيكاد نشاطها السياسى ان يكون مجمدا الا انها تنشط فى مجال تنمية عضويتها . وتعد حركة الاخوان المسلمين أبرز هذه القوى تنظيما . أما العناصر الاخرى فمن بينها أفراد الطبقات المخلوعة التى اضيرت مصالحها ، واولئك العناصر التى تمارس تأثيرها — سلبا — من خلال ثغرات البيروقراطية والنشاط الطفيلى . وبرغم عدم فعالية القوى الرجعية هذه على الحركة السياسية الجماهيرية ، الا أن اليقظة تجاهها مسألة واردة بل ينبغى الا تهدأ .

وموضوع هذه السطور هو قضية الحركة السياسية والجبهة وأحزابها . والانطباع الاول الذى تخرج به شاهد عيان واقع التجربة السياسية السورية اليوم ، هو ذلك التغير الواضح الذى حدث داخل صفوف القوى الوطنية التقدمية فى سوريا . سواء فى علاقات بعضها بالبعض او فى داخل كل منها . وقد نجد هذا التغير فى هذا الجانب أو ذاك ، على درجة واضحة او على درجة أقل .

وتصل هذه التغيرات مثلا ، حد القول دون مبالغة ، أن حزب البعث فى سوريا اليوم ليس هو حزب البعث فى سوريا منذ سنوات .

لماذا ؟ . . وكيف ؟

والتغير الذى نقول به ، لا ينسحب فحسب على التكوين التنظيمى لسلطة الحزب وكادره الاساسى ، بل ينسحب أيضا على فكريته ووسائله الايديولوجى . وربما تكون قصة الجديد فى التكوين التنظيمى . . طويلة . الا أنه يمكن التركيز على تطورات اساسية تبدأ منذ قرار القيادة القديمة للبعث بحل الحزب فى أوائل أيام تجربة الوحدة . حيث تكونت مجموعة معارضة للحل منذ ذلك الوقت . وهى مجموعة « اللجنة العسكرية » التى شكلت نواة التكوين التنظيمى الجديد . وقد ضمت هذه المجموعة ٥ ضباط منهم الرئيس حافظ الاسد . وبعد صراعات سياسية عديدة ، انعكست

(٣) يراجع فى هذه الدراسة « المقال الذى كتبه حسين شعلان ».

خلال صراعات حزبية ، استقرت مفاهيم وقيادة هذه النواة التى نمت واستقطبت القوى الاساسية داخل الحزب . وخلال قيادة هذه النواة للعمل الحزبى والسياسى . بعد تولى الحزب السلطة فى ١٩٦٣ . صفيت القيادات التقليدية للحزب بعد هزائمها الفكرية المتلاحقة . واذا كان عام ١٩٦٦ يحتل مكانة هامة فى هذه التطورات ، فان عام ١٩٧٠ قد شهد آخرها بحركة التصحيح التى قادها **الرئيس الاسد** .

واستقطاب هذه النواة الجديدة لكادر الحزب وقاعدته ، تم من خلال عملية صراع فكرى غير كثيرا من المفاهيم التقليدية للحزب ومضامينها . حتى أنه يمكن القول – من خلال استقرائنا لوثائق الحزب منذ تلك الفترة – أن ما تبقى من الحزب القديم هو ما يكاد يكون « اليافطة » على مضمون جديد . ربما لا يكون هذا المضمون الجديد قد استقر نهائيا من حيث بلورته الفكرية على نحو كامل ، وذلك بالطبع أمر مفهوم . لكن الاقرار بأن هناك جديد داخل البعث ، مسألة جديرة بالتأمل والمتابعة .

يؤكد قولنا هذا ، أن مضمون شعارات البعث الاساسية قد اكتسبت أبعادا جديدة تختلف فى كثير من جوانبها مع البناء الفكرى – اذا جاز التعبير – لنفس الشعارات من قبل .

عن الشعارات الاساسية

فشعار الوحدة ، وهو اول شعارات البعث الاساسية الثلاثة ، لم تكن له اسس نظرية أو عمليه واضحة . لكن الحزب تحت قيادته الجديدة ، راح يؤكد على ضرورة النظر الى قضية الوحدة من خلال المضمون التقدمى لحركة القومية العربية باعتبارها حركة تحررية معادية للاستعمار والصهيونية والامبريالية والرجعية ومن هنا لم تعد القضية مجرد اقامة « الوحدة تحت اى راية » أو مع « اى نظام » ، ويجب أن نرصد هنا تمسك البعث بحيوية وضرورة الهدف ، وانما على اساس ان تكون الوحدة فى خدمة المضمون التقدمى لحركة القومية العربية . بل والاكثر من هذا ، أن الوحدة الفورية الاندماجية ،لم تعد هى المفهوم السائد لدى الحزب كما كانت من قبل ، وانما الوحدة التى لابد ان تتم على مراحل وبالتدريج كحصيلة للتطور والتفاعل بين هذا القطر ، أو ذاك ، أو بين عدة اقطار . فى هذا الاطار ، أصبح الحزب – على عكس السابق – يعطى الناحية الاقتصادية أهمية كبرى باعتبارها « حجر الزاوية والاساس الراسخ فى بناء الوحدة ، ومن ثم تصبح قضية التكامل الاقتصادى مقدمة أساسية . ويبرز الحزب أهمية وحدة القوى الوطنية والتقدمية على الصعيدين القطرى والقومى .

أما شعار الحرية ، ثانى شعارات البعث الاساسية فى الترتيب ، فقد أصبح محددا لا يشوبه غموض . فالحرية عند البعث الجديد تعنى « التحرر الكامل السياسى والاقتصادى من شتى اشكال السيطرة الاستعمارية » . وعمق شعار الحرية بمفهوم اجتماعى وربطه بمصالح اجتماعية شعبية . وينعكس تطور فكر الحزب فى قضية الحرية وممارسة الديمقراطية ، فى الربط بين طرد الاستعمار وتصفية نفوذه المحلى وسيطرته بأشكالها المختلفة ، فضلا عن وضع مسألة النضال ضد الاستعمار ضمن أطارها الدولى والانسانى ، بتدعيم العلاقات مع المعسكر الاشتراكى « كقوة ايجابية فعالة فى النضال ضد الاستعمار » . ويتلازم مفهوم الحرية – عند البعث فى تطوره – بطرح فكرة « الحياد الايجابى » كخط عام للسياسة الخارجية . وفى مجال الربط بين الحرية وممارسة الديمقراطية يعلن البعث رفض « الديمقراطية البورجوازية » ويكرس فكرة « الحزب القائد والجبهة الوطنية الديمقراطية » .

ومن أهم التغيرات الفكرية التى نلمحها فى تطور حزب البعث ، **شعار الاشتراكية** ثالث شعاراته الاساسية من حيث الترتيب . وفى هذا الصدد أعاد الحزب تقييمه لمفهوم « **الاشتراكية العربية** » واعتبره « منطلقا خاطئا بالنسبة لحزب علمى وثورى » . وأصبح يرد هذا المفهوم الى « ضعف الوضوح النظرى فى الحزب والافكار الخيالية والمفاهيم الاصلاحية التى كانت سائدة فيه » واعتمد الحزب مفهوم « **الطريق العربى الى الاشتراكية** » باعتبار أن الاشتراكية « نظرية علمية تصح منطلقاتها وقوانينها العامة على مختلف المجتمعات . أما تطبيقها وأشكال هذا التطبيق وأساليبه فتختلف من بلد الى آخر وهى على هذا الاساس لابد أن تأخذ الناحية القومية المعبر عنها بخصائص الشعب القومية وظروفه وتقاليده وعاداته واساليب نضاله ، بعين الاعتبار » . ويحدث الحزب تطورا ضخما فى مفهومه للملكية الخاصة حين يفرق بين الملكية الخاصه المستغلة وملكية الاستعمال الشخصى « الملكية الشخصية » . ويعتبر الحزب « **ان الملكية الفردية اذا تعدت نطاق الاستعمال الشخصى لابد أن تكون مستغلة مهما كانت الرقعة التى تمارس فيها الملكية نشاطها ضيقة أو نسبة المردود الذى تعطيه**

منخفضة ، واكد الحزب على أن « العمل الانساني هو المصدر الوحيد للقيمة وفق المفهوم الاشتراكي العلمي » .

وبشأن قضية السلطة يرى البعث ـ الجديد ـ أن البورجوازية قد عجزت عن تحقيق التطور المطلوب سواء على مستوى القطر او على المستوى القومي . وأن « اسقاط الطبقة البورجوازية المستغلة ضرورة موضوعية من ضرورات الثورة بسبب عجزها وخيانتها . وأنه من لابد منه لتحقيق انعطاف جذري في حياة الشعب العربي » .

مع هذه التطورات الفكرية والتنظيمية الهامة في البعث ، ومع التطورات السياسية القومية بالغة الدقة والصعوبة منذ هزيمة يونيو ١٩٦٧ ، وبفضل « الدم الجديد » الذي دفع الممارسة العملية لسياسة الحزب بعد حركة التصحيح « اكتوبر ١٩٧٠ » نحو آفاق أعمق وأرحب ، طرحت قضية الجبهة الوطنية التقدمية في سوريا . وطرحها يعني ، بالاضافة الى الدوافع الوطنية المسئولة سواء من جانب البعث او القوى الوطنية التقدمية الاخرى ، اعتراف جميع الاطراف التي كونت الجبهة ـ بما فيهم البعث ـ أن قوة واحدة منها غير قادرة على تعبئة كل الشعب في سبيل تحقيق الاهداف الوطنية والاجتماعية المطروحة . ومن ثم لابد من جبهة تتولى هذه المهمة الضخمة .

تعاون .. أم مجرد « لاإقتتال »

يجمع كل اطراف الجبهة الوطنية التقدمية ، وكل المراقبين وخاصة المتعاطفين مع التجربة السورية ، على أن مجرد قيام الجبهة وتأسيسها ومباشرتها مهامها ـ أيا كان حجم الممارسة العملية ـ **انجاز وطني وتقدمي ضخم** .

وربما كانت هذه الحقيقة مسألة بديهية يتصور البعض أن تكرارها او التأكيد عليها دائما ، مجرد تحصيل حاصل أو حتى مصادرة على ما هو مطلوب . لكن الواقع ـ تاريخيا ـ يبرز الحجم الحقيقي لاهمية التأكيد ـ دائما ـ على هذا الانجاز الوطني والتقدمي الضخم . بل ويوضح ضرورة الا نقلل منه أو يغيب عن خلفية أي تحليل للعمل الوطني السوري المعاصر . فقد افرزت عمليات الصراع والاقتتال التي وصلت الى حد التصفية الجسدية والتعذيب البشع الجماعي والفردي ..

بين القوى التي تشكل الجبهة اليوم ، لسنوات طويلة ولاسباب كثيرة مردود عليها . ـ نقول لقد افرزت هذه العمليات تراثا هائلا من عدم الثقة المتبادلة كان يمكن أن يظل جدارا غير قابل للهدم امام أية علاقات محتملة بين هذه القوى وبعضها . ولان حزب البعث ـ لاسباب عديدة ـ قد تحمل نسبة كبيرة من مسئولية هذا التراث في الماضي ، فاننا نستطيع أن نلمس هنا الى أي حد كان هاما وأساسيا ذلك التغير الذي حدث في الحزب منذ ١٩٦٣ ، وعلى نحو خاص ، بعد حركة التصحيح في أكتوبر « تشرين » ١٩٧٠ . فقد كانت مبادرات حزب البعث في العمل على تصفية هذا التراث واعادة بناء « الجسور » مع القوى الوطنية والتقدمية الاخرى ، تحولا بارزا على المستوى الوطني للعمل السياسي الداخلي . على أن استجابة القوى الاخرى كانت ـ ايضا ـ مؤشرا على أن انجازا وطنيا وتقدميا ضخما قد بدأ « ساعة العد التنازلي » .

ويرى بعض المراقبين ـ ومنهم متعاطفون مع التجربة وحريصون على حمايتها ـ أن الجبهة اعلان بعدم اقتتال اطرافها طوال فترة قيامها . وربما كان دافع وجهة نظرهم هذه ، القلق المشروع الناجم عن تراث فترة طويلة من عدم الثقة ، من جهة ، وتخيل ان فترة « ذوبان الثلوج » التي مرت ، غير كافية . لكنهم يتخذون من واقع بعض السلبيات ، مثل عدم ممارسة الجبهة لكل الصلاحيات التي أقرها ميثاقها ، دليلا يدعمون به وجهة نظرهم .

وربما كان مفيدا في هذا الصدد ، تبيان المحتوى الاساسي للجبهة وطبيعتها وحدود مهامها ، حتى يمكن أن يتضح مدى قرب ـ أو بعد ـ وجهة النظر هذه عن الواقع . فالجبهة في محتواها ـ وكما يتضح من مواد ميثاقها المختلفة ـ موجهة بشكل رئيسي ضد الاستعمار وضد الاقطاع والراسمالية الكبيرة . والهدف الاساسي المباشر لنضالها الوطني ، هو تحرير الاراضي العربية المحتلة نتيجة عدوان ١٩٦٧ ، وتأمين الحقوق الوطنية المشروعة للشعب العربي الفلسطيني . وتعمل الجبهة من أجل التقدم الاجتماعي وتضع الاشتراكية هدفا لها . كما تدعو الى تحقيق وحدة عربيه تقدمية ومعادية للاستعمار . وتضع الجبهة قضية الصداقة والتعاون مع الاتحاد السوفيتي والدول الاشتراكية ، كقضية اساسية وكموقف استراتيجي .

.. فما هو مدى أثر وفعالية الجبهة فيما يتعلق بالسلطة والحكم ؟ وبمعنى آخر هل تقوم الجبهة

بدور قيادى فى الحكم أو حتى يمكن أن تتحول الى السلطة الفعلية العليا فى البلاد ؟

وسواء من ناحية الواقع العملى ، أو من ناحية الادراك الموضوعى لاطراف الجبهة ، فان الاجابة - كما شاهدناها - تفيد بالنفى . فالسلطة الفعلية فى يد حزب البعث ، كما أن الاغلبية فى القيادة المركزية للجبهة نفسها فى يد حزب البعث أيضا . وبالتالى فهو الذى يحل القضايا المتعلقة بأساليب ممارسة الحكم والقضايا التى تعالجها مختلف أجهزة الحكم .

تلك مسألة تلمسها بوضوح . بل ويتفهمها بقية اطراف الجبهة بموضوعية مسئولة .

على أن ذلك لا يعنى أن الجبهة بلا تأثير فى البلاد أو فى الحكم . لكن هذا التأثير سياسى ومعنوى بالدرجة الاولى .

ما الذى تعنيه الجبهة اذن ؟ الواقع انها شكل من **التعاون** بين القوى التقدمية من أجل حشد وتعبئة قوى المجتمع فى سبيل أهداف اساسية كبيرة يؤمن بها جميع أطراف الجبهة . وهذه الاهداف هى النضال ضد الاستعمار والصهيونية والعدوان . ومن اجل دعم الاستقلال الوطنى ، والسير بالبلاد فى طريق التقدم الاجتماعى والتعاون مع المعسكر الاشتراكى . وتعلن كل اطراف الجبهة انها لا تعتبرها خطوة تاكتيكيه . بل تريد أن تكون خطة استراتيجية .

يبقى أن نواصل السؤال : وهل يمكن أن تصبح الجبهه - بتكوينها الطبقى والاجتماعى - شكلا أو نواة لتحالف حقيقى وفعال بين العمال والفلاحين والمثقفين الثوريين ؟

الواقع أن هذا ممكن وصحيح ، وان كان الطريق اليه ليس سهلا أو معبدا تماما . اذ يتوقف ترجمه ذلك الى واقع فعلى . على عوامل كثيره من اهمها تطور علاقات القوى فى الداخل ، وفى الواقع العربى ، والدولى المحيطين .

وعلى الرغم من كل الثغرات والسلبيات فى مجمل نشاط الجبهة أو عملها ، فانه من الاهمية بمكان أن نؤكد على حقيقة أن قيام الجبهة ومواقفها وأعمالها - حتى فى حدود - أثار سخط وغضب القوى الاستعمارية والصهيونية والرجعية .

ومن المعروف ان ضغوطا متزايدة مورست - ولا تزال - من أجل نسف الجبهة . ومسئولية جميع القوى الوطنية والتقدمية فى سوريا . العمل على صون الجبهة وتدعيمها وتوسيع وتعميق دورها بين الجماهير وفى مجموع حياة البلاد وتطورها .

رؤية اطراف الجبهة لايجابياتها وسلبياتها

ماهو تقييم اطراف الجبهة للتجربة من خلال المرحلة التى تمت ؟ ماهى الايجابيات وماهى الصعوبات والسلبيات ؟ وماهى آفاقها ؟

ذلك السؤال الهام طرحناه على ممثلى الاحزاب المكونه للجبهة والذين التقينا بهم . فماذا كانت اجابتهم ؟

■ **الرفيق عبد الله الاحمر [نائب رئيس حزب البعث العربى الاشتراكى]** : **نحن فخورين أننا أول** تجربه لجبهه فى المنطقة العربية كلها . لقد صارت محاولات عديدة من قبل ، لكنها لم توصل الى نتائج ايجابية . حدث اقتتال وتناحر . لم يكن سبب ذلك ان شعار الجبهة خطأ . ولكن هذا ما حدث لاسباب عديدة .

بعد ١٦ أكتوبر [تشرين] وجدنا أن مسئولية حزبنا يجب أن نبادر . أولا كان مطلوبا توفير جو الثقه ومن مجمل التطورات توفر مناخ اللقاء حتى لا تصبح المشاركة رمزية . أجرينا حوارا أخذ وقتا . ربما كان لكل طرف ، حين وصل الى الجبهة فى ١٩٧٢ ، تصورات مختلفة ، لكن النتيجة كانت حصاد المناقشة والتفاعل . عدم وجود الجبهة يضر العمل الوطنى . الجبهة الوطنيه كان لها دورها الكبير لتدعيم الجبهة الداخلية . الشكل الحالى للجبهة لا يمثل كل طموحنا ، اذ لابد من بذل مزيد من الجهود . جبهتنا المطلوبة هى جبهة الشعب العريضة الواسعة . ليس المنظمات الموجودة ذاتها . نحن نطمح أن تكون لكل الشعب . هذه خطوة توصلنا اليها . على أن زيادة الثقة والتفاعل يساعد أكثر على تحقيق جبهة كل الشعب .

بعد سنوات من التجربة لابد أن يكون هناك ثغرات وسلبيات . لكننى لا أعتقد أنها كبيره . التراث السلبى بعدم التعاون فى السابق . وهذا يحتاج الى وقت لتصفيتها والغائها . وهذا يختلف حسب ظروف كل تنظيم عن الاخر . الجميع بمافيهم الحزب الشيوعى السورى له منطلقات قومية ووطنية . الجميع مع الاهداف القومية والوطنية . نمو الجبهة فى سوريا يعطى النموذج لجبهات أخرى فى أقطار أخرى ، لنصل جميعا الى تحقيق أداة الثورة .

■ الرفيق فايز اسماعيل [تنظيم الوحدويين الاشتراكيين الذى اندمج مع البعث مؤخرا] : بدأنا الحوار الذى استمر عاما كاملا ، نحن القوى السياسية فى الماضى كنا مختلفين ونسبيا متناقضين . زرع الثقة أهم كسب حققته الجبهة . صار فيه تعاون وحتى تكامل . وهذه ظاهرة لم يشاهدها القطر . كل هذا تم نتيجة :

١ - الظروف القاسية التى تمر بها البلاد ، وهى ظروف تفرض الالتقاء ٢ - الثقة التى يتمتع بها الرئيس الاسد فالكل مجمع عليه ٣ - الارتقاء الى مستوى المرحلة بين القوى السياسية بعد ان تقاربت المسافة بيننا . ٤ - مناهجنا أصبحت متقاربة . الحزب الشيوعى السورى تطور . ما كانت تنتقده عليه القوى القوميه اصبح غير وارد . القوى القومية نفسها تطورت أيضا وتخلصت من كثير من سلبياتها . نحن الان فى وضع صحى أفضل بكثير .

والجبهة تجتمع فى الظروف والمناسبات . الجبهة درست موضوع السادس من تشرين [اكتوبر] ١٩٧٣ . وحتى الشئون التموينية تدرس عن طريق الجبهة ، نحن وصلنا الى مرحلة من الثقة نطرح معها التنظيم السياسى الواحد [ملحوظة ، تم اندماج التنظيم مع البعث بعد ذلك الحديث بعدة أسابيع] لم تعد هناك خلافات حتى على كثير من التفاصيل . واعتقد انه بتحقيق التنظيم السياسى الواحد ، نكون قد حققنا أكبر كسب على المستوى العربى . بالنسبة للقطاعات الجماهيريه هناك تعاون على مستوى القطر ولحزب البعث دور كبير فى ذلك . الجبهة كانت فى الماضى عمل مرحلى فقط تنتهى بانتهاء المرحلة . الجبهة الان أهدافها للبناء . وهذا كسب ضخم .

ربما كانت الظروف الصعبة التى تمر بها البلاد لا تسمح بتنفيذ كل بنود الجبهة . لكن الثقة فى الرئيس الاسد كبيرة كممثل للجبهة .

واى جبهة يحدث داخلها خلافات . الا اننا نسعى للالتقاء . فى بعض الاحيان حزب البعث ينزل الى رأى الجبهة او العكس . وكان السيد الرئيس الفيصل ورأيه هو المرجح . واستطيع ان أقول ان الخلافات ليست جوهرية ولكن على التفاصيل .

■ الرفيق دانيال نعمة [الحزب الشيوعى السورى] : الجبهة أحد الانجازات الكبرى التى تحققت فى سوريا خصوصا بعد الحركة التصحيحية . بالنسبة لنا كان شعار الجبهة أحد شعاراتنا الاساسية منذ عام ١٩٣٠ . لذلك اقامة الجبهة كان انتصارا لكل القوى الوطنية والتقدمية .

مفهوم الجبهة كمقولة سياسية ، كنا على ثقة من أنه سيتحقق بعد مرحلة طويلة من الانتصارات والصعوبات . وقد سبق قيام الجبهة ، عند احتدام صراع النظام ضد الاستعمار [١٩٥٤-١٩٥٨] ، ان صار نوع من التجمع القومى ساهم فيه حزب البعث . والحزب الشيوعى ، وممثلون للضباط الوطنيين . أريد أن أقول أن لشعار الجبهة فى بلادنا تاريخ طويل وجذور . الجديد المتقدم فى الجبهة اليوم عما مضى ، ان للجبهة ميثاق جوهره الرئيسى يحدد المهام الوطنية المطروحة أمام الحركة الوطنية التقدمية العربية للنضال ضد العدوان الاسرائيلى المستمر وضد الامبرياليه . ومحتوى الجبهة امتزج بمهام تخلق مقدمات ضرورية للانتقال الى الاشتراكية .

الجبهة فى نظرنا ليست مجرد عمل مرحلى ، هى ضرورة لانجاز مهام الثورة الوطنية الديمقراطية . وهى أساس فى المستقبل لتجميع القوى التقدمية . انها فى نظرنا قضية استراتيجية ويشاركنا فى هذا الرأى الرفاق البعثيون والقوى الاخرى الممثلة فى الجبهة .

هل ما يجرى هو الصورة المثلى ؟ يمكن القول بأن بين مايجرى ومايجب ، لازال هناك مسافة . ولابد من جهود مخلصة من كل القوى وخصوصا من حزب البعث الذى يلعب فيها دور رئيسيا ومن بقية القوى . علينا أن ننشط أكثر ونبادر أكثر لتحريك الجماهير الشعبية فى النضال ضد الامبريالية ، وتحريك مختلف القطاعات فى قضايا الانتاج باعتبار أنها أساسية فى المعركة الوطنية . مطلوب مزيد من الحريات ومزيد من الثقة المتبادلة . ولا سبيل الى ذلك الا من خلال العمل . لو أن حزبا من الاحزاب قادرا على استقطاب كل القوى ما كان هناك ضرورة لتعدد الاحزاب . ولكن الظروف الموضوعية البحتة لوجود الطبقات الاجتماعية والمصالح المتباينة ، لا يمكن ان يعوض حزب واحد وجود بقية الاحزاب . ومن هنا فاننا نرى أن قوة أى طرف انما هى قوة للجبهة كلها . نحن نتصور أن قوة رفاقنا البعثيين وتطورها ، هى قوة للجبهة ولصفوف حزبنا نفسه . تلك مقولة صحيحة وتؤكدها التجربة يوما بعد يوم .

بالاضافة الى القيادة المركزية للجبهة ، توجد فروع لها مطلوب أن تنشط الفروع ، وكذلك النشاط الجماهيرى باتحاد النقابات العمالية . لقد عالجنا مؤخرا فى القيادة المركزية ، قضايا كبرى كزيارة كيسنجر وسياسته التى تحتاج الى تشديد النضال التوحيدى .

ينبغى أن تكون هناك لقاءات وعمل وطنى عربى ككل . من مهامنا تدعيم النظم الوطنية التقدمية العربية . وعندنا ثقة لا حد لها بالشعب المصرى وجنوده . وان كنا قلقين تجاه بعض ما يجرى فاننا نعمل من أجل أن تكون مصر ، فى طليعة الصف العربى .

■ **الرفيق اسماعيل القاضى | حزب الاتحاد الاشتراكى العربى |** : موضوع الجبهه موضوع أساسى لنا ، وهو شعار مبدئى لا تكتيكى . باعتبارنا حزبا ناصريا آمنا بهذا الشعار وخاصة بعد أن طرح الرئيس عبد الناصر شعار وحدة الثوريين العرب فى ١٩٦٦ . بعد نكسة يونيو ازداد ايماننا بالشعار لان مواجهة العدو تتطلب ضرورة وحدة كل القوى الوطنية والتقدمية .

والجبهة وسيلة وليست غاية ، الغاية هى الحركة العربية الواحدة . فنحن لا نؤمن بتعدد الاحزاب . وأملنا ألا تطول هذه المرحلة ومهمة الجبهة أن تنصهر كل القوى فى حزب واحد ليكون منطلقا على الصعيد القومى .

الحوار من اجل الجبهة ، كان يهدف الى ازالة عدم الثقة . وفى تقديرى أن هذه القوى نجحت فى ازالة كثير من هذه الرواسب والعقد . ونحن نتعامل الان بمنتهى الاخلاص وكأننا حزب واحد . وفروع الجبهــة فى المحافظات تتعــامل بنفس الروح .

ولا نستطيع أن نقول أن الجبهة فى سوريا عمل كامل . نحن فى بداية تجربة جديدة فى نوعها . المرحلة التى وصلنا اليها بداية موفقة يمكن اذا أخلصت كل القوى ، أن نصل الى المرحلة التى ننشدها جميعا وبالتالى لصلح تعميمها .

وعلى الصعيد الداخلى قطعنا شوطا كبيــرا بالنسبة للاحزاب علاقاتها تحسنت فى سـبيل التوحيد . على صعيد جماهير الشعب ، استطعنا أن نحشد كل الطاقات وأن نحقق الوحدة الوطنية ، على صعيد اقامةمؤسسات واعطائها دورها الكامل مثل الادارة المحلية ومجلس الشعب . وعالجنا كثيرا من القضايا التى تمس الحيــاة اليــومية للمواطن السورى .

وعلى الصعيد القومى ، نعتبر ان تعميق مفهوم الوحــدة العربيــة شىء أساسى لاخـراجه من حيز النظرية الى حيز التطبيق . نحن نسـعى الى الحركة العربية الواحدة للقاء هذه القوى على النطاق القومى .

صــفحة جــديدة

ان الجبهة الوطنية ، التقدمية فى سوريا لاتزال تخطو خطواتها الاولى ولا يزال امامها الكثير لاستكمال بقية مقوماتها ، الا أن قيامها . رغم ذلك . شكل انعطافا هاما فى حياة سـوريا كلها ، ذلك ان قيامها قد وضع حدا لاقتتال القوى الوطنية والثورية المتحــالفة . واغلقت بذلك صــفحة مريرة من الصراعات التى كانت تضر أبلغ الضرر بوحدة شعب سوريا .وباستقراره وحقه فى التقدم

والجبهة الوطنية التقدمية ، بهذا المعنى . تعد ردا حاسما على القوى الامبريالية والرجعية فى المنطقة ، تلك القوى التى عملت باستماتة ، خلال أكثر من ربع قرن . من أجل اعاقة وحدة القوى المعادية للاستعمار . ونجحت هذه القوى المعادية بالفعل فى أكثر من موقف ، فى الماضى ، وخاصة قبل ثورة ٨ مارس وحركة اكتوبر « تشريــن » التصحيحيه فى اذكاء التناقضــات الثانوية بين الاحزاب الوطنية والتقدمية ، ورفعها الى مرتبة التناقضات العدائية .. مما أدى الى تعطيل وعرقلة مسيرة التقدم الاجتماعى والاقتصادى فى سوريا .

لذلك نؤكد على أن تجربة الجبهة الوطنيــة التقدمية فى سوريا ، ايجابية فى مجموعها .. وان كانت لا تزال فى حاجة الى مزيد من التعاون والتضامن والتفاعل المتبادل من جميع أطرافها لتقوم بدورها الحقيقى والمطلوب .

وبقدر ما تخطو الجبهة خطوات ثابتــة الى الامام ، وبقدر ما تدعم مواقعها فى حياة سوريا السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقــافية ، بقدر مايصبح المثل الذى تضربه على النطــاق القومى مؤثرا وحافزا لكافة القوى الوطنيــة والثورية العربية ، على التقارب والتضــامن والوحدة .

وفى جميع الاحوال ، تظل المبادرة السورية فى طرح شكل الجبهة الوطنية التقدمية تحتفظ بكل قيمتها كتجربة سياسيه هامة ، وخطوه تقدميه فى سبيل حل التناقضات بين اطراف الجبهة بطريقة سليمة وبناءة ، وبطريقة تدعم وحدة الشعب فى معركة التحرير ضد التوسع الاسرائيلى ومخططات الاستعمار الجديد .

● مدرسة الأعداد الحزبى

قضية اعداد الكادر ، واحدة من القضايا الاساسيه التى تشغل اى حزب يتولى السلطة او يسعى لذلك . ومهمه الحزب الذى يصل الى السلطه ، هى قيادة المجتمع والدوله . وبقدر ما يتوفر له كادر قيادى قادر على ممارسة هذه الاعباء ، بقدر ما ينجح الحزب أو يفشل .

ومنذ تولى حزب البعث السلطة فى سوريا « ١٩٦٣ » اكتسبت قضية اعداد الكادر القيادى كيفية خاصة وملحة ، فاسس فى مايو ١٩٦٨ مدرسه لاعداد الحزبى المركزى فى دمشق و٤ مدارس فرعية فى المحافظات . وبعد حركة التصحيح « اكتوبر ١٩٧٠ » تقرر بناء « جامعة حزبية » لاعداد الكوادر . وفى النصف الاول من عام ١٩٧٢ ، انتهى بناء الجزء الاول منه « عرف النوم » فانتقلت المدرسة الى المقر الجديد فى ١٩٧٣ .

وتستمر الدراسة فى كل دورة ٦ شهور وأحيانا ٧ شهور . وتضم الدورة ما بين ٦٠ الى ٨٠ طالبا .

وتتناول المناهج المسائل الحزبيه « تاريخ الحزب ـ فكره ـ تنظيمه ـ اسلوب العمل الحزبى » ومحاضرات حول المنجزات الثورية وخاصة بعد تولى الحزب السلطه ، وحول انجازات البلاد اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا ، ليطلع الاعضاء على التطورات الجديدة بعد الثورة . وتترافق هذه الدراسات النظرية مع دراسات ميدانية .

وهناك محاضرات تتناول الشئون العربية ، اقتصاديا واجتماعيا وفكريا ، وأهم القضايا العربية « تاريخ ـ قومية ـ بترول ـ فلسطين .. الخ » . وتشغل مسالة الثقافة العامة نسبة ما بين ٤٠ و٥٠ فى المائة من المحاضرات . وتتناول الاقتصاد السياسى مع دراسة مقارنة بين الاقتصاد الاشتراكى والرأسمالى ، وتطور الفلسفة وتياراتها مع التركيز على تدريس الماركسية ، الى جانب ذلك تلقى محاضرات عن الحركة العمالية العربية والعالمية ومحاضرات عن الاوضاع الدولية الراهنة .

ويتناول المنهاج العملى ، التدريب على السلاح والاسعاف والتمريض والالة الكاتبة وقيادة السيارات . وتنظم للطلاب جولات للاطلاع على معالم البلاد والواقع الاجتماعى والاقتصادى وعقد اجتماعات مع المسئولين . كما يزورون الاماكن السياحية والاثرية . والى جانب ذلك يقومون باصدار مجلة حائط سوف تصبح فى المستقبل مجلة للمدرسه . وتقام ندوات يقوم الطلاب بالاشراف على تنظيمها ، ومنها مناظرات بين طلاب الدورة والمسئولين فى الحزب والدوله بشكل أسبوعى مرة أو مرتين .

وفى نهاية الدورة يتقدم الطلاب الى امتحان تحريرى وشفوى ، ومناقشة فى قضيه يكشف الطالب باعدادها . وغالبا ما تكون مشكلة اجتماعية يعدها ويناقشها . وفى حالة نجاحه يعطى شهادة الاعداد الحزبى بتوقيع الرفيق امين عام الحزب . وهى شهادة قيمتها معنوية أولا ، وحاملها له الاولويه فى تولى مهام قياديه . وذلك حتى نصل الى بعد ذلك الى المرحلة التى لايكلف بمسئولية قيادية الا خريج المدرسة .

وبالنسبه للمحاضرين ، فان معظمهم قد تلقى دراسته فى مدارس الاعداد الحزبى المماثلة فى الدول الاشتراكية وخاصة الاتحاد السوفيتى .

وهناك نظام داخلى تقدم فيه للطالب كل حاجاته من طعام ـ نوم ـ غسيل . الخ . واذا كان موظفا يظل راتبه قائما . أما من ليس موظفا ، فان المدرسة تخصص له راتبا مناسبا لاعانة أسرته . وطلاب المدرسة المركزية من سوريا ومن منظمات حزب البعث فى دول عربية أخرى ..

اما المدارس الفرعية ، فمدة الدورة فيها شهران . ومهمتها التثقيف والكشف عن المواهب القياديه .

وتتلخص شروط الانتساب للمدرسه ، فى ان يكون المرشح عضوا عاملا بالحزب ، وأن يكون ممارسا لقيادة حزبية أو اتحادات شعبية ، وأن يكون حاصلا على شهادة فى مستوى الثانوية . اما بالنسبة للمنظمات الشعبية فانه يتم التساهل فى هذا الشرط .

لقد اسست المدرسة لتكون فى مستوى جامعة ، وبعد الانتهاء من البناء « اخر عام ١٩٧٥ تقريبا » ، ستحول الى مستوى اكاديمى . والتصور حتى الان ان تكون الدراسة نوعان :

أولا : دراسة لمدة ٤ سنوات بعد الشهادة الثانوية يحصل بعدها الطالب اجازة جامعية رسمية . وسيكون بالجامعة عدة فروع ، فرع الاعداد الحزبى والجماهيرى . وفرع للعلوم الاجتماعية والاقتصادية . وفرع للتوجيه السياسى والعقائدى . ثانيا : دراسة على شكل دورات تختلف فى مددها ومناهجها حسب الحاجة منها .

وسوف لا تقتصر المدرسة ، وخاصة بعد تحويلها الى أكاديمية ، على قبول البعثيين فقط . ولكن لكل القوى التقدمية سواء من داخل سوريا او من خارجها ، وذلك بالتعاون مع الاحزاب الاشتراكية الحاكمة وغير الحاكمة ، العربية او غير العربية ، على شكل منح تقدم لها . أما حاليا فليس بالمدرسة غير البعثيين .

ويمكن أن تشمل الدورات أعضاء القيادة باشراف الامين العام للحزب ، وذلك لاثراء فكر الحزب .

والدراسة مختلطة . وحتى الآن نسبة الرفيقات أقل . أما بالنسبة للسن ، فهو غير محدد فى الوقت الحالى . وبعد ذلك سيكون لمن يبلغون ٢٥ عاما فما فوق .

وخلال السنة الاولى والثانية ، ستكون الدراسة مشتركة . أما باقى السنتين الاخيرتين فيتخصص الطالب فيهما .

ومن المتوقع ان يبلغ متوسط عدد الطلاب بعد تحويلها الى أكاديمية ، حوالى ٥٠٠ طالب داخلى فى الدفعة الواحدة . وبالمدرسة ٥٠ غرفة تضم كل منها ٤ طلاب . وسوف تتوسع فى هذا الصدد ، حيث انها اقيمت على ارض واسعة تبلغ مساحتها ٤٠ هكتارا . وملحق بالمدرسة فيلات لاقامة ضيوف المدرسة والمحاضرين القادمين من الخارج . وبالمدرسة مستشفى صغير خاص بها وتضم ٣٠ سريرا . وبالمدرسة جناح للرياضة البدنية ، وقسم كبير للزراعة لامداد المدرسة بمواد الغذاء .

[٣] سوريا و٣ تجارب فى البناء

عبد المنعم الغزالى

● تجربة سد الفرات

نهر الفرات ـ نهر دولى مشترك ـ ينبع من الاراضى التركية ويجرى فى سوريا والعراق ويصب فى الخليج العربى .

وتبلغ مساحة حوض الفرات حوالى ٤٤٤ الف كيلو متر مربع ، ومساحة الوادى فى سوريا ما بين طرابلس فى الشمال وابو كمال فى الجنوب الشرقى نحو ١٦٥ الف كيلو متر مربع ـ بينما المساحة الكلية للقطر السورى ١٨٥ الف كيلو متر مربع . وهكذا تبدو اهمية النهر بالنسبة لسوريا، وخاصة اذا علمنا ان مياه الفرات تشكل ٨٣ فى المائة من مجموع الجريان السنوى للانهار السورية .

ويبدأ نهر الفرات فى تشكيل مجراه من رافديه الرئيسيين « فرات صو » و « مراد صو » قرب كيبان فى تركيا ، ثم تتدفق مياهه فى هضاب ارمينيا مخترقة المرتفعات التركية فى خوانق عميقة وحقيقة . وتدخل الاناضول فى مجرى ضيق سريع الانحدار . ويتسع المجرى كلما بعد النهر عن منبعه ـ ويظل النهر فى مساره لمسافة ٤٣٠ ك . م بعد التقاء رافديه الرئيسيين حتى يصل الحدود السورية ـ التركية عند بلدة بيرجيك التركية ، ثم يجرى النهر فى سوريا مسافة ٦٨٠ ك م . ومن روافده فى سوريا الساجور والبليخ والخابور وبعض مجارى السيول ـ ويصل متوسط تصريفه السنوى فى الطبقة ويوسف باشا حوالى ٨٥٠ م

مكعب فى الثانية . ثم يدخل النهر القطر العراقى عند القائم على الحدود العراقية السورية .

ويبلغ الايراد المائى السنوى الوسطى لنهر الفرات فى كيان حوالى ٢٠ مليار متر مكعب وعلى الحدود السوريه - التركيه حوالى ٢٧ مليار متر مكعب وعلى الحدود السوريه - العراقية حوالى ٢٦ مليار متر مكعب .
ويفيض النهر شتاء بعد هطول الامطار وفى الربيع بعد ذوبان الثلوج فى المرتفعات التركية - ثم تنخفض مياهه فى الصيف والخريف .

الرى .. والكهرباء

ولارتباط الاقتصاد فى سوريا أساسا بالزراعة ، واد استشعرت سوريا ان معظم مواردها المائية قد استنفدت ، فانها منذ عام ١٩٤٧ بدأت تفكر فى ضرورة استثمار حصتها من نهر الفرات والذى تشكل مياهه ٨٣ فى المائة من مصادر البلاد المائية ، ففى ٢٠ مارس ١٩٤٧ وقعت وزارة الاشغال العامه والمواصلات السورية اتفاقا مع شركه الكسندر جيب البريطانية لصمن البحث عن امكانية استثمار مياه الفرات وتوليد طاقه كهربائيه - مائية تستخدم فى ضخ ميه الشرب الى حلب . وأعلنت الدراسة الاولية للشركه عن امكانيه انشاء خزان واقامة محطة كهربائية مائية . ولكن هذا المشروع لم ير النور نظرا لضخامته ، وتفضيل الحكومة السورية حينئذ انجاز مشاريع الرى الصغيرة .

وفى ديسمبر ١٩٥٧ وقعت الجمهوريه العربية السورية مع الاتحاد السوفييتى اتفاقيه للتعاون الاقتصادى والفنى ، والتى تلاها توقيع عقدين فى ١٩٥٩ لانتقاء موقع السد والمحطة الكهربائية - المائية . وخلال الابحاث والدراسات التى قام بها الجنب السوفييتى ، توقف تنفيذ العقود مع الاتحاد السوفييتى فى ١٩٦١ ، حيث وقعت سوريا بروتوكولا مع الجمهورية الاتحادية الالمانية - تضع المانيا الغربية بمقتضاه ٥٠٠ مليون مارك بمائده ٣٫٧٥ فى المائة لسد نفقات النقد الاجنبى للمشروع .

وفى فبراير ١٩٦٢ وقعت ادارة مشروع الفرات عقدا مع شركة ف . ب . ب السويدية وشركة « لاهماير » الالمانية تقوم - بموجبه - الشركتان بتقديم الدراسات اللازمة لانشاء سد الفرات فى الطبقة ، وهى نفس المنطقة التى حدد السوفييت من قبل انها اصلح مكانا لاقامة هذا السد .

وقدمت الشركتان دراستهما فى فبراير ١٩٦٤ . ولكن تعثر المفاوضات وتعقدها مع الجانب الالمانى - الغربى وطولها دون فائدة اوقف البدء فى تنفيذ المشروع .

وفى ابريل ١٩٦٦ وقعت الحكومة السورية مع الاتحاد السوفيتى بروتوكولا جديدا تضمن اسس التعاون بين الحكومتين لانشاء المرحله الاولى من المشروع . وفى ديسمبر ١٩٦٦ وقعت اتفاقيه اخرى ضمنت تعهد الاتحاد السوفيتى بتقديم قرض الى سوريا قدره ١٢٠ مليون روبل وبفائدة سنويه ٢٫٥ فى المائة يستخدم فى اعمال التصميم والدراسات ، وتوريد المعدات والالات والاليات الانشائية وثمن قطع الغيار ومواد الصيانه ، ولتعويض اجور ونفقات الاخصائيين السوفييت . ويتم استرداده خلال اثنى عشر عاما بعد مرور سنة كاملة على انجاز المشروع .

الثورة ، مدينة جديدة

وبدا العمل فى تنفيذ المشروع ، عقب ذلك مباشرة : وفى مارس ١٩٦٨ وضع الحجر الاساسى للمشروع . وفى عام ١٩٧٠ بدأت مدينه الطبقة تشهد قيام معالم جديدة فى موقع العمل . منشات جديدة ، مدينة سكنية ، وانجزت سدود الحماية على الضفتين اليمنى واليسرى ، ومحطه التحويل فى الشيخ سعيد بحلب وخط نقل الكهرباء بين حلب والطبقة بتوتر ٢٢٠ كيلو فولت وبطول ١٦٠ ك . م ، ومحطه التحويل فى الطبقة بتوتر ٢٢٠ كيلو فولت . وقد وصلت الكهرباء الى الطبقة فى اغسطس ١٩٦٩ .

وبدا العمل بمعدلات سريعه - ليقوم سد الفرات فى الطبقة والتى عرفت بعد ذلك باسم « الثورة » . وهو سد ترابى من الحصى والرمل ويبلغ طوله مع جناحه الايسر ٤٥٠٠ م ، وارتفاعه ٦٠ مترا وأكبر عرض له فى القاعدة ٥١٠ مترا وفى القمة ١٩ مترا ، وحجم جسم السد حوالى ٤٦ مليون متر مكعب ردم معظمها بطريقة التجريف الهيدروليكى . ويسمح السد بتخزين المياه بشكل عادى حتى ٣٠٠ م فوق سطح البحر فى المرحلة الاولى ، ويصل فى المستقبل الى ٣٢٠ م . كما أن محطة التوليد ستولد ٨٠٠ الف كيلو واط تولدها ثمانى وحدات ويعمل منها حاليا ثلاث وحدات وعندما تتم المرحلة الثانية ستصبح الطاقه المولدة ١٫٠٠٠٫٠٠٠ كيلو واط ، ونصل الطاقه السنوية فى حالة الخزن حتى ٣٠٠ م - ١٫٦ مليار كيلو واط ساعة تصبح ٢٫٤ مليار كيلو واط ساعة عندما يصل منسوب الخزن الى ٣٢٠ م .

آفاق المشروع

وسد الفرات ــ يعتبر اليوم ركيزة اساسية لخطط وبرامج التنميه الاقتصادية والاجتماعيه فى سوريا . فهو سيحقق :

١ ــ توليد طاقة كهربائية ضخمة ورخيصة للصناعة السورية ــ تصل قدرتها الى الارقام التى حددناها فى السطور السابقة . ويتضح لنا مدى ضخامة هذه الطاقة التى ستولد من المشروع عند مقارنتها بالطاقة الكهربائية المولدة حاليا فى جميع انحاء سوريا ، والمقدرة بأقل من مليار كيلو واط ساعة سنويا .

٢ ــ سيتمكن المشروع من رى مساحات كبيرة من الاراضى الزراعية الخصبة تصل مساحتهاالى ٦٤٠ الف هكتار ، ومن المقدران تصل مساحتها الى ٠٤ر١ مليون هكتار .

٣ ــ تنظيم مجرى النهر ، ودرء أخطار الفيضانات عن سوريا والعراق ، وانهاء عصر الكوارث التى تؤدى الى ضياع الارواح والاموال .

٤ ــ ادى تنفيذ المشروع الى تقديم عدد كبير من الاحصائيين المدربين على أعمال انشاء السدود واستصلاح الاراضى . وفى الاعمال الهندسية المختلفة .

٥ ــ وتتوقع كل الدراسات ان يحقق انجاز سد الفرات نتائج هامه فى مجالات : ١ ــ زيادة الانتاج الزراعي والحيوانى ، وهى زيادة ستؤدى الى احداث نمو فى دخول الفلاحين ورفع مستواهم المعيشى وتوسيع السوق الداخلية وتطوير المناطق المتخلفة ٢ ــ تغيير العلاقات الاجتماعيةفى منطقة المشروع . ٣ ــ تلبية حاجات الصناعة المحلية من المواد الاولية والكهرباء .

٦ ــ ان سد الفرات سيؤدى الى زيادة فى الدخل القومى السورى تقدر بـ ٧٠٠ مليون ليرة سنويا فى الزراعة فقط ، كما أن الاستثمار غير المباشر سيزيد الدخل القومى الى حوالى ١٤٠٠ مليون ليرة سورية سنويا .

ان سد الفرات شأنه شأن شقيقه سد اسوان من أهم منجزات حركة التحرر الوطنى العربيه فى مواجهة التخلف والتبعية والاستعمار الجديد .

دروس مستفادة

ومن خلال حوارنا مع العاملين وممثليهم فى موقع سد الفرات سجلنا بعض الدروس المستفادة:

اولا : ان بناء سد الفرات ، تحقق على اساس اسناد مسئولية بنائه الكاملة الى هيئة قطاع عام ، الامر الذى أكد امكانية القطاع ، وخاصه اذا ما تحرر من الروتين والبيروقراطية وسيطرة المقاولين والقطاع الرأسمالى أن ينجز وحده مهام كبيرة

ثانيا : ان عملية بناء السد تمت على اساس اشراك العاملين بكل ارادتهم ، وبوعى كامل بالانجاز الكبير الذى ينجزونه ، وهذه المشاركة الديمقراطية هى التى مكنت انسان سد الفرات من أن ينجز الكثير من مهامه فى البناء فى أقل من المدة المحددة ، وأن يقدم حجما كبيرا من العمل التطوعى ــ أنه اذا ما اعطيت الثقة للجماهير الشعبيه فانها تاتى بالمعجزات .

احصائية عن حجم الأعمال فى مشروع سد الفرات

- حفريات ترابية وصخرية واعادة حفر ٢٠ مليون متر مكعب .
- ردميات جافة وردميات بالتجريف ٤٥ مليون متر مكعب .
- اسمنت مسلح ٥ر١ مليون متر مكعب .
- أعمال حقن ٩٠ ألف متر طولى .
- أعمال تركيب تجهيزات مائية ميكانيكية ١٤ الف طن .
- أعمال تركيب تجهيزات طاقات مائية ٧ر٥ الف طن بالاضافة الى تركيب التجهيزات الكهربائيه والتجهيزات الاخرى المساعده .
- تطلب تحقيق وانجاز هذه الاعمال ٥ر١٧ مليون عمل ــ يوم فى الأعمال والانتاج .
- استخدم فى المشروع تسع جرافات هيدروليكية و ١٩ كراكه كبيرة من مقاسات مختلفة . و ٨ روافع برجيه حمولته ١٠ طنا هذا عدا العشرات من الروافع المختلفة النوع والحمولة ، وعدد كبير من المعدات والالايات .
- تبلغ التكلفه الاجماليه لتنفيذ السد والمحطة الكهربائيه حوالى ١٢٠٠ مليون ليرة سورية .

ثالثا : ان عملية بناء سد الفرات قد حققت - من خلال العمل والبناء - وحدة كل العاملين فى المشروع . وحدة العمال والمهندسين والفنيين المثقفين ، والوحدةمع الكادحين فىالمنطقة . وجو العمل قد ازال كل تمايز اجتماعى بين المشاركين فى بناء هذا السد . كما ان كافة المؤسسات الديموقراطية ، والشعبيه والنقابيه تشكلت من خلال العمل والبناء فجاءت معبرة عن كيانات ديمقراطية حقيقية ، ارتبط مصيرها وكيانها الديمقراطى بانجاز المشروع والاستمرار فى جنى ثماره .

رابعا : ان مشكلة تكوين كادر متخصص ومهنى وفنى ، رغم أنها من المشاكل المعقدة ، اثبتت تجربة البناء انه من الممكن التغلب عليها ، وهى ليست شبحا مخيفا كما تحاول قوى الاستعمار الجديد أن تصورها - ومن الممكن التغلب عليها من خلال العمل والبناء والممارسة الديمقراطية واحترام قيمة الانسان .

ووفق تقدير نقابة العاملين بالمشروع فان مشروع سد الفرات قدم الى خطط التنمية فى سوريا اكثر من ثلاثة الاف كادر فنى جديد من ابناء الطبقة العاملة السورية ، ومن بينهم مئات يعتبرون خبراء متخصصون وذلك وفق تقدير الخبراء السوفييت الذين عملوا فى الموقع جنبا الى جنب مع قوى البناء والتشييد السورية .

ان هذه الدروس كلها تقدم سد الفرات الى الانسان العربى ، كتعبير عن :

١ - اصرار الشعب العربى على تنمية موارده الطبيعية وعلى دعم استقلاله السياسى وعدم الركوع أمام الاستعمار الجديد بكل اشكاله .

٢ - أهمية - وضرورة - دعم علاقات التعاون مع البلدان الاشتراكية ، وخاصة مع الاتحاد السوفيتى - الذى أكد انجاز هذا المشروع صدق تعاونه والتزامه .

٣ - ان انجاز السد يعبر عن استمرار ثورة التحرر الوطنى العربية فى انجاز خطط التنمية من أجل تغيير حياة الجماهير الكادحة ورفع مستواها فى نفس الوقت الذى يستمر فيه نضالها ضد الاحتلال الصهيونى الامبريالى للأرض العربية .

كلمة أخيرة - فانه بينما يعتبر قيام سد الفرات كواحد من اكبر السدود العالمية انتصارا لارادة الانسان العربى - فان جو الخلافات الاخير بين سوريا والعراق على اقتسام مياه النهر ، هو جو يجب أن يصفى ، لان استمراره ، وازدياد تلبده بالغيوم ليس لصالح قضية النضال العربى العام ضد الصهيونية والامبريالية ، وهو ضار كل الضرر بقضايا خطط التنمية والتطوير الاقتصادى والاجتماعى للوطن العربى ، ان الخلاف يجب أن يحسم من منطلق مصلحة الثورة العربية،ووحدة قوى وفصائل هذه الثورة على اختلاف عقائدها ومشاربها .

لقد قام سد الفرات - معلنا ان ارادة الانسان العربى فى امكانها أن تنجز مشاريع ضخمة ، ونفس الارادة مدعوة لان تنجز فى مجال وحدة قوى الثورة العربية انجازا هاما ، هو تصفية كل خلاف بين سوريا والعراق . وليكن مشروع مثل سد الفرات - شأنه شأن شقيقه السد العالى - ملكا للانسان العربى الكادح الذى تستهدف مثل هذه المشروعات العظيمة رفع مستواه وتغيير حياته الجافة المتخلفة ، والخروج به الى نور الثلث الاخير من القرن العشرين . أ

عن الثقافة العمالية ومجالس الانتاج

التجربة الاولى : الثقافة العمالية

تأسس المعهد النقابى المركزى فى ١٩٦٨ . وكانت تتولى ادارته عند تأسيسه ادارة مشتركة من الاتحاد العام للعمال ووزارة العمل ، ولكن المعهد كان يتبع فى نفس الوقت وزارة العمل اداريا وماليا . وكانت هذه التبعية تشكل حاجزا روتينيا واداريا امام انطلاق الحركة النقابية فى مجال الثقافة العمالية . ولذلك فانه فى عام ١٩٧٢ طالبت الكتلة العمالية فى **مجلس الشعب السورى** بفصل المعهد المركزى النقابى عن وزارة العمل ، وتبعية المعهد والمعاهد الاعدادية الاخرى ، والتى منها حاليا معاهد حمص وحلب واللاذقية ودمشق - للاتحاد العام للعمال . وتشكل مجلسا

عاما يرأسه رئيس الاتحاد العام للعمال وتشكل عضويته من أعضاء من الاتحاد العام للعمل ومدير المعهد المركزى .

والتجربة التى يتعين وان تقدم كمبادرة هامة فى مجال الثقافة العمالية فى البلدان العربيه . هى ان المعهد المركزى النقابى فى سوريا اذ حصل على استقلاله عن الدولة ، واصبح يستمد وجوده اساسا من الحركة النقابية ، ويلتزم بقرارات الاتحاد العام وقرارات مؤتمراته فانه قد تمكن من أن يقدم برامج نقابية وعمالية تهدف الى رفع المستوى الفكرى والثقافى لاعضاء النقابات ، وبشكل يخدم اهداف الطبقة العاملة وتطلعاتها ، ويوضح حقوقها ، وخاصة بعد ان انتهت سيطرة الجهات الحكومية والادارية على الثقافة العمالية.

ومنهاج الدراسة فى معاهد الثقافة العمالية ، هو منهاج ملتزم بالطبقة الاجتماعية التى يسعى الى رفع مستواها الفكرى والثقافى والسياسى ، والمهنى : وينقسم هذا المنهاج الى أربعة اقسام :

القسم الاول : ويختص بتدريس العلوم الاجتماعية . وهو يتضمن أكثر من ثمنية عشر موضوعا ، من بينها موضوعات عن القوى الانتاجية وعلاقات الانتاج ، القاعده والبناء الفوقى للمجتمع ، التشكيلات الرأسمالية ـ ماهى الطبقات ، الصراع الطبقى ودوره فى المجتمع ، الثوره الاجتماعيه ـ المجتمع الاشتراكى ـ حركة التحرر الوطنية والقومية ـ الحركة الثورية العالمية .. الخ .

القسم الثانى : عن النقابات ومهامها الرئيسية فى النضال الثورى المعاصر ، وموضوعات هذا القسم تصل الى سبعه عشر موضوعا . منها : مفهوم العمل النقابى فى النظامين الراسمالى والاشتراكى فى العمل النقابى ـ والعمل السياسى ـ الحركه النقابيه العالميه ـ الحركة النقابية العربية ـ والنقابات ودورها فى التحالف الوطنى التقدمى ـ النقابات والتنمية الاقتصادية والاجتماعية ، النقابات والادارة الاقتصادية .. الخ

القسم الثالث : المبادىء الرئيسية للعمل النقابى ، وهو يتضمن ثلاث برامج رئيسية فى ٢٥ محاضرة . البرنامج الاول : عن « قانون العمل » . والثانى : عن الضمان الاجتماعى ، والثالث : عن التنظيم النقابى .

القسم الرابع : عن المهمات الرئيسية للعمل النقابى فى القواعد ، وهو يتضمن ما يقرب من العشرين محاضرة . ويغطى الموضوعات الرئيسية التالية : ا ـ النشاط التنظيمى . ب ـ النشاط الثقافي جـ ـ النشاط الاجتماعى د ـ الامن الصناعى والصحة والسلامة العامة .

والتجربة السورية تتميز ، بانها اول تجربة عملية فى مجال الثقافة العمالية تقدم منهاج يتميز بالاستقلالية عن محاولات الطبقات البورجوازية للسيطرة على مناهج الثقافة العمالية ، واتباعها لفكرها وثقافتها ، وتتميز هذه البرامج بالتزامها بفكر الطبقة العاملة وبالاشتراكية العلمية ، وبوحدة الطبقة العاملة العالمية والعربية .

وبخلاف ما يحدث فى كثير من البلدان العربية ، فان المحاضرين ينتقون على أساس التزامهم الفكرى والاجتماعى : فهم اما من النقابيين أو من اساتذة الجامعة والمثقفين الملتزمين بالفكر الاشتراكى .

وهكذا ، نجد ان التجربة السورية فى مجال الثقافة العمالية تحقق الى مدى كبير المبادىء التالية :

١ ـ ان الثقافه العمالية مسئولية الطبقة العاملة وحدها . والاشراف الكامل عليها للتنظيمات النقابية العمالية .

٢ ـ بلورة مفاهيم الطبقة العاملة ، لتكون أساسا لفكر علمى تتسلح به الطبقة العاملة كأداة فى مواجهه اشكال الاستغلال المحليه والاجنبيه . وان تكون واعية بقضيتها القوميه ، وتأهيلها لتحتل مكانتها التاريخية فى حركة التحرر العربية .

٣ ـ تطوير التراث الثقافى وتنقيته من الثقافات الدخيلة التى فرضتها الطبقات المستغلة المرتبطة بالاستعمار والصهيونية لتحل محلها ثقافة العمال فى مجال العلوم الاجتماعية والفنية والعلمية ، ولتغيير القيم الاجتماعية الموروثة عن عهود مجتمعات الاقطاع والراسمالية والتخلف .

٤ ـ دعم اتصالات الطبقة العاملة العربية بالفكر التقدمى العالمى ، وتعريف العمال بأوضاع

الحركات النقابية فى العالم ، وربط نضال الطبقة العاملة العربية بنضال الطبقة العاملة فى العالم وحركات التحرر الوطنى .

التجربة الثانية : «مجالس الانتاج

فى شهر أكتوبر ١٩٧٤ ، اصدر **الاتحاد العام للعمال** قراره رقم ٣ بتشكيل المجالس الانتاجية فى الوحدات الانتاجية . ويستهدف هذا القرار اشراك جماهير العمال اشراكا حقيقيا فى تنظيم علاقات الانتاج وفى عملية الانتاج لتحسينه كما ونوعا .

وتجربة تشكيل مجالس الانتاج فى سوريا ، تجربة حديثة لم يستوعبوها بعد ، ولم تنضج فى التطبيق ، الا ان تطبيقها فى بعض المجالات مثل سد الفرات والشركة الخماسية ، يمكن ان يكون نموذجا جديرا بالدراسة من قبل الحركة العمالية العربية .

ومن خلال الحديث — مع أعضاء اللجنة النقابية فى الشركة الخماسية « سابقا » ومع رئيس مجلس ادارتها تبينت لنا الامور التالية :

الاول : ان بناء مجالس الانتاج العمالية جاء كمبادرة عمالية وجهة نضالية يومية هدفها فتح الطريق لتحقيق الادارة الديموقراطية فى المشاركة العمالية الفعلية والكاملة فى قيادة عملية الانتاج .

الثانى : ان التصدى للمهمات الانتاجية يتطلب من جميع العاملين فيه المشاركة الايجابيه فى عملية الانتاج ، والعمل على تطوير الواقع الانتاجى نحو الاحسن والافضل .

الثالث : تضافر الامكانيات الفنية والادارية مع الجهود العمالية والتنظيم النقابى . وان هذه العلاقة القائمة على الاحترام المتبادل كفيلة بامتصاص كل السلبيات التى تبرز من خلال الممارسة والنشاط اليومى ، ولتجنيب العمل الحساسيات والمعارك المفتعلة بين العمال وتنظيمهم النقابى من جهة وبين الفنيين والجهاز الادارى من جهة أخرى .

الرابع : ان فعالية المجالس الانتاجية تتحقق بشكل أفضل كلما جاءت نتيجة التحرك الطوعى والاختيارى للعمال الطليعيين . وأنه كلما بعد تحقيق التجربة عن الاوامر الاداريه والعلويه كلما آتت ثمارها .

وفى الشركة الخماسية — وهى اكبر شركات القطاع العام الصناعية فى مجال الغزل والنسيج ، تتشكل لجان الانتاج على النحو التالى :

١ — تتشكل لجنة انتاج فى كل وردية تابعة لقسم من أقسام الشركة ، وهى تتكون من العمال الطليعيين فى الانتاج والعمال القياديين فى المجالات النقابية والانتاجيه والوطنية . ومهمة هذه اللجنة المشاركة فى وضع الخطة العمالية اليومية والاسبوعية والشهرية والسنويه ورفعها للجهة الاعلى ، والمشاركة العملية والفعلية فى تنفيذ الخطة ، ووضع كل الامكانيات اللازمة نحو زيادة الانتاج وتحسين مستواه . وتقوم بشرح خطة العمل الاسبوعية للعمال لحفزهم على تحقيق الخطة وزيادة معدلها .

٢ — **لجنة القسم** ، وتتشكل من مجموعة الصالات « القسم » ، لجنه انتاج القسم من عدد من العمال الطليعيين . وتقوم بقيادة العمل الانتاجى فى القطاع المخصص لها ، والعمل على تحقيق الخطط ، وما يتطلبه ذلك من جهود بشريه ومواد وتجهيزات .. الخ .ودراسة وضع الالات وصيانتها وعلاقه القسم بالاقسام الاخرى .

٣ — لجنة انتاجية عليا « مجلس الانتاج » — وتتشكل من أعضاء اللجنة الاداريه ، ورؤساء لجان الاقسام ، ومدراء الاقسام ، وعدد من الفنيين ، واللجنة النقابيه . ومهمة هذه اللجنه العليا ، وضع الخطة على نطاق الوحدة كلها ومراقبة تنفيذها ووضع الخطط والبرامج لعمل الشركة ، ودراسة الاقتراحات الواردة من اللجان الدنيا والعمل على اقتراح الحلول للمشاكل التى تعوق العمل والانتاج .

وهكذا تجىء تجربة لجان الانتاج تلك تجربة ايجابية وبناءة — صاغها الوعى العمالى من خلال تجربته الذاتية — لمواجهة كل الممارسات السياسية والاجتماعية والانتاجية والبورجوازية والبيروقراطية ، هذه الممارسات لم تكن تخدم على الاطلاق المصالح الحقيقية للطبقة العاملة ، ومصالح كل الشعب . كما أنها جاءت كذلك لتحقق مشاركة ديمقراطية حقيقية للعاملين فى بناء الاقتصاد الوطنى وللتأكيد على الدور الطليعى للطبقة العاملة فى هذا البناء ، وهو دور لا يمكن أن يتأكد وجوده الا بالمشاركة المنظمة والواعية والديمقراطية لجماهير العاملين فى القاعدة الاقتصادية .

رؤيـــة نقــدية

لبيــان الحـــكومــة

عادل حسين

نشرت « اخبار اليوم » رسالة ـ على لسان احد القراء ـ تسأل : هل استطيع ان اقول « لا » **لممدوح سالم** رئيس الوزراء دون ان يقبض على ، او احاكم ، او اسجن ، او ارفت من وظيفتى ؟ ـ ولا ادرى حكمة كتابة هذه الرسالة ، ولا يقدم تفسيرا ان «اخبار اليوم» قد علقت، وباسم رئيس مجلس الوزراء بأن من حق المواطن ان يقول لا . . ولا .

على أى حال .. لقد سبق أن استخدمت « **الطليعة** » حقها فى نقد سياسة حكومة د . **عبد العزيز حجازى** . وهاأنذا أستخدم نفس الحق فى أن أقول « لا » لكل ما أعتقد أنه يستحق الاعتراض فى سياسة الوزارة الجديدة ، ولاشك أن السيد **ممدوح سالم** سيتسع صدره لما نقول ، فنحن فى مرحلة عصيبة ، نحن نواجه عدوا يحتل بعضا من أرض الوطن ، ونواجه ضغوطا تهدد مكتسبات الجماهير العاملة ، ومن الواجب ـ فى هذه الظروف ـ ان يتسم الحوار بالمصارحة التامة من اجل تحقيق وحدة وطنية حقيقية ، وحدة تقف ضد محاولات الاستعمار الجديدة للتسلل الى واقعنا الاقتصادى والاجتماعى والسياسى . وحدة لا تجور طبقة فيها على مصالح طبقات اخرى ، وحدة تحقق حدا معقولا من مصالح الطبقات الكادحة ، وحدا معقولا من مصالح الرأسمالية الوطنية .

قد يقال أن الوزارة لم تكد تبدأ فى العمل . ولكن هذا بالتحديد ما يحثنا على تسجيل النقد ، فكون العمل لم يبدأ بعد شهر من تشكيل الوزارة ، فى أمور تتطلب السرعة والحسم . هو أمر يستحق المؤاخذة .. ومن ناحية أخرى فان بيان الحكومة أمام مجلس الشعب قد حوى بعض القضايا الهامة حول مفهوم الانفتاح . **ورغم أن البيان لم يفصح** الافصاح الكامل عن سياسة **الحكومة فى هذا المجال** ، **فان بعض الاشـــارات الواردة تكفى** للتحذير ، ويحسن ان **نعلن رأينا بصراحة** . قبل أن **يبدا التنفيذ** .

مسائل تطلب الحسم

■ ففى اطار الامور التى تتطلب السرعة والحسم • نبدأ مثلا بمشكلة الاسعار • وبيان الحكومة يؤكد هذا • فقد حدد أن المهمة الاولى للحكومة فى المرحلة القادمة هى « المواجهة السريعة لمشاكل الحياة اليومية للجماهير • وعلى رأسها مشكلة ارتفاع الاسعار وصعوبة الحصول على بعض السلع التموينية والاساسية •• وهى المواجهة الضرورية التى قال السيد الرئيس عنها بأنه عندما يكون الامر هو حياة الناس ومعيشتهم وتكاليفها فاننا يجب أن نجرب المستحيل » •• وستعمل الحكومة « على تثبيت الاسعار ودراسة امكانية تخفيض أسعار بعض السلع والحد من ارتفاع أسعار السلع الغذائية مثل الخضر والفواكه » .

هذا ما أعلنه بيان الحكومة ، ولكن ماذا تم ؟ نحن لا نزعم أن الحكومة تملك عصا ساحر فى مواجهة مشكلة الغلاء ، ولكننا نطالب ببرنامج محدد ، وخطوات تنفيذية سريعة ، تقنع المواطنين بأننا نتجه فعلا نحو الهدف .

قد يقال ، أن بيان الحكومة قد وعد فعلا بعدد من الاجراءات منها : الاستمرار فى دعم السلع المنتجة محليا أو المستوردة ، واتخاذ كافة الاجراءات التى تكفل توفير احتياجات البلاد من السلع المختلفة مع ضمان انسيابها وانتظام تدفقها على السوق ومواقع الانتاج بالكميات المطلوبة وفى الاوقات الملائمة ـ اعادة النظر فى قوائم السلع التى تستورد فى اطار السوق الموازية بما يكفل توفير كافة احتياجات السوق ـ عدالة توزيع السلع على المحافظات بما يكفل القضاء على التفاوت الذى كان ملحوظا فى نصيب الفرد ـ التوسع فى قاعدة التوزيع ونظام البقالين التعاونيين وتشجيع الجمعيات التعاونية فى أماكن التجمعات ـ تشديد العقوبات على المخالفات التموينية •• الخ •

•• كل هذا عظيم ، ولكنه لا يكفى ولا يطمئن • فقد سبق ان ذكرته الحكومة السابقة ـ وبتفصيل أكثر ـ فى بيانها أمام مجلس الشعب فى ٢٧ نوفمبر ١٩٧٤ (١) وكل مواطن يعلم تماما من معاناته اليومية أن ارتفاع الاسعار لم يتوقف منذ اذاعة هذا البيان ، وقد اعترف السيد ممدوح سالم بهذا فى بيان حكومته •• فرغم كل الجهود التى بذلت لتوفير السلع الاساسية والخدمات الضرورية للمواطنين طوال السنوات الاربع الماضية ، ظلت أسعار الكثير من السلع الضرورية ترتفع بما يجاوز حد الاحتمال ، وأصبح التضخم مشكلة لا يمكن السكوت عليها »

لا يكفى اذن ، وأمام هذا الواقع ، ان يقتصر بيان الحكومة الجديدة على اعادة ذكر برنامج الحكومة السابقة للتحكم فى الاسعار •• وقد لا يكون العيب فى البرنامج ، وقد لا تجد الحكومة الحالية بالتالى حرجا من تبنى نفس البرنامج ، ولكن من واجبها فى هذه الحالة ان تزيده تحديدا • فلا يكفى ـ مثلا ـ أن يعيد بيان الحكومة الجديدة الحديث عن ضمان توفير احتياجات البلاد من السلع المختلفة • اذ ينبغى أن يوضح فى نفس الوقت كيف ؟ وبأى مقدار ؟ وهل ستزيد الاعتمادات للاستيراد مثلا ؟ ومن أين ؟ الكلام المحدد هو الجديد الذى كان مطلوبا أن تضيفه الحكومة الحالية الى البرنامج السابق ، كى يطمئن الناس الى ان هذا البرنامج سيكون على يدى منفذين جددا شيئا مختلفا • كان مطلوبا من بيان الحكومة الجديدة أن يشرح أسباب العثرات السابقة ، وكيف ستتغلب الحكومة الجديدة عليها • كان مطلوبا ـ باختصار ـ أن تقنعنا الحكومة بكلام ، قاطع ومفصل ، أنها ستكون أكثر قدرة وسرعة فى الانجاز ، فهذا هو الاسلوب الوحيد المقنع لجماهير أصابها تكرار الوعود بالاحباط الشديد ، وعدم التصديق ، لاى كلام عام يقال .

تجار الجملة والاسعار

وبعيدا عن مشاكل الاعتمادات التى قد نعجز عن تدبيرها ، ماذا عن التحكم فى توزيع السلع المتوافرة تحت أيدينا ؟ وماذا عن التحكم فى أسعارها ؟ المعروف أن قطاع التجارة الداخلية ، وخاصة فى مستوى تجارة الجملة ، يحقق هامشا كبيرا من الربح ، ويتلاعب فى الاسعار ، ويختلق أو يزيد الاختناقات ، وبالتالى فانه من غير الممكن أن نتحدث عن تثبيت الاسعار ، أو الحد من ارتفاعها ، دون أن يرتبط هذا الكلام بمزيد من تدخل الدولة فى هذا المجال . وليس فى هذا الكلام أى اختراع ، أو تطرف ، فالحكومة الحالية تقول فى

---

(١) راجع بيان د. عبدالعزيز حجازى عن برنامج الحكومة ـ صحف ٢٨ نوفمبر ١٩٧٤ .

بيانها أن التحكم فى أسعار السلع يتطلب من الحكومة أن تعرض المزيد منها بأسعار مناسبه كعامل موازنة ، « وكذلك عن طريق تعاقد شركات القطاع العام مباشرة مع المنتجين لاخراج الوسطاء والسماسرة مما يترتب عليه خفض التكاليف التسويقية » . وكان مفروضا ان نسعد بهذا التصريح لولا أن بيان الحكومة السابقة كان قد نص أيضا على نفس الشيء : « نزول شركات القطاع العام الى الاسواق والتعاقد مباشرة مع المنتجين حفاظا على منتجاتهم ولحمايتهم من المستغلين ، وبذلك نضمن لهم ربحا معقولا ونضمن من ناحية اخرى عرض السلع على المستهلكين بأسعار معقولة مساهمة فى المحافظة على أسعار السلع الضرورية وتخفيفا لتكاليف المعيشة على المواطنين» .. هنا ايضا كان مطلوبا من الحكومة ، بدلا من تكرار ما سبق ان صرح به ، كان مطلوبا أن يقال للمواطنين لماذا لم يتحقق هذا الاجراء الهام فى ظل الحكومة السابقة ، وما هى الضمانات الجديدة التى تكفل تحقيقه فى المستقبل . ونحن نعلم أن تنفيذ هذا الاجراء تعترضه مقاومة فئة الوسطاء من تجار الجملة ونصف الجملة ، ولكن مادامت الحكومة مقتنعة بأن هذا الاجراء ضرورى للتحكم فى الاسعار ، فان من واجبها أن تضع مصالح جماهير المستهلكين الواسعة فوق أى اعتبار .

وقد اذكر هنا أن السيد رئيس مجلس الوزراء كان قد صرح فى أول مؤتمر صحفى له بأن أسعار الخضروات ستنخفض خلال أسبوعين (٢) . وقد مضى الاسبوعان ولم تنخفض الاسعار بطبيعة الحال ، رغم الجهود التى بذلت ، لان المسألة لا يمكن أن تحل بجهد مباحث التموين ، ولن تتحكم الدولة فى أسعار الخضر الا اذا وسعت علاقاتها بالمنتجين مباشرة على حساب تجار الجملة « والقماطين » (وهم شريحة بين تجار الجملة وتجار التجزئة) . وقد أكد التقرير الذى أمر السيد ممدوح سالم باعداده (والذى شاركت فى اعداده وزارة الزراعة ومؤسسة الصناعات الغذائية ووزارة الصناعة ومؤسسة التجارة الخارجية ووزارة التموين وجامعة أسيوط) . لقد أكد التقرير ـ ضمن ما أكد ـ هذه الحقيقة ، فسعر الخضروات الذى يشترى به المستهلك يزيد بنسب تصل الى ١٠٥ فى المائة أو ١٣٠ فى المائة عن الاسعار التى يبيع بها المنتج . والقطاع العام الذى يتدخل فى توزيع الخضر بهدف الموازنة وفرض أسعار معقولة على تجار السوق الخاص ، لا يشارك الا بحصة محدودة غير مؤثرة ، وأكثر من هذا فانه يشترى احتياجاته ـ حتى الان ـ من تاجر الجملة ، شأنه شأن أى تاجر تجزئة عادى ، ولا يتعامل مع المنتج مباشرة !

هذا المثال عن تجارة الخضر ، يتطلب الاجراء السريع والممكن ، حتى يقتنع الناس ـ بطريقة عملية ـ بأن هناك جديدا فى تنفيذ برنامج الحكومة لمحاربة الغلاء .

سبب آخر لارتفاع الاسعار

● **ننتقل الان الى مسألة أخرى ترتبط بالاسباب المحلية لارتفاع الاسعار** . لقد سبق ان صرح رئيس مجلس الوزراء السابق بأن من الاسباب الداخلية للتضخم توسيع الانفاق الحكومى ، فهذا التوسع لا يستند الى موارد حقيقية من المدخرات مما يمثل وقودا اضافيا للتضخم (٣) . والسيد **ممدوح سالم** أعلن أيضا ـ فى مؤتمره الصحفى الاول ـ أن الاجور التى اعطيت فى الفترة الاخيرة ساعدت على تصاعد الاسعار فى الداخل . فماذا ستفعل الحكومة لمواجهة هذا ؟ لقد أعلن فى الصحف أن المسئولين وجدوا أن الميزانية يمكن أن تتحمل اعانة الغلاء المحدودة (٨٤ مليون جنيه) بالاضافة الى أعباء تطبيق قانون الاصلاح الوظيفى على موظفى وعمال الحكومة والقطاع العام (٧٤ مليون جنيه . [٤] . وبالطبع فان احوال الموظفين تتطلب كل اجراء يرفع قدرتهم الشرائية . ولكن ـ كان متوقعا أن يشرح بيان الحكومة ، امام **مجلس الشعب** : كيف سيمكن للميزانية الحالية أن تتحمل هذا الانفاق الجديد ، فبالقطع لم تكن هناك موارد متوارية ثم كشف عنها فجأة .. اذن كيف ستدبر الحكومة هذه الايرادات الاضافية ؟ هل سناخذ بعض اموال الاغنياء لسد جزء من احتياجات الدولة للايرادات الاضافية ، أو بمعنى آخر ، هل

---

[٢] المؤتمر الصحفى الاول لرئيس مجلس الوزراء والمنعقد فى مقر نقابة الصحفيين بتاريخ ٢٢ ابريل ١٩٧٥ .
[٣] تقرير اللجنة المشتركة من لجنة الاقتراحات والشكاوى واللجنة الاقتصادية فى مجلس الشعب عن الانفتاح الاقتصادى [المقرر : محمود أبو وافية] . وقد نشر ملخص له فى صحف ١٩ ابريل ١٩٧٥ .
[٤] جريدة الاخبار ـ الصفحة الاولى ـ ٨ مايو ١٩٧٥.

سنلجأ الى قدر من اعادة توزيع الدخل القومى تحقيقا للعدل الاجتماعى ، عن طريق الضرائب مثلا ؟

المطلوب : نظام ضريبى جاد

... ولكن ماذا يتم ؟

لقد وجه كاتب هذه السطور الى السيد **رئيس مجلس الوزراء** هذا السؤال فى مؤتمره الصحفى · وكنت أعتقد ، ولا زلت ، ان اعادة توزيع الدخل القومى هى أسلوب ضرورى – فى المدى القصير – لزيادة دخول الطبقات المحدودة الدخل ، طالما اننا نستبعد أن تلجأ الحكومة الى مجرد اصدار مزيد من أوراق البنكنوت ، فنحن نتحدث عن رفع أو تثبيت الدخول الحقيقية ، وعن رفع أو تثبيت مستوى معيشة الطبقات الكادحة ··

واذكر ان السيد **ممدوح سالم** قال يومها ان التصور النهائى لتطوير التشريعات الضرائبية لم يكتمل بعد ، وأنه سيدرس دراسة عميقة من الجوانب الاجتماعية حتى نحقق العدل الاجتماعى الذى نهدف اليه · فهل جاء فى بيان الحكومة أى تحديد ؟ للاسف لا ، رغم أهمية السرعة فى حسم هذا الامر بعد اقرار الاصلاح الوظيفى واعانة الغلاء . لقد جاء فقط أن « الحكومة تلتزم بتطوير النظام الضريبى بما يكفل للدولة حقها ويضمن تحقيق العدالة الاجتماعية ، ومكافحة التهرب الضريبى ، وذلك فى اطار تحقيق التوازن بين عبء الضرائب المباشرة بالنسبة لمختلف طوائف المولين وأفراد الشعب بحيث يساهم كل حسب طاقته المالية ، ولا يتهرب شخص قادر من المساهمة فى الاعباء العامة » ·· ان هذا الكلام غير محدد ، وهو لا يزيد كثيرا عن كلام الحكومة السابقة فى بيانها ، عندما اكدت انها ستتقدم « بمشروعات القوانين الخاصة بتطوير الضرائب والتجارة والنقد مما يكفل تحقيق العدالة فى تحمل الاعباء وحماية المال العام » · ولكن ، نحن نذكر أن الحكومة السابقة قد استقالت بعد أكثر من أربعة أشهر من تقديم هذا البيان ، ولم تكن قد انتهت من اعداد هذه المشروعات بقوانين ، بل وجاءت رسالة **الرئيس السادات** فى يناير لتدعو الى الاسراع ، فتكثفت الجهود بالفعل والدراسات ، ومع هذا تتقدم الحكومة الجديدة الى مجلس الشعب فى شهر مايو ١٩٧٥ بدون تصور واضح ومحدد حول هذا الموضوع ، بل اذا أخذنا بما نشر (٥) **فان الدراسات الحالية تجرى لاعادة النظر فى الضرائب التصاعدية ، خاصة على عائد المستثمر المصرى ، بما يسمح له بالتوسع فى أعماله وتشجيعه على الدخول فى عمليات التنمية ، وترجمة هذا ان اتجاه الدراسة هو نحو تخفيف العبء الضرائبى حتى على أصحاب الدخول العالية « لتشجيعهم على الدخول فى عمليات التنمية »** ولا يشير الكلام الى أى ضرائب نوعية جديدة . فهل سيؤدى هذا الى خفض حصيلة الدولة من الضرائب بدلا من زيادتها ؟! قد يقال ان الدولة ستخفض نسب الضرائب المفروضة على الايراد العام ، ولكنها ستهتم بأن يكون التحصيل جادا ، ونحن نرى أن التحصيل الجاد ليس بديلا عن ضرورة فرض ضرائب جديدة على الفئات المقتدرة ، ومع ذلك فاين هى ملامح العزم الشديد فى تحصيل الضرائب من المتهربين ؟! ان العبرة بالعمل ، وهذا ما لم نشعر به حتى الان ، بل ولم تقدم الحكومة برنامجا باجراءات محددة فى هذا الشأن ·

المهم ·· السؤال المقلق لا زال مفتوحا بلا اجابة : كيف ستزيد الحكومة ايراداتها بغير اجراءات ضرائبية سريعة ؟ **ان على الحكومة ان تطمئننا الى أنها يمكن أن تسلك اسلوبا آخر لزيادة مواردها لمواجهة الـ ١٥٨ مليون جنيه التى وعدت الشعب بها · من واجب الحكومة أن تطمئننا ، فنحن لا نحتمل أى زيادة أخرى فى الاسعار .**

عن الانحراف أيضا :

● **مسألة أخرى :** الانحراف ، كانت الحكومة السابقة قد اعلنت أن الثورة التشريعية التى نحن بسبيلها يجب أن تستهدف الحماية الحقيقية للمال العام « ان الفئات الطفيلية التى تظهر على جسم المجتمع ، والذين يتاجرون بأقوات الشعب لا يحدوهم غير النهم والكسب الحرام ، يجب أن يضرب على أيديهم **بقوة » ·· ومرت الايام ولم** يضرب احد على يده بقوة **او بضعف .. كان الكلام هو الذى فى منتهى القوة · ثم جاء بيان** الحكومة الجديدة ليكرر مرة أخرى أن **تحقيق العدل**

[٥] جريدة الاهرام – الصفحة الاولى – ١٠ مايو ١٩٧٥.

الاجتماعى يتصل أوثق الاتصال باتخاذ الحكومه « كل الاجراءات التشريعية والادارية التى تكفل تعقب الدخول الحرام ، والتى تمنع بالردع والمساءله تكون الثروات الناشئة من مصادر غير مشروعة أو القائمة على الفساد واستغلال النفوذ » ·· هل سيقتنع الناس بهذا الكلام المعاد ؟! اننى واحد من الذين لا يصدقون أن كل الشائعات التى تملا البلد غير صحيحة،لابدان جزءا كبيرا منها صحيح · فكيف تعجز كل أجهزة الدولة ــ بكل امكانياتها الحديثة فى المتابعة والتسجيل ــ عن الامساك بمجرم كبير واحد ؟! لن يصدق الناس أى تصريحات عن تعقب الفساد واصحاب المال الحرام ، ما لم يقبض فعلا على بعض الناس ·

اذكر ان السيد **رئيس الجمهورية** قال فى سبتمبر ١٩٧١ **اننا نشترى مواد تموينية بحوالى** ١٠٠ مليون جنيه عملة صعبة ، وقال أن « العملات اللى بتتاخد من الــ ١٠٠ مليون جنيه دى بقت ريحتها وحشة قوى ·· فاحت » (٦)

ومع هذا مضت الامور عادية ولم يكشف عن مجرم واحد !

ولم نذهب بعيدا الى عام ١٩٧١ ؟ أن تقرير **الاستاذ ابو وافية | الذى نعارض اتجاهه العام بشدة | يقرر فى ابريل ١٩٧٥ أنه يحدث أن ينتج عن الاهمال والانحرافات ويناقش فى مجلس الشعب ، ثم يمر كل ذلك وينتهى دون تحقيق !**

وآخر مثال فى هذا المجال ، هو ما جاء فى تقرير لجنة الزراعة **بمجلس الشعب** عن تصدير البرتقال ، وأن **محمد سالم السحراوى** تقاضى نصف مليون جنيه كعمولة من شركة الوادى لتصدير الحاصلات الزراعية . **ان القانون يبيح دفع هذه العمولة** · ولكن هناك عشرات من التساؤلات الطبيعية :

اولا لماذا يبيح القانون دفع مثل هذه العمولات لرجل لم يقدم أى جهد ؟ فالبرتقال زرعه المنتجون ، ويمكنهم ان يتعاملوا مع شركة القطاع العام رأسا ، وشركة القطاع العام لا تحتاج الى مساعدة خاصة من وسيط فى عملية التصدير ، لان تصديرها للبرتقال يتم وفق اتفاقيات محددة مع الدول المستوردة. هذا التساؤل مشروع،وقد يضاف ايضا أن هذا المبلغ ــ النصف مليون جنيه ــ هو حصة

السحراوى عن تصدير البرتقال فقط وفى موسم واحد فقط . وقد يقال أيضا أن قسما من عمولة تصدير البرتقال تسلمها نسيب **لكامل دياب** الرئيس السابق لشركة الوادى . وقد يقال ان لجنة الزراعة ظلت تبحث هذا الموضوع طوال دورات ثلاث مما يدل على صعوبة البحث فى مثل هذه المواضيع . وقد نتذكر كذلك ان هناك طفيليين آخرين وفى محاصيل اخرى كالبطاطس والثوم والبصل ·· قد يقال كل هذا واكثر . ولكن دعنا منه الان ·

السؤال البسيط الذى نطرحه هو : هذا الرجل المحدد بالاسم ، وهو **محمد السحراوى** . ثبت انه تقاضى نصف مليون جنيه ، وكان مفروضا ــ وفقا للقوانين ــ أن يدفع منهاما يقرب من ٤٥٠ ألف جنيه ضريبة للدولة ، فهل فعل لا !

كنت اتمنى أن تتدخل الحكومة ــ على أعلى مستوى ــ للتحقق من هذه المسألة فور نشر هذا الرقم فى الصحف ، فحين تبدى الدوله مس هذه الهمه فى تحصيل مستحقاتها ــ ولو مرة ــ ستقتنع الناس بان هناك املا فعلا فى اصلاح الحال ، فالناس لا تقتنع الا بما تراه بعينها وتلمسه بيدها ·· لا بما تسمعه فى أذنيها !

·· من أين لك هذا وموظف التاسعة

● ويجرنا هذا الى قانون من اين لك هذا · حقيقة تحول الامر هنا الى نكتة . ففى عام ١٩٦٨ وضع القانون ولم ينفذ ــ وبعد تساؤلات لم تتوقف طوال الاعوام قالت الحكومة السابقة فى بيانها : « أن الاوان ايها الاخوة لان ياخذ قانون الكسب غير المشروع ، والمعروف باسم من أين لك هذا طريقه الجاد الى التطبيق الفعلى ، لكى تمتد يده الى العابثين المنحرفين ممن جمعوا ثروات مريبة المصدر ، وستقوم الحكومة بمراجعة لهذا القانون لسد ما يكون فيه من ثغرات ، كذلك فان النية تتجه الى تقوية الجهاز الخاص بتنفيذ القانون لوضعه موضع التطبيق العملى » · وانهالت الدراسات لتحقيق هذه النية ، وتوالت التصريحات تؤكد فى كل يوم أن الدراسة والتعديلات أوشكت ان تنتهى · ولكن الوزارة استقالت ولم تكن هذه التعديلات قد انتهت بعد · وقد نشرنا السيد **ممدوح سالم** بأن الحكومة قد انتهت من اعداد مشروع قانون عن الكسب غير المشروع يحكم الرقابه على الذمة الماليه ، كما ينطبق على اصحاب

(٦) خطاب الرئيس السادات الى الشعب ــ ١٧ سبتمبر ١٩٧١

التغول في المجتمع ، وعلى شاغلى مواقع القيادة في أجهزة الدولة تعبيرا عن معنى القدوة وايمانا بأن الاطمئنان الى نزاهة الحكم في المستويات العليا ضرورى لمقاومة الانحراف في سائر المجالات • ولكن بعد أسبوع من بيان الحكومة (أى حتى كتابة هذا المقال) لم تكن الحكومة قد فرغت بعد من دراسة مشروع القانون ، وحسب آخر ما نشر فانه قد روعي في مشروع القانون عدم التوسع في ادخال فئات جديدة مثل الموردين وأفراد القطاع الخاص المتعاملين مع الحكومة والقطاع العام ، وفى نفس الوقت فان مشروع القانون يحاسب كل العاملين في الحكومة والقطاع العام ممن يشغلون الدرجة التاسعة فما فوقها (٧) •

ونحن نرجو — مخلصين — ان يكون النشر خطأ • فلا يمكن أن يتمخض انتظارنا الطويل عن مثل هذا الفأر المشوه • ان المشروع بهذا الشكل يتجه بالتحديد الى من لا يهمنا أمرهم ويترك بالتحديد من يهمنا متابعتهم • فموظفو الدرجة التاسعة والثامنة لم يكونوا مقصودين أبدا حين الحت الجماهير على تطبيق قانون من أين لك هذا، بل ان اقحامهم في دائرة القانون لا يعنى الا اغراق المسئولين عن بحث الاقرارات بمئات الالاف من الاوراق التي يعجز أى جهاز عن متابعتها ، وكان هذا هو حال قانون من أين لك هذا القائم حاليا • ان هذا الاغراق قد يفهم على أنه محاولة لابعاد أصحاب المراكز القيادية عن المحاسبة الحقيقية •• كذلك ما معنى ابعاد المتعاملين مع الحكومة والقطاع العام عن دائرة القانون ؟ لقد طالبت بهذا المطلب لجنة الرد على بيان الحكومة في ردها على بيان حكومة د. حجازى ، وكانت اللجنة محقة تماما في هذا المطلب لان هذه الفئات بالذات تحقق دخولا غير مشروعة واضحة ، وتعجز الطرق العادية لكشف الرشاوى وما أشبه عن الايقاع بها •

اننا نلح على اصدار القانون بسرعة ، ولكننا نحذر — في نفس الوقت — من صدوره على هذا النحو ، فهو سيمثل حينئذ صدمة شديدة لكل مواطن ، وقد يتصور الناس ساعتها أن الفساد قد أصبح أقوى من يقاوم •

● لازلنا حتى الان في نطاق الموضوعات التى قلنا أننا ننقد الحكومة لانها لم تتحرك لمواجهتها ببرامج محددة وبحزم كاف • وفى الحقيقة لازالت في جعبة بيان الحكومة امثلة اخرى كثيرة ، فابتداء من مشكلة التكدس في ميناء الاسكندرية ومرورا بمشاكل الاصلاح الادارى والثورة الادارية واللامركزية وانتهاء بمشاكل الشباب والخدمات• في كل هذه النقاط كان بيان الحكومة الجديدة اعادة لوعود بيان الحكومة السابقة •وبالتالى ينطبق عليها ما سبق ان قلناه : كان المطلوب هو تسجيل اساليب التنفيذ الجديدة والمحددة التى ستجعل البرنامج القديم أسعد حظا على يد الحكومة الحالية ، بشرط الا تكون هذه الاساليب الجديدة من نوع الكلام الذى نشره المهندس عثمان أحمد عثمان في أحد الاعلانات حيث قال أن مشكلة الاسكان ستحل تماما خلال عامين • وفى العام الثالث سيكون لدينا فائض من الوحدات السكنية وتعود لافتة « شقة للايجار » .. لست أقصد طبعا هذا النوع من البرامج التى تضر ولا تفيد • أنني أقصد البرامج العلمية المدروسة ..

تجاوزات في تطبيق « الانفتاح »

ننتقل الان الى موضوع الانفتاح ، والذى قلت أننى أستعجل الكتابة فيه قبل أن تبدأ الحكومة في تنفيذ ما يبدو انها تنتويه ..

● لقد تشكلت الحكومة الجديدة ، بعد ان تمت في البلاد وتدعمت مفهومات وتطبيقات للانفتاح نقدناها في الطليعة ، واعتبرناها معارضة لاسس نظامنا الاقتصادى والاجتماعى بل أن بعض هذه المفهومات والتطبيقات كانت من الفجاجة الى الحد الذى تعرضت بسببه للنقد من البعض الذى لايمكن أن يتهم مثلنا « بالتعصب أو التطرف » فالدكتور عبد المنعم القيسوني — على سبيل المثال — صرح بأنه « لابد من وضع بعض الضوابط بحيث لا نفتح الباب تماما ، مثال ذلك تملك الاراضى الزراعية للاجانب لا ينبغى اطلاقا أن نسمح بذلك وليس معقولا ايضا ان نعطى موافقات لانشاء ١٠٠ بنك في مصر لان الاقتصاد المصرى لا يحتمل هذا العدد ، كما أن هذه البنوك سوف تتقاسم العمليات ثم تفلس » [٨] وفى « الاهرام الاقتصادى » كتب الاستاذ نبيل صباغ [وهو من الكتاب الذين لا يمكن ان يتهموا بالتطرف في الاشتراكية[٩]«انمفهوم الانفتاح — عند بعضهم — هو أقمشة مستوردة وبلوفرات سان مايكل ، وأطقم

[٧] جريدة الاهرام — ١٨ مايو١٩٧٥
[٨] جريدة الاهرام [الانفتاحظالم ام مظلوم] — ٢٥ ابريل

صينى وكريستال وبانيوهات وخلاطات وراديوات وريكوردارات وسيارات وملابس داخلية وحتى احذية من بالى ومايخفى كان أعظم .. هذا هو مفهوم الانفتاح عند بعضهم فى الوقت الذى مازالت لدينا طاقات متعطلة فى المصانع ، تحتاج الى مستلزمات انتاج ، ولدينا مشروعات حيوية تحتاج الى تمويل سريع ، والبلاد فى أشد الحاجة الى مزيد من الاسمدة ومزيد من المبيدات الحشرية ، ومزيد من قطع غيار ، ومزيد من مواد أولية ، ومزيد من خامات للحرفيين لكى تدور عجلة الانتاج » .

وقد اتفق الاستاذ **نبيل صباغ** معنا فى الاعتراض على تشجيع الاستيراد بدون تحويل عملة ويقول « ان قرارات التيسير التى صدرت فتحت الباب (حبتين زيادة) اذ سمحت لكل من لديه مدخرات فى الخارج ، بأن يستورد بها دون ضابط أو رابط ، وذلك الى جانب نظام الاستيراد عن طريق السوق الموازية الذى ظل محكوما بشروط محددة ، وهى أن تكون الواردات لخدمة الانتاج والضروريات » .

وقد كان فتح هذا الباب « على حساب قرار انشاء السوق الموازية » كما يقول محمود لطفى (مدير هيئة استثمار المال العربى والاجنبى] [١٠] وهذا النوع من الاستيراد لم يتحقق عن طريق المدخرات التى يملكها المستوردون شخصيا ، بل كان هؤلاء المستوردون يشترون مدخرات المصريين العاملين فى الخارج ، ويحاسبونهم على سعر تشجيعى يفوق كثيرا السعر التشجيعى (العلاوة) المقرر فى السوق الموازية وبمعنى آخر فان هذا النظام تنن المقاصة ، وهبط بحصيله المدخرات التى تحول الى السوق الموازية او لفتححسابات بالعملات الصعبة .وبهذا كما يقول الاستاذ **نبيل صباغ** « تم استيراد سلع استهلاكية فاخرة او كمالية بكميات هائلة (نذكر البانيو هات وقطع غيار السيارات) تفوق حد استيعاب الاسواق ، فى الوقت الذى ظلت سلع ضرورية ناقصه فى السوق كقطع غيار المصانع »

وقد نذكر ايضا ان كثيرين من ممثلى القطاع الخاص الصناعى والحرفيين أعربوا فى اجتماعاتهم بالمسئولين ، وفى المذكرات الرسمية ، عن تحفظهم من تيسيرات الاستيراد التى فتحت الباب حبتين زيادة . ومن اثر هذه التيسيرات على مستقبل منتجاتهم [اغلقت بالفعل بعض المصانع] وعلى اسعار مستلزمات انتاجهم.كذلك عبر بعض هؤلاء الناس [غير المتطرفين] عن اعتراضهم على مشروعات كانت هيئة الاستثمار العربى والاجنبى قد وافقت عليها [كما حدث بالنسبة لاصحاب مصانع تشكيل البلاستيك حين وافقت الهيئة على قيام مصنع مشترك يقوم بنفس العمل ويستورد خامته مثلهم من الخارج] .

● **وقد نشر الاستاذ ابراهيم نافع فى** الاهرام (١١) قصة الـ ٧٠ مليون دولار التى قدمت لمصر من البنك الدولى ، وكيف تعطل استخدامها طوال أربعة أشهر ، وكيف ظللنا ندفع الفائدة المرتفعة [٨ر٥ فى المائة] طوال هذه الاشهر [أى ٧٠٠ دولار يوميا) لوجه الله . وقد ناقش الاستاذ ابراهيم نافع أسباب مثل هذه الظاهرة حتى لا تتكرر . ولكن ما يستوقف نظرنا فى هذه القصة « الطريفة » جانب آخر فلماذا نقبل قرضا لامور غير عاجلة بهذه الفائدة المرتفعة ؟ ! نحن نضطر أحيانا الى شراء قمح مثلا بتسهيلات أئتمانية غير ميسرة ، ولكن هذه ظروف استثنائية مفهومة . اما ان نقبلقرضا بفائدةمرتفعة ثمنبحث اوجه استخدامهفهذا هو غير المفهوم.لقد سبق أن لاحظت وزارة التخطيط عزوف الوزارات عن استخدام القروضوالتسهيلاتالائتمانية التىتقدمها الدول الاشتراكية حتى هبطت نسبتها من المكون الاجنبى للاستثمار الى حوالى ٨ر٥ فى المائة فقط . وقد ذكرت وزارة التخطيط فى تلك المناسبة بأن سياستنا فى الانفتاح الاقتصادى ينبغى أن تكون انفتاحا على العالم كله ... أى ليس على الغرب فقط ! ولكننا تصورنا — رغم هذا — اننا نملك بالفعل عروضا بقروض غربية سهلة ، تقارب فى شروطها قروض الدول الاشتراكية (ذات الفائدة ٥ر٢ فى المائة) وأن ملاحظة وزارة التخطيط هى فى هذه الحالة ، مجرد ملاحظة سياسية تدعو الى التوازن فى علاقاتنا الدولية . **ولكن الامر الان اخطر . فالمسألة تتعلق ايضا بالمصالح الاقتصادية المباشرة للبلاد . فكيف نقبلقروضا بفائدة ٨ر٥ فى المائة ونرفض قروضا بشروط اكثر يسرا ، دون** ضرورة تأزمنا بهذا ؟ ! ويؤدى ذلك — كما قالت

---

[٩] مجلة الاهرام الاقتصادى —عدد أول مايو ١٩٧٥

[١٠] جريدة الاهرام [الانفتاحظالم أم مظلوم] — ٢٥ ابريل

[١١] جريدة الاهرام . ابراهيمنافع [اسرار اقتصادية] — ١٦مايو [١٢] جريدة الاهرام — حديث مع سيد مرعى — ١٦ مايو

أحدى الوزارات ـ الى ارتفاع تكلفة الدجاجة من ٤٥ قرشا الى ٧٥ قرشا ؟ !

جانب آخر من المسألة التى عرضها الاستاذ ابراهيم نافع : قيل ان هناك قرضا جديدا مع البنك **الدولى** يبلغ ٣٧ مليون جنيـه لتمويل مشروعات تجديد السكك الحديدية ، ولكن البنك يشترط ان تحصل هيئة السكك الحديدية المصرية اولا على جميع ديونها المستحقة على الوزارات الاخرى ، وتجرى الاتصالات فعلا على قدم وساق بين الهيئة والوزارات امتثالا لهذا الشرط .. هل هان أمرنا الى هذا الحد ؟! وهل يمكن أن يكون هذا هو فهم سياسة الانفتاح الاقتصادى؟! **ان القرض مقدم فى الاساس الى الحكومة المصرية ، ومفروض ان الحكومة هى التى تضمن السداد فهل من حق آى جهة اجنبية أن تتدخل فى أسلوب ادارة مرافقنا واقتصادنا القومى لكى تقدم لنا قرضا ؟ . لقد كان** صدامنا السابق مع البنك الدولى حول تمويل السد العالى بسبب شروط كهذه ، فكيف نقبلها الان وببساطة من أجل تطوير السكك الحديدية ؟ ؟ لا **كانت السكك الحديدية ولا كان تطورها ، اذا كان التطوير سيعنى قبول مثل هذه الشروط !**

مفهومات خطرة نعارضها

المهم أن الحال كان قد وصل بنا الى هذا المستوى عندما تشكلت وزارة السيد **ممدوح سالم** ، وكانت بعض مفاهيم واجراءات الانفتاح الاقتصادى المنفذة ، لا تتعرض فقط لنقد «اليسار» ، ولكنها كانت تتعرض ايضا لنقد الممثلين الفكريين للرأسمالية المصرية ، وكانت تواجه حذرا متزايدا من القطاع الخاص المنتج ، ومع هذا فان ممثلى « اليمين » كانوا يهاجمون وزارة الدكتور **حجازى** لانه لا يستجيب لكل مطالبهم . وهم لم يتوقفوا أبدا عن الضغط . وحين تشكلت الحكومة الجديدة كان فى انتظارها برنامج متكامل أعلنه الاستاذ **محمود أبو وافية** ، وعبر قطب الرجعية [وصاحب أكبر الفرص فى النشر] الاستاذ **أحمد أبو الفتح** عن تضامنه الكامل ومباركته لهذا البرنامج ، وتمنى على الله لو آن مصر اخذت به [ونرجو ان يخيب الله فأله] كل هذا كان فى انتظار السيد **ممدوح سالم** ، فكيف كان موقفه ؟

● **لقد أعلن رئيس مجلس الوزراء فى بيانه** أمام مجلس الشعب أن « سياسة الانفتاح الاقتصادى قد أصطدمت بمعوقين خطيرين هما : التمسح بشعارات الاشتراكية ، والتعقيدات الادارية المكتبية » .. ونحن نفهم المعوق الثانى ، أى التعقيدات الادارية المكتبية ، فهى مصيبة يشكو منها كل مواطن قبل أن يشكو منها أى مستثمر عربى او اجنبى ، والامثلة حول تعطيل الاجراءات ، وتضارب القرارات وجهات الاختصاص .. لا تنتهى . ولكن المعوق الاول الذى ذكره **رئيس مجلس الوزراء** : أى التمسح بشعارات الاشتراكية ، هو الامر الذى يستحق وقفة . فلا شك أن أمثالنا قد يعتبرون ـ بتحفظاتهم ـ معوقين لسياسة الانفتاح الاقتصادى . وفى هذه الحالة ، فأننى ابدأ بأن أؤكد **أن أمثالنا لا يتمسحون بشعارات الاشتراكية ، ولكننا نتمسك بالاشتراكية ، ونناضل من اجلها بعناد** . واعتقد اننى اتفق تماما مع المهندس **سيد مرعى** حين يقول « لا يستطيع انسان أن يقول أن سياسة الانفتاح معارضة للاشتراكية ، الا اذا كنت أضع سياسة للانفتاح من شأنها أن تزيد الاثرياء ثراء والفقراء فقرا » [١٢] ولكننى أضيف الى كلمات المهندس **سيد مرعى** : ان هذا هو ما حدث بالضبط ، فالسياسات التى طبقت خلال الفترة الماضية باسم الانفتاح ، ارتفعت فعلا بمستوى الاثرياء وهبطت بمستوى الجماهير العاملة . وهذا ما يجعلنا محقين ـ وفقا لمنطق رئيس مجلس الشعب ـ حين **نحذر من ان هذه السياسات تتعارض مع القيم الاشتراكية والديمقراطية ، وأننا لابد وأن نراجع هذه السياسات اذا كنا نصر على مواصلة الطريق نحو بناء مجتمع اشتراكى** . واعتقد ان خطاب **الرئيس السادات** فى ١٤ أبريل كان مطالبة بقدر من هذه المراجعة ، واذا وافقنا السيد **رئيس مجلس الوزراء** على هذا ، فاننى أرجوه أن يعيد النظر فى اعتبار نقد سياسة الانفتاح الاقتصادى السابقة نوعا من التمسح [الممجوج] بشعارات الاشتراكية .

لقد اعاد السيد **ممدوح سالم** ، فى بيانه ، ما سبق ان **اوضحه الرئيس السادات** من ان المحظور الوحيد فى الاشتراكية هو استغلال الانسان للانسان . وهذا صحيح فى حديث عن اطار عام للتحرك . ولكن فى بيان حكومى يتطلب الامر برنامجا عمليا مفصلا لتحقيق هذا الهدف ، خاصة ونحن فى مرحلة يزداد فيها شعور الاغلبية الساحقة من المواطنين بوطأة المصاعب الاقتصادية **والاستغلال** [*]

اننا نواجه – فى الحقيقة – سؤالا حاسما ، والاجابة الصريحة حول هذا السؤال ستحدد موقف كل منا من الانفتاح الاقتصادى . السؤال هو : **هل الانفتاح الاقتصادى اسلوب سياسى يدعم قدراتنا المالية والتكنولوجية لكى تندفع بمعدل اعلى وكفاءة اكبر فى التنمية المستقلة المخططة ، ولكى نرفع بشكل مضطرد مستوى معيشة الجماهير الكادحة** ؟ وبمعنى آخر هل الانفتاح الاقتصادى مجرد أسلوب سياسى يمكننا من تحسين وتطوير ايجابيات نظامنا الاقتصادى والاجتماعى الذى بنيناه خلال الاعوام الماضية ؟ – ونحن نؤيد هذا المفهوم للانفتاح من واقع التزامنا الاشتراكى – أم أن الانفتاح هو نظام اقتصادى واجتماعى جديد ومتكامل يختلف عما تعارفنا عليه ، **وعما سجلناه فى دستورنا ومواثيقنا الثورية** ؟ – ونحن نعارض هذا المفهوم للانفتاح الاقتصادى ، أيضا من واقع التزامنا الاشتراكى .. بل والدستورى .

اننى أعلم أن السؤال بهذه الصيغة هو سؤال عام ، وقد يقسم الكثيرون – فى ضوء هذه الصياغة – على أنهم مع التفسير الاول ، وأن الانفتاح سياسة جديدة وليس نظاما . ولكننا لا نقبل فى هذا السؤال المصيرى أى كلام يحمل أكثر من تفسير ، وهذا ما تكشفه المقترحات المحددة ، والاجراءات العملية . فالبرنامج التفصيلى الذى أعلنه الاستاذ **محمود أبو وافية** وباركه الاستاذ **احمد ابو الفتح** ، لا يمكن ان يعنى ان مفهومهم للانفتاح هو مجرد المرونة السياسية ، والاستفادة من امكانيات جديدة متاحة . والاستاذ **أبو الفتح** لا يخفى ، فى أى مقال ، أنه يطلب نظاما جديدا لا يمت بصلة الى « كوارث ومصائب العهد البائد » .

وفى الوقت نفسه ، فان برنامج الاستاذ **محمود أبو وافية** يقول انه « من الطبيعى ان يسبق الانفتاح الخارجى انفتاح داخلى يؤمن النشاط الخاص ويشجعه ويحفزه على القيام بدوره الضخم الفعال فى خدمة الاقتصاد الوطنى، ولا يتصور أمكان نجاح افتتاح خارجى اذا لم يكن الانفتاح الداخلى ناجحا » .. نحن اذن أمام دعوة الى نظام جديد باسم الانفتاح الداخلى ، **ولما كنا لا نعرف فى المصطلحات المتعارف عليها اسم « النظام الانفتاحى » فان المعنى المقصود ، وكما نفهمه ، هو « النظام الرأسمالى »** . وكافة الاقتراحات الواردة فى برنامج الاستاذ **محمود أبو وافية** والاستاذ **أبو الفتح** لا تدع مجالا لتشكيكنا فيما فهمنا ، وقد استخدم الاستاذ **ابو وافية** – فى تقريره عن الانفتاح – تعبير الديمقراطية الاقتصادية بدلا من تعبير الاشتراكية الذى كنا نستخدمه ، ولا أعتقد أن هذا الاستبدال كان لمجرد السهو والخطأ .

ما هو موقف الحكومة الجديدة ؟ للاسف قال السيد **رئيس مجلس الوزراء** فى مؤتمره الصحفى الاول أن « الانفتاح فلسفة متكاملة بالنسبة لنظام اقتصادى وسياسى وادارى وثقافى » . وفى بيانه أمام مجلس الشعب أعلن « الربط بين الانفتاح الداخلى والخارجى – تطبيق سياسة الانفتاح على القطاعين العام والخاص – الارتباط الوثيق بين الانفتاح السياسى ، وغيره من صور الانفتاح الاقتصادى والاجتماعى والثقافى » .

الاخ الاكبر وحقوق الاخ الاكبر أيضا

وقد جاء فى برنامج الاستاذ **ابو وافية** أن « **القطاعين [العام والخاص] يعملان فى خدمة البلاد ، ولكل مجاله ونشاطه واستعداده وصلاحيته** . ولا ينبغى أن يطغى قطاع على قطاع ، **أو يجور قطاع على ما ينبغى ان يكون للاخر . أو يؤثر احدهما على الاخر ، بما يخل بالموازنة بينهما فى المعاملة كشقيقين أو كابنين لام واحدة هى مصر** » وقد يبدو للوهلة الاولى اننا لا نختلف حول بعض ما جاء فى هذه الفقرة . فمفروض ان يعمل القطاعان العام والخاص فى خدمة البلاد [ولو أن القطاع الطفيلى الذى يتكاثر كالسرطان لا يخدم البلاد بأى حال] ومفروض أن لكل من القطاعين مجاله ، فالانتاج الصغير والمتناثر لا يصلح فعلا لادارة القطاع العام ، وقد نتفق على انه لا ينبغى أن يطغى قطاع على قطاع ، ولكن ينبغى أن ننسى هنا أن النظام الاقتصادى المصرى كان يترك ٤٧ فى المائة من النشاط الاقتصادى فى يد القطاع الخاص ، وهذا يعنى أن القطاع الخاص لم يكن مختنقا ، **وان كان طبيعيا أن نسلم بان القطاع العام كان يسيطر على مفاتيح الاقتصاد المصرى ، كان فى مواقع تمكنه من القيادة ، وهذه القيادة ضرورة موضوعية من أجل تنمية مستقلة مخططة لصالح الجماهير : بل ان هذه القيادة ضرورة موضوعية لكى يتمكن القطاع الخاص نفسه من لعب دور فى تقدم قوى الانتاج بشكل مضمون ومرشد** . اننا نوافق على ان العلاقة بين القطاعين العام والخاص ينبغى أن تكون علاقة شقيقين ، ولكن ينبغى أن نؤكد فى نفس الوقت أن القطاع العام هو الاخ الاكبر ، عليه التزامات أكبر ، ولابد أن تكون له حقوق أكبر . **ولكن الاستاذ ابو وافية يبدو خلافنا معه بشكل واضح حين يستطرد فى برنامجه ، ويشرح ما يتصوره جورا من القطاع العام على مجالات القطاع الخاص . فهو يطالب باستبعاد القطاع العام من كثير من المجالات الحاكمة ، وتسليمها الى الرأسماليين** .

وما يزعجنا هو أن السيد **رئيس مجلس الوزراء** قد أشار الى معنى مشابه فى بيانه أمام مجلس **الشعب** ، فهو يقول أننا « عملنا فى المرحلة الماضية

برئة واحدة فى مجال الانتاج هى القطاع العام » ، ولذلك « فان المرحلة المقبلة سوف تشاهد انطلاقة جديدة يتكامل فيها القطاع الخاص مع القطاع العام فى بناء مجتمع كل المنتجين » . ونحن لا نعارض فى اعطاء دفعة لنشاط القطاع الخاص المنتج فى المرحلة المقبلة ، وقد نوافق على أن التضييق على القطاع الخاص كان فى بعض الاحيان اكثر مما يتطلب الصالح العام ، ولكن هذا لا يعنى ان القطاع الخاص كان قد تلاشى تماما وأننا عملنا برئة واحدة . التعبير على هذا النحو يلتقى مع تقرير الاستاذ **محمود أبو وافية** .

« مصطلحات جديدة »

وبالمناسبة . ما هو مغزى الالحاح فى استخدام مصطلح « **مجتمع كل المنتجين** » . لسنا ضد التعبير فى حد ذاته . ولكننا فى الحقيقة أصبحنا نحذر حين يلح فجأة على استخدام تعبيرات غير مألوفة ، وقد تقبل فى البداية ببراءة وبحسن نية ، واذا بها تتحور لتعبر عن تغيرات اقتصادية واجتماعية ، لم تكن متصورة عند استخدام الاصطلاح لاول مرة ! لقد استخدم السيد **رئيس مجلس الوزراء** تعبير مجتمع كل المنتجين فى بيانه أمام **مجلس الشعب** ، خمس مرات . وهو يقول أن الحكومة تهدف الى تحويل مجتمعنا الى مجتمع لكل المنتجين ، بعد الحديث عن الرئة الواحدة والرئتين ، فهل هذا مرادف لتعبير « الابنين » الذى استخدمه الاستاذ **أبو وافية** ؟ وهل يعنى أن الكل منتج على قدم المساواة ، على خلاف ما تعارفنا فى السابق ، حيث كان هناك قطاع عام يقود الانتاج ويتود القطاع الخاص ؟ أرجو الا أكون قد بالغت فى التأويل . ولكننا نطالب فى الحقيقة ـ كما طالبنا فى طول المقال ـ بالتحديد الذى لا يترك مجالا لاى لبس ، وليعذرنا السيد ممدوح سالم ، فنحن فى مرحلة فقدت فيها كل التعريفات المستخدمة دوليا معناها المعروف ... احدى المجلات تكلمت عن « الكادحين » وهى تقصد الرأسماليين الذين أممت ممتلكاتهم عام ١٩٦١ [١٣]

● نصل الان الى نقطة أخيرة تتعلق بدور التخطيط . فقد سبق ان صرح السيد **رئيس مجلس الوزراء** فى أول مؤتمر صحفى بأن « الاصل هو اباحة الاستثمار ليتجه الى مواضعه الطبيعية حسب حريته فى السوق المصرية واحتياجاتها . وكل شرط هو قيد ، وكل قيد هو انغلاق .. وهو الاستثناء » ... « يجب أن نرحب بكل مال عربى أو أجنبى يجد سبيله الى الاستثمار بالبلاد . وعلينا أن نسير ـ فى نفس الوقت ـ فى اعداد المشروعات والبيانات اللازمة لنسهل للمستثمرين اختيارهم لميادين الاستثمار . ولا تعارض فى السير فى هذين الاتجاهين فى وقت واحد » . ووفقا لهذا الشرح فان التخطيط يكون قد انتهى تماما . فالمستثمر الاجنبى [ومفروض أن تكون للمستثمر المصرى نفس الحقوق] ينجه الى أى مشروع حسب حريته فى السوق ، أى حسب مصلحته هو فى مجرد تحقيق أعلى ربح ، ولا يهم اذا كان المشروع داخلا فى اهتماماتنا وأولوياتنا القومية أو لا ، كل دورنا أن نكون للمستثمر مجرد بيت خبرة يوفر له بعضا من نفقاته فى الدراسة الفنية والاقتصادية للمشروعات . ولا عيب طبعا فى أن نقوم بهذه الدراسات ، بل من واجبنا أن نقوم بها ، ولكن لكى نحدد بها مؤشرات توجه الاستثمار الخاص الاجنبى والمصرى حسب احتياجات خطتنا ، وفى هذا المجال نحن لا نعتذر للمستثمرين عن تدخلنا « فيما لا يعنينا » ونقول أنه لاتعارض بين عمل هذه الدراسات وبين حرية المستثمر فى عمل اى شىء يراه ، فهناك تعارض ونحن نصر عليه . **فالمستثمر من حقه أن يربح ، ولكن فى اطار الاعمال التى يحتاجها المجتمع فى المرحلة الحالية ، وليس فى أى نوع من الاعمال والسلام !**

وماذا عن الخطة الخمسية ؟

على أى حال نحمد الله أن بيان الحكومة أمام **مجلس الشعب** جاء على نحو مختلف فى هذه النقطة ، فقال « اننا نقبل فى اطار خطط التنمية القومية الشاملة كل استثمار يضيف الى ثروة المجتمع ويفتح أبوابا جديدة لتشغيل الايدى العاملة المصرية » . وقد أضاف بيان الحكومة الى هذا الالتزام ، حديثا عن الاعتبارات التى ستدخلها الحكومة الحالية فى سياستها التخطيطية ، ولكننا لاحظنا أنه لم ترد أى اشارة الى التزام الحكومة السابقة بالانتهاء من وضع مشروع خطة خمسية خلال هذا العام ، وجاءت فقرة تقول : « انه « نظرا لان المتغيرات الدولية والاوضاع المالية والاقتصادية

---

[١٣] مجلة الاهرام الاقتصادى . د. اسماعيل الليثى ـ عدد ١٥ مايو

فى الداخل فى تطور مستمر وسريع ، فسيعمل جهاز التخطيط بالتعاون مع الوزارات المعنية على اقامة نظم للتخطيط قصيرة المدى قادرة على متابعة التنفيذ على فترات سريعة مع اعادة تقدير الموقف والتنبؤ بالاحداث المتوقعة سلفا واتخاذ الاجراءات اللازمة فى حدود السياسات العامة للدولة » .

ونحن نرجو الا يعنى التركيز على اقامة نظم للتخطيط قصيرة المدى عودة الى مرحلة البرامج السنوية ، وابتعادا عن فكرة التخطيط المتوسط والطويل المدى . فالبرامج السنوية فى غيبة خطة متوسطة المدى [خمس سنوات مثلا] لم تكن تخطيطا . وقد لاحظنا أيضا ان البيان الحكومى ذكر أن تعديل البرامج السنوية ، أوما أسماه التخطيط القصير المدى ، يتم فى حدود السياسات العامة ، ولم يذكر أن التعديل ينبغى أن يتم كذلك فى نطاق أهداف الخطة الخمسية اذا كانت هناك خطة .

ثم ماذا عن خطة العبور ، او خطة ١٩٧٥ الانتقالية ؟ لقد نقدنا هذه الخطة فى « **الطليعة** » ، ولكننا سلمنا بأن بها ايجابيات لا تنكر ، ونذكر ان هذه الخطة كانت قد واجهت معارضة حادة [ومن زاوية مختلفة] من **د. احمد ابو اسماعيل** حين كان رئيسا للجنة الخطة والموازنة فى **مجلس الشعب** ، فما هو موقف الحكومة الحالية من هذه الخطة ؟ لقد أعلن البيان فقرة واحدة غير واضحة فى هذا الشأن فقال « أن الوزارة تضع بين يدى المجلس وهى تعرض سياستها عزمها على التقييم المستمر لعناصر الخطة الانتقالية وفروضها استجابة لكل هذه الظروف وأداء لمهمتها الرئيسية فى تصحيح المسار » . فلو أن الامر يتعلق بمرونة تطبيق الخطة ، وتعديلها وفق نتائج التطبيق ، فان الحكومة الجديدة قد تسلمت مسئولياتها وقدمت بيانها الى **مجلس الشعب** ، بعد مرور أكثر من أربعة أشهر من بدء تنفيذ الخطة ، وهى فترة كانت تكفى للتقدم بمقترحات محددة ، لو ان التعديل كان فى النطاق الذى ذكرناه . ولكننا نسجل أن هذه الفترة وهى تشير الى ما اسمته « استجابة لكل هذه الظروف » ، كانت تقصد انه « اذا كان العمل الوطنى قد تعرض لصعاب وتحديات ، واذا كانت الجماهير قد بلغت شكواها من ارتفاع الاسعار وصعوبة الحصول على بعض الخدمات الحد الذى نعرفه جميعا . ولما كان الامر مرجعه فى النهاية الى الشعب وممثليه » .. هذه الحيثيات التى استخدمت فيها كلمات كبيرة ، توحى بأن التعديلات المتصورة تتجاوز المفهوم عن مرونة تطبيق أى خطة ، انها توحى بتغييرات جذرية ، ولكن البيان الحكومى ـ كالعادة ـ تجنب التحديد فى مثل هذا الامر البالغ الاهمية .

ونحن نهتم باجلاء هذه المسائل ، لان التخطيط المتوسط المدى ، وخطة عبور ١٩٧٥ ، كانت تمثل محاولة مشكورة من حكومة د . عبد العزيز حجازى لوضع ضوابط هامة على سياسة الانفتاح الاقتصادى ، ولتأكيد الدور القيادى للقطاع العام فى التنمية . لقد اختلفنا مع وزارة د. حجازى فى عديد من القضايا ، ولكن لابد أن نسجل لها هذا الجهد ، وقد سبق أن سجلناه ونحن ننقد مواقفها السلبية ، وتراجعاتها فى بعض الحالات امام ضغط اليمين .

وبعـــد ...

ان حديث الحكومة الجديدة عن « الانفتاح الداخلى » ، وعن المجتمع « ذى الرئتين » ، ثم تجنب الالتزام بأى خطة متوسطة الاجل .. كل هذا دعانا الى الاسراع بالكتابة قبل ان يبدأ العمل .

اليســار المصرى يحاور توفيــق الحــكيم

نص مناقشات
الجلســـــة
الســـــادسة

فى خلفية النقاش الذى دار فى الجلسة السادسة مع الاستــاذ توفيق الحكيم ، كان هناك منهج فى رؤية التجربة يفرض نفسه، على الرغم من أن هذا الفرض تم عن طريق الممارسة ، ولم يصدر عن وجهــة نظـــر مسبقة او مذهبية . وانما جاء من زاوية الحرص على أن منطلقات نقد التجربة يجب أن تكون بالضرورة بناءة ، بحيث تتفــادى محظورين :

التشهير من ناحية ، والتبرير من ناحية أخرى .

من هنا ، فان المتحدثين فى مجموعهم — وعند تقييم التجربة لم يدخلوا فى عمليات حسابية آلية من جمع للايجابيـــات وطرح للسلبيات . ولكنهم نظروا الى ثورة يوليو فــى ١٨ عــاما كعمليــة او حلقــة مــن حلقات التاريخ المصرى تترابط بالضرورة ، بتاريخ الحركة الوطنية ، وحركة المجتمع المصرى ، بل وحركة النظام نفسه فى الماضى والحاضر — فى آن واحد . من هنا كان لابد من تحديد رأى :

ثورة يوليو

التقييم الجدلى ..

لا الحسابى

هل المحصلة كانت ايجابية - فى مجموعها - أم كانت سلبية ؟

ذلك أن ما هو ايجابى وسلبى ، ما هو انتصار وهزيمة ، ما هو تقدم وتراجع ، ما هو قفزة أو انتكاسة ، كل هذا تضمه بالضرورة الوحدة العضوية للظاهرة المعنية وفى داخلها تتصارع الأضداد ، ثم يتحدد الشكل النهائى على أساس غلبة ما هو ايجابى ، أو ما هو سلبى .

وكان من الطبيعى أن تطفو على سطح الموضوع الرئيسى قضايا تحتاج - بدورها - الى شىء من التوضيح والتأصيل .

فقد طرح كل من توفيق الحكيم ومراد وهبة قضية مسئولية المثقفين فى مواجهة السلبيات التى وقعت . وتحمس توفيق الحكيم لفتح ملف المثقفين .
من هذه القضايا - أيضا - قضية الطبيعة الطبقية لقيادة ثورة يوليو ، والفروق بين ثورة يوليو من حيث الطابع والاهداف ، وبينها وبين ثورة كثورة ١٩١٩ .

■ لطفى الخولى :

هذه هى الجلسة السادسة فى حوارنا . وفيها نواصل – كما اتفقنا – مناقشة ما اصطلحنا على تسميته فتح الملف . وهو التعبير الذى يفضله استاذنا الحكيم ، ويعنى فى مفهومنا جميعا مناقشة تجربة ثورة يوليو ١٩٥٢ ، فكرا وتطبيقا تحت قيادة جمال عبد الناصر الفعلية والاسمية ، وذلك منذ ٢٣ يوليو ١٩٥٢ حتى وفاته فى ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ . الكلمة للاستاذ توفيق الحكيم . أظن – كما فهمت – له كلمة توضيحية .

■ توفيق الحكيم :

اريد أن اقول أنه أصبح مفهوما لدينا أن الغرض الأساسى من جلساتنا هذه ، هو رسم الملامح الجديدة لوجه بلادنا فى الحاضر والمستقبل . كما أصبح واضحا أن كلامنا عند فتح الملفات لم يكن المقصود منه ، كما فهم أول الامر ، انه التشهير .. فالتشهير دائما يؤدى الى رد فعل هو التبرير . ونحن الان لا يصح أن نضيع وقت مصر الثمين ونحن فى مرحلة التحول هذه فى تشهيرات وتبريرات . انما الغرض من فتح الملف هو مجرد الاطلاع على الحقائق التى يمكن أن تساعدنا فى التقييم الموضوعى لمرحلة من تاريخنا نحن مضطرون الى ان نبنى مرحلة اخرى بعدها . هذه المرحلة الجديده ، لا ينبغى لنا ولا عذر لنا ، فى أن نتركها ترسم لنا ، وتأتى من أعلى فقط ، كما اعتدنا أن نرى . لابد لعقولنا أن تعمل وتتحرك وتساهم فى رسم ملامح الوجه الجديد لمصر . والان آن لنا فى جلساتنا الباقية ان نحدد تحديدا واضحا الخطوط الرئيسية لهذه الملامح . وملامح كل بلد وكل أمة وكل شعب لابد أن تشمل شكلها الاقتصادى والسياسى والاجتماعى والثقافى . فهل يمكن باختصار ان نتناول أو على الاقل أن نمس مسا سريعا هذه الملامح ، وأن نخط على اللوحة بقلم او بفرشة الكروكى الذى يمكن أن يعطينا فكرة عن وجه بلادنا ، كما نحب ان نراه . مع ملاحظة ان نكون واقعيين لا مثاليين ، اى ان نبحث بكل دقة وموضوعية الخطوات الممكن تحقيقها فعلا بدون تقفزات وطفرات خيالية تعرضنا لاخطار الانزلاق والفشل . يعنى أريد أن تكون الصورة واضحة بعد فتح ملف التجربة ،ولا يكون مجرد تاريخ لما مضى ، انما يكون لخطوة مقبلة ايجابية وهى الخطوط الرئيسية للتجربة فى المستقبل ايضا ، وليس للماضى ، لانه عندما نقف عند التجربة ، انما نقف فيها لغاية سنة ١٩٧٠ لا كمؤرخين . وعلينا ايضا فى ثنايا هذا التقييم الموضوعى أن نعطى فى جلسة أو جلستين مقابلتين الخطوط لوجه مصر كما نحب أن نراه .. واقعيا .. وليس كما ينبغى أن يكون .. لا .. كما نتصور انه من واقع التجربة ، وبعد ما نصححها أو مثلا نفحصها ونشوف كيف نستمر بها .. الى صورة ثابتة متناسقة نستطيع أن نبنى عليها .

■ لطفى الخولى :

نحن سعداء بهذا التوضيح . واعتقد أننا متفقين على هذا . وكان هذا رأينا منذ البداية . ولذلك قلنا أننا سنبدأ على عكس المتعارف عليه . بحيث تكون حركتنا فى الحوار من المستقبل الى التجربة .. الى الحاضر ثم نعود مرة أخرى الى المستقبل . فى الجلسات الماضية بدأنا بنظرة شاملة تستشرف المستقبل بعد الارضية التاريخية التى قدمها لنا كل من توفيق الحكيم وخالد محيى الدين . ثم شرعنا نفتح ملف التجربة فى هذه الجلسة . وبالتالى فنحن نسير وفقا للبرنامج الذى اتفقنا عليه فى بداية هذا الحوار . الكلمة للاستاذ أبو سيف .

■ ابو سيف يوسف :

هذه التجربة التى ندرسها والتى دامت ١٨ عاما لن تكون – فى النهاية – غير ثورة ٢٣ يوليو وقد احتلت فى الواقع مكانا خاصا فى تاريخنا وما دمنا بصدد دراسة فترة من فترات تاريخ مصر ، فلابد أن نضع حركة عبد الناصر والناصرية خلال ١٨ عاما فى اطار الظروف التاريخية المحيطة بها : المحلية منها والعالمية .

اذا عالجنا التجربة من خلال هذا المنظور ، فسوف نرى ان الناصرية [اعنى ثورة ٢٣ يوليو] كانت من الحركات الوطنية والتقدمية التى واكبت مسيره التاريخ البشرى واستجابت فى أكثر من موقف من ناحية لمتطلبات حركة الثورة العالمية التى تضم الثورات الاشتراكية وثورات التحرر الوطنى العالمية . كما استجابت من ناحية أخرى للمتطلبات الموضوعية للثورة الوطنية الديموقراطية المصرية ، هذه الثورة التى بدأت – كما نعلم – بثورة عرابى ، ثم تجسدت فى نضال مصطفى كامل ومحمد فريد ثم فى ثورة ١٩١٩ ، وما تلاها من انتفاضات وهبات وطنية فى الثلاثينات والاربعينيات . ومن هنا ، ومن خلال هذا

المنظــور المحدد يمكن أن نقيم التجربة على الوضع التالى :

اولا : ان ما بقى وما سوف يبقى من الناصرية هو منهج المواجهه الجريئة لقوى الامبريالية والاستعمار .

ولان عبد الناصر كان مستجيبا لروح عصرنا الراهن عصر تصفية الامبريالية والاستعمار ، فقد دخل فى صدام مع الاقطاع وخلع طبقه كبار ملاك الارض من السلطه ، ثم تقدم ليخوض معركة الاستقلال والسياده القوميه ، واستطاع أن يستكمل مقومات هذا الاستقلال وتلك السيادة عام ١٩٥٦ ، ومن خلال معركة رائدة فى بلدان العالم الثالث ، هى معركة تأميم قناة السويس . فكأن عبد الناصر كان قد بدأ وبشكل عملى ، يربط ربطا صحيحا - وفى وقت مبكر - بين حماية الاستقلال الوطنى وبناء البلد وبين الهجوم على مواقع الاحتكارات الدولية التى كانت تسيطر على اقتصاد مصر .

والواقع انه أيا ما كان تقييمنا لحرب السويس من - الناحية العسكرية - حين هاجمتنا امبراطوريتان ودوله اسرائيل - فقد كانت نصرا سياسيا كبيرا اطلق - كما نذكر جميعا - سلسلة من ردود الفعل الدولية الواسعة اثرت على حركة التحرر الوطنى فى البلاد العربية والافريقية والاسيوية .

وبالاضافة الى ذلك فانه فى معركة السويس وضعت الاسس النضالية للوحدة العربية ، أسس النضال ضد الاستعمار .

ثانيا : ان ما بقى وما سوف يبقى من الناصرية هو مواجهتها الحازمة للاستعمار الجديد باعتباره الخطر الاكبر الذى يهدد البلاد المستقلة حديثا .

فانطلاقا من ضرورة محلية هى الحاجة الى عمل تنمية مستقلة خاصة عن طريق اقامة قاعده قويه للصناعة الحديثه ، راى عبد الناصر أنها شرط ضرورى لرفع مستوى المعيشة ، دخلت الناصرية أعظم معاركها الوطنية والاجتماعية . فبعد عام ١٩٥٦ لم يعد العدو الرئيسى هنا هو قوى الامبراطوريات القديمة الانجليزية والفرنسية ، بل واجهت البلاد الاسلوب الجديد لقوى الامبريالية العالمية ، وهو ما يعرف بأسلوب الاستعمار الجديد . وكما نعلم ، كانت الولايات المتحدة ترغب فى أن تظل حركة الضباط الاحرار فى حدود الانقلابات العسكرية المعروفة - وقتئذ - فى كثير من دول امريكا اللاتينية . باختصار كانت ترغب فى أن يقوم فى مصر حكم للكوليديلات المصريين يحتفظ لمصر باستقلال شكلى ، وفى الوقت نفسه . يفتح البلاد أمام نشاطات الاحتكارات الامريكية الجبارة لتحتوى الاقتصاد الوطنى ، وما يرتبط بهذه النشاطات من غزو ثقافى ومن ربط لمصر بالمعاهدات والاحلاف العسكرية . لكن عبد الناصر كافح ليجنب مصر هذا المصير - فرفض مشروع ايزنهاور لملء الفراغ . ووافق على مجىء رأس المال الاجنبى لكنه رفض كل شروطه التى تمس السيادة القومية أى مساس وتعرقل قيام التنمية المستقله . وخاض معارك الاحلاف والقواعد العسكريه على نطاق الوطن العربى . وتحرك دوليا فى مواجهة الاستعمار الجديد على محورين : محور التعاون مع الاتحاد السوفيتى والبلدان الاشتراكية « فكسر احتكار السلاح وحصل على شروط مناسبة للغاية لتصنيع البلاد » . وكان المحور الثانى هو محور بلدان عدم الانحياز والحياد الايجابى « وفى نطاق هذه المجموعة من البلدان دعم المبادرات من أجل أن تتحد هذه البلدان فى وجه الشروط الجائرة فى المعاملات الاقتصادية التى تفرضها بلدان الغرب الرأسمالية ، ومن اجل تأكيد حق هذه البلدان فى السيطره على مواردها وثرواتها الرئيسية . وقد استمعنا فى الجلسة الماضية الى ما ذكره - فى هذا الصدد - خالد محيى الدين عندما اشار الى موقف مصر فى مؤتمر التجارة والتنمية عام ١٩٦٤ » .

من هذه الزاويه ، يمكن القول بانه اذا كان الامر أمر تقييم تراث الناصرية ، فان أثمن مافى هذا التراث هو خط النضال ضد الاستعمار الجديد . ويتضح هذا ، اذا علمنا ان مهمة النضال ضد الاستعمار الجديد - كانت ولا تزال الى اليوم - المهمة العاجلة والرئيسية بالنسبة لجميع البلدان التى تدخل تحت عنوان : « العالم الثالث » .

هنا لابد من ملاحظة ان عبد الناصر قد تنبه الى ان معركة خطيرة مثل هذه اى المعركه ضد الاستعمار الجديد ليست محليه ولا يمكن ان تتجزأ . من هنا نفهم - مثلا - لماذا ساندت مصر الكفاح الوطنى لشعب الكونغو على الصعيدين السياسى والعسكرى .

■ **لطفى الخولى :**

من ملامح الاستاذ توفيق الحكيم ، أقرأ تعبيرا يكاد يقول أن الموضوع الذى يتحدث فيه

الان أبو سيف خارج عن الموضوع . هل احسنت القراءة يالستاذ توفيق .

■ **توفيق الحكيم :**

اذا كان تمهيدا لما بعده فلا بأس ، لان هذا الموضوع لا نناقشه الان ربما نناقشه بعد ذلك . فهو يمكن يريد أن يذكرنا بالموضوع على أساس انه تمهيد .

■ **لطفى الخولى :**

اعتقد أن الاستاذ ابو سيف يعتبر هذا الموضوع ركنا أساسيا من أركان التجربة .. اى الملف ، وهو موضوع الحوار فى هذه الجلسة .

■ **د. لطيفة الزيات :**

هناك اختلاف ، فى محور المناقشة . هل هى تقييم ؟ بعضنا يعتبرها جلسة للتقييم النهائي التجربة والحاضر ، نعود الى تحديد أكثر دقة الحوار . اما الاستاذ توفيق الحكيم فيرى فيها بداية لنظرة مستقبلية . لكننا قمنا بهذه النظرة المستقبلية قبل هذا .

■ **لطفى الخولى :**

لا أظن أن الخلاف فى هذه النقطة . نحن اتفقنا على أن ما قمنا به فى البداية من استشراف لمستقبل مصر ، هو مجرد مدخل لكى نرى بعد ذلك خلال مناقشتنا للتجربة ـ الملف ، ما اذا كانت هذه التجربة فى مسارها قد قربتنا من المستقبل المأمول أم لا . وبعد مناقشة التجربة والحاضر ، نعود الى تحديد اكثر دقة لمسار المستقبل بعد ذلك . لكن الاستاذ توفيق كما فهمت يرى أن حديث الاستاذ أبو سيف مزيد أو تمهيد يمكن تجاوزه . فى حين أن أبو سيف، وهو يعطى رؤيته للتجربة يعتبر ان الكفاح ضد الامبريالية والاستعمار الجديد ، يمير بصفة خاصة التجربة ، وقيادة عبد الناصر ، وبالتالى يرى فى هذا الكفاح ركنا اساسيا وليس ركنا هامشيا أو مجرد تمهيد . أليس كذلك ؟

■ **توفيق الحكيم :**

على كل حال غرضنا انه لكى نبنى مستقبل البلد فيما نخطط له لابد من البناء على شىء ، وهذا الشىء هو العشرين سنة الماضية .. مرحلة تاريخية . هذه المرحلة لابد أن نحللها .. طبعا فى تحليلها نرجو ونريد أن يتبقى شيئا نبنى عليه .. فما هو هذا الشىء الذى سنبنى عليه ؟

■ **لطفى الخولى :**

هذا يتضح من خلال مناقشة التجربة .. فتح الملف الذى نريده . ولا يمكن أن يتضح ذلك اذا تخطينا فتح الملف حقيقة وعلى أوسع واعمق مدى نستطيعه . وهذا ما يقوم به أبو سيف من وجهة نظره .

■ **توفيق الحكيم :**

كلام الاستاذ ابو سيف يدخل فى نطاق ما يحلله لنستبقيه للمستقبل لنبنى عليه الشكل السياسى ، لان انا قلت الشكل السياسى والاقتصادى والثقافى والاجتماعى للبلد فى المستقبل هو الذى يكون ملامحها .

■ **لطفى الخولى :**

اذن يستمر الاستاذ أبو سيف فى حديثه .

■ **أبو سيف يوسف :**

اتفق مع أستاذنا توفيق الحكيم فى أننا عند دراسة التجربة اعتدنا على أن نقول أن هناك ايجابيات ، وهناك سلبيات ، ولابد ان نتعرض لها .. ففى الكلام عن الايجابيات فى تقديرى الشخصى يبقى باستمرار من التجربة الناصرية مواقف وخطوط فكرية ومبادىء عامة وانجازات لابد من التمسك بها للبدء فى بناء جديد . وسنعود بعد ذلك الى السلبيات .

من الايجابيات ـ كما ذكرت ـ ، المواقف الخاصة بنضاله ضد الامبريالية وضد الاستعمار الجديد وما ترتب على ذلك ايضا من مواقف اخرى . وهذه هى النقطة الثالثة .

ثالثا : تاسيسا على هذين المبدأين الثابتين من مبادىء الناصرية ، وهى النضال ضد الامبريالية والاستعمار ، وضد الاستعمار الجديد التزم عبد الناصر بمساندة الثورات الوطنية فى البلاد العربية التزام مصير ونضال مشترك . كان هذا موقفه من ثورة الجزائر .. ثورة اليمن .. ثوره الجنوب اليمنى .. ثورة فلسطين .. ثم من ثورة ليبيا ... الخ . وبذلك دشن عبد الناصر دور مصر العربى القيادى على اسس نضالية وتحريرية وطنية . وهذا ما سوف يبقى من تراث الناصرية .

النقطة الرابعة : انطلاقا من نضاله ضد الامبريالية والاستعمار الجديد ، وعلى اساس منهج التجربة والخطأ احيانا .. وعلى اساس نظرى لاحق احيانا اخرى كما تبين فى الميثاق أو كما وضح فى الميثاق ، توصل عبد الناصر الى أن الاستقلال الاقتصادى هو جوهر ، أو مضمون أو أساس الاستقلال السياسى . من هنا عمله على تصفية مواقع رأس المال الاجنبى الاحتكارى ، وخلع الرأسمالية الكبيرة وهى الطبقة الاجتماعية التى كانت تعتبر بنشاطاتها الاقتصادية ركيزة من ركائز النفوذ الاجنبى . من هنا : التأميمات التى بدأت عام ١٩٦١ . من هنا ايضا وضع اساس مبادىء سيطرة الشعب على وسائل الانتاج الرئيسية . ومن هنا الدور القيادى للقطاع العام فى الاقتصاد القومى . وكل هذا يدخل بالضرورة فى التراث الحى للناصرية بدليل أنه وضع لاول مرة فى تاريخ مصر بعض ركائز هامة لاقامة القاعدة الصناعية الوطنية والمستقلة . وبدليل أن ما أقيم من الصناعات قد رفع نصيب الصناعة فى الدخل القومى بكيفية ملحوظة . واخيرا بدليل أن هذا المنهج فى الدفاع عن الاستقلال الاقتصادى قد أثر فى أكثر من بلد عربى .

النقطة الخامسة : من التراث الحى للناصرية خطها وشعاراتها الخاصة بقضية التقدم الاجتماعى . ففى هذا حدثت انجازات لا داعى للافاضة فيها ، فقد تحدث عنها الزملاء ، لكن أهم من هذه الانجازات فى اعتقادى بعض القضايا والمواقف الفكرية التى حرص عبد الناصر على التأكيد عليها فى أكثر من مناسبة . على سبيل المثال :

هناك قضية استمرار الثورة وهى القضية التى جعلته يؤكد اننا لانزال بعيدين عن المجتمع الاشتراكى ، وجعلته ينبه الى خطر الحزب الرجعى فى داخل البلد ، وخطر البيروقراطية والراسماليين الجدد على الثورة ، وضرورة الكفاح ضدهما . هناك ايضا قضية الدور القيادى للطبقة العاملة فى المجتمع الاشتراكى والتى اشار اليها فى أكثر من موقف . هناك قضية التفاعل مع التجارب والحركات الثورية فى بلاد العالم الاخرى . هناك قضية التعاون والتحالف مع البلدان الاشتراكية فى النضال ضد الاستعمار ومن أجل التقدم الاجتماعى . فكل هذه الافكار ... وأيا كانت تطبيقاتها ستظل مع ذلك جزءا من التراث الفكرى الحى والثورى » فى تجربة الـ ١٨ عاما الماضية لثورة ٢٣ يوليو .

اذن ، ففى الاجابة على السؤال الذى طرحناه ، وهو ما الذى يبقى حيا وثوريا فى تراث الناصرية ؟ سوف نجد أن هناك بالفعل مكاسب وركائز قوية وهامة جدا للنضال الوطنى والاجتماعى ، لابد وان تتمسك بها كل القوى الوطنية والثورية وتطورها . وذلك - تماما - كما تمسكت - من قبل - كل القوى الوطنية بالتراث الوطنى الذى خلفته الثورات والهبات الشعبية والوطنية التى سبقت ثورة يوليو ١٩٥٢ . ولسوف تكون نكسة هائلة أن ترضخ القوى الوطنية والتقدمية لابتزاز اليمين الرجعى الزاحف ، والمطالب باغلاق صفحة يوليو ، واسقاط ١٨ عاما من تاريخ مصر .

فالتقييم النهائى لتجربة الـ ١٨ عاما هى انها كانت بمقياس ماكان قائما قبل ١٩٥٢ ، وبمقياس ما حدث فى البلدان المتخلفة التى خضعت لنير الاستعمار والاقطاع ، نقول كانت فترة تقدم ونهوض - بشكل عام - على المستويات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية . فمصر قد دخلت - لاول مرة فى تاريخها - طريق الاستقلال السياسى والاقتصادى . ومن ثم فقد خلقت الظروف المادية المناسبة لكى تنطلق مصر بخطوات اسرع ، وبعيدا عن خط النمو الرأسمالى - فى طريق التقدم الاجتماعى .

هنا ، قد يقال أن مصر قد تعثرت على هذا الطريق الذى يفضى - بالضرورة - الى المجتمع الاشتراكى .

ولكن - عندئذ - يطرح السؤال الخاص بسلبيات التجربة .

وهنا اتفق مع كثير من النقاط التى اشار اليها فؤاد مرسى وخالد محيى الدين وعبد العظيم انيس ومحمد سيد احمد ، والتى تتلخص :

١ - فى أن عبد الناصر كان يبحث - من الناحية - النظرية عن اشتراكية لم توجد من قبل ، تحفظا منه ورغبة فى التمايز عن الاشتراكية كما طبقت فى عدد من بلدان العالم

٢ - فى أن عبد الناصر رغم ايمانه بضرورة استمرار الثورة لم يعمق مجرى الثورة الاجتماعية بالقدر المطلوب .

٣ - فى ان عبد الناصر قد قدم دوليا وداخليا انجازات ضخمة . ولكنه لم يقم المؤسسات التى تستطيع أن تحافظ عليها وتدافع عنها ضد كل انحراف أو ردة .

على اننى اعتقد ان النقطة المحورية فى جميع هذه السلبيات ، كانت – وقد ظلت باستمرار – هى خوف الناصرية من حركة الجماهير المنظمة ، ثم ما ترتب على هذا من عدم تمكين هذه الجماهير – عمليا وفى نهاية المطاف – من أن تشارك مشاركة ايجابية فى ادارة شئون البلاد ، عن طريق ممثليها الحقيقيين من الفلاحين والعمال والحرفيين والمثقفين ، المنظمين فى منظمات سياسية ونقابية وثقافية ديموقراطية .

لقد تصدت ثورة يوليو بقيادة عبد الناصر لمهام جسيمة للغاية داخليا وعربيا ودوليا ، وفرضت عليها حرب السويس وحرب ١٩٦٧ . ثم ذهبت الى اليمن فى حملة عسكرية وكل هذا كان يتطلب ايقاظ وتنظيم الجهد الواعى للطبقات الشعبية لان الاشتراكية – كنظام وكما هو معروف – هى ثمرة الجهد البناء والواعى والاختيارى لاوسع الجماهير . وطالما أن النظام قد اعلن فى مواثيقه ان هدفه هو اقامة المجتمع الاشتراكى ، فان الذى يطرح بالضرورة ليس هو الديمقراطية الليبرالية بل الديمقراطية لهذه الجماهير الشعبية . لكن الذى حدث هو أن عبد الناصر كان من ناحية قد رفض الديمقراطية الليبرالية لعلمه ان الطبقات المخلوعة أقدر على الاستفادة منها من بقية الطبقات الشعبية ، وانها من الممكن أن توجهها ضد نظامه . ولكنه فى الوقت نفسه أيضا كان قد رفض عمليا الديمقراطية لاوسع الجماهير ، وذلك تحت وهم ان حركة الجماهير قد تدفع الصراع الطبقى الى آفاق غير سلمية أو الى آفاق غير محسوبة لا يريدها هو ...

ولقد ترتب على هذا الموقف نتائج سلبية للغاية منها :

١ – ان الطبقات الشعبية لم تستطع ان تقدم كل امكانياتها للبناء ولزيادة الانتاج .

٢ – ان الطبقات الشعبية لم تستفد من الناحية المادية كل الفائدة من القوانين التقدمية التى أمنت لها عددا من المكاسب .

٣ – ان الطبقات الشعبية لم تقم بدورها الاساسى والتاريخى فى ردع وتصفية قوى الثورة المضادة . والردع هنا لا يعنى التصفية البدنية والقهر ، بل يعنى اقتلاع الفكريات والعادات والثقافات والمؤسسات الرجعية .

وهذه النقطة الاخيرة هامة للغاية . وقد تحدث فيها الاستاذ خالد محيى الدين ، عندما أشار الى أن عبد الناصر واجه تحرت الاقطاع عام ١٩٦٦ بتشكيل لجنة « تصفية الاقطاع » ، ولم يعتمد على حركة منظمة ومؤسسات « جمعيات تعاونية مثلا » ديموقراطية للفلاحين فى مواجهة هذا الخطر . ولقد أدى هذا باختصار الى أن النظام كان يستسهل اللجوء الى الاجراءات الاستثنائية والمنافية – فى بعض الاحيان – للمشروعية الثورية . ومثل هذه الاجراءات قد تشل وقد تردع القوى المناهضة للثورة بعض الوقت ، لكنها تعجز – عادة – عن تحقيق أهم انجاز يؤمن مسيرة الثورة وهو تصفية الفكر الرجعى تصفية سياسية أى عن طريق العمل السياسى ، عن طريق التثقيف السياسى المقنع لاوسع الجماهير .

وفى ظل استبعاد المنظمات الجماهيرية عن المشاركة الحقيقية فى السلطة استفحل دور الفرد وما صاحبه من قيام الشلل ، ومن قيام الاجهزة فى مصر والبلاد العربية بأعمال لا تدخل فى صميم اختصاصها ، ومن الاعتماد على القمع على حساب تنوير الراى العام ، ولكن لعل أخطر هذه النتائج هو ان عبد الناصر ابتداء من عام ١٩٦٢ لم يتمكن من تصفية الاتجاه الذى نما داخل قيادات ثورة يوليو نفسها . هذا الاتجاه المحافظ الذى اراد تجميد مسيرة ثورة يوليو ، والامتناع عن المضى فى الاجراءات الاجتماعية المختلفة . وكان المرحوم المشير عبد الحكيم عامر هو أحد القادة البارزين لهذا الاتجاه ، فكان هذا الانقسام العميق – داخل القيادة السياسية – والذى لم يصف بطريقة ديمقراطية أحد المقدمات الرئيسية لنكسة خطيرة أصابت النظام ، حدثت فى ٥ يونيو بتخطيط من الاستعمار الجديد واسرائيل .

على أن ما يؤسف له أشد الاسف هو ان الناصرية لم تستفد من هذا الدرس رغم ان جماهير ٩ ، ١٠ يونيو كانت – بحركتها – قد حددت الطريق الجديد والصحيح لاشراك الشعب فى ادارة شئون البلاد .

■ **لطفى الخولى :**

اذا اذنتم لى ، اقدم وجهة نظرى عن التجربة وفتح الملف . الحقيقة لدى ثمانى نقاط فى قضية فتح الملف .. منها السؤال الذى اثاره الاستاذ

توفيق الحكيم فى هذه الجلسة والذى كان قد أثاره قبل ذلك ، بصياغات مختلفة ، حول ماذا يعنى فتح الملف ؟

حول هذا السؤال ، أرى أننا نواجه عدة أمور يجب أن توضع فى الاعتبار :

الامر الاول يتعلق بتحديد أبعاد هذا الملف ، بأكثر قدر مستطاع من الدقة . وأعتقد أننا أصبحنا متفقين حول هذا الامر . وهو أن الملف يأخذ بعدا زمنيا من تاريخ المجتمع المصرى يبدا من ٢٣ يوليو ١٩٥٢ حتى وفاة عبد الناصر فى ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ . ونحن فى هذا الشأن لا نفتح طلسما كان مجهولا علينا . وانما نحن فى الواقع نعيد رؤية تجربة اجتماعية عايشناها ، ونحن شئنا أم لم نشأ جزء منها لا نستطيع بل ولا نملك الانفصال عنها ، سلبا وايجابا . كل ما فى الامر أن وفاة عبد الناصر قد وضعت أمامنا حدودا لاطار التجربة ، كما جرت تحت قيادته ، تمكننا من القيام ، اليوم ، بهذه الرؤية . وبالتالى فرؤيتنا من الداخل لا من الخارج ، ونحن لا نرى التجربة وعبد الناصر فحسب،بل نرى فى نفس الوقت انفسنا وحركتنا السلبية والايجابية أيضا .

الامر الثانى يدور حول من الذى يفتح الملف . بتعبير آخر الموقف الاجتماعى والفكرى والسياسى لمن يتصدى لفتح الملف وتقديم رؤياه الراهنة للتجربة . واذا أردنا التبسيط فاننا يمكن ان نقول أن فى مجتمعنا اليوم ثلاث قوى أساسية : اليمين المتخلف والوسط الوطنى واليسار . وبالتالى فان لكل قوة من هذه القوى رؤياها العامة للتجربة تختلف بالضرورة عن رؤى القوى الاخرى . بل يمكن القول أن هذه الرؤى الاخرى تدتتعدد فى التفاصيل بقدر تعدد المدارس والاتجاهات داخل كل قوة اجتماعية . بل ان هذه الرؤية تتفاوت فى عمقها وشمولها من شخص الى آخر أيضا . وذلك بحكم تفاوت درجة الثقافة والمعرفة العامة والخاصة بظروف التجربة نفسها . وكذلك بحكم وعيه بمصالحه ومصالح طبقته أو اتجاهه السياسى فى المجتمع وقضايا مساره وتطوره فى الحاضر والمستقبل،وايضا بحكم تكوينه النضالى،ومدى مشاركته وفاعليته فى العمل وفى النضال اليومى للجماهير .

الامر الثالث يختص بتحديد ماهية هذا الملف الذى نفتحه . ماذا نفتح بالضبط ؟ هل نحن نفتح ملف تجربة شخصية تاريخية حملت اسم عبد الناصر وحسب ، تولى السلطة فى مصر على مدى ١٨ عاما ؟ أم نحن نفتح ملف المجتمع المصرى فى مرحلة الثمانية عشر عاما التى تولى خلالها جمال عبد الناصر القيادة ؟ وبالتالى نحن نرصد ونقيم حركة المجتمع بصراعاتها الاجتماعية والسياسية ، بالتطور الاقتصادى والثقافى خلال مرحلة تاريخية معينة لها أبعاد عربية ودولية . وظهرت على سطح الاحداث قيادات عديدة كان ابرزها جمال عبد الناصر . وبالتالى فنحن نقيم مسئوليته من خلال هذه الحركة التاريخية وكيفية تعامله معها ذاتيا وموضوعيا .. أعتقد أن الاقرب الى الصحة هو رؤية التجربة وعبد الناصر من خلال هذه الوحدة التاريخية للموضوع والذات التى تميز ١٨ عاما من تاريخ المجتمع المصرى .

هذا عن **النقطة الاولى** . اجىء الى **النقطة الثانية** ، وهى تتعلق بتحديد المنهاج الذى يجب استخدامه فى عملية فتح الملف ، وتحليل محتوياته . تحديد نوعية المنهاج المستخدم ، مهم . لماذا ؟

هناك مايمكن أن نسميه المنهاج الذاتى ، المجرد ، المثالى . وهو منهاج يفصل بين الفكر والواقع ، بين التجربة وظروفها المحلية والعربية والدولية ، بين ذات القائد للتجربة وموضوعية التجربة نفسها . وهذا المنهاج يوقعنا فى هوة « العاطفية » كما عبر الاستاذ توفيق الحكيم عنها . ويقود بالتالى الى احكام ذاتية وانطباعات شخصية جزئية وتصورات مسبقة لا علاقة لها بالحقيقة التاريخية .

وهذه العاطفية فى المنهاج تتخذ موقفين على طرفى نقيض : اما موقف « **التشهير** » ، واما موقف « **التاليه والتقديس** »

فى الموقف الاول لا يرى المشهر الا الجانب السلبى فقط من التجربة ، أو من شخص القائد ويتجاهل بل وينكر الجانب الايجابى ، وفى الموقف الثانى يحدث العكس ، فلا يرى الا الجانب الايجابى فحسب متجاهلا ومنكرا الجانب السلبى .

كلا الموقفين لا يقودان الى الحقيقة . ويصدران عن ضيق افق ، أو مصالح شخصية اضيرت ، أو يسعى الى تحقيقها .

واذا حصنا انفسنا عن التشهير والتقديس فليس أمامنا من منهج فى الرؤية الا المنهج الجدلى التاريخى الذى لا يفصل بين الذات

والموضـوع ؟ بين الفـكر والواقـع ، بين التجربة وظروفها . ويرى من خلال نظرة نقدية شاملة وجهى العمله فى نفس الوقت . ويرصد الجوانب الايجابية والجوانب السلبية ، بمعيار حركة التقدم الوطنى والتاريخى ، ليخرج بعد ذلك بنتيجة موضوعية تبين ما اذا كان الجانب الايجابى هو الغالب أم العكس . وتكشف أيضا اسباب الجانب السلبى ، وتحاول علاجه لكى تستمر المسيرة فى المجتمـع الى الامام ، الى الامام بمعنى شـعبى وديمقراطى ، وتنمية اقتصادية اجتماعية مستقلة ، وتحرر وطنى ، ومعاداة للامبريالية والصهيونية ، وانتمـاء عربى الخ ...

من هنـا يحسن أن أحـدد موقفى من فتح الملف بأنه موقف وطنى ، مصرى عربى ، يسارى الاتجاه بالمعنى العلمى للاشتراكية ، يتخذ المنهاج الجدلى التاريخى وسيلة للرؤية النقدية لتجربة يوليو من ١٩٥٢ الى ١٩٧٠ .

فى **النقطة الثالثة** التىأريد أن اثيرها ، أشدد على موضـوع أنالملف المراد فتحه ليس ملف عبد الناصر الشـخصى . هذا ليس موضـوع ندوتنا نحن نفتح ملف التجربة التى حدث أن قادهـا عبـد الناصر فى المجتمع المصرى .. عبد الناصر لم ينبت من فراغ ، وانما نبت من ارض المجتمع المصرى وصراعاته . ولم يكن ليصبح ماأصبحه لولا المجتمع المصرى والشـعب المصرى وصراعاته من اجل مستقبل أفضل وتغيير للاوضاع التى كانت سائدة ، ومن هنا كان دوره القيادى الذى أهلته له فى نفس الوقت ملكاته الذاتية وقدراته الخاصة . وبالتالى فالمجتمع الذى كان فى حالة تغيير بفعل ثورة يوليو هو موضـوع البحث . والتغيير : هدم وبنـاء وبالتالى فان ماأصاب المجتمع بفعل ثورة يوليو من هدم لعلاقات اجتماعية ونظم كانت قائمة وبناء لعلاقات اجتماعية ونظم جديدة ، هى موضـوع البحث . بمعنى أن علينا ان نمد البحث بحيث يشمل الابنية التحتية من اقتصاد وعلاقات اجتماعية وانتاجية . والابنية الفوقية من مؤسسات السلطة والحكم والقيم والثقافة الخ ... والملف يكون فتحه ناقصا اذا لم يشمل أيضا ظروف العصر المحلية والعربية والدولية التى نمت فيها التجربة وسط تحديات متعددة ، وكذلك الدور الشخصى الذى لعبه عبد الناصر فى قيادة التجربة . ومدى تفاعله مع ايجابياتها وسلبياتها .

أما أن نقتصر فحسب على رؤية التجربة من خلال منظور محدود هو شخص عبد الناصر فحسب . فان معنى ذلك أن نلغى الشـعب المصرى والمجتمع وصراعاته بل والعالم . كما نلغى فى نفس الوقت عقولنا ونتعامل مع عبد الناصر وكأنه القدر بالمعنى الغيبى . أن من السهل جدا ان نقول أن عبد الناصر كان يملك اقوى سلطةملكها حاكم أو قائد فى تاريخ مصر ، وحظى بتأييد شعبى كاسح ، وهـذا كلـه صـحيح . وهذا قـد يرسب لدى البعض انه صاحب كلمة مطلقة . كان يمكن مثلا أن يصدر فرمانا بالاشتراكية فى مصر ، فلا يملك احد الاعتراض ، ويتم تنفيذه فورا بلا مصادمات ، او معارضات أو اخطاء أو سلبيات . هل هذا ممكن؟ ان معنى ذلك أن نتجاهل صراعات القوى فى المجتمع وفى المنطقة والعالم .. ان نتجاهل ليس فقط القوى الرجعية والقيم والعلاقات الاقطاعية والبرجوازية السائدة .. بل أن نتجاهل ايضا وجود الامبريالية الامريكية واسرائيل . بل أكثر أن نتجاهل عامل التطور فى فكر وحركة عبد الناصر كشخص قيادى أيضـا . أيا كان حجم السلطة فى يد شخص فهى لا يمكن أن تكون مطلقة محليا . وانما محكومة ومقيدة بعلاقات القوى فى المجتمع والعصر معا .

وهذا يقودنا الى **النقطة الرابعة** ، اذا كنا بفتحنا للملف ، نسلط الضوء على مـرحلة تاريخية محددة من تاريخ حركة المجتمع المصرى منذ أوائل الخمسينات حتى أوائل السبعينات فى هذا القرن .. فهل هذه المرحلة كلها مجرد كتلة واحدةصماء ؟ لا ... نحن فىالحقيقة امام ظاهرة اجتمـاعية نبعت فـى مجتمـع الخمسينات . وبالتالى هى وثيقة الصلة بجذور ماقبل الخمسينات فى تـاريخ مصر . وككل ظاهرة اجتماعية تمر بمراحل متعددة من نشوء وتطور ايجابى كما تتعرض لنكسات سلبية .

ثورة يوليو اذن ، هى ظاهرة اجتماعية ، وهى ظاهرة اجتماعية تقـدمية بـالمعيار التاريخى . لانها ثارت على أوضاع وعلاقات متخلفة اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا وثقافيا الخ ... وكان القضاء على هذه الاوضاع والعلاقات خطوة الى الامام فى تاريخ نضال الشعب المصرى .

لا أريد الان ان استطرد فى هذه النقطة، وانما أريد ان احدد أن هذه « الظاهرة الاجتماعية التقدمية » بالمعيار التاريخى ليست فـرعا

مقطوعا من شجرة ، انها جزء لا يتجزأ من حركة التحرر الوطنى المصرية التى تحدث عنها اليوم باستفاضة زميلنا ابو سيف يوسف ، يدخل فى تكوينها نضالات الشعب خلال ثورة عرابى وحركات مصطفى كامل ومحمد فريد وثورة ١٩١٩ بقيادة سعد زغلول .. كما تدخل فى تكوينها كل الحركات والافكار اليسارية والليبرالية واليمينية التى كان يموج بها المجتمع المصرى قبل ١٩٥٢ .

واذا أردنا أن نحدد الطابع العام لهذه « الظاهرة » فلاشك انها تنتسب تاريخيا وموضوعيا لما أصبح يسمى باسم حركة التحرر الوطنى العالمية بعد الحرب العالمية الثانية وسيادة مناخ الحرب الباردة دوليا ، وظهور وتصاعد قوة العالم الاشتراكى .

والطابع العام لا يلغى ما تتميز به الظاهرة فى نفس الوقت من طابع خاص بها ، تمليه بالضرورة الخصائص المميزة للظاهرة فى واقعها .

وفى رايى أن الطابع الخاص لثورة يوليو وتجربتها من ١٩٥٢ الى ١٩٧٠ يتحدد فى ثلاثة أبعاد :

البعد الاول ، يتمثل فى الدور البارز الذى لعبه الجيش فى تفجير الثورة . حتى ١٩٥٢ كان الفكر الاشتراكى وحتى الفكر الليبرالى يعتقد أن الجيش بطبيعته كمؤسسة هو جهاز القمع للطبقة الرجعية السائدة والمسيطرة . وبالتالى فان تحركه للاستيلاء على السلطة لا يعدو أن يكون انقلابا عسكريا فى خدمة الرجعية وفئاتها الفاشستية لكن جاءت ثورة يوليو ١٩٥٢ ، فاثبتت انه بتوافر ظروف موضوعية معينة فى جيوش بلاد حركة التحرر الوطنى ، وبناء حزب سياسى وطنى متحصن داخلها « كالضباط الاحرار » يتبنى المطالب الشعبية العامة وينتمى أعضاءه الى الطبقات الوسطى والصغيرة ، فانه يمكن أن يتحول الجيش من اداه للقمع فى يد سلطة الملك وكبار الملاك والرأسمالية الكبيرة الحاكمة الى اداة فى يد القوى الوطنية لتفجير الثورة الوطنية ذات الابعاد التقدمية .

البعد الثانى ، يظهر من خلال الدور القيادى البارز الذى أمكن للبرجوازية الصغيرة أن تلعبه — ايجابيا وسلبيا — فى ثورة يوليو . قبل ثورة يوليو كان أيضا من المسلمات فى الفكر التقدمى عموما ان البرجوازية الصغيرة بسبب عدم تماسكها وتناسقها كطبقة وتأرجحها بين التطلع الى أعلى حيث البرجوازية الكبيرة ، والتدنى الى اسفل حيث الطبقة العاملة ، غير قادرة على قيادة حركة ثورية فى المجتمع . ثوره يوليو طرحت لاول مرة — وأنا هنا أتحدث باختصار شديد — امكانية بروز الدور القيادى للبرجوازية الصغيرة فى مجتمع متخلف ومستعمر ، اذ تمكنت من السيطرة على الجيش وتحويله الى صالحها . الصفة الغالبة على الضباط الاحرار هو الانتماء الى البرجوازية الصغيرة بكل تموجاتها .

البعد الثالث ، يتحدد فى الوزن الخاص والمؤثر لشخصية جمال عبد الناصر القيادية فى الثورة . وهو ما يمكن أن يندرج فى اطار ما يعرف فى الفكر الاشتراكى بدور الفرد فى التاريخ . وقد تضافرت ظروف عديدة ، تفاعلت مع الصفات والملكات الذاتية لعبد الناصر ، فى ضخامة حجم التأثير الشخصى لعبد الناصر ، ايجابا وسلبا ، على مجرى الاحداث .

ان عبد الناصر ، اجتماعيا ، كان يتجسه باطراد واستمرار ومن خلال موقفه الاجتماعى الى الانحياز نحو المواقف الوطنية والتقدمية فى مسار الحركة الشعبية مما فجر تناقضات عديدة متوالية داخل قيادة الثورة . وتمكن عبد الناصر ، باستثمار كل من ملكاته الذاتية وما حظى به من شعبية تعدت النطاق المصرى الى العربى والعالمى ، من حسم هذه التناقضات دائما لصالحه الذى كان يتفاعل مع الصالح العام للجماهير الشعبية أيضا . ولكن هذا الوزن لدور عبد الناصر الفردى فى تاريخ هذه المرحلة من التجربة ، عمق شيئا فشيئا طابع الحكم الفردى بكل ما ينتج عنه من مؤسسات وأجهزه قمع ، أستشرت حتى على عبد الناصر نفسه كما حدث بعد هزيمة ١٩٦٧ .

والان .. وهذه هى **النقطة الخامسة** ، اقدمها فى السؤال التالى : هل يمكن القول اليوم بأن هناك — بعد ثمانية عشر عاما من تجربة غنية بالاحداث والصراعات — شىء محدد اسمه الناصرية ، وأن الناصرية تيار فكرى متميز طرح مقولات نظرية غير مسبوقة وخاض غمار تجربة جديدة وفريدة ؟

لقد أثير هذا السؤال فى جلساتنا ، أثاره الاستاذ توفيق الحكيم أكثر من مرة ، كما يثار

فى مجتمعنا العربى كله . وهناك من نفى ذلك وهناك من قال بأن الناصرية تيار فكرى يتميز تماما عن الماركسية أو الوضعية المنطقية أو الفكر البرجوازى عموما .

من ناحيتى أعتقد انه يمكن الاجابة على السؤال بلا ونعم فى نفس الوقت . كيف ؟

لا : بمعنى أن ما يسمى بالناصرية لم تطرح فى الواقع افكارا جديدة . لا بالمعنى النظرى ، ولا بمعنى انها غير مسبوقة وغير مطروحة من قبل فى المجتمع المصرى والوطن العربى . واذا كانت الناصرية فى وجهها العام هى حركة تحرر وطنى ، فان تاريخ حركة التحرر فى مصر والعالم العربى سبقت عبد الناصر فى طرح العديد من الافكار والاتجاهات والشعارات التى أعاد هو طرحها بعد الثورة .

فى مصر مثلا كان حزب الوفد يقود الحركة الوطنية المصرية لانهاء الاحتلال البريطانى . واستطاعت بعض فئاته المتقدمة وخاصة « الطليعة الوفدية » وشباب الحزب بقيادة مصطفى موسى ومحمد مندور وعبد العزيز فهمى وعبد الرؤوف أبو علم وغيرهم أن تتيقظ مبكرا على خطر الاستعمار الجديد والامبريالية الامريكية ، وخاضت معارك متوالية جنبا الى جنب مع الماركسيين المصريين وغيرهم من القوى الوطنية الاخرى ضد مشاريع أحلاف الشرق الاوسط ـ والنقطة الرابعة وكذلك ضد الاحتكارات الاجنبية ، وجاءت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وجمال عبد الناصر امتدادا لهذه الافكار والحركات .

فى مجال الفكر الاشتراكى، فالواضح تاريخيا أن الافكار الاشتراكية بمختلف مدارسها، الماركسية والفابية والديمقراطية والخيالية .. من روبرت أوين حتى ماركس ، مرورا بسان سيمون ، كانت مطروحة ومتداولة ولها حركات وتنظيمات وصحف وكتب فى مصر والعالم العربى كله ، قبل عبد الناصر بكثير .

وفى مجال الوحدة العربية ، وانتماء مصر العربى ، فان الافكار المتعلقة بهذه القضايا قد طرحت بصياغات مختلفة ومتفاوتة فى عمقها ونضجها خلال مقاومة الشعوب العربية للاستعمار العثمانى والبريطانى والفرنسى ، وتدرجت من الامية الاسلامية الى ما اصبح يعرف فى أوائل القرن العشرين باسم المسألة الشرقية . ثم حدث التركيز على الوحدة العربية ، ابتداء من افكار ساطع الحصرى حتى افكار حزب البعث العربى بقيادة ميشيل عفلق وصلاح البيطار وأكرم الحورانى ، والقوميين العرب . ثم جاءت قضية فلسطين والصراع مع الصهيونية فعمقت من فكرة الوحدة العربية فى الوجدان المصرى . وقد ظهر ذلك بوضوح فى حركة التحرر المصرية وخاصة فى حزب الوفد ، الذى راح يلح فى الاربعينيات على قضية الوحدة العربية ومدى خطورة الصهيونية ليس فقط على فلسطين بل على مصر وعلى كل البلاد العربية . ومن ذلك موقف صليب سامى وزير خارجية الوفد فى مؤتمر لندن الخاص بقضية فلسطين فى الاربعينيات وتصريحات النحاس باشا ومكرم عبيد وفؤاد سراج الدين وعدد من الرأسماليين الوطنيين المستنيرين فى ذلك الوقت . بل لقد تكونت فى مصر فى الاربعينيات ايضا تنظيمات شعبية تدعو الى الوحدة العربية والتصدى العربى المشترك للخطر الصهيونى مثل جماعة الاتحاد العربى . من هذا كله يبدو ان الناصرية فى هذا المجال لم تطرح فكرا جديدا ، وانما كانت امتدادا لفكر مطروح فى الساحة من قبل .

هذا عن لا .. فماذا عن نعم ؟

فى اعتقادى أن الجديد الذى قدمته الناصرية ، هو بالدقة فى طرح صياغات جديدة للعمل ومسار التجربة ، وخلق ظروف تمكن من اعادة النظر فى بعض جوانب فكرية سابقة . أى أن الجديد الناصرى ، هو فى الفعل الذى انعكس بدوره ـ من خلال منطق برجماتى « التجربة والخطأ » ـ على الفكر وثروته النظرية فى حركة التحرر الوطنى .

واستطيع هنا أن أركز على مجالات اربع :

المجال الاول : هو أن الناصرية ـ من خلال رؤية جسورة ـ للواقع المصرى عام ١٩٥٢ وعلاقات القوى فيه ومدى قدراتها على الثورة ، انتهت الى استخدام أسلوب الانقلاب العسكرى ـ وهو وسيلة رجعية فى حد ذاتها ـ فى تفجير ثورة وطنية ذات ابعاد تقدمية تتفاعل مع الارادة الشعبية العامة والسائدة وقتذاك .

وهذه صياغة غير مسبوقة من قبل ثورة يوليو . لا فى مصر وحدها ، بل فى العالم كله على حد علمى . ان كل الانقلابات العسكرية

التى سبقت حركة يوليو ١٩٥٢ التى تمت فى سوريا وفى أمريكا اللاتينية مثلا .. ظلت باستمرار فى اطار الطبقات الرجعية الحاكمة والمتحالفة مع الاستعمار ، ولم تتخط مهاوى الانقلاب العسكرى قط . ثورة يوليو تخطت ذلك موضوعيا وبنجاح نسبى كبير . وهذا غير حركة يوليو من مجرد انقلاب الى ثورة . طبعا قد يحتج هنا بثورة عرابى وتحرك الجيش . ولكن فضلا عن الفشل الذى منيت به الثورة العرابية ، فاننا لا يجب أن ننسى أن المحرك الاساسى لهذه الثورة كان الحزب الوطنى المدنى خارج الجيش ، والذى انضم اليه عرابى بعد ذلك . انقلابات سوريا التى قام بها حسنى الزعيم والشيشكلى والحناوى .. ظلت دائما فى اطار الانقلابات العسكرية الرجعية . قد يحتج أيضا بالحركة البيرونية فى الارجنتين ، والتى قام فيها الجيش بدور ايجابى .. لكن الدور الاساسى والقيادى كان دائما لنقابات العمال . الوضع مختلف تماما . ولكن ربما يصح القول ان كل هذه الحركات العسكرية كانت ارهاصات عن الدور المحتمل للجيش فى حركة التحرر الوطنى . وتظل الناصرية هى أول صياغة ناجحة لاستخدام اسلوب الانقلاب العسكرى ، الرجعى بطبيعته ، فى احداث ثورة وطنية . وطبعا يجب أن نرى ذلك فى ضوء غياب تبلور حاد للقوى الطبقية فى المجتمع والضعف العام ، كما ونوعا ، للطبقة العاملة والاحزاب الثورية الخ .. كل هذه القضايا .

ومن هنا فان الناصرية طرحت بتجربتها قضية نظرية بالغة الاهمية فى بلاد حركة التحرر الوطنى ، وهى دور الجيش باعتباره — نسبيا — أقوى التنظيمات انضباطا وامكانية على الحركة فى بلاد متخلفة .

المجال الثانى للجديد الذى قدمته الناصرية ؟ يمكن أن أصوغه على الوجه التالى : الناصرية هى البديل أو المقابل المعروف فى الفكر الاشتراكى « **بالبونابرتية** » .

بمعنى ان الاثنين يقومان على أساس الاعتقاد بامكانية تأسيس سلطة دولة محايدة بين الطبقات ، تعتمد على الجيش وعلى حشد كمى للجماهير فى وعاء سياسى ضخم غير قادر على الحركة الا عند استدعائه من طرف السلطة . . مثل تنظيم الديسمبريين فى البونبارتية وتنظيمات هيئة التحرير والاتحاد القومى والاتحاد الاشتراكى فى الناصرية .

لكن الناصرية تختلف عن البونابرتية « نسبة الى نابليون الثالث » فى أن الثانية تتصل بالملكية والرأسمالية الكبيرة فى بلد متقدم نسبيا يبنى المجتمع الرأسمالى فى القرن التاسع عشر . فى حين أن الناصرية تتصل بالبرجوازية الصغيرة المسلحة فى بلد متخلف ومستعمر يعادى كبار الملاك ثم الرأسمالية الكبيرة فى النصف الثانى من القرن العشرين ، فضلا عن عدائه للاستعمار .

ومن هنا كانت الناصرية حركة تقدمية بالضرورة فى حين أن البونابرتية حركة رجعية فى مجملها .

وعلى هذا الاساس فان الناصرية بحكم الواقع ، كانت محكومة بالاطار الرأسمالى وقيمه وعلاقاته بسبب انتمائها للبرجوازية الصغيرة . ولكنها فى نفس الوقت كانت معادية للرأسمالية الكبيرة وكبار الملاك من مصريين وأجانب ، فضلا عن عدائها للاستعمار . ولهذا راحت مع حركة التطور وضغط القوى الشعبية واستنارة عبد الناصر كقيادة تحاول — بعد تصفيتها للرأسمالية الكبيرة — أن تتخطى أو تتجاوز مرحلة التطور الطبيعى للرأسمالية فى المجتمع المصرى ، ولكن دون الوصول الى مجتمع اشتراكى يلغى تماما الملكية الخاصة الاستغلالية لوسائل الانتاج . وأصبحنا نواجه بوضع جديد هو رأسمالية دولة تنقل المجتمع من الزراعة الى الصناعة ، وتصادر الرأسمالية الكبيرة وتحطم نفوذها فى جهاز الدولة . ثم تقترب من الافكار الاشتراكية العلمية . ومن هنا بدأ ، أو عاد ولكن بشكل قوى ، الحديث فى الفكر الاشتراكى عن الطريق اللارأسمالى للتطوير . هذه العودة هى فى الحقيقة بداية أيضا ، على اعتبار أن ثورة يوليو ١٩٥٢ ، وخاصة بعد ١٩٦١ قدمت الاساس لذلك لاول مرة . هنا يمكن الاحتجاج بأن تجربة **منغوليا** سبقت الى ذلك . لكنى أعتقد أن الوضع مختلف تماما من حيث الظروف والعصر . وعلى العموم ليس هنا مجال هذا البحث ويكفى أنه حتى لو كانت منغوليا أسبق من مصر فى هذا المجال — على الفرض الجدلى — فانه كان قد مضى بين التجربتين أكثر من ٣٠ عاما ، فضلا عن أن القيادة فى التجربة المصرية كانت للبرجوازية الصغيرة المسلحة بالقوات العسكرية ، وهو ما لم يكن فى تجربة منغوليا .

المجال الثالث الذى تبدو فيه جدة الناصرية ، هو الأسهام فى بناء ما أصبح يعرف سياسيا فى الحقل الدولى باسم « كتلة العالم الثالث » وهو الشكل الجديد الاكثر ترابطا وتنظيما ووزنا لحركة المستعمرات قبل الحرب العالمية الثانية . ومنا انعكس عن ذلك فى السياسة الدولية من اتجاه اصبح يعرف ـ لاول مرة ـ باسم الحياد الايجابى وعدم الانحياز . والذى استطاع ان يلعب دورا تقدميا فى ظروف الحرب الباردة ضد الامبريالية والاستعمار ، ويضرب فى مواقع عديدة الحصار الامبريالى ضد العالم الاشتراكى .

اما **المجال الرابع** ، فهو أن الناصرية ، بحكم تخطيها واتعها الاقليمى فى مصر الى الواقع العربى كله ، جسدت لاول مرة أيضا فى العصر الحديث « القوة العربية الجماهيرية فى اطار حركة تحرر وطنى عربى شاملة .. كقوة فاعلة ومؤثرة .

بغض النظر عما أصابته الناصرية من نجاح أو اخفاق ، فان هذه الخطوط ، التى أعتقد ، انها تحدد ما يمكن أن نسميه بطبيعة الناصرية . وما كانت فيه امتدادا لما سبقها فى تاريخ حركة التحرر المصرية والعربية وما قدمته من صياغات وتوليفات جديدة .

فى ضوء هذا كله ، ما هو التقييم النقدى للتجربة ؟ هذه هى **النقطة السادسة** فى عرضى هذا . التقييم يستلزم أول ما يستلزم الوقوف على كشف حساب التجربة . أو بالاصح حصيلتها عند غياب جمال عبد الناصر فى ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ .

ولهذا يلزم أن نبدأ من النهاية .. نهاية قيادة عبد الناصر للتجربة . اذن ما هو الموقف ، بوجهيه الايجابى والسلبى ، للتجربة فى سبتمبر ١٩٧٠ عند وفاة عبد الناصر ؟

أستطيع أن الخص اجابتى على هذا السؤال فى تسع نقاط :

١ ـ الناصرية انجزت الاستقلال السياسى للبلاد مدعما باستقلال اقتصادى . وفى تقديرى أن ثورة يوليو ١٩٥٢ ، قدمت أول نموذج فى حركة التحرر الوطنى العالمية لبلد يتحرر ، سياسيا ، واقتصاديا ، عن التبعية لكل من سيطرة الدولار او الاسترلينى او الفرنك الفرنسى . وتقف كقوة حرة وفاعلة ضد الامبريالية والاستعمار والاستعمار الجديد فى المنطقة كلها . وتقوم بواجبها فى مساندة ومساعدة حركات التحرير فى الوطن العربى وافريقيا .

٢ ـ القيام بأكثر التجارب الوطنية ، عمقا واتساعا ، فى العالم الثالث ـ على نحو نسبى طبعا ـ فى اجراء تنمية اقتصاديه و جتماعية مستقلة . انتقل بها المجتمع نقلة نوعية . وعلى قدر كبير من الاهمية حضاريا . وذلك بالانتقال به من مجتمع زراعى متخلف الى بدايات المجتمع الصناعى المتقدم . ويكفى أن نسبة الدخل الصناعى فى الدخل القومى العام ، ارتفعت من حوالى ١١ فى المائة عام ١٩٥٢ الى ٣٦ أو ٣٧ فى المائة عام ١٩٧٠ . ومن الثابت أن معدلات التطور الصناعى فى مصر حسب احصائيات عام ١٩٥١ ، لم تكن لتحقق هذه النقلة ، لو ظلت الامور على ما كانت عليه ، ولم تنفجر ثورة ١٩٥٢ .

٣ ـ فتحت ثورة يوليو باب الحياة الانسانية فى العمل والثقافة والتأثير المتفاوت الدرجات فى سير الاحداث ، أمام الكم الساحق من الجماهير الشعبية المطحونة . وكان هذا حدثا جديدا فى المنطقة العربية ، جاءت بعده تجارب الجزائر والعراق وسوريا واليمن وغيرها تدعمه وتعمقه . وكانت هذه الجماهير من قبل خارج اطار الحياة والتأثير فيها . غير ان ثورة يوليو لم تنجح ، أو اخفقت فى أن تحول هذا الكم الجماهيرى الى نوع مؤثر وفعال ومسيطر ثوريا . ذلك أن التجربة الناصرية كانت تعتمد على الشارع الهادر والجماهير غير المنظمة . وليس على الحركة الثورية للجماهير من خلال تنظيم حزبى وحركة ديمقراطية شعبية . فقد كانت لاتريد أن تقوى الحركة الجماهيرية الديمقراطية بحيث تحد من حركة القيادة وتصبح قادرة على المشاركة فى السلطة والحساب . بحيث تدفعها الى اتخاذ اجراءات أكثر ثورية وجذرية . وكان عبد الناصر يقول دائما أنه لا يريد قوة على يساره أبدا فى مصر أو فى الوطن العربى . وفى هذه القاعة التى نجرى فيها حوارنا اليوم ، قال ذلك وكرره اكثر من مرة ، خلال المناقشات التى جرت بيننا نحن أسرة مجلة الطليعة وبينه فى يناير ١٩٦٩ .

٤ ـ زيادة وزن وحجم البورجوازية الصغيرة اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا ،

وسيادة قيمها الثقافية والاجتماعية فى المجتمع . وقد ساعد على ذلك عدة أمور منها الاصلاح الزراعى الذى تم بأسلوب بورجوازى صغير ولخدمتها . وكذلك المساحة الواسعة نسبيا للقطاع الخاص ولما سمى بالرأسمالية الوطنية غير المستغلة . وأخيرا خروج عدد كبير من العسكريين من الجيش الى مسئوليات مدنية فى السلطة والجهاز الحكومى والقطاع العام . ومع زيادة حجم النشاط الاقتصادى وتضخم دور الدولة والقطاع العام فى غيبة رقابة شعبية ديمقراطية . واستغلال بعض الازمات والسلبيات والنكسات مثل هزيمة ١٩٦٧ ، وقيام الرجعية القديمة بنسج خطوطها ومصالحها بالمصاهرة والصفقات المشتركة ، لتكون نسيجا اجتماعيا جديدا من البورجوازية البيروقراطية بوجهيها المدنى والعسكرى . ويشكل ما أصبح يعرف باسم « الطبقة الجديدة » التى تكونت لها مصالح اقتصادية واجتماعية معادية لاستمرار تطور ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ فى مسارها التقدمى . ولما كانت تملك مفاتيح كثيرة فى السلطة ، فقد استطاعت أن تضعف من قدرة القيادة الثورية على حسم الصراعات الجديدة التى راحت تنشأ بين هذه الطبقة الجديدة والجماهير الشعبية ، لصالح هذه الاخيرة . حتى ليمكن القول ان الحركة قد اصابها الجمود والعجز عن مواصلة التقدم .

٥ - زيادة وزن وفاعلية مصر فى المنطقة والعالم الثالث والعالم ككل . مما مكنها - على الرغم من أنها دولة صغيرة - أن تصبح احدى القوى القيادية فى العالم . ولعل هذه النقطة سبق أن اشار اليها الزميل محمد سيد أحمد . وقد استثمرت مصر هذا الوزن فى جذب قروض ومساعدات اقتصادية وفنية على نحو كبير ، لم يتيسر لبلد فى مثل حجمها ، بل لم يكن ليتيسر لها ، لولا هذا الدور القيادى الذى ظلت تقوم به .

٦ - التناقض وعدم التناسق بين الابنية التحتية التى قامت ثورة ١٩٥٢ ببنائها اقتصاديا واجتماعيا فى قاعدة المجتمع ، وبين الابنية الفوقية لها من مؤسسات سلطة وحكم وتنظيمات شعبية وديمقراطية ، وقيم وتيارات ثقافية الخ .. الامر الذى جعل الابنية الفوقية أضيق من أن تتسع للنتاج السياسى والاجتماعى للابنية التحتية . بل وحولها الى قيود على حركتها وتقدمها . ومن هنا زاد وزن القوى البيروقراطية فى الفعل على حساب القوى الشعبية وحركتها الجماهيرية فى الرقابة والتوجيه وتصحيح الانحرافات والسلبيات فى التجربة أولا بأول . ونتيجة لهذا شاع واستسهل اتخاذ الاجراءات العلويه والادارية والاستثنائية وتولد المناخ المناسب لاجهزة القمع بحجة الدفاع عن الثورة ، فى حين انها كانت فى غالبية عملها تطعن الثورة وتطارد وتسجن وتعذب المناضلين الوطنيين والاشتراكيين . وقد تحدث فى ذلك الزميل أبو سيف بتفصيل . ولكن ما أريد أن أحدده هو أن القرار العلوى من القيادة على الرغم من تقدميته ، أصبح يشكل البديل للعمل الجماهيرى والديمقراطى ، تتلقفه الطبقة الجديدة وتفرغه من مضمونه فى كثير من الاحيان .

٧ - عدم الاتساق فى الواقع الفعلى بين وزن جمال عبد الناصر كقيادة فردية ثورية ، وبين وزن الجماهير الشعبية . فعلى الرغم من أن قيادة عبد الناصر كانت فى مجملها قيادة تقدمية واختياراتها تقدمية ، الا أنه يظل فى النهاية مجرد فرد محدود الامكانيات والقدرة ، بالقياس الى امكانيات وقدرة الجماهير الشعبية لو كانت منظمة تنظيما ثوريا فى مناخ ديمقراطى .

ومن هنا ، فعلى الرغم من ايجابيات دور عبد الناصر الفردى فى تاريخ المرحلة ، الا ان هذا الوضع أفرخ ذلك التركيز الشديد فى السلطة وفى اتخاذ القرار وفى سيادة قيم الانتظار والتطلع دائما الى القيادة . وحد من قدرة الجماهير على المبادرة بالفعل . ومكن الطبقة الجديدة من محاصرة القيادة فى كثير من الاحيان بتقارير زائفة عن حركة الواقع والارادة الشعبية والمبادرات الجماهيرية وتصويرها بصورة المؤامرات والثورة المضادة فى غالب الاحيان .

٨ - الهزيمة المهولة التى وقعت على رأس مصر وحركة التحرر الوطنى العربى ككل فى عام ١٩٦٧ ، والتى جاءت نتيجة لعجز وفساد الجهاز البيروقراطى العسكرى والمدنى وما سببه من ضعف ونزيف داخلى للتجربة منذ نهاية خطة التنمية الخمسية فى ١٩٦٥ حتى ١٩٦٧ .

٩ - على الرغم من الهزيمة والجهاز البيروقراطى ، فان البناء الاقتصادى

والاجتماعي للتجربة بقواه الشعبية ، ظل يملك القدرة على مقاومة الهزيمة ، ويستجمع الايجابيات التى تحققت لرفضها وتخطيها . ولقد اثبتت حرب أكتوبر ١٩٧٣ ذلك . وكشفت الاحداث على أن أهم عاملين فيها مكننا من الصمود والعبور ، هما القطاع العام بمعطياته الاقتصاديه والفنية ، والعنصر البشرى الجديد والمقاتل الذى تجسد فى الجندى المؤهل جامعيا وفنيا وسياسيا ، والذى توفر نتيجة مجانية التعليم فى الجامعة التى قررتها التجربة ، وفتحت الباب بذلك امام اعداد كبيرة من ابناء العمال والفلاحين والدرجات الدنيا من البورجوازية الصغيرة ليكتسبوا العلم والتكنولوجيا ويطعموا بها القوات المسلحة من خلال حركة التجنيد الواسعة التى شملتهم بعد هزيمة ١٩٦٧ .

هذه باختصار الحصيلة العامة للتجربة بايجابياتها وسلبياتها الرئيسية . واعتقد أنه بالحساب الموضوعى لهذه الحصيلة ، نخرج بأن التجربة فى عمومها كانت بمحصلتها الاجمالية فى سبتمبر ١٩٧٠ خطوة الى الامام ونقلة نوعية فى التاريخ المصرى .. لا شك فى ذلك .

وهذه الحصيلة لم تتكوم دفعة واحدة ، ولا كان خطها مستقيما وممتدا بلا التواءات ومنعطفات . ولكنها جاءت من خلال مراحل متميزة على مدى الثمانى عشرة سنة من ١٩٥٢ حتى ١٩٧٠ . وفى تقديرى أن الوقوف على طبيعة هذه المراحل هو الذى يقودنا الى الحقيقة الموضوعية التى يبين من خلالها مسار التجربة وصعوباتها وأساليبها المختلفة ، والمتناقضة فى كثير من الاحيان ..

أقصد أن أقول – وهذه هى **النقطة السابعة** – اننا بفتحنا الملف التجربة نستطيع ان نميز بين مراحل مختلفة . ونرى لا جمال عبد الناصر واحد ، ثابت لا يتغير . بل أكثر من جمال عبد الناصر ، وذلك تبعا لتعدد المراحل واختلاف طبيعتها وطبيعة التحديات الكامنة فيها . وأيضا تبعا لتطور فكر عبد الناصر ونضج تجربته ، وما صاحبها من انتصارات واخفاقات . فعبد الناصر فى ١٩٥٢ ، ليس هو عبد الناصر فى ١٩٥٦ بعد حضوره مؤتمر باندونج وتأميمه لقناة السويس . وهو شيء مختلف فى عام ١٩٦١ ، وبداية تصفيته للرأسمالية الكبيرة . وهو فى ١٩٦٤ غيره فى ١٩٦٧ .

واذا حاولنا تحديد هذه المراحل فانى أميل الى تقسيمها على النحو التالى ، باختصار :

المرحلة الاولى من ١٩٥٢ حتى ١٩٥٦ ، أى من بداية الثورة حتى تأميم قناة السويس . الاطار العام للحركة هو الاطار الرأسمالى مع نوع من الترشيد . الاصلاح الزراعى ، كان اهم المشروعات الاجتماعية فى هذه المرحلة ظل يحتفظ بالعلاقات الرأسمالية رغم تصفيته لطبقة كبار الملاك . الابواب مفتوحة مع كل الضمانات للرأسمال الاجنبى مع تشجيع الرأسمالية المصرية على الاستثمار فى مجال الصناعة . التجارة والعلاقات الاقتصادية الدولية أساسا مع الغرب . لا انفتاح على الشرق الاشتراكى الا فى الحدود التى لا يقبل الغرب فيها التعامل وخاصة فى مجال التسليح لمواجهة العدوان الاسرائيلى ، وايضا كأسلوب للضغط على العالم الغربى . الفكر برجماتى والعداء للافكار الماركسية والاشتراكية العلمية واضح وقوى ، رغم الاشتراك فى مؤتمر باندونج . وظل كذلك حتى صدمت التجربة وصدم جمال عبد الناصر بالموقف المعادى له من الغرب وعلى رأسه الولايات المتحدة الامريكية عند سحب تمويل بناء السد العالى .

فى هذه المرحلة كانت التجربة امتدادا لثورة ١٩١٩ من حيث أنها تستكمل انجاز ما لم يتم انجازه من مهام هذه الثورة . وبدت القيادة وعبد الناصر فى هذه المرحلة كما لو كانا امتدادا للجناح الوسطى واليسارى فى حزب الوفد الذى كان يأمل فى تحقيق استقلال مصر السياسى والاقتصادى فى اطار رأسمالى داخلى وفى اطار علاقات صداقة الند للند مع العالم الرأسمالى وخاصة مع امريكا ، التى كان ينفى عنها تهمة الاستعمار . كانت الصدمة عنيفة فجاء رد فعله عنيفا فى وطنيته بتأميم قناة السويس . وكان بذلك يبدأ أول شرخ فى علاقات الثورة مع الرأسمالية العالمية .

المرحلة الثانية ، تبدأ من ١٩٥٦ وتبلغ ذروتها فى عام ١٩٦١ حين دخلت الثورة اولى معاركها الكبرى مع الرأسماليه الكبيرة المصرية ، التى كانت قد أثرت وتضخم نفوذها من خلال تمصير الشركات الاجنبية والحلول محل الرأسمالية البريطانية والفرنسية والبلجيكية وغيرها بعد تأميم قناة السويس .

وواجه أيضا حرب السويس العدوانية التى تمت بالتواطؤ الثلاثى بين بريطانيا وفرنسا واسرائيل . وظهر خلالها مدى وقوف العالم الاشتراكى بقيادة الاتحاد السوفيتى الى جانب الثورة المصرية . كما ظهرت فى نفس الوقت قوة الولايات المتحدة وزعامتها الضاغطه على بريطانيا وفرنسا ، ومحاولتها الحلول محلهما فى الشرق الاوسط . وقد شهدت هذه المرحلة ايضا بداية توثيق العلاقات بين الثورة والاتحاد السوفيتى من خلال بناء السد العالى بمعونة السوفيت . وشهدت أيضا ظاهرتين متناقضتين لعبد الناصر ، ضربه للقوى اليسارية المصرية ، وصدامه مع الرأسمالية الكبيرة المصرية التى رفضت الانصياع لقيادته والمشاركة فى تنفيذ خطة للتنمية على أساس مضاعفة الدخل القومى كل عشر سنوات . تمردت على قانون تحديد الربح الاقصى للشركات . وتراجعت القيادة تكتيكيا، ولكنها سرعان ما وجهت ضربتها للرأسمالية الكبيرة بعد ما ثبت لهنا ان الرأسمالية الكبيرة شنت حربها ضد الثورة ، وانه ليس امام الثورة لتنفيذ خطة التنمية الا تاميم المشروعات الكبيرة . ذلك أنه لم يكن متوافرا لاستثمارات السنة الاولى من الخطة الا ٨٨ مليون جنيه فى حين أن المطلوب كان لا يقل عن ٣١٥ مليون جنيه ، واذن كان لابد من التأميم . وفى هذه المرحلة أيضا تم انجاز أهم حدث وحدوى فى تاريخ العرب الحديث وتم الاجهاز عليه فى نفس الوقت ، واعنى به وحدة مصر وسوريا . وجاء الاجهاز كرد فعل مضاد من القوى اليمينية والرأسمالية التجارية السورية التى وقفت موقفا معاديا من حركة التأميمات ، ونجحت فى توجيه ضربتها الانفصالية ، مستغلة أخطاء وسلبيات الحكم الوحدوى . وفى نهاية هذه المرحلة كان عبد الناصر قد بدأ يتأثر بالافكار الاشتراكية العلمية وشرع فى الافراج عن قوى اليسار المصرى من السجون والمعتقلات وسمح لها بالتعبير عن آرائها . وأنشئت صفحة الرأى بالاهرام وراح يطلب العديد من الكتب الاشتراكية عن طريق الاستاذ هيكل والاستاذ خالد محيى الدين وغيرهما .

المرحلة الثالثة من ١٩٦١ الى ١٩٦٧ ، والتى انتهت بالهزيمة المهولة . فى هذه المرحلة كانت الخطة الخمسية الاولى قد أنجزت . ولكنها وصلت الى طريق مسدود ، على الرغم من الانجازات الكبيرة التى حققتها . فقد كانت الطبقة الجديدة قد تبلورت وتدعمت مراكزها وأجهزة قمعها . وأمكن لها أن تحاصر مسار الثورة وقيادتها .

وكان لابد لمواصلة مسيرة الثورة أن تضرب هذه الطبقة ، ويتخذ مزيد من الاجراءات الاجتماعية التقدمية ، وان تنظم القوى الوطنية والتقدمية تنظيما ثوريا فعالا من خلال حزب طليعى وجبهة وطنية عريضة قادرة على الحركة والمبادرة . بيد أن حصار الطبقة الجديدة كان اقوى ، فاجهضت كل المحاولات للتقدم ، وانتهزت الامبريالية العالمية بالتعاون مع الاستعمار الجديد واسرائيل الفرصة فوجهت ضربتها العنيفة فى ١٩٦٧ .

المرحلة الرابعة من ١٩٦٧ حتى ١٩٧٠ ، والتى انتهت بوفاة عبد الناصر . كان الطابع العام فى هذه المرحلة هو التردد والتأرجح فى المسار بين الضغط المتزايد من الطبقة الجديدة وبالذات البيروقراطية العسكرية المنهزمة بمؤامراتها من ناحية ، وبين ضغط القوى الشعبية بمظاهرتها ومطالبها الاجتماعية والسياسية من أجل التغيير من ناحية اخرى ، وحين بدا ان عبد الناصر على شفا السقوط والتنحى ، سارعت الجماهير الشعبية التى كانت تثق به كمعبر قيادى صادق عن تطلعاتها الى انقاذه وحمايته وطلب عوده بحركة ٩ ، ١٠ يونيو الهائلة . ولكنها استمرت فى نفس الوقت فى نقد اسلوب الحكم وغياب الديمقراطية الشعبية ، والمطالبة بتصفية البيروقراطية العسكرية واجهزة القمع . واستجاب عبدالناصر ببيان ٣٠ مارس الذى كان فى حقيقته برنامجا جديدا ، واكثر تقدما لمسار الثورة بعد محنة الهزيمة . لكن فلول الطبقة الجديدة واجهزة القمع . والقوى الطفيلية من الرأسمالية التى خرجت من الجحور منتهزة فرصة الهزيمة للاتجار بها والاثراء الفاحش من حولها واجهضت أيضا محاولة تنظيم القوى الوطنية والتقدمية ، وركزت قيادة عبد الناصر على اعادة بناء القوات المسلحة على أساس أن المعركة مع العدو ، هى فى تقديرها معركة عسكرية بين جيشين . وفى هذه المرحلة أيضا ظهرت قوة جديدة ثورية فى المنطقة هى الثورة الفلسطينية تختط خطة الكفاح المسلح التحريرى مما اثار ردود فعل مضادة من القوى الرجعية فى المنطقة ضدها ، وضد النموذج الذى اقامته ثورة يوليو وقيادة عبد الناصر فى نفس الوقت ، واقتنص الموت جمال عبد الناصر ،

وهو على وشك أن يسترد أنفاسه الثورية .
ولكن قبل أن يحدد بحكم مركزه القيادى مسار الحركة .

على ضوء هذه المراحل ، يمكن أن نقول فى نهايه ، أن التجربة فى عصر عبد الناصر ، كانت فى مجملها مجموعه من الاختيارات الرئيسيه والحاسمة فى تاريخ مصر وتاريخ حركة التحرر العربى بعد الحرب العالمية الثانية .

من خلال التجربه حسم عبد الناصر - كقيادة - الموقف من الامبريالية والاستعمار القديم والجديد والصهيونية ، واتخذ موقف المقاتل من اجل الاستقلال والتحرر السياسى والاقتصادى حتى النهاية .

ومن خلال التجربة أيضا ، حسم عبد الناصر كقيادة ، الموقف من الطريق الرأسمالى للتطور والطريق اللارأسمالى بآفاقه الاشتراكية وأختار بأسلوب برجماتى فى البداية . نضج الى وعى بقوانين الحركة الاجتماعية التاريخية فى النهاية الطريق اللارأسمالى ..
ويدل على هذا انتقاله من شعارات الاشتراكية التعاونية الى اشتراكية الملاك لا الاجراء الى الاشتراكية العربية ، ثم اخيرا الى الاشتراكية العلمية باعتبارها الحل الحتمى والصيغة الممكنة للتطور .

ومن خلال التجربة ايضا ، حسم عبد الناصر - كقيادة - الموقف من التجزئة الاقليمية ومن الوحدة العربية واختار الوحدة العربية والانتماء العربى لمصر .

هذا الحسم ، كان بداية الطريق الصحيح للتطور . ولكن بقى المطلوب ان يدعم من خلال ترجمته ترجمة واقعية وثورية . وهنا يبدو نجاح الحسم واقعيا فى مواقع ، واخفاقه فى مواقع أخرى ..

ولا شك أن الاخفاق يعود الى أسباب كثيرة منها الاسلوب البرجماتى ، والسماح للطبقة الجديدة بأجهزة قمعها للنمو ، وافساح الطريق من جديد للرأسمالية الطفيلية التى تتاجر بالهزيمة .. كما يعود الى غياب المناخ الديموقراطى الذى تستطيع من خلاله الجماهير الشعبية أن تنظم قواها بحيث تستطيع ان تكون قوة فارضة لارادتها وموجهة لمسار الحركة وقادرة على التصدى للثورة المضادة بفاعلية ، واتاحة الفرص امام ابداع العقل الانسانى ، وبالتالى ظلت الجماهير الشعبيه غير المنظمة قادرة على المنع ، ولكنها تفتقد القدرة على الفرض .

واذا كان الاستاذ توفيق الحكيم اليوم يتساءل ماذا بقى من الناصرية ؟ فالجواب هو أن ما بقى من الناصرية هو هذه الاختيارات الحاسمة ببنيتها التحتيه التى تعمقت جدورها فى جماهير شعبيه غير منظمه ، لكنها واعية وقادرة بمخزون تجاربها ان تواصل مسيرة التقدم عن طريق حشد امكانياتها الهائلة ، والاستفادة من حصيلة التجربة وبالذات من سلبياتها واخطائها .

آسف للاطالة . . لكنى اردت قدر المستطاع ان أعرض فكرى عن التجربة دفعة واحدة ... وطبعا مستغلا ادارتى للندوة ... الاستاذ عباس صالح .

■ احمد عباس صالح :

ناقش الاستاذ لطفى الخولى معنى فتح الملف . واعتقد أن هذا كان مهما جدا . ويبدو أننا متفقون معه فى الابعاد التى وصفها من الموقف : من الملف من الذى يفحص الملف ؟ وفى اى موقع هو .. الخ . وبالتالى فان فتح الملف ليس فتحا مطلقا او مجهلا ، انما لابد ان يكون محددا بمن ينظر فى الملف وموقف الناظر فى هذا الملف . لكن انا اريد ان اضيف اضافة صغيرة :

من الناحية الرسمية مازالت ثورة ٢٣ يوليو قائمة بتأكيدات الرئيس **انور السادات** فى اكثر من مناسبة . والناصرية مرتبطة ارتباطا وثيقا بثورة ٢٣ يوليو . ماذا كانت ثورة ٢٣ يوليو لم تزل مستمرة - رغم وفاة عبد الناصر - وهذا شىء طبيعى فان فتح الملف ينبغى أن يمتد الى سنة ١٩٧٥ أى مسار التجربة الحالى وتقييمه أيضا ، وذلك لندرس قضية استمرارية الثورة وندرس اصلاح ما سمى بسلبيات التجربة هذه نقطة .

النقطة الثانية هى تعليق سريع ايضا على ما سماه لطفى الخولى بالاضافة او الاصالة الغير مسبوقة فى العمل الثورى وهى استغلال الجيش الذى كان اداة رجعية - دائما - استغلالا تقدميا . وقد نختلف قليلا حول هذه النقطة

لانى اعتقد ان الانقلابات التى تتم بواسطة الجيش . ما لم تكن مصحوبة بحزب او بعمل جماهيرى . فهى تقع فى اخطاء كثيرة وسلبيات كثيرة هى التى وقعنا فيها فعلا فى خلال تجربة ٢٣ يوليو . ولم تستطع التجربة أن تتغلب على نقطة البدء هذه بتكميل نفسها بقيام تنظيم جماهيرى شعبى حقيقى . واظن انه يجب - ونحن نتكلم عن هذا العمل غير المسبوق - أن نضيف دائما بعد الحزب ، نظرا لاهميته ، ولان الكثير من السلبيات التى نعانى منها نشأ من غياب الحزب عن حركة الجيش .

النقطة الثالثة : ما يسمى بنظرية العالم الثالث . فقد نختلف كثيرا فى انه يوجد عالم ثالث بالمعنى الايديولوجى ، نحن نلاحظ انه يوجد عالمان : العالم الرأسمالى ، والعالم الاشتراكى . وهناك سعى مختلف فى المواقع المختلفة ، سواء كانت هذه المواقع متخلفة أو متقدمة . وهذا السعى ناتج عن الصراع الداخلى والخارجى للتوجه اما الى الاشتراكية بواعز من الجماهير وحاجاتها ومن الثقافة العصرية ، واما الى انقلابات لصالح المعسكر الرأسمالى . حقا ان هناك خصائص للشعوب المستقلة حديثا . ولكن هذا لا يجعلنا نطمئن تماما الى تلك التسمية التى نطلقها على « العالم الثالث » ونحدد لها صياغة او شكلا مستقلا يكاد يشبه شكل وجود العالم الرأسمالى ، أو العالم الاشتراكى .

ومع أن تعبير « العالم الثالث » تعبير سياسى ، الا انه محتاج الى شىء من التحديد على الرغم من تداوله .

لكن أنا اذا كنت أثير نقطة العالم الثالث فذلك حتى لا نسقط فى الطريق الثالث : يعنى باختصار اريد أن أقول انه ليس اسقاط على فكرة . ان هناك طريقا ثالثا يمكن أن نعطى - بالتالى - لثورة ٢٣ يوليو خصائص مستقلة ، وبالتالى نقدم - ايضا - مبررا لكثير من السلبيات .

هذه هى ملاحظاتى السريعة .

■ **محمد سيد أحمد :**

سأبدأ من الملاحظة التى ذكرها الاستاذ أحمد عباس صالح والخاصة بالاستمرار بعد عام ١٩٧٠ ، اى بعد وفاة عبد الناصر

لطفى الخولى تحدث كثيرا فى تغطيه الجانب المتعلق بالماضى من ناحيتى . سنحاول ان ابحث فى العوامل التى كيفت خواص الفترة السابقة . واذا كانت هذه العوامل قد تغيرت الان . واصبحت مختلفة ، الا انها لا تزال تؤثر فى التحول فى المستقبل . . فأقول :

ان الناصرية بالمعنى المستخدم عادة للمصطلح هى لحظة من تاريخ مصر . واذا كنا الان بصدد استبعاد لكثير من خواص هذه التجربة - وفى نفس الوقت - اذا كنا بصدد استبقاء بعض خواص هذه التجربة فلابد من الالتفات الى العلاقة الجدلية بين المظاهر التى سوف تستبعد وبين المظاهر التى سوف يتم الابقاء عليها . والسبب هو اننا نجد - عند تقييم التجربة - فريقين ، كل منهما على طرفى نقيض . فريق منهم يتمسك بالماضى بكل ملامحه ، والفريق الثانى يلفظ الماضى بكل ملامحه . وتكون النتيجة اننا امام معسكرين منقسمين حول تقييم التجربة الناصرية . وهذا الانقسام الحاد يؤدى الى اننا لا نرى الوحدة العضوية القائمة بين الظواهر التى لها طابع الدوام وبين الظواهر التى لابد من تخطيها ، ونقول لابد من تخطيها لان هناك ظروفا موضوعية تقضى بالضرورة الى تخطيها .

واعتقد أن النقطة الاساسية فيما يتعلق بالناصرية ، انها نشأت ونمت وتبلورت كظاهرة فى فترة تاريخية تميزت - عالميا - بطابع الاستقطاب الحاد . لكن هذا الاستقطاب الحاد قد تم تجاوزه الان لضرورات موضوعية . مثلا : هناك روادع تمنع الاستقطاب المطلق . منها الحرب النووية ، ومنها تلوث البيئة وغير ذلك من الامور التى أدت بالعالم الى ان يتجاوز استقطاب المنطلقات الاجتماعية على اساس كتل جغرافية .

وهذا كله ، لابد وأن يؤثر على المنطقة ، ولابد وان يؤثر على مصر على اعتبار أن مصر كان لها دور رائد فى داخل المنطقة .

وارجو أن اوضح أننى عندما اتحدث عن تجاوز الاستقطاب ، فانا اعنى به **التجاوز النسبى** . لانه ليس هناك تجاوز مطلق . لان الاستقطاب ايا كانت درجته لا يعنى الغاء التناقضات ، وانما يعنى اعادة ترتيبها ، بحيث تكتسب ملامح جديدة : من هذه الملامح عدم

انقطاع الحوار تماما بين الكتل الدولية ، أى ظهور اشكال من العلاقات الدولية تتضمن الحوار مع الصراع .

وعلى هذا الاساس يمكن ان نقول فيما يتعلق بالقوى التى كان على مصر ان تحدد موقفها منها ، فلما انتهى الاستقطاب دوليا ، انتهى ايضا الاستقطاب عربيا . ولم يعد الاستقطاب هو الصفة الاكتربوزا سواء بشأن القوى التى تتحالفمعها مصر او القوى التى تعاديها .

ويترتب على هذا - بالطبع - تغييرات تتعلق بالبناء الداخلى ، لان البناء الداخلى - نفسه - كان مستقطبا . وفى ذلك الوقت كنا نطلق على ظاهرة الاستقطاب الداخلىتعبيرا نعتبره مفيدا - وان لم يكن دقيقا من الناحية النظرية - هو مصطلح «تأميم الصراع الاجتماعى» لكننا اليوم نلاحظ أن الحوافز لتبرير هذا « التأميم » قد انتهت . ذلك ، لاننا عندما ننادى بأن الاستقطاب الدولى يتراجع او ينتهى ، وعندما نعلن عن انفتاحنا فى اتجاهات مختلفة ، وعندما نقول اننا سنسوى معالعدو ، ففى هذهالحالة سوف نرى ان كل الروادع على منع الصراع الاجتماعى الطبيعى اصبحت غير قائمة وغير واردة ، كما كانت قائمة فى فترة سابقة .وهذا يؤثر - كما اشرت من قبل - على البنيان الداخلى .

فهذه كلها ظواهر موضوعية ، سواء اردنا ذلك أو لم نرد . وهى ظواهر لا يمكن أن نتجاهلها ، وهى من ثم تؤثر بالضرورة على نظرتنا او تقييمنا للناصرية كما عرفناها فى السنوات الاخيرة .

وفى الوقت نفسه ، لو دققنا النظر سنجد ايضا انه توجد - اليوم - ظواهر لها سوابق حتى فى الناصرية . وعلى سبيل المثال ان جزءا اساسيا من الاستراتيجيةالمصرية الحالية ازاء اسرائيل كانت له سابقة فى فترة الناصرية أيضا . يعنى : اعتبار ان امريكا تستطيع ان تلعب دورا أساسيا فى حل التسوية مع اسرائيل ، هذه القضية طرحت من قبل فى ٥٦ حين اعطى عبد الناصر الامل لامريكا من خلال التلويح بقبول وجود ما لامريكا فى المنطقة ، الامر الذى دفع ايزنهاور الى تقديم مشروعه الشهير بإسمه ، بشرط ان تسترد مصر مقابل ذلك الارض ، واليوم تجرى محاولة مماثلة معتمدة على البترول العربى وموسسته على الوضع الذى تجد فيه امريكا نفسها فى عالم اليوم ، فهى تواجه مشاكل متعددة منها مشكلة الطاقة ، والتضخم والازمة النقدية ، ومشكلة المواد الخام ، كماتواجه منافسة من قبل اوربا واليابان . وكل هذه المشاكلتحفز امريكا الىمحاولة انيكونلها وجود فى العالم العربى مماثل للوجود الذى سعت اليه أيام العدوان الثلاثى سنة ١٩٥٦ . فهنا يمكن انينشأ تماثل فىالنمطين،وهوالقبول بهذا الوجود فى مقابل استرداد الارض ، وهو نمط قد يبدو استراتيجيته اساسية لمصر فى هذه المرحلة .

فاذا كان هذا هو الوضع فربما يرى البعض وصفه بأن هذه صفقة مع أمريكا ، لكن يجب ان نلاحظ ان الخريطة السياسية فى العالم العربى تتعرض الان لتغييرات جسيمة .

ان التحرر من الاستعمار قد دخل مرحلة جديدة . وعلى سبيل المثال تجرى اليوم عملية كبرى هى تصحيح أسعار البترول لتكون أكثر تناسبا مع اسعار المنتجات الصناعية . وهذه العملية تسعى - فى الواقع - الى القضاء على الشكل البارز للاستغلال الذى بدأ يمارسه الاستعمار الجديد بعد انتهاء اسلوب الاستغلال الكولونيالىفىالستينات بعد بروز العالمالثالث كدول مستقلة . ونحن نعلم ان هذا الشكل البارز من استغلال الاستعمار الجديد تمثل فى وجود فروق كبيرة ومتزايدة وفى وجود فجوة متزايدة الاتساع بين أسعار المنتجات الصناعية وبين أسعار المواد الخام . اى ان تحكم الاستعمار الجديد فى العالم الثالث كان يتم عن طريق شروط تجارية غير متكافئة . اليوم معركة البترول تمثل طلقة اولى فى هذه المعركة وهى طلقة اولى نجحت - لاول مرة - بعد ان فشلت فى محاولات أخرى : منها تجربة شيلى لتصحيح اسعار النحاس الخام ، لكنهذه كانت تجربة فاشلة ،الا انه بعد حرب اكتوبر مباشرة نجحت العملية فيما يتعلق بالبترول .

هذه الطلقة الاولى مسألة تحمل نوعا من الالتباس ، لانها عملية تحريرية ، بالقدر الذى يؤدى تصحيح اسعار البترول الى الحد من ارباح الاحتكارات الدولية ، وهى فى نفس الوقت عملية يحاول الاستعمار الامريكى ان يستغلها لتحقيق اغراض خاصة به ، ازاء

اطراف دولية متعددة منها حلفاء امريكا فى اوربا واليابان ، وبامل انيدونله وجودفى العالم الثالث ، ومن اهدافه ايضا دعم مركزه الدولى فى الوقت الذى يهتز فيه مركزه فى مواقع عالميه كثيره . فاذن المساله فيها التباس وهذا الالتباس نعيشه اليوم من خلال ما اسميته بالبحث عن معادله لحل قضية الشرق الاوسط أى من خلال نوع من التعامل الجديد مع امريكا. فالمسالة بعد ذلك ليست « ابيض على اسود » او صفقة مع الاستعمار بالمعنى السلبى ولكنها تتضمن ايضا اعادة ترتيب التناقضات كما تتضمن تعاملا جديدا مع الاستعمار فى ظل ظروف تختلف عن الظروف السابقة وهذا طبعا لابد ان يؤثر على كل البنيان الداخلى .

ان العلاقة الجديدة بين الشرق والغرب قد أثرت على اعلاقته بين الشمال والجنوب اى على العلاقة بين العالم المتطور وبين العالم الثالث .

وفى هذا الاطار يبدو أننا نعيش فى مصر لحظة فيها ملامح كثيرة من الماضى ، وهذه الملامح تبدو نفيا « بالمعنى الفلسفى » للفترة السابقه . لكن هذا النفى يحمل «نفى النفى» فى الوقت نفسه. لانه اذا كنا نعيد أو نكرر بشكل آخر عملية ٥٦ التى تمت مع امريكا ، الا ان هناك نوعا من التعامل الجديد معها . ولكن – وفى الوقت نفسه – من خلال الضرورات الجديده للتنمية العربية « التى لا يمكن ان تتم فى ظل سيطرة الاستعمار على المنطقة » فان كل العوامل التى يترتب عليها النفى تحمل فى الوقت نفسه عناصر نفيها « أى نفى النفى » ولكن فى سبيل انطلاق آخر ، فى طريق غير الطريق السابق – وعلى مستوى ارقى ، وعلى مستوى اوسع، وعلى مستوى يشمل المنطقة ككل ولا تقتصر على بعض الجزر التقدمية داخل المنطقة فقط .

الا ان هذا التكرار لن يكون بحال تكرارا للشواهد السابقة التى لازمت التجربة ، لن يكون تكرارا للسلبيات المعادية للديموقراطية فى الفترة السابقة ، والتى بررت بدعوى وجود حالة « استقطاب » دوليا واقليميا . ولكنه يتم فى ظروف جديده . ولم يعد من الممكن عندما نعيد التجربة من خلال مواجهة جديدة مع الاستعمار أن نعيدها بشكل معاد للديموقراطية ، أو بقيود مطروحة على الديموقراطية ، كما كان الوضع السابق .

اذن فنحن ننطلق فى مستوى ارقى ، سواء من حيث اتساع نطاق الاتجاه الذى بدأ وانتكس ليتحرك من جديد ، وعلى مستوى أعلى . ليس فى بعده الوطنى فحسب بل وفى بعده الديموقراطى والاجتماعى كذلك .

■ **أحمد عباس صالح :**

قد نتفق مع محمد سيد أحمد فى هذا الوصف على الرغم من شدة تعقيده . لكن مسألة ان الوضع فيه امكانية الحركة فى ظروف أرقى أو أفضل فهذا ما نرجو تحديده وتوضيحه بأكثر مما ذكر الزميل محمد سيد أحمد .

■ **محمد سيد احمد :**

نأخذ مثلا الثروة العربية . ففى وقت من الاوقات بدت هذه **الثروة** نقيض **للثوره** العربية . الان هناك اعتقاد عام بأن الثروة العربية هى الرافعة الاساسية فى الموقف . لكن هذه الرافعة يمكن ان تستنفذ لحساب الخارج ولا تحقق شيئا داخل المنطقة اذا لم توضع بحزم فى خدمة التنمية . فهذا هو نفى النفى الذى اقصده فى صورة من صوره . وهناك صور عديدة أخرى .

■ **د. لطيفة الزيات :**

لقد اثيرت فى الواقع نقاط كثيرة ، أتفق مع معظمها ، وان اختلفت – ايضا – حول بعض النقاط :

فمثلا أتبنى كل ما قاله الاستاذ ابو سيف عن الدور الفعال والايجابى فى استجابة الثورة المصرية ، وعلى رأسها جمال عبد الناصر لمتطلبات الثورة العالمية . وأركز على أهمية كل نقطة من هذه النقاط .

لكنى – مع ذلك – اعتقد ان ثورة ١٩٥٢ لم تستجب لمتطلبات الثورة المصرية . وان التناقض بين الاستجابة لمتطلبات الثورة العالمية وبين الاستجابة لمتطلبات الثورة المصرية قد ساهم فى احداث الخلل ، وتسبب فى الموقف الذى ترتبت عليه الهزيمه ثم ما تلا ذلك .

■ **لطفى الخولى :**

اذا سمحت بملحوظة هنا .. هل انت تعتبرين ان التصدى للامبريالية والتحرر من الاحتكارات الاجنبية ، ومن الاستعمار والاستعمار الجديد ليس من الانجازات الوطنية للثورة المصرية ؟ .

■ **د. لطيفة الزيات :**

أوضح نفسى . هى انجاز وطنى ، وانجاز ضخم . ولكنك لم تدعمه من الداخل بالجهاز . أو بالجسد الذى يستطيع ان يستمر فيه . وهو

الجهاز الذى له ابعاده الاجتماعية والجماهيرية والتنظيمية ، وهو الجسد الحى الذى يستطيع أن يتصدى للاستعمار ، ويستطيع أن يواصل الكفاح وان يصمد عندما يوجه الاستعمار اليه الضربات .

■ **لطفى الخولى :**

هل افهم من هذا أن الصورة التى ترينها لثورة ٢٣ يوليو أنها كانت واضحة جدا وقوية ضد الاستعمار وضد التجزئة من الناحية القومية — على الصعيد العربى — ولكنها كانت باهتة فى الناحية الاجتماعية .

■ **د. لطيفة الزيات :**

نعم . !

■ **توفيق الحكيم :**

يعنى تريدين أن تقولى أن الثورة — فى ايجابياتها — اى فى عراكها مع الرأسمالية ادت الى ان تتوافر لدى مصر ثروات كبيرة لم يكن لها مثيل فى تاريخها . وأن هذه اللحظة التى تكدست فيها الثروات كانت هى اللحظة الحاسمة لاستخدام هذه الثروه لمصلحة الطبقات الشعبية . فالثورة قد طردت النفوذ الاقتصادى الاجنبى : أممت البنوك وشركات التأمين . واصبح لدى مصر رصيد سائل فى البنوك لم يتوفر من قبل ، كما قلت .

فلو اننا — فى ذلك الوقت — جعلنا النظام الداخلى نظاما ديموقراطيا شعبيا ، أى ديموقراطى من الناحية الاجتماعية واشتراكى ، ثم اعتمدنا على هذه « الخميرة » المتوفرة من الثروات بعد طرد الرأسمالية الاجنبية ، وبعد حرب ٥٦ ، لو أننا فعلنا هذا لامكن للطبقات الكادحة والفقيرة أن تنقل نقلة كبيرة جدا بهذا المحصول .

لكن ، أين ذهبت هذه الاموال . ولمصلحة من انفقت ، هذه مسألة من المسائل التى يتعين ان تكون موضع البحث أيضا عند فتح الملفات .

■ **د. لطيفة الزيات :**

أعود لاقول ان ثورة ١٩٥٢ هى ثورة وطنية من الطراز الاول . حققت لمصر الاستقلال السياسى والاقتصادى ولكنها ثورة تقدمية بمدى ما هى وطنية . والامر المؤكد هو أن الرأسمال شعر براحة فى الفترة التى حكمت فيها ثورة ١٩٥٢ . فقد كان من الضرورى ومن التقدمى أن ينتقل الثقل من ملاك الارض الذين كانوا يعرقلون التقدم الصناعى الى الرأسمالية المصرية . وهذا ما فعلته ثورة ١٩٥٢ . وهى ثورة وطنية بمدى ما انجزته — فى هذا السبيل — من تحقيق الاستقلال السياسى والاقتصادى لمصر .

لكن الثورة لم تف بمطالب الثورة المصرية الاجتماعية فى ذلك الحين . وعجزت عن تطبيق الاشتراكية ، وذلك على الرغم من كل ما قيل فى المواثيق عن حتمية الانتقال الى الاشتراكية كوسيلة لانقاذ كل البلاد المتخلفة من حالة الفقر والجهل والتأخر .

■ **لطفى الخولى :**

لكن .. هل كانت الظروف الموضوعية متاحة لمثل هذا التطور ومداه ؟

■ **د. لطيفة الزيات :**

أعتقد أن الظروف الموضوعية كانت متاحة الى حد كبير . لكن الملاحظ — مثلا — أن المبادىء الستة التى رفعتها ثورة ١٩٥٢ كانت شعارات تفرغ الحركة الشعبية القائمة فى الشارع وعلى مستوى جماهيرى ضخم لم يعرف له مثيل — من قبل — من المحتوى الاجتماعى الذى وصلت اليه . بل ان الشعارات التى نفذتها الثورة — فيما بعد — كانت مطروحة فى الشارع وفى الجرائد والمجلات قبل أن تقوم بها الثورة ، مثلا : رفض الاحلاف الاستعمارية ... المطالبة باقامة علاقات مع المعسكر الاشتراكى .. القومية العربية كوسيلة للنضال ضد الاستعمار الجديد ... تحديد الملكية وكان المطروح آنذاك ٥٠ فدانا .. حريات النشر والتنظيمات النقابية ... الكفاح المسلح ضد الاستعمار البريطانى ... كسر احتكار السلاح ، واقترحت تشيكوسلوفاكيا — بالذات — على صفحات الجرائد . وكل هذا كان مطروحا لا من جانب اليسار المصرى فحسب بل من جانب كل القوى الشعبية بما فى ذلك يسار الوفد ، كما نجدها فى مجلة الاشتراكى التى كان يصدرها أحمد حسين .

■ **توفيق الحكيم :**

وبالمناسبة فان مصطفى نصرت وزير الحربية الاسبق الوفدى ذهب يومئذ ليفاوض فى شراء

سلاح من الدول الاشتراكية وكان الاحتلال الانجليزى لا يزال موجودا . وفى ذلك الوقت جىء بعزيز المصرى « باشا » . يعنى وجدت فى الجيش كل النواة التى نمت فيما بعد ، والا فمن اين اتى الضباط الاحرار . لقد كانوا اولاد الحركة التى قامت لتنظيم الجيش على اساس وطنى ولشراء السلاح من غير الدول الراسمالية . وكل هذا كان فى الجناح اليسارى من الوفد .»

■ د. لطيفة الزيات :

وأضيف أننى أعتقد أن الثورة استطاعت — رغم هذا — ان تحقق مكسبا كبيرا جدا هو الاستقلال السياسى والاقتصادى . وان تحقق قاعدة عريضة للصناعة الثقيلة والخفيفة .. وهو الامر الذى ادى الى اتساع هائل فى القاعدة العمالية التى هى منطلق من منطلقات الانطلاق الى تطور اجتماعى أكبر .

وفى اعتقادى — ايضا — أنه من خلال الشعارات ، ومن خلال الخلفية الثقافية استطاعت ثورة ٥٢ ان تخلق قاعدة عريضة من الجماهير الواعية بحتمية الاشتراكية والتى تربط مصيرها بهذه الحتمية . وهذا عنصر جديد كل الجدة على الحياة المصرية ، وعنصر خطير للغاية وفعال للغاية .

لكن نتيجة لعدم التركيز على المحتوى الاجتماعى للثورة ، ونتيجة لعدم القيام بخطوات اشتراكية جذرية ، ونتيجة توقف النمو الراسمالى عند درجة معينة ، وتحوله الى رأسمالية دولة او ما نسميه راسمالية دولة ووجهنا بطريق مسدود مازلنا فيه الى اليوم .

وهذا بعض ما ورثناه من سلبيات وبعض ما ورثناه من ايجابيات هذه القاعدة العريضة من القوى الاجتماعية ...»

■ لطفى الخولى :

القوى المستقبلية يعنى ؟

■ د. لطيفة الزيات :

نعم : المستقبلية .

وأرجو ان اضيف نقطة صغيرة : نتيجة لضرب راس المال الاجنبى للحفاظ على استقلال مصر السياسى والاقتصادى ، ونتيجة لراسمالية الدولة ، ظهرت — طبعا — طبقة جديدة بالمثل نتيجة للتأميم وقيام شركات جديدة للقطاع العام وما الى ذلك اتسعت قاعدة البورجوازية الصغيرة اتساعا هائلا . لكنى لا أعتقد أن البورجوازية الصغيرة لعبت دورا هاما فى السلطة أو شكلت قيادة طوال حكم عبد الناصر .

■ لطفى الخولى :

اذن بيد اى الطبقات كانت القيادة ؟

■ د. لطيفة الزيات :

بيد البورجوازية ممثلة فى البيروقراطيين .

■ لطفى الخولى :

لكن البورجوازية فى ذلك الوقت لم تكن قد نمت من جديد واصبحت كبيرة كما تقول د. لطيفة . وأرى أن البرجوازية الصغيرة الوطنية بقيادتها لراسمالية الدولة لم تواصل السير على الدرب الاشتراكى الى النهاية . ولكن اذا كانت البورجوازية الكبيرة هى التى كانت تحكم فمن أين لها السلطة بعد أن ضربت بتأميمات ٦١ ، ٦٣ ، ٦٤ .

■ د. لطيفة الزيات :

انت بنفسك اجبت على السؤال عندما اشرت الى الحكم البونابرتى ، او ما يشبه الحكم البونابرتى .

■ لطفى الخولى :

بالحكم البونابرتى انا أردت التشبيه . لكنى قلت ان الناصرية هى نموذج للحكم البونابرتى فى بلد متخلف ، ونموذج بالضرورة — تقدمى — عكس النموذج البونابرتى الرجعى .

■ محمد سيد أحمد :

التعريف الذى يعطى عادة للبونابرتية هى فكرة الانفصال عن الطبقات بمعنى الانتقال من تمثيل طبقة الى تمثيل طبقة اخرى بحرية نسبية ... ويمكن ان يحدث ذلك نظريا على الاقل .

■ د. لطيفة الزيات :

انا اعتقد ذلك . والا اين هذه البورجوازية الصغيرة الان .

■ لطفى الخولى :

البورجوازية الصغيرة موجودة وقيمها هى السائدة ابتداء من اجهزة الحكم ، حتى تمثيلية التليفزيون ».

■ د. لطيفة الزيات :

هل اليمين المصرى يدافع الان عن مصالح البورجوازية الصغيرة ؟

■ لطفى الخولى :

لا .. اليمين المصرى لايفعل هذا. هذه قضية اخرى . وانما اقول انه نتيجة ان عبد الناصر لم تكن معه حركة ديموقراطية شعبية منظمة وحـزب ثورى طليعى يتبنى تطبيق المبادىء والشعارات التى طرحها ، ونتيجة أنه كان يضرب البورجوازية أو اليمين المتخلف بقوة نفوذه وسيطرته ، فانه عندما غاب عن الحياة السياسية ذهبت هـذه القدرة التى كانت تسد الطريق على هذا اليمين ، وفى الوقت نفسه لا توجـد هـذه القـوى الشعبية المنظمة التى تسد ـ هى ايضا ـ عليه الطريق ، ومن هنا اتيحت الفرصة لهذا اليمين المتخلف وطفح على الجلد كما نراه الان ».

■ د. لطيفة الزيات :

«... بهذه الثروات التى تتجمع »

■ لطفى الخولى :

وهى ثروات طفيلية «... بدات ـ خصوصا من عام ٦٧ ».

■ د. لطيفة الزيات :

هى تراكمات مستمرة من بيع عقارات ... الخ .

■ لطفى الخولى :

هناك بالطبع الفئات التى استغلت هزيمة ٦٧ وهى فئات اليمين المتخلف وبقايا الرجعية القديمة ، كما استغلت الضعف النسبى الذى اصاب نظام عبد الناصر ».

■ احمد عباس صالح :

أرى أن هنـاك غمـوضا فـى بعض المصطلحات ...

فمثلا : عندما نتكلم عن المرحلة التى حددها لطفى الخولى من ٥٦ الى ٦١ وهى المرحلة التى فتح فيها الباب لرأس المال الحر ليقوم بالبناء والتنمية . هذه المرحلة تستحق وقفة . لان الذى حدث هو فشل الاتصال بين الثورة وبين الراسمالية المصرية ، ثم وقع صدام بينهما لان الراسمالية المصرية رفضت رفضا تاما ان تعمل تحت التشبيه الذى ذكره لطفى الخولى ـ هذا مع تجاوز دلالاته الاخرى .

صحيح أن ثورة ٢٣ يوليو كان لهـا هذا « الحياد » بين الطبقات ، أو على الاصح هى زعمت لنفسها هذا الحياد . والذى حدث هو انها استخدمت السلطة السياسية للحد من أى تراكم راسمالى ، هذا فى جانب . وفى الجانب الاخر استخدمت الثورة السـلطة السياسية أيضا لتصعيد وتنمية الاستثمار فى شكل يمكن ان نسميه اشتراكى .. او ملكية عامة . فكان هناك نمو متزايد فى القطاع العام وتحديد للقطاع الخاص . صـحيح أطلقت مجالات العمل الطفيلية باعتبار انها غير انتاجية . لكن يمكن القول أن الدولة خلال ثورة ٢٣ يوليو كانت تتوجه الى التنميـة ، وكان تركيزها كله فى مجالات الصناعة والتجارة . وحتى على المستوى الخارجى .. سيطـرت الدولة على هذه المواقع ، باعتبارها أساسية فى عملية الانتاج وتركت المجالات الاخرى . مثلا : عملية المبانى ؟ التاكسيات والشقة المفروشة وكل هذه الامور وهذه كلها ـ فى واقع الامر ـ كانت عمليات غير انتاجية وستظل عمليات غير انتاجية . ولكن خطورتها انها قامت بالدور الاساسى فى تخريب القطاع العام وتخـريب انجازاته ».

على ان النقطة التى اهتم بها هى مسالة **رأسمالية الدولة** . هذا المصطلح سيظل حوله جدل كثير فى كل أدبيات السياسة . والمعروف أننا مازلنا مختلفين حول تحديد معنى رأسمالية الدولة ».

ولكن واقع الامر ، أن التأميمات التى تتم فى اى دولة من الدول تتم لصالح الجماهير ولا تتم لصالح طبقة رأسمالية . ولكن نحن نعرف ـ فى الوقت نفسه ـ انه من اخطر اشكال رأسمالية الدولة عندما تؤمم بعض المصادر الانتاجية التى تساعد وتخفف العبء على استثمار رأس المال كما فى انجلترا وفى أمريكا أيضا وفـى فرنسا .

لكن عندما تكون عملية التأميم لصـــالح العملية الانتاجية الشعبية او لصالح التنمية ، هنا نواجه شيئا من البلبلة . وقد لا أوافق أنا ـ

بشكل شخصى - على أن ما تم من عمليات تأميم يمكن أن يوضع تحت عنوان رأسمالية الدولة .
فاذا جئنا الى العلاقات الانتاجية فهل كانت هذه العلاقات قائمة على نفس الشروط والقواعد التى تقوم فى الاستثمار الرأسمالى ؟ . اشك فى هذا . كل ما هنالك انا الاحظ ان الشروط التى كان يعمل فيها العامل . الطبقة العاملة .. فى ظل القطاع العام مختلفة تماما عن الشروط التى يعمل فيها العامل فى ظل الرأسمال الاستثمارى .

وهناك نقطة ثانية اعتبرها هامة جدا وهى أن هذه التطبيقات ، والتى سميناها الطريق اللارأسمالى مرتبطة بالمفهوم الخاطىء وهو امكان حياد للدولة بالنسبة للطبقات ... وعلى الرغم من أن سمة ٢٣ يوليو ، وقيادة عبد الناصر ، كانت تميل الى هذا الاستقلال ، والى هذا الحياد ، الا انها فى واقع الامر كانت اكثر انحيازا شيئا فشيئا للطبقات الشعبية .

■ **لطفى الخولى :**

لكن .. هنا الحقيقة .. تلزم التفرقة بدقة فالجهاز الحاكم أو المسيطر فى مجموعه لم يكن منحازا الى الطبقات الشعبية ، ولكن عبد الناصر نفسه كان اكثر ما فى جهازه تقدما فى انحيازه للطبقات الشعبية .

■ **احمد عباس صالح :**

وأنا أوافقك على هذا ...

■ **لطفى الخولى :**

ومن هنا كانت محاولة هذا الجهاز احكام الحصار على عبد الناصر ، وزيادة أجهزة القمع ، وأجهزة احتلاب القطاع العام التى تقول عنها الدكتورة لطيفة .. والتى كان يتدخل عبد الناصر - بين الحين والحين - بوزنه ، وبسلطته ، وبقرارات علوية ، لضربه . انما هذا اخذ طابعا عرضيا ، وليس طابع الاستمرار فى مسار الثورة ..

■ **د. لطيفة الزيات :**

طبعا عبد الناصر كان من الضرورى أن يعمل معادلة .. وانا اوافق لطفى انه كان يتدخل لصالح الجماهير فى بعض الاحيان . ولكن لم يكن هذا بناء على نظرية متسقة ومتكاملة ، ولا بناء على انه يريد الاحتفاظ بهذه الشعبية الهائلة التى مكنته من الحكم طوال هذه الفترة وعمقت وجوده فى كيان الجماهير . هذا التعميق الكبير . وهذه نقطة فرضية ..

نخلص من كل هذا الى ان ما تبقى من تراث الناصرية .. وضع اقتصادى متأزم .. وعى سياسى واشتراكى ضخم على نطاق لم تعرفه البلاد من قبل .. غيبة الاوعية التنظيمية التى يمكن أن تقود هذا الوعى الجماهيرى الضخم وتقود الحركة الشعبية . . امكانية تفشى العناصر اليمينية والرجعية فى غيبة هذه التنظيمات

وان ما اضافه محمد سيد احمد من شأنه أن يجعلنا نقف فى مفترق طرق فى منتهى الخطورة .. وفى منتهى الدقة .. استقطاب .. انتهاء عملية الاستقطاب ، فنحن الان فى فترة تتربص بنا الدوائر الاستعمارية والامبريالية .. رغم انها تصفى نفوذها فى الخارج وفى مناطق كثيرة .. لقد صفت الشعوب نفوذها فى كمبوديا وفيتنام ، ولذلك هى تشدد قبضتها على ما تبقى لها او ما تسعى الى أن يتبقى لها .. ولكنى أقول - ولو بمعنى مخالف للمعنى الذى استعمله محمد سيد احمد - قد يبدو هذا تكرارا ، ولكنه ليس بتكرار وانما هو نفى النفى ..

■ **د. مراد وهبة :**

أبدأ حديثى بمسلمتين مأخوذتين مما قاله الاخوه الزملاء .. المسلمة الاولى ان استمرارية التجربة الناصرية تعنى تطويرها .. والمسلمة الثانية ان التطوير المقصود هو تطوير المجتمع .

ويترتب على هاتين المسلمتين نتيجة وهى أن فتح ملف التجربة انما يعنى - فى حقيقة الامر - فتح ملف المجتمع أى انه لابد من تحليل لقوى المجتمع فى التجربة الناصرية .

ونقطة البداية عندى فى هذا التحليل النقدى هى وثائق الثورة باعتبار أنها وثائق كانت تهدف - فى جملتها - الى تأسيس مجتمع على نمط معين هو النمط الاشتراكى .

الاشتراكية هى نظرية وممارسة . وفى اطار الممارسة تم تأسيس قطاع عام واصلاح زراعى اى تم تغيير البنيان التحتى لما كان عليه قبل ثورة يوليو .

أما فى اطار النظرية فالملاحظ فى رأيى انه كان ثمة صعوبات عديدة امام تغيير البنيان الفوقى . وقد الح عبد الناصر الى احدى هذه الصعوبات فى فلسفة الثورة وهى أنه لم يكن مهيأ لتأسيس النظرية وقال ان هذه هى مهمة المثقفين . ولكنه فى الميثاق الوطنى اشار الى

اتخاذ الاشتراكية العلمية كمنهج لمواجهة قضايا المجتمع. نجده لم يعترف ان الماركسية هي التعبير الدقيق عن الاشتراكية العلمية فماذا حدث في هذه المسألة ؟

أثيرت تحفظات عدة على الماركسية ولكن لم يكن ثمة دراسات نظريه تقوم عليها هذه التحفظات . وانشغل اليسار المصري الماركسي بمواجهة سلبيات البنيان التحتي ، وبدون تأصيل نظري يصبح من الصعوبة بمكان تفجير الوعي الاجتماعي .

ولهذا فان اردنا استمرارية التجربة مع تطويرها،فلابد من مواجهة البنيان الفوقي،وهذه المواجهة تعني ان القيم والافكار لم تكن مواكبة لما حدث في البنيان التحتي من تأسيس قطاع عام واصلاح زراعي .

وهذه المواجهة تعني ايضا ضرورة فتح ملف المثقفين ، وثمة سؤالان لابد من الاجابة عنهما عند فتح ملف المثقفين :

السؤال الاول .. الى اي مدى كان هناك استخدام غير عصري للغة . أي الى أي مدى كان هناك استخدام للغة غير علماني ؟

السؤال الثاني .. الى اي مدى كان هناك تكريس عدواني ضدالماركسية ؟

■ توفيق الحكيم :

عتقد اننا بهذا التحليل نسير نحو الهدف الذي نريده . ومناقشة التجربة الناصرية ، او تجربة الحكم في مصر من سنة ١٩٥٦ الى سنة ١٩٧٠،وهذهالمناقشة — فيماأرى — قد اتخذت صفة موضوعية الى حد كبير . لان الموجودين استقطبوا مصلحة المستقبل لمصر . ولذلك كان الاختيار ما بين الايجابيات والسلبيات هو لانتقاء ما يصلحان يبقىبعد ذلكلنبنيعليهوليس لمجرد النقد المجرد ، او للفحص التاريخي.لاننا لسنا مؤرخين ، ولاننا عناصر فعالة في وطن يتحرك نحو المستقبل . اذن الغرض ليس كتابة التاريخ ، لان التاريخ مكانه الجامعات . والتاريخ شيء غير متحرك ، فهو شيء ينتمي للماضي ، ويؤخذ من العبرة للاستفادة .

ولكن — نحن ايضا — نريد ان لا نقف عند حدود العبرة ،والاستفادة ،ونحن ساكتين لانه مفروض علينا واجبات أخرى باعتبارنا مثقفين . وهي : أن نكون عناصر فعالة في صنع المستقبل لان ما اخذ علينا كمثقفين هو اننا لم نكن في هذه الفترة كعنصر فعال حقيقي في بناء الفترة التي نبحث فيها . لماذا لم نقم بعناصر فعالة ، هذه مسألة كبيرة وتحتاج لدراسة . هل نحن كنا على اتصال بالحقائق التي تحدث حولنا وهل مكننا أو لم نمكن ؟ وهل السلطات الحاكمة كانت تريد منا هذا الدور ، أو اننا نحن الذين كنا ..

■ لطفي الخولي :

فيه سؤال آخر .. هل حاولنا ؟ وهل كنا مستعدين لدفع الثمن ؟

■ توفيق الحكيم :

هذا ما اريد ان اقوله ايضا ، اننا ربما لم نحاول . وبعضنا لم يكن مستعدا او على الاقل لم يكن يعرف أن هناك ثمنا لهذا ، وبعضنا الاخر كان عنصرا غير فعال ، وكان يتخذ موقف المراقبة والمعارضة لانه ينتمي الى أفكار كان ينتظر تطبيقها فلم تطبق . والانتماء العملي الى هذه الافكار باعتباره ليس مجرد مثقف ، ولكنه مثقف مناضل تحت راية معينة . والنتيجة انه اعتبر صاحب موقف عدائي ، وبدلا من ان تؤخذ آراءه في الاعتبار يقال له تريد ايضا ان استنير بآرائك — وان كنا لسنا مضطرين للاخذ بها الى النهاية ، لاعتبارات أنت لا تعرفها ، اعتبارات خاصة بالحكم والسلطة . ولكن ، لا يمنع هذا من انك تتكلم ، ويكون لك جريدة ، وسنطلع عليها ونرى ما يمكن عمله من آرائك وما لا يمكن عمله .

ولكن لست ادري — وهو ما يجب أن يفحص — لما زج في السجون بعض الذين قاموا بهذا الدور،هل لانهماتخذوا موقفا عدائيا عمليا يعرقل مسيرة الثورة في اولها وهي ضعيفة ، او ان السلطة تخوفت ، او ان السلطة من الاصل ما كانتتريد حكما يقومعلى نظام مناقشة الاشياء باعتبار انها قامت بثورة لها أغراض وطنية واضحة .

■ لطفي الخولي :

فيما يتعلق بالاشتراكيين فقد ظلوا — بشكل عام — يأخذون مواقف محددة ، ويوضحون مواقفهم بالفعل وبالقول ، ولم يقتصر سجنهم فقط على أوائل الثورة بل ظلوا حتى آخر لحظة مع النقد وتأييد الايجابي ونقد السلبي باستمرار . الخ .. وهنا ذروة المأساة اذ كان البيروقراطيون يقبضون على الاشتراكيين الحقيقيين » ويضعونهم في السجن على اساس انهم معادين للاشتراكية » ومع ان البيروقراطيين هم المعادون للاشتراكية.والآن يأتي اليمين المتخلف ليرفع رايات « الحرية »

وانما ما يدعيه باسم « الحرية » التى داسها هو ايضا بالاقدام ، ويقول ان الاشتراكيين ضد الحرية . المثقفون ليسوا كتلة صماء ، وانما بينهم من له ولاء للاشتراكية ، ومن له ولاء للرأسمالية ، وفيهم من لا ولاء له الالتجميدالوضع على ما هو عليه . وبالتالى لا يمكن التعميم . ومن هنا ايضا انا اختلف مع الدكتور مراد وهبة . انك لما تفتح ملف المثقفين ايضا فلابد ان تفتحه بخلفية اجتماعية وبمواقف محددة .

■ **توفيق الحكيم :**

انا بالعكس .. أنا أؤيد الدكتور مراد وهبة فى مطالبته بفتح ملف المثقفين . فالحريه لا تتجزا . وربما أحالفك – أيضا – فى انه عندما نقول من الذى يفتح الملف ، فكل ما عنده ملف يجب ان يفتحه ادا كان هناك . ونحن – يامثقفين وياشعب بجميع عناصره له أن يحكم . ولكن كلامك انا فهمته على وضع اؤيده – ايضا – وهو أنه من ذا الذى سيفتح الملف بفعالية ، لابد ان تكون هناك سلطة كبيرة .

■ **لطفى الخولى :**

لا .. انا اردت أن أوضح أن الملف يمكن ان يفتح بأكثر من منهاج ، ومن أكثر من موقع اجتماعى وفكرى . لكن ليس معنى هذا ان اصادر حتى حق اليمين فى أن يفتح الملف ، يعنى يفتح ملف عبد الناصر .

■ **توفيق الحكيم :**

انا فهمت شيئا جديرا بالاعتبار فعلا . انا فهمت الكلمة بمعنيين : اما أن يكون هناك مصادرة علىبعض الناس فىان يفتحوا ،واظن هذا لم يكن واردا . واما أن يكون قولك من الذى يفتح الملف بمعنى من الذى عنده الملفات والوثائق ليفتحها . أنت لك حق فى هذا لانه لا يمكن آلان ، وعندما اطالب بفتح الملفات ليس معناه ان هذا بالامكان الان ، لانه لكى تفتح الملف يجبان تكون هناكجهة تملك انتقول اين الملفات : افتحوها . وان تكون مسالة منظمة او على الاقل تترك لكل من عنده ملف ان يفتحه . ولكن ليس من المطلوب الان فتح الملف بشكل محاكمة . لاننا الان لسنا فى عهد محاكمات وانما نفتحه لاستنارة الرأى العام ، ولافادة المؤرخين والباحثين لان يروا الصورة واضحة . ولكن أن نفتح الملف كسلطة فان هذا ليس فى يدينا لان الوثائق ليست لدينا ، ولا توجد وثائق بين يدينا نستطيع أن نستند اليها .

كل هذه استنتاجات . ولذلك فان فتح الملف معناه فقط المطالبة بأن تكون هناك حرية رأى فى ان كل من راى شيئا يجب ان يقوله لنا ، ويكون هدفهانارة المجتمعوالرأىالعام بحقائق ، او بما يعبره حقائق للاستنارة . وحتى يبنى مصير مصر على أساس واضح ولكن أكثر من ذلك الان لا نستطيع أن نقول . فالمطالبة بفتح الملف – بشكل منظم – معناها أن كل من يريد أن يكون له كلمة فى وضع من الاوضاع أن يتكلم . فهذه هى حرية الصحافة أو حرية الراى كما يقال . ونحن مع حرية الراى لكى نستنير ، ونرى النور ، لنستطيع معرفة طريقنا . أما فيما يختص بفتح ملف المثقفين فأنى أؤيد هذا .

■ **احمد عباس صالح :**

القول باننا نخاطب الراى العام لما اتيح لنا من حريه فى التعبير ، فهذا مما اشك فيه كثيرا . واقع الامر ان الرأى لا يقال فى الهواء ، وانما يبنغى أن تكون هناك سلطة للمثقفين ، وافراد المجمع المخلصين لتنفيذ هذا الرأى . هذه نقطة . والنقطة الاخرى هى أن حريه الرأى فى الوضع الحالى – فى رأيى – غير موجوده بدليل أن غالبية الصحف فى التنظيمات الجديدة تخضع لخط واحد . وأنا – ككاتب – عملت فى الفترتين ، وابعدت فى ايام عبد الناصر ، لكن كنت اجد ايضا مجالا اكتب فيه رأيى مثل مجلة « الكاتب » . الان من الصعب جدا التعبير الصادق عن بعض الاشياء . ولا يستطيع الانسان أن يعبر عن رأيه كاملا – كما يقال – هذا ليس صحيحا والامانة تقتضينا أن نقول هذا وان نسجله .

لابد من اعادة النظر حتى نستطيع ان نفتح الملفات ، ونناقش نقاشا موضوعيا ، ويكون لهذا النقاش نتيجة . لابد أن تتوافر أولا وأخيرا حرية الصحافة . وفى رأيى أنها ليست متواعرة لانك عندما احتفظت بالنظام القديم ، وهو ان الصحافة تحت سيطرة الاجهزة الرسمية فقد ادى هذا الى انه دعم موضوعيا اتجاها فكريا معينا ، فلم تعد هناك فرص للتعبيرات الاخرى . الا بشكل ضعيف وفى مجال ضيق وهذا منافى تماما للحرية ، ومناف لاى نتيجة نحاول ان نصل اليها بواسطة المناقشة وعلاقات القوى فى المجتمع . فأنا أحببت ان انبه الى هذا حتى لا نكون نتكلم الحقيقة فى فراغ أو نعمى على الاشياء .

■ **توفيق الحكيم :**

فى الواقع يجب أن تكون حرية الرأى هى

الاصل والا لا تكون هناك قيود غير موضوعية . ولذلك نقول : نحن نطالب بأن تكون هناك حرية رأى مطلقة حتى لا تكون هناك حساسيات فى أن كل من يتعرض لرأيك فهو يهاجمك . ولذلك انا أرحب بمن كتب ضدى . وكل هذا يزيدنى اقتناعا بأنه تصحيح لرايى اذا كان رايى مختلفا . لانه ليس لى مصلحة ، فيما افعل الا ان أجد نورا ينيرنى فى سبيل مستقبل البلد . فكل من قال او اقنعنى بأن أنت على خطأ لان عنده الوثيقة التى تثبت إننى على خطأ فأقول له : هذا صحيح ، وانى ممتن لك وشاكر لانك اقنعتنى بهذا الخطأ .

أما عن المهاترات أو الشتائم أو الهجوم كل ما اتكلم ، فهذا أيضا اتقبله باعتبار اننا لا نحجر على طريقة أى شخص فى أن يناقشك بالاسلوب الذى يريده . وحتى الانبياء كانوا يتعرضون لهجوم تستطيع أن تقول انه مهين فنحن نعرف ما تعرض له المسيح وما تعرض له محمد صلى الله عليه وسلم عندما حسوا على راسه التراب . وعندما وضعوا الشوك على راس المسيح . فاذا كان هؤلاء قد عملوا هذا افلا تريد ــ انت ــ من كاتب أو مثقف أن يتحمل اكثر من هذا فى سبيل رايه ؟ واذا ما اقتنع فيجب أن يقول انى اقتنعت ، وان يفعل هذا بكل صراحة، وبكل احتمال لان من المفروض فيه انه لا يتحرك تحت دافع الشهوة أو الغرض .

واخيرا فانى اريد أن أصل بعد هذا الى الكلمة الهامة جدا التى قالها د . مراد وهبة وهى مسئولية فتح ملف المثقفين . فعلا يجب أن نعرف أين ذهب المثقفون فى ذلك الوقت وما هى مسئولياتهم ، سنجد فعلا انهم تعرضوا للقمع ، لماذا هذا القمع ؟

وهناك طائفة من المثقفين كانت مع الثورة بكل اخلاص ، لذلك لم تر من الاخطار ما رآه الطرف الاخر الذى قاوم . وهناك غير هذا وذاك المتملقون المصفقون . وهؤلاء تجدهم فى كل عصر . اذن هناك فئات مختلفة من المثقفين ولم يمكنوا من العمل : جزء لم يمكن لانه وضع فى السجون ، وجزء لم يمكن لانه لم يعرف الحقائق ، وجزء لم يمكن لانه فعلا كان متعاطفا مع الثورة بعواطفه وبشكل يكاد يكون فيه محبة جعلته يرى أن الثورة ستأتى بشىء هو كان ينتظره ، وفعلا وجد ما كان ينتظره وتحقق فلم ير اكثر من ان هذه الثورة يحبها ، فمسئوليته الى اى مدى ؟ ... هو مسئول ايضا لانه ــ فيما بعد ــ سنجد أنه كان يجب أن يكون اكثر احتياطا .

وتبقى بعد هذا أمور كثيرة تتعلق بالمثقفين . لكن المحصلة هى المثقفين كلهم على اختلاف أنواعهم لم يساهموا فى صنع مصر مع الذين كانوا يصنعونها . وهذا ما يدعونا الى أن نكون يقظين وعلى حذر بعد أن رأينا النتائج . وما هو عذرنا الان ، وقد عرفنا الى اى شىء ادى وقوف المثقفين هذا الموقف السلبى ــ أو على الاقل ــ هذا الموقف الذى شابته السلبية .

■ **لطفى الخولى :**

او كيف تقاعسوا عن ممارسة مسئولياتهم .

■ **توفيق الحكيم :**

بدلا من كلمة **تقاعسوا** . . كيف لم يكونوا فى الصورة لان التقاعس هنا معناه أنه كان من الممكن ان يفعلوا ولم يفعلوا ، وبعضهم كان يريد أن يفعل ولم يمكن . فالسؤال المحدد هو : لماذا لم يكن المثقفون فى الصورة ، صورة صنع مصر فى الوقت الذى كانت تصنع فيه تاريخيا بشكل واضح جدا . . اذا كنت تسمح لى نناقش هذا فى الجلسة القادمة .

■ **ابو سيف يوسف :**

لى تعليقان صغيران على بعض ما قيل :

الاول خاص بما قيل من ان الشعارات التى تبنت بعضها ثورة يوليو ، او نفذت البعض الاخر ، كانت كلها موجودة فى صفوف الحركة الوطنية . هذا صحيح . فالشعارات الاساسية لحركة الضباط الاحرار يمكن أن نجدها فى صفوف القوى الوطنية والديموقراطية والمعادية للاستعمار والاقطاع ، وذلك على تعدد اتجاهاتها . كل هذا صحيح .

لكن يجب ان نلاحظ أن هناك فرقا جوهريا بين ثورة ١٩٥٢ وبين ثورة ١٩١٩ . ثورة ١٩ كانت تقودها وتهيمن على قيادتها البورجوازية الوطنية سعيا وراء أهداف محددة تتعلق فى الاساس بالمصالح الطبقية والمحدودة لهذه الطبقة . ولهذا توصف الثورات التى من نوع ثورة ١٩١٩ ــ فى الادبيات الاشتراكية بأنها **ثورة بورجوازية ديموقراطية** هدفها الاساسى ان تسيطر البورجوازية أو تشارك فى السيطرة على السوق المحلية « الوطنية » . اما ثورة ١٩٥٢ فانه من الادق والاصح بأن نوصف بأنها

حركة وطنية ثورية . وذلك بسبب أن القوى المهيمنة فيها والمؤثرة ليست هى قوى البورجوازية الوطنية فى المحل الاول . وانما هى قوى البورجوازية الصغيرة فى الريف والمدينة والمثقفين والحرفيين . وقوى الاقسام الاكثر راديكالية من البورجوازية الوطنية نفسها . ولهذا السبب لم يكن من قبيل الصدفة ان ثورة ١٩٥٢ لم تقف عند حدود الاستقلال الوطنى ، وانما وجدت نفسها مشتبكة ـ منذ اللحظات الاولى ـ مع الاحتكارات الدولية « قناة السويس » ، ثم استمرت فى هذا الطريق حتى وصلت الى عام ١٩٦١ وهو بداية مرحلة التأميمات الكبرى .. الخ .

التعليق الثانى خاص بالدور الذى اخذته البورجوازية الصغيرة فى ثورة يوليو وقيادتها للثورة . وبالطبع عندما نقول أن القيادة كانت اساسا لممثلى البورجوازية الصغيرة ، فلا يعنى هذا ان الطبقات الوطنية الاخرى كانت مستبعدة . فمن المؤكد ان اقساما من البورجوازية الوطنية كان لها تأثير ، وكانت تشارك .. لكن الاتجاه الغالب كان للبورجوازية الصغيرة . وهذا ما نلمسه عند تحليل عدد من الشعارات التى رفعت فى الايام الاولى للثورة ، فى الفترة من ٥٢ ـ ٥٤ . فمثلا شعار الاشتراكية الديموقراطية التعاونية كان يتضمن فى الاساس مفهومات البورجوازية الصغيرة عن العدالة الاجتماعية ...

■ **لطفى الخولى :**

لكن ثورة يوليو تدخل فى أدبيات الفكر الاشتراكى العلمى كحركة بورجوازية تقدمية .. ثورة وطنية ديموقراطية .

■ **ابو سيف يوسف :**

ليس خطأ أن نقول هذا ... لكن هذا التعبير « بورجوازية ديموقراطية » لا يعطى كل مضمون وملامح ثورة يوليو فى مسيرتها . وافضل أن يقال أنها كانت حركة وطنية ثورية .

■ **لطفى الخولى :**

هناك النقطة الخاصة بانها ظلت بورجوازية . فمن الملاحظ ، أنه فى الفترات الاخيرة من ثورة يوليو ـ من ٦١ فما فوق ـ كان الطابع الغالب على هذه البرجوازية هو الطابع الاكثر تقدما فى الطبقة ، وبالتالى طبقة البرجوازية الصغيرة لها وزن خاص هنا .

يعنى هو فى الحقيقة ان التصفيات التى حصلت فى قيادة الثورة لم تكن تصفيات شخصية كما تدل ظواهر الامور ، وانما كانت تصفيات لاتجاهات اجتماعية داخل البرجوازية الصغيرة . كان هناك داخلها اتجاهات تطلعاتها نحو البرجوازية الوطنية وحتى نحو البرجوازية الكبيرة . فالتصفيات التى تمت وبقيادة عبد الناصر جعلت الوزن الاكبر فى القيادة السياسية ـ وليس فى الاجهزة ـ للجانب الاكثر تقدما وللفئات الاكثر تقدما فى البرجوازية الصغيرة لكن هذا لم يخرجها من اطار ثورة برجوازية ديموقراطية لتصبح ثورة اشتراكية مثلا .

■ **احمد عباس صالح :**

العبرة بالانجازات .. فهى التى تحدد طبقية السلطة . فنحن لا نستطيع تقييم السلطة الا من خلال الانجازات التى تمت فيها . والبعد الديموقراطى الجديد الذى يشير اليه الاستاذ أبو سيف يوسف يمثل انجازات شعبية سواء فى مجال التأميمات او فى مجال الخدمات كالتعليم وغيره ، وفى كل المجالات نلاحظ ان كل الانجازات ديموقراطية ولصالح الاغلبية الشعبية ، وبالتالى تنسب فى هذا الجانب الى قوى تميل الى هذه الطبقات الشعبية .

■ **لطفى الخولى :**

النقطة الثانية والخطيرة التى اغفلت ـ انا ـ ذكرها فى عرضى هو أن هذه البرجوازية الصغيرة رفضت ، وهذا هو ازمة الثورة ، رفضت أن تشاركها القوى الشعبيه الاخرى السلطة . ورفضت باصرار ، ومن هنا الازمة والتى وقعت فيها الثورة ، والتى عبرت عنها فى بعض النواحى دكتورة لطيفة .

■ **د . لطيفة الزيات :**

انا أرجو تأجيل المناقشة فى قضية البورجوازية الصغيرة لان الموضوع خطير جدا وتنبنى عليه أمور كثيرة جدا .

■ **لطفى الخولى :**

هل توافقون على تأجيل المناقشة الى جلسة قادمة .

« موافقة » .

شكرا . ...

العلاقة بين المالك والمستأجر في الزراعة المصرية

د. محمد أبو مندور الديب *

أثيرت في الأونة الأخيرة قضية العلاقة بين المالك والمستأجر من وجهة نظر الملاك الزراعيين بهدف اعادة النظر فيها ،وذلك لتحقيق المطالب التالية :

اولا : تعديل القيمة الايجارية الحالية ، بما يعادل سبعة أمثال الضريبة المعدلة ، او عشرة أمثال الضريبة التي قدرت عليها القيمة الايجارية وفقا لقانون الاصلاح الزراعي .

ثانيا : اعفاء من يملكون خمسة أفدنة فاقل من حق المستاجر في البقاء في الارض ، وبالتالي دعوتهم الى ان يكون للمالك الحق في طرد المستاجر في اطار هذه الفئة من فئات الملكية .

ثالثا : حق المالك في طرد المستاجر اذا ماأراد تحويل ارضه المؤجرة من المحاصيل التقليدية الى محاصيل الفاكهة .

رابعا : اعطاء المالك حق تحويل ارضه المؤجرة اذا رغب — من الايجار بالنقد الى الايجار بالمشاركة .

خامسا : الغاء لجان فض المنازعات واستبدالها بالاحتكام القضائي .

تلك هي المطالب الخمسة الرئيسية التي يبدو أن بعضها منها — للوهلة الاولى ، او النظرة السطحية — مطالب عادلة . غير ان المناقشة العلمية لابعاد تلك المطالب ولاثارها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية في غاية الاهمية للاسباب الرئيسية التالية :

— ان جزءا كبيرا من مساحة الارض الزراعية المصرية يدخل في اطار الاستغلال عن طريق الايجار . فوفقا لاحصاء عام ١٩٧٢ — بلغت المساحة المستأجرة ٢٫٥١٢٠٠٠ مليون فدان بنسبة ٤٣٪ من جملة الزمام المزروع [1] . ومن ثم ، فان الحديث عن تغيير تلك العلاقة ، يمكن ان يترك بصماته الايجابية او السلبية على مساحة كبيرة من الارض الزراعية المصرية .

— ان قانون الاصلاح الزراعي ، عندما صدر عام ١٩٥٢ ، قد وضح تلك العلاقة . وكان هدفه الاساسي الحيلولة دون المضاربة على ايجارات الارض الزراعية من ناحية ، وتأمين جانب الاستقرار في الانتاج الزراعي لفئة المستاجرين ، وما يرتبط بهذا الاستقرار من زيادة في الانتاجية وفي الإنتاج الزراعي ، من ناحية اخرى .

---

[*] مدرس الاقتصاد الزراعي بكلية الزراعة جامعة القاهرة .

[1] المصدر — الاقتصاد الزراعي — نشرة دورية — تصدرها مصلحة الاقتصاد الزراعي والاحصاء بوزارة الزراعة ص ٣٦ .

ان بروز اية مطالب فئوية فى أى مجتمع من المجتمعات لا يمكن ان تنفصل عن الظروف الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي يعايشها هذا النظام . بل هي — بالضرورة — نتاج له . ومن هنا ، فان المقترحات الخاصة بتغيير العلاقة بين المالك والمستأجر هي — ايضا — وليدة ظروف نمت فى اطار الواقع المصرى وذلك منذ صدور قانون الاصلاح الزراعى وحتى الان . ويمكن التعرف على اهم العوامل او الظروف التى مهدت لها على النحو التالى :

١ — ان تحديد حد اقصى لسقف الملكية الزراعية فى مصر ،بما لا يزيد عن خمسين فدانا، قد قلل الفائض الكبير من الارض الزراعية التى كانت تعجز الأسر المالكة عن استيعابه . وبالتالى ، فان تلك المساحة الان ، وفى ضوء التكنيك المتقدم [استخدام الجرارات ، ماكينات الرى .. المبيدات الكيماوية .. الخ] اصبحت حجما يسهل ادارته بل وتتسع تلك الوسائل الى احجام اكبر . ومن ثم فان الرغبة قد زادت لاستيعاب مزيد من المساحات الارضية .

٢ — ان اتجاه الدولة الى تحديد اسعار المحاصيل التقليدية والزام المنتجين بتوريد محاصيلها او اجزاء منها ، فى نفس الوقت الذى لم تلزم فيه الدولة منتجى المحاصيل غير التقليدية [الخضر والفاكهة] باسعار محددة قد ساهم فى زيادة أسعار مجموعة المحاصيل غير التقليدية بنسبة اكبر ، الامر الذى انعكس فى زيادة عائد تلك المحاصيل بشكل واضح ، حتى لقد اصبحت مصدرا هاما من مصادر زيادة وانماء الثروة فى القطاع الزراعى . ولما كانت فئة كبار الملاك ومتوسطهم هم اقدر شرائح الملاك مقدرة على تنويع الانتاج فى اتجاه المحاصيل ذات العائد المرتفع . ففى ضوء هذه الظروف اصبحت حاجة هؤلاء الملاك اكثر الحاحا الى مزيد من الاراضى الزراعية لاستثمارها فى زراعة المحاصيل الخضرية والفاكهية . غيران المساحات المؤجرة للزراع — فى اطار القانون الحالى للاصلاح الزراعى — لا يمكن تحويلها الى تلك المحاصيل، نظرا لمحدودية دخولهم وصعوبة الانفاق عليها. كما ان لقاءهم فى الارض — بصفة مستمرة حتى الان كأحد الحقوق المكتسبة من القانون — يحول دون تحقيق مطلب التوسع فى زراعة هذه المحاصيل . غير ان كبار الملاك ومتوسطيهم يمارسون ضغوطا غير رسمية — حتى الان — على المستأجرين ، وذلك بهدف اخراجهم من الارض الزراعية .

٣ — ان الضغط السكانى المستمر على الارض الزراعية ، وعدم وجود فرص عمل بديلة امام الغالبية العظمى من المقيمين بالريف قد ساهما بدورهما — فى زيادة الطلب على الارض الزراعية المصرية . ومن ثم ، تزايدت اسعارها بشكل واضح فى السنوات الاخيرة ، خاصة تلك الاراضى القريبة من العمران والتى يمكن ان تستغل فى المبانى ، او على الاقل من المحتمل استخدامها فى السنوات القادمة . وهو الامر الذى انعكس أثره — ايضا — فى رغبة بعض الملاك فى بيع مساحاتهم او اجزاء منها استفادة بهذه الاسعار المرتفعة ، غير أن القانون الحالى أيضا يعطى للمستأجر الحق فى البقاء فى الارض مهما اختلفت هوية المالك . ومن هنا ، كان القانون عقبة امامهم فى تحقيق هذا الهدف . فاذا ما حاولوا بيعها ، وقبل المستأجر ، فانهم قد يضطرون الى اعطاء المستأجر جزءا من الثمن « كخلو للرجل » حتى يتركها لهم ، الامر الذى يقلل من صافى دخلهم من عملية البيع .

٤ — ان قانون الاصلاح الزراعى ،على الرغم من تحديده للقيمة الايجارية بما لا يزيد عن سبعة امثال الضريبة ، فانه لم يحل دون قيام سوق سوداء فى ايجارات الارض الزراعية والارتفاع المستمر حيث يتراوح السعر السوقى ما بين ٤ — ٥ امثال الايجار المحدد بالقانون بل انه ليزيد عن ذلك ، فى بعض محاصيل الخضر مثل الطماطم والبطاطس . ويرجع سبب هذا الارتفاع الكبير الى العاملين التاليين :

ا — الضغط السكانى المستمر على الارض الزراعية وتوفر فائض من القوى البشرية التى لم تتح لها فرص عمل بديلة او جديدة .

ب — رغبة كبار ومتوسطى الملاك والمستاجرين فى ضم مساحات جديدة لاراضيهم وتنويع انتاجهم الذى يعطيهم عائدا اكبر كما سبق ان ذكرنا .

وعلى ذلك فان زيادة القيمة الايجارية غير الرسمية فى الزراعة المصرية لا تعكس زيادة العائد من الناحية الكمية بشكل يوضح هذا الارتفاع الكبير فيها . والدليل على ذلك عدم زيادة متوسط الدخول الثابتة للفلاح المصرى فى السنوات الاخيرة بشكل محسوس وانما تعود هذه الزيادة بالدرجة الاولى — الى المنافسة والمضاربة على استغلال الارض الزراعية ،والى خضوع الانتاج الزراعى لقوى السوق — بشكل اساسى .

ان اعترافنا بأهمية قوى العرض والطلب على وسائل الانتاج لا يعنى تأكيدنا لهذا الدور فى اطار مجموعة الظروف غير الصحية التى تؤثر على ميكانيكية السوق كما هو الحال الان فى الزراعة المصرية . وعموما فان عائد اى عنصر من عناصر الانتاج — بما فيها الارض — يجب الا

يتحدد بأى نوع من انواع المضاربة أو المنافسة المدمرة بقدر ما يجب ان يرتبط بانتاجية هـذا العنصر . واذا ما ناقشنا تلك المسـألة على الارض الزراعية المصرية فان معظم الدراسات — فى السـنوات الاخيرة — تؤكد أن عائد عنصر الارض ، بتضافره مع عناصر الانتاج الاخرى ، ظل ثابتا لمعظم المحاصيل الزراعية بل لقـد تناقص فى بعضها [الارز ، القصب] .

كما ان مناقشة العلاقة بين المالك والمستاجر كمناقشة أيةقضية اقتصادية واجتماعية لابد وأن يحكمها محوران اساسيان : الجانب الفـردى والجانب القومى . وبعبارة اخرى فان الحديث لابد وان يرتبط بالمنتج بهدف زيادة انتاجه ودخله والارتقاء بمستوى معيشته ماديا وثقافيـا ، وبالنسبة للجانب القومى يجب ان يتجه الحوار الى اعادة صياغة العلاقة التى تضيف الى الناتج الاجتماعى ، وعموما ، فان اية سياسة اقتصاديه سليمة يجب ان تستهدف خدمة الاغلبية العظمى من المنتجين اصحاب المصلحة الرئيسية فى التقدم الاقتصادى والاجتماعى .

الايجار وتخلف الزراعة المصرية

وقبل ان ندخل فى تحليل المطـالب المتعلقة بشأن تغيير العلاقة بين المالك والمسـتاجر فى الزراعةالمصرية،فاننا لابد وان نقر بداءة — بأن الايجار ووجوده كظاهرة ملازمة للزراعة المصرية — هو احد مؤشرات تخلفهـا وذلك للاسـباب الرئيسية التالية :

١ — ان شيوع نظام الايجار يسـاهم — الى حد كبير — فى زيادة مشكلة تفتت وتشـتت الحيازات الزراعيةالمصرية .وهى المرض الرئيسى والمزمن فيها والذى نعانى من آثاره خسـائر اقتصادية وحضارية كثيرة .

٢ — ان الايجار — فى نسبة كبيرة من المساحات المستاجرة — ما هو الا علاقة بين فائض للقوى العاملة الزراعية المتخلفة اقتصاديا واجتماعيـا وثقافيا مع بعض عناصر الانتاج البدائيـة وبين الارض الزراعية ، والتى يحـول وامكانية زيادة الانتاج الزراعى مـن خـلال تكثيف الانتـاج وتركيزه ، ومن ثم فـان تزايد نسـبة صغـار المسـتاجرين والمعـدمين الزراعيين يحـول دون تقدم الزراعة المصرية حتى فى اطار القيم الايجارية المحددة قانونا .

٣ — ان ارتفاع القيم الايجارية غير الرسمية — وبشكل مستمر — قد حال ، أو سوف يحول دون توفر فائض كاف يستطيع من خلاله المنتج الصغير ان يطور ويزيد من انتـاجه . كمـا ان زيادة المساحات المؤجرة — عن غير الطـريق الرسمى — يحول دون استفادة صغار المنتجين من خدمات الجمعيات التعاونية ، نظـرا لعدم ثبوتهم كحائزين لهذه الاراضى وهو الامر الذى يؤدى الى حـرمانهم من خـدمات الجمعيـات التعاونية .

٤ — ان قانون الاصلاح الزراعى ، على الرغم من تحديده لنصيب كل من المالك والمستأجر — فى نظام الايجار بالمزارعة — قد عجز عن مراقبة وضبط تلك العلاقة ، وبالتالى فقد فشل الايجار بالمزارعة عن تحقيق التوزيع العادل لنصيب كل منهما . وفى اغلب الاحوال يقع المستأجر فريسة لاستغلال المالك نظرا لقوة الاخير وحاجة الاول.

٥ — ان القانون لم يحدد القيم الايجـارية لاراضى الفاكهة ، وبالتالى فانه قد ترك هـذا المجال يخضع لقوى المنافسة والمضاربة .

وفى ضوء تلك الاسباب فان استمرار ظاهرة الايجار فى الزراعة المصرية يجب ان يكون محل نقاش علمى هادف ، بغية القضـاء عليه فى المستقبل المنظور .

مناقشـة المطالب المطروحة

وسنناقش فيما يلى كل مطلب من المطـالب المطروحة :

اولا : رفع القيمة الايجارية :

يعرض اصحاب هذا المطلب تبريراتهم الخاصة بشأن رفع القيمة الايجارية من منطلقات اساسية وهى :

١ — ارتفاع قيمة الارض الزراعية . ولقـد حددنا اسبابها . فهى لاتعكس زيادة فى انتاجيتها بقدر ما تعكس نوعا من المنافسة غير المنتجة .

٢ — ارتفاع اسعار المحاصيل الزراعية وزيادة نفقة المعيشة ،والرد على ذلك — أيضا — هو ان السبب الرئيسى فى ارتفاع اسعار المحاصيل الزراعية كامن فى التزايد المستمر فى التكاليف. وان ذلك الفائض لم يتغير كثيرا ، اللهم ، الا فى جانب المحاصيل غير التقليدية . وبالتـالى فان الاستثناء أصبح قاعدة . كما ان ارتفاع تكلفـة المعيشة لم يتأثر به المالك فحسب بل لقد تأثر به المستأجر أيضا ، بل ان المستأجر اكثر احتياجا — من الناحية النسبية — لزيادة مستوى معيشته [طبقة صغار المستأجرين] .

٣ — الدعوة الى زيادة القيمة الايجارية على أساس المربوط الحـالى للضريبـة على الارض الزراعيـة والتى قـدرت على اساس زيادة الخصوبة . وما يترتب على ذلك من زيادة القيمة

الايجارية على المستوى القومى من ١١٠ مليون جنيه الى ١٤٠ مليون جنيه . لكن السؤال هنا هو :

من الذى ساهم بشكل اساسى فى زيادة خصوبة الارض الزراعية . هل هى طبقة الملاك ام الدولة بشكل اساسى ؟ انها الدولة . والدليل على ذلك هو ان حجم استثمارات القطاع الخاص فى الزراعة المصرية لم يتجاوز خمس استثمارات الحكومة فى هذا القطاع . وان استثمارات القطاع الخاص كانت — وما زالت توجه — بشكل اساسى — فى هذا القطاع الى شراء الالات التى تستغل من قبلهم كمصدر لزيادة وتراكم الثروة .. ولم نسمع حتى الان — فى الفترة الاخيرة — ان هناك مزارعا او مجموعة من الملاك ، قاموا بتحسين وسائل الرى او الصرف بشكل ملحوظ او محسوس ، مثل شق الترع او المصارف . فما زالت الدولة تقوم بهذه المهمة بشكل أساسى .

ان الاثار المترتبة على رفع القيمة الايجارية لابد وان تقودنا — ايضا — الى تحليل نتائجها الفردية والقومية كما يلى :

١ — زيادة تكاليف الانتاج لكل المحاصيل الزراعية بلا استثناء ، وبالتالى زيادة اسعارها — بالضرورة — لتواكب تلك الزيادة فى التكاليف ، وهو الامر الذى يحمل الطبقات الفقيرة التى تشكل القاعدة الاساسية فى الهرم الاجتماعى اعباء اكثر مما تحتمل .

٢ — ان رفع القيمة الايجارية أيضا سيزيد من كم السيولة النقدية فى الاقتصاد المصرى وبالتالى مساهمتها فى تفاقم ظاهرة التضخم او الغلاء فى مصر .

٣ — ان رفع القيمة الايجارية سيزيد من الاعباء الاقتصادية لطبقة صغار المستأجرين والذين نوهنا عنهم سابقا بقولنا : ان مشكلتهم الاساسية هى عدم توفر الدخل الكافى .

٤ — ان زيادة القيمة الايجارية — مع افتراض عدم اعادة استثمار عائدها او جزء منه فى الزراعة المصرية — لن تساهم فى تحسين الارض الزراعية بل ستزيد فى عقبات التنمية الزراعية .

٥ — ان رفع القيم الايجارية ، مع الارتفاع المستمر فى تكاليف الانتاج الزراعى ، سيساهمان — معا — فى اخراج شريحة صغار المستأجرين من مجال الانتاج الزراعى بشكل تدريجى ، وذلك نظرا لما يرتبط به انتاجهم من تخلف فى وسائل واساليب الانتاج ، واستحالة تنويع انتاجهم الى المحاصيل ذات الارباح المجزية . هذا ؟ بالاضافة الى المغريات التى يمكن ان تقدم لهم من قبل كبار ومتوسطى الملاك والمستأجرين حتى يتركوا اراضيهم تحت ضغط الظروف الصعبة التى يعانونها ، الامر الذى سيحول شريحة كبيرة من شرائح المستأجرين الى جيش العمل الاحتياطى الزراعى ، مما سيكون له اكبر الاثر من الناحية السلبية فى الجانبين التاليين :

أ — بقاء جزء منهم بالقطاع الزراعى يعنى زيادة عرض العمالة الزراعية وبالتالى انخفاض اجورهم وتدهور مستوى معيشتهم .

ب — هروب جزء منهم الى المدينة أملا فى البحث عن فرص عمل بديلة . ونظرا لعدم توفر مهارات انتاجية لديهم فى مجالات اخرى وصعوبة تحويلهم فى المدى القريب الى قوى منتجة متخصصة ، فان هذا سوف تنجم عنه زيادة مشاكل الهجرة من الريف الى الحضر او بالتالى تفاقم المشاكل الاجتماعية والاقتصادية فى المدينة ، وهى التى تعانى — سلفا — من تزايد سكانى مروع .

ثانيا : اعفاء الملاك الصغار من التاجير

وفيما يتعلق بهذا المطلب ، فلقد يبدو — ظاهريا — ان المدخل اليه انسانى النزعة . ويضرب المطالبون لهذا الاقتراح الامثلة تلو الامثلة لتوضيح ما تعانيه فئة من يملكون خمسة افدنة فأقل من جراء تطبيق القانون وعدم كفاية المبالغ التى يحصلون عليها لتوفير الحياة الكريمة ... ومع اعترافنا الكامل بان هذه الفئة فى حاجة الى زيادة الدخول بل هى من اكثر الفئات الاجتماعية حقا فيها الا اننا — وفى الوقت نفسه وقبل ان نعرض الاقتراح الخاص بشأن هذا المطلب — نود ان ننبه الى الابعاد ، الاكثر عمقا وراء هذا المطلب « الانسانى » من وجهة نظر البعض من النواحى التالية :

١ — ان الزراعة المصرية — كما سبق ان ذكرنا — بدأت تشهد نموا رأسماليا ، خاصة لدى طبقة كبار ومتوسطى الملاك من خلال تركيز وتكثيف الانتاج . ومن اهم مظاهر هذا النمو فى العالم الرأسمالى ضعف صغار الملاك عن مواكبة هذا التقدم أو النمو . ومن هنا ، خروجهم التدريجى من مجال الملكية الى مجال العمالة الزراعية وغير الزراعية . فمن الواضح اذن ان هذه الفئة هى المصدر الرئيسى — ان لم يكن الوحيد — أمام فئة كبار ومتوسطى الملاك لزيادة مساحاتهم . ومن ثم فان تحرير هذه الفئة من العلاقة الايجارية سييسر لهم الحصول على

أراضيهم وتوسيع ملكياتهم دون ما عائق من المستأجرين .

٢ — ان وجود المستأجر فى هذه المساحات احد اسباب زيادة اسعار الاراضى الزراعية حيث انه فى الغالب لا يترك الارض الا بمقابل كما ذكرنا فيما سبق وبالتالى فان اخراجهم من المساحات المستأجرة سيتيح لهم شراء هذه الاراضى باسعار أقل .

٣ — ان قبول هذا الاقتراح من شأنه ان يساهم فى مزيد من التلاعب بهدف اخراج مزيد من المستأجرين من شرائح اعلى فى الملكية . والسبيل الى ذلك سهل وميسر الا وهو تقسيم الحيازة مثلا بين الزوج والزوجة هذا اذا كانت الحيازة فى حدود عشرة افدنة ، او بين الزوج والزوجة واحد الابناء البالغين اذا كانت فى حدود خمسة عشر فدانا وهلم جرا .. اى ان المسألة يمكن ان تتسع لطرد غالبية المستأجرين وليس فقط فئة من يملكون خمسة افدنة فاقل . ويكفى أن نشير الى ان اعفاء من يملكون خمسة افدنة فأقل من حق التأجير يمكن ان يساهم فى اخراج حوالى ٤٧٪ من المساحة المستأجرة فى مصر ، واخراج ٨٥٤٧٠٥ الف حائز او ٨٤٪ تقريبا من المستأجرين فى مصر وذلك وفقا للتعداد الزراعى لعام ١٩٦١ [٢] ، والذى لم يصدر بعده اى بيان رسمى بهذا التفصيل فى القطاع الزراعى .

ثم يبقى التساؤل : هل يمكن الربط بين النزعة « الانسانية » وبين الحيلولة دون نمو الزراعة المصرية رأسماليا . ان تحقيق مبدأ توفير عائد مادى مناسب لهذه الفئة امر مقبول . غير ان تمويله يجب الا يتم على حساب المستأجرين الذين نطالب ببقائهم فى الظروف الحالية . وعلى ذلك فان الدولة تستطيع ان تلعب دورا هاما فى هذا الجانب من خلال الحصول على ضرائب من كبار ومتوسطى الملاك . وان هذه الضرائب يجب أن تكون من نوعين هما :

● ضريبة المساحة ، حيث تزداد بزيادتها ، وذلك ايمانا منا بمنطق وفورات الحجم الكبير . فزارع محصول الارز فى فدان من الناحية الاقتصادية سيكون عائده اقل من زارع هذا المحصول فى عشرة افدنة .

● ضريبة الانتاج . وتاخذ هذه الضريبة على أساس نوع المحصول المنزرع . ويجب ان تتناسب هذه الضريبة — طرديا — مع زيادة الربحية من المحاصيل المنتجة . وبديهى انّ فى ضوء الظروف الحالية ان تكون ضريبة فدان القمح او القطن او الارز او الذرة اقل من ضريبة فدان البرتقال او المانجو .. او الطماطم والبطاطس .. وهلم جرا ...

وقد يقول قائل بان مجال التلاعب ايضا والتهرب من دفع الضريبة أمر ممكن بالنسبة لضريبة المساحة حيث يستطيع المالك تجزئة حيازته بينه وبين زوجته او اولاده بما يقلل ما يدفعه الى أقل حد ممكن . غير ان وضع حدود وضوابط لهذا القانون يجب ان يتضمن عدم قبول الدولة حق تجزئة الحيازة او حتى بيعها صوريا بين الزوجة والابناء ما دام رب الاسرة على قيد الحياة . وبالنسبة للزوجة ما لم يثبت انها سوف ترث هذه المساحة .

ومن خلال هذه الحصيلة الضرائبية يمكن تقديم دعم للملاك الصغار يعينهم على مواجهة التزايد فى تكلفة المعيشة ونكون — بالتالى — قد حققنا بعضا من عدالة توزيع الدخول بين طبقات الشعب .

ثالثا : حق المالك فى اخلاء المستاجر لزراعة الفاكهة

وهذا المطلب يعنى — بالتحديد — زيادة الثروات لدى طبقة متوسطى الملاك وكبارهم على حساب طبقة صغار المستأجرين ، أو بمعنى آخر مزيدا من التمايز الدخلى فى الريف المصرى وتحويل طبقة صغار المستأجرين فى عداد العمال الزراعيين ، وهو أمر ناقشنا نتائجه فيما سبق .

وقد يبرز تساؤل فى هذا المطلب بالتحديد . فربما قيل ان الهدف منه هو تشجيع التوسع فى مساحات الفاكهة بالنسبة للسياسة الزراعية القومية . غير ان هذا الاسلوب — فى اعتقادنا — ليس بالاسلوب الامثل لتحقيق هذا الهدف ، لانه يمكن تحقيقه من خلال مزيد من دعم الدولة لهؤلاء المستأجرين بهدف زيادة المساحات المنزرعة من الفاكهة . والدولة بذلك تستطيع ان تحقق هدفين فى آن واحد : اولهما — هو الحيلولة دون تفاوت الدخول وتزايدها لدى القلة وتناقصها لدى الكثرة . وثانيهما : المساهمة فى زيادة دخول طبقة صغار المستاجرين واعطائهم ميزة المنتجين الكبار من خلال توفير مصادر التمويل اللازمة ، ومن خلال التخطيط العلمى

---

[٢] المصدر : التعداد الزراعى لعام ١٩٦١.

الواقى للمساحات المزرعة بالمحاصيل المختلفة .

رابعا : حق تحـويل الايجار من النقـد الى المزارعة

ويعنى تطبيق هذا المطلب مزيدا من التلاعب فى العلاقة الايجارية . وهذا المطلب هو ايضا مدخل اساسى لطرد اعداد كبيرة من المستأجرين، حيث ان تلك العلاقة يصعب تقنينها وضبطها . ولا ادل على ان هذا النوع من الايجار[المزارعة] لا تقبله الغالبية العظمى من المسـتأجرين مـن انخفاض نسبته حيث انها لم تتعد ١٩٪ فى موسم ١٩٧٢/٧١ [٣] ، كما ان هـذا النمط الايجارى يعطى للملاك فرصة ممارسة الاستغلال المتزايد للمستأجرين ، مع الضغط المستمر على الارض الزراعية وحاجتهم لها .

وحتى اذا ما سلمنا بقبول هـذا المطلب فمن الذى سيحدد نوع الانتاج ؟ هل هـو المالك ام المستأجر ؟ وتبدو الاجابة بديهية وتقول المالك . لكن ماذا لو قرر المالك زراعـة هـذه الارض بمحصول يحتاج لتكاليف مرتفعة يعجز المستأجر عن المساهمة فيها بنصيبه او مشاركته ، ومـن ثم خروجه من حيز الايجار من هذا النوع الى حيز العمل الزراعى .

خامسا : الغاء لجان فض المنازعات والاحتكام القضـائى

ويرتبط هذا المطلب بالغاء لجان فض المنازعات واستبدالها بالاحتكام القضائى مباشرة . والمبرر لذلك زيادة نسبة الشكاوى والطعون فى هذه اللجان . وغريب امر هذا المطلب حقـا . ففى الوقت الذى تنادى فيه القيـادة السياسـية والتنفيـذية بدور الاجهـزة الشعبية فى حـل المشكلات المحلية نجدهم [اصحاب هذا الاقتراح] يطلبون الغاء مثل تلك اللجان الشعبية ،متذرعين بأخطائها او سوء مسلكها . وكان الاجـدى ان يطالبوا باعادة تشكيلهـا او تطويرهـا لتقـوم بمهامها بنجاح كما هو الحال فى معظم المؤسسات الجماهيرية الاخرى . غير ان الهـدف أبعد من ذلك . فهم يبغون من وراء تحقيق هذا المطلب ان يتوه المستأجر الصغير فى دهاليز الحكومة وينفق عليها ذهابا وايابا من القرية الى المدينة ما لا يطيقه دخله المحدود ، بالاضافة الى طول مدة الاحتكام فى قضايا الحكومة نظرا لتكدسها .. اى انه فى النهاية سيترك هذه الارض ليس رغبة فى التخلص من مصدر رزقه ؛ وانما تخلصـا من العـذاب الذى سيلاقيه حتى يحصل على هذا الحق .

كما ان هذا المطلب يعنى التفاوت فى امكانيات الدفاع عن الحق . فالمالك ـ بطبيعة الحال ـ هو اكثر امكانية لتوفير مقومات الدفاع عن حقـه قضائيـا من خلال توكيل محال كفء واحضـار الشهود اللازمين الذين يمكنهم مساندته ،نظرا لمركزه الاجتماعى فى القـرية . فى حين ان المستأجر الصغير سيبقى محدود الامـكانيات ، ولا حول له ولا قوة أمام هذا التفاوت فى الامكانيات المادية والضغط الاجتماعى . وفى معظم الاحيان سيخرج من القضية خاسرا .

مرة اخرى ، يبقى الايجار فى الزراعة المصرية سمة من سمات التخلف الاقتصادى والاجتماعى . واننا لا نعنى بهذا المقال على الاطلاق الرغبـة فى الابقاء على ظاهرة الايجـار بقدر ما نعنى الحيلولة ونمو الزراعة رأسماليا والتـأكيد على جوانب التقدم والعدل الاجتماعى ، هذه الجوانب التى بدأناها بقانون الاصلاح الزراعى بعد اقل من شهرين من ثورة يوليو ١٩٥٢ .. وان المخرج النهائى لمشاكلنا الاقتصـادية والاجتماعيـة فى الزراعة المصرية يجب ان يرتبط بتحليـل اكثر واعمق . وان يكون هدفنا الاستراتيجى كمـا تشير مواثيقنا السياسـية هـو بناء المجتمع الاشتراكى فى الريف المصرى . وان اية شطحات او نزعات انانية يجب ان تدرس بعنـاية لنعى ابعادها وآثارها لا فى اطار المصلحة الفئوية بل فى اطار الصالح الاقتصادى والاجتماعى العام .

وتبقى الزراعة المصرية ـ فى هذا الاطار ـ احد القطاعات الهامة والحساسـة . والطريق الى تطويرها شاق وطويل ومعقد الجوانب .. فقط علينا ان نرشده ، ونعى تشابكاته ، ونوفر الظروف الموضوعية والذاتية للتحـول العلمى والجاد ، والمسألة بطبيعة الحال ليست اختيارا عفويا او انتقاء ذاتيا بقدر ما هى اختيـار يعى واقعنا ومتطلباته ، اختيار حكمتـه التجـربة التاريخية .

ومرة اخرى ، واخيرة ، ليتذكر اصحاب المآرب ان **الرئيس السادات** قد اكد فى بيانه الاخير الى الامة باننا جزء من الفصيلة الاشتراكية .. وان الديمقراطية والحرية هما سبيلا الاشتراكية وليس سبيلان للردة .. او الاستغلال والعـودة الى مجتمع النصف فى المائة .

---

[٣] المصدر : الاقتصاد الزراعى [مصدر سبق ذكره] ص ٣١ .



فى هذا العدد تفتح الطليعة صفحات الراى والراى الاخر ، لاكثر من كاتب واكثر من موضوع هام .

الكاتب الصحفى الكبير مصطفى بهجت بدوى يكتب من موقع تجربته الفنية وملامسته المباشرة عن موضوع اثار كثيرا من الجدل فى الفترة الاخيرة هو « المجلس الاعلى للصحافة » ..

والكاتب الاسلامى فاروق منصور يعود للكتابة مطالبا بفهم اسلامى للاسلام ، مؤكدا وبالبراهين ان مثل هذا الفهم سوف يقود بالضرورة الى القول بانه « لا طبقات فى الاسلام » ..

ثم تقدم « الطليعة » ايضا اربعة نماذج جديدة من الكتابات ..

فلاح يتحدث عن انتصار فيتنام ويحاول ان يستخلص منه درسا مفيدا لمصر .

شاب من جيل عبد الناصر ، يكتب عن تجربة الثورة بين جيلين : منتقدا حملات التقييم غير الموضوعى والمشبوه للتجربة الناصرية ..

مقاتل .. شاعر شاب خاض تجربة الحرب يتحدث عن وفود مصر الى ثلاث مهرجانات ثقافية وادبية ..

عامل .. يناقش قضية النصاب المالى فى انتخابات العمد ..

وبعد هذه النماذج الاربع تقدم « الطليعة » رايا شابا فى مقالات د. فؤاد زكريا عن « عبد الناصر واليسار » ..

الكاتب وجيه ضياء الدين يعلق على هذه المقالات بعنوان « التجربة الناصرية بين الرؤية التآمرية للتاريخ واستخفاف الفلاسفة بعلم السياسة » ..

ثم يشارك عبد المنعم الغزالى فى الجدل المحتدم منذ فترة فى صفوف الحركة العمالية حول مدى شرعية المجلس التنفيذى لاتحاد نقابات العمال .. ومدى مطابقة تكوينه لنصوص القانون .

- حول المجلس الاعلى للصحافة
- لا طبقات فى الاسلام
- فلاح يتحدث عن : درس فيتنام
- شاب يتحدث عن : تجربة الثورة بين جيلين
- مقاتل يتحدث عن : هؤلاء الرجال العظام ووفودهم الطائرة
- عامل يتحدث عن : شروط النصاب المالى فى المرشحين للعمودية
- التجربة التآمرية .. واستخفاف الفلاسفة بالسياسة
- المجلس التنفيذى للاتحاد العام للعمال



● حول المجلس الأعلى للصحافة

مصطفى بهجت بدوى

تحتل قضية العلاقة بين الصحافة والدولة والمؤسسات السياسية اهمية خاصة ، وقد تزايدت اهميتها فى هذه الايام مع تكوين المجلس الاعلى للصحافة .
عن فكرة « المجلس الاعلى للصحافة » ومفاهيمه المختلفة ، واسلوبه فى العمل ، وعن المشاكل الاخرى الخاصة بالعلاقات داخل المؤسسات الصحفية ، والعلاقات بين السلطة والصحافة بشكل عام يكتب الاستاذ مصطفى بهجت بدوى .
والاستاذ مصطفى بهجت بدوى مارس — ولا يزال — دوراً هاما ولمدى طويل فى الصحافة المصرية ، ومن هنا تكتسب كلماته فى هذا الصدد أهمية خاصة ..

لعلّ اشهر العلاقات التى لم تتضح ولم تتهم وبالتالى لم تقنن ولم تمارس خلال الـ ١٥ سنة الماضية هى العلاقة بين الاتحاد الاشتراكى العربى والمؤسسات الصحفية . ويبدا كأنما ارتاحت جميع الأطراف المعنية الى تركها هكذا مبهمة عائمة شكلية !

والمعروف أنه فى ٢٤ مايو سنة ١٩٦٠ صدر قانون تنظيم الصحافة أو بالاحرى « تأميمها » ، وان حرصت سلطة الدولة على عدم استخدام تعبير « التأميم » ، ربما تجنبا منها على ان يفسر ذلك فى المجتمع الدولى بأن الصحافة المصرية اصبحت « موجهة » أو بعبارة أخرى « حكومية » ، وان القول ما قالت رئاسة الدولة محاطا بالتأييد والتهليل فى الصحف بغير نقد أو معارضة سواء على مستوى المبادرات الفردية أو مستويات انعكاس تيار الرأى العام . وفى كلمة ، لاح كأنما كانت الدولة تخشى ان يهاجمها المجتمع الدولى الغربى والعربى وغيرهما بأنها قد أممت الصحافة مصادرة منها لحرية الصحافة !

وجدير بالذكر أن تأميم الصحافة — أو تنظيمها — سبق القرارات الاشتراكية والتأميمات بأكثر من سنة . لم يسبقه الا تأميم بنك مصر الذى تم فى فبراير سنة ١٩٦٠ . ولا يدخل فى هذا النطاق — بطبيعة الحال — تأميم قناة السويس فى

٢٦يوليوسنة ١٩٥٦،وما اعقبه منتمصير للشركات والبنوك الاجنبية فى سنة ١٩٥٧ اثر العدوان الثلاثى .

كانت العلاقة اذن « غائمة » بين الا تحاد القومى الذى اصبح بقانون التنظيم مالكا للصحف ، وبين الصحف القائمة نفسها . وظل هذا الوضع مستمرا بعد تحول .لاتحاد القومى الى اتحاد اشتراكى . غاية الامر أن رئيس الاتحاد القومىأو رئيس الاتحاد الاشتراكى العربى بوصفه هذا - وليس بصفته كرئيس للجمهوريه - ولانه المالك للصحف وهى تابعة له كجهازتنظيمى ، كان يصدر قرارات تشكيل مجالس ادارات المؤسسات الصحفية . كذلك فان قرارات مجالس الادارات وميزانيات سنواتها المالية كانت ترسل الى امانة الاتحاد الاشتراكى - على سبيل الرمز - فاذا لم يعترض عليها خلال خمسة عشر يوما اعتبرت معتمدة وساريةالمفعول . ولست أظن - فيما أعلم - أن الاتحاد الاشتراكى اعترض على أى قرار أو ناقش أية ميزانية طوال هذه السنوات ، حتى انتهى الامر الى ان المؤسسات الصحفية لم تكن تهتم بموافاة الاتحاد الاشتراكى بقرارات مجالس اداراتها ، فضلا عن ان كثيرا من هذه المجالسخلال مرحلة طويلة كانت قد حدت وفوض رئيس مجلس ادارة المؤسسة الصحفية باختصاصاتها وسلطاتها .

ومع هذا كله ، فما أكثر ما تدخل الاتحاد الاشتراكى أو سلطته العليا فى المؤسسات الصحفية ابتداء من الابعادوالتغيير فى قيادتها وأسرتها ، الى اصدار التعديمات والتوجيهات . ومن جانب آخر فان الصحف نفسها - برئاستها وتحريرها - كثيرا ما كانت « تمالىء » الاتحاد الاشتراكى وقياداته ، بل طالما « زايدت » عليه خوفا او طمعا . وكل هذا لا ينفى ان الصحافة المصرية اعتادت ان تتحدث عن النقد ،والنقد الذاتى بأبلغ العبارات وكأنها تنتقد ، فى حين انها كانت تساير مجريات الامور برفع الشعارات ! وهو لا ينفى كذلك أن بعض الاقلام كانت حرة وجريئة ومقاتلة سواء بالامتناع عن النفاق الزائد وغير الزائد أو بابداء الرأى الحر فى صوت خافت أو مرتفع حتى ولو تعرضت لاسوأ العواقب .

ولسنا هنا فى مجال الحديث عن صور اخرى من التدخل فىالصحافة سواء من حيث كانت تهب رياح السلطة التنفيذية والرقابة ووزارة الاعلام « التقليدية » ، أو من حيث تسعى « الحيات والعقارب » والمخبرون والمباحث وكتاب التقارير المدسون بين الصحفيين !

ولو انه فى مرحلة من المراحل بدا كأنما كان كل شىء مختلطا ومتداخلا : الاتحاد الاشتراكى والسلطة التنفيذية و « عباقرة » الاعلام ومخبرو المباحث ، فلاتكاد تفرق بينهم !

وخلال السنوات الاخيرة ، ومع جو التفتح لمزيد من الحريات وسيادة القانون ودولة المؤسسات ومع وفرة الحديث عن هذه المعانى .. وكانت الصحافة منبرها العام المقروء ، كان للصحفيين مطلب اساسى تشاركهم فيه قطاعات شتى من الجماهير فى مقدمتهم « الشباب » ، وهو « رفع الرقابة عن الصحف » . وبالتالىحرية الكلمة من كل قيد الا ما يقتضيه النظام العام والامن القومى والحربى والقوانين غير الاستثنائية . ونبت مع هذا المطلب الاساسى وواكبه « شرط » أو ميثاق مطلوب هو « ميثاق العمل والشرف الصحفى » . وأخيرا تجدد بحث عن اطار يلم شتات المؤسسات الصحفية هو « المجلس الاعلى للصحافة » .

ولقد تم بالفعل - ورسميا - رفع الرقابه عن الصحف فى ٩ من فبراير سنة ١٩٧٤ .

وعندما اجتمع وزير الاعلام فى ذلك الحين برؤساء ادارات الصحف ورؤساء تحريرها يوم اعلان رفع الرقابة «بيزف» اليهم هذا القرار ، كان الاجتماع- فى رأيى - مؤسفا حقا! ولم نكن ندرى أكانسعيدا بالفعل بصدور هذا القرار الذى اتخذه الرئيس أنور السادات أم لم يكن مؤمنا الايمان الكافى به ، وبضرورته وبتوفيقه ، وبالتالى بدا كأنما لم يكنسعيدا سعادة حقيقيه .. كأنما يخشى عاقبة الامور . وهذه وجهة نظر ورؤية - على أى حال - تحتمل الخطأ والصواب

وكان من « قتامة الجلسه » ان جانبا منها « ضاع » بين « تملق » البعض لسيادته بمناسبة اشرافه على رئاسة مجلس ادارة «الاهرام » ، وترددت كلمات ليست مجامله وانما فجة، وزعم من زعم ، وكيف ان « الاهرام » قد تطور خلال أسبوعواحد الى افضلمما كان عليه ! وأن جانبا آخر من الجلسه حوى « التحفظات » على رفع الرقابة بما يشبه اختفاء « الرقباء » من مقار الصحف ، لينتقلوا الى مقر « مكتب الصحافة » وتعليماته ومحظوراته واتصالاته التليفونية ! غير انها كانت « مرحلة انتقال » ربما رؤى أنها «ضرورية»، ولم يلبث أثرها مع الايام ومع «شحوب وزوال» أشياء عديدة أن خف كثيرا .

ولكنه كان عيدا حقيقيا رغم كل شىء يستطيع أن يفرض نفسه ، كما أنه يتفق مع ايمان السادات المتأصل بمعنى الحريات وسيادة القانون ودور الصحافة الحقيقى التى لها - مثل سائر المؤسسات- حق «التجربة والخطأ».

ومع «ورقة التطوير» التى قدمها الرئيس السادات فى أغسطس الماضى وطرحها للبحث والرأى والتحليل والحوار الواسع حول الاتحاد الاشتراكى وكيف يمكن بناؤه من جديد على أساس ارسخ وأفعل ، مستفيدا من تجاربه الماضية ومن الممارسة ومن عبرة الركود ، ومجرد انتظار التعليمات وعدم المشاركة الحقيقية فى البناء السياسى وفى الرقابة الشعبية والمتابعة ، ومستفيدا أولا وقبل كل شىء من تجربة ونجاح « حرب رمضان »، كان « دور الصحافة » الجديد مطروحا هو الاخر .

ولقد عجل بمناقشة « حرية الصحافة فى اطار تطوير الاتحاد الاشتراكى » وحدد مسارها ، ما انتهى اليه اجتماع الرئيس السادات برجال الصحافة فى مقر رأس التين يوم ٢٨ أغسطس ١٩٧٤، من تشكيل لجنة ثلاثية يرأسها الامين الاول للجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى ويكون من اعضائها وزير الاعلام ونقيب الصحفيين لوضع الاطارات المطلوبة بما فى ذلك دور الصحافة وعلاقتها بالاتحاد الاشتراكى ووضع الصحفيين مهنيا وماليا . وبحث انشاء المجلس الاعلى للصحافة ، وصورة ميثاق العمل والشرف الصحفى . وقد صب نتاج عملها فى اللجنة الرباعية التى كانت قد تشكلت هى الاخرى لدراسة نتائج بحث ومناقشات تطوير الاتحاد الاشتراكى والتى رأسها رئيس مجلس الشعب بعضوية رئيس الوزراء ، ونائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية ، وأمين أول اللجنة المركزية ، وانضم اليها فيما بعد وزير الاعلام ، وكان أمين سرها هو أمين الدعوة والفكر بالاتحاد الاشتراكى .

ولقد رأت « اللجنة الثلاثية » لتطوير الصحافة أن تعقد اجتماعات فى دار نقابة الصحفيين يناقش فيها أعضاء المهنة مشاكل مهنتهم ودورها ومستقبلها وعلاقتها بالاتحاد الاشتراكى الخ .

وفى أوائل سبتمبر ٧٤ ، دعا نقيب الصحفيين اعضاء النقابة لهذه المناقشات ، بعد ان قدم لها بمذكرة عن « وضع الصحافة ومقترحات تطويرها » وزعت عليهم ، وكان عنوانها « الصحافة المصرية بين الواقع والممكن والامل » . وارفق بها مشروع ميثاق الشرف الصحفى المقرر فى الجمعية العمومية للصحفيين المنعقدة فى شهر ديسمبر ١٩٧٢ ، ومشروع لائحة أجور الصحفيين ، ومشروع قانون المجلس الاعلى للصحافة .

وبالفعل تم عقد ثلاثة اجتماعات بدار نقابة الصحفيين فى الايام ٧ر٨ و٩ من سبتمبر ١٩٧٤ .
وكما كان متوقعا فقد ذهبت فيها الاراء مذاهب شتى ، من أقصى الشمال الى أقصى الجنوب ، ولكنها أجمعت على شىء واحد بالتحديد : مطلوب مزيد من حرية الصحافة .

وتلا هذه الندوات اجتماعات اخرى فى الدور الصحفية لمزيد من المناقشات التفصيلية ، ربما خرج بعضها عن القصد المطلوب ، ولكنها ايضا كانت تلح على نفس الشىء مع تمسك بلائحة الاجور .

وفى ختام المطاف لهذا الجزء الاول الذى كان من صميم مهمة اللجنة الثلاثية ، توجه وزير الاعلام للاجتماع بالصحفيين داخل كل مؤسسة لاستطلاع آرائهم عامة ، وتصورهم للمجلس الاعلى للصحافة على وجه الخصوص .

ثم بدأت سلسلة جديدة من الاجتماعات بين اللجنة الرباعية برئاسة رئيس مجلس الشعب ورؤساء مجالس ادارات الصحف ورؤساء التحرير وكبار الكتاب فيها ، ثم بعدد آخر من الصحفيين وهكذا . وكان اهم ما جاء فى « جدول الاعمال » هو المجلس الاعلى للصحافة ، يكون أو لا يكون .. وكيف ؟

ومن الوهلة الاولى ، قد يبدو أن الصحفيين أرادوا « المجلس الاعلى للصحافة » بشدة ، كما أرادته الدولة بشدة أيضا سواء ابتداء أو استجابة . فى حين انه قد يرى من يرى — من بعض الشواهد — انه لا الصحفيون القدامى متحمسون له ولا الصحفيون الشبان كذلك .. أو هم متحفظون نحوه بعض التحفظ ، ولا الدولة هى الاخرى بالغة التحمس له . ولكن الاتجاه الواضح الذى أعلنته وأكدته الدولة هو أن يكون للصحافة وضعها كمؤسسة فى دولة المؤسسات .

ومن الصعب أن يخرج المرء بتحليل دقيق ووافٍ وشاف فى هذا الشأن ، وهو على أى حال ليس هو « بيت القصيد » ، وانما المهم أن ينجح المجلس الاعلى ، وان يؤكد انه اضافة حقيقية يثبت ايمان المؤمنين بضرورته ، ويذيب تحفظ المتحفظين .

ولكن كيف نشأت فكرة المجلس الاعلى للصحافة ؟

يقول الاستاذ **حافظ محمود**: « لقد كان لى شرف التقدم بهذه الدراسات الى الامانة العامة للاتحاد الاشتراكى فى ديسمبر سنة ١٩٦٥ (*) وتفضلت جريدة الجمهورية مشكورة باجراء حديث معى — أقصد مع نقيب الصحفيين اذ ذاك — ونشر هذا الحديث فى ١٤ ديسمبر ٦٥ تحت عنوان تنظيم الصحافة ووضع دستور جديد للهيئة وانشاء مجلس أعلى للصحافة » .

وترى هل مثل هذا المجلس « بدعة » ليس لها نظير فى العالم ؟ قطعا لا ، فنظائره موجودة ، ولعل أشهرها وأقدمها « مجلس الصحافة » فى

بريطانيا الذى يضم أصحاب الصحف وممثل الملكة وممثل القضـاء ، وبعض الشـخصيات ويجتمع ـ أساساـ مرة فى السنة وهو يعنى أكثر ما يعنى بوضع تقرير سنوى عن الصحافة هو المرجع التاريخى والتحليلى والتطويرى. ثم أنه يقترح اضافة او تعديل ما يراه مناسبا فى قانون المطبوعات والنشر ، او يتقدم بالتشريعات المناسبة مع حرص تقليدى على « حرية الصحافة » . وله أن يحاسب رؤساء تحرير الصحف المحاسبة الادبية ».

ولكنه هنا فى مصر « تجربة جديدة » لعلها أن تكون « قتلت » بحثا الى أن صدر قرار رئيس الاتحاد الاشتراكى العربى بانشاء المجلس فى ١١ مارس ١٩٧٥ .

وفى رأيى ان المجلس الاعلى للصحافة مفيد للصحافة وللرأى العام ، وينبغى أن يكون مفيدا .

فاذا ما تناولنا اختصـاصاته ـ وهى اللب والجوهر والكيان ـ كما وردت فى قرار تشكيله ؛ فاننا نستطيع القول انها نجحت الى حد بعيد فى « استقلال » و « علو » و « مفهوم » مهمته التى تتكامل مع مجلس نقابة الصحفيين بغير تداخل ولا حساسيات ».

ولكنها قد تحتاج الى « تأمل » و « ايضـاح » و « تشجيع » أكثر تفصيلا ».

أولا ، فيما يتعلق بميثاق الشرف للعمل الصحفى المنوط بالمجلس وضعه ؛ فلقد يكون « معدا » ولا يتطلب أكثر من تعديلات طفيفة اذا اقتضى الامر . و « الروح » هنا تأتى قبل « النصوص » ». والتطبيق العملى هو الذى يحسم ويوائم بين الروح والنصوص . ومن هنا « فمتابعة تنفيذ » ميثاق الشرف اهم من الميثاق نفسه . فلكم كان لنا من مواثيق عظيمة ذهبت بددا فى التطبيق ، واصبحت أعلاما مليئة بالثقوب حتى لكأنهـا « فارغة » او « منكسة » ! ولكن هذا النص او الاختصاص الاول جاء محكما ومتفهما لانه يوضح حكمة وضع ميثاق الشرف للعمل الصحفى ومتابعة تنفيذه ؛ لا لفرض قيود وانما « ضمانا لحرية الصحافة مع مراعاة المصلحة العامة ومصالح المواطنين بحيث تحتل الصحافة مكانتها بصفتها احدى السلطات المستقلة والعاملة فى اطار دولة المؤسسات » .

ولقد ينشأ « الجدل » عند التطبيق ، غير أن الامر الحيوى هو التطبيق نفسه ، ثم بعـد ذلك ما يثور من جدل وأخذ ورد حوله لا شـك ان « محصلته » سوف تجىء « صحية » .

غير أن المحاسبة و « التأديب » على مخالفة ميثاق الشرف بعد أن يكتشفها وينظر فيها المجلس الاعلى متروكان ، او محالان الى نقابة الصحفيين ؛ اذ تنص المادة الرابعة على أنـه « يكون للمجلس الاعلى للصحافة عند مخالفة الصحفى لميثـاق الشرف أن يطلب من نقابة الصحفيين النظر فى أمره واتخاذ الاجراءات القانونية المناسبة معه » .

وهكذا فلا تغل يد المجلس الاعلى للصحافة عن « حق النظر فيما ينسب للمؤسسات الصحفية من مخالفات لميثاق الشرف الصحفى ، كما يكون له الحق فى النظر فى الامور المتعلقة بضمان الحقوق المقررة للصحفيين ، وذلك ما عرض له البند [١] من المادة الثالثة فى الاختصاصات ، ولكن مع تحفظ بأن ذلك ينبغى أن يتم ، مـع عـدم الاخلال بالنصوص الواردة فى قانون نقابة الصحفيين ، كما اشرنا آنفا ».

ثانيا : من اعتقـــد ما يــواجه العمــل الصحفى « الداخلى » خلو ساحات المـؤسسات الصحفية ـ تقريبا ـ من لوائح محدده للقواعد المهنية وللاجور والمرتبات والعلاوات الخ ».

ولطالما اتهم رؤساء مجالس الادارات ورؤساء التحرير ـ بالحق حينا .. وبالباطل حينا ـ انهم يتصرفون « على مواهم » فى المهنة وفى العاملين بها . ومن ناحية أخرى قد يتصــور بعض الصحفيين العاملين فى المؤسسات الصحفية أن لهم من « الحقــوق » ما ليس لهـم ، وكـل هذا « وارد » مادام الأمر متروكا للتقدير الشخصى الذى قد يصيح وقد لا يصح ، ولمجرد الادراك الذى قد يتسع وقد يضيق ، وللخلق بمفهومه العام الذى قد يطيب وقد يسوء ». ذلك كله محتمل بل مؤكد طالما كانت القواعد المنظمة المنضبطة غير قائمة ».

مهما اعلن الرؤساء انهم يتصرفون بموجـب « العرف » ـ وأين هو ؟ ».. وقد يكون ستارا وهميـا فحسب ـ ومهما طالب المرءوسون بما طالبوا به تحت اسم العرف أيضا ».

اما الشق الثانى والبالغ الاهمية ، كذلك فهو ما يتصل بالاجور والعلاوات . ولا جدال انها تختلف من مؤسسة صحفية الى مؤسسة صحفية اخرى وفقا لظروفها المالية . وقد تحكمها نظم من خلال منشورات تحدد الموعد و « النسب » والحد الادنى والحد الاقصى فى مؤسسة ؛ وقد تكون مطلقة فى مؤسسة أخرى . ويبقى أن عددا من الصحفيين ـ فى هذه وتلك ـ لا يتخيلون الا ان العلاوات انما تصدر عن الهوى والقرب والبعد واستخفاف الظل واستثقاله ! واذا لم يكن من الميسور اقامة الدليل من جانبهم على أن هذا أسلوب متبع وشائع ؛ فليس من الميسور كذلك اقامة الدليل على عكسه .. فسوف يبقى « الشك » مثارا ولو فى نطاق محدود ».

لذلك فمن الصالح ـ كما جاء فى البند ب من المادة الثالثة ـ « وضع اللوائح المنظمة للعمل داخل المؤسسات الصحفية ، سواء ما يقبل منها بالقواعد المهنية ، او اجور الصحفيين ، لضمان العدالة بين

العاملين فى المؤسسات الصحفية وبلا اخلال بروح الابتكار والابداع »

ومن المسلم به أن هناك مؤسسات صحفية « غنيه قادره » وأخرى « فقيرة عاجزة » ، ولسنا هنا فى مجال تقصى الاسباب ، فالنتيجة ايا كانت هى أن « الفوارق » ملموسة .

ولقد اقترحت النقابة فى مذكرتها حول الاجور وفى مناقشاتها أن يقام « صندوق دعم » تسهم فيه الدولة لمواجهة متطلبات تطبيق لائحة الاجــور والعلاوات فى المؤسسات الصحفية .

ومع التسليم بصعوبة الظروف الاقتصادية التى تجتازها الدولة ، الا أن مثل هذا الصندوق قد لا يكون منه مفر ، اذ أنه بالفعل « ضرورة » ولو مؤقتة الى ان « ينصلح الحال » مع العمل على صلاحه !

تبقى هنا نقطة فى « غاية الاهمية » لابد أن ترسخ فى أذهان الجميع لانها تأكيدفكرى وعملى لحرية الصحافة والصحفيين ،واعنى بها ان يؤمن الجميع - قبل صندوق الدعم وبعــده - أن الصحفيين ليسوا موظفين عموميين .. ليســوا تابعين « للحكومه» يحصلون على أجرهم منها • ذلك أن التصور بأن السلطة التنفيذية هى التى تعطى وتمنع يخل بأهم اســس الصـــحافة ، و « يضرب » ويضر الجانبين .. الصحافة والسلطة التنفيذية ، ويصيب « استقلال الصحافة » فــى الصميم .

الصحافةوالصحفيونليسوا « طبقة متميزة » ، ولا ينبغى أن يكونوا ، ولا يتخيل أحد انهم كذلك . وكون الصحافة تحرص على الا تكون « تابعة » للسلطة التنفيذية أو للاداة الحكومية لا يعنى انها « تترفع » عن ذلك او « تتميز » عنها ، انما هذه طبيعتها،وطبيعة الاشياء ، ورسالتهاورسالةالمجتمع أن تكون - بحكم التجربة - منبرا حرا للرأى العام وجهاز رقابة شعبية مستقلا . وهوما رمى اليه قرار انشاء المجلس الاعلى للصحافة وأشار فى قوله « بحيث تحتل الصحافة مكانتها بصفتها احدى السلطات المستقلة والعاملة فى اطار دولة المؤسسات » .

و « للتقريب » - فيما يخص تمويل « الدولة » جزئيا للصحافة - هناك نموذجان : هما مجلس الشعب الذى تتحمل الدولة مكافأة اعضائه دون ان يؤثر ذلك او يتعارض مع رقابة المجلس على اعمال الحكومة ، وتقديم الاسئلة والاستجوابات لرئيس الوزراء والوزراء ، كذلك« القضاة » التى تتحمل وزارة العدل مرتباتهم ولا يتنافى ذلك - بالطبع - مع تجرد المحاكم واصدارها الاحكام « ضــد الحكومة » عند اقتضاء قواعد القانون والحق والعدل • وهذان النموذجان هما المثالان اللذان ضربتهما المذكرة التفسيرية التى قدمها مجــلس النقابة حول لائحة الاجور المقترحـــة وصندوق الدعم للتأكيد - من باب اولى - الا تعارض ولا تبعية ولا تأثير على عنصر الاستقلال ..

ثالثا : وربمايدخل فى هذين النطاقين [اولا وثانيا] من الاختصاصات ما ورد فى المادة ٣ بند [د] حول « دعم المؤسسات الصحفية واقتراح الوسائل التى تؤدى الى فعاليتها فى تأكيد حق المواطنين فى الرقابة الشعبية ، وضمان حقوق الصــحفيين فى التعبير عن قضــايا المجتمع » . و«التنسيق بين المؤسسات الصحفية المختلفة وكذلك بينهاوبين المؤسسات المختصة بالمجال الاعــلامى ، او سواه من مجالات العمل المشتركة تحقيقاللتكامل بين مؤسسات الدولة » - وهى البند [ج] من المادة الثالثة - الا صورة من نفس الاهتمامات لتكون أشمل وأكمل ..

كذلك فان البند [ط] من المادة الثالثة الخاصة بالاختصاصات حين يواجه موضوع التشريعات والقوانين المتعلقة بالصحافة بنصهعلى أن « يكون للمجلس الاعلى للصحافة حق دراسة ما يراه ضروريا من تشريعات وقوانين تؤدى الى النهوض بمستوى الصحافة والصحفيين ،والتقدم بما يراه من توصيات واقتراحات الى الجهات المسئولة فى هذا الشأن » فانه بذلك يستكمل الحلقات المعلقة بتطوير وتجديد المهنة ، مثلما فعلت الاختصاصات فيما أوردته بين اولا وثانيا .

ومن البديهى أن هذه التشريعات والقوانين « الضرورية » التى تنجم عن الدراسة لن تكون « مقيدة » للصحافة وحريتها بأى حال مــن الاحوال ، وانما تؤدى- كما حدد البند المذكور- الى النهوض بمستوى الصحافة والصحفيين • فلطالما آمن وطالب رئيس الدولة بمزيد من الحرية للصحافة وأعلن ذلك فى كل مناسبة يجتمع فيها بالصحفيين ، حتى وهو يوجه اليهم العتب .

ولعل هذا الاختصاص هو من بين مايسلكه فى اختصاصه مجلس الصحافة ببريطانيا .

ولقد يكون من المناسب أن « نقتبس » أيضا مسلك المجلس البريطانى فى « أهم » منجزاته ، واعنى به « التقرير الســنوى عن الصــحف والصحافة » كعملية تقييم شاملة يعكف عليهــا خبراء محايدون وواعون تبين الخيط الابيض من الخيط الاسود ، فتكون مرجعا تاريخيا وسجلا حقيقيا لحركة المجتمع التى تنعكس فى مــرآة الصحافة ، مواكبا لتطوره وتطورها ، مؤثرا عليهما بغير افتعال ولا تعنت ولا املاء .

رابعا : عندما يختص المجلس الاعلى للصحافة بالتخطيط « للتوسع الافقى والرأسى للصحافة مع توفير احتياجاتها المختلفة والعناية بوجه خاص

بالصحافة الاقليمية والمتخصصة » كما ورد فى البند [هـ] من المادة الثالثة ، كما « يختص المجلس باصدار الصحف والترخيص بالعمل فى الصحافة للصحفيين » كما جاء فى البند [ج] من المادة المذكورة ، فانه يتصدى لمشكلةمزمنة تعثرت حلولها طويلا .

عدد الصحفيين يتزايد من ٥٠٠ الى حوالى ٢٠٠٠ فيما يقرب من عشر سنوات . خريجو قسم الصحافة ومعهد الاعلام لا يجدون عمـلا فى الصحف . لم تصدر جريدة يومية واحدة جديدة منذ سنة ١٩٥٦ .. على العكس اختفت واحدة مسائية فى سنة ١٩٥٨ هى « جريدة القاهرة » وأخرى صباحية فى سنة ١٩٥٩ هى « جـريدة الشعب » . فشلت كل مشروعات الصحف الاقليمية المأمولة عبر الثلاثين سنة الماضية ، المجـلات المتخصصة تظهر وتختفى فى المناسبات وتبعا لنفاذ او عدم نفاذ الاعتمادات المخصصة لها. عدد كبير من الصحفيين المقيدين فى جدول المشتغلين .. غير مشتغلين وبلا عمل تقريبا . آلات الطباعة الحديثة التى تساير تطور احتياجات العصر وتطور طباعة الصحف العالمية .. نسمع عنها ولا تكاد تتجاسر مؤسسة صحفية على استيرادها .

كل هذه حقائق وعقبات غير خافية .

كيف سيواجه المجلس الاعلى هذه المشكلات جميعا . كان الله فى عونه ؟ !

من المسلم به أن « ألف باء » تخطيط التوسع الافقى والتوسع الراسى فى الصحف والعناية بوجه خاص بالصحافة الاقليمية انما هو مرتبط أشد الارتباط بألف باء « تخطيط بناء الانسان المصرى» اعنى التربية ـ بمفهوم التربية السياسية والخلقية والدينية المتفتحة والفكرية والاجتماعية .. أو الاشتراكية ـ والتعليم ، وقبل كل شيء « محـو الامية » .. تلك الوصمة التى أزمنت شكوانا منها وعجزنا فيها بينما استطاعت دول أخـرى أن تمحوها بما يشبه جرة القلم .. اقصد العـزم والعمل الجاد المتبتل .

ومن هنا فالطريق صعب ، ولكنـه ليس مستحيلا . فلناخذ خمس سنوات اوعشرسنوات او اقل او اكثر ، ولكن فلنخطط له حقا ولنعمل له فعلا .. ولنبدأ ـ مرة ـ على أسـاس سـليم لا يتردد ولا يتقاعس ولا ينقطـع .

التوسع الرأسى والافقى للصحافة ليس هدفا فى ذاته ولكن الهدف الحقيقى هو التوسع الراسى والافقى للعلم والمعرفة والثقافة وممارسة الحريات السياسية والاجتماعية .

ولطالما سمعنا من « يمصمصون الشـفاه » على « الماضى » عندما كان لـدى مصر عشرات الصحف اليومية والاسبوعية . ولسنا ضد أن يكون لنا ذلك بالطبع ، ولا نحن سعداء بأن الصحف اليومية الان فى بلد يقترب تعداده من الاربعين مليونا هى ثلاث صباحية وواحدة مسائية فقط ، ومجلات يقصر جهدها عن ملاحقة المجلات اللبنانية والعربية طباعة ومادة للاسف الشديد . غير أنه عند التقييم لابد أن توضع فى الاعتبار ظروفنا الاقتصـادية ومعـاركنا المختلفـة ، كمـا يحسب « عدد » من كانوا يقرأون تلك العشرات من الصحف والمجلات وعددهم الان الذى تضاعف بالتجمع وبزيادة السكان ، كما نسأل أنفسنا : من كان هؤلاء الذين يصدرون الصحف والمجـلات ويمولونها وكيف ؟ وذلك كله مع مقارنة ماكانت تتحمله عملية الاصدار وقتئذ من تكاليف ميسورة يمكن أن تحقق أرباحا بما تتكلفه الان عمليات الاصدار والنشر التى زادت عشرات الاضعاف بحيث لا تبقى ولا تذر ارباحا .. هـذا اذا استطاعت الصمود .

ومن المنطقى أن يقودنا ذلك الى اختصاص المجلس الاعلى باصدار الصحف والذى كان موكولا للاتحاد الاشتراكى العربى من قبل . وفى كلمة نقول : نحن لا نصادر على حق اصدار صحف جديدة فهو ـ بالتقدير العام ـ دعم لحرية الكلمة والصحافة ، والباب للمنافسة الشريفة النظيفة المشروعة ، واستيعاب « للطاقات العاطلة » . غيـر أن المطلوب فقط هو التدقيق والتحقق من سلامة النـوايا والقصـد والاهـداف ، والاطمئنـان الى « مصرية التمويل » . ولا نزيد فنقول«وحماية المجتمع» ، فذلك من ناحية آمر مفترض ومفروغ منه ، وذكره من ناحية أخرى كثيـرا مـا يثير «النعرات» وأشباه « الحروب الصـليبية » ضدنا ! فى حين أن حماية المجتمع هى ـ فى بساطة ـ حماية المجتمع بحق . وأرجو الا نكون بذلك كمن يفسر الماء بعد الجهد بالماء !

خامسا : وقد لا يستوجب هذا الاختصاص أن نخصص له فقرة قائمة بذاتها . فهـو بنـد أشبه « بالاحكام الانتقالية » أو بالشيء الذى يقرن لمرة أو لفترة والسلام » واقصد بهذا الاختصاص ما ورد فى البند [ز] من المادةالثالثةعن « تولى المجلس تحديد النسبة المئوية التى تخصص من حصيلة اعلانات الصحف لتغطية احتيـاجات صندوق معاشات الصحفيين » .

وقد اخذ بهذا النظام لاول مرة فى قانون نقابة الصحفيين المعدل والصادر فى سبتمبر سنة ١٩٧٠، اذ قرر تخصيص نسبة يحددها قرار تال من رئيس الاتحاد الاشتراكى العربى .

ونخال أن هذا القرار قد صدر بالفعل منذ ثلاثة أعوام وهو ١ فى المائة من حصيلة الاعلانات لصندوق المعاشات .

غير أن النص عليه فى اختصاصات المجلس الاعلى يفيد أنه محل اعادة نظر .

تلك هى الاختصاصات على سبيل الحصر تناولناها بشىء من التفصيل ، وذلك ـ كما قدمت ـ رغبة فى التأمل والايضاح والتشجيع .

أخيرا فبشىء من « الاجتهاد » نجد أن من الواجب ومن الامانة قبل أن نختم هذا التناول لاختصاصات المجلس الاعلى للصحافة ولجانب من وضع الصحافة المصرية ـ وقد عشت طويلا فى تياراتها وهمومها ، وكابدت صراعاتها ، ولمست اشراقات وضيئة كثيرة ، واسفت لدناءات وضيعة قليلة ـ ان نبدى ملاحظتين فى نهاية المطاف :

الاولى : أن ثمة « عناصر فى الصحافة المصرية لعلها تسىء اليهما والى قيم كثيرة ، ولكن الصعوبة هى « من يحكم على من ؟ » و « ما هى المعايير ؟ » ! وفكرة « تطهير الجدول » مخيفة وغير مأمونة ويمكن أن تستغل استغلالا سيئا ، وهى بالتالى مستبعدة ابتداء وانتهاء . فضلا عن ظاهر تعارضها مع الحريات وسيادة القانون .

فما هو الحل اذن ؟

فيما نرى أن هذه « العناصر » تكشف نفسها بنفسها ، وبالتالى من حتمية التاريخ ـ اذا لم تنصلح ، وللاسف تبدو عفونتها أعتى من أن تنصلح .. والله أعلم ـ فانها سوف تنعزل عن الجماهير وعن الرأى العام الذى هو الرأى النقى ، مهما حاولت التوصل والاستمرار بوسائل « التلميع » نبعضها البعض ، ومهما بدت لفترة ـ تطول أو تقصر ـ واسعة الانتشار والهيلمان . فقاعدة « لا يصح الا الصحيح » اقوى فيما أظن وارجو من حكاية « العملة الرديئة تطرد العملة الجيدة » !

الثانية ، من العدالة بل الضرورة ـ بغير تصور أن فى ذلك اى معنى للاثارة أو التحريض ، فهما ليسا واردين ، وليسا مما نتصف به لا من قريب أو بعيد ، وانما نبتغى وجه الله . وجه الحق ـ أن المجلس الاعلى حين يصنع « النوائح المنظمة للعمل داخل المؤسسات الصحفية سواء ما يتصل منها بالقواعد المهنية أو اجور الصحفيين » فانه سوف يراعى أن يشمل ذلك كل المشتغلين فى المهنة صحفيين وعمالا وموظفين . وعندنا أن هذه ـ على الاقل من ناحية استكمال الشكل ـ هى « حكمة » النص فى تشكيل المجلس على أن يكون « رئيس النقابة العامة للطباعة والنشر » أحد أعضائه .

وعلى الله قصد السبيل .

التفسير الاسلامى للاسلام

لاطبقــــات فى الاســـــلام

فاروق منصور *

ليس هذا المقال مجرد استمرار لحوار قديم دار ـ بحماس بالغ ـ على صفحات الطليعة واسهم فيه بقدر كبير الكاتب الاسلامى فاروق منصور ، لكنه ـ وبالاضافة الى ذلك ـ محاولة جادة لتقديم أفكار جديدة تستند الى فهم عميق للتعاليم الاسلامية وللواقع المعاصر معا ..

ان فاروق منصور يقدم ـ فى دراسته هذه ـ الادلة المستمدة من الاصول الاسلامية ليؤكد بها منهجه « لا طبقات فى الاسلام » مؤكدا انه بذلك انما يقدم « التفسير الاسلامى للاسلام » .

نحاول فيما نكتبه هنا بذل أقصى جهد لمعرفة الاسلام على حقيقته ، واكتشاف جوهره الصحيح النقى فى صورته المثلى كما ارادها الله ـ تبارك وتعالى ـ وكما جاء الكتاب والسنة يؤكدانها .

وكما نطق به واقع الحياة فى ظل الدولة الاسلامية فى عصور ازدهارها . وهو نفس ما اضنى الفقهاء المسلمون العظام تبيانه وتأكيده فكرا وموقفا وانفقوا عمرهم فى سبيل اتباعه والتسليم بأن لا

* ـ رئيس قسم التراث بأخبار اليوم *

اسلام بلا اتباع للكتاب والسنة ، ولا عقيدة بلا سلوك يفسر النص فى حركة ويجعل من الايات واقعا ، ومن الاحاديث عملا .

وانها لمحاولة شاقة تلك التى يحاولها أى انسان لمعرفة الاسلام على هذه الصورة ، وتفهمه فى ظل هذا المنهج . والمشقة لا تأتى من الاسلام . فالاسلام لا صعوبة فيه ولا غموض . ولكن المشقة كلها تجىء من محاولات البعض الاتجار بالدين ، وتحويله من منهاج حياة الى سلعة ، من مسئولية الى شعار ، ومن ممارسة يومية جادة وحقيقية الى مزايدة موسمية ، وأجراس تحت الطلب ، أو تبعا لأوامر من يدفع ، أو من يخشى غضبه ، ويطلب وده ويحقق نفاقه مغنما .

الحقيقة هى الهدف

لتكن هذه المحاولة اذن فى سبيل ما هو حق وخير ، تستهدف وجه الله . غير مبالية بما يثار حولها من جدل ، وما يوجه اليها من تجريح آثم وادعاء كذوب . ان وقتا يضيع فى الاصغاء الى ما تهمهم به نفوس رضيت أن تباع فى سوق النخاسة هو خسارة يجب ألا نقدم عليها ، وان نقاشا غير موضوعى مع أولئك الذين باعوا أقلامهم وباعوا ضمائرهم ، عمل غير اسلامى .

ان المطلوب اليوم هو بذل الجهد لمعرفة الاسلام . وهذا لا يمكن أن يتحقق فى الرد على شخص بعينه أو أشخاص بذاتهم نجد أن فى أقوالهم وسلوكهم ما يناقض الاسلام ويصادم جوهره . انه فى الامكان أن نتناقش وأن نتجادل لنختلف أو نتفق ، يدلى كل منا برأيه ويؤيد وجهة نظره كيفما شاء . ولكن مثل هذا النقاش ليس مطلوبا وليس مقبولا ، ما لم يكن مستهدفا المعرفة الحقة واكتشاف الطريق الصحيح ، لانه باستهدافه المعرفة والطريق ، يتحول الى جهد مفيد يعلى البناء ويقوى العزم ويدفع الى الامام قدما .

يوم كان الدين حياة

انه لامر مخجل حقا ، بمقياس العصر ومناهجه العلمية ، كما أنه سلوك آثم بحكم الاسلام ومناهجه ومنطقه أن يقف البعض باسم الاسلام ليحجروا على الفكر أو يكفروا الناس . لانهم فكروا فيما هو أفضل لحياتهم ، وراحوا يبحثون عن طريق يعود على المجموع بالخير والسعادة . وفى الوقت الذى استطاع الانسان فيه أن يصل الى القمر متجاوزا الجاذبية الارضية يمنع المسلم من أن يجتاز نصا قال به انسان منذ ألف عام ، ليفهم الاسلام فهما عصريا على أساس من العلم والمعرفة . ان هذا الجمود ليس من الاسلام ، ولا نجد نصا يلزم به ، أو عقلا يستطيع أن يسلم بأنه أمر محمود .

لقد مرت عصور على المسلمين كانوا مسلمين حقا ، فسروا الدين على أنه حياة ، وعاشوا حياتهم قيمه ومبادئه . كان الواحد منهم يحفظ الاية من القرآن الكريم حفظا جيدا ، يتلقاها عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، ثم يربى نفسه بها وينظم سلوكه وفق هديها . فاذا ما أقامها فى ذاكرته نصا محفوظا وأقامها فى حياته واقعا حيا وسلوكا مطبقا ، كانت جزءا منه وكان جزءا منها ، اطمأن به عقله وطابت بها نفسه ، آمن بها ودعا اليها . فانتظمت الحياة فى المجتمع الاسلامى ، وانتظم المسلمون ، عقيدة وسلوكا ، واستطاعوا أن يبنوا حياة كريمة ويقيموا حضارة انسانية كاملة .

يوم غابت الفكرة

ثم جاءت عصور مظلمة ، غابت العقول المبصرة لتسود الكهانة ، ذهبت الفكرة لتحتل مكانها الخرافة . ونسى الناس دور المعلم والداعية ليواجهوا العميل والتاجر ، ففقدوا فى ليلهم ما يضيئه وافتقروا فى نهارهم الى ما يصلحه . ومثل هذه العصور المظلمة لا يمكن أن تحسب على الاسلام أو تتفق مع هديه ، لان الاسلام اصلاح للحياة وللنفوس . وحركة تستهدف تغيير المجتمعات الى الافضل والارقى . ومن ثم كانت الدعوات الاصلاحية التى عرفها العالم الاسلامى فى فترات من تاريخه . ولكن الدعوات الاصلاحية لسبب أو لاخر لم تحقق كل ما دعت اليه أو ما قامت تناضل من أجله . مما جعل كثيرا من المسلمين فى حيرة من أمرهم ، وفى شك من قدرة دينهم ، وفى قلق من غيرهم . ولكنهم لم ييأسوا . بل ظلوا دائما بين أمرين : أمل فى رحمة الله وانتظار معونته . أو استسلام مريض وتواكل قاتل ظنوه ايمانا . والايمان ليس كذلك فى حقيقته وكما جاء دينهم يدعوهم اليه .

الاسلام : لكل الناس

ولقد حان الوقت لكى يفكر المسلمون من جديد فى حياة فيها الخير لهم ولغيرهم ، لان الاسلام ليس وقفا على اتباعه . بل ان خيره يمتد ليصل حتى الى أولئك الذين لا يؤمنون به مادامو لا يشهرون عليه سلاحا ولا يوجهون ضده عدوانا ولا يتناولون

اتباعه بأذى . يقول تعالى : « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ، ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين : انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون » [١] .

الاسلام فى فهم جديد

ولما كان المسلم لا يمكنه ، دينا وعقلا ، أن يفكر بعيدا عن الاسلام أو بمعزل عنه ، فان الاساس الفكرى الذى يجب أن يبنى عليه فهمه ويشيد من لبناته بناءه هو الدين . يعود اليه ليفهمه من جديد . ثم يفهم عصره فى ضوء تعاليمه ، ويحاول أن يفيد العصر من هذه التعاليم السامية ، مطورا حياته بالدين ومطورا مفاهيمه بما أحرزه العقل من تقدم وما أضافته التجربة الانسانية من أساليب صالحة تتمشى مع الدين وتتفق مع قيمه وتخدم اهدافه . أى أن المسلم يجب أن يبذل جهده لتغيير واقعه بهدى الدين ، وعندما نصل الى هذا نكون قد حق علينا غضب من لا يعلم ، ولعنة من لا يؤمن ، ونالنا لسان من لا يصدق . وانه لامر مرهق ومزعج ، ولكن أيا كان شأنه فانه لا يغير من ايمان مؤمن ، أو يهز اعتقاد من صدق .

الاسلام الذى لا يخاف

ان مرحلة جديدة من التفكير الاسلامى يجب أن تبدأ ، يقوم بها كل من آمن بالله وفهم حقيقة اسلامه . تبغى هذه المرحلة تقديم الاسلام الصحيح للناس واصلاح حياتهم على أساسه نقل الاسلام الى واقع الحياة . وهو ما لم يتحقق الا بالفهم الواقعى للاسلام . الاسلام الذى لا يخاف الفكر ، بل يصنعه . لا ينكمش أمام أى جديد ، بل يناقشه ويتعامل معه ويؤثر فيه ويجدد حركته من هذا اللقاء ومن ذلك التفاعل .

أما أن يظهر الاسلام اليوم كالنيل ، وقد امتلا مجراه ومجرى قنواته بنبات ورد النيل ، ثم نقف مكتوفى الايدى ، فأمر غير مطلوب ،بل انه مدمر . هل نترك ورد النيل وهو نبات طفيلى ليمتص الخير ويعوق الحركة ، أو نزيله لنطهر المجرى فينطلق النيل قويا نقيا ليعطى الخير والنماء ؟

واذا ما انتقلنا من الخيال الى الواقع ، ومن المثال الى الحقيقة ، فان ما يجب أن يقال أن المسلم الصحيح ليس هو من يغلق عقله أو يطالب باغلاق العقول . المسلم الصالح ليس من طالت لحيته أو مسبحته ، ولكنه من طال باعه فى الفكر ، وطال تفكره فيما بين يديه من نصوص وفيما يهدد واقعنا من أمور ، وفيما يعترض مسيرتنا من قضايا ومواقف . والمسلم الصالح ليس ايضا من كبرت عمامته فوق رأسه ، ولكن من كبر عقله فأضحى منارة تضىء عقول الاخرين ، ليس من كبر منصبه ، أو ثروته أو نفوذه ، ولكن من كبرت نفسه فسمت عن الاحقاد والنقائص ، فانتصر لله ولم ينتصر لنفسه ، وتواضع رحمة ولم ينفجر غرورا .

جهد الاحرار لاصراخ العبيد

واذا أردنا أن نخدم الاسلام كما ندعى ، فان الاسلام لا يحتاج الى طوابير العبيد ، لان العبد لا يستطيع أن يعطى شيئا ذا قيمة . وسيظل دائما أعظم جهد بذلته اية مجموعة من البشر هو جهدها فى تحطيم اغلالها ، جهدها فى صنع حريتها ، أو جهدها فى الدفاع عن الحرية والذود عنها تمتعا بها ، وتكفيرا عن الضياع فى ظل القيود . ان الاسلام لا يكلف العبيد ، ولكنه يكلف الاحرار ويحاسبهم عن عملهم وجهدهم . فقد أسس التكليف ابتداء على أساس الحرية . كما أسس على القدرة والعقل . اى لكى يكون الانسان انسانا فى نظر الاسلام ، فلابد أن يكون حرا عاقلا رشيدا .

أى أن الاسلام يريد جنودا ودعاة ، ولا يريد عبيدا . يريد ان يكون اتباعه ومن يناضلون وفق مبادئه ويعيشون قيمه احرارا . ولكى يكونوا كذلك لابد ان تتحرر عقولهم أولا . ولهذا حرص على ان يدعو الى تحرير العقول ، كما حرص على تحرير الروح والجسد . نه يحرر العقول من أن تخضع للزيف أو الكهانة ، يريدها ان تتسلح بالعلم لتقضى على الخرافة وتزيل من الطريق كل ما يعترض مسيرة تقدم الانسان وتحضره ، وتنحى تماما كل عقبة تقف فى سبيل الانسان لتمنعه من بلوغ الحياة المثلى التى يجب أن يحياها . بل التى كلف بأن يحياها وأراده الله خليفة له فيها .

[١] الممتحنة آيتى ٨ ، ٩ .

عندما تتحرر الروح والجسد

ويحرر الاسلام الروح ، فيأبى على أتباعه أن يعيشوا لحظة بغير كرامة . أن يفرطوا لحظة فى حقوقهم أو يتنازلوا عن انسانيتهم . ويحرر الجسد فيأبى عليه أن يكون أسيرا للشهوة أو عرضة للدنس أو متعلقا بما يشين . ويضع لذلك كله ما يكفلهمن أوامر ونواهى ، من فرائض وتكاليف ، من اسس للمعاملات والعبادات ، لا يجهلها أحد من المسلمين ، وان جهل الغاية من ورائها .

ان العبادات فى الاسلام لم يقصد بها مجرد التكاليف ولكن قصد بها علاوة على ذلك أنها تربى وتعود الانسان ما هو أفضل الى جانب كونها تقيم دليلا على خضوعه لخالقه وتسليمه لما جاءه من عنده وتقبلهلما امر به وتوثيق العلاقةبينه وبين ربه وتوصلها فى جانبيها المادى والمعنوى .

الذين يحاولون تزوير الاسلام

فاذا كان الاسلام حريصا على حرية المسلم وكرامته ، واذا كان الاسلام يأمر المسلم بأن يعيش حياته كلها حرا كريما ، فهل علينا أن نصدق ما يدعيه البعض زورا أو يحاولون اشاعته حول المفاهيم الاجتماعية للاسلام أو النظرة الاسلامية للمجتمع وقضاياه ؟ هل يمكن أن نصدق أن الاسلام دين طبقى ، أو أنهيسمح بقيامالطبقات بحيث تشكل تمايزا بين البشر يعطى لفريق من الميزات ما يحرم منه الاخرين ؟

دين بلا طبقات

اننا نبدأ بالنفى . فالذى نعرفه ويعرفه كل مسلم أن الطبقات لا وجود لها فى الاسلام ، لانه دين لا يسمح لاى فئة من الناس ان تتميز عن غيرها ، أو أن تحصل من الجاه الدنيوى ونفوذ السلطة ما يمكنها من أن تطغى وتستبد أو تسلب غيرها حقا منحقوقه أو تحرمه من أن يتمتعبنعمة من النعم .

لقد قام الاسلام على أساس يمنع قيام الطبقات ويحول دون الصراع الطبقى كما نسميه . لماذا أخطأ البعض ؟

ان الذين يزعمون بان الاسلام يسمح بالطبقات ، وقعوا فى خطأ التفسير عندما وجدوا فى الاسلام ما يشابه هذا النظام او ذاك فظنوه مثله ، أو عندما حكموا على الاسلام حكما جزتيا فاخذوا أمورا وتركوا غيرها عمدا او قصورا . وهذا منهج غير اسلامى ، لان الاسلام يجب أن يفهم على أنه الاسلام ، معزولا عن أى اتجاه خارجى ، وبعيدا عن أى تفسير غير اسلامى . كما أنه يجب أن يفهم متكاملا ليكون بحق هو الاسلام . اما التلفيق فليس عملا اسلاميا . لا نقولذلكاختلاقا ، ولكن من مفهوم الاسلام نفسه ومن توجيهات ذلك الدين السمح وهديه . يقول الله تعالى « .. وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله أن الله شديد العقاب » [٢] .

وتأتى آيات اللهتأمرنا بان نأخذ الامور أخذا متكاملا وأن نبعد عن الاتباع الجزئى ، يقول تعالى : « أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزى فى الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون الى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون » [٣] .

عندما نختار الافضل

ولكى ندرك كيف يرفض الاسلام قيام الطبقات ننظر الى جوهره ، فنجد أنه يهتم بالمساواة بين البشر ، وأنه يرسى الدعائم التى تكفل قيام مجتمع المساواة الحقة ، الذى يتساوى فيه الناس ويقفوا جميعا على قدمواحدة . كما يمكن أن ندركه عندما نحاول فهم النظرة الاسلامية للامور التى تعتبر محمودة أو مذمومة ، لما يمكن أن يعد فضيلة وما يعد رزيلة . لانه اذا كانت القيم قد تختلف من مجتمع لمجتمع ومن عصر لعصر . فان البحث عن النظرة لقيمة ما ، هى التى تعطينا صورة المجتمع ومفاهيمه . ان بعض المجتمعات مثلا تقر الثار . حينئذ لا يعتبر القيام بهعملا شائنا أو أسلوبا متخلفا . ونجد أن بعض المجتمعات تأخذ بالصراع الطبقى وتجعل منه أساس التغير الاجتماعى ـ وهو ما قد نرفضه ، وحينئذ يجب الا نحكم على تلك المجتمعات بمفاهيمنا نحن ، ولكن نحكم لها أو عليها بمقاييسها ، الا عندما نقارن بين ما لدينا وما لدى تلك المجتمعات ، حينئذ نختار الافضل للبشرية ككل ، ونفضل ما يحقق الخير للانسان بصورة احسن أو أكمل .

[٢] الحشر آية ٧
[٣] البقرة آية ٨٥

انطلاقا من هذه النظرة نقول أن الاسلام لا ينظر للثروة اكثر من أنها وسيلة لا غاية . ولا يعطى للغنى أى قيمة . بل انه يقيم البشر بتقواهم ويفضلهمبصالح أعمالهم .

ان الاسلام لم يجعل من الثراء جريمة . ولم ينظر الى الغنى كاثم . ولكنه أنكر على الناس أن يكسبوا من الحرام . أو يكونوا ثرواتهم عن طريق الاستغلال . بل انه ينكر عليهم اكتناز الثروة وعدم توجيهها فيما فيه صلاح البشر وخيرهم . ان الله يأمرهم بانفاقها فى سبيل الله بتوظيفها التوظيف المحقق لرقى المجتمع وسعادته ، يقول تعالى : « والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم » [٤] .

والثراء هو أساس التمايز الطبقى. وعندما لا يترك الاسلام باب المنافسة مفتوحا أمام الناس لجمع الثروة ، فانه يكون قد سد امامهم طريقا قد يخلق بينهم الاحقاد ويفرق الجماعات .

كيف تتكون الطبقات ؟

اننا ما دمنا نعيش فى ظل نظام لا يغرى الناس بالتكالب على الثروة أو المنافسة فى تكديسها ، فاننا لا نصل الى تكوين الطبقات ، لان الثروة هى أساس التكوين الطبقى . أو هى الطريق الذى يؤدى الى قيام الطبقات وتزايد الهوة بين فئات البشر . حقا انها ليست العامل الوحيد ولكنها العامل الاقوى ، اذ انه لاجدال فى أن العامل الاقتصادى هو أهم العوامل الحاسمة فى احداث التفاوت الاجتماعى » [٥] .

ونجد أن الدراسات التى تهتم بالطبقات وتكوينها كثيرة فمنها من يرجع قيام الطبقات الى أسباب جسمية أو نفسية أو وراثية أو حدبية [٦] .

وعندما نقف أمام هذه التفسيرات العلمية لتكوين الطبقات نجد أن الاسلام لا يساعد على قيامها ، وأن الطبقات يوم قامت فى المجتمع الاسلامى لم تقم على أساس من الدين . بل حدثت فى غيبة الدين ، وتحت ظروف لم يكن يحكمها بقيمه أو يشكلها بأوامره ونواهيه . فالطبقات شىء والاسلام شىء آخر .

مالم يقله القرآن ؟

يبقى اذن القول بأن القرآن الكريم قد جاءت آياته لتؤكد أن الناس درجات ، وهو أمر لا ينكره احد . ولكن من قال أن ورود هذه اللفظة فى القرآن الكريم يؤيد المعنى الذى يحاول البعض أن يفهمه أو يروج له .

الحقيقة أن ورود اللفظة فى القرآن الكريم يؤيد ما نذهب اليه من أنه لا طبقات فى الاسلام . لان الله تبارك وتعالى أورد هذه الاية الكريمة فى مجال الرد على ما أنكره كفار قريش على الرسول ، وتعجبهم من أن تنزل الرسالة على رجل فقير ، وهى مكانة سلمية يجب فى نظرهم أن تكون للغنى ، مادامت الثروة فى مجتمعهم هى المقياس وهى الدالة على التفوق والعظمة .

ان الرسالة شىء عظيم حقا ، ولقد اختار الله لها من يصلح لها وتكرمه بحملها . ولو كان فى الثراء تكريما ، لكرم نبيه به . ولو كان فى الغنى امتيازا فى المفهوم الاسلامى ، لملا بيت نبيه ذهبا وفضة . ولكنه دين لا يقر هذا التمايز الدنيوى ويؤكد أنه لا طبقية . فليس غريبا اذن أن يكون سيد هؤلاء الاعراب الاغنياء وأفضلهم رجلا منهم لا يملك ما يملكونه من جاه ، ولا يحتفظ لنفسه بما يحتفظون به لانفسهم من ثروةومتاع .

الحديث عن هذه الدرجة .. لماذا ؟

ان الدرجة التى يتحدث عنها القرآن لا تؤدى الى اقرار النظام الطبقى أو التسليم به من وجهة نظر الاسلام . يقول تعالى « لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم » أهم يقسمون رحمة ربك ، نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون » [٧] .

[٤] التوبة آية ٣٤

[٥] Sociology by Morris Ginsberg SH5.

[٦] يمكن الرجوع الى موضوع التمييز الطبقى ومصادرة لن يريد المزيد فى اى من المراجع الاتية : علم الاجتماع . موريس جينز برج ترجمة د. فؤاد زكريا . والمراجع التى ذكرها المؤلف والمترجم . تاريخ علم الاجتماع جاستون بوتول . نفسية المجتمع موريس جينز برج ولهاترجمات عربية .

[٧] الزخرف ٣١ — ٣٢

« فالآية متعلقة بالنبوة وكفار قريش يعترضون على نزول القرآن على محمد عليه الصلاة والسلام . ووجه الاعتراض أنه ليس زعيما من زعمائهم ، ولا صاحب مكانة أو صاحب مال كثير . والرأى عندهم ان يكون نزول القرآن على اشرافهم ، وذوى المنزلة والمال عندهم ، فهم يرون وجوب الجمع بين النبوة والمال والسيادة بين القوم ، وما دامت النبوة تكريما وتشريفا فينبغى — من وجهة نظرهم — ان تنزل على الاشراف اصحاب المال والمكانة بين القوم .

والقرآن يرد على هذا الرأى الفاسد : الاصل الذى يحتم الجمع بين النبوة والثروة ويقضى بنزول الوحى على الاغنياء دون الفقراء أو الصالحين . فليس أصلا ولا حتما أن يكون الرسول من أهل الغنى او المكانة فى قومه . وانما الاساس أن يكون انسانا صالحا لتلقى هذه المهمة من ربه .

يتأكد لنا من هذا أن الدرجة ليست هى الطبقة . ولا تصلح أساسا لتبرير قيام نظام طبقى فى المجتمع . فاذا ما اضفنا اليه كيف دعا الاسلام الى المجتمع فاذا ما اضفنا اليه كيف دعا الاسلام الى اذابة الفوارق بين الناس وكيف عمل على أن يؤكد أن الناس سواسية وأنهم أخوة وشجع على هدم كل ما يخالف هذا الفهم أو يحول دون تحقيقه ، يمكننا ان نقول حينئذ أن الاسلام يقيم مجتمعا لا طبقى . انه يؤسس مجتمع الاخوة الحقة والجماعة البشرية المتجانسة والمتكاملة .

ربما يخص الله بعض العباد بمهارة معينة او ذكاء خاص أو موهبة فى أمر من الامور ، وتظل هذه الميزة حيزا ما ابتغى بها صاحبها وجه الله فوجهها لنفع المجتمع وتطويره وتقدمه . أما عندما يحاول أن يجعل منها ميزة خاصة ليرتفع بها فوق النـــاس ، فانه يكون قد تجبر وأساء التمتع بالنعمة التى وهبها الله تبارك وتعالى له .

واذا كانت المجتمعات الحديثة تشقى من الصراع الطبقى ويؤديها هذا الصراع الى انقسامات وفتن ويلحق بها اضرارا ، فان الاسلام وقد اهتم بنبذ الطبقية ووقف فى وجه تكوين الطبقات ، كان مدركا للنوازع البشرية مقدرا أن الجانب الشرير قد يطغى على الجانب الخير فى الانسان . فيندفع حينئذ الى الترفع عن غيره نتيجة لما يجيئه من ثروة أو يتاح له من فرص . فلم يترك الاسلام الامر فوضى ، ولكن نظمه ووضع القيود التى تحد من الصراع الطبقى ، وتوجيهه وجهه خيرة ، بان وضع قيودا على الثروة ووضع أسسا لها . فالثروة لابد من أن تتكون من مصدر شريف ونتيجة لجهد شريف وبالاساليب الطيبة الصالحة ، والا كانت حراما . والحرام لابد من مقاومته والمحاسبة عليه .

لذلك نجد أن الاسلام يضع الضوابط للامور كلها فهو ينظم العمل ويضع له الشروط التى تكفل صلاحه « فلا ضرر ولا ضرار » . وهو ينظم العلاقة بين الحاكم والمحكوم ، فيعطى لكل منهما حقا ويلزمه بواجب ويشترط لكل منهما شروطا يجب أن تتوافر فيه ، والا نقص أيمانه ووجب الا يولى أمرا له علاقة بشئون الناس وأمور معاشهم . فعند اختيار الحاكم مثلا نجد هناك امورا يجب مراعاتها « فاذا اجتمع اهل العقد والحل للاختيار تصفحوا احوال الامامة الموجودة فيهم شروطها فقدموا للبيعة منهم أكثرهم فضلا وأكملهم شروطا ومن يسرع الناس الى طاعته ولا يتوقفون عن ومن يسرع الناس الى طاعته ولا يتوقفون عن بيعته » [٩] .

ليس رجلا طبقيا هذا الوزير

وتحدد المناهج الاسلامية اختيار الكفاءات لتولى المناصب بشروط محددة وبصفات واضحة لا غموض فيها تتمثل فيما تورده كتب الفقه فى اختيار القضاة والولاة والامراء والمحتسب وعمال البريد والخراج مثلا ، وتتمثل فى هذه الحدود التى وضعها المأمون الخليفة العباسى لاختيار وزيره اذ يقول : « إنى التمست لاموري رجــلا جـامعا لخصال الخير ذا عفة ، فى خلائقه واستقامته فى طرائقه ، قد هذبته الاداب وأحكمته التجارب ، اذا أؤتمن على الاسرار قام بها . وان قلد مهام الامور نهض فيها ، يسكنه الحلم ، وينطقه العلم وتكفيه اللحظة وتغنيه اللمحة . له صولة الأمراء وأناة الحكماء وتواضع العلماء وفهم الفقهاء ان أحسن اليه شكر وان أبتلى بالاساءة صبر لا يبيع نصيب يومه بحرمان غده ، يسترق قلوب الرجال بخلابة لسانه وحسن بيانه [١٠] .

---

[٨] د. عبد العزيز كامل — نائب رئيس الوزراء ووزير الاوقاف المصرية [سابقا] .
الاسلام والتفرقة العنصرية . بحث أصدرته هيئة اليونسكو فى سلسلة المسالة العنصرية والفكر الحديث باللغة الانجليزية والفرنسية عام ١٩٧٠ الترجمة العربية ص ٢٦٣.

[٩] الماوردى . الاحكام السلطانية ص ٧.

[١٠] المرجع السابق باب تقليد الوزارة

فهى صفات نراها محددة ، وليس من بينها الاساس الطبقى . أو امتلاك الثروة واكتناز المال واذا نظرنا الى المنهج الاسلامى متكاملا ، فاننا نجده يقيم المجتمع على اساس صلاح النفوس بتربيتها وتدريبها على السلوك القويم كما يهتم بانتزاع كل ما من شأنه ايجاد الاثرة ويغرس الايثار يجتث الانانية ليقيم بدلا منها الرغبة فى التعاون والاصرار على التفانى لصالح المجموع . هذا من الناحية الفردية .

نعم للجماعة والفرد معا

أما من الناحية الجماعية فاننا نجده يقيم أنظمة ، سواء أكانت سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية ، لا تسحق الفرد ولا تعلى من شهواته أو تبيح له الارتفاع بصالحه عن صالح الجماعة . ولا تسمح بأن تسود جماعة دون أخرى . أو يستبد قوم بشئون آخرين . أو يكون لفريق من الناس من الحقوق ما يحرم منه بقية افراد المجتمع . لانه مجتمع يحكمه الاسلام بتشريعاته فلابد من العدالة المطلقة ، ولابد من المساواة الحقيقية الكاملة . « انه لا مجال فى الشريعة الاسلامية لشعور فرد أو جماعة بأن القانون ليس عادلا بالقياس اليها لان أسباب الانحراف عن العدل غير قائمة بحكم ان المشرع للجميع هو اله الجميع ، فلا مصلحة له فى محاباة فرد أو جماعة ، وبهذا تنمحى من المجتمع الاسلامى فكرة الطبقية ، تنمحى بحكم أن ليس هناك قانون يلحظ مصالح طبقة معينة ، فيوفر لها على حساب طبقة أخرى ، فكل فرد له حقوق وعليه واجبات متكافئة مع هذه الحقوق . وهكذا يظل المجتمع الاسلامى مجموعة افراد تتكافأ حقوقهم وواجباتهم فى القانون . لا مجموعة طبقات تتصارع مصالحها وتتصادم ، ويقضى القانون لبعضها على بعض ، فى هذا الجانب أو ذاك ، وبناء على ذلك فلا ظل لنظام الطبقى فى الاسلام . وبالتالى لا وجود للصراع الطبقى ، حين تنفذ الشريعة الاسلامية كاملة فى عالم الحكم وعالم المال ، ولا وجود للشعور بانتفاء العدالة القانونية ، ومحاولة الخروج على القانون بدافع من هذا الشعور . انما تبقى الانحرافات الفردية وهذه ليست بذات بال » [١١] .

التوزيع الاسلامى للثروة

ولقد وضع الاسلام من المناهج الاقتصادية ما يكفل عدم تكديس المال بأساليب كثيرة . فلجأ الى نظام الميراث ، وعدل ما كان مألوفا فى المجتمعات العربية قبل الاسلام . اذ « كان العرب فى الجاهلية لا يورثون من لا يلاقى العدو فكانوا يحرمون البنات والزوجات والامهات والنساء مطلقا والصغار من الميراث ، وكانوا لا يخصون به الا الاقارب من الرجال القادرين على حمل السلاح » [١٢] .

لقد نظر الاسلام الى راس المال نظرة واعية فاهتم بألا يتحول الى سلطة طاغية ، أو طبقة متحكمة . فأوضح أوجه الانفاق الخيرة . ووضع الضمانات التى تكفل عدم التكدس ، وفى مقدمتها الزكاة والميراث والحث على استخدام المال استخداما لصالح المجتمع أى فيما يرضى الله . كما منع الربا وحرمه تحريما كاملا بكل صوره . وحث على البر والتكافل والتعاون ولم يقبل أن يحمل المقترض اية اعباء علاوة على دينه فأصبح الفقهاء المسلمون يؤمنون بأن ربح القرض أو فائدته خطر على المجتمع لانه يمس بناء الجماعة مسا عنيفا عميقا . ذلك اننا بهذه الوسيلة نزيد فى توسيع المسافة وتعميق الهوة بين طبقات الشعب بتحويل مجرى الثروة وتوجيهها الى جهة واحدة معينة . بدلا من أن نشجع المساواة فى الفرص بين الجميع . وأن نقارب بين مستوى الامة حتى يكون اميل الى التجانس واقرب الى الوحدة .

ان اللمحة البارزة فى التشريع القرآنى ، وكذلك فى كل تشريع اجتماعى جديد بهذا الاسم ، هى الحيلولة دون هذه المحاباة لراس المال على حساب الجمهور الكادح ، والسعى لتحقيق نوع من التجانس والمساواة بين أفراد الامة . انها لكلمات قصيرة ولكنها ذات مدى بعيد ، تلك التى يرسم فيها القرآن دستور هذه السياسة ، حيث يقول : « .. كى لا يكون دولة بين الاغنياء منكم » [١٣] .

الناس شركاء .. هكذا العدل

لقد حرص الاسلام فى اهتمامه بألا يتحول مجتمعه الى مجتمع طبقى على أن يرسى النظام المالى على أسس تمنع التكدس وتحول دون

---

[١١] المرحوم سيد قطب . السلام العالمى والاسلام .. ص ١٤٣ ، ١٤٤ الطبعة الثالثة . الناشر مكتبة وهبة بالقاهرة

[١٢] فضيلة الاستاذ الشيخ محمد زكريا البرديسى ــ الميراث ص ٤ طبعة ١٩٦٩ .

[١٣] المرحوم د. محمد عبدالله دراز ــ الربا فى نظر القانون الاسلامى ــ تعريب المحاضرة الفرنسية التى القاها كمندوب للازهر فى مؤتمر القانون الاسلامى بباريس ١٩٥١ م . نشرها الازهر مع النص الفرنسى ١٩٥١ .

استئثار قلة من الناس بالعائد ، ومحاولة تحقيق امتيازات طبقية لها عن طريق استخدام هذا المال المدخر أو المكدس . وتحقيقا لـذلك الـذى أراده الاسلام نراه يعمل على أن يكون المال للمجتمع ككل ، ويتم التوزيع العادل للدخل . « الاسلام اذن بنظامه المالى فيما أوجبه ورغب فيه ، أو حرمه وطلب تجنبه فى التصرفات المالية وفيما أحل عليه ما أوجب وطلب ، أو حــرم ودعـــا الى تركه استهدف بقاء منفعة المال شركة بين أفراد المجتمع بحيث لا يصل أمرها الى تكديس فى يد قلة وحجب عن الكثرة ، كما فى نظام الراسمالية ، بحيث لا يستدعى الامر الى اعادة توزيع من جديد تحقيقا لمعنى العدل ورفعا للظلم والغبن » [١٤] .

وعندما اقام الاسلام مجتمعه ، لم يهـدم الخصائص الذاتية أو القدرات النوعية ولكن هدم الاستغلال ورفض الصراع الطبقى ووقف فى وجه تكوين الطبقات أو قيامها كقوى مسيطرة ، أو كمراكز قوى متسلطة ومتحكمة انشا الاسـلام مجتمعا لا يسوده الحقد والضـغينة ، ولا يهـدده الحسد والمنافسة امن أفراد . كان مجتمعا صالحا لان « المجتمع الذى يكون كل عضو منه خليفة لا يتسرب اليه فساد التفريق بين الطبقات ولا شئ الامتيازات التى تأتى من جهة الحياة الاجتماعية والفوارق النسبية ، ويكون أفراد هذا المجتمع سواسية » [١٥] .

معنى وجود طبقات فى المجتمع

ان معنى وجود طبقات فى المجتمع انه توجد فوارق اجتماعية واقتصادية واضحة بين افراده كما يعنى أن هذه الفروق تمتد غالبا لتشكل نظرة كل طبقة الى الاخرى داخل المجتمع الواحد . وهذا التقسيم بين البشر من شأنه أن يتحكم فى مشاعر الناس فتحس كل طبقة انها مختلفة عن غيرها . قد تكون أفضل فتشعر بالزهو والغطرسة . وقد تكون أقل فتشعر بالحقد والحرمان أو النقص » [١٦]

ان مثل هذا الشعور الحتمى الذى لابد من وجوده فى المجتمع الطبقى امر لا يرضاه الاسلام ولا يقبله لاتباعه . فهو دين يرفض أن يترفع فريق على فريق أو تحقد فئة على فئة المجتمع الطبقى لابد أن يكون فيه تمايزا يسمح بارتفاع قوم وانخفاض اخرين ، وان تفخر الطبقة العليا على من دونها وان تحقد الطبقة الدنيا على من يعلوها . اى لابد من وجود حقد وغطرسة . وهما أمران لا يمكن ان يقبلهما المجتمع الاسلامى القائم على التعـاليم الالهية السامية .

هكذا تتكون الطبقات

ولكى تقوم طبقات فى المجتمع ، لابد من ظروف تسمح بتكوينها . وتتمثل هذه الظروف أول ما تتمثل فى وجود نظم قانونية ، تعطى لفريق من الناس الحق أن يرتفعوا عن غيرهم بأى وسيلة شريفة أو غير شريفة ، وهو أمر غير موجود فى الاسلام وليس ممكنا . ان الشريعة الاسلامية تتجه فى كل أحكامها الى تحقيق الاهداف التى تؤدى الى تكافل اجتماعى سليم قائم على الائتلاف والتهذيب الدينى والعدالة التى لا تكون فيها قوة تتغلب على الاخرى » [١٧]

لا طبقات بلا استغلال

لقد جاء الاسلام ليقيم مجتمعا على أساس من تعاليم السماء فلم يكن فى مقدور المسلمين ، ولن يكون فى مقدورهم مستقبلا ، أن يوفقوا بين تعاليم الاسلام والمجتمع الطبقى . لان المجتمع الطبقى مجتمع يضم النوعيات المختلفة والمتميزة بعضها عن بعض تسعى كل طبقة الى تحقيق أهدافها الذاتية والحصول لنفسها على مكاسب خاصـة تتميز بها . وهذا يؤدى الى وجود منافسة وصراع تكون فيها الغلبة للاقوى أو للاسرع قضاء على غيره . وهذا ما يتعارض مع ما جاء الاسلام يعمل على أرسائه . ان الاسلام جاء لايجاد مجتمع فاضل ، تتعاون فيه كل القوى ، بحيث لا يطغى فريق على فريق . وأول مظهر للمجتمع الفاضل فى الاسلام ، هو وجود رأى عام فاضل يتعاون على الخير ودفع الشر . فان المجتمع فى مظهره العام

---

[١٤] د. محمد البهى ـ الاسلام ونظم الحكم المعاصر ص ٥٥ ، ٥٦ ـ طبعة أولى ـ الناشر . مكتبة وهبه بالقاهرة

[١٥] ابو الاعلى المودودى نظرية الاسلام السياسية ص ٤٧ ت. محمد عاصم الحداد ـ الطبعة الثالثة .

[١٦] Sociology by Morris Ginsberg. SH6. London 1934. الالف كتاب .
وانظر أيضا الترجمة العربية لـه ترجمها د. فؤاد زكريا .

[١٧] استاذنا المرحوم الشيخ محمد أبو زهرة ـ طيب الله ثراه ـ التكافل الاجتماعى فى الاسلام . ص ١٦ ـ التعريف بالشريعة الاسلامية . المكتبة العربية .

يكون بيئة صالحة لان تترعرع فى ظلها الفضيلة وتختفى من نورها الرذيلة » [١٨] .

ولا يمكن ان نصدق انه فى الامكان قيام طبقات بلا تمايز . أو وجود طبقات من غير صراع طبقى . قد تتولى القوانين فى بعض المجتمعات الحد من بشاعة الامتيازات الطبقية ، أو قد تستطيع بعض المجتمعات اتخاذ الوسائل التى تقلل من حدة الصراع الاجتماعى . ولكنها تعجز عن اخفائه تماما . ونجد أن هذا الصراع يهدأ ليشتد . ويختفى ليظهر عندما تساعده الظروف على ذلك . واذا كانت المذاهب قد اختلفت فيما بينها فى النظرة لنشأة الصراع الطبقى ونتائجه ، فانها لم تختلف فى التسليم به والاحساس بخطورته . ولقد سلمت المدارس الاجتماعية بأن التكوين الطبقى لا يمكن أن يتحقق ما لم تهيىء الظروف التى تصنعه . اى يفتح الباب لتكون هناك بعض الفوارق بين الناس فى المجتمع . ثم تتزايد تلك الفوارق عندما يسعى كل فريق لمضاعفة ميزاته فتتكون الطبقات . اذ « تبدأ الجماعات من الناس بأن تكون نوعا من الزمرة يكون اعضاؤها جميعا فى نفس المستوى العقلى والتكنيكى والاقتصادى فى آن واحد ثم ينتظمون ويصيرون مجموعات حركية يتجه فيها توزيع العمل والعلاقات القانونية بين الافراد الى أن تكون متميزة اكثر فاكثر » [١٩]

صالح لكل زمان ومكان

واذا كان الاسلام يضع نظاما كاملا للحياة ، ويبغى مجتمعا مثاليا فانه كان لزاما ليتوافق مع الطبيعة البشرية أن يكون كليا . فلا يقف أمام الجزئيات كلها فى الحياة ، لينظمها محددة بالنص . بل كان عليه أن يضع الاطار العام لما يراه مثاليا ، والاطار العام للطريقة التى يمكن أن تحقق هذه المثالية وتحميها . وعندما اهتم الاسلام بذلك ، فانه استطاع ان يكون فعلا صالحا لكل زمان ومكان . لان مرونته أكسبته قدرة فائقة على التأثير والفاعلية . ودفعته الى أن يغير فى المجتمع الذى تنزل فيه فى عصر المبعث وفى مجتمعات أخرى من تلك المجتمعات التى انتقل اليها هاديا . ويبدل الكون ، ويدخل امورا جوهرية فى الوجود مخالفا بذلك ما ذهب اليه شبنجلر عندما قال : « ان الدين لم يغير أسلوب الوجود يوما ما » .

لكى لا يسود الباطل

وعندما نتجاهل موقف الاسلام من الطبقات وموقفه الحاسم فى منعها ، ونسلم بما يسميه البعض من أنه يسمح بقيام طبقات ـ وهو خطأ قدم الاسلام عليه آلاف الادلة ـ نقع فى رذيلة فتح الباب للباطل لكى يسود وللرذيلة لكى تحكم . ان التسليم بالتمايز الطبقى يعد فى الواقع اعترافا بصلاح هذا النظام واخلاقياته أى يعد خروجا على المبادىء الاساسية التى جاء الاسلام بها . أى التسليم بانتصار الاقوى مهما كان هدفه ومهما كانت وصوليته . يقول شبنجلر : « ان تاريخ العالم هو ما قررته محكمة العالم . فقد وقفت هذه المحكمة دائما فى جانب الأقوى الاكثر ثقة بنفسه ، ولقد ضحى التاريخ دائما بالحق والعدل فى سبيل القوة والعنصر » .

وهو ما نعتقد أن المسلم الحق يرفضه . بل ان أى انسان يؤمن بالحرية لا يمكن أن يرضى به « لان الضرورة تقتضى بأن على كل فرد يقبل قيم الاخلاق الفاضلة وديمقراطية المجتمع رفض هذا المقياس بالعنف الذى فرض به ، بل ان المرء يكون حينذاك مضطرا ان يفعل ذلك عندما يكون للنتائج التى يقدمها المؤلف مثل هذا التأثير البغيض على الثقة بحضارة بأسرها ، مثلما فعل شبنجلر » [٢٠] .

واذا كان الاسلام قد جاء ليؤسس حضارة انسانية ، فكيف يضع ما يهدم تلك الحضارة أو يمنع قيامها أصلا .

الانسان فى مفهوم الاسلام

ان الاسلام دين يعتنى بالانسان ويكرمه . ولكى يحقق ذلك كان عليه أن يزيل كل ما يهدد الانسان أو يجلب له الشقاء أو يتنافى مع كرامته . لقد امتن الله على الانسان بأنه خلقه ، وجعل من افضاله

[١٨] المرحوم الشيخ محمد ابو زهرة المرجع السابق . ص ٩ .
[١٩] جاستون بوتول « تاريخ علم الاجتماع » ص ٦٩ الترجمة العربية د. عاطف غيث وزميله . الدار القومية ١٩٦٤ .
(٢٠) J. G. de Beus. The Future of the west.
وانظر ايضا : الترجمة العربية التى قام بها لمعى المطيعى تحت عنوان « مستقبل الحضارة » .

تبارك وتعالى أن أحسن خلقته ، وجعله على هذه الصورة من الحسن والتكريم . يقول تعالى : ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » [٢١] . ويقول تعالى : « لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم » [٢٢] .

واهتم الاسلام بأن يحقق للانسان ما يحفظ حياته آمنة مستقرة ، فأرسى دعائم التكافل الاجتماعى بحيث يرفض عمليا قيام الطبقة . ويقف سلوكيا فى وجه وجود نظام طبقى . لقد « اتجه الاسلام الى العدالة الاجتماعية ، فجعل الناس متساوين أمام القانون والقضاء ، لا فرق بين غنى أو فقير ، فليس فيه طبقات تتميز فيها طبقة عن طبقة » [٢٣] .

كلكم لآدم وآدم من تراب

ان الاسلام يقوم على التوحيد : توحيد الخالق وتوحيد الرسالة ، وتوحيد الجنس البشرى . وعندما يسلم الاسلام بالواحدية ، فلسفة له وعقيدة ومنهاجا ، فانه لابد ان يهتم بأن تكون كل القواعد محققة لذلك ومؤدية اليه .

لقد خلقهم الله جميعا من جنس واحد ، فلا تفاضل بينهم . يقول تعالى : « ياأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة » [٢٤] . « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا أن أكرمكم عند الله أتقاكم ان الله عليم خبير » [٢٥] .

وعندما يضع الاسلام كل القواعد التى تكفل أن يدرك الناس أنهم من نفس واحدة ، وأن لا تفاضل بينهم الا بالتقوى ، فان ذلك لا يتحقق كاملا عندما يفتح الباب من ناحية أخرى ليكون هناك التفاضل بين البشر أو التميز الطبقى .

واذا كان الاسلام حريصا على ان يكمل انسانية الانسان ، فانه يضع القواعد الاخلاقية ويرسى الاسس السلوكية التوبية لذلك . وهو ما يؤدى الى ازالة كل الفوارق التى تقوم على أساس مادى ، أو تفوق فى الجاه والمنصب والمكانة الاجتماعية ، التى تكون غالبا على أسس غير اسلامية .

انسانية الانسان هدف اسلامى

يمكننا أن نقول اذن ، أن الاسلام دين يهتم باقامة المجتمع الامثل . وأن هذا الاهتمام من شأنه أن يجعله يقاوم كل ما من شأنه منع تحقيق وجود هذا المجتمع . والطبقات أخطر معوق فى هذا المجال . ومن ثم فان الاسلام لا يسمح بقيامها .

ويمكننا أن نقول ان الاسلام ، وهو يبنى وفق مبادىء سامية ، يستهدف ايجاد الانسان الصالح والقادر على تحمل الاعباء وتطوير المجتمع ، كان عليه ان يزيل كل ما من شأنه ان يسىء الى انسانية الانسان ، أو يقلل من شأنه أو يحد من بلوغ كرامته درجتها القصوى . والطبقات نظام لا يحقق ذلك ، لان قيام الطبقات يسلب غالبية النساس كرامتهم ويهضمهم حقهم ويجعلهم فى مرتبة أقل من غيرهم . انه يسمح لفريق من الناس أن يتعالى ويتعاظم لانه يملك الثروة او يمتلك النفوذ . كما يعطى لفريق من الناس الحق فى أن يقهر غيره ويسيطر عليه ويوجهه لخدمة مصالحه . والاسلام دين يرفض الاستغلال والقهر ولا يعين عليهما . بل يدفع بأتباعه الى مقاومة كل استغلال وبذل الجهد فى الحصول على ما يحرر الانسان ، ويكفل كرامته ، ويحفظ حياته ويضمن استقراره وأمنه .

مجتمع بلا عقد ولا احقاد

ويمكننا القول أن الاسلام ، وهو دين بناء ، كان عليه ان يجنب اتباعه شر عمليات التمزق والتشبث والهدم ، ولا شىء يشيع التمزق فى المجتمع ويقضى عليه الا وجود الطبقات وصراعها . ومن ثم عمل الاسلام على أن يقف فى وجه التمايز الطبقى ورفض أن ينقسم أتباعه الى شيع وفئات بل ان الجميع متساوون ، تجمعهم الصلاة صفا واحدا ويجمعهم التواد والتراحم على قلب رجل واحد وتربط المسئولية التضامنية بينهم فى مجتمعهم .

---

[٢١] الاسراء آية ٧٠ .
[٢٢] التين آية ٤ .
[٢٣] استاذنا المرحوم الشيخ محمد أبوزهرة — اصول الفقه ص ٣٥٠، ٣٥١
[٢٤] النساء آية ١ .
[٢٥] الحجرات آية ١٣ .

هذا ماتحرمه النصوص

واذا كان الاسلام لم ينهى بالنصوص القاطعة على عدم تكوين الطبقات . ولم يحرم أن ينقسم المجتمع اليها ، فانه حرم بالنصوص القاطعه الظلم والكبرياء والاستغلال . حرم بالنصوص القاطعة أن يتخاذل بعض الناس لبعض ، أو يؤله بعضهم بعضا . حرم ان يكون التفاخر بالالقاب وجمع المال خلقا اسلاميا . وحرم أن يطوى الناس صدورهم على حقد يبيت بعضهم يفكر فى الانتقام من الاخرين .

ونجد فى كل هذا الذى حرمه الاسلام ما يمنع الطبقات وينبذ الطبقية . هلسمع أحد منا أن الطبقة قد تكونت بلا ظلم واستغلال ؟ وهل وجد مجتمعا طبقيا ، الناس فيه لا يتحاسدون ولا يتباغضون ، ولا يضمر بعضهم الحقد لبعض ؟ أن الحقد والحسد أمران يحاربهما الاسلام . ان الاستغلال والاستبداد أمران آخران يمقتهما الاسلام . والاسلام لا يقيم فى مجتمعه الا ما يجب . ولا يرضى لاتباعه الا ما يفيد ويصلح .

وكما أن الله تبارك وتعالى طيب لا يحب الا الطيب ، فالاسلام خير لا يقبل الا الخير ، وصلاح لا يرضى الا بالصالح . ويعلم الله ويشهد الناس انه لا خير فى الطبقية ، ولا صلاح فى الانقسام الطبقى ، ولا أمن ولا استقرار فى ظل الصراع الطبقى لاى مجتمع . ولا مودة ولا اخاء فى ظل متربص يحصى لاخيه هفواته وينتظر غفوته لينقض عليه .

أن الاسلام دين يبنى على أسس فاضلة فكان من المحتم عليه ومن المتسق مع تعاليمه ، أن يكون حربا على الطبقات ، لا مشجعا للطبقية ، دعوة للحب لا مبعثا للتفرقة . فلنفهم الاسلام كما جاءنا ، ولنفسره كما انزل علينا ، ولنعرفه كما يجب أن يعرف .

(١) فلاح السبع آبار يتحدث عن:

درس فيتنـــــــام

وعن انتصار فيتنام .. يكتب فلاح مصرى من السبع آبار الشرقية ، محاولا أن يستخلص منهما درسا مفيدا .. يقول الفلاح البسيط الذى يذكرنا بقصة « الفلاح الفصيح القديم » ان تجربة فيتنام تعلمنا ان الانسان هو القوة الذرية التى تملكها الشعوب الصغيرة .. ويلقى أضواء هامة على الدروس المستفادة من المعركة الفيتنامية ..

ارجو اولا ان يغفر لى السادة المتعلمون ركاكة الاسلوب ان بدت وخبرة المجادلة .. لكونى فلاح لايعرف مايعرفه أولى العلم . ولكننى أتكلم من موقع حبى لتراب أرضى وشرف عرضى وكرامة انسانيتى مهما كانت الاسباب ..

أولا : لقد أصاب التسمم جسم المجتمع ويعرف هذا الدكتور .. وعامل البناء وفلاح الترحيلة ... ولكن ماهو العلاج ..

وماذا قال التحليل المعملى لهذا القسم ..

سؤالى هذا مازال بغير جواب ... وسيظل اذا كان الجواب هو كلمات تكتب ... ان العبرة بالعمل لابالقول .. مهما كانت بلاغة هذا القول ....

من آسيا ... وهناك من اعلى مبنى السفارة الامريكية كان لابد لضعاف النظر آن يروا بريق النصر لارادة الانسان الحر ... وهى ترغم قنابل امريكا الذرية على الفرار .. وعدم القدرة على السير فى الطرقات ...

ان الشعوب الحرة لا تقهر ارادتها مهما كانت قوة القيود ... ولكن هذه الارادة أشبه بنهر كبير اذا لم يجد الجسور القوية السليمة فانه لن يفيد شيئا ... بل سيظل مجرد مياه ....

ولقد كنت كفلاح مصرى أعرف آن أمريكا لن تنتصر فى فيتنام ولا فى غير فيتنام . كنت أدرك ومازلت أدرك ان الحق فوق القوة مهما كانت الاسباب .

ولقد ذكرنى نصر الحق فى فيتنام بحادث فى طفولتى عام ١٩٥١ تقريبا .. وكنت أبلغ من العمر أحد عشر عاما فلاحا فى كتاب القرية لدى معلم كفيف البصر مبصر القلب والضمير .

تذكرت هذا الحادث . ردا على صحفى فى مجلة كبيرة، قال لى وانا أسأله عنسبب انتصار فيتنام .. اننا شعب من العبيد ... عشنا سنوات من الذل ... مع المنطق له الحق . ولكن ماهى الاحداث التى غيرت العالم وفق قوانين المنطق ...؟ الثورات ... الاديان وهى ثورات على امر واقع له قوة السلطة ...؟

قلت له : لا .. لا الشريفة . وليست لا اخت ميام بنت الحياة المصرية المتأمركة .. لا .. أيها المثقف .. فى عام ٥١ وقبل قيام الثورة ومع هذا الحادثفى قريتنا التى كانت تضرب يوميا برصاص الانجليز ... ومع هذا كان كل بيت يتمنى آن يكون فيه فدائيا ...

فى صباح يوم جاء بعض الفدائيين بعربة جيب من عربات الجيش الانجليزى وبها ضابط كبير ، ولما كانت الارض كلها مزارع وليس بها طريقا تسير فيه العربة فقد رأيت الاتى : كل رجال القرية الذين كانوا موجودين وقتها قاموا بعمل حمالات من الخشب للعربة .. وحملوها على أكتافهم حتى الصحراء الموصلة بين القاهرة والاسماعيلية .. وعندما حضر الانجليز لم يكن هناك اى دليل على سير العربة من هذا الطريق ، رغم تأكيد بعض العملاء لهم .. تذكرت هذه الحادثة ومعها معركة الشرطة وشعب الاسماعيلية ضد قوة الانجليز ..

ملحوظة : هذا الحادث معروف ، وكتب عنه . ولكنى لاأملك الوقت للبحث عن وقائعه .

ان شعبنا الطيب قادر على القتال ، شعبنا الذى بذل الدم فى ثورة ١٩١٩ .. شعبنا الذى باعت نساؤه حليهن لتسليح جيش عرابى .. والقتال معه ضد القوة .. شعبنا الطيب الذى يعرق ويبنى .. وهناك من يتاجر به فى بوتيك .. وفى شركات الاستيراد للملابس الجاهزة .. والبرفان .. وذلك من آجل قلة ترى أنها صاحبة الحق فى أن تفعل وتقول وتكسب .. وما على الفلاحين والعمال الان يعرف كل منهم من هو . ما هى رخصه العلمية .. وان يتعلم كل منهم عدم الحقد والحسد لاصحاب المكاتب .. لان هذا من فضل الله عليهم ... وتلك أكرامية من السادة عندما يتحدثون مع الفلاحين وعن الفلاحين ... ورحت اقلب كتاب فيتنام،واتساءل بين سطوره عن الاتى ....

هل عندهم ادب راق ، ومتقدم كما عندنا فى قصة الانسة ميام .. ؟

هل عندهم فى الادغال والاحراش أجهزة تكيف هواء ، ومكاتب مبطنة بالجوخ للسادة الذين خلقهم الله ليكونوا اسيادا فقط ؟؟؟

هل عندهم ورفعنا بعضكم فوق بعض درجات .. بالمفهوم العصرى المخالف للدين . وهو ان الدرجات بالعمل لابالتعالى ولا بالسلطة والا ماكان الرسول صلى الله عليه وسلم قال : سيد القوم خادمهم ...

هل عرفوا هم جوهر الدين ... فى الوقت الذى رحنا نحن ننادى بمنع الاذان من على المساجد فى الفجر لعدم اقلاق السادة آلهة الفكر الحديث .. الفكر المهزوم فى « موشى منه » من احلامهم السعيدة .. »

هل يعرفون ان العاقل هو من « يوطى » للريح القوية « من ينافق » . وترى لو انهم عرفوا هذه الحكمة العاقلة وتساءلوا مع أنفسهم هل نحن فى قوة اليابان ... وبعدها هل نحن فى قوة العالم الحر « زعماء بريطانيا وفرنسا وامريكا » هل نحن فى قوة أمريكا الذرية ... ؟ ترى لو كان العقل هو التكيف مع الواقع فهل كانت فيتنام « دين بين فو » مايو ١٩٥٤م

وهل ستكون هناك مدينة باسم « هوشى منه » بعد سنوات من القتال المرير ؟ وكمبوديا ذاك البلد الصغير الذى كانت أمريكا تتصور أنه لن يكون غير قاعدة لقواتها .. فاذا به مقبرة صغيرة لكل كبرياء القوة .. واذا بسيهانوك يقول « لابد أن نشكر نيكسون، لقد حول الشعب كله الى ثوار محاربين .. ؟ ترى من هو الرئيس الامريكى الذى سيوجه له الشعب العربى هذا الشكر يوما .. ما .. وأقول يوما .. ما . لان الدرس لابد أن يدرس لنا فى هذه المنطقة . ولن تتغير النتيجة . وان تغيرت الوسائل .. أنا لا أتمنى لشعب من الشعوب أن يحارب قضايا الشرف والكرامة وفق قوانين منطق العالم الغربى .. ولكن وفق الايمان والثقة والاعتزاز بالذات والمنطق الشعبى .

ترى ماذا كان مصير العالم لو ان كل فرد فيه تعلم المنطق . وفلسفة العقول الالكترونية .. وقاس آمال الشعوب بمقياس تجار الارض وسلع الطعام للبطون .... لقد عاملت سياسة مصاص الدماء العالم الحر « فعلا » الشعوب المناضلة وفق اختبارات معاملها ، ناسية ارادة الانسان ومشاعره وجنونه بحب أرضه وعرضه . تصور أصحاب المال الحرام .. من دم الشعوب الفقيرة مناجمها ، ثرواتها . هؤلاء الذين انفقوا فى قتل الانسان الحر فى ارضه ١٥٠ بليون جنيه ... لو كان هذا من دم الشعب الامريكى لما دفع منه قرشا واحدا ... ولكنه من مناجم النحاس ، وشركات النصب وشطارة العملاء .. وآبار البترول .. والسؤال هو ... هل يعرف العالم الحر زعما .. هذه الحقائق .. ؟؟ هل يعرف أصحاب العصابات . سواء كانوا دولا او جماعات . ان الظلام لايستمر ولايدوم مهما كانت أدوات قوته نفاقا أم ارهابا ... ؟

هل نستطيع ان نتعلم من فيتنام ...؟؟

الانسان هو القوة الذرية التى تملكها الشعوب الصغيرة والمضطهدة كما قال جياب ....

أن هذه القوة هى قوة الانسان المؤمن بالله وبنفسه وحقه فى الحياة فى ظل العدل ...

ان هذا الدرس لا يجب أن يمر علينا مر الكرام .. واقولها هنا من على منبر الطليعة لمثقفى مصر أبناء الفلاحين والعمال هؤلاء الذين مازالوا ينامون فى ظل لمبة الغاز الصفيح وليس فلاحين الجوخ .. وعمال مجالس الادارة ...

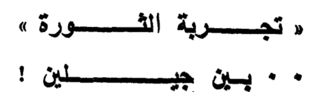
أقولها لهم اذا كانت الاعمار بيد الله ... واذا كنا نؤمن بالاسلام وهو يقول : لكل اجل كتاب .. فلماذا هذه السلبية ... لماذا التردد فى قول الحق .. لماذا لا نواجه هذه الجراثيم بالبتر حتى لا يصاب جسد الامة وروحها بالشلل لفترة قد تطول ... سيقول قائل : والله يقول ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة . اقول له ايهما خالد الروح ام الجسد ... ان الجبن والنفاق والسلبية هلاك للروح وحياة للجسد .. فأيهما أحق بالبقاء ... ؟؟ انا ارى الروح ... ولهذا اقول رأيى هذا متحملا كل تبعاته ...

أقولها هناك معركة مع أمريكا مع اصحاب الشركات ، مع التخلف الفكرى الرهيب مع كل أصحاب التطلعات الطبقية من تجار محلات البوتيك ، وتجار الكلام فى نفاق صحافة الغد .. الذى سيكون مشرقا رغما عنهم ، وعلى غير مايتصورون . ان ايمانى بالفلاح المصرى والانسان المصرى يجعلنى اقولها بكل صراحة لليسار الثورى أن التاريخ لن يغفر لكم بقاء هذه التربة الصالحة بغير غرس صالح حتى الان .. ان ثورة ٢٣ يوليو الحرة .. كانت ومازالت فى حاجة لنبات صالح فى ارض مصر ، لانه هو الضمان الوحيد لكى يمنع عنها جبالا من رمال التخلف ، تريد لها الموت لكى لايرهبها الامل ، عندما يرى النبات الشمس ، ويعرف معنى العدل والمساواة والعطاء .. انها تخاف فيتنام ، ونحن يجب أن نعشق درس فيتنام .. هل بلغت .... اللهم فاشهد ! .

متولى حسن الجندى

السبع آبار الشرقية عزبة أبو عساكر مركز الاسماعيلية

(٢) شـــاب يتحدث عن :



« تجـــربة الثـــــورة »
.. بـــين جيـــــلين !

محمـــد سـلماوى

محمد سلماوى : يعمل محررا بجريدة « الاهرام » منذ عام ١٩٧١ ، تخرج من قسم اللغة الانجليزية وآدابها بجامعة القاهرة عام ١٩٦٦ وعمل بها معيدا لمـدة خمسة اعوام قبل ان يستقيل ليلتحق بالعمل الصحفى ، يعد حاليا المرحلة الاخيرة من رسالة الماجستير فى الاعلام بالجامعة الامريكية .
من أسرة طبق عليها الاصلاح الزراعى وأممت ثمانى شركات صناعية وتجارية يمتلكها والده المرحوم المهندس سلماوى محمد .

ان اكثر ما يثير قلق الشباب هذه الايام ان يبدو وكأن بعض الاصوات التى كانت مستبعدة فى الماضى على أساس انها اصوات « الثورة المضادة » قد عادت تسمع من جديد ، داعية لالغاء فترة من أهم فترات تاريخ هذا البلد .. فترة لا تمثل الا عشـرين فى تاريخ مصر ، لكنها تمثل بالنسـبة للشباب تاريخه كله .

لقد اتسمت الحياة الفكرية والسياسية فى مصر منذ تولى الرئيس السادات واقصـاء « مراكز القوى » بقدر اكبر من الحرية لمختلف الاراء فى التعبير عن نفسها تمشيا مع مبدأ « حرية الرأى » وفكرة « تعدد المنابر » .

وبالرغم من ان جيلنا الذى نشأ فى ظل الثورة وتربى على مبادئها مازالت الغالبية منه تعتبر الاراء التى تعبـر عنهـا هـذه الاصـوات آراء « رجعية » ، بل وفى بعض الحالات « خائنة » الا ان ما يثير مخاوف هذا الجيل ليس تعبير هذه الاصوات عن آرائها فى حد ذاته .

ان المناقشـــات التى اصـبحت تدور بصفة منتظمة داخل قاعات وساحات الجامعة تشهد على ان الشباب ليس فقط اكثر قطاعات هذا الشعب ايمانا بحرية الرأى وتعدد المنابر .. وانما هم أيضا أكثرها ممارسة لهذين المبدأين .

على ان الخوف هو من ان يختلط الامر ، فتستحوذ هذه الآراء على الحرية كلها والمنابر كلها ايضا ، فتجهض المبادىء التى عادت تعبر عن نفسها من خلالها .

فعلى سبيل المثال كانت هذه الآراء حتى وقت قريب مركزة داخل منبر صحفى واحد وكان هناك ما يشبه الحوار غير المعلن بين هذا المنبر بما يعبر عنه من اتجاه وبعض المنابر الاخرى التى تختلف فى منطلقاتها الاساسية عنه .

الا ان شيوع هذه الاراء فى أغلب المنابر الصحفية ، باستثناء منبر واحد أو اثنين من بينهم هذه المجلة ، افقد بعض هذه المنابر اتجـاهها الرئيسى ، وخطها الواضح ، فتحولت الفكرة من « تعدد المنابر » الى « تمييع المنابر » .

جمهورية « أفلاطون »

وتزعم هذه الاراء فى حملتهــا انهــا تقــوم بعملية « تقييم » لتجربة الثورة فى أعــوامها العشرين الاولى ، وهى عملية بلا شك مرغوبة ، بل وحتمية أيضا .

لكن أهم ما يميز حملات « التقييم » التــى نشهدها اليوم ــ سواء ما جاء منها من اليمين أو ما جاء اخيرا من بعض اجنحة اليسار ــ انها لا تقيم الا سلبيات التجربة فقط .

فلكل تجربة سياسية أو نظام حكم ، سواء كان قائما او زال نصيبه من السلبيات ونصيبه من الايجابيات . والقول بأن نظاما ما ينطــوى على سلبيات ، لا يعيب هذا النظام فى شيء لان ذلك يكون تقريرا للواقع . لكن عندما لا نرى فى هذا النظام ــ لسبب شعورى أو غير شعورى ــ الا سلبياته فقط ، فان ذلك يعيبنا نحن فى الكثير ، لانه يكون تزييفا للواقع .

ان مصر شهدت حوالى ربع قرن من التحولات الجذرية والتطورات العظيمة التى نقلتها من عصر الى عصر آخر ، فأين حملات « التقييم » من انجازات الثورة الداخلية والخارجية ؟ أين هى من محاولة الثورة تطبيق العدالة الاجتماعية فيما حصل عليه العمال من مكاسب ، وما حصل عليه الفلاحون من حقوق ؟ وأين هى من مبدأ تكافؤ الفرص وما حصلت عليه طبقات الشعب الكادحة من مجانية التعليم وحق العمل ؟ أين هى من انجازات الثورة فى مجال التصنيع وما تحقق للبلاد خلال الخطة الخمسية الاولى التى شهدت تقارير الهيئــات الدولية [البنك الدولى] على ضخامتها ؟

ثم اين حملات « التقييم » هــذه من القوميــة العربية والتزام مصر العربى الذى استحدثته الثورة وحركة التقدم التى تفجرت فى العــالم العربى كله بعد الثورة ، والاستعمار الاجنبــى الذى « حمل عصاه ورحل » من العالم العربى بفضل الثورة ؟ أين هى من دور مصر القيادى بين دول العالم الثالث ووزنها فى السياسة الدولية ؟

ان مــن أهــم مســتلزمات « التقييم » صفة « الموضــوعية » التى تعبر بدورهــا عن الواقعية . ولكى نكون واقعيين يجب أن نتذكر أن الانسان منذ بدأ يعرف التجارب السياسية والنظم الاجتماعية ، وحتى وقتنا هذا ، لم يصل بعــد لتحقيق مثالية « يوتوبيا » افلاطون .

صاحب التجربة

ان مشكلة « الهوة بين الاجيال » التى تواجهها المجتمعات الغربية فى الوقت الحالى على المستوى الاجتماعى يواجهها مجتمعنا على المســتوى الاجتماعى والسياسى فى نفس الوقت ، وذلك نتيجة للتطورات التى شهدها فى العشرين عاما الاولى من الثورة .

فهذا الجيل دون غيره هو صاحب « تجربة الثورة » ، واذا لم يكن هو مفجرها فهو الذى تفتحت مداركه على مبادئها وقد شاهد بعض هذه المبادىء يتحقق امامه كالمعجزات ، وشاهد البعض الاخر تبوء محاولات تحقيقه بالفشل فتفاعل معثمار النجــاح وآثار الفشــل بنفس القــدر وتبلورت شخصيته السياسية والاجتماعية من خلالهما معا

ونتيجة للنقلة التاريخية الهائلة التى مر بها هذا الجيل ، فان مفاهيمه السياسية والاجتمــاعية اختلفت اختلافا هائلا ايضا عن مفاهيم الجيــل السابق . فجيل سمع نتيجة لثورة مفــاجئة عن « شعار » ينادى بالاشتراكية وآخر ينــادى بالقومية العربية ففهمهما او لم يفهمهما ، وجيل آخر كانت التجربة الاشتراكية والقومية العربية جزءا من تكوينه الفكرى والوجدانى .

ولذا فان جيلنا سيظل يرى ان انتمــاء مصر العربى اكبر بكثير من محاولة الحصول على اكبر قدر من الريالات السعودية والدينارات الكويتية « تعويضا عما دفعته مصر للعرب خلال العشرين عاما الماضية » .

وسيظل يرى ان الاشــتراكية اعم بكثير من مجرد « حملة طائشة من التأميمات » .

والسد العالى ، الذى كان ايضا احــدى الموضوعات المفضلة لحملة « التقييم » ، أهم بكثير من « الاثار الجانبية » التى اكتشــفتها هــذه الحملة .

فانتماء مصر العربى ، كما آمنا به ، هو عطاء قبل الاخذ وهو مصير قبل الاختيار ،وهو حتمية التصدى للدفاع عن العرب جميعا : فلسطينيين وسوريين ويمنيين وجزائريين ، فالعالم العربى كل لا يتجزأ .

والاشتراكية هى اذابة الفوارق بين الطبقات فى محاولة لتجنب دموية الصراعات الطبقية ، وهى مجانية التعليم ومشاركة العمال فى ارباح الشركات وهى القضاء على الاقطاعية ورأس المال المستغل .

والسد العالى ، بصرف النظر عن الافدنة التى سيمكن استصلاحها بمياهه ، وبصرف النظر عن الكهرباء التى سيمكن بمقتضاها كهربة نجوع

وكفور الريف المصرى ، وبصرف النظر عما أشار اليه الرئيس السادات فى أحد أحاديثه من كارثة كانت ستلم بمصر عام ١٩٧٢ بسبب انخفاض معدل الفيضانات لولا وجود السد ، فان السد العالى كان وسيظل رمزا فى وجدان هذا الجيل للكرامة المصرية فى مجابهة محاولات التحكم الاجنبية ورمزا للارادة المصرية فى مواجهة محاولة فرض القيود عليها .

وربما كان من أعظم نتائج الثورة أنها خلقت جيلا جديدا مؤمنا بمبادىء ومواثيق الثورة سواء ماتحقق منها او ما لم يتحقق .

وعلى جيل الاباء الذى يزعم الان أنه يقوم بعملية « تقييم » لتاريخنا ، ان يتعرف على التيار الهائل الذى اصبح يجمع بين ابن الفلاح وابن مدير الشركة ، وبين ابن مصر وابن سوريا ، والا فستظل جميع المبادىء التى تتحكم فى مستقبل العالم العربى والتى صنعتها ثورة مصر مجرد «شعارات» بالنسبة لهم ، يطالبوننا نحن بالتصدى لها بعد ان عجزوا هم عن فهمها .

ان الشباب ليس فقط صاحب المستقبل . وانما هو ايضا صاحب الماضى . فالتجربة هى تجربتنا نحن ، ومحاولة بعض الاصوات القادمة من جيل آخر التعرض « لتجربة الثورة » بالتجريح تحت دعوى « التقييم » انما يتطلب من جيل الثورة توضيح الحقائق وتصحيح الافكار ومواجهة الموقف الغريب الذى يصبح فيه الابن اكثر نضجا من الاب !

(٣) مقاتل يتحدث عن :

هؤلاء الرجال [العظام] ووفودهم الطائرة

أحمد عنتر مصطفى *

يستعير الشاعر احمد عنتر مصطفى اسم فيلم كوميدى ليتحدث عن الوفود الثقافية والادبية التى تمثل مصر فى المؤتمرات الدولية ويكتب الشاعر عن مشاركة مصر فى مهرجانات فنية وأدبية ثلاث .. محاولا أن يقدم تقييما موضوعيا لهذه المشاركة ، وللوفود التى شاركت فيها ممثلة لمصر ..

... وهذا اسم قديم لفيلم سينمائى كوميدى شاهدته القاهرة منذ سنوات اتخذناه عنوانا لهذه السطور بعد أن أبحنا لانفسنا حق التعديل البسيط .. فقد كان الاسم : [هؤلاء الرجال العظام وآلاتهم الطائرة ..] وقد كانت الآلات مضحكة وغريبة حقا !! شأنها شأن الوفد المصرى الطائر الى اى مؤتمر أو مهرجان ثقافى .. فهو مركب تركيبة تثير الضحك والاسى معا !! نذكر ايضا كم كنا نضحك ونحن نرى — فى الفيلم — هذه الآلات العجيبة

(*) شاعر شاب شارك مقاتلا فى القوات المسلحة خلال حربى ١٩٦٧ وطوال حرب الاستنزاف .

تتهاوى وتتحطم وتتساقط قطعا .. قطعا كلما صعدت الى السماء بمجرد لقائها بالريح .. او حتى النسيم .. – اتولنذكر اذ ان ذاكرتنا لازالت رغم غيبوبتها تعى وتلتقط ما هو مضحك لانه قليل ونادر – .. ويبدو ايضـــا ان المسئولين عن قطاع الثقافة يتعمدون مثل ذلك ترفيها عن العالم العربى بأحزانه وهمومـــه الثقيلة الدائمة .

ولقد مل القلم ! وضاقت الصفحات من ترديد عبارات الضيق بالوضع الثقافى فى مصر .. واصبح من فضول القول كل ما يكتب على هذه الوتيرة .. ولكن ما حيلتنا – وقـــد رضينا – كرها – من الغنيمة بالاياب – ما حيلتنا وقد تدفقت علينا عبقرية الاختيار التى لا تخطىء بأسماء فذة تنظم عقدا لؤلؤيا فى جيد كل مؤتمر .. وتلمع وميض ذكائها شمسا فى كل مهرجان ؟؟ !!

هى ظاهرة يجب ان نعيرها التفاتا شأنها شأن كل الظواهر السلبية التى انتثرت بثورا على جسد الثقافة المصرية المسجى .. لا يمكن ن نغمض عيوننا ازاءها .. وهى ايضاالانفصل من كل لا يتجزا من هموم الثقافة المصرية .. تلك الاقطاعية المترامية الاطراف التى يديرها [كقطاع خاص] – وهذا زمن القطاع الذنبى الخاص – افراد اعلنوا الوصاية عليها واقاموا حولها وامامهم المتاريس واطلقوا الاتهامات واستماتوا بشكل منقطع النظير .

نكون من البلاهة بمكان مرموق لو اوضحنا، او تعرضنا ، او شكونا كيف تلعب الاهواء الشخصية والشللية والخواطر دورا هاما فى تشكيل اى وفد مصرى لاى مؤتمر او مهرجان او احتفال ثقافى ..فليس من الخفى لاى عين – مهما رمدت – ان تنفذ او تلمح اعمـــاق السياسة الثقافية فى مصر وخطواتهاالرائدة!!
كذلك لا يغيب عنصر الانتقام – الوجه الاخر للعملة – عن هذا الاختيار الفريد .. واعنى بهذا العنصر ان كثيرا من ادباء مصر وكتابها وشعرائها يتعرضونللحجب والمنع والاستبعاد من قوائم الوفود لخلافاتهم الفنية والفكريـــة وآرائهم الشخصية والموضوعيـــة فى وزارة الثقافة وسياسة القائمين عليها .. وبما ان هؤلاء الاخرين باقون فى وزارة الثقافة – بقاء لبد – فلا نظن اننا سنسمع فى القـــريب او البعيداسماء جديدةشابة، وعقولاواعيةمنفتحة ممثلة لاسم مصر الحبيب .. اظننا لن نسمع سوى ذلك الطنين المكرور وتلك الاسطوانة الباهتة المشروخة التى يرفضهاشباب المؤتمرات والوفود الاخرى التى تواجهها بالحقيقة .

وانا بصفة شخصية لن ادهش – وقد لا يدهش معى العالم العربى – لو طالعتنا اسماء مثل [**تابط شرا**] او [**الحارث بن حلزه**] او [**علقمـة الفحـل**] فى قائمـة وفـد مصر فى المهرجان الشعرى القادم .. فهؤلاء – مع الاعتذار لاصحاب الاســماء الحقيقيين – موجودون بالفعل وكثيرا ما تقابلهم فى الطريق العام المؤدى الى مجلة [الثقافة] المصرية !! لن ادهش .. ولكن ربما أبكى !!

ثلاثة مهرجانات او مؤتمرات فنية وثقافية تزاحمت مناكبها على امتداد الساحة العربية جغرافيا بين **سوريا وتونس والجزائر** .. وكانت هذه الظاهرة ممثلة هناك بشكل يثير الالم ان لم يثر الخزى .

ففى دمشق انعقد مهرجان المسرح بعـــد غيبة طويلة بسبب ظروف يونيو وما تلاها على مسرح الاحداث العربى..واخيرا اطل المهرجان ..فبماذا احتشدت له مصر [طليعة الامـــة العربية الثقافية] ؟؟ لا نجد تفسيرا لاختيار العمل الفنى المصرى المقدم والممثل لثقافة هذا الشعب المناضل الطيب .. لا نجد تفسيرا لاختيار مسرحية [أقوى من الزمن] سوى انها مسرحية **يوسف السباعى** . وانا قرأت صغيرا [الســقامات] و [بـين ابى الريش ..] و [**يا أمة ضحكت**] فأعجبت بالاستاذ **يوسف السباعى** قاصا .. وقرأت مراهقا وشـــ[illegible] المطولات الذهبية فعرفته روائيا .. وأعرف ان له محاولات فى معالجة المسرحية .. اما [أقوى من الزمن] فهى ليست مسرحية من الاصل .. وللسيد الوزير ان يكتب قصصا [تمسرح] او مسرحا [يقص] ولكن لنا ان نتساءل ونضج بالشكوى و[illegible] : **هل هذه المسرحية هى النموذج الجيد – فضلا عن** الامثل – لهذا الفن الشامخ الذى [illegible] **السيد الوزير يعرف ما اسهمت مصر به فى هذا الميدان بين شقيقاتها الناهضات ؟؟؟**

ثم نتساءل : كيف يتسامح فنان ويتساهل فى ان يقدم عمله على هذا النحو المتهرىء الذى ظهرت به المسرحية فى المهرجان كما كتبت الاقلام ونقلت الصحف .. ان المسرحية انتهى عرضها بالقاهرة منذ مدة – ولنترك تقييممدى نجاحها بالقاهرة حتى تؤهل للعرض فى مهرجان – انتهى عرضها بالقاهرة منذ فترةطويلةوتفرق ممثلوها وطوى النسيان ذلك النص فى متاهات الذاكرة مما جعلهم حديث المهرجان واوقفهم – واوقف مصر – موقفا لانرضاه لهم او لها .

للمجاملات والخواطر ان تزدهر في هذا الزمن الاغر .. فكثيرا ما يسافر **صالح جودت ورامي وعبد الغني حسن** الى مهرجانات الادب .. وقريبا جدا مثلتنا مسرحية [**محاكمة عم احمد الفلاح**] في مهرجان مسرحي فتلقينـا اللعنات والصفعات من المغرب العربي .. للمجاملات والخواطر ، ان تزدهر في هذا الزمن الاغر .. ولكن وجه مصر الذي تدعون عبادته — يا سادتي — يندى خجلا .. يكفي ان وفدا مصريا لمهرجان المسرح يخلو من اسماء رائده مثل [**لويس عوض**] — الذي فاتها ومضى — او [علي الراعي] — الذي يتأرجح بين الرحيل والمقام — يكفي ان مسرحيات محمود دياب لا تقدم في مهرجان كهذا .. وكم تكون الطعنة دامية وقاتلة حينما يفاجئنا الاخوة الكويتيون بذلك العرض المسرحي الرائع لمصري شريد اسمه [**الفريد فرج**] .. صاحب [على جناح التبريزي وتابعه قفة] التي صفق لها المهرجان ولقيت نجاحا باهرا .. هل انزف ، فأزيد ، فأقول ان **نعمان عاشور** سافر الى مؤتمر الادباء بالجزائر ضمن الوفد المصري وليس ضمن وفد المسرح في دمشق !!

لا ليس تخبطا وليس ارتجالا بقدر ما هو جريمة في حق هذا الوطن الذي لا يطعنه الا ابناؤه وبالنظاعة الجراح !!

●

وفي مهرجان ابن رشيق بالقيروان كان هناك وفد يضم الدكتور **حسين نصار** ، والشاعر **حسن كامل الصيرفي** [وهو من آخر الخليط بين المهجرين وشعراء ابو للو] والشاعر عبده بدوي .. وقد قام الاخيران باتحاف المجتمعين بقصيدتين الاولى [ميمية] للشاعر الصيرفي والثانية [بائية] للشاعر **عبده بدوي** يجدهما الباحث والمدقق منشورتين بمجلة **الهلال** الغراء عدد مايو الماضي [وربما اي مايو آخر] .. وقد تصدت مجلة **الهلال** بشجاعة لجمع مثل هذه القصائد المذهبة القوافي ضمن كنوزها العامرة .. جزاها الله عن الثقافة خيرا .

●

ويطير **عبده بدوي** على براق آلي — واعني طائرة — او على اجنحة ربات الشعر ليلحق بالوفد المصري في مؤتمر الادباء بالجزائر .. لينتظم اسمه ضمن الصفوة المختارة : الشاعر **صالح جودت** رئيسا لوفد مصر [الذي يضم بينه شاعرا رائدا هو صلاح عبد الصبور] تبدو المعادلة صعبة !! ولكن نهرع الى التراث نجد **خالد بن الوليد** القائد يحارب تحت امرة **ابي عبيدة بن الجراح** [قياس مع الفارق !!]

.. والشاعرة **ملك عبدالعزيز ونعمان عاشور** !! **واسماعيل ولي الدين وعبد العزيز الدسوقي ويوسف الشاروني ومختار الوكيل** [!!!] **والحساني عبد الله** [المهر الجامح في فلوات الشعر] .

ولن نتعرض لاسماء ادبية وشعرية تختفي دائما امام تلك الكوكبة المغيرة من فرسـان القرون الاولى !!!

ولكن الوفد الضخم هذا .. دائما تسمع منه جعجعة ولا ترى طحنا .. اغلبه قـدم للسياحة والنقاهة والاستشفاء وشراء المقتنيات ككل الوفود الثقافية التي تطوى معاطفهـا وحقائبها من والى المطار .. ويبدو ان **صلاح عبد الصبور** احس بالغربة في هذا الحشد فلم يحضر الا امسية الشعر الاولى .. وابتلع على مضض قصيدة **صالح جودت** واسرها في نفسه ولم يكرر الحضور .. وقصيدة **صالح جودت** تجدها في **الهلال** عدد مايو ضمن مقرراتـه الشهرية على القارىء العربي الذي ولا شك يتمتع بصبر طويل ورثه عن الجمال العربية .. هذه القصيدة هي نفس القصيدة التي قالها **صالح جودت في اليمن** في الستينيات والتي قالها في **تونس** في العام الماضي والتي سيقولها في مدرج جامعة **القدس** لو دخلتها الجيوش العربية مع تعديل طفيف في القافية .. وشارك **عبد العزيز الدسوقي** ببحث عن ملامح الثورة في الادب العربي !! واسهم **مختار الوكيل** بقصيدة انتقدها شريكه **الحساني عبد الله** بأنها مضحكة للغاية !! حيث انها مليئة بالاخطاء العروضية !! وعبده بـدوي — الطـائر — عارض اباتمام ببائية يقف لها شعر الرأس من ايغالها في السوء .. لم يشترك **صلاح عبد الصبور وملك عبد العزيز** بشعرهما الحديث ولاذا يقول المتنبي [قد افسد القول حتى أحمد الصمم] ..

ونتساءل : هل هذا هو الشعر المصري .. وهل هذا هو الوجه الحقيقي والنبض الرهيف لمشاعر وأحاسيس هذه الامة التي لازالت تعتز وتزخر بشبابها وقدراته على العطاء ؟؟ !!

وتكون الطامة الكبرى حينما يقف **الحساني عبد الله** ليلقي قصيدته في مهرجان الادباء بالجزائر ويهاجم **الناصرية** بأسلوب فج واضعا كرسيه في اتجاه التيار وهو ليس ذكيا ولن يكون — اذ حسب ان شعر الرفض قد يخلق منه شاعرا **كنزار قباني** مثلا .. اذ ليس كل الخشب يصلح ان يكون نايا أو مزمارا .. هاجم **الحساني الناصرية** بشتائم وسباب **لا نقف عنده .. ولكن القاعة استطاعت ان تجبره على السكوت عندما**

ضجت بأصوات الاحتجاج من الشباب الجزائرى الذى قام بعض افراده بانزاله من المنصة قبل ان يكمل قصيدته وقد احتجت وانسحبت بعض الوفود العربية .. كسوريا ولبنان واليمن .. وكتب على هاشم رشيد مذكرة نيابة عن الوفد الفلسطينى ورفعها الى السيد يوسف السباعى احتجاجا على هذه الواقعـــة . ولن نعـــرف بالطبع مصير هذه المذكرة !! .

ان سلسلة الجرائم التى ترتكب فى حق مصر وتاريخها وثقافتها ودورها القيادى تأبى ان تنتهى .. ودائما تحفظ الملفات فلا يحاكم مرتكبوها .. وللسادة ان يسيئوا اختيـــار الحواريين ولكن عليهم الا يخطئوا المكان المناسب للجريمة ــ فليس اقل من ان يتذكروا هذا القول الخالد « واذا بليتم فاستتروا » ..

ودائما تعود الوفود .. وتهبط الطائرات وهى تحمل الحقائب وعلى الوجوه ابتسامة .. هل يعلمون ان مصر تحنى رأسها خجلا وتضم جرحها النازف .. وربما تسقط عيناها ذابلتين فى مواطىء تدميها .. هربا من لقاء هؤلاء الرجال العظام ووفودهم الطائرة .

(٤) عامل يتحدث عن :

شـــرط النصـــاب المـــالى فى المرشـــحين للعمـــدية

عطية الصيرفى *

وعندما يتعلق الامر بمصالح جماهير الفلاحين ، فليس من الغريب أن يتقدم احد العمال ليدافع عن مصالحهم .. ومن هذا المنطلق يقـدم عطية الصيرفى ــ عامل نقل ــ تعقيبا حول شروط انتخابات العمد .

من المؤكد أن أجراء الريف وفلاحيه هم أغلبية شعبنا المصرى التى تغذى كل مجالات الحياة فى بلادنا بما فى ذلك قواتنا المسلحة بالايدى العاملة والقوى البشرية التى هى أغلى رأس مال ..

ومن هنا فليس مقبولا ابدا أن نظل هذه الاغلبية الكادحة تحت وطأة نظام غير ديموقراطى ، هو نظام منحدر من عهد الاقطاع ، وتعنى به نظام العمد الذى يقوم على اشتراط النصاب المالى لمباشرة وظيفة العمدة .

وهؤلاء العمد الذين يحكمون الريف المصرى بفقراه وكفوره ونجوعه وعزبه منذ عهد محمد على

(*) عامل بشركة اوتوبيس وسط الدلتا .

الى الان لهم تاريخ حافل بالتسلط على الحركة الفلاحية والوطنية .. فبواسطتهم وببركاتهم تفشت السخرة فى الحياة المصرية حيث كانوا يربطون الفلاحين قطارات بالحبال لحشدهم بساحات السخرة والعمل الاكراهى فى حفر الترع والمصارف والرياحات وفى شق قناة السويس وفى خدمة الجيوش البريطانية ومعسكراتها بالشام والاناضول . وقد أدى هذا الى موت الالاف من الفلاحين وعلى سبيل المثال فقد مات أثناء حفر ترعة المحمودية وحدها ١١٥ ألف اجير وفلاح بسبب قسوة العمل وارهاقه ..

وبواسطة بعض هؤلاء العمد ايضا اهدرت الحريات الشخصية للفلاحين بمصادرة تنقلاتهم بالاضافة الى خنقهم لكل هبات الفلاحين الوطنية والاجتماعية الامر الذى أدى الى اغتراب الجماهير الريفية الكادحة حيث عاشت حياة الغربة الاجتماعية بعيدا عن التطورات الاجتماعية وتغييراتها .. كل هذا — بالطبع — حدث فى الماضى ..

ومما يحزن أن بعض القوى بدافع من مصالحها الذاتية والانانية تحاول تثبيت هذه الوضعية غير المنطقية فى ريفنا خلال مناقشات قانون العمد الجديد فى لجنة الامن القومى بمجلس الشعب بدعوى ضرورة اختيار العمده من العائلات الريفية القوية التى تملك الجاه والثراء والنفوذ ، حتى تتمتع شخصية العمدة بالمهابة والخشية واحترام القادة . ولهذا فسوف تسود العنصرية العائلية وتتضخم مصالح شباعى الريف على حساب الجماهير الفلاحية الكادحة الاكثر عددا والاشد فقرا وذلك وفقا لبعض الاراء التى أبديت فى المناقشات المذكورة التى انتهت الى موقف وسط يتضمن ضرورة وجود شرط النصاب المالى للمرشحين للعمدية على أن لا يقل هذا النصاب عن خمسة أفدنة من الملكية أو عشرة أفدنة حيازة بالايجار أو دخل ثابت لا يقل عن عشرين جنيها فى الشهر ..

ولا يعنى هذا غير ابعاد الجماهير الفلاحية وطردها من ساحة المشاركة فى ادارة شئون بلادها لان الاغلبية الساحقة فى الريف المصرى اما معدمة تعيش من قوة عملها واما تملك أو تستأجر قراريط معدودة من الارض الزراعية ..

والشىء المؤسف أن هذه الجماهير المبعدة والمطرودة من حق المشاركة فى ادارة شئون بلادها هى التى تصنع الحياة والخضرة فى الريف وهى التى تشارك بأرواحها مشاركة تتجاوز أكثر فأكثر مشاركة غيرها فى العمل القتالى والعسكرى لتحرير الوطن ..

ولهذا تستبد بنا الدهشة عندما نرى أن يتم هذا الطرد وذاك الابعاد بواسطة مجلس الشعب حصن الشرعية والديمقراطية الامر الذى يدعونا الى تنبيه اعضاء هذا المجلس الى مراجعة قانون العمد الجديد بشكل فورى وتخليصه نهائيا من المزايا الطبقية ممثلة فى شرط النصاب المالى للمرشحين للعمدية وهذا الشرط الطبقى الذى لا يتواجد أبدا فى نظام العمد فى اى بلد يحترم الديمقراطية ومن ثم لا تنفرد شريحة او طبقة اجتماعية بالسلطة التنفيذية فى ريفنا مع ملاحظة أن ذلك يتنافى مع الدستور ومواثيق ثورة ٢٣ يوليو ، ويخل بالتحالف الوطنى ويجهز عليه ..

وبهذا يسجل مجلس الشعب موقفا ديمقراطيا فى التصدى للقوى الداعية للاخذ بفكرة السيادة دون فكرة الحرية . هذه القوى التى تحاول دائما أن تعطى الافضل للشباعى والاغنياء والاسوأ للجماهير الكادحة حفاظا على مصالحها وامتيازاتها ..

وهذا الموقف لا تتجلى موضوعيته فقط فى ترسيخ مبدا تكافؤ الفرص بين طبقات المجتمع المصرى بل يتجلى ايضا فى اشاعة الديمقراطية فى الريف المصرى حيث يظهر الوعى ويزداد فتبارح الجماهير الفلاحية عزبتها فورا لكى تشارك بحماس فى ادارة شئون مصر المتحررة والديمقراطية باعتبارها الاغلبية وباعتبارها قوى منتجة ..

ومن ثم يعود فلاح مصر الفصيح ممثلا فى شخصية العمدة الجديد الذى يجيد فن الادارة الديمقراطية بحيث لا يباشر مسئولياته بالفلكة والكرباج، وبتسلط المشد وشيخ الخفراء ، ولكن يباشرها بالبساطة والقناعة وبباس الجماهير الريفية وفهم نفسيتها لانه ادرى بها من العلماء والفلاسفة لانه اجير او فلاح فقير .. وفى هذا تحقيق لقول القرآن الكريم ودعوته للديمقراطية « ونريد ان نمن على الذين استضعفوا فى الارض ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين » ..

التجـــربة النـــاصرية
بـين الرؤيــة التــآمــرية للتــــاريخ
واســتخفاف الفلاســفة بعــلم الســياسة

وجيه ضياء الدين *

بهذا المقال تفتح « الطليعة » منبرا جديدا للحوار حول مقالات د. فؤاد زكريا عن « عبد الناصر واليسار » .
وجيه ضياء الدين ، كاتب شاب ، يعلق على هــذه المقــالات محاولا أن يبحث عن اسباب « الموضوعية » المفتقدة فى مقالات د. فؤاد زكريا ، منتقدا ما أسماه بمحاولة تحميل كل أخطاء الماضى « على شماعة التجربة الناصرية » .

وسط جدل يحتدم بيننا ومن حولنا عن تقييم ثمانيه عشر عاما من عمر وطن ومسيرة أمة ، يدخل الحوار فارس جديد هو الدكتور فــؤاد زكريا .

ولقــد اختار مفكرنا أن يدلى بدلوه بطريقــة متميزة . فقد ظلت مجلة لها مكانتها مثــل روزاليوسف تكرر الاعلان عن « دراسة » عهدت بها « لباحث مستقل لا يدين بغير الحقيقة بمقاييس البحث العلمى المجرد » حول قضية لها أهميتها وخطورتها . وتابع القراء « ثلاثية د . فــؤاد زكريا » . فاذا بهم أمام مجموعة من التعميمات والاحكام المسبقة الجاهزة التى لم يكن نشرها يتطلب هذا الجهد الاعلانى من قبل المجلة ، ولم يكن الوصول اليها يستدعى هذه المعاناة الفكرية من قبل باحث ممتاز ومفكر جاد مثل أستاذنا د . فؤاد زكريا .

ويبدو أن المجلة نفسها قد استشعرت هذه المفارقه ، فبعد أن كانت قد وصفت ما تنشره بأنه « دراسة » فى الحلقة الاولى ، عادت فوصفته بأنه « تحقيق سياسى مثير » فى الحلقة الاخيرة . ومن الواضح أن هناك فارقا كبيرا بين الوصفين .

على أن هذا كله لا ينفى أن معالجة د . فؤاد زكريا تظل متميزة عن غيرها ، ولذلك فان الحوار الجاد معه حق له على قارئه .

١ ــ بدأ د . فؤاد زكريا معالجته بمحاولة اقناع قرائه بموضوعيته ، فبرأ نفسه ــ بطريقه تذكرنا بالطريقة العباسية الاسوانية (نسبة الى عباس الاسوانى) ــ من شبهة الرجعيــة والجبــن والانتهازية . لكنه ينهى مقدمته بقوله أنه « يود أن يكتب عن الناصرية كتابة فيها جانب سلبى » . وتلك عبارة يمكن للمهتمين بدراسة المفاتيح اللفظية أن يتأملوها وأن يختلفوا حول دلالتها ، لكن احدا لا يستطيع أن يزعم أنها دليل على موضوعية كاتب حرفته التدقيق فى اختيار الكلمات . ومن حق القارىء هنا أن يضع علامة التعجب بعدها لينهى بذلك حديث الكاتب المسهب عن مــوضوعيته ، وليستنتج د . فؤاد زكريا من ذلك مدى قدرته على اقناع القارىء بموضوعية .

وبغض النظر عن هذه الملحوظة التى أسلم بأنها شكلية ، والتى قد يرى فيها فريق آخر دليل على شجاعة الكاتب الادبية ، فان الحوار مع د . فؤاد زكريا حول الموضوعية ينبغى أن يدور على أرضية

* باحث بمركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالاهرام

المؤرخ ، فدراسته دراسة تاريخية في المقام الاول • وهنا ينبهنا الكاتب الى أن « تقييم السياسات على أسس أخلاقية هي نزعة مثالية لا يصح أن يكون لها مكان في أية نظرة علمية » • ونحن نتفق معه في ذلك لكننا على استعداد للحوار معه حول مدى امكانية الموضوعية في التاريخ • فالقضية ليست ما اذا كان تقييم السياسات أخلاقيا صواب أم خطأ ، وانما هي ما اذا كانت الموضوعية ممكنة أم مستحيلة •

فمن ناحية يسلم المؤرخون بالحاجة الى الموضوعية في عملهم ، والا لما كان هناك فارق بين التاريخ والدعاية ، لكن معظم الثقاة من المؤرخين يؤكدون من ناحية أخرى أن الخلافات بينهم تنبع من العناد ، وربما التعصب بحكم تشبع كل منهم لنظرية يعتبرها الكلمة الاخيرة بينما يرى في غيرها الخطأ المطلق •

وإزاء ذلك ، يطرح علماء المناهج ثلاث بدائل أو مواقف :

● أن نسلم بأن المؤرخين لا يتأثرون بعوامل ذاتيه فحسب ، بل ينبغي ان يتأثروا بذلك ، فكل مؤرخ ينظر الى الماضي من وجهة نظر معينة لا يستطيع تجنبها ومطالبته بغير ذلك يعني مطالبته بتغير طبيعته • وبالتالي فالخلافات بين المؤرخين لا تعني في صميمها بما هو صحيح أو مزيف ، بل بما هو مرغوب أو مرفوض ، ومن ثم ينهار تماما الادعاء القائل بامكانية دراسة التاريخ دراسة موضوعية •

● أن نقر بأن الموضوعية في التاريخ مختلفة تماما عن الموضوعية في العلم • فبينما يهمل جميع المؤرخين المؤلفات المتعصبة الواضحة الميول ، فانهم لا يؤيدون بوضوح النموذج المجرد الخالي من التفكير الذاتي • وبمعنى ما يمكن تشبيه عمل المؤرخ هنا بعمل الفنان ، أي انه تعبير عن شخصية صاحبه • ففي الحالتين هناك الانتقائية التي تعني وبالضرورة الذاتية • واذا كانت ذاتية الرؤية التاريخية لعنة ، فانها اللعنة التي لابد من قبولها على علاتها ، فالتاريخ غير منفصل عن المؤرخ وتمييز الموضوع عن الذات هنا لا يعدو أن يكون تمييزا شكليا •

● أن نقنع بأن عجز المؤرخين عن الالتزام بالموضوعية حتى الان لا يعتبر دليلا على استمرار عجزهم • وهذا الموقف يعول كثيرا على ما يحققه العلم من تقدم مضطرد في دراسة وتحليل الطبيعة الانسانية ، لكن الواضح أن هذا البديل لا يقدم حلا للمشكلة ، اذ ستظل الموضوعية في التاريخ مرهونة بامكانية تحقق الموضوعية في دراسة الظواهر الاجتماعية •

واضح اذا أن فكرة الموضوعية في التاريخ في حاجة الى تمحيص نقدي دقيق • واذا كان د • فؤاد زكريا قد حاول الخروج من هذا المأزق بابتداع ما أسماه « بالموضوعية الثورية » فليس هذا حلا للمعضلة . فواضح مما سبق أن العلم لا يعرف الحاق صفة أخرى بمفهوم الموضوعية ، والا لكان هناك في مقابل الموضوعية الثورية موضوعية أخرى ، ولتكن مثلا الموضوعية الرجعية • واذا عرفنا انه ليس هناك فارق بين التعريف الذي قدمه لموضوعيته الثورية ، والموضوعية بمعناها العلمي لجاز لنا تفسير اصراره على هذه التسمية بأنها حكم مسبق على أي اختلاف معه في التفسير ، ومن ذا الذي يستطيع أن يغامر بالخروج على « الموضوعية الثورية » فتلك اذا وسيلة قمعية ضمنية لا مكان لها في حوار علمي •

أما عن تأكيده على التزامه بالموضوعية الثورية ، فانه لا يشكل ضمانا لالتزامه بها • ففضلا عن عبارته التي سجل فيها نواياه المسبقة ، فان مضمون دراسته ـ كما سنرى ـ لا يتفق وتأكيداته وفي كل الحالات فان علينا ألا ننسى انه من المستحيل أن نجد كاتبا يعلن عزوفه عن الالتزام بالموضوعية • وفي عبارة واحدة ، فان على كاتبنا أن يقتنع وأن نقنع معه بأن ما قدمه لا يخرج عن رؤيته الخاصة لموضوع تحقيقه .

٢ ـ فاذا سلمنا بذلك وعدنا لمضمون الدراسة ، فسنجد أن القارىء يشعر منذ السطور الاولى للتحقيق ، بأن لمفكرنا رؤية ما • فازاء تقديم ذاتي يستغرق ثلث المقالة الاولى ، لا يملك القارىء الان يتساءل : هل يثبت د • فؤاد زكريا بذلك في نفس الوقت صعوبة قبوله هو نفسه لامكانية المعالجة غير المتحيزة لموضوعه ، واذا صح ذلك فما هي دلالته ؟

على أن هذا التساؤل الذي يظل مشروعا في كل الحالات ، سرعان ما يجد اجابته بتحول ما كان احتمالا واردا الى موقف واضح ومحدد • ففي النصف الثاني من مقاله الاول يؤكد د • فؤاد

زكريا أن « التجربة الناصرية لم تخرج عن خدمة جهازها الخاص » وأنه « من المؤكد أن أجهزة كثيرة كانت تعرف تفاصيل حالات استغلال النفوذ المستفحلة ، لكنها كانت تتستر عليها » وهكذا ودع الكاتب قارئه تاركا لديه الانطباع بأن المسألة فى مجملها لا تزيد عن مؤامرة وزعت فيها الادوار بين الاجهزة .

وتتكرر نفس الرؤية طوال المقال الثانى ، وهو أطول المقالات الثلاث ، مع فارقين ، أولهما تأصيل جذور المؤامرة (فهى تبدأ منذ اللحظات الاولى للتجربة) وثانيهما تحديد لابعادها (جاءت مصحوبة بحملة دعاية منظمة قائمة على أسس علمية مدروسة » ، وهكذا امكن للكاتب تحويلنا الى « شعب من المنسحقين » محكوم بنظام » على استعداد كامل للانحراف » .

وحينما تعرض الكاتب لموضوعه الاصلى – الذى لم يتطرق له بالمناسبة الا فى النصف الثانى من مقاله الاخير – جاءت أحكامه نابعة من نفس الرؤية التآمرية ، اذ شبه العلاقة بين التجربة الناصرية ، واليسار الماركسى بقصة«امنا الغولة فى أساطيرنا الشعبية » ومن ثم فالمسألة لم تكن مؤامرة فحسب ، بل ومؤامرة مفزعة أيضا .

ولا شك أن مقولة أن للتاريخ الانسانى غاية ، وأن له نمط يمكن تتبعه فى مقولة لها ما يبررها ، فرفضها يعنى الاعتراف بأن العملية التاريخية تسير عشوائيا والانسياق وراء نزعة تشك وتشكك فى قيمة الحياة الانسانية . لكن ثمة فارق كبير بين أن يكون للتاريخ غاية وبين أن يكون التاريخ مؤامرة .

وكل من لديه قدر من الوعى التاريخى يعرف أن للرؤية التآمرية للتاريخ ميزة كبرى تكمن فى أنها تسهل على أنصارها تفسير كل شىء تفسيرا سهلا بسيطا . فالحرب العالمية الثانية – مثلا – قامت لديهم لان هتلر كان يبغيها ! والصراع العربى الاسرائيلى – كمثال آخر – ان هو الا امتداد لمؤامرة يهودية بدأت منذ خروج اليهود من مصر مع موسى وأنه منذ هذه اللحظة وحلقات المؤامرة متصلة وما الصهيونية الا الحلقة الاخيرة فيها !!

على أن الكثيرين يعرفون ، بل والجميع يعاذون من التبسيط الفج هذه الرؤية التى تعجز تماما عن الاجابة على أسئلة من نوع لماذا وكيف ، وهى الاسئلة التى يعتبر السعى للاجابة عليها بمثابة المعيار الفيصل لمدى أصالة المفكر ودقة وشمول تفسيره . واذا عدنا لموضوعنا لجازلنا التساؤل : كيف تستطيع هذه الرؤية أن تفسر لنا خروج الشعب المصرى يومى ٩ و ١٠ يونيو ، معلنا تمسكه بقيادة عبد الناصر له ، هل نحن مثلا شعبا يعبد جلاديه وهم يواجهون الهزيمة ؟ واذا قيل ردا على ذلك ، وبنفس المنطق التآمرى ، ان التنظيم الطليعى هو الذى رتب ذلك ، فما هو تفسير خروج الملايين لوداع عبد الناصر يوم الرحيل وهل يعقل أن يكون كل هذا الوفاء لجلاد سقط سوطه برحيله ؟ واذا قيل فى ذلك ان هذه هى الاستجابة التلقائية لشعب عاطفى مثل الشعب المصرى ، فبماذا نفسر العاصفة المدوية من التصفيق التى كان جمهورنا يستقبل بها ظهور صورة عبد الناصر للحظات فى فيلم « العصفور » الذى بدأ عرضه فى القاهرة بعد سنوات من الرحيل ، ورغم أن محور الفيلم نفسه هو نقد التجربة أيضا ؟ وأخيرا هل نستنتج من ذلك أن النظام القائم الان استمرار لنفس المؤامرة على الاقل بحكم أنه لا يزال يستمد شرعيته من التجربة الناصرية ؟

٣ – واذا جاز لنا أن نحاور د . فؤاد زكريا بمنطق الفلاسفة ، فسنجد أن رؤيته كمؤرخ قادته لبعض الاخطاء هنا أيضا . فالمناطقة يعلموننا أنه من أخطر عوامل الوقوع فى الخطأ الربط بين ظواهر لا رابطة بينها فى الواقع ، فماذا لو أعملنا هذه القاعدة فى الثلاثية ؟

خذ مثلا تدليله على استمرار الفوارق الطبقية فى المجتمع المصرى . ففى بساطة راح الكاتب يدلل على زيادة عدد الاسياد باستمرار اطلاق الالقاب . ولاول وهلة يبدو الربط بين الظاهرتين منطقيا . لكنه لا يمكن أن يتسم بأى قدر من المنطق حينما نتذكر أن الكثيرين منا يمنحون هذه الالقاب كل يوم وكل ساعة ، فهل معنى هذا أن هذه الكثرة منا قد انتقلت تلقائيا لطبقة الاسياد أم ان استمرار اطلاق الالقاب يرجع الى عوامل أخرى ، فضلا عن أنه أضحى الان خاليا من أى مضمون طبقى ؟

خذ أيضا ربط الكاتب بين عدم الافراج عن الماركسيين ، وبين زيف اشتراكية التجربة الناصرية . ما هى العلاقة هنا ، وهل معنى ذلك أن نظام الحكم الملكى فى مصر – مثلا – كان أكثر تقدمية من نظام ثورة يوليو ١٩٥٢ لانه كان يسمح

بقيام حزب شيوعى مصرى ؟ الواقع أن محاولة الربط هنا ليست سوى دليل على نرجسية الماركسيين المصريين وهو ما يبدو واضحا فى تباكى الكاتب على « الايام التى تمتع فيها الماركسيون بعطف وتأييد القواعد الجماهيرية لهم » وهو قول لا يستطيع أكثر الماركسيين المصريين ارثوذكسية الدفاع عنه أو اثباته .

والاخطر من هذا كله أن نفس الرؤية قادت مفكرنا الى سقطة مخيفة بالفعل ، حينما ذكر أنه « يكاد يكون موقنا بأن المعسكر الرأسمالى العالمى كان سعيدا كل السعادة بهذه التجربة ، وكان ينتظر الوقت الذى يصبح فيه اخفاقها مدويا لكى يتقدم باعتباره البديل المنقذ » . وما نعرفه أن المعسكر الرأسمالى العالمى لم يكن سعيدا أبدا بالتجربة الا اذا سلمنا بأن الصراع المسلح هو أحد مظاهر تعبير هذا المعسكر عن سعادته ! وما نعرفه أيضا أن نفس المعسكر لم ينتظر اخفاق التجربة ، وما كتب عن حرب السويس عام ١٩٥٦ وحرب يونيو ١٩٦٧ وما يتكشف كل يوم عن حرب أكتوبر ١٩٧٣ ، يجعل القول بذلك لا يصدر الا عن واحد من اثنين : انسان دماء شبابنا لديه أرخص من المداد الذى يكتب به ، أو انسان قادم الينا من كوكب المريخ - فلا شك أن من هبطوا على القمر لا يغامرون بمثل هذا القول - ولاستاذنا أن يضع نفسه فى الموضع الذى يختاره .

٤ - وثمة محور أخير يمكن أن يحدد لنا أبعاد الحوار حول منهج الكاتب ورؤيته وهو المفاهيم التى يستخدمها - أو بالاخرى - التى لم يستخدمها - فى تحليله . فلقد قاده ذلك أيضا لخطأ آخر هو الانسياق وراء العديد من الاحكام المسبقة الجاهزة عن التجربة الناصرية وأوضاعنا الاجتماعية والسياسية عامة ، فجاءت معرفته بالموضوع أقرب للمعرفة العامية منها للمعرفة العلمية .

من ذلك اطنابه فى الحديث عن تفشى السلبية والنفاق وفقدان الانسان المصرى لقدرته على الرفض ... الخ ، ثم تأكيده على أنه يعتبر ذلك أكبر سلبيات التجربة الناصرية . وفى حدود علمى ، فان كل هذه السمات يعرفها كل من درس الطابع القومى المصرى . ولو كان الكاتب قد عرض ما كتبه على أى دارس لعلم الاجتماع أو العلوم السياسية ، بل لو كان قد أجهد نفسه وعاود الاطلاع على العدد الخاص الذى أصدرته مجلة الفكر المعاصر ، حين كان هو نفسه يرأس تحريرها عن « الشخصية المصرية » « عدد أبريل ١٩٦٩ » لتغيرت بالتأكيد استنتاجاته . فثمة فارق كبير بين أن نعترف بشجاعة بأن شخصيتنا القومية مثقلة بالسمات السلبية التى ترجع الى عوامل تضرب بجذورها فى أعماق التاريخ وأن نسجل للتجربة الناصرية ادراكها لهذه السمات ومحاولتها تنمية الجوانب الايجابية فى هذه الشخصية ، ولا مانع هنا من محاسبتها على ما حققته من نجاح أو فشل وبين أن نعلق كل أمراضنا الاجتماعية والنفسية على شماعة اسمها التجربة الناصرية .

كذلك حديثه عن اذعان الانسان المصرى لنوعين من القوانين وتعوده الحديث بلغتين . ورغم أن الكاتب هنا كان أكثر دقة فى تحليله حينما راح يرجع الظاهرة الى أصولها التاريخية ، فانه ظل عازفا عن استعمال المفهوم العلمى لها . وكل من قدر له الاطلاع على أى دراسة علمية عن أوضاعنا السياسية المعاصرة يعرف أن الحديث هنا يتعلق بموضوع له أهميته ، هو الثقافة السياسية المصرية . واذا أراد أستاذنا أن يكون حديثه فى ذلك مستقبلا أكثر اتفاقا مع النتائج التى كشفت عنها الدراسات العلمية ، فله أن يطلع على الدراسة التى أجراها الباحث الامريكى ليونارد بانيدر - ولن أشير الى دراسات الباحثين المصريين - عن مصر (فى المجلد الذى أشرف على تحريره البروفسور وينر والبروفسور لابالمبارا عن الاحزاب السياسية والتنمية السياسية) ليقف على جهود التجربة الناصرية فى اعادة صياغة الثقافة السياسية المصرية .

وحينما تعرض الكاتب للتجربة الناصرية كنظام للحكم اكتشف لنا ازدواجية أخرى . « فلقد كانت التجربة ودعايتها تؤكد أن الانسان المصرى هدف كل تجربة فى الحكم ، بينما كانت النتيجة هى احساس المصرى بأن هناك من يفكر له وبأنه ليس فى حاجة الى التفكير » واذا لم يكن أستاذنا يعرف ، فان هذه الظاهرة هى ما يعرفه دارسوا النظم السياسية بظاهرة الكاريزما التى تعنى فى بساطة قيام علاقة ذات طابع خاص بين الزعيم والجماهير تمكنه من تحسس احتياجاتها ومطالبها ، فاذا هو دائما المعبر عن هذه الاحتياجات والمطالب ، وعبر الممارسة يتحول التأييد الذى تمنحه الجماهير للزعيم الى نقد بلا حدود ، لكنه يظل دائما قائما على أسس عقلانية . فلم نكن اذا شعب من القطيع كما اراد لنا مفكرنا . كما أن تجربتنا ليست هى الوحيدة المنفردة بذلك ،

فتلك ظاهرة عرفتها مجتمعات متقدمة (فرنسا في ظل ديجول) ومجتمعات أخرى نامية « الهند في ظل نهرو) وعرفتها تجارب اشتراكية (الاتحاد السوفيتى فى ظل لينين) ، بل وعرفتها كيانات استيطانية عدوانية (اسرائيل فى ظل بن جوريون) ولم يذهب أحد ممن درسوا هذه النظم والتجارب والكيانات الى تحميل الزعيم خطأ تمتعه بثقة شعبه مثلما حاول مفكرنا أن يفعل .

أما فى مجال موضوعه ، فقد أفادنا د . فؤاد زكريا بأن « عبد الناصر لم يتحول تجاه اليسار ، وانما حول اليسار تجاهه » مدللا بذلك على زيف اشتراكية التجربة . ولقد نتفق معه في تحليل طبيعة العلاقة لكننا نختلف معه تماما فى الاستنتاج ، وخاصة حينما نتعامل مع الظواهر – للمرة الاخيرة – تعاملا علميا . فالمتخصصون فى دراسة ظاهرة الزعامة يعرفون أن للزعامة انماطها . فهناك مثلا الزعيم البرجمانى ؛ وهناك الزعيم السياسى . وهناك الزعيم الديماجوجى . وهؤلاء أيضا يعرفون أن زعامة عبد الناصر تندرج ضمن نمط « الزعيم الايدلوجى » وبالتالى تصبح العلاقة بينه وبين اليسار الماركسى كما حددها د . فؤاد زكريا فى هذه العبارة مسألة طبيعية ، اذ لو كان عبد الناصر زعيما براجماتيا مثلا لكانت علاقته باليسار الماركسى علاقة توتر ، لكن المغالطة هنا كما نقول تكمن فى الاستنتاج . فكون العلاقة هنا ذات طبيعة استيعابية من جانب عبد الناصر دليل على أصالته كزعيم أيدلوجى وليس كما يذهب د . فؤاد زكريا دليل على زيف اشتراكية التجربة الناصرية .

واذا فلم تكن سلبيات التجربة على هذا النحو .. وحتى لو اخترعنا لاثبات ذلك منهج لا يعرفه الباحثون : وبافارسنا القادم الينا من قلعته . رفقا بعقول وبالحقيقة وبمهن .

حول شرعية المجلس التنفيذى للاتحاد العام للعمال

عبد المنعم الغزالى

عن الجدل المحتدم – منذ اكثر من عامين – فى صفوف الحركة العمالية المصرية حول مدى شرعية المجلس التنفيذى الحالى للاتحاد العام للعمال .
يكتب عبد المنعم الغزالى هذا الرأى . وهو فى تناوله لهذه القضية يستند فى الاساس الى نصوص القانون مستخرجا منها مدى مخالفة تشكيل المجلس .. لنصوص القانون ولنصوص لائحة الاتحاد العام للعمال ..

منذ بداية دورة ١٩٧٣ للنقابات العمالية والجدل محتدم حول شرعية المجلس التنفيذى الحالى للاتحاد العام لعمال جمهورية مصر العربية . هل هذا المجلس جاء تشكيله وليد ارادة مؤتمر الاتحاد العام أم جاء معينا ؟ وهل جاء تكوينه وفق نصوص القانون ٦٢ لسنة ١٩٦٤ ولائحة الاتحاد العام للعمال نفسه ؟ أم جاء مخالفا لكل ذلك ومنتهكا لكل مبادىء الديمقراطية النقابية وسيادة القانون ؟ .

والاجابة على كل هذه الاسئلة علينا أن نتعرف بداية على احكام القانون ولائحة الاتحاد (نظامه الاساسي) .

نصت الفقرة الثانية من المادة ١٨٣ من القانون ٩٢ لسنة ١٩٦٤ على أن الاتحــاد العام يسير فى أعماله طبقا لنظامه الاساسى ، ويكون تمثيل النقابات العامة فى جمعيته العمومية بالشروط والاوضــاع التى يصدر بها قرار من وزير العمل - وفى هذا الشأن صدر القرار ٣٤ - المنظم لتمثيل النقابات فى جمعية الاتحاد العمومية .

ووفق نص المادة ١٨٤ ، من نفس القانون ، فان الاتحاد العام للعمال لا يستقل بأحكام خاصة من حيث تكوينه أو ادارته - فتسرى على تكوينــه النصوص الواردة فى الباب الرابع من قانون العمل فى تشكيل النقابات وحلها ، وله ما للنقابات العامة من حقوق ، وما عليها من واجبات . وعلى ذلك فان الجمعية العمومية للاتحاد العام ، تعد لائحــة نظامه الاساسى التى يكون ملزما بالسير عليها . وتتضمن هذه اللائحة البيانات التى أوجب القانون ورودها فى لائحة النظام الاساسى للنقابة مع مراعاة الاوضاع الخاصة بالاتحاد العام ، وتنتخب الجمعية العمومية مجلسا تنفيذيا يودع أوراقه فى الجهة الادارية المختصة طبقا للقانون .

وكمــا أن لائحة النظــام الاســاسى للاتحاد العام للعمال قد نصت فى المادة ٢٤ ، علــى أن المؤتمر - الجمعية العمومية - هو السلطة العليا للاتحاد العام ، وان المؤتمر يتكون من « ممثلى النقابات العامة » ، وكما نصت الفقرة « هـ » من المــادة ٢٩ علــى أنــه مــن اختصــاصات المؤتمر ، « انتخاب اعضاء المجلس التنفيذى » وكما نصت المادة « ٣٠ » على أن المجلس التنفيذى يتكون من ٢١ عضوا .

فما الذى حدث ؟ انه بعد تشكيل النقــابات العامة ، لم يدع مؤتمر الاتحاد العام الى الانعقاد ، بل طلب السيد صلاح غريب - معطيا لشخصــه ولامانة العمال ســلطات المؤتمر - من مجــالس ادارات النقابات العامة والتى أصبح عددها ستة عشر فى هذه الدورة أن يرسل كل منها مندوبا للاتحاد .

وهكذا - لم تنعقد الجمعية العمومية للإتحاد ، وترك للنقابات العامة أن « تعيين » ممثلها ، والذى كان فى الواقع مختارا مسبقا من قبل أمانة العمال بالاتحاد الاشــتراكى ، ومــن قبــل وزيــر العمل (السابق) الذى كان رئيسا للاتحاد العام .

وقد تأكد أن الاختيار كان محددا من قبل هذه الجهات ، عندما طلب من نقابة النقل البرى أن تغير الرئيس الذى انتخبته - وهو محمــد محمــد العقيلى - لانه لم يكن محل رضا أمين العمال بالاتحاد الاشتراكى ووزير العمل .

ولا يمكن القول بأن مجالس الادارات يمكنها أن تحل محل الجمعية العمومية للاتحاد العام ، لانه وفق القواعد القانونية فان مندوبى النقابة العامة للجمعية العمومية قد يكونون أقل من أعضاء مجلس الادارة الـ ٢١ ، او اكثر طبقــا للقرار الوزارى رقم ٣٤ الذى حدد قواعد التمثيل النسبى فى الجمعية العمومية . كما أن الترشيح لعضوية المجلس التنفيذى للاتحاد العــام يتم من الجمعية العمومية ، وقد يرشح للمجلس التنفيذى أكثر من واحد من قبل نقابة عامة واحدة بحد أقصى ثلاثة مرشحين .

ومخالفا لكل نص قانونى شكل السيد صلاح غريب رئيس الاتحاد العام ووزير العمل - حينئذ - وأمين العمال بالاتحاد الاشــتراكى ، المجلس التنفيذى لــلاتحاد العــام مــن ســتة عشر عضوا - معلنا انه يحتفظ بخمس مقاعد لليبيين فى حالة اعلان الوحدة بين مصر وليبيا - ، وهو بذلك خالف المادة ١٨٤ من القانون ٦٢ لسنة ١٩٦٤ ، والمادة ٣٠ من لائحة النظام الاساسى للاتحاد .

المحصلة النهائية لهــذا الوضــع ، أن المجلس التنفيذى الحالى للاتحاد العام للعمال تم تشكيله بطريقة غير شرعية ، وبأسلوب كله عدوان على

نصوص القانون ٦٢ لسنة ١٩٦٤ ، وعلى لائحة النظام الاساسى للاتحاد العام للعمال ، وعدوان على حرية طبقة اجتماعية ـ من طبقات وقوى تحالف قوى الشعب العامل ـ فى أن تختار بارادتها الحرة تيسادة منظمتها الديمقراطية ـ اتحاد العمال ـ وهو حق منحها اياه القانون وفق القواعد والاسس التى عينها وحددها .

واستمر هذا الوضع غير الشرعى يفرض نفسه دون محاسبة أو رقابة أو اعتراض . وفى ظله عطلت كل الحياة الديمقراطية للتنظيم النقابى . ورغم أن المادة ٢٥ من لائحة النظام الاساسى للاتحاد العام للعمال توجب انعقاد المؤتمر العادى للاتحاد ، خلال شهر ابريل من كل عام ، فقد مر عام وعام ، ولم يجتمع المؤتمر ليصحح هذا الوضع الشاذ . وهذا الاجتماع العادى للمؤتمر القصد منه أن يباشر المؤتمر اختصاصاته التى نص عليها القانون تحقيقا لديمقراطية العمل النقابى وشرعيته . ومن هذه الاختصاصات : بحث تقرير المجلس التنفيذى عن نشاط الاتحاد ، التصديق على الحساب الختامى وتقرير مراجع الحسابات عن السنة المنتهية ، وبحث مشروع الميزانية واقراره ، وانتخاب المجلس التنفيذى . ولكن يبدو أن القيادة العلوية للاتحاد العام للعمال تخشى أن تحاسبها قواعدها .

ان استمرار المجلس التنفيذى الحالى للاتحاد العام للعمال ـ هو استمرار لوضع شاذ ، فيه عدوان صريح لا على القانون وحده ولكن كذلك على ديمقاطية العمل النقابى وعلى كل قواعد ومبادىء الحرية النقابية .

وهذا الوضع لا يمكن أن يستقيم الا بالعودة الى القانون ، والى ارادة العمال اعضاء التنظيم النقابى ، وهى الارادة التى تعبر عنها الجمعيات العمومية للنقابات العامة ، ومؤتمر الاتحاد العام للعمال .

الدكتور حجازى

يقدم روايته عن :

قصة السوفييت مع مصر

اجرى الحوار ؟

محمد عودة

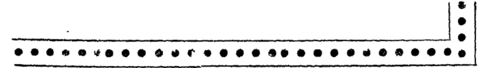
فيليب جلاب

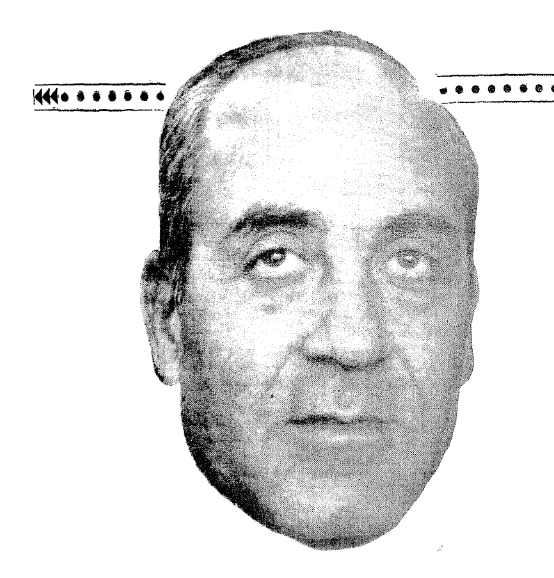
سعد كامل

هذا الحوار مع **الدكتور عبد العزيز حجازى** ،حول العلاقات المصرية السوفيتية ؟ جزء من كتاب تحت الطبع بعنوان « قصة السوفيت مع مصر »أعده الزملاء : **محمد عوده وفيليب جلاب وسعد كامل** وتنشره قريبا « **دار الثقافة الجديدة** » .

والحوار مع الدكتور حجازى ، هو واحد من سلسلة مناقشات أجراها الزملاء مع عدد من الشخصيات المصرية السياسية التى كان ولا يزال لبعضها — بحكم المواقع والمسئوليات التى انيطت بها ، مشاركة ومعرفة ميدانية لبناء العلاقات المصرية السوفيتية . ومن هنا فان كل شخصية تقدم روايتها الخاصة ووجهة نظرها المميزة عما يمكن أن نطلق عليه « **قصة السوفيت مع مصر** »

وقد أجرى الزملاء الثلاثة الحوار مع الدكتور حجازى فى آخر ديسمبر ١٩٧٤ . وذلك قبل شهور من اعتزاله لمنصبه كرئيس لمجلس الوزراء .





كان موعدنا معه فى نفس اليوم الذى صدر فيه البيان المصرى السوفيتى عن تأجيل زيارة الرفيق بريجنيف للقاهرة ودمشق وبغداد .. وقبل أن نبدأ اشار الدكتور عبد العزيز حجازى الى اهمية الحديث عن كل أبعاد التجربة المصرية السوفيتية بايجابياتها وسلبياتها . لأنه من المهم كما يقول « ان نوضح للناس كثيرا من النواحى التى قد تغمض عليهم احيانا ، حتى لا نعطى فرصة لاولئك المنتفعين من بعض التصريحات او السياسات ، والذين يهمهم التشويش على اى محاولة لتطوير علاقاتنا مع الاتحاد السوفيتى » .

قلنا للدكتور حجازي : هناك اجماع بين القيادات السياسية حول استراتيجية العلاقات بين مصر والاتحاد السوفيتي .. فما هو تصوركم لمعنى الاستراتيجية في هذه العلاقات ؟

● قال الدكتور حجازى :

« فلنبدأ من البداية ... لا أعتقد ان علاقتنا مع الاتحاد السوفيتي كانت مؤقتة او عابرة او سطحية لماذا ؟ لانها نشأت عن اتفاق حول مبدأين أساسيين :

الاول . هو محاربة الاستعمار والصهيونية تحت عنوان الاستقلال الوطني

الثاني : هو التنمية الاقتصادية والاجتماعية كهدف لصالح الجماهير .

ان المبدأ الاول ، وهو يرتبط بالاستراتيجية السياسية ، يعني الاتفاق بين مصر والاتحاد السوفيتي في التفكير او الفلسفة المتعلقة بكفاح الشعوب من اجل الاستقلال السياسي ، وهنا نشاركهم الفلسفة الاساسية التي يعبر عنها هذا الموقف ، وهو محاربة قوى الاستعمار بكل اشكاله .

ولست اعتقد ان هناك مواطنا مصريا مخلصا يرفض أو يشكك في مثل هذه الفلسفة . فمن الواضح ان الاتحاد السوفيتي يؤيد قضايا التحرر الوطني والاستقلال السياسي في الدول العربية والعالم الثالث عموما . وهي بالنسبة لنا من نقاط التعاون السياسية الاساسية . ان موقف الاتحاد السوفيتي معنا في المنظمات الدولية وأمام العالم كله وفي كل مناسبة ، يؤكد تمسكه بتأييد مصر والدول العربية في تحرير الارض ومن اجل ضمان حقوق شعب فلسطين .

هذه مسألة استراتيجية لا تقبل المناقشة أو التشكيك .

قد نختلف مع الاتحاد السوفيتي في تفاصيل تطبيق هذه الاستيراتيجية أو أسلوب تطبيقها ، لكن الحوار حول هذا الخلاف او الاختلاف ينبع من فكرة محددة ، وهي اننا شركاء في الايمان بفلسفة الاستقلال الوطني .

أما الهدف الاستراتيجي الثاني ، فهو التنمية الاقتصادية والاجتماعية لصالح الجماهير المصرية . ولقد كان هذا الهدف أكثر وضوحا في التعاون مع الاتحاد السوفيتي والدول الاشتراكية ، عن التعاون مع أى مجتمعات أو دول ذات نظم سياسية واقتصادية أخرى .

وعلينا هنا أن نحدد مراحل التطور السياسى ، والاقتصادى في مصر ، وكيف ادت بالضرورة الى هذا التعاون .

ان كل مراحل هذا التطور سواء تلك التي انتهت بتأميم شركة القناة عام ١٩٥٦ أو بداية صدور القوانين الاشتراكية عام ١٩٦١ ثم نشأة القطاع العام ، كانت تعبر عن قضايا أصيلة وليست عابرة . انها تندرج تحت شعار أو معنى استقلال الاقتصاد الوطني . ولقد التقينا مع الاتحاد السوفيتي في تلك المرحلة بعد أزمة سحب مشروع التمويل الامريكي للسد العالي وقرارات التمصير والتأميم وبداية تطبيق القوانين الاشتراكية . لكن الاتحاد السوفيتي لم يك بالتأكيد وراء اتخاذ هذه القرارات . كانت القيادة المصرية صاحبة القرار انطلاقا من المصالح الاساسية للمجتمع المصرى ، وتعبيرا عن ضرورات وطبيعة المجتمع المصرى . كيف ؟ هنا لابد أن نشير الى لمحة من تاريخ المجتمع والانسان المصرى . ان الظروف التي سادت مجتمعنا في ذلك الوقت كانت محصلة لتراكم سياسات سابقة . وكان أبرز مافيها وجود طبقة من كبار الملاك والرأسماليين، ووجود طبقات محدودة الدخل تستغل الى أبعد الحدود . وكل الذين عاشوا في الريف المصرى يدركون تماما حقيقة الموقف الاقتصادى في مصر في ذلك الوقت ».

اذن .... لم تكن القرارات عفوية ، ولكنها جاءت ردا على تساؤل هام ، ما مستقبل هذا الشعب ، وكيف نذيب الفوارق الطبقية السائدة ؟

ويهمني في هذا المجال أن أوضح أنني من انصار الايمان « بالدرجات » ... في العلم والصحة والفن .... لست مؤمنا ان كل الناس متساوين من حيث الدخل أو مستوى المعيشة . ولا يمكن ان يمتلك كل فرد بيتا أو سيارة أو ماشابه ذلك . هناك فارق بين النظريات والواقع ....

— درجات غير طبقات ؟

— طبعا ... أنا أعني بالدرجات هنا الاختلاف في القدرات .

● ثم واصل الدكتور عبد العزيز حجازى حديثه :

« ان الظروف الموضوعية التي عاشها المجتمع المصرى هي التي خلقت الفلسفه الخاصة بكيفية تحقيق الهدفين المعروفين ، وهما الكفاية في الانتاج والعدل في التوزيع . ولقد تحقق الجانب الاول ، وهو تحويل شعبنا الى شعب قادر على العطاء من خلال سيطرة الدولة على المرافق التى اسميها الهيئات العامة بالاضافة الى المؤسسات الاقتصادية التى يجب الا ينظر اليها كوحدات ادارية ».

أن دور الدولة في هذه المؤسسات الاقتصادية والوحدات التابعة لها يتصل بثلاثة أمور اساسية وهي :

■ **نوع ملكية رأس المال .**

■ أن سياسات الدولة فى التنمية تتم من خلالها .

■ ان الاموال المستثمرة فيها هى اموال الشعب .

وانا اركز على النقطة الاخيرة لانها ترد على بعض المتقولين عن تصفيه القطاع العام او محاولات الحكومه لحصر نطاق نشاطه . فقد كان مصدر الاضافات الى استثمارات القطاع العام بعد التأميم هو اموال التامينات والمعاشات وشهادات الاستثمار . وهى اموال الشعب وليست اموال الحكومه . واذا القينا نظرة الى الحطة نجد ان هذه الموارد تتصاعد دائما بحيث تحقق أو تغذى القطاع العام بشكل مستمر ، وليس من المعقول ان اخذ اموال الناس لاعطيها للقطاع الخاص لكى يعيد استثمارها .

ولقد ذكرت فى حديثى امام العلماء المصريين العاملين فى الدول الاجنبية [غالبيتهم يعملون فى دول غربية] ان القطاع العام لدينا ليس مسالهشكل .وديكونمثله مثل اىقطاع عام شرقا وغربا . لكن الاساس لدينا يتصل بملكية راس المال وبتوزيع الارباح . ان الادارة العلمية هى الادارة العلمية ، سواء كانت اشتراكية او راسمالية . لكن الامر المهم الذى لا يمكن ان نتراجع فيه أو نغير منه هو ملكية الدولة او الشعب لرأس المال ، وتوزيع الارباح على العاملين . انها القاعدة الصلبة النابعة من الارادة الوطنية التى تهدف الى تحرير الاقتصاد من سيطرة رأس المال الاجنبى ، وذلك من خلال سيطرة الدولة على المرافق الاستراتيجية التى تشمل الصناعات الاساسية . لكن هناك فارق بين الصناعات والمرافق الاساسية وبين الصناعات والمرافق الثانوية . ولعل هذه التفرقة واضحة أيضا فى الميثاق . فاذا تحدثت عن مرفق اساسى للمواصلات هو السكك الحديدية مثلا . ومن هنا لا يمكن ان اسلمها الى شركة من الشركات .لكن اذا تعلق الامر بمرفق نقل فى احدى المحافظات ، لا يعد ذلك من المرافق الاستراتيجية . ومن هنا يمكن للدولة والقطاع الخاص أن يتضامنا معا فى ادارة مثل هذا المرفق دون خروج عن المبدأ العام ، وهو سيطرة الدولة على المرافق والصناعات والخدمات الاساسية .

ان انتقال مايقرب من ٤٠٠ شركة الى أيدى الحكومة والقطاع العام ، أدى الى تكوين فئة قادرة على ادارة دفة الاقتصاد ، تقوم بتغذية [illegible] والخاص] والدول العربية بالخبرات الفنية والادارية الممتازة ..

انها مدرسة حقيقية لتربية الخبراء والفنيين وهذا لا يعنى ان القطاع العام خلا او يخلو من السلبيات . لكن لولم تكن الايجابيات هى الغالبة لما عاشت التجربةمهما كانت درجة سيطرةالدولة .

ولنتحدث بصراحة :

لقد اهملنا من خلال التجربة اثناء تخطيطنا للانتاج تطبيق الجانب الاجتماعى فى الثورة الاقتصادية . وهو الجانب الذى يتعلق بالانسان المصرى وضرورة حصوله على السلع الاساسية . طبعا لعبت ظروف الحرب وتكاليفها دورا فى تأخير ذلك .. لكننا لم نؤد فى كل الاحوال الدور الاجتماعى من خلال التطبيق الاشتراكى ، رغم انه كان يجب ان يأخذ مكان الصدارة فى ترتيب الاولويات . ولهذا السبب نتساءل اليوم آسفين : أين الحذاء الشعبى والكساء الشعبى وغيرها من الاساسيات التى كان يجب توفير المصانع والخامات لانتاجها ، من اجل مصالح الغالبية العظمى من المواطنين البسطاء ؟

— اليس هذا نابع من الاهتمام بتربية الجوانب الفنية والادارية لدى فئة المديرين دون الاهتمام بتربية الوعى السياسى والاجتماعى ؟

● **قال الدكتور حجازى :**

لا أعتقد أن فئة المديرين غافلة عن الجوانب السياسية والاجتماعية ، لكن يجب أن يزداد اهتمامهم بها اكثر ، ويجب أن تكون الاهداف الاجتماعية واضحة فى تفكيرهم أثناء ادارتهم للمؤسسات الاقتصادية . لان الهدف الاساسى من كل مانفعله هو مصالح الاغلبية العظمى للمواطنين .

— كيف تقولون أنه ليس هناك فرق بين الادارة الاشتراكية ، والادارة الراسمالية ، رغم أن المعروف ان ، [illegible] الراسمالية تهتم بتحقيق أكبر قدر من الربح ، اما الاشتراكية فتقرن بين هدى الانتاج والعدالة فى التوزيع ؟

● **قال الدكتور حجازى :**

لا يمكن أن نقول ان الادارة الرأسمالية تغفل ومساكن وخدمات صحية . لكن الطريقة تختلف نهائيا الجوانب الاجتماعية . فهى تقدم ايضا بعض الخدمات من تأمينات واعانة البطالة

بين المجتمع الرأسمالي والمجتمع الاشتراكي والذين قوموا تجربتنا من الباحثين لاحظوا انه كان من الواجب ان نبذل جهدا اكبر في الاهتمام بالنواحي الاجتماعية . كما أن دور النقابات لايزال قاصرا على المطالبة ببعض الحقوق دون أن تمارس دورا حقيقيا في عمليات الانتاج . فمن خلال الانتاج يمكن أن تكون هناك خدمات وحوافز مالية للعاملين .

ـ الحافز المادي الفردي مهم . . . لكن الحوافز المعنوية عن طريق التربية السياسية والاجتماعية في مثل ظروفنا أكثر أهمية ؟

● قال الدكتور حجازي :

انني أقول للعمال دائما هذه اموالكم ، ويقدر ما تحافظون عليها وتقومون بتنميتها ، بقدر مايزداد العائد اليكم منها . أن أي اضراب أو تحطيم هو خسارة لكم في المقام الاول . ومن المهم دائما . ان نربي لدى الناس روح المحافظة على المال العام وكيفية الحصول على اكبر نفع منه . وهي مهمة شاقة بالتأكيد بالنسبة لبعض سمات شعبنا من حيث حبه « للحيازة » الخاصة في المقام الاول ، وهو الامر الذي يتضح دائما في محاولة الانفراد ، الشخصي بالملكية سواء كانت أرضا او منزلا او سيارة ... الخ .

ان الاشتراكية ليست شعارا . انها عمل وانتاج وتكافؤ فرص وعدالة في التوزيع . وهناك جيل كبير العدد لا يحس للاسف بهذا المعنى وهو في حاجة دائما لمن يذكره بالفارق بين مانحن فيه الان رغم كل النواقص وما كنا عليه قبل ذلك . لقد تعلم جيلنا بكفاح شاق من جانب الاباء ، ويندر ان يكون من بيننا من لم يشق أباه ويقترض من اجل تربيته وتعليمه . ان الموقف الان مختلف تماما . والابناء يتعلمون بالمجان خلال كل مراحل التعليم ، وبعضهم يحصل على مكافآت مجزية والجميع تقدم لهم خدمات مجانية او بتكلفة رمزية . ثم الاهم من ذلك ان الدولة مسئولة عن تشغيل الجميع . ورغم ان هذا التشغيل الذي يزيد من حجم التكلفة الاقتصادية للسلع دون مبرر اقتصادي ، الا انني اسميه نوعا من التكلفة الاجتماعية الضرورية . وهي في النهاية جزء من مهام المجتمع الاشتراكي وثمن للاستقرار السياسي .

قلنا للدكتور عبدالعزيز حجازي : ـ هل هناك الى جانب هذا الوجه المشرق لتعاون المصري والسوفيتي بعض « الاثار الجانبية » ؟

● قال الدكتور حجازي :

لقد ارتبطت عملية التنمية في مصر من خلال التعاون في بناء السد العالي ومجمع الحديد والصلب والعديد من المشروعات الحيوية بالمجتمع الاشتراكي . وتأكد استعداد الدول الاشتراكية للمعاونة في تنمية الاقتصاد المصري . انها مصلحة متبادلة بالتأكيد ، وليست محاولة للسيطرة على اقتصاد مصر . وقد كان ذلك واضحا بعد بناء السد العالي وغيره من المشروعات . فهم يساهمون في بنائها ثم يتركونها لكي نديرها ونبدأ تسديد ماعلينا من قروض بعد الانتاج الفعلي لهذه المؤسسات الاقتصادية. ولقد كان الدعم السوفيتي والاشتراكي دون شك أحد عناصر الصمود في مصر طوال هذه السنين .

لكنني أرى أن الموضوع كان يحتاج الى تخطيط أفضل . انني لا أستطيع أن أوجه في ذلك لوما الى الاتحاد السوفيتي كما لا الوم الاجهزة المصرية . لكنني اقول اننا كنا في بداية مراحل التخطيط في مصر ، وكان ذلك هو حدود اجتهادنا في التخطيط والتنمية .

انني أذكر البدايات الاولى عام ١٩٥٦ حيث كنت كعضو في مجلس الادارة من بين الذين اشتركوا مع الدكتور عزيز صدقي في مشروع السنوات الخمس . لقد بدأنا يومئذ من فراغ ، ولم نك نملك اى بيانات او أرقام عن الاوضاع الاقتصادية . اذن فالخطأ في تلك المرحلة كان مقبولا وقدرتنا على التخطيط العلمي كانت محدودة .

ولذلك يمكن القول أن مشاركة الاتحاد السوفيتي في التنمية أعطت لمصر دفعة كبيرة في عمليات التنمية الاقتصادية . لكن ما هي الاثار الجانبية لهذا ؟ انه سؤال يحكم عليه التاريخ .

ـ هل تشيرون الى السد العالي مثلا ؟

● قال الدكتور حجازي :

على العكس تماما . لقد انقذ السد العالي مصر من كارثة محققة عام ١٩٧٢ عندما تعرضنا لفيضان منخفض . واذا لم يكن هذا كافيا ليبرر انشاء السد العالي . فيكفي ايضا الاثنا عشر توربينا لتوليد الكهرباء . ان ما يقال عن اثار جانبية هي في الواقع أقل من الاثار الجانبية التي كنا نتوقعها بعد انشاء السد . وهي أمور معروفة ولها حلول معروفة . ولا تبرر عمليات التشويش غير المقبولة . ان السد العالي وغيره من المشروعات الحيوية التي ساهم السوفيت في انشائها خلقت قاعدة القوة الذاتية للاقتصاد المصري . وهي قوة اقتصادية واجتماعية معا . اذ أنها وسعت قاعدة الانتاج والتصدير والعمالة وغيرها .

ان القطاع الخاص نفسه قد افاد من هذه الفرص . وبعد ان كانت قدرته على التصدير لا

تتجاوز اثنين أو ثلاثة ملايين جنيه سنويا ؟ ازدادت الى مايقرب من ٣٠ مليون جنيه سنويا الى السوق السوفيتي فقط .

لكنني لا أغفل أيضا عن بعض الجوانب السلبية لقد عاتبت الاخوان في موسكو مرة عندما وجهوا بعض الانتقادات الى السلع المصدرة اليهم . قلت لهم أنتم المسئولون لانكم أنتم الذين تشترون هذه السلع ويمكنكم أن تعملوا على تحسين نوعيتها بتقديم الخبرة وتطوير الانتاج ، والا أصبحت المسألة مجرد تلقي سلع أيا كانت نوعيتها تسديدا لقروض أو ديون .

واذا كان تخطيط التنمية في مصر هو واجب مصر في المقام الاول وليس واجب الاتحاد السوفيتي ، الا انه كان من الواجب أن يعطى الاتحاد السوفيتي تجربته وخبرته في التخطيط .

ــ هل تراعي الان هذه الامور في العلاقات الاقتصادية بين مصر والاتحاد السوفيتي ؟

● **قال الدكتور حجازي :**

لقد كانت الاتفاقية التي وقعها اخيرا الدكتور اسماعيل صبري عبد الله وزير التخطيط مع الجانب السوفيتي مرتبطة بحاجتنا الى ترشيد عملية التخطيط .

ــ ما معنى ترشيد عملية التخطيط في التعاون المصري السوفيتي ؟

● **قال الدكتور حجازي :**

ان الاستقلال الوطني يعني الاستقلال الاقتصادي ... والاستقلال الاقتصادي يقوم على التنمية المستقلة . ولكي تحقق التنمية أهدافها يجب أن نعرف أولا اهدافنا وسرعتها او ... وهذا الترتيب قائم على جدوى هذا المشروع او ذاك من الناحية الاقتصادية ولفائدة الاقتصاد القومي . ومن هنا ينبع طلبي لمشروع معين من واقع احتياجاتي الفعلية . وقد نكون اخطأنا في بعض الفترات في ترتيب هذه الاولويات ، كما سبق أن أشرت الى غياب مشروعات تنتج الكساء والحذاء الشعبي للملايين .

ــ ربما كان الهدف هو بناء قاعدة الصناعة الثقيلة أولا ؟

● **قال الدكتور حجازي :**

لم يكن يؤثر حجم المشروعات التي أعنيها في الحجم الكلي لعملية التنمية القائمة على انشاء صناعات ثقيلة او اساسية .

ــ ألم نقل اننا لانريد أن نضحي بالاجيال الحاضرة في سبيل الاجيال القادمة ، ومن ثم لم نشد الاحزمة على البطون مثل تجربة الاتحاد السوفيتي مثلا ؟

● **قال الدكتور حجازي :**

العكس هو ماحدث . وليس هذا انتقادا لبناء الصناعات الاساسية والاهتمام بها . فلا أحد ينكر اننا بنينا أهم مشروعاتنا الاساسية . وهي لا تاتي بعائد سريع عندما كنا نحارب او نستعد للحرب . ولعل ذلك كان من اهم منجزاتنا . وهذه من فضائل التعاون المصري السوفيتي دون شك .. رغم أننا قد ندفع الثمن الان في شكل نوع من الحرمان أو الغلاء بسبب نقص السلع الاستهلاكية .

ان الارقام تؤكد أهمية ماانجزناه لصالح الاقتصاد المصري والامة كلها . فبالرغم من تصاعد الاستعداد للمعركة ومن المعركة نفسها . فقد ارتفع حجم المشروعات الاستثمارية من ١٥٠ مليون جنيه الى ١٠٠٠ مليون جنيه . وكان الجزء الاكبر منها مخصصا لمشروعات لاتاتي بعائد سريع . وقد ادى ذلك الى الضغط على الخدمات ، وهو مانعاني منه الان لكننا لا نستطيع أن نتوقف عن مثل هذه المشروعات الاساسية حتى لو عانينا بعض التضحيات

ــ ربما لم تكن التضحيات لدى كل فئات الشعب متكافئة ؟

● **قال الدكتور حجازي :**

لا يمكن أن أتجاهل ان الفئات التي تعنيها كانت تدفع جزءا من دخولها عن طريق الضرائب أو شهادات الاستثمار أو المدخرات لتساهم في التنمية . وعموما كان احد أسباب سياسة الانفتاح ان تخرج الفئات المالكة الى السطح لاستثمار مدخراتها بدلا من ان تهرب أو تخفي أرباحها .

ــ ما هي حدود الاخطاء في التعاون المصري السوفيتي في التنمية الاقتصادية ؟

● **قال الدكتور حجازي :**

لاشك أن الاتفاقيات ــ كما ذكرت ــ لعبت دورا كبيرا للغاية في تنمية اقتصادنا ، لكن ذلك تم على حساب أشياء اخرى . وهذه الصورة المتوازنة تثير امتعاض البعض عندما نفتح الحديث فيها لكن اذا اردنا أن يكون هناك توازن فلا بد ان يكون هناك حركة . ومن هنا لايتصور احد ان تكون ٧٥ في المائة من صادراتنا الى الدول الاشتراكية وأن تاتين منها ٥٠ في المائة من وارداتنا . ان ذلك يلقي علينا عبئا آخر . اذ اننا نضطر في هذه الحالة أن نتجه الى دول العملات الحرة لاستيراد بعض الضروريات دون ان يكون لدينا العملات الحرة الكافية لذلك . وهذا هو المعنى الذي أقصده من أن عملية التنمية من خلال الاتفاقيات اوجدت درجة معينة من العلاقات الاقتصادية غير المتكافئة .

ــ هل يمكن أن نسميها علاقات «مفتعلة» ؟

● قال الدكتور حجـــازى :

لا ... ليســت مفيدة . ولكنها لم تدرس كما يجب ، وهنا كما اشرت من قبل لا اوجه اللوم الى أحد فى موسكو أو فى القاهرة ؛ لكننى أحدد واقعا . وهو أننا وجدنا أنفسنا أمام مشكلة . وعندما اقول للاتحاد السوفيتى خذوا قطنــا واعطونا غذاء او مواد لتشغيل المصانع ، فذلك بسبب اننــا فوجئنا ان ٣٠ فى المائة من طاقات مصانعنا عاطلة . ولا اعنى بذلك المصانع التى حصلنا عليها من الاتحاد السوفيتى ، لكننى اتحدث بصفة عامة .

اذن لا يمكن ان نترك العـلاقات الاقتصــادية للصدف ، ولكن يجب ان ندرسـها ، وننسقها لكى نقويها وننميها . الا وجدنا انفسنا فى مازق يؤدى الى الانهيار .

ولذلك فعندما توليت وزارة الاقتصــاد رأيت ضرورة تخطيط علاقاتنا على أساس سليم . وهو أن اعرف ماذا أريد على التحديد ووفقا للشروط الضرورية التى تحقق أهدافى من مشروع معين ، وهذا يعنى الا أقبل او أطلب أى مشروع من الاتحاد السوفيتى دون دراسة ، كما كان يحدث أحيانا من جانبنا مع الاسف .

— هل هناك مشروعات لم تدرس بعناية مع السوفيت ؟

● قال الدكتور حجـــازى :

مشروع الترسانة البحرية مثلا ندفع له اعانة سنويه لسد العجز ، وحتى لو كنا نحن المسئولين عن هذا ، الا ان الاتحاد السوفيتى يستطيع ان يقوم بعملية ترشيد للانتاج ، ان التنمية لا تقتصر على تقديم آلات وماكينات ومصانع . ان التنمية عملية كاملة تتعلق بترشيد الانتــاج كله الى جانب تقديم الالات .

ولقد طلبت من المسئولين البلغار عند الاتفاق معهم على توريد آلات تفريخ الدواجن ، الا يقتصروا على توريد الالات لنا ، لكى نضعها فى المخازن نريد أن نراهم وهم يباشرون العملية كلها من البداية ، حتى نرى الدجاجة تخرج فى نهاية العملية من معامل التفريخ .

— وما مدى مسئولية السوفيت فى موضوع الترسانه البحرية ؟

● قال الدكتور حجـــازى :

أنهم شركاؤنا ويشترون انتاجنا . ومن هنــا مسئوليتنا ومصلحتنا المشتركة فى أن يتولوا هذا صواب وهذا خطأ ، اننا ننتج بعض السفن فى هذه الترسانة ويشتريها السوفيت لتصريفها الى دولة ثالثة كالعراق مثلا ، رغم اننا نحتاج الى هذه السفن

— وهل هذا مخالف للعقيــدة ؟

● قال الدكتور حجـــازى ؟

ليس مخالفا للعقد لان الاتفاقية تنص على هذا . ومن اجل ذلك فانا لا الوم احدا ، لانه يحدث فى بعض مراحــل التنمية المبكرة أن تتخــذ بعض القــرارات التى لا تؤدى الى نتائج اقتصــادية سليمة . ومن هنا اقول لقد آن الاوان لان تكون قراراتنا مبنية على اساس اقتصادى سليم . وكما قلت من قبل بالنسبة للطاقات العاطلة [حتى للمصانع غير السوفيتية] . فان معونة الاتحاد السوفيتى فى هذا الصدد تحقق فائدة مشتركة للطرفين ، وتحقق الهدف الحقيقى من عمليه التنمية الاقتصادية والاجتماعية . قد يثير السوفيت مسألة أخرى وهى أن تكلفة انتاجنا عالية وهى احدى الاسباب فى عدم اقتصادية بعض المشروعات لكن المسألة ليست شخصية . ومن هنا مسئولية الاتحاد السوفيتى كشريك لنا فى ترشيد انتاجنا وتخطيطنا للتنمية .

— هل هناك آثار جانبية أخرى ؟ .

● قال الدكتور حجـــازى :

من الممكن أن نقول ان حجم التنمية الاساسى مع الدول الاشتراكية فقط ، حرمنا من الافادة من بعض أوجه التكنولوجيا المتقدمة فى الغرب فى الوقت الذى يتجه فيه الاتحاد الســوفيتى الى تعاقدات للحصول على الخبرة والقروض ووسائل التسويق لانتاجه مع الغرب . ولذلك علينا نحن ايضا الا نقصر التنمية على جهة معينة .

— وهل كان هناك بديل آخر بالنسبة لنا ؟

● قال الدكتور حجـــازى :

كانت هناك ظروفا سياسيه ادت الى ان نعادى الامريكيين واوروبا الغربية .

— هم الذين عادونا ؟

● قال الدكتور حجـــازى :

هم بدأو العداء ، ونحن عاديناهم ايضا . لكن أحدا لا يجبر على اتخاذ موقف .

— الم نحاول كثيرا الاستعانة بهم دون جدوى ؟

● قال الدكتور حجـــازى :

لقد حدث طبعا ابتداء من مشروع السد العالى لكن السياسة تتحرك دائما ولا تجمد عند موقف . ولقد سرنا طويلا فى هذا الشوط . ولا يعنى الانفتاح اننا سنتحول أو نبتعد عن العلاقات التى استمرت طوال هذه السنين كما يقــول البعض احيانا . لكن المهم هو ترشيد العلاقات القديمة ، لا يمكن ان تقوى هذه العلاقات مالم تكن المصالح المشتركة واضحة .

— لقد كان الخط الثابت للغرب هو عدم المساهمة الجدية فى تصنيع الدولة المستقلة ؟

● قال الدكتور حجـــازى :

هذا صحيح .. لقد كان التصنيع من جانب الغرب محدودا ، لكن هناك الان مجموعة عوامل أدت الى تغيير فى الموقف ، وأهمها ما نسميه بالوفاق بين الشرق والغرب ».

— هــل ترى أن الوفــاق بين الشرق والغرب غير ضار بمصالحنا ؟

● قال الدكتور حجـــازى :

ان الوفاق له قيمته بالنسبة لنا • لقد اوضح صــورا كثيــرة مــن النــاحيتين السياسية والاقتصادية . وساعد على اســتخدام اكثر من سبيل لتحقيق الايديولوجيــة أوحقق مرونة فــى تطبيق الايديولوجيات ، واليــوم لايستطيــع احد أن يبنى وهو منغلق على نفســه . علينــا أن نختار من كل التجارب وأن نستفيد بعد حــرب اكتوبر ومعركة البترول وماحققته من اثر على استراتيجيات العالم • ان مصر حتى بدون ثروة مادية كبيرة ، تعد من مراكز الثقل الرئيســية استراتيجيا وحضاريا وتاريخيا واقتصاديا ».

— هل أثارت تجربه الانفتاح اى شكوك لدىالسوفيت مما أقتضىشرح اهدافها لهم ؟

● قال الدكتور حجــازى :

لقد شرحت سياستنا حول الانفتاح عندما التقيت مــع « نوفيكوف » نائب رئيس الوزراء الســوفيتى فى موسكو فى أغسطس ١٩٧٣ ».

ومن الجائز انــه كان هناك بعض سوء الفهم فى احدى المراحل • كما ذكرت للرئيس « بودجورنى» وللرفيق « جروميكو » وزير الخارجية ان بعض ما تنشره صحافة الغرب من تحليل او تأويل ، تعطىالانطباع بأننا خرجنا عن مبادئنا الاساسية. لكن الحقائق الصلبة للاقتصاد المصرى تكفى دائما لمعرفة الحقيقة . اذ كيف يمكن الخروج على هذه المبادىء اذا كان القطــاع العــام يمثــل حــوالى ١٠٠٠ مليون جنيه من الاستثمارات ؟ وكيف يمكن الخروج عن هذه المبادىء اذا كانت الطبقات التى تنبع منها التشريعات فىاهم المؤسساتالسياسية تمثل العمال والفلاحين الى جانب بقيــة فئات التحالف ؟

ان الانفتاح يتم وفقا لضوابط معينة وفى اطار الخطة المصرية.

— ان الشــكوك نابعة مما تثيره بعض الفئات أو العناصر من مفاهيم خاصة بها ؟

● قال الدكتور حجــــازى :

علينا أن نثبت بالعمل والانتاج ان هذه العناصر غير مؤثرة وليستلهاقيمةتذكر. اننا مجتمع حر ، ولكن هناك قصور من جانب القوى الوطنية فى شرح التجربة المصرية بايجابياتهــا وسلبياتهــا . ان تجربتنا ولدت من مجتمع متخلف لكى تتقدم به الى الامام . ونحن لا ننكر سلبياته ، لكن ايجابياتها أكبر بكثير والا ما استطاعت أن تعيش وتنمو رغم كل المعــوقات والتحــديات . ثم ان القادرين على الحــكم على تجــربتنا هم الذين عايشوها وعاشوا فى وسطها. الذين رأوا موطن قوتها وضعفها . اننى أقول دائما لمن يتحدثون او يكتبون دون رؤية أو مسئولية ، لابد ان يعرفوا الحقائق قبل أن تحــكموا على السنوات العشرين الماضية .وكثيرا ما التقى ببعض الاخوانمن ذوى الاراء المخالفة ، واطرح عليهم موضوعا فــى الاقتصاد أو السياسة أو الحرب وأكتشــف على الفور انهم لا يستندون فى آرائهم الى اى أساس متين!

علينا اذن أن نبرز انجازات الاعوام العشرين الماضية، وستتكفل الحقائق باقناع المتشككين .

— هل أدت محاولة ترشيد العلاقات مع الاتحاد السوفيتى الى خلاف من أى نوع ؟

● قال الدكتور حجازى :

اسأل الجانب السوفيتى!

— نحن نحاول تقديم وجهةالنظر المصرية على اختلاف الظلال والاجتهادات ، ومن هنا نسأل ما هى أسباب الخلاف ؟

● قال الدكتور حجازى :

وهل هناك خلاف؟

— نعم • هناك خلاف

● قال الدكتور حجازى :

اعتقد أن الخلاف طبيعى وينشــأ من اختلاف النظم وأساليب التفكير. ان للسوفيت طريقتهم فى التفكير وأسلوبهم فىالحركة ولديهم بعضالتشكك بالنسبة لبعض القضايا ..

— أى قضايا ؟

● قال الدكتور حجازى :

الانفتاح اثار بعض التشكك. لكن هذه الامور تسوى دائما بالمناقشه المخلصة والعميقه . اننى اذكر دائما أن كل المشاكل كانت تحل عندما نطرح الامور بصراحة على المائدة .

وبالنسبة لنا فالمسألة هى مسألة ترشيد وأولويات . والهدف واضح أمامنا ردا على سؤال محدد وهو : التطبيقالاشتراكى لمن ؟ انالمسألة لا تتعلق بالاسلوب . فليس من المهم أن يتم التطبيق الاشتراكى عن طريق التأميمات ، لان عهد التأميم قد انتهى . وليس عن طريق فرض اجــراء استثنائى . لكن هناك أكثر من سبيل، كفرض ضرائب على الدخــول الكبيرة. أو كما يقــول الرئيس السادات أن من حق المستثمر ان يستغل امواله وينتج ، بشرط أن يأخذ حقه ويعطى للدولة حقوقها .

— ومسألة التسليح . هل هناك مشاكل حولها ؟

● قال الدكتور حجازى :
نحن لم نستطع أن نفهم سبب المشاكل الخاصة بالتسليح .
ــ كيف ؟
● قال الدكتور حجازى :
ــ اقول بأمانة اننى لا اتصور انه بعد النجاح الساحق الذى احرزه الانسان المصرى بالسلاح السوفيتى فى معركة ٦ اكتوبر ، نفاجأ بأن تقف الامور « محلك سر » ..
ــ هل هناك تفكير فى اقامة صناعات ثقيلة اخرى ؟
● قال الدكتور حجازى :
طلبنا من الاتحاد السوفيتى أن يساهم فى اقامة صناعات ثقيلة أخرى فى مصر كما طلبنا أيضا من جهات غربية .
ــ ما هو تصورك لمستقبل العلاقات المصرية السوفيتية ؟
● قال الدكتور حجازى :
اعتقد ان التعاون الاقتصادى والفنى قائم ومطلوب .. ومما يؤكد اننا عرضنا أخيرا عشرات المشروعات على الاتحاد السوفيتى ، وليس هناك اى نوع من التوقف فى التعامل . وهناك اتفاق مبدئى بأن يساهموا بمشروعات تبلغ قيمتها ٢٠٠ مليون جنيه وهى بقية الاتفاقيات التى لم تنفذ بعد . كما أن « ليبدنسكى » نائب رئيس هيئة التخطيط الذى زارنا أخيرا ، تسلم قائمة بعشرات المشروعات لدراستها .. وقد فهمت أن كل الامور تسير سيرا حسنا ..
ــ هل تعتقد ان البورجوازية الوطنية المصرية تفضل استمرار هذه العلاقة؟
● قال الدكتور حجازى :
البورجوازية المصرية لا تحكم مصر .
ــ انها جزء من التحالف وصوته مرتفع
● قال الدكتور حجازى :
لا اسمع صوتها ! صحيح أن البعض يحاول شد الانفتاح الى مستوى « الاقتصاد الحر » .. لكن الغريب الان هو انه لم يعد هناك فى أى مكان حتى فى الدول الرأسمالية « اقتصاد حر » بالمعنى التقليدى .. !
ــ الا تستفيد البورجوازية المصرية من هذه العلاقات ؟
● قال الدكتور حجازى :
طبعا تستفيد .. لكن كما قلت يجب أن يكون هناك ترشيد وتوازن ، والا ينقلب الميزان ، وهو أمر ضار بالطرفين . أننى اقول لهم احيانا تصوروا ماذا يحدث لو توقفت مصانعكم ؟ وقد يقولون ان مصانعنا لم تتوقف ، وهذا صحيح . لكن عندما تساعدنى فالفائدة لك ولى ستكون أكبر .. من غير الممكن أن أستورد قمحا من دول العملات الحرة بحوالى ٧٥٠ مليون دولار ، أننا نحاول أن نحصل على نصف مليون طن من القمح من الاتحاد السوفيتى . ولم نستطيع ... مع انه أعطى للهند مليون طن . ومن غير الممكن بالنسبة لنا أن نصدر قطنا وغزلا وارزا للاتحاد السوفيتى ، ثم نستورد القمح من دول العملات الحرة .

ــ أليست هذه الامور واضحة فى الاتفاقيات؟
● قال الدكتور حجازى :
من أجل هذا نريد تصحيح وترشيد الاتفاقيات والمساعدات السوفيتية .
ــ هل انت متفائل بمستقبل العلاقات ؟
● قال الدكتور حجازى :
اننى متفائل طبعا . ومن واقع تجربتى مع الدول الاشتراكية ، فنحن نصل دائما الى تفهم وتفاهم كامل عندما يعرفون الصورة بكل أبعادها . ولقد سبق أيضا ان قلت لهم ألا يأخذوا معلوماتهم عنا من صحافة الغرب .
ــ الا نأخذ نحن معلوماتنا عنهم من صحافة الغرب ايضا ؟
● قال الدكتور حجازى
بالنسبة للرئيس السادات والحكومة هذا لا يحدث ..
ــ لكن بالنسبة للمستويات الاخرى هذا يحدث كثيرا ! والان كيف نعمق الفهم المتبادل بين مصر والاتحاد السوفيتى ؟
● قال الدكتور حجازى :
بالحوار .. اننى كثيرا ما أتساءل لماذا يحدث هذا بيننا ؟ وأعتقد أحيانا أن بعض ما يكتب فى صحفنا يكون له ردود فعل سيئة . أما من جانب الرئيس السادات والحكومة ، فهناك ايمان تام بضرورة استمرار وتقوية العلاقات . اذ ليس من مصلحتنا أو مصلحتهم أن تتوقف أو تتعثر هذه العلاقات .

وقد نشعر أحيانا أن مصر لا تأخذ ما تستحقه من امكانيات للحركة فى مثل موقفها السياسى والاقتصادى والعسكرى ، لكن ذلك لا يعنى أبدا أن العلاقات تتعثر أو تتوقف بأى شكل .
ولعل خير ما يعبر عن موقفنا ما يقوله الرئيس السادات احيانا حول هذه المسألة : « أننا نحتاج الى أن يفهمنا السوفيت أكثر من ذلك » .

... اننا مقتنعون بتجربة وحقائق التجربة المصرية السوفيتية ، ونعتقد أن انجازاتها وايجابياتها كبيرة للغاية . وكل ما نطلبه هو ترشيدها ...

القــــراءة الســــادســة

فى



و .. « الأخبــــــار » .

تواصل « الطليعــة » ـ فى هذا العدد ـ قراءتهافى صفحات « أخبار اليوم » و « الاخبار » .. ونود أن نشــير هنا الى اننا لم نتمكن من قراءة صــفحاتهماكاملة فيمــا بين عــام ١٩٥٥ وعام ١٩٥٧ ، حيث لم نســتطع العثور عليهما فى مجلدات الارشيف الذى رجعنا اليه .

ويلاحظ القارىء اننــا ربطنا بين قراءة « اخبــارالیوم » و « الاخبار » .. وهذا الربط ـ فى رأينا ـ صحيح من واقع أنهما يمثلان اتجاها واحدا وسياسةواحدة ، ومن هنــا ســيكون الربط ـ فى رأينا ـ صحيح أيضا ، حين سنواصل قراءتنا فى صــفحاتمجلات اخرى أصدرتها « أخبار اليوم » .

وما الذى نهدف اليه من وراء هــذه القراءة ؟ ..اننا ـ باختصــار ـ نعيد عرض صــفحات اتجاه سياسى فى مصر ومدرسة فى التفكير ، نعتقد باهميةتعريف جيل الشباب المعاصر ـ وكل من نسى من غير الشباب ـ بالجذور القديمة الحقيقية لتطورات هذاالاتجاه وامتدادات أسلوبه فى العمل وفى التفكير .

ونقول مرة أخرى ، ان قراءتنــا طويلة .. طويلة .. ومعروف ان الماضى ملىء بالملفات .

■ الموقف السياسى ■

العـــــام الجديـــد

مصطفى أمين

اليوم .. بداية عام جديد وعهد جديد .

انتهى الهدم وبدأ البناء .. ولم يكن الذى حدث هدما ، فقد كان عملية ازالة الانقاض ، فعندما جاءت **الثورة** لم تجد مؤسسات سياسية بل وجدت خرائب سياسية يعيش فيها البوم والغربان ! .. فكان لابد ان تزال الانقاض قبل ان يبدأ بناء مؤسسة ديمقراطية سليمة .

انتهت القلقلة وبدأ الاستقرار .. فان الثورة لم تستطع ان تحسرق وراءها الكبارى التى تصلها بالماضى بقرار يصدره مجلس الثورة .. بل احتاج الامر الى عامين ونصف ، استخدمت فيها الثورة صبرها واندفاعها ، وحذرها وجراتها ، ودهاءها وطيبتها ، لكى تستطيع ان تضع حدا فاصلا بين الماضى والمستقبل . وعامان ونصف عام ليست بالمدة الطويلة فى حياة شعب ، انتقل من تاريخ الى تاريخ ...

انتهى الخوف وبدأ الثقة ، فان هذا الشعب تعود ان لا يصدق حكامه ، لقد عاش قرونا يسمع الوعود الجميلة ويرى الحقائق الرهيبة ! .. يرى الملائكة يتحولون الى شياطين .. يشهد مصرع الابطال .. واستطاعت مظالم المستبدين ان تضعف فيه الثقة والايمان بالحكام .. اذا قالوا له اطمئن ! بدا يخاف ! .. واذا وعدوه بالرخاء توقع الافلاس ! .. واذا بشروه بالجلاء تأكد انه الاحتلال ! .. وكان لابد من وقت ومن احداث ضخمة ليتحول هذا الشعب من صفوف المتفرجين الى صفوف العاملين ، ومن طابور المتشككين الى طابور المؤمنين !! وكان لابد من زمن ، حتى يشعر كل فرد انه آمن على نفسه وعمله ومستقبله ! ففى بداية الثورات تنتشر الاكاذيب وتنجح الدسائس ، وترتب المكائد ، ويحاول الانتهازيون ان يحولوا الثورة لحسابهم وللانتقام من خصومهم ، وللنيل من منافسيهم ، ولتحطيم الناجحين ، ولكن مثل هذه المحاولات الوقتية لم يكتب لها النجاح !.. لقد بقى الذهب ذهبا ، واستمر التراب ترابا ! وقد يحسب الناس فى ظرف من الظروف ، عندما يرون التراب يرتفع ويملأ العيون ، يحسبون ان التراب يعلو على كل شيء ثم لا يلبثون ان يروا هذا التراب يتساقط على الارض من جديد !

.. وفى بداية الثورة كانت ايضا تنتشر صناعة الوحل ! فيحاول الصغار ان يلقوا على الكبار الوحل ، ويظنون بهذا انهم يحولون البياض الى سواد ، والاشراف الى قاذورات ، ولكن كل هذا لا يلبث ان يزول ويذوب ، وتظهر الحقائق ناصعة البياض .

وقد مرت الثورة من هذا كله بسلام .. وقعت فى أخطاء ، ولكنها لم تتردد فى الاعتراف بأخطائها ! .. ان شجاعة الاعتراف بالخطأ من صفات الكبار » .. تلقت طعنات من اليمين واليسار ، من الاصدقاء والاعداء ، ولكن السهام تحطمت فوق السهام .. ومضت الثورة تسير فى طريقها مؤمنة بأهدافها ..

وبهذه الروح تنهى الثورة العام القديم وتبدأ العام الجديد .

أخبار اليوم : العدد ٥٣٠ — اول يناير سنة ١٩٥٥ .

دائـــرة المعـــارف الجـديـدة

التعليم : محاولة ملعونة للتفريق بين الاقلية والاغلبية .

الضرائب : العقاب الذى تفرضه الدولة على الناجحين .

« ملحق اخبار اليوم — العدد ٥٤٤ — ٩ ابريل ١٩٥٥ »

جمال عبد الناصر

عاش جمال عبد الناصر طفولته يتيما ، كل طفل يتحدث عن امه ما عداه هو .. كل طفل يزهو بحب امه الا جمال .. وعاش فى شبه وحدة روحية ، وجعله هذا الحرمان يعوض عن هذا الحب المفقود بحب موجود .. ومن هنا بدأت صداقات جمال ، استطاع ان يكون شبكة واسعة من الاصدقاء ، يجيد اختيارهم وانتقاءهم ، ويجد فى مجموع حبهم « الحب الكبير » الذى كان يفتقده .

خجول فى جرىء .. شيخ فى شاب .. صريح فى متآمر .. طيب فى جبار .. قوى مع الاقوياء .. ضعيف مع الضعفاء .. يستطيع ان يحب كثيرا ، ولكنه يكره قليلا .

ذات مرة أصدر امرا بالتصديق على حكم باعدام جاسوس .. ونفذ الحكم بالاعدام .

ورأى جمال صورة المحكوم عليه بالاعدام فى طريقه الى المشنقة ، ولم يستطع بعدها ان ينام ثلاثة ايام .

اقوى صفاته انه يتحكم فى اعصابه .. يفكر ثم يتكلم .. يدبر ثم يثور .. يضع الخطة ثم يحارب .. يصوب ثم يضرب .

« ملحق اخبار اليوم — العدد ٥٤٤ — ٩ ابريل ١٩٥٥ »

فكرة !

ان المراة كالاوتوبيس ! .. اذا فاتك الاوتوبيس لا تجرى وراءه ، بل قف مكانك حتى يأتى الاوتوبيس الاخر .. فان مئات الاوتوبيسات ستمر بك ، وانت واقف فى مكانك !

المهم ان تقف فى الشارع ... فان الاوتوبيسات لا تدخل الازقة والحوارى !

واذا تشعلقت فى الاوتوبيس فيجب ان تكون مستعدا لدفع ثمن التذكرة !

لا تتصور ان فى استطاعتك ان تقف طويلا على السلم .. اذا نجحت فى استغفال الكمسارى ، فسيمسك بك المفتش ويرغمك على الدفع ! فان لكل فتاة كمساريا ومفتشا من افراد اسرتها !

وليس ثمن التذكرة كبيرا ! انه فى متناول جيبك ! .. انه نصف حريتك ، ونصف اهتمامك ونصف راحتك ، ونصف ايرادك .. وكل صبرك ! ..

اذا دفعت هذا المبلغ الصغير ، فستجلس فى الدرجة الثانية .. واذا ضاعفت هذا المبلغ ، فستجلس فى الدرجة الاولى !

ولا فرق بين ركاب الدرجة الاولى ، وركاب الدرجة الثانية .. اذ ان الفريقين يقطعان نفس المسافة ! .. ولكن راكب الدرجة الاولى ينجعص فى مقعده ، وراكب الدرجة الثانية ينحشر وسط الزحام !

واذا تعطل الاوتوبيس فى منتصف الطريق ، فلا تضيع وقتك فى لعن السائق او لعن تحطك السيىء .. لا داعى لان تمسك فى خناق السائق وتتهمه بأنه تعمد تعطيلك ، ولا داعى لان تمسك فى خناق نفسك ، وتتصور انك رجل سيىء الحظ !

.. ان بعض الاوتوبيسات تتعطل قضاء وقدرا .. وبعضها يتعطل بسبب اهمال المصنع والورشة !

واسأل الناس قبل ان تستقل الاوتوبيس .. فان هناك أوتوبيسات تنقلك الى سجن مصر ، وأوتوبيسات تأخذك الى المدبح ! .. أسأل الناس ولا تخلط بين أرقام الاوتوبيسات !

من اجل كل هذا فضلت المشى على الاقدام .

على أمين

الاخبار — العدد ١٣٥٠ — ٣٠ اكتوبر سنة ١٩٥٦

فكــــــــــرة !

يا رب ! .. لقد تعودت كل لحظة أن أتجه الى السماء وأطلب طلبا جديدا ! .. فاذا مرضت طلبت منك الشفاء ، واذا شفيت طلبت منك ان توفقني في عملي ، واذا وفقت في العمل ، طلبت منك راحة القلب وراحة البال !

ولكني اليوم يا رب اتطلع الى السماء ولا أطلب شيئا جديدا !

كل ما أرجوه منك ان تساعدنا على أن نحتفظ بما أعطيتنا ، فلا نفرط في شبر واحد من أرضنا وكرامتنا وشجاعتنا .

لقد اعطيتنا نعمة حب بلادنا ! .. لم نعد نظن ان وطننا هو حدود البيت الذي نعيش فيه أو الشقة التي نسكن فيها ! فتحت عيوننا وعقولنا ، فأصبحنا نحس ان حدود بيتنا هي حدود مصر كلها ! .. وان كل قطعة تسلب من الوطن تغتصب من الارض التي يملكها كل واحد منا .

يا رب ! .. لقد ملأت قلوبنا بالايمان ! .. **لم تعد الاساطيل والجيوش تخيفنا ! .. لقد استطعنا ونحن بلد صغير ان نقف أمام الامبراطوريات .. لم نهرب أمام الجيوش كما فعلت فرنسا أمام الجيوش الالمانية ! .. لم نرفع الراية البيضاء كما فعلت دول كبرى . لقد صمدنا في مواقفنا ورحنا ندافع عن كل شبر من أرضنا . ونبيد جنود المظلات المسلحين ونغرق حاملات الجنود وننسف السفن الحربية المزودة بأحدث الاسلحة .. ونموت واقفين ، ولا نعيش راكعين .**

يا رب ! .. نحن لا نطلب عونا من السماء . ولكننا نطلب أن تحفظ لنا ما منحتنا من شجاعة وجرأة وايمان !

يا رب ! .. ان هذه القوى التي في قلوبنا كفيلة بأن تساعدنا على أن نسترد كل شبر فقدناه من الارض ، وان نضرب أعظم المثل للشعوب الصغيرة **بأنها قادرة بلا مساعدة خارجية** ، ان تحافظ على أرضها وحريتها وكرامتها

يا رب ! .. احفظ ما في قلوبنا من ايمان .. وعلينا الباقي !

علي أمين

الاخبار — العدد ١٣٥٥ — ٥ / ١١ / ١٩٥٦

فكــــــــــرة !

انني فخور بجيش بلادي وشعبها .. فخور بالمقاومة الرائعة التي أثارت اعجاب صحف العالم ودهشت انجلترا نفسها .. فخور لان الذين يسجلون هذه الصفحات المجيدة من كفاحنا هم الكتاب الاجانب لا الكتاب المصريون الذين قد يتهمهم الناس بالحماسة والمبالغة في تمجيد أبناء وطنهم .

انني فخور لان بلادي واجهت بشجاعة امبراطوريتين .. لم نعلن عليهما الحرب .. ولكنها فوجئت بجيوشهما وأساطيلهما وطياراتهما وهي تحاول ان تغتصب أرضها وتسلب حريتها .. ولم تذهلها المفاجأة ! .. ولم تقع في شباك الخديعة .. لم يكن عند الانجليز والفرنسيين الشجاعة بمواجهتنا وجها لوجه .. لقد تآمروا مع اسرائيل ، فهاجمت الاراضي المصرية في الظلام ! .. واستنكرت انجلترا في الصباح هذا الهجوم .. وفي الليل كانت الطائرات البريطانية والفرنسية تتسلل مع الظلام وتضربنا في ظهرنا ! .. لم نفقد عقلنا في هذه المفاجأة .. ولم نسقط في الفخ المنصوب ! .. لقد سحبنا قواتنا من سيناء **ووقفت مع الشعب تدافع عن** كل شبر من الارض .

كانت الاساطيل تحاصر شعب بورسعيد ، **والقنابل تدك البيوت ، والطائرات تقتل** المارة في الشوارع .. ومع ذلك وقف الشعب في مكانه **يقاتل مع الجيش ويطارد**

جنود المظلات .. اننى فخور بهذا الشعب .. فخور بشبابه وبناته الذين كتبوا بشجاعتهم قصصا عجيبة كنا نقرأها فى الكتب ، ولا نراها بأعيننا .

والان .. يجب ان نتعاون جميعا فى رفع الانقاض واعادة البناء .

يجب ان نزيد ساعات العمل وأن نعيد بناء ما تهدم ونسجل أرقاما قياسية فى البناء كما سجل أعداؤنا أرقاما قياسية فى التخريب والتدمير !

ان ما حدث فى بلادنا لا يزيد عن واحد فى الالف مما حدث فى المانيا من التخريب والدمار .. واستطاعت المانيا فى سنوات قلائل ان تعيد بناء بلادها ، وان تنافس بريطانيا وتهدد تجارتها .. وما فعله الالمان لن يعجز عنه المصريون

اننا سنعيد بناء كل بيت وكل مطار وكل شارع .

ان الشيء الوحيد الذى لن نستعيده هو الارواح التى قتلها الغزاة .. وكل ما نستطيع ان نفعله لها ، هو ان نضمن مستقبل أولاد هؤلاء الشجعان ونحميهم من غزو جديد .. ونحميهم بقوتنا وبايماننا وعرقنا .

على أمين

الاخبار — العدد ١٣٥٧ — ٧ / ١١ / ١٩٥٦

تعقيب للطليعة

الثورة .. وعبد الناصر .. والعدوان الثلاثى

تتناول صفحات « أخبار اليوم » و « الاخبار » التى نقرأها هذا العدد ، مسائل ثلاث :

أولا : المرحلة الاولى لقيام ثورة يوليو حتى نهاية عام ١٩٥٦ ، حيث مرت بتجربة العدوان الثلاثى وما أحدثه من تغيير هام فى مسارها بعد ذلك .

فى تلك الفترة التى تعد من أدق فترات ثورة يوليو ، حيث كانت تتلمس فيها الطريق للنهوض بالبلاد المثقلة بتراث حكم الملكية الفاسد . وكان قادة الثورة — كما جاء فى تصريحاتهم وقتها وبعد ذلك — يتصورون ان الولايات المتحدة الامريكية يمكن ان تلعب دورا غير مشروط لمساعدة مصر فى بناء مجتمعها بعد قيام الثورة ..

لهذا السبب ، كانت « أخبار اليوم » و « الاخبار » ، تؤيد ثورة يوليو ، وتمارس دورا اعلاميا من شأنه دعم هذا التصور والاندفاع به نحو بناء « نموذج أمريكى » للحياة فى مصر . وفى هذا المجال عملت « أخبار اليوم » — مثلا — على الترويج لمفاهيم هذا النموذج . فهى تعرف الضرائب التى تفرضها كل المجتمعات على أصحاب الدخول المقتدرة بأنها « **العقاب** الذى تفرضه الدولة على الناجحين » [ملحق أخبار اليوم — العدد ٥٤٤ — الصادر فى ٩ أبريل سنة ١٩٥٥] .. وكلمة **العقاب** هنا ، هى البديل الذى استخدمته « أخبار اليوم » لكلمة **حق المجتمع** .

وفى تلك الفترة أيضا ، لاقت بعض السياسات الخارجية والداخلية — وخاصة فى قضية الديمقراطية — معارضة قوى اجتماعية وسياسية داخلية ، لاسباب متباينة ولاهداف اشد تباينا ، من معظم قوى اليمين القديم ، لان قرارات الثورة المتعددة وقتها ، تلغى دوره السياسى وتحاصره وتجرده من بعض ما يملك من ثروات .. ومن قوى اليسار ، خوفا من التصور بشأن الولايات المتحدة .. وغياب الحياة الديمقراطية ، وحرصا على بناء مجتمع ما بعد الثورة على أسس متقدمة ومناقضة للبناء القديم .. وفى مواجهة ذلك ، قامت الثورة باتخاذ اجراءات استثنائية ، وزجت بمختلف اتجاهات المعارضة فى المعتقلات والسجون ، ووصلت معاملة هذه الاتجاهات المتباينة ، الى درجة من العنف والقسوة ،

أصبحت معروفة عن هذه الفترة . وفى هذا المجال ، كتب الاستاذ **مصطفى أمين** فى الموقف السياسى « لأخبار اليوم » ــ العدد ٥٣٠ ــ الصادر فى أول يناير سنة ١٩٥٥ ، يقول :
« .. وقد مرت الثورة من هذا كله بسلام .. وقعت فى أخطاء ، ولكنها لم تتردد فى الاعتراف بأخطائها ! .. ان شجاعة الاعتراف بالخطأ من صفات الكبار ! .. تلقت طعنات من اليمين واليسار ، من الاصدقاء والاعداء ، ولكن السهام تحطمت فوق السهام .. ومضت الثورة تسير فى طريقها مؤمنة بأهدافها .. » .

هكذا كان موقف « أخبار اليوم » السياسى ، من تلك الفترة . ولكنهم يصفون اليوم نفس هذه الفترة عندما يتناولون ١٨ سنة من حياة الثورة ، والتى أيدوها بل بحماس غريب ، يصفونها بـ « سنوات العار » ، و « عهد الظلام » . ويتباكون اليوم على الديمقراطية والحريات ، ويدينون أعمال الاضطهاد والاعتقالات والسجون ، وهم أنفسهم الذين باركوا ــ وبحماس ــ كل هذه الاعمال من قبل . ومن قبيل التكرار ان نؤكد هنا اننا ندين ــ كما ادنا فى الماضى ــ أى اضطهاد وتعذيب واعتقال لمواطن بسبب رأيه أو معتقده . ولكننا نسأل : أين كنتم عندما كانت الوحدة الوطنية مفتقدة أو معرضة للخطر ؟ .. ألم تباركوا هذه الاجراءات ؟ .. لحساب من أيدتم هذه الفترة وتهدمونها اليوم ؟ .. ولحساب من باركتم أعمال الاضطهاد والاعتقال من قبل ثم عدتم وتهاجمونه اليوم ؟ .. هل كان تأييدكم ــ فى البداية ــ لحساب المصالح الوطنية للشعب المصرى ؟ .. واذا كانت الاجابة ــ افتراضا ــ بـ « نعم » ، فهل لحساب مصالحه الوطنية أيضا تهدمون كل شىء اليوم ؟ .. اننا نفهم ــ بل ونقدر ــ أى تقييم للماضى ، ولكن بمنهج الحرص على مصالح شعبنا : منهج رصد ما هو ايجابى والعمل على التقدم به وتطويره ، ورصد كل ما هو سلبى من أجل التخلص منه وتجنب عدم تكراره . نحن احرص على اعادة فتح الملفات وتقييم ما بها من وثائق وأعمال ، ولكن البوصلة التى نهتدى بها هى التقييم الموضوعى ، وبرغم كل ما تعرضنا له من اضطهاد .. وهو ــ كما تعرفون وباركتموه وقتها وصفقتم له ــ كثير .. كثير .

ثانيا : تقييم شخصية جمال عبد الناصر .. وفى هذا المجال تغنينا قراءة « أخبار اليوم » عن كل قول أو استنتاج .. ففى العدد ٥٤٤ الصادر فى ٩ أبريل سنة ١٩٥٥ ، كتبت « أخبار اليوم » عن جمال عبد الناصر تقول ــ كما هو منشور بالنص قبل هذا التعليق ــ انه الشاب « الخجول الجرىء » و « الصريح الطيب » و « القوى المحب » و « المفكر المخطط » ... الخ .. الخ .

ونحن لا نناقش هنا هل هذه الصفات صحيحة أم لا .. فذلك منهج لا نأخذ به عندما نتناول بالتعليق او التحليل أو التقييم لشخصية زعيم سياسى ، وانما نتناول أعماله ونتائجها فى ضوء ظروف المجتمع الموضوعية ومتطلبات التقدم . ولكننا نسأل من كتبوا ذلك الكلام : هل كان صحيحا ؟ .. واذا كانت الاجابة بـ « نعم » ، فاننا نعود ونسأل : هل الصفات التى تكتبونها اليوم صحيحة وهى تختلف تماما عما كتبتموه من قبل ؟ .. أيهما نصدق : ما كتبتموه بالامس أم ما تكتبونه اليوم ؟

ثالثا : تقييم أحداث العدوان الثلاثى [١٩٥٦] ونتائجه .. وفى هذا الصدد قد يبدو الامر غريبا للوهلة الاولى .. فالاستاذ **على أمين** فى « الاخبار » يتحدث عن اننا « لم نهرب » أمام قوات العدوان ، واننا « أبدنا » الغزاة ، واننا « صمدنا » ، وهو يفخر بالجيش المصرى والشعب المصرى

ما الذى يمكن التحفظ عليه أو نأخذه على هذه الاحاديث وتلك الكلمات اذن ؟

ولنقرأ بعناية .. فى يوم ٣٠ أكتوبر سنة ١٩٥٦ ، وبينما كان المانشيت الاحمر العريض فى صدر الصفحة الاولى لجريدة « الاخبار » ما نصه : **اسرائيل تهاجم الاراضى المصرية** [العدد ١٣٥٠] ، كتب الاستاذ على أمين فى « **فكرة** » اليومية ، يتحدث عن المرأة ، وراح يشبهها بالاوتوبيس وضرورة ان يدفع الرجل ثمن التذكرة ! .. وبغض النظر عن مفهوم الاستاذ **على أمين** ونظرته للمرأة كانسانة ومواطنة ــ فتلك قضية أخرى رغم أهميتها ــ الا اننا نرصد هنا حقيقة ان هذا الحديث ، مع تحفظنا عليه ، لا يتناسب مع ظروف وواقع بلد تعرض للعدوان ، وأرضه وحدوده ومصالحه ومستقبله يتعرضون لخطر داهم .. أبناء مصر

من شبابها وخيرة رجالها يتعرضون لقنابل الاعداء ودباباتهم ؟ والاستاذ على أمين يكتب — فى نفس اللحظة — عن المرأة والاوتوبيس والتذاكر والركاب .

.. وهل يجوز ان يبلغ انفصال الكاتب عن وطنه وشعبه هذه الدرجة ؟ .. وفى أية ظروف : ظروف عدوان على الوطن ؟!

لكن هذه ليست ملاحظتنا الوحيدة ، رغم أهميتها البالغة .. فبينما كان المانشيت الاحمر العريض لجريدة « الاخبار » « روسيا تنذر بالحرب » اذا لم توقف بريطانيا وفرنسا واسرائيل عدوانهم على مصر فورا [العدد ١٣٥٥ ، الصادر فى ٥ نوفمبر سنة ١٩٥٦] راح الاستاذ **على أمين** يكتب في « فكرته » ، فى نفس العدد [١٣٥٥] عن ان مصر حاربت وستحارب « **بلا مساعدة خارجية** » .. كانت « الاخبار » تفرد مساحات بارزة لنشاط وجهود ايزنهاور ودالاس « لوقف اطلاق النار » [وتدبذلا بالفعل جهودا من اجل دوافع اخرى ليس هنا مجال تناولها] ، ولكن رئيس تحرير الاخبار يعلق بما يوحى بأن مصر لا تريد « مساعدة خارجية » لمواصلة مقاومتها للعدوان . ولا شك اننا جميعا نعتز بأن نستطيع وحدنا رد العدوان — فى أى وقت — ولكن عندما يعرض أحد ، أيا كانت طبيعته ، مساعدته لنا فى رد العدوان ، خاصة اذا لم نكن نستطيع وحدنا رده ، وبدون أية شروط ، فاننا لا نرفض عرضه خاصة اذا كان بناء على مناشدة رئيس الجمهورية الوطنى للرأى العام العالمى وللعالم كله بتقديم المساعدات لنا . وهذا ما فعله عبد الناصر فى خطابه الشهير بالازهر فى ٣ نوفمبر سنة ١٩٥٥ .

ولكن هذه أيضا ليست ملاحظتنا الاساسية

المهم .. ملاحظتنا الاساسية — حتى يتصل الكلام — على التقييم الكلى الذى عبرت عنه « الاخبار » وقتها لنتائج العدوان وأحداثه .. فبعد انتهاء العدوان كتبت « الاخبار » سلسلة تحقيقات ، بدأ بعضها فى العدد ١٣٥٩ ، الصادر فى ٩ نوفمبر سنة ١٩٥٦ ، بمانشيت أساسى للصفحة الاولى يقول : « **الانتصارات التى حققتها القوات المسلحة فى المعركة** » وبعدها منذ العدد ١٣٦٢ ، الصادر فى ١٣ نوفمبر سنة ١٩٥٦ ، تحت عنوان « **أسرار المعركة** » ، راحت تكتب تفاصيل « **كيف أنزلنا الهزيمة بالقوات المعتدية** » .. فضلا عن افتخار الاستاذ **على أمين** المتكرر بالجيش المصرى والشعب المصرى .

تقييم الاستاذ **على أمين** و « الاخبار » اذن ان مصر **انتصرت عسكريا** فى مواجهة عدوان سنة ١٩٥٦ ، وان « الهزيمة » العسكرية كانت من نصيب بريطانيا وفرنسا واسرائيل .

ليكن .. [رغم ان رأينا ان مصر انتصرت فى المعركة **سياسيا** رغم الهزيمة العسكرية لاسباب متعددة] .. ولكن الاستاذ **على أمين** وما يكتبه — مع غيره — فى « الاخبار » اليوم ، لا يتفق مع ما سبق وكتبه — وكتبوه — من تقييم .. مصر سنة ١٩٥٦ فى نظرهم اليوم ، هى مصر الهزيمة : سياسيا وعسكريا . ونحن نسأل أى التقييمين للاستاذ على أمين — ومن يكتب مثله — أصح ؟

وتقديرنا ان جيش مصر سنة ١٩٥٦ ، جنودا وضباطا ، قد بذلوا كثيرا وضحوا كثيرا من أجل مصر . وان من أسباب **الهزيمة العسكرية** طبيعة **القيادات** العسكرية وكفاءتها وقدرتها على الربط بين التقدير السياسى للموقف ، والتقدير العسكرى لمجريات الاحداث .. ولهذا فنحن — بحق — أشد اعتزازا وفخرا بجنود وضباط مصر — سواء فى سنة ١٩٥٦ أو فى غيرها — ولكن لدوافع أخرى ، وليس بدافع التملق والنفاق .

انتقدوا كما شئتم ما سبق من سياسات واحداث .. ولكن تذكروا ايضا ما سبق وكتبتموه من قبل حين قيمتم هذه السياسات والاحداث وقتها ، لتعرف أجيال مصر اين **تقفون بالضبط** ؟

« **الطليعة** »

تقارير الشهر

يونيــة

١٩٧٥

• جمهورية مصر العربية •

قبل ســـالزبورج :
جــــولة عربيـــــة

الرحلة الاخيرة التى قام بها الرئيس « **أنور السادات** » الى أربع عواصم عربية فى الفترة من ١٢ الى ١٨ مايو الماضى كان محورها بحث امكانيات الدعم العربى للنضال ضد العدوان والاحتلال الاسرائيلى ، والتوسط لحل الخلافات العربية الداخلية وخاصة النزاع **العراقى - الكويتى** حول الحدود ، والنزاع **السورى - العراقى** حول مياه نهر الفرات .

وبدأت رحلة الرئيس السادات بالكويت ، وقد اكد البيان المشترك الاتفاق على خط عربى موحد ازاء اجتماع القمة القادم بين الرئيس السادات ، والرئيس فورد فى ســالزبورج ، وداخل مؤتمر جنيف . كما أعلن البيان المشترك ان مصر والكويت ستسعيان لتحقيق المزيد من التعاون الاقتصادى بين البلدين ، وان المساهمة الكويتية فى دعم الاقتصاد المصرى فى هــذه المرحلة سيزداد حجمها .

وقبل ان يغادر الرئيس السادات الكويت أعلن فى مؤتمر صحفى ، أن احتمال تجــدد الحرب فى الشرق الاوسط ليس بعيدا أبدا ، وان مصر وقواتها المسلحة تعيش فعلا هــذا الاحتمال ، واكد أن مؤتمر جنيف لا يمكن أن يتم الا بحضور جميع الاطراف ، ولكن لابد من الاعداد لهذا المؤتمر بقدر ما تم للاعداد لحرب اكتوبر . وقال ، ان مصر ترحب بأى جهد تقوم به أمريكا أو الاتحاد السوفيتى أو حتــى الشيطان لحل أزمة الشرق الاوسط . وفى حديثه عن احتمال الحرب والسلام لعام ١٩٧٥ قال : الحقيقة تقييم احتمالات الحرب والسلام ليس واردا فقط قبل ٥ يونيو أو بعد ٥ يونيو ، وانما هو وارد فى كل لحظة نعيشها . ونحن نعيش فى مصر فعلا وقواتنا المسلحة تعيش فى مصر فعلا فى حالة توقع مستمر ، ولكن أريد أن أؤكد شيئا .. أريد أن أؤكد اننا نعطى لعملية السلام كافة الامكانيات فلن نبدأ نحن ، وانما سنعطى لعملية السلام كافة الامكانيات لكى تنجح . أما اذا اعتدت اسرائيل،فنحن جاهزون وحاضرون لها ، وعليها ان تتحمل تبعة ما ستلاقيه » .

وفى مطار بغداد أعلن الرئيس السادات لحظة وصوله : « انها بلا شك فرصة سعيدة أن التقى باخى الرئيس أحمد حسن البكر فى العراق ، وانها تعود لذكريات طويلة لان القاهرة وبغداد عبر التاريخ كانتا دائما مركزين من المراكز الاساسية للامة العربية . ان هذه أول زيارة يقوم بها رئيس مصرى للعراق ، وانا متفائل خاصة فى هذا الظرف الدقيق الذى تمر به الامة العربية » .

وقد وصفت الدوائر السياسية زيارة الرئيس السادات لبغداد بأنها تعبير عن انهاء مرحلة الانفصال بين القاهرة وبغداد . هذا الانفصال الذى أذكته حساسيات الماضى .

وشملت المباحثات بين الجـانبين المصرى والعراقى الخلافات على الحدود بين العراق والكويت ، وبين العراق وسوريا حول مياه الفرات ، وهو خلاف وصل الى حد التفاقم .

وقد انتهت المباحثات بين الجانبين الى توسيع العلاقات الاقتصادية بين مصر والعــراق ،

واقامة مشاريع اقتصادية مشتركة بين القطاعين العامين فى كل من البلدين لاقامة شكل من أشكال التكامل الاقتصادى . ومن المنتظر ان يبلغ حجم تلك المؤسسات ٧٠٠ مليون دولار . وسيستعين العراق بالخبراء المصريين والفلاحين والعمال المصريين فى انجاز خطة تنميته الطموحة . وقدمت العراق لمصر ٢ مليون طن بترول منها ما قيمته ٨٠ مليون دولار مساهمة من العراق لتخفيف أعباء التضحيات الهائلة التى يقدمها الشعب المصرى . كما تعهدت العراق بالمساهمة فى حل مشكلة الاسكان بمصر باقامة حى سكنى شعبى فى بور سعيد يتكلف ٣٥ مليون دولار .

كما ناقش الجانبان المصرى والعراقى فى الاجتماعات الثلاثة التى عقدها فى بغداد قضية الحرب والسلام ، وفرص نجاح مؤتمر جنيف ، وتنسيق التحرك العربى من كافة جوانبه . وتقييم الوضع الراهن بكل ملابساته والمسئولية العربية الجماعية فى مواجهة اسرائيل . وكذلك بحثا تقييم مستقبل العلاقات مع الاتحاد السوفييتى وضرورة تقوية الصداقة العربية السوفييتية .

وطار الرئيس السادات الى الاردن ، وفى عمان أعلن الرئيس السادات ـ فى مأدبة العشاء التى اقامها تكريما له الملك حسين : اننى اريد أن اقرر هنا أمام اخى الملك حسين ، وأمام أمتنا العربية كلها وعلى مسمع من أهلنا فى الارض المحتلة ، أنه لا يأس بعد اليوم أبدا . لقد تخطينا اليأس ، واليأس اليوم هو يأس العدو ذاته .. اننا نكافح من أجل الامل وهم يكافحون خوفا من اليأس والضياع . اننى اقول لاهلنا هنا : انتهت كل الايام الاليمة ، وان كل ما سيأتى باذن الله انتصارات .. نجح كيسنجر أو فشل فى مهمته ، سنظل منتصرين وستظل يدنا هى العليا .

وطار الرئيس السادات من عمان الى دمشق . ومع الرئيس حافظ الاسد تبادل الجانبان الرأى فيما يهم القطرين .

واكد الرئيس السادات فى المؤتمر الصحفى الذى عقده قبل مغادرته دمشق ، أن المباحثات التى أجراها فى جولته العربية امتداد للجهد الذى بذل قبل معركة اكتوبر ، وان اروع انجازات معركة اكتوبر هو التضامن العربى ، كما اكد أن قضية فلسطين هى لب المشكلة فى الشرق الاوسط وبدون حلها لن يكون هناك سلام فى المنطقة .. وقال :

« لقد قلت من قبل عندما يرفض الفلسطينيون القرار ٢٤٢ والقرار ٣٣٨ لهم كل الحق ، هذا حقهم ، ولكن عندما نتحدث عن مؤتمر جنيف أود أن أوجه هذا السؤال الى الفلسطينيين لان القرار قرارهم : هل يذهبون أم لا يذهبون ، ولكن يجب أن يكون معروفا ، انهم عندما يذهبون الى جنيف فالمشكلة هى مشكلة سياسية وليست مشكلة انسانية كما عولجت من قبل .. » .

وقال الرئيس السادات عن الوساطة بين سوريا والعراق حول مياه الفرات : كما قلت فى العراق ، المرء يجب أن يكون متئدا بهذا الصدد ، ولكنى بحثت مع الرئيس البكر ومع نائبه صدام حسين ومع الرئيس حافظ الاسد اسس هذه المشكلة وآمل كما قلت فى العراق انهم متقاربون جدا ، وسوف تحل هذه المشاكل .

كما قال الرئيس السادات فى ختام مؤتمره الصحفى انه يعتبر النصر الذى تحقق فى جنوب شرقى آسيا نصرا لحركة التحرير « أما أثرها على منطقتنا او على النزاع العربى ـ الاسرائيلى فهذا ما سأعرفه فى سالزبورج » .

■ الاتحاد الاشتراكى ■

أسس جديدة ..
ومخاوف .. واعتراضات

تبدأ فى الاسبوع الثانى من هذا الشهر «يونيو» ، انتخابات الاتحاد الاشتراكى ، وتشرف عليها لجنة من ٣٠ عضوا «يمثلون المحافظات وبعض المؤسسات الجماهيرية » وذلك لتشكيل مستوياته التنظيمية المختلفة . وسينعقد المؤتمر القومى العام فى ٢٣ يوليو القادم بجامعة القاهرة ، وأمامه مهمتان : ١ ـ اعتماد النظام الاساسى الجديد ٢ ـ انتخاب اللجنة المركزية التى ستتولى فيما بعد انتخاب اللجنة التنفيذية العليا ، وسوف تمثل القوات المسلحة ـ بصفتها احدى قوى التحالف ـ فى اللجنة المركزية واللجنة التنفيذية .

وكان الرئيس أنور السادات قد أولى هذه القضية اهتماما خاصا فى اجتماعه بالقيادات التنفيذية وبالدكتور **رفعت المحجوب** الامين الاول ، فى أوائل الشهر الماضى ، وحضره **حسنى مبارك** نائب الرئيس . وقد أكد الرئيس فى الاجتماع على ضرورة قيام المؤسسات المختلفة بالتخطيط المسبق ، واعداد الدراسات المتكاملة وركز على مبدأ العضوية الاختيارية كأساس للتنظيم السياسى « الذى يجب أن يأخذ دوره فى الفترة القادمة واهتم الرئيس بدعم التنظيم الشبابى وبناء شباب أكتوبر .

ثم عقد الدكتور المحجوب عددا من المؤتمرات الشعبية فى كثير من المحافظات ركز فيها ملامح الاتحاد الاشتراكى الجديدة التى « تختلف كثيرا عما سبقه ، ولن يكون التجديد تجديدا فى الاشخاص ، وانما تجديدا فى التفكير والاسلوب » .

ومن أهم الملامح التى أوضحها الامين الاول :

● العضوية الاختيارية للمواطنين بحيث لن تكون عضوية الاتحاد الاشتراكى شرطا اساسيا لتولى بعض المناصب العليا ، أو للترشيح لعضوية المجالس النقابية والجمعيات التعاونية ، ومجلس الشعب ، والمجالس الشعبية الاخرى .

وافادت المعلومات بأن الاتجاه الغالب بالنسبة لوضع أعضاء مجلس الشعب فى التنظيم الجديد للاتحاد الاشتراكى ، هو أن يكونوا أعضاء فى مؤتمرات الاقسام أو المراكز أو البنادر التى يمثلونها بحيث يكون لهم جميع حقوق عضوية التنظيم السياسى بما فيها حق الترشيح الى المستويات الاعلى فى التنظيم .

● ان العضوية ستعطى « للذين يلتزمون بمواثيق الثورة ، وبمبدأ التحالف » وللنقابات العمالية والمهنية بشرط « التزام مجالس ادارتها او جمعياتها العمومية بمواثيق الثورة والتحالف » وبصفتها المعنوية ، أى أن أعضاءها لا ينضمون بانضمام النقابة .

● أن ديمقراطية التنظيم « تستلزم التسليم بتعدد الاتجاهات من خلال منابر « داخل التنظيم لا خارجه » وأن تكون هذه الاتجاهات « مؤمنة بفلسفة التحالف » وقيام المنابر ليس مجرد تسليم بواقع فحسب ، ولكنه تحضير لمستقبل « يحدده الشعب من خلال المنابر المتعددة »

● ان أسلوب وقانون العزل السياسى قد انتهى باستنفاذ القانون الصادر به « ١٩٦٢ » لاغراضه « فى ١٩٧٢ » وبالتالى فلكل من سبق عزلهم سياسيا حق طلب عضوية الاتحاد الاشتراكى ، « فاذا لم تكن افكارهم قد تغيرت ففى يد الجماهير صمام الامن بعدم انتخابهم فى لجان الاتحاد » .

وحتى كتابة هذا التقرير « ٢٠ مايو » لم يعلن عن عدد الاعضاء المتقدمين لطلب العضوية وقد أعلن الدكتور المحجوب عن انضمام اتحادات نقابات المحامين والصحفيين والمعلمين واطباء الاسنان والعمال والفلاحين ونقابة عمال النقل البحرى والجوى الى عضوية الاتحاد الاشتراكى .

وقد أثارت بعض تعبيرات الامين الاول تخوفات بعض المفكرين ، وخاصة حول ما نشرته الصحف عنه بأن الذين لا ينضمون الى عضوية الاتحاد الاشتراكى سوف يعزلون أنفسهم عن حركة الجماهير . فسارع الى تصحيح هذا الالتباس ، فى رده على الدكتور « **وحيد رأفت** » الذى عبر عن مخاوفه فى هذا الصدد .

ويلاحظ المراقبون أن قضية المنابر لم ترد بشكل واضح فى تصريحات الامين الاول ، سواء عن كيفية تشكيلها داخل التنظيم السياسى ، أو عن كيفية ممارستها للعمل وانخراط الاعضاء فيها .

على أن بعض التعقيبات على تصريحات الامين الاول ، ظهرت وكأنها تطرح من جديد قضية وجود الاتحاد الاشتراكى نفسه . فقد كتب **عبد العزيز الشوربجى** ، نقيب المحامين

الاسبق "يعترض على تعبير «ان الجماهير المنظمة هى وحدها القادرة على ابراز المشاكل التى تستحق اولوية خاصة » . ووصف هذا المفهوم بأنه « اطار ممل لا يرشح الى أى نجاح مرتقب » ثم طالب « باطلاق سراح الجماهير من هذا التنظيم . دعوها تطوف بآفاق المجد . تؤكد مصر الغد » دون أن يحدد هذه الافاق او طبيعة مصر الغد . ثم كتب « **على أمين** » مطالبا بتأليف « جمعية وطنية » ينتخبها الشعب ، لمناقشة « التكوين الجديد للتنظيم السياسى وتطوير البناء الديمقراطى وطريق التمهيد لقيام أحزاب جديدة بعد تحرير الارض العربية من الاحتلال الاجنبى » . ورد - مقدما - على احتمال اعتراض احد على اقتراحه بعد اعلان ورقة اكتوبر ، قائلا « ان الرئيس أنور السادات حين قدم ورقة اكتوبر طرحها للمناقشة . والفكر لا يقف . وأن ورقة أكتوبر يجب ان تفتح الباب للافكار المختلفة حتى تصل الى الفكر الصحيح » . وفى نفس الاطار كتب « **أحمد أبو الفتح** » ينتقد المحاولات والجهود التى تبذل من اجل بناء الاتحاد الاشتراكى على أسس مغايرة ، ووصف هذه المحاولات بأنها « دوران فى حلقة مقفلة » . وهو يرى أن الحل الافضل فى رأيه انما هو « حرية تكوين الاحزاب » ، و « حرية اصدار وامتلاك الصحف » ، ثم يقول « والواقع أن كل الحلول تتضاءل أمام هذا الحل لانه الحل الطبيعى الذى يعيد الحقوق كاملة للشعب » .

●

■ مجلس الشعب ■

صفقة الأوتوبيسات بين المؤيدين والمعارضين

أعلن **مجلس الشعب** - بعد مناقشات وصفتها الصحف بأنها كانت مثيرة - موافقته على تقرير لجنة تقصى الحقائق التى كان المجلس قد شكلها لبحث موضوع صفقة الاتوبيسات الايرانية .

وأكد التقرير الذى أعدته **لجنة تقصى الحقائق** ، وناقشه المجلس ، على أن الصفقة سليمة من حيث اجراءات التعاقد والاسعار ، ان كانت اللجنة قد سجلت فى تقريرها بعض أوجه القصور .

فمن حيث الشكل سجلت اللجنة :

١ - أن اللجنتين المشكلتين للاتصال بالجانب الايرانى ، أو للتفاوض ، واتخاذ اجراءات توقيع العقد النهائى - اكتفتا باعداد تقرير عن عملهما رفع الى وزير النقل ، ولم تسجل محاضر تفصيلية لمراحل التفاوض ولسير عملها .

٢ - التعارض بين بعض نصوص العقد وما تضمنه الاتفاق المالى الذى تم بعد توقيع العقد ، وبشكل خاص المادة الثالثة من العقد الخاص بشروط الدفع ، وما جاء فى الاتفاقية المالية بهذا الخصوص .

ولم يثبت للجنة أن الوفد المشكل بقرار وزير التجارة الخارجية لابرام الاتفاقية المالية المنفذة لبروتوكول التعاون بين مصر وايران - قد قدم تقريرا عن مهمته .

٣ - عدم تدارك مشكلة النقل - بالرغم من انه كان معلوما للطرف المصرى أن التسليم سيكون فى ميناء الشحن F.O.B. الايرانى - مما تسبب عنه التأخير فى الشحن وعدم وصول السيارات فى مواعيدها .

كما سجلت لجنة تقصى الحقائق فى تقريرها

٤ - أن المواصفات الفنية لجهاز الاقلاع [المارش] حسب التغيير المتفق عليه الى قوة ٦ حصان بدلا من ٤ حصان لم يستكمل فى الدفعة الاولى من السيارات التى وصلت وان كان الجانب الايرانى وعد بشحنها من المانيا مباشرة على ان تترك المارشات المركبة حاليا بدون مقابل .

٥ - ان الدفعة الاولى من السيارات وصلت بدون أبواب .

اما المناقشة التى اجراها مجلس الشعب حول صفقة الاتوبيسات الايرانية ، فقد كانت المرة الثالثة التى تطرح فيها هذه القضية على مجلس الشعب .

لقد فجر الدكتور **محمود القاضى** قضية صفقة الاتوبيسات الايرانية وصفقة حديد التسليح الاسبانية عندما تقدم بسؤال لوزير النقل السابق ، وسؤال آخر لوزير الاسكان عن حقيقة ما يشاع عن كل من الصفقتين - وعن صحة ما اشيع من أن الحكومة المصرية تحملت فروق أسعار تزيد على عشرة ملايين دولار اكثر من التعاقدات التى تمت بين ايران وكل من السودان والكويت ، فى نفس الوقت ،

وبنفس مواعيد التسليم — وما اشيع أيضا من أن الاخطاء الجسيمة التى شابت صفقة حديد التسليح الاسبانى نتج عنها ضياع ستة ملايين دولار من اموال الدولة ..

ولعدم اقتناعه باجابات الوزيرين عن سؤاليه حولهما الى استجواب لرئيس مجلس الوزراء السابق د. **عبد العزيز حجازى** .

وتم ادراج مناقشة الاستجواب فى جلسة ٢٩ مارس الماضى — الا ان جلسة ذلك اليوم قد خصصت لبيان الرئيس **أنور السادات** عن الاوضاع السياسية ..

ولم تحدد جلسة للاستجواب حتى استقالت الحكومة وشكلت وزارة جديدة لم يدخلها وزير النقل السابق .

وغداة اعلان رسالة **د. حجازى لرئيس مجلس الشعب** والتى سجل فيها اعتراضه المبدئى على توجيه الاستجواب اليه بصفته رئيسا لمجلس الوزراء السابق ،لعدم دستورية ذلك ،ولعدم امكان اعتباره مسئولا عن اجراء تعاقدات لشراء سلع ، لان ذلك من اختصاص كل وزير ، والاجهزة المعنية بالوزارات .

كما أكد د. حجازى فى رسالته على أن صفقة الحديد قد تمت بمعرفة وزارة الاسكان والتعمير وتحت اشراف المهندس عثمان احمد عثمان شخصيا والاجهزة الفنية .

كما أن دوره بالنسبة لصفقة الاتوبيسات الايرانية قد اقتصر على أمرين رغبة شراء أتوبيسات وتدبير المال اللازم بتسهيل ميسر ، دون أن يناقش أى تفصيلات وان المهندس **مرعى أحمد مرعى** هو المشرف المسئول عن تنفيذ الاتفاقية بكل بنودها .

تقدم أكثر من عشرين عضوا يطلبون اجراء مناقشة عامة حول مسألتى صفقة الاتوبيس الايرانية وصفقة الحديد الاسبانى .

وفى مواجهة هذا الطلب تقدم أربعون من أعضاء المجلس من بينهم **د. القاضى** ، صاحب الاستجواب السابق ، يطلب تشكيل لجنة خاصة لفحص صفقة الاتوبيسات ، وتقديم تقرير عنها للمجلس للمناقشة . كما تقدم **د. القاضى** باستجواب للسيد وزير الاسكان بشأن الاخطاء الجسيمة فى صفقة حديد التسليح الاسبانى وما نتج عنها من خسائر فى أموال الدولة .

وهكذا شهدت جلسة مجلس الشعب يوم ٤/٢١ مناقشة على جانب كبير من الاهمية بين اتجاهين :

اتجاه يؤكد على اهمية الاستجواب ودوره فى الرقابة البرلمانية — وينبه المجلس الى أنه ، قبل استقالة الوزارة ، كان هناك استجوابان : واحد من د. أحمد منصور ساعد — قالت عنه الصحافة انه قبر ومات، واستجواب ثان عن صفقة الاتوبيسات وحديد التسليح وهو الاستجواب الذى لابسته بعض الظروف الداخلية التى اجلته . وان هذا التأجيل فى حد ذاته كان مجال كلام وأحاديث عند كثير من الجماهير ، وصور على أن هناك أمر فى هذا الاستجواب يقتضى التأجيل . يضاف الى هذا أن هذا الاستجواب الذى كان موجها لرئيس الوزراء — هو أول استجواب فى تاريخ مصر القريب يقدم الى رئيس الوزراء .

وعلى ضوء هذا فان تشكيل لجنة تقصى لحقائق صفقة الاتوبيسات الايرانية — وتقديم استجواب جديد لوزير الاسكان الذى أعلن تعيينه فى الوزارة الجديدة بشأن صفقة حديد التسليح الاسبانية هو الحل الذى يتفق مع دور المجلس كسلطة رقابة على الجهاز التنفيذى .

اما الاتجاه الاخر فكان يرى أن ترك الموضوع معلقا خاصة وقد أدلى الوزير بما لديه . « وليس فى صالح هذا الشعب وهذا المجلس» أن تظل مسألة عامة تتعلق بالنزاهة فى بلدنا — معلقة لاكثر من شهرين . وان المناقشة العامة العاجلة تضع النقط فوق الحروف أمام الشعب، فيما تناولته الاشاعات ، بشأن صفقتى الاتوبيس وحديد التسليح .

وهكذا شكل المجلس لجنة لتقصى الحقائق فى موضوع الاتوبيسات الايرانية ، وأحال موضوع حديد التسليح للجنة الاسكان لبحثه مع مكتب اللجنة الاقتصادية .

وبينما ذهب الاعضاء الذين أيدوا تقرير لجنة تقصى الحقائق الى ان :

« الاجراءات التى تمت بالنسبة للتعاقد كانت سليمة ولا تشوبها أية شائبة ، وان كانت قد أوردت بعض التحفظات ، وبعض الملاحظات الشكلية والموضوعية ، فان هذه الملاحظات لا تمس الجوهر فى شيء ولا تمس النقطة الاساسية وهى سلامة التصرف وسلامة التعاقد ونزاهة الذين قاموا بهذه العملية من جميع الوجوه » (العضو **ابراهيم القاضى** — وارجع العضو **عبد الوهاب جسرها** انتشار الشائعات الى د. حجازى لانه لم يصبر حتى يرد على ما أثير حول هذا الموضوع ، ونشر رسالته الى رئيس المجلس فى الصحف . ثم توالى الاخرون فى النشر . وأكد العضو ، فى نهاية كلمته ، على أنه « بكل ما أوتيت من قوة، وبما أوتيت من ايمان ، وأنا امثل الطبقة

العاملة — أوافق على تقرير اللجنة واوافق على الصفقة بل واطلب المزيد ان امكن » . وانضم اليه العضو **الرفاعي المرسى التليس** .

اما د. **محمود القاضى** فقد حدد ، فى حديثه امام المجلس ، الملاحظات التالية :

— جميع التعاقدات السابقة واللاحقة للالف اتوبيس ، كان السعر فيها ثابتا ، فيما عدا سعر الصفقة الايرانية فقد كان السعر قابلا للزيادة بنسبة ١٣ فى المائة سنويا .

٢ — قيمت اللجنة فى تقريرها الاضافات والتعديلات التى طلب ادخالها على الاتوبيس وقدرت لها اموالا ، مع انها أمور عادية وجرى العرف عليها ، وبشكل خاص فى صفقة الف أوتوبيس .

٣ — وضع وزير النقل السابق ، على رأس اللجنة المشكلة للتفاوض والتعاقد بالطريق المباشر مع مورد واحد على صفقة قيمتها ٥٩ مليون دولار ، موظفا كانت النيابة الادارية تجرى معه تحقيقا انتهى الى احالته الى المحاكمة امام المحكمة التأديبية العليا هو ومدير المؤسسة المشترك معه لعدم أمانتهما واخلالهما بواجبات الوظيفة .

٤ — لم تنفرد الصفقة الايرانية نسبة السماح كما ذكرت اللجنة فى تقريرها ، اذ أن عقد اليجاسو الاسبانية توجد به سنة سماح.

٥ — السيارة البيجاسو الاسبانية تم التعاقد عليها مع اسبانيا فى ٧٤/١٢/٣١ ، بعد صفقة ايران بخمسة أشهر ، بسعر يقل حوالى عشرة آلاف دولار عن مرسيدس ايران .

٦ — شركة مرسيدس بنز باعت سيارات للجيش ، فى عام ١٩٧١ بسعر ٦٤٥٠٠ مارك. وقدمت لنا فى عام ٧٤ ، نفس هذه السيارة ، بسعر ١٠٥ الف مارك . وهذا يعنى أن السعر ارتفع من عام ١٩٧١ حتى اليوم حوالى ٦٠ الى ٦٥٪ . أما سعر السيارة المرسيدس الايرانية فقد ارتفع سعرها فى هذه المدة حوالى ١٥٥٪ .

٧ — الصفقة لم تتم عن طريق الممارسة ولم يحدث أى كلام عن السعر . بل كان محددا من قبل أن تشكل لجان التفاوض . ولم يخفض مليم واحد ، بل زيد عليه ١٥٠ دولار مصاريف نقل السيارة من المصنع الى الميناء .

٨ — حينماقدم عرض ٢٥٠الى٣٠٠ سيارة للاقاليم من شركة مرسيدس بألمانيا — قالت اللجنة الفنية لمؤسسة النقل الداخلى انها لا تصلح ، ورفضت العرض . وحين جاءها العرض بنفس السيارات ، من ايران ، قالت انها صالحة وقبلتها . وهذا يوضح عدم دقة عمل هذه اللجان ، والشكوك التى تثيرها تصرفاتها فى النفوس .

٩ — رفض وزير النقل التوقيع ، على أساس أن العمل لم يتم بعد . اذ أن لجنة المفاوضة لم تنته من عملها . ولابد من أن يعرض الموضوع على لجنة البت العليا لوسائل النقل .

١٠ — لم يكن من حق رئيس شركة مصر لتجارة السيارات ولا المشرف على الاتفاقية المصرية الايرانية التوقيع على العقد الا اذا كانت أمامهم محضر لجنة البت ، وهو الامر الذى يتم فى جميع الصفقات ، وحتى مع دول الاتفاقيات الشرقية .

وابرز العضو **عباس المصرى** أن ما انتهت اليه اللجنة من سلامة هذه الصفقة ، من حيث اجراءات التعاقد والاسعار يتناقض مع ما أثبتته اللجنة فى حيثيات حكمها من ناحية الشكل ومن ناحية الموضوع . وان ما انتهت اليه اللجنة من الاشادة بكل الذين تناولوا من الجانب المصرى — هذه الصفقة — ليضفى عليهم جميعا براءة كاملة — وهذا يتناقض مع ما أوردته هذه اللجنة نفسها من ملاحظات .

وأكد على أنه كان هناك تسيب ،وان التقرير قد خلا من تحديد المسئولية عن هذا التسيب، وبشكل خاص ، فى مسألة الشحن التى أدت الى تكلفة اضافية حوالى ستة آلاف دولار عن شحن كل أوتوبيس ، علاوة على التأخير .

وبعد انتهاء مناقشات مجلس الشعب وموافقته على تقرير لجنة تقصى الحقائق فى موضوع صفقة الاتوبيسات الايرانية علق احد المحررين البرلمانيين فى صحيفة الاخبار بقوله: ان هناك أسئلة عديدة لم تتناولها اللجنة فى تقريرها ، ووردت اجابات لها على لسان احد اعضائها [العضو **محمد رشوان**] ولكن بعدم وضوح . وقال : ان كلاما كثيرا فى المناقشة قيل عن مكتب تصدير حصل على عمولة ، وعن موظف فى اللجنة التى تعاقدت على الصفقة يعمل مع **منير البربرى** الذى خرج من النقل العام ليعمل مستشارا لكافورى [وكيل مرسيدس الالمانية] . وانه كانت هناك محاولات من جانب كافورى لتمويل الصفقة المرسيدس الالمانية ، وفشلت لان د. **حجازى** رئيس الوزراء السابق أصر على ان تتولاها أجهزة الحكومة مباشرة ، وبلا وسطاء.

كما لم يتحدد موقف من عضوى لجنة المفاوضات ولا رئيسها الذى أدانته النيابة الادارية .

• لبنان •

استمرار المحاولات لضرب التلاحم اللبنانى الفلسطينى

سقطت الحكومة العسكرية اللبنانية التى شكلت برئاسة **نور الدين الرفاعى** بعد ٦٣ ساعة فقط من تشكيلها ، وذلك تحت ضغط الحركة الوطنية اللبنانية التى وحدت جهودها مع المقاومة الفلسطينية لمواجهة المؤامرة الجديدة لحزب الكتائب التى أدت من قبل الى استقالة حكومة **رشيد الصلح** .

ولقد جاءت استقالة رشيد الصلح نتيجة للمضاعفات التى نشأت عن تدبير حزب الكتائب اليمينى الذى يتزعمه بيير الجميل مجزرة « **عين الرمانة** » ، التى استشهد فيها ٣٠ من الفلسطينيين واللبنانيين فى ١٣ ابريل الماضى ، وما تلاها من اعتداءات أفراد الكتائب على مخيمات الفلسطينيين فى **برج البراجنة وتل الزعتر** ومعظم أحياء **بيروت** ومدينتى **صيدا وطرابلس** ، حيث بلغ مجموع ضحايا هذه الاعتداءات أكثر من ٤٥٠ من الفلسطينيين واللبنانيين فضلا عن الخسائر المادية التى لحقت بالبلاد .

ولقد عمد حزب الكتائب بعد فشل مخططه ونجاح القوى الوطنية والتقدمية فى تطويق المؤامرة ، الى تفجير الوضع الوزارى عن طريق سحب ممثليه فى الوزارة ، لاجبار الوزارة على الاستقالة ، ولافساد التدابير التى تهدف الى توطيد العلاقات بين لبنان والمقاومة الفلسطينية ، والتى بذلتها حكومة رشيد الصلح بالتعاون مع قيادة المقاومة الفلسطينية ، وقد تبع استقالة الوزيرين الكتائبيين انسحاب اكثر من نصف اعضاء الحكومة ، بحيث بات من المتعذر استمرار الحكومة فى مباشرة مسئولياتها ، الامر الذى أدى الى تقديم رشيد الصلح لاستقالة حكومته أخيرا .

وقد تناول رشيد الصلح فى بيانه أمام مجلس النواب وكتاب استقالته الظروف التى سبقت تنفيذ المؤامرة الكتائبية فى ١٣ ابريل الماضى ، والتحضير السياسى والمعنوى والعملى لهذه المؤامرة ، ودعوة حزب الكتائب صراحة الى التصدى للوجود الفلسطينى ، والخروج على سياسة الدولة الرسمية حيال العلاقات اللبنانية الفلسطينية ومساندة لبنان للنضال الفلسطينى ، واثارة النعرات الطائفية .

وأوضح رشيد الصلح ان ذلك كان يرافقه تحضير عسكرى محموم تمثل فى ميليشيا مجهزة بأسلحة يجرى الحصول عليها بكثافة وبتسهيلات من جهة معروفة ، وقد تم ذلك بحجة وجود سلاح فى أيدى الفلسطينيين ، ولكن — كما قال الصلح — يعرف الجميع انه موجه لمقاتلة العدو الاسرائيلى ، بينما السلاح الاخر لا يقصد به سوى الاعداد لضرب المقاومة الفلسطينية ، وافتعال عمليات تقاتل تدفع بالبلاد نحو الفتنة من اجل حماية امتيازات طائفية وسياسية انعزالية باتت ترفضها غالبية اللبنانيين » .

ولعل أهم ما تضمنه بيان رشيد الصلح هو نقده الشديد للنظام اللبنانى ، وتحديده للعلل والامراض التى يعانى منها لبنان سياسيا واقتصاديا واجتماعيا ، وقوله : « ان الامتيازات الطائفية التى تشكل اساسا النظام السياسى اللبنانى قد تحولت فى ظروف تطور لبنان وعلاقاته بمحيطه العربى الى عائق يمنع أى تقدم ويهدد بالعودة الى الوراء وبنسف ما شيده بناة الاستقلال .. وانى أرى من واجبى وقد عشت تجربة مرة فى الحكم ، أن أقول بصراحة وموضوعية ان الوضع السياسى اللبنانى لم يعد يحتمل التمويه ولا المساومة » .

وحدد رشيد الصلح الطريق للخروج من الوضع المتردى الحالى على أساس : « وضع معادلة ديمقراطية جديدة فى اطار متطلبات النهوض الوطنى سياسيا واقتصاديا واجتماعيا ، باتجاه علمنة مؤسسات الدولة ، وتحقيق العدالة الاجتماعية والانماء الشامل فى آن معا ، وقيام لبنان بالتزاماته العربية ، ذلك هو منطق التاريخ وواقع الوطن وروح العصر وتطلعات الاجيال الجديدة » .

وأوضح رشيد الصلح ان الاتجاه لمعالجة أوضاع البلاد معالجة جذرية لن يكتسب فعاليته الا وفقا للاسس التالية :

● تحقيق اصلاح سياسى ديمقراطى يؤمن توزيعا صحيحا للصلاحيات بين مختلف مراكز السلطة ، ويوفر تمثيلا سياسيا يعكس الارادة الشعبية الحقيقية من خلال تعديل ديمقراطى لقانون الانتخاب .

● الالتزام بمقتضيات المعركة العربية المشتركة فى مواجهة العدو الصهيونى ، وبمساندة القضية الفلسطينية ونضال الشعب الفلسطينى بكل الاشكال والامكانات ، ومهما بلغت التضحيات . واقامة أكثر العلاقات توطدا ورسوخا مع المقاومة الفلسطينية على اساس التنسيق الكامل الذى يضمن المصلحة المشتركة .

● تعديل قانون تنظيم الجيش واخضاعه للسلطة السياسية . واحلال التوازن فى صفوفه ومده بكل الامكانيات المادية والبشرية ، ليتمكن من القيام بدوره الوطنى الاساسى .

● معالجة الوضع المالى والاقتصادى والاجتماعى بما يؤمن الموارد الكافية وفق سياسة ضريبية تفرض على « المداخيل » المرتفعة ، للوفاء بمتطلبات الدفاع الوطنى والمشاريع الانمائية ، والعمل على ضرب الاحتكار والسير نحو العدالة الاجتماعية .

ويواجه لبنان فى الوقت الحالى أزمة وزارية كبيرة بعد استقالة حكومة رشيد الصلح ، نظرا للخلافات الحادة فى وجهات النظر بين الاطراف السياسية الرئيسية فى البلاد حول صيغة الحكم ، وتعذر الجمع بين حزب الكتائب اليمينى وبين الحزب التقدمى الاشتراكى الذى يتزعمه **كمال جنبلاط** فى أى حكومة جديدة ، وذلك بعد القرار الذى اتخذته الاحزاب والكتل الوطنية والتقدمية بعزل حزب الكتائب وعدم اقامة أى حوار معه والمطالبة بحله ، واصدار هذه القوى الوطنية « **لقائمة سوداء** » بأسماء الشركات والمؤسسات التابعة للكتائب من أجل مقاطعتها فى كافة البلاد العربية .

وقد اتهمت الاحزاب والكتل الوطنية والتقدمية فى بيان لها حزب الكتائب اللبنانى بمحاولة اعادة البلاد الى أجواء التقاتل بعد فشل مخطط الفتنة الاخير . وذلك بافتعال أزمة وزارية تحول دون اقرار مشروع قانون تعديل تنظيم الجيش وتحقيق التوازن الوطنى فى قياداته .

وجاء فى بيان الاحزاب والكتل الوطنية والتقدمية « ان الازمة السياسية الحقيقية التى تعيشها البلاد ليست أزمة وزارية تحل بمجرد ابدال حكومة بأخرى أو شخص بآخر . وان المطلوب هو معالجة جذرية لازمة الوضع السياسى والاجتماعى ، وتحقيق اصلاح سياسى ديمقراطى يؤمن توزيعا سليما للعلاقات بين مختلف مراكز السلطة ، وتأمين تمثيل سياسى يعكس الارادة الشعبية من خلال تعديل ديمقراطى لقانون الانتخابات » وأكدت الاحزاب بأنها ستعمل على احباط كل محاولة لحل الازمة السياسية على غير هذا الاساس .

وأكد البيان تصميم الاحزاب والكتل الوطنية والتقدمية على التصدى الحازم لمحاولات الابتزاز الرخيصة التى يمارسها حزب الكتائب ، وتصميمها على توطيد العلاقات اللبنانية الفلسطينية ، وشل كل يد تتآمر على الوجود الفلسطينى وتحاول عزل لبنان عن الوطن العربى .

وتفيد الانباء الواردة من بيروت ، بأن حزب الكتائب لا يزال يواصل أعماله الاستفزازية ضد المقاومة الفلسطينية ، وآخرها ـ حتى كتابة هذا التقرير ـ حادث منطقة الدكوانة شرقى بيروت ، والذى أسفر عن مصرع ٣ اشخاص واصابة ٢٠ آخرين .

كما تفيد الانباء أيضا بأن حزب الكتائب يواصل تسليح أعضائه فى المناطق التى يوجد فيها فروع له ، ويعمل على تدريب الميليشيا الكتائبية على استعمال الاسلحة المتطورة والحديثة التى وصلت اخيرا الى الحزب . وكانت قوات الامن قد القت القبض فى ١٥ مايو الماضى على ثلاثة أشخاص ينتمون الى حزب الكتائب أثناء محاولة تهريب أحد المدافع المضادة للطائرات ، الامر الذى يشير الى ان حزب الكتائب مازال مصرا على تفجير الوضع الداخلى ، وضرب التلاحم اللبنانى الفلسطينى فى نطاق المخطط الذى بدأ بتنفيذه فى ١٣ ابريل الماضى .

وقد أظهرت قيادة المقاومة الفلسطينية فى لبنان درجة عالية من ضبط النفس فى مواجهة استفزازات حزب الكتائب المستمرة . وأكدت من جديد حرصها على أمن لبنان وسلامته ، ورفضها ان تكون طرفا فى الخلافات الداخلية اللبنانية ، واعلنت انها حريصة على أن تتوجه بكل قواها نحو العدو الصهيونى وأن تحشد أوسع القوى العربية ضد الاحتلال الصهيونى .

وقد أثار تشكيل الحكومة العسكرية الجديدة برئاسة العقيد المتقاعد **نور الدين الرفاعى** فى ٢٣ مايو الماضى ، ردود فعل سريعة ومعارضة شديدة من جانب الصحافة وجميع القوى الديمقراطية والاحزاب الوطنية والتقدمية والهيئات الدينية المسيحية والمسلمة والنقابات العمالية ، باعتبار ان هذا الاجراء يعد سابقة خطيرة فى تاريخ لبنان منذ الحصول على

الاستقلال عام ١٩٤٣ ، لما يمثله من تهديد خطير للوحدة الوطنية وللحريات الدستورية وللمؤسسات الديمقراطية . كما اثارت هذه الخطوة ردود فعل مماثلة فى اوساط المقاومة الفلسطينية والاوساط السياسية والرأى العام فى العالم العربى بصفة عامة .

هذا فى نفس الوقت الذى أعلن فيه كل من حزب الكتائب وحزب الوطنيين الاحرار الذى يتزعمه **كميل شمعون** تأييدهما التام للحكومة العسكرية .

لقد مارست جميع فئات الشعب اللبنانى ضغطا متزايدا من أجل استقالة الحكومة العسكرية ، وتفادى الانقسام والحرب الاهلية فى لبنان ، ومن المفارقات الملحوظة ان تاريخ تشكيل الحكومة العسكرية الجديدة قد توافق مع ذكرى اعلان الدستور اللبنانى . وقد كان نجاح هذه القوى فى معركة إقالة الحكومة العسكرية خطوة هامة لدعم الاخوة اللبنانية الفلسطينية ولاقرار قواعد النظام والامن فى لبنان على أسس صحيحة .

● ● ●

• فرنسا •

وغاب « دوكلو » الانسان ..

«بطل المقاومة» و«الفرنسى العظيم»

استغرق مرور حاملى باقات الورد ، واكاليل الزهور التى بلغ عددها أكثر من ١٥٠٠ ، والتى بعث بها مختلف الشخصيات والهيئات والاحزاب والدول ، استغرق وحده حوالى الساعة ، فى موكب الوداع الجماهيرى المهيب الذى اخترق شوارع باريس ، والذى ودع به الشعب الفرنسى ، المناضل الكبير **«جاك دوكلو»** عضو المكتب السياسى للحزب الشيوعى الفرنسى الذى توفى فى ٢٥ ابريل الماضى .

أما نعش « دوكلو » الذى أودع أخيرا مقبرة **بيرلاشيز** الشهيرة فى تاريخ النضال الثورى الفرنسى ، فقد تكدست حوله تلال الورود الجميله ، والملايين من ازهار القرنفل الحمراء تحيط به فى مستقره الاخير .

وعلى مقر لجنة المركزية للحزب الشيوعى الفرنسى فى ميدان « **الكولونيل فسابيان** » انهالت برقيات التعزية من كل أقاليم فرنسا من الشمال الى الجنوب ومن الشرق الى الغرب ، وانهالت آلاف البرقيات من الخارج من كل قارات العالم ، بعث بها ممثلو الحركة العمالية ، والاحزاب الشيوعية والعمالية ، والاحزاب التقدمية ، وحركات التحرر الوطنى فى كل القارات ، كما وصلت الوفود التى تمثل هذه الاحزاب والدول والحركات الى باريس لتشارك الشعب الفرنسى توديع زعيمه البارز وشارك فى موكب الوداع الأخير الآلاف من العمال والعاملات الفرنسيين الذين كرس دوكلو حياته فى سبيل الدفاع عنهم والآلاف من الموظفين والنساء والرجال والشباب والفتيات من مختلف فئات وأوساط الشعب الفرنسى من أطباء ، ومهندسين ، وممرضين وممرضات ، ومدرسين ، وباحثين ، ورسامين ، وعاملين فى صناعة السينما الخ كما احاط بنعشه أيضا ممثلو العمال المهاجرين حيث شارك فى حرس الشرف فى الموكب ممثلو العمال الجزائريين ، والتونسيين والمغاربة ، والايطاليين ، والاسبان ، والارمن ، والتشيكوسلوفاك ، والسنغال ، والبرتغاليين .

وخصصت كبرى الصحف والمجلات الفرنسية مساحات من أعدادها الاخيرة ، تناولت فيها حياة وكفاح الزعيم الفرنسى الراحل . ونشرت العديد من التصريحات التى ادلى بها مختلف الزعماء السياسيين تأبينا له ، واوردت بصورة خاصة رسالة التعزية التى بعث بها رئيس الجمهورية الفرنسية الى قرينة جاك دوكلو وجاء فيها « **لقد كان جاك دوكلو احد المعالم البارزة لحياتنا السياسية الوطنية خلال نصف قرن ، وممثلا أصيلا للشعب الفرنسى . وكان لوفاته وقعها المحزن فى نفس كل أولئك الذين ــ بغض النظر عن اختلاف معتقداتهم ــ قدروا ايمانه الواضح ، ومواهبه الكبرى فى التعبير ، التى وضعها فى خدمة أفكاره** » .

والواقع الذى أشار اليه العديد من المراقبين السياسيين هو انه لا يمكن الحديث عن الحزب الشيوعى الفرنسى ، وتاريخ المقاومة الفرنسية للاحتلال النازى ابان الحرب العالمية الثانية ، وتاريخ الطبقة العاملة الفرنسية ، فى القرن العشرين ، دون وضع جاك دوكلو فى الصف الاول من طلائع ذلك الكفاح .

نشأ **جاك دوكلو** الذى ولد فى ١٨٩٨ فى اسرة متواضعة ، واشتغل عاملا فى صناعة

الحلوى وشارك فى النشاط السياسى والاجتماعى منذ وقت مبكر ، وعندما وقعت الازمة الاقتصادية فى الثلاثينات ، كان احد المحركين الرئيسيين لكفاح الحزب الشيوعى الفرنسى تحت شعار « من اجل الخبز والسلام والحرية » .

وبعد ذلك بثلاثين عاما اختاره الحزب فى ١٩٦٩ ليكون مرشح العمال لانتخابات رئاسة الجمهورية وحصل على ٢٢ر٧ فى المائة من أصوات الفرنسيين .

اشترك منذ انتهاء الحرب العالمية الاولى فى انشاء « **الرابطة الجمهورية للمحاربين القدامى** » التى كان احد اهدافها الرئيسية الكفاح ضد الحرب وضد النظام الاجتماعى الذى تسبب فى الكارثة العالمية التى استمرت من ١٩١٤ الى ١٩١٨ . وبعد الحرب العالمية الثانية كان فى الصف الاول من المعركة التى خاضها الحزب ضد السياسة الامبريالية العدوانية ، وضد اعادة تسليح المانيا .

وقد ناضل جاك دوكلو منذ ١٩١٩ من اجل الانضمام الى الدولية الثالثة الى جانب **بول فايان كوتيريه وريمون لوفيفر** وكذلك **هوشى منه** الذى كان يرتبط معه بصلات وثيقة . وانتخب عضوا فى اللجنة المركزية للحزب فى ١٩٢٦ مع صديقه **بنوا فراشون** ، ثم انتخب عضوا بالمكتب السياسى وسكرتارية الحزب فى ١٩٣١ ، وارتبط كفاحه بعد ذلك ولمدة ٤٠ عاما بكفاح **موريس توريز** سكرتير الحزب الشيوعى الفرنسى وزعيمه البارز وتعرض خلال ذلك للملاحقة والتشهير ، والسجن ، ورصدت المكافآت للقبض عليه .

وجاك دوكلو مناضل أممى بارز ايضا بذل جهوده دوما ، فى مختلف ميادين المعترك المستمرة من اجل الثورة والتقدم ، فقد انتقل الى **اسبانيا** اثناء الحرب الاهلية ، وزار **فيتنام** تحت القصف الأمريكى ووقف فى برلين الى جوار صديقه **جورج ديميتروف** الزعيم الشيوعى البلغارى الكبير لمساندة الشيوعيين والديموقراطيين الالمان الذين يتعرضون لاضطهاد الفاشية الهتلرية ؛ ودافع بشدة عن شعب **كوريا** الذى تعرض لعدوان كافة الدول الراسمالية الغربية تقريبا ، واعرب عن تضامنه مع شعوب **امريكا اللاتينية** فى مواجهة قمع ونهب الامبريالية الامريكية ، ودافع عن كافة الشعوب التى تعرضت لقمع الامبريالية الفرنسية والشعب **المغربى** ، والشعب **التونسى** والشعب السورى ، وشعوب الهند الصينية ، والشعب **الجزائرى** ، والشعب **الافريقى** ، وفى جزر **المارتينيك** ، **وجوادلوب** ، **وريينيون** .

كذلك فقد كان اسم جاك دوكلو بالنسبة لملايين الفرنسيات والفرنسيين رمزا للكفاح الوطنى ضد الاحتلال النازى . **فقد تولى مع بنوا فراشون قيادة الحزب الشيوعى الفرنسى على ارض الوطن ابان الاحتلال والمقاومة** . وبينما كان يتعرض لملاحقة كافة الاجهزة البوليسية للمحتلين وأذنابهم كان يتلقى فى مركز قيادته تحت الاسم المستعار « **فريدريك** » التقارير عن نشاط الشيوعيين ضد النازى فى كل انحاء البلاد . وهناك ايضا تلقى خطابا من الجنرال **ديجول** يشيد فيه بالتضحيات « **التى قدمت خدمة لفرنسا** » من جانب المناضلين الشيوعيين ، وبعزم الحزب الشيوعى « على المساهمة فى تحرير وعظمة » فرنسا . وقد استمر **جاك دوكلو** طوال فترة الاحتلال النازى ولمدة ٤ سنوات يقود نشاط حزبه فى جميع انحاء فرنسا وكان من مركز قيادته السرية بمنطقة باريس ولم يستطع الجستابو قط ، الايقاع به .

ويجمع كافة المراقبين السياسيين التقدميين على ان وفاة **دوكلو** كانت خسارة ضخمة لا للحزب الشيوعى الفرنسى والحركة الثورية الفرنسية فحسب ، بل كان خسارة حقيقية لكل القوى المناضلة من اجل الاشتراكية والتقدم فى العالم ، ولايعوض هذه الخسارة سوى صلابة البناء التنظيمى والسياسى الثورى الذى ساهم دوكلو بأقصى جهوده لدعمه وترسيخ كفاحه ، والذى يحمل فى باريس لافتة « الحزب الشيوعى الفرنسى » الذى يناضل بثبات من اجل الاشتراكية فى فرنسا، ومن اجل السلام والامن الدوليين ، ويقف دوما مع قضايا الشعوب المقهورة والطامحة الى التحرر فى كل مكان .

● ● ●

● **الهند الصينية** ●

بدء مرحلة ما بعد الانتصار

فى ١٧ مايو ، أعلن « **هو نيم** » وزير الاعلام فى كمبوديا ، ان بلاده كانت قد قررت اطلاق سراح سفينة التجسس الأمريكية « **ماياجويز** » وبحارتها ؛ وابلغت واشنطن بهذا . وفى صباح

١٥ مايو بدأ بالفعل نقل طاقم السفينة الى ظهرها ، تمهيدا لاقلاعها . ولكن فى نفس الساعة بدأ قصف جوى أمريكى كثيف للسفن والطائرات الكمبودية ، ولمعمل تكرير البترول والمنشآت فى ميناء « **سيهانوك فيل** » ، وعمليات انزال فى جزيرة « **كون تانج** » ، مما يبين ان العدوان كان مبيتا ، وان وكالة المخابرات الامريكية استخدمت سفينة التجسس والتخريب هذه — كما أكد ذلك الامير سيهانوك — فى عملية استفزازية الهدف منها تدمير كثير من الاهداف فى كمبوديا ، واستعراض القوة فى المنطقة — كما اكدت ذلك الصحف الامريكية نفسها نقلا عن مصادر أمريكية مسئولة — وتأكيد انها تنوى البقاء فى آسيا والمحيط الهادى رغم هزيمتها فى فيتنام وكمبوديا ، وممارسة نفس العنف والعدوان — كما أعلن شليزنجر وزير الدفاع صراحة — والذى طالب باتباع سياسة عنيفة فى المناطق الساخنة وضرب لذلك مثلا بعملية كمبوديا .

يؤكد التدبير والتعمد ، ان عمليات القصف والتدمير استمرت بعد اطلاق سراح السفينة المحتجزة وابحارها بطاقمها كاملا .. هدف آخر أراده الامريكيون ، هو ارهاب حلفائهم أنفسهم فى تايلاند مثلا ، ومنع اقامة علاقات طبيعية بينها وبين كمبوديا وفيتنام . ذلك ما اكده المسئولون فى تايلاند أنفسهم ، وما أكدته المظاهرات الجماهيرية فيها .. ومع ذلك فان حكومة كمبوديا فوتت هذا الهدف الأخير ، وأعلنت عن ترحيبها بالتعاون مع تايلاند . كذلك فعلت فيتنام الجنوبية التى أرسلت وفد على مستوى عال لتايلاند [فى ١٧ مايو] لبحث دعم التعاون واعادة السفن والطائرات والالات التى سرقها الامريكيون وعملاؤهم عند هروبهم من سايجون . وقد أكد **ثسونا فان** وزير خارجية تايلاند ان بلاده ستكون سعيدة باعادة العلاقات الطبيعية مع فيتنام وكمبوديا وبتبادل السفراء معهما .

وليس حادث السفينة هو العمل العنيف الوحيد للولايات المتحدة ضد كمبوديا وفيتنام ، بعد تحررهما . فقد تركت أمريكا نفرا من المخربين وراءها رغم انسحابها فى كل من البلدين ، لاثارة الفوضى وتدبير عمليات التدمير حتى ان حكومة فيتنام الجنوبية الثورية اضطرت لفرض حظر التجول فى هوشى منه [سايجون] ، واعلان حالة **الطوارىء** للقضاء على هؤلاء المخربين . **كذلك** تواصل الاذاعات التى توجهها أمريكا **للمنطقة** دعاياتها ضد بلدان الهند الصينية . وقد **أعلن** كيسنجر فى مؤتمر صحفى رفض تقديم عون اقتصادى لحكومة الثوار ، رغم ان اللجنة الاقتصادية التابعة للامم المتحدة [٥٤ دولة] قد طالبت دول العالم وفى المحل الاول الولايات المتحدة — بناء على مبادرة الجزائر — بتقديم معونات لفيتنام الجنوبية ، لاعادة بناء ما خربه العدوان .

ويؤكد معظم المراقبين ان الولايات المتحدة تتجاهل بالاعتداء على كمبوديا رغبة دول المنطقة فى العيش فى سلام ، والتى وصلت الى حد اعلان حكومة الثوار فى جنوب فيتنام قبولها بعثة دبلوماسية من الولايات المتحدة ، وترحيب كمبوديا باعادة العلاقات الطبيعية حتى مع الدول التى تدور فى فلك الولايات المتحدة ، بل التى استخدمت القواعد الامريكية بها : [**تايلاند** ، **الفلبين** ، **اليابان**] فى العدوان الاخير .

وتؤكد التصريحات الامريكية انهم كانوا على استعداد للمضى فى الشوط الى آخره ، فقد صرح مسئول أمريكى بأن الولايات المتحدة فكرت فى استخدام قاذفات القنابل الاستراتيجية « ف — ٥٢ » لضرب كمبوديا فى العمق ، ولكن غضبة الرأى العام العالمى ، وحملة الادانة قد جعلتهم يتراجعون مؤقتا عن العنف المباشر ، ويؤكدون عزمهم على الاستمرار فى سياستهم ، وكما هى العادة كانت النتائج وبالا على المعتدين .. فقد أعلن رئيس وزراء تايلاند سحب القوات الامريكية من بلاده [٢٧ ألف جندى] ، والطائرات الامريكية [٣٥٠ طائرة] ، والغاء القواعد العسكرية الامريكية ، ومراجعة كل الاتفاقيات العسكرية والاقتصادية والسياسية مع واشنطن . وتفجرت المظاهرات أمام السفارة الامريكية ، ورغم الاعتذار الرسمى لواشنطن ، أعلنت تايلاند اصرارها على سحب سفيرها هناك .

ومن جانب آخر ، بدأت حكومات **الفلبين وتايلاند** ، **واندونيسيا** ، **وسنغافورة** ، بل **وكوريا الجنوبية** ، تفكر فى عقد مؤتمر قمة بينها لبحث التعاون فيما بينها ، بما يجعلها أكثر قدرة على الصمود بقواها الذاتية ، وعدم الاعتماد كلية على الحليف الامريكى الذى لا يملك لها نفعا رغم كل تصريحاته الاخيرة بأنه لن يتخلى عن أتباعه وأعوانه . ويربط بعض المحللين بين اتجاه الدول الاسيوية هذا — خاصة فيما يتعلق برغبة هذه الاخيرة فى التعامل مع الدول الثورية فى المنطقة الامر الذى كانت تحرمه أمريكا — وبين قرار منظمة الدول الامريكية بتعديل معاهدة المنظمة لالغاء قرارات استبعاد كوبا وعدم التعاون معها ، رغم أنف الحليف الامريكى أيضا . وذلك بعد

وتسوغ اقدام النظم الثورية .

● ففى فيتنام : عادت الحياة الطبيعية الى البلاد فى زمن قياسى ، وبدأت عمليات اعادة التعمير ، وبدا حماس الشعب واضحا جليا فى استعراض النصر فى مدينة هوشى منه ، والذى اشترك فيه مليون مواطن ، منهم عدد كبير من الجنود الامريكيين الفارين من سياسة بلادهم ، وسيطرة الثوار على الـ ٤٤ مدينة كبيرة التى كانت حكومة سايجون العميلة تسيطر عليها .

● وفى لاوس ، ازاحت الحركات الجماهيرية ـ تمرد الطلاب فى الكلية الحربية والجنود فى سلاح الطيران ـ القيادات اليمينية المتعاونة مع الاجنبى ، و « الخونة واللصوص » ، كما اسماهم الثوار ، كما أزيح الوزراء العملاء ، وتدعم التحالف بين القوات الثورية والمحايدة ، حتى أن قائد القوات المحايدة أعلن ان القوات الثورية هى الحليف الاساسى للقوات المحايدة وطالب بالعمل المشترك لسحق العملاء والرجعيين ، واستطاعت القوات الثورية تحرير ثلاث مدن .

● وفى كمبوديا : بدأت عمليات تطهير البلاد من الجيوب الاستعمارية ، السياسية والثقافية والاقتصادية ، واثبتت قدرتها على سحق العدوان [اسقطت ٥ طائرات أمريكية فى العدوان الاخير وقتل وجرح نحو ٣٠ امريكيا] .

ومع ذلك فانه لا يبدو ان الولايات المتحدة ستلتزم بما أعلنه الرئيس فورد غداة هزيمة بلاده فى فيتنام عن « انهاء صفحة من الخبرة الامريكية » ، فهنرى كيسنجر ينذر بأن امريكا لن تتراجع عن دور الحماية الذى تقوم به فى العالم ، وهو بهذا يؤكد ان الامريكيين لم يستفيدوا بعد من درس الهزيمة ، وانهم ما زالوا راغبين فى المزيد منها .

رسالة العراق

حول الندوة العلمية العالمية الأولى لمركز دراسات الخليج العربى

البصرة : من عبدالمنعم شتلة :

بدعوة من مركز دراسات الخليج العربى التابع لجامعة البصرة العراقية ـ اشتركت مجلة الطليعة فى متابعة اعمال الندوة [١] ومثلها المهندس عبد المنعم شتلة .

وقد اشترك فى الندوة عدد كبير من الاخصائيين واساتذة الجامعات من مختلف الدول العربية كما حضرها مندوب من المانيا الديمقراطية وآخر من المانيا الغربية .

الهدف من الندوة

وتهيىء الندوة لقاء بين المهتمين بأوضاع الخليج العربى بقصد التعرف على الامكانيات المادية والبشرية لهذه المنطقة وتبادل الاراء والخبرات حول عدد من الامور منها :

١ ـ تحليل الامكانيات المادية المتاحة لدول الخليج وكيفية استخدامها .

٢ ـ أساليب التعاون بين دول الخليج واهمية هذا التعاون بالنسبة للوطن العربى .

٣ ـ الاهمية الاستراتيجية للنفط ومحاولة تحويل الخليج العربى من دول مصدرة لمادة خام أولية رخيصة الثمن الى مصدر أساسى لاقامة صناعة نفطية عربية تعزز اقتصاد دول الخليج ، وتتيح لها امكانيات افضل بكثير .

٤ ـ الدور الذى يمكن أن تقوم به العراق فى تعزيز قدرة دول الخليج العربى اقتصاديا واجتماعيا .

وقد تصادف أن موعد توقيع الاتفاقية الايرانية العراقية لتخطيط الحدود ، وحل بعض المشاكل المعلقة وخاصة المشكلة الكردية ـ جاء قبل انعقاد الندوة بوقت قصير ـ فكان لذلك اثر على جو الندوة والمناقشات الدائرة فيها وانعكس ذلك بوضوح على البيان الختامى للندوة ـ حيث لم يشر من بعيد أو قريب لدور ايران فى الخليج العربى .

الاهمية الخاصة لمنطقة الخليج

تتميز هذه المنطقة التى تضم دولا تسعة « العراق ـ الكويت ـ السعودية ـ المنطقة المحايدة ـ البحرين ـ اتحاد الامارات العربية ـ دبى ـ ابو ظبى ـ قطر » بأهمية نفطية عالمية متميزة سواء من ناحية الانتاج او الاحتياطى حيث بلغ انتاجها عام ١٩٧٣ ما يقرب من ٧٦١ مليون

[١] عقدت هذه الندوة من ٢٩ ـ ٣١ مارس سنة ١٩٧٥ .

على اى نحو سبعة أمثال ما انتجته قبل عقدين من الزمن » ٩ر٢٦ فى المائة » — وبذلك احتلت مركز الصدارة فى خريطة العالم النفطية — فوق أنها تشتمل على نحو نصف اجمالى الاحتياطى المؤكد فى العالم ، كما أن نصيبها من اجمالى احتياطى النفط المؤكد للوطن العربى يبلغ ٨٧ فى المائة .

مناقشــات النـــدوة

قدم المشتركون فى الندوة بحوثهم خلال ست جلسات استغرقت ثلاثة ايام .

وفى الجلسة الاولى قدم الدكتور **على لطفى** بجامعة عين شمس المصرية بحثه الذى تناول فيه « استراتيجية البترول العربى فى الربع الاخير من القرن العشرين » . وقد أشار فى بحثه الى التهديد الامريكى ضد دول البترول — والى الدعـايات الاستعمارية ضد دول البترول ، وخاصة هذا الاتهام بأسباب التضخم العالمى . كما تكلم عن الادعاء القائل بأن الأرصدة العربية هى سبب أزمة النقد العالمى — وقد قام بتفنيد هذه الاتهامات .

وقد اتسمت المناقشات التى تلت ذلك — بالجو المحافظ — والابتعاد عن المسائل الشائكة ، أو التى قد تثير خلافات فى الراى .

وتحدث بعد ذلك الدكتور **زكريا عبد الحميد باشا** ، بجامعة الموصل [العراق] حيث اشار فى بحثه الى الحجم الامثل لانتاج النفط . واتسم هذا البحث بالنظرة الشمولية والتقدم الفكرى .

وقدم الدكتور **شريف الشيخ** من جامعة البصرة « العراق » بحثا بعنوان :

« أبعاد مشكلة الطاقة ودور اقطار الخليج العربى فى مواجهتها » .

ويستعرض فى بحثه بعض النتائج فيقول فى ص ١٤ :

« العالم العربى عموما ، ودول الخليج على وجه الخصوص ، سيمثلان مكانا بارزا فى صراع مصالح الرأسمالية المتضاربة . وستجعل تلك المصالح تكيف سياستها بالشكل الذى يكفل الحفاظ على امدادات مضمونة من البتـرول بشروط مجزية . فنحن — الآن — حتى وان لم نتصور هذه الحقيقة بكل أبعادها ومضـامينها الحـالية والمستقبلية لكننا ندركها أكثر من ذى قبل — فلو تدارسنا ، بشكل موضوعى ، ماضينا وواقعنا الحالى ، ومستقبلنا لتراءى لنا أننا مقصرون فى ادراك أبعاد ومضامين هذه الحقيقة — فالعالم الرأسمالى أفرط وبشكل مستيرى فى استهلاك المواد الهايدروكربونية ، وبنى حضارة صناعية متطورة ووفر سبل عيش مرفهة للفرد ، على حساب طاقة بخيسة الثمن ، ومتوفرة بين يديه فى جميع الاوقات . اما نحن فيبقى واقعنا متخلفا فى جميع مظاهره — ان علينا أن ندرك أن غنانا وثروتنا يجب أن لا تقاس بما نملكه من أوراق نقدية فى المصارف والبنوك المختلفة الاجنبية فانها تتحكم بها فوضى الازمات النقدية والاقتصادية دون أن يكون لنا دور فى تقرير شئونها وتحديد سبل استثمارها بالشكل الكفء .

ثم يقول :

« اننا نعتقد أن الضرورة القومية والدولية تملى علينا نحن الدول المنتجة والمصدرة اتباع سياسة نفطية من شأنها تحقيق هدفين مترابطين مــع بعضهما ويؤثران ببعضهما :

الاول : العمل على امداد الدول الرئيسية المستهلكة باحتياجاتها من البترول وفق برنامج انتــاجى مدروس . يضع فى اعتباره العلاقة المنسقة بين حجم الانتاج ومقدار الاحتياطى ، ثم العلاقة المتوازنة بين نسبة نمو الانتاج السنوى ونسبة زيادة الاحتيـاطى السنوى من البترول لاجل استغلال الثـروة البتروليه استغلالا كفؤا لاطول فترة زمنية ممكنة .

الثانى : العمل وبشكل سريع على تحويل صناعة استخراج البترول ، من صناعة قائمة على أساس الانتاج لاجل التصدير ، الى صناعة متكاملة تشكل قطاعا رائدا ومرتكزا صلدا لاقامة صناعة نفطية متطورة ، تجذب بقية الصناعات مباشرة وغيـر مباشرة نحو التقدم والنمو — أى تحويل هذه المادة الناضبـــة من مدخرات مالية الى استثمارات قومية اخرى فى الصناعة والزراعة والقطاعات المرتبطة بها . ثم قال :

« **ان تحقيق هذين الهدفين يتطلب العمل بكل جرأة على استعادة السيادة الوطنية على هذه الثروة كاجراء ضرورى تمليه اعتبارات عدة** » .

وفى الجلسة الثانية ، قدم الدكتور **احمد جامع** بكلية الحقوق جامعة عين شمس بحثـه تحت عنوان :

« استخدام فائض البترول العربى من أجل التنمية الاقتصادية العربية — احلام أكثر منـه حقائق » .

وقد غلبت على البحث نظرة غير متكاملـة للجوانب المختلفة للموضوع المثار . ذلك أنه بدأ بحثه بقوله :

« تمكنت الدول النامية المنتجة للبترول . أخيرا وبعد حرب أكتوبر ١٩٧٣ متكاملة من وضع حد لعملية النهب المنتظم الذى تعرضت له ثروتها القوميـــة بواسطة الاحتكارات البترولية الرأسمالية والتى دامت لبضعة عشرات من السنين .. »

« كل هذا النهب المستمر للثروات القومية للدول المنتجة للبترول قد شهد حدا له بعد حرب اكتوبر ١٩٧٣ عندما قررت هذه الدول بارادتها وحدها مضاعفة الاسعار المعلنة للبترول بأكثر من أربع مرات — وبعد أن كانت ايرادات دول الاوبك من بيع

بترولها ١٧ مليارا فى عام ١٩٧٢ ، ارتفعت الى حوالى ١٠٠ مليار دولار فى عام ١٩٧٤ » .

بالطبع أن حرب أكتوبر فتحت الطريق أمام الدول البترولية لتضع حدا لنهب بترولها ، لكن القطع بأن هذه العملية قد تمت ، فهذا بالطبع يناقض الحقيقة ، حيث لازالت أجزاء غير قليلة من الوطن العربى تستثمر ثرواته البتروليه عن طريق الشركات الاستعمارية ، والتى تجنى الكثير من الارباح الباهظة نتيجة لذلك ــ فضلا عن ان ارتفاع سعر البترول قد عاد بفوائد كثيرة ايضا على هذه الشركات الاجنبية ــ وان هذا الارتفاع فى أسعار البترول لم يتوازن حتى الان مع الارتفاع المتزايد للسلع المستوردة من البلدان الصناعية سواء فى غرب أوربا أو فى الولايات المتحدة الامريكية .

وتلاه الدكتور **بهجت العانى** من وزارة التخطيط العراقية فى بحثه الخاص عن :

« دور الفوائض المالية العربية فى تنفيذ خطط الإقتصاد العربى وبرامجه » . وجاء فى مقدمة بحثه :

« وبما أن مجموعة دول الخليج تفتقر كل منها ــ على انفراد ــ لمقومات الدولة الكبيرة ذات الفاعلية والتأثير الدولى ، فان مثل هذا التكتل « اى **تكوين سوق خليجية عربية مشتركة** » يعتبر ضرورة قومية لهذه المنطقة . سيما وانها تتوفر فيها جميع مقومات قيام التكتل المنشود. والتى منها الحدود المشتركة وتماثل المنطقة من النواحى الاقتصادية والاجتماعية والطبيعية والبشرية والحضارية ، على الرغم من تباين الانظمة السياسية القائمة . لكن هناك رغبة مشتركة لدى شعب المنطقة لتحقيق حلم الوحدة العربية ــ ويعزز هذه الرغبة تماثل البنيان الاقتصادى وانخفاض الكثافة السكانية وتماثل وتكامل الموارد الطبيعية فيها » .

ويعود فيتناول فى بحثه **الفوائض المالية العربية** فيقول :

« يزداد الحديث يوما بعد آخر عن الفوائض المالية العربية وضرورة استخدامها وما يتطلب ذلك الاستخدام من شروط متعلقة بكيفية الاستخدام ومجالات الاستثمار ، ويبقى التساؤل مطروحا فى اى دول يتم هذا الاستخدام ، هل فى دول الفائض أم فى مكان آخر ؟ وفى هذا البحث سوف أحاول توضيح الفوائض العربية والأسباب التى دعت الدول الصناعية المتقدمة بالدعوة الى استخدام هذا الفائض وضرورة اعادته الى الدول المتقدمة ، أخلص بعد ذلك الى عدم الجدوى فى استخدام الاموال العربية وتوظيفها فى الدول المتقدمة ــ لان الضمان لهذه الاموال فى هذه الدول غير متوفر . كما أننا فى أمس الحاجة الى مثل هذه الفوائض لتوظيفها فى اقتصادنا وتنميتها من أجل اللحاق بركب الحضارة الانسانية ــ كما اشير الى أن استخدام هذه الفوائض فى دول أوربا وأمريكا يعتبر قيدا جديدا يكبل به الاستعمار أمتنا العربية .

« ومن هنا تبرز ضرورة استخدام هذه الاموال العربية فى منطقتها او فى الدول النامية ، وضرورة قيام تكتل اقتصادى عربى قادر عن طريق تنسيق سياساته الاقتصادية والمالية والتنموية ، وتحديد علاقاته بدول العالم ، والتعامل معه كمنطقة عربية وليس أجزاء منفصلة . وان يعجل بعملية التنمية فى الدول العربية من أجل رفع مستوى معيشة المواطن ، وتحقيق المصلحة المشتركة لجميع الاقطار العربية وبذلك نكون قد أكدنا الدور الذى يجب أن يقوم به الفائض المالى العربى » .

وينتهى الباحث الى قوله :

« ومن هذا كله لا يمكن القول ان هناك فائضا لدى مجموعة الدول العربية سواء على مستوى الفترة القصيرة او الطويلة ــ وحتى بافتراض توفر مثل هذا الفائض فان هناك الكثير من المتطلبات القومية التى تحتم استثماره فى المنطقة العربية أو فى مجموعة الدول المتخلفة والمحتاجة الى الاسناد والمساعدة .

واعقبه الدكتور **محمد أزهر السماك** من جامعة الموصل العراقية والذى قدم بحثه تحت عنوان : « **دور عوائد النفط فى التنمية الاقتصادية** لاقطار الخليج العربى » .

حيث أشار فى بحثه الى ما أسماه بالتحليل المقارن لامكانيات دول الخليج العربى النفطية « انتاجا واحتياطيا وعوائد » ثم تطرق الى عوائد النفط وبرامج التنمية الاقتصادية لدول الخليج العربى .

ثم تكلم بعد ذلك عن دراسة تجربة العراق فى التنمية الاقتصادية خلال الفترة ٥١ ــ ١٩٧٤ .

واعقبه الدكتور **حسن محمود ابراهيم** بالمعهد القومى للتنمية الادارية بجمهورية مصر العربية حيث تحدث عن :

« دور الفوائض المالية العربية فى تنفيذ خطط الاقتصاد العربى وبرامجه» . حيث يختتم بحثه قائلا :

« ان ما يسمى بأزمة الطاقة والتى هى فى واقع الامر مناورة سياسية واقتصادية اكثر منها حقيقة واقعية يجب أن تكون دافعا للتوصل الى استراتيجية عربية موحدة تنبع من واقع العالم العربى ــ كوحدة ــ وتستند على أحد ، أو كل البدائل السابق ذكرها ، تستخدمها فى الوقت المناسب مراعية فى ذلك أن الامة العربية يجب أن تكون المستفيدة الاولى من عوائد البترول . فاذا كان من مصلحة الدول المنتجة للبترول أن تحافظ على ثروتها وأن تنميها ، فان من مصلحة الدول

العربية الاخرى التى لا تملك الموارد الاستثمارية الكافية أن تستضيف وتشجع وتحمى ثروات المجموعة الاولى لصالح العالم العربى .

وعلى الدول المنتجة للبترول ان تدرك ما يدور حولها الان من أن استثمار أموالها فى العالم العربى هو ضمان ضد التجميد والسيطرة على احتياجاتها ، وحفاظا على أزدهارها الاقتصادى ايضا » .

وفى الجلسة الثالثة التى انعقدت صباح الاحد ٣٠ مارس « آزار » ١٩٧٥ تحدث الدكتور ابراهيم صقر بمجلس الوحدة الاقتصادى العربية التابع للجامعة العربية عن :

« التكامل الاقتصادى العربى الواقع والطموح مع اشارة خاصة لدول الخليج العربى » ويقول فى بحثه :

« لم تعد فكرة التكامل الاقتصادى وضرورتها كمدخل للتنمية الاقتصادية والاجتماعية وتسريع وتاترها والحفاظ على مكاسبها محلا للمناقشة فى اى مكان فى عالم اليوم . ولقد تخطت فكرة التكامل الاقتصادى وضرورتها فى الوطن العربى مرحلة البحث فى مبررها الى مرحلة البحث فى وسائل تحقيقها وتسريع جنى الثمار المترتبة عليها » .

وتلاه بعد ذلك الدكتور أمين الحافظ بكلية ادارة الاعمال بالجامعة اللبنانية ورئيس وزراء لبنان الاسبق ـ حيث تناول موضوع « دور الخليج العربى فى تحقيق التكامل الاقتصادى العربى »

وركز بحثه على اهمية السوق العربية المشتركة ودور دول الخليج فى انمائها عن طريق المساهمة فى المشاريع الخاصة بالدول العربية الاخرى وتطويرها .

واعقبه بعد ذلك الدكتور بديع قدور من وزارة التخطيط العراقية حيث تلى بحثه الخاص عن : « نحو سوق خليجية مشتركة » .

وكان بحث الدكتور أحمد عبد الرحيم مصطفى أستاذ التاريخ العربى الحديث والمعاصر بجامعتى عين شمس والكويت عن :

« حاجة منطقة الخليج الى منظمة اقليمية » مثارا لمناقشات حادة حيث تناول فيه موضوع ضرورة اشراك ايران كاحدى دول الخليج فى منظمة اقليمية .

اذ يقول فى بحثه « ص ١٢ » : « حقيقة أن بعض العرب فى الخليج وخارجه حساسون لما يعتبرونه اطماعا ايرانية ، الا أن من المستحيل اغفال وجود ايران باعتبارها دولة خليجية ان لم تكن اقوى دول الخليج على الاطلاق » .

وبعد ذلك تلى الدكتور غويا بوزاره التخطيط العراقية بحثه عن :

« نظرة فى مستقبل الخليج العربى » ثم اعقبه الدكتور حنا حنر من جامعة البصرة ببحث عن :

« صناعة السماد والتكامل الصناعى والاقتصادى العربى » .

وفى الجلسة الخامسة تكلم الدكتور صادق مهدى السعيد من جامعة بغداد عن :

« السكان والقوى العاملة فى الخليج العربى » .

ويتناول فى بحثه دراسة للسكان والقوى العاملة فى اقطار الخليج العربى الاربعة : الكويت ـ البحرين ـ قطر ـ الامارات العربية المتحدة .

وتلاه بعد ذلك الدكتور على شيخ حسين الساعدى بجامعة البصرة ببحث عن :

« التعليم فى العراق ـ مسيرته ومنطلقاته فى تطوراته اللاحقة ـ كنموذج ايجابى لاقطار الخليج العربى » .

اما الدكتور جمال زكريا قاسم من جامعة عين شمس بجمهورية مصر العربية ـ فكان آخر المتحدثين حيث قدم بحثه عن :

« عوامل مؤثرة فى تطوير الوعى البترولى فى منطقة الخليج العربى » .

وقد اتسم هذا البحث بالسطحية وعدم الرؤية الشاملة للامور اذ يختتم بحثه فيقول :

ومن خلال المناقشات والقرارات داخل الندوة يتضح الاهمية الكبيرة لمنطقة الخليج العربى حيث تزخر بامكانيات جيولوجية وجغرافية ـ فهى تحظى بنحو نصف اجمالى الاحتياطى المؤكد للنفط فى العالم ـ كما تسهم بنحو ربع اجمالى انتاجه السنوى . هذا بالاضافة الى غناها برواسب تعدينية اخرى . لما انها تضم نحو مليون كيلومتر مربع من الاراضى الصالحة للزراعة ـ سواء عن طريق استغلال المياه السطحية أو مياهها الجوفية .

هذا علاوة على ان منطقة الخليج تضم نحو ٨٠ فى المائة من الفوائض المالية لاجمالى الوطن العربى حيث تتيح كافة هذه الامكانيات الفرصة امام هذه المنطقة باعتماد استراتيجية تنموية عربية تحقق للمنطقة امالها وطموحاتهافى التقدم والرخاء .

ولكن الواقع يشير الى ان الاستفادة من هذه الامكانات لازال بعيدا . ولم توجه الاستثمارات فى معظم أقطار الخليج لتحقيق هذا الهدف لتنمية اقتصادياتها . وانما سرفت فى مجالات استهلاكية متعددة الى جانب استنزاف بعضها فى مشروعات ترفيهية أو لاغراض أخرى . كما أن بعضا من

فوائض تلك العوائد قد اودع فى المصارف الاجنبية مما عرضها للهبوط المستمر فى أقيامها نتيجة لتبعيتها للنظم النقدية لدول تلك المصارف ـ حيث خفض الجنيه الاسترلينى عام ١٩٦٧ بنسبة ٣ر١٤ فى المائة ـ كما خفض الدولار مرتين اولهما عام ١٩٧١ وثانيهما عام ١٩٧٣ بنسبة ٩ر٧ فى المائة ، ١٠ فى المائة على التوالى .

ان الهبوط المستمر لاسعار العملات العالمية ما هو الا محاولات جديدة للسيطرة على نفط دول الانتاج . ولذلك يجب وضع سياسة سليمة لاستخراج البترول بما يتفق واهداف خطط التنمية ، لا أن تسرف فى استنزاف الموارد النفطية وتحويلها الى عملات اجنبية تودع فى مصارف دول الشركات وما يمكن أن يضيبها من أضرار مادية ملموسة ومستمرة . فالجدير بها أن يندمج انتاجها بما يتلاءم واهداف خطط التنمية .

ان دول الخليج العربى لا تستهلك من انتاجها سوى ٤ فى المائة فقط فى حين تصدر النسبة العظمى الباقية خاما ـ وهنا تكمن خسارة اخرى كبيرة لهذه الدول . اذ ان ما يضيفه طن واحد من النفط الخام من دخل لدول الخليج لا يعادل سوى ثمن ما يضيفه لاقتصاديات دول اوربا الغربية وامريكا بعد تصنيعه . لما يمكن أن يقدم من فرص التشغيل والقيم المضافة الناجمة عن التكرير والتصنيع والنقل والتوزيع والاستهلاك وغيرها .

وهنا تبرز مسألة جوهرية اخرى وهى ضرورة الاسراع بمشروعات الصناعات البتروكيماوية من خلال استراتيجية تنموية عربية موحدة .

كما تتضح أهمية ضرورة تأميم شركات النفط العاملة فى المنطقة ـ حيث أن سوق النفط الان هو سوق المنتج مما يمكن معه استبعاد اية مشكلات تسويقية محتملة وحتى يمكن برمجة انتاجها وتنمية برامجها النفطية بما يتلاءم وخطط التنمية المنتظرة .

وفى الجلسة الختامية التى عقدت مساء الاثنين ٣١ مارس « آذار » ١٩٧٥ ـ صدر البيان الختامى الذى حاول تلخيص مجمل المناقشات معبرا عن الاتجاه العام الذى ساد هذه الندوة ـ وتعطى قراءة البيان الختامى الصورة الحية لذلك .

رسالة فرنسا

لمحات حول المؤتمر الأوربى للطاقة النووية

باريس : من د. ميشيل فرح

اجتمع حوالى ٣٠٠٠ من بحاث العلوم والتكنولوجيا النووية فى قصر المؤتمرات بباريس ، فى الفترة من ٢١ الى ٢٥ أبريل ١٩٧٥ ، فى مؤتمر دعت اليه الوكالة الاوروبية للطاقة الذرية بالتعاون مع الجمعية الامريكية النووية . وجاء توقيت هذا المؤتمر ، بعد أيام معدودة من انتهاء المؤتمر التحضيرى للطاقة الذى عقد فى ٩ ابريل ولم يستطع أن يحقق الحوار نتيجة ملموسة بين البلاد الصناعية والبلاد المنتجة للبترول .. فجاء المؤتمر الثانى يتابع السعى الاول فى البديل التالى للطريق المسدود ، لاسيما وأن التبارى فى اقامة المحطات النووية كان يبدو الامل الجديد أمام العالم الصناعى فى استقلاله وعدم تبعيته فى الطاقة .

ومنذ لحظة افتتاحه ، تصدى المؤتمر لسلسلة ردود أفعال مخططة ومتباينة تعبر عن قلق قطاع من الرأى العام ـ ولاسيما فى فرنسا من جراء البرنامج النووى الفرنسى ، والخوف من تكاثر المحطات على البيئة ، وزيادة الحوادث والتلوث ، بجانب التبعات المالية واحجام التحويلات المطلوبة كانت بعض الاحزاب ، والجمعيات لحماية البيئة ، واصدقاء الارض ، يتظاهرون ، وينظمون المسيرات ، ويلقون بالمنشورات ، ويختلون مواقع المحطات الجارى انشاؤها أو اختيار مواقعها ..

وكانت هذه الحركات محدودة ؛ ولكنها تعبر ايضا عن صعوبة حوار الطاقة ليس فقط بين العالم الغنى والفقير ولكن أيضا داخل العالم الصناعى المتمادى فى الاستهلاكية دون ما حساب .

فكان على المتخصصين ـ فعلا ـ أن يتجادلوا فى حقيقة الامر : مدى البديل النووى ، احتياطيه ، وتوقيت نضوبه اسوة بالبترول ، احتياج العالم منه ، انواع المفاعلات وهندسة تصميمها ، واداؤها ، وتركيب أجزائها ، صناعة الوقود ودوراته واعادة معالجته ، الاغراض المختلفة . الحوادث وتداركها ، مشاكل التزويد والمخلفات ، الامان والبراءات .. كان على المتخصصين أن يدرسوا ويعكفوا على الاستفسار ليعودوا ويحيطوا الرأى العام بالدروس والعبر . وكان اشتراك العالم الثالث ، والشرق العربى ، حتمية تفرضها **أوضاعنا النضالية** . وكان حضور العالم الثالث لا **بأس به وتقدمت الهند ومصر** بحوثا فى الوقود **النووى وحضر مندوبون** عن بلاد عربية أهمها **الجزائر وسوريا** والعراق ـ ولفت الانظار لاول **مرة أعضاء بعثة الصين** وعددهم أربعة .

• • •

ومن خلال المؤتمر والبحوث المتخصصة من كل نوع وفى كل موضوع بدا أن هناك من عوامل التقدير للحوار العالمى حول الطاقة ما دفع بعض كبار المتكلمين فى المحاضرات الرئيسيه الى اتخاذ مواقف متفقة مع سياسة **جسكار ديستان مع الرئيس السادات** . واذا كان تزعم هذا التيار مندوب اليوراتوم ومدير عام الطاقة فى لجنة المجموعة الاوروبية مسيو فرنان سباك فقد أطنب **البعض الاخر فى اتجاه مضاد** رافضا لاى اعادة نظر فى التهالك على مصادر الطاقة ، باسم التقدم البشرى حتى ولو كان محامى التيار الثانى **اوروبيا ، غير امريكى ، بل فرنسيا هو رئيس الطاقة الذرية الفرنسية مسيو جيرو** . وسنورد نماذج من اقوال المحاضرين لتعميق ملامح الفكرتين .

لاحظ سباك أن الاستهلاك العالمى للطاقة يتميز بالتزايد المستمر والتفاوت الكبير من بلد لآخر . وأضاف أن هذا المنوال من الاستهلاك لابد من خفضه حفاظا على المصادر على المدى الطويل . فلابد من مبادرات ارادية تحل محل آلية السوق . **وهذا يعنى اقامة علاقات جديدة بين البلاد الغنية والفقيرة » وقال ان المجموعة الاوروبية رسمت سياسة تستهدف تخفيض تبعيتها من البترول الحالى بمقدار ٦٠٪** فى المائة الى حوالى ٤٠ فى المائة عام ١٩٨٥ . **والمقدر ضرورة ادخال ١٦ فى** المائة من هذا الفارق نوويا بحيث تصل الكهرباء النوويه والتسخينية الى ٥٠ **فى المائة من استهلاك** اوروبا خلاف البترول فى مطلع القرن القادم **ـ وعاد يقول ان التكنولوجيا الاوروبية تستطيع أن تعمل معجزات الا عندما يطلب من الانسان أن يقيم علاقات أحسن مع الغير ، فعندئذ يبدو محدود الافق** . وتابع قائلا :

نحن لا نستطيع ان نستمر فى اسلوب اللامبالاة ـ فالمطلوب ادخال نظام جديد يعتمد على الحوار ، والتضافر العالمى ، والموازنة بين قيمة مانملك « أوروبا » من تكنولوجيا وسوق وبين ما يملكون هم « العالم الثالث » من خيرات وتصميمات وارادات فى التنمية والكرامة والحياة .

اما **رئيس الطاقة الفرنسية** ، فقد أفرغ حديثه الا من كل احصاء وفكر عقلانى ، ولم يسترسل فى اطلالات ادبية أو خلقية . قال : ان سعر الكهرباء النووية اصبح نصف سعر الكهرباء التقليديه منذ ازمة البترول بما يوفر ٣٢٠ مليون فرنك سنويا فى محطة قدرة الف ميجا واط وقال : ان ثمن التيار النووى يبقى منافسا حتى اذا ارتفعت اسعار تركيبات المفاعلات مرتين ونصف مرة ، وارتفع ثمن اليورانيوم الطبيعى ٦ مرات ، أو حتى اذا شغلت المحطة ٣٠٠٠ ساعة سنويا فقط أما توليد البخار للتدفئة والتسخين المنزلى فينخفض سعره كلما كان المفاعل أكبر حجما .

لذلك فقد طالب بعدم الانكماش ، حيث لا توجد طريقه للحد من استهلاك الطاقه . وعرج على ما اقترحه مسيو **سباك** قائلا انه طريق مسدود نسبيا ـ ثم عرج بالاحصاءات على سؤال اول حول مستقبل الطاقة النووية ، وعلى سؤال ثان عن مدى احلالها محل البترول ، ومستقبل الاخير . ونادى بحتمية التعجيل فى هذا الاحلال اشفاقا على البترول اطالة لعمره . وانتقل الى أن المصادر الاكيده والجائزه لليورانيوم تتراوح بين ١٠ و ٢٠ مليون طن يورانيوم طبيعى . وأمام ندرة اليورانيوم ، المزود بالنظير ٢٣٥ ، نادى بالالتجاء الى المفاعلات المولدة ، وهى التى تفرخ مقدارا جديدا من الوقود أثناء احتراق الوقود الاصلى بها « وتعتبر فرنسا متقدمة فى هذا الجانب والمانيا فى المفاعلات ذات الحرارة العالية وان كان قد أعلن فى نفس المؤتمر ان محطة HT 4 R أمريكية بلغت طاقة ٣٠٠ ميجا واط هذا الاسبوع مكان التلاحق هنا على أشده » . واختتم مسيو **جيرو** محاضرته **بأنه ليس من حق أحد أن يوقف عجلة تقدم**

الانسانية . أما وفورات الاقلال من الاستهلاك فهى لا تمثل شيئا بالنسبة لاحتياجات العالم المعيش المتخلف ـ فاستمرار النمو حتمية والحد منها يسبب الحرب ـ ان التنافس على هذا المصدر أو ذاك من مصادر الطاقة مهمة ذميمة . فلكل متاعبه وتطلعاته بشرط أن يحارب الجميع الشحة . والامل القادر هو الامل النووى ، بشرط الاستغلال الاذكى للخامات وحل مشاكل النضوج النووى لتسليم الاجيال الصاعدة موقفا واضحا ـ فارادة وخيال البشر مع تضافر الجهد كفيلةبهذا .

• • •

١ ـ ومن اهم ملامح هذا المؤتمر ايضا الاقبال على الاستعداد لمفاعلات عام ٢٠٠٠ برفع الاحجام حتى ٣٨٠٠ ميجا واط ـ وان كان مندوب الوكالة الدولية للطاقة الذرية بفيينا قد أوضح اهمية مواجهة طلب البلاد الفقيرة من الاحجام الاصغر وضرورة معايرتها وتدريب الكوادر لها دوليا .

٢ ـ اتضح من مناقشة مواضيع الامان والمخلفات أن الحلول شبه منتهية . وان الشوائب النووية تحكمها الآن مواصفات صارمة تجعل التلوث بها اقل خطرا من غيرهـــا ـ كما دلت الاختبارات ضد الزلازل والحوادث الناجمة عن صهر قضبان الوقود وانقطاعها اصبحت شحيحة ، بل مما يعالج فى زمن قصير للغاية .

٣ ـ بالنسبة لصناعة الوقود والمواد اتضح الاداء الطيب للوقود الخزفى ، وثبت ايضا أن المواصفات السابق وضعها مبالغ فيها ، ويمكن اعادة النظر فى تخفيض تكلفتها وشدتها .

٤ ـ ثبت أن التزويد بالبلوتونيوم بدلا من اليور نيوم ٢٣٥ من الاتجاهات الشائعة التى دعت الشركات الامريكية للخروج من عقودها مع الحكومة للتزويد وتكاليفه الباهظة ـ كما اتضح أيضا ان اعادة معالجة الوقود بالطريقة الجافة للمفاعلات السريعة والمولدة كفيل بتخفيض تكاليف دورة الوقود .

٥ ـ أعلنت الطاقة الذرية فى جنوب افريقيا أنها ، بعد ١٤ سنة وانفاق ١٥٠ مليون دولار ، بدأت انتاج اليورانيوم ٢٣٥ بطريقة جديدة بمعاونة شركات المانية اعتمادا على الصلب والكهرباء الرخيصة بالبلاد [والمعروف ان الكهرباء تهرب بالكامل من الموزمبيق من سد كابورا باسا فى أخطر عملية تهريب طاقة عرفها التاريخ هذا فى الوقت الذى قررت الامم المتحدة اقصاء جنوب افريقيا وحظرت من التعامل معها] .

٦ ـ تشكل الخطة الانجليزية الكندية خطا مستقلا يجذب الهندوباكستان وبلادا اوروبيةاخرى ويحير فرنسا .

• • •

٧ ـ هذا وقد ثبت ـ رغم جو القلق الافتعالى الذى حاول البعض أن يغلف به المؤتمر ، بالنسبة لعدم الامان من نضوج الطاقة النووية ان هذا الجو لا يقوم على رؤيا صحيحة ـ فلا شك أن حملات التوعية من الخطر وحجمه ، ونوعه ، وطريقة دفعه ، واجبة ضرورية حتى لا يسير الناس فى الضباب ، أو حتى لا يقعوا ضحايا الاوهام ـ ولكن الى جانب ذلك ثبت أن حملات التهويل تحركها تكتلات خاصة بشكل انتهازى تعبيرا عن تحفظات ليست كلها نووية المصدر .

وهذا ما أعلنته نقابات العاملين بالطاقة الذرية الفرنسية فى ليموند بتاريخ ٢ مايو ١٩٧٥ من « ان الطاقة النووية اليوم يسهل التحكم فيها فى جميع مراحل استخدامها بسبب خبرة تجمعت خلال ٣٠ سنة لخبراء الذرة .

واضاف البيان : « ان العودة لمفاعلات الماء العادى المستمدة من مفاعلات الغواصات كفيلة باعطاء فرنسا الصدارة فى الرعيل الثانى للمفاعلات والخروج بالتالى من اى تبعية ، كما لا يجوز التنازل عن البحوث القديمة التى طرحت جانبا عام ١٩٦٩ سعيا وراء التأمرك » .

وأخيرا ، طالبت نقابة موظفى الطاقة الذرية الفرنسية بمزيد من الميزانيات للقيام بدورها فى السهر على الامان وعدم التلوث كما طالبت بالخروج عن سياسة التجمد المفروضة عليها من عدة سنوات ، وصمت المسئولين عنها ، الامر الذى جعل الشركات متعددة الجنسيات تزحف بشكل خطر على أوروبا الاوروبية .

• • •

ان حوار الطاقة ونضوجها هو اذن حوار الساعة .. لنقل تكنولوجيا الغرب الينا .. بتروليا .. ونوويا .. بل لكل المواد والخامات والاغذية واجتياز الجدار الحضارى .. وفتح العقل والخلق والابداع لمصر الغد .



مؤتمـــر القمـــة الأول

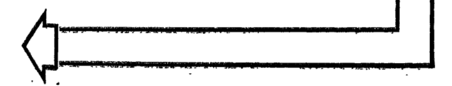
للـدول المصـــدرة للبـــترول

عندما فشل الاجتماع الذى دعت اليه فرنسا منتجى البترول ومستهلكيه للاعداد لمؤتمر دولى للطاقة ، اتهمت الصحف الفرنسية ــ خاصة « كومبا » و « لوفيجارو » ــ مؤتمر القمـــة لرؤساء وملوك دول الاوبك الذى كان قد عقد فى الجزائر فى مارس ١٩٧٥ بانه السبب • وأكدت ان هذا المؤتمر مسئول عن أمور ثلاثة [١] توحيد الدول المنتجـــة فى وجـــه محـــاولات سرقة ثرواتهـــا [٢] طرح القضية طرحا جديدا يتمثل فى مناقشة موضوع المواد الاولية كلها ، وليس البترول وحده [٣] اثارة موضوع اقامة نظـــام اقتصادى عالمى جديد يضع أساسا عادلا لتبادل المواد الخام مع السلع الصناعية •

والواقع ان مؤتمر الجزائر أرسى « بالفعل » استراتيجية للعمل الموحد للدول المنتجة للبترول ، اتضحت فاعليتها فى الدفاع عن مصالح هذه الاخيرة فى كافة المعارك التى قامت فيما بعد مـــع شركات البترول الراسمالية • وايمانا من « الطليعة » بأن المؤتمر يشكل علامة على الطريق ــ لا فى معركة المواجهة فحسب ــ بل علي صعيد العالم الثالث كله ، فاننا ننشر اهم وثائق المؤتمر وهى :

١ ــ الاعلان النهائى الذى صدر عن المؤتمر •

٢ ــ الخطاب الافتتاحى الذى القاه الرئيس بومدين •



[١] الاعلان النهائى الذى صدر عن المؤتمر :

اجتمع ملوك ورؤساء الدول الاعضاء فى منظمة الدول المصدرة للبترول ـ اوبيك ـ فى مدينة الجزائر فى اليوم الرابع من آذار مايو ١٩٧٥ بدعوة من رئيس مجلس الوزراء فى الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية .

١ ـ ناقشوا الازمة الاقتصادية العالمية الراهنة وتبادلوا الرأى فى اسباب هذه الازمة الملحة منذ سنوات عديدة وتدارسوا الاجراءات التى ستتخذ من اجل الحفاظ على الحقوق والمصالح المشروعة لشعوبهم فى اطار من التضامن والتعاون الدوليين .

ويؤكدون على ان السلام والتقدم الدوليين ، يعتمدان على الاحترام المتبادل لسيادة الدول الاعضاء فى المجتمع الدولى ، والمساواة بينها وفقا لميثاق الامم المتحدة . كما يؤكدون ان البيانات الاساسية الواردة فى هذا الاعلان تتفق والقرارات الصادرة من الدورة السادسة الخاصة للجمعية العامة للامم المتحدة بشأن مشكلات المواد الاولية والتنمية .

ويؤكد الملوك والرؤساء مرة اخرى ، التضامن الذى يوحد بين دولهم ، لحماية الحقوق والمصالح المشروعة لشعوبهم ، معلنين من جديد ، حق دولهم فى تملك مواردها الطبيعية ، واستغلالها وتحديد اسعارها ، وهو حق من حقوق سيادتها الذى لا منازع فيه ، رافضين أية فكرة او محاولة ، من شأنها التعرض لتلك الحقوق الاساسية ، وما يترتب عليها من تحد لسيادة دولهم .

كما يؤكدون من جديد ، ان الدول الاعضاء فى منظمة الاوبيك تعمل على تحقيق المصلحة العليا للمجتمع الدولى بأسره وتقدمه من خلال الدفاع الجماعى الراسخ المتماسك عن الحقوق المشروعة لشعوبه ، وهى بهذا تسلك السبيل الذى تصبو اليه الدول النامية المنتجة للمواد الاولية ، دفاعا عن الحقوق المشروعة لشعوبها .

ويرون ان تكافل الامم حسبما يتجلى فى الوضع الاقتصادى العالمى ، يتطلب اهتماما اكبر ، بالتعاون الدولى ، ويعلنون انهم على استعداد للاسهام بجهودهم ، فى تحقيق اهداف التنمية والاستقرار الاقتصادى العالمى ، كما هو وارد فى الاعلان وبرنامج العمل الخاص باقامة اقتصاد دولى جديد ، وهى الوثيقة التى اقرتها الجمعية العامة للامم المتحدة فى خلال دورتها السادسة الخاصة .

٢ ـ يلاحظ الملوك والرؤساء ان اسباب الازمة الاقتصادية العالمية الراهنة ، انما ترجع اساسا الى التفاوت الصارخ فى مدى التقدم الاقتصادى والاجتماعى للشعوب ، وان هذا التفاوت الذى يتسم به التخلف فى الدول النامية انما تولد اساسا عن الاستغلال الاجنبى الذى يعمل على ترسيخه ، واشتدت حدته على مر الاعوام فى غيبة تعاون دولى كاف من أجل التنمية . وقد ادى هذا الوضع ، الى زيادة استنزاف الموارد الطبيعية للدول النامية مما يعوق انتقال الموارد الرأسمالية والتكنولوجيا ، على نحو فعال ، ومما يؤدى الى الاخلال بتوازن العلاقات الاقتصادية اخلالا جسيما .

وهم يسجلون ، ان هذا الاخلال الذى اصيب به الوضع الاقتصادى الدولى الراهن ، قد تفاقم نتيجة التضخم الواسع النطاق ، هذا فضلا من انخفاض معدل النمو الاقتصادى بصفة عامة ، وعدم استقرار النظام النقدى العالمى فى غيبة الضوابط والقيود النقدية .

وهم يعودون فيؤكدون ، ان الاسباب الحاسمة لهذا الاختلال انما تكمن فى العلل المزمنة والمستحكمة ، التى تراكمت عبر السنين ، مثل الاتجاه العام للدول المتقدمة نحو الافراط فى الاستهلاك ، فضلا عن تبديد الموارد النادرة ، والسياسات الاقتصادية غير الملائمة التى تتسم بقصر النظر من جانب العالم الصناعى .

ومن ثم ، فانهم يرفضون ، اية ادعاءات تعزو مسئولية عدم الاستقرار الراهن ، فى الاقتصاد العالمى ، الى سعر البترول ، فالواقع ان البترول الذى ساهم بقسط وافر فى تقدم وازدهار الدول الصناعية ، خلال الربع الاخير من هذا القرن ، لا يعتبر ارخص مصدر متاح للطاقة فحسب ، بل ان تكلفة البترول المستورد لا تمثل سوى جزء ضئيل من اجمالى الناتج القومى للدول المتقدمة ، والتعديل الاخير الذى ادخل على سعر البترول ، لم يسهم الا اسهاما طفيفا فى المعدلات المرتفعة للتضخم التى تعزى اساسا الى اسباب اخرى تنبع من داخل اقتصاديات الدول المتقدمة ، هذا التضخم الذى يصدر باستمرار الى الدول النامية .

٣ ـ بالاضافة الى ذلك يدين الملوك والرؤساء ماصدر من التهديدات والحملات الدعائية والاجراءات الاخرى التى بلغت حد ان يعزى الى الدول الاعضاء فى منظمة الاوبيك ، نية تقويض اقتصاد الدول المتقدمة ، وان مثل هذه الحملات والاجراءات التى قد تؤدى الى حدوث مواجهة حالت دون التوصل الى فهم واضح للمشكلات القائمة ، وادت الى خلق جو من التوتر لا يفضى الى مشاورات أو تعاون على النطاق الدولى .

كما انهم يشجبون اى تكتل للدول المستهلكة ، بغية المواجهة ، ويدينون اى مخطط او اية استراتيجية ترمى الى العدوان الاقتصادى او العسكرى من جانب هذه التكتلات او غيرها ضد اى من الدول الاعضاء فى منظمة اوبيك ، وبالنظر الى هذه التهديدات ، يؤكد الملوك والرؤساء من جديد ، التضامن الذى يوحد بين صفوفهم ، ذودا عن الحقوق المشروعة لشعوبهم ، وهم بهذا يعلنون عن استعدادهم ، فى اطار ذلك التضامن ، لاتخاذ اجراءات فورية وفعالة من اجل التصدى لهذه التهديدات ، بوقفة موحدة كلما اقتضى الامر ذلك ، وخاصة فى حالة العدوان .

٤ ـ بينما يحرص الملوك ورؤساء الدول على الاستجابة للامانى المشروعة لشعوبهم ، فى سبيل التنمية والتقدم ، فانهم يدركون تمام الادراك الصلة الوثيقة ، التى تربط بين التنمية الوطنية فى بلادهم ، وبين الرفاهية الاقتصادية للعالم اجمع . وان التكافل المتزايد بين الامم ، يجعل الملوك والرؤساء اكثر احاطة بالصعوبات التى واجهتها الشعوب الاخرى ، والتى يمكن ان تؤثر على الاستقرار فى العالم . وازاء ماتقدم ، فانهم يؤكدون من جديد تأييدهم للحوار والتعاون والعمل المشترك من اجل ايجاد الحلول للمشكلات الكبرى التى يواجهها الاقتصاد العالمى .

وبدافع من هذه الروح ، فان الدول الاعضاء فى منظمة اوبيك ، بما اتيح لها من موارد مالية متزايدة فى فترة قصيرة نسبيا ، قد اسهمت من خلال الترتيبات الثنائية والمتعددة الاطراف ، فى الجهود المبذولة من اجل التنمية ، ومن اجل تسوية موازين المدفوعات الخاصة بغيرها من الدول النامية ، والدول المتقدمة صناعيا ، ايضا . ولقد زاد الدعم المالى الذى قدمته تلك الدول الى غيرها من الدول النامية خلال سنة ١٩٧٤ بالقياس الى ناتجها القومى الاجمالى ، عدة اضعاف من المتوسط السنوى ، للمساعدة التى قدمتها الدول المتقدمة صناعيا الى الدول النامية خلال عقد التنمية الاخير .

وعلاوة على ذلك ، فان الدول الاعضاء فى منظمة اوبيك قدمت تسهيلات مالية الى الدول المتقدمة ، لمساعدتها على تغطية العجز فى موازين مدفوعاتها . وكذلك ، فان التدابير التى اتخذتها الدول الاعضاء فى منظمة اوبيك من اجل التعجيل بتنميتها الاقتصادية وتشجيع التجارة فيما بينها ، قد اسهمت فى توسيع نطاق التجارة الدولية ، وفى تسوية موازين المدفوعات فى البلاد المتقدمة .

● — ويوافق الملوك والرؤساء من حيث المبدأ ، على عقد مؤتمر دولي ، يضم الدول المتقدمة والدول النامية . ويعتبرون ان هدف هذا المؤتمر ، ينبغي ان يتمثل في احراز تقدم ملموس في العمل من اجل تخفيف حدة الصعوبات الرئيسية ، القائمة في الاقتصاد العالمي ، وعلى المؤتمر ان يوجه بالتالي اهتماما مماثلا الى المشكلات التي تواجهها الدول المتقدمة ، والدول النامية على السواء .

من ثم ، فان جدول اعمال المؤتمر المذكور آنفا ، لا يمكن بحال ان يقتصر على دراسة مسألة الطاقة ، على ان يشمل بكل وضوح مسائل المواد الاولية في الدول النامية ، واصلاح نظام النقد الدولي ، والتعاون لخدمة التنمية من اجل تحقيق الاستقرار العالمي .

وفضلا عن ذلك ، فانه يمكن ان يعقد هذا المؤتمر ، في اطار محدود ، حتى ينجز اعماله بكفاءة ، شريطة ان تكون كل الدول المعنية بالمشكلات التي يتناولها البحث ، ممثلة تمثيلا مناسبا وحقيقيا .

٦ — يؤكد الملوك والرؤساء على ان استغلال موارد البترول القابلة للنضوب في بلادهم ، ينبغي ان يتم اولا وقبل كل شيء ، على نحو يخدم مصالح شعوبهم على افضل وجه ، وعلى اساس ان البترول ، الذي هو المصدر الرئيسي لدخلهم يشكل عنصرا حيويا في تنمية بلادهم

وبينما يدركون الدور الحيوي لامدادات البترول ، بالنسبة للاقتصاد العالمي ، يعتقدون ان الحفاظ على موارد البترول ، يعد مطلبا اساسيا لرفاهية الاجيال المقبلة ، ومن ثم يحثون على اعتناق سياسات تهدف الى الاستخدام الامثل لهذا المورد الجوهري المستنزف ، غير القابل للتجدد .

٧ — يشير الملوك والرؤساء الى ان التخفيض المصطنع لسعر البترول في الماضي ، قد دفع الى الاستغلال المفرط لهذا المورد المحدود ، القابل للنضوب ، وان استمرار مثل هذه السياسة ، ينطوي على كارثة فيما يتعلق بالمحافظة على هذا المورد ، وبالنسبة للاقتصاد العالمي .

وهم يرون ، ان مصلحة الدول الاعضاء في منظمة اوبيك ، وكذلك مصلحة بقية العالم ، تقتضي ان يحدد سعر البترول ، بوصفه العنصر الاساسي في الدخل القومي للدول الاعضاء مع مراعاة مايلي :

— مقتضيات المحافظة على البترول ، بما في ذلك قابليته للنضوب وندرته المتزايدة في المستقبل .

— قيمة البترول على اساس استخدامه في اغراض الطاقة .

— ظروف مصادر الطاقة البديلة من حيث توفرها واستعمالها وتكلفتها .

وفضلا عن ذلك ينبغي أن يستقر سعر البترول ، وذلك بربطه بمعايير موضوعية معينة ، بما في ذلك سعر المنتوجات المصنوعة ، أو نسبة التضخم ، وكذلك شروط نقل السلع والتكنولوجيا لتنمية الدول الاعضاء في منظمة اوبيك .

٨ — يعلن الملوك والرؤساء ان بلادهم على استعداد لمواصلة تقديم اسهامات ايجابية ، لحل المشكلات الكبرى المؤثرة على الاقتصاد العالمي ، ولتشجيع التعاون الصادق الذي يعد مفتاحا لاقامة نظام اقتصادي دولي جديد .

وهم يقترحون لدفع عجلة هذا التعاون الدولي — اتخاذ مجموعة من الاجراءات تجاه الدول النامية الاخرى ، والدول المتقدمة صناعيا .

وهم يريدون — لذلك — ان يؤكدوا على أن مجموعة الاجراءات المقترحة في هذا الاعلان تؤلف برنامجا شاملا ينبغي تنفيذ مقوماته جميعا اذا ما اريد بلوغ أهداف العدالة والكفاءة المنشودة .

٩ — يؤكد الملوك والرؤساء من جديد التضامن الطبيعي الذي يوحد بين دولهم وبين الدول النامية الاخرى في نضالها للتغلب على التخلف ، ويعربون عن تقديرهم العميق للمساندة القوية التي منحتها الدول النامية جميعا للدول الاعضاء في منظمة اوبيك على النحو الذي اعلنته في مؤتمر الدول النامية حول الموارد الاولية الذي عقد في داكار فيما بين الثالث والثامن من شهر شباط عام ١٩٧٥ .

وهم يدركون ان اكثر الدول تضررا من الازمة الاقتصادية العالمية هي الدول النامية ، وبالتالي فانهم يعيدون توكيد عزمهم على تنفيذ الاجراءات التي سوف تعزز تعاونهم مع تلك الدول .

وهم على استعداد كذلك للاسهام بقدر ما تسمح به امكاناتهم في تنفيذ البرنامج الدولي الخاص الذي وضعته الامم المتحدة ، وتقديم الاعتمادات الاضافية الخاصة والقروض والمنح لتنمية البلاد النامية .

وبهذا الصدد فقد وافقوا على تنسيق برامجهم الخاصة بالتعاون المالي لمساعدة اكثر البلاد النامية تضررا ، وذلك على افضل نحو ممكن ، وخاصة في التغلب على الصعوبات التي تواجه ميزان مدفوعاتها كما قرروا التنسيق بين تلك الاجراءات المالية والقروض الطويلة الاجل التي تعمل على الاسهام في تنمية اقتصاديات تلك الدول .

وفي هذا المجال نفسه ، ومن اجل الاسهام في استفادة افضل من الامكانات الزراعية في البلاد النامية قرر الملوك والرؤساء تشجيع انتاج الاسمدة بغية توفير مثل هذا الانتاج بشروط مواتية للبلاد التي تأثرت ابلغ التأثر بالازمة الاقتصادية .

وهم يعيدون التأكيد على استعدادهم للتعاون مع الدول النامية الاخرى المصدرة للمواد الاولية وغيرها من السلع الاساسية وذلك في الجهود التي تبذلها تلك الدول للحصول على سعر عادل .

١٠ — مساهمة في ازالة الصعوبات التي تؤثر على اقتصاديات البلاد المتقدمة ، يعلن الملوك والرؤساء ان الدول الاعضاء في منظمة أوبيك سوف تواصل بذل جهود خاصة فيما يتعلق باحتياجات هذه البلاد .

فيما يختص بامدادات البترول يؤكدون من جديد استعداد بلادهم لضمان الامدادات التي سوف تفي بالمتطلبات الحيوية لاقتصاديات البلاد المتقدمة شريطة الا تستخدم البلاد المستهلكة حواجز مصطنعة لتشويه المسار الطبيعي لقوانين العرض والطلب وتحقيقا لهذه الغاية تقيم الدول الاعضاء في منظمة اوبيك تعاونا وثيقا وتنسيقا فيما بينها من اجل المحافظة على التوازن بين انتاج البترول واحتياجات السوق العالمية .

وبالنسبة لاسعار البترول يوضحون انه على الرغم مما تبدي من جسامة التعديل الذي طرأ على الاسعار فان المعدلات المرتفعة للتضخم وانخفاض قيمة العملة قضيا على جانب كبير من القيمة الحقيقية للاسعار بعد تعديلها وان السعر الحالي يقل بصورة ملحوظة عن السعر الذي كان من الممكن ان ينتج عن تطوير مصادر بديلة للطاقة .

ومع هذا فانهم على استعداد للتفاوض حول شروط تثبيت اسعار البترول الامر الذي سوف يساعد البلاد المستهلكة على ادخال التعديلات الضرورية على اقتصادياتها .

وان الملوك والرؤساء ، اذ تحدوهم روح الحوار والتعاون ، يؤكدون ان الدول الاعضاء في منظمة اوبيك على استعداد للتفاوض مع اكثر البلاد المتقدمة تضررا بصورة ثنائية ، او من طريق المنظمات الدولية حول تقديم التسهيلات المالية التي تسمح بنمو اقتصاديات تلك البلاد مع ضمان قيمة ارصدة الدول الاعضاء في منظمة اوبيك وتأمينها .

١١ — واذ يذكر الملوك والرؤساء ان اي تعاون دولي صادق يجب ان يفيد كلا من البلاد النامية والمتقدمة ، يعلنون انه ازاء الجهود والضمانات والالتزامات التي تبدي الدول الاعضاء في منظمة اوبيك استعدادها للقيام بها ، فانه يجب على البلاد المتقدمة ان تساهم في تقدم وتطوير البلاد النامية عن طريق اتخاذ تدابير محددة ، ولا سيما تحقيق الاستقرار الاقتصادي والنقدي مع اعطاء الاهتمام المناسب لمصالح البلاد النامية .

وهم يؤكدون في هذا الصدد ، الحاجة الى التنفيذ الكامل لبرنامج العمل الذي اقرته الجمعية العامة للامم المتحدة في دورتها السادسة الخاصة ، وبالتالي فانهم يؤكدون المتطلبات التالية :

— يجب على الدول المتقدمة ان تدعم الاجراءات التي تتخذها البلاد النامية ، والتي ترمي الى تثبيت اسعار صادراتها من المواد الاولية وغيرها من السلع

الاساسية بمستويات عادلة خاصة بالتزاماتها الدولية بالنسبة لعقد الامم المتحدة الثاني للتنمية كحد ادنى للمساهمة يمكن زيادته بصفة خاصة بواسطة اقدر الدول المتقدمة ولصالح اكثر الدول النامية تضررا .

ـ توضيع تنفيذ برنامج فعال للاغذية تقوم الدول المتقدمة بمقتضاه وعلى الاخص اكبر دول العالم المنتجة والمصدرة للمواد الغذائية ومنتجاتها بتقديم منح ومعونات الى اكثر الدول النامية تضررا وذلك فيما يتعلق باحتياجاتها الغذائية والزراعية .

ـ الاسراع فى عمليات التنمية الخاصة بالبلاد النامية لاسيما عن طريق التحويل التكنولوجي الحديث بكفاءة وسرعة وازالة العقبات التى تحد من استخدام وتطوير مثل هذه التكنولوجيا لخدمة اقتصاديات البلاد النامية وبالنظر الى انه يحدث فى حالات كثيرة ان العقبات التى تعترض التنمية تنشأ من التحويل التكنولوجي القاصر غير الملائم فان الملوك والرؤساء يعلقون اعظم اهمية على تحويل التكنولوجيا الذى يعتبر فى تقديرهم بمثابة اختبار كبير لمدى التزام البلاد المتقدمة مبدأ التعاون الدولى لمصلحة التنميه . ان التحويل التكنولوجي لا ينبغي ان يتم على اساس من تقسيم العمل تقوم بمقتضاه البلاد النامية بانتاج سلع ذات محتوى تكنولوجي اقل . ان أى تحويل تكنولوجي يتسم بالكفاءة يجب ان يساعد البلاد النامية على التغلب على التخلف التكنولوجي الملحوظ فى اقتصادياتها عن طريق تصنيع منتجات ذات محتوى تكنولوجي عال فى بلادها وبالاخص فيما يتعلق بالتنمية وتحويل مواردها الطبيعية . اما بالنسبة للموارد الطبيعية القابلة للنفاذ مثل الموارد البترولية لدول منظمة اوبيك فانه لأمر حيوى ان يتمشى التحويل التكنولوجي من حيث السرعة والكم مع معدل استنفاذها الذى تجرى زيادة سرعته الان لمصلحة اقتصاديات البلاد المتقدمة ونموها .

ـ يصير بناء قسم كبير من المجمعات البتروكيماوية المصممة او الجديدة وكذلك مصافى البترول ومصانع الاسمدة فى أراضى الدول الاعضاء فى منظمة اوبيك بالتعاون مع الدول الصناعية لاغراض التصدير الى البلاد المتقدمة مع ضمان وصول مثل هذه المنتجات الى اسواق هذه البلاد .

ـ الحماية الكافية من تخفيض قيمة الاحتياطيات الخارجية للدول الاعضاء فى منظمة اوبيك وكذلك ضمان سلامة استثماراتها فى البلاد المتقدمة .

وفضلا من ذلك يرون من الضرورى ان تفتح الدول المتقدمة اسواقها امام المواد الهيدروكربونية وغيرها من السلع الاولية الى جانب السلع المصنعة التى تنتجها البلاد النامية ويعتبرون ان اساليب التمييز ضد البلاد النامية ومن بينها الدول الاعضاء فى منظمة اوبيك تتنافى وروح التعاون والمشاركة .

١٢ ـ يلاحظ الملوك والرؤساء الاضطراب الحالى فى نظام النقد الدولى ، وعدم وجود القواعد والوثائق الضرورية لحماية التبادل التجارى وقيمة الارصدة المالية للبلاد النامية .

ويؤكدون بصفة خاصة الحاجة الملحة لاتخاذ الخطوات الضرورية التى تكفل المصالح المشروعة للبلاد النامية .

ويدركون ان حشد الموارد المالية لكل من الدول الاعضاء فى منظمة اوبيك والبلاد المتقدمة ، فضلا عن القدرة التكنولوجية لتلك البلاد من اجل دعم اقتصاد البلاد النامية سوف يساعد هذا كله بدرجة كبيرة فى حل الازمة الاقتصادية الدولية .

ويؤكدون ضرورة اتخاذ تدابير اساسية وعاجلة لاصلاح نظام النقد الدولى بحيث تتوفر النظم المناسبة اللازمة لتوسيع نطاق التبادل التجارى وتنمية الموارد الانتاجية وكفالة النمو المتوازن للاقتصاد الدولى .

ويلاحظون ان المبادرات التى اتخذت حتى الان لاصلاح نظام النقد الدولى باءت بالفشل نظرا لان تلك المبادرات لم ترم الى ازالة الاجحاف المتأصل فى كيان ذلك النظام .

ولا ينبغي ان يظل اتخاذ القرارات التى يمكن ان تؤثر فى قيمة احتياطى العملات وحقوق السحب الخاصة وسعر الذهب ودوره فى نظام النقد الدولى مسألة من جانب واحد ، وان يتم التفاوض بشأنها من قبل البلاد المتقدمة وحدها ، اذ ينبغي ان تسهم البلاد المتقدمة فى الاصلاح الحقيقى للنظام النقدى والمالى الدولى بما يكفل عدالة تمثيل البلاد النامية بأسرها وضمان مصالحها .

وينبغي ان يتيح اصلاح النظام النقدى والمالى زيادة وفيرة فى نصيب البلاد النامية فى اتخاذ القرار والادارة ، والاسهام بدافع من روح المشاركة من اجل التنمية الدولية وعلى اساس من المساواة .

واستنادا الى هذا ، تقرر الملوك والرؤساء ان ينشئوا بين دولهم جهازا للتشاور والتنسيق من اجل اقامة التعاون الكامل فى اطار تضامنهم ، وبلوغ هدف الاصلاح الحقيقى للنظام النقدى والمالى والدولى .

١٣ ـ يعلق الملوك ورؤساء الدول اهمية عظيمة على دعم منظمة اوبيك ، ولاسيما تنسيق اوجه نشاط شركات البترول الوطنية فى اطار المنظمة ، والدور الذى ينبغي أن تضطلع به المنظمة فى الاقتصاد الدولى . ويرون انها معينة ذات اهمية قصوى ينبغي ان تنفذ ، وتتطلب التخطيط المنسق بين دولهم ، وتنسيق السياسات فى مجال انتاج البترول والحفاظ عليه وتسعيره وتسويقه فضلا من نواح مالية ذات اهمية مشتركة والتخطيط المنسق والتعاون الاقتصادى ، بما يخدم التنمية والاستقرار الدوليين .

١٤ ـ يعرب الملوك والرؤساء عن قلقهم العميق ازاء الازمة الاقتصادية الدولية الراهنة التى تمثل خطرا يتهدد الاستقرار والسلام ، ويدركون فى الوقت ذاته ان الازمة ولدت احساسا بوجود مشكلات سوف يسهم حلها فى توفير الامن والرفاهية للبشرية جمعاء .

وادراكا من الملوك والرؤساء لاكمال شعوب العالم باسره ، وتطلعاته فى حل المشكلات الرئيسية التى تؤثر فى حياتها ، فانهم يعلنون موافقتهم على التزام دولهم بالتدابير التى ترمى الى افتتاح عهد جديد من التعاون فى العلاقات الدولية .

ان البلاد المتقدمة التى تملك معظم ادوات التقدم والرفاهية والسلام ، كما تملك معظم ادوات الدمار ، ينبغي ان تستجيب لمبادرات البلاد النامية بمبادرات مماثلة وذلك باقتنام الفرصة التاريخية التى يتيحها هذا الموقف المتأزم فى فتح صفحة جديدة فى العلاقات بين الشعوب .

وبهذا ، يتبدد القلق الناجم عن اضطراب العلاقات فيما بين أولئك الذين تتوفر لهم اسباب القوة ، ذلك الاضطراب الذى يواكبه جو من عدم الاستقرار الناشىء من الفوضى السائدة فى الاقتصاد العالمى ، ويفسح المجال للثقة والسلام ، مما يهيء جوا من التعاون الدولى الصادق بين البلدان النامية ويوفر اعظم الفوائد ، وتسهم فيه بامكاناتها الهائلة .

وفى الوقت الذى توفر فيه ، بفضل عبقرية الانسان التقدم العلمى ، واحداث تغييرات بارزة نحو الافضل ، فان مستقبل الجنس البشرى لا يعتمد فى نهاية المطاف الا على قدرة بنى الانسان على حشد قوته الابداعية وارادته فى خدمة الجميع ، ولصالح البشرية كافة .

ـ يعلن ملوك ورؤساء الدول الاعضاء فى منظمة اوبيك ايمانهم العميق من ان اقامة نظام اقتصادى جديد يستند الى العدالة والاخاء ، ويمكن عالم الغد من ان يكفل التقدم للجميع على قدم المساواة فى تعاون واستقرار وسلام .

ومن ثم ، فانهم يتوجهون بهذا النداء الحار الى حكومات دول العالم الاخرى ، ويتعهدون رسميا بتقديم تأييد شعوبهم كاملا فى سبيل بلوغ هذه الغاية . .

[٢] الخطـــاب الافتتـــاحى للرئيـــس بو مدين

أصحاب الجلالة ..
أصحاب الفخامة ..
أصحاب السعادة ..

انه لشرف كبير ان تحتضن الجزائر أول لقاء على مستوى القمـة للبلدان المصدرة للبترول .

فباسم مجلس الثورة وحكومة الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية وباسم الشعب الجزائرى اتوجه بالتحيـة الى الملوك ورؤساء الدول وكبار الشخصيات متمنيا لكم اطيب المقام بيننا .

والواقـع ، انه لم يمض الا زمن قصير على انعقاد المؤتمر الرابع لدول عدم الانحياز ، الذى اكد بصفة علانية على عزم البلدان النامية ، للدفاع عن سعر المواد الاولية ، حتى اتخذت الدول الاعضاء فى منظمة البلدان المصـدرة للبترول ، وبالتشاور فيما بينها ، اجراءات سوف تكون علامة بارزة ، فى مسيرة الحركة الشمولية لاستعادة الشـعوب لمواردها الطبيعية .

ونحن اذ نتشرف باستقبال ملوك ورؤساء دول منظمة البلدان المصـدرة للبترول ، لا يسعنا الا ان نتذكر انه فى تلك الفترة التى قررت فيها كل من ايران والعراق والكويت والعربية السـعودية وفنزويلا توحيد جهودها لمواجهـة الاحتـكارات البترولية ، كانت الحرب التحريرية فى الجـزائر توشـك على انهاء سنتها السادسة .

واذا كانت القوات الاستعمارية قـد اذعنت انذاك للواقع الذى لا مناص لها منه ، فهى مع ذلك لم تتخل عن تهديد هيمنتها على ثرواتنا الطبيعية ووضعت لذلك مخططات من اجل شطر ترابنـا الوطنى وتجزئته الى قسمين .

والواقع ان كفاح الشعب الجزائرى دخل فى سنة ١٩٦٠ وهى سنة ميـلاد منظمة الاوبيك مرحلة حاسمة امتـدت سنتين دفع خلالها ثمنا باهظا من دمائه للمحافظة على وحدة ترابه الوطنى للدفاع عن سيادته على ثرواته الوطنية .

وبالنسبة للشعب الجـزائرى ، فان الظروف التاريخية التى شهد خلالها ميلاد منظمة الاوبيك وكذلك ما قام به بنفسه من اطالة كفاحه التحريرى من اجـل استعادة ثرواته الطبيعية قـد ادت به وبشكل طبيعى الى ان يساهم بقسطه ويساند بثمرة تجربته المتواضعة ، هذه القضية النبيلة ، التى تأسست منظمتنا للدفاع عنها فى ظرف اشتدت فيه قبضة الاحتكارات البترولية وكانت فيه بلداننا تعانى عزلة شديدة حيث اثبتت وجودها تدريجيا بتوسيع قاعدتها ومنح نشاطاتها شكلا ملموسا وحازما .

الاوبيك تلعب دورا طلائعيا ..

ومما لا شك فيـه ، ان منظمتنـا استطاعت بفضل ثباتها ، والتلاحم الوثيق بين اعضائها ، ان تلعب دورا طلائعيا ، وذلك باعطاء الوزن الحقيقى للطـاقات الهائلة التى تملكها بلدان العالم الثالث وباظهار الفعالية التى يمكن لهذه البلدان ان تستمدها من اتحادات المنتجين للمواد الاولية . وبهذا تمكنت منظمتنا من تقديم الدليل القاطع ، على ما يمكن ان تحققه البلدان النامية ، فى ميدان اولاه المؤتمر الرابع لدول عدم الانحياز مركز الصدارة فى اهتماماته .

وفى هذا المضمار يمكن القـول بكل تأكيد ، ان منظمـة البلدان المصـدرة للبترول قد ساهمت وتساهم بقسط وافر فى النهوض الاقتصادى للعالم الثالث .

غير ان الامبريالية لا تقبل بان تجرد من امتيازاتها بسهولة ، وما التصريحات العنيفة والتهديدات السافرة التى ترددت اثر تصحيح اسعار البترول والمناورات التى بذلت لاحباط مفعول هذه الاجراءات الا تعبير صريح عن ماهيـة واسلوب الامبريالية ، ودليل يؤكد بشكل واضح ، انه فى هذه المرحلة الجديدة بالذات من علاقاتنا مع الدول المصنعة يتحتم علينا المزيد من اليقظة ، لحماية مكاسب نضالنا والعمل على دعمها .

لقد استخدم مسيرو الاقتصاد الغربى الاجراءات التى اتخذناها من اجل المصالح المشروعة لشعوبنا ذريعة عجـزهم او رفضهم لاتخاذ الاجراءات الضرورية التى تفرضها الازمة الاقتصادية العالمية . هذه الازمة التى اندلعت قبل تعديل سـعر نفطنا وما فتئت تشتد خطورة حتى اصبحت اليوم تشكل تهديدا حقيقيا للاسـتقرار العالمى .

ومن هنا فان شعوب البلدان المصنعة المتخوفة من ظـواهر التضخم الجـارف والقلقة من شبح البطالة والفـوضى فى شتى المجالات اصبحت هى الاخرى تريد ان تربط صعوباتها بنشاط بلداننا الذى صور لها وكأنه المصدر الرئيسى لمتاعبها ، وكذلك الحال بالنسبة للتـدهور الجسيم الذى ما فتىء يصيب اقتصاد بلدان العالم الثالث ، ويعزى الى ما يسمى بازمـة البترول .

مزاعم بعيدة عن الحقيقة

اننا نعرف جميعا ان هذه المزاعم تبتعد بشكل متعمد عن الحقيقة ، وقد ابدت كل المجموعة الدولية رايها بكل وضوح ، فى الاسباب العميقة التى ادت الى الازمة الاقتصادية العالمية . كما ان الجمعيـة العامة للامم المتحدة التى خصصت ولاول مرة فى تاريخها دورتها الاستثنائيـة السادسة لبحث مشاكل المواد الاوليـة والتنمية قد اعلنت ان الوضـع الذى نعيشه انما هو ناتج عن المشاكل التى اهملت فتراكمت على مر السنين ، وان هذا الوضع يتسم بعـدم التكافؤ فى استفادة الشعوب من ثمرة النمو والتطور الاقتصادى وبانعدام تعاون دولى حقيقى .

لقد سيطرت على الحياة الدولية منـذ سنة خلت ، نشـاطات بلدان العـالم الثالث ، وخاصة بلدان منظمة الاقطـار المصدرة للبترول التى عرفت كيف تضطلع بمسئولياتها التاريخية ، عندما اعادت لشعوبنا حقوقهـا المشروعة وايقظت الوعى على المستوى العالمى ، بخطورة ما كانت تتسم به العلاقات الاقتصـادية الدولية من شذوذ . واليـوم نرى بكل اسف ان اصحاب سياسة المجابهـة يتصدرون منذ عدة اشهر مسرح السياسة العالمية .

ومن الواضح ان المبادرات التى نراها تتعدد باستمرار ، سـواء تلك التى تكتسب طابع الدعاية او التخويف او التى تكتسب طابع المساعى الدبلوماسية على اختلاف اشكالها لا ترمى الى شىء ، سوى العودة الى الوضع القائم سابقـا فى العلاقات الاقتصادية الدولية .

ومن الواضح ايضا بالنسبة الينـا نحن بلدان العالم الثالث المصدرة للبترول ان نفس هذه المبادرات انمـا تستهدف حق شعوبنا الثابت فى التصرف بحرية فى امر ثرواتها اى حقها فى التنمية والتقدم .

وفى الظرف السـائد حاليـا ، فان المسالة بالنسبة لمنظمتنا ، ليست مسالة تنسيق فى مجـال سعر النفط ، او مساهمة فى عمليات الاستغلال داخـل بلداننا فحسب ، ولكنها تتعلق بقضـايا اشمل واخطر بكثير بحيث انهـا جعلت وزراءنا يثيرونها باستمرار على مستوى القيادات فى بلدانهم .

ذلك ان اهميـة البترول الحيوية ، بالنسبة لشعوبنا ، والمكانة الرئيسـية التى يحتلها فى الاقتصاد العالمى ، وفى علاقاتنا مع شعوب العـالم الاخرى ، ستضفيان على القرارات التى نتخذها ابعادا سياسية دولية . ولذا فان خطورة القضية وضخامة المشاكل المطروحـة واهمية القرارات التى علينا ان نتخذها ، فرضت اجراء مثل هذا اللقاء وعلى هذا المستوى ، قصد التشاور والتفكير معا فى هذه الظروف الدولية التى يسودها الغموض والاضطراب لتحمل مسئولياتنا طبقا لما لنا من حقوق وما علينا من واجبات .

لقد ابرزت معـارك الامس من اجل

التحكم فى السعر ومراقبة الثروات الوطنية قدرتنا على تحقيق الانتصار فى قضايا شعوبنا العادلة ، واليوم ، وفى خضم هذه الاحداث ، ينبغى علينا ان نستغل هذه الفرصة الذهبية لتجسيد ارادة بلداننا فى تحمل مسئولياتها الدولية والتزام سلوك مسئول فى معالجة المشاكل التى نواجه غيرنا من الشعوب .

وان دعاة سياسة المجابهة لمخطئون تماما عندما يعتقدون ان فى استطاعتهم النيل من القدرة النضالية لشعوبنا فى كفاحها العادل من اجل التحرر الاقتصادى.

ومهما كان اصرارهم على اقناع غيرهم او اقناع انفسهم بان ممارسة اساليب التهديد تأتى بثمارها فانهم لن يتوصلوا سوى الى الابتعاد كل البعد من المشاكل الحقيقية المطروحة ومن الحلول التى تفرضها حتمية التاريخ .

اما فيما يخصنا نحن ، فاننا ملزمون باعمالنا امام شعوبنا وانه لمن واجبنا ان نؤكد من جديد وبكل قوة ، حقوقنا الاساسية فى ثرواتنا الطبيعية ، وان نعمل متضامنين على حماية هذه الحقوق.

ومن حقنا كاعضاء فى المجموعة الدولية ان نساهم بقسطنا فى ايجاد الحلول لكبريات مشاكل الساعة ، وان نضطلع بمسئولياتنا فى نطاق مبادىء وقرارات الامم المتحدة .

وعلينا اخيرا ان نعلن امام الراى العام العالمى ، حقيقة ما تنطوى عليه اعمالنا ومدى ايجابية الدور الذى قامت ولا تزال تقوم به بلداننا من اجل العدالة والسلام والاستقرار فى العالم .

مواردنا الاولية ملك شرعى لشعوبنا

على الرغم من الاعلان الرسمى للامم المتحدة ، الخاص بسيادة الدول على ثرواتها ، وعلى الرغم من الاعتراف الصريح بهذه السيادة ، من قبل الدول المتطورة نفسها ، فان استمرار بعض التصرفات من طرف الدول الغربية ، ليحمل على الاعتقاد بان الاعتراف بحق شعوبنا ، لا يعدو فى نظرها ، ان يكون مجرد اعلان عن مبدأ شكلى ، وان ظاهرة احياء نظريات كهذه او فلسفة كتلك التى تزعم ان بترولنا ما هو الا ملك على الشيوع بين الناس قاطبة ، لتؤكد حقيقة الاتجاه الذى تسير فيه بعض الدول المتطورة ، مختلقة براهين قانونية واخلاقية ملائمة ، قصد التعامل بها فى الوقت المناسب بغرض اضفاء صيغة شرعية امام الراى العام العالمى ، على كل عدوان مبيت ، وبالتالى فان الامر يتعلق بافتعال وضع تتراءى فى مظاهر قانونى بل وانسانى وذلك بغية الغاء حق شعوبنا فيما تملكه وفيما استرجعته بالعمل والكفاح والتضحية .

ومعنى ذلك ، ان الحق الطبيعى للشعوب فى ثرواتها الوطنية ، لا يحظى بنفس المفهوم ولا ينظر اليه بنفس النظرة ، اذا كان الامر يتعلق ببلدان العالم الثالث.

ومن الاهمية بمكان فى الوقت الذى اصبح فيه استعمال بترولنا يشكل احدى القضايا الجوهرية فى المناقشات الجارية على المستوى الدولى ان تتشبث بلداننا بالمبادىء الاساسية للامم المتحدة، فى ما يتعلق بسيادة الدول على ثرواتها الطبيعية .

ولكى نرد على ما يجرى من اعمال لاستثارة الرأى العام العالمى ، ضد بلداننا ، ينبغى ان نؤكد من جديد وبقوة اكثر من اى وقت مضى ، تمسكنا بحقنا وعزمنا على الدفاع عنه ، وان نرفض قطعيا كل نظرية ترمى الى الحد من ممارسة هذا الحق ، والى تقييد سيادتنا وان نعلن ان سعينا فى ميدان استعمال بترولنا ، مستوحى على الدوام من احدى المعطيات الاساسية التى تقتضى بان تكون كل مواردنا الاولية ملكا شرعيا كاملا لشعوبنا ، وان استغلال هذه المواد التى استرجعناها بالكفاح والتضحية لا يمكن تصوره الا من زاوية تقدير مسبق لمصالح شعوبنا .

اما فى مجال السعر ، فان بلداننا ، لا تريد سوقا تصفى فيها منتجاتها بثمن بخس مما قد يؤدى الى افلاس المنتج ، كما لا تريد بالمقابل ، اتخاذ قرارات مجحفة لا مبرر لها قد ينتج عنها ظلم المستهلك بدون حق .

انتاج البترول بين توفر الطاقة البديلة وحاجة الدول المنتجة

ان المكانة التى سوف يحتلها البترول فى الاقتصاد العالمى ، مع مراعاة وجود مصادر اخرى للطاقة ، والخاصيات التى تميزه عن باقى الموارد المنافسة له ، والدور الذى لعبه وسوف يلعبه داخل اقتصاديات البلدان المنتجة ، تشكل كلها فى نظرنا عوامل اساسية ينبغى ان نوليها العناية الكاملة ، اذا ما اردنا اجراء تقييم جدى عادل وواقعى لقيمة البترول.

ان تحديد المكانة التى ينبغى ان يحتلها بترولنا ، بالنسبة لمصادر الطاقة الاخرى، لا تكمن فى طريقة لاستخدامه واستثماره قد تؤدى الى احلال مصدر للطاقة محل مصدر اخر ولكن يتمثل فى الانسجام ضمن اسلوب يتفق وتسيير مجمل ثروة العالم فى هذا المجال وخاصة اختيار الاولويات لصيانة كل مصدر للطاقة بالنسبة للمصادر الاخرى مع مراعاة توفرها وخاصيات كل منها .

وبهذا الاسلوب فى التسيير ، الرامى الى تحقيق تحسن فى الاستثمار للثروة الموجودة فى مجملها والحفاظ على مصالح الشعوب ، يمكن أن نتفهم ، ان هناك اعتبارات وتقديرات بشأنه تختلف من بلد الى آخر ومن منطقة الى اخرى ومن شعب الى اخر .

وهكذا نلاحظ ان البلدان المصدرة للبترول التى تهمها المحافظة على مستقبلها تسلك اليوم سبيلا يختلف اساسا عن الذى انتهجته الشركات البترولية فى الماضى ، وترفض اى شكل من اشكال الاستغلال قائم على الافتراض بان بترولها هو اول مصدر للطاقة بين المصادر الاخرى يحكم عليه بالنضوب .

فبالنظر الى مشكل التموين الخطير الذى يطرح من الان على البشرية والذى سوف يزداد حدة فى الغد القريب وبالنظر كذلك لافاق القدرات العالمية المحدودة فيما يخص بعض المنتوجات التى تخضع لادوار طبيعية ، فلا مناص اليوم من المحافظة على هذه المادة اكثر من اى وقت مضى ، لان البترول سيكون له فعل لايمكن اعتباره بمثابة مصدر للطاقة فحسب ، ولكن ايضا بمثابة مصدر للحياة وكنز لا يتجدد .

ومن جهة اخرى ، فان تقييمنا للثروة العالمية فى مجال الطاقة والتصرف فيها يجب ان يأخذ بعين الاعتبار كميات البترول الضرورية للاستهلاك الداخلى ، للبلدان المصدرة ، حتى يمكن على ضوء ذلك التعرف على مدى وفرة هذه المادة غدا فى السوق .

ان الاعتماد على المستوى الحالى للاستهلاك الداخلى للبلدان المصدرة وهو معدل بالقياس الى طاقاتها الانتاجية انما هو اعتماد يقوم على الافتراض بان هذه البلدان ستبقى على حالتها الراهنة من التخلف .

والواقع انه لا طائل من تجاهل التغييرات التاريخية الحتمية والتى ينتج عنها تمكن اولئك الذين كانوا بالامس مهضومى الحقوق ، ولا يحسب لهم حساب من اثبات وجودهم باهدافهم وحاجياتهم الخاصة .

وليس من التعقل فى شىء ، ان نبحث عن الاستقرار بمواصلة التصدى للتغييرات ومعاكستها .

والحقيقة ان جوهر القضية المتعلقة بقيمة البترول يتضح فى نهاية المطاف من خلال الاختيار بين امرين : اما القبول بهذه التغييرات التاريخية او رفضها .

ولا يمكن بحال لحكوماتنا التى اخذت على عاتقها السهر على حماية مصالح ومستقبل شعوبنا ، ان تسمح بقبول فكرة ، ان البترول ليس سوى مادة تصدر فى شكلها الخام ، من اجل الحصول على عائدات ، ولذا فان اجراء تغيير جذرى على هذه الفكرة البعيدة عن الحقيقة والواقع ، يشكل احدى غاياتنا الكبرى المنشودة على الامد البعيد .

ان استراتيجيتنا فى التنمية ترتكز على الاستخدام الكامل لهذا البترول ، وهو يؤمن لنا اليوم الوسائل المالية للعيش ولتجهيزنا ودعم جهودنا فى التصنيع وبناء اقتصادنا ، وسيكون فى الغد ضروريا لتلبية استهلاكنا المتزايد ودعم تنمية الصناعة التى سنكون قد انشأناها.

وبقدر ما سيكون البترول ضروريا ، لانجاز التحول الفعلى فى علاقاتنا مع الخارج ، بقدر ما سيشكل فى الغد ،

الورقة الرابحة الوحيدة التي يمكن بها تذليل الصعوبات القائمة في وجه منافسة منتوجاتنا لغيرها من المنتوجات في الاسواق الدولية ، بسبب تأخرنا في ميادين التكنولوجيا والمهارة والتجربة الصناعية .

اصحاب الجلالة والفخامة ..
اصحاب السعادة ..

ان معظم بلداننا ما تزال تصدر كميات ضخمة من البترول تتجاوز ما هو ضروري لها في مجال مدفوعاتها المالية .
حقا اننا سوف نلبي طلبات المستهلكين ، اذ انه لابد من وقت كاف لايجاد مصادر اخرى للطاقة ولكن يجب ايضا ان نسهر على تناسب معدل الانتاج مع الحاجيات الاساسية للسوق ، متفادين بذلك كلا من التبذير والاستغلال المفرط لاحتياطينا ولكي نحافظ في الوقت نفسه على مصالح اجيالنا القادمة ، ومن هنا ينبغي ان يكون التنسيق والتشاور بين بلداننا من المهام الرئيسية لمنظمتنا في هذا الميدان .

ان المرحلة الراهنة التي تلعب فيها احتياطاتنا دورا رئيسيا في تموين العالم بالطاقة تشجع بشكل خاص على الثقة والطمأنينة اللتين نود ان تتسم بهما علاقاتنا مع الدول المصنعة ، ولان لبترولنا دورا حاسما في حياة عدد كبير من الشعوب ، فانه يمثل بالنسبة الينا عبئا ثقيلا ومسئولية عظمى حملنا اياها التاريخ ، رغم كونه يعد ميزة حبتنا بها الطبيعة .

وعلى صعيد اخر ، فان حياة بلداننا اضحت وثيقة الارتباط بعائدات صادراتها البترولية مما يجعلها عرضة لكل ما من شأنه ان ينال منها .

ولذا ففي الوقت الذي تسلك فيه الدول المصنعة ، مسلكا يؤدي بها الى الاستغناء ذات يوم عن بترولنا ، يجب علينا نحن ان نعمل جماعيا على التخلص من تبعية السوق البترولية للدول المصنعة ، وهو امر تمليه علينا متطلبات استراتيجيتنا في التنمية ، وضروريات امننا وتحررنا الاقتصادي ، ونتيجة لاستخدام مصادر جديدة للطاقة تدريجيا بالاضافة الى ما ينتج من الزيادة المستمرة في قسط انتاجنا الذي سوف نخصصه لاستهلاكنا ، فان حصة البلدان المصدرة للبترول في التموين العالمي يجب ان تنخفض الى ان يجد البترول ضمن المبادلات الدولية نفس المكانة التي تحتلها جميع البضائع الاخرى ، وسوف تغتبط بلداننا بهذه النتيجة .

لا نكن اية نزعة انتقامية

اما بالنسبة للظرف الحاضر ، فالواقع ان هناك صلة وثيقة بين استخدام بترولنا وحياة الشعوب الاخرى . لاننا نؤمن بمشروعية حقوقنا فاننا لا نجهل هذا الواقع ونحن مصممون على مراعاته ذلك اننا لا نكن اية نزعة انتقامية ، تحملنا على الاضرار بمصالح الشعوب حتى ولو كانت شعوب تلك الدول التي كانت تضطهدنا وتستغلنا في الماضي .

ولذا فان اعمالنا في مجالات البناء الداخلي لا تحثنا على تشجيع ولا على تمني تدهور الوضع الاقتصادي في البلدان الغربية ، بل على العكس من ذلك ، تحثنا على البحث مع هذه البلدان عن تعاون يعود بالفائدة المتبادلة ويزداد اتساعا باستمرار .

ان الضمان الاكيد الذي نقدمه على مدى تعلقنا بالاستقرار والتوسع المنسجم في الاقتصاد العالمي يتمثل في المخططات الاقتصادية والاجتماعية التي شرعنا في مباشرتها على الصعيد الداخلي والى حد ما على مساهمة البلدان المتطورة كما يتمثل في الاستثمارات الضخمة التي اعتمدناها مضافا اليها التضحيات والمخاطر المرتبطة بالتنمية التي نتحمل مسئولياتها باستخدام ثرواتنا بأكملها .
ثم ان هذا الاستقرار يجب ان يكون نتيجة مجهود وارادة الجميع حتى لا يكون مجرد وهم لو ظل قائما على مبدأ التمسك بالامتيازات المكتسبة في الماضي . واذا كان الغرض هو ان يصبح كل واحد مطمئنا على مستقبله وعلى حماية ثمرة جهده الذي يبذله اليوم فاننا عندئذ موافقون على بحث المشاكل وتحمل مسئولياتنا والاستعداد لكل الترتيبات الضرورية التي تسمح للعالم بان يتطور دون تعثر نحو توازن افضل وعدالة اكثر في النظام الاقتصادي الدولي .

اما اذا كان الامر على العكس من ذلك يتعلق بالاندفاع وراء جدلية غرضها هو القاء مجمل تبعة هذه المشاكل بصورة شكلية على البلدان المصدرة للبترول والادعاء بان عبء الاجراءات التي قد تتخذ للتغلب على الصعوبات الحالية انما يقع على هذه البلدان وحدها ، فاننا نقول حينئذ ان هذا الامر يخلو من العدل ولا يمكن قبوله بحال ولن يؤدي سوى الى مأزق لا مخرج منه .

السلام مطمح مشترك

ان السلام هو بلا شك اكبر مطمح مشترك بين جميع شعوب العالم ويشكل بالنسبة للدول النامية حاجة ماسة وامرا حيويا ، ومن هنا فان قيام تعاون دولي حقيقي هو السبيل الوحيد الذي يسمح لشعوبنا بالتمتع بهذا السلام .

اما الحجج المزيفة ، والحلول الفاسدة ، التي ووجهنا بها ، حتى يومنا هذا ، فليست من التعاون في شيء .

وما قوائم الارقام والاحصائيات والتقديرات التي يتلاعب بها بغرض توجيه التهمة الينا ، بل ومحاولة ادانتنا الا حجج واهية لا يمكنها بأي حال ان تشوه حكمنا .

اما الجهود المتعددة الاشكال التي ترمي الى تخفيض الاستهلاك البترولي لا بغرض القضاء على التبذير ، ولكن بقصد اثارة انهيار السعر ، واضعافنا ، فهي حلول باطلة ، طالما انه في استطاعتنا كرد عليها ان نخفض من انتاجنا ونزيد في سعرنا للمحافظة على مستوى عائداتنا . ان التهديدات التي توجه الينا من هنا وهناك واستثارة قوى الدول التي تتحرك تحت ستار وكالة الطاقة الدولية لامر يدعو حقا الى الانشغال ولكنها تهديدات لا تخيفنا ، وذلك لانه من السهل جدا احباط اي عدوان من حيث اتى ، يكون الغرض منه فرض السيطرة الاجنبية على منشآتنا البترولية .
وردا على هذه التهديدات يجب ان نعلن ان بلدان منظمة الاقطار المصدرة للبترول سوف تسخر تضامنها الكامل للدفاع عن حقوقها وحماية ثرواتها .

انه ينبغي الا نستخف بتلك التهديدات ، فالمخططات المعلن عنها بصراحة ، من قبل وكالة الطاقة الدولية تدور حول فكرة نقص البترول ، وهي فكرة تفترض مستقبل ايقاف تام لصادراتنا ، يقوم بدوره على احتمال لا يمكن تصوره الا في حالة تؤدي بمجموعة بلدان منظمة الاوبيك الى رد فعل جماعي تضامنا منها مع بلد او بلدان من اعضاء المنظمة يقع عليها عدوان يرمي الى السيطرة الاجنبية على منشآتها البترولية .

اما الدوافع التي اثارها بعض كبار المسئولين في بلدان متطورة كمبررات قد تجعل العدوان يكتسب صيغة شرعية ، فان الرأي العام الدولي على ما يبدو قد استقطب حول فكرة حظر ، يحرم الدول الغربية من تزويدها بالبترول وهو حظر ربط باحتمال وقوع عدوان صهيوني على البلدان العربية .

الخنق .. الحظر ..

والواقع ان فحصا دقيقا لتصريحات بعض المسئولين الغربيين ، يؤدي بنا الى التساؤل من خلال مفهوم الخنق الذي اصبح عندهم بديلا عن واقع الحظر عما اذا لم يكن الهدف من ذلك هو اختلاق اسباب لاعداد الرأي العام العالمي لقبول فكرة عدوان محتمل ضد البلدان المصدرة للبترول ، اذا ما حاولت هذه ، مجرد القيام بتنظيم انتاجها ، سواء بوضعه في مستوى الطلب الحقيقي او باستخلاص نتائج السياسة النقدية التي تسلكها البلدان المتطورة حاليا مما قد يؤدي بها في نهاية الامر الى ان تفضل الاحتفاظ ببترولها على ان تسوقه مقابل وسائل في الدفع هي الان موضع ترتيبات تدبر بشكل منظم ومدقق للتخفيض من قيمتها .

شروط نجاح الحوار الدولي حول الطاقة

اذا كان علينا ان نكون حذرين ازاء كل المبادرات التي ترمي الى الصراع فانه يجب علينا ايضا ان نمد يدنا الى كل من ينتهج سياسة الحوار والتعاون من البلدان المتطورة .

وعلينا بوصفنا طرفا في المجتمع الدولي ان ندرس المشاكل الكبرى ، التي تواجه البلدان الاخرى وان نكون على أستعداد للاضطلاع بمسئولياتنا . فاذا كان لابد من تجميد الاسعار فاننا سنجمدها، واذا كان لابد من تخفيضها فاننا سنخفضها، لكن بشرط ان يكون هناك بالمقابل وفي نفس الوقت مجهود مماثل من طرف البلدان المتطورة، وان يساهم الجميع كل حسب مستوى اهميته وامكاناته ومسئولياته في العمل على اصلاح الاقتصاد العالمي واستتباب الاستقرار الضروري للتنمية والازدهار .

وكلنا يعلم ان الازمة الاقتصادية العالمية هي في الواقع عبارة عن التقاء مراحل حاسمة في حياة الامم . وبالنسبة لبلدان العالم الثالث فان تخلفها الاقتصادي الذي ورثته من العهد الاستعماري والذي ازداد خطورة من جراء استغلال الاستعمار الجديد ما فتيء يشتد بسبب انعدام التعاون الدولي لصالح التنمية .

وفيما يتصل بالدول ، فان التضخم المالي والتدهور النقدي ليسا الا مظهرا حادا لازمة قديمة كانت موجودة قبل اعادة تصحيح سعر البترول بزمن طويل وتجلت عبر العقود الماضية في ازمات دورية تتفاوت في شدتها فقد كانت حصة بترولنا في تكلفة الاقتصاديات المتطورة اقل من ثلث الواحد في المائة قبل الاجراءات الاولى المتعلقة بتصحيح سعر البترول .

ومما لا شك فيه ان هذه النسبة ظلت بمعدل ادنى من اثنين في المائة بعد هذه الاجراءات ، ان هذه المعطيات الواضحة، في احصاءات الدول الغربية نفسها ، لتؤكد قطعا .. ان سعر البترول لم يكن له سوى تأثيرات ثانوية على تفاقم التضخم المالي .

ومع ذلك فان تجميد سعر النفط طيلة النصف الثاني من عام ١٩٧٤ لم يحل دون الارتفاع المتواصل لنسبة التضخم في الاقتصاديات المتطورة .

وغني عن البيان ان التضخم ظاهرة تولدت وترعرعت نتيجة للتصرفات الاساسية ، التي قام بها ارباب الاقتصاديات المتطورة نتيجة للهياكل وطرق تسييرها .

ولقد تفاقم هذا التضخم ، بصفة خاصة ، عندما اصبحت البلدان المتطورة تعيش فوق مستوى طاقاتها حتى تحافظ على هذا الاسلوب في الحياة وتوفر النفقات والاستثمارات الطائلة التي تعتمدها للتسلح والحفاظ على الهيبة والهيمنة وتعد البرامج الرامية الى ايجاد مصادر اخرى للطاقة استغناء عن بترولنا .

لقد عمدت هذه البلدان الى استغلال ثروات العالم الثالث في الوقت الذي اوجدت فيه على نطاق واسع وسائل مصطنعة للدفع بحيث اصبح التدهور الاقتصادي قاعدة مطردة منذ سنوات مما ادى بالنظام النقدي الدولي في جملته الى آن يصل اليوم الى حالة الهاوية .

على اننا لا ننكر ان عبئا اضافيا يكون قد ترتب على الدول المتطورة المستوردة من جراء تصحيح سعر البترول .

وينبغي ان نسجل اخيرا ، ان انقضاء العهد الذي كانت فيه اسعار البترول مجمدة بكيفية مصطنعة ومجحفة ، قد ساهم كثيرا في ازاحة القناع عن المظاهر الشاذة التي كانت سائدة في الاقتصاديات الغربية دون ان يخلق مشاكل جديدة .

وعلى كل فاننا مستعدون لبحث هذه القضايا في اطار مؤتمر دولي يتم بين دول مصنعة ودول نامية . ولكي يساعد مؤتمر كهذا على اجراء تشاور فعال وحوار مثمر مقبول سياسيا ، فمن الضروري ان لا يقتصر البحث فيه على مسائل البترول فحسب ولكن يجب ان يشمل ايضا القضايا ، التي تهم بلدان العالم الثالث ، واعني بذلك المواد الاولية ومشاكل التنمية . كما يتعين على مثل هذا المؤتمر ان يولي القضايا الكبرى للطرفين عناية متساوية على ان لا يؤدي فقط الى التخفيف عن الدول المصنعة مما تعانيه من ازمتها بل وكذلك الى ازالة الصعوبات المرهقة للدول النامية كما ينبغي ان يتوصل الى ضبط الوسائل الكفيلة بتمكين بلداننا من الشروع في تنميتها .

اقتراحاتنا لحل الازمة
تراعي مصالح الجميع

واخيرا يجب ان تتوفر في هذا المؤتمر صفة التمثيل واذا اقتضت اسباب تتعلق بالفعالية ان يعقد في نطاق مضيق فمن اللازم ان تمثل المجموعة الدولية من خلال المشاركين في هذا المؤتمر .

يجدر بنا ان نقدر حق التقدير خطورة جو عدم الاطمئنان ، الذي يسود عالمنا اليوم ، فهناك وضعية البلدان النامية الاكثر تأثرا بالازمة الاقتصادية العالمية التي يتفاقم تدهورها ، في حين ان قرارات منظمة الامم المتحدة الخاصة بها لا تزال مجمدة . كما ان التضخم المالي والاضطراب النقدي ما فتئا يضعفان من القدرة الشرائية لعائداتنا ومن قيمة ارصدتنا في الخارج وفي الوقت نفسه نجد الدول المتطورة الاكثر تأثرا بالازمة لها هي الاخرى من الاسباب ما يجعلها تنشغل بوضعيتها .

وينبغي لنا ، نحن البلدان الاعضاء في منظمة الاوبيك ، ان نساهم في التخفيف من حدة التوتر الذي يسمم العلاقات الدولية وفي خلق جو من الطمأنينة حتى ننطلق نحو اقامة تعاون بناء مثمر للجميع، واننا على ذلك لقادرون.

لقد آن الاوان لنأخذ من جديد بزمام المبادرة لكي نقوم سويا بدور ايجابي خاصة في اطار مؤتمر دولي يعقد حول المواد الاولية والتنمية .

وبنفس هذه الروح ولهذه الغاية تقدمت الجزائر الى اجتماع وزراء الخارجية والبترول والمالية في بلداننا بمشروع اقتراح شامل يتضمن اجراءات في صالح التنمية والتعاون الدولي .

ان هذا الاقتراح الشامل يهدف الى توجيه الدعوة الى مجموع البلدان التي لها الامكانات الكفيلة بالاسهام فعلا في ايجاد حلول من شأنها ازالة ما تعانيه الدول من جراء الازمة ومن هنا شمل اقتراحنا انواعا ثلاثة من الاجراءات القابلة للتنفيذ فورا وفي ان واحد ، بعضها تتحمله البلدان الاعضاء في منظمة الاوبيك لصالح كل من الدول المتطورة والدول النامية وبعضها الاخر يقع على عاتق الدول المتطورة لصالح الدول النامية .

وتتناول الاجراءات المقترحة لصالح الدول المصنعة موضوعات التموين بالبترول والاسعار وعدم التوازن في مدفوعاتها الخارجية .

ففي مجال التموين نقدر ضرورة اتاحة الوقت للسياسات التي تهدف الى محاربة التبذير وتنمية مصادر جديدة للطاقة حتى تأتي بثمارها واننا لنرضى بان نأخذ من الاحتياطي الذي هو ضروري لتنميتنا المستقلة باستغلال حقولنا استغلالا يفوق المعدل اللازم والمطلوب لتغطية حاجياتنا المالية وذلك قصد تموين السوق البترولية بالكميات الضرورية للسير العادي للاقتصاد العالمي .

وفيما يخص السعر يحتم علينا ان نذكر بان الذي حددناه منذ سنة مضت حيث كان ادنى بكثير من السعر الذي تبدد ينتج عن امكانات اللجوء الى مصادر بديلة لبترولنا قد فقد اليوم الربع من قدرته الشرائية على الاقل بالنسبة لما كان عليه في بداية السنة الماضية .

وبالرغم من ذلك فبامكاننا ان نأخذ بعين الاعتبار فترة التكيف التي تحتاجها البلدان المصنعة الاكثر تعرضا لاثار الازمة الاقتصادية الراهنة وان نعدل لفترة تمتد حتى نهاية العقد الراهن عن أي رفع للقيمة الحقيقية للسعر الحالي ويمكننا بالاضافة الى ذلك ان نتخذ في بداية هذه الفترة المذكورة تدابير انتقالية تجعل البلدان المستهلكة تستفيد من تسهيلات اضافية جديدة بتشجيع الجهود التي تبذلها من اجل التصحيح الاقتصادي .

ان مثل هذه التنازلات ، التي تنجم عنها تضحيات كبيرة لا يبررها الا تعهد الدول المصنعة بتبني الاجراءات الملقاة على عاتقها حسبما وردت في الاقتراح الشامل . كما ان هذه التنازلات تشهد ايضا بمدى الفعالية الحقيقية للتدابير التي ستتخذ لحماية ناجعة لعائداتنا وارصدتنا في الخارج .

ارصدتنا في الخارج
وتصحيح ميزان مدفوعاتهم

ومن الواضح ان التعاون الدولي يقضي بان تتحمل جميع الاطراف

المعنية التزاماتها على حد سواء .
وفي حالة امتناع الدول المتطورة من قبول مثل هذه النظرة للامور فلا يسعنا، من جهتنا ، الا ان نلجأ الى اتخاذ القرارات وانتهاج الخط ، الذي يمكننا من حماية مصالح شعوبنا المشروعة ومواصلة تطبيق سياستنا في التعاون والتضامن مع بقية بلدان العالم الثالث.

ان البحث عن طريق عملية للتعاون من اجل مواجهة المصاعب التي تعاني منها بعض البلدان المصنعة ، يستلزم دراسة مصدر الخلل في موازين المدفوعات. ويقضي بتكييف مساهمات بلداننا طبقا لما ينجم من العوامل المؤقتة وما يعود منها الى الاسباب المتعلقة بالهياكل الاقتصادية ، والتي هي اساس هذا الاختلال .

ومع هذا فان فكرة التعاون والتعاضد تطرح مسألة الاتفاق على سلم الاولويات في حاجيات العالم ، كما تطرح مسألة توزيع عادل للموارد العالمية حسب درجة الاستعجال .

ومن الاهمية بمكان ان تقبل الدول ، التي تعيش فوق مستوى امكاناتها ، بالتحولات السياسية الضرورية لاحداث انسجام بين الاهداف والموارد والاولويات العالمية .

وعلى هذا الاساس يجب علينا ان نكون على استعداد لاستخدام فائضنا المالي بشكل يجعله يعود بالفائدة على التوسع الاقتصادي العالمي وذلك بالعمل بوجه خاص على استيعاب ما تعاني منه المجموعة الاقتصادية الاوروبية وبعض البلدان المتطورة من خلل في موازين مدفوعاتها الخارجية خلال الفترة الضرورية لها لانجاز تصحيحها الاقتصادي .

وانه لامر هام ان يتم استخدام ارصدتنا في الخارج مباشرة مع بلدان المجموعة الاقتصادية الاوروبية والبلدان المتطورة المعنية ، ذلك اننا نرى اليوم ان الاقوياء هم الذين يجرفون لصالحهم الارصدة ، التي تملكها بلداننا في الخارج ليناوروا بها من اجل تثبيت او توسيع هيمنتهم على البلدان التي تواجه صعوبات بل ويسعون الى الحصول من هذه البلدان على تنازلات سياسية هي في الواقع ضد بلدان العالم الثالث وخاصة البلدان الاعضاء في منظمة الاوبيك .

ويبدو ان هذا الاتجاه واضح في الفكرة التي تنادي بها بعض الاوساط لانشاء صندوق للمساعدة تهدف الشروط الموضوعة لاستغلاله الى تحريض البلدان المتطورة المتأثرة بالخلل في موازين مدفوعاتها الخارجية على مجابهة البلدان الاعضاء في منظمة الاوبيك وخطط اولئك الذين اقترحوا فكرة هذا الصندوق لتمويله بقسط وافر من ارصدتنا في الخارج .

وليس من اللائق بأوروبا ان تتذرع بما تعانيه من هيمنة ، بل ينبغي عليها ان تعمل على اثبات كيانها السيادي وتسعى لتسوية مشاكلها باعتمادها ، اولا ، وقبل كل شيء ، على نفسها وعلى طاقاتها الخاصة .

وعلاوة على ذلك يجب ان تحصل البلدان المصدرة على ضمانات جديدة ثابتة من البلدان المتطورة ، التي تستفيد من استخدام ارصدتها في الخارج ، ذلك ان حماية الارصدة ، التي تملكها بلداننا لتكتسي اليوم ، اكثر من اي وقت مضى اهمية بالغة .

اما ما يحيط بما يسمى بالبترو دولار من غليان فهو يدل على مدى التمسك بعقلية تصر على تقسيم العالم الى فئتين من البلدان فئة تتمتع بجميع الامتيازات والحقوق وبالتحكم في الاقتصاد العالمي وفئة اخرى محكوم عليها بالتخلف الاقتصادي والاستسلام .

ان المشاكل الحقيقية المطروحة في ميدان النقد انما هي ناشئة عن التسيير التعسفي لنظام النقد الدولي وناتجة عن التصرف الانفرادي في اهم العملات الصعبة وعن القرارات الجائرة بخصوص سعر الذهب ودوره النقدي ، الامر الذي يشكل تهديدات خطيرة تمس حتى بأمن بلداننا وقد آن الاوان لازالتها اذا ما توفرت ارادة مخلصة لاقامة العدالة والاستقرار في العالم .

ان اخطر المشاكل توجد بالبلدان النامية بالذات اذ تنعدم فيها الوسائل اللازمة للتغلب على هذه المشاكل انعداما كليا.

خصوصة مشاكل العالم الثالث

والعجز الملحوظ في موازين المدفوعات ناشيء عن اوضاع تختلف في البلدان النامية عنها في البلدان المتطورة ، لان هذا العجز بالنسبة للبلدان المتطورة ، لا ينجز عنه اطلاقا وضع يهدد بالافلاس وهو ظاهرة تنشأ في معظم هذه البلدان في صورة نقص في الوسائل المالية ، لا يمثل الا نسبة هامشية من مجمل انتاجها القومي . وبفضل ما لدى هذه البلدان من امكانات مالية هائلة وثروات صناعية وفلاحية ، وبفضل ما لديها من هياكل وقدرات انتاجية تستطيع ان تجد في كل اونة وسائل لمواجهة ومعالجة مثل هذا الوضع .

وهكذا تستطيع ان تتحكم في انتاجها اما بمضاعفة صادراتها او بتخفيض وارداتها دون ان تصبح حياتها اليومية مهددة بالخطر او ان تكون عرضة للعراقيل. وفي استطاعتها ايضا ان تجند في الخارج ما لديها من امكانات مالية قد تكون هائلة وبالتالي يمكنها ان تعمد الى قروض مؤقتة في الاسواق المالية الدولية . وبصفة عامة الى جميع الوسائل التي يكفلها لها نظام نقدي دولي هو في خدمتها وخاصة الاجهزة النقدية ، التي تساعدها على امتصاص عجزها مؤقتا وكسب الوقت الكافي لاستخدام طاقاتها الذاتية واعادة تنشيطها في الاتجاه ، الذي يتطلبه استيعاب الازمة التي تواجهها ، مثلما حدث بالنسبة لاحد البلدان الذي هو اكبر مستورد للبترول في العالم حيث تمكن في اقل من سنة واحدة ان يتوصل الى تعديل ميزانيته التجارية وجعلها تحصل على فائض من جديد .

اما الامر بالنسبة لعجز بلدان العالم الثالث فهو يختلف تماما ، اذ انه يأتي بمثابة داء مزمن سرعان ما تأخذ اثاره طابعا مأساويا. ذلك ان التجارة الخارجية على عكس الاقتصاديات المتطورة تحتل الصدارة في الاقتصاديات المختلفة .

وبما ان المقدرة على الانتاج الصناعي في البلدان النامية ضعيفة ، وتكاد تكون معدومة في اغلبها ، فان تلبية ابسط حاجياتها رهينة بمدى قابليتها للاستيراد وبما انه لا يمكنها ايضا تعويض عجزها بامكانات مالية خارجية في الامكان استعمالها بمساعدة حقيقية من طرف نظام نقدي دولي وضع اساسا لخدمة الاقتصاديات المتطورة ، فان هذا العجز يؤثر حتى في حياتها اليومية ، لانه بالنسبة لهذه البلدان لا يقتصر الامر فقط على تصحيح حالات مؤقتة او على مساعدات عاجلة ، بل يتطلب محاربة الداء الاساسي وهو حالة التخلف . ومن اجل هذا استدعيت الدورة الاستثنائية السادسة للجمعية العامة للامم المتحدة .

لقد اتخذت تلك الدورة قرارات امتنع العالم المصنع عن تطبيقها حتى يومنا هذا . وباعتبارنا اعضاء في مجموعة العالم الثالث فاننا نمتنع من ان نتخذ من مثل هذا الموقف المناهض ، الذي وقفته البلدان المصنعة ذريعة للامساك عن العمل من جانبنا والتملص من مسئولياتنا .

ويجدر بنا في هذا الصدد ان نشيد بجميع بلدان العالم الثالث المتأثرة بالازمة ، التي رفضت جماعيا ان تنخدع بمناورات التفرقة التي قامت بها بعض الدول منذ سنة بقصد اثارة مجموعة العالم الثالث ضد بعض اعضائها من البلدان المصدرة للبترول .

لقد اتخذت بلداننا بصفة تلقائية عدة مبادرات في اقل من سنة تجسمت في تحويلات مالية لصالح البلدان النامية بلغت بالقياس الى طاقاتنا الاقتصادية والبشرية معدلات لم يسبق لها مثيل بالنسبة لما قامت به البلدان المصنعة من اعمال مماثلة .

وخلال الاشهر الاحدى عشرة الاولى من عام ١٩٧٤ اعتمدت بلداننا مبالغ تقدر بنحو ١٧ مليار دولار اي بما يزيد عن ٢ ، ١٠ في المائة من مجمل ناتجها القومي ، بينما بلغت التحويلات الفعلية خلال نفس الفترة نحو ٤ مليارات من الدولارات وهو ما يمثل حاليا ٢,٥ في المائة من مجمل ناتجها القومي .

لقد تمت هذه الاعمال في وقت قصير جدا مع العلم ان عددا من بلداننا واعني بذلك البلدان العربية لها من الاسباب ما يجعلها تكرس كل طاقاتها ومواردها لحماية نفسها ، ذلك ان حالة التوتر الشديد السائد من جراء الاعمال العدوانية التي تقدم عليها الصهيونيــة لا تزال تهدد امن هذه البلدان وسلامتها .

واجبات اوبيك تجاه البلدان النامية

ومن ثم ينبغي ان يتواصل جهدنا لصالح بلدان العالم الثالث الاخرى في نطاق التضامن الذي يربطنا بها وذلك في الميادين التالية :

أولا : تقديم مساعدات عاجلة لبلدان العالم الثالث المتضررة اكثر من غيرها بالازمة الاقتصادية ، كما هي محددة في البرنامج الخاص للامم المتحدة .

ثانيا : منح قروض لهذه البلدان نفسها قصد تمكينها من دفع ما يترتب على مشترياتها من البترول خلال فترة تحدد فيما بعد .

ثالثا : تقديم قروض خاصة من طرف البلدان المصدرة للبترول تخصص لتنمية بلدان العالم الثالث ويمكن تحقيق هذه الاعمال في اطار ثنائي . الا انه ينبغي ان تتم بشكل متزايد على مستويات اقليمية او متعددة الاطراف وذلك بغية اعطائها مزيدا من التضامن الدولي .

ولهذا الغرض وزيادة على الاجهزة الموجودة حاليا مثل الصندوق العربي الافريقي والاسلامي والامريكي اللاتيني ينبغي على بلداننا ان تستخدم على الخصوص الصندوق الخاص للامم المتحدة وان تلجأ ايضا الى استعمال طرق المؤسسات المالية الدولية .

رابعا : الشروع ، على صعيد البلدان المصدرة للبترول ، في انجاز برنامج لصنع الاسمدة الازوتية يتضمن عشر وحدات يكون انتاجها معادلا لثلثي ما يستورد منها حاليا لمجموع بلدان العالم الثالث ، وموجها تحت اشراف المنظمة العالمية للزراعة والتغذية الى البلدان النامية المتضررة ، اكثر من غيرها ، بالازمة الاقتصادية مع مراعاة تنمية القدرات الفلاحية في هذه البلدان . وينبغي ان يقتصر سعر بيع هذه الاسمدة على تكلفتي الانتاج والمواد الاولية التي تدخل في صنعها كما ينبغي ان تتحمل بلداننا نفقات نقل هذه الاسمدة الى المستفيدين منها .

خامسا : دعم العمليات الرامية الى المحافظة على مستوى اسعار المواد الاولية لبلدان العالم الثالث ، كلما تعرضت غلاء الأسعار لما تقوم به البلدان المصنعة قصد المساس بها ، في شكل عمليات خاصة .

صندوق أوبيك للتعاون الدولي

أليس من الانسب في الوقت الذي يعمل فيه عدد كبير من القادة والخبراء والمنظمات والمؤسسات على استخدام ارصدتنا في الخارج ، ويقدمون دون محاولة معرفة رأينا في الموضوع ، على اعداد مخططات عديدة ومتنوعة الاشكال لاستخدام هذه الارصدة .

أليس من الانسب للبلدان الاعضاء في منظمة الاوبيك ، وهي المعنية الاولى بالامر ، ان تعمل في ما بينها ، على اقامة اجهزة ملائمة تتحكم فيها مباشرة وتمكنها من انجاز سياستها التعاونية بصورة فعالة مع بقية البلدان النامية والبلدان المتطورة على السواء وتستثمر بذلك ارصدتها بنفسها .

وريثما يتم اصلاح المؤسسات المالية الدولية اصلاحا يمكن اعضاء منظمة البلدان المصدرة للبترول من تحمل الدور المسؤول المناط بها ، تقترح الجزائر ان تؤسس هذه الدول صندوقا يبلغ رأسماله عشرة او خمسة عشر مليارا من الدولارات ، ويمول من طريق اكتتابات البلدان الاعضاء في المنظمة ، ومن طريق مساهمات تقدمها هذه البلدان في شكل قروض . ولا يقتصر دور هذا الصندوق على استثمار الارصدة الخارجية ، التي تملكها البلدان الاعضاء فحسب ، بل سيكون بمثابة جهاز تحويل في كل ما يتعلق بعمليات التعاون لصالح البلدان النامية الاخرى والبلدان المتطورة كتلك العمليات ، التي ذكرت آنفا والتي هي موضوع الاقتراح الشامل ، الذي عرضته الجزائر على اجتماع بلدان منظمة اوبيك لصالح التنمية والتعاون الدولي .

أما الافكار المتعلقة بما يمكن ان تكون عليه ادارة تسيير هذا الصندوق وكذلك الشروط الخاصة بعملياته المختلفة ، تضمنتها الاقتراحات الواردة في المشروع الجزائري .

... ودور الدول المصنعة

كما ينبغي على البلدان المصنعة ان تلتزم هي الاخرى بعمل ايجابي ملموس واسع النطاق من اجل التعاون لصالح التنمية مقابل الجهود الكبيرة ، التي نتحملها لفائدتها تحقيقا للتعاون الدولي الضروري ، ومن الاهمية بمكان ان تؤدي مساهمة البلدان المصنعة الى التوصل فورا الى ازالة المشاكل الملحة ، التي تواجهها البلدان الاكثر حرمانا والتعجيل بالتنمية الاقتصادية في البلدان النامية ودعم قابلية هذه البلدان لتطوير وضعها والنهوض بمجتمعها اقتصاديا وثقافيا واجتماعيا .

ان مساهمة البلدان المتطورة ينبغي ان تمكن البلدان المصدرة للبترول من تحقيق تنميتها الصناعية والاسراع بالتخلص من الاعتماد اعتمادا كليا على صادراتها من البترول الخام .

وحتى يكون لهذه المساهمة محتوى وفعالية ينبغي ايضا ان تلبي الحاجيات التي نصت عليها قرارات الامم المتحدة وان تكون شاملة للخطوط النشاط التالية :

أولا : تمكين البلدان النامية من تسخير مواردها الاولية كلية لخدمة اقتصادها ، وهو ما يتطلب بوجه خاص ، اعادة تقييم سعر مبيع هذه المواد وحماية قيمتها الحقيقية . كما يتطلب ان لا تعرقل البلدان المصنعة نشاط اتحادات المنتجين في البلدان النامية ، وان لا تحول دون سعي هذه البلدان للاشراف على اقتصادها ، وان تعمم اخيرا عملية المساعدة على تحويل المواد الاولية في البلدان المالكة لها وان تنظم على مستوى دولي .

ثانيا : تنظيم تيار قوي التحويل التكنولوجي الحقيقي الى البلدان النامية بكيفية تسمح لهذه البلدان ان تصنع داخليا ما تحتاجه من منتوجات في مختلف ميادين الصناعة بما في ذلك الفروع التابعة للتكنولوجيا المتقدمة .

وهو ما يتطلب القيام بمبادرات وتعهدات من قبل حكومات البلدان المتطورة قصد وضع حد للتردد الملحوظ ، لحد الان ، لدى المسيرين الاقتصاديين في هذه البلدان .

ثالثا : مضاعفة التحويلات المالية لصالح التنمية حسب الحاجيات ووفقا لقرارات الامم المتحدة .

وحيث ان استخدام جزء من رؤوس اموال البلدان المصدرة للبترول ، في اطار قروض لشراء تجهيزات وخدمات ، تجر تدفقا ماليا فوريا على البلدان المتطورة المزودة لها بهذه التجهيزات والخدمات ، يقتضي ضمانات تتعهد بها البلدان المتطورة ازاء البلدان صاحبة رؤوس الاموال من ناحية ويقتضي من ناحية اخرى ان تستفيد البلدان النامية المقترضة من رفع لمستوى قدرتها على تحمل الديون .

رابعا : عدم اللجوء الى القرارات الانفرادية في الميادين ، التي لها صلة بقيمة العملات الاحتياطية الرئيسية ويتطلب ذلك اعادة تنظيم المؤسسات المالية الدولية بقصد وضع حد لهيمنة دولة ما داخل هذه المؤسسات ، وبقية

زيادة حقوق بلدان العالم الثالث في التصويت بشكل يكفل لها المشاركة في اصلاح النظام النقدي الدولي وفي تسييره وذلك بقدر يجعلها تتكافأ مع باقي البلدان المتطورة .

خامسا : وضع حد لكافة الاجراءات المجحفة تجاه البلدان المصدرة للبترول، سواء في ميدان التجارة والتعرفة الجمركية او في ميدان المساعدة من اجل التنمية .

ان شرح الخطوط الرئيسية لهذا النشاط وكذلك التدابير والطرق العملية التي يتطلبها هو موضوع الاقتراح الجزائري الشامل والخاص بالاجراءات من اجل التنمية والتعاون الدولي .

ان فداحة التحديات التي تحيط بنا وخطورة المعارك الجديدة ، التي نواجهها في مجال الدفاع عن مصالح شعوبنا وفي ميدان تضامننا مع البلدان النامية الاخرى على حد سواء ، لتدعونا الى تشاور وثيق بيننا والى القيام باعمال مشتركة .

ان وحدتنا وتضامننا في العمل لهما أمر حتمي لا مفر منه ، خصوصا واننا نجد في مواجهتنا بلدانا متطورة يقوم بينها تكتل متين ولا يمكن ان نغتر باهمية خلافاتها الظاهرية طالما انها على الصعيد الاستراتيجي تتفق فعلا في الفكر والعمل.

ومن الواضح في حالة ما اذا ارتأت البلدان المتطورة ، بالرغم مما لديها من طاقات وقدرات فردية هائلة ، انه من الضروري ان تعمل معا وتقف كتلة صلبة في مواجهتنا فان مثل تلك الضرورة لهي من تحصيل الحاصل بالنسبة الى بلداننا . اذ انه لمن المخاطرة بمكان ان نستسلم للاغراء بالعمل فرادى في ظروف اصبح فيها التكتل على اساس اهداف مشتركة قاعدة متبعة . ولا يسعنا الا ان نسلم بان كل واحد منا في حاجة ماسة الى ان يدرج عمله ضمن اطار التضامن، الذي لا يوجد بين اعضاء منظمة البلدان المصدرة للبترول وحدها فحسب بل وايضا بين اعضاء مجموعة البلدان النامية بأسرها .

وكما لقيت بلداننا في الماضي ضمن هذه المجموعة الدعم الطبيعي لاعمالها من اجل الدفاع عن مصالحها ، فانها ستلقاه في المستقبل ايضا ، اذ ان افاق التبادل والتعاون على نطاق واسع بين بلداننا انما تتوفر على مستوى نفس هذه المجموعة .

ان التأخر الهائل المتراكم في البلدان النامية في المجالات التكنولوجية والاقتصادية والثقافية يعود الى ان الاستغلال الاستعماري والامبريالي قد حرم هذه البلدان من الاستفادة من ثمرة ثرواتها وعمل في نفس الوقت على ابقائها بمعزل عن التقدم العلمي والتقني.

ومما يزيد التخلف حدة ان القواعد والمؤسسات التي تتحكم في علاقاتنا بالعالم المتطور لا تتفق اساسا مع مصالح بلداننا وان التعاون الدولي يكاد يكون منعدما .

ان حاجيات العالم النامي ، كما ونوعا ، تقتضي مساهمة حاسمة من الدول المصنعة من شأنها ان تمنح فرصة حقيقية للنجاح في الكفاح ضد التخلف .

وان البلدان المتطورة ، اذ تقبل بجدية سلوك طريق التعاون من اجل التنمية ، فانها بذلك لا تلبي متطلبات التضامن والاستقرار العالمي ، فحسب، ولكنها تعمل ايضا على رفاهية شعوبها. وبالفعل فبمجرد دخولها في المسار الشامل للتنمية ستصبح مناطق العالم الثالث علي اتساعها حقلا لازدهار التجارة الدولية الامر الذي سيوفر لجميع شعوب البلدان المتطورة امكانات جديدة متعددة وواسعة لمضاعفة ثمرة عملها وجهدها وزيادة دخلها .

وفي ظروف عالم يسوده ، على الصعيدين السياسي والاقتصادي ، جو من التوتر والتخوف الشامل فاننا نعرب عن ايماننا بامكانية احلال الطمأنينة محل القلق والتعاون محل التوتر .

واننا لعلى يقين في حالة ما اذا لقي نداؤنا صداه واذا ما قبلت البلدان المصنعة ان تنضم الى اعمالنا وتؤيدها فان ذلك قد يكون بمثابة بوادر لبزوغ عهد جديد في تاريخ العلاقات الدولية .

ومما لا جدال فيه ان الازمة الحالية التي هزت الاقتصاد العالمي وسلطت اضواء كاشفة على العوامل التي اثرت في العلاقات الدولية انما يعود اليها الفضل في حمل الجميع على التمعن في المشاكل وعلى الوعي بضرورة احداث تغييرات هامة على الاقتصاد العالمي .

ذلك امر يعد وحده بمثابة ثورة اذ انه يؤكد على ان الازمة الحالية ، ان كانت فعلا تنطوي على اخطار جسيمة ، فهي كذلك تحمل في طياتها امالا عريضة ..

فهل تعرف البلدان المتطورة كيف تنتهز هذه الفرصة التاريخية وتبادر الى العمل معنا لتجسيم التطلعات العميقة لشعوب الارض في ظل العدل والطمأنينة والتعاون الذي يعود بالنفع على الجميع .

ومهما يكن من امر **فان من واجبنا نحن اعضاء منظمة البلدان المصدرة للبترول ان نعمل بصورة ايجابية حتى يسجل التاريخ اننا قد بذلنا كل ما في وسعنا لتوفير كل الفرص من اجل تحقيق هذه الامال .**

ان المبادرات التي يحق لنا ان نتخذها اليوم قد تكون مبادرات فاصلة ونحن من جهتنا لا يخالجنا ادنى شك في نتيجة عملنا . وكما اقر التاريخ بالمعنى الذي يعرفه الجميع كفاحنا ومعاركنا في الماضي من اجل استعادة سيادتنا وثرواتنا فانه سيقر كذلك اعمالنا في الحاضر من اجل الدفاع عن مصالح شعوبنا ومن اجل التعاون مع باقي شعوب العالم .

اصحاب الجلالة والفخامة ..

اصحاب السعادة ...

مرة اخرى اتمنى لكم مقاما طيبا بيننا ولاعمالنا مطلق النجاح ...

والسلام عليكم



ملحق **الأدب والفن**



- □ محمـد مندور .. والتراث النقدى
- □ المـرأة : فى أدب نجيـب محفـوظ
- □ سينما أمريكا اللاتينية .. فى القاهرة



في هــذا العدد :

● صورة الثقافة في مصر أمام الأدباء العرب

- ٣ قصائد من باريس
- محمد مندور .. والتراث النقدى
- المرأة : فى أدب عبد الحليم عبد الله
- هــذا الفنان .. وعالمــه

● الأدب والفن فى شهر :

- مشاهدون سينما أمريكا اللاتينية فى القاهرة
- حول دراسة الدكتورة لطيفة الزيات عن المــرأة فى أدب نجيب محفــوظ



يكتب هذا التقرير ، للطليعة ، نعمان عاشور بعد عودته من الجزائر حيث شارك فى المؤتمر العاشر للادباء العرب وندوة الشعر هناك .. هى المرة الاولى التى يتاح فيها لكاتب مسرحي مثل نعمان عاشور المشاركة كعضو فى وفد رسمى للادباء المصريين لدى مؤتمرات للادباء العرب .

صورة الثقافة فى مصر أمام العرب

نعمان عاشور

من سنوات غير بعيدة .. ارتحلت للاقامة فى الكويت عاما وبعض عام .. وأتيح لى الالتحام بمجموعة من المثقفين العرب هناك .. وكتبت فى أكثر من مناسبة وفى أكثر من مقال وفى أكثر من جريدة ومجلة .. عن ضرورة وأهمية تبادل اللقاءات بين الادباء العرب فى مختلف البيئات .. بشرط الا تكون لهذه الزيارات أى صفة رسمية . بل تتم على أساس المعايشة الفعلية للبيئات الشعبية بحيث يتحقق للاديب العربى كفنان خالق .. أن يتنسم العبير المحلى الطلق للبيئة العربية المحلية .. فى تونس أو العراق أو اليمن مثلا . فتتكامل فى داخليته الى جانب الصورة الحقيقية للاطار الاجتماعى « تشرب الروح الفعلية للانسان العربى الحى فى داخل هذا الاطار .. ومدى ما يمكن أن يتمثله من خصائص مميزة لكل بيئة على حدة ويكون مكملا ومدعما للكيان الشامل الذى تتكون منه البيئة العربية فى مجموعها . ولقد دعوت الى أن يتم ذلك عن طريق التبادل بين الروابط الادبية خارج التحديدات الرسمية ..

والحق أن شيئا قريبا من هذا يحدث .. ولكن بين الصحفيين وحدهم .. وتكون النتيجة دائما .. كتابات اعلانية وريبورتاجات خبرية خاطفة وصورا فوتوغرافية ملونة .. لكن مثل هذا التلاقى المنشود لا يحدث ولا يتحقق على شكل نتاج فنى متأصل تتوافر فيه النكهة المحلية للبيئة المعاصرة مع النكهة العربية المتأصلة فيها .. ولقد اتيح لى اخيرا أن أسافر لمدة أيام الى الجزائر ضمن وفد رسمى لحضور المؤتمر العاشر للادباء العرب وندوة الشعر هناك .. فتأكدت لدى أهمية وقيمة مثل هذه الدعوة التى ناديت بها من سنوات .

قضية التعريب

ومن ثم ننقل حديثنا الى الجزائر ..

بلاد جميلة ساحرة .. غنية بطبيعتها بقدر ما هى غنية بروح شعبها الجادة الواثبة المتطلعة الى أسطع آفاق المستقبل .. تعيش حضارة العصر بنبض خفاق وتجاهد للالتحام بالحضارة العربية التى حاول الاستعمار الاستيطانى الفرنسى أن يفصلها عنها بالقضاء على اللغة العربية فيها .

قضية التعريب فى الجزائر هى القضية الاولى .. تقف على رأس قضايا التنمية هناك .. واللغة الفرنسية لا تزال غالبة ومعظم الكتاب الذين أنبتتهم أرض الجزائر من الجيل المواكب للثورة .. يكتبون بالفرنسية .. وأبرزهم كاتب يس أمين اتحاد الادباء .. وهو يعيش مأساة لغوية لانه كما يقول سجين « الفرنسية » لكن شباب الجزائر .. أبناء المليون ونصف .. لا المليون شهيد فقط .. هم الذين يكونون الاغلبية فى مجال النشاط الادبى والفنى والفكرى .. واهتمامهم وحرصهم على التعريب يفوق التصور .. ويؤكده وفرة وكثرة الشعراء بينهم وعلى صورة مشرفة بالفعل ...

المؤتمر

ان ابرز مظاهر التوفيق عقد هذا المؤتمر العاشر وندوه الشعر فى الجزائر .. فهى الارض

العربية التي تتطلب مثل هذا النشاط .. وقد كان أخوة الجزائر عند حسن الظن بهم فيما قدموه من تسهيلات وما أتاحوه من فرص أمام كافة الوفود .. كما وان معظم الوفود المختارة لشهود المؤتمر كانت عند المستوى الذى يجاوب الموضوعات المطروحة ... ولقد غلب على معظمها الطابع التقدمى كما تركزت الموضوعات فى مناقشة :

أولا : العلاقة بين الادب والثورة .

ثانيا : صلة الادب بالتطور الاجتماعى .

ثالثا : تأثير الثورة الفلسطينية على الادب العربى المعاصر .

كما وان المؤتمر قد أفرد مجالا لدراسة ومناقشة ثقافة الطفل العربى وأدب الاطفال .. وهو من النقائص التى نعانيها جميعا فى مختلف بيئاتنا العربية .

ولا سبيل الى تلخيص الكلمات التى ألقتها الوفود أو تقديم معالم الدراسات والبحوث التى طرحت فى اللجان .. وأعتقد أن الامانة العامة للمؤتمر ستحرص على طبع هذه الوثائق وغيرها لطرحها على أوسع نطاق .. ولكى تكون فى متناول الاديب العربى فى كل وطن . ذلك أن الكثير من الكلمات والكثير من الدراسات تحمل العديد من وجهات النظر البناءة التى تشكل ما يمكن أن يكون معالم رئيسية للمسيرة الادبية لعالمنا العربى كله ..

وقد انصب جل اهتمامى على متابعة التيارات الادبية التى تغمر حركات الادب المحلية فى كل قطر .. وخرجت بنتيجة واضحة هى ان تيار التقدم هو التيار الغالب بغض النظر عن الايديولوجيات الكامنة وراء التيارات المختلفة .. ولكم كان بودى أن نساهم بنصيب أوفر فى التحضير لمثل هذا المؤتمر ببحوث ودراسات ترتفع الى مستوى الموضوعات المختارة للمؤتمر .. وكلها موضوعات تتركز منابتها القوية فى الحياة الادبية المصرية كعصب وأساس لكل ما يجتاح البيئة العربية من تطورات واتجاهات وأهمها بروز الادب النقدى والفكر التقدمى . . .

فليس هناك من ينكر أن فى مصر أدب وطنى تقدمى وفكر وطنى تقدمى له الغلبة وله القوة وله المنعة بين كافة المثقفين لانه أدب المستقبل وفكر المستقبل ..

مهرجان الشعر

أما عن مهرجان الشعر فقد كان أسطع ظواهره ما تجلى من قصائد لشعراء اليمن الشعبية والبحرين والشعراء الفلسطينيين .. هذا فضلا عن الاشعار المتفوقة للمهدى الجواهرى .. شاعر العراق التقدمى البارز .. فقد اتحفنا بأكثر من قصيدة .. ولعل أهم ما كشفت عنه لقاءات الشعر تأكد ورسوخ تيار الشعر الجديد أو ما نسميه الشعر الحر لدى شعراء لهم مواقفهم وأصالتهم وان كان هذا لا يمنع من الاعتراف بقوة وجدارة القصائد التقليدية وبالذات عند شعراء الثورة الفلسطينية . على أن الظاهرة المثيرة فى الشعر هذه المرة يجلوها عنصر الالقاء الذى يقرب الشعر العربى من التجاوب الجماهيرى الحى ويحرره من أصفاد الذاتية .. خاصة اذا القى فى أداء درامى نابع من درامية القصيدة نفسها .. لان هذا كفيل باخراج الشعر من التهويمات الغنائية الى حيوية التفاعل الدرامى .. وقد كان ابرز ما تحقق فى هذا السبيل . القصيدة الدرامية التى قدمها ببراعة وحرارة شاعر اليمن الشعبية .. عبد الرحمن فخرى ..

ففى الوقت الذى كان فيه بعض الشعراء لا زالوا يلقون قصائد المديح والهجاء وهى من مستهلكات القرون .. الى جانب السباب المقذع وعلى صورة مستنكرة منفرة أشاحت عنها الجماهير بنفور .. كان عبد الرحمن فخرى يغازل جماهير الحاضرين بقصيدته الدرامية الشيقة وبالقائه الدرامى الممتع وبوعيه المتفتح الغامر مطورا مقومات الشعر الجديد فى قالبه الدرامى الوهاج وهو يتغنى أو على الاحر يتجادل بقصيدته المتفوقة .. « رقصة السيف .. والخيط الرفيع » .. واليكم بعض مقاطعها :

المقطع السابع ..

قال الراوى –
فيما قال :
كان الاجداد .. بلا ماضى ،
يلقون الحب .. بلا ميعاد .
ويسمون الحب حربا ،
وينادون الحرب حبا .
والقمر فتى ،
والشمس فتاة .
والبحر ضياعا فى الملكوت
والصخب سكوت
يبنون من الاشجار بيوت
ويموت التوت ..
توت .. توت . توت .
قال الراوى –
فيما قال :
كان الاجداد – بلا شعر :
فى سوق الشعر
يبكون « أبوللو » فى الاطلال
وجوارى الحرف
ويغنون ظريف الالحان
وينام الليل من الضحكات
عند الاقدام
وينام الشعر
فالشاعر أبله فى القصر
بين الندمان
الشاعر مأجور الحرف
بين الاقنان
يبنى الكثبان من الزيف
باسم السيف ..
« طرف الاعين قاتلنا »
قد قال الجد
غزل مكتوب بالسيف ،
فى بيت الشعر .
« خيل – ليل – بيداء »
« سيف – رمح – وقلم »
قد قال الجد
فالقلم أخير فى الارقام .
القلم سلام .
القلم سلام .
والسيف ، بلا شك ، ظافر
جدى ، يا جدى العاشر .

سيفك [أصدق أنباء]
من كتب العصر .
سيفك من لهب فاتر
يدمي الحاضر
والعصر بلا قلم ماكر
كر .. كر .. كر .

والقصيدة طويلة وجميلة وجديدة في مبناها ومعناها ووقعها والقائها ..

خارج القاعات

فاذا انتقلنا من قاعة المؤتمر الكبرى .. وخرجنا من لقاءات الشعر الى ساحات الجموع . كانت ظاهرة الظواهر .. ادباء الجزائر .. وكلهم من الشباب الغض الذين ترعرعوا في ظل سنوات النضال ومعارك التحرير في جميع الساحات .. انهم يتابعون الانتاج الادبي والفكري في كل وطن بشغف واصرار وحرص ورغبة قوية في الارتباط به والافادة منه ..

سألتني طالبة في جامعة قسنطينة عن سبب تركي للقصة القصيرة ولماذا لم أكتب شيئا في مجالها بعد « حواديت عم فرج » ولاحظت دهشتي حين سماعها وخشيت ان تكون قد ضايقتني بعد ان أخبرتها بان لي بعدها أكثر من مجموعة . وكان ان جاءت في المساء تحمل نص مسرحيتي « الناس اللي تحت » في طبعتها الاولى .. الشباب هناك في تعطش تام للكتاب المصري والعربي .. ولا أدري السبب في ندرة وجود المؤلفات والكتب هناك ...

ولقيني اديب مغربي يحمل رسالة لاستاذ جامعي من الرباط . عنوانها « النظرة المستقبلة في مسرح نعمان عاشور » شيء غريب !! واغرب منه أنه لم يكن يعلم بوجودي وانما جاء بالرسالة ليحملها الى زميل جزائري في وهران يدرس هو الاخر بعض مسرحياتي .. هؤلاء الناس يعيشون معنا أكثر مما نعيش مع بعضنا البعض ..

واذن فما سبب هذا الهوام الذي يحوم فوق حياتنا الادبية والفكرية ... الا ان يكون من فعل الخفافيش مثلة كالذباب أو كالبعوض !!

ولا أكاد أرتد الى الفندق انشد الراحة حتى التقي بمجموعة أخرى من الشباب وفي ايديهم عشرات الاسئلة عما كتبت وما اكتب وما أنوي كتابته .. وادخل حجرتي فيجافيني النوم وقد خلا كياني من أي غرور أو زهو .. بل شعور كامل بالمسئولية امام كل هذا الاهتمام ... ان كل ما نكتبه هنا في مصر محسوب علينا هناك .. وليس في الجزائر فقط .. فلكم جلست وكأنني امام محقق قضائي في مواجهة ناقد فلسطيني أو أديب تونسي يطرح علي العديد من الاسئلة حول مسارنا الادبي ومتجهنا الفكري . واعترض على نوع الاسئلة وأسلوب طرحها فيكون ردهم دائما ان :

« انتم الاساس ... مصر هي الام ... هي مركز اشعاعاتنا الفكرية ومنار حياتنا الأدبية »

الادب في مصر بخير

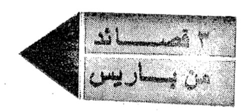
ويجيء صباح اجلس فيه وسط جمع من الكتاب والادباء الجزائريين الشبان ... يطالبوني بعقد ندوة عن المسرح المصري .. ويحاول بعضهم ان يتجنى على ما يجري في مسرحنا القائم وما تقدمه الفرق التجارية من عروض فابري للدفاع .. ليس هذا هو المسرح الذي نريده وننشده ولكنه لون من الوان العروض المسرحية الموجودة في كل وطن .. موجود في انجلترا مثلما هو موجود في فرنسا ولا يعيبنا وجوده في مصر .. فلدينا المسرح الجاد الذي يقارعه .. وتعقد الندوة على آخر يوم ، ويتكرر نفس الهجوم .. لقد انتهى وجود المسرح في مصر . . فأصرخ بأعلى صوتي « ابدا .. والدليل وجودي بينهم في الجزائر وفي عضوية وفد مصر . . ممثلا للمسرح المصري الجاد الملتزم » .

وأستعيد حديثا تليفزيونيا أجريته من يومين حول نفس الموضوع قررت فيه .. ان ليس في مصر أحد يطلب من الكتاب والادباء ان يصطنعوا الا نقيض ما تمليه عليهم ضمائرهم ... وندوة تليفزيونية حول النقد والنقاد أؤكد لهم فيها ان جمهورنا على درجة من الوعي كفيلة بأن تحميه من أي تزييف ، أو خداع من جانب أي ناقد مضلل . . ثم تتقدم الى سيدة بارعة تطلب الاجابة على أكثر من عشرين سؤالا تدور كلها حول المسرح المصري ..

وأخرج من هذه الاسئلة والاحاديث والندوات بفكرة راسخة ثابتة .. هي ان هناك الكثير من الاحكام المتسرعة . وأخشى ان أقول الطائشة الهوجاء التي كان من واجبي أن أدحضها لان الحياة الادبية المصرية والتي اصبحت تتمثل في المسرح كبؤرة ثقافية مشعة وكمهد كلي شامل لجميع الفنون المعاصرة .. تحتاج الى من يجلو صورتها الحقيقية في أذهان الاخوة العرب ..

نعم ... هناك الكثير من السلبيات والمعوقات والنوازع الشخصية والظروف غير الطبيعية التي تؤثر على تطور الحياة الادبية في مصر ، وبالتالي تنطبع بصورة مضخمة على الحياة الادبية في مختلف الاقطار العربية .. ولكنها أبدا لن تكون الاصل والاساس في الحكم على الحياة الادبية في مصر لان حياتنا الادبية تستمد جذورها من العمق الحضاري الشاسع الذي يمتد عبر قرون عديدة من التطور الفكري والادبي والفني .. وترتكن في اصولها على القاعدة الواسعة العريضة للشعب المصري في التحامه الغامر مع الشعوب العربية كشعب طليعي رائد يعي حقيقة دوره الدائب المتصل في خدمة الحضارة العربية خاصة والحضارة الانسانية على وجه العموم ..

فليطمئن الاخوة العرب الى سلامة التطور الفكري والادبي والفني في مصر .



■ هذه القصائد كتبها في باريس الشاعر أحمد عبد المعطي حجازي الذي يقيم هناك منذ سنتين .. وهي تعبير عن انطباعات الشاعر في الحنين الى شعبه من خلال لقاءاته بالجرحى من أبطال حرب اكتوبر الذين يعالجون بمستشفيات فرنسا ■

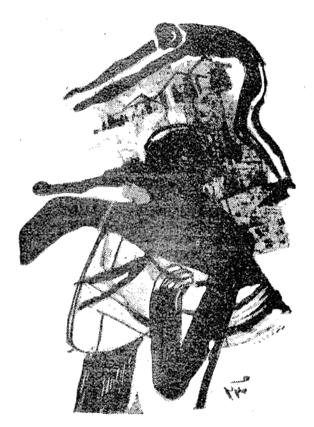
شعر : أحمد عبد المعطى حجازى

● تعارف

آه !
ها أنتم تكشفون لي السر وحدى ،
وكنتم تسيرون فى المدن الاجنبية ،
تخفون أسراركم فى ثيابكم الداكنة اللون ؟
تحت سواد العوينات ،
ها أنتم تكشفون لى السر وحدى ،
هل رأيتم دمى يتشمم فيكم صباه ،
لمحتم منازلكم تحت جلدى
فكشفتم أمامى ما تسترون ؟
وكنتم تسيرون سربا جميلا غريبا ،
يراوغ كل النداءات ،
يخفى وراء تهدل ألوانه دمعه الغائر المتجمد .
كانت دماؤكم تتدفق غافلة
فى الدروب التى ألفتها ،
وكنتم تردونها عن يد ذبلت ،
أعين ملأت خرزا دامعـا .
أين أعطيت عينيك ؟
تحت النجوم التى سطعت مرة فوق خدى
ولمن انت أعطيت ساقك ؟
أعطيتها للذى سوف يولد بعدى !

●

انظروا أيها القادمون بأنصاف أجسادهم
من قرى ستظل تقاسم أبناءها لحمهم
انظـروا !
كم هى الآن فاتنة هذه المدن الاجنبية !
كيف تكون بها حاجة الغرباء لاقدامهم ولاذرعهم
آه !

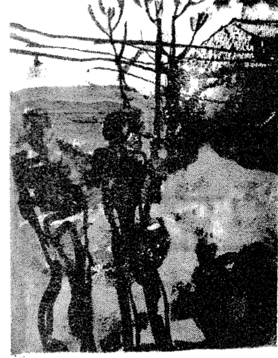


لكنكم تعبرون جمال المدينة مثل طيور سماوية
متلفعة بنبالتها
وانا لا أزال أتابعكم
ضائعـا فى شـوارعها
أتحسس لحمى الذى يتعفن فيهـا
وأدخل فى الليل لحدى !

الاهداء : الى جـرحى الحرب العرب الذين قابلتهم فى باريس .

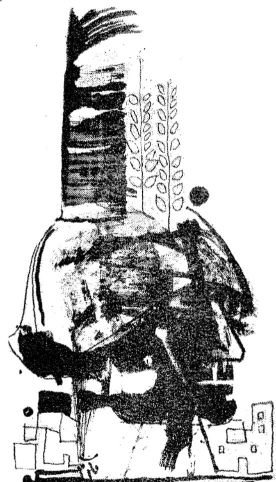


أنا والثورة العربية ،
نبحث عن عمل فى شوارع باريس ٪
نبحث عن غرفة ،
نتسكع فى شمس ابريل ٪
ان زمانا مضى ،
وزمانا يجىء .
قلت للثورة العربية ٪
لابد ان ترجعى أنت ٪
أما أنا ، فأنا هالك
تحت هـــذا الرذاذ الدفىء .





البيـــاض مفاجأة
حين عريت نافذتى ،
شدنى من منامى النديف
الذى كان يهطل مئتلدا
مانحا كل شىء نصاعته
ومداه الشفيف
شدنى معه . كان دواته من رقيق
جذبتنى لها فرحلنا معـــا
وانطلقنا نرفرف من غير ظل
ونرقص بين الصعود وبين الهبوط
يراودنا العشب والارض والشجرات العرايا
ومتكآت النوافذ والشرفات
وايدى الصغار وايدى الصبـــايا
وايدى التماثيل والكائنات المطلة فوق السقوف
بياضا تقلب فى ذاته
كرفوف من البجعات على نبع ماء
يمسحن شهبة أعناقهن الطوال
على ريش أجسادهن الوريف
ثم أشرقت الشمس من فوقنا
فسقطنا معا .
وانحللنا معا فى رتابة لهذا السواد الأليف !



محمد مندور والتراث النقدى



الدكتور محمد مندور

جابر عصفور

التغال موقف نقدى من التراثامر لم يتم الا مع سيطرة فكر جديد تبناه جيل هيكل وطه حسينوالعقاد وغيرهم • قد يختلف أبناء هذا الجيل فيما بينهم ،ولكن منطلقاتهم الفكرية التى تبدأ بالفرد ، باعتباره طاقة خلاقة لهاقدرتها الفاعلة علىتغيير الاحداث وتوجيه حركة التاريخ ، كانتتنتهى بهم الى التركيز على « الذات المبدعة » لهذا الفرد ،وبالتالى فهم نتاجه الادبى على انه تعبير عن هذه الذات فىتفردها وفى تحررها على السواء • وكان لابد – فى ضوءهذا الفهم – أن يعاد النظر فى التراث الادبى ، عبر اتجاهينيؤدى كلاهما الى الاخر ، اعنى اعادة النظر فى التراثالشعرى ، الذى ظل متواصلا – بايجابياته وسلبياته – فى شعرالاحيائيين أمثال حافظ وشوقى ، واعادة النظر فى التراثالنقدى ، الذى ظل متواصلا – بالمثل – فى جهود المرصفيين ،وعلى عبد الرازق ، ومحمد عبده ، واليازجى ، وغيرهم •

أما على مستوى التراث النقدى فكانت جهود الجامعة المصرية تتبلور منذ اوائل العشرينات ، وقبل أن يصدر طه حسين كتابه « الشعر الجاهلى » (١٩٢٦) بسنوات • كان أحمد ضيف يقدم (فى ١٩٢١) موقفا جديدا « لدراسة بلاغة العرب » ، وهو موقف يبدأ بوضع جهود القدماء فى اطارها الصحيح ، ولاينظر اليها على انها عمدة الاراء او الاصل الذى ينبغى أن يحتذى ، وانما على أنها محض اجتهاد ينبغى أن يناقش ، فى ظل فهم جديد للنقد ، يفصل دراسة الادب عن مناهج العلم ، ويسلم بظهور أثر الناقد الشخصى فى حكمه ، والاعتماد على الذوق المدرب ، والتأكيد على ان « النقد القاعدى أو المذهبى ، يرمى الى تقييد العقول والافكار ، وحملها على اتباع طريق واحد فى الفكر والتصور والخيال ، والى الحكم عليها حكما عاما بطريقة واحدة » (١)•

وفى أوائل الثلاثينات كان امين الخولى يناقش صلة البلاغة العربية بالفلسفة (١٩٣١) وطه حسين يكشف الاصول اليونانية فى البيان العربى ، من الجاحظ حتى عبد القاهر [١٩٣٣]، أما طه ابراهيم فكان يطرح – من خلال تاريخه الجليل للتراث النقدى حتى القرن الرابع – سؤالا فى غاية الاهمية « ايستطيع نقدة الادب أن يستعينوا بطرق العلم ؟ ايستطيع العلم انينقد شيئا اخص عناصره الشعور ؟ » (٢) • ان اى محاولة

---

١ – مقدمة لدراسة بلاغة العرب /٩١

٢ – تاريخ النقد الادبى عند العرب/١٢٩

لفهم الادب من خلال قواعد العلم أو قوانينه مرفوضة عند طه ابراهيم ، لان العلم يقوم على القانون العام ، بينما النص الادبى حدث متفرد ،لايمكن ان يخضع لقانون عام أو قاعدة مطردة . فضلا عن أن القانون العلمى لا يختلف فيه الافراد ، أما المقياس النقدى فمحل خلاف لان عماده « الذوق الفنى » الذى لا يمكن – بدونه – فهم النصوص الادبية أو الاحساس بما فيها من عناصر . وفى ضوء هذه النتيجة يعيد طه ابراهيم ترتيب النقاد القدماء ،فيبرز اللغويين الذين آمنوا أن النقد صناعة وثقافة ، لابد فيها من دربة « وأن من جمال القول مالا تصل اليه العلل ولا يأتى عليه البيان » ويقلل من أهمية ابن قتيبة (الشعر والشعراء) وقدامة (نقد الشعر) لان كليهما حكم أصولا عامةوقواعد شكلية ، فعجزاعن ادراك « روح الشعر وعناصره السامية » ويرتفع الى القمة الآمدى (الموازنة) وابو الحسن الجرجانى (الوساطة) لانهما وصلا ماانقطع من تقاليد اللغويين الذين اعتمدوا على الذوق .

[٢]

لم يكن جهد محمد مندور (١٩٠٧ – ١٩٦٥) فى النظر الى التراث النقدى منفصلا عن هذه الجهود السابقة عليه . لقد اطلع على بواكيرها وهو طالب فى الجامعة (١٩٢٥ – ١٩٢٩) وواجهها مواجهة واعية بعد عودته من بعثته الى فرنسا (١٩٣٩) فأخذ انضج مافيها ، وطوره فى ضوء منهجه المتميز فى دراسة الادب ، ذلك المنهج الذى كان يدفعه الى مواجهة متميزة لمفاهيم الجيل السابق عليه من ناحية ، ولمفاهيم التراث النقدى من ناحية اخرى .

لقد تعلم مندور من « لانسون » (١٨٥٧ – ١٩٣٦) أن العمل الادبى يختلف عن الوثيقة التاريخية ، بما تثيره صياغته من استجابات عاطفية وفنية . وأن على الناقد أن يتوقف ازاء هذه الصياغة ، لانه قد يكتشف من خلال تراكيبها الاغراض العميقة الخفية ، التى كثيرا ماتصحح وتغنى ، بل قد تعارض ، المعنى الظاهر للعمل الادبى . وليس ثمة مبادىء صارمة لدراسة صياغة كل عمل أدبى ، المهم التوقف عندها ، والطرح المستمر لمشاكلها ، ومحاولة حل المشاكل من داخل النصوص نفسها .وبذلك يتحدد النقد فى ادراك العلاقات التى تكون العمل الادبى ، والتى تكشف فى نفس الوقت – عن مثل اعلى خاص ، أو منحى فى الصياغة معلوم ، ثم ربط هذين الاخيرين بروح الكاتب أو حياة الجماعة . وكما يؤدى ذلك الى اكتشاف الخصائص المميزة لصياغة العمل الادبى ، يؤدى الى تحديد أصالة الافراد « أى الظواهر الفردية التى لاشبيه لها ولا تحديد » . وبذلك يصبح النقد « فن تمييز الاساليب »و « تذوق كل كاتب بنسبة ما فى ذلك الاسلوب من كمال» (٣) .

وكما تعلم مندور من « لانسون » ، تعلم من « فردناند دى سوسير » (– ١٩١٣) أن اللغة ليست مجموعة من الالفاظ بل مجموعة من العلاقات . واذن فالمهم فى العمل الادبى ليس الالفاظ بذاتها ، بل الروابط التى تقام بينها . واذا كانت تلك الروابط هى المعانى المختلفة التى يعبر عنها الاديب ، فعلى الناقد أن يوليها كل الاهتمام .

ويلتقى لانسون ودى سوسير فى ذهن مندور فيصبح الادب فنا لغويا لا يمكن فهمه أو تقييمه الا بتحليل علاقاته ، التى يتشكل من خلال تفردها فى كل عمل أدبى صياغة متفردة ويتحدد دور النقد فى تمييز صياغة كل عمل من حيث هى فى ذاتها أولا ، ومقارنة بغيرها ثانيا والاساس فى ذلك كله هو الذوق المدرب .

هذه التركيبة التى تمازج فى داخلها لانسون ودى سوسير كانت تقرب مندور من احمد ضيف وطه ابراهيم وتميزه عنهما فى نفس الوقت . لقد قدم أحمد ضيف « لانسون » الى القارىء العربى ، والح الى منهجه فى تحليل النصوص ، ونقده لسانت بيف وتين ، ونفوره من النقد المذهبى ، كما عرف بجول جمتر ودعوته الى الاقتراب من النصوص الادبية وتعمقها قبل أن يتجاوز مندور المرحلة [illegible] من تعليمه ، وثمة جذر مشترك بين تعريف مندور للنقد على أنه « تمييز بين الاساليب » وتعريف أحمد ضيف « النقد فى جملته لا يخرج عن وصف الكتابات وتحليلها » (٤) .

---

٣ – منهج البحث فى الادب واللغة ترجمة مندور / ٢٣ ، ٢١ وقارن بالنقد المنهجى / ١٣ والميزان الجديد / ١٦٢ وفى الادب والنقد / ٦ والنقد والنقاد المعاصرون / ٢٢٨.

٤ – مقدمة لدراسة بلاغة العرب /٩٧.

ولانسون هو ذلك الجذر المشترك . كما أن دعوة لانسون الى الاعتماد على الذوق وتمييز الدراسة الادبية واستقلالها بمنهجها عن مناهج العلوم ، كانت تقود مندور الى أحكام طه ابراهيم على التراث النقدى ، وتوقعه فى أسرها .

ومع ذلك تتميز مواجهة مندور للتراث النقدى ،تتميز بدقة فهمه للانسون ، وبارتباط هذا الفهم يتمثل أعمق للجوانب المشرقة من الثقافة الاوربية ، ومحاولة تطبيق أصولها على التراث تطبيقا يكشف أصالة التراث الادبى بوجه عام ، ويبرز مافى التراث النقدى - بوجه خاص - من كنوز « نستطيع اذا عدنا اليها وتناولناها بعقولنا المثقفة ثقافة أوربية حديثة أن نستخرج منها الكثير من الحقائق التى لا تزال قائمة حتى اليوم » (٥) .

[٣]

اساس تميز مراجهة مندور للتراث النقدى يكمن فى مفهومه للنقد المنهجى . وما يقصده بالنقد المنهجى « هو ذلك النقد الذى يقوم على منهج تدعمه أسس نظرية أو تطبيقية عامة ، ويتناول بالدرس مدارس ادبية أو شعراء أو خصومات ، يفصل القول فيها ، ويبسط عناصرها ويبصر بمواقع الجمال والقبح فيها » النقد المنهجى بهذا الفهم - يرادف « النصية » ، أى تحليل النصوص أو كشف العلاقات اللغوية التى يتشكل منها النص ، فالنقد - بأدق معانيه ، هو فن دراسة النصوص ، والناقد هو « الرجل الذى يتناول النصوص ، يدرسها ويميز بين أساليبها » ولكى يكشف مندور عن « النقد المنهجى » فى التراث التزم بالمنهج التاريخى ، الذى يتتبع الظواهر فى مسارها الزمانى والمكانى ، تتبعا يرد الجديد فيها الى مؤثر حضارى متميز ، وهو - فى الحضارة العربية - يرتد الى الاسلام كما يرتد الى امتزاج الحضارة العربية بحضارات أجنبية ، وبخاصة اليونانية .

وينتهى مندور الى أن النقد عند العرب نشأ عربيا وظل عربيا صرفا ، وانه قد واكب فى نشأته الابداع الشعرى ، وسبق التاريخ الادبى . ولكن النقد فى نشأته كان ذوقيا محضا لا تدعمه أسس نظرية ، او تطبيقية . صحيح ان النقد الذوقى أمر مشروع ، فالتأثرية قائمة فى أساس كل نقد « بشهادة لانسون » ولكن لابد لهذا الذوق أن يعلل . وكل تعليل لابد أن يستند الى مبادىء عامة ، وبالتالى الى منهج ، والمنهج لا يكون الا لمن نما تفكيره ، فاستطاع أن يخضع ذوقه لنظر هذا المنهج .. وهذا مالم يكن عند قدماء العرب . ومن ثم جاء نقدهم جزئيا مسرفا فى التعميم ، لم يفارق مرحلة الاحساس الخالص ، ولم يتحول الى معرفة تصح لدى الغير بفضل ماتستند اليه من تعليل .

بهذا الفهم للنقد المنهجى يتميز مندور عن طه ابراهيم ، ويتخلص من وطأة النصوص والاراء التى حشدها طه ابراهيم فى الابواب الثلاثة الاولى من كتابه . كما يتميز مندور أيضا - بالتمييز الحاسم بين التاريخ والنقد الادبى . وبذلك التمييز يخرج جهود العرب حتى أواخر القرن الثالث من اطار النقد المنهجى فابن سلام (طبقات فحول الشعراء) وابن قتيبة (الشعر والشعراء) وأمثالهما مؤرخو ادب أكثر منهم نقادا .

النقد بمعناه الحقيقى لم يبدأ الا فى القرن الرابع للهجرة ، وبعد تبلور مذهب المحدثين فى مبادىء نظرية ، صاغها ابن المعتز فى (كتاب البديع) فكان بجهده من العوامل التى مكنت للخصومة بين أنصار القديم وأنصار الجديد ، اذ أصبحت مبادىء المذهب الجديد معروفة محددة . ولو لم يكن لابن المعتز من فضل غير تحديد المصطلحات لكفاه ذلك ليتمتع فى تاريخ النقد العربى بمكانة هامة : ذلك لان كل دراسة لابد لها من مصطلح يحدد مجالها « ولكم نشأت فى تاريخ الفكر البشرى علوم جديدة بفضل خلق اسم لها يدل على موضوعها ومناهجها » . واذا كان ابن المعتز قد أفاد من ارسطو فى تحديد المصطلح ، فانه لم يأخذ عنه الا مجرد التوجيه العام ، ويظل ابن المعتز بعيدا عن شكلية ارسطو ، لان تفكيره يبدأ من الوقائع والنظر فيها ، وهو عربى سليم الذوق يعرف الشعر العربى ويتذوقه . واذا كان للفلسفة تأثير عليه فانها لم تستعبده ولا أفسدت ذوقه كما فعلت مع قدامة فى كتابه نقد الشعر . ومع ذلك فمحاولة قدامة تشبه محاولة ابن المعتز فى خروجها عن دائرة النقد المنهجى ، فكلاهما لا ينقد الشعر نقدا موضعيا يقوم على دراسة الاساليب . ويفرغ مندور بذلك - من التراث النقدى للقرن الثالث والنصف الاول من القرن الرابع ، وعلى وجه التحديد مما عرفه من تراث هذه الفترة ،

---

٥ - النقد المنهجى / ٥ وكل مابين الاقواس بعد ذلك من النقد المنهجى .

وينطلق إلى النصف الاخير من القرن الرابع ، حيث يواجه مايعده قمة الانجاز النقدى عند العرب ، وذلك من خلال كتابى الامدى (الموازنة) ، والجرجانى (الوساطة) .

أما الامدى ففى كتابه منهج للنقد ومقدرة عليه ، واستقصاء للاحكام وتقيد بالموضوع ، وبعد عن التعصب والتعميم « وكل هذه صفات تجعل من الامدى زعيم النقد العربى الذى لا يدافع » فضلا عن أنه قد فطن الى أن جمال الشعر يرجع الى الصياغة « وهذا هو رأى معظم نقاد أوربا اليوم الذين يرون أن أمر المعانى فى الشعر ثانوى بالنسبة الى الصياغة » . وصاحب (الوساطة) ناقد انسانى يقيس الاشباه على النظائر ، ويصدر فى نقده عن حذر العلماء وحرصهم على اليقين « وفى كتابه صفحات لا يستطيع العلماء المعاصرون أن يكتبوا خيرا منها » قد يكون اكثر تسامحا من الآمدى الا أنه يتفق معه فى النهاية حول ضرورة الحكم على جوهر الشعر ذاته .. وأساس النقد فى كتابى الوساطة والموازنة — هو الذوق المدرب ، الذى يستطيع صاحبه أن يعلله . ولكن التعليل ليس ممكنا فى كل الأحوال — « لأن من الاشياء أشياء تحيط بها المعرفة ولا تؤديها الصفة » ومواضع الجمال الادبى تحس ، ولكنها تستعصى على التعليل ، الا بعبارات عامة لا تميز جمالا عن جمال . ولكننا عندما نترك الجمال الى ماليس منه نجد المقاييس التى لا تخلو من دقة ، وهى — عند الامدى والجرجانى — مقاييس شعرية تقليدية ، ولغوية ، وبيانية ، وانسانية ، وعقلية . وليس التفسير هو المهم ، المهم هو ابراز « المنهجية » فى نقدهما ، وحرصهما على وضع المشاكل باستقرار ، وتحليل تلك المشاكل وفقا لطبيعتها .

وبعد الامدى والجرجانى لا يبقى الا عبد القاهر الذى قاوم شكلية قدامة وأبى هلال واهتدى الى فلسفة لغوية « هى أصح وأخذت ما وصل اليه علم اللغة » . لقد فطن عبد القاهر الى أن اللغة مجموعة من العلاقات ، وأن اللغة لم توضع لتعيين الاشياء المتعينة بذواتها وانما وضعت لتستعمل فى الاخبار عن تلك الاشياء بصفة أو حدث أو علاقة . وإذن فالمهم فى اللغة هو « النظم » . ومفهوم النظم عند عبد القاهر قريب من مفهوم « العلاقات » عند دى سوسير ، لانه لايهتم بالكلمة فى ذاتها ، وانما من حيث هى طرف فاعل فى علاقة يتكون منها النظم . والنظم — بهذا المعنى — لا يتوقف عند مستوى الصواب والخطأ بمعناهما اللغوى الضيق ، بل يتجاوزه الى تعليل الجودة وتمييز أسلوب عن أسلوب « وهذا ينتهى بنا الى ما نراه ... من أن النقد وضع مستمر للمشاكل وأن لكل جملة أو بيت مشكلته التى يجب أن نعرف كيف نراها ونصفها ونحكم فيهما ، وهذا هو النقد المنهجى ... وهو خير نقد » ومن البين أن الذوق هو الفيصل الاخير فيه » . هذا المنهج الذى وضعه عبد القاهر خليق بأن يجدد فهمنا للتراث الادبى كله ، ولكنه لسوء الحظ لم يفهم على وجهه ، ولم يستغل كما ينبغى ، وغلب التيار الشكلى الذى بدأه قدامه ونماه أبو هلال حتى وصل الى ذروته عند السكاكى (مفتاح العلوم) . وكانت فى ذلك محنة الادب العربى ، وهى محنة لم يتم تجاوزها الا باعادة النظر فى التراث ، فى ضوء فهم جديد ، يبرز القيم الاصيلة عند الامدى والجرجانى وعبد القاهر ، وينفى الجوانب الشكلية عند قدامة وأبى هلال والسكاكى .

وبذلك أعاد مندور ترتيب سلم القيم فى التراث ، وانتهى الى « انه لتراث عظيم ان نمتلك فى النقد الادبى كتابين كالموازنة والوساطة ، وفى المنهج اللغوى كتابا كالدلائل نجد فيه أدق نقد موضعى تطبيقى وأعمقه » .

[٤]

مواجهة مندور للتراث النقدى تمثل تجاوزا لاشك فيه للجيل السابق عليه . هذا التجاوز لم يقم على معرفة أوسع بالتراث ، بل على منهج متميز ، ينطلق من الايمان بأن طبيعة المادة تفرض منهجها . فاذا كان الادب فنا لغويا يتميز فى صياغته ، فلابد أن يكون منهج الدرس فيه مرتبطا بطبيعة مادته ، أى باللغة ، وبالتالى ينصب على التمييز بين الاساليب ، وتحليل العلاقات . وبذلك يستقل منهج الدرس الادبى عن مناهج العلوم المختلفة ، فلا يقع فى المزالق التى حددها لانسون ، والتى الح عليها مندور سواء فى نقده للقدماء من أمثال ابن قتيبة وقدامة ، أو للمعاصرين له من أمثال طه حسين والعقاد والخولى .

قد يكون مندور ضيق حدود التراث النقدى أكثر مما فعل الجيل السابق عليه ، لان ما ادخله من التراث فى دائرة النقد المنهجى لا يتجاوز ثلاثة كتب ، ولكن هناك — على الاقل — اعادة اكتشاف عبد القاهر وفهمه ، فى ضوء فكرة العلاقات عند دى سوسير ، وتوجيهها لخدمة

مفهوم النقد كتمييز للاساليب · وهو توجيه ادى بمندور الى اعادة النظر فى مبدأ « القياس اللغوى » على أساس من التسليم بالتطور التاريخي للغة من ناحية والتسليم بحرية الاديب فى التعامل مع اللغة واعادة تشكيل علاقاتها من ناحية اخرى · وبذلك رفض مندور النظرة اللغوية الضيقة عند الامدى والجرجانى ، رغم اعجابه المفرط بكليهما ، وأكد — فى مقابل هذه النظرة — جمالية « كسر البناء » فى اللغة ، وارتباطه بضرورة داخلية ملحة عند المبدعين ، تدفعهم الى تجاوز النسق اللغوى العادى والخروج عليه · وعلى مستويات الصحة والخطأ فيه · وبذلك تجاوزت دراسة مندور لعبد القاهر كل ما قدمه طه حسين أو الخولى أو غيرهما · وهناك — الى جانب ذلك — تمييزه المحدد للتاريخ الادبى عن النقد ، وتأصيله الجاد لمنهج النقد وأدواته ووسائله عند من تعرض لهم من النقاد القدماء ، وحرصه الدائم على وصل الجديد بالاصيل من التراث ، واستبعاد الزائف حتى لا يعوق حركة التذوق أو الابداع فى مسارها المتطور · وتلك انجازات أصيلة ما كان يمكن أن تتم لولا المنهج المتميز الذى واجه مندور به التراث النقدى ، وبهذا المنهج تميزت دراسته عن عبد القاهر (فى الميزان الجديد) وتميز كتابه(النقد المنهجي عند العرب) وظل الكتاب مؤثرا ، رغم كل ما فيه ، يحجب جهودا كثيرة عاصرته او اعقبته، رغمها يمكن أن يكون بها من احصاء أدق ، ومعلومات أوسع ، ونصوص أغزر ·

ولكن منهج مندور — مع ما قد يوجه اليه أصلا — كان يمكن أن يحقق نتائج أعظم ، لو أتيح لمندور الوقت الكافى أو الظروف المناسبة · لقد أعد رسالته التى حصل بها على درجة الدكتوراه ١٩٤٣ عن « تيارات النقدالعربى فى القرن الرابع »— تحولت فيما بعد الى النقد المنهجى — فى أقل من عام ، وشغلته ظروفه عن مواصلة الجهد الذى بدأه فى عبد القاهر ، ولم تتح له الفرصة لانجاز ما كان فى مقدوره ، وما كان يؤهله منهجه لاتمامه ؟ وظلت فى محاولته لمواجهة التراث مزالق لم يلتفت اليها فى نشاطه المتعدد الاتجاهات · وهى مزالق تتكشف من زوايا ثلاث : كيفية تطبيقه لمنهج الدرس التاريخي ، مفهومه للنقد « المنهجى » واخيرا مفهومه للشعر ،وهى زوايا تقود فى النهاية الى بؤرة واحدة يمثل فيها مفهومه لطبيعة الادب ووظيفته وما ترتب على هذا المفهوم من الحاح ضار على الصياغة ·

الكيفية التى طبق بها مندور المنهج التاريخي كما تعلمه من لانسون كانت عشوائية الى درجة كبيرة · المنهج التاريخي — أولا — لا يمكن أن يبدأ الا بعد حصر النصوص التى ينبغى أن تدرس ، مطبوعة أو مخطوطة ، وهذا أمر لم يقم به مندور ، أعنى أنه لم يحاول أن يكتشف بنفسه التراث النقدى ويتعرف على المجهول منه ، وانما اقتصر على المعروف وعلى ما قدمه له طه ابراهيم على وجه الخصوص · ومن هنا وقع فى أسر اجتهادات سابقة ، وغابت عنه جوانب من التراث ، لو اطلع عليها لتغير تقييمه للتراث النقدى تغييرا جذريا ، بل لاختفى كثير من الاحكام الخاطئة التى يحتويها النقد المنهجى · ويعنى المنهج التاريخي عند لانسون — ثانيا — رد الجديد الى مؤثر انتجه،وهذا ايضا لم يقم به مندور على الوجه الاكمل ، وما كان يمكنه لانه لم يعرف كل الجديد فى التراث · لنتوقف — مثلا — عند نشأة النقد المنهجى ، انها لا يمكن أن تقوم على جهد فردى لابن المعتز ، لان وضع المصطلح مرتبط — فى النهاية — بمناخ فكرى اوسع ، ينبغى أن يفهم الجهد الفردى فى اطاره · ولو صبر مندور على قراءة الجاحظ — وقد اغفله طه ابراهيم — لاكتشف فى كتاباته نشأة النقد المنهجى وتجاوزه للذوق الفردى ، ولرد هذه النشأة الى الفكر الاعتزالى السائد ، الذى يلوذ بالعقل ، ويؤمن بوجود خصائص موضوعية كامنة فى الاشياء تجعلها اما حسنة أو قبيحة بذاتها · وذلك نوع من الفكر وجه الخصومة بين القدماء والمحدثين وجهة جديدة تماما ، عندما حاكم القديم والحديث فى ظل مبدأ « التحسين والتقبيح العقليين » وحول الخصومة من مجرد حماس متعصب ، الى خلاف يقوم على أسس موضوعية · ولو اتسعت النظرة أكثر لارتدت الخصومة الى جذرها الاجتماعى الذى كان ماثلا وراء المواقف المتعارضة ·

واذا تجاوزنا كيفية تطبيق المنهج التاريخى الى مفهوم « النقد المنهجى » لاحظنا ضيق المفهوم ، وانحصاره فى جانب من النقد التطبيقى فحسب ، مما استبعد كل محاولات « النقد النظرى » من التراث بحجة تطبيقها لمبادىء خارجة عن النصوص ذاتها · · وبالتالى ضاعت الاصالة الحقيقية لقدامة بن جعفر ،وشوه جهده تشويها مؤسفا ، مع أن هذا الجهد يقدم احدى المحاولات

الاصيلة لاقامة نقد الشعر على أسس صلبة ، تتجاوز الاهواء الفردية والاذواق الجامحة · والنقد النظرى الاصيل لا يمكن أن يقوم الا على استقصاء للنصوص الادبية ، وتمثل لقيمها الثابتة ، كما أن النقد التطبيقى لن يتم الا فى ظل تأصيل نظرى ، فكلاهما لا ينفصل عن الاخر ، وذلك ما حدث فى التراث · وما نعده من قبيل النقد النظرى كمحاولة قدامة (نقد الشعر) وابن طباطبا (عيار الشعر) وحازم القرطاجنى (منهاج البلغاء) لا يفترق عما أدخله مندور فى النقد المنهجى الا فى الدرجة فحسب · ومشكلة مندور أنه فهم « التمييز بين الاساليب » عند لانسون فهما بالغ الجزئية ، فضاق بذلك مفهومه للنقد ، وقصره ـ بالتالى ـ على الدراسة الجزئية للابيات · وترتب على ذلك اغفال الاصالة الكامنة فى الكتابات النظرية ، كمحاولة قدامة، واغفال أهم مزلق فى موازنة الامدى ، وهو قيامها على « البيت » لا على القصيدة ككل ، مما يجعلها موازنة « بلاغية » وليست « نقدية منهجية » ·

ومن الغريب أن منهج التحليل اللغوى للادب الذى تحمس له مندور لم يلفته الا الى عبد القاهر فحسب ـ ولم يتوقف عنده كما توقف عند الامدى ـ مع أن هذا المنهج كان يجد مادة أصيلة فى كتابات اللغويين أو فى شروحهم للشعر ، وهى شروح لا يمكن لمن يؤمن بتحليل النصوص أن يتجاهلها · وعبد القاهر نفسه يظهر فجاة وكأنه لم توجد مقدمات له عند اللغويين السابقين عليه أو عند الفلاسفة · ويغدو الامر طريفا عندما ينقل مندور عن عبد القاهر تحليلا لابيات يعده فتحا ، مع أن عبد القاهر نقل هذا التحليل عن ابن جنى وهو لغوى سبق عبد القاهر بحوالى قرن ، أو يفترض مندور ان الامدى يغير المصطلح الارسطى عن « العلل الاربع » ويحوله الى معنى مغاير عمدا ليؤكد أهمية الصياغة فى الشعر ، مع أن الامدى كان ينقل عن ترجمة خاطئة للمصطلح الارسطى اعتمدها فلاسفة سابقون عليه ·

ويعنى المنهج التاريخى ـ ثالثا ـ الحرص على فهم الماضى فى علاقاته المتشابكة وعدم التسرع بالحكم عليه · وما أسرع مندور الى الحكم المنفعل ، الذى يقوم على تأثرية مهتاجة · الامدى ـ مثلا ـ «اكبرناقدعرفه الادب العربى » أما قدامة البائس فهو « فاسد الذوق » مرة ، وفى أخرى نسمع « وهذا مثل واضح لغباء قدامة وفساد ذوقه وتفاهة نقده » ، وفى ثالثة « وهل يظن الاحمق قدامة « » · واذا تجاوزنا قدامة واجهتنا أحكام أخرى أهونها من قبيل « وما اشبه ذلك من سخافات » وأقساها « وأمثال ذلك من الكلام الرقيع » · وتضيع الموضوعية بمثل هذه الاحكام التى تؤدى اليها لغة تصف « النقد المنهجى » بلغة «غير منهجية » تصدر عن ايمان بأن من الاشياء ما تحيط به المعرفة ولا تؤديه الصفة ·

أما مفهوم مندور للشعر فكان يحتوى مقولات هشة ، تجعل القصيدة من قبيل التدفق الالى للانفعالات ، وتربط الشعر عموما بالفطرة ، وتجعله مجافيا للثقافة · « الرجل الفطرى يستطيع باحساسه أن يخلق أجمل الشعر ·· وهو لذلك ليس فى حاجة الى عقل مكون ناضج ·· ومن الثابت أن الشعر لا يحتاج الى معرفة كبيرة بالحياة ونظر فيها ، بل ربما كان الجهل بها أكثر مواتاة له حتى ليخيل الينا أن الشعر الجيد لا تستطيعه الا النفوس الوحشية العقل القوية · واذا استطاعه أحد من المتحضرين ، فهو فى الغالب رجل اقرب الى الفطرة منه الى المدنية العقلية المعقدة . هذاالفهم للشعر جعل مندور أقرب الى المحافظة فى فهمه للتجديد الشعرى فى التراث ، فأعلى من شأن القديم ـ دوما ـ لارتباطه بالسذاجة والفطرة ، ونظر الى الشعر المحدث فى ريبة لما انطوى عليه من ثقافة · كما جعله ـ من ناحية أخرى ـ يحصر تجديد المحدثين فى مجرد الصياغة لمادة قديمة ، وهو فهم لا يتجاوز فهم ابن المعتز أو الامدى ، ولا يمكن أن يستوعب الاصيل من شعر المحدثين · كما أدى به هذا الفهم ـ أخيرا ـ الى العجز عن ادراك وحدة القصيدة الجاهلية رغم تمدد موضوعاتها الظاهرى ، فكان اقرب الى الموافقه على تبرير ابن قتيبة لانتقال الشاعر من غرض الى غرض آخر ·

وأحسب أن السر فى هذه المزالق كلها يرجع الى ان مندورا لم يتح له الوقت الكافى ليقوم بتأصيل نظرى متماسك فى تفصيلاته وجزئياته لطبيعة الادب ووظيفته أو لطبيعة النقد وغايته ، فخاض ـ فى لهفة يغذيها الوعى بتخلف الدراسة الادبية ـ فى مجالات متعددة ، كان التراث النقدى واحدا منها ، واكتفى بدور الرائد ، الذى يدل على الطريق ويرتاد بعضا منه ، تاركا لمن بعده مهمة التأصيل الكامل ، والتجاوز الحقيقى (•)

المـرأة في أدب عبـد الحليـم عبـد الله


عبد الحليم عبد الله

رضا الطويل

ظل محمد عبد الحليم عبد الله مخلصا لمحمد عبد الحليم عبد الله فلاح البحيرة ، الذى قطع الطريق ذات يوم ، من كفر بولين الى القاهرة ، واستمر أصيلا في انتمائه للمجتمع الزراعى ، بقيمه وأخلاقياته ، وواجه الحياة مواجهة الفلاح الصبور ، وأنس للعادة كما يانس لتوالى الايام وتعاقب الفصول ، بنفس تركن للعادة ، وتهدأ للمألوف ، وتتهيب الجديد الى أن يصير قديما ، ولم يتمرد الاديب بأعماق ع • عبدالله على الواقع ، فأسلم عالمه الروائى للعلاقات الاجتماعية السائدة ، الكائنة ، وتقبلها تقبل الروح المطمئن لاحكام القضاء ، وتصاريف القدر ، فأخذت بأعنته أدبيا ، وانحدرت به تياراتها الرتيبة •

ومن « لقيطة » الى « قصة لم تتم » واصل ع • عبد الله تجربة الحياة والفن ، بقيم المجتمع الزراعى التى تجاوزها الواقع ، في فترة تاريخية هبت عليها رياح التغير ، وعصف بها التطور الاجتماعى ، وانبثقت حياة جديدة ، بعلاقات اجتماعية وقضايا مخالفة • ومع هذا ظلت النافذة التى يطل منها الى العالم هى النافذة الغربية ، المطلة على الماضى ، والوقت الذى يستهويه وقت ما بعد الغروب ، وعندما آن له أن ينتفض ، بعد أن أنضجه الزمن ، متفائلا بأن للزمن بقية ، هزأ به الخريف ، ولم يدركه الشتاء ، وكانت قصته الاخيرة ، قصة لم تتم •

ارتبط وجدان ع • عبد الله الروائى بعالم الاسرة ، وتهره احساس متزايد بوحدتها وكيانها ، ولم يستطع أن يتخلص من مشاعره المتينة ، التى تربط الريفى بأصوله ، فلم ير عالما قائما يستحق الاهتمام غير عالمها ، وغير الاواصر التى تربط بوشائجها بين أفرادها : الاب •• والام •• الزوجة •• الابناء •• الاخوة •• الخ ، وامتص هذا الاهتمام طاقته الروائية ، فلم يشق له طريقا خارج اطار الاسرة ، وعوالمها الحميمة ، ولم تستطع أى من شخصياته الاستقلال ذاتيا بعيدا عن حدود العلاقات المنزلية ، ابتدت وانتهت مكبلة بأصفاد الروابط العاطفية ، محرومة من تجريب ذواتها فى ألوان مخالفة من التجارب ، والصراعات الاساسية التى يتعرض لها الانسان ككيان اجتماعى ، فى محيط مجتمع تتحدد علاقاته على أساس آخر غير اعتبارات القرابة الاسرية • **ان النزوح المعتاد لشخصياته من الريف الى المدينة لم يؤثر جوهريا على مكونات هذه الشخصيات وأسلوب تعاملها ، بل لم يؤثر كما يتوقع**

على مجال التجربة الروائية ، فينتقل بها الى مجال المدينة الرحب ، والى دائرة أغنى متنامية مترامية الرقعة ، متعددة المراكز والاهداف ، وتستمر الاسرة هي المحور الرئيسي للعمل الفنى ، ففى شمس الخريف .. تستنفذ كيان مختار ، علاقته بأم أرملة قصفت عمر زوجها التاجر (الاسرة الاولى) ، ثم تركت للواعجها الحبل على الغارب ، لتتم الزيجة الثانية لها بعباس أفندى المدرس (الاسرة الثانية) ، فيندفع مختار للالتصاق بسكينة الريفيسة ، وينخرط انخراطا بأسرة عم خليل بعلاقاتها المتباينة [الاسرة الثالثة] ثم يضيق به الحال فيرحل للقاهرة ويتزوج السيدة (ف) (الاسرة الرابعة) •

وترتيب على تمسك ع • عبد الله الشديد بالاسرة ، اهتمامه البالغ بالمرأة ، فاحتلت شاغله الاساسى والهام ، وكاديب لوحته الرومانسية ارتقت المرأة أيضا لتشغل المحور الرئيسى لاعماله الروائية •

●●

تنتمى شخصيات م • ع • عبد الله الى الطبقة الوسطى : والمنحدرة من أصول ريفية عموما ، وتغطى بموقعها كافة شرائح هذه الطبقة تقريبا ـ أدنى وأعلى ـ خلال فترة تاريخية تتقهقر الى ما بعد الحرب العالمية الاولى ، بالنظر الى الزمن الروائى ، بالرغم من أن هذه الروايات تمت كتابتها ونشرت ابتداء من ١٩٤٦ الى نهاية يونيو ١٩٧٠ [تاريخ وفاته] ، ويتناسب هذا الزمن الروائى مع المنظور الاخلاقى الذى تشبث به ع . عبد الله طويلا ، كأحد المنتمين الى هذه الطبقة ، ففى حين تواءمت هذه الشخصيات كنماذج فنية مع معتقدات الفترة الزمنية التى جرت بها الاحداث تخلفت عن اثارة القضايا المتعلقة بالمرحلة التى تم بها النشر • وفى الوقت نفسه الذى اوغلت فيه الشخصيات مرتدة للخلف متسترة تحت دواعى الضرورات الفنية ، قدمت نفسها فى صورة تعكس الى حد بعيد التغيرات التى طرأت على الواقع المعاش ، أى ان هذه الشخصيات ـ النسائية على الاقل ـ استمدت صورتها من الواقع الحديث ، واستمدت أصولها الفكرية والخلقية ودوافعها السلوكية من مجتمع عاتى القدم ، ولقد فطن د • القط حين تعرض لرواية بعد الغروب بالنقد ، الى الخلل البين فى بناء الشخصية ، وكانت مخالب القط ـ بتعبير ع • عبد الله ـ مخالب جارحة . اذ مزقت موطن الداء الدفين والجوهرى الذى يعانى منه فنه الروائى ، وتعانى منه شخصياته ، ان أميرة القوية التى أدارت شئون أسرتها بقدرة وتدخلت بكفاءة فى ادارة عزبة والدها ، وساست الرجال ، وأعربت عن تفهمها الواضح الجلى لشئون الزراعة والحياة ، تستسلم دون أن تتبث لارادة والدها الذى قرر زواجها ممن لا تحب ، لا تعترض ، لا تقاوم •• ولا تبدى رأيا • لقد مزق هذا التناقض الاساسى شخصية المرأة فى أدب ع • عبد الله الى صورة وقضية منفصلتين •

المرأة ـ القضية :

عرفت المرأة فى أدب ع • عبد الله العمل والتعليم، كقيمة مؤقتة لا كقيمة أساسية • واذا كان تحرر المرأة كامنا فى هذا الحد الذى تدرك فيه أن الحب ليس الهدف الاساسى للحياة ، أى فى اللحظة التى تتوقف فيها عن النظر الى نفسها كأنثى ، وتضع نفسها عضوا نشطا مساهما فى الحياة الاجتماعية والاقتصادية . الى جوار الرجل سواء بسواء ، الرجل الذى تخلى منذ فترة طويلة عن هذا الشاغل الجنسى الملح ، واتخذ من العمل محورا اساسيا لشخصيته ، والقيم الملتزم بها ، فان المرأة لم تصل الى حدود التطلع الى الحرية والى المساواة ، لقد احبت خمول العذراء داخل شرنقة الرجل، مستمتعة بحباله الحريرية الملتفة حول عنقها •• فالمرأة يلذ لها أن تصبح مملوكة حتى لو تمردت على هذا الوضع [شمس الخريف) ، رهى اذن تقف حجر عثرة فى سبيل انطلاقها وتحررها ، انها تملك أعنة التاريخ ، وتمنعه من المضى بها قدما للأمام ، ممانعة فى آى تطور يبدل وضع التبعية للرجل ، انها كالحية التى لا تريد تغيير جلد الانثى فى فصل الربيع • واذا كان الحب هو القيمة الاساسية التى تدور حولها شخصية المرأة فلقد اشترطت هذه القيمة صفتين اساسيتين يجب ان تتحلى بهما : الجمال والعفة ، وهما صفتان لازمتان بالضرورة لنجاحها فى الحياة كتابع للرجل ، وكوعاء يحتسى منه السعادة والراحة والطمأنينة • أغدق م • ع عبد الله الجمال على المرأة اغداقا ، من ليلى اللقيطة الى كافة شخصياته النسائية • ولما كانت قيمة السلعة تتوقف على جمالها ، ارتبط قدر المشترى بمقدار الجمال ، وتوقف مستقبل المرأة كزوجة وكجارية يكتريها الرجل على درجة جمالها «كان هذا الجمال خليقا بأن يولد فى مخدع أمير أو على فراش ملك » وهذه الفتنة « ستنتشر يوما فيخر لها الابطال ... فهاتان الشفتان تستهويان النحل . . . الخ »

(اللقيطة) . وتحدث الام فى (شمس الخريف) ابنها مختار نادبة خيبته وتقصيره فى المدرسة « ليتك كنت فتاة اذا لشققت طريقك بوجهك الذى لا يخلو من وسامة أما الصبيان فهم فى حاجة الى شيء آخر غير هذا » أما أسرار (للزمن بقية) فتسجل تطور ع . عبد الله فى هذا الاتجاه ، وهى من ناحية أخرى تحرر نفسها خطوة من اسار علاقة التبعية ، وتستبدل الحب بالعمل ، ولهذا كانت أسرار الجارية الاولى التى يحررها دلال الجوارى من هذه القيمة ، لقد كانت أقل وسامة وجمالا من الرجلين ، البدوى السيد وصلاح التجومى الذى فتنها وسامته . أسرار بعينيها السريعة الحركة ، الشديدتى السواد ، ورنة صوتها المفعمة بالحيوية ، وميلها الى الطول ، وانحناء قامتها الى الامام نوعا ما اذا مشت ، وبأنفها القصير ، وشفتها العليا ذات الاتساع ، وبشعرها غير الرجل .

أما العفة ، فليس مثلها مشكلة حظيت باهتمام ع . عبد الله واستغرقته ، فطفت على سطح أكثر رواياته أو اغلبها ، سواء كمشكلة ثانوية أو كمحور رئيسى للعمل ، حيث أفرد لها رواية « البيت الصامت » ونضيف وغصن الزيتون ، والجزء العام من « شمس الخريف » الخاص بالسيدة (ف) ، واذا التمسنا العذر لسلامة الزوج فى بيته الصامت لسنوف العذاب التى بدأ يذيقها لدرية ، وانواع الاذلال النفسى التى انزلها بها ، بقروشه المستديرة المقتوية التى وضعها بكفيها ذات مساء ، بأن درية ثيب فقدت عذريتها وهى فتاة صغيرة . دون ان تدرى بما حدث لها على وجه الدقة ، وبررنا الشكوك التى انتابته وقوضت منزل الزوجية ، واذا اعتبرنا ان هذا طبيعى فى مجتمع الرجل الذى عبر عنه ع . عبد الله ، فان مشكلة عطيات تبدو من المشاكل العجيبة . اذ ان علاقاتها الجنسية تمت مع عبده أفندى الذى سفح دم عفافها على فراش عذوبيته ثم تزوجها فيما بعد ، فلم ينس ما حدث له معها .. وطارده شبح الماضى ؟ ! ، وأفضى بهما اخيرا للانفصال ، أما عطيات نفسها فلا تقل شعورا بالمهانة والضعة حين حاولت التلميذة المجتهدة ان تكون امرأة مجتهدة فى ليلتها الاولى التى تقدم النساء فيها شيئا يحاولن وهن عذارى أن يدخرنه لهذه الليلة .. كنا فى الحقيقة مسئولين مما عن تبديده وضياعه . ولكننى حزنت عليه ونحن أحيانا ننقم على أشياء جنيناها بأيدينا حتى لكأنما جناها علينا غيرنا » [غصن الزيتون] واذا تركنا عطيات الى السيدة [ف] المطلقة ، تفاجئنا هى الاخرى بأنها ليست أقل ضعة وهى تهمس لمختار ليلة العرس « وددت لو كان الزمن ساقنى الى طريقك أيام كنت أملك هذه الدرة فبذلتها لابرهن على اننى فانية فيك » [شمس الخريف] (*)

أليس من الغريب مع أخذ كل الاعتبارات الاخلاقية فى التحليل ، أن يظل م . ع . عبد الله على امتداد ما يقرب من الربع قرن من الزمان ، سقطت فيه دنيا ، وقامت دنيا ، طرد ملك وأعلنت جمهورية ، وانهارت طبقات وبرزت أخرى ، ونشبت ثلاث حروب . ومات ملايين لاهيا عن هذا كله ولا يجد حلا لمشكلة عفة امرأة ؟ (*)

ان مشكلة العفة فيما يبدو شكل مرضى ، وعقد نفسية ، أو طوطم فى قلب ساحر من سحرة القرون الغابرة ، ولقد حلت لعنته على كل من فقدته ، فدهم الموت فى النهاية درية وعطيات والسيدة (ف) وزينب « شجرة اللبلاب » التى منحت ولم تفقد .

لم تستطع أسرار كنموذج متقدم لعبد الحليم عبد الله أن تتحلل من اسار العفة ، ولم تكن بالضبط كما ينعتها البدوى السيد الصحفى رائدة سابقة لاوانها ، فهى من هذه الجهة لا تختلف عن بطلة القصة الفرعية التى قرأتها ليلى اللقيطة ذات أمسية : فتاة ضعيفة قاصرة الادراك ، لعب بعقلها رجل قوى متمرس ومجرب وغرر بها ، فهى قد فعلت مع أنور ما تفعله الهرة الهريجة حين

يواجهما حيوان اقوى ،عضته فى زنده عضة شديدة ، تأوه لهما فمغم بكلماته المضوغة ، شفقة من الرجل القوى الكريم « عيب ٠٠ نحن الان زوجان وغدا نسجل العقد » (للزمن بقية) ٠ وقد كان زواجها وطلاقها فى ليلة واحدة ، وبين صك العبودية ، وصك الحرية يومان فى التاريخ ٠

وأسرار وان كانت مختلفة عن مثيلاتها ، بأن أصبح العمل بالنسبة لها حيويا وماسا ، فهى لم تختلف الا فى الشكل والدرجة ، فهى تؤكد أن قلبها لم يعرف الحب ، وأنها لا تزال عذراء فالعبرة بعذرة الروح ، وتتمسك بهذا المنطق المضحك ، فالدلال مازال قائما فى الصدر ، يجمل بضاعته التى ظنها بائرة ، ويبرز عيوبها من وجهة نظره ، العمل حلية ، والتعليم حلية ، والعفة عذرية روح ، ان أسرار تختلف عن درية النبيث الصامت التى تحلم بالرحمة الالهية ، متوسلة اليها ان تمفى الفتيات من هذا الغشاء ، الم تكن حواء بدونه ، حيث لم تكن هناك ضرورة ماسة له ٠ اما اسرار فتتوسل الى الرحمة الاجتماعية أن تستبدل باغلال عفة الجسد ، عفة الروح ، دون ان تدرك انها تضع نفسها تحت سيطرة الرجل من حيث نشدت الحرية ، لقد كانت أسرار « أحسن مثل يعبر عن عبودية المرأة » وكل عمل من اعمالك غير مكتوبة تقدمينها لحاكم غير مسئول ٠٠ والمرأة التى تمسك بالفأس الصغير فى الحقول تملك جزءا من الحرية صغيرا جدا لكنه جزء من الحقيقة ٠٠ أما أنت فعندك قدر كبير من المجوهرات الزائفة » (للزمن بقية) ٠

لم يعد الجمال هو القيمة المثلى لترويج المرأة للرجل ، أصبح العمل والتعليم والحيوية والنشاط هى القيم التى يطالب السيد ان يتحلى بها العبد الخانع ، ولقد انتهى سعى أسرار للحرية بالضياع ، ولكنها وإن كانت لم تستطع التخلص من الموروث الفكرى الذى تحكم فى بنات جنسها ، فهى تمثل خفقة التذمر النامية بأعماق ع ٠ عبد الله على الفلاح القديم الراسخ بهذه الاعماق ، والذى ركن طويلا للمألوف والشائع ٠

ولد عبد الحليم عبد الله عام ١٩١٣ م ٠ فى فترة شهدت مدا هائلا لقضية المرأة ، ولافكار تحريرها ، من اجتهادات الامام محمد عبده الفقهية الى كتابات قاسم أمين ، وكانت انجازات هذه الدعوات قد بدأت تؤتى ثمارها وتروج حينما شب ، وانتشر تعليم الفتيات ولم يعد امرا ادا ، وتململت مصر ناهضة متحولة من شكل المجتمع الزراعى ، وحين بدأ ع ٠ عبد الله فى البذوغ ٠٠ لم يتعد اطار هذه الدعاوى ان لم يتخلف عنها ولم يضف جديدا فيما يخص المرأة ٠٠ من لقيطة تصادفنا شخصيات عاملات ، فلقد كانت ليلى ممرضة ، محاطة بنساء عديدات عاملات ، أما أميرة (بعد الغروب) فلم تكن بحاجة الى العمل ، نظرا لثروتها ٠٠ فدافع الحاجة والكفاف هو العامل الحاسم لعمل المرأة ، « ما أصعب المهمة التى فرضها علينا العيش ، انها اللقمة ٠٠ انها اللقمة يهب لها الفقير جسمه وعقله ، حتى ينقلها من يد غيره الى يده ولو كنا من بنات الاغنياء ما عرفنا الكد ، ولا النصب ، ولا عانينا من دهرنا ما نعانى » (لقيطة) ٠

ان العمل كقيمة أساسية قاصر على الرجل « ما خلقت للهم اعوادكن انما خلقت له كواهل الرجال » (لقيطة) ٠ والعمل بالنسبة للمرأة قيمة ثانوية لا يشكل ضرورة ماسة لبناء شخصيتها ، توفر لها الحرية وتكفل لها المساواة ،انها ضرورة معدة خاوية ، لا يلبث أن يتكفل بها رجل « سيحمل عبئا حملته الانوثة ، وما ان يظهر الرجل فى افق المرأة ، حتى تركن للبيت وأعماله ، فدرية (الوشاح الابيض) تتنازل عن شهرتها كمطربة مصر الاولى ، وترضى بتنظيف البيت وغسيل الاوانى ، مكتفية بمنصور الزوج وما يدره من دخل ، والسيدة (ف) التى تزوجت مرتين تتخلى عن العمل فى كل من المرتين مرحبة بوضعها كزوجة ، وكمربية من ربات البيوت ، ورغم ثقافتها ترضى بأن تكون عالة على زوجها ، وعالة على المجتمع الذى تحيا به ، وتظل المرأة محكومة بنوعها ، لا تنزع عنها القشرة التى تغلفها ، راضية بمصير بائس ، ان العمل كقيمة هو قيمة فارغة من المضمون فى عالم ع ٠ عبد الله ، الذى لم يتعد فى مفاهيمه مفاهيم اوائل القرن ، والتى فرضت على رائدة نسائية من رائدات الحركة النسائية المصرية كملك حفنى ناصف ، أن تترك عملها كمدرسة فى احدى مدارس البنات بالقاهرة (١٩٠٧) لتباشر أعمال منزل الزوجية ٠ فلا غرو أن نجد رجلا كمخيمر افندى (الوشاح

الابيض) يتململ من صراحة المفتشة التي توسط عندها في نقل ابنته المدرسة بأحد مدارس طنطا، فيجاهد نفسه ليمنعها حين اشتدت عليه من أن يذكرها بشيء نسيته، هو أنها امرأة تخاطب رجلا، فمازالت الرجولة وساما يحلى الصدر، في عالم لا يعترف الا بالرجال.

وتعكس نوعية العمل الذي اضطلعت به نساء ع. عبد الله الى حد ما – ومن وجهة نظره – تصور المرأة البيولوجي وضعفها عن الرجل، فالمرأة تطالعنا بهذه الاعمال: ممرضة.. مدرسة.. عاملة حياكة.. مطربة، ولقد استمر هذا التصور سائدا الى ان قامت اسرار بأعمال تجارية ثم لحقتها منى المنشاوى (قصة لم تتم) بالعمل كصحفية.

هذه النظرة التي تعتد بفروق جسمية واهية بين الرجل والمرأة، وتحدد الاهمية النسبية لكل منهما كعنصر من عناصر الانتاج، تعكس في الوقت نفسه تصورا متخلفا عن الطبيعة الاقتصادية للمجتمع الجديد، والتقدم التقني الذي جعل من هذه الحجة، ان صحت، حجة لا وجود لها.

واذا افتقد العمل قيمته الاساسية للمرأة، فالتعليم في أعقاب العمل قيمة ثانوية أو زوادة مسافر للفتاة المنتقلة من منزل الاب الى منزل الزوجية «تعليمهن في نظرى أشبه بالزوادة التي يعبئها المسافر.. وعطيات الى الان تعتبر مسافرة حتى تستقر في بيت» (غصن الزيتون).

ان نظام التخصص النوعي للعمل بين الرجل والمرأة – انهماك الرجل بالعمل الاقتصادى، والمرأة لاعمال البيت – من طبيعة مجتمع مندثر، ومع هذا ظل هو النظام السائد الى النهاية، الى أن جمعت منى المنشاوى بين العمل في الصحافة والزواج في قصة عبد الحليم عبد الله التي لم تتم.

هذه الصورة القاتمة لوضع المرأة، تنعكس بالتالي على أوضاعها الاجتماعية الخاصة بالزواج، ان مسألة زواج الابناء هي من أمس اختصاصات الاسرة، الاب أو الام أو هما معا، وعلاقات الفتاة العاطفية علاقات غير مشروعة، فالفتاة لم ترق الى المصاف الانساني الذي يسمح لها بتبادل العواطف، وصيحة مخيمر افندى صيحة شهيرة يجب الا نغفلها «اتريدين أن تتهمي بنيهتي بالحب.. وأنا الذي أشرف على تربيتها؟ ثم استغفر الله» (الوشاح الابيض). وعلاقات الفتاة العاطفية علاقات لها صفة السرية، تتم من وراء الاسرة، وهي علاقات غير معلنة ولا يمكن الموافقة عليها، وان كانت الام أقرب للفتاة وأكثر دراية وشعورا بها، لكنها في الوقت نفسه تابع ذليل لسيد الاسرة، وليس بمقدور التابع أن يهب ما يفتقد، وعواطف الفتاة من ناحية ثانية هي من نوع العيب، لقد قابل حسنى عواطف زينب في شجرة اللبلاب بكثير من النفور، واذا لم تستطع زينب أن تكتسبه الى جانبها، وتخسر قضيتها معه، لا يعود أمامها من بديل غير الانتحار.

وتتم الزيجات على يد ع. عبد الله وما أكثرها، كصفقات أسرية، لا دخل للعواطف الشخصية بها.. لقد عقدت الام (من اجل ولدى) صفقة زواج ابنتها الصغرى بمهارة، رغم اعتراضها على الزواج اصلا لرغبتها في اتمام تعليمها أولا، وبالرغم من تبرم بدرية شقيقتها الكبرى من هذا الوضع الذي تجاهلها وأغفل وجودها، وبوفاة سميرة بعد أن قطعت الاجراءات شوطا لا يمكن الرجوع عنه، تستبدلها الام ببدرية. أما الزوج رشدى، فلا يبدى اهتماما ملحوظا بهذا الاستبدال ولا يقيم وزنا للعواطف. فهو بتعبير سلامة البيت الصامت. استبدل قرشا مثقوبا بقرش مثقوب، وعاشا في النهاية سعيدين.

لقد افتقدت المرأة من الاصل العوامل الحقيقية لتحررها، ورضخت مذعنة لوضعها الخاطيء سالكة طريقها سرا للتعبير عن انسانيتها بصعوبة، ولكنها في الوقت نفسه جوبهت بمفاهيم شابة لا تختلف عن مفاهيم الشيوخ، وواجهت شبابا لا يختلفون في عقليتهم عن عقلية والديها، وكان طبيعيا أن تسلم مقاليد مستقبلها لاولياء أمورها، فلا تعلن أميرة رفضها لمشيئة والدها، ان جميع الزيجات الناجحة في عالم محمد عبد الحليم عبد الله تمت في اطار الاسرة ومباركتها واختيارها، ولحق الفشل بأى زيجة أخرى تمت خارج هذه الحدود. حقيقة كان زواج أميرة تعسا، ولكنه لا يضاهى بتعاسة زواج آخر كزواج عبده أفندى بعطيات [غصن الزيتون] الذي تم بمحض اختيارهما والذي انتهى بالفشل أخيرا. ولعل هذه القضية في النهاية هي القضية التي طالب فيها ع. عبد الله بمحاولة التوفيق بين كيان الاسرة ورغبات البنات.. ثم لم يتقدم خطوة أخرى على هذا الطريق.

المرأة ـ الصورة :

من الغريب أن صورة المرأة في أدب عبد الحليم عبد الله ، لا تتناسب مع الوضع الذي رضخت له ، من لقيطة والى قصة لم تتم فالمكونات الشخصية للمرأة مكونات خصبة ، ومتعددة ، تفوق مكونات شخصية الرجل العاطفي المتخاذل السلبي ، وليس من المبالغة القول ان التطور الذي لحق ع . عبد الله في عمليه الاخيرين ليس تطور الحق بشخصية المرأة بقدر ماهو تطور لحق بشخصية الرجل ، وارتقى به الى مستوى القوة النفسية والتماسك والايجابية التي اظهرتها شخصياته النسائية ، فرجال من أمثال صلاح النجومي (للزمن بقية) أو فتحي سالم (قصة لم تتم) هم طراز من الرجال لم يتوفر من قبل ، لقد تحقق للرجل أخيرا أن يتخلص من مظلة الرومانسية ، ومن الانهمام المتدله بالمرأة ، وان يتحرر من سيطرتها ويعاملها بندية ، ويبزها في تعدد الاهتمامات والثقافة .

ونساء عبد الحليم عبد الله يتمتعن بما لا يتمتع به الرجل من قوة الارادة والحزم ، كانت الارملة أم مختار (شمس الخريف) محاربة بطبعها ، فرضت سطوتها بقوة ولم تقم وزنا لعواطف الامومة حين تزوجت للمرة الثانية ، كما اظهرت المرأة حكمة افتقدها الرجل في مواجهة أعباء الحياة والتحايل على المعيشة وتتبدى حكمتها ومهارتها مناقضة اسراف الرجل واهماله للمسئولية ، التي ترحب بها وتتولاها ، فمخيمر في [الوشاح الابيض] قائم دائما حجر عثرة في سبيل الاصلاح المنزلي الذي تبتغيه الزوجة ، كما يقوم الرجعيون في المجتمع الطموح ، وصرف ماله وبدد صحته في الحانة وحول الرغيف واعز من الرغيف الى شراب ردىء . ولم تقتصر مهارة المرأة على أعمال المنزل ، بل تعدتها الى المشاغل الاقتصادية المعقدة ، فاثبتت أميرة كفاءة لا تدانيها كفاءة في ادارة مزرعة ابيها [بعد الغروب] ، وهي من ناحية أخرى تملك الصلابة النفسية التي تهيؤها للاضطلاع بمهام الحياة الشاقة ، وامتصاص الصدمات ، فهي تتحلى بصلابة العنيد حين تقهر ولا يزيدها القهر الا شراسة وضراوة . ويلاحظ عبد العزيز ان امه بعد ان نزلت الطامة بأسرته لم يكن عليها الاسعنة من الحزن تعلو وجوه البيض كأنها اثر اللطمة ، أما والده فبدأ غارقا في قفطانه من فرط هزاله كأنه استعارة من رجل جسيم وعاث في شعره الشيب وخبا بريق عينيه ، فيحزنه استخذاؤه وانكساره ، أما عبد العزيز نفسه فانه لا يجزع من البلايا فحسب ، ولكن توقعها كفيل بأن يخيفه ، [بعد الغروب] .

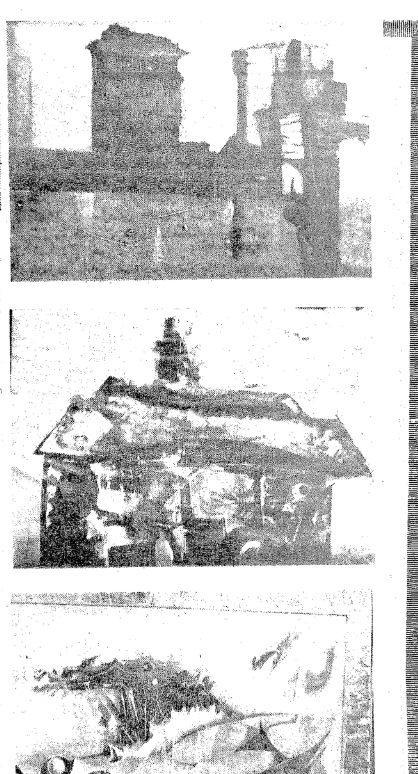
ان اهتمامات الرجال اهتمامات بالغة التفاهة ، لا ترقى لاهتمامات المرأة ، الحكيمة المحنكة القادرة المحمولة الصبورة ، ان الرجل هو الكائن الضائع في عالم النساء يفتقد لابسط صور الشجاعة ، ويتخاذل حتى عن مجرد التعبير عن أبسط المشاعر التي يكنها للمرأة . ان الفشل الذي حاق بعلاقة درية وراضي [الوشاح الابيض] يعود لسلبيته ، وتواجهه درية بعقلانية يفتقدها : هل كان من واجبي كامرأة ان اتخذ نحوك خطوة ايجابية ؟ وقلبت كفيها وهي تقول لا (ثم عاودتها نبراتها القاسية) ثم لماذا هذا الترهب من أجل امرأة ؟ أليس هناك الا نسخة واحدة من كل فتاة .. بيننا كثير من البارعات في تطبيب الجروح» لقد كانت درية بعبارة أخرى قوية ومعقولة ومنطقية .. ولكنها وضعت قوتها في سجون القيود الاجتماعية بالرغم من حارسها الضعيف . ولقد كانت أيضا تملك الثقافة والوعي .. ان شخصية كالسيدة (ف) تبدو مداركها الثقافية بالغة الرفعة ، اذا قيست بمدركات مختار [شمس الخريف] وهو يعترف أحيانا تقصيره وعجزه عن مجاراتها في هذا المجال ، فمختار لم يعرف طريق دار الكتب مثل عبده [غصن الزيتون] وحسني [شجرة اللبلاب] الا بالتقليد غير الاصيل للسيدة [ف] « فضلت دار الكتب لانها تفعل ذلك » ولم يكن اهتمامه الجاد نابعا من شعور ساحق بالرغبة في المعرفة ، بقدر ما يتصل برغبته الذكورية في الحصول عليها ، فلقد قدر أنه « مقدم على ميدان ليس من الممكن ان استخدم فيه سلاح الوسامة » وهو كما يقول « أحببت الوسيلة والغاية في وقت واحد » . ويبدو أن هذه الصورة المتناقضة مع قضية المرأة تتمشى وتتفق مع النظر اليها كعملاق يلذ له العذاب .. فيعطي ظهره للسوط ويبتسم ، فهي كيان نفسي مشوه ، و «حتى اللائي تزوجن عبيدهن في القرون الغابرة وقفن نفس الموقف » (البيت الصامت) .

لقد جنى ع . عبد الله على صورة الرجل ، فأنصف صورة المرأة .

هذا الفنان وعالمه

المصور حامد الشيخ بكرى

[٣٢ سنة ـ البدارى اسيوط]

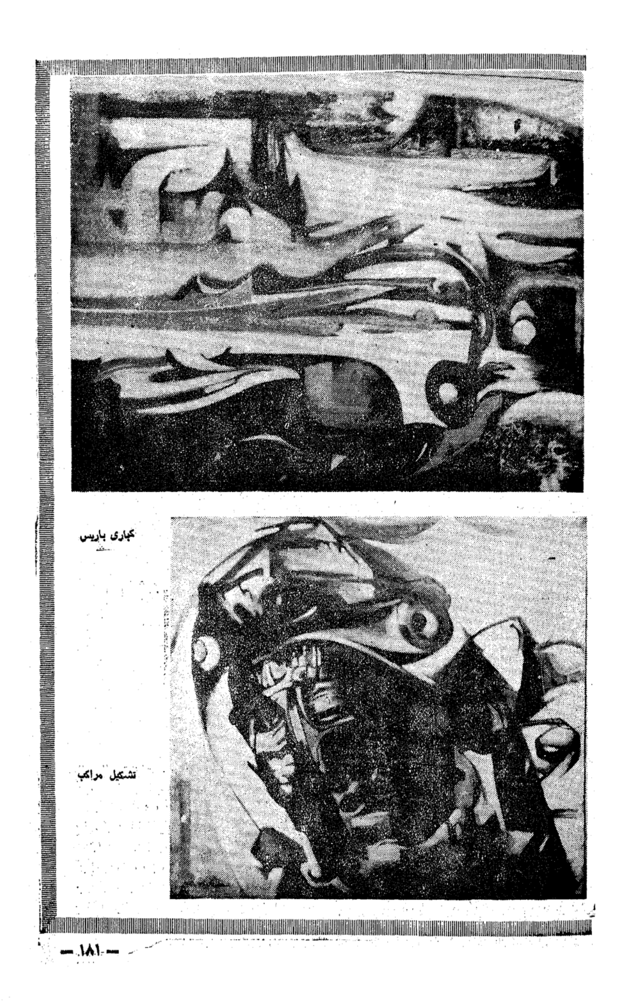


عند رؤية اعمال المصور حامد الشيخ بكرى نجد ان البنائية فيها اساسها الحوار بين الخطوط المستقيمة والخطوط المنحنية .. عند وضع الالوان الساخنة مع الالوان الباردة .. فى درجات التون الغامق والتون الفاتح .... بين الملمس الناعم والملمس الخشن .. عند استخدام الاشكال التى يستوحيها من الطبيعة والاشكال المجردة ... لذا نرى داخل العمل الفنى الواحد الاتجاه نحو التجريبية فى تاكيد الفورم الذى يعتمد على تحقيق البعد الثالث فيكون محاولة ايجاد التاثيرات التعبيرية ضرورة لها اهميتها ... والاتجاه نحو التسطيح الذى ينشأ من استعمال الاشكال الهندسية ذات البعدين فيكون الحوار الاستاتيكى ضرورة اساسية وهامة ايضا .

من هذا الحوار العام تكون المحصلة النهائية لمفهوم العمل الفنى هى احداث نوع من الصراع الفنى التاثيرات التعبيرية والحوار الاستاتيكى فتنشأ علاقة ... وقد نجد هذه السمة من الصراع بشكل عام فى الفن التشكيلى الشعبى غير ان الفنان الشعبى يحرص على خلق العلاقة بين الاشكال المستوحاة من الطبيعة والاشكال المجردة ذات الرموز والدلالات الخاصة .

على هذا يمكن اعتبار الفنان حامد الشيخ من الفنانين التجريديين لانه يهتم فى النهاية بالشكل الجمالى المطلق .

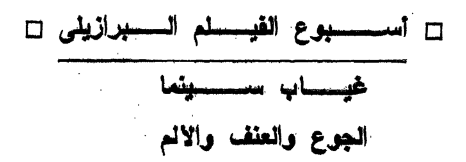
س . ت



كباري باريس

تشكيل مراكب

ثلاثـــة مشــــاهد
من ســـــينما أمـــريكا اللاتينيـــــة
فى القـــــاهرة



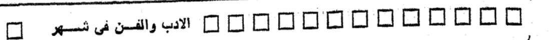
أســـبوع الفيـــلم الـــبرازيلى

غيـــاب ســـــينما

الجوع والعنف والالم

فى مطلع الستينيات من هذا القرن كتب المخرج البـرازيلى جلاوبير روشا يقـول : « ان الجـــوع فى امريكا اللاتينيـــة لا يمثل فحسب مؤشرا بالغ الدلالة على الفقر الجماعى ، بل هو فى الواقع جوهر المجتمع ذاتـــه . وهكذا يمكننا ان نحدد ثقافتنا بأنها ثقافة الجوع . وهذا هو عنصر الاصـــالة فى الســـينما الجديدة » .

وفى الثانى عشر من أغسطس عام ١٩٦١ نشر روشا - نبى السينما الجديدة - مـانيفستو الحـركة الذى جـاء فيـه : « ... سينما جديدة والكاميـرا فى يدك .. لانه عندما يفكر المرء فى السينما البرازيلية تتتابع أمام عينيه صور كثيرة : فقر تكوينها الفكرى وحاجتها الى الشعور بالذات ، موضوعاتها السياسية والاقتصادية المهجورة وميلهـا التراجيدى الحاد للـديماجوجية والمغامرات .. ان هذا كله يصعد الى رأسك دفعة واحدة .. ان ما نريده بالتحديد هو جرعة ثقة لا شىء أكثر من هذا .. بالاضافة



حديد على الاجهزة الثقافية والسياسية ...

ومن جسد السينما نوفو انسلخت **السينما الهامشية** ليد نيفيل والميدا وجوليو بريسانى ونلسون كانابارو وآخرين « **اختراق ، تحطيم ، تكسير ، قلب الاشياء رأسا على عقب .. ان سينمانا تنبثق رافضة ـ فى حزم لا يرحم على وجه الدقة ـ أى نوع من أنواع الابوية وهى لا تروم أكثر من صنع سينما تعكس الواقع الذى نعيشه . ويكفى أن يخلق المرء الشعر من النفاية** » ـ من بيان الهامشيين .

بعد ثلاثة أعوام من أول عرض سينمائى فى باريس عرض أول شريط برازيلى فى عام ١٨٩٨ . ومنذ ذلك التاريخ والبرازيل مستودع قمامة الافلام الهوليوودية وبعض الافلام الاخرى . **وككل بلدان أمريكا اللاتينية كان المستودع أمريكيا بنسبة ساحقة** . وحتى أوائل الستينيات لم تكن السينما البرازيلية ـ باستثناء **كافالكانتى** احد رواد الفيلم التسجيلى الذى كان يعمل اغلب الوقت خارج بلاده ـ اكثر من خليط مما يعرف بكوميديات « الكانكاداس » المتهافتة والوسترن البرازيلى الذى يشارك فى انتاجه تجار هوليوود لرخص تكاليفه . **وبالطبع فان تكوين هذه الاتجاهات الثلاثة كان طبقيا** . فشباب السينما الجديدة قد جاءوا من بين ما يعرف « **بثقافة الطبقتين** » « الدنيا والمتوسطة » التى وجدت فيما يعرف بالاصلاحات الديمقراطية فى بيانات وبرامج الحكومات العسكرية المتعاقبة سرابا لا حدود له . وكان عليها أن تعمل والعمل يعنى ـ فى العادة ـ فى


جلوبير روشا .. عين الكاميرا هى فوهة بندقية .. والاصابع على الزناد .

الازلام ـ أو الاحياء القذرة ـ فى المدن الكبيرة ومناطق الشمال الشرقى افقر مناطق البلاد واكثرها تخلفا .

هل يكفى الجوع والعنف والكاميرا فى يدك لكى تصنع سينما جديدة ؟ .. ولكن ذلك كان كافيا لكى تقتحم السينما البرازيلية كل الاسوار حتى اسوار بلادها حيث تطبق الدكتاتورية العسكرية بيد من

بالطبع الى عناصر أخرى والى أن نجد هذه العناصر .. فاننا سوف نواصل صنع أفلامنا بالكاميرا فى أيدينا .. مقاس ١٦ مم ان لم نجد ٣٥ مم وسوف نتخذ من الشوارع بلاتوهات لنا » .

وحينما ظهر فيلم شارك خمسة مخرجين فى صنعه وهو « **الاحياء القذرة** » خمس مرات **كانت السينما نوفو قد وجدت بالفعل . ويدور الفيلم** حول

أمريكا اللاتينية : **العنف** . وعنف السينما هو تقديم العنف الواقعى فى الحرب التى يشنها ممثلو هاتين الطبقتين . والهامشيون ايضا ينتمون الى الطبقة الوسطى، وقد تأثروا بالثقافة الاوربية ، وخاصة بالوجودية السارترية ، والعبث عند كامو ، وظهرت سينماهم فردية آحادية التفكير ولكن جانبهم الايجابى تمثل فى المشاركة فى اسقاط الاقنعة من على وجوه تقدمية مزيفة . لقد كانوا هم وشباب السينمانوفو الذين تلقوا صدمة زوال الحلم والارتطام العنيف بالارض بعد احداث ١٩٦٤ التى أدت بالانقلاب العسكرى الى السلطة . ومن الطبيعى ان تكون للبورجوازية المصرية أفلامها وتصوراتها النفسانية . واذا كانت بعض شرائحها تجد فى « الكانكاداس » مصدرا لتحقيق الارباح ، فان مثقفيها مشغولون جدا بمشكلات تبدو متطابقة فى جانب منها مع مشكلات السينما الجديدة . ويتلخص أهم هذه المشكلات فيما يعرف **بعقدة العهد الاستعمارى والصراع بين الايمان الكاثوليكى الراسخ وضغط قوى اليسار المادى والمعنوى** . وأعتقد أن هذه المشكلات تمثل مدخلا لتناول بعض أفلام اسبوعى الفيلم البرازيلى اللذين اقيما فى القاهرة للمرة الاولى فى الشهر الماضى . لقد عرض خلالهما ما يزيد عن عشرين فيلما طويلا سوف أختار أربعة منها كأهم مؤشرات العروض كلها . ومن المفيد أن أذكر أن مخرجى هذه الافلام يمثلون فى الاتجاه العام أحد شرائح السينما الجديدة وان كانت شريحة لا يمكن تصنيفها فى أكثر الاجنحة تقدما فى هذه الحركة .

[•]

يبدا فيلم « **جوانا المرأة الفرنسية** » [١٩٧٣] **لكارلوس دييجيس** بمشهد لاحدى الحملات البورجوازية الكبيرة فى احد قصور منطقة الاجواس بشمال شرق البرازيل . ويضم الحفل فيمسا يضم مجموعة من الكولونيلات وكبار الملاك الذين تستقطب انظارهم جميعا من هم مدعوون على شرفها : جوانا [جان مورو] المرأة الفرنسية التى تعيش فى مرح باذخ معتمدة فيما يبدو على هباتهم بقدر ما تعتمد على ترسب عقدة العهد الاستعمارى فيهم « منذ كانت البرازيل مستعمرة فرنسية برتغالية فى منتصف القرن السادس عشر » . ونحن نفهم من خلال هذا الحوار مركز جوانا فى هذه البقعة ، كما نعى شيئا فشيئا الخلفية التاريخية للاحداث .

يقول لها عشيق : « **أريد ان احدثك عن الثورة فى الشمال الشرقى** » . ويرد آخر : « **ارحلى الى باريس لان الثورة مشتعلة بالفعل** » .. وحينئذ ترد جوانا : « **لقد تم التخطيط لهذه الثورة فى منزلى** » وتفاجأ بمن يرد عليها : « **لا شك أنها الثورة المضادة اذن** » .

وفى ضيعة الكولونيل اوريلياتو تتبلور الاحداث مع وصول جوانا الى المكان الجميل . فالام العجوز تموت حانقة على الكولونيل الفاسد وتتعرف على ابنه ريكاردو الشاب الثورى الذى يسألها : « **هل انت مغرمة بالسياسة** ، وتهزأ جوانا من سذاجته ! وهناك ايضا العم جوليو العجوز الذى يلوك حديثا عن الايام القاسية القادمة مذكرا اوريلياتو بأيام الوباء فى عام ١٨٩٥ ويحذر العجوز الكولونيل مما يجرى فى مصانع ليما من اضطرابات عمالية معلنا له نبوءة استيلاء الثوار على الارض والممتلكات . أما القس « وهو أمر يتصل مباشرة بثيمة الكاثوليكية » فهو يعلن : « **سوف أؤيد الكولونيل دائما لانه يحارب من أجل تجنب فوضى التقدم** ! » واخيرا هناك طفل معتوه محبوس فى كوخ يئن طوال الفيلم كحيوان جريح . وتتطور الاحداث ويقرر ريكاردو دخول الانتخابات ويذكر لجوانا أن منافسه سيلقى خطبه فى حماية البوليس وتصرخ فيه : « **هنا الكولونيل اوريلياتو هو الذى يصنع القانون** » وبعد ان تموت زوجة الكولونيل يكون البيت قد بدا انهياره ، والكولونيل يهيم شاردا فى أرجاء ضيعته وريكاردو فى السجن « **يبدو انه ضالع مع البلاشفة** » هكذا قالت جوانا . وتقتل جوانا الطفل المعتوه آخر من بقى من الاسرة ثم تلفظ انفاسها الاخيرة « **من المستحيل الاستمرار** » . ..

والواقع ان ثورة ١٩٣٠ كانت قد اشتعلت ولم يعد أحد قادرا على اخمادها وهى الثورة التى ارتبط فيها عمل ليسار البرازيلى بالدعوة الى تطوير البلاد بعيدا عن السيطرة الامبريالية .

وعلى مستوى الرمز يمكننا ان نستخلص درس **عقدة العهد الاستعمارى** : لقد جاءت جوانا الفرنسية فخرب البيت الذى كان خرابا من الاصل .. وبالطبع فان مسئولية الخراب تقع اصلا على عاتق الاستعمار بكل اشكاله . ولعل هذا يفسر سبب منع الحكومة الفرنسية عرض الفيلم فى بلادها . ان الفيلم وثيقة جريئة ضد الاستعمار ، ومحاولة طيبة - فنيا وفكريا - للخلاص من عقدة العهد الاستعمارى .

كتب دييجيس يقول : « **تدور افلامى كلها حول حتمية التغيير**

.. غير انه من الواضح أن العالم لم ينته سواء عندما قرعنا طبول الحرب أو عندما اكتفينا بـاطلاق صرخـاتنا المتقطعة فالحضارة القديمة مـا زالت مسيطرة على الانسان فى هذا الكوكب .. ان جثة هـذه الحضارة يجب أن توارى التراب .. وانا الآن أقوم بدور حفار القبور بالنسبة لها » .

وفى فيلـم « الملعـــونون » ١٩٧٤ » لزيليتوفيانا » عن قصة لازوفيالدودى أندرادي » نـرى صورة أخـرى مـن مشكلات المجتمع الحضري في المـدن الكبيرة في اوائل القرن العشرين حيث نتعرف على آلما « ايزابيل ريبيرو » العاهرة التى تتردد على بيت فخم يقيم فيه بعض السادة بزعامة ماورو القـــواد حفلاتهم الداعرة فى جو شبقى مشبوب . والفيلم هو سيرة ذاتية لحياة هذه العاهرة الموزعة بيـن السيطرة الحسية للقواد وبيـن الحب الافلاطونى الذى يبثه اياها موظف بسيط . وتقسم هـذه السيرة بصدق فى التحليل على الصعيد النفسى ، ولكنها تضل طريقها عندما توصد الابـواب بينها وبين الواقع المشحون فى أحداث هذه الفترة الهامة التى مهدت لثورة ١٩٣٠ . ومن المؤكد أن آلما ليست عاهرة فاضلة ولكن سيرتها الذاتية التى تعاين قذارة معنوية داخلية فـي مجتمع بورجوازى دون أن تدعنا نطل على قذارة مادية خارجيـة ـ أفقدت الفيلم رؤيته الشـاملة والطابع الجدلى الذى كان يمكن ان يفيـد منـه قيـاما فى خلق مستويات متعددة بين الداخـل والخارج مما يثرى المـوضوع ويكسبه روحا شمولية . على أن الفيلم فى النهاية ـ وهـو أول اعمال مخرجه ـ هو عمل فنى ممتاز .

اما « كل امراة سيعاقبون » ١٩٧٣ » لارنالدوجابور « عن مسرحية لنلســون رودريجيس فهو فيلم كوميدى يرتدى قناع المأساه عندما يتناول اعقد تيمات السينما فى أمريكا اللاتينية وهى الصراع بين الكاثوليكية المتأصلة وبين دعاوى التقدم . ويختـار العرى مرادفا للتقدم ... العرى المـادى والمعنــوى لتمـاثيل البورجوازية الكاثوليكية . فهذا ارمل ينصحه اخوه العبثى « فى الجنس يكمن خـلاصك مـن احـزانك » والارمل يبدو رجل اعمال كبيرا وهذه عاهرة محترفة تقبل هذا العرض الذى يعرضه الأخ . وهذا ابن للارمل يفاجأ بسقوط الاب كما تفاجـأ عائلة الخالات المتدينات التى لا يمنعها نفاقها من ان تقر بان العاهرة لم تكن عاهرة أبدا وأن « جينـى تتزوج عذراء » لمجرد أن الأرمل تزوجها داخل الكنيسة ! ويسقط الاب فى عرى العاهرة التى تعريه وتدفع الابن الى السجن حيث يتعرى عنوة بيد لص بوليفى ! وعندما تتعرى القيم العائلية يفيق الجميع فى بئر المرأة على فرار الابن مع اللص البوليفى وعلى انتحار الزوجة العاهرة السابقة وعلى صدمة الاب الذى أراد عريا محدودا فانفتحت كل الابواب . ان بحث مجتمع عن العرى لا يمكن ان يكون تسـلية كوميدية وان كان الشكل كذلك . والفيلم محاولة لهز قيم راسخة راكدة .

وفي « كلى مـن بـاجيو » لانسيلمو دوارتى تمثل القيمـة الدينية جوهر المشكلة فى الفيلم كله . فكلى قد اغتصبت أخته والفيلم يتـابع رحلته مـن اجل القصاص . وفى مشهد اغتصاب الاخت تجدها تتشبث تـارة بصورة العذراء وتارة بصورة المسيح ولكن الصور تسـقط وتغتصب برغم ذلك . وفـى تمثيلية الصلب والمسيرة فـى طريق الالام يشعر كلى بـأن الجانى قد وقع « وقد وصـفته أخته له » حينما يمسك بخناق من يقوم بدور المسيح يبغى قتله . ويبين الفيلم بوضوح استحالة بقاء الحق مجردا من القـوة « العنف المشروع » ومع أن الفيلم يبدو وسترن برازيلى الا أن فكرته الاساسية تصل الى الجميع .

[●]

لقد صدرت هذا الجزء بعبارة تقول : غياب سينما الجـوع والعنف والألم . وبالطبع فـان هذه العروض قد افتقدت بشدة اعمال لجلاوبير روشاوروى جيرا ونلســون دوس ســانتوس وجـوســتافورال وجـوليـو بريسانى وغيرهم وهم يمثلـون ثقافة الجوع وديانة العنف وروح الالم . ولكننا نقرأ البرقية التالية التى اذاعها اخيرا مراسل وكالة انباء غربية فى البرازيل : « بدأت فى ســاوباولو سـلسلة مـن المحاكمات السياسية الجمـاعية لنحو مائتين من اعضاء التنظيمات اليسـارية فى البرازيـل بتهمـة الانتماء الى حركات سـياسـية غير مشروعة وتنمية النشـاط العدائى بين الفلاحين فى منطقة الشمال الشرقـى » .. وهـى المنطقة التى تدور فيها أغلب أحداث السينما نوفو وأكثـرها وعيا وتقدمية . وهكذا فـان الغياب مبرر بالطبع . ولكن هل نأمل فى أن نرى هذه السينما ـ مثلما رآها الاوروبيون ـ فـى بلادنا ... يوما .

أسبوع الفيلم المكسيكى

هوليوود الجنوب المتخلفة

مثلا، كانت البرازيل وكوبا ما قبل الثورة مستودع قمامة الافلام الأمريكية كانت المكسيك أيضا منذ أن عرض فيها أول شريط سينمائى فى عام ١٨٩٧ . وكان طبيعيا أن يعامل الشمال الامريكى أهل الجنوب باعتبارهم موديلات للتخلف الاجتماعى والثقافى أو مصادر لاستيراد الغرائب واثارة القهقهة على الرجل الكسول ذى القبعة القشية الواسعة المرخية على وجهه ! ولم يكن طبيعيا أن تنسخ الافلام المكسيكية أردأ ما فى هوليوود البلسيفيك من وسترن وكوميديات فجة وميلودرامات فاقعة وتكررت نفس المآسى التى وقعت فى بلدان أمريكا اللاتينية الأخرى - بل وفى الأفلام الامريكية نفسها - من تزييف للواقع واغراقه بطابع رومانسى مفرط اعتمادا على أمية مجتمع زراعى متخلف يشكل الفلاحون أغلب طاقته العاملة .

غير أن الشىء المثير للانتباه حقا هو أن السينما المكسيكية قد ازدادت تخلفا وفقرا بعد الحرب الثانية بعد أن شعر النقاد بنوع من الامل فى سينما أفضل بعد أن شاهدوا فيلم « ماريا كاندليريا » لاميليو فرنانديز فى مهرجان كان ١٩٤٦ برغم أن الفيلم يقدم مكسيك الديكور والتبالة . وفى عام ١٩٥٠ قدم فنان السينما الاسبانى الاصل لويس بوينوجريل فيلمه المتاز فى المكسيك « المنسيون » التى استطاع أن يدين فيها تسلط البورجوازية الكاثوليكية بكافة معطياتها الاجتماعية والسياسية .

ومن الغريب حقا أنه بينما تعج القارة اللاتينية » والمكسيك تنتمى اليها لغة وفكرا واجتماعيا واقتصاديا « بانفجارات الثورة فى الدول الفاشية والثورية على السواء منذ مطلع الستينيات متمثلة فى حركة السينما نوفو البرازيلية والنوفو سينى الارجنتينية والسينما الهامشية فى بيرو والسرية فى فنزويلا والثورية فى كوبا الثورة وتشيلى الليندى وبينما الحديث فى الداخل والخارج لا يكف عن الصراع المشترك بين الثيمات المشتركة لشعوب القارة كالصراع ضد الكاثوليكية بين سينمائيى القارة وبالتالى بين شعوبها - بينما كان ذلك كله يمور فوق وتحت السطح ظل الفيلم المكسيكى تحت رقابة الحكومة وسيطرتها « بغرض كسر حرية التعبير أو صنع الافلام الملائمة » حتى أصابه مرض مزمن اثقل عليه تراث مروع من التخلف الذى لم يسمح حتى بظهور أى نوع من أنواع السينما السرية أو الموازية أو أى شكل آخر من أشكال التعبير السينمائى الحر .

عرضت فى الاسبوع المكسيكى بالقاهرة سبعة أفلام طويلة لم نر فيها من أفلام « مجموعة السينما المستقلة » « التى تكونت على هامش أوليمبياد ٦٨ وتعتبر المجموعة الوحيدة التى تخرج أفلاما ذا بال رغم اشراف الحكومة عليها أيضا ! » سوى فيلم لمخرج واحد هو فيليى كازالز بينما غابت أعمال بونويل المكسيكية وهى بلا شك أكثر تعبيرا عن الواقع المكسيكى بكل أبعاده ، وأفلام للويس الكوريز وايزاك ولايتروأنيانيز على سبيل المثال .

ومعظم الافلام التى قدمت من انتاج السبعينات - أى أن طرق التناول الفنى والفكرى سوف تكون متوافقة مع آخر انجازات العقد الاخير - ولكنها تخيب ظننا بشدة . وباستثناء اربعة افلام - سوف أتناول ثلاثة منها لخطورة مضامينها فقط - فاننا لم نر رؤية فنية ولا تميزا فنيا أو حتى تقليدا لافضل ما فى العالم السينمائى .

وتتناول ثلاثة افلام تيمة الثورة والماضى الاستعمارى بينما يقدم الرابع « كلاب الله » « ١٩٧٣ » لفرانشيسكو فيلالو معالجة معقولة لتيمة اخلاقية



وادى البؤساء ــ المكسيك ــ

حول الثواب والعقاب وبحث الانسان الفرد عن الخلاص الالهى فى عالم مركب . وقد برع فيه المصور المكسيكى العظيم **جابرييل فيجورا** . وهو فيلم يكشف عن أصالة وصدق بأكثر مما رأينا فى الافلام الثلاثة التى سوف أتوقف عندها قليلا .

ولنبدأ بفيلم **فيليبى كازالز** « **حديقة العمة ايزابيل** » الذى يسعى فى محاولة طموحة الى تأمل الماضى الاستعمارى محاولا استخلاص فكرة « حتمية وجود ثقافة امريكية خاصة » وهو يقدم محاولته من خلال تعرض احدى سفن الاسبان الغزاة للغرق عند الشاطىء المكسيكى . ومن خلال الناجين نتعرف على القساوسة والموظفين الملكيين والمساجين أيضا . وكل يفكر فى حبل داخل الغابة من منطلقاته . أما النساء فهن عاهرات . وفى الادغال تتبلور الصراعات لتكشف عن عالم آخر يسعى الى الحرية . ونرى الوطنيين من خلال اطلال معبد مهدم . فى هذه الظروف يظهر المبررون للغزو الاستعمارى والرافضون له أيضا . وتتعرض المجموعة لاخطار هائلة تهلك معظم أفرادها ، أما الناجون فيرفضون الانضمام للفرقة الاسبانية التى جاءت بحثا عنهم .

ان الفيلم من خلال العودة الى موروث الماضى وأحداث كل يوم فى القرن السابع عشر يكشف عن أصول الغزو ويحذر ــ فى بطء ــ من الوجود الدائم للازدواجية الاستعمارية المادية والمعنوية فى عقول المكسيكيين .

ويبقى فيلمان يتناولان فترة **الغليان الثورى** فى المكسيك قبيل وأثناء وفى أعقاب ثورة **فرانشيسكوماديرو** العظيمة « ١٩٠٩ ــ ١٩١٠ » وانتفاضة **زاباتا** فى الريف **وبانشوكاميلا** من بعده . والفيلم الاول هو « **وادى البؤساء** » « ١٩٧٤ » **لرينيه كاردونا** الذى يحكى ما تعرض له مسجونون سياسيون وعاديون ومتطوعون للعمل فى مزارع دخان آل زماريبا فى الوادى الوطنى من وحشية ومعاملة حقيرة تبيل ثورة ماديرو . ويتطور الخيط لنصل الى الكيفية التى ينتقم بها هؤلاء البؤساء لانفسهم من الطاغية ــ المتحالف مع سياسيى هذه الفترة ــ ومن عائلته المكونة من شقيقته ومن فتاتين فى ربيع العمر الوردى .

كيف قدم الانتقام المشروع ؟ كيف قدمت القوات الثورية التحريرية ؟ كيف قدم الطغاة الاثمون ؟ على هذه الاسئلة يتوقف مفهوم الفيلم للثورة . كان مشهد الانتقام وتقدم القوات الثورية فيلما قصيرا بذاته استغرق ما يزيد عن عشر دقائق كاملة ! عشر دقائق كاملة من البشاعة اللاانسانية ! فالغوغاء تقتحم قصر الطاغية وتعرى الاسرة اللطيفة — التى اكتسب معها المتفرج خلال ما يزيد عن ساعة وربع كل التعاطف والحب والرغبة أيضا — قطعة قطعة وسط هلع وصراخ لا مثيل له ثم ترفع الاسرة فردا فردا على خطاطيف تشدها الغوغاء ثم تحرق الجثث التى تظل تحترق أمامنا حتى تسقط الجماجم ! والقوات الثورية شراذم كالمكسيكيين الذين نراهم فى أفلام الوسترن الهوليوودية ! أما الطغاة فقد كانوا شرا مطلق منذ البداية وحتى النهاية ! ولقد ذكرنى هذا الفيلم بفيلم آخر اكثر ذكاء فى تشويه الثورة وهو « نيكولاس والكساندرا » لفرانكلين شافنر — ومن حسن الحظ أن الرقابة المصرية قد منعته — الذى ينتهى بمشهد بشع لأعدام آل رومانوف بواسطة القوات الثورية فى روسيا ١٩١٧ . وبالطبع فان الغرض واضح من هذا الفيلم أو ذاك .

أما الفيلم الاخير « البداية » لاورتيجا فهو يقدم — فى مستوى فنى افضل — قصة يسترجع فيها « دافيد » ابنة ارنستو ماجرى ايام تسلط ابيه الراسمالى على مقدرات الاخرين . كما يتذكر العديد من المذابح التى يتفنن المخرج فى اثارة اهتمامنا بها لذاتها ! وبالطبع مشاهد الاغتصاب » . ونحن نرى ثوريين مثاليين فى الفيلم لا وجود لهم فى الواقع يتحركون بعصبية ويهتفون بلا سبب ويرفعون شعارات بلهاء . وقيل أنهم ممثلو العمال الثوريين الذين نراهم دائما صامتين أو مندفعين حسب مقتضيات الحال . كما ان الراسمالى الملطخ اليد طوال الفيلم يمتدل فجأة فى النهاية وهو يبكى : « لا أريد أن أقتل أحدا .. لا اريد ان اقتل أحدا » ...

وتجرى الاحداث كلها على انغام السيمفونية رقم ١١ لشوستاكوفيتش ! وهذه هى الثورة . وعندما يصير هذا التقديم للثورة أمرا شائعا فى الافلام المكسيكية التى رأيناها فانه أمر يدعو للاشفاق والحزن على مستقبل هذه السينما . ويحمل المرء فى النهاية على ان يردد عبارة للناقد الفرنسى لوى ماركوريل تقول : تجدد السينما المكسيكية : وعود تنفذ دائما .

الفاروق عبد العزيز

□ أســـبوع الفيـــلم الـــكوبى □

المصـــير العـــام

والمصـــير الخارجى

الفارق الكبير بين كوبا « باتستا » وكوبا الثورة ، هو نفس الفارق بين سينما الامس وسينما اليوم ، فبينما لم تتمتع السينما الكوبية ، فى الدراسات التى تتعرض لتاريخ السينما فى العالم ، الا بشذرات مهملة ، وقليلة ، تضع الافلام الكوبية فى « خانات » « الميلودراما » والحنو المصطنـع » و « الرومبـا » و « المغامرات » ، وهى الانواع الرخيصة ، الفجة ، الهروبية ، التى تنتشر فى ظل الانظمة المشابهة لنظام « باتستا » فان سينما الحاضر ، التى لا يتجاوز عمرها عمر الثورة ، استطاعت وعن جدارة ، أن توجد لنفسها مكانا فى خريطة السينما العالمية ، وان تصبح نموذجا مشرفا لما يستطيع فنان العالم الثالث أن يقدمه لجماهير بلاده .

فى أسبوع الفيلم الكوبى ، الذى أقيم فى مصر لاول مرة عرضت خمسة افلام روائية ، يخرج المرء بعد مشاهدتها بفكرة شاملة ودقيقة عن تاريخ كوبا . وليس معنى هذا أن افلام الاسبوع تهتم بالتاريخ كوقائع





فكريات التخلف

مجردة ، أو كخلفية فخمة ، أو كأحداث مفاجئة . ولكن التاريخ هنا يقدم من خلال تأثره وتأثيره فى أبطال الافلام ، فالسينما الكوبية ، من خلال الافلام الخمسة ، تربط بين المشاعر الخاصة وبين القضايا الوطنية والاجتماعية ، بل وتربط المصير الذاتى بالمصير العام .. من هنا تأتى كل شخصية محققة تاريخيا ، وطبقيا ، وفكريا ، وبالتالى فأننا لا ندرك ابعادها النفسية وقضيتها الخاصة فحسب ، بل ندرك أيضا موقعها من حركة التاريخ ، أهى مع القوى النامية ، أم مع القوى المنهارة ؟ أهى ضمن القوى المستغلة ، أم ضمن القوى المستغلة ؟ لذلك فان الفيلم الكوبى عندما يقدم أحد أبطاله يجعلنا ندرك عصره كله ، بمشكلاته ، وتناقضاته ، وقيمه السائدة ، وهمومه ، الامر الذى أتاح للمتفرج ـ بعد مشاهدة الافلام الخمسة ـ أن يخرج بفهم مكتمل وموضوعى للتاريخ ، ليس كوقائع أو احداث ، ولكن كتيارات وصراعات ، ترتبط وتتاثر وتؤثر فى جميع ابطال الافلام .

لوتسيا : كوبا ١٨٩٥

يقدم فيلم « لوتسيا » الذى اخرجه أومبرتوسولاس ١٩٦٨ ثلاث قصص لثلاث فتيات ، فى حقب تاريخية متوالية ، محاولا تجسيد الظروف الخاصة والعامة ، التى كبلت انطلاق المرأة وتحررها ، وفى الوقت نفسه يقدم الابعاد النضالية لذلك المشوار الطويل ، الشاق ، الذى تطعته المرأة الكوبية ، ولا تزال ، من أجل المستقبل .

عن طريق الاضاءة المبالغ فيها ـ بالنسبة للقصة الاولى ـ يعطى المخرج احساسا بأننا نشاهد فيلما قديما أو حلما مفزعا ، اهترات بعض اجزائه وتآكلت لقطات من مشاهده . وعند طريق حركة الكاميرا التى تتعقب وتدور حول امرأة مجنونة تترنح فى الشارع يطاردها بعض الصبية ، يعطى المخرج احساسا حادا بحصار المرأة وانهيارها .

وعن طريق مونتاج جرىء ، وجاد ، ينتقل الفيلم الى احدى العائلات البرجوازية ، وبطريقة ايحائية يربط بين مأساة المرأة المجنونة ووضع بنت الاسرة الناعمة وهى تحاول التخلص من حركة الكاميرا التى تقيدها بالدوران حولها ، معبرة فى هذا عن شوقها للتحرر والانطلاق .. وسرعان ما يخفق قلبها لرجل نصف أسبانى يزور عائلتها .. وعلى الرغم من أنها عرفت بأن له زوجة وابنا فى أسبانيا الا أن قلبها الضعيف وارادتها الخائرة يدفعانها نحوه .. وعندما تتسلل من بيتها لمقابلته تعترضها المرأة المجنونة ، وتحذرها ، فهى قد مرت بتجربة مريرة مع الاسبان .

ومن خلال مشاهد مضطربة ، يضفى عليها خيال الراوية جو الكوابيس ، نعلم أن المرأة المجنونة كانت راهبة كاثوليكية ، تعطف على الجنود الاسبان الذين ينتمون لنفس دينها . وفى أثناء ثورة ١٨٩٥ الدامية التى قام بها الشعب الكوبى بزعامة « جوزيه مارتى » ضد الاستعمار الاسبانى ، كانت الراهبة تقوم بعلاج جرحى المعارك والصلاة على أرواح القتلى .. وفى احدى المرات

يطاردها الجنود الاسبان ، أبناء دينها ، أعداء وطنها ، ويغتصبونها .. وسرعان ما تسقط في غياهب اللاوعي .

لكن ابنة العائلة البرجوازية ، المتشوقة للحب والتحرر ، تنطلق للقاء حبيبها نصف الاسباني . وبعد أن يقضي منها وطره يتركها ويهرب ، وتتعثر في عشرات من جثث شهداء الثوار أثناء عودتها الى بيتها ، ويبدأ وعيها في الاختلال عندما تجد جثة أخيها الوحيد ضمن الشهداء ، وفي مشهد لا ندري اذا كان واقعيا أم يدور في عقل الفتاة - وان كانت له دلالة واحدة - تمثر على حبيبها الوغد - نصف الاسباني - واقفا مع مجموعة من الاسبان ، وتقترب منه لتطعنه بمدية حادة طعنات دامية ، حيث يختلط صراخه مع صراخها ليحقق الى جانب الاضاءة التى تكاد تحجب تفاصيل الوجوه والشوارع تأثيرا دراميا شديدا ، وان يحيط بها مجموعة من جنود الاسبان ويبدأون في ضربها تلتفت حولها بفزع فلا تجد الى جانبها الا الراهبة المجنونة !

هكذا يقدم « اومبرتوسولاس» في الجزء الاول من فيلمه مأساة مزدوجة للمرأة . الاولى مأساة امرأة تناقضت مثلها الدينية مع واقع الحياة الموضوعي ، والثانية مأساة بنت البرجوازية التى تطلعت بأشواقها وعواطفها الى رجل يقف في النهاية ضد وطنها ، لذلك فان كلا منهما دفعت من عقلها ثمن موقفها المناقض للمجرى التاريخي للامور .

لوتسيا و «يوم المياه» : كوبا ١٩٣٦

في الجزء الثاني من الفيلم يتتبع « سولاس » نمو علاقة حب بين مثقف ثائر وفتاة ضحت بأسرتها الغنية من أجله .. وبينما اتسم الجزء الاول بجو أقرب الى الاحلام المفزعة ، يتسم هذا الجزء بالرقة والشجن ، ذلك أنه يدور خلال سنوات ثورة ١٩٣٣ وما بعدها ، وهي الثورة التى قام بها طلبة جامعة هافانا ، وقطاعات من مثقفين وطنيين ، ذوي نزعات رومانسية ، ضد حكم السفاح « مانشارو » .

تبدو الفتاة هنا قادرة على التضحية والحب والعطاء ، قادرة أيضا على العمل المنتج ، بل نراها وهي تعتمد على نفسها في العيش وتقود المظاهرات ، وهي تحيط فتاها بالدفء والحنان والبهجة ، وتبدو حياتها في احدى لحظات الكفاح كما لو كانت أغنية حب رقيقة ، ففي حجرة المثقف المتواضعة ، وبكاميرا بالغة الشاعرية ، تدور حول الحبيبين بنعومة آخاذة .. ولان السينما الكوبية تربط المصير الخاص لابطالها بحركة الواقع ، فان حياة الحبيبين ، التى ارتبطت بالكفاح والثورة ، تصبح مهددة مع تفكك الثورة وانهيارها ، ذلك أن ثورة ٣٣ التى لم تستند الى قوة الجماهير ، والتى لم تعمل على تغيير النظام جذريا ، تقع بسهولة فريسة لحصار الطبقة الغنية ، المتعاونة والمتبنية للمصالح الامريكية . وما أسرع ما يذوب ثوار الامس في محيط الطبقة الناعمة ، التى مهدت وباركت ظهور الطاغية « باتستا » .

وفي مشهد واحد يعبر الفيلم عن بداية احباط الثورة وانهيارها ، عندما يقدم عاملا عجوزا خدم مصنعه عشرات السنين ، ثم يتم الاستغناء عنه ليعين بدلا منه أحد ثوار الامس . ومن خلال دموعه التى تؤثر بعنف في روح بطلنا يتحدد ، وبطريقة ايحائية ، مصير المثقف الثائر ، المنفى ، ذو النزعة الرومانسية .

وفي هافانا ، ووسط الحفلات الصاخبة ، التى تمتص ثوار الامس ، ينسحب بطلنا ليسلك طريقا فرديا في الكفاح ، يبيق بنزعته الرومانسية ، فيقرر أن يكون ارهابيا .. وسرعان ما يسقط قتيلا في أول عملية له .. وتجهش الفتاة بالبكاء على جثمان حبيبها كما لو كانت تبكي ثورة لم تتم وتحررا لم يتحقق .

وينتهي الفيلم ببطلتنا حائرة ، فاما أن تعود لاسرتها مرة أخرى ، وأما أن تواصل ما بدأته ، ووسط بيوت فقيرة ، وبين وجوه تصنع الحياة وان كانت لا تستمتع بها ، تقرر أن تأكل قوتها بعرق زنديها ، وأن تحتفظ في أحشائها بابن سيواصل على نحو اوفق ، ما بدأه والده .

أما المخرج « أوكتافيو جوميز » فيرتد بفيلمه الكبير « أيام المياه » ١٩٧٠ الى عام ١٩٣٦ ليقدم تفسيره الواقعي لتلك القصة الغريبة التى حدثت في مقاطعة « بينادل ريو » البائسة ، شأنها شأن مقاطعات كوبا جميعا ، والتى تقول بأن امرأة من الشعب ظهرت لها العذراء فأصبحت قديسة قادرة على شفاء المرضى واجابة المحتاجين .. وهي نفس القصة الغريبة التى تكررت في أسبانيا وايطاليا وروسيا القيصرية ، في ظروف تتفق مع نفس أوضاع كوبا ١٩٣٩ .

اعتمد « جوميز » على أسلوب أقرب الى « الريبورتاج » في بناء فيلمه متيحا لنفسه فرصة ثمينة لتقديم لوحة مكتملة عن التيارات المتصارعة في فترة تاريخية محددة ، السلطة ورجال الدين ، الجماهير غير المنظمة ، غير الواعية ، تحت قيادة امرأة آمنت بأنها قديسة فعلا ، القوادين ، الموظفين الكبار ، والمغامرين السياسيين ، وفي الوقت نفسه

استطاع أن يحلل الظروف الموضوعية التى تهىء المناخ لظهور الخرافة وانتشارها وسيطرتها على وجدان الجماهير ٠

يفتتح « جوميز » فيلمه بلقطة كبيرة لوجه القديسة « أنتونيكا » المعبر ، الضامر ، القوى ، وهى تصلى من اجل آلاف المعذبين بالمرض والفقر ، وهى تهبهم بركاتها دون أن تطالبهم الا بالايمان بالعذراء التى وهبت الشفاء لابنها بلا مقابل ٠

وتندفع الجماهير الجائعة ، الفاقدة للوعي والاتجاه ، الى الايمان المطلق بقوة « أنتونيكا » ومقدرتها على جلب المعجزات من السماء ٠٠ وينتقل اعتقاد الجموع ، المتعطشة لمعجزة تنتشلها من واقعها المر ، الى « أنتونيكا » نفسها ، فتصبح مؤمنه بقوتها ومقدرتها التى تستمدها من العذراء ٠

يبدأ الاطباء والصيادلة، ورجال الدين فى الانزعاج من نفوذ « انتونيكا » المتزايد ، والذى بدأ يؤثر على مصالحهم بطريقة مباشرة ٠٠ وعن طريق المقابلة بين رجال الدين بملابسهم الفاخرة ومجوهراتهم الثمينة وكلماتهم المنمقة من جهة وبين «أنتونيكا» بملابسهما الفقيرة وكلماتها البسيطة من جهة اخرى ، يحدد الفيلم موقع كل منهما من الخريطة الطبقية لكوبا ١٩٣٦ ٠٠ وعن طريق المقابلة بين الصور والاعلانات التى تحيط بالاطباء والصيادلة ،والتى تتضمن وجوها تفيض بالصحة والحيوية ، وبين الجماهير بوجوهها البائسة ، يكشف الفيلم عن الفارق الكبير بين الواقع الفعلى للملايين وبين الصورة الوردية الزائفة التى تروج لها الدعاية لحساب الاطباء والصيادله وبقية فئات الطبقة الناعمة ٠

واذ تتحرك السلطة للقبض على « انتونيكا » يسارع شاب مغامر بالدفاع عنها دفاعا مستميتا ، وبالفعل ينجح فى اطلاق سراحها ، ثم يبدأ فى استغلال شعبيتها من أجل تحقيق مطامعه الذاتية فى المجال السياسى ٠٠ لكن « انتونيكا » التى أصبحت مصدر عزاء للمتعبين ، والتى رفعتها الجماهير المتعطشة للرحمة الى مستوى القديسات ، ترفض لعبة السياسة بحزم ، وتعود مرة أخرى للتخفيف عن آلام الجموع ٠

بعد أن ينجح الشاب المغامر ـ بفضل الشعبيه التى استمدها من دفاعه عن أنتونيكا ـ فى كسب العديد من المعارك الانتخابيه والاستحواذ على السلطة فى المقاطعة ، يبدأ فى تصفية حسابه مع « انتونيكا » ٠

وفى مشاهد تبلغ ـ الى جانب وضوح الرؤية وعمق الوعى ـ حدا رفيعا من الكفاءة الفنية ، لا تحتاج لتعليق ، تشرح نفسها بنفسها ، يتقدم جنود السلطة لتفريق الجماهير والقبض على القديسة ٠ وبينما يؤمن الجميع بما فيهم « أنتونيكا » بأن المياه المقدسة التى ستلقيها على الجنود كفيلة باخفائهم جميعا ـ يواصل الجنود تقدمهم بثبات ٠٠ ومع تفرق الجموع المذعورة وهروبها وانهيارها ، يكتشف أخلص اتباع « أنتونيكا » ذلك الاكتشاف العظيم : ان ما ينقصه ، وينقص المحتاجين ، ليس سوى البندقية ٠ وأن « المياه المقدسة » ليست سوى وهم خداع ، اكذوبه لا تتحمل أية اختبار جاد ٠ وعندما يقبض على « انتونيكا » المذهوله ، ويجرها الجنود القساة ، وسط الدمايات وبقايا ما خلفته الجموع ، يرداد ادراك أخلص اتباعها لحقيقة ما حدث ٠

وفى ذروة انفعال يقبض على « انتونيكا » ساخطا لاعنا ، فهى قد استحوذت على وجدانه وعقله كما استحوذت على وجدان وعقل الجماهير ، وبدلا من أن تسير بجيشها فوق الارض ، جعلته يقعد عن العمل فى انتظار معجزات السماء ٠

ويهرب اخلص اتباع «انتونيكا» حاملا معه وعيه الجديد ، ويعبر الفيلم عن روح مرحلة تاريخية كاملة ، أعقبت ظهور واختفاء « انتونيكا » فيقدم لقطات ومشاهد متداخله ، مصبوغة بدرجات اللون الاحمر ، لحمامات الدم ، والمذابح ، والاغتيالات ٠٠٠ ثم ينتهى النسيم بقوة من الثوار ، آتية من عمق الكادر ، حاملة السلاح لتحقق ما لم تستطع القديسة أن تحققه ٠

ذكريات التخلف : كوبا الحاضر

يمتد الاهتمام بالسينما التسجيلية فى كوبا ليصبح اسلوبا مميزا للعديد من الافلام الروائية ، ففى فيلم « جيرون » من اخراج « مانويل هيريرا » » يعاد تصوير عمليه « خليج الخنازير » الفاشلة ، التى قامت بها وكالة المخابرات المركزية لغزو كوبا عام ١٩٦١ ٠ والى جانب اعتماد الفيلم على الاشرطه الوثائقية والصور الفوتوغرافية والمقابلات ، يهتم الفيلم بدقة تجسيد الوقائع وتصويرها فى نفس أماكن وقوعها ٠ كما يقدم الجنود والضباط والطيارين ، الذين قاموا بالدفاع عن الوطن ثم مهاجمة العدو ودحره باعادة تذكر وتمثيل تلك اللحظات المصيرية الحاسمة ، سواء على مستوى الفرد أو مستوى الوطن ٠

ويقدم فيلم « رجل من مايسينكو » ، الذى احرجه « مانويل بيريز » حلقة

أخرى فى سلسلة الكفاح من أجل استمرار الثورة ، ففى عام ١٩٦٤ كانت عصابات الثورة المضادة لاتزال تحتفظ ببعض البؤر فى جبال « اسكامبراى » ، ومن هذه البؤر اخذت تنطلق لتثير الرعب بين سكان المنطقة من الفلاحين الموالين للثورة ، وفى نفس الوقت تتجمع وتتهيأ لاعادة القيام بعملية غزو أخرى ، على غرار « خليج الخنازير » .

ويبدأ الفيلم باكتشاف جثة مدير مزرعة « مايسينكو » ، القريبة من بؤر العصابات . وبينما يعتقد البعض أنه كان أحد أفراد احدى هذه العصابات ، يعتقد البعض الاخر أنه كان مواليا للثورة .. ويتتبع الفيلم بطريقة تسجيلية ، تعتمد على المعلق ، وشهادات الذين تعاملوا معه ، والتصوير فى نفس الاماكن ، مراحل حياته ، خاصة فى الشهور الاخيرة .. وربما كان للاهتمام الزائد بتفاصيل الامور وتطوراتها ، بكل دقة ، والاسراف فى جمع الشهادات ، مع تعدد مصادرها ، أثر فى ذلك الملل الذى تسلل الى المشاهدين ، لكن مشهد النهاية الوحشى ، الذى يقتل فيه بطلنا على يد احدى عصابات الثورة المضادة ، بعد أن تكتشف صلته بالثورة ، ودوره فى تقويض أركان العصابات ، لا يمكن أن ينسى بسهولة ، خاصة وأن الفيلم ينتهى بتلك الكلمات المحبة ، الشاعرية ، المؤثرة ، التى كتبها « كاسترو » ، محييا ذلك البطل المجهول « البرتو دلجادو » ، الذى ولد وعاش وناضل واستشهد فى الظل ، دون أن يتعرف الجميع على مدى بطولته وتضحيته .

أما فيلم « **ذكريات التخلف** » ١٩٦٨ ، من اخراج « توماس جوتيريز اليا » . فيتمتع بأهمية خاصة ، ذلك أنه يقدم دراسة نفسية وسلوكية بالغة القيمة عن أحد أنماط المثقفين ، ليس فى كوبا فحسب ، بل فى بلاد العالم الثالث .

يبدأ الفيلم ، من حيث الزمن ، فى عام ١٩٦١ ، أى بعد قيام الثورة بعامين ، وتبدأ أول مشاهده ، بعد العناوين ، فى مطار هافانا حيث تتهيأ مجموعة من المهاجرين الكوبيين ، معظمهم من الارستقراطية ، لمغادرة البلاد .. ووسط المهاجرين نلمح « سيرجيو » بطل الفيلم يودع زوجته ووالده ووالدته . ويبدو واضحا ، من خلال ردود انفعالاته أنه لا يشعر نحوهم بأدنى محبة أو احترام .

وبينما نستمع فى فيلمى « جيرون » و « رجل من مايسينكو » الى صوت معلق موضوعى ، من خارج الكادر ، نستمع فى « ذكريات التخلف » الى « مونولوج » سيرجيو » الداخلى ، ويأتى استخدام « المونولوج » هنا كضرورة للتعبير عن أحاسيس الوحدة والانغلاق على الذات والرغبة فى التأمل والحذر وعدم الميل الى البوح بالمشاعر والافكار الخاصة .. ولان « سيرجيو » مثقف برجوازى ، يقف ضد طبقته ، فيرفض الهجرة ،ويسخر من اهتمامات والدته التى تنصب على « اللبان » و « الشيكلسى » ، ويكره زوجته التى تترفع على العيش فى كوبا ، بل وتمتد ملاحظاته لتشمل فكرته النقدية الهامة عن الكاتب الامريكى « ارنست هيمنجواى » الذى اعتقدت كوبا أنه احبها فأحبته ، بينما هو لم يكن يرى فيها الا ديكورا للتخلف يظهر هو فى مقدمته كشخصية عظيمة متحضرة .. ثم يعود بطلنا ليتساءل مستنكرا عن السبب الذى من أجله يترك « البرجوازيون » بلادهم للهجرة الى بلاد غريبة .

بعد أن يكشف « ذكريات التخلف » موقف « سيرجيو » الرافض من طبقته المنهارة ، المهاجرة ، ينتقل الفيلم ليدرس سلوك بطله من خلال جلسته الدائمة فى شقته ، ومراقبته لحركة الواقع ، من بعيد ، ثم علاقته بالجنس الاخر . وهنا يقدم الفيلم بعدا آخر فى شخصيه سيرجيو » الوحيد ، المتأمل ، المنفصل عن طبقته ، فهو لا يستطيع أن يندمج فى العالم الجديد ، ذلك أن أصدقائه ، وذكرياته ، وجزئيات كثيرة من مشاعره وأفكاره واهتماماته ، تكونت وتبلورت فى ظل طبقته المنهارة .. ومن خلال العديد من المواقف الصغيرة ، ومن خلال أداء الممثل الخلاق « سيرجيو كوريرى » ندرك ذلك الشرخ الكبير فى روح « سيرجيو » ، ففى الوقت الذى يكره فيه زوجته بمشاعرها وأخلاقياتها وسلوكها تجده غارقا فى مخلفاتها ، يتحسس ملابسها الداخلية ويستعيد ذكراها فى ذهنه . وعندما يتعرف على فتاة من الشعب يجعلها ترتدى ملابس زوجته ويقرر أن يرتقى بسلوكها ويهذبها ، كيف ؟ هذا ما لا يجيب عنه « سيرجيو » ، لانه لا يملك الاجابة .

وتعد شقة « سيرجيو » بالنسبة له ، القلعة ومرفأ الامان ، فهى البديل عن الشارع ، الذى يبدو غريبا بعد أن هجره « زينة القوم » ، الذين لا يحبهم ولكن لا يطمئن لغيرهم ، بعد أن حملوا معهم أجمل ما فى المحلات التجارية . لذلك فنان الشارع يبدو مكتظا بتلك الوجوه الكوبية المنهكة ، التى تتوقع أحداثا كبيرة ١٩٦١ ، ويبدت

المحلات التجارية خاوية علـى عروشها ، لاول مرة .

ان الفيلم ، وهذه ميزته ، لا يدين « ســـيرجيو » ، ولكـن يشرحه ، ويفسره ، بل ويشـفق عليه . وفى الوقت الذى يغرق فيه « سيرجيو » داخل ذكرياته وتأملاته ومونولوجاته يقدم الفيلم حركة الواقع المتدفقة ، من خلال جهاز التليفزيون أو من خـلال عنـاوين الجـرائد ، وبينمـا يتنقل « سيرجيو » بين حجرات شقته وحيدا ، مشتتا ، متوترا ، حائرا ، يقدم الفيلم صور ثابتة لاحداث كوبـا ، انفجـارات ، دبابات ، خطابات ، جمـاهير ، اسـتعدادات لـمواجهة الغـزو الامريكى ، ودقات طبول حربية .

لوتسيا : المستقبل

اذا كان جو الاحلام المفزعة مسيطرا على الجزء الاول من فيلم « لوتسيا » ، وبينما يتسم الجزء الثـانى بجـو الرقـة والشجن ، فان القصة الثـالثة تتميز بالبهجة والتفاؤل ، ذلـك انها تدور فى الستينات ، بعد احباط محاولة « خليج الخنازير» والقضاء على بـؤر الثـورة المضـادة ، لـذلك فـان روح الاستقرار والبناء والثقة فـى المستقبل هى النغمة السائدة فى القصة .

يبدأ الفيلم بمشاهد مـرحة لمجموعة فلاحين يركبون أحـد اللوارى للذهـاب الى العمـل، وفى المزرعة ترتفع أغنية رقيقة تتحدث عن مطلع الصباح الجميل والزرع والخير ، وفى المسـاء تجتمع نفس المجموعة فى حفل عيد ميلاد بـالقرية ، وتبـدأ متاعب « لوتسيا » عندما يتشاجر معها زوجها الشاب لانها راقصت أحد الشـباب .. وتتصـاعد مشاكلها عندما يحل بـالقرية مجموعة الشباب الخاصة بمحـو الامية ، ذلك أن زوجهـا الذى يحمل فى داخله الكثير من قيم الماضى المتخلفة يرفض أن تجلس زوجتـه الى جـانب غـريب ليعلمها .. وعنـدما يرضـخ ، ويضطر للموافقة ، يقدمه الفيلم فى مواقف كوميدية وهو يراقبهما بغيرة وشك ، ولا يتحمل منظر الشاب وهو يمسك أصـابعها ليعلمها الكتابة فيثور ، ويشتبك باليد ، الامر الذى يدفع«لوتسيا» لمغادرة البيت ، وبالتالى يزداد جنونه .

وفى مشهد رقيق ، علـى شاطىء البحر ، يتقارب الزوجان مرة أخرى ، وينتهى الفيلم بذلك المشهد الذى لم يفقد حلاوته بعد ، فثمة طفلة صغيرة ترى المشهد كاملا ، تشعر ببعض الخجـل عندما تدرك أن أمرا ما يتم بين الزوجين ، فتنطلق على الشاطىء مبتسمة بثقة وسعادة ، ذلك أن المستقبل يبدو مضيئا : سـواء بالنسبة لها ، او بالنسبةللوطن. للوطن . ■

كمال رمزى

□

حول دراسة الدكتورة لطيفــة الزيـــات عن :

المــرأة فى أدب نجيـــب محفـــوظ

فى تتابع يدعو للتساؤل قـدم الملحق الادبى للطليعة ، صورة المرأة عند توفيق الحكيم ، ثم نجيب محفوظ ، وأخيرا بدر شاكر السياب ، وكان مشكلات التقيم النقدى لكتابنا من وجهة نظر دراسة المرأة فى أعمالهم أصبحت موضة نقدية .

وربما اكون مخطئا لو اعتقدت ان هذا وفى ظروفنا الفكرية والادبية المحزنة والمتدهورة ، نوع من الترف أو الهروب النقدى ، ابسط ما تدل عليه هو الكتابة فقط بلا أدنى ادراك وحساسية لجوهر المشكلات النقدية التى يشكلها السقوط الثقافى والابداعى عند من يشعرونبسهولة الان ادبا او فنا أعتقد أنه رسمى جدا ومنحل جدا وبعيد جدا ، عن جدل العملية الاجتماعية فى بلادنا وعـديد التناقضات فى جسم المجتمع وبالتالى انعكاسها على وعيه الجمالى ، أو الفنى ، ومـدى حسـه الحضارى . ولعل ما يستحق المناقشة هنا من هذه المقالات ما كتبته الدكتورة لطيفة الزيات — عن « المراة فى ادب نجيب محفوظ » ومن البداية قد نسلم أونعترف باجتهاداتها فىمناقشة كليةلاعمال نجيب محفوظ من خلال جزئية هى نموذج المراة عبر اكثر من صورة ، ورمز ، ودلالة نفسـية واجتماعية وسياسية ، غير انها فى نهجها النقدى اختارت الاثبات والنفى لا بالمدلول الجدلى ، بل بتجنب كشف ما وقع فيه « نجيب محفوظ » من

تقرير حلول جاهزة ، وتقديم روابط مباشرة ، بين المبدأ المجرد وبين الحقيقة المجردة ، بجانب الوقوع فى تنميط الشخصيات وتحديدها ، فتكون النتيجة كارثة جمالية تدمر الصدق الفنى ، وهذا واضح بين فى بنائه نماذج الفتاة الجادة اليسارية النزعة ، من « سوسن حماد » فى الثلاثية وسمارة بهجت فى ثرثرة فوق النيل ، وتجاوزوا زينب دياب فى « الكرنك » .

والدليل على ذلك ، وعندما ادركت الدكتورة وضوح هذه المشكلة الجوهرية فى تصورات « نجيب محفوظ » الاستاتيكية عن المراة عموما واليسارية خصوصا وبالذات فى أعماله الاخيرة « كالكرنك » .

قالت فى مقالتها « **وأود أن أوضح وأنا بمعرض الحديث عن التطورات التى تطرأ على المرأة المتعلمة فى « الحب تحت المطر ١٩٧٣ ، وفى الكرنك ١٩٧٤ ، أنى لست بمعرض تقييم هاتين الروايتين ، اذ لم تتح لى دراستها الدراسة التى يتأتى معها التقييم السليم ، ومن ثم تنـدرج كل اشارة فنية فى هذا السياق فى دائرة الانطباع لادائرة التقييم** »

● وما دام الامر **نقدا انطباعيا** فعلينا اذا أن نعتبر حكم الدكتورة ذاتيا فى صميم قضية موضوعية أجهدت نفسها والقارىء فى كشف علاقات متداخلة وعوالم روائية معادة بصورة أو بأخرى تحركت فيها نماذج المراة الام والزوجة والعشيقة والمومس ، والمتعلمة ، واخيرا الثورية . وعبر كل ذلك أصدرت الدكتورة حكمها ببساطة مذهلة فى اعتبارها « زهرة » تمثل نضال الفلاحين ، « وسوسن حماد » نضال العمال .

فهى تقول : [ربما لان فتاة اسمها سوسن حماد] من الطبقة العاملة حققت هذا الهدف فى الثلاثية ، ولان فتاة اسمها « زهرة » سوف تحقق هذا الهدف فى « ميرامار » وكلتاهما تنتميان الى طبقة صاعدة الاولى الى طبقة العمال ، والثانية الى طبقة الفلاحين » .

● ولست محتاجا لتذكير الدكتورة بأن « زهرة » لم تكن الا ديكورا وبوقا ورؤية قاصرة للروائى عن تمرد الفلاحين وتخطيهم لواقعهم ، وذلك فى شكل الهجرة الى الاسكندرية والعمل خادمة فى بنسيون يونانى للعذاب ، بجانب ما لا يخفى على الدكتورة من غرام « نجيب محفوظ » بالرمز المتعسف لصورة مصر فى فتاة أو امراة تبحث عن خلاص وطريق وكان هذا واضح فى « ميرامار » حيث كانت زهرة حائرة بين نماذج لطبقات وتيارات سياسية من حسنى علام وطلبه رزق و « سرحان البحيرى » و « منصور باهى » .

وقد كرر نفس الاستخدام الرمزى فى « الكرنك » من خلال قرنفلة الراقصة القديمة والمحبة الولهانة لليسارى الطالب حلمى حماده ، وهذا تبسيط ضحل للرمز للرؤية التى لم يستطع نجيب محفوظ التخلص منها وهى دعوبة البورجوازى الصغير الاخلاقى الذى يشهد على تناقضات الصراع الطبقى فى مصر ويرصد نماذج مشوهة وساقطة وعاجزة لكى يضعها فى أعماله ويتجنى بذلك على صدق وحقيقة ما يحدث فى قلب الواقع المصرى من طرح جديد دائم لنماذج انسانية بين الثوريين وبين فتيات الجامعة بالذات ، وهو يعرف سلفا ما سيعقب ذلك من استخدام هذه النماذج فى السينما المصرية التجارية ، ومنتجى الافلام التجارية الرخيصة الذين يزيدون فى تشويه الصورة وتملق غرائز متدنية للمتفرج سواء فى الجنس او تمزيق صورة الثورى اليسارى فى رواياته ، ولان الامر يتعلق بالحاح نجيب محفوظ على أن يظل روائى المرحلة الجديدة ، وشاهدا على لوحة الصراع الدرامى فى مجتمعنا ، ولقد كان فى اعتقادى بعيدا عن التقاط حقيقة ازمة الفتاة المتعلمة ، والتى لها موقفها السياسى ، والتى تقف مع الرجل ضد كل ما يسلب الانسان حريته واحلامه فى تقدم طبقته المسحوقة لم يكن الامر يحتاج لسطرة وقلم فى بناء شخصية سوسن حماد بأن تكون ابنة عامل لكى تعتنق الماركسية كذلك كان مضحكا ان يحاول الروائى اقناعنا بالاصول الطبقية « لزينب دياب » « لان اباها يباع لحمة راس ، وأمها فى الاصل غسالة » لكى يدفعها ذلك للعمل السياسى الغامض الذى لم نعرفه الا لانها تجالس طلاب ثوريين من عالم آخر غير عالمنا الذى نعرفه ، ويعرفه كل ثورى .

لم تدرك الدكتورة اذن للاسف رغم انطلاقها من منهج نقدى واقعى ، لم تدرك التناسب الصحيح الذى لم يقدمه نجيب محفوظ لديالكتيك العناصر الفردية والعناصر الاجتماعية ، لنماذج ثورية فى مجتمع كمجتمعنا يعانى فيه المثقفون الثوريون ازمة لها نوعية محددة ، وينسحب الامر على الفتاة أيضا .

ان سمارة بهجت ، وسوسن حماد ، وزينب دياب للاسف لا وجود لهم الا فى الاتساق الشكلى لبناء الرواية بمواصفات جاهزة عند نجيب محفوظ اما الفتاة المصرية المثقفة والمناضلة فلم تلتقطها عدسته الروائية فهى بعيدا عن عالمه لانه هو أيضا بعيدا عن عالمها اي كانت حسن نياته ككاتب انسانى ديمقراطى ، يكتب عن ازمتنا .

عبد الرحمن ابو عوف



الثمن ١٥ قرشا


Bibliotheca Alexandrina
0531968